

عدد ممتاز

اطلب من البائع بالمجان

خريطة افريقيا

ملونة عدة ألوان

١٩٦ صفحة

منها ٢٨ بالألوان

والعربي الصغير



حة .. ريخ حياة

● هذه الصــورة هي احدى روائع الفنان الفرنسي رينوار Renoir الخالدة التي انجزها عــام ١٨٧٥ . ففي هـذا العــام كان يقيم في المرسـم الخاص به بحي « مونمارتر » بباريس . فحط بالقرب منه سيرك اسبانى ، وكان هذا السيرك المتواضع يتألف من فرناندو الاب ، ومن ابنتيه الصغيرتين ، ومهرج ، وبعض الاحصنة

(البقية على صفحة ١٧٨)





عزيزى القارىء :

● هذا عدد « العربى » الممتاز الذى عودناك اياه كل عام ، كل عيد ميلاد « للعربى » .

وشاء المصادفة أن يكون عيد ميلاد « العربى » هو عيد ميلاد العام الجديد .

وشاء المصادفة كذلك أن يخرج « العربى » الى الأسواق ، وعيد ميلاد السيد المسيح تدق اجراسه .

وفوق هذا وهذا ، يخرج «العربى» الى الاسواق ، ومآذن رمضان توشك أن تنير ، والمئذنة توشك أن تخرج فى الظلام ، على عادة القرون ، تبدد بالمصابيح ، من احمر الزجاج واخضره واصفره ، سواد الليل البهيم .

اربعة أعياد هى اذن ، اجتمعت معا :

١ ــ ميلاد « العربى »

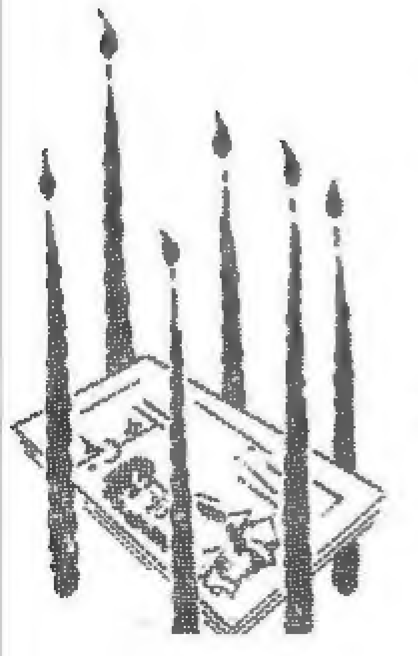
٢ ــ ميلاد العام الجديد

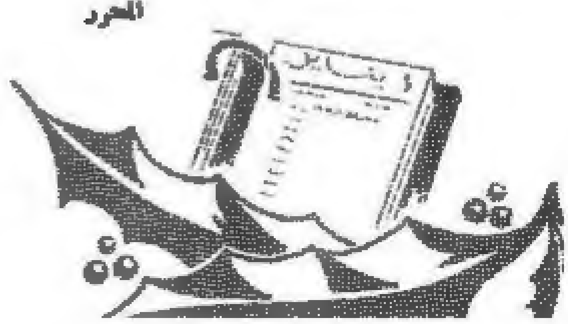
٣ ــ ميلاد السيد المسيح عليه السلام .

٤ ــ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات .

اعياد نرجوها دائما سعيدة ، بهيجة ، مشرقة ، لكل قارىء « للعربى » وقارئة .

المحرر







رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

مجلة عربية مصورة شهرية

تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت

ALARABY = No. 74 January 1965 — P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٦٠١١ ـ تلغرافيا « العربي »

الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة ـ قسم الإعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

هدية العدد

ثمن العدد

الكويت	١١٠	فلوس	العراق	١٢٠	فلسا	السودان	١٠	قروش
الخليج العربي	٢	روبية	لبنان	١٠٠	قرش	ليبيا	١٥	قرشا
السعودية	٢	ريال	الاردن	١٠٠	فلس	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن	٢	[illegible]	سورية	١٠٠	قرش	الجزائر	٢٠٠	مليم
			[illegible]	١٠	قروش	المغرب	٢	درهم

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



اجعلوا للعلم نصيبا اوفر

● ... تحية عربية صادقة ، ابعثها لكم يامن انطلقتم في مقدمة الركب العربي الناهض تحملون شعل الثقافة والمعرفة والحقيقة ... تحية اخشى من فرط تواضعها ان "تكتسب" سطورها حمرة" الخجل ..! فقد آن الاوان لامتنا العربية الخالدة ان تنطلق من قيود الكلمات وزخرفها الى رياض «العلم» وامجاده .. دعونا نبحث في رماد الاجداد نيران العظمة .. والا .. اصبحنا مثلا يحمد عقباه .. ان كان لايزال عندنا امر يحمد عقباه ؟ ..

اين احفاد ابن سينا ، والخوارزمي وجابر بن حيان ، والرازي ، والغزالي وابن الهيثم، ومحمد الفرغي .. وسواهم كثيرون ... ماحل بورثة مجدهم.. ام ان علماء العرب لم يكن لهم ورثة؟...

انى لاتطلع في الفصل وسط المعرفة في الاقطار العربية فاعلم انها «العربي» فافرق بين دفتيهـا ليخرجوني فرقا من بحور شعرها وفسيفساء كلماتها ، وقد كان يحلو لي الوقت فرقا في محيطات قوانينها ونظرياتها ومن ثم اختراعاتها ...

بالله عليكم لا تعدوا اتناه الثاني بمسلة بكم عن الهام بسالتكم .ان الشعب العربي يحتاج للعلوم الحديثة اكثر من حاجته للقصص العادية المتكررة والقصائد ترصف وصيفا في مدح هذا وشتم ذاك .. انا لا انكر ما للقيم الادبية من اثر في النفس ..ولكنني انظر تحت ضغط الحاجة الا انسى القدر الضخم الذي ضرب بالرعب حول الامور العلمية ... كما ارجو الا ينسى من بالكم ان الحضارة الاوربية لم تكن لتقوم لولا عظم اعتمادها على النواحي العلمية ...

وارجو آخر الامر ان توزعوا اهتمامكم وجهادكم بحيث يصيب العلم نصيب اوفر مما قد اصاب ان كان ذلك بشكل ابحاث علمية موسعة ووافرة، او بقالب استفسارات تضمنوها مسابقاتكم الشهرية، او مواضيع تقدم للعرب نماذج من بعض العلماء والمخترعين ...

■ احمد الملا ■ ــ حلب

مشكلة «مزمنة» في الاخلاق!

● العجيب في امر مجلة « الجالس المصورة » اللبنانية الاسبوعية دابها على نقل مقالات واستطلاعات مجلة (العربي) القراء الى صفحاتها، دون اية اشارة او ذكر للمصدر !!.. وعلى سبيل المثال ــ لا الحصر ــ اذكر هنا ان المجلة المذكورة لم تتورع في عددها الـ ٥٣ الصادر في ١٩٦٤/١٠/١٢ عن نشر مقالين ماخوذين نقلا واحدة من العدد ٧١ من (العربي) هما :

ــ ١٠ ملايين طالب في البلاد العربية .

ــ لقاء مع دب بدون موعد .

كما نشرت (الجالس المصورة) نفسها في عدديها الـ ٥٧ و ٥٨ ، الصادرين على التوالي في ١٠ و ١٧ نوفمبر ١٩٦٤ ، قصتين ماخوذتين حرفيا من العدد ٧٢ من (العربي) ايضا ، وهما :

ــ ضحية الاضطهاد العنصري .

ــ الساعة ، بقلم الدكتور بديع حقي .

ولعمري .. انه لامر عجيب حقا ما يجري في تلك (الجالس) ؟!

عبد الله الكالك ــ عمان

صيادو عناوين . . وهواة تعارف !!

● كنتم قد نشرتم اسمي وعنواني ـ انا سعاد العلي من الكويت ـ في العدد ٧١ من (العربي) كفائزة بالجائزة الاولى في مسابقة العدد ٦٩ من مجلتكم القراء . والذي يدعوني اليوم الى الكتابة اليكم ليس الا ما نتج عن هذا النشر ... حينما صرت اتلقى رسائل من شتى اقطار العالم التي تصل اليها (العربي) ، حتى انني استلمت في احد الايام ست رسائل دفعة واحدة ! وقد تراوح مضمون هذه الرسائل بين مجرد التهنئة الخالصة بالفوز بالجائزة ، الى عروض الزواج !... وهذا الشط الاخير ، ان دلّ على شيء ، فعلى ان مرسليها غير جديرين بوجودهم في صفوف قراء مجلة رزينة كـ (العربي) ، الا ماهم ـ وكما عبّر عن ذلك احد الصحفيين ـ الا صيادو عناوين !..

على ان ذلك لا يحجب حقيقة ان العديد من الرسائل تضمن رغبة صادقة في التعارف وتبادل الهوايات ، وما الى ذلك . ولهذا ، ارجو ان تتفضلوا بتسجيل شكري الخالص لمرسلي ومرسلات الرسائل من العراق والبحرين وحضرموت وسوريا والاردن والمملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة وليبيا وقطر ، مع اعتذاري عن عدم استطاعتي الاجابة على كل هذا العدد المتزايد من الرسائل .. يشاركني في الشكر زوجي وطفلتاي الاثنتان !...

سعاد العلي ـ الكويت

حول استطلاع طنجة

● تحقيقكم عن طنجة ـ المدينة العربية المطلة على المحيط الاطلسي ـ يدعو لكل التقدير وكل اعجاب .

* ارجو ان تواصلوا تحقيقاتكم المصورة عن بقية المدن السياحية والاثرية الجميلة في الوطن العربي ، وازينوا كل عدد من اعداد (العربي) باستطلاع عن مدينة عربية ، لكي يعرف كل العرب مكانة مدنهم واهمية مناظرهم الحضارية . واني شخصيا لم اكن اتصور ان طنجة بالذات هي على ما هي عليه من جمال اخاذ وطبيعة ساحرة .

وفقكم الله الى ما فيه خير العروبة

علي تودي ـ بغداد ـ العراق

جورج برنارد شو

● جاء في مسابقة العدد ٧٤ من (العربي) سؤال يشير الى ان برنارد شو ، الكاتب البريطاني الساخر ، قد توفي في احد الاعوام التالية : (١٩٥٠ ـ ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣) . بينما لاحظت في مقالة للاستاذ سلامة موسى منشورة في مجلة (الرياضة البدنية) ـ طبع سنة ١٩٥٤ ـ ان الكاتب المذكور كان لا يزال حيا في تلك السنة (١٩٥٤) .

حكمت فرنسيس ـ الحبانية ـ العراق

(العربي) ـ بل توفي في عام ١٩٥٠ .

حول استطلاع مدينة الطائف

● سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد ، فقد اعجبت بتحقيقكم الصحفي عن مدينة الطائف ، مصيف المملكة العربية السعودية المنشور في العدد السبعين من (العربي) . غير اني عجبت من خلو التحقيق من مقدمة كان لا بد منها لتبيان موقع الطائف الجغرافي ، ومركزها من شبه الجزيرة العربية ، وشهرتها ... الخ ...

لذا ، حررت لكم هذه العجالة ، شاكرا ومعاتبا ... والله الموفق على كل حال .

محمد سليمان العصيمي
الطائف ـ المملكة العربية السعودية

(البقية على صفحة ١٨١)



بقلم: رئيس التحرير

■ بالعدد الماضي من «العربي» اختتمنا السنة السادسة من حياة « العربي » ، وبهذا العدد الحاضر ، نبدأ بحمد الله السنة السابعة من حياته التي نرجوها ويرجوها العرب مديدة بإذن الله .

شمعاتٌ ستٌّ

وفي احتفالنا اليوم بالذكرى السادسة لهذا الميلاد أوقدنا شمعات ستا ، أوقدتها صبيّة من نفس موطن العربي ، الكويت . وشعّت الشمعات بالأمل ، وشعّت الصبيّة وشعّت عيناها . فالأمل دائما نور ، واليأس ظلام . وأطلقنا الصورة ، على الغلاف ، تبثّ الأمل في قلب كل رائي ورائية . وهي أطلقة ، ١٤٠ ألفا ، تدخل بـ «العربي» الى ١٤٠ ألف بيت عربي ، تدخل بالنور ، وتدخل بالأمل ، وما أحوج بيوت العرب هذه الأيام الى كل شعاع من نور في الدنيا ، مهما خفت ، والى كل أمل مهما صغر .

الأعياد ذكرى

وأعياد الميلاد ذكرى .

ويذكرنا هذا العيد ... تذكرنا فيه المائة والأربعون ألفا بتلك السبعة والثلاثين ألفا ، أو لعلها الثمانية والثلاثون ، من نسخ العدد الأول من « العربي » ، تلك التي أطلقناها في دور العروبة أول اطلاق منذ ست سنوات كاملة .

كانت الريبة عندنا قائمة ! كم تحتمل السوق ؟ قيل عشرة آلاف ! وقيل عشرون ألفا ! ثم قيل كم ؟ قلت : لا أقل من أربعين ألفا . وصفا المطبوع على نحو ٣٨ ألفا لم يبق في السوق العربية ، واقطار العروبة ، غير يومين . ويأتي البرق سائلا : زيدونا . ونجيب آسفين : ما من مزيد .



كان العدد صارما . لم يكن فيه سياسة تغرى قارئا . ولا كان فيه جنس يستهوى قارئا وقارئة ، وما كان فيه عبث الا القليل من اللهو البرىء . ولكن كان فيه من كل شىء قطاف مختلف ، والشجر المقطوف كان شجر المعرفة الذى لا يغلى بالمقتطف قطافه .

وكان لنا فى هذه التجربة الاولى هدى السبيل .

اختططناه سبيلا وسطا

واختططناه سبيلا وسطا فى كل شىء .

لا نحمد شيئا كل الحمد ، ولا نلم شيئا كل الذم . والرأى نقبله لا قدا منقودا .

ونوغل فى الحق ، ولكن بمقدار ما يحتمل الناس ، ولا نمس باطلا تداهن به احدا .

والدين نحترم ، ونرافق الناطقين به ، فيما ينطقون ، الى حدود المنطق الذى لا يكون بعده الى السقوط فى الهاوية .

وانتصرنا للعلم . وانتصارنا للعلم كان انتصارا للدين ، والدين ايمان بملكوت ، والملكوت لا يؤمن به الا عن فهم ، ولا فهم الا بالعلم .

وسبب آخر لانتصارنا للعلم ، ذلك انه عماد كل رخاء قائم اليوم فى الدنيا ، وانه بالعلم يمحى الفقر . والحياة ، من حيث هى حياة ، تجربة فى الناس عسيرة حتى على الرخاء ، ولكنها على الفقر اشد عسرا ، واشد كثيرا . والعلم يخفف من عسر الحياة ، فيخفف من فقر . وهو يخفف على الرخاء عن الفكر الانسانى المسكين ،

الذي يظل يتشبث بمحاولة استجلاء ما وراء هذه الظواهر والأشياء وقلّ ما يجد السبيل .

واتحدث عن العلم واكثر ، ذلك لأن العرب في حاجة الى هذا الاكثار .

أن العرب يتحدثون دائما عن الادب والأدباء . ونْدر حديثهم عن العلم وعن العلماء .

الأدب عند آبائنا القدماء

والأدب عند آبائنا ، العـرب الاولين ، كان استيعاب معرفة . ويأتي الأمـير برجل من سـادة الناس فيدفع اليه بولده ويقول له : أدّبْه ، أي ربّه وهذّبه ، واسقه حلْبا خالصا من معرفة ، وفقّهه في شئون الدنيا والآخرة . فشمل الأدب عندهم كل شيء . ولكن ، بحكم الزمـن ، كان أكثر التأديب يتم تديهم بحفظ ما وعى الناس من منثور الكلم ومنظومه ، وباستظهار ما يستطاع من كتاب الله . يضـاف اليها ما تيسر من عيون الأخبـار ووقائع الأيام . وهي وقائع سجلهـا الشعر ، على عادة القدماء ، تسجيلا .

ونزل الأدب الينا ، عبر القـرون ، وهذه أكثر صفته . الشعر يحتل فيه المقام الأول ، ومن أجل هذا جعلنا الشعر وحده أميرا ، اسميناه أمير الشعراء .

واتصل أهل الشرق بأهل الغـرب فدخلت الى أدب العرب القصة .

فاصبح الأدب شقان : شعر وقصة ، لا تكاد أن تجد لهما ثالثا .

وتدور على من اسموهم في العـرب أدباء ، فلا تكاد تجد أديبـا له اسـم مسموع ، الا ان يكون أستمع النـاس باسمه شعر له او قصة .

وقد يكون برّز في نواح اخرى ، ولكن التبريز في القصة او الشعر اولا . ان هذين هما جواز المرور .

وأنا اذا قلت العرب فانما اتحدث منهم جملة ، ولا يعنيني أن همت بلد او فئة بالخروج عن هذا النمط ، فهؤلاء على كل حال قلة .

وجمهور الناس يقدر التبريز ، ولكن لا كتقديره في الأدب والأدباء .

الشعر والقصة شيئان جليلان

والشعر شيء جليل ، لا ريبة في هذا . وكذا القصة . وهما في مراقيهما العليا ، يمسّان النفس الانسـانية ، في أحسّ مواضع بها ، تلك مواضع الانفعـالات والعواطف .

والعيش طعام وشراب ، ولكن لا يرفع الانسان الى المستويات التي يحسّ بها بانسانيته كمسّ انفعال به او عاطفة . والشعر الجيد له هذا المسّ ، وكـذا القصة الجيدة .

والقصة الجيدة يعيشها الانسـان باحداثها ساعة ، فكأنما عاش عمرا ، وفيها يتأسى الشقي على حالته او يسمع فيها وترا يضرب بالنغم على مثل أوتاره . والشقي يعيش من شقائه في وحشة ، والشعر والقصة يبدّدان من وحشته . يستبدلان بالوحشـة أنسا . هو أنس السالك وحده طريقا أوحشه ، لم لقي به رفيقا ، فآنسه ، ولو سار كلاهما بعد ذلك على الشوك .

وكالشقي ، المحزون .

حتى ذو النعمة الفرح ، يزيد الشعر الفرح والقصة الناعمة في نعمته وفرحه .

لا انتقص من قدر الأدب

فليس الذي بي الآن انتقاص من قدر الأدب .

وانما الذي بي أن الدنيا تغيرت ، ودوائر المعرفة اتسعت . والثقافة لعددت



ابوابهـــا وتنوعت . والعيش صـــعب التحضير له وظلل . وعيش الفطرة قد زال . فالادب ، بهذا المعنى المحدود ، لا يكفي لثقافة رجل هذا العصر الحاضر او امرأته .

لا يكفي رجلا يمر على الحقل او فيه ، فيرى الحرّار يشـــقه فيريد بطبعه ان يعرف : ما الحرّار ، ولم يشق الارض ، ولم استبدل بالسواعد . او يرى الزرع يسقى رشاشا،فيريد بطبعه ان يعرف لم استبدل الرشاش بسقي القنوات . او يرى الملح ينثر في الارض ، فيريد ان يعرف : اي ملح هذا ، واي سماد ، ولاى زرع . او يرى المكروب يرش بمائه من اوعيته على محاصيل الحقل ، فيعجب ، فيقال له انه داء يقي من داء ، فيريد ان يريد علما ويعمه . هذه جبلته . جبلة الانسان ، يريد أن يفهم ، وتلك فهما .

وكالرجل الذى يجوس خلال الحقل ، الرجل الذي يجوس خلال المصنع .

ان المصانع اليوم عمد العيش . انها تقف وراء ضرورات العيش ، وهي صانعة كل رخاء . والرجل المثقف الحديث يريد ان يفهم لم كانت هكذا ، ثم كيف تعمل .

هذا طبع الانسان ، وهذه جبلته .

وهي ليست جبلته وحده . انها جبلة القردة . أعط القرد ساعة تك ، ياخذها بيديه ، ويقلبها ، ويحـــاول فتحها ليرى ما فيها . يريد أن يفهم . ماذا استعصت عليه ضرب بها الارض لعلها تتكسر فتنفتح .

والانسان الحديث يجري بين اشياء هذا العيش الحديث ، وادواته واجهزته وانماطه ، يستمتع بها ، ولا يكتمـــل استمتاعا الا اذا التمس منها فهما السيارة كيف تدور ، وكيف تسير ، وكيف ترضى ان تدور وان تســير . القاطرة . الطائرة . الصاروخ . . ما وراء الصاروخ من . .

وفي المنزل . وفي الشـــارع . وفي الاسواق .

وفي نفسه . انه يدخل الطعام الى جسمه ، ثم يراه يخرج . ولكن ماذا صنع في كل هذه السفرة وقد تقضي فيها ساعات . يريد ان يفهم . يريد ان يعرف . فلعله يسمع وهو اذا لم يسمع ، فهو يريد ان يروي ظمأ ، هو ظمأ المعرفة .

والسماء ذات الرجع ، والارض ذات الصدع . .

ان الثقافة بعد الشعر والقصة ، لها الف وجه ووجه .

واكثر هذه الوجوه يشملها العلم .

من اجل هذا انبعث من العلم واكثر .

ونتخذ العلم في « العربي » اداة تشع النور

ونتخذ العلم في « العربي » ، لا اداة تسرّي واثارة وتهويل ، ولا لنصنع من اخباره المذهل الذي لا هدف له الا ان يترك عند قارئه الانسان الاحساس بالسحر والسحور ، ثم بالضآلة والصغار . وانما نحن نتخذ من العلم اداة تشع النور فيما حول الانسان العاقل المفكر من طبيعة ارضية ، وفيما اصطنع فوق هذه الارض من مدنية .

وفوق هذا وذاك نحاول بالعلم ان نسابق « فقه » الاديان في فهم هذا الكون ، حتى ان نسبقها في استشعار اعظم شيء في الدنيا ان فاتنا ادراكه : ذلك الشيء العظيم الجليل ، الواحد ، الذي ربض وراء هذه الظواهر والمظاهر جميعا ، يحركها فردا ، باساليب واحدة لا تختلف ، وقوانين على تباعد ارجائها تتآلف وتتناسق في وحدة تآلفا وتناسقا لا يكونان الا من الشيء وحده . وهدفت الاديان في«فقهها»الى الاقناع،وفي رايي انه



لم تكد . وحدثت الفلسفة فلم تزد . ثم جاء العلم فحجب هؤلاء جميعا ، وكشف عن وحدة في هذا الوجود لم يسبقه اليها سابق ، وظني أنه لن يلحقه فيها لاحق .

وغير الادب ، وغير العلم ، صنوف من العرفان اخرى

على أن الانسان في حياته هذه الدنيا لا يحتاج الى أدب وحده ، ولا الى علم وحده . انه يحتاج كذلك الى صنوف من العرفان حاولنا أن نقتبس منها ما اتسعت لها من « العربي » صفحات .

واتسعت صفحات « العربي » للكثير، تدرك ذلك من الفهرس الذي ذيلنا به هذا العدد .

ففيه ، وفق الترتيب الابجدي :

أدب ولغة . استطلاعات مصورة . اقتصاد . تاريخ . تاريخ أشخاص عرب . تاريخ أشخاص غير عرب . تربية . جريمة وقضاء . دين ورجال دين . ذرة . فضاء . الاسرة . المرأة . سياسة (عربية قومية) . شعر . شعراء . طب (غير طب الاسرة) . عروبة . علم نفس . علوم (من أنباء العلم والطب والاختراع) . فلسفة . فنون . قصص . مجتمع واجتماعيات . وغير ذلك من أبواب ثابتة . مثل باب الكتب ، وطرائف عربية ، ودردشة ، ومرآة الرأي العربي والعربي ، وأنت تسأل ، وبريد القراء . حتى المسابقة جعلناها فكرية ثقافية تحض على البحث والاطلاع .

ومع هذا فلا ندعي أننا بلغنا من صنوف العرفان في العربي ما نبغي .

وكتاب « العربي »

وكتاب « العربي » ، الذين يزودونه بهذا الزاد ، كلهم أساتذة ، الى جانب فله ناشئة سارت على هذا الدرب .

والمصادر التي يتزود منها أكثرية هؤلاء الكتاب لا تزال مصادر أكثريتها غير عربية . فتلك هي مصادر الثقافة الحديثة اليوم . ونحن نازع أهل الغرب في الكثير ، الا في مصادر علم وعرفان . فهذه أكثرها منهم، وهي منهم لزمة . والذي ينكر هذا ، ويجمع الى الانكار عزوفه عن استيراد ، انما يجدع انفه بنفسه . فنحن في عصر تهب ريحه غربية ،بعد أن كنا وكانت الدنيا في عصور كانت رياحها تهب شرقية .

من أجل هذا لم نبال ، فيما نكتب في « العربي » ، أن نغترف من الشرق ،وأن نغترف من الغرب . ولكن كان اغترافنا من الغرب ، من حيث العلوم والمعارف ، اغترافا كثيرا .

وبعد ...

وبعد . فقد ذكرنا في أول هذه الكلمة أن العدد الاول نزل الى الاسواق منه ٣٨ ألفا ، واختفت في يومين . وأن هذا العدد الحاضر ، وقد خرج بعد ٦ سنوات من العدد الاول ، طلبت الاسواق العربية منه أكثر من ١٤٠ ألفا . ولقد حاولنا في هذه الصفحات القليلة أن نشرح الخطة التي اختططناها فلقت بنا ، على غير عمد ، هذه الغاية المحمودة . فلعلنا قد بلغنا من شرح هذه الخطة مأربا .

اختصارا ، هي خطة تهدف الى نفع القارىء العربي في عروبته ، في بيته ، في نفسه وجسمه ، في مجتمعه .

انما النهج الذي نهجناه ، أرجو أن يأخذ به خلف من سلف ليطرد النجاح الذي بدأناه .

وما التوفيق ، بعد كل هذا ، الا من الله .

احمد زكي



بقلم : عبد الصاحب جعفر جمال الدين

بن رباح مولد من مولدي بني جمح وقيل : « انه مولد من مولدى السراة » .

واما ابوه رباح فقد كان عبدا حبشيا وسيما .. ولقد كان مولى لخلف بن وهب الجمحي ، اعتقه واعطاه حريته وجعله قيما على ادارة شؤون ضيعته في السراة .

اما امه فهي حمامة (وقيل سكينة) .. وكان بلال يسمى احيانا بلال بن حمامة ، واحيانا بابن ام بلال .. وحمامة حبشية وهي سبية ايضا ، جاءت مع الجيش الحبشي الغازي لمكة عام الفيل سنة ٥٧١م، ولما تمزق الفشل ذلك الجيش كانت حمامة من مخلفات ذلك الجيش .

وقد اتهبها سحيم بن سهل الخثعمي واهداها الى حليفه خلف بن وهب الجمحي الذي زوجها من مولاه رباح . وقد بقي الزوجان في صحة خلف في السراة واولدا، وكان مولودهما الاول بلال ، ثم خالد ثم غفرة .

وقد اصبح بلال بحكم العادة مولا لخلف بن وهب الجمحي، وانتقلت ملكيته

الى امية بن خلف بعد وفاة خلف . ولقد بقي بلال يرعى الابل لسيده في السراة حتى ظهور الاسلام .

ويوصف بلال بانه « **اسود طويل من الرجال ، كانه النخلة المنحوقة، مصاص من السواد،عيناه حمراوان كانهما العقيق، جهوري الصوت عريض المنكبين .. وكان من عظم خلقه اذا نظر اليه احد يهابه** ».

اسلام بلال

ولما جاء الاسلام ، كان بلال في طليعة المؤمنين بهذه الدعوة الجديدة ، نظرا لصفح قلبه للايمان ، وهو الراجح ، او نظرا لما كان يلاقيه من الاضطهاد من اسياده . وتذكر لنا بعض الروايات ان بلالا في جملة السبعة الاوائل الذين ظهروا الاسلام . وبعضهم يقول ان « **بلالا اول الموالي اسلاما** » . ومن الدلائل التي تشير الى سبق بلال ما روى عن الرسول من انه قال « **بلال اول ثمار الحبشة** ».

ما لاقاه بلال من التعذيب بسبب اسلامه

وقد لاقى المسلمون الاوائل صنوف التعذيب بسبب اسلامهم ،وكان التعذيب يقع على المستضعفين منهم ، وخاصة الموالي ، والذين ليس لهم مال أو جاه او نسب يحميهم به .

ويرجع هذا التعذيب عليهم اسيادهم خاصة ، نظرا لما رأوه من تهديد الدعوة الجديدة لمصالحهم .وقد اورد ابن هشام في سيرته الشيء الكثير من تعذيب بلال ، نورد منه ما يلي :

« كان ورقة بن نوفل يمر ببلال وهو يعذب ويقول أحد أحد ، فيقول ورقة أحد أحد والله يا بلال . ثم يقبل على امية ابن خلف ، ومن يصنع ذلك به من جمح ، فيقول احلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا » .

وقد روي : « **ان بلالا اذا اشتد عليه العذاب يقول : احد احد** » .. وكان امية ابن خلف يجيع بلالا ويعطشه ويلقيه على ظهره في الرمضاء ويضع على صدره الاثقال ويقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تعبد اللات والعزى .. فيجيبه بلال : **احد احد** ..

عتق ابي بكر لبلال

ومر ابو بكر ببلال وهو يعذب في بني جمح ، وكانت دار ابي بكر في جمح ، فرق لحاله ، فقال لامية بن خلف : **الا تتقي الله في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟** قال : **انت الذي افسدته فانقذه مما ترى** ؟ فقال ابو بكر : **افعل** ؟ ..

وقيل انه اشتراه بسبع اواق ثم اعتقه ، وكان له خازنا . وقيل ان الرسول هو الذي اعتق بلالا وعامر بن فهيرة .

الهجرة الى المدينة

وهاجر بلال الى المدينة مع من هاجر من المسلمين لما امرهم النبي بذلك . واغلب المهاجرين الاولين كانوا من المستضعفين الذين تركوا اموالهم واهليهم في مكة ، وهربوا بانفسهم خوفا .

ولما وصل النبي الى المدينة وآخى بين المهاجرين والانصار « آخى بينه وبين ابي رويحة وهو عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ... وقد آخى الرسول بين المهاجرين انفسهم آخى بينه وبين عبيدة بن الحارث بن المطلب » .

وقد جاء في سيرة ابي هشام « ان عمر ابن الخطاب لما دوّن الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج الى الشام مجاهدا ، قال عمر لبلال : الى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال مع ابي رويحة لا افارقه ابدا للاخوة التي كان الرسول « ص » قد عقد بيني وبينه . وضم ديوان الحبشة الى خثعم لمكان بلال منهم » .

ومرض بلال اثر وصوله الى المدينة كما مرض بعض الصحابة ومنهم ابو بكر .

وقد روى عن عائشة انها قالت:لما هاجر الرسول الى المدينة مرض المسلمون بها فكان ممن اشتد بهم المرض ابو بكر وبلال

وعامر بن فهيرة ، فكان ابو بكر يقول في مرضه :

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ في أَهْلِه
والمَوْتُ أَدْنَى مِن شِراكِ نَعْلِه

وكان بلال يقول :

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هل أَبِيتَنَّ لَيْلَةً
بِفَجٍّ وحَوْلي إذْخِرٌ وجَلِيلُ
وهَلْ أَرِدَنْ يَوْماً مِياهَ مَجَنَّةٍ
وهَلْ يَبْدُوَنْ لي شامَةٌ وطَفِيلُ ●

قال : فأخبر النبي « ص » بذلك ، فقال : اللهم طيب لنا المدينة ، كما طيبت لنا مكة وبارك في مدّها وصاعها .

مشاركة بلال النبي

ولقد رافق بلال النبي في مكة ، وكان الرفيق المؤنس والمطيع له .

روى عن انس بن مالك انه قال : قال النبي « **لقد أخفت في الله وما يخاف احد ، ولقد اوذيت في الله وما يؤذى احد ولقد اتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد ، الا شيء يوارى ابط بلال .** »

وجاء في تفسير هذا الحديث ان بلالا كان رفيق النبي في خروجه من مكة خائفا .

وقد رافق بلال النبي في المدينة وشاركه في معظم المشاهد والغزوات

ولقد روى ان بلالا شهد بدرا واحد وسائر المشاهد مع النبي .

واول موقعة شارك فيها بلال هي موقعة بدر ، ويقال بانه هو الذي حث المسلمين على قتل امية بن خلف معذبه سابقا . فلما رآه اسيرا لدى عبد الرحمن ابن عوف ، اخذ يصيح بأعلى صوته : راس الكفر امية بن خلف ، لا نجوت ان نجا ، واخذ يكررها عدة مرات حتى اجتمع عليهم المسلمون . ويبين ان الذي قتل امية بن خلف هو حبيب بن اساف . ويبين ان حبيبا وبلالا اشتركا في قتله ..

وقد روى عن عبد الرحمن بن عوف انه قال « **يرحم الله بلالا لقد ذهب ادرعي وفجعني باسيرى** » .

ورافق بلال النبي « ص » عام الفتح (فتح مكة) . ولما فتحت مكة ودخلها النبي امر بتهديم الاصنام والاوثان ، ثم امر بلالا بان يصعد ويؤذن على ظهر الكعبة . وقد هال الامر سادات قريش الذين كانوا على رؤوس الجبال ، وقالوا ما قالوا في بلال ...

وقال بعضهم « **ما لهذا الغراب الاسود يتعق على ظهر الكعبة** » فنزل الوحي بقوله تعالى (**يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم**) .

اول المؤذنين في الاسلام

ولقد اكرم النبي بلالا فجعله مؤذنه الاول ، وكان بلال جهوري الصوت ونديه .

وقد جاء في الكثير من الروايات عن بدء استعمال الاذان ، ان النبي لما جاء المدينة كان الناس يجتمعون اليه للصلاة بهم بغير دعوة .

وقد اقترح بعض الصحابة ان تنصب راية لتعلم المسلمين على مواقيت الصلاة .

واقترح بعضهم استعمال البوق ، فاستعمل ، ثم كرهه النبي لاستعمال اليهود اياه

ثم استعمل الناقوس .

وبينما هم كذلك ، اذ راى عبد الله ابن زيد في منامه شخصا علمه الاذان ، فاخبر النبي (ص) بذلك فقال النبي :

● اذخر وجليل : نباتان . وشامة وطفيل : جبلان

« انها لرؤيا حق ان شاء الله » . وامره ان يلقيها على بلال ليؤذن بها لانه اندى صوتا .

وقد روي عن امرأة من بني النجار انها قالت : كان بيتي اطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة ، فيأتي بسحر ، فيجلس على البيت فينتظر الفجر ، فاذا رآه تمطى ثم قال : اللهم اني احمدك ، واستعينك على قريش ، ان يقيموا على دينك .

قالت : والله ما علمته كان يتركها ليلة واحدة .

وقد روى الواقدي كما روى البلاذري ان بلالا مؤذن الرسول كان يقف بباب الرسول ويقول : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ..حي على الصلاة .. حي على الفلاح .. الصلاة يا رسول الله . ثم يقف بالباب ينتظر الرسول حتى يأذن له بالاقامة للصلاة .

وروى ان بلالا اذا اذن كان يضع اصبعه في اذنيه . ومن جملة المؤذنين الذين شاركوا بلالا في تلك الفترة ابن ام مكتوم ، وابو محذورة الذي كان يؤذن في مكة .

وقيل ان الخليفة عثمان كان يؤذن في الجامع امام منبر النبي « ص » .

ومن المؤذنين الآخرين سعد القرظ الذي اذن للخليفتين ابي بكر وعمر ..

وكان بلال يقضي الليل ساهرا متعبدا ينتظر طلوع الفجر حتى يؤذن لصلاة الصبح وقد قضى بقية حياته على هذه الحال ، الا ليلة نام فيها ولم يؤذن للرسول حتى ارتفع حاجب الشمس . ولقد بقي بلال مؤذن الرسول طيلة حياته .

وروى الواقدي « بان بلالا لم يؤذن لاحد بعد النبي (ص) » وقال : « لما توفي رسول الله « ص » اذن بلال والرسول لم يقبر بعد ، فكان اذا قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ، انتحب الناس في المسجد . فلما دفن : قال ابو بكر اذن ، فقال : ان كنت انما اعتقتني لله فخلني ، ومن اعتقتني له . فقال ما اعتقتك الا الله ، فقال : فاني لا اؤذن بعد رسول الله . فقال : فذاك اليك . فاقام حتى خرجت بعوث الشام فسار معهم » . وروى ايضا ان الخليفة عمر بن الخطاب لما قدم الشام سأل بلالا ان يؤذن وقال له : انما كرهت الاذان بالمدينة ، فاذن ها هنا ، فاذن ، فبكى الناس عامة يومهم لذكر الرسول .

نهاية المطاف

لقد ذكرنا سابقا ان ابا بكر هو الذي اعتق بلالا ، فلما توفي الرسول وبويع ابو بكر بالخلافة قام اليه بلال وقال : اي خليفة رسول الله ، اني سمعت رسول الله يقول : ليس عمل افضل من الجهاد في سبيل الله ، فان كنت اعتقتني لنفسك فاحبسني ، وان اعتقتني لله عز وجل فذرني اذهب الى الله فقال : اذهب . فذهب الى الشام غازيا ومات فيها ..

وقد توفي بلال في دمشق بسبب تفشي الطاعون هناك « طاعون عمواس » سنة ٢٠ هـ وقيل سنة ١٨ هـ .. وقيل سنة ٢١ هـ . ولقد مات بسبب هذا الوباء الكثير من الصحابة ، ومنهم ابو عبيدة الجراح . ودفن بلال في مقبرة دمشق عند الباب الصغير . وهو ابن ثلاث وستين ، وقيل ابن السبعين . ولكن الراجح انه توفي وهو ابن ثلاث وستين ، لانه كان ترب الخليفة ابي بكر .

■■

عبد الصاحب جعفر جمال الدين ـ العراق

افريقيا

معلومات مثيرة
بها احصاءات صحيحة الى شهر نوفمبر ١٩٦٤
وتقرأ مع الخريطة ذات الالوان المتعددة
التى قدمناها هدية بالمجان منفردة
مع هذا العدد

● مدغشقر

الاسم : جمهورية الملاجاشي
العاصمة : تاناناريف
عدد السكان : ٥ ٨٥٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

سيراليون

الاسم : سيراليون
العاصمة : فري تاون
عدد السكان : ٢ ٤٠٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية : مستقلة

الصومال

الاسم : جمهورية الصومال
العاصمة : مقديشيو
عدد السكان : ١ ٩٩٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : اللغة الصومالية
الحالة السياسية : مستقلة

جنوب افريقيا

الاسم : جنوب افريقيا
العاصمة : الادارية : بريتوريا
التشريعية : كابتاون
عدد السكان : ١٥ ٩٨٣ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية والافريقية
الحالة السياسية : مستقلة

رواندا

الاسم : جمهورية رواندا
العاصمة : كيجالي
عدد السكان : ٢ ٦٣٤ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

الجمهورية العربية المتحدة

الاسم : الجمهورية العربية المتحدة
العاصمة : القاهرة
عدد السكان : ٣٠ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : العربية
الحالة السياسية : مستقلة

جمهورية فولتا

الاسم : جمهورية فولتا العليا
العاصمة : واجادوجو
عدد السكان : ٤ ٦٥٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

مالى

الاسم : جمهورية مالى
العاصمة : باماكو
عدد السكان : ٤ ١٠٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

موريتانيا

الاسم : جمهورية موريتانيا الاسلامية
العاصمة : نواكشوط
عدد السكان : ٧٨٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

كونجو برازافيل

الاسم : جمهورية الكونجو
العاصمة : برازافيل
عدد السكان : ٨٤٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

الكونجو

الاسم : الجمهورية الكنغولية
العاصمة : ليوبولدفيل
عدد السكان : ١٤ ١٥٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

داهومى

الاسم : جمهورية داهومى
العاصمة : بورتونوفو
عدد السكان : ١ ٧٢٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

جامبيا

الاسم : جامبيا
العاصمة : باثرست
عدد السكان : ٣٦٤ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية : مستعمرة بريطانية

غانا

الاسم جمهورية غانا
العاصمة أكرا
عدد السكان ٦ ٦٩١ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية الانجليزية
الحالة السياسية مستقلة

غينيا

الاسم جمهورية غينيا
العاصمة كوناكرى
عدد السكان ٣ ٧٠٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية الفرنسية
الحالة السياسية مستقلة

افريقيا الوسطى

الاسم : جمهورية افريقيا الوسطى
العاصمة : بانجى
عدد السكان : ١ ٢٠٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

تشاد

الاسم : جمهورية تشاد
العاصمة : فورت لامى
عدد السكان : ٢ ٨٠٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

الحبشة

الاسم : الامبراطورية الاثيوبية
العاصمة : اديس ابابا
عدد السكان : ٢١ ٨٠٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الامهرية
الحالة السياسية مستقلة

الصومال الفرنسي

الاسم الصومال الفرنسى
العاصمة جيبوتي
عدد السكان ٦٧ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية الفرنسية
الحالة السياسية مستعمرة فرنسية

جابون

الاسم جمهورية جابون
العاصمة ليبرفيل
عدد السكان ٤٦٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية الفرنسية
الحالة السياسية مستقلة

جنوب غرب افريقيا

الاسم جنوب غرب افريقيا
العاصمة ويند هوك
عدد السكان ٥٢٥ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية — الافريقية — الالمانية
الحالة السياسية تحت انتداب جنوب افريقيا برقابة دولية .

روديسيا الجنوبية

الاسم : روديسيا الجنوبية
العاصمة : سالزبورى
عدد السكان : ٣ ٨٣٩ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية : مستعمرة بريطانية

غينيا الاسبانية

الاسم : غينيا الاسبانية
العاصمة : سانتا ازابيل
عدد السكان ١٠١ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية الاسبانية
الحالة السياسية مستعمرة اسبانية

الصحراء الاسبانية

الاسم الصحراء الاسبانية
العاصمة فيلا سيسنيروس
عدد السكان ٣٦ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية الاسبانية
الحالة السياسية مستعمرة اسبانية

السودان

الاسم السودان
العاصمة الخرطوم
عدد السكان ١٢ ١٠٩ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية العربية
الحالة السياسية مستقلة

سوازيلاند

الاسم محمية سوازيلاند
العاصمة : مبابان
عدد السكان ٢٦٩ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية الانجليزية
الحالة السياسية : حماية بريطانية

اتحاد نيجيريا

الاسم نيجيريا
العاصمة لاجوس
عدد السكان ٣٥ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة تقريبا
اللغة الرسمية الانجليزية
الحالة السياسية مستقلة

غينيا البرتغالية

الاسم غينيا البرتغالية
العاصمة بيسو
عدد السكان ٥١١ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية البرتغالية
الحالة السياسية مستعمرة برتغالية

روديسيا الشمالية

الاسم جمهورية زامبيا
العاصمة لوساكا
عدد السكان ٢ ١١٥ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية مستقلة

ليبيا

الاسم المملكة الليبية المتحدة
العاصمة طرابلس
عدد السكان ١ ١٩٥ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية العربية
الحالة السياسية مستقلة

مالاوى

الاسم : جمهورية مالاوى
العاصمة : زومبا
عدد السكان : ٤ ٩٢١ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية : مستقلة

ساحل العاج

الاسم : جمهورية ساحل العاج
العاصمة : ابيدجان
عدد السكان : ٣ ٦٥٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

كينيا

الاسم : كينيا
العاصمة : نيروبي
عدد السكان : ٨ ٨٢٧ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية : مستقلة

ليبيريا

الاسم : جمهورية ليبيريا
العاصمة : مونروفيا
عدد السكان : ١ ٢٥٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية : مستقلة

الجزائر

الاسم : الجمهورية الجزائرية الشعبية والديمقراطية
العاصمة : الجزائر
عدد السكان : ٩ ملايين نسمة
اللغة الرسمية : العربية
الحالة السياسية : مستقلة

انجولا

الاسم : انجولا
العاصمة : لواندا
عدد السكان : ٤ ١٤٥ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : البرتغالية
الحالة السياسية : مستعمرة برتغالية

باسوتولاند

الاسم : باسوتولاند
العاصمة : ماسيرو
عدد السكان : ٦٤٢ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية : تحت الحماية البريطانية

بتشوانالاند

الاسم : بتشوانالاند
العاصمة : مافيكينج
عدد السكان : ٢٩٤ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية : تحت الحماية البريطانية

بوراندى

الاسم : مملكة بوروندى
العاصمة : كيتجا
عدد السكان : ٢ ٢١٣ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

الكاميرون

الاسم : جمهورية الكاميرون الاتحادية
العاصمة : دوالا
عدد السكان : ٤ ٠٩٥ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية والانجليزية
الحالة السياسية : مستقلة

المغرب

الاسم : المملكة المغربية
العاصمة : الرباط
عدد السكان : ١١ ٦٢٦ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : العربية
الحالة السياسية : مستقلة

نيجر

الاسم : جمهورية النيجر
العاصمة : نيامي
عدد السكان : ٣ ١٥٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

موزمبيق

الاسم : موزمبيق
العاصمة : لورينزو ماركس
عدد السكان : ٥ ٧٣٢ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : البرتغالية
الحالة السياسية : مستعمرة برتغالية

تنجانيقا وزنجبار

الاسم : تنزانيا المتحدة
العاصمة : دار السلام
عدد السكان : ٩ ٧٠٤ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الانجليزية
الحالة السياسية : مستقلة

توجو

الاسم : جمهورية توجو
العاصمة : لومي
عدد السكان : ١ ٥٨٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

تونس

الاسم : الجمهورية التونسية
العاصمة : تونس
عدد السكان : ٤ ١٩٨ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : العربية
الحالة السياسية : مستقلة

اوغندا

الاسم : اوغندا
العاصمة : كمبالا
عدد السكان : ٦ ٦٢٨ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : السواحلية
الحالة السياسية : مستقلة

السنغال

الاسم : جمهورية السنغال
العاصمة : داكار
عدد السكان : ٣ ٣٦٠ ٠٠٠ نسمة
اللغة الرسمية : الفرنسية
الحالة السياسية : مستقلة

يوسف بورحيل من بعد عمر المختار

قال للثقة من صحبه وهم يقتحمون الحدود الى مصر :

« اما انتم يا اخواني فتسف ، لكم في العمر براح . اما انا فشيخ ، لا يرى معدا يجمل به خارج هذا الوطن » . ثم عاد ، واستبسل واستشهد .



بقلم : صالح مسعود ابو يصير

ســـوات طويلة ولا يزال الإبحار طابـع



ايطاليا تطلب المفاوضة

منذئذ اضطرت ايطاليا الى الاعتراف بالوطنيين قوة محاربة، وبعثت بمندوبيها يطلبون موعدا للمفاوضات .

وفي سيدي رحومه على بعد ١١ كيلومترات من بنغازي في شهر مارس من عام ١٩٢٩ تلاقى الخصمان وجها لوجه ..

بعثت ايطاليا بحاكم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible]

[illegible] المجاهدون فقد بعثوا [illegible] وقائدهم عمر المختار [illegible]

احمد يوسف بورحيل ، احمد بلاسد [illegible] عمر بن محمد ، المحمد العمدر الذي رصدت ايطاليا خمسين الف ليرة لمن ياتى به حيا او ميتا ، والفضيل بو عمر الفارس المشهور واحد علماء الاسلام المعدودين في ذلك العهد

شروط المجاهدين

وقدم المجاهدون شروطهم لايطاليا : حرية من حدود تونس الى حدود مصر، كيان عربي مستقل بلغته وقوانينه . تسلح حر لا رقابة عليه ولا ممانعة . الغاء القوانين التى صادرت الاملاك واغتصبت الاراضى وفرضت اللغة الايطاليه .

ومع هذه الشروط التى كانت صام

١٩٢٩ هي كل أمل يمكن أن يسعى اليه المجاهدون المحاصرون بل الفدائيون المناضلون ، مع هذه الشروط أصر المجاهدون على وجوب احضار مندوبين من مصر وتونس العربيتين ليشهدا الاتفاق وبنوده ـ وكان هذا الشرط تعلقا قويا بروح العروبة التي تجاهلت تماما وجود الانجليز في مصر وفرنسا في تونس وطالبت ، باحضار عربيين يمثلان الوجه الحقيقي لتونس ولمصر ، فالعروبة كانت هناك قبل الاحتلال ، والعروبة باقية لا ريب بعد الاحتلال .

هدنة انطوت على خداع

ووافق بادليو على الشروط متظاهرا بأنه يحتاج فقط لمراجعة المؤتمر العليا بروما مطالبا بوقف اطلاق النار لمدة ستين يوما .

وكانت أول هدنة منذ عشرين عاما ، ما كان أحوج العرب اليها ، وما أشوقهم الى سلام يحقق آمالهم في خلق دولة عربية ، واستعادة حق سليب .

ولتمتد الهدنة أكثر من مرة ليصل رد ايطاليا مليئا بالحيلة والاغراء .

رد ايطاليا

هدنة استهلكت شهورا ستة لتقدم ايطاليا فيها قصرا فخما لعمر المختار بالجبل الأخضر ، وليتخذ فيه من رفاقه في الجهاد حرسا خاصا بحسبه وعرفه . ورواتب كبرى له ولمستشاريه والمدرسة لقراءة القرآن بالزوايا السنوسية .

المجاهدون يحملون سلاحهم من جديد

كان هذا الرد قاسيا جدا على نفوس أبية لم يجل بخلدها أن ترضى لنفسها بقصر ومراتب وحرس ، وأن تتناسى حرية الشعب ، وحقوق الوطن ، وضمانا لأجيال عربية متلاحقة .

واتجه عمر المختار لمستشاريه ورفاقه ، وفي وجهه خيبة الأمل ومرارة الألم ، وفي نظرته شدة العزم وصلابة اليقين متلمسا عزائمهم للعمل والجهاد من جديد .

وتمخضت الفترة المظلمة منهم حول يوسف بورحيل الذي بدأ يسطر نشرة وطنية تحمل به عمر المختار على التعذيب الايطالي وعروضه . ولقد سرت هذه النشرة بين جموع الشعب ومتجمعات البادية حتى نشرت في صحافة القاهرة عام ١٩٢٩ .

« وليعلم كل وطني أن غرض ايطاليا هو بث الفتن لتمزيق شملنا ، ولتبديد الصفوف التي تشتري الراحة ، ولتقضي على حركتنا الوطنية ، فلتعلم ايطاليا أن هذا الوطن عربي وسيبقى عربيا ما بقيت لرض وسماء ، وأننا سندافع عن كياننا فداء للوطن وفي سبيل غاياتنا المنشودة » .

« يا ابناء وطني في طرابلس وبرقة لن نرضخ للطغيان ، وان هي الا احدى الحسنيين ، موت الرجال أو موت الأطفال ، واني اعتبر يوم ١٥ سبتمبر ١٩٢٩ آخر يوم للهدنة والاجابة مطالبنا » .

ومن جديد امتشق المجاهدون سلاحهم وعادت معاركهم وبدأت الغارات التي عليهم لتابلهما العمر نوفلي بعدنا الثالث الفاجعة الا لعاسلاحهم . وعبثا حاول المستعمر اذابة روح الجهاد والنار المجاهدين عن اغلاله وتقييده خناق كبير كمستعمرة .

السفاح جرازياني واعدامات المظالم

لئن لقبت الأمة العربية جمال باشا الحاكم التركي للشام في الحرب العالمية الاولى باسم جمال السفاح لما ارتكبه ضد الأحرار من أحكام الاعدام والاستبداد ، فانه خليق أيضا بشباب العرب أن يعلموا أن شعبهم في ليبيا قد أصيب أيضا بسفاح أخطر منه فيما بين عام ١٩٣٠ وعام ١٩٣٢ . ذلك أن المارشال بادليو لم يستطع أن يضع نهاية للحريق لليبيا ، وهي حرب استنزفت ميزانية ايطاليا وسحقت كثيرا من فرقها العسكرية ، فبعث موسوليني من أكثر رجاله قسوة وأقدرهم على العنف والاستبداد ، فوجه الجنرال جرازياني ليكون حاكما لبرقة . وجاءها في مظهر الحاكم الفاشي ، يستسهل نصب المشانق لأدنى سبب ، ويقذف جميع الليبيين والمقاتلين



عمر المختار
بسالة وبطولة في محاربة المستعمر

العرب ، ويحيطهم بالجند وهم شاكو السلاح ، ويصب عليهم عباراته القادحة الاثيمة .

المحكمة الطائرة

ولعله من نوادر التاريخ ما يجب ان يعلمه العرب من قصة (المحكمة الطائرة) . فقد بلغ من ارهاب هذا السفاح ان عين قضاة عسكريين تراهم مشتملة وتهبط الطائرة بهم في اي قرية او مجمع ، وتنصب المشنقة ، وتشنق حبالها ، بعد ذلك يجلس قضاتها لتنظر القضايا التي تنتهي حتما بالاعدام فورا .

لقد اخذ هذا السفاح على نفسه انهاء الثورة بالابادة والقمع كيفما كانت الوسائل ، فاشاع في الوطن موجة ارهاب مريع . وكان يكفي عنده للاعدام ومصادرة الاملاك وتشريد الاسر ان يبدي المواطن عدم رضاه عن الحالة ، او ان يشير لاحد بتصور احرزه المجاهدون .

واخيرا عمد جرازياني الى حل خطير .

اسلاك شائكة تفصل ليبيا عن مصر ، ومعسكرات للابادة

كيف يتحول المجاهدون ، ومن اين يجيئون ؟ انهم يعيشون على غنائمهم ، ومن عون الشعب في المناطق المجاورة ، وعلى ما يتسرب لهم من الجارة

● يوسف بوحيل

الكريمة مصر ، فان فعل هذا السفاح جرازياني هو ان يمد اسلاكا شائكة مكهربة من ساحل البحر الى قلب الصحراء على امتداد ثلاثمائة كيلو متر ، وحرسها بالجنود والمصفحات فقطع بذلك الصلة بين المجاهدين وبين الاشقاء ، وقد كانت لهم عونا ، ولهم فيها احباب واهل . واصدر امرا جديدا : انشاء معسكرات صحراوية تلقى فيها المعتقل ، سواء ما كان منها قريبا من مناطق الجهاد او بعيدا عنها . واقيمت المعتقلات في القرون ، وسلوق ، واجدابيا ، والعقيلة ، والبريقة ، واحيطت باسلاك شائكة حتى لا يغادرها احد ، وسلط عليهم الجند يركلونهم بالحراب ، ويضربونهم بالسياط ، ويلتقطون آخرهم في شارة وغلظة ، وادخلت القبائل القاطنة بالجبل الاخضر ، رجالا ونساء واطفالا ، مع مواشيها ، الى هذه المعسكرات حيث الصحراء والرمال ، وفرض على الجميع حياة شاقة كئيبة : غذاء من شعير غير مطحون ، وماء يوزع بالتحديد لا يكفي بل ظمآن ، والجميع لا سقيفة فيه ولا هواء . وكان طبيعيا ان تحصد الاوبئة هذه النفوس المعذبة حصدا ، ويسأل السفاح كم اكول اليوم .. فيقال له مائة ، فيجيب : مائة فقط ! مازال الطريق طويلا .

ولم يكن هدف جرازياني وسادته الفاشست القضاء فقط على الثورة ، فان حصر سكان الجبل الاخضر بعيدا عن المحاربين ، ومد الاسلاك بينهم وبين مصر ، كان كافيا لعزلهم عن اي عون من الداخل ومن الخارج ، وكان الهدف ابادة هذا الجنس العربي . ولهذا اخذت المعتقلات كل القبائل ، واختطف من المدن اكثر يكاد ممن يمتون للمجاهدين بصلة القرابة او الصداقة . وبعد سنوات لم يعد من الجموع البريئة الى مواطنهم الا الاف قليلة ، ونصب في العقيلة وغيرها اكوام عالية من عظام تشهد على المستعمر بانه جريمة ابدية في تاريخ الحضارة ، وتبعث في قلوب الاحرار ثارا لا تخمد على طريق الحرية وتحرق كل خيانة .

بوحيل يخلف البطل الاسير

هكذا كانت حال الشعب العربي في ليبيا عام

١٩٣١ . شعب محاصر بقوات اكثر منه عددا وعدة ، واكثر كثيرا ، ووطن معزول ، بالحرس والأسلاك والكهرباء ، عن مصر الوطن الوحيد الذى يمثل العون المنتظم في الغذاء والسلاح ، ورجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، تطعنهم سهام الغدر والشوك من كل جانب ، ومع هذا استمروا في جهادهم يحاربون الآلام ويحاربون الاعداء — وفي معركة باسلة قرب مدينة البياضة بالجبل الاخضر سقط القائد الشيخ الذى جاوز الثمانين عاما جريحا واسيرا ثم اعدم في ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣١ شهيدا . انه عمر المختار .

واجتمع المجاهدون ، يطلبون قائدا يكون رمزا لوحدتهم وسيفا لرايتهم ، فكان الشيخ يوسف بورحيل المسماري .

الا ما اصعب المهمة التى تولاها البطل بورحيل ! وطن كبير القفر من سكانه ، ومحاصر من كل جانب يزداد ضيقا كل يوم ، ودولة بامكانيات هائلة تحارب جماعة قليلة عددا وعدة .

كان سحاب الامل قد بدا في الابتعاد ، واخذ الجوع خلال اربعة اشهر بعد استشهاد القائد يفتك ببقية الابطال . لقد كانت مهمة القائد الجديد بورحيل اشبه بمواقف عديدة سجلها التاريخ لوطنيين يخوضون المعارك دون عون منتظر ولا احتياطي يعتمد عليه .

انهم اولئك الذين يقتحمون البلايا بانفسهم فسطروها واستعذبوا العذاب فيها .

ان تاريخ العرب مليء بامثال هؤلاء ، منذ نكبة الاندلس الى فاجعة فلسطين . ومع يوسف العظمة في ميسلون . ومع عبد القادر الحسيني في القسطل . ومع جواد حسني الشهيد الذى اعدمه العدوان الثلاثي وحيدا في بور فؤاد فسجل مذكراته على الحائط اسيرا ثم انتقل الى الابد ماجدا في غياهب الخلود .

بورحيل يناشد البقية من اصحابه الاستبسال حتى الموت

كان يوسف بورحيل صورة من البطولة الشجاعة يلم الصفوف ويخاطب اصحابه :

— لم يعد لكم الا القتال والاستبسال ، اما غذاؤكم فهذا النبات من الارض ، واما خبزكم الذى استحوذ عليه العدو فلنصبر ، واما سلاحكم فلا بد من استعماله حتى ولو بقى بلا ذخيرة ، سوف تضرب به كالعصى حتى نلقى الله . وماذا ينقصنا يا صحابى من الموت ! لقد مضى شيخنا عمر المختار ، ومضى سيدى الفضيل بوعمر ، وقبلهم وبعدهم ذهب الكثيرون من رفاقنا في قتال سعيد بحثا عن الحرية ودفاعا عن الوطن .

ولكن الحصار المحكم الذى ضربه العدو حول الثوار اقتحم كل عون، وباعد بينهم وبين الاتصال بالمواطنين ، حتى جاء وقت كان الرجل منهم يهوى على الارض ساقطا من الجوع ومن الضعف. وتفقد القائد رفاقه الموزعين في نقاط عديدة بالجبل الاخضر ، فوجدهم بين حامل للسلاح بلا ذخيرة ، وبين مسلح لم يعد يقوى على السلاح . شعب ممزق وجوع قاتل ، وادرك ان نهاية ذلك الدور التاريخى قد اشرفت ، وهى واقعة لا محالة .

ونادى رفاقه الكبار : لقد هاجر احبابي انتما من قبل ، واخوتهم لاجئون في السودان وفي مصر والشام والعراق والهند . ولقد قمنا بما يحتمه الجهاد المقدس وواجب الوطن العزيز . لم يبق اليوم جهد لنضال . ان ايطاليا تسقط منشوراتها تدعونا للاستسلام . وان القاء سلاحنا معناه الذل الابدى . اما الهجرة فهى اعلان عن استمرار صراعنا مع العدو ولعلها استعداد لمعركة قادمة .

واصدر امره بضرورة الاستعداد لمهاجمة الاسلاك الشائكة المكهربة على حدود مصر وضرورة الدخول مهاجرين اليها اقتحاما .

القائد لا يهاجر ولكنه يستشهد

وبينما كان الاصحاب من شعب مصر يعالجون المجاهدين المهاجرين ويضمدون جراحهم ويكتمون اخبارهم ، كان احدهم يقرا رسالة سلمها له



بعد معركة حامية ، بالجبل الاخضر سقط البطل عمر المختار اسيرا لدى الايطاليين، اقتادوه بسلاسل الحديد ، رغم انه كان قد جاوز الثمانين . ثم اعدموه في ١٦ سبتمبر ١٩٣١

القائد بورحيل لتعطي له يتجو ويستقر في مصر وراء الحدود . وجاء فيها

« ... اما انتم يا اخواني فشيعوا ، فكر في مصر الشرق ، ولكم في المصر براح . اما انا فقد جاوزت الخامسة والستين ، ولا ارى ان هذا مدانا يليق بي خارج هذا الوطن وفي غير هذا الميدان »

وفي اوائل فبراير سنة ١٩٣٢ صـدر البلاغ الايطالي يقول :

« عندما انتهى اطلاق النار مع مجموعة من الثوار ، تقدم نحوها الملازم برجندري ، فوجد اربع جثث لم تزل بملابسهم حاملين قبضة ايديهم، وكان أحدهم يوسف بورحيل. وقد اظهر هؤلاء الثلاثة بسالة حتى آخر دقيقة من حياتهم » .

وهكذا انتهت حياة الرئيس البرقاوي العظيم احد تلاميذ مدرسة جغبوب القرآنية ومستشار عمر المختار .

بعد ذلك بنحو ١٠ سنوات ، في عام ١٩٤١ ، والحرب العالمية الثانية قائمة ، كانت البارجة الالمانية الشهيرة جراف قد حوصرت . حاصرها الحلفاء بسفنهم وغواصاتهم، واصابوها بقذائفهم، وادرك قائدها انه لا مناص من غرقها . عندئذ انزل كل بحارتها وضباطها ، ثم اعتلى سطحها رافعا قبعته تحية للعلم ، وغاص معها الى الابد .

فتحدث العالم عن بطولته الفائقة واستبساله واستهانته بالحياة .

ترى هل سمع احد في اوربا بالبطولات العربية ، وما اكثرها في تاريخ العرب الطويل ؟

■■

بنغازي : صالح مسعود أبو يصير



حماقــة !

من صحيفة « برلند سباه لسبب » الامريكية

● يتحتم على الولايات المتحدة الامريكية ان تقلع عن حماقتها في محاولتها العقيمة عزل الصين (٧٠٠ مليون نسمة) عن حقها الطبيعي في التبادل الدبلوماسي والتجاري .

شانج كاى شيك

ان الولايات المتحدة الامريكية لم يعد بامكانها ان تواصل تلك السياسة المتضاربة المفعمة بالمتناقضات التي تمس بالسياسة الصينية . انه يجب علينا ان نستبدلها بسياسة اخرى حكيمة يصححها ابعد طول بحثنا عن اخطاء الامس واللاعدل .

ان السياسة الجديدة يجب ان تعترف نهائيا بان حكومة شانج كاى شيك لا يمكن ان تواصل ادعائها بانها تمثل الصين ، ولكن ، في نفس الوقت ، يجب على الولايات المتحدة ان تلتزم بحماية فرموزا وحقها في تقرير مصيرها .

نصر للانسانية

كتبت جريدة « الهيرالد تريبيون » الامريكية تقول

● ماذا يهم لو ان الوصول الى القمر انجزه رجال قدموا من روسيا ، او رجال قدموا من « رأس كيندي » بامريكا ؟ وهل سوف يكون لهذا الامر خطر بعد عشرين عاما مثلا ؟

ان الحافز للوصول الى القمر موجود في صدور البشر جميعا ، وكلما اسرعنا في تحقيقه كان ذلك خيرا علينا جميعا . واذا نجح الروس اول الناجحين في الوصول اليه ، فسوف يقبل اهل الارض هذه الحقيقة ، ولكنهم لن يقبلوها على انها فوز للشيوعيين فقط ، وانما هي فوز للانسانية جمعاء .

وسواء رضي الروس عن هذا ، او رضي الامريكان ، او لم يرضيا جميعا ، فان الامم المتقدمة كلها ستصبح يوما ما رائدة للفضاء . ان الجنس البشري لم يقنع قط بان يحبس فوق هذه الارض . وحتى اذا رفضت الحكومات هذا الانطلاق ، فسوف يرفض هذا الرفض افراد الامم .

الدنيا ما زالت بخير ..

نقلا عن « صانداي اكسبريس » :

● في هذا اليوم ، في مكان ما ، يحتفل صبي صغير في عيد ميلاده العاشر .

ولكن هذا اليوم الذي يسعد فيه هذا الصبي ، يشقى فيه شخصان بحبانه .

ذلك انه بعد ولادة هذا الطفل بايام ، قام هذان الشخصان وهما زوج وزوجة باحتضان هذا الطفل ، نيابة عن المجلس البلدي لمدينة لندن ، وظلا

الديمقراطية في كينيا

نقلا عن « كرستيان سيانس مونيتور »


جومو كينياتا

● من المشكوك فيه كثيرا ، ان النظام الديمقراطي الذي يأذن بوجود حزبين ، يأتلف مع مزاج المجتمع الافريقي وتقاليده .

وعلى كل حال ، فهذا النظام يسير سيرا حسنا ، ولكن فقط ، في تلك البلاد التي نما فيها منذ قرون ، فهو بهذا أصبح الى حد كبير ، نتاجا لما أسماه المستر كينياتا نفسه ، وهو رئيس وزراء كينيا ، بأنه نتيجة انفعالات العنصر الانجلو سكسوني .

ان المستر كينياتا بالرغم من شيخوخته ، قد نجح نجاحا ملحوظا بمنصبه رئيس وزراء دولة افريقية من احدث دول القارة استقلالا .

وقد اصبحت كينيا تحت زعامته مختبرا يحاول فيه الرجال حل مشاكل كثيرا هي افريقية في الدرجة الاولى .

من اجل هذا استحقت هذه البلاد ، واستحق رجالها عطف الامم الاخرى وحسن فهمهم وتجاوبهم ، وهم ينظرون الى هذه البلاد والى تجربة نظام الحزب الواحد ، وهو يختبر فيها .

ولكن هذا العطف يجب ان يصحبه وجدان بأن لا يصحب هذه التجربة اي نوع كبير من الاجحاف يقع على اي رجل كيني كان ما كان .

برعايته ، ابا له واما ، مدة تسع سنوات . وسعدا به ، وسعد بهما . ثم حدث ان الام الحقيقية ، تلك التي أودعته تحت رحمة المحسن البلدي في ذلك الزمان السعيد ، عادت تطلب استرداده . وتهيأ المحسن استعدى لقبول طلب الام ، واحضر الصبي واسكنه منزلا مؤمنا تسترده منه امه .

وفي هذه الاثناء حاول الزوج والزوجة اللذان ... ان يمنعا المحلس من رده الى امه ، ولكن الحكم جاء ضدهما .

قال القاضي : انه لا يستطيع أن يتدخل .

حادث حزين لا شك ، وحادث صعب . ولكن لا يستطيع الانسان الا ان يعجب بهذا الزوج وزوجته حينما يجهدان في الاحتفاظ بصبي ليس بابنهما .

ان الدنيا بخير ما وجدت بها قلوب مثل هذين القلبين .

أجب على ٨ أسئلة على الأقل

■ عزيزي القارئ ، أيها القارئ إنك قرأت الأعداد الاثني عشر من « العربي » التي ظهرت في عام ١٩٦٤ وانه بقي في ذاكرتك منها مقاطع من معارف بينة الثمرة والصحة كبيرة ، فمن هذه المعارف قد اخترنا ١١ سؤالا ونطلب منك الاجابة فقط على ثمانية أسئلة منها ، مع علمنا بأن الأكثرية الكبرى من القراء التي قرأت واستفادت من العربي كما وجبت القراءة تستطيع أن تجيب على الأحد عشر كاملة .

١ — مغنية الحجاز : أمرت جواريها فضربن على خمسين وترا فتزلزلت الدار . لم غنت هي على عودها فجرت من العيون الدموع ! **من هي ؟**

٢ — رقيق ولد في أحضان أم المؤمنين ، ونشأ بين الصحابة والتابعين ، يعرض بالحجاج في بعض خطبه ولا يخشاه ، ويستدعيه ، فيجهر له بالقول ويقول حسبنا الله . **من هو ؟**

٣ — كانوا يقدمون لها رؤوس المشاهير بعد إعدامهم لتصنع منها نماذج بالشمع . **من هي ؟**

٤ — شاعر الروس العظيم . كان روسيا ، ولكن كان جده لأمه حبشيا . **من هو ؟**

٥ — لو لم أكن الاسكندر ، لوددت أن أكون . . . . **ضع الاسم مكان هذه النقط .**

٦ — مدينة المعتصم . انتزعت الزعامة من بغداد ، فأصبحت أحدوثة الزمان في هاتيك الأيام **ما اسمها ؟**

٧ — فصيلة من الحيوان تجمع بين الأسد ، والنمر ، والفهد ، والقط . **ما اسمها ؟**

٨ — [illegible] العالم الشهير ، تحدث عن الحياة والموت ، وقد بلغ سن التسعين في عام ١٩٦٤ **من هو ؟**

٩ — أبو الحسن الشاذلي علم من أعلام الصوفية ، ما زال أتباعه وتلاميذه منتشرون في مختلف أنحاء العالم الإسلامي **أين ولد ؟**

١٠ — « بلد » هي باب الحاج إلى بيت الله الحرام ؟ **ما اسمها ؟**

١١ — مقامات الحريري ، لها بطل ، هو شخصية رائعة ، خلقها صاحبها خلقا ، تمثلت فيها وقائع عصر بكامله بما ... فيه الأهواء ، وكسدت بضاعة الأدباء . **ما اسم هذه الشخصية ؟**

شروط المسابقة وجوائزها

ترفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٨٤ ، اكتب عليه اسمك بخط واضح . واكتب على الظروف عبارة « مسابقة العربي — العدد ٧٤ » آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو ٧ فبراير (شباط) ١٩٦٥ .

● يمنح الفائزون ١٠٠ دينار توزع كالآتي : الجائزة الأولى ٣٠ دينارا ، الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ، الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير ، ١٠ جوائز مالية قيمة كل منها ٤ دنانير وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع ■

الفيلسوف .. والطبيب .. والشاعر ..



بقلم : محمد عبد الله عنان

■ كان العلامة الطبيب الفيلسوف أبو بكر بن طفيل ، ثالث ثلاثة من أئمة الحكمة الأندلسية ، ومباشرة التفكير الاسلامي ، الذين ظهروا خلال القرن السادس الهجري ، وهم أبو بكر بن الصائغ (ابن باجة) وابن طفيل ، وتلميذه ابن رشد (١) .

وابن طفيل ، هو ابو بكر محمد بن عبد الملك ابن محمد بن طفيل القيسي ، واصله من « وادي اش » ، تلك المدينة الأندلسية العريقة من مدن

(١) هؤلاء الثلاثة من مفكري العرب والاسلام ، تركوا في الحضارة العربية آثارا لا تزال مذكورة ، والى اللاتينية ترجمت مؤلفاتهم . وقد اشتهر أولهم ابن باجة باسم Avempace وأبو بكر ابن طفيل باسم Abubacer وابن رشد باسم Averroes

ولاية غرناطة ، التي ينتمي اليها كثير من العلماء والادباء ، والتي استطاعت أن تحتفظ بعروبتها واسلامها حتى ايام الاندلس الاخيرة ، في اواخر القرن الخامس عشر الميـــلادي . ولسنا نعرف تاريخ مولده بالتحقيق ، وربمـــا ولد في الاعوام الاولى من القرن الســـادس الهجري . ودرس ابن طفيل الحديث والفقه واللغة على ابي محمـــد الرشاطي ، وعبد الحق بن عطية ، وغيرهما من اقطاب العصر ، والتفت مثل ابي « الحكمة وعلوم الاوائل » . ودرس الحكمـــة والطب باشبيلية ، وكان في مقدمة اساتذته ابن باجة اعظم فلاسفة الاندلس يومئذ ، وغيره من اعلام العصر ، وبرع منذ شبابه في الفلســفة والطب كما برع في الفقه والادب .

بين كتاب ابن ملحان الطائي

وبدأ ابن طفيل حياته العامة ، في الوقت الذي اضطرمت فيه الاندلس بالثورة على المرابطين ، وقامت في كل قاعدة اندلسيـــة ، حكومة قوميـــة جديدة ، على نمط الطوائف . وكانت بشقورة « الثغر » ، قد حذت في ذلك حذو غيرها ، وقام بهـــا احمد بن ملحان الطائي في سنة ٥٤٠ هـ ، وانشأ بها حكومة مســتقلة ،فانتظم ابن طفيل بين كتابه وخدمه مدى حين . ولما سقطت حكومته بعد ذلك بأعوام قلائل ، وتغلب الموحدون على قواعـــــد الاندلس ، انتقل ابن طفيل الى خدمتهم ، وكتب لوالي غرناطة الموحدي فترة اخرى .

ابن طفيل ، في اشبيلية

على ان القدر ، كان يدخر لابن طفيل ، مكانته الحقيقية على يد الامير الموحدي السيد ابي يعقوب يوسف بن الخليفة عبد المؤمن بن علي . فقـــد عين هذا الامير واليا لاشبيلية في سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) وكانت اشبيلية قد غدت يومئذ قاعدة الحكم الموحدي بالاندلس ، بعـــد ان عفا الزمن على قرطبة عاصمة الخلافة القديمة ، وغدت في الوقت نفسه اعظم مراكز الحركة الفكرية والادبية . وكان السيد ابو يعقوب ، عالما فقيها ، اديبـــا يشغف بالدرس ، ويجمع حوله صفوة العلمـــاء والمفكرين ، حتى غدت اشبيلية خـــلال الاعوام الثمانية التي قضاها في حكمها جامعة الاندلس الحقيقية . وكان ابن طفيل في مقدمة هذا الرهط العلمي الذي ينتظم حول الامير العالم .

ابن طفيل طبيب ابي يعقوب

ولما توفي الخليفة عبد المؤمن بن علي في ســنة ٥٥٨هـ ، خلفه في الخلافة ولده السيد ابو يعقوب يوسف . ولسنا نعرف بالتحقيق ما اذا كان ابن طفيل قد شغل منصب الطبيب الخاص للخليفة الجديد ، منذ البداية . بيد انه لما مرض الخليفة في سنة ٥٨٠ هـ ، واستطال مرضه اربعة عشر شهرا ، كان الذي يتولى علاجه ، وفقا لرواية ابن صاحب الصلاة ، مؤرخ الموحدين المعاصر ،طبيباه « ابو مروان بن قاسم ، وابو بكر بن طفيل » . وهذه اول مرة تقـــدم الينا الرواية الموحدية الفيلسوف والطبيب الكبير باعتباره طبيب الخليفة الموحدي . على انه يلوح لنا مما تؤكده لنا الرواية من اوثق اواصر المحبة والصداقة بين الخليفـــة وطبيبه ، ان ابن طفيل كان يشغل منصبه قبـل ذلك بأعوام . ومن جهة اخرى فان ابن طفيل لم يكن فقط طبيب الخليفة ، وانمـــا كان في نفس الوقت مستـــشاره وموضع ثقته .

ابن طفيـــل شاعر مجيد

وكان من اثر ذلك ما عهد به الخليفة اليه من نظم قصيدة طويلة حماسية في دعوة طوائف العرب الذين بافريقية وحثهم على الاشتراك في الجهـــاد بالاندلس ،يشاد فيها برفيع اصولهم ، وأروميتهم، وكونهم هم السيف القاطع في نصرة الدين ، فنظم ابن طفيل تحقيقا لتلك الغاية قصيدة طويلة في ارسين بيتا ، تفيض بلاغة وروعة ، وتدل على ما كان للفيلســوف في نفس الوقت من منزلة عالية في النظم تضعه في صف اكابر الشعراء . وقد نقل الينا ابن صاحب الصلاة هذه القصيدة باكملها ، وقد جاء في مطلعها .

أقيموا صدورَ الخيل نحو المغارب
لغزو الأعادي واقتناءِ الرَّغائب

واذكُوا السّنابكي الحديث على العدا
فقد عرضت للحرب جرد السلاهب

فلا تُقتَنى الآمال إلا من القَنَـــا
ولا تُـــكتَسب العليا بغير الكتائب

ولا يبلـغ الغايات إلا مُصمّـمٌ
على الموت ركّابٌ ظهورَ المصاعب

ومنها في استمالة العرب والاشادة بهم .

ألا فابعثوها همةً عربيـة
تحفُّ بأطراف القنا والقواضب

فرسانَ قيسٍ من هلال بن عـامر
وما جمعت من طاعن ومُضارب

لكم قبّةٌ للمجد شدُّوا عمادها
بطاعة أمر الله من كل جانـب

وقوموا لنصر الدين قومةَ ثائـر
وشبّوا إلى التحقيق شبّةَ راهب

وهذه الناحية من نواحي عبقرية ابن طفيل ، اعني شاعريته العالية ، وروعة نظمه ، لم تأخذ حظهـا من التعريف ، اذ كانت صفاته العلمية والفلسفية ، تطغى دائما على ما عداها من صفاته الأخرى . بيد انا سوف نرى فيما بعد ان لابن طفيل غير هذا النظم السياسي الحماسي ، نظمـا رقيقا آخر .

* * *

الخليفة ابو يعقوب ، في اشبيلية ، يجنح الى دراسة الفلسفة والطب

وفي سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) عبر الخليفة ابو يعقوب يوسف في جيوش الموحدين الى الأندلس طلبا للجهاد ، وكان في ركبه بالطبع طبيبه الخاص ابن طفيل . ولبث الخليفة في شبه الجزيـرة خمسة اعوام . وكانت اشبيلية مقامه الأثير . وفي هذه الفترة التي قضاها الخليفة ابو يعقوب في المدينة الأندلسية العظيمة تفتحت مواهبه العلمية والادبية ، وجنح الى دراسة الفلسفة والطب ، واجتمع حوله يومئذ ثلاثة من اعلام ائمة التفكير الاسلامي ، هم طبيبه الخاص ابن طفيل ، وتلميذه القاضي الفيلسوف ابو الوليد ابن رشـد ، والطبيب العبقري عبـد الملك بن زهر . وكان الخليفة يشغف بالاخص بملازمة صديقه وطبيبه ابن طفيل ولا يصبر على فراقه .

بين الخليفة وبين العلماء

وكان ابن طفيل يقوم بمهمة السفارة بين الخليفة وبين العلماء ، ويجمعهم اليه من مختلف القواعد والاقطار ، وينبه على اقدارهم لديه ، ويحضه على اكرامهم والتنويه بهم ، وهو الذي نوه لديه بفضل ابن رشد وبراعته .

وكان هذا الخليفة العالم ابو يعقوب ، يأخذ من الفلسفة بقسط ملحوظ . واذا صدقنا رواية المراكشي التي ينقلها الينا عن القرطبي ، فان الفضل يرجع الى هذا الخليفة في وضع شروح فلسفة ارسطو العربية . ذلك انه وفقا لهذه الرواية هو الذي اوعز الى طبيبه ابن طفيـل بوجوب عمل تلخيص جديد لشروح ارسطو وتقريب اغراضها وتحرير تراجمها مما يشوبها من الغموض .

ابن طفيل يختار تلميذه ابن رشد

وكان ابن طفيـل ، نظـرا لكثرة مشاغله وشيخوخته ، هو الذي اختار تلميذه ابن رشد للقيام بهذه المهمة العلمية ، لما يعلمه من مقدرته وقوة تزوده ، وصفاء قريحته ، وان هذا هو الذي حمل ابن رشد على القيام بتلخيص شروح ارسطو ، وهي الشروح التي اشتهر بها وترجمت فيما بعد الى اللاتينية ، وذاعت شهرة الفيلسوف المسلم في دوائر التفكير الغربي .

وفاة ابن طفيل

ولما توفي الخليفة ابو يعقوب يوسف في ربيع الآخر سنة ٥٨٠ هـ (اغسطس سنة ١١٨٤ م) عقب نكبته في موقعة شنترين ، استمر ابن طفيل في منصبه طبيبا خاصـا لولده الخليفة الجديد ابي يوسف يعقوب المنصور . بيد انه لم يعش طويلا بعد ذلك ، اذ توفي بمراكش في اواخر سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) وحضر الخليفة جنـازته بنفسه .

مؤلفات ابن طفيل

واشهر مؤلفات ابن طفيل رسـالة « حي بن يقظان » او « اسرار الحكمة المشرقية » والارجوزة الطبية المجهولة « و « رسـالة النفس » وغيرها من مؤلفات ورسائل اخرى لم تصل الينا . وقد انتهت الينـا لحسن الحظ رسالة « حي بن

يقظان » (٢) ، وهي تلخيص فلسفي رائع لأسرار الطبيعة والخليقة ، عرضت خلال حياة وأعمال طفل خلق « من بطن الأرض » في جزيرة مجهولة من جزائر الهند ، جنوبي خط الاستواء ، وهذا الطفل هو « حي » . وقد استطاع بالملاحظة والتأمل التدريجي لظروف الحياة وظواهرها الطبيعية ، ان يصل الى اسرار الطبيعة ، واسرار الحكمة العليا ، وان يتقرب في تأمله وسموه من الله . وبالرغم من صغر حجم هذه الرسالة الفلسفية ، وهو لا يزيد عن خمسين صفحة ، فقد لفتت بروعتها انظار التفكير الحديث ، وترجمت الى اللاتينية منذ القرن السابع عشر كما ترجمت بعد ذلك الى عدة لغات اوروبية اخرى .

المعاصرون لابن الطفيل اشادوا بعبقريته

وتشيد الرواية الإسلامية المعاصرة بعبقرية ابن طفيل ، ويصفه المراكشي ، « بأنه احد حسنات العصر » ، ثم يقول لنا انه صرف عنايته في اواخر عمره الى العلم الالهي ، ونبذ ما سواه . وكان حريصا على الجمع بين الحكمة والشريعة ، معظما لامر النبوات ظاهرا وباطنا ، هذا مع اتساع في العلوم الاسلامية » . ويصفه ابن الخطيب بانه « كان عالما محققا ، شغوفا بالحكمة المشرقية ، متصوفا ، طبيبا ، ماهرا في اصول العلاج وتطبيقها بارع الاعراب ، وكاتبا بليغا ، ناظما ناثرا ، مشاركا في عدة فنون » .

نموذج من شعره في الغزل

وقد اورد لنا المراكشي لابن طفيل نقلا عن ولده يحيى هذا النظم الرقيق الشجي

ولما التقينا بعدَ طول تهاجـر
وقد كاد حبلُ الود أن يتصرمـا

جلتْ من ثناياها وأومض بـارقٌ
فلم أدر منْ شقّ الدُجنّةَ منهما

وساعدني جفْنُ الغمام على البكا
فلم أدر دمْعـاً أينا كان أسجما

فقالت وقد رقّ الحديث وأبصرتْ
قرائنَ أحوالٍ أذعنّ المُكتّما

نشدتُك لا يذهبْ بك الشوق مَذهبا
يُهوّنُ صعبـاً أو يرخّص مأثما

فأمسكتُ ، لا مُستغنيا عن نوالهـا
ولكن رأيتُ الصبر أوفى وأكرما

نموذج من شعره في الزهد

ونقل الينا من شعره في الزهد

يا باكيا فرقةَ الأصحاب عن شَحَطٍ
هلاّ بكيت فراق الروح للبدن

نورٌ تردّد في طينٍ الى أجـلٍ
فانحاز عُلْواً وخلّى الطينَ للكفن

يا شدّ ما افترقا من بعد ما اعتلقا
أظنها هُدنةٌ كانت على دَخَنِ

إن لم يكن في رضى الله اجتماعهما
فيا لها صفقةٌ تمت على غَبَـنِ

ولابن طفيل غير ذلك من النظم الجيد . هذا فضلا عن بلاغته النثرية وجزالة اسلوبه الادبي التي تتجلى في رسالة « حي بن يقظان » . وهي تدل على ما كان يتمتع به هذا الفيلسوف والطبيب العبقري من ذوق ادبي رفيع لم تطغ عليه المادة العلمية الجافة .

■■

القاهرة ــ محمد عبد الله عنان

(٢) راجع مجلة العربي شهر مايو عام ١٩٥٩ صفحة ٨٨ ، للمزيد من رسالة حي بن يقظان

إجاباتٌ عديدةٌ خاطئةٌ

تدلُّ على:

ولو مختصرة

■ كان الإقبال على مسابقة العدد ٧٣ من « العربي » متوسطاً ومتنوعاً ؛ إذ وردت إلينا إجابات مختلفة من دول العالم : نيجيريا ـ الجزائر ـ اليمن ـ إيطاليا ـ تونس ـ بلجيكا ـ المغرب ـ أوغندا ـ تركيا ـ قطر ـ عدن ـ مسقط ـ سويسرا ـ الشارقة ـ أسبانيا ـ رأس الخيمة ـ إنجلترا ـ أبو ظبي ـ البحرين ـ تنجانيقا ـ النمسا ـ السعودية ـ فرنسا ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ غانا ـ فلسطين ـ الصومال ـ السودان ـ أمريكا ـ العراق ـ الباكستان ـ الهند ـ سوريا ـ يوغوسلافيا ـ الأردن ـ ليبيا ـ اليونان ـ الكويت .

ولكن ـ للأسف ـ تميزت معظم هذه الإجابات بالخطأ ، بشكل لم يسبق له مثيل في المسابقات السابقة ، حتى تاريخ وفاة الفيلسوف العالمي برنارد شو لم يعرف بالضبط ! مع أن أي قارئ كان يمكنه معرفة ذلك ببساطة إذا ما فتح أو راجع صفحات أي قاموس أو موسوعة مختصرة .

ومعنى هذا ان شباب العرب تنقصه الموسوعات الميسرة وهذا نقص سببه اليه الذين تحملون تبعة نشر الثقافات في البلاد العربيه . آن الأوان ليكون عند العرب موسوعات كبيرة .. وموسوعات صغيرة .. وموسوعات متوسطة .. فتلك هي مصادر العرفان التي لا غنى عنها لكل شاب ورجل وكهل ، وكل شابة وامرأة تعيش في القرن العشرين ..

الاجابات الصحيحة

واليكم الاجابات الصحيحة :

١ ــ عدد الدول الأعضاء في الجامعة ١٣ دولة
٢ ــ هجرة النبي (صلعم) وقعت سنة ٦٢٢
٣ ــ مذبحة دير ياسين كانت في ١٩٤٨
٤ ــ استيلاء الاتراك على القسطنطينية تم في عام : ١٤٥٣ .
٥ ــ خروج كريستوف كولمب لاكتشاف امريكا ١٤٩٢
٦ ــ القنبلة الذرية ضربت فوق هيروشيما عام ١٩٤٥
٧ ــ الثوره الروسية الكبرى كانت في عام ١٩١٧
٨ ــ مات الاسكندر الاكبر وعمره ٣٣ سنة
٩ ــ ثورة الجزائر بدأت عام ١٩٥٤
١٠ ــ برنارد شو توفي عام ١٩٥٠
١١ ــ ملك العرب في الأندلس مده تزيد على : ٧ قرون .

اسماء الفائزين

وقد اجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة ففاز الآتيه اسماؤهم :

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : ابو الحديد عبد العال عامر ــ ج٠ع٠م٠

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : محيي الدين الحلبي ــ سوريا
الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : عبد المحسن محي الدين ــ العراق
٨ جوائز قيمة كل منها ٥ دنانير ، فاز بها :

١ ــ يوسف عبد الرحمن الملا ــ قطر
٢ ــ عبد المجيد طه علي ــ السودان
٣ ــ وليد حسين أبو الملا ــ السعودية
٤ ــ محمد عبد العزيز البواردي ــ المانيا
٥ ــ أحمد رباح عابدين ــ الأردن
٦ ــ محمد عبد الله ــ ليبيا
٧ ــ وليد مغربي ــ لبنان
٨ ــ خالد يوسف الزنكي ــ الكويت . وسوف يرسل قيمة الجوائز لاصحابها ■

أزهارٌ ولكنها حيوانيَّة فوقَ صخورٍ سمّوها مرجانيَّة

حديقة جرد منها بحر



حدائقُ تحتَ الماء، تنافِسُ حدائقَ أهلِ الأرض

■ كان اليوم يوما في منتصف أغسطس.

وكانت السنة قبل الحرب العالمية الثانية بقليل.

والموضع الذي كنا به، كان الغردقة، تلك القرية الصغيرة التي على ساحل البحر الأحمر الغربي، وقد كانت كلية علوم جامعة القاهرة أنشأت بها محطة لبحوث الأحياء قبل ذلك بسنوات.

والصبح الذي أذكره كان صباحا مشرقا صاحيا.

وركبنا زورقا من زوارق المحطة نرتاد منها أجمل شيء فيه. شيئا نرى فيه غير العالم جمالا ظاهرا معجبا، ونرى فيه العالم جمالا ظاهرا، وآخر باطنا، والباطن أكثر إعجابا.

ولم يكن الزورق كالذي عهدناه من زوارق. كان قاعه من زجاج يأذن للناظر أن يرى ما تحته في الماء والزورق يسير فوقه.





حدائق الأرض وحدائق البحر

حدائق الأرض أشكالها معروفة . وهي على تنوعها ، فإن أشكالها وأزهارها محدودة .

وحدائق هذا الماء كانت أشكالا لا حد لها ، فيها الفن حينا ، وفيها غير الفن أمس ذلك الانطلاق الذي تؤدي اليه المصادفة . ولكنها غير المصادفة العوجاء . إنها المصادفة المحكومة عند أصولها بقوانين للحياة ثابتة لا تتغير .

وحدائق الأرض ألوانها معروفة .

وحدائق هذا الماء كانت ذات ألوان ، كألوان حدائق الأرض ذات ثبات وذات ظلال .

وحدائق الأرض تحمل ألوانها الأزهار ، فوق بساط من خضرة .

وحدائق هذا الماء يحمل ألوانها كل جسم مجسد فيها . والبساط من رقته ، هي زرقة الماء . واختلفت الأحجام . واختلفت الألوان . ومنها الأبيض الناصع البياض كأنه جناح الحور .

وعودتنا حدائق الأرض على النظر الى ألوان مجتمعة ، فألفناها ، وسميناها متناسقة ، لا لشيء الا أنه بالتعلم تولد عندنا معنى الاتساق .

وحدائق البحر هذه صعبت ألوانها أعيننا . وإذن فكيف يتحقق لها كل هذا الاتساق ؟!

وعجبا ساعة نستمتع بالنظر الى أسفل ، الى الماء عبر أمواج فأمواج فأمواج ، وشمس الضحى تثيره ، تثير هذه الحدائق فتسطع بالحسن كما تسطع جنان الأرض .

فيلم لهذه الحدائق رائع

وكان مدير الرحلة عند ذاك صديقنا الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر ، وهو عالم فذ ، أخذت شجاعته في العلم بعض نصيبه من الفن . فكان يرى في خشتيلية مثلا ، يجدها في أمعاء سمكة ، شيئا أشهى كثيرا من أن يرى جمال سمكة في بورق زعانفها ، أو لمعة قشرها ، وهي تسبح في الرائق الصافي من مائها .

وكان بالكلية أستاذا في علم الحيوان آخر ، شجاعته في الفن أخذت من بعض شجاعته في العلم ، صبر على حدائق الغردقة ، وهي تحت الماء ، يصورها . وأخرج فلما رائعا يتطلب له ربيبي أكبر مصانع السينما ، لا أدري أين هو الآن ، ومن يجري ، فلعله انطوى بانطواء صاحبه ، رحمه الله .

الشعب المرجانية

إنها الشعب المرجانية .

وتنظر اليها فتحسب أنها صخور في الأرض تفرعت كما يتفرع الشجر ، غريبة الأشكال والألوان . ويقتطع الزوار منها فروعا وأغصانا يحملونها الى منازلهم ، لا تكون الا صخورا ، ثم هي لا تلبث أن تفقد ألوانها ، ويبقى لها الشكل العجيب وحده .



شجيرة مرجانية ، على مدخل
أبو رجة ، فوق رسوبي داكن

الشعب المرجانية تصنعها حيوانات صغيرة

والشعب المرجانية صخور لا شك من الكلس، لكنها من صنع أحياء ، وهي أحياء حيوانية حية ما بقيت في الماء ، فاذا أخرجت منه تموت .

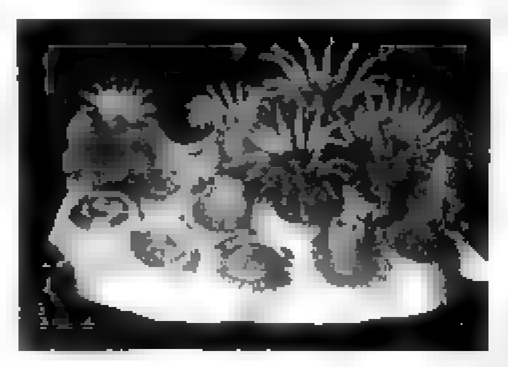
وهي أحياء صغيرة . ويبدأ الحي منها حياته وله قوام الهالوجع ، بيضاوي الشكل ، طوله جزء من البوصة . وله شعرات يسبح بها في الماء .

انه حيوان ذو حركة .

ثم يبدو له أن يستقر .

وعندئذ يحط على الصخر حيث كان من البحر، ثم يبدأ يبني لنفسه بيتا . وهو يصنع قاع هذا البيت أولا ، طبقة يفرزها من الكلس (كربونات الكلسيوم) تكون بينه وبين الصخر ، هي قاعدة البيت . وطبقة يفرزها من الكلس أيضا تدور حول جسمه . ويتخذ الجسم الشكل الكوبي ، واسع الأسفل ، ضيق الأعلى .

ويبحث العالم هذا الجسم فيجده شيئا كالكيس ، لا فتحة له الا في أعلاه ، هي فمه . وحول الفم زوائد متحركة ، تعرف باللوامس ، عددها ستة من المرجانيات الأصيلة ، تلمس الطعام الذي في البحر ، وتحمله الى جوف الكيس . وبهذه اللوامس خلايا تفرز السم تحمله منها الى الضحية الصغيرة الطافية في البحر شعرات تخرج من هذه اللوامس ، فتقتلها قبل أن تلتهمها .



صورة أخرى من مرجانيات حية نرى فيها أذرعها الممتدة وقد مدت من ... الحيوانات ملامسها خارج جسمها وهي في كل ...

أشعة أخرى مطلورة

وعهدنا بالأشعة السينية ، وهي أشعة لا ترى كذلك ، تلقى على أجسام المرضى ، فتنفذ في الجسم الطرية غير العظام ، ثم تسقط على لوحة بها مادة ، مثل كبريتيد الكلسيوم ، تحول هذه الأشعة غير المرئية الى نور مرئي فيه بعض اخضرار ، وهو يتراءى على اللوحة ، الا حيث منعت وصولها اليها العظام ، فترى مكانها ظلال سوداء . فهذا مثل للعلورة آخر : ضوء ذو أمواج صغيرة (أشعة س) استبدل بضوء ذي أمواج مرئية كبيرة (نور تراه العين) .

وهو كيس فارغ من الأحشاء . يتلقف الطعام ، فيهضمه ما يتحلب من جدران الكيس الداخلية من عصارة هاضمة .

ويقوم هذا الحي ، بكيسه هذا ، في هيكله الكلسي الذي يكسوه ، الا رأسه ، وحدة قائمة بذاتها .

ويسميها العلماء بالبوليب Polyp ، وأصلها Polypodus ، وهي لفظ اغريقي معناه الكثير الأرجل . وما الأرجل الا الزوائد المتحركة التي عند فمه . وقد تراها أنت أيادي ، ولكن واضع هذا اللفظ الأول ، رآها أرجلا .

ولذا عمد بعض علماء العرب الى تعريب البوليب بأنه الرجيلة ، أي صاحبة الأرجل ، كما تكون المحسنة أي صاحبة الاحسان الكثير . والمتكلمة والكاسية . وبذلك نصنع مصطلحا يحمل صفة في هذا الحيوان أصيلة ، وله باللفظ الافرنجي ، الذي هو مصدر العلم الحاضر صلة غير مقطوعة .

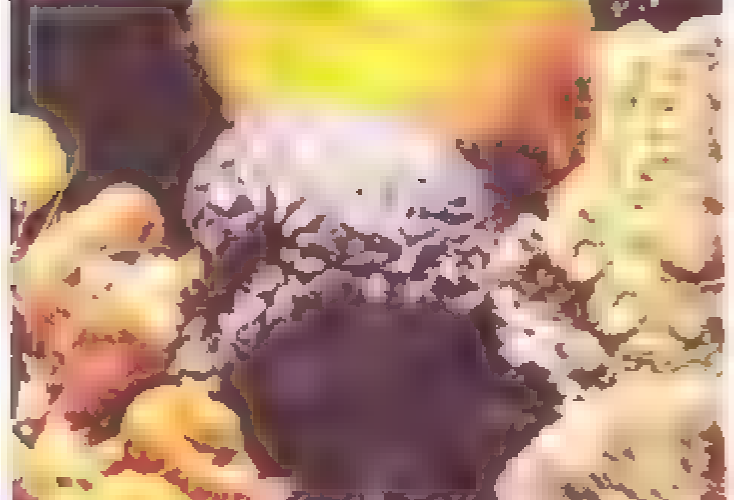
وحدات ، تتكرر فتصنع المستعمرات

وتقوم هذه الحيوانات ، بعضها الى

(البقية على صفحة ٤٢)



غامض



بعض، بلايين بلايين، فتكون المستعمرات. وتموت هذه الاحياء ، فيخلفها غيرها ، ثم غيرها .

وبهذا تتكون الشعب المرجانيه في البحار ، على الاجيال والقرون

وقد تحيا هذه الوحدات من هذه الحيوانات حياة متكاملة ، فتقوم بينها قنوات تحمل الطعام من حي الى حي ، فكل يصيد ، وكل يتغذى ، وكل يحيا وبعض يلفظ دونه المائد الى ماء البحر ، ومع هذا فانه يرويه و يغذا .

على كل حال هذا وصف خاطف ، لا يشمل كل ما يقال من صفات المرجانيات، وتوالدها ، واشكالها صنوفا .

صخور تجري عليها الحياة وئيدة ، فيحسبها الناظر اليها كسائر الصخور جامدة

وبسبب صغر هذه الاحياء ودقتها ، وبسبب استقرارها وعدم انتقالها ، وبسبب قلة حركتها سوى الى الحركة الهادئ الذي تتصف عليه من صخور



الى اليمين [illegible] مرجانية فردية [illegible] الذي [illegible] وحدها [illegible] فيها هيكلها وقد اسطح [illegible] ذات شكل محوري لطيف والصورة اليسرى تبين مستعمرة مرجانية ، فتشبه الى ادق الحية ، وهي [illegible] في [illegible] في [illegible] صاحبها سيرا ودقة وهي تظهر كالمحروب على فرع من شجر

متنعمها اجدادها منذ ازمان طوال ، بسبب كل هذا ، لا ترى عين الرجل العادي في هذه الصخور ما يشعره بوجود حياة ، الا ان يجد له مظهر النبت المجتمع، فيحسبه نباتا ، فيه الجذوع وفيه ما شبه الأوراق والأزهار .

وهي عندئذ صخور ملونة احمل تلوين . وهو يحسب ان اللون جاء من البحر . وما جاء اللون الا من حياة هذه الأحياء ، فهي التي صنعته .

وهذه الاحياء المرجانية صنوف . ولكل صنف منها لون مختار .

وتخرج الصخور من الماء فيذهب اكثر لونها .

الصخور المرجانية لا تكون الا حيث الدفء

والصخور المرجانية تكثر في المحيط الهادي وفي المحيط الهندي ، وهي لا توجد الا حيث الماء ضحل ، فلا يزيد عمقه عن ٤٠ أو ٥٠ مترا ، والا حيث الماء رائق ، دافيء ، فلا تهبط حرارته دون درجة ٢٠ مئوية . وتوجد كذلك ناحية خليج المكسيك وجزر الهند الغربية .

ولا ننسى البحر الاحمر . والحق ان به كثرة من هذه الصخور جعلت الملاحة فيه ذات خطر على غير الخبراء من الملاحين . فالذي يخرج عن الطريق المشقوق لا يدري ما سوف يلقى ، فلعل جزيرة مرجانية مغمورة تلقاه فجأة وهو لا يراها .

وكل دارس للجغرافيا لا شك سمع من السد المرجاني الكبير عند استراليا ، وهو يمتد نحو ١٠٠٠ ميل في محاذاة الشاطئ الشرقي للقارة الاسترالية ، شمالا ، ويتراوح عرضه بين عشرة اميال وسبعين ميلا

ا. ز.

التوليد أنكره القدماء وأقرته المعاجم الحديثة والمجامع

بقلم : أنيس المقدسي

■ يقف كثيرون موقف الحيرة إذ يرون أحيانا أرباب الأقلام ممن يستعملون ألفاظا وأوضاعا لم تنص عليها معاجم اللغة أو هي تخالف ما استعمله القدماء ، ويتساءلون هل يعتبر توسع المحدثين في ذلك خطأ يجب تجنبه ، أو تطورا مفيدا لا غنى عنه ؟ وهو سؤال جدير بالنظر ، بل جدير بأن نواجهه بحرية ومرونة ورحابة صدر ، فلعل فيه ما قد يزيل حيرتنا ويفتح أمامنا سبلا هادية كنا نخشى أن نسلكها فلا نأمن من العثار فيها .

ومدري في خوض هذا الموضوع أن نهضتنا القومية الجديدة قد اقتضت إحياء تراثنا اللغوي القديم ، لما في إحيائه والمحافظة عليه من دعم للقومية العربية وتقوية لأواصر العرب بين أبنائها . فنشأ من ذلك في بعض الأوساط اللغوية غيرة شديدة على ما سنه السلف من أصول بلغت عند بعضهم حد الإنكار على أدباء العصر ما يستعملونه من أوضاع مولدة لم تنص عليها المعاجم ، أو لم ترد في أقوال السلف من أرباب اللغة .

وطبيعي في مثل هذه الحال أن تزداد حيرة النشء الجديد وأن يطالبوا بحسم هذه القضية ليكونوا على بينة من أمرهم فيسلكوا سبل الهدى في التعبير عن أفكارهم وخواطرهم . ولست بحكم في هذا الموضوع وإنما هي آراء رأيت أن أبديها وعسى أن يكون فيها فائدة لبعض القراء .

نمو اللغة بتأثير لغات أخرى

الواقع أن اللغات كالناطقين بها تنمو وتزدهر ، أو تذوي وتضمحل ، تبعا لناموس عام يشمل جميع الكائنات الحية . ويحدث النمو في اللغة بتأثير عاملين رئيسيين : أحدهما خارجي وهو ما يتسرب إليها من لغات أخرى ثم يتأصل فيها مع الزمن حتى يصبح جزءا منها . وقلما تجد لغة لم تتأثر كثيرا أو قليلا

بسواها . فلا بدع أن تكون في لغتنا العربية ألفاظ وأوضاع دخيلة استقرت فيها على توالي العهود حتى صارت تعد من فصيحها . وها نحن نستعملها في نثرنا وشعرنا فنقول مثلا المسك والبلور والترياق والاستاذ والصراط والابريق والفردوس والبطاقة والقرطاس والدينار ومئات امثالها دون أن نحس بغرابة الأصل . وقس عليها ما لا يحصى مما اقتبسناه حديثا من ألفاظ العلوم والفنون والحضارة والحياة العامة .

نمو اللغة بالتولد الذاتي

أما العامل الثاني فداخلي وهو ما نشأ وما لا يزال ينشأ في داخل اللغة من ألفاظ استحدثت لأغراض ومعان جديدة . وهذا التولد الذاتي مستمر في اللغة منذ أقدم عهودها ، وهو يحدث من طريق التحول المعنوي أي باكتساب لفظ لمعنى غير معناه الأصلي ومن ذلك استعمالنا مثلا ما يلي :

التوقيع : لاثبات الاسم في آخر الكتاب ونحوه والتوقيع في الأصل معناه التأثير فقط .

والقمامة . لهذا النوع من القصص المخترع وهي في الأصل للمكان أو المجلس .

والدولة : للحكومة أو المملكة وأصل معناها انقلاب الزمن أو الحال .

والحضارة : للمدنية والعمران الاجتماعي وهي أصلا ضد البداوة .

والمضيفة : للفتاة التي تعنى بركاب الطائرة وأصلا من تستقبل الضيوف في بيتها .

وقد ألبسوا بعد الاسلام كثيرا من الألفاظ القديمة معاني جديدة فأصبحت أوضاعا لغوية كالنحو والعروض والمجاز ، أو فقهية كالايلاء والعدة والحضانة ، أو ادارية كالخليفة والكاتب والوزير ، أو طبية كالصداع والتشريح والحانوق وذات الرئة ، وما الى ذلك من أوضاع علمية وفلكية وطبيعية وسواها مما يضيق عن ذكرها المقام .

التوليد بالوضع اللفظي

وقد يكون التوليد عن طريق الوضع اللفظي كقولك العصوية والمطاط والنبوغة والمذياع والقراصنة والهاتف والجمهورية والتعداد والمصرف وأمثالها .

التوليد بالوضع المجازي

أو من طريق الوضع المجازي كالاصطلاحات الآتية

القوة الضاربة : أي السلاح الكافي لضرب العدو

غسل يديه من المسألة : أي تبرأ منها .

ضرب الرقم القياسي : أي تجاوزه الى حد أبعد .

السوق السوداء : السوق التي يتعامل بها خفية تهربا من التسعير القانوني .

صاحب الكرسي : رئيس الجلسة المتولي ادارتها .

ناطحات السحاب : الأبنية الشاهقة ذات الأدوار العديدة .

صوت في المجلس : أي أبدى رأيه مؤيدا شخصا ما أو معه .

رشح نفسه للنيابة : قدم نفسه ليكون نائبا .

التوليد بالاشتقاق

وقد يكون الوضع بالاشتقاق رأسا من الاسم فنقول مثلا .

قنن **(من القانون)** ومول **(من المال)** وتطور **(من التطور)** وقيم الشيء **(من القيمة)** لا من قوم . واستجوب **(من الجواب)** لا من الفعل جاب .

التوليد أنكره القدماء

فالتوليد في اللغة حركة نمو لم ينقطع في زمن من الأزمنة . على أنها كانت تختلف قوة واتساعا من عصر الى عصر . ومما لا شك فيه أن نظر القدماء الى التوليد يختلف عن نظر المحدثين . فالقدماء عموما نفروا من المولدات وعدوه الانكار أو عدم الاستحسان فأبقوها خارج حرم الفصاحة حتى أننا قلما نجد لها ذكرا في معاجمهم . بل كانوا اذا

ذكروها قالوا انها غير عربيه اصيلة فلا يحتج بها .

التوليد ومعجم محيط المحيط

وظل هذا نظرهم اليها حتى كانت النهضة الحديثة في القرن الماضي . فلما شرع رائد المعاجم الحديثة بطرس البستاني بوضع معجمه محيط المحيط معتمدا على القاموس المحيط للفيروزابادي رأى أن يضيف اليه كثيرا من المولدات التي نشأت مع الزمن وجرى بها الاستعمال . الا انه لم يجرؤ على الجزم بعدّها مساوية في الفصاحة لما نقل عن أهل اللغة في عهود الاحتجاج . فتراه يقف عند نهاية حرف الراء في محيط المحيط ليقول معتذرا

« وقد اضفت الى اصول الاركان (أي مواد الفيروزابادي) فروعا كثيرة وتفاصيل شتى ، والحقت بذلك اصطلاحات العلوم والفنون وكثيرا من المسائل والقواعد والشوارد مما لا يتعلق بمتن اللغة . وذلك لكي يكون هذا الكتاب شاملا يجد فيه كل طالب مطلوبه من هذا القبيل . وبهذا الاعتبار تنازلت الى ذكر كثير من كلام المولدين والفاظ العامة ، منبها في اماكنها على انها خارجة عن اصل اللغة . وعسى بذلك يتمهد لي العذر في هذا التساهل الذي ارتكبته » .

« وقد يتزيا بالهوى غير اهله
ويستصحب الانسان من لا يلائمه »

فالبستاني قد رأى ما للألفاظ المولدة من قيمة كتابية ولم يتردد في استعمالها في كتبه وخطبه ورسائله ولكنه في معجمه وقف ازاءها موقف المتحفظ .

المعاجم الحديثة تقر التوليد

ومهما يكن فالذي يبدو لنا أن أهل العصر الحديث يعتبرون هذه الالفاظ ضرورة لا غنى عنها . وقد أصبحت المعاجم الحديثة تقرّها . ففي المعجم الوسيط مثلا ، وهو الذي صدر سنة ١٩٦٠ باشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مئات منها . ومما ورد في مقدمته وصف صريح لنهج المجمع نقدم أمثلة منه اذ قال

« ولوسّع في المصطلحات العلمية الشائعة ، ودعا الى الأخذ بما استقر من الفاظ الحياة العامة . وخطا في سبيل التجديد اللغوي خطوات فسيحة ففتح باب الوضع للمحدثين ، شأنهم في ذلك شأن القدامى سواء بسواء وعمم القياس فيما لم يقس من قبل ، واقر كثيرا من الالفاظ المولدة والمعربة الحديثة وشدد في هجر الحوشي والغريب » .

وفي هذا التصريح الصادر من هيئة في هذا الموضوع دلالة بينة على موقف المعاصرين من الكلام المولد . ولا نبالغ اذا قلنا ان معظم المولد الجاري على اساليب اللغة قد اصبح شائعا في الاوساط العلمية والادبية لا ينكره الا فئة قليلة جدا لا تزال تحصر نفسها في نطاق الماضي .

دوافع التجديد في اللغة

والسؤال الذي يواجهنا الآن ما الذي يدفع الامة في سبيل التجديد . أو بعبارة اخرى ما الذي يغري الكاتب او الشاعر باستعمال لفظ أو اصطلاح لم تنص عليه كتب اللغة او لم يعرفه علماء اللغة ؟

ولا بد لنا قبل الاجابة على هذا السؤال من تحديد المراد بالتجديد . وأول ما نقوله ان التجديد لا يراد به الخروج من قواعد اللغة المقررة في علوم الصرف والنحو والبيان . فالخروج عنها خطأ لا جدال فيه . وانما يراد به انشاء او اقتباس صيغ صحيحة لم ينص عليها نقلا ، تملك ما لا يملك سواها من اكساب المعاني قوة ، او روعة او حسن بيان . ومما يهدينا الى هذه الصيغ ويوطدها سليقة لغوية يؤديها الزمن ، وكثيرا ما تصطدم هذه السليقة بالنصوص التقليدية فيحدث تنازع بينهما قد يستمر دهرا طويلا ثم لا يلبث هذا النزاع أن ينتهي غالبا بانتصار السليقة . ولاوضح ذلك ببضعة امثلة من ادبنا قديما وحديثا .

انتصار السليقة في اقوال القدامى

فمن القديم قول المتنبي :

تعتاده الغدار بين صحابه
على ثقة من دهره وأمان

وليس في المعاجم تقصد بمعنى قصد وانما دفع الشاعر اليها سليقته كما دفعته الى تولد صيغة (تفارس) في قوله

أنف أبي الاسر [illegible]
[illegible] واعتلا

وله تولدات أخرى اندفع اليها بطبيعته وهو من هو في معرفته بأسرار الكلام . وكذلك فعل ابن المعتز فاستعمل فعل (أثمر) متعديا اذ قال :

فاثمر همًّا لا يبيد وحسرة
لقلبيَ يجنيها بأيدي الخواطر

وقبلهما اندفع عمر بن أبي ربيعة الى استعمال تبدّى بمعنى بدا فقال .

وتبدّت لي فأبدت
واضحا منها نجيعا

وقال

[illegible]
[illegible]

وهذه السليقة هي التي حملت الطغرائي يؤثر **التشويش** على **التهويش** فقال

وان عدوت على [illegible]
تشوشيها ولا تبقي ولا تذري

والتي دفعت الحريري الى استعمال **حلوور** وهي ليست بمعجمية فقال في مقدمة كتابه المعد من استقلال ـ « أخوض خوض الجرور ، لا خوض الجبان الحذور » .

ومن أوضاع أهل زماننا التي دفعت اليها السليقة

احتجّ عليه ـ أو قدم احتجاجا عليه .. بمعنى أنكر فعله ووضع فاعله موضع اللوم .

اكتشف الامر ـ أي كشفه أو أظهره لأول مرة واكتشف أصلا فعل لازم .

خابره ـ أي فاوضه أو بادله الحديث ولا نص قديم فيها بهذا المعنى .

وحكم على المجرم بالاعدام ـ ولم يستعمل الاعدام بمعنى الموت في نص قديم .

ومما تأدت اليه السليقة استعمال المحدثين النسب التالية :

النظام الوحدوي (**نسبة الى الوحدة**) .. **والكتلوي** (نسبة الى حزب الكتلة الوطنية) وأمثالها .

وكانوا علا يقولون انسياقا مع السليقة ثوروي نسبة الى الثورة ثم عدلوا عنها الى القاعدة . فصاروا يقولون ثوري ، ولكنهم ما زالوا يتبعون السليقة في وحدوي وكتلوي وأمثالهما وهي أدق نظرا من القواعد أحيانا .

والنزاع لا يزال قائما بين **ساهم** التي تدعو اليها السليقة (بمعنى شارك) **وأسهم** التي يقول بها بعضهم وساهم أفضل وسيكون لها النصر النهائي .

وكذلك بين **الدعاية** للروح [illegible] **والدعاوة** . والاولى أفضل وهي ما تدعو اليه السليقة التي تميز المعاني أما الدعاوة فخطأ لأنها بمعنى الادعاء ؛ لا الدعوة الى شيء وانما قال بها بعضهم لتفيده براوية المعنى . وكذلك في **التظاهرات** الشعبية فهي أدل على المراد من المظاهرات لأن السليقة ترى فيها معنى المناصرة لأمر ما .

وفي تقديم الانباء لا نتوسعها استعمال بمعنى العمه . وكثير من مثل هذه الاوضاع التي يتوهم بعضهم أنها غير صحيحة وهي الصحيحة كل الصحة .

السليقة في انتخاب المترادفات

وللسليقة اللغوية العامة قوة فعالة على انتخاب المترادفات الفصحى فتطرح بعضها وتبقي البعض الآخر ولو كان دخيلا مثال ذلك أننا نقول اليوم :

البلور لا المهو مرادفتها القديمة ، **والسراك** لا المزراق ، **والمسك** لا المشموم ، **والعربون** لا المسكان ، **والهندباء** لا اللعاعة ، **والترياق** لا المسوس ، **والمسمار** او **الدبوس** لا الدسار ، **والقلا** لا الطرز ، **والميزاب** لا الثعب ، **والرصاص** لا الصرفان ، **والمازوت** لا الحضحاص ، **والاسطوانة** لا الاطمة ، **والجوذر** لا العبد ، **والشرطة** لا الزاعة **والابريق** لا التامورة

والهاون لا المنحاز ، **والفخ** لا الطرق ، **والجاسوس** لا الطرطس ، **والباذنجان** لا الانب ، **والطين** لا السيط .

وقس على ما ذكر كثيرا مما اهمل قديما وحديثا وبقي مرادفه مع الزمن .

السليقة تساوي الذوق العام

وقد تسمى هذه السليقة عند الجماعة بالذوق العام ، وهو قوة لا يستهان بها ، اذ عليه تتوقف حياة كثير من الاوضاع او موتها . والواقع ان شدة الغيرة حفاظا على الاصول اللغوية المنقولة عن السلف قد تضيق مجال النظر عند بعض اللغويين فينحصر اهتمامهم في الاصح نقلا عن الاسلاف لا في الاصلح للمعنى او الاكثر استعمالا ورواجا عند الجمهور . وهكذا يسمحون لانفسهم بوضع او اقرار ما لا يستسيغه الذوق العام فلا يلبث ان يموت او يدرج في غياهب الاهمال .

وكما للسليقة اللغوية قوة على استخلاص الافصح من المترادفات كذلك لها قوة مطلقة تحديد معاني الالفاظ ولو خالف ما يراه الاصوليون من اهل اللغة .

فابن قتيبة مثلا وهو امام النقد اللغوي في القرن الثالث الهجري وضع كتابه المعروف بأدب الكاتب ، وافرد فيه فصلا خاصا لما يضعه الناس في غير موضعه ، انتقد فيه الاستعمال العام لبعض الالفاظ والتك امثلة منه

حمة العقرب قال « يذهب الناس الى انها الشوكة التي تلسع بها وذلك غلط ، انما الحمة سمها » . ولكن الناس من ارباب القلم منهم ظلوا يستعملونها لما تلسع لا للسم وقد ثبت استعمالهم مع الزمن واهمل نقد ابن قتيبة .

الطرب — قال « يذهب الناس الى انه الفرح دون الجزع ، وانما هو خفة تصيب الرجل لشدة السرور او لشدة الجزع » . ولكن السليقة ابت استعمالها للمعنيين فاسقطت معنى الجزع وابقت السرور . وهو المستعمل الآن في كل الاوساط الكتابية .

القافلة — قال « يذهب الناس الى انها الرفقة في السفر ذاهبة كانت او راجعة ، وليس كذلك . انما القافلة الراجعة من السفر » . واعتمد في ذلك على انها من قفل يقفل اي رجع . ولكن الاستعمال العام ابى ان يحصرها او يقيدها بمعناها الاصلي فجعلها للذاهبة ايضا تفاؤلا بان ييسر الله لها القفول . وهكذا شاعت وجرت على السنة الفصحاء واقلامهم .

المأتم : قال « يذهب الناس الى انه المصيبة يقولون كنا في مأتم . وليس كذلك . انما المأتم النساء يجتمعن في الخير والشر والصواب ان يقال كنا في مناحة » . واكثر كتب اللغة تذهب مذهب ابن قتيبة . اما الرأي الكتابي العام فيصر على استعماله بمعنى المناحة واستعماله على ما يبدو هو الغالب نهائيا .

وغير ابن قتيبة كثيرون

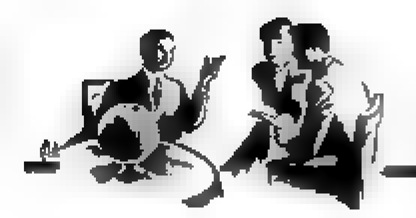
وقس على ما انتقده ابن قتيبة كثيرا مما انكره المتمسكون بالمعاني الاصلية او العرفية ، كالحريري في درة الغواص ، والجواليقي في التكملة ، ولحن الخاصة للعسكري ، وطبقتهم من نقاد اللغة .

وقد جرى مجراهم جملة من ارباب اللغة في هذا العصر منذ عهد ابراهيم اليازجي حتى الآن فاصابوا في اشياء وتعسفوا في اشياء وكان الذوق العام يجاريهم حينما يصيبون ، ولكن سرعان ما يتركهم حين يتعسفون فيسلك طريقا آخر ويستعمل من الالفاظ ما تدفعه اليه السليقة العربية التي انما ترتاح في اللفظ الى لطف الجرس ، وحسن البيان والاقتصاد الذهني . وتنفر من العاسي والحوشي والمستثقل الذي لا يستساغ .

وهذا يحتم على المسؤولين عن الاوضاع اللغوية ، توليدا او تعريبا ، مراعاة ناموس التطور العام والا ضاعت جهودهم في هذا الميدان .

وعلى كل حال فالزمان هو المهذب الاكبر لكل لسان . ■■

لبنان : انيس المقدسي



دردشة



انه الفوهرر . . !!

■ كان احد الجنود الألمان يكنس في احدى الثكنات ، فمر به رجل في بزة عسكرية ، فناداه الجندي . ايها الرجل اشعل لي هذه اللفافة فاشعل . ولما انصرف اقترب منه رفيق له ، وهو جاحظ العينين من الدهشة ، وسأله — « أعرفته ؟ »

قال « كلا » .

قال : « انه الفوهرر » .

فبهت الجندي لحظة ، ثم ركض وراء الفوهرر . ولما ادركه قال له

— آسف ياسيدي الفوهرر !

فابتسم هتلر ، وربت على كتف الجندي ، وقال له

لا داعي للاعتذار ، ولكن احذر ان ترتكب مثل هذه الغلطة مع كايتل ، فقد يقتلك !

استشارة قانونية

■ سأل قصاب أحد المحامين في لندن : لو سرق كلب قطعة لحم من دكاني ، فهل يكون صاحب الكلب مسؤولا ؟

فاجابه المحامي في حماسة : لا شك في ذلك .

فقال القصاب : حسنا ، لقد خطف كلبك قطعة لحم « تساوي نصف جنيه .

فقال المحامي اذا اعطني النصف الباقي من الجنيه ، وبذا أكون قد استوفيت أتعابي عن هذه الاستشارة !!

لورد . . وبخيل !

■ اشتهر « ماركيز هاملتون » وزوجته بالتقتير الشديد ، وحينما منح لقب « لورد » اشترى هدية لزوجته ، قطعة من الحرير ثمن الياردة ٥٠ شلنا . ولكنه تهوينا للأمر على نفسه ونفسها زعم ان ثمن الياردة ٢٥ شلنا فقط .

وفي مساء اليوم التالي استقبلته زوجته قائلة :

— عندي لك نبأ سار . لقد بعت قطعة الحرير التي اشتريتها لي بثلاثين شلنا للياردة الواحدة !

عضة !!

■ كانت « ميرول » الممثلة السينمائية تزور جرحى الحرب في بعض المستشفيات فسألت أحدهم : أقتلت نازيا ؟

فاجاب بنعم ..

فسألت : بأي يديك ؟

فرفع يمناه ، فانحنت عليها ميرول وقبلتها .

ثم انتقلت الى الآخر وسألته

وانت هل قتلت نازيا ؟

فقال على الفور . حتما ، وقد عضضته حتى مات !

صحفي يقابل هندنبرج



روى صحفي انه ظفر بمقابلة هندنبرج يوم كان رئيسا للجمهورية الالمانية ، وحاول ان يستطلع سر شجاعته ورباطة جأشه ، فسأله :

— ماذا تصنع يا فخامة الرئيس حين تضطرب اعصابك ؟

فقال الرئيس : اصفر .

فقال الصحفي : ولكنني لم اسمعك تصفر ابدا .

فقال الرئيس : وانا لا اصفر ابدا !

شيك بلا توقيع

تلقت احدى الجمعيات الخيرية من احد اثرياء العرب شيكا بمبلغ خمسمائة جنيه ولكنها لاحظت انه لم يوقع عليه ، فلما سألته في ذلك قال :

— لم اكتب اسمي على الشيك ، لانني اعتقد ان اعمال الخير يضيع ثوابها اذا عرفت اسماء القائمين بها !

شكر من الزوج والزوجة

رشح احد اعضاء مجلس النواب الامريكي في دائرته لكي يعاد انتخابه ، فخذله الناخبون ، فنشر بيانا جاء فيه :

احب ان اوجه الشكر الى جميع الذين اعطوني اصواتهم ، اما زوجتي فتحب ان توجه الشكر الى جميع الذين اعطوا منافسي اصواتهم !

افعله الآن ، ولا تؤجل !

علق احد مديري المصانع بنيويورك لوحات في مصنعه ومكتبه ، طبع عليها بحروف بارزة : افعل ما تريد الآن ، ولا تؤجل عمل اليوم الى الغد

ولما سئل بعد اسبوع عن اثر هذه اللوحات في عماله ، ماذا كان ، هز رأسه وقال :

— لا احب ان اتذكر ما حدث .. لقد فر الصراف بأربعة آلاف ريال ، وخطف رئيس المحاسبين اجمل سكرتيرة عرفتها في حياتي . وطلبت ثلاث من الكاتبات زيادة مرتباتهن ، وقرر عمال المصنع الاضراب ، وانضم ساعي مكتبي الى الاسطول !

ارثوا له !



عرف الفيلد مارشال الانجليزي مونتجومري بانه لا يدخن ولا يشرب الخمر ، ولا يسب احدا ولا يأكل اللحم ، فلما دعا القائد الالماني الجنرال فون توما الى العشاء بعد اسره في معركة العلمين ، احتج على ذلك النواب البريطانيون في مجلس النواب ، فهز تشرشل كتفيه وقال :

— مسكين فون توما ، فقد تعشيت انا ايضا مع مونتجومري !!

ماءٌ كثيرٌ في ماء البحار لا يُشرب

بالذرة سوف يحلو ماء البحر

أنهار سوف تنبع عند سواحل البحار

بقلم الدكتور أحمد زكي

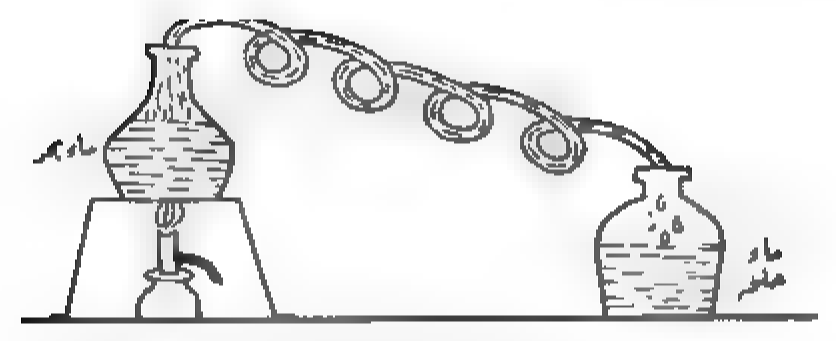
ويرتوي المجدب من الأرض

وتجري عكساً للصب حيث كانت تنبع

فكيف تمكن أو يمكن الإنسان من زيادة محصول الإنسان ، من هذا المورد الأكبر والأعظم والأخطر ، مورد الماء ، لروي صحاريه ، وحيثما كان في الأرض جدب ، لينتج ، ولو بعض الشبع ، تلك الأفواه التي لا تني متزايدة ، بمتزايد المواليد فوق سطح هذا الكوكب .

مورد الماء الأكبر

إن مورد الماء الأكبر لا شك البحار



تحلية ماء البحر بالتبخير : عالجها الانسان منذ القدم . الماء يغلي وتحته النار . ثم يتكثف البخار الناشيء . ثم يتقطر ماء عذبا .

سبيل الطبيعة في تحلية ماء البحر

الحل اذن هو : فصل الماء عن الملح .

وهو حل عالجه الانسان من قديم الزمان ، بالتبخير . والشمس كانت تعمر المحيطات، وهي مالحة ، فتستقي من ماء البحر ، تأخذ ماءه ثم تبخره وتكثفه . وسبيلها في ذلك النار والوقود . وهي طريقة تقضي حاجة ، اذا ما اراد الانسان من الماء لترا او مترا او امتارا .

والطبيعة تسلك نفس الطريقة، تحلي بها ماء البحر منذ الازل ، ولكنها تعطي ملايين الملايين من الامتار ، من كل ماء عذب بالغ العذوبة .

واوعيتها ليست صغيرة كاوعية الانسان .

ان أوعيتها البحار والمحيطات .

وهي تستخدم وقودا فاق وقود الانسان بلايين البلايين المرات .

ان وقودها الشمس .

ان الشمس تقتبس من بحار هذا الكوكب ومحيطاته ، وبحيراته ، وحيثما رقد ماء أو سال ، تقتبس منه بالتبخير مقادير هائلة ، تعود فتنزل الى الارض امطارا وثلوجا يبلغ مقدارها نحو ٣٧٠ مليون مليون متر مكعب في العام ، نحو خمسها يسقط على الارض ، والاربعة الاخماس تسقط على البحار المالحة والمحيطات فتعود بذلك الى منشئها الاول .

فاني للانسان أن يجاري البحار اوعية ، أو يجاري الشمس حطبا .

الانسان يحلي ماء البحر بوقود الارض ..

فصل الماء من الملح عمل لا شك هين ، هين اجراء : نار وماء بحر ولبخير ، ثم تكثيف .

ولكن المشكلة ثمن كل هذا .

الفحم غال . زيت البترول غال .

واستخدم الانسان الى اليوم ، في تحلية ماء البحر ، الوقود العالي الثمن ، حيث دعت الضرورة الى دفع هذا الثمن ، او حيث كان الوقود ثمنه رخيصا .

ففي الكويت مثلا ، حيث لا ماء ، الا الصحراء ، وحيث غاز البترول الذي مصدره الارض يحرق احراقا للتخلص منه خشية ان يفسد الجو ، اقيم مصنع للماء الحلو هو اكبر مصنع الى الآن في العالم . وهو قادر على اعطاء نحو ٢٧٠٠ متر مكعب من الماء العذب في اليوم .

وفي القاعدة الامريكية بجزيرة كوبا ، قاعدة جوانتانامو Guantanamo ، حيث قطع الدكتور كاسترو الماء عن الجيش الامريكي المرابط هناك ، نقلت الولايات اليها مصنع تقطير كان في كلفورنيا ، كلفها ضما ونقلا ، ملايين من الدولارات كثيرة ، وهو قادر على أن يعطي في اليوم ٤٠٠٠ متر من الماء العذب . ولا تسأل عن تكلفة المتر من الماء الناتج هناك . فلو ان المتر كلفها دولارا كاملا لدفعته الولايات . فالمسألة كانت مسألة تحد .

وغير ذلك اعتبارات تتصل بانتاج الماء العذب من ماء البحر في احوال السلم العاديه .

تدخل العلم لخفض النفقة

ولكن ، لكي تشيع تحلية الماء بالتبخير ، وجب خفض النفقه ، الى نحو من كلفه الماء العادي القائم اليوم المستخدم في المنازل ، وفي المصانع ، وللزراعة .

وهذا الواجب يقوم به العلم والتكنيه معاً وما التكنية الا العلم مطبقاً في صورة هندسه ونحوها .

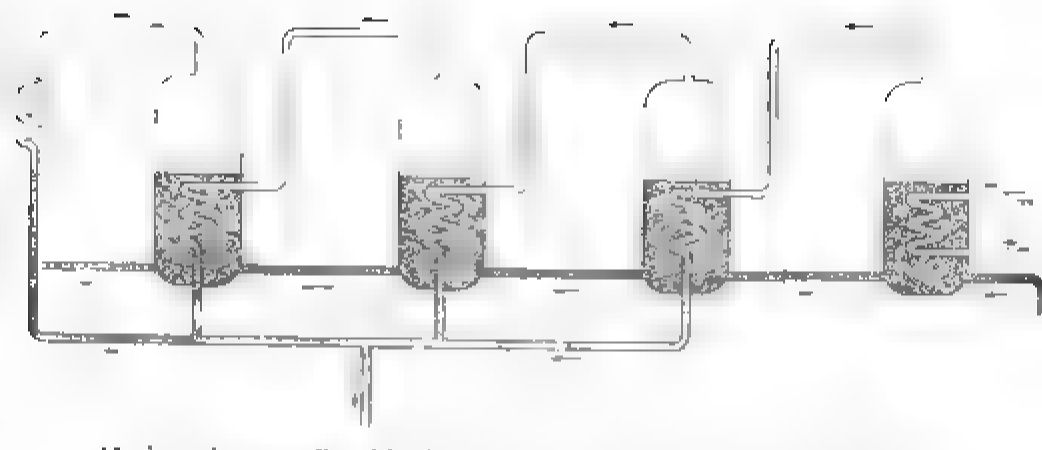
والدخول في تفاصيل هذا الامر يطول وهو يصعب في مثل هذه الصفحات .

ولكن الأمثال تضرب .

طريقة التبخير المستنزف حرارة البخار

او كما يسمونه التبخير ذا الاثر المضاعف او المتعدد المعروف Multiple effect





تحلية ماء البحر بالتبخير المتعدد الفعول : وترى البخار يدخل حارا من اليمين وهو على درجة ١٢٠ مئوية ، فهو مضغوط . ويخرج ، ولكن حرارته التي ترك ، سخنت بعض الماء الذي بالوعاء الأول . وهذا البخار الجديد يخرج حارا من ماء الوعاء الأول ليعطي من حرارته لماء الوعاء الثاني دون أن يختلط به ، ثم يخرج ليتكثف ماء عذبا . والبخار الذي يخرج من ماء الوعاء الثاني يسخن ماء الوعاء الثالث قبل أن يتكثف ، وهلم جرا . الى آخر الطائف . ويستعان على التبخير في هذه الأوعية . بخفض الضغط فيها كما هو مشروح في نص المقال .

وعلى ضخامة الاسم ، وغرابته ، فهو سهل المعنى . ان ماء البحر الملح يوضع في وعاء (الوعاء الأيمن في الرسم الايضاحي المرفق) . ويدخل هذا الوعاء أنابيب ملوءة محوراة كالأمعاء ، وتخرج منه . وهي تحمل اليه بخار الماء مضغوطا حارا شديد الحرارة ، نازلا من الفرن راسا . فهذا البخار يسخن ماء البحر الذي في الوعاء دون أن يختلط به .

ولتفسير قولنا ان هذا البخار شديد الحرارة نقول : ان الماء يغلي عند درجة ١٠٠ مئوية تحت الضغط الجوي . ولكن هذا الماء الداخل يدخل وهو على درجة ١٢٠ مئوية مثلا ، فهو مضغوط فوق الضغط الجوي . وهو يخرج بعد أن يعطي الماء الملح الكثير من حـــرارته . ويتبخر هذا الماء الملح ، ويصعد بخاره وهو على درجة ١٠٥ مئويةمثلا . ويساق هذاالبخار الذي لا يزال ساخنا الى الوعاء الثاني وبه ماء البحر أيضا (تابع النظر الى الرسم الايضاحي المرفق) . ويعطي بدوره من حرارته . ولقربه من درجة ١٠٠ عند دخوله الى هذا الوعاء ، يهبط عنها عند خروجه منه ، والآن هو يتكثف ، وقد قضينا منه وطرا ، وهو يتكثف ماء عذبا . ولكن حرارته التي أعطاها للوعاء الثاني،على ضعفها،استطاعت أن تبخر من هذا الوعاء ماء . وذلك لأننا كنا قد قللنا الضغط في الوعاء الثاني عن الضغط الجوي . فدرجة غليان الماء مائة تحت الضغط الجوي . ولكنها دون ذلك والضغط أقل من الضغط الجوي .

وهكذا في الوعاء الثالث والرابع ، يستعان على الاستفادة من البخار مرة بعد مرة بخفض الضغط في الأوعية .

وبذلك يستفاد من الحرارة المستخدمة بأكبر قدر مستطاع .

وبهذا تقل النفقة .

انها الحقيقة العلمية التي تقول بأن درجة الحرارة التي يتبخر أو يغلي عندها الماء تختلف باختلاف الضغط القائم فوق الماء ، هذه الحقيقة تحيلوا بها للاستفادة بأكثر ما يمكن من الطاقة الحرارية المستخدمة .

وتحيلوا بهذه الحقيقة بصورة أخرى: سخنوا ماء البحر ، ولكن الى درجة دون غليانه في الجو . ثم أدخلوا هذا الماء الى حرانة خفضوا الضغط فيها ،

عن الضغط الجوي ، مما دخلها ماء البحر الساخن هذا حتى غلى منه بعضه بغتة فصار بخارا ، كثمره ماء . ودار الماء المالح بعد ذلك الى خزانة اخرى ، أقل ضغطا ، فاخرى ، وفي كل مرة ينتج بخارا نافعا ، حتى فقد الماء المالح حرارته ولم يكن من النافع خفض الضغط في خزانة جديدة فوق ما خفضوا . ولأن الماء يغلي في كل خزانة بغتة أو فجأة ، سموا هذه الطريقة بطريقة البخر الفاجيء او الومض Flash evaporation

وهناك طرق للتحلية اخرى ، هدفها الانتفاع بالحرارة المستخدمة الى اكثر حد . ولكن فيما ذكرنا الكفاية .

بكم من الحرارة المستخدمة ينتفع العلماء في تحلية ماء البحر بالتبخير

قد بسطنا الموضوع اكثر مما يجب ، حتى ليحسب الحاسب انه ، للاستفادة من الطاقة الحرارية كلها ، لا يطلب منا الا زيادة الاوعية ، وعاء من بعد وعاء ، وخفض الضغط فيها ، خفضا من بعد خفض ، وتمرير الابخرة فيها حتى لا تبقى بهذه الابخرة بقية من حرارة .

هذا هو الرأي النظري . وغير ذلك العلمي .

فيكفي ان نقول ان انتقال الحرارة من شيء الى شيء ، يتوقف على الفرق بين الحرارتين ، فان اقتربت الدرجتان ساءت الحرارة انتقالا .

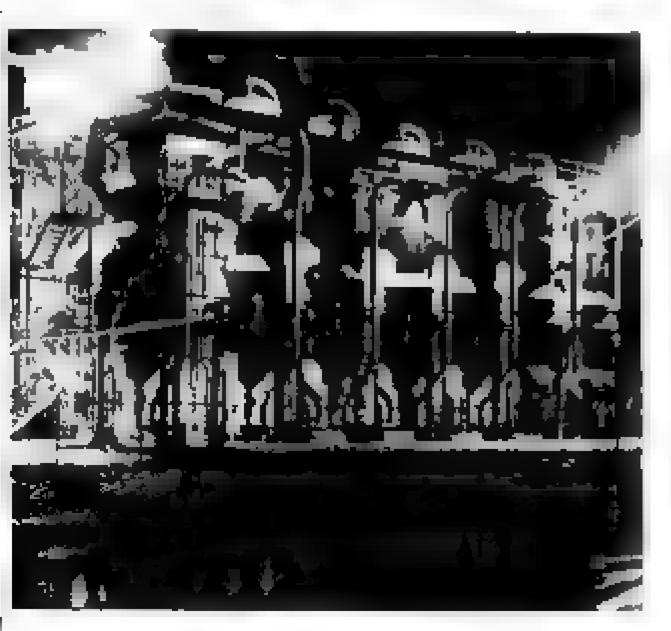
واذن فتكرار الاوعية لتكرار التبخير ، لابد ان يقف عند حد .

وفي المصنع الذي افتتحه رئيس الولايات كيندي ، ببلدة فري بورت Freeport بتكساس (انظر الصورة الفوتوغرافية) ، بالولايات المتحدة ، لا تتكرر الاوعية اكثر من ١٢ مرة . وهذا المصنع ينتج ١٢ رطلا من الماء العذب لكل رطل من بخار حار .

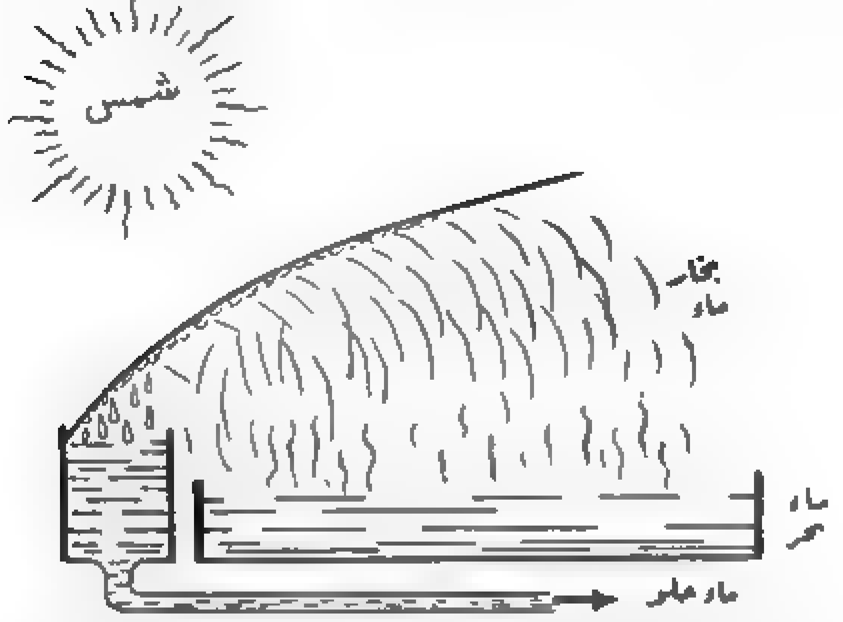
ومصنع التحلية بجزيرة آروبا Aruba ، تتكرر الاوعية ست مرات فقط ، والمصنع يستطيع ان يعطي نحو ١٢٠٠٠ متر مكعب في اليوم . وهو يعد من اكبر مصانع تحلية ماء البحر .

وآروبا جزيرة عند شاطيء فنزويلا ، تابعة لهولندة ، وفيها يقطر خام البترول المستحضر من فنزويلا وعدد سكانها نحو ٥٠٠٠٠ شخص .

و « درجة الكفاية » فيما وصفنا ، او بعبارة اخرى نسبة ما يتنفع به من الوقود ، تقع بين ١٠ و١٥ ٪ من حرارته ، اما بين



مصنع تحلية ماء البحر بمدينة فري تاون ، بتكساس ، بالولايات المتحدة . والتحلية فيه بالتبخير المتعدد المفعول ، ذلك الذي فيه يستخدم حامل الحرارة (وهو بخار ساخن) مرة من بعد مرة ، من بعد اخرى ، حتى يستنفد اكثر ما يمكن مما به من حرارته . وفي هذا المصنع ، كما ترى في الصورة ، ١٢ وعاء ، دليل تكرار المفعول ١٢ مرة ، وهو يعطي ١٠٫٧ ارطال من الماء العذب مقابل كل رطل من البخار الساخن الذي هو مصدر التسخين والتبخير .



تحلية ماء البحر بحرارة الشمس . تسقط أشعة الشمس على الماء وهو في آنية ضحلة ، فيتبخر الماء ويتصاعد بخاره ، ثم يبرد على حاجز من زجاج فيتكثف عليه ، ثم هو يتقطر ويجمع ماء عذبا .

التسعين والخمسة والثمانين منها ، من الحرارة المستخدمة تضائع هدرا .

ويمكن زيادة « درجة الكفاية » بتكبير الأوعية وتكبير المصنع، ولكن زيادة الكفاية هذه التي هدفها بعض التكاليف، يقابلها زيادة في رأس المال الذي يبنى به المصنع. وهنا نصل الى المعادلة الصعبة التي يحاول أن يصل اليها المخططون دائما في الصناعة ، تلك المعادلة التي توازن بين راس المال ، والوقود . ان زاد هذا هبط ذاك . والعكس بالعكس .

والمفروض اليوم أن هذه الموازنة لا تؤدي الى درجة من الكفاية أكثر من ٢٠ في المائة من الوقود المستخدم ، أي فثمن الوقود شيء ذو بال .

فلنذكر هذا عند بلوغ خاتمة هذا المقال .

تحلية ماء البحر بحرارة الشمس

لما كان ثمن الوقود هو العقبة الكؤود، اتجه الناس، فيما اتجهوا، الى الشمس، فالشمس تعطي الحرارة ، أي تعطي الطاقة، بلا ثمن .

وطاقة الشمس شيء هائل . ان الذي تصبه الشمس على الأرض من الطاقة ، فيما تصبه في الشهر الواحد ، يساوي مقدار الحرارة التي يحصل عليها الانسان لو أنه أحرق كل فحم الأرض ، ما كشف منه المناجم الى اليوم، وما بقي في بطنها ذخيرة محسوبة للغد .

ولكن عيب هذه الحرارة ، حرارة الشمس ، أنها مسطحة ، منبسطة ، منسرحة ، غير مركزة . وقد حاولوا تركيزها بالعدسات ، ولكن لأغراض صغيرة . فكم تركز العدسة !!

ومع هذا فقد حاولوا استخدامها لتقطير الماء، ماء البحر ، لتحليته : بوضع ماء البحر في أوعية تسقط عليها أشعة الشمس ، فيتبخر الماء ويصعد ، ويلتقي البخار بألواح من زجاج يتكثف عليها ، ويتقطر ، ويجمع ماء عذبا (انظر الشكل فوق) .

وقد اذكر أن هذه الطريقة جربت في أوائل هذا القرن في الصحاري ، فاحية

القاهرة . وتعددت بالطبع الاوعيـــة ، وكبرت مساحاتها ، وشملت ابعادا من الارض واسعة . فهذه طبيعتها، والا كان محصول الماء غير ذي بال .

وهي جربت في بقاع اخرى من الارض. جربت في صحارى استراليا ، وافريقيا، والولايات المتحدة ، حيث الماء نزر . وخرج منها ماء للمواشي والاغنام .

وحديثا اعادوا تجربة هذه الطريقة في فلوريدا ، بالولايات المتحدة ، وفي كندا، واكثروا الاوعية ، وحدات متلاحقة .

وانتجوا هذا الماء في « توجرت » ، بالصحراء الجزائرية .

ولكن كم كانت ثمن التكلفة هناك ؟

في الجزائر كان ثمن اللتر من هـــذا الماء ٨ فرنكات . وهو ثمن اكبر من ثمن لتر من ماء معدني، كماء فيشي . ولا عجب فالمحصول لا يتعدى ٤ التار في اليوم من كل متر مربع من سطح الماء الذي تسقط عليه الشمس .

طريقة هذه حالها ، لا تصلح الا حيث لا يكون للانسان حيلة الا الماء بواسطتها، او الموت عطشا .

تحلية ماء البحر بتثليجه

وينتقل الانسان من الشيء الى نقيضه. من الحرارة لتبخير الماء ، الى تثليجه واخراج الماء ثلجا عذبا .

فالثلج ، اذا انفصل بالتبريد من ماء البحر ، لا ينفصل الا عذبا . وهو يطفو لخفته . ويبقى في القاع ما تخلف من ماء البحر ، ومعه الملح الذي لفظه الثلج عندما انفصل .

ويفصل الثلج بعد ذلك ويذاب .

هكذا كان ولا يزال يفعل اهل سيبيريا، في الشمال منها . يأتون بماء البحر ، فيضعونه في اوعية يبيلونها بعض الشيء، ويتركونها ليلا . وفي الصباح يرفعون الثلج من الاوعية ماء عذبا . وعمد علماء الروس الى بحث هذه الطريقة . وكان من بينهم يهودي اسمه زرشين ، وكان مهندسا كيماويا . فاشترك معهم . وامكنهم بذلك الحصول على ٥٠ لترا من الثلج العذب من كل متر مربع من سطوح هذه المياه المتجمدة .

وكان ان هاجر زرشين الى فلسطين المحتلة ، وبعد أن احتلها اليهود ، عمد الى الاستمرار فيما كان بدأه الروس .

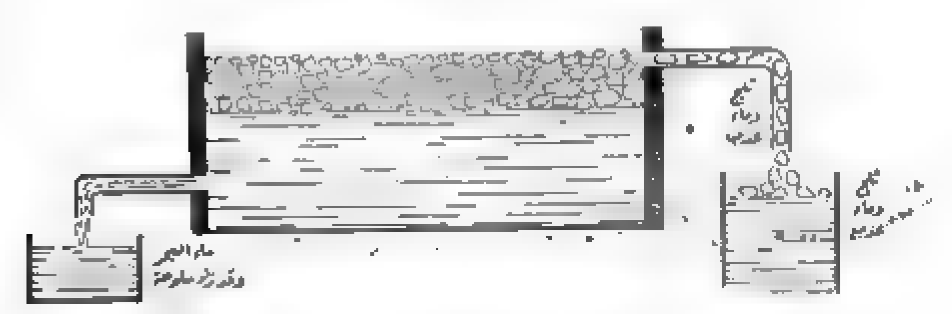
واليوم يقوم بعيناء ايلات مصنع رائد، يصنع الماء بالتثليج ، ويقضي حاجات هذا المـاء .

برخص ؟

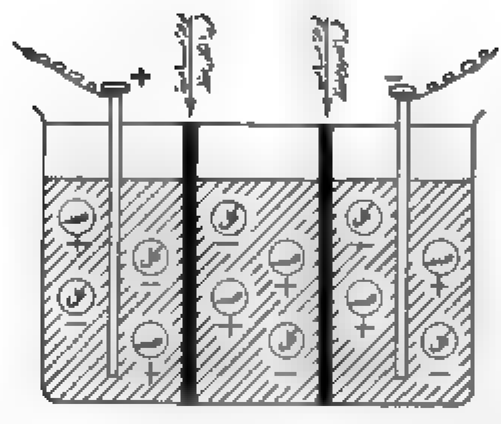
بالطبع لا . .

ولكن الصهاينة يدفعون كل غـــال ورخيص في سبيل تثبيت اقدامهم عند البحر الاحمر .

ونزيد في التفصيل فنقول ان الطريقة



تحلية ماء البحر بالتثليج : اذا برد ماء البحر برودة كافية ، تثلج بعضه وانفصل ثلجا عذبا ، ولخفته يطفو فوق الماء الملح الباقي تحته ، ذلك الذي زادت ملوحته بسبب الملح الذي خلفه الثلج وراءه ويفصل الثلج بعد ذلك من الماء الاجاج .



تحلية ماء البحر باللوحات المسامية والكهرباء :

الشكل الاول : وعاء به ماء البحر . تاتيه الكهرباء من بطارية (ليست في الرسم) فيدخل تيارها ويخرج من طريق القطبين(الموجب + والسالب −) بعد ان يمر بماء البحر وهو ملح وماء . والشكل الاول هذا يوضح كيف تتوزع ذرات الصديوم وذرات الكلور (وهما مركب الملح) قبل مرور التيار . اما الخطان الاسودان فيمثلان لوحين مساميين من اللدين (البلاستيك) : اليمنى منهما مصنوعة بمادة تمنع الكلور ان يمر من مسامها ، واليسرى مصنوعة بمادة تمنع الصديوم ان يمر من مسامها .

تقوم على تبريد ماء البحر اولا ، ثم دفعه الى حيث الضغط قد خفض ، وعندئذ يحدث تبخر بعض هذا الماء ، ويكون نتيجة ذلك نزول درجة حرارة الماء فيجمد بعضه . والبخار الذى تصاعد عذب . والماء الذى تثلج عذب . كلاهما مصدر ماء عذب .

تصنيع الماء هنا محتاج هو كذلك الى الطاقة . والطاقة كما قلنا غالية .

واذا اريد لاى طريقة لتحلية الماء ان تنجح اقتصاديا ، وجب خفض ثمن الطاقة . وخفض نفقة الطريقة ، ليحفض ثمن التكلفة للماء الناتج فيقرب من من السعر القائم اليوم فى الاسواق .

ونقد نذكر ان فى المحيطات بشمال الارض جبالا هائلة من الثلوج ، تظل طافية ، وتسمى جبال الثلج Icebergs وهى من ماء عذب رغم انها انما خرجت من ماء البحر الملح

وقد خطر لقوم ان تحمل جبال الثلج هذه فى اوعية هائلة ، جملة ، ثم تساق الى سائر البقاع . فتكون مصادر للماء العذب هنالك . خاطر ينقصه التنفيذ ، وقد ينقصه حساب الدينار والدرهم .

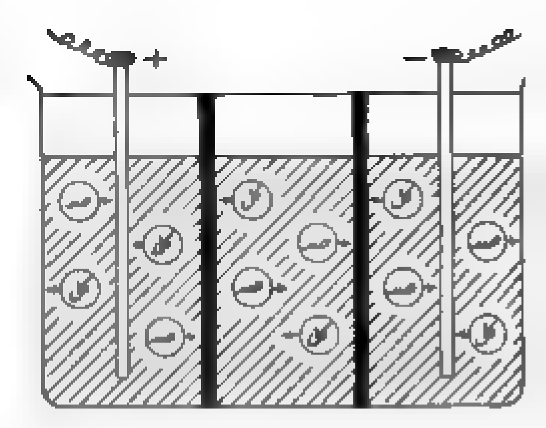
تحلية الماء بواسطة اللدائن ذات المسام ، والكهرباء

هذه الطريقة عمادها الكهرباء ، وهى طاقة .

والكهرباء من اواخر ما كشف الانسان ، وعرف وعالج من طاقات .

وطالب المدرسة الثانوية يعلم ان ملح الطعام مؤلف من عنصرين ، صديوم وكلور ، وان هذا الملح يذاب فى الماء فيحلل الى ذرة الصديوم وتحمل شحنة من الكهرباء موجبة . وذرة من الكلور ، وتحمل شحنة من الكهرباء سالبة ، ويسمون الذرة الذائبة فى الماء بشحنتها الكهربائية الخاصة ، ايونا Ion .

والانسان لا يحس بهذه الكهرباء عندما يشرب الماء بملحه ، لان الشحنتين متعادلتان) . فاذا نحن امررنا تيارا كهربائيا (ياتى من طريق الاسلاك من بطارية كهربائية مثلا) فى المحلول ، فان



الشكل الثاني . يمثل ما يحدث عند مرور التيار الكهربائي بمحلول الملح (ماء البحر) ، واين يتجه الصديوم ، واين يتجه الكلور ، واين يمنع الكلور من المرور واين يؤذن له . وكذا في امر الصديوم .

الشكل الثالث : ويمثل النتيجة النهائية ، وقد فرغ الماء الذي بين اللوحتين المساميتين من الكلور والصديوم معا ، اي من الملح . فالذي بينهما ماء عذب .

نمس في طرف المحلول القطب الموجب للكهرباء ، وفي الطرف الآخر القطب السالب للكهرباء ، ثم امررنا التيار ، اتجهت ذرات الصديوم (صد) وهي موجبة ناحية القطب السالب ، واتجهت ذرات الكلور ، وهي سالبة ، ناحيةالقطب الموجب . واذن يقل ملح الطعام في اوسط المحلول ، واذن فهو يحلو (انظر الشكل)

فهذا هو اساس الطريقه.انما يعوزها شيء : حاجز يمنع ذرات الصديوم ان تمر فيه.وحاجز يمنع ذرات الكلور ان تمر فيه . أو اصح من ذلك لوحان مساميتان مصنوعتان من لدين (بلاستيك) مطلية احداهما بمادة تأذن لذرات الكلور ان تمر من مسامها ولا تأذن لذرات الصديوم ، بينما اللوحة الاخرى مطليةبمادة اخرى تأذن لذرات الصديوم ان تمر من مسامها ولا تأذن لذرات الكلور . وذلك ليؤذن لكل من الكلور والصديوم بالخروج عن الخانة الوسطى ولا يؤذن بالدخول فيها .

واذن تحجز هاتان اللوحتان بينهما ، آخر الامر ، ماء عذبا .

هذه خلية واحدة . ولكن المصنع يحتوي على وعاء عظيم من الماء المالح ، تقام فيه خليات كثيرة العدد جدا ، تفصل بينها هذه اللوحات ، واحدة تلو الاخرى : واحدة تمنع الصوديوم ، تليها ثانية تمنع الكلور ، تليها ثالثة تمنع الصوديوم ، وهلم جرا . فاذا اجري التيار الكهربائي في المحلول ، المتحاجزة خاناته ، خانة بها الماء العذب ، تليها خانة بها ماء البحر الذي بدأنا به وقد زاد ملحه ، تليها اخرى بها الماء العذب وهلم جرا .

وهذه الطريقة يعالج بها الماء قليل الملح Brackish water الذي لا تزيد ملوحته عن ٦ اجزاء من الملح في الالف من الماء ، لا ماء البحر ، وهو الذي يحتوي على نحو ٣٥ من الملح في الالف من الماء . اعني يعالج بهذه الطريقة الماء الذي يخرج من باطن الارض ، ومن المناجم،وبه من الملح مقدار يمنع الحيوان

والانسان من شربه ، وكذا النبات . وهذه الطريقة تحكيه الى حد كبير .

وفي الكويت شركة امريكية تعرض التحلية بهذه الطريقة . وهي تعرف في الانجليزية بلفظ Electrodialysis اي الفصل بالكهرباء .

وقد رأيت رجالها في مكتبين هناك بدأوا عملهم في الكويت ، وعلمت منهم ان هدفهم هو اقامة مصنع رائد Pilot plant يعطي بملح ماء جوفي بمنطقة الصليبخات ، وهو عسر الملح ، الى جزء من الف ، لري الارض ، والى نصف جزء من الف لشرب الانسان . وقد اقاموا المصنع فعلا ، وعلمت أن ماءه الآن يستخدم في ري الارض .

كذلك علمت منهم انهم اقاموا مصنعا في الظهران ، بالسعودية ، بشركة الزيت، شركة ارامكو، ينتج نحو ٤٥٠ مترا مكعبا في اليوم من الماء العذب . وكذلك لهم مصنع في « البحرين » ، يعطي نحو ٢٠٠ متر مكعب من الماء العذب في اليوم .

وظاهر بالطبع ان هذه الطريقة لا تهبط بثمن الماء الى ثمن الاسواق القائم اليوم، ولكنها تنفع عند الضرورة . واقامة مصانعها الرائدة في الكويت والبحرين والظهران، وهي مناطق صحراوية، تنبيء عن ضرورة .

ورأيت كذلك رجل يولندي ، ادعى ان لديه طريقة كهذه ، تنفع حتى في تحلية ماء البحر . فلما استوضحته الامر ابى ان يبوح الا بعد كتابة عقد . لم احصل .

مشكلة التحلية ، مشكلة اقتصادية

المشكلة في تحلية مياه البحار والمحيطات ليست ادن ، بعد الطرق التي وصفنا ، مشكلة فنية ، بمقدار ما هي مشكلة اقتصادية. انها ثمن التكلفة للمتر المكعب من الماء .

ان الهدف من تصنيع ماء البحر ، اي تحليته ، او اعذابه ، هو النزول بثمن التكلفة للمتر المكعب الواحد الى الثمن المتعارف له في المنزل والمصانع والمزارع.

واختلفوا في تقدير ثمن تكلفة المتر المكعب من الماء المحلى بطريقة البخر . قالوا انها شلن و٦ بنسات . وقال آخرون بل ٩ بنسات ، وقالوا ان ثمن التكلفة بطريقة التثليج ٩ بنسات .

وهي اثمان تربو على ثمن الماء المتعارف.

ومع هذا فهنالك من يشك في هذا التقدير . فالبعض يقول بل ان الثمن للمتر المكعب من ماء البحر المحلى ، ينتج بارخص الطرق المعروفة الى اليوم ، لا يمكن ان يقع الا بين ثلاثة واربعة شلنات للمتر المكعب الواحد .

مقارنة الطرق الاربعة لتحلية الماء التي وصفنا

اما تحلية الماء بالشمس فيمكن ان نخرجها من المقارنة لقلة انتاجها ، وعثرة طاقتها ، والمساحة المطلوبة لصنعها . وهي كما قلنا لا تصلح الا في الضرورات.

واما تحلية الماء بفصله من الملح بالالواح المسامية والكهرباء ، فطريقة يمكن كذلك ارجاؤها . لانها لا تنفع ، الى اليوم ، الا للماء القليل الملح . ثم ان ماء البحر ، لو ان ثمن الكهرباء ارخص ارخاصا وجاز استخدامها لتحلية ماء البحر ، فان هذا الماء به أحياء عضوية صغيرة طافية Plankton لا تلبث أن تسد مسام تلك اللوحات التي هي روح الطريقة وعمادها ، وهي اغلى الاجزاء التي منها تتألف جهازها .

بقي تحلية الماء بالبخر ، وتحليته بالتثليج .

وكلاهما يتوقف على ارخاص ثمن الطاقة ، من حرارة كانت او من كهرباء.

بين هاتين الطريقتين يتركز رجاء الناس خاصة في المستقبل .

وتدخل الذرة في الميدان فتحني لها الرؤوس

نعم . انها الذرة دائما يهرع اليها الناس للاحجام الكبيرة في كل شيء . احجام كبيرة في سلام . واحجام كبيرة في حرب وعند خصام .

والذرة عرفناها تنتج الحرارة . تخرج من افرانها واليورانيوم يتشقق فيها . وسمينا الافران بالمفاعلات Reactors

والذرة عرفناها تنتج الكهرباء ، ولكن من الحرارة . اعني ان الحرارة تسخن الماء تسخينا شديدا ، فيخرج بخار الماء حارا مندفعا قويا شديدا ، يدير التربينات turbines ، وهي تدور بلفائف اسلاكها في مجال مغناطيسات قوية ، فتتولد الكهرباء .

الذرة اذن تنتج الحرارة .

والذرة كذلك تنتج الكهرباء .

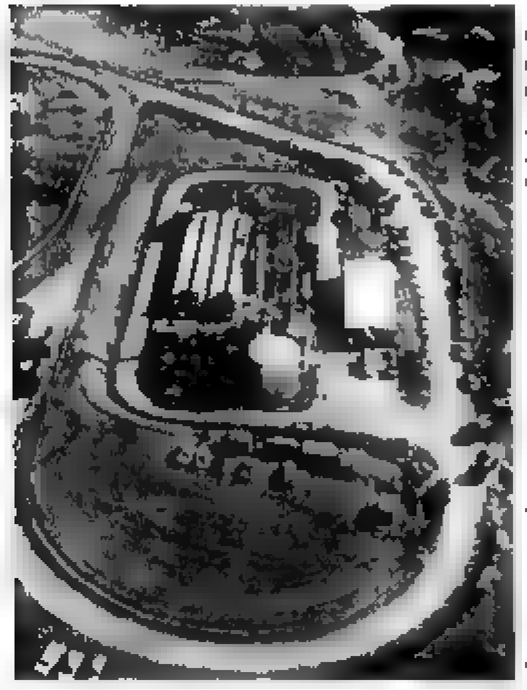
ولكن كم سعرها ؟ كم سعر الطاقة . هذه او تلك ؟

السعر ينقص بمقدار ما يزيد حجم المفاعل الذري .

واذن هيئا الى الاحجام الكبيرة جدا . الى الضخامة اكبر الضخامة في بناء المصانع الذرية .

ولكن كيف نستخدم الذرة في تحلية الماء ؟

ان كانت التحلية تحتاج الى كهرباء فالذرة تنتج الكهرباء . وهي مع ضخامة المصانع تنتجها رخيصة . وحتى طريقة التحليل بالالواح السلبية والكهرباء ،



التحلية بالتبخير المتعدد المفعول

مصنع تحلية ماء البحر بمدينة سان دياجو ، بكاليفورنيا ، بالولايات المتحدة . والتحلية فيه بالتبخير المتعدد المفعول ، ولكن بطريقة الومضات المتتابعة ، كما في نص المقال . والماء تسخن ماء البحر ولكن دون درجة الغليان ، ثم ادخال هذا الماء الساخن في وعاء قليل الضغط ، فلا يكاد يدخل اليه حتى يتطاير بعضه فجأة ويتحول الى بخار . وتكرر العملية كما وصفنا في المقال . وهذا المصنع يعطي مدينة سان دياجو ، في اليوم اكثر من ٥٠٠٠ متر مكعب من الماء العذب ، فوق مصادر مائها الاخرى .

هذه الطريقة ، بعد رخص الكهرباء ، قد تستخدم في تحلية ماء البحر نفسه ، لا الماء القليل الملح وحده .

وان كانت التحلية تحتاج الى حرارة ، فالبخار الحار الناتج من انشطار الذرة سوف يكون من الحرارة بحيث لا يصلح لتحلية الماء بالبحر ولكنه بعد دفع التربينات ، سوف يفقد منها وقد فقد الكثير من شدته وحرارته ، واذن يكون من حيث درجة الحرارة ومن حيث الضغط بحيث يصلح لتحلية الماء بالبحر بنفس الطرق التي وصفناها .

فالمصنع الذري سوف يصبح ذا هدفين يقوم بهما معا :

ا — انتاج الكهرباء .

ب — تحلية ماء البحر .

ووعدت الولايات المتحدة «اسرائيل» ماء عذبا

ونحن لا زلنا نذكر وعد الرئيس الامريكي جونسون ، قبيل انتخابات الرئاسة الامريكية ، ان يقيم لاسرائيل في اسرائيل أكبر مصنع للماء العذب في الدنيا . دفع الثمن وعدا ، ودفع له اليهود المجتمعة في الانتخابات اصواتا وبقي الوفاء بالوعد .

وليس في الذي سوف يقيمه الامريكان في اسرائيل سر ، ولا هو من السحر . انما هو ما ذكرنا . معامل عظيم ، ينتج الكهرباء عظيمة ، وفي نفس الوقت ينتج الماء العذب من ماء البحر عظيما . فهو يمد لاسرائيل في كهربائها (والكهرباء طاقة صناعية هائلة) ، ويمدها في مائها ، وفي زرعها واحياء مواتها .

ووعد جونسون اسرائيل ان يقيم لها أكبر مصنع ذري للماء العذب في الدنيا . وقدر له ١٩٠ مليون دولار .

وهم يتحدثون عن اقامة مصنع ذري في اسرائيل يعطي من الكهرباء ٢٠٠٠٠٠ كيلووط ، وهو يعطي من الماء في العام ١٠٠ مليون متر !

وبهذه المناسبة نذكر ان « مشروع العشر السنوات الاسرائيلي » الخاص تحويل مياه نهر الاردن يقضي بأن تأخذ اسرائيل من ماء النهر في العام ٧٠٠ مليون متر مكعب من مياه الاردن ومياه بحيرة طبريا معا .

وتحلية الماء في فرنسا

وتقوم شركة فرنسية خططت لانشاء مصنع ينتج من الكهرباء ٢٠٠٠٠٠ كيلووط ، ويعطي من الماء في اليوم نحو ١٢٠ الف متر مكعب ، وفي العام نحو ٤٣ مليون متر مكعب من الماء العذب .

انهار تنبع عند سواحل البحار

ولكن في خطة امريكا ان تقيم مصنعا ذريا ينتج الكهرباء ، وينتج الماء العذب معا ، يتم في عام ١٩٦٧ . والمفروض ان يعطي هذا المصنع من الكهرباء ما بين مليون الى مليون ونصف من الكيلووطات ، ومن الماء ما بين ٢ الى ٣ ملايين من الامتار المكعبة من الماء العذب في اليوم ، واذن ما بين نحو ٧٠٠ الى ما فوق الف ، من ملايين الامتار في العام .

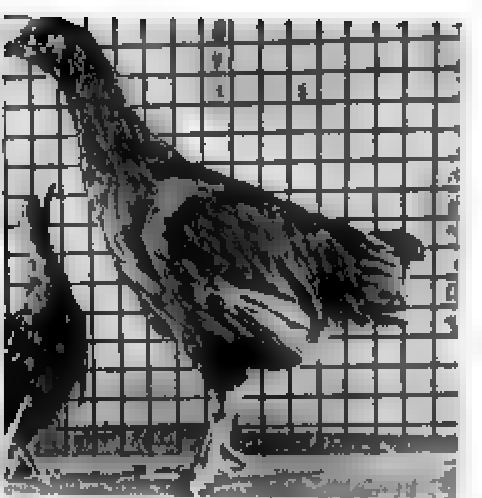
وهذه مقادير تضارع ما تعطيه بعض الانهار .

ماذا نحن قلنا ان الانهار في المستقبل غير البعيد ، سوف تنبع من عند سواحل البحار ، وتصب في حيث كانت تنبع ، وتجري لري الارض عكسا ، فما ابعدنا .

■■

احمد زكي

أنباء الطب والعلم والاختراع




الصورة الأولى فروجان وعمرهما ١٥ يوما ، والصورة الثانية لنفس الفروجين بعد أن كبرا ، الصغير منهما حجبت عنه مادة التربتوفان ، والكبير أكل أكلا عاديا

● تجربة غريبة ، نتيجتها عجيبة ، ولكنها في العلم مثيرة ، قام بها الدكتور ريتشارد جوردن Richard Gordon بشركة مونسانتو الكيماوية .

فروجان صغيران، هما اللذان في الصورة الأولى إلى اليمين ، عمر كليهما ١٥ يوما ، بدأ الدكتور يغذيهما ليكبرا . أما الأول فغذاه غذاء عاديا ، فنما وكبر ، وتراه في الصورة الثانية الى اليمين. أما الفروج الثاني ، فغذاه نفس الغذاء ، ولكنه حجب عنه مادة التربتوفان Triptophane فكانت النتيجة ما ترى : فرخا ناقص النمو .

وتسأل عن التربتوفان .. فاعلم أن الأغذية أنواع ثلاثة مشهورة: البروتينات ومنها مادة اللحم، وتوجد في الخبز وسائر الحبوب . والدهنيات . ثم النشويات ومن ضمنها السكر . والحديث هنا عن البروتينات : فالبروتين اذا حللناه أعطانا مجموعة من أحماض ، يسميها الكيماويون أمينية . أحدها التربتوفان .. والمعروف فيه أنه يحفز غدد الجسم المختصة بالنمو فيحفزها على إفراز الهرمونات التي تزيد الجسم حجما ووزنا . أما الذي حجبناه عن الفروج الثاني، فقد ظل بالحجم والوزن اللذين كانا له عندما بدأت التجربة . ولو أنا أضفنا الى غذائه التربتوفان ، لأخذ في النمو من جديد فزاد حجما ووزنا .

عدد الذين ماتوا من السرطان = عدد الذين شفوا منه

● ظهر الكتيب السنوي الذي تنشره جمعية السرطان الامريكية ، ويسمى « كتاب عام ١٩٦٥ : حقائق وارقام ».

وفيه الحقائق الآتية وارقامها :

١ — ان الولايات المتحدة ، في الخمس السنوات الماضية ، مات فيها بالسرطان عدد من الناس يساوي على التقريب عدد من لم شفاؤهم منه .

١ — ان بالولايات المتحدة ... ١٢٠٠ شخص عولجوا من السرطان ، وشفوا ، ومنذ شفاؤهم مرضيا ومطمئنا ، لانه مضى على علاجهم الآن خمس سنوات ولم يظهر فيهم دليل على رجوع هذا المرض .

٣ — ان بالولايات المتحدة ٧٠٠٠٠ عولجوا من السرطان ، وشفوا ، ولكن لم يمض على شفائهم خمس سنوات ، ومن المنتظر ان يضاف عددهم هذا الى عدد من اطمأن الاطباء الى شفائهم بمرات خمس سنوات على هذا الشفاء .

٤ — ان سرطان الرئة يحتل المكان الاول في اصابات الناس بالسرطان ، وان المقدر أن يصاب في الولايات ، في عام ١٩٦٥ ، ٥١٠٠٠ شخص ، يتوفى منهم نحو ٤٧٠٠٠ شخص . وان ثلاثة ارباع من يموتون بسرطان الرئة كان في الامكان انقاذهم لو انهم امتنعوا من التدخين .

٥ — يلي سرطان الرئة في الاصابات سرطان القولون والمستقيم . والمقدر ان يموت من هؤلاء في عام ١٩٦٥ ما يبلغ ٤٣٠٠٠ شخص ، ولو انه ينتظر ان يأتي هذا العام بعدد جديد من المصابين يبلغ ٧٢٠٠٠ . ولقد كان ويكون في الامكان تخليص ثلاثة من كل اربعة من هؤلاء لو انه اجري عليهم كل عام امتحان بالمنظار المسمى بركتوسكوب Proctoscope او منظار الاست او انشئت فالاستوسكوب يتلوه علاج على الفور عند التأكد من وجود سرطان .

٦ — ويلي هذين الصنفين من السرطان ، في السبق الى تقصير الاعمار ، سرطان الثدي ، ويقدر له في عام ١٩٦٥ ان يقصف ٢٦٠٠٠ عمر . وسوف يأتي هذا العام بنحو ٦٢٠٠٠ من المرضى الجدد ، وهو بين الامراض السرطانية اسبقها الى النساء .

٧ — ويلي بعد ذلك سرطان المعدة ، ويقدر أن يموت به في عام ١٩٦٥ نحو ١٨٠٠٠ نسمة .

٨ — ثم سرطان البنكرياس ، يأتي بعده سرطان البروستاتة ، ثم سرطان الجهاز المعاوي .

٩ — ولا ننسى اللوكيميا وهي سرطان الدم ، ويقدر لها في عام ١٩٦٥ نحو من ١٧٠٠٠ حالة ويقدر فيها من الموتى نحو ١٤٠٠٠ .

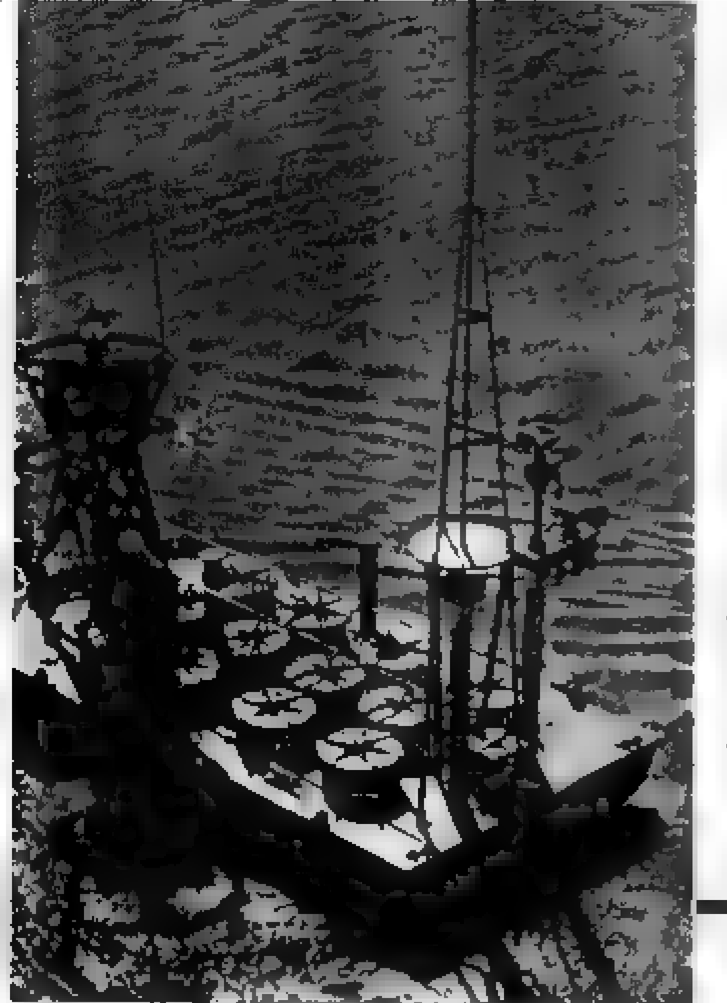
١٠ — ومن حيث تفضيل السرطان الرجال دون النساء ، نذكر في الختام ما جاء في هذا الكتيب من انه يقدر للعام القادم ، ان يكون من كل مائة من موتى السرطان ٥٥ من الذكور و٤٥ من الاناث .

رشاش الماء فوق

● الحق أن الصناعة بدأت تزحف على الزراعة ، وسوف يأتي زمن لا يصلح فيه الفلاح ، الذي لم يتثقف ويتنور ، لأن يكون أهلا لزراعة .

والصناعة تزحف على الزراعة من وجوه كثيرة ، ومن حيث سقيا النبات .

الفلاح يفلح الارض ، ويضع البذر ، ويسمد بعد ذلك ، ويروي بالماء الذي تحمله الترع والقنوات ، ويعمر به الارض غمرا ، ثم الموعد على الله .



محطة ارصاد جوية تعمل بالطاقة الذرية

● محطة ارصاد جوية، تراها حيث هي، في موضع من الارض لا يسكنه انسان. وهذه المحطة قد تركت فعلا عند ساحل الاسكا . لتعمل من ذات نفسها ، وبدون رجال ، اكثر من عشرة اعوام . وهي ترسل المعلومات باللاسلكي عن احوال الجو في تلك المنطقة كل ٣ ساعات ، والجو مستقر ، فاذا اضطرب ، فكل ساعة . ولا حاجة لان نقول انها تعمل بالطاقة الذرية .

..رع يزيد محصول الفواكه والخضر ..

وآخر دخول الصناعة باساليبها على الزراعة ، ما وجده العلماء من ان رشاش شجر الفاكهة والخضراوات بالماء يخرج من انابيبها ثقوب قطرها نحو ٤ مليمترات لينتشر فوقها ضبابا ، هذا الرشاش يمنع الاوراق من فقدان مائها ، لاسيما والجو حار . انه يحفظ على النبات ماءه، فيزيد هذا في المحصول الناتج .

وفي جو كانت درجة الحرارة فيه ٣٠ درجة مئوية ، والرطوبة ٣٥٪ ، هبط الرشاش بالقدر الذي يفقده النبات ماءه في هذه الاحوال الى نحو ٢٠٪ ، واستحق للنبات نمائه في المائة .

والسقيا ، بالترذيذ (احداث الرذاذ) والتضبيب (احداث الضباب) فوق النبات ، هي عند هؤلاء العلماء ، ذات منافع ليست للسقيا العادة ، سقيا الماء الجاري فوق الارض . وهذا عدا ما فيها اقتصاد في الماء غير الزيادة في الثمر .

والنباتات التي اجريت عليها التجارب كانت الطماطم والحمص والفاصوليا وطائفة من سائر الخضر .

كولمبس

اى موضع رآه اول مرة من امريكا ؟

● لقد مضى على «اكتشاف امريكا» ٤٧٢ عاما ومازال البحث جاريا للكشف عن تلك الأرض التي راها كولمبس اول ما راى من امريكا ، في الليلةالواقعة بين اليوم الحادى عشر والثاني عشر من اكتوبر عام ١٤٩٢ .

جاء في سجل سفينته انه راى في تلك الليلة ضوءا اخذ يشتد ، ويخبو ، ثم يشتد ، كما يحدث للشمعة عندما يمسكها رجل ! .

وجاء في سجل سفينته ايضا انه لما انشق الصباح او كاد ، راى راسا عاليا من رمال .

وجاء في سجل سفينته اشياء اخرى عن الساحل، ووصفه ، وعن صخوره ، ووجود فتحة في الصخور نفذ منها الى الساحل . وانه عبر هذه بسفينته ، ثم هبط على الأرض ، ووصف نبتها وارضها .

واليوم يخرج من معهد البحوث الشهير معهد السمثونيان Smithsonian Institute بحث قامت به السيدة ولبر Welber وساعدوها ، عام سبع سنوات ، للتعرف على هذا الموضع الذي راه ونزل به كولمبس ورجاله من امريكا اول مرة.

وانتهى البحث الى ان الموضع كان جزيرة سان سلفادور في ارخبيل بهاما . وهي تقع تماما عند خط العرض الذي عينه كولمبس لموقع سفينته ، سانتا ماريا ، في تلك الليلة ، وهو خط عرض ٢٣° ٤٧ ٢٤ اي في شمال مدار السرطان بقليل .

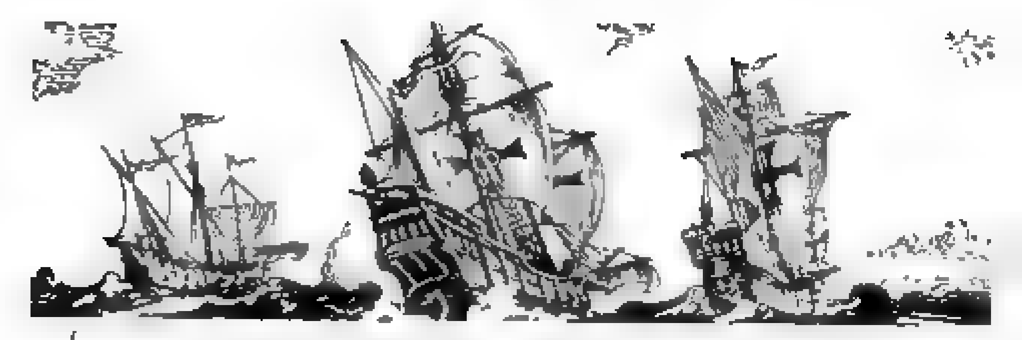
هنا ، في جزيرة سان سلفادور ، نزل كولمبس لأول مرة ..

مكتشفة تركيب الفيتامين ١٢ تنال جائزة نوبل

● انها امرأة واي امرأة. امرأة تساوي الف رجل . وتساوي الف الف رجل ممن نشأوا على التهوين من امر النساء .

انها الدكتورة دوروثي كروفوت هدجكن Dorothy Crowfoot Hodgkin وهي لم تنل الجائزة لانتاجها الأدبي او القصصي او لمجهودها السياسي ، وانما نالتها لبحوثها في فرع من فروع العلم هو من اصعبها بحثا،ذلك فرع الكيمياء

وهي بحوث تكشف عن صور الذرات في مركباتها ، كيف انتظمت ، وكيف ترتبت ، وكيف اتصلت ، ووسيلتها في ذلك الأشعة السينية،توجهها الى بلورات هذه المركبات ، ثم تدرس ما يخرج عن البلورات من صور اشعاعات .



الاسطول الذى سافر به كولمبس اول مرة ، من بالوس ، على شاطىء البحر المتوسط باسبانيا ، واتجه غربا ، فكشف به امريكا . والاسطول مؤلف من سفينة القيادة ماريا وسفينتين اخريين صغيرتين هما Pinta وبينا Nina وجمع عدد بحارته تسعين

وجاء هذا البحث بادلة علمية كثيرة ، تتصل بالارض ، والبحر ، والصخر ، وطبيعة الارض ، ومقارنة كل ذلك بالذى جاء بالسجل الذى كتبه كولمبس فى تلك الايام الغابرة العظيمة .

ومن الطريف الذى يذكر ان السيدة المذكورة قامت هى واعوانها ، فى عام ١٩٦٤ ، فى مثل تلك الليلة التى وصل فيها البحار الشهير الى هذه الارض ، بتمثيل نفس الدور الذى قام هو به منذ نحو ٥٠٠ عام .

ركبت السيدة المذكورة بعثة بحرية ، وركبت هى ورجالها سفينة تسمى دريك Drake ، طولها ١١٠ من الاقدام ، وساروا بها فى نفس الطريق التى سار فيها كولمبس من الشرق الى الغرب . وفى مثل تلك الليلة ، وفى نفس تلك الساعة منها ، نظروا الى الجزيرة فراوا الضوء يشع ويخبو على الجزيرة ، تماما كما كان رآه كولمبس . رأوه وهم على بعد ٣٧ ميلا ، تماما عند المسافة التى رآه عندها البحار الكبير فى ذلك الزمان البعيد .

واستوضحوا سبب هذا الضياء فوجدوا ان اهل الجزيرة ، من بقى منهم من اخلاف آبائهم القدماء ، يوقدون فى هذا الشهر من السنة النيران دفعا للبابة الرمل التى تلدغ حيامهم بكثرتها ، فهى اكثر فى هذا الفصل ، لكثرة النبات ونشوئه بعد الامطار ، وامتلاء البحيرات التى بالجزيرة بالماء .

اما اشتداد الضوء وخفوته ، فكان لانهم كانوا يكبسون النيران باوراق من سعف من النخيل خضرا ، فتشتد النيران بالتهامه ، ثم لا تكاد تخبو حتى يكبسوها وقودا جديدا ، فتشتد .

وبقيت الباحثة وصاحبوها على السفينة ينظرون الصباح . فلما انشق ، بعد ساعات اربع من رؤية النيران ، رأوا ما كان من رحلته . انها ربوة صخرية عالية ترتفع ١٤ قدما فوق سطح البحر . رأوها فى ضوء الفجر . تماما كما رآها كولمبس ووصفها فى ذلك السجل العتيق .

ومن بحوثها ، أو بحوث الفريق الذى ترأسه بجامعة اكسفورد ، البحث المتصل المضنى الذى كشف عن التركيب الذرى الاساسى للفيتامين الشهير المعروف بفيتامين ب ١٢ ، وهو الفيتامين الذى يستخدم دواء ناجعا فى علاج فقر الدم الخبيث . وقد نشرت نتيجة هذا الكشف عام ١٩٥٥ .

وعندما عرفت اكاديمية العلوم السويدية اعطاءها هذه الجائزة ومقدارها ٥٣٥٠٠ دولار (١٨٧٥٠ جنيه استرليني) اطرتها ، فقالت فيما قالت انها استحقت هذه الجائزة بسبب « مهارة بها غير عادية . فصاحبتها علم بالكيمياء وفير ، والهام رائع ، وخيال بديع ، وصبر لا يعرف الكلال » .

والسيدة المذكورة فى سنها الرابعة والخمسين ، وهى الآن فى مدينة اكرا ، عاصمة غانا ، مع زوجها توماس هودجكن ، وهو يعمل هناك مديرا لمعهد الدراسات الافريقية فى جامعة غانا .



تحية للابطال

من جريدة « الراى العام » الكويتية :

● للابطال الصامدين ، الخالدين من حياض العروبة ..
الساهرين على الحدود ، وايديهم فوق الزناد وارواحهم فوق الاكف ، باعوها لله وعدا لهم منه بأن لهم عنده الجنة ..
للابطال الذين يقفون على طول الحدود .. هناك .. عند الارض السليبة .. فلسطين ..
تحية لهم ، حين يسمو عندهم معنى الحياة ويجسدونه على انه بطولات رائعة وتضحيات جلى ، وعطاء مستمر .. وفداء لا يعرف الحدود ..
تحية لهم ، حين يرفعون راس الامة العربية باستطابتهم الشهادة واستخفافهم الموت .
تحية لهم حين يفهمون اسرائيل ان النهاية قد اقتربت ، وان طغيانه عام ١٩٤٨ قد توارت الى الابد ، وانها مهما تامرت .. ومهما ساعدتها قوى الشر والظلام فان مصيرها زوال اكيد ..
تحية لهم حين يجعلون من سوريا العربية قلعة صامدة وخطا اول في معركة الكرامة .

القول غير العمل

عن جريدة « اخبار فلسطين » ـ فلسطين

● قال حكيم : خير لك ان تشعل شمعة صغيرة من أن تقضي الوقت مستطرا لعنته على الظلام
والغريب ان لعنة الظلام منتشرة بيننا كوباء . وهذا الامر قد يكون مفيدا لو ان اللعنة تبدل من واقع الظلام شيئا ..
ان اى فرد منا ، سواء كان في محله او في الشارع او في المقهى تجده ، دائما منتقدا لكل شيء .. ناقدا ناقد البصيرة .. وكيف ينتقد !
انه يكتفي باطلاق التهكم .. وبهذا يتحول الناس الى الات سالبة ونبقى علاتنا على حالها ..
واعتقد ان الامر سيبدو اكثر وضوحا لكل منا لو تصور كيف يعالج الناس مشكلة شارع قذر .. او طلب انشاء مرفق .. او طريقة العمل في مؤسسة .. لا شيء سوى التجريح الشخصي بلا دعامة منطقية لهذا التجريح ..
المهم ان نتصدى للمسائل ببطولة واخلاص .. لا باللعنات التي لا تبني ولا تهدم ..

تحديد النسل

عن مجلة « الرساله » القاهرية :

● ان مشكلة تحديد النسل ، كمشكلة من مشكلات المجتمع ، تعتبر اعمق مشكلاته تعقيدا . ولكن معظم المشتغلين بالاسلام يطيب له ان يلح بالدين ليقف عقبة كأداء في سبيل تحديد النسل او تنظيمه .
والمعارضون لحل المشكلة يزجون بآيات من القرآن واحاديث نبوية لتقف الى جانبهم .. ولست ادري ما شأن هذه الاية بمشكلتنا : « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم . ان قتلهم كان خطئا كبيرا » !
فالاية هنا تعني بعض العرب الذين كانوا يئدون اولادهم حتى لا يطلقوا انفسهم مشكلة السعي عليهم ، فهي تحارب قتل النفس التي حرم الله الا بالحق بعد ان اصبحت كائنا حيا له وجوده . هذا من جانب .. ومن جانب آخر



أقوياء على الأرض

عن جريدة « الثورة العربية » العراقية

● في يوم بعيد منا .. حين كانت روما عاصمة العالم .. وقف امبراطور روماني على شرفة قصره .. ليقول للشعب من حوله : اننا اقوى أمة على الارض ... !

وفي يوم آخر .. مرت عليه عشرون عاما .. وقف دكتاتور المانى في شرفة الرايخ شانج (البرلمان الالمانى) في برلين ليقول : اننا اقوى امة على الارض !

وفي السابع عشر من ايلول ١٩٦٤ وقف رئيس امريكى في ولاية كاليفورنيا ليقول للعالم نفس الكلمة .. نحن اقوى امة على الارض .. نفس العبارة على ثلاثة افواه .. تفصل بين اصحابها اماد بعيدة ..

ان روما الامس انتهت وانكفت على نفسها ..

وبرلين اليوم غير برلين الامس ..

الشعوب على الارض .. انسان واحد .. متطلع الى السلم .. والعدالة .. فلا دولة اقوى من دولة .. ولا امة اقوى من امة .. وصوت الشعوب اعلى من صوت جونسون .

الأمة والدولة

عن جريدة « العمل » اللبنانية :

● لا دولة بدون امة ، وقد تكون امة بلا دولة .

واذا اجتمعتا ، فالمفروض ان تكون الدولة طبق الاصل عن الامة ، اذ تشكل الحكومات وتؤلف المؤسسات ويعين الموظفون من ابنائها .

انما يبقى سؤال مهم ، اشتدت المناظرة حول تحليله وتعليله ، وهو هذا :« هل الامة تخلق الرجال ! .. ام ان الرجال يخلقون الامة ! »

فشاهدان يدافع عنهما :

- فنابليون ، كل عام فرنسا بمجد لا يمحى .

- وهنيبال حمل جنوده الى ابواب روما ، فاعتزت به قرطاجنة .

- وغاندى عبد الطريق امام استقلال بلاده ، بصيامه ونسكه .

ويرد على ذلك بان الفضل فيه يعود ، اولا للشعوب التى اوجدت هؤلاء الرجال ، وانه لولا اللقاء بين عبقريتهم وبين قابلية مواطنيهم لاستقلال قواهم والسير بركابهم لكانت قد انطفأت شعلتهم دون اثر دونما شغلوا اسطرا في صفحات التاريخ .

هراوات المتزمتين

تحارب انانية الفرد الذى يريد ان يعيش لنفسه فحسب ، فهل قال الداعون الى تنظيم النسل ان يحتفظ كل فرد بابنين من ابنائه ويتخلص من الباقين ؟

والمعارضون لحل المشكلة يلوحون دائما بحديث نبوى يحفظونه عن ظهر قلب ، وهو « تناكحوا تناسلوا .. فانى مباه بكم الامم يوم القيامة » وهؤلاء - بالطبع - لم يكلفوا انفسهم البحث عن درجة الحديث من حيث الصحة والضعف ، ولو ادركوا ان الحديث على شهرته وسم بالضعف ، لتغيرت نظرتهم للحديث، قال الحافظ العراقى الذى خرج احاديث احياء علوم الدين لحجة الاسلام الامام الغزالى : « الحديث رواه ابن مردويه في تفسيره وهو ضعيف » .. ومع ذلك فلم يزل خطباء المساجد ترتفع به حناجرهم من فوق المنابر ، ولم يزل القانونيون الشرعيون ومعظمهم من علماء الدين يحرصون على ان يحسدروا به خطبهم عند توثيق عقود الزواج .

ان من القواعد الاصولية المتفق عليها انه : « لا ضرر ولا ضرار » فاذا تحقق الضرر من اسراف انسان في النسل ، فالدين يرحب بان يحدد نسله وهو مطمئن غاية الاطمئنان .

والذين يزعمون ان تحديد النسل يخالف التوكل على الله الذى تكفل بالارزاق ، فحسبهم ماحضة ، لان التوكل على الله يجب ان يعتمد اساسا على الكفاح والسعى ، وبدون ذلك لا يكون توكلا بل تواكلا ، والاسلام يحارب التواكل .

والعجيب من هذا ، ان الفقهاء لم يروا اثما ولا جريرة في العزل كوسيلة من وسائل منع النسل او تحديده وسائلهم قول جابر - كما جاء في الصحيحين : « كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقرآن ينزل ... »



بقلم : الدكتور عثمان أمين

رئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة

■ ينتسب مصطفى عبد الرازق إلى أسرة مصرية عريقة ، اشتهر كثير من

ولد سنة ١٨٨٥ م في « أبي جرج » إحدى قرى مديرية المنيا . وكان أبوه الشيخ حسن عبد الرازق مثقفا رجلا واسع المعرفة وفي الوقت نفسه من أكثر الشخصيات تأثيرا في الحياة السياسية المصرية . بدأ مصطفى عبد الرازق دراسته في « أبي جرج » ثم واصل هذه الدراسة — كما كان مألوفا حينئذ — في الجامعة الأزهرية حيث حصل على شهادة « العالمية » سنة ١٩٠٨



وأراد ان يسير غور ثقافته الاسلامية ، ليواجه الثقافة الغربية محتذيا في ذلك حذو استاذه الامام محمد عبده . فدرس اللغة الفرنسية ، وسافر الى فرنسا ، والتحق في مبتدء الامر بالسوربون حيث تابع الاستماع الى المحاضرات المشهورة التي كان يلقيها عالم الاجتماع الفرنسي « اميل دركايم » Durkheim حجة في علم الاجتماع . ثم عين محاضرا للشريعة الاسلامية في كلية الحقوق بجامعة ليون ، تلبية لدعوة الاستاذ « لامبير » استاذ القانون بتلك الجامعة . ودعي ايضا ليحاضر في الادب العربي بكلية الآداب بجامعة ليون خلفا للاستاذ « جاستون هبت » .

واستطاع مصطفى عبد الرازق ، الى جانب عمله بهاتين الكليتين بجامعة ليون ، ان يعد رسالة للدكتوراه في الفلسفة .

عودة الى مصر

وعاد الى مصر سنة ١٩١٥ ، بعد ان نال حظا موفورا من الثقافة الغربية ، فاختير سكرتيرا عاما للأزهر ، ثم مفتشا للمحاكم الشرعية . وكان يعمل في الوقت نفسه بمعاونة عدد من المصريين والاجانب ، على انشاء جامعة الشعب التي كانت تلقى فيها – ابان الحرب العالمية الاولى – محاضرات عامة في الآداب والعلوم والفنون . وفي تلك الجامعة القى مصطفى عبد الرازق سلسلة محاضرات عن الاستاذ الامام محمد عبده .

وحينما انشئت الجامعة المصرية رسميا سنة ١٩٢٥ دعته كلية الآداب بها لالقاء محاضرات في الفلسفة الاسلامية . وكان من حسن حظي ان استمع الى هذه المحاضرات القيمة ، وان اتلمذ على ذلك الاستاذ الملهم ، وان انعم بعمق معاليه تقديرى لنبل اخلاقه . واستطاع الشيخ مصطفى عبد الرازق ان ينتدب افذاذ الطلاب في تلك الكلية لدراسة الفلسفة الاسلامية التي كانت قبله اهملت زمنا طويلا ، وكان اخص ما يميز محاضراته في كلية الآداب تلك الروح العالية التي تبعثها ، روح الروية والتحرر والنزاهة العلمية ، وهي صفات قد اقترنت بالسماحة البالغة التي امتازت بها شخصية استاذنا الاخلاقية .

كان مصطفى عبد الرازق اول استاذ للفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة . ففي محاضراته بكلية الآداب ، تلك المحاضرات التي نشرها بعض تلاميذه بعنوان « تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » رسم الخطوط الاساسية للفلسفة الاسلامية ، وكان ، وهو يلقي الضوء على جوانب السلام الفكري ، يرد – بهدوئه المألوف – على الذين انكروا على الفكر الاسلامي اصالته . ولقد ادرك الاستاذ ببصيرته النافذة انه ، وان يكن المسلمون قد قبلوا في تصورهم عن العالم عناصر مستمدة من الفكر الاغريقي ، الا انهم مع ذلك كان لهم منهج خاص وثقافة مميزة ذات اصالة ، وان الفكر الاسلامي الحقيقي لا نلتمسه في فلسفة الفارابي وابن سينا بقدر ما نلتمسه في علم الكلام وفي اصول الفقه الاسلامي . والى جانب تقلده كرسي الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة كان استاذنا عضوا في هيئة كبار العلماء وعضوا في المجمع المصري ، وعضوا في مجمع اللغة العربية .

وزيرا للاوقاف مرارا

وقد تولى الشيخ مصطفى عبد الرازق وزارة الاوقاف اكثر من مرة . وكان رئيسا للجمعية

الأوقاف والمعاهد الدينية بمجلس النواب . وفي سنة ١٩٤٥ انتخب رئيسا فخريا للجمعية الفلسفية المصرية .

شيخا للأزهر

وكان تعيينه شيخا للأزهر خلفا للشيخ المراغي تتويجا لحياته العلمية الحافلة . وفي هذا المنصب الرفيع ، وهو منصب شيخ الاسلام ، كان مصطفى عبد الرازق مجددا واسع الأفق النظر ، عمل بجد وحماسة ، طوال الفترة التي تقلد فيها هذا المنصب رغم قصرها . فيما بإدخال اللغات الاجنبية في الأزهر ، وشجع البعثات العلمية الى الخارج ، فارسل بعثات أزهرية الى انجلترا وفرنسا لدراسة اللغة الانجليزية والفرنسية ، بقصد تدريس هاتين اللغتين في الجامعة الاسلامية. وارسل مبشرين مسلمين الى نواحيها كما ارسل أخيرا بعثة من المدرسين الى الاقطار الحجازية لدراسة العلمية الاسلامية هناك .

وهكذا اراد مصطفى عبد الرازق الذي كان من خاصة تلاميذ الأستاذ الامام محمد عبده — أن يحقق مبادىء استاذه تحقيقا عمليا بالتوفيق بين الاسلام والحضارة الغربية ، ولقد كافح الشيخ مصطفى كفاحا موصولا لتجديد الجامعة الاسلامية العتيدة التي كانت تضم أكثر من ثلاثين الف طالب وفدوا اليها من مختلف أقطار الأرض .

ومصطفى عبد الرازق مثل نادر للنبل والحكمة والثقافة . ولقد كان موته المبكر خسارة فادحة لا لمصر وحدها بل وللعالم الاسلامي كله .

وفاؤه لاستاذه محمد عبده

كان مصطفى عبد الرازق من خاصة تلاميذ الامام محمد عبده واقربهم اليه بروحه وعقليته ؛ فقد جمع بين القديم والحديث ، والاسلامي وغير الاسلامي ، والشرقي والغربي ، ثم تمثل كل أولئك في قلبه الكبير وعقله الراجح ، وخرج به الى الناس في صورة لاعهد لهم بها من قبل : صورة هي من صنع مصطفى عبد الرازق نفسه..

وظل الرجل وفيا لروح استاذه حريصا على تطبيق مبادئه وتعاليمه ؛ فلم تفته فرصة الا انتهزها للكتابة في الصحف عن سيرة الامام وآرائه ووجهته في الاصلاح ، بل ذهب الى أبعد من ذلك فألقى عنه سلسلة من المحاضرات في جامعة الشعب ، كما ترجم الى الفرنسية « رسالة التوحيد » وفوق هذا كله جاهد مصطفى عبد الرازق بقلمه ولسانه وحياته العملية ، لخدمة الدعوة الاصلاحية ، ونشر الحرية الفكرية التي نادى بها الأستاذ الامام .

الاخلاق فن الحياة

كان استاذنا — رحمه الله — يعتقد — أن هنالك شيئا هو فوق العلم وفوق الفن ، وهذا الشيء هو ما يطلق عليه اسم الاخلاق ، ولقد كان الفلاسفة الرواقيون يسمونه « فن الحياة » ، وهو أعلى الفنون : لأن موضوعه هو الجمال بمعناه الصحيح ، أى جمال الروح .

وكان الأستاذ يرى أن الاخلاق ينبغي أن تكون فنا للحياة ، أى أن ترسم قاعدة ثابتة لسلوك الشخص مع نفسه وبازاء الله والناس ، بمعنى أن يكون للانسان في حياته موقف مقرر وخطة مرسومة ، حتى لا تتجاذبه الأهواء والانفعالات . فاذا بلغ الانسان هذه المرتبة كان حكيما ؛ وآية الحكمة هي ما يلازم سلوك الانسان من ثبات واستقرار . ولكن هذا الثبات — فيما يرى الأستاذ — يجب أن يكون في مثل الخير . وليس الخير هو ما يطلبه الجمهور عادة من اللذات أو المال أو الصيت ، انما الخير ، الذي هو عنده جمال الروح ، هو الحب والسماحة والجود .

فلسفة كرام النفوس

وكثيرا ما كان الأستاذ يحدثنا فيقول: ان هنالك فلسفة جميلة برعت منذ فجر الفكر الانساني ، ونشت على أحداث التاريخ ، وهي فلسفة كرام النفوس ، أولئك الذين عاشوا للعالم كله لا لأنفسهم، وظلوا على وفاق مع قانون المحبة والسخاء . وكان أول من علمهما أنبياء الشرق ، ثم اذاع تعاليمها كبار المفكرين والحكماء ، من سقراط الى افلاطون وارسطو ومن أرسطو الى الرواقيين وافلوطين ، ومن أفلوطين الى الفارابي وديكارت ، ومن ديكارت الى كانت وغاندي . وكان أولئك جميعا كانوا

سلالة عظيمة واحدة أنجبت أقطاب الفلسفة الروحية على مدى العصور ، وجميعهم قد استطاعوا أن يستشفوا جوهر الدين ، وأوغل بعضهم فيه ، فأداهم نظرهم الى فلسفة عاشوا عليها ، وهذه الفلسفة تنحصر كلها في حالة نفسية يصح أن نطلق عليها الاسم الجميل الذي اختاره ديكارت ، اسم « الأريحية » ، وتلك حال النفوس التي تعطي ولا تأخذ ، وتسعى الى اسعاد الغير مهما كابدت من عناء .

لعاطفة الصداقة أسمى مكان

لقد علمنا ديكارت أن النفوس لا تكون كبارا بغير العواطف الكبار ، وجعل الفيلسوف لعاطفة الصداقة في المجتمع الانساني أسمى مكان . وأوصت الأديان من قبل بأن يحب الانسان لأخيه الانسان ما يحب لنفسه ، ولكن مصطفى عبد الرازق يذهب الى أبعد من ذلك ، فيطالب الانسان بأن يحب لغيره أكثر مما يحب لنفسه . والواقع أن هذا طابع الحب الحقيقي ، فليس الحب هوى جامحا يريد التغلب والامتلاك لكنه فضيلة تبغي أن تعطي دائما ، وأن تعطي من غير حساب .

والحب اذا فهمناه على هذا النحو وجدناه أمرا في مقدورنا ، لأنه مفطور فينا ، مغروس في جبلتنا ، فلا نحتاج الى ايجاده ، انما نحتاج الى ازالة العوائق التي تقوم في سبيله ، ومصدرها الأنانية والأهواء . واذن فالحب هو أصل كياننا ، وصميم وجودنا ، ولا حياة لنا بدونه .

الانسان منا جزء من كل

وكان أستاذنا رحمه الله يقول أيضا اننا جزء من كل ، وأن واجب الجزء أن يعمل من أجل الكل ، والكل الذي ننتمي اليه هو الانسانية . فكان الأستاذ يود أن يتجه نظام التربية الى تقوية هذا الشعور ، شعور المحبة والعاطفة والتعاون بين أفراد الانسانية . وكان يرى أن علاج أمراض الاجتماع يقوم على اصلاح أخلاقي يبث بين الطبقات انسجاما ، ويوجه النفوس الى الخير المركوز فيها ، والى تقوية أواصر الرحمة ، وتزكية عواطف الأريحية ، ولتطهير القلوب من أدران الحقد ومن رق الأنانية . وكان يقول يجب أن يقوم بناء المجتمع على السماحة والسلام ، أي على الشعور بأننا جميعا أسرة واحدة متآزرة أصلها واحد ومصيرها واحد .

فمذهب الأستاذ في الحياة الفاضلة مذهب لا يرمي الى التشدد والتضييق والحرمان ، بل يدعو الى السماحة والأريحية والايثار ، وتلك أخلاق الاسلام ، وفيها أقوى تعبير عن روح البطولة التي تقوم على مجاهدة النفس وصونها عن الانحدار في تيار الشر والأنانية . ومصدر هذه الأخلاق مصدر « جواني » ، هو الوحي الأول ، وحي القلب وذلك هو منبع النور الذي يضيء النفوس الكبار على الخصوص ، ويضيء لكل انسان يجيء الى هذه الدنيا . فكان الأستاذ يرى أن المهمة الكبرى للفلسفة هي ازالة كل ما يحاول أن يطفيء هذا النور أو يحجب ضياءه وسناه .

واذن فرسالة أستاذنا هي في جوهرها رسالة اصلاح أخلاقي ، ترمي الفن الذي هو أرفع الفنون ، الفن الذي يصور الروح . ولقد لخصها هو نفسه في كلمة لأستاذه محمد عبده : ان الحب في عالم الانسان كالجاذبية العامة في العالم الكبير ، هو الذي يمسك المجتمع ويصونه من البوار .

فاذا استلهمت النفس الشريفة هذه الفلسفة الأخلاقية عرفت أنها لم توجد لتفنى بعد حياة قصيرة على هذه الأرض ، ولكنها « هبطت الينا من المحل الأرفع » كما عبر ابن سينا ، وجاءت من اللانهائي ، فهي لا تقنع بما دونه مثوى ومآبا . انها قبس من نور الله ، فالى الله مرجعها في دار الخلود .

ان نفحة هذه الفلسفة نفحة عبقة عاطرة ، رقيقة . انها نفحة علوية قد تخطت حدود المكان والزمان ، واتسقت مع النغمة الكونية الكبرى التي هي نغمة سعادة وصفاء ، وهل هناك أسمى من

ان يمارس الأستاذ فلسفته تلك وان يعيش عليها؟ وهل هناك اصدق من ان ينظم الناس سيرته ومثاله بان المعراج الطبيعي للانسان انما هو الاريحية والاحسان ؟

شخصيته الاخلاقية

بعد ان عرضنا شيئاً عن فلسفة مصطفى عبد الرازق قد نتساءل الى اي مدى كان الشيخ قادراً في حياته على ان يترسم هذا المثل الاعلى النبيل . وفي حديثنا عن الجوانب العديدة من شخصيته الاخلاقية ، ارجو ان اقنع المستمع بان شخصيته كانت جديرة بسمعته، وان شمائله العلمية ، ونظراته الجمالية ، وانسانيته وتواضعه تساهم في تكوين صورة لرجل أفعم قلبه رحمة ونوراً .

صفاته الشخصية

يتفق المفكرون المنصفون سواء الشرقيون منهم او الغربيون على ان مصطفى عبد الرازق كان فيلسوفاً على الطبيعة ، او بالاحرى « حكيماً » فان حياته كلها كانت مفعمة بنوازع الخير ونبالة العواطف وبالتسامح والتواضع وضبط النفس .

ومنذ اكثر من نصف قرن توسم الأستاذ الامام هذه الصفات الجميلة في مصطفى عبد الرازق الشاب ، فكتب له رسالة يسأل الله فيها ان يديم اخلاصه في القصد وحبه للحق وان يشد من ازره لدعوة قومه الى سبيل الخير والعمل النافع . وقد وضع الشيخ مصطفى عبد الرازق قلمه وصوته وحياته العاملة في خدمة القيم الروحية ومناصرة الحرية الفكرية في العالم الاسلامي ، متمماً بذلك الحركة التي تولى قيادتها الامام محمد عبده . ومن دلائل وفاء مصطفى عبد الرازق لأستاذه انه ايقظ فينا — نحن تلاميذه في الجامعة المصرية — الرغبة في التعرف على مذهب الأستاذ الامام ، وبعث في ارواحنا الشعلة التي تسلمها هو نفسه من استاذه .

وقد كانت رحمة الأستاذ وسماحته صفتين واضحتين في موقفه من اعدائه — وما كانوا في الحقيقة الا حاسدين — فلم يكن يفكر قط في ايذائهم وان دسوا له او تقولوا عليه . ذلك لان ما انطوت عليه نفسه من مشاعر نبيلة واخلاق سامية لم تدع لناظر به ان يقع الا على ما هو حق وخير وجميل ، فحقق بذلك القول المأثور « الجمال في اعين الناظرين » .

نظرته الجمالية

من الانصاف ان نشير الى جانب من حياة مصطفى عبد الرازق غير مألوف عند شيوخ المسلمين بصفة عامة والشيوخ الازهريين بصفة خاصة : ذلك هو الجانب الجمالي في نظرته الى العالم . وليس عجيباً ان يهمل كتاب السير هذا الجانب من جوانب حياة الشيخ ، لان آخر مناصبه الدينية العالية كان منصب شيخ الجامع الازهر . وقد جرت احكام العوام على ان تضع حواجز بين الدين والحياة ، وسولت لها الاوهام ان تتخيل تعارضاً بين الفن والاسلام . وقد اوضح الأستاذ الامام خطأ هذا الزعم ، مبيناً انه ناشيء عن انحراف في فهم طبيعة كل من الفن والدين .

وقد كان الشيخ مصطفى عبد الرازق روح جمالية بيّنة ، فهو بالرغم من تحفظه وحيطته الطبيعية كان دائماً شغوفاً بتوسيع خبرته في الحياة ، عاملاً على تنمية تفسيره الجمالي لها . وكان تفسيره هذا خلافاً للكثيرين ممن كانت لهم مثل تجاربه ، بعيداً عن نوازع الاستهتار ، لان ما في طبعه من رقة وثقافة ، وفهم وتعاطف ، قد جعله يرى الجمال الذي لا تلحظه عيون المستهترين . وقد عبر مصطفى عبد الرازق عن تجاربه تعبيراً شائقاً ، ففي بعض رسائله الاولى غير المنشورة وصف باريس وصفاً تحدث فيه عن الرسم والموسيقى والنحت والرقص والحدائق الغناء التي تمتزج فيها الابتسامات بالدموع . وهذه الرسائل وحدها كافية لتخليد المفكر الاديب الفنان اكثر مما خلدته محاضراته الجامعية عن الفلسفة والفقه وعلم الكلام .

تواضعه وانسانيته

تظهرنا سيرة الشيخ مصطفى عبد الرازق على انه كان متحرراً من الزهو والبهرج الكاذب . فحين عاد من اوربا بادر الى ارتداء زيه الازهري ، ولم يشأ ، حتى حين عين وزيراً للاوقاف ، ان يتخلى

عن زيه التقليدي ، فكان في الحقيقة أول وزير معمم عرفته مصر في القرن العشرين !

آثر الشيخ أن يحافظ على طريقة معيشته الإسلامية ، وأبى أن يختلط مع المختلطين بمظاهر المدنية الأدبية والثقافة الغربية . وليس معنى هذا أنه أراد أن ينبذ كل ما جاء من الغرب ؛ فالواقع أن الشيخ قد تمثل الفضل ما في ثقافة الغرب وعاداته خيراً مما تمثلها المتبرجون الذين يتظاهرون بحبهم للغرب . وهنا يكشف لنا عن حكمته العميقة وإيمانه بأن الكتاب الحقيقة للروح لا تحتاج الى أن تدق لها الطبول ، ولأنها مكاسب جوانية عليها أن تنبع من ذاتها .

وقد تجلت حكمته وروحه نفسها في صلواته أيضا ، إذ كان يؤثر أن يقيمها سرا ، كما كان شأن أستاذه الإمام محمد عبده ، حتى تكون خالصة لله لا يداخلها رياء أو تظاهر بالتقوى .

* * *

خاتمة

وبعد فقد كان مصطفى عبد الرازق « صاحب رسالة من أجل الرسالات ، وهي رسالة التوفيق بين القديم والجديد ، وبين الشرق والغرب . وقد أعد لها إعدادا قل أن يعد مثله رجل آخر ، واستطاع أن يحسن أداءها بحكمته وذوقه وتسامحه » .

ولقد ذكر الفارابي في بعض كتبه أن الذي سبيله أن يشرع في النظر الفلسفي « ينبغي أن يكون له بالفطرة استعداد للعلوم النظرية ، وهي أن يكون جيد الفهم والتصور ، ثم أن يكون محبا بالطبع للصدق وأهله والعدل وأهله ، غير جموح ولا لجوج فيما يهواه ، وأن يكون غير شره على المأكول والمشروب ، تهون عليه بالطبع الشهوات والدرهم والدينار وما جانس ذلك ، وأن يكون كبير النفس عما يشين عند الناس ، وأن يكون ورعا ، سهل الانقياد للخير والعدل ، عسر الانقياد للشر والجور ، وأن يكون قوي العزيمة على الصواب ... وأن يكون صحيح الاعتقاد لآراء الملة التي نشأ عليها متمسكا بالأفعال الفاضلة التي في ملته ، غير مخل بكلها أو ببعضها » .

وما نظننا نسرف حين نلاحظ أن هذه الصفات النادرة التي جعلها « المعلم الثاني » صفات للفيلسوف الكامل ، قد تحققت أجلى صورها عند أستاذنا مصطفى عبد الرازق . وإذا كان محمد عبده قد استحق أن يكرمه تلاميذه ومريدوه فوصفوه بصفة « الأستاذ الإمام » فقد استحق مصطفى عبد الرازق من جميع من عرفوه أن يلقبوه باللقب الذي ارتضاه الفارابي وهو « الفيلسوف الكامل » .

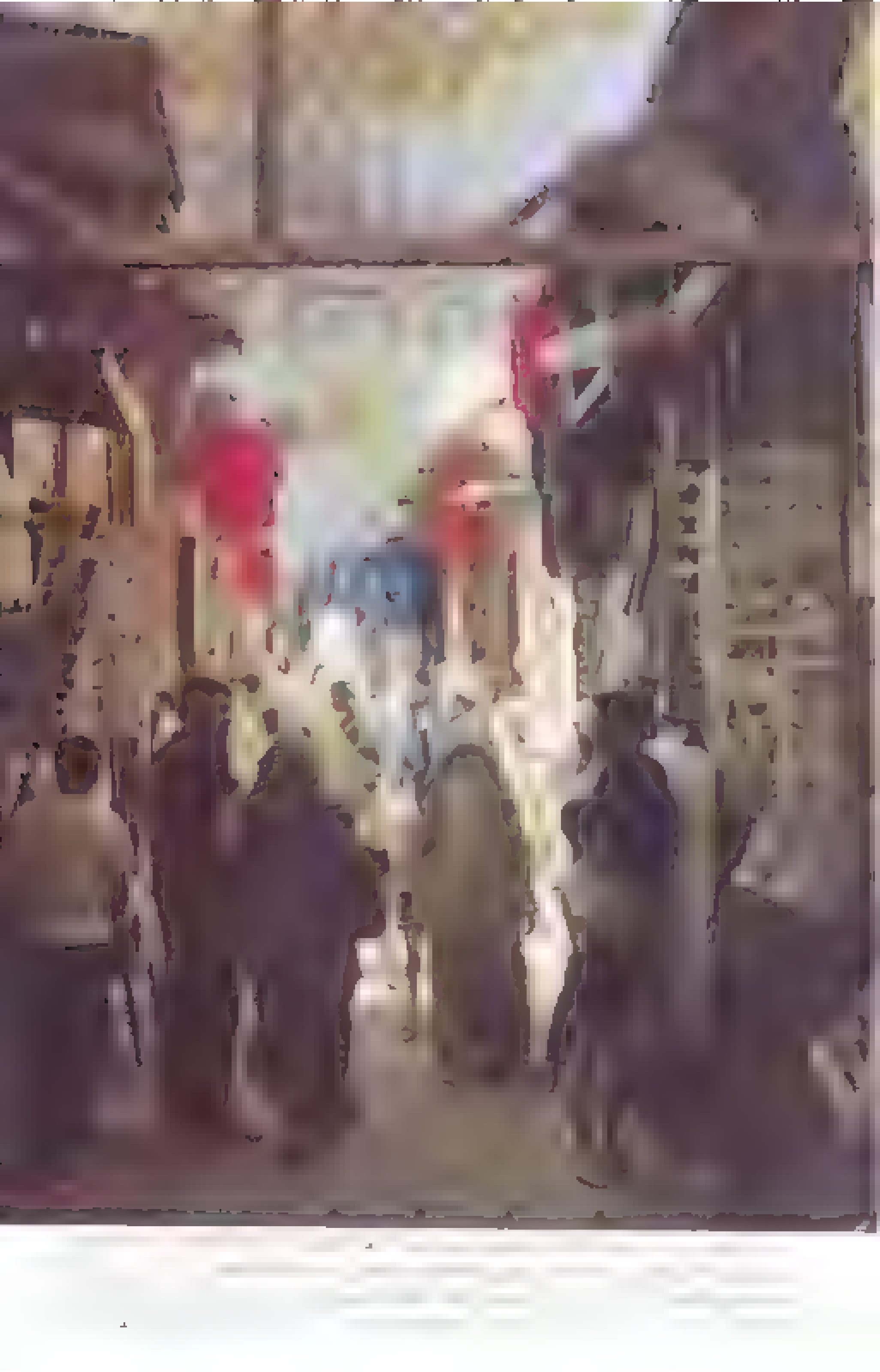
ستترك فلسفة مصطفى عبد الرازق آثاراً مختلفة جداً ، وذلك شأن كل فلسفة تتجه الى العقل كما تخاطب الشعور ، وتناصر العلم كما تقدس الدين . وقد تبدو صورة هذه الفلسفة غير واضحة المعالم أحيانا ، ولكنها فلسفة قد صيغت من عبير الحياة وسماتها . وهذه السمات تأتي من عرق ، وانتماؤها يبين صريح يحسه أصحاب القلوب .

صحيح أن هذه الفلسفة قد تلقت بعض عناصرها من التصوف الإسلامي ومن خطرات الأفغاني ومحمد عبده على الخصوص . ولكن يبدو لي مع ذلك أن الروح المنبثة فيها روح جديدة ومن يدري ! فلعل المستقبل يقول لأبنائنا إن المثل الأعلى الذي نشده أستاذنا في حياته قد سبق مثلنا أنواعه بسنوات بعيدة .

لقد خفت صوت مصطفى عبد الرازق منذ أعوام . وقد يرى البعض في آرائه صدى لماض بعيد انقضى . ولكنني ما زلت أسمع صوت أستاذنا الشيخ كما أسمعه في حلم جميل ، وهو يردد أنشودة الأمل والتفاؤل ؛ وما زلت أراه يتطلع ببصره الى مستقبل للإنسانية أسعد من حاضرها .

هذه رسالة مصطفى عبد الرازق : وهي رسالة حب وإحسان وسلام .

عثمان أمين

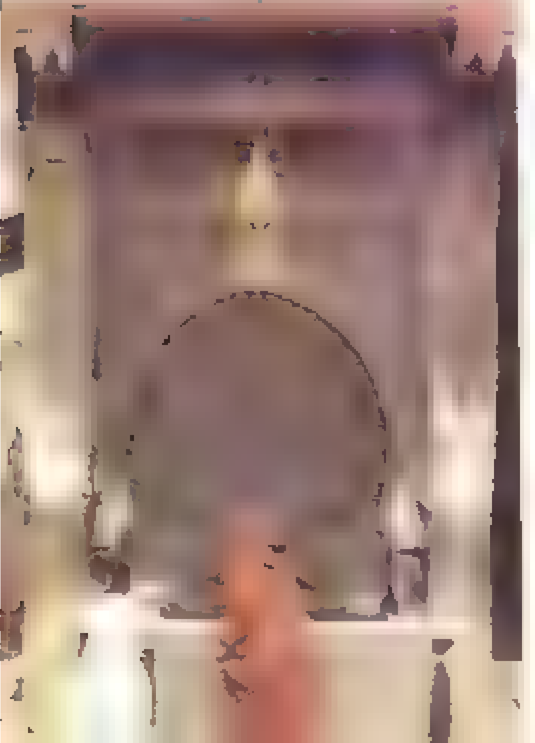


فاس

عاصمة الثقافة المغربية تشهد أول تخطيط لها بعد ألف عام

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال
وصوره
اوسكار ..





او حتى في طريقة حياته ..

بيوت فاس

ودخلنا بيوت فاس فوجدناها كبيوت الشرق العربي ، وبيوت الشام خاصة . فمن ذلك ان الشرفات والنوافذ تطل على ساحة المنزل الداخلية بدلا من الشارع ..

وداخل هذه البيوت يعيش الآباء مع ابنائهم ، وزوجاتهم ، واحفادهم ، ويضمهم كله النظام الابوي الكبير.. والكثير من هذه المنازل الخاصة مزخرف باجمل النقوش وازوهها . والحديقة التي تتوسط الساحة الداخلية تزدان بزهور الياسمين والاشجار البرتقال التي يلعب حولها الاطفال والصبيات.. ولقد دخل التليفون والتلفاز والثلاجة الكهربائية الى هذه الدور .. ان السعيد من اهل فاس هو الذي

منظر لأحد مساكن فاس القديمة ، انه ليس متحفاً بل منزلاً عاديا يسكن فيه ابن فاس مع اسرته الكبيرة

يملك منزلا في المدينة ، وقبرا قرب ضريح احد الاولياء الذين تعج بهم هذه المدينة ..

والغريب في هذه المنازل انك تجد ارضها مغطاة بسجاد من صنع مانشستر وتركيا وايران ، بينما صاحب البيت لا يبيع في متجره سوى السجاد المصنوع محليا !!

التجارة في فاس !

لقد استطاع اهل فاس ان يجعلوا التجارة جزءا من حياتهم فدخلوا سوق التجارة العالمية ابتداء من القرن التاسع عشر ، فكان لهم وكلاء في مانشستر بانجلترا وفي اسبانيا وايطاليا وفرنسا والمانيا وافريقيا .. ومع هذا الاتصال الواسع ظلت عاداتهم على ما هي عليه دون اي تأثير على حالتهم الاجتماعية او المظهر الطبيعي لمدينتهم ..

« طريق الذهب »

ومما ساعد فاس على الاحتفاظ بمركزها التجاري موقعها الفريد على ملتقى الطريقين الرئيسيين اللذين يربط احدهما شمال المغرب بجنوبه ، ويربط الآخر مدن ساحل المحيط بجبال ومدن الاطلس الداخلي ، تلك التي تؤدي الى بقية اجزاء الوطن العربي ونتيجة لهذا الموقع اتسعت تجارة فاس فازدادت اموال التجار، واخذ الذهب يتراكم في غرف منازلهم الخاصة المقفلة ..

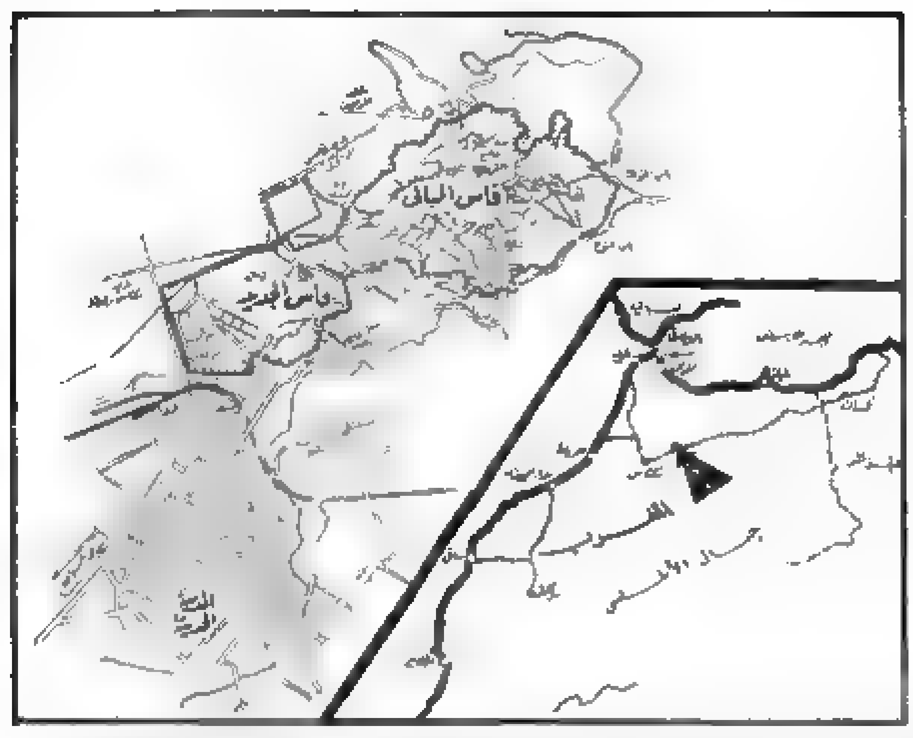
ولم يكن للفاسي من مصروف سوى مصروف منزله ومائدته ومآكله الطيب المطهي على الطريقة الاندلسية ، كالدجاج المحشي باللوز والفستق ، والخلاف باللحم .. او البسطيلة الطيبة الشهية وهي حمام محشي باللوز والجوز والبهار الزنجبيلي عليها سائل حلو سكري ..

فاذا بلغ ارذل العمر اوقف جزءا كبيرا من ثروته حبا على المساجد والاضرحة ، وحبا على مرضى العقول والعجزة ، وغير ذلك من اعمال الخير .

هكذا كان الناس يعيشون عيشة رتيبة هادئة ..

الاستعمار يعاقب فاس

وظلت فاس على هذا الحال عاصمة المغرب ، حتى جعلت اول قوات اجنبية معسكرات تحت



خريطتان لفاس الأولى المصغرة تبين موقع المدينة على الطريق المؤدي من الرباط إلى الجزائر وتونس .. والثانية تبين مدينة فاس بمدنها الثلاث المختلفة : فاس البالي ، وفاس الجديد ، والمدينة الحديثة . وتقع فاس على ارتفاع ٤١٥ مترا وهي مرتبطة مع جيرانها بطرق معبدة رائعة ، وسكة حديد تربطها بساحل المحيط، وبطنجة ، ووجدة ، على الحدود الجزائرية .. ولها مطار صغير متواضع !

أسوارها عام ١٩١١ بقيادة الجنرال جورو الفرنسي .. ولم تدخلها إلا في مطلع يونيو ١٩١٢ بعد معارك ضارية .

وأراد المستعمرون الجدد معاقبة فاس لعنادها ، وتعصبها ، وغيرتها الوطنية فعملوا على تفتيت قوتها ، فانتزعوا منها المركز السياسي وأعطوه للرباط جاعلين منها العاصمة السياسية الجديدة للمغرب ..

ونقلوا مركز الثقل الاقتصادي إلى الدار البيضاء ، جاعلين منها عاصمة البلاد الاقتصادية..

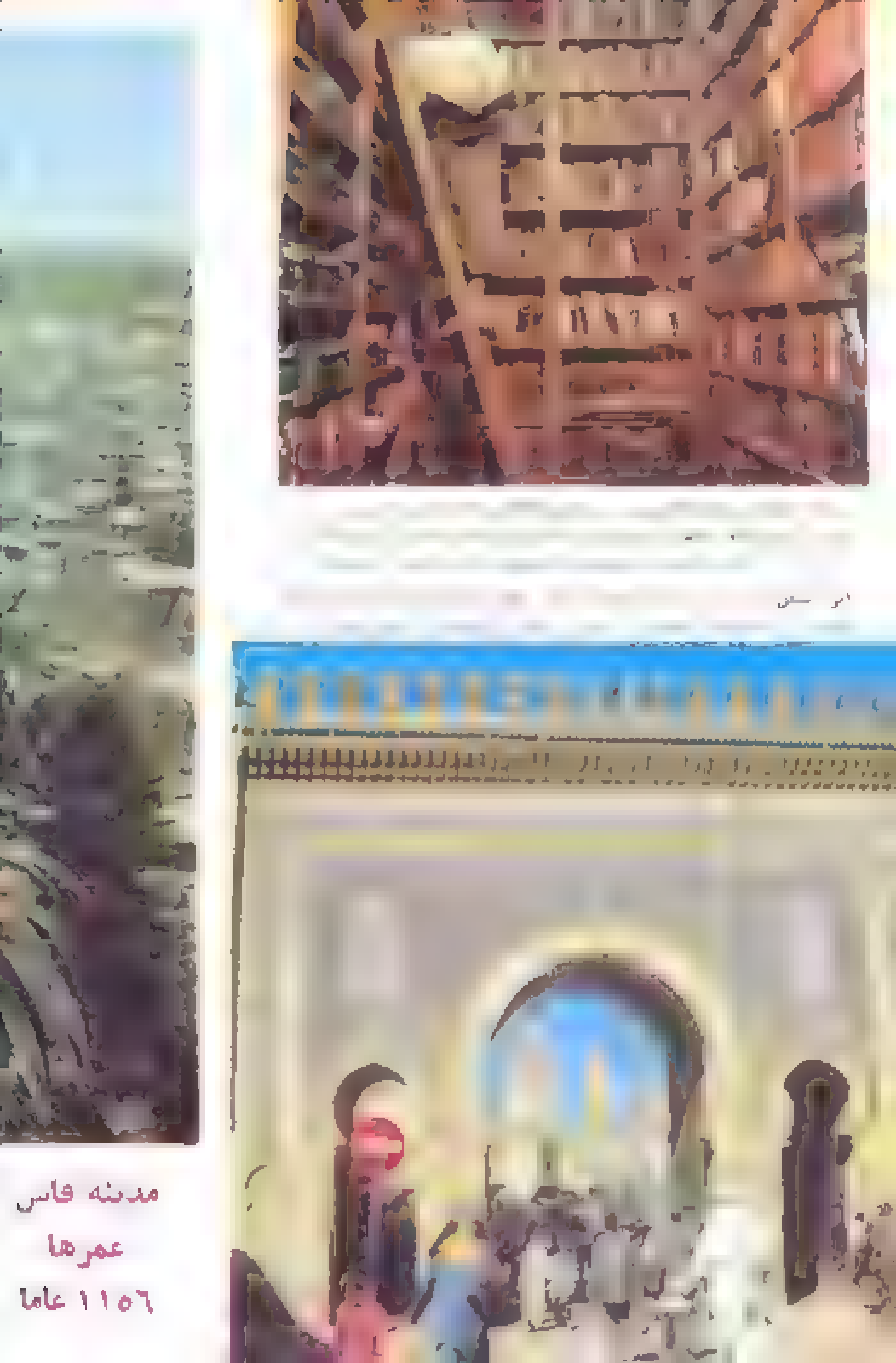
انتقام بعد ٤٤ عاما

وأحست فاس بما أصابها من الظلم والهم ، ورأت كيف انتزعتها الدار البيضاء من مكانتها بحسبانها مدينة المغرب التجارية الأولى .. أحست فاس بكل هذا ، ولكن كبرياءها وأنفتها جعلاها تميل على جراحها تداويها وتخفيها ..

وبعد صبر استمر أكثر من ٤٤ عاما سنحت الفرصة أمام فاس لتنتقم لنفسها .. فقد جلا المستعمر من البلاد في عام ١٩٥٦ وبدأ الباقون يتزحون الواحد تلو الآخر عارضين ممتلكاتهم ومصانعهم، وخاصة التي في الدار البيضاء للبيع.

وكان أبناء فاس في مقدمة الذين انتهزوا الفرصة ، فأخرجوا نقودهم المكدسة واشتروا به أغلب مصانع الدار البيضاء ..

ومن الناحية السياسية تغلب تشكيل الوزارة



مدينة فاس
عمرها
١١٥٦ عاما



الجديدة بعد الاستقلال وجود عناصر منظمة وطنية .. ومن يكون أحق من خريجي العاصمة الثقافية بهذه المناصب ؟ .

وهكذا عاد اهل فاس فاصبحوا اصحاب الكلمة المسموعة في السياسة والصحافة والاقتصاد .

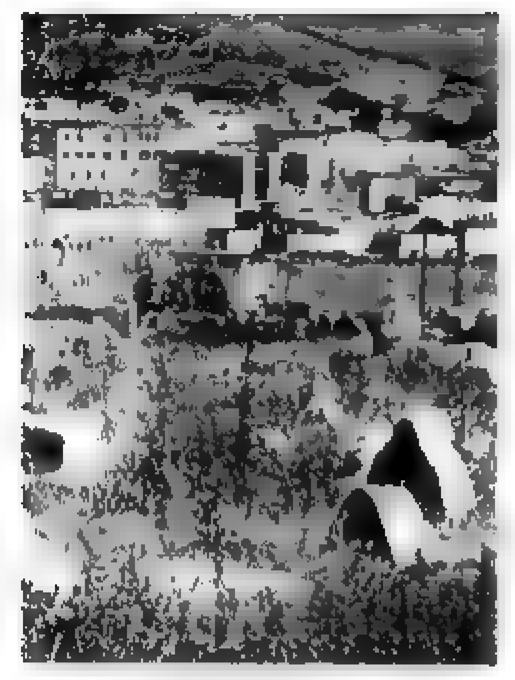
واصبحت تسمع اليوم بعض الاصوات تطالب باعادة العاصمة الى مدينة فاس ..

المدينة الثالثة

ومدينة فاس هي ثلاث مدن متصل بعضها ببعض . الاولى يسمونها « فاس البالي » او « المدينة » ، وهي المدينة القديمة التي بناها ادريس الثاني عام ١٩٢ هـ/٨٠٨ م ، وبها الحي العربي الذي اكتظ بالسكان . واشهر ما فيها ضريح مولاي ادريس ، وجامعة القرويين ، والقبر بني مرين ،



حي الملاح حيث كان يسكن اليهود في المدينة ، اما اليوم فأصبح معظم ساكنيه من العرب



صورة « فاس البالي » وفي المقدمة حجرات قبور أخرى ، فتحوي خلف أسماء مسيلة بها لتحتفظ منك حتى لا تستطيع رؤية المدينة . انها مدينة مزار الـ

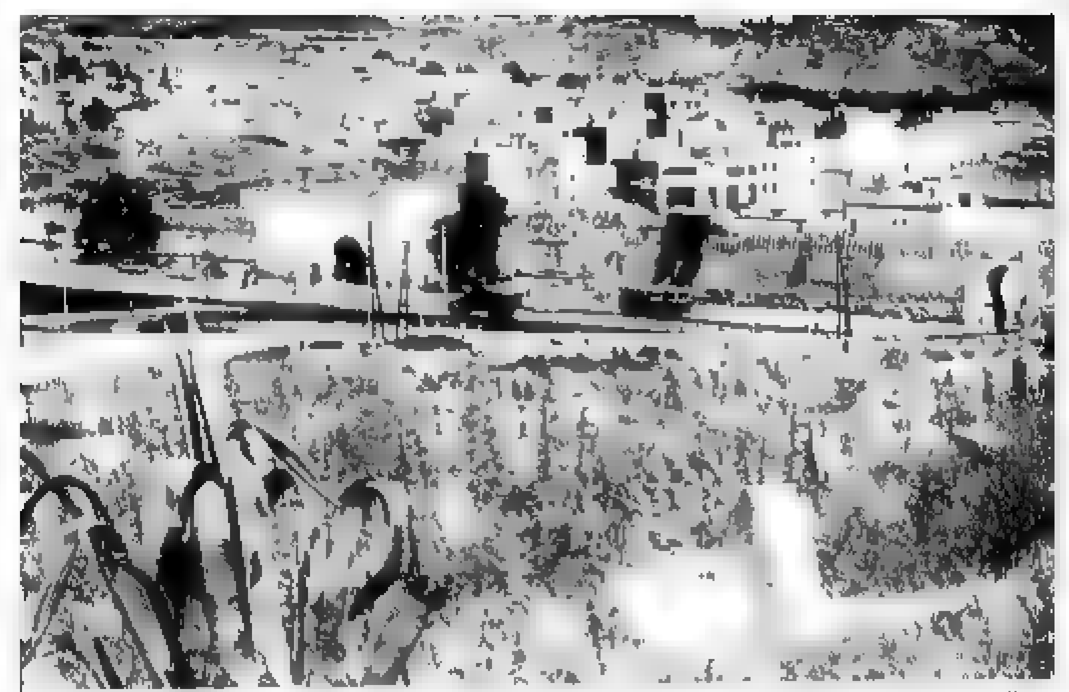
والمدينة الثانية هي « فاس الجديدة » ، وليس فيها من جديد سوى اسمها لانها جديدة بالنسبة للمدينة القديمة ، اما عمرها اليوم فيزيد على ٦٠٠ عام وفيها « قصر السلطان » مع توابعه من المباني ، ومقبرة الملوك العلويين ، والحي العربي وحي الملاح الذي كان يسكنه اليهود ... انها مدينة مبعثرة لا متنسقة فيها .

وثالثة المدن هي المدينة الاوروبية الحديثة التي بدأت تظهر في عام ١٩١٦ حول ثكنات القوات الفرنسية فجاءت مثل زميلتها ، فاس الجديدة ، دون رونق او جمال هندسي ..

ومنذ عام ١٩٥٠ بدأت مدينة رابعة في الظهور . انها مدينة عربية حديثة قامت بجوار المدينة الاوروبية ..

هجرة اسبوعية

ويحاول ابناء المدينة القديمة الهرب دائما من التقاليد وعادات مدينتهم ، فيقصدون فاس الاوروبية المتفتحة والسايرة لروح هذا العصر ..



الزيتون ؛ ويحيط بالمدينة القديمة سور حجري قديم ما تكاد تخترقه حتى تجد سورا آخر وبوابة [illegible] الأمر للشبابيك والأسقف [illegible] انها تحس مدينة قديمة يستحيل على الغريب أن يسير فيها إلا ومعه دليل [illegible] تعيش داخل الأسوار [illegible] حفنة من السياح الأجانب [illegible] هذا [illegible] القدم

وباعة هذا الدرب تشكل صورة متناغمة تستطيع أن تشهدها مساء كل يوم جمعة وأنت جالس على مقهى من مقاهي شارع محمد الخامس .. إن مركز الثقل ينتقل في هذا اليوم من قلب « فاس البالي » إلى ميدان وشارع محمد الخامس بالمدينة الأوربية، فيجلس الناس على المقاعد الحمراء للمقاهي المتناثرة في الميدان يشربون الشاي الأخضر بالنعناع ، وإلى جانبهم السياح يشربون عصير الليمون أو البرتقال.

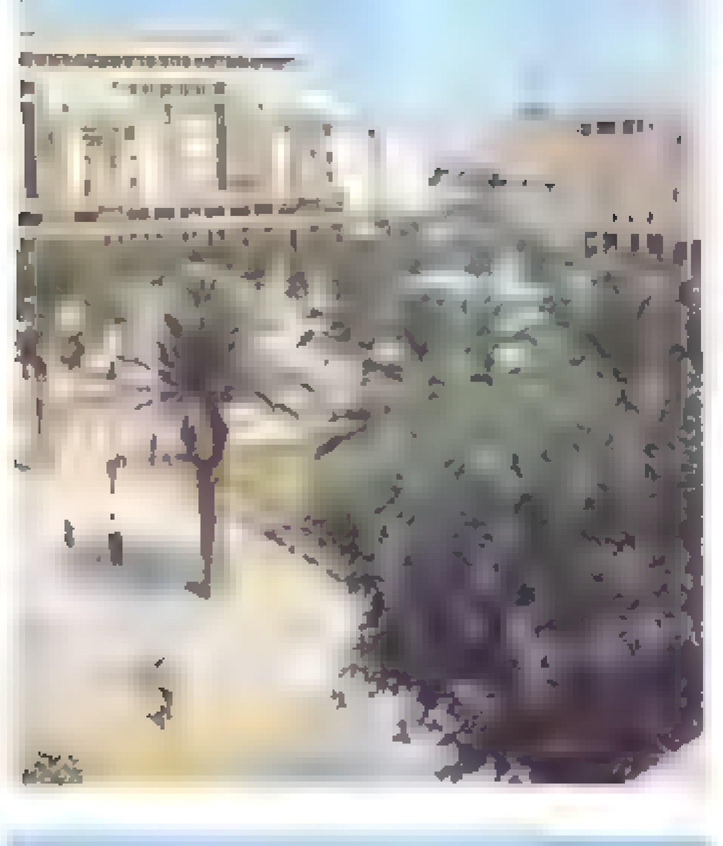
ويرتفع صوت السياح كل واحد منهم يسأل زميله عن كيفية رحلته فيرد عليه : الطريق ممتاز من طنجة ، ويجيب الثاني : وكذلك من الرباط ، ويرتفع صوت ثالث : .. لقد خيل لي أنني أسير في الجنة وأنا أمر بين أشجار البرتقال في طريق مكناس - فاس ..

وتختلط أصوات السياح بصوت بائع اللوز المحمص وهو ينادي على بضاعته: « شو لي زاموند » أي « اللوز الساخن .. » ويعقبه ماسح الأحذية يطرق بفرشاته صندوقه الخشبي الصغير ليثبت وجوده ، ويقول : « سيري .. سيري موسيو .. لو تو بروس » وهي كلمات فرنسية دخلت إلى اللهجة العامية ومعناها : « تمسح .. تمسح سيدي .. فرشة فرشة » .

عاصمة الثقافة بدون صحافة

ويتمشى بائع الصحف عارضا عليك صحفا مغربية باللغة الفرنسية Vigie, Petit Marocain، LA NATION، وصحفا مغربية عربية كجريدة « العلم » و « المحرر » . ومن المؤسف أن عاصمة الثقافة والعلم ليس فيها صحيفة واحدة ، ولو محلية ، إنما تأتيها الصحف من الرباط ، والدار البيضاء ، وطنجة .

ومن الطريف أن أغلب الذين يحررون هذه الصحف هم من أبناء فاس نفسها .. ولقد صدرت في فاس بعض الصحف والمجلات ولكنها احتجبت .







واش .. لا باس

ويشتري أحد الشباب الجالسين في المقهى صحيفة باللغة الفرنسية من البائع بعدا في قراءتها بصوت مرتفع لوالده العجوز ، الذي يفهم الفرنسية ولكنه لا يقرأها .. والغالب أهل فاس يجمعون بين الثقافتين العربية والفرنسية ... ويمر أحد الأصدقاء ، فيقطع الشاب قراءة الصحيفة ويقف لصديقه فيتبادلان القبلات على الخدود ، ثم يبدأ التحيات الطويلة : « شنخباركم .. ؟ واش .. لا باس .. الله يحفظكم .. الله يهديكم .. بارك الله فيكم .. » .

وينصرف الصديق ، ويعاود الشاب الجلوس على مقعده الأحمر ليتابع قراءة الصحيفة لوالده الذي يصغي اليه بانتباه ، واضعا ساقا فوق ساق ، طارحا تحت جلابيته النظيفة جواربه العصرية المزخرفة « بالاستيك » ذي الشماعة البيضاء . وبين القبلة والأخرى يرشف رشفة من كوب الشاي الأخضر ، وينظر الى السيارات وهي تمر وتتقاطع في الميدان دون حاجة لشرطي مرور أو اشارات ضوئية ، فالأولوية دائما للقادم من اليمين وللمشاة الذين يعبرون الطريق في الأماكن المخصصة لهم .

لثام ملون

ويتجه هؤلاء المشاة الى الأرصفة يسيرون عليها متزاحمين على اختلاف هيئاتهم دون هدف معين أو مقصد .. السيدات يرتدين الجلباب المطلق الطويل الذي يغطي كل أجزاء جسمهن ، ويضعن اللثام الأحمر أو الأصفر أو الأزرق فوق فمهن وأنفهن . وفوق ظهورهن يحملن أطفالهن داخل صرة أو منشفة مربوطة الى صدورهن ، وبأيديهن يمسكن بقية الأطفال الصغار .

زرابي ونحاس وجمال ..

والى جانبهن يسير بائع الزرابي - السجاد - حاملا بضاعته الملونة على ظهره ، بعضها مصنوع بأيدي البنات الصغيرات في المصانع الثلاثة الموجودة في فاس ، وبعضها مصنوع بأيدي نساء القبائل التي تعيش في جبال الأطلس ، ويطلق على هذا السجاد اسم القبيلة التي أنتجت صنعه مثل بني مطير ، وبني مجلد ، وزيان .. ويقبل السياح بشراهة على شراء هذا النوع من السجاد الجبلي لتلاؤم رسومه الهندسية مع تصميم الأثاث الحديث .

ومع بائع السجاد يسير دائما بائع النحاس الأصفر والأحمر ، ومن بعدهما بائع الجلد المنقوش ..

ووسط هذا الزحام تمر احدى الساحات الراقصات الجمال ، مرتدية سروالا ضيقا ، وقميصا أحمر مفتوح الظهر . انها تسير مطمئنة لا يلتفت اليها أحد ، فقد تعود ابن فاس على مشاهدتهن وأدبه يمنعه من التطلع اليهن أو مغازلتهن ..

وخلف الساحة تشهد مجموعة من الفتيات يرتدين أحدث الثياب ويتحدثن بلغة فرنسية خالصة ، وسرعان ما تكتشف أنهن من بنات الجيل الجديد لمدينة فاس ، اللواتي خلعن اللثام وطرحن الجلابة ..



متحف دار البطحاء ، أجمل ما فيه هو حديقته الأنيقة على النمط الأندلسي ، أما معروضاته فقد نقلوا معظمها الى المتاحف الأخرى



تعتبر مدينة فاس ، وهي وسط مدينات المغرب ، عاصمة مدنية سياحية ، ورياضية ، تضم بحيرة صناعية طولها ٢/١ ٢ كيلو متر وعرضها ٥٠ مترا للزوارق والألعاب المائية والاستحمام ، كما تضم نادي سباق الخيل ، ومسرحا واسعا ، وأسواقا [illegible] له مخرج ، [illegible] المعرض السنوي لمدينة فاس .. ونرى هنا أطفال [illegible] من فاس ، يمرحون بحضن البحيرة الصناعية بجوار وادي فاس [illegible]

تخبط وحيرة

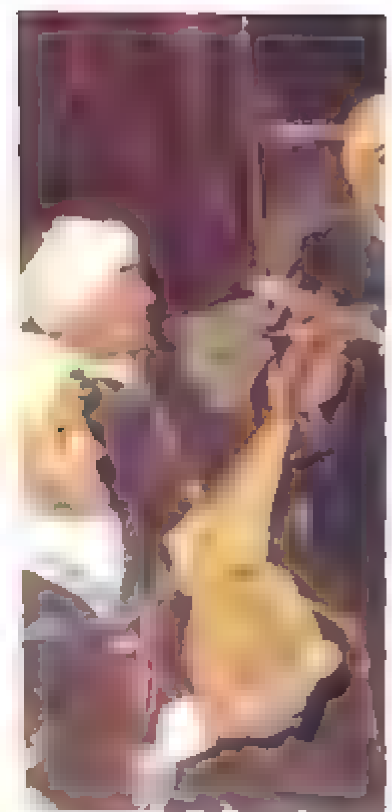
ان الوقت يمر ، بالنسبة ليوم الجمعة ، والناس جلوس لا يتحركون منذ ساعات ، ولكن الزمن لا قيمة له عندهم ، بينما تقف عند طرف المقهى مجموعة من الشباب تنتظر بصبر نافد فرصة خلو مقعد لتجلس عليه ..

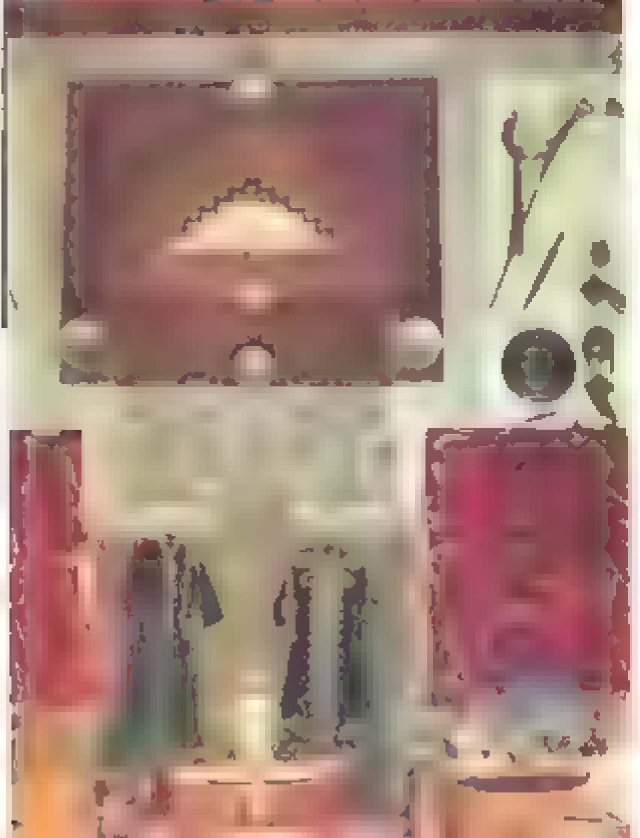
ان أهل فاس يتوجهون عادة الى الأماكن السياحية الموجودة حول مدينتهم كحمامات سيدي حرازم المعدنية ، وشلال بني مرين ، والسهول المحيطة بنهر سبو ، وعين عوبار المصيف الجميل ، وعين الشقف وغيرها . ولكن البعض الآخر يفضل قضاء يوم الجمعة على مقاعد مقاهي فاس الجديدة

فالعادات محترمة والشباب لا يعرف في اي طريق يسير . انه يمر بفترة انتقال صعبة . انه يتعصب لقديمه ، ولكنه في نفس الوقت لا يعتقد بأن هذا القديم كله خير أو كله شر .

ان بريق الحضارة الاوروبية ، وخاصة الفرنسية ، يبهره ، ولكنه يخافه ويخشاه ، فهو في قرارة نفسه ، لا يريد من هذه الحضارة سوى مظاهرها الاقتصادية والتقنية ، ولكن ليس كل ما يتمناه ابن فاس يدركه، فمظاهر الحياة الفرنسية تغلغلت، بالرغم منه ، في معظم المجتمعات الفاسية نتيجة لاحتلال دام ٤٤ عاما . ولعب التطور في هذه المجتمعات التي جعلت من اللغة الفرنسية لغة التخاطب فيما بينها ..







وجعلت من الصحف والمؤلفات العربية صحفها وكتبها المفضلة ..

والتاجر في فاس الحديثة اليوم ، ملك للمستوطنين والمعمرين الفرنسيين ، الذين فقدوا اعصابهم في الايام الاخيرة بعد أن أصبح في حكم المؤكد أن تنتزع منهم الاراضي الزراعية ، التي اخذوها مجانا من سلطات الاحتلال ، والآن جاء العهد ليردوا ما كان لابن فاس لابن فاس.. ولكن هذا الاجراء لم يصادف هوى وقبولا لدى معظم الفرنسيين المقيمين في فاس والمغرب عموما ، فقر قرارهم على ترك البلاد نهائيا ..

وانعكس تصميمهم هذا على الحركة التجارية في شارع محمد الخامس . فمعروضات التاجر لم تتغير منذ أمد طويل .. والبضائع التي تباع لا يستورد بديل لها .. والتاجر أصبحت شبه خاوية .. ومع هذا ترتفع اللافتات تعلن عن «الركلام» و «الستريبلاج» و «التصفية».. وترتفع نغمات موسيقى الجاز صاخبة لتلفت انظار المارة ، الذين ملوا من تكرار رؤية المعروضات فانصرفوا عنها . وعلى العكس يتدافع الناس على محلات الحلويات والمرطبات ..

مقهى وسينما

والاسعار في فاس الحديثة غالية رغم هذا الركود العظيم الذي دخل مرحلة حاسمة . فالناس لا يشترون ، والتجار لا يبيعون . لقد مضت ثماني سنوات على هذه الحال ، ظل التجار الفرنسيون خلالها يعملون على تصفية محتويات محلاتهم ، حتى أصبحت معروضاتهم اليوم نفاية للبضائع القديمة ..

ويظل شارع محمد الخامس وميدانه ومقاهيه عامرين بالجماهير حتى التاسعة مساء ، حين يدوى عاليا رنين جرس كهربائي في الميدان ، فيتدافع الناس صوبه .. انه جرس دار السينما يعلن عن بدء عرض الفيلم ..



أينما ذهبت في المدينة الحديثة تصادفك لافتة كبيرة ، علقها أصحاب المحلات على واجهات متاجرهم ، بهدف اجتذاب الجماهير الى « التصفية » التي تجري في محلاتهم



في مطلع عام ١٩٦٠ [illegible]

وهكذا ينتقل الناس من المقاهي الى دور السينما .. اما السهرات فلا تقام الا في الحفل الخاص بين ابناء فاس انفسهم ، او بين السائحين في الفنادق الفاخرة ..

وما يكاد النهار ينتهي حتى يعود « المهاجرون » الى منازلهم في المدينة الجديدة وتنتهي هذه الزيارة التي لا تدوم أكثر من ٧ ساعات كل اسبوع.

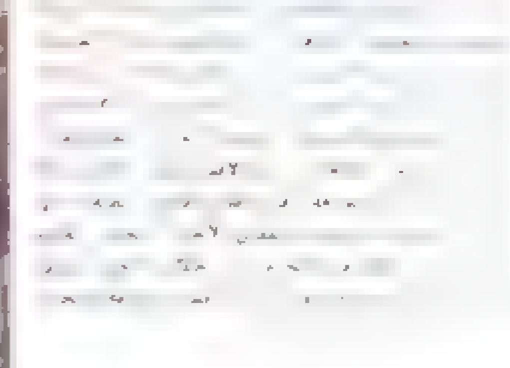
تصدع المجتمع الفاسي

ولكن الهجرة الحقيقية الخطرة التي اضرت بفاس وصدعت مجتمعها فكانت هجرة المثقفين من ابنائها ، الذين هتف بهم نداء الوطن ليصبحوا وزراء وسفراء وحكاما للمدن والاقاليم لبوا النداء ، وتركوا مسقط رأسهم للاقامة قرب عملهم .. وبالطبع اخذوا معهم زوجاتهم وافراد عائلاتهم ، مما جعل المجتمع الفاسي فقيرا من ناحية العناصر الانسانية التي كان يعتمد عليها ، فاختل تبعا لهذا التوازن الذي كان قائما في هذا المجتمع. فانهارت الجمعيات السياسية ، وخلت البيوت القديمة من اصحابها ، ولم يعد الكرم الفاسي القديم يحظى كما كان في السابق ، لأن افراد المجتمع الجديد ليسوا كلهم من ابناء فاس ، انما هم افراد جدد ، يمثلون مجتمعا جديدا دخل الى فاس ..

الطاجين ينتقل الى طنجة

وكان اهل فاس يفخرون « بالطاجين » الذي يصنعونه ، ويضربون الامثلة على كرمهم بقولهم









مدرسة أبي عنان ، تمثل الآثار الفنية التي خلفها المرينيون . وقد شيدت هذه المدرسة بأمر السلطان أبي عنان في عام ١٣٥١ م . وهي مزخرفة بالمرمر والزليج ، وخشب الأرز المحفور .



سوق فاس وتمر حيث يزرعه المغاربة في منطقة تافيلالت في الرباط والدار البيضاء ، تحوي أسواق عرب جنادر

الماء عند السلاوين ، مدينة في الشمال

والجلسات عند تطوان وطنجة ..

والطاجين ، أي المأدب والمآكل ، عند أهل فاس !

واليوم أصبحت طنجة هي التي تقدم«الطاجين» واستقلت الجلسات فقط الى فاس !

والى جانب هجرة أبناء فاس هاجر الفرنسيون من المدينة الاوروبية ليحل محلهم ابن فاس المقيم في المدينة القديمة ، وقد قدروا ما دفعه أبناء فاس في هذا الانتقال بمبلغ ٣ مليارات فرنك في الثلاث السنوات الماضية .

لكي يكون حكمنا صحيحا

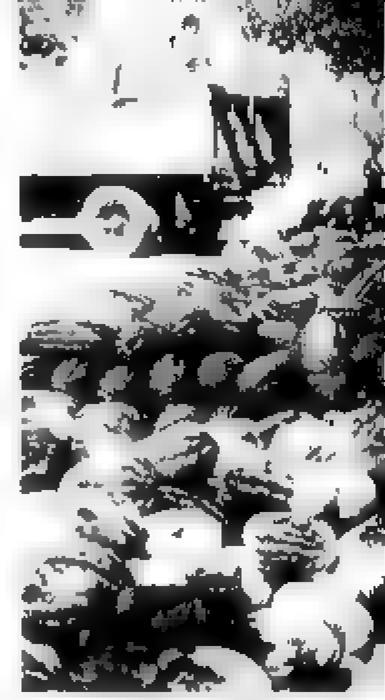
ولا يمكن أن يكون حكمنا على فاس حكما صحيحا اذا ركزنا اهتمامنا فقط على الحياة الممتدة في المدينة الأوروبية وشارع محمد الخامس ، لهذا يتحتم علينا أن نترك هذه المدينة الحديثة ونتجه الى فاس القديمة لنشهد الحضارة العربية الاسلامية التي ما زالت تصبغ كل شارع وكل حي ، دون أدنى شائبة أو اختلاط ..

انها مدينة من مدن القرون الوسطى لم تمسها يد التعديل أو التغيير .. حتى أن الرشال ليوتي ، أول حاكم فرنسي ، عندما دخلها بهره جمالها فمنع مسها أو هدمها .

كرامة المدينة

واليوم لم يعد ابن البلد يستطيع صبرا على العيش داخل هذه المدينة القديمة التي لا يسمح بالسير في طرقاتها الا للمترجلين والحمير والبغال .. حتى أن كتاب المرشد الأزرق Guide Bleu يقول لك : « اذا أردت استئجار بغل لتجول في المدينة القديمة فاحجزه من موظف الاستعلامات بالفندق » .

وهذا منتهى الامتهان لكرامة مدينة في القرن العشرين ، لأن فاس القديمة ليست متحفا ، أو



[illegible]



[illegible]

معرضا للحياة القديمة ، بل هي مدينة تنبض بالحياة الحقيقية ، اذ يعيش فيها ٣٠٠ الف نسمة يسكنون نحو ٢٠ الف منزل !

مزادات غريبة

انها مدينة مليئة بالمتناقضات ، فهي خليط من الحركة وخليط من الخمول في نفس الوقت !

وهي آية للنظافة ومثال للقذارة في آن واحد !

كل سوق من اسواقها له طابعه ، واصواته ، وحركته الخاصة .

واجمل ما في هذه الأسواق هو سوق البيع بالمزاد العلني .. ويبدأ البيع بان يحمل احدهم مجموعة من الاواني النحاسية يسير بها متناديا ومهللا بصوت مرتفع ، ويقف عند بوابة احد التاجر يعرضها على صاحبه ، فيأتيه صوت من الداخل محددا سعرا للسلعة ، ويقف المنادي برهة ، وكأنه يسجل الرقم في ذهنه ، ثم يتابع سيره ثانية مناديا على بضاعته من جديد ، عارضا اياها على المارة .. والزبائن المتراكمين في الشارع الضيق .. ويصطدم المنادي وهو في زحمة من الناس بمناد آخر يعرض مجموعة من الاكواب والاواني الزجاجية الملونة ، ولكنهما لا يحفلان بالاصطدام، وانما يتابع كل واحد منهما المناداة على بضاعته.. ويعودان ثانية ، وثالثة .. واخيرا يتوقف حامل الاواني ، عند بوابة احد التاجر التي سبق ان مر عليها ويبيع لصاحبها اوانيه مقابل المبلغ الذي سبق ان حدده له .

اسوا ما شهدنا

واسوا ما شهدناه في المدينة القديمة هو منظر امرأة عجوز مريضة امتطت ظهر احد البغال وسواعد الرجال تسندها من كل جانب مخافة الوقوع ، من على ظهر الدابة !

انها الوسيلة الوحيدة لنقل المريضة من منزلها القديم الى المستشفى بالمدينة الجديدة ..



اول من استعمل نظام القنوات

اما ما تتفوق به فاس وتتميز على سائر مدن الارض فهو ماؤها . انه على نوعين ، ماء العيون العذبة التي يخرج منها الماء باردا في الصيف وساخنا في الشتاء ، وماء الانهار السريعة الجريان، وتكون ساخنة في الصيف وباردة في الشتاء .

وعدد العيون في فاس اكثر من ان يحصى .

اما الانهر فيخترقها نهر وادي الزيتون ونهر وادي فاس .. ومنذ القرن الحادي عشر والانسان مسيطر على مياه النهر الاخير ، محولا اياه الى الوف القنوات والجداول التي تمر من تحت كل منزل ، فتسقي الحدائق ، وتمد الحمامات ومدابغ الجلود بحاجتها . وتدير بقدفعها محركات مولدات الكهرباء ورحى المطاحن التي لا تتوقف ليل نهار عن الدوران .

ويتفرع من نهر وادي فاس فرع كبير يدعى بوخراب ينقل اثقال المدينة واقذارها وفضلاتها.

الشعراء والكتاب يغنون بمزايا الماء

ووصف الشعراء مياه فاس بقولهم

[illegible] بمحللها الانهار داخلها
حتى المجالس والاسواق والطرق

وقال آخر

[illegible]

وقد غالى الكتاب في وصف نقاوة هذا الماء حتى قال ابن ابي زرع في كتابه روض القرطاس :

" ومن فضائل [illegible] العصي ، [illegible] ، ومن [illegible] شربه لا يضره ، وهو يقيه اذا شرب على [illegible] ، تغسل به الثياب من غير صابون فيبيضها ويكسوها رونقا [illegible] كما تعمل الصابون "

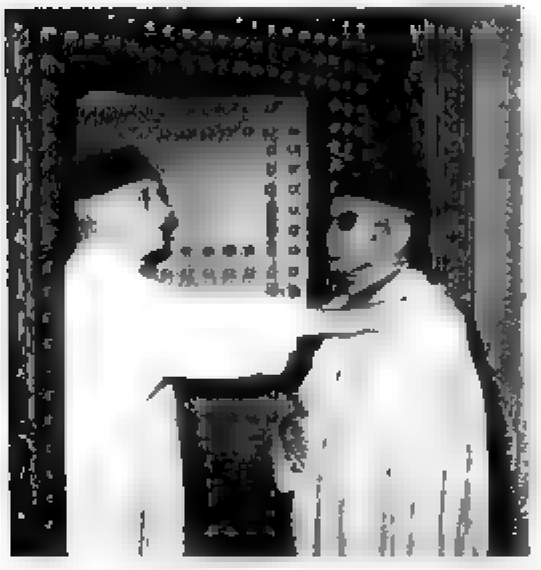
رحمة السماء .. وقسوة الانسان

وكانت مياه هذه الانهر والعيون على الدوام رحيمة باهل فاس ، فالفيضانات غير موجودة والاخطار معدومة ، بالرغم من ان النهر يخترق المدينة من اولها لاخرها لمسافة طولها ١٦٠٠ متر منحدرا الى وادي سبو حيث المزارع والبساتين ..

والمرة الوحيدة التي قسا خلالها النهر على المدينة كانت من عمل الانسان وذلك في عام ١١٤٥ عندما حاصر الخليفة عبد المؤمن الموحدي مدينة فاس ، ولما استعصت عليه ، امر ببناء سد عند [illegible] النهر فقطع المياه عن المدينة ، وبعد ان تجمعت له كمية هائلة من الماء خلف السد ، اطلقها مرة واحدة ، فهدمت الاسوار ،واخذت معها الفي منزل من منازلها ..

آثار تثير الحنين

وما دمنا بصدد التاريخ فلا بد ان نتحدث قليلا عن تاريخ فاس المجيد ، وعن مولاي ادريس .



طريقة السلام والتحية [illegible] عندما تلتقي على باب منزل في المدينة [illegible] صاحب الدار [illegible] موضع يده على كتفه مرحبا به ، كما نرى في الصورة .

بينما كان الامام ادريس الثاني يضع حجر الأساس لمدينة فاس في عام ١٩٢ هـ ـ ٨٠٨ م جاءه بعض الضيوف الكبار من الفقهاء واهل الورع حسب امرهم من ساحة الأندلس ، جاؤوه من قرطبة بالاندلس ، بعد أن فشلت ثورتهم ، واوقع بهم الامام الحكم بن هشام ، الذي ثاروا عليه لانهماكه في ملذاته، فقتلهم وهدم دورهم ومساجدهم، وامر بنفي من بقي منهم من الجزيرة ، فهاجر بعضهم الى فاس ولحق البعض الآخر بالاسكندرية.

وكان عدد القادمين الى فاس ثمانية آلاف أسرة، استقبلهم ادريس الثاني احسن استقبال ، وخصص لهم القطاع الشرقي من فاس ، الذي عرف باسمهم « عدوة الأندلسيين » .

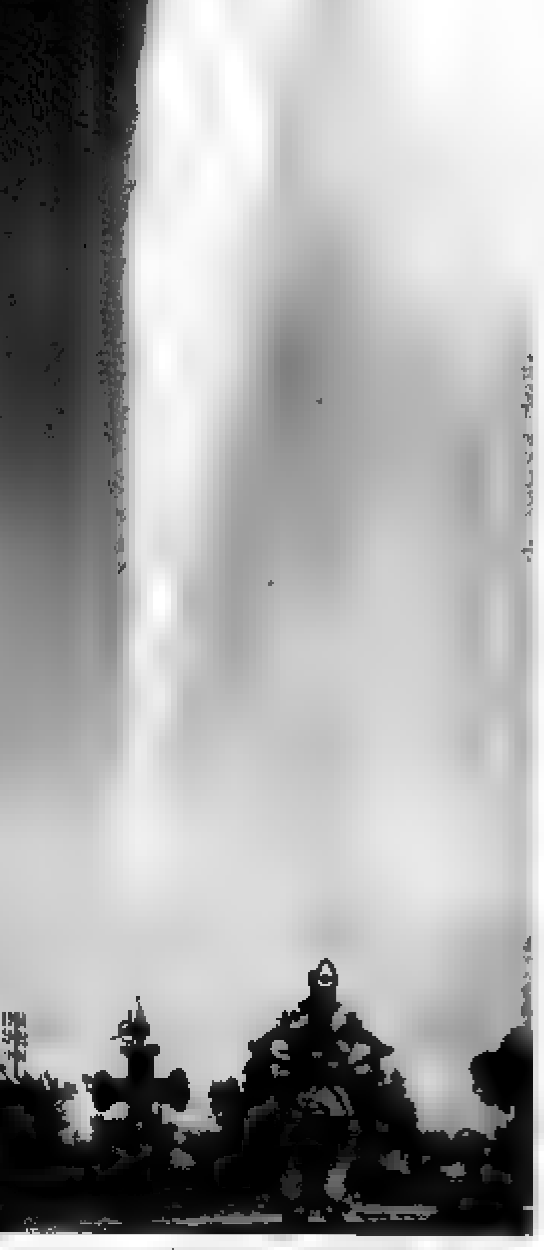
ومن الشرق جاءت هجرة ثانية اذ ضمت اليه ٣٠٠ اسرة من اهل القيروان، فخصص لهم الجانب الغربي من المدينة ، فعرف باسمهم « عدوة القرويين » .. وجلب القرويون معهم حذقهم ونجاربهم في التجارة .. كما جلب الأندلسيون مهارات وصناعات رفيعة ..

وهكذا كانت فاس في نشأتها ، مدينتين في مدينة واحدة ، امتزجت عناصرهما مع الأيام ، فنشأت فاس الحالية التي تضم في وسطها ضريح مؤسسها الذي يتبرك به ابناء البلد .. وابناء الجبال .. والأرياف .

والى جانب هذا الضريح الفخم الجميل يرتفع العديد من الأماكن الأثرية والتاريخية ذات الهندسة المغربية الأندلسية الرائعة التي ترجع الى عهد بني مرين ، وهو عهد فاس الذهبي ، وفي مقدمة هذه الآثار تقف مدرسة بوعنان .. ومدرسة العطارين .. ومدرسة الشراطين .. ودار المخزن .. وغيرها ..

جـامع القرويين

أما جامع القرويين الذي بنته « فاطمة ومريم » كريمتا محمد بن عبد الله الفهري القيرواني عام ٢٤٥ هـ ـ ٨٥٩ م . فهو تحفة وآية من آيات الفن المغربي ، لقد ارتبط تاريخ هذا الجامع ارتباطا وثيقا بتاريخ المغرب كله ، وتخرج منه ومن جامعته الوف العلماء ومئات القضاة وعشرات القواد والرؤساء ، من كل مرافق يتهدى به وشال يحتذى (لزيادة التفاصيل



[illegible] الماء [illegible] كيلومترات من فاس، [illegible] على توسيع الطبيعة [illegible]



انظر مقال « العربي » عن جامعة القرويين في العدد رقم ٥٩ — مايو ١٩٥٩ صفحة ٢٨) .

وتزخر مكتبة الجامعة بعشرات الالوف من الكتب، وتضم الكثير من تراث العرب المجهول القابع في الظلمات منذ عام ٢٧٠ هـ .

تراثنا المجيد الذي لم ير النور

وفي حديث مع الأستاذ العلامة محمد العابد الفاسي محافظ خزانة جامعة القرويين ، وهو يلم بكل كبيرة وصغيرة من هذه الخزانة ، قال لنا :

« في الخزانة الشيء الكثير من المخطوطات في كل شعب المعرفة من علوم اسلامية لدينية ، وعلوم رياضية ، ولغة ، وطب ، وهندسة ، وفلك ، وعلم حساب ، وجبر ، وفلسفة .

« وأقرب شيء تشتمل عليه هذه الخزانة هو كتاب ضخم بخط اندلسي لمؤلفه احمد بن امام



مدخل المبنى الجديد لجامعة القرويين وتضـــــم ٦ آلاف طـــــالب .

سماه : « السماء والعالم » تكلم فيه من الناحية الفلسفية عن كل شيء من اكبر الافلاك الى صغر الاشياء .. وهذا الكتاب أول من تحدث عنه المقريزي في كتابه « نفح الطيب » وذكر انه شاهده بخزانة القرويين .

« وعندنا مخطوط لابي بكر بن طفيل الفيلسوف المشهور ، ولكن الشيء غير المعروف عنه ، هو تأليفه في الطبيعيات ، وقد وجدت كتابه هذا بخط يده على عينه ٧ مقالات

« وعندنا أعظم انتاج كتبه ابن رشد الفيلسوف، وهو تعليقاته وشروحه لكتب أرسطو ، ومنها كتاب الاخلاق ، وشروحه وتعليقاته على كتاب علم النفس لتامستيوس اليوناني .

« وعندنا مخطوط العروض لصاعد الاندلسي البغدادي أصلا ، وهو من انفس الكتب التي لم تعرف ، وقد زعم بعض المؤرخين ان هذا الكتاب غرق وضاع ولم يبق له اثر ، بينما هو موجود في خزانتنا منذ القرن العاشر الهجري !

« ويوجد عندنا نسخة من تاريخ ابن خلدون ، وهي النسخة التي وهبها ابن خلدون بنفسه هدية الى خزانة القرويين .. ان النسخ التي طبعت من هذا الكتاب أكثرها محرف لم ينشر على الطريقة العلمية الصحيحة » .

انشروا هذه المخطوطات

ويستطرد الأستاذ محمد الفاسي كلامه بقوله :

« وبالجملة فنوادر الخزانة شيء عظيم جدا ، وقد انتهيت من كتابة ستة مجلدات كاملة عن مخطوطات القرويين، اتبعت فيها الطريقة الحديثة، فذكرت اهم النقاط التي اشتمل عليها الكتاب زيادة عن التعريف بالكاتب والناسخ

« ان امنيتنا هي ان تنشر هذه المخطوطات على طريقة علمية حديثة ، حتى يعرف المسلمون والعرب مقدار ما كان لاجدادهم وآبائهم من اسرار العلم ، فيبحثوا بمجهودهم في ابحث و معرفته »



في هذه الغرفة ، التابعة لقسم الهندسة ببلدية فاس ، يقوم الشباب الفاسي بوضع اللمسات الأخيرة في مشروع « الإبرة » الأولى التي ستعطى للمدينة القديمة . وفي الصورة يظهر السيد عثمان الادريسي الذي يلم بكل كبيرة وصغيرة في فاس والمسئول عن السياحة والارشاد فيها ، يتحدث مع المهندس الشيتا الذي يتولى الاشراف على المشروع من الوجهة الهندسية ..

سحر وخيبة امل

ويقول امين الخزانة متحسرا

« ومن المؤسف ان المخطوطات العربية لا يزورها احد الا نادرا .. وقل فيهم من يخصص وقته للبحث والاستقراء .. بينما تجد الطوائف الاوروبية والمستشرقين من المان وانجليز وامريكان يأتون بكثرة .. فمثلا زارنا الدكتور شاخت Schacht الالماني المتخصص في الفقه والوثائق و [illegible] .. فمكث شهرا كاملا بالخزانة يبحث ويدقق في مخطوطاتها وكتبها

« وللأسف لا يوجد تعاون مثمر بين البلدان العربية

« لقد اخذ فرع الجامعة العربية عدة صور من كتب ثمينة ، ولكن ما زالت موجودة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، ونرجو ان يكون بعض الناس قد اطلع عليها

« انه من المؤسف ان يكون هذا التراث العظيم منسيا مطمورا في زوايا الاهمال »

ويخرج الانسان من عند امين خزانة القرويين ، وقد استبد به الشوق الى ان يرى اليوم الذي تصبح فيه هذه المخطوطات المكومة على رفوف التراث في متناول ابناء الوطن العربي .»

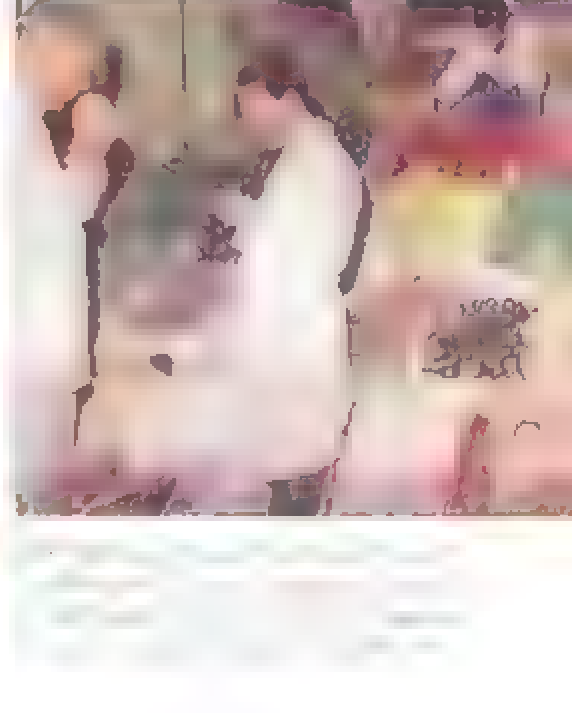
دعاء غير مستجاب

وستحملك رجلاك لتسير قليلا في هذا التيه من الأزقة والحواري التي تحيط بخزانة القرويين ، وتظل سائرا ، فتخال نفسك قد وصلت الى بوابة من البوابات الثماني المؤدية الى المدينة الحديثة ، ولكنك لا تلبث ان تجد نفسك وقد عدت الى نفس المكان الذي بدأت منه !!

وتشعر بالم في قدميك من فرط دورانك ، وتدعو الله ان يمن عليك باية وسيلة للمواصلات ، ولكن الامل معدوم لتحقيق هذا الدعاء .. فتضطر للسير سائلا عن باب الخروج ، وما تكاد تصل اليه ، بعد شق الأنفس ، حتى تهالك داخل سيارة للاجرة لتنقلك الى فندقك بالمدينة الحديثة .

ان اغلب اهل فاس القديمة قد سئموا هذا اللف والدوران ، فتجدهم يحلمون بحياة عصرية حديثة تتوفر لهم فيها المتنزهات ، والطرق ، والسيارات .. واحست البلدية بالامهم ، ولكنه ليس من اليسير اعادة تنظيم وتخطيط مدينة تتلاصق مبانيها وتتشابك وتعج بالسكان عجا ..







أربع إبر لإنقاذ فاس

وبعد دراسات طويلة اتخذ قرار بإجراء جراحة، الا تقرر حقن مدينة فاس القديمة بأربع ابر تتسرب اليها من أربعة أماكن مختلفة وهذه الابر هي طرق بريطسوف تمتد الى قلب المدينة لتتلاقى فيه ..

ونترك الحديث عن هذا المشروع ، الذي بدأ تنفيذه الفعلي ، الى « اشنا » المهندس المسؤول ، قال :

« [illegible] دراسة هذا المشروع [illegible] مدينة فاس في [illegible]

« [illegible] مشروع [illegible] مدينة [illegible] [illegible] لقد [illegible] بعد الاستقلال [illegible] الحركة ، لأن الحياة فيها [illegible] لهذا وجب علينا انقاذ المدينة واعادة [illegible] اليها [illegible] كل [illegible] مع [illegible] العصر

« وهذا [illegible] ، [illegible] ، والحدائق ، والاسواق [illegible] »

أكثر من الصين !

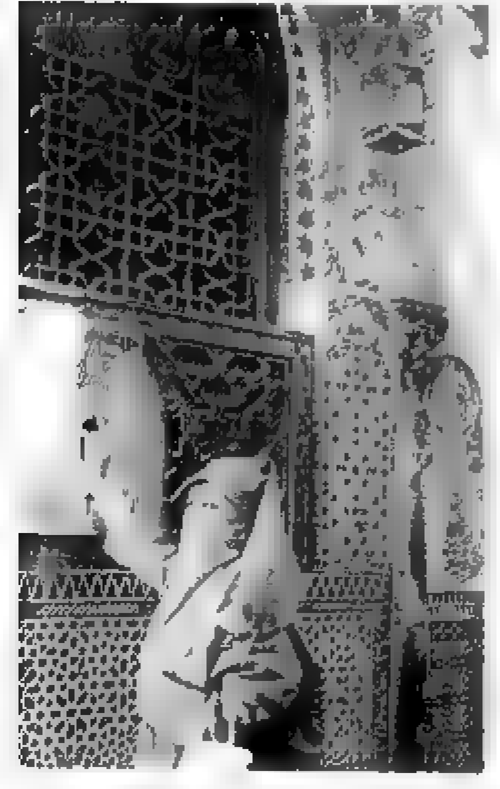
واستطرد السيد المهندس يقول :

[illegible] مساحة المناطق القديمة بالسكان فداخل أحد المنازل ، التي لا تزيد مساحتها على [illegible] [illegible] فرق بعض ، وهذا شيء غير معقول ولا مثيل له في العالم »

« ان كثافة السكان هي ١٥٠٠ نسمة في الهكتار الواحد .. ونسبة الزيادة في عددهم تصل الى ٩ في المائة [illegible]

« [illegible] مهمة [illegible] [illegible] مشكلة [illegible] مدينة [illegible] [illegible] ٥٦ [illegible] الى [illegible] والحافلات دفعة واحدة فهذا أمر مستحيل لانه يقتضي تغيير تيار الحياة في المدينة

[illegible] وسيلة هي مد أربع طرق من أطراف المدينة الى [illegible] يبدأ مد طريق منها بطول [illegible] كيف [illegible] وكم من الدور [illegible] !



في [illegible] فاس القديمة بجوار ضريح مولاي ادريس [illegible] خرجه [illegible] القاهرة في [illegible] بعضهم بالشرفات التي يجود بها ..

● وبعد البحث وجدنا ضالتنا في وادي بوخراب الذي تحمل مياهه نفايات المدينة ، انه يشطر المدينة الى شطرين بعرض ١٥ مترا وطول ١٦٠٠ متر ، ولقد قررنا تغطيته بطبقة من الاسمنت المسلح بحيث ينقلب الى طريق جديد تستطيع السيارات والعاقلات ان تسير عليه ، ويكون شريانا جديدا للمدينة تتصل به الحواري والازقة الموجودة على جانبيه ، ومن اسفله يتابع النهر جريانه أي أننا سنقيم جسرا طوله ١٦٠٠ متر فوق النهر

● وسيتطلب عمل هذا المشروع هدم ٣٠٠ من المنازل فقط ، منها ٧٠ منزلا مهجورة ، و ابنيه



من أعالي الصحراء ، ومن أعالي الجبال ، صرع الناس ليطوفوا الناس لمولاي ادريس ، وحول الضريح أجمع عدد كبير من باعة الشموع الملونة.

للسقوط ، وبقية المنازل بين متوسط في القدم وحديث

● ولقد شرعت البلدية في نزع ملكيتها .. »

تكاليف الابرة ١٠ ملايين درهم

● ويتابع المهندس أشنا كلامه بقوله :

● وسوف يخصص هذا الطريق لمرور العاقلات وسيارات الاجرة فقط .. أما السيارات الخاصة فلن يسمح لها بالمرور عليه ، منعا للزحام .
كما ستقام على جانبيه الحدائق والميادين والمتاجر وبعد الانتهاء من مد هذا الشارع سوف تظهر معالم مدفونة في فاس لم يشهد جمالها احد من قبل ، مثل مسجد الرصيف ، وهو اجمل مسجد في المدينة ، وكان مهجورا لاستحالة الوصول اليه ، وكذلك سوف يظهر مسجد سيدي عبد القادر الفاسي ، واحد الحمامات القديمة الجميلة وغيرها من معالم فاس المجهولة

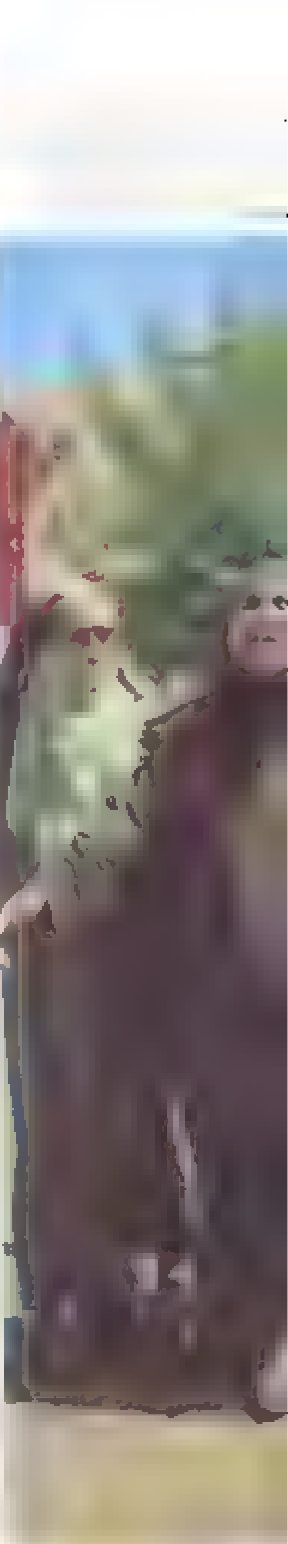
● انها اول ابرة سوف نعطيها لفاس القديمة ونأمل بها ان ننقذ المدينة ونعيد الحياة اليها ، وستبلغ تكاليف هذه « الابرة » ١٠ ملايين درهم (١٢ ١/٣ درهم = جنيها استرلينيا) .

ومن المشاكل الكبرى التي تعانيها فاس ، مشكلة الزيادة الكبيرة في عدد السكان الذين سيتضاعفون خلال العشر السنوات القادمة ، فقد كان عددهم ٢١٦ الفا في عام ١٩٦٠ ، واليوم يقدرونهم بنحو ٢٥٠ الى ٣٠٠ الف .. وهذه الزيادة الكبيرة ناجمة عن زيادة نسبة المواليد ، كما بينا ، ومن الهجرة الجماعية التي عرفتها فاس ، والتي من الجبال والارياف ، وبسببها كان هذا العديد من دور الصفيح التي تحيط بالمدينة .. وقد عمدت البلدية الى بناء قرية نموذجية لتدفع جزءا من تيار هذه الهجرة عن مدينة فاس.

سبب التسمية : فاس

واختلف الناس في ذكر السبب الذي من





أجله سميت المدينة بمدينة فاس ، فيقول صاحب **الاستبصار في عجائب الأمصار** : ان ادريس رضي الله عنه ، لما شرع في بنائها كان يعمل فيها بيديه مع الصناع والفعلة والبنائين ، تواضعا منه لله تعالى ، ورغبة في الأجر والثواب ، فصنع له بعض خدمه فأسا من ذهب وفضة ، فكان رضي الله عنه يمسكها بيده ويبتدئ العمل ، ويخط بها الاساسات للفعلة ، فكثر عند ذلك ذكر الفاس على ألسنتهم ، فكانوا يقولون : هاتوا الفاس ، خذوا الفاس ، احفروا بالفاس ، فسميت مدينة فاس لأجل ذلك .. !

ويقول صاحب **روض القرطاس** : « لما شرع في حفر أساسها وجد في الحفر فاس كبيرة وزنه ٦٠ رطلا فسميت المدينة بها وأضيفت اليها » .

ويتابع صاحب **روض القرطاس** كلامه بقوله : « وقيل انه لما بنيت المدينة قيل لادريس رضي الله عنه : كيف تسميها ؟ قال : سموها باسم المدينة التي كانت قبلها في موضعها الذي حدثني الراهب انه كان هنا مدينة أزلية من بنيان الأوائل ، فخربت قبل الاسلام بألف وسبعمائة سنة ، وكان اسمها ساف ، ولكن اقلبوا اسمها الأول فسموه فاس ، فسميت مدينة فاس ، وهذا أصح ما ذكر في تسميتها والله أعلم » .

التعليم مختلط

وكتاب « روض القرطاس » هو أحسن ما كتب في تاريخ فاس ، واليه يرجع المؤرخون والكتاب وحتى الأساتذة والطلبة ..

وقد أصبح التعليم مغايرا للتعليم في سابق الأيام ، حتى جامعة القرويين أصبح طلبتها ، وعددهم ٦ آلاف ، يتعلمون اللغات الأجنبية الى جانب العربية .

أما مجموع عدد الطلبة في جميع مدارس فاس فيبلغ ٤٢٢٨٠ طالبا منهم ١٢٥٥٠ طالبا في المدارس الثانوية الحكومية والحرة .. ويبلغ عدد المدارس في مدينة فاس ٧٩ مدرسة بين ثانوية وابتدائية ، والكثير منها يجرى فيه التعليم مختلطا ..



● مدرسة العطارين ، المدرسة [illegible] في [illegible] فاس ، التي [illegible] فيها من [illegible] الطلبة [illegible]



[illegible] انه [illegible] [illegible] تعمل على قراءة [illegible] في [illegible] الصنائع [illegible] في المدرسة



امام العصورة ربيبية في احتفالات النساء [illegible] هذه الصورة لمجموعة من [illegible] ـ الوصيفات ـ و [illegible] الزوج [illegible] العقف ، وتتمسك بعادات وتقاليد تعود الى عهود الموحدين و المرينيين .

فاس لا تنظر الى الوراء

لقد قال بعض الكتاب عن فاس انها مدينة تلتفت الى عهود الموحدين والمرينيين اكثر مما تلتفت او تهتم ببركات المدينة الحديثة .. وهذا قول خاطيء لان فاس اليوم اصبحت تحلم باليوم الذي يتهيأ فيه لكل فرد من ابنائها حياة كريمة تليق بمتطلبات القرن العشرين .

حقيقة ان الاحداث التي مرت على المغرب في النصف الاول من القرن العشرين لم تكن ابدا في صالح فاس.. ولكن الامل واضح وكبير في ان النصف الثاني من هذا القرن سيشهد ، او بدا يشهد ، عهدا جديدا سيعيد الى فاس مجدها القديم ، لتقوم بدورها في رفعة الوطن وتقدمه .

سليم زبال



واختلف الأطباء

وفي اختلافهم رحمة !

بقلم : حسن الجداوي
المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ في عام ١٨٢٧ كان توماس سميثهرست في الثالثة والعشرين من عمره ، وكان لا يزال طالبا يدرس الكيمياء في مستشفى وستمنستر . ولقد تعرف بسيدة تدعى ماري ديرهام في الثالثة والاربعين من عمرها لعاشر رجلا اسمه جونسون معاشرة الأزواج ، وهي والدة لشاب في الواحدة والعشرين من عمره – أي في مثل سن توماس – يحمل اسم لابورت . أي انها امرأة ذات ماض .

وليس غريبا ان يقع شاب في الثالثة والعشرين من عمره في غرام سيدة تكبره بعشرين عاما اذا كانت كما هي الحال في السيدة ديرهام محتفظة بجمالها وانوثتها . ولكن الغريب ان يمضي ذلك الشاب في الزواج من تلك السيدة متناسيا انه بعد عشرين او ثلاثين سنة من الزواج سيظل في عنفوان رجولته في الاربعين او الخمسين من عمره بينما تكون هي قد بلغت الستين او السبعين من عمرها وقضت الاعوام على جمالها .

ولكن الحب اعمى كما يقولون واندفع توماس تحت تأثيره وتزوج .

ومضت حياتهما الزوجية سعيدة هادئة . أتم توماس دراسته وحصل على شهادة طبيب جراح ، وافتتح عيادة طبية طوال تسع سنوات . ولكنه لم يكن راضيا عن عمله . ذلك انه اكتشف – كما قال في كتاب نشره فيما بعد – وجود طريقة افضل من الادوية لاعادة الصحة للمرضى تلك هي طريقة العلاج بالحمامات .

★ ★ ★

وفي اندفاع الشباب باندفاعه في الزواج من امرأة في ضعف عمره ، اغلق عيادته وباع محتوياتها ، وسافر الى المانيا ليدرس طريقة العلاج بالحمامات في احدى جامعاتها . ثم عاد الى انجلترا يحمل لقب « دكتور باطني » ، وافتتح مؤسسة علاجية راجت رواجا كبيرا ، واقبل عليه المرضى من جميع الاوساط وكان يتقاضى منهم اجورا مجزية ، مكنته بعد اربعة عشر عاما من ان يتقاعد اكتفاء بايراد ثابت قدره ٢٤٠ جنيها سنويا ، وهو ايراد محترم في تلك الايام .

وكان هذا التصرف من جانبه اندفاعا من اندفاعاته التي لا يستطيع التحكم فيها . وربما كان ما حمله على هذا انه – ككل رجل ناجح – لم يخل من خصوم . كان كل خصومه جميعا الاطباء

بريشة احمد الورنجي

الذين يتبعون الطريقة الكلاسيكية في العلاج، والذين كانوا يعتقدون ان شهادة طب صادرة من جامعة ألمانية لا يمكن ان ترقى الى مستوى شهادات الجامعات الانجليزية . وكان بعض الناس يتهمونه بالدجل . وقامت بينه وبين قس اسمه جوليوس مناوشات على صفحات الجريدة المحلية، اذ انكر عليه القس جوليوس انه طبيب . وكان صاحبنا يستطيع ان يتجاهل ذلك كله، لان المرضى الكثيرين الذين عالجهم كانوا يثقون به ويتولون الدفاع عنه .

★ ★ ★

وكان صاحبنا مندفع بطبعه كما قلنا ، وما دام يستطيع ان يعيش من ايراده الثابت ، فليغلق مؤسسته ويترك المدينة ويطوف بالقارة الاوروبية . وهكذا فعل . طاف بكثير من مدن المانيا ، ثم استقر فترة في باريس ، ثم عاوده الحنين الى وطنه فاستقر وزوجته في حي « بايز ووتر » بلندن في « بنسيون » صاحباه ونزلاؤه جميعاً من كبار السن .

وحدث ما كان لا بد ان يحدث . انه في عنفوان شبابه عاطل لا يدري كيف يمضي وقته . والحديث مع نزلاء ونزيلات البنسيون - وكلهم في السبعين او جاوزوها - ليس مما يشرح القلب . وقد بدأت امراض كبر السن على زوجته فاخذت تلازم الفراش في فترات متقاربة ، واصبح كل همه ان يسهر عليها اثناء مرضها .

وهكذا بدأ توماس يكره حي « بايز ووتر » ، ويكره حياة البنسيون القاتمة ، ويكره كل ما يحيط به . الا انه - على الرغم من ذلك كله - ظل مقيما على حبه لزوجته .

★ ★ ★

وذات يوم اقبلت على البنسيون نزيلة جديدة في اوسط العمر . وشاء حسن حظ توماس - او سوؤه - ان صاحبة البنسيون طلبت من توماس وزوجته ان تشاركهما النزيلة الجديدة مائدتهما لقلة الاماكن . كان اسمها ايزابيلا ماتكس . وكانت زهرة متفتحة في وسط العجائز اللائي يحطن به - وساد التفاهم بينها وبين توماس منذ اللحظة الاولى لتعارفهما . لقد اقبلت عليه بكل ما تحمله .

وقد يرى الذين يتمسكون بالتقاليد انه كان يجب عليه ان يصدها ويوقفها عند حدها ، لانه متزوج ، المسيح يعني الاخلاص لزوجته .

وكان الجوع الجنسي الذي عانى منه سنوات طويلة ، وعدم وجود عمل له يشغل الفراغ الذي يعيش فيه ، جعل مخزون رجولته المكبوتة يطفو فجأة .. وجاءت تلك السيدة في بنسيونها التي صادفت هوى في نفسه .

واصبح الانفراد بيلا - فقد اصبح يدعوها باسم الدلع (التدليل) لايزابيلا - يحدث كثيرا على مائدة الطعام . اذ كانت زوجته - بسبب تقدم سنها وكثرة معاودة المرض لها - كثيرا ما كانت تبقى بغرفتها ولا تنزل الى غرفة الطعام . وهكذا نمت العلاقة بينهما . اذا جلسا في غرفة الاستقبال اختارا مقعدا بدلا من كرسيين ، وكثيرا ما تلامست اصابعهما او تشابكت ايديهما في غفلة من الآخرين .

ولم يكن قول الراهقين هذا ليقنع « ايزابيلا » ولا كان توماس من جانبه يعارض ، ولكن الحياة في البنسيون تحول دون تحقيق رغبتهما المشتركة . فلم تكن لتصرفهما - وان حاولا اخفاءها - على النزيلات . وبدأت صاحبة البنسيون ترمقهما بنظرات الاستهجان ، وتضيق عليهما الخناق ، كما بدأت الزوجة تعترض على ارتفاع الكلفة بينه وبين ايزابيلا .

لذلك فكرا في ان يتقابلا خارج البنسيون ، واختارا حدائق « كنسنجتون » حيث كان الحديث يجري بينهما في حرية لا يعوقها عائق ، ومنزل لا تلحقه اليه العيون . واتسع المجال امام بيلا لتحقيق مطالبها ، فروت له ان اثنين من اقاربها عقدا فيما بينهما زواجا سريا مكنهما من ان يعيشا معا بطريقة محترمة ولمدى مستريح .

وتولت صاحبة البنسيون دفع العلاقة بين توماس وبيلا الى النتيجة التي كانا يتوقان اليها دون ان يجرؤ هو على تحقيقها . فقد استدعت بيلا ولامتها بشدة على تصرفها « الفاضح » مع الدكتور توماس ، وطلبت اليها ان تبحث لها عن بنسيون آخر لان هذا البنسيون ظل محترما ويجب ان يبقى محترما ..

وانتقلت بيلا الى بنسيون آخر . وفيه اصبحا يلتقيان بعيدا عن نظرات العزال . وكان الحديث يدور دائما حول موضوع الزواج السري . وكانت بيلا هي التي تبدأ الحديث . وكان توماس يحس انه ليس من اللائق ان يأتي الحديث من جانبها . ولكن فكرة الزواج السري راقت له ووجدها بلته

سيحيل ذلك الزواج السري الى زواج علني بمجرد وفاة زوجته ـ وهو امر كان قريب الاحتمال ، اذ كانت زوجته في الرابعة والسبعين .

وتقدم بطلب تصريح بالزواج . وكانت صدمة له ان طلب منه الموثق ان يوقع اقرارا يقسم فيه على انه اعزب . وكاد يجن . ولكن لم يعد له في الامر حيلة . أكان في مقدوره ان يعود الى بيلا ليقول لها انه عدل بسبب احجامه عن توقيع ذلك الاقرار ؟ فوقع وحصل على التصريح بالزواج وعقدا قرانهما امام احد القسس .

وترك زوجته دون ان يفضي اليها بشيء . ولكنه ظل يشعر نحوها بالوفاء ، فهو ، لم يتركها الا بسبب تقدمها في السن وهو امر لا ذنب لها فيه ، فكلف اخاه جيمس بان يزورها ويشرح لها انها لا تزال في ذكراه ، وانه سيستمر في دفع اجور البنسيون لها ، ويزورها من وقت لآخر ، ويكتب لها اسبوعيا ، ولكنه يرجوها ان لا تبحث عنه ولا تسأل عما يعمل ، لانه قرر ان يعود الى التطواف بانحاء البلاد . واعتقد ان تكفله بمعاش زوجته والابقاء العطف عليها هو اقصى ما يمكن مطالبته به . وبذلك ارتاح ضميره واستقر وزوجته الجديدة في شقة مفروشة بحي « ريتشموند » بلندن سعيدين مرتاحي البال .

* * *

ولكن سعادتهما لم يطل امدها . لقد بدأت بيلا تختلط بجيرانها ، وتتعرف الى اسر محترمة ، فهذا الخوف يتسرب الى نفسها ، وخشيت ان تنكشف حقيقة علاقتهما . كما بدأ توماس يشعر بالقلق والخوف من الاقرار المزور الذي وقعه واليمين الباطلة التي اقسمها ، ويوجس خيفة من ان ينتهي به القانون اليه بسبب زواجه غير المشروع الذي يعرضه لو انكشف ـ للمحاكمة الجنائية . فاتفقا مع صديق ـ هو الانسان الوحيد الذي اطلعاه على سرهما ـ ان يضعا عنوانه على مراسلاتهما . وصار توماس يقطع المسافة بين مسكنهما ومنزل ذلك الصديق ، كلما اراد ارسال خطاب او تسلم خطاب ليتجنب ان يضع ختم مكتب بريد « ريتشموند » على خطاباته ليضمن ان لا يكتشف احد مقرهما .

وامضيا اربعة اشهر بين القلق والانشغال . ثم مرضت بيلا . كانت اعراض مرضها مصحوبة بقيء واسهال . ولكن تلك الاعراض لم تكن جديدة عليها لقد كانت كثيرا ما تظهر عليها تلك الاعراض اذا ركبت عربة . وكم من مرة غادرت غرفة الطعام في البنسيون السابق . فمرضها الجديد اذا هو مرضها السابق .

وحاول توماس علاجها بطريقته ولكن صحتها لم تتحسن بل اخذت على العكس في التدهور . عند ذلك لم يجد توماس بدا من ان يتنازل عن مبادئه ولجأ ـ على كره منه ـ الى طريقة العلاج الكلاسيكية . استفسر من صاحبة البنسيون عن اسم احسن طبيب في ريتشموند فذكرت له اسم الدكتور « جوليوس » .

لم يكن الاسم من الاسماء الشائعة ، ومع ذلك لم يخطر على بال توماس ان يقرن بينه وبين غريمه السابق القس جوليوس . فقصده وشرح له اعراض مرض زوجته الحالي والسابق وطلب منه ان يعودها . وجاء الدكتور جوليوس وفحص المريضة واظهر ـ منذ البداية ـ روحا عدائية نحو توماس الذي لم يدرك ـ الا بعد فوات الاوان ـ ان هذا الدكتور هو شقيق غريمه السابق ، وانه كان يعلم بان توماس قد هجر زوجته .

وشخص الدكتور جوليوس الحالة على انها التهاب معوي .. ثم اخذ يتحدث عن الدوسنطاريا .. ثم ما لبث ان احتفظ بارائه لنفسه ، واخذ يعترض كلما حاول توماس ان يشير بشيء عن طريقة العلاج . ولما ازدادت حالة بيلا سوءا اقترح توماس استدعاء عدد من الاطباء لعمل « كونسولتو » ، ولكن الدكتور جوليوس رأى دعوة شريكه الدكتور بيرد الذي درس على يد العالم الكبير « تود » . فلما لم تتحسن صحة بيلا دعي الدكتور تود نفسه الذي كشف على المريضة ، وبدت عليه مظاهر تفكير عميق ، ولكنه لم يقل شيئا امام الزوج ، واشار باخذ عينات من افرازات المريضة لتحليلها في مستشفى جاي بمعرفة كبير المحللين الدكتور تايلور .

* * *

وطوال مرض بيلا كان توماس هو الذي يعنى بها فقد اكتسب خبرة طويلة في التمريض لطول عنايته بزوجته ماري . كان يعد لها الطعام بيديه ويناولها الدواء في اوقاته . ولم تقابل احدا الا الاطباء ، وفي بعض الاحيان صاحبة البنسيون . وكان يلح عليها في ان تتغذى ولكن معدتها كانت لا تحتفظ باي طعام . فهزلت وضعفت وانزعج

من تدهور صحتها فرأى انه لا يستطيع المحافظة على السرية وانه لا بد له من اخطار اسرتها .

كتب الى اختها لويزا يطلب منها الحضور . وقدر ان لويزا سوف تسأل عن الآنسة ماكنس لانها لم تكن تعرف ان اختها متزوجة . وصاحبة البنسيون لا تعرف بين نزيلاتها واحدة بهذا الاسم ، لذلك طلب الى لويزا ان تحضر الى العنوان الذي ذكره لها وتسأل عن « الدكتور سميثورست وحرمه » وارجا شرح التفاصيل لحين حضور لويزا .

وجاءت لويزا على الفور فوجدت اختها في اسوأ حالة . وزاد من سوء حالة بيللا انها اخذت تشرح لاختها موضوع زواجها وتطالبها بالاحتفاظ بسرهما . فلما اشارت لويزا الى ان لهما قريبا طبيبا يأتونه بالعم لين واقترحت دعوته لعيادة بيللا ، رفض توماس لعدم رغبته في الاخذ بالرأي لشخص آخر ولانه خشي على صحة بيللا . وذكره للدكتور جوليوس ان صحة بيللا ساءت بعد زيارة اختها لها ، فقال الدكتور جوليوس عرضا انه يحسن منع الزيارات . فكتب الى اختها يقول لها ان الدكتور امر بمنع الزيارة .

واحست بيللا بدنو اجلها وقالت له ان مرضها هو نفس المرض الذي قضى والدتها نحبه به .. واخذ توماس يسفه لها هذا الوهم ويؤكد لها انها ستشفى ، ولكنها اصرت على ان تكتب وصيتها ، وقالت انه الصديق الوحيد لها ، وانها تحترم ارادة كل ما تملك له .. وكان كل ما تملك حصة قيمتها خمسة آلاف جنيه ، تأخذ ريعها طوال حياتها ، ومبلغ ١٨٠٠ النصف . واقنع عليها توماس ان تترك ثروتها لاختها لان لديه من ايراده الخاص ما يكفيه ولكنها اصرت . فرجاها ان تؤجل كتابة الوصية حتى تشفى ولكنها رفضت . فاستدعى موثقا وكان لا بد لهما ان يذكرا للموثق انهما غير متزوجين فكتبت الوصية التي منحت فيها بيللا صديقها العزيز الدكتور توماس سميثورست كل ثروتها ، ووقعتها باسم الآنسة ازابيللا بانكس .

★ ★ ★

وفي الغد ـ وتوماس في طريقه لالقاء خطاب بالبريد ـ اعترضه ضابط بوليس وابلغه ان لديه امرا بالقبض عليه بتهمة دس السم لزوجته ازابيللا . واقتاده الى نقطة البوليس وهو في دوامة لا يدرك كنهها . ان بيللا ـ بيللا الحبيبة ـ مريضة في سريرها وقد تكون في حالة احتضار ، وما من احد سواه يعد لها الطعام او يناولها الدواء ، ومع ذلك فهو متهم بانه دس لها السم ؟ كيف امكن ان يخطر ذلك على بال انسان ؟!

وسرعان ما وجد نفسه امام قاضي البوليس والدكتور جوليوس يدلي بشهادة يقول فيها انه قد عثر على السم : « زرنيخ » في افرازات بيللا . ولم يستطع توماس ان يصدق ذلك ، ولكنه لم يكن يفكر في نفسه في تلك اللحظة ، بل في مصير بيللا . فصرخ في وجه الدكتور جوليوس وقال له انه سيكون مسئولا عن موتها لانها بمفردها دون طعام او دواء ، ثم اخذ يستعطف القاضي ان يتركه يذهب الى بيللا . وحدث ما لم يكن متوقعا فعطف عليه القاضي ، واخلى سبيله بضمانة شخصية ، فاسرع الى بيللا ووجدها في حالة قلق شديد ، واخذت تعتب عليه ان تركها طوال ثلاث ساعات ونصف . ولم يذكر لها ما حدث له خشية ازعاجها .

وامضت بيللا ليلة مرهقة بينما امضى هو ليلته التفكير في التهمة الملفقة الموجهة اليه وفيما سيكون مصير بيللا اذا هو دعي مرة اخرى للتحقيق ولم يفرج عنه . وهداه تفكيره الى ان يستنجد بلويزا ، فكتب لها خطابا يطلب منها الحضور واستدعى ممرضة لتسهر على بيللا . وعندما حضرت لويزا وجدت اختها تحتضر وماتت في يومها .

واعيد القبض على توماس .

★ ★ ★

وامام محكمة البوليس استمع توماس في دهشة الى شهادة الدكتور تيلور ـ كبير محللي مستشفى جاي والخبير الاول في السميات ـ فاذا بها شهادة قاطعة .. قاتلة . كان البوليس يسعى لاثبات وجود زرنيخ في حوزة المتهم ، لذلك فتش مسكنه وجمع كل ما فيه من زجاجات ارسلت للتحليل . وشهد تيلور انه حلل محتويات الزجاجة رقم ٢١ فوجد انه سائل شبيه طبول ولا رائحة له ، ولكنه لم يجد به زرنيخا . واستنتج ان الزرنيخ لا بد انه ممزوج بمادة تجعله لا يتفاعل عند اجراء التجارب . ووجد ان هذا السائل مكون في غالبيته من كلورات البوتاسيوم ، ٧ حبات كلورات مقابل حبة زرنيخ ، فمرره عن شبكة من النحاس واستنتج من تفاعله وجود حبة الزرنيخ المذكورة . وقال ان تعاطي كميات قليلة من هذا السائل

يحدث القيء والاسهال الذي اذا استمر طويلا يؤدي الى التهابات في المعدة والمصارين .. تنتهي بموت مطرد .

ما هذا التحريف ؟ لقد كان تومالي يشكو من رائحة كريهة في فمه ، فاستشار طبيب اسنان اشار عليه باستعمال كلورات البوتاسيوم لتسييل الفم . وكان هو الوحيد الذي يستعمله بينما بيللا لم تستعمله قط . فاذا كان السائل يحوي زرنيخا فكيف لم تظهر عليه هو اعراض التسمم او لم يمت ؟

ومثل تومالي امام المحكمة هارولد بيليه. ووقف محامي الاتهام يشرح الدعوى من وجهة نظره باسلوب واضح .. مقنع .

قال ان المتهم الذي شباكه على القتيلة وتظاهر لها بالحب ليخضعها لسلطانه ثم اخذ يدس لها السم ليستولي على اموالها .. لقد درس المتهم الطب والكيمياء ، فاستغل معلوماته وصار يدس لضحيته سما ممزوجا بمواد من شأنها ان تجعل الجسم يتخلص من اثار السم فلا يظهر في التحليل ويجعل اكتشافه صعبا .

واخذ ممثل الاتهام يتتبع تصرفات تومالي من وقت تعرفه الى بيللا ، ويفسر كل ما فعله تومالي مع بيللا او من اجلها على انه جزء من مؤامرة اعدها تومالي باتقان ونسج محكم للقضاء عليها . القرار السريعة والزواج غير المشروع . والاحتياطات التي اتخذت للمحافظة على السرية . واعداده الطعام لها بنفسه اثناء مرضها . وقيامه على خدمتها دون الاستعانة بممرضة حتى ساعاتها الاخيرة . ومنعه اختها من زيارتها . ورفضه استدعاء اكثر من طبيب واحد ، واخيرا - وليس آخرا - الوصية التي حرمت بمقتضاها اسرتها وتركت كل ثروتها له .

ثم ذلك الخطاب المرسل لزوجته الاولى والذي ضبط معه قبل ان يضعه في صندوق البريد . انه واحد من الخطابات الاسبوعية التي كان يرسلها بانتظام لزوجته كما وعدها . انه يقول لها فيه انه لم يذهب لزيارتها في الاسبوع السابق لانشغاله بحالة مريضة . لم يذكر من هي لانه يخفي عليها انه تزوج . ولانه لم يكن متأكدا انه سيستطيع زيارتها في الاسبوع المقبل - بسبب مرض بيللا - اشار الى احتمال حدوث ما ليس في الحسبان ، فهو لذلك يبعث لها بانجار البنيون عوضا للاسبوعين . وختم خطابه - كما كان يفعل دائما - بارسال تحياته الى اصحاب البنسيون والاصدقاء وتوكيد اخلاصه وحبه .

انه خطاب لا يختلف عن الخطابات التي ارسلها لماري - زوجته - منذ ثلاثين عاما - والتي لم ينسها وظل يذكرها بالكثير من العطف والحنان ويأسف لانه حرمها من الكثير مما كان يرغب فيه .. والذي اغدقته عليه بيللا ..

ولكن عبارات هذا الخطاب في مرافعة الاتهام انقلبت الى اصابع تشير اليه وتقبض عليه الخناق . امسك ممثل الاتهام بالخطاب وتلاه في بطء وهو يشدد على كل كلمة فيه ويتساءل « اهذا خطاب رجل هجر زوجته ليعيش مع امرأة اخرى بنية غير المتردد ؟ ام انه خطاب رجل يعلم ان المرأة التي يعيش معها لن تعيش طويلا ؛ ويعتزم - بعد ان تتضخم جيوبه بمالها - ان يعود الى زوجته الاولى التي هجرها مؤقتا ؟ » .

★ ★ ★

ثم دعا ممثل الاتهام احد عشر طبيبا شهدوا جميعا بان موت بيللا لا يمكن ان يعزى الا الى سم كان يعطى لها على فترات فيسبب لها دوسنتاريا حادة . صحيح ان الصفة التشريحية لم تؤد الى اكتشاف ذلك السم ولكن المسئول عن عدم ظهور السم هي كلورات البوتاسيوم (كذا) .

وظهرت في القضية مفاجأة بعد مفاجأة . كانت المفاجأة الاولى قول الطبيب الذي اجرى الصفة التشريحية ان بيللا كانت حاملا في شهر ونصف . ولم يكن الطبيب يعلق اي اهمية على هذا الخبر ، وانما ذكره من باب جعل تقريره مستوفيا . ولكن الامر لم يكن كذلك بالنسبة لتومالي . انه يعلم - وقد ذكر ذلك الدكتور جوليوس ان الحبلى لم ينقطع عنها قط . ومع ما توقعه قلب الخط ممثل الاتهام - والقاضي من بعده من هذا القول - دليلا لادانته .

وكانت المفاجأة الثانية اثناء شهادة الدكتور تيلور. قال انه موقن ان بيللا ماتت من اثر السم، ولكنه - للحقيقة - يعترف انه اخطأ حين ذكر امام البوليس ان الزجاجة رقم ٢١ كانت تحتوي زرنيخا . ويقرر ان الشهادة التي ادلى بها اذ ذاك كانت خاطئة . فقد اقسم اليمين امام محكمة البوليس ان الزجاجة كانت تحوي زرنيخا ؛

اى انه كان فى حيازة المتهم ئ زرنيخ ، ولكنه اكتشف — فيما بعد — ان التفاعل الذى حمله على الاعتقاد بوجود الزرنيخ نتج من استعماله شبكة غير نقية من النحاس كان يستعملها فى تجارب اخرى . والواقع الذى يقرره الآن انه لا وجود للزرنيخ لا فى تلك الزجاجة ولا فى اى شيء من متعلقات المتهم.

صحيح انه اكد مع ذلك العثور على كمية لا تذكر من الزرنيخ فى افرازات المتوفاة . ولكن ذلك فى تجربة اجراها الدكتور تيلور الذى اقر بخطئه ولكن ما قيمة ذلك الا ان من اخطأ مرة قد يخطئ مرتين .

★ ★ ★

وبدا توماس يشعر بالاطمئنان. وازداد اطمئنانا حين تقدم الدفاع بسبعة من اساطين الاطباء شهدوا جميعا انه لا الاعراض التى ظهرت على المتوفاة اثناء مرضها ، ولا نتيجة تشريح الجثة ، تتفق مع التسمم البطيء من الزرنيخ . وان مزج الزرنيخ بكلورات البوتاسيوم — ان صح ان ذلك قد حدث لا يؤدى الى اختفاء الزرنيخ وتخلص الجسم منه. واكدوا ان سبب الوفاة طبيعى . فالقيء والاسهال كثيرا ما يصاحبا الايام الاولى للحمل . وهناك حالات ادى فيها القيء الكثير الى الوفاة . فالحمل فى رأيهم من الاسباب التى ادت الى وفاة بيللا ويفسر الاعراض التى ظهرت عليها . وانه لا غرابة فى ان الحيض لم ينقطع عنها اثناء الحمل ، فالطب يعرف حالات كثيرة يستمر فيها الحيض اثناء الحمل . فلا محل لاستنكار توكيد توماس للدكتور جوليوس .

اطمأن توماس الى براءته . ان الاتهام كان مطورا فى توجيه التهمة اليه امام توكيد الدكتور تيلور بوجود الزرنيخ فى حيازة توماس . اما وقد عدل عن توكيده هذا ، وجاء هؤلاء الاطباء الذين لا يرقى الشك الى اقوالهم يؤكدون ان موت بيللا كان طبيعيا فلا شك ان المحلفين قد اقتنعوا وان المحاكمة لا يمكن ان تنتهى بغير اعلان براءته .

★ ★ ★

ولكن توماس كان يقدر.وكانت الاقدار تضحك.

لقد كان القاضى بولوك هو الذى يرأس الجلسة وكان قد بلغ السادسة والسبعين . والقاضى فى انجلترا لا يحال الى المعاش وانما هو الذى يتقاعد باختياره . وكان الكثيرون يعتقدون انه قد آن للقاضى بولوك ان يترك منصة القضاء . فهو عنيد فى آرائه . متصلب فى تفكيره . ومحب للتظاهر والظهور . يهوى الاستماع الى صوته وهو يتكلم . ولم يتطور مع الزمن .

وكان من سوء حظ توماس انه طلب من القاضى — فى بدء المحاكمة — ان يتنحى عن نظر القضية لصداقته الشخصية للدكتور تيلور . ولكن القاضى لم يقبل التنحى ، وغضب عليه الاستياء من هذا الطلب وقرر الاستمرار فى نظر القضية .

وشاء حظ توماس ان يمرض احد المحلفين فى ثانى يوم للمحاكمة فتأجلت القضية شهرا .وحين جاء عليها الدور لم يكن القاضى بولوك هو المفروض ان يرأس الجلسة ، ولكنه حضر خصيصا الى المحكمة ، واصر على ان يرأس الجلسة بنفسه .. ما من شك ان الدافع بالنسبة للقاضى كان شريفا ، ولكنه على كل حال— ومع شديد الاسف — اظهر تحاملا على المتهم لا يليق صدوره من قاض.

والقاضى الانجليزى يستمع الى اقوال الاتهام والدفاع واقوال الشهود ثم يلخص القضية للمحلفين . ومن النادر ان يخرج المحلفون فى قرارهم عن النتيجة التى تستخلص من تلخيص القاضى .

سلم القاضى فى تلخيصه ان بيللا ماتت بالسم برغم توكيد العدد الضخم من الاطباء ان موتها كان طبيعيا . ثم اظهر اعتقاده ان الباعث على القتل هو الرغبة فى الاستيلاء على اموال القتيلة .

ثم اخذ يترحم على القتيلة التى استدعى لها الوثق فى ساعاتها الاخيرة بغير حضور احد من اقاربها او قسيس ياخذ بيدها فى تلك الساعات الحرجة .. والتى تركت تنتقل الى العالم الآخر دون عزاء من رجل الدين كما لو كانت ملحدة .

واستبعد القاضى ان تكون بيللا هى التى طلبت ان تتزوج توماس زواجا سريا .

واستمر تلخيص القاضى لمدة ساعات وثلاثة ارباع الساعة . فاعتبر ان اجهاض بيللا بثروتها لتوماس باعث كاف للقتل لان مبلغ ١٨٠٠ يقبضها فى حالة وفاتها افضل من ٢٠٠٠ جنيه تستحقها — او تستحق ايرادها — طوال حياتها . وانه اذا كان هذا ليس بالباعث الكافى فان حمل بيللا — فى نظر القاضى — سواء صدق المتهم او لم يصدق فى

قوله ـ بلعت جديد . الا ماذا كان سيفعل بذلك الطفل الذي جاء ليعكر تدبيراته .

فتوماس اذا في تشخيص القاضي قاتل القتيلة واقام معها علاقة مؤقتة ليحملها على الابتعاد له بثروتها ثم يقتلها ويعود الى زوجته الاولى ـ كما يدل على ذلك الخطاب الذي وجد معه ـ ولكن حملها افسد عليه تدبيره فاصبح قتلها ضرورة مزدوجة .

ودافع توماس عن نفسه دفاعا طويلا فصمم في بدايته انه بريء امام الله ، وان علاقته ببيللا كانت مبنية على الحب الخالص ، وانه لم يطمع في مالها بل كان مستعدا ان يضحي بحياته في سبيلها . وتساءل كيف يتصور ان يقتل امرأة شابة ليحتفظ بعجوز جاوزت الستين ؟

ولكن ما قيمة هذا الدفاع امام تشخيص القاضي الذي استمر يكيل له الضربات لمدى ساعات وثلاثة ارباع الساعة . وهكذا ادانه المحلفون ، وصدر الحكم بالاعدام وتحدد يوم التنفيذ بعد اسبوعين .

★ ★ ★

ولو كانت محكمة الاستئناف موجودة في ذلك الوقت لكان من المرجح ان تلغى هذا الحكم ، اما لتحيز القاضي في تلخيصه ، او لأن الحكم يصطدم مع وقائع الدعوى . ولكن محكمة الاستئناف لم تنشأ في انجلترا الا بعد ذلك بنصف قرن .

تقدم توماس لوزير الداخلية يلتمس العفو عنه ويؤكد براءته ويكرر الحجج السليمة التي كان يجب ان تقنع المحلفين . وما كان الوزير ليعير ذلك الالتماس اهتماما لولا ان وصله في نفس الوقت دفاع حار من زوجة المتهم الاولى اكدت فيه يقينها ببراءة زوجها ، وقالت انه عطوف كريم محسن لا يمكن ان يرتكب جريمة قتل . وتقدم ثمانية وعشرون محاميا من اكبر محامي انجلترا يعترضون على الحكم . كما قدمت مذكرة من ثلاثين طبيبا ينكرون ان تكون بيللا مسمومة ويؤكدون ان الحمل هو سبب الوفاة ، ويقولون انه ـ ولم يقم دليل على الادانة ـ من الظلم تنفيذ حكم الاعدام .

★ ★ ★

ازاء ذلك راى وزير الداخلية تأجيل تنفيذ الحكم واستشار القاضي بولوك . ولكن القاضي اصر على يقينه ان توماس هو القاتل . ولكنه اعترف ان الناحية الطبية لم تعرض على المحلفين عرضا كاملا ، لا من جانب الدفاع ، ولا من جانب الاتهام . فرأى وزير الداخلية ان يعين شخصا يفصل ما بين الاطباء المتعارضين .

وكان اكبر اطباء انجلترا في ذلك الوقت الطبيب الخاص للملكة فيكتوريا ، الذي كان من قبل الطبيب الخاص لجورج الرابع ، ووليام الرابع ، فافتى بانه لا يوجد دليل قاطع على ادانة توماس.

وهكذا منح توماس عفوا شاملا من تهمة قتل بيللا ، ولكنه قدم للمحاكمة بتهمة تعدد الزوجات وصدر عليه حكم بالاشغال الشاقة لمدة سنة .

وخرج توماس من السجن انسانا آخر غير الذي دخله . كان قبل السجن وديعا حنونا عطوفا لا مطمع له في مال وخرج من السجن قاسيا حاقدا يبحث عن المال .

ولعل له كل العذر . فقد اتهم بالمواد المرأة التي الوته . وبالطمع في ثروتها مع انه لم يفكر فيها ، وبانه دس لها السم وهو الذي احبها وود لو ضحى بحياته من اجلها . واحس بحبل المشنقة يلتف حول رقبته وهو بريء .

لذلك كان اول ما فعله بعد الافراج عنه ان رفع دعوى على الحكومة يطلب تعويضا ، ولكنه فقدها اذ لم يكن القانون قد اباح منح تعويض في مثل هذه الحالة ، خاصة وقد حكم عليه بالادانة في التهمة التي وجهت اليه بالقتل .

اتجه بعد ذلك الى لويزا بانكس واسرتها مطالبا بحقه في مبلغ الالف والثمانمائة جنيه وشرح في دعواه جميع ظروف علاقته بالمرحومة بيللا . كيف كانت هي البادئة . كيف الوته . كيف طلبت الزواج السري في سبيل الحصول على المال المنتزع منها الهالة التي احاطها بها . وبذلك حصل على حكم بمبلغ الالف والثمانمائة جنيه .

ثم حدث ـ ما كان بعيد التصور لو ان بيللا لم تمت . عاد توماس الى زوجته الاولى التي وقفت الى جواره في محنته . ■■

حسن الجداوي



الخوف خوفان

خوف سوي

وخوف مرضي

بعض الخوف فطرة لحفظ النوع البشرية ، ووظيفة لدفع الشر طبيعية .

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

الأستاذ بالجامعة الاردنية

[illegible]

وكيف نواجه مخاوف اطفالنا ؟

سنحاول ان نجيب عليها اجابات علمية

الفرق بين الخوف والجبن

[illegible]

من انسان سوي ، والذي لا يتصف [illegible] في عالمنا الحي ، ولو عرضنا — جدلاً — وجوده [illegible] شيء ، ذلك بأن الخوف متصل بحفظ [illegible] والمخلوق — انساناً كان او حيواناً — الذي لا يخاف مطلقاً من شيء ، [illegible] بالخوف ولكنها — ما في ذلك شك — مرضي من جهة ، وعلى صلة بالاخلاق والمفاهيم الاخلاقية من جهة اخرى .

اعراض الخوف ، في الجسد وفي النفس

اذن ما الخوف ؟ وكيف يحدث ؟ وفي



الجواب عن هذين السؤالين لا بد من أن نقرر أن الخوف انفعال ، وانه على صلة بالعقل ولا سيما الادراك ، وبالجسد فانت لا تخاف الا اذا ادركت وجود خطر يتهدد بقاءك والذي لا تدرك وجود خطر [illegible]

[illegible]

وانت حين تخاف تضطرب ، وهذا الاضطراب يشمل نفسك [illegible] اي تفكيرك ادراكاتك احكامك محاكماتك كلها تضطرب ، كما ان جسدك تضطرب وظائفه أيضا في الباطنة . وهكذا فالخائف يرتجف ويصفر ويعرق وذلك ما يحدث في داخل عضويته أهم وأبلغ بتغيره النبضه والهضمه والدموية .

[illegible]

جسمها ، ولذلك اسباب ومعان سنعرض لها فيما يلي ، ولكن الذي يعنينا في مقامنا هذا ان نسجل هذا الاضطراب الذي يلف النفس والجسد .

[illegible]

نحو من الاضطراب الى بعض الانفعال ، سيما في ذلك الخوف ، ويشتد في اهميته هذا او ذاك من مظاهر هذا الاضطراب . فانه يمسا على وجهه الصحيح ان نؤكد ان اضطراب الجسد ، ظاهرها وباطنها . [illegible] الخوف ، فاصفرار

[illegible]

اللهاث او السكون والاستماته ، وهو مظهر اضطراب النفس والهروب وهو دليل وجود مادة الادرينالين الذي تفرزه الكظران في الدم ، وغيرها من الامور كلها اجزاء اصيلة من الخوف .

وهكذا نستطيع أن نخلص الى القول ان كل ما يهدد بقاءنا جسمنا او حياتنا يخيفنا . ومن هنا كانت الامور المفاجئة مخيفة . وكذلك المجهول والظلام والآلام [illegible] والكدر ، والامكنة المرتفعة او [illegible] عادي ، او غيرها مما له ارتباط بحفظ البقاء وتهدده .

[illegible] الانسان والحيوان الى الهرب وذلك ما يحدث في معظم الاحيان ، ولكنه قد يدفعه الى الاستكانة والتماوت ، بل قد يؤدي احيانا الى الموت فعلا . ويتوقف الامر في هذا ، لا على طبيعة المخلوق [illegible] ، بل وعلى طبيعة الموقف ايضا . [illegible] حركة الانسان وتدفعه الى سكون قريب من سكون الموت

الخوف في الدرجة الاولى ميل الى الهرب

مما تقـــدم يتضح ان الخوف هو في الدرجة الاولى ميل الى الهرب ، واذا لم يقم عائق في وجه هذا الميل فانه يصبح هربا كاملا ، اما اذا امتنع الهرب لسبب خارج عن ارادة الخائف او بسبب من ارادته هو ، فان مشهد الخوف قد لا يكتمل ، لكنه اذا اكتمل كان اشد واقوى .

وها هنا ملاحظة هامة جدا الا وهي ان الذي يستطيع الهرب بسرعة قد لا يجد الوقت الكافي للانفعال وحينئذ يكون انفعاله لذكرى الحادث اكثر منه للحادث نفسه .

ولنضرب على ذلك مثلا رجلا يجد نفسه امام سيارة مسرعة . انه اذا تمكن من القفز الى الرصيف في الوقت المناسب فانه يستند الى حائط ويشعر ان (قلبه قد هبط الى بطنه) كما يقال وحينئذ يتنفس الصعداء . اما الخوف الاكبر فيحدث حين يروح ويجيء امام السيارة التي اراد ان يسابقها ارادته هو ، واخذ ايضا يروح بها ويجيء ذات اليمين وذات الشمال ، ويبلغ هذا الخوف اشده في اللحظة التي تتعذر عليه فيها الحركة ويدرك انه مدهوس لا محالة .

ولعل اشد انواع الخوف ايلاما هو القلق الذي يستحق ان نقف عنده وقفة قصيرة خاصة .

القلق اشد انواع الخوف ايلاما

القلق هو الانتظار المؤلم لما لا يمكن تجنبه (او ما يعتقد انه من غير الممكن تجنبه) . على ان مفهوم من (ما لا يمكن تجنبه) لا شرا اليما ولكن شرا لا يتعلق تجنبه بنا ، شرا يستحيل الهرب منه .

وهكذا فانه حين لا يكون ثمة شيء يستطيع الانسان القيام به لتجنب الامر المخيف يتحول الخوف الى قلق .ومثال ذلك حالة الام التي تنتظر خارج قاعة العمليات حيث يقوم الاطباء باجراء عملية جراحية لابنها .في هذه الحال لا تستطيع الام ان تعمل اكثر من الانتظار . والهرب نفسه في هذا الموقف لا معنى له ولا فائدة منه .

ومثل ذلك حال الطالب غير الواثق من امتحان اداه ، والذي يعلم ان النتائج ستعلن عما قريب، انه لا يستطيع ان يفعل شيئا الا ان يقلق . واذا صح ان بعض الناس يهربون من مثل هذه المواقف، فانه صحيح ايضا انهم يعلمون علم اليقين ان هذا الهرب لا معنى له ولا فائدة منه .

والقلق اشد انواع الخوف ايلاما . انه عذاب عظيم ، وذلك لانعدام امكانية العمل على تجنب المخيف ، والاضطرار المؤلم للانتظار .

ثم ان القلق قد يكون لاسباب حقيقية كما قد يكون لاسباب وهمية . واذا كان حقا ان الحياة البشرية ، وما تعرضه من مواقف واهوال ، لا تستطيع ان تجنب القلق من حين الى حين ، وهو قلق يمكن ان يضبطه العقل وتمده الروية وحسن التفكير ، فانه حق ايضا ان بعض الناس يقلقون لامور وهمية تماما ويتخيلون امراضا واخطارا لا وجود لها في الواقع ثم يقلقون منها ، وهم لذلك مرضى يجب علاجهم والا استحالت حياتهم الى ما لا يعرفهم راحة نفسية .

مخاوف الاطفال

وقبل ان ننتقل الى العلاج لا بد من المامة سريعة بمخاوف الاطفال ، وهي امور تشغل بال الاباء والامهات والمربين ، واهم القائمين بها كانت صفته .

والملاحظ اولا ان الطفل يولد مزودا بقدرة كامنة على الانفعال عامة ، بما في ذلك الخوف ، لكن نمو الفرد انفعاليا يتوقف قطعا على التفاعل الذي يتم بين عمليات النضج ، الجسدي والعقلي ، وعمليات التعلم (من المحيط) .

ولقد كان علمـــاء النفس الاوائل يعتقدون ان الطفل يولد مزودا بغريزة الخوف ، غير ان علماء النفس المعاصرين اميل الى الاعتقاد بان الطفل يولد بقدرة عامة كامنة وغير متميزة على الانفعال عامة ، وان هذا التميز في الانفعالات انما يتم عن طريق النمو المردود الى تفاعل الطفـــل ، جسما وعقـــلا ، مع المحيط ، اي تلاقي وراثة الطفل مع عوامل البيئة .

والدراسات السيكولوجية الحديثة اميل الى الاعتقاد بان الخوف لا يظهر عند الطفل الا بعد الشهر السادس من عمره ، وحتى في هذه السن

لا يكون الخوف واضحا ولا محدودا ، وهو انما يحدث بالنسبة لبعض المثيرات القاسية القوية من مثل الاصوات العالية المفاجئة وفقدان التوازن واشياء من هذا القبيل . لكن الطفل لا يكاد يتقدم به العمر ويتصل ببيئته ، ومن فيها وما فيها ، حتى تتوضح مخاوفه وتتحدد . وحتى في هذه الحال فان خوف الطفل يكون موسوما دوما بالاثر الحضارية التي نشأ فيها واثار خبرته الفردية . ان طفلا يعيش في محيط لا يخشى الحية مثلا ينمو وهو لا يخشاها ، اما الطفلة التي تسمع صراخ امها حين ترى فأرا فانها ستكبر لتخاف الفأر .

وعلماء النفس متفقون على ان الانماط الانفعالية للفرد تنمو باستمرار منذ الطفولة الباكرة ، وحتى بعد سن الرشد،وذلك بتأثير من معارفه المكتسبة، وما يهتم به من جديد الامور ، ومن مثله المتجددة. ومعنى هذا ان مخاوف الطفل تكون اثناء طفولته الباكرة نتيجة لتعامله مع بيئته ، وتأثره بالنمط الحضاري لهذه البيئة وما فيها من مفاهيم وعادات واساطير ومواقف . ولكن الطفل بالرغم من ذلك انه فردي – الى حد كبير – في مخاوفه ، وقادر على التأثر فيها والسيطرة عليها ، كلها او بعضها .

ويهمنا في مقامنا هذا ان نؤكد حقيقة اساسية وهي انه طيلة حياة الفرد ، اي فرد ، تكون اهم دواعي الاثارة الانفعالية ، بما في ذلك الخوف ، حاجة الانسان الى الامان وما قد يتهدد هذه الحاجة من مثيرات .

واذا كان من نافلة القول ان نذكر الناس بوجوب الاقلاع عن استثارة خيال الطفل بمخاوف وهمية لا لزوم لها ، من مثل العفاريت والاغوال والاشباح وما اليها ، فانه من واجبنا ان نذكر بان بعض الاطفال بطبيعتهم ، ولاسباب كثيرة جسدية ونفسية ، اقرب الى استشعار الخوف ، وبعضهم في ذلك اسرع من بعضهم . ومثل هؤلاء الاطفال بحاجة لانتباه خاص ومثابر .

على ان كثرة الاطفال تخاف الظلام والوحدة وبعض انواع الحيوانات وسواها ، ولا يجدي ابدا ان ندفع الطفل الى مثل هذه المواقف ونكرهه عليها اعتقادا منا بان هذه هي الطريقة الوحيدة لتخليصه من مخاوفه ، ذلك بان بعض الاطفال في مثل هذه الاحوال ينقلب خوفهم من سوي الى مرضي فيندم الاهل ولات حين مندم .

الهلع

والمراهقون يعانون مخاوف جمة ، فقد يثابر المراهق على معاناة المخاوف التي كان قد عاناها في سنيه الاولى ، وان كان من الشائع ان تكون مخاوف المراهق وقلقه على صلة بامور اخرى جديدة من مثل رفاقه ونشاطه المدرسي ، ومسائله من اجل بلوغ سن الرشد والجنس الاخر وغير ذلك .

هذا وقد يستشعر المراهق خوفا هيجانيا قويا يسميه علماء النفس بالهلع Phobia وقد يسيطر هذا الهلع على سلوكه ومواقفه ويستمر حتى سني الرشد .

والهلع خوفمبالغفيه او مرضي ، يستشعره الانسان بالنسبة لامر من الامور او حال من الاحوال ، وهو بهذا المعنى موقف هيجاني مستمر يحمله الهالع تجاه امر كان في الماضي قد سبب له خوفا شديدا . وبهذا المعنى يكون الهلع خوفا مرضيا ، ويمكن ان يكون من اعراض مرض نفسي اعم واعمق .

والهلع قد يتخذ شكل خوف من الاماكن العالية، او الغرف المقفلة ، او الظلام ، او الوسخ ، او الاضواء الشديدة ، او منظر الدم ، او بعض الحيوانات ، والالم والسم ، او حتى الماء . ولقد اطلق العلماء على كل هلع اسما خاصا . مثال ذلك الخوف من الاماكن المقفلة يسميه علماء العربية كلوستروفوبيا Cloustrophobia

وقد يرجع الهلع الى خبرة انفعالية طفولية كمثل الخوف من الظلام ، كما قد يكون الهالع على علم بان خوفه غير سوي ، ولكنه لا يستطيع مقاومته .

وعلى هذا فالهلع قد يصبح صفة دائمة من صفات الطبع لا يستطيع الهالع التخلص منها .

العلاج

وقبل الحديث عن علاج مخاوف الاطفال يجب

لن نذكر بما نقوله دائما بأنه في الصحة النفسية — كما في الصحة الجسدية — درهم وقاية خير من قنطار علاج . والمعنى البسيط لهذا القول هو الاشارة الى واجب الأبوين خاصة ، والأهل عامة ، وكذلك المجتمع ، في تجنيب الطفل المخاوف التي لا لزوم لها ولا مبرر .

ومرة أخرى نحن لا نعني بهذا اللذي نقول أيجاد أطفال أو راشدين لا يخافون ، لأن هذا مستحيل وغير مفيد ، فالخوف ، كما سبق ان ذكرنا ، له أصل من الفطرة البشرية ، وله وظيفة في حفظ بقاء الانسان ، ومن ثم النوع البشري . وانما عنينا عدم تخويف الطفل من أشياء وهمية أو أمور لا بد له من التعامل معها . وبديهي انه في هذه الحال لا يحتاج الطفل علاجا لمخاوفه المشروعة، فليحذر الطفل النار ، وليخف ايذاء الناس ، وليخف ارتكاب الاثم ... وليكن خوفه طبيعيا سويا لا مبالغة فيه ولا تهاون .

اما المخاوف المرضية ، المخاوف التي تنغص العيش وتعيق عملية التكيف وتحول بين الانسان والحياة العادية السوية ، فقد يفيد فيها احيانا

١ — العلاج الجسدي ذلك بأن صاحب البنية الضعيفة والاعصاب الهشة والمريض أقرب الى الخوف من غيرهم من الأسوياء . وقد يكون العلاج حينئذ دواء مقويا واستعادة للصحة والنظرة المتفائلة للحياة .

على اننا نعلم ان الكثيرين من الأصحاء جسديا يعانون مخاوف نفسية وانواعا من الهلع لا بد لها من علاج . وحينئذ قد يكون العلاج

٢ — ضبط الخيال : ذلك بأن الخوف يتحكم في الانسان بواسطة الخيال والوهم ، ان الوهم هو الذي يخلق لنا الاشباح والغيلان والعفاريت ، ولذلك كان من واجب المربي ان يعود الطفل ضبط خياله دون القضاء عليه .

٣ — ...... والعادة وسيلة هامة من وسائل القضاء على المخاوف ، ذلك بأن تعويد الطفل السير في الظلام ، ومواجهة الأمور التي تخيفه ، هي الطريقة الوحيدة التي تخلصه من مخاوفه . فالعادة تذهب الرهبة . بيد انه لا بد من كثير من اللباقة والكياسة في التعويد لا سيما بعد حصول الخوف . فان الطفل الذي يخاف الظلام والذي يراد تعويده على السير فيه لا بد له من التدرج في مواجهة الظلام ، كأن يؤخذ بيده والدة قصيرة وفي أمكنة مألوفة ، ليتدرج معه ويكثر من الصبر والأناة والحلم حتى يتخلص من خوفه . والا فقد يشتد الخوف ويتزايد الهلع من زواله او خفته .

٤ — الايحاء : ولا سيما الايحاء الذاتي Outo - Suggestion وهو من أهم انواع العلاج، ان لم يكن أهمها اطلاقا ، ويجب اللجوء اليه دوما ابدا . ويحصر الايحاء الذاتي في ان يكرر الطفل القول لنفسه بأنه لا يخاف ، وانه شجاع ، وان يتعرف تعرف الشجعان ويتخذ مواقفهم واوضاعهم الجسدية والنفسية على حد سواء . وفي حالة الأطفال فان على المربي ان يحملهم على القول بأنهم شجعان لأنفسهم ولغيرهم وانهم لا يهابون موضوع خوفهم . وقد يساعدهم الراشدون مساعدة كبرى بأن يعلنوا بأنهم (أي الأطفال) شجعان لا يخافون، مثيرين بذلك كبرياءهم وعزة انفسهم .

٥ — المعرفة : واخيرا تبقى وسيلة اساسية وهامة وهي تعريف الطفل بموضوع خوفه ومساعدته على ان يراه على حقيقته . ولا شك في ان حسن الملاحظة وصحة الادراك ، واللجوء الى العلم ، وتعويد الطفل ضبط النفس ، اسس هامة لكل وقاية وكل علاج .

اما بعد

فهذه عجالة قصدنا منها الى تطبيع الموضوع والاشارة الى بعض نواحيه وهي — بالطبع — لا تغني الراغب في الاستزادة عن مراجعة أرباب الاختصاص (وكتب الاختصاص) والاستعانة بعلمهم وارشاداتهم . ■■

عمان — فاخر عاقل



بائعة اليانصيب

للشاعر : محمد احمد العزب

■ وتصحت لي وفي أعماق عينيها أسى يبكي

تبيع « اليانصيب » وعن مآسي ليلها تحكي

وعمر شبابها عشرون عاتية على الشوك

منسّجةٌ خريف العمر شرّدها عن الأسلاك

★ ★ ★

تمزق ثوبها المسعور عن صدرٍ بلا ثمر

ومج بحر عينيها بكل قساوة المطر

وولول في اقامتها ريحٌ داسل الضجر

وشرّد خطوَها الإعصارُ في ليل بلا قمر

★ ★ ★

مشتْ في الدرب حومية . بقى يحملها الدربْ

ويا كتمٍ تام في يدها وفوق ذراعها حبْ

ومات فابس للطاوين في أوهامنا قلبْ

ذوى صحريةُ الأشواق لا تهمو ولا تصبو

★ ★ ★

تبيع « اليانصيب » ولا نصيب له وتنطلق

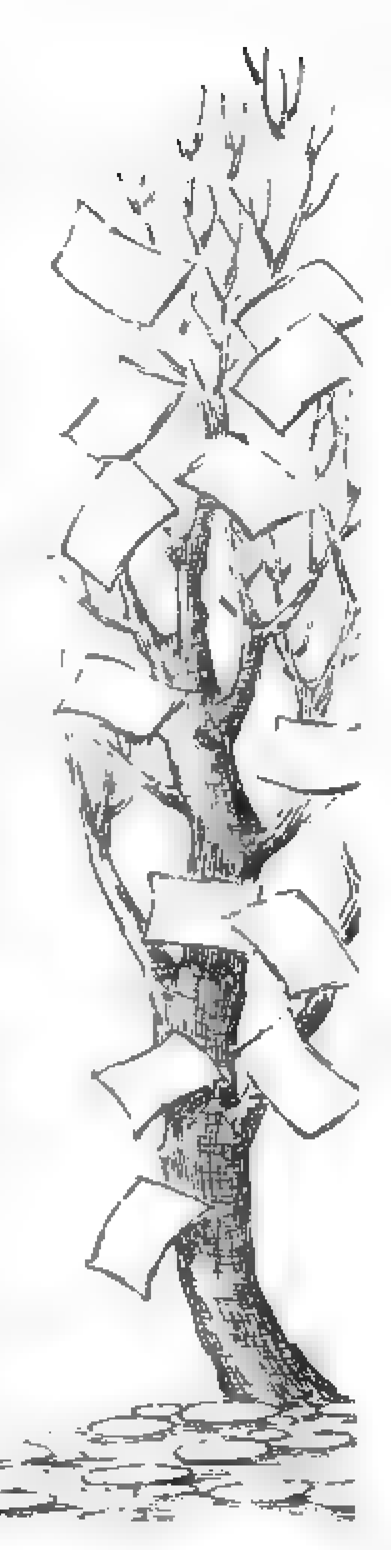
وتوشك أن تبيع سواه ، راعمة وتحترق

فخلف جدار بسمتها يصيح الجوع . والأرق

وتبكي قصة بيضاء خطَّ سطورها العرقُ

★ ★ ★

حنناها ، عثرُ ليل التيه ، توشك أن تُرديها



وتوشك أن تصل بها . وتطمس كل ما فيها
وتمضي عن طلبها وتصفع وجهها تيها
وتنسى أنها جاءت وضاعت في بواديها

* * *

هنا كلُّ الدروب السُّودِ تعرف ظلها العاري
تعيق خطوها المذعور بصمع صمتها الضاري
فكم طافت هنا حيرى بلا أهل ولا دار
وكم رسمتْ على الجدران من ضياعها العاري

* * *

ويا كم جنَّ في فمها سؤال عاش يُنضجها
ترى أين التي ضاعت ؟ إلى من سوف تهديها
ويُغريها الجواب فتلتقطُ الأوراق تُحصيها
وتَمشي للطريق المُبهَم تطويه ويطويها

* * *

وكم باتت تناجي الليل أطيافا وأشباحا
وتسأل من أنا ؟ ماذا أبيع الناس أفراحا
وأعبر عبر ملحمة الضياع دجى ، وإصباحا
وأحيا في جرحي الله أعصابا وأرواحا

* * *

وتبكي إنها إنسانة تبكي وتبتسمُ
رغم هول الريح لم ينصت له النغمُ
وأنى أرهقت إحساسها الأرزاءُ والنقمُ
وأعمق ما يكون الحس حين يمرُّه الألمُ

* * *

هنا كم هنا أعمت مدثرة ومقبورة
هنا تحيا في كل درب عاثر صورة
هنا تخفر وراء الغقل والظلمات أسطورة



هنا يا كمْ لنا قصصٌ هنا قصص الحي مشهوره

* * *

مشت يوما مرفرفة الصباح يرجُّها القلقُ
وعربدَ حولها الإعصار طار برعمها الورقُ
تحوّمه الصغار هناك وهي تصيح تختنق
رويدَ حنوّكم إني من الأوراق أرتزق !

* * *

ويوما أرّق جوعُ الرهب مضجعها الكاسي
فلففتْ في أسى حرباً يرعشهُ الدجى بيني
وقمتُ أطلُّ فاستعصى بي كلي ، وبوأسي
عدت صماته جوعي تعانق ليلها الحاسي

* * *

ويامًا عفّرت باللوم وجهَ الآدميّا !
ويامَ أجهشت بالسمع تتحدى الصُّبيا
وباسم الدين . والديّان كم ناحت عُنيْبيا
مع أحدى البكاء هناك لاقمحا ولا تيبا

* * *

فتاق قصةٌ أعمى على أهدابها التعب
حديقة سوسن عذراء أحرق سحرها اللهبُ
وماتت فوق أذرعها البراعمُ وارتمى الحطب
وناحت في روابيها الكروم وأحرق العنب

* * *

بقلبي ما يقاسي الزهرُ من ريح .. ومن مطر
ومن ليل بعيد النجم والديجور والقمر
بقلبي ما يقاسي في وجود عاتم القدر
يرفّ جبهة الإنسان . يحرق عثرة الوتر ■

القاهرة : محمد أحمد العزب



صاحب أوبرا عايدة

قاد الثورة بموسيقاه ، والألحان لا تحرسها القوانين

• على بعد ١٦ ميلا من مدينة بارما Parme وعلى سفح جبال الابنين Apennines بايطاليا تقع قرية لورنكول Le Roncole الصغيرة التي لا يزيد عدد سكانها على ٢٥٠ نسمة .

وفي شارع القرية الوحيد، كان زوجان شابان يديران فندقا متواضعا ويبيعان لأهل القرية مستلزماتهم البسيطة .

وبين عشية وضحاها انقلبت دوقية بارما الى مسرح تعرض عليه دراما أسبابها عجيبة، أكثر ما فيها القتل والتخريب والسلب والنهب . فقد اجتاحتها الجيوش النمساوية الروسية سنة ١٨١٤ . ووصل النبأ ذات صباح الى قرية لورنكول، أن جيوش الأعداء تقترب منها فملأ الرعب قلوب الفلاحين الآمنين، ولم تجد النساء الا الكنيسة مكانا آمنا يلجأن اليه مع أطفالهن . ولم تقم الجنود

مشهد من اوبرا عطيل



ردّده الإيطاليون ألحانه ، وتلقّفها في الشهرة

الزاحفة وربما لدين او لغيره ، فما أن سلبت الأكواخ من القليل الذي فيها حتى اتجه العدو نحو الكنيسة ، ولم تمض لحظات حتى كانت الأرض مغطاة بجثث القتلى والدماء تسيل ..

واستطاعت احدى النساء اثناء الفوضى التي عمت المكان ، الصعود خلسة الى برج الاجراس حيث قبعت في احدى الزوايا ممسكة بطفلها الصغير ، والرعب يكاد يشل حركتها ، خوف اكتشاف احد الجنود مكانها ..

وبقيت هكذا الى أن ساد السكون ..

لم تكن هذه المرأة سوى زوجة صاحب الفندق « كارلو فردي » Carlo Verdi ولم يكن ذلك الطفل الذي انقذته من موت أكيد سوى ابنها جيسبي فردي ، مؤلف الأوبرات الرائعة ، الذي عمت شهرته الآفاق بعد هذا الحادث بثلاثين عاما .

نشأته

ولد جيسبي فردي — واسمه الكامل Guiseppe Fortunino Francesco Verdi في ... ١٠ أكتوبر سنة ١٨١٣ ، وترعرع في كنف والده أحبه حبا شديدا فقد كان طفلا ذكيا ، ميالا الى الجد ، هادئا ، مطيعا ، فلم يخطر له مضايقته الا فيما ندر .

وكانت الموسيقى الشيء الوحيد الذي يخرجه عن تحفظه ، ويملؤه سرورا . فكل نغم يصدر عن اية آلة موسيقية يبعث البهجة في نفسه ولا يكاد يظهر موسيقي متجول — ولا تخلو منهم بلدة او قرية ايطالية — حتى يتبع فردي الصغير خطاه من باب الى باب ، وهو ممتلئ نشوة ، والتمعت عيناه ببريق اخاذ وهو يستمع الى تلك الالحان الجميلة .

وفطن الاب الى اثر الموسيقى في نفس ابنه ، فطلب من عازف الارغن في كنيسة القرية أن يعلم فردي مبادئ الموسيقى ، ولشدة حماس الصغير اشترى له ابوه بيانو قديما ليتمرن عليه .

من القرية الى البلدة الصغيرة

ولم تكن قرية « رونكول » بالمكان الملائم لطفل مثل ذكاء فردي وطموحه ، فارسله والده الى مدرسة ابتدائية في « بوستو » Busseto وهي بلدة صغيرة تبعد ٣ اميال من القرية ، وصادف أن كان التاجر « انطونيو بارتسي » Antonio Barezzi الذي يشتري منه والد فردي حاجات متجره الصغير ، يعيش في تلك البلدة . وكان « بارتسي » رجلا مثقفا ، محبا للموسيقى وعازفا ماهرا على آلات عديدة . فما أن بلغ فردي العاشرة من العمر وأتقن مبادئ القراءة والكتابة والحساب ، حتى الحقه التاجر بمكتبه ، وعامله كأحد افراد عائلته ، وشجعه على اخذ دروس من قائد فرقة « بروفيزي » Provesi لتوسيع أفقه . وتقدم الصبي تحت اشراف أستاذه تقدما كبيرا وأصبح امل اهالي « بوستو »

يقابلون بترحاب وتقدير شديدين ، كل الألحان الحماسية والراقصة التي بدأ يؤلفها بفرقة البلدة . وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره ساعده التاجر «بارتسي» ماديا ليتمكن من الذهاب الى مدينة ميلان ودخول معهد الموسيقى الشهير .

ومن سخرية القدر أن يرفض المعهد قبول الفتى بحجة عدم اظهاره أي موهبة فنية خاصة في الموسيقى عند الامتحان !

في دار أوبرا الاسكالا

وكانت صدمة أليمة للفتى ، ولكن اليأس لم يعرف الى قلبه سبيلا ، فقد ذهب لتوه الى لافينيا Lavigna ، رئيس فرقة دار الأوبرا الشهيرة الاسكالا La Scala بميلان ، وسرعان ما لاحظ الرجل أن فردي ليس بالطالب العادي ، فكان أول من تنبأ له بمستقبل عظيم . قال للتاجر « بارتسي » الذي زاره ذات يوم « ان جيسي مدينة بوسيتو ، ذكي ، وليس اليوم ببعيد الذي سيشرفني فيه ويشرف وطننا ايطاليا » .

وتعلم منه فردي الكثير مما يتعلق بفن تأليف الموسيقى الخاصة بالاوبرا ، وتعرف الى بلليني ، ودونيزيتي ، وروسيني ، وهم أعلام الموسيقى في ايطاليا حينذاك ، كان له أثر كبير في توجيهه .

يحل محل استاذه الأول في قيادة فرقته

وفي سنة ١٨٣٣ طلبه أهالي «بوسيتو» ليترأس الفرقة الموسيقية هناك فقد أصبح المكان شاغرا بعد وفاة استاذه السابق « بروفيزي » . فعاد فردي وملأ المنصب بكفاءة مدهشة رغم صغر سنه .

زواجه

وفي سنة ١٨٣٦ تزوج من مرغريتا ، ابنة التاجر « بارتسي » ، فتاة أحلامه وصديقة طفولته . ورزق الزوجان طفلين في مدى سنتين . وصار يعمل بكل ما أوتيه من نشاط وجلد ليدفع عن أسرته غائلة الفقر والجوع . وعاوده الحنين الى ميلان ، خاصة بعد أن أتم تأليف الحان أولى أوبراته ... فمن يدري ؟ ... ربما يكون النجاح حليفه .

عودته الى ميلان

وهكذا رحل سنة ١٨٣٨ مع أسرته وكل ما يملك الى ميلان ، وبعد جهد وتذليل الكثير من العقبات التي لا بد وأن تعترض وجه كل فنان فقير ، تمكن من عرض الاوبرا الأولى — أوبرتو Oberto سنة ١٨٣٩ تحت اشراف مريلي Merelli مدير دار الاوبرا «الاسكالا» . فنالت استحسان السامعين ، وانتعش بنجاحها قلب مؤلفها . فما كان من « مريلي » الا أن كلف فردي بتأليف الحان لثلاث أوبرات أخرى مقابل ١٢٤ جنيها لكل أوبرا .

عايدة ... وقنال السويس

● أوبرا عايدة أروع ما ألف فردي .. ومن الطريف أن فردي خشي حضور حفل الافتتاح الأول الذي أقيم لها في دار الأوبرا بالقاهرة لجهله بذوق الجمهور في القاهرة .

ومما يذكر أن كاتب تلك الاوبرا الملكية هو ماريت باشا ، أحد كبار علماء الآثار ، وهو الذي أسس المتحف المصري .

وقد لحن فردي هذه الأوبرا بناء على طلب خاص من الخديوي اسماعيل . وقد أرادها أن تكون احدى الغرر في حفلة افتتاح قنال السويس .

وقد لاقت أوبرا عايدة اعجابا منقطع النظير من الحاضرين من ملوك ورؤساء وبيئات فصولها في السابعة صبـ...



صورة تاريخية لحفل افتتاح قناة السويس وقد لعب فيه فردي . ونرى فيها الخديو اسماعيل ، والي مصر ، وضيفه الامبراطور فرانسوا جوزيف ، والامبراطورة اوجيني ، الا ما اكثر ماتغير اليوم الحفل . فلو ان القناة كان حفلها اليوم لاذن كثرة من الزعماء العرب وملوكهم والرؤساء .

وانتهت في الثالثة من صباح اليوم التالي .

وقد ارسل الخديوي اسماعيل لفردي برقية خاصة يشكره فيها على مجهوده الفني الرائع .

ومنذ هذا التاريخ ، عام ١٨٧١ ، حتى اليوم ، عام ١٩٦٤ ، ما زالت اوبرا عايدة تمثل في جميع انحاء العالم .

كارثة جائحة

لم يكد فردي يشعر ببعض الراحة النفسية ، والبهجة الروحية ، متاملا تحسين حالته المادية ، وتأمين احتياجات اسرته الحبيبة ، حتى انقضت سحابة سوداء على داره ، وبسرعة كسرعة انحدار جبل جليدي ، جرف القدر من بيته كل ما كان يملؤه نورا وسعادة . التفت حوله فلم يجد احدا ... ذهب الابن ، ثم الابنة ، ولحقتهما زوجته الحنون ... كتب في رسالة الى صديق والالم يقطع اوتار قلبه : « مرض طفلي ، ولم ينفع فيه دواء ، فمات بين ذراعي والدته محطما قلبها ... وما اسرع ما لحقت به طفلتنا . ولم يكف هذا ... فبعد مدة اصيبت زوجتي بحمى الدماغ ، وما هي الا فترة وجيزة حتى كانت جثة هامدة تنقل من بيتي ... وبقيت لوحدي ! لوحدي ! لقد اخذ مني كل ما كان عزيزا حبيبا الى نفسي فوق هذه الارض ... لم تعد لي عائلة ! » .

فليس من العجيب وبعد ان تمر بمحنه قاسية كهذه ، ان تكون الاوبرا التالية التي عرضها فاشلة . كان موضوعها فكاهيا ، فلم يتلاءم والالم الذي يعصر قلبه . لم يستطع قلمه الا سكب ما يشعر به من وحدة ، وضياع ، وشقاء . وصمم تصميما قاطعا على أن لا يعود الى التاليف ابدا .

هذا ما صممه فردي ، وما كتب له في لوح القدر كان مخالفا لتصميمه . فقد صدف ان التقى به مريلي بعد ذلك باسابيع ، فحاول اقناعه على العودة الى التاليف ، وبالرغم من عناد فردي ، وضع « مريلي » نسخة من اوبرا جديدة في جيب المؤلف ، عله يطلع عليها .

وتلا ذلك فوز عظيم

وكان لشعر هذه الاوبرا الجديده ، وموضوعها ، فعل مفعول السحر في نفس فردي ، انتشله من عزمه ، وتعلقت

على أحزانه ، فاندفع يؤلف لها اللحن . وظهرت أوبرا « Nabucco نبوخذ نصَّر » الى الوجود عام ١٨٤٢ . ومن افتتاحية الكورس الثائرة الى آخر نداء للنصر كان تصفيق الجمهور لها تصفيقا منقطع النظير . وقد علق فردي على ذلك قائلا : « رحوت النجاح ، ولكن ما رجوت نجاحا كهذا . . . ابدا ! » كانت الكلمات والموسيقى تعبيران عما يجيش في أعماق قلوب الايطاليين من ثورة مضطرمة ضد حكامهم النمساويين الطغاة .

نجاح مضطرد ، وأنغام وطنية عارمة

وبدأ فردي يصعد سلم المجد ، وأخذ فيه يسكب أروع الألحان بلا انقطاع ، متتابعت الاوبرات الوطنية ، تعرض بنجاح مضطرد في مدن ايطاليا الرئيسية ، ميلان ، البندقية ، روما ، نابلي ، وفلورنسا . وأصبحت مقطوعاتها الهامة أغاني المقاومة الشعبية في المظاهرات ضد الحكم النمساوي لتعبيرها الصادق من رغبة الشعب في الحرية والاستقلال ، فنال فردي لقب مايسترو - قائد - الثورة عن جدارة واستحقاق . فعندما يهتف الايطالي « يحيا فردي » Viva VERDI يجمع في هتافه بين حبه للفنان النابغ ، ورغبته في تحقيق ماعقد عليه الايطاليون أجمع آمالهم من المناداة بفكتور عمانويل ملكا على ايطاليا بعد طرد الحاكم الأجنبي منها وتوحيدها .

وهكذا كان اسم فردي - رمز الكفاح للحرية والوحدة . وانتشرت الحكاية بشكل أصبح من الصعب جدا على ذوي السلطان وضع قوانين لاخمادها ، فالبنادق لا يمكنها قتل أغنية ! وتعجز الأحكام عن سجنها !

ختام المرحلة الأولى من حياته

وتعد سنة ١٨٤٩ ختام المرحلة الأولى من حياة فردي ، مرحلة تقدم مستمر في الابتكار والتنوع في فن تأليف الاوبرا ، وفي القدرة على الوصف والتعمق في الصناعة ، وقوة التعبير عن المواقف الدراميه والمواقف الخارقة خاصة في أوبرا « ماكبث » المبنية على مسرحية شكسبير الشهيرة .

بدء المرحلة الوسطى من حياته

وتبدأ المرحلة الوسطى باوبرا « ريجولتو Rigoletto » التي لاقت منذ ليلة الافتتاح اقبالا عظيما ، وأبهجت النفوس بنغماتها الشجية المتنوعة وقوة الابداع والتعبير الذي امتازت به جميع الاوبرات التي تبعتها - التروفاتور Il Trovatore ولاترافياتا La Traviata .

وفشلت هذه الأخيرة لدى العرض الأول . والسبب لا يعود الى موسيقى فردي ، انما الى موضوعها الذي اعتبره الجمهور مخجلا ! فالاوبرا مبنية على قصة « غادة الكاميليا » لديماس الابن . كما أنها عرضت بالملابس العصرية ويتعارض هذا وتقاليد الاوبرا المعروفة ! أما السبب الأساسي لفشلها فيعود الى عدم كفاءة المغنين . وبدا هذا جليا عندما أعيد عرضها ثانية بعد مدة ، فقد أصبحت منذ ذلك اليوم الى يومنا هذا أحب أوبرات فردي الى الشعب الايطالي .

المرحلة الثالثة من حياته : أوبرا عايده

وباوبرا « عايدة Aida » ذات الجلال والعمق تبدأ المرحلة الثالثة والأخيرة من حياة هذا العبقري . تلك المرحلة التي يصل فيها فن تأليف الموسيقى للاوبرا وغيرها الى الذروة ، فهي أعظم ما وصل اليه موسيقار مبدع في سن الشيخوخة في كل تاريخ الموسيقى .

فمن يسمع أوبرا عايدة يأخذه العجب من أن رجلا في الستين من عمره يمكنه تأليف ألحان تتميز بهذه القوة والحيوية وانطلاق الشباب ، فكانت حدثا هائلا في عالم الفن والموسيقى ، وقوبلت بالحماس الشديد .

وقد ألف فردي ألحان هذه الاوبرا تلبية لرغبة اسماعيل باشا خديوي مصر



يريد بها افتتاح دار الاوبرا في القاهرة ، والاحتفال بفتح قناة السويس . واضطر الى تأجيل عرضها الاول عن الموعد المتفق عليه بسبب الحرب التي نشبت حينذاك بين المانيا وفرنسا . فلما عرضت سنة ١٨٧١ لاقت نجاحا باهرا في جميع الاوساط الراقية . واسرع الخديوي فارسل برقية تهنئة لفردي حال انتهاء العرض . وما زالت اوبرا « عايدة » تؤثر في نفوس سامعيها بموسيقاها الرائعة .

اوبرا عطيل

وفوجيء العالم بعد ١٥ سنة بأن ملكة الابداع وجدت طريقها مرة اخرى الى اوبرا جديدة ـ اوتللو Otello مقتبسة عن شكسبير المعروفة ـ وقد سيطرت بشكل غريب على مشاعر الحاضرين منذ اول نغم عاصف الى آخر نغمة كئيبة . ويعدها الكثيرون اعظم اوبرا الفت ، فهي تمتاز بالعمق والشدة واشاعرية

يؤلف وهو في الثمانين

ويبدو ان فردي لم يكن ليتوقف عن التأليف بعد ، ففي عام ١٨٩٣ ، عندما بلغ الثمانين من العمر قدم للعالم « تحفته الاخيرة » اوبرا فالستاف Falstaff ـ وهي تمثيلية لشكسبير ايضا ، فقد كان فردي من المعجبين بالشاعر والروائي الكبير . وهي الاوبرا الفكاهية ذات الالحان المرحة الضاحكة . وقد اجمع اكثر نقاد اوروبا وامريكا انها من أروع ما سمعوه ضمن جدران الاسكالا La Scala فانها تعكس كل ما وصل اليه فردي من كمال في التأليف .

وكانت « فالستاف » خاتمة تحفه لدار الاوبرا . ولو انه لم يتوقف عن تأليف قطع موسيقية مختلفة في غاية السحر والابداع .

شيخوخته ووفاته

ولم يعد فردي الشيخ يرى بعد ذلك الا في مزرعته « سانت اغاتا » قرب بوسيتو ، يقضي ايامه ، يتجول ويتفقد احوال العمال والفلاحين فيها . وقد ترك موت زوجته الثانية ـ وكانت مغنية اوبرا تزوجها سنة ١٨٥٩ ـ فراغا هائلا لديه ، فقد كان يعتبر حياتهما شركة مثالية . وتوفي بعدها بأربع سنوات في ميلانو سنة ١٩٠١ .

مات فردي الفنان الملهم بعد ان ترك ثروة موسيقية ستخلد اسمه الى الابد . مات فردي الوطني المخلص الذي جعل موسيقاه اداة التعبير عن اسمى ما يختلج في نفس الوطني الغيور ، فردد شعب باكمله الحانه . . مات الرجل الذي علمته حياة الريف ، حب البساطة ، والاعتماد على النفس ، والبعد عن الزيف . فكان اكثر الرجال تواضعا ، واشدهم كبرياء ، واخلصهم مودة واقلهم غرورا

فلا عجب ان تعكس الحانه كل صفات هذا الرجل العبقري .

لندن سلوى توفيق الكماش

مادرياجا

الأسباني الذي اتخذ

الولاء للأسرة والوطن، لا يتعارض والولاء

بقلم : الدكتور عثمان أمين
رئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة

■ « لا بد لك أن تحتقر المنفى ، لكي تستطيع أن تقول الحقيقة »

هكذا قال الفيلسوف الألماني «نيتشه» Nietzsche منذ أكثر من ثمانين عاما ، مخاطبا أهل الفكر من أصحاب العقول الزكية والنفوس الأبية . واتخذ الكاتب الفرنسي المعاصر « ألبير كامو » Camus من عبارة نيتشه شعارا لأزمة الفكر في هذا العصر ، ورأى أن هذه الكلمة الحاسمة قد لا تصدق اليوم على أحد من عشاق الحرية وطلاب الحقيقة بقدر ما تصدق على المفكر الإسباني « سلفادور مادرياجا » ، الذي اختار المنفى بعيدا عن وطنه ، محتملا المكاره راضيا ، زهاء ربع قرن من الزمان، حفاظا على استقلال آرائه وصونا لكرامة فكره .

ولد سلفادور مادرياجا Madariaga في الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٨٨٦ في « كورونا » بإسبانيا . ولكنه قضى الشطر الأكبر من حياته خارج وطنه ، وسرعان ما تحددت شخصيته الدولية المستقلة حين دخل مدرسة « شابتال » بباريس سنة ١٩٠٠ ، وقضى فيها ست سنوات ، ثم التحق بالمدرسة العليا للهندسة والصناعات (وهي المدرسة « البوليتكنيك الشهيرة » بباريس) ثم « المدرسة العليا للمناجم » . وفي سنة ١٩١١ عين مادرياجا مهندسا في إحدى شركات السكك الحديدية بشمال إسبانيا ، وتزوج من انجليزية في جلاسجو سنة ١٩١٢ ، ولكنه استقر في لندن منذ سنة ١٩١٦ .

مؤلفاته

ذلك أن يتوفر على مواصلة نشاطه الثقافي وفقا لميوله الأدبية الإنسانية ، فأصدر سنة ١٩١٧ أول بحوثه عن « الحرب منظورا إليها من لندن » . وتتابعت مؤلفاته بعد ذلك ، وتناولت فنونا وموضوعات مختلفة ، من الشعر والتراجم والسياسة والتاريخ والقصص والمسرح والاجتماعيات والشئون الدولية ، وجميعها على تنوعها وغزارتها تكشف عن قوة الملاحظة وسعة الثقافة ، وتنم عن ملكة النقد وروح الابتكار . وفي سنة ١٩٢٠ أصدر أول كتاب أدبي له عن « شلي وكالديرون » بحث فيه أثر الكتاب الإسبانيين الكلاسيكيين في الأدب الانجليزي .

رأيه في اللغات

وبرزت مواهب مادرياجا في عالم الأدب ، وتوطدت صلاته بالحياة الاجتماعية والسياسية في أوروبا

العالم وطناله

للعالم

عند الإنجلوسكسونيين :

العالم مجموعة من الأجانب لم تبلغ بهم الفطنة أن يكونوا بريطانيين أو أمريكيين ..!

من لندن كتاب عنوانه : « الانجليز والفرنسيون والاسبانيون » اصدره سنة ١٩٢٩ بثلاث لغات في آن واحد . والى هذا الكتاب يرجع الفضل في ذيوع اسم المفكر الاسباني في البيئات العلمية الاوروبية . وفي الكتاب فصول ممتعة حقا عن سيكولوجية اللغات الثلاث الانجليزية والفرنسية والاسبانية ، وعن الاحوال السياسية للشعوب الثلاثة . ان الفكرة الشائعة عن الفيلولوجيا « فقه اللغة » انها دراسة ما يمكن ان يسمى ببنية اللغات . ولكن اللغات في نظر مادرياجا اكثر من مجرد حشد من الكلمات تنظمها قواعد النحو والاجرومية . ولسنا نجاوز النهج العلمي الصحيح اذا نظرنا الى العلم نوعا من النشاط الحدسي ، بدونه لا تستحق المعرفة هذا الاسم . « انما اللغات تعبيرات مباشرة عن طبائع الامم . انها الانطباع الاول لروح الانسان عن العالم الذي يحيط به . والكلمات التي يتخيلها الانسان لكي يصف بها الاشياء والافكار التي يتصورها مطابقة لما يحسه من مشاعر ، والنسق العقلي الذي يخلطه شيئا فشيئا لكي يستخدم تلك الكلمات على نحو محيط جامع – هي صورة مباشرة لطريقته في التفكير . ان الاجرومية فلسفة على الحقيقة ».

لم ينس انه اسباني

ويعتبر مادرياجا اليوم من الكتاب العالميين ولكنه لم ينس قط انه اسباني وان عليه بهذه الصفة واجبات ، فاصدر عن « اسبانيا » كتابه التاريخي الكبير سنة ١٩٣١ ضمنه ثمرة ملاحظات دقيقة عادلة وخلاصة تأمل واسع شامل . وفي عهد الجمهورية الاسبانية كان مندوبا لبلاده في عصبة الامم . وانتخب مديرا لهيئة نزع التسلح بها . ولما كان يكره النضال العنيف اسلوبا في التعبير السياسي ، فقد لبث بعيدا عن النزاع الدامي الذي هز كيان اسبانيا سنة ١٩٣٦ وان يكن قد ساند حقوق الجمهورية التي كانت هدفا للهجوم في ذلك الحين .

البحث عن الحقيقة ، مستقلة عن اهوائنا والرغائب

ان في ايمان مادرياجا بحرية الانسان ما يجعله نصيرا طبيعيا للديمقراطية ، معارضا للحكم الاستبدادي في اي صورة ظهر . ومنذ اختار العيش في المنفى سنة ١٩٣٩ ، ارضاء لحبه للحرية وسعيه الى الحق ، كما قال « كامو » ، ظل يخوض المعارك القلمية من اجل تحقيق تلك الحرية في العالم وفي اسبانيا بوجه خاص . ومع ان مادرياجا ناصر قضية الحلفاء ابان الحرب العالمية الثانية ، واشاد ببطولة الشعب السوفييتي ، الا انه استنكر احتلال براغ ، وهاجم قمع الثورة المجرية ، واخضاع التبت للسيطرة الصينية ، وعارض « باتستا » في كوبا وايد « كاسترو » وارسل اليه خطابا مفتوحا يحذره فيه من خطر التسلل الشيوعي الى كوبا . والكثيرون من المشتغلين بالشئون الدولية يعتقدون ان ما يتمتع به مادرياجا

من هيبة ونفوذ في بلاده وخارجها ، وما اتسم به من رحابة الأفق ونزاهة الغرض ، يجعل منه تلك الشخصية الدولية النادرة التي هي أقدر من غيرها على البحث عن الحق لذاته ، والارتفاع بالمبادىء عن أهواء السياسة ومجاوزة آفات المجتمع الراهن وعصبياته ، ويرشحه لأن يمثل أصدق تقاليد الإنسانية في قلب الإنسان الغربي المعاصر .

ولقد حاول مادارياجا فيما كتب عن الشئون الدولية أن يقيم نتائج بحوثه على اعتقاد عميق راسخ بوجود حقيقة موضوعية ، مستقلة عن رغباتنا وانفعالاتنا . ولا شك أن سلوك هذا الطريق يحتاج إلى قدر كبير من الشجاعة والإخلاص ؛ « لأن العالم قد قسم إلى مناطق قاربة ، معزول بعضها عن بعض ، وهي تنتج فكرا يسمى جنونا ورداءة وقد أصبحنا وإذا كل شيء يقدر بالطبيعة أو الأمة أو الدين الذي ينتمي إليه . وحيث تسود هذه النشوة الطائفية ، أو العصبية القومية ، يتعين أن يبقى الحياد والنظام والسلام وراء متناول الإنسان » . إننا نستطيع أن نواجه التحدي من عالمنا البالي ، وأن ننقذ أنفسنا من الضلال ، إذا استطعنا أن ننظم حياتنا في المجتمع متجنبين اعوجاج قوانينها الثابتة بقدر ما في الإمكان :

« أمامنا أمم وأديان وطبقات مختلفة ، فلا يسوغ لنا أن نتحيز لواحدة منها على حساب الأخرى ، ولا أن نجني على إحداها لمصلحة الأخرى ، فإن السعي الإنساني القويم يتطلب قبل كل شيء ولاء للحقيقة لا يتزعزع ولا يحيد » .

تجربته في المجال الدولي

وكتاب مادارياجا عن « تخطيط العالم » يلخص تجربة خمسة عشر عاما من النشاط الدولي المتصل . فتجربة الرجل إذن تجربة زاخرة بالآمال الواسعة ووجهات النظر الثابتة : رأى المؤلف « عصبة الأمم » في مخاضها ومن رعاتها وصانعي منشئيها ، فإذا كان قد بقي بعد ذلك مثاليا فتلك المثالية وليدة تجربة طويلة عرف أبناؤها السماحة وخيبة الأمل ، وعرف ذلك الإحساس الذي يجهد القلوب حين يخطر ببالنا أن التفكير والتدبير في أمر الإنسانية يظهرنا على أنها لا تحتكم دائما إلى العقل ، وأن الأرض أشبه بمارستان كبير . والمؤلف لا يريد أن يرفع « رجال الأعمال » فوق ناخبيهم ، بل يريد أن ينبههم إلى أن مصلحة ناخبيهم تقضي بأن نخضع الأمم الموضوعية لقانون الإنسانية ، وأن حل المشكلات السياسية يعتمد في آخر الأمر على العنصر الإنساني . صحيح أننا نجد في الإنسان أشد أنواع المقاومة ، ولكن من الإنسان أيضا نستمد القوة على التغلب على كل مقاومة : « إنما الإنسان ، لا الأشياء ، هو الذي يقوم روح السياسة . وإذا كان من اللازم أن ندرس الأشياء لكي نرى فيها المخرج من مآزق السياسة ، فإننا بدراسة الناس نستطيع آخر الأمر أن نخرج من هذه المآزق » .

الستة من التاريخ تتحدث

ولئن يكن قد غلب على مادارياجا التكوين العلمي الذي تلقاه في شبابه بمدرسة الهندسة ومدرسة التعدين ، فهو مع ذلك يعبر في مؤلفاته كلها عن عقيدة مطروحة لا تقنع بدراسة الظواهر التي هي موضوع العلم ، بل ترمي دائما إلى تخطي ذلك الظاهر إلى ما وراءه لاستكشاف الجوهر العميق.

نراه في كتابه « جنات الفردوس » يدير حوارا طريفا بين أقطاب التاريخ الحديث ، بين ملوك ستيوارت ، و« كنتك » ، وجوته ، وفولتير ، والرئيس وشنجتون ، ونابليون ، وكارل ماركس . ويتناول حوارهم ما في عالمنا المعاصر من مشكلات وأحداث ، فيناقشون السلم والحرب ، والفاشية والشيوعية ووحدة المجتمعات البشرية . وإذا بنا نتبين فيما وضع على لسان تلك الشخصيات عقيدة سمحة صافية ترتكز على ركائز من المثالية الأخلاقية .

نراه يقول على لسان واشنجتون أن « الحضارة تقوم في النهاية على الإيمان . والإيمان رابطة أدبية تجعل الناس يرتفعون فوق مصالحهم المباشرة الحيوانية ، لأن الدوافع والأخطار والنزوة عادة لا حياة فيها بغير الإيمان » .

وعلى لسان جوته : « في معركة « فالمي » تغلب الإيمان بلا مدافع على المدافع بغير إيمان » .

ويقول من تعصب الشيوعية على لسان فولتير « الشيوعية نظرية كاثوليكية محضة تؤمن بأن الدولة يجب أن تكون تحت رقابة الكنيسة . والشيوعي هو النسخة المعاصرة للجزويتي ، الغاية عنده تبرر الواسطة سواء كانت العقيدة

أو العالية أو الخضوع التام والاستسلام المطلق ولا يطيق أي دين آخر » .

ويضع على لسان والشجتون قوله : « ليس العدل والحرية صفتين يتصف بهما مجتمع متحضر ، وانما هما روح هذا المجتمع . ولا يمكن أن يدوم مجتمع بلا حرية ولا عدالة ، بل لا يمكن أن يقال انه كان للمجتمع بدونهما وجود حقيقي . وليس هناك سوى اختيار الحرية أو الطغيان . فماذا الغيت الحرية فسم طغيانك ما تشاء ، فاشية ، نازية ، دكتاتورية الصعاليك أو أي اسم آخر » .

ويقول على لسان فولتير ، موجها الحديث الى كارل ماركس : « انت تعتقد في نفسك انك من رجال العلم . ولكنك متحمس ديني لآخر مولده ثلاثة قرون . لقد قصدت أن تنشيء حكومة تقوم على سلطان العقل وانتم انما مختلفة . ولكنك انشأت عليها ، وانتهى ذلك بطبيعة الحال حربا دينية . آجيل الطراف في اوروبا بحرها قد امتدت الى القرن السادس عشر . ما الذي كنا جميعا نجاهد من اجله في القرن الثامن عشر ؟ كان الكاثوليكي والبروتستانتي يتقاتلان لاختلافهما على اختيار افضل اسلوب لعبادة الاله الرحمة . وفي العصر الحاضر يتلهف كل من الشيوعي والفاشي على قتل الآخر الزاما على اختيار افضل طريق الى السعادة » .

سياسة القوة لا تزال سائدة

ولقد حظيت الشئون السياسية الدولية في السنوات الأخيرة بالنصيب الأول من مؤلفات ماتريانجا . وهو يلاحظ في آثرها ، كما في كتابيه « سيف العبد » و « فوضى أم حكومة عالمية » ، كما لاحظ من قبل في كتابه عن « اسبانيا » ، أن العالم الحاضر منقسم على نفسه . وهو أبعد ما يكون عن الوحدة : فان المجموعات الثلاث ، السوفيتية والأمريكية والبريطانية ، لا تخرج عن أن تكون ثلاث امبراطوريات يتعارض بعضها مع بعض تعارضا موصولا .

و « الدولتان القريبتان يغلب عليهما التزام سياسة القوة ، وهما لا تزالان تمارسان لعبتهما الخطرة وان كانتا تدركان أن هذه السياسة لم تعد سياسة يتقبلها الرأي العام في أي ركن من اركان العالم ولا حتى بين شعوبهما » . وما تضعه هاتان الدولتان من الثقة في القوى الاخلاقية اقل جدا بالقياس الى ثقتهما في القوى المادية . وعلى هذا النحو تعملان كل يوم على زيادة يقينهما من الانتصار في حرب ساخنة تجعلها القنبلة الهيدروجينية اقل يقينا ، في حين انهما تزيدان كل يوم من احتمال خروجهما في حرب باردة قد تلهم العالم كله في دوامتها المسعورة » .

وكان ان جاء هذا الغرام بسياسة القوة الذي اصاب الشعوب الغربية بعواقب وخيمة وانذر بكوارث مستقلة : « وقد أبعد كل احتمال للتفاهم الصحيح ، سواء من ناحية العاطفة أو من ناحية العمل ، بين بريطانيا والولايات المتحدة . ويبدو هذه الحقيقة اوضح ما تكون حين تتقابل خطوط القوة الامريكية والبريطانية عند زاوية حادة كالصين واسبانيا مثلا » . فواضح ان سياسة ميكين كانت تكون اقل شكاسة وخطرا على الغرب لو ان بريطانيا والولايات المتحدة استطاعتا الوصول الى سياسة مشتركة بينهما في الشرق الأقصى . وواضح ايضا ان « الاتفاقات التي وقعتها الولايات المتحدة مع فرانكو ما هي ، من بعض نواحيها ، الا مثل من الامثلة على الصراع الجاري بين الدولتين القريبتين للتفوق في البر والبحر » .

قوى اخرى تناصر التحرر الانساني

لكن هناك قوى اخرى تناصر التحرر الانساني حقا وتنزع نزعة عقلية خالصة ، ساعية الى خلق عالم افضل تسوده « فيدرالية الامم » ، هادفة الى التعبير عن التعاون الواسع النطاق بين الكائنات البشرية في ارجاء هذا الكوكب عن طريق التنظيم والقواعد واساليب الحياة . وقد كانت هذه القوى باعثة على انشاء « عصبة الامم » في اخر الحرب العالمية الأولى وقيام « هيئة الامم المتحدة » في نهاية الحرب العالمية الثانية . ومع ان الروح المحركة في الحالتين كانت روحا طيبة ، كانت الافكار في كلتيهما متسمة بالسذاجة المفرطة . الا كيف يتيسر ان يحكم العالم كله عن طريق مجلس قلم تستعصي قيادته اوهو اشبه ببرج بابل ، وابعد مما يجب ان تكون منظمة كهذه ، أعني نوعا من المجالس العالمية يجمع النظر في شئون عامة الشعوب ؟ » .

ومهما يكن الامر فمن الواجب ان نذكر بان الدول الكبرى ، الى جانب سياسة القوة التي لا تزال تمعن فيها ، تشعر اليوم بان الرأي العام

في بلادهما قد اخذ بعضها الى انتهاج سياسة اخرى لا تختلف عن سياستها المضادة فحسب بل تعارضها ، مستهدفة ان تربط امم العالم بعضها ببعض في اطار من الحرية ، « ولهذا وجب على الغرب ان يجاهر بسخيا وفي وضوح بأن الاهداف التي يسعى اليها هي « الحرية لجميع امم الارض وشعوبها وان هذه الحرية هدف يتحقق على التدريج خطوة خطوة » .

ولا بد لتحقيق هذا المطمح من ان تسترد الالفاظ التي تستخدم في الشئون الدولية ما كان لها قبل ابتذالها وامتهانها من معنى في الاذهان ووقع في النفوس ، ولا بد كذلك من وضع مجموعة متماسكة من القواعد العلمية واقامة عدد من الهيئات تخترق الوطنية » ، بدلا من تلك الخطب المسهبة التي تعطل بها المؤتمرات التقليدية عن حقوق الانسان.

الشعور بالوحدة الروحية .

ان العالم وحدة . ولكن يبقى في قلب هذه الوحدة ستون فرقة ، تسميها دولا او امما او شعوبا ـ وكلها عاجزة عن ان تضع مصلحة المجموع فوق مصلحتها الخاصة . وهذه الفرق تقوم في العالم المعاصر بدور شبيه بالدور الذي تقوم به الاحزاب السياسية في الدولة المعاصرة حين تجد نفسها منكوبة بتحزب واسع وعنيف يمنعها من اخضاع شهواتها للمصلحة الوطنية العامة . ان الفشل الذي منيت به عصبة الامم ـ وقد كانت بذرة الحكومة الفيدرالية العالمية ـ راجع الى فقدان التعاون بين الدول الاعضاء . وما الوحدة التي تمثلها هيئة الامم المتحدة الا وحدة صورية برانية : « فليست السواعد هي التي ينقصها الاتحاد ، بل القلوب والاذهان التي توجه تلك السواعد » . والذي ينقص الدول الاعضاء في هذه المنظمات هو وحدة الفكر، ووحدة الهدف، ووحدة الارادة : « وبالاجمال نقول ان العالم اليوم سوق ، والعالم راى عام ، وليس العالم مدينة بعد » .

الولاء للاسرة والوطن ، والولاء للعالم

فالمشكلة ذات طابع روحي جواني . ان جذورها ممتدة في اعماق النفس البشرية،جذورها ضاربة في كوامن الانسان حيث تنبثق ضروب الولاء على اختلافها . الولاء للاسرة والقرية والمقاطعة والوطن. الناس جميعا يعرفون هذه الانواع من الولاء الجزئي الشخصي ، ولكن الولاء الكلي المجرد ـ الولاء العالمي ـ شعور غير مألوف عند اغلبية اهل الارض في هذا العصر . ومع ذلك فالشعور بالوحدة الروحية هو السبيل الوحيد الى نجاة الجماعات البشرية .

وفي كتابه « جنات الفردوس » وضع ماتوربايا على لسان متجوله ذلك التشبيه حين قال : « لاشيء ينقذ الجماعات البشرية من التفكك والانحلال سوى الشعور بالوحدة . وانا احلم باليوم الذي يحقق فيه النوع البشري والامم والافراد الوحدة الانسانية ، وهذا هو الذي يعصمهم من الفساد .. واحلم باليوم الذي يحول فيه الافراد الى الامة ـ في صورة من الخدمات التي تطلبها ـ الطاقة التي يبذلونها من القيام باودهم وتثقيفهم والحلم باليوم الذي تتلقى فيه الامم هذه الخدمات من افرادها وتحولها ـ في صورة الطاقة الاكثر تطلبا ـ الى الحكومة العالمية الشاملة . وحينئذ تكون الدنيا قد حققت اروع المثل العليا الانسانية، الحرية والنظام » .

وفي كتابه « نصف الجسد » نراه يرسل النذير اثر النذير بأن العالم ينحرف في الوقت الحاضر على غير هدى . وهو لابد ينحرف على غير هدى ما دامت تقوده زعامة تجريبية لم تتلق نفحة من الثقافة الاخلاقية ، وما دام ترابطه مجرد لعبة تلوكه الالسن ، ولا صلة له بالترابط الاخلاقي الذي فيه خلاص العالم .

عجز الانجلو سكسونيين

وقد عجز زعماء الشعوب الانجلو سكسونية في الغرب عن ادراك وحدة العالم وحدة معنوية جوهرية . « فهم لا يزالون ينظرون الى العالم على انه مجموعة من الاجانب لن تبلغ بهم الفطنة ولن يكون لهم من القدرة ما يغريهم بأن يكونوا امريكيين او بريطانيين .. فحسبي انه لا بد ان يعطى هؤلاء الاجانب النصيحة والمال والمعونة الفنية ، ولا بد من معاونتهم حتى يقفوا على اقدامهم ، ولا بد من تشجيعهم واستهوائهم ومعاملتهم في رفق ويسر ، ولا بد من عمل كل شيء من اجلهم ، الا ان يسمح لهم بأن يكونوا اندادا يقفون على قدم المساواة

في عالم يقوم على اسس التعاون والحق : فذلك ما لم يستطع زعماء الشعوب الانجلو سكسونية ان يروضوا انفسهم عليه حتى الآن . انهم لا يزالون يركضون وقد امتطوا صهوة فرس بالرستون التي لا ترى ولا تسمع حتى يأتي يوم تدوس باقدامها على الزر الذي يشعل القنبلة الذرية ،فيستيقظوا من سباتهم نادمين يوم لا ينفع الندم، وهم يمتثلون بعبارة شكسبير: آه يا ايلجو ! ما اشد رثاءنا له.

العالم « الحر » لا يدرك اهدافه

ان العالم المزعوم بلقب « الحر » ينقصه الوعي الانساني الصحيح ، انه لا يدرك اهدافه ، وقد حال بينه وبين هذا الادراك تعدد شخصيات تعدد شعوبه واحزابه وطوائفه ومذاهبه .ويقول مادرياجا :

« وزاد من هذه النزعة الجافة عقلية الشعوب الانجلوسكسونية التي تتزعم العالم الحر الى الناحية التجريبية الصرفة (لقد قال لي مرة مفكر امريكي : نحن كل شيء لا نريد افكارا ، بل وقائع !) . ان الانجلو اهل عمل وتنفيذ يشتغلون بعمل الاشياء وتنفيذها بقدر ما يفرون من التفكير فيها . لهذا كانت المذاهب عند الانجلو سكسونيين تنزع دائما الى التوازي في اطلاق مزاج تسلط فيه عليهم خواطر يوم الاحد ، وتسيطر عليهم فيه الوصايا العشر ، فلا يكون لهم مزاج ايام الاسبوع. ولعل في هذا ما يفسر الدافع الذي دفع روزفلت الى تفتيت الحرية الى عدد من الحريات ، كأنما ومن كانما حتى يجيء بذلك شأنا او جملة من الشئون تشغل سائر ايام الاسبوع ويخشى لارباب الاعمال ان يناقشوها . ولكن التصرف على هذا النحو قد ادى الى ان المبدأ الشامل الوحيدالذى يسرى على جميع الناس وجميع الامم ، في جميع العصور والفترات ، قد تفتت وتبدد في مشكلات محلية جزئية (التصارع في الغالب) وضاعت الوحدة التي كان من الممكن ان يوحي بها الينا ».

الرأى العام عامل من عوامل السلام

ان السلام ليس سلبيا ، وانما هو استمتاع بالحرية والامن استمتاعا ايجابيا يشد من ازره التفكير المستند الى العقل والروية . السلام الحقيقي وليد اتفاق حر بين جماعات حرة ، والحقيقة الاساسية التي تعتبر حجر الزاوية في يومنا هذا هي تزايد الرأى العام العالمي قوة واتساعاً،وهي حقيقة لا يمكن ان يرقى اليها الشك. وآية ذلك ان ما كانت تنشره الصحف الامريكية من الانباء الخارجية في سنة ١٩٣٠ مثلا لم يكن يصل في جملته الى عشر ما تنشره اليوم تلك الصحف . وآية ذلك ايضا ما شهدنا من قوة الرأى العام في ازمة السويس : « فقد رأينا كيف اضطرت فرنسا وانجلترا الى التخلي عن حملتهما على قناة السويس حتى لا تتحديا الرأى العالمي العام ، ورأينا كيف عاد الرئيس ايزنهاور فكف يده عن فوريلا بعد الحركة الصاخبة التي بدت منه على اثر الجو المضطرم الذى استقبل به نائب الرئيس نكسون فيها . ان مثل هذا السلوك الذى يقوم على كبح جماح النفس ما كان ليحدث بل ما كان ليخطر على البال ايام الرئيس ولسون ولويد جورج - ونحن هنا انما نخص بالذكر النخبة من الزعماء الاحرار الذين تشربوا روح الديمقراطية وعاشوا في الماضي القريب ، ومع ذلك لم يترددوا في استخدام ما اسماه تيودور روزفلت بالعصى الغليظة » .

اسباني مولدا ، وعالمي عقيدة

وبعد فما من شيء هو اشد دلالةعلى روح العالمية عند مادرياجا من ذلك اللقب الذى اختاره لنفسه في بعض كتبه : « سلفادور مادرياجا : اسباني بمولده ومواطن عالمي بعقيدته » .

ولقد صدق « البير كامو » اذ تحدث عن « القيمة الانسانية » التي سما اليها مادرياجا ، وها هو ذا فائز آخر بجائزة نوبل « سان جون بيرس » يعبر عن اعجابه بالمفكر الاسباني في برقية ارسلها الى المنظمة العالمية لحرية الثقافة في مناسبة احتفالها بذلك المفكر في عيده الخامس والسبعين فيقول : « بالاضافة الى ما اكنه في نفسي من شعور عميق نحو مادرياجا ، الانسان والصديق الذى طال اغترابه عن وطنه الاول ، اود ان اضم صوتي الى اصوات اولئك الذين يكرمون اليوم، اذ يحتفلون برجل صان نفسه عن مزالق المجتمع العصرى الحاضر ، وبقى قلبه موالياً لارفع مشاعر الانسانية واصدقها » . ■■

عثمان امين



بقلم : خالد سعود الزيد

مدينـة الكويت ، على ضفاف الخليج الخالدة ولد شاعر الخليج الكبير الأستاذ المرحوم خالد محمد الفرج سنة ١٣١٦ هـ ، ١٨٩٨ م . وأول من أطلق عليه لقب شاعر الخليج هو الأستاذ محمد علي الطاهر صاحب جريدة (الشورى) الفلسطينية ، ولم يكن في الخليج من يضاهيه حينذاك أحد من الشعراء .

نشأته

نشأ الشاعر في بيت موفور النعمة والجاه ، وتهيأت له أسباب الدرس والتحصيل التي حُرم منها أقرانه . فتلقى دروسه الأولى في الكتّاب ، ثم لما ظهرت عليه بوادر النبوغ واستبان أهله لهفته الصادقة في تلقي الدروس وفروا له من الكتب والمدرسين الخصوصيين الأكفاء من قاموا على تعليمه وتنشئته تنشئة ثقافية عالية .

في المدرسة المباركية

وعند افتتاح المدرسة المباركية التحق بها ، وأخذ يتخطى كل صفين بسنة واحدة ، ولم يكن في المدرسة غير ستة صفوف فقط . وعند مست الحاجة إلى ترشيح بعض الطلبة ليقوموا بمهمة التدريس ، فكان خالد الفرج هو أول من درس التلاميذ في المدرسة . وانكب في هذه الأثناء على متابعة الدراسة بنفسه والتنقيب في بطون الكتب وأمهات المراجع في الثقافة العربية فجنى العلم الوافر وتزود بالثقافة الواسعة ، مع ما كان له من ذكاء وافر وقريحة ملحة تواقة لحب الاستطلاع .

في الهند

وفي سنة ١٣٣٦ غادر الكويت إلى مدينة بومبي، شأن سائر الكويتيين الذين يذهبون إلى الهند للتجارة . فطاب له المقام هناك ، فاستقر واشتغل كاتبا عند أحد التجار الكويتيين وأخذ يتعلم اللغة الإنجليزية ، واللغات الهندية ، فتعرف على آداب الهنود وطباعهم . وأسس مطبعة سماها « المطبعة العمومية » .



في البحرين

وفي سنة ١٣٤١هـ ١٩٢٢م ، زار البحرين لبعض المهام ، فاعجبته مدنيتها ونهضتها الفكرية ، فاستطاب جوها وأقام بها . وصادف وجود (الدواسر) وهم أبناء قبيلته ، وأصله الذي ينتمي اليه في مساكنهم بمدينة (البديع) ، وهي مدينة تقع على بعد ساعتين من المنامة عاصمة البحرين . فاحلوه ضيفا عليهم . وكان حاكم البحرين آنذاك هو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وقد اشتهر بعدله ونزاهته ، ولقد قال فيه المرحوم امين الريحاني في كتابه (ملوك العرب) : « اما العدل فقد كان غالبا ممتزا في عهده . والحق اقول ان الشيخ عيسى نفسه لم يظلم انسانا في مدة حكم استمر خمسا وخمسين سنة » .

مع الرافعي في مصر

ولقد كانت حياة خالد الادبية في البحرين لحياة برة ، لتوفر الحرية له وانبساط باله هناك ، فشارك في مجال النهضة الفكرية بها . وكان هو في الهند على اتصال ببعض الصحف العربية في مصر وغيرها . وقد استطاع أن يمنع المرحوم امين الرافعي صاحب جريدة (الاخبار) المصرية لفتح صدر جريدته لفضح اعمال الانكليز في البحرين والخليج العربي ، وقد كتب الشاعر مقالات عن مساوىء الاستعمار الانجليزي وندد به . ولما توفي امين الرافعي في ٧ رجب سنة ١٣٤٦هـ ، ١٩٢٧م رثاه الشاعر بقصيدة تدل على الأسى العميق وجلل المصاب في وفاته ، وأثره على الشرق العربي والخليج خاصة

[illegible]

الى ان يأتي على ذكر جريدة (الاخبار)

[illegible]

---

(١) العربي ... محمد بكامل زعيم مصر مصطفى كامل باشا ، وكان ... الى التراب بنحو ٢٠ عاما

(٢) هو الميجر ديلي الذي قلب نظام الحكم في البحرين وبقي على كافة السلطات بيد من حديد وسيأتي ذكره في هذا المقال عند ذكر مغادرة الشاعر للبحرين .

وعـدوا في حبهـا عشـا كمن
كلف الشمس حتى الصحو احتجابا

أنسه بالبحرين واشادته بامجادها

لقد أنس الشاعر بالبحرين كما أنست به ، فأشاد بأمجادها التي هي أمجاده وأمجاد أمته العرب الأولين ، ولم ينس أن يسجل كرم ضيافتها وجميل احتفالها به فقال

بلادٌ وسط الخليج تلألأت
وزهت عليه ثغورها الوقاد

الدرّ من حصبائها والتبر من
أمواهها والمجد في الأولاد

تلقى النزيل بمثل شهد نحلها
وتضمه بالصدر والأكباد

الى أن يقول مصححا حاضرها المتحد المرتبط بماضيها المجيد :

والمجد فيها شامخ متقادم
للمرء ما يرجع عصره أو عاد

في كل شبر قلعة أو معبد
هذي له ظاهرة ودلالة بادي

وبكل يوم عود مجد قاسم
مجد طريف فوق مجد تلاد

ولا شك ان البحرين جديرة بكل هذا التمجيد وهذا النشيد . فقد امتزجت بحبها وسكبت عليه من جميلها بما لم يدركه في حساب ، وما استعبد الانسانَ كالاحسان ، فرابه حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة واجزل له العطاء . وصار استاذا في مدرسة (الهداية الخليفية) ومن عضوا في نفس الوقت في المجلس البلدي للبحرين ، وكانت صلته برجالها واحرارها قوية متينة ، ثم فوق كل ذلك اليست البحرين جزءا من الوطن العربي الذي آمن به وكلف بحدوده المستحقة . فان مواقع البحرين والمتواجدين فيها مالسيه، ليس حرج عليه ان شاركها آلامها وأشاد بماضيها وآمالها . ففي قصيدته التي بعث بها من البحرين سنة ١٣٤٥ هـ ، ١٩٢٦م الى الشاعر الكويتي عبد اللطيف النصف ، دليل متين على رسوخ العقيدة القومية في نفسه وبدعه فالعرب امة واحدة وكل لا يتجزأ .

صرخ بنا لعمر الخيال فانه
رجع الخيال للسطة خطراته

هل في الجزيرة غير شعب واحد
قد مزّقتنا بينه البدا وعداته

نعم ليس في الجزيرة غير شعب واحد ولكن

من في (بسرة) يضم صدوره
وطنيه تجمع شتها الشتات

ليعيد من عطفي الممالك وحدة
والعلم يحمل عرشه راياته

شعب يتم لعطفي ركن أساسه
ويتم تولا في العلى غير ثابته

وهكذا ظل في البحرين لا يزور الكويت الا لماما ، ولكن ايام السرور كما يقولون قصار ، ففي سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م قام الميجر ديلي بانقلاب على الشيخ عيسى بن علي آل خليفه وقبض على كافة السلطات بيد من حديد ، وكبت الحريات ، وأسر زعماء البلاد وزجهم في السجون ، فثارت قبيلة (الدواسر) ونزحت من البحرين غضبا لعزل الشيخ عيسى ، وسكنوا الدمام في السعودية وهم اول من عمرها بقيادة زعيمهم احمد بن عبد الله الدوسري . وطلبوا من الشاعر ان يصحبهم الى هناك ، لكنه استمهلهم ريثما يزور الكويت ، فجاء الكويت واستبشرت به واحتفى به ابناؤها واقيمت تكريما له حفلة في (ربيع الاول سنة ١٣٤٦ ، اول سبتمبر ١٩٢٧ فالقى قصيدته المشهورة (الغرب والشرق) التي مطلعها .

الغرب قد شهد في عبثه
والشرق آه يعدّ في غفلته

وكلما جدد ماصلته
يستلم الشرق الى رحمته

ليجمع الغربي وحداته
والشرق مقسوم على وحدته

الى أن يصل الى البحرين الجريحة فيقول

وحسبك البحرين معولة
يتوجها الغرب الى حضرته

قد ابعد الاحرار عن دارهم
وقرّب الانذال من حضرته

في السعودية

وفي الكويت التقى به الاديب الكويتي والكاتب البحاثة المرحوم السيد هاشم الرفاعي ، فعرض عليه أن يرحل معه الى السعودية ليطوبه في ادارة مالية القطيف ، فمانع أولا ، ولكنه لما علم ان الانجليز قرروا منعه من دخول البحرين سافر الى الدمام حيث قبيلته وابناء عشيرته . وما ان حل الدمام حتى تلقفه رجال ابن السعود واخذوه اليه ، فرحب به الملك عبد العزيز الطيب ترحيب واكرم وفادته وولاه بلدية الاحساء ، ثم بلدية القطيف . ولقد ذاع له صيت عظيم في اقطار الجزيرة فتقرب اليه الادباء والشعراء واصحاب الامر فيها ، وكان ممن تودد له ومال الى صحبته الشيخ عبد الله بن سليمان وزير المالية ، ولقد اعتمد هذا الوزير على الشاعر عملا كثيرا وطلب منه ان يشرف على الاذاعة السعودية ، فقام بتأسيسها والاشراف على برامجها ثم عاد الى ادارة بلدية القطيف، غير انه تحت الالحاح الشديد من قبل ابن سليمان اخذ يذيع من دار الاذاعة بعض المحاضرات . ثم استقال من منصب مدير بلدية القطيف واستقر في مدينة الدمام واسس فيها مطبعة سماها (المطبعة السعودية) .

وقبيل وفاته بسنين انتقل الى دمشق ، وفي ربيع الثاني عام ١٣٧٤ هـ ـــ ١٩٥٤ توفاه الله في لبنان على اثر نزهة في الصحة .

شعره وشاعريته

لخالد الفرج اسلوب خاص في عرض المشاكل الاجتماعية وطريقة فريدة في تصوير الواقع تصويرا ساخرا ساحرا يأسر السمع ويستحوذ على الافئدة ويمتع الالباب بالمشاهد الحية الصادقة التي قل ان يوفق الى تصويرها فنان ، كما في شعره من لمسات انسانية صادقة وحركات اجتماعية موفقة وعاطفة تفيض بالحنان احيانا وتزمجر كالبركان احيانا اخرى .

ولقد ولع في تصيد الحوادث وتسجيلها شعرا فكان يصورها كما قال المرحوم الاستاذ عبدالعزيز الرشيد (في اجمل حلة واحلى بيان) . عبر في ادبه عن مجتمع الكويت فيما قبل النفط تعبيرا شفافا ، وصوره تصويرا دقيقا موفقا .

وصفه الجموع المحتشدة المتصارعة على الماء عند الساحل

وقصيدته التي يصف فيها الجموع المحتشدة على الساحل ، المتصارعة من اجل الوصول الى الماء يوم كانت تنقله السفن الشراعية من شط العرب تشرح لنا اسلوبه وطريقته في تصوير الحوادث ، هذا التصوير الساخر الساحر فلنسمعه فيها لنتعرف عليه :

تصوّر عند هذا لا شيء فيه
سوى رمل به وخدُ السباع

ولا ماءٌ لدى الرمضاء الا
عليه الرمل ناف بألف باع

ولا شجر لدى الصحراء الا
هشيمٌ جفّه من أنس البقاع

فذاك عدو بكوبه وسكره
اذا دُعيوا (بجرم) غير ساع

ولا تصورون (اليوم) طيرا
لما هو غير ذلك ذي صراع

يحوم الماء حاملات خوالا
يحلُّ الماء للصيد امتناع

ولنقف مع الشاعر قليلا بخشوع ، ولتنصت الأسماع والقلوب ليحدثنا حديث الصادق الخبير بهذه التراتيم الحية الشجية ، النابعة من صميم وجدانه وواقعه من هذا الصراع الاليم في سبيل الماء :

أمرّتي مسلك الرواح فانني
محتاج لتصحيح منك واع

أفيّ طيبك ما أحتى لزادي
وكلٌّ من الصيام به يتراعى

حتى كـ ترى الجموع على (بثرهم)
به وشلُ الثيل من الفراع

فكم من حرةٍ فزعت وحر
وساد اللّه صاعٌ بصاع

وقد غشي الضعيف وكاد يقضي
وصار الماء للبطل الشجاع

بهذا الاسلوب التهكمي الساخر وبهذا الشعور الانساني النبيل ، رأينا كيف عرض علينا الشاعر

صورة حية من صور الحق والواقع . وانك وانت تقرأ هذه القصيدة لتحس كأنك امام المشهد وجها لوجه ، فبعد ان اوضح لنا صورة البيئة وجسدها في اطار شعري رائع ، انبعث ليحيا اثر هذه البيئة في حياة الناس . فما رأى خيرا من تصوير العطش في الصحراء فنقلنا الى مشهد مصور صاخب يضج بالحركة وينطق بالوجود .

احتفاله بالعيد

ولو تأملنا شعره الاجتماعي وسرّحنا فيه الطرف لوجدناه لوحة ناطقة تنبعث من شعور صادق وتتكلم عن قلب يفيض رحمة وحنانا ، وتترجم عن واقع محسوس ملموس ، فاذا جاء العيد وانصرف الناس يحيونه بما لديهم من سرور وفرح وحبور ، نجد العيد عنده ليس في الظاهر ولا في القشور ، بل هو وحي متجدد يدعوها للتعبير عن واقع حي وحيلة مادية فيها تصوير الآلام مجسمة في نفسه والتعبير عن امال نفسه لمجتمعه . فاليكه وهو يحتفل بالعيد على طريقته الخاصة .

أقبلت يا عيد باحتفال [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

فالجاهل عنده هو الذي يغر بباهر مظاهر العيد ، اما الخبير الحكيم الذي قلب بصره واجال بصيرته في زوايات العيد الخوالي فلن يرى في العيد ووجوه في شهرين الظاهر زائف وسراب خلاب ، لا يغني ولا يسمن من جوع :

اني ارى فيك حين ازهر [illegible]
[illegible]

لم تبق زوراتك الخوالي
لرائع الفكر من مجال

لم يعير الشاعر وجهه في النواحي باحثا عن الانسان الذي لا يغره العيد بباهر مظاهره ، فلا يجد غير اشباح يحوطهم العصر قائما بالرجال .

أدير وجهي الى النواحي
وأقلب الطرف في المجال

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

قصيدته الى الجامعة العربية والعرب

اما مواقف الشاعر من احداث السياسة واسلوبه في معالجتها فهو يتخذ نفس الطريقة التهكمية التي سلكها في شعره الاجتماعي فالقصيدة التي وجهها الى الجامعة العربية بمناسبة احد اجتماعاتها ، تشرح اسلوبه ، وطريقته وتكشف عن نفسه الساخرة .

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

الى أن ينتهي بمثل ما ابتدأ به من تهكم قائلا .

[illegible]
[illegible]

وكم تمنى يتفكك الامة العربية وتمنى لو اتاح الله لها شخصية كشخصية بسمرك يضم صفوفها ويلم شعثها ويعيد للشعب العربي مكانته .

من لي (بسمرك) يضم صفوفه
[illegible] أشتاته

يريـد من خلق الملائك وحدة
والعلم تحقيق قوتها وإبائه

شعب بنو قحطان ركن أساسه
وبنو نزار في المعالي فرعه

لقد أصبحت الأمة العربية دويلات تذكرنا بدويلات الأندلس ، لا يعطف بعضها على بعض ، متناحرة فيما بينها ، يعيث بسلطانها الأجنبي ويحكم في مصيرها الغريب ، ولو أنها اجتمعت تحت راية واحدة لعزت على كل طامع ، ولما سهل اخضاعها وإذلالها .

عندي بلاد العرب في تمزقها
لا يعطف الجار على جاره

في كل شبر دولة تاجها
لصاحب النيل في جولته

وحدة الدولات مجموعها
خير أن يمشيه في كثرته

تجمعنا لنحو جمعت لنصبة
لن تنصب المصالح في صفحته

وقال في فلسطين

آمن الشاعر بوحدة الكفاح العربي ، كما آمن بوحدة الأرض العربية ، لذلك فقد ثار مع الفلسطينيين سنة ١٩٣٦ م وليستعر آلامهم وآمالهم عندما بوعد بلفور فنشر قصيدته (عيد بلفور) شاجبا تصريح بلفور ، مستنكرا عدوانه على حقوق شعب فلسطين العربية .

عيدي فلسطين الوعود
عيد في مصائبها عديد

ما ينقضي زلزالها
حتى تزلزل من جديد

ثم يخاطب بلفور قائلا :

من نيل وعدك بالعطا
ما لك الممدود والممدود

فاحذر من العرب الأبا
ة أن يأتيهم شديد

الثائر دار جنودهم
من عهد كنعان العهيد

ولكن يدور الفلك دورته وتقع فلسطين فريسة الظلم والإرهاب فيؤسس اليهود دولتهم المزعومة ، فيلتفت الشاعر والحسرة تطوق قلبه والألم يعصر روحه إلى اجتماع لجنة الهدنة (بلوزان) برئاسة مدير خارجية تركيا (يلجان) وهو يهودي الأصل فيخاطب العرب قائلا .

يا ليت شعري هل العربان عربان
وقد رأت ذلهم والخزي (لوزان)

واسوأتاه وللتاريخ عبرته
أن الرئيس على المأساة (يلجان)

ليست فلسطين إلا مثل أندلس
قضى على أهلها بغي وعدوان

لم الذهاب إلى (لوزان) في صفة
الاستعطاف ؟ فليت القوم ما كانوا !

قد سلموا قبل (لوزان) بلادهم
فأصبحت منهم دور وأوطان

بهذه اللوعة وهذا الأسى يبكي الشاعر مأساة فلسطين وينعي أهلها الذين راحوا ضحية الغدر والعدوان وضحية العالم الحر الذي اعترف بواقع الأمر فورا في فلسطين .

ودولة تدعي الحرية اعترفت
بواقع الأمر فورا في فلسطين

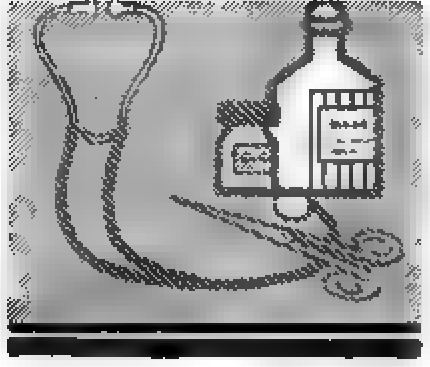
وسلمت كل أشغال بمرتبها
قتلا وصيتا الاف المساكين

في (ليبيا) وسواها كل أوسمة
مثل الضحايا التي في (دير ياسين)

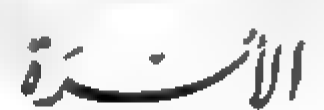
ويمضي مع الشاعر عبر أحاسيسه ومشاعره ، فنجده يتعدى الحدود العربية ويتخطاها إلى آفاق عالمية فيعيش مع بني الإنسان طرا ، ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم ، فتستبين ذلك من قصائده (كوريا) و (ميثاق السلام) وتحيته لزعيم الهند المهاتما غاندي وزعيم الصين (صن يات صن) ولو شئنا أن نطوف مع الشاعر في قصائده ومواضيع نظمه ، لأعجزنا التطواف .

رحم الله الشاعر وتغمده برضوانه . ■■

الكويت : خالد سعود الزيد







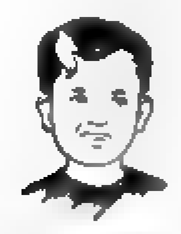
زيت السمك هل يعطي السرطان

ـ كنت مع جماعة من الامهات الخبيرات، وتحدثنا في الطبخ واصول الطبخ ، ولما جئنا على الزيت وقلي السمك ، قالت الواحدة منهن انه من الضرر الكبير على الصحة ان تستخدم الطابخة نفس الزيت مرة بعد مرة . وقالت اخرى نعم ، وان هذا يسبب السرطان لآكل السمك . فهل هذا صحيح ؟

● هذه الشائعة يا سيدتي لا بد خرجت من احد المختبرات التي تجرى فيها التجارب في مرض السرطان ، او لعلها المصادفة البحتة ، فان بعض هذه المختبرات تقول انها استطاعت ان تحدث السرطان في الفئران بواسطة الزيت بعد تسخينه تسخينا شديدا . ولكنه تسخين لا يمكن ان يبلغه وهو في وعاء القلي ابدا في المطابخ . على كل حال شائعات السرطان واسبابه الآن كثرت لدرجة صارت اقرب الى ان تثير في سامعيها التفكه من أن تثير الخوف .

واعود الى زيت السمك في المطبخ فاقول انه لا يحدث السرطان قط ، وقد اجريت عليه تجارب ذلك صراحة وبنمة على ما اقول .

ثم نقطة تنساها الطابخات . ان الزيت الذي يتكرر القلي به ليس هو الزيت الذي بدأت به الطابخة اول مرة . ان جزءا منه يضيع في كل قلية سمك . والطابخة تضيف اليه جديدا كل حين بدلا من الفاقد ، وبالتكرار لا يبقى في الزيت من قديمه الا مقدار لا يذكر .



صبي ناله الشيب

● لي ولد يبلغ الحادية عشرة تقريبا ، وشعره كستنائي اللون . ولقد ظهرت فيه في العام الماضي ، خصلة صغيرة من الشعر مسها الشيب . فهل شاب ولدي قبل اوانه ، وهل يمتد هذا الشيب ، وكيف نتقبله عند صبه ؟

ـ هذا حادث ليس ولدك منه فرداً وحيداً . فلقد عرف أن الشعر يشيب في الصبية وهم في سن العاشرة . وهنالك احتمال أن هذا الشيب يكون أسرع الى رؤوس هؤلاء الصبية قبل غيرهم من الرجال عندما يكبرون . والعلماء يرجعون هذا الى صفة أصيلة في الميراث التناسلي الذي ورثوه من آبائهم وأجدادهم ، يظهر

دفايات الكيروسين ، هل منها ضرر ؟

● حل الشتاء ، ونحن نستخدم دفايات الكيروسين ، فهل هي ضارة ، لا سيما فيمن يصاب بالربو . وهل هي تحدث السرطان ؟

— شرطان لا بد أن يتوفرا في موقد الكيروسين . أولهما أن يحترق الكيروسين فيه احتراقا كاملا . والاحتراق الناقص دليله صفرة الشعلة . وثانيهما : أن الحجرة التي بها الموقد يجب أن لا تكون حجرة مقفلة ، أي لا مهرب للهواء منها . ذلك لأن غازات الاحتراق لا بد من ازاحتها خارج الحجرة الحين بعد الحين .

ثم لا ننسى أخذ الحذر من هذه المواقد ، بسبب الأطفال وعبثهم بها ، أو بسبب الآخرين من خدم ، وغير خدم ، الذين قد يكونون شرا من الأطفال .

في الانسان الهائلة حيا ويختفي حيا .

ولقد ذكرت في كتابك ان صحته ولذلك على ما يرام . وما ذكرت من معالجة ذلك باختيار صنوف خاصة من الطعام لا يصنع شيئا . ان كان لا بد من تغيير اللون ، لم يبق له غير الصبغ .

أنا متقدم في السن ، وفقدت رجلاي الكثير من الاحساس . .

— أنا رجل فوق الستين . وأنا مصاب بداء السكر ، وفوق هذا وذاك فقدت رجلاي الكثير من الحس . فأنا في اليقظة ينخلع من رجلي شبشبي ، ولا أحس بانخلاعه . وفي الليل ، في البرد ، أحس البرد في رجلي وفي الأخمص في قدمي ، ولا سيما في الفراش ، فماذا أصنع ؟

● ان كثيرا من الأشياخ ، ولا سيما المصابين بداء السكر ، يعانون من بطء الدورة الدموية وقلة الاحساس في الأقدام . ولهذا تجب عليهم العناية كل العناية بأقدامهم ، فكثيرا ما يحدث بها من أذى أهون أذى الى تقيح يحدث في الرجل بسبب عدوى ، مع بطء الدورة ، وغفلة صاحب القدم عن ذلك لقلة احساسه بما يجري هناك .

ونصيحة الأطباء في هذه الحالة هي العناية البالغة بنظافة القدم ، لأنها تمنع الميكروب أن يدخل اليها ويسبب التقيح الذي كثيرا ما ينتهي بالبتر . وذلك بغسل القدمين كل يوم بالماء الدافيء (لا الساخن) والصابون ، ثم تجفيفهما ، الأصابع . والأظافر تقلم من بعد غسل القدم ، فهي عندئذ تكون لا تزال طرية . وقطعها يجب أن تكون قطعا سليما مستقيما لا يدور مع شكل الظفر الطبيعي . وهذا يحتاج الى بصر سليم . ولغير ذي البصر السليم أن يستعين بمن له بصر سليم .

ويجب تجنيب القدم والساق البرودة الزائدة ، وكذلك السخونة الزائدة . فالرجل التي فقدت الاحساس لا تكاد تحس بالسخونة عندما تزيد وإذن فهي قد تحترق . ومعالجة الحروق اذا وقعت مع الدورة الدموية البطيئة شيء يطول .

اما ان تبرد القدمان والرجلان في الفراش ليلا ، فعلاج ذلك لبس الجوارب الصوف الواسعه ، لا زجاجات الماء الساخن ، فهذه استعمالها خطر مع فقدان الحس . ويحظر استخدامها في تدفئه الاقدام والسيقان ، واي جزء من الرجل تحت الركبة ، الا اذا هي لفت بفوطه او نحوها .

والمشي على الحفاء في الظلام ممنوع ، فانك لا تدرى ماذا يصيب القدم مما لا تحس به .

نصائح الاطباء كثيرة نكتفي بما اوردنا .

على ان الشيخ الذي هذه حاله ، اذا احس الما ، او ورما في قدمه ، او تغير لونها ، فعليه بالطبيب على الفور ، فمن يدرى !



– وزني يزيد ، واظن ان الطعام الذي آكله ليس كثيرا .... واعرض نفسي على الاطباء فلا اجد منهم الا النصيحة بتقليل الطعام ... واشتريت ميزانا لوزن الجسم بدينارين ، ولكنه يدل كل يوم على وزن مختلف ... و ... و ..

● الاطباء الذين استنصحتهم على حق ، اذا قالوا لك انك تاكل كثيرا فمعنى الكثير هنا انك تاكل اكثر مما يحتاجه جسمك ، وما يحتاج عملك . فالطعام يحرق في العمل عند بذل المجهود الجثماني ، وهو يقوم ببناء ما تهدم من الخلايا . والذى يفيض يتراكم فوق جسمك . وانفتاح الشهيه ليس دليلا ، كما تقول ، على حاجة الجسم الى الطعام . واما ان صديقك وجارك الذي تذكر اربع منك جسما واكثر منك اكلا فذلك لا يقوم حجه يبرر ما تاكل . فصديقك الربيع هذا ربما يبذل من المجهود في حياته اكثر مما تبذل . وربما يحرق جسمه ، من حيث تاليفه ، اكثر مما تحرق ، وربما يمتص جسمه من قناة هضمه من الطعام اقل ما تمتص انت .

ولا تركن الى ما يقولون من ان السمنة راجعة الى الوراثة ، والى الغدد وغير ذلك ، فهذه لا تصدق في الاكثر ولكنها تمنع علة تبرر الشبع ، لان القيام قبل الشبع يعطي الناس الاحساس بالحرمان .

ذهب رجل ، اب كريم ذو اسرة هو راع لها ، رؤوف بها . ذهب يؤمن على حياته بمبلغ ذي بال ، يضمن لزوجته واولاده من بعده الخير الكثير . وامتحنه الطبيب المختص ليجيز التأمين ، وبعد فحص هز الطبيب راسه وقال له : هل لك في نصيحه ؟ قال نعم . قال نصيحتي ان تؤمن على اولادك باسلوب غير هذا . قال : كيف ؟ قال الطبيب ان الزيادة في وزنك كادت تنذر في حالتك هذه بامور جسام . والتامين الذي تطلب يؤمن لزوجك واولادك المال من بعدك . ولكن اي مال يقوم مقام الزوج ، ويقوم مقام الأب .

وصدق الطبيب . فمات هذا الزوج والأب بداء القلب بعد سنتين ، وما اغنى عنه ماله وما ترك لزوجه واولاده .

اما الميزان الذي اشتريت يا سيدى السائل ، فالثمن الذي دفعت فيه هو الثمن المعتاد . ولعل الشركه التي صنعته ، وهنالك شركات كثيرة ، شركة ذات اسم محترم . اما الاختلاف فالمفروض دائما ان تزن جسمك عاريا ، والا بملابس داخلية خفيفه تظل دائما واحدة . ثم تزن نفسك في ظرف واحد ، كان تزن نفسك دائما في الصباح وقبل الافطار .

وقد جاء ياسيدي السائل ، سؤالك في وقت مناسب . ولجوابه مناسبة كذلك طيبة . فشهر رمضان قد اقترب . وشهر رمضان هو شهر الصيام اقلل الطعام ، فالنصيحة التي اديناها واجبه .





سَاقٌ وَاحِدَة..

قصة بقلم

جان الكسان

● قام عرس في مخيم اليرموك ...

سار العريس في ضجة الاهازيج والزغاريد يرتدي بدلة كحلية وعلى وجهه سعادة راعشة ، والى جانبه سارت عروسه وهي تستند الى عكازين لانها بساق واحدة ..

كانت العروس صبيحة ، وادعة الوجه ، خجلة المحيا ، وفي عينيها حزن دفين يشوب الفرحة التي انسمت فيهما دمعا ولؤلؤا ...

كان العرس مفاجأة للذين لا يعرفون الحكاية ، كانوا يظنون ان الساق المبتورة ستقف حائلا دون نصيب صبيحة في الزواج ، وقد ازدادت دهشتهم عندما علموا ان العريس هو خليل ، انجح شباب المخيم ، واكثرهم ظرفا ورجولة ..

انا اعرف الحكاية .. سأعود بكم الى ستة عشر عاما ... نحن الآن في العام الرابع بعد الستين والتسعمئة والالف للميلاد ... عرفتم الآن التاريخ ..اجل .. انه تاريخ النكبة .. عشنا في أرضنا الخضراء الحلوة .. في فلسطين ..

كنت في العاشرة من عمري ، وكان خليل ســي

.. فنحن من قرية واحدة .. كانت الحرب قد اشتعلت في كل القرى ، كان الرجال يقاتلون عصابات الصهاينة بضراوة ، وكانت قريتنا مهددة في كل لحظة ، فالسلاح الذي في أيدي رجالها قليل .. وهم معدودون ...

وفي ليلة هبط القرية شيخ على محياه نور وفي عينيه شيء من إيمان الأنبياء ، جمع أهل القرية قرب البيادر وراح يحدث الجميع ، وكنا ، خليل وأنا ، بين المجتمعين ..

قال الشيخ بعد قليل سأريكم سلاح صبيحة..

إنها طفلة حلوة ، أخلاقها جمة ، ماتت أمها منذ سنوات فراحت هي تحاول أن تكون أكبر من سنها ، وأن تملأ الفراغ الذي خلفته أمها .. كانت تستيقظ في ليالي الشتاء لتوقد النار وتجهز لي الشاي الساخن ..

إنها وحيدتي .. وأنا أحبها كثيرا .. وأرتاح عندما أعود في المساء من البيارة لأترك تعب النهار بابتسامة هنيئة في ظل الهالة التي تستيقظ في عينيها ..

ابنتي هذه سأريكم سلاحها .. سيقول لكم سلاحها أننا نحارب ، ولماذا ينبغي علينا ألا نخذل أنفسنا مهما كانت التضحيات ...

لقد علمت أن اليأس دب في قلوب البعض منكم لقلة السلاح في أيديكم ، وهذا ما وجدته في قرى أخرى ، ولهذا أرى أن من واجبي أن أحدثكم وأنبه من عزيمتكم لا تسقطوا ، فهذا هو واجب شيخ مريض ينوء تحت حمل السلاح .

أنتم لا تعرفونني ، ولكني من هذه الأرض ، كانت قريتنا أول أهداف زحف العصابات الصهيونية التي تجتاح البلاد كالجراد .. فقد صمدت قريتنا ببسالة قبل أن تسقط .. لم تكن الإمدادات قد وصلتنا عندما فوجئنا بهجوم ليلي يشنه علينا أفراد تلك العصابة ... لم تفجعنا المفاجأة بل دفعتنا إلى العمل السريع الحاسم ، فانتقلنا نحن رجال البلدة وتسابقنا إلى مركز الحماية نتعاون مع رجالها في الدفاع .

وجاءتنا الأوامر تطلب منا أن نشغل المهاجمين ريثما تصل الإمدادات التي كانت في طريقها إلينا ، ورأينا أن مهمتنا صعبة ولكنها شريفة . كان علينا أن نشكل خط الدفاع من هذا الهجوم المفاجئ . كان علينا أن نصنع شيئا خارقا .. أن نصنع بطولة ..

ورحنا ندافع كلنا .. الرجال والجنود والنساء والأطفال بكل ما في أيدينا من قوة وسلاح وعصي وحجارة .. وكنا نعرف أن العصابات المهاجمة ستحتل القرية في النهاية لأن عدد أفرادها كان كبيرا والأسلحة التي بين أيديها تفوق ما في أيدينا عشرات المرات ، ومع هذا صممنا على أن نشغل هذه العصابات وقتا كافيا ريثما تصل النجدة الدفاعية للقرى المجاورة .

واتتنا الأوامر بالتوزع في أزقة القرية وبين الأشجار المجاورة وإطلاق النيران متتابعة من كل مكان لنوهم العصابات المهاجمة بأننا قوة دفاعية ضخمة تمتد حتى أقصى أطراف الحقول ..

وخرجت بدوري إلى الطرف الشرقي من الحقول أحمل بندقيتي بصعوبة وإلى جانبي كانت صبيحة.

لم يكن جسدي الضعيف ليقوى على الصمود ، ولكن شيئا أقوى مني كان يدفعني لأن أحمل السلاح وأركض لاهثا إلى الحقول لأحتل مكاني في الدفاع ، كما تصبحون أنتم لو لم أكن شيخا مريضا ، التي كانت تقوم بأعمال خارقة ..

تعرفون يا أبنائي حب الوطن .. حب هذه الأرض الطيبة التي نتعشق حتى رائحة ترابها .. تصوروا معي الآن شعوري آنذاك وأنا أجد نفسي شبه عاجز عن القيام بجهود أكثر من التمدد على الأرض وإسناد البندقية إلى جذع شجرة زيتون أو إطلاق الرصاص بين حين وآخر على ما هدف ..

كانت ابنتي صبيحة قد انبطحت على الأرض إلى جانبي بعد أن خفضت رأسها وراحت تنظر إلى الحقول ، ولمحة كبيرة كانت تجول في عينيها الخضراوين .. ثم تمنيت آنذاك لو تكون لي قوة أسطورية جبارة .. قوة خارقة ، أقوى من كل قوات العصابات المهاجمة ، قوة تفتت عددهم كله ، وتحطم مراكبهم كلها ، وتفني رجالهم كلهم .

كانت كبدي تتفتت وأنا أنظر إلى صبيحة المسكينة الراقدة إلى جانبي من الخوف .. ولم تكن صبيحة وحدها . كان هناك أطفال كثيرون أبرياء ، كلهم تصوروا مصيرهم الرهيب وهم

يتعرضون لانتقام الوحوش الذين أطلقوا يزرعون الليل والظلمة في ربوعنا الخضراء ..

وسحبت خطتنا .. أوقفنا في روع المعتدين أن مقاومتنا أقوى مما يتصورون ، وامتدت المقاومة أيلما كانت الإصابات خلالها قد وصلت لبعض القرى الأخرى ، ولكن قريتنا سقطت ، وفررنا منها لاجئين الى القرى الأخرى لنحتل مكاننا جديدا في الدفاع . وهكذا وصلت الى هذه القرية .

وصمت الشيخ ثم كشف الغطاء عن جسد الطفلة فبدت بساق واحدة ، وقال بصوت متهدج أما ساقها الأخرى فقد خسرتها .. بترتها قذيفة مجرمة .. ان أطفالكم كلهم معرضون لمثل هذه النهاية ، بل لأنسى منها أنا نهاوس لحظة واحدة في الدفاع ..

قد نخسر هذه المعركة ، ولكن يجب أن نصمد بشرف حتى النهاية .. أنا يا ابنتي حزين ، حزين من أجل صبيحة .. حزين جدا ، ولكن حزني لايقف عند حدود الدموع والصبر .. انه أكبر من ذلك .. انه شيء عنيف يغلي في صدري .. شيء يشبه استرداد الساق المبتورة ..

هل عرفتم الآن لماذا أدعوكم لمواصلة الدفاع رغم السلاح القليل الذي بين أيديكم .. هيا أيها الاخوان .. علينا ألا نتأخر ، سنحضر الليلة حامية الدفاع ، ويجب أن نتسلم أماكننا في خط المقاومة .. وها أنا أمامكم ..

وسار الشيخ متحاملا على نفسه وبيده البندقية ، وخلفه سار أهل القرية ليتسلموا أماكنهم في خط الدفاع حول الحقول ..

★ ★ ★

ذلك اليوم لا أنساه .. ذهبت صبيحة الى دارنا .. وطلبنا اليها ، خليل وأنا ، نواسيها .. حدثتنا برعب عن القذيفة التي بترت ساقها ، كان الخوف يبدو في عينيها الخضراوين وهي تحدثنا .. أذكر هذا تماما ، ولا أنساه .. وأذكر أن خليلا بكى وهو يسمع اليها ، وعبر عن أسفه بل انه قال لها . لو وقع في يدي اليهودي الذي رمى القذيفة لشربت من دمه ..

أنا أعرف الحكاية .. ألم أقل لكم ذلك ! عادت أحداثها تمر أمامي وأنا أشهد حفلة العرس ، وأنا انظر الى خليل يمشي في الزفة والى جانبه صبيحة تتكيء على عكازيها ..

الزغاريد حولي ترتفع .. الأهازيج تضج هنا وهناك فيرددها الجميع . عرفت أن العروسين سيكونان سعيدين ، فدموع خليل الطفل ، وهو يستمع الى صبيحة يحدثه عن القذيفة كانت الخيط الأول من حكاية حبه التي راحت تنمو في صدره طيلة سنوات النزوح .. حتى جسد هذه الحكاية في هذا العرس البهيج ..

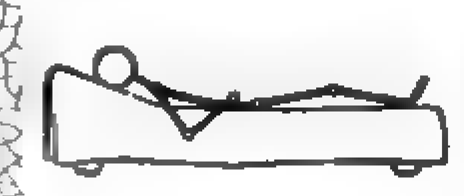
السؤال الوحيد الذي يخطر ببالي حتى تغيب عنها الزغاريد : ترى .. متى سيكون عرسنا الأكبر .. هناك ، متى تسترد الساق المبتورة ؟

دمشق : جان الكسان

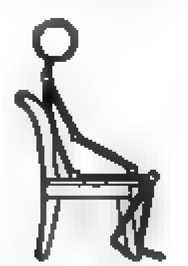
« رجع بخفي حُنَيْن »

● ساوم أحد الأعراب حنينا الاسكاف على خفين ، ولكنه لم يشترهما بعد جدل طويل ، فغاظ حنينا جدل الأعرابي ، فتقدم وعلق أحد الخفين في طريق الأعرابي ، ثم سار وطرح الآخر في طريقه . وكمن له ، فلما مر الأعرابي ورأى أحد الخفين قال : ما أشبه هذا بخف حنين ولو كان معه الآخر لأخذته ، فتقدم ، ورأى الثاني مطروحا ، فندم على تركه الأول ، فنزل ، وعقل راحلته ، ورجع الى الأول ، فذهب حنين براحلته ، ورجع الأعرابي الى الحي وليس معه الا الخفان . فقال له قومه : ما الذي جئت به من سفرك ؟

فقال : جئتكم بخفي حنين .



الرقاد : اقل اوضاع الانسان اتعابا للجسم ، واكثرها اراحة للقلب



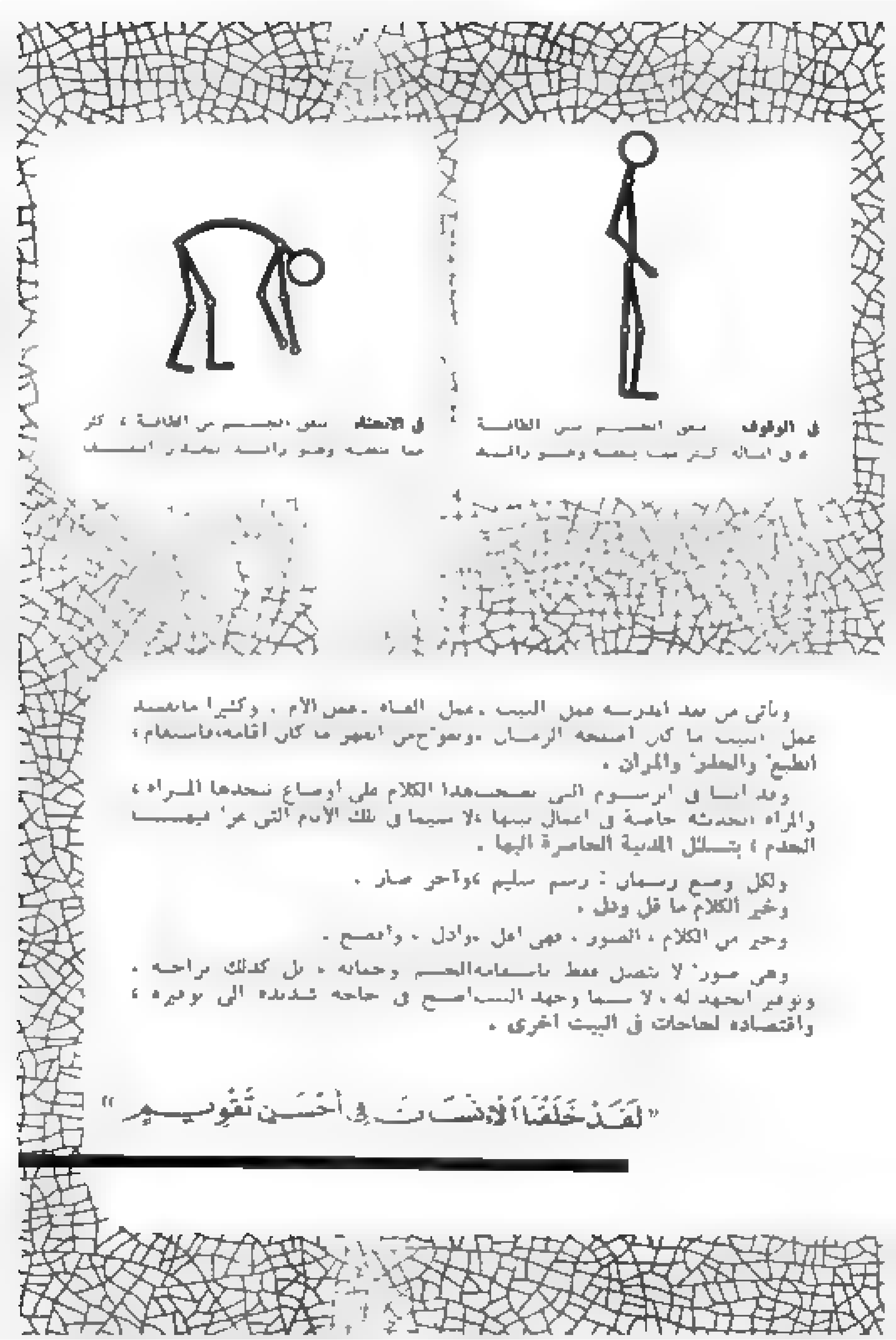
الجلوس على الكرسى ، فى الظهر : يتعب المرء فيه من جهد جسمه ، اكثر مما يتعبه الجسم وهو واقف ، بمقدار جزء من عشرين .

قامتك يا سيدتى

هى صحتك .. وهى بعض فتنتك ..

■ وانت نزلت الى الدنيا بعمود فى الظهر قد تهيأ لاستواء ، ورجلين قد تهيأتا لامتداد ، ورأس تطاول لارتفاع . فاذا انت منتصب فى طفولتك وفى صباك ، اى شبابك المبكر ، كان اجمل ما فى هذا الشباب استقامة عود .

واستقامة العود واجب الام فى الطفولة ، وواجب اهل الحى والربط فى المدرسة ، مما يتصل بالقاعد ، ويتصل بالعمود ويقصر مدته ، ويعترف انحناءه وطولها ، وبالرياضة الجسمانية وضروبها ، والكثير الذى يتحدث عنه رجال التربية ، ولا ندخل فيه ، فذاك حديث يطول .



في الوقوف — تعب الجسم من الطاقة ، في أمثاله كثير ... وهو راحته

في الانحناء — تعب الجسم من الطاقة ، كثير مما ... وهو راحته ...

ويأتي من بعد المدرسة عمل البيت ، عمل الفتاة ، عمل الأم ، وكثيراً ما يتعب عمل البيت ما كان أصبحه الزمان ، ويخرج من أكثر ما كان إقامة ، فاستعمال المطبخ والحلو والمرآة .

ويبدو أننا في الرسوم التي تصحب هذا الكلام على أوضاع نجدها المرأة ، والمرأة الحديثة خاصة في أعمال بيتها ، لا سيما في تلك الأمم التي عرا فيها العدم ، بتسلل المدنية الحاضرة إليها .

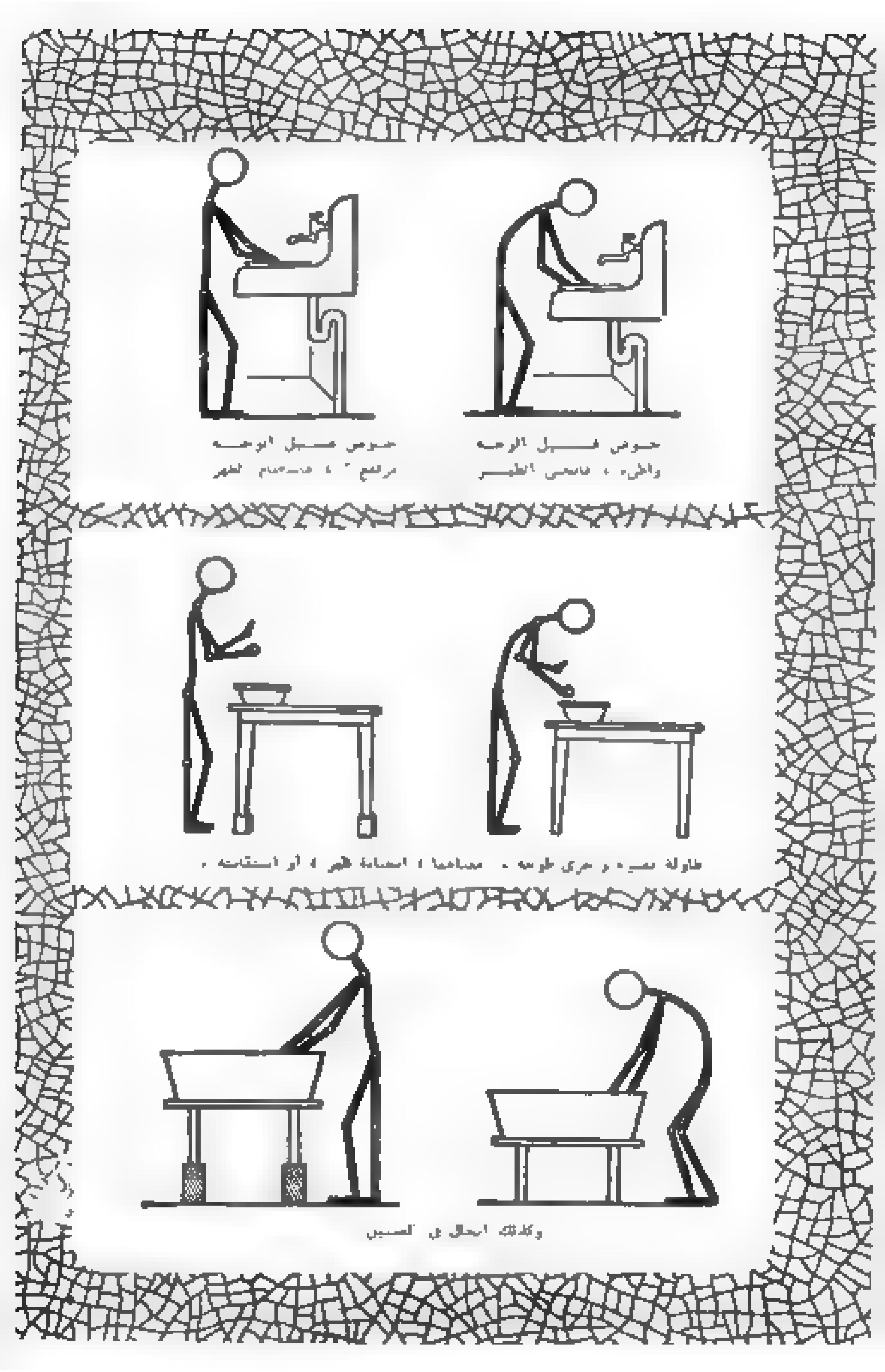
ولكل وضع رسمان : رسم سليم ، وآخر ضار .

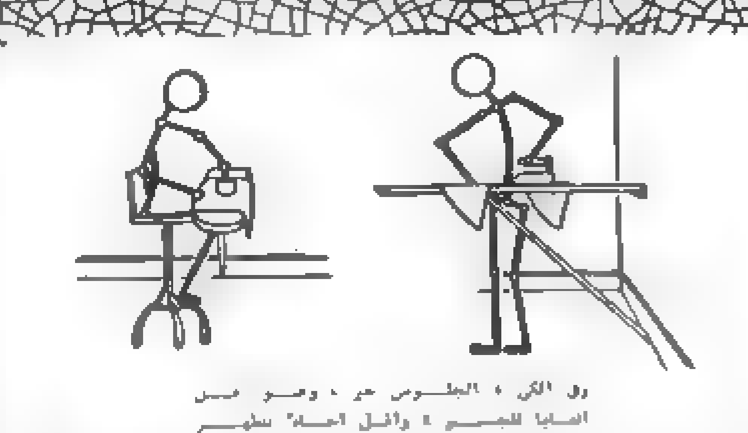
وخير الكلام ما قل ودل .

وخير من الكلام ، الصور ، فهي أقل ، وأدل ، وأفصح .

وهي صور لا تتصل فقط بسلامة الجسم وصحته ، بل كذلك براحته ، وتوفير الجهد له ، لا سيما وجهد الصانع في حاجة شديدة إلى توفيره ، واقتصاده لحاجات في البيت أخرى .

« لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ »


حوض غسيل الوجه
واطىء ، ينحني الظهر
حوض غسيل الوجه
مرتفع : استقامة الظهر
طاولة قصيرة ، و أخرى طويلة . انحناء الظهر ، أو استقامته .
وكذلك الحال في الغسيل

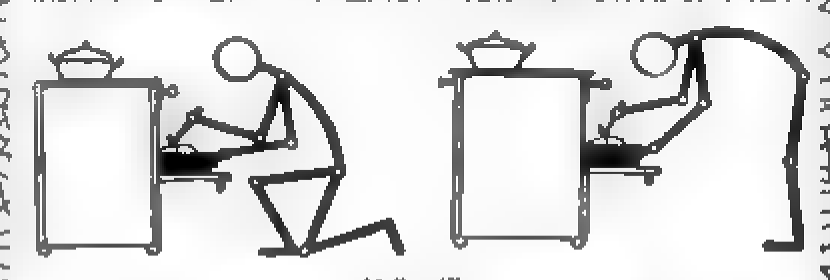


ول الكي ، الجلوس خير ، وهو يحمل
الصابا للجسم ، واقل اجهاداً للظهر



وتنظيف الخضار

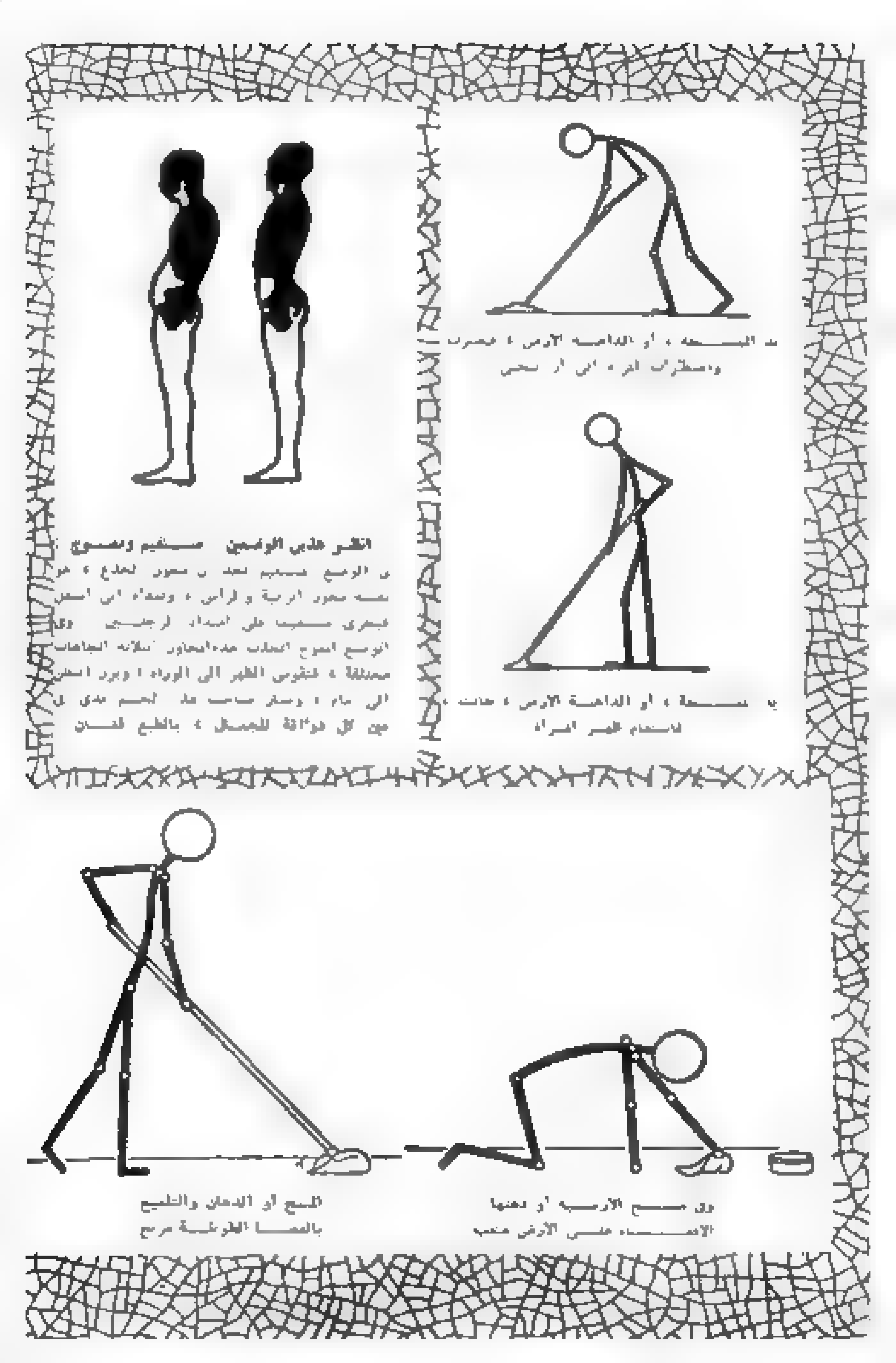
الكرسي الذي لا ظهر له يؤذي الظهر والكرسي ذو الظهر مصمم به الظهر ويرتاح



الفرن الواطيء

حنت ظهرها وهذا وضع خاطيء   استندت على ركبتيها وهذا وضع صائب

ولعل المخطيء صانع الفرن ومصممه ، لانه نزل
بالفرن الى حيث لا تناله المرأة الا انحناء او ركوعا



انظر هذين الوضعين
المسح أو الدهان والتلميع
بالعصا الطويلة مريح



■ هذه النسخة من «العربي» التي بين يديك ، هل فكرت يوما في معرفة مقدار الجهد الذي بذل في طبعها وخروجها على هذه الصورة الجميلة ... ؟

ان « العربي » ليست تحريرا فقط ، فانه بعد التحرير يأتي مجهود فني رائع يقوم به فنيون مختصون في مطبعة حكومة الكويت ، وقسم الحفر فيها .

لقد مضت ست سنوات كاملة ، ظلت خلالها مكنات الطبع الجبارة ، في تلك المطبعة .. تدور وتلف ملايين المرات لتخرج للمواطن العربي ما زاد مجموعه على خمسة ملايين نسخة من «العربي»...

ومما يدعو الى الزهو ان هذه المطبعة ، هي في نفس الوقت ، معهد فني كبير فيه تعلم وتخرج العدد الكبير من ابناء الكويت الذين يتولون الآن مسئولية الادارة ، ومسئولية تشغيل الاجهزة الدقيقة الحديثة التي تزخر بها الاقسام المختلفة ، بعد ان تلقوا تدريبهم على ايدي اخوان لهم ممن سبقوا من فنيي العرب ، وبعض من غير العرب ، جريا على السنة التي جرى عليها سائر الدول العربية ، عندما استقلت فوجدت انه قد تخلف بها الزمان، فعملت على ان تلحق .

وعمدت وزارة الارشاد والانباء ـ وهي المسئولة عن مطبعة الحكومة ـ الى تدعيم هذه الخبرة العربية المحلية، فارسلت البعثات الفنية العمالية،

الواحدة تلو الاخرى ، الى مختلف دول العالم : الى الدول العربية،والى المانيا ، والى انجلترا ، والى دول اوروبا ، ليتدرب افرادها على مختلف اساليب الطبع والجمع والتصوير ، والعمل،على مكنات الأوفست ، والنيو ، والأنترتيب ، والمونوتيب ، والكليشوجراف والهليوجراف ...

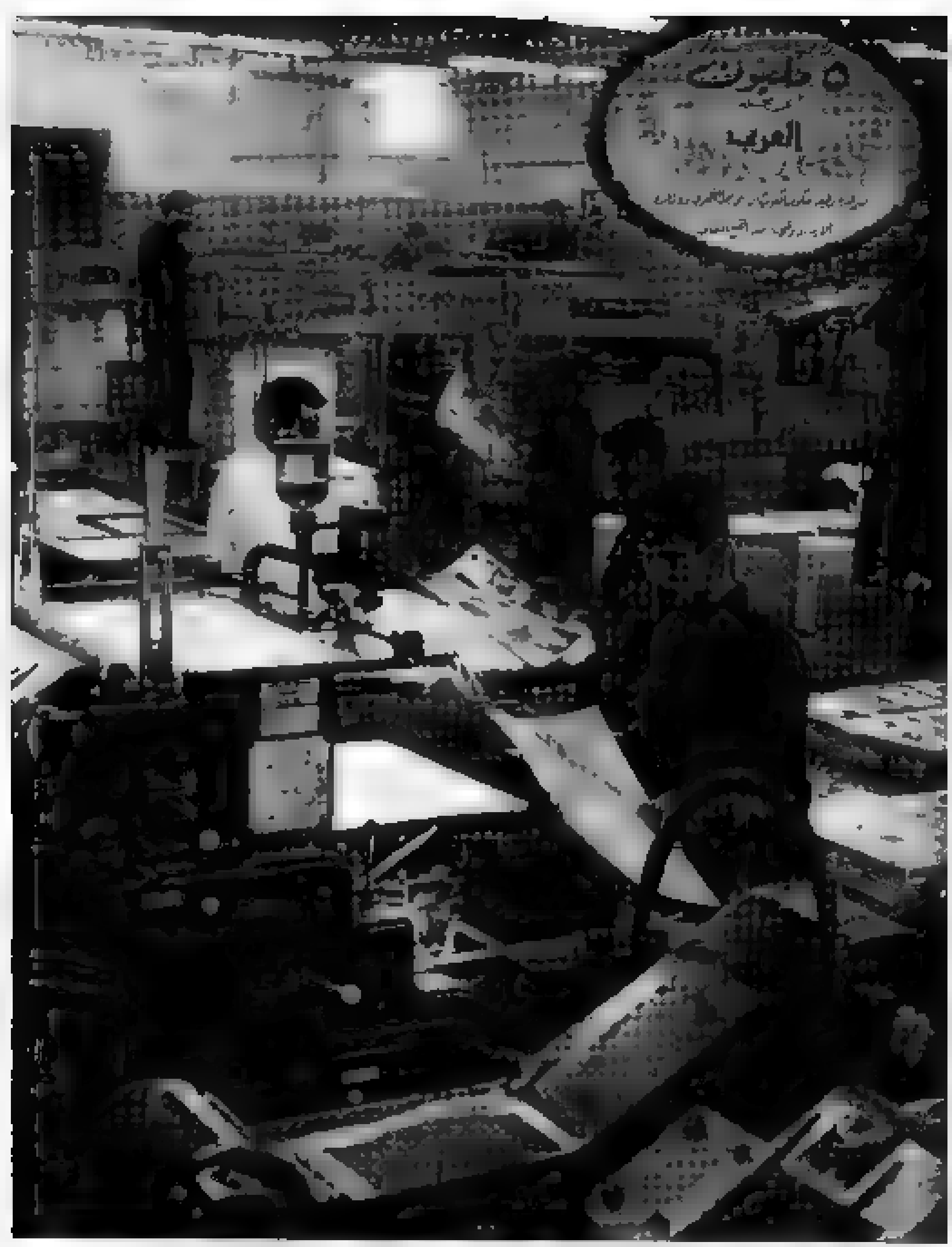
و « العربي » ليست كل ما تخرجه مطبعة الحكومةالتي بلغ انتاجها من المطبوعات والنشرات والمجلات والكتب في العام الماضي وحده ٤٩ مليون مطبوع مختلف،تمثل جميع طلبات حكومة الكويت.

ان هذا الجيل الفني من ابناء الكويت ، وعدده ١٤٠ فنيا من بين ٢٩٠ بالمطبعة من سائر البلاد العربية،يتمتع بمستوى فني من أعلى المستويات. يضاف الى ذلك ٢٨٦ عاملا فنيا بأجور يومية ، وبذلك يصبح عدد العاملين بالمطبعة ٦٠٦ عمال .

وعلى الصفحات التالية يجد القارئ مزيدا من الصور والتفاصيل عن هذه المطبعة الحديثة الكبيرة .



الى اليمين : ابراهيم [illegible] وقف على خرائط، رئيس قسم الزنكوغراف بمطبعة الحكومة ، يحرك ازرار مكنة التصوير وهي تعكس صورة غلاف العدد الذي بين يديك . [illegible]



« بمناسبة طبع ٥ ملايين من مجلة « العربي » يسر أسرة مطبعة حكومة الكويت أن تهنىء مجلة « العربي » ووزارة الإرشاد والأنباء بهذا الطبع الموفق » . كانت هذه تحية عمال « العربي » من رجال المطبعة الكرام : من كويتيين ومن سائر بلاد العروبة ، الذين يعملون الليل بالنهار ويقفون أمام مكنات الطبع مرتبون صفحات « العربي » وهي تخرج من المكنات بمعدل ١٢٨ صفحة كل دقيقة !!



لم تعد الآلات الدقيقة الالكترونية غريبة أو مستعصية على العمال الفنيين من أبناء الكويت ، فقد صقلوا تجاربهم حسب رغباتهم حاصلين منها على أحسن النتائج . وفي الصورة اعلاه نرى السيد فهد العبد الله مدير مطابع الحكومة الذي نال دورات تدريبية له في الكويت على أيدي الاخصائيين ثم في القاهرة ثم في المانيا [illegible] خالد العصر الذي انهمك في تحريك أزرار [illegible] الالكتروني آلة الكليشوغراف [illegible] في عمل لوحات من صور [illegible] الملونة [illegible] هذه الآلة تصنع لوحة صورة ملونة لا تتعدى نصف الساعة دون حاجة الى [illegible] اصلاح او استعمال حامض [illegible] بينما كان عمل لوحة الألوان الواحدة يحتاج لمدة أسبوع كامل . ان الكليشوغراف من أهم وأحدث الآلات [illegible] في عالم الزنكوغراف [illegible] على الزنك

الى اليسار سليم العدساني الذي تلقى تدريبه الأولي في الكويت ثم سافر الى القاهرة وبعدها الى المانيا ليتدرب على فن الطباعة . وما عاد الى الكويت تولى العمل على مكينة طبع [illegible] العربي . واليوم أصبح نائب مدير المطبعة

ما تكاد المطبعة تنتهي من طبع أعداد «العربي» حتى تستقبل هذه الآلات في مكتب [illegible] التي
تستطيع طي [illegible] آلاف [illegible] في الساعة [illegible]
[illegible]

الى اليسار : أكوام من ملازم « العربي » تم طبعها وطيها ، وتم جمعها ، بعضها فوق بعض ، لتتألف منها نسخ « العربي » [illegible] . إنها عملية طويلة مضنية [illegible] . ويكفي أن تعلم أن مجموع عدد ملازم كل عدد من « العربي » يربو على مليون ملزمة ، يستغرق تجميعها وتجليدها مدة عشرة أيام

الى أسفل : ما تكاد عملية تجميع ملازم العدد تتم حتى ترسل الأعداد الى مكنة تصنيف ، وهي مكنة آلية ، تضع الغلاف حول الملازم ، وتلصقه بالغراء الأبيض [illegible] . وترى في الصورة [illegible] مكنتين من هذا النوع ، تقومان بوضع الغلاف على الملازم . ويعمل على ادارة هاتين المكنتين مجموعة من الطلبة الكويتيين الذين يعملون في مطبعة الحكومة [illegible] المكنة الواحدة [illegible] عددا في الدقيقة



الى اليسار بعد انتهاء عملية التغليف لبعض اطراف الاعداد على مكنة القص ، تم توضيع على رصفات آلية لنقلها الى قسم التصدير ، حيث تم تصديرها الى اكثر من ٢ دولة مختلفة ان مجموع وزن نسخ العدد الواحد من « العربي » يبلغ اكثر من ٠ كيلو



شمس العرب تسطع على الغرب

لمؤلفته زجريد هونكه

■ اذا كانت ثورة جوستاف لوبون على عصبية ديمان الغرب، واستهانته بالتراث العربي، هي التي دفعته الى اصدار كتابه الشهير عن الحضارة العربية، احقاقا للحق، فان استهانة الغربيين بالتراث العربي، عن جهل به، هي التي دفعت المستشرقة الالمانية الدكتورة زجريد هونكه Sigrid Hunke الى اصدار هذه الدراسة «شمس العرب تسطع على الغرب»، محاولة فيها اظهار ما يحمله الغرب من دَيْن للعرب.

وواضح من هذه الدراسة الطويلة (الترجمة العربية في نحو ٥٦٠ صفحة) ان المؤلفة محبة للعرب، معجبة بتراثهم، وزوجها ايضا الدكتور شولتزا، المستشرق الالماني الكبير، صديق للعرب، وله دراسات عميقة في الادب العربي والتراث الاسلامي. وقد عاشت الدكتورة زجريد والدكتور شولتزا مدة عامين في مراكش، كما زارا البلاد العربية مرات عدة، ولهما فيها اصدقاء كثيرون.

والمؤلفة متخصصة في دراسة التراث العربي، وقد نالت درجة الدكتوراه من جامعة برلين على اطروحتها «اثر الادب العربي في الاداب الاوروبية». وفي عام ١٩٥٩ صدر لها كتاب «الرجل والمرأة» وهو كتاب تاريخي اثبتت فيه الكاتبة فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة، والحضارة الانسانية عامة. وقد استهواها هذا الموضوع فكان المحور الذي تدور حوله مقالاتها التي نشرت

في الصحف الاوروبية ، ولاقيت من معظمها الاشادة .

وهذا الكتاب ، « شمس العرب تسطع على الغرب» هو نتيجة دراسة امتدت سنوات طويلة. وقد كان له عند صدوره بالالمانية صدى كبير ، فتناولته الاقلام المادحة بالتجريح ، واتهمته بالبعد عن الموضوعية ، وهبت الاقلام المنصفة مدافعة عنه . وبسبب هذه الضجة التي ثارت حوله لقي رواجا كبيرا ، واعيد طبعه ، وترجم الى عدد من اللغات الاجنبية . كما ان الصحف العربية رحبت بظهوره اجمل ترحيب .

ولكريما للدكتورة زيجريد هونكه ، واعترافا بجهودها الطيبة في الدفاع عن التراث العربي ، دعتها الحكومات العربية ، فزارت هي وزوجها العراق سنة ١٩٦١ ، وزارت الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦٢ ، وتعيش المؤلفة الآن ، مع زوجها واولادها ، في بيت مزدان على النمط العربي في مدينة بون .

هذه الترجمة

والمترجمان ، فاروق بيضون وكمال دسوقي ، جديران بكل شكر هنا ، على ما بذلا من جهد في اخراج هذا الكتاب بلسان عربي سليم . وفوق هذا فاننا نشكرهما لما ابديا من صبر في الرجوع الى النصوص العربية في اصولها ، وليس هذا بالامر الهين . واهتمام الناشر بالكتاب ايضا واضح ، ففيه مجموعة من الصور النادرة تثبت سبق العرب في كل حقل من حقول العلم والثقافة .

ويبدو ان الكتاب انما وضع اولا ليقرأه الغربي المثقف ، حيث نجد تعليقات وشروحا في اخر كل باب ، وهي من النوع الذي لا يحتاجه المختص . ولعل هذه الغاية التي هدف اليها الكتاب ، هي التي صرفت المؤلفة عن اسناد بعض الحقائق الهامة الى مصادرها . فالقارىء المختص تجبهه مثل هذه الحقائق ، فيبادر الى الحواشي والتعليقات باحثا عن المصدر ، ولكنه يرتد دون ان يعثر على طلبته .

اسماء عربية لحاجات افرنجية

والكتاب في سبعة ابواب ، اطلقت المؤلفة على كل باب منها اسم كتاب .

ففي الباب الاول تتحدث المؤلفة عن اسماء عربية لحاجات افرنجية ما زالت مستعملة الى اليوم ، وهي تورد هذه الاسماء على شكل قصة ، وهي تبدأ هذه القصة على هذا النحو : « هل لك يا صديقتي الفاضلة ، ان ادعوك الى دخول هذا المقهى (Café) ، فانك تبدين تعبة ! وهل لك ان ناخذ مكانك على الصفة (Sofa) ذات الزربية (Matraz) القرمزية (Karmin)،..»

ثم تتحدث بعد هذا عن وسائل انتقال هذه الكلمات الى اللغات الاوروبية ، فترى انها انما انتقلت عن طريق التجارة ، حيث كان للعرب تجارة واسعة المدى ، مترامية الاطراف ، تكاد تغطي البلاد الاوروبية في قلبها ، وهي تجارة تمتد عبر بحر الخزر والفولجا الى الشمال ، شاملة كل الشواطىء وجزر بحر البلطيق . وقد وجدت في هذه البلاد قطع كثيرة من العملة العربية التي كانت متداولة في تلك البلاد .

الارقـام العربية

وتتحدث المؤلفة عن فضل العرب على اوروبا في الرياضيات ، فلولا هذه الارقام العربية لما حققت اوروبا ما حققته من تقدم في العلوم . ونحن نقرأ في هذا الباب قصة رحلة هذه الارقام من الهند ، الى العرب ، الى اوروبا ، وهي رحلة ممتعة . ويصف ابن الادمي في كتابه عن الفلك الشهير باسم « عقد اللآلىء » ، كيف عرف العرب الارقام فيقول :

« في عام ١٥٦ هـ . وفد بحضرة المنصور رجل من الهند ، وكان عالما في طرق الحسابات الهندية المعروفة باسم سند هند Sind Hand ، والتي تهتم بحركات الكواكب ، وكان يحمل كتابا ... وقد امر المنصور بترجمة هذا الكتاب الى العربية وبان يؤلف كتاب على نهجه يشرح للعرب سير الكواكب،وعهد بهذا العمل الى محمد بن ابراهيم الفزاري الذي عكف على نهجه كتابا يعرفه الفلكيون باسم « السند هند الكبير » . وكلمة السند هند تعني بالللغة الهندية الخلود ». وقد اخذ العلماء بهذا الكتاب حتى عصر المأمون ، حيث اعاد محمد بن موسى الخوارزمي كتابته ، واضاف اليه عدة زيجة اشتهرت في البلدان الاسلامية ، واعجب الفلكيون الذين اخذوا بكتاب « سند هند » اعجابا شديدا ، وعملوا على نشره » .

والكتاب المذكور الذي احضره معه هذا الهندي، واعجب به الخليفة ، وامر بترجمته ، ليس الا كتاب Siddhanta لمؤلفه (براهما جوبتا) ، الذي عرف باللغة العربية بعد ترجمته باسم « السند هند » ولقد لقي هذا الكتاب القيم بعد ترجمته نجاحا كبيرا ، وقاد الى ابحاث كثيرة في الفلك حظيت برعاية الخلفاء . ومن هذا الكتاب عرف العرب نظام الارقام والاعداد الهندية .

وقد الف الخوارزمي كتابا بين فيه نظام الارقام الهندية وطريقة استخدامها عمليا ، وضرب لذلك الامثلة الكثيرة ليسهل على رجال المال والتجار والموظفين اعمالهم ، كما ضرب الكثير من الامثلة ايضا على طريقة تقسيم الميراث على مستحقيه ، كما نص على ذلك القرآن ، وذلك بطريقة مبسطة ، بدلا من تلك العمليات الحسابية المعقدة التي كانت شائعة .

والخوارزمي هو احد الافذاذ الذين جلبهم المأمون الى بلاطه . وله كتب عدة في الجغرافيا والفلك ترجمها بعد ثلاثة قرون الى اللاتينية العالم الانجليزي اديلهارت فون باث Athelhart Van Bath . ومن هذا الطريق عرف الغرب الخوارزمي . ومن اشهر كتبه في الرياضيات «حساب الجبر والمقابلة» ويضم مجموعة منتخبة من المسائل الرياضية التي ترد في الحياة اليومية. وحينما ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية في العصور الوسطى ، اشتهرت كلمة الجبر ، واصبحت علما على هذا العلم المعروف. كما ان كلمة لوغريتمات هي تحريف لاسم الخوارزمي .

وتروي كتب التاريخ ان البابا سلفستر الثاني، تعلم في شبابه الارقام العربية والحساب ، من عرب الاندلس ، حيث درس في مدارسها . وقد نشر هذا البابا وتلاميذه في ايطاليا ما تعلموه من العرب .

وبعد ان انتشرت تلك الارقام العربية في ايطاليا، كان عليها ان تعبر جبال الالب الى اوروبا ، فعبرتها ، ولكن رحلتها كانت شاقة طويلة . والمؤلفة هنا تروي قصة هذه الرحلة باسهاب ، وكيف احتلت الارقام العربية بلاد الغرب ، وقامت بدورها في ترقية العلوم والرياضيات والاقتصاد .

السماء التي تظلنا

وفي الكتاب حديث شيق عن علم الفلك عند العرب ، او علم النجوم ، كما كان يسميه العرب ، وهو العلم الذي قال فيه البتاني (٨٧٧ – ٩١٨م): « ان الانسان ليصل عن طريق علم النجوم الى برهان وحدة الله ، ومعرفة عظمته الهائلة ، وحكمته السامية ، وقوته الكبرى ، وكمال خلقه » .

وقد لعبت النجوم دورا كبيرا في حياة العرب ، منذ ان كانوا بدوا يضربون في الصحراء في العصر الجاهلي ، يعتبرون قبة السماء خيمتهم الكبيرة ، ويكثرون من التأمل فيها لتألقها ، ولعدم وجود غيرها من جبل عال ، او صخر ناتئ ، او بحر صاخب ، لجعلهم ينصرفون عنها . ولم يكن امامهم وسط هذه الصحراء الرتيبة ، والبحر اللامتناهي من الرمال ، سوى بزوغ الشمس وغروبها ، وطلوع القمر وافوله ، ومواضع النجوم وسيرها ، يقيسون بها وجودهم زمنيا ومكانيا .

وقد بلغ اعجاب العرب بالنجوم والشمس والقمر ان نسبوا اليها قوى ربانية الهبة ، فينزل المطر على الارض ، ويتدفق عليهم الخير ، كلما بانت الثريا في قبة السماء . وعبدوا النجم قبس اكثر النجوم لمعانا في فم الشعرى اليمانية ، الملقبة بالكلب المسعور او الشراع العابر وهي الكلب الاكبر او سيريوس Sirius

وبقي اجلال النجوم والكواكب حتى القرون الاولى من الاسلام عند الكثير من الطوائف المتعبدة كالصابئة . وهي طائفة وهبت نفسها للبحوث العلمية ، فاخرجت للعرب كبار الفلكيين من امثال ثابت بن قرة ، والبتاني الذائع الصيت .

ولئن كان الاغريق قد اطلقوا على ابراج النجوم اسماء آلهتهم ، وصوروها اشكال حيوانات واردة في اساطيرهم ، فان العرب لم يتخيلوا صور النجوم ، بل سموا الكواكب الثابتة باسمائها . وفي عصر الخليفة هرون الرشيد وابنه المأمون صاغ العرب كل اسماء النجوم والكواكب عند ترجمتهم لاعمال الفلكي هبارخوس ، وتلميذه المنقح لعلم بطليموس ، مما جعل لمعظم الكواكب الثابتة اسماء ذات مصدر عربي مثل : الغول ، والكور ، والطير ، والذنب ، وفم الحوت ، وغيرها .

وبالاضافة الى هذا فان العرب وضعوا الرموز

الفلكية المعروفة مثل : السمت ، والنظير ، والمقنطرات . وقد افرد الخليفة المأمون لفلكييه دارا في أعلى ضاحية ببغداد لرصد النجوم رصدا دقيقا علميا ، واجراء قياسات مثيرة للاعجاب . وكانت نتائج هذا الرصد تقارن بنتائج مرصد آخر في جنديسابور بخورستان ، ومرصد ثالث على جبل قاسيون بدمشق . وكان علماء الفلك يعملون مجتمعين على وضع جداول الفلك التي عرفت باسم « الجداول المأمونية » .

وقد اهتم المسلمون بعلم الفلك كل هـذا الاهتمام لأن له عندهم معنى دينيا عميقا ، فالنجوم ومداراتها والشمس وظلمتها ، والقمر وسيره ، براهين ساطعة على عظمة الله وقوته ، حتى قال البتاني : « ان علم النجوم هو علم يوجب على كل امرىء أن يعلمه لأنه يوصل الى برهان وحدة الله ... » . واهتموا بعلم الفلك أيضا لتحديد أوقات الصلاة والصوم .

موسى بن شاكر وابناؤه الثلاثة

ويذكر ابن القفطي ، وابن أبي أصيبعة ، وابن النديم ، قصة العالم الفلكي موسى بن شاكر وأبنائه الثلاثة : محمد وأحمد والحسن . وهي قصة بلغت الغاية من الطرافة . فقد كان موسى ابن شاكر من العلماء المقربين من المأمون ، وكان صديق الخليفة الحميم ، واقرب المقربين اليه . ولكنه وهو البدوي ، كان بعد أن يخرج من صلاة العشاء بالجامع الكبير ، ينقلب الى ساحر قال . فهو في النهار عالم من علماء الفلك الأفذاذ ، وفي الليل بدوي يعيش حياة الغزو والسلب ، وكأنها عمل من أعمال الفروسية ، والاقدام ، والذكاء ، وصاحت الشكوك ، لما أن كثرت حوادث السلب والسطو ، حول العالم الفلكي موسى بن شاكر . وطلب الخليفة اجراء تحقيق عاجل ، ولكن الجميع شهدوا بأن موسى ، كغيره من المؤمنين ، لا يترك بيت الله ليلا الا ليعود اليه عند الصباح للصلاة .

وعندما توفي موسى ، كان المأمون يقود حملة في آسيا الصغرى ، فأحزنه النبأ ، وارسل الى نائبه في بغداد ، يأمره برعاية أبناء موسى الثلاثة . ولما عاد المأمون الى بغداد عهد برعايتهم الى يحيى ابن أبي منصور فلكيه الخاص . وكان يحيى هذا هو مدير « دار الحكمة » . ويذكر المؤلفة هنا أن دار الحكمة قد بناها المأمون ، والصحيح أن الذي بناها هو والده هرون الرشيد ، ولكنها امتلأت بالعلماء في عهد المأمون .

في هذا الجو العلمي نشأ ابناء موسى ليصبحوا من علماء الفلك : اما الابن الأكبر محمد بن موسى، فقد برز أيضا في السياسة ، وأصبح من المقربين جدا من الخليفة المأمون . وقد أرسل المأمون محمدا هذا في بعثة لقياس محيط الأرض . فقصد هو ورجاله من الفلكيين سنجار ، قرب الموصل، وانتهجوا في مهمتهم طريقة مغايرة الطريقـة ايراتوستينس ، الذي كان أول من حاول قياس محيط الأرض بواسطة زاوية أشعة الشمس .

وانفصل الاخوة الثلاثة عن يحيى ومرصده ، وانشأوا لهم مرصدا خاصا بهم ، ولم يبخلوا عليه بالمال ، ولم يضنوا عليه بالوقت . وقد وضع الاخوة الثلاثة كتابا ترجمه الى اللاتينية جيرارد الكريموني (١١١٤ - ١١٨٧ م) من المستشرقين الفرنسيين ومترجم فلسفة الكندي الى اللاتينية. وهذا الكتاب معروف في بلاد الغرب باسم «كتاب الاخوة الثلاثة » .

وقد وصف الطبيب ابن ربان الطبري (ولد في مرو سنة ٨٠٨ م) مرصد أبناء موسى بعد أن شاهده فقال : « في مرصد سامراء آلة بناها أبناء موسى ، وهي ذات شكل دائري ، تحمل صور النجوم ، ورموز الحيوانات في وسطهـا ، وتديرها قوة مائية . وكان كلما غاب نجم في قبة السماء اختفت صورته في اللحظة ذاتها في الآلة . واذا ما ظهر نجم في قبة السماء ظهرت صورته في الخط الأفقي من الآلة » .

وقد قام الاخوة الثلاثة بايفاد الرسل على نفقتهم الخاصة الى الامبراطورية البيزنطية بحثا عن المخطوطات الفلكية والرياضية . ولم يتوانوا عن دفع المبالغ الطائلة لشراء الآثار الاغريقيـة وحملها الى قصرهم . وكانت لهم دار مخصصة لاقامة المترجمين الـذين يترجمون لهـم هذه المخطوطات ، وكانوا يدفعون لهؤلاء المترجمين مبالغ تضاهي ما كان يدفعه الخليفة للمترجمين .

وفي قصر أبناء موسى ، وتحت رعايتهم ،تفتحت عبقريات خلاقة ، احتلت فيما بعد مراكز مرموقة بين العلماء العرب . من هؤلاء : حنين بن اسحق،

واسحق بن حنين ، وولده ، وابن اخيه ، وثابت ابن قرة . ونستطيع ان نوجز القول في ابناء موسى ، فنستشهد بما قاله فيهم البيروني بعد مرور مائة وخمسين عاما : « اني ارى انه يوسع المرء ان يعتمد على ما قام به ابناء موسى من ابحاث وملاحظات ، ذلك انهم وضعوا في سبيل البحث عن الحقيقة كل قواهم . وكانوا الوحيدين في عصرهم الذين برعوا في طرقهم الفلكية ، وفي حسن استعمالهم لها . كما انهم تركوا المجال لغيرهم من العلماء للتحقق من صحة قياساتهم ودقتها » .

الأيدي الشافية

وقد برز العرب في العلوم الطبية ، وكان تأثيرهم كبيرا في اوروبا . ولقد وصف المريبالون لنيسابور الاحترام الذي كان يحمله الغرب للاطباء المسلمين فقال : « ... لقد استقلت كتب ابن سينا والرازي وابن رشد ، بالثقة نفسها التي استقلت بها كتب ابوقراط وجالينوس ، وبلغت حظوة الصورة عند الناس الى درجة انه اذا ما حاول امرؤ ما ممارسة الطب دون الاستناد اليها ، اتهم ، على اهون سبيل ، بالعمل على الاضرار بالمصلحة العامة ... » .

ونحن نستطيع ان نقارن هذا الاجلال للطب العربي ، بما كان شائعا في القرون الوسطى من اعتقاد الكنيسة بأن المرض نتيجة الاثم : فالقديس يوحنا فم الذهب (٣٤٧ — ٤٠٧ م) نادى بأن بذرة كل مرض وعلة ، كامنة في خطايا البشر ، وعندما يبعد سبب المرض عن المريض ، ويتخلص هذا الاخير من عبء ذنوبه بالاعتراف ، فان توقف العلة يؤدي الى توقف المفعول ، فتختفي الآلام الجسدية . واذا حدث ان رفض المريض ان يعترف بخطاياه ، فان الطبيب المسيحي ممنوع من تطبيبه بأمر الكنيسة ، فاذا لجأ المريض الى طبيب عربي فان الكنيسة كانت تسرع فتوقع عليه الحرمان .

وتزداد الصورة وضوحا اذا نحن قارنا هذا بما قاله ابن رضوان (٩٩٨ — ١٠٦١ م) ، عميد اطباء القاهرة في اواسط القرن الحادي عشر ، معددا واجبات الطبيب : « من واجب الطبيب ان يعالج اعداءه بالروح نفسه والاخلاص ذاته ، والاستعداد عينه الذي يعالج به من احبهم » .

وتتحدث المؤلفة حديثا مسهبا عن المستشفيات العربية ، وما كان يلقاه المريض فيها من عناية .

وكان الاوروبيون يأتون للعلاج في مستشفيات الاندلس ، فيجدون كل عناية . وقد كان كل مستشفى مدرسة للطب في الوقت نفسه . ونحن نجد في كتاب ابن ابي اصيبعة وصفا حيا للطب العربي في فترة ازدهاره .

وقد ظل كتاب الحاوي للرازي في الطب المرجع الاساسي في اوروبا لمدة تزيد عن اربعمائة عام ، دون ان يزاحمه اي مؤلف خطته يد كاهن من كهنة الاديرة ، وهم الذين كانوا يقومون بأعمال الطبابة في اوروبا . وقد بلغ من تقدير الباريسيين للرازي ان اقاموا له نصبا في باحة القاعة الكبرى لمدرسة الطب ، كما علقوا صورته في قاعة اخرى كبيرة تقع في شارع سان جرمان ، بحيث يراها طلبة الطب كل يوم . والرازي هذا تتلمذ على يد تلميذ من تلامذة حنين بن اسحق ، رئيس مترجمي ابناء موسى الثلاثة .

وابن النفيس (١٢١٠ — ١٢٨٨ م) رئيس اطباء مصر ، ومؤلف « شرح تشريح ابن سينا » الذي يصف فيه دورة الدم الصغرى ، من اشهر الاطباء العرب الذين اثروا في الطب الاوروبي .

والحديث عن الاطباء العرب وما قدموه طويل ، ويكفي ان نشير الى ان اوروبا اتخذت مرجعا لها في علم التشريح اللوحات التي كان العرب يستعينون بها في مدارسهم للطب ، كما ان ابا القاسم الزهراوي وهو من الع جراحي العرب واعظمهم فضلا ، قد نقل للاطباء الغربيين صور الادوات الجراحية العربية . اما ابن سينا فقد حجبت شهرته في اوروبا ، شهرة جالينوس .

★ ★ ★

هذه اشارات الى بعض مناحي الثقافة العربية التي اثرت في الغرب كما وصفت المؤلفة .

ونحن نستطيع ان نقول ان الغرب بقي في تأخره ثقافيا ، واقتصاديا ، طوال الفترة التي عزل بها نفسه عن الحضارة العربية المزدهرة ولم يبدأ الغرب نهضته الا حينما احتكاكه بالعرب سياسيا وعلميا وتجاريا ، عندها استيقظ الفكر الغربي من سباته على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية ، ليصبح بعد هذا اللقاء اكثر غنى ، وجمالا ، واوفر صحة وسعادة . ■■

محمود السمرة — جامعة الأردن — عمان



دراسات عن الكويت والخليج العربي

تأليف : عبد المجيد مصطفى وعثمان عبد الله
مكتبة نهضة مصر بالقاهرة

● هذا الكتاب يدل اسمه عليه ، وهو يعالج بصورة بدقة ووضوح لحياة منطقة هامة من الوطن العربي ، يتسم بالروح العلمية والقومية معا . كما يتعرض لنشأة تلك المنطقة وتطورها من اقدم عصور التاريخ الى اليوم ، موضحا ما مر بها من احداث ، ومبينا مدى تقدمها الاجتماعي والثقافي والاقتصادي . كما يشرح وضعها السياسي وسابق الدول الاستعمارية ، وتنافسها على استثمار الذهب الاسود فيها ، ملقيا الضوء على كثير من المشكلات ، كما بين وجهة النظر العربية في معالجتها .

الضواري وعيون الاطفال

تأليف : احمد دحبور ـ مطبعة الاندلس بحمص ـ الثمن مائتي قرش سوري .

● الكتاب عبارة عن مجموعة الشعر الشاعر احمد دحبور ، نظمها في مواضيع عدة نذكر منها : الطيال وعودة الماضي القول ، حكاية الموت ، خلف الزجاج .

خروشوف والثقافة

ترجمة الدكتور جوزيف الصائغ ـ مطابع الدار الشرقية للطباعة والنشر ببيروت ـ الثمن ، ليرة لبنانية واحدة

● الكتاب عبارة عن خطاب خروشوف الذي القاه في قصر الكرملين في مارس عام ١٩٦٣ ، وفيه شرح المبادىء العامة للشيوعية ورأيه الشخصي منها . كما حوى الكتاب تعليقات من الصحف العالمية عن الخطاب وشخصية خروشوف .

الطب العربي

تأليف : الدكتور ادوارد جي براون ، ترجمة الدكتور داود سلمان علي ـ مطبعة العاني ـ بغداد .

● الكتاب عبارة عن مجموعة محاضرات القاها المؤلف ، وهو مستشرق بريطاني ـ وفيها يظهر بفضل الحضارة العربية الاسلامية على التراث العلمي ونقل هذه الحضارة الى اوروبا . وقد اجاب في كتابه على اسئلة عديدة ، طالما راودت الكثير منا . ومنها : ما هو الطب العربي.. ؟ ومن هم العرب وما خصائصهم وصفاتهم ..؟ ثم هل للطب العربي اصالة .. ؟ وهل كان الطب العربي طبا عربيا ام اسلاميا ...؟

واخيرا عرض المؤلف للمعلومات الطبية التي جاء بها القرآن الكريم والتي وردت في الحديث الشريف . والكتاب يعد فريدا في نوعه ، غنيا بمعلوماته ، شيقا في اسلوبه .

القاموس الجغرافي والجيولوجي

وضع عبدالوهاب الدباغ ـ دار مطابع الوفاء ببيروت

● يشمل هذا القاموس معظم المصطلحات الشائعة في جميع فروع الجغرافية الى جانب المصطلحات الجيولوجية الهامة . كما يحتوي على الرسوم التخطيطية والخرائط والمصورات التي تساعد على فهم المصطلح .

الثروة البترولية

تأليف : محمود غلبجي ـ مطابع دار الكتب بيروت ـ الثمن ٥٠٠ قرشا لبنانيا

● يبحث هذا الكتاب في مصادر النفط في الدول المتجة له بالخليج العربي . وقد ضم صورا بيانية عن رقي وتطور هذه البلاد بعد ان انعم الله عليها بموارد النفط وخيراته .



الشرع شيء .. والقانون شيء آخر

احترسن من الزواج العرفي أيتها الغافلات!

● أنا فتاة مسلمة [illegible] والتحقت بعيادة طبيب شاب [illegible] مع زوجته [illegible] بالطلاق [illegible] من الأماكن العامة [illegible] من سالمى ٣١ [illegible] بزواج [illegible] عرفي [illegible] لا يرضى أن يتزوج [illegible] ورقة عرفية [illegible] في العيادة [illegible] في بعض الليالي [illegible] فرصة [illegible] الأجهزة الطبية [illegible] في العيادة [illegible]

موناكو، سان مارينو، لوكسمبرج ..

● هل تعتبر كل من موناكو وسان مارينو ولوكسمبرج بلدا مستقلا ذا سيادة خاصة به؟ ومن يحكم كل منها؟ وما هو [illegible] الذي سمع عنه؟

على أسعد محمد ـ الكويت

العربي: أما موناكو: فإمارة، وسان مارينو: فجمهورية، ولوكسمبرج: فدولة، وجميعها مستقلة.

تقع موناكو على شاطئ البحر المتوسط، غير بعيد عن مدينة نيس الفرنسية. وفي مونت كارلو، العاصمة، أشهر كازينو للقمار في العالم، هو سبب تسمية موناكو «بإمارة القمار» إلا أن القمار تمثل أهم مصدر من مصادر الدخل فيها كذلك تشتهر العاصمة بمتحف الأحياء البحرية الذي يعتبر من أعظم متاحف الأحياء المائية في العالم.

و«سان مارينو» من أصغر جمهوريات العالم وأقدمها، وتقع على جبل تيتانو على ساحل إيطاليا الأدرياتيكي، وتتكون من مدينة واحدة هي سان مارينو البالغ عدد سكانها حوالي ١٥ ألف

من ويدرك أن وطفله الذي كنت قد اصطحبته العمل في العيادة قبيل مولده ... وأخيرا عرفت أنه صبي بممرضة جديدة ، وأنه يمثل معها نفس الدور الذي مثله معي قبلها ، فلما صارحته بأني اكتشفت سره هددني ، ثم طردني ، ثم أنكر أنني زوجته ، فلما لوحت له بورقة زواجنا ضحك ساخرا وقال : مزقيها واشربي ميتها !

ولست أطيل عليكم فقد لجأت الى أحد المحامين لرفع دعوى نفقة لي ولابني منه ، ولشد ما كانت دهشتي عندما حكمت المحكمة برفض دعواي ، لأنه أنكر الزواج مني امامها ، بالرغم من أنه كان قد اعترف بهذا الزواج في محضر البوليس الذي حرر لي يوم اعتدى علي بالضرب !

اني أكاد جن ... ولا أدري كيف تحكم المحكمة برفض دعوى زوجة تطلب بوجوب نفقة لها ولابنها ! وبالرغم من مضي سنة على صدور الحكم الا أنني خائفة أشد الخوف من أن تحكم محكمة الاستئناف برفض دعواي من جديد ، فأصبح أنا وطفلي شريدين مع سبب ... ليس لنا ذنب فيه ولا جريرة .

س. ع. — الاسكندرية

— تقول الفقرة الرابعة من المادة ٩٩ من القانون رقم ٧٨ للاحوال الشخصية المعمول به في الجمهورية العربية المتحدة ان دعوى الزوجية لا تسمع الا بوثيقة رسمية ، ما لم يعترف الزوج امام المحكمة بحدوث الزواج، فاذا انكر لم تقبل دعوى الزوجية ... ويظهر ان ذلك هو ما استندت اليه المحكمة في رفض دعوى النفقة .. ولكنها في رأينا قد اخطأت في تفسير المادة المذكورة ، وبعبارة اخرى في تفسير معنى « الانكار » و « الوثيقة الرسمية » .

فاذا كان الزوج قد انكر الزوجية امام المحكمة ، فما كان لها أن تأخذ بانكاره بعد أن اعترف بالزوجية في محضر البوليس كما تقولين ، ومحضر البوليس وثيقة رسمية لها قيمتها التي لا تقل عن قيمة وثيقة يحررها المأذون ، مهما قيل انه لم يعد لاثبات الزوجية ، خصوصا أن الزواج في الشرع الاسلامي يتم بالايجاب والقبول وشهادة شاهدين ...

ولذا ننصح لك الاستمرار في استئناف الحكم ، على أن تستعيني بمحام اكثر دراية ومراسا بهذه الشؤون .

ولعل ما أصابك يكون عبرة للبنات اللواتي يخترن الزواج العرفي فيلقين في شره ومن غافلات ، ثم يندمن بعد فوات الأوان ..

سمعة ، وتتمتع بشهرة سياحية ذائعة الصيت ، لقلعة تلمع العصور الوسطى عليها . وهي تصدر بعض انواع النبيذ وطلاء أظافر السيدات .

أما لوكسمبرج ، فهي دولة أوربية صغيرة ، تفصل بين ألمانيا وفرنسا وبلجيكا ، لا اتصال لها بالبحر ، ويعمل اهلها في مناجم الحديد ومصانع الصلب او زراعة النباتات في مزارعهم . وقد اتفقت لوكسمبرج مع بلجيكا وهولندا بعد الحرب العالمية الثانية على تكوين اتحاد جمركي يسمى « اتحاد البنلكس » Benelux لتسهيل التبادل التجاري فيما بينها .

الذكاء ..

● هل الذكاء موروث كله من الأصل ، أم هو موروث ومكتسب من البيئة ؟

ا ... شيبان — الظهران

العربي : يتوقف الجواب على معنى الذكاء ، فهناك ذكاء فطري وذكاء مكتسب . ومن الناس من يقصر معنى الذكاء على الفطري . وجواب سؤالك على كل حال لا يكون في سطرين ، وانما في صفحات .فالى مقال في فرصة اخرى ان شاء الله.

والقرآن .. ما رأيكم فيه ؟!

● الاحظ بكثير من الدهشة ان مجلة « العربي » وهي رائدة الصحافة الادبية العلمية والثقافية في هذا الجيل ، ورئيس تحريرها عضو في « مجمع الخالدين » ، تستخدم احيانا بعض الالفاظ الاجنبية مثل « الميكروسكوب » ، « التلسكوب » ، البروستاتة ، انسيولوجي ، البيولوجيا ، التكنولوجيا ، الباروميتر ، الفيروس ، الهرمون ، الكروب ، الى غير ذلك من الكلمات الدخيلة على اللغة العربية ، مع انى اعلم ان مجمع الخالدين قد قام بتعريب معظم الالفاظ والمصطلحات العلمية ونشر ذلك في مجلته تارة وفي مجلدات مستقلة تارة أخرى .

فلماذا لا تستخدم « العربي » الالفاظ التي وضعها المجمع لهذه الكلمات وامثالها ، فتعمل بذلك على انتشارها وتداولها بين جمهور القارئين ؟ .

أم انها ليست مقتنعة بصحة ذلك التعريب

دكتور محمد ولي الدين شكري ــ القاهرة

ــ كان ينبغي ان اترك الرد على هذه الرسالة لاستاذنا الدكتور احمد زكي رئيس التحرير ، لكنني استأذنه في ان اوجه الى كاتبها الفاضل ، ومن يجارونه او يجاريهم في الالحاح على تعريب كل الالفاظ والمشتقات والمصطلحات العلمية ولو شابت شيوخ العربية ، السؤال الذي جعلته عنوانا لهذه الكلمة « والقرآن .. ما رأيكم فيه ؟! »

لست اظن احدا منكم ، مهما يكن دينه او مبلغ حظه من الثقافة ، يستطيع أن يماري في كونه كما قال الله تعالى فيه « قرآنا عربيا غير ذي عوج » ، « وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا » ، وكذلك « انا أنزلناه قرآنا عربيا » .. كما لا يستطيع احد ان يماري في ان القرآن هو معجزة الاعجاز في الفصاحة والبيان ، لا لعصره فحسب ، بل في كل عصر وزمان ، حتى لقد تحدى الله به الانس والجن بقوله « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

مع ذلك ــ وهنا نرجو السائل الكريم ومن يجاريهم او يجارونه ، ان يفتحوا عيونهم وآذانهم وعقولهم لما سنقول ــ مع ذلك نرى يشتمل القرآن العربي المبين على اكثر من مائة لفظ من الالفاظ الاعجمية ، ما بين حبشية وفارسية وهندية ونبطية وسريانية وعبرانية ورومية !!

فلماذا ؟! هل عجز القرآن عن ان يجد لتلك الكلمات الاعجمية بديلا عربيا ، رغم ان العربية من اغنى لغات العالم بالمشتقات ، فعمد الى اللغات الاجنبية يستجديها بعض الفاظها ، فيهدم ركن اعجازه المنقطع النظير ؟!

عجائب الدنيا السبع ... مرة أخرى

● كثيرا ما أسمع بعبارة « عجائب الدنيا السبع » دون أن اعرف حقيقة مدلولها . فهل لي أن أعرف شيئا عن هذه العجائب السبع ومن امكنة وجودها ، وازمنة قيامها ؟ وشكرا

محمود حمزة الصالحي

المقدادية ــ العراق

العربي : سبق لنا ان اجبنا باسهاب وتفصيل على مثل هذا السؤال في العدد الستين من هذه المجلة ، الصادر في نوفمبر ١٩٦٣ (صفحة ١٤٢) ونورد هنا اسماء تلك العجائب فقط دون الشروح التفصيلية عنها ، فنشير الى ان « عجائب الدنيا السبع » : عبارة تطلق على مجموعة من الاعمال الفنية الرائعة كانت حديث الناس في غابر العصور والاجيال ، ولم يبق منها اليوم سوى اهرامات الجيزة بالقاهرة .. اما العجائب الست الاخرى التي اندثرت فهي : الجنائن المعلقة في بابل ــ تمثال زيوس في اولمبيا ــ معبد ارتيميس في افسوس ــ ضريح هاليكارناس (آسيا الصغرى) ــ

الحق أن اللغة العربية على وفرة في ألفاظها والمصطلحات، كانت قد تسللت إليها قبل نزول القرآن عشرات ومئات من الألفاظ الأجنبية، بسبب اختلاط العرب في ذلك الزمان بالأحباش والفرس والروم والأنباط والهنود وغيرهم، ممن كانت تربطهم بهم رابطة التجارة أو الجوار. وهي ألفاظ جرى استعمالها على ألسنة العرب وكثر شيوعها وتداولها بينهم، حتى أصبحت وكأنها من مفردات العربية ومشتقاتها الأصيلة، مثل: فردوس، قرطاس، قسطاس، تنور، ميراث، متكأ، سجيل، ياقوت، مرجان، إلى غير ذلك..

وقد أُنزل القرآن على النبي العربي، باللسان العربي، أي بما كان العرب الذين بعث فيهم هذا الرسول يتحدثون به، فيحوى ما يستعملونه من ألفاظ متداولة بينهم حتى ولو كانت غريبة عن لسانهم، دون أن يطعن ذلك في القرآن أو ينتقص من إعجازه وبلاغته..

وقد يكون من الخير أن نقتطف فيما يلي بعض الألفاظ الأعجمية التي وردت في القرآن الكريم، والتي جمعها في كتابه العلامة «جلال الدين السيوطي» أحد أئمة التفسير في العصر العباسي، وسترى أن منها ما تشترك فيه أكثر من لغة، وأن منها ما لا يتطرق الشك إلى أصالتها في عروبته:

ألفاظ فارسية: سُنْدُس، إستبرق، ديباج، أباريق، بِيَع، كأس، تنور، جهنم، سجيل، سَقَر، قرطاس، سلسبيل، أقفال، كافور، ياقوت، مرجان، كنز، سرادق، زنجبيل، رمز، روم.. الخ.

ألفاظ حبشية: أحبث، الطاغوت، الأواه، الأواب، حوباً، سينين، المشكاة، شطر، المشكاة، السَّكَر، طوبى، السجيل، العرم، المنسأة، كفلين، قسورة، يحور، دري الخ

ألفاظ رومية: فردوس، قنطار، القسطاس، الصراط،

« البقية على الصفحة التالية »

تمثال عملاق رودس – منارة الإسكندرية.

على أن هذه كانت عجائب في تلك الأيام، أما أيامنا هذه ففيها ما هو أعجب، وأعجب.

في سيرة بني هلال

● هل بني هلال – أصحاب السيرة الهلالية ـ ناس وجود حقيقي؟ أم هم من نسج خيال القصاصين القدامى ليس إلا؟

نجيب جميل الحمد
اللاذقية سوريا

العربي: إن معظم أحداث سيرة بني هلال هي فعلا من نسج خيال رواتها القدامى، ولكنها تستند، في خطوطها الكبيرة، على تاريخ قبيلة بني هلال – من فرع سعد بن إسماعيل. وكانوا يقطنون نجد، عرفوا بفصاحة لغتهم العربية. في الجاهلية، قاتلوا الأزد، وحالفوا الهوازن في حرب الفجار، وهاجموا مكة بعد ما فتحها النبي، ثم هاجروا إلى مصر، وأقاموا في الصعيد، حتى كانت سنة ١٠٥٢ م سنة ارتحالهم إلى القيروان ... ومنهم انشقت قبائل بني هلال.

والقرآن .. « مارأيكم فيه ؟! » بقية

طفقا ، فصرهن ، الرقيم ، القسط ، القرطاس .. الخ

ألفاظ سريانية : اليم ، صلوات ، القمل ، هيت لك ، ولات ، جنات عدن ، الأسفار ، طه ، سريا ، رهوا ، سجدا الخ

ألفاظ عبرانية : الرمز ، الفوم ، طوى ، اليم ، الأواه ، مرقوم ، كفر ، أخلد ، هدنا ، الأسباط ، القسيسين ، راعنا ، حطة الخ

ألفاظ نبطية : الفردوس ، أسفارا ، السفرة ، الحواريون ، الطور ، فصرهن ، الملكوت ، رهوا ، هيت ، سريا ، كفلين ، المقاليد ، لاوزر ، اليم ، إصرا الخ .

ألفاظ قبطية : المتكأ ، مرجاة ، بطائنها ، مناص الخ ..

فاذا كان هذا هو واقع القرآن ، فماذا يضيرنا لو أننا اشتققنا على بعض الألفاظ العلمية والمصطلحات الفنية ، المتداولة في عصرنا تداولا يكاد يكون عالميا ، حتى لتكاد تكون أقرب الى أسماء الأعلام ، أو ضيرنا بمحاولاتنا على تعديلها تعديلا بسيطا يقربها الى الجرس العربي بما يناسب المقام ؟! . وأخيرا نقول للسيد المعترض الذي يقول إن المجمع وضع ألفاظا عربية بدل الميكروب ، وهرمون ، وبرسالة الخ .. نقول له : هل أنت متأكد من ذلك . راجع المجمع فلعلك تدري أنه أقر هذه الألفاظ نفسها التي أنت معترض عليها .

ردود سريعة :

● **المعلم العائر م.ل.ب — الفحاحيل — الكويت .**

— استمرارك في تحمل العذاب ، دليل على ضعف شخصية أخيك عليك سلطانا كاملا دون أي مبرر ، اللهم الا ضعف ارادتك . فثر من عزيمتك وأوضح حقك الصريح ، فاذا لم يرعو الأخ القاسي عن غيه ، فالدنيا أمامك واسعة شاسعة ، وهي لن تبخل بعطائها للعاملين المجتهدين .. أما اليأس فهو بضاعة الخاسرين .

● **القارىء أحمد ذياب عمر — عمان — الأردن**

— الرسائل التي تصلنا ، أيها الأخ الكريم ، هي من الوفرة بحيث يتعذر الرد عليها جميعا ، ونحن لا ننشر منها الا ما يفيد القراء الآخرين .

● **القارىء م. ع. ل. — بنغازي — ليبيا**

— والداء ليس معضلا في موقفه منك ، والتخلص من المشكلة التي تشكو منها هو بيدك وحدك ، ويعتمد على قوة ارادتك ، وعلى نظرك الى عملك وتفكيرك الصحيح ، لا اعتمادا على أقاويل الآخرين وإشاعات المرضين الحاقدين

● **القارىء ع. م. م. — السعودية**

— حافظ على اتباع منهجك القويم ، وستجد أنك بالغ بغيتك بعد الصبر والتعقل ، وأنت مرتاح الضمير .. وعلى البال .. مطمئن لعملك وأمرك

● **الطالب ب. س. ع — حلب — ج.ع.س .**

يحسن أن تعرض حالتك على طبيب للأمراض العصبية

● **الطالب س. ع. س. — جنين الأردن**

● **الطالب ج. ع. ع. — بقيق — السعودية .**

دراستكما ، وأنتما في هذه السن ، أولى بأن تستأثر باهتمامكما ، فلا تدعا زمام عقلكما بيد العواطف الطفرية العابرة

فلسطين ... والجزائر

● في أكثر من تصريح لبعض ملوك ورؤساء الدول العربية عند حديثهم عن قضية فلسطين « ان المسألة ليست مسألة اسرائيل ، وانما من هم وراء اسرائيل » ويدعون أنهم يقصدون بذلك الدول الغربية الاستعمارية التي تحتضن اسرائيل وتدافع عنها وتمدها بالسلاح كي تحافظ على كيانها فهل معنى ذلك أننا ، نحن عرب فلسطين سنظل دون مأوى ، وأننا لن ندخل في حرب مع اسرائيل قبل أن نحوز عسكريا على تلك الدول الاستعمارية الكبرى ؟

وهل من المعقول أن تنتصر الدول العربية على أمريكا مثلا ؟!

أم انهم يعنون هذا الكلام للدعوة الى توحيد جهود وامكانيات الدول العربية ؟

وهل يمكن توحيد هذه الجهود والامكانيات للوقوف في وجه اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل ؟

لقد قامت الجزائر البطلة بثورتها ضد الاستعمار الفرنسي وانتصرت عليه في النهاية فلماذا لم تحسب الجزائر حساب فرنسا وحلفائها ؟ ولم تحسب كذلك حساب حلف الاطلسي الذي وراءها ؟!

محمود علي — من أبناء طولكرم
السعودية

— الثورة الجزائرية شيء ، وشعب فلسطين شيء آخر .

الثورة الجزائرية كانت ثورة منظمة ، لشعب موحد الكلمة ، يحارب المستعمر على أرضه وفي وطنه ، قلبا واحدا ، وصفا واحدا .

أما شعب فلسطين فهو الآن شعب مشتت في مختلف الأقطار العربية ، والذين يقيمون منه في أرض فلسطين القليلة لا حول لها ولا قوة .

يضاف الى ذلك أن شعب فلسطين ليس في وحدة الشعب الجزائري . وهو حتى الآن لم يتوصل الى تنظيم نفسه أو رسم الخطة لما ينوي أن يقوم به من جهاد مقدس لاسترداد وطنه السليب ..

أما القول باعلان الدول العربية الحرب على اسرائيل الآن ، فذلك ما لا يقول به رجل رشيد ..

ان معركة فلسطين المقبلة يجب أن يبدأها شعب فلسطين نفسه أولا . بعد أن تهيأ له الظروف المواتية ، من سياسية وعسكرية ، وبعد أن توحد الدول العربية كلمتها ، وتنظم صفوفها ، وتقوي جيوشها ، وتهيئ الرأي العام العالمي لمناصرتها والوقوف الى جانبها ، سواء في المجالات الدولية أو في ميدان المعركة ذاتها ..

ان معركة فلسطين القادمة ليست معركة خطب ومقالات وأشعار .. ولكنها معركة الدم والحديد والنار .. والا كانت انتحارا جديدا .. أي انتحار !!

● القارئ سالم أنور — اللاذقية — ج. ع. م

— اقتراحك تكوين رابطة من الموسرين العرب لمساعدة الطلاب العاجزين ماديا عن متابعة تحصيلهم العلمي ، اقتراح طريف فعلا وعسى أن يأخذ به « أحدهم » يوما ..

● الطالب ج. ع. في القطيف — السعودية

— فراغ حياتك من أهداف أكبر منه قد جعلك تمسك حتى الآن ، هو المسؤول الأول عن تصحك لتصيب في المواعد المتصارعة

● القارئ م. ب — حلب — ج. ع. م

— تلك حكمة تقول « اذا لم يكن ما تريد ، فرد ما يكون » واعتقادنا أنها أبلغ جواب يمكن أن نقدمه على المسألة التي تقلقك [illegible]

طرائف عربية

وصايا خمس

● قال علي رضي الله عنه: خمس خذوهن عني، لا يرجون عبدٌ إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم. واعلموا أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان.

صدق ولا تصدق

● عن ابن إسحاق قال: إذا بلغك أن غنيا افتقر فصدق، وإذا بلغك أن فقيرا استغنى فصدق، وإذا بلغك أن حيا مات فصدق، وإذا بلغك أن أحمق استفاد عقلا فلا تصدق.

دعاءٌ رياضيٌ

● دعا بعض الرياضيين ربه فقال:

ـ اللهم يا من يعلم قطر الدائرة، ونهاية العدد اللانهائي، والجذر الأصم، اقبضني إليك على زاوية مستقيمة، واحشرني على خط مستقيم لا منكسر.

أين الذين يؤثرون على أنفسهم ؟؟

● ألح سائل على أعرابي أن يعطيه حاجة لوجه الله. فقال الأعرابي: والله ليس عندي ما أعطيه للغير.. فالذي عندي أنا أولى الناس به وأحق!

فقال السائل: أين الذين كانوا يؤثرون الغير على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟

فقال الأعرابي: ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافا.

لا

● استأجر أحدهم حمالا ليحمل له قفصا فيه قوارير، على أن يعلمه ثلاث خصال ينتفع بها. فلما بلغ ثلث الطريق، قال الحمال: هات الخصلة الأولى.

فقال: من قال لك إن الجوع خير من الشبع فلا تصدقه.

قال: نعم.

فلما بلغ الثلث الثاني قال: هات الثانية.

اقوال مأثورة

* اذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب ، واذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان .
* قال الحسن : ما احسن الرجل ناطقا عالما ، ومستمعا واعيا ، وداعيا عاملا .

يجيزون شهادة الحمير

● كان بمكة رجل يجمع بين الرجال والنساء على الشراب ، فشكي الى عامل مكة ، فغربه الى عرفات ، فبنى بها منزلا ، وارسل الى اخوانه : ما يمنعكم ان تعاودوا ما كنتم فيه ؟

قالوا : واين بك وانت في عرفات ؟

فقال : حمار بدرهم ، وقد صرتم على الامن والنزهة . ففعلوا . فعادوا بشكايته ، فارسل فيه ، فأتي به ، فقال الوالي : يا عدو الله طردتك من حرم الله ، فصرت بفسادك الى المشعر الاعظم !

قال يكذبون علي ، اصلح الله الامير . فسألهم الوالي دليلهم .

فقالوا : دليلنا ان تجمع حمير مكة وترسل بها ، فان لم تقصد منزله كنا من المبطلين .

قال الوالي : ان في هذا لدليلا وشاهدا عدلا . فلما سيرت الحمير ذهبت الى منزله من غير دليل . فاعلمه بذلك امناؤه .

فقال : ما بعد هذا شيء . جردوه . فلما نظر الى السياط قال .

ـ لا بد اصلحك الله من ضربي ؟

قال اجل يا عدو الله !

قال : والله ما في ذلك شيء هو اشد علي من ان يشمت بنا اهل العراق ، ويضحكوا منا ، ويقولوا : اهل مكة يجيزون شهادة الحمير .

فضحك الوالي وخلى سبيله .

اعرابي عند وال

● جيء باعرابي الى احد الولاة لمحاكمته على جريمة اتهم بارتكابها ، فلما دخل على الوالي في مجلسه ، اخرج كتابا ضمنه قصته ، وقدمه له ، وهو يقول :

ـ هاؤم اقرأوا كتابيه ..

فقال له الوالي : انما يقال هذا يوم القيامة .

فقال : هذا والله شر من يوم القيامة .. ففي يوم القيامة يؤتى بحسناتي وسيئاتي ، اما انتم فقد جئتم بسيئاتي ، وتركتم حسناتي !

تصدق

فقال : من قال لك ان المشي خير من الركوب فلا تصدقه . فقال : نعم . فلما انتهى الى باب الدار قال : هات الثالثة .

فقال : من قال لك انه يوجد حمال اجهل منك فلا تصدقه .

فرمى الحمال بالقفص فكسر جميع القوارير وقال :

ـ من قال لك انه بقي في القفص قارورة لم تنكسر فلا تصدقه .

صبيتان في سيرك

بقية المنشور على صفحة ٢

وحمار واحد ، وخيمة متهالكة تؤويهم جميعا. والصورة المنشورة هي لابنتي فرناندو الصغيرتين وقد ارتديا ثياب العمل . لقد استطاع رنوار في صورته أن يجعل الصبيتين الصغيرتين ، رغم ثيابهما المتواضعة ، وأحذيتهما الكبيرة الثقيلة وسروالهما الملحيين اللذين زادا في اظهار غلظ الارجل التي تكون للفتيات قبل البلوغ ، استطاع رنوار رغم كل هذا أن يستطلق صورة جذابة لما سوف تكون عليه الفتاتان وقد ازدهر شبابهما واكتملت انوثتهما .

ولا يمكن أن يفوت الناظر الى الصورة اليمنى، صورة الفتاة التي تحمل فوق يديها من البرتقال خمس حبات ، التي تجمع بين البراءة والتطلع والتفكر . لا يفوته أن يرى ما صور الفنان في هذا الوجه من خليط من براءة ، ويقظة ، وذكاء . ولا ما أشاع الفنان في المجموعة كلها من حلاوة مشوبة شيء من الحنان والتحنان .

ولد الفنان الفرنسي الكبير بيير اوجست رنوار Renoir في ٢٥ فبراير عام ١٨٤١ بمدينة ليموج Lemoges بفرنسا ، ولكنه والده الذي كان يعمل خياطا بمدرسة الفلة بباريس. وابدى الصبي رنوار ، وهو في سن الثالثة عشرة، مقدرة فائقة في استخدام فرشته والوانه ، فعمل رساما في مصنع للاواني الصينية ، يرسم على الاواني الخزفية ، ثم عمد الى زخرفة البراقع اليدوية لكسب قوته . وبعد أن وفر بعض المال ، التحق بمرسم الاستاذ « قلير » ، ولكنه هجره بعد عامين ، وانطلق الى متحف اللوفر يقضي فيه كل يوم ساعات طوالا يتأمل خلالها الروائع الخالدات .

ومع مرور الايام أعلن بأن المتحف هو أفضل مكان يتعلم فيه الفنان الرسم اذ قال : « في المتحف يستطيع المرء أن يتعلم كيف يرسم ، ويستطيع الفنان أن ينمي شعوره بالالوان ، وهو ما لا تستطيع الطبيعة وحدها أن تعطه » . وهكذا امضى رنوار وقته متنقلا بين متحف اللوفر وغابات باريس وشوارعها ، مصورا ما تقع عليه عيناه من لوحات قديمة ، ولوحات حية طبيعية ..

وفي سن الثلاثين وقف رنوار عند أول طريق المجد ، واصبحت لوحاته تعرض بانتظام ، سنة بعد أخرى في المعارض الدولية . واتجه أول ما اتجه الى الفن التأثيري ، فأنتج لوحات كبرى تشع بالضوء والنور ، رسمها بضربات قصيرة من فرشاته المحملة بالالوان البراقة ، التي كانت كالقطرات القليلة التي تسبق السيل المنهمر للفن التأثيري الحديث .

وفي سن الاربعين اتجه رنوار بفنه الى الطراز الكلاسيكي ، واحس بضرورة التجول فقصد روما والبندقية وفلورنسا ليشاهد بدائع فنانيها في العصور والكنائس والمتاحف . وهناك وقف طويلا متأملا لوحات رفائيل ، وتصاوير بومباي ، فتأثر بها وأعجب بخطوطها الواضحة .

وقد استوحى رنوار الشيء الكثير من اساتذة الفن امثال « واتو » و « دي لاكروا » و « كوربيه » .

ثم دفعته طبيعته المجددة وحبه للفن ، الى التجديد ، فجاء انتاجه الفني خلال خمسين عاما مرفأ مستقرا للسحر والنور والجمال ، وكانت لوحاته منحة دائمة للعين وتعبيرا صادقا عن الفرح .

وفي سنة ١٨٩٤ اشتد المرض برنوار ، وبدأ يعاني آلام مرض المفاصل، الذي أدى في النهاية الى تصلب جميع أطرافه ، فاعتزل العمل ولجأ الى مدينة « كان » عام ١٩٠٦ . وهنا بدأت فترة من أهم الفترات في حياة هذا الفنان ، وهي فترة لوحاته المرحة الى جانب شهرته الواسعة . فقد أصبح كسيحا مقعدا ، واصيبت يداه ومع ذلك استمر يرسم . كانت الفرشاة "تربط" الى معصم يده المتصلبة لتجري على القماش وتسجل ما يقع عليه نظره ، وكانت السعادة تغمره عندما يرى عملا جديدا يخرجه كل يوم بروح وثابة متفائلة .

وقبل وفاته ببضع سنوات حصل على وسام الشرف (الليجيون دنير) بحسبانه أعظم مصور للحياة الطبيعية وكل ما يشيع في النفوس البهجة ويشيع الجمال بين الناس في عصره .

وقبل وفاته بأيام طلب أن يحملوه على عربته ليشاهد لوحاته بين بدائع الفن في متحف اللوفر لآخر مرة ، وهناك قابلته الجماهير بعاصفة من التصفيق واستقبلته استقبال الأبطال الفاتحين .

وبعد أيام ، من عيد ميلاده الثامن والسبعين ، مات الفنان الكبير عام ١٩١٩ ، تاركا فنا ينطق ناطقا بما في الحياة من خير وجمال .



سعر اللمبة !

[illegible]

ـ ايقظني في الساعة السابعة صباحا .

وعندما استيقظ في الصباح التالي ...

ل ماذا ورقة كتب عليها ...

ـ استيقظ ، فالساعة بلغت السابعة!





ساق !!

[illegible]

« شكرا لاهتمامكم برسالتي التي طالبت فيها بتعويض عن ساقي التي كسرت اثناء حادث تصادم لقطار كنت استقله .. وقد تسلمت «الشيك» الذي ارسلتموه بمبلغ ٥٠٠ جنيه .. واشكركم مرة اخرى لهذا السخاء ، فما من قاض كان منتظرا ان يحكم بتعويض كهذا لساق خشبية ! »



الوقت متاخر جدا !

● عاد الرجل الى البيت ومعه زوجته الجديدة التي تصغره باربعين سنة وقدمها للخدم الذين يعملون عنده . وبعد ذلك سأل اقدم مستخدميه عن رأيه في الزوجة الجديدة .

فقال الخادم : انها في غاية الروعة والجمال والشباب يا سيدي .

الزوج : اذا لماذا يبدو عليك عدم الرضا !

الخادم : انني اشعر بالأسف حين ارى رجلا يبدأ عملا يستغرق النهار كله في وقت متاخر من النهار !!

عمر .. واحمد

● قال الشاب الحريص على الصدق للفتاة :

ـ لست غنيا .. فانا لا امتلك سيارة مثل صديقي عمر ، ولا املك ان اقضي الصيف في الخارج مثل صديقي احمد .. ولكني احبك من كل قلبي .

فقالت الفتاة :

ـ وانا احبك .. ولكن ، حدثني اكثر عن عمر واحمد !

(بقية المنشور على صفحة ٧)

... الى استطلاعات عالمية

● من الحقائق الراهنة ان مجلة « العربي » الزاهرة باتت مجلة العرب الاولى بلا منازع ، وسفيرهم المتنقل بين كافة انحاء المعمورة . وايراد هذا القول ليس ابدا من باب المجاملة ... لان التحقق من صدقه هو من ايسر الامور على المتتبع لجهودكم المخلصة في هذا السبيل .

ولقد لاحظت ان العدد ٧١ من « العربي » جاء خلوا من اي استطلاع عن احدى المناطق العربية. فحبذا لو تعودون الى سنتكم الحميدة التي دابتم على اتباعها حتى الآن بقصد تعريف العربي بمختلف اجزاء وطنه الكبير . وفي كل عدد من اعدادكم القيمة .. ولكم شكر كل من نطق بالضـاد وامتنانهم .

واقترح ان تتفضلوا مشكورين كذلك بنقـل استطلاعات مصورة مفصلة عن حقيقة كبريات مدن العالم ومناطقه النائية ، ليطلع العرب في كل مكان على آخر ما توصلت اليه كافة الشعوب المتقدمة .. هذه الشعوب التي لا تستطيع يوما ان تنكر فضل اجدادنا العرب في دفعها قدما في ركب الحضارة والمدنية .. » .

عبد الرحمن عبد الله السعدني ـ السعودية

الشيخ الذى لم يحترم شيخوخته

● كنت في الثامنة عشرة من العمر حينما وقعت في حب فتاة من عائلة صديقة لعائلتنا. وكان ذلك قبل أعوام قليلة ، حينما كنت لا ازال اتابع دراستي ، واتهيأ للسفر الى دمشق لدخول الجامعة .. اذ تعاهدت وفتاتي على الزواج بعد انهائي دراستي الجامعية وعودتي النهائية الى البلدة . وفي اواخر فترة دراستي هذه ، فوجئت بنبأ زواج فتاتي تلك .. وممن .. من ابي !! .. اجل ، من ابي الذي يشرف على الستين من عمره ! .. فلقد اشتراها من اهلها بماله رغم اصرارها على الرفض بدون جدوى ، اذ من عاداتنا ألا يؤبه لرأي الفتاة في أي امر من الأمور .

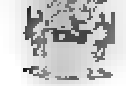
وكان ان عدت في الصيف الى بلدتي لاقيم فيها بعد انتهاء دراستي وسكنت الدار التي افردها ابي لعروسه الشابة . وذات ليلة ، وكان ابي فيها غائبا ، فوجئت بها تجالسني في غرفتي .. فيغلبني الحب القديم .. وكان ان اصبحت ملكي كما هي ملك لوالدي المهدم .

ومر عامان حتى الآن .. كنت خلالهما لا انى اباشرها مباشرة الأزواج .. وانجبت طفلين لا ادري اهما ولداي ام اخواي !! ..

وتنبه ضميري بعد طول غفلة .. وانسحب الفكر تطحنه في نفسي ، وبدأت التلوى من الألم الرهيب في ليلي ونهاري .. حتى وصلت عند وقت فكر اكثر بالانتحار .. او بقتل الأم والولدين ونفسي جميعا ..

القارىء : ع . م . — الاردن







تحية قارىء شاعر ..

« العربي »

مجلة تجولت بمشرق ومغرب
عروسة ، ألفتها قلوبنا لم تخطب
يمد لنا عطاؤها بثوبها القشيب
سارت وذاع صيتها بكل قطر أجنبي

يا سر رفيع النسب ..
يا سر مجلة « عربي »!

واشرقت أمجادها بكل ثغر أدبي
قصصها تحيي لنا عصر الرشيد الذهبي
وجدت فيها سلوتي ونلت منها مطلبي
لسوف يبقى ذكرها مطلقة في الحقب ..

يا سر رفيع النسب ..
يا سر مجلة « عربي »!

القارىء : محمد بن عبد الله اللحم
الاحساء — السعودية


قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم :

العنوان :


اليك سيجارة استور
استور هي السيجارة الفريدة
من نوعها في العالم بطعمها المميز
ونكهتها اللذيذة
استور هي السيجارة التي يفضلها
أصحاب الذوق الرفيع
استور
متعة في التدخين ما بعدها متعة

صداع ، أوجاع وآلام ، حمى ، رشح وانفلونزا ؟

"أسبرو" يعيد لك الصحة..

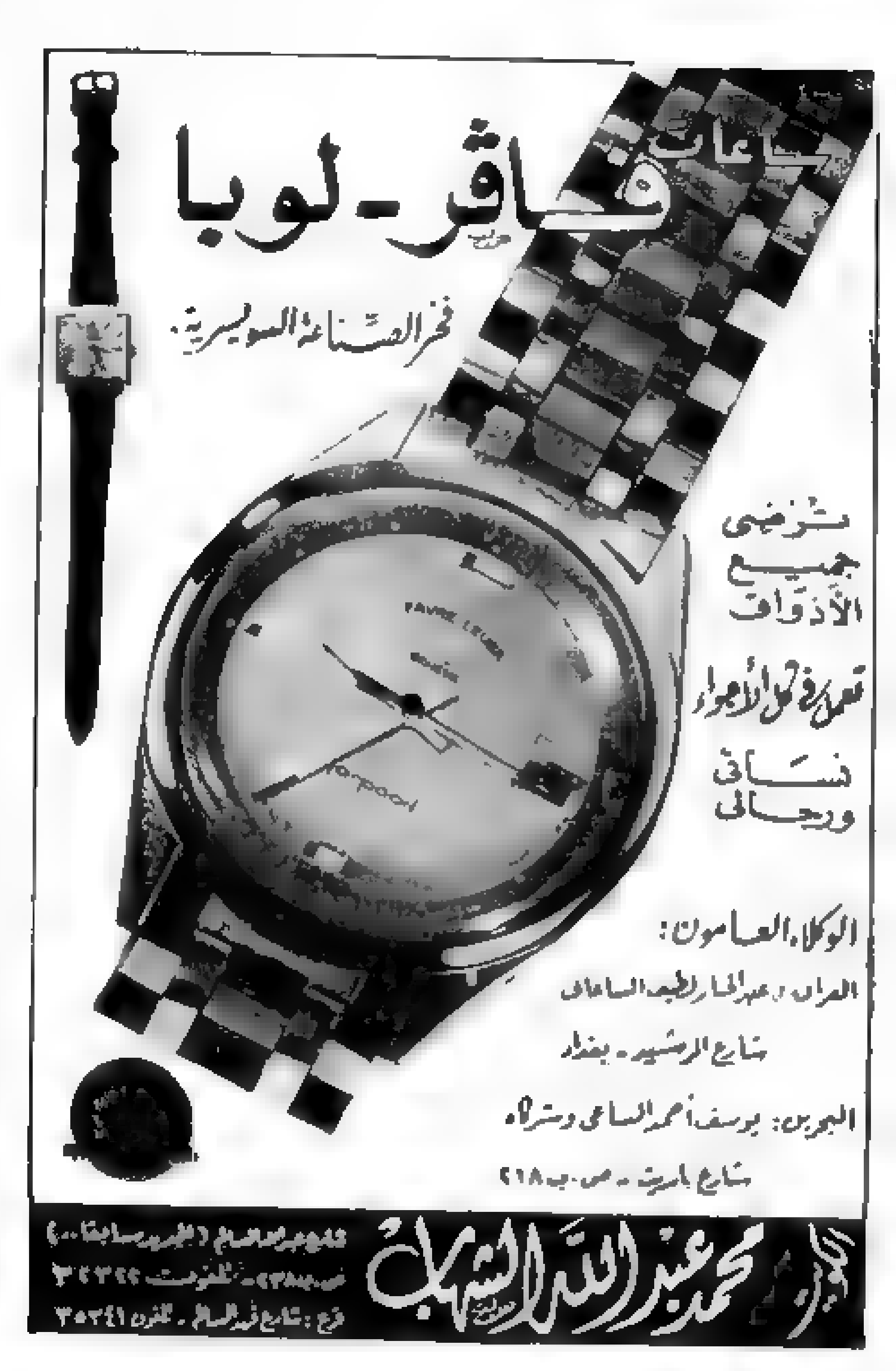


لأن "أسبرو" يجلب لك كل راحة!

١ يزيل الصداع
٢ يخفض الحمى
٣ يهدئ الأعصاب
٤ يخفف الأوجاع
٥ يقصر أجل الرشح

إذا أصبت بألم فلا يكفي أن تخففه قليلاً، بل إنك تحتاج إلى الراحة التامة التي يحققها لك "أسبرو". تذكر أن "أسبرو" هو الدواء الذي يستعمله أكبر عدد من الناس في العالم كله. أكثر من أي دواء آخر لإزالة الألم وتخفيف الحمى. إجعل "أسبرو" تحت يدك على الدوام.

"أسبرو" يجلب لك كل راحة!


ساعات فافر - لوبا
فخر الصناعة السويسرية.
ترضي جميع الأذواق
تصلح في كل الأعمار
نسائي ورجالي
الوكلاء العامون:
العراق: عبد الجبار الحاج الساعاتي
شارع الرشيد - بغداد
البحرين: يوسف أحمد الساعي وشركاه
شارع باب ... - ص.ب ٢١٨
محمد عبد الله الشهاب



CRAVEN
"A"
VIRGINIA





وست اند

هي الأولى في

أناقتها

متانتها

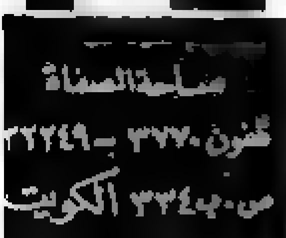
دقتها

وست اند

خير معين لنجاحك في أعمالك

الوكيل العام بالشرق الأوسط





انها فخمة وسعرها معقول

الواقع انك ما ان تصادف سيارة فخمة ، حتى يتبادر للذهن أن سعرها لا بد وأن يكون مرتفعا ، والواقع هذه النظرية السليمة لم تطبق لأول مرة في السيارة تويوتا كراون الفخمة ، ان سيارات تويوتا كراون التي تصنع في اليابان بمصانع تويوتا للسيارات ، تلك المصانع التي تخصصت في صناعة السيارات منذ أمد بعيد فلذلك فانك ما تلقاه الا سيارة فخمة مثلا بالاضافة الى الميزات العديدة التي تجدها في سيارتك تويوتا كراون ـ تنجيد مريح ـ فرش ممتاز ، الانحة للصدمات الامامية مبطنة بالديركسون بشكل مخروطي وعلاوة على فخامتها فانها فهي متينة وصلبة ذات محرك قوي قوته ٩٠ حصانا وتسير بهدوء دون أن ينطلق منها صوت مزعج بسرعة تتعدى ١١٠ كيلو في الساعة ومع ذلك فان استهلاكها في الوقود ضعيف بدرجة ملحوظة جدا . سارع فورا باقتنائها فهي فريدة .





أدب ولغة

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
شمعات في العيد الخامس لميلاد «العربي»	د. احمد زكي	١/٦٤	٦٢	٨
امثال العرب وأساطيرهم : روعة ، وسحر	د. محمد مصطفى هدارة	٢/٦٤	٦٣	٦٦
مأثوراتنا الشعبية تعكس حياة العرب الاجتماعية	فؤاد جميل	٣/٦٤	٦٤	٥٩
امرأتان .. وصورتان ! غربيـة وشرقية	ظافر القاسمي	٣/٦٤	٦٤	١٢٤
مجامع اللغة : انتاج مبعثر ، ووحدة مفقودة	د. احمد زكي	٤/٦٤	٦٥	١١
كتب كثيرة عنا كتبها الغربيون	د. حسين مؤنس	٥/٦٤	٦٦	١٣
الشعر العربي كيف تطور على العصور	انيس المقدسي	٦/٦٤	٦٧	٣٦
مأثوراتنا الشعبية وأثرها في الحضارة الغربية	فؤاد جميل	٨/٦٤	٦٩	١١٢
اسماء الكتب مشكلة اشكلت على اجيالنا الثقافية	د. حسين مؤنس	٩/٦٤	٧٠	٦٦
«ديوان الأدب» للفارابي ، يصعب على الدارسين	د. ابراهيم انيس	١٠/٦٤	٧١	٤٨
عربيات سقط فيها	د. احمد زكي	١١/٦٤	٧٢	١٢
الموسوعات طابع الثقافة العربية ومظهرها الطابع	د. حسين مؤنس	١٢/٦٤	٧٣	١٦

استطلاعات مصورة

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
مراكش : جوهرة جنوب المغرب العربي	سليم زبال	١/٦٤	٦٢	٨٤
قصة متحف مدام توسو بلندن	د. محمود السمرة	١/٦٤	٦٢	١٠٨
الحرم الابراهيمي : «خليل الله» يرقد هنا	سليم بسيسو	٢/٦٤	٦٣	٤٠
صور : طلت صفحات أولى من التاريخ القديم	سليم بسيسو	٢/٦٤	٦٣	٨٤
مؤتمر القمة العربي الأول	د. احمد زكي	٣/٦٤	٦٤	٤
المرأة التونسية : تخطت العقبات بشجاعة	سليم زبال	٣/٦٤	٦٤	٤٧
سامراء : مدينة المعتصم	سليم زبال	٣/٦٤	٦٤	٧٦
الخليل : مدينة لا يعرف الجوع اهلها !	سليم بسيسو	٤/٦٤	٦٥	٧٥
الجامعة المستنصرية : عمرها اكثر من ٧٠٠ عام !	سليم زبال	٤/٦٤	٦٥	١٢٣
السد العالي : صار اليوم حقيقة واقعة !	سليم زبال	٥/٦٤	٦٦	٣٦



استطلاعات الكويت المصورة

اقتصاد

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الاصلاح الاجتماعي لا بد له من تخطيط شامل	د . محمد فتحي الشنيطي	٥ / ٦٤	٦٦	١١٦
قصة الأرض العربية منذ العصر الاسلامي الاول	عبد الرزاق الهلالي	٦ / ٦٤	٦٧	٤٥
قصة الأرض العربية في العصر الحديث	عبد الرزاق الهلالي	٧ / ٦٤	٦٨	٨٩

أنت تسأل ونحن نجيب

تحت إشراف عبد الوارث كبير

الموضوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
يوم القيامة متى هو ؟ . التحكم في جنس الجنين	١ / ٦٤	٦٢	١٤٤
فهم العلم شيء وفهم الأدب شيء آخر . ما هي البوذيـــة ؟	٢ / ٦٤	٦٣	١٤٠
حزاني في عيد الأم . شراء فتاة في السادسة عشرة !	٣ / ٦٤	٦٤	١٥٠
هل حلق اللحية حرام ؟ الاسلام وحجاب المرأة .	٤ / ٦٤	٦٥	١٤٤
الطلاق المعلق وطلاق السكران . التحية بالمصافحة ما اصلها ؟	٥ / ٦٤	٦٦	١٤٨
القتل بدافع الرحمة . شكسبير ليس شخصية وهمية	٦ / ٦٤	٦٧	١٥٠
كليلة ودمنة . المستشرقون لم ينصفوا . الخوارج في الصحابة	٧ / ٦٤	٦٨	١٤٦
صلو لأجلها . بين الألم والحرمان . مجلس الأمن	٨ / ٦٤	٦٩	١٤٠
حكم الله في الخمر . تحويل المقابر الى حدائق ليس حراما	٩ / ٦٤	٧٠	١٤٢
قصة الشجر . اول مولود في العالم . الاجماع احد اصول الشريعة	١٠ / ٦٤	٧١	١٤٠
الطبيعة بعض خلق الله . سد مأرب . طائفة البهرة	١١ / ٦٤	٧٢	١٤٦
من تنكر لماضيه تنكر له حاضره . حقائق السياسة	١٢ / ٦٤	٧٣	١٤٢

تاريخ

انظر تاريخ أشخاص عرب
وتاريخ أشخاص غير العرب

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
أول وليلة زواج عرفها الانسان		١ / ٦٤	٦٢	٢
الحياة في قصور سلاطين بني عثمان	د . بيه عاقل	١ / ٦٤	٦٢	١١٦
لو لم أكن الاسكندر لوددت ان أكون ديوجين		٢ / ٦٤	٦٣	٢
أمجاد العرب هي ، أم أمجاد المسلمين ؟	د . أحمد زكي	٢ / ٦٤	٦٣	٨
الدولة الإسلامية : كيف انقسمت الى دول مستقلة	د . محمد جمال الدين سرور	٢ / ٦٤	٦٣	١٧
الكاتب المصري في العصور القديمة		٣ / ٦٤	٦٤	٢
المصريون يدحرون المغول في معركة عين جالوت	حسن الأمين	٣ / ٦٤	٦٤	١٠٦

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
من تاريخنا العربي المجيد : قرأة والطبيعة	الفة الادلبي	٣ /٦٤	٦٤	٩٩
حمورابي ملك بابل		٤ /٦٤	٦٥	٢
مشروع الموحدين لغزو مصر . .	محمد عبد الله عنان	٤ /٦٤	٦٥	٦٢
من بيت الحكمة .. الى دار الحكمة	د . عبد الحليم منتصر	٤ /٦٤	٦٥	٦٧
ارخميدس مكتشف الـوزن النوعي والكثافة		٥ /٦٤	٦٦	٢
العرب مارسوا الدبلوماسية من ايام الجاهلية	حسن فتح الباب	٥ /٦٤	٦٦	٨٠
السومريون واكتشاف المعادن		٦ /٦٤	٦٧	٢
التنظيم العسكري في الإسلام	د . نبيه عاقل	٦ /٦٤	٦٧	١٨
تمثال « اليتا » من عجائب الدنيا السبع		٧ /٦٤	٦٨	٢
الاسيرين في عامه الخامس والسبعين	د . احمد زكي	٧ /٦٤	٦٨	١٠٥
خطوات تأسست بها الدولة الإسلامية الاولى	د.محمد جمال الدين سرور	٨ /٦٤	٦٩	١٦
انفتاح العرب على الغرب في العصور الحديثة	د . محمود السمرة	٨ /٦٤	٦٩	١٣٢
الغزل والنسيج منذ اقدم العصور		٩ /٦٤	٧٠	٢
امجاد العرب : رجال الهندسة عند العرب	د . احمد زكي	٩ /٦٤	٧٠	٥٨
مئذنة الثيران كانت في الماضي اثر السها بالفرق		١٠/٦٤	٧١	٢
من تاريخ السفارات الثقافية الاسلامية	حسن فتح الباب	١٠/٦٤	٧١	٩٤
موارد المياه بين الماضي والحاضر		١١/٦٤	٧٢	٢
العرب نقلوا ازهار الشرق ورياحينه الى اوروبا	ابراهيم محمد الفحام	١١/٦٤	٧٢	٥٠
اكتشاف جزيرة العرب	د . محمود السمرة	١١/٦٤	٧٢	١٣٨
صيد السمك .. منذ التاريخ		١٢/٦٤	٧٣	٢
مصر الفاطمية : من ازهى عصور النهضة الفكرية	د . جمال الدين سرور	١٢/٦٤	٧٣	١٠٦

تاريخ أشخاص عرب

أعلام ورجال دين

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
مليحات ملقيس . ملهن اعظم ملكة عربية في الاسلام	د . محمود الغول	١ /٦٤	٦٢	٢٤
ابن مرطيش : زعيم القومية الاندلسية	محمد عبد الله عنان	١ /٦٤	٦٢	٥٩
ابن دانيال والخيـال	د . احمد احمد بدوي	١ /٦٤	٦٢	٦٦
ابن رشيق : من اعلام الادب في المغرب العربي	د . طه الحاجري	٢ /٦٤	٦٣	٥٨
ديك الجن : قتل حبيبته ثم بكاها ورثاها	د . محمد محمود الدش	٢ /٦٤	٦٣	١١١
عوف بن محلم الخزاعي :اعوجه سمعه الى ترجمان	د . محمد مصطفى هدارة	٤ /٦٤	٦٥	٤٣
القسطلي : شيخ الطة الكشـوفة ..	محمد مرسي الخولي	٤ /٦٤	٦٥	٧٠
حياة سليم البليبي : شهيدة دير ياسين	فائزة عبد المجيد	٤ /٦٤	٦٥	١١٨
عبد القاهر الجرجاني . هل اسس علم البلاغة ؟	د. احمد احمد بدوي	٥ /٦٤	٦٦	٨٧
ابن زاكور : شاعر المغرب	د . نقولا زيادة	٥ /٦٤	٦٦	١٠٦
العباس بن الاحنف في الميزان	د . عاتكة الخزرجي	٦ /٦٤	٦٧	١٢٦
وضاح اليمن . الشاعر الذي قاده حبه الى حتفه	د . محمد محمود الدش	٧ /٦٤	٦٨	١٦

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
ابن حزم . الفيلسوف الاندلسي .	محمد عبد الله عنان	٧ /٦٤	٦٨	٨٠
ابو جعفر المنصور : مؤسس دولة بني العباس	د . محمود السمرة	٧ /٦٤	٦٨	١٣٩
ابو زيد السروجي بطل مقامات الحريري	د.مصطفى الصاوي الجويني	٨ /٦٤	٦٩	١٠٨
صفي الدين الحلي . شاعر العصر المغولي	عبد الرزاق البصير	٨ /٦٤	٦٩	١٢٥
عيسى اسكندر المعلوف : المؤرخ العربي الموسوعي	البدوي الملثم	٩ /٦٤	٧٠	٧٩
صاعد البغدادي . حمل ثقافة المشرق للمغرب	جواد احمد علوش	٩ /٦٤	٧٠	٩٩
علي بن افلح العبسي : هجا الكبراء فالهموه	جواد محمد علوش	١٠/٦٤	٧١	٦٩
فهد العسكر : اختطفه القدر قبل ان يتعلق	عبد الرزاق البصير	١٠/٦٤	٧١	١١٠
الشريف الرضي : في مهرجان احياء ذكراه	د . محمد محمود الدش	١١/٦٤	٧٢	٢٨
محمد سليم الجندي ، نشأ جيلا على العروبة	احمد الجندي	١١/٦٤	٧٢	٣٩
كمال الدين بن العديم المؤرخ السفير	سامي الكيالي	١٢/٦٤	٧٣	٤٠
القزويني : اخر رجال الحركة الادبية في العراق	عبد الرزاق الهلالي	١٢/٦٤	٧٣	٤٥
شوقي : كان نفيه الى اسبانيا نعمة على الادب	البدوي الملثم	١٢/٦٤	٧٣	٦٠

تاريخ أشخاص غير العرب

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
لريست كاسيرر : الفيلسوف الالماني	د . زكي نجيب محمود	١ /٦٤	٦٢	٧٤
جيته اديب المانيا الكبير	د . محمود السمرة	١ /٦٤	٦٢	١٣٧
ديوجين : الفيلسوف الساخر		٢ /٦٤	٦٣	٢
ابن ابراهام لنكولن شهد مصرع ٣ رؤساء جمهوريه		٢ /٦٤	٦٣	٢٥
بوشكين . شاعر الروس العظيم	علي ادهم	٢ /٦٤	٦٣	٧٤
غاريبالدي موحد ايطاليا	د . محمود السمرة	٢ /٦٤	٦٣	١٢٢
الدوس هكسلي : الزهد مستقبل الجنس البشري	د . محمود السمرة	٣ /٦٤	٦٤	١٤٢
سومرست موم : يتحدث عن الحياة والحب		٤ /٦٤	٦٥	١١٠
ابراهام لنكولن . يدفع دمه ثمنا لتحرير العبيد	د . احمد زكي	٥ /٦٤	٦٦	٧٥
وليم فوكنر اديب الجنوب الامريكي	د . محمود السمرة	٦ /٦٤	٦٧	١٤٢
الفيدس حفظه العرب لاهل الغرب فروما	د . احمد زكي	٧ /٦٤	٦٨	٧٢
ميكل انجلو احد اعمدة النهضة في اوربا	محمد بدر الدين خليل	٧ /٦٤	٦٨	١٠٨
ابو فراط .. ابو الطب		٨ /٦٤	٦٩	٢
هوجو .. كان انا تكلم انصت الدنيا	د . احمد زكي	٨ /٦٤	٦٩	٨
نابليون آمن بالله ، ولم يؤمن بشيء سواه	علي ادهم	٨ /٦٤	٦٩	٦٠
لمنتدونا مؤلف « النمر الارقط »	د . محمود السمرة	١٠/٦٤	٧١	١٣٢
فولتير ، مؤرخا	علي ادهم	١١/٦٤	٧٢	٥٨
هيدجر : زعيم الوجودية الالمانية	زكريا ابراهيم	١٢/٦٤	٧٣	١١٠
جورج اورويل : الكاتب الانجليزي الراحل	د . محمود السمرة	١٢/٦٤	٧٣	١٢٤

تربية وثقافة عامة

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الوحدة الثقافية ، قبل الوحدة الاقتصادية	محمد العربي الخطابي	٢/٦٤	٦٣	٥٥
ضرب الأطفال : هل نعود اليه في تربيتهم	محمد بدر الدين خليل	٣/٦٤	٦٤	٣٢
مشكلة الجيل الصاعد تهدد أساس كل أمة	محمد شمس الدين	٨/٦٤	٦٩	٧٢
الجامعات بين البحث العلمي والتعليم	د . عبد الحليم منتصر	٩/٦٤	٧٠	٢١
١٠ ملايين طالب في مدارسنا	ساطع الحصري	١٠/٦٤	٧١	٢٤

جريمة وقضاء

من أخطاء القضاء
حسن البدادي

الموضوع	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
كبش الفداء	٢/٦٤	٦٤	١١١
الحكم باعدام متهم بريء لجريمة اعترف غيره بارتكابها	٦/٦٤	٦٧	٥١
ضحية قرن الجدي	٨/٦٤	٦٩	٧٧
سبق السيف العذل	١٠/٦٤	٧١	١٠٣
ضحية الاضطهاد العنصري	١١/٦٤	٧٢	١٢٠

دين ورجال دين

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الحسن البصري : ربيب ولد في أحضان أم المؤمنين	الشيخ محمد ابو زهرة	١/٦٤	٦٢	٤٨
ابو الحسن الأشعري : بدأ بالاعتزال	الشيخ محمد ابو زهرة	٣/٦٤	٦٤	٢٥
ابراهيم النظام : صقر المعتزلة بعده ميالا عليه	ابراهيم فقلل	٤/٦٤	٦٥	٢٥
واصل بن عطاء : اعتمد على القرآن	الشيخ محمد ابو زهرة	٥/٦٤	٦٦	٣٤
ابو الحسن الشاذلي : والفكر الحر	د . جمال الدين الشيال	٦/٦٤	٦٧	٦٢
العبادة عند الشاذلي : عمل وسعي	د . جمال الدين الشيال	٧/٦٤	٦٨	٩٦
خطوات تأسست بها الدولة الإسلامية	د.محمد جمال الدين سرور	٨/٦٤	٦٩	١٦
ابو بكر الباقلاني : تعصب للأشعرية	الشيخ محمد ابو زهره	٩/٦٤	٧٠	٦٤
الأوزاعي : فقيه أهل الشام	رشدي بكن	١٠/٦٤	٧١	٩٩
ابو منصور الماتريدي : بين المعتزلة والأشاعرة	الشيخ محمد ابو زهرة	١١/٦٤	٧٢	١٠٢

ذرة وفضاء

بقلم الدكتور أحمد زكي

ركن الأسرة والمرأة

سياسة

شعر

انظر تاريخ أشخاص عرب

الموضوع	الشاعر	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
امام الباب المغلق ..	فدوى طوقان	٦٤/ ٧	٦٨	٨٨
نجوى الرسول الأعظم ..	جورج سلستي	٦٤/ ٨	٦٩	٥٦
اشتـــقو العيطاني ..	سليمان العيسى	٦٤/ ٨	٦٩	٦٩
مطرود من الجنـــة ..	أيوب طه	٦٤/ ٩	٧٠	٨٢
النابغة الذبياني ووجه « نتتر »	من الشعر القديم	٦٤/١	٧١	١٠٩
من نفحات الأندلس .. « وديعة مدينة سالم »	فاضل خلف	٦٤/١١	٧٢	١١١
القصيدة البحرية ...	الفراين	٦٤/١٢	٧٣	٢٩
مذكرات بحار .. « في بيت صيدما تعلمنا الكتاب »	محمد الفائز	٦٤/١٢	٧٣	٥٤

طب

الموضوع	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الهستريا لها وجهان : طبي ، وتاريخ	٦٤/ ١	٦٢	٣٢
الطب والعلم في عام ١٩٦٣	٦٤/ ٣	٦٤	٤٠
الأسبرين : في عامه الخامس والسبعين	٦٤/ ٧	٦٨	١٠٥
عرق الصيف نعمة أم نقمة ؟	٦٤/ ٨	٦٩	٢٤
كشف رائع : لمرضى السكر	٦٤/١١	٧٢	١٢

طبيب الأسرة

الموضوع	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
حبوب منع الحمل ـ المأكولات المخزونة ـ الدواء متى يؤخذ ؟ الخ ..	٦٤/ ١	٦٢	٧٩
الصيام ـ العلقة الشرعية والإمساك ـ احتمال الحمل عند الطمـــث	٦٤/ ٢	٦٣	١٢٣
الرضاعة من الثدي أم من الزجاجة ؟ ـ كرات الدم الحمراء	٦٤/ ٣	٦٤	١٢١
اللبن المجفف ـ أسباب العمى ـ المعدة لا تقوم بكل الهضم	٦٤/ ٤	٦٥	١٣٣

الموضوع	الرقم / السنة	العدد	الصفحة
مرض الاستسقاء ـ تنظيم الطعام لمرضى السكر ـ الرجيم	٥/ ٦٤	٦٦	١٠١
لين العظم يورث القبلة ؟ ـ القدم الرحاء ـ بنك الدم	٦/ ٦٤	٦٧	١١٥
التطعيم ضد الجدري ـ تورم القدم ـ هل ضعف البصر يورث ؟	٧/ ٦٤	٦٨	١٢١
الامراض والوراثة ـ بعد كم من الولادة يقع الحمل التالي ؟	٨/ ٦٤	٦٩	١٠٥
غدة البروستاتة ـ امراض الحمل ، طريقة تعاطي الدواء	٩/ ٦٤	٧٠	١١٣
مصى ضغط الدم ـ مناديل القماش ، مناديل الورق ـ اختبار وجود الحمل	١٠/٦٤	٧١	١١٩
برازابني به دم احمر ـ التهاب الكلية ـ امراض تحملها الحشرات	١١/٦٤	٧٢	١٢٢
قصر النظر ـ مصاب بالاعصاب ـ التطعيم ـ الخ	١٢/٦٤	٧٣	١٣١

عروبة

الموضوع	الكاتب	الرقم / السنة	العدد	الصفحة
الحقوق انما تؤخذ في هذه الدنيا غلابا	د. احمد زكي	١/ ٦٤	٦٢	٢
تراثنا العربي دعامة من دعامات الوحدة العربية	د. شاكر عاقل	١/ ٦٤	٦٢	١٢
امجاد العرب هي ، أم امجاد المسلمين	د. احمد زكي	٢/ ٦٤	٦٣	٨
الوحدة الثقافية قبل الوحدة الاقتصادية	محمد العربي الخطابي	٢/ ٦٤	٦٣	٥٥
العرب مارسوا الدبلوماسية من أيام الجاهلية	حسن فتح الباب	٥/ ٦٤	٦٦	٨٠
مقام العقل عند العرب	د. محمود السمرة	٥/ ٦٤	٦٦	١٤٠
العروبة والاسلام	د. احمد زكي	٦/ ٦٤	٦٧	٨
انفتاح العرب على الغرب في العصور الحديثة	د. محمود السمرة	٨/ ٦٤	٦٩	١٢٢
اضواء على عناصر الوطن العربي	د. محمود السمرة	٩/ ٦٤	٧٠	١٢٤
القومية العربية في نظر عالم يهودي	ظافر القاسمي	١١/٦٤	٧٢	١٧
كاتدرائية في قلب مسجد	سامي المظفر الكزبري	١٢/٦٤	٧٣	٣٤

علم نفس

علوم

أنظر تاريخ أشخاص عرب وغير العرب

انباء العلم والطب والاختراع

صياغة الدكتور احمد زكي

بهذا الباب ، في كل عدد ، شئ من انباء العلم والطب والاختراع ، يصعب جمعها كلها في فهرس واحد ، لكثرة عددها ، وكثرة تنوعها .

فلسفة

انظر تاريخ أشخاص غير العرب

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الحرية . موازنة بين الحقوق والواجبات	د. محمد فتحي الشنيطي	٢ /٦٤	٦٣	١٣
فلسفة الجمال عند سارتر	د. زكريا ابراهيم	٣ /٦٤	٦٤	٧٠
الجمال ليس متناسقة أبعاد ، ولا قياس أبعاد	د. زكي نجيب محمود	٤ /٦٤	٦٥	١٦
حقيقة الجمال عند افلاطون	د. زكي نجيب محمود	٦ /٦٤	٦٧	١١٨
الفيلسوف شيلر : صاحب المذهب الانساني	د. عثمان امين	٨ /٦٤	٦٩	٢٨
الجمال والتكوين : حقيقة الجمال ما هي ؟	د. زكي نجيب محمود	٩ /٦٤	٧٠	٧٤

فنون

انظر تاريخ أشخاص عرب وغير العرب

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
جميلة مغنية الحجاز ، غناؤها شجار النجوم	خليل الهنداوي	١ /٦٤	٦٢	٢٥
الجمال كما يراه الفوطين	د. زكي نجيب محمود	٤ /٦٤	٦٥	١٦
موقف الفنان العربي من التيارات الفنية المعاصرة	د . عز الدين اسماعيل	٥ /٦٤	٦٦	٢٠
فلسفة « البير كامي » في الفن	د. زكريا ابراهيم	١٠/٦٤	٧١	٥٤

قصص

قام برسم رسومها أحمد الوردي

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
عيون	أ. د. محمد	١ /٦٤	٦٢	١٥٣
أعمدة المجتمع : أحدى روائع « ابسن » المسرحية	هنري مطر	٢ /٦٤	٦٣	١٣٦
الهرب	لويجي براندللو	٣ /٦٤	٦٤	١٣٩
العرس الأخير	الفونس دوديه	٤ /٦٤	٦٥	١٤٥



مجتمع واجتماع

شفروليه ١٩٦٥

رمز الأناقة والمتانة والذوق الرفيع



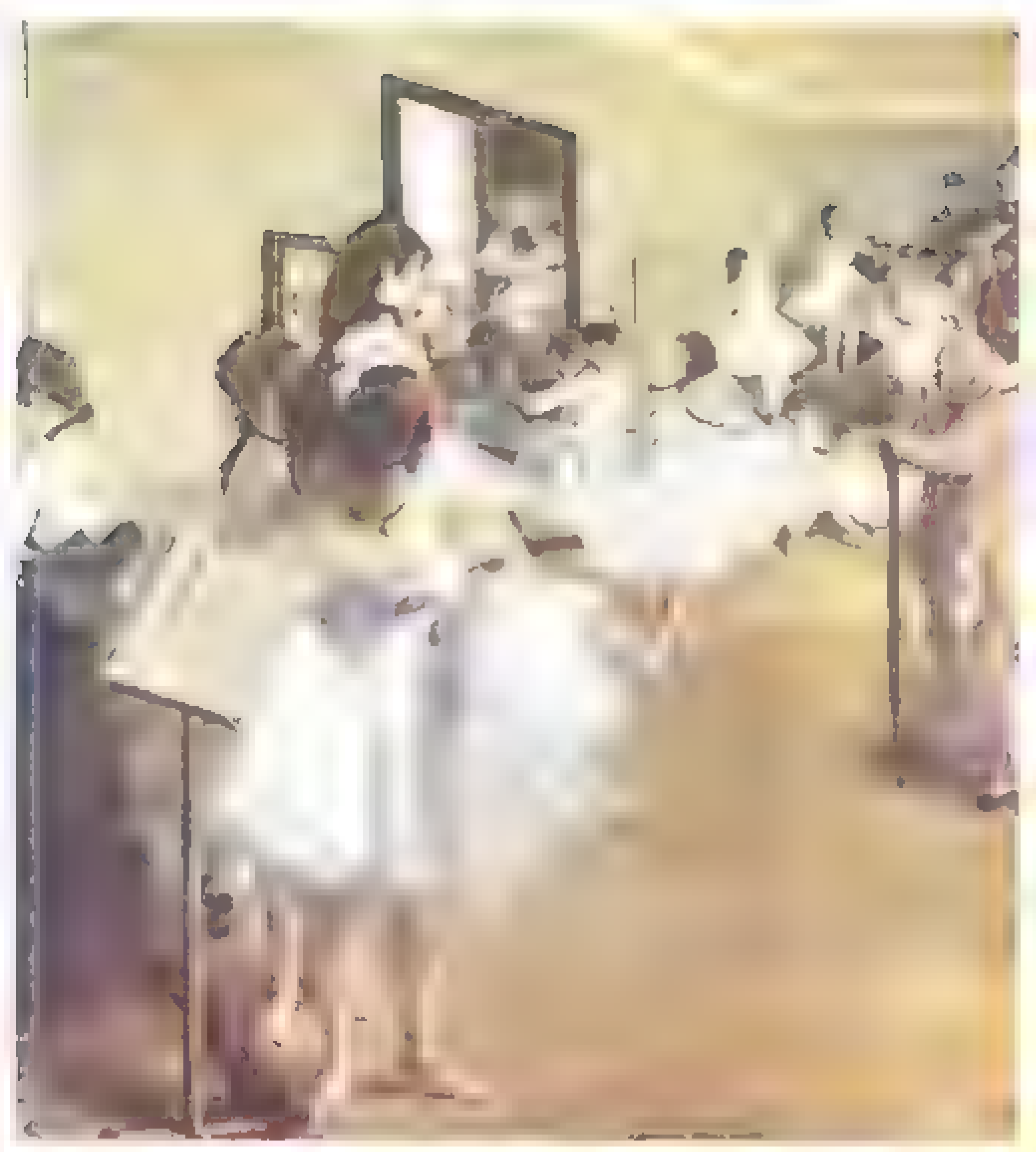
العربي



جوائز

١٢٠٠

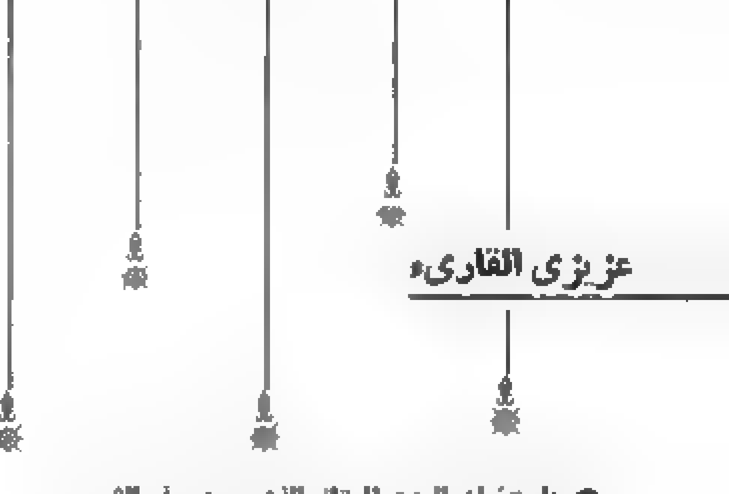
نار سنويا



ديجاس ، رسام الباليه

وحة .. وتاريخ حياة

(البقيه على صفحة ١٤٠)



عزيزي القارىء

● علمت ان العدد الممتاز الذي صدر في الشهر الماضي طلبت منه الاسواق العربية ١٤٠ر٠٠٠ نسخة . ونحسب انه يشوقك ان تعلم كيف وزعت هذه الكمية في مختلف اجزاء الوطن العربي ، فاليك هذا البيان الذي يوضح لك عدد النسخ التي اخذها كل قطر عربي:

الجمهورية العربية المتحدة	٢٠ر٠٠٠
المملكة العربية السعودية	١٦ر٥٠٠
الجمهورية العراقية	١٦ر٠٠٠
الكويت	١٥ر٥٠٠
المملكة الاردنية الهاشمية	١٥ر٠٠٠
الجمهورية العربية السورية	١٤ر٥٠٠
الجمهورية السودانية	١١ر٥٠٠
المغرب	٧ر٠٠٠
امارات الخليج العربي	٣ر٨٥٠
لبنان	٣ر٧٥٠
ليبيا	٢ر٥٠٠
الجنوب العربي	٣ر٢٧٥
تونس	١ر٧٠٠
الجزائر	١ر٠٠٠
بلدان اخرى واحتياطي	٦ر٠٠٠

ونحن نذكر ذلك ، لا فخراً للعربي ، بل فخراً للامة العربية التي بلغ من اقبالها على الثقافة (الغير الرخيصة) التي تنشرها العربي حداً لم يبق معه شيء من هذا العدد الكبير الذي تطبعه مجلة عربية شهرية لاول مرة .

المحرر

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكى

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت

ALARABY No. 75 February 1965 P.O.B. 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تليفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »

الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة .. قسم الإعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

● عربية من الكويت انبهرت برحمة صفاء الجو فرحلت الى حديقة منزلها لتطمئن على ما تعتني من عصافير الزينة بعد موجة البرد الأخيرة .. انه لقاء بين ربيع العمر - وربيع الطبيعة الذي بدأ يقرع الأبواب على أرض الكويت ..

ثمن العدد : بالكويت ١٠٠ فلس - ساحل الخليج وحضرموت الجزيرة ؟ روبية أو ٢ر٠ شلن - العراق ١٢٠ فلسا - سوريا ١٠٠ قرش - لبنان ١٠٠ قرش - الأردن ١٠٠ فلس - السعودية ٢ ريال - السودان ١٠ قروش ج ع م ١٠ قروش - تونس والجزائر ٢٠٠ مليم - المغرب ٢ درهم - اليمن ٢ر٠ سنت - ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع



.. بل للتبشير مكان في اليهودية !!

● جاء في مقال الدكتور علي احمد علي «العربي» – العدد ٧٠ – قوله: «ان اليهود لا يقومون بأي حركات تبشيرية بين معتنقي المذاهب والأديان الأخرى وانه لا يوجد للتبشير مكان في دينهم ! ... » .

ولقد عجبت أشد العجب لهذا الذي يقول به الدكتور ، لا سيما وأن حجج اليهود الصهاينة ودعاواهم الباطلة كلها تستند الى هذا الزعم الباطل ، الذي يقود – عند التسليم به – الى الاعتراف بأن يهود العالم جميعهم من سلالة واحدة ، طالما انه لا يوجد للتبشير مكان في دينهم !! ولو صح هذا الزعم – وانى له أن يصح ... – لصدقت الدعاوى في أنهم يشكلون أمة واحدة من أصل واحد .. وهذا ما يكذبه العلم ويدحضه العلماء ، وبخاصة اليهود منهم !

ومن أقرب الأساليب الناجحة لذلك الزعم ، يحضرني الآن بحث مستفيض للدكتور محمد عوض محمد ، ورد في كتابه : « الاستعمار والمذاهب الاستعمارية » بعنوان « الصهيونية في نظر العلم » .. وفيه اثبات بيّن صريح لبطلان مزاعم اليهود الصهاينة القائلة بأنهم من أصل واحد ، وحديث مفصل عن انتشار اليهودية كدين تبشيري بين أجناس وشعوب مختلفة ، واستشهاد بأقوال العلماء والخبراء والمؤرخين ، المعاصرين منهم واليهود ..

والدكتور محمد عوض محمد يلخص انتشار الدين اليهودي بما يلي :

أولا : عاش بنو اسرائيل في فلسطين حيث أمكنهم أن يؤسسوا ديانتهم وأن ينشروها بين الجماعات الأخرى التي كانت تسكن فلسطين .

ثانيا : أخذ اليهود بعد ذلك ، ومنذ القرون السابقة للميلاد ، يبشرون بديانتهم بين الشعوب الوثنية في مختلف الأقطار والأنحاء ، مستعينين على ذلك بالجماعات الجديدة التي اعتنقت دينهم واشتركت في نشره والتبشير به . وكلما ابتعدنا من فلسطين ، زادت نسبة العناصر الجديدة التي دخلت الدين اليهودي ، حتى كانت شعوب بأكملها تعتنق ذلك الدين ! ..

ثالثا : وجدت اليهودية أرضا خصبة للنمو والانتشار في بلاد الألان والسلاف الوثنيين ، فانتشرت بينهم بدرجة ليس لها نظير في أي قطر آخر فيما نعلم ..

... هذا ما أحببت أن أنوه به ، خدمة للحقيقة والتاريخ ، وتبديدا للوهم السائد بيننا والزاعم بأن .. ليس للتبشير مكان في دين اليهود !!

طالب أبو عابد – دمشق – ج.ع.س

«العربي» ... والأحداث السياسية ! ..

● كنت أتوقع أن أجد فوق صفحات مجلتكم الزاهرة عرضا لأحداث العرب الأخيرة ، وخاصة الثورة الشعبية التي أطاحت بالعهد البائد في السودان ، الذي هو جزء من الوطن العربي الكبير ، وحديثا عن فظائع جنود القوات البلجيكيين والأمريكيين في الكونغو ، وعن النضال الشعبي في اريتريا ضد مظالم الدكتاتورية الفردية ، وعن جهاد الجنوب العربي المحتل ، وعن نزاع العرب مع دولة العصابات الصهيونية ... الخ ... وانى آمل من مجلتنا العربية أن تولي هذه الأحداث وأمثالها الاهتمام اللازم .. وشكرا » .

كامل محمد عثمان محمد صالح

الخرطوم

« العربي » : لو أننا أفسحنا صفحات « العربي » للأحداث هذه لأغلقناها في وجه الثقافة عامة ! فضلا عن أن هذه الأحداث مما لا تدع الصحف اليومية والأسبوعية منه شيئا لمجلة شهرية .

السريان هم الذين سموا الخليفة الثاني «الفاروق»!
وهي لفظة سريانية تعني «منقذ» أو «محرر» SAVIOUR

● للسريان صلات وثقى وعلاقات قوية بمجتمع العرب، جنسياً، وثقافياً، ودينياً، قد قرنوا منذ الفتح العربي المبين، وأخذت تنمو وتتسع وتقوى حتى بلغت عنفوانها في عهد الخلفاء العباسيين – عهد الترجمة ونقل العلوم من اليونانية الى العربية – والتاريخ يثبت ذلك اى اثبات.

والذي اردت أن أنبه اليه الآن هو أن كلمة «فاروق» وهي اللقب الخاص بالخليفة الثاني عمر بن الخطاب – لفظة سريانية لفظاً ومعنى، اشتقها السريان على صيغة اسم الفاعل من فعل Prok بالسريانية اي: انقذ، حرر، فقالوا: Farooku اي منقذ ومحرر. والسبب في ذلك هو أن السريان الذين كانوا يقطنون في سوريا وما بين النهرين كانوا خاضعين للروم البيزنطيين قبيل الفتح العربي، وقد ذاقوا منهم ألواناً من العذاب، وأشكالاً من التنكيل بهم، ضرباً، واهانة، ونفياً، وزجاً في ظلمات السجون وغياهب المعتقلات، وذلك بسبب الخلاف العقائدي المسيحي القائم بينهما. وكان السريان المضطهدون (بفتح الهاء) يتربصون الفرص، ويترقبون ايام الفرج من عند الله. ولما اطلت الطلائع العربية قادمة من الجزيرة العربية، فاتحة، تهلل السريان واستبشروا خيراً، وشحنت قلوبهم أملاً وامتلأت أرواحهم رجاء، فوجدوا في العرب الخير والأمل والرجاء فطلبوا لهم النصر المبين من عند الله، وساعدوهم فتمكنوا من تحرير بلادهم من الاستعمار البيزنطي الجائر، فحرر العرب السريان وانقذوهم.

وابتهاجاً بهذه المناسبة التاريخية النادرة، ولأجل الذكرى، اطلق السريان على عمر بن الخطاب لقباً مناسباً فسموه «فاروق» اي منقذ أو محرر.

ومما هو جدير بالذكر أن هذا اللقب خاص بالسيد المسيح، اطلقه عليه الملاك الذي ظهر ليوسف خطيب العذراء في الحلم قائلاً: «ستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» (متى ١: ٢١) ويسوع لفظة عبرية تعني المخلص والفادي والمنقذ. وان انقاذ المسيح العالم من الخطيئة كان روحياً محضاً، وانقاذ عمر السريان من الروم البيزنطيين كان انسانياً واجتماعياً ومعنوياً.

ونظراً لما في المعادلين من تشابه وتناسب، ولما يعبر السريان عن فرحتهم، ويثبتوا والصميم واخلاصهم للعرب الفاتحين اطلقوا على عمر هذا اللقب.

الأب اسحاق ساكا – زحلة

مشاعر قارىء

● لقد عودتنا «العربي» – مجلة كل عربي حقاً وصدقاً – على كل جديد، واطلعتنا على القريب والبعيد، ووصلت بيننا، كعرب يعيشون في القرن العشرين، وبين ماض مجيد، وايقنا أن رسالة الفكر العربية تتجسد في رسالة مجلتكم الغراء، وبابداع نتاج فكري ممثلاً في «العربي» أحسن تمثيل.. هذه المجلة التي مضت ترفع لواء الفكر الحر عبر المهاجير القاتمة منذ تأسيسها واستمرت في سيرها المستقيم، لا تتعثر ولا تنحرف، فاجادت واحسنت وابدعت.

لقد اظهرت لنا كنوزاً مطمورة تحت الركام.. وكشفت عن معالم الحضارة العربية الغابرة، ولا زالت تنقب عن الآثار المبعثرة، فتسلط عليها الاضواء حتى تستبين. وبنفس الوقت، والى جانب هذا العبء الثقيل، آلت المجلة على نفسها أن تحمل مشعل التحرر لتؤدي دورها الانساني النبيل في خدمة الحرية ومحاربة الاستبداد. ولقد كانت تجاري وتناصر كل المعارك التي خاضتها الشعوب العربية وغيرها من اجل الحرية والاستقلال.

والواقع الذي لا مراء فيه أن في محتويات هذه المجلة تبراً قد استلّ من التراب، وماساً قد استل من الفحم، وطيباً اطرح منه الخبيث، وفي سبيل ذلك بذل الكثير من الجهود، ومن اجله قدمت عشرات الخدمات والتضحيات..».

محمد وحيد ذياب

القنيطرة – ج.ع.س



بقلم: رئيس التحرير

■ كتبت عن المذاهب في عدد سابق من « العربي » ، وقلت ان المذاهب كالاوعية التي يطبخ فيها الطابخ ، وانه اهم من الوعاء ما في الوعاء . وهـذا في حيـاة الامم هو الانتاج اكثر الانتاج ، والعمل اشد العمل . وان امما عملت في ظـلال الاشتراكيه ، مـن جمعيـة ، ومعتدلة ، ومتطرفة ، فكانت النتيجـة بمقدار ما بذلت هذه الامم من جهد في جنبات الحياة جميعا ، لا بمقدار مـا تمذهبت .

وكتب الي قوم يقولون كيف تهـدر المذاهب ؟

ولكن هل انا اهدرت المذاهب ؟ الـم اقل انها كاوعيـة الطابخ ، وهـل يكـون طبخ بغير وعاء ؟

وانا بالطبع عندمـا كتبت قصـدت

اختلاف دين
أو اختلاف لون
أو اختلاف لسان
أو اختلاف مصالح

طول أنوف
أو قصر قامات

الأحرار القادرين دهرا طويلا

المذاهب الاقتصادية ، وتركت للتاريخ أن يدل على ذلك ، وتركته عمدا .

وقوم طلبوا أن يعصفوا كذلك بالمذاهب السياسية . وآخرون طلبوا أن يعصفوا بالمذاهب الدينية . وعندهم أن المذاهب السياسية ، وأدت بالأحزاب والحزبية ، لا غنى عنها . وعندهم كذلك أن المذاهب الدينية ، ضرورة لا بد منها .

ويحضرني في الأحزاب والحزبية والمذاهب والتمذهب ، رأي أرجو أن لا يسوء بعض من ألف في حياته الطويلة الأحزاب ، وألف المذاهب . وهو رأي بدأ عندي صغيرا وأنا لم أكن عدوت العشرين .

في المذاهب الدينية أولا

كنت في بيت صديق ، وغربت الشمس ، وكادت أن تحل صلاة العشاء . فقام رجال البيت يصلون المغرب ، ومعهم واحد شيخ كبير من ضباط الجيش . ولشيء ما سألني ما مذهبي . قلت مسلم ، والمذاهب عندي سواء .

فصاح في غضب وقال : ما مذهب أبيك !

ولم أرد أن أغضبه وقد عاد فصاح . فرحمني صديقي وهو يسر إلي فقول : قل للشيخ مذهب أبيك . قلت الشافعي . وصلينا . وانتهت الصلاة بسلام .

الائمة يأبون ان يتخذ من آرائهم مذاهب

وكثرت . وظلت الفكرة تكبر معي : ما هذه المذاهب ؟ أهي دين فوق دين ؟ ان الائمة الاجلة الكبار قيل لهم في ذلك، فراعهم ان تتخذ من آرائهم او فتاويهم مذاهب .

الفرق بين الرأي ، والحقيقة

وهم اختلفوا في الكثير . كانت لهم آراء عدة في الشيء الواحد ، والحقيقة لا تتعدى . وهم فرقوا بين الرأي تراه والحقيقة تكون . اذكر ان مالكا قال للشافعي ما معناه : ان رأيا تراه ، يخالف رأيي ، يترجح عندي الخطأ فيه ، وجائز ان يكون صحيحا . وان رأيا أراه ، يخالف رأيك ، يترجح عندي الصواب فيه ، وجائز ان يكون خطأ .

فالائمة لم يقطعوا بصحة آرائهم . وهم لم يجيزوا لهذه الآراء جملة أن تتحزم حزما ، وان تصنع حزبا ، ويكون لها اتباع ، يلتزمون بها دائما ، ولا يخرجون عليها أبدا . الى ان تقسم الاسلام كما تقسمت المسيحية ، من كاثوليكية ، الى بروتستانتية ، الى ارثوذكسية .

ما كان هذا في الاسلام ولن يكون .

والنبي (صلعم) قال : ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق .

المذاهب آراء ، لا حظائر تأبى على العقول الخروج

سألت رجلا مسلما مؤمنا خيرا ، كان مذهبه الحنفية ، لم اخترت الحنفية ؟ قال : كان ابي حنفيا . قلت : ولماذا كان ابوك حنفيا . قال في سذاجة : لأنه كان امام مسجد في دولة جعلت الحنفية مذهبا للدولة . قلت : وهل جائز لك ان تتخذ من غير الحنفية مذهبا . قال : نعم .

و « نعم » هذه ساوت عندي ألف مثقال ذهبا .

انها فسحتها بين المذاهب من فسيحة ، تماما كما ارادها الاجلة من اصحابها ان تكون ، آراء ، لا حظائر اذا دخل احدها داخل فقد امتنع عليه الخروج .

في الجامع الواحد تدرس كل المذاهب

وليس في هذا عند المسلمين من جديد . فالمذاهب جميعا تدرس وتدرس في الجامع الواحد ، وفي العاصمة الاسلامية الواحدة ، جنبا الى جنب .

وقد تعرض المسألة بين الفقهاء فيسألون عن رأي مالك فيها والشافعي، وغير هؤلاء من الائمة الدارسين التابعين، وهم بهذه الآراء وبالذي بها من حجج يستهدون ، ثم هم في المسألة يقضون .

الائمة منارات رفيعة

ان الائمة منارات كبيرة رفيعة تنير للسالك الطريق ، اقف عندها انتصح نورها ، واقرأ ، وليس من احد يأسى ان لم تقف لتقرأ على ضوء هذا المصباح دون هذا. لانها مصابيح عندي سواسية، تعطي النور . ولكنها ليست مذاهب متنافرة متناحرة ، تتصل بها قاصدا ما ان يحجر بها على العقول . انها اذن والله الحجر .

ان الدين كتاب الله وسنة رسوله .

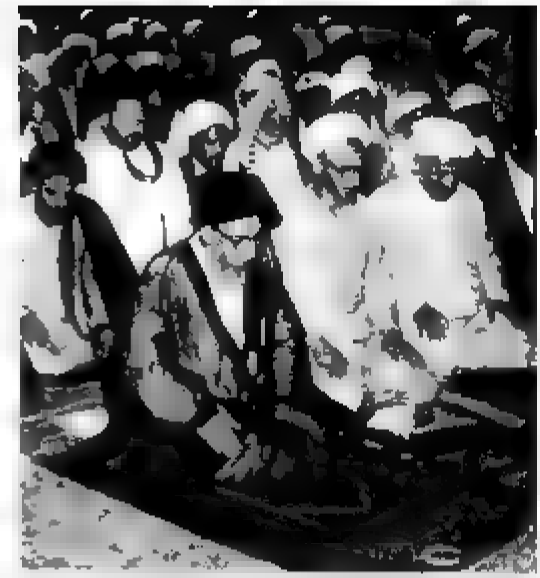
والدين في منحوانه عاش قويا قبل ان يجيء عصر المذاهب .

وليست هذه دعوة لاطراحها ، ولكنها دعوة الى ان لا نتعصب لها ، فنجعل منها اديانا داخل دين . فما هكذا اراد الاجلاء من اصحابها .

فتنة كانت فزالت

ومن المذاهب ما اسموه سنة . ومن المذاهب ما اسموه شيعة . وتوارث الاخلاف كراهة الاسلاف . وينشأ الناشيء لا يفهم من سنته شيئا . وينشأ الناشيء لا يفهم من شيعته شيئا . كل ما عرف من مذهبه هذا او ذاك انما مناصبة العداء . ورب وليد دمشق مثلا ما قد كان مذهبه لو انه ولد في النجف . ورب وليد النجف ما قد كان مذهبه لو انه ولد في القيروان .





أين يصلي هؤلاء ؟ .. وأين يصلي هؤلاء ؟

« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله » . (التوبة : ١٨)

ويحمد الله أن وقع من الأمة، في هذه العصور الحاضرة، هذه الصحة، فلم نعد نسمع لأخوة الأمس اليوم نعيقاً مزعجاً، كان في سبيل الوحدة كالعظم في الحلوق، وفي التئام الشمل كالشوك في الجنوب .

أم أني سبقت زماني ؟

أم أني في هذا الظن سبقت زماني ؟

أم أني في هذا الظن، لم يعدني الواقع، ولكن عادني الرجاء، وضللتني الأماني ؟

أن صح أني مضلل في هذا الرجاء، مخدوع في هذه الأماني، فقد صدقت قولة قالها لي قديماً رجل حكيم .

قال : ان الناس تموت ولكنها لا تفنى .

قلت : كيف تموت ولا تفنى ؟

قال : انها تترك وراءها أشباحها، تخرج منها أبهر، تتعلق بها أعناق الأحياء، تحصرها حصراً فتكاد تخنقها ؟

قلت : بأي شيء ؟

قال : بالذي تتركه من تعاليم، من كل صنف، في شئون دنيا وشئون آخرة، فيها شرارات الحروب التي يجب أن تستمر نيرانها موقدة بين البشر .

قلت : ان الأجيال تخلف المعلم، وتخلف التجربة النافعة .

قال : ان خلفت مثقالاً من علم، خلفت معه عشرة مثاقيل من أشباه علم، معها ألف مثقال من حقد وضغن ودعوة الى القتال باسم الحق، والحق بريء من كل دم مسفوح .

قلت : ان الناس تختلف دائماً .

قال : وفي سبيل الأرزاق تختلف أصلاً وتتقاتل . لا بد من تقاتل الطوائف وغلابها على الرزق . وهي قد تتقاتل لوحدة في دين، أو وحدة في مذهب، أو وحدة في لون، أو وحدة في لسان . فان عرتها أسباب الوحدة، فقد خلت والله أن يتقاتل منهم ذوو الأنوف الطويلة، وحدة أنف . أو ذوو الأجسام القصيرة، وحدة قصر، سبباً ما لجعل الخصومة قائمة دائمة . فلا ينقضي لها في الحياة على الأجيال لهيب .

الاتباع يكون عند عجز، والاستقلال عند القدرة

وسانحة تراودني كل هذه السنين أن الاتباع، في أي شيء، عند ذي العقل العاجز، أو عند ذي العقل غير الفارغ لاملاء زمانه، انما هو ضرورة . ولكن أن يسمع الرجل العاقل، في أي شيء،

وهو القادر على استبانة الطريق ، فهذا اهدار لهذا العقل السليم .

ومن القول الخالد الذي قرأت ، قوله ابي حنيفة رحمه الله ، عندما سئل في اتباع سلفه فيما رأوه : « هم رجال ونحن رجال » .

وقد اعقل ان يرى رجل عاقل قادر راي رجل في امر واحد . وقد يرى رايه في امرين او ثلاثة ، وفي عشرة وعشرين ، اما ان يرى رايه في الف مسالة ، حتى المذهب ، فهذا غير الذي عهدناه في امر المعقول . واغرب من ذلك ان تجتمع الف رجل ، مرة واحدة ، على الف راى ، مرة واحدة ، الا ان يستعمر عقل عقولا.

وكما في المذاهب الدينية ، فكذلك في المذاهب السياسية

وقد ذكرت ما ذكرت في المذاهب الدينية ، لانتقل بعدها الى المذاهب السياسية . الى التحزب والاحزاب .

ان الاصل في البرلمانات عندي انها ندوات ، يجتمع فيها اهل الراى ، لاعطاء الراي في كل مسالة تعرض . ويؤخذ الراى ، فيكون زيد في جانب ، ويكون عمرو وخالد في جانب . ثم تعرض مسالة اخرى ، ويؤخذ الراى ، فيكون زيد وعمرو في جانب ويكون خالد في جانب اخر . وهلم جرا . لا يلتزم احد باتباع راى الا رايا يراه هو في وقته ، ومن بعد دراسته هو لا دراسة الاخرين . كل هذا لهدى الحكام الى اقوم سبيل .

ان هذا الوضع الذي اصفه وضع طبيعي ارى انه لا غبار عليه : ندوة حرية الفرد فيها محفوظة . حرية الراى الفردى مع اختلاف المسائل وتعددها .

ويزيد في صحة هذا الوضع الطبيعي ان الحكم اصبح اليوم كثير التعقد . ذا ابواب كثيرة ، لا يحسن الراى فيها الا اهل الفن المختصون . وعضو البرلمان يعجز عن ان يكون له راى فيها ، الا ان يكون من ذوى الاختصاص . والحق ان حكم الامم صار اليوم اختصاصا . وما البرلمانات الا رقباء حتى لا يكون انحراف .

البرلمان الانجليزي بدأ لا يعرف الاحزاب

واحسب انه على هذا الوضع ، او على شيء شبيه من هذا ، بدأت البرلمانات الحديثة ، والبرلمان الانجليزي ، خاصة ، هذا الذي يسمونه ابا البرلمانات .

ولكنه لم يلبث ان انقسم وتحزب .

كان هذا عام ١٦٧٩ ميلادية . كان ملك انجلترا شارل الثاني . وكان يميل الى الكثلكة . وكان اخوه جيمس كاثوليكيا متعصبا . وكان ولي العهد . فتقدم الى البرلمان اقتراح بالحفاظ قرار بمنع جيمس من ان يكون ملكا بعد اخيه . وغضب شارل الثاني لهذا وحل البرلمان . ومن تلك السنة انقسم رجال الحكم الى حزبين ، بينهما عداوة مرة ، هما الحزبان الشهيران ، الوجز Whigs والتوريز Tories ، ذكما اللذان صارا من بعد ذلك ، الاحرار والمحافظين . والحزب الاول ناصر الاقتراح بمنع جيمس من الملك ، والحزب الاخر عارضه .

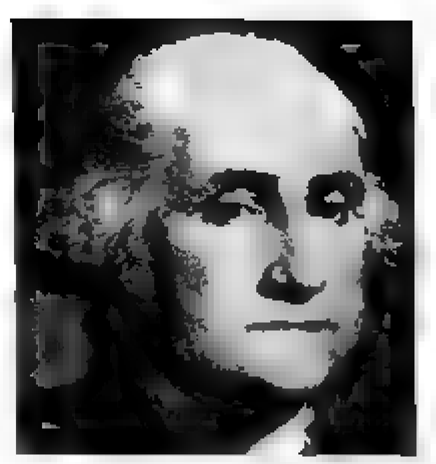
الدستور الامريكي لا يذكر الاحزاب

وهذا الانشقاق يعتبر عند دارسي علم السياسة مولد الاحزاب السياسية في هذه العصور الحديثة .

واستقلت امريكا . وكانت الولايات المتحدة . وكان الرئيس وشنجطن اول رئيس للولايات . وخرج دستور الولايات خلوا من كل ما يشير الى الاحزاب والتحزب ، وكتب به كذلك الى اليوم . وكان رئيس الولايات الاول ، وشنجطن ، يرى ان لا ضرورة للاحزاب ، بل انه راى انها خطر على الدولة . ولكن ما لبث ان حدث انقسام في الراى : « هاملتن » يرى حكما فدراليا مركزيا قويا ، « وجفرسن » يرى اعطاء لبعة اكبر للولايات . وظهر هذا الانقسام عمليا في انتخابات ١٧٩٦ . وصار الحزب الاول يعني بالحزب الفدرالي ، والثاني يعني بالجمهوري الديمقراطي . وانقسم الحزب الاول وزال . فما لبث الحزب الثاني ان انقسم الى حزبين ، الحزب الجمهوري وضم اكثر الولايات الشرقية ، والحزب الديمقراطي وضم ولايات الغرب والجنوب . كان هذا قبيل عام ١٨٢٠ . وهما الحزبان الباقيان الى اليوم .

ولد الاحزاب في انجلترا اختلاف مذهبي .

وولد الاحزاب في الولايات المتحدة اختلاف اقتصادي ومصالح اعمال .



وشنجطن ، اول رئيس للولايات ، ومحقق تحريرها . كان يرى ان لا ضرورة للاحزاب . وخرج دستور الولايات خلوا من ذكر الاحزاب

احزاب لها قوة وجبروت

ومع تولد الاحزاب كان لابد من برامج تصف مبادىء الحزب واهدافه . عشرات من المبادىء والاهداف مكتوبة ، الى جانبها مئات من صنع النوازع والاهواء غير مكتوبة ، كيف يمكن لكل تابع للحزب في دولة ، وهم ملايين ، وكيف يمكن لكل عضو للحزب في برلمان ، وهم مئات ، كيف يمكن لهؤلاء وهؤلاء ان يكون عندهم ، مع التفكير الحر ، على كل هذه المبادىء ، مجتمعة ، اتفاق ؟ بل كيف يجوز !

ومع هذا صار للاحزاب مراكز في كل عاصمة ، وكل مدينة ، وكل بلد ، وكل قرية .. نظام عظيم ضخم ترى في كل بقاع الدولة ، له قوة وله جبروت .

وللاحزاب كرابيج

ويعلن الحزب لوحته في الامة ، وعليها مبادئه واهدافه . وبناء على هذه اللوحة يعرض على الامة مرشحيه ويجمع اعضاء برلمانه ، ويجتمعون فيكون الحزب عليهم رقيبا . فمن خالف رأى الحزب كان له عقاب . ومن امتنع عن ابداء صوت كالذى يراه الحزب أو تغيب ، فله كذلك عقاب . وعينوا رجالا اسموهم الكرابيج ، او الاسواط Whips ، واجبهم لم الاعضاء عند التصويت ، واعطاؤهم الصوت الذي به يدلون [1]

الاحزاب تمنع احزابا اخرى ان تقوم

ويأتي رجال من رجال الفكر احرار ، يرون في مبادىء هذا الحزب ما يرى ، وفي مبادىء ذاك ما يرى ، ويضمون هذا الى ذاك ، ويضيفون الى ما تجمع شيئا جديدا ، ويحاولون ان يكونوا من ذلك حزبا جديدا ، فتقوم الاحزاب القائمة القوية تناوئهم ، بحسبانهم منافسين طلاب حكم . فقد اصبح الحكم عند الاحزاب ، صراحة ، هو الغاية .

ان بالولايات المتحدة حزبين . ولقد حدثت محاولات عدة لخلق حزب ثالث ، له لوحة غير لوحة هذا الحزب او ذاك ، يحاربها الحزبان القائمان . وقد يقوم حزب له رأى في مشكلة واحدة قائمة ، فلا يفسح له سبيل . وتتكرر المحاولة في التاريخ الطويل للولايات المتحدة ، والنتيجة والاخفاق والفشل واحدة . حزبية قوية ، قرية ، لا تأذن لغيرها ان تقوم ، في البلد الحر !

وفي انجلترا نجحت محاولة ايجاد الحزب الثالث بعد جهاد طويل . وحل حزب العمال محل حزب الاحرار او كاد .

في اوروبا تعددت الاحزاب ، فما نعرض رأى الاحزاب الكبرى عليها

وفي اوروبا ، وهي موطن لحرية الرأى

---

(1) عرضت الصحيفة الاسبوعية البريطانية الشهيرة الاوبزرفر لمسألة الشر (كروسمان) عضو مجلس العموم البريطاني والوزير اليوم ، ومخالفته فيه انه لم يكن برضيه ان يكون صوته لـ[illegible] في البرلمان الى حيث تعطى صوتا لنفسه بأن شئنا « كرابيج » الحزب [illegible] [illegible] لرجوع حكومة ذات اكثرية من اتباعه في البرلمان وفي الحملة السياسية البريطانية ، كتب [illegible] [illegible] عدد مقالا في صلاح البرلمان البريطاني فلما جاء على طريقة اعطاء الاصوات في البرلمان قال « [illegible] ان اعطاء الصوت الحر في البرلمان [illegible] لا سيما والكرابيج مرفوعة »

اوسع ، تعددت الاحزاب حتى لقد يكون في البلد الواحد ما بين ١٠ الى ١٥ حزبا. وهي أحزاب تكونت غالبا لمصالح . مصلحة راسمالية ، مصلحة عمالية . مصلحة زراعية ، مصلحة ملكية ،مصلحة دينية ، مصلحة شيوعية ، وهلم جرا .

وتعدد الاحزاب جاء ، ليس فقط للدفاع عن معان جديدة ، ولو مصلحية ، وانما هو جاء ضيقا بما فرضته الاحزاب الكبرى من فرض التباع لوحتها السياسية، واتباعها مجموعة كاملة .

وفي الامم التي لم تتعدد فيها الاحزاب كانجلترا والولايات المتحدة ، احتفظت الاحزاب بعددها ، ولكنها تقسمت في داخلها . فالجناح اليميني والجناح اليساري ، والأوسط ، ويكون لهؤلاء وهؤلاء في الحزب ، ولو غير رسميين ، زعماء . وما ذلك الا ضيق بما تتطلبه الاحزاب من انسجام الآراء في كل موضوع يعرض . والانسجام هنا ما نقول به اللوحة ، أو على الاصح ما نسوله الكبراء في الأحزاب . والنفس الحرة تأبى ان تنسجم دائما . ولولا انفس الاحرار ما تقدم العالم خطوة الى الأمام .

احزاب لم يبق منها الا الحزبية

ولكم نظرت في أحزاب ، فوجدت حتى اللوحة قد انطمست سطورها ، وان ما تضمنته من معان قد انبهمت معالمها ، والمبادىء طوّح الزمان بمعانيها . ضاع كل شيء من قوام الحزب فلم تبق له الا الحزبية . ويصبح الحزب لا يمسكه الا التحزب ، كالعصابة لا يمسكها الا تعصبها .

في معركة الرئاسة

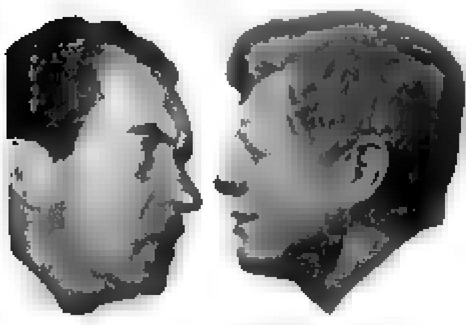
وأذكر معركة الرئاسة التي قامت في الولايات المتحدة منذ سنتين ، بين « كندي » مرشح الحزب الديمقراطي ، ونكسون مرشح الحزب الجمهوري ، وسمعنا من هذا ومن هذا ، فلم ندر ايهما الديمقراطي وايهما الجمهوري . لقد بهتت الوان الحزبين او كادت ، بهتت مبادىء واضحة ، وصفات متعارفة . وسألت امريكيا في هذا ، قال لي : الفرق بينهما ، الا في القليل ، فرق مزاج . ذلك ان للشعوب الحديثة مطالب متشابهة ، كاد التشابه فيها ان يكون توحدا ، على الرغم من أسماء الأحزاب وشعاراتها .

وفي الربقية

وهذه اربعة بلدات تتكون فيها الامم المستقلة من بعد هوان وذلة . واتنظر فاجد بعضها يحاول ان يسير على ما سار عليه الغرب في القرون الحديثة : تصنع الاحزاب ، فأحزاب توالي ، وأخرى لا توالي . وبدأت بينهما الخصومات حتى قبل أن تستقر الحكومات . لم يكن لها بد من أن تجرى على ما جرت عليه أمم سبقت من فهم معنى الديمقراطية الحديثة ، والتئام احزابا . واحسب انها سوف تحقق احلامها .

الشعوب والحكومة المسئولة

ان الشعوب لم تعرف معنى الحكومة المسئولة الا منذ قرون قلائل . ولقد تمثل هذا المعنى في مجلس اسموه البرلمان ، وهو لو ترجم بالعربية لكان « مكان الكلام » او الندوة . وفي البرلمان قامت الاحزاب وعليها بنى الحكم .



الرئاسة في الولايات المتحدة عام ١٩٦٠
كندي مرشح الديمقراطيين ، ونكسون مرشح الجمهوريين
سمعنا من هذا ، ومن هذا ، فلم ندر أيهما الديمقراطي وايهما الجمهوري .

وسمي هذا النظام بالديمقراطي الحديث.

وليس أدل على أن هذا النظام الحزبي، عاش من الزمان وقتاً ما وجيلاً يعيش، من خروج جانب كبير من أمم الأرض عليه. وجانب من الأرض بقي فيه هذا النظام هياكل كالنظام الحر. قمصاً ملؤه هواء. وأمم أخرى تقدمت عليه.

ومن الناس من يقول تقدمت على الرغم منه. فألمانيا مثلاً، نظامها حزبي، وهي أسرع الأمم اليوم تقدماً. ولكنها أسرع تقدماً بالذي بها من كفايات علميه، وكفايات فنيه، وكفايات عملية. وهي تقدمت تحت كل النظم، وكل الظروف. بسبب هذه الكفايات. وفي عهد هتلر، ونظام حكمه ما عرفنا، كانت ألمانيا من أقدر الأمم وأثراها صناعة وإنتاجاً. ثم دركت طغمة الحكم الهتلري، درت حربها، فأطاحت بكل ما جاءت به الكفايات من خير.

تجارب جديدة

والعالم، أو جانب كبير منه، خرج اليوم على النظام الديمقراطي الحزبي، يجرب أنظمة أخرى، كلها لا تزال في دور التجريب. وهو دور يطول.

ولكن كل هذه النظم، من جديد منها والقديم، لن تستقيم أبداً، مع إهدار حرية الفكر، الفكر المتربي، المتنور، المثقف، المتخصص، فكر كل امرأة وكل رجل جدير بأن يسمى صاحب فكر.

إن الإنسان حيوان مفكر، فإهدار حرية الفكر، عند كل جدير به، على الإخلاص، ودون استغلال، إهدار لإنسانيته.

صنوف أخرى من التكتل

فهذه هي المذاهب والتمذهب.

وهذه هي الأحزاب والتحزب.

وصنوف أخرى من التكتل، هي أبناء أعمام التمذهب والتحزب، تدخل جميعها في معنى التعصب، لم يجن العالم منها جميعاً، في قديمه وحديثه، خيراً.

والسبب؟

إنها كلها نظم تحول بين الفرد وفكره، فكره الحر، فكره الطليق، على الإخلاص، وعلى المقدرة.

واعلم أنه، باسم الرأي الحر، قد يجد الفكر المأجور سبيلاً للتسلل بين الناس.

واعلم أنه باسم الرأي الحر قد يصرح الجهلاء، حتى على الإخلاص، بكل نكير من الفكر عجيب.

المخلص: التعليم الحر الكامل الشامل

وليس علاج لهذا، لكل هذا، ولشرور أخرى في بني الإنسان، إلا التعليم. التعليم الشامل. التعليم الكامل. التعليم الطلق. لا التعليم الذي يؤكد التعصب ويضيق الآفاق.

إن التعليم حل لكل مشكلة، ومنها المشاكل السياسية، وأقصد التعليم الحر، فمن التعليم تجهيل. ولست أرى اليوم بلداً بلغ به التعليم الحر والتثقف الحر، درجة تؤمن حرية الرأي وصلاح الدنيا معاً. فلا في انجلترا، ولا في أمريكا، ولا في روسيا، بلغ التعليم الحر، من حيث النوع والكم والاتساع، مبلغاً يقضي على ما في أنفس البشر من أنانيه.

وما الحرب اليوم، في أكثر صوره، وأكثرها شيوعاً، إلا أنانية جماعية، لسان حالها يقول: الفكر لي وحدي، والرأي لي وحدي، والحكم لي وحدي، والخير لي أولاً، وعلى سائر الأحزاب في أمتي، وعلى سائر الملل والنحل، بل على سائر الأمم غير أمتي، العفاء.

ومتى يبلغ الإنسان في سائر طبقاته، وعلى تنوع لغاته وألوانه، هذه المرتبة من العلم والتثقف والتخلق؟

علم ذلك عند ربي..

وعندي أن الإنسان لا بد له من أن يمضي، فيشعل الأتون الحديدة، طعمة لنيران الحروب، قبل أن يستنقذ لما هو فيه من مقيم سبيل.

أحمد زكي

صارت عُرف السياسة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية

بقلم : محمد رفعت

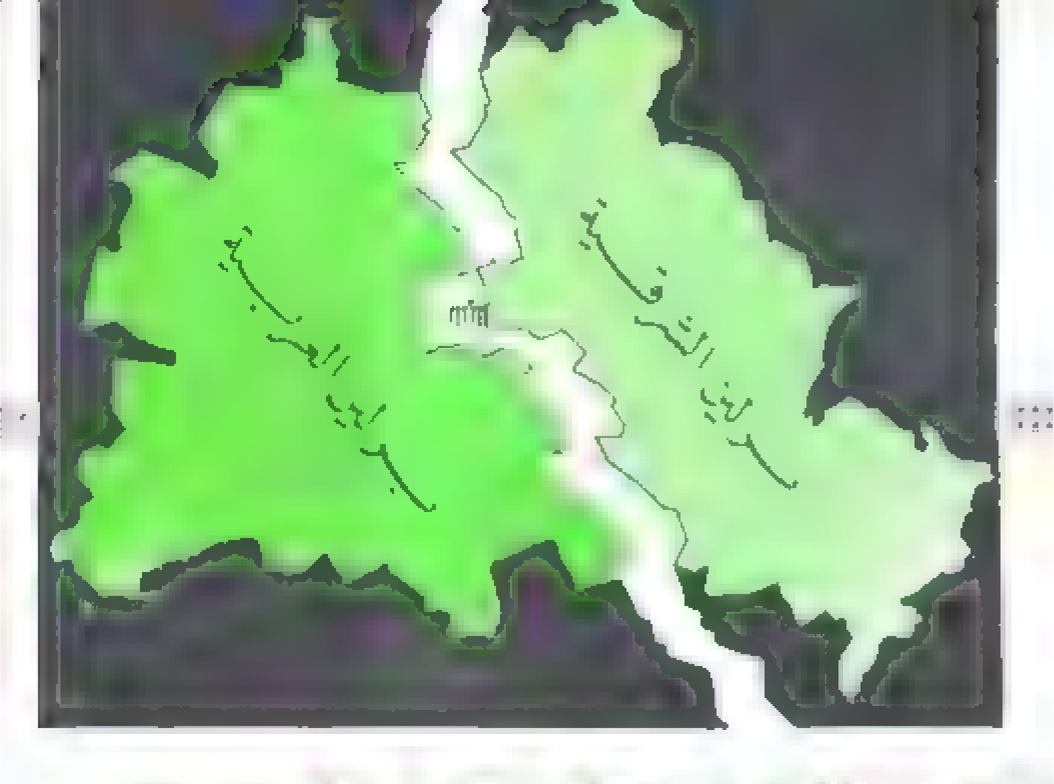
■ القسمة في اللغة تجزئة الشيء الواحد، وتطلق أيضا على الحظ والنصيب .

والقسمة الصحيحة الحقة يجب أن تتوافر لها شروط أهمها احتواء كل جزء من الكل المقسوم على جميع الصفات المميزة للأصل بحيث يمكن أن يصبح كل جزء قائما مستقلا بنفسه . هكذا نجد الحال في علم الحياة ، إن الخلايا تتكاثر بالانقسام إلى جزءين متساويين بهذا المعنى الكامل .

أما في شئون الحياة العامة فإن توافر شروط القسمة الحقة يكاد أن يكون مستحيلا بل إن القسمة فيها تكون مستحيلة إلا إذا أفضت إلى الموت . وقصة سليمان الحكيم عن القسمة معروفة : احتكمت إليه امرأتان في شأن طفل رضيع ، ادعته كل منهن لنفسها . فوجب الحكمة إلى سليمان أن يواجه المرأتين بقرار حاسم ، وهو أن يقسم الطفل نصفين متساويين لكل منهما نصف . فما كان من الأم الحقيقية للطفل إلا أن نزلت فورا عن حقها صونا لحياة الطفل .

القسمة في الرياضة غير القسمة في السياسة

ومع أنه يشترط في علم الرياضة أن



السابقة قسموا بولندا ، ثم قسموها ، حتى اختفت من الخريطة

وأول سابقة للقسمة السياسية في التاريخ الحديث عملية أقرتها ثلاث من كبريات دول أوروبا على ثلاث مراحل . وكانت قسمة بولندا التي ظلها سوس الأحرار في كل مكان في العالم . [illegible] روسيا وبروسيا والنمسا على [illegible] بولندا في أواخر القرن الثامن عشر مستغلة في ذلك فرصة تدهور أحوالها الداخلية . فتدخلت روسيا أولا بالقوة في عام ١٧٧٢ بحجة حماية الأقلية الأرثوذكسية من طغيان الأكثرية الكاثوليكية وحصلت كل من جارتيها النمسا وبروسيا [illegible] لتحقيق ميزان القوى فيما بينها فدبرت الدول الثلاث واتفقت على أن تحتل كل منها جزءاً من الأراضي البولندية القريبة من حدودها . وبذلك فقدت بولندا نحو ربع مساحتها . ثم تدخلت الدول الثلاث مرة ثانية في عام ١٧٩٣ واقتطعت قسماً ثانياً لم يبق بعده لبولندا سوى ثلث مساحتها الأولى . وأخيراً انفتحت بهم الشراهة فالتهموا البقية الباقية من البلاد في عام ١٧٩٥

وامحي بذلك اسم بولندا من خريطة اوروبا .

الى ان اعيد استقلالها في عام ١٩١٨ في اعقاب الحرب العالمية الاولى .

التقسيم كان من مميزات العرف السياسي الدولي بعد الحرب العالمية الثانية

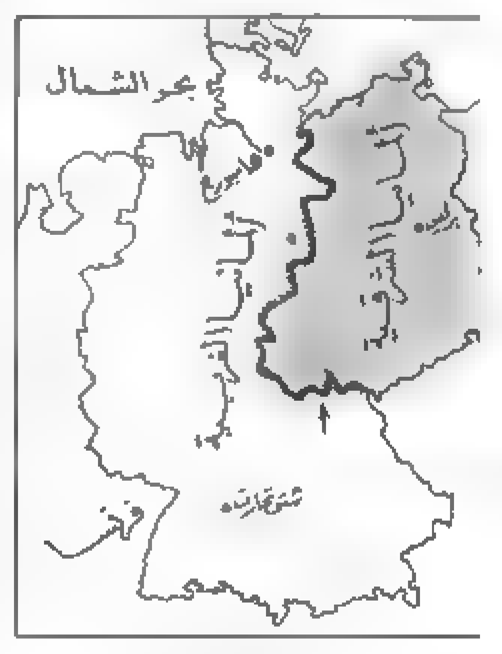
اما عمليات القسمة الاقليمية السياسية التي باشرتها الدول اخيرا فانها لتعددها وتشابه سماتها يمكن اعتبارها من مميزات العرف السياسي الدولي الذي ساد في اعقاب الحرب العالمية الثانية . انها في حقيقة الامر وفي معظم الحالات انعكاس للانقسام السياسي والمذهبي (الايديولوجي) الذي مني به حلفاء الامس ابان الحرب واصبحوا بعدها معسكرين متخاصمين :شرقي يسوده الاتحاد السوفييتي ، وغربي تسوده الولايات المتحدة . وامام تعارض اراء المعسكرين واختلاف اهدافهما مع تخوف كل من الجانبين من اشعال نار الحرب من جديد — لم يكن بد من لجوء ساسة الدول الى انصاف الحلول والقسمة على اثنين كلما عرضت امامهم مشكلة اقليمية اساسها التمييز المذهبي .

المانيا كانت اول ضحايا القسمة على اثنين

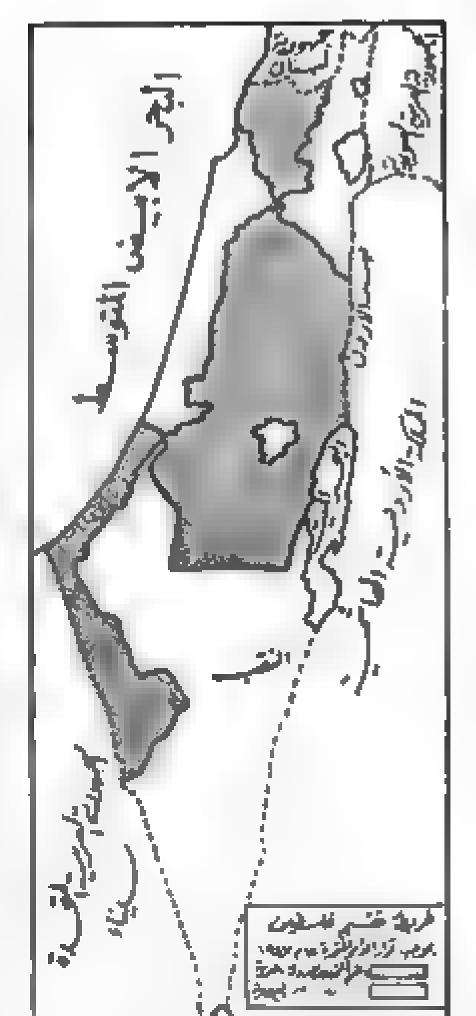
كانت المانيا بمقتضى اتفاق « بوتسدام » في اغسطس عام ١٩٤٥ اول ضحية للسياسة الجديدة . فلم يقتصر الامر على قسمتها الى منطقتين : شرقية يحتلها الاتحاد السوفييتي ، واخرى غربية من ثلاثة اجزاء يحتلها الحلفاء الغربيون . بل ان التقسيم قد شمل ايضا برلين عاصمة البلاد رغم وقوعها في وسط المنطقة الشرقية ، مما جعل مواصلات الحلفاء الغربيين من برلين الغربية واليها امرا مرهونا بأهواء الاتحاد السوفييتي . وحدث في عام ١٩٦١ ان زاد عدد اللاجئين من شرق المانيا الى غربها عن طريق برلين بدرجة اقلقت بال السلطات الشرقية . اذ بلغ عدد النازحين من الشرق الى الغرب نحو ثلاثة آلاف نفس يوميا . وعندها قرروا في ١٣ اغسطس من ذلك العام اقامة حائط برلين الشهير ليكون سدا



تقسيم بولندا : اول سابقة للقسمة السياسية في التاريخ الحديث



قسمت المانيا في عام ١٩٤٥ الى منطقتين شرقية ، وغربية .



في نوفمبر عام ١٩٤٧ وافقت الامم المتحدة على العملية المشؤومة ، لتقسيم فلسطين الى قسمين . قسم للعرب ، وهو الجزء المظلل في الخريطة ، وقسم للصهاينة ، وهو الجزء الابيض في الخريطة ..

ملغما بين شرق برلين وغربها . وهو جدار سميك مسلح يبلغ طوله خمسة وعشرين ميلا وعليه حراسة ومراقبة شديدتان. وكانت تألفت عام ١٩٤٩ حكومة محلية في كل من المنطقتين الالمانيتين ، ثم ما لبثت الحكومتان ان اعلنتا استقلالهما في عام ١٩٥٥ ، ولكنه كان استقلالا منقوصا مشروطا بمخططات الدول المنتصرة بعد الحرب ، وكل من الجانبين ينكر استقلال الجانب الآخر ولا يعترف به اللهم الا في الشئون التجارية وفي بعض المناسبات الاجتماعية .

ويبلغ عدد سكان المانيا الشرقية نحو ١٧ مليون نفس وعاصمتها برلين الشرقية ، والشيوعيون فيها هم اصحاب الحكم . اما المانيا الغربية فيبلغ عدد سكانها نحو ٥٥ مليون نفس، وعاصمتها « بون » وحكومتها دستورية على النمط الغربي ، وهي عضو في معاهدة شمالي الاطلنطي وفي السوق الاوروبية ، والمجلس الاوروبي . وسكان القطاع الغربي من برلين اكثر من ضعف سكان القطاع الشرقي .

وقسمة فلسطين اودت بكيان شعب بأسره

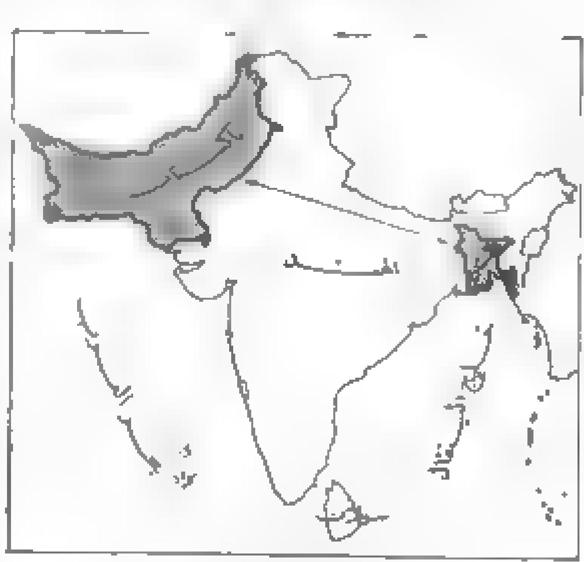
اما عملية القسمة الثانية فكانت عملية مشئومة اودت بكيان شعب بأسره ، وجعلت منطقة الشرق الاوسط من اكثر بقاع العالم توترا سياسيا وتعرضا للانفجار في اية لحظة . انها قسمة فلسطين التي قررتها الامم المتحدة في نوفمبر عام ١٩٤٧ ، وقررتها بريطانيا بقصد مناصرة الصهيونيين حين اعلنت قرارها بالغاء انتدابها على فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨ . وكان من اوجب واجبات الدولة المنتدبة الا تغادر البلاد التي ظلت منتدبة عليها نحو الاثني عاما قبل ان ترد الامانة التي ائتمنت عليها الى اصحابها . ولكنها لصقت بالامم المتحدة ، وعقدت الكلمة لجنة « معاينة » قررت قسمة البلاد بين العرب واليهود . ويبدو انها كانت خطة مبيتة اذ لم يعترض ضد التقسيم من دول الغرب سوى اليونان وكوبا . حتى روسيا التي عرفت بمعارضتها للصهيونيين اعطت صوتها حينذاك الى جانب التقسيم . وبذلك اجتمعت لاول مرة كلمة روسيا والولايات المتحدة . ولقد اجتمعت كلمتهما للمرة الثانية في عام ١٩٥٦ ولكنها كانت في هذه المرة ضد العدوان الثلاثي والى جانب العرب . ولقد ثار العرب ضد القسمة صونا لكيان بلادهم واشتكوا الحسام جماعات متحررة وجيوشا منظمة . ولكنهم غلبوا على امرهم في النهاية لاسباب معروفة واصبح نحو مليون نفس منهم لاجئين مشردين في انحاء العالم العربي.

وظلت دولة الصهاينة كالشوكة في قلب الجسد العربي . ولن يبرأ العرب من جرحهم حتى تقتلع الشوكة التي لابد ان عاجلا او آجلا .

القارة الهندية : قسموها الى هند وباكستان

اما اضخم عملية للقسمة تمت في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية فهي قسمة القارة الهندية بين الهندوس والمسلمين . وكان زعماء المسلمين متضامنين مع مواطنيهم الهنود في كفاحهم من اجل استقلال الهند . فكانوا اعضاء في المؤتمر الهندي الذي الفه غاندي لقيادة حركة التحرر والكفاح السلبي . الى ان كان عام ١٩٣٥ حين قرر حزب المؤتمر ان يحل المسلمون احزابهم وجمعياتهم الخاصة بهم . وحينئذ انفصل الزعيم الهندي المسلم « محمد علي جناح » واخذ يعبىء المسلمين الهنود لفكرة الانفصال عن الهندوس . ونادى في عام ١٩٤٠ بانشاء دولة في الهند تتألف من الولايات التي يتمتع فيها المسلمون بالكثرة العددية . وهذه الولايات تقع في الشمال الغربي من الهند. يضاف اليها اقليم البنغال الشرقي الواقع في اقصى الشرق ويفصله عنها نحو الف ميل . واقتنعت الحكومة البريطانية بأنه لا مندوحة البتة عن تقسيم الهند منعا للمذابح التي كانت تقع بين الطائفتين بين حين وآخر وقررت في صيف عام ١٩٤٧ في عهد حكومة العمال اعطاء الولايات الهندية حق تقرير مصيرها اما الى جانب الهندوس او الى جانب المسلمين الذين اطلقوا على دولتهم « الباكستان » . وهو اسم مأخوذة من حروف اسماء الولايات التي تتألف منها الدولة الجديدة وهي : « بنجاب » و « كشمير » و « بلوخستان ».

وحينئذ اهتاجت خواطر القوم وبلغت مراجل الحقد والكراهية بين المسلمين والهندوس فعاثوا في البلاد تخريبا وتقتيلا وتجاوبت الاصداء بأن « الراجا البريطاني » سيحمل عصاه على كتفه ويرحل عن البلاد ، فخرج الناس من قراهم وكأنه يوم الحشر ، ورحلوا بملايينهم وملاليينهم حاملين متاعهم واطفالهم ــ المسلمون مولون وجوههم شطر ولايات الباكستان ، والهندوس من الولايات المسلمة وجهتهم الولايات الهندوسية ــ ساروا جميعا في طوابير متعارضة متعرضة بجناحهم الجوع والخوف، وتنتابهم الامراض والاوبئة ، ويتخطفهم الموت من كل جانب ، حتى راح ضحية هذه العملية اكثر من نصف مليون .



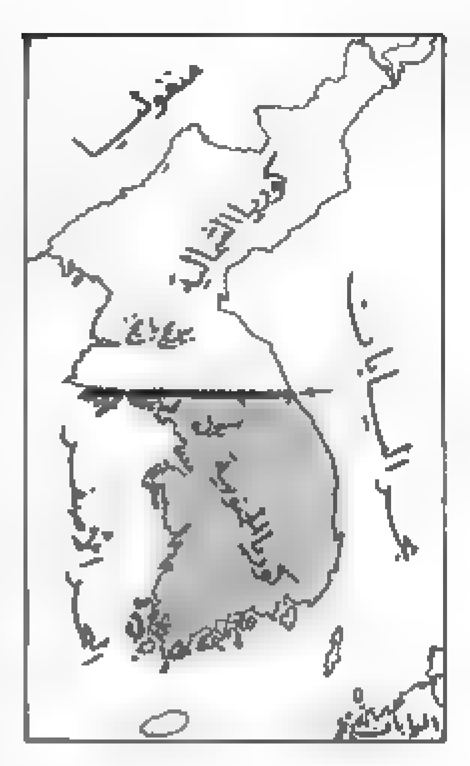
كان تقسيم القارة الهندية بين الهندوس والمسلمين ، الى الهند والباكستان ، اضخم عملية للقسمة تمت في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ..

ويبلغ عدد سكان الباكستان نحو ٩٦ مليون من الانفس ، وعاصمتهم الرسمية « روالبندي » بعد ان كانت « كراتشي » .

ويبلغ عدد سكان الهند نحو ٤٥٠ مليون نفس منهم نحو ٣٥ مليونا من المسلمين . وتبلغ مساحة الهند نحو خمسة اضعاف مساحة الباكستان .

وبينما الباكستان عضو في منظمة الحلف المركزي « حلف بغداد سابقا » وفي منظمة جنوب شرقي آسيا ، فان الهند بزعامة « نهرو » كانت في طليعة الدول التي نادت بعدم الانحياز .

على ان الحكومتين داخلتان في نطاق الكومنولث البريطاني، والخلاف بينهما على



كوريا : قسموها الى كوريا الشمالية ، وكوريا الجنوبية ، والخط الفاصل بينهما هو خط عرض ٣٨ شمالا ..

قبيل انهزام اليابان في الحرب العالمية الثانية ، تحركت الجيوش الروسية شرقا نحو كوريا واحتلت الجزء الشمالي منها كما ان الولايات المتحدة سيطرت على الجزء الجنوبي . وبذلك انقسمت كوريا الى قسمين يفصلهما خط عرض ٣٨ شمالا . وسرعان ما دب النزاع بين القسمين ، وعرض الموضوع على الامم المتحدة في عام ١٩٤٧ فقررت ضرورة توحيد كوريا واقامة حكومة منتخبة انتخابا حرا . ولكن القرار ظل حبرا على ورق الى ان كان عام ١٩٥٠ حين تحرك جيش من الشمال وهاجم كوريا الجنوبية ، وعندئذ تدخلت الامم المتحدة واعلنت ان كوريا الشمالية هي البادئة بالعدوان وان على الاعضاء ان يتقدموا بمعاونة الكوريين الجنوبيين لصد العدوان عليهم . وقد تحملت الولايات المتحدة النصيب الاوفر من اعباء الحرب ونفقاتها وخسائرها ولكنها ، احجمت عن مواجهة الصين التي كانت تمد الشماليين بالعون الحربي والمادي وذلك خشية الذرة حرب عالمية ذرية . واستمرت الحرب سجالا الى عام ١٩٥٣ حين اتفق على ابقاء خط عرض ٣٨ شمالا حدا فاصلا بين القسمين . ومع ان عدد سكان كوريا الجنوبية يبلغ نحو ٢٢ مليون نسمة ، على حين ان كوريا الشمالية لا يزيد عدد سكانها على عشرة ملايين، فان كوريا الشمالية تمتاز بمعادنها ووفرة بترولها ونشاطها الصناعي.

وفيتنام ، قسموها الى شمال وجنوب

اما احدث مشكلات القسمة الاقليمية فهي التي طالعتنا انباؤها وهذه الايام صبيحة كل يوم واعني بها « فيتنام » ومحنتها بالعصبية القديمة « الشمال والجنوب » .

وتتألف فيتنام من بعض الاقاليم التي كانت تابعة لفرنسا في الهند الصينية في الجنوب الشرقي من آسيا . وقد احتلتها فرنسا منذ عام ١٨٥٨ وعملت فيها كدابها على نشر الثقافة الفرنسية والمذهب الكاثوليكي، حتى بلغ عدد الذين يعتنقون

اشده بسبب ولاية كشمير وبها التربة صدمة كبرى ولكنها دخلت تحت حكم الهند منذ عام عام ١٩٥٧ .

وتكاد عملية قسمة الهند ان تكون الوحيدة التي قد يقدر لها البقاء ما دامت الفروق الدينية والاجتماعية بين المسلمين والهندوس على شدتها الحالية .

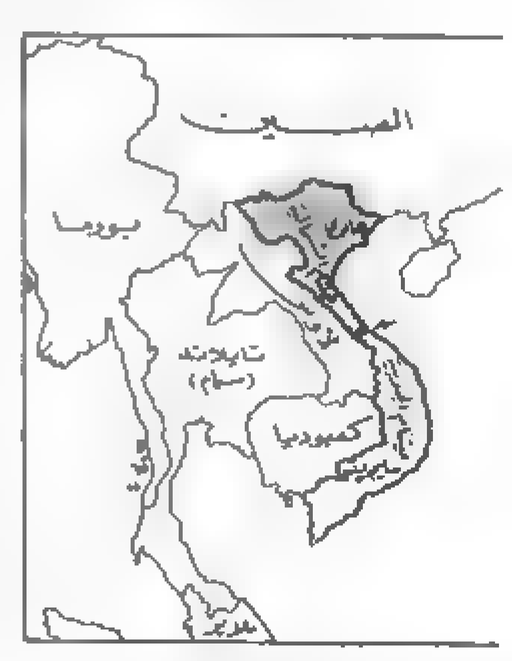
وكوريا ، قسموها الى شمال وجنوب

وفي عام ١٩٥٠ نشبت حرب كوريا . وقد ظلت كوريا تابعة للصين نحو خمسمائة عام الى ان احتلتها اليابان في عام ١٩٠٥ . وفي عام ١٩٤٥ ،

الكاثوليكية أكثر من مليوني نفس من نحو سبعة وعشرين مليونا من السكان .

وقد احتلتها اليابان في عام ١٩٤٠ في اثناء الحرب العالمية الثانية . ولكن العصابات الوطنية التي تألفت لمناهضة اليابان استطاعت في عام ١٩٤٥ انشاء حكومة جمهورية شيوعية بزعامة هو شي منه . وحاولت فرنسا استرداد سلطانها بالتفاوض مع الوطنيين ولكنها فشلت . وظلت الحرب سجالا بين الفرنسيين والفيتناميين من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٥٤ حين انتصر الوطنيون في معركة « ديان بيان فو » في عام ١٩٥٤ واضطرت فرنسا الى ترك مستعمراتها في جنوب آسيا مغلوبة منكسة الرأس . واجتمع في جنيف مؤتمر دولي في اغسطس عام ١٩٥٤ وقرر تقسيم فيتنام الى قسمين ، يفصلهما خط عرض ١٧° جنوبا . القسم الشمالي للشيوعيين بزعامة « هو شي منه » وعاصمته « هانوي » والقسم الجنوبي ، وعاصمته « سايجون » للوطنيين المناهضين للشيوعية تناصرهم الولايات المتحدة بالمال والرجال والعتاد. والحكومات في الجنوب لا تستقر على حال بسبب الخلافات المذهبية من جهة وبسبب عصابات « الفيت كنج » الشيوعية المسلحة المنظمة التي تلوذ بالاحراش وتسطو على القرى والبلدان كلما سنحت لها الفرص . ولا تزال حكومة الولايات المتحدة مصممة على مناصرة اهل الجنوب في فيتنام كما ان حكومة الصين الشعبية القريبة تمد العصابات بما تحتاجه من رجال ومؤن وسلاح ، ولا تفتأ تعلن انها لن تقف مكتوفة الأيدي اذا ما هاجمت امريكا فيتنام الشمالية .

وفي خليج « تونكين » الآن تلمع سيوف الحرب بين المعسكرين فوق رأسيهما كسيف « داموكليز » ، ومشدودا بخيط دقيق رفيع يوشك ان ينقصف في اية لحظة .



فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية ، وبينهما خط عرض ١٧ جنوبا الذي اعتبر منذ عام ١٩٥٤ خطا فاصلا بين البلدين ..

حواجز وهمية لا يمكن ابدا ان تدوم

ان « عمليات القسمة على اثنين » التي ذكرناها ما هي في حقيقة الامر سوى عمليات اصطناعية لا تقوم على اية اسس معقولة . ففي المانيا ، وبرلين ، وفي كوريا ، وفيتنام ، تعيش في شماليها وجنوبيها او في شرقيها وغربيها أقوام تجمعهم اوشاج من الدم والأصل واللغة والتاريخ ومن العقائد الدينية في معظم الحالات . ولكن السياسة قسمتهم وفصلتهم عن بعض بحواجز وحدود وهمية لا يمكن أبدا ان تحجب الصلات الاقتصادية والمعنوية التي تربط بين ابناء الوطن ، وتعمل حتما على رأب الصدع، وجمع الشمل ان عاجلا أو آجلا . ■■

القاهرة . محمد رفعت

نتيجة مسابقة العربي : العدد ٧٣

الأخطاء الإثني عشر وأسماء الفائزين بالجوائز

■ كانت هذه المسابقة من السهولة بحيث يكفي القاء نظرة سريعة على الرسمين لكي تتبين القارىء الأخطاء التي تعمد الرسام احداثها بالصورة السفلى، ومن أجل ذلك كان عدد الاجابات التي تلقيناها من الكثرة بحيث اقتضى فرزها بضعة أيام .

وعلى الرغم من أن الأخطاء كانت واضحة غاية الوضوح ، فان عددا كبيرا من تلك الاجابات قد جانبه التوفيق . ولأن الاجابات الصحيحة كانت من الكثرة بمكان فقد استبعدت الاجابات التي اكتفى أصحابها بذكر عشرة أخطاء أو أحد عشر خطأ ، وجرى السحب بين الاجابات التي ذكر أصحابها الأخطاء الاثني عشر كاملة وهي :

١ ـ الشجرة تنقص فرعا
٢ ـ السياج منزوع أحد حواجزه
٣ ـ الدجاجة الخامسة غير موجودة
٤ ـ التل الذي في يمين الرسم غير موجود
٥ ـ أحد حاجبي المرأة غير موجود
٦ ـ محتويات الوعاء الذي في يدها تغيرت
٧ ـ أزرار فستانها غير موجودة
٨ ـ كم الفستان غير كامل
٩ ـ ذيل الفستان مختلف في الرسمين
١٠ ـ الغطاء في الرسم الأسفل ضاع الفرعتين
١١ ـ فتحة الصدر في ثوب الطفل
١٢ ـ شكل الزهرة في الرسمين

وقد جرى السحب بطريق القرعة للاجابات الصحيحة فكانت النتيجة كالآتي :

الجائزة الأولى وقيمتها ثلاثون دينارا فازت بها: الآنسة أنيسة محمد مباركة ـ عمان ـ الأردن .

الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فاز بها منى الرايس حومة السوق ـ جربه ـ تونس .

الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فازت بها: نوال العسيلان : الكويت .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من

١ ـ حسين السيد السجين بسجين الجديدة حديدة التين : بيروت

٢ ـ محمد باسر الحداد بناية عبد الفتاح الحداد شارع ابن طريق ـ سطاسية ـ حمص .

٣ ـ مناهل محمد ابراهيم : الأعظمية ، بغداد ، محطة الشيوخ .

٤ ـ سعد علي الراشد : شركة كهرباء الرياض ـ المحاسبة العامة ـ الرياض ـ السعودية .

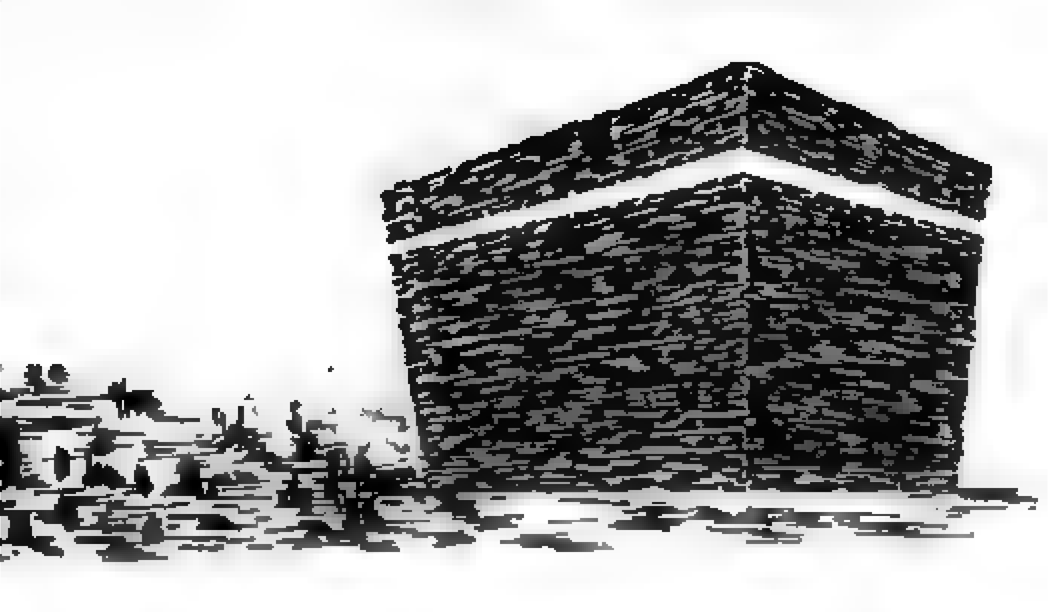
٥ ـ علي عمرو الطلوع ـ موظف بوزارة الأنباء والارشاد ـ شارع الاستقلال ـ طرابلس ـ ليبيا

٦ ـ السيد أحمد فهمي الكاشف رئيس ادارة البريد محافظة سوهاج ـ ج.ع.م

٧ ـ عبد الله محمد علي ـ مدرسة عطبرة الثانوية الحكومية ـ عطبرة ـ السودان .

٨ ـ الآنسة أمالي فؤاد عبد الله طرموم كريتر ـ عدن .

وسترسل اليهم جميعا الجوائز التي فازوا بها ■



■ ملهم الخير للنفوس الابيه   ورسول السلام بين البريه
اي ذكرى بمحشر الوحي شعرا   نبعثي مدائحا نبويه !!
يوم جئت الوجود ، مات وجود   وثني ، وشرعه ونبيه
يوم جئت الوجود ، غاب ظلام   وتهاوت الاسنة سرمديه
تحت الهدى في شمس البرايا   توقظ النور ، في العصور الدجيه
يوم جئت الوجود ، اطلعت شمسا   عبقريا ، لامة عبقريه !!

يا يتيما على هداه نشأنا   فاهتدينا لخالق البشريه
يعجز الشعر عن مديح نبي   لقن الناس حكمة علويه
مبدع العلم ، ما تعلمت حرفا   انت علمت امة جاهليه
فاذا الكون منصت لحديث   سوي ، وآية قدسيه
واذا البيت والربى والوادي   راتلات الى السماء ، تحيه
واذا الناس ، بعد عهد جهول ،   تذكر الله بكرة وعشيه !!

اي شفيع الانام ! اي رسول   صب ما شجاعة وحميه !
اين منا جحافل المجد تمضي   من قريش ، ولا تهاب المنيه
تقهر الشرك ، لا تبالي « بلات »   او « بعزى » منيعة او عتيه
تقحم الساح بالرماح العوالي   تنصب النصر بالزنود القويه !
اين منا حكام تقوى وصدق   يشرون الصلاح بين الرعيه



أين منا رمية تنادي ... للتآخي ، وللحياة الصحيه ؟
ذاك عهد من العمر توارى وتوارت في الثوره العربيه !

نحن ، يا ربّ ، من بلاد أفاقت ولعالت لثورة الوطنيه
غير أنا يعيث فيها خصام وانقسام ، وفرقة ، وأذيه
وحسبنا غنيمة الشر مضى فاذا الشر زاخر بالبليه
وإذا الحكم في بلادي غرور واعتداء على شعوب حيه !
سى الغدر أننا ما خضعنا .. أي عام لغير رب البريه
ان صمتنا ، فما سكتنا ، ولكن نحتمي دون ظلمكم الهمجيه
الشباب الأبي أقوى مراسا من أناس ما آمنوا في قضية !!
كم عرونا ، وإنا ما كفرنا بإيمان حيه وحدويه
كلنا كلنا نموت ونحيا بهتاف للأمة العربية !!

يا إله الأنام هبنا خشوعا واصطبارا ، ومنعه ، وأخوه
علم الناس أن يكونوا أناسا لا وحوشا رهيبة بربريه
ذكر الخلق أن فيهم ضميرا وخيالا من الخلاق بديه
ألهم الشعب أن يكون وفيا للبلاد ، على الزمان ، وفيه
أبعد القوم عن سبيل المعاصي لسبل من الرشاد سويه
أيما الذي قربه من الله وسير على طريق المروءه !

يا رسول السماء بين البرية ألهم الخير للنفوس الأبيه
ضمد الجرح في قلوب الثكالى واجعل الحب ، في الأنام ، وصيه
وحد الشمل ، في بلاد تمنت وتباهت بالعزة القوميه
يوم ذكراك ، أمتع العرب قلبا أخضروا ، ووحدة أخويه !!

■■

فوزي عطوي ـ بيروت



بافريقيا اسماء جديدة لاقطار قديمة

من « التيمز » الهندية :

● تميزت خريطة افريقيا بظهور اسماء جديدة فيها .

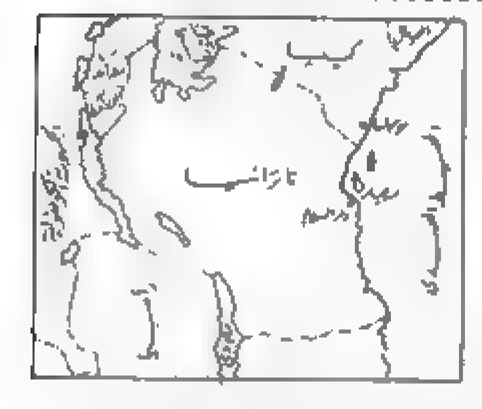
ومن اخر هذه الاسماء الجديدة « تنزانيا » وهو اسم جمع بين بلدين قديمين معروفين ، تنجانيقا وزنزبار . واشتق الاسم الجديد من الحرفين الاولين لكليهما .

وفي عام ١٩٥٧ كان هناك بلد يعرف بساحل الذهب . وفي مارس من ذلك العام نال استقلاله من بريطانيا ، واتخذ اسم غانا . وهو اسم قديم لدولة قامت على نهر النيجر انتعشت بين عام ٨٠٠ وعام ١١٠٠ .

وكان هناك قطران ، عرف احدهما بروديسيا الشمالية ، والآخر بروديسيا الجنوبية ، وكانا سميا باسم الرحالة الانجليزى المستعمر سسل رودس . واستقلت روديسيا الشمالية في اكتوبر عام ١٩٦٤ ، وسميت باسمها الجديد زمبيا ، مشتقة اياه من اسم نهر زمبيزى .

وعندما تستقل روديسيا الجنوبية فان زعماءها يعتزمون تسميتها « زمبابوى » ، وذلك لوجود آثار بتلك المنطقة غريبة ، هذا اسمها ، تدل على ثقافة افريقية قديمة كانت هناك منتعشة .

ونياسالاند ، نالت استقلالها في يوليو عام ١٩٦٤ ، وعندها تسمت ملاوى . وبجرى التواتر عندهم بانه في القديم جاء من الشرق قوم اسسوا



الامبراطورية المالوية . ونظروا من عل الى بحيرة نياسا ، « فبرقت » في اعينهم كما تبرق الشمس » . وملوى معناها « شعلة النار » . فصارت رمزا على البحيرة . ومنها اشتقوا اسم البلد الجديد .

مساواة !؟

من « تلغراف الاحد » اللندنية

● أدى تحرر المرأة في بريطانيا الى مساواة المرأة بالرجل في وجوه كثيرة .

فالنساء تملك نصف ثروة البلاد .

وهن اليوم يعملن جنبا الى جنب مع الرجال في الصناعة وفي كثير من المهن ، ولهن مثل حقوقهم السياسية .

ولكنا نلاحظ ، مع الحمد الكثير ؛



هـــل تصلح نيويورك مقرا للامم المتحدة ؟

من مجلة « الأكنمست » الانجليزيه

● منذ ان اطلق الجمعون السياسيون الكوبيون طلقة مدفعهم على مقر الولايات المتحدة ، فلا الذي اخفقت ، واعضاء هيئة الامم المتحدة يرسلون بالشكوى من بعد الشكوى الى السلطات ينعون فيها رجال الشرطة بالمدينة بالتقصير . ومـن شكواهم ان مدينة نيويورك قد اصبحت مدينة يلفها العنف والخوف . ومن شكواهم ان اهل نيويورك اصبحوا يظهرون الكراهة والحقـــد للدبلوماسيين على العموم ، والســود منهم على الخصوص . ومن شكواهم ان الحصول علـــى المسكن اصبح امرا محرجا لهم اشد الحرج . فاصحاب البيوت لا يحبون الدبلوماسيين آجَراء لان في استطاعتهم انهاء عقد السكن في اى وقت والاستعانة بالناعة الدبلوماسية . اما ان يؤجروا مساكنهم السود من الدبلوماسيين فشيء لا يرضونه ابدا .

واسباب هذه الشكاوى يسيرة الا ما قد ورد بشكاوى الاعضاء وقعت بسبب الاعتداء عليهم . وقد لقى الاعضاء الافريقيون والاسيويون معا من جراء قسوة لجا اليها البوليس في حادثتـــين منفصلتين ، احداهما تتعلق بطالب من كينيا ، والاخرى بطالب من يوغندا . قسوة سببها كراهة عنصرية عند رجال الشرطة شديدة . وحدث مصادفة ان احد الاعضاء في المنظمة ، وهو مـــن موريتانيا ، ضربه البوليس بقسوة ، وجرحه في جهات عدة من راسه .

كل هذه الحوادث قد تدل على ان الهيئـــة العالمية قد تكون اخطأت يوم اختارت ان تكـــون نيويورك مقرا لها .

كم يعلم الامريكى عن الدنيا ؟

من مجلة « تايم » الامريكـة

● مجلس العلاقات الاجنبية بالولايات المتحدة اصدر تقريرا عنوانه « الجمهور الامريكى لا يعرف الكثير عن الصين » .

وكان هذا التقرير مبناه على مسح آراء قام به مركز البحوث بجامعة متشجان ، تضمن آراء ١٥٠١ من الجمهور العادى .

سألهم الباحثون : اى نوع من الحكومات يحكم الصين الآن ؟

وسألهم الباحثون : اتعرف ان في الصين اليوم حكومة شيوعية ؟

وكانت الاجابة غريبة حقا . نحو ٢٨ في المائة لم يعرفوا لهذا السؤال جوابا .

و٣٩ في المائة جهلوا ان في الدنيا شيئا يقال له الحكومة الصينية الوطنية التي يرأسها شانغ كاى شك .

ومن الذين علموا بوجود دولتين صينيتين ، عارض ٦٢ في المائة منهم ان تساعد الولايات المتحدة حكومة الصين الوطنية في غزو الصين الشعبية .

وسئل هؤلاء : اذا دخلت الصين الشعبية هيئة الامم المتحدة على الرغم من معارضة الولايات المتحدة ، فهل ترى ان تظل الولايات المتحـــدة عضوا في هيئة الامم ؟

فرأى ٧٥ في المائة ممن سئلوا ان تظل الولايات عضوا . ورأى ٥ في المائة فقط ان تنسحب .

وكان من الاسئلة : هل سمعت بحرب قائمـــة اليوم في فيتنام ؟

وكانت النتيجة المدهشـــة ان ٢٥ في المائة لم يسمعوا بهذه الحرب !

اصبن متأخرات كثـــيرا عن الرجال في ميدان الجريمة .

ان عدد النساء في بريطانيا يزيد بمقدار مليون ونصف مليون امرأة عن الرجال (بسبب الحرب وغيرها) ، ومع هذا فلا تعالج النساء من الجريمة الكبيرة الا بمقدار الشيء مما يعالج الرجال .

وهناك بين نزلاء السجون ، امرأة واحدة لكل ١٦ من الرجال .

■ كان هذا من نحو ١٦ عاما .
كـ[illegible] شيكاغو ، ادور وادور .
قال صاحب فيباني : عندنا اليوم
ساعتان من فراغ ، نزور فيهما معهدا
[illegible] سآلت عنه من قريب .
وفي الموعد المضروب كنا هناك .

[illegible]

وشرود ذهني

[illegible]
وكان فكري شاردا فيما وراء ما نرى .
[illegible]
قال [illegible] ليس في هذه الهياكل هيكل امريكي
واحد
وموقف ذهني . ماذا يريد ان يقول
الرجل . أيريد أن يقول ان استخدام
[illegible]
وان الهيكل الامريكي اعفاه هذا المصير
من ان يكون موضع امتهان !!



ولكن رجل المصنع ما لبث ان قال ، ان القانون الامريكي يحرم التجارة بهياكل الموتى الامريكيين. [illegible] كل هذه الهياكل اذن ؟

قال : كانت تأتينا قبل الحرب (كانت الإشارة عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية) مباشرة ، من هنغاريا ، ومن النمسا ، ومن المكسيك ، ومن الهند ، ومن كل مكان يحتمل في الارض ، الا الولايات . وبعد الحرب بحثت لاستيرادها عن اسواق اخرى .

عندئذ تراءت لي عقدة من تلك العقد الكثيرة التي اجدها عندما انظر فيما يفكر فيه الناس ، وفي الاسلوب الذي به يفكرون ، وفي النتائج التي اليها بالفكر ينتهون . تقاصر احتار في مصيرها . كيف تحور على العقول .

صنع الاتجار بهياكل الانسان استطيع ان افهم انه احترام للانسان ، واصل هذا على علاته . ولكن ان تتدخل الوطنية بعد ذلك ، فتمنع ما تراه امتهانا للعظم الامريكي ، في حين انها تستبيحه فيما يتصل بالعظم الاجنبي ، فامر لم يسعه عقلي ، على كثرة ما يتسع ويبلع عقلي من آراء .

لمن هذا الهيكل ؟ ومن هذا ؟

[illegible]

واضطر صاحبنا الى الرجوع [illegible]

[illegible] معارف الاوطان .. وتشابهت العظام ! وتمثلت في كل هيكل من كل هذه الهياكل حياة ، احببت شيئا ، واحببت ارضا ، واحببت سماء ، واحببت



صندوق به عظام من انسان واحد



الخبير يبحث وحده اصل العظم اللك في الصندوق



عظام تؤلف هيكلا عظميا للانسان كاملا، يقوم بتجميعه شاب فنان ، عارف بأصول التشريح، والى جانبه مثقاب يثقب به العظام ، ليدخل السلك من بعد ذلك في الثقوب ليجمع الهيكل وحدة كاملة . وترى بين العظام ، في وضوح ، عظمة الفخذ ، اكبر عظام الجسم (وهي في يد الشاب) وعظام الرجلين واليدين (في اقصى الصورة) والجمجمة والوجه معا (الى اليسار) والفقار ، والاضلاع ، وعظام الحوض ، والترقوة الى آخر ما هناك .

لساناء واحتلمت افكارا وأعمالا ، واحتلمت حظوظا ، مكاسب ومخاسر ، وتجمع من كل حياة سجل " يحكي من احداثها عظيم . ثم جاء الموت . فاحترقت بذلك السجلات المختلفة كل الاختلاف ، ولم يبق منها جميعا الا رماد . وتشابهت الارمدة ، لانها ارمدة أوراق واحطار سواء . فهذه هي الهياكل الباقية .

ومع هذا ، فلا بدنا نلاحق هذه الهياكل بنزوات الانسان ، فهذا هيكل امريكي فله احترام ، وهذا آخر الماني او هندي او مكسيكي ، فلا نبالي ان يكون له احترام أو امتهان . ونشعر به ليستمتع أولادنا في علم وفي طب ، وليستمتع من علمهم بعد ذلك الاحياء .

وصمت الاحق رجل المصنع فيما يحكي

افكار مرت بخاطري وصاحب زيارتنا يشرح لنا من هذا الهياكل ما يشرح . والخاطر يمر بالذهن فلا يلبث الا ثواني ، فاذا انت كنت لبث دقائق قد تمتد ساعات .

سرحت بي هذه الافكار ، ثم ما لبثت ان فقدت الاحق رجل المصنع فيما يقول .

عند صندوق من عظام

كان الرجل هذف الى صندوق مليء بالعظام .

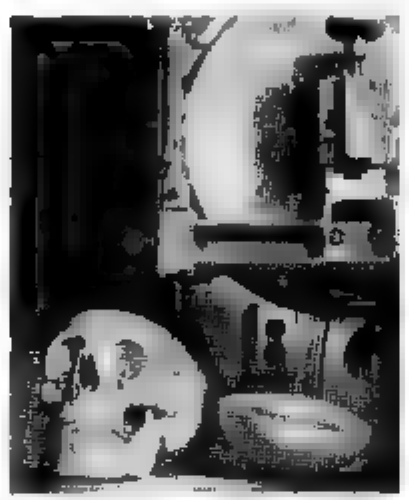
ووقف عند هذا الصندوق يقول : ان المصنع يشترط عند التوريد أن يصله الصندوق الواحد وبه كل عظام الهيكل الانساني كاملة . ويشترط كذلك أن تكون كل العظام لانسان واحد ، والا تباينت الاحجام ، واختلفت اطوالها عند التجميع .

وعظام على مائدة منثوره

وسار بنا الى مائدة عليها العظام منثورة ولفتنا أول ما لفتنا لون العظام . لقد كانت بيضاء لا شية فيها ، اقرب ما تكون الى لون الطباشير .

قال : اننا نعالج العظام جميعا عندما تأتينا بعرق الاكسيد وهي مادة كيماوية تعمل على تنظيف العظم ، وازالة ما قد يكون علق به من لحم ، ثم تبيضه هذا البياض الذي ترون .

وقال : وهذه العظام التي على هذه المائدة



في الدراسة يحتاج الدارس الى الكشف عن باطن الجمجمة ، ليرى شكلها الداخلي . وهذه جمجمة مقطوعة الاعلى . والى جانبها القرص الذي نشروه منها . ومن فوقها المنشار الآلي الذي نشر .

تؤلف هيكلا كاملا . والهيكل الكامل به اكثر من مئتي قطعة من عظم .

ثم الى حيث الجماجم

وذهب بنا الرجل الى حيث الجماجم قال : ان للجمجمة وحدها سوقا . والجمجمة تتألف من ثماني قطع من العظام ، تشتبك واحدة بالاخرى اشتباكا ، والمخ في داخلها . ان المخ شيء عظيم . ولكنه شيء دقيق ، سهل التصدع ، لهذا هو في هذه الخزانة التي نسميها الجمجمة محفوظ .

والجمجمة غير الرأس . فالرأس يحتوي على الجمجمة والوجه . والوجه به أربع عشرة عظمة ، لا تتحرك منها غير الفك الاسفل . اما سائرها فمشدود بعضه الى بعض .

ومن الرأس ذهب بنا الرجل الى



الشاب يثبت الاضلاع في العمود الفقري ، بالاسلاك ، بحيث تكون لها بحركة طبيعية كالتي في الجسم الحي . ونذكر هنا ان العمود الفقري يخرج منه ١٢ زوجا من الاضلاع ، تدور مع الجسم لتصنع القفص الصدري ، تنتهي اطراف ٧ ازواج منها بعظمة الصدر الامامية المعروفة بعظمة القص ، فتلتحم بها ، بينما ٣ ازواج ترتبط بغضاريفه . اما الزوجان الباقيان فلا يرتبطان بشيء .



الى اليمين فتاة
تكب على طراب
لعظام اسم لمفصله
التي ستلتك بها ؟
سبيلا من الطالب
واندرس عصبا .

الهيكل الكامل ، وقد نفق من جمجمته تعلق الرجل المسوق .

وراح يصف ما في هذا الهيكل صف صع هادف . فهو محورى البناء ، محوره العمود الفقري ، وهو نحل من الراس الى أسفل . وبه مرونه حتى لا ينقصم ، وعنه يحمل الراس وتدور . ومنه تخرج الاضلاع الاثنا عشر . ومن الاضلاع يصنع القفص ، القفص الذى يحمى محرك الجسم الأكبر ، القلب .

وشابه بين اليد والرجل

وذكر نا رجل المصنع الأطراف وقابل بين اليد والرجل ، وشابه بينهما . ففي العضد عظمة واحدة . وفي الفخذ عظمة واحدة كذلك ، هي اكبر عظام الجسم . وفي الساعد عظمتان . وكذا في الساق . ثم ما أشبه الكف ، عظاما ، بالقدم .

وسألنا الرجل عمن ينتفع بهذه الهياكل .

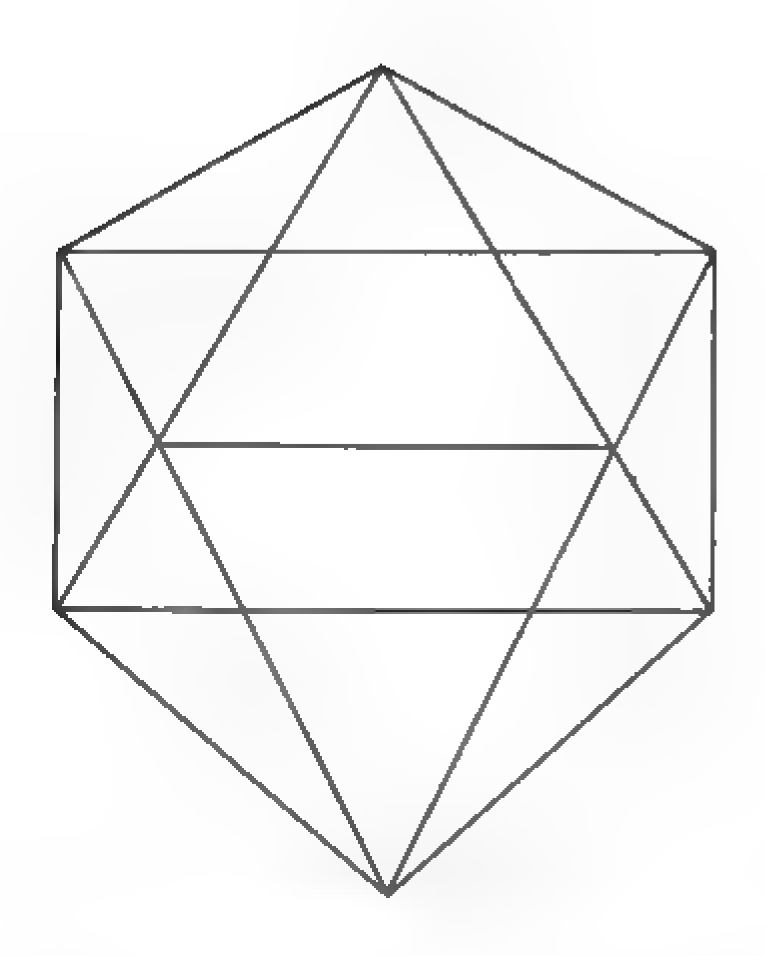
قال : الجامعات والمدارس أصلا ، والمسارح احيانا نادرة ، والمتاحف .

وسألت : ومن يقوم على تجميع هذه العظام ؟

قال : شبان هاوون متخصصون ، لهم بالتشريح علم واسع . ولو انك اتيت لهم بقطعة صغيرة من عظم انسان ، لعرفوها وسموها على الفور . والحق انهم من يعملون بكليات الطب بالجامعات ، في صالات التشريح ، يساعد الاساتذة في التعليم .

قلنا : وهل هم سعداء احياء يعملون في جثث الموتى ؟

فابتسم صاحبه ولم يقل شيئا . ■■



■ مسابقة هذا العدد قد تبدو للوهلة الأولى سهلة لا يحتاج حلها الى كبير عناء .. لكنها في الواقع ليست بهذه السهولة .

فهذا رسم هندسي يتألف من مجموعة من المثلثات لا تكاد تلقي عليها نظرة أولى حتى يخيل لك أنها قليلة العدد . لكنك اذا ما تقربت قليلا وجدت أن الرسم

الذى امامك يحوى من المثلثات عددا أكبر مما كان قد تراءى لك ، وأكثر مما كنت تتصور !

ان فى هذا الرســـم مثلثات يتراوح عددها بين ٢٥ و ٤٠ مثلثا .. وهو طبعا رقم لم يخطر لك أول الامر ببال ..

فامعن النظر جيدا ، وفكـر فى تؤدة ثم قل لنا : **كم مثلثا فى هذا الرسم ؟!** فقد تفوز باحدى الجوائز .

شروط المسابقة

١ ــ تكتب الاجابة على ورقة بيضاء مستقلة ، يذكر فيها العـدد الصحيح للمثلثات الموجودة فى الرسم .

٢ ــ ترفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٤٦ . اكتب عليه اسمك بخط واضح ، واحرص على ان تكون عنوان اقامتك صحيحا واضحا وكل اجابة لا ترفق بها القسيمة تستبعد ولا تلتفت اليها حتى ولو كانت صحيحة

٣ ــ يكتب على المظروف عبـــارة « مسابقة العربى » ــ العدد ٧٥

وكل اجابة ترسل بدون كتابة هـذه الكلمات على المظروف ، تكون عرضة للتأخير ، مما يضعف حظك بالفوز باحدى جوائز المسابقة .

آخر موعد للاجابة

آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر مارس (آذار) ١٩٦٥ . وترسل الاجابة مباشرة بعنوان مجلة « العربى » : صـــندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربى .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

أما المبلغ الباقى ، ومقداره ٤٠ دينارا فقد قسمناه الى ثمانية جوائز متساوية مقدار كل منها خمســة دنانير ، توزع على الفائزين الثمانية التالين .

واذا تعددت الاجابات الصحيحة فان اللجنة ستقوم باجراء القرعة بين الاجابات الصحيحة لاختيــار أسماء الفائـزين بالجوائز ..

نقترح عليك أن تبدأ فى الحال بالبحث عن الحـل الصحيح لهـذه المسابقة ، وترسـل لنا اجابتك قبل اليوم السابع من شهر مارس (آذار) ١٩٦٥ ■



بقلم : اسمى طوبى

■ أخي يا جار أجدادي وآبائي
وجاري .. يا رفيق العمر
في الضرّ والسرّاء
شريكي ذكريات الأمس
أبدي من مدى الفجر

★ ★ ★

أخي وتراب أرضك مع ثرى أرضي
هما من إرثنا الغالي
هما الوطن الذي بعدي
وذاك الفاصل الوهمي
قائم بين أرضينا
حجارة .. قد تهاوت أسس
بالشهر .. وبقى نحن جيرانا
على الدهر وإخوانا

★ ★ ★

وذاك نسيم موطننا
تنفس .. وما زلنا
وتلك سماء موطننا
بلا فرق تظللنا
وفي أعماق تربتنا
تنام حدودنا حبا إلى حب
أخي .. والسنديانة والطفولة
والهوى في ظلها الحاني
أتذكر يوم أن غرست
تهدهدها يدا أجدادي ..؟
ونحن بفرحة الطفلين
نرقص .. نمشي طربا
وسحب الربيع بعطره
نسيمه الهاني

★ ★ ★

أخي .. بالأمس زرت الحقل
في القرية .. والكرما
ومثل الربى الصواح
لا أحلى ولا أسمى
رأيت السنديانة مثل
رفّ الهدهد فوقها
ومثل شموخ موطننا
شموخ العند وقمتها

★ ★ ★

رأيت جذورها الشيخة
فوق الأرض ممتدة
تسير بمهى اليسر
إلى أرضك يا جاري
تمطى ثم ترقد لا ترى فرقا
تقول بصمتها الناطق
يا إنسان .. ما أشهى
حدودا .. في ثرى وطن
حبيب واحد خالد ..؟
أخي روحك .. بكماء
وصماء وترشدني
إلى دنيا إخاء حيث
ينمو الحب في قلبي وسعدي ..؟

■■

أسمى طوبى

المسلمون السود
BLACK MOSLEMS
في الولايات المتحدة

عندهم أن : الشيطان كان أصله رجل أبيض عاقبه الله على ظلمه فنزع عنه لونه !



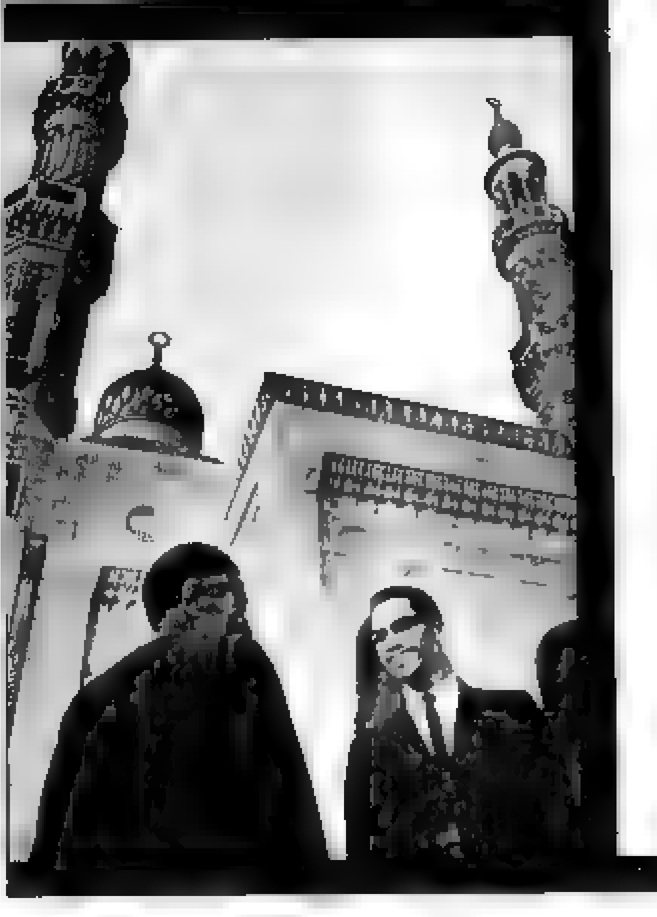
مالكوم يؤدي الصلاة في جامع محمد علي

بقلم : الدكتور علي احمد علي

■ نشأت حركة المسلمين السود Black Moslems في مدينة شيكاغو حين ادعى أحد الامريكيين الزنوج – الذي أسمى نفسه فيما بعد الحاج محمد) – انه تلقى الوحي بأن يعمل على تخليص قومه من الزنوج من ظلم الرجل الابيض وطغيانه وتحكمه واستعباده . وأطلق عليه اتباعه « الرسول » أو « المخلص » ، ذلك لأنه جاء برسالة الخلاص الى قومه ليخرجهم من الظلمات الى النور ، ومن حياة الاستعباد الى دنيا الحرية ، وليحيل فقرهم غنى وجهلهم علما .

انتشرت حركة المسلمين السود خارج حدود مدينة شيكاغو ووحدت الدعوة

عاش كاتب هـذا المقال في مدينة نيويورك مدة تزيد عن الاربع السنوات ، قضاها في جامعة كولومبيا ، وقد راقب عن كثب حركة المسلمين السود واتصل ببعض قادتها مثل « مالكوم اكس » الرائد الديني لمعبد الشارع السابع في حي هارلم ، حي الزنوج بنيويورك .
لذلك رأى الكاتب ان يضع هـذا المقال بين يدي القارىء لتعريفه بحقيقة هذه الجماعة ، نشاتها وأهدافها وفلسفتها .



هذه الصورة نشرتها مجلة « بوست » الامريكية لمالكوم اثناء وجوده في القاهرة يزور مساجدها

صدى لها في نفوس الكثيرين من الزنوج ، عمت شرق الولايات المتحدة ، واستمرت في حي هارلم الزنجي الشهير بنيويورك ، وانتشرت بين الزنوج في غرب الولايات المتحدة كذلك — في سان فرانسيسكو ولوس انجلوس في ولاية كاليفورنيا ، وكذلك في الجنوب الشرقي في اجزاء كثيرة من ولاية فلوريدا بالاضافة الى العاصمة واشنطن واجزاء متفرقة من الولايات المتحدة ، حتى قدر عدد الامريكيين السود الذين ينتمون الى هذه الحركة اليوم بما يقرب من نصف مليون نسمة .

وانتساب حركة الحاج محمد للاسلام قد يكون مرجعه ان الاسلام دين التسامح وان فارق اللون لامكان له في الاسلام ، وانه لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لابيض على اسود ، الا بالتقوى . كما انه من الملاحظ ان معظم العالم الاسلامي اليوم يتكون من اشخاص ملوني البشرة .

حركة تربوية تعليمية ترتفع بمستوى الرجل الزنجي

ويمكن ان تعتبر حركة المسلمين السود حركة تربوية تعليمية تهدف الى الارتفاع بمستوى الرجل الاسود وتربيته على الفضيلة والخلق وحثه على ان يغير من طريقة حياته وانماط سلوكه اي هو

أراد ان يحرر نفسه من ظلم واستعباد الرجل الابيض .

اول شيء يتعلمه المسلم الاسود هو ان يظهر بمظهر حسن ، وان يمتنع عن التدخين ، ويقاطع الخمر والمخدرات التي يدمن عليها الكثيرون من الزنوج . والمسلم الاسود يتلقى المساعدات من منظمات المسلمين السود لكي يتم تعليمه ان اراد . ونادت حركة المسلمين السود بالتعليم كوسيلة لرفع كفاية الرجل الاسود ، وزيادة دخله ، والارتفاع بمركزه الادبي والمادي والثقافي ، وبالتالي اجبار الرجل الابيض على احترامه .

وقد اهتمت حركة المسلمين السود برفع الروح المعنوية بين اعضائها ، هذه الروح المعنوية التي هبط أدنى درجاتها بين الزنوج ، فتمثلت في ضعف الثقة بانفسهم ، ومحاولتهم التشبه بالبيض في حياتهم وتصرفاتهم ، والرجل الابيض يزيد بذلك تباعدا عنهم واستعلاء عليهم .

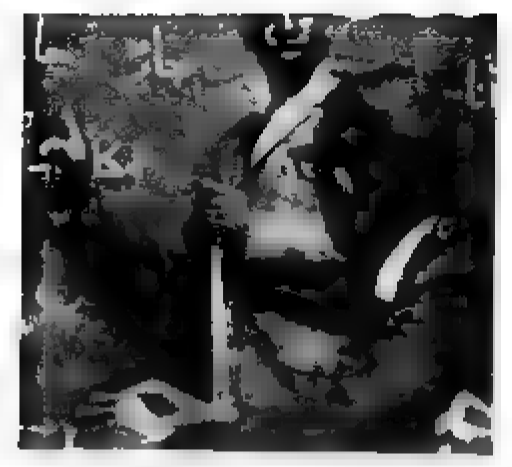
حركة لها طابع شبه عسكري

وحركة المسلمين السود حركة منظمة لها طابع شبه عسكري ، ويرتدي افرادها زيا خاصا : حاكتة كحلي ، وبنطلون رمادي ، وقميص ابيض وكرافته حمراء .

وانك لتستطيع بسهولة ان تميز المسلم الاسود من غيره من الزنوج — بزيه اولا وبملبسه النظيف ومظهره الانيق ثانيا ، كما ان على المسلم الاسود ان يحلق شعر راسه وغير مسموح له بان يطيله .

مكان المرأة من حركة المسلمين السود

وقد اهتمت حركة المسلمين السود بالدور الطبيعي الذي يمكن ان تلعبه المرأة في المجتمعات الزنجية ، وتوجيه طاقات المرأة الزنجية الى الوجه السليم بدلا من استغلالها في الرذيلة والتردي فيها ، فقد شاع عن المرأة الزنجية في الولايات المتحدة



يقبل المسلمون في امريكا على تعلم اللغة العربية لانهم ... ويرى ... منهم ... القرآن

بعدها عن الفضيلة وانغماسها في الرذيلة . لذلك اعطت حركة المسلمين السود للمرأة اهتماما كبيرا ، والبس الرجال — الذين انضموا الى هذه الحركة — نساءهم لباسا ابيض فضفاضا ذا اكمام طويلة ، وغطاء رأس ابيض . وحاولت حركة المسلمين السود ان تظهر محاسن نسائهم وتبان انواحي الجمالية فيهن

اليهود ، والمسلمون السود

ولقد حاول اليهود — وخاصة من يدعي منهم التحرر ويسمون أنفسهم (Liberals) التقرب الى هذه الحركة ، فاليهود في أمريكا باعتبارهم اقلية من ناحية العدد يعملون على تكتيل الاقليات حولهم ، ويحاولون ان يقنعوا هذه الاقليات بانهم المدافعون عن الضعيف والمظلوم والمغلوب على امره ، واظهر هؤلاء اليهود « الاحرار » عطفا شديدا على قضية الزنوج بوجه عام ، وحركة المسلمين السود بوجه خاص ، وذلك بقصد التسلل الى صفوفهم وافساد خططهم والتحكم في مبادئهم واستغلال هذه القيادة لتحقيق مصالحهم الشخصية .

ولكن قيادة المسلمين السود كانت لهم بالمرصاد ، اذ لاحظت هذه القيادة



رندي الفتاة الامريكية المسلمة ملابس بسيطة محتشمة تغطيها طاسا خاصا تتميز به

ان تجار الخمور واصحاب البارات ومهربي المخدرات في حي هارلم الزنجي — وكذلك الحال في كثير من الاحياء التي يقطنها الزنوج — غالبيتهم من اليهود ، وقد نبهت حركة المسلمين السود اتباعهم الى عدم الانقياد وراء هؤلاء اليهود ملتمي التحرر وان لا يركنوا اليهم في اي امر من الامور ، اذ كيف يعطف اليهود على قضية الرجل الاسود ، ويريدون له الحرية والعدالة والمساواة ، وفي نفس الوقت يستنزفون امواله ويضعفون مقاومته ببيع المخدرات والخمور وغيرها من السموم مع علمهم بانها تنخر قضيته وتؤخر ساعة خلاصه وتحد من طاقاته وامكانياته في التحرر والخلاص .

لذلك قامت حركة المسلمين السود بهجوم عنيف على هؤلاء اليهود وذلك في محطات اذاعاتهم وفي مجلتهم المسماة (محمد تحدث) (Mohammed Speaks) وهي الواسعة الانتشار في اوساط الزنوج .

المسلمون السود يغيرون اسماءهم

ولكي يفصل المسلم الاسود نفسه من ماضيه المشبوه ، قام معظمهم بتغيير اسمائهم الى اسماء عربية واسلامية ، فقد سألت احدهم يوما : لماذا تغير اسمك من وليم جونسون الى محمد عمر ؟ فكان رده كالآتي : انني أريد ان ابعد اسمي القديم — اسم العبودية — الذي منحه لي السيد الابيض ، وان اجد بدلا منه اسما جديدا يذكرني بقرب ساعة الخلاص ويعطيني اكبر تعويض نفسي .

الشيطان اصله رجل ابيض

والمسلمون السود وان سموا انفسهم مسلمين الا انهم لا يتبعون تعاليم الاسلام الصحيحة ، فهم يعتبرون الحاج محمد زعيمهم رسولا من الله . وهناك الكثير من الافكار والآراء الدخيلة على الاسلام، ومن ذلك ادعاؤهم ان الشيطان كان اصله رجلا ابيض) وان الله قد انتقم من الرجل الابيض وعاقبه على ظلمه وطغيانه فنزع منه لونه فاصبح لا لون له . وقد عالج المسلمون السود الخطأ الذي وقع فيه الرجل الابيض بسياسته العنصرية الطائفية بمثل خطئه فتزعموا الدعوى بان الرجل الاسود يفوق الرجل الابيض (Black Supremacy) وبذلك نحوا بحركتهم اتجاه عنصرية من نوع آخر ، وذلك بالاضافة الى ان لحركتهم بعض الاتجاهات الفاشية . والمسلمون السود يقيمون صلاة خاصة بهم في اماكن تسمى معابد (Temples) ويؤدونها وهم جلوس على مقاعد تشبه المقاعد الموجودة في الكنائس تحت اشراف رجل دين يدعى بريست (Priest) ولا يوجد بالطبع في الانجليزية كلمة عقبه او امام .

حركة جديرة بعناية المسلمين

ونظرا لان المسلمين السود قد ادخلوا الكثير من التحريف على رسالة الاسلام وتعاليمه لذلك وجه نظر الجهات المعنية بامر الدعوة الاسلامية الى ذلك حتى يمدوا هذه الحركة بما يبصر اعضاءها بالاسلام الحقيقي وبذلك يعدل من انحرافهم . ■■

علي احمد علي

طرائف عربية

مرض الروح

● قيل للشعبي: هل تمرض الروح؟
قال: نعم تمرض من ظل الثقلاء.
ومرّ به بعضهم فوجده بين ثقيلين فقال له:
- كيف الروح اليوم؟
فقال: في النزع الأخير!

رجل أمره عجيب

● وصف رجل رجلاً فقال:
كان يغلط في علمه من وجوه أربعة: يسمع غير ما يقال له، ويحفظ غير ما سمع، ويكتب غير ما يحفظ، ويحدث بغير ما يكتب.

بكاء المرأة!

● قال الشعبي: كنت جالساً عند شريح إذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها وهو غائب وتبكي بكاء شديداً، فقلت: أصلحك الله ما أراها إلا مظلومة..
قال: وما علمك؟ قلت: لبكائها.
قال: لا تفعل، فإن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون وهم له ظالمون.

صبية ذكية وجميلة

● مر رجل أشمط بامرأة معجبة في الجمال فقال:
- يا هذه إن كان لك زوج فبارك الله لك فيه، وإلا فأعلمينا!
فقالت: كأنك تخطبني!
قال: نعم!
فقالت: إن في عيباً! **قال**: وما هو؟
فقالت: شيب في رأسي. فثنى عنان دابته.
فقالت: على رسلك يا هذا، فلا والله ما بلغت عشرين سنة، ولا رأيت في رأسي شعرة بيضاء، ولكني أحببت أن أعلمك أني أكره منك ما كرهت مني.

محاورة بي

● **حاور سكير عالماً بقوله**: هل ترى عليّ من بأس إن أكلت تمراً؟.
العالم: أبداً.
السكير: وإن أكلت معه بعض العشب؟
العالم: لا يمنع من ذلك مانع..
السكير: وإن شربت عليهما ماء؟
العالم: اشرب هنيئاً..
السكير: ما دام هذا كله جائزاً فلماذا تحرمون علينا الخمر وهي ما ذكرت؛ تمر وعشب وماء؟..
فأجابه العالم: لو صببت عليك ماء،

اقـوال مأثورة

* قال ابن عـيـنـة : يستحب للعالم اذا علم الا يعنف ، واذا علم الا يأنف .
* وفي حكمة لقمان : ان العالم الحكيم يدعو الناس الى علمه بالصمت والوقار ، وان العالم الاخرق يطرد الناس عن علمه بالهذر والاكثار .

لا يموت هذا ابدا

● سمع اعرابي جريرا ينشد

كاد الهوى يوم سلمانين يقتلني   وكـاد يقتلني يومـا بنعمـان
وكاد يقتلني يومـا بذي خشب   وكـاد يقتلني يومـا بسـلمان

فقال الاعرابي : هذا رجل افلت من الموت اربع مرات ، فلا يموت هذا ابدا .

عتبة بن ابي سفيان واعرابي

● خطب عتبة بن ابي سفيان الناس فقال : قد ولينا هذا المقام الذي يضاعف به للمحسن الاجر ، وللمسيء الوزر ، ونحن على سبيل قصد ، وان اسال الله ان يعين كلا على كل .
فناداه اعرابي من ناحية المسجد : ايها الخليفة .
فقال : لست به ولم تبعد .
قال : يا اخاه .
قال : سمعت فقل .
قال : والله لان تحسنوا وقد اسأنا خير من ان تسيئوا وقد احسنا .
فان كان الاحسان منكم فما اولاكم باتمامه ، وان كان منا فما اولاكم بمكافاتنا عليه !

منطـق عجيب

● ذهب بصر عمرو بن هـداب فدخل عليه ابراهيم بن مجاشع فقام بين يديه فقال : يا ابا اسيد ، لاتجزع على ذهاب عينيك وان كانتا كريمتين عليك ! فانك لو رايت ثوابهما في ميزانك يوم القيامة ، تمنيت ان يكون الله قد قطع يديك ، ورجليك ، ودق ظهرك ، وادمى ظلفك !!

م وسكير

هل كان يضرك ؟
السكير : لا يضرني منه شيء .
العالم : لو نثرت عليه ترابا هل كان يقتلك ؟
السكير : لا يقتل التراب احدا . .
العالم : فاذا اخذت الماء والتراب فخلطتهما وعجنتهما وعملت من ذلك لبنة عظيمة فقذفتك بها هل كان ذلك يضرك ؟
السكير : كنت تقتلني !
العالم : كذلك الخمر !



على مائدة الرئيس كولدج

● دعا الرئيس « كولدج » بعض العمال الامريكيين الى تناول العشاء معه في البيت الابيض ، ولما كانوا يجهلون آداب المائدة ، قرروا فيما بينهم أن يقلدوا الرئيس في كل ما يفعل . ومضى كل شيء على ما يرام ، حتى قدمت القهوة فصب الرئيس فنجانه في الطبق ففعلوا مثله . ثم أضاف الى القهوة شيئا من السكر واللبن ، ففعلوا مثل فعله . ولكن كم كانت دهشتهم عندما رأوه يضع الطبق امام قطته النائمة عند قدميه !

طفـــلان

● قابل شيخ طاعن في السن طفلا على شاطىء البحر فسأله : كم عمرك ؟

فاجاب الطفل : ست سنوات يا سيدي .

فقال الشيخ : ست سنوات ولم يبلغ طولك بعد طول مظلتي !

فاقترب الصبي من المظلة ووقف بمحاذاتها مادا رأسه الى اعلى وهو يقول :

وكم عمر مظلتك ؟

فردريك الكبير يصف احد الضباط

● اعرب فردريك الكبير مرة عن ازدرائه لأحد الضباط ، فعارض احد القواد وقال : لقد خاض هذا الضابط معارك عشر حملات !

فقال فردريك : هذا البغل ايضا قد خاض معارك عشر حملات ، ولكنه لا يدري اليوم من أمر الحرب أكثر مما كان يدري في المعركة الاولى !

في مستشفى المجانين

● ذهب الممثل الهزلي « بوب هوب » الى مستشفى للمجانين ليرفه عن نزلائه بما يسليهم . فجاء الى احد المرضى وهو في مجلسه ، وجعلا يتجاذبان أطراف الحديث . وبعد دقائق جاء ممرض المستشفى ، واخذ بيد المريض الى غرفته . فقال بوب :

ـ اعرف ما اجابه انما هو حق على نفسي ، اذ ان الحديث الذي دار بيننا ، كان فيما خيل الي ، حديث عقلاء !

شدُّوا، بشرط ألا تختنقوا

كان طانيوس عبده مقيما في القاهرة، وله صديق في باريس كان قد وعده بارسال « دستة كرافتات » ثم ابطأ في ارسالها . فبعث طانيوس يذكره بهذين البيتين :

هذه مطالب من تمسك منكم
بالود ، وهو بكل ود أخلق
شدوا أذى عنقي بحبل ولائكم
ما تغدرون بشرط أن لا تخنقوا !

القصيدة أروع من الصورة

● اشتهر « وسلر Whistler » بنقده اللاذع، اشتهاره بصوره الرائعة وذات يوم رأى صورة لا تزال في أولها،من رسم روستي Rossetti المصور والشاعر الانكليزي ، فسأل عنها . وبعد ايام سأله عنها ، فقال روستي

— بعد أمر بصنع اطار بديع لها .

ورآها « وسلر » بعد ايام مثبتة في اطار نادر الجمال ، فقال

— أراك لم تضف اليها شيئا .

فقال روستي : لا ، لم أضف اليها شيئا ، ولكنني نظمت قصيدة في موضوعها . وقرأ القصيدة ، فوجدها « وسلر » فياضة بالجمال والحنان، فقال له .

— اخرج الصورة من الاطار وضع القصيدة مكانها !

ادع لى بالنجاح

● سرق أحد اللصوص سيارة .. ولما عثر عليها صاحبها عند محطة السكة الحديد وجد في داخلها ورقة مالية من فئة نصف الدينار ، وبجانبها ورقة كتب عليها :

كان لزاما على ان الحق القطار لالحق بزبون من اثرياء العرب .. والمبلغ المرفق اجر متواضع ارجو ان تقبله اجر السيارة وان تدعو لي بالنجاح !

السيد المطاع

● قال جيمس جلن : أوقفت سيارتي بمحاذاة شجرة عجوز لم يركبها ، فهم بي انثى يهز راسه ، وقال : لست ادري ماذا يسعى أن افعل ؟ فقد دعاني « روبنسون » امس الاول الى ركوب سيارته . وامس دعاني « بيل طود » ، وها انت تدعوني اليوم . فعند أحدهما ساعاي تعودات الكسل ، فان لم يتفق لي من يدعوني غدا فقد تثوراني علي اوحدلاسي . ولذا اظن انه خير لي ان امشي لكي تعلما من ما هو السيد المطاع .

« دونكيشوت »

● حقيقة يجهلها كثيرون وهي :

ان الكاتب الاسباني الشهير سرفانتس،مؤلف قصة « دونكيشوت » الشهيرة ، التي ما زالت حتى هذه الايام تملأ نفس قارئها غبطة وحبورا لما فيها من مواقف ساخرة ، قد الف قصته الخالدة هذه،وهو في السجن يعاني قسوة الوحدة والحرمان .



عبد الكريم

بقلم : محمد العربي الخطابي

■ امتازب حركة الامير محمد عبدالكريم الخطابي ق المغرب بميزتين اساسيتين :

اولا ــ العمل التحريري المسلح الرامي الى الوقوف ق وجه الاحتلال الاجنبي ورد عاديته وتخليص البلاد منه .

ثانيا ــ الدعوة الاصلاحية المستندة على تعاليم الاسلام الخالصة من شوائب الجمود ، مع الاخذ باسباب التقدم العصري ووسائل المدنية الحديثة دون تفريط ق مزايا المجتمع الاسلامي الروحية والفكرية .

وبهذا استطاع الامير عبد الكريم ان يجمع بين الزعامة العسكرية وخصائص الرجل المصلح .

تولى بمهارة قيادة الجيش ق المعارك التى خاضها ضد قوات الاحتلال الاسباني والفرنسي



طوال مدة خمس سنوات (١٩٢١ — ١٩٢٦) ، كما حمل رسالة الإصلاح الاجتماعي والروحي والسياسي ، وعمل من أجلها بالقدوة الحسنة والتوجيه الحكيم والتطبيق الرشيد ، سواء في المدة التي مارس فيها السلطة السياسية والعسكرية في جزء هام من المغرب خلال الحرب التحريرية أو بعد رجوعه من المنفى واستقراره بالقاهرة (١٩٤٧ — ١٩٦٣) . وقد ساعده على الاضطلاع بهذا العمل المزدوج ثقافته الإسلامية العميقة ، وتتبعه الواعي الرصين للحركات الإصلاحية التي عرفتها الأقطار الإسلامية بعد عهود الغفلة والتدهور والانحطاط . وفضلا عن ذلك كان عبد الكريم مدركا لأهم مقومات الحضارة الغربية وأساليبها في السلم والحرب ، بالإضافة إلى ذكائه وفطرته السليمة التي جبلت على الشرف والإباء وعشق الحق والحرية .

كل هذا أهله لتحمل رسالة كرس لها جهده وجهاده ، وعمل في سبيلها إلى آخر حياته بإصرار وثبات ومثابرة .

وقد بقيت ذكرى هذا البطل العظيم — طيلة المدة التي قضاها في منفاه بجزيرة ريونيون (١٩٢٦ — ١٩٤٧) — حافزا يدفع الشباب المغربي المتعطش إلى العمل من أجل تحرير المغرب العربي، كما ظل — رحمه الله — طيلة حياته رمزا لإرادة النضال الدائم ، المعلم بعده جيل من المكافحين نشأوا في مدرسته لتعاليم الثبات على الحق والاستماتة في سبيل تحقيق الحرية والكرامة وتقرير المصير .

لقد استأنف ، حينما تخلص من المنفى الطويل واستقر بالقطر المصري الشقيق رسالته التحريرية الإصلاحية بنفس العزم والقوة والإصرار ، وفتح أمام قادة المغرب العربي ورجاله المكافحين آفاقا جديدة للنضال الجاد في تضامن وتعاضد وتواصل. ومن أجل ذلك أصبح ، مرة أخرى ، جنديا في قلب المعركة ، بعد أن كان مدة المنفى رمزا حافزا

تحت إمرة المارشال بيتان إلى أسبانيا للقضاء على بطل المغرب

حينما عزلته من مواطنيه سلطة الاستعمار الغاشم بابعاده الى أقصى مكان في جنوب شرقي افريقيا .

* * *

نشأة الخطابي

ولد محمد عبد الكريم الخطابي سنة ١٨٨١ في بلدة أجدير المطلة على البحر الأبيض والواقعة في (بني ورياغل) احدى قبائل الريف الشهيرة *.

ورباه والده ، الذي كان من الزعماء المرموقين في الريف ، تربية اسلامية مثلها الأعلى في الحياة : العمل والايمان والاستمساك بالحرية والحق .

وبعد أن حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادىء الدين واللغة العربية في الريف وجهه والده الى فاس — عاصمة المغرب في ذلك الحين ، حيث التحق بجامعة القرويين التي بقيت قرونا طويلة من معاقل العلوم الاسلامية واللغوية والعقلية يفد اليها الطلاب من مختلف أقطار افريقيا .

في فاس تعلم حال المغرب المتدهورة

واذا كانت المدرسة الأولى التي فتحت عيني عبد الكريم على الحياة هي أسرته والبيئة الريفية التي اكتنفته مدة الطفولة والبداءة ، فان مقامه بفاس كان مرحلة هامة أثرت في تكوينه العلمي والسياسي والروحي ، وأتاحت له أن يلمس عن قرب حالة المغرب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتدهورة في وقت فوجىء فيه بالأطماع الأجنبية ، وتحديات المناورات الرامية الى بسط سلطان الاستعمار على المغرب الذي استطاع أن يحافظ على استقلاله منذ الفتح الاسلامي ، وأن يقف في وجه الاحتلال العثماني الذي سيطر على معظم أقطار العالم العربي باستثناء المغرب .

لقد كانت الحكومة المغربية في تلك الآونة (أواخر القرن الميلادي الماضي وأوائل القرن الحالي) تجتاز محنة خطيرة ، فالفتنة تسود في الداخل والخارج ، وكانت خزينة الدولة مثقلة مرهقة بالديون،هذا بالاضافة الى الفتن الداخلية التي اندلع بعضها بسبب الامتيازات الأجنبية التي هددت استقلال البلاد وعرضته لخطر الاحتلال الأجنبي .

عبد العزيز أمضى معاهدة الامتيازات الأجنبية فأسقطه الشعب

وقد استطاعت الثورة الشعبية أن تسقط عبد العزيز (١٩٠٧) عن عرش المملكة بسبب انصرافه الى اللهو وعقده ديونا مع الأجانب أثقلت كاهل المغرب ، زيادة على تهاونه في الدفاع عن استقلال البلاد ، خصوصا بعد أن أمضى المعاهدة الدولية المعروفة بعقد الجزيرة الخضراء (يوليو ١٩٠٦) التي خولت للأجانب امتيازات في البلاد المغربية تتنافى مع سيادتها .

وبايع الشعب عبد الحفيظ على استرجاع حقوق البلاد

وفي ذلك الحين استطاعت طائفة من الوطنيين المتحمسين المسيرين أن تفرض على السلطان عبد الحفيظ — الذي بويع سنة ١٩٠٧ — بالتزامات تضمنها عقد البيعة المعقودة له حسب تقاليد البلاد التالدة ، وقد اشترط هذا العقد على السلطان أن يلتزم بالعمل على « استرجاع الجهات المقتطعة من الحدود المغربية ، وأن يبادر بطرد الجيش

---

* يطلق اسم « الريف » على المنطقة الواقعة شمال غربي القطر المغربي ، وتخترق معظمه السلسلة المعروفة باسم سلسلة جبال الريف المطلة على البحر الأبيض ومن مدن الريف ومراكزه المعروفة مليلة (وهي لا تزال تحت الحكم الاسباني) والناضور وتطوان واجدير وتارجيست والحسيمة ومن قبائله المشهورة صنهاجة وبني ورياغل وبقيوة وتمسمان وقلعية وبطالسة وكزناية وجزناية ، وقد تحولت في النظام الاداري الحالي الى عمالات ادارية .

وبلاد الريف معروفة في كتب التاريخ القديمة كالمسالك والممالك للبكري ببلاد انكور ، حل بها عرب حميريون مع الفتح الاسلامي وامتزجوا بسكانها الأصليين ، وعرفت بعض مدنها ازدهارا تاريخيا .

المحتل من الاماكن التي كانت تحت قبضته ، ولن يعمل على الغاء الامتيازات الاجنبية ولا يستشير الاجانب في شؤون الامة ، ولا يبرم معهم معاهدات سياسية او تجارية الا بعد استشارة الامه .. الخ.

عبد الحفيظ يمضي عقد الحماية ويتنازل عن العرش

غير ان المناورات الاجنبية كانت ـ مع الاسف ـ قد استفحلت وانتهى الامر بالسلطان عبد الحفيظ الى امضاء عقد الحماية في ١٢ مارس سنة ١٩١٢، والتنازل عن العرش اثر الاضطرابات التي اعقبت ذلك في مختلف انحاء البلاد .

وقد عاش عبد الكريم بفاس الاحداث التي سبقت امضاء عقد الحماية وتركت في نفسه انطباعات كان لها اثر كبير في توجيه مجرى حياته.

عبد الكريم ينهي دراسته من فاس ولا يلبث ان يلقى به في السجن

رجع عبد الكريم الى مسقط راسه بعد انهاء دراسته بفاس ، ولم يلبث ان التحق بمدينة مليلة ـ التي تشرف على البحر المتوسط في الشمال الشرقي من القطر المغربي ، ولا تزال هذه المدينة الى اليوم تحت سلطة الاحتلال الاسباني ـ وهناك اشتغل بالتدريس اولا ثم عين على راس المحكمة الشرعية الاسلامية . غير ان الامير لم يكن ينظر بعين الارتياح الى مطامع الاسبان الرامية الى احتلال جزء من التراب الوطني المغربي باتفاق مع فرنسا ، ولم تفته الشجاعة يوما في مواجهة رجال السلطة الاسبانية بموقفه الوطني ضد اي احتلال عسكري او سياسي لبلاده،ولذلك لم تتردد السلطات الحاكمة بمليلة في القاء القبض عليه . وبعد ان قضى في الاعتقال مدة تزيد عن سنة تمكن ذات يوم من ان يتسلق احد اسوار السجن وان يقفز الى الشارع فكسرت ساقه والقي عليه القبض من جديد ، ثم اطلق سراحه فيما بعد والتحق بمسقط راسه .

والد عبد الكريم يقاسم الشريف محمد أمزيان في محاربة الاسبان

كانت (بني ورياغل) تحتل مركز القيادة الروحية والعسكرية في قبائل جبال الريف ،وكان والد عبد الكريم يقاسم الزعامة في هذه المنطقة الجبلية الهامة مع المجاهد الشريف محمد امزيان الذي قاتل قوات الاسبان على راس رجاله ومنعهم من التوغل في التراب الوطني من قاعدة مليلة ، وحال بينهم وبين الاستيلاء على معادن (اوكسان)، واشترك معهم في معركة ظافرة سنة ١٩٠٩ ، قتل في اثنائها الجنرال (بينتوس) Pintos

وكان والد عبد الكريم الخطابي يكن للمجاهد امزيان الاعجاب والاحترام ، ويعد من جهته العدة للوقوف في وجه اي هجوم او توغل عسكري اسباني ، ويجمع الرجال والعتاد لخوض حرب تحريرية شاملة ، خصوصا بعد ابرام (معاهدة الحماية) المفروضة على البلاد ، تلك التي خولت للاسبان احتلال الجزء الشمالي من المغرب الاقصى من نواحي جبال الريف وغمارة ومدن الشاون وتطوان والعرائش والقصر الكبير وما اليها .

عبد الكريم يحل في القيادة محل ابيه عند وفاته

غير ان المنية عاجلت والد الامير حيث مات مسموما ـ على اشهر الروايات ـ فاضطلع بمهمة القيادة وامارة الجيوش من بعده ولده الامير عبد الكريم بمساعدة شقيقه ورفيقه في الجهاد والنفي الامير محمد الخطابي الذي كان قد انهى دراسته وتخرج من مدرسة المعادن بمدريد .

انتصار عبد الكريم على الاسبان

واعلن عبد الكريم الحرب على الاسبان بصفة عملية حين هجومه الموفق على المركز المعروف (بظهر ابرا) سنة ١٩٢١ ، وكان انتصاره في هذه المعركة قوة معنوية دفعت بالحركة التحريرية الى الامام ، فضلا عما كسبه المجاهدون فيها من سلاح وعتاد.وقد انضمت عدة قبائل الى صفوف الامير، وساندته زعماء ذوو مكانة من امثال اسرة آل اخمليش التي كانت تتمتع بنفوذ كبير في صنهاجة. والقائد حريرو بطل ناحية جبالة ، وغير هؤلاء من القواد الابطال الذين يضيق المقام لذكرهم .

وقد وفق جيش التحرير الوطني بقيادة الامير عبد الكريم في صد هجوم الاسبان وردهم الى قواعدهم في مليلة بعد ان اشتبك معهم في معارك ظافرة اشهرها معركة (انوال) (يونيو ١٩٢١)

التي اشترك فيها من الجانب الاسباني جيش قوامه عشرون الف رجل تحت قيادة الجنرال سلفستري Silvestre الذي سقط هو واغلبية جنوده في هذه المعركة ، ولم ينج منهم الا قلة قليلة . ووقع في الاسر ٧٠٠ جندي اسباني ،وغنم المجاهدون كل الاسلحة والذخيرة التي كانت مع الاسبان (٢٠٠ مدفع و ٢٠ الف بندقية وكميات هائلة من الخراطيش وسيارات حربية ..) .

عبد الكريم يعني بالجانب العربي والدبلوماسي من المعركة

ونتيجة لهذه المعركة ارتفعت معنويات جيش التحرير الوطني اكثر من ذي قبل ، وقويت امكاناته المادية ، ورأى الأمير عبد الكريم ان يجب تنظيم الادارة المدنية والعسكرية تنظيما محكما دقيقه وان يستفيد من بعض وسائل المدنية العصرية بعد استلام التليفون وشق طرق المواصلات واستعمال سيارات النقل والاسلحة الحديثة ، كما انبرى له ان يعتنى بالجانب الدبلوماسي ، فوفد الوفود الى الخارج بقصد الدعاية للقضية او شراء السلاح ، وبعث الرسائل والنداءات الى الحكومات والهيئات في انجلترا وامريكا وفرنسا ، وسعى الى ربط الاتصال مع الدول الاسلامية ، وتحدث الى الصحفيين والسياسيين الاجانب ، حتى اصبحت حركته التحريرية تشغل بال الرأي العام الدولي في ذلك الوقت ، تتحدث عنها الصحف والاذاعات، وتثار حولها المناقشات في المجالس النيابية والمحافل السياسية بفرنسا واسبانيا وانجلترا .

وقد وجه قادة البلاد الاسلامية وذوو الرأي فيها اهتماما خاصا لهذه المعركة ، فكانوا ينظرون اليها بعين الاعجاب والامل. وقد حدثني احد السياسيين بأن الزعيم الايراني الدكتور محمد مصدق قال عند مروره بالقاهرة حينما كان رئيسا للحكومة بلاده في فترة تأميم نفط عبادان ، بأن الشبان الناضجين في ايران كانوا في حداثة مصدق متحمسين لمعركة عبد الكريم ، لدرجة انهم كانوا يأملون ان يساهم هذا البطل في تحرير اقطار اسلامية اخرى .

حاول الاسبان ابرام الهدنة مرات ورفض عبد الكريم

وبعد معركة انوال ومعركة جبل عرويت التي تلتها ، واسر فيها الجنرال نافارو Navarro الذي ارسلته القيادة الاسبانية للقيام بحملة تأديبية منيت بهزيمة كسابقتها ، اتسعت دائرة الحركة التحريرية تحت قيادة عبد الكريم وشقيقه محمد، فتحرر القسم الاكبر من الجهات التي احتلتها اسبانيا تنفيذا لعقد الحماية ، ووقف المجاهدون المغاربة على ابواب مليلة شرقا ، واشرفوا غربا على تطوان من فوق جبل « درسا » المطل على هذه المدينة التي كانت مقر المندوب السامي الاسباني ، وتوالت المعارك الحربية بين الجيش الوطني وجيش الاحتلال في عدة جبهات ، وحاول الاسبانيون مرات عديدة ابرام هدنة مع الامير ولكن بدون جدوى ، نظرا لتمسك عبد الكريم بمبدأ انسحاب الجيش الاسباني من المراكز التي كانت ما تزال تحت قبضته والعدول نهائيا عن خطة احتلال التراب المغربي .

عبد الكريم يطلب تحرير بلاده ثم مصادقة الجميع بعد ذلك

وكان موقف الامير هذا منسجما مع المصلحة العليا للوطن ومنفذا للميثاق الذي صادق عليه مجلس وطني انعقد في اواخر سنة ١٩٢١ ،والمنبثقة عن اثره جمهورية ذات سيادة كاملة قاعدتها (اجدير) ، نص بمقتضى دستور اقره المجلس الى جانب الميثاق الذي نص على « عدم الاعتراف بأية معاهدة تمس بسيادة البلاد كعقد الحماية الواقع بفاس سنة ١٩١٢ ، ووجوب جلاء الاسبان عن الجزء الذي يحتلونه في شمال المغرب والاعتراف باستقلاله ، كما نص الميثاق المذكور على مطالبة اسبانيا بدفع تعويض لحكومة عبد الكريم عن الخسائر والاضرار التي لحقت بالبلاد من جراء الحرب العدوانية .. » .

وكانت هذه كلها شروطا اساسية لازمة للدخول مع اسبانيا في اية مباحثات ترمي الى عقد صلح بين الطرفين .

والحقيقة ان رغبة الامير عبدالكريم كانت شديدة في تحرير بلاده من الغزو الاجنبي ، فلم تكن معارضته للمحتلين تنطوي على اية افكار او غايات عدائية ولم تكن له مطامع شخصية ، بل انه كان مصمما هو وشقيقه الامير محمد على التنازل عن الحكم وقيادة الجيوش متى تم تحقيق استقلال البلاد .

وقد اكد في ذلك احد انجال الامير الراحل .

ومما قاله الجنرال جبريلي Gabrieli - احد القواد الذين تفاوضوا مع عبد الكريم باسم فرنسا بعد الانهزامات المتكررة التي لحقت بجيوشها - بان الامير اكد له ان ما يسعى اليه هو « ان تعيش بلاده في استقلال تام وان لا يحكم فيها الا الله » وان رغبة المغاربة هي ان يعيشوا في امن وطمانينة مع جميع الدول ، وان تكون للاخيرة علاقات مع الجميع « لاننا لا نحب ان يموت ابناؤنا غير انـا في سبيل تحقيق اهدافنا سنحارب كل الدول اذا اقتضى الحال ذلك » .

حركة تقوم في اسبانيا تناهض الحرب دون جدوى

ومن الجدير بالذكر انه على اثر الانهزامات المتكررة التي منيت بها قوات الاحتلال الاسباني المحاربة في المغرب قامت في المحافل السياسية وفي اوساط الراي العام بمدريد حركة مناهضة للحرب الاستعمارية تطالب حكومة مدريد بسحب قواتها من المغرب حقنا للدماء وانهاء لحرب خاسرة خلفت الاف الارامل والايتام فضلا عن الخسائر المالية .

غير ان حكومة مدريد كانت مصممة على المضي في خطتها العدوانية لدرجة ان الدكتاتور بريمو دي ريفيرا (Primo de Rivera) رئيس الحكومة الاسبانية انتقل الى تطوان (١٩٢٤) واقام فيها معسكره واشرف بنفسه على تسيير العمليات الحربية . الا ان الزحف الوطني التحرري لم يتاخر ولم يتزحزح عن مكانه خطوة واحدة بل بقي صامدا مرتفع المعنويات .

قلق فرنسا من انتصار عبد الكريم

كانت فرنسا تنظر بقلق زائد الى حركة الامير عبد الكريم التحررية في شمال المغرب وكان الماريشال ليوطي Lyautey ، قائد جيش الاحتلال والمندوب السامي الفرنسي في الرباط يدرك ان انتصار عبد الكريم على اسبانيا سيدفعه حتما الى مواجهة الجيش الفرنسي الذي كان يعمل جاهدا لاحتلال المنطقة التي اعطتها لنفسه طبقا لمعاهدة الحماية المفروضة على المغرب .

وكانت الثورة المسلحة قد اجتمعت ضد الفرنسيين في معظم جهات المغرب في مناطق الاطلس وسوس وتافلالت وغيرها ، وبقيت المقاومة المسلحة مستمرة في بعض المراكز الى سنة ١٩٣٥ .

وكان على راس هذه الثورات قواد مشهورون امثال محمد حمو الزياني والشيخ ماء العينين .

ولم يخف الماريشال ليوطي تخوفاته من حركة الامير عبد الكريم فكان مما قاله اثناء الحركة التحريرية : (ارى ان خطورة الحالة الراهنة في الريف تجاور شمال افريقيا ، فالعالم الاسلامي يراقب الحرب بين عبد الكريم واسبانيا باهتمام كبير) .

فرنسا تنضم الى اسبانيا في الحرب

لهذا لم تلبث فرنسا ان انضمت الى اسبانيا لمحاربة عبد الكريم في مايو ١٩٢٥ ، وذلك حينما هجمت القوات الفرنسية على (وادي ورغة) في شمال شرقي فاس بدعوى ان هذا الموقع يؤلف جزءا من (منطقة النفوذ الفرنسي) ، وواضح ان عبد الكريم لم يكن يعترف بتقسيم المغرب الى مناطق نفوذ اجنبي .

واذا كانت سياسته قد اتسمت بتجنب اي اصطدام مع فرنسا من سنة ١٩٢١ الى ١٩٢٥ ، غير انها كان يمليها حتى يتم له تحرير جميع المراكز التي كانت تحت قبضة الاسبان في الشمال . غير ان احتلال (وادي ورغة) من طرف الفرنسيين ادى الى تغيير الخطة الحربية التي رسمها بطل التحرير المغربي ، خصوصا وان هذا الموقع كان خاضعا لسلطته . وقد صمدت قوات المجاهدين في وجه الجيوش الفرنسية والاسبانية التي انهزمت في عدة معارك ، وانضم الاف المواطنين من مختلف الجهات الى حركة التحرير .

الفيالق والاسراب الفرنسية تتجمع لمحاربة عبد الكريم

وعينت فرنسا الماريشال بيتان Petain - الذي تولى ابان الحرب العالمية الثانية رئاسة حكومة فيشي - وكلفته بتسيير العمليات الحربية في المغرب ، واستقدمت عددا هائلا من قوات البر والبحر والجو وقوامها ٣٢ فيلقا و ٤٤ سربا من الطائرات الحربية بقيادة ٦٠ جنرالا وتحت امرة ماريشال من الامع رجال الحرب الفرنسيين اذ ذاك .

ومع الحرب العسكرية ، شنوا حربا نفسية واستخدموا أدعياء الدين

هذا بالإضافة الى مائة ألف جندي اسباني ، وعدد كبير من المرتزقة الذين جمعهم اعوان الاستعمار الفرنسي ، ويمكننا ان نضيف الى هذا الجيش الهائل – الذي تكون ضباطه في المدارس العسكرية ، وشارك معظم جنوده في الحرب العالمية الاولى – حملة سيكولوجية منظمة استعملت فيها شتى الوسائل والأساليب الكاذبة والأدبية التي يحسنها محترفو الاستعمار الغربي ، كاستخدام بعض ادعياء الدين ، وصرف الاموال لشراء الضمائر المرتشية، واشاعة الأكاذيب والدعاوى الباطلة داخل المغرب وفي أوساط الرأي الدولي الذي كان مشجعا في جملته الا قلة لتمثيل العمل الاستعماري وتسويغه .

عبد الكريم يدعو في غرب وشرق ، فلا تكون لدعائه استجابة

امام كل هذا وقف الأمير عبد الكريم وجيشه الباسل مدافعين عن حق الوطن وحريته بشجاعة وصبر واحتساب .

لم يكن عدد المحاربين المغاربة يزيد عن ٧٥ ألف نفر . ولم تلق النداءات التي وجهها الأمير عبد الكريم الى الدول الكبرى اية استجابة عملية.

فقد سافر شقيقه الأمير محمد بنفسه الى اوروبا للتعريف بقضية الوطن العادلة في المجال الدولي .

كما سافرت وفود اخرى لنفس الغرض ، ولكن الرأي العام الدولي كانت تغمره في ذلك الحين موجة « العهد الاستعماري » اللهم الا قلة من الاحرار المنصفين .

ولم يكن في وسع العالم الاسلامي اذ ذاك ان يقدم عونا ذا بال للحركة التحريرية المغربية ، اللهم اذا استثنينا بعض التبرعات المالية التي جمعت لفائدتها في بعض الاقطار .

صمود عبد الكريم ، ورأى بيتان الرضوخ للحق ، وأبت باريس

ورغم كل ذلك تابع رجال عبد الكريم الحرب التحريرية في عدة جبهات وانهزمت امامه جيوش اسبانيا وفرنسا ، واقترح لحل الحالة ، وتمسك الأمير عبد الكريم بالمطالب الوطنية فكر الماريشال بيتان في الرضوخ الى الحق وتلبية هذه المطالب لولا رفض حكومة باريس التي طلبت من ممثليها في المغرب أن يعرضوا على حكومة الأمير عبد الكريم شروطا مزرية كان جوابها الرفض والاعمال من جديد .

المستعمرون يعززون جيوشهما وينفى عبد الكريم واسرته

واستمرت الحرب بعد ان نسقت اسبانيا وفرنسا خططهما ، وعززتا جيوشهما المحاربة بالرجال والأسلحة والطائرات والسفن الحربية.

وكان ان ربحت القوة الغاشمة معركة لصالح الاستعمار الاجنبي ، ونقل الأميران عبد الكريم وشقيقه محمد وعمهما الأمير عبد السلام وسائر افراد الاسرة الى جزيرة ريونيون في مايو ١٩٢٦ .

عبد الكريم في القاهرة

غير ان عبد الكريم كان قد رسم الخطوط الكبرى للمعركة الحاسمة : معركة الحرية والاستقلال التي ظلت دائرة في المغرب العربي بأشكال مختلفة .

وقد شاء الله ان يتخلص الأمير عبد الكريم واسرته من المنفى سنة ١٩٤٧ حينما رست بيور سعيد الباخرة التي كانت تنقلهم الى فرنسا ، فنزل منها ، واستقبل القطر المصري الشقيق هذا البطل العربي استقبالا كريما ، وعطفا طيبا .

ومنذ ذلك الوقت أصبح بيت عبد الكريم في القاهرة منتدى يتردد عليه الزعماء وقادة الرأي والسياسة ورجال الصحافة والطلاب من مختلف الاقطار .

لجنة تحرير المغرب العربي

ومن هناك واصل نضاله في سبيل تحرير المغرب العربي بنفس العزم والاخلاص والثبات على الحق وترأس في اواخر ١٩٤٧ « لجنة تحرير المغرب العربي » التي تألفت في القاهرة وكانت تضم مختلف الهيئات الوطنية العاملة اذ ذاك في كل من تونس والجزائر والمغرب .

ومما جاء في البيان الذي اذاعه الامير عبدالكريم في ذلك الحين : (... اذا كانت الدول الاستعمارية على باطلها تحتاج الى التساند والتعاضد لتثبيت سيطرتها الاستعمارية ، فنحن احوج الى الاتحاد واحق به من اجل احقاق الحق وتقويض اركان الاستعمار الغاشم الذي كان نكبة علينا ، فرق كلمتنا ، وجزأ بلادنا وابتز خيراتنا ، واستحوذ على مقاليد امورنا ، ووقف حجر عثرة في سبيل تقدمنا ورقينا ، ثم حاول بكل الوسائل ان يقضي على جميع مقوماتنا كأمة عربية مسلمة ..) .

(ويسرني ان اعلن ان جميع الذين خابرتهم في هذا الموضوع من رؤساء الاحزاب المغربية ومندوبيها بالقاهرة قد اظهروا اغتباطهم بهذه الدعوة واستجابتهم لتلبيتها واستعدادهم بمقدمتها في تقوية الجهود وتحقيق الاستقلال المنشود) .

الميثاق

واعلن رحمه الله في هذا البيان مبادىء الميثاق الذي اقره قادة المغرب العربي ، ومن هذه المبادىء .

- المغرب العربي امة مسلمة .
- وهو جزء لا يتجزأ من بلاد العروبة .
- الاستقلال المأمول للمغرب العربي هو الاستقلال التام لكافة اقطاره الثلاثة .
- لا مفاوضة مع المستعمر في الجزئيات .
- لا مفاوضة الا بعد اعلان الاستقلال .
- حصول قطر من الاقطار الثلاثة على استقلاله التام لا يسقط عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية .

وقد حافظ عبد الكريم وشقيقه من جهتهما على هذه المبادىء وعملا من اجلهما باصرار ومثابرة وصدق واخلاص . وقد كان ايمان الامير ، رحمه الله ، بوحدة المغرب العربي كبيرا لم يتزعزع في يوم من الايام ، وكان كفاحه هادفا الى تحرير تونس والجزائر والمغرب .

كان وطنه المغرب كله

وقد قال الصحافي الفرنسي جان لاكوتير (Jean Lacouture) احد المحررين الرئيسيين في جريدة لوموند « Le monde » الباريسية في في مقال كتبه بمناسبة وفاة البطل المغربي الذي كان يعرفه شخصيا : (وما كان يدعو الى الاندهاش حقا ان نستمع اليه وهو يقول (عندنا) حينما يتحدث عن اي مكان في المغرب العربي ، في وقت كانت تسيطر فيه الروح الاقليمية .. وقد كان عبد الكريم الرجل الاول في المغرب – ربما منذ عهد الدولة الموحدية – الذي لم تفصل عنده اية حدود بين البلاد التي تمتد من راس سبارتل الى جربة ، ومن راس بنتة الى ايفني ، وليس من الهين ان نعلم بوفاته في الوقت الذي تبذل فيه اولى محاولات القضاء على الخلافات ، وعسى ان تكون لوفاته قيمة الرجوع الى الحكمة والصواب .

محمد الخامس ناشد عبد الكريم الرجوع الى المغرب

لقد كان المواطنون في المغرب يتطلعون الى اليوم الذي يعود فيه هذا الزعيم الفذ الى وطنه الاول ، وكثيرا ما ناشده الملك الراحل محمد الخامس ، رحمه الله ، ان يرجع الى المغرب ، خصوصا بعد المقابلة التي تمت بينهما في القاهرة سنة ١٩٦٠ ، غير ان الامير كان يعتقد ان مهمته لم تنته بعد ، وذلك يحتم عليه البقاء في القاهرة لاسباب استراتيجية قد يكون من جملتها احداث ضغط معنوي على قادة المغرب العربي لاستكمال استقلال وطنهم اقتصاديا وعسكريا وثقافيا ، وتحقيق الوحدة المنشودة خصوصا بعد حصول الجزائر على استقلالها .

ثم ان الامير لم يكن يشعر بالغربة في ذلك القطر العربي الذي آواه واكرم مقامه ، ولو انه كان يحس بحنين دائم يشده الى الارض التي عرف فيها طفولته وشبابه ورفع فوق ترابها علم الثورة والصبر ، ووهبها حبه وراحته وربط بها اماني عمر طبعه النضال والتضحية .

وفاته

وفي ٧ فبراير ١٩٦٣ التحق محمد عبد الكريم الخطابي بالرفيق الاعلى بمدينة القاهرة حيث دفن في مقبرة الشهداء ، تغمده الله برحمته واسكنه مع الصديقين والشهداء ، وحقق للامة التي وهبها كل شيء ما كان يتمناه لها من عز وقوة ووحدة . ■■

محمد العربي الخطابي



بقلم : الدكتور محمد محمود الدش

■ كان ذلك في نحو سنة ٩٧ هـ ، حين وقعت عيناه على الفتاة التي تعلقها قلبه ، فأحبها حبا عنيفا جعله يهيم بها في ديارها بالبادية عشرين سنة ، هي نصف حظه من العمر ومن الحياة .

جمال مية

أما الفتاة فهي ميّة بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقري ، وكانت طرفة الجمال ، حتى ليروي محمد بن سلام عن أبي سوار الغنوي عمن رآها بعد أن تقدم بها العمر وذهب عنها رواء الشباب

فيقول : « رأيت مية ، وإذا معها بنون لها صغار. كانت مسنونة الوجه طويلته ، شماء الأنف ، عليها وسم جمال »

ويقول غيره : « مررت على مية وقد أسنّت ، فوقفت عليها وأنا يومئذ شاب ، فقلت : يا مية ، ما أرى ذا الرمة إلا قد ضيّع فيك قوله .

أما أنتَ عن ذكراكَ ميّةَ مقصرٌ
ولا أنت ناسي العهدَ منها فتذكرُ

تهيم بها ، ما تستفيق ، ودونها
حجاب وأبواب وستر مستّر

قال : فضحكت وقالت : رأيتني يا ابن اخي وقد وليت ، وذهبت محاسني ، ويرحم الله غيلان ، فلقد قال هذا فيّ وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القرّة في عين المقرور ، ولن تبرح حتى اريك عذره . ثم صاحت : يا اسماء ، اخرجي . فخرجت جارية كالمهاة ، ما رأيت مثلها . فقالت : اما لمن شبّب بهذه وهوّيها عذر ؟ فقلت : بلى . فقالت : « والله لقد كنت ، ازمان مثلها ، احسن منها ، ولو رأيتني يومئذ لازدريت هذه لازدرائك اياي اليوم . انصرف راشدا ! » .

التقاء غيلان بمية

ومثل هذا الجمال الذي يصمد لعاديات الزمن

ولعل الايام هو الذي بهر الشاعر حينما رآها مصادفة لأول مرة ، اذ خرج هو واخوه وابن عمه يبتغون ابلا لهم ، فاجهدهم السير واستبد بهم العطش ، ولما رأوا ديارا قريبة ارسله اخوه وابن عمه اليها يأتيهم منها بماء ، فمضى اليها ، فوجد عجوزا (وراءها) فاستسقى ، فالتفتت العجوز وراءها وصاحت : « يا مي ! اسقي الغلام » . ولما جاءت مي تصبّ الماء في شكوته ، بهره جمالها فلتها بالنظر اليها عما في يده ، فجعل الماء يذهب يمينا وشمالا ، وعاتبته امها في ذلك قائلة : « يا بني اهلكت حتى ما بعثك اهلك له ، اما ترى الماء يذهب يمينا وشمالا ! » فاجابها : « اما والله ليطولن هيامي بها » ، ويبدو ان الفتاة اشفقت عليه مما اصابه فعاتبته بكلمات تنم بهذا الاشفاق حين قالت : « لقد كلفك اهلك السفر ، على ما ارى من صغرك وحداثة سنك » .. وعاد وقد ملأ شكوته لأخيه وابن عمه ، فلف رأسه ، وانتبذ ناحية ، وقد اصابه من هم الحب ووصب الغرام .

هذا الغلام ، ابن العشرين ، هو غيلان بن عقبة من عدي بن عبد مناة ، وامه من بني اسد . ويكنى ابا الحارث ويلقب بذي الرمة .

كيف جاءه اللقب : ذو الرمة

ويبدو ان مية كان لها فضل كبير في ذيوع هذا اللقب عليه والتصاقه به وباسمه ... والرمة قطعة من حبل ، كان يلفها على ذراعه فوق تميمة منذ صغره ، وكانت امه قد ذهبت به الى معلم في البادية ، يقرئه الاعراب ، اسمه الحصين ابن عبدة بن نعيم العدوي ، وروت له ان ابنها غيلان يتروّع بالليل ، فكتب له معاذة وجعلتها في يساره بحبل اسود ، ظل في ذراعه حتى رأته مية حينما طلب منها الماء ، فقالت له : « اشرب يا ذا الرمة » ، فلقب بذلك .

ومضى ذو الرمة ، وقد فتنه الجمال ، وجن جنونه به ، يملأ البادية شعرا كله انين ولوعة ، وكله الم وشكوى ، ولكن شعره في ذلك كله لم يكن ليسفّ او يبتذل ، وانما كان شعرا عفيفا

نظيفا حتى ليقول الاصمعي فيه « ما اعلم احدا من العشاق الحضريين وغيرهم شكا حبا احسن من شكوى ذي الرمة مع عفة وعقل رصين » .

صفة ذي الرمة

وكان ذو الرمة مدور الوجه ، حسن الشعرة ، جعدها ، اقنى انزع ، خفيف العارضين ، اكحل حسن المضحك، مفوّها بليغا.. تلك بعض صفاته عن احد الرواة .

ويروى انه كان رقيق البشرة ، عذب النطق ، حسن المضحك، مفوّها بليغا.. تلك بعض صفاته

كما يروى انه كان حسن الصلاة ، حسن الخشوع ..

قصة مختلقة

ومجموع هذه الصفات يدل على ان ذا الرمة كان متحليا بطائفة من الصفات الخلقية والخلقية الطيبة التي تحبب الناس اليه وتستميلهم نحوه ، فاذا كانت مية ، التي ملأ البادية والحضر شكايته بشعره فيها بعدما اضناه حبها وبرح به فراقها ، وكان في وصفها ووصف جمالها ووصف مشاعره نحوها عذب النطق ، عفيف الطرف ، فانها لا شك تكون من اميل الناس اليه واحبهم له ان لم تكن في ذلك احبهم واميلهم جميعا . نقول ذلك قبل ان نقف في حذر امام قصة يرويها ابن قتيبة بقول .

مكثت مية زمانا لا ترى ذا الرمة وهي تسمع مع ذلك شعره ، فجعلت لله عليها ان تنحر بدنة يوم تراه ، فلما رأته رجلا دميما اسود ، وكانت من اجمل الناس قالت : واسوأتاه وابؤساه وانحيبة بدمناه ، فقال ذو الرمة :

على وجه ميّ مسحة من ملاحة
وتحت الثياب الشين لو كان باديا

فحسرت ثيابها وقالت مريبة ثم قالت ، اتشتهي ان لا ابا لك ، فقال :

الم تر ان الماء يخبث طعمه
وان كان لون الماء ابيض صافيا

فقالت اما ما تحت الثياب فقد رأيته ، وعلمت الا شين فيه . ولم يبق الا ان اقول لك هلم حتى تذوق ما وراءه . ووالله لاذقت ذلك ابدا ، فقال .

فيا ضيعة الشعر الذي لجّ فانقضى
بميّ ولم املك ضلال فؤاديا

ثم صلح الامر بينهما بعد ذلك ، فعاد الى ما كان عليه من حبها .

والقصة في روايتها على هذه الصورة لا يصح ان تكون قد حدثت مع مية ابنة البادية التي تعرف ما تمليه تقاليد البدو من عفة في القول والعمل ، وتحرصه على فتياتها بصفة خاصة ؛ ولا يصح ان تكون قد حدثت مع ذي الرمة الذي شبب بمية فاكثر من التشبيب بها ، على حين لم تشب منه لفظة صارخة ، ولم ينحرف عنه معنى جارح ، واشتهر بحبه العفيف النظيف . ولا يصح ان تكون قد حدثت بينهما معا على مرأى ومسمع من احد كائنا من كان بحيث يملك الاستطاعة لان يرى ويسمع . وهي بعد ، قد عرفته حبيبا يوم استسقاها الماء، فعرفت اين هو من جمال او قبح.

والقصة تكون بذلك مختلقة ، قصد بها التشهير والافتراء .. اختلقتها امرأة حسود حقود هي كثيرة . ويقال انها بنت عم مية ، نسجتها ، والفت الابيات ، ونسبتها الى ذي الرمة ، كما نسبت الى ابنة عمها قولا وفعلا مسيئين . ولا شك في ان ذا الرمة قد اسفه من ذلك استياء شديدا ، وانكره واستنكره ، وكان اذا ذكر له ذلك يمتعض منه ويحلف انه ما قالها قط .

ذو الرمة في اسواق البصرة والكوفة

واحسب ان ذا الرمة كان قد مضى عن البادية الى الحضر من العراق ، بعد ان شفه الوجد واضناه الحب ، وافتقد الامل في ان يحظى بمحبوبته ، واستشرف السلوان . ولعله كان

ينشد أن يلتقي فيما كان يلتقي فيه الشعراء حينذاك ، في سوقي المربد بالبصرة والكناسة بالكوفة ، حيث كان يفد الشعراء من البادية ومن غير البادية ، يعرضون بضاعتهم من الشعر ، كما يعرض غيرهم بضاعتهم مما يؤكل ويلبس ويستمتع به ، وكانت سوق الشعر حينذاك نافقة وبضاعته رائجة ، بما كان قائما على أشده في ميدان النقائض بين جرير والفرزدق والأخطل ، وغيرهم ممن دخلوا الى حلقة الميدان وسقطوا في الصراع بحيث لم يبق من كبرائهم سوى الفحول الثلاثة المذكورين .

وقد أراد ذو الرمة أن يدخل الى هذه الحلبة ويدور فيما كان يدور فيها من صراع شديد ، وليس من شك في أنه كان حريصا أشد الحرص كغيره من الشعراء على أن ينال من دخوله فيها شهرة ، وذيوع صيت ، كالذي ناله جرير والفرزدق ، وكانا به من المقربين الى السلطان ، فنالا بذلك شهرة وقربا من الخليفة ، وثروة من رفده وعطائه . كان ذو الرمة يتوق أن يحظى بشيء منه ، ويشارك بقسط في ابتغائه والوصول اليه ..

وزلت قدم الفتى ذو الرمة الى مزالق الهجاء في حلبة النقائض هذه ، فالتحم مع هشام المرئي ولج الهجاء بينهما ، لأن ذا الرمة كان قد مر بمنزل لأهل هشام ، فلم ينزلوه ولم يقروه ، فقال أبياتا في هجائهم ، سمع بها هشام ، فجعل يهجو ذا الرمة ، على حين كان هذا لا يزال يطاوعه العشق الى حب مي وذكر أيامها والبكاء عليها .

بين ذي الرمة والفرزدق

ومر به الفرزدق مرة وهو على هذه الحال ، ينشد :

وقفت على ربع لمية ناقتي — فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
وأسقيه ، حتى كاد مما أبثه — تكلمني أحجاره وملاعبه

فتنبه الفرزدق الى أن هشاما يريد هجاءه وقال له : « ألهاك البكاء في الديار والعبد يرجز بك » .

وهكذا زج به الفرزدق الى صميم معركة الهجاء الفاترة ، وكان هواه معه ، وغلب ذو الرمة هشاما في الجولة الأولى حتى استعان هشام بجرير ، الذي هجا ذا الرمة بلسان هشام ، فغلبه هشام أو قل غلبه جرير ، ولم يعنه الفرزدق ، لأن الفرزدق نفسه ، ومعه جرير ، كانا يحسدان ذا الرمة شاعرا [illegible] .

في ميدان النقائض

ومهما يكن فقد كان دخوله الى ميدان النقائض وحلبة الهجاء ، فيما يبدو ، دخولا قويا صلبا استمر فترة من الزمان ، حتى أن بعض المؤرخين والنقاد جمعوا بينه وبين الفحلين ، بطلي الهجاء ، في بعض المقارنات ، فقد ذكر ابن سلام أن ذا الرمة كان من جرير والفرزدق بمنزلة الثالثة من الحسن وابن سيرين كان يروي عنهما وعن الصحابة وكذلك ذو الرمة ، هو دونهما ويساويهما في بعض شعره .

ذو الرمة يعود الى البادية

وهكذا سقط ذو الرمة ، حيث كان يريد أن ينجح ويتقدم ويصعد في طريق الشهرة والتفوق والثراء ، وعاد الى باديته ومحبوبته ، والى حبه وغرامه ، وقد أضناه الشوق ، واجهدته لواعج الحب ، وأرهقته تباريح الوجد ، فأصابت بدنه بالوهن ، وأثرت محياه بالضعف . عاد يطلب مية يريد أن يراها ، وكانت مية على شوق اليه قد شفها الصبر وأصابها لون من اليأس ، وجعلت تستعجل عودته وتستشرف لقاءه ، فنذرت نذرها ، وجعلت لله عليها أن تنحر ناقة سمينة حين يعود ويوم تراه .. فلما عاد أنكرت منه تغير حاله ، وتبدل لونه ، وتغير وجهه .. ويبدو أن اللقاء بينهما كان لقاء حلوا عنيفا يحمل من طول الغياب ولوعة الشوق أسباب الحرارة والعنف مما أثار حفيظة كثيرة وأهاج حقدها وحسدها ، فلفقت ما لفقت من حديث على لسان مي ، واختلقت قصة قطعها الشاعر ، وسجعت أبيات غيلان ،

فركبت هنا على ذلك ، واطلقت شكيمتها حتى وصلتنا .

قال ذو الرمة : « وكيف اقول هذا ؟ » وقد قلت شعري وافنيت شبابي اشبب بها وامدحها ، ثم اقول هذا !! .. ثم اطلع على ان كثرة قالتها ونحلتها اياه .

حب دام عشرين عاما

والواقع ان اخبار ذي الرمة مع مية ، وما كان بينهما من غرام عنيف ، اتصلت بشبابه نحوا من عشرين سنة ، هذه الاخبار على الرغم من ان المصادر تشير الى انها اخبار كثيرة وطويلة ، فان ما بين ايدينا منها ليس شافيا ولا وافيا ، ولا يعطينا الضوء الكافي لكي نتبين حقيقة ما كان بينهما في وضوح .. وعلى الرغم من قلة الاخبار بل ندرتها في هذا المجال ، فان شعر ذي الرمة يفيض صدقا وحرارة في التعبير عن عاطفته المشبوبة وحبه الرائع لمية ، ويكفي ان نقرا من ديوانه قصيدة :

ما بال عينك منها الماء ينسكب
كأنه من كلى مفرية سرب

لنستشف منها في وضوح تام حقيقة ما كان يعانيه الشاعر من الآلام التي يرجع الانين منها والشكوى بها في شاعرية فياضة منطلقة لا تحجز فيضها سدود ، ولا تقف في طريق انطلاقها حدود، على المدى البعيد الذي يشبه مدى الصحراء وافقها المتتابع المتجدد كلما سار فيها السائر في وضح النهار . وكذلك شعر ذي الرمة في صوره واخيلته وتشبيهاته المتلاحقة المتجددة على طول القصيدة ، بما لا يمل منه السائر ولا يكل ، من صور الصحراء ، ارضها وسمائها ، نبتها وبقلها ، سحابها ومطرها ، طيرها ووحشيها ، وسائر حيواناتها ، وحركاتها وسكناتها ، والوانها واصطيادها ، حتى بيضها وافراخها ، حتى الحشرات التي تسكن الصحراء .. يصورها فيبدع تصويرها .

أحب الصحراء من حب ميّ

ولا غرو في ذلك فهذه البادية التي يهيم بها ويحيا فيها ، ويقف منها موقف المصور والفنان المبدع ، مستقرّ لمحبوبته ميّ ومقام ، قبل ان تكون له هو نفسه موئلا ومستودعا لحبه ومكنون قلبه ، يناجيها ويسر الى ما فيها من متحرك وساكن لواعج صدره ، ويشكو اليها آلام حبه ، في فطرة بدوية صافية سليمة ، لم يفسدها لطف الحضر ولا تكلّف المتحضرين ولا صنعتهم في الالفاظ والمعنى .

كانت مي حياته ، كما كانت الصحراء ، منزل مي ، حياته ، فاحب المنزل حبا فيمن تقيم فيه ، ونزل من نفسه اعز منزل هو قلبه ، حتى مضى وهو يحمل في هذه النفس ولحت اضلاعه في قلبه قبرا لحبه الذي مضى معه .

واما مي فلم تكن شاعرة فنعرف حقيقة مشاعرها، ولم تصلنا الاخبار الكافية التي تجلوها وان كانت هذه الاخبار تشير الى حبها اياه واستجابتها لحبه ولكن في حذر وتعقل ..

ذو الرمة ينزل ضيفا عند زوج ميّ

روى صاحب الاغاني : « نزل ذو الرمة بزوج ميّ ضيفا في ليلة ظلماء ، وهو طامع في الا يعرفه فيحدثه بينه غيرانا ويكلمها . ففطن له الزوج وعرفه ولم يحدثه، واخرج اليه قراه، وتركه بالعراء ، وقد عرفته مية . فلما كان في جوف الليل تغنى غناء الركبان فقال :

أراجعة يا ميّ ايامنا الاولى
بذي الاثل ام لا ، مالهن رجوع

فغضب زوجها وقال : قومي فصيحي به : « يا ابن الزانية ، واي ايام كانت لي معك بذي الاثل». فقالت : يا سبحان الله ، ضيف ! والشاعر يقول ! فانتضى زوجها السيف وقال : والله لاضربنك به حتى آتي عليك او تقولي . فصاحت به كما امرها زوجها . فنهض ذو الرمة على راحلته فركبها وانصرف عنها مغضبا يريد ان يصرف مودته عنها الى غيرها ..

ونحن لا نريد أن نكلف مشاعر الفتاة شططاً أو نفسر ما بين سطور هذه القصة تفسيرا يحملها أكثر مما تطيق ، فنزعم أن عاطفة الحب القوي الرائع كان ينبغي أن تفرض على مي أن تستهين بتهديد زوجها أو أن تضحي بنفسها في سبيل ألا تهين محبوبها أو تشتمه كما أراد زوجها أن تفعل ، ولعل ذلك كان ما يمنيه ذو الرمة من محبوبته ، ولعله لم ير ما دار داخل الدار ، ولم يعرف شيئا عن السيف الذي كان مشهورا فوق رقبتها . ولعل الزوج كان يبدو في ملامحه ونظراته اليها ما يكشف لها أنه صادق النية صارم العزم على قتلها اذا هي لم تهن حبيبها ولم تشتمه .

انصرف ذو الرمة عن ميّ

ويبدو أن هذا كان آخر عهده بمي وبديار مي ، لأنه مضى عنها ، بعد أن انتزع زوجها في ابتزاز صدره منها ، وجعل ذو الرمة يطلب عند غيرها حبا يشغله عن حبها ، فوجده عند فتاة أخرى من فتيات البادية الجميلات ، هي « خرقاء » احدى نساء بني عامر بن صعصعة ، رآها تمر في جوار من بيت تريد بيتا آخر ، وكانت حلوة شهلاء ، فراقت عينه عليها ، فدنا من بعض جواريها وطلب اليها أن ترقع له خفه ، فقالت الجارية لخرقاء : ارقعي لهذا الرجل خفه ! فاستهزأوا به : أنا خرقاء لا أحسن العمل فسماها خرقاء . والخرقاء في عرف البادية حينذاك هي الفتاة التي لا تعمل شغلا لكرامتها على أهلها . ثم جعل يشبب بخرقاء هذه في قصيدتين أو ثلاث ، يريد أن يغيظ بذلك ميا ، التي ذكرها في شعره ، ولكنه لم ينسها .. ثم لم يلبث أن مات في سنة ١١٧ هـ وهو في سن الأربعين .

واخيرا مات وبقي شعره ذكرى

كانت خرقاء تجد في تشبيب ذي الرمة بها لونا من ألوان الفخار الذي تباهي به ، يدلنا على ذلك أنها كانت تحل في منزل على طريق الحاج من البصرة الى مكة ، فتقعد لهم وتحدثهم وتهاديهم وتقول : « أنا منسك من مناسك الحج » . وذلك لقول ذي الرمة فيها .

تمام الحج أن تقف المطايا
على خرقاء واضعة اللثام

هذا ومي كانت ما تزال تحمل بين جوانحها ذكرى غرام طويل وحب كبير للشاعر الذي ظل معنى بحبها عشرين سنة ، حتى أن ابن سلام لما سأل أبا سوار الغنوي عن لقائه ميا وقد أدركها الهرم ومن ذكرها لشعر ذي الرمة ، أجابه بقوله : هي والله لتسيح سحا ما رأيت مثله أحدا، يريد أنها كانت أكثر من انشاد شعره فيها ، وتتابع انشادها له .

شعر ذي الرمة

وأما هذا الشعر فان فيه تفاوتا لا شك فيه بين القوة والضعف ، وان خلا بصفة عامة من أثر التعقيد والتركيب والعمق ، فجاء شعرا خفيفا جزلا ، فيه قوة في البناء وتماسك التكوين وبساطة في التعبير ، مع بساطة في التفكير ووضوح في المعاني ، والاسراف في التصوير والتشبيه . وقد انتبه القدامى من النقاد الى بعض هذه السمات في شعره حين قال أبو عمرو بن العلاء : « انما شعره نقط عروس يضمحل عن قليل ، وأبعار ظباء لها مشم في أول شمها ثم تعود الى أرواح البعر » فينفي بذلك عنه صفة العمق في المعاني والأفكار ويدل على البساطة والسطحية فيه . وقد اعترف ذو الرمة نفسه بصفة التفاوت في شعره حين قال : « من شعري ما طاوعني فيه القول وساعدني ، ومنه ما أجهدت نفسي فيه ، ومنه ما جننت به جنونا » . على أن أعلام الشعر في عصره ، وفي طليعتهم جرير والفرزدق ، على الرغم من حسدهم اياه ، شهدوا له بالتقدم وعلو الكعب في الشعر ، بحيث يسأل الوليد بن عبد الملك الفرزدق عن أشعر الناس ، فيجيبه الفرزدق : أنا . فقال الوليد : أتعلم أحدا أشعر منك ؟ قال : لا ، الا غلاما من بني عدي بن عبد مناة يركب أعجاز الابل وينعت الفلوات .. يعني ذا الرمة . ثم أتى جرير فسأله الوليد ، فقال له مثل ذلك ، ثم أتى ذو الرمة فقال له : « ويحك أنت أشعر الناس » .

والغالب الظن أنه ما استحق ذلك في نظرهم الا لأنه وهب نفسه وشاعريته للحب والبادية. ■

محمد محمود النش



«ليس في ما ينشر في هذا الباب ما يعبر عن راى مجلة العربى سلبا او ايجابا»

القومية العربية والخليج العربى

من مجلة « الاقلام » البغدادية

ان الدول العربية مدعوة الى دراسة اوضاع اطراف الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية لتحديد مستقبلها السياسي والدور العظيم الذي ستلعبه في البناء السياسي والاقتصادي للوحدة العربية المقبلة . ان الامة العربية ستجابه عما قريب مشاكل معقدة قد تتحول الى صراع طويل مع الاستعمار البريطاني الذي لا يصبر على استمرار لعبة سياسة الامر الواقع والانسحاب من هذه المناطق الشاسعة التي تبلغ مساحتها اكثر من مساحة العراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين مجتمعة والتي تعتبر من اغنى مناطق العالم على الاطلاق ..

لقد اصبح من الواضح ان وجود اكثر من للاثنى مشيخة وامارة وسلطنة في الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية امر جدير بالدراسة والتمحيص على ضوء تطور الحركة القومية العربية وعلى ضوء الجهود التي تبذلها الدول العربية متعاونة مع الدول الاسيوية والافريقية في ميدان تصفية الاستعمار . وعلى الدول العربية تقع تبعة ضمان عدم اتجاه هذه الكيانات السياسية الى الدول الاجنبية وجذبها بمختلف الوسائل الى التعاون مع الجامعة العربية .

ان الخليج العربي منطقة بالغة الخطورة بالنسبة لحاضر الامة العربية ومستقبلها، وموقعه الجغرافي قد جعله في مختلف العصور يؤلف الجسر الذي يربط العراق وشرق الجزيرة العربية بالهند وبالباكستان وجنوب اسيا والشرق الاقصى واوروبا

الوطنية ليست هتافا وصراخا

من جريدة « اخبار اليوم » القاهرية :

ان الوطنية اليوم ليست هي الهتاف والصراخ .

ان الحريات الحقيقية يجب ان يشترك فيها الشعب مع الحكومة .

فالحكومة وحدها لا تستطيع ان تحمي استقلالنا اذا وقف الشعب يتفرج او يندرج في الارجاف ، ويقف في الاضطرابات .

فان من واجب كل فرد في الشعب ان يساهم في المحافظة على استقلال بلاده ، وحرياته الديمقراطية .

يجب ان يساهم كل فرد من افراد الشعب في معركة محاربة الاسراف والتخفيض لتكاليف الانتاج .

كلمة واجبة !

عن جريدة « الثار » الاردنية .

● للكويت تصرفات تأتي معبرة أحيانا ، فيها الاصالة ، وفيها الخير ، وفيها الاعتداد بالنفس ، تصرفات تستحق أن يأخذ بها العرب أجمعون

من ذلك الموقف الذي اتخذته الكويت تجاه ايران ، بعد استقبالها انباء تدبير سماح الاحمد حين كان يطوف على عواصم دول الخليج يحمل قرارات مؤتمر القمة الأول، ذلك الموقف الذي جر الباس عليها ، واضطرها للامتداد والتراجع

ومن ذلك ايضا ، تحريم الدولة للمسكرات عبر تحمل عقوبة المتاجرة بها الى عشر سنوات

ولا شك ان الخمر خطر على الكويت مثلما هي خطر على الدول العربية ، هي خطر على النفس مثلما هي خطر على الارواح ، بل قد تكون على الخطر الذي اشد خطرا ، فجاء منع الكويت لهذا الرجس ، درءا للفساد ، وصونا لمستقبل الشعب الكويتي ، وحفظا لوجهه العربي الاسلامي الاصيل .

ان تحريم الكويت للخمر حدث بالغ الاهمية في وقت تجتاح الامة فيه تيارات الشرق والغرب ، وتعروضه ثقافاته المستوردة ، وهي متأرجحة ذات اليمين وذات الشمال لا تستقر بعد على حال ، ذلك لأن هذا الحدث عندما يأتي من قطر من اقطار الامة يراه ، يشكل دليلا ملموسا على ان الامة تريد ان تحتفظ باستقلالها ، وترسي قواعد شخصيتها الاصيلة ، تكون نفسها بنفسها ومحاورها لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء.

بل هي عمل دائب مستمر

يجب ان يحافظ العامل على المواد الاولية في مصنعه ، ولا يبذرها باستهتار !

يجب أن يتحمس لعمله ، ويعطيه سبع ساعات من عرقه وقلبه وعقله ، لا أن يضيع ساعة أو ساعتين كل يوم في الثرثرة والدردشة !

أن من حق الشعب أن يحاسب الدولة !

ولكن من واجبه أن يحاسب نفسه أيضا !

من واجب كل واحد منا ان يسأل نفسه عن الجهد الذي يبذله كل يوم لحراسة استقلال بلاده !

وسيكتشف اللاهون منا اننا نغالط في الحساب !

لقد أخذنا من بلادنا أضعاف أضعاف ما أعطيناه لها .

اتقوا الله واعدلوا بين اولادكم

عن مجلة « الامة » السودانية

● نعم الله علينا عظيمة ، وافضاله لا يحصيها عد ، ومن اجلها ، اولادنا .. الذين يهبهم لنا حسب مشيئته ، ذكورا فقط ، أو اناثا فقط ، أو ذكورا واناثا ، وهو على كل شيء قدير ! وهم وديعة غالية بين ايدينا — معشر الاباء — تجب رعايتها وصيانتها ، والبعد بها عن كل ما يعرضها للاذى أو يدفع بها الى طريق الشر والفساد .

وان هذه النظرة التالية وهذا الاستقبال للمولود الذكر استقبالا يختلف عن استقبالنا للمولودة الانثى يجب أن تختفي من مجتمعنا ، لأنها فضلا عما فيها من تفرقة لا داعي لها مطلقا ، وبخاصة وقد خرجت الفتاة للحياة وساهمت فيها وشاركت أخاها الفتى في حمل اعبائها ، وتشاركه في أعمال السلم والحرب ، أي انها لم تعد حملا ثقيلا وانما اصبحت عضوا صالحا في المجتمع ، ولا يمكن لمجتمع ما أن ينهض ويرقى ويرتفع الا بجناحين هما : الفتى والفتاة .

أبو العباس المرسي

بقلم : الدكتور جمال الدين الشيال

استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الاسكندرية

كره لقاء الحكام ،

وكان يقول لمريديه :



على كثرة من عاش في الاسكندرية من أولياء الله وأقطاب الصوفية والعلماء ، وعلى كثرة ما تضمه المدينة من رفات هؤلاء الأولياء والعلماء واضرحتهم ، فان الاسكندرية لا تكاد تذكر الا ويذكر قطب أقطابها العارف بالله سيدى أبو العباس المرسي ، أصدق أصدقاء سيدى ابن الحسن الشاذلى (١) وأقرب تلاميذه اليه وصاحب القطبانية من بعده .

نسب أبي العباس

وهو شهاب الدين أبو العباس احمد بن عمر ابن على الخزرجى الأنصارى المرسى البلنسى . ينتهى نسبه الى الصحابى الجليل سعد بن عبادة كبير الأنصار وسيد الخزرج .

---

(١) راجع مقالى الشاذلى في «العربى» العدد ٦٧ يونيو ٦٤ صفحة ٦٢ ، والعدد ٦٨ يوليو ٦٤ صفحة ٩٦

ومن جدود ابي العباس الاعلين قيس بن سعد الذي عين اميرا على مصر في سنة ٣٦ هـ من قبل على بن ابي طالب .

نشـأته

فاسرة ابو العباس عربية عريقة في العروبة ، شريفة عريقة في الشرف ، وقد ولد ابو العباس في سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩م) في مدينة مرسية احدى مدن بلنسية بالاندلس واليها نسب ابو العباس ، وغلبت عليه هذه النسبة حتى عرف بها، ولا يكاد يذكر باسمه الا في الكتب التي ترجمت له.

وفي مرسية نشأ ابو العباس احمد ، وفيها قضى طفولته وتلقى علومه الاولى فتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وحفظ القرآن .

ومرسية اختطها فيما يقال الخليفة عبد الرحمن

وَرَفَضَ عَطَاءَهُم ، وَلَمْ يَتَظَاهَرْ بِطُولِ التَّعَبُّدِ وَالْخُشُوعِ

اعْرِفُوا اللَّهَ ، ثُمَّ كُونُوا بَعْدَ ذَلِكَ كَيْفَ شِئْتُم

الناصر ، وكانت بحكم موقعها مدينة تجارية ،وكان معظم اهلها يحترفون التجارة . وكان عمر بن على والد ابي العباس تاجرا ، وتبعا لتقاليد العصر كان يريد ان يعد اولاده لاحتراف المهنة التي يحترفها ، فكان ابنه الاكبر ابو عبد الله جمال الدين محمد يعاونه في اعماله التجارية ، ولما استكمل الابن الاصغر ابو العباس احمد علومه الاولى وشب عن الطوق الحقه ابوه باخيه ، واصبح الرجل يعتمد على ولديه في ادارة تجارته والاشراف على شئونها . ودنيا التجارة مدرسة حافلة بالتجارب ، فالتاجر يتصل في معاملاته بمختلف البيئات والطبقات ، مما يتيح له الفرصة الطيبة لدراسة اخلاق الناس وطباعهم ، وقد افاد ابو العباس ولا شك من تجاربه العملية خلال هذه الفترة اشياء كثيرة .

في الطريق الى الحج استشهد ابواه

وفي سنة ٦٤٠هـ (١٢٤٢م) وقد بلغ ابو العباس الرابعة والعشرين من عمره ، اراد والده ان يحج للحج ، وصحب الرجل معه اسرته جميعا ،زوجته فاطمة بنت عبد الرحمن المالقي ، وولديه ابا عبد الله جمال الدين محمد ، وابا العباس احمد .

وكان من العسير على الاسرة ان ترحل هذه الرحلة الطويلة بطريق البر فآثرت الخلاء طريق البحر ، واستقلت سفينة من سفن البحر الابيض المتوسط ، وسارت السفينة بحذاء الشاطئ الافريقي ، ولكنها لم تكد تقترب من شاطئ بونة حتى هبت عليها عاصفة قوية ، وقاومت السفينة ما استطاعت المقاومة الى ان عجزت تماما ،وتغلبت عليها الرياح العاصفة فاغرقتها بما فيها ، ويبدو ان الوالد والوالدة لم تكن لهما معرفة بالسباحة او انهما لم يستطيعا مقاومة الامواج العاتية لكبر سنهما ، فطوتهما المياه وماتا شهيدين . اما الاخوان فقد قدر لهما النجاة ووصلا الى البر سالمين .

أبو العباس يقيم في تونس

واتخذ الاخوان طريقهما بعد ذلك الى الشرق الى ان وصلا الى تونس فآثرا الاقامة بها ، وفي

تونس اتجه الأخ الأكبر محمد الى مهنته القديمة التجارة ، واما الأخ الأصغر أحمد فقد أراد ان يفيد ما حصل من علم ، فاتخذ له مكتبا في زاوية الفقيه محرز بن خلف يعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة والحساب ويحفظهم كتاب الله الكريم .

بين أبي العباس المرسي ، وأبي الحسن الشاذلي ، في تونس

وكان أبو الحسن الشاذلي قد عاد في ذلك الوقت الى تونس واقام هناك في رباط بجبل زغوان .. وكتب التراجم تذكر ان ابا الحسن لم يعد الى تونس رغم ما كان بينه وبين ابن البراء الا لمقابلة تلميذه ابي العباس ، فقد روى عنه انه قال :

« ما ردني الى تونس الا هذا الشاب » يقصد ابا العباس المرسي ، وقد قال لأبي العباس في ختام مقابلته الأولى له

« رفعت لي منذ عشر سنين » .

ابو العباس يلتقي ابا الحسن الشاذلي

وقد سمع ابو العباس المرسي اثناء مقامه في تونس بالشيخ ابي الحسن وفضله وعلمه وانزوائه فسعى الى مقابلته سعيا ، وقد روى هو خبر مقابلته لاستاذه وبدء اتصاله به وتعرفه عليه ، قال :

« لما نزلت بتونس ، وكنت اتيت من مرسية — وانا اذ ذاك شاب — سمعت بذكر الشيخ ابي الحسن الشاذلي ، فقال لي رجل :

نمضي بنا اليه ؟

فقلت : حتى استخير الله

فنمت تلك الليلة فرأيت كأني اصعد الى رأس جبل ، فلما علوت فوقه رأيت هنالك رجلا عليه برنس أخضر وهو جالس ، وعن يمينه رجل وعن يساره رجل ، فنظرت اليه فقال : عثرت على خليفة الزمان ! فانتبهت ، فلما كان بعد صلاة الصبح جاءني الرجل الذي دعاني الى زيارة الشيخ فسرت معه ، فلما دخلنا عليه رأيته بالصفة التي رأيته بها فوق الجبل ، فدهشت فقال لي : عثرت على خليفة الزمان ! ما اسمك ؟ فذكرت له اسمي ونسبي ، فقال لي رفعت لي منذ عشر سنين » .

اتصل الروحان من قبل المقابلة والمشاهدة ، فان السفينة لم تترك عند بونة ، وابو العباس لم يتجه الى تونس ويقيم بها الا لما قدره الله في مكنون علمه من السعيد للقاء الرجلين ، وابو الحسن لم يعد الى تونس عودته الأخيرة ، رغم كرهه للاقامة بها منذ نشب النزاع بينه وبين ابن البراء ، الا لما ألقي اليه من انه سيقابل تلميذه وصفيه وخليفته هناك .

ولزم ابو العباس استاذه ابا الحسن منذ تلك اللحظة ملازمة تامة ، فصار يتردد على مجالسته، ومجالسه ونشاطه حافلة بحلقات الذكر والدرس والمناقشة . وعرف الاستاذ في تلميذه صفاء روحه وحسن ادراكه واخلاصه وتدينه ، فقربه اليه حتى لقد صارحه مرة بقوله :

« يا أبا العباس ، والله ما صحبتك الا لتكون انت انا ، وانا انت ولقد رأيت فيك ما في الأولياء وما رأيت في الأولياء ما فيك »

ابو العباس يصحب الشاذلي الى مصر

وادرك ابو الحسن بغيته بهذا اللقاء ، واعد عدته بعده للسفر ، وغادر تونس متجها الى مصر وفي صحبته نخبة من اتباعه وتلاميذه ومريديه ، وفي مقدمتهم تلميذه الأثير ابو العباس المرسي .

ضيق ينتاب ابا العباس في الطريق

وكانت عين الاستاذ على تلميذه طول الطريق ، ترعاه وتشمله بعنايته ، يلقي اليه بنصائحه ويعينه في رفق على سلوك الطريق والاقبال على معرفة الله والتفاني في حبه وعبادته . واحس ابو العباس اثناء الرحلة الى الاسكندرية شيئا من ضيق النفس لم يستطع له حلا ، وادرك الشيخ من بعيد هذه الكربة التي تجثم على نفس تلميذه ، فناداه اليه وما زال به حتى كشفت عنه هذه الكربة وانشرح صدره ، يروي هذه القصة ابو العباس قال :

« كنت مع الشيخ في السفر ونحن قاصدون الاسكندرية حين مجيئنا من المغرب ، فاخذني ضيق شديد حتى ضعفت عن حمله ، فأتيت الى الشيخ ابي الحسن ، فلما أحس بي قال : أحمد؟ قلت : نعم يا سيدي ، قال آدم خلقه الله بيده ، واسجد له ملائكته واسكنه جنته ، لم نزل به الى

الأرض ليكمله ، وقد أنزله الى الأرض قبل أن يخلقه بقوله : « اني جاعل في الأرض خليفة » ، ما قال في السماء ولا في الجنة ، فكان نزوله الى الأرض نزول كرامة لا نزول اهانة . فانه كان يعبد الله في الجنة بالتعريف ، فانزله الى الأرض ليعبده بالتكليف ، فلما توفرت فيه العبوديتان استحق ان يكون خليفة . وأنت ايضا لك قسط من آدم ، كانت بدايتك في سماء الروح في جنة التعريف ، فانزلت الى أرض النفس لتعبده بالتكليف ، فلما توفرت فيك العبوديتان استحققت أن تكون خليفة . قال الشيخ أبو العباس : فما انتهى الشيخ من هذه العبارة حتى فرج الله صدري واذهب عني ما كنت أجده من الضيق والوسواس » .

بهذه الرعاية العطوفة وبهذه الآداب الروحانية، وبهذا التوجيه الأبوي كان الشيخ ابو الحسن يأخذ تلميذه أبا العباس . ولا عجب في هذا فقد كان يعده لأن يكون خليفته والقطب من بعده .

وبلغوا الاسكندرية ، وعند باب سدرة ، قدم رجل من عدولها لهم الطعام

ووصل الركب اخيرا الى أسوار الاسكندرية ، والى باب سدرة المواجه لعمود السواري ، وحطوا رحالهم عند هذا العمود ، واحس بمقدمهم سكان المدينة ، فبعث اليهم رجل من عدولها طعاما لضيافتهم . وأبلغ الشيخ خبر هذا الطعام يقول أبو العباس .

فقال الشيخ : « لا يأكل أحد منه شيئا . فبتنا على ما نحن فيه من الجوع ، فلما كان عند الصبح صلى بنا الشيخ، وقال: مدوا السماط واحضروا ذلك الطعام ، فحضرا . وقعدنا فأكلنا ، فقال الشيخ : رأيت في المنام قائلا يقول : أحل الحلال اليك ، ما لم يخطر لك ببال ، ولا سألت فيه أحدا من النساء والرجال » .

وهكذا كان أبو الحسن يعمل على تربية أبي العباس وسائر تلاميذه بالقدوة الحسنة ، فلا يقرب طعاما الا ان يطمئن انه حلال كله لا تشوبه شائبة من الحرام .

روى أحد أصحاب الشيخ أبي العباس أن انسانا عزم على الشيخ أبي الحسن وقدم اليه الطعام بخبيره ، فاعرض عنه ، ولم يأكله ، ثم التفت الى صاحب الطعام وقال له : ان الحارث ابن أسد المحاسبي كان في أصبعه عرق اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك عليه ، وأنا في يدي ستون عرقا اذا كان مثل ذلك .

فاستغفر صاحب الطعام واعتذر له .

الشاذلي لم يفهم التصوف على أنه بطالة وتوكل

والمعروف عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي انه كان يدعو اتباعه ومريديه الى العمل ؛ لانه لم يكن يفهم التصوف على أنه بطالة وتوكل ، ولم يكن يشجع ان يلبس الصوفي المرقعات والملابس الخشنة ، لأنه نوع من الادعاء والتظاهر ، وفيها اعلان عن الفقر وسؤال الناس ، ونزول بالكرامة واهدار للعزة ، والاسلام دين يقوم على العزة والكرامة والعمل والكد ، وبهذه الآداب جميعا أخذ أبو الحسن تلميذه أبا العباس ، قال أبو العباس :

« كان الشيخ قد قال لي : ان اردت أن تكون من أصحابي فلا تسأل من أحد شيئا . فمكثت على ذلك سنة . ثم قال لي : ان اردت ان تكون من أصحابي فلا تقبل من أحد شيئا ، فكان اذا اشتد على الوقت اخرج الى ساحل بحر الاسكندرية ألتقط ما يرميه البحر بالساحل من قمح حين يرفع من المراكب » .

ويلاحظ من هذا الحديث أن أبا العباس كان يعاني أول وصوله الى الاسكندرية شيئا من الضيق والفقر ، ولكنه مع هذا كان يؤثر الفقر والجوع على أن يسأل الناس شيئا ، ويبدو انه كان متفرغا للعبادة والمراقبة مع استاذه . ولسنا نعرف انه امتهن مهنة أخرى وان كان يفهم من بعض عبارات ابن عطاء الله السكندري أن أبا العباس عين وقتا ما واحدا من الشهود العدول بمحكمة الاسكندرية .

الشاذلي والمرسي يسكنان دارا بكوم الدكة

وقد نزل أبو الحسن عند مقدمه الى الاسكندرية دارا عند كوم الديماس ـ كوم الدكة ـ وسكن معه فيها أصحابه ، وفي مقدمتهم أبو العباس المرسي . وكان يلقي دروسه في جامع العطارين .

ولازمه طول مقامه بها ابو العباس ، يتنقل من علمه ويقتبس من فضله . واحس ابو العباس انه وقع على كنز بصحبته الشيخ ابي الحسن ، وقد عبر عن شعوره هذا بما قاله في خطاب ارسله الى احد اصحابه في تونس بعد وصوله الاسكندرية واقامته بها وقتا ما ، قال في هذا الخطاب .

« فاني صحبت رأسا من رؤوس الصديقين ، واخذت منه سرا لا يكون الا لواحد بعد واحد ، والشرح يطول ، وهو الشيخ والامام الكبير رضي الله عنه ، وهو ابو الحسن الشاذلي . وكان لا يصحبه احد الا فتح له في يومين أو ثلاثة ، فان لم يجد شيئا بعد ثلاثة أيام فهو كاذب ، أو يكون صادقا ولكنه اخطأ الطريق . ودليله من كتاب الله عز وجل : «قال رب اجعل لي آية ، قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا» وكان يقول : اذا عرضت لك حاجة الى الله فاقسم عليه بي ، فكنت والله لا اذكره في شدة الا انفرجت ولا امر صعب الا هان ، وانت يا أخي اذا كنت في شدة فاقسم على الله به ، وقد نصحتك والله يعلم ذلك ، والسلام » .

صنوف العباد عند الشاذلي

والشاذلي كان يصنف العباد اصنافا ، منهم الذين يشتغلون بالعلم وحده ويدرسون العبادات والمعاملات وهؤلاء هم الفقهاء ، ومنهم اصحاب الاحوال والمقامات والذوق ، وهؤلاء هم نفر من الصوفية ويصلون الى هذه الاحوال والمقامات برياضة النفس والجسم والتفرغ للعبادة ، ومنهم من يجمع بين العلم والذوق وهؤلاء نفر آخر من الصوفية يمثلهم خير تمثيل أبو الحسن الشاذلي نفسه ، ومدرسته ، وخاصة تلميذه أبو العباس المرسي وتلميذ المرسي ابو عطاء الله السكندري . فقد كانت القاعدة عندهم أن لا يدخل المريد الطريق الا بعد ان يتبحر في علوم الفقه والشريعة حتى يستطيع اذا باحثه احد من العلماء ان يقف معه على قدم المساواة وان يتغلب عليه بالحجج القوية الواضحة .

ابو العباس يجمع بين الفقه والتصوف

وهذا ما تمتاز به المدرسة الشاذلية على غيرها من مدارس المتصوفة الاخرى التي تعتمد على رياضة النفس والروح والجسد والزهد والعبادة ولا تستلزم المعرفة بالعلوم الشرعية الظاهرة ، وبهذا اخذ ابو الحسن تلميذه ابا العباس فلم يمض وقت حتى اتقن ابو العباس العلوم الدينية اتقانا تاما حتى كان من يتحدث اليه في علم منها ينصرف عنه وهو يحسب انه لا يحسن الا هذا العلم . وكان ابو العباس يأخذ تلاميذه بهذا الاسلوب ويحضهم على طلب العلم والتبحر فيه ، ويقرأ معهم كتبا كثيرة في التفسير والحديث والفقه والاخلاق والتصوف ، حتى عرف بين معاصريه بالتبحر والبروع في العلوم الاسلامية مع تعمقه ونبوغه في علوم الحقيقة واصول الطريقة حتى لقد كان يقول :

« شاركنا الفقهاء فيما هم فيه ، ولم يشاركونا فيما نحن فيه » .

هذا ابو العباس المرسي الذي عاشر استاذه الشيخ ابي الحسن الشاذلي فاتقن العلوم الدينية مع تبحره في علوم الحقيقة والتصوف ، وكان يأخذ تلاميذه بهذه الطريقة، ولهذا كان يدرس لهم ويقرأ معهم كتبا في مختلف العلوم الدينية ، ففي التفسير كان يقرأ كتاب « المحرر الوجيز » لابن عطية، وفي الحديث كتاب « المصابيح » للبغوي ، وفي الفقه « التهذيب والرسالة »، وفي الاخلاق «كتاب الاحياء للغزالي»، اما في التصوف وعلوم الحقيقة فكان يقرأ مع تلاميذه امهات الكتب لكبار المتصوفة السابقين مثل « ختم الاولياء » للحكيم الترمذي ، و« قوت القلوب » لأبي طالب المكي ، و «الرسالة البيانية» للقشيري .

ابو العباس أديب ممتاز ، قوي الشرح والايضاح

وكان الشيخ ابو العباس مع هذا اديبا ممتازا ذا اسلوب قوي بليغ وله قدرة فائقة على التعبير والشرح والايضاح وقوة على الاقناع ، لهذا كان استاذه ابو الحسن الشاذلي يقول لاتباعه :

« عليكم بالشيخ أبي العباس ، فوالله انه ليأتيه البدوي لايحسن وضوءه فلا يمسي الا وقد اوصله الى الله تعالى » .

ابو العباس أعلم بطرق السماء منه بطرق الارض

وقال جماعة من اهل العلوم :

« قدم علينا الشيخ أبو الحسن البجائي – أحد أصحاب أبي الحسن الشاذلي – فكان يتكلم معنا فيعجبنا كلامه ، فلما رأى اعجابنا بذلك قال : كيف لو رأيتم الشيخ أبا العباس المرسي ؟ والله لو أطلق ابو العباس لساني لتكلمت بالعلم الغريب » .

وذلك لأن الشيخ ابا العباس – مع تبحره في العلوم الدينية الشرعية – كان اعلم بعلوم الحقيقة واصول الطريقة منذ صفت روحه ورقت نفسه وزالت الحجب بينه وبين الله سبحانه وتعالى ، لهذا كان استاذه ابو الحسن يقول عنه :

« أبو العباس بطرق السماء أعلم منه بطرق الأرض »

وكان يقول :

« هذا أبو العباس منذ نفذ الى الله لم يحجب ولو طلب الحجاب لم يجده » .

الشاذلي يزوج المرسي ابنته

ولمعرفة الشيخ ابو الحسن لتلميذه ابي العباس مكانته زاد في تقريبه اليه فزوجه من ابنته وانجب أبو العباس من هذه الزوجة ولديه جمال الدين محمدا ، وابا العباس احمد ، واختهما بهجة التي تزوجها ياقوت العرشي تلميذ ابي العباس .

هل اشتغل ابو العباس بعض الوقت بالتجارة

ويفهم من بعض النصوص الاخرى ان الشيخ ابا العباس كان يشتغل بعض الوقت بالتجارة بتوجيه من استاذه ابي الحسن ، تنفيذا لسياسته المرسومة التي تدعو اتباعه الى العمل والسعي لكسب الرزق ، روى الشيخ ابو العباس فقال :

« كنت ليلة من الليالي نائما بالاسكندرية ، واذا قائل يقول : مكة والمدينة ، فلما أصبحت عزمت على السفر ، وكان الشيخ ابو الحسن بالقاهرة ، فسافرت اليه ، فلما مثلت بين يديه قال لي : مكة والمدينة ؟ فقلت : لأجل ذلك جئت يا سيدي ، قال : اعطني مثقالا ، واذا برجل دخل عليه وقال : يا سيدي عزمت على الحج وما معي شيء من الدنيا ، فقال لي الشيخ : أي شيء معك ؟ فقلت : عشرة دنانير قال : ادفعها لهذا الرجل ، فدفعتها اليه ، فقال لي الشيخ : اذا كان غدا فاخرج الى الساحل واشتر لي عشرين اردبا قمحا ، فاصبحت ونزلت الى الساحل واشتريت عشرين اردبا ، وحملت القمح الى المخزن وجئت الى الشيخ ، فقال : هذا القمح قالوا لي انه مسوس ما تأخذ منه شيئا ، فبقيت متحيرا لا ادري كيف اصنع ، وبقيت ثلاثة ايام لا يطالبني صاحب القمح بالثمن ، فلما كان اليوم الرابع واذا برجل يطرق على باب داري قال : أنت صاحب القمح ؟ فقلت : نعم قال تأخذ فيه ثلاثة الف درهم ؟ فقلت : نعم ، فوزن لي الف درهم ، فوضع الله لي البركة فيها ، فلو قلت اني انفق منها الى اليوم لصدقت » .

ابو العباس يدرس في القاهرة

وكان ابو العباس يتنقل مع استاذه ابي الحسن ويصحبه في رحلاته الى المدن المصرية المختلفة وفي سفراته للحج ، وكان يشاركه في القاء الدروس وتعليم المريدين ونشر اصول الطريقة ، ولكنه بعد قليل استأذن الشيخ في ان يسافر الى القاهرة ليعمل على نشر الدعوة والتدريس بمدارسها ، فسمح الشيخ له ، وسافر ابو العباس وكان يلقي معظم دروسه في جامع الفيروز ، هو جامع اولاد عنان الحالي القريب من محطة باب الحديد ، ولكنه كان ولا شك يلقي بعض دروسه في مساجد القاهرة ومدارسها الاخرى ، وخاصة بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط .

الشاذلي تقدم به السن ، فيستخلف المرسي على شئون الدعوة

ولما وافت سنة ٦٤٦ هـ وكان الشيخ ابو الحسن قد تقدمت به السن وفقد بصره ، ولم تعد له قدرة على الاشراف على شئون اتباعه ، فرأى ان يستخلف تلميذه وصفيه ابا العباس المرسي على شئون الدعوة ، واعلن استخلافه له في حفل جامع بين اتباعه في مسجد العطارين بالاسكندرية .

واخذ ابو العباس بعد اعلانه خليفة يشرف على شئون الطريقة والاتباع ، فيلقي عليهم دروسه ويعمل على تهذيبهم وتربيتهم على الاسس التي رسمها الشيخ ابو الحسن ، وكان يلازم الشيخ حينا ، وينفرد بدروسه في الاسكندرية والقاهرة حينا آخر .

الشاذلي تصعد روحه الى الله ، في طريقه الى الحج

الى ان كانت سنة ٦٥٦ هـ وقد عزم الشيخ ابو الحسن على الخروج للحج فصحب معه بعض من تلاميذه وفي مقدمتهم ابو العباس المرسي ، ولما وصل الركب الى حميثرا في صحراء عيذاب مرض الشيخ مرضا شديدا لم يمهله طويلا ، وصعدت روحه الطاهرة الى بارئها في هذا المكان المبارك ، وفي ليلة وفاته جمع أصحابه وأوصاهم . يقول صاحب المفاخر العلية :

« ثم خلا بسيدي ابي العباس المرسي وأوصاه بأشياء ، واختصه بما خصه الله به من البركات»

ثم نادى أصحابه وقال لهم

« اذا أنا مت فعليكم بأبي العباس المرسي ، فانه الخليفة من بعدي ، وسيكون له مقام عظيم بينكم، وهو باب من ابواب الله تعالى » .

ابو العباس ، بعد دفن أستاذه ، وبعد الحج ، يعود الى الاسكندرية ، ويخلف الشاذلي فيها

صحب ابو العباس المرسي الجماعة الذين معه – بعد دفن استاذه – الى الحجاز وادى فريضة الحج ، ثم عاد الى الاسكندرية فجلس مجلس استاذه الشيخ أبي الحسن ، وخلفه في مكانته ، فكان يرعى شؤون الاتباع ويوجه ارشادهم وتعليمهم، ويعقد حلقات الدرس والذكر ، وشاع منذ ذلك الحين ذكره ، وذاعت شهرته ، فقصده الطلاب والاتباع من كل مكان ، ورحل اليه القصاد من مختلف البلدان يسألونه المعرفة ويلتمسون منه البركة والمدد ، ووفد عليه العلماء والفقهاء يستريدون من علمه .

ابو العباس يدرس أحيانا في القاهرة ويستمع اليه علماؤها

وكان يقيم معظم السنة في الاسكندرية ، ويرحل في بعض الشهور الى القاهرة حيث يعقد حلقات دروسه في جامعي المقس وعمرو بن العاص ، وكانت الحلقات تزدحم دائما بالمستمعين وأكثرهم من علماء القاهرة ، وخاصة اذا بدأ في قراءة الرسالة للامام القشيري ، فقد كانت ايام شرحه لها من الايام المشهودة ، لانه كان يأتي في هذا الشرح بكل بديع بحيث يملك على السامعين نفوسهم وأرواحهم ويهز مشاعرهم ، وقد تاب على يديه بعد هذه الدروس – كما يقول الاستاذ السنوبي – « خلق لا يحصيهم الا الله » .

وقد ذكر ابن عطاء الله ان الشيخ شمس الدين الاصفهاني والشيخ شمس الدين الايكي – وهما من علماء مصر البارزين في ذلك العصر – كانا يجلسان بين يدي أبي العباس المرسي جلوس التلاميذ الآخذين عنه ويطلبون ما يمليه .

ابو العباس لا يتكلف في عبادته ولا يتظاهر بالزهد

وكان الشيخ ابو العباس المرسي يعبد الله حق عبادته ويكره التكلف والتظاهر بالزهد ، والادعاء والرياء ، فكان اذا قام للصلاة صلى صلاة خفيفة لا يطيل الركوع والسجود ، ولا يسترخي الاسترخاء بمراءاة حتى لا يلفت الأنظار الى صلاته وعبادته فانه يقصد ان صلاته لله سبحانه .

وكان الشيخ اذا حضر مجلسا يقرأ فيه القرآن خشع الخشوع كله ، وربما اخذته حال من الرهبة والخوف عند تلاوته ، وسئل في ذلك فقال :

« لكانما اقرؤه على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – »

وقال مرة أخرى :

« لكانما اقرؤه على الله عز وجل » .

وكان يريد من الاتباع جميعا ان يتجهوا في عباداتهم الى الله سبحانه وتعالى ، وان يخلصوا فيها، والا يفكروا الا في ذاته العلية ، وان يبعدوا بعدا تاما عن التظاهر والرياء والمظاهر والتظاهر بالعبادة.

زاره يوما بعض العائدين من الحج فسألهم :

« كيف كان حجكم ؟ » .

فقالوا :

– كان كثير الرخاء كثير الماء، ايضا ابله بكذا.

فاعرض عنهم وقال

— أسألهم عن أثر الحج في نفوسهم من تلبية لله وما لهج به عليهم ، وما وجدوه وما فازوا به فيجيبون برخص الأسعار وكثرة المياه ، كأنهم لم يسألوا الا عن ذلك! اذا وصلت الى البيت الحرام فلا يكن همك البيت ، وليكن همك رب البيت ، ولا تكن ممن يعبد الاوثان والاصنام »

« اعرف الله ، وكن كيف شئت »

وابو العباس في هذا متأثر كل التأثر بالآداب التي أخذه بها استاذه أبو الحسن الشاذلي، فقد كان الشيخ ابو الحسن يعنيه الاخلاص الحقيقي والايمان الحقيقي ، ولا يعنيه التظاهر . قال ابو العباس : « دخلت يوما على الشيخ أبي الحسن وفي نفسي أن آكل الخشن وألبس الخشن فقال لي يا أبا العباس ، اعرف الله وكن كيف شئت »

وبهذه الآداب ، وبغيرها كثير مما يشبهها ، كان الشيخ ابو العباس المرسي يأخذ اتباعه ومريديه ، فكان يترفق بهم ويطلب نفوسهم ويرعى شئونهم، واذا قصده مريد قابله في الحال ، واستمع اليه فأحسن الاستماع وباسطه في الحديث .

ولم يكن ابو العباس يستأثر بأتباعه او يمنعهم من الاتصال بغيره من الشيوخ ، وكان يردد في هذا قول شيخه

« اصحبوني ولا امنعكم — تصحبوا غيري ، فاذا وجدتم منهلا أعذب من هذا المنهل فردوه »

وكان ابو العباس خير مرب لاتباعه ومريديه ، فلا يثني على واحد منهم بحضور اخوانه حتى لا تقوم بينهم اسباب الحسد والبغضاء ، ولذا نصحه واحد منهم بنصيحة أقبل عليه وأجزل له العطاء .

ابو العباس يعزف عن لقاء الحكام

وخير ما كان يتصف به ابو العباس وخير ما كان يحمل على تلقينه لأتباعه عزة النفس والتعفف عما بأيدي الناس والثقة كل الثقة بالله ، فكان يقول لأصحابه :

« والله ما رأيت العز الا في رفع الهمة عن الخلق، وما السلامة في الدنيا الا بترك الطمع في المخلوقين ».

ولهذا كان لا يحب مقابلة الحكام وذوي السلطان او التوسط والشفاعة لديهم .

جاءه يوما احد الناس وطلب وساطته عند بعض الحكام في حاجة له فقال له :

« انا أطلب لك ذلك من الله »

مكث في الاسكندرية ٤٣ عاما

وقد اقام ابو العباس في الاسكندرية ما يزيد على ثلاث واربعين سنة لم يحاول في خلالها ان يزور والي المدينة او ان يقصده في مطلب او شفاعة ، ومع هذا فقد طلب والي المدينة رؤية الشيخ والاجتماع به ولكن الشيخ ابى ورفض

يعرض عليه العطاء الجزل فيرفضه

وحضر يوما لزيارته الامير علم الدين سنجر السجاعي ، وهو مدبر المملكة ، وصاحب الحول والطول في عهد السلطان قلاوون . تقول المراجع :

« فما ألوى الشيخ اليه عنان همته ، ولا فوّق نحوه سهام عزيمته . ولما استعرض الامير رغائب الشيخ قال الزكي الاسواني [illegible] عنده و[illegible] استدلاله وابانته — يا سيدي اطلب منه ارضا يزرعها اصحابك، فقال الشيخ يا زكي، هذا ما لا يكون ابدا » .

وذكر ابن عطاء الله السكندري — تلميذ ابي العباس — ان الفواتي بهاء الدين وشد الديوان والفقيه شمس الدين بن الخطيب ناظر الاحباس جاءوا مرة لزيارة الشيخ وقالوا له :

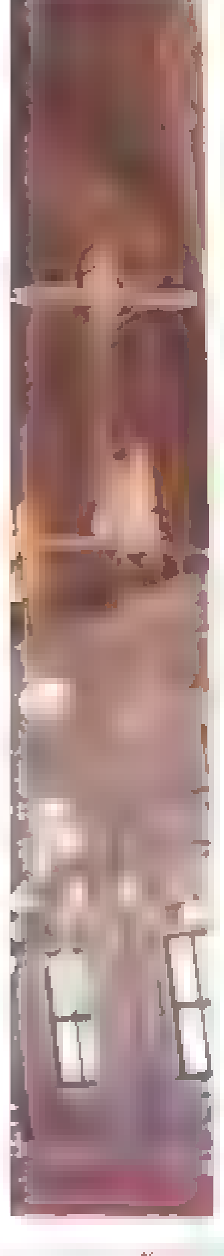
« ان هذه القبة — يقصدون المكان الذي كان يقيم فيه الشيخ مع اتباعه — تحتاج الى حصير وزيت وقناديل ، ويحتاج الفقهاء فيها الى ما يأكلون ، ونحن حكام الوقت نطلق لهم شيئا كل شهر ، فقال الشيخ : حتى أشاور أصحابي ، ثم قال لاصحابه : بماذا تشيرون ؟ فلم يرجع احد جوابا، فكرر السؤال فلم يجبه أحد ، فقال: « اللهم اغننا عنهم ولا تحوجنا اليهم انك على كل شيء قدير » ومات الشيخ وليس للمكان مرتب ولا معلوم .

هذا هو الاسلام الحق وهذه هي الاخلاق الاسلامية الاصيلة : العزة والكرامة والتعفف عن الناس ، والغنى بالله ، والسعي والعمل ، والايمان الحق بعد هذا كله بالله سبحانه وتعالى، فليت قومي يعلمون،وليتهم بهذه الاخلاق يعملون.

بين الصوفية ، والفتوة في ذلك العصر

وكان للصوفية والتصوف في عصره شأن اى شأن ، وكانت بين المتصوفة والفقهاء خصومة

(البقية على صفحة ١٥٠)



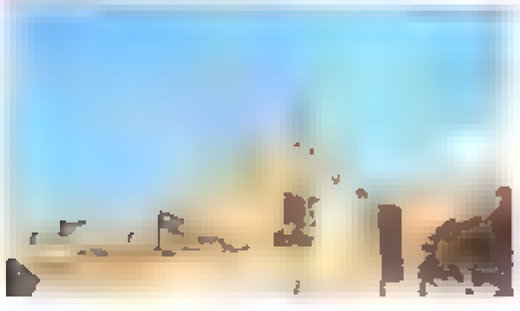
[illegible]

قلعة صلاح الدين

[illegible]

[illegible]

[illegible] رجاء مكاوي [illegible]



■ لم تكن حيا من أحياء القاهرة . كانت مدينة كاملة تشرف على القاهرة من ارتفاع يزيد على ١٥٠ مترا . وكانت تشرف على كل نواحي الحياة في المدينة الكبيرة التي كانت تتطلع اليها من عمق يزيد عن ١٥٠ مترا . فقد بناها صلاح الدين الايوبي لتكون مقرا للحكم في مصر .

ففي يوم قائظ من أيام صيف عام ٥٧٢ هجرية ، ركب صلاح الدين الايوبي حصانه الابيض ، واتجه في حاشية من اتباعه خارج القاهرة ، واخذ يصعد جبل المقطم ، حتى وصل الى ربوة واسعة يبيت في وسطها قبة عرفت بقبة الهواء . دار فيها قليلا ، ثم نظر خلفه .. فرأى القاهرة كلها بتيلها ، بأهرامها ، بحياتيها ومآذنها وقبابها ومساجدها .. كلها قابعة تحت سنابك خيله .. فاحكم قبضته على اللجام ، وابتسم صلاح الدين ، ونظر الى وزيره .. « الطواشي بهاء الدين قراقوش » ، وقال له : هنا .. هنا تبنى القلعة .

لماذا .. هذا المكان !

لماذا اختار صلاح الدين هذه البقعة البعيدة عن القاهرة بالذات !

الواقع انه لم يكن يبني في القلعة مقرا للحكم فقط .. ولكنه كان يشيد معقلا له ولاسرته ..

فقد كان صلاح الدين يحارب فلول الفاطميين في مصر .. وكان يتعرض هو واسرته لكايد مشايعي الفاطميين . وقد آلى صلاح الدين على نفسه ان يطمس آثار الفاطميين والا يترك سبيلا لاحياء ذكراهم واستعادة سلطانهم، فجاء باتباعه وحاشيته وضباط جيشه ووزرائه ، واسكنهم قصور كبار الفاطميين ، بعد ان طردهم منها ، بكل ما احتوت عليه من تحف وطرائف .

واهمل مدينتهم « القطائع » التي التصقت بها ذكراهم ، وارتبطت بمبانيها شهرتهم ، وعول منذ اللحظة الاولى على ان يجمع القاهرة والعواصم التي سبقتها بعضها في بعض ، ويوحد بينهما ، فيحيطها جميعا بسور عظيم ، لتصبح عاصمة امبراطوريه ..

هذا شيء ..

وكان أهم من ذلك ان يشيد فوق القاهرة ، فوق رابية من روابي المقطم «قلعة حصينة لاقامته» ولتشرف على تلك العاصمة الموحدة .

وهكذا اندمجت العواصم التي سبقت بها القاهرة منذ بداية الفتح الاسلامي : الفسطاط (الفتح الاسلامي) ـ العسكر (العصر العباسي) ـ القطائع (الدولة الطولونية) واخيرا القاهرة (العصر الفاطمي) ..

ومن أجل هذا يسمى بعض المؤرخين صلاح الدين الايوبي مؤسس القاهرة الحديثة .

حكم قراقوش !

وبعد أن كانت قاهرة الفاطميين مقصورة على سكن الخلفاء وحاشيتهم ، فقد شجع صلاح الدين افراد الشعب على سكن القاهرة ، واقامة المنازل فيها ، فنقلوا الانقاض من الفسطاط وغيرها التي تخلفت من حريق شاور الضخم الذي استمر حوالى شهرين كاملين .. واستعملوا هذه الانقاض في تشييد مبانيهم .

اما مبانى القلعة ، فقد اهتم بها شخصيا الوزير ابو سعيد ابن عبد الله الاسدى الملقب ببهاء الدين . وقد اشرف عليها ـ بامر صلاح الدين ـ بحزم واحكام . فاشتهر بالصرامة والاستبداد ، واطلق عليه المصريون اسم قراقوش ، ومعناه طائر « العقاب » الاسود .

وتحكى عن قراقوش نوادر غريبة جمعها احد المؤلفين في كتاب سماه « الفاشوش في احكام قراقوش » .

ولا يزال المثل السائد في مصر حتى الآن يصف التصرفات الاستبدادية بانها « حكم قراقوش » .

القلعة .. اهم آثار صلاح الدين

قلعة الجبل التي اراد ان يحمي بها مدينة القاهرة اذا ما اعتدى عليها الصليبيون ، فاختار لها مكانا مرتفعا شرق العاصمة ، وعلى صخرة مفصولة من جبل المقطم.وبنى فيها قصرا لسكنه، اى سكن صلاح الدين .وظهرت بئر يوسف ـ التي كان قد رممت ـ واعدت لتغذى القلعة وملحقاتها بالماء في حالة الحرب او الحصار .

وقد اتخذت القلعة منذ ذلك الحين مقرا للحكم حتى عصر الخديوى اسماعيل الذى نقل مقر الحكم الى قصر عابدين .

٣٢ سنة كاملة !

وبدأ بناء القلعة سنة ١١٧٦ ميلادية وانتهى



السور الشرقي للقلعة ... وقد كانت القلعة مقرا للحكم ، ولذلك نشطت وتعددت واستحدثت حولها القصور والقاعات والحدائق والدواوين والمساجد ودار سك النقود ، حتى أصبحت مدينة قائمة بذاتها محاطة بأسوارها وبروجها

سنة ١٢٠٨ ، أي أن بناءها استغرق ٢٩ سنة كاملة !

ولكن بعض المؤرخين يأخذون على صلاح الدين (أو قراقوش) أنه أصدر أمرا بهدم بعض أهرام صغيرة من الجيزة لاستعمال حجارتها في بناء القلعة والسور . كما أنه استخدم عددا كبيرا من أسرى الفرنجة في الحروب الصليبية في أعمال النحت والبناء .

وقد بنيت القلعة على غرار القلاع السورية التي رآها صلاح الدين تحمي كثيرا من البلدان في سوريا ، فأعجبته الفكرة ، وأحاط القاهرة بسور كبير لتحصينها ، وضاعف من قوتها بإقامة هذه القلعة الحصينة فوق جبل المقطم . وقد بلغ طول هذا السور حسب تقدير المقريزي ٢٩٣٠٢ ذراع .

وفي الضلع الغربي للقلعة ، عند الباب المدرج ، لا نزال نرى حتى اليوم أثرا هاما من آثار صلاح الدين ، وهو كتابة تاريخية كتبت أثناء إنشاء القلعة .. هذا نصها

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بإنشاء هذه القلعة الباهرة ، المجاورة لمحروسة القاهرة ، التي جمعت نفعا وتحسينا وسعة على من التجأ إلى ظل ملكه وتحصينا ، مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ، أبو المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين في نظر أخيه وولي عهده ، الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد خليل أمير المؤمنين ، على يد أمير مملكته ، ومعين دولته : قراقوش ابن عبد الله الملكي الناصري في سنة تسع وسبعين وخمسمائة »

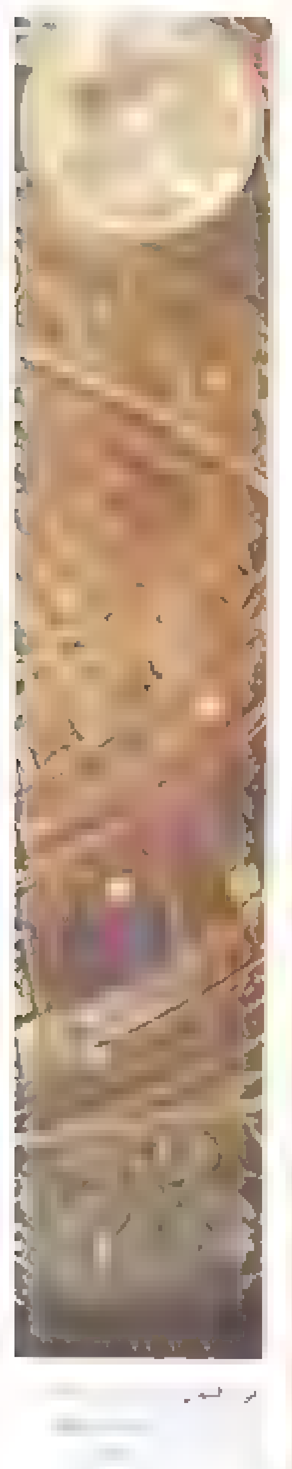
والأهمية التاريخية لهذا النص ترجع إلى أن هذه العبارة هي أقدم كتابة كتبت بالخط النسخ الأيوبي .

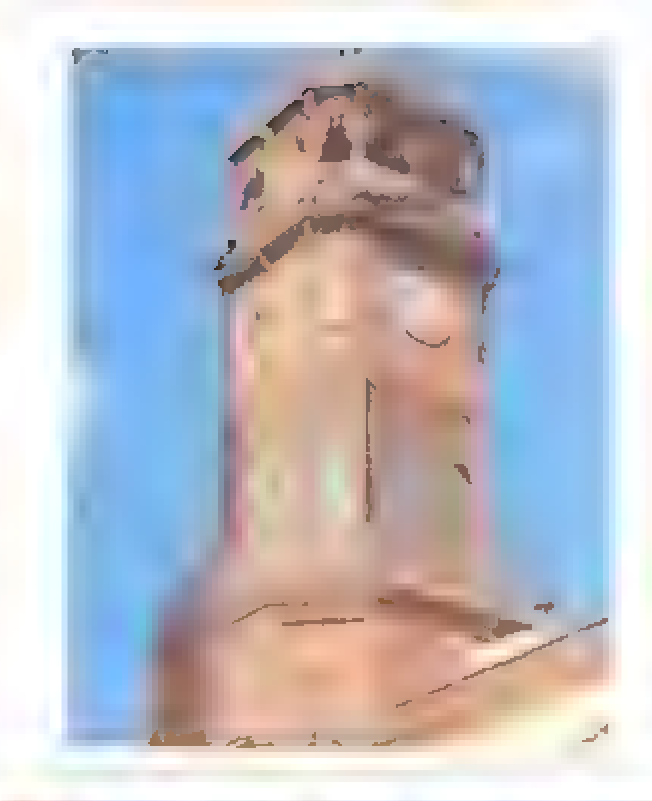
بئر يوسف

وحفر صلاح الدين في القلعة بئرا يستقى منها الجيش وسكان القلعة إذا ما منع الماء عنها عند حصارها . وهي من أعجب ما تم من الأعمال في عهد صلاح الدين ، إذ أنها محفورة في الصخر على عمق ٩٠ مترا تقريبا من مستوى أرض القلعة . وقد تطلب هذا العمل مجهودا شاقا .

وتتركب هذه البئر من طابقين ، لكل منهما ساقية ، ترفع المياه منها بواسطة الدواب ، التي خصص لها منحدر ، لتسهيل النزول والصعود . وقد فتحت بجانبه فتحات لإيصال النور إلى هذا الممر . ولا تزال السواقي ومعداتها موجودة أسفل البئر حتى الآن .

ويرجح الأستاذ حسن عبد الوهاب ــ وهو من أكبر الثقات في الآثار الإسلامية ــ أن هذه البئر تسبق عصر صلاح الدين خصوصا وأنها خارج أسواره .









ولم تكن هذه البئر معدة للعمل الا في ايـام الحصار او الحرب ، لان مياه النيل العذبة كانت تصل الى القلعة في عهد صلاح الدين وبعـده بوساطة قناة على ظهر سور صلاح الدين الممتد من الفسطاط الى القلعة والموجودة بقايا منه حتى الآن .

وقد ظلت القلعة تتلقى بالمياه العذبة بواسطة قناة على ظهر سور صلاح الدين ، الى ان اتسعت مبانيها وكثرت منشآتها ، فانشأ الناصر محمد بن قلاوون في سنة ١٣١٢ ميلادية اربع سواق على النيل تنقل الماء الى السور على قناطر اتصلت بسور صلاح الدين ومنه الى القلعة .

وقد اهتم بالقناطر وحسنها جميع حكام مصر ، وظلت تؤدي رسالتها حتى القرن التاسع عشر ، حيث اصلحت وانتفع بها .

مدارس صلاح الدين

اما منشآت صلاح الدين بالقلعة ، فلم يبق منها سوى بعض اجزاء السور والابواب ، فقد ادخلت عليهـا كثير من التغييرات والاضافات في العصور التالية . منها ان الكامل انشـأ قصورا وزاد في مساحتها ، واحاط الزيادة بسور اقل حجما من سورها الاول . كما انشأ الظاهر بيبرس برجـا كبيرا ، وقصرا فخما لوالده فيها . وكان اقرب ما انشيء مقعد فخم شاهق يطل من فوق القلعة على الجيزة والنيل .

واخيرا اصلح محمد على جانبا كبيرا من سور القلعة وابوابها وابراجها ، وانشأ الجامع المعروف باسمه ، وسراى الجوهرة .. وسراى العدل ودار الضرب ودار المحفوظات .

ولكن كان اهم ما انشأه صلاح الدين المدارس ، وكانت اول مدرسة بناهـا هي المدرسة الناصرية التي بنيت بجوار جامع عمرو لتعليم الدين وفق المذهب الشافعي ، حتى يزيح – عن طريق العلم – المذهب الشيعي ويحـل محله المذهب السني . فانشأ مدارس يدرس فيهـا الدين وفق المذاهب الاربعة . ولكي يضمن ازدهـار هذه المدارس واستمرارها في اداء رسالتها اوقف عليها الاراضي الزراعية وعني بالطلاب والشيوخ جميعا .

صورة القاهرة

ولقد زار مصر في عهد صـلاح الدين الرحالة الشيخ عبد اللطيف البغدادي ، فاعجب بكل ما شاهد في القاهرة من مرافق الصحية ووسائل الراحة، واطنب في وصف حماماتها فقال

« واما حماماتهم فلم اشاهد في البلاد اتقن منهـا وضعا ، ولا اتم حكمة ، ولا احسـن منظرا ومخبرا . اما اولا فان احواضها يسع الواحد منها ما بين راويتين الى اربع روايا واكثر من ذلك ، يصب فيها ميزابان انبجاجان ، حار وبارد .

وقبل ذلك يصبان في حوض صغير جدا مرتفع ، فاذا اختلطا فيه جرى منه الى الحوض الكبير ، وهذا الحوض سطح وجهه فوق الارض . وسـائره في عمقها ، ينزل اليه المستحم ، فيستنقع فيه .

وداخل الحمام مقاصـير بابواب . وفي المسلخ ايضا مقاصير لارباب التخصص ، حتى لا يختلطوا بالعوام ، ولا يظهروا على عوراتهم . وهذا المسلخ بمقاصيره ، حسـن القسمة ، مليح البنية .

وفي وسطه بركة مرخمة ، وعليها اعمدة وقبة ، وجميع ذلك مزوق السـقوف ، مطوق الجدران مبيضها ، مرخم الارض باصناف الرخام ، مجزع باختلاف الوانه . ورخام الداخل يكون ابـدا احسن من رخام الخارج ، وهو – مع ذلك – كثير التشبيه مرتفع الازاج ، جاماته مختلفة الالوان ، صافية الاصباغ ، بحيث اذا دخله الانسان لـم يؤثر الخروج منه ، لانه اذا بالغ بعض الرؤسـاء ان يحتفل جدا لجلوسه ، وتناهى في ذلك ، لم تكن احسـن منه !! واذا كثرت الحمامات في بلـد كان ذلك عنوانا على نظافة ابدان اهله ، وصـحة اجسامهم ، وسلامة عقولهم ، وبالتالي دليـلا على رقيهم وتقدمهم . »

القاضي الفاضل

وكان للادب والثقافـة في دولة الايوبيين شان كبير . فقد كان صـلاح الدين لا يجالس سوى الادباء والفقهاء والعلماء ، ويجزل لهم العطاء ، ويعاملهم بالمنـح والمكافآت . بل ان وزارته كانت تضم اثنين من كبار الادباء : احدهمـا القاضي الفاضل ، والآخر عماد الدين الكاتب الاصفهاني .

وكان صلاح الدين يقول في القاضي الفاضـل : « لا تظنوا اني ملكت البلاد بسـيوفكم بل بقـلم الفاضل » .

ومن شعراء هذا العصر ابن الفارض الحموى الاصل ، المصري المولد والوفاة .

تسهيلا للسياح [illegible] يلبسونه فوق احذيتهم ، حتى يستطيعوا ان يدخلوا المسجد دون ان يخلعوا احذيتهم

اما عبد اللطيف البغـــدادى الرحالة العراقي الشهير الذى ولد في بغداد ودرس الطب والفلسفة وعلوم اللغة ، فمن مؤلفاته المعروفة كتاب«الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينـــة بأرض مصر » ، وهو يشتمل على وصف رحلتـــه الى وادى النيل في نهاية القرن الســادس الهجرى، وهو على اختصاره يمتاز بدقة الوصف والاتجاه العلمى . وليس هذا بعجيب من عالـــم طبيب كالبغدادى .

وعالم آخر شهد هـــذا العصر الذهبى .. هو موسى بن ميمون الذى ولد بالاندلس وطاف بلاد المغرب والمشرق العربى ، ثم استقر به المقـــام في مصر ، واخذ يلقى المحاضرات في علوم الرياضـــة والفلك والفلسـفة . ولقـــد شهد سقوط الدولة الفاطمية وقيـــام الدولة الايوبية ، وعاصر الحـــر وبها ، وقام بتطبيبهم وتطبيب افراد اسرائهم ،

● قلعة صلاح الدين

ولـــم يمنعه كل ذلك من التدوين والتصنيف في الفلسفة والطب والمنطق .

اما الفنون فقد ازدهرت في بعض النواحى مثل الحفر على الخشب والخزف المطلى بالميا . وهناك ثلاثة توابيت من الخشب المحفور من العصر الايوبى آية في الدقة والاتقان . احدها على قبر الامـــام الشافعى . والثانى على قبر الخلفة شمس زوجة صـــلاح الدين . والثالث كان موضوعا فوق قبر الامام الحســين وهو الآن بالمتحف الاسلامى .

مسجد محمد علي

ان القلعة لا تحتوى فقط على آثار الايوبيين .. او صلاح الدين . فقد بقيت منذ عهد صلاح الدين حتى عهـــد اسماعيل وهى المقر الرسمى للحكم . وزاد بها المماليك والسرة محمد على آثارا وقصورا ومساجد ، لا تزال آثارها باقيـــة حتى اليوم .

ومن اشهر هذه الآثار .. مسجد محمـــد على الكبير . وقد اختار محمد على له مكانا جعله علما على القلعة ، حيث يرى من جميع انحاء القـــاهرة بطول السمحة مئذنتيه الرشيقتين وقبته الكبرة .

وقد انشأه محمد على بعد ان فرغ من بنـــاء قصوره بالقلعة وبناء المدارس والدواوين بها . وعهد الى المهندس التركى يوسف بوشناق بوضع تصميم له ، فوقع اختياره على مسجد السلطان احمد بالاستانة ، فاقتبس منه مسقطه الافقى بما فيه الصحن والفسقية مع تحويرات طفيفة . ولم ينفرد المهندس التركى بالاشراف على عمارة المسجد، بل ساعده نخبة من المهندسين المصريين .

اما الصناع فقد كانوا خليطا بين اتراك وارمن ومصريين . وقد استمر العمل فيه ٢٠ سنة. وكان اول شيء حدث فيه – حتى قبل ان يتم – هو دفن محمد على في المقبرة التى اعدها لنفســه بداخل المسجد ، وكان المسجد قد بنيت اسواره وقبابه ومنارته،والكتابات التى تعلو الشبابيك الخارجية والداخلية. اما اعمال النقش والتذهيب والقصورة النحاسية والنجف الضخم الفاخر والثريات التى تملأ كل مكان في المسجد ، كل هذا تم في عهـــد الخديوى عباس .

والمسجد مستطيل البناء ،وينقسم الى قسمين الشرقي وهو المعد للصــلاة ، والغربى وهو الصحن ، تتوسطه فسقية الوضوء . وكان حسن





اكبر منبر
فى المساجد الاسلاميه

الصحن يابان متقابلان ، فالقسم الشرقي مربع الشكل طول ضلعه من الداخل ٤١ مترا ، تتوسطه قبة مرتفعة قطرها ٢١ مترا وارتفاعها ٥٢ مترا من مستوى أرض المسجد محمولة على اربعة عقود كبيرة متكئة أطرافها على اربعة اكتاف مربعة يحوطها اربعة انصاف قباب ، ثم نصف خامس يغطي بروز المحراب . وذلك خلاف اربعة قباب أخرى صغيرة بأركان المسجد . وكسيت جدران المسجد من الداخل والخارج برخام المرمر المجلوب من محاجر بني سويف ، وكذلك الاكتاف الاربعة الداخلية الحاملة للقبة الى ارتفاع ١١ مترا .

والمحراب ايضا من رخام المرمر ، حليت حافاته بزخارف مذهبة تمثل اشعة الشمس، يجاوره منبر رخامي جديد بالقرب من المنبر الخشبي القديم . وهو اكبر منبر محلى بنقوش بارزة مذهبة .

وكسيت جميع جدران المسجد ، اعلى الكسوة الرخامية من الداخل، بياض محلى بنقوش ملونة ومذهبة . اما القبة الكبيرة وانصاف القباب فقد حليت بزخارف بارزة ملونة مذهبة ، تمثل عقودا وزهورا يتوسطها هلال ، وكتب في اضلاع القبة بالتناوب (بسم الله ما شاء الله . تبارك الله)

الجامع مقتبس !

ان مهندس الجامع ، وان كان اقتبس من مسجد السلطان احمد التصميم والواجهات ، الا انه لم يقتبس منه زخارفه ولا زخارف عصره . بل اقتبس زخارف المسجد من تلك الزخارف التي راجت في تركيا في القرن الثامن عشر الميلادي ، وهي تمثل جدائل مضفرة بزهورها الملونة وبعض الفواكه .

وحليت زوايا القباب والعقود بلفظ الجلالة ، ومحمد رسول الله ، واسماء الخلفاء الراشدين بخط الخطاط المشهور (أمين الزميري) .

وعلى طرفي الواجهة الغربية للمصلى منارتان رشيقتان بارتفاع ٨٤ مترا لكل منهما ٢٥٦ درجة خلاف درج السلم .

وتتوسط الصحن قبة الوضوء وهي مقامة على ثمانية اعمدة من الرخام، تحتها قبة أخرى رخامية ثمانية الاضلاع نقش عليها زخارف بارزة وعناقيد عنب .

ويحيط بالصحن اربعة ايوانات ذات عقود محمولة على اعمدة رخامية تحمل قبابا صغيرة منقوشة من الداخل ومغشاة من الخارج بألواح الرصاص .

ويتوسط الايوان الغربي للصحن برج من النحاس المخرم والمحلى بالنقوش والزجاج الملون ، بداخله الساعة الدقاقة المهداة من ملك فرنسا لويس فيليب سنة ١٨٤٥ .

بالشعر ..

ونوافذ المسجد والصحن شبابيك نحاسية مفرغة بأشكال زخرفية ، ومكتوب على اعتاب الشبابيك من الخارج قصيدة من نظم الشاعر المصري الشيخ محمد شهاب الدين ابتدأت من يسار الباب البحري وأولها :

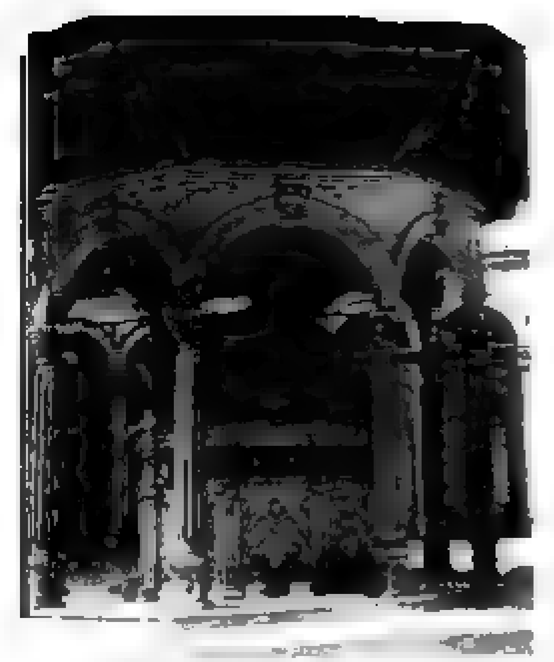
عروس [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ومنها :

[illegible]
[illegible]

المسجد أمام منبر محمد علي [illegible]





قبة الوسطى في صحن المسجد ... وتعلوها ... [illegible] ... وزخارف ... في ... [illegible] ... والتي ... [illegible] ... والرخام ...

ودع وما دام للعباد وجوده

وعرضها ... [illegible] ... محمد

ودع ... [illegible] ... واستمر ... [illegible]

وبادر الى ... [illegible] ... مرشد

وانتهت القصيدة على الشباك الأيمن للباب الذي يدلك منه بما نصه

... [illegible] ... محمد ... [illegible]

... [illegible] ... محمد

وهذا الشعر ساير خطوات بناء الجامع وأرخ الفراغ من تفاصيله الهامة ، منها مثلا ان الابواب انتهت سنة ١٨٤٥ والقبة الكبيرة انتهت سنة ١٨٤٦ .

وفي سنة ١٩٣٥ اجريت بالجامع اكبر عمارة بسبب خلل طارىء على قبته الكبيرة التي هدمها هي وما حولها من قباب ، روعي عند اعادة بنائها اعادة العقود وغيرها باحجامها وابعادها المعمارية الاصلية . وكذلك روعي عند اعادة الزخارف ان تكون طبق الاصل . وقد بلغت تكاليف اعمال الهدم والبناء ستين الفا من الجنيهات ، ونفقات البياض والزخرفة اربعين الفا . وهذه العملية تعتبر من اعظم الاعمال المعمارية التي تمت بمصر .

قصر الجوهرة

والى جوار المسجد مباشرة ، كان محمد علي قد انشأ قصرا للحكم ، سماه قصر الجوهرة ، ويشرف على القاهرة والمقطم . ومنه يرى النيل والاهرام ، وامتاز بجمال موقعه وجودة هوائه .

ويقول المؤرخون ان تسميته باسم « قصر الجوهرة » تسمية خاطئة ، لانها لم ترد في التاريخ ولا في الوثائق .

وعلى كل حال ، فقد اقيم القصر هو وملحقاته مكان ابنية للسلطان قايتباي والسلطان الغوري ما زالت بقاياها موجودة حتى الآن .

والباب الرئيسي للقصر في الحد الشرقي ، ويشرف على الحوش السلطاني ومكتوب عليه « يا مفتح الابواب افتح لنا خير باب » ١٢٢٨ هـ .

ومن هذا الباب تدخل فتجد بابا آخر كتب عليه « الله ولي التوفيق » ١٢٢٩ هـ . وتدخل منه الى صالة كبيرة تشرف عليها حجرة الفرمان . وهي قاعة كبيرة سقفها بيضاوي تشرف على ميدان صلاح الدين ، وقد احتفظت تلك القاعة بنقوش سقفها ما بين آلات موسيقية وآلات حربية ، وهي الآن مفروشة ومعلق بها سجادة كبيرة وبها كرسي من كراسي محمد علي ، وقد فرشت الصالة امامها بعد ان جددت نقوشها . ومنذ ان تحولت الى متحف منذ عدة سنوات ، صنعت تماثيل لمحمد علي وحراسه وبعض المقربين منه وافراد من الشعب يقدمون اليه طلبات ، ومحمد علي جالس جلسته الشهيرة على الاريكة بلحيته البيضاء ، وهو ممسك بيده فم « الشيشة » التقليدية .

وفي نهاية القاعة سلم يصعد منه الى صالة كبيرة بالجناح الشرقي ، بها باب يؤدي الى حمام ، جدرانه وحوضه الكبير من رخام المرمر ، ونقشت صور الاسطول على اعتاب الابواب المتصلة بها . وتتصل بالصالة ست حجرات ما بين كبيرة وصغيرة حليت جدرانها وسقوفها بنقوش تمثل الشاكا وساعات ومناظر طبيعية وقطعا من الاسطول .

اول كسوة للكعبة

وقد فرش القصر بمفروشات وعرضت فيه





مقتنيات ، القليل منها يمثل عصر القصر ، والكثير منها — هو وما عرض فيه من تماثيل — لا يمت الى القصر بصلة لا تاريخيا ولا فنيا .

وتلتقى الجدران من اعلاها بنقوش محفورة بينها دوائر بيضاوية حوت ادعية واشعارا بلغة تمثل اعداد سور وغيرها .

احدى هذه الحجرات بها اول كسوة اهدتها مصر لتكسى بها الكعبة وكان ذلك في عهد اسماعيل ابن ابراهيم بن محمد علي . الكسوة من القماش السميك الموشى بخيوط الذهب والفضة . وقد تكلفت هذه الكسوة نحو ١٧ الف جنيه . ومنذ ذلك التاريخ ومصر تصنع كل عام كسوة تهديها مع بعثة خاصة تسافر من مصر الى مكة المكرمة في موسم الحج لتكسى بها الكعبة . وقد بلغ من اهمية هذه الكسوة ان انشأت لها الحكومة في مصر مصلحة اسمها مصلحة الكسوة . ولكنها الغيت منذ عامين عندما توقف ارسال الكسوة بسبب بعض الظروف الطارئة .

ومن الساحة بين المسجد والقصر ، تستطيع ان ترى القاهرة القديمة بمناراتها وقبابها تطاول السماء ، والقاهرة الحديثة بعماراتها الجديدة ، وترى الاهرام والنيل ، انه منظر من اروع ما يمكن ان تقع عليه عين في القاهرة . خصوصا عندما تغرب الشمس .. انها لحظة من لحظات العمر .

قصور الحرم

وقبل ان تدور بنا السيارة لتنزل من القلعة في الطريق الهابط نحو ميدان صلاح الدين نرى ثلاثة قصور متباينة كان اسمها قصور الحرم .. وكان يسكنها نساء اسرة محمد علي . القصر الاوسط والقصر الشرقي منها يشغلهما الآن المتحف الحربي . وهذا المتحف يشتمل على تحف واسلحة وملابس وادوات حرب ، وصور ملونة ولوحات وخرائط تعين على تتبع الفنون الحربية وادوات الحرب من ايام الفراعنة حتى الوقت الحاضر .

وتستطيع ان ترى في المتحف الحربي اشهر الوقائع الحربية التي حدثت في عصور التاريخ المختلفة .. خصوصا ما كان منها بمصر . وقد صورت وجسمت في اشكال بارزة . وبالمتحف مكتبة بها نحو عشرة آلاف كتاب عسكري باللغة العربية والانجليزية والفرنسية . ومجموعة كاملة من المجلات العسكرية التي تصدر في مصر وفي العالم .

مسجد قانيباى

والآن ننزل الى ميدان صلاح الدين .. اذا نظرت الى الجهة البحرية تجد اجمل قبة مسجد .. انها ليست مثل القباب الذهبية في بغداد والنجف الاشرف ، وليست مثل القباب الملونة المزركشة على الطريقة الفارسية . ولكنها قبة من النماذج القيمة التي تتجلى فيها عظمة القباب المملوكية ، فهي بارزة عن واجهة المسجد الشرقية ، وبنواحيها عمد حجرية مستديرة ، كما نقش سطحها الحجري بزخارف مورقة جميلة . ومكتوب حول رقبتها آية الكرسي واسم المنشئ (قانيباى امير اخور) وقد احيطت جدران القبة من الداخل بوزرة رخامية انتهت بافريز نقشت فيه زخارف طعمت بالصدف الملون ، كما يحيط بمربعها طراز مكتوب فيه اسم منشئ القبة والقابه وتاريخ الفراغ منها سنة ٩٠٨ هـ — ١٥٠٢ م .

دار الفنانين

خلف هذا الجامع فى الناحية التى هى بجواره .. دار اشتهرت بدار الفنانين .. او دار « على لبيب » انها من اواخر القرن الثامن عشر (الثاني عشر الهجري) لها واجهة كبيرة تشرف على درب اللبان الشهير ، حليت ببارزات محمولة على كوابيل ، وبها (مشربيات) الخرط الجميلة ، ويشرف على الحوش الاول مقعد صغير امتاز بوجود بارزة فيه ، ذات ثلاث فتحات ودرابزين وزخارف من خشب الخرط ، وحليت اعتاب الحجرة اسفله بزخارف جميلة محفورة في الحجر ، ويعلو باب القصر شباك من خشب الخرط الدقيق به شكل قنديل ، والدار لها حوشان ، وحجراتها عادية بسيطة .

وميزاتها هي المشربيات والشبابيك المخروطة من الخرط الدقيق والتي تطل من جميع واجهاتها .. خصوصا تلك الواجهة المشرفة على جامع قانيباى .

ويبدو ان مالك الدار الاول كان محبا للفن ، حيث نرى على جدران حجراته الطوبية رسوما شعبية تمثل مباني وحدائق يحبرها المزخرفون هي وامثالها من بواكير الفنون الشعبية التي شاعت في كثير من دور القاهرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين .

ومنذ سنوات عديدة ، وقع اختيار الفنانين

الاجانب والمصريين على هذه الدار ، فاستأجروا غرفها وأدوارها مراسم لهم ، وفيها تربى وتخرج جماعة المصورين والرسامين المصريين ، وما زالت الدار تزخر بمجموعة منهم .

والواقع انهم احسنوا اختيار هذه الدار لوقوعها في منطقة تعج بالآثار وهي مشبعة بروح الفن . فاينما اتجه فيها الفنان وهو في طريقه الى مرسمه يرى تلك المجموعة من الآثار تحتضنها الحدائق ، واذا ما اطل من شرفة مرسمه طالعته تلك المآذن برشاقتها . والقباب بنقوشها ، والدور بمشربياتها .

تكية .. وباب ..

واللطيف ان كل الدور في درب اللبان كانت مطلة بالشبابيك والمشربيات ، ويسكنها ايضا بعض الفنانين . ويقول العالم الكبير في الآثار الاسلامية ، الاستاذ حسن عبد الوهاب ، ان من واجب وزارة الثقافة بالقاهرة ان تعنى بتلك الدور لتعيد الى واجهاتها رونقها الاثرى ، باعادة مشربياتها وشبابيكها على النسق القديم لتنسجم مع دار الفنانين ، على ان تخصص جميعها مراسم للفنانين وبذلك يوجد حيا للفنانين (حي شاعري).

والآن نترك منزل الفنانين ونسير قليلا في حارة درب اللبان ، هذا باب تكية تقي الدين البسطامي، ويجاورها باب درب اللبان ، ومنهما تتكون زاوية الرؤية مالئة اعجاب الرسامين دائما .. والمصورين .

هذه التكية كانت مخصصة منذ القرن الثالث عشر الميلادي لفقراء الاعجام ، ونالت رعاية الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم الملك الظاهر ابى سعيد جقمق ، وبابها الحالي يرجع الى عمارته لها سنة ٨٤٧ هـ – ١٤٤٣ م .

اما باب درب اللبان ، الملاصق لباب التكية والمكون لتلك الزاوية الفنية ، فانه يرجع الى منشآت القرن الرابع عشر ، ولعله من مخلفات احدى الدور المملوكية التي كانت في هذه المنطقة ، وهو باب جميل به تطعيم بالرخام .

وعقوده مسودة ومزينة ومحيرة . وكان لتلك الزاوية نصيب محظوظ من صور المصورين والرسامين .

مدرسة السلطان حسن

والآن ..

قاربت جولتنا في القلعة من نهايتها ..

نحن الآن نواصل انحدارنا في الطريق المؤدي الى شارع محمد علي .. هذه الصورة التي لا تنسى .. الشارع الواسع القوي الممتد ينحدر بين علمين المسجدين الشاهقي الارتفاع حتى ليبدو ذلك الشارع ضيقا مظلما .. والسيارة مسرعة تهوي الى اسفل في سرعة مخيفة ..وبوقفنا هنا الى اليمين .. ريثما نعبر الطريق ونجول جولة في الجامع الشاهق الذي بني ليكون مدرسة السلطان حسن !

انهم يعتبرون هذه المدرسة من مفاخر العمارة الاسلامية، لا يعادلها بناء آخر في الشرق باجمعه .

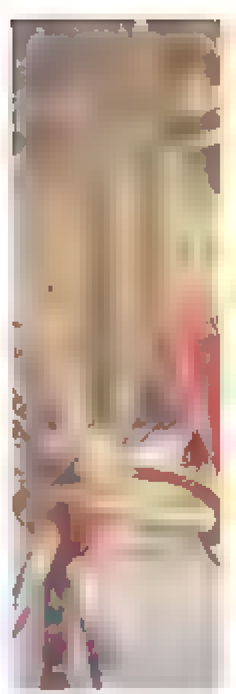
و « المدرسة في هذا العصر هي المسجد من حيث اقامة الشعائر الدينية واقامة الخطبة فيها ، وقد ظهر تصميم خاص لهذا النوع من المدارس في نهاية العصر الفاطمي في مصر ، اعدت لدراسة المذاهب السنية ومكافحة المذهب الشيعي . وهي تختلف عن تصميم المسجد ، الا انها تحتوي على اربعة ايوانات ، ويختص بها ـ عادة ـ صالة تعلوها قبة تحمل التشييد ، السلطان حسن . ونسب الخواجا « خليل الشامي » الى السلطان حسن انه قال : « لولا ان يقال ان ملك مصر عجز عن اتمام بناء بناه ، لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما صرف عليه » .

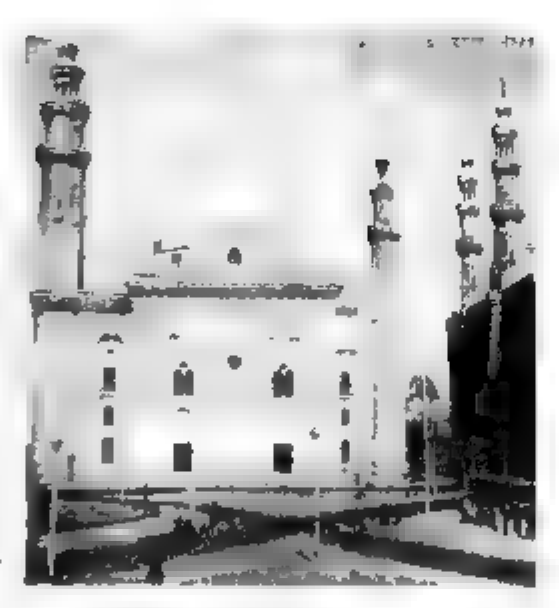
ان المقريزي يصف مدرسة السلطان حسن فيقول « لا يعرف في بلاد الاسلام معبد من معابد المسلمين يحاكي هذا الجامع . وقبته لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها » .

وقال الرحالة المشهور « ابيرس » ان كل ما رآه في الجامع مركب في ملكته تركيبا هادئا منسجما . فاذا امعنت النظر في زخارف ايوان القبلة وقبة القبر جزءا جزءا ، احسست احساس الرضا ، فهناك ثروة فنية واشكال رشيقة بارعة » .

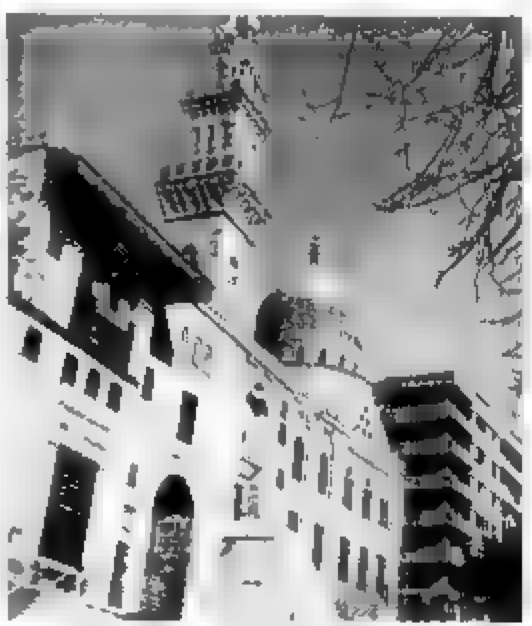
الجمال المحزونة

وكتب عنه برومار في كتاب وصف مصر : « انه من اجمل مباني القاهرة والاسلام ويستحق ان يكون في الرتبة الاولى من مراتب العمارة العربية بفضل قبته العالية وارتفاع سلمية ، وعظم اتساعه وفخامته ، وكثرة زخارفه التي تكسو الرخمية والجدران في اوضاع بسيطة خاصة بهذه العمارة ، كما ان معاني الخشب والبرونز التي





مسجد قايتباي [illegible]
[illegible] كما يبدو من الخارج



الجديد و[illegible] في حي القلعة [illegible] صورة حديثة
[illegible] عمارات وزارة الاوقاف على ناصية شارع
[illegible] ومن خلفه المسجد [illegible]
[illegible] كاملة [illegible]
وتبدو [illegible] .

تكسو الابواب الخشبية والنحاسية محفورة حفرا فنيا » .

وكتب عنه المصور الشهير ليحوار : « ان جامع السلطان حسن يشرف على القاهرة كلها،واسلوب بنائه من ارقى الاساليب المعمارية ، وساحته عظيمة ، ولذا يعد اجمل جامع في الشرق كله بلا نزاع » .

اما المؤرخ ابن تغرى بردى فيقول : « ان هذه المدرسة ومئذنتها وقبتها من عجائب الدنيا ، وهي احسن بناء بني في الاسلام » ويقول الورثيلاني الرحالة المغربي « انه مسجد لا ثاني له في مصر ولا في غيرها من البلاد في فخامة البناء ورياضته ، وارتفاعه واحكامه واتساع حناياه وسعة ابوابه كأنه جبل منحوت تصفق الرياح في ايام الشتاء بابوابه كما تفعل في شواهق الجبال » .

اربع مآذن

ان مساحة هذه المدرسة ٧٩٠٦ متر مربع ، وارضها مفروشة بالرخام الملون ، وكان لها عند اول بنائها اربع منارات ، اثنان حول القبة ، واثنان فوق المدخل الرئيسي . وقد سقطت اثنتان منهما وبقيت اثنتان .

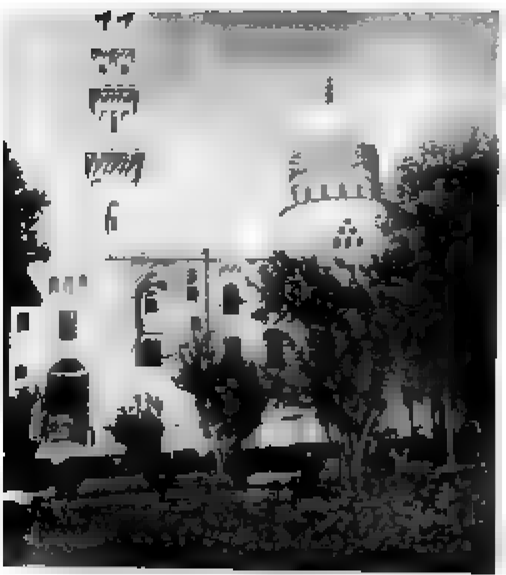
وقد اكمل السلطان قبل ان يتم بناء هذا المسجد ، (المدرسة) ، ولذلك كتب على كل باب من ابواب المدارس الاربعة التي خصصت لدراسة المذاهب الاربعة داخل البناء

« بسم الله الرحمن الرحيم امر بانشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن بن مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك في شهور سنة اربع وستين وسبعمائة لدراسة المذهب . . . الشافعي او الحنفي او المالكي او الحنبلي » .

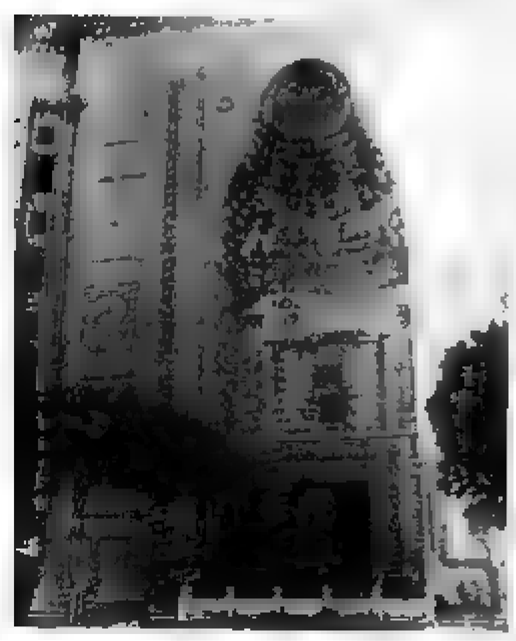
وفي وسط الصحن فسقية للوضوء ، وهي قبة خشبية اقيمت على ثمانية عمد رخامية وكتب في اسفل القبة آية الكرسي ، وكسيت مصاريع الابواب بالنحاس المفرغ باشكال زخرفية جميلة ، وهي من اكبر والفخم واهم المصاريع النحاسية في تاريخ العمارة الاسلامية .

ان طول اطول ضلع في هذه المدرسة يبلغ ١٥٠ مترا ، واطول عرض ٦٨ مترا ، ويبلغ ارتفاع المئذنة من صحن الجامع حوالي ٨٢ مترا .

وحول صحن المدرسة اربعة ايوانات اكبرها ايوان القبلة ، وهو ايوان كبير لا نظير له في سعته



مسجد الرفاعي الى اليمين ومسجد السلطان حسن الى اليسار وبينهما الشارع الموصل الى القلعة [illegible] عدة ابنية تتوسط ميدان مدرسة السلطان [illegible] لدى جميع الخبراء [illegible] من احسن مباني العمارة في العصر الاسلامي



واجهة مدرسة السلطان حسن التي تحولت الى جامع سمي باسمه جامع السلطان حسن [illegible] وهو مواجه مسجد الرفاعي وطرازه في الارتفاع للحوائط

وارتفاعه ، اذ تبلغ فتحته ٢٠,١٩ مترا ، ويحيط به افريز من الجص النافر ، مكتوب فيه بالخط الكوفي المزهر على ارضية زخرفية ما نصه :

« اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا . هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ، ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم ، وكان ذلك عند الله فوزا عظيما . » صدق الله العظيم .

واربع مدارس داخل المسجد

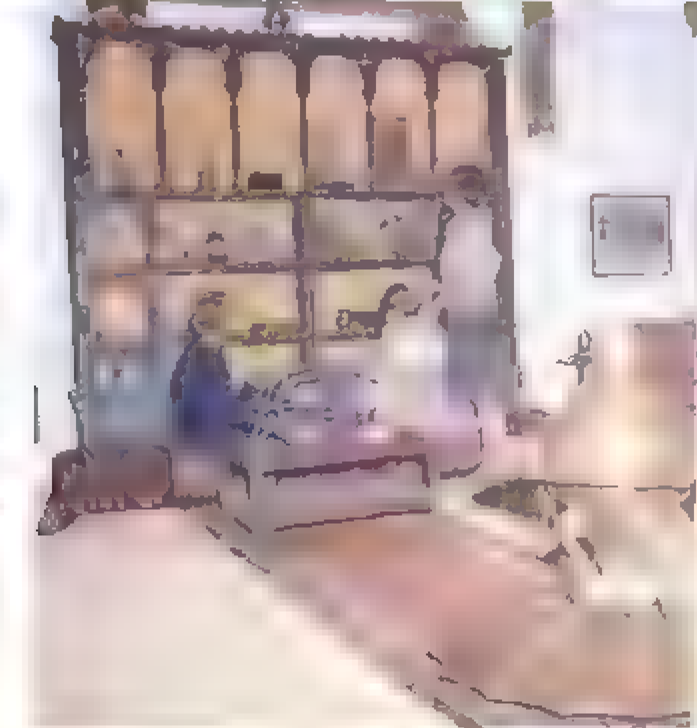
اما القبة فمربعة طول كل ضلع من اضلاعها ٢١ مترا وارتفاعها ٤٨ مترا ، وبها محراب رخامي لا يقل اهمية عن محراب الايوان الشرقي ، وهي مؤزرة بالرخام . وبالجانب الغربي منها اربيعة كبيرة ملبسة بالرخام الملون . وبها طراز خشبي منقوش مذهب مكتوب به بالحروف البارزة الكبيرة آية الكرسي وتاريخ الفراغ منها سنة ٧٦٤ هـ .

وكان يتدلى من عقود الايوانات واوتار القبة مجموعة من السلاسل النحاسية كانت معدة لحمل مشكاوات زجاجية للاضاءة . مزخرفة بالمينا باشكال زخرفية وكتابات وعليها اسم السلطان حسن . وقد حفظ ما تبقى منها وعددها ٤٢ مشكاة بمتحف الفن الاسلامي .

ويحيط بالصحن اربع مدارس للمذاهب الاربعة تعتبر في تصميمها مساجد صغيرة اكبرها المدرسة الحنفية اذ تبلغ مساحتها ٨٩٨ مترا ، ويتكون كل منها من ايوان وصحن تتوسطه فسقية ، ثم طبقات بعضها فوق بعض تشرف على صحن المدرسة وعلى الواجهات .

طبيبان بالمدرسة !

والطريف ان السلطان حسن كان قد اختار لهذه المدرسة قبل وفاته مدرسين ومراقبين وعين لهم المرتبات ، وكان لكل مذهب من المذاهب الاربعة شيخ ومائة طالب . ومدرسون لتفسير القرآن والحديث ومقرئون ومفتي . وكان بالمدرسة مكتب بها ايتام [illegible] ومن طبيبين مسلمين [illegible]





والآخر للعيون يحضر كل منهما كل يوم بالمسجد ليداوي من يحتاج الى علاج من الموظفين والطلبة ، كما رتب طبيبا ثالثا للجراحة .

ونظرا لوقوع هذه المدرسة امام قلعة الجبل ، اتخذها المماليك حصنا لهم يدافعون به عن انفسهم امامها ، فحينما تقع فتنة بينهم يصعد الامراء واتباعهم الى اعلى المدرسة ويضربون القلعة .

مسجد الرفاعي

وعندما نخرج من مدرسة السلطان حسن ، يطالعنا ذلك العمود الشامخ ، الذي يقع تجاه المدرسة مباشرة .. مسجد الرفاعي .

ان مسجد الرفاعي ومدرسة السلطان حسن كلاهما يشهد بعظمة البناء وفخر العمارة الاسلامية في العصرين القديم والحديث .. فقد انشىء مسجد الرفاعي في القرن العشرين .

وفي كتاب وصف مصر للحملة الفرنسية لوحة تمثل زاوية الرفاعي في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وما جاورها من ابنية . وفي سنة ١٢٨٦ هـ ـ ١٨٦٩م امرت المرحومة خوشيار هانم والدة الخديو اسماعيل بتجديد زاوية الرفاعي ، فاشترت الاماكن المجاورة لها وهدمتها ، وعهدت الى المرحوم حسين باشا فهمي وكيل الاوقاف وقتئذ ، باعداد مشروع لبناء مسجد كبير تلحق به مدافن لها ولاسرتها وقبتان للشيخين علي ابي شباك ويحيى الانصاري .

ولا شك ان مدرسة السلطان حسن كانت حافزة للمهندس على مجاراتها سموا وارتفاعا .

والغريب ان هذا المسجد سمي باسم الرفاعي خطأ . فان السيد احمد الرفاعي الولي الصالح لم يدفن بمصر ، ولكنه مدفون بالعراق . ولكن المسجد منسوب الى حفيده الشيخ علي ابي شباك .

وتبلغ مساحة المسجد ٦٥٠٠ متر ، منها الجزء المخصص للصلاة ومساحته ١٧٦٧ مترا ، وخصصت المدافن وملحقاتها بقية المساحة .

ربع قرن

وبعد ان بدأ العمل في المسجد توفيت خوشيار هانم فتوقف العمل نحو ربع قرن باكمله !

وفي سنة ١٩٠٥ استؤنفت العمارة وكلفت مباشرة هرتس باشا باشمهندس الآثار العربية وقتئذ . وبعد سبع سنوات افتتح المسجد بصلاة الجمعة في سنة ١٩١٢ م .

والواقع ان حسين باشا فهمي المهندس المعماري الذي اراد ان يجاري مسجد السلطان حسن في العظمة والارتفاع ، لم يوفق في تصميم الواجهات ، ومع ذلك فان الاثريين يعرفون انه من خيرة المساجد التي انشئت في القرن العشرين، واحفلها زخرفا ، واتمها صناعة .

وقد نجح مهندسه كل النجاح في محاكاته لمدرسة السلطان حسن في ضخامته وارتفاعه ، فالداخل احيطت بانواع العظمة ، ببيت شاهقة ، تكتنفها العمد الحجرية والرخامية بتيجانها العربية .

وقد امتازت منارتاه بالرشاقة والجمال ، واقيمتا على قواعد مستديرة مثل منارتي مدرسة السلطان حسن، والشبابيك النحاسية بالواجهات وضع لها تصميم خاص برسوم جميلة بزت بدقته ما سبقها من قديم وحديث .

اما التركيبات النحاسية العربية والمشكاوات الزجاجية المشغولة بالمينا ، فقد صنعت خصيصا لهذا المسجد في بوهيميا ، على مثال المشكاوات الاثرية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين .

والآن ...

بعد ان انتهت جولتنا في آثار قلعة صلاح الدين .. تمرق بنا السيارة خاطفة كالسهم الى شارع محمد علي حتى نصل الى ميدان العتبة الخضراء .. ثم نلوب في شوارع القاهرة .. القاهرة التي يعرفها سكانها واهلها .. شارع فؤاد ـ سليمان باشا ـ شارع عدلي .. الخ ..

اما القاهرة التي يعرفها السياح والاجانب فهي تلك التي كنا نطوف بها منذ قليل ، هناك في قلعة صلاح الدين وجامع محمد علي ومدرسة السلطان حسن وقبة قايتباي .. هذه المآذن والقباب .. هذا الجو الشرقي .. هذه الرائحة الخاصة التي تنبعث من دروب اللبان وخان الخليلي وزقاق المدق ..

هذه هي القاهرة الاصيلة ..

هذه هي رائحة الشرق العتيد ..

بزخارفه والوانه وعظمته .. وبروحه .. روحه التي يقطع السائح من اجلها آلاف الاميال ليبقى قلبه بين جنبيه ولو مرة واحدة نبضة من اعماق الشرق الاصيل .

رجاء مكاوي

ملحمة عمورية

غزا الروم بلدا عند الحدود كان ولد به المعتصم ، واستباحوه قتلا وسبيا واقبل الروم على امرأة عربية ، فصاحت على البعد تستنجد : وا معتصماه ! وما بلغ المعتصم نداؤها حتى مضى الى الروم بجيش جرار !

بقلم : خليل الهنداوي

■ من الحق أن نعترف بأن الشعر العربي خلا من « الشعر الملحمي » و « المطولات القصصية » التي نرى أمثالها في آداب الأمم التي سبقت العرب في تسجيل شعرها . ومن الحق أيضا أن هذا الضرب من الشعر قد انطوى . لأنه لم يعد يجد المادة القصصية التي كان يستقيها من الخوارق والأساطير .

ولئن فات العرب أن يعطوا هذا اللون في جاهليتهم ، فلم يفتهم أن يتركوا منه بعض الشذرات الرائعة التي تتجلى في شعر بعض أبطالهم . كعنترة الذي أجاد وصف الحرب لأنه عاشها ، وأحس في أحضان الحسام والرمح صديقين له . وبعد ذلك ، شرع في استنطاق الجواد الذي راح يشكو بدموعه المتحدرة . . . ولكن هذه اللمحات « الملحمية » بقيت أصداء بعيدة عن أن تؤلف « ملحمة » بالصورة التي أتى بها هوميروس Homeros شاعر اليونان في الإلياذة الخالدة .

ولا نستطيع أن نرد هذا التقصير الى أن العرب أمة لم تعرف الحروب ، وإذا عرفتها فاتها أن تجيدها . على أن تاريخهم المحدود — خلال عصور متواصلة — ما هو الا أدوار من معارك ضارية في الجاهلية ، وأطوار من مواقع غالبة في الاسلام . ولذلك عرفوا الحرب ، وتمرسوا بها ، وأسبغوا أطماعهم عليها . ولكن طبعهم الذي يعتمد على اللمح ، ونفسهم الشعري الذي صيغته الغنائية ، وبيتهم الواحدة التي لا تتعدى آفاقها ، كل هذا جعلهم أهل شعر « غنائي » لا يعوزه الا بما يتحدر عن الوجدان الذاتي .

مظاهر الشعر الملحمي

وإذا استطعنا أن نلمس بعض مظاهر الشعر الملحمي في شعر عنترة الذي وقف حياته على الحرب ، فإننا نقع على كثير من هذه المظاهر الملحمية في الشعر الاسلامي الذي نظمه أصحابه خلال

المعارك المتتابعة التي كانت تثور بين العرب والروم ، على الحدود حينا ، وفي قلب البلاد الرومية حينا آخر . وخير من مثل هذه المظاهر شاعران كبيران هما أبو تمام والمتنبي .

ولهذا الشعر خصائصه الفنية التي لا نرده الى مصادر التاريخ وحده ، لأن التاريخ هو آخر ما يفكر فيه الشاعر ، ولكن هذه الخصائص تتبدى فيما تعرضه علينا من تصوير فني للمعارك لا نحسن استيعاب تصويره ، وتمثل لنا عادات المحاربين ، وتعطينا لبوسهم ، وتصف ملامحهم وألوان وجوههم في كرهم وفرهم . وما كان أجدر مؤرخينا بالعودة الى هذا الشعر الفني بوصفه ، ليربطوا ما بينه وبين ما أورده المؤرخون السابقون في ما سجلوه من هذه المعارك .

يدل على ذلك هذا الشعر العباسي بمقاطعة القتال ، واتصال هذا الشعر بالأحداث التي لا تكاد تخلو منه ، اذ لا نعرف شعرا استوحى الحروب كالشعر العربي .

ملحمة عمورية خلدها أبو تمام

لنأخذ الآن مثلا على ذلك « ملحمة عمورية » التي خلدها أبو تمام في قصيدة لا تزال من عيون الشعر ، لا باعتبارها قصيدة في مدح الخليفة المعتصم ، فالمدح أهون ما جاء فيها ، ولكن باعتبارها ملحمة تشترف على وصف المعركة وصفا حيا من بدئها الى منتهاها ، حتى خلفت الينا عملا فنيا رائعا متماسكا .

« وامعتصماه ! »

وعمورية هذه مدينة من أعظم بلاد الروم في آسيا الصغرى ، وهي احدى مواصمهم ، يعتزون بها لوقوعها المنيع في قلب مملكتهم . أرادها المعتصم دون غيرها من المدن ، لتكون ثمنا للثأر في زبطرة Azopetra البلدة الاسلامية الواقعة على الحدود ، وفيها ولد المعتصم . مر بها « تيوفيل » ابن ميخائيل (١) ملك الروم في احدى غزواته ، فاستباحها قتلا وسبيا . وفي هذه الأثناء نادت امرأة مسلمة اقبل عليها الروم « وامعتصماه ! » . فبلغ ذلك المعتصم ، وكان في يده كأس ماء فلم يشربها ، وأمر بتجنيد الجيش ، وانتقى عمورية ذاتها — وهي مسقط رأس ملك الروم — موضعا لثأره .

العرب غزوا القسطنطينية غزوات خمسا

وليس غزو العرب لبلاد الروم في هذه الفترة بالغزو الأول ، اذ كان الغزو متبادلا بين الاثنين ، كلما سنحت فرصة لواحد منهما اقتنصها ، وتجاوز حدود عدوه غازيا سالبا . ومن ذلك « الصوائف » عند العرب ، وهي غزوات صيفية اختصروا بها بلاد الروم ، ولكن أهم الغزوات التي صممها العرب لضرب الروم الضربة القاضية هي تلك الغزوات التي وجهوها نحو القسطنطينية معقل الروم ، عاصمتهم . ومجموعها خمس غزوات أحاطت بالقسطنطينية ، ثلاث منها في الدولة الأموية ، والثنتان في الدولة العباسية ، لكن منعة هذه المدينة ، وما أعد الروم لها من تمكين الحصار رد العرب عنها . ولعل الغزوة الثالثة الأموية لها كانت اشد هجوم قام به العرب على هذه المدينة المنيعة ، لكن طول أمد الحصار ، واهوال برد الشتاء الشديد ، وتفشي الأموات ، وانتشار الأوبئة ، كل ذلك حمل العرب على الارتداد عن منازلة هذه المدينة . ولا شك ان اخفاق العرب في هذه الغزوة لا يعود الى تنظيم الروم ، ولا الى بطولة جيوشهم ، لأنهم كانوا يؤثرون الانسحاب ، والاختباء وراء أسوارهم وحصونهم المنيعة ، معتمدين على الطبيعة القاسية والموانع الطبيعية التي تقيهم بأس العدو المحيط بهم . وما كان للعرب عهد من قبل بمثل هذه الطبيعة التي تقطع المسالك بالثلوج والأمطار والوحول . وهم أهل صحراء من رمال ، لا أهل سهوب وجبال من ثلوج وجليد . ولا شك ان هذه الصورة الأولية كانت حديثة على السامع ماثلة في الأذهان ، وان من ابطالها من لا يزالون احياء فتملك يرون الكثير من

(١) العربي : هو تيوفيلس ، امبراطور بيزنطة ، خلف أباه ميخائيل الثاني عليها ، حكم منذ عام ٨٢٩ م الى عام ٨٤٢ . ويقول مؤرخو الامبراطورية انه في هذه الحرب اشتبك مع العرب في معارك فاصلة ، وانه حارب تحديس الصور ، وذلك أثرا لا شك بالمبدأ الاسلامي

مشـاهدات هذه الغزوة . ولكن المعتصم لم يضع القسطنطينية وجها له هذه المرة خوفا من المصير السابق ، لكنه اختار مدينة ثانية عزيزة على الروم وملك الروم لايسقط رأسه . وفي ضربه لها تيل من كبرياء الروم ، وثأر للمدينة السبية .

لا تفتح الا فى فصل التين والعنب

ولما جمع المعتصم قواده ورجاله ــ والمنجمين ــ الذين لا يزالون يحتفون بالرأى الراجح لاعتمادهم على الغيب ، واستنطاق النجوم بما يحمل الغيب، اشاروا عليه بأن الحملة صائرة الى الخيبة لا محالة . بذلك انبأت النجوم ، وبذلك اشار القواد لان مدينة عمورية ــ كما ورد فى كتب الطوالع ــ لا تفتح الا فى فصل نضج التين والعنب . ومن الحق ان هذه الفكرة لا تعود فقط الى ــ نبأ النجوم ــ وانما تعود الى ان المسالك الطبيعية الى هذه المدينة لا تكون مسلوكة الا فى فصل الصيف ، وهو فصل نضج التين والعنب ، واذا قدروا ان العدو سيحميه الاقوات واسباب المقاومة طيلة هذا الصيف ، فان الحصار سينتهى الى اخفاق حين يبدو نذر الخريف والشتاء . ولكن المنجمين لا يرجعون هذا التفسير المنطقى ، وانما يعتمدون على طوالع يردونها الى النجوم ، ومن ذلك ظهور النجم المذنب الذى لا يبشر بخير ، فى قول الشاعر :

وخوفوا الناس من دهياء مظلمة
اذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب

ولكن المعتصم « المعتزلي » الذى لا يؤمن بهذه الاشياء التى لا يقرها العقل ، يلقى هذه الحجج كلها ، ويصر على منازلة « عمورية » مهما كانت العواقب ، وفى نيته أن يسير الحملة ويسوقها الى غايتها ، ويستنفد ما اراد منها قبل ان ينقضى الصيف عليها فى تلك الربوع ، لأنه بلحظه الوقاد ادرك ما يجول فى نفوس القواد من جزع ، وفى نفوس المنجمين من ترصد ، وهو عامل بعد ذلك على ان يتقى كل الاسباب التى تحطم حملته .

الجيش يمضى الى عمورية

ويمضى الجيش الى سبيله فى اوائل الربيع متجهزا بما لم يتجهز به جيش قبله من السلاح والعدد والآلة ، يقطع المسالك المخوفة ، ويجوز المجاهل البهيمة ، لا يقف فى وجهه واقف ، ولا يصده عن غرضه صاد ، حتى اشرف على المدينة البكر ، التى كانت عزيزة على الروم ، وهى « عمورية » التى اعيا كسرى فتحها فى ماضى العصور ، والتى تخطاها الاسكندر خشية من مقاومتها ، فلذلك هى تزهو بنفسها . وتزيدها زهوا ان ابدى الحوادث لم تستطع ان تمد اليها كفا ... وقد عرج المعتصم قبلها على مدينة « انقرة » التى تحمى جوانبها ، فتركها موحشة الساحات ، واقبل على عمورية يحيط بها من جميع الجوانب . تاركا ما عداها من المدن الصغيرة « دون ان يعرج على الاولاد والطنب » .

طال الحصار ، وليس فى الحوادث ما يشير الى قرب استسلام المدينة ، ومشى الملل والضجر فى نفوس المهاجمين ، والصيف قد بدا ينسحب قليلا قليلا . وليس حصر القيام بهجوم مركز على اسوار المدينة الا القيام بعملية انتحار قد تؤدى الى الاعتزال ، لانهم كانوا يعتمدون على حصونهم واقواتهم التى ادخروها ، وهم يعتقدون بان مدينتهم اعز من ان تخضع ، ويرددون فيما بينهم ما يقوله شاعرهم :

وقال شاعرهم : لا مرتع صعد
للسارحين ، وليس الورد من كثب

نبال تحمل خرقا من نار

بعثت اليه القلق والخوف تسرد على مسامع المعتصم ، وهو معتصم بالصبر والعزم ، ــ فخرج ذات ليلة يتفقد مواقع جنده ، ويطلع خفية على معنوياتهم ، فشاهد حلقة من الجنود ، وسمع واحدا منهم يقول :

ــ ليتنى اعطى ملقاه المعتصم ، لاعطيه خطة لا تخيب فى فتح هذه المدينة .

فبعث المعتصم خلا اليه ، وطلب منه ان يفصل هذه الخطة (1)

فقال الجندى .

ــ ان اكثر ابنية هذه المدينة من خشب ، والاسوار التى تحيط بها من خشب ، فلو جمعنا ما عندنا من نبال ، واحضرنا النفط حتى يطلى ، ثم لففنا هذه النبال بخرق وغمسناها فى النفط واشعلناها

(1) رأيت هذه الخطة فى ورقة من كتاب قديم لم يسمى مصرفه .

ستضطرم النار فيها .. وتحدث الهلع والرعب في نفوس القوم ، وتيسر لنا سبيلا الى المدينة ..

استمع المعتصم الى هذه الخطة ، وقلّبها بعين البصير ، فاقتنع بصحتها .. وأمر بما أشارت اليه الخطة ..

في مساء تلك الليلة المشئومة على الروم ... كانت العيون ترى ألسنة من النار تحيط بكل مكان حول المدينة ، وتحتها مراجل من النفط تغلي ، ثم امتدت اليها النبال المشدودة بالخرق المشتعلة ، وبدأت الأقواس ترمي هذه النبال ، فتنطلق ، وتعلق بالأسوار والبيوت ، وتترك ألسنة من اللهيب هنا وهنا .. وما هي الا ساعات حتى كانت المدينة تحت ستار من النار الساطعة التي أحالت الليل نهارا .. ومن فوقها سحب من الدخان القاتم ، تنجلي مرة بفعل الريح ، وتتلبد مرة .. والمحاربون العرب واقفون على أسلحتهم ينتظرون لحظة الانطلاق .

وباتت المدينة صريعة بين ألسنة اللهيب ، وتراخت عنها قبضة الحصون والأبواب التي استعصت زمانا .. وعند ذلك انقض العرب على أعدائهم ، يفترسونهم في الشوارع والبيوت ، حتى حانت ساعة النصر ..

والى ذلك الحريق يشير أبو تمام في أبياته الرائعة

لقد تركت أمير المؤمنين بها ... للنار يوما ذليل الصخر والخشب

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى ... يشله وسطها صبح من اللهب

حتى كأن جلابيب الدجى رغبت ... عن لونها ، أو كأن الشمس لم تغب

ضوء من النار ، والظلماء عاكفة ... وظلمة من دخان ، في ضحى شحب.

وبعدها وكأن الهزيمة تريد الاستسلام ، ولكن العرب يأبون ذلك ، لكثرة ما احتملوا من اعتداء الروم ، وهدمهم للمدن ، وقتلهم للأبرياء ، برغم ما راح يعرضه عليهم قائد الروم من أموال يريد أن يشتري بها سلامته ، وسلامة مدينته . حتى اذا يئس من عرضه ، وأيقن أن المعركة قد انقلبت الى كارثة تهدده ، ركب أسرع مطاياه ، وولى هاربا ، قانعا بالسلامة ، متجها الى عاصمة ملكه ، وهو ينفض غبار الموت عن رأسه ، ويمسك أحشاءه التي تضطرب من الخوف . وكان حصاد هذه المعركة تسعين ألفا من المحاربين ، والوفا غيرهم التهم شفرات السيوف ، والوفا غيرهم جثوا على ركبهم يطلبون الأمان .

تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت ... جلودهم قبل نضج التين والعنب .

ولئن كان العرب أبوا أن يقبلوا الفدية التي عرضها قائد الروم عليهم ، بالرغم من وفرتها ، فلأنهم ، هذه المرة ، لم يخرجوا من بلادهم طمعا في الغزو والسلب ، وانما خرجوا لتأديب هذا العدو الذي بغى بتدمير المدن الآمنة ، وترويع السكان في منازلهم .

إن الأسود ، أسود الغاب ، همتها ... يوم الكريهة في المسلوب لا السلب.

غزو القسطنطينية يراود المعتصم

حتى اذا انتهت معركة الثغر بما يرضي هدفه الخطيطة ، ويحقق الغرض الذي خرج من أجله ، فكر المعتصم في الخطوة الثانية .

أيكمل المعتصم زحفه على عاصمة الروم ؟ ويكتب عليها مثل القدر الذي نزل بعمورية ؟ أم يعود أدراجه مكتفيا بما حققه ؟

لا شك أن المعتصم دفعته الأمنية الأولى ، وأطمعه هذا النصر الى السير نحو هدفه حتى النهاية ، وهذا الهدف هو القضاء على الامبراطورية الرومية الشرقية قضاء نهائيا . ولكن الأمر ما لم يوال المعتصم زحفه نحو الغرب ، وآثر أن يعود الى مملكته مزهوا موفورا .

قد تكون هنالك عوامل عدة أقعدت المعتصم عن عزمه ، منها اقتراب فصل الشتاء - وهو جنرال الروم الذي لا يغلب - وعدم تأهب الجيش لحصار طويل متعب ، وعدم استعداد المعتصم للقيام بفتوحات جديدة ، تحتاج الى استعداد كبير .

ولكن هذه العوامل مجتمعة لا تبرر الانسحاب ، بعد ما أشاع المعتصم في قلوب أعدائه موجة من الذعر ، وأصاب خطوط هجومهم ودفاعهم اصابة قاتلة ، ولكن الأمور الداخلية وحدها هي التي حولت المعتصم عن فكرة الفتح ، وجعلته يقنع بحرب مدمرة غير مستقرة

ابو تمام يتابع أحداث المعركة

كل هذه الصور تتلامح أمام أعيننا من خلال القصيدة التي تركها لنا أبو تمام وكان شاهد المعركة ، وليس الشاهد كالغائب ، قد أحصى

أحوالها ، وعاش تجربتها ووصف وقائعها ..

ولكن لا بد للشاعر أن يسخر من هؤلاء المنجمين الذين كذب طالعهم ، ويجعل نبوءتهم محض تخرص وأحاديث ملفقة ، لأن النصر لا تكتبه النجوم الثاقبة ، وإنما تكتبه القوة القاتلة .. وإلى هذا يشير بقوله :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
والعلم في شهب الأرماح لامعة
بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية ؟ بل أين النجوم وما
صاغوه من زخرف فيها ومن كذب !

ولا بد للشاعر أن يشيد بالمعتصم على هذه المعركة التي بلغت من المجد فوق ما يطلب من النار . ولا بد أن يمتدح فيه العزم والإصرار ، ووعد الكرامة .

لم يغز قوما ، ولم ينهد إلى بلد
إلا تقدمه جيش من الرعب
لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا
من نفسه وحدها في جحفل لجب
خليفة الله ، جازى الله سعيك عن
جرثومة الدين والإسلام والحسب
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها
تنال إلا على جسر من التعب

ولا بد للشاعر أن يجد شبيها لهذه المعركة بالنسبة إلى أنها كانت معركة حاسمة قطعت آمال الروم ، وأقعدتهم زمنا طويلا عن التحرش بالحدود ، فيراها أشبه شيء بمعركة « بدر » التي كانت الحاسمة بين الشرك والإسلام ، وبين قريش والرسول .

إن كان بين صروف الدهر من رحم
موصولة أو ذمام غير منقضب
فبين أيامك اللاتي نصرت بها
وبين أيام « بدر » أقرب النسب

اعتزاز .. وأسى ..!

وإذا كانت هذه المعركة ردت الروم ناكسي الرؤوس ، يتعثرون بالهزيمة ، صفر الوجوه ، هائمين على الدروب كالقطيع المجفل ، فإنها جلت وجوه العرب ، وردت إليهم إيمانهم بأنهم القدر الماضي تمرسا بالحروب .

أبقت بني الأصفر الممراض كاسمهم
صفر الوجوه ، وجلت أوجه العرب

ما قاله مؤرخو الروم

وبقدر ما تركت نتائج هذه المعركة في نفوس العرب من اعتزاز وتفاخر بها تركت رنة الأسى والأسف في نفوس الروم ، وقد سجل المؤرخون العرب حوادثها بمداد الفخر ، بينما سجلها مؤرخو الروم بمداد اليأس والقنوط .

وقد وقف المؤرخ « بيوري » في كتابه « الخلافة » صفحة (٢٦٩) من هذه الوقعة موقف اللائم العنيف على قسوة المعتصم الذي لم يقبل لسلام المدينة تلك الجزية التي عرضها قائد الروم .. والمعتصم – عنده – صاحب القلب الرقيق .

والمؤرخ يذكر هذه الحادثة عنه :

« رأى المعتصم شيخا ضعيفا في يوم مطير قد غاص حماره في الوحل ، وسقط ما عليه من الشوك الذي جمعه للتدفئة ، فنزل وأخرج الحمار من الطين ، وحمل الشوك فوضعه عليه ، ثم غسل يديه في غدير ، واستوى على دابته ، ولحق به حرسه بخيولهم ، بعد أن أمر بمكافأة الشيخ » .

ثم يتابع المؤرخ الحديث .

« هذا هو المعتصم الذي كان من شأنه هذا العمل ، رأى من الشرف أن يضحي بمدينة زاهرة يبلغ سكانها مائتي ألف نسمة ، ولتقدر الروايات بالآلاف .. إن هذا الخليفة نزل عن صهوة جواده ، وثوب رداءه الملكي ، ليخلص شيخا ضعيفا قد وقع حماره في حفرة من الطين ، ليس أدري أي هذه الأعمال قد ذكرها بالسرور والغبطة حين دعاه ملك الموت بالرحيل وهو على سرير موته ؟! »

إن هذا المؤرخ قد تناسى تلك الوحشية التي مارسها الروم على الحدود سنوات ، وما كان للحديد أن يفله إلا الحديد ، وما كان للحياة أن يصونها أحيانا إلا سلب الحياة .

لقد كانت هذه الحملة آخر الحملات الثقيلة التي أوغل العرب فيها في أرض الروم ، وما تلاها بعد ذلك لم يكن هدفه إلا « الضرب والهرب » .

وبعد ، ألا نجد في هذه القصيدة ملحمة رائعة من الشعر العربي ، ترتفع إلى شأو الملاحم الكبرى بصدق تصويرها ، وشمول موضوعها ، وحرارة مواقفها ، وبطولة رجالها ؟!

حلب : خليل الهنداوي

ركن الأسرة والمرأة

ضمير يستيقظ..

■ قرأت مرة مقالا قديما للكاتب الارلندي الكبير الساخر ، برنارد شو ، ووقفت منه عند جملة افرتني بالوقوف طويلا . قال « شو » : « ان المال اهم شيء في الدنيا » . وجلت انه انما قال ما قال لما مضه الفقر ايام شبابه ، عندما كان يمشي والرقع في ثوبه ، او انه قال ما قال بعد ان اغتنى ، لم تذكر ، فعشته الذكرى .

سيقول قوم كثيرون ان « شو » انه بالغ فيما قال .

واكثر من يقول هذا هم الرجال .

المال في حياة المرأة

ولكن المرأة ، يقف المال دائما في حياتها يذكرها ، لا بانه اهم شيء في الدنيا فحسب ، ولكن مع ذلك ، وفوق ذلك ، بأن المرأة بالمال تشتري الكرامة . حتى الكرامة من زوجها .

ان الزوج ، في الحال السوي العادي ، هو الكاسب . وتطلب منه الزوجة ثمن الطعام ، فيدفع . وتطلب نفقة الكساء فيدفع . ان استطاع . المرأة هي التي تطلب دائما ، والرجل هو الذي يدفع ، او لا يدفع ، دائما .

الزوجة هي دائما السائلة

وهي تسأل ولا تدري ما الجواب . حتى اذا كان الجواب ، دائما نعم ، فهي لا تزال هي السائلة . هي ذات اليد

قال شو : ان المال اهم شيء في الدنيا

الدنيا ، والزوج ذو اليد العليا . وقد تمتد كفها ولا يسقط فيه درهم .

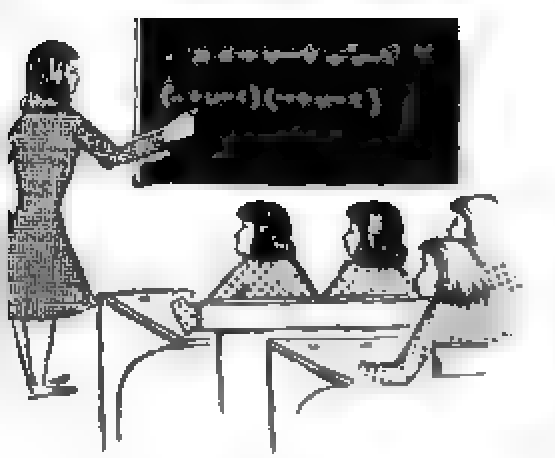
من الازواج من يقول : وماذا في هذا ! هذا موقف طبيعي .

والزوجات تقول : نعم ، وانها لمذلة طبيعية كذلك .

ان الزوجة التي يخلو جيبها من كل درهم ، وهي دائما في طلب الدرهم من الزوج ، تحس بانها ، بحسبانها امرأة ، لا تملك في الحياة شيئا . لا تملك شيئا تستطيع ان تقول عنه هذا لي . حتى اذا خطر لها ان تهدي زوجها شيئا ، لم تستطع ، الا ان تقول له اريد ان اهديك شيئا ، فاعطني ثمنه .

ان الحرية في الحياة صنوف .

واول الحريات في الحياة حرية المال .



والفقر اشد اسباب الحياة حسماً ضياعَ حرية .

كنت اعمل

ولقد زاد احساسي بهذا اني كنت قبل ازواج اعمل ، واكسب . فلما رضيت بالزواج ، اشترط زوجي ان لا اعمل . اراد ان يكون له هو وحده شرف الكسب كله . واليوم اكاد اقول انه انما اراد ان تكون له الحرية كلها ، دون ان يعي ذلك وعيا كاملا . انها في دم الرجال ، جبلة من صنع القرون .

انقطعتُ عن عملي ، فانقطع كسبي ، وصفرتْ يدي ، الا ان يملأها زوجي . وهذا هيّنٌ على الفتاة التي تنتقل من تحت سقف ابيها، وحماية ابيها، وحماية كسبه ، الى سقف زوجها ، وحماية زوجها ، وحماية كسبه .

انها استبدلت حماية بحماية .

ولكني ، وقد كنت اعمل ، استبدلت حماية بحرية .

واشتدت العقدة

واشتدت العقدة ، فطمعتها بالعودة الى عملي ، مدرسة كما كنت اعمل اولا . وافضيت لزوجي بكل دخيلة في نفسي ، بكل صراحة ، فهالني سرعة فهمه .

حاول اولا ان يفهمني اني اعمل في البيت،في حين انه هو يعمل خارج البيت. وان لكل عمل اجرا . وان المرأة الزوجة لها عن عمل بيتها اجر . فلها في كسب زوجها النصف تماما. وهي عندما تطلب لنفسها فانها تطلب من بعض نصيبها .

قلت لزوجي : والعقدة هنا . العقدة في انها تطلب. والعقدة في انها قد لاتجاب. والزوج لا يطلب ، ولا يستأذن . وهو يعلم ما في الجيب ، وهي لا تعلم .

ابتسم زوجي واسع ، وما اسعد المرأة التي يكون لها زوج ... عند اقناع .

ووعدني انحلت ، من يوم عدت الى كسبي، وسعدة البيت علت انها زادت.

الزوجة التي لا تستطيع عملا

في امر الزوجة التي لا تعمل ، او لا تستطيع عملا

نحل عقدتها،ان تكن عقدة، بان يجعل لها الزوج نصيبا راتبا من كسبه ، ولو صغيرا . تحس انه لها ، فتتصرف فيه كما تشاء ، وبلا استئذان ، يُعيد اليها شيئا من كرامتها .

واعلم انه شاع اليوم بين النساء ، وشاع بين الرجال ، ان لكل عامل اجرا ، وان الزوجة عاملة ، فلها على زوجها اجر عمل البيت .

ولكن لا احبذ ان تطالب الزوجة باجر .

احبذ الفكرة ان تشيع ، لأنها الحق ، ولانها العدل ، ولانها تحفظ على الزوجة كرامتها التي هبطت في بعض الوقت الى دون منزلة الخادم التي تعمل وتؤجر ، ولها حرية التوقف عن عمل .

احبذ الفكرة ان تشيع،ليدرك الرجال ان عمل البيت مرهق كعمل المكتب والمصنع والسوق،وفوق ذلك هو رتيب.

واحبذ الفكرة ان تشيع ، ليحس الرجال عندما يعطون الزوجة مالا انما هم يعطونها من بعض نصيبها .

اما ان تؤجر الزوجة اجرا ، عن عمل البيت عملا ، فشيء يذهب عن البيت بمعنى من معاني التعاون والود ، في ظل المحبة (ولا اقول الحب) ، رقيق ، كالزجاج ، سريع التصدع . وهو اذا تصدع لا يجبر ابدا .

مؤسسة تدريب



ان هذا [illegible] هو معمل الدراسة بمؤسسة تدريب الفتيات وهذه هي حصة التدبير المنزلي

تخرج مساعدات للباحثات الاجتماعيات

■ اذا اردت ان تعرف مدى التقدم الاجتماعي لدولة من الدول ، فانظر الى مكانة المرأة فيها ، ومدى مشاركتها في الحياة الاجتماعية ، وادراكها لمسئولياتها واهمية دورها في المجتمع .

ولقد كان على المرأة الكويتية ان تأخذ مكانها في المجتمع الجديد ، لتشارك في بناء مستقبل باسم لوطنها . وكان عليها ان تشق طريقها بحماسة واصرار ، للبلوغ الى المستوى اللائق

لفتيات الكويتيات



درس في الآلة الكاتبة لطالبات شعبة الدراسات الادارية و التجارية

سكرتيرات ناجحات من الفتيات والسيدات

بحياة انسان القرن العشرين .

وقد كانت الأمية هي العدو الأول الذي تجب محاربته .

لقد بلغت نسبة الأميات من النساء ٦٠٪ كما يقول تقرير لوزارة الشئون الاجتماعية حسب احصاء عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ بينما نسبة الأميين من الرجال ٤٤٪ كما يقول نفس التقرير ..

لهذا انشأت دائرة الشئون الاجتماعية في ١٧

نوفمبر سنة ١٩٥٦ مركزا لتدريب الفتيات كان الهدف من إنشائه في البداية هو معاونة أفراد الأسر الفقيرة التي تتقاضى مساعدات اجتماعية على الارتفاع بمستواهم المادي والثقافي ، ولذا كانت الملتحقات بالمركز في أول عهده من بنات تلك الأسر الفقيرة .

إقبال لم يكن منتظرا

ولم يكن المركز يضم عند افتتاحه سوى ٥٢ فتاة ، وزعن على ثلاثة فصول دراسية ، كان يقوم بالتدريس فيها ثلاث مدرسات فقط . وكان البرنامج الدراسي المقرر حينذاك هو الخياطة ، والتفصيل ، والتطريز ، والتدبير المنزلي ، ومحو الأمية ، ورعاية الطفل والإسعافات الأولية والحساب .

ولكن الحماس الذي قوبل به هذا المركز عند افتتاحه ، والإقبال المتزايد من الفتيات والنساء على الانضمام إليه ، تطلب افتتاح فصول جديدة كل عام ، كما تطلب إعادة النظر في أهدافه ونشاطه ، وبرهن بالدليل القاطع على استعداد المرأة الكويتية لأن تقوم بنصيبها في بناء مجتمعها وتطويره ، وأن تتحمل مسؤولياتها بجانب شقيقها نصف المجتمع ، وهي التي يقع عليها العبء الأكبر في تنشئة الصغار وتوجيههم وإعدادهم حتى يصبحوا نموذجا لمواطنين صالحين ، قادرين على تحمل تبعاتهم بأمانة وإخلاص .. فضلا عن أن المرأة المثقفة أقدر من سواها على تحويل منزلها إلى جنة ومساعدة أطفالها وزوجها على مواجهة أعباء الحياة ومشاكلها .



مساعدة مراقب المؤسسات في (القطاع الشرقي) لطيفة الرجيب ، في اجتماع خاص تحت شعور المؤسسة مجهزة وكيلة مؤسسة تدريب الفتيات

وكان مما شجع الفتاة الكويتية على الإقبال على هذا المركز أن أبواب العمل المختلفة تفتحت لتستقبل بنات الكويت المتعلمات ، ولو أن عددهن كان أقل من حاجة البلاد .

المركز يصبح معهدا

على أنه نظرا لكثرة العدد واختلاف المستويات التي بدأت تنضم إلى هذا المركز .. فقد تغير تغيرا شاملا ابتداء من سنة ١٩٥٩ وتحول المركز إلى معهد ابتداء من ذلك التاريخ ، وتنوعت مواد الدراسة به .. وأهم ميزة لهذا المعهد أنه يعد الدراسات حسب حاجة المجتمع لهذا النوع .

وعلى هذا الأساس انقسمت الدراسة به إلى ثلاثة أنواع :

١ ـ الشعبة العامة : وهي خاصة بالدراسات العامة ومحو الأمية وتدرس بها اللغة العربية والقرآن الكريم والدين والحساب والثقافة العامة إلى جانب المواد النسوية . ومدة الدراسة بها سنتان .

٢ ـ شعبة الدراسات الإدارية والتجارية تدرس فيها الآلة الكاتبة وأعمال السكرتارية وهذه الشعبة تعد السكرتيرات للعمل بالمدارس والجهات الحكومية المختلفة . ومدة الدراسة بها سنتان .

٣ ـ شعبة الدراسات الاجتماعية : تشمل مواد هذه الشعبة على كل ما يتعلق بالنواحي الاجتماعية .. وما تتطلبه المساعدات الباحثات الاجتماعيات .

ومدة الدراسة بها سنتان .

تأهيل وتعليم وخبرات

وهكذا تطور المعهد وتطورت أهدافه ونظمه تبعا لتغير المرأة الكويتية نفسها ، والتطور الجديد في المجتمع . وأصبحت أهداف المعهد هي تنمية الشخصية المستقلة للفتاة الكويتية الحديثة ، وجعلها أكثر قدرة على تفهم ظروف المجتمع واحتياجاته . وكذلك تزويدها بالمهارات والخبرات اللازمة لجعلها قادرة على اجتياز المسابقة ومؤهلة



درس عملي في التمريض والاسعافات الاولية تقدمه الطالبات

للعمل جنبا الى جنب مع الرجل في تطوير المجتمع والعمل على رقيه وتقدمه .

وهكذا بدأت المرأة في الكويت تكتب صفحة جديدة في نهضة المجتمع . واصبح المعهد قادرا على خلق جيل من الفتيات الواعيات بظروف مجتمعهن وعاداته وتقاليده .

عدد الطلبة والفصول والمدرسات

ولنستمع الى حديث الارقام فهو أبلغ دليل على صدق ما نقول . فبعد ان كان عدد الطالبات عند افتتاحه ٣٥ طالبة زاد في عام ٥٩ - ١٩٦٠ الى مائة طالبة فزاد عدد الفصول التي تضمهن الى أحد عشر فصلا . ويقوم بالتدريس فيها سبع عشرة مدرسة .

وفي العام الدراسي ١٩٦٠/١٩٦١ زاد عدد الطالبات الى مائتي طالبة ، كما زاد عدد المدرسات الى عشرين مدرسة .

وفي العام الدراسي ١٩٦١/١٩٦٢ زاد عدد الطالبات الى مائتين وعشر ، وكان عدد المدرسات عشرين مدرسة .

وفي العام الدراسي ١٩٦٢/١٩٦٣ زاد عدد الفصول الى اثني عشر ، كما زاد عدد المدرسات الى اثنين وعشرين .

وفي العام الدراسي ١٩٦٣/١٩٦٤ زاد عدد الفصول الى خمسة عشر فصلا واصبح عدد المدرسات ثمانيا وعشرين مدرسة . وعدد الطالبات اربعمائة وخمسين طالبة . احتفظ المعهد منهن بثلاثمائة وست واربعين ، واحال الباقيات الى المدارس الثانوية .

والمعهد يصبح مؤسسة !

ولم يقف الامر بالمعهد عند هذا الحد فلقد

حدثت تغييرات أخرى في العام الدراسي الحالي في مختلف البرامج والشعب ، وتغير اسم المعهد واصبح يطلق عليه اسم « مؤسسة تدريب الفتيات » . والسبب في هذه التسمية أن مواد الدراسة بالمعهد يغلب عليها الطابع الاجتماعي . ولها صلة كبيرة بالخدمات الاجتماعية ، ووزارة الشئون بها مؤسسات أخرى لها أهدافها الاجتماعية . لذلك رأت الوزارة تغيير اسم المعهد الى الاسم الجديد ، خاصة وأن أهدافه لا تختلف عن أهداف باقي المؤسسات .

وقد عملت وزارة الشئون الاجتماعية والعمل على استدعاء جماعة من مفتشي وزارة التربية والتعليم للاشتراك في وضع برامج الدراسة بالمؤسسة والاشراف على تنفيذها .

كما أضافت بعض المواد الجديدة ، في التربية الفنية والموسيقى وغيرها .

نظام المؤسسة يتغير تغيرا كليا

هذا من حيث تغير الاسم .

أما بخصوص نظام المؤسسة فقد تغير تغيرا كليا ، واصبح ابتداء من هذا العام يسير على الوضع الجديد التالي :

١ ـ الشعبة العامة : أضيفت مواد جديدة كتدريس اللغة الانجليزية مع تقوية البرامج الموجودة وألغيت مرحلة (محو الأمية) لهذه الشعبة وأضيفت الى مراكز محو الأمية بالفترة المسائية التي بحث من هذه الشعبة .

واصبح مستوى القبول يبدأ من حاملة شهادة الرابعة الابتدائية .

وقلت مدة الدراسة بهذه الشعبة بسنتين بعدها تواصل في الشعب التي تليها .

٢ ـ الشعبة الاعدادية : وتأتي بعد الشعبة السابقة . وقد فتحت هذه الشعبة حديثا ، ومدة الدراسة بها سنة واحدة . وتعتبر شعبة تمهيدية لشعبتي التخصص في السكرتارية والاجتماع ، اللتين تأتيان بعدها .. ويشترط الدخول في هذه الشعبة لمن أنهت الدراسة في المرحلة المتوسطة من التعليم العام أو لمن أنهت الشعبة العامة في المؤسسة السالفة الذكر .

٣ ـ شعبة الدراسات الاجتماعية : وتأتي بعد الشعبة الاعدادية . ومدة الدراسة بها ثلاث بدلا من سنتين . وقد أضيفت اليها مواد جديدة ، كما خصصت فترة كبيرة للتدريب العملي سواء في مؤسسات الوزارة أو المؤسسات الأخرى .



اجتماع يضم المديرة جمالات محمود فهمي والوكيلة ... المطوع مع هيئة التدريس بالمؤسسة (معظم المدرسات من الأقطار العربية الشقيقة)



التفصيل والتطريز من أهم مواد الدراسة ، حتى تصبح الفتاة قادرة على الأعمال المنزلية

حتى تتخرج الطالبة ولديها فكرة واضحة عن العمل الذي ستقوم به من بعد تخرج .

٤ ـ شعبة الدراسات الإدارية والتجارية . وتأتي بعد الشعبة الإعدادية . ومدة الدراسة بها أيضا ثلاث سنوات .. وقد أضيفت إليها من الأخرى مواد جديدة. أما من حيث مستوى القبول بهاتين الشعبتين (سكرتارية واجتماع) فهما : مفتوحتان لكل حاصلة على شهادة الرابعة المتوسطة ، ولكل من أنهت الشعب التي تسبقها بنجاح .

ولهذا نجد أن النظام الجديد الذي طرأ على المؤسسة . يضم كل مرحلة من مراحل التعليم ويتيح الفرصة لحاملة أي مؤهل لتجد مكانا لها في هذه المؤسسة .

خريجات ناجحات

وقد التحق بعض الخريجات بوزارة الخارجية، كما تحول البعض الآخر للعمل في سكرتارية المدارس والوزارات ، والمراكز الاجتماعية . بل إن إحدى السفارات الأجنبية بالكويت طلبت إحدى خريجات المعهد للعمل بها .

والنية متجهة الآن إلى إرسال بعض الطالبات اللاتي سيصبحن مثالا إلى المعاهد الكبيرة في الخارج ، وذلك لاستكمال دراستهن ولتحقيق المستوى العلمي والثقافي الذي تستطيع المرأة الكويتية أن تفخر به ، وتطمئن إليه .

هذه هي قصة من قصص كفاح المرأة الكويتية الحديثة من أجل القضاء على الجهل والأمية حتى تتمكن من القيام بدورها في هذه النهضة الكبيرة التي أصبحت تشمل كل نواحي الحياة . ■■



بقلم : اسحق موسى الحسيني

■ أخي الإنسانُ لا تجزعْ   فالاستعمارُ قد ماتا
ولا تخضعْ ولا تركعْ   فذاك العهد قد فاتا
وشعّ النورُ في دنيانا

* * *

أخي الإنسان لا تطمعْ   ولا تتجر وراء الدرهم
وعشْ بالأكمل الأمثلْ   فذاك العيش ، لو تعلم
هو العمر الذي نحيا

* * *

أخي الإنسانُ لا تجمدْ   على رأيٍ ولا مذهب
يعادي المرء ما يجهلْ   ولو فهم الذي يرهب
تحاشى وصحح رأيا

* * *

أخي الإنسانُ لا تنكره   مصيرا حرتَ في فهمه
وجودُ المرء من عدمٍ   قديما دقّ عن فهمه
تلاقى الأصل لا شيئاً

أخي الإنسان لاتبحث عن البركان في غيرك
فأعظم قوة في الكون تكمن في جنبَي صدرك
وقوتك هي العليا

* * *

أخي الإنسان هل تعرف من الله الذي تعبد؟
هو الحب الذي يصنع سماء النور والمجد
تعالى الله عن رؤيا

* * *

أخي الإنسان لاتيأس ظلام الليل لايبقى
وفي الصبح ترى النور يعمّ السهل والمرقى
تصعّدْ دون أن تتعب

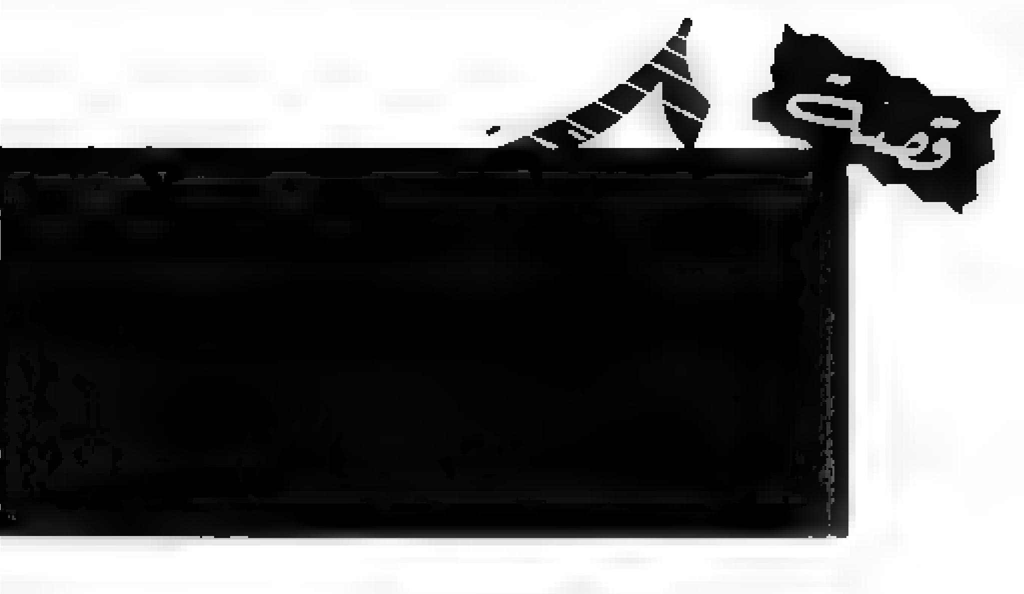
* * *

أخي الإنسان تصعّدْ أمامك عيشك الرغدا
ودم بالسلم تنطلق إلى أن تبلغ المجدا
[illegible] العَيْـ

* * *

أخي الإنسان من أنت؟ تراب أم سماء أسمى؟
فمالك أنت . لاتولى هي الحكم لما تسمى
وصدقُ الحكم كالمعنى

إسحق موسى الحسيني



بقلم : الفة الادلبي

■ صحوت مذعورة على رنين الهاتف المتواصل، ولما تشرق الشمس بعد . قفزت من فراشي لارد على هذه المخابرة غير المنتظرة ، وقفزت الى ذهني في الحال هواجس مخيفة ، لا بد من خبر سيء ستحمله الي هذه الآلة السوداء ... ورنت في مخيلة مكتئبة كنذير شر . وبيد مرتجفة رفعت السماعة الى اذني فتناهى الى سمعي صوت مضطرب يقول .

— تعالي الينا الآن ، أرجوك أن تسرعي ، لقد وقعت في مشكلة محيرة ، لا استطيع أن افسر لك شيئا على الهاتف

ويغلق الخط دون اي كلمة مجاملة ، مما يوضح لي الى اي حد كانت المتكلمة مضطربة الاعصاب وقد عرفتها منذ اول كلمة . كانت قريبة لي تسكن واخت لها في بيت ناء عن بيتنا . ووجدتني ملزمة بتلبية طلبها . وتساءلت : ما عساها تكون تلك المشكلة المخيفة التي داهمت في هذا الصباح الباكر قريبتي الاختين العانسين الموسوستين ؟!

ولا بد لي ان اعترف ان ما من شيء كان يثقل على نفسي كزيارتهما ، وبالرغم من ذلك كنت ازورهما كل اسبوع مرة ، لان امهما كانت قد أوصتني وهي على فراش الموت بالا انقطع عن زيارة ابنتيها !.. وان ارعاهما جهدي ... ولما كانت امهما من اعز قريباتي علي ، وكانت تربطني بها صداقة ومودة ، آليت على نفسي ، ان انفذ الوصية مهما سببت لي من ازعاج . فليس هناك اعمق تأثيرا في النفس من وصية انسان عزيز على فراش الموت .

كانت كبرى الاختين في صباها بارعة الجمال ، وعلى نصيب وافر من الثقافة والذكاء . وكانت قد خطبت الى شاب جميل احبته واحبها حبا جامحا ، وقبل ان يتم زواجهما بايام قلائل قتل في حادث سيارة ، فحزنت عليه الفتاة حزنا عميقا صامتا ، وعزفت عن الزواج بالرغم من كثرة خطابها . ومع الايام استحال حزنها الى وسواس شديد ، فاصبحت تعتقد انها مريضة مرضا خطرا ، وان احدا من الاطباء — وعلى كثرة ما استشارت منهم — ما استطاع ان يكشف مرضها الخطير هذا . وعلى الاصح لم يستطع ان ينزع هذا الوهم من رأسها . كانت تلازم سريرها دائما ابدا . وكان الى جانب سريرها طاولة وُضعت عليها انواع منوعة من الادوية . وكانت هي تقص على كل من يزورها حكاية مرضها من اولها . فكانت تعدد له اسماء الاطباء الذين عالجوها ، وطريقة فحصهم لها ، ثم اسماء الادوية التي وصفوها لها . ثم تتناول من الطاولة التي الى جانبها كل دواء على حدة وتريه للزائر . وتذكر



له ثمنه الباهظ ، او طريقة استعماله ، او عدم جدواه . وكانت هذه الحكاية ذاتها تتكرر في كل زيارة وتطول مرة عن مرة ، حتى سئم صديقتها هذا اعز صديقاتها ، واقرب اقربائها ، فانقطعوا عن زيارتها . واحيانا كانت تغتنم فرصة غياب اختها حين تقوم لتعد القهوة للزوار فتشكو لهم تلك الاخت وما تسببه لها من ازعاج لا سيما حين تضطر الخدم للهرب لكثرة ما تجور عليهم . وكثيرا ما كانت تقول لمن يزورها " ايجوز ان اتحمل انا الرهبة سوء خلق اختي هذا ، فاظل في سريري مهملة من اجلها ، انادي فما من احد يرد علي ، او يلبي لي طلبا حتى تعود هي علي ، وقلما تعود !... لان ما من خادمة تستطيع ان تتحمل

العمل في بيتنا ، وابقى على ما هي عليه من الوسواس وسوء الخلق .

وكان هذا صحيحا . فقد ابتليت الاخت الصغرى بوسواس ايضا منذ ماتت امها . وكان وسواسها ينصب على تنظيف البيت وترتيبه ، وداح يزداد كلما تقدمت بها السن حتى اصبح هوسا . فكانت تبدا العمل مع الخادمة منذ الصباح الباكر ، اي منذ تبرح فراشها لا تكل ولا تمل حتى تعود اليه منهكة في المساء ، وكانت اختها تسخر منها احيانا فتقول :

ان لاختي ثلاث صديقات لا يفارقنها ابدا :

«البسمة» و«المشاغبة» والبكــاء.. وقد وصل بها البؤس الى حد أصبحت فيه تجلس امام الضيف صامتة تراقب حركاته، وكأنها تنتظر انصرافه لتأتي بالمنفضة فتنفض مكان جلوسه ، او تمسح مكــان اقامته . ولذا كان من المستحيل ان تتحمل العمل معها خادمة ما ، مهما اوتيت من الصبر والجلد على العمل . وكانت هذه الاخت الصغرى مثارة الحنق منذ خلقت ، فقد انصرف الناس عنهـا الى اختها الكبرى التي كانت تفوقها بكل شيء . وما سمعت انها خطبت لأحد قط . وعندما كنت انصرف من زيارتهما كان لا بد لها ان تستوقفني خلف الباب لتشكو لي ما تلقيه من اختها المريضة، وتروح تقسم لي ان اختها سليمة معافاة ، وانما تصطنع المرض لانها اتكالية ، كسلى ، لا يروق لها الا ان تتمدد طول النهار فوق السرير ، وان تستغل قوى اختها التي ستموت حتما قبلها من التعب وشدة الارهاق . وكانت احيانا تبكي بحرقة وتلتمس ان اجد حلا لمشكلتها المعقدة . وانى لي ان اجد ذلك الحل . وكنت حينما انجح بالتخلص منها واخرج من البيت احس التنفس بارتياح لان الزيارة المرسومة علي قد انتهت ، واشعر كأن عبئا ثقيلا قد انزاح عن كاهلي ، ولا اكون مغالية اذا قلت انني كنت منذ تلك اللحظة احمل هم الزيارة الثانية .

وفي المرة بعد ان انصرفت من زيارتهمـا ، وابتعدت عدة خطوات من دارهما ، تصادف ان اقتربت مني صبية ريفية على وجهها مسحة من جمال ووداعة ، وسألتني بشيء من الخجل ان كنت اعرف اسرة ترغب في خادمة ، على شرط الا يكون في الاسرة رجل . فعجبت من طلبها هذا ، وقدرت ان هذه الصبية قد سبق ان اسيء اليها من رجل كانت تعمل في بيته ، وكثيرا ما يحدث هذا للخادمات امثالها ، واصطحبتها من فوري الى دار قريبتي . فاذا هي تتفق معهما على العمل دون اي شرط ، ويبدو شيء من الاطمئنان على وجهيهما وكأنها قد وجدت عندهما ضالتها. مما اثار شفقتي عليها ، وشعرت بوخز الضمير لانني في الواقع قد غششت تلك الصبية الوديعة حين قدتها الى بيت ستلقى فيه شقاء وعنتا ، وقلت في نفسي لابد لها ان تفر منهما كما فر الكثيرات غيرها - وما كان اشد دهشتي حين عدت بعد اسبوع الى زيارة قريبتي ، فوجدت الفتاة ما تزال تعمل عندهما ، ولاول مرة اسمع منهما ثناء على خادمة ، وتمر الاسابيع والشهور والفتاة باقية على عملها دون اي تذمر او شكوى مما جعلني اعجب بصبرها الجميل وحسن خلقها . الى ان كان اليوم الذي تلقيت فيه الهاتف واسرعت الى نجدة الاختين فاذا هما تنتظرانني خلف الباب ، وقد بدا عليهما كثير من الاضطراب والارتباك . قالتا بصـوت واحد

- الخادمة التي جئتنا بها فرت اليوم ! بعد ان وضعت طفلا تركته عندنا .

وذهلت لهذه المفاجأة وقلت .

- الخادمة وضعت طفلا ! ... وكيف لم تكتشفا انها كانت حاملا !

قالت الكبرى :

لم يبد عليها شيء من هذا ابدا . كانت الخبيثة تصر على الا تخلع البستها الريفية الفضفاضة لتخفي جسمها كله . وفي الآونة الاخيرة راحت تشكو لنا من انتفاخ في بطنها كانت تعزوه الى مرض زعمت انه يلم بها بين حين وآخر ، واعتقدت ان تشفى منه دون اي علاج حسب قولها الكاذبة ، لعنها الله .

قالت الصغرى : سمعت اليوم عند الفجر صريخ بكاء وهو يعلو . فراعني الامر ، فنهضت من فراشي وناديت الخادمة ! ولما لم تجبني اسرعت الى غرفتها فلم اجدها ، وانما وجدت منظرا يكاد يغمى علي منه ، فما كان مني الا ان اسرعت الى الهاتف واستنجدت بك . تعالي انظري

واقتادتني من يدي الى غرفة صغيرة قائمة على السطح ما كدت اقترب منها حتى سمعت بكاء الطفل كعواء جرو صغير في ليلة باردة. ولما دخلت الغرفة اقشعر جسمي من هول ما رأيت. كانت الدماء تملأ الفراش والشراشف وتفوح منها رائحة تبعث على القيء ، واشياء كثيرة مبعثرة هنا وهناك وكلها كانت وكأنها تروي مأساة ليلة مريعة . ان للاشياء احيانا لقدرة عجيبة على التعبير . اطراف الشراشف كانت ممزقة مما يدل ان المسكينة استعانت بتمزيقها على كتم صرخات الالم في لحظاتها الاخيرة . وتبادرت الى ذهني صورة تلك الفتاة حين رأيتها اول مرة على قارعة الطريق

أريد أن أخدم في أسرة ليس فيها رجال ، الآن وضح السر الذي من أجله تعطلت فرصتي اللتين لا تحملان ابدا . ترى ابن يمرح الآن ابو هذا الطفل ؟ .. او كانت هذه الام المسكينة تترك طفلها بين يدي مجنونتين لو لم تكن مهددة بالفضيحة او القتل ؟ وتصورتها وهي تنظر الى طفلها نظرة أخيرة ثم تهرب منه والدماء ما تزال تنزف منها وقد تركت على الارض ، آثارا بينة . مر هذا كله في ذهني في مثل لمح البصر والذا مرأى الطفل يطرد من رأسي كل الافكار . كان ما يزال يحبو فوق اللحاف ، وكان جسده يختلج كله ، يمد يدين مرتجفتين كأنه يستجير بنا ، وكان ما يزال عالقا بخلاصه . وما أدري كيف استمددت جرأة خارقة ، فقمت بعمل لم يسبق لي أن قمت بمثله قط ، أو رأيت غيري يقوم به . تناولت موسى فقطعت سرة الطفل ثم ربطتها بخيط ، ثم غسلته من دماء الولادة . ثم لففته بما تيسر في حسن الطرق . وكانت الاختان تتابعان ما اقوم به مندهشتين صامتتين . ويبدو أن الطفل قد ارتاح بعد هذه العملية فنام نوما هادئا ، وبدا وجهه حلوا مكتملا، وتجرأت الاخت الكبرى فتناولته حتى وضعته في حجرها وراحت تتأمله بحنان ووله . وكأني لمحت شفتيها تضطربان ، ودمعتين تجولان من عينيها وتحاول التغلب عليهما . قلت : اما الآن فسنخبر اقرب مخفر للشرطة ليبحث الى من يستلم الطفل بعد أن نقص عليه حكايتنا وبذلك تنتهي المشكلة التي أعانيكما

قالت الصغرى : أرى من الأنسب أن نحتفظ بالطفل ولو بضعة أيام فربما حملت الينا أمه بدافع من حنان الامومة وطالبتنا به .. [illegible] [illegible] شعوراً حرمته ! .

وتوافق الاخت الكبرى على هذا الاقتراح ، وترجوني أن اذهب الى السوق واشتري ما طلب مني واتركهما على أن أعود اليهما بعد اسبوع ، وعندئذ سنخبر الشرطة بشأن الطفل كما اتفقنا.

حين عدت اليهما وجدت الاخت الكبرى قد هجرت سريرها ووضعت الطفل في حجرها وراحت تهدهده وتناغيه ، وتنادي اختها بين كل اونة واخرى : تعالي انظري ، انه يبتسم ، يتثاءب ، يمد يديه ، يفتح عينيه ، سلفهم

وفي كل مرة كانت الصغرى تهرع من المطبخ حيث كانت تعد غذاء الطفل ، او تغسل حوائجه وتأتي لترى حركاته وسكناته .

وتغتنم الاخت الكبرى فرصة غياب اختها فتقول لي :

ـ اتدرين أن هذا الطفل قد شفى اختي من وسواسها ! من يوم رأته لم تعد تهتم بتنظيف البيت اهتمامها الجنوني . انها الآن تنظفه بطريقة معقولة ، كما ينظف كل الناس بيوتهم ، ما رأيك في أن نحتفظ به من اجلها !

قلت لها ، وأنا اضحك في سري : ان هذا خير ما تفعلين

ولما ودعتها وانصرفت استوقفتني الصغرى خلف الباب وقالت لي :

ـ اتدرين أن هذا الطفل الرائع قد شفى اختي من وسواسها .. منذ وجد بيننا هجرت اختي سريرها ، ولم تعد تشكو مرضها ، حتى ولم تعد تتناول دواء . لقد تظاهرت امامها انني مولعة به، واتفقنا انا وهي على ان نحتفظ به ، واخشى ما نخشاه هو أن تعود أمه الينا وتأخذه منا ، وتحرمنا من هذه النعمة . من أجل ذلك سنقرر ان نهجر هذا البيت كي لا تهتدي الينا .

ثم بدا عليها انها تستدرك ما فاتها فالتفتت لي وقالت :

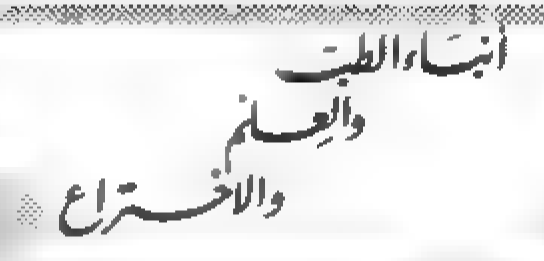
أرجو أن تحتفظي بما أسررت اليك ، فلا احد غيرك يعرف سرنا ، وربما يحطم اختي الأسى ان علمت بالسر اليك .

ولأول مرة الس تفاهما بين الاختين ، واخرج من بيتهما هذه المرة دون أن أتنفس الارتياح ، او اشعر ان شيئا ثقيلا قد انزاح عن صدري . بعد اسبوع عدت الى زيارتهما كما هي عادتي ، فلم اجدهما. كانتا كما علمت من الجيران قد هجرتا البيت الى غير رجعة ، ودون أن تتركا عنوانا يدل عليهما .

ضحكت من اعماقي حين تصورتهما يفران بالدواء الشافي . والكنز الثمين ، حتى مني انا ! ..

■

دمشق ــ ألفة الادلبي



الامراض الروماتزميه بعد امراض القلب في تعطيل الناس وتعجيزهم

● بهذا يقول تقرير بحثه التربيـــة الصحية في الولايات المتحدة، لعام ١٩٦٤

وهو يقول كذلك بأن هذه الامـــراض الروماتزميه تضيف الى مرضى الولايات كل عام ٢٥٠٠٠٠ ضحية جديدة، ويبلغ المصابون بها في الوقت الحاضر في الولايات جميعها ١٢ مليون نسمه .

واكثر الحرف اصابة بهذه الامراض حرفة الزراع ، وعمال المصانع .

والنساء اكثر اصابة من الرجـال ، فيوجد مع كل ٣ نساء ، رجل مصـاب واحد .

واذا دخلنا في تصانيف هذه الامراض وجدنا ما يلي

ان روماتزم المفاصل ، وهو اكثـر الامراض تعثيرا ، يصيب نحو ٣٠ الى ٤٠ في المائة من مرضى الروماتزم جميعا . ولا يوجد علاج معين لهذا المرض ، ومع هذا يمكن منع التعجيز ـــــ في نحو ٧٠٪ من الحالات لو ان صاحبه ادركه قبل ان يستفحل .

والنقرس أو داء الملوك ، من الامراض الروماتزميه . ويوجد من ضحاياه في في الولايات المتحدة ٤٠٠٠٠٠ مصـاب . ومع هذا فالنقرس واحد من الامراض الروماتزمية القليلة التي يمكن علاجها بطرق معروفة .

والحمى الروماتزمية ، وهي تؤدي الى مرض القلب الروماتزمي في نحو ٣٣ في المائة من حالاتها يمكن منعها بالبنسلين . وهو علاج يهدف اصلا الى وقف التهاب القلب وبه يمكن نقص عدد مرات معاودة الحمى الى نحو ٢ في المائة .

في البحار مقادير هائلة

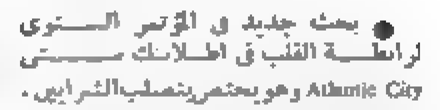
● هذا ما كشفت عنه الابحاث الحديثة التي قامت بها « سلطة الطاقة الذريه » ببريطانيا ، فقد دلت هذه الابحاث على ان اليورنيوم يوجد ذائبا في مياه البحار والمحيطات بنسبة ضئيلة جدا ، تبلغ نحو ٣٫٣٤ جزء من مليون جزء من الجرام في اللتر الواحد . نسبة ضئيلة جدا ، ولكنها تمثل مقادير من اليورنيوم هائله اذا ما اعتبرنا البحار والمحيطات ومقدار ما بها من الماء . على هذا الحساب يوجد في البحار والمحيطات من اليورنيوم ، ذائبا ، نحو ٤٠٠٠ مليـــون طن من اليورنيوم .

وقد جرب الباحثون عـــدة طرق لاستخلاص اليورنيوم من ماء البحر . وانتهوا الى ان احسن طريقه هي باستخدام اوكسيد عنصر التيتانيوم Titanium خاصا له من ماء البحر .



بحث جديد في

تصلب الشرايين



● بحث جديد في المؤتمر السنوي لرابطة القلب في اطلانك سيتي Atlantic City وهو يختص بتصلب الشرايين .

فالرأي الشائع ان تصلب الشرايين Atherosclerosis معنا بتميز يحدث أولا في باطن جدران الشريان ، ثم تتكون بعد ذلك الرقائق الدهنية . ولكن البحث الجديد كشف عن ان هذه الرقائق الدهنية Fatty Plaques تترسب من الدم مباشرة . فقد ادخل طبيبان في الشريان الأكبر لأرانب شريطا من نسيج اصطناعي ، معلق داخل اسطوانات صغيرة من اللدين (البلاستيك) المسمى بالتفلون،ثم كشف الطبيبان عن الشرائط بعد ١٥٠ يوما ، فوجدا أن رقائق من الدهون ترسبت على هذه الشرائط .

وهذه الشرائط لم تمس جدران الشريان الأعظم لهذه الارانب (الاورطة) ، انها لم تمس غير الدم . فالدم وحده هو الذي رسب هذا الدهن رقائق على هذه الشرائط ، وقد كانت مثبته في الدم فيه .

وقد أكد هذا أن بعض الجراحين كانوا استبدلوا بأجزاء بعض الشرايين في مرضى بني الناس انابيب من اللدين ، ثم وجدوا أن الدهن ترسب داخل جدران هذه الانابيب وهي لا حياة فيها .

من اليورنيوم ، ذائبة

ولكن عرضوا سطحا أكبر من هذا الادركسيد ، لماء البحر ، ليمص اكثر ما يستطيع من اليورنيوم الذائب نشروه في مساحات من الشاطئ كبيرة . وملأوا هذا الشاطئ في مداخل فيه ، ليتعرض دائما لماء من البحر جديد فيه يورنيوم جديد عند مد البحر وجزره . والبحث لا يزال جاريا على كفة من النجاح .

وقد سبقوا في التقدير فقدروا انه قد يكون مستطاعا انتاج ١٠٠٠ طن من اليورنيوم بكلفة تبلغ ما بين ٤ جنيهات انجليزية الى ٨ جنيهات للرطل الواحد من اكسيد اليورنيوم . وهي تكلفة معقولة اذا ما قورنت بكلفة انتاج اليورنيوم من الخرائب وهي تبلغ نحو ٣٦ جنيها للرطل .

ان لليورنيوم اليوم فائضا عند الأمم ، ولكن برامج الأمم في تطوير مصادر طاقاتها ، واستخراج الكهرباء من الذرة ، يوشك أن يستهلك هذا الفائض ويصبح الحاجة ماسة أشد المساس الى اليورنيوم يأتي من كل طريق .



الذرة جاء بها كريستوفر كولمبس من امريكا

● حقيقة يجهلها الكثيرون . فالذرة تزرع اليوم ، بمقادير كبيرة ، في انحاء من الارض كثيرة متباعدة ، في البرازيل ، في الارجنتين ، في المكسيك ، في الصين ، في منشوريا ، في الهند ، في أوربا ، في افريقيا ومصر ، في استراليا ، وغير هذه بلاد أخرى .

وهي تزرع في هذه البلاد من زمن بعيد . ويحسب كل أهل البلاد أن الذرة كانت تزرع عندهم من عهد آدم .

وما هي كذلك . إن الثابت اليوم أنها جاءت أول ما جاءت من امريكا عندما اكتشفها كولمبس في أواخر القرن الخامس عشر . هكذا هو وجد الهنود الحمر يزرعونها ، ومنها يقتاتون .

ومثل الهنود وجدت الذرة في المقابر التي قام بها علماء الآثار . وقد كشفوا عن ٣٨٠٠٠ من اكواز الذرة ، أرخوها موقع تاريخ في نحو ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد . ووقع هذا الكشف في ولاية مكسيك الجديدة .

ودخل الأوروبيون الى امريكا فكانت الذرة أول معين لهم . كانت طعامهم الاول وحفظت حياة كثير من المهاجرين .

والذرة اليوم هي المحصول الامريكي الاول ، فالارض المخصصة لها تزيد على الارض المخصصة لسائر الحبوب مجتمعة : القمح ، والشعير ، والقرطم ، والشوفان ، والارز .

ومع كثرة محصول الذرة ، فالذي يستهلكه الانسان منه لا يتعدى اكثر من ١٥٪ منه ، استهلاكا مباشراً ، على صورة خبز أو طعام كائنا ما كان . أما ال ٨٥٪ في المائة فتدخل معدة الانسان بعد تحولها الى لحم أو لبن أو اجبان .

فالذرة تتغذى بها المواشي ، وتتغذى الدواجن ، فيكون منها اللحم واللبن والجبن والبيض .

والانسان يعتمد على الذرة اعتمادا كبيرا . ولكن كذلك تعتمد الذرة على الانسان بمعنى أن الدنيا لو خلت اليوم من الانسان لخلت الارض من الذرة . ذلك أن الذرة بوضعها الحالي تفقد القدرة الطبيعية التي للنباتات الاخرى على الانتشار . فمن النباتات الاخرى تنتشر البذور ، تنشرها الرياح وغير الرياح ، فتقع في تربة الارض فتنبت . أما الذرة فبذورها لاصقة في كوزها ، وزيادة على هذا هي مغلفة بالقشر الذي يزيد في حبسها فلا تنتشر .

وقد عجز علماء النبات عن ردها الى نوع من الحشائش الطبيعية التي جاز أن تكون منها قد نشأت .

مبيدات كيماوية زراعية تقتل

● يجري الآن في العالم نقد شديد لاستخدام المبيدات الكيماوية في التطهير من الآفات . وهؤلاء النقاد ينسون فضل هذه المبيدات على الانسان .

إن نصف العالم جوعان . ولولا هذه المبيدات لازداد العالم جوعا .

وقد أدلى رئيس رابطة الكيماويات الزراعية بتصريح قال فيه إن ٢٠ في المائة من المواد الغذائية تضيع بين البذر والحصاد ، بسبب الاعشاب الضارة والعطن والحشرات . ويضيع ١٠ في المائة من كل هذه المواد المحصودة في النقل والتخزين بسبب الفساد والحشرات والحيوانات القارضة .

وقد عالج الانسان هذه الشرور بالمبيدات الكيماوية فوقف بالاضرار عند هذا الحد . ولكن من الناس من لا ينظر

تداوى النفس بالنفس

● جرت العادة بأن لا ينصح أحد بأن يقوم هو نفسه بوصف الدواء لنفسه ولعاطيه . ولكن ظهر في هذه الأيام رأي جديد .

ذلك انه قد صار اليوم من المستحيل على المهنة الطبية في أى بلد ان تقوم بكل ما يطلب منها . وقد ذكر الذاكرون مثلا لذلك الولايات المتحدة . قيل في شأنها أن بها في العام الواحد ٧٦٠ مليون اصابة بالبرد ، فمن المتعذر أن يقوم أطباء الولايات بالعناية بهذا العدد الهائل ، الى جانب امراض اخرى عديدة لا يمكن أن يتولاها الا الاطباء .

والرأى الطريف أن لا بد من توعية الجمهور في غير الخطير من العلل الذى يستطيع ان يعالجه بنفسه في بيته ، فلا يهرع الى الطبيب في كل صداع ، أو كل ارتفاع في درجة الحرارة لا يلبث أن ينحسر بالتدفئة ، أو كل ألم في البطن يزول بعد حمية يوم أو يومين .



الحشرات ولا تضر الانسان ..

الى هذه الكيماويات الا على أنها سموم . وهي سموم حقا ، ولكن للحشرات وسائر الحيوانات القارضة . اما للانسان فالأدوية التي يستخدمها سموم كذلك . ولكن الناس نسوا هذا ، ونسوا أن السموم يحددها مقدار الجرعة التي توصف بها .

وكذا في المبيدات . انها جرعات . فهي لا تقتل الا اذا زادت من حدودها المعقولة . ولكن أين هي من هذه الحدود !

ومع هذا فالعلم دائما لا يتوقف عن البحث من جديد . وفي المبيدات راح العلم فعلا يبحث عن جديد وجاء بجديد بدل المبيدات المشكو منها التي هي مركبات كيماوية ، يدخل في تركيبها النحاس أو الزنك .

لقد ظهر الآن في المجلات العلمية طائفة اخرى من المبيدات الزراعية حالية مما يشكو منه الشاكون . فهي تقتل الحشر ، وتقتل ما يصيب النباتات من الفطر ، ثم هي لا تلبث بعد ذلك ، في الضوء والهواء ، أن تتحلل ، فلا يبقى منها الا مركبات من عنصر القصدير ، « لاعضوية » ، ولا ضرر منها .

ولا بد قد اتضح للقارئين ، من قولي هذا ، أنها مركبات عضوية أساسها القصدير .

ومن أمثلتها خلات الفينيل الثلاثي للقصدير Triphenyl Tin Acetate وقد استخدمته ألمانيا حديثا في وقف آفة الطماطم .

ومن أمثلتها أكسيد ثلاثي بوتيل القصدير Tributyl Tin Oxide وقد استعملوه في حفظ الخشب .

الغضب والخوف أثرهما على القلب سواء

● ليس فينا من لا يدرك تأثير الخفقان في القلب عند الغضب، أو تأثير الخوف في القلب عند الخوف. ولعل الشائع أن الغضب يعمل في إثارة القلب فوق ما يعمل الخوف. ولكن تجارب أجراها الأطباء العلماء رأت غير ذلك.

والتجربة التي قاموا بها أنهم كانوا يسمون الرجل بالتنويم الذي اشتهر بأنه مغناطيسي ثم يوحون إليه بالغضب فيغضب، ثم بالخوف فيخاف. وفي كل حالة يقومون بوصف ما يحدث في الجسم بعد ذلك، قياسا وعدا. لا سيما في القلب وفي الدورة الدموية.

وقد وجدوا أن الخوف والغضب يحدثان أشياء تكاد تكون سواء. فالقلب تزيد ضرباته أي زيادة، والتنفس يسرع الضعف وأكثر، وضغط الدم يزيد في الشرايين.

وهذه الآثار كلها ضرورية لأنها وسيلة الجسم للاستعداد للصراع، وتهيئته للمعركة.

ومن الطريف المعروف أنه في الانفعالات الشديدة يصب الجسم مادة الأدرينالين، التي تفرزها الغدتين الكظريتين الواقعتين فوق الكليتين، في الدم، فتدور فيه، وهي تحفز الجسم إلى مواقف الكفاح والدفاع المعروفة.

وفي التجارب التي نذكر أوقف الباحثون عمل الغدتين الكظريتين بواسطة عقار جديد، فوجدوا أن سرعة ضربات القلب التي كسب زيادتها بسبب الانفعالات النفسية لم تصل إلى الحد المنتظر، وإنما وصلت نحو ٦٠٪ ومع هذا فالقلب كان يتعوض من ذلك بأن يضخ في الضربة الواحدة مقدارا أكثر من الدم يفي بحاجة الصراع المرتقب!

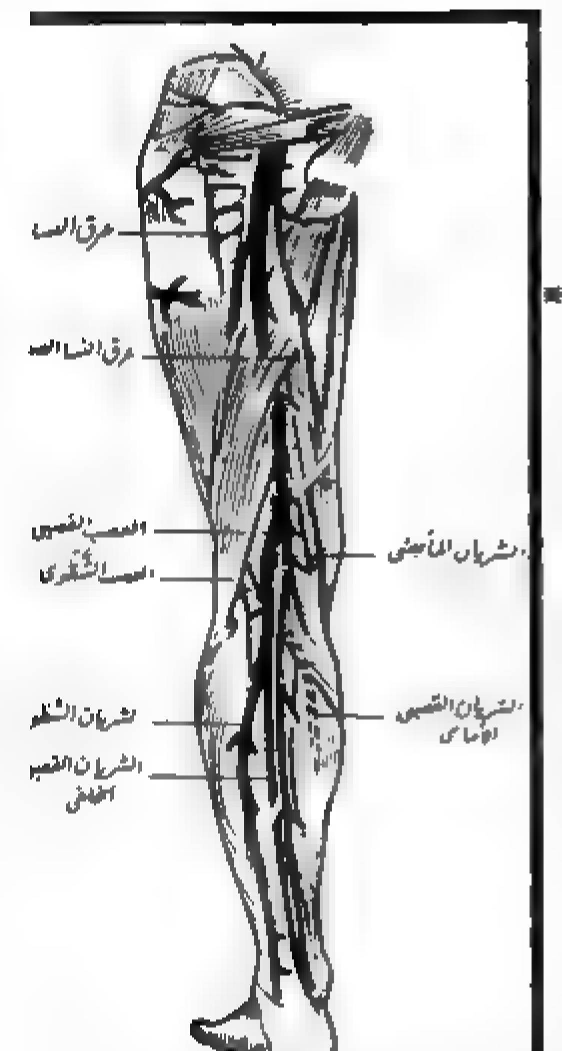
حقيقة للنفس واضحة!

ما أعجب القلب! كأنما به ذكاء، فهو يفهم. يعطله في جانب، فيحتال للدفاع من جانب آخر



نقل الدم إلى أجسام الجرحى

● ظهر في بعض التقارير الطبية التي تحصي مقدار التقدم في الطب في العشر من السنوات الماضية، أن من الجديد في هذه النواحي كان تدفئة الدم الذي يعطى إلى الجرحى لتزويدهم عما فقدوا منه وهو صار يدفأ بإمراره بأنابيب ساخنة إلى الجرحى لتزويدهم عما فقدوا منه، قبل دخوله إلى جسم المريض. وبذلك انتفت عن المرضى مضاعفات كانت تحدث بسبب دخول الدم البارد إلى دورته وتأثيرها في شرايين القلب وانسجامها.



الرَّجل : لونّا أعصابها بالأزرق وشرايينها بالأسود

طبيب الأسرة

عرق النسا ، وهو العصب الأكبر الذي يخدم الجزء الخلفي من رجل الإنسان . وهو لا يلبث أن يتفرع الى فرعين ، يمتدان في الرجل حتى القدم ، يقتسمان الخدمة في بعض ما تحتاجه الرجل من احساس وحركات . والفرع الأول يسمى بالعصب القصبي Tibial Nerve نسبة الى عظم القصبة ، وهو يجري مع الشريان القصبي في حزمة واحدة . والفرع الثاني ويسمى بالعصب الشظوي Peroneal Nerve نسبة الى عظمة الشظية Perone وهي تجري نازلة في صحبة الشريان الشظوي .

عِرْق النَّسا

● أنا سائق تاكسي ، ويحتم عملي أجلس في مقعدي بالسيارة مدة طويلة ، أحدثت عندي آلاماً شديدة على طول رجلي . وقال لي الطبيب انه كثرة القعود . والله خلق الجسم ليقعد .

ـ ان جسم الانسان تتوزع على أعضائه الشرايين ، كما تتوزع الاوردة ، ويضمها الجهاز الدموي . ولكن كذلك تتوزع على أعضاء الجسم الأعصاب وتحمل الحس بشتى صوره، الى مراكز الحس بالجهاز العصبي وبالمخ والمخيخ، وتحمل منها الأمر بالحركة وبالسكون الى هذه الاعضاء. ويضمها جميعاً، من أعصاب ومراكز ، الجهاز العصبي .

ومن فروع هذا الجهاز العصبي الذي يمتد في الرجل ، عصب يجري خلف الرجل من وراء الفخذ ، ويسمى بعرق النسا ، وهو يمتد بفروعه الى الكعب . وهما نسيان ، نسا في الرجل اليمنى ، والآخر في اليسرى . واسمه بالانجليزية Sciatic Nerve . وهو اسم مشتق من اللفظ الاغريقي الذي معناه الورك .

وقد يلتهب هذا العصب (العـرق) فيصيب صاحبه الالم ، ومع الالم فقدان هذا الجانب من الجسم للحس ، وضعف العضل . وقد كـان الرأي ان سبب التهاب هذا العصب اصـابة برد ، او عدوى ، او تسمم او ما اشبه ذلـك . ولكن الرأي الحديث يميل الى الاعتقاد بأن السبب في هذا الالتهاب ، في الغالب الاغلب من الحالات ، انما هو وقـوع ضغط على العصب نفسه ، في جهة ما ، او في حيث يخرج من فقار الظهـر . والضغط قد يكون بسبب انزلاق قرص غضروفي مـن بين الفقار ، او اصـابه روماتزمية في سلسلة الظهر ، او ورم في الحوض ، او ضغط وقع على العصب عند تركه الاليه ليدخل الى الفخذ .

وانت يا سـيدي سـائق التكسي ، اصابك هذا الداء لا بسبب كثرة الجلوس، ولكن بسـبب كثرة الجلوس على مقعـد له حرف قاس يضغط على هذا العصب في الخلف من رجلك وانت لا تدري . ان الاحصاءات الطبية تدل على ان التهـاب هذا العصب ، عصب النسا ، هو من الامراض الشائعة بين سائقي السيارات ذات المقاعد غير المريحة .

احلام ، لا ينقطع سيلها

● تزوجتي تحلم الاحلام ، الحلم من وراء الحلم ، وتحكي لي عند اليقظة الشيء الكثير الذي تحلم به . وقد جربنا كل الادوية التي يزعم اصحابها انها تعطي نوما هادئا عميقا خلوا من الاحلام ، ولكنها لم تنفع . واستمر هذا الحال عندها سنوات.

ـ ان الاحلام تجري في مستوى النفس الذي يسـميه علمـاء النفس « تحت الوعي » . وقد دلت الابحاث الحديثه على ان الاحلام قد تستغرق من النوم ازمانا طويلـة ، تفصلها اوقات للنوم العميق متعددة قصيرة . وقد جـرب البحاث وقف سـيل الاحـلام بايقاظ الشخص الحالم مرات متعددة ، ولكن اتضح ان هذا جائز ان يكون له آثار سيئة على الجهاز العصبي .

ان الاحلام تعكس ما يتمثل في حياة كل انسان منا من مناقضات في شئون النفس كثيرة . وهي مناقضات حبيسه في تلك الطبقه الباطنة من الوعي ، وهي تتخذ من الاحلام منفسا تنفس فيه . فكبتها ليس من الصالح في شيء . ان الاحلام صمام امن ، من الحكمة الابقـاء عليه ابقاء على سلامة النفس .

امـا اذا كانت زوجتك تعاني مـن احلامهـا ، فذلك امر آخـر . وعندئذ يصبح للطبيب النفساني عمل ، وتصبح لاستشارته فائدة .

المهم الذي لا بد من ذكره ، ان مـن الاحلام المريح ومنها الممتع اللذيذ. ومنها لا شك المزعج ، وهذا له الطب الصحي عـلاج .

هل يمكن للحامل ان تتوقى

● ذكرتم في عدد من « العربي » سابق ان المرأة التي تصاب بالحصبة الالمانيـة في الثلاثة الاشهر الاولى مـن الحمـل ، معرضة للمجيء بمولود مشوه الخلقة ، او عنده شذوذ في الخلقة . وقلتم ان الاطباء ينصحون في هذه الحالة بالاجهاض لمن لا تريد ان تمضي في هذه المخاطرة الى نهايتها .

هل هناك عـلاج وقائي مـن الحصبة الالمانية تتخذه المرأة الحامل حتى لا تصاب بـه ؟

ـ نعم قلنا فيما سبق ان اصابة المرأة بالحمى الالمانية في الاشهر الثلاثة الاولى

الحصبة الالمانية أثناء الحمل

من الحمل قد تؤدي الى تشويه الوليد. قلنا قد تؤدي، ولكنه لا يتحتم ان تؤدي.

ومن الفيروسات المعدية الاخرى ما اذا أصاب المراة الحامل عرّضها لمثل هذا الخطر، ولكن لا يزال فيروس الحصبة الالمانية هو الفيروس الوحيد الذي ثبت احتمال هذا الخطر بسببه.

ولا يوجد الى اليوم لقاح يقي من الاصابة بالحصبة الالمانية، كالذي يوجد للوقاية من شلل الاطفال مثلا او من الدفتريا.

الا امرا واحدا يجربونه، ذلك الحقن بالمادة البروتينية المسماة جليبولين جاما Gamma Globulin وهي عبارة عن الخلاصة المركزة لهذا الجزء من مصل الدم الذي به الاجسام المضادة لكل ما اصاب الجسم الانساني في ماضي حياته من صنوف العدوى. فاذا حقنت المرأة الحامل بهذه الخلاصة، وهي بالطبع مستخلصة من اجسام غير جسمها، فقد تعطي وقاية مؤقتة لها اذا ما تعرضت لعدوى هذه الحمى اثناء الثلاثة الاشهر الاول.

وهذه الخلاصة، جليبولين جاما، كبيرة التكلفة، وهي قليلة، فالتي تستخدمها من الحوامل لا بد ان تكون قد تعرضت فعلا لأشخاص مصابين بالحصبة الالمانية.

الخمر، دواء للبرد؟

● يقولون ان للخمر مضار كثيرة، وان لها فوائد قليلة، وان من فوائدها تدفئة الجسم عندما ينذر البرد بافناء الحياة. وسمع عن تائهين في جبال سويسرا، يكتشفون في الثلوج لم ترفع عنهم الثلوج، واول شيء يعطونه اياهم شراب من البرندي او نحوه ...

ـ ان الكحول، عندما يدخل الى الجسم، يمتص بسرعة في الدورة، ويبدأ الامتصاص في المعدة، وهو يحترق فيدفء الجسم. ولكن عمله الاكبر انما يكون بتوسيع الشرايين الصغيرة المنتشرة على سطح الجسم. ومعنى هذا ايجاد سطح أكبر من الدم معرض لخارج الجسم.

وهنا يكون اما النفع، واما الضرر أكبر الضرر.

فالرجل الذي يتعرض لبرد شديد، ثم يسقى البرندي ونحوه اسماها ودواء، اذا هو وضع في فراش دافىء، كان تكون به قربة او قرب من ماء دافىء، استطاع الجسم، مع اتساع سطح الدم في جلده، ان يكتسب من الدفء المحيط به، مسطح الجسم.

ولكن غير ذلك عندما تصعد الاوروبيون الى الجبال بين الثلوج. فانهم يتحامون عند ذلك من شرب الخمر، لأن سعة الشرايين الجلدية عندئذ تعرضهم، لا للدفء، ولكن للبرد، فيزدادون بردا قد يؤدي بهم الى الموت.

الكحول يوسع الشرايين الصغيرة على سطح الجسم، والجسم يقتني بعد ذلك من الذي حوله، فان دافئا، فدفء وان باردا، فبرد.



■ ان الهدف الرئيسى من هذه الدراسة هو معرفة أيهما أفضل: تدريس المدرسات أو المدرسين فى التعليم الثانوى لمرحلة المتوسطة للبنين فى المدارس العراقية ، وما أسباب ودوافع هذه المفاضلة ؟

والطريقة هى اجراء استفتاء على الطلاب الذكور الذين يتدرسون فى مدارس ادارتها وهيئتها التدريسية مدرسات .

ومعروف انه يقوم بتدريس الاولاد فى المدارس الابتدائية معلمون ، والبنات تدرسهن معلمات . وتوجد بعض المدارس الموحدة التى يكون التعليم فيها مختلطا ، فيقوم بالتدريس فيها معلمات ومعلمون .

اما التعلم فى المرحلة الثانوية



(المتوسطة والاعدادي والمهني واعداد المعلمين) فمدارس البنات منفصلة فيه عن مدارس الاولاد ، ويقوم بتدريس الطالبات مدرسات ، ويقوم بتدريس الطلاب مدرسون .

اما التعليم العالي فاكثر الكليات يكون التدريس فيها مختلطا .

هذه هي الصورة لسلم التعليم ومراحله في العراق .

تعليم منفصل او مختلط في المرحلة الابتدائية ، ثم تعليم منفصل في التعليم الثانوي ، ثم تعليم مختلط من مرحلة التعليم التالي :

الجذور التاريخية للتجربة

أجريت تجربة من هذا النوع سنة ١٩٥٢ على طلبة المدرسة المتوسطة الغربية النموذجية لمدة سنتين ، حيث قام بتدريس طلاب المدرسة للصفوف الثلاثة (اول – ثاني – ثالث) والشعب متعددة ، مدرسون ومدرسات تخرجوا في كلية التربية بدرجة عالية (شرف) .

كانت التجربة ناجحة الى حد ما في الصفوف الاولى ، وخاصة في الشعب التي يبلغ طلابها من العمر ١١ الى ١٣ سنة . اما الشعب الاخرى التي يتراوح اعمار الطلاب فيها ١٤ الى ١٨ سنة ، فقد ظهر ازعاج المدرسات والتحرش بهن واسماعهن بعض العبارات في الاثناء ، بالاضافة الى عدم الانتباه الى الدرس بدل الانتباه الى المدرسة ، حركاتها وغيرها .

فقد ادت هذه الظاهرة وغيرها ، وخاصة عدم رضا الهيئة الاجتماعية ، الى العدول عن تطبيق هذه التجربة والرجوع الى ما كان قائما ومطبقا في الماضي . اما في سنة ١٩٦٤ فقد قامت وزارة التربية ، نتيجة الضغط على المدرسة الغربية وكثرة عدد طلابها ، الى سحب ٢٥٠ طالبا منها وجعلهم مدرسة سميت بمدرسة خالد بن الوليد . وبسبب عدم وجود مدرسين لهذه المدرسة فقد استعانت الوزارة بمدرسات في ثانويات مركز لواء بغداد القيام بادارة هذه المدرسة والتدريس فيها .

وعند فترة تمرين طلبة كلية التربية ذهب عدد من طلبتنا للتمرين في هذه المدرسة ، وعند زيارتنا لهم هناك لفتت نظرنا هذه الظاهرة ، ظاهرة تدريس مدرسات طلابا (اولادا) ، وهذا مما لم يسبق تطبيقه في العراق بهذا الشكل .

ولاعتقادنا بان المدرس ركن اساسي في التربية ، وان اي تحسين في وضع التعليم يتوقف بالدرجة الاولى عليه ، ولايماننا بان المتعلم هو المحور الرئيسي الذي تدور حوله عملية التعليم ، ولاعتقادنا بضرورة الاهتمام بخبرات المتعلم وميوله ورغباته وآرائه ومواقفه ، لكل ذلك قمنا بالتعاون مع احد الطلبة المتمرنين من كليتنا (كلية التربية) وادارة المدرسة (مدرسة خالد بن الوليد) باجراء استفتاء بين التلاميذ في نهاية العام الدراسي .

الاستفتاء

كانت استمارة الاستفتاء على النحو التالي :

ا – العمر .

ب – محل الولادة

جـ – مهنة الاب

د – مهنة الام

هـ – المدرسة الابتدائية التي تخرجت فيها :

و – ايهما تفضل تدريس المدرسات ام المدرسين؟

ز – ماهي اهم ثلاثة اسباب ادت لهذا التفضيل؟

وفي محاولة للحصول على اجابات مضبوطة طلبنا من الطلبة ورجوناهم الاجابة بصراحة تامة ، وطمأناهم بأن اجوبتهم سوف لا تطلع عليها المدرسات ، وسوف لا تؤثر على نجاحهم او على معاملتهم من قبل الهيئة التدريسية او الادارية . وضمانا لذلك طلبنا منهم ان لا يذكروا اسماءهم .

كما اننا قمنا باجراء الاستفتاء مرة ثانية بعد فترة عشرين يوما للتأكد من صحة المعلومات التي اوردها التلاميذ . وقد تبين لدينا ان عدد الذين فضلوا المدرسين في المرة الاولى ١٠٦ وعددهم في المرة الثانية ٩٧ . وعدد الذين فضلوا المدرسات ٩٧ في المرة الاولى و ١٠١ في المرة الثانية . اما الحياديون فقد كان عددهم ٤٧ في المرة الاولى و ٥٢ في المرة الثانية . اما اسباب التفضيل فقد كان التباين ليس كبيرا بين ما ورد في المرة الاولى وما ورد في المرة الثانية .

وها نحن ندون نتائج استفتاء التجربة الثانية بعد ان تغلبنا على كثير من المشاكل والصعوبات التي جابهتنا في المرة الاولى .

انـنا نعتقد ان هذه الدراسة ليست الا محاولة، ونأمل في المستقبل ان تتاح لنا الفرصة لاجراء استفتاء على طلبة مدرسة متوسطة للبنات ، يقوم بالتدريس فيها مدرسون ، ومدرسة متوسطة مختلطة (بنات وبنين) يقوم بالتدريس فيهما مدرسون ومدرسات لنقوم بالمقارنة والمفاضلة .

عرض النتائج

ان مجموع الطلبة الذين يزاولون دراستهم في هذه المدرسة (٢٥٠) طالبا ، واعمارهم تتراوح بين ١٢ و ١٧ سنة وقد لاحظنا ان آباءهم اغلبهم من الطبقة المتوسطة ، والطبقة العاملة ، او اصحاب الوظائف البسيطة . وقليل منهم هم قواد في الجيش او في وظائف حكومية مرتفعة نوعا ما .

وقد كانت نتيجة الاستفتاء كما يلي :

الذين احبوا تدريس الرجال (المدرسين)

بلغ عدد هؤلاء ٩٧ طالبا من مجموع الطلبة الذين يبلغ عددهم ٢٥٠ طالبا .

منهم ٤٠ طالبا عمرهم ١٢ سنة .
ومنهم ٣٣ طالبا عمرهم ١٤ سنة .
ومنهم ١٦ طالبا عمرهم ١٦ سنة .
ومنهم ٥ طلاب عمرهم ١٥ سنة
ومنهم ٢ طلاب عمرهم ١٧ سنة .

مهنة آبائهم

عمال ـ ٣٩ ـ موظفون ـ ٢٨ ـ متقاعدون ١١ ـ معلمون ؛ ٧ ـ فلاحون ٤ ـ
وهناك ثمانية طلاب آباءهم متوفون .

مهنة امهاتهم

ربة بيت ؛ ٨٤ ـ معلمات ؛ ٨ خياطات ١
وهناك اربعة طلاب امهاتهم متوفيات .

محل الولادة

هناك ٦٥ طالبا ولدوا في بغداد و ٣٢ طالب ولدوا خارج بغداد من مختلف الالويه

المدرسة الابتدائية التي تخرجوا منها

من ٩٧ طالبا نجد ٨٥ منهم درسوا في مدارس ابتدائية معلموها رجال ، والباقي وعددهم ١٢ طالبا درسوا في مدارس ابتدائية معلموها نساء .

الاسباب التي علل بها الطلبة تفضيل تدريس المدرسين على المدرسات

١ ـ شعور الطلاب بوجود حرية في الصف الذي يقوم بتدريسه مدرس والتحدث بصراحة ومناقشة كثير من الامور والقضايا التي لا يمكن التحدث مع المدرسات حولها.	٤٤
٢ ـ الكفاءة العلمية والقدرة المادة واتقانها.	٤١
٣ ـ الكفاءة المهنية والتفنن في التدريس والقدرة على تفهيم الطلاب .	
(أ) المحافظة على النظام وضبط الصف	٣٢
(ب) الشرح والتوضيح الوافي والتكرار (قوة التدريس)	٤٧
(ج) توزيع الاسئلة بين الطلبة ومشاركتهم في الدرس	١٢
(د) المحاسبة على الدرس اليومي وتصحيح الواجب البيتي	١٠
٤ ـ الثقافة العامة وارتفاع مستوى الدرس الثقافي	١٤

٥ ـ الصفات الخلقية

(أ) المعاملة الحسنة (التسامح والعطف واللين والرقة واللطافة) ١
(ب) العدالة وعدم التمييز بين الطلبة ٧
(جـ) التعاون والانسجام مع الطلبة ٢
(د) الصبر ٢
(هـ) الجدية والمثابرة والاخلاص في العمل ٦
(و) الايمان بطبيعة التلاميذ واحترام رغباتهم ٢

٦ ـ اسباب اخرى متفرقة

(أ) اعتاد الطلبة التدريس على يد مدرسين ٢٤
(ب) التساهل في الامتحانات واعطاء الدرجات ١٤
(جـ) لتجاوزه مرحلة الطفولة بحق رجال ٢٥
(د) لتفضيل المصلحة العامة ٣
(هـ) قوة شخصية المدرس ٥

الاسباب التي علل بها الطلبة تفضيل تدريس المدرسات على المدرسين

١ ـ الثقافة المهنية والتفنن في التدريس والمقدرة على تفهيم الطلاب .

الشرح والتوضيح الوافي — عدد الاجابات ١٥

(أ) توزيع الاسئلة بين الطلبة ومشاركتهم في التدريس ٣
(ب) المحاسبة على السعي اليومي وتصحيح الواجب البيتي ٢
(جـ) الثقافة العامة وارتفاع مستوى الدرجة التفال ٤

٢ ـ الصفات الخلقية :

(أ) التسامح ٢٤
(ب) العدالة وعدم التمييز بين الطلبة ٤
(جـ) الصبر ٢
(د) التعاون ١
(هـ) الجدية والمثابرة ٦
(و) المعاملة الحسنة (اللين والرقة واللطافة) ١٢
(ز) الايمان بطبيعة التلاميذ واحترام رغباتهم واحترامهن لانفسهن ٥

٣ ـ اسباب اخرى متفرقة :

(أ) تعوّد الطلبة التدريس على يد مدرسات ١٦
(ب) التساهل في الامتحانات واعطاء الدرجات ٥
(جـ) تفضيل المصلحة العامة ١
(د) عدم وجود سبب ١



تعليم مشترك في المعاهد العالية

الذين فضلوا ان تكون الدراسة من المدرسات

أ ـ بلغ عدد هؤلاء ١٠١ من ٢٥٠ طالبا واعمارهم كالآتي

منهم ٨ طلاب اعمارهم ١٢ سنة
و ٢٢ طالب اعمارهم ١٣ سنة
و ٦١ طالب اعمارهم ١٤ سنة
و ٥ طلاب اعمارهم ١٥ سنة
و ٥ طلاب اعمارهم ١٦ سنة

ب ـ مهنة آبائهم كالآتي :

عمال ٢٧ ـ متقاعدون ١٣ ـ موظفون ١٦ ـ تجار ٢ ـ معلمون ٧ ـ مهندسون ١
وهناك ٧ طلاب آباؤهم متوفون

جـ ـ مهنة الامهات كالآتي .

ربة بيت ٨٩ معلمات ٩ خياطات ٣

د ـ محل الولادة لهؤلاء الاطفال

هناك ٨١ طالبا ولدوا في العاصمة (بغداد) المتحدة
وهناك ٢٠ طالبا ولدوا خارج العاصمة والالوية المتحدة

هـ ـ المدارس الابتدائية التي تخرجوا منها .

من ١٠١ وجدنا ٦٢ طالبا درسوا في مدارس ابتدائية معلموها رجال و ٣٩ طالبا درسوا في مدارس ابتدائية معلموها نساء

الذين لا يفضلون بين المدرس والمدرسة

أ ــ عدد هؤلاء ٥٢ من ٢٥٠ طالبا واعمارهم كالآتي :

منهم ٥ اعمارهم ١٢ سنة

و ٢٣ اعمارهم ١٣ سنة .

و ١٨ اعمارهم ١٤ سنة .

و ٤ اعمارهم ١٥ سنة .

و ٢ اعمارهم ١٦ سنة .

ب ــ مهنة آبائهم كالآتي :

عمال ٢٣ ــ موظفون ١٣ ــ متقاعدون ٧ ــ معدمون ٥ .

ومنهم ٤ آباؤهم متوفون .

ج ــ مهنة الامهات :

ربة بيت : ٤٥ ــ معلمات : ٦

ومنهن واحدة متوفاة .

د ــ محل ولادة هؤلاء التلاميذ :

منهم ٣٢ طالبا ولدوا في العاصمة بغداد والباقي وعددهم ٢٠ ولدوا خارج العاصمة

أسباب عدم التفضيل

لان كلا من المدرسين والمدرسات يبني ثقافة الطلاب ويهدف لانشاء جيل صالح	١٣
المهم الاخلاص في العمل وايهما اكثر اخلاصا	٨
المهم قراءة المادة وايهما عنده اكثر مادة	٧
المهم ايهما يشرح المادة ويوضحها اكثر من الآخر	١٩
المهم ايهما يعاملنا معاملة احسن من الآخر	٨
المدرسة تعاملنا كأم والمدرس يعاملنا كأب	٢
العطف موجود عند الاثنين	٣
لا يوجد سبب ، نحن جئنا للدراسة لا للتفضيل بين المدرس والمدرسة	٥

تفسير النتائج

يمكن ان نجمل الاسباب التي كثر ذكرها عند اغلبية التلاميذ فيما يلي :

١ ــ ان التلاميذ يميلون الى المعاملة الحسنة واللطافة عند كل من المدرس والمدرسة .

٢ ــ انهم يفضلون الاكثر معلومات والاقدر على التفهيم بغض النظر عن كونه رجلا او امرأة .

٣ ــ المقدرة على الضبط والعدل في المعاملة والقيام بالواجب . كما يشيرون في كثير من الاحيان الى التدريس الجيد .

٤ ــ ان طريقة الضرب والعقاب طريقة لا تماشي ورغبة التلاميذ ، ولذا يكرهون هذه الطريقة .

الخلاصة

اذا فحصنا الاجابات السابقة نجد ان المفاضلة لا ترجع الى نوعية الجنس بقدر ما ترجع الى ناحية المعرفة والمقدرة على التدريس ، فقد كانت الاسباب ، مهما اختلفت ، تشير الى ناحية المعرفة سواء كانت قراءة المادة او الاخلاق الحسنة او التفنن في التدريس ، وان النساء بمثابة الامهات والمدرسين بمثابة الآباء .

هذه الخلاصة التي يمكن ان نستنتجها من اجابات التلاميذ تلقي ضوءا على ان العبرة تكمن في الاعداد الاول لمهنة التعليم، وان الكفاءة ليست وقفا على الرجال ، ولكنها قضية استعداد لدى الطرفين . قد يكون اثر البيئة الاجتماعية واضحا في بعض الاجابات اكثر من البعض الآخر كما يذكر البعض مثلا التي احتجت على تدريس المرأة او الرجل، ولكن الذي يهم هو الاتجاه العام للاجابات مهما كان المصدر لتلك الاجابات .

ولكن يمكننا ان نقول ان الفرق بين تدريس المرأة والرجل يكاد يكون معدوما بين الذين فضلوا احد الجانبين . كما ان نسبة الذين لم يفضلوا احد الجنسين على الآخر كانت ⅕ والذي يهمهم الكفاءة والاستعداد .

ونأمل ان يكون الاستفتاء قد ساهم في القاء بعض الضوء على الاتجاه العام لدى التلاميذ ليتاح لنا ان نضع المناهج ونختار المدرسين الأكفاء حسب حاجات امتنا ورغباتهم وحسبما تتطلبه المرحلة التطبيقية للواقع العربي الذي يهدف الى تحول في كافة مجالات التعليم .

بغداد : مصارع الراوي



التاريخ الرابض وراء
مأساة شكسبير الكبرى

مصرع يوليوس قيصر

جريمة شنعاء، لم تدفع شراً، ولم تأت بخير

بقلم : على ادهم

■

الحافلة بالأزمات والمشكلات و حب
الجمهورية الرومانية ، وكان الخلق

الانتصار في الحروب التي خاضوا غمارها
وبسط سيادتهم على جانب كبير من
... العالم ...

الرومان منحوا يوليوس قيصر الدكتاتورية لعشر سنوات

بالحلو فلا تزل قدمه أو تسطره الغرور ويطيش بلبه فرط الاعجاب فيستحيل الحب الشديد كراهة صماء تستنزل البطل من عليائه وتحمله امثولة لتقلب الحظوظ وتنكر الايام .

صفات تميز بها يوليوس قيصر

واي بطل من ابطال التاريخ النوادر كان يوليوس قيصر !

كان في مستهل حياته سياسيا بارعا ، حاضر البديهة ، قوي الحجة ، يستطيع مساجلة شيشرون اخطب خطباء الرومان ومثلهم الاعلى في اللسن والفصاحة وبلاغة الاسلوب .

وكان عالما دارسا واسع الاطلاع يعرف مذاهب المفكرين اليونانيين والادب اللاتيني ، وله مشاركة في علمي الهندسة والرياضة .

وفضلا عن ذلك كله كان احد قواد العالم المشهورين ، يحبه جنده لانه يحرص على حياتهم ولا يعرضهم لاخطار لا لزوم لها ، ويعيش مثلهم برغم نوبات الصرع التي كانت تنتابه من الحين الى الحين .

ولم ينس مع ذلك نصيبه من المتعة الحسية فكان برغم صلعته المشهورة محبا ذائع الصيت تميل اليه النساء ، ويخلصن له الحب ، ويمنحنه الود اذا ما انقضى زمان الحب . وكان جنوده حينما يدخلون معه احدى المدن يهتفون فخورين بقائدهم الاصلع الوسيم : « ايها الازواج حافظوا على نسائكم فقد جاء معنا العاشق العظيم » .

صفات اثارت مخاوف مجلس الشيوخ

وكان توفر هذه الصفات في يوليوس قيصر اكثر مما يلزم لفت الانظار وكسب الانصار وضمان المستقبل الباهر والثقافة الشاملة ، ولكنها كانت كذلك كافية لاثارة مخاوف اعضاء مجلس الشيوخ المحافظين واثارة حسد المنافسين واحقاد الحاقدين وتحريك النافسة وتاريث الحسد . ويضاف الى ذلك ان الرومان كانوا بطبيعتهم يكرهون الدكتاتورية ويقبلونها مضطرين على حكم الظروف ومسايرة لتقلب الاحوال ، ولهذا كانت الاخطار تسير في آثار يوليوس قيصر .

ومع هذا كرمه مجلس الشيوخ تكريما عظيما

وقد اصدر مجلس الشيوخ قرارا بان تقام تماثيل ليوليوس قيصر في معابد روما جميعها وفي المدن الايطالية كلها ، وان يحتفل بالبطل العظيم والقائد الظافر كل خمس سنوات ، وعند قدومه لروما اقيم له احتفال تجاوز في فخامته كل ما وعته ذاكرة الرومان ، وحباه مجلس الشيوخ بكل ما يريد من الالقاب التعظيم ، واجاز له ان يلبس الاكليل الغار الذي كان يواري صلعته وان يحمل حتى في اوقات السلم رمز سلطان الامبراطور ، كما كان منصب الحبر الاكبر يمكنه من السيطرة على الشؤون الدينية .

وظل قيصر قلقا

ولكن قيصر برغم ما اسبغ عليه من الوان التكريم ، وما ظفر به من عليا المراتب ، كان لا يزال قلق النفس متطلعا الى الابعد . وبدت له اعماله السابقة او انتصاراته المتوالية قليلة الشأن غير جديرة بمواهبه المطلقة ، وقد فتح بلاد الغالة وغزا بريطانيا ، واخضع القبائل الضاربة في غرب المانيا وسويسرا ، ونشر السلام في ربوع اسبانيا ، وقضى على منافسه العظيم بومبي Pompée واسقط متراديت Mitredate من فوق عرشه في آسيا الصغرى ، ولكن هل يمكن موازنة هذه الاعمال بما قام به اعظم فاتحي العهد القديم الاسكندر المقدوني ؟ لقد غزا الاسكندر الهند في عقر دارهم ، فلماذا لا يتجه كذلك الى الشرق ليثأر من بارثين Parthyène (الاسم القديم لخراسان) ويؤمن حدود الامبراطورية عند نهر الفرات ، ويتمم مشروع كراسس الذي اقره في اوائل عهده من اقل ما ساعده على توطيد مكانته والانتصار على منافسيه واذا تم له اخضاع بارثين (خراسان القديمة) زحف حول البحر الاسود لتهدئة سكوذيا وارتاد نهر الدانوب واتم فتح المانيا .

دكتاتورية قيصر كانت الغاء للنظام الجمهوري

وكانت الدكتاتورية التي ارتضاهـا مجلس الشيوخ لقيصر في الواقع الغاء للنظام الجمهوري، ولونا من الوان الملكية المقنعة . وكان النظام الملكي بغيضا الى نفوس الرومان . فحينما حاول مارك انطونيو ان يضع التاج على رأس قيصر في فبراير عام ٤٤ (قبل الميلاد) رفض قيصر التاج بطريقة مسرحية اوقعت الشك في نفوس انصار النظام الجمهوري المخلصين ، وجعلت خصوم قيصر يبسطون التهم ويبثون الشكوك في نياته . ومن ذلك الوقت اتجه التفكير الى القضاء عليه والتخلص من عدوانه على النظام الجمهوري ، فقد اصبح واضحا لهم انه يرمي الى تنصيب نفسه ملكا على الرومانيين ، والتقاليد الرومانية تبيح قتل الطغاة المستبدين . ومن يدري ملكا يصبح اذا اتيح له الذهاب الى الشرق وغزو بثيا والعودة بعد ذلك الى روما مكللا بأكاليل النصر محوطا بالفيالق الموالية له والملبية لرغباته ؟

ولقد اصبحت ارادته قانونا ، وكان الانتخاب للوظائف الكبيرة لا يزال موجودا من الناحية النظرية ، ولكن في الواقع لم يكن احد يستطيع ان يرقى الى منصب عال مثل منصب القنصل او منصب التريبيون الا باختياره ، واستأثر باختيار الاعضاء الجدد لمجلس الشيوخ وجعل عدد اعضائه تسعمائة عضو بعد ان كانوا ستمائة ، وادخل في عضويته بعض سكان الولايات التي ضمت الى روما . وكان مع ذلك كله يتجاهل ما يصدره المجلس من قرارات اذا كانت لا تلائم رغباته او تعارض سياسته .

كان قيصر ينسى الاساءة ويعفو

ومن خلاله المأثورة انه كان لا يميل الى الانتقام، ولا يحمل الحقد ، ويعفو عند المقدرة .

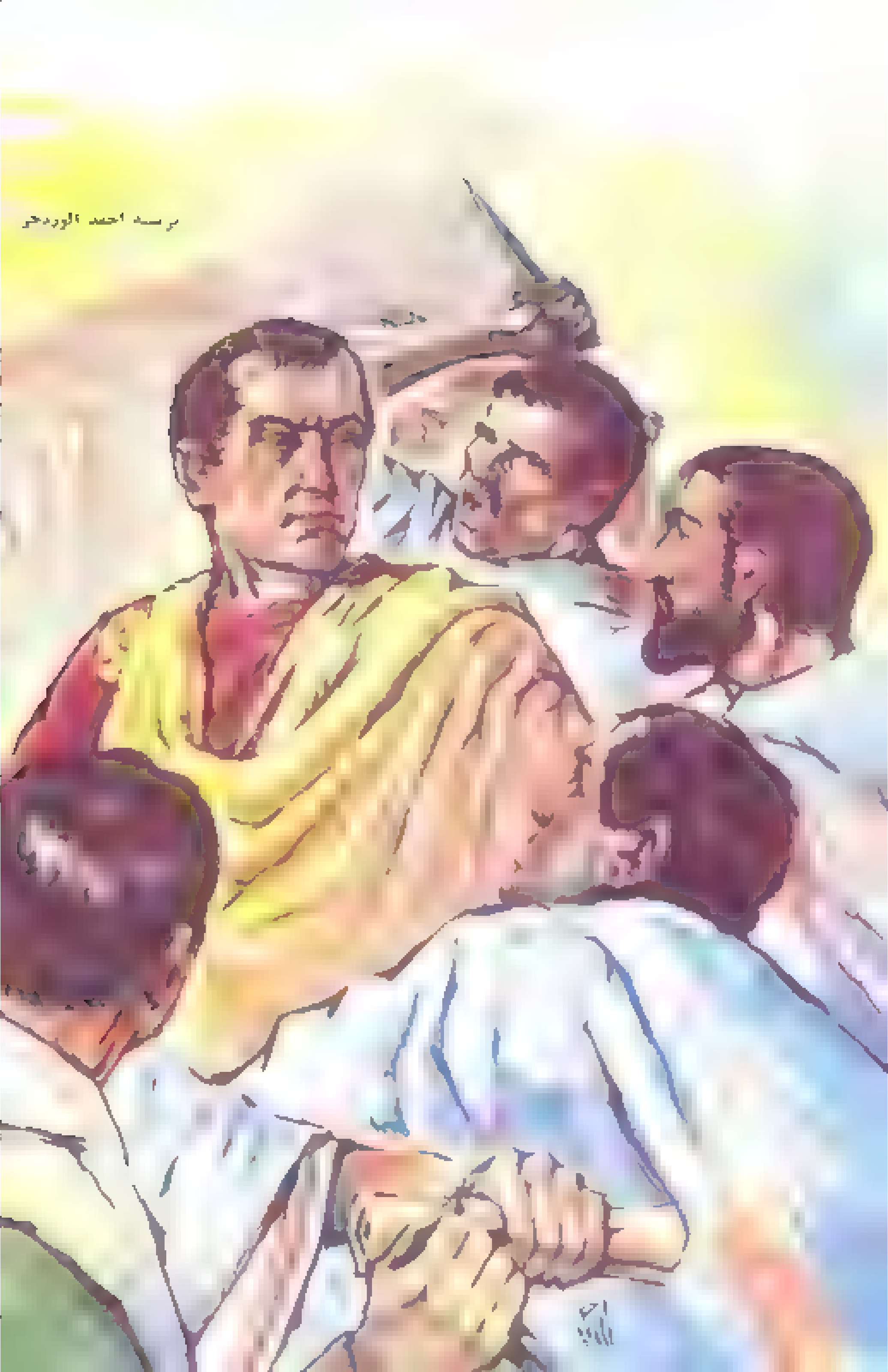
قال عنه شيشرون الذي كان ينطوي له على الكراهية . « انه لا ينسى سوى الاساءة » . والامثلة على ذلك كثيرة موفورة في حياة يوليوس قيصر ، من ذلك ان اثنين في طليعة الذين سعوا في حتفه وعملوا على تدبير مؤامرة لاغتياله ، وهما كاسيوس Cassius وماركوس بروتس Brutus ، كانا من انصار منافسه العظيم بومبي Pompée ولكنه مع ذلك عفا عنهما بعد تغلبه على منافسه والقضاء عليه ، واختارهما لمنصبين كبيرين من مناصب الدولة . وكان بروتس صديقا لقيصر ، وكان قيصر شديد العطف عليه حتى قيل انه ابنه، لعلاقته الغرامية القديمة سرفيليا والدة بروتس، وكان كاسيوس اكبر سنا من بروتس واكثر منه تجربة ، ولكن حب قيصر لبروتس جعله يسند اليه المنصب الاسمى مما اثار حقد كاسيوس ، وكان رجلا مهزولا خبيث الطوية شديد الحقد ، وقد احاله ذلك الحقد نصيرا قويا للنظام الجمهوري . ومهما يكن من الامر فانه لم يكن الرجل الذي يقبل ان يصير قيصر ملكا على روما .

مارك انطونيو يسعى الى تلقيب قيصر ملكا خارج روما

وكان مارك انطونيو بعد ان رفض قيصر لتويجه ملكا قد اراد ان يحتال للامر ويوحي الى مجلس الشيوخ ان يبيح لقيصر استعمال لقب الملك في مقاطعاته خارج روما وبعيدا عن ايطاليا ، وكان المنتظر ان مجلس الشيوخ سيوافق على ذلك ، لان الكثيرين من اعضائه كانوا مدينين لقيصر بالكثير ، كما كان معظمهم يخشى الوقوف في طريقه، ولكن فئة من اعضاء المجلس كانت مصممة على مقاومة هذا العرض مهما يكلفها الامر ، وكانت بواعث اعضاء هذه الفئة مختلفة ، فبعضهم كان باعثهم المصلحة الخاصة ، وبعضهم كان باعثهم الحقد والحسد ، وبعض افراد القلائل كان باعثها صدق الايمان بالنظام الجمهوري والاخلاص له .

كاسيوس يبدأ المؤامرة

واخذ كاسيوس المليء حقدا وعصبية يسعى سعيه ويثير هواجس اصدقائه ويحرك في نفوسهم دوافع الحسد والتبرم والسخط ، ويبالغ في تصوير مطامع قيصر وعدوانه على النظام الجمهوري. ونجح في النهاية جماعة من الرجال الشجعان الامناء بضرورة القضاء على ذلك الفرد الجبار ، ولكن واجهت الجماعة تلك المشكلة التي كثيرا ما تعرض للمتآمرين ، وهي محاولة اظهار عملهم في صورة العمل المثالي العظيم الذي لا مندوحة عنه لانقاذ


بريشة احمد الوردجي

النظام القديم والمحافظة على التقاليد الجمهورية، ورأوا أن تحقيق ذلك لا يتيسر لهم إلا إذا ضموا إلى صفوفهم رجلا تثق الشعب معروفا بتعلقه بالنظام الجمهوري مثل ماركوس بروتس ، ولكنه كان في ذلك الوقت من أصدقاء قيصر المقربين ، ولن يتم لهم النجاح في تحقيق هدفهم إلا إذا ضم إليهم وأيد خططهم .

كاسيوس يدبّر لضم بروتس إليه

ولكن سعة حيلة كاسيوس كانت كفيلة بمعالجة الموقف ، ولم تكن العلاقات بينه وبين بروتس ودية ، وحتى إذا استطاع أن يزيل أسباب الخلاف بينهما ويتقرب منه فإنه كان هناك صعوبة أخرى وهي كيف يستطيع أن يحمل رجلا بطبيعته غير ميال إلى الشدة على الاشتراك في عمل ينطوي على القسوة ويتسم بالعنف . ولكن كاسيوس كان ثاقب الفكر جم النشاط ، وكانت عنده القدرة على خلق الجو المناسب لما يريد أن يقدم عليه ، وهي مسألة تشد من أمثال بروتس وأمثاله من الذين لا يفطنون إلى حيل الماكرين المطبوعين على الدهاء والتدبير في الخفاء .

وكان في روما تمثال للوسيليوس بروتس Lucius الذي كان قد قضى على ملوك الرومان القدامى وأرجع الجمهورية ، في إحدى الساحات القريبة من المكان الذي يباشر فيه ماركوس بروتس عمله بوصفه بريتورا Pretcur وهو ثاني منصب في الدولة ، ويتولى صاحبه تحقيق العدالة في البلاد، فأخذ كاسيوس يرسل في الساعات المتأخرة من الليل من يكتب على تمثال هذا الجد الشهير بعض العبارات المثيرة لبروتس مثل : « لو كنت لا تزال حيا يا بروتس » أو « ليتك كنت حاضرا أمرنا في هذه الأزمة». وبعضها ينطوي على لوم لبروتس مثل : « أي بروتس هل أنت نائم ؟ وإلا فهل أصابك ... ؟ » . وكان بروتس في كل يوم يمر بالتمثال ولا يعبأ بأمثال هذه العبارات ، ولكنه حين وجد عبارات مثلها في مقر عمله ، لم يتردد في الاعتقاد بأنه المقصود بهذه العبارات . واسترعى نظر كاسيوس لها وسأله رأيه فيها

بروتس يقع في الفخ المنصوب

وكانت هذه هي الفرصة التي ينتظرها كاسيوس، فقال له : « إذا كنت لا تدري من المقصود بهذه العبارات فاسأل أهل الوجاهة في روما الذي يجعل ذلك ، أن سكان المدينة جميعا يتطلعون إلى البطل المنتظر » .

تعجب بروتس من قوله ، وقال ... الأوهام ...

فلم يتطرق بروتس في بادئ الأمر لمضي خطط كاسيوس وقال : « ليس هناك ما يستوجب أن أقوم بعمل لا يرضى قيصر ، فهو صديق ... لي ، وقد كان كريما إلى أقصى حد في معاملته إياي بعد موت بومبي ، وكذلك كان سلوكه معك ».

... ذلك ... من ... ، ولكن صرح ... إلى ... الإبه ... الأعمار ... الأداول ...

فأجابه بروتس قائلا : « لقد أقر مجلس الشيوخ ذلك بالخصوص، وأصبح هذا قانونا ، ولا أستطيع أن أغيره بالشعر والشكوى ، وماذا عندك غير ذلك ؟ » .



القول ! لا أصدق هذا عن قيصر » .

— « سأقيم لك الدليل الذي لا يرد على ذلك، واذا اقنعتك فماذا أنت فاعل ؟ »

فقال بروتس متمهلا : « لا بد من مواجهة مثل هذا الموقف ، وعلى كل انسان أن يحارب دفاعا عن التقاليد القديمة ، واذا استلزم الأمر فاني مستعد لأن أقتل في هذا السبيل .

— ولكن يا بروتس لا أحد يريد أن تضحي بنفسك بهذه الطريقة ، وأحسبك أدركت أن تلك الرسائل الموجهة اليك قد كتبها سرا بعض الرجال ذوي المكانة في روما ، فهي ليست من عمل صعاليك الهمجيين ، وتستطيع أن تتبين ذلك اذا بحثت بنفسك لتفحص الخط الذي كتبت به . ولكن الشعب يهيب بك كذلك ، وهو الذي ينتظر منك اسقاط الدكتاتور الذي يريد أن يكون ملكا على روما

بيت بروتس يصبح مكان تجمع المتآمرين

فذهب بروتس الى بيته مهموما وبدأت تتداعى في فكره الشكوك في سياسة قيصر ، وقد أوقعه كاسيوس في الشبكة التي أعدها له ، ومن ذلك الوقت أصبحت دار بروتس المكان الذي يلتجىء اليه المتآمرون في جنح الليل متخفين للتشاور وتبادل الرأي ، وكان من رأي بروتس الاكتفاء بقتل قيصر واعادة روما الى نظمها السياسية التقليدية ، ولكن كان هناك من يعارض هذا الرأي ويرى أن الثورة لا يمكن أن تؤتي ثمرتها وتحقق غايتها الا بالاطاحة برؤوس كثيرة .

زوجة بروتس تنضم للمتآمرين

وشغلت هذه الأفكار بروتس وأمضته ، وأرقت جفنه وسلبته راحته ، وهالته فظاعة الواجب الذي فرض على نفسه القيام به . ولاحظت زوجته بورشيا ، ما يعانيه من هم ، ولاحظ هو كذلك أنها تعاني أزمة نفسية ، فسألها في ذات ليلة قائلا : « ما شأنك يا بورشيا ؟ حدثيني عما بك » .

وكانت بورشيا امرأة شديدة الكبرياء ، وهي ابنة كاتو أحد القواد الجمهوريين القدماء ، وقد آثر أبوها الموت على الاستسلام ليوليوس قيصر بعد هزيمة بومبي منذ عامين .

فأجابته قائلة : « انني ابنة كاتو ، وزوجة بروتس ، ولو كان مواتيا منافقته ولكني أثبت لك أنني أستطيع أن أؤتمن على سرك ، أحدثت جرحا في ساقي متعمدة ، وهذا هو الجرح الذي لا تعرف عنه شيئا ، فأفض الي بالسر الذي ملأ قلبك همك وانني سأصمت » .

وانضمت بورشيا الى جماعة المتآمرين ، واقترب منهم الشيوخ الساخطون والحاقدون والحريصون على النظام القديم والمؤملون في أجنحة الكسب ونائل المناصب اذا تغيرت الأحوال وزال قيصر من الطريق .

قيصر يرفض أن يسير في حراسة أحد

وكان قيصر قد أبى أن يكون في حراسة أحد وهو يسير في الطرقات ، وامتنع عن حمل أي سلاح يدافع به عن نفسه ، وكأنه أراد أن يدخل في روع أفراد الشعب الروماني أنه واحد منهم ، وربما كان باعثه على ذلك الايمان بالقضاء والقدر ، وانما لا يصيبنا الا ما كتب لنا ، وليس لنا حيلة في رد القضاء ودفع المقدور ، ومهما يكن من الأمر فان هذا المسلك من ناحية قيصر جعل مهمة المتآمرين سهلة ميسورة .

المتآمرون حددوا يوم ١٥ مارس يوما لاغتيال قيصر

وحدد المتآمرون لقتل قيصر اليوم الذي يعرض فيه مشروع القانون على مجلس الشيوخ الذي يمنح قيصر لقب ملك في خارج ايطاليا ، وكان ذلك هو الوقت المناسب ، واتفق أنه كان يوم الخامس عشر من شهر مارس سنة ٤٤ ق.م.

وتمكن بروتس من اقناع المتآمرين بالاكتفاء بقتل قيصر والذهاب بعد ذلك الى الكابيتول — قلعة روما القديمة — والمناداة بالجمهورية الجديدة .

وشهر مارس في روما كان في أغلب السنين من الأشهر التي تصفو فيها السماء وتبرز الشمس جلواء الطلعة ، وتزهر الأشجار ، ولكن منتصف مارس في روما سنة ٤٤ ق.م كان من الأوقات التي ثارت فيها هوج العواصف ، وأومضت البروق ، وقصفت الرعود ، وتراءت للناس

الرؤى والأشباح التي فسرها أهل ذلك العصر الزمن بالخرافات بأنها تحمل نذر الشر المستطير.

عراف قيصر يحذره شر هذا اليوم

وفي اليوم الرابع عشر من شهر مارس كان القلق والاضطراب يسودان حول قيصر ، فقد حذره عرافه الخاص شر اليوم التالي وذكر له أنه سيكون يوما شديد الخطر على حياته ، والظاهر أن بعض أخبار المؤامرة تسربت حتى وصلت الى علم هذا العراف المسمى سبيرنا ، ومؤامرة يتجاوز عدد أعضائها الستين من المحتمل الى حد بعيد أن تذيع بعض أخبارها ولا يظل أمرها كل الخفاء مهما يبالغ في كتمان أخبارها القائمون بها.

مناقشة في الموت بعد عشاء

واتفق في تلك الليلة أن تناول يوليوس قيصر طعام العشاء مع ليبداس قائد فرقة الخيالة ، ودارت بعد العشاء مناقشة فلسفية حول موضوع ما هي أسهل الطرق التي يأتي بها الموت ، وحينما جاء دور قيصر لابداء رأيه في هذا الموضوع ، قال انه يؤثر الموت الفاجيء غير المنتظر .

زوجة قيصر تتوسل اليه أن يستشير الكهنة

ولما عاد قيصر الى داره وجد الريح تعصف بالنوافذ والأبواب ، وذكرت له زوجته كالبورنيا أنها لم تستطع النوم الا قليلا ، وأن الكوابيس افترست نومها وبعثت النوم عن عينيها ، وأنها رأته في أحد تلك الأحلام المفزعة ملقى بين يديها مضرجا بالدماء ، وتوسلت اليه أن يستشير الكهنة والعرافين قبل أن يقوم بعمل أي شيء في اليوم التالي .

وعجب قيصر من أمر زوجته وأثر في نفسه حديثها فقد عهدها قوية الجنان راجحة العقل غير مبالية بالخرافات ، وأقلقه ذلك وأثار هواجسه .

وفي صباح اليوم التالي رجت زوجها أن يرجيء أعمال اليوم ، ولكن قيصر جادلها في رفق ولين قائلا : « ماذا يقولون عني اذا عرفوا أني أرجئت داري لتأثري بأحلام امرأة ؟ أليس هذا من طباعك يا كالبورنيا ، ولعل ما في الأمر أنك عانيت بعض التعب في الليلة السابقة » .

فطلبت اليه أن يرى على الأقل الطالع ، فوافق بعد لأي ، وبالرغم من أنه كان حر الفكر فانه لم يسترح لما أخبره به الكاهن بعد أن ضحى بديكين ووجد أن أحدهما ليس له قلب وأن الآخر ليس له أمعاء ، وهما أقوى العلامات على توقع الشر ، ووافق على عدم الذهاب الى مجلس الشيوخ برغم أن الجلسة كانت لها أهميتها من ناحية علاقتها بمستقبله السياسي .

المتآمرون يتجمعون ، والخناجر في طيات ثيابهم

واجتمع المتآمرون في منزل كاسيوس ليتفقوا على آخر التدابير ويتلقوا الاشارات الأخيرة قبل أن يسلك كل منهم سبيله الى مجلس الشيوخ ، وذهب كاسيوس في صحبة بروتس الى مكان عمله بوصفه بريتورا ، وكانا يستطيعان من هذا المكان الاشراف على رواق مجلس الشيوخ ويعرفان الوقت المناسب للتحاقهما اليه .

واخذت الاشاعات تنتشر وتذيع مرددة أن قيصر لم يأت بعد ، ثم ذاع نبأ أنه لن يحضر الى المجلس في ذلك اليوم . وجلس بروتس وكاسيوس عند الباب الخارجي في ظل البريتورية يراقبان تجمع زملائهما في سقيفة مجلس الشيوخ ، وقد خبأوا الخناجر في طيات ثيابهم منتظرين الاشارة عند هجوم قيصر . وفي هذه اللحظات التي توترت فيها الأعصاب كانت تكفي كلمة واحدة لكشف الخبيئة واشاعة الرعب في القلوب . وكاد يتجمد الدم في عروق كاسكا أحد المتآمرين ، حينما مازحه أحد أصدقائه قائلا له : « لقد احتفظت الاحتفاظ بالسر ولكن بروتس قال لي كل شيء » . وقبل أن يحير كاسكا بكلمة واحدة أضاف صاحبه قائلا في براءة تامة : « لكن خبرني كيف جمعت ثروة تكفي للحصول على وظيفتين وظائف الدولة؟» .

وأسوأ من ذلك ما هو أسوأ ، فقد همس بوبيلياس ليناس لبروتس وكاسيوس قائلا : « أرجو لكما النجاح فيما دبرتما من الأمر ، ولكن عجلا بتنفيذ أمركما فقد كثر اللغط حوله » .

ولكنهما لم يكن في وسعهما الاسراع ، ولم يستبعدا أن يكون سرهما قد ذاع ، وأن أحد المتآمرين قد خان الأمانة ، وأنهما سيقتلان في يد

(البقية على صفحة ١٤٨)



قصة للكاتب الامريكي او . هنري

الف دولار

ردد المحامي تولمان هذه العبارة في وقار وجد
[illegible] « وإليك المبلغ » .

وضحك الشاب جيليان ضحكة عالية ، وهو يأخذ
رزمة النقود ، وكلها من فئة الخمسين دولارا
الجديدة .

وقال المحامي في مرح : « انه مبلغ محير مربك
للغاية ، فلو انه كان عشرة الاف دولار لسعد
الانسان به واطلق الصواريخ فرحا . ولو كان
خمسين دولارا لسبب ارتباكا وحيرة اقل كثيرا .

ورد تولمان في لهجة المحامي الوقور :

— لقد استمعت وصية عمك . ولا ادري اذا
كنت قد اهتممت كثيرا بتفاصيلها . ولكن يجب
علي ان اذكرك بها ، فالمطلوب منك هو ان تقدم
لنا حسابا عن طريقة انفاقك الالف دولار حالما
تفرغ من انفاقها . ان الوصية تنص على ذلك .
واني لواثق من انك ستذعن لرغبات عمك المرحوم
السيد جيليان .

فقال الشاب في أدب : « بالتأكيد ، وذلك رغم

المصاريف الإضافية التي سيتطلبها الأمر ، فسوف أضطر إلى استخدام سكرتير ، فقد كنت دائما ضعيفا في الحساب » .

وذهب جليان إلى ناديه وبحث عن صديقه الذي كان يطلق عليه اسم « بريسون المحول » . وكان بريسون المحول ، ذو الأربعين عاما ، رجلا هادئ الطباع ، وكان يجلس في أحد أركان النادي يقرأ كتابا . وعندما شاهد جليان وهو يقترب منه تنهد وترك الكتاب وخلع نظارته .

وقال له جليان : « اسمعني » أيها العجوز بريسون فإن لدي قصة طريفة أود أن أرويها لك .

فقال بريسون العجوز : « كم أود أن ترويها لشخص آخر في غرفة البلياردو ، فأنت تعلم إلى أي حد أكره قصصك » .

دولار

فقال جليان وهو يلف سيجارة : « إنها قصة طريفة رائعة ، ويجب أن أقصها عليك . إنها محزنة جدا ومضحكة جدا لدرجة لا تصدق وطرقعة كرات البلياردو . لقد حضرت لتوي من قراءة الوصية القانونية التي كانت تحتوي شئون المرحوم عمي . فقد ترك لي ألف دولار فقط . والمشكلة هي ما الذي يستطيع الإنسان أن يفعله بألف دولار » ؟

فقال بريسون العجوز وهو يبدي اهتماما كالذي تبديه النحلة نحو إناء الخل : « أعتقد أن المرحوم سبتيموس جليان قد ترك ثروة تقدر بحوالي نصف مليون » .

فوافق جليان قائلا في مرح : « فعلا ، ومن هنا تأتي النكتة . فقد ترك حمولة من الذهب لجرثومة . فجزء منها تركه لمن يكتشف عقارا جديدا ، والباقي لبناء مستشفى . كما ترك أيضا جزءا لساقيه ولمديرة شئون منزله ، فلكل منهما عشرة دولارات . أما أنا ، ابن أخيه ، فقد ترك لي ألف دولار » .

فعلق بريسون العجوز قائلا : « ولكنك كنت تملك مالا كثيرا دائما » .

فقال جليان : « نعم ، فقد كان عمي سخيا لي » .

فسأله بريسون المحول : « هل هناك ورثة آخرون ؟

فرد جليان في ضيق : « هناك الآنسة هايدن ، وكانت تحت وصاية عمي وتعيش في بيته . وهي فتاة جذابة . وقد نسيت أن أخبرك بأنها هي الأخرى كان نصيبها الخاتم والدولارات العشرة . ليت نصيبي كان قليلا مثل نصيبهم ، إذن لأمكنني شرب زجاجتين من الخمر ، ولمنحت الخادم الخاتم وأرحت نفسي من هذه المشكلة . والآن أيها العجوز بريسون لا تكن وقحا ولا مثاليا . أخبرني ماذا يستطيع الإنسان أن يفعل بألف دولار ؟ .

فمسح بريسون المحول نظارته وابتسم وعندما ابتسم بريسون العجوز عرف جليان أنه ينوي أن يمعن في سخريته .

قال بريسون : « بألف دولار يمكن للإنسان أن يشتري بيتا سعيدا ويخرج لسانه بعد ذلك للمليونير روكفلر ! ويمكن لشخص آخر أن يرسل زوجته إلى الجنوب الدافئ المرح وينقذ حياتها . وبألف دولار يمكن شراء لبن نقي لمائة طفل في يونيو ويوليو وأغسطس وإنقاذ حياة خمسين منهم . وفي مقامرة لمدة نصف ساعة للتسلية في أحد أروقة متحف فارو المحصنة ، يمكن شراء لعبة بهذا المبلغ . أو تخصيصه لتعليم صبي طموح . وقد قيل لي إنه بمثل هذا المبلغ تم أمس إنقاذ إحدى روائع « كورو » من أحد المزادات . كما يمكنك أن تنتقل إلى مدينة نيوهامبشير لتعيش فيها حياة محترمة لمدة عامين بهذا المبلغ . ويمكنك أيضا أن تستأجر حديقة ميدان ماديسون لمدة ليلة وتلقي فيها محاضرة على مستمعيك — هذا لو كان لديك مستمع واحد — عن المهنة غير المضمونة ، مهنة منتظري الوراثة ! » .

فقال جليان وهو غير آبه : « قد يحبك الناس

اذا أنت افلت من القدر الواطئ . لقد سألتك عما يمكنني أن افعله بألف دولار » ؟

فأجاب بريسون في ضحكة رقيقة : « أنت ؟ بالنسبة لك ياجوني جليان ليس امامك سوى شيء منطقي واحد لتفعله . يمكنك أن تذهب وتشتري بالمبلغ ثلاثة ماسية للآنسة لولا لورين ، وبعد ذلك تذهب الى « ايداهو » وتعيش في مزرعة هناك . وانصحك بأن تكون المزرعة مزرعة لتربية الأغنام ، لأنني اكره الاغنام كرها شديدا ! » .

فقال جليان وهو ينهض : « شكرا ، كنت اعتقد انه يمكنني الاعتماد عليك أيها العجوز بريسون ولقد كنت الوزر العصبي ، فأنني اريد التخلص من المبلغ بضربة واحدة ، فالمطلوب مني أن اقدم حسابا عنه ، وانا اكره ذكر التفاصيل » .

وطلب جليان سيارة اجرة بالتلفون وسأل سائقها : « الى مدخل مسرح كولوميين » .

وكانت الآنسة لولا لورين تضع اللمسات الأخيرة من مساحيق وجهها لتساعد الطبيعة السخية على ابراز جمالها . وكانت على اهبة الاستعداد للدخول الى خشبة المسرح في حفلة ميارية مزدحمة عندما اعلنت خادمتها وصول السيد جليان .

وقالت له الآنسة لورين : « دعه يدخل »

ثم وجهت الخطاب الى جليان قائلة : « ماذا هناك يا جوني ؟ سأبدأ عملي على المسرح بعد دقيقتين » .

وقال جليان في جد : « ان الامر لن يستغرق دقيقتين ، ما رأيك في ماسة ؟ استطيع أن ادفع فيها رقما امامه ثلاثة اصفار » .

فقالت الآنسة لورين وكأنها تغني : « جميل جدا ياجوني ، هل رأيت ثلاثة عقود صناعية التي كانت ترتديها الليلة الماضية ؟ انها تساوي ٢٢٠٠ دولار في محلات تيفاني » !

وهرع جليان نحو سيارة الأجرة التي كانت في انتظاره وسأل سائقها : « ماذا تفعل لو كان عندك الف دولار ؟ » .

ورد السائق بسرعة في صوت اجش : « افتح محلا . انني اعرف مكانا نستطيع أن نفترقه ذهبا .. وهو مكون من أربعة طوابق . وسيصبح الطابق الأول ... » .

فقاطعه جليان : « كلا .. لقد كنت أسأل من باب حب الاستطلاع ، قف بالسيارة » .

وفي أحد شوارع برودواي أوقف جليان السيارة ونزل منها ، وعلى الرصيف كان يجلس رجل أعمى على مقعد بلا مسند للظهر يبيع الاقلام الرصاص ، فسأله جليان : « عفوا ، هل تكرم وتخبرني ماذا يمكنك أن تفعل لو كان عندك الف دولار ؟ » .

فسأله الرجل الضرير « هل نزلت من السيارة التي توقفت الآن ؟ » .

فأجابه جليان : « نعم » .

فقال بائع الأقلام الرصاص : « لاشك انك فتى لانك تستعمل سيارة في وضح النهار ، انظر .. هذا رأي في ذلك » . واخرج الرجل كتابا صغيرا من جيب معطفه وقدمه الى جليان ولمحه وادرك انه دفتر توفير مصرفي .. واتضح أن الضرير يدخر ١٧٨٥ دولارا !

واعاد جليان الدفتر للرجل وعاد الى سيارة الأجرة ، ليقول للسائق : « لقد نسيت شيئا ، فلتذهب الى مكتب « تولمن وشارب » للمحاماة ، في شارع برودواي » .

ونظر اليه المحامي تولمن في تساؤل كبير من خلال نظارته ذات الاطارات الذهبية ، وسأله جليان في مرح : « عفوا ، هل لي أن أسألك سؤالا ؟ انه سؤال غير هام . هل تركت وصية عمي شيئا للآنسة هايدن بخلاف الخاتم والدولارات العشرة ؟؟ » .

فقال السيد تولمن : « لاشيء » .

فقال جليان : « شكرا جزيلا » .

ثم هرع الى سيارته واعطى السائق عنوان منزل المرحوم عمه .

وكانت الآنسة هايدن تحرر بعض الخطابات في المكتبة . وكانت صغيرة الحجم ونحيلة وترتدي السواد ولكن عينيها الجميلتين كانتا تثيران الانتباه . ودخل عليها جليان وهيئته توحي - كعادته - بعدم مبالاته بالدنيا .

وقال لها : « لقد قدمت للتوي من مكتب تولمن . لقد كانوا يفحصون الأوراق هناك ثانية . وقد

عشروا ـ وهنا حصر جليان ذاكرته بحثا عن تعبير قانوني ـ على تعديل أو مخطوط لاحق للكتابة الوصية . ويبدو أن العجوز أعاد التفكير في امرأة وأوصى لها بألف دولار . وقد كنت عازما بالتأكيد فسألني تولمان أن أحضر إليك المبلغ . وها هو ذا. ومن المستحسن أن تحصيه لتتأكدي من صحته.

ووضع جليان النقود الى جانب يدها على المكتب، وابيض لون الآنسة هايدن وقالت : «الوصية .. لم أرث الكمية ثانية !»

واستدار جليان نحو النافذة ونظر منها الى الخارج ، وقال في صوت مستخف : « أعتقد بالطبع أنك تعلمين أني أحبك » .

فقالت الآنسة هايدن وهي تأخذ نقودها « إني آسفة » .

« فسأل جليان « لمَ الآسفة ؟ »

فقالت الآنسة هايدن ثانية : « إني آسفة »

فسألها جليان وهو يبتسم : « هل تسمحين لي بكتابة شيء ؟ »

وجلس الى المنضدة الكبيرة وأعطته ورقا وقلم ثم عادت الى مكتبها .

وكتب جليان حساب مصروفاته للألف دولار كما يلي : ـ

« دفع المطلوب عليه ، روبرت جليان ، ألف دولار من أجل السعادة الأبدية ، الى أفضل وأحب امرأة في الدنيا » .

ووضع جليان الورقة في مظروف وانحنى وخرج،

وبعد مسيرته ثانية أمام مكتب «تولمان وشارب».

وقال جليان في مرح لتولمان ذي النظارة الذهبية،

لقد أنفقت الألف دولار ، وقد حضرت لأقدم حسابا عنها حسب الاتفاق . إن الجو يبدو وكأنه الصيف ، أليس كذلك يا سيد تولمان ؟ .

ووضع ظرفا أبيض على مكتب المحامي وهو يقول « ستجد فيه مذكرة يا سيدي عن كيفية انفاق الدولارات . »

وبدون أن يلمس الظرف ذهب السيد تولمان واستدعى شريكه شارب، وفتحا سويا باب خزانة ضخمة ، وأحضرا مظروفا مغلقا بالشمع الأحمر وفتحاه وفحصا محتوياته معا ، ثم تولى تولمان الكلام في لهجة رسمية .

ـ يا سيد جليان ، لقد كان هناك ملحق لوصية عمك . وقد عهد الينا بصفة خاصة بعدم فتحه إلا بعد أن تقدم الينا حسابا تفصيليا عن طريقة انفاقك للألف دولار . وبما أنك قد وفيت بالتزاماتك فقد قرأت وزميلي الملحق . ولا أريد أن أثقل عليك باصطلاحاته القانونية ، وعليه فسأخبرك بروح مضمونه . يقول الملحق إنك لو تصرفت في الألف دولار بما يظهر أنك تستحق مكافأة فسيصيبك خير كثير . فإذا كان تصرفك حكيما عاقلا لا أنانية فيه فسوف نمنحك سندات قيمتها ٥٠ ألف دولار . ولكن ، وكما أوصانا المرحوم السيد جليان ، لو كنت تصرفت في المبلغ كعادتك ، وكما يقول المرحوم حرفيا : لو بددت المبلغ بطريقة تستوجب اللوم وفي أمكنة سيئة السمعة ، فإن مبلغ الخمسين ألف دولار سيدفع فورا الى ميريام هايدن التي كان المرحوم وصيا عليها . والآن يا سيد جليان فإني والسيد شارب سوف نفحص حساب انفاقك الألف دولار . لقد قدمت الحساب كتابة بالطبع . وأرجو أن تثق في حكمنا » .

ومد السيد تولمان يده نحو المظروف ، ولكن جليان كان أسرع منه ، ومزق جليان المظروف بمحتوياته ووضع القصاصات في جيبه .

وقال وهو يبتسم : « لا داعي اطلاقا لتتعب نفسك . فلا أعتقد أنك ستفهم هذه الرهانات الفاشلة. لقد خسرت الألف دولار في سباق الخيل، وداعا أيها السادة » .

وهز تولمان وشارب رأسيهما في أسف عندما خرج جليان ، لأنهما سمعاه يصفر في سعادة وهو في البهو منتظر المصعد ! .

■■

ترجمة : عادل شريف

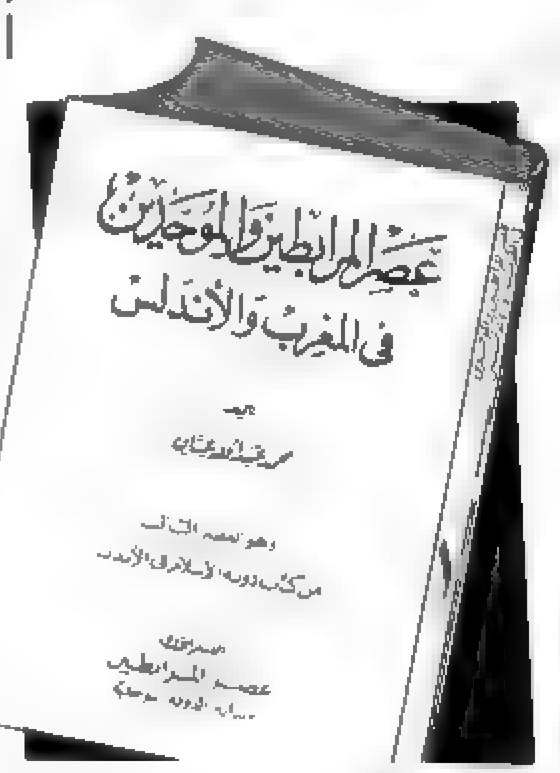


بقلم : الدكتور محمود السمرة

■ الأستاذ محمد عبد الله عنان ، مؤلف هذا الكتاب ، ثقة في تاريخ الأندلس . ففي عام ١٩٤٢ أصدر كتابه القيم « دولة الإسلام في الأندلس ». وقد كان دوما يتردد على إسبانيا والمغرب ، منقبا في دور الكتب فيها عن الوثائق والمخطوطات التي تهمه ، سواء كانت عربية أم قشتالية . وقد مكنه هذا الجهد المتواصل في البحث من أن يكتب تاريخ الأندلس منذ الفتح إلى نهاية دول الطوائف في ثلاثة مجلدات ، وأن يكتب في الوقت نفسه تاريخ المرحلة الأخيرة من دولة الإسلام في الأندلس ، أي تاريخ مملكة غرناطة حتى سقوطها ، ثم لتاريخ المسلمين المتنصرين في الأندلس ، ومحنتهم الأخيرة بإخراج بقاياهم المتنصرة من أوطانهم ، وذلك في مجلد كبير بعنوان « نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين » .

وبهذا يمكن القول إن الأستاذ عنان قد أرّخ العرب في الأندلس ، إلا فترة واحدة ، تلك هي الفترة الواقعة بين نهاية عهد الطوائف وقيام مملكة غرناطة ، وهي عصر المرابطين والموحدين . وهذه الفترة تستغرق من الزمن نحو مائة وخمسين عاما ، وتضع أمام المؤرخ المتصدي لتاريخها عقبات كثيرة ، بسبب ما يكتنف هذه الفترة من غموض . ويبدو أن الأستاذ عنان كان قد عزم وصمم على أن يكتب تاريخ الأندلس كاملا ، فكان هذا الكتاب القيم الفريد الذي نتناوله اليوم ، الذي كان ولا شك نتيجة جهد أعوام من العمل الشاق ، والتنقيب المستمر ، في مكتبات مدريد ، والإسكوريال ، والرباط وفاس ، والقاهرة ، ولندن ، واكسفورد ، والفاتيكان .

وبالإضافة إلى تقصي المصادر فإن المؤلف حرص على دراسة المواطن الجغرافية والاستراتيجية دراسة علمية ،



فزار مــــــكر مواضــع الحروب التاريخيــة ، ومنطقة جبال اطلس ومدينة تينملل ، معقل المهدي ابن تومرت، ودرس طريق سير الجيوش المرابطية والموحدية الى اسبانيا . اما في الاندلس فانــه لم يترك قاعدة او مدينة اندلسيــة قديمة دون ان يزورها ، ويدرس معالمها ، وآثارها الباقية . وقد حرص بالذات على ان يدرس مواقع المعارك العظيمة التي نشبت بين الموحدين وبين اسبانيا النصرانية، وقضى عدة ايام في دراسة مواقع المعركتين العظيمتين الحاسمتين « الارك » و « العقاب » .

وقد اتبع المؤلف في هذا الكتاب الاسلوب نفسه الذي اتبعه في كتبه السابقة ، فهو يستعرض نظم الحكم والاوضاع السياسية والدينية لكل مــن الدولتين ، المرابطية والموحدية ، والحركــــة الفكرية في الاندلس . والى جانب هذا نجــد المؤلف يتناول ايضا بالدراسة تاريخ اســـبانيا النصرانية .

والكتاب مزود بالخرائط التاريخية والرسوم الاستقرائية ، التي تبين مواقع المعارك الكبرى ، ويلحق به مجموعة من الوثائق الهامة المرابطية والموحدية ، وبعض هذه الوثائق ما زال مخطوطا لم ينشر بعد .

مصادر الكتاب

ان فترة عصر المرابطين والموحدين غامضة لقلة المصادر والوثائق التي كانت معروفة عنها . وهنا تكمن قيمة هذا الكتاب الذي نجد فيه استيعابا للمصادر ، واستقصاء للوثائق . ومن اهم المصادر والوثائق التي اعتمد عليها المؤلف في كتابه :

أ ــ كتاب المن بالامامة : وهذا المصدر المخطوط هو اهم مصدر اعتمد عليه المؤلف في كتابه لتاريخ المرحلة الاولى من تاريخ الدولة الموحدية ، واسم الكتاب الكامل ، كما جاء في الصفحة الاولى من المخطوط«كتاب تاريخ المن بالامامة على المستضعفين، بان جعلهم الله ائمة ، وجعلهم الوارثين ، واظهور الامام المهدي بالموحدين على الملثمين ، وما في مســالك ذلك خلافة الامام الخليفة امير المؤمنين . واحد الخلفاء الراشدين » . واما مؤلف هذا الكتاب فهو ، كما ورد في صفحة العنوان من المخطوطـة ، عبد الملك بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي . وهذه المخطوطة محفوظة في المكتبة البودليـــــة Boldian Library بجامعة اكسفورد ، وهي في ٢٨٨ صفحة كبيرة الحجم .

وفي المخطوطة ما يدل على ان هذا هو السفر الثاني من الكتاب ، وان السفر الاول يتضمن تاريخ قيام الموحدين ، وظفرهم بالتغلب علــى المرابطين ، وتاريخ اول خلفاء الموحدين عبد المؤمن ابن علي . وهذا السفر لم يصل الينا ، كما ان السفر الثالث الذي اشير اليه في ختام المخطوطة، لم يصل الينا ايضا . وهذه المخطوطة ، التي هي السفر الثاني ، تبدا بحوادث سنة ٥٥٤ هـ ، وتنتهي بحوادث سنة ٥٦٨ هـ ، وهي فترة قصيرة بمقياس الزمن ، ولكنها حافلة بالحوادث الهامة، والمؤلف ، ابن صاحب الصلاة، يروي هذه الحوادث باسهاب وتفصيل،لانه كان شاهد عيان لكثير منها.

وفي هذا الكتاب ثروة اهم من تفصيل الاحداث، فيه تلك المجموعة من الرسائل والوثائق الموحدية الصادرة عن الخلفاء والامراء الموحدين والتــي ينقلها لنا ابن صاحب الصلاة ، وفيه ايضــا تفاصيل دقيقة عن نظم الحكم الموحدية ،والشؤون الادارية والمالية . وهذه الوثائق والتفاصيـــل تلقي الكثير ضوءه على خواص الحكم الموحـــدي والدولة الموحدية .

وابن صاحب الصلاة ، مؤلف هذا الكتــاب ، من ادباء عصره وكتابه ، وهو اندلسي من اهــل باجه ، وفد على اشبيلية منذ نزل بها الموحدون، واتخذوها عاصمة لولاية الاندلس . وهو يبدو في كتابه مؤرخ بلاط يحرص كل الحرص علــى الاشادة بسادته واسيادهم ، فهو يخصهم بالالقاب الفخمة ، والنعوت الرنانة ، ولا يفوته ان يقول كلما ذكر اسم الموحدين « اعزهم الله » ، ومع

هذا فانه لا يحجم في حملى الاعيان من توجيه النقد والتنديد باعمال وتصرفات يراها جديرة بذلك .

وقد ذكر المستشرق الاسباني بونس بويجس ، نقلا عن المستشرق الايطالي (امارى) ، ان ابن صاحب الصلاة توفي سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢م) ، ونقل هذا عنه المستشرق الالماني بروكلمان في كتابه « تاريخ الادب العربي » . وفي رأي الاستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه هذا الذي نلخصه ، ان هذا التاريخ خاطىء ، ولا يتفق مع سياق « المن بالامامة » ، ذلك لانه يذكر في هذا الكتاب احداثا شهدها ، وترجع الى سنة ٥٩٤ هـ . ويرجح الاستاذ عنان ان ابن صاحب الصلاة قد عاش حتى اواخر القرن السادس ، بل والى اوائل القرن السابع ، والارجح انه توفي حوالي سنة ٦٠٥ هـ (١٢٠٨ م) واما مولده فيرجح الاستاذ عنان انه كان بين سنتي ٥٢٠ و٥٣٠ هـ (١١٢٦ — ١١٣٥م) .

٢ — كتاب نظم الجمان : وهذه مخطوطة اخرى من اهم مصادر هذا الكتاب ، وهي تتناول اواخر عهد المرابطين واوائل عهد الموحدين . والمؤلف هو ابن القطان . وعنوان المخطوطة كما ورد فيها هو « السفر الثالث عشر من كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان » ، وهي في ١٣٦ صفحة كبيرة الحجم . وهذه المخطوطة هي الآن محوزة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد .

ونحن لا نعرف تفاصيل كافية عن حياة ابن القطان ، المؤلف ، ولكن يوجد في المخطوطة ما يدل على ان ابن القطان هذا كان حيا في عهد الخليفة الموحدي المرتضى (٦٤٦ — ٦٦٥هـ) ، وهو الذي حكم قبل آخر الخلفاء الموحدين . وهناك اخبار متفرقة عنه تشير الى انه كان من ابصر الناس بالحديث ، وانه قاضي سكن مراكش ، وكان معظما عند الخاصة والعامة .

وهذه المخطوطة تتناول اخبار المرحلة الاخيرة من حكم المرابطين منذ سنة ٥٠٨ هـ (١١١٤ م) واخبار بداية ظهور المهدي ابن تومرت ، وتقدم دعوته ، ومرحلة الصراع الاولى بين الموحدين والمرابطين ، واخبار الاندلس خلال هذه الفترة ، حتى اخبار سنة ٥٢٣ هـ (١١٢٨ م) . وتنفرد هذه المخطوطة عن غيرها بايرادها رسالتين هامتين لم تذكرا في غيرها ، وهما رسالة « الكافية في براهين الامام المهدي » ، وهي رسالة خاطب بها عبد المؤمن بن علي ، ورسالة وجهها الخليفة عبد المؤمن الى الطلبة والشيخة والاعيان بالاندلس سنة ٥٤٣ هـ ، يشرح فيها قواعد السياسة الشرعية الموحدية ، ولا سيما في مطاردة المنكر ، وفي شئون الكوس والمغارم .

ويبدو في هذه المخطوطة تحمس ابن القطان للمذهب الموحدي ، فهو يذكر الامام المهدي وخلفاءه بمنتهى الاجلال والخشوع .

٣ — البيان المغرب : واستعان الاستاذ عنان في كتابه هذا بالقسم الثالث من « البيان المغرب » ، وهو مخطوطة في ٤٦٢ صفحة كبيرة . وقد عثر عليها في الخزانة الناصرية بتامجروت على مقربة من زاكورة بالمغرب . وتبدأ هذه المخطوطة بحوادث سنة ٥٣٣ هـ ، في اواخر عهد الدولة المرابطية ، بحملة تاشفين بن علي بن يوسف لمقاتلة الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي ، وتنتهي بحوادث سنة ٦٦٥ هـ ، بخلافة ادريس ابي دبوس الواثق بالله آخر الخلفاء الموحدين .

والمؤلف هو ابن عذاري ، وقد عاش في اواخر القرن السابع الهجري ، في بداية دولة بني مرين ، وفي بداية القرن الثامن . وهذا هو السبب في التزامه الحياد ، وعدم التورط في المدح او الذم ، كما فعل ابن صاحب الصلاة ، وابن القطان .

٤ — الرسائل المرابطية : وقد وقعت يد المؤلف الاستاذ عنان على طائفة من الرسائل والوثائق تلقي الضوء على نواحي الدولة المرابطية ، ونظمها وسياستها ، كما تلقي ايضا الضوء على الاحداث

العسكرية الاندلسية الهامة التي وقعت خلال العصر المرابطي .

٥ ـ الرسائل الموحدية : واستفاد الاستاذ عنان من مجموعة الرسائل الموحدية التي نشرت بعناية المستشرق ليفي بروفنسال ، وهي من اهم الوثائق . والى جانب هذه الرسائل فقد عثر على مجموعة اخرى مخطوطة في مكتبة الاسكوريال، وهذه الرسائل المخطوطة تكشف عن كثير من الظروف والاحداث التي وقعت في شرقي الاندلس، في اواخر عهد الموحدين ، واواخر عهد الاسلام به.

٦ ـ التراجم المخطوطة : ومن المصادر الهامة المخطوطة التي اعتمد عليها المؤلف طائفة كبيرة من التراجم وردت في موسوعتين هامتين ، الاولى « كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة» لقاضي الجماعة ابي عبد الله محمد بن عبد الملك ابن محمد بن سعيد الانصاري الاوسي المراكشي ، المتوفى فيما يرجع في اواخر القرن السابع الهجري، والثانية كتاب « الاحاطة في اخبار غرناطة » للوزير لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥م).

و « كتاب الذيل والتكملة » به عدد كبير من تراجم اعلام العصرين المرابطي والموحدي ، ومخطوطات هذا الكتاب موجودة في دار الكتب المصرية ، والمتحف البريطاني ، والاسكوريال ، وخزانة الرباط. وكتاب «الاحاطة» ايضا وردت فيه تراجم عديدة لامراء وزعماء من المرابطين والموحدين ، وذلك في القسم المخطوط منه والموجود في مكتبة الاسكوريال .

٧ ـ اما المصادر المطبوعة فهي كثيرة ومن اشهرها كتاب « المعجب » لعبد الواحد المراكشي، و « الحلل الموشية » لمؤلف مجهول ، و « روض القرطاس » لابن ابي زرع الفاسي ، و « اعز ما يطلب » للمهدي محمد بن تومرت ، و « الموطأ » للمهدي ايضا ، وهذان الكتابان يضمان خلاصة مذهبه وتعاليمه ، وكتاب « اخبار المهدي بن تومرت » وابتداء دولة الموحدين » لابي بكر الصنهاجي .. الخ ويضاف الى هذه المصادر النصرانية من لاتينية وقشتالية وغيرها .

عصر المرابطين والموحدين

ان خطر ضياع الاندلس دعا دول الطوائف الاندلسية الى الاستنجاد بالمرابطين ضد اعدائهم، فعبر يوسف بن تاشفين البحر ، وكانت بينه وبين جيوش الاعداء حروب انتهت بمعركة الزلاقة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) المعركة الحاسمة التي انتصر فيها المرابطون على جيوش اسبانيا النصرانية .

ولكن المرابطين الذين دخلوا الى الاندلس اخوانا في الدين ، منقذين لبلاد المسلمين ، لم يلبثوا ان غدوا اعداء لملوك الطوائف . وهذا صحيح ، ذلك لان يوسف بن تاشفين ، بعد ان رأى تخاذل دول الطوائف وتنابذها ، قرر القضاء عليها ، واقامة حكم قوي يستطيع ان يحمي ديار الاسلام . وهكذا كان ، فقد استولت جيوش المرابطين تباعا على دول الطوائف ، في مدة لا تزيد عن عشرين عاما (٤٨٣ ـ ٥٠٣هـ/١٠٩٠ ـ ١١٠٩ م)

وبهذا اصبحت الاندلس ولاية مغربية تخضع لحكومة مراكش ، وتحكمها القبائل البربرية المغربية ، بعد ان كان المغرب ولاية اندلسية تخضع لخلافة قرطبة الاموية ، قبل هذا التاريخ بقرن .

ولم يدم عهد المرابطين بالاندلس طويلا ، فهم لم يحكموها الا نحو نصف قرن ، ثم خلفهم الموحدون الذين حكموها اكثر من قرن .

وبين المرابطين والموحدين اوجه شبه ، واوجه تناقض .

في اوجه الشبه ان كلا من المرابطين والموحدين ينتمي الى طائفة من القبائل البربرية . وكلتا الدولتين ، المرابطية والموحدية قامت على اسس دينية،وعلى يد فقيه وداعية متعصب: فداعية الدولة المرابطية هو الفقيه عبد الله بن ياسين ،

وداعية الدولة الموحدية هو المهدي محمد بن تومرت . وكلتا الدولتين تحولت الى ملك سياسي على يد زعيم موهوب وقائد بارع : فزعيم الدولة المرابطية الذي وطد اركانها ، وشاد ملكها هو يوسف بن تاشفين ، وزعيم الدولة الموحدية وواضع اسسها هو عبد المؤمن بن علي . وكلتا الدولتين كانت تجمعها بالنسبة للاندلس ، فكرة الجهاد وحماية الاندلس من عدوان الممالك الاسبانية النصرانية .

لقد كان المرابطون يشعرون بروح الجهاد ، وهذه الروح هي التي جعلتهم ينتصرون في معركة الزلاقة وغيرها . وهذه الروح هي التي جعلت المرابطين يحرزون الانتصارات الباهرة ضد اسبانيا النصرانية ، ويحافظون على الاندلس . ولم يصبها مجدهم بالافول الا بعد قيام الثورات عليهم من اخوانهم في الدين ، وعبور الموحدين الى الاندلس اعداء لهم .

اما الموحدون فعلى الرغم من ان دافعهم للجهاد كان كدافع المرابطين، الا انهم لم ينالوا في حروبهم ضد اسبانيا النصرانية ، ما ناله المرابطون من نصر في الجهاد . وسبب هذا اختلال نظام الجيوش الموحدية ، وضعف قيادتها ، واختلال وسائل تموينها . ولم تبرز الجيوش الموحدية في جهادها ضد النصارى الا في معركة « الأرك » العظيمة التي احرز فيها الخليفة يعقوب المنصور انتصاره الباهر على القشتاليين في شهر رجب سنة ٥٩١هـ (يولية سنة ١١٩٥م) ، ولكن هذا النصر لم تلبث ان محت آثاره معركة (العقاب) التي احرز فيها القشتاليون نصرهم الساحق على الجيوش الموحدية بقيادة الخليفة محمد الناصر ولد المنصور ، وذلك في صفر سنة ٦٠٩هـ (يونية سنة ١٢١٢م) . ولم يمض على هذه المعركة سوى اعوام قلائل حتى انهار سلطان الموحدين بالاندلس .

وبجانب هذه المعركة التي كانت قائمة بين المرابطين واسبانيا النصرانية ، ثم بين الموحدين واسبانيا النصرانية ، كانت هناك معركة خافية حينا ، بادية حينا آخر ، تسود بين سادة الاندلس الجدد من المرابطين والموحدين ، وبين اخوانهم في الدين من زعماء الاندلس المحليين . وقد كانت هذه هي محنة الاندلس الحقيقية ، لان انقسامهم على انفسهم اضعفهم امام العدو المتربص . ولم يمض سوى خمسة عشر عاما على وفاة عاهل المرابطين يوسف بن تاشفين ، حتى اضطرمت الثورة في قرطبة حاضرة الاندلس يومئذ ، ضد المرابطين (٥١٥هـ / ١١٢١م) .

وفي اواخر عهد المرابطين نجد ان الاندلس كلها قد اضطرمت ضدهم ، ونشأت دعوة جديدة تنادي بالقومية الاندلسية ، وتهدف الى تحرير الاندلس من النير المرابطي . واصحاب الدعوة لم يحجموا من ان يلتجئوا الى الفونس السادس ، ملك قشتالة ، والد اعداء المسلمين ، لينصرهم على المرابطين . وكان ملوك النصارى يسارعون الى تلبية مثل هذه الدعوات ، لانها فرصة تتيح لهم ضرب المسلمين والتفريق بين امرائهم ، واستنزاف قواهم ، واستنزاع ما يمكن استنزاعه منهم من الاموال والاراضي . وبقيت هذه الروح سائدة ايضا ايام الموحدين . وتمثلت اصدق تمثيل في ثورة محمد بن سعد بن مردنيش ، وتحالفه المستمر مع ملوك النصارى ، ضد الموحدين .

لقد كانت هذه محنة لم تفق منها الاندلس ، الا وقد فقدت قواعدها الكبرى شرقا وغربا ، قرطبة ، بلنسية ، مرسيه ، شاطبة ، جيان ، اشبيلية ... واضحت انقاضا متناثرة .

■■

محمود السمرة

كليه الآداب ـ الجامعة الاردنية



تعال معي الى سنترال التليفونات

تأليف : لويس بوكهيمر ـ ترجمة ـ احمد كمال مراد ـ مكتبة النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ١٨ قرشا

● يتناول الكتاب قصة التليفون ، تلك الآلة الصغيرة المعجزة ، ويتناول المؤلف بالشرح طريقة الاتصال من الداخل والخارج ، والمركز الذي تتجمع فيه اسلاك الآلات المختلفة ليتصل بعضها ببعض . والكتاب يفسر أسرار تلك الآلة السحرية الصغيرة بأسلوب علمي مبسط .

مشكلة الانتحار

تأليف : الدكتور مكرم سمعان ـ دار المعارف بالقاهرة ـ الثمن ٩٠ قرشا

● استعرض المؤلف تاريخ الانتحار في العالم بالاضافة الى دراسة نقدية للبحوث والنظريات النفسية والطبية ـ عقلية واجتماعية ـ للانتحار والشروع فيه . كما كشف عن العوامل النفسية والاجتماعية التي تدفع الأفراد الى تنفيذ الانتحار في اطار الظروف الحضارية الراهنة للمجتمع العربي .

الاستراتيجية البحرية

تأليف : برنارد برودي

ترجمة : اللواء سعد الدين صبور

دار الفكر العربي بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٦٥ قرشا

● يبحث هذا الكتاب في فن ادارة وتوجيه المعارك أي فن القيادة العسكرية البحرية وأصولها مع وصف مفصل للقوات البحرية المختلفة والقواعد التي ترتكز عليها واسلحتها المعاونة . ويعد الكتاب سفرا بالغا في موضوعه جديدا في معلوماته اذ تعرض المؤلف لتجارب الحرب العالمية الثانية وحرب كوريا وما جاءت به من معلومات قيمة وتجارب في فن القيادة .

تطور النظرية التربوية

تأليف : صالح عبد العزيز ـ دار المعارف بالقاهرة ـ الثمن ٨٠ قرشا

● يبحث هذا الكتاب في تطور النظرية التربوية منذ فجر التاريخ حتى وقتنا الحاضر ، وهو يرسم صورة واضحة من تطور نشوء العقل الانساني وطموح الفكر البشري ، كما يبين مدى التلازم بين الفلسفة والتربية خلال مختلف العصور .

لامية العرب :

للشاعر الأزدي « الشنفرى » ـ شرح وتحقيق الدكتور محمد بديع شريف

● منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ، وهي تصدر بسيرة موجزة الشاعر .

من يعلق الجرس

تأليف : هنري ستراز ترجمة عقيلة عبدالحميد حمزة دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ١٠ قروش

● الؤلفة في هذه القصة اتبعت أسلوبا جميلا مشوقا للأطفال كما ضمنتها بعض المعلومات المفيدة

تطور الفكر السياسي

تأليف : جورج سباين ـ ترجمة : حسن جلال العروسي دار المعارف بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة ـ الثمن ٥٥ قرشا

● يبحث هذا الكتاب مرحلة هامة في تطور النظرية السياسية من العصر الروماني بعد انهيار مقدونيا وتنتهي بانتهاء العصور الوسطى .

فن قيادة الزوارق الشراعية

اعداد ناجي صبحي فوزي وجورج سليتي طبعه مرتب أجزاء عليمان

● يبحث هذا الكتاب في الحقل التربوي الرياضي للنشء العربي فن فن قيادة الزوارق الشراعية .

لوحة .. وتاريخ حياة

(بقية المنشور على صفحة ٢)

ولم ينس ديجاس ان يظهر في الصورة عنصرها الزوجه ، فرسم فانه تلك الغرفة ، وهو متكىء الى عصاه ، في وضع صارم ، وهو يراقب حركات المبتدئات .

ويلاحظ في طرف الصورة الايمن بعض الامهات بملابسهن الداكنة التي ابرزت ملابس الراقصات الناصعة البياض ، لتناقض الوانهما .

ان هذه الصورة تعكس الفن الذي اشتهر به هذا الفنان الكبير ، الذي اطلقوا عليه « رسام الباليه » لكثرة ما رسمه من هذه اللوحات الجميلة التي نطقت بما في ذلك الفن من سحر صامت ، كما عكست ما انطوت عليه نفس ديجاس من رقة في التعبير .

من المال الى الفن

ولد الفنان ديجاس عام ١٨٣٤ في باريس من ابوين انحدرا من اسرة عريقة ، وكان مرجوا ان يحذو حذو والده ، وقد كان احد رجال المال في عصره ، ولكن الطفل ديجاس كانت امنيته ان يصبح فنانا شهيرا . وكانت الغرفة كلها المدرسية تعكس تلك الامنية ، فقد كانت تزينها باقة لوحات لفرسان .. ، كان الطفل ديجاس يخطها بنفسه .

وبعد كفاح طويل نجح الفتى في اقناع والده بميوله الفنية ، فالحقه ابوه بمرسم الفنان لاموث Lamothe ليتعلم اصول الرسم . وكان لاموث احد تلاميذ انجريس Ingres قائد الفن الحديث في ذلك الزمان .

في تلك الاثناء كان الفن في باريس ينقسم الى معسكرين متضاربين ، اولهما بزعامة الفنان ديلاكروا Delacroix الذي آمن بالفن الرومانتيكي بألوانه الزاهية التي تشيع في النفس بهجة ، وبصوره ذات الخيال الغريب ، اما المعسكر الآخر فقد كان بقيادة انجريس Ingres ، وقد كان ينادي بالتقرب الى الفن الروماني والاغريقي القديم ، وانتج الكثير من اللوحات التي احتاجت الى مجهود شاق مضن ودراسة للتاريخ القديم عميقة .

وفي هذا الخضم نشأ ديجاس ، ونجح في تصحيح بعض أخطاء اساتذته . وذلك بفضل زياراته المتكررة لمتحف اللوفر ، وقضائه الساعات الطوال متأملا لوحات كبار اساتذة الفن الايطالي . وكذلك لسفرات له الى ايطاليا ، تأمل فيها طويلا روائع فناني القرن الخامس عشر من امثال ليونارد Leonardo وبوتيتشيلي Botticelli .

وحاول ديجاس في بادئ الامر ان يختار لصوره المواضيع التاريخية مفضلا منها المشاهد المعروفة التي يسهل تصورها ، مسبغا اياها في اوضاع حية مقبولة بعيدة عن الجفاف ، كما اعطاها لمسات خاصة من فرشه والوانه . وهو جسر حاجزا الى ذلك النوع من التصوير « الشعور بالواقع الحديث » .

ولكن سرعان ما تحول من رسم ذلك النوع من الفن الى رسم اللوحات التي تمثل الاشخاص ، وبرع في ذلك النوع براعة لم يسبق لها مثيل لما بذله من جهد مستفيض في دراسة تشريحية الانسان ، وتفصيل حركاته ، وقدم ديجاس من ذلك الفن شيئا جديدا لم يسبق له مثيل ، خاصة تلك اللوحات التي رسمها لاخواته في حياتهن الخاصة ، فجاءت غاية في التعبير ، واستعمل فيها لاول مرة ظلال الضوء على اختلافها ، وهو الشيء الذي لم يقع عليه عين انسان من قبل في عصره .

وفي ذلك الوقت أيضا اشتهر ديجاس بنحت التماثيل ، وقد انتج منها عددا وفيرا ، كان خلالها يقضي الساعات الطوال في غرفته الخاصة في دراسة طويلة .

رسم الطبيعة ..

وفي عام ١٨٧٠ عندما ان وضعت الحرب اوزارها ، عاد منها الى موطنه الذي كان قد احبه كثيرا فوجده قد تبدل تبدلا تاما ، وانحلت روابط الاسرة فيه . والتمس ديجاس حوله موضوعات جديدة تثير اهتمام الفنان ليصورها ، بعد جهد عثر عليها في دار الاوبرا ، في راقصات الباليه بالذات . وهنا بدأت فترة هامة من حياته ، نسق فيها بين الالوان والاضاءة ، فانتج صورا فريدة من ذلك الفن الكلاسيكي ، رقص الباليه .

وفي ذلك الوقت اجتمع ديجاس وانضم الى مجموعة من الفنانين الشباب كان بينهم مانيت Manet ، ورينوار Renoir ، وبازيل Bazille



صورة ديجاس .. بريشة ديجاس نفسه

ومونيه Monet ، وبيسارو Pissarro وكانوا جميعا يناصرون الفن الحديث ، والخروج لرسم الطبيعة وصور من الحياة العصرية معتمدين في ذلك على الألوان الصاخبة ، مفضلين لمسة اللون عن الرسم على تصوير المواضيع ذات الطابع التاريخي والأدبي . وخالف ديجاس تلك المجموعة في الرأي،وان شاركها في تأسيس « جماعة الرسامين التعبيريين » .

وكان ديجاس يقول دائما « يجب على الفنان أن ينمي فنه بتفكيره وعقله وقوة ملاحظته لأن ذلك يعود عليه بالفائدة دائما أكثر من التجوال والتنقل » .

وفاته ..

ولم يقتصر ديجاس على رسم فرق الباليه فحسب ، بل انتقل الى الخيل والسباق ، فكان أول من سجل حلبة سباق الخيل وحركاتها المختلفة ، من تمرين ، الى استعداد للجري ، الى الجري كما رسم صورا لمدربي الخيول وراكبيها بأزيائهم المختلفة الأشكال والألوان .

ومضى ديجاس على هذا المنوال يسجل صورا مختلفة تتعلق بالحياة الباريسية مستعملا ألوانه الغريبة ، منتجا لوحات غاية في الاعجاز .

وفي عام ١٨٨٦ حاول ديجاس الخروج الى العالم بمدرسته الخاصة التي نادى فيها بالربط بين الفن التعبيري، والمثل العليا من الفن الكلاسيكي، مقدما لوحات غاية في التعبير ولكن ضعف بصره حال دون مضيه في رسالته العظيمة ، فقد كان بصره ضعف حتى كاد يعمى ، ولم يكن بجانبه الا بضعة من أصدقائه ؛ وهو لم يتزوج وامضى حياته كلها أعزب .

وفي عام ١٩١٧ لفظ الفنان الكبير ادجار جيرمين ديجاس أنفاسه الأخيرة عن ٨٣ عاما بعد أن فقد بصره تماما ، وأوصى أقرب أصدقائه « فورين » بألا تقام له مراسم دفن ، وقال له

« اذا أصر القوم على تأبيني فقم أنت يا فورين وقل في الجميع لقد أحب ديجاس الرسم وكما أحبت الرسم أنا أيضا . والحق .. لقد كان ديجاس مثلا أعلى للفنان في التواضع ، وعفة النفس ، فقد كان يرفض أن يتقاضى شيئا على لوحاته ، حتى تلك التي كان يصور فيها وجوه الناس . وأعلنه على ذلك انه كان ثريا ، وبعد مضي أربعين سنة على وفاته ، استيقظ العالم فبوأه مكانته من الفن واحتفل بذكراه » .

أنت تسأل ونحن نجيب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
وللرجال عليهن درجة .. !



● يقول الله تعالى في كتابه العزيز «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم» ويقول جل شأنه في مكان آخر «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة» . فما هي هذه «الدرجة» أولا ؟ وكيف يكون الرجل قواما على المرأة مع ما نراه في عصرنا الحاضر من مساواتها به في بلاد العالم المتمدين ، بما فيها بعض البلاد الإسلامية ، حتى أصبحت تمارس جميع الأعمال وتلي مختلف الوظائف حتى الوزارة والسفارة !!

صالح ونيس عبد النبي ـ شحات/برقة

ـ ليس هناك تعارض بين ما ورد في كتاب الله من آيات ، وما نشهده في هذا العصر من مساواة المرأة بالرجل في كثير من المجالات.

فهذه آية « الرجال قوامون على النساء » فيقول مجاهد وعكرمة انه لما نزلت آية المواريث وفيها أن للذكر مثل حظ الأنثيين عز ذلك على نسوة مسلمات منهن أم سلمة بنت أمية بن المغيرة .. ألا كن يشاركن الرجال في كل صعبة، ويخرجن معهم إلى ميادين القتال يضمدن الجرحى، فذهبن إليه وقلن « يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو، فلا نصيب من الأجر مثل ما يصيبون، ثم يكون لنا نصف ما لهم من الميراث ؟ » فنزل قوله تعالى « ولا تتمنوا ما فضل الله بعضه

الشاي الذي نشربه

● من هو أول شعب عرف الشاي كشراب ؟ وأي بلاد العالم أكثر إنتاجا لمحصوله ؟ وأيها أكثر استهلاكا له ؟ وهل صحيح أن الشاي الصيني أقل ضررا من سواه ؟

لولوة محمد أنور ـ البحرين

ـ عرف الصينيون الشاي قبل سواهم منذ أقدم الأزمنة ، أما الغرب فلم يعرفه إلا بعد ذلك بقرون ، عندما نقله المستعمرون الهولنديون من بلاد الشرق الأقصى إلى أوروبا حيث تعلق به الإنجليز أكثر من سواهم ، حتى كانت انجلترا وحدها تستهلك نصف محصول الشاي في العالم إلى عهد قريب .

وقد نقل الإنجليز الشاي إلى أمريكا متخذا

بعضكم على بعض »، وما تلاها من الآيات وفيها « الرجال قوامون على النساء » الخ ..

ويقول ابن عباس ان هذه الآية الأخيرة نزلت في بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع احد نقباء الأنصار اذ لطمها فنشزت عن فراشه ، وذهبت تشكوه الى رسول الله واثر اللطمة على وجهها فقال لها النبي : « اقتصي منه » ثم عاد فقال « اصبري حتى انظر » ، فلما نزلت الآية قال عليه الصلاة والسلام : اردنا امرا واراد الله امرا ، والذي اراده الله خير » ثم رفع القصاص ، اذ مضت الآية تقول « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن، فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » .

اما تفضيل الرجل على المرأة فلا يقصد به تلك الصورة التي ما تزال آثارها باقية حتى الآن في البلاد المتخلفة حيث المرأة اشبه بالخادمة او الجارية وانما على الصورة التي وردت في آية سورة البقرة : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة» .

يقول الامام محمد عبده في ذلك . ان الرجل والمرأة كالرأس والبدن ، الرجل في مكانة الرأس ، والمرأة بمنزلة البدن . وقد يكون الرأس افضل من بقية البدن ولكنه لا يستطيع ان يستغني عنه او يعيش بدونه ، فقد اختص الله كلا منهما بما لم يختص به الآخر ، ليكمل بعضهما بعضا . اختص المرأة بالحمل والولادة وتربية الاطفال ، واختص الرجل بالسعي والكسب والانفاق على الاسرة والدفاع عن الوطن ، كما اختصه بان اليه وحده دون المرأة ينسب البنون والبنات مع انها هي التي تحمل وتلد وتربي .. واستبعد الامام ما قال به معظم المفسرين من ان الله فضل الرجال على النساء لان فيهم النبوة والرسالة الخ ..

ثم يجب الا ننسى التفاوت الفطري بين الجنسين ، سواء في القوة البدنية او العقلية او الفسيولوجية ، فالمرأة اضعف من الرجل واقل حيلة منه ، فهي لذلك محتاجة الى الرعاية والارشاد والعون .. روى ابو هريرة ان النبي (صلعم) قال : « ايها الناس ، استوصوا بالضعيفين : المرأة واليتيم » .. وروى البخاري ومسلم وابن حنبل وغيرهم من ائمة الحديث عن ابن عمر (رض) ان رسول الله قال مخاطبا النساء « .. ما رأيت من ناقصات عقل ودين اغلب للب منكن » . « فقالت احداهن : « يا رسول الله ، وما نقصان العقل والدين ؟ » قال : « شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل ، فهذا هو نقصان العقل ، وتمكث الليالي لا تصلي ، وتفطر في رمضان ، وهذا هو نقصان الدين » .

على ان ذلك لا يعني تفضيل جميع افراد الرجال على جميع افراد النساء ، وان كان يعني تفضيل الجنس في مجموعه .. فكم من امرأة تفضل زوجها في العلم او في العمل او في الاخلاق ، بل في الكسب والقوة البدنية احيانا وهما اخص خصائص الرجال .

ولعل خير تفسير لهذا قول ابن عباس : « اني لاحب ان اتزين لامرأتي كما احب ان تتزين لي لان الله قال « ولهن مثل الذي عليهن » .. وكذلك قوله : « اني لا احب ان استنظف (اي استوفي) منها جميع حقي عليها ، امتثالا لقوله تعالى « وللرجال عليهن درجة » . قال بعض المفسرين اي بالصفح عن تقصيرها في بعض الواجبات والتغاضي عما قد يصدر منها ، مع القيام بحقها كاملا ..

(البقية على صفحة ١٤٦)

كانوا يستعمرونها ، وكانت الضرائب التي يجبونها على استيراده انذاك باهظة لدرجة يمكن القول انها كانت احد اسباب قيام الثورة الامريكية التي ادت الى تحرير الولايات المتحدة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر .

واكثر البلاد انتاجا للشاي : الصين واليابان والهند وسيلان اللتان ادخل زراعته فيهما الانجليز ايام الاحتلال البريطاني لهما .

والشاي الصيني يحتوي على نسبة اعلى من خلاصة « الكافايين » المنبهة ، وخلاصة « التنين » القابضة . فضلا من ان ازهاره تخلط باوراقه عند اعداده مما يكسبه رائحة عطرية لطيفة .

ويشرب بعض الروس الشاي خاليا من السكر ، كما ان اهل التبت يغلون اوراقه المحفوظة بعد مزجها ببعض الدهون .

.. هو رابع المستحيلات !..

● في مناقشة بيننا وبين بعض الاصدقاء ، اراد احدهم أن يدلل على صعوبة تحقيق الامر الذي كان موضوع مناقشتنا ، فهتف قائلا : « انه من رابع المستحيلات !! » . وخطر لنا حينئذ ان نسأله عن المستحيلات الثلاثة التي بات موضوعنا رابعها ... فلم يحر جوابا ... لهذا نحن باستفسارنا اليكم عسى أن نجد عندكم الايضاح المنشود .

فارنات من بنغازي

(العربي) — من ماثورات العرب قول احدهم في المستحيلات الثلاثة : في هذه الدنيا :

« الغول ، والعنقاء ، والخل الوفي » !!

وعند الاشارة الى استحالة امر من الامور ، يقال عنه انه : « من رابع المستحيلات !.. » لذلك ...

هذه هي « الولايات المتحدة » الخمسون

● ارجو ان تجيبوا الرئيس ليندون جنسون في الانتخابات الامريكية بالاسئلة التالية

١ — يقولون ان الولايات المتحدة الامريكية خمسون ولاية ، فما هي ؟ وكيف تم اتحادها ؟ وكم هي مساحتها وعدد سكانها ؟

٢ — من هو اول رئيس للولايات ؟ وكم رئيسا تعاقبوا على هذا المنصب ؟ ومن هو اطول هؤلاء الرؤساء حكما ؟

٣ — ما هي الوظائف الرئيسية التي تقلدها الرئيس جونسون قبل توليه الرئاسة ؟

عسى ان اجد لديكم جواب هذه الاسئلة ، وشكرا .

آنسة شيريت ذو الفقار — الاسكندرية

— لما اتجه الاسبان والفرنسيون والانجليز الى استعمار امريكا بعد اكتشافها ، استوطن الانجليز اول الامر في الجزء الواقع على شاطئ المحيط الاطلسي من البلاد التي تعرف الآن بالولايات المتحدة الامريكية ، في المنطقة ما بين « ماين » في الشمال و « جورجيا » في الجنوب وذلك في مجموعات ثلاث شكلت مستعمرات نيوهامبشير وماساتشوستس ، ورود ايلاند وكونكتيكوت وفرجينيا وكارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية وجورجيا ونيوجرسي وبنسلفانيا وماريلاند وديلاوير ونيويورك .. وهذه المستعمرات الثلاث عشرة هي التي قامت عليها فيما بعد الولايات المتحدة الامريكية .

وكان من اثر قيام الثورة الامريكية بقيادة جورج واشنطن ان تحررت هذه المستعمرات وابدل اسم المستعمرات بالولايات ، واختير واشنطن (عام ١٧٨٩) اول رئيس للولايات بعد اتحادها في وثيقة وضعها شعوبها واعتبرت دستورا .

وكانت مساحة الولايات الثلاث عشرة المذكورة اذ ذاك ٣٨٠٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها لا يتجاوز

صبغ الشعر الاشيب

● أن شيبه في لحامة والصرب ، ومع ذلك فان اكثر من ثلث شعري قد اشتعل شيبا ، وقد صبغت ابي صبغة حتى لا ابدو اكبر من سني ، لكني قرأت في احد كتب الفقه التي تزخر بها مكتبة والدي حديثا لابن مسعود ، ولعيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان نكره عشر خلال « الصفرة ، وتغيير الشيب ... الخ » . كما قال النووي : « يحرم الخضاب بالسواد » استنادا على حديث عن ابن عباس جاء فيه « يكون قوم يخضبون بالسواد لا يجدون ريح الجنة » ، ويقول ابو الدرداء « من خضب بالسواد سوّد الله وجهه يوم القيامة » !

وانا لا اريد ان يسود وجهي يوم القيامة حقا ، لكنني في الوقت نفسه لا احب أن ابدو للناس ، وخاصة زوجي ، كما لو

ن حراما ، وانما هو سنة ومستحب

كنت عجوزا ! فما هو رأيكم في صحة هذه المسألة ؟!

عرفت ... طب

– ليست هذه مشكلة البتة . ولو انني كنت احب ان اعرف اسم الكتاب الذى قرأت فيه هذه الاحاديث لابين اسنادها ، لانى لا اشك انه اسناد ضعيف .

فالذى نهى عنه الرسول هو نتف الشيب ، لا صبغه ، الذى حث عليه في اكثر من حديث صحيح .

قال عليه الصلاة والسلام في حديث اورده الخمسة مرويا عن الزبير . « غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود » ، وفي حديث آخر رواه ابو هريرة : « ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » . كما روى ابو ذر فيما اورده البخارى والترمذى وابن حنبل ان رسول الله قال : « احسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم » . والكتم في القاموس : نبت جبلي يخلط بالحناء ويختضب به الشعر .. وفي كتب النبات انه يعرف بالوسمة او ورق النيل ، يخرج منه صبغ اسود يميل الى الحمرة .

واتفق ابو هريرة وانس بن مالك ، وابن حنبل على انه (صلعم) اختضب ، واجتهم في ذلك ثم سادة فيما رواه البخارى واحمد وابن ماجه . وان كان ينسب الى انس انه سئل عن خضاب الرسول فقال « انه لم يكن شاب الا يسيرا .. ولكن ابا بكر وعمر خضبا بالحناء والكتم » حديث متفق عليه .

اما السواد فقد صبغ به عثمان والحسن والحسين وعقبة بن عامر وابن سيرين وغيرهم من الصحابة والتابعين .

ومن هنا قال العلماء : ان الصبغ سنة او مستحب .

فاصبغي شعرك ، وانا ضمين بأن وجهك لن يسود يوم القيامة من اجل ذلك ابدا ..

ثلاثة ملايين . اما الآن فان مساحة الولايات المتحدة كلها اثنين مليون ميل مربع وعدد سكانها فوق المائة وخمسين مليونا ..

وقد بدأ التوسع الامريكي نحو الغرب بضم المنطقة التي تتألف منها الآن ولايات كنتوكي وتنيسي والاباما وفرمونت ولوهايو وانديانا ومتشيجان والمسيسبي والينوى وفرجينيا الغربية وماين ولويزيانا .

وفي عام ١٨٠٣ تنازلت فرنسا للولايات عن منطقة لويزيانا التي كانت تستعمرها ، وذلك نظير مبلغ ١٥ مليونا من الدولارات . وقد تحولت هذه المنطقة فيما بعد الى ولايات ميسورى واركنساس ونبراسكا وايووا ووسكنزن ومونتانا ومنزوتا وداكوتا الشمالية والجنوبية ومتشيجن وكلورادو واوكلاهوما وكنزاس .

وفي عام ١٨١٠ تنازلت اسبانيا عن فلوريدا مقابل خمسة ملايين دولار .

وفي عام ١٨٤٥ انسلخت تكساس عن المكسيك ، وانضمت الى الولايات بعد عدة معارك دامية مع المكسيك .

واعقب ذلك ضم اقليم « اوريجون » الذى كان جزءا من كندا . كما انضمت ولايات اريزونا ونيومكسيكو وايداهو ونيفادا وكاليفورنيا وواشنطون ويوتا .

وفي عام ١٨٦٧ اشترت الولايات المتحدة جزيرة الاسكا من روسيا .

وفي عام ١٩٦٠ اعلن الرئيس ايزنهاور انضمام جزر هاواى فاصبحت الولايات المتحدة الامريكية بذلك ٥٠ ولاية .

وقد تعاقب على رئاسة الولايات المتحدة بعد جورج واشنطون ٣٥ رئيسا كان آخرهم ليندون جونسن الحالى .

واطول هؤلاء الرؤساء عهدا بالحكم هو فرانكلين روزفلت الذى لبث في الرئاسة اكثر من

١٢ عاما . اما الصرحم عهدا فكان وليم هاريسون اذ لم يلبث الا شهرا واحدا ، ثم جيمس جارفيلد الذي لبث خمسة اشهر ونصف شهر !

وقد ولد ليندون جنسن في ٢٧ اغسطس عام ١٩٠٨ في ضيعة بولاية تكساس .

ولما بلغ التاسعة من عمره كان يقوم بتلميع الاحذية للزبائن في صالون الحلاقة بمدينة جونسون .

وظل بعدها يمارس بعض الحرف التافهة ، كغسل السيارات ، كما عمل صبيا في بعض المقاهي !!

وفي الخامسة عشرة اكمل دراسته الثانوية والتحق بكلية المعلمين في « سان مركوس » وحصل على البكالوريوس في العلوم وعمره ٢٢ سنة ، فاشتغل بالتدريس فترة من الزمن ، ثم عمل سكرتيرا لريتشارد كليبرج ، حتى عينه الرئيس روزفلت عام ١٩٣٥ في منظمة الشباب بالولاية .

ثم اخذ يشق طريقه ..

الاكراد ...

● من هم الاكراد ، والى اي اصل ينتمون ؟ هل هم ايرانيون ، ام اتراك ؟ وكم هو تعدادهم ؟.

ابراهيم علي التمور
المعهد الثانوي ـ قطر

(العربي) ـ الاكراد هم اصلا من العنصر الآري ، وقد نزحوا منذ مئات السنين من اواسط اسيا وشماليها وبحر قزوين ، واحتلوا في المنطقة التي تمتد ما بين العراق وايران وتركيا وسوريا .

ويبلغ تعداد الاكراد في العالم كله حوالي ستة ملايين ونصف المليون تقريبا ، يعيشون في ظل خمس دول ، يتوزعون فيها على الشكل التالي

ـ ثلاثة ملايين نسمة في جنوب شرقي تركيا ؛

ـ مليون ونصف المليون نسمة في شمالي غربي ايران ؛

ـ مليون و ٤٠٠ الف نسمة في شمالي العراق ؛

ـ ٢٥٠ الف نسمة في جنوبي ارمينيا والقفقستان ؟

ـ ١٥٠ الف نسمة في شمالي سوريا ؟

ـ ٥٠ الفا موزعون في مناطق اخرى متفرقة .

حلف ((ناتو)) او : شمال الاطلسي

● اية دول يضمها حلف (الناتو) وحلف (شمال الاطلسي) ؟ وما هي الغاية من وراء تكتلها هذا ؟ .

ي. ا. القاسم
دولة الكويت

(العربي) ـ حلف N. A. T. O. هو نفسه « حلف شمالي الاطلسي » لان عبارة « ناتو » مكونة من الحروف الاولى لاسم منظمة الحلف بالانجليزية: North Atlantic Treaty Organisation وهو حلف دفاعي قام في شهر ابريل من عام ١٩٤٩ بين مجموعة من الدول الاوربية والولايات المتحدة الامريكية وكندا .. وانضم اليها سنة ١٩٥٢ كل من اليونان وتركيا ، والجمهورية الفيدرالية الالمانية سنة ١٩٥٥ .

والدول الاعضاء في هذا الحلف : تعتبر اي اعتداء مسلح على احدها اعتداء عليها جميعا يدعوها الى رده فورا .. وهي الدول التالية :

ـ بلجيكا ، كندا ، الدانمرك ، فرنسا ، المانيا الغربية ، اليونان ، ايسلنده ، ايطاليا ، لوكسمبرج ، الاراضي الواطئة ، النرويج ، البرتغال ، تركيا ، المملكة المتحدة (بريطانيا) ، الولايات المتحدة الامريكية .





مسكين ..

● الطفل : ماما .. هل تعطيني خمسة قروش ، لأعطيها الرجل العجوز الذي يصيح في الشارع ؟

الأم : حسنا .. يا صغيري .. ولكن لماذا يصرخ هذا العجوز ؟

الطفل : انه يصرخ : .. جيلاتي .. بوظة .. بخمسة قروش .!

تعددت الاسباب ..

● قال المريض بقلق لطبيبه المعالج : ارجوك يا دكتور .. هل انت متأكد من مرضي ؟ .. سامحني لسؤالي هذا ، فقد كان لي صديق يعالجه طبيبه من مرض التيفوئيد ، وهو مريض بالالتهاب الرئوي ، فتوفي اخيرا ..

الطبيب : هذا جهل .. فأنا عندما اقول ان مريضي مريض بالتيفوئيد ، يتحتم ان يموت ذلك المريض بمرض التيفوئيد ، وليس بأي مرض آخر!



— والله السيده غير موجودة .. عندك اشاعة اوصلها للسيده لما تيجي .. !

لاخوف!

● اقترب الطفل من سيدة عجوز تجلس بجوار حمام السباحة وقال لها : سيدتي .. هل تصلين كل يوم ؟

فقالت : نعم .. اصلي كل يوم يا ابني

الطفل : الآن فلا خوف من ان اترك معك هذا الدينار حتى انتهي من السباحة !

حلم

● هي : اثناء نومي الليلة حلمت انك تحبني جدا .. فما معنى ذلك ..؟ هل يمكنك ان تفسره لي ؟

هو : بسيطة .. معناه انك كنت تحلمين .!

مصرع يوليوس قيصر

(بقية المنشور على صفحة ١٢٩)

رجال قيصر بعد قليل من الزمن ، ولا بد لهما من الانتظار ، وقد تأخر قيصر متأثرا بالاحلام التي طالعته بها زوجته ، واخذا يترقبان سماع الهتاف الدال على قدوم قيصر والدقائق تمر متثـــاقلة بطيئة .

المتآمرون يستدرجون قيصر للخروج من بيته

كان ديسيمس بروتس ــ وهو احد المشتركين في المؤامرة وكان يمت الى بروتس بصلة القرابة البعيدة ــ قد وصــل الى سمعه الشــائعة تقول ان قيصر لن يحضر الى المجلس في ذلك اليــوم ، وكان هذا الرجل من خاصة اصدقاء قيصر، فقصد الى منزل قيصر ليتبين جلية الأمر ، وهناك رأى كالبورنيا متكئة على احدى الارائك وقد شــحب لون وجهها ، ورأى قيصر جالســا الى جــانب النافذة مستغرقا في التفكير . وسمع ديسيمس بروتس قصة الاحلام وما تكهنت به الطوالــع ، فتكلم بأسلوب الفيلسوف المتعالي وبلسان رجل الدنيا المجرب قائلا : « ما هذا ! انه لشيء عجاب! قيصر العظيم يلتزم البقاء في داره بسبب حلم من الاحلام ؟ ان هذا سيكون مثارا للضحك في روما اذا سمعت به ! » .

فنظر اليه قيصر في تردد وقال : « اتظن ذلك يا ديسيمس ! » .

ــ اني اقدر ما هو اخطر من ذلك ، فانه اذا عرف في مجلس الشيوخ انك لزمت دارك لمثل هذه الأسباب فان اعضاء المجلس سيعدونها اهانة لهم اذا ماطلتهم كالصبيان لانك تدعوهم الى الاجتماع حينما يلائم ذلك مزاجك ، والمجلس في هذا اليوم مستعد لان يمنحك اللقب الذي تصبو اليــه والذي هو جدير بك ، ولكن حينما توجه اليــه مثل هذه الاهانة فانما لا معدى عن ان يمتنع عن ذلك .

واستولى على قيصر شعور قوي بأن هذا اليوم لن يأتي له بخير ، ولكنه وجد أن أقل ما يجب عليه عمله هو ان يذهب بنفسه الى مجلس الشيوخ ويطلب ارجاء الاجتماع .

وهكذا استدرجه الى حتفه ديسيمس بروتس الذي كان قيصر يعده من اصدقائه الاوفياء المخلصين .

قيصر يذهب الى مجلس الشيوخ علــى محفــة

والاحتياط الوحيد الذي اتخذه قيصر هو انه بدلا من ان يقصد المجلس ماشيا حمل اليــه في محفة ، ورأى في طريقه سبوريناً العراف ، فاراد ان يداعبه قائلا : « لقد حل اليوم الخامس عشر من شهر مارس ؟ » .

في الطريق يلقاه عرافه ، واستاذ له قديم

فاجابه العراف محذرا : « نعم ولكنه لم ينته بعد » .

ولقيه في الطريق استاذه القديم ارتميدوروس الذي كان معلما للكثيرين من اصدقاء قيصر ، فاقبل اليه مخترقا الجموع المتراصة الى المحفة ، والقى في يده بورقة ، ورجاه ان يبادر الى قراءتها لان بها شيئا يعنيه ويهمه ، واحتفظ بها قيصر في يده ولم يعطها لاحد من اتباعه كما كان شــأنه في العرائض والالتماسات التي تقدم له ، ودخل قيصر مجلس الشيوخ وهذه الورقة في يده ، وكانت تحوي اسرار المؤامرة .

وحانت اللحظة التي يترقبها المتآمرون الذين أزعجهم الرعب وطول الانتظار ، ولكن من هذا الذي كان في صحبة قيصر ؟ انه بوبلياس ليناس الذي يبدو انه على بينة من الأمر ! فوضع المتآمرون ايديهم على خناجرهم واستعدوا للانتحار اذا كانت هناك محاولة لالقاء القبض عليهم ، ولكن الظنون قد كذبتهم ، فوجه قيصر لم يطرأ عليه تغيير ، وذهب الخوف عنهم واطمأن بالهم .

اول المتآمرين يتقدم بالتماس

وجلس قيصر ، واقترب منه تيلياس سيمبر ليقدم له عريضة يلتمس فيها عودة اخيه مــن المنفى ، ولم يكن عجيبا ان يلمس سيمبر الكساء الذي يرتديه قيصر ، فقد كانت هذه العادة متبعة عند تقديم الالتمــاسات ، ولكن عصبة المتآمــرين تجمعوا ليساعدوه ، ولمست اصابعهم لباس قيصر ليتبينوا هل كان يلبس درعا او لا ، فوجدوه وقد

ساعة الصراع هذه الجماعة القاتلة حوله وأثار هواجسه . وكان تمثال بومبي صاحبه القديم قائماً خلفه . وأمسك تيليالس سيمبر بكساء قيصر وجذبه من ناحية رقبته ، وكانت هذه هي الإشارة المتفق عليها لبدء الهجوم على قيصر .

وبدأت الطعنات

وطعنه كاسكا طعنة غير محكمة من الخلف ، فاستدار قيصر في سرعة وطعنه بالسلاح الوحيد الذي كان يحمله وهو خنجر صغير يستعمل للكتابة، وصاح قيصر قائلاً : « ماذا تصنع يا كاسكا »، وتقدم حينئذ كاسيوس وطعنه في وجهه . وتدفق الدم من قيصر وحجب النور عن احدى عينيه . وتوالت عليه الطعنات . ورأى قيصر بروتس صديقه المقرب رافعاً الخنجر ليطعنه ، فسحب الكساء وغطى به وجهه تاركاً لهم جسده فريسة لخناجرهم .

٢٣ طعنة في جسم قيصر

ووجد في جثة قيصر ثلاثة وعشرون جرحاً ، وقبل ذلك بعامين وجدت جثة بومبي في شواطئ مصر بعد هزيمته في معركة فرسالس ، وقد انتزع منها الرأس ، والآن يرقد قيصر عند قاعدة تمثال منافسه القديم دامي الجسد مسلوب الروح .

واسرع القتلة الى الكابيتول حاملين خرجين وقد لطخت دماء قيصر ثيابهم واطلقوا ملوحين بخناجرهم صائحين وهم يهيبون بالمواطنين ان يشاركوهم في فرحتهم بميلاد الجمهورية الجديدة !

نجحت المؤامرة ، وقضت على فذ من افذاذ الانسانية قاطبة

وهكذا نجحت المؤامرة في القضاء على اعظم رجل اخرجته روما وأحد النوادر المعدودين في تاريخ الانسانية قاطبة ، ويعد قتله من افظع الجرائم التي حدثت في التاريخ ، وقد التقى دانتي في أعمق أعماق جحيمه بصانعي الشر الثلاثة وهم يهوذا الاسخريوطي الذي خان السيد المسيح ، وبروتس وكاسيوس .

جريمة لم تأت لروما بخير قط

ولم تأت هذه الجريمة بخير لروما ، بل قذفت بها في حرب داخلية استمرت ردحاً من الزمن وقد رأى المتآمرون ان في قتل قيصر رد اعتبار للنظام الجمهوري ولكن الواقع ان النظام الجمهوري في روما كان قد تغلغل فيه الفساد وفقد مزاياه كلها ، واكثر المؤرخين لا يحملون قيصر تبعة فساده ، ويرجع هذا الفساد الى أسباب عدة ، اقتصادية واجتماعية وسياسية .

موقف المؤرخين من هذه الجريمة

واختلفت مواقف مؤرخي الدولة الرومانية فبعضهم يقف في صف قيصر ويتصدى للدفاع عن سياسته، وبعضهم يقف منه موقفاً معتدلاً ، ومنهم من ناصبه العداء ووجه اليه الهجوم مثل المؤرخ الايطالي المعروف جيجليمو فريرو Ferrero

ومن أشد المؤرخين تحمساً له وبغضاً لخصمه المؤرخ الألماني مومسن Mommsen ، فهو يهاجم بعنف بومبي وشيشرون Cicéron وكاتون Caton ، ويصور قيصر بعبارة رجل الأقدار الذي أدرك ما يحتاج اليه عصره ، وان همه كان تجديد شباب الامبراطورية الرومانية وتحسين احوالها السياسية والعسكرية والادبية . وقد عاب عليه المؤرخ ستراوس فرط تعصبه لقيصر ، وقال عنه : « اي محاولة لإعلاء شأن قيصر وخلع صفات الكمال عليه ! ان المؤرخ قد يلوم ، ولكنه لا يسرف في التعنيف . وقد يمدح ، ولكنه لا يفقد اتزانه » .

ولا خلاف بين المؤرخين في أن الجمهورية كانت فاسدة وان عمل قيصر في القضاء عليها كان لازماً ونافعاً ، لا لأنه جاء بالخير موفوراً ، وانما لأنه اقل ضرراً واهون شراً .

والمؤرخ الالماني كارل بيتر يسلم بأن حكم قيصر كان حكيماً ، ولكنه ينكر عليه قدرته على تجديد شباب الدولة الرومانية .

وهكذا قد تختلف الآراء في تقدير أعمال قيصر ، ولكن لا خلاف بين أنصاره وخصومه في انه كان من افذاذ الرجال ونوادر الابطال وان قتله كان جريمة شنعاء لم تدفع الشر ولم تأت بالخير .

●●

علي أدهم

ابو العباس المرسي

بقية المنشور على صفحة ٦٧

عاشت وقتا طويلا بعد ذلك ، كل فريق يتجاهل علم الفريق الآخر ، ويبدو ان الناس منذ تلك العصور البعيدة اختلفوا في شأن التصوف وماهيته وأصله .

وكان المجتمع الاسلامي يعرف في ذلك الوقت نوعا من التنظيمات الاجتماعية الدينية يعرف بنظام الفتوة ، ويعرف اتباعه بالفتيان ، ويرجعه البعض الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ؛ وكانت جماعات الفتيان منظمة تنظيما حزبيا دقيقا ، فكان لها رؤساء ونقباء وزعماء ، وكان العضو الذي ينضم الى هذه الجماعة يحتفل بتنصيبه فتى احتفالا هاما مهيبا ، ومن مراسيمه أن يتقدم النقيب الى العضو الجديد فينزع عنه لباسه بيد ويلبسه لباس الفتوة باليد الأخرى . ولباس الفتوة سراويل قصيرة . ثم يشرب العضو في كأس مملوءة بماء الملح ، ويؤخذ على الفتى العهد بأن يلتزم آداب الفتوة . وهي كلها آداب سامية تدعو الى اداء الأمانة ، واداء الفرائض ، ونصرة المظلوم وصلة الرحم ، والعفو عند المقدرة واحتمال الأذى ، والوفاء بالعهد ، وما يشبهها .

ويبدو أن المتصوفة كانوا يعتقدون أن طريقهم كان خيرا من طريق الفتيان ، لأن طريقهم يعتمد على الايمان وطريق الفتيان يعتمد على الظاهر .

وقد عرض أبو العباس المرسي لهذا الموضوع في شرحه لبعض آيات القرآن لبعض اتباعه . قال في قوله تعالى :

« وابراهيم الذي وفى » . وفى بمقتضى قوله « حسبي الله » . وما سمي ابراهيم الخليل « فتى » الا لكونه كسر الأصنام الحسية التي وجدها ، وأنت يا ولدي لك أصنام خمسة معنوية فان كسرتها فأنت فتى : النفس والهوى والشيطان والشهوة والدنيا وانشدنا « لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي » . وليست الفتوة باللهو واللعب وانما الفتوة الايمان والهداية » .

أبو العباس خلف تلاميذ افذاذا

وأبو العباس المرسي مع تضلعه في علوم الدين والتصوف لم يؤلف كتابا ، شأنه في ذلك شأن شيخه أبي الحسن الشاذلي ، وانما خلف من بعده عددا من التلاميذ الافذاذ كان كل منهم قطبا من بعده وعلما من اعلام الفكر في الاسكندرية ، ويكفي ان نشير هنا الى نفر من تلاميذه النبلاء من امثال ياقوت العرشي ، وابن عطاء الله السكندري ، والبوصيري ، وابن الحاجب ، والشاطبي ، والقباري ، وغيرهم كثيرون .

ومع هذا فقد نقل هؤلاء التلاميذ عن استاذهم أبي العباس كثيرا من اقواله ، ومعظمها شرح لبعض آيات القرآن أو لبعض الاحاديث النبوية أو لتسهيل الطريق وتيسير آدابه .

وهذه الأقوال جميعا تدل دلالة واضحة على أن أبا العباس كان اديبا ممتازا يحسن الفهم ويحسن التعبير، وفي الأمثلة التي اوردناها من قبل شواهد على صحة ما نقول .

وفاة أبي العباس المرسي

وهكذا لبث ابو العباس المرسي في الاسكندرية ثلاثا واربعين سنة ينشر العلم ويهذب النفوس ويقرب الكل بورعه وتقواه الى أن انتقل الى جوار ربه في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٨٦هـ (١٢٨٧م) ودفن بالاسكندرية في مقبرة باب البحر واصبح قبره منذ ذلك الوقت مقصدا للزوار يلتمسون عنده البركة .

مسجد أبي العباس

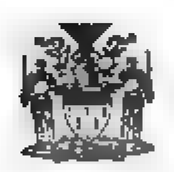
الى أن كانت سنة ٧٠٦هـ (١٣٠٧م) حيث زار أحد كبار تجار الاسكندرية في ذلك الوقت الشيخ زين الدين بن القطان فبنى على القبر ضريحا تعلوه قبة ، وبنى لاول مرة مسجدا يضم الضريح ، والمسجد مئذنة مربعة ، ورتب له اماما وخداما وقواما ، وأوقف الأوقاف للصرف عليه .

وقد خضع هذا المسجد لتطورات كثيرة بعد ذلك .

وفي سنة ١٩٢٧ اعدت وزارة الاوقاف مشروعا لاعادة بناء مسجد أبي العباس وانشاء ميدان فسيح امامه يسمى ميدان المساجد ، ووضعت الأسس للبناء الجديد سنة ١٩٢٩ ، وتم المسجد في سنة ١٩٤٤، فأصبح اجمل مساجد الاسكندرية وابهاها منظرا .

رحم الله أبا العباس واسكنه فسيح جناته .

جمال الدين الشيال



لا تفقد فرصتك في الربح

وسارع بفتح حساب ودائع

بفائدة ٦٪

ان نقودك تعطى باخص معدل للفائدة مأمون ومضمون — وهو ٦٪ — حين تودعها في « حساب الودائع » بنك « لومبارد » . فلن تخصم منها اية ضريبة على الدخل مقررة في المملكة المتحدة ، ولن تتأثر نقودك اطلاقا بالاحوال الاقتصادية المتغيرة ، كما ان من السهل سحب اى مبلغ تريده منها ، وفقا للشروط التى تبينها .

ولا بد — لكى تربح ٦٪ سنويا — من ان يكون الحد الادنى لما تودعه ١٠٠ جنيه استرليني ، وان يكون الحد الادنى بين الايداع والاخطار بالسحب ستة اشهر . ويدعم ودائعك في مؤسسة « لومبارد » المصرفية رأس مال مدفوع واحتياطيات تتجاوز ١٢ مليونا من الجنيهات الاسترلينية .

بادر الى الكتابة الى المدير العام في طلب مزيد من التفصيلات ، وفى طلب نسخة من كتيب « حساب الايداع » رقم : A. O. 182

المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office Lombard House, Curzon Street, Park Lane, London, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)

City Office 31 Lombard Street, London, E.C.3. MINcing Lane 4111 (7 lines)



العربي

٧٠
ال ١٣٨٤
مارس
١٩٦٥م





حضرة صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح [illegible] الكويت [illegible] مجلس الأمة
[illegible]





بمناسبة
العيد الوطني
لدولة الكويت

كلمة شاملة جامعة مأثورة لأمير دولة الكويت في عيدها الوطني

حقوق الإنسان ».

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام:

استطلاعات مصورة:

طب وعلوم:

دين:

تاريخ وتاريخ أشخاص:

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
ALARABY — No. 76 March 1965 — P.O.B. 748 — KUWAIT
العنوان بالكويت: صندوق بريد ٧٤٨ — تلفون ٢٩٤١١ — لتلغرافيا «العربي»
الاعلانات: يتفق عليها مع الادارة — قسم الاعلانات
المراسلات: تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● تحتفظ مدينة القيروان بتونس ابوابها وابواب معالمها التاريخية، وخاصة جامعها الكبير، امام امواج السائحين والسائحات، فجاءوا اليها من كل حدب لرؤية روائع الفن العربي الاصيل القديم الذي يرجع الى ١٢ قرنا مضت. وعلى صورة الغلاف ترى احدى السائحات امام شباك عربي اثري مصنوع من الخشب المشغول.
(انظر استطلاع القيروان ابتداء من صفحة ٧٦)

فلسفة :

ركن الاسرة والمرأة :

شعر وشعراء

جرائم وقصص :

كتب :

منوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١٠٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ما يعادلها . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١ ليرة . لبنان ١ ليرة . الأردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج ع م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢ شلن . ليبيا ١٠ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



بقلم رئيس التحرير

● نعم انهما عيدان :

العيد الوطني الكويتي ، اى عيد استقلال الكويت .

وعيد تولى امير الكويت ، ولاية الكويت ، وهو العيد الخامس عشر .

وكانا قد افترقا .

العيد الوطني كان في التاسع عشر من يونيو ، حزيران .

وعيد الامير كان في الخامس والعشرين من فبراير ، شباط .

فلما اريد جمعهما ، جمع الاحدث الى الاقدم .

وجمع المصنوع الى الصانع .

والحق انه جمع مترادفين .

فالعيد الوطني يمثل اعلان الاستقلال واعلان الدستور ، والاخذ بالحياة الديمقراطية .

ولكن من قاد الامة الى مشارف الاستقلال والدستور ؟ ومن سلك المسالك، تتعرج وتسهل احياناً، وتستقيم وتصعب احياناً ، وعبرها الاستقلال ، والحياة الديمقراطية ؟

انه رائد البلاد في عصر النقلة .



الأمير ، الشيخ العود ، وقد خرج من المسجد بعد صلاة عيد الأضحى ومشى راجلاً وحوله ابناء الشعب متوجها الى قصر السيف حيث يتقبل التهاني

النقلة من عصر اشبه ما تكون بعصر البداوة عمراً ، وعمقاً ، وارهافا ، الى عصر من الحضارة شأنه في الكثير من سماته حضارات الأمم التي فيها الحضارة قديمة عريقة .

ومَن رائد البلاد في عصر النقلة هذا ، اخطر العصور حتما في حياة الأمم ؟

انه الأمير الشيخ ، عبد الله السالم الصباح .

* * *

تولى الامارة عام ١٩٥٠ وهو رجل في الرجال ناضج .

تولاها في سن الخامسة والخمسين .

تولاها وقد انضجته السن ، وانضجته خبرة الحياة ، وانضجته شئون للدولة ذات خطر تولاها قبل ان يكون اميرا وانضجته أسفار كثيرة .

وانضجه فوق ذلك ، وقبل كل ذلك ، انه عاش وعاصر مع الكويت ، واهل الكويت عصرهم الأول ، عصر البداوة ، فحمل معه كل ما يحمل الشيخ البدوي الزعيم نحو اهله من احاسيس لا يمكن ان ترقى الى مثلها احاسيس أمير عاش في الحضر .

ذلك لأن الحضر ، أيّ حضر ، هو تقطع او صال .

وذلك لأن البدو ، أي بدو ، هو تواصل ارحام .

والبدو ، بصحرائه الواسعة ، أعون على صفاء النفس ، وسع صفاء النفس صفاء البصيرة .

والبدو ، بقسوته المعهودة ، وامكاناته المحدودة ، أدفع الى التقارب والتناصر والتحابب ، وأضمن بالرجل اللزوم فيه ، اذا صاح « نوهّر » ، ان يأتيه من كل صوب « لبّيك » .

فما البيد الا نهار الكرام
ومنزلة النعم الواقيه
لها قبلة الشمس عند البزوغ
وللحضر القبلة الثانية

★ ★ ★

ان البدو تتعرى فيه الحياة من زخارفها ، فصور العيش فيه بسيطة ، وسبل الارزاق سمحة ، ولكنها مكروبة . والعناصر الكونية جميعا ، من شموس حارقة ، وليال بالبرد قارسة ، ورياح ورمال وأمطار جارفة او هي تعز فتحف لها الحلوق ، كلها تعمل في حرية جائرة ، فكأنما تنسى أن على الأرض انسانا .

حقائق الحياة في البدو صريحة ، وكذلك حقائق الفناء والموت .

وحقائق الحياة في الحضر أخفى ، أخفاها ما اصطنع الانسان من أشياء باعدت بينه وبين منابع العيش الاولى ، فهو لا يمسّها كما يمسّ البدوي مسّة ، ولا يحسّها مباشرة كما يحسها البدوي حسّة .

وكثيرا ما رأينا الحضري ، اذا ما أراد أن يتفقه في العيش ويكشف أصول الحكمة ، يفرع الى قنن الجبال ، او يخرج الى ما وسعته الارض من رمال ، ليرى الحياة عند أصولها الاولى ، وليرى لا الانسان وحده ، ولكن حتى الحيوان ، ولكن حتى النبات ، يحاول أن يعيش ، وأن ينمو ، وأن يثبت وجوده ، فيصح حسّا ، ويحقق حيا . وهو يتعلم من ذلك ، فيما يتعلم ، أن الاخفاق والنجاح

بعض طبيعة العيش ، يقع في حينه هذا ، كما يقع هذا ، غير مبال بالذي جمع .

ان حكمة البدو هذه ، هي التي أعانت شيخنا الامير على احتمال ما احتمل في الانتقال بالبلاد ، ذلك الانتقال السريع - وكدت أقول المفاجيء ، من حال هو أشبه ما يكون بحال البدو ، الى حال هو أشبه ما يكون بالمدنية العريقة .

وانك لواجد هذه الحكمة في الاسلوب الذي يعيش عليه الشيخ ، وفي أقوال يردّدها لسانه .

فهو في أسلوب عيشه ، لم يبتعد كثيرا من أسلوب تملاّه في شبابه . وهو ان اضطرته الامارة الى الخروج عنه ، بحكم الضرورة ، والمظهر ، فما أسرع ما يعود بحكم الطبع اليه .

★ ★ ★

وأحاديث الأمير الشيخ ، على بساطتها ، فيها المتعة كاملة لسامعها .

وهي أحاديث تكشف عن منابع استقى منها ، وهو استقاها من واقع عيشه ، عيش الكويت . وهو استمدها من مأثور العرب ، من منثورهم ومنظومهم . ومن أبي الطيب المتنبي خاصة .

تحدث عن تعاون العرب ، في شتى بلادهم ، فقال :

« مثلنا جميعا مثل راكبي السفينة ، اذا خرقها فرد مسّ الضرر للجميع وليس لنفسه فحسب »

كلمة غاية في البساطة ، غاية في السهولة . ومع هذا فهي غاية في تصوير الواقع الصادق والأمل الذي لا تشوبه ريبة . ثم هي عبارة أكثر جمالها في أنها

مستمدة من واقع الكويت ، ان لم يكن واقع اليوم ، فواقع الأمس القريب ، حيث الكويت سمك ، والكويتي بحار .

وذكرت له بعض المناصب يشرها اقوام ، وكانما قيل له لا بد من الضرب على الايدي العابثه ، فاذا به يتمثل بالبيتين

لا تدعن ، ان شراً دعا ، فالشر ان
تنهض له ، ينهض وان تسكن يسكن
وستعيد وامر لا يحركه فتنة
سكنته ، وان لم توقظ الفتن لطال

والشيخ الأمير ، الذى احتفظ باحسن القديم ، لم ينس حاجة الدنيا المتطورة الى جديدها .

سئل عن الصحافة ، فقال :

« الصحافه اداه هامة لخدمه المجتمع المتطور ، واحترام الكلمة الشريفة والقلم النظيف . وانا انظر الى الصحفى الناقد ابناء على انه طبيب اجتماعى » .

وسئل فى المرأة ، وهو سؤال محرج فى بيئة محافظة ، فاذا به يقول .

« انى اشعر بالغبطة ، وانا ارى فتاتنا الكويتيه وهى تاخذ نصيبها من التعليم كاملا وتحمل مسئولياتها فى الحياة . ولقد اظهرت المرأة فى الشباب المتطورة انها قديرة على شغل العديد من المناصب ... ، فاذا هى لم تستطع الى الآن ان تساوى الرجل فى حمل ... عامه فذلك راجع الى تحملها الكبيرة باعتبارها زوجا وأما » .

* * *

وفى الشيخ الأمير ، فى كل ما يصنع ، زهاده ، وهى من الع صفاته .

واذكر فيما اذكر ، مما سمعته اذناى ،



سمو امير دولة الكويت يوقع على وثيقة استقلال الكويت يوم ١٩ يونيو ١٩٦١

ما قال الامير الشيخ ، وقد حضر حفلا رياضيا رائعا فى ملعب ثانوية الشويخ ، كان كاحسن ما رايت ، جمع الطلبه والطالبات ، من كل الاعمار ، وقاموا بكل الحركات فى اعداد مترامية من الأرض ، واتساق بديع . وصادف ان كنت احتلى حيث حاز ان اسمع . سمعت الشيخ الامير يقول لجلالة الملك سعود ، وكان الى جانبه :

« هذه كلها من عمل الأولاد » .

والاولاد هو بالطبع عنى أولاده وابناءه ، رجال الدولة من شيوخ ومديرى وزارات ، ولم تكن عندئذ تسمى وزارات ، وانما دوائر .

انها الزهاده المعروفة عن الأمير فى كل شيء ، من عام الأمور وخاصها .

* * *

ويزور الكويت الزائر الغريب . ولا

يمضي منها اياما حتى يحس بهذا التجاوب بين افراد الشعب وبين صاحب الولاية عليهم ، وهو تجاوب لا يكاد يستثني احدا . ويختلف أهل الكويت فيما بينهم ، ويختلف وزراؤهم ، ويختلف أهل الرأي فيهم ، ويشتد الخلاف ، وقد تبلغ الخصومة مداها ، واسم الأمير الشيخ مرفوع فوق هذه الخصومات ، لأنه دائما يضع نفسه فوقها ، ومن أجل هذا يختصم اليه الفرقاء في الأزمات ، ويرضون حكمه .

سأل زائر عن سبب هذا التجاوب بين الشعب وصاحب ولايته :

قال : هل عند الأمير خزائن قارون فهو يشتري المحبة ؟

قيل له : ما عنده خزائن قارون او غير خزائن قارون ، وريع الزيت مكتوب محسوب ، وللدولة ميزانية مرقومة ، تقوم عليها حكومة ، يقوم برقابتها مجلس أمة .

وسأل : فلعله يشتري المحبة بنفوذه يقضي به حاجات ذوي الحاجات في الدولة ؟

فقيل له : والنفوذ ، هذا الذي يمارسه كل الرؤساء في دولهم حتى صار بالعادة حقا ، هذا النفوذ ، تركُ الأمير اياه ، هو سر قوته .

وسأل : ومسئولية الحكم ؟

فقيل له : مسئولية الحكم مسئولية الوزراء ، ومن ورائهم نواب الأمة ، وهو للتوجيه لا بد له في أمة ناشئة . الا في اصطدام ... الا في الشدائد .

وكان السائل اوروبيا . فقال الذي هذا هو الحكم الذي نسميه عندنا بالحكم البترياركي . قلت نعم ، ومقابله الحرفي عندنا هو الحكم الأبوي الأسروي ، العائلي الذي نجد أصوله في حكم القبيلة العربية ، حكم الخبرة ، حكم السن الناضجة ، حكم الثقة في غير ترفع ولا تكبر .. انه الحكم الديمقراطي الأول الذي ظلله اكثر الناس ، على المدنية ، عمرًا على اكثرهم مطلقا .

* * *

فهذه صفة الأمير الشيخ ، أكتبها في عيد ولايته ، وأكتبها فيما علمت صادقا ، وما عرفت نفسي أقول الا صدقا .

وأطري ، وأنا الزاهد دائما في اطراء ، زهادة الأمير في سماعه . ولكنا اذا لم نطرِ في هذه الدنيا الخيرَ ، تركنا الشر وحده يجول ويصول .

وليس فيما أقول شيء واحد جديد على أهل الكويت .

ولكنَّ أهلَ الكويت يؤلفون عشر قراء « العربي » . وأحب أن يعلم بحال الكويت ، وبأميرها خاصة ، سائر أبناء الأقطار العربية . فالكويت ثغر من ثغور العروبة ، بعيد من الأمة العربية في أقصى الشرق . والثغور دائما مطمعٌ ومطمح . والثغور دائما حاميةٌ محجبة . والخليج العربي كله ، يسر كل عربي أن يسمع أن فيه الخير ، ومع الخير الألفة ، ومع الألفة القوة ، ومع القوة الثمرة التي لا تشوبها شائبة .

والخليج العربي سوف يحل من الأمة العربية محل قناة السويس في خطورته ، ومحل فلسطين السليبة عند مشارفها .

« واليوم خمر ، وغدا أمر » .

والرجاء كل الرجاء أن لا تدور الخمر بشاربها ، وتتمل ، فلا تكون للناس منها صحو .

أحمد زكي



١٠ اكتشافات .. وجوائز ١٠٠ دينار
ضع كل اكتشاف أمام اسم صاحبه

مسابقة هذا العدد تتصل باختبار معلوماتك العامة في باب الاختراعات والاكتشافات، وفيها نشر عشرة أسماء لعشرة علماء ومكتشفين عالميين مرتبة بحسب الحروف الأبجدية، ووضعنا في جدول آخر الاكتشافات التي وصلوا إليها لكنها على غير ترتيب.

والمطلوب منك هو أن تعيد كتابة الجدولين بحيث تضع أمام كل اسم من هؤلاء العلماء والمكتشفين اسم الاكتشاف أو الاختراع الذي توصل إليه كل منهم وذلك [illegible]

الجدول الأول	الجدول الثاني
اديسون (١٨٤٧ – ١٩٣١ م)	اللاسلكي
باستور (١٨٢٢ – ١٨٩٥ م)	مصل شلل الأطفال
جاليليو (١٥٦٤ – ١٦٤٢ م)	قاطرة السكة الحديد
جوتنبرغ (١٤٠٠ – ١٤٦٨ م)	بكتريا الأمراض
ستيفنسن (١٧٨١ – ١٨٤٨ م)	البنسلين
سولك (١٩١٤م)	امريكا
فلمنج (١٨٨١ – ١٩٥٥ م)	الفونوغراف
كوري (١٨٥٩ – ١٩٠٦ م)	التلسكوب
كولمبس (١٤٥١ – ١٥٠٦ م)	الطباعة الحديثة
ماركوني (١٨٧٤ – ١٩٣٧ م)	الراديوم

شروط المسابقة وجوائزها

يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٦١ اكتب عليه اسمك بخط واضح. واكتب على الظرف عبارة « مسابقة العربي العدد ٧٦ » آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو ٧ ابريل (نيسان) ١٩٦٥.

● يمنح الفائزون ١٠٠ دينار توزع كالآتي:

الجائزة الأولى: ٣٠ دينارا
الجائزة الثانية: ٢٠ دينارا
الجائزة الثالثة: ١٠ دنانير

٨ جوائز مالية، قيمتها ٤٠ دينارا، كل منها ٥ دنانير

وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع



حاجة الامة العربية الى توحيد نقودها وازيائها

في الخطوات الحثيثة التي خطتها وتخطوها الامة العربية في سبيل وحدتها من قيادة عربية موحدة وسوق عربية مشتركة ووحدة ثقافية عربية وغيرها مما هو من دعائم وحدتنا المنشودة العربية بصلة ، تتطلب ان يهتم العرب ايضا فيما يهمون ، بأمرين اخرين ، هما ، النظر في توحيد الازياء العربية مع مراعاة بعض الاحوال المحلية الخاصة ، وكذا توحيد النقود العربية .

كنت اتجول منذ بضع سنوات [illegible] في الاردن والعراق وسوريا ولبنان فاذا هو يبدي دهشته من عدم اهتمامنا بتطوير البستنا اسوة بغيرها في مختلف النواحي ، وكان مما قاله هو ان الازياء في البوادي والقرى لم تتغير كثيرا في العالم العربي عما كانت عليه في صدر الاسلام كما يرجح ، وانهم في المستقبل قد سايروا التقدم فجعلوا لباس اهل المدر والوبر على شكل واحد يماثل اللباس الافرنجي في وقتنا الحاضر . وقد دفعتني ملاحظته هذه الى ان اتخيل انه لو اتيح لمصور العربي ان يقوم بتصوير مختلف ما يستعمل من البسة في عالمنا العربي ، من شرقه الى غربه ، ومن شماله الى جنوبه ، لجاء بمجموعة تبلغ الغاية في الغرابة والتنويع !

اما الباعث الثاني لاقتراحي هذا فهو ثمن العدد الذي يذكر في الصفحة الخامسة من مجلة « العربي » القراء ، بالفلوس والروبيات والريالات والشلنات والقروش والملاليم والدراهم ، بحيث اصبحت هذه لا تقل تنوعا وغرابة عن مجموعة الازياء!

اننا نعلم ان الفلوس والدراهم والدنانير والريالات والروبيات والجنيهات والليرات والشلنات والملاليم والقروش والآنات وغيرها مما يعود استعماله وكثرة تنوعه في العالم العربي الى عوامل استعمارية بغيضة ليست عربية الاصل الا ان الفلوس والدراهم والدنانير قد تكلمت بها العرب قديما فصارت عربية كما جاء في قاموس لسان العرب الذي يرجع الدراهم والدنانير الى اصل فارسي ولهذا وردا في القرآن الكريم والاحاديث النبوية .

ولقد كان العراق اول دولة في عالمنا العربي اعتمد الفلوس الاسلامية والدراهم والدنانير اساسا لها ، فضربت نقودها على اساسها الا انها وقعت في خطأ لغوي اذ استبدلت الفلس بالفلس الذي هو الاسم الصحيح في جميع القواميس العربية دون استثناء حتى ان العرب قديما (ولم يكن منهم من لم يسمع بالفلس على ما يظهر) كانت تستعمل لفظة الفلس كغيرها يعرف منه الناس كيفية التلفظ بالاسماء الاخرى المماثلة له ، فكل يرد في القواميس مثلا (الجبر على وزن فلس ، فكتب مثل فلس) الخ ..

ولما الدولة الثانية التي جعلت نقدها على اساس التسمية العربية الاصيلة فكانت المملكة الاردنية الهاشمية الا انها قد وقعت في نفس الخطأ الذي وقع فيه العراق فاستعملت الفلس بدلا من الفلس (وقد جاء في القاموس المحيط ان الفلس بالكسر اسم صنم لطيء) .

ثم جاءت بعد دولة الكويت العربية فضربت الفلوس والدنانير وقد وقعت في الخطأ نفسه .

ان غاية ما ارجوه من اقتراحي هذا (بشقيه) هو ان اجلب الانتباه اليه رجاء ان ينال اهتمام الدول العربية ، وان ادعو اهل الرأي ورجال الصحافة الى تأييده وبذلك يتخلص عالمنا العربي من كل اثر من آثار الاستعمار في نقوده وتتلاحم مظاهر وحدته ، وتتضافر مختلف جهوده على ما فيه خيره وسعادته والازدهار مستقبله .

ابراهيم محمود صوبر

نابلس

تنظيم النسل ضرورة تحتمها الظروف وليس بدعة تتنافى مع الاديان

● ان مشكلة تحديد النسل او تنظيمه قديمة قدم الاجيال ، وقد دبجت فيها مئات المقالات والبحوث منذ ان نبه اليها « مالتس » سنة ١٨٧٧ . ولكن بعض رجال الدين يطيب لهم ان يزجوا بالدين ليقف عقبة في سبيل ايجاد حل لهذه المشكلة . ولا يمكن للمرء ان يتخيل ان دينا ، اي دين ، يمكن ان يقف حجر عثرة في سبيل بنائه ، او اسعاد افرادها .

والذين يعارضون تنظيم النسل او تحديده من رجال الدين يستشهدون تارة بان الله هو الرزاق، وانه يرزق كل دابة في الارض ، وبما ورد في حديث الرسول الكريم من حض على الاكثار من النسل . كأنما هم يتصورون ان ذلك الحض يقف موقف التعارض مع النظريات الحديثة التي يسير على هداها كثير من الامم المتحضرة ، ونسوا ان هذا الحديث لم يقصد به الا الحث على الزواج ، وقد ثبت ان الرسول — على ما ورد في كتب الحديث — كان يوافق الصحابة على اتباع ما من شأنه تنظيم النسل عند الضرورة .

وفي كتاب « الاسلام عقيدة وشريعة » للاستاذ الاكبر محمود شلتوت ، فصل لفضيلته بعنوان (الشريعة تطلب كثرة قوية) . « ولما كانت الشريعة تعني بالكثرة ، وتلمس الايدي العاملة في الحياة ، واتساع العمران ، فهي ترمي الى ان تكون الامة ذات كثرة قوية .. هكذا ما تطلبه الشريعة الاسلامية في تكوين اسرها وفي الوحدات التي تتكون منها الامة » . ثم يقول « ان السبيل الى هذا هو تنظيم النسل تنظيما يحفظ له قوته وسلامته ، ويحفظ للامة كثرتها وسلامتها » . ثم عاد رحمه الله واكد راي الدين الذي لا يتعارض مع تنظيم النسل في اكثر من مجال « كقوله رحمة الله عليه . ان الشريعة الاسلامية تكره الكثرة الضعيفة ولا تقيم لها وزنا .. »

وقد أعلن فضيلة شيخ الازهر الحالي الشيخ حسن مأمون « ان الاسلام ضد الفوضى والاتكالية في انجاب الاطفال .. وان الاسلام يبيح تنظيم الاسرة في صالح المجتمع وان مسئولية رجال الدين في كافة المستويات تتمثل في التوعية بهذه المشكلة وازالة الغموض المحيط بها من الناحيتين الدينية والاجتماعية .. »

ان مشكلة تنظيم النسل او تحديده يجب ان تجند لها كل الطاقات والامكانيات حتى يكتب لها النجاح .

سعيد اللهبي

البنك الاهلي — مطار القاهرة الدولي

ابن طفيل لم يتتلمذ على ابن باجه

● ذكر الاستاذ محمد عبد الله عنان في مقالة بعدد يناير من مجلة « العربي » عن ابن طفيل انه درس الحديث والفقه واللغة على ابي محمد الرشاطي وعبد الحق بن عطيه وغيرهما من اقطاب العصر ولكنه مال الى الحكمة وعلوم الاوائل ودرس الحكمة والطب باشبيلية وكان في مقدمة اساتذته ابن باجه أعظم فلاسفة الاندلس يومئذ .. »

ولكن انصافا للحق والتاريخ نقول ان هذه التلمذة التي اشار اليها الاستاذ « عنان » بصفة قطعية يشوبها ضباب الشك .

صحيح ان المراكشي ذكر في كتابه « تاريخ المغرب » شيئا عن التقاء الرجلين وتلمذة ابن طفيل لابن باجه ولكن ابن طفيل نفسه ينفي هذا الاتصال، اذ يقول في رسالته « حي بن يقظان » بعد حديث عن ابن باجه ومؤلفاته ما نصه .

« هذا ما وصل الينا من علم هذا الرجل ولم نلتق به » !!

فهذا صريح في نفي الصلة بين الرجلين . ولعل المراكشي قد استكثر ان يكون الرجلان عاشا في عصر واحد ثم لا يكون بينهما لقاء فقال ما قال .

القاهرة محمد محمد مسعود الزلينتي

(البقية على صفحة ١٥٦)



بقلم : الدكتور عثمان أمين
رئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة

لقد قال ابن رشيق عن المتنبي شاعر العربية العظيم أنه رحل « ملأ الدنيا وشغل الناس » . وما نحسب في اطلاق هذا القول اليوم على العقاد غلواً ولا تزيّدا ، لا في مجال الشعر العربي بالذات ، ولكن في كل مجال له اتصال بقضايا الفكر الانساني .

فالعقاد في تاريخ هذه الأمة «متكلة » عربية شابة ، لم ينقطع يوما في حياته الزاخرة من اعمال ذهنه تطلعا الى المعرفة ، وتأملا في رحاب الكون وتقصيا لأسرار النفس . وحياة الذهن عند العقاد متعددة الجوانب : فهو شاعر وناقد وصحفي وقاص ، وهو كاتب سياسي ، ومترجم سير ، ومؤرخ مذاهب ، وناظر في الجمال .

وليس من قصدنا ، ولا يقع في طاقتنا في مقالنا هذا ، ان نلم بسيرة هذا العبقري ، ولا ان نقف عند آثره الضخم في هذه المجالات كلها : فتلك مهمة تحتاج الى العكوف الطويل على مؤلفات وبحوث ومقالات اربت في السنين الأخيرة وحدها على المئات ، وانما قصدنا هنا ان نتناول أبرز جوانبه عندنا : الشعر والفلسفة .

شاعر وفيلسوف

ولقد كان العقاد يرى في المتنبي شاعرا من شعراء العرب العظام ، لأنه استوفى مزايا الشاعر العظيم : فقد جمع في نفسه قدرة الملكة نادرة على رسم صورة كاملة للطبيعة وانشاء مذهب خاص في الحياة . واذا جاز لنا اليوم ان نطبق على العقاد القياس الذي وضعه هو للشاعر العظيم قلنا : ان فقيدنا الكبير كان شاعرا فيلسوفا . كان شاعرا « سجل في شعره صورة كاملة للطبيعة بجمالها



وجمالها وجلاليتهما وأسرارها ، وكان فيلسوفا يستخلص من مجموعة كتابه فلسفة المعيار ومذهب في حقائقها وفروضها ، أيا كان هذا المذهب ، وأيا كانت الغاية الملحوظة فيه » .

وليس عجيبا أن يكون العقاد فيلسوفا ، فقد كان على ما نعلم شاعرا مطبوعا . والشعر والفلسفة كلاهما تعمق في فهم الحياة ، وتعرض لنفحات السماء ، وتساؤل عن « ما وراء » : ذلك أن « الشاعر صاحب خيال وعاطفة ، والفيلسوف صاحب بديهة وبصيرة وحساب مع المجهول » فلا عجب أن يكون العقاد شاعرا وفيلسوفا لأنه جمع بين الملكتين .

النفس موضوع الشعر والوعي موضوع الفلسفة

والنفس موضوع الشعر ، والوعي موضوع الفلسفة : « كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونضفي عليه من خيالنا ونتمثله بوعينا ونبث فيه عواطفنا وأحلامنا ومخاوفنا ، هو شعر وموضوع للشعر ، لأنه حياة وموضوع للحياة . وأن التصور هو خير عنوان للإحساس ومساعد للرؤية أو للشعور ... فلتجتمع لدينا الرؤية والتصور ، تجمع لدينا وافيا من الشعر لا ينفد ، وموضوعات الشعر تشتمل على كل ما تراه العيون وتحسه الأذواق ، وتتوجه بالعواطف والرغبة إلى ما تملأه ، فتستوي الشعور به والتعبير عنه كما تستوي المحاسن المشهورة والمناظر المألوفة . لأن المحاسن نفسها لن تهزنا إليها ولن تحل عقدة من ألسنتنا حتى يزينها لنا الحس اللاقط والخيال المتوفز ، وأن أجمل وجه ليمر بنا في ساحة الجمود والوجوم كما تمر بنا طلعة الخادم بمرأى التي رآها صباح مساء » .

صلة القرابة بين الفلسفة والشعر

ولا غرابة في أن يكون بين الفلسفة والشعر وشائج قربى مصدرها الملكات الواعية التي تجمع بين ملكات الحساسية وبين العقل والخيال ، أو بين السليقة الشعرية والذهن الفلسفي . ولا بد من توافر هذين العنصرين في كل من الشاعر المطبوع والفيلسوف الأصيل : « فلا نعلم فيلسوفا واحدا حقيقا بهذا الاسم كان خلوا من السليقة الشعرية ، ولا شاعرا واحدا يوصف بالعظمة كان خلوا من الفكر الفلسفي ... وهكذا كان كل فيلسوف كبير وشاعر عظيم في أي لغة وبين أي قبيل » .

على أن بين الفلسفة والشعر - كما يقول الفيلسوف المعاصر هيدجر - « علاقة قرابة محكمة احتكاكا عميقا لأنهما كليهما مخلصان لخدمة اللغة ولا يدخران من أجلها جهدا » . واستعمال اللغة هو إحدى الخصائص الكبرى للوجود الإنساني : فاللغة تعين الإنسان على أن يتفتح على العلاقة أو التعرض لجميع الكائنات ، وبهذه العلاقة استطاع الإنسان أن يكون « في العالم » : عالم الفكر والعمل ، وعالم الحرية والمسئولية ، وعالم الهدى والضلال . والشعراء والفلاسفة في كل عصر يمثلون الثورة على كل عارض جامد تافه إذ يسطرون الكلمة الفاعلة ما هو باق خالد ، وما هو ذو قيمة لحياة الإنسان في معناها وذاتها .

أزمة الاعتقاد المعاصرة

واعتقاد الإنسان المعاصر هو الموضوع الذي

شغل العقاد كما شغل الكثيرين من فلاسفة العصر؛ بأن المشكلة الكبرى في عصرنا الحاضر انما هي مشكلة العقيدة، وأن أزمة الضمير الانساني في عصره هي الأزمة الشاملة التي تنتهي اليها جميع الأزمات.

ومن رأي العقاد أن القرن العشرين يشهد عودة الى الاعتقاد، وأن مصادر الانكار المعتمد في القرون الماضية قد فقدت قوتها في هذا القرن: «وأسباب الانكار الكبرى منذ القرن السادس عشر أو السابع عشر هي مسألة دوران الأرض، ومسألة القوانين المادية، ومسألة التطور، ومسألة الأديان المقارنة، ومسألة الشر وعلاقتها بالقدرة الالهية. فهذه المسائل كانت في نشأتها حجة على بطلان العقائد التي واجهتها، ولكنها صارت في القرن العشرين الى موقف غير موقفها في القرون الماضية. فليس الانكار الذي يقوم عليها اليوم حاسم الحجة، ولا موصدا لأبواب المناقشة والسؤال، بل تنقلت هذه الأسباب بين مباحث العلم والعقل حتى صححت الشك في الانكار بعد أن كانت قبلها تنشر مضطربة كل اوربا الى الشك في الايمان».

ومن رأيه أيضا أن حقائق الوحي ومطالب الايمان تستمد يقينها واطمئنانها من عطايا العقل وجهوده، «العقيدة هي اتصال النفس أو بالكون، وليست هي مجرد الثقة مستمدة من حسبة وتركيب الانسان؛ ومن كونه متصلا بهذا الكون الذي هو فيه بصلة الوجود والحياة. فهذه الثقة هي أساس العقيدة؛ وأما الأديان والشعائر والفروض لمعرفة الأخرى من حقائق الوجود فتلك هي الأشكال التي تتمثل بها العقيدة للفكر أو للخيال، وهذه الأشكال هي التي تخضع لنقد العقل ومقاييس التفكير».

العقاد ينشد مثلا أعلى

كان العقاد في حياته غير مشغول بما يسميه الفيلسوف ديكارت Descartes بالرجل «الأرضي» ولما نسميه نحن بالانسان «الجواني» المؤثر للجوهر الباقي على العرض الفاني. وأن متأملا منصفا لا يستطيع اليوم أن ينكر استقامة خلق العقاد وصراحة فكره المستقيمة وصراحة جملته يتغلب على جميع القربات في كافة الظروف: رفض النصب والجاه، وأعرض عن المتع المادية الرخيصة التي كان في مقدوره أن ينال منها حظا موفورا. لقد احتفى الرجل بالفكرة والمبدأ والروح، وحرص على القيم العالية وتعلق بالمقاصد الخالصة، فكان عمله مصداقا لفكره، وعكوفه على البحث بحثه المرفه لا لتحقيق ربح أو شهرة.

وهو يقول في ذلك: «ما أسألنا من انفاق أعال والصبر على المطالعة والمراجعة ان كان غاية همنا بحبه الكسب والرواج! لقد كان أيسر جهدا أن نضع القلم على الورق بغير مطالعة ولا مراجعة نخط به قصة من قصص الشهوات التي تروج وتحسب عند الأغرار من فتوح الابداع والتجديد. فان لم تكن تأليفا فلتكن ترجمة، ولتكن من قبيل الصور العاربة التي تملأ المكتبات، مخطوطة ومرسومة، ولا تعب في ترجمتها ولا كلفة ولا صعوبة في البحث عنها... كان ذلك أجدى علينا في أرزاقنا الربح والراحة، وكان ذلك شيئا عند هذا «الراقي» العصري الذي لا يتورع عن خسة الاتجار بغير مشقة ولا حياء».

ولعل هذا الاتجاه الى المثل الأعلى عند العقاد هو الذي دفعه الى الاشادة بطائفة من المفكرين شرقيين وغربيين، يتجلى عندهم هذا الذي ينشده. وسأختار منهم جميعا اثنين: طاغور والغزالي:

مع طاغور

رأى العقاد في طاغور خير معبر عن الروح الفلسفي الهندي: «لقد سمعنا فلسفة طاغور من فمه، ولا تزال في الآذان نغمة من ذلك الصوت الشجي العذب، وجرس من ذلك اللفظ الرائع الرحيم. لقد سمعنا خلاصة السلفيانا يلقي بها صاحبها بصوت كأنما هو صوت الأرواح تتكلم أو شجي الوحي الهندي تتلقاه الأسماع من وراء المحاريب».

ويعطينا العقاد صورة جميلة للفيدانتا فيقول: «يفرق طاغور بين المدنيتين اليونانية والهندية أو بين المدنيتين الغربية والشرقية، فيقول: إن الأولى نشأتها خلف وراء الجدران، والثانية نشأتها بين الغابات والآجام. فلهذا تلمس التمازج بين الانسان والطبيعة في عقيدة الشرقيين»

واتحدت الحدود بين الفرد والحياة الكونية الشاملة في عقيدة الهنود ... العلم الغربي غايته أن يملك كل ما يمتد اليه ، والعلم الهندي غايته أن يتصل بكل شيء ، والعلم الغربي مطلبه القوة ، والعلم الهندي مطلبه الفرح » .

ثم يلقي العقاد أضواء من فكره مبينا الفرق بين نظرتين وبين اتجاهين وبين باحثين يكملان وراء تحصيل المعرفة . ففرق بين أن نعرف وبين أن ننتشي بالمعرفة ، وفرق بين أن نشرف الحقيقة وبين أن نحياها ونتصل بها في ذواتنا حيث يصعب الفصل بين العارف والمعروف .

وينظر العقاد نظرة نافذة الى العلم الغربي وما يراه طاغور من روابط جوانية تصل بينه وبين أصول الفكر الهندي ، فيقول « على أن العلم الغربي — مع ما فيه من ظواهر المادية والاثرة — ليس في أساسه الا بابا من أبواب الاتصال بحقيقة الكون وباطن الحياة ، وهو آخر الأمر تقريب ما بين الظواهر وتأليف ما بين البواطن ، ومحو الفوارق وجمع الأواصر بينك وبين ظواهر الحياة ، ولو فهم الغربيون علمهم هذا الفهم لعلموا أنهم أقرب الى الفلسفة الهندية مما يظنون ، وأن الفرح بالوجود هو غاية كل علم بأسرار هذا الوجود » .

مع الغزالي :

والجوانية عند العقاد مظهر آخر يتجلى في فهمه العميق الواعي لفلسفة حجة الاسلام الغزالي . ما أكثر ما كتب الباحثون عن الغزالي ، ولكن قليلا منهم استطاعوا أن يستشفوا جوهر الفلسفة الغزالية على نحو ما استشفه العقاد . وقد حاول العقاد أن يثبت للغزالي فلسفة عقلية تقوم على ما يسميه « ملكة التجريد » التي استطاع بها حجة الاسلام أن ينفذ الى الجوهر واللباب .

« وبالقدرة على التجرد من النفس وعلائقها ومألوفاتها أصبح الغزالي أقدر على « التجريد الذهني » من المتصوف الذي لا يحفل بفكره باستقصاء البحث ، ومن الفيلسوف الذي لا يروض نفسه على التجرد من تحكم « الذاتية » ولوازم الأشياء التي لا تألفها في صندوق ادراكه فلا جرم كانت السليقة الصوفية فيه أداة يطلب بها الفيلسوف الذي لا نعرف حدوده ، وكان التفكير المنظم عنده أداة تعينه على الفهم حيث يقنع المتصوف بالتسليم ويستريح اليه » .

ويعرض العقاد لنظرة الغزالي الى السببية فيبين أن حجة الاسلام قد استطاع قبل الفيلسوف « هيوم » أن يتخلص من خداع التكرار ولو تتابع من أول الزمان . فليس الاقتران بين ما يعتقد في العادة سببا ومسببا ضرورة يلزم منهما وجود أحدهما او عدمه تبعا للآخر ، ثم يقول : « رحم الله أبا حامد . ما أبعد نظره ، وما أوسع رحابه ، ومن أصره على الفرض المحتمل ، بل على الفرض الصحيح الذي أثبته العلم بعده . وسبق هو علماء العلم قرونا في اطراحه بعض البديهية المتعارفة والفهم السائد والقلب الرجيح . » على أن رأي الغزالي في السببية ليس انكارا لقيمة العقل : « فهذا العلم بحوله أسباب غير الأسباب الظاهرة لا يعطل البحث ولا ينقص المعرفة ، بل هو الذي يفتح الباب للتعليل بعناصر القوى والكهارب بعد التعليل بعناصر النار والماء والتراب » .

ويدافع العقاد عن الغزالي مبينا أن موقفه من العقل موقف سائغ لا غبار عليه فيقول : « اذا جاز أن يقال عن الكشفيين (الذين يقولون بالالهام بدون مقدمات من التفكير) أن عندهم جناحا يعفيهم من سلم العقل ، فالعقل عند الغزالي يرتفع به الى درج أرفع منه وأدنى الى أن يبلغ أسباب السماء . ويحظى الذين حصروا في رياضة نفسه لما تحقق من العمل وراض نفسه على تتبع خواطره كما راض نفسه على تتبع أهوائه وشهواته تأتى في اجتهاده وتعليمه لنفسه بسنن غير سنن الفكر الصحيح أو سنن الحياة العملية » .

ويوجز العقاد نظرته الى فلسفة الغزالي بقوله معقبا : « وبهذا التجريد العقلي — والنفسي معا — انتهى في طريق المعرفة الى العمل ، واستفاد غاية ما يستفاد من خلوص المعرفة وسداد الفكر والاعراض عن العرض طلبا للجوهر .. فما كانت الرياضة الى الا رياضة عقلية ودراسة عملية تمت بما استفاده من التجرد من شلال الأنانية وأباطيل المألوف والمعهود ، فذلك هو اقتداره الفلسفي على التفكير المجرد وهو هو اقتداره الصوفي على التجرد من صراع الحياة ، طلوعا الى معرفة الحقيقة ومن شواغل الحياة الى شواغل الخلود » .

فلسفة العقاد من خلال مطالعاته ومراجعاته

وبوسعنا ان نستنبط للأديب الكبير من خلال كتاباته المنوعة فلسفة عامة متسقة الاجزاء ، قوامها الايمان بالروح والاحتفال بالمثل الاعلى والاعتزاز بكرامة الانسان والشعور بالحاجة الى التغيير في المحور والأساس والدعوة الى التعاطف والتفاؤل والسلام .

فهو يؤكد في اكثر من موضع من دواوينه وبحوثه ان الروح هي حقيقة الوجود وان الجوهر والباطن هو الأصل الكامن وراء المادي والظاهر :

« والدنيا روح تلبسها ثوب من المادة ، فالروح هي الحقيقة والمادة هي وسيلة الاحساس بها »

« وانما ساء فهم المادة والروح معا من تصور الأقدمين هذه وتلك اذ وضعوهما موضع النقيضين، وجعلوا المادة كثافة لا حركة فيها ، وجعلوا الروح حركة لا كثافة فيها » .

ويبين العقاد ان النظرة الفنية تستطيع ان تستشف هذه الحقيقة فيقول : « ان الفلاسفة السطحيين يعيبون على النظرة الفنية الى الاشياء انها نظرة الى الظواهر فما هي الظواهر في هذا الوجود ؟ هل لهذا الوجود سطوح واعماق ؟ وهل فيه قشرة ولب وكينونة صميمة ؟ أليس كل شيء فيه على مسافة واحدة من اعماقه او من سطوحه ؟ فالجمال البادي على وجوه الأشياء كما يعرفون هو جمال متصل بالأبدية اتصال اعمق المعاني واخفى البواطن ، او لعله اذا انصفنا النظر وتأملنا مليا ، هو صورة الحقائق الأبدية الحسية اذا كان لهذه الحقائق من صورة يتجلى فيها وجودها لمن يحس ويرى » .

ويقابل النظرة الفنية النظرة « العلمية » الضيقة والنظرة « الوضعية » المتزمتة ، وكلاهما عند العقاد « ناقص ومنحرف بعض الانحراف عن النظرة لانهما يفترضان الخروج من الكون واعتزاله لرؤيته ورصد حقائقه ، ولن ترى الكون حق رؤيته وانت تحاول الخروج منه والانفصال عنه ، انما تدرك حقيقة الكون وانت « بعضه » ، اي وانت متأثر به مؤثر فيه ، متصل بكل ما فيه من خير وشر وسرور وألم . انما تدرك حقيقة الكون القشور » وهو جسم حي يعاطفك وتعاطفه ، وتعطيه وتأخذ منه ، ولن تدركه ابدا وهو جثة ميتة على مائدة التشريح تعمل فيها المبضع وتهيئها للدفن في التراب » . فطريق المعرفة السليم عند العقاد هو الحب والتعاطف والشعور بأننا جزء من الكون .

الوضعيون والماركسيون

ويحمل العقاد على أدعياء الفكر الوضعي واشباههم من الماركسيين ممن يستهويهم الزيغ والتيه ، فيجهرون بانكار كل حقيقة روحانية باسم العلم ، والعلم بريء من ادعاءاتهم منزه عن اباطيلهم ، فان « الحقائق الوجدانية والتجارب الروحية لا تقاس بمقاييس الأرقام وانابيق المعامل ، ومن اراد ان يقيسها بمثل هذا القياس فهو الذي سيخطىء لا محالة كما يخطىء كل واضع لأمر من الأمور في غير موضعه » .

وكذلك يرد العقاد على الوضعيين ، الذين يزعمون ان البحث في الميتافيزيقا او ما وراء الطبيعة جهد ضائع ، فيبين ان الميتافيزيقا اعمر شيء يشتغل فيه الانسان المفكر : « فما تستطيع ان تطل من هذه النافذة او تبدأ عملك في الصباح ما لم تكن لك فلسفة وجود على نحو من الانحاء . قل لي ماذا تستطيع وماذا تحرم وانت تنظر من هذه النافذة ؟ أتستطيع الا تملأ عينيك من شيء غيرك ؟ كما قال الأديب الحجازي . واذا استبحته فلماذا تستبيحه ؟ واذا حرمته فلماذا تحرمه ؟ وما حدود المتاع بالنظر فيما تراه ؟ أله حدود أم ليست له حدود ؟ وانت تذهب الى عملك كل يوم في الصباح فلماذا تعمل أو لماذا تهمل عملك ؟ أعليك واجب ؟ أمناط هذا الواجب مصلحتك ام مصلحة الامة ومشيئة الخالق ام مشيئة المخلوق ؟ وان آمنت بهذه المشيئة أو بتلك فلماذا آمنت ؟ وان لم تؤمن بهذه أو بتلك فلماذا كفرت ؟ وان لم تفكر في شيء من ذلك فهل انت الا مثل حي للآخرين ... لابد يا صاحبي من هذه الفلسفة التي تريد أن تلقي بها في اليم وانت على الشاطىء ، وصدق يا صاحبي انها آخر شيء يلقيه راكب السفينة حين تلعب به الأعاصير في البحار اللجية ، بل هو

الشيء الذي لا يتركه ولو ترك السفينة أو تركته الى الأعماق . ألم تسمع قولهم في الأمثال انهم كالنوتية لا يذكرون الله الا ساعة الغرق ؟ فاعلم يا صاحبي أن هذا الذكر هو فلسفة الحياة التي تبقى مع راكب السفينة بعد كل بضاعة يستغنى عنها وبعد السفينة نفسها اذا حان حينها »

ويفند العقاد كذلك أوهام الماركسيين فيما خيل اليهم عن حوافز الانسان فيقول : « النظر في الديانة التي سموها الديانة المادية الاقتصادية وقرروا فيها أن احتكار المورد هو الذي يخلق الأديان والأفكار ، ويقوّم القيم ويرفع الطبقات ، وانه اذا جاء الوقت الذي ينقضي فيه احتكار المورد زالت الطبقات وخلا المجتمع من المساوئ أبدا سرمدا بغير انتهاء »

ويقول : « ويزعم الماركسيون أن الأحوال الاقتصادية هي كل شيء في تفسير حركات التاريخ ومذاهب الدعاة ، ولكنهم لا يذكرون حركة واحدة من تلك الحركات المعروفة الا اذا كان الأمر فيها موقوفا على مسألة شعور قبل كل شيء » . « وان التاريخ لم يستقم قط في اتجاه واحد كما استقام في اتجاه الحرية الفردية أو في اتجاه الشعور بالتبعة وكذلك الأخلاق ، فمنذ آمن الانسان بروحه وعلم أنه مثاب على عمله لم يكن له تقدم قط الا في هذا الاتجاه ، ولم تقم على غير هذا الطريق قائمة من الأديان والأخلاق والحركات الاجتماعية في كل مكان وبين كل قبيل »

ونخلص من الفلسفة العقادية بنظرة الى الجوانب الثلاثة الرئيسية لنشاط الانسان الواعي : الحق والخير والجمال

نظرية المعرفة

وموقف العقاد من نظرية المعرفة هو موقف الفيلسوف اليوناني ، تراه يفرق بين درجات المعرفة ويفصل بين مناهج البحث في التفكير العلمي والرياضي والفلسفي . أما التفكير العلمي التجريبي فيكفي فيه عنده أن يكون الباحث قديرا على ملاحظة التجارب المحسوسة والمقابلة بين المتشابه منها والمختلف ، والاستفادة من هذه المقابلة



صورة تذكارية للمرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد ، أمام مكتبته العامرة بشتى أنواع الكتب ، التي كان يشتريها بنفسه

الى نتيجة عامة محسوسة فيما تتعدى الوصف والاحساس . والتفكير الرياضي يكفي فيه أن أن يتفهم الباحث دلالة الحركات الذهنية التي يمثلها العقل فرضا وتقديرا ولو لم يكن لها وجود في الخارج ، وأكثر ما تكون الحقائق الرياضية تقديرات ذهنية لا ترى بالحواس بل لا يتصورها العقل نفسه الا من قبيل التصوير بفرض لابد منه . والتفكير الفلسفي ملكة أخرى لا تشبه كل الشبه ملكة العلم التجريبي أو ملكة الفروض الرياضية ولكنها تشترك فيها بنصيب لا غنى عنه ، وقوامها أن تحسن الفهم في المسائل المجردة أو المفارقة كما يقول المتكلمون ، وهي بهذا تشبه الرياضية الى حد بعيد ، لولا أن الرياضية تنتهي الى الفرض ولا يعنيها أن تصوره أو تحوم حوله بوجدان أو الهام . وقد يتعذر على الرياضي أن يفصل بين الممكن والمستحيل ،

وبين الجائز والواجب ، اذا طبق الأمر بالوقائع والمتكررات التي تلازم التصور وتلازم التخييل وراء الحس المتفق عليه .

ويتضح موقف العقاد الفلسفي من تساؤله عن المراد بالمعرفة . فاذا كان المراد « أن يلم بأوصاف وأعراض معا نحس وجوده في الكون فقد نصل الى حد من المعرفة ينفعنا في الحياة العلمية وفي موضوعات التفكير التي ترتبط بها ، وقد نصل الى علم ما عن الاشياء المحدودة وعن الكون الذي لا نعرف له حدا ، ويكون الفرق بين المعرفتين أن احداهما لها مقياس من الوقائع المحدودة نقاس به ، وان الثانية لا مقياس لها ولا فيصل بين أصول الخطأ وأصول الصواب . وأما ان كان المراد بالمعرفة أن ننفذ الى حقائق الاشياء من وراء أوصافها وأعراضها فنحن لا نعرف معرفة صحيحة عن أي شيء في الكون فضلا عن الكون الذي يحتوي جميع الاشياء . بل نحن لا نعرف كيف تكون المعرفة الصحيحة عند العقل المطلق الذي يقدر عليها ويعجز في هذه القدرة على طاقة عقل الانسان » .

نرى جلياً ان العقاد يتابع فلسفة كنط Kant النقدية في تفرقته بين عالم « الظاهرات » وعالم « الاشياء في ذاتها » ويقول ان « من خطأ العقل أن يحتم معرفته التامة بحقائق الكون او انكاره البات لتلك الحقائق » ، لانها تخرج عن مجاله : « ان العقل لا يفهم حقيقة الشيء في ذاته ، فليس امامنا الا أن نفترض أحد فرضين ، فاما الا يكون هناك حقيقة تفهم ، واما أن العقل يضع نفسه في غير موضعه حين يتصدى لاستكناه تلك الحقائق والفرض الاول بعيد التصديق ، فلم يبق غير أن العقل غير مطالب بفهم كل صلة بين الانسان وعلة الكون الذي نشأ منه ، وأن الصلة موجودة وان لم تكن معقولة » .

وخلاصة رأي العقاد ان العلم المطلق « لا يدخل في حاجة الانسان ولا في مقدوره ولا في طبيعة وجوده ... ولنسلم بأن « الوجود » شيء أعم وأشمل من « المعروف » ، ولكن الحواس التي نعرفها المحدودة التي نعهدها في العلوم والصناعات ، ولكن لامرية عندنا أبدا أن وراء هذه الحواس يبرها لايعد من وسائل الادراك وان كان ادراكه لا حد له من الصيغ والتعريفات » .

مذهب العقاد في الأخلاق

ومذهب العقاد في الاخلاق يعتمد على اخلاق الضمير والفطرة السليمة ، اخلاق الصراحة والوفاء والاخاء . ولاسبيل الى انكار هذه الاخلاق ما دامت تعبر عن طبيعة الانسان ووجوده : « وليس من الطبيعة الصحيحة أن يتجرد الانسان من العطف بينه وبين الطبائع الاخرى حين تتاح له أسبابه ولنذكره « التعريف » و « وظائف الأعضاء » كل واجب يمنحه الضمير ويؤمن به البصيرة فلن يسعنا أن ننكر هذه الحقيقة الجامعة وهي أن الواجب أساس الحياة وأننا نحب الحياة ونحبها لأننا مطالبون بواجباتها ، لا اننا مختارون فيها متسع ترك منها . وما دامت للانسان حياة تمليه واجب » .

وهذه لعمري نفحات من نفحات الفيلسوف كنت ، فكأن العقاد هنا قد استوحى فكرة « الأمر الجازم » الذي لا يقبل مفاوضة او مهادنة أو تنصلا من التبعة او فرارا من الواجب .

واخلاقيات العقاد تجعل الصدارة دائما للاريحية على المنفعة ، والايثار على الاثرة ، والاريحية طبع الاخلاق عنده بطابع انساني : « ان الاريحية أعلى من المنفعة لسمة من سنن الطبيعة التي لا تتبدل مع الاوقات والبيئات .. لأن منفعة الانسان وجدت لفرد من الأفراد ، اما الأريحية التي يتجاوز بها الانسان نفسه فقد وجدت في الأمة كلها أو للنوع الانساني كله ، ومن لم يكتب لها الدوام لما اصطنعت بصانع علة الفرد أو ذاك » . « والذين يجنحون بمزاعمهم الى الاريحية يعمون عواقب النصرة ويحسبونها عطرا لاصحابه أبرى من غواية المنافع والأرزاق » .

مذهبه الجمالي

والعقاد يقر بصعوبة الاحاطة بنظرة وافية

للعمق في كل صورة وكل لمحة : « ولكنني لا أرى مانعاً من القول في غير ما تعمق ولا استشهاد بأن الجمال في الفن والطبيعة مصرى لأشكالى ، وأن الأشكال لا تعجبنا وتجمل في نفوسنا إلا لمعنى تحركه أو معنى توحي إليه ، لا فرق في ذلك بين أشكال الزهور الأنيقة والأجساد الحية وبين ما دون ذلك من الصور التي تعمى فيها معاني الحس أو تبعد الشقة بينها وبين ما توحيه إليه » .

فالعقاد أديب الفكرة هو بعينه العقاد الفنان ، والفن عنده كما رأينا معنوى ، وهو في جوهره احتفاء بالمحسوس وما يكمن في العمل الفني إنما هو عناصر باطنية تستثير الحس الجمالي في نفوسنا « وما من شكل تراه إلا يختلف موقعه في الذوق بحسب اختلاف الدلالة التي يدل عليها والوظيفة التي يقوم بها .. ومن تعود النظر إلى المعاني الباطنة استطاع أن يخلص فكره وقلبه من قيود ذلك التحكيم الضيق الذي يخيل إلى أكثر الناس أن جميع ما يحسه من الأشياء إن هو إلا قوالب محسوبة أبدية لم تكن قط على غير الصورة التي يحسها ولن تكون أبداً على غيرها .... كأنما كل صورة وجود قائم بذاته لا يدل على معنى ولا يتغير بتغير المعاني التي يدل عليها ، وليس أدل على العقل والنفس ولا أبطل لعملهما من حصر كل شيء في صورته وحبس كل شيء في ظاهره والفراغ أن الصور ساكنة في ترتيب المشاهدة والإدراك » .

تلازم بين الجمال والحرية

والحرية والجمال متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر : « إن الحرية في رأيي هي العنصر الذي لا يخلو منه جمال في عالم الحياة أو في عالم الفنون ، وإننا مهما بحثت عن مزية تتفاضل بها مراتب الجمال في الحياة لا نجد هناك إلا مزية « حرية الاختيار التي يفضل بها الإنسان الكامل من دونه من المرجوحين في صفات النفوس وصفات الأجسام . على أن المادة الصماء نفسها تتفاضل في الجمال بحسب ما يبدو لها من حرية الحركة ومشابهة « الإرادة » ، فتروقنا النيران والرياح والأمواه ، وتطلق في نفوسنا خوالج الحياة ومعاطيها شيئاً من العطف ما لا نعطيه لغير الأحياء وليس لها فضل ظاهر على مادة الجماد إلا بما تخيله للناظر من حرية الإرادة ومحاكاة الحياة » .

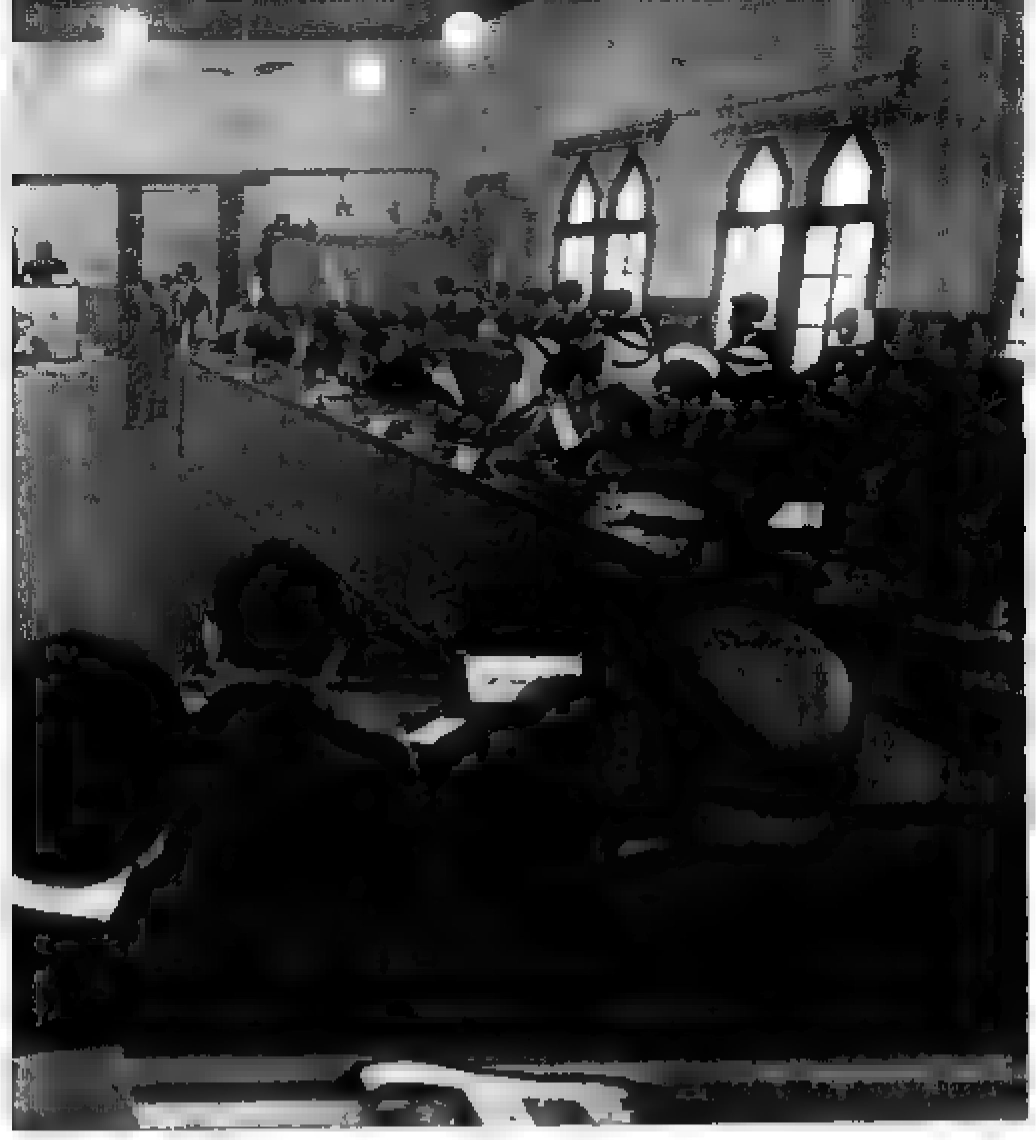
والجمال عند العقاد لا يقوم على صور بدائية تكون جوانبها شكلاً ، وإنما الجمال الكامل بين الشكل والمعنى يتجلى الحس والقريحة ، والشكل الجميل على حد تعبيره : « هو أداة المعنى إلى الظهور ، وأحسن الأشكال وأوضحها هو الشكل الذي ننطلق إلى دلالته ، وما الفنان إلا ذلك الإنسان الملهم الذي يرشح لاختيار الأشكال التي بينة الأشكال وتؤدى معناها ، وما عملها إلا أن تساعد المعنى على الظهور ، لا أن تشغل الناظرين بالظواهر عما وراءها من المعاني والدلالات . ولقد استصغروا البساطة في الفن واستدلوا بها على الطبع لأنها شفافة عما وراءها ، لا تعوق معناها عن الوصول إلى الخاطر بعقبات التكلف والتزويق وحواجز الأوضاع والتعليم » .

وأخيراً

هذه اللمحة سريعة بجوانب من الفلسفة الجمالية يبين في صاحبها إيمانه العميق وفكره الناصع وحسه الشاعرة وبصيرته النافذة ومنهجه الجواني في معرفة الأشياء والأشخاص ، والناظر في فلسفة العقاد يبين سمة التفاؤل والأمل تشيع في كتاباته، فهو مفكر متفائل ، يرقب الخير والمستقبل للبشرية : « يحق أن القرن الحادي والعشرين قمين أن يتمم بالضمير الإنساني خطوة أوسع من خطواته بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين . وأن علم النفس سيلاقي علم المادة في المنطقة الوسطى التي لا تزال حتى اليوم فاصلة بين المادية والروحية ، ومن يعش ير عياناً ما نراه استنباطاً وتفكيراً » .

■■

عثمان أمين



قبل الطبع مؤتمر الصحفيين العرب

■ نحن نكتب هذا الكلام ومؤتمر الصحفيين العرب الاول يختتم اولى دوراته التى عقدت فى الكويت ، وبدعوة من هذا البلد المضيف ، فكانت فرصة اتيح فيها لرجال الصحافة وممثليها فى الوطن العربى ، بالاضافة الى من شهدوا المؤتمر من رجال الصحافة الاجنبية والاذاعات والتلفزيون،



لأول مرة ينعقد في الكويت

أن يروا الكويت بوجهها العربي المشرق ونهضتها الفتية الرائعة .. وقد تناقلت صحف العالم أخبار المؤتمر مما لم يبق بعده مزيد لمستزيد ، ولهذا نكتفي بأن ننشر على هاتين الصفحتين صورة لقاعة الاجتماعات بمدرسة الشويخ الثانوية حيث كان المؤتمر يعقد جلساته، تسجيلاً لهذا الحدث التاريخي ■■



رأي جديد ..
في تشرشل .. العظيم !

عن سير سيسل

● كان ونستون تشرشل فاشلاً في حياته الدراسية الأولى وترك المدرسة جاهلاً فكان ذلك مصدر ألم وحزن لوالده الذي عرف عنه الذكاء في عصره ، مما دفعه الى تجاهل ابنه وعدم تدريبه على الفنون السياسية . ولذا فما عرف عن تشرشل ، بما قدمه للجيل من خدمات سياسية عظيمة كانت نتيجة اعتماده على نفسه ، الا انه علم نفسه بنفسه وتلقى دروسه الأولى وهو ملازم بسيط في الجيش على حدود الامبراطورية البريطانية . ولن يكون مستغربا أن يقال ان تشرشل لم يبنِ فلسفة سياسية خاصة به ، وان اتصاله بالسياسة كان بطريقة عملية وساذجة ...



وقد قاده جهله هذا بالسياسة الى أخطاء كثيرة في ذلك المضمار . ورغم انه كان احد الأعضاء البارزين في مجلس العموم في حينه ، الا انه لم يتمكن من الاندماج في سياسة المجلس نفسه .

وقد أخذت عليه جموحه في تغيير صفاته السياسية ومعالجته الثورية احياناً للأمور ، وقد دفع ذلك أعضاء حزب المحافظين المستقلي الرأي الى النظر اليه بعين الشك والريبة دوماً ، وفي أثناء الحرب أيضاً ، أخذت عليه المناورات الحربية التي دفع بها الجيش الى جاليبولي ، والتي لو انها أحسن تنفيذها لكانت سبباً في كسب الحرب سريعاً . لم يكن ميله الشديد لحرية التجارة هو الذي دفعه الى الانضمام لحزب الأحرار ، ولكن حبه وولعه بالحرب ، وسياسة العنف في معالجة الأمور (كما حدث في الاضراب العام الذي اجتاح انجلترا) جعل رجال ذلك الحزب أيضاً يخشونه وهو بالتالي لم يرق له سياستهم الهزيلة غير المستقرة.

وهكذا بقي تشرشل نقمة على حزب الأحرار حقبة طويلة من الزمن لميله لسياسة الحرب وارتجالية الأمور والبت السريع فيها وعدم استيعاب المبادئ البريطانية في الاشتراكية .

الكنغو : نقطة اللاعودة ..

من الاوبزرفر :

● ان الموقف في الكونغو يكاد ان يصل الى اقصى ذروة الحرج ، رغم ان كلا من القوتين المتصارعتين غير قادرة على احراز نصر ساحق ، ولكن الرئيس كازافوبو مع رئيس وزرائه تشومبي مصران على محاربة الثوار حتى النهاية في جميع الجهات . وهذا لا يمكن ان يتم دون المساعدة العسكرية من امريكا وبلجيكا .

ويمكن القول بانه ما لم تصمم تلك الدول عن سياستها العقيمة وتكف عن ارسال المساعدات ، فان ذلك سيدفع عددا من الدول الافريقية ، التي تساندها بعض دول اسيا وجميع الدول الشيوعية، الى الاعتراف بحكومة الثوار ومساعدتها .

ان الوقت قد حان الآن لتحرير الكونغو والتخلص من التورط معه ، كما قال المستر ادولا رئيس وزراء الكونغو السابق ، الذي نادى في الاسبوع الماضي بضرورة وقف المساعدات الغربية لتشومبي واحلال قوات مدنية وعسكرية افريقية بتمويل من هيئة الامم المتحدة .

ان تجاهل نصيحة المستر ادولا ، الذي عرف بالاتزان ويحب الجماهير له ، يمكن ان يصل بالحالة في الكونغو الى نقطة اللاعودة ....



.. وكيف ننقذ الامم المتحدة

وكذلك لا بد من القول بان اقتراح الرئيس ديجول الداعي ، لعقد مؤتمر الخمسة الكبار في جنيف للنظر في اعادة تنظيم هيئة الامم المتحدة ، فيه شيء واحد يستحق المدح ، وهو قوله : ان تنظيم هذه الهيئة الدولية يجب ان يشمل قبول بكين عضوا في الامم المتحدة ، وهذا القبول يجب ان يستند الى تفهم اساسي بين القوى الدولية الكبرى .

ولكن المشاكل الاساسية التي تواجهها هيئة الامم المتحدة حاليا، الى جانب غياب الصين، لا يمكن حلها ببساطة عن طريق سلطة الدول



الكبرى او بالرجوع الى الاغلبية المطلقة لاعضاء مجلس الامن الدائمين ، بل الحل يجب ان ينبع من التطور الطبيعي لنظام العالم السياسي ومن النمو المرجو للامم المتحدة ذلك النمو والتطور الذي لا بد منه لمواجهة مطالب العالم الجديد .

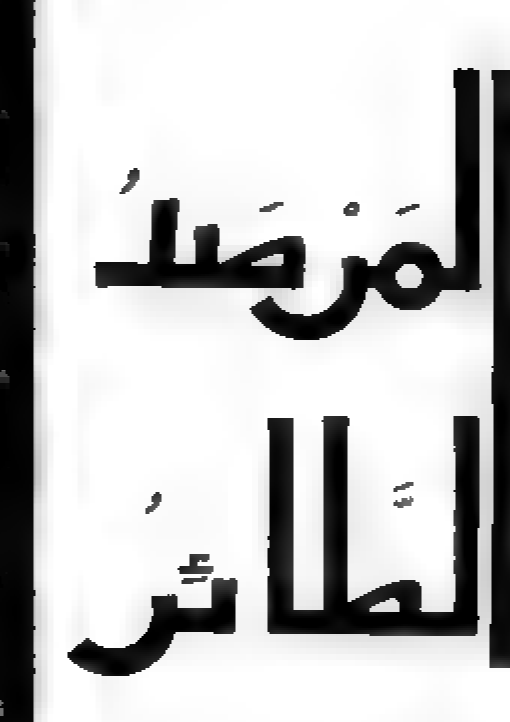
ان المشكلة الحقيقية تكمن في ان التوازن بين مجلس الامن ، والجمعية العامة للامم المتحدة ، قد اختل . فقد اصبحت الدول التي دخلت الى الجمعية حديثا من افريقيا واسيا ، تكون الغالبية العظمى للاعضاء .

ان هذه المشكلة هي التي تكمن وراء الازمة الحالية التي احدثها امتناع روسيا وفرنسا عن دفع نفقات قوات الطوارئ الدولية التابعة للامم المتحدة .

ان هناك بادرة امل في ان تتبنى كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي مشروعا جديدا للجمعية العامة للامم المتحدة يهدف الى الاتفاق على طريقة مقبولة لقيادة قوات الطوارئ الدولية للمحافظة على السلم وتمويلها .

ان هيئة تتألف بهذه الكيفية تضم دولا صغيرة ، ومتوسطة .. وكبرى ، اوفق واقرب للنجاح من مؤتمر الخمسة الكبار الذي يهدف اليه الجنرال ديجول .... ومهما يكن من الصيغة التي يتفق عليها اخيرا ، فلا شك ان قبول الصين سوف يساعد على تخطي صعوبات كثيرة .





المرصد الطائر

أكبر خطوة خطاها علم الفلك من عهد نيوتن إلى اليوم

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ وسميناه مرصداً طائراً ، وما هو بطائر .

ان الطير لا يكون الا في الهواء .

وهذا المرصد انما هدفه هو الهروب من الهواء ، الى ما فوق الهواء .

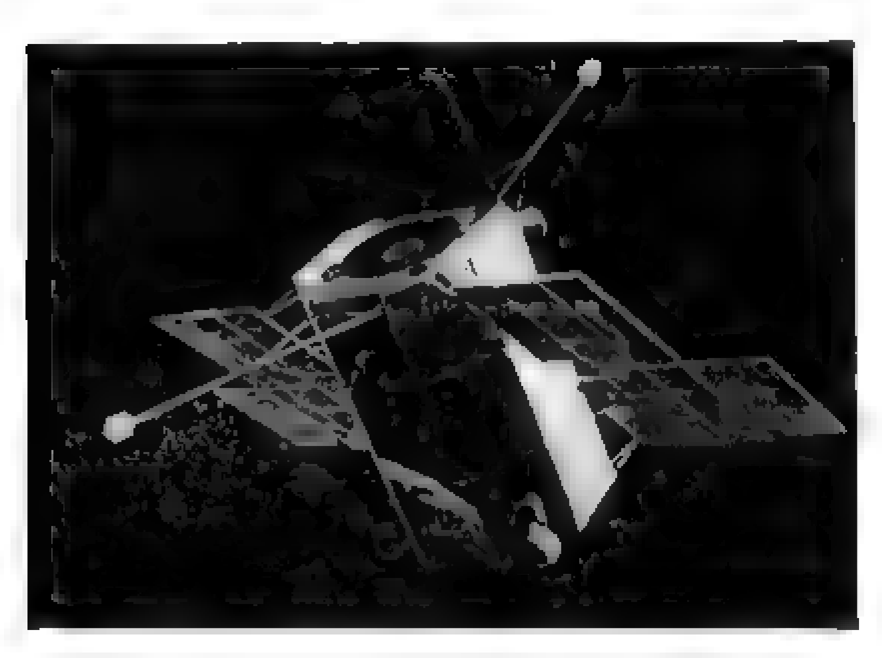
انه مركبة فضاء ، يقذفها من سطح الارض صاروخ ، ثم هي تأخذ تدور في فلك لها حول الارض ، كما تفعل الاقمار الاصطناعية . وفيها ما يحتاجه الراصد لرصد السماء ، من السماء ، لا من الارض .

انه اذن المرصد الفالك . او هو المرصد الفلاك Orbiting Observatory . اى الذى له فلك يدور فيه . ويختصرون اسمه فيكون O O واذا نختصر اختصارا مشهوراً لكان مرصد المختصر م ف . ولكنا ما اعتدنا بعد ما اعتادوا ، ولا ألفنا من احادث العلم . واحدث اسماء ما يدعو الى كثرة التكرار ، التي تدعو الى الاقتصاد في القول واختصار .

لولا الاحاسيس لما عرف الانسان هذا الوجود

ان العين ترى .

مناظير تركب الهواء
يرى الإنسان بها في رقعة السماء
نجوما ومجرات حيث لم يكن يرى إلا ظلاما
وبها تتراجع حدود الكون فيتسع للإنسان فوق ما كان اتسع



المرصد الفلكي الثالث ، وسيطلق في الفضاء في عام ١٩٦٥ . (وقد سبقه في الاطلاق المرصد الشمسي الثالث ، والمرصد الفزيائي الارضي الثالث) . وترى جسمه في الصورة كالمنشور السداسي الجوانب ، في اعلاه فتحة يترصد منها المنظار (التلسكوب) الذي في داخل الجسم ، والغطاء الاسود القائم على الفتحة يحميها من ضوء الشمس . والاجنحة من اليمين واليسار لتمتص ضوء الشمس وتحوله الى كهرباء هي الطاقة التي يحتاجها المرصد واجهزته

وأن الأذن تسمع .

وأن الجلد يحس .

والاحساس إنما هو سبيل الانسان الى العلم بهذا الوجود . فلو انها انطمست ، أو لو ان الانسان ولد بها منطمسة ، ما علم ان هناك وجودا ، وان هناك دنيا ، وان هناك أرضا وقمرا وشمسا ونجوما .

والاحساس يعلم الانسان بمقدار ما يحس .

ان الاصبع قد تلمس الحرير فتحسه ناعما ، ولو انه اعطى لنا أكثر مقدارا ،

واكثر تمييزا ، لاحس من الحرير الناعم خشونة المبرد .

واول اجهزة الاحاسيس العين ، وهي جهاز المعرفة الاكبر . ولكنه جهاز مع ذلك محدود القدرة . فهكذا شاء ربك ان يكون محدودا . واراد الانسان ان يمد ، من هذا الحد ، فابدع المجهرة المكرسكوب ، ليرى الاصغر ، وابدع التلسكوب ، ليرى الابعد .

وعرف الانسان من الارض ما عرف ، وبينا هو لم يفرغ من علمها ، تطلع الى علم السماء .

ان السماء هي الاخفى ، وهي الاصغر ، وهي الاكبر ، وهي الاروع ، جمال ، وهو راى جسمه قد كثرت روابطه بالارض ، ان روحه قد تكون اكثر روابط بالسماء .

وكشف السماء لا يطعم من جوع ، ولا يكسو من عري ، ولكنه يشبع الروح ، ويحيي الامل عندما تتضعضع آمال قوم في الارض ، فيصبحون ، بالفكر ، حيارى معذبين .

واتجه الانسان بمناظيره المقربة ، يوجهها ناحية السماء .

بداها بمنظار جاليليو ، المنظار المرئي البسيط ، الذي به كشف من « جبال القمر ووديانه » ، ومن الكواكب واقمارها عام ١٦١٠م ، وانتهى الانسان بالمنظار الاكبر والاحدث ، منظار جبل بالومار Palomar ، بكلفورنيا ، عام ١٩٤٨ م .

رسالة السماء الى اهل الارض حملها اليهم شعاع رفيق دقيق

وظلت صلة الانسان ، باجرام هذه السماء ، تنحصر في ذلك الشعاع الرقيق الدقيق الذي ياتي من كل جرم من السماء الى كل راصد فوق سطح الارض . رسالة السماء الى اهل الارض حملها هذا الشعاع وحده . ويستثنى الرسل والانبياء ، والمطهرين الاصفياء .

ومن هذا الشعاع وحده حاول الانسان ما حاول ان يستنبط من اجرام السماء العلم الكثير . كان الشعاع كالكتاب الصغير ، وحروفه من هيروغليف . وظل الانسان يحل طلاسمه حتى ادت به الى كثير من المعاني .

ادت به الى كل ما نعرف من السماء ، شموسها ، كواكبها ، نجومها ، مجراتها ، سدائمها ، وما انار منها وما اظلم . وكل ما نعرف من احجام هذه الاجرام ، واوزانها ، وحركاتها ، ومن اي شيء تتالف ، وكيف تتحول . وكيف تحولت في ماضيها الطويل ، وكيف سوف تتحول .

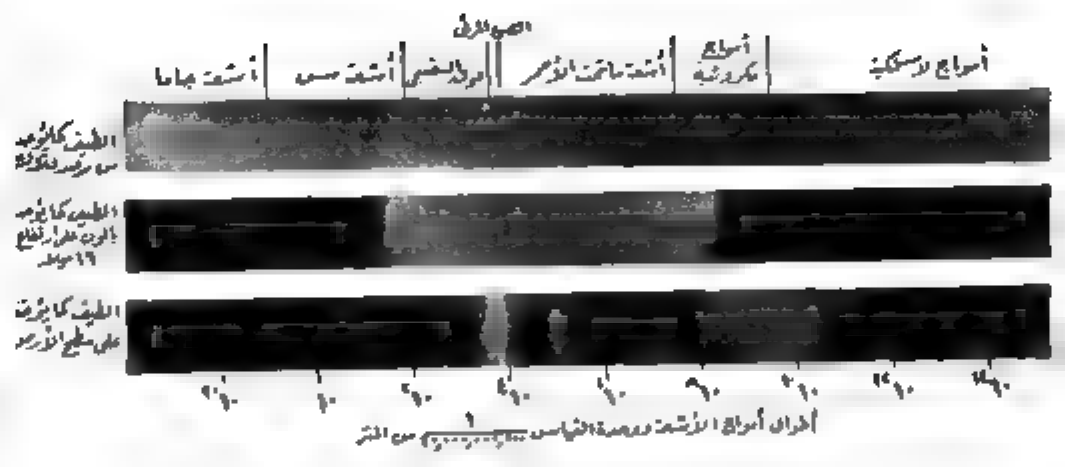
واختصارا ، من هذا الشعاع استمد العلماء كل ما كتبوا في علم الفلك ، من عهد اليونان الى اليوم .

شعاع السماء ينحل الى طيف

وحل الانسان هذا الشعاع ، رسالة السماء الملموسة المحسوسة الوحيدة ، الى طيف . والطيف مثله النموذجي طيف الشمس ، ينشره الانسان على الستار الابيض نشرا ، فترى العين منه الوانا اعتدنا ان نسميها باللون الاحمر ، فالبرتقالي ، فالاصفر ، فالاخضر ، فالازرق ، فالنيلي ، فالبنفسجي .

ويبحث الانسان فاذا به يجد وراء البنفسجي اشعة لا يراها ولا يحسها ، ولكن تحسها اجهزته . وكذا يجد وراء الاحمر .

ومن هذا الطيف ، بل من هذه الاطياف وتحاليلها ، كشف الانسان من علم السماء ... عن علم الكون اجمع .



ثلاثة اطياف للضوء : الطيف الأسفل اكثره السواد ، لانه مصور من سطح الارض ، فالغلاف الهوائي الذي حول الارض امتص كل الاشعة الا ما نفذ الينا من نوافذ ثلاث ، النافذة اليسرى (البيضاء في الصورة) وتشمل الجزء المرئي الذي تراه العين من الطيف (من الاحمر الى البنفسجي) . والنافذة الوسطى تقع في منطقة ما دون الاحمر ، والنافذة اليمنى وتقع في منطقة الامواج الكهربية . اما الطيف الاوسط فقد كشف من الشعاع اكثر كثيرا من اشعاعات طيف سطح الارض ، والسبب انه صور من بالون علا على جزء كبير من هواء الارض . اما الطيف الاعلى فذلك مفتوح كله للاشعة جميعا ، لانه يؤخذ من مرصد فلكي ، فهو فوق الهواء كله تقريبا ... والوحدة في قياس الموجات هنا هي جزء من عشرة ملايين من طول المليمتر الواحد . ولعله قد اتضح من هذا الشرح انه لا فرق في النوع بين شعاع مرئي ، وشعاع حراري ، وشعاع لاسلكي ، ولا بين هذه وبين شعاع مما فوق البنفسجي ، وشعاع سيني ، وشعاع جاما . كلها اشعاعات كنهها واحد ، اشعة يسميها العلماء اشعة كهربائية مغناطيسية .

الهواء خبأ الكثير من رسالة السماء الى الارض

ويصعد الانسان الى الجبل فيزداد عنده ما وراء البنفسجي، ما وراء ما كان كشف من حدود الطيف .

واخيرا اطلق الانسان اجهزته ، على رؤوس الصواريخ ، الى ما فوق الهواء ، او على الاقل الى حيث رق الهواء ، فكشف عن الشيء الكثير الذي كان اختبأ وراء الهواء .

ان الهواء كان امتص الكثير من ذلك الطيف ، فلم يصل الانسان ، وهو يرصد السماء على سطح الارض ، من تلك الاشعة ، من شمس جاءت ، أو من نجوم ، او غير ذلك ، لم يصله منها كل ما فيها .

انه لحاف من هواء ، التحفت به الارض ، فحجب عن اهل الارض ان يروا السماء عارية . انه حجاب اذن لرسالة السماء ان يصل الى الارض بعضها ، وحجب بعضا .

وكما رفع الراصدون اجهزتهم الى ما فوق الهواء ، تقذف بها الصواريخ ، رفعوها تحملها البالونات .

والخبرة الناتجة واحدة .

وجاء عصر الاقمار

وجاء عصر الاقمار .

وحملتها الصواريخ دوارة مئات الاميال فوق سطح الارض .

فكان لا بد ان يخطر على فكر العلماء ، رجال علم الفلك ، ان لو تحمل هذه الاقمار اجهزتهم ، الى ما فوق هذه اللحاف الهوائي ، الى ذلك السماء الاعلى ، عسى ان تسجل رسالة السماء ، كاملة .

المرصد الشمسي الفلاك

وفي السابع من مارس عام ١٩٦١ ، ارسلوا الى السماء مرصدهم الأول .

انه المرصد الشمسي الفلاك Orbiting Solar Observatory

ان اسمه يدل على الغاية منه . انه لرصد الشمس ، يرصد كل ما يخرج منها من اشعاع ، كيفا وكما . يرصد ما انتا من طيف ، ويرصد امواجه الصغرى فيما وراء البنفسجي ، ويرصد الاشعة السينية ، ما يصله منها ، ويرصد الاشعة الجيمية ، اشعة جاما . ويرصد حتى ما في السماء من تراب كوني . عشرة واكثر من الاجهزة الكاشفة المسجلة ظلت ترصد وتكتب وتسجل ، وترسل بالذي تجد الى علماء الارض .

وتوقف ارساله في ١١ مارس عام ١٩٦٤ .

عمل حوالي السنتين ، الا نحوا من ثلاثة اشهر ، أعوج فيها ثم اعتدل . ولم يدر الى اليوم أحد كيف اعوج وكيف اعتدل ، الا ظنونا .

المرصد الفزيائي الأرضي الفلاك

وفي الرابع من سبتمبر عام ١٩٦٤ ، ارسلوا الى السماء المرصد الثاني .

انه المرصد الفزيائي الارضي الفلاك Orbiting Geophysical Observatory

واسمه يدل على الغاية منه . انه لرصد تلك الشئون التي تتصل بالفزياء الأرضية ، تلك التي كان خصص العلماء لها سنة كاملة ، امتدت وراءها سنة أخرى .

وفي هذا المرصد نحو ٢٠ تجربة لا تزال تسجل ، وترسل الى علماء الارض انباءها . وكل جهاز يعمل فيها على حدة .

المرصد (الفلكي) الفلاك

انه المرصد المزود حقا بما تزود به المراصد ، لرصد النجوم والمجرات بالذي به من تلسكوبات ، كسائر المراصد الفلكية الارضية . تلك التلسكوبات التي خلا منها المرصد الشمسي الفلاك . وخلا المرصد الفزيائي الارضي الفلاك .

ان المرصد الفلكي الفلاك هو هو هذا الذي سوف يحقق كشوف السماء مصر نهضة جديدة لم يعرفها علم الفلك منذ كان نيوتن Newton (١٦٤٢ — ١٧٢٧م) الى اليوم .

ونقول « سوف » لانه لم يطلق الى السماء بعد .

والمرجو ان يطلق الى السماء هذا العام ، عام ١٩٦٥ .

انها مركبة ، ذات حوائط مضلعة ، ثمان ، مصنوعة من الالمنيوم ، تزن ٣٦٠٠ رطل . (انظر الصورة في أول المقال)

وهي سوف تحمل ١١ تلسكوبا صغيرا ، ترفعها الى اطراف الجو العليا ، على ارتفاع نحو من ٥٠٠ ميل من سطح الارض وتدور بها ، لتسجل من ضياء النجوم ما تسجل . وتحمل الى الارض اطياف هذا الضياء ، صورا متلفزة الى علماء الفلك على سطح الأرض . لا سيما صورا من اطراف تلك الاطياف الضوئية التي حجبها هواء الارض .

ان العلماء امكنهم ان يحصلوا من هذه الاطياف على صبغة اطياف لسبعة نجوم ، رفعوا اليها الاجهزة على رؤوس الصواريخ .

ولكن هذا المرصد سوف يرسل الى الارض اطياف نحو من ١٤٠٠٠ نجم في العام !

إلى اليسار .

صورتان أخذتا لموضع واحد من السماء ، الصورة العليا أخذت بالنور الأصفر من الطيف ، فلم يظهر بها إلا ما استطاعت أن تنقله هذه الأشعة . والصورة السفلى أخذت بنور ما فوق البنفسجي من تلك الزمرة من الأشعة التي يمتصها الهواء ، فظهر فيها من أجرام السماء ما لم يكن يظهر في الأولى. فكيف إذا نحن أخذنا صورا لهذا الجزء نفسه من السماء من المرصد الفلكي وهو فوق الهواء ؟ لا شك تظهر أجرام أخرى ، ظلت خبيئة في نظر الإنسان ما نظر إليها بمناظيره وهي فوق سطح الأرض .

قارن بين تفاصيل الصورتين تجدهما لموضع واحد من السماء لم يختلف .



فهذا هو المرصد الفلكي الفلاك الاول — ورقموه بالحرف آ Orbiting Astronomical Observatory A

وسيتلوه مرصد فلكي فلاك ثان — رقموه بالحرف ب Orbiting Astronomical Observatory B

وهذا الثاني سيحمل مكرسكوبا قطر ماكسته ٣٦ بوصة ، وسوف يسجل من اطراف اطياف النجوم ما خفي وراء اشعاع فوق البنفسجي . وهو ، من مرقبه العالي ، سوف يكشف عن نجوم ومجرات عجز عن كشفها اكبر مكرسكوبات الارض ، ذلك الذي بمرصد جبل بالومار ، بكلفورنيا ، وقطر ماكسته ٢٠٠ بوصة (٥ امتار) .

انه ، من مرقبه هذا العالي ، سوف يكشف لنا من نجوم ومجرات في مواضع من السماء ننظر اليها اليوم من السطح الارضي ، فلا نجد الا ظلاما .

اما بعد

اما بعد ، فاني احس ، قبل ختام هذه الكلمة العابرة ، ان في نفس القارىء اكثر من سؤال . منها :—

١ — كيف ترسل هذه الاجهزة والمكرسكوبات التي بالمرصد الفلاك معلوماتها ، باللاسلكي ، عبر هذا الفضاء الى علماء الارض ، والمرصد الفلاك ليس به انسان واحد ؟ وكيف تتلقى الاجهزة بالمرصد الفلاك اوامر اهل الارض ، وكيف تطيع ؟

٢ — هذه المكرسكوبات التي بالمرصد الفلاك لا بد أن توجه الى النجوم ، فمن يوجهها ؟ والمرصد نفسه لا بد أن يتخذ وضعا معينا في السماء ، فلا يترجح على هواه ، فمن يؤمن هذا الوضع الثابت لهذا المرصد ؟

٣ — هذه الاجهزة محتاجة للطاقة تحركها ، فما مصدر هذه الطاقة ؟ وهي محتاجة للطاقة ، ترسل بها نتائجها ، لاسلكية ، الى علماء الارض ، فما مصدر هذه الطاقة ؟

كلها اسئلة حقيقة بجواب . وغيرها كثير .

وكل جواب يحتاج ، لا الى كلمة ، ولكن الى مقال .

مثل ذلك الطاقة المحركة لاجهزة المركبة ، ولاشاراتها اللاسلكية ، من اين تستمدها ؟

والجواب : من الشمس . انظر الى رسم المرصد المنشور في اول المقال ، تجد به اجنحة ، انها الواح تتلقى ضياء الشمس ، وهو طاقة ، وتحيله الى كهرباء ، وهي طاقة . وهذه الكهرباء هي مصدر القوة الدائمة في المرصد الفلاك . وهي لا تفرغ .

جواب قصير ، فهل يكفي ؟ لا ادري . فهو يستتبع سؤالا آخر : ولكن كيف يتحول ضياء الشمس الى كهرباء ؟ وهذا واضح عند من درس الانابيب الالكترونية ، او الخلايا الضوئية الكهربائية ، او ما اسموه بالعيون السحرية . وهو غير واضح عند من لم يفعل .

ان صعوبة العلم في انه مركب ، طابق من فوق طابق . ولفهم الطابق الاعلى لا بد من فهم الطوابق التي حملته . وليس هذا بمستطاع الا لاهل الاختصاص والمهندس قد يسمع الطب من الطبيب فيفهم بعض الفهم ، والطبيب قد يسمع الهندسة من المهندس فيفهم بعض الفهم . وما على هذا من باس ، ولا على ذلك . وبعض الفهم خير من ان لا نفهم اصلا . وفي ربع الرغيف غناء عن الرغيف الكامل .

ويجب ان نذكر دائما ان العلم صار اليوم خبز رجل القرن العشرين . ■

احمد زكي

ملحوظة : جاء خبر اطلاق هذا المرصد الفلكي الفلاك ، الى طبقات الجو العليا ونحن نطبع هذا المقال يوم ٤ فبراير (شباط) ١٩٦٥ .

نتيجة مسابقة العدد ٧٤

الإجابات الصحيحة .. والفائزون بالجوائز
رسالة بالعربية من قارئة تشيكوسلوفاكية

■ على الرغم من أن كل أسئلة المسابقة كانت مستقاة من بعض ما نشرته « العربي » في أعداد سابقة ، وعلى الرغم من كثرة عدد الذين بعثوا بإجاباتهم من مختلف الأقطار العربية وغير العربية فإن قلة ضئيلة استطاعت أن تجيب على الأسئلة الإحدى عشر كلها إجابة صحيحة ، واكتفت الكثرة الغالبة ، بالإجابة عن الأسئلة الثمانية التي جعلناها حداً أدنى للنجاح .

وقد كان عدد الإجابات التي تلقيناها من قراء في خارج الوطن العربي من الكثرة بشكل لافت للنظر . وكان من بينها إجابة من قارئة تشيكية تقول في رسالتها إنها تعلمت العربية وتقرأ مجلة «العربي» عن طريق صديق لها مراكشي تراسله ويراسلها .. وقد تبين بعد عملية الاقتراع على الجوائز أنها كانت بين الفائزين .

وتبين كذلك أن بين أصحاب الحلول الصحيحة كثيرين لم يكتفوا بالإجابة بل زادوا عليها رقم العدد والصفحة اللذين نشر بهما الموضوع المتصل بالسؤال

★ ★ ★

الإجابات الصحيحة

جميلة . الحسن البصري . هام تيسو . بوشكين . ديوجين . سامراء . القصيدة الستورية . سومرست موم . غمطرة قرب مدينة سبتة بالمغرب . جدة . أبو زيد السروجي .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى : عبد الباقي حسن الدلال — مدرسة الشروق المسائية — الكوفة — العراق

الجائزة الثانية : عبد الرحمن عبد العزيز العبد السلام — الرياض

الجائزة الثالثة : وجدان محيي الدين خليفة — الخرطوم

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها :

دانا سدلوك : تشيكوسلوفاكيا
نصر الله سيد بهبهاني : الكويت
علي أحمد محمد : السويس — ج.ع.م
عمر راشد وحيد : الأردن
حسين عبد الرحمن بارجا : حضرموت
صديق بن حسين قاروصي : اللاذقية — سوريا
خلف أحمد خلف : البحرين
سالم عبد الله القمودي : طرابلس — ليبيا

وسوف ترسل الجوائز لأصحابها ■■



إليها..

باسمة الأمل الصغير … وحمامة الحلم الغرير

وسنا الربيع الطلق يز … خر بالوضاءة والعبير

وندى الصباح يتيه بالشـ … ـمس على الزهر الحرور

روحى بحسوم عبث بـها … ليلى ، فإن شئت سيرى

ويطوف حولك طوفة الـ … ـخشوع بالحجر الطهور

ملأت ، ماتذنبى أو … تأسى ، مالئة شعورى

أحيا ، وذكرك فى صبا … أبد ، وطيفك فى ضميرى

* * *

أنا مذ عرفتك ما عرفـ … ـت الكون إلا دفق نور

تتألق الدنيا بفجـ … ـرك بى ، وتبسم لى أمورى

أمشى ، وقد علقت بشخـ … ـصك مقلتاى ، على حرير

وكأننى أصبحت كلـ … ـكلك محيح فى مسيرى

نشوان من خمر معتـ … ـقة معاصرة الدهور

طافت بها عيناك سا … ليلى ، فمنتهما مصيرى

وانسـ … تنسـ … ـسح تعشيك حجى الوقور

* * *

وهم تفتح مثل كم الـ … ـورد فى الروض النضير





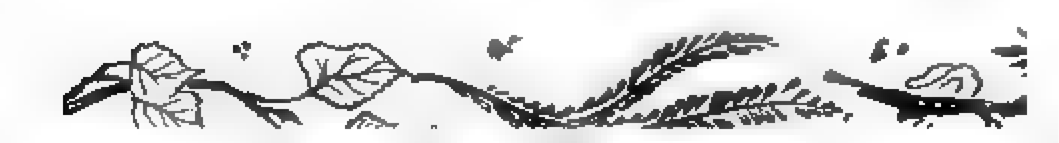
بقلم : جورج سلستي

متألق النسمات ، معـ ـسول اللمى ، رف السرور
شفتاه حالمتان كالشـ ـفق المنوّر في الكرور
رواهما ألق الصبا الـ ـريان بالسحر الوفير
وعلاهما ، كشقائق نعـ ـمان دون من سعير
أهدى مراحتها يمس على بالطبق الأثير
ويجود بالكلم المدلـ ـل في الحديث دلال حور
في غنة الوتر المثير وقد شدا سجع الطيور
كتبسم الأطفال حين تنبهوا ورفيف النمير
كلهم تشربها الصغـ ـار تشرُّبَ الماء النمير
باللحديث المسـ ـع سم عن قلب كبير
هو زهرة الروح الحبيب ، وبلسم القلب الكبير
فيبدد الصبح وعقله الـ ـمصغي ، وأسر للسمير

★ ★ ★

، للمى ، وروحك في متـ ـسك كسكيب العطور
إن أحسست في دمـ ـي وحيا بوح به سطوري
أشدو فتلمس الدنـ ـى وتطيب سالفة العصور ■■

بيروت — جورج سلستي






شمس
نصف
الليل
في الكويت!

ومن المعلوم ان عملية المسح الزلزالي لمنطقة حقل برقان تمت منذ سنوات ، والعمل في حفر الآبار بهذه المنطقة يسير منتظما بناء على المعلومات التي توفرت بعد عملية المسح هذه ، وطبقا لهذه المعلومات عرف بان النفط والغاز يكمنان على عمق ٨٠٠٠ قدم .. لهذا كان الحفارون في البئر رقم ٢٢١ يعملون مطمئنين الى ان المسافة اللازمة الى النفط ينقصها نحو ٢٠٠٠ قدم اخرى ..

وهكذا ظلت المحركات تدور ، ومعها قاعدة البئر الرحوية ، والانبوبة الحافرة ، والثعلب .. كل يؤدي عمله باطمئنان وانتظام ...

كيف بدأت المتاعب ؟

رفعت برج الحفر العالي وقف رئيس الحفارين يعطي تعليماته الى مساعديه لاستخراج عينات من لب الصخور في قاع البئر لنقلها الى معمل التحليل الجيولوجي في مدينة الاحمدي ، وبفحصها حتى تتم معرفة انواع واوصاف الصخور الموجودة في قاع البئر ..

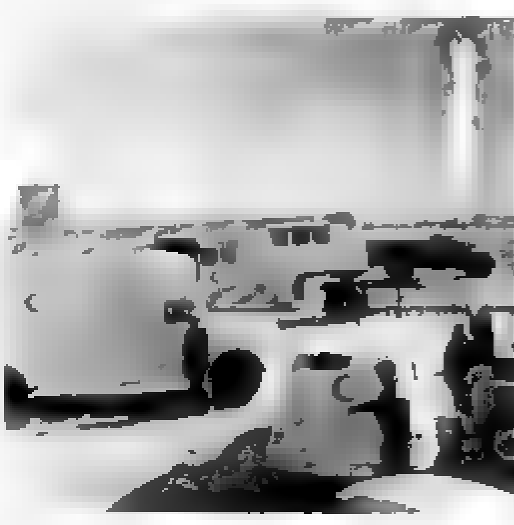
وهذه العملية تستوجب سحب الثعلب مع الانابيب ، وطولها ٤١٢١ قدما ، ثم اعادتها ثانية الى داخل البئر ...

وفعلا بدأ سحب الانابيب في مجموعات كل منها مؤلفة من ٣ انابيب طول كل مجموعة ٩٠ قدما ، وبدأ رصها بجوار بعضها داخل البرج الحديدي المرتفع الى علو ١٣٦ قدما فوق سطح الارض .

وعندما اوشك الحفارون على الانتهاء من سحب الانابيب تناهى الى سمعهم صوت يخرج من فوهة البئر اشبه اصطدام بعض الحصى والصخور ، كل هذا مع رائحة غاز قوية .. وبعدها لم يدر احد ما حدث بالضبط ، فقد تطاير كل شيء في الهواء ' الوانبير ، والحصى ، والصخور ، والطين والسلاسل ، وكل شيء فوق البئر .. حتى رئيس الحفارين ومساعدوه اندفعوا قافزين من فوق سلم البرج بعيدا ..

وما كانوا يخطون بضع خطوات حتى تحول الغاز كله الى فرن من اللهيب ينطلق من فوهة البئر رقم ٢٢١ ..

كان الغاز يندفع منها بقوة هائلة ، تعادل ضغطا يوازي ٢٥٠٠ رطل على البوصة المربعة ، اي ١٦٦ ضغطا جويا .



لم يصب أحد بأذى ، رغم خطورة الحريق ، ولكن للاحتياط [illegible] البئر المشتعلة ، لإسعاف رجال الاطفاء عند الحاجة

سبب الحريق

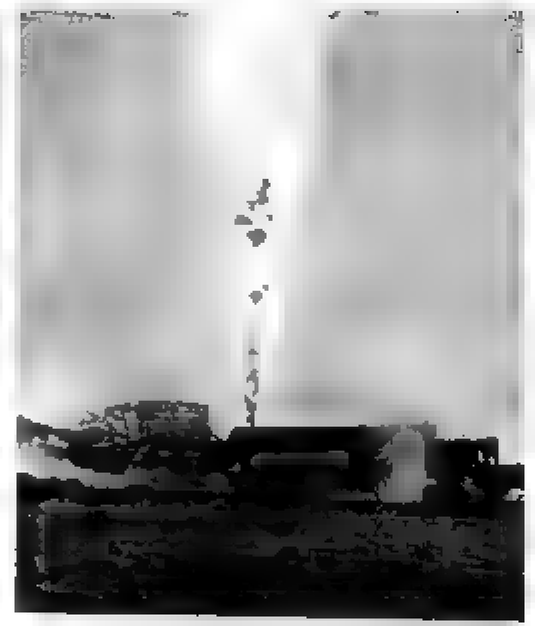
اما عن سبب الحريق فقد سألنا المستر سكوت رئيس الادارة المساعد لشركة نفط الكويت عن اسبابه فقال لنا

« في اثناء عملية استخراج عينة من لب البئر رقم ٢٢١ اندفع الغاز بقوة هائلة لم تكن متوقعة وحمل معه قطعا من الصخور قد يكون احتك بعضها ببعض فانتج ذلك شررا اشعل الغاز .. » .

بعد ٤٠ ساعة من الحريق

انه الحريق الثاني الذي يحدث في الكويت منذ ٣٠ عاما ، بالرغم من ان عدد الآبار المحفورة في مختلف ارجاء البلاد قد تجاوز الالف بئر ، وقد شب الحريق الجديد في الساعة الثانية من صباح الثلاثاء ٢٩ ديسمبر ١٩٦٤ . فطير المختصون البرقيات الى مختلف الارجاء بحثا عن اكفأ رجل





نار تندفع من وسط بقايا الركام الحديدي [illegible]

الاطفاء في العالم .. انه يسكن بمقاطعة تكساس بالولايات المتحدة ..

وفي الساعة الرابعة من مساء نفس اليوم — مع ملاحظة فرق الوقت بين الكويت وتكساس — ابلغوه نبأ الحريق ، وهو في طريقه الى منزله حاملا الهدايا لاحفاده ، احتفالا بعيد رأس السنة .. وبعد ساعتين وصل الى نيويورك ، حيث اصطحب بعض معاونيه معه ، ثم ركبوا طائراتهم الى لندن ، ومنها مباشرة الى الكويت ، فوصلوا ارض مطارها في الساعة الرابعة من مساء الخميس ٣١ ديسمبر ١٩٦٤ . اي انهم وصلوا الى مكان نشوب الحريق بعد ٤٠ ساعة من حدوثه ، قطعوا خلالها ما يزيد على ٩٠٠٠ ميل !

السيارة تحترق ... والانسان يصمد !

ان هذا الخبير العالمي هو « رد أديير » Red Adaire ... في الخمسين من العمر ، ترفض الشركات اجراء اي تأمين على حياته لخطورة عمله ، وقد اشترك حتى الآن في اخماد ٥٠٠ حريق من حرائق الآبار في مختلف انحاء العالم .

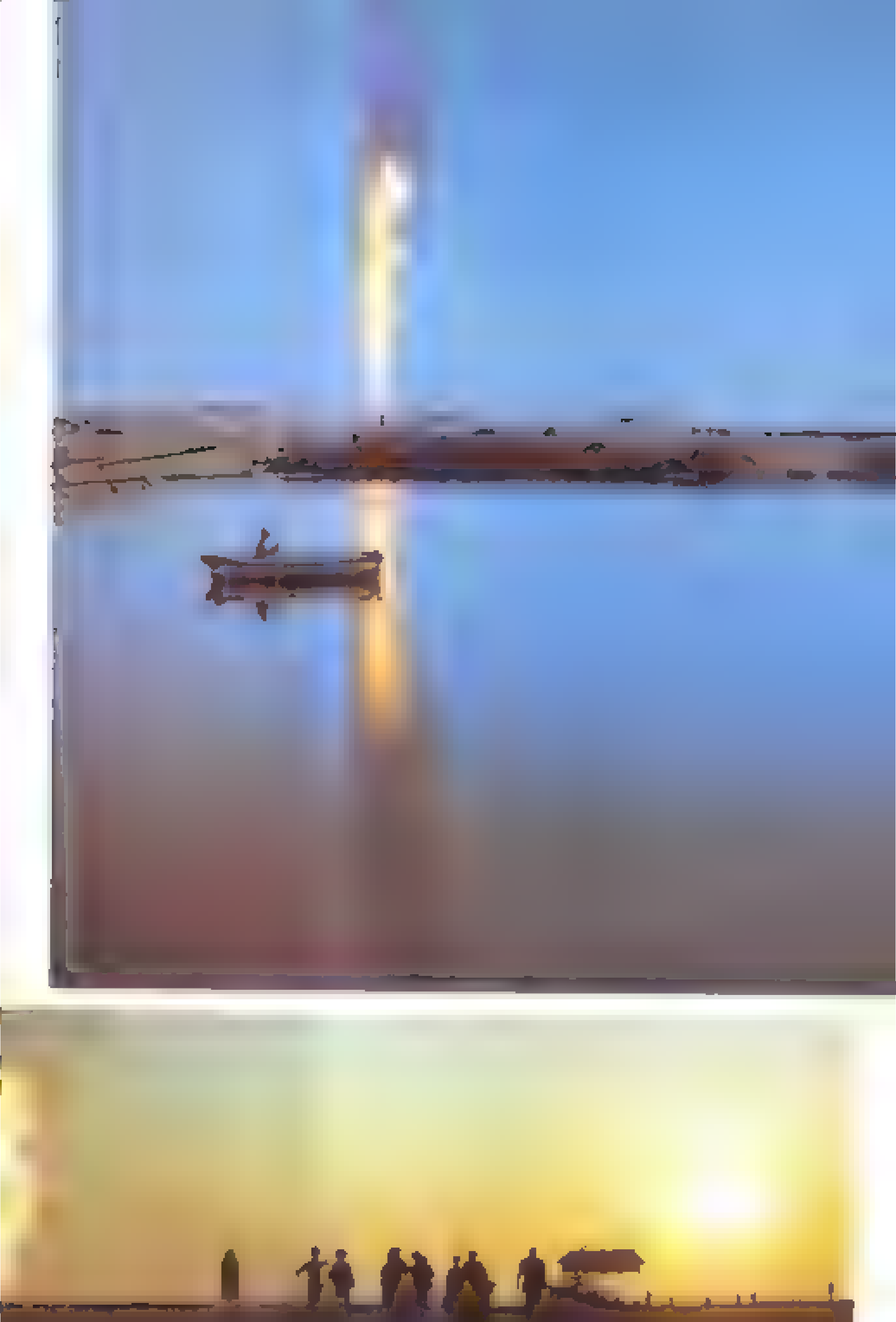
ولما وصل الى منطقة الحريق بالكويت طلب سيارة جيب ركبها واتجه نحو اللهب ليلقي عليه اول نظرة .. واندفع بالسيارة ، وهو بملابس واقية من النار ، حتى اصبح على بعد ٥٠ خطوة من الشعلة ، وهنا لم تصمد السيارة للوهج ، فبدأ هيكلها يشتعل ، فنزل منها واخذ سطلا به ماء بعدما يلقيه على السيارة ، ولكنه لم يشجع تركها وهي مشتعلة ودفعها الى منطقة الامان ، حيث اشترك مع رفاقه في اخماد نار السيارة .

٢٠٠ طن حديد

ان خبير الاطفاء لم يستطع ان يشهد في نظرته الاولى الى البئر كثيرا من التفاصيل عند فوهة النار ، لانها كانت كلها مغطاة باكوام من الحديد المتشابك ، الذي نتج من تداعي حديد برج الحفر بفعل حرارة النار ..

ان وزن هذا الحديد يزيد على ٢٠٠ طن ، غير خزانات الماء والطين ومحركات الديزل ومولدات الكهرباء وسيارات الحفارين ، التي اصبحت





كلها ركاما حديديا ساخنا لا يستطيع الانسان الاقتراب منه ..

٥٠ مليون قدم مكعب من الغاز

وقد قيل لنا ان حرارة المنطقة المحيطة بالبئر كانت ٢٥٠° ف . اى نحو ١٢٠° مئوية .. وقدروا كمية الغاز التى تحترق يوميا بحوالي ٥٠ مليون قدم مكعب ، اى ما يوازى استهلاك مدينة الكويت ومرافقها في يوم واحد .

ماء ... ماء

وفي الايام الاولى للحريق كانت المقذوفات الحديدية تظل اندفاع اللهب عموديا ، فكانت النيران متشعبة الاتجاهات .. لهذا كان الهدف الاول لخبراء الاطفاء هو ازالة ركام الحديد ... واستوجب ذلك ضخهم كمية عظيمة من الماء تكون تحت تصرفهم ..

ان ضخهم للماء لم يكن لاطفاء الحريق ، وانما لتبريد الآلات والمعدات ..

اعلان الطوارىء في مدينة النفط

واعلنت حالة الطوارىء في مدينة الاحمدي ، او مدينة البترول التى ولدت في نفس السنة التى تفجر فيها البترول بالكويت ، وتقع هذه المدينة على ربوة ارتفاع ٤٠٠ قدم من سطح البحر ، وبجوارها مستودعات تجميع النفط ، والنفط ينساب منها تلقائيا منحدرا الى الميناء القريب..

كان اهل مدينة الاحمدي يشعرون ، لا سيما بالليل ، باصوات كالرعد ، هي اصوات اللهب المرعبة ، بالرغم من ان منازلهم كانت على بعد ١٢ ميلا من البئر .

وفي مساء يوم ٢ يناير ١٩٦٥ خرج اهل « الاحمدي » ، كعادتهم ، لري حدائق منازلهم . وهو لري من ماء جوفي ، ولكن الانابيب لم يكن بها ماء .. لقد قطع ماء الآبار الجوفية عن المدينة لمدة ثلاثة ايام وتقرر تحويله الى منطقة الحريق .

وتطلب الامر مد شبكة انابيب طولها ٩ اميال لنقل المياه الى منطقة الحريق الصحراوية ..

بحيرة وسط الصحراء

ولكن كمية المياه هذه لم تكن كافية فمدت انابيب اخرى من البحر مباشرة الى منطقة البئر المحترقة ، حيث كانت عشرات الجرارات والرافعات تعمل لتسوية حوض ضخم ، وسط الصحراء يسع ملايين الجالونات من الماء .. وبين عشية وضحاها اقيمت حواجز الحوض وبدأ الماء يندفع من فتحات الانابيب ، التى تصب فوقه ، حتى امتلأ بعشرة ملايين جالون من ماء الآبار ، وماء البحار ..

.. وبرج ماء

ولم يكتفوا بهذا القدر من الماء فجاءوا ببرج من ابراج الحفر ، وبنوا في الحفر ، بجوار البئر المشتعلة ، لاخراج الماء الجوفي من المنطقة نفسها للاحتفاظ بماء دائم داخل الحوض .

وبينما كانت عملية تجميع المياه جارية ، كان العمل يجري في صنع مدرعات واغطية خاصة

الى اسفل : وضعت « مطافيء حكومة الكويت » وشركات النفط العاملة خبراتها تحت تصرف شركة النفط لمساعدتها في عملية الاطفاء



للاحتماء بها من وهج النار عند الاقتراب من الحريق ، وجاءت هذه الدرعات على شكل الدروع الكبيرة التي كان الجنود الرومان يحتمون خلفها اثناء تقدمهم في الحروب ، ولكنهم هنا ، في منطقة برقان بالكويت ، اقاموها فوق جرارات قسم هندسة الطرق بشركة النفط !!

الكلام بالإشارة !

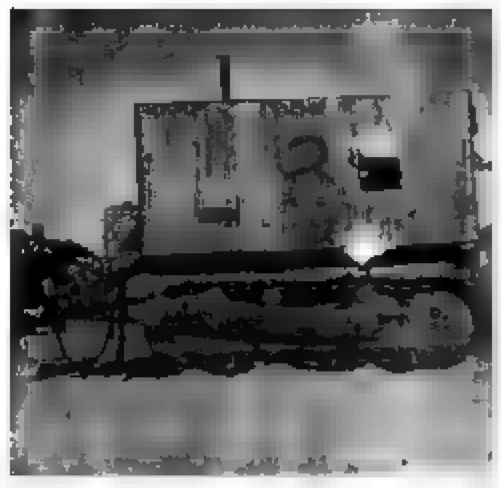
وما كانت الاستعدادات تنتهي حتى ملئت المنطقة بالرافعات بالمياه المتدفقة من فوهات الخراطيم التي وصلت على بعد ٥٠ مترا من النار .

وركب خبراء الاطفاء داخل « الجرارات المصفحة » ، وارتدوا ملابسهم الحمراء الخاصة المصنوعة من مادة الاسبستوس العازل للحرارة ، ووضعوا في آذانهم قطعا من القطن يحموها من صوت النار ، فقد كان يطغى على كل صوت عداه في منطقة الحريق ، حتى اضطر الخبراء الى التحدث بالإشارات .

إصابة الهدف

واندفعت الجرارات تحت المياه المتدفقة من

رد أدير Red Adair ، خبير الاطفاء العالمي ، يلقي نظرة أخيرة على النار [illegible]



داخل هذه الجرارات المصفحة [illegible] الحديد [illegible] عند فوهة البئر

الخراطيم .. كان هدفها تخليص فوهة البئر من الركام الحديدي الساخن ، حتى يتمكن الخبير من تحديد طريقة اطفاء النار ..

وما كادت القطع الأولى تزاح عن الفوهة حتى تحولت النار فأصبحت عمودية تنطلق رأسيا الى السماء . وكان لهيبها يشاهد من مدينة الكويت ، على بعد ٤٠ كيلو مترا من الحريق ..

الطبيعة تنقسم على نفسها

وساهمت الطبيعة بدورها في العملية فهطلت الامطار بغزارة بشكل لم تشهده الكويت منذ سنين .. فساعد هذا على تخفيف حرارة المنطقة ، ولكن ، من جهة ثانية ، اندفعت الريح العاتية والعواصف الرملية الى النيران فاعاقت العملية !

راقصة النار

واخيرا ، وبعد كفاح مرير استمر ١١ يوما ، امكن ازاحة جميع الانقاض الحديدية ، واستطاع الجميع ان يشهدوا مظهرا جبارا للطبيعة في انطلاقة هائلة لكامن قوتها ..

كانت ألسنة النار تراقص وتتعانق وتتلوى في حركة هستيرية ، تنتهي في الجو الى بخار اسود يرتفع صاعدا في السماء ..

انها راقصة النار فرحة بانتصارها وانطلاقها

.. انها انطلاقة المارد من القمقم .. فالقمقم هو فوهة بئر قطرها ١٠ بوصات ، والمارد هو تلك النار الهائلة التي كانت ترتفع احيانا الى علو ٢٠٠ قدم !

حيرة الخبير !

واجتمع خبراء الاطفاء ليحددوا طريقة الهجوم على البئر .. ومن داخل جراراتهم المصفحة راحوا يرقبون النار بنظاراتهم المقربة ...

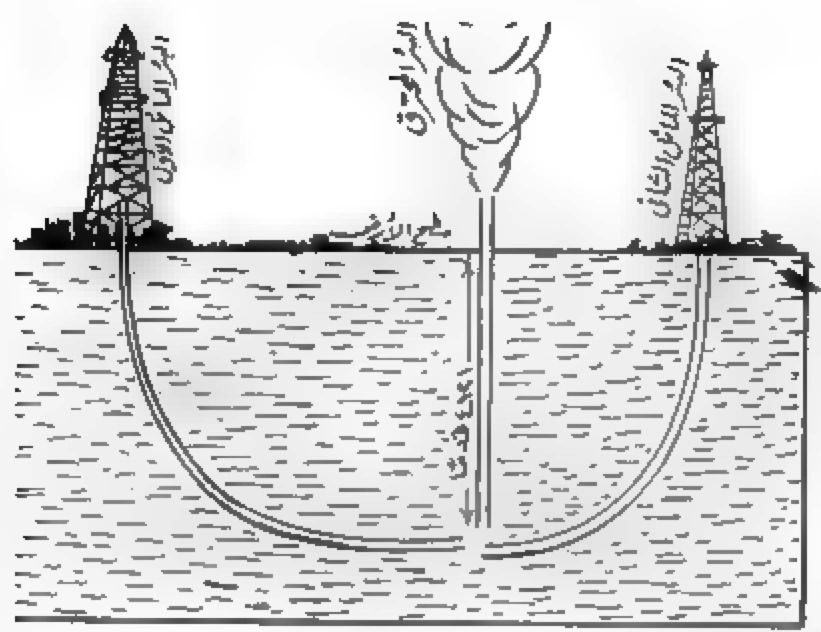
وكان الطبيب الامريكي يفكر في خير وسيلة للسيطرة على هذا اللهب الاهوج

جاءته فكرة وضع غطاء وزنه اربعة اطنان ونصف على فوهة البئر ، ولكن تشقق الفوهة من فعل الحريق ، ومن سحب ركام الحديد منها ، اوقف الفكرة خوفا من اندفاع السنة النار الى كل اتجاه مما قد يتسبب في كارثة اكبر .

وفكر طبيب الاطفاء في وضع ٥٠٠ رطل من المتفجرات عند فوهة البئر ، ليقطع ما بين الغاز والاكسجين الذي لا يعيش النار الا به ، ولكن ازدحام المنطقة بآبار النفط والغاز جعل هذه العملية مستحيلة لخطورتها ..

[illegible]





يوضح هذا الرسم
يبة عمر الشرى
الشي وعمد الاسهد
، حفرهم ، سوف
سح من خلالهما كميه
ائله من الماء يصعبها
ي بعيل خاص ، ل
حاوله لاسلاك سبع
سر المحرقه .

سكوت يخفي مرارة الهزيمة

وطلب الخبير مزيدا من الخبراء جاءوا من مختلف انحاء العالم على اول طائرة .. وداخل الحرارة المصحة جلسوا يدورون ويفكرون ، حول النار لمدة ١٤ ساعة متواصلة في محاولة لايجاد نقطة ضعف لتمكنهم من السيطرة على هذه النار ..

وظلوا على هذا الحال حتى انبلج الصباح ، فخرجوا من منطقة النار .

سألوهم : ما رأيكم ؟

فسكتوا ولم يتكلموا ..

واتجهوا الى غرفهم للراحة ..

يجب خنق البئر

وكرروا السؤال على الخبير الامريكي العالمي :

ـ ما رأيك ؟

قال بالتفصيل .

ـ لقد غلبتني قوى الطبيعة .. لقد شهدت نيرانا اكبر من هذه ، لكن الظروف المحيطة بالبئر هي التي تمنعني من العمل . اني انسحب عن مكافحتها .. وسأترك الكويت اليوم ..

قالوا وماذا تقترح ؟

قال يجب خنق عنق البئر من عند منبعها على عمق اربعة آلاف قدم تحت سطح الارض ؟!

كيف يخنق البئر ؟

وفي صباح اليوم سافر « رد ادير » مع معاونيه في جو عاصف عليه تاركا الميدان لخبير عالمي آخر هو جون رانل خبير الحفر المائل : اصعب انواع الحفر على الاطلاق .

ان المطلوب من جون رانل هو اصابة هدف مختفٍ تحت سطح الارض على عمق ٤٠٠٠ قدم .. اي عليه ان يقف على بعد ١١١٤ قدما من فوهة النار ويحفر انبوبا مائلا يصيب به عنق البئر المحترقة الموجود على عمق ٤١٢١ قدما .

ولم يكتفوا بحفر بئر واحدة بل عمدوا الى حفر بئر اخرى على بعد ٥٤٦ قدما من فوهة الحريق .. حتى يضمنوا اصابة الهدف الخفي الصعب ..

وحينما يصل حفر الآبار المائلة الى منبع البئر المحترقة سيبدأ عملية ضخ كمية هائلة من الماء والطين الثقيل المخلوط بمواد كيماوية خاصة يضخونها من هذه الآبار المائلة في محاولة لاغلاق منبع البئر المحترقة في الاعماق .

ومما يذكر ان عملية حفر البئر المائلة بدأتها شركة النفط منذ اليوم الاول للحريق ، قبل حضور خبراء الاطفاء من مختلف ارجاء العالم ..

ونحن نكتب هذا الكلام ، بينما الحفارون يعملون ليل نهار للوصول الى الهدف .. ■

س . ق .

طرائف عربية

هيبة الخليفة

● دخل رجل على المتوكل فقال له: ما اسمك ؟

قال: قحطان ..

قال: وما صناعتك ؟

قال: حمدان ..

قال: لعل اسمك حمدان وصناعتك قحطان ؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، ولكني دهشت لهيبتك !

اقوال مأثورة

● قال عروة بن الزبير لبنيه: تعلموا العلم فإن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين، فيا سوءتاه ماذا أقبح من جهل بشيخ !

● وكان يقال: علّم علمك من يجهل، وتعلّم ممن يعلم، فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت.

بديهة حاضرة تنقذ صاحبها من السجن !

● اتهم اعرابي بانه أطلق لسانه في الوالي في أحد المجالس فسيق الى الوالي لمحاكمته. وكان يعرف ان أتباع الوالي قد وجهوا اليه طائفة أخرى من التهم التي لم يرتكبها كي يتخلصوا منه، فقد كان ربما يستعطف به الوالي ويدرأ عن نفسه ما كان موجها من تهم، حتى اذا ما دخل على الوالي في مجلس حكمه وقرأ في وجوه الحاضرين ما يبيتون أخرج الكتاب من جيبه وقدمه الى الوالي وهو يقول: « هاؤم اقرأوا كتابيه »! ولكن الوالي لم يقرأ الكتاب ورد على الرجل: « انما يقال هذا يوم القيامة، وليس هنا .. » وبسرعة قال الرجل: « هذا والله يامولاي شر من يوم القيامة .. فهناك يؤتى بحسناتي وسيئاتي معا، اما رجالك فقد جاءوا بسيئاتي وتركوا حسناتي »!

فأعجب الوالي برده، وعفا عنه

اسكت !

● خرج الوليد بن يزيد حاجا ومعه عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر، فكانا ببعض الطريق يلعبان بالشطرنج، فاستأذن عليه رجل من ثقيف، فأذن له، وستر الشطرنج بمنديل، فلما دخل سلم فسأل حاجته. فقال له الوليد: أقرأت القرآن ؟ قال: لا، يا أمير

بخيــل

● وقف سائل بباب بخيل يطلب احسانا .
فقال له البخيل : السبدات لسن في المنزل .. يرزقنا الله .
فرد السائل : انني أسألك رغيفا لا عروسا !!

من امثلة الجود

● حكى الشعبي بن جبير انه كان في بعض سكك المدينة فلقيه رجل وقال له :

ـ كم عيالك ؟

قال فاخبرته ، فقال لي :

ـ قد امرت أن اجري عليك وعلى عيالك ما يكفيك من الرزق ما كنت حيا

فقلت : من امرك بورك فيك !!

قال : لا اخبرك !

قلت : ان هذا معروف يشكر !

قال : الذي امرني لا يريد شكرك ..

قال اشعب بن جبير : فمكثت آخذ ذلك الى ان توفي خالد بن عبد الله بن عمر بن عثمان فحمل له الناس فشهدته فلقيني ذلك الرجل فقال وان الدمع ليغلبه :

ـ يا اشعب .. هذا والله صاحبك الذي كان يجري عليك ما كنت اعطيك !

مال منْ آكلُ اذاً ... ؟

● ولّى احد الحجاج اعرابيا على عمل من اعمال الرعية ، فاصاب عليه خيانة ، فعزله واستقدمه ، فلما قدم عليه قال له : يا عدو الله ، اكلت مال الله .

فقال الاعرابي : ومال من آكل اذا لم آكل مال الله ! اني والله راودت ابليس الف مرة أن يعطيني فلسا واحدا فما فعل .

يستاجر الدار بدينارين وطعامهما !

● اكترى نصيب العلاء بن عبد الكريم دارا ، ولما سأله احدهم بكم اكتريت الدار ؟

قال العلاء : بدينارين وطعامهما .

قال : وما طعامهما ؟

فقال العلاء : صاحب الدار يأكل معي كلما اكلت .

...معنا احد

المؤمنين ! شغلتني عنه امور وهنات . قال : اتعرف الفقه ؟ قال : لا ، قال : ارويت من الشعر شيئا ؟ قال : لا ، قال : افعلمت من ايام العرب شيئا ؟ قال : لا . عندها كشف الوليد المنديل من الشطرنج وقال : شاهك . فقال له عبدالله بن معاوية : يا امير المؤمنين! قال : اسكت ، فما معنا احد !!



التفرقة العنصرية والصهيونية

من مجلة « الثقافة العربية » ـ [illegible]

● ان العقيدة الصهيونية لا يمكن زوالها بسهولة لتشبث اصحابها بالشواهد التاريخية ، وما نشاهده الآن يدل على ان التعاليم والفتاوى التي اخترعها زعماء الصهيونيين وكهنتهم في وصايا موسى قد تسلطت على عقلية اليهود ونفسيتهم واستحكمت طباعهم واصبحت طابعا مميزا لهم وترسخت في نفوسهم عقيدة تفوقهم على سائر الشعوب وترسخ ايضا في قلوبهم عداء لمن ليس منهم .

ان النزعة العدائية في نفوس الصهيونيين حيال الاجناس الاخرى مرجعها الى التلمود . ويقول رينان ، الكاتب الفرنسي الشهير : « يبقى اليهودي التلمودي الصهيوني غريبا عمن حوله اينما حل ، لا رائد له سوى مصلحة ابناء جنسه وكثيرا ما اصبح آفة ونكبة على البلاد التي احتضنته » .

ويقول مؤرخ يهودي يدعى برنار لازار : « ان ما يحول دون اندماج اليهود في الشعوب الاخرى هو التلمود . والصهيوني لا ينتمي الا لبني جنسه حيثما وجدوا ، وهو لا يسلم سوى مبادئ التلمود وتعاليمه . فهو في بريطانيا ـ مثلا ـ يدعي انه بريطاني فيثور على الدولة البريطانية التي تحميه برعويتها ليلحق لها المشكلات ، ويساعد على اغتيال رجالاتها من أمثال الوزير لورد موين والسير هارولد ماكمايكل المندوب السامي ، وعلى خطف الضباط والجنود البريطانيين تضامنا مع يهود يدينون بالمبدأ الصهيوني . والصهيونيون قد ابتدعوا كلمة « جوييم » للتعبير بها عمن ليس يهوديا ، والجوييم ممقوت من اليهود . ويعتبر الصهيونيون قتل الجوييم مباحا لأنه دون اليهودي آدمية .

صوت يهودي

من « فلسطين » ملحق جريدة الاحرار »

● صوت متحرج من الارض المحتلة : صوت يهودي ، ولكنه محرج الى اقصى حد .

في القدس وقف ناحوم غولدمان اكبر يهودي في العالم ، والمنافس القوي لبن غوريون ، ليعلن في اكبر مؤتمر يهودي ، فشل كل المخططات التي عملوا لها عشرات السنين . وقف ليقول بأن اسرائيل لا تستطيع ان تستمر بالعيش دون دعم الجاليات اليهودية التي تعيش في الخارج ، ودون اموالها التي يجب ان تتدفق عليها بزيادة مضطردة .

وقف ليحذر الشبيبة الاسرائيلية ، من غرورها الذي يريد ان يعتمد على جهود المقيمين في اسرائيل فقط ، مبينا اهم معنى المشاكل التي تعاني منها اسرائيل ، فتحدث كما تحدث غيره ، عن الرعب الذي يعيش فيه كل يهودي حين يتطلع صوب

الجامعات بين البحث العلمي والتعليم

من مجلة « رسالة العلم » القاهرية ،

● هناك سؤال ما زال يتردد في الحاح عجيب:هل الوظيفة الاساسية للجامعات هي تلبية حاجات المجتمع وحل مشاكله ، ام ان وظيفتها التعليم وحده ؟ ام انها تكون بالدرجة الاولى ، للبحث العلمي المجرد قصد الاضافة الى المعرفة البشرية،ام ان عليها ان تقوم بهذه الواجبات جميعا ، فتذكي شعلة العلم ، التي ورثناها من الاجيال الماضية قبلنا ، لنسلمها الى الاجيال الآتية بعدنا ، وقد زادت توهجا واشتعالا ، وزاد بريقها وسطوعها .

وليس من شك في ان تعليم الشباب وتزويدهم بقسط معقول من المعارف الاساسية ، وتخريج المتخصصين في مختلف فروع المعرفة ، لسد حاجات المجتمع في مختلف شئونه ، انما هو من اهم واجبات الجامعة ، واولى وظائفها ،ولعلها ان تكون اهمها ، ان كانت مهمة ان تدفع عجلة الحياة في المجتمع .

اما القول بتصور الجامعة من غير طلاب ،وانما تضم عددا من الاساتذة والمتخصصين يتعاونون في البحث والدرس ، وقد يعاونهم في البحث والدرس عدد من الطلاب ما تيسر ذلك ، فهذه ولا شك مثالية في التفكير ، لا اظن المجتمعات الحالية تطيقها ، او تسمح بها .

موسم الكتاب العربي في المغرب

من جريدة « العلم المغربية » :

● في كل بلاد الدنيا المتقدمة اصبح الكتاب ضرورة فكرية لا تحتاج الى دعاية ولا الى مهرجانات، لان كل كتاب يصدر يقيم مهرجانا فكريا في حوانيت الآلاف من قرائه ، وفي اقلام عشرات الناقدين والملاحظين ، ويقيم في الوقت نفسه معارك عقلية فكرية فنية ، مناقشة وردا وبحثا وتمحيصا .

ولذلك فعالم الكتب - في دنيا المتمدن - عالم مليء بالحركة الذاتية وهو في غير ما حاجة الى المهرجانات التي تبعث فيه الحركة عن طريق التذكير او طريق الدعاية والعرض .

ومن هنا تأتي اهمية اسبوع الكتاب في بلاد ليس للكتاب فيها يوم ولا اسبوع ولا شهر ولا سنة .

والكتاب في المغرب ما زال يجتاز ازمتين اثنتين، ازمة الكاتبين ، وازمة القارئين . وهما العنصران اللذان يكونان الكتاب .

ومرد الازمتين معا الى الثقافة وضآلتها وانحرافها عن مقومات الوطن ومنها اللغة . فالمثقفون بين شخصين : مثقف باللغة العربية ، وهو غريب نسبيا بين المتمدن ، ومثقف باللغة الاجنبية - فرنسية او اسبانية - وهو غريب بين المواطنين الى انه - الا مكنته من وظيفة او عمل او مركز مالي - عجز ان تمكنه من التفاهم مع المواطنين فكريا وثقافيا . ومن ثم انفصل هذا المثقف عن الشعب كما انفصل ذاك عن عموم المثقفين . ومن ازمة الانفصال تكونت ازمة الكتاب .

الصمود ، ويرى الجيوش العربية محيطة به في كل مكان . وتطرق الحديث به وبغيره الى التفرقة العنصرية التي لا تمارس على العرب فقط ، بل على اليهود الشرقيين انفسهم .

كل هذا لا بد من ان يقود الى شعور من الفرح الغالي ، اولا لان القضية بحد ذاتها تستدعي الفرح ، وثانيا : لان الجانب الآخر من القضية جانب اللاجئين الفلسطينيين ، ينمو بشكل مختلف ومغاير كليا لما يحدث في اسرائيل . فبينما كانت ستة عشر عاما من النكبة ، بمثابة معول هدم في اسرائيل ، كانت في صفوف الفلسطينيين ، عامل قوة وبناء ، يلمع في كل مخيم ، وفوق كل ارض عربية ، ارادة الصمود والعمل من اجل العودة . ونمت هذه الارادة في ظروف سيئة متعبة ، لا يمكن ان تقارن ، بأي حال من الاحوال، بالاوضاع المعيشية المترفة التي يعيش فيها يهود المستعمرات في كل انحاء اسرائيل .



أبو الحسن البصري الماوردي

كان بينه وبين السلطان مودة ، ثم حدث ان أتى بما لا يرضيه ، وامتنع عن مجلسه . فطلبه السلطان وقال له : « انك لو حابيت أحداً ، لحابيتني لما بيني وبينك وما حملك الا الدين فزاد بذلك محلك عندي »

بقلم : الشيخ محمد ابو زهره

استاذ الشريعة الاسلامية بجامعة القاهرة

في القرن الرابع والخامس الهجري ، اضطربت موازين الحكم والجيش ، وانحلت الدولة الكبرى الى دويلات وحكومات ملوك ، ذلك انه منذ استعان المعتصم في اول القرن الثالث الهجري بالأتراك الذين جلبهم من التركستان وغيرها من البلاد الاسلامية ، انتزع اولئك السلطان الفعلي ، واخذوا يتحكمون في الخلفاء ، ومن خالفهم منهم قتلوه ، واول من قتلوه كان المتوكل ، وكان عبرة لمن جاء بعده فاستسلموا ، وصار سلطانهم

... ، وكانهم رجال كهوف يمسحون ...ات .

... انحلال الدولة الاسلامية الكبرى

... انحلال الدولة الاسلامية الكبرى ، ... العربية تحتمي من الاقاليم ... من سائها اللغات ... الالسنة من النعمة ... ، حتى صار ذلك ... الاسلام .

... الشيعة والسنة ، ... والاتجاهات ، ... ، ودخلوا بغداد ... نحوها الخلاف .

... ، راجت سوق العلم !

... الوقت الذي فسد فيه الحكم ذلك ... ولعرفت الامة ذلك التعرف ... كانت سوق العلم رائجة ، وقد اتجه ... من العرب والفرس الى الدراسة والانتاج ، وكتب اللغة العربية وعاء ذلك العلم ، كما هي وعاء الاسلام ، ففي الوقت الذي سادت العجمة ـ كانت العربية سائدة في التاليف والدراسة .

وكان الحكام يشجعون العلم ، ويقربون العلماء اليهم ، ويغدقون عليهم البذل الوفير ، فانصرفوا الى العلم ، واتجهوا والمروا . وكان امر غريب . فبمقدار اضطراب ميزان الحكم كانت استقامة ميزان العلم ، وبمقدار العقم الذي اصاب الدولة ، كانت زيادة الانتاج العلمي ، فاتسعت آفاق الدراسات كلها ، وخصوصا الدراسات التي تتعلق بالفقه والتفسير والحديث .

وانه لمن الغرابة ان نجد في ذلك العصر المضطرب دراسة واسعة لنظام الحكم الاسلامي السليم ، وكان العلماء راوا خطوطا معوجة ، فاستطاعوا ان ياخذوا من اعوجاجها الرسم الصحيح للخط المستقيم ، فادراك الاعوجاج يسد طريق الاستقامة ، وكانهم راوا ان اسلك طريق التوجيه هو بيان الحكم المستقيم ، فمن اراد ان يسلكه فقد اهتدى .

ابو الحسن الماوردي

عاش في هذا العصر فقيه مدرك ، وحكيم ملهم قد آتاه الله قلبا مستقيما وتجربة مكنته من ادراك العصر ، فقد ركب لجته ، وعلا فوق قمته ، فبين الطريق للاصلاح من غير ان يصرح بالدعوة اليه ، لان بيان الحق في ذاته تحريض عليه .

ذلكم الفقيه هو علي بن محمد بن حبيب المكني بابي الحسن ، والملقب بالماوردي . قال فيه ابن السبكي في طبقاته

« الامام الجليل القدر الرفيع المقدار والشان ، صاحب الحاوي والاقناع في الفقه ، وادب الدنيا والدين ، والتفسير ، ودلائل النبوة ، والاحكام السلطانية ، وقانون الوزارة ، وسياسة الملك . وجتمل اليه الفقهاء سلطان كثيرة ، وكان رجلا عظيم القدر مقدما عند السلطان » .

وهكذا نجد ذلك الفيلسوف الفقيه قد خاض في عباب العلم الاسلامي ، خاض في علم الفقه واصوله خوض العالم النظري العميق في تفكيره ، وخاض في الاحكام العملية والنظام خوض المسيطر المدرك الفاهم فقد عاش قريبا من الحكام ، فعلم الادواء . وعلم علاجها فوضعه في كتبه من غير ان يذكر انها دواء ، بل دونها على انها غذاء يستفيد منه المرضى والاصحاء .

نشاته وحياته

ولد ابو الحسن بالبصرة ، وتلقى علومه الاولى

بها ، وكانت البصرة موئل العربية ، وبها علوم النحو والأدب ، وبها الطوائف والفرق الاسلامية، ويجري فيها الجدل بين هذه الطوائف . وهي فوق ذلك ملتقى الأجناس الاسلامية ، وتجيء اليها التاجر من الشرق ، وتجيء معها علوم الهند وايران ، ثم هي فوق ذلك تطل على الصحراء العربية حيث الصفاء والأخلاق التي لا انحراف فيها . تلقى العلوم المختلفة على مشايخها . فتلقى علم الكلام على المعتزلة وعلى الأشاعرة ، وتلقى الفقه الشافعي وأصوله ، وروى الحديث عن حفاظه ، وعني بالقرآن فهما وحفظا وضبطا وتفسيرا .

ثم انتقل من بعد ذلك الى بغداد ، وفيها الثقافة الزي والبيئة الخصب ، والشيوخ الكثر ، فأخذ عنهم ودارسهم ، واستمر يذاكر العلماء ، ويحصل العلم ، حتى بلغ فيه شأنا يتجه فيه اليه ، ويجلس التلاميذ بين يديه .

وفي هذه الأثناء اتصل بالحكام من دولة بني بويه الذين كان لهم السلطان الفعلي ، وللخليفة العباسي الحكم الاسمي ، وقد بلغ بهم الشأن أن صار يخطب باسمهم ، ويذكرون مع الخليفة على المنابر . اتصل بالسلطان فكان المقدم عنده ، وكان المقرب اليه ، المسموع الكلمة لديه .

وهو بهذا الاتصال كان يدرس نظام الحكم ، ويقارن بينه وبين ما يدعو اليه الاسلام ، وما يمكن أن يستخلص من الدراسات الفقهية ، وما ترشد اليه القواعد الاسلامية ، فكان هذا الاتصال ، مع من علو المكان ، مرشدا له وموجها للدراسة الاسلامية التي تتعلق بنظام الحكم في الاسلام . وكان كتابه الأحكام السلطانية ثمرة لهذه الدراسة كما كان كتاباه « قانون الوزارة » وسياسة الملك ، ثمرة لهذه الدراسة أيضا وان كان هذان الكتابان فيهما خضوع الى حد ما للواقع ، بمقدار ما كان الأول مصلحا لاصلاح الواقع ، ولا خضوع فيه .

توليه القضاء

تولى القضاء في بلاد اسلامية من بلدان الشرق، وهي مختلفة البيئات مختلفة الأعراف . والقضاء يفيد الفقيه خبرة بالناس ، وخبرة عملية في تطبيق الفقه ، فاذا كان في القضية التي بين يديه آراء مختلفة ، كل رأى يمكن تطبيقه ، فانه يختار منها ما يقرب الى مألوف الناس ، ولتحقيق العدالة بينهم . واذا لم يكن في المسألة رأى فقهي يحقق العدالة اتجه الى الكتاب والسنة والقواعد الفقهية العامة يستنبط منها ما يكون أقرب الى تحقيق العدالة ، وتحقيق المصلحة الشرعية .

وقد كان القضاة يختارون من الذين لهم اجتهاد في مذاهبهم ، ولم يكن التقليد قد قطع ذلك النوع من الاجتهاد ، ولذلك كان لأبي الحسن الماوردي اجتهاد في فروع فقهية خرجها لم يكن فيها مخالفة للمذهب الشافعي ، بل فيها تطبيق لأصوله ، وقد دونها المؤرخون لذلك الامام الجليل .

وان القضاء في بلدان كثيرة قد أعطى ذلك الفقيه العظيم معرفة بأخلاق الناس ، فدرس الآفات التي تفسد الجماعات الاسلامية، وتنحرف بالنفوس عن المقصد الأسمى ، الذي دعاهم اليه الاسلام .

وكان أبو الحسن عميقا في دراسة النفوس ، متعرفا أدواءها ، ودواءها ، ولم يكن عنده من علاج الا الشرع الشريف ، ومصادره من قرآن وسنة ، وقد جاء كتابه « أدب الدنيا والدين » مشتملا على بيان ما يعتري النفوس من أدواء ، وما يمكن أن يطب به من دواء .

صفاته

اتصف أبو الحسن بصفات جعلته في الذروة بين رجال العلم عبر التاريخ الاسلامي .

وأولى هذه الصفات ذاكرة واعية ، وبديهة حاضرة وعقل مستقيم يأخذ من الجزئيات قواعد كلية ، ويربطها برباط من المنطق واحد . وقد عالج في هذا مسائل لم يسبق بها ، كملاحظته لمسائل الشرع في كتبه التي تعرضت لنظام

الدولة، فما كان يعتمد في ذلك على قواعد مقررة ثابتة جمعها ودونها ، بل كان يعتمد في ذلك على أحاديث ، وأحكام للصحابة ، وفروع جزئية في المذاهب ، فجمعها جمعا متناسقا ، وربط بينهما ، ربطا محكما،وجعلها في قواعد مضبوطة.

والثانية : اتزان في القول والعمل ، وهذه الصفة تكون كامنة في النفس ، وإن وجدت ما يثيرها نمت وازدهرت ، وقد نماها اتصاله بالحكام ، ورغبته في ارشادهم من غير أن يدفعهم الى جنوح أو جموح .

والثالثة : الحلم وضبط النفس ، فكان لا يثور ولا يغضب ، ويتطامن لطلاب العلم بين يديه .

والرابعة : التواضع ، وابعاد النفس من الغرور ، وكان حييا شديد الحياء، وفيه وقار وهيبة تجعل الذين يعاشرونه يحتمون مع المحبة له الهيبة من أن يقولوا في حضرته قولا لا يرضيه ، وما يرضيه الا الحق .

والصفة الخامسة: الاخلاص . أخلص لله تعالى ، فكان لايقول الاحقا ، ولايفتى بغير الحق ، لا تأخذه في الحق لومة لائم، ولا عتب صديق ، ولا رغبة في ارضاء رئيس ، وله في ذلك الاخبار المطهرة بطيب الاخلاص .

ولنذكر واحدا منها : كان أبو الحسن الماوردى صفيا لجلال الدولة ، أحد سلاطين بني بويه ، وقد أعطاه الخليفة لقب ملك الملوك ، فثارت فكرة جواز هذا اللقب من الناحية الشرعية الدينية ، فاختلف الفقهاء في ذلك على ثلاثة آراء .

أولها : الجواز على اعتبار أنه ملك الملوك في الأرض ، وليس في هذا ما يمس الذات العلية .

والرأى الثاني هذا على حسب النية، فان نوى الناس الأرض فلا بأس ، والا فانه لا يجوز .

والرأى الثالث : المنع لان هذه الصفة لا تليق الا بذات الله تعالى ، وللاحاديث الواردة بالمنع . واعتنق العامة هذا ، وحصبوا الخطباء الذين خطبوا، وذكروا هذا في الخطبة .

ولكن لا بد أن يبدي الماوردي رأيه وهو فقيه العصر ، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم يقول:« اشتد غضب الله على من قتل نفسه ، واشتد غضب الله على رجل تسمى بملك الملوك ، لا ملك الا الله تعالى » . ووجد النبي عليه السلام يقول في حديث آخر : « أخنع اسم عند الله تعالى يوم القيامة رجل يسمى ملك الملوك » .

ولذلك افتى الماوردي صديق جلال الملك وصفيه بالمنع .

ولكن الماوردي رجل فيه حياء وفيه مودة ، وفيه قوة دين ، ولذلك انقطع من السلطان جلال الدولة بعد هذه الفتوى ، فطلبه السلطان ، فمضى اليه وهو يتوقع العقاب ، ولكن قال جلال الدولة : « أنا المحقق أنك لو حابيت أحدا ، لحابيتني ، لما بيني وبينك، وما حملك الا الدين ، فزاد بذلك محلك عندي » .

كتبه

ترك أبو الحسن الماوردي آثارا علمية خالدة ، منها كتاب الحاوي في الفقه

الشافعي ، وقد تعرض فيه لدراسة فقهية مقارنة ، وهو مخطوط يعمل المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة على تحقيقه واخراجه. وله كتب في الاصول والفروع وغيره ، وله كتاب التفسير ، وله في كل فروع العلم الاسلامي . كتب قيمة تمتاز بجودة التعبير ، وسلامة التفكير .

ولكن كتابين اخرجتهما المطابع المصرية قد انفردا من بين الكتب الاسلامية بخواص ليست في غيرهما ، وهما كتاب الاحكام السلطانية ، وكتاب ادب الدنيا والدين .

كتاب الاحكام السلطانية

اما الاول منهما فقد تكلم فيه عن نظام الدولة في الاسلام معتمدا فيما يقول على الكتاب والسنة وعمل الصحابة . تكلم في الولاية العظمى ، وهي الخلافة وشروط الامام ، وسلطانه ، وتكلم على الولايات التي تتشعب من الولاية العظمى كولاية القضاء وولاية الجهاد ، وولاية الشرطة ، وولاية الصدقة ، وولاية الخراج ، وولاية المظالم ، وقد اتى في هذا بكلام سبق به من تكلموا في نظام الدولة ، واحكم القول في ذلك ايما احكام ، وتكلم في ولاية الحسبة واحكام المحتسب ، وتكلم في احكام الاراضي والاقطاع ، وهو في كل هذا مسيطر على كل ما يكتب يستمد من المصادر الاسلامية الاصيلة . وتكلم عن اقطاع النبي صلى الله عليه وسلم ، واقطاع الخلفاء من بعده . وقد تعرض في هذا الكتاب لكثير مما يعد اصلا في باب التكامل الاجتماعي في الاسلام .

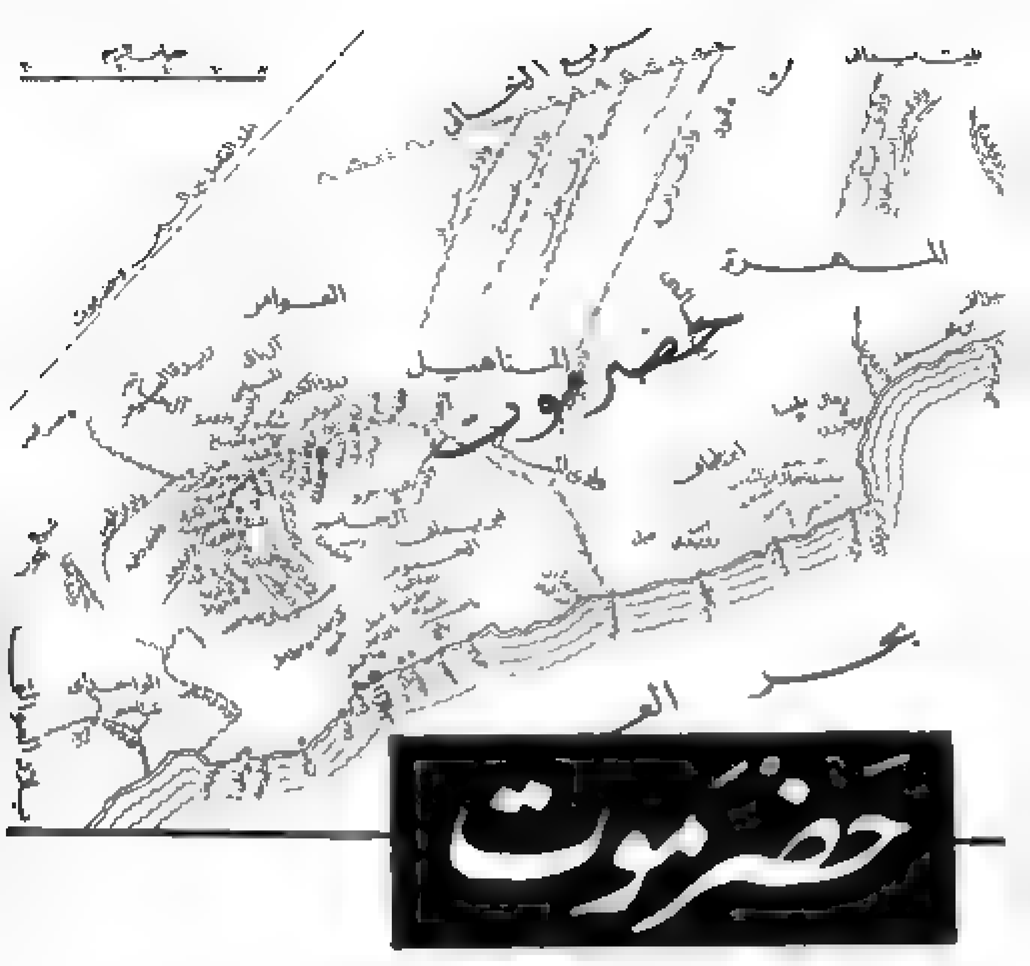
كتاب ادب الدنيا والدين

واما الكتاب الثاني ، وهو كتاب ادب الدنيا والدين ، فقد عالج فيه آفات المجتمع علاجا قد اتخذ عناصر دوائه من الكتاب والسنة ، وحكم الفرس ، واشعار العرب . وقد ابتدأ كتابه ببيان سبب الانحراف في النفوس .. وهو الهوى ــ واخذ يعالجه، وما يترتب عليه، وتكلم في الفضائل الاسلامية ، والرذائل التي ينبو عنها الخلق الاسلامي . وهو في كل موضوع من موضوعات الكتاب يستشهد بالكتاب والسنة ، والتحليل النفسي والاشعار العربية، حتى انه ليجد فيه كل باحث في موضوع من الموضوعات الخلقية ما يستشهد به من مصادر الاسلام ، والادب العربي .

وانه ليصل الى قمة احيانا في التحليل الخلقي ، فيذكر مثلا علاج النفس ،ايكون بالارهاب والتخويف ام يكون بالتأليف والترغيب ، ويذكر اثر كل منهما في النفس ، وشرح الاتجاهين ، وينتهي الى انه لا بد من عنصري الترغيب في حسنى عاقبة الخير، والترهيب من سوء العاقبة.

وهكذا نجد الماوردي من اقوى الرجال اثرا في الفكر المعاصر، وقد اخرجت وزارة المعارف بمصر كتاب ادب الدنيا والدين، وكان يطالعه طلبة المدارس الثانوية ،ولا ندري لماذا لا يعاد طبعه ، وهو من اعز الآثار العربية. والله ولي التوفيق.

محمد ابو زهره



طواها التاريخ ونشرها ، مرة بعد مرة

■ يتبادر الى الاذهان بعض الناس عندما يسمعون كلمة « حضرموت » ، المنطقة التي يحكمها الآن السلطان القعيطي والسلطان الكثيري من جنوب الجزيرة العربية فقط ، والواقع ان حضرموت تشمل مساحة اوسع من ذلك ، فقد كانت تطلق على المنطقة الممتدة من ظفار شرقا ، الى بلاد العوالق غربا ، فتدخل فيها اراضي المهرة وبلاد الواحدي . وفي هذا الجزء بمجموعه التاريخي الواسع تقلبت احداث التاريخ وتكونت منها تاريخ حضرموت

كان لحضرموت حضارة قديمة

واذا كان التاريخ القديم المجيد لحضرموت لم يكتب ولم يدون بعد بسبب نقص الدراسات والبحوث الطبيعية والاثرية التي تعتبر المصدر الصحيح الوحيد لنا يمكن ان نعتمد عليه من هذا التاريخ . فان المجهودات الاولية من هذه الدراسات . على قلتها ، تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن حضرموت ، بما فيها مناطق عاد الشمالية . كانت عامرة

باسباب الحياة والحضارة ، آهله بالكثير من السكان ، وان ما نشاهده الآن من جفاف وارتفاع في حرارة الجو انما كان طارئا ، فادى الى مطاردة الحضارة والى الهجرة ، وتحويل الاراضي الى بقاع صحراوية غير صالحة للحياة .

ولذلك فان المؤرخ ، مهما بالغ في التزام جانب التحفظ والدقة والامانة التاريخية،لايجد بدا من الاعتراف بوجود حضارة في حضرموت قبل الاسلام بقرون طويلة لا تقل شأنا من حضارة سبأ(١) ومعين (٢) ، وحضارتي آشور والبابليين المعاصرة لها .

آثار باقية ، ومعابد وحصون

نجد الدليل على هذه الحضارة فيما تنطق به الآثار الباقية من معابد وحصون ، وقصور وتماثيل ، وكتابات اثرية جاءت مطابقة للمعلومات التاريخية الواردة في كتب مؤرخي الرومان واليونان من ان اهالي حضرموت كانوا اشداء في الحروب ، واصحاب همم ونشاط في الاعمال ، وكانت لهم زراعة راقية جدا ، وتجارة ممتدة الى سائر الاقطار ، وعلاقات اقتصادية مع مصر وفينيقية ، وكانت سفنهم البحرية ومعرفتهم بالملاحة وركوب البحار موضع اعجاب المؤرخين ..

لقد كانت التجارة قديما في يد الحضارمة وجيرانهم الجنوبيين مصدر ثراء وازدهار عظيمين لبلادهم ، حتى حكي عنهم من الاخذ باسباب الترف والبذخ ما نحسبه نحن اليوم من قبيل المبالغات ، فعلى يدهم كانت تنقل غلات حضرموت وظفار من البخور ، وواردات الهند ، وغيرها من التوابل ، الى الشام ومصر ، كما كانت سببا في استفادتهم من مدنية الفرس والروم واديانهما ، وتأثرهم بحضارات معاصريهم الآخرين من شعوب الشرق الادنى وانفعالهم من التيارات الفكرية والسياسية التي تنبثق من ارضه .

ومن بعد ازدهار جاء ذبول

وتضافرت أسباب وعوامل متعددة ادت الى انهيار حضارتهم وانصدع قوتهم وتفكك وحدتهم فقد اخذت طرق التجارة التي كانت تمر بلادهم تتحول من البر الى البحر ، وتعاقبت عليهم سنون طويلة من القحط والضائقات الاقتصادية بسبب اهمال السدود والانصراف الى المنازعات والفتن والانقسامات الداخلية ، فادى كل ذلك الى وقوع البلاد فريسة للاحتلال الحبشي ثم الفارسي .

ورغم كل ذلك فقد بقيت في حضرموت نظم سياسية واجتماعية متحضرة ارقى من تلك النظم التي كانت سائدة في مجتمعات القبيلة والخيمة في بعض المناطق العربية التي يعيش اهلوها تحت الخيام على رعي الانعام . وحفظ التاريخ لهذا العهد صورة من الادب الحضرمي يعطي فكرة عن النواحي العقلية والادبية للمجتمع في ذلك العصر .

الاسلام قضى على الوثنية

وجاء الاسلام فكانت له في حضرموت نفس الآثار التي تركها بين العرب في مختلف نواحي الحياة العقلية ؛ أبطلت الكهانة وفروعها ، وحل التوحيد محل الوثنية الغالبة في البلاد ، وقضى على العصبية القبلية الضيقة وغيرها من عادات ومفاهيم الجاهلية ، وانتشرت تدريجيا علوم الدين واللغة العربية ، واتخذت آداب الجاهلية كالشعر والخطابة رونقا جديدا .

الحضارمة في الفتوح الاسلامية

ومهد الاسلام للحضارمة سبيل الهجرة فغادروا بلادهم في البداية جنودا تحت راية الاسلام ، واشتركوا في حروب الروم والفرس ، وحضروا اليرموك والقادسية . وكان منهم عدد كبير في الجيش الذي فتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب . كما شاركوا في الفتوحات الاسلامية اثناء حكم الخليفة الثالث . ثم توالت هجرتهم من حضرموت بحثا عن اسباب العيش والاستقرار .

وقد اثبت التاريخ ان هؤلاء الحضارمة ، سواء كانوا تجارا ، او بحارة او جنودا او علماء ، نشروا الدين الاسلامي حيثما حلوا وأينما ذهبوا ، في الحبشة والصومال وشرق افريقيا ومدغشقر وجزائر القمر وجنوب شرقي آسيا

---

(١) بلاد في الجنوب الغربي من جزيرة العرب ، كانت ذات حضارة عظيمة ، مذكورة في كتب اليونان والرومان والعرب ، واشتهر سكانها بتجارة الذهب والفضة والبخور . (٢) مملكة قديمة ، ازدهرت في جنوب جزيرة العرب ، مابين عام ١٠٠٠ الى عام ٤٠٠ قبل الميلاد .

وغيرها ، وكان لهم في كثير من هذه المناطق ثروة ونفوذ وسلطان .

الفتن تركت حضرموت في عزلة

ولما انتقل مركز الخلافة من جزيرة العرب الى دمشق ثم بغداد ، ونشبت في حضرموت واليمن وغيرهما من انحاء الجزيرة ثورات الخوارج والشيعة ، وظهر طلاب السلطة ودعاة الفرقة والفتنة ، وتغلب على الخلافة في بغداد العناصر الفارسية والتركية ، اصبحت حضرموت كغيرها من اقطار جزيرة العرب في شبه عزلة . وضعف شأنها وظلت في تأخر مادي وثقافي حتى ان الرحالة « المقدسي » لما زار جزيرة العرب ، في القرن الرابع الهجري وصفها بالفقر وقلة العلم .

وساعد في عزلة حضرموت وتأخرها الغزوات والحروب التي تعرضت لها من حكام اليمن الطامعين في ضم حضرموت الى حكمهم ، امثال آل زياد ، واليعافرة ، والقرامطة ، وآل نجاح والصليحيين وغيرهم . فقد كانت البلاد طيلة حكم الاباضية من بداية القرن الثاني الى القرن السادس الهجري في حالة حرب مستمرة دمرت البلاد ، واهلكت الحرث والنسل ونشرت فيها الفوضى والفقر والجهل والتأخر .

علماء في الشريعة واللغة

وضعف شأن الاباضية الخوارج ثم فقدوا سلطانهم في القرن السادس الهجري وحلت في الحكم محلهم حكومات سنية شافعية ، لكن التمزق الخارجي والتناحر بين القبائل وطلاب السلطة في الداخل ، لم يتوقف شيء منها ، الا انه بالرغم من الاحوال السياسية المضطربة والظروف الاقتصادية الصعبة التي عاشها حضرموت في ذلك العهد ، فان عددا غير قليل من شخصيات الاسر الحضرمية البارزة وعلمائها استطاع بمجهوده الخاص ان يبث حركة تعليمية في كثير من المدن والقرى الرئيسية في داخل حضرموت وساحلها كان لها اثر كبير في انجاب جمهرة من المتفوقين في علوم الشريعة واللغة العربية اشتهرت بغزارة العلم وسعة الاطلاع واشتغل بعضها في التأليف والانتاج الادبي .

مكتبات علمية ومخطوطات قيمة

ولقد عرفت حضرموت في هذا العهد بمراكزها الثقافية في تريم وسيئون وشبام والشحر وغيل باوزير وغيرها ، ومكتباتها العلمية الحافلة بالمخطوطات القيمة في شتى فروع المعرفة واساتذتها النابهين الذين رحلوا لطلب العلم وتلقوا دراساتهم على كبار العلماء في القدس والشام ومصر والحجاز وزبيد وتعز وعدن ، ثم عادوا لينشروا العلم والثقافة ببلادهم .

المرأة الحضرمية

لكن المرأة الحضرمية ظلت اثناء تاريخها الطويل محرومة من العلم والمعرفة الا فيما ندر ، وفي حدود ضيقة لا تتعدى واجبات الشعائر الدينية . اما القراءة والكتابة فلم يكن للمرأة منهما نصيب على الاطلاق الا في حالات نادرة لاعتبارات على النظرة المتزمتة التي كان الناس ينظرون بها الى تعليم المرأة .

ركود في التعليم ، وتراجع في الثقافة

ومن المعلوم ان حركة تعليمية تعتمد على مجهودات فردية لا تمولها هيئات وطنية ، ولا ترعاها حكومات رسمية ، تفتقد اهم مقومات بقائها واستمرارها . ولذلك كان واضحا منذ القرن الثاني عشر الهجري ان اصحاب المؤهلات والكفايات العلمية الذين كانوا يتحمسون لنشر التعليم والثقافة قد اختفوا من الميدان ، فاصيبت الحركة التعليمية بالركود والجمود ، وعمت البلاد موجة طاغية من الجهالة ، وظلت تعاني من التأخر الثقافي والعزلة الفكرية .

ثم كانت النقلة المعاصرة

ثم تضافرت على تحطيم اسوار هذه العزلة ، قبيل الحرب العالمية الثانية ، عوامل متعددة اهمها تسرب الافكار الحديثة التي انبثقت من الحركة التعليمية التي اشترك بين حضارمة المهجر في جاوا وغيرها الى حضرموت ، وانتشار الصحافة وبرامج الاذاعات العربية ، والكتب التاريخية والاجتماعية والادبية التي اخذ الناس في حضرموت يقبلون عليها ويتأثرون بها .

وكان من الطبيعي لذلك ان تكون الاذهان مهيأة لان تقابل بالترحيب والتشجيع مجهودات الحكومة القعيطية في بداية عهد السلطان صالح بن غالب لوضع اسس هذه النهضة التعليمية التي تتولى ادارة المعارف اليوم قيادتها وتوجيهها . ■

سعيد عوض باوزير

امين مكتبة المعارف ـ حضرموت



لفهم العالم المحيط به يحتاج عالم الذات، وعالم الطبيعة

الإنسان بين العالم الأدنى

العلوم الإنسانية تحررت من ربقة العلوم الفلسفية، لتستعبدها العلوم الطبيعية

بقلم: الدكتور فاخر عاقل

الأستاذ بالجامعة الأردنية

■ والذي حارت البرية فيه
حيوان مستحدث من جماد

هكذا يقول الشاعر العربي الفيلسوف أبو العلاء المعري، وفي هذا القول كثير من الحق وكثير من النقص، نعم ان الانسان الذي حارت البرية في فهمه ووصف ما يصوره من صحة ومرض، شهوة وعبادة، عاطفة وعقل، فكر وعمل، انما هو حيوان، وهو حيوان مستحدث من جماد (وان صح ان في الكون جمادا). لكنه حيوان لا كالحيوانات، حيوان من نوع خاص جدا، معقد جدا، مختلف عن كل ما عداه من الحيوانات، وان كان يشبهها ويتصل أول أفقه بآخر أفقها — على تعبير ابن خلدون — وهو بعد هذا كله، وبسبب هذا كله، متصف بالقدرة على التطلع الى المثل الأعلى — ولله المثل الأعلى — والتسامي الى الآفاق لعلو آفاق حيوانيته كثيرا لتصله بهذا المثل الأعلى وما يتصف به من كمال.

وعلى أساس مما قدمنا نتوقف هنيهة لنتساءل عن صلة الانسان بهذا العالم الأدنى وما فيه ومن فيه، ومن صلته بالعالم الأسمى وما ينفرد به من كمال، ومن توفيقه بين هذه الحيوانات الدنيا والمثل المثالية العليا. والنبعا يتنزه عن وصف والتحديد.

وجودان للعالم

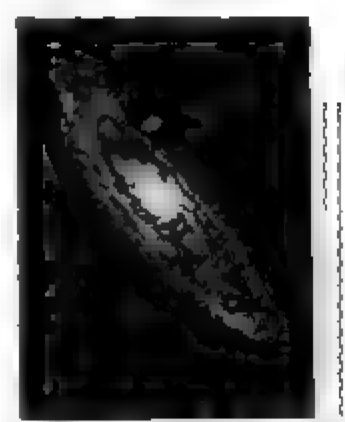
لهذا العالم في رأينا وجودان: وجود مادي بقطع النظر عن الانسان، ووجود في ذات الانسان، كل انسان، أي فرد من افراد الناس.

والذي رمينا اليه هو ان عالمنا هذا الذي نعيش فيه وما في هذا العالم من جماد ونبات وحيوان وانسان موجود بحد ذاته، وبقطع النظر عن ادراكنا اياه او عدم ادراكنا اياه. وفي رأينا ان ادراك الناس، كل الناس، في كل زمان وفي كل مكان، لهذا العالم، دليل كاف ومقنع على الوجود الذاتي لهذا العالم، والا لاستحال على الناس القدر من الاتفاق على المدركات عن هذا العالم.

ومعنا ان هذا الوجود الذاتي حقيقة هامة وأساسية في كل محاولة لفهم الانسان والتعرف على أفعاله العقلية ونزواته العاطفية وتصرفاته الظاهرة. ولولا ذلك لما كان لوجود الانسان نفسه معنى! فعليك ان يكون هذا الوجود ممكنا

الانسان إلى فهم ٣ عوالم: عالم ما وراء الطبيعة

والعالم الأسمى



ذلك بأن الانسان ، كل انسان ، جزء من العالم بالنسبة لكل انسان آخر .

لكن هذا الوجود الذاتي يبقى ناقصا وغير ذي معنى الا اذا ادركته الموجودات فيه . ولما كان الانسان اكثر المخلوقات الموجودة فيه قدرة على ادراكه ، فان وجوده (أي وجود العالم) كان دوما مرتبطا بوجود الانسان .

ومن هنا كان قول بعض الفلاسفة بان وجود العالم امر افتراضي الى ان يدركه الانسان فيصبح واقعيا ! ونحن وان كنا لا نذهب هذا المذهب فان من رأينا ان الوجودين متكاملان متداخلان متناسقان ، وذلك بالرغم من ان كل واحد من هذين الوجودين ما زال ناقصا وان كان مستمر التكامل .

وتفسير ذلك ان في العالم الكثير من النواحي غير الموجودة بالنسبة للانسان المعاصر ، لأنه لم يكتشفها ، وهي مع ذلك موجودة بدليل ان انسان المستقبل سيكتشفها . ثم ان انسان اليوم يعرف من العالم ووجوده أكثر مما كان يعرف سلفه انسان الأمس ، والأمل ان يستمر هذا التعرف ما دام ثمة انسان وعالم .

والحق والاخلاص نقول اننا لا نعلم اذا كان سيأتي اليوم الذي سيتم فيه التعارف بين العالمين والتواصل التام بين الوجودين ، كما لا نعلم ما اذا كان مثل هذا الكمال في التعارف والتواصل سيعني كمال الوجود او نهاية الوجود .

الانسان مركز العالم

من هذا المنطلق نستطيع الآن القول بأن مركز العالم بالنسبة لأي انسان هو ذاته . فالعالم بالنسبة اليك موجود بقدر ما تدركه وعلى الصورة التي تدركه وفقا لها .

وطبيعي ان هذا الادراك مشروط بشروط مادية ومعنوية ، منها مثلا ذاتيتك الجسدية وما تتمتع به من ادراك الحس والحركة والربط (الادراك) . وهكذا فعالم المرئيات موجود بالنسبة اليك اذا كنت تتمتع ببصر سليم ، بل انه موجود بالنسبة اليك وفق قدرتك على رؤية ما فيه وبالشكل الذي تتم رؤيتك اياه . وفي هذا الصدد اذكر دوما يوم ان ذهبت الى طبيب العيون اشكو اليه وجع عيني فسألني عما اذا كنت أرى جيدا والى بعيد ؟ فاجبت نعم ، وحينئذ اخذ يجرب بعض العدسات انظر من خلالها فاكتشفت لدهشتي انني ارى عالما آخر : عالما شبيها بالعالم ولكنه مختلف عنه ، لا بالوضوح والدقة فحسب ، بل وبالنسب والالوان ولمعان هذه الالوان ، وحينئذ فهمت ان ادراكي للعالم بدأ يختلف بسبب من هاتين العدستين الصغيرتين اللتين انتقاهما لي طبيبي .

وما يقال عن البصر يقال عن السمع وغيره من الحواس وكذلك يقال عن القدرة على الحركة والقيام بالاعمال وتفسير الوقائع وفهم الروابط .

ومن هنا كان ادراك العالم للأمور غير ادراك الجاهل ، وكان ادراك الطفل غير ادراك الراشد وكان ادراك الاختصاصي غير ادراك غير الاختصاصي ، وادراك المرأة غير ادراك الرجل ، بل ان ادراكك انت للامور يختلف باختلاف جوعك او شبعك ، صحتك او مرضك ، شبابك او شيخوختك ، رضاك أو غضبك الخ ..

والآن فالعالم بالنسبة اليك يتمحور حول ذاتك ويبتني فيها ، وادراكك اياه ينبع من ذاتك ويتأثر

بهما ، وكل محاولة للتفريق بين الموضوعية والشخصية محاولة مستحيلة بمعناها المطلق وان كانت مفيدة احيانا وبمعناها النسبي .

وحدة الذات والعالم

على ان هذه الذات الانسانية ليست موجودة في فراغ ، ولا تعمل في خواء . الانسان نتاج تزاوج بين رجل وامرأة ، وهو محتاج لكي ينمو ويحيا الى عناية الأم والأب ، وهو ينشأ في عائلة وقرية (او عشيرة او مدينة) ، وهو ينتمي الى جماعة تعارفت على عقيدة وعرف وقانون ، فهو بذلك منغمس - قبل ان يولد - في محيط اجتماعي .

وهذا الانسان يعيش في ظروف طبيعية معينة ، تتصف بدرجة معينة من حرارة (او برودة) ، وبنوع محدد من مناخ او طقس ، وفي بيئة طبيعية تتميز بالارتفاع او الانخفاض ، قريبة من بحر او نهر او تحو رابية او جبلا الخ .. الخ .

وكل هذه عوامل طبيعية تميز المحيط الطبيعي الذي توجد فيه الذات البشرية .

ثم ان المحيطات - اجتماعية وطبيعية - تتخذ اشكالا اقتصادية وحضارية وثقافية ومعتقدية وغير ذلك من الاشكال التي تكون جميعها اطرا اخرى تحيط بالذات الانسانية وتتصل بها وتشكلها وتتشكل بها .

ولذلك كان من المستحيل ان نفهم الانسان او ان يفهم الانسان ذاته خارج هذه الاطر والمحيطات .

بيد أن الأمر لا يقف عند هذا الحد بل يتعداه الى تأثير متبادل بين الانسان وهذه البيئات ، انه يتفاعل معها جميعها ويتأثر بها جميعها ويؤثر فيها جميعها ، وهو بذلك يتحد بها جميعها لتصبح جزءا منه ويصبح جزءا منها بحيث يصعب التفريق القاطع بين (الأنا) (١) و (اللاأنا) بالمعنى الدقيق، وان امكن بالمعنى المجازي لتسهيل الدرس والتحليل.

وهكذا الى نصل الى القول (الأنا) تتحد بالعالم، تتحد الأنا بامكاناتها الغنية المدهشة القابلة دوما للتقدم والتفتح ، بالعالم الغني الثري المتعدد الجوانب الكثير الاسرار . واننا لنزعم بأن هذا الاتحاد هو الطريق الوحيد لاستكناه العالم وكشف أسراره ، وهو الوسيلة المثلى لاستكناه الأنا والكشف عن جوهرها .

(١) الأنا : عند علماء النفس هي الذات أو الشخصية ، واللاأنا : العالم الخارجي .

وحدة الذات بالمثل الاعلى

لكن هذه الوحدة مع العالم وما فيه ومن فيه ، لا تغني الذات البشرية عن التطلع الى ما وراء هذا العالم ، الى عالم المثل ، الى عالم الله ، الى عالم الحق المطلق والخير المطلق والجمال المطلق .

ومن هنا - مرة اخرى - كان مد الانسان بصره الى ما وراء الطبيعة ، ما وراء المحسوس والملموس ، ما وراء الظاهر البسيط .

والانسان اذ يفعل هذا انما يفعله بحكم من (اناه) وطبيعته ويعرفني من ذاته المشدودة الى مثاليتها، ذلك بأن المثالية اصيلة في الانسان اصالة الحيوانية وان كانت اخفى واسمى .

واذا كان من غير المهم في مقامنا هذا ان نتساءل مع الفلاسفة عن الأصل والصورة في المادة والمثل ، فان من الأهمية بمكان عظيم ان نقرر ان المادة والمثل ، الحيوانية والمثالية ، اصيلتان في النفس البشرية اصالة النفس البشرية ذاتها . ثم انه من الأهم ان نبرز قدرة النفس البشرية قدرة رائعة على التوفيق بين ماديتها ومثاليتها ، بل اننا نجزم ان في طبيعة المادية مثالية، وان اصل المثالية مادية والا لما كان الانسان ما هو الآن .

ومعنى هذا

معناه ان الانسان محتاج في فهمه للعالم المحيط به لفهم ذاته من جهة .. ولفهم ما وراء هذا العالم من جهة ثانية ، ولفهم الصلات بين العوالم الثلاثة : عالم الطبيعة وعالم الذات وعالم ما وراء الطبيعة. والأمر نفسه صحيح عن فهم الانسان لذاته ، فهو عاجز عن هذا الفهم اذا لم يفهم عالم الطبيعة وعالم ما وراء الطبيعة الى جانب عالمه الذاتي ، وبالتالي علاقات هذه العوالم جميعا .

وهذا هو السبب في وجود زمر العلوم الثلاث : علوم الطبيعة وعلوم الانسان وعلوم ما وراء الطبيعة. (مع الملاحظة بأن بعض العلماء يرفضون تسمية العلوم الاخيرة بالعلوم ويرون تسميتها بالفلسفة).

وهذا هو السبب ايضا في ان علوم الطبيعة هي ابسط العلوم وادقها ، وان علوم ما وراء الطبيعة هي اصعب العلوم واوسعها ، وان علوم الانسان وسط بين الزمرتين وحلقة وصل بينهما ، وانها بالتالي اقل تحديدا من علوم الطبيعة واقل شمولا من علوم ما وراء الطبيعة .

وأخيرا هذا هو السبب في ان الانسان حين يبدأ

بالتالي من الفلسفة فتساءل عن ماهية النفس وصفات الروح وطبيعة الإله ومعنى الحياة وإلى ذلك من الأسئلة التي تقع في زمرة ما وراء الطبيعة لم يستطع أن يتقدم كثيرا في فهم العالم الطبيعي وعجز تماما عن فهم ذاته .

اما حين عكس الآية في العصور الحديثة ، وبدأ من الطبيعة وحادثاتها والجمادات وما يقع عليها من مؤثرات ، ثم انتقل الى النبات والحيوان ، وارتفع منهما الى الانسان ، فانه اصبح اقرب الى الوصول الى الحقيقة ، وإن كنا نعجز عن التنبؤ عما اذا كان سيستطيع في المستقبل كشف خفايا النفس والروح وسر الحياة وما الى ذلك من مواضيع ميتافيزيقية .

وفي كل الأحوال فإن العلوم – كل العلوم – ما زالت في بواكيرها ، لا سيما اذا قسنا عصر العلوم بعمر الانسانية ونسبنا العمر الأول الى العمر الثاني . والله وحده يعلم العصور التي ستكشف عندها هذه المعارف والعلوم ؛ وإن كنا نلاحظ بمزيد من الرضى تقدم العلوم – سائر العلوم – المتسارع ابدا .

أمران هامان

ويبقى بعد هذا كله أن نسجل أمرين هامين :

أولهما : مسافة التخلف بين تقدم علوم الانسان وتقدم علوم الطبيعة ، وما قد يجره تخلف العلوم الانسانية عن العلوم الطبيعية من مخاطر تهدد وجود الانسان على ظهر هذه البسيطة . ذلك بأن الديناميت يمكن أن يستعمله مجنون لنسف مدينة أو يستعمله عاقل لشق نفق ، ناهيك بهذه القوى النووية التي وضع انسان القرن العشرين يده على أسرارها وما يمكن أن تخدمه من أغراض السلام أو مقاصد الدمار .

وثانيهما : تسجيل الاختلاف الواضح بين طبيعة كل زمرة من زمر العلوم باختلاف موضوع درسها وما يجب أن يستتبعه ذلك من اختلاف المناهج والطرائق التي يتبعها كل علم .

ونحن اذ نسجل هذا نشير – على وجه الدقة – الى انبهار العلوم الانسانية بمعجزات العلوم الطبيعية ومحاولتها تقليد طرائقها وفرض شروطها مما يعرقل – في رأينا – تقدم العلوم الانسانية .

واذا كان المشتغلون بهذه العلوم قد شكوا في الماضي من تبعية علومهم لعلوم ما وراء الطبيعة (ولا سيما الفلسفة) فإن الشكوى منهم في أيامنا هذه تنحصر في حرصهم الشديد على تقليد طرائق العلوم الطبيعية .

واذا كان المجال لا يتسع لنا هنا لشرح هذه الفكرة والخوض في تفاصيلها فلا أقل من أن نشير الى ناحية واحدة كثر الكلام فيها حتى اعتبرت منتهية ، وهي مسألة موضوعية العلوم ، بما في ذلك العلوم الانسانية .

وعندنا أن طبيعة الموضوعات التي تدرسها كل زمرة من هاتين الزمرتين تختلف لدرجة يستحيل معها أن ننفي الصفة الشخصية عن العلوم الانسانية ونفرض عليها الموضوعية المطلوبة في العلوم الطبيعية .

واذا كان صحيحا أن العلماء المشتغلين بالعلوم الانسانية اليوم يفرقون أحيانا بين موضوعية العلوم الطبيعية وموضوعية العلوم الانسانية فإني أعتبر هذا التفريق نوعا من اللعب على الألفاظ .

ما دامت علوم الانسان تجعل الانسان موضوع درسها فلا بد لها اذا أرادت الأصالة وطلبت العمق من أن يكون لها لون شخصي .

ثم من ذا الذي يزعم أن هذا اللون الشخصي – اذا ضبط ووجه – عائق أو مانع من التقدم العلمي ؟ إن الأمر – في نظرنا – لا يعدو أكثر من تحرير العلوم الانسانية من استعباد العلوم الطبيعية بعد أن تحررت من ربقة الفلسفة .

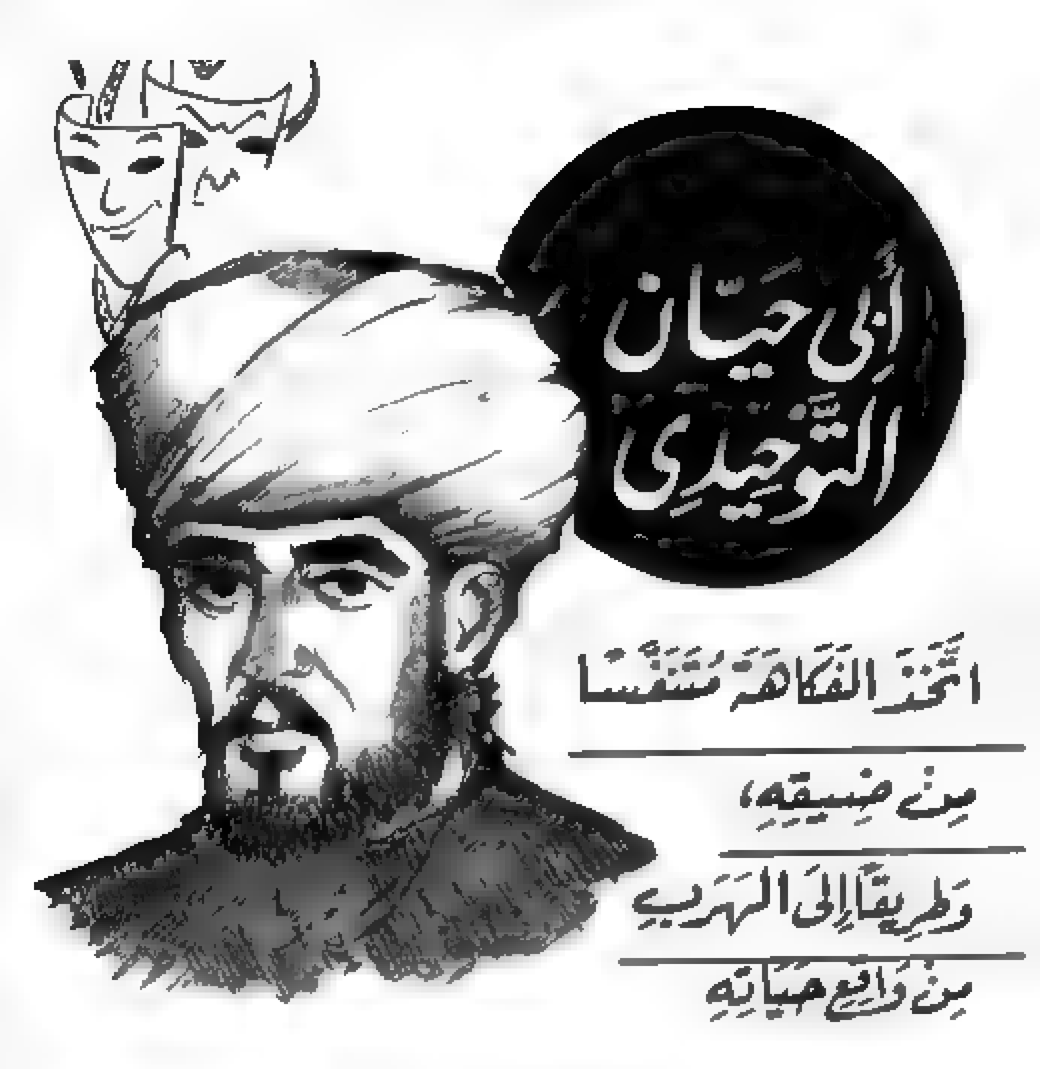
ونحسب أن هذا التحرر لا يعني أبدا قطع الصلة بهذه أو تلك من زمر العلوم ، بل على العكس يعني اقامة صلات ود وعلاقات تقوم على أساس من مساواة وتنسيق وتكامل .

وبعد

فهذه آراء في الانسان وعلومه أعلم علم اليقين أن الكثيرين من المشتغلين بعلوم الانسان لا يرضون عنها ولا يقبلون بها بل ويعتبرونها خطيرة ، فلهم دينهم ولي دين .

ولكني أزعم أن هذه النظرة للانسان وعلومه أساسية في اخراج هذه العلوم من بدائيتها ، في القرن الذي نشرف على نهايته ، الى تقدم دقيق في قرن لاحق ، كما اعتقد أن هذه النظرة انما هي في خدمة الانسان نفسه وعلومه الهامة . ■■

فاخر عاقل



بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

استاذ الفلسفة المساعد بجامعة القاهرة

■ ليس ابو حيان التوحيدي شخصية مغمورة في تاريخ الفكر العربي ، بل هو اديب موسوعي ، قال عنه ياقوت الرومي انه «اديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء».

ابو حيان الجاحظ الثاني

ولقد سماه بعض مؤرخي الادب العربي باسم « الجاحظ الثاني » وعلى الرغم من تشابه اسلوب الرجلين وطريقتهما في التأليف ، فقد لاحظ بعض الناقدين أن الاول منهما كان اميل الى الهزل والفكاهة ، في حين اشتهر الآخر بميله الى الجد والصرامة .

ولعل من هذا القبيل — مثلا — ما ذهب اليه استاذنا الكبير المرحوم احمد امين حينما كتب يقول « ان الجاحظ لما حسن حظه ضحك واشتهر بالفكاهة الحلوة ، والنادرة اللطيفة . وأبو حيان

لما ساء حظه بكى، والناس عادة يضحكون مع الضاحك، ويهربون من الباكي » ..

رسائله

وليس من شك عندنا في أن التوحيدي قد أكثر من الشكوى، فضلا عن أنه قد أسهب في الحديث عن آلامه ومتاعبه، ولكن هذا لا يمنعنا من الاعتراف بأنه كان في الوقت نفسه أعرف الناس بقيمة الفكاهة في حياة الأفراد والجماعات. كما أنه كان يخلط الجد بالهزل في معظم رسائله ومؤلفاته.

وقد يخيل إلى القارىء — لأول وهلة — أن التوحيدي لم يكن يمزج الجد بالهزل إلا « دفعا لملل القارىء وسآمة السامع »، على نحو ما كان يفعل الجاحظ حينما كان يستطرد في كتاباته فيروي النكت من النوادر والفكاهات « انقاذا للقراء من طريقة العلماء الذين كانت لهم السيطرة الى ذلك الحين، والذين كانت كتاباتهم ثقيلة لكثرة ما فيها من الجد واظهار العلم ». ولكن الواقع أن السبب الحقيقي الذي كان يحدو التوحيدي الى مزج الجد بالهزل انما هو فهمه لدور الهزل في حياة الإنسان، واعترافه بقيمة الفكاهة في التخفيف من اعباء الواقع عن كواهلنا وما تنطوي عليه من شعور بالتحرر من الواقع، والتحلل من الحياة الجدية. وهو اذا كان قد نسب الى الهزل دورا هاما في حياتنا النفسية، فذلك لأنه قد وجد فيه وسيلة ناجعة للتهرب — ولو مؤقتا — من بعض مشاكل الحياة، والانصراف — الى حين — عن بعض هموم المعيشة.

ولا شك أن أبا حيان الذي نال من ويلات الحياة التي عرفها، انما كان أحوج الناس الى بسط تجاعيده بالضحك، فليس بدعا أن نراه يميل — بين الحين والآخر — الى الهزل والتفكه والمزاح، وكأن لسان حاله يقول مع فولتير، الفيلسوف الفرنسي الساخر: « لو لم تبق لنا ضحكات لشنق الناس أنفسهم، ويل للفلاسفة الذين لا يبسطون بالضحك تجاعيدهم! لأن العبوس في نظري داء عضال »!

منطق .. اهتمام أبي حيان بفكاهات الأطفال

اذا كان لبعض ضروب الفكاهة أهمية خاصة لدى كل فرد منا على حدة، فذلك لأن استجابتنا الخاصة لهذا النوع أو ذاك من أنواع الفكاهة انما تتوقف على مزاجنا الشخصي أو « معادلتنا الذاتية ». ولعل هذا ما حدا ببعض الباحثين الى القول بأن ضحك كل فرد منا انما هو على صورته ومثاله: « قل لي مم تضحك، أقل لك من أنت ». ولو صحت هذه العبارة، لكان في وسعنا أن نكشف شخصية التوحيدي من خلال فكاهاته ونوادره. والحق أن التوحيدي «المتكلم» قد اشتغل بالمنطق، وانصرف الى الجدل، فلم يكن من المستغرب على رجل مثله أن يهتم بمنطق الفكاهة، وأن يولع بالكشف عما في هذا المنطق من مفارقات. وربما كان هذا هو السبب في اهتمام التوحيدي بسرد بعض فكاهات الأطفال، خصوصا وأن للطفولة منطقها الخاص الذي لا يخلو من طرافة.

قصة الطفل الذي أنجز لأبيه حاجتين مكان حاجة

ولعل من هذا القبيل ما يرويه أبو حيان عن رجل كان له غلام من أكسل خلق الله، فطلب منه يوما أن يشتري له عنبا وتينا. وأبطأ الغلام — كالعادة — ثم رجع بعد مدة يحمل عنبا فقط! فقال له والده: « لقد أبطأت حتى فرغ صبري وبعد ذلك لا تجيء الي الا باحدى الحاجتين »!. وأوجع الأب ابنه ضربا ثم قال له: « انما ينبغي لك اذا استقضيتك حاجة أن تقضي حاجتين، لا اذا أمرتك بحاجتين أن تجيء بحاجة »... ومرت الأيام فاذا بالوالد يمرض، ولم يكن له بد من أن يستعين بولده لكي يحضر له الطبيب. ومضى الغلام ثم عاد ومعه رجلان: الطبيب وشخص آخر. فقال له والده: « هذا الطبيب أعرفه، فمن ذلك الرجل الآخر؟ ». فأجابه الغلام بقوله: « أعوذ بالله منك، ألم تضربني من قبل على مثل هذا؟ لقد قضيت لك حاجتين، وأنت استخدمتني في حاجة: جئتك بطبيب ينظر اليك، فان رجاك (فيها)، والا حفر هذا قبرك. فهذا طبيب وهذا حفار، ايش انكرت؟ »!

وينظر المرء الى هذه الاجابة فيرى فيها قياسا منطقيا لا يخلو من نقص، ولكنه ينطوي على عنصر خبث أو سوء نية، وكأن الغلام قد تعمد تطبيق منطق والده حيث لا يصح تطبيقه! وليس من شك في أن التوحيدي قد تعمد اغفال كل تعليق على هذه

القصة ، فانه كان يعلم حق العلم ان النادرة الطريفة هى فى غنى عن كل تعليق ، ولكن من المؤكد انه لو اراد ان يشرح لنا سر الفكاهة فى امثال هذه النكات ، لكان فى استطاعته ان يقدم لنا تعليلا نفسانيا طريفا لمنطق الفكاهة عند الاطفال..

قصة الغلام الذى جزع لان الله ابتلاه

ولنا نادرة اخرى يرويها لنا ابو حيان فى موضع آخر فيقول : « اشتكى غلام اعجمى بوجع شديد فجعل يتأوه ويشكو ويصيح ، فقال له ابوه : يا بنى اصبر واحمد الله تعالى . فقال : ولماذا احمده ؟ قال : لانه ابتلاك بهذا ، فاشتد وجع الغلام ورفع صوته بالشكوى اشد مما كان . فقال له ابوه : « ولم اشتد جزعك ؟ » فقال : « كنت ظن أن غير الله ابتلاني بهذا ، فكنت ارجوه أن يعافيني من هذا البلاء ويصرفه عنى ، فلما اذا كان هو الذى ابتلاني به ، فمن ارجوه أن يعافيني ؟ فلأن اشتد جزعى ، وعظمت مصيبتى » .

والطريف فى هذه النادرة انها تنطوى على قوة ملاحظة او حسن تعليل : فان الطفل لا يعقل ان يكون الله هو مصدر بالموضوع هواله فى آن واحد ! ونحن نضحك او نبتسم — عندما نسمع هذه الاجابة — لاننا نستكثر على الطفل هذه الملاحظة الفلسفية او ذلك الحكم العقلى الذى قد لا يخلو من براعة .. ولهذا فقد وجد التوحيدى نفسه مضطرا الى التعليق على هذا الحكم بقوله : « ولو علم (الغلام) أن الذى ابتلاه هو الذى استصلحه بالبلاء ، ليكون الا وهب له العافية شاكرا له عليها بحس صحيح وعلم تام ، لكان لا يرى ما قاله ونوهمه لازما .. » .

فكاهة من غلام سلاج

ويسوق لنا التوحيدى مثلا للفكاهة القائمة على السذاجة ، فيقول : ان والدا طلب الى ابنه يوما أن يكتب رسالة الى صديق له كان اخلف موعده ، لكى يسأله انجاز ما وعد ، فما كان من الغلام سوى أن أخذ القلم والقرطاس وكتب :

يا من غدت آمالنا نفسه
موعدنا بالامس لا تنسه

والفكاهة هنا — كما هو واضح — انما تنحصر فى كلمة « بالامس » ، فان الضيف الذى اخلف موعده لن يستطيع أن ينجزه فى « الماضى » الذى

ولى وانقضى ! ولكن عقلية الغلام لا تعترف بأقسام الزمان ، لانها تريد ان تضع لنفسها منطقا آخر ترتاح الى ما فيه من مرونة وحرية وانطلاق !

النكات اللفظية عند ابى حيان

ولقد كان التوحيدى — كما نعلم — نحويا وعالم لغة ، فليس بدعا ان نراه يميل الى النكات اللفظية والنوادر اللغوية . وهو نفسه يروى لنا — فى احد المواضع — نادرة مجونية تقوم على خطأ لغوى ، ثم يعقب على هذه النادرة بقوله : « هذا لفظ هذا الماجن ، والصواب فيه يخل بالنادرة ، ولا يستنكر الخطأ واللحن اذا كانت الحكاية عن سخيف او ماجن . ولقد سمعت احدهم يقول : ملح النادرة فى لحنها ، وحرارتها فى حسن مقطعها ، وحلاوتها فى قصر متنها ، وان صادف هذا من الراوية لسانا ذليقا ، ووجها طليقا ، وحركة حلوة ، مع توخى وقتها ، واصابة موضعها ، وقدر الحاجة اليها ، فقد قضى الوطر وأدركت البغية » .

ولا نرانا فى حاجة الى القول بان التوحيدى على حق حين يقرر ان الخطأ النحوى او اللغوى كثيرا ما يكون باعثا على الضحك : فان هذه حقيقة نعرفها جميعا كيف يستغلها فى كثير من الاحيان كتاب الروايات الهزلية ومؤلفو المسرحيات « الكوميدية » .

المتسول والاغفال !

والتوحيدى يروى لنا فى « الامتاع والمؤانسة » الكثير من النكات اللفظية ، ونحن نسوق من بينها على سبيل المثال النادرة التالية : « وقف اعرابى على قوم يسألهم ، فقال لاحدهم : ما اسمك ؟ قال : مانع ، وقال للآخر : ما اسمك ؟ قال : محرز ، وقال للآخر : ما اسمك ؟ قال : حافظ قال : قبحكم الله ، ما اظن الاقفال الا من اسمائكم » .

والطريف فى هذه النادرة ان بطلها متسول يستجدى الناس : فهو ينتظر منهم العطاء والبذل والاحسان ، لا التقتير والشح والامتناع ! ولا شك انها مفاجأة غير سارة لمثل هذا الاعرابى الا يلتقى فى طريقه الا بالحافظ والمحرز والمانع !

ومن النوادر اللفظية التى رواها لنا ابو حيان

فيلسوف الادباء وأديب الفلاسفة

● ابو حيان التوحيدى ، من أولئك العلماء الادباء ، الذين منيوا في حياتهم بالبؤس والشقاء ، وظل حياته يجاهد ويكافح في التأليف ، واحتراف الوراقة ، والنسخ وضروب الاستجداء ، فقصد الامراء والوزراء لعلهم يكافئونه ... فلم يحظ من كل ذلك بطائل ، ومضى كما يموت ... على نحو ... في ... ، أي ما ... جنيه واحدا .

قصد ابن العميد ، وابن عباد ، وابن شاهويه ، و ... سعدان ، ... الهندسى ، ومدح واطرى ، وبكى واشتكى ، وهدد وأوعد ، فما ... ولا ... ولا ... ولا ... ، فلأن ... شيء مما عاناه أبو حيان فقط هو الادب بما كتب وألف ، وبما ... واستطعم .

ولم يكن حظه بعد وفاته بأحسن من حظه في حياته ، فقد ... من أن مؤرخى الرجال لم يترجموا له ، مع انه فيلسوف الادباء وأديب الفلاسفة ، ولم ... بين ... من الكتب على ترجمة وانما ... الا ... واخيرا ...

احمد امين

من مقدمته لكتاب ابى حيان التوحيدى الامتاع والمؤانسة

ايضا ان اب يحيى ، ... طلب يوما الى صديق أن يكتب له خطابا يقرئه فيه احدهم السلام .. ، فقال له الرجل : قد فعلت – وما كان فعل – فقال : أرنى ، فقال : هذا ... ، فقال هيهات أسمعك الكتاب ينبه ... الأذن ... نصيبا من جوده للتنبيه ! .

نحوى في جنازة بمصر

وقد يضحك القارىء ملء شدقيه اذا علم ان صوابا لغويا كاد يتسبب يوما في هلاك صاحبه ! وتفصيل الامر – فيما يروى ابو حيان – ان نحويا حضر جنازة بمصر ، فقال له بعض القبط : يا كهل ، من المتوفى (بكسر الفاء) ؟ فقال : الله عز وجل ! فما كان منهم سوى أن انهالوا عليه ضربا حتى كاد يموت . وفات هؤلاء ان الفرق بين الفاء المكسورة والفاء المفتوحة هنا انما هو الفرق بين الخالق الذى يختار الى جواره من شاء من عباده ، والمخلوق الذى لا محالة ذائق الموت اذا وافاه الاجل !

واذا كان النحو لا يستخدم « افعل » التفضيل الا لتمييز واحد بين كثيرين ، فان أبا عمارة قاضى الكوفة – فيما يقول ابو حيان – قد احسن الاجابة ، حين سئل اى بنيك اثقل ؟ – فأجاب بقوله : « ما ليس بعد الكبير اثقل من الصغير الا الأوسط » !

نوادر البخلاء والطفيليين

ويحس معه التوحيدى يحاول في الجزء الثالث من كتابه « الامتاع والمؤانسة » – مواصلة حديث الجاحظ عن البخلاء ، خصوصا وان الاديب – مهما كان بارعا – فانه « ليس يجوز ان يظن به انه احاط بكل شىء ، او بالباب الواحد حتى آخره .. » .

ولن نستطيع ان نأتى هنا – بطبيعة الحال – على كل ما اورده ابو حيان في هذا الباب ، وانما سنجتزىء ببعض النوادر الطريفة التى تكشف للقارىء عن نوع « الهزل الذى ترتاح له نفس أبى حيان » .

فمن ذلك – مثلا – ما رواه ابو حيان من ان رجلا اعمى كان يطوف ويسأل بأصبهان ، فاعطاه أحدهم مرة رغيفا ، فدعا له الرجل وقال : « أحسن الله اليك ، وبارك عليك ، وجزاك خيرا ، ورد غربتك » . فقال له الرجل : « ولم ذكرت الغربة في دعائك ، وما علمك بالغربة ؟ » .

فقال : ان لي ها هنا عشرين سنة ما ناولني أحد رغيفا صحيحا ؟ !

والظاهر ان التوحيدي نفسه قد عانى الكثير من جراء بخل اهل اصفهان (وغيرها من البلدان) فلا عجب ان تراه يسهب في الحديث عن نوادر بخلائها !

ومن طريف ما يرويه أيضا في هذا الباب قوله : « ضم عثمان بن دراج السفر ورفيقا له ، فقال له الرفيق : امض الى السوق فاشتر لنا لحما ، قال ، والله ما أقدر ، قال : فمضى الرفيق واشترى اللحم ثم قال لعثمان : قم الآن فاطبخ القدر ، قال : والله ما أقدر ، فطبخها الرفيق ثم قال ثم الآن لتأكل ، فقال : والله لقد استحييت من كثرة خلافي عليك ، ولولا ذلك ما فعلت ».

وللتوحيدي – في باب البخل والبخلاء – نوادر أخرى طريفة تشهد بذكاء أصحابها ، أو سرعة بديهتهم ، أو حسن اجاباتهم . فهو يروي لنا – مثلا – ان طفيليا قدم يوما نصيحة لأحد غلمانه فقال له : « اذا جلست على المائدة ، فلا ترد في استعراب على ضم ، لانك تكون بها مؤانسا لصاحبك ، ومنبها للقصعة ، ومقبلا على شأنك »

حب ولكن في المعدة

وهو يروي لنا أيضا قصة غرام عجيب هبط فيها الحب من القلب الى المعدة ، فيحدثنا عن رجل أولع بجارية من جواري قوم ذوي يسار ، فكان كلما قدم اليه ضيوفه ، بعث يطلب اليها بما يأكله هو وأصحابه . ولم تكن الجارية تتوانى في اجابة طلبه ، الى ان كتب اليها يوما يقول : « جعلت فداك ، قد اشتهيت أنا وأصحابي بزورسا سمانا ، فأحب ان توجهي الينا بما يكفينا » . فكتبت الجارية عند ذلك : اني رأيت الحب يكون في القلب ، وحبك هذا ما تجاوز المعدة . وكتبت أسفل الرقعة :

ما يدري من حبيب حسنا
ما في رمين العمدة؟
وكان الحب في العين
فصار الحب في المعدة !

فكاهات البديهة الحاضرة

وكل هذه النوادر – وغيرها كثير – انما تنطوي على براعة في الاجابة ، أو جمال في التعبير بحيث قد يحق لنا ان نسميها باسم « فكاهات البديهة الحاضرة » . وكثيرا ما يكون صاحب النكتة – في هذا النوع من الفكاهة – سليط اللسان،فتتضاف البراعة اللغوية الى سرعة البديهة ، ولتخرج من ذلك النكتة البارعة اللاذعة التي لا تدع مجالا للـرد .

ولعل من هذا القبيـل – مثلا – ما رواه التوحيدي من ان شابا زاحم يوما في الطريق شيخا عجوزا طاعنا في السن ، ثم عيَّره بالانحناء قائلا : « كم ثمن هذا القوس ! » فقال الشيخ « يا بني ، ان طال عمرك فانك مشتريه بلا ثمن » !

ومن ذلك أيضا ما رواه أبو حيان نقلا عن ابن الأعرابي من أن الحسن الضبي كان شرها على الطعام وكان دميما ، فقال له زياد ذات يوم : كم سنك ! قال : تسع بنات ! قال : فأين حسن' سنك ! قال : أنا أحسن منهن ، وهن آكل مني ! فضحك وقال : جاز ما سألت لهن' ، وأمر له بأربعة آلاف درهم !

التصوير الساخر عند التوحيدي

ولم يقتصر ميل أبي حيان الى الفكاهة على رواية النكتة وسرد النادرة ، بل هو قد امتد أيضا الى فن التصوير الساخر أو الأدب الهزلي ، خصوصا في كتابه « مثالب الوزيرين » ، ذلك الذي صور لنا فيه أخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد بريشة المصور « الكاريكاتوري » الساخر! والواقع أن التوحيدي كان ولعا بتجسيم العيوب وابراز المثالب ، فليس بدعا أن نراه يتفنن في التهكم على خصومه ، والسخرية من نقائصهم ، وكأنما هو يريد أن ينتقم لنفسه منهم ، بأن يبرز على الملأ ما في خلقهم وحركاتهم من جوانب مضحكة !

ولعل من هذا القبيل – مثلا – ما قاله في وصف ابن عباد : « وكان ينشد وهو يلوي رقبته ، ويجعد حدقته ، ويشوي أطراف منكبيه ، ويتمايل،ويتمايل كأنه يتخبطه الشيطان من المس' ».

أو ما رواه في موضع آخر من ان الصاحب طلع عليه يوما في داره ، وهو قاعد يكتب شيئا كان قد كلفه بكتابته ، فلما أبصره قام واقفا ، « فصاح بحلق مشقوق : اقعد فالوراقون أخس من ان يقوموا لنا ، واستعمل اسيك تعجب من حدته ، وسخفه ، لأنه قال هذا وقد لوى شدقه ، وشنج أنفه ، وأمال عنقه ، واعترض في انتصابه،

واحتسب فى احتراسه ، وخرج فى مسلك مجنون ، قد أفلت من دير حنون ! » .

والطريف فى هذا الوصف انه يظهر لنا ابن عباد بصورة الشخصية الآلية المتصلبة التى فيها من الحركات والأوضاع ما يثير الضحك ، ولكن التوحيدى قد خشى الا يكون اللفظ كافيا لنقل هذه الصورة الى اذهاننا ، فتراه يعقب عليها بقوله : « والوصف لا يأتى على كنه هذه الحال لأن حقائقها لا تدرك الا باللحظ ، ولا يؤتى عليها باللفظ » . كما نراه يؤكد فى موضع آخر أن « ملح هذه الحكاية ينبتر ، وطريها ينقص فى الرواية ، دون مشاهدة الحال وسماع اللفظ ، وملاحظة الشكل فى التعوج والتثنى والترجح والتمادى ، ومد اليد ، ولى العنق ، وهز الرأس والأكتاف ، واستعمال جميع الأعضاء والمفاصل ».

يلوم ابن عباد ، بسجع كسجعه

وقد كان من المعروف عن الصاحب بن عباد أنه كان مولعا بالسجع ، ولكن التوحيدى قد شاء أن ينطقه بالسجع المتكلف الذى يشى بالسخرية ، فتراه يجرى على لسانه العبارات التالية : « انما أنت مخش مجش محش ، لا تهش ولا تبش ولا تمش . » أو قوله : « والله لو آخيه لعطشته تعطيشا ، وبطشته تبطيشا ، ورمشته ترميشا ، ومرشته تمريشا ، وجرشته تجريشا .. الخ » .

وكل هذه الأمثلة انما تشهد بقدرة التوحيدى على السخرية من كلام الصاحب ، عن طريق انطاقه بالكلام الغريب النخرى على الاسجاع .

وينسب التوحيدى الى ابن العميد أنه راى الصاحب يوما فقال عنه : « احسبوا أن جبهه رُكّبت من زئبق ، وعنقه علق بلولب ، وصدق لأنه كان ظريف التثنى والتلوى ، شديد التفكك والتحلل ، كثير التمرج والتموج ، فى شكل المرأة المومسة والعاهرة الماجنة » .

وهذا الوصف لا يخرج عما قاله أبو حيان نفسه ، ولكنه يستشهد بأقوال ابن العميد لكى يؤكد لنا تلك الصورة المضحكة التى أبرزها لنا من قبل فى وصفه لحركات ابن عباد وسخريته من خلقته .

ابو حيان يقول فى ابن العميد

ومع ذلك فقد استهدف ابن العميد نفسه الكثير من حملات التوحيدى ، بسبب بخله وقلة عطائه ، حتى لقد عجب ابو حيان كيف كان ابن العميد يتشدق بكلام سقراط وافلاطون وارسطو طاليس — وهم قوم خاضوا فى الاخلاق ، وأفاضوا فى الكلام عن الفضائل والرذائل — دون ان ينجح فى استئصال ما فى نفسه من خبث وخسة ولؤم ونذالة وضعة !

روح الفكاهة عند التوحيدى

اذا كانت « روح الفكاهة » هى قدرة الفرد على الاستجابة الملائمة للمؤثرات الهزلية من جهة ، وقدرته على ابتداع ألوان المضحك من جهة اخرى ، فقد يصح لنا أن نقول ان ابا حيان التوحيدى كان يتمتع بحس فكاهى ممتاز ، على الرغم مما تفيض به كتب ابى حيان من شكاة وتمرد وثورة على الناس ، فضلا عن اجادته للفن التصوير الساخر ، وبراعته فى رواية النوادر العجيبة .

ومهما يكن من شىء ، فقد اتخذ التوحيدى من « الفكاهة » مخلصا يتخلص به من آلامه ، ويسعى من طريقه الى التهرب من الواقع الذى كان كثيرا ما يثقل كاهله . واذا كانت اختبارات علماء النفس قد اثبتت اخيرا وجود علاقة مطردة بين الروح الفكاهية من جهة ، ودرجة الذكاء أو القدرة العقلية من جهة اخرى ، فليس بدعا أن نجد لدى التوحيدى — صاحب الذهن الوقاد والذكاء النادر — روحا فكاهية من الطراز الأول . ولعل هذا هو السبب فى أن بعض ليالى « الامتاع والمؤانسة » تكاد تستحيل الى ندوات خفيفة يشيع فيها جو انطلاقى ملؤه اللهو والعبث والمرح والمزاح ! والتوحيدى نفسه يهتم فى « مقابساته » بالبحث فى حقيقة الضحك واسبابه ، فضلا عن أننا نراه فى « الهوامل والشوامل » يتساءل عن الفروق الدقيقة القائمة بين الفرح والسرور ، والجذل والابتهاج ، والهزل والمزاح ، والفكاهة والدعابة .. والآن فليس من التناقض فى شىء أن يكون ابو حيان أعمق أهل عصره شقاء ، وأن يكون فى الوقت نفسه من أشدهم نزوعا نحو الفكاهة . وهل اخترع الانسان الضحك الا لأنه اكثر الحيوانات تعاسة ! ! ■■

زكريا ابراهيم



دردشة

جميع المرضى سواء

● خصص احد كبار الاغنياء في العرب نصف ايراده لعلاج المرضى الفقراء من كل لون ودين، فقال له احد القساوسة:

— لو خصصت هذا المبلغ لمرضى الطائفة التي تنتمي اليها وحدهم.

فاجابه الرجل غاضبا: لا يا سيدي. ان جميع المرضى عندي سواء فليس ثمة طاعون كاثوليكي، ولا سل بروتستنتي، ولا سرطان ارثوذكسي.

تزوجي فورا

● زارت فتاة عازفة البيانو روبنشتين والحت عليه ان يصغي الى عزفها على البيان، ولما انتهى من مقطوعتها سألته:

« والآن ماذا تشير علي ان افعل ؟ »

فاجابها: تتزوجين فورا!

لا تتكلف لتستوقف العيون

● ابدى مدير احدى الدوائر لزوجته اعجابه بممثلة شابة جالسة الى مائدة قريبة منهما في ملهى، فقال لها: انظري اليها فان ثوبها غاية في الحشمة، ووجهها غير مزوق، واظافرها غير مدببة. فردت الزوجة قائلة:

— من النساء من لا تتكلف اي شيء حتى تستوقف عيون الناس!



فردريك الاكبر في النزع الاخير

● نظر الملك فردريك الاكبر وهو في النزع، الى القس الذي كان يصلي من اجله، ثم سأله:

— هل من الضروري ان اصفح عن جميع اعدائي ؟

ولما اجابه بنعم التفت الى زوجته الملكة قائلا:

— دوروثي .. اكتبي الى اخيك بأني غفرت له كل السيئات التي اقترفها بحقي، ولكن انتظري حتى اموت اولا!

شاعر فرنسا الاعظم

● ورد على بريد باريس في عهد الملك لويس فيليب كتاب عنوانه : الى شاعر فرنسا الاعظم في باريس . فجمع ناظر البريد اعوانه وقرروا ارساله الى الشاعر لامرتين . فرده لامرتين الى فيكتور هيجو . وهذا رده الى لامرتين . ولبث الساعي ينقل الكتاب حتى ضجر . ولما فتحه الناظر ليهتدي الى صاحبه الحقيقي ، قرأ فيه : الى شاعر فرنسا الاعظم المسيو موسه صاحب معمل الشمبانيا . مع مزيد اكرامي !!

سبب وجيه للطلاق

● ظفرت سيدة من محكمة شيكاغو بحكم طلاق حين اثبتت للمحكمة ان زوجها من عشاق روايات الجرائم ، وانه يشغل معظم السهرات بالقائها هي على الارض كانها « جثة » ليتمكن من تصور الاحوال التي حدثت فيها الجريمة التي يطالع عنها .

طبيب ذكي

● كان بعض الاطباء يتقاضى خمسة جنيهات عن الفحص الاول ، وجنيها عن الفحص الثاني . ومرة جاءه مريض ماكر لم يسبق أن فحصه ، فما دخل عليه بادره بقوله :

— ان الدواء الذي وصفته لي في الزيارة الاولى لم يشفني !

ففطن الطبيب الى ما يرمي اليه ، ولكنه تجاهل ، ومضى يتحسس جسده واعضاءه ، ثم قال له : انك احسن حالا مما رايتك عليه قبلا ، فثابر على الدواء الذي وصفته لك في المرة السابقة !!

سر النجاح

● اعتزل محرر صحيفة عمله ، بعد ان توفرت لديه ثروة . ولما سئل عن سر نجاحه قال :

— اني اعزو قدرتي على ان اعتزل العمل ، وان لي في المصرف ١٠٠٠٠٠ دولار ، الى مثابرتي على القيام بواجبي ، والتزامي سياسة الصدق في كل ما نشرت والصمت ، ووفاة عمي الذي خلف لي ٩٨٠٠٠ دولار .

الشولة القاتلة !

● قدم احد المحكوم عليهم بالاعدام ملتمسا الى رئيس الدولة طالبا الرأفة به وتخفيف الحكم . وكتب رئيس الدولة قراره ، وارسله الى المطابعة بهذه الصورة :

« براءة ، مستحيل تنفيذ الحكم » .

وكتب الموظف الخطاب ، ولكنه اخطأ في وضع الشولة ، وكتبها بهذه الصورة :

« براءة مستحيل ، تنفيذ الحكم » .

وقرأ الجلاد الورقة ففهم ان البراءة مستحيلة .

وهكذا اعدم الرجل البريء بسبب شولة وضعت في غير مكانها !



الشاعر والربيع

ردّد الروضُ غناء الشاعر
شعر يجمع في أعماقه
صبوات أججت أشواقها
الفتنة الفضّ من نبع جرى
جعلت أشعاره رقّاصة
صعدا بين الروابي صادحا
سبق الشمس إلى لثم الندى
لثمات لم ينل بهجتها
كيف لا يفخر والمجد له
كيف لا يصبو؟ أما في قلبه
ذكرُ الروض وحيّى زهره
ورآه في الحلى مزدهرا
وبدت أطياره صادحة
وبدت أزهاره راقصة
وبدا الجدول فيه دافقا
وغدت أشجاره مورقةً
أيها الشعر فاهمٌ حسّه
هو فصل الحب في إشراقه
هو فصل الحسن في لألائه
هو فصل الشعر في إبداعه
الشذى الفوّاح من آفاقه
ونشيّ الملاح من أطرافه
والهوى الفياض من فردوسه
فاغترفْ من فيضه مبتهجا
فغدا يرحل عنا بعد أن

وهو يشدو في الصباح الباكر
صبوات الربيع الزاهر
بهجة الماضي وحسن الحاضر
بقصيدٍ وبيان عاطر
مجتلى الفكرِ وفيض الخاطر
يحتسي بنشيد ساحر
في جبين الزهر لثم الطاهر
وروّاها غير صبٍّ ساهر
صبّح الدنيا بقلب طاهر؟
ذكرياتٌ للحبيب الهاجر؟
بعناق وهيام ساحر
يتجلّى بعد ليل ماطر
تملأ الرحب بحسن آسر
نهب السحر لعين الناظر
يتهادى كحبيب زائر
تغمر القلب بنور زاخر
فالربيع السمح فصل الشاعر
وشعار للجمال الباهر
وشفاءٌ للمحبّ العاثر
وخلودٌ للشباب الناضر
غمر الجو بعطر فاخر
عانق الروح بشوق ظاهر
حدّث الصمت حديث السامر
فهو في الناس كطيف عابر
يسم الأمر لفصل فاتر ■

فاضل خلف : سفارة دولة الكويت ـ تونس



ضياء منزلك قبل زينته، يا سيدتي

■ لمن البيت ؟

للمرأة هو ، أم للرجل ؟

والجواب الصحيح أنه لهما جميعا . ولكنه أكثر لمن تمضي فيه أوقات الأطول .

والبيت مكان عمل المرأة أصلا . عليها تجهيزه ، وإجراء محلاته . وقضاء حاجاته ، ورعاية أعماله . والمكتب ، والمصنع ، والسوق مكان عمل الرجل ، أصلا .

ومن حاجات البيت التي لا يذكرها الذاكرون عادة . أو لا يذكرونها أولا . الضياء .

إن الضوء نور العين

والله خلق من النور الكفاية في النهار ، في الفضاء الطلق ، وحجب النور في الليل ، ليكون للإنسان سكنا ، وأبى الإنسان أن يسكن ، وعمل أطرافا من الليل . وقامت الدولة تزود مسالك الناس في الليل ، بالنور ، وهدفها الأول أمن الناس وسلامتهم ، ويلحق من ذلك عافية .

الحاجة إلى النور في شارع وفي بيت

وهي عادة في الشارع محدودة ، في ليل كان ذلك أو نهار .

أنت في الطريق ليلا ، إن كنت راجلا ، تريد أن تتبين . وإن كنت راكبا تريد أن لا تصطدم .

والطريق لا يضاء ليلا لتقرأ في نوره . وإن سقط من يدك فيه درهم ، فأغلب الظن أنه ، في أكثر الشوارع إضاءة ، يعز عليك إيجاده .

وغير ذلك البيت

ففي البيت حاجات لا يطلبها سكانه إلا فيه ، لا في الشوارع .

حاجات الناس ، في بيوتها في ليل وفي نهار ، أكثر ، وهي مع كثرتها أدق . والعين في الشارع تأخذ صور الأشياء إجمالا ، وكثيرا ما تأخذها عفوا . أما في البيت فالعين دائما يقظة تعمل كل الوقت مجتهدة ، وإن لم تحتشي أنت يا سيدتي لها عملا . في تنظيف . في كنس . في طبخ . في خياطة . في تطريز . في قراءة . في كتابة .

وضع واحد تأخذ العين فيه ، في البيت ، راحتها ، ذلك عند جلوس المرأة للمرأة ، أو الرجل للرجل ، يتحدثان . الفكر عندئذ هو الذي يتقدم ، ويتقدم اللسان ، وتتقدم الأذن ، وتتخلف العين .

فالعناية بالضياء ، ضياء البيت في نهار أو ليل ، أحد واجبات المرأة في هذه الظاهرة .

العناية بالضياء تبدأ عند اختيار البيت

وتبدأ عنايتها به عندما تختار البيت .

والنور يدخل الى البيوت من نوافذها.

ولكن ، قولوا لي بالله ، كم من ربات البيوت ، وهي تختار بيتها الاول ، او حتى الثاني او الثالث ، يخطر على بالها ان تلقي بالا الى نوافذه ، تعدها ، وتعد احجامها ، ومقدار النور الداخل عبرها نهارا .

من النساء من يكرهن النوافذ

وقد لا اكون متعسفا اذا قلت ان من النساء من يكرهن النوافذ . لانهن يرين اخواط الصنعة ليستدين اليها المعطرات والاراتك . ولسبب آخر : كراهة الضياء الشديد ، لان معه الحر ، لا سيما في صيف . واللاتي يكرهن الضياء يحسبون انهن باستطاعتهن حجبه ، عندما يردن ، بالستائر . اما ان هن احببن ان يكون مكان النافذة حائط ، واحتجن الى الضوء ، تعذر عليهن الا بهدم الحائط .

النوافذ والضياء في العصور القديمة

ولقد جرى الناس في الزمان القديم على قلة النوافذ ، وعلى صغرها ، لسببين : اولهما : طلب الامن في عصور مر بها الامن . وثانيهما ندرة الزجاج وغلاؤه . حتى لسدوا النوافذ بالورق ، يشمعونه بالزيت .

وفي الليل كان الناس في الزمان القديم يستنيرون بالشموع ، وبمصابيح الزيت . وكانت حاجات الحياة من القلة ، بحيث لا يحتاج الى عمل الليل . والناس كانت كثرتهم الكبرى امية لا تقرأ .

النوافذ والضياء في العصور الحديثة

وغير ذلك الحال في هذه العصور الحديثة ، عصور العلم والمكننة ، والكهرباء ، والقراءة . بيوتها ذات نوافذ كبيرة ، تأذن بنور النهار الكثير ان يدخل تحجبه الستائر لمن يريد ، عندما يريد ، في نهار او ليل .

لا يمكنك ان تفهمي

■ تسمعين بالفلت ، وبالوط ، وبالامبير ، وهي ولا شك الفاظ في الاذن ثقيلة ، لانها اعجمية ، وفي العجم قد تكون الثقل على من لم يكن سبق له علم بها . ولكنك يا سيدتي لا تفهمين شيئا منزلك الا بها .

اما الفلت Volt ، والامبير Ampere ، والوط Watt فاسماء ترجعية ، اولها Volta اسم لايطالي ، والثاني اسم لفرنسي ، والثالث اسم لانجليزي ، وكان لهم جميعا شأن في ابتداع هذه المعاني .

اما الفلت ، واما الامبير ، واما الوط فقد صارت كلها اسماء لوحدات تستخدم في قياس الكهرباء . كما ان المتر وحدة لقياس الطول ، والجرام وحدة لقياس الوزن ، واللتر وحدة لقياس الحجم .

اما الفلت فهو وحدة قياس الضغط الذي تجري به الكهرباء في الاسلاك . وهو اشبه بضغط الماء في انابيبه عندما يصل الى الصنبور او الحنفية . وكلما زاد ضغط الماء كان الماء الخارج من الصنبور من الماء اكثر . وكذلك في الكهرباء ، يزيد الضغط فيكثر مقدار الكهرباء الواصلة الى المصباح او الى الثلاجة ، او الى الفرن ، او الى اي شيء يستهلك الكهرباء .

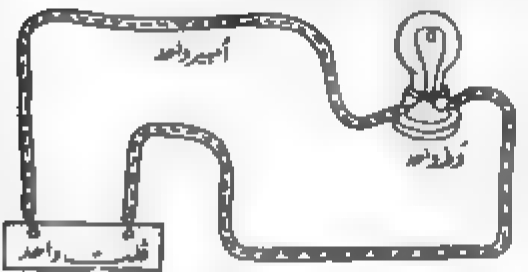
وضغط المنازل هو عادة ١١٠ فلت ، او ١٢٠ فلت . والمصابيح تصنع لتحتمل هذا الضغط

واذا اظلم الليل قامت الكهرباء مقام الشمس تزود البيوت بالنور .

وليل الرجل الحديث غير ليل الرجل القديم .

وليل المرأة الحديثة غير ليل المرأة القديمة . واطفالها لهم في الليل اعمال لم تكن لامثالهم في العهد القديم ، لا كيفا ، ولا كما .

عميـــاء منزلـك الا بمعـرفة الفلت ، والوط ، والأمـبير



او ثالث . فاذا وضعت مصباحا مصنوعا لضغط ١١٠ فلت على مصدر للكهرباء ضغطه ٢٢٠ فلت احترق المصباح . واذا وضعت مصباحا مصنوعا لضغط ٢٢٠ فلت على مصدر الكهرباء ضغطه ١١٠ فلت، اضاء ضعيفا . ورقم الفلت موجود دائما على المصباح، او المدفأة او الفرن.

والامبير وحدة كثافة التيار الجارى فى الاسلاك . وهو يماثل سعة الانابيب التى تحمل الماء فى المنازل . الانبوبة الضيقة تحمل ماء اقل من الانبوبة الواسعة ، وضغط الماء واحد . وكذا الكهرباء . فتيار ، كثير الامبير ، يحمل معظم الكهرباء التى يحملها التيار ، قليل الامبير ، والفلت واحد ، ١١٠ كان او ٢٢٠ .

والوط هو وحدة القدرة الفعلية التى تدلنا على مقدار الكهرباء التى تستهلك فى مصباح، او مدفأة او فرن . وقد قلنا ان هذا المقدار يتوقف على ضغط الكهرباء (١١٠ او ٢٢٠ فلت فى المنازل) وعلى مقدار التيار (كم امبير او جزء من امبير هو) . فلو ان الكهرباء جرت بضغط فلت واحد ، وبتيار امبير واحد ، لكانت القدرة الناتجة وطا واحدا .

ويوجد على كل مصباح مقدار ما يستهلك من وط . وهذا هو المهم لربة البيت . لانها تدفع ثمن ما تستهلك من كهرباء .. من وطات فى الساعة .

لذلك يهتم صانع المصابيح الكهربائية بان يكتب عليها رقمين

١ ــ الفلت ، وذلك حتى لا تغلط ربة البيت فتضع مصباحا صغير الفلت (قليل الضغط) فيحترق. او العكس ، فيضئ المصباح خافتا.

٢ ــ الوط ، وذلك لتعرف ربة البيت كم تستهلك من الكهرباء فى الساعة ، وكم تدفع . وهى تستطيع دائما ان تسأل عن ثمن الالف وط (كيلو وط) فى الساعة (ويعبرون عن ذلك احيانا فيقولون كيلو وط ــ ساعة) من البلدية او من الشركة التى تزود المنازل بالكهرباء . فاذا كان ثمن الالف وط فى الساعة ٢٠ قلما (او مليما) وكان المصباح ٥٠ وطا، علمت ربة البيت ان هذا المصباح يكلفها فى الساعة ٦ . . من العشرين قلما ، اى قلما واحدا. او انها بالعشرين قلما تستطيع ان تضيء هذا المصباح ٢٠ ساعة .

وأعين الناس ، فى هـــذه العصور الحديثة، تعمل فى ليل ، اضعاف اضعاف ما كانت تعمل اعينهم فى العهد القديم ، يكفى تدليلا على ذلك ذكر الكتب ، وذكر الصحف ، وذكر المجلات ، وللطلبـــة الواجبات، واكثرها من عمل الليل، وكلها اداتها العين . والعين اعز شئ يحرص الحريص عليه .

كفاية النور

واول ما تراعى ربة البيت فى ضياء بيتها ليلا كفاية النور. ان عليها ان تقتصد فى نفقة البيت ، ولكن شر ما يقتصد فيه من هذه النفقة ، نفقة النور . انهـــا تقتصدها من عينيها، وعين زوجها واعين اولادها. والدول تسعى دائما الى ارخاص

الماء ، لأن حاجة الناس اليه ظاهرة . ولا برخص الكهرباء الا الدول المستنيرة ، لأن حاجة الناس اليها أخفى ، وأخفيها أشد خفاء على رجل اقتصاد ممن نعرف . فقد سمعت من يصف النور الكافي في البيت بأنه الاسراف ، وتبديد الأموال ، فهو يرفع سعر الكهرباء ليقلل من استهلاكها ، وهو بذلك انما يزيد من استهلاك البصر .

مصابيح السقوف

واول ما تعني المرأة بمصباح السقف او مصابيحه ، وهي للزينة عامة ، وهي للرواح وللغدو ، وهي للجلوس الى الزوج والأولاد ، ورؤية اوجههم عند الحديث واضحة جلية . ومقدار النعمة فيها يكون بمقدار ما يحتمل الجيب ، والزيادة خير ، ولكن ما كل خير بمستطاع .

ولكن مصابيح السقف لا تكون لقراءة ، لأنها لا تبلغ الشدة الكافية ، لا سيما وحروف الطباعة صغرت حتى صار بعضها لبعض الأعين لا يرى الا بعدسة . ومن أعمال البيت ، عند الرجل والمرأة وعند الأولاد ، ما هو أدق من قراءة .

مصابيح الأركان والمكاتب

ومن هنا نشأت المصابيح المتحركة ، تحملها الروافع المتحركة ، وتكون لها في أركان الحجرة الأربعة ، منابع لكهرباء تستقي منها ، يجلس اليها القارىء ، وكل ذي عمل ، على راحة من عينيه .

ومن هذا الصنف مصباح المكتب او مصابيحه .

ان الشأن فيها شأن مصباح قريب ، فالضوء الذي يعطيه ، على قرب ، ضوء اكثر .

الضوء الباهر

وهنالك يا سيدتي أمر الضوء الذي يبهر العين .

هل نظرت مرة الى الشمس عمدا لعين ؟ انه العمى المؤقت تكتسبه العين بالنظر الى أم الضياء في الأرض أي النور نصر . ولكنه لكل شيء ، ان زاد أضر .

وحتى مصابيح البيت لها بهرة اذا أذن الانسان لأشعتها أن تدخل عينه مباشرة . ان في هذا للعين اجهادا واضعافا . والصور التي تتكون في العين ، مع الضياء الباهر ، صور غير واضحة الخطوط ، غير واضحة المعالم .

من أجل هذا ، ابتدعوا في الانارة الضياء المعكوس ، يوجهون المصابيح ، ومن دونها أغلفتها ، الى السقف الأبيض ، فاذا بلغته أشعتها ، انعكست ناحية الأرض ، فملأت الحجرة ضياء غير مباشر ، هو في العين ألطف ، وعليها أحن .

وقد تحكي المصابيح على حائط في الحجرة وهي خافية لا ترى .

ومصباح المكتب له مظلته ، وهي تحمي العين من بهرة ضيائه .

والظلال تتعب العين

وأقصد بالظلال تلك الفروق التي توجد في الحجرة ، جزء باهر النور ،



حجرة جلوس حديثة ، يضيئها النور انابيب تمتد بين الحوائط والسقف ، وبين المقاعد والحوائط . وكذا مصباح مرفوع على قائمة

وحوره مظلم . ان هذه العروق ، كلما فنت ، كسبت العين من ذلك . ان انتقال العين من النور الى الظلمة ، ومن الظلمة الى النور ، كلما تحركت في الحجرة ، وما اكثر ما تتحرك ، لا يريح العين .

ومن حسن نور الشمس ان الله غلف الارض بالهواء ، فقام الهواء ينشر هذا النور حتى لا تكون منه ظلال شديدة السواد الى جانب ضياء باهر الباهر .

وعند التلفاز

ولمثل هذا السبب نصح الناصحون ، عند جلوس الاسرة تشاهد ستار التلفزة الدائرة ، وهي منيرة ، ان لا تترك الحجرة في ظلام دامس ، فيكون هناك مناقضة شديدة بين بياض شديد وسواد شديد ، تتعب العين . انهم ينصحون بترك مصباح صغير وراء ستار التلفاز ، ينير ، فيمحو من ظلام ما وراءه وما حوله .

والشيوخ والاطفال

وشيوخ الاسرة يا سيدتي ، واطفالها ، لهم في الضوء حاجات .

اما الشيوخ فتضيق الشيخوخة من



جانب من مطبخ حديث حتى كل ما فيه ، منور مضيء ، صير الليل نهارا . ان عمل المطبخ ليس اقل خطورة في العين ، من سائر الاعمال



حجرة جلوس اخرى : النور تمده انابيب تحت الحائط والسقف ، وفوق المدفأة . ثم نور للقراءة على المقعد الى يمين القارئة

انسان عينهم ، وعدسة العين تفقد شفافيتها فهي لتمتص شيئا من النور فلا يذهب كله الى الشبكية يرسم عليها الصور المرئية . لهذا احتاج الشيوخ الى ضياء اكثر مما كانوا يحتاجونه وهم في شبابهم .

والاطفال ، عند القراءة والكتابة ، اذا لم نعط لهم الضياء الكافي، قربوا عيونهم مما يقراون او يكتبون ، ليكسبوا ضياء اكثر ، وهذا يفتح لهم الباب الى قصر النظر . والوضع الذي يتخذونه عند الكتابة او القراءة ، استجابة للنور الضعيف،يفسد عليهم استقامة اجسام.

اقول هذا ، واعلم ان النور له ثمن ، ولكن الامة التي تنتج الطعام وتنتج اللباس ، تنتج كذلك النور . في استطاعتها ارخاصه ، بالعلم ، وبالفن ، وبالصناعة ، وبالعمل .

ان الامم التي بلغت من حسن الضياء ما بلغت ، ومن رفاهة العيش الشيء الكثير ، انما بلغت ما بلغت من ذلك بالجهد المتصل وبالعرق الصبيب .

اعرف وطنك

القيـ

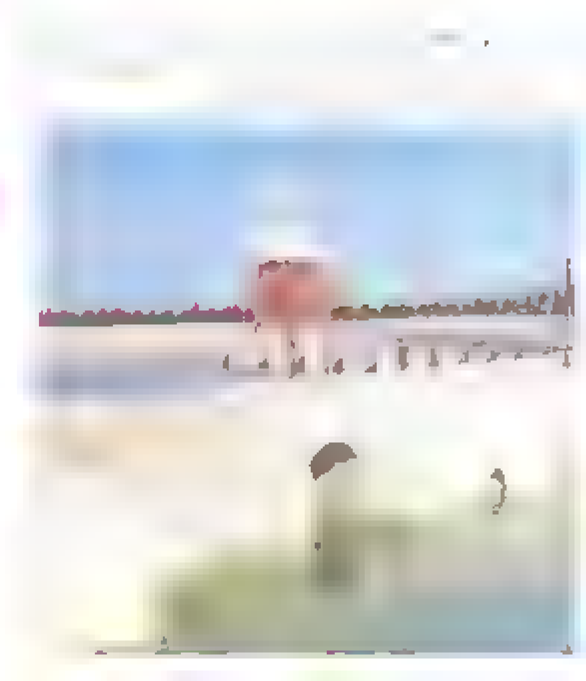
• بناها عقبة بن نافع

قام بهذا الاستطلاع

سليم زبال

وصوره

«أوسكار»





مكون معسكر الجبوسه

■ القيروان . اول مدينة بناها الاسلام في بلاد المغرب ، فكانت منبرا للخلافة الاسلامية ، وعاصمة لولاية افريقيا ، ومقرا لملوك الأغالبة ، وملوك بني عبيد الفاطميين ، واخيرا لملوك الصنهاجيين ، ومنزلا لاهل قريش من بني فهد ، وبني تميم ، وبني هاشم .

وفيها كانت تتجمع جيوش الاسلام لتنطلق الى المغرب الأقصى والأندلس .

وهي تلي في مكانتها مكة ، والمدينة ، وبيت المقدس .. لان فيها دفن عظماء الصحابة من زينب بنت عبد الله بن عمر ، الى عبد الله بن ام ابي زمعة احد الذين شهدوا بدرا ، وبيعة الرضوان ..

ظل اشعاعها الحضاري يمتد عبر القارة الافريقية حتى اجتاز جبال المغرب والمملكة الاسبانية الى فرنسا وايطاليا وصقلية وكريت !

وبلغ عدد سكانها في حقبة من حقبات الزمن مليونا ونصف المليون من الناس ، اما اليوم فلم يعد يسكنها سوى ٢٥ الف نسمة فقط !

واكثر ما يحير في القيروان موقعها الغريب الذي لا يصلح ابدا ليكون موقعا لعاصمة .. فهي تبدو كالسراب ، وسط الصحراء بعيدا عن الساحل ، وعن طرق المواصلات .. وهي لذلك لاتستطيع الانعتاق من الماضي او التحرر منه ، رغم الجهود المضنية التي تبذل لتحويلها الى مدينة عصرية حديثة ..

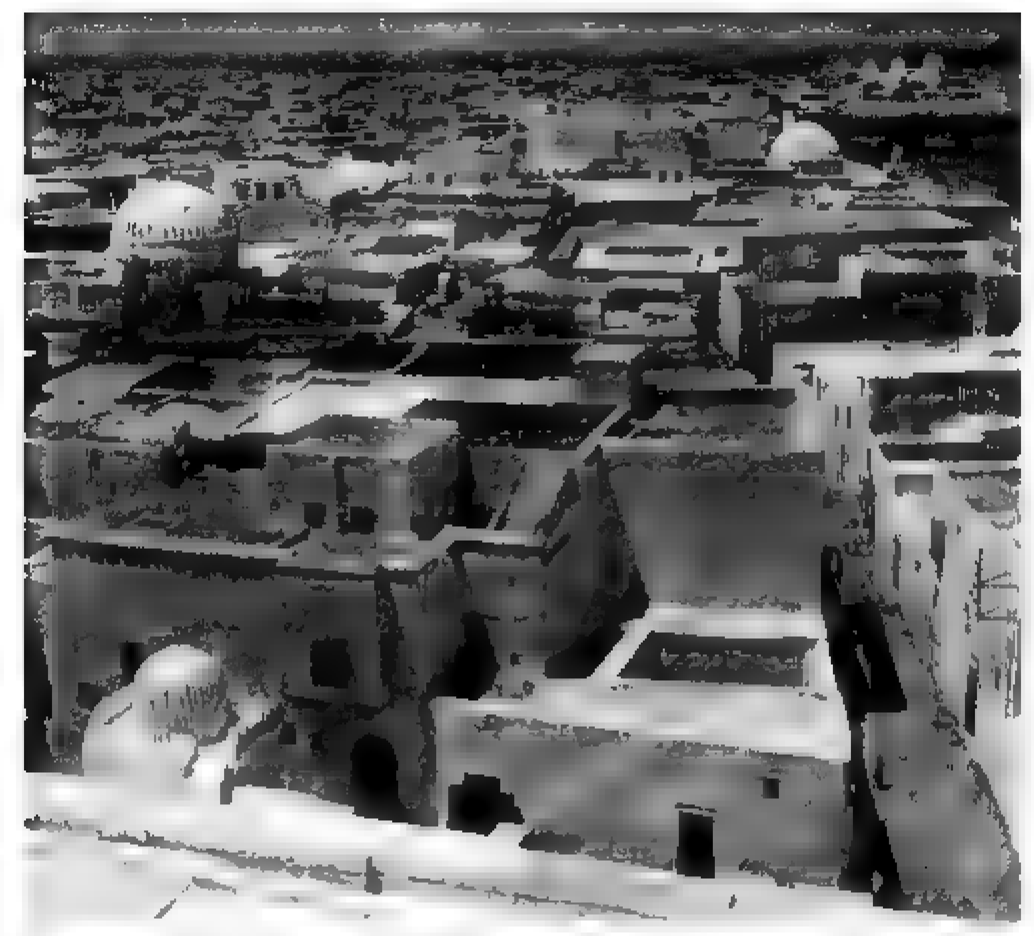
بنيت لتكون معسكرا للمسلمين

ان قصة مدينة القيروان بدأت منذ ثلاثة عشر قرنا .. وفي التحديد عام ٦٦٩ م . اي بعد ٤٩ عاما من وفاة الرسول الكريم ..

كان الفاتح العربي الشهير عقبة بن نافع متوجها على رأس عشرة الاف فارس عربي لغزو «افريقيا» فلما وصل الجيش العربي الى مقربة من آبار الماء ، وسط التراب التونسي ، حط رحاله ، وبات ليلة مع رجاله ، حتى اذا اصبح استشار من معه في امر تحويل هذا المكان الى مدينة يعتصم بها جيش المسلمين ، ويقام فيها الجمع والاعياد ، فوافقه اصحابه فقام وقال قولته . « واري لكم



الى اليمين : ترسم هذه الخريطة موقع مدينة القيروان وسط الاراضي التونسية . ان عدد سكانها ٢٥ الف نسمة . يعيش ثلاثة ارباعهم على الزراعة وتربية الابل .



باب الصحراء .. او مدينة القيروان ذات الابنية البيضاء المتلاصقة
اهم مدينة تاريخية بناها عقبة بن نافع الفاتح المصري الشهير الذي بناها عام ٤٩ هـ

يا معشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة نجعل فيها عسكرا ، وتكون عزا للاسلام الى آخر الدهر .. » وبدأ العمل في بناء المدينة ، واستمر طيلة اربع سنوات (٤٩ – ٥٣ هـ / ٦٦٩ – ٦٧٣ م) .

وكان عقبة بن نافع رجلا شديد الايمان ، يميل الى نشر الايمان ، لا الى مجرد الفتوح والانتصارات ، وما وراءها من مكاسب ومغانم ، لهذا كان اول ما اختطه في المدينة هو جامعها الشهير ، حتى قيل : « لم يبن عقبة مدينة لها جامع ، بل بنى جامعا له مدينة ! » .

فالجامع هو الاصل .. والمدينة صورة منه ، وهذا الجامع ، كالفسطاط بمصر ، جامع عسكري .. نعم جامع عسكري .. وان شئت قلت هو معسكر عظيم فيه جامع كبير ، فقد اراد عقبة اولا وبالذات ان يبني قيروانا ، اي معسكرا ، وحصنا ، واستحكامات .

لماذا اختار عقبة هذا المكان !

مع اغلب العواصم على الشواطيء او قريبة من البحر ، الا القيروان فهي تبعد عن البحر بما لا يقل عن ٥٠ ميلا . وقد وقع اختيار عقبة على هذا المكان لعدة عوامل

اولها : لتكون العرب في مأمن من اسطول الروم وغارات الافريج التي كانت تنقض على تونس ،





من صقلية ، وايطاليا ، واليونان ، فتحتل وتخرب مدن الساحل مثل سوسة ، وجربه .. ولم يكن للعرب في ذلك الوقت اسطول بهذه الناحية ..

والعامل الثاني ، هو التشابه بين صحراء تونس وصحراء الحجاز ومصر ، مما جعل الجندي العربي لا يشعر بالغربة لو اغترب عن بلاده حتى قال اصحاب عقبة له : « نحن اصحاب ابل ، ولا حاجة لنا بمجاورة البحر ... » .

« مملكة افريقيا » الاسلامية !

وببناء مدينة القيروان بدأت « مملكة افريقيا » الاسلامية تظهر ..

وهنا لا بد من توضيح حال المغرب في صدر الاسلام . كان المغرب في نظر العرب يشتمل على ثلاث ممالك :

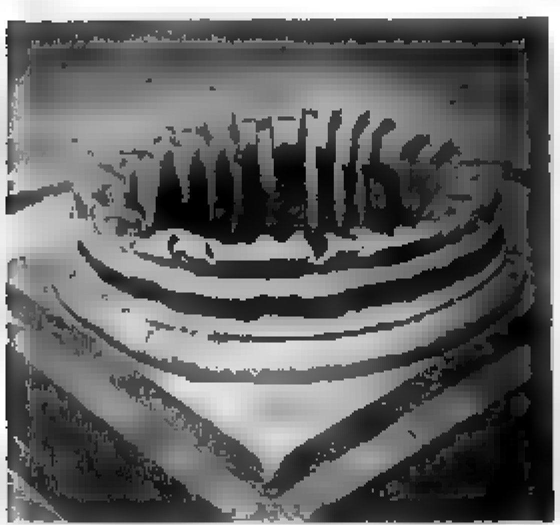
اولاها : مملكة افريقيا ، وهي المغرب الادنى ، وعاصمته مدينة القيروان .. وسمي بالادنى لقربه من بلاد العرب .

وثانيها : مملكة المغرب الاوسط ، وعاصمته : تلمسان .

وثالثها . مملكة المغرب الاقصى .. وعاصمته : فاس ومراكش ، وسمي بالاقصى لانه ابعد الممالك الثلاث عن دار الخلافة .

قبائل البربر تعتنق الاسلام

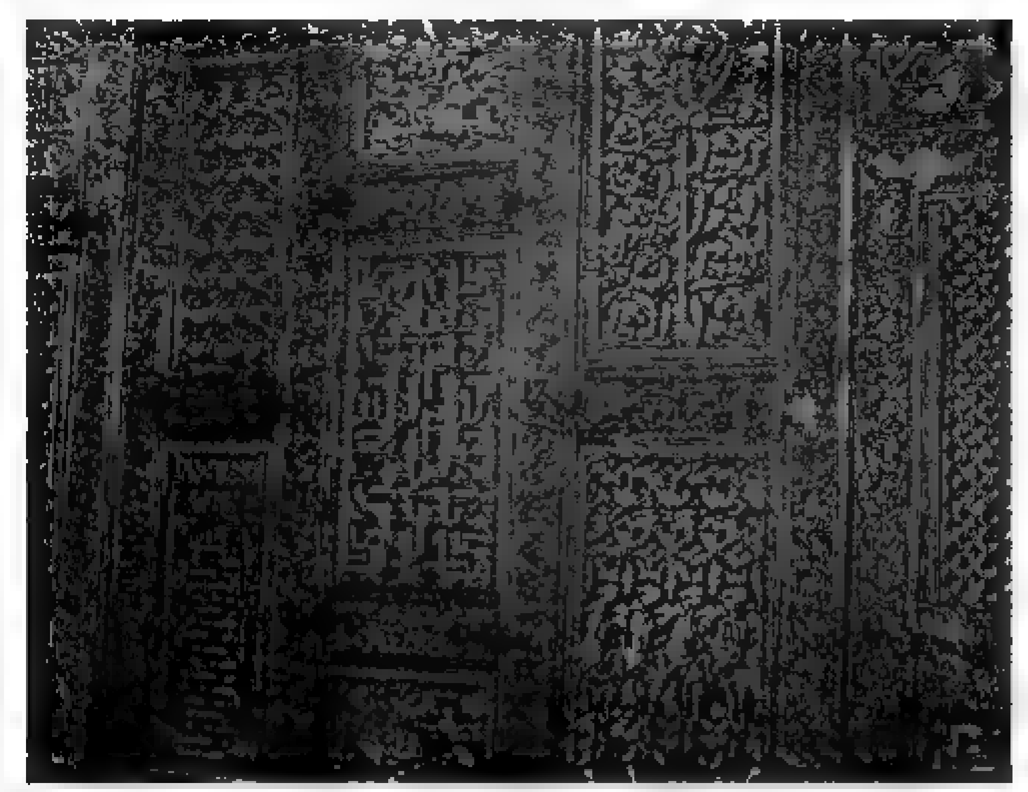
وكانت ادارة بلاد المغرب منوطة لعهدة ولاة يعينهم الخليفة ، ويسيرهم من المشرق نوابا عنه ، فيقيمون في القيروان ، ولم يعد العرب مجرد غزاة يخرجون من المشرق للغزو ثم يعودون اليه ، بل اصبح لهم مركز وعاصمة جديدة تخرج منها غزواتهم وتنظم منها شئونهم ، وشئون البلاد ، وهذا في ذاته تطور له معناه ، اذ بدأت قبائل البربر المقيمة بالمغرب الادنى والهضاب المجاورة تشعر بقوة المسلمين وقوة ايمانهم ،





تتميز جامع القيروان بصهريج ماء كبير موجود تحت الفناء الداخلي للجامع ، تنساب اليه الامطار المتساقطة من خلال فتحة موجودة وسط الفناء الداخلي (**الصورة اليمنى**) وكان الناس [illegible] [illegible] حاملين الحبال مع الاسطال [illegible] من خلال فتحات رخامية [illegible] في الفناء الخارجي ، ومع مرور الزمن ومن كثرة حركة الحبال حفرت [illegible] (**الصورة اليسرى**) حتى قال احد الشعراء [illegible] على [illegible]

الم تر ان الحبل بتكراره في الصخرة الصماء قد اثرا



تحفة جامع القيروان ، صورة تنطق عن عرب تنحوش التي تحلي منبر الجامع ، الذي يعتبر تحفة فن ، وآية صناعة الخشب العربية [illegible] وهو من خشب الساج ، آلاف القطع المحفورة جمعت الى بعضها [illegible] في زخارف هندسية مختلفة مربعة ومخمسة ومسدسة ، [illegible] [illegible]

واجتذبهم الدين الجديد ، واثرت فيهم شخصية عقبة القوية ، فأسلم منهم نفر عظيم ، وكانت تلك خطوة حاسمة في تحويل المغرب الى الاسلام ، وزادها اهمية ان الكثيرين من هؤلاء البربر الذين اسلموا ، اخذوا ينتظمون في جيوش المسلمين اخوانا لهم ، ويسيرون معهم لاتمام فتح البلاد .. حتى تمكنت هذه الجيوش بين القرنين السابع والعاشر الميلادي من احتلال المغرب الاقصى كله واسبانيا وجنوب فرنسا وسردينيا وصقلية .

بين مد التاريخ وجزره !

والواقع ان القيروان عاشت قرونا عدة متنقلة بين الأمجاد والمآسي .. فقد شهدت اشهر قادة العرب يأتون من الشرق على رأس جحافل جيوشهم في طريقهم الى المغرب والأندلس ..

وشهدت الأهوال من كثرة الحروب والحصار .

كانت دائما متأرجحة بين جزر ومد ، ولكن الذي لا شك فيه هو ان عصرها الذهبي كان في عهد الدولة الاغلبية (١٨٤ ـ ٢٩٦ هـ) . فذاع صيتها ، وكثرت مبانيها ، وازدهرت اسواقها ، وامتد اشعاعها الى جميع الأركان ..

ثم جاء الفاطميون في عام ٣٠٨ هـ . فشادوا مدينة جديدة اسموها المهدية على شاطىء البحر جعلوها عاصمة لهم بدلا من القيروان ، التي كانت تقاوم حكمهم .

وبالرغم من هذا التحول السياسي الكبير فقد ظلت القيروان تتقاسم لقب « العاصمة » مع « المهدية » حتى عام ٣٥٨ هـ / ٩٧٣ م عندما دخل الفاطميون مصر ، وانتقل المعز لدين الله





الفاطمي الخلافة في مدينته الجديدة « القاهرة المعزية » .

غـزوة بني هـلال كانت نكبة على القيروان

وفي عام ٤٣٩ هـ ، أهتز الخليفة المستنصر الفاطمي بمصر لنبأ خروج المعز بن باديس الصنهاجي عن طاعته ، وبالتالي خروج « ولاية افريقيا » عن سيادته ، فبدأ مع وزيره اليازوري في تدبير مكيدة ينتقم بها من سكان « افريقيا » واميرها .. ووجد ضالته في قبائل اعراب « بني هلال » « وبني جشم » و « بني سليم » و « بني رباح » فأعطاهم المال والذخيرة والعتاد على مشايخهم العطاء ، وبذل لهم الوظائف والالقاب ، وشجعهم على الانطلاق الى « مملكة افريقيا » لانتزاعها ، وقال لهم : « قد اعطيناكم المغرب وملك ابن باديس العبد الآبق ، فلا تفتقرون بعدها ... » .

ولعل كتب تاريخ تونس هذه الغزوة بقولها « ... واتجهت جنود الاعراب الى برقة كالجراد .. كانوا جندا همجيا لا يخاف الخالق ولا يحترم المخلوق ، ولما انتهت جموعهم المتوحشة الى افريقيا عام ٤٤٠ هـ .. وكانوا زهاء الاربعمائة الف ، التحموا مع المعز بن باديس في معركة هائلة انتهت بتسليم مدينة القيروان ، فعاثوا فيها فسادا وتخريبا ونهبا ، فهدموا بيوتها ، وخربوا اسوالها وطمسوا قصورها ، حتى امحت حضارتها الزاهرة الرا بعد عين ... » .

وهكذا قضى على ازدهار القيروان .

وانتقلت منها العاصمة نهائيا لتستقر في مدينة تونس ، العاصمة الجديدة ..

ولكن القيروان ظلت ـ رغم ما اصابها ـ تحتفظ بجلال ماضيها وباشعاعها الروحي والثقافي لشرق المغرب .

وظلت الصوامع والقباب تتعالى في سماء المدينة حتى فاق عددها اليوم المائتين، مطليه كلها بالجص الابيض وكأنها شبح من الماضي يقوم تحت سماء زرقاء



تطل هذه القبة على الصحن الداخلي للجامع المطل بأروقة والذي تحيط به الاعمدة التي تحمل الاقواس وتبلغ مساحة الجامع ١٢٥ مترا × ٧٥ مترا



سائحون .. في القيروان: مجموعة من السائحين والسائحات داخل جامع القيروان ، في زيارة سياحية [illegible] وهنا [illegible] صحيحة تمثل دراسات [illegible] هؤلاء الادلاء حتى يعرفوا التاريخ الصحيح [illegible] !!

صافية ، وفوق صحراء صفراء تتناثر عبرها حقول الحبوب، وتحتلها قطعان الابل ترعى الكلأ قبل ان تؤوي الى الخيام السوداء التي يعيش تحتها البدو الذين يجتمعون يوميا في سوق بيع الجمال والحمير بالمدينة ...

الانتعاش يأتي مع الاستقلال

ثم جاء استقلال تونس الدولة بعد احتلال فرنسي دام ٧٥ عاما، ومع الاستقلال بدأ الانتعاش بعد شعر المسئولون بمقدار الغبن الذي لحق بالقيروان ، فالثروات الانسانية والطبيعية ، والجامعات والمخططات كلها منصبة على المواني المصدرة مثل تونس ، وصفاقس ، وسوسة ، وبنزرت.

اما الوسط التونسي فلا شيء سوى الفقر والاهمال رغم توفر المياه في طبقات ارضية تحت الصحراء على اعماق كانت تبلغ عميقة في الماضي لا تتراوح بين ٥٥ و ٢١٣ مترا ..

وهنا بدأ العمل بهمة ونشاط لاستغلال هذه البحيرات المخبأة تحت الارض فحفرت الصحات وتدفقت المياه وغرست ملايين الاشجار من زيتون وخصصت واشجار غابات لتحويل المنطقة الصحراوية الفقيرة الى جنة خضراء تعيد الى اقدم مدن الاسلام في المغرب رونقها وبهجتها .

وبدأت عملية استرجاع الاراضي من الاجانب المستعمرين الى السلطات الوطنية مع تعويضهم ماليا في الفترة الاولى . انها الارض الطيبة تعود الى ابنائها بعد ان كان استثمارها وقفا على الاجنبي فقط ، بينما المواطن ابن البلد يعيش اجيرا فقيرا ..

وقامت السلطات المحلية بدور ايجابي



قدمت للمزارعين الوطنيين في عام واحد ٦٠٠٠٠ من شتائل الزيتون ، و ٥٠٠٠٠ من شتائل الاشجار المثمرة ومنحت القروض المختلفة لشراء البذور وحفر الآبار ، كما قامت باعفاء المزارعين من فوائد القروض ، وقدمت الجوائز لمربي الحيوانات وزودتهم بالفحول .

ان الزراعة ورعي الابل هي أساس الحياة في القيروان لان نحو ٨٠٪ من سكان المنطقة يعملون في الزراعة رغم قلة المياه ..

ان الاعتماد على الزراعة هو أساس التنظيمات الجديدة في القيروان .

ومع المزارع كثرت المراعي

والى جانب الزراعة تكثر في جهة القيروان تربية الابل .. التي ترعى ونبات الحماضة المالح الذي ينبت بغابات



* الحايك * الابيض ، هو زي المرأة القيروانية ، وهذا الزي التقليدي لا يمنع من ارتداء [illegible]

ويكثر في المناطق المحيطة بالقيروان التي يغمرها الاملاح .. ولا تخصب الارض الا اذا رعت « الحماضة » .

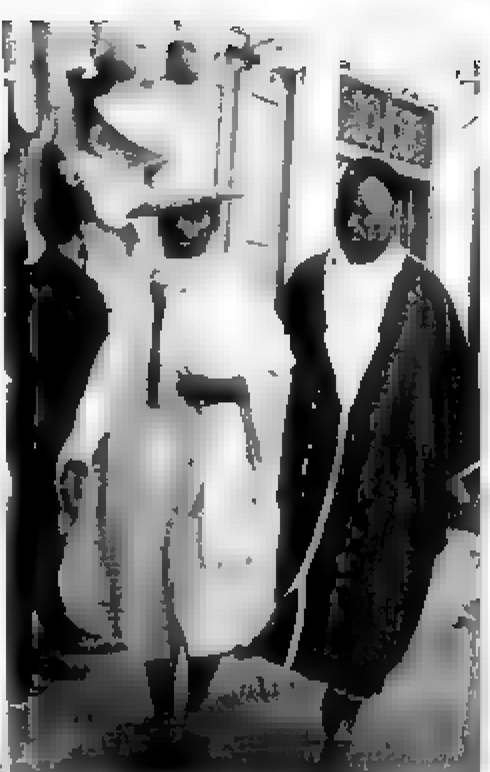
ولا تقل عدد الابل في جهة القيروان عن ٤٠٠ الف رأس . كما ان هناك قواعد وانظمة خاصة بالرعي ، فكبير رعاة القطيع يسمى « قائد العربان » وبعده شيوخ العربان ، ويسمونهم شيخ العصا ، والعصا هو اسم مجموعة مكونة من ١٠٠ رأس غنم ، ولكل عصا شيخ ، ثم يأتي الرعاة ..

وهؤلاء جميعهم يمثلون وحدة تنزل رحالها في بيوت من الشعر ، وينتقلون طلبا للكلأ من مكان لآخر ..

ومناخ المنطقة جاف يؤثر تأثيرا كبيرا على اهل المدينة التي تقع على ابواب



مشروع [illegible] القيروان القديمة التي مضى عليها ١٣ قرنا [illegible]



• الجبة ... و « العمامة »
و « الشاشية » ... التقليدية
من ملابس الرجال ...

الصحراء ، فالصيف حرارته مرتفعة ، والشتاء شديد البرودة ، مع أمطار قليلة ، ٢٠٠ الى ٢٥٠ مليمتر في العام

وعندما تشتد الحرارة في الصيف ، وتصل الى ٤٦ مئوية ، يلجأ الناس الى « الدامـوس » أو « الدهليز » أو « البلدوم » وهو موجود في جميع منازل القيروان يمضي فيه أهل القيروان أوقات القيلولة التي تشتد فيها الحرارة ، ويبدأ من العاشرة صباحا حتى الرابعة مساء ..

بركة صناعية .. للأميرات !

هذا ما يحدث اليوم ، أما قديما ففي عهد ملوك الاغالبة أقام ابو ابراهيم أحمد الاغلبي في عام ٢٤٤هـ ، بركة كبيرة

● القيروان

عند مدخل القيروان قطر دائرتها ١٢٨ مترا وعمقها ٦ أمتار تسع لخمسين ألف متر مكعب من الماء .. وفي وسط البركة أقام منصة كبيرة كانت تقصدها الاميرات وهن يتنقلن في الزوارق بين طير البجع الأبيض الجميل ، في طريقهن الى المنصة الوسطى حيث يحتمين هربا من حرارة الجو

وبجوار هذه البركة أقيمت بركة أخرى أصغر منها قطرها ٣٧,٤ مترا كانت تجلب اليها المياه بواسطة (حنايا) طولها ٣٦ كيلو مترا وتمتد حتى منابع الماء من جبل « شريشيرة » في الجهة الغربية من القيروان

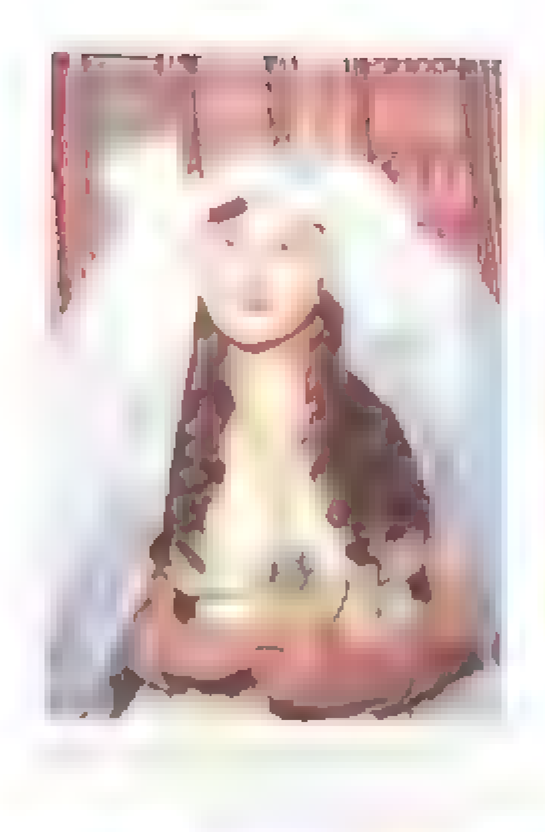
ومن هذه البرك كانت المياه تصل الى منازل المدينة بواسطة الانابيب

أما اليوم وبعد أن أوشك ماء سد



• باب الشهداء ، أحد أبواب السور القديم ،
وهو ... جميع ...







وادي بهانة على الانتهاء سوف تربط الماء بالانابيب من عيون شربرا وحتى سوسة بدلا من بركه الاغالبة ، التي حولت الى مقهى يقضي فيه امواج السائحات والسائحين وما طيا ؛ في هذه المدينة العريقة الخالية من كل وسائل التسليه ، ماعدا المقاهي المنتشرة على الارصفه . .

مدينة السجاد

وتشتهر القيروان بصناعة الزرابي (السجاد) من الصوف الملون . . وقد احتضنت الحكومة هذه الصناعه اليدويه والتقليدية بمساعدتها وتشجيعها لتصمد في وجه امام منافسة السجاد الاوربي الرخيص .

ومن الغريب ان التعلم في هذه المدينة المحافظة هو تعلم مختلط تجلس فيه الفتيات الى جانب الفتيان يدرسون العربيه والفرنسيه او الانجليزية . .

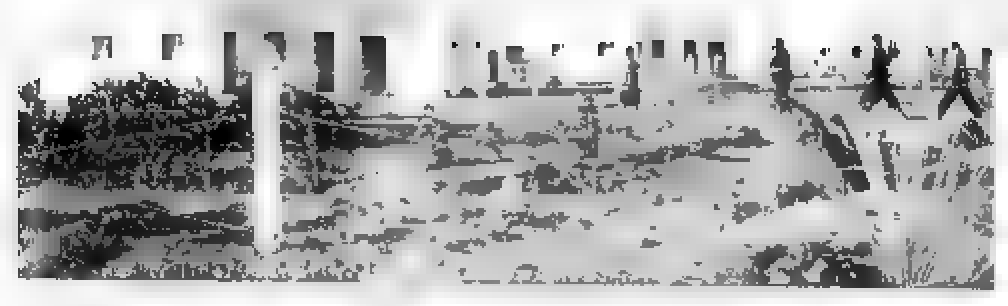
اما التعليم الفني فيتلقاه الراغبون فيه في مدرسة بمدينة سوسه التي تقع على بعد (٥٠) ميلا تقريبا من القيروان ، وعلمت كنا نزور المدينه قبل لنا ان مدرسه فنية ستفتح فيها عندما يتوفر عدد كاف من الطلبة . . وقد تكون هذه المدرسة قد فتحت ابوابها . .

طبيب من القيروان يترك مخطوطات زنتها ٢٥ قنطارا !

ان التعليم في القيروان قد خطا خلال سنوات خطوات واسعة الى الامام . . ولذا قارنا التعليم في نهاية ايام الاحتلال ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦ لوجدنا ان عدد

الى اسفل : سور القيروان [illegible] وهو سور من اللبن القديم والحجارة [illegible] ومما يذكر ان الالمان عندما احتلوا القيروان خلال الحرب [illegible]





[illegible] في القيروان [illegible]

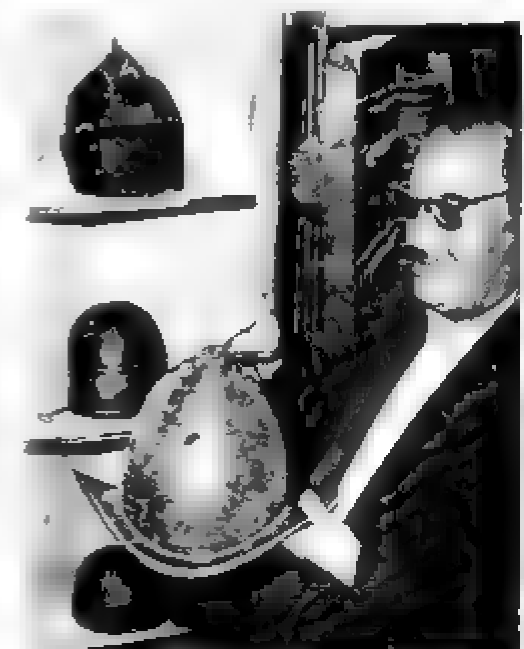
[illegible] من القيروان [illegible] ١٢٧

[illegible] ٧٥ ٢ دينار

المدارس فيها كان ٢٥ مدرسة فقط تضم ٦٥ تلميذ وتلميذة . اما اليوم ففيها نحو مائتي مدرسة تضم نحو ٣٠ الف تلميذ ..

وكانت القيروان منذ قديم الزمان منبعا للعلم والمعرفة وكان « بيت الحكمة »

الى اسفل [illegible] هذه المدينة



بمثابة جامعة يتلقى فيها الطلبة من تونس ومن اوربا ، الفلسفة والتاريخ والكيمياء والهندسة ، وحتى الطب الى جانب العلوم الدينية ..

وقد انجبت القيروان مجموعة كبيرة من الفطاحل في كل علم وفن ، منهم اسد بن الفرات الذي فتح صقلية .. والامام سحنون الذي لقب بسراج القيروان لعدله في القضاء .. وابن الجزار الطبيب الذي ترك بعد وفاته ما قيمته ٢٥ قنطارا من الكتب الطبية كلها بخط يده ، ترجم الاوربيون معظمها الى لغاتهم وانتفعوا بما فيها من فائدة علم الطب .

جامع القيروان

والى جانب « بيت الحكمة » يقع جامع القيروان ذي المنارة العالية ، الذي يدهش الزائر [illegible] ويسحر الناظر [illegible] ، التي ترى العين طائفة من صوره ومعها شرح واف لتاريخه .

ومن المعلوم ان مدينة القيروان الاولى التي بناها عقبة بن نافع لم تستمر سوى ٢ عاما ثم دمرت ولكن « حسان بن النعمان » جاء في عام ٧٨ هـ واعاد بناء القيروان وجامعها .. ولم يبق من بناء عقبة القديم سوى جزء من المحراب يستطيع المرء ان يشاهده من خلال ثقوب المحراب الرخامي الذي اقامه احد ملوك



الاعانة للمحافظة ولصيانة مخطوطات عهد التاريخي القديم البسيط ..

وفي مكتبة القيروان تتكدس آلاف المخطوطات داخل خزائن مغلقة .. والى جانب خزائن جامع القيروان تجد آلاف المخطوطات مكدسة في منازل الاهالي الخاصة ، ان تراث العربي موزع ومبعثر في كل مكان بالقيروان .

بئر « بروطة »

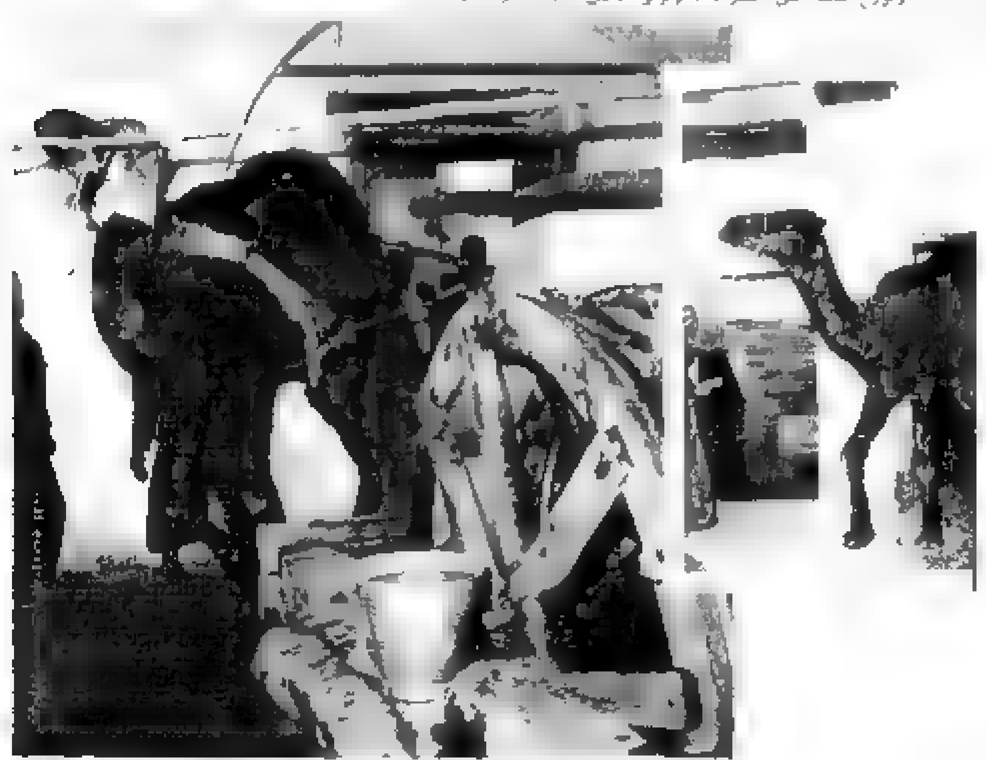
ولا يمكن ان تترك القيروان دون ان تقوم بزيارة لبئر « بروطة » .

انها بئر غريبة فهي تقع داخل مبنى قديم تصعد اليه بدرجات سلم وتدخل اليه من باب صغير فتشهد في داخله منظرا عجيبا .. اذ تقف هناك جمل كبير معصوب العينين ، مربوط بجذع متصل بعجلة خشبية تجلب الماء من بئر بروطة .

وتعتبر هذه البئر جزء من قصة بناء مدينة القيروان نفسها ، فهي وجدت عند اول مرة ، ومن هذه البئر استقى … فأصبحت ابدا تذكر دائما . ومنذ ذلك اليوم البعيد ، اي منذ ١٣ قرنا وهذه البئر تعطي ماء صافيا نقيا ليست به اي ملوحة تعكس الآبار الاخرى المجاورة !

سليم زبال

الى اسفل بئر بروطة





يُبقى ختام رواية "بحثا عن الزمان الضائع" حتى يعرف ما سكرات الموت من واقع مرضه الطويل فيُملي النهاية التي تتم بها الرواية على خادمته!

بقلم : الدكتور بديع حقي

● ها هو ذا يسعى كشبح زحوف الى مصاريع النوافذ فيسدلها ، والى الباب فيوصده ويحكم اغلاقه ، لا يكاد يسمح لشعاع من نور الشمس يدخل الى غرفته ، ولا لنسمة ، مهما رقت ، ان يتسلل اليه فتؤذي صدره الكليل المتعب المرهق بنوبات الربو العاصفة .

ها هو ذا يمضي الى سريره ، ليصيب لفترة قصيرة ، يتخللها سهر وسعال متقطع . فاذا نبا به مضجعه ، قعد في فراشه ، متعبا ، او فزع الى مكتبه وسط اوراقه الكثيرة ، واستعد ريشته الصناع ترتق في خطوطها الفنية ذكرياته الغوالي على ورقه الابيض الملس .

انه يعدو مفكرا ساهما ، وعيناه السوداوان الغائرتان المحوطتان بهالات الارق المستديم تجولان النظر في جنبات غرفته ، وتحطان في محطهما ذكريات لصقت باثاث غرفته واشيائها ، ولكنهما لا تجتزئان بهذه الذكريات الخاطفة العابرة ، بل تواكبانه وتكملان مع ذاكرته في رحلة ممتعة الى الماضي البعيد ، الموغل في البعد ، وتعبران من حاضره الى طفولته ، حتى تصلا الى طفولته الهنيئة وتنثرا فوقها النور المشرق .

انها رحلة البحث طفقت تسير بهذا رحلة غيبية وذاكرته ، بحثا عن الزمن الضائع

انه [مارسيل بروست] Marcel Proust

الكاتب الفرنسي الذي ألزمه مرض الربو على أن يلزم غرفته لزوما يكاد يكون متصلا ، عاكفا على كتابة روايته الكبرى تلك التي سماها (بحثا عن الزمن الضائع) A la Recherche du Temps Perdu مستمدا لها من ذكرياته ، غائصا لها عن حياته صابرا صبر النحلة المجدة الدؤوب التي تبني خليتها الهندسية الدقيقة ، ليكتب أروع رواية عرفها الأدب الفرنسي الحديث .

حياته

أما حياته فلم تكن حافلة بالحوادث الكثيرة ، وقد مرت ، في الظاهر ، هادئة رتيبة ، كحياة أي انسان ، ولكن « مارسيل بروست » استطاع ، بعبقريته الخلاقة ، أن يعاود نسج خيوط حياته بأسلوب روائي جديد ، فلم يترك خيطا مهما دق ، دون أن يربطه بخيط آخر ، ولم يدع احساسا ، مهما كان تافها ، ينسم في نفسه ، دون أن يجلوه في دقة تكاد تشارف الاعجاز .

وقد ولد « مارسيل » في ١٠ يوليو (تموز) عام ١٨٧١ ، في (باريس) وكان أبوه « أدريان بروست » طبيبا لامعا من أسرة كاثوليكية محافظة ، أما أمه « جان ويل » ، فتنحدر من أسرة يهودية غنية مقيمة في « اللورين » ، وقد تزوجها « أدريان » بعد غرام مشبوب ، ورزق منها « مارسيل » و« روبير » .

وقد مرت طفولة « مارسيل » رغيدة هنيئة ، وظلت أفاويق هذه الطفولة السعيدة معينا ثريا يمتح منه مادة لا تنفد لأدبه الجليل .

تأثره بأمه

وكانت أمه ترعى ابنها بالعطف وتخصه بالعناية المفرطة ، فنشأ الطفل معلق القلب بأمه الى درجة العبادة . وقد قص علينا في مطلع روايته ، كيف تعودت أمه أن تقبله في فراشه قبل أن يخلد الى النوم ، فإن شغلها شاغل ما ، وسهت عن قبلتها المألوفة ، تقلب الطفل في فراشه مؤرقا حزينا ، منتظرا قدومها ، حتى اذا وافت لتمس بشفتيها وجنتيه ، أسلس جفنيه للنوم مطمئنا قرير العين .

وكان لأمه فضل كبير عليه في الرغبة بالأدب ، فأولع منذ صغره بالمطالعة ، وابتدأ وهو ما يزال في سن مبكرة ملحا في الانشاء والكتابة . وكانت أهم الكتب التي أثرت فيه ، كتاب (ألف ليلة وليلة) . وقد وجد كثير من النقاد صلات عميقة الجذور تربط رواية « بروست » بهذا الكتاب ، حتى لقد تحدث « موريس باريس » عن « بروست » بصدد روايته هذه فوجده شبيها براوية قصص عربي ، آخذا بمدرجته في تزويق قصصه وتوشيتها واسلوب سردها .

وأصيب « بروست » وهو في التاسعة من عمره بمرض الربو وأصيب به عمره كله ، فنشأ طفلا سقيما ، وقد زاد مرضه هذا من عطف أمه عليه وعنايتها به ، ولعل افراطها في اغداق الحنان على ابنها المريض قد جعله ، حتى بعد أن أشرف سن الكهولة ، ذا وساوس مرضية وشكوى متصلة ، يجلوها في أحاديثه ورسائله الى أسرته ورفاقه ، استجلابا لمزيد من العطف والرأفة .

وأنهى « مارسيل » دراسته في معهد (كوندورسيه) بنجاح وتألق ، وكان أبوه يأمل أن يلحق ابنه بالسلك السياسي ، ولكن « مارسيل » كان معلق القلب بباريس وحياتها المترفة ، فلم يكن يرغب بحال بالتخلي عن أمه وذويه ومدينته المفضلة .

شهوده صالونات باريس والمنتديات

وشهدته الصالونات والمنتديات الباريسية شابا أنيقا ، قد حلى بعروة سترته زهرة (الكاميليا)، وتألقت على شفتيه ابتسامة مضطربة ناعمة ، وأسالت بعض صاحباتها الى عينيه السوداوين الذكيتين ، ورفعته لأوساط المجتمع الراقي كرما مسرف اليد ، ينثر الهدايا السخية ولا يدع مناسبة تمر دون أن يقدم فيها باقات منوعة من الزهر .

وقد تأتى له بفضل أسرته الغنية الكريمة النجار أن يعقد أواصر الصداقة مع الشخصيات النابهة في عصره وأن يقيم المآدب الفخمة ويلبي الدعوات المختلفة .

وكان « بروست » متحدثا ظريفا يجيد الثناء والملق ، وكان يعرف أن اصطناع الاطراء وتكلف عبارات الملق الحلوة هي البضاعة الرائجة في الأوساط الباريسية الأرستقراطية التي كان يغشاها ، فحذقها وأسرف فيها حتى غلب على حديثه التزيد والغلو ، وأعانه هذا كله على النفوذ الى الطبقة الموسرة المترفة في « باريس » ومعرفة سرائر أفرادها ومغامراتها وسقطاتها

وعبثها وفراغها . وكان « بروست » الى ذلك ، حسن الوجه ، يشع الصبابة والهوى ، فظفر بحظوة الصبايا الملاح اللائي كن يؤنسن في الحفلات والسهرات مواعيدهن وبسماتهن واحلامهن البراقة ، وكانت عيناه الذكيتان الجوالتان تتفحصان هذا المجتمع الزائف المتبرج وتتحسسان ميخائله واخلاقه وتعلاته وامانيه ومآسيه ، وتدخراتها في ذاكرته القوية العجيبة الى يوم موعود ، تكتسي فيه ، على الورق ، اهابا جديدا وحياة صادقة .

تعرفه الى كتاب فرنسا النابهين

ولم يكن يسجل ذلك كله في ذاكرته فحسب ، بل كان يتمثله تمثلا واعيا حيا كما يقول « موروا » . وقد يدل له هذا المجتمع ما يجمع اليه من صداقات تنم مكانته وشهرته الادبية فتعرف في صالون السيدة « كايافيه » على صديقها ومحبيها الكاتب الشهير « اناتول فرانس » الذي وضع له مقدمة كتابه « المسرات والايام » . وقد جسد « بروست » شخصية « اناتول فرانس » في شخص بيرلوت « احد ابطال روايته القبلة » .

وتعرف على الكاتب « الفونس دوديه » وابنيه « لوسيان » و« ليون » ، وهو الذي كان اول من نبه الى عبقرية « بروست » واشاد بها ، والاحت له قرابته من الفيلسوف « هنري برغسون » ان يوثق صلاته بالاوساط الفكرية المرموقة في باريس مدينة النور والاشعاع الفكري .

عاطفة مشبوبة ، وحساسية بالغة

وكان « بروست » مستوفز العاطفة ، وقد صبا قلبه الى فتيات كثيرات وتذوق نعمات الحب ، وبلا اوصابه وعانى مرارة الخيبة ولذع الغيرة ، وانزلق الى نزوات منحرفة خلفت في نفسه ندما عنيفا ، صوّره احسن تصوير لدى (شارلوس) احد ابطال روايته .

من ذلك كله تأتى الى « بروست » تجارب عاطفية مختلفة ، اعانته فيما بعد على الغوص الى اغوار النفس الانسانية وبذوات الجسد المتألمة وشرحها وتحليلها .

وكان ذا حساسية بالغة ، فكانت الكلمة العابرة تؤذيه وتؤرقه ليالي طوالا ، ان استشف منها بعض الفتور او الجفاء ، او الفى فيها ما يؤذي شعوره الرهيف .

وكان يخشى ان ينال احدا بالاذى ، ويتحرق من ان يجلب الاستياء الى امرىء ما دون قصد منه ، وقد اثيرت عنه عادته بان يهب ، حين يغادر المقهى ، النادل الذي كان يخدمه عطية جزيلة ، فاذا لمح في ركن ما ، نادلا آخر لم يخدمه مضى اليه ومنحه عطية مماثلة مرددا : « لا شك ان خيبة امله عند العطاء يؤلمه كثيرا » .

واخيرا ، وبينما هو يتهيأ ان يستقل مركبته ، يتذكر شيئا ، وينقلب عائدا الى المقهى وهو يقول : « اعتقد انني نسيت ان اقول للنادل (الى اللقاء) وليس هذا بلطيف مني » .

وكان دقيق الملاحظة ، لا تكاد عيناه تهملان اذا نظرنا الى شخص ما ، شيئا من ملامحه ولمحاته وحركاته ، فاذا لفت بصره منظر من الطبيعة يستهويه بغرابته وروعته ، استغرق في امعان النظر اليه حتى يذهل عن نفسه . ولقد روى صديقه الموسيقي (رينالدو هان) قصة لطيفة ذات دلالة ، فذكر انهما كانا ينعمان ذات يوم بنزهة في حديقة ، فمرا بشجيرة ورد بنغالية ، فاذا ببروست يقف ويطلب اليه في صوت شجي ناعم « ايسوءك ان اتوقف قليلا ؟ اود معاودة النظر الى هذه الوريدات » . فتركه « رينالدو » وقام بجولة وعاد ليجد « بروست » في مكانه وهو يحدق الى الوردات ويتأملها . قال في وصف ما رأى

ـ « كان رأسه منحنيا ووجهه مقطبا وكان يطرف بعينيه ، وقد زوى ما بين حاجبيه ، كأنما يبذل جهدا في انتباه مستمر . وشعرت انه سيحس بوجودي ولكنه لم يشأ ان يتكلم او يترنم ، ومررت امامه ، دون ان أبس ببنت شفة ، ومضت دقيقة ، لم سمعته يناديني ، فالتفت فاذا به يقف اليّ ويحركني ويطلب اليّ عما اذا كنت لم استأ منه ، فطمأنته وكنا اصطلحنا ، واستأنفنا حديثنا السابق » .

كتاب المسرات والايام

ونشر « بروست » في صدر شبابه كتابه « المسرات والايام » . وترجم عن الانكليزية كتابين لرسكين ولكن ما نشره لم يظفر باي رواج ، وانصرف زمنا طويلا الى تأليف رواية مطولة لم يقدر لها ان تنشر في حياته ، اذ لم يكن راضيا عنها ، وقد عثر عليها بين مخلفاته بعد وفاته

بزمن طويل ونشرت عام ١٩٥٢ بعنوان « جان سانتوى Jean Santeuil »

وفاة والديه ضربة قاسية

وكانت وفاة أبيه عام ١٩٠٣ ووفاة أمه عام ١٩٠٥ ضربة قاسية له ، وافتقد الطفل الكبير الصدر الحبيب الذي كان يوسد رأسه عليه ويجد فيه الرعاية والتشجيع والحنان . كتب « بروست » الى صديقه الكونت « مونتسكيو » « لقد فقدت حياتي بعد الآن هدفها وعذوبتها وحبها الأوحد ، لقد فقدت تلك التي كانت رعايتها المتصلة تمنحني في أمن وحنان، شهد الحياة » .

روايته « بحثا عن الزمن الضائع »

وألح عليه الربو مرضه المعهود وركبته الهموم والوساوس ، وجعل ينأى ، يوما بعد يوم ، عن مجتمعه الأرستقراطي الذي كان محور حياته من قبل ، وفيه ، كالخفاش الذي صدف عن رؤية البشر في حجرته ، لا يكاد يغادرها إلا لماما ، موصدا بابه واضعا ستائره ، مكتفيا بخلوة متقطعة، فاذا جنّ الليل عمد الى أوراقه وقلمه وعاد الى ذاكرته الحية ، باحثا من ماضيه العطر الضائع ، مستلا خيوطه القديمة ، لينزل منها نسيج روايته « بحثا عن الزمن الضائع » .

وقد عمد « بروست » الى أسلوب يطاوع تسلسل خواطره وتداعيها ، فجملته طويلة تمتد أحيانا في صفحات عديدة ، وكأنها كالنهر الطويل المترع ، تتفرع منه جداول مختلفة متعددة ، ثم تتشرب وتلتئم من جديد . وأنها لتحمل ، على طولها ، نبضات احساساته وخلجاتها وانسيابها. ويجد القارئ في متابعة هذه الجمله تعبا ومللا في البدء ، ولكنه ما يلبث ، حين يمضي في قراءته ، أن تستهويه رحلة الذاكرة الى الماضي البعيد ، وتطيبه الصور المستجدة المتتابعة . وقد يجد الى ذلك حوادث تافهة ، ليس في ايرادها أي تشويق ولكنه ما يحتم أن يستبين وراءها التحليل البارع الدقيق .

ولم يكن « بروست » ينظر الى أي خلجة تسري في مطاوي نفسه نظرة عابرة متعجلة سريعة ، بل نظرة العالم الذي يحمل بيده مجهرا ويفحص جسما ما ، متقصيا ذراته وخلاياه في دقة وإمعان، مشفوعة بنظرة الفنان الذي يوشي هذه الحقائق بصورة جمالية خلابة ساحرة .

ولم يكن ينسى ، بينا هو يشرح شعوره شرحا مكرسكوبيا ، أن يربط بين فكرة وفكرة أخرى ، وبين احساس حاضر واحساس ماض ، حتى يصل الى الفكرة والاحساس القديمين ، ليرى خوافيها النور ويضع أمام القارئ الجو النفسي الذي عاشه الكاتب من قبل في أدق تفاصيله .

ويتم تداعي هذه الأفكار والاحساسات ، عادة ، على نحو عفوي ، لا دخل للارادة فيه ، فالمصادفة وحدها هي التي تتيح للاحساس الحاضر أن يستقدم الذكرى القديمة ويستدعيها، ليحياها الكاتب من جديد ، باعثا بذلك ماضيه ، ظافرا على زمنه الضائع . ان جانب فن « بروست » الروائي قائم كما يقول « أندريه موروا » على احياء الماضي بالذاكرة اللاارادية

والأمثلة التي يسوقها « بروست » في روايته جمة مستفيضة ، منها ما يرويه في مستهل روايته فيذكر أنه كان قد نسي كل شيء يتصل بسبيل الى ضاحية « كومبري » نسيانا تاما ، وفي ذات يوم من أيام الشتاء الباردة ، قدمت اليه أمه كأسا من الشاي ، مع قرص من الحلوى تدعى « المادلين » ، فغمس القرص في الكأس ، وما كاد يرشف منها رشفة صغيرة حتى ارتعش وسرى به شعور عذب لم يكن في وسعه أن يتفهمه أو يدركه، ترى من أين وافته هذه الفرحة الغامرة المفاجئة ؟ انه يشعر بأنها متصلة بمذاق الشاي مع قرص الحلوى ، ولكنها مثلا تمضي ! وحسبا الكاتب حسرة اخرى ، وانجلى للذاكرة ، شيئا بعد شيء ، أن هذا الشعور موصول بشعور حلو مماثل لذكرى قديمة ، حين كانت عمته تقدم اليه الشاي مع هذه الحلوى نفسها، في بيتها بضاحية (كومبري). واذا بطيوف ناسها وكنيستها ومجاليها وحدائقها الغناء ، تنثال عفوا الى ذاكرته وتتضح وتأخذ أشكالها القديمة وهي تنفض وتخرج من كأس الشاي .

وقد أفاد علم النفس الحديث من « بروست » فائدة جليلة كبيرة ، وتأثرت الرواية المعاصرة بأسلوبه وتحليله تأثرا قويا دون أن توفق ايغاله البعيد في التحليل ، وظل « بروست » على أي حال نسيج وحده بين الروائيين ورائدا من رواد الرواية المعاصرة ، يوضع في قرن واحد مع « دستويفسكي » و « جيمس جويس » .

يقول « فرانسوا مورياك » : « لقد علمنا « بروست » أن في مقدورنا الآن النزول بأسرار

الحساسية لدى الانسان ، ولن نتقدم في معرفته علمنا أبعد مما وصلت اليه العبقريات السالفة » .

الرواية تعثرت في النشر عند الناشرين

وككل أثر فني جديد يخالف ما ألفه القراء وأساليبه وأحبوه ، فإن مساهمة « بروست » في التحليل ، وطول جملته وغموضه البعيد في الحوار النفسي ، نأى بروايته عن ذوق القارىء العادي الذي يسترفد من القصة المتعة السهلة المباشرة . وقد أخفق « بروست » في العثور على ناشر يرضى بنشر الجزء الأول من روايته ، وتساءل أحد الناشرين حين عرضت عليه المخطوطة : « ليس في مقدوري أن أفهم كيف يستطيع انسان أن يسفح ثلاثين صفحة ليصف كيف يتقلب على السرير من جانب قبل أن يستغرق في النوم » .

وعرضت المخطوطة على « أندريه جيد » ليبدي رأيه في نشرها في دار المجلة الحديثة الفرنسية N. R. F ولكن « جيد » تصفحها تصفحا عاجلا سطحيا وأوصى برفضها . وكان ندم « جيد » على رأيه هذا الجائر ، شديدا ، حين استبان له خطؤه فيما بعد ، اثر قراءته الرواية قراءة واعية .

واضطر « بروست » الى نشر هذا الجزء في دار (غراسيه) على حسابه ، ولكنه لم يلق ما يستحق من رواج ، وكان حماس النقاد له فاترا . ولكن ذلك لم يثن « بروست » عن المضي في متابعة الكتابة ، وكانت الحرب العالمية الأولى قد أعلنت وحالت دون نشر أجزاء الرواية الباقية ، فأتيحت له فرصة لإعادة النظر فيما كتب ، فأضاف الى النص وحذف منه وبدّل ، وفي عام ١٩١٩ رضيت ادارة المجلة الحديثة الفرنسية أن تنشر الجزء المسمى (في ظل الفتيات المزهرات) ، واتضحت في هذا الجزء الخطوط البارزة الواضحة من روايته ، على نحو جلي . وهلل له النقاد ، وفي مقدمتهم (ليون دوديه) ، وظفر الكتاب بجائزة (غونكور) الأدبية ، وكانت بداية المجد .

يختتم روايته بين سكرات الموت

نحن الآن في عام ١٩١٩ . لم يبق من حياة « بروست » التي انطفأت عام ١٩٢٢ سوى ثلاث سنوات ينهي فيها الجزء الأكبر من روايته ، وكانت هذه السنوات سباقا مع الموت ، وقف فيها الكاتب عبقريته على اكمالها ، وكان يعلم أنه مشرف على الموت ، وأن المرض اللعين يلح عليه ويطويه عضوا عضوا .

وكان أعجب وأروع ما قام به « بروست » أنه أرجأ مشاهد من روايته ، حيث يصور فيهما احتضار (برغوت) أحد أبطال روايته الى الوقت الذي يشتد فيه مرضه على نحو شبيه بسكرات الموت ، وقد أملى على خادمته هذا الفصل الرائع الذي يحمل منه قصص الكاتب وهو يعاني مما يسببه النزع الأخير . وما نحسب أن في تاريخ الأدب العالمي كله كاتبا استنفد حياته ذرة ذرة ، في خدمة أدبه ، مثل هذا الكاتب العظيم .

وكان آخر ما خطه قبل وفاته بفترة قصيرة ، في ذيل الجزء الأخير من مخطوطة روايته كلمة (انتهى)، وكذلك انتهت حياته ورسالته الأدبية معا .

واخترمه الموت في ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٢٢ بعد أن أصيب بذات الرئة ورفض استخدام طبيب لمعالجته .

وهكذا فإن مرضه الذي أضناه رشده الى قراءته وجعله حبيس بيته ، ليقصر حياته كلها على اتمام رسالته الأدبية كان غنما ونعمة على الأدب .

يقول « بروست » :

« عندما كنت صغيرا ، فإن مصير أي شخص من أشخاص التاريخ المقدس لم يكن يبدو لي أكثر بؤسا من مصير نوح بسبب الطوفان ، الذي ألزمه بأن يكون رهن سفينته أربعين يوما . ولما أصبحت فيما بعد حبيس مسكني أياما عديدة ، عرفت حينئذ أنه لم يكن في مستطاع نوح أن يرى العالم جيدا ، إلا من سفينته رغم كونها مغلقة وكون الأرض مظلمة بالليل » .

أجل ، يتراءى لي (بروست) ، منطويا على نفسه ، حبيسا في حجرته ، ينسل من نفسه خيوط ذكرياته وينزلها على الورق في روايته البديعة ، كأنه دودة القز العجيبة في فيلجتها ، تنسج خيوطها الحريرية الناعمة المرفهة ، وتنتظر في دأب لا يني أو يفتر ، اليوم الذي تمزق فيه نسيجها وتنطلق ، فراشة مزهوة ، بمجد من الألوان رائع جديد .

بديع حقي
دمشق



حشرة من البشر

قصة بقلم سنية قراعة

● كان الشيء الوحيد الذي غذى الكره بنفسية سعدية وحسدها وحقدها على المجتمع البسيط الذي كانت تعيش في محيطه ، هو انها كانت دون اترابها من الصغار في كل شيء . فقد كان للجميع اباء وامهات .. اما هي فلم تر لها ابا ولم تسمع ذات يوم بعطف ام ! وكأنه قد حرم على شفتيها ان تنطقا بهذا الاسم الحبيب !!

ولهذا وجد الصغار كل وسائل الحياة ممهدة لهم ، اما هي فقد كان عليها ان تشقى لتأكل ، وان تخرج شبه عارية في الزمهرير القارس لترضي سيدتها !! وكان الاطفال يرفلون في الثياب ذات الالوان الزاهية ، اما هي فما عرف جسمها سوى شبه خرقة لا لون لها ، تتدلى عليه لتستر بعض أجزائه وتترك البعض الآخر نهبا للعيون كمن يحاول استدرار عطفها .. ولا جدوى !!

وكأني بالقدر الذي اوجدها على ظهر الارض وكتب عليها هذه الذلة ـ ابى الا ان يحطم قلبها الصغير ويجبرها في قسوة على الاعتراف بأنها ليست اكثر من « حشرة » آدمية عليها ان تباعد الناس وان تخشى الاقتراب منهم ! وان تكتفي باختلاس النظر اليهم ، حتى ازدادت كراهيتها للعالم ومن فيه !!

* * *

ولم تكن سعدية تعرف من امور دنياها الا انها كانت تعيش على الفضلات التافهة التي كانت تتصدق بها عليها الحاجة « فطومة » ، زوجة محمد الشدي المحصل بإحدى شركات النقل ، والذي كان يعتبر نفسه سيد « الحارة » وزعيم من فيها من بسطاء الرجال !

اما لماذا كانت تتصدق عليها هذه السيدة ،

وطالما كانت تزورها في « عشة فراخها » أحيانا — فذلك ما لم تكن سعدية تعرفه ، ولم تحاول أن تفهمه في يوم من الأيام !

وبالرغم من أن أهــل الحارة جميعا كانوا يعرفونها ، وكانوا يتظاهرون بالعطف عليهــا ويتحمسون في ضرورة مساعدتها ، فإن واحدا مـن السكان الذين كانت تكتظ بهم البيوت ، لم يفكر جديا في أن يشفع حديثه بالتنفيذ ... فظلت الشريدة على حالها وظل الناس على حالهم من الثرثرة والتمســح بالأكاذيب !!

لم يعرف أحد لها أبا ، ولم يذكر إنسان أنه شاهد لها أما في ذلك الحي الذي اختارته ليذلها .. ولكن « أم شمشش » بائعة الحلوى كانت تهمس لبعض ثرثارات الحي وهاويات الأحاديث بأنها شهدت أبا الطفلة ، وجلست إلى أمها .. وأن هذين الأبوين المجهولين لم يربطهما زواج !! وأنهما كانا يعتبران الصغيرة عقبة في سبيل حياتهما ، فعملا على التخلص منها وأسلماها إلى عجوز كانت تقطن في « مقبرة » مظلمة في الحي ، فتولت تربيتها .. فلما ماتت تولت سعدية أمر نفسها !!

وكانت « أم شمشش » كلما كررت هذه القصة المملة على أسماع ثرثارات الحي ، هززن الرؤوس وانبرت بعضهن بنعوت غريبة يلصقنها بالطفلة التعسة ، فأكدها بعضهن في إصرار وعناد ، حتى إذا ما نوقشت ، أو اعترضت معترضة على الخرافة ، أجابتها في سخرية : « ما هو كل أولاد الحرام كده » !!

الكرم الأجـوف !!

وحل « العيد الصغير » ذات عام ، وجعل أهل الحي يتحدثون في إطناب عن « الزكاة » التي طهروا بها أبدانهم وأموالهم والصدقات التي جادوا بها على المعوزين والفقراء ، و « اللقم التي تمنع النقم » !!

وشاء لهم الخيال أن يطنبوا في ذلك الحديث ، وأن تتشعب بهم فنون الشمائل في الوقت الذي ظلت سعدية فيه عارية الجسد على نفس حالها من التشرد والعوز والبؤس ، الذي نسيه كرم المتقولين وصلت إليه وكأنما هواة الفخر والرياء والكذب ، ممن خيل إليهم بأحاديثهم المكذوبة تلك أنهم يخدعون الله والناس ، وما يخدعون

إلا أنفسهم المريضة ، التي قتلتها الإثرة ، وقست عليها المادية اللعينة !!

ولم تهتم سعدية الجائعة — التي مر بها يومان خاوية البطن ، وهي جالسة مبهوتة وحدها على « رصيف العمارة » ، لم تهتم برائحة الطعام منبثقة من البيوت المجيدة ، فقد أحسها بمتابعة الصغار الناظرين منها بأنظارها المجروحة ، وقد تجمعوا يحتفلون بالعيد في ملابسهم الجديدة وفي أيديهم الألاعيب والحلوى والفواكه !!

وتملكتها سعدية "حسرة" منبثقة دفعت بها إلى الخروج على صمتها ووحدتها وقلقها ، وجعلتها تفكر في أمر خطير ما تجاسرت على إعلانه في يوم من الأيام !!

وكان أن ذهبت لتوها إلى بيت « الحاجة فطومة » ، لتحاول بالدمع أن تستدر حنانها وإشفاقها .. ثم سألتها أن تجود عليها ببعض القديم من ملابس أولادها الصغار !!

وصرخت « الحاجة » بها بوجه وقد تملكتها الدهشة لهذه الجرأة ! وعز عليها أن تكون نتيجة إحسانها المتوالي أن تطمع تلك الخبيثة في ملابس أبنائها !!

أما زوجها محمد المدني الذي كان قد فرغ لتوه من محاضرة طويلة ألقاها على بعض ضيوفه في فضائل الكرم .. وحب الله للكرماء ، الذي يجد السائل والمحروم في أموالهم ما يرفه عنه — فقد غضب واعتبر الفتاة مجرمة ، لأنها تطاولت بنظرها إلى ملابس أولاده !! وخشي أن تصيبهم عينها الحاسدة بالشر !! وبلغ به غضبه مداه ، فأقسم « بالطلاق » من زوجته « الحاجة » إن لم تطرد سعدية من جنته الزاهرة .

وقام الرجل الغاضب ساحباً جسد الطفلة التعسة من أمامه مذعورة ، ثم يحكم رتاج الباب خلفها وهو يردد في دهشة وعجب .

— صحيح اتق شر من أحسنت إليه !!

ثم سار إلى حيث كانت زوجته في « المطبخ » وساعدها في إعداد « صينية السمك » لأن معدته خاوية !!

التائهة !

وظلت سعدية تجري .. وقد خيل إليها من فرط هلعها أن لعنة قاسية كانت تطاردها ولن تمسكها بالحياة التي تعيها يوجب عليها أن تهرب من ذلك الكل !! فخرجت من باب البيت تجري ، لا تلوي على شيء .. ظلت تجري تاركة « العمارة » وراءها حتى وصلت إلى « الشارع » فجلست في ركن من أركانه تحاول ألا تراها عين ..

وعندما خيم الليل واستمر سواده أحست الصبية بوحدتها ، ومشت في جسدها رعشة رهيبة ، وتملك الخوف مشاعرها وكادت تصرخ أو تستغيث !! ولكنها عادت فخشيت أن يتسبب صوتها رؤية أحد أو غضبه ، فظلت في ظلف قابعة حيث هي وقد غلبها الخوف وهدها الجوع القاسي !! فنامت .. ولكنها لم تلبث أن استيقظت تعوي كالكلب الأجرب ، إذ أصابتها "ركلة" من قدم رجل من رجال الشرطة !!

أسرعت المسكينة هاربة وجلة ، فكادت تطويها عجلات سيارة مجنون، أفرط صاحبها في الشراب !! ولكنها حادت عنها في خفة وأسرعت إلى منعطف ضيق تحتمي فيه من لعنات السائق السكير ، وصرخات رجل الشرطة الغاضب .

وعندما سمعت سعدية خطوات رجل الشرطة وهي تبتعد، وصوت السيارة وقد استأنفت السير، خرجت من مكمنها .. ولم تجد إلا أن تجري مرة أخرى إلى « العمارة » التي هربت منها في صباح ذلك اليوم ! ثم اتخذت مكانها عند حجر ، إلى جانب بيت من البيوت ، وعنده جلست فارغة البطن والعقل ، تغلبها دهشة مليئة لأنها حية ، تعيش كغيرها من الناس !!

وسمعت سعدية أقداماً تقترب منها فنظرت وجلة إلى القادم فإذا بها تسمع صوتاً يناديها ، عرفت فيه صاحبها الصغير « حنفي » ابن « أم شمشم » بائعة الحلوى ! فلم تهتم بمقدمه ، وظلت مكانها تشغلها هواجسها دون أن تقيم للقادم أي وزن ، برغم أنها كانت تعرف فيه الطيبة والعطف عليها في بعض الأحيان !!

وجلس « حنفي » إلى جانب سعدية .. وبدورها أحست برغبة ملحة في أن تشكو إليه همومها .. فشكت من أجلها الشفقة ! وبكت بدورها لبكائه، فاستشعرت بعض الراحة .. واستطاعت أخيراً أن تعرف أن في البكاء تسرية وراحة للقلب الذي أثقلته هموم الحياة ، فظلت تبكي ما شاء لها البكاء !!

وأخذها « حنفي » من يدها لتقضي ليلتها عند باب « المشترك » التي كان يسكنها مع أمه ! كما أنه أفلح في التسلل إلى المسكن دون أن يثير ريبة ،

فرق لها كسرة من رغيف جاف التهمتها فالتهمته شاكرة .. لم تكن عادلة — وهي تلعن في ضميرها ذلك الوسواس الخناس ، الذي جعلها تتطلع الى ما هو ليس لها وتتوق الى لبس الجديد من الثياب !!

ضواء الشغب !!

واستيقظ الناس في صبيحة اليوم التالي على صوت « أم شحتة » وهي تصرخ وتصخب وتلعن ! فأطلوا من نوافذهم ليروها وقد أمسكت « سعدية » وراحت توسعها ضربا وشتما !! والفتاة صامتة محنية الرأس ، وكأنها استسلمت راضية الى قضاء مبرم !! وكأنها ذبيحة .. ووجدت أن الفكاك من يد جزارها أمر عسير !!

وأطل محمد الفندي وزوجته « الحاجة عطرة » فيمن أطلوا من النوافذ .. وكيف الجميع به كان أكثرهم اثارة وفضولا ، فسأل « أم شحتة » عن سر هياجها وغضبها على تلك الصبية « سعدية ».

وسرعان ما راحت بلهجة العطري تثرثر في كلمات غير مفهومة .

« اللي فيهلى ما يخليهشى يا سي محمد الفندى، وادي البطن بنت مين.. انقصر تقول لي مين امرس »

ـ وعملت ايه !!

وتركت المرأة القاسية يد الطفلة التي كانت تتكسر بين يديها النحيلة ، والتفتت الى محمد الفندي وزوجته وقالت :

ـ « عملت ايه !! قال عملت ايه قال !! تتلف أمل الولد الواحد اللي خايفني من الدنيا ... ناصر احلامه »

وتقدم محمد الفندي في النافذة بعض الشيء وأطل بحوالي منتصف جسده الكثير ، وقال في حنق وغيظ :

ـ « أنا عارف مين دي اليلوى دي عليها !! لكن أحتق على عليها .. المتق على طيبتنا احنا !! لو كنا طردناها من الأول زي القطة ، كانت بعدت عنا .. لكن يا خسارة !! حبينا نلمها ونعمل فيها طيب !! أنا صحيح ما كلهش قال « يا مربي في غير ولدك !! يا باني في غير ملكك » اخرجوها برة الحارة !! وإذا مكنتها تاني تقطع رجليها ! اطرديها يا أم شحتة ! واحرمي الولد ابنك .. وصدق اللي قال : ربي ابنك وأحسن أدبه .. ما يموت الا ان فرغ أجله »

ووجدت الصغيرة التعسة أن موجة من السخط قد ثارت عليها .. وأن الشتائم واللعنات قد لاحقتها من النوافذ ؛ فسيرت هاربة وهي تعجب لأمر هؤلاء الذين يأبون عليها حتى أن تعيش عالة بينهم وهم في بيوتهم سعداء ، وجائعة والتخمة تكاد تقتلهم .

الوحش .. والفريسة !!

ومع الأيام استطاعت أن ترتاح الى حياتها الجديدة التي اسلمت اليها .. والتي أصبحت بمقتضاها « متشردة » في شارع كبير ، وليست خادمة دون أجر في حارة متواضعة !!

وعرفت سعدية طريقها في الحياة فولجته في سرعة وفي ذكاء كانت تتميز به ! واستطاعت كلما جن الليل أن تعود الى الوكر الذي اعتادت قضاء ليلتها فيه مع جمهرة من ابناء الشارع وبناته ، اخوانها وشقيقاتها في البؤس — ومعها حصيلة قروش ، كانت تعطي الرجل الهرم الذي يضمهم جميعا حوالة منها ، ويخفي الباقي عن العيون متطلع الحرص والرغبة في الحياة !!

واستطاعت الفتاة الحريصة بمضي الزمن أن تدخر مبلغا من المال ، جعلها تذهب الى الرجل وتطلب منه في اصرار واستعداد أن يتكرم بنقلها من عداد « الشحاذات » اللاتي يتابعن المارة في الحاح .. وأن يضعها في الفئة الثانية من « البياعات » لأنها ستشتري جلبابا جديدا وتبيع مع زميلاتها أوراق « اليانصيب » .

وبصق الشيخ رماد « سيجارته اللف » ونظر اليها نظرة غريبة .. ولم يلبث أن رد عينيه عنها وهو في دهشة تخيل معها أنه كان يرى سعدية للمرة الأولى في حياته !!

لقد كانت الفتاة تمتاز بما ليس في غيرها من الحشرات البشرية التي يعطف بها بيته ، اذ كانت سبلة القامة ، حلوة القسمات ، مستديرة الوجه بيضاءه ، غزيرة الشعر كستنائيه ... فيها من الأنوثة مخايل تبعث على الإعجاب بها !!

وعاد الرجل ينظر اليها في هدوء وقد أعجبته شعرات تلك البيضاء المترسلة .. ثم لم يلبث أن مال الى الأمام قليلا في جلسته وقال للفتاة الطامعة في رضاه — لترفع مرتبتها من « شحاذة » الى « بائعة يانصيب » :

- أنت ذكية !!

وسرت سعدية لهذا الإطراء ، ودق قلبها في فرحة أحستها بأنها قد نالت ما كانت تتمناه!
وعاد الرجل ليقول لها :

- ولماذا تميزت «الطبقة الثانية» بالذات ؟!

- لأني أستطيع أن أتقن العمل فيها !

وضحك المجرم اللعين ضحكة خشنة قاسية .. قال بعدها :

- إنك طائشة ، لا تستطيعين وضع نفسك في مكانها !! كم عمرك الآن ؟!

- لا أدري !

- إن من يراك بجسدك في العاصمة عشرة ، ولكنك أصغر من هذا .. فعيني أنا أخبر امرأة !

وسكت المجرم السابق كمن كان يفكر في أمر موضى شغله إلى حد بعيد .. ثم ضرب جبهته بيده وقال :

- لم لا تطلبين نقلك إلى الطبقة الأولى ؟!

وتمتمت الفتاة في دهشة .

- الطبقة الأولى .. ؟!

وابتسم المجرم الخطير الذي زاد الإجرام والسرقة والسطو إلى فتح محله « الجامعة الإجرامية » ، لتخريج أبناء الشر وبناته وجعلهم موردا صالحا لرزقه !! ثم قال للفتاة :

- ما الذي أدهشك ؟!

- لا شيء ! ولكن ..

وفي قسوة صرخ فيها :

- لكن !

- أنا لم أفكر في هذا !

- ولكني أنا الذي أقرر ما أريد .. ستنتقلين إلى الطبقة الأولى !

- ولكني لا أعرف من أعمالها شيئا !

- الأمر هين .. ستنامين في الحجرات العلوية طوال يومك .. فاذا ما حل الليل خرجت مع زميلاتك لتستتري في الطرقات المظلمة !! ثم .. على الرجال الجياع تتمة الأمر !!

ودق قلب سعدية وسالت وجهها صفرة وجلة ، وارتمت عليها ، ولم تعرف ما الذي تستطيع أن تقوله لهذا الوحش القاسي القلب ، الذي يريد أن يدفعها إلى هوة الرذيلة !!

وعرف المجرم ما يجول بخاطر الضحية فشرع يقول

- إنه ولا شك كرم مني وخدمة عظيمة أسديها لك ! ستجدين الراحة في حياتك الجديدة ، وستلبسين فاخر الثياب وتتحلين بأغلى الحلي ، وسيكون لك كل ما ترجين ، على أن تعطيني كل ليلة ربع دخلك !! هيا .. إنه خجل عارض سيزول حالا !! نفس الشعور الذي ينتاب كل من ينقلها الحظ بالانتقال إلى الطبقة الأولى !!

وسجل المجرم ضحكة متحشرجة تدل على الرضا أحدى ناماته ممن يعملن في الطبقة الأولى لتأخذ الضيفة الجديدة !! ولم ينس أن يقول لها كلمة ذات معنى وخبث ، حاول أن يغطيها بابتسامة مصطنعة

- ولا تنسي يا سعدية أن الطوق دائما الطعام الجديد وانظر صلاحيته !! وانتبا بعد سوف يلائمه من رواج في سوق الرجال !!

يد القدر !!

وأخذ الذئب عشه ليحفل بالصيد الدسم الجديد الذي أسلم له بعد درس الإرهاب الذي ألقاه على مسامعه الضحايا القديمة !!

وهكذا سيقت سعدية إلى المذبح الدنس ، حيث افترسها الوحش القاسي !

ثم .. بعثها متعدا جن الليل مع إحدى الساقطات لتدربها على العمل الجديد !!

وعاشت سعدية في ليلتها تلك - وفي أربع ليال تالية خالية الوفاض ، إذ أبت أن تستسلم ، وعز عليها أن تكون ذبيحة نافقة يتخطفها هواة الرجم من جياع الرجال !!

وكان المجرم يلقاها كل ليلة غاضبا مبتسما .. ولكن حاله هذا تغير في الليلة الخامسة وقد شكت له زميلاتها من شائعها ، فابتسم ابتسامة صفراء ، ومد يده إلى « الشلتة » التي تعلو « الدكة » التي كان يجلس عليها فأخرج منها سوطا ذا ثلاث شعب .. لوح به في الهواء فأحدث صوتا يشي الشر !! ثم قال في سخرية لاذعة :

- أتظنين أننا فتحنا « تكية » للعاصيات من أمثالك !!! إنه السجن والأكل والنوم !! يجب أن تدفعي .. وإلا لقيني جميعا قد عدتك عن هذا السوط !!

ولوح المجرم بسوطه في الهواء مرة ثانية لترتعد

ضحكته الفاجرة وجذب اليه الضحية العاصية وهو يقول في تهديد :

— ومع ذلك فسوعدها ليلة الغد !!

ورجعت سعدية في فجر الليلة التالية تترنح من فرط الارهاق ، فوجدت المجرم ينتظرها في مكانه المعتاد وقد علت الشر على ملامحه القاسية المخيفة ومد اليها يده فدفعت منه واعطته كل ما كان لديها !!

وشهت الرجل ، ولكنه سارع فاخفى دهشته، ثم هز رأسه وقال في صوت رقيق

— لم يخب فراستي فيك .. انك ذكية فعلا !!

ومد يده الى جانبه فاعطاها حشاشها الذى كان يحتفظ لحين حضورها ، ولعن لها « الفة » طيبة وتركها لتدخل حجرتها لتأكل وتنام !!

ودخلت .. ولكنها لم تأكل .. كما انها حاولت عبثا ان تنام ولا فائدة !!

★ ★ ★

وسارت حياة سعدية على هذه الوتيرة المملة .. حتى حدث ان خرجت ذات ليلة ، فاذا بها تلقى رجلا جديدا .. لقد كان جديدا في كل شيء حتى لقد ظنته ابله او ساذجا ، او مصابا بخبل او جنون ، اذ لم يعاملها كما اعتاد الرجال معاملتها ! ولم يلقها في نفس الصورة التي عرفتها في غيره . كان رقيقا مهذبا ، فيه حياء ، بل بيرات صوته ما يشعر سامعه بانه خجول لارتكابه هذه الفاحشة !!

وقضياها ليلة .. من ليالي اصادتها سعدية ولكنها كانت ليلة فريدة في حياتها اذ انها كما كانت تنتهي مثيلاتها من الليالي الفاجرات ، بل ظلت مع الشاب في بيته حتى الصباح .. ثم استيقظت لتسمعه وهو يعرض عليها اغرب ما سمعت في حياتها فانصتت اليه وهي ذاهلة — في حين استمر هو يقول :

— ستجدين هنا كل ما تحتاجين اليه !! وما انت وحيدة كما قلت وليس لديك ما يشغلك ، فلم لا تؤنسين وحشة وحيد مثلك ؟!

ووجدتها سعدية فرصة طيبة تشعر فيها بانها سيدة لاول مرة . ووجدها هيامي فرصة طيبة ايضا ، تنتشيه من التجوال في الطرقات .. وتشعره انه رجل له كيان و .. في بيته « امرأة » تنتظره !!

وبدلت سعدية تحيل بيت الشاب الى جنة صغيرة ارتاح اليها كما ارتاحت هي الى الحياة فيها .

وفجأة تدخل القدر !!

حضرت امه من الريف .. فهالها ما رأت !!

وعبثا حاول الابن ان يبرر لها عمله فلم تنصت اليه وهددته بالقطيعة والويل ان هو استمر في هذا الطريق !

ثم سافرت الام مغضبة لتعد لابنها معدات زواجه من ابنة اخيها في القرية .. ولم يمض اسبوع حتى ارسلت اليه تطلب حضوره « لكتب الكتاب » !!

ووجد صاحبنا ان الحق في جانب امه وان عليه ان يتخلص من صديقة المصادفة !!

وصارحها بكل شيء . فاحنت رأسها ولم تتكلم!

وقامت فجمعت ثيابها وبدأت تغادر البيت .. الذى خيل اليها وهي فيه ، ان النعمة قد تخلت عنها . وان القدر بدأ يباسمها !! فادتها قدماها من حيث لا تشعر فوجدت نفسها تخلو من الشارع الذى بات فيه من الاحياء ذات ليلة .. ليلة طردها محمد الفندي من العمارة التي درجت فيها على البؤس والحرمان !!

وتذكرت السيارة .. التي كاد تدهمها لتعجل بالى على اجلها وليتها فعلت !!

كانت تسير مطرقة ذاهلة لا تسمع ولا ترى وقد استغرقتها الافكار السود بين الماضي والحاضر والمستقبل !!

وفجأة طلعت عليها من الشارع الجانبي سيارة مندفعة كالاعصار .. لم يستطع قائدها ايقافها الا فوجىء بالفتاة امامه ولكنها صماء خرساء !! وسرعان ما انطوت تحت عجلاتها !!

وتساءل من لا يعرفها : هل ماتت قدرا .

وقال آخرون : بل انتحرت .

ولكن الشيء المؤكد هو :

انها عاشت « حشرة » !! وكذلك هي ماتت .

■■

سنية قراءة

أنباء الطب والعلم والاختراع

البحوث الاساسية ام البحوث التطبيقية فى العلم ؟

● ان البحوث الاساسية تربط الانسان بهذا الكون الكبير الغامض الذى يعيش الانسان فيه .

هذا موضوع اليوم ، موضوع النقاش ، لا سيما فى الامم النامية . والرأى الغالب متحمس بسحر العلوم التطبيقية كل التحمس ، ومنهم من يغفل البحوث الاساسية ، التى تسمى احيانا بالبحتة او النظرية ، تلك التى تطلب الكشف عن الحقائق العلمية دون نظر فيما قد يكون منها من مغنم مادى .

ومن هذا النفر الاخير من يغفل هذه البحوث البحتة كل الغفلان . وكثيرا ما يكون هذا الرأى رأى اقوام هم ابعد ما يكونون عن العلم ونحوه ، من بحتة او تطبيقية ، ومن تاريخ العلم وتاريخ الصناعة معا ، وكيف تعاونتا على الاجيال .

نقول هذا بمناسبة صوت ارتفع فى مؤتمر علمى حديث،هو صوت الدكتور الن واترمان Waterman وله عند الطلبة من التقدير ما له ، ارتفع يشيد بالبحث العلمى البحت ، الذى اسماه البحث الاساسى المجرد .

وهو يقول ان من يقرأ التاريخ يعلم ان العلماء الذين سبقوا ، آباء هذا العلم العاصر الحديث ، لم يجذبهم الى بحوثه امل فى الحصول على الحيه منها والدولار . جذبهم اليها حبهم وشغفهم بكشف الخبيء من الحقائق .

ويلجأ الدكتور واترمان الى الاحصاء فيقول ان البحوث العلمية فى الولايات ثلثاها من النوع التطبيقى ، والثلث من النوع البحث الاساسى . ومع هذا فان هذا الثلث به نحو ٨٠ فى المائة من البحث المشروط لا البحث الحر . وهو يعنى بالبحث المشروط الذى يموله قوم شرطوا على الباحث فيه ان يبحث موضوعا بحثا ، ولكنهم عينوه بذاته ، وبذلك قيدوا الباحث فيه . وهو يرى ان نسبة هذا البحث المشروط كبيرة جدا ، ويجب ان تزيد نسبة البحث البحث الحر .

ويلجأ الدكتور واترمان الى التاريخ فيقول ان من يشك فى ان البحث العلمى البحت هو اساس تقدم العلوم التطبيقية عليه ان يرجع الى تاريخ كل كشف عظيم ليجد انه كان من ورائه بحوث من البحوث البحتة عظيمة ، لولاها ما كان للتطبيقى وجود . وسوف يجد كذلك ان الكثرة الكبرى من البحوث البحتة عظيمة ، تحولت آخر الامر الى كشوف تطبيقية باهرة ، بهرت اعين الناس فعموا عما كان وراءها من بحوث اساسية .

القطط تاكل ١٠٠

● خبر ليس بغريب على من زار دول اوروبا فى هذه السنوات القريبة الحاضرة ، وجلس يرى ويسمع الى مشاهد التلفاز كل ليلة ان غذاء القطط المعلب يحتل من الاعلانات المتلفزة نصيبا كبيرا يكاد يعادل ، هو وغذاء الكلاب المعلب أيضا ، اعلانات السجائر .

مصدرها ١٠٠ مليون رطل من السمك ، تدخل المصانع لتصنع ، وتعلب ، لتكون طعاما للقطط ، تشتريها الوف مؤلفة من الاسر لتغذية قطط تؤويها فى منازلها ، وتأنس بها .

بدأت قصة هذا السمك المعلب بأن السماكين فى خليج المكسيك كانوا يفرحون

● وهو يصيب النساء في الثديين .

وأمر السرطان ليس كبير الخطر اذا اتضح أمره للأطباء عاجلا . ولكن ، هل هو يتضح عاجلا ؟

انه يتضح عند الطبيب بظهور ورم في الثدي تحت أصابعه عند الجس . ولكن لا بد من نوع الورم حجما كافيا تحت الأصابع . ومعنى هذا أن يكون المرض قد تقدم فوق ما يجب .

واليوم ابتدع الدكتور جون ولف John Wolfe بمستشفى النساء ، بمدينة « ديترويت Detroit » طريقة يكتشف بها سرطان الثدي قبل استفحاله ، أي قبل بلوغ ذلك الحجم الذي تحت يد الجراح . وهي طريقة وسيلتها الأشعة السينية . انها تكشف الداء والورم صغير يتراوح بين ٨ و ١٠ مليمترات .

وقد أجري كشف بهذه الأشعة على ٤٠٠٠ امرأة فوق الخامسة والأربعين من العمر ، فدل الكشف على وجود سرطان بالداء ١٦ منهن . ثم امتحنت عينة من أنسجة هؤلاء ، فتأكد عندئذ وجود السرطان بالثديين .



مليون رطل من السمك

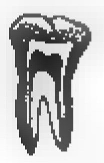
من البحر في شباكهم ، كل عام ، مقادير من السمك هائلة ، منها ما تقبله الأسواق وتقبل عليه ، ومنها ما تزدريه . وهذا الذي تزدريه كان يبلغ ٥٠٠ مليون سمكة ، من شتى الأصناف ، الكثير منه الصغير ، ومنه القشريات من أحياء البحار . فكان السماكون يردون كل هذا الى البحر . ثم بدا للبعض أن يصنعه غذاء للقطط .

ويقول بعض علماء بحوث السمك ان بهذا السمك ، من الفضائل ، ما يجعله خيرا مما يأكل أصحاب البيوت ، أصحاب القطط ، وبه من الزيت ما يفضل السمن والدهون الحيوانية الأخرى ، تلك الدهون الجامدة التي اشتهرت بأنها تسبب أمراض القلب وتصلب الشرايين .

وينظر هؤلاء العلماء الى القحط الموجود في العالم ، قحط اللحم ، قحط مادة البروتين ، مادة الغذاء التي تبني الجسم ، ويشيرون الى احتمال أن تسد هذه المائة مليون من الأرطال ، وأمثالها مما يستخرج من البحر ، ذلك النقص الحاصل في غذاء الكثير من أجناس البشر .

والقطط المدللة ؟

تعود الى مثل حظ القطط جميعا في سائر الأرض . أو يطلق عليها تنظيم النسل الذي نحار عند تطبيقه في بني الناس .



تنخر الاسنان ، مرض عصبي

● وإن شئت فسمه عصبيا .

وهو موضوع من المواضيع التي طرحت حديثا في المؤتمرات العلمية .

وقد قيل عنه انه مرض كالطاعون انتشارا في الدنيا . انه لا يقتل ، ولكنه بسبب اختلال الصحة واختلالها سبيل الموت . ثم تكلفة هذا الداء عظيمة .

وهو مرض معقد ، كتعقد مرض السرطان ، لا يعرفون له سببا واحدا يستطيع العلماء ان يضعوا عليه اصبعهم فيقولوا نعم هو هذا . والعلماء عجزوا كذلك من ايجاد علاج واحد حاسم لهذا الداء ، أو حتى لمنعه فلا يجيء .

ومن الكشوف العلمية الحديثة اكتشاف ان المدن التي بها في الطبيعة مقادير من الأملاح المعروفة بالفلوريدات Flour des وهي أشباه أملاح الكلوريدات ، يشربها أهل تلك الجهات فيمنع الله أن تسوء أسنانهم

وأجرى العلماء البحوث المتعددة في الأرض ، وكلما زادوها أيقنوا أن البقاع التي تشرب أطفالها الماء الذي به الفلوريد من الصغر يمنع الله أن تعطب أسنانهم عندما يكبرون .

وأصبحت الفلوريدات ، اما أن تكون في الماء طبعا ، أو تضاف اليه عند مصادره في المدن ، هي الطريقة الوحيدة عند الدول لوقاية أناس من سوء الأسنان . حتى بعد عم استخدام الفلوريدات في كثير من مياه المدن الكبيرة . وقد قامت ضد استخدام الفلوريدات موجة عدائية في بعض المدن ، قام بها قوم متطرفون ، انتهت الى التصويت العام الذي انتهى بمنع استخدام الفلوريدات في مياه تلك المدن . ولكن كل هذا لم يؤثر في المدن الأخرى شيئا . وفي الناس المستنير ، وفي الناس غير المستنير .

ويعد العلماء أن نخر الأسنان داء من أدواء المدنية .

أما أسبابه فعندهم أن إصابته الكثيرة على الأقل في الحيوانات .

وفصلوا صنوفا من البكتير أثبتوا أنها تسبب نخر الأسنان في حيوان ، كالفار ، ولكنها لا تسببه في حيوان آخر كالخنزير الهندي . أي أن بكتيرا يصيب هذا الحيوان لا يصيب ذلك .

ولم يستطع عالم أن يعدي أسنان انسان ببكتير أتى به من حيوان .

غزا الانسان الهواء ، صاعدا ،

● وقد قتل الانسان ، وهو يحاول المزيد .

ومن هذا المزيد ما أعلنته المؤسسة العالمية المعروفة « وستنجهوس » عن انشاء قسم فيها يتخصص لغزو البحار ، ولكل ما يحتاج اليه من آلة ومن رجال ، أولئك الذين يغوصون في المحيطات يخبرونها .. يبحثون ملحها ، وحرارتها ، ووهادها ونجادها ، وقيعانها ، وما في هذه القيعان من ثروة معدنية ، وما في أجرام مائها المتباعدة من ثروة حيوانية .

والمؤسسة قامت بأول خدماتها للبحاث في فبراير عام ١٩٦٤ ، في بعثة هدفها مسح الشواطئ الجنوبية من ولاية كاليفورنيا . والمستخدم في هذا المجهود وعاء يغطس فيه الرجال ، لا يصل اليه

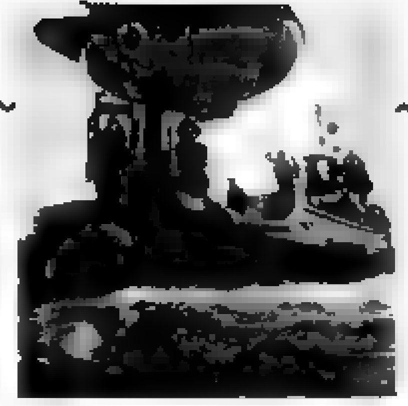
فلم لا يغزو الماء ، هابطا ؟

الماء . ويه زاد من ماء للشرب طعما ومن هواء . ويعرف بالطبق الغاطس Diving Saucer وهذا الطبق الذى فى الصورة من صنع فرنسا .

وسيلى هذا الطبق طبق يصل الى اعماق فى البحار أكبر ، ويسمى بالنجم الغاطس Deepstar ويتم صنعه فى مرسيليا فى منتصف عام ١٩٦٥ ، وهو يهبط فى ماء المحيط الى ٤٠٠٠ قدم . وسوف يتسع لرجال ثلاثة . وسيكون له أيد تلبسها أيدى الرجال تنال بها ما فى الماء من اشياء . الى اضواء تنير لاعينهم هذه الاعماق الظلماء . وكذلك ماكن للصدى .

وقد تم تصميم نجم غاطس آخر يهبط فى الماء الى ١٢٠٠٠ قدم . وآخر يهبط الى ٢٠٠٠٠ قدم .

ومع هذه الاطباق الغاطسة تصطحب سفن تبقى عند سطح الماء ، تهبط بهذه الاطباق فى المحيطات وترتفع بها .



هذه صورة الطبق الغاطس ، والسفينة ترفعه من عمق البحر الذى كان به ، وذلك فى المشروع القائم اليوم فى دراسة اعماق البحر عند ساحل ولاية كاليفورنيا الجنوبية . لاحظ الرواقد المديرة الى بالطبق .

تسليك الشرايين وتنظيفها

● نعم . انها تسلك كما تسلك انابيب المياه اذا سدتها الرواسب . والرواسب فى الشرايين تكون من مواد دهنية . ترسب على جدران الشريان ثم ترسب ، حتى تضيق مجرى الدم فيه ، او تسده . فان كان الشريان فى القلب ، فذلك الموت ، وان كان بالرجل مثلا ، فقد ينتهى الامر بغنغرينة فى الرجل تقتضى بتر الساق .

قام بهذه التجارب الدكتور دوتر Dotter بجامعة اوريجون Oregon . واجراها بنجاح على اربعة من الاشياخ .

وطريقة تتلخص فى حقن المريض بمادة تظهر معتمة فى صور الاشعة السينية ، ومنها يستدل على الموضع من الشريان الذى توقف جريان الدم فيه بالانسداد . وعندئذ يدخل الدكتور الى هذا الشريان سلكا تجرية فيه ، يخرق ادهن الراسب . ثم هو يلبس هذا السلك انبوبة رفيعة جدا من مادة مطاطة ، من اللدائن ، ويدخلها الى موضع الانسداد ، ودليلها السلك . وبها يتسع اخرى . وقد يحتاج الامر بعد ذلك الى ادخال انبوبة اسمك لتزيد الشريان بطانة ، وترده الى حجمه الطبيعى الاول .

واحتمالات هذه الطريقة فيما يختص بتصلب الشرايين بالذى يرسب على جدرانها واحتمالاتها فى امراض القلب ظاهرة .

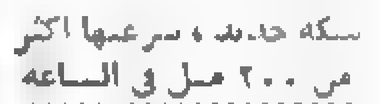
لماذا أكل الوحشيون لحوم البشر

● بحث في أكل لحوم البشر ، تقدمه الباحثة ما لي

انه في المجتمعات الاسيوية البدائية يعتقد الناس انه ، بأكل اجزاء من اجسام الغير ، من الحيوانات او الناس ، يكتسبون ما ترمز اليه هذه الاجزاء من خلال ، فأكل قلب الاسد يكسب الشجاعة ، وباستمراء لحم الغزال يكتسب الانسان السرعة ، وبأكل لحم رجل محبوب او مكروه ، يكتسب الآكل قوة عدوه او شجاعته .

وان عادة أكل لحوم البشر عادة ونبي الامم قديمة ، دفعت اليه اسباب كثيرة عجيبة غريبة ، منها حدوث مجاعة ، فاكل فيها القوي الضعيف ، ومنها التخلص من اسرى الحروب ، وحتى لحم الاقرباء كان اكله يعد طريقة محترمة جديرة بالميت الغريب ، بدلا من دفنه في الارض .

وان من آكلي اللحم من اكل لحم البشر ، بعد قتل صاحبه ، اعتقادا منه ان هذا الاكل ، ولو قطعة صغيرة منه ، يخلصه من شبح المقتول اذا هو صحا ودار في الارض يطلب الثأر .. وقد يأكل الرجل من لحم المقتول من اهله هو ليكون الشجيع في طلب الثأر .



سكة حديد ، سرعتها اكثر من ٢٠٠ ميل في الساعة

● هذا ما صرح به رئيس الولايات المتحدة في خطاب للشعب . انه مشروع جديد سوف يخصص له في الميزانية نحو ٢ مليون دولار للبحث والتجربة فقط .

والقصد منه زيادة سرعة النقل بين بلد في الولايات وبلد . ان عصر السرعة في السماء لا بد أن يسايره او يصاحبه عصر سرعة على الارض .

وسرعة القطارات العادية سرعة لا تفي وحاجة الزمان .

والمشروع انبوبة تبنى على السكك الحديدية الحاضرة ، تجري فيها القطارات تدفعها المحركات التي بالقاطرات ، تماما كما تصنع في الطائرات .

والسرعة المطلوبة ؟

تتجاوز ٢٠٠ ميل في الساعة .

وقد خصصت هيئة سكة حديد سلطانا مرحلة على سككها تبلغ ٢٥ ميلا لعمل التجارب المطلوبة ، وهي تقع بين مدينتي ترنتن Trenton ونيوبرنزوك New Brunswick

■■



اى لبن اختار لارضاع طفلى ؟

ــ ليس فى ثديى اللبن الكافى لطفلى ، وينصحوننى ان الجأ الى الارضاع بالزجاجة . فأى الالبان اختار ، وهل تغنى عن لبن الام ؟

● اذا لم تستطع الام ان تعطى طفلها اللبن الكافى ، فلا عليها من ان تعطيه من لبن البقر ، الحليب ، أو المسحوق المجفف . ان الاطفال تنمو على هذه الالبان نموا طيبا . والملايين ينمو عليها يوم فى كل ركن من اركان الارض .

ولكن بشروط منها النظافة اشد النظافة فى غسل الزجاجات وتعقيمها ، والحلمات معهما . وفى الاسواق كيماويات معقمة اخرى ، تترك فيها الام عدة زجاجات بعد غسلها ، تأخذ منها الزجاجة بعد الزجاجة عند الحاجة . وهذا يوفر عليها مجهودا كبيرا .

ومن الشروط الواجبة ان تعطى طفلك اللبن الكافى ، ولا تخشى ان يأخذ فوق حاجته . فالطفل فى هذه الامور اعقل من البالغين . وخرق الحلمة يجب ان تكون لامرار الكافى من اللبن عند مص الطفل اياه . .

اشياء صغيرة ، ولكنها تسبب للامهات متاعب كثيرة .

اما نوع اللبن فالاختيار واسع المجال . فلبن البقر الحليب ، بعد اضافة السكر اليه ، وتخفيفه بالماء ، نافع . والمركز المعلب نافع . وانواع الالبان جميعا فى كثير من البلاد اللبن المجفف ، البودرة ، على شرط ان يشترى من مصنع له اسم معروف . والمصانع التي تصنع اللبن فى العالم كثيرة . وكثيرا ما تكون لها ارخص من اللبن الحليب . انه اللبن الحليب لا ينقصه الا الماء .

وانت واجدة على علبة اللبن ، من كل شركة محترمة ، تخفيف اللبن . وهذا مثل منها .

عندما طفل ، تغضب ، فتصفعه

ــ لى طفل عنيد ، كثيرا ما احسبه يريد معاندتى ، فاغضب واصفعه على وجهه . ولكن قيل ان الصفع على الوجه يضر بالسمع ، فهل هذا صحيح ؟

● ولا يا سيدتي لم تصفعي ؟ ولم الغضب ؟ والغضب من الطفل ؟ يخيل الى ان اغضابك الطفل يعجزه الى معاكستك .

اما من حيث عملية الصفع واثرها فى السمع ، فالحق أن الامر يتوقف على مقدار الصفعة وقوتها . فالصفع الهين بالطبع لا يؤثر .

ولكن لم الوجه ؟

اليس الضرب على مقعد الطفل اسلم ؟ على ان يكون باليد لا بالعصا .

الدهن ٥ر٢٦ ٪
سكر اللبن ٨ر٣٧ ٪
البروتين ٦ر٢٧ ٪
الاملاح المعدنية ٦ر٥ ٪
الرطوبة ٥ر٢ ٪

١٠

والعلبة تحدثك عن محتوياتها ، وكم من العلب تعادل ، فتعلمني ان كل ١٣٠ جراما من المسحوق كاف في كل لتر من اللبن قبل تخفيفه .

وهذه هي النسبة العالمية التي تنص الحليب الطبيعية . وهي تدلك على كم تضيفين الى هذا المسحوق من الماء لتحصلي على لبن حليب .

وكثيرا ما تجدين على العلب كيف تصنعين بعض العلب لرضاع الطفل .

وعلى العلبة كذلك يجب أن يوضع تاريخ تصنيعها ، والتاريخ الذي بعده لا تستعمل . وهذه نقطة لا تنتبه لها الأمهات والأمهات . وهذا التاريخ لا يريده بعض التجار .

ذهبت في هذه الايام الاخيرة الى صيدلي ، اشتري منه ادوية بسيطة ، فأعطاني ادوية . قلت هذه قديمة فات أوانها . قال ما هي بقديمة . قلت امرا . فقرأ عليها تاريخها الذي مضى ، قلت متى ياتيك بضاعة جديدة ؟ قال بعد أن أبيع هذه الخاسرة !!

الدوالي

– شعرت في رجلي أوجاع ، وتغير لونها حيث تجرى العروق فيها . وزيد الوجع في المساء واحيانا يصيبني ورم عند ناحية الكعب . ويقول لي الطبيب ان اسم هذا المرض الدوالي ، فما اسبابه ؟ وما علاجه ؟

● اما العروق التي تذكرينها فاحسب انك تقصدين أوردة الرجل السطحية . والمرض الذي تذكرين ، اي الدوالي Varicose Veins ، سببه فيها اتساع الاوردة اكثر مما يسمح به مقدار الدم الذي يجري فيها ، ويكون من ذلك طبعا شيء من ركود حركة الدم في هذه الاوردة وامتلائها به وتجلطه فيها .

اما سبب المرض فمرجعه غالبا الى الوراثة ، ولكن يظهره عند اناس نمط الحياة . مثال ذلك ، وقوف العمال والعاملات طول النهار في اعمالهم يؤدي الى تثاقل الدم في الاوردة ، لا سيما وقد امتنعت الحركة التي تشيع الدم في أوعيته وتحركه .

وتتسع الاوردة فتصبح الصمامات التي بها ضعيفة الأثر . انها الصمامات التي تأذن للدم ان يرتفع في الوريد الى اعلى ، ناحية القلب ، ولكن لا تأذن له بان يعود .

وللدم وزن ، فعمود الدم الذي بالوريد يثقل ، فيزيد اتساعا .

اما العلاج فمنه الناجح الملطف ، وفيه الحاسم للاحوال الشديدة ، لا سيما اذا برزت الاوردة في سطح الرجل ، وتقرحت ، عندئذ تصبح انفجاع ويزيد مساء في فقدان دم كثير يكون بعده خطرا على الحياة .

اما العلاج الملطف المبكر فله صفة

الاحذية ، نعولها

– هل هناك اضرار من لبس الاحذية التي نعلها من كاوتشوك ؟ انهم يقولون انها تمنع الرجل من ان تتنفس وغير ذلك ؟

● اذا قارنت بين الجلد والمطاط ، فيما يختص بالاحذية ، وجدت ان الجلد يمتص العرق ، والمطاط لا يمتصه ، وان الجلد موصل جيد

من مطاط ..؟

للحرارة، ويوصلها الى الارض ، افضل من توصيل المطاط لها. وعلى هذا فالنعل المطاط يحتفظ بالعرق اكثر، والقدم فيه اسخن . وبالطبع تراكم العرق يحدث الرائحة التي تلتقطها الانوف الحساسة .

كل هذا يقال في الاحذية اذا كان نعلها من مطاط . اما ان يكون نعلها من جلد تحته طبقة من المطاط ، فشيء آخر .

اما ان الرجل تتنفس ، فلم اسمع قط بأن رجلا تتنفس ابدا . ان معنى ذلك ان جلد الرجل يتنفس ، ولا يوجد حيوان اعلى مرتقى سلم الحيوانات من الضفدع يمكنه ان يتنفس من جلده . وحتى الضفدع يعتمد اكثر اعتماد على التنفس من رئته .

الوقوف في العمل في النهار ، وانتهاز كل فرصة للجلوس، ولا سيما في آخر النهار، ورفع الارجل وتمديدها على كرسي ليساعد الدورة في اتجاهها . وحتما لبس جوارب مطاطة ، او ربط الرجل بضمامات مطاطة . وكل ذلك يخلع في الليل عند النوم .

اما العلاج الحاسم فيكون في الجراحة بكشف الجراح عن الوريد المتمدد المفرط في تمدده وربطه من اعلى ، وربطه من اسفل، ثم نحرجه من الجسم . وتندمل الجراحة سريعة ، ويتم الشفاء في اغلب الحالات .

والدوالي تكون في الاست ، وبنفس السبب وتعرف بالبواسير .

وعلاجها الحاسم الاخير يكون بالجراحة . ولكن هذا موضوع آخر .

في مدينة الدواء

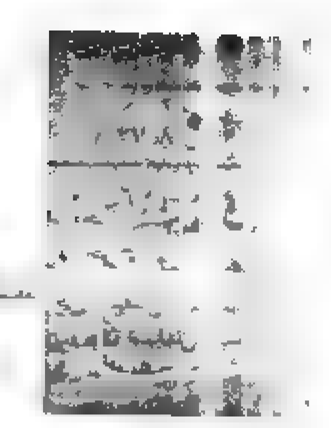
● اذكر انه في احتفالات السد العالي ، وزيارة المنشآت في الجمهورية العربية المتحدة ، ذكرت الانباء ان الزوار ابتهجوا كثيرا لنجاح الكيماويين العرب بمدينة الدواء قرب القاهرة في تركيب المركب الذي اسمته الصحف الكلورمفنيكول . فما هو هذا العقار العجيب ، وما اهميته ؟

ـ اولا يجب تصحيح الاسم ، فالاسم الصحيح هو كلور ـ آم ـ فيني ـ كول ، او كلورامفينيكول Chloramphenical وهو اسم صنعه العلماء من مقاطع اخذوها على عادتهم من اسم المركب الكيماوي الصحيح . وذلك ان الاسم الكامل اسم طويل جدا لا يسلس في اللسان ولا يطيب في الاسماع .

وهو عبارة عن مادة بلورية بيضاء ، تصنع اما بالخلق الكيماوي من مركبات كيماوية اخرى ابسط منها تركيبا ، او من تزريع نوع من العطر كما يزرع العقار المعروف البنسلين .

والحق ان هذا المركب من زملاء البنسلين . واسمه الآخر الاشهر هو الكلورمسيتين Chloromycetin ، ذلك الذي اشتهر بعلاج الحميات التي مصدرها الميكروبات التي تظهر في الامعاء فتسبب امراضا كالتيفوئيد والباراتيفوئيد . وكان استنباطه فتحا في العلم عظيما منذ اكثر من عقد من الزمان .

الشاب الذى كاد



بقلم : حسن الجداوى

■ كان حى هالون فى لندن ، فى منتصف القرن الماضى ، مقرا للجالية الإيطالية بها . وكانت تلك الجالية فى تلك الأيام مجموعة من موسيقيى الشوارع وباعة المثلجات « البوظة فى لغة الشام » والجوالين ومدربى القرود وما أشبه ذلك من وسائل الشحاذة . وكنت تراهم يجوبون الشوارع فى ملابس مهلهلة وقذرة أحيانا ، يوزعون ابتساماتهم على الناس استجلابا لعطفهم .

فإذا أمسى الليل اختفت الابتسامات عن شفاههم وخلعوا الملابس المهلهلة وعادوا إلى طبيعتهم الأولى ، يمتلك كل واحد منهم حزاما ، في وسطه سكين ، لا يتردد فى استعمالها إذا دخل فى عراك أو نافسه شخص على فتاة ، عندئذ ينقلب الحى الهادئ ميدانا إلى شارع من شوارع نابولى .

وكانت توجد بهذا الحى حانتان « الهلب الذهبى » و « بورديا » . يرتادهما الإيطاليون كل ليلة للشراب والرقص ويصرفون ما جمعوه من دراهم . وكثيرا ما كانت اجتماعاتهم تبدأ فى إحدى الحانتين وتنتهى فى الحانة الأخرى .

وكان عدد من الفتيات الإنجليزيات يرتدن على الحانتين للرقص مع الشبان الإيطاليين الذين يتقنون فنون الرقص والغزل على عكس الشبان الإنجليز الذين تثقل بهم الرزانة عادة .

وكذلك كان من ضمن رواد الحانتين فريق من الإنجليز ولكنهم لم يكونوا يختلطون بالإيطاليين ، اتقاء لشرهم وسرعة انفعالهم وميلهم للمشاجرة ، خصوصا وأن الإنجليز — إذا تشاجروا — يستعملون قبضات أيديهم فى شبه مباراة منتظمة .

لذلك حدث نوع من التخصص ، فاختص الإيطاليون بحانة « بورديا » ، واشتركوا مع الإنجليز فى حانة « الهلب الذهبى » ولكن منفصلين فاختص الإنجليز بقاعة واختص الإيطاليون بالقاعة الأخرى .

وكان صاحب الحانة وزوجته مرتاحين مطمئنين إلى نجاح الفكرة . الإيطاليون يصخبون فى قاعتهم ويتعاركون بين أنفسهم ، بينما يستمر الإنجليز فى رقصهم الهادئ وحديثهم الخافت فى القاعة الأخرى .

وحدث فى مناسبات قليلة أن اختلف الفريقان ووقعت بينهما مشاجرات أمكن التغلب عليها بسهولة ، ولكن المشاجرة التى قامت فى يوم ٢٦ ديسمبر ١٨٦٤ انتهت بطعن ثلاثة رجال بالسكين مات أحدهم فيما بعد .

★ ★ ★

كان من ضمن الإيطاليين الذين يرتادون على الحانتين إيطالى فى الثالثة والثلاثين من عمره صانع اطارات ماهر ونجارة دقيقة . وكان — على عكس أبناء وطنه — هادئ الطبع محترما للقوانين ، لا يميل إلى المشاغبة ، وهو دائما يصون السلام بين المتعاركين يفض خلافاتهم بالحسنى ويشيع المحبة بينهم ، حتى عرف عنه أنه أينما وجد لا تقوم مشاجرات ، وإذا قامت فضها بالحسنى .

وكان اسم صاحبنا « سيرافينو بيللتزيونى » ، ولكن مظهره لم يكن يدل على مخبره . كان فى شكله شراسة وفوق شفتيه شارب كث أسود لعله تعمد « تربيته » اتقاء للخوف من المعارك وإظهارا لنفسه فى مظهر الرجل القوى حتى يتجنب الناس الدخول معه فى مشاجرات .

★ ★ ★

وفى ليلة المعركة — موضوع قصتنا — قصد سيرافينو حانة « الهلب الذهبى » فى نحو الساعة الخامسة ورقص فى القاعة الإيطالية رقصتين ثم قصد حانة « بورديا » ... وفى نحو الساعة السابعة أقبل إلى تلك الحانة إيطالى يلهث وأعلن أن معركة تدور بحانة « الهلب الذهبى » . فأسرع إليها سيرافينو ليحاول تهدئة الحالة . وحين

يودى بصاحبه



وصل الى الصالة استقبلته زوجة صاحبها وصاحب
به « . [illegible] يا سيرافينو لا [illegible] تعرفون » .
وقال لها سيرافينو « [illegible] »
[illegible] الانجليز في [illegible]
من الايطاليين » .

واتجه سيرافينو لتوه الى قاعة الانجليز
الا كان يعلم انه اذا قامت مشاجرة في حسانة
« القلب الذهبي » فانها حتما تقوم بين الايطاليين
والانجليز وان الايطاليين المعارك العنيفة هم
البادئون . وما كاد يطرق الباب حتى احس بضربة
على ام رأسه افقدته الوعي واوقعته ، فمد يده
يتحسس رأسه فاذا بالدم يسيل منها بغزارة .

وبينما هو ملقى على الباب ، نصفه في الداخل
ونصفه في الخارج ، جذبه شخص الى الداخل
فوجد نفسه فوق شخص آخر لم يعرف من هو ولا
اهتم بان يعرف ، فقد كان في تلك اللحظة لا يلوى
على النهوض ، فضلا عن انه وجد نفسه عاجزا
من محاولة الوقوف لان يدا تضغط على رأسه .

★ ★ ★

واقبل احد رجال البوليس وسمع سيرافينو
امرأة تصيح : « هذا الرجل ضربني بقبضة يده
على فمي وطرحني ارضا » . واخذت سيرافينو
الدهشة حين تبين انها تقصده هو بهذا الاتهام.
وساقوه الى نقطة البوليس والشهود وعثروا

في جيبه على مطواة صغيرة هي السلاح الوحيد الذي حمله في حياته . لم يدرك تماما ما قاله له رجل البوليس لأن المامه باللغة الانجليزية كان محدودا ولأن رأسه كانت تؤلمه ألما شديدا ومسحه متأثرا من قوة الضربة التي أصابته ، ولكنه استطاع أن يتبين أن البوليس لا يوجه له تهمة لكم سيدة بل يتهمه بأنه طعن شخصا آخر اسمه ميشيل هارنجتون .

★ ★ ★

ولنرجع قليلا الى الوراء . فقد حدثت أمور خطيرة في الفترة ما بين ترك سيرافيمو لحانة « الهلب الذهبي » وعودته بعد ظهر محصول مشاجرة .

كان الانجليز يحتفلون بعيد الميلاد في الحانة ، ووقف بائع خضار اسمه سيسيل هارنجتون يغني ويرددون معه أغنيته . وبينما هم في مرحهم وصلتهم أنباء أن مشاجرة قامت بين الايطاليين أحدهم قال لصاحب الحانة انه يستطيع - وحده - أن يهزم ستة انجليز من أمثال صاحب الحانة لسمع لكمه بقبضة يده على فمه . وقيل ان الايطاليين يدبرون هجوما على الانجليز .

وتصور الانجليز - وقد لعبت الخمر برؤوسهم هم الآخرون - أنهم في خطر عظيم . فالايطاليون يحملون دائما السكاكين ، وقبضة اليد لا تصلح في مقاومة السكين . لذلك طلبوا من غلام صغير يعمل في الحانة اسمه ريبيك أن يبحث لهم عن أسلحة . فاتجه الى حوش خلف الحانة وعاد لهم بضعة أيدي مقشات وعصا مكنسة وعدد من « الجبادر » ، تلك الاسطوانات الخشبية التي تستعمل في كي الملابس أحيانا وفي عمل الفطائر .

وقيل لاحدى الانجليزيات - مسز كنج - انها تستطيع مغادرة القاعة قبل بدء المشاجرة ، ولكنها ما كادت تفتح الباب حتى كان الايطاليون قد اقبلوا ، فلكمها أحدهم في وجهها وطرحها أرضا . وهجم الآخرون على القاعة ، فقابلهم الانجليز بأيدي المقشات والجبادر . وقامت معركة اختلط فيها الحابل بالنابل تحقق فيها ما خشاه الانجليز من استعمال الايطاليين للسكاكين ، فقد قطعت أصابع أحدهم ، وطعن ريبيك الصغير في جنبه وأصيب بجرح خطير ، كما طعن هارنجتون طعنة قاتلة .

وبعد انسحاب الايطاليين مدحورين - هكذا قرر الانجليز أن يصفوا - تبين أن ايطاليا واحدا هو الذي وجد بالقاعة وأن سبب بقائه هو أن المسز كنج - تلك السيدة التي ضربت على فمها - كان ممسكا به .

وحينما قبضوا عليه معتقدين انه هو الذي طعن الضاربين . فهو ايطالي له وجه مرعب ، وبعد أنه ملوسان بالدماء ، وله شارب يدل على القسوة ، وقد وجدت في جيبه مطواة . وكان مطرحا فوق ميشيل هارنجتون فهو ولا شك الذي طعنه في بطنه طعنة قاتلة .

وسألوه عن اسمه فقال ان اسمه سيرافيمو بيليريرو .

★ ★ ★

وفي المستشفى عرض البوليس على هارنجتون سيرافيمو بين آخرين ليستخرج من الذي طعنه ، فقال : « [illegible] » .. لم [illegible] .

ودون رجال البوليس هذه الأقوال ، وكان عليها أن يوقعها رفض . ربما لأنه وقد شعر بدنو أجله ، لم يشأ أن يتسبب في اعدام انسان ولو كان قاتله . وربما لأنه لم يكن متأكدا من أقواله .

كذلك عرض على ريبيك في المستشفى حيث كان ينتظر أن اصابته خطيرة فاتهم سيرافيمو صراحة بأنه هو الذي طعنه .

وحين بدأت المحاكمة كان هارنجتون قد مات فتليت أقواله ، كما سمعت أقوال ريبيك الذي أضاف قوله : « [illegible] » .

ثم توالت الشهود . فشهدت مسز كنج أن المتهم هو الذي قاد الايطاليين الى قاعة الانجليز وأنه هو الذي لكمها في فمها وأوقعها على الأرض . وشهد شاهد آخر أنه رأى المتهم يطعن القتيل . وقال ثالث أن المتهم ضربه في بطنه . واجمع الشهود الانجليز جميعا على أن هذا المتهم هو الذي ارتكب جميع الأفعال المنسوبة اليه . بل أكدوا - بعد أن حلفوا اليمين - انه وان كان عشرة أو أكثر من الايطاليين قد اتجهوا معه فالمتهم فقد ردوا على أعقابهم - لذلك تأخروا - وواحد منهم فقط هو الذي استطاع أن يدخل القاعة . فهو وحده الذي يمكن أن يكون قد قتل هارنجتون .

لم يكن القانون الانجليزى فى ذلك الوقت يسمح للمتهم بلا يقسم اليمين ويشهد فى قضيته ، ولكنه كان يسمح بتلاوة الاقوال التى قالها عند القبض عليه . وكان كل الذى قاله سيرافينو « اننى لا استعمل السكين ابدا . ولم اكن ممسكا بسكين » وهى اقوال لم تصمد امام عملية العرض وشهادات الشهود . ومع ذلك فلقد دافع محامى المتهم دفاع المستميت .

استطاع الدفاع ان يستخلص اثناء استجوابه لاحد رجال البوليس ان المطواة — التى هى محور الاتهام فى موضوعها — كان قد علاها الصدأ وواضح انها قد مضى عليها زمن طويل لم تستعمل .

كذلك استخلص من رجل البوليس الذى حضر المشاجرة ان المطواة التى وجدت فى جيب سيرافينو لم تستعمل فى طعن القتيل .

وبدا الدفاع يستغل الثغرة فى الاتهام : اية سكين استعملت ؟ واين هى ؟ الم يعثر البوليس على سكين ؟ او لعلهم لم يعنوا بالبحث عن السلاح الذى ارتكب به الحادث !

كانت هذه الاسئلة توجه لمفتش البوليس بوزر الذى تولى التحقيق ، وكان من مدرسة من رجال البوليس تعتقد انه اذا قبض البوليس على متهم فيجب اعتباره مذنبا ، ولن تطبق عليه العقوبة التى نص عليها القانون ، اذ لا يجوز لاحد ان يشك او يشكك فى صحة تصرفات رجال البوليس. لذلك ظهر الضيق على المفتش بوزر من هذه الاسئلة ، ولم يخف ضيقه ، واخيرا اجاب بانه قد عثر فعلا على سكين ملوثة بالدماء بقرب مكان الحادث ولكنه لم يقل اين وجدت . ولا كيف وجدت ؟ ولم يقدمها للمحكمة . ولم يستطع ان يفسر كيف استطاع سيرافينو ان يتخلص من السكين فى الفترة ما بين طعن القتيل واصابة المستر كنج له وهو مطروح على الارض فوق هاريجتون .

ومع ذلك وفى لحظة عدم انتباه من بوزر استطاع الدفاع ان يحصل منه على اجابة بانه لا يمكن الربط بين تلك السكين والمتهم ...

وجاء شهود آخرين فسروا وجود المتهم ويديه ملوثتين بالدماء . لقد وجد فى القاعة لان احد الانجليز ضربه بيده مكتسة فالقى عليه . لما تلوثت يديه فرجعه الدماء المتزيرة التى كانت تسيل من هارجتون والمتهم ملقى فوقه .

★ ★ ★

صور الاتهام الحادث بان سيرافينو بيللتزيوى سكير شرير انكم بمعرفة صاحب الحانة وصبيل كنج ، وطس الثلاثه الاخرين . ولكن شهودا اكدوا انه حين كان فى حانة « الهلب الذهبى » كان هادئا ولم يكثر من الشراب . وتضاربت اقوال شهود الاتهام انفسهم . فريبيك يؤكد انه راى رجلا يضرب مستر كنج ولكنه ليس المتهم مخالفا بذلك اقوال مستر كنج . ثم جاء صاحب الحانة فاكد ان الذى اتاه شخص آخر اسمه جريجوريو وليس المتهم .

ولم يكن احد قد ذكر قبل ذلك اسم جريجوريو اثناء المحاكمة . ولكن احدى الفتيات قالت : انها رقصت مع المتهم فى نحو الساعة الثامنة ثم تركها وترك الحانة وبعد قليل رأت جريجوريو يكلم صاحب الحانة ثم يتجه الى قاعة الانجليز قبيل نشوب المشاجرة .

وشهدت فتاة اخرى ان جريجوريو استل سكينا فى قاعة الايطاليين وقال انه سيخلص الحانة من الانجليز . وشهدت فتاة ثالثة انها رأت — بعد انتهاء المشاجرة — جريجوريو يهدد احدى الفتيات بالسكين — فى القاعة الايطالية — لانها رفضت ان تذهب الى قاعة الانجليز وتاتى له منها بقبعته .

ارتاح الدفاع لما احتضنه من انه ولا شك قد ادخل الشك فى عقول المحلفين بادخال جريجوريو طرفا فى المعركة ، ولكن جريجوريو كان قد اختفى ولم يستطع الدفاع استدعاءه للشهادة ..

وعاد الدفاع لمناقشة موضوع السكين فتقدم المفتش بوزر بسكينين لم يفسر كيف عثر عليهما ولا لماذا لم يقدمهما من قبل ، وقال ان احداهما الملوثة هى التى عثر عليها فى مكان الحادث وبذلك فرق بين جريجوريو والسكين التى ارتكب بها الحادث .

لم تستمر مداولة المحلفين اكثر من ربع ساعة .

لعلهم اعتقدوا ان نصف الشهود اما كذبوا او شهدوا بما اعتقدوا لا بما رأوا . ولما كان شهود الاتهام من الانجليز ، بينما اغلب شهود الدفاع من الايطاليين ، فمن الذى يرجح شهادة مجموعة

من اولئك السعاة — حملة السكاكين — على شهادة الانجليز ؟؟

اما حكاية جريجوريو فلماذا لم يستدعيه الدفاع ليشهد ؟؟ اليس لايمان الدفاع بان شهادته لا تصمد امام الاستجواب . اما حكاية عدم الاهتداء اليه فمن الذي يصدقها ؟

وحين قرأ رئيس المحلفين قرارهم بالادانة امتثل القاضي عليه وعلق — وهو يصدر الحكم — بقوله ان المحلفين قد وصلوا الى القرار الوحيد الذي تنطق به الوقائع وانه لم يسبق للقاضي ان استمع الى شهادات أصرح وأوضح .

وكان سيرافينو اثناء المحاكمة كانما قليل الاهتمام بما يجري كانه كان واثقا من براءته . فلما سمع حكم الاعدام انهارت قواه وحملوه حملا الى خارج قاعة الجلسة .

* * *

وكاد الستار يسدل على هذه المأساة . وكانت رقبة سيرافينو تتدلى من حبل المشنقة لولا ان للعدالة ربا يحرسها فيبعث لها من يطهرون العصابة التي كانت على عينيها فاغمضت عنها الحقيقة . فقد بدأت جريدة الديلي تلغراف — فجأة صدور الحكم مباشرة — حملة صحفية من عشر مقالات للتشكيك في صحة الحكم . ولانها لم تكن تستطيع ان تتعرض لقرار المحلفين بالادانة لان ذلك القرار — في النظام القائم — قرين الحقيقة ولا يجوز الطعن فيه اذ هو صوت الشعب — ولكنها هاجمت وفي الفاظ صريحة وواضحة صحة الحكم. قالت :

« ان الجريمة ليست جريمة قتل عمد اذ لا دليل — لا صراحة ولا ضمنا — على نية القتل .

« ان ما حدث في الحانة لا يخرج عن كونه مشاجرة انتهت لسوء الحظ بموت أحد المتشاجرين » .

وكان قد تحدد يوم الاربعاء لتنفيذ حكم الاعدام بدلا من يوم الاثنين المعتاد تنفيذ هذه الاحكام فيه ، فقالت الجريدة :

« يجب ان لا يشنق هذا الايطالي — لا في يوم الاربعاء ولا في يوم الاثنين ولا في أي يوم آخر من ايام الاسبوع .. لو انه كان انجليزيا لاستعمل قبضة يده وكان الامر انتهى بالسواد في العيون .

ولكنه ايطالي سحب مطواه فكانت الضربة قاتلة . فهل نشنقه لكونه قد واجههم بطعنة غير متعمدة من سكين مطوية متصلة من حبل المشنقة » .

ولم تكن جريدة الديلي تلغراف هي وحدها التي تحاول انقاذ سيرافينو .

كان الباعث لجريدة الديلي تلغراف غيرة على العدالة ، وربما ايضا الرغبة في اثبات تخصصها في الدفاع عن حقوق الانسان . كذلك تدخل السفير الايطالي للدفاع عن احد مواطنيه وقابل وزير الداخلية . ولكن كثيرين ممن عرفوا سيرافينو لم يصدقوا ابدا انه الذي طعن بالسكين، فقد كانوا يعلمون عنه انه لا يستعمل السكين قط، بل ان جميع افراد الجالية الايطالية يعلمون انه رسول سلام وسكينة يكره العنف وينشر الهدوء من حوله .

وكان من بين الذين عرفوا ذلك عن سيرافينو رجل ايطالي لعب دورا كبيرا في اثبات براءته — هو السنيور نيجريتي مدير احدى الشركات ، وفد الى انجلترا منذ اكثر من ثلث قرن ، وكون لنفسه ثراء واسعا ومركزا اجتماعيا ممتازا ، وحرص مع ذلك على معرفة افراد الجالية الكبيرة من الايطاليين ودراسة مشاكلهم ومساعدتهم في ازماتهم ، ولذلك اعتبروه الأب الروحي لهم .

وكان نيجريتي يعلم ان سيرافينو لا يشاغب ولا يستعمل السكين ، كما عرف ان له ابن عم اسمه جريجوريو لا يتردد في استعمال السكين اذا تشاجر .

ودرس نيجريتي الادلة التي قدمت اثناء المحاكمة وخرج منها بان خطأ قضائيا قد وقع وان ظلما يوشك ان يقع على انسان بريء فصمم على ان يبذل كل جهده للحيلولة دون ذلك . وقرر انه لا بد من العثور على جريجوريو قبل تنفيذ حكم الاعدام .

ولكن جريجوريو كان قد اختفى . ترك مسكنه . وترك عمله . بل وترك المرتب المستحق له منذ يوم الحادث . ولم يكن أحد يعرف مكانه . حتى اخوه جيوفاني قد اختفى هو الآخر .

* * *

فكر نيجريتي طويلا وهداه تفكيره الى ان التعمية من تعمية البوليس، ذلك ان البوليس — في رأيه —

الخطأ بالقبض على سيرافينو ، فلما تبين خطأه لم يشأ ان يراجع وعمل جاهدا للحصول على حكم بادانة بريء ، لأنهم — أو على الأقل احدهم المفتش بولر — لم يجد في نفسه الشجاعة للعدول عن خطئه . وبنى نظريته هذه على مراوغة المفتش بولر في اجاباته . وتصرف البوليس بالنسبة لجريجوريو اذ ان البوليس قد علموا ما تردده الجالية الايطالية عن جريجوريو ، فكان يجب عليهم ان يعثروا على جريجوريو ويستجوبوه ، ان لم يكن كمتهم ، فعلى الأقل كشاهد . ولكنهم لم يتخطوا اية خطوة لمنع اختفائه ، بل لعلهم هم الذين اغلفوا(ان)اختفائه يخدم اغراضهم.والبوليس — حتى هذه اللحظة — وبنظامه الدقيق يستطيع العثور على جريجوريو ، ولكنهم لا يفعلون .ولعل لسان حالهم يقول : انهم قد قبضوا على شخص حكم عليه بالاعدام للجريمة التي ارتكبت ، أما ان كان ذلك الحكم حقا فليس ذلك من شأنهم .

كانت هذه الافكار تدور بخلد بيجريتي فكتب خطابا لجريدة التيمز يتهم البوليس . وكانت جملة الديلي تلغراف مسرة وكتبت هي الاخرى مقالا جاء فيه :

« لقد اخفى البوليس بعض الوقائع عن جهل او عمد . ان الموضوع كله لطخة في جبين العدالة . ان مجرد تصور اعدام — ولو بحكم — ليس بالأمر السهل . فسواء كان سيرافينو بريئا او مذنبا فيجب أن تمنحوه مهلة ويجب البحث عن جريجوريو ومن ادلة جديدة » .

وهكذا أخذت الجريدة تهاجم قرار الادانة

وقضت ستة ايام على وضع سيرافينو في زنزانة المحكوم عليهم بالاعدام .

ووصلت الى بيجريتي معلومات ان جريجوريو — الكاثوليكي المتدين — اعترف للقسيس ، وان القسيس نصحه بان ينهي اختفاءه ويخطر البوليس بحقيقة ما حدث ، وانه مختبئ في برمنجهام .

واسرع بيجريتي الى دكان النجار التي كان يعمل فيها جريجوريو ، وبمجرد ان وقع نظره عليه قال له : « أيها الوغد ، الا تستطيع ان تتشاجر دون أن تستعمل السكين ؟ » ثم سأله ان كان يعلم ان ابن عمه سيشنق بسبب مشاجرة حانة « الهلب الذهبي » ، وقال جريجوريو : « انه لا يعلم » . وتساءل :

« ما من سبيل لانقاذه ؟ » .

وقال له بيجريتي : « السبيل الوحيد لانقاذه هو ان تسلم نفسك للعدالة » .

وفكر جريجوريو لحظة ثم قال : « انا مستعد . لن ادع ابن عمي ان يشنق بسببي » .

★ ★ ★

ووصل الانسان الى لندن ولكن الصعوبات بدأت فليست هناك محاكمة تجرى يمكن ان تسمع فيها اقوال جريجوريو .

ذهب بيجريتي لمقابلة مدير عام البوليس الذى استقبله بفتور بسبب المقال الذى كان قد نشره ضد البوليس . ولكن بيجريتي لم يحضر لمناقشة تصرفات البوليس ، بل جاء يطلب ويلح في تقديم جريجوريو للمحاكمة بتهمة قتل هارنجتون .

ولكن مدير البوليس كان محاميا قبل تعيينه في مركزه ، وكان يعرف عن القانون الجنائي ما لم يكن يعرفه بيجريتي . فقال ان جريجوريو ربما قصد من اعترافه انقاذ رقبة ابن عمه ، فضلا عن ان ابن عمه قد ادين بقرار نهائي للمحلفين لا سبيل للطعن فيه فكيف يحاكم جريجوريو عن تهمة ليست على غيره .

ولكن بيجريتي الذى مرنه العمل على الجدل ظل يجادل مدير البوليس ساعتين حتى حصل منه على وعد بانه اذا كان مستعدا لتحمل مصاريف الدعوى فيمكن محاكمة جريجوريو بتهمة انه كان شريكا لسيرافينو في الجريمة .

قبل مدير البوليس ذلك ، لا نزولا على قوة حجة بيجريتي فقط ، وانما لأن الصحافة والسفير الايطالي كانا من ورائه . ولكن ما كاد جريجوريو يقدم للمحاكمة حتى ادرك مدير البوليس او شرح له مستشاروه الخطأ الذى وقع فيه .

ان الاشتراك في الجريمة لا يكون الا باتفاق سابق ولا دليل على هذا الاتفاق بين سيرافينو وجريجوريو . فتقديم جريجوريو بتهمة الاشتراك يعرض البوليس لسخرية رجال الصحافة ورجال القانون .

وكان امر القبض على جريجوريو قد شاع ،

وساعد بيجريتى على التخلص . فالاقراع عنه الآن وعدم تقديمه للمحاكمة يعرض البوليس لسخرية الصحافة ورجال القانون . ووقع مدير البوليس فى حيص بيص . لقد عرض البوليس للسخرية وهو الذى عمل طول حياته على الاحتفاظ بمكانة البوليس . لذلك حولت التهمة ووجهت الى جريجوريو بتهمة الضرب الذى افضى الى الموت حتى تختلف عن تهمة سيرافينو .

لم يكن القانون يسمح للمتهم بالشهادة فى قضيته ولذلك لم يستطع جريجوريو ان يبدى الاقوال التى كانت لتبرئ ابن عمه ، ولكنه استدعى شهودا يروون عنه .

شهد اخوه جيوفانى وقال : « رأيت اخى يسحب سكينا ، وكان قد اعتدى على بأيدى التفاح ، وسال الدم على وجهى ، فاستنجدت به ، وقلت له انهم يقتلوننى . فرأيت اخى يطعن يمينا وشمالا ، ولكننى لم اره يطعن هارمجسون أو شخصا بذاته ، ولولا تدخله لما خرجت حيا » .

وشهد شاهد آخر بأنه رأى جريجوريو يسحب السكين فسحلته بالله ان يردها الى جرابها وقال : « انه بعد انتهاء المشاجرة قابل جريجوريو فى الطريق للرئيس بين ذراعيه وقال له : « ماذا ترانى فعلت » . فاجابه لقد استعملت السكين ، وقال جريجوريو : نعم لقد طعنت ثلاثة او اربعة » .

وشهد ثالث ان جريجوريو اعترف له فى برمنجهام انه دخل فى معركة وطعن كثيرين مات احدهم .

ثم استدعى بيجريتى فشهد بما حدث بينه وبين جريجوريو فى برمنجهام وقال ان جريجوريو اعترف له بأنه اكثر من الشراب وانه لم يستطع مقاومة استعمال السكين حين رأى وجه اخيه ملطخا بالدماء وان ابن عمه سيرافينو لم يكن بالقاعة . وطلب اليه ان يبلغ ابن عمه انه جاء لانقاذه لانه برىء .

كانت شهادة سماعية ولكن المحكمة قبلتها وبذلك وضع ما حدث بالقاعة وضوحا كاملا .

* * *

ولكن احدا لم يتحدث عن مقتل هارمجسون حتى ولا جريجوريو نفسه . وكان المقصود من هذه المحاكمة الثانية هو اثبات براءة سيرافينو لا مجرد ادانة جريجوريو ، فكان لا بد من ان تسمع المحكمة حقيقة ما فعله سيرافينو . لذلك استدعى ليشهد وليستجوب .

وحين وقف فى منصة الشهود مواجها لابن عمه فى قفص الاتهام ظهرت الدهشة على كل من فى القاعة ، فهو صورة طبق الاصل من ابن عمه كما لو كانا توأمين . نفس القامة ونفس الشارب .

وهكذا وضح ما كان غامضا فى القضية . لقد وضع الشهود احدهما محل الآخر واقسموا اليمين صادقين .

وروى سيرافينو ما حدث ، وصدق المحلفون روايته وادانوا جريجوريو واوصوا باستعمال الرأفة معه لانه كان يدافع عن اخيه . وصدر الحكم عليه بالاشغال الشاقة خمس سنوات .

ولكن بقيت صعوبة . ان الحكم على جريجوريو لا يفتح من تلقاء نفسه باب زنزانة سيرافينو المخصصة للمحكوم عليهم بالاعدام .

وقالت الديلى تلغراف فى مقال رئيسى آخر :

« ها قد مضت ثلاثة ايام ويقال لنا ان قضية سيرافينو قيد البحث ، وانه حالنا ان المشنقة لن تنصب الا بعد اسبوعين فلم الاستعجال صدور قرار ! .. قد يبدو للسلطات الرسمية والقانونية ان التأجيل ليس على اهمية ولكن نظرا من يضع نفسه موضع المحكوم عليه بالاعدام تختلف .. انه ينتظر ويعد الساعات بل الدقائق » .

كان سبب التأخير ان وزير الداخلية يبحث عن حل لمشكلة عويصة .

ان سيرافينو مذنب ولا شك . بذا قضى المحلفون محكم هو ميزان العدالة بعد دراسة دقيقة ومحاكمة عادلة . فلا محل لالغاء العقوبة التى صدرت عليه .

وجريجوريو مذنب ولا شك تسبب فى موت هارمجسون وقد قرر المحلفون ذلك بعد دراسة دقيقة ومحاكمة عادلة ، فلا يمكن الغاء العقوبة الصادرة ضده .

لم يجد وزير الداخلية مخرجا فترك للزمن ان يحل المشكلة . امر بتأجيل تنفيذ حكم الاعدام الى اجل لم يحدد . الى ان يجد حلا .

ولكن الديلى تلغراف لم تنتظر .

« لا شيء يرضى العقل والعدل الا عفو شامل

كامل . لقد ألقت المحاكمة ظلا ثقيلا على قضائنا الانسانى »

كذلك لم يقنع السيد بيجرتى فكتب خطابا طويلا لجريدتى النيجز والديلى تلغراف هاجم فيه البوليس واتهمهم بانهم تعمدوا اخفاء الأدلة بل زيفوها فقال فيه انه قصد للمستشفى التى جرت فيه عملية الاستعراف، وتحدث الى الجراح عن عملية الاستعراف ، فعلم منه انها كانت عملية صورية اذ جىء بعدد محدود من الناس وضعوا حول السرير على مسافة قريبة جدا بحيث أن الريض لم يكن يستطيع أن يرى الا الصف الاول الذى فيه سيرافيتو الذى كان الايطالى الوحيد الذى له شارب . وان هاريجون كان فى ذلك الوقت قد اعطى مخدرا حتى انه افيق ليتمكن من الكلام ولم يكن فى حالة تمكنه من الاستعراف السليم .

ولكن مدير البوليس ــ استنادا الى شهادة المفتش بوارت سارع بارسال خطاب الى الجرائد أكد فيه أن عدد الذين كانت لهم شوارب اثناء الاستعراف ثلاثة اشخاص .

وعاد بيجرتى الى الكتابة وقال انه عاد الى الجراح يستفسر منه فاكد الجراح أن القول بان ثلاثة من المعروضين كانوا ذوى شوارب صحيح . ولكن اثنين منهم كانا من الجراحين ، وكانا يقفان بعيدا عن السرير بحيث لا يقع عليهما نظر هاريجون ، والشارب الوحيد الذى كان بالقرب منه هو شارب سيرافيتو المتهم .

★ ★ ★

وكان وزير الداخلية قد وصل الى قرار اعلنه فى مجلس العموم هو اجراء محاكمة ثالثة فلم يعد هناك محل لان يتراشق بيجرتى ومدير البوليس بالاتهامات على صفحات الجرائد .

واذا كان من غير المستطاع محاكمة سيرافيتو أو جريجوريو بتهمة قتل هاريجون بعد أن صدر قرار المحلفين بادانتهما ، فقد كانت هناك تهمة ضد سيرافيتو لم يحاكم عليها ، وهى الشروع فى قتل ريبيلك خادم الحانة الذى جمع الاسلحة للانجليز . وقد رأى وزير الداخلية بحق أن المحاكمة هنا سوف تظهر مدى ما فى رواية سيرافيتو عما حدث فى الحانة من صحة أو كذب . أى انها ستثبت ان كان قد قتل هاريجون أو لم يقتله .

ومثل سيرافيتو أمام القضاء للمرة الثالثة وسيف الاعدام لا يزال معلقا فوق رقبته .

اذا أدين فى تهمة الشروع فى قتل ريبيلك حكم عليه بالاشغال الشاقة ولم ينفذ عليه الحكم لأن حكم الاعدام يجبه ونحتم اخلاء سبيل جريجوريو . واذا ابرىء من هذه التهمة فقد ثبتت براءته من قتل هارنجتون ايضا واطلق سراحه ، واستمر جريجوريو ينفذ العقوبة التى حكم عليه بها .

كان كل من فى قاعة الجلسة يعلمون ــ القاضى والمحلفون ورجال الصحافة والجمهور والمحامون ــ أن المحاكمة صورية ، وان جريمة الشروع فى قتل ريبيلك ليست هى المقصودة ولا سيرافيتو هو هو الذى يحاكم بل ان الذى « يحاكم » بالفعل هو الحكم الذى صدر باعدام سيرافيتو .

كانت تمثيلية اذا . بل مجرد حيلة قانونية . لست التفاصيل ان سيرافيتو لم يكن الايطالى الوحيد الذى دخل القاعة المخصصة للانجليز فقد عثر فى القاعة على ثلاث قبعات للايطاليين بشهادة جميع الشهود ، وان جريجوريو وجيوفانى عادا بعد المعركة الى القاعة بحثا وراء قبعاتهما قبل حضور البوليس .

وسمعت الوالجريجوريو بوصفشاهدا فاعترف بانه هو الذى طعن .

وصدر قرار البراءة ، وافرج عن سيرافيتو .

ومن المؤسف ان الحكومةلم تدفع له اى تعويض باعتبار أن مدة حرمانه من حريته كانت قصيرة . أما توتر الاعصاب والقلق الذى انتابه ، وانتظاره الطويل لحكم الاعدام . فلا يستحق تعويضا فى نظر الرسميين .

وقالت جريدة الديلى تلغراف فى مقالها الختامى عن القضية : « لقد ازيلت وصمة من جبين القضاء الانجليزى »

وهى وصمة ما كانت لتلطخ جبين العدالة لو ان البوليس لم ينحرف منذ البداية . ■■

حسن الجداوى



أهل السنة والمعتزلة في مناظرة فريدة

بقلم : ظافر القاسمي

■ ليس في تاريخ الحركات الفكرية الاسلامية اعجب ولا اغرب من الازمة التي خلقتها المعتزلة في اوائل القرن الثالث الهجري حول (خلق القرآن) .

ان الناس تعودوا على ان تعتنق الدولة فكرا من الافكار ، او رأيا من الآراء ، وان تحمل الناس على ان يقولوا بقولها . وقع هذا في القديم ، ويقع اليوم في الحديث ، ولم ينج منه شرق ولا غرب . ولقد الف الناس ذلك اذا كانت هذه الفكرة ، او كان هذا الرأي ، امرا اصيلا من امور الدولة ، او من امور العقيدة . اما ان تلتزم الدولة بفكرة فرعية ، وان تحمل الناس على القول بها ، وان تسلك الى ذلك ابع طرق الاضطهاد والاكراه ، فهذا موضع الاستغراب والعجب .

لا خلاف في القرآن

لم يكن بين السنة والمعتزلة اي خلاف حول القرآن الكريم، لا من حيث نصوصه ، ولا احكامه،



ولا أي شأن من شؤونه . وإنما اختلفوا حول قدمه وحدوثه .

قال أهل السنة بأنه قديم .

وقال المعتزلة بأنه مخلوق .

واتفق أن تسلط المعتزلة على الخليفة المأمون ، فقال بقولهم ، وأخذوا في اكراه مخالفيهم على اعتناق مذهبهم ، وسلكوا لذلك طرقا تختلف كل الاختلاف مع ما دعوا اليه من حرية فكرية ، ومن تحكيم العقل ، وتقديمه على النقل .

الإمام الكناني يدبر أمرا

ولست بصدد تاريخ هذه الحركة وما رافقها ، فهي معروفة في كتب الفرق ، والتاريخ والشريعة . إلا أنني لم أر — فيما رأيت — في تاريخ الحركات الفكرية ، أعجب ولا أغرب من الحادث الفريد الذي نظم خطته ، وأحكم سبكه امام من أهل مكة ، اسمه عبدالعزيز بن يحيى الكناني . لقد كان تلميذا للامام الشافعي ، تفقه عليه ، ومن أهل السنة . فلما شاعت أخبار

المحنة التي ثارت في بغداد ، وطارت تفاصيلها الى جماهير المؤمنين في العالم الاسلامي ، جزع منهم فريق ، واشفق فريق . ولم يسمع ان احدا تصدى لتفنيد الفكرة ابان المحنة ، ولا للرد على اصحابها ، ولا للاحتجاج عما يصيب الناس من مكروه بسببها . الا ان الامام الكناني قد عز عليه ان يرى رأيا ولا يجهر به ، ففكر ودبر ، ثم حزم فيما بينه وبين نفسه امرا خطيرا ، لم يطلع عليه احدا من الناس ، غير ولده ، ومضى في تنفيذ ما فكر ودبر .

لم يلجأ الامام الكناني الى الجهر برأيه على الطريقة التقليدية المألوفة ، فهو لم يضع كتابا يرد به على المعتزلة ، ولم يقعد في المجلس ليقول للناس ما يعتقد انه الحق ، وانما لجأ الى اسلوب هو اقرب الى الاخراج المسرحي العنيف ، منه الى اساليب العلماء والائمة .

زعيم المعتزلة بشر بن غياث المريسي

وكان زعيم المعتزلة يومئذ بشر بن غياث المريسي قد استطاع مع فرقته ان يحمل الخليفة المأمون على الاعتقاد بخلق القرآن . ولم يكن يفوت الكناني ما يعاني خصوم المعتزلة من محنتهم « ورهبة الناس ، ونفورهم من مناظرته ، واحجامهم عن الرد عليه ... واستتار المسلمين في بيوتهم ، وانقطاعهم عن الجمعة والجماعات ، وهربهم من بلد الى بلد خوفا على انفسهم ودينهم ... »

وكان الكناني يعلم « ان الناس في ذلك الزمان في امر عظيم ، قد منع الفقهاء ، والمحدثون ، والمذكرون ، والمعلمون ، من القعود في المجالس ببغداد وفي غيرها من سائر المواضع ، الا مظهرا المريسي ، ومحمد بن الجهم ، ومن كان موافقا لهما .... وكل من اظهر مخالفتهم ، او انكر مذهبهم ، احضر ، فان وافقهم تركوه ، والا قتلوه سرا ، وحملوه من بلد الى بلد . فكم من قتيل لم نعلم به ، وكم من مضروب قد ظهر أمره .... »

الكناني يخرج من مكة الى بغداد ، سرا

في هذا الجو الاستبدادي الكريه ، فكر الكناني ودبر ، واخرج مسرحيته الفريدة ، التي انتهت بنصره المؤيد . فرحل من مكة الى بغداد مع ولده ، لا يعرف احد من الخلق سبب سفرهما ، ولا ما اجمعا عليه من امر . « ولم يسكن الى مشاورة احد من خلق الله وجعل يستر أمره ، ويخفي خبره عن الناس جميعا ، خوفا من أن يشيع ، ويعلم مكانه ، فيقتل قبل أن يسمع كلامه . فأجمع رأيه على اظهار نفسه ، واشهار قوله ومذهبه على رؤوس الخلائق والاشهاد ... وأن يكون ذلك في المسجد الجامع في يوم الجمعة !! » .

فصل المسرحية الاول : حوار في المسجد

وذلك ان التصور بغداد في ازهى عصورها وانضر عهودها ، والمأمون خليفة المسلمين فيها ، واليوم يوم جمعة ، قد اجتمعت الخلائق لاداء الصلاة الجامعة ، والكناني غريب عن البلد ، وليس له من ناصر ولا من معين ، فكيف له بالوصول الى غرضه ، والدولة دولة المعتزلة ؟ لقد كان تدبيره عجبا من العجب ، ليس هناك اعجز ولا ابرع . مسرحية كاملة ، وزع فيها الادوار بينه وبين ولده ، كما اختار المواضع . اسمع اليه يقول :

« فلما كان يوم الجمعة التي عزمت فيه على اظهار امري ، واشهار قولي واعتقادي ، صليت الجمعة في المسجد الجامع بالرصافة ، من الجانب الشرقي ، حيال القبلة والمنبر ، في اول صف من صفوف العامة ، فلما سلم الامام من صلاة الجمعة ، وثبت قائما على رجلي ، ليراني الناس ويسمعوا كلامي ، ولا يخفى عليهم مقالتي ، وناديت بأعلى صوتي ، مخاطبا ابني ، وكنت قد اقمته بحيالي عند الاسطوانة الاخرى ، فقلت له :

— يا بني ما تقول في القرآن ؟

— فقال : كلام الله غير مخلوق !! »

هذا هو الاخراج العجيب الذي دبره الكناني ثم نفذه في عاصمة الخلافة ، لا يخشى الدولة وبأسها ، ولا خصومه وبطشهم . ذلك بأنه كان « موقنا انهم لن يعجلوا له حادثة ، ولن يعجلوا عليه بقتل ، ولا بغيره من العقوبات بعد اشهار نفسه ، والنداء بمخالفتهم على رؤوس الخلائق ، الا بعد مناظرته والاستماع منه » .

(*) نعرض هذا البحث مستمدا من كتاب « الحيدة » للامام عبد العزيز بن يحيى الكناني الذي نشره المجمع العلمي العربي بدمشق حديثا ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م وحققه الدكتور جميل صليبا

جمهور المصلين يهرب من المسجد

فماذا كان اثر هذا الحوار البليغ القصير بين الكناني وولده في المصلين ؟ لسنا نشك في ان اكثر المصلين من العامة اصابتهم الدهشة منه ، فلنسمع الى الكناني يصف اثر هذا الحوار فيهم بقلمه . قال :

« فلما سمع الناس كلامي ، ومسألتي لابني ، وجوابه لي ، هربوا على وجوههم خارجين من المسجد، الا اليسير من الناس ، خوفا على انفسهم ، وذلك انهم سمعوا ما لم يكونوا يسمعون ، وظهر لهم ما كانوا يحبون ويكتمون ... » .

بين الكناني ووزير المأمون

واذا كان ما حدث بين العامة وبلصوصها طبيعيا، يتفق مع خوف الناس من السلطان واستبداده ، فان الذي حدث مع الخاصة كان طبيعيا أيضا ، لا يختلف مع تصور الاذكياء ، ولا مع سياسة الدهماء. كان عمرو بن مسعدة ، وهو وزير المأمون ، يصلي في المسجد ، فلما حدث ما حدث ، هجم اصحاب السلطان على الكناني ، واحضروه مع ابنه اليه ، واوقفوه بين يديه . لم يتصور عمرو بن مسعدة ، وهو من هو ، وهو الذي تحدث عنه محمد كرد علي في احد بحوثه بعنوان « البلاغة سبيل الوزارة » لم يتصور هذا العبقري ان تدفع الطبيعة صاحبها الى المهلكة ، ولم يتخيل ان يوجد في دنياه رجل يحمله ايمانه على الاستهتار بالسلطان واعوانه . وانما يتخيل شيئا اخر سواه من الحوار الذي دار بين الرجلين . قال له

— امجنون انت ؟

— لا !

— الموسوس انت ؟

— لا !

— المصروع انت ؟

— لا ! اني لصحيح العقل ، جيد الفهم ، ثابت المعرفة ، والحمد لله كثيرا !

— المظلوم انت ؟

— لا !

فقال لرجاله : مروا بهما سحبا الى منزلي !!

في منزل الوزير

ويمضي الكناني في وصف مسيره مع ابنه من المسجد الى بيت عمرو ، يتعادى رجال عمرو بهما سحبا شديدا ، وايديهما في ايديهم ، يمنة ويسرة .. حتى صاروا الى المنزل على تلك الحال العنيفة الغليظة .. فلما صاروا بين يديه ، دار حوار جديد ، من نوع آخر ، يدلك على ما يفعل الايمان في نفس المؤمن . قال عمرو :

— ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟

— طلبت القربة الى الله عز وجل ، ورجاء الزلفة لديه !

— فهلا فعلت ذلك سرا من غير نداء ، ولا اظهار لمخالفة أمير المؤمنين ، ولكنك أردت الشهرة ، والرياء ، والتسوق ، فتأخذ أموال الناس !

— ما اردت من هذا شيئا، ولا اردت الا الوصول الى امير المؤمنين ، والمناظرة بين يديه ، لا غير ذلك !

— او تحسن ذلك ؟

— نعم ، ولذلك قصدت ، وبذلت نفسي ما ترى ، بعد خروجي من بلدي ، وتغريري بنفسي ، مع سلوكي البراري ، انا وولدي ، ورجاء تأدية حق الله فيما استودعني من العلم ، والفهم ، وما اخذ علي وعلى العلماء من البيان .

لم يكن الوزير البليغ قادرا على البت في الموضوع وحده ، وقد ادرك انه امام امر عظيم مستعجل (كما نقول بلغة اليوم) ، لا يجوز فيه التأخير ، ولا يحتمل التأجيل . فالموضوع ليس خلافا بين رجلين ، ولا بين فرقتين ، ولا بين بلدين ، وانما هو خلاف مع أمير المؤمنين نفسه ، فلا بد من ان يرى الخليفة فيه رأيه . لهذا قال عمرو لرجاله : اخرجوه من بين يدي الى دار أمير المؤمنين .

فاخرج على مثل الحال التي اخرج فيها من المسجد ، حتى اذا خلا عمرو بالمأمون واطال ، خرج واعلمه امر الخليفة بالجمع بين الكناني ومخالفيه للمناظرة بين يديه ، وعين موعدا لذلك يوم الاثنين الآتي

اخلاء السبيل بالكفالة

كان هذا الامر من الخطورة بحيث لا بد من ان يتخذ فيه اجراء تحفظي ، كما نقول في اللغة القضائية في زماننا هذا . فلم يكن معقولا ان يترك الكناني طليقا ، كذلك لم يجد الخليفة ووزيره من الحكمة أن يحبساه . ولهذا قال له عمرو : أعطنا كفيلا بنفسك حتى تحضر يوم الاثنين .

فلما ابدى له الكناني استحالة ذلك ، لانه

لا يعرف أحدا ، ولا يعرفه أحد ، ولو كان الخلق يعرفونه لتبرءوا منه ، وهربوا من قربه ، وأنكروا معرفته ، بعد اظهار مقالته . فقنع عمرو بحجته ، واكتفى بأن وكل به من يكون معه ، حتى في منزله، ليحضره في ذلك اليوم .

تكريم بعد التهشيم

والظاهر أن عمرا قد أدرك بفطنته أن موافقة المأمون على عقد المناظرة تدعو الى اجتناب الاساءة الى الكناني ، لأن نتائجها مجهولة ، ولا يدري أين يكون الخليفة بعد انتهائها . ولهذا أوفد اليه في اليوم المعين « طبيبه ، ومعه جمع كثير من الفرسان والرجالة ، فحملوه مكرما على دابة حسنة ، حتى صار به الى باب أمير المؤمنين » .

وقد حاول عمرو أن يقنع الكناني في بيت الخلافة بالعدول عن المناظرة ، قبل انعقادها ، بالترهيب والترغيب . ولكن الكناني لم يزد الا تصميما على موقفه فقال :

« ما بدعت ولا رجعت ، ولا خرجت من بلدي ، وفارقت سكني ، الا في طلب هذا اليوم ، وهذا المجلس ، ورجاء أن يبلغني الله ما أؤمل من اقامة الحق ... » .

ولقد كان في قصر الخليفة المأمون ، ما يكون في جميع القصور ، في جميع العصور والدهور ، من مخالفة المولى لسيده ، ومعارضة البطانة لمليكها ، في أمر من أمور الدولة ، أو في رأي من الآراء . والظاهر أن حاجب المأمون كان سنيا ، أو أنه كره أن يتسلط أحد غيره على سيده ، فاذا به وهو يقود الكناني بين الدهاليز يساره بهذا النصح العجيب :

« ان أمير المؤمنين خير مقالة ، من ولد آدم ، وكذلك كل من يناظره بحضرته ، فلا تهبهم ، واجمع فهمك وعقلك لمناظرتهم ، واياك والجزع ، واعلم أنه اذا ظهرت حجتك عليهم انكسروا وانقطع كلامهم عنك ، وأذللتهم ، وغلبتهم ، ولم يقدروا لك على مضرة ولا مكروه ، وصار أمير المؤمنين والرعية معك عليهم ، وان ظهرت حجتهم عليك أذلوك وقتلوك ... » .

المأمون يريد المناظرة بالعدل والحكمة

وانعقدت المناظرة ، وكان المأمون فيها حكما شريفا ، حفظ للمتناظرين تعادلهم ، ومنع بني المعتزلة على الكناني باليد واللسان ، وأدار الجلسات على خير ما يديرها الرجل العاقل الحيادي ، الذي لا ينظر الا الى الحجة والبرهان. ولك أن تتبع ما جاء فيها من روائع الفنون وبليغ الحكم ، وجوامع الكلم ، ومن حسن استحضار الأدلة من الكتاب والسنة وأخبار الصحابة وشعر العرب ، ومن طرائف المفارقات ، التي رسمها الكناني ، في كتاب (الحيدة) ، فكانت صورة حية ناطقة ، لم يدع فيها حركة ، ولا مشهدا ، ولا أمرا كبيرا أو صغيرا ، الا وسجله بلغته العباسية الحلوة ، التي تنزهت عن الغريب، وخلت من الحوشي ، وازدانت بالازدواج ، وتحلت بالرشاقة والخفة ، وابتعدت عن المصطلحات الكلامية والفلسفية التي لا يفهمها الا أهلها ،وكأنه أراد أن يتوجه الى العامة ، في مناظرته للخاصة . ولك أن ترى كذلك اعجاب المأمون بهذا الرجل العجيب ، والحكم الذي أصدره في صحة رأيه ، وان كان قد ألزمه بالكف عن اذاعته .

ترف عقلي

واني أرى أن هذا الحادث الفريد ، يمكن أن يوحي الينا بالملاحظات الآتية :

ان مشكلة خلق القرآن لم تكن الا مظهرا من مظاهر الترف العقلي عند العرب في أزهى عصورهم.

وان الدولة قد تتبنى عقيدة فرعية ، وتعتبرها أم المسائل في حياتها .

وان العقيدة لا تخلو في أي عصر من العصور من ناصر لها ، يركب في سبيلها أعظم الأخطار .

وان العقل العربي قد استطاع أن يبتكر أعلى الأساليب وأروعها لارغام المستبدين على الاستماع اليه .

وان عهود الخلفاء قد يتسع صدرها لسماع مخالفيها ، والاقتناع بآرائهم ، ثم تمتنع عن اذاعتها لأغراض سياسية ، أو غيرها .

وان الترف لا يدوم ، وان كان عقليا ، فسرعان ما يزول .

وان كثيرا من أصحاب المعتقد ، تخالف أفعالهم أقوالهم .

وان عبد العزيز الكناني مثل حي لانتصار الحق على الباطل . ■■

ظافر القاسمي



بقلم: الدكتور محمود السمره

■ الأستاذ قسطنطين زريق في غير حاجة الى تقديم ، فقد قدمته من قبل كتبه القيمة ، ومحاضراته الموجهة ، وتحقيقاته العلمية . وقد شغل الدكتور زريق وظائف عدة ، دبلوماسية وادارية، ولكن التدريس في الجامعة كان دوما هو أحب عمل الى نفسه . وفي سبيل العودة الى قاعة المحاضرات ، ترك منصبه المرموق كرئيس للجامعة الامريكية ببيروت، وآثر عليه وظيفة « أستاذ ممتاز » في الجامعة نفسها .

وهذا الكتاب «في معركة الحضارة»، هو آخر كتاب صدر للمؤلف ، وهو في ثلاثة عشر فصلا : غاية هذه الدراسة وبواعثها ، ماهية الحضارة وشروطها ، حضارات مختلفة أو حضارة انسانية واحدة؟ مظاهر الحضارة، قوام الحضارة، التراث الحضاري ، عوامل التغير الحضاري ، تفاعل الحضارات ، مقاييس التحضر ، التقدم والتحضر ، الوضع الحضاري المعاصر ، في معركة الحضارة.

غاية هذه الدراسة

وقد حدد المؤلف غايته من تأليف هذا الكتاب بوضوح ، وهذه الغاية هي استجلاء مفهوم الحضارة ، ومحاولة ادراك جوهرها ، ومقوماتها ، والتغيرات التي تطرأ عليها . والمؤلف حريص في

هذا الكتاب ايضا على ايضاح مفهوم اساسي من مفاهيم الحياة ، وربطه بسواه من المفاهيم الاساسية ، وذلك لتكوين نظرة حضارية صحيحة لدى الشعوب العربية تمكنها من ادراك ماضيها وحاضرها ومستقبلها ادراكا ادق واسلم . وهو الى جانب هذا حريص على ان يجعل هذا الادراك عند الشعوب العربية يؤدي الى نتائج عظيمة مفيدة لها .

تعريف الحضارة في تراثنا

وانا ارى ان نعرض اولا لتعريف الحضارة قبل ان نتناول المفاهيم الاساسية لها ، وقبل ان ننظر في واقعنا من ناحية حضارية .

لقد وردت كلمة « حضارة » في لغتنا بفتح الحاء وكسرها ، ولمعنى الاقامة في الحضر ، اي في المدن والقرى . وعكسها « البداوة » اي الاقامة المتنقلة في البوادي . ومن هنا نستنتج ان اصل معنى « الحضارة » هو الاستقرار ، واولى درجات الاستقرار تنشأ من زراعة الارض ، ثم يأخذ المجتمع في التطور .

والتمييز بين الحضارة والبداوة عريق في تاريخنا ، ونحن نجده مرددا في ادبنا ، ونظمنا ، وعاداتنا ، وكل عناصر تراثنا . والتفاعل بين الحضارة والبداوة واضح في ماضينا ، فلمسه في السياسة ، والاجتماع ، والادب ، وفي العقلية عامة . وما زال هذا التفاعل قائما في مناطق واسعة من وطننا العربي .

وابرز من تصدى لدراسة موضوع الحضارة عندنا هو المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي، عبدالرحمن ابن خلدون . ولعلنا نستطيع القول انه اول من عالج شؤون الحضارة بصورة منظمة في اية لغة من اللغات ، حتى ليصح ان نسميه مؤسس علم الحضارات ، او كما دعاه هو علم « العمران البشري والاجتماع الانساني » .

وقد تناول هذا الموضوع ، بعد ابن خلدون آخرون . وخلاصة ما قيل في مفهوم الحضارة عند العرب ، انه كان يعني ذلك النمط من الحياة المخالف للبداوة ، المنشئ للمدن والامصار ، المستقر فيها ، المتصف بفنون متقدمة من الملك والادارة ، ومن مكاسب العيش ، ومن الصنائع والعلوم ومن وسائل النعمة والرفاه . وقد جعل ابن خلدون البداوة والحضارة طورين طبيعيين من اطوار المجتمعات البشرية . واعتبر الحضارة آخر هذه الاطوار ، « وغاية العمران » .

وهناك كلمة حديثة نستعملها في ايامنا هذه مرادفة لكلمة « الحضارة » وهي كلمة «المدنية» وهذه الكلمة ترد في المعاجم . فهي مولدة ، والارجح انها مستمدة من الكلمة الافرنجية Civilization

واذا كان العرب القدامى لم يستعملوا كلمة « مدنية » ، فانهم استعملوا لفظة « مدني » ، فهذه ترد عند الفلاسفة العرب بمعنى «الاجتماعي». وقد اخذ الفلاسفة العرب هذه الكلمة عن اليونان، وهم الذين كانت المدنية عندهم هي مظهر الاجتماع المنظم المتحضر . واستعمل ابن خلدون صيغة « التمدن » ، ويعني بها الحضارة او التحضر فيقول :

« ولهذا نجد التمدن غاية للبدوي يجري اليها » .

مفهوم الحضارة اليوم

واذا كان هذا هو مفهوم « الحضارة » عند مفكرينا في الماضي ، فما هو مفهومها الاساسي في ايامنا هذه ؟

ان هذا اللفظ يستعمل اليوم لاداء معنيين مختلفين قلما يميز بينهما : اما الاول فمعنى وصفي يقصد به مجموع الحياة التي يحياها شعب واحد او شعوب عدة ، بما تضم من نظم الحكم ، وسبل في تحصيل العيش ، وعلاقات اجتماعية ، ومعرفة نظرية وعملية ، وقواعد سلوكية ، وغيرها من المقومات . فاذا ذكرنا نظام الاقطاع مثلا ، او الصيانة الافريقية ، او العلاقات

في الاسلام ، فان كلا منها يعني ، بهذا المعنى ، حضارة معينة تؤلف مختلف مظاهرها وحدة شاملة .

واما المعنى الثاني ، وهو المعنى الاكثر شيوعا ، فهو المعنى التقييمي ، اي انه يتوجه الى القيم التي تتضمنها الحضارات وتتميز بها ، او يقارن حضارة بحضارة اخرى . وبهذا المعنى نقول عن حضارة ما انها في تقدم او انحطاط ، في ازدهار او ذبول . وبهذا المعنى نقارن بين حضارة الاغريق وحضارة الهند ونخلص الى نتيجة هي ان حضارة الاغريق فاقت حضارة الهند او دنت منها . وعلى هذا فحضارة اي شعب من الشعوب هي مجموع القيم التي يسعى ذلك الشعب لتحقيقها ، والتي تتمثل في مختلف نشاطاته وانجازاته . ونحن اذا اردنا ان ندرس حضارتنا السالفة ، فان هذه الدراسة لا قيمة لها ما لم تجل لنا نوع القيم التي حملتها هذه الحضارة ، او طمحت الى تحقيقها وكذلك الحال في حياتنا الحاضرة ، فادراكنا الصحيح للحياة التي نحياها يتطلب منا استكشاف القيم التي تتضمنها ، ومبلغ سلامتها واصالتها ، او ضعفها وخللها ، ومدى ما ينبغي من تعديل فيها ، او تخل عنها في سبيل قيم اخرى .

التخلف : مشكلتنا الاولى

ونحن اذا نظرنا في حاضرنا في ضوء هذا المفهوم الحضاري ، بدا لنا ان مشكلتنا الاولى هي مشكلة التخلف . وهي مشكلة تشاركنا فيها شعوب ذات اوضاع مماثلة ، وهذه الشعوب تؤلف من البشرية قسمها الاوفر عددا ، والاقل قدرة وطولا .

ويتمثل هذا التخلف في ضآلة سيادتنا الطبيعية وضعفنا في استغلال مواردها ، وهزالة تنظيمنا الاقتصادي والاجتماعي ، مع الاعتراف بالجهود العظيمة التي بذلناها في نهضتنا الحاضرة . وهذا التخلف هو مبعث العلل الاخرى التي اثقلتنا ، ومصدر المصائب التي حلت بنا ، فلولاه لما خضعنا اصلا للاستعمار ، ولما نفشى فينا الفقر والجهل ، ولما نكبنا في فلسطين . ولما تعثرت خطانا في طريق التعاون والاتحاد .

العجز عن نقد الذات : مشكلتنا الثانية

ومشكلتنا الثانية هي عجزنا عن مصارحة الذات ونقدها . وانه لمن اليسير على الفرد والمجتمع ان ينسى او يتناسى مواضع الضعف والسوء فيه ، ويستكين الى الرضى والافتخار . ولكن اذا كان هذا يسيرا ، فان نتائجه خطيرة ، لانه يؤدي في النهاية الى الضياع والخسران . ومثل هذا يسرا وسهولة ان ينتقد المرء الاخرين ، ويلقي اللوم عليهم ، ويحملهم التبعات والمسؤوليات . اما الامر العسير المجهد الشاق فهو مجابهة الذات ، ومحاسبة النفس ، وتحمل التبعات . ولكن هذا الامر على عسره وصعوبته هو شرط لا بد منه للتقدم والنجاح ، وهو ميزة من الميزات الاساسية التي يتسم بها العقل . والنقد الذاتي ، بعد هذا ، دليل النضج وبرهان على القدرة والثقة بالذات . وهذا ينطبق على الافراد كما ينطبق على الشعوب . وهنا يجد كل واحد منا نفسه ، ونجد انفسنا كمجموع ، امام اختيار لا فرار منه : اما التخلية والهروب والانحلال ، او المصارحة والمجابهة والمحاسبة .

التوق الحضاري

ولا يكفي ان يحس رجال الفكر منا وحدهم بهذا ، بل يجب ان يشيع بيننا توق حضاري . والافراد والشعوب انما تقاس قيمتها بنوع مطالبها ، اي بما تحن اليه وتتوق الى تحقيقه . والشعوب العربية اليوم تنشد غايات كالحرية ، والسيادة ، والتضامن ، والاتحاد ، والعدالة الاجتماعية ، وما شابهها وهي غايات جديرة بكل جهد ، وبذل ، وتضحية . ولكن الشعوب العربية لا تحقق هذه الغايات على وجهها الصحيح الا

بمقدار ما تحصل من قدرات حضارية . فلا حرية مضمونة ، ولا سيادة متينة الا للشعوب التي تثبت قدرتها في الميدان الحضاري : قدرتها في استغلال موارد الطبيعة ، وفي التنظيم والانتظام ، وفي الانشاء والابداع . ولا تضامن ولا اتحاد ولا عدالة اجتماعية ، الا بمقدار ما يحرز الفرد العربي والمجتمع العربي من سلطات عقليـــة ، وفضائل خلقية .

ايمان بالعقل وسعي وراء الحقيقة

وهذا التحول الحضاري لا يكون سليما باقيا ما لم يستند الى ايمان بالعقل،وسعي وراء الحقيقة. وذلك تنافس بين الشعوب اليوم هو التنافس الجاري في ميدان العلم .

ولهذا كان من واجب الشعوب العربية ان تؤمن ايمانا عميقا بانه لا بقاء لها في هذا العصر الا اذا تجهزت باجهزة العلم ، واكتسبت القدرات التي ييسرها العلم لاستغلال الثروات الطبيعية والبشرية وتنظيمها . وليس معنى هذا ان نحصل على نتاج العلم من سوانا ، بل ان نستطيع نحن انفسنا الصنع والاكتشاف والاختراع ، وبذلك نمتلك ناصية العلم امتلاكا ثابتا اصيلا .

وهذا الايمان بالعلم يمليه علينا واقع حياتنا الذي لم يعد يسمح بالانطلاق وراء الاوهـــام والخيالات ، ولم يعد يطيق اهمـــال الامكانات الطبيعية والبشرية ، وتبديدها . والمكانة المرموقة في حياتنا انما هي للشعوب القادرة بعقلها لا بعددها، النافذة بمميزاتها لا بادعاءاتها ، المتشوقة للانشاء والابداع ، المستعدة لدفع ثمنها بالسعي الشاق لمعرفة الحقيقة ، والبناء على اساسها . واية نظرة غير هذه انما هي هروب من الواقع .

الذهنية المتفتحة

ولا بد لنا اذا اردنا السير في سبيل التحضر من ان نكتسب الذهنية المتفتحة ، فهناك شعوب متفتحة واخرى منغلقة على ذاتها . وانغلاق الشعوب والحضارات عامل من عوامل تقهقرها وانحطاطها . اما الشعوب الناهضة ، والحضارات المزدهرة ، فلها من ثقتها بنفسها ما يجعلها تفتح نوافذهـــا للنور يأتيها من كل مكان . فاذا ما ضعفت ثقتهـا بنفسها ، وانغلقت على نفسها النوافذ والابواب ، وقبعت في قوقعتها ، فسد مناخها العقلـــي . والحضارة العربية خير شاهد على ان الانفتاح دليل الحيوية والعافية ، فهي في ابان عزها قد فتحت نوافذها للنور يأتيها من كل مكان، فأخــذت واعطت واستمدت وامدت . فلما انكمشت على نفسها ، قل عطاؤها ، وضعف اسهامها ، ولهذا كان علينا ابناء الشعوب العربية ، ان نكتسب هذه العقلية المتميزة بالابعاد المتسعة المطلقة . فاذا ميزنا عن هذا ، وظلت اهتماماتنا محصورة بحدودنا الضيقة ، واقمنا سدودا وحدودا تفصلنا بعضنا عن بعض ، ولنضيق مجالات نظرنا وفكرنا وعملنا ، انما الدليل على اننا لسنا خليقين بتحديات هذه الحياة الجائشة ، وقضينا على انفسنا باستمرار التخلف .

ولتفتح الشعوب العربية بعضها على بعض يعني تقوية حس المشاركة ، وصوغه ايمانا عميقا ، عملا مستمرا ، وتغليب المصلحة الكبرى على المصالح الصغرى ، وتعبئة الجهود كافة لصد الاخطار المشتركة . اما تفتحها على العالم فيعني الاسراع في الافادة من الخبرات الانسانية التي كانت للعالم بركب الحضارة ، مع الحرص على توجيه هذه الخبرات لخدمة اغراضنا .

تنمية الثروات الطبيعية

ومن الواجبات المفروضة علينا في وضعــــنا الحاضر تنمية ثرواتنا الطبيعيةوقدراتنا الانتاجية. ونحن بحاجةماسة الى هذا لتغطيةنفقاتنا الباهظة فهناك اجهزة الدفاع،وواجبات الانماء ، ومتطلبات العدالة الاجتماعية . ولهذا كان جرما ان نترك مواردنا الطبيعية مهملة غير مستغلة ، او مستغلة

استغلالا رهيبا . فالارض التي لا تزرع ، والمياه التي تهدر ، والثروات التي لا تستخرج ، امثلة على عجزنا . واشد من هذا ايلاما تبديد الثروات في سبيل الشهوات ، وانفاقها على البضائع الاستهلاكية التي لا تضيف شيئا الى قدرة الوطن الانتاجية . ولو ان هذه الثروات البددة انفقت في ما كان يجب ان تنفق عليه ، لاستطاعت الشعوب العربية ان تخطو خطى ابعد واثبت في مكافحة التخلف ، واعداد العدة للقضاء عليه .

تنمية الثروة البشرية

وتنمية الثروة الطبيعية لا تتم لنا الا اذا عمدنا الى تنمية ثروتنا البشرية . والثروة البشرية هنا هي الايدي التي تصنع ، والعقول التي تفكر ، وتخطط ، وتنظم . وتنميتها تتضمن التدريب ، والتعليم وعلينا ان نتذكر ان الوفرة العددية لم تعد وحدها مصدر قوة ونفوذ ، بل انها تنقلب عبئا ثقيلا اذا لم تمثل سوى اجساد تطلب تغذية ورعاية .

ان عصرنا اليوم هو عصر البحث ، والسباق في عصرنا انما هو سباق بين العقول . ولذا فانا نجد ان الامم الناهضة تتنافس في ما تعده من اخصائيين مهنيين وفنيين ، ومن علماء باحثين نظريين وفي ما تنشئه من معاهد وجامعات ومراكز بحوث . وعلى الشعوب العربية ان تسعى في هذه الحلبة ، وعلى حكوماتها ان تقرر في سياساتها التعليمية فرص ما اذا كانت تحقق لها هذا الغرض ، وتبني لها مجتمعا علميا متحضرا .

★ ★ ★

هذه هي بعض تحدياتنا في معركة الحضارة كما وردت في كتاب الدكتور زريق ، وهي معركة حياة او موت . ■■

الدكتور محمود السمره
الجامعه الاردنية ــ عمان



حياة جديدة

تأليف : فاضل السباعي : مؤسسة المعارف بيروت ــ الثمن ٢٥ قرشا سوريا

● مجموعة من القصص الشيقة تبحث مواضيع من بيئات مختلفة باسلوب شيق .

مشكلة الفقر

تأليف : عبد الهادي الفضلي : مطابع النعمان بالنجف بالسعودية الثمن ٦٠ فلسا

● هذا الكتاب عبارة عن دراسة شرعية على ضوء الاقتصاد الاسلامي لعوامل مشكلة الفقر والوقاية منها وعلاجها .

تاريخ بغداد او حديقة الزوراء في سيرة الوزراء

تاليف : شيخ عبد الرحمن السويدي وتحقيق الدكتور صفاء خلوصي ــ مطبعة الزعيم ببغداد

● هذا الكتاب كتاب تاريخي ادبي يفيد منه المؤرخ والاديب ويبحث في تاريخ بغداد في عصر الاسرة الاروبية .

التعاون العسكري العربي

تاليف العميد الركن حسن مصطفى دار الطليعة بيروت الثمن ٥٠٠ قرش لبناني

● الكتاب يحوي دراسة واسعة فنية تخطيطية تفصيلية للتعاون العربي العسكري يكتبها قائد عسكري كفء .

فن الدراسة

تأليف : كليفورد ت. مورغان وجيمس دي ز
ترجمة فؤاد جميل
منشورات دار مكتبة الحياة بيروت بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر الثمن ٩٠٠ قرش لبناني

● هذا الكتاب يعد مرشدا لطرق الدراسة وفيه تعليمات بسيطة لتعيين الوقت والاستفادة منه وهو بالاضافة الى ذلك يرشد الى اقوم السبل للاستفادة من الكتاب المدرسي وتدوين الملاحظات .

الحرية في ظل القانون

تأليف : القاضي وليم او. دوكلاس — ترجمة ابراهيم اسماعيل الوهب
منشورات دار مكتبة الحياة بيروت
الثمن ٤٠٠ قرش لبناني

● يبحث هذا الكتاب في تقدم النظم والقواعد الاجتماعية والسياسية والقانونية للامم المختلفة بالنسبة للفرد او المجتمع الذي يعيش فيه ، كما يتطرق لمواطن الشبه بين حضارات الامم المختلفة.

الآفاق الجديدة للسياسة العالمية ودور الشرق الأوسط

تأليف : جستر باولز ترجمة ابراهيم عبد الرحمن الخال — دار مكتبة الحياة بيروت —
الثمن ٩ ليرات لبنانية

● مؤلف هذا الكتاب من كبار الشخصيات ومن اساطين ساسة العالم ، وقد امضى سنوات عدة في تهيئة وجمع مواد هذا المؤلف فجعله سفرا نفيسا فريدا في موضوع السياسة وفي بابه .

١٩٧٥ والمعجزات العلمية المنتظرة

تأليف : أرنولد ب. باركر ترجمة اللواء سعد الدين صبور دار النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٦٥ قرشا

● يحدثنا هذا الكتاب عن التاريخ القريب مقارنا بالماضي القريب وقد عالج المؤلف فيه موضوعات كثيرة منها الثلج والزلازل وخطوط التجميع في المصانع والآلات الكهربية وغيرها من المواضيع .

تاريخ العالم الحديث

تأليف : روبرت ر. بالمر ترجمة الدكتور محمود حسين الامين — مطبعة اسعد ببغداد الثمن دينار

● يعد هذا الكتاب مرجعا هاما اذا علمنا انه احد المراجع التاريخية بالجامعات الامريكية حتى تاريخنا هذا وهو يتناول بالبحث تاريخ أوربا من القرون الأولى حتى سنة ١٧٩٠ ميلادية .

علم التاريخ عند المسلمين

تأليف : فرانز روزنتال ترجمة الدكتور صالح احمد العلي
مكتبة المثنى ببغداد ، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين — للطباعة — الثمن — ديناران

● يعتبر هذا الكتاب سفرا نفيسا في التاريخ ، تناول فيه المؤلف بالبحث ، الطبقات والانساب والتراجم والملل والفلسفة والجغرافية والعلوم السياسية والاجتماعية والوثائق الاصلية والقصص وغيرها .

سياسة الحكم

تأليف أوستن رني ترجمة الدكتور حسن علي الذنون
المكتبة الاهلية ببغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة — الثمن ٩٠٠ فلس عراقي

● يعد هذا الكتاب مصدرا هاما من مصادر علم السياسة والحكم لا يستغنى عن قراءته المثقف .

البرامكة والعلويون

تأليف : جاسم الكلكاوي مطبعة اهل البيت كربلاء

● يبحث هذا الكتاب في موقف البرامكة من العلويين خاصة والعرب عامة باسلوب سهل .

البنوك والاقتصاد الأردني

تأليف : فهد الفانك يطلب من المؤلف بالبنك العربي بعمان الثمن ٢٠٠ فلس

● يبحث هذا الكتاب قصة النقود وتطورها ونشأة البنوك ووظائفها .

الشرق الأوسط في الشئون العالمية

تأليف جورج لنشوفسكي ترجمة جعفر خياط مكتبة دار المثنى ببغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين الثمن ٦٠٠ فلس عراقي

● يعرض هذا الكتاب تاريخ الشرق الأوسط منذ زمن الامبراطور العثماني السلطان سليمان القانوني حتى الآن عرضا علميا يتناول التنظيم السياسي والاقتصادي والاجتماعي للمنطقة .

سر الحياة

تأليف الدكتور صبري شوقي ــ دار الطباعة الحديثة بالقاهرة

● هذا الكتاب عبارة عن بحث نظري علمي ، استعرض فيه المؤلف العلوم والنظريات العلمية الحديثة وربطها بعلم الذرة .

عقاب الخطيئة

تأليف : عبد الوهاب التميمي ــ مطابع الجمهورية بالموصل

● مجموعة قصص شيقة، بأسلوب شيق يبحث فيه مؤلفها الدوافع الى الخطيئة ومدى عقاب القانون من نفس مرتكبها .

رواد الصحافة في الولايات المتحدة

تأليف : جيرالد جونسون ترجمة أحمد أبو كف دار الثقافة للنشر بالقاهرة الثمن ٢٠ قرشا

● يسرد هذا الكتاب تاريخ رواد الصحافة في الولايات المتحدة الامريكية مبرزا اخطاء هؤلاء القوم التي هي اخطاء معظم رجال الصحافة في العالم والتي بعثت الصحافة وطورتها .

موقف العالم الاسلامي تجاه الحضارة الغربية

أبو الحسن علي الحسني الندوى
مطبعة ندوة العلماء ــ لكهنؤ (الهند)

● رسالة يبحث فيها مؤلفها موقف العالم الاسلامي تجاه الحضارة الغربية ، ويستعرض حركات التجديد والتطوير في العالم الاسلامي في هذا القرن ، وحركات الدعوة الى تقليد الحضارة الغربية ، وحركات الانتقاد والثورة عليها .

الانسان في المرآة

تأليف : كلايد كلوكهون ترجمة الدكتور شاكر مصطفى سليم ــ المكتبة الأهلية ببغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين الثمن دينار وربع الدينار

● يبحث هذا الكتاب في مفهوم علم الانثروبولوجي ويلقي ضوءا على الأساليب الاجتماعية لعصرنا .

المنتقات (الجزء السادس)

منتخبات من القرآن والحديث والفقه والتاريخ والشعر ، مع تفسيرها

تأليف : يوسف بن عيسى القناعي مطبعة المعارف بالكويت

● مجموعة من التفسيرات للاحاديث الشريفة بأسلوب سهل سلس .

محاضرات الموسم الثقافي

الجزء الخامس وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق

● من هذه المحاضرات . فن القصة ، القصة العربية وقضايا المجتمع ، الأدب والقومية ، مستقبل الأدب ، الابداع في القصة ..

فن العرائس وتحريكها

وزارة الثقافة والارشاد القومي ــ دمشق

● في الكتاب : نشأة مسرح العرائس ، قواعد تحريك الدمى ، كيف يكتسب اللاعب المرونة ، كيف تصنع الدمى ..

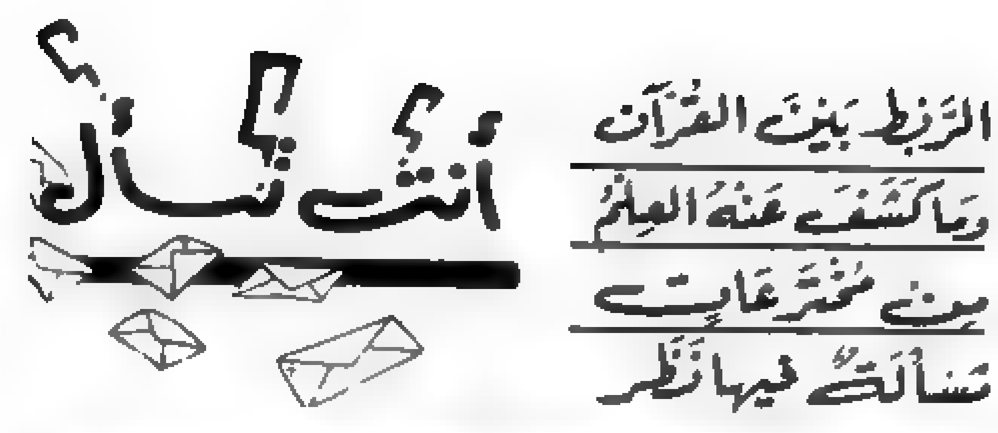
انسان الفصل الخامس

تأليف : محمود أبو الوفا ودكتور محمود زيتون مطبعة مصر بالقاهرة الثمن ٢٥ قرشا

● الكتاب يبحث فصلا من فصول علم النفس والنظريات القائمة عليه بأسلوب علمي فلسفي .

مجلة المجمع العلمي العراقي

● وتشتمل على مجموعة من المحاضرات القاها بعض رجال العلم والأدب بالعراق . ■■



السكوت على ما في التفاسير من ترهات

● نسمع من وقت الى آخر عن أشياء علمية جاء ذكرها في القرآن ، وان الاكتشافات العلمية الحديثة كثيرا ما جاءت لتؤيد حقائق علمية موجودة مثلا في القرآن لم تكن معروفة وقت نزوله ، بل لم تكن معروفة حتى وقت قريب ، مثل كيفية تكوين الجنين في بطن أمه ، وبصمات الأصابع ، وتكوين الشمس ، وما جاء عن السماء والكواكب . وهذا يقتضي ضرورة اعادة النظر في تفسير القرآن على ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة ، وعلى ضوء ما فيه من مصطلحات ومعاملات ، مما يتطلب تشكيل لجنة خاصة تضم صفوة من مختلف العلوم والفنون ، فتتكون هذه اللجنة من علماء في الطب والأدوية والطبيعة والكيمياء والفلك وغيرها من شتى فروع المعرفة والعلوم ، وكذلك علماء اللغة والمفسرين وغيرهم من أساطين علماء العرب .

فهل مجلتكم بما لها من المكانة الأدبية في العالم العربي ـ تدعو الى تنفيذ هذه الفكرة بما فيها من مزايا تعود على المجتمع العربي بالخير والتقدم ؟ وهل توجد تفاسير حديثة للقرآن على ضوء ما ذكرت ؟ وما اسمها وتاريخ صدورها ؟

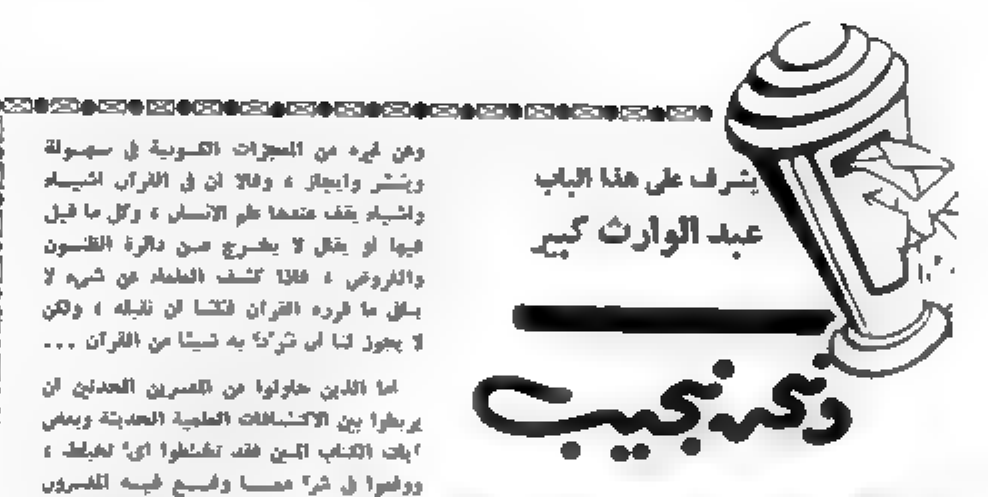
حسني عبد الجواد الشامي

عضو جمعية الأدباء ـ القاهرة

ـ لا نعرف بين تفاسير القرآن ، قديمها والحديث ، تفسيرا عرض لما يشير اليه الكاتب من الاكتشافات العلمية الحديثة من قريب أو من بعيد ، لأن أكثر هذه الاكتشافات لم يكن قد عرف أو اتضحت معالمه علما وقت وضع المفسرين القدماء تفاسيرهم كالطبري والنيسابوري والألوسي والقرطبي والزمخشري

السنتو ... هل تعرفه ؟!

● نعرض ، وبحكم « العربي » المجلة ستستقبل عامها السابع الجديد ، أن أهنئكم بخالص التهاني القلبية بعيد ميلادها السعيد ... أدعو أن يوفقكم جميعا و ... « العربي » ، فإنها في طريق التقدم ... « العربي » ، هذه الهدية الرائعة التي تقدمها الكويت العربية الناهضة الى العرب في كل



جريمة لا تغتفر !

واضرابهم .. وربما كان اجراهم جميعا على التعرض للعلوم الكونية ، الفخر الرازي ، وان كان تفسيره لم يخل من اخطاء لاتقل خطرا عن تلك الاسرائيليات التي دست في معظم تفاسير اهل «المنقول» ، او تلك التأويلات العجيبة التي وردت في بعض التفاسير ، والتي هي في نفس الوقت ثغرات تتيح الفرصة لخصوم الاسلام ان يهاجموه من خلالها ...

حتى الامام محمد عبده ، وتلميذه الامام المراغي ، وغيرهما ممن فسر بعض سور القرآن من العلماء المحدثين ، اكتفيا بان عرضا في تفسيرهما تلك المكتشفات وما تنبئ عنه من اعجاز علمي عرضا رقيقا ، فتحدثا عن الجاذبية وانفصال الارض عن الشمس ودورانها حولها ، ثم نشوء الحياة عليها ، تحدثا عن هذا كله وعن غيره من المعجزات الكونية في سهولة ويسر وايجاز ، وقالا ان في القرآن اشياء واشياء يقف عندها علم الانسان ، وكل ما قيل فيها او يقال لا يخرج عن دائرة الظنون والفروض ، فاذا كشف العلماء عن شيء لا يخالف ما قرره القرآن فلنا ان نقبله ، ولكن لا يجوز لنا ان نرد به شيئا من القرآن ...

اما الذين حاولوا من المفسرين المحدثين ان يربطوا بين الاكتشافات العلمية الحديثة وبعض آيات الكتاب المبين فقد تخبطوا اي تخبط ، ووقعوا في شر مما وقع فيه المفسرون الاقدمون ، سواء منهم اهل المنقول واهل المعقول ..

ولا شك في ان ما وقع فيه هؤلاء واولئك جميعا ، اما عن جهالة او عن حسن نية ، يجعلنا نؤيد اقتراح الكاتب الفاضل اعادة النظر في تفسير القرآن ، على الصورة التي يقترحها او على اية صورة تحقق ما يهدف اليه ، ولكن بشروط :

١ ـ ان تؤلف لجان التفسير من علماء الدين ، وعلماء اللغة ، ونفر قليل من اهل العلم الحديث ، على ان لا يختار الاخيرون إلا فيهم معروف مشهود يخرج بهم عن الحياد فيسيئون الى الدين في هذه العصور الحديثة باكثر مما اساء الاسرائيليون الى الاسلام في العصور القديمة . وكم ممن حمل لقبا علميا كان اكثر شعوذة ممن لم يحمل .

٢ ـ ان تضع الهيئة التي ستتولى هذه المهمة بحسب مبتغيها تنقية كتب التفسير الحالية

(البقية على صفحة ١٤٥)

مكان .. تستحق من كل قارئ عربي كل احترام واحترام .

وبهذه المناسبة ، ارجو ان اجد على صفحات مجلتكم ، بل مجلتنا الغراء ، اجابة شافية على السؤال التالي

ـ كثيرا ما نسمع عن دول حلف « السنتو » .. فمتى تكون هذا الحلف .. وما هي اسماء الدول المشتركة فيه ؟

غسان توفيق ابو الوفا ـ الكويت

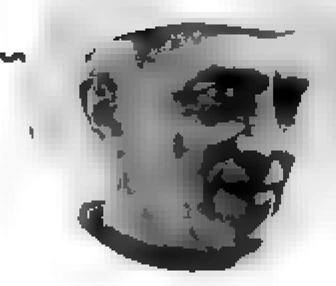
ـ الحلف المركزي « السنتو » ـ اي حلف

بغداد سابقا - تأسس في ٢٤ فبراير سنة ١٩٥٥ ، عندما عقدت تركيا والعراق معاهدة تعاون مشترك تجدد كل خمس سنوات ، ويتبادل الطرفان بمقتضاها حق الدفاع عن سلامة الآخر ضد وقوع أي اعتداء عليه .

وقد انضمت الى الحلف في نفس السنة ١٩٥٥ كل من : المملكة المتحدة (في ابريل) والباكستان (في ٢٣ سبتمبر) وايران (في ٣ نوفمبر) .

على ان العراق انسحب في ٢٤ مارس ١٩٥٩ من هذا الحلف ، نتيجة لثورة ١٤ يوليو « تموز » عام ١٩٥٨ .. فانتقلت رئاسة الحلف الى أنقرة في أكتوبر ١٩٥٨ ، واتخذ لفظ « السنتو » - أي الحلف المركزي - اسما جديدا له ، وذلك في ١٩ أغسطس ١٩٥٩ .

وبالرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية ليست عضوا في السنتو ، فانها تشترك في مساندة كافة ما يقوم به من نشاط . هذا ، وقد وقعت الولايات المتحدة الأمريكية في ٥ مارس ١٩٥٩ بأنقرة اتفاقا ثنائيا يقضي بالدفاع المشترك والتعاون لاحلال السلام ، بينها وبين كل من ايران وباكستان وتركيا .


نهرو

استفهموا .. فاكلوا

فلماذا لم يأكلوا شبل الأسد !

● قرأت فيما قرأت عن الزعيم الهندي الراحل « نهرو » انه كان نباتيا ، ومن قبل قرأت مثل ذلك عن أستاذه « غاندي » ، فوقر في ذهني أن عدم أكل اللحوم تقليد ديني عند الهنود . ولكني قرأت مؤخرا أن برنارد شو كان نباتيا مع أنه ليس هنديا .

فما هو الأصل في المذهب النباتي ، وسر امتناع معتنقيه عن أكل اللحوم ؟

وهل يستطيع الانسان أن يستغني عن اللحوم ويكتفي بالأغذية النباتية دون أن تتأثر صحته ؟

بيروت محمد سعيد العيسى

- النباتيون ، وبالانجليزية Vegtarians هم الذين يجتنبون في طعامهم اللحوم والطيور والأسماك ، ومنهم من تزيد فيتجنب مشتقاتها كاللبن والزبد والبيض .

وقد سرى هذا المذهب وانتشر في الهند بين كل من البوذيين والهندوس قبيل الألف من السنين كعقيدة دينية .. ومن هنا كان غاندي ونهرو وغيرهما من زعماء الهنود نباتيين .

لكن التاريخ عرف بعض ذوي الأسماء اللامعة ممن كانوا لا يأكلون اللحوم لأسباب لا تمت الى الدين ولا الى الصحة والمرض مثل ديوجين وفولتير وتولستوي ونيوتن وبرنارد شو وغيرهم .

واشهر النباتيين العرب أبو العلاء المعري ، وفي ذلك يقول :

غدوتَ مريضَ العقل والدين فالقني
لتسمع أنباء الأمور الصحائح

فلا تأكلنْ ما أخرج البحر ظالما
ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح

ولا بيض أمات أرادت صريحه
لأطفالها دون الغواني الصرائح

ولا تفجعنْ الطير وهي غوافل
بما وضعتْ فالظلم شر القبائح

ودع ضَرَبَ النحل الذي بكرتْ له
كواسبُ من أزهار نبتٍ فوائح

السامية .. والسامانية

● هل السامانية هي السامية ؟ واذا لم تكن هي ، فما هو الفرق بينهما ؟ والى من تنتسب كل منهما وفي أي العصور وجدت ؟

صالح بابكر - كريمر - عطبرة

السامية مجموعة من الشعوب تنتمي الى سام اكبر ابناء نوح . كان يسكن - فيما تقول التوراة - بعض بلاد غرب آسيا ، حيث انجب خمسة ابناء هم عيلام واشور وارفكشاد ولود وآرام، الذين استوطنوا بلاد الشرق الادنى بين جزيرة العرب وارمينية .

والى سام ينسب الجنس السامي واللغات السامية التي يرجع اصلها الى لغة واحدة ثم تفرعت الى ثلاثة اقسام : السامية الشرقية وتشمل البابلية والاشورية والكلدانية ، والسامية الغربية وتشمل الكنعانية والعبرانية والسريانية والتدمرية والنبطية والأمورية ، ثم السامية الجنوبية وتشمل العربية القديمة والقحطانية والحميرية والعدنانية العربية ، اي العربية الفصحى .. وذلك فضلا عن لهجات اخرى كالحبشية والأمهرية والهررية .

اما « السامانية » فاحدى دول الشرق التي نشأت في ظل الخلافة العباسية ، وتنسب الى « اسد بن سامان » من اهل خراسان ، الذي تتابع الولاة من احفاده قرابة قرن ونصف من الزمان ، وكان من اشهرهم نصر واحمد واسماعيل ونوح السامانيون .

وقد انتهى امر الدولة السامانية باستيلاء السلطان محمود الغزنوي عليها عام ٣٩٥ هـ .

كبرياء فارس .. ورقة شاعر

● قرأت في احد كتب الادب ان الشاعر الفارس ابا فراس الحمداني سمع حمامة تنوح على مقربة من سجنه ايام وقع في اسر الروم فجرى لسانه بابيات من الشعر بينها البيت الآتي :

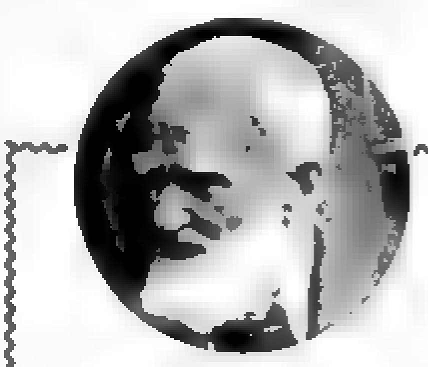
بني مثل ما بك يا حمامة فاسألي
من فك اسرك ان يفك اساري

هل تتفضلون بأن تذكروا مطلع هذه القصيدة وبضعة ابيات منها متشكرين ؟

دمنهور   خليل سلطان

- البيت الذي اوردته ليس لابي فراس ، فضلا عن انه محرف ، وهو من ابيات للشاعر المازني حين سمع مرة في سوق « باب الطاق » ببغداد حمامة تنوح في قفص ، فاشتراها واطلقها ثم انشد الابيات الآتية :

ناحت مطوقة بباب الطاق
فجرت سوابق دمعي المهراق


برنارد شو

فما احرزته كي يكون لقبرها
ولا جمعته للتذكي والتنافح

مسحت ً يدي من كل هذا فليتني
ابنت ً اشياء قبل شيب المسائح

ورسالته الى « داعي الدعاة » في تحريم اكل الحيوان ، والحوار الذي اجراه على لسان بعض الحيوانات والطيور في « اللزوميات » تنطق بانه لم يكتفي هذا الغذاء تدينا ولا زهدا ولا خوفا من الامراض .. ومرض يوما فوصفوا له الدجاج فامتنع ، فالحوا عليه حتى اظهر الرضاء فلما قدموه اليه لمسه ، فجزع ، وقال : « استضعفوك فاكلوك .. هلا اكلوا شبل الاسد ! » ثم ابى ان يطعمه ..

اما ان الانسان يستطيع ان يستغني عن اكل لحوم الحيوانات والاسماك والطيور دون ان تتأثر صحته فشيء بديهي ، لان البروتين ، وهو مادة اللحوم الاصيلة ، يوجد في البقول وسائر النقول كالجوز واللوز .

حنت إلى أرض الحجاز بحرقة
تشجو فؤاد الهائم المشتاق
كانت تغرد في الأراك وربما
كانت تغرد في فروع السماق
فتركتها لما سمعت حنينها
وعلى الحمامة جنيت بالإطلاق
بي مثل ما بك يا حمامة فاسألي
من فك أسرك أن يحل وثاقي

أما قصيدة الشاعر الفارس أبي فراس الحمداني في الحمامة التي سمعها تنوح بالقرب من سجنه فيقول فيها :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة
أيا جارتا هل تشعرين بحالي
معاذ الهوى ، ما ذقت طارقة النوى
ولا خطرت منك الهموم ببال
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا
تعالي أقاسمك الهموم تعالي
أيضحك مأسور وتبكي طليقة
ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة
ولكن دمعي في الحوادث غالي

وشتان ما بين القصيدتين . ففي الأولى رقة الشاعر الذي لم يكابد الحرب وإن كابد الشوق والحنين ، وفي الثانية كبرياء المحارب البطل الذي يكابد الشوق والأسر على السواء .

أمريكا اللاتينية ..

● « كثيرا ما نسمع باصطلاح (دول أمريكا اللاتينية) دون أن ندري أسماء جميع تلك الدول ، ولا سبب وصفها باللاتينية . فهل تتكرم مجلتنا الزاهرة بجلاء ما غمض علينا في هذا المجال ؟ » .

المدينة المنورة — حمزة عبد الحفيظ

— يطلق هذا الاصطلاح على البلاد الأمريكية التي تنتشر فيها اللغتان : الإسبانية والبرتغالية .. لأن أصل هاتين اللغتين يعود إلى اللغة اللاتينية القديمة. وتتكون أمريكا اللاتينية من ٢١ دولة هي :

المكسيك ، هندوراس ، هندوراس البريطانية ، نيكاراجوا ، جواتيمالا ، بناما ، كوستاريكا ، سلفادور ، الأرجنتين ، بوليفيا ، البرازيل ، غيانا البريطانية ، شيلي ، كولومبيا ، اكوادور ، بيرو ، باراجواى ، غيانا الفرنسية ، سورينام (غيانا الهولندية) ، اوروجواى ، فنزويلا .

خيانة زوجية

● أنا رجل في الخامسة والأربعين ، متزوج ولي من زوجتي ولدان وبنت واحدة . عندما كنت في الثانية والعشرين أحببت فتاة من أسرة لبنانية كانت تعيش في سوريا ، وكنت إذ ذاك في آخر سني دراستي الجامعية ، أقطن في شقة ملاصقة لشقتهم ، وبادلتني الحب واتفقنا على الزواج عقب تخرجي ، لكن أهلها اكتشفوا ما بيننا من غرام فوقفوا في طريقنا ومنعوا الفتاة من الخروج ، بل حتى من الوقوف في الشرفة حتى لا تراني أو أراها ، لأنها مسيحية وأنا مسلم ، ولكن هربنا رغم الحصار المضروب حولها واختفينا في مكان بعيد ، وتزوجنا زواجا عرفيا حتى لا تكون لأحد علينا سبيل . ومع ذلك لم تفلت من أيديهم ، فاختطفوها بعيدا عني بعد أن انهالوا بالضرب عليها وهي قاصر !

وانقطع ما بيني وبينها بطبيعة الحال . ومرت سنوات ، وتزوجت تحت ضغط والدي ، ثم جرفتني الحياة الزوجية وتربية الأولاد حتى نسيت كل شيء عنها . إلى أن قدمت للعمل في الكويت منذ أكثر من عام ، وما كان أشد دهشتي عندما كنت وزوجتي مدعوين لتناول العشاء عند أحد الأصدقاء فإذا بي أراها — تلك الحبيبة الغالية — وجها لوجه ، في بيت ذلك الصديق مع .. زوجها !!

ولا تسل عن حالي ورب الدار يقدم كلا منا للآخر بعد كل هذه السنوات التي زادتها فتنة وجمالا ، حتى لقد تمنيت لو أنها لم تكن متزوجة فأتزوجها مهما كان الثمن !

ولست أطيل عليكم .. فقد تعددت مقابلاتنا عند بعض الأصدقاء ، كما تعددت محادثاتنا التليفونية في غفلة من الرقباء .. وأخيرا انفردنا في مقابلة عاصفة بكينا فيها طويلا ، وعشنا ساعة

صريحة ، حتى ولو لم يعترف بها القانون

من أجمل سنوات عمرنا ، فقد استيقظ في قلبينا حبنا القديم ، وتبادلنا من العناق والقبلات ما تبادلنا ، وعرفت أنها هي الأخرى قد رزقت من زوجها ولدا وبنتا .. وتكرر لقاؤنا ، فكنا في كل مرة أشبه بعاشقين تجتاحهما عاطفة جارفة وحب لا يدوم ، ومع ذلك لم نفكر مرة في أن نتجاوز العناق والقبلات ، لأنني أخشى توبيخ الضمير

صدقني أن كلا منا يريد أن يتخلص من زوجه كي يلتقيا على الغرام من جديد .. ولكن المشكلة هي مشكلة أولادنا .. فهي لا تقوى على فراق أولادها ، وكذلك أنا .. علما بأننا كلينا اليوم أكثر ما نكون استعدادا للتضحية بكل شيء في سبيل أن نرتبط برباط الزواج ، ما عدا الأولاد

فبربكم ماذا نفعل ؟!

الكويت — ا. س

— أريد رأيي بصراحة ؟ إذن فلتعلم أنت وصاحبتك أنكما مراهقان كبيران .. لا .. بل أنتما بما تصنعان إنما ترتكبان خيانة زوجية لا تقلل من شناعتها أنكما تقتصران على تبادل العناق والقبلات !

ودع عنك حديث توبيخ الضمير .. فلو أن لأحدكما ضميرا يوخزه لما ارتضى لنفسه ولا لصاحبه هذا الموقف المشين ..

إن الوقت الذي تقضيه هذه المرأة معك إنما تختلسه من زوجها وأولادها . وكذلك أنت تختلس الوقت الذي تنفقه معها من زوجتك وأولادك !

وهذه القبلات .. وهذا العناق .. كلها قبلات مسروقة ، وعناق مختلس .. فلا يجوز لامرأة شريفة أن تسمح لغير زوجها بأن يعانقها أو يقبلها ، أو حتى أن يطارحها الهوى ولو بمجرد النظرات أو الكلام !

والرجل الشريف لا يسمح لنفسه بأن يسرق ما لزوجته ليغدقه على امرأة أخرى .. متزوجة !

وهو عند ذلك فقط أن يتحدث عن توبيخ الضمير !

لست أدري كيف غاب عنكما شيء هو — في موقفكما — أبسط ما قد يخطر ببال الإنسان !

ألم تفكر أنت في أنك قد تعود إلى بيتك يوما فترى زوجتك في خلوة مع رجل غريب ، تبادله القبلات والعناق ! فماذا تفعل ساعتها بها وبه بعد ذلك ؟! أتخلي لهما الطريق وتدعهما يتطارحان الهوى والغرام على مرأى منك ومسمع ، أو حتى من وراء ظهرك ؟ أم أنك عندها ستقيم الدنيا وتقعدها عليهما بافتراسهما أليس ، وقد ترتكب جريمة قتل أو شروع فيه ، بحسم الشرف ، والعرض ، والكرامة ، أو — على الأقل — لتظهر بمظهر الأخلاق والشرفاء !

وهب أنك ساعدتهما فالتقيتما بمجرد الطلاق .. فترى ماذا يكون موقف أولادك ، أو موقف الناس من أولادها هي ، عندما يشيرون إليهم في الطرقات وهم يقولون : هؤلاء هم أبناء المرأة التي خانت زوجها !

فلماذا لا تفكران في ذلك كله ، وقلتما تستبعدان أن تقعا ، أنت وهي ، في يدي زوجها متلبسين ، ولو بمجرد القبلات والعناق ، فيرديكما صريعين ، أو على الأقل يزفكما في موكب التعس والعار !

فتوبا إلى رشدكما أيها اللاهيان بالنار ، قبل أن تترديا في الهاوية أو تأكلكما النار ! ..

الغجر ليسوا من اصل مصري

● قرأت بالعدد ٧٢ ردكم على سؤال الأخ العربي ابو هيثم الحمداني عن « الغجر » وجيء انهم جماعة من الناس يقال ان اصلهم من شعوب الهند القاهرة ، مع اني قرأت منهم من سنوات بحثا في مجلة انجليزية يقطع فيه صاحبه ان الغجر اي Gypsies من اصل مصري بدليل ان اسمهم مشتق من اسم مصر Egypt.

وفي دائرة المعارف البريطانية وردت العبارة الآتية : "Gypsy, like Spanish Gitano, derives from Egyptian"

فأي الرأيين أصح ؟

بيروت عائشة اسماعيل

— الذين يزعمون ان الغجر من اصل مصري مخطئون في ما يزعمون . صحيح ان المؤرخين اختلفوا في اصل الغجر ، ومن اين جاءوا ، وفي اي الظروف رحلوا الى البلاد التي يعيشون فيها ، لكن العلامه « جيرلان » يقطع بان الهند هي موطن الغجر الاصلي ، وانهم ينتمون الى قبائل « الجانتس » التي كانت تعيش عند نهر السند شمالي غرب الهند ، ويؤيده في ذلك كل من سير ريتشارد برتون والاساتذة برت وبارتلت وارسرنت ، وكلهم حجة ثقة .. وهم يرجعون انهم — اي الغجر — رحلوا عن موطنهم ثلاث مرات ، الاولى عندما هاجروا الى مصر وحاولوا تكوين دولة لهم في صحرائها ، وكانوا يعرفون باسم الرحالة او الهكسوس ، فطاردهم المصريون ، وهزموهم .. والثانية ، وكانت الى مصر ايضا ، عند غزو الاسكندر الاكبر لبلاد الشرق .. اما الثالثة فكانت في بداية غزو المسلمين للهند عندما اخضع المعتصم قبائل « الجانتس » وانزل بهم خسائر فادحة ففر الكثيرون الى مصر ايضا كما فر آخرون الى ايران ومنها رحلوا الى شواطيء البحر الاسود وبلاد اوربا .

ولعل هجرات « الجانتس » الثلاث الى مصر واستيطانهم فيها وقتا طويلا ، واعتقادهم بعد ذلك عندما رحلوا الى شواطيء البحر الاسود وبلاد اوربا انهم مصريون ، لعل ذلك هو ما جعل بعض المؤرخين يزعم خطأ انهم من اصل مصري ، في حين ان مصر لم تعرفهم الا عندما كانوا يرحلون اليها فرارا مما يقع عليهم في وطنهم الاصلي من الاضطهاد.

الآية صحيحة كما وردت

● ورد في احد اعداد « العربي » الاخيرة ذكر الآية القرآنية الكريمة التالية : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به » (صدق الله العظيم) .

على اني اعتقد بوجود تأخير وتقديم في العبارة الاخيرة ، التي ارجح انها هكذا بالاصل : « .. وما اهل به لغير الله » .

وهذا وذاك لا يجوز ، بل التالي ان المجلة تصدر في جميع انحاء العالم العربي وربما الخارجي ، فارجو ، والح في الرجاء ، ان ينتبه السادة القائمون الى هذا الخطأ خوفا على سمعة المجلة .

محمد امين الفوارجي — القاهرة

العربي : الآية صحيحة كما وردت في «العربي» يا اخا العرب .. فهي منقولة حرفيا عن مطلع الآية الثالثة من سورة المائدة ، ولعله قد التبس عليك الامر فخلطت بين هذه الآية والآية ١٧٣ بسورة البقرة .

دردشة = دردلشمك ؟!

● تعقيبا على ما جاء في العدد ٧٢ من «العربي» حول كلمة : دردشة ، اذكر هنا ان هذه اللفظة ليست عربية ، وانما هي اجنبية ، جاءت الينا في الاصل من كلمة « دردلشمك » التركية ومعناها ان يتبادل المرء احاديث همومه واشجانه ومشاكله الشخصية مع شخص آخر .

و « دردلشمك » ذاتها مركبة من كلمة « درد » الفارسية ومعناها : الالم ، الأذى ، الوجع ، العلة ، المشكلة .. وما اليها . ومن اداة « لشمك » التي تلحق بأواخر الكلمات في اللغة التركية فتكسبها معنى المشاركة والمقاسمة .

ولذا يمكننا القول ان « دردلشمك » هذه قد دخلت الى لغتنا العربية ، مع العديد من الالفاظ التركية ، في ابان الحكم التركي ، ثم حرفتها الالسن الى شكلها الحالي « دردشة » بمرور الزمن .

احمد مصطفى
المفتش بوزارة التربية والتعليم
بغداد

المقرى والمقريزي .. والرازي والسيوطي

● وجدت في العدد الممتاز من « العربي » في الصفحة ١٠٢ من الموضوع (اعرف وطنك أيها العربي) « وهذا الكتاب اول من تحدث عنه المقريزي في كتابه – نفح الطيب – وذكر انه شاهده بخزانة القرويين » .. والصحيح ان (كتاب نفح الطيب) ليس للمقريزي بل للمقري وعنوانه نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب . وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب لاحمد المقري المتوفى سنة ١٠٤١ هـ .

وجاء في الصفحة ١٦٨ في مقالة الدكتور محمود السمرة (شمس العرب تسطع على الغرب) « وظل كتاب الفخر الرازي في الطب المرجع الاساسي » الخ ..

والصحيح ان كتاب الرازي في الطب هو كتاب « الحاوي في الطب » لمؤلفه ابو بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١٣ هـ . اما كتاب الفخر الرازي فهو المعروف بكتاب مفاتيح الغيب في تفسير القرآن لمؤلفه الامام الرازي الملقب فخر الدين المتوفى سنة (٦٠٦ هـ) .

وفي باب « انت تسأل ونحن نجيب » جاء في موضوع (والقرآن ما يأتيه فيه بكل الاكتشافات العجيبة في القرآن جميعها في كتاب المتوكلي (جلال الدين السيوطي لمحمد المهدي التكليف في العصر العباسي) ، مع ان جلال الدين السيوطي قد عاش في العصر المماليكي في مصر .

محمد قاسم الرجب
بغـداد

« العربي » : تشكر السيد محمد قاسم الرجب ملاحظاته ، وان كانت اولاها نتيجة خطأ مطبعي لايخفى على لبيب . والثانية نتيجة التباس بين الرازي الطبيب والرازي المفسر غير مقصود . اما الكتاب الذي الفه جلال الدين السيوطي فاسمه « المتوكلي » نسبة الى الخليفة المتوكل على الله العباسي في العصر العباسي الثاني الذي كان خلفاؤه بمصر ، وهو الذي امره بتاليفه كما يقول هو نفسه وقد اقتدى السيوطي في هذه التسمية بالامام ابي بكر الشاشي الذي الف كتابا في الفقه بامر الخليفة المستظهر بالله وسماه المستظهري .

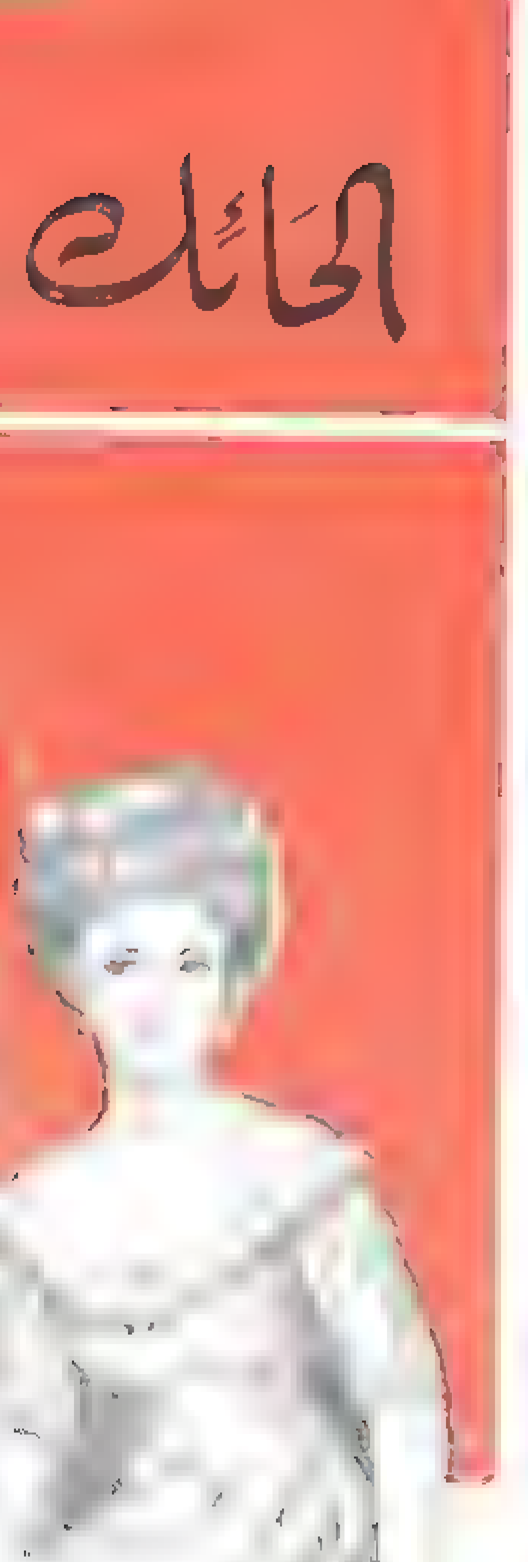
(بقيـة المنشـور على صفحـة ١٣٩)

من الاسرائيليات اولا ، ومن التأويلات الخاطئة او غير المعقولة ثانيا .

٢ – ان الذكر الهيئة وهي تراجع التفاسير الحالية او تضع للقرآن تفسيرا جديدا ، ان القرآن ليس كتاب طب او فلك او جيولوجيا او طبيعة ، وانما هو كتاب تشريع في المقام الاول ، فلا ينبغي ، بل ولا يجوز ، ان تحمل آياته من المعاني ما لا تحتمل ، او ان نحاول اخضاعها للاكتشافات الحديثة او تطبيع لها هذه الاكتشافات ، التي لا تتعرض القرآن في المستقبل القريب او البعيد لما تعرضت له بعض النظريات العلمية القديمة ، وما قد تتعرض له بعض النظريات الحديثة بعد عشرات السنين ، او مئاتها ، من تغيير وتبديل ، او من سقوط وانهيار ...

نعم يجب الا نزج بالقرآن في مثل هذه النظريات – وهي اكثر من ان تحصى – لنحفظ له قداسته ، ولنظل كما قال الله تعالى : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ولا نعرضه لسخافات بعض المتطفلين الذين زعم احدهم ان طائرة الفضاء قد ورد في الآية الكريمة « واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم » ! فقد ذهب يزعم في جرأة عجيبة ان الدابة التي تشير اليها هذه الآية انما هي الصواريخ والاقمار الصناعية ، لانها – فيما يزعم – متحركات تخرج من الارض وجاذبيتها ، وانها تكلم الناس جميعا بلغة علمية عامة ، هي لغة العلم التي يعرفها الناس في مختلف الدول ، وتروي لهم قصة الطفرة واسباب الحياة واسرار الكون ، بدليل ان الاقمار الصناعية بعثت بالفعل تصلنا من القمر الاخر ، والاشعة الكونية ، والجاذبية .. الى اخر ما يعجل الانسان من ذكره من هراء وترهات !

ان الجيل الناشيء من المسلمين ، جيل يعتز بايمانه .



لا يكاد احد من كتاب العصر الحديث يفوق الكاتبة الروائية الامريكية « بيرل بك » في تصوير أهل الصين ، فقد عاشت بينهم ردحا طويلا — كعضو في الارساليات المسيحية الامريكية — وتغلغلت في اوساط اهل الريف وابناء الاحياء الفقيرة في المدن، فوق عواطفها ما كانت تستفيده.. واستطاعت ان تقدم في رواياتها وقصصها صورا حية لهم ، ولم كانوا [illegible] من بؤس ، ولابناء جنسهم بوجه عام

وهذه قصة كتبتها « بيرل بك » عن الحرب العالمية الثانية ، فصورت فيها لوحة ناطقة بالفوارق الكبيرة بين حياة البذخ التي كان الاجانب يعيشونها هناك ، وبين الفقر المدقع الذي كان الاهالي يعيشون فيه

■ « الحزم هو الوسيلة التي نعامل بها هؤلاء الحائكين الوطنيين يا عزيزي » .

واستمرت مسز « لو » زوجة مدير [illegible] في المقعد [illegible] ، في [illegible] [illegible] الوجه من [illegible] الاربط في الآن ، [illegible] خلال [illegible] [illegible] في [illegible] الساحل [illegible] [illegible] [illegible] السيد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] « لقد [illegible] يا سيدتي » .

[illegible] « [illegible] » في [illegible] لا يدري [illegible] ، [illegible] الحق انني احس لو استطعت ان احطم طوقه معه يا اماني » ..

[illegible] ، ثم استطردت في [illegible] عن الشكوى « ثم اخال احيانا ان الثياب الحديثة لا تكاد تستحق ما تلقاه الواحدة من عناء في سبيلها ، بالرغم من انها رخيصة هنا ، لا سيما اذا اشترينا لها حريرا محليا .. هذا اكثر ما نلقاه في سبيل اعدادها من هؤلاء الحائكين .. ان حائكي يعدني بلهجة صادقة بانه سيفرغ من الثوب في ثلاثة ايام ثم لا يعود قبل اسبوع او اثنين ! » .

قصة للكاتب الامريكى بيرل بك

الصينى

وتعالت سولين ، حتى انتهى الى دهرة ، وهي ترد حركة المروحة سرعة سالت لها حسن ولو في امتداد " « انظرى ما سوف افعل مع هذا العاتك » وكان لها صوت عميق حازم وعينان حادتان سوداوان ، مستطيلتان ، تحجب حاجبين سيى كثيفين وتحولت سالى الصيين الى الحلام الصيني ، وهو في موضعه ينظر في



الارض تأدبا ، فقالت له « قل للحائك ان يدخل يا ولد ! » .

وتمتم الخادم : « سمعا يا سيدتي » ، ثم اختفى .. وسرعان ما دب ولمع لمعين خاطفتين جاء من خلال الابواب المفتوحة ، واتى الحائك من أقصى البيت يتبع الخادم خلال البهو . وكان طويلا ، أطول من الخادم ، في اوسط العمر ، وقد سالت وجهه سكينة مطمئنة مبيتة من أعماله .. وكان في ثوب طويل من القنب الازرق السائل الثوب، تتخلله فتوق رتقت بعناية بالغة عند المرفقين ، ولكنه كان نظيفا جدا .. وتحت ابطه حزمة تلتف في لفائف ابيض . وانحنى للسيدتين الجالستين ، ثم انحنى ، ووضع الحزمة على ارض الشرفة ، وراح يفك رباطها . وكان بداخلها كتاب بال ، متآكل الاطراف من كتب الازياء ، أصدرته شركة أمريكية ، وثوب من الحرير الأنيق الرقيق يتخلله بهجة لم يكتمل اعداده . فمد الثوب في عناية ورفعه أمام مسز « لو » لتتأمله . وتبدى من اجزائه المتفاوتة أنه كان يصنعه لها فتأملته في فتور وتجهم ، متفحصة كل دقيقة فيه . ثم تكلمت فجأة بصوت مرتفع .

— لا اريد هذه الياقة يا حائك .. لقد قلت لك انني اريدها مكشكشة .. انظر ، انها الطراز الشائع .

وقلبت صفحات الكتاب بسرعة ، حتى بلغت رسما لاحد ثياب الزيطات في الصيف ، وقالت : « انظر .. اريد الطراز الذي ترتديه هذه السيدة بكل دقائقه . فلماذا صنعت ياقة منبسطة ؟ لا اريد هذا الثوب .. لا اريده .. ابعده عني ! » .

وتفصد العرق من وجه الحائك برغم هدوئه وصبره ، وقال بصوت خافت : « سمعا ياسيدتي » .. ثم زم شفتيه ، وملأ رئتيه بالهواء ، وراح يقول . « لقد طلبت في البداية كشكشة الياقة يا سيدتي ، ثم قلت : لا كشكشة .. ومنذ ايام قلت انك تريدين ياقة منبسطة ، فلن الكشكشة تريد البدانة الهورا » .

ونقل المرأة البيضاء في صراحة . ولكن مسز « لو » لوحت بيدها السمينة ذات الصوالح ، كأنها تبعده عنها . وصاحت بلهجة صارمة « كلا ، انك تكذب يا حائك . انني اعني ما اقول . وما قلت انني اريد ياقة منبسطة .. مطلقا ! ما من سيدة تطلب ياقة منبسطة في هذه الايام . من امرأة انت ياترى تستمعت ؟ »

وقال الحائك : « سمعا يا سيدتي » . ثم انبسطت اساريره بعض الشيء ، وقال مقترحا « احضري مزيدا من القماش يا سيدتي ، لا بأس، سأصنع لك ياقة مكشكشة » .

ولكن مسز « لو » لم تكن سهلة الارضاء ، قالت له : « حقا ! .. لقد اتلفت الكثير من القماش .. اتحسبني احصل على هذا القماش بالمجان ؟ .. كم من النقود خسرتها بسببك ! » .

وتحولت الى ضيفتها قائلة : « كنت اود طبع هذا الثوب يا ميتي ، لارتديه في الحفل الذي سيقام بمناسبة القنصلية بعد غد ، فماذا تريني فاعلا به ؟ .. قلت له انني اريد كشكشة ، فانظري هذه الياقة السخيفة التي صنعها ! » .

قالت مسز نيومان بصوتها الكليل المستخذي : « الذي اريد ان اعرفه هو كيف سيتسنى لك ذلك ؟ » .

فاجابت مسز « لو » وهي متكدرة من النابيا : « ساتدبر الامر » .

وتجلجلت الحائك برهة ، وهي تسرّح بصرها في حديقتها الشاسعة .. ولم ينبس ببنت شفة ، والحائك واقف منتصبا برغم ما كان يلقى من عناء، وهو يمد ممسكا بالثوب من كتفيه ، وخط رفيع من العرق يجري على كل جانب من جانبي وجهه وما لبث أن رطب شفتيه ، واسرع يقول بصوت مرتجف : « اتحب السيدة ان تجرب الثوب ؟ » .

فبادرت مسز « لو » قائلة في حسم : « كلا ، لا اريد .. لماذا اجربه .. كل شيء فيه خطأ .. والياقة خطأ في خطأ .. فلماذا اجربه ؟» .. وظلت تنظر الى الحديقة . فقال الحائك متحمسا لارضائها : « بوسعي ان اصنع الكشكشة .. اجل يا سيدتي ، سأفعل ما تقولين بحذافيره . فمتى تريدينه ؟ » .

واجابت المرأة البيضاء : « اريده غدا .. على ان تحضره في الساعة الثانية عشرة ظهرا . واذا لم تحضره ، فلن ادفع اجره .. افهم ؟ انك لا تفتأ تسأل متى تحضره ، ولكنك لا تحضر شيئا» .

وقال الحائك بفتور : « بوسعي ان احضره في الصباح » . واخذ يرتاخى ، فطوى الثوب في المرة ثانية ، وربطها برفق ، وهو يحرص على الا يختل بأطرافها ، ثم نهض ووقف منتظرا ، وعلى وجهه لوعة الضراعة .. بل ان نفسه كلها كانت تفيض في ضراعة صامتة ، ارتسمت على الصدغين البارزين ، وعلى شفتيه المنفتحين . وعاد العرق

ينتحب من جديد .. وشعرت مسز « لو » بالذي أوحى اليه بالوقوف موقف الذلة هكذا فتعدلت في مقعدها الهزاز، وتطلعت اليه ، ثم قالت بحدة: « ما عندك ؟ » ..

فرطب الحائك شفتيه بريقه مرة ثانية ، وقال بصوت ضعيف : « هل تستطيعين ان تعطيني مبلغا صغيرا يا سيدتي .. دولارا أو دولارين .. » وازداد صوته ضعفا ، فزاد نظرتها القاسية ، وهو يقول : « ان ابن أخي يموت اليوم ، فيما أحسب .. وله ثلاثة اطفال وامرأة .. ولا نقود عندهم لشراء تابوت.. لا شيء .. ان المرض اشتد به اليوم .. » .

ونظرت مسز « لو » الى ضيفتها ، وهمست مبهوتة : « يا لها من جرأة ! » . فردت مسز نيومان نظرة بمثلها ، وقالت : هذا ما قلته لك.. انهم مزعجون .. انهم لا يفكرون الا في النقود ! »

وتحولت مسز « لو » بعينيها الزائغتين الى الحائك ، فلم يرفع بصره ، ولكنه مسح شفته بكمه خلسة .. وحملقت فيه لحظة ، ثم انبعث صوتها قاسيا : « كلا .. كلا . أفرغ من اعداد الثياب على الوجه الصحيح ، مع الكشكشة، فادفع لك .. وما لم يتم الثوب فلن ادفع لك شيئا . أفهم يا حائك ؟ »

ورفع الحائك ثم قال : « نعم يا سيدتي » .. وليعد كل أثر للأمل في وجهه وطوى جزء الضراعة الذي فيه .. وأسدلت عليه معالم اليأس البارد قال : « سأتم الثوب في الثانية عشرة غدا يا سيدتي » . ثم تحول منصرفا . فصاحت مسز « لو » في أثره مزدهية بانتصارها : « احرص على ذلك ! » . وصمتت – وهو ينسحب في البهو – بازدراء . ثم التفتت الى ضيفتها قائلة : « اذا كنت غدا ، فقد يكون الثوب معدا بعد الظهر » وخطر ببالها أمر ، فالتفتت تضغط جرسا بشدة واذا الخادم يظهر ، فقالت له : « راقب الحائك يا ولد .. راقبه حتى لا يأخذ شيئا » . وتردد صوتها العالي في ارجاء البيت ، واذا بالحائك – وكان قد بلغ نهاية البهو – يستقيم بعض الشيء .. ثم غاب عن البصر .

وقالت مسز لو : لا تستطيعين ان تجزمي بأنهم لا يلفقون هذه الحكايات .. انهم دائما بحاجة الى النقود . ما رأيت قط قوما كهؤلاء . ومع ذلك فلا بد انهم يكسبون كثيرا من صنع الثياب لكل هؤلاء الاجانب المقيمين في هذا البلد . على ان هذا الحائك أسوأ من معظمهم . فهو لا ينفك يطلب نقودا قبل أن يتم عمله . ولقد جاءني ثلاث مرات متلاحقة ، ليقول ان هناك طفلا مات ، أو شيئا من هذا القبيل . لست أصدق كلمة من قوله . لعله يدخن الأفيون ، أو يلعب الميسر .. كلهم يقامرون .. ولا تطمئن النفس الى كلمة مما يقولون » .

وقررت مسز نيومان قائلة، وهي تنهض لتنصرف : « انني اعرف هذا ... » وانتصبت مسز لو كذلك ، وقالت مرة أخرى : « لا بد للواحدة من ان تكون حازمة على اية حال ! »

واذ غادر الحائك بيت الأجنبية البيضاء البدينة ، سار في صمت ودعة في الطريق العام . لقد سألها ، فأبت ان تعطيه شيئا . أبت أن تعطيه شيئا بعد كل الخوف الذي تملكه من ان ترفض ، وبرغم كل ما بذله ليستجمع جرأته . لقد احتمل صنع أكثر من نصف الثوب ، ولم تبق الا هذه الحاشية المكشكشة. لقد أعطته الحرير منذ يومين ، ولقد ابتهج لذلك ، لأنه سيعود عليه بخمسة دولارات من اجل ابن اخيه الذي يعتبره ابنا له بعد ان أخذت الآلهة أبناءه الصغار .. وكانوا ثلاثة . ولقد جعله هذا يزداد تعلقا بابن أخيه . وكان شابا يعمل لدى حداد ، وقد أصبح ابا لثلاثة أطفال ، هو الآخر .. فكم كان قويا .. هذا الذي كان يظن انه سينجو من قبضة الموت هكذا ! .. لقد كانت قطعة حديد طويلة محماة هي السبب منذ شهرين ، اذا انزلقت وهو يشكلها لتكون مسامير ، ووقعت على ساقه ولحمه ، فأكلت اللحم حتى بلغت العظم تقريبا . ذلك انها وقعت على لحم عار، اذ كان الوقت صيفا وحانوت الحداد حارا ، فلم يكن الشاب يرتدي سوى سروال من القطن الخفيف وقد رفعه حتى فخذيه .

ولقد جربوا كل نوع من الدهون والمراهم ، ولكن أي مرهم يعيد اللحم ثانية ، وأي بلسم هنالك ليدمل هذا الجرح ؟ .. فقد تورمت الساق كلها ، وها هو ذا الشاب يرقد محتضرا في هذا اليوم العاشر ، من الشهر التاسع .. كانت ثمة خطوط سوداء على ساقه من العجز حتى القدم، ولكنها كانت غير مجدية . أجل لقد تبين الحائك هذا بنفسه في الصباح ، حين ذهب يعود ابن أخيه .. رأى الموت جليا على محياه . وكانت زوجة الشاب تجلس باكية في مدخل المسكن

المؤلف من حجرة واحدة ، والطفلان الكبيران يحملقان فيها واجمين ، وقد صرفهما الوجوم عن اللعب . أما الطفل الثالث فكان رضيعا ، ضمته الى صدرها .

* * *

وعرج الحائك الى درب ، ثم ولج بابا في جدار، قادا به في فناء ضيق باطفال صغار يتصايحون ويتشاجرون ويتصارخون وهم يلعبون . وفوق رأسه ، كانت ثمة شبكات من الحبال ، تتدلى منها ثياب خلقة غسلت في مياه قذرة ، وبدون صابون .. وفي الحجرات التي تحيط بمثل هذا الفناء ، تسكن كل أسرة حجرة ، وتلقي بفضلاتها في الفناء ، حتى لقد كان الفناء قذرا ، تجري فيه المياه المختلفة ، برغم ان اليوم كان قائظا .. وكانت كل الأيام قيظا منذ شهر أو أكثر .

ولكنه لم يفطن لشيء من هذا . بل مرق خلال ثلاثة اقبية اخرى — ثم الاول — ثم تحول الى باب مفتوح الى اليمين ، وغاص في حجرة مظلمة لا نافذة لها . وكانت ثمة رائحة غريبة .. رائحة لحم عفن يموت ، وكان يرتفع من جوار السرير — الذي اسدلت عليه الستائر — عويل امرأة .. فدخل الحائك ولم يتغير من وجهه المظهر الذي خشيه منذ بارح بيت المرأة البيضاء . ولم تتطلع الزوجة الشابة الى القادم ، بل ظلت منكمشة في جلستها الى جوار السرير ، وقد ابتل وجهها بالدموع ، وانحلت جدائل شعرها فانسدلت على كتفيها وتهدلت الى الارض .. وهي لا تنفك تقول معولة : « **أواه يا زوجي .. أواه يا رجلي .. لقد بت وحيدة .. والوجاه .. !** »

وكان الطفل الرضيع ملقى على الارض بجوارها، يبكي بصوت خافت من آن الى آخر . وجلس الطفلان اللذان يكبرانه ملتصقين بأمهما ، وقد تشبث كل منهما بطرف معطفها .. وكانا يبكيان هما الآخران ، ولكنهما لم يلبثا ان سكتا ، وظلا والدموع تتخلل وجهيهما الى عمهما . ولكن الحائك لم يلق بالا الى أحد ، بل اطل خلال سجف السرير المصنوعة من القنب ، وقال برفق : « **أما زلت حيا يا بني ؟** » وادار المحتضر بصره بعناء . كان متورما بدرجة فظيعة .. يداه وصدره العاري وعنقه ، ووجهه .. ولكن تورم هذه كلها لم يكن ليذكر بجانب تورم الساق المحروقة التي استقرت ككتلة هائلة من خشب .. ورمقت نظراته الزائغة على عمه ، فتح شفتيه المتقلصتين ، وبعد مدة طويلة ، ومجهود جبار ، انبعث صوته في همسة متحشرجة : « **هؤلاء الاطفال ..** »

واختلج وجه الحائك فجأة ، ثم انحنى على حافة السرير وشرع يقول بحرارة : « **لا تحمل هما لاطفالك يا بني ، بل مت في امان .. ستنتقل زوجتك واطفالك الى بيتي ، وسيحل اطفالك محل اطفالي الثلاثة .. ستصبح زوجتك ابنة لي ولزوجتي ، واطفالك احفادا لنا . الست ابن اخي الشقيق وهو قد مات كأطفالي ، ولم يبق سواي ؟** » وشرع يبكي في صمت .

وبعد فترة طويلة ، عاد صوت المحتضر ، ينبعث بنفس العناء ، وكأنه كان ينتزع نفسه من غيبوبة تطبق عليه ، ليقول ما كان لزاما ان يقول : « **انك فقير .. انت الآخر !** » . ولكن عمه بادر مجيبا ، وهو ينحني على المحتضر ، الذي بدات عيناه المتورمتان تنطبقان ، ولم يكن ثمة ما يقطع بانه يسمع : **لا تحمل هما ، بل اطمئن ، فعندي عمل .. ان تلك النسوة البيضاوات لا يفتأن يرغبن في صنع ثياب جديدة . ولدي الآن ثوب حريري توشك ان يكتمل ، لزوجة مدير البريد.. بل انه مكتمل تقريبا ، فيما عدا ياقة مكشكشة ستقتضي بعض النقود منه ، وقد تعطيني مزيدا من القمصان لاحوكه . سنعيش بخير ..** »

ولكن الشاب لم يعد يعي . كان قد راح في غيبوبة الابدية ، ولم يعد قادرا على ان يفيق . ولكنه ظل يرسل انفاسا خفيفة ، في ذلك اليوم القائظ . ونهض الحائك ليضع الصرة في ركن ، وليخلع ثوبه . ثم عاد الى مكانه بجوار المحتضر ، وجمد فيه على مر الساعات . وكانت المرأة سادرة في نحيبها ، ولكن الاجهاد لم يلبث ان استولى عليها ، فطأطأت رأسها الى طرف السرير وعيناها مطبقتان ، وهي تصعد تنهدات خفيفة من وقت لآخر . اما الطفلان فلم يلبثا ان نسوا ما كان يجري — نسوا احتضار ابيهما ! — فخرجا جاريين الى الفناء ليلعبا . وكانت ثمة جارة طيبة ، اطلت مرة او مرتين ، ثم ما لبثت ان حملت الرضيع وخرجت به ، وهي تقسم الى ثدييها لتروي عطشه . وسمع صوتها ينبعث عاليا — في الخارج — في ابتهاج الشفقة : « **لقد ماتت سلالته، ولقد تعفن جسمه ، فكأنه ميت منذ شهر** » .

وهكذا انصرم النهار القائظ . وعندما ظهر الشفق ، كف المتشاب عن التنفس . ومات

★ ★ ★

اذ ذاك فقط ، نهض الحائك ، وارتدى ثوبه ، وتناول مروحته ، وقال للمرأة المكتئبة : « **لقد مات . هل لديك شيء من النقود ؟** » . فنهضت الشابة بفتورها ، ونظرت اليه مذهولة وهي تزيح شعرها عن وجهها . وبدا — اذ ذاك — انها كانت صغيرة جدا ، لم تتجاوز العشرين .. شابة عادية ، من الممكن ان ترى امثالها في اي شارع وفي اي يوم .. ليست بالجميلة ، ولا هي بالدميمة .. ضئيلة الجسم منهكة البنية ، لا سيما انها لم تغتسل منذ ايام عديدة . وكان وجهها المكتئب مستديرا ، وفمها مستدير الشفتين وعيناها تكشفان عن شيء ضئيل من الغباء . وكان جليا انها اهملت ان تمشط شعرها ، فلم تتوقع هذه النكبة التي حلت بها الآن . وتطلعت الى الحائك في ذلة وقلق ، وقالت : « **لم يبق لنا شيء لقد رهنت ثيابه كلها ، وثيابي الثمينة والمائدة ، والمقاعد ، ولم يبق سوى السرير الذي يرقد عليه** » .

وازدادت معالم القنوط على وجه الرجل ، وسألها : « **اوليس هناك من تستطيعين ان تقترضي منه** » . فهزت رأسها قائلة : « **لا اعرف احدا سوى سكان هذا الفناء . فما ذا يملكون ؟** » ثم استبد بها الجزع اذ لبثت موقعها ، فصرخت « **ليس لنا في الدنيا سواك يا عمي !** » فقال ببساطة : « **اعرف هذا** » والقى نظرة اخرى على السرير ، ثم قال بصوت خافت . « **غطيه .. احجبيه عن الذباب** » .

وانطلق يجتاز الافنية مسرعا ، فاعترضته الجارة التي كانت بعد تحمل الرضيع ، وسألته : « **هل مات ؟** » .. فقال الحائك وهو يجتاز الباب الى الشارع ويتجه غربا ، في اتجاه بيته : « **لقد مات !** » .

وبدا له ان ذلك اليوم كان اشد ايام الصيف كله حرارة .. ولم يخفف غروب الشمس من القيظ ، وان انحسرت سماء المدينة بالسحب القاتمة . وكانت الطرق تزخر برجال نصف عراة ونساء في ارق الثياب ، وقد التمسوا ارائك من الغاب نقلوها الى خارج بيوتهم بينما رقد البعض على حصائر من الخوص ، او ابسطة من الليف ، على ارض الطريق . والصغار يجولون في كل مكان، والامهات يستجلبن الهواء بالمراوح في اعياء ، ليحمين من الطنين .. والكل مشفق من الليل .

وانطلق الحائك خلال هذا الحشد يخطو مسرعة ، وهو منكس الراس . كان الاعياء قد حل به ، ولكنه لم يستشعر جوعا ، وان كان قد ظل يومه بغير طعام . ما كان بوسعه ان يأكل حتى عندما بلغ الحجرة التي يتخذها مسكنا في احد الافنية ، واقبلت زوجته الصغيرة المبهجة ووضعت على المائدة قدحا من حساء الارز الملوق ليأكل .. كانت رائحة ابن اخيه عالقة بثيابه ، ملء انفه . وتذكر الثوب الحريري فجأة .. حسب ان المرأة البلهاء تشمت الرائحة فيه ! .. فبادر باخذه ، ومضى الى الشرفة ، وهز الثوب ، ثم قلبه ليجعل ظهر القماش للخارج ، وعلقه في الهواء على تمثال متداع مما يستخدمه الحائكون .

ولكنه ما كان يملك ان يستبقيه معلقا ، فقد كان لزاما ان يفرغ منه ليظفر بالنقود . بذلك خلع ثوبه وقميصه الداخلي وحذائيه وجوربيه وبقي في سرواله .. وكان عليه ان يحترس حتى لا يتسخ الثوب بالعرق ، في ذلك القيظ .. ووجد منشفة صغيرة لفها حول رأسه لتحجز قطرات العرق المنحدرة ، ووضع قطعة من قماش على المائدة ليجفف فيها يديه من آن لآخر . وراح يخيط بخفة — وان لم يجرؤ على الاسراع خشية الا يحسن العمل فلا يرضي المرأة البلهاء — وهو يفكر فيما كان يملك ان يعمل .. كان لديه مساعد في العام الماضي ، ولكن الاحوال ساءت فاضطر الى الاستغناء عنه ، ولم يعد لديه سوى اصابعه العشر يستعين بها . هذا صحيح ومع ذلك فقد كان يأمل ان ينهي الثوب في ثلاثة ايام باصابعه العشرة هذه .. ولعل لديها ثوبا حريريا آخر .. ليحصل من الثوبين على عشرة دولارات . بوسعه ان يبتاع تابوتا بالدولارات العشرة ، ما دام صاحبه وعده ان يكسب مرها فيما بعد .

ولكن ، هب انها لا تملك ان تعطيه ثوبا آخر ، فماذا يفعل ؟ .. ماذا يملك سوى ان يذهب الى المرابي ؟ .. ولكنه لم يكن يجرؤ على ذلك . اذ ان الذي يلجأ للمرابي يتردى ؛ اذ ان الربا يجري باسرع مما يجري النمر ، فيصل في بضعة اشهر الى ضعف او ثلاثة امثال ما اقترض .. ثم ان عليه — اذا ما دفن التابوت — ان يحضر الزوجة

الشابة والأطفال الثلاثة .. ولم يكن يملك سوى هذه الغرفة لتؤويهم جميعا . وخفق قلبه يفيض الحنان ، اذ تمثل الاطفال ، ثم جمد في جزع ، اذ تذكر أن عليه أن يطعمهم .

واستصعب الليل ولما يفرغ . فلقد سميت أمامه أسوأ عملية ... الكشكشة .

واحضر كتاب الازياء ، وتمرس فيه على ضوء ذبالة مصباح النفط ، هكذا تمتد الياقة ، وهكذا الثوب ، لتصبح طويلة واسعة ، والثنيات ضيقة متلاصقة . وراح يعمل بأصابع ترتعش كلها ، وكانت زوجته قد رقدت على السرير ، والرضيع معطلها . ما كان شيء ليوقظها ، ولا هدير آلة الحياكة المتعطلة ، المتعبة ، التي جلس اليها وراح يثبت أطراف ثنيات الياقة بعناية .. واطل الفجر ولما يبق سوى أن يلصق حواف الياقة ويطرزها بيديه ، ثم يمسح المكواة على القمصم . بسم قليلا الذي ، ويريح جفنيه المكدودين ، ثم ينهض ليفرغ من الثوب . وعلق الثوب على المشجب ، ثم رقد بجوار زوجته ، واستغرق للتوه في النعاس .

ولكنه لم يستطع أن ينام طويلا . لقد نهض في السابعة ، وعكف على عمله ثانية ، فظل منهمكا حتى الظهر تقريبا ، دون ما توقف ، الا ريثما تناول مضطجعا الطعام لزوجه في السلة السالفة ، وما لبث أن أكمل العمل .. لقد استغرقه من الوقت أكثر مما كان يأمل . وطفق ينظر قليلا الى الشمس .. نعم ، بوسعه أن يبلغ البيت حوالي الظهر . فليسرع حتى لا يغضبها ، فلعلها ترضى منه فتدفع اليه بالثوب الآخر ، والا عكف عليه بعد ظهر اليوم ، وطيلة المساء ، فقد يعيده في يوم آخر ! .. ولشم الثوب في قلق .. أعلق به أثرا من رائحة الشمس .. أتراها تفطن اليه ؟

ولكنها — لحسن الحظ — لم تفطن اليه ، وكانت تجلس في ذلك المقعد الغريب المتأرجح ، الذي تضعه في الشرفة . فتفرست في الثوب بدقة ، ثم سألته لتوها بصوتها المرتفع : « هل تم كله ؟ » .. فأجاب في خشوع : « نعم يا سيدتي »

— حسنا ، سألبسه لأجربه .

ودخلت غرفتها ، فلبث أمامها مترقبا . أترى به أثرا من رائحة الشمس ؟ .. ولكنها أقبلت ترتدي الثوب ، وعلى وجهها بوادر الرضى ، ولكنه رضى غير وفير . وقالت فجأة . « كم ؟ »

وقال مترددا : « خمسة دولارات اذا سمحت يا سيدتي » . فلمع الغضب في عينيها ، فاستطرد بسرعة : « الثوب الحريري ، بخمسة دولارات يا سيدتي .. ان غيرك يتقاضى خمسة دولارات » . فقالت : « هذا كثير جدا .. ثم انك أنك القماش » . ولكنها دفعت المبلغ وهي متأففة ، فأخذه منها برفق وهو يحرص على ألا يمس يدها ، وقال متلطفا : « أشكرك يا سيدتي » .

وجثا وبدأ يربط صرته ، وأصابعه ترتجف . يجب أن يسألها الآن . ولكن ، كيف يجسر ! .. ماذا يفعل اذا هي رفضت ! .. واستجمع جرأته بجهد مستميت ، وقال وهو ينظر بتذلل ، وان تمادى عينيها : « أعندك ثوب آخر أصنعه يا سيدتي ؟ » .

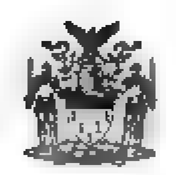
وانتظر جوابها وأعصابه مشدودة ، وهو يسرح بصره نحو الحديقة التي غمرتها الشمس . ولكنها كانت قد همت بأن تعود الى داخل البيت لتخلع الثوب ، فردت عليه غير مكترثة ، دون أن تلتفت « لا .. ان لدي خياطين كثيرة ، وتلف القماش .. وهناك حائكون كثيرون أقل أجرا وخطايا ؟ »

★ ★ ★

والتقت في الحفل — في اليوم التالي — بمستر بيرمان وقد جلست مسترخية في مقعد مريح ، وهي ترقب البيض يتنشرون فوق الخضرة ، في ميادين الكروكيت ، وأومأت اليها مستر بيرمان ، برغم ثوبها الباهت ، الا رأت الثوب ، وقالت في اهتمام غير مشوب : « لقد لبست الثوب حقا ، برغم كل الظروف .. ما كنت أتوقع هذا حقا . ولقد أبدع صنع الياقة المكشكشة . أليس كذلك ؟ »

ونظرت مسز لو الى صديقتها المعجبة ، وقد استلقت عليه الياقة ، بثنيات جميلة ، أحكم تسويتها بالمكواة . وقالت في رضى . « بلى .. انها بهيجة .. كم يسرني أني قررت أن تكون الياقة مكشكشة . وما أرخص الأجر يا عزيزتي . ان صنع الياقة المكشكشة والثوب لم يكلف سوى خمسة دولارات .. أتراهما في بلاد اندولاريين . هلا ! .. أجل ، أحضره في الساعة الثانية عشرة تماما ، كما اشترطت . كل ما هناك ، كما قلت .. ان عليك أن تكوني حازمة مع الحائكين المحليين » .

ترجمة
محمد بدر الدين خليل



لاتفقد فرصتك في الربح
وسارع بفتح حساب ودائع
بفائدة ٦٪

ان نقودك تحظى بأعلى معدل للفائدة مأمون ومضمون — وهو ٦٪ — حين تودعها في « حساب الودائع » ببنك « لومبارد » . فلن تخصم منها أية ضريبة على الدخل مقيما في المملكة المتحدة ، ولن تتأثر نقودك اطلاقا بالاحوال الاقتصادية المتغيرة ، كما ان من السهل سحب اى مبلغ تشاء منها ، وفقا للشروط التى تعينها .

ولا بد — لكى تربح ٦٪ سنويا — من ان يكون الحد الادنى لما تودعه ١٠٠ جنيه استرليني ، وان يكون الحد الادنى بين الايداع والاخطار بالسحب ستة اشهر ، وبحفظ ودائعك في مؤسسة « لومبارد » المصرفية رأس مال مدفوع واحتياطيات تتجاوز ١٢ مليونا من الجنيهات الاسترلينية .

بادر الى الكتابة الى المدير العام في طلب مزيد من التفصيلات ، وفي طلب نسخة من كتيب « حساب الايداع » رقم : A. O. 182

المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office Lombard House, Curzon Street, Park Lane, London, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)

City Office 31 Lombard Street, London, E.C.3. MINcing Lane 4131 (7 lines)

تضحك الدنيا معك

مسألة نسبية

● كان أحد الأمراء في رحلة — خلال مصيفه متجولة — عندما نفدت مؤونته.

[illegible]

كوخا حوله مزرعة صغيرة.. فعرج عليه وطلب ما تقتات به.

وحضر له صاحب الكوخ بيضتين وطلب دينارين ثمنا لكل منهما.. فقال الأمير متسائلا:

— يبدو أن البيض غال لأنه شحيح الندرة هنا!

فأجابه صاحب الكوخ:

— لا يا صاحب السمو.. ولكن الأمراء هم النادرون هنا!

المثالية!

● لماذا لم تتزوج وقد تجاوزت الخمسين!

— هذه قصة طويلة.. فقد عقدت عزمي في شبابي على ألا أتزوج سوى المرأة المثالية.. والعثور على هذه المرأة ليس بالأمر اليسير كما تعلم، فقضيت معظم عمري في البحث، ولم أعثر عليها إلا منذ أربع سنوات

— بديع.. فلماذا لم تتزوجها حتى الآن؟

— لأنها لا تزال تبحث عن الرجل المثالي!

شاي..

● جلس ثلاثة أصدقاء في مقهى وجاء الجرسون يسألهم ماذا تشربون.

فقال الأول: أريد كوبا من الشاي الخفيف.

[illegible]

[illegible] مع مطعه [illegible]

[illegible] ريد شايا في كوب نظيف.

وبعد قليل عاد الجرسون بالثلاثة

[illegible]

كوب نظيف؟





بينك ومنك ..

امنية تحققت !

● كان احد الصحفيين يجري حديثا مع مليونير وجرى بينهما الحديث التالي :

الصحفي : هل تحققت احدى امانيك التي تمنيتها وانت طفل ؟

المليونير : نعم حينما كنت صغيرا ...

حكمة و ...

● كانت السيدة تقف على ... تراقب احد هواة صيد السمك . وما ... وهي تلوى تحاول الخلاص .

قالت السيدة في اشفاق : « مسكينة ... »

بادر الصياد قائلا : « لو لم تفتح فمها ، ما وصلت الى هذا المصير » !

طريقة عملية

● دخل طفل لدى بقال وسأله :

ـ بكم تبيع كيس البن المطحون ؟

فأجابه البقال : « بمائة وخمسين فلسا » .

ـ وبكم تبيع الكيلو من السكر ؟

ـ ... وعشرين فلسا !

ـ بكم تطلب اذا اردت شراء خمسة اكياس من البن ، وعشرة كيلو غرامات من السكر ؟

ـ دينارا وتسعمائة وخمسين فلسا.

ـ واذا اعطيتك ورقة فئة خمسة دنانير ، فكم ترد لي ؟

ـ ثلاثة دنانير وخمسين فلسا .

ـ هلا كتبت لي كل هذا !

فأخذ البقال له فاتورة ، تأملها الصغير مرة ، ثم دسها في جيبه ، وقال ... « **سكرا** » .

... ولكنك ـ لم تأخذ البن والسكر ، ولم تدفع النقود !

فأجاب الصغير : « **لا داعي .. فهذه مسألة حسابية في واجبي المدرسي** » !!!

حقائق تاريخية حول مصرع حمزة عم الرسول

● وقع في استطلاع السيد محمد بدر الدين خليل عن المدينة المنورة المنشور في العدد ٧٣ من مجلتنا العربي الزاهرة العزيزة بعض الأخطاء التاريخية التي لا يجوز المرور بها دون التعليق عليها .

فقد جاء في الصفحة ٨٣ عن مقتل حمزة رضي الله عنه قوله : « فتوفر هنا عليه – أي على حمزة – قلوب قريش ، فكان عبدا من أصحاب منافقيها عندما علمت فالتحقت بالمسلمين عند جبل أحد خارج المدينة لتثأر لهزيمتها (كذا) . وكانت هند بنت عتبة أشد حقدا على حمزة لأنه قتل أباها وأخاها في واقعة بدر ، فسألت عليه من يريحني به ليلتئذ ، وبينما كان حمزة في كر وفر تعثر فوقع على ظهره وإذ ذاك انقض عليه حبشية هند ، وكان حبشيا اسمه « وحشي » ، وظل يضربه حتى قتله ، وبقر بطنه .. الخ .

وهذه الرواية كما هي ، بعيدة عن الحقيقة ، التي وردت في الصفحة ٢١٧ من الجزء الثاني من سيرة ابن هشام طبع المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٩ هـ : –

... ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشيا ، يقال



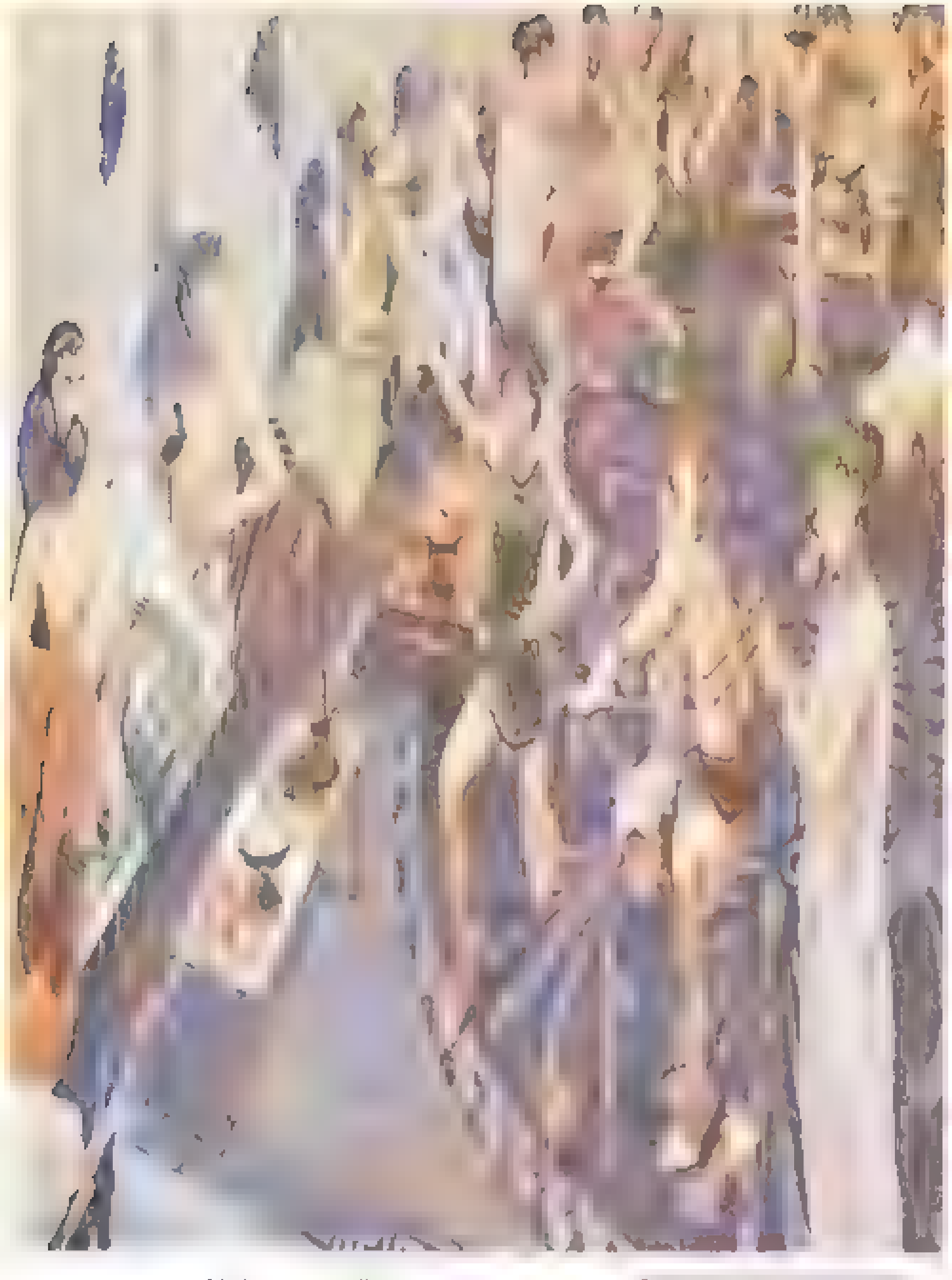
له وحشي ، يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطىء ، فقال له . « اخرج مع الناس ، فان أنت قتلت حمزة عم محمد ، بعمي طعيمة ابن عدي ، فأنت عتيق » . الى ان يقول في الصفحة ٢٥٦ – ٢٥٧ ﻫ ، فقال وحشي : « اما اني سأحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألني عن ذلك ، كنت غلاما لجبير بن مطعم ، وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش الى أحد ، قال لي جبير ، ان قتلت حمزة عم محمد بعمي فانت عتيق ، قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلا حبشيا ، اقذف بالحربة قذف الحبشة قلما أخطىء بها شيئا ، فلما التقى الناس خرجت انظر حمزة وأتبصره حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق ، فوالله لأتهيأ له أريده فاستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني ، اذ تقدمني اليه سباع بن عبد العزى . فلما رآه حمزة قال له حمزة : هلمّ اليّ يا ابن مقطعة البظور – وكانت ختانة – قال فضربه حمزة ضربة فما اخطأ رأسه – اي قضى عليه – . قال : وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينوء نحوي ، فغلب وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتي ، ثم رجعت الى العسكر فقعدت فيه ولم يكن لي بغيره حاجة ، وانما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة عُتقت ثم الحديث .. الخ .

والخطاب في هذه الرواية موجه لجعفر بن عمرو الضمري وعبيد الله اخي بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية في حمص ، حيث كان يقيم « وحشي » بعد ان أسلم ولقنه النبي « صلعم » . وبعد ان حدثه كيف قتل حمزة قال له : « ويحك ، غيّب عني وجهك ! » . ولما خرج المسلمون الى مسيلمة الكذاب ، خرج وحشي معهم ، وأخذ حربته هذه وضرب بها مسيلمة . يقول وحشي :

البقية على صفحة ١٦١



العربي
جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا



مدينة الفيلسوف سقراط

البقية على صفحة ٥٧

عزيزى القارىء :

قال الله لرسوله :

« وأذن في الناس بالحج ، يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق » .

وهذا شهر ذى الحجة ، شهر نيسان ، شهر الحج ..

وهذا عدد « العربى » جعلنا استطلاعه استطلاع مكة ، ومع استطلاع مكة استطلاع الحج ، ومع الحج مناسكه .

ومع استطلاع الحج جعلنا هدية العدد صورة منفرده لبيت الله الحرام ، وهي صوره رائعة تريك كيف تجمع القلوب ، ألوفا مؤلفة ، عارية الاجسام ، الا من ثوب الاحرام ، وكلها تدعو الله احر الدعاء ، في صفاء ينسيها عكثر الدنيا ، ومزاج روحي لا تتقمصه الانفس الا في مثل هذه البقعة من الارض ، وفي هذا الجمع الذى كأنه الحشر الصغير ، يذكر بالحشر الكبير . مزاج يكشف عن حقيقة الحياة ، التي تخفيها مناشط الحياة من اجل وصل الحياة : ان الحياة يوم يشرق ثم يمسي ، وان الانسان ، كما يقول الاخوة المسيحيون ، من تراب والى تراب . وان حياة الفرد موجة في اشعاع الزمان ، لا تلبث ان تمحي . وان لا علاقة تدوم لاهل الارض الا ان ترتبط برب السماء فهي هي القائمة وهي هي الدائمة .

ورحم الله قوما قالوا من بعد ذلك : آمين ، آمين ، لرب العالمين .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام

استطلاعات مصورة

مرئيات

أدب ولغة

دين

طب وعلوم

تاريخ وتاريخ أشخاص

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
ALARABY — No. 77 April 1965 — P.O.B. 748 — KUWAIT
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ — تلفون ٢٩٤١١ — تلغرافيا «العربي»
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة — قسم الإعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● لم يعد « نصف الأمة » مشلولا في وطننا العربي الكبير ، كما كان من قبل . فقد نفضت المرأة في أغلب أركانه ، واحتلت مكانها الى جانب الرجل تعمل وتبني معه لخير البلاد والوطن .. وفي الكويت خطت المرأة خطوات جبارة في سبيل نهضتها ، مسلحة بالعلم والمعرفة ، حتى أصبح عدد الطالبات الكويتيات ٢٢٩٢٠ طالبة يتلقين العلم في مدارس الكويت .. والى جانبهن ١٠٩ طالبات أخريات يتلقين علومهن في بعثات تعليمية أرسلتها وزارة التربية والتعليم الى مختلف أنحاء العالم ..

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس، مناطق الخليج وحروب الجزيرة ١ روبية أو مرة شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١ قرش ، الأردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ج ع م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ، ٢ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن مرة شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة تصل طالب الاشتراك بموزع المجلة في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



الرسول الكريم .. لا السريان ..
هو الذى اطلق على عمر بن الخطاب لقب الفاروق

قرأت ما كتبه الأب المحترم اسحاق ساكا في العدد الخامس والسبعين من مجلة العربي القراء حول تسمية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه « بالفاروق » .

وانى أشكر الأب اسحاق على اثارة هذا الموضوع الطريف ، واحب ان اذكر ما اوردته المصادر العربية عنه ، لتكون لدى القارىء صورة واضحة عن هذا البحث .

قال ابن منظور في لسان العرب : « الفاروق ما فرق بين شيئين ، ورجل فاروق يفرق بين الحق والباطل ، والفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه سماه الله به لتفريقه بين الحق والباطل ، وفي التهذيب لانه ضرب بالحق على لسانه . وقيل لانه اظهر الاسلام بمكة ففرق بين الكفر والايمان » .

وفي محيط المحيط : « الفاروق الذي يفرق بين الأمور أي يفصلها ، فاعول للمبالغة ولقب عمر بن الخطاب ، قيل لانه فرق بين الحق والباطل ، او اظهر الاسلام بمكة ففرق بين الكفر والايمان » .

وفي المنجد « الفاروق الذي يفرق بين الأمور . لقب عمر بن الخطاب » ولم يشر الى انها من الدخيل ، ومن عادته أن ينبه على ذلك .

وصيغة فاعول موجودة في اللغة العربية ، كالقانون ، والماعون ، والقاموس ، والناموس ، والناقوس ، والراموز ، والتابوت ، والطاحون ، والكافور ، والساطور ويجوز ان يكون أصل بعضها أجنبيا ، وقد ورد في القرآن الكريم عدد من الكلمات الاجنبية وجميع اللغات في العالم تأخذ من بعضها وهو أمر مألوف .

هذا من الناحية اللغوية ، وأما ما ورد في كتب السير والحديث فقد قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه « سيرة عمر بن الخطاب .. » عن أبي عمرو قال قلت لعائشة رضي الله عنها من سمى عمر الفاروق ؟ قالت : النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن أيوب بن موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ، وهو الفاروق ، فرق الله به بين الحق والباطل .

وابن الجوزي من أشد المحدثين تحريا عن الاحاديث الصحيحة ، وبيان الباطل منها . وفي الرياض النضرة للمحب الطبري : « لم يزل اسمه في الجاهلية والاسلام عمر ، وكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا حفص وكان ذلك يوم بدر ، وسماه رسول الله الفاروق » .

وفي الاصابة للحافظ ابن حجر ، والسيرة للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي ، والرياض النضرة عن ابن عباس قال : سألت عمر لأي شيء سميت الفاروق ؟ فقال أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ثم شرح الله صدري للاسلام ، وأتيت دار الأرقم ابن أبي الأرقم ، وأسلمت ، ثم قلت يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا ؟ قال بلى ، والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم ، قلت ففيم الاختفاء ؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن ، فأخرجناه في صفين حمزة في أحدهما ، وأنا في الآخر حتى دخلنا المسجد ، قال فنظرت الي قريش والى حمزة فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها ، فسماني رسول الله يومئذ الفاروق ، فرق الله بي بين الحق والباطل .

قال الزرقاني في شرح المواهب : « وحديث اسلام عمر بطوله رواه البزار والطبراني ، وأبو نعيم ، والبيهقي عن أسلم مولى عمر ، ورواه

العربي في تونس

.. السيد رئيس تحرير العربي

● لمناسبة زيارة الرئيس الحبيب بورقيبة للكويت في الحادي عشر من مارس احيطكم علما انه منذ اربعة اشهر لم ار نسخة واحدة من مجلة العربي في اسواق تونس . فهل اخرجتم تونس من عداد الدول العربية .. أم ماذا ؟ !!

تونس منجي . أ

العربي ومن ذا الذي يستطيع أن يخرج تونس ، الدولة العربية العريقة ، من عداد الدول العربية ؟ لكن عدم رؤيتكم لمجلة العربي طوال اربعة اشهر ، راجع — فيما يبدو — الى حجز العربي عند نقود تونس بسبب بعض الاجراءات الروتينية ، ولاسباب محلية لا نعرفها ، ولا شك ان المسئولين في تونس لم يلتقم هذه القصة ..

ان « العربي » تهتم اكبر اهتمام بالجمهورية التونسية العريقة وباستطلاعاتها ، وكان اخر ما قدمه « العربي » من هذه الاستطلاعات من الرائد التونسية في العدد رقم ١٦٤ .

وفي هذا العدد تجد استطلاعا اخر من تونس عن مدينة « القيروان اولى مدن الاسلام في شمال افريقيا » .. ونأمل الا يلقى هذا العدد مالقيه اخوة له من قبل من عقبات حتى لا يحرم منه قراء تونس ..

انما سنعمل دائما على ايصال (العربي) الى نقود تونس .. وعلنا كل ما نستطيع صنعه ..

الدارقطني من حديث انس ، وابن عساكر والبيهقي من ابن عباس ، وابو نعيم عن طلحة ، وعائشة كلهم عن عمر ، وهذه طرق يعضد بعضها بعضا » .

وهناك رواية في طبقات ابن سعد « عن الزهري قال : « بلغنا ان اهل الكتاب كانوا اول من سمى عمر الفاروق » .

هذا ملخص لما ورد في كتب السيرة والحديث حول تسمية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالفاروق .

ومنه يظهر ان التسمية صدرت من النبي الكريم عليه الصلاة والسلام اولا ، ولا مانع ان يكون السريان اطلقوها بعد الفتح على عمر بن الخطاب وهم من اهل الكتاب كما روي عن الزهري .

ابراهيم القطان — عمان

القانون لا يجيز

● قرأت مشكلة الموظفة والعقد العرفي وفشلها في استصدار حكم نفقة لها ولطفلها من زوجها وتعليقكم على هذه المشكلة .

والواقع ان قضاء اول درجة لم يخطىء في رفض دعوى النفقة حيث ان المحكمة مقيدة بالقانون والقانون لا يجيز سماع دعوى الزوجة الا اذا كان الزواج موثقا رسميا . والسبب ان المشرع قصد كراهية منه ومن المجتمع للعقود العرفية للزواج ، قد ضيق الحقوق المتولدة عن هذا الزواج حتى يحد التلقي منه ، فنص بانه لا اثر لهذا العقد العرفي قانونا وان كان قد رتب بعض الاثار بالنسبة لما بعد الدخول كاثبات النسب رحمة بالطفل ولذلك فان محكمة الدرجة الثانية (الاستئنافية) سترفض دعواها ايضا .

توفيق بازرعه المحامي — القاهرة

اقتراح

● الرسوم التي ما زلتم تنشرونها تحت عنوان (حضارات سادت ثم بادت) هي تاريخ مصور جميل للعالم . وانني ، اذ اهنئكم شديد اعجابي بها وبحسن اختيارها ، اقترح ان يكون مكانها داخل العدد لا وراء الغلاف . وذلك لأن موضعها الحالي يحرمنا من وضع اللوحة في اطار . ■■

الملازم / عبد الله عمر باجبير ب الظهران

(البقية على صفحة ١٦٠)



[illegible]

وما تغير الزمان،

حكمت علائق الناس فوق هذه الأرض دهراً […] القوة الجسمية .

كان في الناس قديماً قائل : اذا احتكم اثنان منهم لم يلجآ الى الحجة .

[illegible]

وعلائق بين الامم ، مثل علائق بين الافراد

[illegible]



في الناس قديماً ، اذا احتكم اثنان صارعا ، ومن صرع ، فقد ان الحق في جانبه

[illegible]

وعرفته القوة الجسمانية وسيلة اليه .

[illegible]

بقلم رئيس التحرير

الزمان ..

[illegible]

وصار في المجتمعات الانسانية ، في داخلها ، قوانين تطاع ، ولم تصنع بين الامم قوانين تحكم علاقاتها ... ظل بين الامم قانون واحد ، هو القانون الطبيعي الاول الذي حكم ويحكم خلقه الله الاولى ، ذلك قانون الغاب .

... الغاب هو قانون القوة .



وتقدم الانسان على السنين لا شك فكرا ، وتقدم عقلا ، وتقدم علما ، وتقدم مدنية . وحاول ان يضع القوانين التي تحكم علائق الامم ، فحقق ...

وحاول من بعد الحرب العالمية الاولى وويلاتها ، جمع الامم في دار واحدة ... عام ١٩٢٠ دارا في جنيف اسماها « دار عصبة الامم » . ما لبثت ان اختفت ، لانها حاولت ان تلجم القوى فرفض اهل القوى الجامها . غزت اليابان منشوريا . وغزا الطليان الحبشة . وغزا هتلر ... . اختلف اهل القوى فيما بينهم واحتكم المختلفون الى الحجة ، فلم تنفع حجة . فاحتكموا الى ... الحرب العالمية الثانية ... شر قضاء .

ثم عاد الانسان بعد الحرب العالمية الثانية ، عام ١٩٤٥ يصنع دارا للتفاهم والتفاهم جديدة اسماها « دار هيئة الامم » احتفظ فيها اهل القوى بقواهم مجتمعة في مجلس اسموه « مجلس ... » ... الجمعية العامة للهيئة تعج باكثر من مائة

مضــو محيحا ، كالذي وصفه العرب فقالوا : «اسمع جعجعة ولا أرى طحنا».

القوة لا تزال تعمل بالوراثة في دمـاء الأمم ، وتحفظ العلة لنفعها .

ومع القوة البغي والعدوان .

سياسة القوه تصبح مذهبا

وكانت سياسة القــوه تمارس أول الأمر وعليها ســتار من ضباب . ثم انقشع الضباب وصارت مذهبا صريحا. Power Politics.

ويقضي هذا المذهب بأشياء منها :

(١) أن يرفض صاحب هذا المذهب من السياسة كل معاني التمثيل ، وكل ما يخالج القلب الانساني من عواطف ، وكل ما يساوره من خيالات تتصل بمثيولات من الفضل بمكان لا تتحقق على ظهر هذه الأرض .

(٢) أن يرفض كل حرج اخلاقي يصيب في هذه الأمور القصير ، وأن يدع شئون الأخلاق لرجال الدين ودارسي الفلسفة .

(٣) أن يركز فكره كله في وقائع الحياة ومعاركها القائمة للفوز بالحيــاة . وما دامت هي معارك ، ففيها لا بد قاتل ومقتول . فيجب على صاحب هذا المذهب أن يتقبــل هذا ، امرا من امور العيش قبلا طبيعيا ، لا سبيل الى نكرانه أبدا .

(٤) أن ينظر الى الدول جميعا نظرته الى طائفة من ذئاب، كل يطلب اللحم على حساب غيره. فان هو تعفف حينا ، فما ذلك الا خوف من قوة هذا الغير . وحين يزول هذا الخوف ، يبدأ السطو .

(٥) انه في الحرب لا بديل عن النصر،والتخريب الشامل مستساغ ما أدى الى نصر سريع .

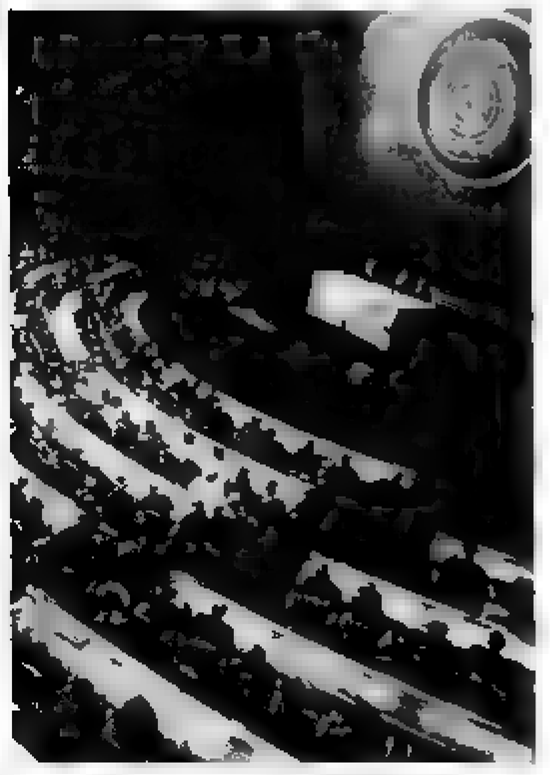
وسُبُل القوة في سياسة الأمم

هذا هو مجمـــل مذهب « سياسة القوة » يزيده اتضاحا امثلة نضربها مــن بعض رجاله .

وهم رجال وجدوا في كل العصور ، قديمها ، والمتوسط ، والحديث . ولكن ، بما أن همنــا اليوم في العصر الحديث ، فلنقتصر بالأمثلة القليلة نضربها من هذا العصر الحديث .

ورجال هذا المذهب منتشرون بالطبع في الأمم التي اتصفت بالقوة في هــــذا العصر الحديث . أما الأمم التي اتصفت بالضعف فقد فوّت عليهــــا الضعف أن يكون فيها قوم يتحدثون حــديث القوة والعنف .

والذين عبّروا عن عقائدهــــم بالقول والدرس في هذا الســبيل قليلون . والذين سكتوا فلم يفصحوا عن هــذا المذهب ، ولكن عملوا به ، اكثر كثيرا .



هيئة الأمم احتفاظ اهل القوى بالواهم مجتمعة في

رُسُل القوة من الالمان

والشائع بين دارسي السياسة الدولية ان الالمان هم مصدر هذا المذهب ، مذهب سياسة القوة ، في هذا العصر الحديث .

وتاليهم ، فيضربون لك مثلا ، بكارل فون كلوزفتس Karl Von Clausewitz (١٧٨٠ – ١٨٣٠ م) . انه القائد البروسي الشهير ، والكاتب الحربي المعروف ، وله في ذلك فلسفة تدرس في المانيا ، ومن وراء حدودها ، قال فيما قال

(ليست الحرب الا استمرارا لممارسة الدبلوماسية بوسائل اخرى) .

وتسألهم عن الالمان فيضربون لك مثلا آخر ، بفون ملتكه Von Moltke (١٨٠٠ – ١٨٩١ م) . انه المارشال البروسي الشهير واكبر استراتيجي كان في القرن التاسع عشر . وهو غازي الدنمسا عام ١٨٦٠ وخاذلها ، وهو صاحب الحرب الالمانية الفرنسية عام ١٨٧٠ ، تلك التي اطاحت بامبراطورية وملك ، وجاءت في باريس بجمهورية . كان رجلا قويا عاقلا دارسا . وكان قليل الكلام . وعرف بين لقبات الشهير « بالصمت » فيها .

هذا الرجل قال عن سياسة القوة الممثلة في الحرب :

(ان الحرب عنصر من العناصر التي ارادها الله خلقا لهذه الدنيا) .

رُسُل القوة من الانجليز والامريكان

وغير الالمان الانجليز .

وغير الانجليز الامريكان ، وكل امة ذات قوة .

تيودور روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة في أوائل هذا القرن ، كتب يقول :

(انما بالحرب وحدها نستطيع ان نكتسب صفات الرجولة اللازمة لكسب معركة الحياة القاسية) .

ورسكين Ruskin الانجليزي . نعم رسكن (١٨١٩ – ١٩٠٠ م) ، ذلك الكاتب الشاعر الرقيق الفنان ، وانفق اكثر الثروة الكبيرة التي ورثها عن ابيه الى الفن ومتاحف الفن ، هذا الرجل يكتب فيقول انه وجد :

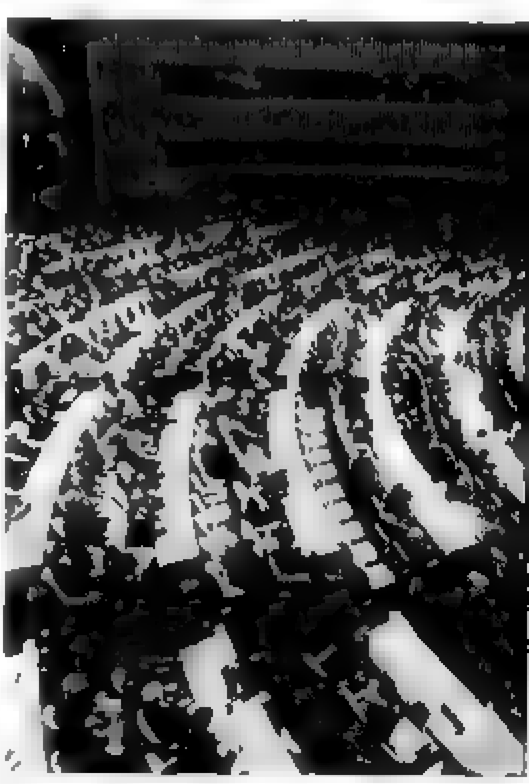
« ان اكثر الامم الكبرى اسمنتها الحرب ، واتعبها السلام ، واكسبها الحرب علما ، وخدعها السلام . وانالتها الحرب دُربة ، وخانها السلام » .

والسير جون فيشر Fisher ، رئيس البحرية الانجليزية عند بدء الحرب العالمية الاولى يقول

(ان روح الحرب العنف . والاعتدال في الحرب سخف . عليك ان تضرب ، ثم تضرب ، وتظل تضرب في قسوة متزايدة . في الحرب لا رفق ولا رحمة ، ومن بعد حرب لا ندامة) .

ومالنا نذهب بالامثال بعيدا ، وتشرشل Churchill ، وقد ارتحل من الدنيا منذ اسابيع ، مَثَلٌ في الانتصار لمذهب القوة حاضر .

كان تشرشل يرى ان القوة هي العنصر الاساسي المسيطر على علاقات ما بين الامم . وكان يرى ان السلام على الارض لا يكون بدفع الحجة بالحجة ،



مجلس اسموه مجلس الامن ، هو الامر وهو الناهي

وانما بموازنة قوة بقوة. وكان يرى في الامبراطورية البريطانية وحلفائها احدى هاتين القوتين ، ولهذا كان لا يرى تحرير الهند او التنزول عن أي شبر من هذه الامبراطورية .

كان يرى في القوة صلاح كل شيء . الخلل في النظام تصلحه القوة . والثورة تخضعها القوة . وهو ، عند استخدام القوة ، كان يرى ان لا يكف حتى يرى خصمه صريعا لا حراك فيه . على المشكلة الايرلندية كان يرى ان لا تعطى ايرلندا شيئا من الحرية الا من بعد غزو واخضاع كامل ، وغلبت المانيا في عام ١٩١٩ ، فكان يرى ان لا يقبل الحلفاء منها سلما حتى تموت برلين جوعا وتعرى .

الامبريالية والاستعمار كانا امتدادا لسياسة القوة

الاعتزاز بالقوة مزاج الان يجري في دم الناس من قديم .

والقوة لدفع الضيم مقبولة، وهي درع واق لا بد منه .

ولكن القوة لم تقف بالانسان عند الدفع والدفاع بل خرجت به من الدفع



تشرشل في صباه : كان يرى دائما ان القوة هي العنصر المسيطر على علاقات الامم ، ويرى تحرير الهند او النزول عن شبر من الامبراطورية مهددا لسلام الارض .

الى الغزو ، في عميق الزمان وحديثه .

وكان من الغزو الامبراطوريات ، عتيقها والحديث .

واختلفت الدوافع ، واختلفت الغايات .

وفي الغزوات الحديثة ، لو ان محصيا احصى الدوافع والغايات ، لو جد انها كانت في اوائلها للاستحواذ على خيرات الدنيا .

خيرات الدنيا

ومن خيرات الدنيا الذهب . ولكن الثورة الصناعية العلمية الحديثة جعلت الخامات الاخرى اعز سلبا من الذهب : النحاس ، الحديد ، المنجنيز، القصدير ، الرصاص . واخيرا اليورنيوم .

ومن خيرات الدنيا خيرات الزرع : القمح ، الكاكاو ، الشاي ، البن ، الزيت، المطاط .

استثمار المال المتراكم

ولكن الثورة الصناعية ، والنظم الراسمالية ، اوجدت في الامم الصناعية (وهي الامم القوية) رصيدا متراكما من المال ، وجب عليها استثماره وراء الحدود . واذن وجب الغزو، ومع الغزو الحكم والسيطرة .

استعمار الجديد من الارض

وبذيوع الحكم الديمقراطي في هذه الامم ، الامم الغربية خاصة ، وسيادة القانون الى حد بعيد ، زاد عدد السكان، وضاقت بهم الارض . واذن وجب استعمار لارض قريبة ، ان وجدت ، والا فارض بعيدة . ومن هنا بدأ معنى الاستعمار حقا وصدقا . ثم انتقل الى معناه الحديث ، حيث الارض المكسوبة بالغزو مسكونة ، ولكن اهلها ضد الغازين ليسوا في العير ولا في النفير .

القواعد الحربية

وباتساع الامبراطوريات تولـــدت الحاجة الى القواعد التي تحمي الطريق ، فكانت جبل طارق ، ومالطة ، وقبرص ، وعدن ، وسنغفورة عند الانجليز . وكانت جوام Guam أو أوكيناوا Okinawa وأمثالهما عند الامريكان .

الفخار قومي

وكان لا بد لهذه الأهداف والمطالب من شيء روحي يبررها ، حتى لا تكون سطوا عاريا مفضوحا قـــد يأباه حتى أخس الشعوب في الأمم الغازية .

من أجل هذا ابتدعوا الفخار القومي . أصبحت الامبراطورية شـــارة الفخر ، والاتساع دليل العظمة ، وبسط الأجنحة على مواقع كثيرة من الكرة اشباعا لما في نفس الانسان الحيوان من طموح .

رسالة السماء

والى جانب الفخار القومي ، ابتدعوا وحي الله ونحوه ، وأنها رسالة السماء ، جاءت قساوسة الأرض ، في تلك الأمم القوية الغالبة خاصـــة ، بأن يذهبوا لملاحي الشر في تلك البقـــاع الوثنية البعيدة من بقـــاع الارض . ومهـــد القساوسة أحيانا للغزو بأكثر مما مهد الساسة ، وبأكثر ممـــا صنع الاسطول وصنعت جحافله .

الله والسلالات البشرية

وابتداع آخر أضافوه ، يتصل بالله ، ولكن من غير طريق الدين . قالوا ان الله جعل الخلق سلالات وجعل السلالات عليا وسفلى . وأوجب عـلى العليـــا أن تقود السفلى ، وتصعد بهـــا . وهي لا تصعد بها إلا أن تحكم ، وأن تأمر ، وأن تنهى .

وقـــال : من جاء بهذه الرسالة ، ومن أي رسول ؟ فلا تلقى جوابا .

ولنضرب لذلك مثلا أو مثلين :

سيادة التيوتون

بفردج Albert Beveridge سياسي امريكي معروف (١٨٦٢ — ١٩٢٧) ، له في القضاء شأن ، وله في التأليف . كان متعصبا يعتقـــد بسيادة الانجلو سكسون (التيوتون) ، ويحط من قدر غيرهـــم ، ولو كانوا اللاتين . وعندما أعلنت امريكا الحرب على الاسبان ، أعلن رأيه في سيادة الامريكان على الاسبان ، قال :

ان الامريكان (يقصد التيوتون منهم) سلالة غزو وفتح . فعلينا ان نستجيب لما في دمائنا من حب للغزو والفتح . انها ارادة الله . ان من تخطيط الله ان تندحـــر السلالات المتخلفة ، والمدنيات المتخلفة ، وتختفي ، وأن نغزوها وتحل عليها مدنيات أعلى وأنبل وأكثر نفعا للحياة .

أهل المدنية أولى بكل أرض من البرابرة

وأســـتاذ آخر ، بجامعة كولومبيـــا الشـــهيرة ، بنيويورك قضى في أستاذيته ٣٠ عاما . وهو معلم وكاتب وعمدة في العلـــوم السياسية يخشى ، في كـــل حين . انه الاستاذ جون وليم برجس John William Burgess (١٨٤٤ — ١٩٣١)

انه يقول مثل ما قال صاحبه بفردج :

« ان العنصر التيوتوني قد حمله رسالة عليه ان يؤديها ، تلك ان يحمل المدنية الى بقاع الارض الاخرى التي يسكنها البرابرة . وعليه أن يلح في تمدينهم غصبا . فاذا هم لم يستطيعوا الوصول الى ذلك بمجهودهم خاصـــة (وبالطبـــع هم لا يستطيعون) وجب عليهم ان يخضعوا للقوى التي تستطيع تمدينهم . فاذا هم أبوا ذلك ، وجب على الدولة المتمدنة ، ان تزيحهم عن أرضهم (وترميهم في البحر) وتحل محلهم قومـــا من أهل المدنية آخرين . وليس في هذا ما يزعج ضمير انسان ابدا ، وليس فيه مناقضة لمبادئ الاخلاق قط . بل الذي يزعج انما هو نكوص أهل هذه السلالات عن هذا الواجب ، واجب السلالات الرفيعـــة ان تنهض بالسلالات الضعيفة ، وأن تقوم أوصياء عـــلى الجنس البشري . »

معان ، الفها الناس دهرا ، لا يمكن ان تتغير بغتة

في ظل هذا الذي ذكرناه من القوة ومع العزة العزو والسطو ، ومن الامبريالية ، حوافزها وغاياتها ، في القرون هذه الماضية الحديثة ، وفي القرن التاسع عشر ، والثامن عشر ، وحتى الى اوائل القرن العشرين ، في ظل هذا الذي ذكرنا من تاصل هذه المعاني في الامم التي سبقت الى القوة ، والى الصناعة ، لا يعقل المرء ان يأتي القرن العشرون ، وينتصف ، وتزول بانتصافه كل هذه المعاني ، كل الزوال ، من انفس الحكام الذين عنينا ، هكذا بغتة ، ويصير ان باذن الزمن ان يعمل فعله البطيء . وهو لا شك بطيء في تغيير انفس البرايا . لا سيما تلك العادات التي تتصل بالفكر من جانب ، وتتصل بالعاطفة والعقيدة والمذهب من جوانبها الاخرى .

لقد انتصف القرن العشرون حقا ، وانحلت بانتصافه اكبر امبراطورية على وجه الارض ، تلك الامبراطورية البريطانية ، او كادت .

وانحلت الى جانبها امبراطورية اخرى كبيرة ، تلك الامبراطورية الفرنسية .

وذهبت الامبراطورية الطليانية الى غير رجعة .

ولكن هل المعاني ، التي كانت تلك الامبراطوريات تاتيها ، زالت من رؤوس هؤلاء الرجال ؟

وهل الاعتزاز بالقوة ، ومعها الغزو والسطو ، زال حقا من قلوب هؤلاء الرجال ؟

تحوُّل لا شك فيه

انه مما لا شك فيه ان الدنيا تحوَّلت .

حديث السلالات العليا والسلالات الدنيا جرَّ على الدنيا في الحرب العالمية الثانية دمارا لم تعرفه الدنيا من قبل . وتناول العلم حديث السلالات بالبحث فاذا هو يكشف عن انه حديث خرافة .

وتورِّط اسم الله في رسالات مزعومة تاتي من السماء لانتشال برابرة الارض صار من الهجنة بحيث اصبح لا تستسيغه حتى آذان قساوسة الغرب — ولا اقول قساوسة المسيحية — ولا تدور به السنتهم بعد افتضاح غاياته .

وخامات الارض صار لها بين الامم الغربية اكثر من طالب ، والاستحواذ عليها ، بالاستعمار تارة ، وانشاء الامبراطوريات تارة ، سبّب بين المتنافسين الحروب ، فكان لا بد من جعلها تراثا عاما ، وبضاعة تشتريها بالمال من يشاء ، ويعرض عنها من شاء . ووجدوا هذا اقل كلفة من كلفة جيوش يزرعونها في تلك الاراضي البعيدة ، واساطيل يسيرونها بالرجال والعتاد في اقاصي البحار اليها .

الا القوة

كل هذا تحوَّل لا شك فيه .

الا القوة ، فما تحول الانسان عنها . هو يطلبها ، وهو يعدها ، وهو يعجز بها . وهو يحاجُّ ما يحاج ، ومع المحاج السلاح محشوٌّ ، يحمله حتى في قاعة



القساوسة الغربيون ، ولا اقول المسيحيون ، مهدوا

الحجاج على كفه ، انه عنده الحجـــة النهائية الحاسمة .

وتضاعفت القوة الوما مؤلفة بابتداع الذرة ، والصواريخ التي تحملهـــا الى اقصى الارض .

القوة اذن ظلت باقية ، وزادت .

ومن طبيعة القوة ، كما قدمنا ، انهـا تولد في الناس حب السطو والعـدوان والاستعلاء بكل اشكاله ايما كان .

بقيت القوة اذن في النـاس ، وبقيت غاياتها .

انما الوسائل وحدها هي التي تغيرت .

وهي تغيرت وفقا لظروف هذا الزمان وتطوره .

وهي تغيرت بسبب الشكل الجديـد الذي توزعت به القوة وتقسمت بين دول احتبست مذاهبها في اساليب العيش على ظهر الارض .

وهي تغيرت بسبب ان هـذه القوة ، حينما تقسمت ، ظل القسـم الواحـد



الغزو وماكثر مما مهدت الساسة والجيوش .

منها كافيا لهلاك الزرع ، والنسل كله ، لا حازم من بعد اطلاقها ولا محروم .

اساليب الاستعمار جديدة

وسموا هذه الاسـاليب الجديـدة بالاستعمار الجديد .

وسموها بالامبريالية الجديدة .

وجعلوا اداتها المعونة يسديها الاقوياء الاغنياء الى من انحطت اليه امبراطورياتهم مـن دول ضعيفة فقيرة ، ومع المعونة شروط ، اظهر صناعها على الورق انها غير مشروطة .

وهي مشروطة مشروطة من اي جانب من جوانب الارض جاءت .

وجعلوا اداة هذه الامبريالية الجديدة ولاء الامم المستضعفة يشترونه بالمـال شراء .

فان ابت الامـــة المستضعفة ان تشترى ، اشتروا من بين اهلها الوكلاء ، مكانوا في داخل البـلاد اكثر تخريبا ، وفتنا في جهود الامة التي تعمل لتحيا ، من تخريب وفتن كانا يحيئانها مريحين من وراء الحدود في عهــد الاستعمار السافر . وادعى الاقوياء انهـم نصراء الضعفاء في سيلهم الى التقدم ، واللحاق بركب المدنيه . وقد كذبوا . او كـذب اكثر ساستهم . فهم عودونا منـاصرة الرجعية دائما ، وخذل التقدمية ، في كل بقعة من بقاع الارض لا ترمي مـــن استعمارهم المستور بالقدر الذي كانت ترمي به من استعمارهم القديم السافر .

من اجل كل هذا

من اجل كل هذا خطب صوان معالي هذا

خدعوك فقالوا تغير الزمان ،
وما تغير الزمـان ، ولكن تغيرت
اساليب البغي والعدوان .

■■

احمد زكي



قتل فى معركة دير ياسين ، الغادرة ، مائة من العرب لا مئتان . وقتل العرب من اليهود مثلهم . ووصف زعماء العرب مأساة دير ياسين بأنها مجزرة مريعة ، وبالغوا ، فأشاعوا الذعر فى قلوب العرب ، فكان ما كان من بليه !

• كانت الخطة التي اتبعها قادة « الجهاد المقدس » في شهر فبراير « شباط » ١٩٤٨ ، أي بعد شهرين من صدور قرار التقسيم ، ترمي الى القاء الرعب في قلوب اليهود ... ولا سيما في مدينة القدس وما حولها من مستعمرات ... حيث تعيش الكثرة الساحقة من اليهود وحيث تقيم المنظمات اليهودية الرئيسية ، كمنظمة (الارجون تسفاى لئومي) و « شترن » و « قيادة الهاجانا » ... وكانت الفوضى قد سادت المدينة خلال الشهرين الماضيين ، فأصاب أعمال الحكومة والمصالح العامة شلل عجيب ، عمم الخوف . وفقد الأمن . وأغلقت المخازن والحوانيت ، وارتفعت أسعار الحاجيات والمواد الغذائية الى درجة لم يسبق لها مثيل ، منذ الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ــ ١٩١٧) ...

فرقة التدمير العربية

وتنادى الفدائيون العرب من كل



حدب وصوب ، فالفوا فرقة اسموها : (فرقة التدمير العربية) ومدت هذه يدها الى (منظمة الجهاد المقدس) . فراح الجميع يعملون معا بقيادة البطل عبد القادر الحسيني . فنسفوا شارع هاسوليل اليهودي (١ فبراير ١٩٤٨) فاصبح طللا . كما نسفوا مطبعة (بالستاين بوست) التي كانت لسان حال الوكالة اليهودية .

ثم نسفوا الحي المعروف بـ (يمين موشه) و « المونتفيوري » (١٢ فبراير ٤٨) . وشارع بن يهودا (٢٢ فبراير ٤٨) . ودار الوكالة اليهودية (١١ آذار ٤٨) . وذكرت الصحف اليهودية التي صدرت في اليوم التالي لذلك الحادث ، ان الوكالة كانت مجتمعة في تلك الدار يوم النسف ، وانها كانت تبحث الوضع المتأزم في المدينة مع مياده الهاجانا .

قطع الماء عن يهود القدس

والاهم من هذا وذاك ان المجاهدين من رجال الجهاد المقدس ومن شباب فرقة التدمير تمكنوا ، واعملوا النسف قائمة في المدينة ، من نسف الأنابيب التي تنقل المياه للاحياء اليهودية من (رأس العين) . فدمروها في مواضع عديدة . فكاد اليهود يموتون عطشا .

عرقلة وسائل النقل وخطوط المواصلات

واضاف المناضلون العرب ، في شهر آذار ، الى خططهم السابقة خطة جديدة .. ترمي الى عرقلة وسائل النقل وتدمير خطوط المواصلات اليهودية .. والحيلولة دون وصول المؤن الى يهود القدس من تل ابيب .. ومن ايه مستعمرة من مستعمراتهم العائمة في السهل الساحلي . فحاصروا المدينة حصارا كاملا . وحالوا دون وصول المؤن اليها .



كن' ..

الى حادثة دير ياسين قامت الآنسة هند الحسيني بمدينة القدس لايواء اطفال دير ياسين الذين نجوا من

ماذا تعني هذه الخطة ؟

وتعني هذه الخطه ـ اذا ما نجحت ـ استسلام اليهود الذين كانوا يعيشون في هذا القطاع وكان عددهم يومئذ في القدس وفي المستعمرات المجاورة لها قريبا من نصف عددهم في البلاد كلها .

ولم تكن انتصارات العرب في انحاء فلسطين الاخرى اقل من الانتصارات التي نالوها في مدينة القدس .

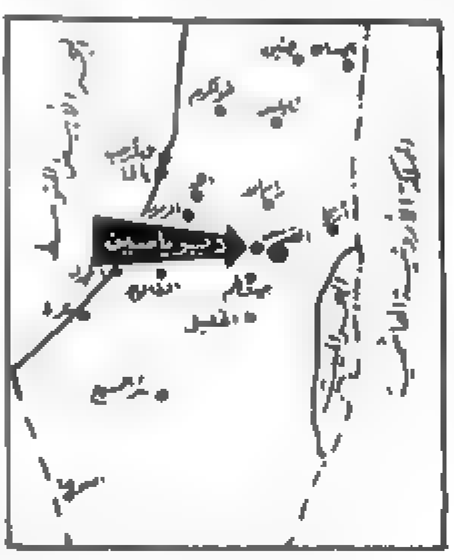
امريكا تعدل عن تأييدها لقرار التقسيم

ما كادت هذه الاخبار .. اخبار انتصارات العرب في فلسطين .. تنقل الى العالم على موجات الاثير حتى راحت معظم الدول التي ايدت مشروع التقسيم تنادي بضرورة العدول عنه . وكانت امريكا اول الدول التي اصابها الذهول . فأوعزت الى مندوبها في هيئة الامم الدكتور اوستن ان يسحب تأييده السابق . وقام هذا ، فالقى في ١٩ مارس (آذار) ١٩٤٨ بيانا قال فيه : « ان حكومته سحبت تأييدها لمشروع التقسيم واصبحت تميل الى فرض مشروع الوصاية على فلسطين » . وكذلك فعلت فرنسا والصين . وراح المستر كريتش جونز وزير المستعمرات البريطاني ومندوب بريطانيا في هيئة الامم ينصح الدكتور وايزمن ان يقبل مشروع الوصايه . وحذا حذوه معظم مندوبي الدول في مجلس الامن .

ومن العوامل التي ادت الى هذا التحول في السياسة الامريكية خشية رجال الحكم في وزارتي الخارجية والدفاع ، وكذلك كل من شركات النفط في الولايات المتحدة ، من تعرض مصالح امريكا الاقتصادية في الشرق للخطر .. حتى ان وزير الدفاع الامريكي المستر جمس فورستال قال في خطاب القاه من الكونجرس انه « يخشى ان يدمر العرب انابيب البترول ويخربوا منشآت الزيت ، ويثيروا القلاقل ضدنا في الشرق كله .... »

ماذا فعل اليهود

ان هذه الاخبار من انتصارات العرب في فلسطين ، وتبدل الاتجاه في السياسه الامريكية ، اقلقت بال اليهود وزعماءهم



خريطة تبين موقع دير ياسين





بتأسيس دار الطفل العربي ... القتل ..

.. وبعد مرور عشر سنوات على النكبة ، نفس البنات اللواتي آوتهن دار الطفل وقد اصبحن طالبات مطالبات باسترجاع الوطن السليب .

.. فاصبحن .

.. ولا سيما رجال الصهيونية العالمية في الولايات المتحدة .. فراحوا يفكرون في احسن الوسائل لاستغلال الموقف ... عن طريق اقناع البيت الابيض ورجال الكونجرس الامريكي بالمثابرة في تأييدهم .. وعدم العدول عن فكرة التقسيم .. وعن طريق توحيد قياداتهم العسكرية ومنظماتهم الارهابية التي كان الخلاف قد دب بينها ، وعن طريق تقوية هذه المنظمات بالسلاح والمال .

كيف حصلوا على السلاح ؟

وقد يسر لهم الانكليز سبيل الحصول على ما يبتغون .. في ٤ ابريل (نيسان) ١٩٤٨ .. يوم فتحوا لهم ابواب المعسكر البريطاني المجاور لمستعمرة (بفردس حنا) اليهودية .. ذي الرقم ٨٠.. فدخلته جماعة من عصابة الارجون ونهبت كل ما وجدته فيه من اسلحة . عدد كبير من المدافع الرشاشة والبنادق الكندية .. والقنابل من نوع ميلز .. وبنادق الغاز الخانقة .. واربع مصفحات ..

وكذلك نقل من الاسلحة التي نهبوها من القطار العسكري بين مستعمرتي (الخضيرة) و (بنيامينا) ، يوم استولوا على عشرين طنا من الاسلحة .. بينها مقادير كبيرة من البنادق الاعتيادية والمدافع الرشاشة وقنابل الهاون والمورتر .

ودلت القرائن كلها على ان هذه الاسلحة التي زعم اليهود انهم استولوا عليها بالقوة ! ما كانوا ليستولوا عليها لولا انهم كانوا متواطئين مع الضباط المسؤولين من البريطانيين . يدلك على هذا ما قاله زعيم هذا الحزب .. مناحيم بيجن .. في الصفحة ٢٥٠ من كتابه The Revolt ان الجنود البريطانيين الذين كانوا يقومون على حراسة القطار ، ساعدوا اليهود في عمليتهم .. ! وانهم اشتركوا مع اليهود في نقل الاسلحة والاعتدة التي كانت في القطار الى السيارات التي اعدها اليهود للشحن ! ..

كيف ولماذا اتجهت افكارهم الى « دير ياسين » ؟

بعد ان تيسر لليهود هذا المقدار من السلاح رأوا ان يقوموا بعمل من شأنه ان يكسر معنويات العرب ، ويصحح الاعتقاد السائد انهم (اي العرب) هم

المتحصرون . عمل يفتح لهم .. في الوقت نفسه .. الطريق التي تربط الأحياء اليهودية في مدينة القدس بمدينتهم الكبرى (تل ابيب) . وكان لا بد من تأمين الاتصال مع تلك المدينة ، من اجل تحطيم الحصار الذي ضربه العرب حول القدس ..

فلم يجدوا افضل من (دير ياسين) .. القرية العربية القائمة على طريق القدس ــ تل ابيب .. والتي يمكنهم الاستيلاء عليها والتغلب على سكانها بسهولة .

واعتزموا مهاجمتها وابادة سكانها . وتدميرها تدميرا كاملا .

اين هذا من العهد الذي قطعوه ؟

اعتزم اليهود دمر (دير ياسين) رغم انه كان بينهم وبين سكان تلك القرية اتفاق سابق من النوع المعروف بـ (الاتفاق المتلمسان) ، ان لا يعتدي الواحد منهم على الآخر ، وان يتفق الفريقان مخلصين لحق الجوار . وكان هذا الاتفاق قد تم بينهما عندما اكفهر الجو واخذت سحب القتال تنذر بالهطول .

وكان اليهود هم البادئين . اذ جاء عدد من رجال مستعمرة (جيمات شاؤول) .. جاءوا الى (دير ياسين) . واقترحوا على مخاتيرها ان يجنح الفريقان الى السلم . قائلين : « مالنا ولثيرنا . تعالوا نتفق . فلا تعتدوا علينا . ولا نعتدي عليكم » .

هل كان في مقدور « دير ياسين » ان ترفض هذا الاتفاق ؟

وما كان في مقدور دير ياسين ورجالها ، الا ان يوافقوا على هذا الطلب . ذلك لانها (اي دير ياسين) قرية صغيرة لا يزيد عدد سكانها على السبعمائة الا قليلا . وعلى وجه التحديد انهم عبارة عن ٧٧٥ نسمة . يجاورهم ما يزيد على مئة وخمسين الفا من اليهود : ٩٩٫٦٠٠ يهودي يعيشون في الاحياء القريبة لمدينة القدس . والباقون يقيمون في مستعمرتي (مونتفيوري) الجديدة و (بيت ؟) الكائنتين الى الشرق من دير ياسين ، ومستعمرة (جيمات شاؤول) الى الشمال ، ومستعمرتي (يافنتوف) و « بيت هاكيرم » الى الجنوب ، ومستعمرتي (موتزا) و (ارزا) الى الغرب .



صباح عبد الغني شعث فتى مقدسي في السادسة عشرة من عمره ، ما كاد يسمع بما جرى في دير ياسين ، حتى تمنطق ببندقيته وراح يتعقب اليهود المجرمين . ولقد تمكن هو ورفاقه من نسف منزلين لليهود عند البوابة المعروفة بـ (مندلبوم) وفيما كان يشعل الفتيل لنسف المنزل الثالث اصابته رصاصة يهودية اودت بحياته .

وقف الجنود البريطانيون عند (باب العمود) من ابواب بيت المقدس يبحثون عن السلاح خشية ان يستعمله العرب لأخذ الثأر . تذكر ان حادث دير ياسين جرى قبل انسحاب الانجليز من البلاد . ولم يقم الانجليز باي عمل لنجدة اهل دير ياسين ، بينما كانوا يركضون لنجدة اليهود عندما كان العرب يهاجمون احدى المستعمرات اليهودية ..

كيف هاجم اليهود دير ياسين ؟

ولكن اليهود الذين لم يعتادوا احترام المواثيق والعهود ، قرروا مهاجمة (دير ياسين) وازالتها من الوجود . هاجموها في الساعة الرابعة والربع من صباح يوم الجمعة الموافق ٩ ابريل



السفاح الصهيوني مناحيم بيجن واضع الخطة لهجوم دير ياسين



دافيد شالتائيل ، منفذ الخطة وقائد الهجوم على دير ياسين

(نيسان) ١٩٤٨ ، واشترك في هذا الهجوم رجال من عصابة (الارجون) وعلى رأسهم (دافيد شالتائيل) و « مردخاي رعنان » و (يهوشاع غولد شميد) و (؟) . واما قائد القطاع فكان رعنان . واما زعيم الارجون الاكبر فانه (مناحيم بيجن) . وكان مع رجال الارجون عدد من عصابة شترن . وكان قادة الجيش النظامي المعروف بالهاجاناه على علم بهذه الحملة ، وان كانوا قد تظاهروا بعكس ذلك . وادعوا انهم لم يكونوا على علم بما جرى لدير ياسين ! ..

حتى ان بدأ المشاة هجومهم حلقت في الجو طائرة ألقت على القرية سيلا من قنابلها . وراحت مدافعهم المورتر Mortar تمهد لهم السبيل ، فراحوا يزحفون من الشمال والشرق والغرب في خمس عشرة سيارة من السيارات

الكبيرة المصفحة .

وما كانوا في حاجه لمثل هـذا العدد الكبير من المشاة والمدافع والمصفحات .. اذ لم يكن في تلك القرية الصغيرة سوى ٨٥ مسلحا .. يحملون سبي بندقيه من البنادق الاعتيادية الخفيفة .. ورشاشين من طراز برن .. واربعه ستن .. ست من البنادق ايطاليه .. وثلاث امريكيه .. وواحده امريكه .. والمحسوب الباقية بنادق انجليزيه .. اكثرها شروه باموالهم بعد أن باعوا حلي نسائهم .. وقد شروه بثمن باهظ .. وبعضها ارسلته اليهم الهيئة العربية العليا من مصر .

ولم يكن لديهم من الذخيرة والعتاد ما يكفيهم لاكثر من ساعة أو بعض الساعة . وقد استعانوا بالجيش البريطاني ورجال البوليس الذين كانوا قد سمعوا الخبر . ولكنهم لم يركضوا لنجدتهم . لا ، ولم يات احد من رجال الصليب الاحمر لتضميد جروح الجرحى من ابناء (دير ياسين) .

دافع سكان دير ياسين عن قريتهم دفاع الابطال

ومع ذلك فقد دافعوا عن قريتهم دفاع المستميت . وقتلوا ما لا يقل عن مئة يهودي . اي بمقدار ما قتل منهم . وكانت الساعة تشير عندما وقف القتال الى الخامسة من مساء ذلك اليوم ، اي ان حفنة من المناضلين لا يزيد عددهم على خمسة وستين مقاتلا استطاعوا ببنادقهم الاعتياديه ان يقوموا كتيبة كامله من المهاجمين الغادرين المزودين بالمصفحات والرشاشات ومدافع المورتر .. هذا بالاضافة الى البنادق البريطانية التي اخذوها من معسكرات الجيش البريطاني .. يوما ثلاث عشرة ساعة . وما كانوا ليسلموا بلدهم الى الاعداء الا بعد ان كانت قد نفدت آخر طلقة لديهم .

ويحدثك الذين نجوا من تلك المعركة وبقوا على قيد الحياة عن بطولة اخوان لهم سيقوهم الى دار الخلود احاديث تدعو الى الفخر والاعجاب .

منها : ما فعله الشهيد المغفور له محمد الحاج عايش الذي ظل يقاتل اليهود الى ان قتل ... ولما قتل زغردت امه (حلوه زيدان) ، فنزل الى الميدان والده الشيخ الشهيد المغفور له الحاج عايش ، فقتل . ثم زغردت حلوة مرة أخرى . ونزلت هي بنفسها الى الميدان . وظلت تقاتل الى أن استشهدت ..

ومنها . ما فعلته الشهيده المغفور لها (جميلة احمد صلاح) ورفيقتها المغفور لها (ذيبه عطية) اللتان نزلتا الى الميدان . تحثان الرجال على القتال . وتوزعان الذخيرة على المناضلين . وقد خرتا صريعتين برصاص المجرمين .

ومنها : ما فعله المجاهد الشاب الذي تولى قيادة المناضلين (علي القاسم) .. فقد ظل هذا يقاتل اليهود .. ويحث زملاءه على القتال .. ولم ينسحب من الميدان الا بعد ان نفدت ذخيرته .. وكان قد قتل عشرة من اليهود ..

وكذلك فعل من المجاهد الشاب (فؤاد عبدالحميد سمور) الذي اخترق صفوف اليهود ، وتمكن من قذفهم بقنبلتين كانتا معه ، فقتل تسعه من مهاجميهم .

وان انس لا انسى ما قاله لي عدد من شيوخ القرية بعد وقف القتال من (الفاجعه زينب بنت احمد موسى) من نساء القرية التي بقيت صامدة ، تحث الشبان على القتال . ولم يكن بيدها اي سلاح . فاستخدمها اليهود في نقل جثث موتاهم . وقد احصت تلك الجثث فقالت انها لا تقل عن اربعين جثة ! ..

ماذا قال مناحيم بيجن عن ابطال دير ياسين

ولكن . لماذا نذهب الى بعيد في وصف البطولة والصبر والشجاعة التي ابداها ابناء (دير ياسين) دفاعا عن بلدهم . وهناك الكتاب الذي سبق ان ذكرناه ، ذلك الذي اصدره (مناحيم بيجن) بعد



حياة البلابسة قتلها اليهود وهي تضمد جراح المجروحين .. انها من خريجات دار المعلمات بالقدس ، وكانت قبل نشوب القتال تعلم في مدرسة القرية

وقت القتال وعنوانه : « The Revolt »
نقد قال هذا في الصفحة ١٦٢ من كتابه :
« ان اليهود خسروا في معركة دير ياسين عددا كبيرا من مقاتليهم ، بسبب مقاومة العرب .. وكانت نيرانهم حامية وقاتلة ... » الى أن قال : « ان مقاومة العرب كانت شديدة الى حد انهم (أي اليهود) اضطروا لمحاربتهم من شارع الى شارع ومن دار الى دار .... » .

كيف أخطأ العرب في وصف هذا الحادث ؟

كم كنت اريد لو اعتبرنا ، نحن العرب ، أن ما جرى في دير ياسين ، معجزة من معاجز عرب فلسطين ، اذ استطاعت قرية لا يزيد عدد سكانها على ٧٠٠ الا قليلا ، أن تقاوم مئة وخمسين الفا من اليهود يحيطون بهـا .. واستطاع ٦٥ مقاتلا من ابنائها ان يقاوموا كتيبة من المهاجمين الذين هاجموهم على حين غرة .

وقتل هؤلاء المناضلون ، رغم قلة عددهم ، وعدم تكافؤ اسلحتهم ، عددا لا يقل عن العدد الذي قتل منهم ..

اضف الى ذلك أن الأمة التي تبغي الحياة ، يجب أن تكون على استعداد للتضحية والصمود ، وان لا تعبث في عضدها منة .. وان شئت فقل مئات من الشهداء يخرون في ساحة الشرف ..

بيد أننا ، لم نفتنه ــ ويا للاسف ــ لهذه الحقائق .. فقد ملأنا الدنيا صراخا وعويلا .. ورحنا نصف الفظائع اليهودية باسلوب اقشعرت له الأبدان .. وزاد الطين بلة بيانات الزعماء والرجال المسؤولين .. والمقالات التي نشرت في الصحف .. واصفة حادث دير ياسين بانه (مجزرة بشرية) لم يسبق لها مثيل ! .

لست اشك قط أن الزعماء الذين ولولوا اكثر من اللازم ، كانوا يرمون من وراء بياناتهم وخطبهم ومقالاتهم ــ الى هدف شريف ، هو اثارة الرأي العام العربي والاسلامي الى ما يقترفه الصهيونيون من فظائع واعمال همجية .. وتوجيه انظار هذين العالمين الى الخطب الذي الم بسكان هذه البلاد والذي سيلم عما قريب بأبناء الأقطار الشقيقة المجاورة ، اذا لم يهبوا لنجدة فلسطين !

ولكن ، الريح هبت في اتجاه معاكس ، وعمل الطابور الخامس عمله ، فراح ينشر بين افراد الطبقة الساذجة أرقاما مبالغا فيها ، عن قوة اليهود الحربية واسلحتهم ومقدرتهم على القتال ! ... الامر الذي كان له أسوأ الاثر في صفوف العرب !

عدد الشهداء في دير ياسين

ومن الارقام التي يولع في ترديدها : ان عدد القتلى من أبناء دير ياسين يعدون بالمئتين .. مع أن هـذا العدد لا يزيد ــ كما سبق وقلت ــ على مئة وعشرة شهداء . وهذا ما قاله لي شيوخ القرية في صبيحة اليوم التالي لخروجهم منها .

وقد سجلت أسماءهم واسماء الشهداء الآخرين الذين لاقوا ربهم في ميادين الشرف والجهاد في القطاعات الأخرى .. في كتاب اسميته : (سجل الخلود) .

والله في خلقه شؤون . ■

عارف العارف

عدسات تلبس في العين

بدل التي تحمل فوق العين!

سنة الانسان فيما يبتدع دائما واحدة :

يبتدع الناجح أولا .

وهو في ذلك لا يبالي أي شكل يتخذه .

ثم هو يبدأ في تهذيبه فيصغر حجمه، أو يخفف من ثقله ، ثم هو يتناول خطوطه فيحسن من منظره ومظهره ليكون جميلا، أو على الأمل مقبولا .

وعلى هذه السنة هو جرى في علاج بصره ، من بصر قصير ، ومن بصر طويل، بالنظارات .





بدأ بالنظارات ، عدسات ضخمة ، في اطارات ضخمة ، تحملها جميعا أذناه .

ثم هو أخذ يرقق من عدساته، ويخفف من ثقل اطاراته . حتى كان منه أن جعل العدسات لا تحملها اطارات ، ولكنها حملتها على الأنف زنبركات .

والنساء



والنساء .... ؟

هال النساء أولا ، في تصحيح ابصارهن ، أن يحملن هذه الزواعد الزجاجية على وجوههن . فصنع لهن الصانعون نظارات لها يد تحمل منها . وتمسك السيدة العانية بيد نظارتها ترفعها الى عينيها عند الحاجة لتنظر وترى ما لم تكن ترى .

ولكن ماذا تصنع المرأة عند العمل ؟ ان يدها تكون مشغولة . نظارة اليد هذه تجوز في حفله . ولكن لا تنفع في مكتب او مطبخ .

تحمل النساء نظارات الرجال فعملا. انها الضرورة . وعمل الصانعون على ترقيق عدسها ، وتخفيف وزنها ،وتلوين اطارها ، من أحمر الى أصفر ،وتشكيلها وفقا لوجه حواء حتى صار هذا التشكيل فنا ، تقصد به ، لا اخفاء الوجه الجميل



ترفع الفتاة جفن عينها اليمنى بأصبع يدها اليسرى وتضع العدسة القرنية بيدها اليمنى ، وتجعلها وسطها في العين ... لتختفي فيها

باخفاء معاناته ، ولكن باظهاره في أحسن مظهر ، واكثره حلوة .

الاطارات معوقة في بعض مواقف العيش

ولم يكف هذا حتى الرجال .

فماذا يصنع الرجل في سباق ، وهو يحمل اطارا ذا عدسات ؟ .

وماذا يعمل بعض الصناع في المصانع ، والبخار يخرج فيغشي ما يقوم على عيونهم من عدسات . ؟ !

والممثل ، والممثلة ، قصير النظر او قصيرة ، هل يظهران دائما وعلى وجهيهما تلك الاضافة الزجاجية المعيبة ، التي فضلا عن بعدها كل البعد عن ان تكون رواقا ، هي انما تعلن ان في عين صاحبها نقصا ، وفي بصره عجزا ، والعجز دائما له عند الناس الستر .

عدسات لا حامل لها ، الا العين

ويتفتق ذهن الانسان اخيرا عن نظارات ليس لها اطارات تحملها ، ولا حوامل من اي نوع قط .

نظارات تلبس في العين .

لا نظارات تحمل فوق العين .

عدسات من زجاج ، نعم ، وهي تهيأ وفقا للعين ، نعم . ولكنها رقيقة من حيث السمك ، صغيرة من حيث القطر ، فقطرها يبلغ اكثر من سنتيمتر قليلا . انه يتراوح بين ٥ر١٠ملم ، وبين ١٢ملم . وهي خفيفة من حيث الوزن ، فوزنها يتراوح بين ١٠ر٠ و ١٥ر٠ من الجرام الواحد .

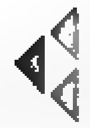
ويرفع الرجل جفنه بيده ، ويزلق بيده الاخرى هذه العدسة داخل عينه . وينزل جفنه عليها ، وقد التصقت في بكرة العين فصارت كأنها بعضها .

انها تلتحم في اوسطها بقرنية العين ، يلحمها بها ما يجري في العين من دمع لا ينفك يجري . وبما ان العدسة اكبر قطرا من القرنية ، فاطرافها تصل الى بياض العين المحيط بسوادها ، فتغطي بعضه ، وبه كذلك تلتحم ، وعليه تعتمد .

وبالعين الاخرى عدسة كهذه اخرى ، توافقها .

ومن اجل هذا اسموها بالعدسات القرنية Corneal Lenses .

وتنظر العين الى الاشياء في وضح النهار او في غبش الليل . وتأتي الاشعة من الشيء المنظور فتدخل اول ما تدخل الى هذه العدسة ، العدسة القرنية ، وتنفذ منها تماما كما كانت تنفذ من عدسات النظارات ذات الاطارات ، لقصير النظر او لبعيده ، وتخترق القرنية ، فعدسة العين التي خلقها الله طبعا ،



وترتسم على الشبكية ، وبذلك يتم ادراك الصـــور .

وتمر بك الفتاة فتنظر وجهها فتراه كما أراده الله،لا نوافذ عليه ولا شبابيك. وترى الفتى كذلك ، تنظر اليك وتنظر ، فتحس بوجوده نقيا ، لا كما كان يعمل وهو يحاطك من وراء نظارة فكأنما كان يحاطك من وراء ستار . ومن الناس من يداوم على حمل هذا النظار فوق وجهه ، فاذا نزعه ، وظهر وجهه عاريا ، كدت تنكره .

عدسات لها صنّاع مهرة

ولكن لا بد ، في أمر هذه العدسات القرنية ، من التوفيق بينها وبين العين التي تمسها . انها اولا تصاغ بحيث تصلح للنظر القصير او النظر الطويل او غير ذلك من أسواء الابصار . ثم هي تصاغ بحيث تلتئم وقرنية العين ، سطحا سطحا . من اجل هذا كان صناع هذه العدسات غاية في الدقة .

ان العين شديدة الحساسة ، تحس بحبة التراب تدخلها ، وبالشعرة من رمش العين تلصق بداخلها ، فكيف بجسم آخر غريب ، كالعدسة القرنية ؟

لا بد اذن من انسجام تام بينها وبين العين ، يعين عليه ما لا بد واقع بينهما من سائل هو من الدمع . طبقة رقيقة منه تربطهما التصاقا .

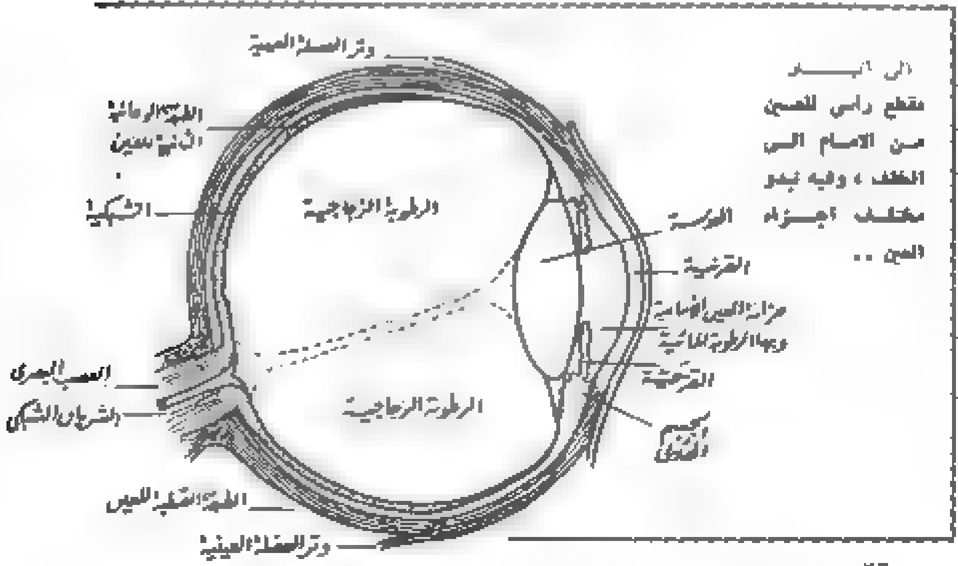
وبسبب تلك الدقة في الصنع غلا ثمن هذه العدسات . فثمن الزوج منها قد يصل الى ثلاثين جنيها استرلينيا او فوق ذلك .

حاجة الانسان الى التدرب على العدسات القرنية

ومع هذا فلا بد لمن يريد أن يتحول من النظارات ذات الاطارات الى النظارات القريبة (العدسات القرنية) ، من أن يقضي في تجربتها زمنا ، يقصر او يطول ، ليأتلف مع هذا الاسلوب الجديد في الابصار .

وقد دل الاحصاء على ان نحو ٢٥ في المائة ممن حاولوا هذا الاسلوب الجديد ما لبثوا ان تعودوه سريعا ، ومن غير ضيق . وحملوا العدسات طول يومهم .

ولكن عشرة في المائة من هؤلاء ضاقوا بهذه العدسات ضيقا ادى الى اهتياج اعصابهم ، حملهم ، وحمل الاطباء على ان ينصحوهم بالاقلاع عنها .



الى اليسار
مقطع رأسي للعين من الامام الى الخلف ، وفيه تبدو مختلف اجزاء العين ..



صورة فتاة بالنظارة ذات الإطار



وصورة لها بالعدستين القرنيتين والفرق واضح

أما الخمسة والستون في المائة الباقون ، فمنهم من استطاع حمل العدسات ساعة ، ومنهم من استطاع ساعتين وثلاثا . وكلما حملوها وتعودوها زادت ساعات حملهم (أو حملهن) إياها.

ودل الإحصاء كذلك على أن أقرب الناس إلى تجربة هذا الأسلوب الجديد في الإبصار أولئك الذين وقعت أعمارهم بين الخامسة والعشرين والخامسة والثلاثين .

عدسات ليست للتجميل وحده

وهذه العدسات القرنية ليست للتجمل وحده ، وخاصة للنساء . فهنالك أمراض في العين تكون هذه الوسيلة أوفق لها وأنجح . مثال ذلك مرض تقمع القرنية ، وقصر النظر البالغ .

ثم لا ننسى أن هذه العدسات القرنية أوفق ، من حيث الإبصار ، ومع الأبصار السليمة ، من العدسات ذوات الإطارات ، ذلك أن الإطار نفسه يحجب القسم الجانبي من مجال النظر وهو يبلغ نحو ثلث هذا المجال مساحة . ويصعب صاحبَ الإطار أن يرى ما إلى جانبه فتقع الحوادث .

رواج العدسات القرنية

وتسأل كم راجت هذه العدسات القرنية بين الناس .

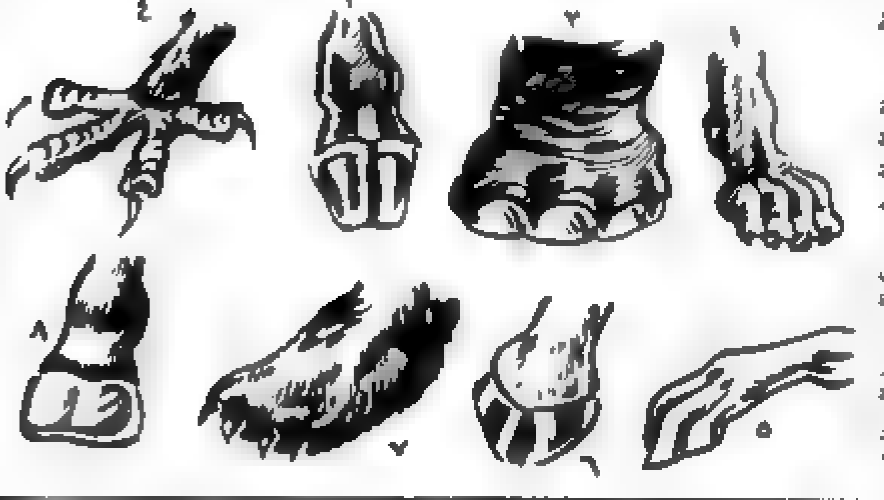
والإحصاءات التي عندي الآن تشير إلى أنه يوجد بفرنسا الآن نحو ٢٠ ألفا يحملونها مكان العدسات ذات الإطارات . وبالولايات المتحدة نحو ٥٠٠ ألف لهذه العدسات حامل .

وكم كنت أود أن أعلم كم من الناس يحمل النظارات ، كائنة ما كانت . ولكن هذا الإحصاء ليس حاضرا لدي الآن .

مسابقة العربي

٨ أرجل + ٨ رؤوس وجوائز ١٠٠ دينار

● هذه مسابقة سهلة لا تتطلب ممن يشترك فيها اكثر من ان يمعن النظر في هذا الرسم ويستجمع ذاكرته ليطابق بين ما فيه من ارجل الحيوانات والطيور التي يراها في الصفين الاول والثاني ، وبين رؤوسها التي يراها في الصفين الثالث والرابع ، ليعرف اي هذه الارجل يوافق كل رأس من تلك الرؤوس ، ثم يذكر في اجابته ان الرجل رقم ١ مثلا هي رجل الحيوان ذي الرأس حرف أ او ب ، وهكذا.





شروط المسابقة وجوائزها

يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٦ ، اكتب عليه اسمك بخط واضح واكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربي العدد ٧٧ » آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو ٧ مايو (أيار) ١٩٦٥

● يمنح الفائز ١٠٠ دينار توزع كالآتي :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا

الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا

الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، لكل منها ٥ دنانير . . . وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .



المؤتمر الدولي للقانون المقارن في باريس يقرر اعتبارها مصدرا من أهم مصادر التشريع العام ، وانها شريعة حية ، صالحة للتطور قائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرهــــا .

بقلم : الدكتور عثمان خليل عثمان

■ *كنت قد وعدت منذ حين صفحة « العربي » القراء بكلمة عن الشريعة الاسلامية كمصدر للقانون ، وذلك في ضوء ما نص عليه الدستور الكويتي من أن « دين الدولة الاسلام ، والشريعة الاسلامية مصدر رئيسي للتشريع » . ويسعدني أن أستجيب الآن لاستنجاز المجلة هذا الوعد ، في فترة سنستمتع فيها بما خلفه شهر الصوم المبارك من روحانية باقية ، ونستقبل موسم الحج المبرور بروحانيته الآتية*

وانني وانا اطرق هذا الموضوع اجد ذاكرتي تشد شدا الى تلك المناقشات الهادفة التي جرت في المجلس التأسيسي الكويتي ، وفي لجنته الدستورية ، خلال المراحل التحضيرية للنص السالف الذكر . فقد حظي هذا الموضوع في كلتا الهيئتين بعناية بالغة ، إن لم اقل نادرة بالنسبة الى سائر الموضوعات التي احتدم النقاش حولها .

وقد استقطب اتجاه قوي – في اللجنة أولا ، وفي المجلس التأسيسي ثانيا – عديد المعاني والحجج والمشاعر التي تهدف الى حسم الموضوع جذريا بنص دستوري فاصل ، لا يقف عند حد جعل الشريعة الاسلامية احد مصادر متعددة للتشريع الكويتي ، أو « مصدرا رئيسيا » مع مصادر أخرى تزاحمه على ذات المستوى أو تكاد ، وانما

يصل الى حد جعل تلك الشريعة الغراء « المصدر الرئيسي » للتشريع ، فلا ينازعها هذه الصفة مصدر آخر ، ولا تزاحمها هذه الصدارة غيرها من الشرائع او المصادر ، ويقتضي ذلك اعتبار اي معين آخر للقانون مصدرا « غير رئيسي » . ويعني ان الرجوع الى المصادر « غير الرئيسية » لا يكون الا عند ما ينتفى الحكم في المصدر « الرئيسي » ، وهذا قلما يكون ، ونادرا ما يحصل ، بل لعله لا يكون ولا يتحقق الا لدى القائلين باقفال باب الاجتهاد ، وهو قول ـ كما لا يخفى ـ جد مرجوح . وبذلك يكون مؤدى هذا الاتجاه ـ لو تحقق ـ تعطل الاخذ من اي مصدر اخر غير الشريعة الاسلامية ، من الناحية العملية ، ما لم يدخل الامر المأخوذ او المستحدث نطاق هذه الشريعة من باب الاجتهاد المفتوح وباعتباره حكما من احكامها ، كما يتطلب ، نظريا وعمليا ، الاخذ بكل حكم جديد لا يتسع له باب الاجتهاد ، بأن يكون محرما في الاسلام كعقيدة او كشريعة .

ولعله لا يخفى ان هذا الاتجاه وان احتمل خلافا من حيث امكان او ملاءمة تطبيقه في مجتمع معين في زمن معين ، فانه لا خلاف على انه اكبر رعاية لاحكام الشرع الاسلامي ، واكثر تجاوبا مع اعتبار « الاسلام » دين الدولة الرسمي . ولذلك كانت فاتحة مناقشة المجلس التأسيسي الكويتي لمواد الدستور يوم ١٩٦٢/٩/١١ متعلقة بهذا الامر ، ومتضمنة اقتراحا يقول : « بما ان دولة الكويت دولة اسلامية ، ولا يوجد فيها غير الاسلام ، ارجو ان توضع عبارة « المصدر الرئيسي للتشريع » عوضا عن عبارة « مصدر رئيسي للتشريع » » . كما قيل : « اذا اردنا ان نتمسك بالمثل العليا فعلينا ان نقتدي بهذه المادة قولا وعملا . فان ذلك مدعاة لتحقيق العدالة الاجتماعية وتحرير الفرد ، وضمان الحريات ، على الطريقة التي ارادها الله لعباده ، ويعتبر ذلك تمسكا بديننا ، واستجابة لدعوة نبينا الرسول الاعظم ، وتوكيدا لايماننا بالله وتعاليمه لنا في الارض ، وان ذلك غاية لنا ، وغاية كل مسلم . وان ما نقره نحن في مجلسنا الموقر من تشريعات ، نقره على هدى ما انزل الله به على رسوله ... » .

ولقد قيل كذلك في توكيد هذا الاتجاه الاول خلال مناقشات المجلس التأسيسي : « لا بد ان نسير على الدين الاسلامي ، فالقانون يمر ويتغير ، لكن الشريعة الاسلامية ثابتة ، ولذا أرى ان نلتزم بالشريعة وأن نقطع يد السارق » .

لم يشأ المجلس التأسيسي الكويتي ـ على الرغم من مشاركته تلك المشاعر والمعاني الاسلامية ـ أن يصعد الى الطفرة في هذا المضمار بنص دستوري لا تردد ولا رجعة عنه ان صدر ، بل ولا يجوز النظر في تعديله الا بعد خمس سنوات على الاقل من بدء العمل بالدستور (وفقا للمادة ١٧٤ منه التي تقول : لا يجوز اقتراح تعديل هذا الدستور قبل مضي خمس سنوات على العمل به) .

آثر المجلس قصر النص على لفظي « مصدر رئيسي » دون أن يضيف اليهما اداة التعريف ، دفعا للتخصيص والتضييق السابق ذكرهما ، وقيل تبريرا لذلك بالجلسة المنوه بها فيما سبق : « ان الشريعة الاسلامية ذاتها قد تركت بابا مفتوحا للاخذ بالجديد المستحسن في امور الدنيا . ونظم الدولة في الوقت الحاضر مأخوذ بعضها من الواقع الحديث ، والبعض الاخر من الشريعة . ومع اننا نريد ان نجعل التزامنا اكثر ما يكون بالشريعة الاسلامية (... توجد معها مصادر رئيسية أخرى منسجمة مع الواقع الحديث وضروراته ... والا فماذا يكون مصير البنوك والشركات والتعامل التجاري والتأمين وقوانين العقوبات .. كل ذلك غير مشروع في الشريعة الاسلامية ، بل ولعله لا تقره » .

وفي توكيد هذا الاتجاه الثاني ـ الذي آثره المجلس التأسيسي وضمنه الدستور ـ جاءت كذلك خلال مناقشات المجلس النصوص التالية مصادرها : « ... لو قلنا .. « المصدر الرئيسي » لابد ان البنوك والشركات يجب ان تغلق ، ولا يوجد كويتي يقول ذلك ، اذ ان تسعين في المائة من الكويتيين يتاجرون ويتعاملون مع البنوك والشركات ، بل ان رأس المال الذي لديهم انما يأتيهم في معاملاتهم من البنوك بفائدة خمسة أو ستة في المائة مثلا ، وهذا محرم في الدين الاسلامي ، لذلك فاني اريد ان يكون البحث في هذه المادة على مستوى تفهم أكثر للواقع وضروراته » .

وقيل كذلك في توكيد ذات الاتجاه « ... اذا اعلنا التزامنا بالشريعة الاسلامية بصفة مطلقة فما هو مصير نظام الحكم الوراثي الذي لا تعرفه الشريعة الاسلامية ، لأن الشريعة تقول بالشورى وليس بالوراثة » .

على ان المجلس التأسيسي وقد اخذ بهذا الاتجاه الثاني وآثر مرونة النص الدستوري وراعى

ضرورات الواقع وسنة التطور ، لم يفته ان يفتح الباب على مصراعيه امام مجلس الأمة ليأخذ بأى قدر يشاء من حكم الشريعة . كما حرص على ان يسجل ذلك بنص صريح في المذكرة التفسيرية للدستور ، فقد جاء فيها بهذا الخصوص ما يلي :

« لم تقف هذه المادة (الثانية من الدستور) عند حد النص على ان « دين الدولة الاسلام » ، بل نصت كذلك على ان الشريعة الاسلامية . بمعنى الفقه الاسلامي ـ مصدر رئيسي للتشريع ، وفي وضع النص بهذه الصيغة توجيه للمشرع وجهة اسلامية أساسية دون منعه من استحداث أحكام من مصادر اخرى في أمور لم يضع الفقه الاسلامي حكما لها ، او يكون من المستحسن تطوير الاحكام في شأنها تمشيا مع ضرورات التطور الطبيعي على مر الزمن ، بل ان في النص ما يسمح مثلا بالأخذ بالقوانين الجزائية الحديثة مع وجود الحدود في الشريعة الاسلامية ، وكل ذلك ما كان ليستقيم لو قيل «والشريعة هي المصدر الرئيسي للتشريع» ، اذ مقتضى هذا النص عدم جواز الاخذ عن مصدر آخر في اي امر واجهته الشريعة بحكم ، مما قد يوقع المشرع في حرج بالغ اذا ما حملته الضرورات العملية على التمهل في التزام رأى الفقه الشرعي في بعض الامور ، وبخاصة في مثل نظم الشركات والتأمين ، والبنوك ، والقروض ، والحدود ، وما اليها » .

ثم اضافت المذكرة التفسيرية قولها : « كما يلاحظ بهذا الخصوص ان النص الوارد بالدستور، انما يحمّل المشرع امانة الاخذ بأحكام الشريعة الإسلامية ما وسعه ذلك ، ويدعوه الى هذا النهج دعوة صريحة واضحة ، ومن ثم لا يمنع النص المذكور من الاخذ ، عاجلا أو آجلا ، بالاحكام الشرعية كاملة وفي كل الامور ، اذا رأى المشرع ذلك » .

على هذا النحو يمكن اجمال الوضع في الكويت بخصوص « الشريعة الاسلامية كمصدر للتشريع » في ان الدستور قد جعل من ذلك هدفا ، وحث السلطة التشريعية على العمل جاهدة له ، ولكنه وضع هذه الامانة على عاتق هذه السلطة التشريعية المتمثلة اساسا في مجلس الأمة ، وهذا المجلس او تلك السلطة مدعوان لحمل هذه الامانة والاستجابة لذلك النداء الدستوري الصريح ، جهد الطاقة .

★ ★ ★

ولعل ابرز استجابة تشريعية حدثت ـ منذ بدء العهد الدستوري بالكويت ـ لهذا الاتجاه الاسلامي، وضع القانون الخاص بتحريم الخمور، أيا كان الرأى في ملاءمته بالصورة التي صدر بها من حيث الظروف الاجتماعية او الاعتبارات الاخرى غير الدينية . وحسبنا لابراز الدافع الديني لوضع هذا القانون ان نذكر بعض ما جاء من اقوال عند اقتراحه وخلال مناقشته في مجلس الأمة ، فقد كان الاقتراح الذى تقدم به الى المجلس خمسة من اعضائه في هذا الشأن يقول : « نظرا لان الخمر آفة اجتماعية خطرة بالاضافة الى كونها محرمة بنص القرآن الكريم » .

وفي مناقشات المجلس بذات الخصوص استند البعض لتبرير التشدد في منع الخمور الى « مالنا من اصالة عربية وتقاليد كريمة ودين يرفض مثل هذه الاشياء ويحرمها ..... » وبالغوا ان هذا التحريم اخلق ببلد اسلامي قائلين : « هناك دول غير عربية وغير اسلامية حرمت الخمر بينما تبيح اديانها تداولها ... فما بالنا نحن في الكويت البلد العربي الاسلامي ... !! » .

★ ★ ★

وفيما وراء التشريع البارز السالف الذكر ظهرت خلال اعمال مجلس الأمة ، وبين الحين والآخر ، محاولات لالتزام حكم الاسلام في مناسبات متفرقة ، كالمناداة بتحريم الربا ، او تخليص بعض المشروعات او القروض من الفوائد الربوية ، الى جانب محاولات اخرى لمراعاة تعاليم الدين في شئون الاعلام (من اذاعة وتلفاز وصحافة) وفي شأن الحفلات العامة وما اليها . وكان ذلك بصفة خاصة عند نظر مشروعات القوانين المتعلقة بالميزانيات او بالاعتمادات الاضافية او عند مناقشة الخطابات الاميرية والبيانات الحكومية . هذا هو موقف الكويت من الموضوع نصا وتطبيقا .

★ ★ ★

ولما كان من الواجب الاعتراف بالفضل لذويه فانه يلزم التنويه بان هذا النص الذى جاء بالدستور الكويتي سنة ١٩٦٢ لم يكن ابتداعا لا سابقة قبله ، بل كان اقتباسا من حكم سبقت اليه سوريا ، حيث جاء في المادة الثالثة من دستورها الصادر سنة ١٩٥٠ (الذى الغى سنة ١٩٥٣ ثم اعيد العمل به فيما بعد) النص التالي : « . الفقه الاسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع» ولكن هذه الصياغة قد عدلها الدستور السوري

التالي سنة ١٩٥٢ فقالا : في مادته الثالثة :
« الفقه الإسلامي هو مصدر رئيسي للتشريع » .

★ ★ ★

كذلك نذكر من قبيل الاعتراف بالفضل ، ان المؤتمر الدولي الثاني للقانون المقارن الذى عقد بلاهاي سنة ١٩٣٧ ، ومثل الأزهر فيه المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت (شيخ الأزهر فيما بعد) قد قرر — فيما اصدره من قرارات — : « اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرا من أهم مصادر التشريع العام » و « اعتبار الشريعة الإسلامية شريعة حية صالحة للتطور » و « اعتبارها قائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرها » .

وعلى أساس هذه القرارات تضاعفت العناية الدولية بدراسات الشريعة السمحاء ، وبخاصة في المؤتمرات الدولية التي تعاقبت بعد ذلك في نطاق القانون المقارن ، وكان ذلك من أهم العوامل التي حفزت بعض المفكرين ورجال الدولة في العالم العربي على التضافر لاصدار « موسوعة للفقه الإسلامي » « تجمع أحكامه في ثوب قشيب بأسلوب حديث ييسر لهذا الفقه الأداء بدوره في تطوير الفكر القانوني والتشريع المقارن في العالم كله .

كذلك يبدو ان هذا الاتجاه لبعث الحياة في كنوز هذا الفقه الإسلامي — التي لا يزال الكثير منها غير متداول أو غير معروف — كان تحت نظر من فكروا في الاصلاح الجديد الذى ادخل على نظام الأزهر وجعل منه جامعة حديثة تسير او تضاعف عنايتها بتزويد الأزهري بالثقافات الأجنبية وبقسط كبير من علوم العصر الحديث وثقافته .

★ ★ ★

وأخيرا — وليس آخرا — يجب ان نسجل للقانون المدني المصري الحالي (الذى استحدث سنة ١٩٤٩) ما استحدثه من النص صراحة على « مبادىء الشريعة الإسلامية كمصدر رسمي احتياطي للقواعد القانون » اذ قرر انه : « فاذا لم يوجد نص تشريعي يمكن تطبيقه ، حكم القاضي بمقتضى العرف ، فاذا لم يوجد ، فبمقتضى مبادىء الشريعة الإسلامية » (المادة ١ فقرة ٢)

وبهذا النص لم تعد مبادىء الشريعة مجرد مصدر غير رسمي (كالفقه والقضاء) كما كان مقترحا أول الأمر في مشروع القانون المذكور .

ولعله لا يخفى ان هذا النص المدني انما يخاطب القاضي — لا المشرع — ويجعل من « مبادىء الشريعة الإسلامية مصدرا » للقانون « اى للقواعد القانونية ، وهذا يختلف عن مخاطبة « المشرع » في مثل النصوص الدستورية السابق ذكرها . ومن قبيل ذلك النص الذى اتبعه القانون المدني المصري « اى مخاطبة القاضي » ما نصت عليه المادة الثامنة عشرة من الدستور الكويتي حيث تقول « ... المواريث حق تحكمه الشريعة الإسلامية » .

ومن قبيل ذلك أيضا كل الأمور التي نصت قوانين البلاد العربية او جرت تقاليدها على ان تطبق في شأنها مباشرة — كمصدر رسمي أصلي — احكام الشريعة الإسلامية او احكام مذهب بالذات منها ، كما هو الحال بالنسبة للأمور المتعلقة بالأحوال الشخصية من زواج وطلاق وما اليهما .

★ ★ ★

ويجب ان نذكر بالإعجاب كذلك الطابع الإسلامي الواضح في دستور باكستان (الصادر سنة ١٩٦٢) ونخص بالذكر منه النص على انه لا يجوز لأى تشريع ان يخالف الإسلام ، وانه يجب تمكين مسلمي باكستان — افرادا وجماعات — من تنظيم حياتهم وفقا لمبادىء الإسلام الأصولية وأفكاره الأساسية ، وان يزوّدوا بالتسهيلات التي تمكنهم من فهم الحياة وفقا لهذه الأفكار والمبادىء . كذلك نص الدستور المذكور على جعل تعليم القرآن الكريم والإسلاميات الزاميا لمسلمي باكستان ، وازكاء اعتصامهم بالوحدة ، وتمسكهم بالخلق الإسلامي . كما نص على انشاء معهد للبحوث الإسلامية ، ومجلس استشاري للمثالية الإسلامية (ايديولوجية الإسلام) وجعل من اختصاص هذا المجلس تقديم التوصية للحكومة المركزية والحكومات المحلية ، فيما يتعلق بالوسائل الكفيلة بتحقيق ما نص عليه الدستور من اشاعة الحياة الإسلامية كما سبق القول ، وابداء الرأى كذلك للهيئات النيابية ولرئيس الدولة وحكام المقاطعات اذا ما طلب اليه الافتاء بصدد مشروع من مشروعات القوانين ، وذلك من حيث تجاهله ، او مخالفته ، او عدم اتفاقه بصورة من الصور ، مع مبادىء الإسلام وافكاره .

★ ★ ★

اما عن كسب الشريعة الإسلامية كمصدر للتشريع والقواعد القانونية فقد رصده ويرصده رجال الفكر والقانون ، في العالم العربي وخارجه ، من مسلمين وغير مسلمين . ونجتزىء من اقوالهم في هذا المعنى بعض العبارات الموجزة فيما يلي :

جاء في المذكرة الايضاحية للقانون المدني المصري

السالف الذكر قولها : « أما التنويه بمبادىء الشريعة الإسلامية فهو تجديد نقصد به فضله حق هذه الشريعة ، لا بوصفها مصدرا تاريخيا لشق من قواعد المشروع فحسب ، بل بوصفها مثلا فريدا من مثل الصياغة الفنية الرفيعة . وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد ظهرت بمكانة بارزة في فقه القانون المقارن، وسبقت أرقى التقنينات الحديثة إلى الكشف عن نظرية التعسف في استعمال الحق وغيرها من النظريات العلمية المترعة ، فما أحراها أن تكون مصدرا يستلهمه القضاء المصري ، ولا سيما أن أكثر أحكام المشروع يمكن تخريجه على أحكام الشريعة في مذاهبها المختلفة دون عنت » .

كذلك نذكر عن بعض أساتذة القانون قولهم : « غدت الشريعة الإسلامية نظاما قانونيا كاملا يعدل أرقى الشرائع ، بل إن بعض نظمها يفضل ما يقابله من نظم في أحدث الشرائع العصرية » .

* * *

على أنه من الأهمية بمكان التنبيه إلى أننا عندما نتلاقى ونحمل بكل ما يعمر قلوبنا من إيمان بالدين الحنيف وإعجاب وفخار بشريعته الغراء ، للرجوع بشرعنا وبأقضيتنا ، بل وبخاصة قومنا وعلمائهم، إلى أحكام تلك الشريعة ، لا نفهم هذه الشريعة على أنها قديم لا يتطور ، أو ضوابط لا لين فيها لتعلق العصر وضروراته ، وإنما نرجع إليها بسر الخلود الكامن فيها ، وهو مرونتها في شئون « الشريعة » وإن كانت العقائد في جوهرها حقائق ثابتة كاليقين ، فيما وراء ذلك تحمل مرونة الشريعة مقومات هذا الخلود . وفي ذلك يقول أحد عمداء الفقه القانوني العربي : « يزعم البعض أن أحكام الشريعة الإسلامية ثابتة وغير متغيرة ، وأنها بذلك تتنافى مع التمدن الحديث وتقدم الأمم ، ولكن هذا الزعم غير صحيح . فأحكام الشريعة تصلح لكل زمان وكل مكان . وذلك (أ) لأن الخليفة (أو الوالي) له أن يضع أحكاما بشروط خاصة تتعلق بما تتطلبه المصلحة العامة بخصوص الحوادث الجديدة ، وما يصدره من الأحكام يكون مشروعا وواجب العمل به شرعا ما دام صادرا وفقا للأصول العامة الشرعية . (ب) — لأنه توجد أنظمة شرعية كثيرة لا تختلف في شيء عن الأنظمة الوضعية في سائر الأمم (كحرمة المنازل مثلا) . (ج) — لأن الشريعة الإسلامية لم تكن قواعد دينية فحسب ، بل إنها أيضا مجموع أحكام اجتماعية صحيحة ، فهي تحوي كل المعاملات والعقود ، وأحكام الأحوال الشخصية كالزواج والمواريث والوصية ، وأحكام حق الملكية والحقوق الأخرى كحقوق الارتفاق والانتفاع الخ .. وكذلك تشمل أحكام المرافعات والإجراءات والأنظمة القضائية وطرق الإثبات والأحكام وطرق الطعن فيها . كما تشمل أحكام العقوبات ، وبعبارة أخرى تشمل أحكام الشريعة كل الأنظمة التي تشملها القوانين الوضعية في البلاد الأخرى ، مع وجود فارق كبير يجب الاعتراف به ، وهو أن القوانين الجاري العمل بها الآن في البلاد (الحديثة النظم) مجمعة ومرتبة ، خلافا للأحكام الشرعية ، فإنها مبعثرة في كتب متعددة وغير مرتبة بطريقة يسهل معها تناول الحكم الشرعي وسرعة الوصول إليه » .

وذلك باستثناء بعض ما وضع من مؤلفات حديثة نسبيا في الأحكام الشرعية مثل كتاب الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ، وكتاب مرشد الحيران إلى معرفة أحوال الإنسان — في المعاملات الشرعية على المذهب المذكور — وكتاب قانون العدل والإنصاف للقضاء على مشكلات الأوقاف ، ومجلة الأحكام العدلية التي أقرها سلاطين تركيا للعمل بها في البلاد العثمانية . كذلك يجب أن نذكر في هذا المضمار جهود بعض الحكومات لتقنين بعض الأحكام الشرعية ، وجهود فقهاء الشريعة في الأزهر والجامعات العربية ، ونظرائهم في مختلف البلاد العربية مما نستطيع معه القول بأن الشريعة السمحاء تجتاز في هذه الحقبة مرحلة بعث وتجديد سيكون أثرهما بالغا في مستقبل القانون والنظم القانونية في العالم الإسلامي بأسره ، والعالم العربي منه على وجه خاص .

* * *

إذا كان ذلك كذلك ، وكانت شريعتنا السمحاء مفتوحة الباب لمواجهة العصر مهما كان تغير الزمان أو تبدل المكان ، فإننا نود أن نسجل في ختام هذه الكلمة أننا مطالبون جميعا بحمل لواء الدعوة لكشف كنوزها ونشر مراجعها ، وتمكينها من أخذ المكان الكريم اللائق بها بين الشرائع العالمية الرائدة .

وعلى الله قصد السبيل .

عثمان خليل عثمان
أستاذ بكلية الحقوق بجامعة القاهرة
وخبير مجلس الأمة بالكويت

نتيجة مسابقة العدد ٧٥

٣٤ مثلثا

هو الرقم الصحيح لعدد المثلثات

■ تميزت مسابقة العدد ٧٥ بكثرة القراء المشتركين في حل المسابقة، وبتعدد البلاد التي جاءت منها الإجابات.

فقد وصلتنا رسائل من أركان العالم الأربعة، جاءت من الوطن العربي، ومن النمسا، وتركيا، وتشيكوسلوفاكيا، وإسبانيا، واليونان، وقبرص، وبلجيكا، وإيران، وإنجلترا، والولايات المتحدة، وألمانيا الشرقية، وألمانيا الغربية، وساحل العاج..

وحتى من الدول الاسكندنافية جاءت إجابات من أوسلو عاصمة النرويج..

وقد اختلط الأمر على بعض القراء، فذكروا أرقاما كبيرة لعدد المثلثات، حتى أوصلوها إلى [illegible] مثلثا في حين أنها ٣٤ مثلثا بالضبط. وقد فاتهم أن تكرار ذكر المثلث الواحد لا يجوز..

الفائزون بالجوائز

ومن بين الإجابات الصحيحة أجرينا القرعة، ففاز الآتية أسماؤهم بالجوائز

الجائزة الأولى: سليمان خير الله - الجيش الكويتي - اللواء السادس - قلم كتيبة المدرعات العاشرة - الكويت

الجائزة الثانية: الهادي سعيد المعزي - مصلحة الإعلام الحكومية - ليبيا

الجائزة الثالثة: برسوم جورجي - مدرس أول الرياضيات - الأقصر ج ع م

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا، كل منها ٥ دنانير لكل فائز بها
١ - سالم حميد الفتاني - **ألمانيا الشرقية**
١ - عبد الرحمن صالح - **السودان**
٣ - صبحي علي اللاح - **العراق**
٤ - محمد موسى حسين - **الأردن**
٥ - أحمد عبد الجليل عبد الوهاب - **السعودية**
٦ - وليد بن زهري النجار - **سوريا**
٧ - عبد الله محمد أحمد - **أبو ظبي**
٨ - بدرية محمد ناصر - **اليمن**

وسوف ترسل الجوائز بالبريد للفائزين ■

الحب

هل يمكننا تحليله ، كما حللنا الماء والهواء ؟

بقلم : الدكتور امير بقطر

عميد فخرى بالجامعة الامريكية بالقاهرة

● ان « تشريح » الحب ، او تحليله تحليلا علميا ، يلاقي استياء شديدا وكراهية بالغة من طائفة معينة من الناس ، في مقدمتهم الشاعر والعاشق والمجنون .

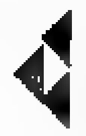
والمجنون يمكن اسقاطه من الحساب على كل حال ، لان المسكين مريض ، ومن طبيعة مرضه كراهية جميع الناس ونفسه وكل شيء على السواء .

اما الشاعر والعاشق، فلاعتقادهما ان العلم عدو الوجدان والعاطفة . وان الحب كالجمال لا يمكن دراسته بالعقل ، ولا يستجيب لقواعد المنطق .

ولا ننكر ان طريقة التفكير العلمي تختلف عن الحساسية بالحب والجمال، وان التحليل يختلف عن الادراك الحسي . ولا ننكر كذلك ان العلوم السلوكية التى يمكن الاستعانة بها في دراسة الحب ، لاتزال في مرحلة المراهقة ، على ان هذه العقبات لا توصد امامنا ابواب الاجتهاد .

ولم لا نحاول ان نحلل الحب الى عناصره ، وقد حللنا اشعة الشمس الى الوانها السبعة ابتداء من البنفسجي وانتهاء بالاحمر ، وحللنا الماء الى عنصريه ، الايدروجين والاكسجين . كما حللنا الهواء الى اشياء منها الاكسجين والنتروجين ؟

وما ضرنا اذا فهمنا الحب بالعقل ؟ ومن ذا الذى لا يستهويه منظر قوس قزح بالوانه السبعة ، رغم دراسته في



علم العبرباء . ألسنا نعرف عن التغذية بعد دراستها دراسة علمية ، أضعاف ما كان يعرفه أسلافنا ، ومع ذلك لم تهبط عندنا لذة الأكل درجة واحدة ؟

معنى الحب

الحب ، كسائر التعبيرات الشائعة الاستعمال ، يصعب تعريفه ، وتوصلا للمعنى العلمي الذي نريد التحدث عنه في هذا المقال ، لابد لنا أن نستبعد قبل كل شيء ألوانا عديدة من الحب — حب الوالدين ، حب الذرية ، حب الخالق ، حب الوطن ، حب الموسيقى والأدب والفن وجمال الطبيعة ، حب الحيوانات المدللة .

وتنحصر صعوبة التعريف العام لكلمة حب ، في أنها تشمل فيما تشمل رغبة وعاطفية وفنية ، وانفعالات وجدانية وعاطفية ، ومطاولات جنسية لا حد لها . بيد أننا إذا أردنا الإيجاز والتحديد فيما نقصده منا ، جاز لنا القول « أن الحب عاطفة قوية متعددة العناصر ، بين ذكر وأنثى ، أساسها علاقة جنسية » .

غير أن هذا التعريف ، بالرغم من وضوحه ، لا يرضي قدماء الاغريق ، ولا قدماء الرومان ، ولا يرضي هذا التعريف كذلك المسيحيين الأوائل ، كما سوف نرى .

ويتضح من هذا أن الاتجاه إلى الألفاظ اللغوية لا يسعفنا في فهم معنى الحب أو العثور على تعريف له واف بالمرام . فلا بأس من اتباع الطريقة العلمية ، أي ذكر عينات من الحب واستنتاج المعنى من تصنيف هذه العينات .

فالاباحيون في كل مراحل التاريخ اعتبروا الحب مجموعة انفعالات تدور حوله الشهوة ومطالب جنسية ، وهذا مفهوم مفكرين مثل هافلوك اليس Havelock Ellis ، ثم فلاسفة الإباحات الجنسية مع تعديل طفيف لايكاد يؤثر في الفكرة الأصلية .

وكان الحب في الحضارات البدائية ، وبعض الحضارات الغربية في بعض العصور ، يرتبط كلية بالطلب الجنسي بشرط أن يكون خارجا عن العلاقة الزوجية ، أي أن يكون الرجل أعزب أو أن يكون متزوجا ، له علاقة جنسية بغير زوجته . وكانت نظرتهم في هذا التحديد ، أن الطلب الجنسي في الزواج مضمون على كل حال ، وكان قدماء الاغريق والرومان ، كما يتضح من أحدى أحاديث الفيلسوف سقراط ، يسخرون بالرجل الذي يحب زوجته ، وقد ورث عنهم الاوربيون الكلمة المشتقة من أصل اغريقي « Uxorious » وهي كلمة سخرية يوصف بها الرجل الكلف بزوجته .

غير أن هناك أحوالا وشواهد ، كان التاريخ فيها يفند هذه النظرية ، مثال ذلك أن بعض المسيحيين الأوائل كانوا يمجدون ما يسمونه « الزواج الروحي » والحب العذري . وكان هناك طائفة من الكهنة في فجر المسيحية تصل الصلات بينها بأخوات روحيات بعيدا عن كل ما يشتم منه رائحة الجنس . وممن نادوا بهذا النوع من الحب العذري ابن سينا ، وشعراء « البيجنسا » (Albegensia) ومطربو القرن الثاني عشر المتجولون المعروفون باسم (Troubadours) واتباع الافلاطون المحدثون في عصر النهضة العلمية في ايطاليا .

وهناك نظرية أخرى أساسها ديني اخلاقي ، مؤداها أن الحب لا يشترط فيه أن يشمل رغبة جسدية ، ولكن قوامه عاطفة رقيقة ، سمحة ، رضية . وإذا ما سلمنا بصحة هذه النظرية ، فلا بد لنا من الاعتراف بأن رجالا كالقياصرة الرومان ، وهنري الثامن ملك انجلترا ، وكازانوفا العاشق الولهان ، وزميله دون جوان ، لم يعرفوا الحب . وهذا بالطبع أمر غير معقول .

الحب عند الانسانيين

أما الانسانيون فيعتقدون أن الحب كالكثير من أنواع السلوك الانساني نتيجة تفاعل بين عوامل متعددة ، منها موازنات بيولوجية في الجهاز العصبي المستقل ، ومنها الرغبة الجنسية وهي القوة الرابضة وراء الحب ، ومنها الروابط العائلية ، وذكريات الطفولة ، والحالة الاقتصادية والقيم الدينية والخلقية ، ونظرة المجتمع والأفراد إلى المطلقات والبغايا ، وقضايا الزواج والطلاق ، وتعدد الزوجات ، ومفاهيم الجمال ، والذوق الفني ، والصداقة ، ومدى العلاقة بين المحبين ، كل هذه وسواها وتفاعلها مجتمعة ، بعضها أو كلها بالغة الأثر في تحديد معنى الحب .

وفي تاريخ الحضارة الغربية ، تألق نجم الحب وبرزت أهميته ، بتوافر أوقات الفراغ عند قدماء الاغريق . ثم خبا نوره في العصور المظلمة ، ثم أخذ يترعرع من جديد بترعرع التجارة وظهور

اوقات الفراغ في اواخر القرون الوسطى ، وعصر فكتوريا والعصر الحاضر .

وقد كانت الطبقات الارستقراطية من شعب اثينا في اوج عزها ، على جانب عظيم من الرفاهية وسمو الثقافة ، والحساسية الفنية ، وسلامة الذوق ، والاستمتاع باوقات الفراغ ، وعدم الشعور بالذنب او تأنيب الضمير ، ازاء انغماسهم في الحب والمتع الجنسية . ومع ذلك كانوا يعدون هذه المتع مصدرا للمتاعب والآلام ، وكانوا يرمون المحظيات بالجشع والخيانة ، والراغبين الذكور بالاستهتار وعدم الثبات . فلا غرابة اذا حسبوا هذه المتع حيلة ماكرة ، ولعنة من آلهة خبيثة . ومن اقوال الخطيب الفيلسوف «ديموستين» المأثورة : ان وظيفة الخليلات للترفيه ، والمحظيات لحاجة الجسد اليومية الجنسية ، والزوجات لانجاب الذرية والادارة البيتية .

الحب الافلاطوني

وكان لفلاسفة الاغريق في عصر سقراط وافلاطون نظرات ثاقبة فنية في مفهوم الحب . ولما كانت الخليلات والمحظيات لا تتوافر فيهن الثقافة الفنية ورهافة الحس ، ولا يتوافر في احاديثهن ومسالكهن الذوق السليم ، فقد لجأوا الى الذكور من افراد جنسهم ، طلبا لذلك النوع من الحب الذي يشبع تلك المفاهيم . ويفهم من اقوال افلاطون في احاديثه العديدة (Symposiums) ان مصدر هذا الحب لم يكن مشوبا بشيء من الانحراف والشذوذ ، وانما كان مصدره آراء ومثل عليا خالية ، ومخيلته واسعة . وهذا ما كان يعنيه التعبير المعروف « الحب الافلاطوني » .

وقد طرأ على الحب الافلاطوني هذا ، تغيرات تتفق مع شتى العصور والآراء الشائعة فيها . فقد كان المسيحيون الاوائل — كما سبق القول — يعدون الحب خلوا تماما من شهوة الجسد . فقد كانت دنيا الجسد في اعتقادهم ، دنيئة فاسدة ، مآلها الزوال ، بعكس دنيا النفس او الروح ، فقد كانت تنعم النفس وحدها البقائية ، الشريفة النقية ، الابدية . ومن الغريب ان هذه الفلسفة لايزال لها من الناس بقية واتباع ، واهل الفراد يذكرون ان الكاتب الساخر جورج برنارد شو ، كان احد هؤلاء .

وجاء عصر النهضة العلمية (Renaissance) فالتمس اتباع افلاطون المحدثين فلسفته ، ولكنهم استبدلوا مباذلة الغلمان بمباذلة زوجات الغير . ثم جاء عصر الرومانسي الفكتوري ، فاصبح الحب الافلاطوني فيه يمتاز بالكبت الجنسي .

الحب عند الرومان

وكان الحب عند الرومان ، يختلف عنه كل الاختلاف عند الاغريق ، اذ كان يشمل كل انواع المتع ، الذكور والاناث ، وللعزاب والمتزوجين على السواء . وكان خلوا من كل فلسفة او عاطفة بل كان المهم فيه ان يكون متعة بدنية خالصة ، محورها اللذات الجسدية في كافة وشتى مظاهرها ، كاقامة المآدب والولائم ، وتكديس الموائد باطايب المآكل ، واعتق الخمور والمشروبات الروحية ، وقضاء الساعات الطوال في الحمامات الساخنة والباردة . وهذه اطلال بومباي الاثرية وبحيرات السباحة فيها شاهدة على ذلك .

كان هذا النوع من الحب عاطفيا ، مثيرا لا ضابط له . كان في ظاهره جموحا ، طائشا مسعورا ، وفي حقيقته مضنيا ، منهكا للجسم والعقل . وكان يشجع على التبذل والاسفاف في الشهوات والعري ، وتسخير العبيد ذكورا واناثا في شتى الاغراض الجنسية الشاذة مما ترتب عليه انحلال الروابط الزوجية ، والعقم ، وتعريض الوليد للموت . ومع ذلك كان شعراؤهم يمجدون ذلك العصر ، ويزعمون ان الانسان لم يخلق الا لتذوق الوان اللذات ، والاستمتاع بها الى اقصى حدودها ، والنهل من مائها السلسبيل ، ما استطاع الانسان اليه سبيلا .

ولم يكن الرومان كلهم كذلك ، كما يتصور الكثيرون ، فقد آثر فريق منهم الحياة العائلية السليمة . وهجروا حياة الترف ، وزهدوا في اللذات والمتع الجسدية ، وعاشوا عيشة النساك ، خصوصا في خلال القرن الاول للميلاد ، فاكتفوا في مأكلهم بابسط الاطعمة كالرهبان ، واتخذوا في نومهم ابسط الفراش واشدها صلابة وخشونة وتجنبوا الملاهي وكل ما يمت اليها بصلة .

ولم تكن هذه الا خطوة قصيرة من قيام المسيحية التي هجر اتباعها البذخ والاستهتار والمال الوفير ، وبدلوا شكلهم ، وصاموا وصلوا ، وبكوا ندما على خطاياهم ، وتطهروا من ذنوب اسلافهم ، التي تسبب عنها تدهور روما وانحطاطها ، وقد ادمن

الكثيرون منهم في التقشف ، والزهد ، والورع ، وضبط النفس عن كافة اطايب الحياة ، فعاشوا في وسط كثيب نزق من الاقذار والوحل .

وإزاء هذا التناقض في حياة كل من الوثنيين والمسيحيين في خلال القرن الاول للميلاد ، لم تكن فلسفة ايهما في الحب سليمة بناءة ، فقد كانت هذه الفلسفة في كل من الحالتين آيلة الى هبوط سحيق في نسبة التوالد ، وخلو الحياة من عطف العلاقات الانسانية ورقتها ، وجدب الحياة الزوجية . ففي الوقت الذي كان فيه الوثنيون يسفون في احط الشهوات ، كان المسيحيون يتنادون بنبذ اللذات الجسمية بكل انواعها ، حتى ما يتصل منها بالعلاقة الطبيعية بين الزوجين ، وغالى الكثيرون منهم في هذه الناحية ، فزعموا ان الرجل الذي يحب زوجته ، لا يختلف عن الزاني في شيء ، وبعبارة اخرى ، جاز لنا القول ، بان كلا من الفريقين نفى فراش الزوجية ، الواحد بالتنقل في مشاغل العشيقات والخليلات ، والثاني في تحريم العلاقة الزوجية الطبيعية ، بما في ذلك عاطفة الحب البريئة .

تغييرات سريعة متقلبة في مفهوم الحب

وقد طرأ على العالم تغييرات سريعة متقلبة فيما يتعلق بمفهوم الحب ، فتارة كان ينظر اليه بعين السخرية والازدراء ، وتارة بالتحرر والاباحية الى اقصى حد ، واخرى بالتزمت وشدة المحافظة . ويمكن ان نقول ان اوروبا الغربية وروسيا السوفييتية ، وغيرهما من بلدان آسيا وافريقيا ، لم يعجبها مبدأ الحب الحر او الاباحية لما فيهما من اضرار بالغة تصيب الحياة الزوجية السليمة في الصميم .

اباحية ، ولكنها محدودة

ومن رواد الفكر في هذا الموضوع في القرن العشرين ، كل من برتراند راسل ، وهافلوك اليس ، وقد ناديا بفلسفة اقل تطرفا ، واقرب شبها من الاباحية بعض الشيء ، ولكنها لم تلق رواجا يذكر الا في نطاق ضيق في بعض البلدان الشمالية . وموجز هذه الفلسفة وجوب مراعاة الزوجين حرمة الذرية ومسؤوليتها في مرحلة الانجاب ، محافظة على اصالة النسل ونقاوة الانساب ، على ان يتساهل معهما المجتمع في غير هذه الفترة ، حتى لا يحرما من العلاقات الانسانية المليئة بالخبرات السارة .

ويفهم من هذه الفلسفة ان صاحبيها لم يحرما الاباحية تماما ، ولكنهما حصراها في دائرة ضيقة . على ان هذا لم يعجب الرجل الغربي في اوروبا واميركا ، فضلا عن البلدان الشرقية . ولم يرض الرأي العام المتمدين ان يفرق بين الجنس وانجاب الذرية .

ولا تزال نظرة العالم الغربي اليوم الى الحب بيوريتانية متزمتة ، نصف رومنتية ، معقدة ، كثيرة المطالب . ولا تزال الشرائع المدنية والمبادىء الدينية والتقاليد الخاصة بالزواج والطلاق ، جامدة متسلطة ، تحول دون حل رباط الزواج الفاشل ، وتضع في سبيله اشد العقبات . ولا يزال التناقض ضاربا اطنابه ، فيما يحرم على الاناث ولا يحرم مثله على الذكور . فالزوجة التي تثبت عليها تهمة الزنا في ايطاليا وبلدان اخرى مثلا يحكم عليها بالحبس ، في حين ان الزوج في مثل هذه التهمة لا يقع تحت طائلة العقاب .

وفي كثير من بلدان العالم ، تختلف نظرة المجتمع للمراهق الذي يمارس كل ما يشتم فيه النشاط الجنسي ، عنه بعد تجاوز هذه المرحلة . وقد اقترح بعض المفكرين في ايجاد حلول للعلاقات الجنسية السابقة للزواج ، ولكنها جاءت كلها مخيبة للآمال ، لان تطبيقها قد يشفي المجتمع من بعض العلل ، ويعرضه لاخرى ، اشد خطورة وابعد ضررا .

ويبدو مما تقدم في هذه الخاتمة ، ان بني البشر ظلوا يتخبطون في مفهوم اكثر عواطف الانسان خطورة ، واشدها سطوة ، واعظمها اهمية طوال العصور ، ولا يزال في مرحلة التجريب ، يعتنق نظرية تطول وتقصر اعواما واجيالا ، ثم لا تلبث ان تغيب في طيات الزمن ، وتحتل مكانها فلسفة اخرى اخف حدة ، او اشد تطرفا . ولم تهتد بعد ارقى الامم ، واكثرها حضارة وعراقة في الشرق والغرب الى ما يمكن ان ترتاح اليه النفوس في كل ما يتعلق بهذه العاطفة الصارخة المتوهجة ولعل الحديث عنها سيبقى لغزا اغلق من لغز الحب ما بقي التاريخ الانساني* . ■■

امير بقطر

* كاتب هذا المقال مدين في كثير من آرائه في هذا المقال الى العالم الانجليزي جوليان هكسلي في المؤلف الذي اشرف على تحريره اخيرا وعنوانه (The Humanist Frame)

شعر : محمد احمد العزب

خواطر أعمى



■ أنا أعمى . مِلْءُ عينيَّ بكاءٌ وأنين
وحياتي قصةٌ شوهاءُ أدماها الحنين
يركض الإعصارُ في أبياتها عبرَ السنين
ويُغشّيها ضبابُ اليأس كالفجر الحزين

* * *

أنا طفلٌ في قفار التيه موهونٌ تصدّى
أوسعتني نقمةُ الأقدار بطشاً أرمدا
فأحالتْ ومضَ أيامي ظلاماً سرمدا
وصُداحي صمتَ آبادٍ . وتيهي جلمدا!

* * *

الضياءُ الغضُّ في عينيَّ كالليل العريضْ
وانطلاقي في ربوع الكون مكبوحٌ مهيضْ
علّق الدهرُ حياتي بظلامٍ لا يغيضْ
أتُراها في غدي بالنور تهمي وتفيضْ ؟

* * *

أمْ تُرى سوف أقضّي العمرَ في هذا القتامْ ؟
تشرقُ الدنيا وأبقى أنا وحدي في ظلامْ ؟
تعصفُ الأحداثُ في قلبي ويذوي الابتسامْ ؟
ويضجُّ الجرحُ في روحي مشبوبَ الضرامْ ؟

* * *

أمْ تُرى كُلّفتُ سيراً على الدرب البعيدْ
يا إلهي أسرقُ الخطوَ وأخشى أن أحيدْ ؟

لا أعي مِنْ أينَ. لا أو أينَ. كاللحن الشريد؟
كاحتضار النسمةِ العذراءِ في ثغر الشهيد!

★ ★ ★

لستُ أدري ما حجبتْ عيناي من دربٍ رهيبْ
أخرسَ الأضواءَ فيها والسنا الحلو الحبيبْ
ليت أني كنتُ كاللاشيءِ، مغلولَ الوجيبْ
لم تصافح مقلتي العمياء أطيافَ المغيبْ

★ ★ ★

قيلَ لي في الروض أزهارٌ وأطيارٌ تُغنّي
وغصونٌ علّمتها رقصةُ الريحِ التثنّي
وفراشٌ حائرُ التهويمِ في الدوحِ الأغنّ
آه إني لا أرى الروضَ. توارى الكونُ عني

★ ★ ★

قيلَ لي في البحر أمواجٌ، وأثباجٌ، وثورهْ
وشراعٌ عارمُ الأشواقِ مشدودٌ بصخرهْ
ومنىً أسمرُ ملاحٌ يغني البحرَ شعرهْ
آه إني لا أرى البحر. فهل أسبر غورهْ؟

★ ★ ★

قيل لي في الأفقِ أضواءٌ، وأعاشٌ حيارى
وسيولٌ لسحابٍ هائمٍ يبغي القرارا
ووقودٌ كالتهاب الحب في صدر العذارى
آه إني لا أرى الأفق. ترامى أو توارى

★ ★ ★

قيل لي في الفجر أزهارٌ، وكثبانٌ، وواحهْ
وسهولٌ يَنشُدُ الطلُّ غناها مراحهْ





وَحُزُونٌ طَرَّزَ الهولُ حَوَالَيْهَا وِشَاحَهْ
آه إني لا أرى الفَجْرَ . ولم أبصرْ بطاحَهْ

* * *

كَمْ تُرَى يارَبُّ مِنْ أعمى تَمَنَّاهُ الصبحْ ؟
عادتِ الشمعَ ، وأنّاتٍ في ليل الجراح ؟
وانطوى في زحمة الأيام ريشاً في الرياح !
كَمْ تُرَى من تائهٍ في الأرض مكسول الجناح ؟

* * *

يا أشقائي الذين استهدفوا هذا الشقاء
أنتُمُ مِثْلي ، كلانا رَهْنُ أغلالِ الشقاء
نزرع الوردَ ، ولا نجني سوى شوك المساء
ونغني الحب للذئب ، ونستجدي الرجاء

* * *

زلزلوا العرشَ وصيحوا أينَ ياعينَ السماء
أطفئي فجر الحيارى التائهين ، الأبرياء
قد سئمنا الليل والحرمان من ومض الضياء
وسئمنا حيرةَ التوهانِ في رحب الفضاء

* * *

نحن أعماقٌ تُحب الخيرَ ، والنورَ الجميلْ
وتحب الحبَّ والإسعادَ ، والعيش النبيل
فأصيخوا دوننا للفجر ، والصبح الأصيل
إن دنيا الله للأحرار ، جيلاً بعد جيل !

القاهرة — محمد أحمد العزب



نتذكر الماضي ونذم الحاضر

فهل حقاً أن ماضينا كان خيراً

■ من الشائع المألوف ان يترحم الناس على (أيام زمان) وان يذكروا الماضي بالخير العميم ويشيروا الى ما كان فيه من رخاء اقتصادي او تماسك اجتماعي ومجالات للسرور والمرح وما كان يسوده من خلق قويم وتقاليد طيبة وعادات حميدة ، وان يقارنوه بما يسود الحاضر من ازمات اقتصادية وتفسخ اجتماعي ومضايقات لا تترك للانسان مجالا للانشراح ، وما فيه من تحلل اخلاقي وفساد في التقاليد والعادات ينذر بالويل والثبور وعظائم الامور .

والعجيب في الامر ان كل جيل يتلوه جيل يردد ما كان يردده الجيل السابق حتى ليخيل للمتأمل ان الانسانية في تدهور ، وان الاقتصاد في تقهقر ، وان الاخلاق تتردى ، وان الحياة تصبح يوما بعد يوم شيئا لا يطاق وعبئا ثقيلا .

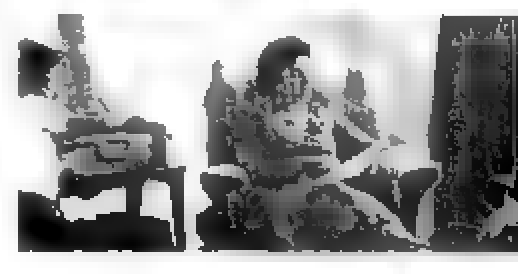
الدنيا بخير

والاعجب من هذا وذاك ان المراقب حين يتلفت حوله وينظر بعين متجردة وعقل متفتح وقلب ناصح يجد ان الامر على النقيض ، وان الانسانية تتقدم ، وان الاحوال تتحسن ، وانه بالرغم مما في الحياة المصرية من مصاعب ومضايقات فان الانسان العادي اليوم يتمتع بما لم يكن يتمتع به الملوك والعظماء في الماضي ، وان الاخلاق في الف خير ، اذا قورنت بما كانت عليه من قبل ، وان الاحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وسواها تتقدم حثيثا نحو ما هو افضل واحسن .

في الاقتصاد

واذا كنت ايها القارىء الكريم في شك من الامر فتعال ننظر في بعض نواحي الحياة المصرية ونقارنها بما كانت عليه في الماضي : خذ الاقتصاد مثلا تجد ان شكوى الناس محصورة في غلاء الاسعار ، انهم يذكرون يوم ان كان رطل الخبز بكذا ، ورطل السمن بكذا ، ورطل اللحم بكذا ، ويقارنونه باسعار اليوم التي بلغت اضعاف اضعاف هذه الاسعار ، ولكنهم ينسون ان يقارنوا بين دخل اليوم ودخل الامس ، ينسون أن يقارنوا بين الاجور في





من حاضرنا !!

الحاضر والماضي ، وهم ينسون بعد هذا وذاك ان يقارنوا بين الحقوق التي للعامل اليوم وبين الحقوق التي كانت له بالامس ، هذا بالرغم من اعتقاد الكثيرين بان الطبقة العاملة ما زالت بحاجة لاكتساب المزيد من حقوقها المشروعة .

ثم لا ننس ان عاملنا اليوم — على بساطة حياته وتواضعها — يتمتع بالكثير مما لم يكن يتمتع به ابناء الطبقة الوسطى من قبل ، فالتعليم قد اصبح ميسورا او شبه ميسور لاولاده ، ونقابات العمل تساعده في الحفاظ على الكثير من اسباب الكرامة البشرية ، والقوانين القائمة تحفظ له الكثير من حقوقه وهكذا . . .

هذا بالنسبة للعمال ، واما بالنسبة للفلاحين فالحال احسن من ذي قبل والامكانيات اوسع ، وان كانت الحاجة ماسة الى المزيد من الاصلاحات والكثير من رفع مستوى العيش . وقل الشيء نفسه عن بقية طبقات المجتمع .

والذي يهمنا تسجيله هنا ان مقارنة بسيطة وموضوعية بين الحال الآن وبينها قبل عشر سنوات او عشرين سنة تدل دلالة اكيدة واضحة على ان الامور تسير من حسن الى احسن .

وفي السياسة

اما اذا تركت الاقتصاد الى السياسة فانك واجد ان الحال اليوم خير منه في السابق وبمقدار كبير جدا . نعم ان وطننا العربي اليوم يمر بفترة عصيبة ، تحيط به المؤامرات من كل جهة ، ويهاجمه الاعداء من كل حدب وصوب ، وتعمل قوى الاستعمار على تعويقه والهائه عن اهدافه الكبرى ، ولكن هل ننسى احوالنا قبل ست عشرة سنة يوم سلمت فلسطين الى اليهود لقمة سائغة اخذوها دون عناء او حق ، يوم اصبحنا جميعا واصبحنا اضحوكة في عين العالم وسخرية لشذاذ الآفاق من الصهيونيين . قارن هذا بما نحن عليه اليوم من عزة ومنعة ومكانة ، قارنه بما الحقنا بالغزاة الانكليز والفرنسيين واليهود من هزيمة نكراء في مصر وفشل ذريع في الجزائر ، بل قارن ما نحن عليه اليوم بما حدث قبل ثمان وعشرين سنة يوم سلخ لواء الاسكندرون عن سورية ووجم العرب من ابناء الاقليم السوري يتلفتون حولهم فلا يرون الا اشقاء ضعفاء ومستعمرين مستهترين وعالما معنا في احتقار العرب واستصغار شأنهم .

ثم انظر الى عالم اليوم ، عالم نهضة آسيا وافريقيا ، وقارنه بالعالم قبل خمس وعشرين سنة ، عالم بريطانيا العظمى وفرنسا الكبرى وايطاليا الغازية ، وقل لي بربك الم تتقدم السياسة في العالم ؟ !

انظر الى الملايين من ابناء آسيا وافريقيا غير البيض يصيحون بالاستعمار ان ارفع يدك عن بلادنا ، بل انظر الى الكتلة الآسيوية الافريقية تنتصر لغير البيض في افريقيا الجنوبية وانغولا الذين

تتعرض حياتهم للخطر من جراء التمييز العنصري ، أنظر الى هذا كله واحكم على التقدم السياسي ، بل احكم على هذه الثورة العارمة في الضمير الانساني وهذا المد الهائل في الوعي السياسي . ثم لا تنس هذا التوق العارم في القلوب العربية الى وحدتهم والى حياة أفضل .

صحيح ان الاستعمار ما يزال يحاول التدخل في بعض بلاد العرب ليصرفها عن أهدافها الكبرى وأمانيها المشروعة . ولكن لا تنس هذه الملايين من أبناء الشعب العربي التي تهتف للحرية والوحدة والخلاص ، لا تنس الزئير الذي زمجر في الجزائر لتردده عدن والهدير الذي يرتفع في القاهرة ودمشق وبغداد وعمان بل وجميع أقطار المغرب العربي .

وفي المجتمع

وأنت اذا تركت السياسة الى المجتمع وجدت أيضا ان التقدم واضح لا ينكر ، وأن قليلا من التأمل النزيه عن العواطف الجامحة والتبصر المتعمق كفيل باظهار مدى التقدم الاجتماعي في مجتمعنا العربي خاصة وفي العالم عامة .

خذ التنظيم الاجتماعي الذي يسود مجتمعنا اليوم ، وقارنه بمثله في هذا المجتمع قبل خمس وعشرين سنة ، تر الفرق واضحا والتقدم أكيدا . يقولون ان عائلة الأمس كانت متماسكة متراصة وان عائلة اليوم متفسخة منهارة . وأقول أنا ان عائلتنا في الماضي كانت قائمة على أساس من الاحترام الكاذب والخوف المسيطر ، كان الأب دكتاتورا يتحكم في مصائر أولاده وزوجته أو زوجاته : يزوج من يشاء لمن يشاء ، ويبت في أقدارهم كيف يشاء ، ويوجههم حيث يشاء ضاربا بحقوقهم ورغباتهم المشروعة وغير المشروعة عرض الحائط . أما اليوم فالأب بدأ يصبح صديقا لأولاده ورفيقا لزوجته ، يستشيرهم في أمره وأمورهم ، ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم ، ويساعدهم على شق طريقهم في الحياة بما يستطيع من جهد وتضحية ونصيحة . اذا زوج ابنته استشارها ، واذا علّم ولده نصحه وأخذ ميله بعين الاعتبار ، واذا أحب ابنه المتزوج أن يخرج عنه ليكوّن بيته ، ويبني حياته الخاصة ساعده وأعانه .

المرأة اليوم كائن بشري يحب ويحترم ويساعد على تكوين شخصيته وذاتيته ، أما في الأمس فقد كانت أمة تباع وتشرى ، وخادمة عليها كل الواجبات وليس لها من حقوق ، وحبيسة بيت وأسيرة زوج ، ليس لها الا ان تخضع للرجل زوجا وابا واخا ، عليها ان تطيع دون مناقشة أو مراجعة .

والطفل اليوم كائن حي محبوب مدلل ، توفر له أسباب النمو والتربية ، ويعان على أن يكون شابا قويا حرًّا جريئا مقدما ، أما في الأمس فقد كان — في أحسن الأحوال — شيئا مهملا ، وفي أسوئها (معتّنة خلق) — كما نقول في سوريا — عليه ان يلتزم أدبا ذليلا ويطيع أوامر جائرة .

والتقاليد والعادات ؟ أهي كلها صالحة مثالية ؟ أم ان قسما كبيرا منها لا ينطبق على عقل ولا تمشي مع حق أو منطق ؟ أنظر الى عادات الزواج والأعراس ، الى تقاليد المآتم والأتراح ، الى مواسم الطهور والنذور ، أنظر الى هذا كله وتريث لنفسك ما اذا كانت كلها صالحة جيدة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، ثم قارنها بما يجري اليوم واحكم لنفسك ما اذا كنا نتقدم كما ادعي انا او نتأخر كما يقول المترحمون على (أيام زمان) .

وفي الأخلاق

والأخلاق نفسها أصحيح انها تتدهور وتنحط ؟ أصحيح ان شباب اليوم الذين يعودون حماسة لوطنهم ويستميتون في سبيل أوطانهم ويفتدون قوميتهم بكل مرتخص وغال ، أصحيح أن هؤلاء الشباب أحط خلقا من أسلافهم ؟ أصحيح

أن الرشوة والفساد والفسق والفجور منتشرة اليوم أكثر من انتشارها بالأمس ؟

اذا كان الفسق هو مجرد السفور وكان الفجور في تعليم المرأة فان دعوى انحطاط الأخلاق صحيحة ، ولو كان مجرد الحجاب كافيا لعصم المرأة من مواقع الزلل ، وأميتها ولزومها عقر دارها أساسيين للحفاظ على أخلاقها لكان القول بتدهور الأخلاق في عصرنا الحاضر معقولا . ولكن الأمور لحسن الحظ مختلفة عن هذا كثيرا ، فالسفور كالحجاب قد يكون مصدر خير كما قد يكون مصدر شر ، والتعليم بحد ذاته لا يمكن أن يكون مصدر شر أبدا وإلا لما قال الله عز وجل « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . والسر كل السر في التربية الصحيحة والتعليم القويم وأمرهما في تحسن مستمر والحمد لله .

ثم من ذا الذي تكون به مسكة من عقل ويقصر الأخلاق على علاقة الرجل بالمرأة ؟! أليس من حسن الخلق صحة الوطنية والاستعداد للتضحية والمحافظة على الوعد والامتناع عن اعطاء الرشوة وقبولها ومتانة التضامن الاجتماعي والحرص على اداء الواجب وغير ذلك ؟ وهل أخطيء حين أزعم أننا في هذا كله أحسن اليوم منا بالأمس ؟ !

ونحن بخير

نحن اليوم اذن ، وبالرغم من كل مظاهر القصور التي تسود مجتمعنا ، ومن كل تطلعنا الى غد أفضل وواقع أحسن ومجتمع أمثل واقتصاد أمتن وخلق أسلم ، أقول نحن اليوم خير منا بالأمس . فما هو السر في ترحمنا على ماضينا ، وشكايتنا من حاضرنا ، وتحسرنا على ما فات وتذمرنا مما نحن فيه ، لا سيما وأن النزعة الى ذلك كله عامة شائعة الآن وكانت كذلك دوما في مجتمعنا وفي المجتمعات التي تفوقنا سطيما ونمتاز عليها في واقعها أو في المجتمعات التي هي دوننا ؟ .

التعليل

لعل التعليل لذلك ما يقوله علماء النفس من أن الذاكرة تنتقي : أنها تحتفظ من ماضيها بما يسر ويحلو وتنسى ما كان مؤلما أو قاسيا ، فالانسان اذن يقارن بين ذكريات الماضي الحلوة الطيبة وبين الواقع الحاضر الذي يرى فيه المصاعب والمتاعب ويتناسى ما فيه من خير وجمال ومتعة . وهو لا بد بعد ذلك يخرج من المقارنة مترحما على (أيام زمان) شاكيا من الحاضر المتعب الأليم .

على أن من الجدير بالملاحظة أن الشيوخ أو من في حكمهم هم الذين يجأرون بالشكوى من الحاضر وذكر الماضي بالخير العميم ، وما ذلك الا لأنهم يعيشون في الماضي ، أما الشباب ، أمل الأمة وقوتها ، فهم يتطلعون أبدا الى الامام ، الى المستقبل ، الى الأحسن والأمثل وبذلك يدفعون الانسانية والوطن قدما نحو التقدم . وطوبى للذين يستطيعون الاحتفاظ بشبابهم ولو تقدمت بهم السنون ، وطوبى لأمة شيوخها شباب .

وبعد

فلست أحب أن يفهم من كلامي أني أعتقد أن بلادنا وصلت الى ما نصبو اليه في كل ميدان ، وأن علينا أن نطمئن الى ما حققناه في كل حقل ، كلا ، بل العكس هو الصحيح ، ذلك بأننا ما زلنا في أول الطريق ، وأن الشوط ما زال أمامنا بعيدا . وقديما قال شوقي :

وما قصت مصر من كل لباسها
حتى تجر ذيول الحلة القشبا

ومصر هنا تمثل البلاد العربية جمعاء .

ولكن الذي رميت اليه أن نتخلص من النظرة المتشائمة وأن نغذ السير الى أمام فرحين بما حققنا ، جاهدين في تحقيق المزيد ، مطلين سبب ترحم الناس على (أيام زمان) . ■■

فاخر عاقل

طرائف عربية

قتيل الحب

● قال الأصمعي : أخبرني يونس بن حبيب قال : أتي قوم إلى ابن عباس بفتى محمول نحيفا ، فقالوا : استشف لهذا الغلام . فنظر إلى فتى حلو الوجه ، عاري العظام ، فقال له ما بك ؟ فقال :

بنا من جوى الشوق المبرح لوعة	تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقى حشاشة ما ترى	على ما به عود هناك صليب

فقال ابن عباس : أرأيتم وجها أعتق ، ولسانا أذلق ، وعودا أصلب ، وهوى أغلب ، مما رأيتم اليوم ؟ هذا قتيل الحب ، لا قود ولا دية .

الغنى يغير الأخلاق

● كان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق قد نالته عسرة ، ثم ولي عملا فأتاه محمد زائرا ومسلما عليه ، فرأى منه تغيرا فكتب إليه :

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة	وأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
لقد كشف الإثراء منك خلائقا	من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

نصيحة أسد بن الفرات

● عندما خرج أسد بن الفرات في عشرة آلاف مقاتل إلى ثغر سوسة لغزو جزيرة صقلية ، خرج الأمير وأهل العلم ووجوه الناس وأعيان الأمة لتوديعه . فقال بأعلى صوته من فوق السفينة

(لا إله إلا الله وحده لا شريك له . يا معشر المسلمين ، ما ولي لي أب ولا جد ولاية قط ، وما رأى أحد من سلفي هذا قط ، وما رأيت ما ترون إلا بالأقلام . فأجهدوا أنفسكم وأتعبوا أبدانكم في طلب العلم وتدوينه ، وكابدوا عليه ، واصبروا على شدته فإنكم تنالون به الدنيا والآخرة) .

الكلمات

● خرج الزهري يوما من عند هشام ابن عبد الملك فقال : ما رأيت كاليوم ، ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهن رجل عند هشام دخل عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين : احفظ عني أربع كلمات ، فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك ، قال ما هن ؟ قال : لا تعد عدة لا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يغرنك المرتقى

عينـاك سبب الفتنة

● قال المعلى الصوفي : شكوت الى بعض الزهاد فسادا أجده في قلبي ، فقال : هل نظرت الى شيء فتشابه نعت ؟
قلت : نعم .
قال : احفظ عينيك فانك ان اطلقتهما اوقعتاك في مكروه ، وان ملكتهما ملكت سائر جوارحك

مدح السفر والارتحال

● كتب ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني الى بعض اخوانه في مدح السفر والارتحال قال :

مثل الرجل القاعد ، اعزك الله كمثل الماء الراكد ، ان ترك تغير ، وان تحرك تكدر . ومثل المسافر ، كالسحاب الممطر ، هؤلاء يسمونه رحمة ، وهؤلاء يدعونه نقمة ، فاذا اتصلت ايامه ، ثقل مقامه ، وكثر لوامه . فاجمع لنفسك فرجة الغيبة ، وفرحة الاوبة . وانشد :

غب عن بلادك وارج حسن معبة	ان كنت حقا تشتكي الاقلالا
فالبـدر لم يجعف به ادبـاره	ان لا يسـامر يطلب الاقبـالا

وقد ترك ابن رشيق مأثرة علمية ادبيةجسيمة جدا فاق بها اهل عصره .

الهدية والأمانـة

● بلغت العفة في عبد الرحمن بن زياد القاضي العربي الذي ولد في القيروان عام ٧٤ هـ ومات بها عام ١٦١ هـ ، حدا من الروعة كبيرا يتمثل في قوله :

(اذا رأيت الهدية دخلت دار القاضي، فاعلم ان الامانة قد خرجت منها)

حيل الطفيليـين

● عوتب طفيلي على التطفل فقال : والله ما بنيت المنازل الا لتدخـل ، ولا نصبت الموائد الا لتؤكل ، واني لاجمع فيها خلالا ، ادخل مجالسا ، واقعد مؤانسا ، وانبسط وان كان رب الدار عابسا ، ولا أتكلف مغرما ، ولا انفق درهما ، ولا اتعب خادما .

الطيبات

وان كان سهلا اذا كان المتحدر وعرا ، واعلم ان للاعمال جزاء فاتق العواقب ، وان للامور بغتات ، فكن على حذر . قال عيسى بن دأب فحدثت بهذا الحديث المهدي ، وفي يده لقمة قد رفعها الى فيه فامسكها ، وقال ويحك أعد علي ! فقلت : يا أمير المؤمنين أسغ لقمتك ، فقال : حديثك احب الي !



الصراع العربي الالماني الامريكي

من جريدة « الكفاح » اللبنانية :

● من خلال الصعوبات التي تمر بها العلاقات العربية مع دولتين كبيرتين هما امريكا والمانيا ، يسعر الانسان العربي بوميض من الشعور بالفخر والاعتزاز ، ان الصحافة الالمانية الخاضعة بشكل عام للنفوذ الصهيوني اعترفت رغم دعوتها لقطع العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة ، بان زيارة زعيم المانيا الشرقية للقاهرة ، هي الجواب العربي على بيع الاسلحة الالمانية الغربية لاسرائيل ، وعلى دعوة بون لمواطنيها من الخبراء الالمان بمغادرة القاهرة تحت الضغط الصهيوني ، وعلى نشاط اتحاد النقابات الالماني الداعي لاقامة علاقات دبلوماسية بين المانيا الغربية واسرائيل .

ومما لا شك فيه ان دعوة اولبرخت هي السرد البارع « وضربة المعلم » الى حكام بون لتفهيم بشكل غير مباشر اننا نستطيع ان نسيء الى مصالحها ونتعاون مع اعدائها على حسابها ، مثلما اساءت الى مصالحنا وتعاونت مع ما يسمى باسرائيل على حسابنا ، ولا شك ان صدمة ثانية سوف تصيب مصالح المانيا الغربية في الشرق الاوسط ، عندما يقوم العرب بالرد الجماعي المنتظر الذي قررته الدول العربية في اجتماعات رؤساء الوزارات ، اذا ما تمادت حكومة بون في السير على هذا الطريق الوعر .

ومن جهة اخرى ، يزداد شعور العرب بالتحام الدولة وكرامتهم ، عندما يرون المسئولين الحكوميين في امريكا والصحافة الامريكية ، تحسب الحساب لعواقب القرار الارعن والضيق الافق الذي اتخذته اغلبية النواب في الكونجرس الامريكي ، حول منع ارسال المواد الغذائية للجمهورية العربية المتحدة .

بذور سيئة

من جريدة « فلسطين » الاردنية :

● ان مجتمعنا نتيجة للقفزة الكبيرة التي وجد نفسه يسير في اتجاهها دون ان تصاحبها قفزة فكرية واعية .. اخذ من الحضارة قشورها ، فحصرها موجودة في تقليد اعمى لكل ما يردنا من الغرب .. فراح يلهث وراء هذا التقليد دون تحسب للنتائج ودون ادراك للعواقب ... وكانت النتيجة ان خرج من صفوف مجتمعنا جيل من « الخنافس » .. وجيل من العاشقين .. وجيل من الراكضين وراء السراب والباحثين عن عالم الصخب والضجيج .

واذا كان هذا الجيل يتركز حاليا في اجزاء قليلة من مجتمعنا ، فانه يحمل معه بذور الفناء .. بذور الشر الذي يهدد هذا المجتمع ..

كفاح اللغة العربية في المغرب

من مجلة « الكتاب » العراقية :

● واجهت اللغة العربية معركة ضخمة في المغرب العربي . فقد كانت هدفا كبيرا من اهداف الاستعمار الفرنسي وجميع حركات التمسيح (الفرنسة والاذابة والادماج) .

وقد استطاع الفكر العربي الاسلامي في المغرب ان يقاوم وينتصر ، ففي تونس والمغرب الاقصى ، لم يحرز الفرنسيون نتائج كبرى ، وفي الجزائر استطاعوا ان يصلوا الى بعض النتائج في المدن وفي الشمال حتى الثلاثينيات ، اما بعد ذلك فتماسكت اللغة ، وغلبت اللغة العربية وبدأت تسيطر وتستعيد مكانها ، نتيجة لحركة جمعية العلماء .

ونظرة اليوم الى المغرب العربي كله نجد ان اللغة العربية فيه تأخذ مكانتها الحق ، ولعل حركة المقاومة لها بالذات والقضاء عليها زاد في التمسك بها وتهذيبها ودفعها الى الاعلى ، والاسلوب العربي سواء في ليبيا او تونس او الجزائر او المغرب لا يقل بأى حال عن مستوى الاسلوب العربي في الشرق .

ومنذ اليوم الاول لاستقلال كل قطر من هذه الاقطار بدأت حركة التعريب فيه تشق طريقها في قوة مستهدفة عودة اللغة العربية الى مكانها الطبيعي في الدواوين والدفاتر الرسمية والبنوك ومختلف الاعمال .

شرف المهنة عند الصحفي ماذا يعني ؟

من جريدة « الطليعة » الكويتية

● ان شرف مهنة الصحافة يعني ان يلتزم العربي فيما يكتب وينشر بالتعبير عن قضايا الوطن العربي فبقدر ما يكون الصحفي ملتزما بمطالب الجماهير العربية التي يناضل من اجلها ، بقدر ما يكون محافظا على شرف المهنة . وهذا الالتزام الذي ندعو اليه ليس بدعة جديدة ننادي بها نحن العرب ، بل ان جميع الامم تسير على هذا المنوال ، ففي جميع البلدان المتقدمة نسمع ما يسمى « بتقاليد » الصحافة ، وهي تعني المسلك الذي اختطته الصحافة لنفسها منذ قديم الزمن وحافظت عليها على السير على منواله .

واذا كان هذا المبدأ واردا لدى الامم التي حققت اهدافها القومية وسارت شوطا كبيرا في مضمار التقدم ، فما احرانا نحن العرب ـ ونحن نعيش معركة الوجود العربي ـ ان يلتزم صحفيونا بالابعاد القومية للمعركة العربية .

ان الصحافة يجب ان يكون مبرر وجودها لخدمة قضايا الامة العربية ، ولذلك فعليها ان تلتزم بمبادئه التي قررها مؤتمر اتحاد الصحفيين العرب . وعلى الصحفيين العرب ان يفضحوا ويطردوا كل صحفي دخل الصحافة بقصد الارتزاق في الشروع وضد مصالح الشعب العربي .

في مجتمعنا ..

ان فرائص الانسان العربي لترتعد جزعا ، وهو يرى مثل هذه البذور السيئة تجد لها ارضا خصبة في مجتمعه الذي ما زال يبحث عن التقدم والذي لا يزال يحمل مسئوليات جسيمة لبناء نفسه ولتقدمه الحقيقي .. تقدم العلم وتقدم الصناعة وتقدم الزراعة لا تقدم الازياء ولا تقدم الحفلات الصاخبة .. ولا تقدم التقليد الذي [illegible] حتى الانحلال .. !

ان مجتمعنا العربي امامه مسئولياته .. ومن الجريمة بمكان ان يكون فيه من يفكر بهذه المسئوليات ليمضي في تيارات ليست من شيمنا .. ولينكب على مجالات لا مكان لها في مجتمعنا .. في المجتمع الذي يعيش على خطوة قليلة من ارض المعركة .. يعيش وهو في كل دقيقة مهدد !

ابن طباطبا

ناقد أدبي عربي قديم
لا تزال لآرائه جدتها
بعد أكثر من ألف عام

بقلم : الدكتور أحمد أحمد بدوي
أستاذ النقد الأدبي بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

■ في مدينة أصبهان ولد ابن طباطبا، ولا يحفظ التاريخ عام ميلاده، وإن ذكر وفاته سنة ٣٢٢ هـ، أي أنه عاش في الشطر الثاني من القرن الثالث، وجزء من القرن الرابع للهجرة.

ولم تكن الحياة السياسية يومئذ بدولة العباسية قوية مستمرة، بل أصابها الضعف والانحلال منذ قتل الأتراك الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧ هـ، فضاعت هيبة الخلافة، ولم يعد للخليفة سلطان ولا نفوذ إلا في قليل من الأحيان، وكثيرا ما شب الخلاف بين أبناء الأسرة العباسية على الخلافة، أو ولي أمرها صبي لا يستطيع أن يلي شئون الخلافة.

في هذا العهد عاش « ابن طباطبا »، ولكن هذا الاضطراب السياسي لم يحل دون الازدهار العلمي، وانكباب العلماء على الكتب يضمنونها خلاصة تجاربهم، وما وصلوا إليه من آراء، بل يبدو أن هذه الحياة السياسية الصاخبة المضطربة جعلته ينصرف عنها إلى الدراسة والإنتاج، فإنا لا نعرف له مشاركة في الأحداث السياسية، وكل ما عرفه له التاريخ أنه كان شيخا من شيوخ الأدب.

نسبه

واسم « ابن طباطبا » هو محمد بن أحمد، وطباطبا لقب جده الثالث : إبراهيم، وينتهي نسبه بالحسين بن علي بن أبي طالب.

كان شاعرا، يرى للشعر منهجا

ولم يحدثنا من أرخ له عن ثقافته، ولكنا



يستطيع أن يعرف هذه الثقافة من النهج النقدي الذي وضعه، وأوجب على الشعراء أن يأخذوا به، فقد كان شاعرا، ومن المرجح أن يكون قد عمل بهذا النهج، فإنه يراه ضروريا للشاعر إذ يقول: «وللشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه وتكلف نظمه، فمن تعصت عليه أداة لم تكمل له ما يتكلفه، وبان الخلل فيما ينظمه، ولحقته العيوب من كل جهة».

«فمنها التوسع في علم اللغة، والبراعة في فهم الإعراب، والرواية لفنون الآداب، والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم، ومناقبهم ومثالبهم، والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر، والتصرف في معانيه، في كل فن قالته العرب فيه، وسلوك مناهجها في صفاتها، ومخاطباتها، وحكاياتها، وأمثالها».

ولا بد أن يكون قد مرس ذلك، وأن يكون قد أضاف إليه معرفة واسعة بتقاليد العرب وعاداتها.

وكان شغوفا بالعلم، يتسلى عن الأصدقاء، ولا عن التجار

ويمضي «ابن طباطبا» في إيراد الشواهد الكثيرة ...ـه عن تلك التقاليد ويظهر أن «ابن طباطبا» كان رجلا شغوفا بالعلم، مكبا على تحصيله، مقبلا على الكتب يأخذ منها ما يزوده في حب واستزادة، حتى صح له أن يفتخر ويقول:

حسود مريض القلب يخفي أنينه
ويضحي كئيب البال عند حنينه
يلوم على أن رحت في العلم راغبا
أجمع من عند الرواة فنونه
وأملك أبكار الكلام وعونه
وأحفظ مما أستفيد عيونه
ويزعم أن العلم لا يجلب الغنى
ويحسن بالجهل الذميم ظنونه
فيا لائمي، دعني أغالي بقيمتي
فقيمة كل الناس ما يحسنونه

وكان مغرما بالكتب يجعلها أغلى من الأصدقاء، ويقول:

مع الدهر أمرا يخيله
تسلى، ولا يسلى بمثل الدفاتر

بل إن له كتابا في تقريظ الدفاتر.

كتابه في العروض

وهو يؤمن بأن «من صح طبعه وذوقه لم يحتج

الى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه ، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن عن تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به ».

ولذلك نعجب أن يذكر له ياقوت ضمن ما صنفه كتابا في العروض لم يسبق الى مثله ، فلعل كراهيته لهذا العلم دفعته الى أن يصمم على تذليله ، الى درجة تمكنه من التأليف فيه ، أو لعل وصف كتابه بأنه لم يسبق الى مثله يؤذن بأنه نهج في عرض هذه المادة نهجا جديدا يسهل جناها للدارسين .

ولست أدري موقفه من علم القوافي ، وهو ملازم لعلم العروض وشقيق له في التأليف ، غير أنه قد وصل في كتابه « عيار الشعر » الى حصر قوافي الشعر .

غرامه برواية الحديث

ولعله كان مغرما برواية الحديث كذلك ، وان لم تكن له آثار فيه ، أو تدله ، وهو كان يرى أن لو تأخر الرسول لكان من كبار حفاظ الحديث ورواته كأبي هريرة :

ولو تأخر النبي لكنت منه
مكان « أبي هريرة » غير شك

وكانت « أصبهان » ، كما ذكرنا ، تعنى برواية الحديث وحفظه .

مثل من قوة ذاكرته

وأعان « ابن طباطبا » على طلب العلم ما عرف به من « الذكاء والفطنة ، وصفاء القريحة ، وصحة الذهن » .

ومما يروى للدلالة على سرعة حفظه أن أحد الرواة ذكر أن « ابن طباطبا » دخل الى دار حملت اليها من « بغداد » نسخة من شعر « عبدالله بن المعتز » فطلب استعارتها، فسوّف بها ، فتمكن في الدار أن ينظر فيها ، ثم طلب محبرة وقرطاسا ، ثم أخذ يكتب عن ظهر قلبه مقطعات من الشعر ، حتى اذا فرغ من كتابتها احصيت الأبيات التي كتبها ، فبلغ عددها مائة وسبعة وتسعين بيتا حفظها من شعر « ابن المعتز » في ذلك المجلس ، واختارها من بين سائرها .
وكان ذلك في آخر أيامه .

اتخذ من قناعته سببا للتفرغ وتحصيل العلم

وساعده عليه أيضا أنه كان غنيا يستطيع أن يفرغ للدراسة والاطلاع ، ويدلنا على قناعته أنه يقول إن يُرزقه في طلب العلم بحجة أنه لا يطلب الغنى :

اذا عُدَّ أهل الناس لم أكُ دونه
وكنت أرى الفقر المسوّد دونه

غير غني ، ولكنه لا يكتفي من الحياة بالغنى وحده ، بل يريد الى جانبه مجدا علميا يجلب له الفخر والسؤدد .

واذا كان « ابن طباطبا » غنيا يكره الفقر ، ويرى أن الحر يؤثر الموت عليه ، اذ يقول :

قد يصبر الحرُّ على السيف
ويجزع الحرُّ من الحَيف
ويؤثر الموت على حالةٍ
يعجز فيها عن قِرى الضيفِ

فانه كان يحب القصد في الغنى ، ويكره الاسراف فيه ، ويرى الشراهة في جمع المال مهلكة لصاحبها ، اذ تصرفه عن الجد العلمي ، ولعلنا نلمح ذلك من قوله :

ان في نيل المُنى وشكَ الردى
وقياسُ القصد عند السَّرَف
كسراجٍ دهنُه قوتٌ له
فاذا غرّقته فيه طَفي

ومما لا ريب فيه أن ذلك خير الأوضاع لطالب العلم والتفرغ له :
فتى لا تصحبه شراهة الى الازدياد .

كتبه ومؤلفاته

ولم يقتصر « ابن طباطبا » على التحصيل وحده ، بل ترك لنا انتاجا أدبيا بقي بعضه وباد بعضه ، فمن ذلك

١ — كتاب « عيار الشعر » الذي جمع آراءه في النقد الأدبي ، وقد حققه وعلق عليه ، وقدم له ، ونشره سنة ١٩٥٦م الدكتور طه الحاجري ، والدكتور محمد زغلول سلام .

٢ — وكتاب « تهذيب الطبع » ولعله هو كتاب « الشعر والشعراء » الذي نسبه اليه « ابن النديم » في كتابه : « الفهرست » .

أما كتاب « تهذيب الطبع » فقد أشار اليه المؤلف في أكثر من موضع في كتابه « عيار الشعر»

فهو يبين الغرض من تأليفه إذ يقول : « وقد جمعنا ما اخترناه من أشعار الشعراء في كتاب سميناه : « تهذيب الطبع » يرتاض من تعاطى قول الشعر بالنظر فيه ، ويسلك المناهج التي سلكها الشعراء ويتناول المعاني اللطيفة كتناولهم إياها ، فيحتذي على تلك الأمثلة في الفنون التي طرقوا أقوالهم فيها » .

٣ ـ وله « كتاب في العروض » قال عنه ياقوت : « إنه لم يسبق إلى مثله » وقد سبقت الإشارة إليه .

٤ ـ وكتاب « سنام المعالي » ، ولا ندري عنه شيئا .

٥ ـ وكتاب « في المدخل في معرفة المعمى من الشعر » ، وعنوانه يدل على موضوعه ، فهو شرح لأبيات غامضة المعنى ، يدل على تعمق صاحبه في فهم غريب الأشعار ، وإدراك معانيها الغامضة .

٦ ـ وكتاب في « تقريظ الدفاتر » سبق أن أشرنا إليه .

٧ ـ وكتاب في « الشعر والشعراء » نسبه إليه « ابن النديم » ، ولعله كتاب « تهذيب الطبع » الذي لم يذكره له صاحب الفهرست .

٨ ـ وديوان شعره .

ولم يبق لنا من ذلك اليوم ، فيما أعرف ، سوى كتاب « عيار الشعر » ، وبضع قصائد وأبيات سائرة أوردها معجم الأدباء ، ومحاضرات الأدباء وتحفة العجائب وطرفة الغرائب ، وكتاب التشبيهات ، والمحمدون من الشعراء وأشعارهم ، والمصون في الأدب .

وقد يورد بعض هؤلاء بيتا أو بيتين ، ثم يقول : « وهي أبيات كثيرة ذات أوصاف » ، ويقول القفطي في كتابه : « المحمدون من الشعراء » : « وأكثر شعره في الغزل والآداب » .

صنع قصيدة ليس فيها كاف أو راء

ومما يذكر أن « ابن طباطبا » كان يؤمن ، لتمكنه من اللغة ، بمقدرته على أن يتجنب من الكلمات ما يصعب النطق به على من بلسانه عيب يحول بينه وبين النطق ببعض الحروف ، ويروى عنه أنه قال : « والله إنا أقدر على تنقية الكلام من واصل بن عطاء » .

ويروون التدليل على ذلك أن ولدا لأحد أعيان الرجال كانت به لثغة شديدة حتى كان لا يجري على لسانه حرفان من حروف المعجم ، هما : الراء ، والكاف ، يضع الغين مكان الراء، والهمزة مكان الكاف ، فكان إذا أراد أن يقول : « كركي » يقول : (أغإي) ، فعمل « ابن طباطبا » قصيدة في مدح أبيه ، حذف منها حرفي لثغة الولد ، ولقنه إياها ، حتى رواها لأبيه ، ففرح بها فرحا شديدا . ومن تلك القصيدة :

يا سيدا دانت له السادات
وتتابعت في فعله الحسنات
وتواصلت نعماؤه عندي فلي
منه صلات خلفهن صلات

وهي قصيدة طويلة تبلغ تسعة وأربعين بيتا ختمها بقوله :

لو واصل بن عطاء الباني لها
تليت ، توهم أنها آيات
لولا اجتنابي أن يمل سماعها
لأطلتها ما خطت التاءات

وليس شعره ما يرفعه ، حتى إلى درجة أوساط الشعراء ، ولكنه مما لا شك فيه أن معالجته لنظم الشعر جعلت له نظرات صائبة في النقد الأدبي ، لأنها ناشئة عن ممارسة وتجربة.

آراؤه في النقد الأدبي

وكثير من آرائه في النقد الأدبي لم تفقد مع الزمن صحتها وجدتها . بل إن له بعض التعبيرات التي تشبه إلى حد كبير تعبيراتنا الحديثة .

خطته في نظم الشعر

١ ـ فمن أثر ممارسته لنظم الشعر هذا الرأي الذي أبداه في طريقة قرض الشعر ، والغالب الظن أنه كان يتبع هذا النهج في صنع قصائده . يقول « ابن طباطبا » : إذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا ، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه ، والقوافي التي توافقه ، والوزن الذي يسلس له القول عليه ، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته ، وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني ، على غير تنسيق للشعر ، وترتيب لفنون القول فيه ، بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه ، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله . فإذا كملت له المعاني ، وكثرت الأبيات،

وفق بينها بأبيات تكون نظاما لها ، وسلكا جامعا لما تشتت منها . ثم يتأمل ما قد أداه اليه طبعه ، ونتجته فكرته ، فيستقصي انتقاده ، ويرم ما وهي منه ، ويبدل بكل لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقية . وان اتفقت له قافية قد شغلها في معنى من المعاني ، واتفق له معنى آخر مضاد للمعنى الأول ، وكانت تلك القافية أوقع في المعنى الثاني منها في المعنى الأول ، نقلها الى المعنى المختار الذي هو أحسن ، وأبطل ذلك البيت أو نقض بعضه وطلب لمعناه قافية تشاكله ، ويكون كالنساج الحاذق ... وكالنقاش الرفيق الذي يضع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه ، ويشبع كل صبغ منها، حتى يتضاعف حسنه في العيان».

تلك هي الخطة التي ارتضى « ابن طباطبا » بانتهاجها في نظم القريض أن يختار الشاعر الوزن والقافية ، ثم يتقبل ما يجود به خاطره من شعر يتعلق بالمعنى الذي يريد النظم فيه ، ثم يلزم بتثقيفه وترتيبه ، حتى تصبح القصيدة مترابطة متصلة .

واختيار الشاعر للوزن والقافية مما يطالب به « ابن طباطبا » صانع الشعر ، حتى لا يقع في وزن يصعب عليه المعنى فيه . وقد كرر الدعوة الى اختيار القافية في موضع آخر من كتابه بعد أن حصر الوان القوافي ، فقال : « اختر من بينها أعذبها ، وأشكلها للمعنى الذي تروم بناء الشعر عليه » ، وذلك حتى لا يقع الشاعر في قافية لا تسلس لخواطره ، ولا تنقاد لمعانيه .

دعوته الى وحدة القصيدة

ب ـ واذا كان « ابن طباطبا » قد دعا الى أن يضع الشاعر بين أبياته ما يربط بين هذه الأبيات حتى تتسق القصيدة ، فذلك لأنه دعا الى وحدة القصيدة دعوة حارة ، وهو في ذلك يشبه آراء النقاد المحدثين اذ يقول : « وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما يتسق به أوله مع آخره، .. فان قدم بيت على بيت دخله الخلل ... فان الشعر اذا أسس تأسيس كلمات الحكمة المستقلة بذاتها ، والأمثال السائرة الموسومة باختصارها ، لم يحسن نظمه ، بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة ، في اشتباه أولها بآخرها ، نسجا حسنا ، وفصاحة وجزالة ألفاظ ، ودقة معان ، وصواب تأليف ، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه الى غيره من المعاني خروجا لطيفا ، .. حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة افراغا .. تقتضي كل كلمة ما بعدها ، ويكون ما بعدها متعلقا بها ، مفتقرا اليها » .

ولكن ينبغي أن نشير هنا الى أن « ابن طباطبا» مع دعوته الى وحدة القصيدة والتلاؤم بين أجزائها، لم يمنع أن تشتمل القصيدة على الغزل والمدح ، على أن يتخلص من أحدهما الى الآخر بألطف تخلص ، فلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله ، بل يكون متصلا به ، وممتزجا معه .

وعنده الصدق في الشعر ضرورة

جـ ـ واذا كان ابن طباطبا قد ألح على ضرورة وحدة القصيدة حتى تصبح كالكلمة ، فانه قد ألح على ضرورة الصدق ، وهو ما نسميه اليوم بصدق التجربة ونقاد اليوم تعتبر كما عبر ناقدنا العربي القديم عندما قال بعد حديثه عن أسباب تأثير الشعر في النفس : « فاذا وافقت هذه المعاني هذه الحالات تضاعف حسن موقعها عند مستمعها، لا سيما اذا أيدت بما يجلب القلوب من الصدق عن ذات النفس ، بكشف المعاني المختلجة فيها ، والتصريح بما كان يكتم منها ، والاعتراف بالحق في جميعها » .

هذه النظرة الصائبة ، الى الصدق في الشعر يرى « ابن طباطبا » أنها كانت متمثلة في شعراء الجاهلية الجهلاء وصدر الاسلام .

نظرته من المبالغة والاغراق في الشعر

د ـ غير أن شيئا يحتمل الكذب فيه في حكم الشعر ، ذلك هو الاغراق في الوصف ، والافراط في التشبيه . ويورد الناقد أمثلة للأبيات التي أغرق قائلوها في معانيها .

ويبدو لي أن « ابن طباطبا » لم يكن راضيا عن هذا الاغراق ، فانه يقول بعد أن أورد أمثلة « وقد سلك جماعة من الشعراء المحدثين سبيل الأوائل في المعاني التي أغرقوا فيها » ، فالنص بجملته يشعر بالجانب الذي لا يرضى عن هذا الاغراق ، كما أنه عندما تحدث عما يجب على الشاعر أن يتبعه ، كان من ذلك أن يتعمد الصدق والوفق في تشبيهاته وحكاياته . وأن حرارته في الحديث عن الصدق تدل على نظرته من المبالغة والاغراق .

الألفاظ كسوة المعاني ، والكسوة زينة

هـ ـ وللشعر الجيد صفات يجب أن تتحقق فيه ، وأخرى يجب أن يبرأ منها ، فمما ينبغي أن يتحقق في الشعر

جودة معناه ، فالكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه ، كما قال بعض الحكماء : الكلام جسد وروح ، فجسده النطق وروحه معناه .

وأن تشاكل الألفاظ المعاني ، بمعنى أن يتأنى الشاعر في اختيار ألفاظه حتى تبدو المعاني في صورة قوية رائعة ، فإن الألفاظ للمعاني كالمعارض للجارية الحسناء التي تزداد حسناً في بعض المعارض دون بعض . وكم من معنى حسن شِينَ بمعرضه الذي أبرز فيه ، وكم معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه ، وكم من زائف وبهرج قد نفقا على نقادهما ، وكم من حكمة غريبة قد ازدريت لرثاثة كسوتها ولو جليت في غير لباسها ذلك لكثر المشيرون إليها .

وهو بذلك كنقاد العرب الذين يعنون عناية كبرى بالصياغة وجمال عرض المعاني .

ولم يحدد بالضبط ، أعني ابن طباطبا ، معنى القبح في المعنى ولكنه ضرب الأمثلة للمعاني الواهية سوف نوردها في مكانها .

وأحسن الشعر ما وضعت فيه كل كلمة موضعها ، حتى تطابق المعنى الذي أريدت له ، من غير حشو يجتلب ، كأنما جيء به لإكمال الوزن ، ومن غير تفريق بين الكلمة وأختها ، وأن تكون سهلة على اللسان ، غير مستكرهة في مكانها ولا متعبة .

ومن الكلمات التي ينبغي أن توضع في مكانها قافية البيت ، فينبغي أن تكون قد جلبت لمعنى يكمل به معنى البيت ، لا ليتم بها وزن الشعر ليس غير ، فيكون ما قبلها مسوقاً إليها ، ولا تكون مسوقة إليه ، فتقلق في مواضعها ، ولا توافق ما يتصل بها ، ومعنى ذلك أن القافية ينبغي أن يسوق إليها معنى البيت ، فتأتي لتكمل معناه ، وتكون لذلك مستقرة في مكانها غير قلقة ولا متعبة ، أما إذا تم المعنى بدونها ، واستجلبت القافية قسراً ، ليكمل وزن البيت من الشعر فحسب ، فإنها تكون قلقة لا تتصل بما قبلها .

أما ما ينبغي اجتنابه في الشعر ، فالتفاوت في نسجه ، فإذا أسس الشاعر شعره على أن يأتي فيه بالكلام البدوي الفصيح لم يخلط به الحضري المولد ، وإذا أتى بلفظة غريبة أتبعها أخواتها وكذلك إذا سهل ألفاظه لم يخلط بها الألفاظ الوحشية النافرة الصعبة القياد .

ودعا « ابن طباطبا » الشاعر أيضاً إلى اجتناب سفساف الكلام ، وسخيف اللفظ ، والمعاني المستبردة ، والتشبيهات الكاذبة ، والإشارات المجهولة ، والأوصاف البعيدة ، والعبارات الغثة ، وجعل هذه الأشياء كأنما هي رقعة تزري بالثوب الجميل . ودعا إلى أن يستعمل الشاعر من المجاز ما يقارب الحقيقة ، ولا يبعد عنها ومن الاستعارات ما يليق بالمعاني التي يأتي بها .

وقريحة الشاعر وجب أن تزيد على عقله

و ـ وعاب « ابن طباطبا » أن تزيد قريحة الشاعر على عقله ، ومعنى زيادة القريحة أن يستغرق الشاعر في فنه ، يبحث عن معنى له قيمته في حد ذاته ، بقطع النظر عن الظروف الأخرى ، ومن الأمثلة التي ساقها الناقد العربي لذلك قول جرير :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة
لو شئت ساقكم إلي قطينا

فالشاعر هنا قد استغرق في فن الفخر بنفسه ، ومما لا شك فيه أن فخره يزداد قوة بأن يكون قريبا لخليفة دمشق ، وأن يكون الخليفة بحيث لا يرد له طلبا ، فلو أنه طلب منه أن يجعلهم خدما له لنفذ له الخليفة ما يريد . ونسي جرير في غمرة الفخر أن الخليفة أكبر من أن يؤمر ولذلك يروى أن الخليفة قال له : جعلتني شرطيا لك . أما لو قلت « لو شاء ساقكم إلي قطينا » لسقتهم إليك عن آخرهم .

الشاعر لا يقبل إلا ما يرضاه عقله

ز ـ وابن طباطبا في هذا المقام يشبه النقاد المحدثين في نظرتهم الموضوعية إلى الشعر ، فإن الشعر إذا كان ذاتيا ، يصور تجربة ذاتية للشاعر ، يختص بها ، وله سماتها ومعانيها التي تخصه وحده ، فإن على الشاعر أن يخلط هذه التجربة

الفائية موضوع تأمله ، يحكّم فيها عقله ، وينفذ فيها بصيرته ، ويعرضها على فكره ، ليقبل منها ما يرضاه عقله ، ويرفض منها ما لا يرضاه . ولذلك جعل « ابن طباطبا » جماع الادوات التي يحتاج اليها الشاعر كمال العقل الذي به تتميز الاضداد ، وعليه ان يحضر لبه عند كل مخاطبة ووصف ، ويعد لكل معنى ما يليق به ، ولكل طبقة ما يشاكلها .

والشعر المقبول هو ما تتجاوب أحاسيس النفس معه

ح ـ ويجعل « ابن طباطبا » مقياس قبول الشعر ورفضه أن يورد على الفهم الثاقب ، فما قبله واصطفاه فهو واف ، وما مجه ونفاه فهو ناقص .

ويعلل « ابن طباطبا » لقبول الفهم الثاقب للشعر الحسن ، ونفيه للقبيح منه ، واهتزازه لما يقبله ، وتكرهه لما ينفيه ، بأن كل حاسة من حواس البدن انما تتقبل ما يتصل بها مما طبعت له اذا كان وروده عليها ورودا لطيفا باعتدال لا جور فيه ، فالعين تألف المرأى الحسن ، وتقذى بالمرأى القبيح الكريه ، والانف يقبل المشم الطيب ، ويتأذى بالمنتن الخبيث ، والفم يلتذ بالمذاق الحلو ، ويمج البشع المر ، والاذن تتشوف للصوت الخفيض الساكن ، وتتأذى بالجهير الهائل ، واليد تنعم بالملمس اللين الناعم ، وتتأذى بالخشن المؤذي ، وكذلك الفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق ، ويتشوف اليه ، ويستوحش من الكلام الجائر ، والخطأ الباطل ، والمحال المجهول المنكر

وعلة كل حسن مقبول الاعتدال ، كما أن علة كل قبيح منفي الاضطراب .

ويذكر لقبول النفس للشعر علة أخرى ، تلك هي أنها تجد الشعر مترجما عما تحس به ، فاذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له ، وحدثت لها أريحية وطرب .

ولا ينسى ما للوزن من أثر في النفس ، فالشعر الموزون ايقاع يطرب الفهم لصوابه ، وما يرد عليه من حسن تركيبه ، واعتدال اجزائه .

فاذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى وعذوبة اللفظ ، فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر تم قبوله له ، وان نقص جزء من اجزائه التي يعمل بها ، وهي اعتدال الوزن ، وصواب المعنى ، وحسن الالفاظ ، كان انكار الفهم اياه على قدر نقصان اجزائه . ومثال ذلك الغناء المطرب الذي يتضاعف له طرب مستمعه المتفهم لمعناه ولفظه ، مع طيب الحانه ، فاما المقتصر منه على طيب اللحن منه دون ما سواه فناقص الطرب .

ولحسن الشعر وقبول الفهم اياه علة اخرى ، وهي موافقته للحال التي يعد معناه لها ، كالتحريض على القتال عند طلب المغالبة ، وكالغزل والنسيب عند شكوى العاشق ، واهتياج شوقه ، وحنينه الى من يهواه .

ويسجل « ابن طباطبا » اثر الشعر في النفس ، فيرى انه يمازج الروح ، ويكون انفذ من نفث السحر ، واخفى دبيبا من الرقى ، واشد اطرابا من الغناء .

ومحك الشعر الجيد أن ينثر ، فيظل جزلا

ط ـ وله مقياس يقيس به الشعر المحكم المتقن ، هو أن ينثر ، فالاشعار الانيقة الالفاظ ، الحكيمة المعاني ، العجيبة التأليف ، هي التي اذا نقضت وجعلت نثرا ، لم تبطل جودة معانيها ، ولم تفقد جزالة الفاظها ، اما الاشعار المموهة فهي التي لا يصلح نقضها لبناء يستأنف منه .

الشعر واستكراه القوافي

ي ـ وهو كثيرا ما يعقد الموازنة بين الشعر والنثر ، فالشعر فصول كفصول الرسائل ، بل انه يرى الشعر رسائل معقودة ، والرسائل شعرا محلولا .

ويرى الشعر المتقن هو الذي يخرج خروج النثر في سهولة ، وعدم استكراه قوافيه ، او التكلف في معانيه .

ويورد من الامثلة ما يبين به ما بين الشعر والنثر من أخذ وعطاء .

وكل ذلك مع اعترافه بما لموسيقى الشعر من اثر عميق في النفوس .

ومن الشعر الرائق سمعا ، الواهن معنى

ك — والشعر عند « ابن طباطبا » انواع :

فمنه شعر محكم النسج ، متمكن القوافي ، كقول ابي ذؤيب :

أمن المنون وريبها تتوجع
والدهر ليس بمعتب من يجزع
واذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيت كل تميمة لا تنفع
والنفس راغبة اذا رغبتها
واذا ترد الى قليل تقنع

ومنه شعر حسن الالفاظ المستعذبة الرائقة سماعا ، الواهية معنى ، كقول جرير :

ان الذين غدوا بلبك غادروا
وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من عبراتهن ، وقلن لي :
ماذا لقيت من الهوى ولقينا

الشعر في حاجة الى التهذيب من بعد قوله

ل — « وابن طباطبا » لا يكتفي بما يرد على الخاطر من اول الامر ، ولكنه يدعو الى ان يعاود الشاعر شعره بالتهذيب والتثقيف والنقد ، وقد سبق ان رأيناه عندما كان يتحدث عن الانتاج الادبي يدعو الشاعر الى ان يتأمل ما قد اداه اليه طبعه ، فيستقصي انتقاده ، ويرم ما وهى منه .

وفي موضع آخر يدعوه الى الا يظهر للناس شعره الا بعد اصلاحه ، والثقة من جودته .

ويرى الشاعر قديرا على التثقيف والتهذيب ، حتى يسلس له القول ، ويطرد له المعنى .

الشاعر يبتكر ، ولا يعيش على معاني الشعراء

م — ويدعو الشعراء الى الابتكار ، ويكره ان يعيش الشاعر كلا على الشعراء ، يغير على معانيهم ، فيودعها شعره ، ويخرجها في اوزان مخالفة لاوزان الاشعار التي يتناول منها ما يتناول ، ويتوهم ان تغييره للالفاظ والاوزان مما يستر سرقته ، او يوجب له فضيلة .

على انه مع ذلك لا يحرم على الشاعر ان يأخذ معنى سبق به على شريطة ان يبرزه في احسن من الكسوة التي كان عليها ، وحينئذ لا يعاب ، بل يكون له فضله واحسانه ، فلا بد من عمل يبذله الشاعر ، وجهد يؤديه ، والا صار شعره كالشيء المعاد المملول .

وهو ، مع دعوته الى الابتكار ينبه الى ضرورة ان تكون عين الشاعر يقظة مرهفة لما يجد في الزمن من امور تخالف الاعصر السابقة ، فيكون في الشعر غرائب مستحسنة ، وعجائب بديعة مستطرفة ، من صفات وحكايات ومخاطبات في كل فن توجبه الحال التي ينشأ قول الشعر من اجلها .

ومطلع القصيدة وحسن التخلص

ن — وعنى « ابن طباطبا » عناية خاصة بمطلع القصيدة ، وحسن التخلص فيها ولعل ذلك راجع الى ان المطلع له اثره في السامع وجذب انتباهه الى ما يقوله الشاعر ، وللاثر الاول في النفس عمقه وبقاؤه .

وعنايته بحسن التخلص ليبقى للقصيدة انسجامها وترابطها .

فينبغي للشاعر ان يحترز في مفتتح اشعاره مما يتطير به ، او يستجفى من الكلام والمخاطبات ، كذكر البكاء ، ووصف اقفار الديار ، وتشتت الالاف ، ونعي الشباب ، وذم الزمان ، ولا سيما في القصائد التي تضمن التهاني ، وتستعمل هذه المعاني في المراثي ، ووصف الخطوب الحادثة ، حذرا ان يتطير السامع ، وان كان يعلم ان الشاعر انما يخاطب نفسه .

ويرى ان حسن التخلص ، والتلطف في وصل مطلع القصيدة بالغرض منها ، مما ابدعه المحدثون من الشعراء ، دون من تقدمهم .

وهو يتعجب بالاقدمين من الشعراء ، ولا يبخس الاحدثين

س — وناقدنا العربي هذا يجل المتقدمين

كل تقدير واكبار ، ويؤمن بها وعبوه من طبع دقيق ، فاذا اتفق ذلك في اشعار العرب التي يحتج بها لشبيه لا تتلقاه بالقبول فابحث عنه ، ونقّر عن معناه ، فانك لا تعدم ان تجد تحته خبيئة اذا اثرتها عرفت فضل القوم بها ، وعلمت انهم ادق طبعا من ان يلفظوا بكلام لا معنى تحته .

ولكنه مع ذلك ينقدهم، كما رأيناه عند تصريحه باننا نجد منهم ابياتا لا يشكر شطراها ، كما سبق ان مثلنا .

ولا يتعصب ضد المحدثين من الشعراء ، ويراهم قد سلكوا مناهج من تقدمهم بل يراهم قد ابدعوا واجادوا ، ويعرف لهم ذلك بخاصة في حسن التخلص وجمال الفواتح . وهو صريح في تقريره ان تقدم الزمن لا يكسب الشعر مزية وفضلا . ويقدر كذلك ان المولدين اتوا في اشعارهم بعجائب، وان كانوا قد استفادوها ممن تقدمهم ، ولكنها تسلم لهم اذا ادوها بلطيف سحرهم فيها .

غير ان له في القدماء والمحدثين رأيا لا نتفق معه فيه ، وربما كان متأثرا في ذلك بابن قتيبة ، اذ يرى ان اشعار المحدثين متكلفة غير صادرة عن طبع صحيح كاشعار العرب التي سبيلهم في منظومها سبيلهم في منثور كلامهم الذي لا مشقة عليهم فيه.

فالحكم بان اشعار المحدثين غير صادرة عن طبع صحيح ، لا مكان له من الصحة ، فكثير من الشعراء المحدثين مطبوع يصدر شعره عن قريحة فياضة لا شك فيها .

والحكم بان العرب لم يكونوا يجدون مشقة في انتاج شعرهم مما لا يقره تاريخ ادبهم ، فمن شعرائهم من كان يتوفر على انتاجه وقتا طويلا ، حتى يخرج انتاجه مهذبا مصفى .

ويعترف « ابن طباطبا » بان صناعة الشعر اشق على شعراء زمانه منها على من كان قبلهم ، ويعلل ذلك بان القدماء قد سبقوا الى كل معنى بديع ، ولفظ فصيح ، وكان من نتيجة ذلك ان المحدثين اذا اتوا بما يقصر عن معاني السابقين ، لم يتلق شعرهم بالقبول .

ولعل السر في هذه المشقة ان المحدثين لم يفتحوا من ابواب الشعر غير تلك الابواب التي كانت للسابقين ، ولو انهم طرقوا ابوابا اخرى لوجدوا مجال القول واسع الميدان .

حفظ الجيد من أشعار الماضين ذخيرة

٤ — ومنهجه في تربية الذوق والتدريب على الانتاج الادبي الجيد هو الاتصال بالنصوص الادبية، تأملها وتقويم اللسان بها ، لا ليعيش كلا عليها، ومن أجل ذلك ألف كتابه : « تهذيب الطبع » ، واكثر من الشواهد في « عيار الشعر » ، فطالب الشاعر ، كما قال : « ان يديم النظر في الاشعار التي قد اخترناها ، لتلتصق معانيها بفهمه ، وترسخ اصولها في قلبه » ، ويذهب في ذلك الى ما يحكى عن خالد بن عبد الله القسري قال : « حفظني ابي الف خطبة ، ثم قال لي : تناسها، فتناسيتها ، فلم ارد بعد ذلك شيئا من الكلام الا سهل علي » ، فكان حفظه لتلك الخطب رياضة لفهمه ، وتهذيبا لطبعه ، وتلقيحا لذهنه ، ومادة لفصاحته ، وسببا لبلاغته ، ولسنه وخطابته .

ولا يزال لهذا الرأي وجاهته في تربية الذوق ، وتثقيف الشاعر ، وتقويم طبعه .

كتب النقد التي سبقت ابن طباطبا وتأثر بها

وشهد العصر الذي عاش فيه « ابن طباطبا » بعض الكتب التي الفت في النقد الادبي ، وورث بعضها . منها :

ا — فمن ذلك كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ، ويظهر انه قرأ هذا الكتاب ، وتأثر ببعض آرائه ، رغبة منه في تقسيم الشعر ، فاننا نجد بين التقسيمين كثيرا من التشابه :

ب — ومن كتب ذلك العصر كتاب « قواعد الشعر » لثعلب ، ولا نكاد نجد صلة تربط بين الكتابين، لا من حيث الطريقة ، ولا من حيث الاتجاه، ولا من حيث المعالجة اذا اتفقا فيه من بعض الموضوعات .

جـ — اما صلته بابن المعتز فيقول عنها ياقوت: ذكر ابو عبد الله حمزة بن الحسن الاصبهاني قال: سمعت جماعة من رواة الاشعار ببغداد يتحدثون عن عبد الله بن المعتز انه كان لهجا بذكر ابي الحسن : (ابن طباطبا) ، مقدما له على سائر اهله ، ويقول : « ليس في ولد الحسن من يشبهه » .

وكان يعرف شعر « ابن طباطبا » .

وكان « ابن طباطبا » ايضا طول ايامه مشتاقا الى « عبد الله بن المعتز » متمنيا ان يلقاه ، او يرى شعره ، فاما لقاؤه فلم يتفق له ، لانه لم يفارق « اصبهان » قط ، واما ظفره بشعره ، فانه اتفق له فى آخر ايامه .

ومن المعتز ان يكون ابن طباطبا قد عرف بعض شعر لعبد الله بن المعتز وعرف كتابه فى « البديع » وربما كان لذلك اثره فى اتجاه « ابن طباطبا » من الشعر فى الطبيعة ، وفى تاليف كتبه ، فهو امير علوى ، ليس بغريب ان يتشبه بامير عباسى ، غير ان هناك فرقا كبيرا فى اتجاه كتابى الرجلين ، فلقد كان اتجاه « ابن طباطبا » اتجاها علميا لبيان نظم الشعر ، وما ينبغى ان يتحقق فيه ليكون جيدا ، ودراسة اسباب تاثير الشعر فى النفس ، فان كتاب البديع لابن المعتز يحدد صاحبه هدفه بقوله : « قد قدمنا فى ابواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا فى القرآن واللغة واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والاعراب وغيرهم واشعار المتقدمين من الكلام الذى سماه المحدثون « البديع » ، ليعلم ان بشارا ومسلما وابا نواس ، ومن تقيلهم ، وسلك سبيلهم ، لم يسبقوا الى هذا الفن ، ولكنه كثر فى اشعارهم ، فعرف فى زمانهم ، حتى سمى بهذا الاسم .. » .

د — وتحدث « المبرد » فى كتابه : « الكامل » عن التشبيه ، قبل « ابن طباطبا » ، ولكن لم يعد الى واضح لهذا الفصل فى كتاب « عيار الشعر » .

هـ — ونجد ايضا كتاب نقد الشعر ، لقدامة ابن جعفر ، وقد تعرض الناقدان لامور اشتركا فى الحديث عنها :

فمن ذلك حديثهما عن العروض ، وان وزن الشعر يعود الى طبع فى الشاعر ، لا الى تعلم ذلك العلم ، ولا يحتاج احدهما فى ذلك ان يأخذ عن صاحبه .

اثر ابن طباطبا فيمن جاء بعده

وظهرت آراء « ابن طباطبا » ، وبدا اثره فيمن جاء بعده من النقاد .

ا — قرأينا « المرزبانى » فى كتابه الموشح يروى آراءه فى الشعر ، وقد ينقل عنه عدة صفحات متوالية .

ب — واما صلته بابى هلال العسكرى صاحب الصناعتين ، فقد رأيناه ينقد بعض شعره ، كقوله :

لما لاتني ، دعني آتفالى بقيمتي
لقيمة كل الناس ما يحسنونه

ج — ونجد المرزوقى فى مقدمته لشرح الحماسة ينقل بعض آرائه ، موافقا لها ، كنقله رأيه فى ان الشعر حسن ان عرى من معنى بديع لم يعر من حسن الديباجة ، وما خالف هذا فليس بشعر .

د — ويشارك « ابن خلدون » « ابن طباطبا » رأيه فى تربية الذوق الادبى لا يرى وسيلة الا محافظة كلام العرب ، فيها تحصل الملكة لتذوق الكلام ، ويستدل على ناظمه .

هـ — ووجدنا صدى آرائه فى طريقة نظم الشعر ، وضرورة تثقيفه وتنقيحه عند ابن ابى الاصبع المصرى ، فرأيناه يوصى الراغب فى نظم القريض ان يحصل المعنى قبل اللفظ ، وان يعمل الابيات متفرقة بحسب ما يجود بها الخاطر ، ثم ينظمها بعدئذ .

و — ويظهر ان آراء « ابن طباطبا » كان لها صدى فى اوساط النقد الادبى وكان كثير من العلماء يعجبون بها ، وكان بعض النقاد يعارض بعضها ويخالفه . وقد رأينا صدى ذلك فى كتاب الفه الآمدى فى « اصلاح ما فى عيار الشعر ، لابن طباطبا » ، كما حدثنا بذلك « ابن النديم » فى كتابه : الفهرست .

ولسنا ندرى مآخذ الآمدى على الناقد العلوى ، لان الكتاب لم يرد الينا . ولسنا ندعى ان آراء « ابن طباطبا » فى النقد الادبى وانتاج الشعر صحيحة كلها ، ولكننا نقول انها آراء جديرة بالتمام النظر والعناية .

وبعد فهذه دراسة لناقد عربى مضى عليه اكثر من الف عام ، ولا تزال آراؤه جدتها وحيويتها ، ولها مكانتها فى مجال الناشئة والموازنة بين ما اهتدى اليه الاسلاف منذ القدم ، وما وصلنا اليه فى العصر الحديث . ■■

احمد احمد بدوى



قرود جبل طارق : تقرر مصير القاعدة البريطانية !



● يعيش في جبل طارق نوع من القردة يسمونه القرد البربري ، وهو نوع فريد لا يوجد مثله في غير الجزائر والمغرب والعجيب ان هناك اسطورة تقول ان بقاء بريطانيا في جبل طارق مرهون ببقاء هذا النوع من القردة بها ، فاذا ، ما انقرضت او هاجرت الى مكان آخر كان ذلك نذيرا بجلاء بريطانيا من القاعدة وخروجها من يدها الى الأبد .

العالم يحكمه المجانين !

● سئل الكاتب الامريكي وليم سارويان عن مستقبل الانسانية في ربع القرن القادم فقال : لا ادري ان كان الانسان سيحتفظ بعقله ، فينجو ، وتنجو معه البشرية مما يهددها من اخطار ، أم انه سيظهر بين الساسة الكبار مجنون مثل هتلر فيرتكب الحماقة التي تهلك الحرث والنسل وتقضي على تراث الانسانية !

ويقول المؤرخ الانجليزي « توينبي » :

ان انسان العصر الحديث لم يعد عاقلا ، وانما هو نصف عاقل ونصف مجنون .. وستكشف الايام اي النصفين ينتصر : العقل .. ام الجنون ؟ !

اختار من الشر أهونه !

● قيل لاحد الفلاسفة : لماذا اخترت زوجة دميمة ، وانت رجل وسيم ؟

قال : لقد اخترت من الشر اهونه !

كلمات سقراط

● قال سقراط : « من كثر احتماله ، وظهر حلمه ، قل ظلمه ، وكثرت أعوانه ، ومن قل همه على ما فاته ، استراحت نفسه ، وصفا ذهنه » .

وقال : « من اعطي الحكمة فلا يجزع لفقد الذهب والفضة لأن من اعطي السلامة والدعة لا يجزع لفقد الألم والتعب ، فثمرة الحكمة السلامة والدعة ، وثمرة الذهب والفضة الهم والتعب »

ماقوال خالدة

● ان الذين يتنازلون عن حرياتهم مقابل امان مؤقت ، لايستحقون لا الحرية ولا الأمان .

فرانكلين

● النجاح هو الخطيئة الوحيدة التي يرتكبها الانسان بحسن نية ، ومع ذلك لايغتفرها له زملاؤه !

امبروز بيرس

● السر الوحيد الذي تستطيع المرأة أن تحتفظ به ، هو عمرها !

فولتير



اتهام لفولتير

● اتهم مرة « فولتير » بانه سرق بعض افكاره من احد زملائه ، فأجاب متهميه :

— اذا كان هذا الكاتب سيمضي الى ما كتبت فيكون قد سرق من الموضع الذي منه سرقت !

انه فرنسي

● استطاع المحامي ان يؤثر في نفوس القضاة والمحلفين ويحملهم على الرثاء لموكله الطفل ، بعد ان سمعوا بكاءه خلال دفاعه عنه . واخيرا سأل القاضي الطفل عما حمله على البكاء ؟ فأشار الى محاميه واجاب قائلا :

— انه فرنسي !

جمجمة نابليون !

● دخل مليونير امريكي محلا للعاديات القديمة بباريس ، ورأى جمجمة ثمنها الف دولار ، فسأل عن صاحب الجمجمة فقيل له :

— انها جمجمة نابليون بونابرت

فتعجب الامريكي وقال

— ولكني اشتريت في العام الماضي جمجمة نابليون من هذا المحل .

فاجابه . تلك جمجمة نابليون في شبابه ، وهذه جمجمة نابليون في شيخوخته !!



هل أنت أب

بقلم : الدكتور علي احمد علي

دكتوراه في التوجيه النفسي والتربوي
(جامعة كولمبيا ـ نيويورك)

تقع على الآباء مسئولية كبرى تجاه ابنائهم وانه وان لم تكن هناك مدارس معينة تعد الشخص لكي يكون ابا ناجحا الا أن وظيفة الاب تعتبر من اخطر وأهم الوظائف في المجتمع ومن اصعبها جميعا ، وقد يسهل على الفرد ان يكون طبيبا ناجحا ، او مهندسا ناجحا ، أو عاملا ناجحا ، ولكنه ليس من السهل أن يكون أبا ناجحا .

● الطفل عندما يولد يكون ضعيفا لاحول له ولا قوة ، لذلك يلجأ ويعتمد على ابويه لحمايته ونظافته وتغذيته واشباع حاجاته الاساسية . وتتم معظم معاملات الطفل ـ قبل التحاقه بالمدرسة الابتدائية ـ في نطاق المنزل ، وغالبا ما تكون هذه المعاملات محصورة بينه وبين الوالدين والاخوة ، وعلى هذا الاساس تؤثر تأثيرا كبيرا على نمو الطفل العقلي والجسمي والانفعالي والاجتماعي . وتعتبر السنوات الاولى من حياة الطفل من اهم سني حياته اذ انه في هذه السنوات يكون مداركه عن نفسه ويكتسب الكثير من العادات والمهارات .

ومعاملة الوالدين لاطفالهم والعلاقة بين الوالدين انفسهم لها أكبر الاثر على اتجاهات الاطفال ونموهم النفسي السليم . وكثيرا ما يرتكب الآباء الاخطاء في معاملتهم لاطفالهم . وغالبا ما تكون هذه الاخطاء بحسن نية وقد ترجع هذه الاخطاء التي يرتكبها الآباء الى دوافع ونزعات لاشعورية .

فغالبا ما يؤدي حب الوالدين الشديد لطفلهم واجابتهم لجميع مطالبه الى افساد حياته . فيخرج الطفل الى الحياة العملية ضعيف الشخصية غير معتمد



لتحمل الصعاب او تحطي العقبات ، لانه سوف لا يجد في هذه الحياة العمليه الحب الشديد والمطالب المجابة التي تعودها في المنزل .

وقد يؤدي حرص الآباء الشديد على الوصول بابنائهم الى أعلى مستويات التعليم الى الدفع بهؤلاء الابناء الى انواع معينة من الدراسة ليس عند الابناء القدرة على النجاح فيها ، او قد لا يكون عندهم اي ميل لهذه الدراسة . وقد يؤدي ذلك الى فشل الابناء في دراستهم وما يتبع ذلك من شعور بالعجز والنقص وفقدان الثقة بالنفس .

وقد ينتج من اخطاء الآباء في تربيه ابنائهم أن يشب هؤلاء الابناء ضعفاء الثقه بالنفس ، ينقصهم الشعور بالكفاءه والامن ، وتعوزهم القدرة على حل المشكلات التي تواجههم ، عاجزين عن تحمل المسئوليه مهما كان مستواها .

وكلما زاد الآباء فهمهم لانفسهم ازدادوا فهما لابنائهم . فالكثير من مشكلات الابناء ترجع في اساسها الى الآباء ، وان كانوا دائما ينتحلون لانفسهم المعاذير ويلقون دواماً اللوم على اطفالهم .

وكلما ازداد فهم الآباء لاطفالهم اصبحوا اكثر قدرة على التعامل والتفاهم والتعامل والتجاوب معهم ، وزادت بذلك قدرة هؤلاء الآباء على حل مشكلات الاطفال وتنشئتهم تنشئة سليمة صحيحة .

هل انت اب ناجح :

ستجد في الصفحة التالية استبيانا تكون من خمسين سؤالا . وهذا الاستبيان قد أعد للآباء الذين لهم اطفال ممن تتراوح اعمارهم بين ثلاث سنوات وعشر . وقد قصد منه مساعدة الآباء على فهم اطفالهم وفهم الظروف المنزلية التي ينشأ فيها الطفل . وقد يساعد هذا الاستبيان على الكشف عن بعض الاتجاهات الضارة في اساليب تربية الآباء للابناء والاستبيان وان كانت كتابته بصيغة المذكر الا أنه يصلح للآباء والامهات معا .

كيف تجيب على هذا الاستبيان :

ستجد بجانب كل سؤال ٤ خانات ، ثلاث منها تبين ثلاث مستويات للاجابة : غالبا ، احيانا ، نادرا . وتحت كل منها الدرجة التي تستحقها الاجابه على كل سؤال بحسب مستواها . اما الخانة الرابعة فقد تركت لك لتضع فيها الدرجة التي تستحقها اجابتك ، وليس عليك الا ان تختار الاجابة التي تنطبق على حالتك أو حالة طفلك اكثر من غيرها ثم ضع الدرجة التي تستحقها تلك الاجابة في الخانة الرابعه . وبعد ان تنتهي من الاجابة على كل الاسئلة ، ولتثبت الدرجة التي تستحقها اجابتك على كل سؤال في المكان المخصص لها . سنخبرك كيف تحصل على النتيجة .

واليك الاستبيان :

السؤال	مستويات الاجابة ودرجة كل منها: غالبا	احيانا	نادرا	الدرجة التى تستحقها اجابتك
١ ــ هل طفلك سريع الانفعال ؟	١	٢	٣	
٢ ــ هل يمص طفلك اصابعه او يقرض اظافره ؟	١	٢	٣	
٣ ــ هل يظهر طفلك الابتكار والثقة بالنفس عند قيامه ببعض الاعمال التى تعتبر جديدة بالنسبة له ؟	٣	٢	١	
٤ ــ هل يشعر طفلك بالسعادة عند اللعب مع غيره من الاطفال ؟	٣	٢	١	
٥ ــ هل يشعر طفلك بالسعادة عندما يلعب بمفرده اذا لم يجد حوله من الاطفال من يلعب معهم ؟	٣	٢	١	
٦ ــ هل يتكلم طفلك معك بصراحة عن امور تتصل بالجنس ؟	٣	٢	١	
٧ ــ هل تشعر ان طفلك كسول وخامل لا يهتم بما يدور حوله ؟	١	٢	٣	
٨ ــ هل من السهل ان يتسرب الضيق الى نفس طفلك ؟	١	٢	٣	
٩ ــ هل ينتاب طفلك الخوف اذا وجد في مكان مظلم او واجه احد الحيوانات الاليفة ؟	١	٢	٣	
١٠ ــ هل طفلك شديد الحساسية لنقد الآخرين ؟	١	٢	٣	
١١ ــ هل تغضب بانفعال اذا ما سلك طفلك سلوكا غير سوى ؟	١	٢	٣	
١٢ ــ هل تبدى اهتمامك قولا وعملا بنواحي النشاط المختلفة التى يقوم بها طفلك ؟	٣	٢	١	
١٣ ــ هل تجيب بصراحة وفي حدود ما تستطيع عن الاسئلة التى يلقيها عليك طفلك ؟	٣	٢	١	
١٤ ــ هل تحاول ان تسيطر على طفلك بتهديده بكلب ... او تخويفه من رجل الشرطة او الطبيب .... الخ ؟	١	٢	٣	
١٥ ــ هل تشترك طفلك لعبه ؟	٣	٢	١	
١٦ ــ هل تحاول ان تسيطر على طفلك بتهديده بعقاب معين تعرف علمنا انك سوف لا تقدم عليه بأى حال من الاحوال (كالذبح بالسكين او الطرد من المنزل) ؟	١	٢	٣	
١٧ ــ هل تترك لطفلك فرصة اتخاذ بعض القرارات ؟	٣	٢	١	
١٨ ــ هل تشجع طفلك على ان يكون له اصدقاء من الاطفال في مثل عمره ؟	٣	٢	١	
١٩ ــ هل تمعن في اغاظة طفلك حتى يبكى او يغضب ؟	١	٢	٣	
٢٠ ــ هل تتخذ من فشل طفلك في بعض المواقف فرصة للتشجيع والتوجيه بدلا من استخدام هذا الفشل كوسيلة لعقابه ؟	٣	٢	١	

	مستويات الاجابة ودرجة كل منها			الدرجة التي تستحقها اجابتك
	غالبا	احيانا	نادرا	
٢١ ـ هل يضايقك ان تعطي زوجتك اهتماما زائدا لطفلك بعد ان كان كل اهتمامها موجها اليك ؟	١	٢	٣	
٢٢ ـ هل تفرض على طفلك نواحي نشاط معينة لمجرد انك كنت تمارسها وتستمتع بها ايام طفولتك وشبابك ؟	١	٢	٣	
٢٣ ـ هل تحتفظ باتزانك ولا تنفعل بشدة عند توقيعك العقاب على طفلك ؟	٣	٢	١	
٢٤ ـ هل تتحدث مع ضيوفك عن مشكلات طفلك في حضرة الطفل نفسه ؟	١		٣	
٢٥ ـ هل تثني على طفلك ان احسن او اجاد في عمل يقوم به ؟	٣	٢	١	
٢٦ ـ هل تعتبر نفسك عصبي المزاج او ممن يسهل استثارته ؟	١	٢	٣	
٢٧ ـ هل تعتقد بانك سعيد في حياتك الزوجية ؟	٣	٢	١	
٢٨ ـ هل تجد طفلا آخر كمثال تامل ان يحتذي به طفلك في حياته وفي كافة تصرفاته ؟	١	٢	٣	
٢٩ ـ هل يسود منزلك جو من المرح والسرور ؟	٣	٢	١	
٣٠ ـ هل تختلف اختلافا شديدا مع زوجتك على بعض الموضوعات وتتشاجر معها في حضرة الاطفال ؟	١	٢	٣	
٣١ ـ هل تسمح لطفلك بالاسهام في بعض الاعمال المنزلية حتى ولو كان مستوى ادائه لهذه الاعمال منخفضا ؟	٣	٢	١	
٣٢ ـ هل تتفق وتتعاون مع زوجتك على الطريقة التي تربي وتعامل بها طفلك ؟	٣	٢	١	
٣٣ ـ هل تعامل طفلك نفس المعاملة على سلوك معين اذا تكرر منه هذا السلوك في مناسبات واوقات مختلفة ؟	٣	٢	١	
٣٤ ـ هل تعطي الفرصة لطفلك لان يطعم ويلبس نفسه ويستحم بمفرده في سن مبكرة ؟	٣	٢	١	
٣٥ ـ هل تحرص على تلبية الدعوات لحضور المناسبات والاجتماعات المدرسية التي قد يكون في مصلحة طفلك حضورها ؟	٣	٢	١	
٣٦ ـ هل تظهر قلقك ومخاوفك امام طفلك ؟	١	٢	٣	
٣٧ ـ هل تسمح لطفلك ان يصرف جزءا من مصروفه بالطريقة التي تحلو له ؟	٣	٢	١	
٣٨ ـ هل تبر بوعدك لطفلك ؟	٣	٢	١	
٣٩ ـ هل تسمح لطفلك ان ينتحل المعاذير التي يبرر بها فشله ؟	١	٢	٣	

السؤال	مستويات الاهلية ودرجة كل منها: غالبا	احيانا	نادرا	الدرجة التى تستحقها اجابتك
٤٠ ــ هل تشجع طفلك على ان يتحدث الى الضيوف الذين يأتون لزيارة الاسرة من حين لآخر ؟	٣	٢	١	
٤١ ــ هل تفرض على طفلك انواعا معينة من الاطعمة او تفرض عليه ان ينام فى ساعة معينة دون اية مرونة فى ذلك ؟	١	٢	٣	
٤٢ ــ هل تعتقد انك تعامل طفلك بامانة واخلاص ؟	٣	٢	١	
٤٣ ــ هل تطالب طفلك على اقتراف اعمال او التفوه باقوال تقوم انت نفسك بها ؟	١	٢	٣	
٤٤ ــ هل تشجع طفلك بالكلام والاشارة على ان يفعل شيئا لمساعدة الناس سيئى الحظ او ان يكون لنفسه جوانا مع الآخرين ؟	٣	٢	١	
٤٥ ــ هل تحب رأيك عن طفلك	٣	٢	١	
٤٦ ــ هل انت دائم التهكم والسخرية من تصرفات طفلك ؟	١	٢	٣	
٤٧ ــ هل تحمى طفلك من عواقب الافعال والاعمال التى يقوم بها فى الاحوال والظروف العادية ؟	١	٢	٣	
٤٨ ــ هل تتقبل نقد الغير لك وبصدر رحب ؟	٣	٢	١	
٤٩ ــ هل تترك نفسك تتنازعها الهموم ؟	١	٢	٣	
٥٠ ــ عند عقابك لطفلك هل تستخدم معه بعض الاساليب التى تشعر بعد ذلك بعدم الرضى عنها او الخجل منها ؟	١	٢	٣	



كيف تحدد درجاتك فى الاستبيان ؟

سنضرب لك هنا بعض الامثلة التى تساعدك على ان تحدد الدرجة التى تستحقها عن كل سؤال . فمثلا اذا كانت اجابتك على السؤال الاول غالبا فانك تستحق درجة واحدة ، واذا كانت اجابتك على السؤال الثالث احيانا فانك تستحق درجتين . واذا كانت اجابتك على السؤال العاشر نادرا فانك تستحق ثلاث درجات وهكذا ... حدد الدرجات التى تستحقها عن كل سؤال من الخمسين واكتبها فى الخانة المخصصة لذلك ثم اجمع جميع هذه الدرجات التى حصلت عليها :

اذا حصلت على درجة اقل من ١٢٠ فانك كأب فى حاجة الى مراجعة اسلوب التربية الذى تتبعه مع طفلك . كما ان ذلك يدل على ان البيئة المنزلية التى يعيش فيها الطفل غير صالحة لنموه النمو السليم المتكامل وان وجود الطفل فى هذه البيئة قد يعرضه فى المستقبل الى اشد المخاطر اذا لم تعمل على ادخال التحسينات على هذه البيئة .

كيفية الاستفادة من الاستبيان :

حدد الاسئلة التى حصلت فيها على درجة واحدة فقط وادرس هذه الاسئلة بعناية . وحاول ان تتخذ من الاجراءات ما يكفل تعديل سلوكك بخصوص الموضوع المتصل بهذه الاسئلة . فلن

حصولك على درجة واحدة على اى سؤال يعنى ان اجابتك على هذا السؤال اجابة غير مرضية . فمثلا اذا كانت اجابتك على السؤال رقم ٩ «غالبا» فمعنى هذا انك تستحق درجة واحدة على هذا السؤال . وسنذكر فيما يلى نص السؤال ثم نقوم بمناقشة هذا النص :ــ

هل ينتاب طفلك الخوف اذا وجد فى مكان مظلم او واجه احد الحيوانات الاليفة ؟

قد يتساءل الاباء : اين تقع مسئولية الاباء هنا ــ اذا كان الخوف يقع من جانب الطفل ؟ والاجابة على ذلك ان الكثير من حالات الخوف عند الاطفال غالبا ما ترجع الى خبرات معينة مر بها الطفل فى حياته . والخوف قد يكون رد فعل طبيعى لموقف من المواقف كأن يخاف الطفل النار لانها سبق ان احرقت له اصبعه ، فهذا خوف منطقى لا نخشاه . ولا يوجد انسان على هذه البسيطة بلا خوف .

ولكن الخوف كثيرا ما يتعدى الحدود المنطقية وذلك عندما يخاف الطفل اشياء معينة ليس من المفروض ان يخشاها : كأن يخاف او يفزع عند رؤية بعض الحشرات المحدودة الضرر كالصرصور مثلا ، او بعض الحيوانات الاليفة كالقطط والكلاب . والبيئة المنزلية لها اثرها الاول فى اكساب الطفل كثير من مخاوفه . فقد يتعود الطفل الخوف من بعض الحيوانات الاليفة او بعض الحشرات لمجرد ان الطفل شاهد مرارا امه وقد اصابها هلع وخوف شديد عند رؤيتها لمثل هذه الحيوانات او الحشرات . فمعظم حالات الخوف عند الاطفال هى فى الواقع مكتسبة .

والخوف غير المنطقى بين الاطفال يحتاج الى رعاية الاباء وعنايتهم وذلك نظرا لكثرة الاسباب التى ترجع اليها حالات الخوف بين الاطفال وتعدد مظاهر هذا الخوف لذلك تحتاج كل حالة الى علاج خاص بها .

والمجال هنا لا يتسع لشرح اسباب الخوف عند الاطفال وكيفية علاجه لذلك فاننا نحيل القارىء الى بعض كتب الصحة النفسية وكتب علم نفس الطفولة اذا اراد ان يعرف شيئا من تفاصيل هذا الموضوع .

مثال آخر : اذا اجبت على السؤال رقم ٣٧ ب « نادرا » فمعنى ذلك انك تسلك سبيلا غير قويم فيما يتصل بعدم تركك لطفلك الحرية فى ان ينفق مصروفه الاسبوعى بالطريقة التى تحلو له ، لذلك فانك تستحق درجة واحدة عن هذا السؤال ، والان هيا بنا نختبر هذا السؤال ونصه كالاتى :ــ

هل تسمح لطفلك ان يصرف جزءا من مصروفه بالطريقة التى تحلو له ؟

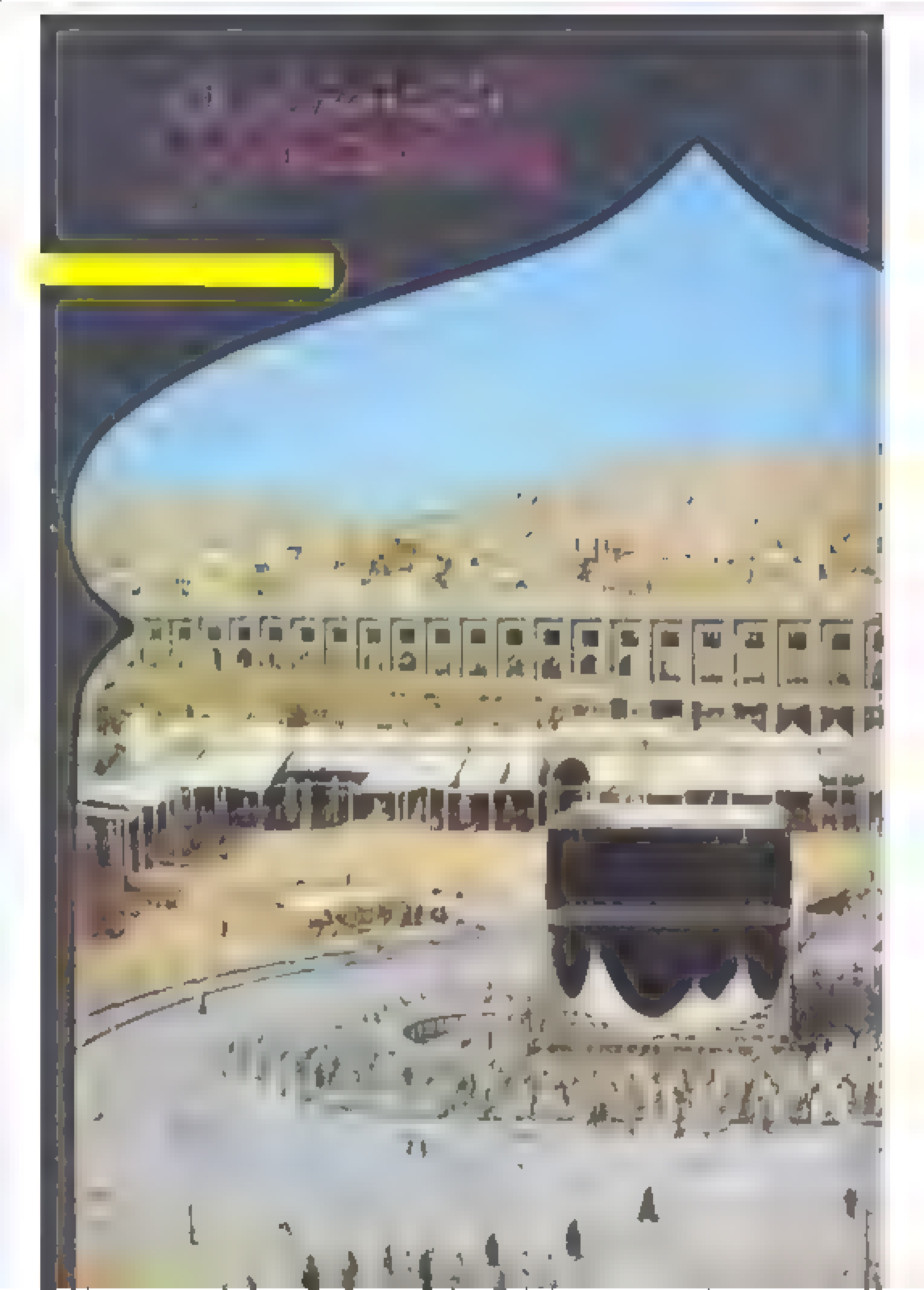
الواقع ان الاب العاقل هو الذى يعطى لطفله حرية التصرف فى المصروف الاسبوعى الذى يقرره للطفل . وليس هناك ما يمنع ان يوجه الاب طفله الى بعض طرق الانفاق السليم ، ولكنه يجب عليه ان يترك الطفل ليمارس بنفسه الاشياء التى يريدها لنفسه ، فان ذلك ادعى الى تعويد الطفل الاستقلال فى الرأى والاعتماد على النفس . وقد يحدث ان ينفق الطفل مصروفه فى بعض الاوجه غير المفيدة ومع هذا فان النفع من وراء اعطاء الطفل حرية التصرف فى هذا المصروف والخبرات التى يكتسبها من وراء ذلك تفوق كثيرا الاضرار التى قد تنتج اذا ما انفق الطفل مصروفه بطريقة غير حكيمة . ■

القاهرة ــ على أحمد على

مشـورة

● أراد نوح بن مريم قاضي مروان أن يزوج ابنته ، فاستشار جارا له مجوسيا ، فقال سبحان الله ، الناس يستفتونك وأنت تستفتيني ، قال : لابد أن تشير علي . قال : ان رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ، ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ، ورئيس العرب كان يختار الحسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدي !





تتوسطه نافورة ، يمتد أمامها متنزه وارف الظلال » .

كل ستة أشهر ..

لذلك لم أعجب عندما قال لي الشيخ عبد الله العريف ، أمين عام بلدية مكة : « إننا نعتبر مدينتنا تستقبل عملا عمرانيا يغير بعض معالمها مرة كل ستة أشهر ، وبإمكانك ... [illegible] ما تم تحقيقه — من قبل — في خمسين سنة ... وإني أحدثك عن توسيع الحرم المكي ، فهذا مشروع يحتاج لجلسة خاصة ، بل جلسات تستمع فيها إلى المهندسين والفنيين ... ولكني أذكر لك أنه بعد ... توسيع ما حول الحرم ، لتخفيف ضغط المرور وتنظيمه أثناء موسم الحج ، ولقد رصد ٦٣ مليون من الريالات لتعويض أصحاب الدور التي ستزال لتوسيع ما حول الحرم ، ولتخطيط عدة ميادين واسعة حوله ... على أن يتم تنفيذ هذا كله خلال العام الهجري الجديد ، وقبيل حلول موسم الحج القادم » .

واستطرد يحدثني عن بعض مشروعات عاجلة : شق شارع جديد إلى مكة عن طريق جبل ... ، وإنشاء مواقف للسيارات في أنفاق تحت الميادين ، وشق طرق فرعية في داخل المدينة ... [illegible] حول الكعبة

مكة منذ ١٥ عاما

وكلما أذكر أمرا ، قال : « ونحن نفكر بجدية ... العربي » أنه ... إلى اتجاه جديد في تخطيط

سوق مسقوف من أسواق مكة





الشوارع ، لنحمي نفسه من كل ما نقرأ ، ولقد قرأنا في الاستطلاع الذى نشرته عن «الجزائر» عن الشوارع ذات الطبقات الثلاث ، نشرت عندي الفكرة لنتعدها هنا !

ولا يفوتني — في هذه الناحية — أن أذكر أن الشيخ عبدالله العريف صحفي قبل أن يكون أمينا للبلدية ، وهو المدير العام لصحيفة « الندوة » المكية ولقد كانت انتقاداته وتوجيهاته سببا في إيكال أمانة البلدية اليه ليعمل على تنفيذ مقترحاته .

وتذكرت وهو يحدثني عن التطور في مكة ، ما نقل عن الحاج عبد الله بوركهارت — وهو سويسري أسلم وأدى فريضة الحج في سنة ١٨١٥ — اذ كتب يصفها في ذلك الزمان : « الميدان العام الوحيد في قلب البلد هو مربع المسجد الفسيح ، وليس ثمة أشجار أو حدائق تبهج النظر . وانما تدب الحياة الى مكة أثناء الحج ، بما يملأ الحوانيت الكثيرة المنتشرة في كل أنحائها من ألوان التجارة . وفيها خلا أربعة منازل أو خمسة يملكها الشريف ومدرستين صارتا مخازن للغلال ، والمسجد بما حوله من المباني ، فلا تظفر ثمة بأية مظاهر عامة للرقي بها . وربما كان نقصها في هذه الناحية أشد وضوحا من مثله في أي بلد شرقي آخر في حجمها ، فليس بها « خانات » لنزول السائحين .. ولا نرى فيها قصورا للعظماء ، ولا مساجد كالتي تزين كل حي من أحياء بلاد الشرق الأخرى .. » .

حياة نابضة بالنشاط

ووجدتني — وأنا أذكر هذه الكلمات — أتصور ما كان رأى « بوركهارت » هذا لو أنه عاش حتى رأى مكة مني .. ان صورتها اليوم تختلف اختلافا كبيرا جدا عن الصورة التي رسمها .. فمكة اليوم تتخللها شوارع واسعة جميلة ، وبها ميادين فسيحة ، منسقة ، تتوسطها النافورات ومنتزهات عامة يسعى أهل مكة اليها في أوقات الأصيل ليستروحوا النسمات ..

لم مكة اليوم حياة تظل نابضة بالنشاط طيلة العام ..

متاجر حديثة ، تحفل بكل السلع الحديثة التي تبهر بالبال ، ومنازل وعمارات أنيقة ، شامخة ، وفيها فنادق حديثة ، عديدة .. حتى ان في شارع







« اجياد » وحده ، تقوم ثلاثة فنادق كبرى ، مصرية وعرفات ، وشبرا .. ومع ذلك ، فان تعدد الفنادق في مكة لم يقض على عادة تأجير المنازل ـ او حجرات منها للحجاج .. فهم يتوافدون بمئات الآلاف ، في موسم الحج .. وقد بلغ عدد الحجاج عام ١٣٨٣ هـ حوالي ١ر٠٦٦ر٠٠٠ اكثر من ثلثهم من مختلف اقطار العالم .. وحتى الثلثان المنتميان الى شبه الجزيرة العربية ، اقبلوا من كل فج ، فهم مزيج من اهل مكة ، التي لا يزيد سكانها ـ حسب الاحصاء العام التقريبي الذي اجرى في المملكة العربية السعودية ـ على ١٠٠ر٠٠٠ نسمة .

وافقت من خواطري ، على صوت الشيخ عبد الله العريف ، وهو ماض في حديثه : « وهناك شبكة جديدة لتغذية مكة بالماء ، تقرر أن تنفذ في هذا العام ، باستغلال المياه الجوفية المتوفرة تحت جبل « كرا » ، الى جانب المياه التي تستمد حاليا من عيني زبيدة والعزيزية ..» .

الافادة من الاضاحي

ومن اهم المشروعات التي ذكرها ، مشروع الافادة من لحوم الاضحيات التي يذبحها الحجاج كل عام ، لتوزع صدقات .. فان تزايد الحجاج عاما بعد عام ادى الى ان هذه الاضحيات اصبحت تفيض على عدد المحتاجين ، فتلقى في العراء .. ولولا جهود بلدية مكة في جمعها ودفنها لصارت مباءة للحشرات ومصدرا للامراض ، ولاجتذبت الحيوانات الضالة والطيور الجارحة .

واذا ادركنا ان عدد الذبائح في ايام التشريق الثلاثة ـ من موسم الحج الاخير ـ قد تجاوز نصف مليون رأس ، استطعنا ان نحصي مدى الضياع الذي يضيع هباء من جراء تركها . لذلك وضع مشروع لانشاء مجزر كبير يجهز بغرف التبريد لانتاج اللحوم المجمدة والمعلبة ، الى جانب مصنع لانتاج اللحوم المجففة في الشمس (القديد) وآخر لانتاج العلف الحيواني من دم ومخلفات الذبائح ، وثالث لتصنيع الجلود .

وقد ساهم خبراء منظمة الصحة العالمية ، ومنظمة الاغذية والزراعة ، في دراسة وتخطيط هذا المشروع الذي تتجه النية الى اقامته بأسرع الامكان ...

ثلاثة مواسم للحج !

قلت للشيخ عبد الله العريف : « ارى معظم مشروعات مكة ، تدور حول الحج ! » . فقال : « لا انسى ان مكة مقر البيت الحرام ، وليس للحج موسم واحد ، بل ان له ثلاثة مواسم : الموسم الكبير ، في شهر ذي الحجة ، وموسم آخر في شهر رمضان ، اذ يفد كثير من المسلمين ـ يصلون احيانا الى مائة الف ، الشطر الاكبر منهم من الكويت وامارات الخليج العربي ـ ليقضوا شهر الصوم والعيد الى جانب بيت الله .. ثم ان هناك موسما اصغر ، يقع في شهر رجب ، اذ يفد الكثيرون ـ لا سيما من مصر ـ لاداء العمرة ، وهذا ما يسمونه « الزيارة الرجبية » » .

قلت : « اذن ، فكان الاقتصاد المحلي لمكة يقوم على الحجاج ! » .

وكان الجواب ان مكة تعتمد على التجارة ، كما كان عهدها في مختلف عصور التاريخ ، وهي اليوم السوق التي تصل بين جدة والمناطق الجنوبية



مستشفى « اجياد » من احدث المستشفيات في مكة



في بطن وادي فاطمة ومروجه وسواقيه يقضي أهل مكة أوقاتا سعيدة
عندما يخرجون للنزهة وهم يحملون معهم أدوات الطبخ، ليمضوا وصباحهم هناك

الغربية والوسطى والجنوبية الشرقية من المملكة العربية السعودية .. وهي — الى جانب هذا — مستودع للتموين اللازم لموسم الحج الأكبر ... فالحج — كما نرى — نقطة ارتكاز لا سبيل الى تجاهلها .. »

مقصد الحجيج منذ القدم

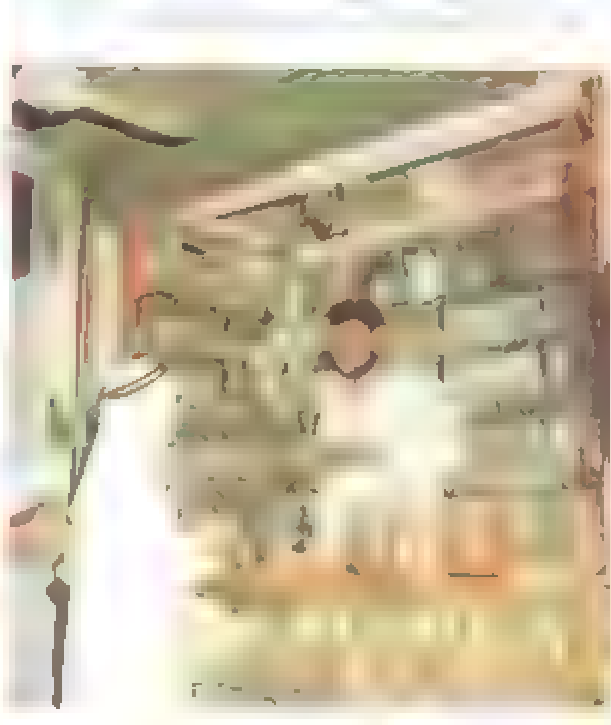
والواقع أن ارتباط مكة بالحج يرجع الى عصور قديمة ، تسبق الاسلام بكثير .. وقد أشار اليها المؤرخ الصقلي « ديودور » — الذي توفي في أواسط القرن الأول للميلاد — وان لم يذكر اسمها ، في حديثه عن ساحل شبه الجزيرة العربية على البحر الأحمر ، فقال انه كان يوجد بعد الساحل ، والى الجنوب « معبد له قداسة كبرى لدى جميع العرب » ..

كذلك تحدث عنها المؤرخ والجغرافي السكندري « بطليموس » — الذي توفي في القرن الثاني للميلاد — وسماها « مكوربا » .. والمعتقد أنه اسم مأخوذ عن « مكوراما » في لغة سبأ القديمة ، ومعناها « الحرم » أو « المقدس » .

والواقع أن « الحرم » والقداسة اقترنا باسم مكة ، أو « بكة » أو « أم القرى » أو « البلد الأمين » — وكلها أسماء وردت في القرآن — منذ أحقاب سحيقة في القدم . ويذهب بعض المؤرخين الى أن « الكعبة » كانت قائمة فيها مثابة للناس ، قبل أن يتلقى النبي ابراهيم — عليه السلام — أمر ربه بأن يبني بمعونة ابنه « اسماعيل » البيت الحرام ، ويرفع قواعده ..

ويؤيد هذا ما ورد في القرآن ، من أن ابراهيم عليه السلام ، حين أودع زوجه « هاجر » وابنهما









في هذا الموقع كانت « دار [illegible] » ...
[illegible]

« اسماعيل » هذه البقعة القفرة ، فخاطب ربه « ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع ، عند بيتك المحرم .. » الآية

كانت مروجا خضراء

على أن « مكة » لم تكن قفرا في كافة العصور كما وجدها ابراهيم الخليل فهي تقع في واد تحيط به الجبال . وتوحي الدراسات الجيولوجية والبحوث الأثرية بأنها كانت في عصور ما قبل التاريخ مروجا مخضوضرة ، آهلة بالسكان .. اذ كانت الرياح الشمالية الغربية المحملة بالأمطار تصل الى شبه جزيرة العرب فلا تلبث أن تفقد رطوبتها فتخفف من الماء الذي تحمله قمم الجبال ، ليجري على السطوح ويندفق على الوديان أنهارا تروي أرضها ..

ويقول الأستاذ أحمد السباعي – أول مؤرخ أرخ لمكة بالأسلوب العلمي الحديث – « ولعل في عمق الوديان التي نشاهدها اليوم ما يشير الى شيء من حقيقة هذا الرأي .. ولا أستبعد هذا ، لأن الشاهد أن ثروة المياه في عهودنا الحاضرة انحطت وقلت عن عهود سلفت ، فاختفت واحات كانت معروفة في العهد الجاهلي وصدر الاسلام .. »

بداية واضحة لتاريخ مكة

ومهما يكن فليس من شك في أن ايداع ابراهيم عليه السلام زوجته وابنه في موقع مكة ، يعتبر مبدأ واضحا لتاريخها .

ولابراهيم الخليل مكانة كبيرة في تاريخ العرب ، ترجع الى انه أول من دعا الى وحدانية الله ، قبل مولد الاسلام بقرون طويلة .. والى انه والد « اسماعيل » ، الذي لم يلبث – حين كبر – أن تزوج من العرب الذين هدتهم الطيور الى حيث عثرت هاجر على نبع « زمزم » فجاوروهما ... ومن نسل اسماعيل نشأ « العرب المستعربة » ، الذين قدر لقبيلة « قريش » أن تكون منهم ..

والى جانب هذين السببين ، اقترن ذكر ابراهيم الخليل بتاريخ العرب عامة ، ومكة خاصة ، لأنه رفع قواعد البيت ، وجدد بناء الكعبة .. ولا يزال « مقام ابراهيم » موجودا الى جوار الكعبة ، في

[illegible]





مكتبة الاذاعة في مكة ، وقد اقيمت على موقع البيت الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم

الطلل الباقي من مسجد الفتح بوادي فاطمة ، حيث صلى الرسول عندما هزم المشركين وفتح مكة



الموقع الذي قرب فيه اسماعيل – عليه السلام – حجرا ليقف عليه أبوه عندما ارتفع البناء ، وشق على الشيخ تناوله ..

مولد النبي بداية تحول في تاريخ مكة

واذا كانت حياة ابراهيم عليه السلام ، تمثل بمجملها المرحلة المعروفة من تاريخ مكة ، فليس من شك في أن مولد النبي محمد – عليه الصلاة والسلام – وحياته يعتبران – بداية تحول في تاريخ مكة ..

ذلك لأن مكة – بعد أن كانت مقصد العرب وصنمهم أيام الجاهلية – اصبحت مقصد المسلمين من كافة ارجاء العالم ، بعد انتشار الاسلام .

وكان المفروض – وهذا اثر الاسلام في حياة مكة – أن يحتفظ أهلها بالدار التي ولد فيها الرسول الذي بعث برسالة الاسلام . ولكن اتباع المجاهد الاسلامي محمد بن عبد الوهاب ، في بدء العهد السعودي رأوا في الآثار مظاهر تحمل بعض المسلمين على تقاليد أو عادات وثنية .. فلذلك ازالوا الكثير من هذه الآثار ، ومنها الدار التي شهدت مولد الرسول عليه الصلاة والسلام ... ويقوم في مكانها اليوم مبنى حديث تشغله «مكتبة الاذاعة» ..

على أن قصة سرت الى الناس بأن البناء الذي عهد اليه بمشروع هذا المبنى لم يجد من خلفه القوة على تغيير الاطلال القديمة ، فرفع أساس الدار الحديثة ، على الاثر من الدار القديمة .. فان صحت الرواية ، فهناك امل في بعث هذا الاثر الجليل ..

فترات الاضطراب في تاريخ مكة

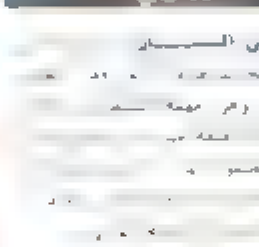
وهناك سبب آخر لاعتبار مولد النبي وحياته بداية تحول في تاريخ مكة .

كانت مكة – قبل مولد الاسلام – مركز السلطان بين العرب ، في معظم شبه الجزيرة العربية . وكانت بحكم موقعها ملتقى قوافل التجارة بين دول الجنوب ودول الشمال .. فلما اضطر النبي – بعد الرسالة – الى الهجرة منها ، انتقل مركز



« وليطوفوا بالبيت العتيق » . صدق الله العظيم

« طهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » صدق الله العظيم





الحجر الأسود : وهو مثبت في احد أركان الكعبة ولونه أسود ، ويحرسه بعض رجال الشرطة منظمين لمسه أو تقبيله ، ومنع بعض الحجاج من الاستقرار به مدة طويلة كما نرى في الصورة وهو نقطة البدء في كل دورة من دورات الطواف السبعة . يقبله الطائف ان امكنه ، والا اكتفى بلمسه . فان لم يستطع ، لشدة الزحام عليه ، حاذاه من بعيد وأشار اليه رافعا يديه قائلا « بسم الله والله اكبر . اللهم ايمانا بك ، وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم »

الى اسفل : « بين الصفا والمروة من شعائر الله » بعد ان ينتهي الحاج او المعتمر من طوافه حول البيت يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط . يبدأ بالصفا الجديد الذي بدأ سنة ١٩٥٦ م انشاؤه على عمارة « المسعى » ، فاقتضى الاصلاح ان يهدم « جبل الصفا » وازالة نتوءاته بالطبع ، وجعله للقادم منها الى الصفا ، كما تجده من طابقين نرى في الصورة

السلطان الى « المدينة المنورة » . ولكنه عاد اليها بعد الى مكة مكانتها .

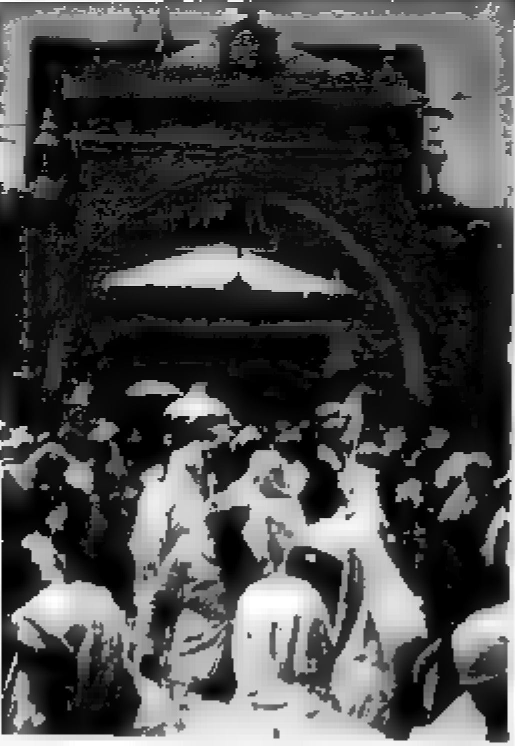
ولقد مرت بمكة بعد النبي والخلفاء الراشدين فترات من الاضطرابات والقلاقل ، اثرت كثيرا في استقرار الامور بها ، وفي ثرواتها وازدهارها .. وان كانت قد شهدت في عهدي الامويين والعباسيين طائفة من العلماء الذين كانوا يعقدون مجالسهم في المسجد الحرام ليفقهوا الناس في الدين ، ومنهم عبد الله بن عباس ، ومجاهد بن جبير ، وعمرو ابن دينار ، وعبد الله بن ابي نجيح ـ وقد توليا الافتاء تباعا ـ وعبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج كما ارسلت عاصمة الاسلام من فقهائها من نشروا الدين وعلومه في سائر الاقطار الاسلامية.

اول معهد ديني في الاسلام

بيد ان عهدي الامويين والعباسيين لم يخلوا من اصلاحات .. وقد اهتم الخليفة العباسي « هارون الرشيد » بتوفير العيون التي اتخذ لها البرك في

الكعبة ... تخرج الى الصفا حيث يبدأ السعي
ويسمى بالمروة ... وقد كان المسعى قبل الاصلاح
على جانبيه حوانيت للتجارة تقطعه شارع
حدود المسجد ، و[illegible] شارع [illegible] له
من طرفين طرق للذاهب الى المروة ، وطريق
[illegible] يمر [illegible] اسمه [illegible] .





باب السلام او باب شيبة ، قريبا من
الكعبة ، [illegible] في صحنه [illegible] الكعبة [illegible]
[illegible] الجديدة [illegible] من [illegible] ، [illegible]
من خلاله مقام ابراهيم ، والكعبة التي تقوم على
حجر اسماعيل .

ومما يذكر ان [illegible] من [illegible] الى
[illegible] حجر اسماعيل ومقام ابراهيم [illegible] المكان
الحالي [illegible] ، [illegible]
[illegible]
[illegible] الاخرى

اهل مكة وابناؤها ليستقي منها الناس . وقامت
في ذلك زوجته « زبيدة » ، ولا تزال « عين زبيدة »
من اهم موارد المياه لمكة ..

وتجري مياه عين « زبيدة » من العين — على
حوالي ٩ اميال الى الجنوب الشرقي من مكة —
في مجرى تحت الأرض ، [illegible] عليه [illegible] لتتابع
جريانها من وادي نعمان فوق عرفات ، وخلال
منى ، الى مدينة مكة .

كذلك اشتهرت « زبيدة » بدار ابن الارقم
وهي الدار التي كان النبي — عليه الصلاة
والسلام — يلوذ بها قبل البعث ، وقد تبرع بها
« الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي » — بعد الرسالة
ليجلس فيها النبي عليه الصلاة والسلام ، فيعلم
المسلمين دينهم .. وبهذا كانت أول معهد ديني
في الإسلام .

وقد كانت دار الأرقم في مواجهة باب الصفا ،
احد ابواب الحرم ، ولكنها ازيلت فيما ازيل من
آثار ، وشيد مكانها مبنى كبير ، يضم مكتبة









دبية كبيرة ، وبالطابق الاسفل منه بعض المكتبات التجارية والمتاجر التي تبيع المسابح والعطور وما اليها .

نهضة تعليمية واسعة

واذا كان اول معهد ديني قد تحول الى مكتبة ، فان مدارس تحفيظ القرآن التي تعد التلاميذ لنفس ما تعدهم له المدارس الابتدائية مع عناية خاصة بالدين ، قد انبثت في جنبات مكة .. الى جانب مدرسة ثانوية من اولى المدارس التي انشئت في المملكة السعودية ، هي المدرسة العزيزية الثانوية التي تضم ٨٠٠ طالب .

ومما يذكر بهذا الصدد ـ ان التعليم الثانوي كان ، في بداية عهده ، يرمي الى تخريج معلمين للمدارس الابتدائية .. ومنذ ربع قرن تقريبا ، انشئت اول مدرسة ثانوية حديثة ، فلم ينقض عشرون عاما ، حتى كان عدد المدارس الثانوية بالمملكة ٤٥. اما تخريج المعلمين للمدارس الابتدائية فقد انشئت له ثلاثة معاهد معلمين ابتدائية في سنة ١٣٧٢ هـ ، ولم تنقض عشر سنوات ، حتى بات عدد المعاهد ٣٧ معهدا .

وفي مكة من هذه المعاهد اثنان يتلقى الطلبة الدراسة فيهما لمدة ثلاث سنوات ، تقرر ان تمد الى خمس سنوات ، زيادة في تزويد مدرس الغد بالمعرفة ، بعد ان توفر ـ في السنوات الاخيرة ـ عدد لا بأس به من مدرسي المرحلة الابتدائية من ابناء البلاد ، بعد ان كانت هذه المرحلة تعتمد ـ في المقام الاول ـ على مدرسين من الدول العربية الشقيقة .

هذا الى جانب معهد ثانوي لتخريج المدرسين للمرحلة المتوسطة .. وفوق هذا فان مكة مقر للكلية الوحيدة التي تخرج مدرسين للمرحلة الثانوية ، وهذه هي « كلية الشريعة » التي كانت اصلا معهدا لاعداد القضاة ، ثم رئي ـ منذ ثلاث سنوات ـ تعديل برامجها لتخريج المدرسين الذين تمس اليوم حاجة البلاد اليهم اكثر مما تمس الى القضاة. حتى اذا تمت تصفية كلية المعلمين ـ التي كانت قد انشئت منذ ١٢ سنة ـ وكل اليها رسالة اعداد مدرسي المرحلة الثانوية على كلية الشريعة وحدها ، على ان يصبح اسمها « كلية الشريعة والتربية » ..



آلاف الخيام التي انتشرت على صعيد عرفات ... فيها في يوم عرفات ... ومن ثم تنقل الى ساحات « منى » حتى ليالي العيد

مدرسة التجارة ومعهد للمكفوفين

كذلك تمتاز مكة بأن بها احدى مدارس اربع للتجارة المتوسطة في المملكة السعودية . وقد افتتحت هذه المدرسة في سنة ١٣٧٩ هجرية ، لتخريج موظفين تجاريين للمكاتب الادارية والمتاجر والشركات والمصارف . ويتقاضى الطالب في هذه المدرسة مكافأة شهرية قدرها ١٠٠ ريال سعودي . وقد تخرجت اول دفعة من طلبتها في العام الماضي ، وكان عدد افرادها ٣٧ طالبا ، استوعبتهم جميعا المصارف والشركات .

وازاء النجاح الذي لقيته مدارس التجارة المتوسطة ، تقرر ان يضاف اليها ـ ابتداء من العام الدراسي المقبل ـ قسم ثانوي ، تمهيدا لانشاء « مدارس تجارة ثانوية » .

وتمتاز مكة ـ ايضا ـ بأنها مقر واحد من ثلاثة مراكز لتعليم المكفوفين في المملكة السعودية . ذلك هو « معهد النور » الذي انشيء منذ عامين ، وضم قسمين : مدرسة ابتدائية لتعليم المكفوفين بطريقة « بريل » المعروفة .. وقسم مهني لتدريب المكفوفين ـ من الكبار ـ على بعض الحرف التي تتيح لهم الا يكونوا عالة على المجتمع ، وتجعل منهم اعضاء منتجين . وهم الى جانب ذلك يتلقون دروسا في القراءة والكتابة . ويتقاضى التلميذ



الراسمة، والتى أحدها المطوفون لاقامة الحجاج
لتقل سريعا بعد مغرب يوم عرفات الى
وقد خلت ساحة عرفات الراسمة منه

المدرسة مكافأة شهرية قدرها ١٢٠ ريالا سعوديا ، في حين ان الذى يلتحق بقسم التدريب المهني يتقاضى ١٥٠ ريالا .

على أن التعليم الحديث لم يقض على الدراسات الدينية التقليدية التى تعقد في حلقات يتصدرها المتفقهون في الدين ، في المسجد الحرام .

تطور تعليم الفتاة

ومن الطريف ان تعليم الفتاة يقفز بخطوات سريعة ، برغم الحجب القائمة دونها ، حتى اننا لم نوفق الى زيارة احدى مدارسه لنقل بعض صور هذا التقدم .

ففي عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ - ١٩٦١م) ، لم تكن بمكة سوى مدرستين حكوميتين للبنات تضمان ٩٣٢ تلميذة .. ثم جاء عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢م) حتى كان عدد مدارسهن خمسا تضم ٢٨٩٨ تلميذة ، فضلا عن سبع مدارس اهلية ، تضم ١٥٣٩ . ومن هذه المدارس الاهلية مدرسة التدبير المنزلي بها ٣٢١ تلميذة ، واخرى لاعداد المعلمات تضم ٢١٢ تلميذة ، فضلا عن وجود معهد حكومي لاعداد المعلمات بمكة — هو اول سبعة معاهد من نوعه انشئت في البلاد — ويضم ١٠٨ فتيات وتتحمل الدولة حوالي ٣٠ في المئة من نفقات الطالبات في

المدارس الاهلية ، تحقيقا للعدالة ، الا ان التعليم في المدارس الحكومية بالمجان .

ومن الطريف — مرة أخرى — ان الحرص على الفصل بين الجنسين يمتد حتى الى الهيئات التى تشرف على تعليم كل منهما . فتعليم الذكور يدخل تحت اشراف وزارة المعارف ، وهي السلطة المختصة بالتعليم في الجهاز الحكومي . اما تعليم الاناث فوضع تحت هيئة اطلق عليها « رئاسة مدارس البنات » ، اصبحت تستأثر بكل ما يتعلق بهذا التعليم حتى بالامتحانات العامة التي كانت — حتى قبل عامين — تخضع لاشراف وزارة المعارف !

الفصل بين الجنسين

ويمتد الفصل بين الجنسين الى كافة نواحي النشاط الحيوي في مكة ، كما هو في كافة ارجاء المملكة السعودية .. حتى في النزهات الترويحية، التي يقوم بها سكان مكة .. فالرجل عادة يتواعد مع اصدقائه ، ليخرجوا في نزهات ليلية ، او نهارية — في ايام العطلات — الى الوديان القريبة من مكة .. بدلا من ان يخرج مع اسرته .

اما النساء ، فيخصص لهن يوم في الاسبوع ليرتدن النزهات العامة في السهل . كما ان الصديقات منهن يجتمعن — من وقت لآخر — ليقضين سحابة احد الايام في منى او عرفات او وادي فاطمة .. وهو واد مساحته ١٨٠ كيلومترا مربعا ، يمتد بين طريق جدة - مكة وطريق مكة — الطائف ، تحف به الجبال من الشرق والغرب ، وتتدفق عليه سيولا كثيرا ما تبلغ من قوة الاندفاع بحيث تصب في البحر الاحمر . ولهذا فهو كثير العيون والجداول . وان كان الجفاف الذى يزحف على شبه جزيرة العرب باسرها ، على مر السنين ، يهدد ثروته المائية ، حتى ان عيونه الجارية انخفضت الى حوالي عشر بعد ان كانت ٨٦٠ عينا منذ قرن من الزمن .

ويقال ان من اسباب التعجيل بانخفاض المياه الجوفية في الوادي ، انه يمد مدينة « جدة » بقدر كبير منها ..

الفارسة التي هزمت الرجال

ولعل وادي فاطمة — يحمل في اسمه شهادة



للمرأة العربية وجدارتها على تصارع الرجال ، فهو قد اخذ اسمه عن امرأة من خزاعة كانت تقيم فيه قبل الاسلام ، ويروى عنها انها كانت تنازل الفرسان فلا يقوى واحد على ان يهزمها .. وقد بلغ بها الجلد مرة ان ظلت ثلاثة ايام متوالية متصدية لعدو مغير ، فلم تنهزم . ولذلك اجمع قومها على ان يعهدوا اليها بمهمة الدفاع عن الوادي .

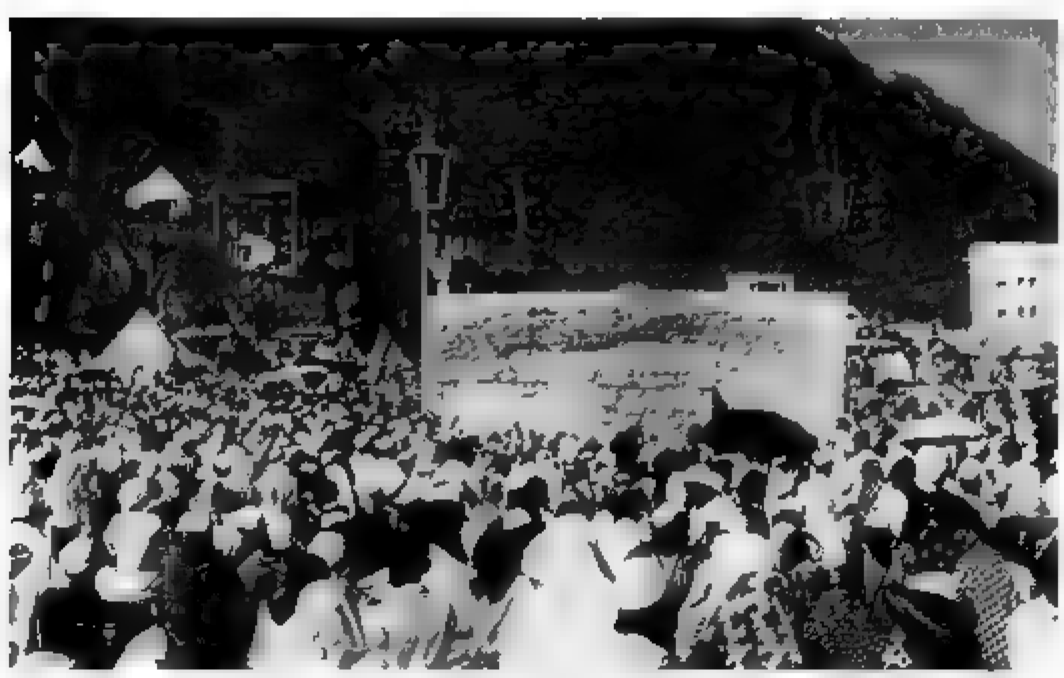
ووادي فاطمة منطقة زراعية ، تتألف من حوالي ٢٥ قرية ذات نخيل ، وتنتشر فيها مزارع الخضر والغلال والاعلاف . ولذلك فهي تعتمد - الى جانب الزراعة - على تربية المواشي والاغنام والدواجن .. وعلى صناعات تستغل فيها الخامات المحلية ، ويتولى النساء معظمها ، كالحصير و « الزنابيل » ..

عندما فتح المسلمون مكة

ووادي فاطمة - الى جانب هذا - ارتباط بحدث من اهم احداث التاريخ الاسلامي ، وهو : فتح مكة .

ففي هذا الوادي - الذي كان يسمى « مر الظهران » - نزل الرسول - عليه الصلاة والسلام - بجيشه وهو مقبل على فتح مكة ، بعد ان نكثت قريش عهدها وحاولت منع المسلمين من الحج .

وكان « ابو سفيان » - زعيم مكة في ذلك الحين - قد خرج الى الجبال المحيطة بالوادي ، يتجسس اخبار المسلمين ، فما لبث ان وقع في اسرهم ، وسيق الى رسول الله ، الذي بادره قائلا : « ويحك يا ابا سفيان ، الم يأن لك ان تعلم أن لا اله الا الله ؟ » . فوقع القول من نفسه ، وقال : « لو كان مع الله غيره لاغنى عني شيئا » .. وعاد الرسول يقول : « ويحك ، الم يأن لك



الحجاج يرجمون الجمرة الكبرى بسبع حصيات ، وهي في مدخل منى للقادم من مكة ، ويعتبر الرمي احياء لذكرى معركة ابينا ابراهيم مع الشيطان في هذه المنطقة وانتصاره عليه ، ويجب ان يكون في الوقت نفسه رمزا لترفع الحاج على نفسه من وساوس الشيطان ونزوات النفس

أن تعلم أني رسول الله ؟ ! » . ولكن بقية من العناد بقيت في نفس أبي سفيان ، بالرغم من شهادته بوحدانية الله ، فقال : « بأبي أنت وأمي ، أما هذه ، ففي النفس منها شيء » .

وهنا تدخل العباس – عم الرسول – وقد أدرك أن الرجل يعز عليه أن يفقد مكانته في مكة : فقال : « ويلك ، تشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك ! يارسول الله ، اجعل له شيئا يكون به في قومه » . يقصد أن يمنحه النبي امتيازا يبقى له شيئا من مكانته في القوم ، فقال النبي « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

وعندما دخل النبي مكة ، تفرقت قريش تعتصم برؤوس الجبال . وجاء أبو سفيان إليه قائلا : « يارسول الله ، أبيحت خضراء قريش . لا قريش بعد اليوم » . فقال الرسول مرة أخرى : « من دخل دار أبي سفيان كان آمنا ، ومن دخل دار حكيم كان آمنا ، ومن أغلق بابه كان آمنا ، ومن ألقى السلاح كان آمنا » .

دار أبي سفيان

أما دار أبي سفيان ، فلا يزال موقعها معروفا ، فهي عند « سوق الجودرية » ، في مكان يقال له « القبان » ، لأنه كان أول بقعة يمر فيها القصبة للوافد على مكة ، فيقف متجها إليها ، مسبحا بحمد الله ، أو ملبيا ، إذا كان حاجا .

وكان قد أنشيء عليها مسجد . ثم رأى السلطان العثماني « محمد خان الغازي » أن ينشيء عليها دارا للشفاء ، فبنيت المسجد بين جوانبها ، في سنة ١٠٨٦ هجرية .. وهي اليوم موصوف للصلاح .

أما « دار حكيم » ، فاختلفت الأقوال في موقعها .. فيرى البعض أنها كانت بجوار مسجد خالد ابن الوليد ، في « الشبيكة » – من أحياء مكة – ويرى بعض آخر أنها كانت على مقربة من باب الوداع .. وسواء كان هذا أو ذاك ، فالراجح أنها أزيلت تماما .

والحديث عن مكة ، في ماضيها المجيد وفي حاضرها المتطور ، لايكاد ينتهي .. ولكن حسبنا أننا هنا رسمنا صورة صادقة تساعد على أن

من خطبة الرسول الخالدة في حجة الوداع

« أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا » ....

« أما بعد ، أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم » .

« واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله » .

« أيها الناس ، اسمعوا قولي واعقلوه . تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين أخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم . اللهم قد بلغت » .

يعرف العرب المسلمون هذا الجزء المقدس من وطنهم الأكبر . وكذا العرب غير المسلمين ، فكل مكان يعبد فيه الله له مكان في كل قلب يعمره بالله الإيمان .

بقيت كلمة لابد أن تكون سريعة عن « مشروع توسعة المسجد الحرام » . فالمسجد الحرام هو المركز الذي تدور عليه الحياة في مكة .

لقد تعرض المسجد الحرام في عصور سابقة إلى كثير من أعمال التجديد والإضافة ، ليس هنا مجال تفصيلها . ولكن ازدياد انتشار الإسلام ، وتعدد وسائل المواصلات وسهولتها ، أديا إلى ازدياد عدد الحجاج عاما بعد عام ، حتى أصبح المسجد يضيق بحشودهم ، وحتى أصبحت الطرق المحيطة به تزدحم إلى درجة أن الزمن الذي كانت تستغرقه السيارة في الطواف حول المسجد ، امتد إلى ثلاث ساعات في بعض السنوات التي كثر فيها إقبال الحجاج .

لذلك وضع المشروع الذي يجري العمل فيه





منذ ثماني سنوات .. وهو يرمي الى ان تصبح مساحة المسجد ١٦٠.١٦٨ مترا مربعا ، وان تحيط به ميادين وشوارع تقام على جانبيها عمارات سكنية ضخمة .

واذا كان العرب هم الذين تولوا امر الحرم منذ عهد اسماعيل عليه السلام ، فان المشروع القائم للتوسعة مثال حي لمدى تعاونهم .. فلقد التزمت الحكومة السعودية بكافة النفقات ـ ادفعت تعويضا لاصحاب ٧٦٨ منزلا و ٩٢٨ حانوتا ازيلت للتوسعة ، مبلغ ٢٣٩,٦١٥,٢٠٠ ريال سعودي ، كما انفقت على اعمال الردم والبناء ـ حتى منتصف عام ١٩٦٢ ـ حوالي ٨٠ مليونا من الريالات ...

اما التصميم والاشراف على اعمال البناء ، فهؤلاء مهندسون مصريون .. واما التنفيذ فيقوم به عمال من سوريا وفلسطين والجمهورية العربية المتحدة وعدد من الدول العربية الاخرى .. يضاف الى هذا ان المشروع يعتبر بمثابة معهد لتدريب العمال الفنيين ، من ابناء المملكة السعودية .

كذلك كشف المشروع عن غنى المملكة السعودية بالخامات اللازمة للعمار الا ان كثيرا من المواد الاولية تستمد من موارد محلية .. حتى الرخام الذي يستخدم في اقامة الاجنحة الجديدة ، يقتطع من محاجر في مكة ، ويرسل الى جدة حيث يقطع

مناسك الحج

■ نورد فيما يلي مناسك الحج على الوجه الذي اداها به الرسول صلوات الله عليه ، وهي على ثلاث مراحل :

أ ـ المرحلة الاولى

تبتديء من يوم الاحرام الى يوم دخول مكة ، وتشمل :

١ ـ الاحرام : وهو الدخول في حرمات الحج او العمرة ، ويتحقق بالنية ، كنية الصلاة ، وله مقدمات منها الغسل وقص الاظافر وحلق ما اعتاد حلقه من الشعر ، او تسريحه ، وازالة شعر الابط . ويستحب التطيب بطيب لا يبقى منه غير رائحته بعد الاحرام ، وان يلبس المحرم نعلين او خفين ، وازارا ورداء ابيضين ؛ اذ يحرم لبس شيء يحيط بالبدن او بعضه كالقميص والسراويل والعمامة او تغطية الرأس (الا المرأة) او ستر



بعد أن ينتهي الحجاج من رمي جمرة العقبة يوم العيد ، ومن ذبح ما يكون عليهم من فدية يحلقون رؤوسهم او يقصرون بعضه كي يحللوا التحلل الاول ويلبسوا ملابسهم العادية

« خذوا عني مناسككم »
حديث شريف

الوجه واليدين او الاحرام في ثوب مصبوغ بماله رائحة ولو طيبة .

٢ ـ **طواف القدوم** : وقبل ان يدخل الحاج مكة يستحب ان يغتسل بذي طوى ، وهي من ضواحيها ، فاذا دخلها قصد الى المسجد الحرام فدخله من أي باب شاء ، والافضل من باب السلام ، ثم يبدأ طواف القدوم مستقبلا الحجر الاسود جاعلا الكعبة عن يساره ثم دار بها سبع مرات ، ثم بعد ذلك يقصد الى مقام ابراهيم فيصلي ركعتي سنة الطواف .

٣ ـ **السعي بين الصفا والمروة** : مبتدئا بالصعود على مدرج الصفا في طهارة تامة ، وهابطا نحو المروة ماشيا الا لعذر ، مهرولا حيث تستحب الهرولة ، حتى يتم سبعة اشواط متوالية .

ب ـ المرحلة الثانية

وهي تتلخص في ٩ مناسك :

١ ـ الاحرام بالحج لمن كان متمتعا او مفردا
٢ ـ الوقوف بعرفات
٣ ـ المبيت بالمزدلفة
٤ ـ الوقوف بالمشعر الحرام
٥ ـ رمي جمرة العقبة
٦ ـ ذبح الهدي او الاضحية
٧ ـ الحلق او التقصير
٨ ـ طواف الافاضة
٩ ـ السعي بين الصفا والمروة (لمن لم يسع من قبل)

ج ـ المرحلة الثالثة

وتتلخص المرحلة الثالثة في المناسك الآتية

١ ـ رمي الجمرات الثلاث
٢ ـ المبيت في منى ليلة عرفة
٣ ـ طواف الوداع

ويهذب ويصقل .. وقد بلغت تكاليف المتر المكعب منه حوالي ١٢٠ ريالا .

ولقد بدأ العمل في مشروع التوسعة في سنة ١٩٥٦ ، فاقيمت الاجنحة الجديدة ، بحيث يتألف كل منها من طابقين مقسمين الى ايوانات للصلاة تتخللها ممرات عرض كل منها خمسة امتار .. مع مراعاة امكان استخدام السطوح العليا للصلاة في حالة ازدياد عدد رواد المسجد .. كما يدرس امكان استخدام الطوابق الارضية « البدرومات » .

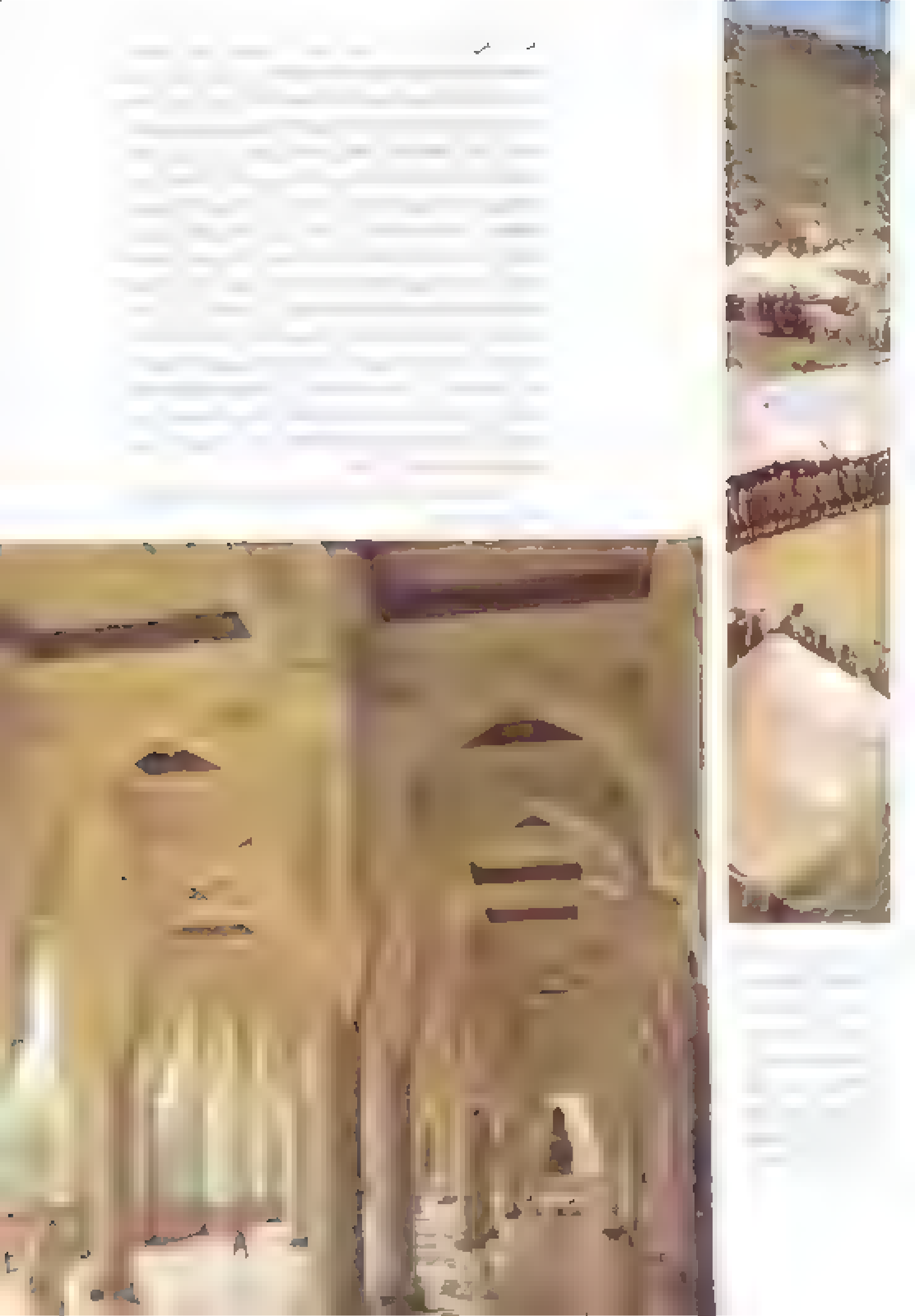
والاجنحة الجديدة تحيط بالحرم القديم ، الذي يتجه الرأي الى تركه على حاله ، تقديرا لقيمته التاريخية .. وان كان المبنى القديم لبئر زمزم قد ازيل من مكانه لانه كان يحجب الكعبة عن بعض المصلين .. واصبحت البئر ـ والشبكة المعدنية القائمة عليها ـ في نفق تحت ارض الحرم .. ويمتد منها انابيب فرعية الى الابواب الرئيسية الثلاثة ـ بحيث يقام سبيلان للسقاية عند كل باب .

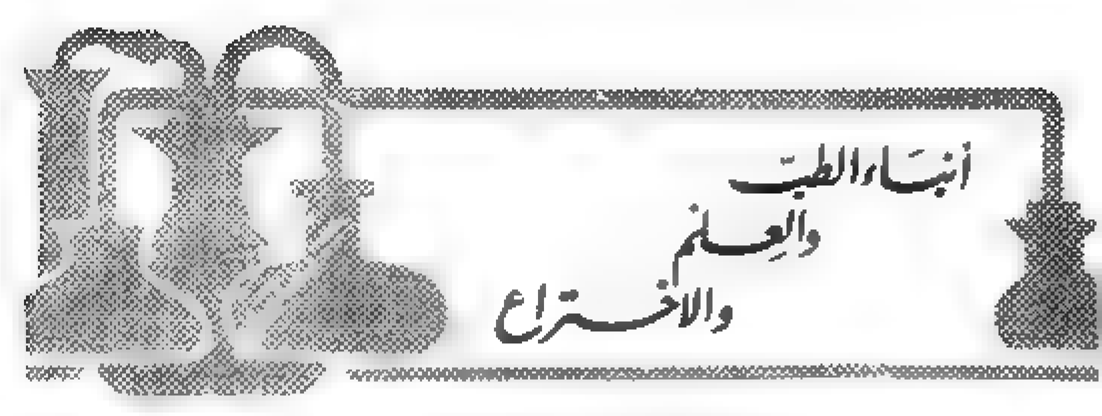
وليس من شك في ان المبنى بعد اكتماله ، سيغدو من اكبر واجمل المراكز الدينية في العالم ..

اما الحج ومراسمه فنترك للصور ـ تبيانهما .

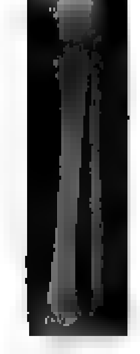
محمد بدر الدين خليل







عظام العجول ، مكان عظام الانسان



■ الحوادث التي تصيب الانسان كثيرة ، تلك التي فيها تتهشم عظامه او تتلف لسبب ما . وعندئذ يحتاج الجراح الى استبدالها .

وقد اتجهوا الى عظام العجول يستبدلونها بعظام الانسان ، ولكن بعد علاج لهذه العظام طويل ، يشمل نحوا من ٣٥ خطوة ، تستغرق نحوا من ٥ أشهر لاتمامها .

والسبب في ذلك ان احلال شيء من جسم ، في جسم آخر ، تقوم بمعارضة الجسم الداخل هذا الشيء اليه .

انها مناعة طبيعية . الجسم يأبى ان يحل به شيء الا ان يكون منه هو اما من قريب ، فلا . حتى العظام .

وقد استغرقت شركة اسكوب الاقربادينية Squibb ثماني سنوات للانتهاء الى هذه النتيجة . وهم يسمون العظم ، المعالج بهذه الطريقة التي تخرج منه العوامل التي تمنع التحامه بعظم انسان ، يسمونه بوبلانت Boplant . وهو يحفظ معقما في قنينات لمدة قاربتها عامان ، وفي درجة الحرارة العادية .

وقد انتفع الجراحون بهذه العظام في ٥٠٠ حالة ، اقرتها حكومة الولايات . والحالات التي تنقل فيها عظام مكان عظام في الولايات تبلغ ٧٠٠٠٠ حالة في العام .

والطريف ان دم المريض يجري في هذا العظم الجديد ، وبعد مدة يصنع الدم عظما جديدا مكان هذا العظم الدخيل .

كيف يحضرون شبابهم

■ ان كان لا بد من ذكر شيء واحد يسيطر على الحياة المعاصرة ، فلا شك هو العلم .

وان كان لابد من ذكر شيء واحد سوف يسيطر على الحياة المستقبلة ، فوق ظهر هذه الارض ، فلا شك هو العلم .

ومن هم رجال الغد وعلماؤه ؟ انهم شباب اليوم .

ومن اجل هذا تعنى الامم المتقدمة اكبر عناية بتحضير شبابها لهذا الغد ، المرجو ، والمخوف في آن واحد .

وبين ايدينا استعراض لما تصنع الولايات المتحدة في هذا السبيل ، يعرضه الدكتور وطسن ديفيس Davis ، مدير الخدمة العلمية بامريكا .

انه يقول ان بالولايات المتحدة مليون ولد وبنت في المدارس الثانوية موجهين وجهة علمية . وقد ظهرت على قليل منهم علائم النجابة والامل . وهؤلاء ينظرون الى الدنيا نظرات جديدة منعشة



الطيور ، تسمن ، وتنحف ، تبعا للفصول

● هكذا تعمل بها الطبيعة .

ان الطيور تشير الأرض شبرا ، وتقطع المحيطات عبرا ، حيث الدفء في الشتاء ، وحيث الجو المنعش في الصيف.

والطيران مجهود يحتاج لوقود . والوقود الحيواني دهن . لهذا يسمن الطير عندما يتهيأ للطيران البعيد حتى تبلغ دهنه ٥٠ في المائة من وزن جسمه.

وعلى العكس من ذلك ، يذهب عنه الدهن عندما يعتاض عن ريشه القديم بريش جديد ، أو عندما يتبع صغار الطير .

وعندئذ قد يهبط كمية الدهن في جسم الطير الى نحو ٥ في المائة من وزنه .

وحتى الطير الحبيس في قفصه ، لا ينسى عادته القديمة من سمن ونحافة . أو لا ينساها الطبيعة . فالفصول تدور عليه بالسمن والنحافة كما كانت تفعل به وهو حر طليق .

المستقبل في الحياة علمي لا شك فيه

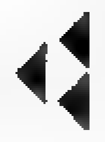
مستنيرا ، وهم الذين سيرودون البلاد في المستقبل بالكشف عن حقائق في العلم جديدة ، وهم الذين سوف يصوغون في العلم نظرياته الجديدة .

ويتضمن برنامج الشباب العلمي في الولايات قيام هؤلاء التلاميذ في مدارسهم الثانوية ، اولئك الذين بدا العلم يحل في صدورهم ويحرك آمالهم قيامهم باجراء وانجاز مشاريع علمية تعرض كل عام في سوق للعلم تقام في كل مدرسة ، من ١٥٠٠٠ مدرسة في الولايات ، ويساعدهم في تحضير هذه المشاريع ٢٠٠٠٠ من مدرسي العلوم ، هم الذين يتولون ادارة شئون النوادي العلمية الموجودة في امريكا .

ويرى الدكتور جاليبي ان هذه المشاريع والنوادي العلمية كان لها اثر كبير في تحويل اسلوب الدراسة العلمية في المدارس الى الناحية العملية التجريبية ، وهي قضت على الوضع الذي فيه يجلس التلاميذ الى مدرسي علومهم يسمعون له في كثير من الاحترام والسكون كما يسمعون الى موعظة في معبد . ان التلاميذ في هذه السن لا يزالون يشغفون باللعب ، وهم يتخذون من تلك المشاريع العلمية فرصا يشبعون بها شهوة اللعب في نفوسهم . الا انها شهوة علمية .

ويقام في الولايات المتحدة في كل عام معارض علمية Science Fairs يتبارى فيها طلبة مدارس الولايات بما انتجوا من مشاريع ، ويؤخذ منهم المستقبل صورة مختارة ، تعطى لها المكافآت ويستزيرها ساكن البيت الابيض في الولايات .

لقد اقيم اول هذه المعارض القومية عام ١٩٥٠ بمدينة فيلادلفيا ، وفي عام ١٩٥٨ صارت هذه المعارض دولية . فدخلها طلبة عارضون من اليابان ثم من كندا ، وسويرلاند ، والسويد وفرنسا ، وايطاليا ، وسيقام معرض عام ١٩٦٥ بمدينة سانت لويس St. Louis من ٥ الى ٨ مايو القادم .



الطائرة الحوامة لها مستقبل في الناس كبير

● انها الطائرة المروحة بالهليكتر .

وهى التى لها مراوح ترفعها وتوجهها .

ويقول أهل الاختصاص العارفون ان لها فى المستقبل ، فى الامم النامية ، بين المدن فى القطر الواحد ، لغرض المواصلات ، شأناً كبيراً . وانها اليوم ، من حيث دخولها فى حياة الناس ، تدخل فى حياتهم بسرعة أكثر مما دخلت السيارة فى حياتهم ، فى عهد طفولتها الاولى ، فى اوائل هذا القرن . وسوف تدخل حياتهم وتزيد كما دخلت السيارات .

وهم انما يستدلون على ذلك ، بخط المواصلات الاول الذى انشئته مدينة لوس انجلس . فهى انشأته عام ١٩٥٤ ،

الزراعة دخلتها

محصول الطماطم يزيد دخل

● ومحصول الخس يزيده ١٥٠ جنيها فى الفدان .

ومحصول الزهرة المزروعة بالكرنثنيموم يزيده ١٠٨٠ فى الفدان .

وهلم جرا ..

وهذا ما دلت عليه البحوث الزراعية التى أجريت فى بريطانيا والولايات المتحدة ، وفى هولندة .

وهى تشير بالطبع ، فى تلك المناطق ، حيث البرودة هى صفة الطقس ، الى الزراعة الجارية هناك فى بيوت الزجاج .

وهذه البيوت تدفأ طبعا ، كما تدفأ المنازل .

والزيادة التى تحدث فى محصول الطماطم والخس وغيرهما ، عن المحصول العادى ، تتراوح بين ١٦ و ٣٨ فى المائة حسب الخضار او الزهرة المزروعة أو نوعهما .

ولكن ما سبب هذه الزيادة فى المحصول ، التى تسبب هذه الزيادة الكبيرة من المال الذى يدخل جيب الزارع ، صاحب هذه البيوت ؟





صاحبه ١٠٠٠ جنيه فى الفدان

السبب هو غاز الكربونيك .

فكل مثقف يعلم ان هذا الهواء الجوى مؤلف ، الى جانب الازوت والاكسجين ، من غاز الكربونيك ، الذى هو الاكسيد الثانى لعنصر الكربون ، عنصر الفحم .

فهذا الاكسيد هو الذى يغذى النبات ، اذ تمتصه أوراقه الخضراء من الجو ، ومعه نور الشمس ، ومعهما الماء ياتيهما مصا من الارض ، وتصنع من كل ذلك مادة النبات ، من الياف واخشاب وفروع وزهور ، وثمار .

ان هذا الفحم ، فحم الاكسيد ، هو الاساس فى تركيب كل ما تأكل ، من طماطم ، الى خس ... واساس كل ما نشم من زهر وعطر .

فالحيلة ، لزيادة محصول هذه البيوت ، وهى من زجاج ، انما هى فى زيادة نسبة اكسيد الكربون هذا فى جو هذه البيوت الزجاجية .

ان نسبة الاكسيد فى الهواء العادى تبلغ نحو ٣ اجزاء من كل ١٠ آلاف جزء من الهواء . والحيلة انما هى فى زيادة هذه النسبة . ومعاهد الابحاث التى ذكرنا تنصح الزارعين الآن برفع هذه النسبة الى ١٠ اجزاء من كل ١٠ آلاف جزء من الهواء . ويكون هذا باحراق وقود مثل غاز البوتان (البوتا غاز) فى البيت او غاز البروبان ، او باطلاق غاز الكربونيك من انابيبه التى هو مضغوط فيها ، وهى تشترى من الاسواق .

بقيت درجة الحرارة . فهذه يجب رفعها الى نحو ١٨ درجة مئوية ، حتى يستطيع النبات عندها ان يلتهم فى النهار هذا المقدار من اكسيد الكربون فيزيد النبات حجما ، والثمر كبرا ، ويملأ بيت الفلاح سمنا وعسلا .

بقى ان نقول : ان هذه ليست زراعة بحتة . انها زراعة دخلتها الفانين من الصناعة ، تحتاج الى مرتبة من الذكاء ارقى ، وعقل أكثر تدربا على التكنيك واعم .

ولم يكن حمل فى ذلك العام غير ٢٠٠ راكب . وفى عام ١٩٦١ حمل ٤٢٠٠٠ راكب ، وفى عام ١٩٦٢ حمل ٨٢٠٠٠ راكب ، وفى عام ١٩٦٣ حمل ١٧١٠٠٠ راكب !

ويرى المختصون ان رواج هذه الطائرات فى المواصلات سيؤثر حتما على اشياء كثيرة مما ألفها الانسان فى حياته ، كابنية المدن وارتفاعها ، واتساع ساحاتها ، وحسن توزع هذه الساحات فى المدينة لتهبط الحوامات عليها . وقد تهبط على اسطح المبانى ، وعندئذ سوف يريدون فى سطوحها لتهبط عليها الطائرات .

كلية الموتى، مكان كلية المرضى

نظارة واحدة، للنظر القريب والبعيد، والقراءة

ركن الأسرة والمرأة

كان لي زوجتان لكل منهما أسلوب حياة !







■ نعم . انها زوجتان .

ربط القدر بين اولاهما وبيني ، ثم حل القدر ما كان ربط .

وارتبطت بالاخرى ، ومضيت امامها وهي معي ، على حين طالت ايامي .

ولم يبق لي من الاثنتين الا الذكريات الحميدة .

الاولى اقلين ، امريكية الاورمة ، عرفتها وعرفتني ، واحببتها واحبتني . وغابت عني فازددت شوقا . فاذا بي عند كبينة التلفون ، اطلبها من بلدها البعيد ، واحدد معها يوم الزفاف . واتفقنا عليه ، وعلى التفاصيل كلها . وقبل ان اضع السماعة قالت لي . نعم دفعة حتى اخبر اهلي . فالحق اني الى اليوم لم اذكر لهم حتى اسمك !

فهذا من الاولى .

لون من طلب اليد . ولون من الاستجابة اليه .

مدونك الثانية .

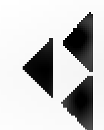
كانت ارمله ، اما من حيث الارومة فرنسية .

طلبت يدها فقالت نعم . شرطه ان ازور والدتها واطلب اليد منها .

وكانت سيمون احسن من اقلين .

وكانت مستقلة في المعيشة من والدتها ، لها بيتها الذي تركه لها زوجها ، ومع هذا لم تتصور ان تتزوج من رجل لم يسبق له ان نال رضى امها .

وبناء على هذا اشتريت باقة من ورد اصفر ، ولبست بدلة سوداء اللون ، وما هي الا ساعه او بعض ساعة حتى كنت في حضرة هذه السيدة الرائعه ، الام . فظهرت على وجهها دهشة طبيعة عند



نظرتها الاولى الي ، ثم اتصال يتضمن عاطفة رقيقة . لم اعترافها سكون ، لا شك كانت تتداول فيه نفسها وبين نفسها ، ماذا يكون حكمها . وفي هذه الاثناء اعتراني شيء طفيف من الاضطراب ، وبلعت ريقي اكثر من مرة . ولكنها خرجت من سكونها ، وأبتسمت لي ، وباركت لي ولاسيما في ما اعزمنا عليه .

* * *

ان الناس الذين يرون ان الابوة ابوة ، في اي ركن من الارض ، وتحت اي سماء ، مخطئون جدا .

ان زوجتي الاولى ولدت عند نهر اهايو باوسط امريكا ، وزوجتي الثانية ولدت عند نهر السين ، وقد اختلفت الاثنتان كاختلاف ما بين النهرين وما احاط بهما من صعيدين . وهذا الاختلاف الذي لا اقول عانيته ولا اقول تملته ، ولكن اقول خبرته ، ملأني ايمانا بالقدر الذي يمكن ان يودع النفس الانسانية من اختلاف في المزاج والعادة الشخصية .

احببت من افلين بما تنطوي عليها شخصيتها بالشعور الكامل بالنضوج ، ومع البلوغ الادراك ، وبمعرفة مالها من حقوق وما عليها من واجبات محددة لا يتطرق اليها الشك ابدا .

ان ام افلين الامريكية كانت من ذلك الجيل الذي اغتصب من ايدي الرجال ، اغتصابا ، مساواة المرأة بالرجل . ولكن افلين وجيلها لم يكن قد استشعروا بعد في نفسه التجربة التي نالتها قربا ، وامن نقائدها ، فهن يؤكدن هذه التجربة دائما باسلوب قد يزيد على الحد ، فيحرمن حرمة كبرى من الثقة بالنفس قد لا تؤدي دائما الى صحة الحال .

اذكر انها جاءت مرة متأخرة عن مشاتنا في حفلة من الحفلات ، فلما نبهتها الى ذلك ، قالت : ماذا كنت تريد ان اصنع وقد امتدت الحفلة فوق ما كنت انتظر ؟ ان اظل انظر الى ساعتي لم انظر ، اشعارا للآخرين بأن موعدي في البيت قد فات ، واتركهم بغتة من اجل ذلك ؟ ان هذا مهين للكرامة لا شك في ذلك

وفي مثل هذا الموقف ، قالت سيمون ، الفرنسية ، غير ذلك . قالت : لقد ظننت انك تفتقدني واوحشتك ، فتأخرت ، فاستمتع بشعورك هذا ، لهذا تعمدت ان اتأخر !

* * *

وادركت من هذا ، ومن امثاله ، ان سيمون ترى في علاقة الزوج بالزوجة ، علاقة لا بد ان يحييها دائما شرر من عاطفة . اما عند افلين فهي علاقة نبيلة بين شخصين معقولين .

كنت ، لانعدام الخدم حتى في تلك الايام البعيدة ، اتطوع طبعا بغسل الصحون بعد الطعام تحببا مني الى زوجتي ، فكان لهذا العمل اثران مختلفان في الزوجتين .

كانت افلين تعمل خارج المنزل في النهار كما كنت اعمل ، فاذا عادت طبخت ، وقمت انا بغسل الاطباق . وكانت لذلك ترى فيما اصنع شيئا عادلا . واني بغسل الصحون انما اقوم بشيء هو بعض نصيبي .

وغير ذلك كان اثر الصحون في سيمون .

كانت بعد الاكل تقوم عن المائدة فتقول . والآن بالصحون الى المطبخ . فاقوم واسبق واقول هذا عملي . وتحتج وتقول : بل هو من واجبي . والح فتستلم مغلوبة ، وهي تقول : واجبي ان امنعك من غسل الصحون ، ولكن ماذا اصنع مع زوج لطيف سمح كريم مثلك ؟

لم مسألة من سيد البيت ؟

هذه مسالة لم تؤرق سيمون ابدا . كانت تعتقد ان الحب هو كل شيء . وان الزوج اذا احب زوجته ، صارت مسالة السيادة في البيت مسالة تافهه . وكثيرا ما سمعتها تقول لاخواتها . ان المراة يجب ان تنظر الى زوجها نظرة رفيعة اذا ما شاءت ان تكون معه سعيدة .

اما املين فكانت ترى ، ولو لم تفصح بذلك : ان الرجل ، اذا لم ينظر الى زوجته نظرة المساواة . نظرة المثيل للمثيل ، فهو اذا طلبها ، فانما يطلب جسدا لارتواء من عطش لا ظل للحب الروحي فيه .

* * *

لقد عاشت زوجتي الامريكيه وهي تحاول دائما ان تعيش المبادئ المثاليه التي رسمتها للمراة الزوجه .

اذكر حادثة ملأتني بها اعجابا .

كنا في انتظار ضيوف . وقبيل حضورهم انجرحت قدم املين . وكان الالم شديدا فلم تستطع حتى الوقوف وحضر الاصدقاء ، وجلسوا ، ولعبنا دورين او ثلاثة من لعبات الورق ، وشربنا المتي واكلنا الحمص ، ولم يبن على زوجتي اي الم . لقد كتمته كتما . وفي تلك الليلة لم تستطع املين النوم . ولما رآها الطبيب في النهار ، ظهر انها قد كسرت ثلاث عظيمات في قدمها .

فهذا ما لم يكن في الامكان ان تصنعه زوجتي اللاتينية . لقد كانت تتالم لاي الم يمسها فكانما كانت تبحث عن الالام حتى اذا هي غابت ، كانت اسيرة حسها ، بينما زوجتي الامريكية كانت اسيرة عقلها .

* * *

وظهر اختلافهما في المطبخ ، لا ظهور المطبخ في ذاته وما ينتج ، بقدر ظهوره من حيث الدوافع التي دفعت اليه ، وكانت من ورائه دوافع الشخصية المختلفة .

كانت املين طباخة يعتمد عليها ، حتى لايمكن ان يقال انها طباخة ممتازة . وذوقها كان الذوق المحافظ وكانت تطبخ من غير توابل ولا بهارات ، ومن غير بهار .

اما سيمون فقد كانت تصب مزاجها الحار كله في كل لون تصنعه وتضع فيه من البهار كل صنوف الفلفل الذي عرفه الشرق .

كانت املين تعتز بانها تستطيع تجهيز وجبة طعام في ربع ساعة .

اما سيمون فكان أشهى ايامها يوم الاحد ، حين كانت تستطيع قضاء اليوم كله تقريبا في المطبخ .

وكان احسن طبق صنعته لي سيمون في كل حياتنا الزوجيه ، طبق طبخته عقب عراك قام بيننا ، لعله العراك الواحد الذي اذكره في حياتنا الزوجية ، ذهبت الى المطبخ والدموع تتساقط من عينيها . وسمعت آهاتها ، وسمعت اصوات المواعين ساعات . ثم خرجت منه آخر الامر بصحن من ثمر البحر ، اللوبستر ، كاشهى ما يكون ، ومعه طبق بالليمون مشحون ، ومع الطير المشوية وزيتون .

ومن الغريب ان هذه كانت طريقتها في التنفيس عن همها . الشاعر ينفس من همومه بالشعر ، وسيمون بالطبخ .

* * *

واختلف الاثنتان في تقدير الرجال .

دعينا الى حفلة رياضية . وفي مباراة التنس اشترك عن سيمون . كان زميلها رجلا ، وكانت لي زميلة امراة وكان زميلها رجلا طويلا عريضا حسن القسمات .

وبعد فراغ المباراة طلبت سيمون

فوجدتها تشرب فنجانا صبح وميلها . فالحق ان هذا اصاب قلبي بالحيرة .

وعند الزواج ، قالت لي سيمون هذا رجل ما اثقله . لم يمتع فمه بكلمه . وكانت صادقة ، فما عرفت فيهما الا الصدق .

كانت سيمون ، كاكثر النساء الفرنسيات ، لا يثير اعجابها طول جسم الرجال وعرضه وحسن القسمات . فرو النساء الفرنسيات يكون عبر آذانهن ، حديث ممتع ، وهمسه فاتنه ، ومدح ومداهنة .

اما افلين ، فكاكثر الامريكيات ، فزوجهن يأتي عن طريق عيونهن . يعجبهن الرجل ذو الستة الاقدام طولا فما فوقها . الرجل القوي ، ذو القسمات . ان افلين من جيل هو الجيل الثالث او الرابع للجيل الاول من المهاجرين الذين فتحوا امريكا ، وعاشوا منشئها . وكان الجسم ، وقوة الجسم ، والشجاعة الجثمانية هي اثمن ما عندهم من شيء . وورث الجيل الحاضر من الاجيال الغربية الماضية كل ذلك ، وورثته النساء .

اما سيمون فمن حضارة اقدم ، ساد فيها الرجال بحسن عقولهم ، وذلاقة لسانهم ، وجودة اقلامهم ، من منثور لهم ومنظوم .

* * *

كانت سيمون تحب المديح والاطراء ، وتعيش عليه ، تستنشقه ، كما يستنشق الانسان الهواء .

تهيانا مرة للخروج الى سهرة . وبينا نحن عند الباب ، شاقنا زيها . فعجبت بها ، ومدحتها ، وسوى اظافرها . فما سمعت ذلك حتى ... ولم الخروج اذن ... سهرة في البيت جميلة . وقد كانت .

وافلين لا شك كانت تحب المدح

ولكن لو انني اسرفت لها كما اسرفت لسيمون ، اذن لاوقفتني لتقول لي : عنك وهذه الثرثرة ، فهي لا تحسن الا بالنساء .

* * *

واختلفت الاثنتان في شيء آخر .

كان التسليم للزوج خلق سيمون . لم يكن عن فكر . كان عن وراثة . وراثة اجيال فرنسية طويلة . وكان هذا التسليم سر قوتها . وكانت تسلم تسليما كاملا ، كما يسلم الوثني عند وثنه . انه يفتدي ، ويؤمن بالفدية .

اما افلين فكان عندها ان في ساحة الحب يجب على المرأة ان تبقى على كامل عقلها . ولم يكن معنى ذلك عندها انها تكره الحب او انها لا تستمتع بالحب ، ولكن كان هناك في ركن من اركان عقلها شيء يرفض الرق باي صورة كانت ، ولو رقا في الحب .

* * *

لقد تحدثت عن زوجتي ، ولم اتحدث عن نفسي . من انا ؟

اذا كنت ظننت من حديثي اني لست امريكيا ، فقد صدقت ظنا .

واذا كنت ظننت من حديثي اني لست فرنسيا ، فقد صدقت ظنا .

والحق اني ولدت في اوروبا ، ولم تكن لي بموطن . وحملتني الرياح حمل اوراق الخريف ، وحطت بي في حيث لم اكن احسب . ورأيت من الدنيا اكثر مما كان وجب . وكانت من خبرتي ، خبرة زوجتيّ هاتين ، اذكرهما بالخير . وسميتهما بغير اسميهما حفظا لحرمتهما عليّ . وانما الاسماء ، كالبطاقات ، وكالمواطن . جواز مرور . ■

ج٢٠ ص

الكلية الصناعية

المصنع الذى يتخرج منه الجيل الفنى الجديد من أبناء الكويت

في هذا العصر لم تعد لأمة من الأمم حيلة بغير التصنيع .. وقد آمن الجيل الجديد من أبناء الكويت بذلك، فأقبلوا على التعليم الصناعي في رغبة وإصرار متمثلين في نظرات هذا الطالب

• بدأ بسبعة طلاب، أصبحوا اليوم ٦٠٠ طالب ◄

■ مجتمع الكويت يمر بمرحلة تطوير جذري في مفاهيمه وتفكيره ونظرته الى الحياة ..

كان هذا المجتمع – حتى وقت قريب – مرتبطا ارتباطا كليا بالبحر . اقتصاده وتجارته وحياته تعتمد كلها على اللؤلؤ والمتاجرة فيه .. ولم تكن هناك صناعة سوى صناعة السفن لارتباطها بالبحر ..

ثم كان الخير المفاجيء ، الذي انعم الله به على هذه البقعة من الارض ، بعد شظف من العيش ..

٧ مليون دينار للمباني

وبدات التغيرات السريعة الحارة تتوالى في جميع الميادين العمرانية والاقتصادية والثقافية في الكويت ، وكان للتعليم نصيب وافر من اهتمام ورعاية الدولة فقد قامت وزارة التربية والتعليم – دائرة المعارف آنذاك – بمجهودات جبارة من بينها ذلك المبنى الضخم الذي اقامته على مساحة ١٨ فدانا في منطقة الشويخ وتكلف سبعة ملايين دينار ، وجعلته مقرا للكلية الصناعية ..

سبعة طلاب .. فقط !

فتح هذا المعهد الكبير ابوابه عام ١٩٥٤ .. وانتظر المسئولون .. وطال انتظارهم للطلاب دون جدوى .. اذ لم يزد عدد الطلبة المقيدين عن ١٣ طالبا سرعان ما انسحب منهم ٦ وبقي ٧ طلبة فقط !

وكانت مرارة وأسى .. قالوا : ننتظر السنة القادمة ، وفتح اقساما اخرى لحفر الاثاث ، والحدادة ، والخراطة والكهرباء واللاسلكي والتركيبات الصحية .



امام « فرن مرجان » الذي يقوم بصهر النحاس والزهر والالومنيوم ، وتحويلها من مادة الصلابة الى السيولة ، وقف طالب يجرف المعدن المصهور



خراطة المعادن . اهم ما تعتمد عليه الصناعات الثقيلة والخفيفة على السواء ولهذا فهي في مقدمة ما يتلقاه طلبة الكلية الصناعية من مواد الدراسة

السبعة يصبحون مئتين

وفتحت الاقسام الجديدة ابوابها .. وتحرك الرقم من ٧ الى ٦٠ طالبا . ولم يكن هذا هو الرقم المنشود .. فقالوا : نضيف اقساما اخرى .. فظهرت اقسام : تجارة العمارة ، والسباكة ، والتملاج والحدادة واللحام .. وتحرك عدد الطلبة من ٦٠ الى ١٥٧ في عام ١٩٥٧ .

وبقي هذا الرقم شبه جامد في عامي ١٩٥٨ و ١٩٥٩ فلم يزد خلالهما سوى ٣٩ طالبا ..

ودامع المسئولون عن الكلية مبينين اسباب ضعف الاقبال عليها وقال السيد عبد الباقي النوري ، مدير الكلية السابق في تصريح له :

— « ان السبب في قلة الاقبال يعود الى عدم وجود وعي صناعي لدى الاهالي ، والى الفكرة الخاطئة المنتشرة في شرقنا العربي من ان التعليم الصناعي اقل مستوى من نواحي التعليم الاخرى » .

امتيازات .. ومكافآت سخية

... وعقدت الاجتماعات .. وابديت الاقتراحات لانقاذ الكلية الصناعية ، خاصة وان نهضة الكويت الحديثة ترتكز — فيما ترتكز — على التصنيع ، مما يستلزم اعداد جيل فني من ابناء البلاد يقوم بتنفيذ مخطط النهضة الصناعية الشامل .. وانتهت الاجتماعات الى الالتجاء لآخر وسيلة ممكنة ، لترغيب الطلبة وتشجيعهم على الالتحاق بالكلية فقررت الدولة منح كل طالب عند تخرجه مكافأة مالية تتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ دينار حسب سلوكه واجتهاده ، مع فتح باب البعثات الخارجية امام الطلبة المتفوقين ..

وكان الطالب في السابق لايجد طريق



الرئيس ... اجتماع مع المسؤولين في الكلية المهندس محمد أحمد موسى مدير الكلية ... المهندس عبد الله عبد الفتاح الأنوري ، المهندس محمد عبده مرجان ، يناقشون في البرامج تدريب الطلبة في المصانع الأهلية والحكومية

السيه يصححون سمعانه ..!



الكلبة تخرج مدرسها

اقبالهم على تعليم ابنائهم باسما من ابنائهم، واحساسهم بأن الامة التي تريد أن تتبوأ مكانا بين امم العالم لا بد وأن تكون امة لها مصانعها الآلية الميكانيكية التي تنتج انتاجا واسعا ، تستطيع به أن تعرض وجودها في ميداني الاقتصاد والسياسة » .

نظام التعليم .. ومراحله

ونظام التعليم في الكلية ، داخلي ، مجاني في جميع الاقسام ..

ويقيم الطلبة داخل ١٢ مبنى مقسمة الى حجرات تتسع لثمانية ، أو لستة ، أو لطالب واحد .

ويتناول الستمائة طالب ٤ وجبات طعام يوميا : الأولى في الصباح ، وتتكون من شاي وحليب ، مع مربى وزبدة وجبن ، او فول او بيض ... وفي الساعة العاشرة وجبة خفيفة مكونة من : شوربة، وسندوتش مربى مع تفاحة . اما الغداء فلحم مع خضار وسلطة وفاكهة وشاي .. والعشاء كفتة وبطاطس وفاصوليا ، وشوربة ، وفاكهة ، مع شاي وخبز ، وتتغير انواع الطعام على مدار ايام الاسبوع .

وفضلا عن هذا تقوم وزارة التربية والتعليم بصرف جميع الكتب والأدوات الدراسية والعدد والكساء مجانا ، وتوفر للطلبة جميع وسائل التعليم والنشاط الرياضي والاجتماعي والثقافي ، باشراكهم بجميع الجمعيات الثقافية والفنية ، تحت اشراف نخبة من اساتذة الكلية .

ويستغرق اليوم الدراسي فترة ٦ ساعات ومجموع الحصص المقررة ١٠

في قسم التبريد : الطلبة يتدربون على اصلاح الثلاجات الكهربائية ، ومكيفات الهواء





مجموعة من طلبة قسم اللاسلكي يتلقون درسا على جهاز تعليمي حديث وصل الكلية ، وهو نموذج لجهاز الاستقبال اللاسلكي مقسم على مراحل، يسهل للطالب فهم طريقة عمل هذا الجهاز المعقد..

حصة في الاسبوع ، منها ٤٠٪ تقريبا لدراسة مواد الثقافة العامة والمواد الفنية النظرية و ٦٠٪ لاعمال الورش

١١ صناعة مختلفة

وتنقسم الدراسة في الكلية الى مرحلتين :

١ – المرحلة الثانوية الصناعية او القسم الثانوي ، وعدد طلبته ٢١٢ طالبا، ومدة الدراسة فيه ٤ سنوات . ويقبل فيه الطلبة الحاصلون على الشهادة المتوسطة العامة .

٢ – المرحلة المتوسطة الصناعية ، او القسم المتوسط وعدد طلبته ٣٩١ طالبا . ومدة الدراسة فيه سنتان للحصول على الشهادة الصناعية المتوسطة يستطيع الطالب العمل بها في المؤسسات الصناعية ، وتمكنه من اكمال دراسته بالمرحلة الثانوية الصناعية .

ويتلقى هؤلاء الطلبة دروسا في ١١ صناعة مختلفة .. وتوزيعهم على كل صناعة كالآتي

١١٦ طالبا في قسم الكهرباء ، و ١١٢ في قسم السيارات ، و ١٢٦ في الصناعات الميكانيكية ، و ١٢٦ في اللاسلكي ، و ٦٣ في التبريد ، و ٤٢ في الاثاث والديكور ، و ١٨ في العمارة ..

ان التعليم في الكلية الصناعية أخذ ، في الاونة الاخيرة ، طابعا جديدا بعد ان ازداد الوعي الصناعي بين افراد الشعب، ونما بين طلبة الكلية انفسهم ، وبعد ان ازدادت المصانع في الكويت ، وشعر المسئولون بحاجتهم الى ايد فنية محلية



ورش الصناعات في الكلية تسمح لكل طالب بالتدريب على جهاز منفردا ، وهذه الصورة المقطع

وكانت هذه الأسباب مجتمعة هي السبب المباشر في ارتفاع مستوى الدراسة في الكلية ، حتى أصبح الطالب يلم بدروس اللغة العربية وخاصة مادتي الرياضة والعلوم الى جانب التدريب العملي على أحدث المعدات والآلات في ورش الكلية ..

هذا حتى يستطيع بعد تخرجه أن يواصل دراساته العالية بالمعاهد العليا بالخارج اذا اراد .

الكلية في مرحلة الانتاج

ان طلبة الكلية الصناعية دخلوا اليوم مرحلة الانتاج العملي الحقيقي ، فقد شاهدنا ٦ ماكينات دقيقة صناعية قام الطلبة بصنعها ، ومطلوب عليها اليوم .. فضلا عن العديد من قطع الغيار الصغيرة التي تم سبكها في معامل الكلية .

وقد قال لنا الاستاذ حامد السيد الرفاعي وكيل الكلية لشئون الورش :

« ان ابن الكويت اليوم اصبح يجد متعة في صهر النحاس والحديد وخراطة المعادن لصناعة الآلات والمعدات الدقيقة بيده ، في معمله الكبير الذي اصبح من اكبر الكليات الصناعية في وطننا العربي » .

ألا يحق لك انها ثورة حضارية هذه تعكس ومعالم المجتمع الكويتي . ■■

بقلم عبد الرزاق البصير

[illegible]

يدل على أن حب الإنسان للفن لا تحده حد من الحدود . فالهياكل التي

[illegible]

يرمي حب الإنسان للفنون .

وما أنني في حاجة لإيراد الأمثلة على ذلك . فانسر نظرة إلى الأشياء ترسم ما ذهبت إليه . على أن حب الإنسان للفن لم يكتف بما ذكرت [illegible] من أفكاره وآرائه . بل لم يكتف الإنسان بذلك وإنما أنشأ فنونا أخرى للتعبير عن آرائه وأفكاره ورغباته وخوالج نفسه كالموسيقى والشعر والقصص . والذي يعنيني هنا هو الحديث عن فن الشعر .

وفن الشعر كغيره من الفنون يستطيع أن يخلق للأشياء العادية التي تمر بمعظم الناس أو يحدث لكثير من الناس بخلق لهذه الأشياء صورة محببة للنفوس . وكمثال على ذلك هذه المقطوعة التي نظمها الأستاذ المرحوم عباس محمود العقاد . والتي تصور حالة ربما حدثت لمعظم الناس ، لكن فن الشعر استطاع أن يخلق لها صورة لا يمكن لمن أوتي حظا من الذوق الفني إلا أن يقف عندها معجبا بها أشد الإعجاب ، هذه الصورة هي أن الأستاذ العقاد رأى طفلة فوقف عندها ضاحكا ، واستطاع أن يجلب إليها الفرح فصلت بضحك حتى اقتربت من شدة الضحك ، ثم أراد أن يهيئها فاستصعب الطفلة . فما كان من العقاد إلا أن رفع مرآة إلى وجه الطفلة ، فرأت صورتها فيها . فخيرها العقاد بين أن تقبله أو تقبل الصورة التي في المرآة . وقد ظنت أن الصورة طفلة حقيقية فسمحت له بالتقبيل

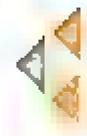
هذه الحال لا بد وأنها عرضت للكثيرين منا . ولو أراد إنسان أن يقصها علينا لأعرضنا عنه أشد الإعراض . لكن العقاد قصها علينا في مقطوعة شعرية لطيفة . فاسمعه كيف يقول

[illegible]

وأنت حين تقرأ هذه القطعة لا يمكنك إلا أن تقف عندها معجبا بها أشد الإعجاب .

وهذا هو الأخطل الصغير يخاطب ابنته وداد حين بلغ العشرين من عمرها فيبرز لنا خوالج نفسه . وليس من شك أن كل أب لا بد وأن تطوى جوانحه على مثل هذه الخلجات لكنه لا يستطيع أن يبرزها في مثل هذه الصورة الفنية التي تأخذ بالألباب ، فاستمع إليه وهو يقول

[illegible]



توهـدى فـي خاطـري
وحـبي وفـرقي
تـبعث الاحـلام فـي
نفسي وتسقيها سدى
شـرود . هـل يا ربيـ
ـع للصـبا وعيـد
وتشـرق الزهـر باحـ
ـث الزهر والطرب وانشـد

اليس كل اب يخاطب ابنه او ابنته بمثل هذا الذي جاء في هذه الابيات . فانه مما لا شك فيه ان كل اب يرى في ابنه او ابنته مثل هذه الطفولة وفي مثل هذا الجمال . ولو جردت هذه المعاني من الشعر لاصبحت من الاحاديث العادية التي ينثرها الاباء على ابنائهم كل يوم على وجه التقريب . ولكن فن الشعر البسها هذا الثوب الطريف .

وهـذا هو الاستاذ علي جليل الوردي يفضي الينا بحديث ربما لا يجرؤ ان يحدثنا بمثله الا القليل من الناس ذلك لان في هذا الحديث شيئا من الخروج على التقاليد . فلنسمعه حيث يقول :

حـب بحـب وحـنين
ان المحـب رهيـن
ما يـزين صـفحات الدنيا
سـة ان غلبـت عـن يوحـين
كـم جثتهـا لا للـدرا
سـة بـل لاتمـم لربـين
واجـيـل طـرفي رانـا
مـا يـبين زهـين خـدودهن
ولكـم لحظـت اسرافهـن
سـب وخشـية الرقبـاء سـنة
ليصيلت وجـهي للكتـاب
ومـا الـري لوجـوههـن
ليـبرحـن فالـمـن
الـى حبيـباء محجـبـين

الست ترى معي ان ابداع فن الشعر هو الذي جعل هذا الحديث محببا الى القلوب ؟ ولولا فن الشعر لكان هذا الحديث سمجا لا يقبله احد . فالشاعر يخبرنا انه لم يكن يأتي المدرسة ليرتشف من ينبوع العلم . وانما كان يأتي المدرسة لينهل من ينابيع الجمال . والقصيدة طويلة . وهي كلها على هذا النسق .

ولست اشك انك قد سمعت كثيرا عن رجل وامرأة جلسا بعيدين عن الرقيب يتناجيان حينا ويستمتعان بجمال القمر حينا آخر . ما اظن الا انك سمعت كثيرا عن مثل هذا المثال . بل اعتقد انك شاهدت كثيرا من هذا النمط . فهي من الامور العادية التي تحدث للناس في كثير من الاحيان . ولكن هلم معي لتقرأ هذه الصورة التي رسمتها شاعرية الاستاذ صالح جودت وفي اعتقادي انك اذا ما وقفت معي عند هذه الصورة فستظل معجبا اشد الاعجاب حتى كأنك لم تشاهدها ، او تسمع عنها الا الآن . كل ذلك بفضل فن الشعر :

رانـي اطـل لافـق الـ
ـ ولـيـو الى القمـر الاحمـر
فقالت ايـسك هـذا الجـمـد
يـد جنونـك بالقمـر الاسمـر ؟
قلت : هـذا الـهوى ان تـا
ري هـذا الـسي المشـرق النـر
ومـا شـدوه في حـساب الجمـا
ل يالطـف مـن شـداك السحـري
ومـا وهـمه وشـعاعاته
ماعطـف مـن طـرفك الاحـور

وانا موقن كل اليقين ان قلبك لا بد وان يهفو الى الجمال لان الميل الى الجمال من الميول الطبيعية للبشر . اذن فلا بد وان عينيك قد وقعتا على فتاة البسها الله ثياب الحسن فظل قلبك يخفق حينما وقع عليها نظرك فبليت متمتما تتمتم بعبارات غير مفهومة . لكن هذا الشاعر حينما صادف مثل ما صادف كثير من الناس تعرفه فنه الشعري فعبر عن الناس بهذه القطعة التي زاد من جمالها محمد عبد الوهاب حينما لحنها بلحن من الحانه الحلوة . وما من شك ان كل من اوتي ذوقا رقيقا لا بد وان يقف حينما يسمعها ويقول ولو ما بينه وبين نفسه لله در الشاعر والموسيقار فقد نطقا بما يريد ان ننطق به :

الصـبا والجمـال ملك يديـك
اي تـاج اعـز مـن تاجيـك
نصـب الحسـن عرشـه فسالنا
من تراهـا له فـدل عليـك
فاسكبي روحـك الحنون عليه
كانسكاب النسمه في عينيـك
كلمـا نامي الصبـا بجمـال
عبقري السنا تشـاه اليـك
مـا تخش الهـزار الا ليحكي
زفـرات الغـرام في اذنيـك
سكر الروض سكرة صرعتـه
عنـد مجرى العبير من نهديك
قبل الـورد نفسـه حسدا منـ
ـك والتي نفسه في وجنتيـك
والفراشـات ملت الزهـر لما
حدثتهـا الانسام عن شفتيك

رقصوا حسك لتحسال مثالا
واسعوا خشيما عملي تحيك

ولو اردت التنزه معك في رياض الشعر وان اقف معك عند كل صورة رسمها شعراؤنا الماضون لطال بنا الحديث وامتدت النزهة . ولكني اكتفي الان بما رويت . ولكن اني قد دللتك على بعض ابداع الفن في الشعر . ولعلك بعد هذا لا تعجب بعد هذه النزهة القصيرة حينما تسمع اصحاب الحس الرقيق حينما يعجبون بصورة من صور الفن فيعبرون عن اعجابهم بان هذه صورة ساحرة او صوت ساحر لان الفن الرفيع يفعل مثلما يفعل السحر بالنفوس .

وانا على مثل اليقين ان بعض الناس يحب معرفة السر الذي مكن فن الشعر من هذه القدرة الساحرة بحيث استطاع ان يجعل الصور التي تمر بنا كل يوم صورا معجبة لا نمل من الوقوف عندها والتأمل فيها . والحق ان توضيح هذا الامر صعب اشد الصعوبة بدليل ان القدماء والمحدثين تحدثوا عنه فاطالوا الحديث وذهبوا في ذلك مذاهب لا تحصى . فمنهم من اعتقد ان السر يكمن في انتقاء الكلمات وملاءمة بعضها البعض ومنهم من رأى ان السر كامن في المعاني دون الالفاظ ، ولكني اميل الى ان السر يكمن في الامرين معا . فالكلام المنمق دون معان لا تهواه النفوس ، كما ان المعنى يحتاج كلام يلائمه لا تهواه النفوس ايضا . ولقد اجاد ابو الهلال العسكري حيث قال : « ان الكلام الفاظ تشتمل على معان تدل عليها ويعبر عنها فيحتاج صاحب البلاغة الى اصابة المعنى كحاجته الى تحسين اللفظ .. لان المدار على اصابة المعنى .. ولان المعاني تحل من الكلام محل الابدان والالفاظ تجري معها مجرى الكسوة ومرتبة احداهما على الاخرى معروفة .. » .

ونحن اذا ما تأملنا هذه الفقرة نجد ابا هلال العسكري قد سبق والتربانز في هذا التشبيه ، فقد سأله قرائه عاريس مرة عن اجمل ما في الصياغة فاجابه : « اشياء كثيرة — ولكن اهمها فرحة الخلق الفني .. فانا اذا ما كتبت جملة واحدة كاملة — يكون فيها اللفظ الفكرة كسا كاملا فلا يكون شيئا بحيث يبدو الفكرة عارية بعض الشيء ، او متسعا اكثر من اللازم ، او ضيقا اكثر مما يجب ، ليجلب الانتباه للفظ دون الفكرة — بل يجب ان يكون اللفظ مساويا للفكرة .

وليس شيء أعجب عندي من اولئك الذين يرون رفعة الاسلوب في الكلام المعقد والمعاني الغامضة ، فتراهم يعرضون عن الكاتب حين يكون واضح المعنى فترة الاسلوب ، بحجة ان هذا اللون من الكتابة لون يسهل استعماله لكل من يريده .

ولقد وصفهم ابو هلال العسكري هؤلاء وصفا صحيحا حيث قال :

« وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا بكد ، ويستفصحونه اذا ما وجدوا الفاظه كزة غليظة ، وجاسية غريبة ، ويستحقرون الكلام اذا رأوه سلسا عذبا وسهلا حلوا .. ولم يعلموا ان السهل امتنع جانبا واعز مطلبا وهو احسن موقعا ، واعذب مستمعا ، ولهذا قيل اجود الكلام السهل الممتنع » .

وفي اعتقادي ان المرحوم ابا هلال العسكري قد وفق كل التوفيق في وصفه لاولئك الناس الذين لا يستجيدون الواضح ، وفي وصفه الكتاب المتمكنين من الكتابة .

ولا احب ان انهي هذا الحديث قبل ان اروي لك هذه القطعة التي صور فيها ابن الرومي حالة المطربات اللواتي يضربن على آلة العود فهي مع شدة وضوحها واشراق اسلوبها ترسم لك صورة صادقة دقيقة تجعلك لا تمل من تأملها ، والوقوف عندها وهي تدل على تمكن ابن الرومي من فن الشعر . فليس كل احد يستطيع ان يرسم مثل هذه الصورة . يقول :

وقيــــان كأنهــــا امهــــات
عاطفــــات على بنيها حوان
مطفـــلات ومـــا حملـــن جنينا
مرضعــــات ولـــن ذات لبـــان
ملقمــــات اطفالهــــن لديها
باحســــان كاحسن الرمـــان
مفعمــــات كأنهــــا حافــــلات
وهي صفر مـــن درة الالبـــان
كـــل طفـــل يــدعى باسماء شتى
بيـــن عـــود ومزهـــر وكـــران
امـــه دهرهـــا تترشفـــه
وهو ملأى الفمي من الترجمان
لغـــري في الـذي يصيح اليـه
اسرات المحبرون والعـــدلان
ذات صوت تهزه كيف شاءت
مثـــل ما هـــزت الصبا غصن بان
تتثنـــى فيتعش الطفــــل منه
في تثنيه مثـــل حسب الصمان
حبوتك بـــلا عقـــاد على الا
ـسع مشـــوب بقتـــه القسرلان

الكويت — عبد الرزاق البصير



بقلم
الدكتور حسين مؤنس
مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد



في نفسه ، وهو يشتد في سيره : « لم يبق الا القليل ثم أشترى حصة عم رمضان ! » ثم أخرج منديله الأبيض ومر بــه على جبينه وجوانب وجهه كأنه يجفف عرقه ، ولم يكن به عرق ، فان الجو كان باردا في هذه الساعة الباكرة من النهار ، ولكنها احدى مستلزمات الاناقة التي يحرص عليها توفيق سالم هذا ، أو « سي توفيق » كما يعرفه أهل الحي ، وهذه الاناقة هي رأس والسلي شهرته ...

ثم انحرف الى شارع القناوي ، فبدت له عربة اليد البيضاء الناصعة التي يبيع عليها عم رمضان بليلته المشهورة ... عربة تقوم عليها صينيتان ، واحدة تطبخ فيها بليلة القمح ، والأخرى بليلة الذرة ، وحول الصينيتين ، ومن خلال البخار المتصاعد رأى توفيق صف الأطباق الصغيرة البيضاء ، وكوم الملاعق وآنية السكر الناعم ، وجوز الهند المفروم ، واللوز المجروش ، وزجاجات ماء الورد والزهر ، وبنات وصبيان الحلوا في أيديهم الأطباق ، أرسلهم أهلوهم مبكرين ليحصلوا على شيء من هذا « البوردج » المصري الأصيل قبل أن ينفد ، لأن عم رمضان لا يصل الا الى الطاهرة صباحا ، من السادسة والنصف الى تلك الساعة يكون قد باع ست قدور من بليلة القمح ، واربعا من بليلة الذرة ، يصب القدر في الصينية ، فاذا فرغت صب الأخرى ، والناس تتزاحم وتتضارب . نحن الآن قبيل السابعة ، ولكن تعال في الثامنة والنصف مثلا وحاول أن تفوز بصحن من طعام الجنة هذا ...

وعم رمضان فنان عظيم يعرف قدر ما يعمل ، انه يلف بالفوطة البيضاء الناصعة صلاة حسن رقبته ، يغرف من هذه الصينية مرة ومن الأخرى مرة بمصاحب شديد حرصا على الرحيق المختوم ، وهو يردد في صوت عال جميل : صلي على النبي ! .. صلي على كحل السود .. صلي على اللي يشبع قلبك ، وهو يمد صوته يقول « صلي » حتى يسترعي الانتباه ، والى جانب الحائط ، وقف في تلك الساعة الباكرة خمسة أو ستة يأكلون في صمت ، وفي أيديهم الأطباق الصغيرة ، وعم رمضان ينظر اليهم كأنه يتعجل فراغهم من الأكل ، ليأخذ الأطباق ، ويناولها الغلام ليقوم بغسلها الى جانبه .
وبين الحين والحين يتوقف عن العمل لحظة ليمسح عرقه المتصبب بالفوطة المعلقة في رقبته ، ثم يعيد فتل شاربه الأسود الفاحم المصبوغ ، وربما فتح صندوق النقود والقى نظرة عجلى يبحث في صدره بردا وسلاما ، فمن هذا الصندوق يبني عم رمضان في العباسية ـ كما يقول الناس ـ عمارة يقولون انها ستصل الى عشرة أدوار ...

وابتسم عم رمضان عندما رأى سي توفيق ! فحياه ثم سأله : قمح أو ذرة ؟
ففكر توفيق قليلا ، ثم قال :
ـ يلاسي الك بليلة قمح ..
فقال رمضان وهو يتناول طبقا صغيرا ، ويضع المغرفة في صينية بليلة الذرة .
ـ الان فاليوم ذرة .. بالهناء والشفاء يا ابن الناس .

وعملت يده تعمل .. وضع في الطبق مغرفتين كاملتين دليلا على احتفاله بسي توفيق ، ثم أربع ملاعق من السكر واثنتين من جوز الهند ومثلهما من اللوز ، ثم أفرغ على ذلك كله قدرا محترما من ماء الورد ، ثم ناول الطبق لسي توفيق ، مع ابتسامة عريضة ، وعادت يده بالقرش ، فألقاه في الصندوق ، والتفت ناحية أخرى ومضى يغرف في الأطباق ويضع القروش في الصندوق ..

وأكل سي توفيق الطبق الشهي ، وأعاده فارغا لعم رمضان وحياه ومضى ، ثم أخرج المنديل الأبيض ومسح فمه ووجهه وأعاده الى جيبه بعناية .. وبعد خطوات انحرف الى شارع البقلي وبدا له

سي توفيق

المنزل الذى يقصده من بعيد . منزل الحاج عبد السلام صاحب الدكان الكبير الذى يعمل فيه . ونظر سي توفيق فى ساعة يده فاذا هي السابعة وخمس دقائق ، وابتسم فقد وصل فى الموعد كما هي عادته كل يوم .

★ ★ ★

وفى الطريق مر بضريح الشيخ عطيفى على الجانب الايمن من الشارع . ضريح صغير متواضع بين بيتين عاليين جديدين ، ومن خلفه شيء اشبه بالبيت الخرب . انه بيت وقف . لا يلفت الانظار الى هذا الضريح الا شباك مطل بمحاجز من حديد طلاه الصدأ . هذا الشباك لا يعلو عن الارض غير ربع متر . امام هذا الشباك وقف ـ على العادة فى كل يوم ـ ذلك القط الشمشى الكبير ذو الرأس الضخم . وقف يلعق كفه ويمسح به وجهه ، ويحك جلده بالظافره حينا وبفمه حينا آخر . عملية ضخمة شاقة تبعث على الاعجاب بهذا الحيوان الصبور ، كلما مر انسان توقف القط عن العمل ونظر اليه نظرة كلها ريبة . عندما رأى سي توفيق عاد الى العمل دون اكتراث لانه يعرفه جيدا .

هذا القط الشمشى مقيم فى ضريح الولى وهو حارسه . احساسه كقط هو ان هذا بيته والمقام والشيخ ملكه . هنا يعيش من سنوات وقد قضى على كل حشرة او دابة سولت لها نفسها ولوج هذا العرين . انه الوحيد فى الدنيا الذى يعنى

بامر الشيخ عطيفى وضريحه ، فقد عدا عليه الزمان وربما يطغى فى اطواء النسيان . ربما كان الشيخ عطيفى مسئولا عن ذلك العمى ، فقد قلت كراماته جدا خلال السنوات العشرين الاخيرة . لم يعد يتولى علاج المرضى او يتوسط لذوى الحاجات . كانت النتيجة ان اهمل الناس كسوة ضريحه فبهتت وتهلهلت وعلاها التراب ، وقلت الشموع المهداة اليه شيئا فشيئا ثم تلاشت ، وعندما ابتنى الحاج عبد السلام العمارة الضخمة الى جواره وارتفعت هذه العمارة ثماني طبقات ، لم يعد للشيخ عطيفى فى الحقيقة وجود ، وانتهى امره الى رعاية القط الشمشى الكبير ...

قرا توفيق الفاتحة للشيخ فى صوت غير مسموع ، ثم وقف امام بيت الحاج ، وتناول اليد الحديدية الصغيرة الممسكة بالكرة ، ودق بها الباب دقتين اثنتين فى غاية الرقة والتواضع ، ثم التفت وحدق النظر فى عمارة سي الحاج عبد السلام التي ابتناها قبالة بيته ، ثم هبط ببصره الى مقام الشيخ المجاور لها ، ووجد ان القط الشمشى قد فرغ من عمليات الاستعداد لجهاد اليوم ، وتمطى ، ثم جلس ساكنا وعيناه تنظران يمنة ويسرة ...

ورفع توفيق يده ليدق الباب مرة اخرى ، ولكن يده جمدت على اليد الحديدية الصغيرة الممسكة بالكرة ، لان الباب فتح وبدت ام بهية



الطاقية العجوز بوجهها الصبوح الذي يبعث البشر في النفس ، وقد لفت رأسها بطرحة بيضاء أخفت شعرها الأبيض . ابتسمت عندما رأت توفيق وحيته في مودة ، ودخل ومشى في تؤدة نحو الحجرة القائمة في الحوش بينما كانت هي تغلق الباب . قبل أن يدخل الحجرة قال : يا ساتر ! مرتين ، ثم دخل وجلس على طرف كرسي وشبك يديه في حجره وأخفض رأسه في حياء ، ثم أخرج المنديل ومضى يمسح وجهه . عندما اطمأن الى أن أم بهية قد ابتعدت وأخذت تصعد سلم البيت أفرج عن نفسه فاستراح في المقعد كله وأسند ظهره الى ظهره ، ومضى يتأمل الحجرة ، بل جرؤ وأخذ ينقر بأصابعه على خشب كرسي مجاور ، ثم مر بيده على شعره ، وبأصابعه على حاجبيه وشاربه ، ولمح هنا وهناك بعض الاضطراب ، فأخرج المشط ومضى يسوي ، ثم مر بيده ليتأكد من أن الاصلاح قد تم بإحكام . ثم أخرج مرآة صغيرة مستديرة ، ونظر فيها ، وأدخل تعديلات طفيفة ، ثم سمع وقع أقدام أم بهية مقبلة ، فأخفى المشط والمرآة ، وأخفض رأسه في حياء وانتقل الى طرف الكرسي ، وشبك يديه في حجره وجلس صامتا .

ودخلت أم بهية ، ووضعت أمامه صينية القهوة ، وأفرغت له القهوة في الفنجان ، وقالت له :

— اشرب يا ابني على مهلك ... لايزال الحاج نائما ، عندما أوقظه سأناديك من الشباك .

ورفع فنجان القهوة وأدناه من أنفه قليلا ليستمتع بعطر القهوة قبل أن يشرب ، ثم أخذ يرشفها على مهل قطرة قطرة . كان فنجان القهوة هذا هو الجزء الثالث من افطاره كل يوم . الجزء الأول هو طبق الفول أو البيض الذي تعده له أمه العجوز — وهي كل عائلته — قبل أن يبارح البيت ، والجزء الثاني طبق البليلة عند عم رمضان ، وهذا هو مسك الختام . انه شاب بسيط ليس له في الدنيا الا أمه ، والعمل الذي يقوم به في دكان الحاج عبد السلام في الغورية ، ولا لذة له في الدنيا الا الطعام والأناقة التي تسبي العشرات من صبيات الدكان الكبير أو المحل كما كانوا يسمونه . الشعر [illegible] اللامع المفروق على اليمين ، والشارب القصير المقصوص بحساب ، والقميص الأبيض تزينه رباط الرقبة الحريري ، والجاكتة القطنية المكواة يطلع من جيبها منديل حريري من لون رباط الرقبة ، والبنطلون الرمادي الذي تستقيم كسرته كحد السيف ، وكل هذا يقوم على قاعدة من حذاء نظيف أسود في الشتاء وأبيض في الصيف .

ونادته أم بهية من النافذة ، فنهض والقى وأعاد مراجعة كل شيء : الشعر والشارب والحواجب ورباط الرقبة ، ومنديل الصدر وكسرة البنطلون التي تبدو كحد السيف ، ثم أحنى رأسه ونظر الى الأرض في حياء كأنه « مذنوبا » وسار على مهل وهو يقول : يا ساتر ! يا ساتر ! وصعد السلم : « يا ساتر » ! ودخل الردهة ثم القاعة الوسطى : يا ساتر ! ووقف قبالة باب حجرة نوم الحاج صامتا كأنه عابد يلتمس البركات من كاهن الوثن . كانت الحاجة وراء الباب ، فحيته تحية الصباح ، ثم مدت يدها فناولته مفاتيح الدكان في يده . أخذها دون أن يرفع بصره وحيا ومضى ، ونزل السلم ، وعبر حوش البيت ثم خرج من الباب وأحكم اغلاقه خلفه ، وأخرج المنديل ليمسح عرقه ، ونظر الى مقام الشيخ عليش . كان القط الشمشي قد اختفى . ومضى ودخل معركة اصطياد الطعام .

وسار توفيق على مهل في طريقه الى الدكان . كما كان يفعل كل يوم . لم يكن له مفر من أداء هذه الطقوس لأن الحاج عبد السلام لا يثق الا فيه ، وهو لا ينام في الليل الا ومفاتيح الدكان تحت وسادته . في الساعة السابعة صباحا لا بد أن يأخذها بيده من الحاجة . عندما يدق بدقتيه الرقيقتين المتواضعتين تستيقظ الحاجة بعد الليل ، توقظ الحاج وتستأذنه في أخذ المفاتيح . يسلمها في يدها لتناولها لتوفيق عندما يصعد . بعد هذا يعود الحاج الى النوم . ينعس ساعة أو نحوها ، ثم ينهض ليكون في الدكان حوالي التاسعة . هناك يجد « توفيق » قد فتح المحل وتثبت من حضور العمال والموظفين وأشرف على التنظيف والترتيب ، وبدأت عمليات البيع وسارت سيرها العادي في كل يوم .

* * *

أثناء هذه الطقوس كلها كان شيء آخر يجري يتخطى النظام . شيء لم يكن لتوفيق به علم ، ربما كانت أم بهية تعرف عنه شيئا ، ولكن أم بهية كانت بئرا عميقة . عندما يتردد في الجو صدى الدقتين الرقيقتين المتواضعتين كانت سوسن ابنة

الحاج تقفز من فراشها الى النافذة لتتأمل سي توفيق وهو داخل . انها تنام مع بهية في حجرة واحدة ، وبهية تستيقظ في السادسة صباحا لتؤدي عملها الرهق في البيت . ويقطع توفيق حوش البيت بين عيني سوسن . كانت تتأمل في اعجاب بالغ شعره الاسود اللامع المفروق على اليمين ، وسوالفه الطويلة التي تنساب على جانبي وجهه بقدر وحساب ، وعينيه اللتين تنظران الى الارض ابدا ، والشارب الانيق الصغير ، والجاكتة الكوفة يطل من جيبها المنديل في هيئة الاهرام ، وكسرة البنطلون تنساب كحد السيف ، ثم المنديل الابيض يمسح العرق الموهوم ..

ويختفي سي توفيق في الحجرة ، وتظل سوسن في مكانها حتى يشرب قهوته وتناديه ام بهية ، فتراه سوسن وهو يقطع الحوش ، ويختفي في بئر السلم ، وتسمع صوته : يا ساتر ! يا ساتر ! وهو يصعد السلم ، ثم يدخل باب المسكن ، ويمر على قدر شبر منها ، لانها تنتقل الى باب غرفتها ، وتنظر من شقه ، وتشم هذا العطر القريب الذي يعطر به منديله . لقد بلغ من اعجابها بهذا العطر ان قطعت السوق كله باحثة عنه ، انه يسمى « فينوس » . ثم تراه واقفا امام الباب ينتظر المفاتيح ، ويمر بها مرة اخرى ، ثم اصغى لسمع انفاسها ، ويهبط السلم فتجري الى النافذة ، وترنو ببصرها وهو يغلق الباب خلفه ، فتعود الى فراشها لتسترسل مع احلام السعادة مع هذا الامير الفاتن الجميل ..

هكذا كل يوم . وراء طقوس تسليم المفاتيح كانت تجري حلقات قصة حب من طرف واحد ، حلقات متشابهة يتلو بعضها بعضا مع مرور الايام . واحدة من الاقاصيص الهوى التي كانت تدور حول سي توفيق الشاب البسيط المتواضع الذي ما كان يتصور ان اناقته وعطر فينوس ونظرة الحيية الساهية الحالمة سيكون لها هذا العدد العظيم من الضحايا . من حي الدراسة الى باب المتولي كان سي توفيق موضع الاعجاب وبطل الاحلام للعشرات .. كلهن كن عاشقات لهذا الانيق الصغير الحيي ، معجبات بالشعر الاسود اللامع المفروق على اليمين والسوالف المرسلة على جنب الوجه بحساب ، والشارب الصغير الانيق ، والجاكتة ذات المنديل في هيئة الاهرام وكسرة البنطلون الهابطة كحد السيف ، وفوق هذا كله : عطر فينوس والمنديل الذي يمسح العرق الموهوم .

كان هذا كله سرا من اسرار الاقبال على المحل . ربما لاحظه الحاج عبد السلام فهو رجل بعيد الذكاء ، وهو يرى البنات يسألن عن سي توفيق ويتجملن مع سي توفيق ويشترين من سي توفيق .. ولكن سر سي توفيق هذا مثله ، هو انه كان رجلا امينا جدا ، متواضعا جدا ، لا تسمو به المطامع الى اكثر من راتب الشهر الذي كان يتقاضاه ..

* * *

ولكن ، اذا كان توفيق رجلا متواضعا جدا لا تسمو به المطامع الى اكثر من راتب الشهر الذي يتقاضاه فان مطامع سوسن كانت تسمو الى اكثر من نظرة من وراء نافذة او من شقة باب . كانت ابنة مدللة وسط شقيقين ، وكانت امها تحبها حبا يفوق الوصف ، وكان ابوها يدللها ويبحث عما يفرحها او يرضيها ، وكان المال بين يديها كثيرا ، والامال في صدرها اكثر ، وكان ذهنها الصغير يغدو ويروح باحثا عن طريق الى هذا الشاب الذي صورت لها سنوات عمرها القليلة — ثماني عشرة — انه اعظم واجمل شاب في الدنيا .

بعد تفكير طويل فكرت في ان تذهب اليه في الدكان . قد يعرف وجهها بعض العاملين فيه ، ولكن الملاءة والبرقع تخفيان كل شيء ، وما اكثر ما يستر العجائب ! ، وجعلت تترقب حتى سافر ابوها وامها للحج ، وخلا لها الجو بعض الشيء ، فتملك بشيء وافلتت من ام بهية ، وفي منزل صديقة لها لبست ملاءة وبرقعا ، وذهبتا معا الى الدكان ، ووقفتا مع سي توفيق تطلبان صنفا بعد صنف ، والمسكين يروح ويجيء ويصعد ويهبط ويفتح ربطات القماش ، ويجتهد في الاقناع ، ثم اشترتا بضعة اشياء ومضتا والمسكين يلهث تكثرا ما صعد وهبط ، وفي الطريق قالت الصديقة ، وكانت في سن مقاربة لسن سوسن .

— تعرفين انك مغرورة !

— صدقت الم اقل لك انه شاب عجيب !

— فعلا .. لطيف وامير ومؤدب ..

— وجميل جدا .. اليس كذلك ؟

فكرت الصديقة ثم قالت :

— جميل جدا .. ! لا ادري .. المهم انه رقيق جدا .

ومضى الحديث بين الاثنين على هذا النحو



وقتا طويلا ، وفي منزل الصديقة تركت القماش الذي اشترته وعادت الى البيت . هناك وجدت ام بهية تكاد تموت خوفا ، فقد غابت البنت في الطريق ساعات ، وجرى بينهما نقاش حاد انتهى بان اكدت الفتاة انها لن تعود الى ذلك ابدا .

ولكنها عادت ، وعادت ، وماذا تفعل خادم كهذه وكلت اليها حراسة صبية ركبها الشيطان ؟ وفي كل مرة كانت تطيل الحديث مع توفيق هذا وصاحبتها تتفرج على الاقمشة وتشتري لحسابها ، ثم تخرجان بشيء ضخم من كل لون ، وسي توفيق يتاملهما دون ان يفهم شيئا ... كان يحسبهما بعض فتيات الحي ممن لا يجدن ما يملأن فيزجين الفراغ بالتردد على الدكاكين ..

اخيرا ، وقبل ان يعود ابواها من الرحلة بقليل ذهبت وحدها . تعمدت ان تكون زيارتها في اوائل بعد الظهر ، في وقت تخف فيه الرجل ويقل الناس في المحل ويهوّم بعض العمال على الكراسي . وجدت سي توفيق على الباب كعهده ، دخلت وسار وراءها حتى انتهيا الى قاع الدكان ، ثم طلبت شيئا ، واتى به ووضعه امامها ، وقعد لتتامله ، ووقف ينظر اليها في زهو وسرور ، شأن التاجر يعرض بضاعة لا يشك في انها ستلقى قبولا من الناس ، فوقف متحفزا بهذه النظرة ليخوض معركة الثمن . ولكنها القت نظرة عجلى على القماش ، ثم تلفتت حولها . لم يكن هناك احد ولا كانت هناك عين ترقب ، فرفعت يدها الى خلف اذنيها ، وكشفت النقاب عن وجهها ، ونظرت اليه طويلا وهو واجم ثابت النظر اليها ، ثم

— توفيق ... انا سوسن بنت الحاج عبد السلام .. اطلبني من ابي

وفي هدوء اعادت النقاب مكانه ، وجمعت ملاءتها ، ووقفت ، ثم اخذت طريقها الى الباب ، واختفت في الطريق ..

وظل توفيق مكانه واجما ، جمد مكانه وزاغ بصره ، واحس انه يفقد توازنه كانما صدم راسه شيء هائل ، فاهتزت الارض تميد تحت قدميه ، واجتهد في ان يتماسك ، ونظر فاذا كرسي صغير غير بعيد عنه ، فمد يده في جهد ، وقربه ، ثم جلس ، وراه على هذه الحال زميل له مر قريبا منه فاسرع اليه ، وقال :

— توفيق .. ! مالك ياتوفيق ؟

وبعد لأي ما ، استطاع ان يجمع نفسه الشاردة ويقول :

لا شيء ... لا شيء

ـ مريض ... ؟

ـ لا أدري ... أحس بدوار شديد

الآن [illegible] ما [illegible]

ـ تريد شيئا ؟

سيدة [illegible] امساه ... وضحك لهوه اذا استطعت

ومضى عنه صاحبه لبأسه مما طلب . لم يكن بحاجة الى ماء او قهوة . كل ما اراد هو ان يتخلص من هذا الزميل ويخلو الى نفسه لحظة . واسترد نفسه شيئا فشيئا ، واخذ معه عقلها ما حدث ويفكر فيه يفهم . لم يعد عنده شك في ان هذه الزائرة الغريبة هي سوسن بنت صاحب المحل . كان قد راى وجهها لمحات خاطفة ، ولكنه لم يفهم شيئا . الذا تسرت بالملاءة والبرقع واتت اليه ؟ هل التقت على هذه الصورة مرات قبل ذلك دون ان تكشف عن نفسها ؟ هل هي تحبه ؟ ام انها تسخر منه ؟ ام انه عبث المترفات مثلها بالمساكين امثاله ؟ واتت القهوة والماء وشربهما دون ان يدري ، وان كان قد استعاد بعض الشيء .

وانفلت زحمة بعد الظهر ، وامتلأ الدكان على سعته بالنسوان ، واقبل بعضهن يشاغلنه ، ويداعبنه على عهدهن ، وفي اثناء ذلك نسي ما به واقبل على العمل ، ولكن سوسن كانت تقتحم عليه كل شيء ، وتملأ نفسه ويتردد صوتها في كيانه كأنه انفجار هائل يصرفه عن كل شيء لبضع لحظات . كانت تبدو له بوجهها الوردي الجميل الحزين بعض الشيء ، بشعرها الكستنائي الغزير المتهدل على جبينها الأبيض ، بعينيها الساجيتين الغائبتين ، ثم بفمها الصغير الجميل وهو يقول في همس فلن دوى عبر كيانه هزا : ترضى ... أنا سوسن بنت الحاج عبد السلام ... اطلبني من ابي ... !

وخيل اليه ان بعد الظهر هذا لن ينتهي ابدا . كان ينظر الى ساعته كل دقيقة لانه كان يريد ان يهرب من الناس الى مكان هادىء يفكر فيه . وانتهى العمل واغلقوا الدكان وتسلم مفاتيحه صبحي ابن الحاج عبد السلام ، وكان شابا يدرس التجارة ويعمل مع ابيه ، وكان يحب توفيقا ويعطف عليه ، فسأله وهو خارج ان كان يستطيع ان يوصله بالسيارة الى مكان ما ، فشكره وحياه ثم مضى مسرعا واختفى في زحمة الناس في الغورية ثم في السكة الجديدة . وفي الزحمة شعر بشيء من الاطمئنان . استقر رأيه على ان يذهب الى شاطىء النيل ، ولكنه احب ان يطمئن امه قبل ان يذهب ، فهي عجوز قلقة شر الدنيا اذا هو تأخر عن موعده بضع دقائق ، فمر على دكان صاحب له يسكن الى جواره ، ورجاه ان يبلغ امه انه ذهب في عمل للمحل وسيتأخر الى حوالي

الحادية عشرة مساء ثم انطلق مسرعا يطلب الخلوة والسكون ...

* * *

لم يغفل الفتى خلوته على شاطىء النيل الكثير من استعادة المشهد الف مرة دون ان يهتدي الى راي . خطر بباله ان يذهب الى بيت الحاج في الصباح الباكر ويتحدث الى ام بهية فلعلها تعرف شيئا ، ولكنه خاف ان يراه صبحي او احد من اهل البيت ، وكان اعسر شيء على تصوره هو ان يتحدث مع سوسن نفسها او ان يطلبها من ابيها بعد ان يعود من السفر .

وعاد الى بيته واوى الى فراشه ، فلم يستطع ان ينام لحظة . ظل يتقلب في فراشه الى الصباح، وسألته امه عما به المرة بعد المرة ، فأبى ان يجيب ، واخيرا استحلفها الا تقول شيئا ، ثم قص عليها الامر ... واستمعت اليه العجوز ثم ابتسمت وقالت

— خير يا ابني ... وما الذي يحيرك ؟

— الذي يحيرني ؟ انني لا ادري ماذا اعمل .

— اطلبها من ابيها ..

— انا اطلب ست سوسن بنت الحاج عبد السلام ! هل انقلبت الدنيا ؟

— اذا كانت البنت نفسها طلبت اليك ذلك ...

— البنت مجنونة .. هذه طفلة

— وماذا تخاف ؟

— ان يطردني الحاج من المحل ..

— لن يطردك .. ومع هذا ، فاذا طردك فهناك محلات اخرى كثيرة تستطيع ان تعمل فيها ..

— اتريدين ان تقطعي عيشي .. ؟

— اريد ان افتح لك الطريق .. الله طرق الحظ بابك ، وانت ابن حلال وتستاهل كل خير .. ولكن يا خسارة ...

— يا خسارة ايه ؟

— تنقصك الشجاعة يا ابني ..

فضرب فخذه بيده وقال

— سوسن تضحك علينا يا امي .. نحن ناس فقراء وهم ناس اغنياء جدا

— هم ايضا كانوا فقراء يوما ما ..

وسكتت قليلا ، ثم قالت :

— هل تتصورين ان سوسن تحدثت الى ابيها في الموضوع ؟

— ابوها وامها مسافران .. ولكن لا بد انها تعرف انهما سيوافقان .. ان سوسن ليست مجنونة ..

— امي لماذا تحسب ذلك

— لانها تريدك يا ابني .. عشرات من نساء الحي يردنك .. انا امرأة وافهم ذلك ..

— لا يا ستي .. انت لا تفهمين شيئا .. لا اريد ان ارى نفسي في الطريق ابدا ..

وهزت الام راسها اسفا وسكتت ..

وقبل ان يخرج استحلفها بكل عزيز عليها الا تقول شيئا ، ولا تفعل شيئا ..

* * *

ومرت الايام ..

لم يستطع توفيق ان يخطو بنفسه شبرا عن الارض . لقد عاش عمره كله عابدا مطمئنا في رعاية امه ، متفائلا من اولئك الطيبات اللاتي يداعبن امثاله التسلية . كان مرتبه صغيرا ، ولكنه كان قانعا به ، ثم ان الحاج عبد السلام كان يحبه ويكرمه ويتفضل عليه بشيء من المال في الاعياد وبعض المناسبات . كل هذا كان يتصوره شيئا عظيما لا يمكن المغامرة به ...

لهذا ، ورغم افتتانه بالفتاة لم يجرؤ على ان يخطو خطوة ..

وكلما الحت امه ان تشجعه وتدفعه تراجع الى الوراء وتخوف ..

وبعد شهور تراءى النبأ بأن سوسن قد خطبت ..

وبعد شهور اخرى تم زفافها . تزوجت شابا كريما من ابناء مياسير التجار . وليلة الزفاف كان توفيق يسير وراء الحاج كأنه خادمه ، يأمره بهذا فيفعله ويرسله في شيء فيجري ..

وبين الحين والحين كان يلقي نظرة على سوسن في ثوب الزفاف ، وقد جلست الى جانب زوجها ، واطال النظر مرة ، والتفتت ناحيته وتأملته بعيون كلها عتاب او غضب .. لا يدري .. ومن مكانه في الركن الخفي احس للمرة الاولى انه فقد شيئا عظيما ، واحس بيد تستقر على كتفه . كانت امه . همست في اذنه :

— الم يكن احسن ان تكون هناك .. تحت الانوار ؟

واحس بالدمع في عينيه ، وتركها ومضى . واقترب منها اخوها ، وكانت قد قصت عليه الحكاية ، فهز رأسه وقال :

— لا فائدة ... توفيق ابنا تنقصه الجرأة تنقصه الطموح ... بدون جرأة ، بدون طموح لا يمكن ان يتقدم الانسان خطوة .

فابتسمت الام في مرارة ، وقالت :

— يريد ان يتزوج بنت عم رمضان ...

— بتاع ببليلة .

— ايوه .. بتاع البليلة .. يقول ان عنده عمارات ..

— اي انه يريد ان يتزوج عمارة ..

— ليته يصل الى ذلك ..

— سيصل ..

واشعل سيجارة ثم قال وهو يهز رأسه آسفا :

— توفيق طماع .. انه ساكن هادىء ، ولكنه طماع .. الفرق عظيم بين الطماع والطامح ..

— المهم .. المهم ان يتزوج ..

وتزوج سي توفيق من جميلة بنت عم رمضان . بعد الزواج تبين ان عم رمضان لا يملك عمارات ، او عمارة واحدة . كل ما يملكه قطعة ارض بنى عليها اربعة دكاكين .. وله من الاولاد خمسة ..

وظل سي توفيق مكانه . كل ما حدث له ان حياته امتدت بشيء من القلق فاستأجر شقة اوسع تضمه وزوجته وامه وما يستجد من البنين ، وزاد الحاج عبد السلام راتبه شيئا ، ومضت الايام ، واقبلت مع الايام البنات والبنون ...

واستمر توفيق يمضي كل صباح ليأخذ المفاتيح . ظل يقف كل يوم ليأكل طبق البليلة . وعندما يصل الى ضريح الشيخ عقيل يبحث عن القط . اختفى القط المشمشي وحلت محله قطط اخرى . عندما كان توفيق ينظر على الباب بالبد الحديدية الصغيرة الممسكة بالكرة كان يلتفت وينظر الى عمارة الحاج . في شقة في الدور الرابع كانت تسكن سوسن . في بعض الاحيان كان يجد سيارتها تنتظر على الباب . كان يتأمل نفسه صغيرا ضئيلا امام الباب الكبير وربما تساءل : هل كان من الممكن يا ترى ان اتزوج هذه ؟ ثم يهز رأسه ويبتسم مهونا نفسه « بأن البنت لم تعجب به » ...

★ ★ ★

وبعد سنوات . في صباح اول يوم من ايام عيد الاضحى ..

كان اولاده قد كبروا واصبح القيام بمطالبهم صراعا لا يعرف هوادة .. ذهب مع الحاج الى المدافن كعهده في كل عيد ...

قرأ القراء ما تيسر من الذكر الحكيم ، ووزع توفيق « الرحمة » على القراء .. وخلا الضريح الا من الحاج وخادمه الامين . وعندما حان وقت انصراف الرجل اخرج ورقة مالية كبيرة ودسها في يد توفيق ليستعين بها على نفقات اولاده ، واستكثرها توفيق ، فابتسم الحاج وقال :

— تستكثرها يا توفيق ؟ كان من الممكن يا بني ان تكون اليوم صاحب الحق في جزء كبير من اموالي ..

ونظر اليه توفيق واجما ، فهو لم يفهم شيئا ، فاستطرد الحاج يقول

— كان ذلك من ١٥ سنة ... تعرف كيف كنت اثق فيك دائما . كانت سوسن قد بلغت السابعة عشرة وآن اوان زواجها ، ولاحظت امها انها ترتقب حضورك في الصباح ، فاختبرناها دون جدوى ، فحدثتني في الامر .. انني اذكر ما قلته لها :

— والله يا ام سوسن لا مانع عندي ، توفيق ابني وابن حلال ، وقد بدأت حياتي انا اقل منه ..

واتفقنا على ان نجيب طلبه اذا تقدمت خطبتها ، وسافرنا للحج ..

وعندما عدنا ... في البيت بشيء ، لم اعلمنا ام ... — رحمها الله — أن بعضهم اوصى اليك ان تخطب سوسن ... والحقيقة يا ابني كان قلبي عاطفا لك .. وظللنا ننتظر ..

ولم تتقدم انت . فظننا ان البنت لا تعجبك . هذه المسألة قسمة ونصيب ..

وصمت الحاج ، ثم نهض ورجا توفيقا الا يقول من ذلك شيئا لاحد ، واوصاه باحكام اقفال الباب ، وركب سيارته ومضى ..

وعاد توفيق الى الضريح ، واسند رأسه الى القبر واجهش في البكاء ، وعلا نشيجه حتى سمعه حارس القبور ، فاقبل وربت على ظهره وقال له :

— ماذا جرى يا سي توفيق .. هل مات لك عزيز عليك ..

فرفع بصره ونظر اليه طويلا ثم قال :

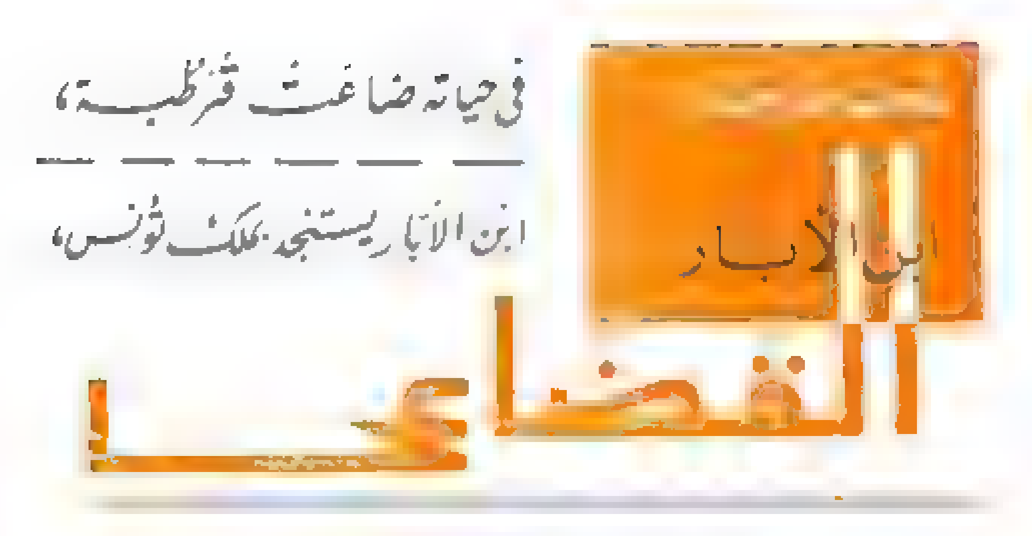
— ايوه .. انا يا عم مسعود .. انا اللي مت وعلى نفسي ابكي .

وتركه الرجل وخرج وهو يهز رأسه قائلا :

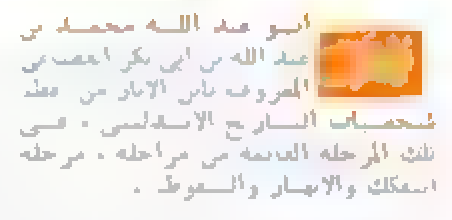
— لا حول ولا قوة الا بالله ، لقد جن الرجل !

■

حسين مؤنس



بقلم : محمد عبد الله عنان



أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار من أعظم شخصيات التاريخ الأندلسي، في تلك المرحلة القاتمة من مراحله، مرحلة التفكك والانهيار والسقوط.

ونحن لا نقصد في هذا المقال إلى تقديم ترجمة كاملة لحياة ابن الأبار، ولا أن نتحدث عنه كفقيه راسخ، أو كاتب بلغ ذروة البيان، أو شاعر مبدع فذ، أو مؤرخ محقق، ما زالت آثاره وتراجمه أهم وأوثق مصادرنا عن حوادث عصره ورجالات عصره، ولكنا نريد فقط أن نقدم بعض صفحات عن حياته السياسية والدبلوماسية، التي اقترنت بأهم حوادث عصره، والتي جعلت منه شخصية تاريخية بارزة، تعرف في أهمها، وفي الأدوار التي قامت بها، شخصيات أمراء هذا العصر وسادته.

ويكفي أن نعرف في حياة ابن الأبار، أنه ولد بثغر بلنسية، أعظم وأجمل حواضر شرقي الأندلس، في سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٩ م)، في بيت علم ونبل، وأصلهم من أندة الواقعة على مقربة من غربي بلنسية، والتي نسب إليها كثير من أكابر العلماء. ودرس ابن الأبار الحديث والفقه على أقطاب عصره، وفي مقدمتهم أبوه عبد الله، وبرع في اللغة والأدب، وشغف بالأخبار والسير، ثم رحل في مطلع شبابه إلى غربي الأندلس فزار قرطبة، ثم إشبيلية، وهو يأخذ أينما حل عن أساتذة العصر. ولما توفي أبوه في سنة ٦١٩ هـ، كان هو ما يزال بغربي الأندلس، في مدينة بطليوس، عاكفا على دراساته، فعاد عندئذ إلى بلنسية موطنه، ومثوى أسرته.

سلطان الموحدين ينهار

وكانت الحوادث في شرقي الأندلس، قد أخذت في هذا الوقت بالذات تتخذ تطورات خطيرة. ونحن نعرف أن الأندلس كانت ما تزال حتى ذلك الوقت ولاية مغربية تحت حكم الخلافة الموحدية، ولكن الدولة الموحدية، كانت قد بدأت قبل ذلك بقليل، منذ موقعة العقاب المشئومة (سنة ٦٠٩ هـ - ١٢١٢ م)، التي سحقت فيها الجيوش الموحدية، على يد الجيوش الإسبانية المتحدة، تدخل في دور انحلالها، وبدأ سلطانها بالأندلس ينهار تحت ضربات الحركات الثورية المحلية، وكان شرقي الأندلس بالأخص مسرحا لموجة جديدة من الصراع بين القوى الوطنية، والسادة الموحدية.

ولحقت بها بلنسية، وسقطت سائر القواعد الأندلسية بعد ١٠ سنين

ويعود منه بأسطول، ولكن بعد فوات . . .



وكان والي بلنسية يومئذ هو السيد أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد المؤمن

ابن الأبار في بلنسية

ولد [illegible] ابن الأبار [illegible] عقب ثورته من منطقة المغرب، [illegible] كاتبه [illegible] السيد [illegible] ما [illegible] لله [illegible] سنة ٦٢٠ هـ، وقام [illegible] ولاية [illegible] ولده السيد أبو زيد عبد الرحمن [illegible] ٦٢٦ [illegible] كاتب [illegible] الحديد [illegible] ومكانته، ولم [illegible] موضع عطف السيد وتقديره

أعنف ثورة وطنية أندلسية

وكان سلطان الموحدين في هذه المنطقة من الأندلس، منطقة الشرق، يضعف [illegible] منطقة أخرى، أولا لبعدها وبعدها عن مركز الحكومة العامة باشبيلية، وثانيا لأن منطقة الشرق، كانت منذ أيام زعيم الشرق محمد بن سعد بن مردنيش، قبل ذلك بنحو سبعين عاما، مركزا لأعنف نزعة وطنية أندلسية، اضطرمت ضد الموحدين. ومن ثم فإنه لما انهارت قوى الموحدين العسكرية بالأندلس على أثر موقعة العقاب، عادت بوادر الثورة والاضطراب من جديد تعمل في منطقة الشرق. وكانت مرسية، وهي حاضرة الشرق الجنوبية، أول مسرح لانفجار الثورة الوطنية، فقام بها محمد بن يوسف بن هود، واستطاع أن ينتزع السلطة من حاكمها الموحدي السيد أبي العباس (سنة ٦٢٥ هـ).

وشعر السيد أبو زيد والي بلنسية بخطورة هذه الحركة، فسار في قواته لمقاتلة ابن هود، ولكن ابن هود هزمه، فارتد مفلولا إلى بلنسية، وهو يستشعر سوء المصير.

الثورة في بلنسية ضد الموحدين

ذلك أنه لم يمض على ذلك أشهر قلائل، حتى ظهر صدى الحوادث في بلنسية ذاتها، واضطرم

اهل بلنسية بالثورة ضد الموحدين ، والتجأوا الى الانضواء تحت زعامة الرئيس ابي جميل زيان بن مدافع بن مردنيش وزير السيد وكبير بطانته . وكان الرئيس زيان ، وهو سليل آل مردنيش ، حملة لواء الثورة الوطنية من قديم ضد الموحدين ، هو الزعيم الطبيعي لمثل تلك الحركة. وكان من اثر ذلك ان وقعت الوحشة بين الوالي السيد ابي زيد ، وبين وزيره الرئيس زيان ، وخشي زيان من نقمة السيد ، فارتد في اهله الى حصن انيشة القريب وامتنع به ، وهو يرقب سير الحوادث .

وعندئذ اشتد الهياج في بلنسية ، وهتف الشعب برياسة زيان ، وخشي السيد ابو زيد بوادره البادرة على نفسه، ولم يجد سبيلا لمقاومة هذه الثورة الجارفة ، فغادر بلنسية في اهله وامواله ، ومعه كاتبه ابن الابار ، والتجأ الى بعض الحصون القريبة . وكان خروج السيد ابي زيد من بلنسية في شهر صفر سنة ٦٢٦هـ . (١٢٢٩) . وعلى اثر خروجه دخل الرئيس ابو جميل زيان بلنسية ونزل بالقصر ، ودعا للخليفة العباسي ، واستقبله الشعب بأعظم مظاهر الحماسة والترحيب.

ولبث السيد ابو زيد مدة حين ينظر ، على مقربة من بلنسية ، فلما رأى تطور الامور على هذا النحو ، ولما لم يجد سبيلا الى استرداد سلطانه، عول على ان يلتجيء الى خايمي الاول ملك اراجون، وكان يعقد بلاطه يومئذ بقلعة ايوب ، فسار اليه ومعه كاتبه ابن الابار .

بيتان لابن الابار عند مغادرته بلنسية

وهنا تبدأ تلك الصفحات الشجية من حياة ابن الابار الدبلوماسية . وقد وقفنا في احد مخطوطات الاسكوريال على هذين البيتين ، اللذين انشدهما ابن الابار حين مغادرته لبلنسية مع مخدومه السيد ابي زيد ، وهما :

الحمد لله لا اهلٌ ولا ولدٌ
ولا قرارٌ ولا صبرٌ ولا جلدُ

كان الزمان لنا سلماً الى امد
فصار حرباً لنا لمّا انقضى الأمدُ

ومنهما يبدو ان ابن الابار ، حين مغادرته لبلنسية ، كان وحيدا ، لا اهل له ولا ولد ، ومن ثم كان اقدامه على مشاركة السيد في مغامرته ، التي لم يكن يقدر يومئذ مدى خطورتها ، وكان ابن الابار يومئذ شابا في عنفوانه، في الحادية والثلاثين من عمره .

ابو زيد يلتجيء الى ملك اراجون

والحقيقة ان هذا الامير الموحدي السيد ابا زيد كان ينوي ان يذهب في ارتماءه في احضان النصارى، الى ابعد مدى يمكن تصوره . وكان خايمي الاول ملك اراجون ، من جانبه يحاول ان يجني ثمار معاونة الامير المسلم ، اقصى ما يمكن اجتناؤه من اشلاء الاندلس . وكانت بلنسية بالذات هي اعز امانيه ، ورائع اطماعه . ومن ثم فقد عقدت بين الامير الموحدي وملك اراجون ، معاهدة صداقة وتحالف ، تقضي بأن يسلم الامير الموحدي اليه جزءا مما يفتتحه من الاراضي والحصون الاسلامية، وان يحتفظ الملك خايمي كذلك بكل ما يقوم بافتتاحه هو من الاراضي والحصون لنفسه ، وان يسلم اليه السيد ابو زيد عدة حصون وبلاد هامة في منطقة بلنسية رهينة بولائه ، وان يقوم ملك اراجون لقاء ذلك بحماية السيد والدفاع عنه ضد اعدائه .

وليست لدينا تفاصيل عن الدور الذي اداه ابن الابار ، في عقد هذه المعاهدة . ولكن يبدو لنا من تصرفه اللاحق ، انه لم يكن راضيا عن هذا التسليم المزري ، الذي عمد اليه السيد ابو زيد، في اراضي الوطن الاندلسي وحصونه ، تحقيقا لاطماعه الشخصية . بل يلوح لنا انه كان فوق ذلك على علم بما ينتويه السيد من خطوات لاحقة ، ابعد مدى واشد ايلاما للنفس . ذلك ان ابن الابار ما لبث ان غادر مخدومه السيد ابا زيد، وعاد مسرعا الى بلنسية، وهناك التحق بخدمة اميرها الجديد ابي جميل زيان ، وتولى منصب كتابته ، وكان ابن الابار ، قد ظهر في هذا الميدان ببلاغته الاخاذة وبيانه الرائع .

ابو زيد يعتنق المسيحية

اما السيد ابو زيد ، فقد ذهب في مغامرته الى الحد الاسفل ، فاعتنق دين النصرانية ، واتخذ اسما نصرانيا هو بِثنتي Vicente او بيثنت بالعربية . واصبح يسمى في الوثائق النصرانية بِثنتي ملك بلنسية وحفيد امير المؤمنين. وتجمع الرواية الاسلامية على صحة واقعة تنصر

هذا السيد الموحدي ، وتنحى عليه بأشد ضروب الانكار واللوم .

ولقد كان ابن الابار صادق الحس ، بعيد النظر ، حينما ازاد مخدومه القتال لمصيره المحزن ، ومن المحقق انه سدد في ذلك كل المراد ، وكان وجود براءة ، ولم يقبل ان يتورط لحظة ، فيما يعتبره خيانة لوطنه وامته ودينه .

الفتنة تمزق اوصال الاندلس

كانت هذه التجربة الاليمة اول عهد ابن الابار بالمغامرات الدبلوماسية ، بيد ان القدر كان يدخر له مهام دبلوماسية اخرى ، اشد ايلاما للنفس ، وابعث الى الحسرة والاسى .

ذلك ان صرح الاندلس القديم الشامخ ، قد اخذ في تلك الاونة العصيبة يهتز ويتداعى . اجل ان قوى الاندلس المتفككة ، كانت عبثا تحاول ان تجتمع في الشرق تحت زعامة المتوكل ابن هود ، وفي الوسط والجنوب تحت زعامة محمد بن الاحمر ، ولكن هذه الزعامات المحلية الجديدة ، لم تكن لتستطيع ، والفتنة تمزق اوصال الاندلس ، ان تصمد بمواردها المحدودة لزحف اسبانيا النصرانية . وكان خايمي الاول ملك اراجون ، وفرناندو الثالث ملك قشتالة ، يرقب كل منهما فرصته ، لانتزاع ما يمكن انتزاعه من اشلاء الاندلس الممزقة .

ملك قشتالة يستولي على قرطبة

وشاء القدر ان يكون ملك قشتالة هو السابق بانتزاع كبرى قواعد الاندلس التالدة ـ فاستولى على قرطبة عاصمة الخلافة القديمة في شوال سنة ٦٣٣ هـ (يونيه ١٢٣٦ م) .

ملك أراجون يمهد للاستيلاء على بلنسية

واخذ ملك اراجون من جانبه يمهد للاستيلاء على بلنسية ، وذلك بانتزاع حصونها الامامية شيئا فشيئا . كل ذلك وزيان امير بلنسية يقاوم الارجونيين ما استطاع . واخيرا مزقت قوى البلنسيين في معركة انيشة الحاسمة على مقربة من بلنسية (سنة ٦٣٤ هـ) .

حصار بلنسية

وامتنع زيان بفلوله داخل الثغر العظيم ، وعول ملك اراجون على ان ياخذ بلنسية بالحصار والمطاولة ، فجمع جيشا مختارا من فرسان الداوية والاسبتارية والارجونيين والقطلان والمتطوعة الفرنسيين ، وسار الى بلنسية ، وطوقها بقواته من البر ، وضرب محلته بينها وبين البحر ، لكي يقطع سائر علائقها مع الخارج ، وبدا هذا الحصار الشهير في رمضان سنة ٦٣٥ هـ (ابريل ١٢٣٨ م) .

الامير زيان ، امير بلنسية ، يبعث بابن الابار يستنجد مملكة افريقية

في تلك الاونة العصيبة ، اتجهت انظار الامير زيان ، بتوجيه وزيره وكاتبه ابن الابار الى اخوانه المسلمين في الضفة الاخرى من البحر ، الى مملكة افريقية (تونس) الفتية القوية او مملكة بني حفص ، وكان عاهلها الامير ابو زكريا بن ابي حفص قد استطاع ان يجعل منها في فترة قصيرة قوة زاهرة يحسب حسابها . وبعث زيان الى امير افريقية سفارة على راسها وزيره وكاتبه ابن الابار ، يحمل اليه بيعته وبيعة اهل بلنسية ، ويستصرخه بسرعة الغوث والانجاد قبل ان يفوت الوقت ، ويسقط الثغر الاندلسي العظيم في ايدي النصارى .

ابن الابار ينشد سينيته الشهيرة امام السلطان ابن ابي حفص

ولما وصل ابن الابار الى تونس ، مثل بين يدي سلطانها الامير ابي زكريا الحفصي ، في حفل مشهود ، والقى قصيدته السينية الرائعة ، التي اشتهرت في التاريخ ، كما اشتهرت في الشعر ، يستصرخه فيها لنصرة الاندلس ، ونصرة الدين ، وهذا مطلعها :

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا
ان السبيل الى منجاتها درسا

وهب لها من عزيز النصر ما التمست
فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

وهي طويلة في سبعة وستين بيتا ، وكلها تحسر والتياع على ضياع الاندلس ، وتمزق اوصالها ، وسقوط قواعدها .

ابن ابي حفص يجهز اسطولا

فكان لانشاد هذه القصيدة المبكية التي مازالت تحتفظ حتى يومنا بروعتها المحزن ، والتي كانت كانها نفثة الاندلس الجريح ، ابلغ الاثر في

نفس الامير ابي زكريا ، فبادر بتجهيز اسطول ، شحنه بالسلاح والاطعمة والكسى والاموال . واقلعت هذه السفن المنجدة على جناح السرعة من ثغر تونس قاصدة الى ثغر بلنسية ومعها ابن الابار ورفاقه .

ولكن هذه السفن المتشوفة لم توفق الى تحقيق مقصدها ، لانها لم تستطع ان تصل الى مياه الثغر المحصور باية وسيلة، وطاردتها السفن الارجونية، فاضطرت ان تفرغ شحنتها في ثغر دانية وان تعود ادراجها الى تونس ، واستطاع ابن الابار ورفاقه ان يجوزوا الى مدينتهم ، وتركت بلنسية لقضائها المحتوم .

الامير زيان يسلم بلنسية لملك اراجون

وهنا شدد الارجونيون الحصار على المدينة ، وبالرغم مما بذله الامير زيان وقواته من ضروب الاقدام والبسالة ، في مدافعة الجيش المحاصر ، فقد كان من الواضح انه لا مفر من التسليم ، اذا اريد ان تنجو المدينة من العبث والتخريب . ومن ثم فقد بدأت المفاوضة بين زيان وملك اراجون في شروط التسليم . وانتهى الامر بالاتفاق على ان تسلم المدينة صلحا .

ابن الابار يصف تسليم بلنسية

واليك كيف يصف لنا ابن الابار ، وقد كان شاهد عيان ، ما تم ذلك من اللقاء بين الامير زيان والملك خايمي ، ومن ابرام شروط التسليم بينهما ، وذلك في يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر صفر سنة ٦٣٦ هـ . قال :

« وفي هذا اليوم خرج ابو جميل زيان بن مدافع ابن يوسف بن سعد الجذامي من المدينة ، وهو يومئذ اميرها،في اهل بيته ووجوه الطلبة والجند واقبل الطاغية وقد تزيا باحسن زي في عظماء قومه ، من حيث نزل بالرصافة اول هذه المنازلة، فتلاقيا بالولجة ، واتفقا على ان يتسلم الطاغية البلد سلما لعشرين يوما ، ينتقل اهله اثناءها باموالهم واسبابهم . وحضرت ذلك كله ، وتولت العقد عن ابي جميل في ذلك ، واستنزله بقسمته الناس ، فتميزوا في البحر الى نواحي دانية ، واتصل انتقال سائرهم برا وبحرا . وصبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر المذكور ، كان خروج ابي جميل باهله من القصر في طائفة يسيرة اقامت معه . وحينئذ استولى عليها الروم اهانهم الله » .

بعد سقوط قرطبة وبلنسية

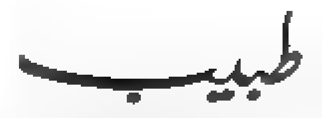
ودخل خايمي الفاتح وجنده ثغر بلنسية في يوم الجمعة ٢٧ صفر سنة ٦٣٦ هـ ، الموافق لليوم التاسع من اكتوبر سنة ١٢٣٨ م ، فكانت بلنسية، بعد قرطبة ثانية القواعد الاندلسية العظيمة،التى سقطت في تلك الفترة ، في ايدى الاسبان،وقد كان انهيار هذه القواعد الاولى من الصرح الاندلسي الشامخ مقدمة لانهيار معظم القواعد الباقية تباعا ، في فترة قصيرة ، لا تجاوز العشرة الاعوام.

ابن الابار غادر الاندلس كلها الى تونس

هكذا كان الدور المؤلم الذى لعبه ابن الابار في حوادث سقوط بلنسية . ولقد هزت هذه المحنة مشاعره الى الاعماق ، فلم يطق ان يبقى في الوطن المنكوب . فغادر اميره وغادر الاندلس كلها وعبر البحر الى تونس ، فوصلها في اواخر سنة ٦٣٦ هـ ، وعاش حينا في كنف اميرها ابى زكريا يتولى له كتابة العلامة . ثم اخذ يتردد حينا بين تونس وبجاية ، يدرس هنا وهنالك . ولما توفى الامير ابو زكريا في سنة ٦٤٧ هـ ، وخلفه ولده المستنصر بالله،التحق ابن الابار ببطانته العلمية ولكنه لم يكن قريرا مطمئنا الى هذه الحياة ، لما كان يتخللها من غضب السلطان ، بسبب دسائس خصومه احيانا ، وبسبب تصرفاته الشخصية النزقة احيانا اخرى .

واستطاع خصوم ابن الابار في النهاية ان يوقعوا به ، ورفعت الى السلطان بعض اقوال وابيات نسبت الى ابن الابار طعنا في السلطان وتعريضا به ، فامر السلطان بجلده ، ثم بقتله ، فضرب بالسياط ، ثم قتل طعنا بالرماح ، واخذت كتبه واحرقت في موضع قتله . ووقع مصرع ابن الابار على هذا النحو المؤسى في الحادى والعشرين من شهر المحرم سنة ٦٥٨ هـ (٨ يناير سنة ١٢٦٠ م) واختتمت بذلك حياة اعظم شخصية في ادب الاندلس في القرن السابع الهجرى . ■■

محمد عبد الله عنان



طبيب الأسرة

السكتة ، او النقطة

● توفي الساسي السياسي الانجليزي ونستون تشرشل في آخر شهر يناير الماضي ، وهز موته العالم الغربي كله ، واشترك في تشييع جنازته الهائلة الوقورة التاريخية رؤساء وممثلون من كل اهل الارض ، حتى من روسيا الشيوعية ، وحتى من اهل الشرق . ولكن سؤالي الآن موضوع موته . قيل انه مات بالسكتة ، ونحن نعلم ان السكتة تكون من القلب ويقول السكتة القلبية ، ولكنهم قالوا ان مصدرها المخ ، كيف كان ذلك ؟ ثم قالوا انه جاهد في سبيل احتفاظه بالحياة اياما طويلة ، مع انه كان في غيبوبة ، ومعنى ذلك انه كان غير واع . فكيف كان يجاهد ؟

ـ نتحدث عن السكتة اولا .

ولكي نحدد ما نعني بالضبط ندعوها بالسكتة المخية ، ويقابلها بالانجليزية لفظه Stroke ، وبالفرنسية Coup de Sang والأولى معناها الضربة ، والثانية معناها ضربة الدم . والانجليز والفرنسيون يعربون غالبا عن هذين اللفظين الدارجين في كتبهم العلمية ، الى اللفظ العلمي ابوبلكسي apoplexy وهو اللفظ الذى استخدمه الطبيب الاغريقي القديم ابقراط لنفس المعنى . وهو لفظ معناه الحرفي : الضربة التي تسقط الرجل من طوله ، ومعناه الاصطلاحي ذلك التغير المفاجىء الذى يصيب المخ فيصيب صاحبه بالعجز الباغت . والعامة تسميه كذلك فتقول النقطة احيانا .

هذا عن اللغة .

اما عن المرض فسببه انسداد يقع في احد شرايين المخ فيصيب جزء المخ الذى يمده عن ان يتغذى ، فيتعطل ، وتتعطل كل وظيفة يؤديها ذلك الجزء في المخ ، مثل التعطل عن الكلام ، او عن الكتابة ، او شلل رجل او ذراع ، او شلل نصفي . والانسداد يحدث بسبب جلطة (خثرة) دموية تحدث في المخ ذاته ، او خارجه ، في القلب مثلا ، ثم تدور مع الدم لتستقر في المخ .

والسبب الآخر الذى يحدث السكتة المخية ، هو انفجار شريان ما في المخ ، بسبب زيادة الضغط ، او تدهور في كيان الشريان بالشيخوخة . وهذه السكتة اسوء دواء من سكتة الجلطة .

اما الغيبوبة ، التي تذكرها يا سائلي ، وهي الكوما Coma بالافرنجية ، فهي حال من فقدان الوعي تصيب المتوعك ، وهي اوطأ درجات الوعي . والفرق بين صاحب هذه الغيبوبة والميت ، وجود علامات تدل على الحياة ، منها ضغط الدم ، وضربات القلب ، والتنفس ، وحرارة الجسم .

وفي الغيبوبة يتغذى المريض عن طريق

اوردته بمحلول السكر ، سكر العنب ، ودماء به ملح بحفظ على الاغشية موازنتها الكيماوية . ومن طريق الاوردة ايضا تعطى العقاقير التي تضيق من الشرايين لترفع الضغط المنهار . وما الى ذلك .

وبهذا يمكن للأطباء ان يطيلوا عمر المريض كثيرا .

اما ان السياسي الكبير تشرشل جاهد في احتفاظه بحياته من ١٥ يناير الى ٢٤ يناير ، فقول لا يمكن ان يصح . وكيف يجاهد من لا وعي له ؟ انه مجهود الأطباء ، والتغذية ، والادوية ، يضاف اليها حالة المرضى ، بها جميعا ظل الرجل حيا هذه الأيام التسعة .

انا مريض بالسكر ،

● انا مريض بالعداء السكري ، واحب الجبن ، ولكن الطبيب يقول لي لا تأكل منها كثيرا ، وانا اعلم ان الجبن ليس بها النشا ، ولا السكر ... ثم الشكولاته ، واعلم ان بها القليل من السكر ، اذا كانت سادة . فهل هي تحرم كذلك على من عنده السكر ؟

— سؤالك ذو شقين ، واحد خاص بالجبن الذي هو احد انتجة اللبن ، والآخر خاص ، بالشوكلاتة ، وهي طعام مصنوع اصله من حب شجرة الكاكاو .

اما عن الجبن : فاقول انها صنوف كثيرة ، وتصنع بطرق عديدة ، لهذا ليس

اتزان الجسم ، كيف يكون

● قرأت ان العين اليامنة تعمل على اتزان الجسم ، فلا يميل من جانب الى جانب ، فيسقط . ولكن الانسان يغمض عينيه ومع هذا يستطيع موازنة نفسه . فهل هناك عوامل داخلة غير العين تعمل على موازنة الجسم ؟

— العوامل الأصل في اتزان الجسم ثلاثة : القنوات النصف الدائرية العظمية التي تقع داخل الاذن الظاهرة ، في كل من جانبي الوجه . ثم حس الجسم بما يعتمد عليه من اجل الاتزان ، ولا سيما حس الأقدام وهي تعتمد على الأرض . ثم العينان المبصرتان .

فاي مرض يصيب جهاز الاتزان في الاذن ، وبه سوائل تسير بأوضاع الرأس والجسم ، وأي مرض يصيب العصب الذي يصل هذا الجهاز بالمخيخ حيث يترجم الاحساس ، فاما استقامة واما ميل ، اي مرض يصيب هذين ، يفقد الانسان اتزانه .

ومن الأمراض الشهيرة الفاشية في هذا الصدد المرض المعروف بمرض منير Ménière ، وهو مرض قاس يصيب صاحبه او صاحبته بنوبات افتقاد اتزان ودوار كدوار البحر ، تطول وتنصل .

والى اليوم لا يكاد يوجد له دواء الا تخريب ذلك الجانب من الاذن الداخلة التي احتوت هذه القنوات ، والاعتماد بعد ذلك على جهاز الاتزان في الاذن السليمة الاخرى .

اما حس الأقدام بمواضعها من الارض التي تعتمد عليها ، فعامل في الاتزان لا شك فيه ، تتدخل فيه جاذبية الارض ، التي يجب ان تتوزع على اجزاء الجسم بالتوية . فان اختلفت تولى الجهاز العصبي امرها دون وعي منا ، فتتصحح الاختلاف بتعديل الجسم ، ولو حتما ونحن لا ندري .

ثم العينان ، وهما تحسان بالخلل في الوضع ، وترسلان به عبر الجهاز العصبي ، وتأتي التصحيح . في غيبة من وعينا ايضا . وقد حدث ان وضع رجل قدميه في ماء مثلج ، ذهب بحسهما ، ثم اغمض عينيه ، ففقد اتزانه ، او عانى معاناة شديدة ، على الوعي ، في سبيل حفظه .

ان سلامة الاذن الداخلة ، وحس الأقدام ، تكفيان للاتزان .

واحب الجبن والشوكلاته

لها تركيب ثابت . ولكن يمكن القول اجمالا بأن الماء فيها يتراوح بين ٢٥ و ٤٠٪ ، والبروتين بين ١٥ و ٤٠ في المائة ، والدهن بين ١٥ و ٤٠٪ . بقي السكر ، سكر اللبن ، وهو المراد هنا . ومقداره نحو ٢ في المائة او دون ذلك . ومعنى هذا انك اذا اكلت ١٠٠ جرام من الجبن فقد اكلت ٢ جرامات من السكر ، او جراما ونصفا مثلا . وهذا مقدار من السكر ضئيل . ولكن المسألة ليست مسألة سكر فحسب ، ولكن مسألة دهن كذلك في حالات من المرض متقدمة معروفة

اما عن الشوكلاته ، فهي تصنع من حبوب الكاكاو Cacao بعد تحميصها وسحقها ، وهي كثيرة الدهن ، ولا تستساغ الا بالسكر يضاف اليها بكميات وافرة . لهذا يتجنبها ذو السكري . وقد انتجت مصانع الشكولاته الشهيرة ، مثل كدبوري وشوكارت ، نوعا من الشوكلاته به مواد تحليه ولكنها لا تزيد نسبة السكر المعروف في الدم . وتسمى شوكلاته مرضى السكر . اما المادة الصانعة للتحليه فهي عادة السكارين . والسكر المسمى سربيتول Diabetic Chocolate Sorbitol وهو يحلي ، ولكن لا يرفع نسبة الجلوكوز الذي بالدم والذي هو سبب العلة .

فلورة ماء الشرب تزداد كل يوم انتشارا

● ذكرنا في العدد الماضي من «العربي» ان الاستقصاء دل على ان وضع نسبة من الملح المسمى بالفلوريد ، وهو اي عنصر الكلوريد على ما قلتم ، في ماء الشرب ، يقلل من اصابة الاسنان بالتسوس ، فاذا كان هذا صحيحا ، وانتفعت به الامم ولو المتقدمة ، فلماذا لم نسمع باستعماله قد شاع فيها !

الذي قلناه صحيح .

ويزيد اليوم معمول به بالولايات المتحدة ، حيث يسود راي السواد من الناس . ويختلف من قطر لقطر ، ان بها احياء كاملة عددها ٢٥١٩ ، ادخل الفلوريد الى مائها ، وهذه الاحياء تضم ٤٥٨٨٠٠ نفس . وفي كندا توجد ٢٠٠ محطة فلوريدية تمد بالماء المفلور ٢٨٠٠٠٠٠ من السكان .

وفي اوروبا تتصدر هولندة دولها في استخدام الفلوريد ، فيها ١٥ محطة تمد بالماء نحو نصف مليون من السكان ، وفيها ١١٥ محطة في سبيل الانشاء تمد نحوا من ٢٩٠٠٠٠٠ نسمة .

ومطران اتخذا فلورة المياه لجميع السكان ، هما هنج كنج وبورتوريكو .

ولا بد ان نذكر دائما ان الآراء العلمية الجديدة تحتاج الى الزمن لتنتشر ، تماما كما تحتاج الآراء الاجتماعية ، لا سيما ما يختص بالتطبيق والممارسة ، ولا سيما اذا خالف التغيير المطلوب عادة الناس ومس الصميم من واقع حياتهم . ■



للكاتب الروائي المعاصر سمرست موم

■ في ذلك المساء اليوم حفل تعميد بكنيسة القديس بطرس بميدان نيفيل، وكان البرت ادوارد فورمان لا يزال لابسا طيلسانه ، وكان يحتفظ بالطيلسان الجديد لحفلات الجنائز وحفلات الزواج ، وكانت كنيسة القديس بطرس هي الكنيسة المفضلة عند افراد المجتمع الراقي ، ولم يرتد في ذلك المساء سوى الطيلسان الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد الطيلسان الجديد الأنيق ، وكان يلبسه شاعرا بالغبطة والارتياح لانه رمز لوظيفته المحترمة . وكان حينما يخلع طيلسانه ويحمله حين انصرافه الى منزله ، ينتابه شعور يقلق خاطره ويشي بلابله ، وهو انه يلبس ملابس غير لائقة . وكان شديد العناية بطيلسانه فهو يطويه ويكويه ، وقد امضى في خدمة الكنيسة ستة عشر عاما لبس في خلالها مجموعة من الطيالسة وكان يظل محتفظا بها حتى بعد أن يخلقها القدم ويعيث بها البلى .

وكان يباشر عمله بالكنيسة في هدوء ، ليعيد وضع الغطاء الخشبي اللون فوق حوض التعميد المرمري ، وينقل الكرسي الذي احضر لتجلس عليه سيدة المسنها المشلولة ، وينتظر القسيس حتى يخرج من غرفة الملابس ليرتبها ويتولى تنسيق ما بها وينصرف الى داره . وفي هذه المرة رآه يمشي في جانب المحراب ، وينحني ازاء الهيكل العالي ، ويهبط الى المشى ، ولكنه كان لا يزال لابسا معطفه الكهنوتي .

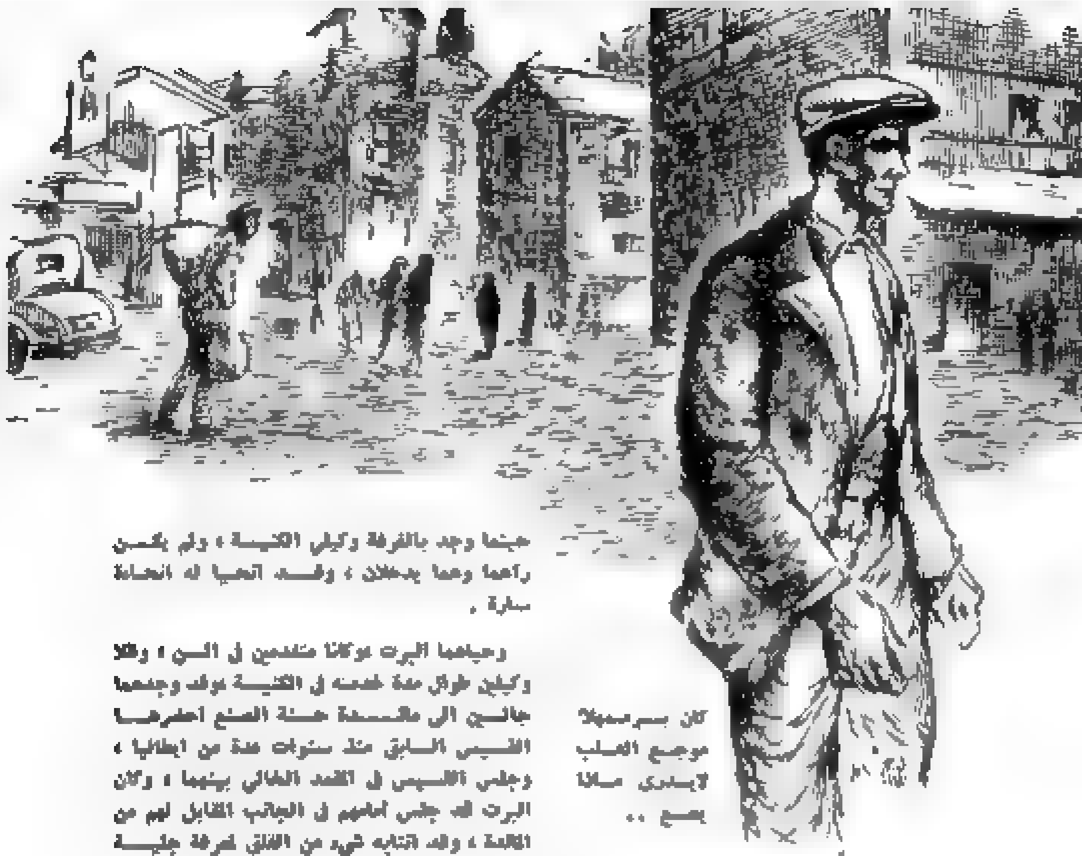
وقال خادم الكنيسة لنفسه : « لماذا يقلب هكذا ؟ الا يعلم انني اريد ان احتسي الشاي ؟ » .

وكان القسيس قد عين حديثا ، وكان رجلا جم النشاط متورد الوجه في مطالع الاربعينيات ، وكان البرت ادوارد لا يزال آسفا على ذهاب القسيس السابق ، وقد كان من رجال المدرسة القديمة الذين يلقون خطبهم الوعظية على مهل وبصوت تخيمه رقة ولين ، ويتناول عشاءه في اكثر الايام مع كبار الاعيان في ابرشيته ، وكان يحب ان تكون الاحوال في الكنيسة على ما يرام ، ولكنه كان لا يثير ضجة ، ولم يكن مثل خلفه الجديد الذي كان يريد ان يتدخل في كل شيء . ولكن البرت كان متسامحا ، وكانت كنيسة القديس بطرس في حي من ارقى الاحياء ، وروادها من خير طبقات المجتمع ، وكان القسيس الجديد قد جاء من الطرف الشرقي ، ولم يكن من المنتظر ان يبادر في الحال الى التكيف وفق اساليب رواد كنيسة من الطبقة الراقية .

وقال البرت لنفسه : « لماذا يثير كل هذه الضجة ؟ ولكن فلنمهله فان مرور الزمن كفيل بأن يعلمه » .

ولما هبط القسيس من المحراب ، واقترب من خادم الكنيسة بحيث كان يستطيع ان يخاطبه دون ان يرفع صوته الى الحد الذي لا يلائم مكان العبادة توقف وقال له : « يا فورمان ، هلا اتيت الى غرفة الملابس لمدة دقيقة واحدة فان عندي اشياء اريد ان احدثك بها » .

ـ « حسنا يا سيدي » .



كان يبتسم موجع القلب لايدري ماذا يصنع ..

وانتظر القسيس مجيئه ومشيا في الكنيسة معا .

وقال البرت : « لقد كان تعميدك غاية في اللطف وقد امتنع الطفل عن البكاء في اللحظة التي حملته فيها » .

فقال القسيس : « لقد لاحظت انهم يعملون ذلك دائما ، وقد مارست ذلك طويلا معهم » .

وكان من مصادر اعتزازه الصامت بنفسه قدرته على تهدئة روع الاطفال الباكين بالطريقة التي كان يحملهم بها ، وكان يشعر بذلك الاعجاب الذي تظهره الأمهات والحاضنات وهن يراقبنه وهو يضع الطفل فوق حنو ذراعه الممتدة من حلته الكهنوتية . وعرف خادم الكنيسة انه مما يسره الثناء على هذه الموهبة .

وتقدم القسيس البرت ادوارد الى غرفة تغيير الملابس ولم يخل البرت ادوارد من الدهشة حينما وجد بالغرفة وكيلي الكنيسة ، ولم يكن رآهما وهما يدخلان ، وقد انحنيا له انحناءة سارة .

وحياهما البرت وكانا متقدمين في السن ، وظلا وكيلين طوال مدة خدمته في الكنيسة وقد وجدهما جالسين الى منضدة حسنة الصنع احضرها القسيس السابق منذ سنوات عدة من ايطاليا ، وجلس القسيس في المقعد الخالي بينهما ، وكان البرت قد جلس امامهم في الجانب المقابل لهم من المائدة ، وقد انتابه شيء من القلق لمعرفة جلية الأمر ، ولقد بدت في وجه القسيس المتورد امارات الاحترام الرقيق ، كما بدا على الوكيلين شيء من الاهتمام والقلق .

وقال خادم الكنيسة لنفسه : « انه لا بد ان يكون قد سببه لهم بعض المضايقة ، وكأنهم عمل شيء لا يميلون اليه ، وعلينا كل ما في الامر » .

ولكن هذه الخطرات لم تبد على ملامح وجهه ، وقد ظهر بمظهر الذي يحترم رئيسه ، ولكنه احترام خال من الذلة والخضوع ، فقد كان في الخدمة قبل ان يعين في الكنيسة ، ولكنه لم يخدم في غير منازل الصفوة ، وكان سلوكه خاليا من الشوائب ، وقبل ان يشغل المكان الذي شغله بكنيسة القديس بطرس كان يعمل في منزل احد السفراء العاملين في الخارج .

وكان طويل القامة ، نحيف البنية ، بادي الوقار ، لبقا في تصرفاته ، قوي العزم شديد الثقة بنفسه .

وبدا القسيس الحديث في خفة ونشاط قائلا :

يا فورمان ، اني أود أن اذكر لك شيئا ربما لا يسرك ، لقد قضيت بالكنيسة سنوات كثيرة ، وقمت بواجباتك خير قيام – وأومأ كل من الوكيلين برأسه ، مؤيدين كلام القسيس – واسترسل القسيس يقول : « ولكني اكتشفت في منذ ايام امرا وجدت من واجبي أن اتحدث فيه مع الوكيلين ، وهو انك لا تعرف القراءة والكتابة » .

فلم يبد في وجه خادم الكنيسة أي أثر للاضطراب وأجاب قائلا : « كان القسيس السابق يعرف ذلك ، وهذا لا أهمية له في العمل الذي أباشره » .

فقال القسيس « هذا من أعجب ما سمعت ، أتريد أن تقول انك خدمت الكنيسة مدة ست عشرة سنة ولم تتعلم في خلالها القراءة والكتابة ؟ » .

فأجاب : « لقد قمت بالخدمة وأنا في الثانية عشرة من عمري ، وحاول الطاهي مرة أن يعلمني الكتابة ، ولكني لم أظهر استعدادا لذلك ، ولم أجد بعد ذلك الوقت الكافي للتعلم ، ولم اشعر في الواقع بالحاجة اليه ، وفي ظني أن الكثيرين من الشبان يضيعون أوقاتهم في القراءة بدلا من أن يقوموا بعمل نافع » .

فقال أحد الوكيلين : « ولكن ألا تريد أن تعرف الاخبار ؟ ألم ترد أن تكتب خطابا » ؟

فأجاب خادم الكنيسة : « كلا ياسيدي ، لقد أمكنني تدبير اموري على الاستغناء عن ذلك ، وقد دأبت الجرائد في السنوات الاخيرة على نشر صور في صفحاتها ، ومن هذه الصور استطعت أن أقف على الاخبار ، وزوجتي تحسن القراءة والكتابة ، وحينما أريد أن أرسل خطابا تتولى هي كتابته » .

فنظر الوكيلان الى القسيس نظرة مطولة على العنق ، ثم خفضا طرفيهما .. وقال القسيس : « لقد تحدثت في هذه المسألة مع هذين السيدين ، وقد وافقنا على أنه لا بد من وضع حد لذلك ، ففي كنيسة مثل كنيسة القديس بطرس لا يصح بحال أن يجهل خادمها القراءة والكتابة » .

فاحمر وجه ألبرت ادوارد النحيل الشاحب ، وتحركت قدماه ، واصطكت ركبتاه ، ولكنه لاذ بالصمت .. واسترسل القسيس قائلا : « افهم ما أقول يا فورمان ، ليس عندي شكوى من عملك ، فانك تؤديه على خير وجه ، وأنا حسن الرأي في خلقك وكفاءتك ، ولكني لا أستطيع أن أحتمل تبعة ما قد يحدث من جراء جهلك القراءة والكتابة ، ثم ألا تستطيع يا فورمان أن تتعلم القراءة والكتابة ؟

فأجاب خادم الكنيسة : « كلا ياسيدي ، لا أستطيع ذلك الآن ، فلست في مرحلة الشباب ، وما دمت لم أتعلم الكتابة في الصغر فكيف أتعلمها وقد علت سني ؟ احسبني لا أجد الفرصة لذلك » .

فقال القسيس : « اننا لا نود مضايقتك واحراجك يا فورمان ، ولكنا جميعا قد عقدنا العزم على أن نعطيك مهلة ثلاثة أشهر ، فاذا لم تعرف في نهايتها القراءة والكتابة فانا سنضطر الى الاستغناء عن خدمتك » .

وكان ألبرت ادوارد قد كره القسيس الجديد منذ قدومه ، وقال من بادىء الأمر انهم أخطأوا باختياره قسيسا لكنيسة القديس بطرس ، فهو ليس من الطراز الذي يصلح لمثل هذه الكنيسة التي ترتادها الطبقة الراقية ، ولذلك من عزمه لمواجهة الموقف ، وكان يعرف قيمة نفسه ، ولم يكن راغبا في أن ينال من مكانته ويتبذل .

فأجاب : « يؤسفني ياسيدي أنه لا فائدة من ذلك كله ، فقد بلغت السن التي تجعلني لا أحسن هذه الالاعيب ، وقد عشت طويلا وأنا لا أعرف القراءة والكتابة ، واجدت القيام بأعمالي بدون هذه المعرفة » .

فقال القسيس : « ما دام الأمر كذلك فيجب أن تترك العمل بالكنيسة » .

« نعم ياسيدي ، اني اقدر الموقف ، وسأقدم استقالتي حينما تجدون من يقوم بعملي » .

ولكن حينما اغلق باب الكنيسة بعد انصراف القسيس والوكيلين بما هو معهود فيه من الأدب لم يستطع الاحتفاظ بمظهر الكرامة والترفع الذي احتمل به الضربة التي وجهت اليه ، وارتعشت شفتاه ، ومشى الى الغرفة الملابس وعلق على المشجب طيلسانه ، وتنهد حينما تذكر الجنائز وحفلات الزواج التي ارتدى فيها الطيلسان ، ورتب كل شيء ، وارتدى حلته ، ووضع قبعته في يده وسار في ممشى الكنيسة ، واقفل بابها خلفه ، وسار في طريق الميدان مهموما مستغرقا في التفكير ، ولم يسر في الشارع الموصل الى منزله ، حيث

كان ينتظره كوب الشاي ، وانما سار في اتجاه خاطره ، وكان يسير مسهلا متوجع القلب لا يدري ماذا يصنع ، ولم يفكر في العودة الى خدمة المنازل بعد ان ظل سيد نفسه عدة سنوات ، فقد كان القسيس السابق والوكيلان يقولون ما يشاءون ، ولكنه هو كان المتصرف في الكنيسة ، وقد ادخر مبلغا مناسبا من المال ولكنه لا يكفيه ليعيش بدون عمل ، والحياة تزداد تكاليفها في كل عام .

لم يكن قد فكر من قبل في مواجهة مثل هذا الموقف ، فقد كانت وظيفة خادم الكنيسة من الوظائف التي يشغلها الناس طوال حياتهم ، ولتهم تنهما عميقا ، ولم يكن البرت ادوارد من هواة التدخين ولا من شاربي الخمر ، ولكنه كان يتساهل مع نفسه في بعض الاحيان فيحتسي كوبا من البيرة في اثناء تناوله طعام العشاء ، وحينما كان يشعر بالتعب يتناول سيجارة ، وخطر له ان يهدىء خاطره باشعال سيجارة ، ولما لم يكن معه شيء من الطباق فقد بحث عن حانوت ليشتري منه علبة سجاير ، وسار قليلا قبل ان يهتدي الى الحانوت الذي يبيع السجاير ، وكان الشارع الذي سار فيه طويلا ، وبه حوانيت مختلفة ، ولكنه لم يكن به حانوت واحد لبيع السجاير .

فقال البرت لنفسه : « هذا عجيب » ، واعاد السير في الشارع ، وتأكد من انه خال من حانوت لبيع السجاير ، وقال لنفسه : « لا يمكن ان اكون الشخص الوحيد الذي مشى بهذا الشارع واحتاج الى سيجارة ، ولو حصيف أريكون النجاح من نصيب انسان له في هذا المكان حانوت صغير لبيع التبغ والحلوى » .

وبعدا يفكر في هذا الموضوع ، وتحول الى الطريق المفضي الى منزله ، وتناول الشاي ، وقالت له زوجته : « لماذا لزمت الصمت في هذا المساء » ؟

فاجابها : « لانني مشغول بالتفكير » .

وقلب الامر على جميع جوانبه .

وفي اليوم التالي سار في الطريق نفسه ، ولحسن حظه رأى حانوتا صغيرا للايجار مناسبا له ، فلم يتردد في استئجاره ، ولما ترك خدمة الكنيسة بعد شهر قام بالعمل في الحانوت بوصفه بائع طباق وصحف جرائد ، ووجدت زوجته ان في ذلك نزولا عن مكانته في خدمة الكنيسة . فاجابها : بانه يساير الايام ويخضع لحكم الظروف .

ووفق في عمله الى حد انه فكر في استئجار حانوت آخر ، وان يعهد في القيام بالاتجار به الى احد العمال ، واخذ يبحث عن شارع آخر طويل الامتداد وليس به حانوت لبائع طباق ، ولما وجد مثل هذا الشارع ، وعثر به على حانوت صغير لم يتردد في استئجاره ، ونجح كذلك في هذه المرة نجاحا باهرا .

وخطر بباله انه اذا سار على هذا النمط فان النجاح سيكون دائما حليفه . وبعدا يسير في شوارع لندن ، فكلما وجد شارعا طويل الامتداد ليس فيه حانوت لبيع الطباق استأجر الحانوت المناسب الذي يعثر عليه به .

وفي مدى عشر سنوات اصبح له ما لا يقل عن عشرة حوانيت لبيع الطباق ، وكثرت امواله وعلت امواله ، وكان يطوف على هذه الحوانيت ويجمع ما تدر عليه من الدخول .

وفي ذات يوم كان يحمل رزمة من الاوراق المالية الى البنك ، فاخبره الصراف ان مدير البنك يريد ان يراه ، ولما ذهب الى مكتبه قال المدير له : « يا سيد فورمان : اريد ان اتحدث معك حديثا موجزا ، هل تعرف على وجه التحديد ما لك من رصيد عندنا » ؟ .

فاجابه : « لا اعرف بالدقة ، ولكن عندي فكرة عامة عنه » .

فاجابه المدير : انه قرابة ثلاثين الف جنيه ، ومن الخير لك ان تستثمره .

فقال له خادم الكنيسة السابق : « سارك الامر بين يديك » .

فقال له المدير : « سنقوم بعمل اللازم وما عليك الا ان تضع توقيعك » .

فضحك السيد فورمان وقال : « هذا ما لا استطيعه ، فاني لا اعرف القراءة والكتابة » .

فعجب المدير ، وقال له : « هذا شيء يتجاوز المألوف ، ومن اغرب ما سمعت ، واريد ان تقول انك قمت بهذا العمل وجمعت هذه الثروة ، وانت لا تعرف القراءة والكتابة ؟ وماذا كان يكون من شأنك لو انك كنت تعرف القراءة والكتابة ؟

فاجابه فورمان وقد علت وجهه ابتسامة خفيفة : « كنت اكون خادما في كنيسة القديس بطرس بميدان نيفيل » . ■■

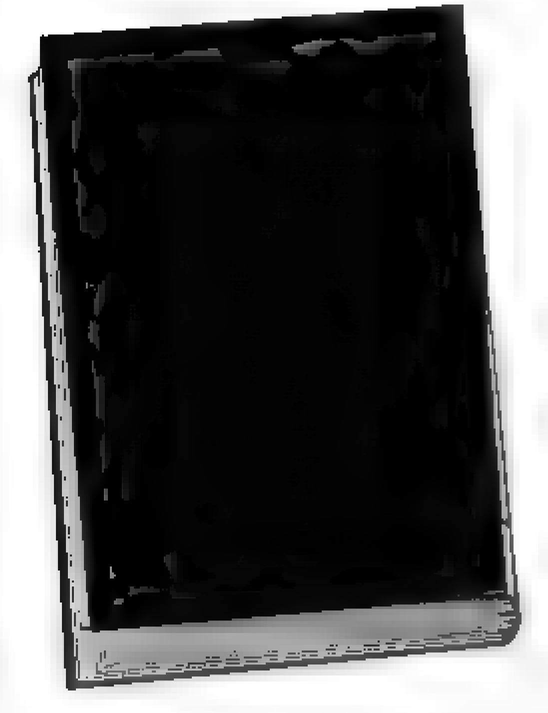
ترجمة : علي ادهم

الرحالة «كاف»

عبد الرحمن الكواكبي : لعباس محمود العقاد

بقلم : الدكتور محمود السمره

الجامعة الاردنية ـ عمان



● اهتم الدارسون المعاصرون بالكتابة عن المفكر السوري الشهير عبد الرحمن الكواكبي ، وهو بهذا الاهتمام جدير . والصفة البادية في هذه الكتابات هي انها حاولت ان تعرض آراء الكواكبي كما وردت في كتابيه الشهيرين « ام القرى » و « وطبائع الاستبداد » ، دون أن تدرس دراسة مستفيضة العصر والظروف التي عاش فيها الكواكبي .

وفي رأيي ان الدراسة العلمية الوافية للكواكبي لا تكون الا بتتبع ما نشر في صحف ومجلات ودوريات عصره . ومثل هذه الدراسة تتطلب جهدا كبيرا يبذله الدارس في البحث عن هذه المصادر ، وهي مصادر متناثرة في المكتبات العامة والخاصة .

واذا كان المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد لم يلم الماما بهذه المصادر ، فانه قد عوض عن هذا بذكائه وحسن تناوله للكواكبي : فهو قد أدرك ببصيرته ما خفي من المعاني في كتابي الكواكبي الشهيرين . ومع هذا فان الكواكبي ، في رأيي ، ما زال بحاجة الى مزيد من الدراسات تكتب عنه .

ابن حلب الشهباء

والكواكبي هو ابن حلب الشهباء ، المدينة العريقة في القدم . وينتسب الى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب . وتذكر شجرة نسبه ان من اجداده اسماعيل الصفوي الذي جلس على عرش فارس ،



رأس فيها الاسرة الصفوية . وتقول الروايات ان أول من اشتهر باسم الكواكبي من العائلة هو محمد أبو يحيى بن صدر الدين ، لأنه كان يعمل في الصياغة ، ويتقن صنع المسامير التي تسمى الكواكب لاستدارتها ولمعانها .

وقد رأى الكواكبي النور سنة ١٨٥٤م/١٢٧١هـ، حسب رواية ابنه الدكتور اسعد . وهذا التاريخ مخالف للأوراق الرسمية التي تذكر انه ولد حوالي سنة ١٨٤٨م/١٢٦٥هـ . ويبدو ان ظروفه كانت مضطربة ، فقد فقد امه وهو في نحو السادسة من عمره ، فأودعه أبوه حضانة خالته بانطاكية حيث اقام بها الى سنة ١٢٨٢هـ . ثم عاد الى حلب ليلتحق بالمدرسة الكواكبية ، ويتعلم فيها اللغتين التركية والفارسية ، ومبادىء الرياضيات . وعلى يدي والده درس علوم الدين واللغة . وقد كان هذا الوالد من معلمي الجامع الأموي ، واصحاب المناصب الشرعية . والى هذا اضاف الثقافة الحديثة حتى ليخيل لنا انه قد كرس وقته لاكتساب المعرفة . وقد برزت هذه الثقافة في كل عمل وكل اليه : في عمله في صحيفة « فرات » العربية التركية التي انشأها المؤرخ التركي احمد جودت باشا ، ثم في صحيفة « الشهباء » التي انشأها في حلب مع زميله هاشم العطار فكانت اول صحيفة عربية فيها ، وبعدها في صحيفة « الاعتدال » التي انشأها بعد تعطيل « الشهباء » لصراحتها في نقد الادارة التركية . ولكن « الاعتدال » لم تلبث ان لقيت المصير نفسه الذي لقيته « الشهباء » من قبل .

ولما يئس من الاصلاح من طريق الكتابة قبل العمل في وظائف الحكومة ، وتولى في هذه الوظائف ضروبا متنوعة من اعمال الادارة ، والقضاء ، والتعليم . وقد قام اثناء توليه هذه الوظائف باصلاحات جمة : فزاد اجور العمال سداً لذرائع الرشوة والاختلاس ، وضبط أعمال الغرفة التجارية بالاحصاءات ونظمها على غرار الغرف التجارية في البلاد المتحضرة ، ووضع مشروعا لانارة الشهباء وضواحيها بالكهرباء ، وبناء مرفأ للسويدية، وجلب الماء الى حلب من نهر الساجور، وتجفيف المستنقعات التي كانت تنشر الاوبئة بين السكان .

وقد كان في كل اعماله التي تولاها صريحا نزيها ، فجرت عليه صراحته ونزاهته عداوة المسؤولين الذين كانوا يعيشون على الفساد ، وهكذا اخذوا يكيدون له ، مما اضطره الى ترك بلاد الشام الى مصر .. ارض الكنانة .

الرحلة كاف

وصل الكواكبي الى مصر في منتصف شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٩٨ ، وتوفي بها في شهر يونيو (حزيران) ١٩٠٢ ، وتخلل هذه الفترة رحلتان . يقول الشيخ محمد رشيد رضا ، صاحب مجلة المنار ، ان الكواكبي « وجه همه أخيرا الى التوسع في معرفة حال المسلمين ليمشي في الاصلاح على بصيرة ، فبعد اختباره التام لبلاد الدولة العلية ـ تركيا وعربيا واكرادها وأرمنها ـ



ثم اخضعوه لمصر ومعرفة حال السودان منها ، ساح في سواحل افريقيه الشرقية وساحل آسيا العربية، ثم أتم سياحته فاختبر بلاد العرب التي كانت موضع أمله أتم الاختبار . فقد دخلها من سواحل المحيط الهندي ، وما زال يوغل فيها حتى دخل سورية ، واجتمع بالامراء وشيوخ القبائل وعرف استعدادهم الحربي والادبي ، وعرف حالة البلاد الزراعية ... وقد انتهى في رحلته الاخيرة الى كراجي في حوانيد الهند ، وسخر الله له في عودته سفينة حربية ايطالية حملته بتوصية من وكيل ايطاليا السياسي في مسقط، فطافت به في سواحل بلاد العرب » ا وسواحل افريقية الغربية ، فتيسر له بذلك اختبار هذه البلاد اختبارا سبق به الافرنج ، وكان في نفسه رحلة اخرى يتمم بها اختباره للمسلمين ، وهي الرحلة الى بلاد المغرب، ولكن حالت دونه المنية التي تحول دون كل الاماني والعزائم . » ا

وكان الكواكبي يوقع مقالاته عن رحلاته باسم « الرحالة كاف » وبهذا الاسم عرف .

قضيتان شغلتاه

وهاتان الرحلتان اغنتا الكواكبي في مهمته الاصلاحية ، واطلعتاه على احوال البلاد العربية والاسلامية ، وانضجتا آراءه في القضيتين اللتين شغل بهما عن غيرهما وهما قضية البحث في اسباب تأخر الامم، ولا سيما امم العالم الاسلامي ،وقضية البحث في عوامل الاستبداد في حكم الدول ، ولا سيما الدولة العثمانية .

وقد اودع الكواكبي زبدة آرائه عن قضية العالم الاسلامي في كتابه « ام القرى »

واودع زبدة آرائه عن الحكم والاستبداد في كتابه « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » .

ويذكر الذين ترجموا له انه وضع كتابا سماه « صحائف قريش » ، وكتابا آخر سماه « العظمة لله » وترك ديوانا من الشعر لم تبق منه غير كراسة فيها قصائد في الحكمة والنسيب والمدح والرثاء والهجاء ، وعدد ابيات هذه القصائد نحو ثلاثة الاف بيت .

ويبدو ان « صحائف قريش » تذييل لكتابه « ام القرى » ، و ان « العظمة لله » اضافة الى « طبائع الاستبداد » . ولكن هذين الكتابين لم يريا النور ، الا صودرا مع اوراقه في حلب .

« أم القرى »

وكتاب « ام القرى » هو اول كتاب وضعه الكواكبي ، ولكنه لم يضعه الا بعد دراسة طويلة لحال المسلمين واسباب ضعفهم وتخلفهم . وفي هذا الكتاب تخيل المؤلف ان جمعية « ام القرى » قد انعقدت في مؤتمر عام في مكة المكرمة . وفي هذا المؤتمر جمع الكواكبي مندوبين عن امم العالم الاسلامي في المشرق والمغرب يمثلون الهند والصين والافغان والعراق والحجاز والشام ونجد واليمن ومصر وتونس ومراكش ، وغيرها من الاقاليم ، والقى على لسان كل منهم خطابا يشرح حالة المسلمين كما اختبرها الكواكبي نفسه . وتنتهي اسباب التأخر التي ذكرها المؤتمرون الى سبب جميع الاسباب في رأي الكواكبي ، وهو الحكومة المستبدة

« فلماذا يضعف المسلمون ؟

يضعفون لانهم اهملوا آداب الدين التي جهلوا بها في صدر الاسلام .

ولماذا اهملوا آداب الدين ؟

لانهم جهلوا لبابه ، واهتموا منه بالقشور .

ولماذا جهلوها ؟

لانهم فقدوا الهمة، وقنعوا بالضعة ،واستكانوا الى الخور والتسليم .

وقد لن تتابع حلقات السلسلة هكذا كما لاحظتها

طرفا ، فتقول انهم فقدوا الهمة لانهم جهلوا ، وانهم جهلوا لانهم اهملوا آداب الدين ، ، وانهم اهملوا آداب الدين لانهم ضعفوا » .

وهكذا نرى ان كل علة من هذه العلل هي مقدمة من جهة ونتيجة من الجهة الاخرى ، الا الحكومة السيئة فانها ملتقى الاسباب والنتائج في كل عرض من الاعراض .

« طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد »

وكتابه « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » هو آية الكواكبي ، وهو يتألف من سلسلة مقالات نشرها لاول مرة في صحيفة « المؤيد » ، وتناول في كل مقال منها عارضا من عوارض الاستبداد التي يشاهد اثرها في احوال الامم والافراد . والمقالات بمجموعها تدرس العوارض الاجتماعية التي تصاحب الاستبداد في احوال الدين ، والعلم ، والمجد ، والثروة ، والاخلاق ، والتربية ، والتقدم . وقد مهد الكواكبي لهذه المقالات بتعريف الاستبداد ، ثم عقب عليها بوسائل الخلاص منه .

والسؤال الذي يجبهنا عند التحدث عن « طبائع الاستبداد » هو : كم في هذا الكتاب من الكواكبي؟ وكم فيه من غيره ؟

يرى الاستاذ العقاد ان الكواكبي استفاد كثيرا من كتاب بعنوان « مقالات في الاستبداد » Della Tirannide للفيلسوف الايطالي فيتوريو الفيري Alfieri ، وكان هذا الكتاب قد ظهر في اواخر القرن الثامن عشر (١٧٧٧ م) وشاع بين ابناء الثوار الايطاليين ، والواقع ان ما بين « طبائع الاستبداد » و « مقالات في الاستبداد » اكثر من تشابه . انه تشابه قد يصل احيانا الى درجة التتبع ، فالكواكبي قد اخذ من الفيري افكاره الرئيسية ، ولكنه طبقها على المجتمع الاسلامي والعربي .

ومن ينظر في الكتابين نظرة عابرة يرى ان كلا من الكتابين كتب في : تعريف الاستبداد وتعريف المستبد ، ثم كتب عن الخوف والتملق والطموح ، ثم كتب عن الانحلال والدين والمقابلة بين الاستبداد القديم والحديث وعن الشرف الزائف والمجد الكاذب ، وعن نفوذ الزوجات في عهود الاستبداد ، وعن وسائل المقاومة للاستبداد ، وعن الشعوب التي لا تحس الطغيان والحكومات التي تركن اليه . والفرق بين الفيري والكواكبي ان الكاتب الايطالي قد طبق هذه الموضوعات على احوال الامم الاوروبية ، بينما طبقها الكواكبي على احوال الامم الشرقية عامة ، والاسلامية خاصة .

ويتساءل الاستاذ احمد امين في كتابه « زعماء الاصلاح في العصر الحديث » : كيف وصل الفيري الى علم الكواكبي ؟ ولكنه لا يجيب على هذا السؤال .

ويرى الاستاذ العقاد ان الكواكبي عرف الفيري عن طريق الايطاليين في حلب ، كما انه كان يلتقي بوكلاء الحكومة الايطالية في شواطىء بحر العرب ، ويسافر على احدى السفن الايطالية بإذن اولئك الوكلاء ، فليس بالعسير بعد ذلك أن يعرف الكواكبي شيئا عن الكاتب الايطالي « المشهور » كما وصفه في كلامه .

والرجح ، في رايي ، ان الكواكبي انما اطلع على الكتاب في ترجمته التركية ، وهي لغة يتقنها . وقد قام بترجمة كتاب الفيري الى التركية كاتب من احرار الترك المهاجرين الى سويسرة اسمه عبد الله امين . والذي يدعونا الى مثل هذا الاعتقاد أن ما بين الكتابين من تشابه يكاد يبلغ حد التماثل ، لا يمكن أن يكون نتيجة اتصال بايطاليين قد اطلعوا على الكتاب وتحدثوا عنه الى الكواكبي ، بل نتيجة اطلاع على الكتاب نفسه . وبما ان الكواكبي كان يجهل اللغة الايطالية ، الذي

لم تبق هناك من وسيلة تفسر اطلاعه على الكتاب سوى وصول الترجمة التركية الى يديه .

ويرى كتاب آخرون ان الكواكبي قد تأثر في كتابه بالكتاب الفرنسيين الذين مهدوا للثورة الفرنسية . يقول ابراهيم سليم النجار :

« سبق لي ان قرأت في شبابي كتاب « الكونترا سوسيال » أي العقد الاجتماعي لجان جاك روسو ، ثم انقطعت عن الرجوع اليه ، فلما قرأت كتاب « طبائع الاستبداد » أعاد الى ذاكرتي كتاب الكاتب الفرنسي العظيم . ولو كان الشيخ العربي ، يعرف ولو قليلا ، اللغة الفرنسية لاعتقدت انه اخذ عنه أو احتذى حذوه ، ولكن الحقيقة ان العقول النيرة والقلوب الكبيرة نيرة وكبيرة مهما اختلفت لغاتها وبلادها واقاليمها » .

والحقيقة ان اولئك الذين لاحظوا تأثر الكواكبي بكتاب الثورة الفرنسية مصيبون ، ولكن فاتهم ان هذا التأثر قد جاء من طريق غير مباشر . فالكواكبي متأثر اولا واخيرا بالطهطاوي ، والطهطاوي متأثر الى حد كبير بروسو ، ومنتسكيو ، ومكيافيلي .

وليس التشابه موجودا بين الكتابين فقط ، بل بين الكاتبين ايضا : فبين الكواكبي والطهطاوي شبه كبير في السيرة والمنزع والظروف العامة ، فكلاهما تعود الرحلة في طلب المعرفة باحوال الامم ، وكلاهما اضطر الى الكتابة في ظل الرقابة ، وكلاهما نزل مختارا او مضطرا عن ثروته . وزاد الطهطاوي فاسلم ما بقي له من الثروة الى اخته لتسلمه منها نفقته التي يحتاج اليها ، رغبة منه في التفرغ للرحلة والكفاح والدعوة باللسان .

وفاته سر من الاسرار

وتختلف الروايات في تفسير الاسباب التي ادت الى وفاة الكواكبي ، واكثر الروايات تكاد تجمع على انه ذهب ضحية الغدر والدسيسة متسمما من جواسيس السلطان عبد الحميد الثاني ، الذين دسوا له السم في الطعام . كما ترى روايات اخرى انه مات بالذبحة الصدرية .

ودفن الكواكبي بالقاهرة بباب الوزير ، وعلى صفحته الرخامية بيتان لحافظ ابراهيم هما :

هنا رجل الدنيا ، هنا مهبط التقى
هنا خير مظلوم ، هنا خير كاتب

قفوا واقرأوا ام الكتاب وسلموا
عليه ، فهذا القبر قبر الكواكبي

★ ★ ★

واذا اردنا ان نوجز القول في الكواكبي ، قلنا فيه ما قاله فيه الاستاذ العقاد :

« رجل دائم الشعور بعروبته ، شديد الغيرة على نسبته العربية .. تجرد لرسالته وتفرد بها في بيئته ، لان هذا الاستعداد الموروث عند القدم يسانده استعداد خاص به من فطنته وملكته ومطالعته وبراعته النفسية . فلا تكفيه الفطنة وحدها لان الفطنة لا تقدم ولا تؤخر ما لم تساعدها الخلائق التي تصبر على الشدة ، وتقدم على المخاوف ، وتضطلع بتكاليف النجدة والمروءة ، ولا تصبه الفطنة والخلق بغير البواعث النفسية التي تثير الضمير وتستجيش الخاطر ، وبغير البيان الذي استفاده من دراسته واطلاعه وحسن اصغائه الى ذوي المعرفة والخبرة من صحبه ..

كان الرجل نفسية حية متفقة المقدمات والنتائج .

كان شخصية ارستقراطية لا موضع فيها للفوضى او الغواية .

مفتاحها اذا التمسنا المفتاح لبعض زواياها انها شخصية عزيز قوم يغضب لكرامته وكرامة قومه » .

■■

محمود السمرة



التخطيط المشترك بين المعلم والتلميذ

تأليف لويز بلريش وايلون داسكين ـ ترجمة عنايات عبد العزيز فريد ـ مكتبة الانجلو بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ٢٥ قرشا .

● الكتاب عبارة عن حصيلة لمشكلة التي عالجها المعلمون في مشاكل كلية وفرعية تتعلق بمنهج التربية والتعليم بالنسبة الى وسائله وغاياته . كما يبحث المؤلفان شأن المعلم في تخطيط التعليم وعمل النهج ، وعمدنا الى ابراز مواقف عملية محددة في هذا المجال ، وبينا طرق معالجتها في حدود الامكانيات الموجودة في البيئات المختلفة . والكتاب خير معين للمعلمين وقادة الشباب في العالم العربي .

النافذة المغلقة

تأليف يوسف جاد الحق الثمن ٢٠٠ قرش سوري

● مجموعة من القصص الشيقة قدمت اشخاصها وحوادثها بطريقة فنية جذابة مما يجعل القارئ يندمج في جو القصة ويشاب خاطره في صورها وحوادثها .

هندسة الاحلام

تأليف : بوبيفاس ا . بوس ترجمة الدكتور انور محمود عبد الواحد
دار النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة بالقاهرة الثمن ١١٥ قرشا

● هذا الكتاب ينقل المعلومات الفنية بترتيب وتبويب ينمان عن ذوق فني رفيع وتفهم عميق للمادة فخرج الكتاب سهلا سلسا يدعو قارئه الى التوفر على استيعاب ما فيه من مادة دون ملل او سأم .

الشئون المنزلية للناشئات

تأليف : ايفلين جونز و هيلين برنهام ـ ترجمة اسماء جودة ، مكتبة النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ٩٠ قرشا .

● يعالج هذا الكتاب مجالات الاقتصاد المنزلي بصورتها الحديثة معالجة شاملة . ويتناول بالشرح البرامج الاساسية لاعداد الفتيات والمدربين في الاقتصاد المنزلي . كما يعتبر الكتاب الاول من نوعه في المكتبة العربية اذ يعرض كل مجالات الاقتصاد المنزلي .

روائع الشعر الفارسي

ترجمة محمد الفراتي .
وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق

● مختارات مترجمة لجلال الدين الرومي ، وسعدي الشيرازي ، وحافظ الشيرازي .

العمليات الجماعية في المدارس الابتدائية والثانوية

تأليف لويس م. سميث ـ ترجمة الدكتور ابراهيم خليل شهاب ـ دار القلم بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة
الثمن ٨ قروش

● استخلص مؤلف هذا الكتاب البحوث التي اجريت لتدريس العمليات الجماعية في المدارس الابتدائية والثانوية وقدم البنود التي يرتجى ان تكون ذات عون اكبر لمدرس الفصول .

تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب

لابن الفوطي . تحقيق الدكتور مصطفى جواد
وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق

● هذا هو الجزء الرابع من القسم الثاني من الكتاب ، وهو يبدأ بحرف العين وينتهي بحرف الغين .



خير الصدقات ..

من « التيمز » الهندية .

● كثير من الجمعيات الخيرية تقوم باعطاء الفقراء والعجزة الطعام والثياب وشتى الحاجات عونا لهم على الحياة .

ولكن من الجمعيات ما يقوم باعطاء الفقراء والعجزة التأهيل الذى يجعلهم صالحين لكسب رزقهم بانفسهم ، بالتدريب احيانا ، وبخلق الفرص ، وشتى السبل التى تتيح لهذه الجمعيات نتيجة للخبرة الواسعة .

ان طريقة المعونة ، هذه الثانية ، لا شك اصعب الطريقتين ، ولكنها الافضل عند الفقراء والعجزة .

والسبب فى ذلك الكرامة الاصيلة فى الانسان يانف ان ياكل من يد الغير ، ولو مضطرا ، ويفضل الف مرة ان يكون قادرا على العمل ، صالحا له ، مدربا عليه ، ياكل مما تكسب يداه .

والمثل يقول : اعط الرجل الجائع سمكة ، ياكلها يشبع جوع يوم ، ولكن اعطه عصا وصنارة ، وعلمه كيف يصطاد السمك ، يظل ياكل ويشبع كل يوم .



مالكولم اكس

مالكولم اكس .. الشهيد الحر ..

من نيو ستيتمان :

● كان لمصرع مالكولم اكس صدى كبير خارج امريكا . اما فى اوروبا فهو لا يعدو ان يكون برهانا جديدا على عنف اسحبه فى الولايات المتحده والاضطراب الذى يكمن فى مجتمعها الكبير .. غير ان مصرع هذا الرجل المعذب ، الذى قتل والده على أيدى جماعة « كو كلاكس كلان » ، سيكون له فى افريقيا وآسيا اثر « خاص » .

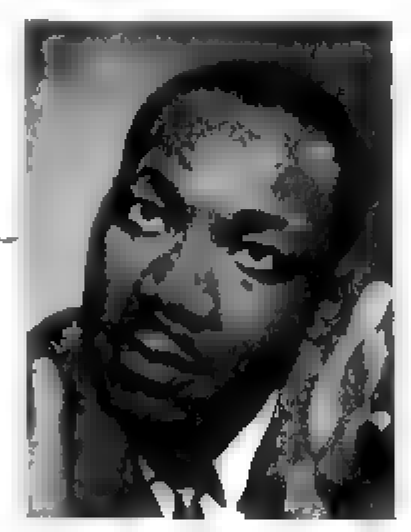
لقد سمعت من ـ جسمر دلكبس ـ التى تعمل فى صحيفه الطلبه فى مدرسه العلوم الاقتصاديه فى لندن ان اكبر قاعات المدرسه اكتظت بالذين جاءوا للاستماع اليها ، فقد اصغى اليها شعوب افريقيا وآسيا وحزب الهند الغربيه .

هل تظل المانيا .. المتحدة .. تحت حكم جاراتها ؟

عن اكونوميست :

● يعترض الجنرال دي جول ، في تصوره للاحداث القادمة، اعتقاد الروس بان فصل اوروبا عن امريكا سيمحو المغامرة من جانبهم بمحاربة حكومة شيوعية في المانيا الشرقية ومعها الفرق العشرون الموجودة هناك . لعل هذا الامر كان صحيحا بالنسبة اليهم فيما مضى، اما الآن .. فهل ما زال ذلك رأيهم ؟ اذا كان بدى المانيا من الثقة في الغرب ما يدفعها الى السعي للاتحاد من جديد، بغض النظر عن تأثير هذا على علاقتها مع امريكا ، فهل يتصور احد ان المانيا المتحدة ، التي ستصبح الدولة الثانية في اوروبا الجديدة بعد روسيا ، سوف تقتنع بان تظل تحت حماية جاراتها الاوروبيات ، وان تلعب دورا ثانويا بعد فرنسا التي امتلكت القوة حديثا .. ؟

ان الروس كانوا دائما يميلون الى اعتبار بون ، لا باريس ، مركز الثقل بالنسبة للسوق المشتركة ، واعادة الوحدة الالمانية لن تجعلهم يغيرون افكارهم . ولذا فمن الجائز ان الروس قد يفضلون وجود امريكا في اوروبا ، على ان يطلقوا مارد دولة اوروبية جديدة ذات قوة عظيمة على الراين ..

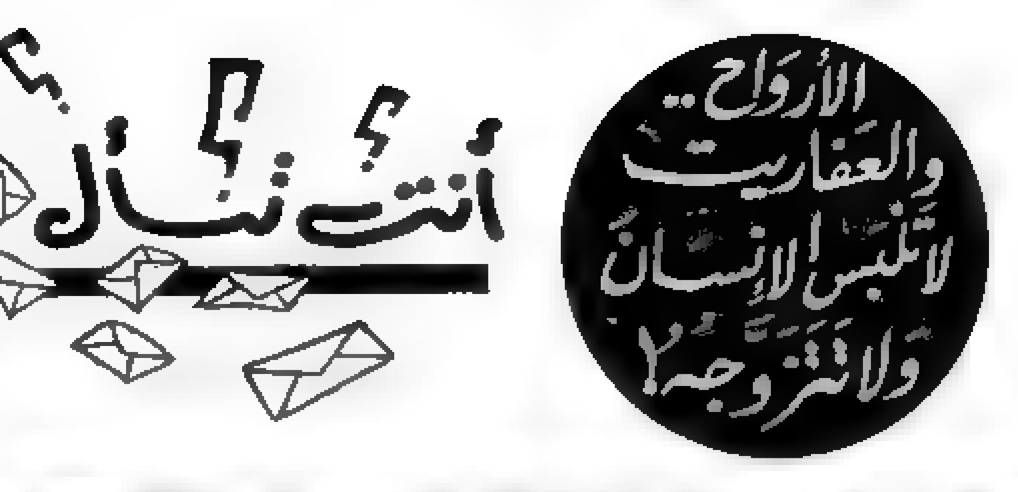


مارتن لوثركنج

بحماسة متزايدة، وخرجوا وهم يقولون « هذا ما نؤمن به » غير ان ما يؤمنون به ، وما قاله مالكولم اكس يومئذ ، كان شيئا مختلفا عن اسلوبه المعتاد في عرض آرائه . انه لم يكن يؤمن بالانفصال وهو سياسة التفرقة بأمريكا ولم يكن يدعو الى العنف بصورة ايجابية ، بل كان يقول : « اننا لسنا مع العنف باي شكل من الاشكال ، غير اننا مدينون لانسانيتنا بالدفاع عن انفسنا » .

لقد كان يريد وضع حد لهذا الاسلوب الحنوني في ارسال اناس غير مسلحين الى الميسيسبي حيث الاضطهاد العنصري . فقال : « يجب ان نرسل اليهم من يعرف كيف يحميهم » . وبين هذه الدعوة والحث على العنف فرق كبير ..

لقد اغتيل مالكولم اكس في اللحظة التي كان موقفه يقترب اقترابا وثيقا متزايدا من موقف الدكتور لوثر كينج ، لقد كان الاثنان خليقين بان يشكلا معا قوة لاتقهر .



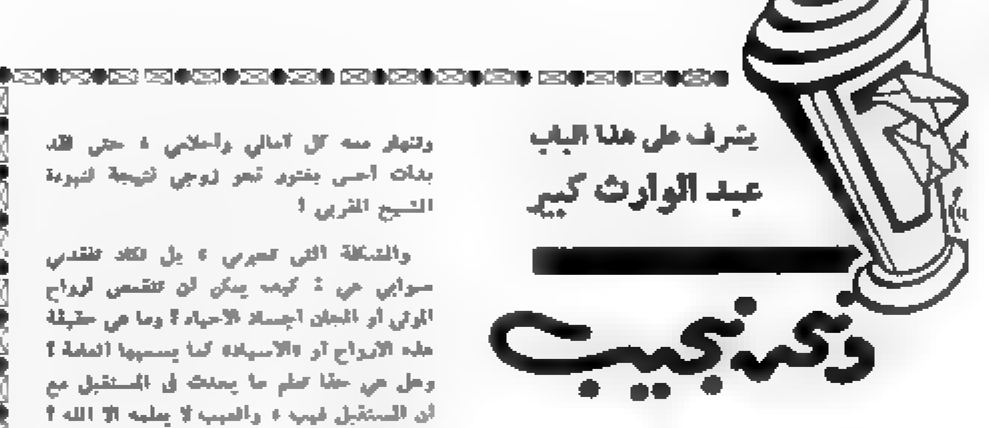
الزار بدعة .. والتنبؤ بالغيب ضلالة ..

● أنا سيدة مثقفة ، متزوجة ، أجتاز في هذه الأيام مرحلة من مراحل القلق والحيرة ، تكاد تزلزل صرح سعادتي الزوجية ، وتزعزع عقيدتي وإيماني ، فمنذ زمن غير بعيد جاء لزيارتنا بعض الأقارب لزوجي ، ومن بينهم رجل قالوا ان روحا تحضره (تابع الملوك) فتلبسه فتنبئه عن المستقبل ، فلما أنكرت ذلك عليهم قام بعضهم بإغلاق الأبواب والنوافذ ، بينما أطلق آخرون بعض البخور ، وجاءوا بمصحف وسبحة ، ثم نثروا في أركان الغرفة بعض القهوة (السادة) وإذا بصاحبها يعلو شهيقه وتصطك أطرافه ، وإذا هو يتحدث بصوت نسائي ، ليحيينا ثم يسألنا عما نريد ، فانهالت عليه الأسئلة وهو يجيب عنها جميعا ، ويخبر عن أشياء حدثت في الماضي ، وأخرى قال انها ستحدث في المستقبل ، وكأنه يقرأ في كتاب مفتوح .

وانتهت السهرة دون أن أعلق كبير أهمية على ما حدث ، الى أن مرضت احدى قريباتي فذهبت لأعودها ، وما كان أشد دهشتي عندما رأيت حولها معظم سيدات الأسرة ، والى جوارها احدى « شيخات الزار » وقد أطلقت البخور وراحت تدق على الدف وتهمهم بكلمات غير مفهومة لفظا بطريقة تتشنج والرغى والزبد،

اتقوا الله أيها الآباء واعدلوا بين أولادكم

● نحن ثلاث أخوات ، توفيت أمنا منذ سنوات ، وأبونا شيخ كبير لكنه غني ، وبعد فترة غير قصيرة من وفاة أمنا تزوج والدنا بفتاة في عمر صغرانا ، وهي فتاة لعوب استطاعت أن تملك عليه لبه ، فأصبح وكأنه دمية في يديها .. وبعد عام من زواجهما وضعت طفلا ذكرا مع أن أبانا جاوز السبعين .. فما كان منها الا أن ظلت تلعب بعقله حتى حملته على أن يكتب على نفسه كمبيالة باسمها بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ دينار ، ثم عادت تطالبه بأن يحرر باسم ابنها الطفل عقدا ببيع ما يقرب من ثلث أملاكه ، ولما فاتحناه في ذلك ثار في وجوهنا وقال انه حر فيما يملك ، فلما شكوناه الى أقاربنا زادت ثورته وطردنا من بيته وهددنا بأن يحرمنا من ميراثه وقال انه سيكتب كل ثروته



واخيرا تكلمت بصوت كصوت الرجال ، وبلهجة مغربية لتقول ان روح الشيخ احمد المغربي هي التي تتكلم ، وان الشيخ قد عشق زوجتي بالله مع انها زوجة وأم لثلاثة اطفال !

واخذت « شيخة الزار » تسأل « الشيخ المغربي » وهو يجيبها من لسانها يوم انها ستحدث في المستقبل . فلما سألته كيف يعرف المستقبل وهو غيب ؟ قال « ان كل ما يحدث لنا مكتوب على اكتافنا ، وانه يقرأ هذا المكتوب من طريق الاثر » ، وهو اى شىء يحمل عرقنا أو رائحتنا كمنديل أو غيره . فسألته سؤالا أجاب عنه بما يزعزع كيان حياتي الزوجية وتنهار معه كل آمالي واحلامي ، حتى لقد بدأت احس بفتور نحو زوجتي نتيجة لنبوءة الشيخ المغربي !

والمشكلة التي تحيرني ، بل تكاد تفقدني صوابي هي : كيف يمكن ان تتقمص أرواح الموتى أو الجان اجساد الاحياء ؟ وما هي حقيقة هذه الارواح أو « الاسياد » كما يسميها العامة ؟ وهل من حقنا نعلم ما يحدث في المستقبل مع ان المستقبل غيب ، والغيب لا يعلمه الا الله ؟ واخيرا هل صحيح ان كل ما يصيبنا مكتوب على اكتافنا ؟ واذا كان ذلك صحيحا ، فما هو لزوم الجنة والنار ، والثواب والعقاب ؟

بربكم انقذوني من حيرتي فاني اكاد اجن ، وافقد ايماني ، وذلك ما لا اريده بحال !!

سميرة عمار : البصرة

— ليس غريبا ان يتساءل بعضنا وراء ما يزعمه المشعوذون من ان الجن يلبس جسم الانسان ، وان لهم القدرة على اخراجه ، او استخدامهم لاظهار الغيب والتنبؤ بالمستقبل وعلاج ما استعصى من الامراض، او ان يحصلوا امكان الاتصال الجنسي بين الانس والجن ، مما جعلنا نجد بين العلماء ورجال الدين امثال العلامة ابن تيمية يقول عن الجن « ان من الناس من رآهم ، ومنهم من كلمهم ،

البقية على صفحة ١٥٠

لابنه الطفل لانه هو الذي سيحمل اسم العائلة ، اما نحن فليس لنا ان نرث !

اشيروا علينا بربكم ماذا نصنع لايقاف سيطرة هذه المرأة اللعوب على عقل والدنا ، وكيف نحول دون استجابته لما تريد .

الطالبات : س ، ل ، ص

ان تفرقة الآباء والأمهات بين البنين والبنات لم يعد لها مكان في هذا العصر الذي تقف فيه المرأة مع الرجل على قدم المساواة وتشاركه في حمل اعباء الحياة مشاركة فعالة ، في الريف والحضر ، في السلم والحرب ، ولم تعد تلك العضو الاشل في الاسرة ، لا يأبه بها احد ، ولا تملك من امر نفسها قليلا ولا كثيرا ...

وهذه التفرقة المنحرفة من الآباء والامهات تغرس الحقد والضغينة والعداوة والبغضاء بين الاسر ، عداوة لا تقتصر على الاخوة والاخوات بل تمتد الى ذرياتهم من بعدهم . ولذا نهى عنها الاسلام منعا لايغار الصدور والشحناء الفاحشة ، لان البنت

التي تحرم من عطف والديها قد تضطر الى التفريط في عرضها كي تعيش !

عن النعمان بن بشير ان والده منحه بعض ماله فقالت له زوجته عمرة بنت رواحة « لا ارضى بهذه العطية حتى تشهد عليها رسول الله » فانطلق بشير الى النبي (ص) واخبره بما كان من عطيته ليشهد عليها ، فيسأله النبي : « أله اخوة ؟ » فيقول بشير « نعم » فيقول الرسول « أكلهم اعطيت مثل ما اعطيته ؟ » فيقول « لا » ، فينكر عليه الرسول تفضيله النعمان على بقية اخوته ، ويمتنع من الشهادة على عطيته قائلا . « لا تشهدني على جور » انه عمل غير صالح » ثم يزيد « اتقوا الله واعدلوا بين اولادكم » ويمضي عليه الصلاة والسلام قائلا : « ان لبنيك عليك من الحق ان تعدل بينهم » ، الى آخر الرواية المأثورة ...

وما من شك ان البنت احق بهذا العدل الذي امر به الله ورسوله ، لانها الاشد ضعفا، خصوصا اذا لم تكن قد نالت من التعليم قسطا يؤهلها لان تقف الى جانب اخيها في معركة الحياة على قدم المساواة ...

فلعل هذا الاب القاسي يعدل عن هذه المعاملة الجاهلية لبناته ، ولعله يتقي الله فيهن ، والا فليبشر بعذاب لا قبل له به يوم لا ينفعه مال ولا بنون ...

مدام پومپادور

● قرأت في احد كتب التاريخ ان مدام دي پومپادور كانت سببا في حرب السنوات السبع في اوروبا .. فمن هي ؟ وفي اي عصر عاشت ؟

عبد الامير محمد جعفر : البحرين

ـ هي المركيزة انطوانيت بواسون دي پومپادور، ولدت في باريس عام ١٧٢١ ، وكانت محظية الملك لويس الخامس عشر ، وكانت تتمتع بنفوذ كبير على الملك وعلى الحكومة ، وكانت احد الاسباب الرئيسية التي ورطت فرنسا في حرب السنوات السبع التي انتهت بتوقيع وثيقتي فرساي الشهيرتين عام ١٧٥٦ ، ١٧٥٩ ، كما ارتبطت بمعاهدة مع النمسا .

من المجرم : الزوج العجوز

● ترددت كثيرا في ان اكتب اليكم ، لكنني لم اعد احتمل ما انا فيه من عذاب اكثر مما احتملت.. ان مشكلتي ليست من هذه المشاكل التي يسهل حلها ، انها مشكلة لا خلاص لي منها الا بالهرب ... اقصد بالانتحار !

ومن يدري ؟ فقد يصلكم كتابي هذا بعد ان اكون قد انهيت حياتي وارحت نفسي ، وكفرت بذلك عن خطيئتي !

انا شابة في الخامسة عشرة ، من اسرة معروفة ، انهيت دراستي الثانوية منذ عام ونصف العام . ثم منعني ابي من ان اواصل دراستي في الجامعة ، وما لبث أن باعني الى صديق له قد اوفى على الستين ، باسم الزواج ، لانه شيخ موفور الثراء !

ولقد دفعت حيوبتي لوقف هذا الزواج المرائي الرابح، فقد رفضت رغم انفي الى بيت الزوجية الذي مالبث ان اصبح سجنا او مستشفى منذ الشهر الاول من زواجنا . فقد اصيب زوجي بنوبة قلبية قال الاطباء انها نتيجة المداومة على الزواج في هذه السن مع انه لم يكن في حالة صحية ملائمة

ولست اطيل عليكم . فقد وجدتني ملزمة بالسهر على تمريضه خصوصا وقد امر الاطباء بالتزام الراحة التامة وعدم القيام باية حركة مباغتة .. وقد اضناني السهر وساءت صحتي اضطررت للاستعانة بممرضة تقوم بخدمته

وذات يوم ابلغني ما قرب عودة ابنه الاصغر من المانيا حيث يدرس ليقضي اجازته الصيفية، ولا اتذكر ان وصوله كان نقطة التحول في حياتي كلها !

فقد وجدت فيه فتى طرحا ، قوي البنية ، لطيف المعشر ، لا يدخر وسعا في العمل على

أم الزوجة الشابة .. أم الابن الذى تعلم فى أوربا ؟ ؟ !

ترهقني وتعذبني ، حتى تساءلت نفسي : ما كان أولى به أن يكون هو زوجي بدلا من والده !

وسيطرت علي هذه الفكرة بشكل جنوني ، وحاولت أن أطردها فلم أستطع ... نفسه ، وصممت على أن أنال منه ما أريد ! ولم أكن في حاجة إلى مزيد من الجهد ... فقد كان يبادلني نفس الشعور ، حتى أنني وجدت نفسي ذات مساء في غرفة نومه ، واستسلمت معه قلبا والشيطان ثالثنا ، بينما أبوه في سريره يغط في نوم عميق

وتكررت خلواتنا ولقاءاتنا وزوجي غافل عن كل شيء ، بل هو على العكس مغتبط بما يراه من مظاهر صداقتنا ... البريئة !

وانتهت العطلة ، وعاد إلى ألمانيا ، و... بعد ... بالعلامات ... ما ... في ساعة غرامنا الخصوصية وأنا الآن حامل ولا أدري إلى أيهما ينسب طفلي الأب أم الابن ؟!

إنني أعاني من عذاب الضمير ما لا أظن أن في الدنيا من قد عاناه من قبلي .. ولم أعد أجد ما أكفر به عن جريمتي إلا أن أنتحر ... ولكنني أعتقد أن الانتحار لا يكفي !

وإني أكتب إليكم هذه السطور لعل أحد عندكم مخرجا من هذا الذي أنا فيه ، فأنا لم أعد أعرف طعم النوم وأصبحت أقضي اليوم كله وسط أكوام من الليمون أذرف دموع الندم ، وسأظل كذلك حتى أعرف رأيكم ، أو يقضي الله أمرا كان مفعولا !

خ .....

ـ أما أنكما ـ أنت وهو ـ مجرمان ، فذلك أمر لا شك فيه . لكن جريمته أفظع وأشنع من أن يغتفر !

قد يكون لك أنت بعض العذر كشابة في مقتبل الشباب زوجها أهلها بشيخ فان في عمر جدها كما تقولين .. لكن ذلك لا يخفف من ذنبك كامرأة لم تصن عرضها ، ولم تراع حقوق الزوجية ، حتى ولو كانت مكرهة ..

أما صاحبك فليس في قواميس اللغة كلها ما يكفي لوصف جريمته التي يعف عن ارتكابها كثير من الحيوانات !

وإذا كان عقاب الزاني الرجم حتى الموت ، فإن عقابه هو ، وقد سطا على عرض أبيه ، الصلب والرجم والحرق ، وكل ما في الدنيا من أنواع العذاب ..

وأين كان ضميرك يوم سمحت لنفسك بأن تمس شرف زوجك المريض وتجري عليه الفضيحة والعار ؟ !

أما زوجك ، ذلك العجوز المتصابي ، فماذا أقول له ولأمثاله من الأشياخ الذين لا يعرفون شيخوختهم ؟!

ماذا أقول لرجل في السبعين ، ومع ذلك لا يتورع عن أن يتزوج فتاة في الثامنة عشرة ، أي في سن أحفــــاده ؟ أفلا تكون المسكينة معذورة إذا ما زلت مع شاب مثلها لتلبي نداء الطبيعة ؟

إن رجلا في هذه السن قد أصبح بشهادته الأطباء « غير ذي موضوع » ، فماذا تصنع زوجته وهي ترى نفسها زوجا لجثة هامــدة ، بينما هي في أوج شبابها وعز صباها ؟ !

لو أن لي من الأمر شيئا لأوقعت به مــن العقاب ضعف ما ينبغي أن يوقع على زوجته وابنه معا ليكون عبرة لأمثاله !

الافلام الخليعة .. وافلام الجريمة

● انني أب لأولاد وصلت في سن المراهقة ، ولا استطيع ان احول بينهم وبين مشاهدة التلفزيون والأفلام السينمائية او الاستماع الى الراديو . والمشكلة هي ان أكثر الأفلام التي تعرض على شاشة السينما او التلفزيون هي اما من أفلام الحب والغرام او المغامرات والاجرام ، كما ان معظم أغاني الاذاعة هي الأخرى من ذلك النوع الذي لا تدور حول شيء الا الحب والسهر والجوى والحرمان والهجر والوصال ، وهذه وتلك امثال تخلق في نفوس المراهقين والمراهقات ميلا الى الانحراف والاجرام ، أو شعورا بالنضوج الجنسي قبل الأوان !

والمشكلة كما قلت لكم هي اني لا استطيع ان امنعهم من ارتياد دور السينما ، أو السهر الى جوار التليفزيون لسماع ما ينشر من افلام ومسلسلات ، لذا جئت استنجد بكم عسى ان تدلوني الى وسيلة اصون بها عقولهم وافكارهم من أن تتأثر بما يشاهدون وما يسمعون .

الكويت — والد حائر

ـ انا طبعا لا استطيع ان اشير عليك بالتخلص من جهاز التلفزيون بعد ان غزت هذه الاجهزة كل بيت وكل مقهى ، وحتى المتاجر والاماكن العامة ، يلتف حولها الصغار والكبار على السواء ، ولا ان انصح بمنع اولادك من ارتياد دور السينما او الاستماع الى الراديو ، بعد ان اصبحت الاذاعة والتلفزيون والسينما تلعب في حياتنا دورا كبيرا ، باعتبارها من ادوات التوعية ونشر الثقافة ، الى جانب عنصر التسلية والترفيه ..

ولست انكر عليك تخوفك من ان تكون هذه الادوات النافعة وسيلة لفتح اعين اولادك وبناتك في هذه السن الخطرة الى اشياء واشياء ، قد يكون وراءها شر مستطير .

فالافلام العاطفية قد تعلم الفتاة الساذجة كيف تهرب من بيت اهلها لتلحق بفتى احلامها ، الذي كثيرا ما يكون مجرد ذئب بشري يغرر بها ثم يتنكر لها ويجر عليها وعلى اسرتها الفضيحة والعار ...

وهي كذلك تعلم الفتى المراهق كيف يسرق مال والده ، او حلي امه ، كي ينفق على عشيقته من بنات الهوى وبائعات الجسد ..

وتعلم الخادمة كيف تسطو على مجوهرات سيدتها او مدخرات مخدومها ، لتتزوج بالسائق او الكواء او صبي الجزار الذي تهواه ...

الزار بدعة

بقية المنشور على صفحة ١٤٧

ومنهم من يأمرهم ، وينصرف فيهم » ثم يؤكد هذا بقوله : « ولو انني ذكرت ما جرى لي ولأصحابي معهم لطال الخطاب ، وكذلك ما جرى لغيرنا » .

وليس الامام ابن تيمية هو وحده الذي يقول هذا الكلام . فان من الفقهاء من تحدثوا عن صحة التزوج بالجن ، ووجوب الغسل بعد المخالطة الجنسية ، وغير ذلك من الخرافات التي نجدها في بعض كتب الفقه ، وكأنها حقائق مسلم بها ، وقضايا لا تحتاج الى دليل!

ولذا لم يكن غريبا ان نرى بعض علماء عصرنا الحاضر ، ومنهم اساتذة في الجامعات واطباء معروفون ، يعتقدون بامكان تحضير الارواح ، بل ويمارسون هذا التحضير في جلسات دورية ، ومنهم من يزعم تسخير هذه الارواح لعلاج بعض الأمراض المستعصية واجراء العمليات الجراحية ، فلماذا ننكر على الدهماء والعوام ، ان يتهافتوا وراء المشعوذين والدجالين ، وهم لا يفعلون شيئا ينكره الفقهاء والعلماء واساتذة الجامعات ؟!

والمغامرات سلاح ذو حدين .. فاتقوها!

أما أفلام المغامرات فانها وإن كانت تعرض بعض صور الإقدام والجرأة وعدم الخوف ، الا انها في الغالب الأعم تعلم الكثيرين ممن يشاهدونها من الكبار والصغار كيف يستخدمون هذه البطولات الزائفة، لا في تحقيق المثل الانسانية العليا ، وانما في أعمال السطو على الأعراض أو الأموال ، وكيف يطلقون الرصاص ويطعنون بالخناجر ، ويدسون السم ، ويكسرون الأقفال ويقتحمون البيوت من النوافذ والشرفات .. بل وكيف يتنكرون في ثياب السيدات أو المتسولين أو عمال التليفون والكهرباء ورجال الشرطة والاسعاف ، كي يرتكبوا جرائمهم غفلة من الرقباء !

صحيح أن معظم الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية التي من هذا القبيل كثيرا ما تنتهي بانتصار الحق على الباطل ، والفضيلة على الرذيلة ، حيث يلقى المجرم جزاء اجرامه ، والمنحرف عاقبة انحرافه ، ولكن بعد صراع عنيف بين الخير والشر ، يرى المشاهدون من خلاله أساليب التفنن في الاجرام ما يرون ، وما يستطيع الكثيرون منهم، وخاصة المراهقين والشبان مما ييسر انحرافهم ويدفع بهم الى حلبة الاجرام وهم لا يشعرون .

أما الأغاني العاطفية التي نسمعها في الاذاعة فبرغم ما فيها من ميوعة وطراوة تشيع الضعف والاستسلام ، الا انها في رأيي أقل خطرا من أفلام السينما والتلفزيون التي تقدم للشبيبة الغضة - بل وللكبار أحيانا - دروسا عملية في الاجرام وفي الانحراف !

ولست أنت الذي أحسست بهذا الخطر وحدك .. فقد توجهت منظمة الصحة العالمية احدى مؤسسات الأمم المتحدة الى مختلف الحكومات والدول برجاء تهيب بها فيه أن تعمل على تشديد الرقابة على أفلام السينما والتلفزيون ، وخاصة ما هو متصل منها بالجريمة والمغامرة ، حرصا على الصحة العقلية للشباب .

والذي أعلمه أن دولة الكويت كانت في طليعة الدول التي استجابت لهذه الدعوة، وأن المسؤولين عن شؤون التلفزيون والسينما فيهما مضوا ولا يزالون يمنعون عرض الأفلام والمسلسلات التي تمس الأخلاق ومخاوف الصحة العقلية ، وتجعل من السينما والتلفزيون أداتي افساد واقلاق ، لا أداتي توعية وثقافة واصلاح .

فاطمئني .. واتهنا بالا ...

الحق انها ظاهرة تدعو الى الأسى من الأسف !

فاذا كانت هذه الأرواح التي يحضرونها أو التي تلبس بعض الأشخاص أرواحا انسية فالزعم من أمكن لبعض الأرواح ومن حريتها في التنقل والاستجابة الى من يدعوها من الأحياء، وبالتالي تسخيرها في شفاء الأمراض ، واجراء الجراحات والانباء بالغيب المجهول ، كل ذلك لم يقل عليه حس موثوق به أو تجربة صادقة، بل هو كما قال الامام الراحل الشيخ محمود شلتوت « لا يخرج عن مظاهر خداع والهاء بالخيالات لا يلبث أن ينكشف أمره ، فنحن في حل من رفضه الى أن يقوم الدليل على صدقه » .

وأما ان كانت هذه الأرواح أو « الأسياد » بلغة العوام ، من الجن ، فلماذا تقتصر صلاتهم بالانس علينا نحن العرب ، المسلمين ، دون غيرنا من الناس ؟ ! فما سمعنا قبل اليوم أن أجنبيا تزوج جنية ، أو أن أجنبية أصابها مس أو ركبها عفريت ، فلجأت الى « الزار » !

والجن لا يعلمون الغيب .. اقرأ قولهم في سورة الجن : « وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا » . ثم ما

« لا يمسه الا المطهرون »

● اني حيد ابنة الانجليزية وقد تعرفت ببعض المدرسين الانجليز الذين يعملون في المدارس السعودية ، وقد فوجئت ذات يوم بأحدهم وهو يحمل مصحفا شريفا ويطلب مني ترجمة بعض سوره وآياته . ولما كنت اعرف أن هذا المدرس ليس مسلما ، وجدت في نفسي حرجا اذ ان غير المسلمين لا يتطهرون كما نتطهر حتى يجوز لهم مس القرآن أو حمله ، لذا حبذت سؤالكم عن حكم الشرع في حمل غير المسلم القرآن أو قراءته مع أن الله تعالى قال « انه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون ، لا يمسه الا المطهرون » .

جدة : عمر محمد عمودي

ـ انزل الله القرآن للناس كافة ، « ان هو الا ذكر للعالمين » « وما هو الا ذكر للعالمين » وهذا يقتضي ان يبلغ القرآن الناس جميعا ويدركوا تأويله ويفقهوا معانيه .. ويقتضي في الوقت نفسه ان يقوم المسلمون بتبليغه الى من عداهم من الامم ، والا فان من لم يبلغه القرآن سواء بلفظه او بمعناه او لم يبلغه ويفهمه من غير العرب ، هو ـ في رأي بعض الفقهاء ـ غير مطالب ولا مسؤول ...

وكيف يكون مسؤولا اذا كان لا يقرأ القرآن ولا يفهمه بل ولا يستطيع حمله او مسه؟

من هنا ذهب معظم المفسرين الى ان « لا » في قوله تعالى « لا يمسه الا المطهرون » نافية وليست ناهية ، وان « الكتاب المكنون » هو « اللوح المحفوظ » فهو الذي لا يمسه الا المطهرون ، وهم الملائكة ، لا من تطهر من البشر ، والا لقال « لا يمسه الا المتطهرون » .

ومن هنا ايضا ذهب بعض المفسرين والفقهاء بجواز مس المصحف للكافر بغير قيد ولا شرط ، وللمسلم بغير طهارة ، اذا لم يكن المقصود من ذلك اهانة المصحف او الزراية به . (كتاب الفرقان للاستاذ محمد محمد عبد اللطيف « ابن الخطيب ») .

ورد في القرآن في حق جن سليمان « فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » ، فضلا عن قوله تعالى ذكره « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ، الا من ارتضى من رسول » !

اما الاخبار عن الماضي فليس غيبا ، وانما هو مجرد قراءة افكار ..

واما ظهور الجن للانسان وتكليمهم اياه على نحو ما يقول الامام ابن تيمية ، او دخولهم في جسمه واستيلاؤهم على حواسه ، وامكان التزاوج بينهم وبين بني آدم ، فمحض اوهام، بدليل قوله تعالى عن الشيطان : « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » وقول الرسول عليه الصلاة والسلام « اللهم انك سلطت علينا عدوا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم» .. واذا قال الله وقال الرسول وجب ان يسكت الفقهاء ...

فاطمئن يا سيدي ، واطرد عنك هذه الاوهام والخزعبلات ، ولا تدع الشك يسيطر عليك ، فيحطم صرح سعادتك الزوجية ، ويزعزع ايمانك وعقيدتك .. وتفاؤلك ايضا !

اما سؤالك عن «المكتوب» ، والجنة والنار، والثواب والعقاب ، فذلك شيء خارج عن موضوعنا ، فضلا عن ان الحديث فيه يطول ويطول ، حتى لينتهي العمر ولا ينتهي ..!

■■



رجل متواضع !

● استأجر خياط محلاً في شارع يضم أكبر محلات الأزياء ، وأخذ أحد أصدقائه ليريه المحل . وبينما هما سائران استرعى انتباه الصديق لافتة فوق أحد المحلات كتب عليها : « أحسن خياط في المدينة » . وبعد مسافة قصيرة رأى لافتة أخرى كتب عليها « أحسن خياط في العالم » . فسأل الصديق الخياط قائلاً : وماذا تريد أن تسمي محلك ؟ فقال الخياط : أريد أن أكتب عليه « أحسن خياط في هذا الشارع ! »

وجهة نظر !!

● دق جرس التليفون في مكتب الحانوتي ، وبادره المتكلم ، الذي كان يعرفه ، قائلاً ..

ــ أرجو الحضور فوراً لعمل إجراءات دفن زوجتي .

الحانوتي : زوجتك ؟ .. ألم تدفنها من سنتين ؟

الصديق : نعم ... وهذه زوجتي الثانية التي تزوجتها منذ عام

الحانوتي : ألف مبروك ... سأحضر فوراً !!


الشحاذة مهنة . بلغ أعلى درجاتها كبير الطهاة ..

نظرية النسبية !؟

● التقى اثنان في مطعم ، فقال أحدهما :

ــ إنني أتناول غذائي هنا باستمرار ، لأن زوجتي تأبى أن تطهو الطعام بنفسها .

فقال الآخر : « وأنا أتناول غذائي هنا باستمرار كذلك ، لأن زوجتي .. تصر على أن تطهو أكلنا بنفسها » !

من الكويت

وفي مطلع العام الهجري الجديد

وفي غرة كل شهر

تطالعكم مجلة

الوعي الإسلامي

التي تصدرها وزارة الأوقاف بالكويت

مجلة الرأي الحر - والفكر المستنير

والثقافة الإسلامية الرشيدة

تقرأ فيها لكبار الكتاب وقادة الفكر في العالم الإسلامي

حضارات سادت .. ثم بادت

(بقية المنشور على صفحة ٢)

وهذه الصورة تمثل احدى ولائم الفيلسوف الاغريقي سقراط، التي تظهر امام ملتقى الجداريين في حوالي منتصف الصورة – وهو يصغي استحسانا وطربا – وبالقرب منه « افلاطون » و « كسينوفون » .

كان من عادات اهل اثينا في الولائم ان يخلعوا نعالهم ويجلسوا على حشيات على الارض – على عادتنا الشرقية الاصيلة – فتقدم اليهم اوعية « طسوت » يغسلون فيها ايديهم بينما يصب الماء صبي من العبيد . وكان الطعام يعد على موائد صغيرة توزع امام الجالسين ، موازية للثلاثة جدران من الحجرة. اما بقية الحجرة فكانت تترك ليتخلل خلالها الخدم ، ولتتقدم فيها الوان التسلية والطرب .

وكانت الاطعمة – في مجموعها – بسيطة: لحوم، واسماك ، وخبز ، وخضر بيتية ، وبصل وثوم على عادة بعض اهل الشرق الاوسط حتى يومنا هذا . ثم تختم الوجبات بانواع الجبن والفواكه والعطور .

فاذا انتهى الطعام ، بدأ الشطر الثاني من السهرة .. فكانت اكاليل الزهور توزع على الحضور ، ويوضع « الزيت » على الموائد بجانب كؤوس الشراب . حتى اذا ادير الشراب ، بدأ القوم بشرب آلهة جبل « اوليمب » ، ثم بشرب الابطال ، فشرب الاله « زيوس سوتر » .

والصورة التي على الصفحة الثانية تمثل مادبة للفيلسوف سقراط ، وقد ظهرت في مقدمتها سيوف البحث على الارض وسنانها مشرعة في الهواء ، وفتاة راقصة تثب من فوقها وقد اصبحت على بعدها



Signal
خطوط
سيجنال
هي خير وسيلة
لضمان نفس
زكي الرائحة
إن سيجنال يختلف عن غيره
من معاجين الأسنان وهو
أجود منها بكثير..
له خطوط حمراء تحتوي على
الهيكسا كلوروفين، المطهر المعروف
في جميع أنحاء العالم.. إن خطوط
سيجنال هذه، تجعل فمك كله
نقيًا. إن خطوط سيجنال تجعل
نفسك زكي الرائحة وأسنانك
ناصعة البياض..
سيجنال يجعل نفسك زكي الرائحة
وأسنانك ناصعة البياض

بقية المنشور على صفحة ٧

التجديد اللغوي ودور السليقة فيه

● في العدد الرابع والسبعين من مجلة «العربي» الغراء ، مقال للأستاذ أنيس المقدسي ، يتصل بموضوع التجديد اللغوي ودور السليقة فيه ، يذكر فيه الكاتب أن « ما ينشأ في داخل اللغة من ألفاظ استحدثت لأغراض ومعان جديدة » هو أحد عاملين رئيسيين ، يحدث النمو في اللغة بتأثيرهما . وقد لاحظت أنه في الحديث عن التجديد اللغوي كان يناقض نفسه ، فهو إذ يذكر (صفحة ٥١ العمود الثاني) أن « أول ما نقوله أن التجديد لا يراد منه الخروج عن قواعد اللغة المقررة في علوم الصرف والنحو والبيان ، فالخروج عنها خطأ لا جدال فيه » ، نجده يورد أمثلة (صفحة ٦ العمود الثاني) مما تنحو إليه السليقة من مثل الوحدوي والثوروي بدلاً من الوحدي والثوري الذي تقول به القاعدة ، والدعاية بدل الدعاوة ، وساهم بدل أسهم ، والتظاهرات عوضا عن المظاهرات،وتقييم الأشياء لا تقويمها ... الخ.

وهو في هذه الأمثلة ، فضلاً عن خروجها على القاعدة النحوية التي تقرر قبل قليل أن التجديد لا يتعارض معها بل يتسق وإياها ، لا يأتي بمبررات مقبولة تسوّغ إهمال الأصل واستبداله بهذه الكلمات الشاذة على القاعدة اللغوية ، إلا أنها شائعة . ففي التمييز بين الدعاية والدعاوة يقرر (أن الأولى أفضل وهي ما تنحو إليه السليقة التي تميز المعاني) . وساهم (أفضل من أسهم وسيكون لها النصر النهائي) والتظاهرات (أدل على المراد من المظاهرات ، لأن السليقة ترى فيها التظاهرة لأمر ما) ، (وفي تقييم الأشياء لا تقويمها الشعور بمعنى القيمة) .

ولا مانع أن تختار السليقة واحدة من المفردات وتفضلها على الأخرى ، وبخاصة إذا كانت عن حوشي الكلام وغريبه ، إلا أن تخالف السليقة القاعدة النحوية فنستعملها بحجة أن (هذا ما تنحو إليه السليقة) .

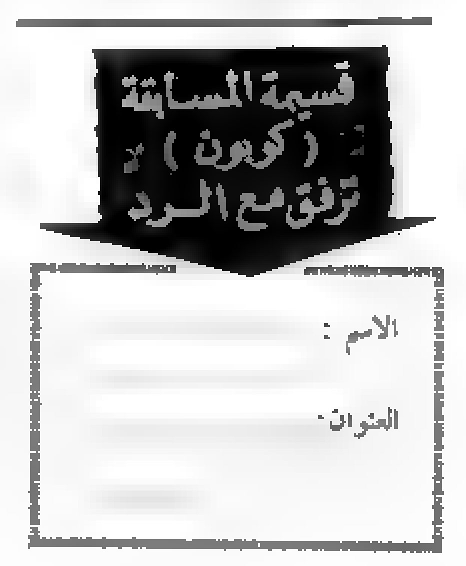
وكأني بالكاتب يصر على استعمال بعض الأخطاء الشائعة ، مع اعترافه أن أكثر كتب اللغة تخلو منها حين يذكر أن المأتم مثلاً ، معناه الشائع المناحة ، مع أنه في الأصل يطلق على النساء يجتمعن في الخير والشر .

وإن تجنب أي كاتب مثل هذه الأخطاء الشائعة في التعبير ، لخروجها على قواعد اللغة لأنها مولدة ، مقياس حسي لتمكنه من اللغة وأصالته فيها .

أما عن السليقة في انتخاب المترادفات الواردة أمثلة عليها في (العمود الثاني من صفحة ٦٦) ، فهناك فرق بين ما ترجحه السليقة من كلمة سهلة ، وبين ما نقلته قبل قليل من أمثلة عن كلمات ترجحها السليقة رغم خروجها على القاعدة.

■■

دمشق — عمر الأسعد





العدد ٧٨
محرم ١٣٨٥
مايو
أيار ١٩٦٥

اطلب

هدية التسفير

مع هذا العدد

جوائز

١٢٠٠

دينار سنويا



[illegible]

حضارات سادت .. ثم بادت

حين يكون الصمت خيراً من الكلام

عزيزي القارىء :

● يكون الصمت خيرا من الكلام :

عندما يحاول القائل القول فلا يجد الصالح الذى يقول.

حين تتعمى على الناظر السبل وتتبهم الامور .

وحين يريد ان ينطق بكلمة الحق ناطقها ، فيجدها ستزيد الفرقة ، وتحل الرابطة ، وقد تجعل كل فريق يركب راسه .

ان القدماء من الحكماء قالوا : ان كان الكلام من فضة ، فالسكوت من ذهب .

واليوم السكوت من ذهب .

ومع السكوت الدعاء الى الله ان يجمع الشمل ، وينير البصر ، ومع البصر البصائر ، وان يجعل هذا الجيل يدرك انه عابر سبيل ، وله فى الحياة حق ، ولكن للاجيال التى هو بعضها حقوق ، هو حاميها ، وهو مسؤولها ، وهو ، بما يهيىء لها ، يحقق اسباب الحياة او اسباب الموت فيها .

وكل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام:

استطلاعات صحفية مصورة:

طب وعلوم

ركن الفضاء

عروبة

اسلاميات

فلسفة .



مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والأنباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY No 78 May 1965 P O B 748 KUWAIT

العنوان بالكويت صندوق بريد ٧٤٨ تلفون ٣٦٠١١ ـ تلغرافيا « العربي »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● اشتركت المرأة الجزائرية في تحرير بلادها مع الرجل جنبا الى جنب .. واليوم تقف معه في بناء الجزائر الحديثة ومجتمعها الجديد .. وتقوم الفتاة الجزائرية بالتدرب على كثير من الاعمال التي كان يقوم بها الفرنسيون والفرنسيات قبل الاستقلال ، لتأخذ مكانها في الجهاد الاكبر .

(انظر استطلاع قسنطينة ص ٦٨)

شعر وشعراء :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

ركن الاسرة والمرأة :

جرائم وقصص :

كتب :

منوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو عدن ٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٣ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يعمل طلب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



الاسلام دين الفطرة .. لا دين الجهل والخرافة

● اطلعت على ما كتبه الدكتور جمال الدين الشيال بالعدد ٧٥ من « العربي » عن « أبي العباس المرسي » فوجدت فيه ما لا يتفق والصحيح من عقائد المسلمين . ولم أكن أعرف أنه كتب من قبل عن « أبي الحسن الشاذلي » في عددين متتاليين إلا من الاشارة التي بهامش مقاله الأخير فرجعت اليهما فوجدت ما فيهما أدهى وأمر مما كتبه عن أبي العباس من دعاوى الصوفية المليئة بالبدع والمعتقدات المخالفة للدين والعقل . وليس يخاف أنه ما أضاع هيبة المسلمين بين الأمم وجعلهم في مؤخرة الناس إلا استمساكهم وتعلقهم بهذه الأوهام وتلك الخزعبلات .

يقول الدكتور الشيال : « إن الشاذلي لما أخبر بأن القطب الفرد بالمغرب سافر اليه : « ...... وبعد رحلة طويلة قابل الشاذلي أستاذه القطب ، سيدي عبد السلام بن مشيش .... روى الشاذلي خبر هذه المقابلة فقال : « لما قدمت عليه وهو برباطه برأس جبل ، اغتسلت وخرجت من علمي ، وطلعت اليه فقيرا ، واذا به هابط علي . فلما رآني قال : مرحبا بعلي بن عبد الله ابن عبد الجبار ، وذكر نسبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا علي ، طلعت الينا فقيرا من علمك ؟ اخذت منا علمي الدنيا والآخرة ... » الخ .

واني اسأل الدكتور صاحب المقال فأقول : كيف خرج الشاذلي من علمه ، واصبح فقيرا ؟ وكيف علم ذلك ابن مشيش قبل أن يراه ، حتى يقول له : طلعت الينا فقيرا من علمك وعملك ؟ ومن أين علم ابن مشيش اسم الشاذلي ونسبه الى رسول الله قبل أن يراه كذلك ؟

فقرة في اللغة .. وفهم خاطىء

● نقلني صديق بي الى فقرة جاءت في ختام كلمة من اللغة العربية نشرت في العدد ٧٣ من « العربي » ، هذا نصها

« وكيف والقرآن والحديث ، والآثار الأدبية جميعها ، من نثر ناثرين ، ونظم شعراء ومترسلين ، مذخرة للغة أي مدخرة ، ومفخرة للعرب أي مفخرة » .

وأراد صديقي أن يستنتج منها أن هذه الفقرة « اعتبرت القرآن الكريم الذي هو كلام الله من نثر ناثرين ونظم شعراء ومترسلين ، واعتبرت الرسول (ص) صاحبا ، وليس رسولا » . فما رأيكم فيما رأى صديقي هذا

« قارىء »

العربي : رأينا أن صديقك ليس في عربيته بالفصيح . أننا نقول : محمد وأحمد وعلي من خيار الناس . وهذه جملة بها ٣ مبتدآت وخبر واحد ، لو حللناها لقلت : محمد من خيار الناس . وأحمد من خيار الناس . وعلي من خيار الناس . والفقرة التي جاءت في الكلمة عن اللغة العربية ذات ٣ مبتدآت كذلك ، هي القرآن ، والحديث ، والآثار الأدبية ، وخبر واحد ينصب عليها جميعا هو « انها مذخرة للغة ومفخرة للعرب » . فالقرآن مفخرة ، والحديث مفخرة ، والآثار الأدبية مفخرة . وأما عبارة « من نثر ناثرين ونظم شعراء ومترسلين » ، فانما هي بالضرورة تفسير للآثار الأدبية وتفصيل .

والتلاميذ تدرس في مدارسها أن مصادر اللغة العربية الأولى ثلاثة : الشعر الجاهلي ، والقرآن الكريم ، والحديث الشريف . فالقرآن عمدة دين

بل – وهذا هو الادهى والامر – من ابن لابن مشيش ان يحيط بعلمى الدنيا والاخرة ! والله تعالى يخاطب البشر جميعا – بما فيهم الانبياء – فيقول (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ؟؟ واذا كان ابن مشيش والشاذلى قد احاطا بعلمى الدنيا والاخرة ، فاين علم الله تبارك وتعالى ؟؟ اليست الاحاطة بعلمى الدنيا والاخرة صفة من صفات الله عز وجل ؟ فكيف يمنحها بعض البشر، ويصدقها طائفة من المسلمين ، هم هؤلاء الصوفية؟!

ان الله تبارك وتعالى يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو افضل البشر على الاطلاق – (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم اني ملك"). ويقول (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله). ويقول (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا) ورسول الله (ص) يقول : « من اتى كاهنا او عرافا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ».وهذا الذى ينقلونه عن ابن مشيش فاق ما يتخرص به الكهان والعرافون .

(البقية على صفحة ١٤٨)

المسلمين ، ووحدة لغة العرب كافة ، دين ولغة . واللغة من اعجازه .

فمن أين جاء صاحبك بهذه المعانى التى ذكر ؟ لعل لفظ الترسل انبهم على صاحبك . فالترسل فى القاموس هو كتابة الرسالة الادبية، (انشاؤها. وقد امتدت الى كتابة الرسالة العلمية ، فالمعرى كتب « رسالة الغفران » . واخوان الصفا كتبوا « رسائل اخوان الصفا » . فالمعرى مترسل ، واخوان الصفا مترسلون . وكل مكتوب رسالة والرسالة فى القاموس هى « الصحيفة التى يكتب فيها الكلام المترسل » .

ان هذه الكلمة التى اوردت" نشرت منذ اربعة اشهر ، وقراها نحو نصف مليون عربى مسلم ، ولم يأتنا عنها فهم كفهم صاحبك . وكيف لم يمنعه من هذا الفهم اننا مسلمون ؟وكيف سكت صاحبك عن هذا كل هذه الاشهر ، ثم بدا له ان يطالعنا به اليوم ؟

ابو العباس المرسي ايضا

● ... وقد جاء فى مقال الدكتور الشيال (ص ١٥٠) أن من تلاميذ سيدى ابى العباس المرسى – ابن الحاجب والشاطبى والقبارى – فأما ابن الحاجب فمن المستحيل ان يكون من تلاميذ ابى العباس – بل ولم يرد انه تتلمذ على شيخه سيدى ابى الحسن الشاذلى – (بالذال المهملة كما ضبطه شارح القاموس) فقد توفى ابن الحاجب سنة ٦٤٦ وهو فى الخامسة والثمانين – وكان مجىء ابى العباس صحبة شيخه ابى الحسن لمصر سنة ٦٤٢ اى وابن الحاجب فوق الثمانين وفى درجة عالية من العلم والتقوى – ولا يعقل ان يكون لأبى العباس تلامذة مثل ابن الحاجب ولا يزال الشيخ الشاذلى حيا لأنه توفى سنة ٦٥٦ أى بعد ابن الحاجب بعشر سنوات ! واما الشاطبى والقبارى فقد كانا من اصحاب سيدى ابى الحسن الشاذلى اى انهما من اخوة ابى العباس لا من تلامذته ! ويلاحظ ان الشاطبى المذكور هنا هو محيى الدين بن سراقة الانصارى الشاطبى من شيوخ دار الحديث بالكاملية بالقاهرة المتوفى سنة ٦٦٢ وهو غير كل من محمد بن سليمان الشاطبى الاسكندرى المتوفى سنة ٦٧٢ عن بضع وثمانين سنة وباسمه اليوم حى فى شرق الاسكندرية القديمة وفيه كلية حديثة.وذكر الدكتور جمال الدين الشيال فى ص١٥٠ ان سيدى ابا العباس المرسى توفى فى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ٦٨٥ . ويلاحظ ان كلا من المقريزى فى (السلوك) وصاحب النجوم الزاهرة والسيوطى فى (حسن المحاضرة) ذكروا ان وفاته كانت سنة ٦٨٦ . والعجيب ان الاستاذ المشنوبى ذكر فى ص ٤٩ من كتابه الذى الفه عن سيدى ابى العباس المرسى ومسجده الجامع بالاسكندرية والمطبوع بدار الكتب المصرية سنة ١٣٦٣ ان وفاة ابى العباس هى سنة ٦٨٦ عند المقريزى والسيوطى ولكنه يرجح سنة ٦٨٥ دون ان يذكر سبب هذا الترجيح ، وكنت اود لو ذكر الدكتور الشيال سبب اختياره سنة ٦٨٥ . والله يهدى للصواب واليه المرجع والمآب .

عبد السلام النجار
تمسوس ٠ ج ٠ ع ٠ م



بقلم: رئيس التحرير

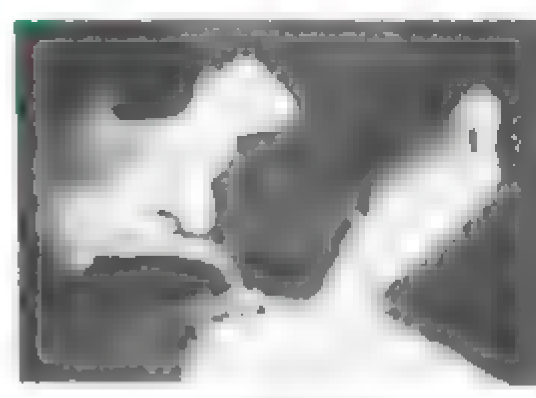
مقدمة

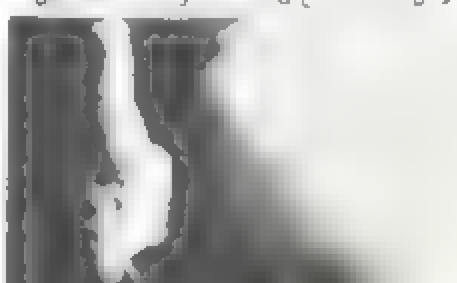
في أن الإنسان جسم وروح، وأن الأرواح، كالأجسام، مخلوقة، أن الفكر الإنساني هبة الله، ومع الفكر الفضول. إنه بالفكر والفضول كشف الإنسان في الكون ما كشف. أن وحدة شاملة طاغية في الكون، رفع العلم عنها الغطاء، إنما هي وحدة من وحدة الله. أن أياما في غزوات العلم مأثورة، لا هي اليوم مذكورة، ولا مشكورة، هي أولى عند بني الناس بالذكر من غزوات للإنسان في الأرض، يذكرها الناس كل الذكر، وهي تافهة حقيرة. أن من أيام العلم المأثورة، تلك الغزوة الأخيرة، التي غزا فيها الإنسان السماء، غزوة الثاني عشر من آذار.

عندما [illegible]

كيف يملأ الناس زمانهم

[illegible]





كان يرجى بعد أن تميز بمثل ما تميز هو به من عقل ، وما اختصه به الله من فكر . عقله وفكره كله اشتغل في تحصيل لقيمات العيش ليومه ، والاحتفاظ بنصيب منها لغده ، فما بعد غده .

حتى لو تعلم الانسان . فعند أكثر الناس أنه يتعلم ليعمل، ويعمل ليكسب، ويكسب ليقتات ، ويقتات ليصل الحياة أولا ، ثم ليثريه من بعد وصلها إن أمكن ذلك .

وهذا شيء لا غبار عليه .

ودرج قوم على ان يسموا هذه مادية . واقول فليكن . وما يضير الانسان ، والجسم من مادة ، أن تكون مطالبه التي تحفظ عليه الحياة مادية : خبز ، حسن ، طعام . ومال مكسوب تشترى به كل هذه الحاجات .

والانسان عندما يخطط ، لا شك يخطط لحياته المادية اولا .

تسأل الشاب اين يا فلان : ماذا تصنع من بعد مدرسته ؟

وتأتيك الجواب اكون مهندسا . اكون محاميا ، طبيبا ، تجارا . خراطا . كل هذه تخطيطات حياة ، لكسب الرزق ، شراء المادة ، من مأكل وملبس ومسكن . وصل الحياة . ليس فيها بأس ابدا . بل طلبها فرض .

ولكن هل هذا كل التخطيط الذي يحتاجه المرء لحياة خصبة ، مشبعة ، يشبع بها الانسان حاجات في النفس أخرى ، تميز بها الانسان عن سائر الحيوان ؟

الانسان جسم وروح

ان الانسان جسم وروح .

كلنا يحس بهما . ونَحِّ أقوال الفلاسفة جانبا .

وروح الانسان الذي أعنيه ليس تلك القوى الدافعة للقلب ، والمتجرة للهضم ، التي تبني كل يوم في جسم الانسان وتهدم . وتهدم وتبني في الجسم وصاحب الجسم لا يكاد يسيطر على شيء منها ، ولا يكاد يفهم من هدمها وبنائها الا قليلا .

ان هذه القوى التي تصنع الجسم ، وتعمل به ما تفعل ، هي لا شك بعض الروح . ولكنها ادنى طبقات الروح . وهي الشائعة العامة في سائر الحيوانات .

الفكر ، بعض كفايات الروح

ولكن روح الانسان تضمنت كفايات اخرى ، لعل اولها الفكر ، ومع الفكر كل هذه الهبات التي تحوطه وتصنعه ، من تصور وتخيل ، والقدرة على كشف الاسباب وربطها بمسبباتها ، تلك التي نسميها بالمنطق .

وفكر الانسان ، الذي يمثل وجها من وجوه الروح ، كفاية ربانية ازدادت على القرون قوة . ولقد عمل الفكر الانساني في صنوف من المعارف شتى ، واتى بالمحاصيل العظيمة الهائلة في كل صنف من علوم طبيعية ، وعلوم انسانية هي ذخيرة عالمية كبرى .

ولكن اكبر من هذه الذخائر العلمية العقول التي صنعتها . وبتوالي الاجيال تزداد هذه العقول الانسانية حدة ، وتزداد قطعا ، وتزداد نفاذا .

ولكن الناس تنظر الى هذه العقول ، وما راكمت من ذخائر في المعرفة ، على انها جميعا محاصيل مادية . وهي لا شك لها نفعها المادي عند التطبيق ، ذلك الذي يحفظ الجسم ، وييسر الرزق ، ويسهل الحياة على ساكن هذه الارض ، وما ضرها ان توصف بالمادية .

ولكن جانبها الروحي هو في زعمي الاهم والاخطر .

العقل هبة الله . وهو شيء عظيم معجز ، يحمي إعجازه انطواؤه . فالذي ينشره من بني الناس من بعد انطواء ، ويشحذه من بعد تثلم ، ولو تثلما ظاهرا ، انما يكشف من هذه الهبة كشفا عظيما رائعا . وزعمي أن التعبد الى الله يكون بوسائل كثيرة ومن هذه الوسائل كشف الانسان في نفسه عن هبات الله .

فالرياضي العظيم جائز عندي أن يكون عابداً عظيماً ، بأنه كشف ، وبما كشف. وكاشف أسرار الأجنة عابد عظيم بأنه كشف ، وبما كشف . والناظر بمناظيره الى السماء . يكشف عن مدى الكون ، أيان ينتهي ، ان كان ينتهي ، عابد عظيم ، بل هو امام يصطف وراءه في تمجيد الله ، بالاعلان عن هيبة الله في عقل الانسان ، كل قارئيه لما كتب ويكتب . انه امام ، وَعَى هو ذلك أو لم يع .

والفضول الفكري ، بعض مطالب الروح

روح الانسان ، كما قلنا ، تضمنت الفكر كفاية عليا . وللروح كفايات أخرى .

ومن هذه الكفايات الاخرى الأصيلة : التحرق الى كشف كل غامض ، وفتح كل باب يتراءى للنفس موصداً . فالقوة الروحية في الانسان تدفعه الى كشف السر في نفسه ، وفي أي شيء يقع من أشياء نفعه ، أو لا يقع . وكشف كل سر في أرضه ، وفي بحره ، وفي سمائه . وفي الكون أجمع .

وهي كفاية يسميها بعض الناس بالفضول الفكري .

وهي كفاية لا فضل له فيها ، لأنها بعض جبلته .

وهي ، كالفكرة ، معطاة ، والذي أعطاه اياها الله .

وهي جبلة نلاحظها حتى في الحيوان الأعجم : القطة تلقى أنت اليها بالعلبة فتظل تداورها بمخلبها وتحاورها وتقلبها ، تواقة الى علم ما هو ، وما فيها . والقرد تعطيه الساعة تدق ، فيأخذ يتسمعها ، ويحاول أن يفتحها ، ليكشف عما فيها من خبيء . ويعجز آخر الأمر فلا به يحطمها رجاء أن تنفتح . وكلنا طفل بني الناس . وكلنا الناس صبية وشباباً وكهولاً . كل يهدف بجبلته الى أن يكشف عن كل خبيء . والانسان يحب النهار لأنه فيه يرى ما يرى ، فلما ضاق بالليل ، لما حجبت عنه فيه الرؤية ، وكثر فيه الخبيء ، ابتدع النار فالنور ، فالكهرباء ، لي لا يكون من حوله خبيء مستور قط .

واجتمعت الكفايتان : الفكر ، والفضول الفكري

واجتمعت الكفايتان ، الفكر والفضول الفكري ، في الانسان ، فانتج بهما العجب العجاب .

انتج المدنية . والمدنية مادية وروحية .

ولكن الناس ، ومطلبهم الأول كما قدمنا الحياة وتخفيف قاسيها وتيسير عسيرها ، وتوفير مطالبها أولاً ، من مأكل وملبس ومسكن ، ثم ترفيهها (ولا عتب عليهم في ذلك) ، هؤلاء الناس غفلوا ، أو غفل أكثرهم عن جانب هذه المدنية الروحي ، ذلك الذي كشفه الفكر ، ومع الفكر الفضول الفكري .

ان الفضول الفكري ، ومعه الفكر الناشط ، يعملان في شتى الحقول . وللحقول أقدار مقدّرة ، منها التافه الذي لا خطر فيه ، ومنها الخطير ذو الخطر الكبير .

وحقلان يتجه الانسان اليهما بفضوله وبفكره ، اذا هو بلغ مبلغاً من التنور والتثقف مذكوراً :

حقل الحياة في شتى مظاهرها ، على ظهر هذه الأرض .

ثم حقل السماء بأجرامها التي هي عدد الحصى ، تلك التي كانت الأرض حصاة من حصيِّها .

وحدة الله ووحدة الكون

وأعود الى العبادة فأقول انها عبادة الله . وعبادة الله تبدأ بتوحيده . ووحدة الله اتصلت في هذه القرون الحديثة خاصة ، قرون العلم الحديث ، بتلك الوحدة التي تشيع في الكون كله ، وتربط الكون كله ، ولا يشذ عنها شيء في الكون كله ، تلك الوحدة التي تتمثل أشد تمثيل وأوضحه في الحقلين اللذين

ذكرت : حقل الحياة بشتى مظاهرها بهذه الارض ، ثم حقل السماء باجرامها، من نجوم بلايين ، في مجرات بلايين، تلك التي يحاول الانسان ان ينتهي الى طرف منها ، فكلما خال انه وصل تبدت لـه اطراف بعيدة اخرى .

مأثورات جيل لجيل

والناس تعمر الارض ، جيل منهم يعمرها ، ثم يذهب ويأتي بعد جيل جيل ، يتواصل من بعد ذلك الرحيل . ولكن يبقى من هذه الاجيال للقادمين من بني الناس محاصيل . ونسميها بالمأثورات ، وهي سجل لعمل الانسان كبير . ولكن اغلى ما في هذا السجل ، وأمتع ، وانفع ، تلك الانجازات التي اثمرها الفكر ، ودفع اليها الفضول الفكري ، تلك التي تتصل بالكشف عن سر الحياة في منازلنا هذه المتواضعة من سطح الارض ، ثم عن سر الكون في سريانه وجريانه ، وبنائه وتصدعه ، في مراقيه العجب .

وأقول تمتع ، لأن منها النفع للانسان، مادة ، ومنها المتع له ، روحا ، باشباع، مجاعات في النفس اودعها الخلقه . لا بد من اشباعها .

ايام في التاريخ ، مشهورة مذكورة

وللتاريخ ايام عظيمة مذكورة ، انجز فيها الانسان في القرون ما انجز . وهو انجز الخير وانجز الشر . جنكيز خان فتح بلادا واستعبد عبادا . بريطانيا ملكت البحار ، واستولت على شبيع الارض . كولمبس عبر المحيط وكشف عن قارة ستعرف من بعد ذلك امريكا .

حوادث مشهورة وايام مذكورة ابن منها يوم نظر فيه جاليليو بمنظاره ، اول ناظر ، فرأى من القمر ما لم يكن رآه احد .

وأين منها ومن أمثالها يوم نظر فيه الهولندي لوفنهوك في عدسته فرأى المكروب اول راء .

وأين منها ومن امثالها يوم في عام ١٩٣٨ فلق فيه الذرة العالم الألماني هان Hahn وصاحبه ستراسمان Strassman اول فالقين .

وأين منها ومن امثالها يوم في اكتوبر عام ١٩٥٧ رفع فيه الروس الى السماء قمر الارض الاصطناعي الأول أول رافعين .

انجازات انسانية يميل الناس فيها الى تمجيد العلم . والعلم منشط من المناشط الانسانية لم ادر ، على يقين ، ما معنى تمجيده .

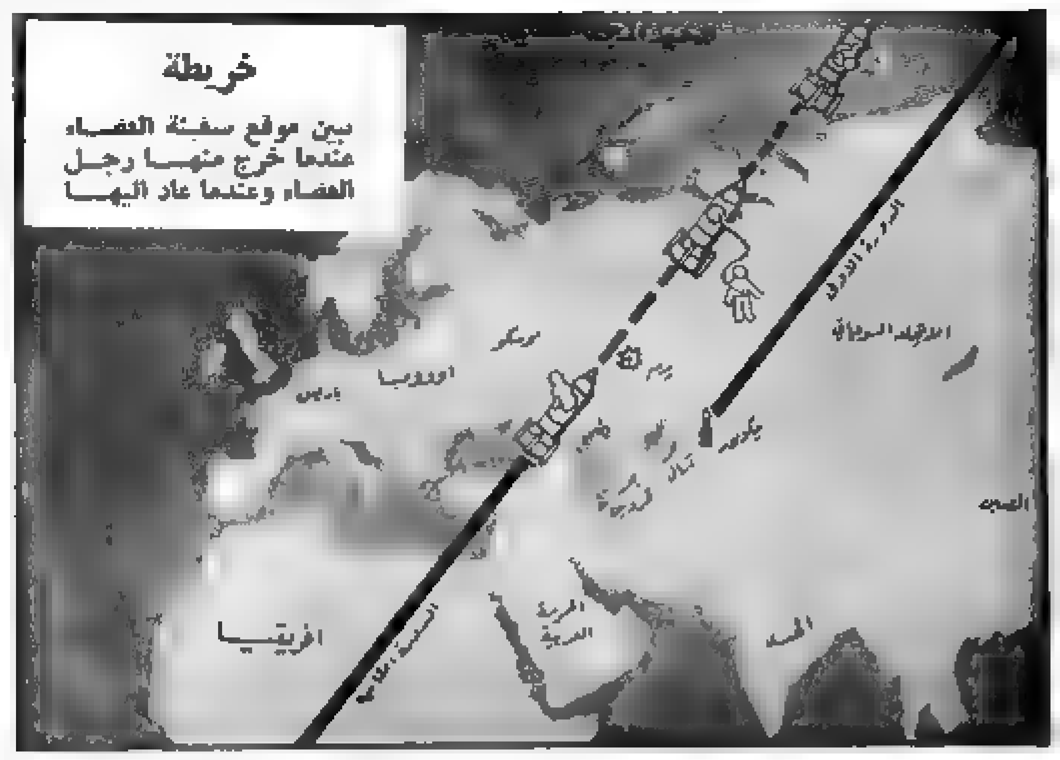
اني كلما خطا الانسان في هذه السبل خطوة الى الامام ، مجدت ، لا العلم ، ولكن مجدت الانسان ، والفكر الانساني، ومجدت خالق هذا الانسان وخالق فكره . وتكشف هذه الانجازات عن قوانين واحدة ، في ارض او سماء ، فتؤكد عندي معنى الوحدة الطاغية الشاملة في الكون التي هي من وحدة بانيه . وحدة طاغية في الكون شاملة ، هي السبيل العلمي المطلق ، حتى اذا لم يكن غيره من سبيل ، الى تلك الوحدة الكبرى ، وحدة الله .

يوم من آذار ، يوم من انجازات الانسان مأثور مذكور ومشكور

اما بعد ، فقد قدمت ما قدمت من كلام لأصل الى هذا اليوم من تلك الايام الانسانية التي تذكر فتشكر، ذلك يوم الثامن عشر من آذار عام ١٩٦٥ .

ففي هذا اليوم صنع انسان ما لم يصنعه احد من قبل . خرج الى موضع من الكون ، تحوطه به اسباب الموت من كل جانب ، وحماه العلم ، والفكر الانساني ، من ان يموت .

خرج الروسي من مركبة الفضاء الى الفضاء ، وسبح في غير ماء أو هواء ، ورأى الكون من حيث لم يكن رآه من قبل راء ، وعاد الى مستقره من مركبة الفضاء يحمل في نفسه انفعالات ، لـو صدقت ، وترك نفسه لها على سجيتها تنعم بها ، لكانت اعمق احساس بحقيقة هذا الوجود احسه انسان ، واكثر مسا



خريطة بين المدار الذى دارت فيه سفينة الفضاء . اطلقها الصاروخ من عند مدينة بيكونور بكازاخستان ، بالاتحاد السوفييتي ، وفيها نجد دورتها الأولى . ثم غيرت مدارها قليلا في الدورة الثانية ، تلك التي خرج فيها رجل الفضاء من سفينته ثم عاد . وبالخريطة ثلاث صور رمزية للسفينة ،حين بدا رجل الفضاء يخرج من السفينة ، وحين انفصل عنها وسبح في الفضاء ، وحين عاد اليها . وبعد ١٧ دورة، هبطت السفينة عند « برم » ، ما بين موسكو، ونقطة الانطلاق الأولى.

لهذه الحقيقة مسه انسان ، وأكثر ايمانا بها آمن به انسان .

ومع هذا فهي خطوة واحدة في السلم الى القمر ، فما بعد القمر .

وسوف يجد أول رجل يمشي بقدميه على سطح القمر — وما هذا اليوم ببعيد — تفوقا وجد اليوم سابح الفضاء هذا، وفوقه كثيرا . وأخشى ما أخشاه على رجل القمر الاول ان يرفض أن يعود ، حبا منه أن يذوب في ذلك الوجود .

والآن اقرأ يا قارئي ما صنع رجلا الفضاء بمركبتهما ، واستشعر ما كانت تكون أحاسيسك أنت لو انك كنت احد راكبي هذه المركبة ، فقمت ففتحت ذلك الباب ،وخرجت الى هذا الفضاء المجهول وحدك ، وأهل الأرض كلها تنظر اليك ، عبر التلفاز ، تسمع وترى ، وأنت لا يربطك بالحياة ، والدنيا ، في تلك الأعالي البعيدة ، غير حبل ، طوله خمسة أمتار .

قصة الرجل الذى سبح في الفضاء

هي قصة علماء الروس وساستهم ، نقلها عنهم كل ناقل . لم يكن لها مصدر سواهم . أعلنوها ، بعد أن أيقنوا من النجاح فيها ، وعندئذ فقط نشروا صورها التلفازية على الروس ، وعلى أوروبا ، واخيرا على امريكا . ورأى أهل الأرض ذلك الدور الفريد ، بمثله رجلان أول تمثيل ، وأخطر تمثيل ، على مسرح جاز أن يكون قد بلغ في ارتفاعه عن الأرض ، عن سطحها ، في السماء ، نحو ثلاثمائة ميل .

أطلق الصاروخ مطلقوه في صحة

الخميس ١٨ من مارس ، آذار ، عام ١٩٦٥ ، من موضع في أرض روسيا ، في الشرق من بحر آرال . وما هي الا دقائق حتى بلغت سفينة الفضاء فلكها الذي كان عليها أن تدور فيه . ودارت دورة حول الأرض ، من بعد دورة ، من بعد أخرى ، حتى أتمت سبع عشرة دورة ، استغرقت الدورة منها نحو ساعة ونصف ساعة ، ثم هبطت بعد الساعة الثانية عشرة بدقيقتين ، ظهر يوم الجمعة ١٩ مارس ، آذار عام ١٩٦٥ .

هذا ملخص ما جرى في كلمات معدودات . وكل هذا ليس فيه جديد .

وكان بالسفينة رجلان . وهذا أيضا ليس فيه جديد . ففي ١٢ أكتوبر عام ١٩٦٤ صعدت سفينة الروس الى السماء وبها ٣ رجال ، لا اثنان .

ان الجديد ، يؤلف دائما ، فلا يثير الناس من بعد الفة ، ومع هذا فالابداع ابداع ، مثلما تفور لأثره الناس ، ومن بعد أن تهدأ . لا يغير من الابداع شيء .

وانما الجديد في هذا الذي نحكي ، هو خروج أحد الرجلين ، من حيث الحياة وطيبها في السفينة المحكمة الغلق مضمونة، وأسبابها مكفولة ، الى حيث أسباب الحياة كلها معدومة ... الى فراغ (١) .. ومع الفراغ احتمال الضياع . وهو ضياع في أرجاء الكون لا ينقذ منه شيء .

ثم أخطار تتهيأ أن تنشب أظافرها في الرجل وما كساه . حتى الحركة ، حركة هذا الرجل الحر ، ليست كسائر الحركات . حركة واحدة يتحركها بظلها حسبه ، قد يكون فيها القضاء عليه ، اما ارتطاما ، واما انقطاعا وضياعا .

واليك تفصيل ما أجملنا :

الرجلان في سفينة الفضاء وهي في فلكها تدور

دارت سفينة الفضاء في فلكها (أو هي كبسولة الفضاء ، أو هي مركبة الفضاء ، كما يسميها بعضهم) . والرجلان مستقران في كبينتهم منها ، أحدهم بليايف Belyayev ، وهو الأكبر سنا ، فسنه ٣٩ عاما ، وهو القائم على شئون السفينة ، وهي تقوم في انطلاقها حول الأرض . والرجل الثاني الى جواره وهو ليونوف Leonov ، وهو الأصغر سنا ، اذ سنه ثلاثون عاما ، وهو يتأهب للخروج الى الفضاء .

ومن ناحية أن يستنشق ، بدل هواء الكبينة الذي يستنشقه صاحبه بليايف أكسجينا نقيا ، هو مزود به على نفس الضغط الذي له وهو يتنفسه في الحياة العادية . وهو يداوم على هذا الاستنشاق نحو الساعة . كي يتخلص دمه من كل نتروجين يكون فيه (١) .

(١) عند هذا العلو من سطح الأرض ، لا يكون الفضاء فارغا من الهواء كل الفراغ ، ولكنه يكون في حكم الفارغ ، ذلك لأننا لو جمعنا من هذا الهواء الموجود في كيلومتر مكعب ، ووزناه ، لكان وزنه نحو جرام واحد .

(١) الغطاسون عندما يغطسون في البحر الى أعماق بعيدة ، يتنفسون بالهواء مضغوطا وهم تحت الماء حتى يتعادل ضغطه وضغط الماء الواقع على أجسامهم ... وفي هذه الحالة يذوب بعض أكسجين الهواء وبعض نتروجينه في الدم بنسبة الضغط ، ويزداد مقدار الذائب كلما زاد الضغط . وعند صعود الغاطس من البحر ، يجب عليه أن يتدرج في الصعود حتى يستطيع الدم أن يتخلص من غازاته الذائبة . أما اذا صعد بغتة فسيدركون في ذلك هلاكه . ان الأكسجين الذي ينفصل من الدم بسبب الضغط الذي تناقص ، تستطيع الخلايا أن تستهلكه . ولكن لا تستطيع استهلاك الأزوت ، فينفصل في الدم فقاعات أخطر ما تكون الحياة ، ولا سيما اذا تسببت في وقف المسالك في القلب أو في المخ . وكالصاعد من أعماق الماء الى سطحه ، الصاعد من أعماق الهواء الى سطحه ، الى الفراغ . وقد شوهدت أعراض هذه الحالة في الطيارين المحاربين ، عندما كانوا يصعدون بطياراتهم المقاتلة الى أعالي الجو بغتة . ورجل فضائنا هذا ، يتهيأ للخروج الى الفضاء بعد أن يظل يستنشق الأكسجين ، على الضغط الذي ذكرنا ، مدة ساعة ، حتى يخلص دمه من كل نتروجين ذائب فيه .



صورة جمعت زمرة من الفضائيين الروس ، من رجال ونساء ، من أولئك الذين صعدوا الى السماء ، وداروا حول الارض ، وفاجئوا اهل الارض بما ادهش واعجب . وهم من اليمين الى اليسار نيكولاييف (١١ اغسطس ١٩٦٢) ، فالنتينا ترشكوفا (١٦ يونية ١٩٦٣) ، بلياييف (١٨ مارس ١٩٦٥) ، جاجارين (١٢ ابريل ١٩٦١) ، ليونوف (١٨ مارس ١٩٦٥) بوبوفتش (١١ اغسطس ١٩٦٢) . ومن ورائهم سبورة عليها رموز رياضية ، ومعادلات تشير الى ما وراء هذه الانجازات من فكر طويل المدى ، وعلم شديد الرأس عميق .

الدورة الثانية للسفينة : وفيها خرج رجل الفضاء الى الفضاء

هذا هو رجل الفضاء الثاني ، يهم بالخروج . انه لا يخرج الى الفضاء مباشرة . ان بينه وبين الخروج خزانة جانبية بها هواء ، لا بد أن يدخل اليها . ثم هو يخرج منها الى الفضاء من ناحيتها الاخرى . ها هو ذا يفتح باب الخزانة ، وها هو يدخل منه الى الخزانة ، وعليه كسوة الفضاء كاملة سابغة . عندئذ قام صاحبه ، رجل الفضاء الاكبر ، باغلاق هذا الباب اغلاقا محكما . ان ليونوف الآن في الخزانة وحده . ونظر ليونوف الى ذلك الباب الآخر ، باب هذه الخزانة الذي يخرج منه الى الفضاء مباشرة . وبيده اليمنى ، وعليها بعض كسائه الشامل ، فتح هذا الباب . انه يفتحه الى « عالم الغيب » الذي وراءه .

ليتنا ندري أي الاحاسيس ساورته وهو يفتح هذا الباب ، وأي الآمال حضرته ، وأي المخاوف ؟!

انه فتح الباب أول الامر قليلا جدا ، ثم قليلا . الا ما كان اسرع ما فرغت الخزانة من هوائها ! فرغ الهواء من حول كسائه الشامل ، وبداخله من الاكسجين ما به ، فانتفخ الكساء أعظم انتفاخه . واخذ ليونوف يفحص كساءه خشية أن تكون حركته قد أحدثت فيه ثقبا . ان ثقبا فيه يؤذن بالنهاية . واطمأن بعد امتحانه .

رجلان كانا معا ، ثم صارا في دنياوين مختلفين : الرجل الاكبر في كبينته ، يستنشق الهواء . والرجل الآخر في خزانته ، بل في كسائه ، يستنشق الاكسجين ، وبينهما الباب الموصد اشد ايصاد . وباب الخزانة الآخر مفتوح ، مفتوح الى الفضاء ، الى الفراغ .

لم يبق الا الخروج ، خروج الفتى الشاب الى الفضاء ، الى الفراغ .

الفضاء يستقبل انسانا حيا ، لأول مرة

انه الآن فوق روسيا ، وعلماء الارض ، علماء الروس ، يرقبون وينظرون . وصدر الامر الى التلفاز الذي تحمله مركبة الفضاء أن يعمل ، فاستجاب على الفور أمرا . واخذ يرسل الصور ، الى علماء الارض ، ملاحقة عديدة تترى ...

ورأى العلماء ، ومن بعدهم الناس —



صورة رجل الفضاء ليونوف ، وهو يسبح في الفراغ خارج سفينته ، حيث انتفى الحس بالأوزان ، ووزن جسمه ، فأصبح لا يعرف لنفسه فوقا ولا تحتا ، وانبهمت الجهات ، فأصبحت عنده في ذات معنى . وهو ، رغم سبحه الظاهر ، وارتباطه بسفينته بحبل ، يسير مع السفينة ، بنفس سرعتها، ١٧٥٠٠ ميل في الساعة ، حتى لو انقطع الحبل . وهو يدور في مدارها ما دارت .

كيف أخذ ليونوف الشاب يتلمس طريقه خارج المركبة. رأسه ظهر أولا وعليه قبعته. ثم هو يتحسس باب الخزانة المفتوح احتضانا. ثم تابع الخروج - في مهل شديد، وحذر شديد. فظهر نصف جسمه. ثم إذا هو في الفراغ سابح، يربطه بسفينة الفضاء حبل سميك. وعلى ظهره أنبوبتان تحملان الأكسجين، ومنهما يتنفس.

ورأى الناس منه وهو يسبح ما رأوه، فقال قوم إنه وقف على أم رأسه. وقال قوم إنه لعب في سبحه الألاعيب لتسلية الناس. وكل أخطأ. فالرجل كان من نفسه في شغل شاغل، ومن احتمال أن تكون هذه الدقائق آخر دقائق حياته، بالذي أحاطه من مخاطر، في مزاج لا يأتلف ومزاج المازح أبدا.

لا فوق، في الفضاء، ولا تحت

إن الرجل حيث كان، كان فاقد الثقل. فهو لا يحس ليديه ولا لذراعيه، ولا لرأسه، أو أي جزء من جسمه، ثقلا. كان من الفضاء بحيث ينعدم الأثقال. جاذبية الأرض لا وجود لها. وإذا تفقد الإنسان الحس بجاذبية الأرض، فقد الإحساس بالجهات كلها. فلا فوق، ولا تحت، ولا يمين ولا شمال. وسابح الفضاء تراءت لنا رجلاه في أعلاه، أو أسفل. وعبرنا عن ذلك بتلك المعاني التي نسبتها نحن على الأشياء، نحن أهل الأرض، فوق سطح الأرض. أما هو فما أحس أنه انقلب أو اعتدل.

سابح الفضاء، كسفينته، كلاهما في الفلك الواحد يدور

وشيء آخر يجب أن نعلمه عن حال الرجل وهو يسبح.

إنه، وقد خرج من السفينة الفضائية، لا يزال يسير معها، وبنفس سرعتها، ويدور في نفس فلكها شاء هو أو لم يشأ. والحبل الذي ربطه بالسفينة، لو انقطع لبقي الرجل يدور، ولو جثة جامدة، مع السفينة، في فلكها، ما دارت، سنوات عديدة. ومن سفن الفضاء، التي أطلقت زمانا مضى، ما لا يزال إلى اليوم يدور.

عشر دقائق، عاشها في الفضاء، ثم عاد

وقضى الشاب ليونوف في هذا الفضاء، خارج السفينة، عشر دقائق، ثم عاد إلى خزانته. وإذ أغلق بابها الخارجي، فتح له صاحبه بابها الداخلي، فدخل منه إلى مجلسه الأول، في الكبينة، إلى جوار صاحبه.

ودارت سفينة الفضاء بعد ذلك حول الأرض حتى أتمت ١٧ دورة كما سبق أن ذكرنا.

ماذا صنع رجل الفضاء، في الدقائق العشر، في الفضاء؟

إن الصور، صور العشر الدقائق، لم تنشر كلها للناس. بعضها احتجز فلم ينشر. وهنا بدأ قوم يتساءلون لماذا؟ وكان جوابهم هم، على سؤالهم هم، أن الروس لم يريدوا أن ينشروا ما كان يصنع رجل الفضاء في كل هذه العشر من الدقائق. قال قوم: قضاها في فحص ظاهر السفينة. وقال قوم وزادوا تظننا: إن الصور نفسها التي نشرت كان فيها إبهام مقصود حتى لا يدرك الآخرون، من منافسيهم في الأمم الأخرى، تفاصيل الرجل، ولباسه، وما كان يصنع، وكيف صنع.

والحبل الذي ربط رجل الفضاء بالسفينة؟

وهذا الحبل كذلك كان له قصة.

إنهم يسمونه الكبل Cable، وهو لفظ عربي. إنه في القاموس الحبل يشد به الإنسان. أو هو العقال يعقل

به القذافة ، الى شجرة مثلا فلا تبعد منها .

وهذا الكبل دخلته كذلك ريبة . هل هو حبل يربط الرجل بالسفينة فحسب ، أم له شأن غير هذا الشأن ؟ ومن الشأن الذي جاز له ، أن يكون به أنبوب يحمل الأكسجين من السفينة الى الرجل ، وأدنى هما الاسطوانتان اللتان على ظهره ، وفيهما الأكسجين، الا زيادة في الحيطة . ومن الشأن الذي جاز ، أن تكون في هذا الحبل أنابيب تحمل أسلاكا تلفونية ، يتخاطب عن طريقها الرجلان .

ولكن أحق بالذكر مما يذكر عن هذا الحبل وظيفته التي تبدو للناس ، أهل الارض .

يخطر للناس لا شك ، أول وهلة ان الحبل يربط الرجل الى السفينة ، حتى لا يجره منها .

وهذا خطأ . فالرجل لا يحتاج الى جر . انه كما قلنا جزء من السفينة ، له سرعتها تماما ، ١٧٥٠٠ ميل في الساعة، ويجري في مدارها تماما . ولو انه انقطع منها ، وكان شيئا جامدا ، لا حراك فيه، حجرا مثلا ، لما ابتعد عن السفينة ابدا .

ولكن الرجل ليس حجرا . ان به عضلا ، وبالعضلة قوة . وهي قوة ، في هذا الفراغ، ومع انعدام الوزن والجاذبية، اثرها هائل. فلو انه دفع ظاهر السفينة بيديه بقوة ، لاندفع عنها دفعة قوية غير مألوفة ، لا يستطيع لها وقفا ، قد تقطع الحبل الذي بينه وبينها . اي حركة يحركها ، لها اثرها الذي لا يستطيع هو أن يتحكم فيه . من اجل هذا كان حذره البالغ عند الخروج ، وحذره البالغ من بعد خروج ، حتى لا تكون منه حركة يكون فيها ضياعه ، او تكون حركة في الناحية الاخرى يكون منها له بالسفينة ارتطام يصدمه .

مخاطر الفضاء السابح فيه

أول هذه المخاطر الحر والبرد . انه وهو في الفضاء ، معرض في جنب من جانبه لأشعة الشمس . واشعة الشمس يرشحها الهواء قبل أن تبلغ الناس وهم على ظهر الارض ، فلا يصلهم منها الا جانب ، هو بالنسبة الى ما تصلنا منها ، هادىء وديع . اما الذي حجبه الهواء ، ومنه الاشعة الفوق البنفسجية ، فاثره على الرجل وخيم . هذا في جانب الرجل الذي يواجه الشمس هناك . وعلى العكس من ذلك جانبه المقابل . انه في ظلام ، ومع الظلام برد قارس ، يتجمد فيه الجسم وشيكا اذا تعرض له عاريا .

وغير أشعة الشمس ، ما يأتي من الاجرام الكونية من اشعاعات أخرى .

وكل هذه تتولى دفع مخاطرها الكسوة التي اكتساها الرجل . انها تتألف من طبقات عازلة لم يكشف الروس عنها وعن نوعها . قالوا فقط ان الكسوة بيضاء، وهذا ظاهر . والبياض بالطبع يعكس الاشعة .

وهناك خطر اكبر ، سببه ما يجري في الفضاء من نيازك مكرونية ، حجمها كحصاة الرمل وهي جديرة بأن تخرق كسوة رجل الفضاء . ومتى اخترقت ، ودخلها الفراغ،كان في هذا نهاية الرجل.

ولكن الحاسبون الروس اتخذوا لهذا الخطر عدته . فهم حسبوا ، فوجدوا ان احتمال اصابة رجل الفضاء، وحجمه هذا الحجم الصغير ، بنيزك مكروني ، في الفضاء ، احتمال بعيد . وانه يستطيع ان يبقى فيه سنتين او ثلاثا ، دون أن يصيبه نيزك منها .

نجاح يرى فيه العلماء تقدما في العلم عند الروس متعدد النواحي

نعم . ان رحلة كهذه تروع الرجل غير العالم ، وتروع الرجل العالم ، سواء بسواء . ويزيد الرجل العالم بأن يدرك ما وراءها مما بلغته الامة التي انجزتها من التقدم في جبهات من العلم شتى .

ان القارب الفضائي الصغير يدل على

خلق من بنوه ، وكم هو .

والسفينة الكبيرة ، ماخرة المحيطات، تدل على خلق الأمة التي بنتها ، وهو خلق ، لا في جانب من العرفان واحد ، ولا في من الفنون واحد ، ولكنه خلق متعدد الجهات .

وسفينة الفضاء ، فوق ارادتها ، تدل على جهات في العلم ، والعلم التطبيقي ، والصناعة، بلغ الروس فيها مدى بعيدا.

قال المستر كرت ديبوس Kurt Debus مدير مركز الفضاء الامريكي بقاعدة كندى العظمى بالولايات المتحدة : « ان النجاح الروسي هذا يدل على تقدم عظيم ، في الصناعة ، وفي عمل الحاسبات الاوتوماتيكية Computers ، وفي علم المعادن ، وفي القذائف ، وفي الطب الفضائي ، وفي العلوم البحتة ، وفي كثير غير هذه . كل هذا نراه واضحا في تلك السفينة الواحدة التي قذفوا بها الى السماء » .

وهذا رجل امريكي لا يطرى خصومه الا عن ايمان .

وهو رجل امريكي ، لا يطرى مذاهبه الشيوعية . وهو كسائر العلماء ، لا يربطون التقدم العلمي الصناعي بالشيوعية ، سواء آمنوا بها او كفروا . هذه شيء وذاك شيء آخر . والعلم له رجال في كل البلاد ، على اختلاف المذاهب والايديولوجيات .

بين الروس والامريكان

سبق رجل الفضاء الروس في الفضاء كان لا شك كسبا للروس . ووقتوا موعده بحيث وقع في نحو اسبوع واحد هو واطلاق الامريكان كبسولتهم جيميني Gemini ، ومعناها التوأم؛ وبها رجلان. وكان سبق الروس الى مثل ذلك في اغسطس عام ١٩٦٢ .

ان قذيفة الروس اليوم ، قذيفة سفينتهم (الشروق رقم ٢) كسفت قذيفة الامريكان ، جيميني ، كما تكسف الشمس القمر .

ولكن الامريكان يعزون بقصة الشاعر الفرنسي لافنتين Le Fontaine ، قصة السلحفاة والارنب .

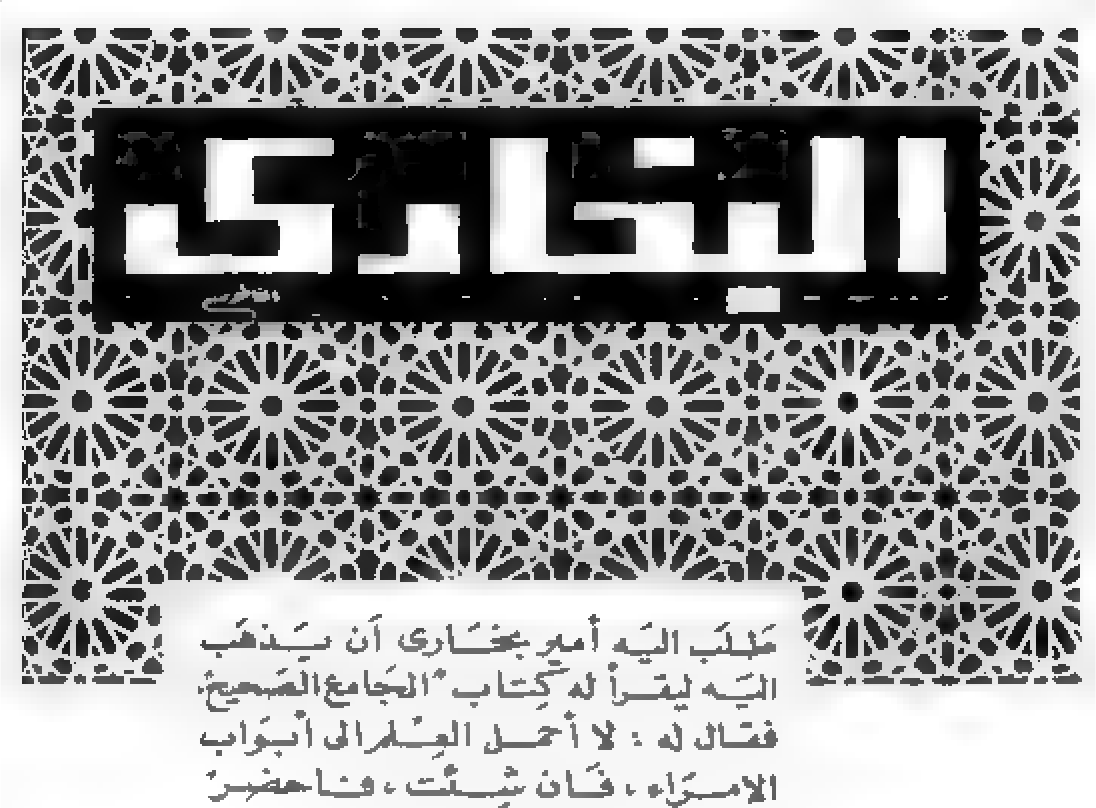
انهم ينسبون تقدم الروس في الفضاء الى قوة الصاروخ القاذف عندهم . فصاروخهم القوي، تيتان الثاني Titan II الذي حمل سفينته فضائهم جيميني الى فلكها ، وبها رجلان ، له قوة دافعة تبلغ نحو ٤٣٠٠٠٠ رطل . وقوة دفع الصاروخ الروسي قد تكون ضعف هذه القوة أو ثلاثة أمثالها . ومن أجل هذا كانت سفن الروس أوسع ، وقد حملت من قبل ثلاثة رجال .

وهم يقولون انه مع الزمن ، ومع المثابرة ، ستسبق السلحفاة . وهم يخططون لبناء صاروخهم ساترن الثاني Saturn II ، او زحل الثاني ، في عام ١٩٦٧ ، وسيكون له قوة دفع هائلة ، انها ١٦٠٠٠٠٠ رطل . وهو الصاروخ الذي سيرفع سفينتهم ، ابولو ، في ذلك العام ، وبها رجال ثلاثة فتدور حول الارض . ثم صاروخ لهم اكثر هولا، ذلك ساترن الخامس Saturn V الذي سيرفع السفينة وتذهب بها الى القمر .

والامريكان يدعون انهم متفوقون على الروس في سفائنهم العلمية فيما تحمل هذه السفائن من آلات واجهزة. ويضربون لذلك ما اصعدوه الى الجو من اقمار تدرس الاجواء ، واخرى تتجسس على الاعداء ، واخرى ترسم الخرائط والمحيطات ، ثم اخرى وهي الاخيرة ، وهي وصلة التلفاز العالمي ، والتلفون ، بين اي بقعة في الارض وبقعة .

ويضربون الامثال لما انجزت هذه الاقمار ومن انجازاتها ، انها استطاعت ان تكشف وترسم البرج الذي منه اطلقت الصين قنبلتها الذرية الاولى !

احمد زكي



طلب اليه أمير بخارى أن يذهب اليه ليقرأ له كتاب "الجامع الصحيح" فقال له : لا أحمل العلم الى أبواب الامراء ، فان شئت ، فاحضر

بقلم : الشيخ محمد ابو زهرة

استاذ الشريعة بجامعة القاهرة

■ منذ بعث الله تعالى محمدا رسولا للعالمين ، عني الذين اتبعوه بقوله وعمله وما يقره من أقوال وأفعال ، فحفظوا قوله ، لأنه من جوامع الكلم ، ولأنه بيان لكتاب الله تعالى ، ولأنه تبليغ الرسالة المحمدية ، ولأنه الأسوة الحسنة ، ولأن أفعاله وتقريراته بيان للقرآن كأقواله .

النبي ينهى عن كتابة كلامه ، ثم يجيز

ولقد هموا في أول الرسالة أن يكتبوا كلامه فنهاهم ، حتى لا يختلط عليهم قوله بالقرآن ، حتى اذا استطاعوا أن يفرقوا بين كلام الحق ، وكلام الرسول في آخر حياته أذن عليه السلام لمن أرادوا الكتابة أن يكتبوا ، فأذن لعبد الله بن عمرو بن العاص أن يكتب هو وغيره .

كان الناس احوج الى سنة الرسول بعد وفاته

ولما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى كانت الحاجة الى معرفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شديدة ماسة ، لأن المسلمين في حاجة اليها ليهتدوا بها ، وليعرفوا حكم الاسلام منها ، تحقيقا لقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » . ولأنهم كانوا يطيعون النبي عليه السلام بسؤاله في حياته ، وطاعته بعد وفاته تكون بمعرفة أقواله فيما




يعرض لهم من امور ، اخذا بهذا النص الذي تلوناه ، وبقوله عليه السلام : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي ابداً ، كتاب الله تعالى ، وسنتي ». ولذلك كان الائمة الراشدون الاعلام اذا عرض لهم امر تعرفوا حكمه من كتاب الله تعالى ، فان لم يجدوا ما يسعفهم تعرفوه من سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه ، فتساءلوا فيما بينهم عن سنة عند بعضهم وهي لا يمكن ان تغيب عن كلهم . ومن الصحابة من تفرغوا لاستحفاظ كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فحفظوا منه أسطرا ، وقد تساءلوا فيما بينهم عما كان يرويه بعضهم بعد الاستيثاق من صحة نقله .

روى التابعون كلام الرسول عن الصحابة، ثم روى عن التابعين تابعوهم

وقد تتلمذ للصحابة تلاميذ رووا عنهم وهم التابعون لهم باحسان ، وتتلمذ لكل تابعي تابع له نقل عنه ما حفظ هذا عن استاذه من الصحابة ، ثم جاء الذين من بعدهم فتتلمذوا عليهم ، وكل يدون ما يأخذ ، حتى كان من بعد ذلك من سجل هذه الروايات باسنادها في كتب، بحيث كان يذكر كل واحد من روى عنه، حتى يصل الى الصحابي الذي روى عن الرسول قوله . وقد دونت تواريخ الرجال رجلا رجلا ، وعرف مقدار عدالتهم، وعنايتهم بما يروون، وضبطهم لما ينقلون ، حتى كان جمع الحديث النبوي برواة عدول ثقات ضابطين ، يعرفون ما ينقلون وما يدعون .

جوامع الحديث الشاملة في القرن الثالث ، واضبطها صحيح البخاري

وما جاء منتصف القرن الثاني ، حتى كان الجمع والتدوين قد استوى على سوقه ، ولكن كل مجموعة لم تكن شاملة ، حتى جاءت الجوامع الشاملة في القرن الثالث ، واوضحها اشراقا وقوة وضبطا صحيح البخاري .

نشأة البخاري

والبخاري هو ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة ، كان من اسرة مجوسية في أصلها ، واول من أسلم منها جد أبيه المغيرة ، أسلم على يد والي بخارى ، وحسن اسلامه ، وحسن اسلام ابنه وحفيده اسماعيل ابي البخاري ، وكان هذا برا تقيا .

وقد ولد البخاري سنة ١٩٤ هـ ، وقد عين ابن كثير في تاريخه ، والخطيب في تاريخ بغداد ليلة مولده ، فذكرا انها ليلة الجمعة في الثالث عشر من شهر شوال من هذه السنة .

ولعل عناية البخاري بتاريخ رجال الحديث واحوالهم هي التي جعلته يتعرف تاريخ مولده ويصل الى معرفته يقينا . وقد ولد من ابوين صالحين ، فكان أبوه صالحا ، وكانت أمه تقية طيبة طاهرة ، اخلصت لله في عبادتها ، وأرضعت ولدها في صغره حب الله تعالى ، وتقواه .

دعاء أم البخاري رد بصره اليه

فنشأ عابدا منذ نعومة ظفره ، وأحس

بفضل الله تعالى عليه ، واستجابته دعاء أمه ، ذلك أنه ولد مبصرا ثم صار مغمض العينين لا يبصر . فأخذت أمه تضرع الى الله تعالى ، أن يرد الى ابنها وقرة عينها بصره . قال المؤرخون ، انها رأت فيما يرى النائم أن أبا الأنبياء ابراهيم خليل الله عليه السلام يقول لها : « يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة دعائك أو بكائك ، فأصبح مبصرا » .

فلما استيقظت من منامها رأت ابنها قد ارتد بصيرا ، فعلمت أنها الرؤيا الصادقة .

شكر النعمة

أحست أم البخاري بنعمة الله عليها اذ أعاد النور الى ولدها ، وأحس ابنها بنعمة الله تعالى عليه ، اذ كتبه في المبصرين ، فوجهته أمه الى علم الدين يتدارسه ، فحفظ القرآن الكريم ، وتتبع علماء الدين في مصره ، واستمراه ما ينقلونه من أحاديث الرسول الكريم ، فوجد فيه الحكمة وفصل الخطاب ، فاتجه اليه بعد حفظ القرآن . فلم يعن بأقوال الفقهاء ، وكلام العلماء ، بل عني بكلام مبعث النور ، ومشرق المعرفة وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

اتجه الى طلب الحديث بعد حفظ القرآن الكريم ، وقالوا انه ألهم طلبه ، وأشرب حبه وهو غلام في العاشرة من عمره ، وكان ذا حافظة واعية ، وذاكرة قوية ، فالتقت الرغبة الشديدة ، مع الاستعداد الكامل ، حتى انه وهو في الحادية عشرة من عمره صحح لبعض شيوخه الرواية ، وراجعه فيها المرة بعد الأخرى مراجعة المطمئن المستوثق ، حتى أمر الشيخ بصحته ما رأى . واستمر يطلب الحديث بأرض سمرقند وما حولها ، يأخذ عن شيوخ الحديث في تلك البلاد ، وكان بها رواة أعلام أخلصوا النية ، وطلبوا الحق ، وهم ثقات عدول ضابطون، يعرفون ما ينقلون وما يدعون.

الى البيت الحرام

ولما استوى عوده، وصار فتى سويا ، اذ بلغ الثامنة عشرة من عمره ، يمم شطر المسجد الحرام ، فذهب حاجا مع أبيه التقي . وكان غرض أبيه أداء الفريضة، وغرضه هو أداء الفريضة وتلقي الحديث في مكة والمدينة ، وكانتا في ذلك الابان ، لا تزالان مورد الاسلام العذب، يرد اليه الصادرون من مشارق الأرض ومغاربها ، فأقام في تلك الأرض المقدسة ما شاء أن يقيم ، حتى جمع من رواة الحديث فيها ما عندهم من تركة مثرية عن رسول الله .

تنقله في الأمصار ، ينقل عن رواتها

وبعد أن ارتوى من ماء زمزم ، وما حولها من البقعة المباركة ، وارتوى من حديث الرسول بالحجاز ، أخذ يتنقل في الأمصار الاسلامية مصرا مصرا ، فانتقل الى البصرة ، والى الكوفة ، والى ما وراء النهر ، لا يعلم بأرض ثمة ثقة الا رحل اليه . وقد رحل الى دار السلام حيث التقى بامامها أحمد بن حنبل ، وروى عنه وتلقى حديثه ، وأخذ من مسنده . وما نقل حديثا وضمنه كتابه الا اذا كان قد أخذه من راويه . فقد كان من شرطه في الرواية الا يأخذ عن معاصر الا اذا لقيه، ممن مات قبله أخذ عمن روى عنه. أما من عاصره فانه لا يأخذ عنه مهما بعدت الديار ونأت الأمصار ، ومهما عظمت المشقة ، ولذلك كثر ترحاله ، لا يقيم في بلد الا على نية الرحيل عنه الى آخر يكون فيه محدث معاصر علم أمره.

وقد أخذ يجمع ما سمع ويدون ، يسهر الليالي دؤاب الجد في تدوين ما جمع ، ويشكر بالعمل نعمة الله تعالى عليه في أن رد بصره . فقد ذكر ابن كثير في تاريخه : « ان البخاري كان يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه ، فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطره ، ثم يطفيء سراجه ، ثم يقوم مرة أخرى وأخرى، حتى كان يتعدد منه ذلك قريبا

من عشرين مرة . فكان ذلك عبادة يتعبد الله تعالى بها ، وهذا مع تنسكه وكثرة صلاته وتهجده بالليل مما يرفعه الى مراتب العباد الزهاد .

جلوسه للعلم

تذاكرت الركبان باسم البخاري ، وتناقلت الاسماع علمه ، وقد صار ينتقل للالقاء بعد ان كان ينتقل في الامصار للتلقي . وصار يروي للأجيال من بعده بعد أن كان يروي عمن سبقه من الثقات ، وبذلك صار يعقد مجالس للحديث في الامصار التي يحل فيها ، أو بعبارة أدق صارت المجالس تنعقد حوله عندما يحل في أي مصر ، من طالبي الحديث الذين يعون بالثقات ، ويريدون أن يسمعوا من البخاري رواية عصره .

وقد انعقدت له مجالس علم في البصرة والكوفة ومصر والري وسمرقند ، وابتدأت هذه المجالس ، وهو بعد شاب لم يصل الى حد الكهولة ، وهو في كل مجالسه كان الثقة الذي لا يمكن أن يضعف له حديث لعلة في متنه ، أو شذوذ في حكمه أو ضعف في رجاله ، حتى كان علمه وشهرته به أكبر من سنه .

في بغداد

وكانت بغداد في عصره ، ومن قبله ومن بعده ، قصبة الدولة الاسلامية ، وموئل العلماء في كل ابواب العلم من لغة وأدب ، وفقه وفلسفة ، وفيها علم الحديث والرواية قد بلغ الذروة ، وحسبك أن تعلم انه كان فيها امام المحدثين احمد بن حنبل ، فكان لا بد أن يأوي اليها البخاري ، كما أوى الى مكة والمدينة ، ولذلك رحل اليها ثماني مرات يتغذى من موارد الحديث من الرواة ، وعلى رأسهم احمد ، الذي كان يكبره سنا .

ولما بلغ ما بلغ من الشأن والعلم ، وكان الامام احمد قد قبضه الله تعالى اليه ، جلس للحديث فيها ، وبلغ نبوغه ، وبلغت سعة عقله ، واتساع آفاقه ، وقوة حافظته ، ودقة روايته ، حتى صاروا يتشككون في كل حديث يذكر انه لا يعرفه ، ولا يترددون في قبول اي حديث يعرفه .

وكان الرواة من أهل الحديث الذين كان لهم ذكر وشأن يعقدون فيما بينهم المجالس يختبرون مقدار علمه ، فكانوا يذكرون الاحاديث ويقلبون اسنادها ، ويحاول تصحيح السند ، فانتقل اكثرهم من حال الاختبار الى حال التقدير والاعجاب ، بل انتقلوا الى حال الاخذ عنه والاتباع ، واقروا له بالصدق في الرواية ، واذعنوا له ، واستمرت مجالسه من بعد تسير في بغداد وغيرها برخاء سهلة حتى كان الحسد والحساد .

الحسد

كانت بغداد تموج فيها موجات من الآراء والافكار ، وكانت مسألة خلق القرآن تشغل العقل الاسلامي فيها وفي غيرها من عواصم الاقاليم الاسلامية ، وذلك في أول القرن الثالث الهجري الى اكثر من منتصفه . وكانت المحنة تنزل برجال الحديث ابتداء ، ثم نزلت من بعد ذلك بخصومهم ، لما جاء المتوكل ، وانتصر لأهل الفقه والحديث ، وعندئذ صار العالم يوصف بسلامة الاعتقاد ان قال ان القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويوصف بالزيغ ان قال ان القرآن لفظه مخلوق ، أو قال هو غير مخلوق ، فعندئذ يوصف بالضلال ، وخلع الربقة ، وان كان كلامه ليس قاطعا في اي الرأيين تأول له المحبون ، واتهمه الحاسدون .

وجد الحاسدون المغمز الذي يغمزون به شيخ أهل الحديث في عصره من هذه الناحية ، ذلك انه تحفظ في القول ، فلم يحكم في القضية ، بل توقف ، ولم يجد انها من المسائل التي يسوغ للمحدث أن يخوض فيها ، وهو المحدث الذي ينقل الاحاديث واخبار الصحابة فيما يجد نقلا مرويا في القضية ، لا من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولا عن صحابته

الكرام . فتوقف ولم يقل ، ووسعه ما وسعهم . ولكن الحسد الذي يأكل القلوب جعلهم يفسرون التوقف بما تهوى أنفسهم ، فادعوا أنه يرى أنه يقول ان لفظي بالقرآن مخلوق ، وذلك لأنه قال : أعمال العباد كلها مخلوقة . وأخذ ذلك من قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « ان الله يصنع كل صانع وصنعته » . وأولوا كلامه بأنه يرى أنه يقول لفظي بالقرآن مخلوق . وانبرى لامام الحديث رجل جحود حسود ، وتقول الأقاويل على البخاري ، حتى لقد بلغ به الحقد أن يقول : « من ذهب الى محمد بن اسماعيل البخاري فاتهموه » .

تبرم البخاري لأنه أحس بأن العامة يتبرمون به ، وقد أخذ يطوف في الأقاليم حتى أوى الى سمرقند ، ونزل بقرية (خرتنك) وبها بعض قرابته فنزل عندهم ، وأحسن الذي كان نقي الايمان سليم الاعتقاد بتبرم شديد ، حتى اتجه الى ربه يضرع اليه : « اللهم انه قد ضاقت علي الارض بما رحبت ، فاقبضني اليك . فقبضه الله تعالى اليه بعد شهر من دعائه » .

آثاره ، وأشهرها كتاب الجامع الصحيح

ترك البخاري علما كثيرا كله يتصل بالرواية والأثر ، فقد كتب كتابين في التاريخ ، هما التاريخ الصغير والتاريخ الكبير ، وهما في تاريخ رجال الحديث والأثر . وترك كتابين آخرين هما كتاب الضعفاء الصغير والضعفاء الكبير .

وترك الأثر الخالد الباقي صحيحا وموضحا للشرع الاسلامي الى اليوم هو « كتاب الجامع الصحيح » .

وقد ابتدأ بجمعه في شرخ شبابه ، وهو يتنقل في الآفاق يأخذ عمن قبله ، ويعطي من دونه ، واستمر على ذلك الى أن بلغ ما بلغ من الثقة ، والاشتهار بالحفظ . فعندئذ اتجه الى تدوين الجامع الصحيح ، ويقول في سبب تدوينه « كنت عند اسحاق بن راهويه ، فقال لنا بعض أصحابنا : لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . فوقع ذلك في قلبي ، فأخذت في جمع هذا الكتاب » (يعني كتاب الجامع الصحيح) .

وقد أخذ بجمعه في مكة والمدينة عند الروضة الشريفة ، وقالوا انه ترجم أبوابه في الروضة الشريفة ولم يكتف بطهر المكان ، بل كان لا يكتب حديثا من الأحاديث الا بعد التوضؤ وصلاة ركعتين ، وقد استغرق تدوينه نحو ستة عشر عاما .

وهو مرتب حسب ترتيب أبواب الفقه ، لم يؤخذ عليه الا نحو ثلاثين حديثا ، ونحو ستين رجلا ، ومجموع أحاديثه خمسة وسبعون ومائتان وسبعة آلاف ، وهو كان يكرر اذا تعددت الرواية ، وبحذف المكرر ، يكون المجموع نحو أربعة آلاف حديث ، وقد اختصره الزبيدي .

عزة العلم

كان البخاري في جدة من العيش والرزق الموفور ، فالمال فيه أسباب رزق ورزق طيب ، ولذلك لم يتطلع الى العيش في كنف ملك أو ذي سلطان ، وليس لابن حرة يد عليه .

طلب اليه أمير بخارى بعد أن آب اليها أن يذهب اليه ليقرأ له كتاب الجامع الصحيح والتاريخ ليسمع منه ، فقال البخاري لمن أرسله : « أنا لا أذل العلم ، ولا أحمله الى أبواب الناس ، فان كانت لك حاجة ، فاحضرني في مسجدي أو في داري » . فتلطف الأمير ، وطلب اليه أن يحضر أولاده الى البخاري في مجلس لا يحضره أحد . فرد العالم المعتز بعزة الله قائلا : « لا يسعني أن أخص بالسماع قوما دون قوم » . أي انه يقدم العلم للناس على سواء ، فحرض الأمير أذلاء العلماء على أن يتكلموا في دين عزيزهم التقي النقي .

وهكذا عاش البخاري عزيزا ، ومات معززا مكرما في ليلة عيد الفطر من سنة ٢٥٢ هـ ، فرضي الله عنه وأثابه على عمله النافع الى يوم القيامة .

■

محمد أبو زهرة



■ الاجابة الصحيحة لهذه المسابقة هي:

اديسون	: الفونغراف
باستور	: بكتريا الأمراض
جاليليو	: التلسكوب
جوتنبرج	: الطباعة الحديثة
ستيفنسن	: قاطرة السكة الحديد
سولك	: مصل شلل الاطفال
فلمنج	: البنسلين
كوري	: الراديوم
كولمبس	: امريكا
ماركوني	: اللاسلكي

وقد تجاوزت الردود الصحيحة التي تسلمناها ما كنا نتوقعه ، وكان عدد البلاد الاجنبية التي اشترك منها قراء عرب وغير عرب في المسابقة لا يقل عن عدد البلاد العربية .

ولوحظ ان معظم الرسائل تضمنت الاجابات العشر الصحيحة كلها ، بينما اكتفى الباقون بثماني اجابات .

وخلط اكثر اصحاب الردود الخاطئة بين ماركوني واديسون ، أيهما اخترع الفونغراف وايهما اخترع اللاسلكي .

وقد أجريت عملية الاقتراع على الجوائز بين الاجابات الصحيحة فكانت النتيجة كما يلي :

الجائزة الاولى وقيمتها ثلاثون دينارا فازت بها الآنسة قسمت عبد الله التروة : الكويت .

الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فاز بها فائق عمران ، مخيم العائدين ، حماه ـ سورية

الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها عاصي عبد الجبار ، وهران ـ الجزائر

٨ جوائز قيمتها [illegible] دينارا ، كل منها خمسة دنانير فاز بها

١ ـ احمد ابراهيم صباح ، طالب فلسطيني ، برصلاحا

٢ ـ محمد يعقوب حسين : بيلا ـ السودان .

٣ ـ نوال حسين العطي : ديوانية ـ العراق

٤ ـ رافت عبد الرؤوف فتيان ، نابلس ـ الأردن

٥ ـ فتحي احمد الجمل : القرية ـ دقهلية ـ ج.ع.م

٦ ـ فكتور انيس بصار : عين عنوب ـ لبنان .

٧ ـ ابو الشتاقيل احمد ، الرباط ـ المغرب

٨ ـ محمد ابراهيم الصـــالح : الهفوف ـ السعودية

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■■

مسابقة العربي

أسئلة في صيغة أجوبة .. لكنها ناقصة

■ هذه المسابقة اختبار لمعلوماتك العامة في التاريخ العربي والاسلامي . لكنها تختلف عن غيرها من المسابقات التي من هذا النوع بأن أسئلتها العشرة قد صيغت في هيئة اجابات غير كاملة ، عليك أنت أن تكملها باضافة عبارة من العبارات الاربع التي الحقت بكل منها ، فان احدى هذه العبارات هي التي تعطيك الاجابة الصحيحة الكاملة ، وكل ما عليك هو أن تختار منها ما تعتقده صوابا .

وبكفي أن توفق الى ٨ اجابات صحيحة من موضوع المسابقة .

— ١ —

● كان حاتم الطائي مضرب المثل في الكرم والجود في عصره .
وقد عاش حاتم :
أ ــ في عصر الخلفاء الراشدين
ب ــ في العصر العباسي
جـ ــ في العصر الاموي
د ــ في العصر الجاهلي

— ٢ —

● كان أول خلفاء الدولة العباسية :
أ ــ هرون الرشيد
ب ــ أبو جعفر المنصور
جـ ــ أبو العباس السفاح
د ــ العباس بن الوليد

— ٣ —

● سيدة من أشراف قريش عاصرت ظهور الاسلام وكانت حربا عليه أي حرب ، فلما جاء نصر الله والفتح آمنت وحسن اسلامها . عرفت بأم الولد وهي :
أ ــ الخنساء
ب ــ سلافة بنت سعيد
جـ ــ هند بنت عتبة
د ــ سلمى بنت خصفة

— ٤ —

● أول من وضع معجما في اللغة العربية هو :
أ ــ ابن خلدون
ب ــ سيبويه
جـ ــ الخليل بن أحمد
د ــ أبو الاسود الدؤلي

— ٥ —

● في عام ٢١٢ هـ غزا المسلمون جزيرة صقلية بعد معركة بحرية اشتركت فيها مائة سفينة اسلامية كانت بقيادة :
أ ــ طارق بن زياد
ب ــ اسامة بن منقذ
جـ ــ اسد بن الفرات
د ــ عمارة بن حمزة

— ٦ —

● حارب المجاهد العربي عمر المختار ايطاليا في ليبيا أكثر من عشر سنوات حتى نيف على الثمانين ، وأخيرا مات :
أ ــ على فراش المرض
ب ــ شهيدا في ميدان القتال
جـ ــ معلقا بحبل المشنقة
د ــ اعداما بالرمي بالرصاص .

لاختبار معلوماتك في التاريخ العربي والإسلامي ..

الجوائز ١٠٠ دينار

— ٧ —

● قصر الحمراء هو احد الآثار العربية الخالدة التي تنطق بعظمة العرب والمسلمين في الأندلس . وهو يقع في مدينة :

أ — قرطبة
ب — طليطلة
حـ — غرناطة
د — اشبيلية

— ٨ —

● في الحروب الصليبية اسرت جيوش المسلمين ملكا من ملوك اوربا الذين كانوا مشتركين في المعركة التي دارت قرب المنصورة في مصر . كان هذا الملك هو :

أ — لويس الرابع
ب — لويس التاسع
جـ — لويس الحادي عشر
د — لويس الرابع عشر

— ٩ —

● « اليوم خمر ، وغدا امر » : عبارة مأثورة ، قالها شاعر عربي قديم هو :

أ — ابو نواس
ب — عمر بن ابي ربيعة
حـ — امرؤ القيس
د — عنترة بن شداد

— ١٠ —

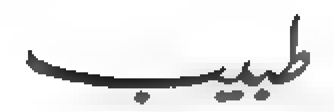
● القائد العربي الذي وصلت فتوحات العرب على يديه الى فرنسا ، واجتاز بجيوشه جبال البرنيز واحتل بوردو وبرجونيا ومارسيليا وليون وغيرها هو :

أ — صلاح الدين الايوبي
ب — عبد الرحمن الناصر
جـ — عبد الرحمن الغافقي
د — عمرو بن العاص

شروط المسابقة وجوائزها

١ — يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥١ .
٢ — يكتب على الظروف عبارة « مسابقة العربي — العدد ٧٨ » .
● آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر يونيو (حزيران) ١٩٦٥ .
● يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا
الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا
الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع ..



الفواكه الحوامض ، هل تحمض الدم ؟

●● قرأت في بعض الكتب أن الرجل عندما يتقدم في السن يحسن به أن يتجنب أكل الفواكه الحامضة ، وأن يكثر من أكل الخضروات لأنها غير حامضة ، ولأنها على العكس من تلك الفواكه ، تجعل سوائل الجسم قلوية . فهل تتكرم بأن تذكر لي أي الفواكه يحسن بي أن أتجنبها ؟



ـ لا تتجنب شيئاً . كُلْ من الفواكه ما يطيب لك ، لا سيما تلك التي ترتاح إليها بأسرها . وكذلك الخضراوات . واصرف النظر عما يقال في أمر الفواكه الحامضة . إن كل الفواكه تحترق آخر الأمر في الجسم ، ولا يبقى منها في خلاياه غير «رماد» قلوي مهما كانت الفاكهة في الأصل حامضة . إن كل حامض في الفاكهة يحترق في الجسم فلا تخش من ذلك شيئاً . إنها غلطة شائعة وجب تصحيحها .

الشيخوخة والجمال

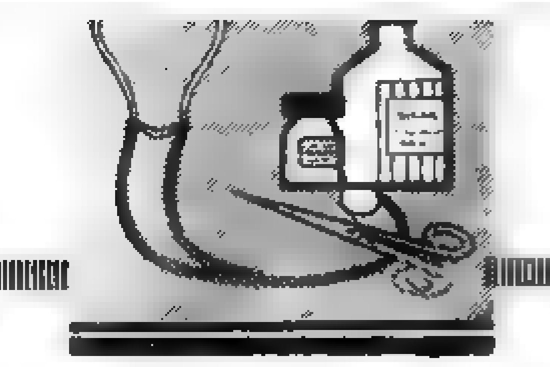
●● أنا رجل زاد سني على الستين ، وضقت بالشيب الكثير الذي كلل لي من الرأس . وأسمع أن الجراحين اليوم يقومون بإجراء عمليات في الوجه للتجميل ، فهل يمكن لمثلي أن يطلب من الجراح عملية كهذه ، تحسن وجهي أمام أنسالي وأحفادي ؟



ـ أولاً يجب أن تعلم أن هذه الجراحة لا يقوم بها كل جراح ، وإنما يقوم بها جراحون مختصون . ولا أظن أنه جاءهم كثير من الأشياخ يطلبون ما تطلب . ومع هذا فجراحة كهذه قد تكون ممكنة ، من حيث إنها جراحة ، بعد فحص الجراح الوجه وفحص الطبيب حالة الجسم ومقدار احتماله . فهذه الجراحات طويلة الأمد على العموم .

ولكن قل لي . أولادك هؤلاء لا بد أن يكونوا قاربوا الخمسين فهم كهول .

ثم يجب أن لا تنسى أن هناك عناصر من جمال الوجه لا تفارقه ، وللشيخوخة جمالها ، ومع الجمال سمة الوقار والحكمة تقوم مقام ما افتقدت الشيخوخة من جمال الشباب الطري .



الحب . بين المريضة والطبيب

●● انا رجل ، لا علاقة لى شخصيا بهذا الاستفسار الذى استفتيكم فيه . ولكن اعرف من يهمه هذا الاستفسار . وملخص السؤال : ماذا يفعل الطبيب الشاب الاعزب اذا هو وقع فى حب مريضة تتردد عليه ، شابة .. ابان علاجها ، ثم ماذا يصنع ؟ وليس فى الذى احكيه هزل !

ــ مراسم اللياقة الطبية فى الاصقاع التى نحن اقرب الى التمرس بطبهما تقضى ، فى مثل هذه الحالة ، بان يكف الطبيب عن معالجة الفتاة ، وان ينصحها بطريقة غير مكشوفة بمراجعة طبيب آخر ، سواء كان الحب من جانب الفتاة او من جانب الفتى الطبيب .

ان استمرار الطبيب فى ممارسة الطب ، والحب قائم ، يعرض الطبيب الى سحب رخصه العلاج منه فى تلك الأمم التى اذكر . ان صلة الطبيب بمرضاه يجب أن تبعد عن كل شىء اسمه الهوى ، كان هذا الهوى حبا أو غير ذلك . ان وظيفة العلاج وظيفة اجتماعية لا بد ان تؤمن لها النقاء والبعد عن الريبة .

ما اكبر عدد انجبته المراة من اطفال فى حياتها ؟

●● هل تستطيع ان تخبرنى بعدد الاطفال الذى تستطيع المراة ان تنجبه فى حياتها وهل حدث ان انجبت امراة واحدة اكثر من اثنى عشر طفلا ؟

ــ اما ان من النساء من انجب اكثر من ١٢ طفلا فهذا وقع ، ووقع كثيرا ، وفوق الاثنى عشر بكثير .

وقد سبق ان ذكرت ان امراة روسية ضربت رقما قياسيا ، فجاءت باطفال عددهم ٦٩ ، وذلك فى القرن الماضى ، وجاءها قضاء الله عام ١٨٧٢ .

وفى انجلترا ضربت امراة رقما قياسيا لانجلترا ، فكان ٣٩ ، سبعة منه ذكور ، والباقون اناث .

واذا نحن عالجنا الامر من الوجهة النظرية قلنا ان المراة تخصب بين سن ١٥ وسن ٤٥ ، وهى تستطيع ، نظريا ، ان تنتج طفلا كل عام . ومعنى هذا انها تستطيع أن تنتج ٣٠ طفلا فى حياتها .

ولكن يجب ان نذكر ضعف الاخصاب بين سن ١٥ وسن ١٨ . وكذلك ضعفه بين سن ٤٠ وسن ٤٥ .

واذن ، فكيف جاءت المراة الروسيه باطفال عددهم ٦٩ ؟ ... وكيف جاءت الانجليزية باطفال عددهم ٣٩ ؟

السبب ظاهر : التوائم .

مثال ذلك ان الروسية ولدت توائم ، مثنى ، وثلاث ، ورباع .

ذكر او انثى ؟

● هل صحيح ان الرجل هو الذى يحدد نوع الطفل الذى تنتجه امه ، أيكون ولدا ام يكون بنتا . وان صح هذا ، فهل يمكن ان يتدخل العلم فيدل على ان الرجل ينتج البنات وايهم ينتج البنين ! ثم هل يمكن ، بالتلقيح الصناعى من الزوج الى الزوجة ان ينتج الاثنان ولدا او بنتا ؟

ـ نعم ، صحيح أن الرجل هو الذى يحدد ، بمائه الذى يخرج منه عند الاخصاب ، نوع الطفل ، ذكرا يكون او انثى .

ذلك ان منى الرجل يخرج وبه العدد الهائل من الحيوانات المنوية ، وهذه صنفان ، صنف اذا أخصب بويضة المراة انتج الذكور . وصنف اذا أخصب خلية المراة انتج الاناث .

واعداد هذين الصنفين على كثرتهما ، متساوية تقريبا .

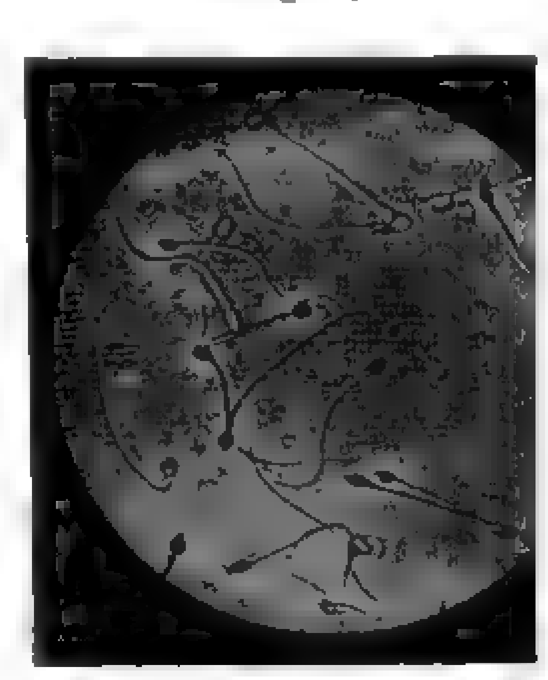
والاسبق الى خلية المراة هو المنتج للذكر او الانثى ، حسب صنفه .

اما خلية المراة فصنف واحد . وهى على كل حال ، فى الحال السوية ، خلية واحدة ، لا مئات الوف كما هى الحال فى الرجل .

هذا ما سبق ان قلناه فى « العربى » .

ويتضح من هذا ان تدخل العلم فى ترجيح صنف على صنف من الحيوانات المنوية ، دونه صعاب كثيرة . انه يتضمن فصل صنف عن صنف ، أو تكثيره ، وترجيحه . ثم يتم التلقيح بالطريقة الصناعية .

توجد بحوث تجري فى هذا السبيل على الحيوانات . الامل فى نجاحها لايزال ضعيفا . وارجو ان يتأخر نجاحها . فانى احيانا ارى الحال الطبيعية اكثر حكمة ، لاسيما والانسان فى تطوره التنظيمى والاخلاقى والانسانى لم يبلغ بعد مستوى مرضيا . والتحكم فى النسل الانسانى ، هل ينتج ذكورا أم اناثا ، سلاح من الخطورة بمكان عظيم .



السمنة .. والطعام

●● أنا رجل سمين ، والمنصحوني بالتقليل من الطعام ، وقد فعلت ، فلم أر لهذه القلة وحرمان النفس أثرا يذكر . فعدت الى الطعام . ومع هذا يحذرونني من غائلة السمنة ، ولا سيما من خطرها على القلب ..

ـ ان الذى نصحك بتقلل الطعام قد صدق ، ولكنه لم يتم نصيحته . انها نصف نصيحة ، لأنه لا بد مع تقليل الطعام من الحركة .

ولا أقول لك هذا جزافا . انه نتيجة الخبرة العلمية والحساب العلمي . واليك مثل من ذلك قريب :

رجل ذهب الى مائدة ، وتناول وجبة صغيرة ظهرا ، كانت شطائر من خبز ولحم ، وكوبا من حليب . وعاد بعدها الى ما تعود فى حياته من تعود .

هذا الطعام ، ويقدر بنحو ٧٥٦ سعرا حراريا ، لن يستهلك ، والرجل قاعد ، الا بعد نحو ٩ ساعات . ويأتى موعد الطعام الثاني فيأكل ، ويتراكم الطعام دون احتراق فيتحول الى مخزون فى الجسم ، هو الشحم واللحم .

وقدّروا لو ان هذا الرجل ، بعد شطائره هذه ، تحرك ، لاستهلكها ، فى وقت قصير ، احتراقا . استهلاك هذا المقدار من الطعام حرقا يحتاج الى ساعتين ونصف ساعة مشيا . ويحتاج الى ساعة ونصف ركوب دراجة ، ويحتاج الى نحو ساعة سبحا فى الماء ، ويحتاج الى نحو ٤٠ دقيقة جريا .

فالطعام عامل فى السمنة والنحافة .

ولكن كذلك الحركة والرياضة ، عامل لا بد من ضمه الى الطعام .

ومن الطريف امثلة أخرى من الطعام ضربوها وقدروها .

مثل ذلك التفاح : ان تفاحة كبيرة تعادل ١٠٠ سعر من الحرارة . وهذه الطاقة تستهلك فى ١٩ دقيقة مشيا ، وفى ١٢ دقيقة ركوب دراجة ، وفى ٩ دقائق سبحا . وتستهلك والمرء مضطجع فى ٧٨ دقيقة .

ومثل آخر : بيضة مقلية . فهذه بها ١١٠ من الأسعار الحرارية ، تستهلك مشيا فى ٢١ دقيقة ، وركوب دراجة فى ١٣ دقيقة ، وسبحا فى الماء فى ١٠ دقائق ، ولكنها اضطجاعا تستهلك فى ٨٥ دقيقة .

والبيضة المسلوقة بها ٧٧ سعرا ، ويجرى عليها مثل ما يجرى على المقلية .

ونصف صدر فرخة ، به نحو ٢٣٢ سعرا .

وكوب حليب به نحو ١٦٦ سعرا .

وكوب عصير برتقال به نحو ١٢٠ سعرا .

وهلم جرا . وكلها يجرى نفس المجرى .







اضطرب عند امتحاني لسياقة سيارة

●● أنا فتاة في العاصمة العربية... أرتزق بالعمل . والسيارة ضرورية لي . ولكن لا بد من امتحان لنيل رخصة السياقة . وعند الامتحان تعتريني حالة اضطراب تؤدي الى السقوط في الامتحان . وفي غير الامتحان يشهد لي الكل بحسن السياقة . فكيف أصنع ؟

— حالتك هذه ليست غريبة بين الحالات . وهي تحدث ، لا في حالة امتحان لسياقة سيارة ، ولكن في حالات كثيرة يصيب الانسان فيها القلق والخوف ، كامتحانات المدارس والجامعات ، والاضطراب عند مواجهة رئيس العمل في طلب وظيفة . ولكن الذي تطلبين شأنك نوعا . وقد سألنا العارفين من اخواننا أهل الطب فقالوا ان في بلادهم لا يتردد الطبيب في اعطاء من هو في مثل حالتك حبة أو حبتين من مسكن معتدل يهدىء الاعصاب ، ولا غير ذلك . وإذن فاطلبي ان شئت مثل هذا المسكن من طبيبك ، فهو اقدر بعد فحصك على اختيار الانسب . وعند الامتحان للسيارة قولي للممتحن ان أعصابك تضطرب في الامتحان ، ولهذا تعاطيت مسكنا ، حبة من كذا .. وبذلك تضيع الشبهة الخلقية التي قد تساور النفس من ذلك .

مقلاة لا يلصق اللحم بها

●● ظهرت حديثا في الاسواق مقلاة لتحمير اللحم ، لا يلتصق بها اللحم عند التحمير وباطن هذه المقلاة مغطى بطبقة يطلقون عليها اسم « تفلون » . فهكذا سمعت من مدير المحل الذي يبيعها . وهو يقول ان هذه المقلاة ، فوق انها لا تلصق باللحم ، يباركها الاطباء . فمن اى وجه يباركونها وهل التفلون مادة طبية ؟

— يظهر ان المسألة كان فيها سوء تفاهم بينك وبين صاحب المحل ، على الأقل من حيث الطب .

أما المادة التي ذكرتها فهي مركب من مركبات الفلورين ، وهو أخ الكلورين . وهذه المادة هي التي تمنع اللحم أن يلتصق بالمعدن الذي تصنع منه المقلاة . ومن خواص هذه المادة انها تصمد لدرجات الحرارة العالية التي لا يصل لها الانسان في الطهي أبدا . فهي اذن لا تكاد تتأثر عند الطهي . والذي يتحصل منها من التفاهة بحيث لا يحدث منه أقل ضرر .

بقي أن الأطباء يباركونها . ان هذه طريقة للاعلان طريفة . قد يكون من الأطباء من يباركها . ولكن كيف ؟

ان اللحم لا يلتصق بالمقلاة عند التحمير ، وإذن فيمكن انضاج اللحم في المقلاة بدون سمن ، أو بشيء قليل تافه من السمن . والسمن يضر كثيرا من الناس ، فهو دهن ، وخطر كثرة تناول الدهن ، لا سيما عند من عندهم ضغوط دم عالية ، معروف .

فالمقلاة اذن حافز على تقليل تناول الدهن في الطعام . ومن هنا جاز أن يكون من الاطباء « مبارك » لها .

أبو القاسم الزياني

بقلم الدكتور نقولا زيادة

■ اذا عد اعلام المغرب في القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر [illegible]
[illegible]
وادارة ، اذ عهد اليه بادارة وجدة ، وتازة ، ومكناس ووجدة ، وسطوان ، والعرائش ، وسجلماسة ، كما ولي أمر البحث على مراسي المغرب ومراقبة عمالها ، وولي الكتابة والوزارة والحجابة في بلاط سلاطين المغرب كما قاد الجيوش غير مرة .

وقد رحل الزياني الى المشرق ثلاث مرات أولاها مع والديه لأداء فريضة الحج ، وثانيها ذهب في سفارة من السلطان الى استنبول عاصمة الخلافة . اما الثالثة فكانت رحلة خاصة قام بها وقد بلغ الستين من عمره فزار الجزائر وتونس واستنبول ومصر والديار المقدسة .

ومع كل هذه الأعمال والرحلات فقد وجد من الوقت ما مكنه من وضع خمسة عشر كتابا في التاريخ والجغرافيا وغيرهما .

ولم تكن أيام الزياني أيام رخاء كلها .
[illegible]
ويتحدث عنه ، ويعد [illegible] أعلام المغرب [illegible]

نشأته

ولد أبو القاسم سنة ١١٤٧هـ/١٧٣٥م في فاس ، وكان أبوه قد انتقل اليها قبل ذلك بثماني سنوات [illegible] وأسرته من قبيلة زيان من قرية آركو حيث كان يقيم جده لأبيه ، وكان [illegible] ورعا فوقع اختيار السلطان مولاى اسماعيل عليه لأنه كان رجل فقه ودين ليؤمه في الصلوات ،

وبذلك تقل الى مكناس . وقد علق المؤرخ ابو القاسم على ذلك فيما بعد بقوله « فهذا سبب انتقال جدنا من ازكو الى الحضر » . وبعد وفاة السلطان انتقل والد ابي القاسم الى فاس .

طلاب العلم في المغرب كانوا دوما يرحلون الى فاس ليتثقفوا ، ولكن ابا القاسم كان فيها ، وكان في اسرته فالعلم حرمة والتعلم مكانة . وهكذا كان اول معلمي مؤرخنا ابوه واصدقاء ابيه ، وهم في الطبقة الاولى من اهل المعرفة يومها وفيهم محمد ابن الحسن بناني ، ومحمد بن الطيب القادري ، وعمر الفاسي . وهؤلاء وسواهم كانوا من اهل القرويين ، وهم الذين تخرج عليهم ابو القاسم في الفقه والحديث والتفسير والنحو والمنطق .

معرفته بعلم السيمياء

على ان الزياني كان على معرفة بعلم آخر هو هذا الذي سماه الناس من قبل مسائل الخط والجدول ، واطلقوا عليه علم السيمياء او العلوم السرية . وليس من السهل ان يتكون برأي عن مصدر هذا العلم ، او هذه الحيل ، بالنسبة اليه ، ولكنه هو ، اذ يتحدث عن اقامته في القاهرة مع اهله في بيت صاحبهم الذي نزلوا عنده ، يشير الى تعلمه الكثير من مسائل الرمل والسيمياء من ابن صاحبهم ، فيقول : « وفي اقامتنا بمصر كنت اجالس بالبيت ابن مالك الصاحب وشاهدت منه عجائب كان له يد في علم الرمل وعلم السيمياء ، ومن رأى تصرفاته يحسب انه من الاولياء ، فشغفت بامره واتخذته شيخا ، ولازمته حتى ملكت له بالمحبة ، فجاد هو ايضا بما عنده في التجريب ، واطلعني في امد قريب ، واوقفني على ما في علمه من خواص المعادن وما ينشأ منها من الاسرار والعجائب ، التي يبلغ بها اعلى المراتب ، واطلعني على ما يلحق بها من الحيل التي يستعملها المشعوذون ، ومن بعدها يستعجبون ، فصحبت بذلك مسرورا » .

ويتحدث الزياني عن بعض ما كان يقوم به ذلك الرجل فيقول :

« كيف لو علم منها ما يعد من الكرامات ، ومن يشاهده لا يشك انه من اكبر العلامات ، اذا لادعى النبوة وانواع الرسالات ، فاني اعرف الرجل يلقي من يده السبحة فتمشي اليه بعد الاستدعاء ، ولا يرتكب هذا التدليس والافتراء ، ويتكلم على المصباح الموقد فيطفى ، ويضع الحاجة (الشيء) امام القوم فتختفي ، ويتكلم على المصباح الذي انطفأ فيشتعل ، وعلى الشاكر فيشتعل ، ويصب الماء في الاناء فيجمد ، ويقرأ على النار فتخمد ، ويكتب الكاتب كل بالشرق ويلقيها عن خلفه ، ثم يفتحها فتوجد أجوبتها كل على وفقه ، ويستخرج اسم الرجل المجهول واسم ابيه وامه ، وقبيلته وصنعته ولونه ، ويلقي على النحاس الذائب اكسيرا ، فيصير نضارا ، وهو زاهد في ذلك (يعني دعوة الشيخة) وورع في حيز الاعمال ، لا يلتفت لمنصب ولا جاه ولا مال ، مقبل في بيته على تسويد الاوراق ، بما شاهده في الجولان بالآفاق » .

رحلة مع والديه الى مصر فالحجاز

وفي المغرب اثر وفاة السلطان مولاي اسماعيل (١١٣٩ هـ / ١٧٢٧م) في حالة من الفوضى والفتن ، واضطرب حبل الامن فيه ، وصار العقلاء مثلا يطلبون . ذلك بان اليد القوية التي كانت تمسك بالازمة في البلاد فقدت ، وتلا ذلك انفجار لجميع العناصر والقوى التي كان المولى اسماعيل قد عدلها او سيطر عليها . وكان منتمر ، والد ابي القاسم فيمن اعتزم على الرحيل عن المغرب ، والاستقرار في ارض الحجاز مجاورا في المدينة المنورة ففي عام ١١٦٩هـ باع عمر دارين كان يملكها بفاس وكتبا كان والده قد خلفها له ، وجمع من ذلك ما يبلغه مراده . وارتحل مع زوجته وابنه ابي القاسم الى مصر ومنها ركبوا البحر لكونه اقرب مسافة واقل مشقة . واشترى له سلعة بقصد التجارة ، ففي مرسى الينبع تكسر المركب وضاعت السلعة وتلفت الاسباب ، وحمدوا الله على عتق رقابهم ، وكانت هذه النكبة هي اولى النكبات السبع التي اصابت المترجم له ، واثرت في حياته اثرا عظيما . وهنا أخرجت والدته من حزامها ٢٠٠ دينار ، فلم يكن لهم بها علم ، فاكتروا لجدة ومكة واقاموا الفرائض وتوجهوا الى المدينة بقصد الزيارة ، ثم رجعوا الى مصر وكانوا قد تركوا بها بعض الاسباب عند صاحبهم فباعوها مما اصلح الاحوال واستعدوا للرجوع الى المغرب .

وكانت طريق عودتهم من الاسكندرية الى فاس متعرجة . فقد ذهبوا اولا الى ايطالية حيث قضوا اربعة اشهر ، ثم انتقلوا الى مرسيليا ومنها الى برشلونة ثم الى تطوان ففاس .

هذه الرحلة التي دامت ثلاث سنوات كانت فاتحة طيبة للشاب الذي كان قد تعلم ما عند اهل القرويين ، وما في كناش جده ، وما كان في فاس من علم الجدول ، فقد اثارت فيه الانفعالات واكسبته التجربة التي قلما بمثلها تجربة ، وانارت سبيله ، فلم يظل ذلك العالم المحدود ، وانما اصبح عالم الحياة الفسيحة ايضا .

سلاطين المغرب في عهد الزياني

خلف السلطان اسماعيل في ملك المغرب ، في الفترة التي اتصل فيها ابو القاسم الزياني بالبلاط وخدمته ، عبد الله بن اسماعيل (١١٣٩–١١٧٠ هـ / ١٧٢٧ – ١٧٥٧ م) ومحمد بن عبد الله ، (١١٧٠ – ١٢٠٤ هـ / ١٧٥٧–١٧٩٠م) واليزيد بن محمد (١٢٠٤ – ١٢٠٦هـ/١٧٩٠ – ١٧٩٢م) ، وسليمان بن محمد (١٢٠٦–١٢٣٨هـ/ ١٧٩٢ – ١٨٢٢م) .

الزياني يتعلق بخدمة السلطان

عاد ابو القاسم من رحلته وتفقد اصحابه ، فوجدهم قد تعلقوا بخدمة السلطان فتعلق اليهم ، واصبح كاتبا في البلاط العلوي .

ولكن بلاطات الملوك يرتفع فيها الناس ويسقطون ، ويسرّون ويألمون ، ويفرحون ويترحون ، ولا يقيم فيها الناصحون والحاسدون والوشاة ، والذين يملأ الحقد نفوسهم والذين يأكل الحسد قلوبهم . وتطلع هؤلاء الى الزياني الشاب يترقى حيث هو ، فلم يرق لهم ذلك ، فوشوا به ، فطرده السلطان بعد عشر سنوات من الخدمة ، وظل مدة مهددا بالقتل .

ولكن عرضت للسلطان مشكلة فيما بعد فاستشار الزياني ، وكان متبوئا مطرحا مع الجيش ، فمحض السلطان النصح ، فأعاده السلطان الى ما كان عليه ، وزاد اكرامه ورفع منصبه اذ جعله رئيسا للكتبة .

ولما كسر السلطان شوكة ابنه الحسن بن اسماعيل اثر ثورة قام بها ، انتدب الزياني لمفاوضة الامر ، فنجح .

وجاء الحسن الى مكناسة ومعه اولاده الثلاثة ... وعدد من القبائل والبربر والقلاقف وطائفة من الطبجية اثنان والفا من عسكر الثغور » . ووجهه السلطان الى المغرب ليأتيه بجيش من عبيد الثغور فنجح في ذلك ايضا .

وفي سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ م سفر الزياني بين السلطان والخليفة العثماني عبد الحميد الاول ، ونجح في مهمته ايضا .

وقد تقلد وظائف عدة : فولي القضاء وترتيب الجنود البحرية ، وأشرف على شؤون مواسة في وجدة وتازة ومكناس وطنجة وتطوان والعرائش ، وولاه السلطان تافيلالت وهي مقر الاسرة ومستقر اهل بيت السلطان ، فبقي هناك ثلاث سنين .

الزياني يسجن ويضرب في عهد اليزيد

وانتقل السلطان سيدي محمد بن عبد الله الى الرفيق الاعلى (١٢٠٤هـ / ١٧٩٠م) وولي بعده ابنه اليزيد الذي لم يكن محبا للزياني ، فزجه في السجن وصادر املاكه ، ثم امر باخراجه من السجن وولاه على الامر ، ولم يلبث ان عاد فازور عنه وقبض عليه في العرائش ، وضربه حتى اغمي عليه . وقد كتب هو عن هذه الحادثة فيما بعد فقال « ولم افق من غشيتي الا بعد ثلاثة ايام ، فوجدت الحديد على رجلي ، والسلسلة في عنقي ، ويدي مكسورة واصابعي كذلك ، فكان بعض الاحبة يأتيني ليلا بطبيب يعالج يدي ورأسي وجراحي » .

ونقل الى الرباط ، وظل مسجونا هناك حتى مات اليزيد (١٢٠٦هـ/١٧٩٢م) فسرّحه اهل المدينة ، فقصد فاس حيث حضر بيعة المولى سليمان .

وفي عهد المولى سليمان كانت للزياني مآس ونكبات

كان المولى سليمان يعرف كفاءته ومقدرته فولاه على وجدة ليصلح ما فسد من احوالها ، فان عرب انكاد كانوا قد ثاروا في تلك النواحي فسادا ونهبوا الحجاج . ولم ير السلطان خيرا من تولية الزياني لقمعهم وكبح جماحهم ، الا انه كره ذلك لعلمه بما فيه من المشقة ، واستقال فما اقيل ،

فتوجه اليها مرغما ، وخرج معه ركب التجار الذي كان محصورا بفاس . ولما وصلوا الى ارض انكاد حتى عدا عليهم العرب وقتلوهم ونهبوا الاموال والمتاع ولم ينج منهم الا القليل ، وكانت هذه نكبته الخامسة .

وقد انسل منها فارا بجلده سالما من الخدمة السلطانية ، فتوجه الى وهران ، ثم الى تلمسان حيث اقام بجوار بلدة العباد سنة ونصفا مشتغلا بالمطالعة والتقييد والتأليف . واطلع هناك على غرائب كتب التاريخ التي تعد اليوم في حكم المفقودة ».

وفي سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٤م زار الاستانة والمشرق وعاد الى فاس ، فكلفه السلطان تفتيش مراسي المغرب ومراقبة عمالها ، ثم الزمه خدمته كاتبا ووزيرا وحاجبا (١٢١٣هـ/١٧٩٨م) . وبعد احد عشر عاما نكبه السلطان وانزله من ولايته .

وفاته

وهم بعدها بزيارة المشرق للمرة الرابعة ، ثم عدل عن ذلك وانصرف الى التأليف والكتابة حتى وفاته سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م وقد بلغ مئة واثنين من السنين .

الزياني ثقافته ورحلاته

اشرنا من قبل الى ان الزياني قد تثقف بمدرسة الرحلات ، وعرضنا الى رحلته مع والده اذ اعتزم هذا ان ينتقل الى الحجاز . ليجاور في المدينة المنورة ، وذكرنا اضطرار الاسرة الى العودة .

الزياني : رحلته الثانية ، سفارة الى الخليفة العثماني

وكانت رحلة الزياني الثانية في سنة ١٢٠٠ هـ اذ سفر من السلطان الى الخليفة . وقد نقل الاستاذ عبد الله كنون اخبار هذه الرحلة بتفاصيلها ، وها نحن اولاء نذكرها هنا بكلماته .

« وفي عام ١٢٠٠هـ ارسله السلطان سفيرا الى الخليفة عبد الحميد الاول بالاستانة ، فركب البحر من الصويرة ، هو وسفير تركي اسمه اسماعيل افندي كان عند السلطان ، ونزل بمالطة، ثم ركب منها قاصدا دار الخلافة . ولكن المركب عطب ، فلجأ الى تونس بقصد اصلاحه ونزل عند بابها محفوفة ماشيا الذي اكرم نزله . ثم بعد عشرة ايام أصلح المركب وتوجهوا الى طيته . فحين عاين السفير التركي شواطىء بلاده استأسد وجعل يشتم المغرب وسلطانه ، فنهاه الزياني فلم ينته ، فحينئذ قام اليه واخذ بلحيته واراد ذبحه متقربا به لله - كما يقول - الا ان رئيس المركب خلصه من يديه وشفع فيه فتركه .

ولا نحتاج الى القول ان الزياني قام بمهمته كما يجب ، وان ولاة الامر في الاستانة قد اعتنوا بمقابلته بالاحتفاء، وانه قابل الخليفة في يوم الوعد المحدد للقاء امثاله من السفراء ، ونظرا لوقوع الحرب بين الدولة العلية وروسيا ومحاولة الدولة التسلف من سلطان المغرب . ومما يزيد في اعتبار الزياني انه لما عرض عليه الوزير التركي الاول فكرة التسلف رحب بها وايدها وقال : ان سلطاننا له رغبة في الجهاد ، ولولا مشقة البحر وبعد الغرب ، لسعى للجهاد بنفسه ، واما المال فانه يعطيه بلا تسلف .

وهكذا تقرر رجوع الزياني ومعه سفير تركي الى المغرب بعدما قضى مئة يوم في الاستانة ، وزار جميع مشاهدها وآثارها من مساجد ومدارس ومكاتب ودار السكة والخزينة وغيرها ، ووصف كل ما وقعت عليه عينه وسمعته اذنه وصفا دقيقا شيقا يطول تتبعه . وكان ممن اجتمع به هناك الشيخ كمال الدين باشا وقرأ عليه تاريخه تركيا واختصره .

« وفي اثناء الطريق وقع من السفير التركي مثل ما وقع من سابقه برغم توصيته والتأكيد عليه ان يكون عند نظر الزياني . ولما شعر به انه يراود المركب على الدخول الى مرسيليا ، التي لم يشأ الزياني التعريج عليها كرها للحجر الصحي ، جعل يراقبه وينظر في الخريطة ، حتى اذا وصلوا للمحل الذي يتوجه منه الى مرسيليا طلع فوق (القامرة) وجلس ووقف خدامه بسلاحهم . فلما اراد رئيس المركب ان يتوجه نحو مرسيليا قال له، ابق على طريقك،والله لو دُرْتَ بالمركب لاقتلنك، وهكذا انتصر على السفير التركي مرة اخرى .

« ولما لقى الزياني السلطان ناوله كتابا من عند الخليفة يقول فيه : « وبعد فانه قد وصلنا من مقامك الاسمى عشرون سفيرا ، واحسنهم عقلا ونبلا وسياسة وادبا فلان الذي اتى برسالتك وهديتك بادب وانفصل عنا بادب ، فمثله من يكون سفيرا بين الملوك ، فان الشيء طراز توجيهه سفير من اطرافه فليكن هو ، فان ظاهره وباطنه سواء » . وما ندري هل هذا نص الرسالة او تحرير من الزياني . وعلى كل حال فقد سر السلطان به سرورا عظيما ودعا له بخير واثنى عليه ونوه به امام الجمهور .

وكان من نتيجة هذه السفارة ان قدم المغرب باعانة مالية للدولة العثمانية تأييدا لها في حربها مع الروسيا . وكانت قيمة الاعانة تعادل مليون قطعة فضية عثمانية او خمسين الف ريال من سكة المغرب ، جعلت سبائك في صناديق وارسلت بطريق اسبانية وفرنسة .

الزياني : رحلته الثالثة ، الى المشرق

وقام الزياني برحلة ثالثة سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩١م كان يومها مقيما في بلدة القبلة بجوار تلمسان يقرأ كتب التاريخ وغيرها بعيدا عن البلاط المغربي وما اليه بعد ان هرب منه ، فتاقت نفسه الى زيارة الاستانة وبلاد المشرق . « متجها تلك الديار ، متفقدا ماله بها من الاصحاب » . فذهب الى وهران فالجزائر فقسنطينة فتونس . وكان الولاة والعلماء والاعيان يحتفون به في كل مكان .

« وفي عام ١٢٠٨ هـ ركب متن البحر الى الاستانة ووصل اليها بعد مقاساة الاهوال ، فقوبل بمزيد الترحاب ، ثم توجه الى الحج مع امير الركب ، ولقى بمكة احمد الجزار والي عكا ، فرغب اليه في الذهاب معه الى الشام بسبب ما رأى منه من البراعة في علم الجدول وغيره من العلوم السيمية . وكان الجزار مولعا بها مدة مراوغة الزياني حتى خلص منه . كما لقى الشيخ جعفر الهندي وكاشفه بما في ضميره واخبره بما سيصيبه من شدة في نفسه وماله ورجوعه الى المغرب ونكبة السلطان له ، ثم نجاته من كل ذلك . فعاد الى مصر مع ركبها وصحبته جاريتان حبشيتان كان قد اشتراهما من المدينة .

« وفي كل هذه الانتقالات كان يقابل الوجوه والصدور من رجال الدولة واهل العلم ويحتفون به غاية الاحتفاء ، ويتذاكرون معه ايام العز والهناء في مدة السلطان عبد الحميد الاول العثماني والسلطان محمد بن عبدالله المغربي . وممن اجتمع به في مصر من العلماء هذه المرة المؤرخ الجبرتي واسماعيل الحباس وسواهما .

« ثم عزم على الرجوع الى المغرب فركب من الاسكندرية مركبا كان متوجها الى ازمير بشحنة من القمح ، يعود بعدها الى الجزائر حاملا الجنود . ولكن الريح عاكسته فدخل الى جزيرة رودس ، ومنها الى انطاكية حيث بقى بها شهرا ، ثم توجه رحالتنا فيه الى القدس الشريف ، ثم الى دمشق زائرا متبركا . ولقى بها الشيخين كمال الدين الغزي وسعد الدين النابلسي حفيد الشيخ عبد الغني الشهير ، ثم توجه المركب الى ازمير فدخلها الزياني ومعه فضلا عن البضاعة عشرون الف قرش نقدا تركيا ، فتوقف مامور الجمرك في تسليم البضاعة حتى اخلم بحيثية الرحالة وماضي مجده في بلاد الترك فسلمها .

« ولم يزل الزياني هناك في عز واحترام مدة ستة اشهر ، اذ كان السفر قد تعذر عليه بسبب الوباء العام وقلة المراكب . ولما عادت المياه الى مجاريها عول على السفر ، وكان قد اشترى من ازمير بما معه من المال بضاعة من الحرير ، فشحنها في مركب ذاهب الى الجزائر ، وتخلف هو لاجل امتلاء المركب بالجند ، فذهب في مركب اخر الى تونس حيث وصلوا في « الكرنطينة الشنعا ، المعوجة عرفا وشرعا » كما يقول هو . وكانت له جارية على وشك الطلق فاشفق من حالها وكتب يشفع الى بعضهم فلم ينجده شيئا . ومن الليلة المقبلة جاء الطلق للجارية فكان هو القابلة ، وولد له ابن سماه بعبد السلام . ثم انشا قصيدة في ذم هذه الكرنطينة ومن وضعها . ولا شك انه كان يتذكر ايام الصولة في رحلته السابقة ، حين وقف هو واصحابه بسلاحهم يهددون رئيس المركب

ويصرفونه عن الدخول الى مرسيليا خـوف الكرنطينة ، ويتمنى لو تأتى له ان يفعل مثل ذلك، حتى ينتقم من هؤلاء الولاة القساة ، ولكن حيل بين الصبر والتزوان ، وقد كبر الرحالة وانهكت قواه فلم يبق له الا الرجوع الى سلاح اللسان والطعن به بعل الطعن بالسنان .

« ثم بعد النزول الى تونس ماتت الجارية بالوباء ، وتركت الولد ، ولم يجد من يرضعه الى ان جاءه رجل مغربي مات له صبي وبقيت امرأته ، فدفعه لها ، وسافر الى قسنطينة فلم يجد الوالي بها ، ثم الى الجزائر . وكان انما باع لاجل ذلك نسخة من صحيح مسلم بخمسين محبوبا اشتراها من مصر بمائة ، ولما دخل الجزائر علم ان بضاعة الحرير لم تصل ، وان المركب اخذه الفرنسيان فسلم الامر الى الله وبقي خاوي الوفاض ، لا يجد ما يكتل به اجرة الحمار ، لولا ان القاضي ابا عبد الله بن مالك وصله وباشره بما اصلحه ، وبقي منتظرا المركب نحوا من سبعة اشهر. وكان صاحبه يباشر قضية التجار والسلعة مع العدو وادعى انه تونسي ، وتونس كانت في مدة صلح معه ، فاحرز المركب والسلعة وسلم الجند، وبذلك وصلت الى الزياني بضاعته سالمة ، فانتعش بعد الانتكاس ، وعول على الاقامة بتلمسان وكتب لاهله بفاس يأتونه اليها .

« وقد فرح اهله واصدقاؤه برجوعه ، وكانت قد انقطعت اخباره عنهم ، ولكنهم رغبوا اليه في الرجوع الى فاس ولم يرسلوا اليه معنا جارية واحدة للخدمة ، والسلطان نفسه كتب له يأمره بالرجوع ويحمته » .

الزياني ينصرف الى التأليف : ١٥ كتابا

في هذه السنوات الاخيرة من حياته انصرف الزياني الى التأليف فاتم عملا ضخما ، اذ خلف لنا خمسة عشر كتابا في الجغرافية والتاريخ والفقه وما اليها .

ثلاثة اولها تاريخه الكبير الذي سماه «الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب » وهو تاريخ يبدأ بالخليفة وينتهي بأوائل القرن التاسع عشر .

وثانيها كان ايضا في التاريخ سماه « البستان الظريف في دولة أولاد مولانا علي الشريف » . وهو تاريخ مفصل للدولة العلوية الى ايامه .

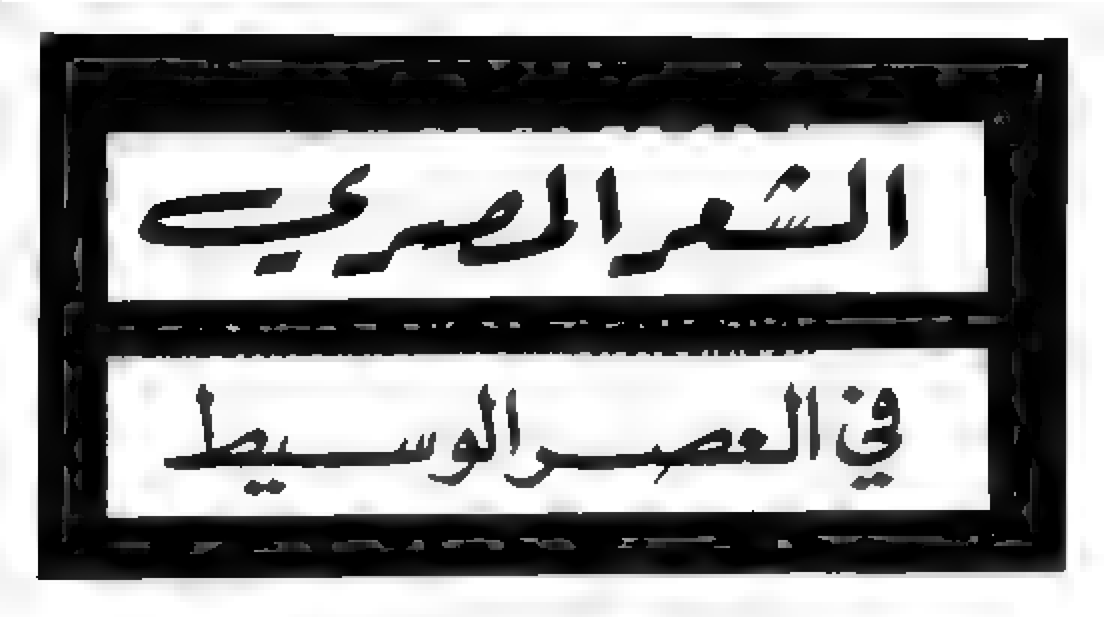
واما الثالث من كتبه المهمة فرحلته المسماة « الترجمانة الكبرى التي جمعت اخبار المعمورة كلها برا وبحرا ». وقد وصفها بقوله « وفي كل مقام منها مقال ، وفي كل روضة منها مجال ، حسبما يقتضيه الحال ، ويخطر على البال ، من نصوص قرآنية ، وتأويلات تفسيرية واحاديث نبوية ، وفتاوى فقهية ، ومواعظ صوفية ، وحجج منطقية، وامثلة معقولية ، وشواهد شعرية ، وضوابط نحوية ، واسامي لغوية ، ونوادر مسرحية ، وقصائد عالية ، وما يناسب كل خبر ويؤيده ، ويعضد عليه ويعضده ، وختمها بنصوص من التوراة والانجيل والقرآن ، للرد على اليهود والنصارى والصابئة والمجوس من عبدة النيران».

رأي عبد الله كنون في الزياني

ونود ان ننقل رأي الاديب المغربي الكبير عبدالله كنون عن الزياني . قال : « الزياني من اولئك الكتاب القلائل الذين تظهر شخصيتهم القوية بين سطور كتاباتهم عارية من كل تصنع ، بريئة من كل زيف . واذا كان يبالغ بعض الاحيان في اعتداده نفسه واتهامه لغيره ، فانما ذلك من سذاجته واغتراره بظواهر الاشياء ، وربما كان لعدم تثقف قلمه وخشونة عبارته .. وهو في غالب الاحيان متنبه الشعور دقيق الاحساس فلا يمر بحادثة ولا خبر ، ولا تقع له واقعة ، الا علق عليها بما يناسب ، واستطرد نظائر واشباها لها مما زاد في قيمة تاريخه وجعله من التواريخ المهمة التي لا تعنى بسرد الحوادث والاخبار مجردة من النظر والتمحيص . هذا مع اختصاره وجمعه واقتصاره على اهم الاشياء واعراضه عن الحشو والامور التافهة .. واسلوب الزياني في الكتابة كما تراه سهل واضح قريب من العامة وان كان في بعض المرات يحتفل احتفال بلغاء الكتاب فيتوخى ويسجع ، وان كان لا يستطيع ان يتخلص من اللحن الخفيف الشبيه بلحن كتاب الجرائد اليوم » .

■■

نقولا زيادة



بقلم : الدكتور مصطفى الصاوي الجويني

مدرس البلاغة والنقد بكلية البنات — جامعة عين شمس

■ يستوقف الباحث في الفن المصري ، متطوره ومتنوعه منذ أقدم عصوره ، ما يسري في أعطافه من تيار ديني يسيّره ويحكم ثوابته الجمالية ... ممثلا قيم الجمال في الأهرامات ! .. وأي أصول أقوى في الفن الفرعوني على إطلاقه .. ؟ وماذا تركت دول حكمت مصر — شيعية وسنية — على الأدب والنقد من سمات جمالية ؟ وما شنت حروب خاضتها مصر في تصديها للصليبيين والتتار في معايير الجمال التي ورثها الفن والأدب المصريان ؟ هذا إلى ما تلا ذلك من لقاءات مع موجات الاستعمار الواحدة إثر الأخرى ... ؟

نقصر الحديث على الشعر العربي المصري ، في القرون الهجرية : الخامس والسادس والسابع

إن ميدان الفن المصري كما نرى ذو سعة والقول فيه فسيح تحوطه صعاب جلية لا تخفى على المشتغلين به . ولهذه الاعتبارات وغيرها ، فحديثنا هنا مقصور على مجال الشعر المصري العربي خلال أطراف من القرون الهجرية الخامس والسادس والسابع ... ومقصور على ظاهرة فيه لافتة وهي — إن جاز لنا التعبير — استخدام معان من الدين استخداما فنيا في الأدب .

ومعروف لنا أن البلاغيين في كتبهم يفردون بابا لما يسمونه التضمين ، أو لما يسمونه الاقتباس ، أو التوجيه ، أو ما شاكلوا من أسماء يخصونها باستعمال الأدب لآيات من القرآن والحديث أو مصطلحات من العلوم والفنون . وقد نستطيع أن ندرج الشعر المصري في القضية التي نعرض لها تحت عنوان من تلك العناوين حيث تلك المصطلحات — في كتب أصحاب البلاغة — مستخدمة في النصوص التي استجلبوها استخداما شكليا للزينة والزخرف . استخداما ظاهريا بلغة أهل الطب . اكسسوارات Accessoire ، في متعارف فن الأزياء . وكذلك سنجدها في كثير من الشعر المصري في تلك الفترة تشرك الشعر العربي في

بيئاته المختلفة وإن انفرد الشعر المصري في هذه الخصيصة بكمه الغزير .

امتزاج المعنى الديني ، في بيت الشعر ، بصميم خلقه الفني

ولقد طالعنا في القاهرة التي نطالع اليوم – على مدرا – امتزاج عنصر المعاني الدينية امتزاجا عضويا كيماويا بكيان البيت من الشعر ، في صميم خلقه الفني . وذلك لأن القصد الفني هو المعنى والتعبير القرآنيان . وفي المثال والشاهد دليلنا ...

(ا) هذا الشاعر المصري الضرير ، موفق الدين ، يعشق الجمال على السماع دون المعاينة ..... وليم العجب ، وموسى كليم الله ولم يره ! ...

قالوا عشقت وأنت أعمى
ظبيا كحيل الطرف ألمى

وحلاه ما عاينتها
فتقول قد شغلتك وهما

وخياله بك في المنا
م فما أطاف ولا ألما

من أين أرسل للفؤا
د وأنت لم تنظره سهما

وبأي جارحة وصلـ
ـت لوصفه نثرا ونظما

فأجبت أني موسوي الـ
ـعشق إنصاتا وفهما

أهوى بجارحة السما
ع ولا أرى ذات المسمى

طرافة للقراء هذه المقابلة بين عشق الشاعر وطرف محبوبه الكحيل .. ثم التعبيرات (عشقت وأنت أعمى) .... (حلاه ما عاينتها) ... (وخياله بك في المنام فما أطاف) ... (وأنت لم تنظره) ... (وبأي جارحة وصلت) .... (أهوى بجارحة السماع ولا أرى) ... كلها تصرخ – في صدق – بحرمان الشاعر من حاسة تدل على جمال الوجود ... ولا يجد هذا العاشق الأعمى ملاذا إلا في رحاب المعنى الديني ، في قصة كليم الله موسى .

(ب) وإذا كان مسرح هذه القصة القرآنية مصر ومعجزاتها التاريخية فإننا نلقى كثيرا من شعراء مصر يتناولون جوانب منها . ويلحظ الباحثون ، حتى على غير الشعراء المصريين – كأبي نواس مثلا – أنه حين وفد على مصر كثر في شعره ، في فترة وفادته، الإشارات من قصة موسى وعصاه والنيل والتماسيح. ومثل هذا يجده عند غيره من الشعراء الذين وفدوا على مصر ، ويجده بنسب متفاوتة .

وفي فترة بحثنا هذا نجد شاعرا كابن سناء الملك ينقلنا من عاطفة الحب للجنس الآخر ، إلى عاطفة حب الوطن ، فينشد وهو يفارق مصر لبعض شئونه ، مستعيرا طرفا من قصة موسى في التلويح بأمل العودة :

أأهبط عن مصر وفيها لبانتي
على أنه إن راح قال اهبطوا مصرا

فإن متُّ ، والأيام موجٌ بواجع
فتلك التي قبلها النشأة الأخرى

... كان له حياة جديدة بمولده ، وهذا معنى قرآني ، ورجوعه بعد البلاد بعث جديد ، وهذا معنى ثان من المعاني القرآنية ، والبعث هنا من هذه التربة الخصيبة أرض البعث الدائم والحياة المتجددة .

وشاعرنا هنا يجاوز بين التعابير القرآنية في غير ما براعة فنية .

(جـ) ويختار الشاعر ابن قلاقس زاوية معنوية من قصة أهل الكهف إذ يتغزل :

سرات لنا أن قد بدت روضة
أمل جسمي كي أكون النسيم

ورقيم خده نام عن ساهر
ما أحسن النوم بأهل الرقيم

ولا يخدعنك هذا التناغم المعنوي .. أن الحبيب روضة حسن ذات نسيم عليل ، هو العاشق النحيل .. ومرقوم الخد نائم عن وصال محبوبه

يوم أهل الرقيم .. فالكذب هنا يفضح الشاعر، والفن صنعة ؟

(٥) وفي وصف الخمر يستقي الشاعر المصري معاني من القصص القرآني :

معتقة قد طال في الدن حبسها
ولم يتدعها شربها منذ عهدها

ولما أشبهت سر الخليل لأنها
حكتها لنا في بردها وسلامها

(القاضي الجليس)

وهكذا تصبح الخمر بلونها وطعمها عند الشاعر نارا ، تطلب سلاما تتطامن له نفسه .. فهل تراه صدق الوصف ونجا من ثقل القال !

التعبير الفني والغزل خاصة

ويلفت النظر حقا أن الشاعر المصري قد اقترب التعبير القرآني فنزل بأكثر المواضع في فنه وبخاصة في الغزل .. رأى الشاعر المصري في الحب نعيم هذه الدنيا وجنتها فحرص على التغلغل به وممارسته ، فجاء تعبيره الفني عنه — كثيرا — شفيفا صافيا . ولنستمع الى أبيات رقيقة من غزل ابن مطروح :

(أ)

سفرت وجاءت في الغلائل تنثني
فأرتك حظ التجلي والتجني

ورنت ، فما تغني التمائم والرقى
وأبيك من لحظات تلك الأعين

من كان يملك قلبه من طرفها
نال الخلود وليس ذلك يمكن

قال العواذل التي في حبها
لا ارعوي ، لا انتهي ، لا انثني

كم قلت للعذال لما زرتها
هذي التي في حبها قد لمتني

ما كان أشهى لي لثم بنانها
ولقد ظفرت بلثمها فلتهنني

ودخلت جنة وصلها متنزها
يا ليت قومي يعلمون بأنني

أرأيت الى هذا النغم العلو الساري ، وما فيه من تعبير متآلف ، ولو كان قليل نشازه .. (هذي التي في حبها قد لمتني) تلويح وتظليل لمعاني الجمال فيمن يحب . ويحس الشاعر حين وصالها بإحساس غامر فوق طاقته يود مقاسمة غيره له في الاحاطة به خبرا (يا ليت قومي يعلمون بأنني) .. هكذا في تعبير مطلق يسرح وراءه كل خيال . والمحصول العاطفي المصري هنا قليل ، ولكن الموسيقية موفورة والرقة طاغية .

(ب) بل ويرى الشاعر المصري حريصا حتى على وزن اللفظة القرآنية وموسيقاها ، كهذا الشاعر الغزل :

طرفه جنة عدن أزلفت
[illegible]

شمته العين لما أن بدا
روضة ذات قطوف دانية

(ابن العسيف)

(جـ) والحب واحد ، لكن موضوعه قد يختلف ، والفنان الحق محبوبه فنه لهذا نجد من شعراء مصر من يتخذ من فنه شخصا حيا ، فمن أحسن المديح :

جاءك ما طرفته وقبوله جمانه الـ
ـستماع الا فتحت أبوابه

(ابن قلاقس)

« وفتحت أبوابها » هنا آية في قولي يعرض نفسه على الاسماع عرضا . والبيت ينبض قوة ..

(د) وفي المدح يثني الشاعر المصري على ممدوحه بما يستعيره من تعبير قرآني :

ماله من فتكه راحته
كأعاديه على وجل

أبدا تتلو مواهبه
خلق الانسان من عجل

(ابن قلاقس)

ولم يسلم البيتان من هزال وان استعارا من القرآن أسلوبا .

(هـ) ويعلم أن المدح طبيعته مكثق في جوهره ،

ومن لم يبالغ الشاعر المصري في الثناء على ممدوحه ولا يتحرج في أن يجعل له بعض الصفات الالهية .. من مثل مديح ابن سناء الملك في القاضي الفاضل :

أمسي وأمسي عبده مكلفهم
بيني ولا بيني هواه لنفسها

وغدوت في حبي له متشيعا
من ذا رأى متشيعا متسننا

ياليت قومي يعلمون بأنني
أدركت من كفيك غاية المنى

والفكرة كما ترى بادية ، والتعبير القرآني مستتر بهذه المواطن استتارها ، وشتان بين صفة هي آية على الخالق وصفة يراد سلبها للمخلوق ! ولعلنا متنبهون الى العناصر الدينية التي تدخل في بنية الأبيات :

(أمسى وأمسى) ... (متشيعا متسننا) ..
(يا ليت قومي يعلمون) .

ولم يستمد الشاعر المصري من قصص القرآن وأسلوبه فحسب ، بل نجده أيضا يلجأ الى ما في الدين من أركان وأصول يدير حواليها المعنى والصياغة .

(ا) فيجد مثلا كل حب صلاة وصلاة :

ولما أشاع الحب في الناس ميتة
وأسكن قلوبا كيف شاء وألبابا

حلا لعيني للعشاق وجهك قبلة
وصور فيه من حواجبك محرابا

(محمد بن هانىء)

هكذا : الحب صلاة .. والمحبوب معبود .. ووجهه قبلة العابدين .. وهكذا أيضا جاءت في التعبير والروح .

(ب) ولعل أمثل ما نجده في هذا السبيل نجده عند البهاء زهير .. يقول :

ومن العجائب أنه صحبته
يعصيه عمدا وهو من عباده

وما أبعد ما بين العمل والجزاء .. عبادة جزاؤها نار !

ولكنه مع ذلك نجده من عشاق الحب ومن مدمني صلواته :

سأشكر حبا زان ليله عبادتي
وإن كان فيه ذلة وخضوع

أصلي وعندي للصبابة رقة
فكل صلاتي في هواه خشوع

ولقد يكون في عبادته وثنيا ! !

لي حبيب عبدته
ويح من يعبد الصور

(ج) ونعرف من دروس الفقه أنه لا تجب زكاة في الذهب الا ان بلغت قيمته عشرين دينارا ، ويكون قد مر عليه الحول .. ولننظر كيف نظم الشاعر هذا المعنى الفقهي فلقه الغزلي :

وذهب في خده عشرين حجة
أسول لها قولا لديه لصواب

عليك زكاة فأجبتها وحبائك
لأنك في العشرين وهي نصاب

وما طلبي الا قبول وقبلة
وما أرى الا وحي وترحاب

(ابن سناء الملك)

والأبيات بمبناها المعنوي أحق بأن تدخل في باب الأحاجي من أن تدخل في باب الغزل أو الحب ..

واعاروا معاني الدين للهجاء

واذا كان مستساغا أن معاني من الدين يمكن أن تعار الحب ، عاطفة واحساسا ، لما يجمع الدين والحب من وجدانية وروحانية ، فإن الأمر يكون مستغربا اذا أعيرت للهجاء ، لكن هذا ما كان .. عبّر الشاعر المصري في ذمه عن معان استمدها من الدين ، فيقول قائلهم :

فلان والجماعة مسروره
وظاهره النسك والزهادة

يعسوب على السهاد وهو حسن
المعنى لا يمسه طول السهاد

(ابن وهيب القوصي)

لكنه لا فن هنا في الصياغة ، والمعنى سطحي .

وبالحديث الشريف يستعان أيضا في الهجاء ، فيتأثر شاعر كابن النجم المصري في قوله صلى الله عليه وسلم : ما أصاب مالا من تهاوش (حرام) أذهبه الله في نهابر (مهالك). ويتخذه ليهجو به ابن صورة المصري (كان سمسارا للكتب احترقت له دار موصوفة بالحسن) .

أمون وقد عاينت دار ابن صورة
وللنار فيها مارج يتضرم

كذا كل مال أصله من تهاوش
فعما قليل في نهابر يعدم

وما هو إلا كافر طال عمره
فجاءته لما استبطأته جهنم

وهنا أيضا لا نرى محاولة فنية في استخدام الحديث أكثر من قسمته بين شطري البيت .

الشاعر المصري لم يوفق دائما الى مزج الدين بالشعر مزجا عضويا

وبعد ، فليس من الأمانة أن نزعم أن الشاعر المصري قد وفق في كل حال — ومطلقا — الى أن يمزج معاني من الدين ببنية شعره مزجا عضويا سويا ، فلقد كان يخشوه الشكل والظهر كثيرا ، فتصبح التعابير عن المعاني الدينية الزاما لذاتها، عبثا لفظيا ، وينطق فنه حينئذ من التكلف والصنع ويصير شعره أولى بأن يكون مثلا من أمثلة البلاغيين في باب الاقتباس . وانما نجده يحسن الصوغ والخلق ويجيد السبك والبناء حين يتغزل — على الأغلب — وينطق في غزله أو فيما شاكله من المراثي عن عاطفة صادقة .

ويبقى أن هذه الظاهرة سمة مميزة من بين سمات الشعر المصري في تاريخه الوسيط تكثر فيه كثيرا وان لم نعدمها في شعر العرب على اطلاقه وفي مختلف عصوره وبيئاته منذ العصر الاسلامي.

اشتغال مصر ٣ قرون باحداث دينية كان له أثره في أدبها

واذا ما وقفنا وقفة قصيرة عند الأسباب التي حدت بالشاعر المصري أن يستمد — في كثرة ملحوظة — من معين الدين معانيه وتعبيراته ، نجد أن مصر شغلت في ثلاثة القرون ، الخامس والسادس والسابع من الهجرة ، بأحداث دينية . فقامت في مصر دولة فاطمية جعلت من دعائم سياستها تشييع مصر وما جاورها من أقطار ، لم زالت ليقوم على أنقاضها دولة سنية ترتكز على محو الأثر الفاطمي . ويسود البيئة المصرية وقتئذ تيار صوفي جارف فتنشأ الربط والزوايا والتكايا . وتقوم حروب دينية يقف فيها الاسلام وجها لوجه أمام أعدائه فيلتحم مع الصليبيين ويطول التحامه بهم ليكتب له النصر عليهم في نهاية الأمر .

ويشغل الاسلام من ناحية أخرى بهجمات التتار ويفلح في صدهم .

وهكذا نجد الأدب يهتز اهتزازا عنيفا بتلك الأحداث المؤثرة ، فيرجع أدباؤه والجو كله جهاد ترف عليه سمات روحانية — على أقل العروض وفي أقرب الأسباب — الى كتابهم المقدس «القرآن» والى حديث رسولهم المثبت في الصحاح، ويكون من هذا وذاك ما نجده في أدب مصر من معان دينية وتعابير اسلامية تتفاوت سطحية وعمقا وشحوبا وحيوية، عبر ما أتيح للشاعر من أسباب فنية .

■

مصطفى الصاوي الجويني



انسحاب اندونيسيا

من جريدة « الكفاح » اللبنانية .

● الأمم المتحدة صمام الأمن والسلام في العالم ولا يمكن لانسان أن ينظر نظرة بهيجة الى عالم ليس فيه أمم متحدة. والأمم المتحدة لم تصبح بعد أخرى أفضل مما كانت عليه من ذي قبل ، بسبب ازدياد عدد أصوات الدول الصغيرة ، التي يساوي صوت الواحدة منها صوت أمريكا أو روسيا . ولكن الأمم المتحدة تمر بواقع عسير ، فهناك صعوبات مالية متراكمة تهدد مستقبلها ، وهناك اجحاف معنوي يتم في كثير من بلدان العالم تحت علم الأمم المتحدة . في الكونغو قتل لومومبا في حماية علمها، وقتل أمينها العام نفسه ، في ظروف غامضة تحت علمها أيضا . وهناك دول قليمت وانشئت على القتال ، دخلت الأمم المتحدة . وهناك دولة عظمى كالصين لم تدخلها .

وفي نظر البعض أن أمما متحدة لا تدخلها الصين يجب ألا تكون . وسوكارنو عندما ينسحب من الأمم المتحدة وتؤيده الصين وحليفاتها ، فانه يحتج على الولايات المتحدة ، التي تمنع بما لديها من نفوذ ، دخول الصين . والتي تأمر مجلس شيوخها مبدأ قطع مساعداتها عن سوكارنو . هذه هذه المساعدات التي قال سوكارنو أنها يجب أن تذهب مع أصحابها الى الجحيم . والواقع هو أن انسحاب سوكارنو من الأمم المتحدة ، هو احتجاج على الولايات المتحدة ، التي تعتبر ثورة سوكارنو معادية للمصالح الغربية ، ولا تجد شبيها لانسحاب سوكارنو أفضل من انسحاب هتلر .. متناسية البون الشاسع بين دوافع شعب يريد الخلاص من الظالم والأخطار الاستعمارية والقمة دولة مصطنعة بحراب أجنبية على حدوده ، وبين هتلر الذي انسحب من عصبة الأمم لأغراض عدوانية .

العالم العربي بين العلم .. والادب

عن مجلة « رابطة العالم الاسلامي » ـ السعودية

● ما كان يجوز للعالم العربي وهو اليوم في ظلال المخاطر والصدمات ، أن يغفل عن قيمة العلم الذي به وحده تكسب المعارك ، فلقد مضى الزمن الذي كان الأدب فيه وسيلة الدفاع عن حوزة الوطن . ولقد كان أحدنا يقف مشاعرها أمام الحادثات ، فما عرف تاريخنا عهدا كان فيه أديبا مجندا من أجل نهضة أو انبعاث ، بل كان على الدوام مثل مهر جميل مربوط ليجري وراء فرس السياسة .

وليست هذه دعوة الى هجران الأدب وإهماله، والعكوف على العلم فحسب ، فالأدب حلاوة الأذواق الرفيعة ، وبلسم القلوب الكليمة ، ولكنها دعوة الى النهوض العلمي الذي نحن بأمس الحاجة اليه ليستطيع العرب أن يجدوا لهم مكانا في صف الأمم الكبرى التي تملك العالم .



التسلل الاجنبي في منطقة الخليج العربي

من جريدة « الجمهورية » العراقية :

● اننا على ثقة بأن التسلل الاجنبي الذي تتعرض له منطقة الخليج العربي يتجاوز نطاق المطامع الاقليمية ، الى تخطيط استعماري مركز يجر العرب الى معركة أخرى تختلف عن ركيزة الاستعمار الاولى في فلسطين ضمن الكفاح القومي العربي . ولا شك ان هذه المعركة متعددة الجوانب متشعبة الواجبات والمسئوليات .

لقد استطاع الاستعمار نتيجة السنين الكالحة التي امضاها في حكم منطقة الخليج العربي ، ان يطبع بصماته عليها ، فقرا وجهلا ، وعزلة عن المجموعة العربية ، حتى ان المواطن العربي كان ، بالنسبة لبعض الامارات ، لا يستطيع ان يحصل على سمة الدخول بأي شكل من الاشكال ، ما لم توافق السلطات الاستعمارية ، وكان المخطط الرهيب في الخليج مماثلا للمخطط الذي نفذ في فلسطين بتقريب العناصر الاجنبية وسد الابواب بوجه العرب ، على امل ان يجيء اليوم الذي تغدو فيه المنطقة مهيأة لقيام اسرائيل ثانية !

ان عروبة الخليج العربي في خطر داهم ، ولذا علينا ان نعمل من اجل اتقاء هذا الخطر بكل ما نملك من اسلحة واسباب ووسائل .

قانون التعليم الالزامي

من جريدة « أخبار الكويت » الكويتية :

● لقد كان لاقرار مشروع التعليم الالزامي بصورة مبدئية ، حتى المرحلة المتوسطة ، صدى رائع بين الناس . والواقع ان مثل هذا القانون ان دل على شيء فلا يدل الا على عزم الحكومة ومجلس الامة على مواصلة السير في طريق رفع مستوى الشعب وتوعيته التوعية الصحيحة لانشاء جيل يشعر بالمسئولية والواجبات المترتبة عليه كمواطن صالح .

ان الكويت بحاجة ماسة الى كل جهد واع يساهم في دعم المكاسب التي تنالها يوما بعد يوم . وليس من شيء اقدر على خلق المواطن الصالح من التعليم والتثقيف حتى ولو اقتصر هذا الامر مؤقتا حتى المرحلة المتوسطة .

وكنا نتمنى ان يقر هذا القانون بالاجماع لما فيه من خير يعم هذا البلد . ولكن البعض تصدى لالزامية تعليم الفتاة ولا ندري ما هو السبب في محاولة ابعادهم الفتيات ؟ أهو ان تظل البنت قابعة في البيت دون علم أو معرفة رغم احساس الجميع بالدور الذي تلعبه المرأة المتعلمة في هذه الايام .. أم ان الفتاة ستتزوج وهي في سن التعليم المتوسط أي حوالي الثالثة عشرة ، ولكن الرد على هذا بسيط جدا هو ان هذه السن ليست سن زواج ولا سن تحمل مسئولية اسرة .

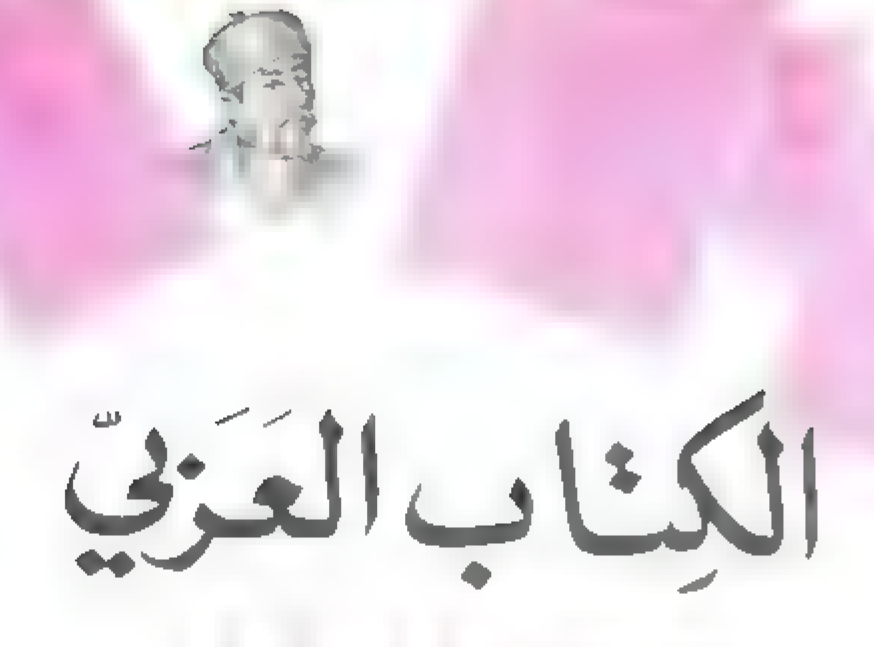
نحن أمة العرب

عن مجلة « الرسالة » القاهرية :

● انما ليست قوة الامة بمواقفها الفكرية المنفردة المضيئة ، فنحن العرب ، بما لا يحتمل مجالا للشك ، من اقوى الامم التي ظهرت على وجه الارض : فكم لنا من مواقف : في السلم — والحرب — والسياسة .. والعلم والفقه .. والادب ؟ .. الى آخر ما سطر التاريخ لنا من مواقف تجل عن الحصر والوصف والاطراء .

لكن : هل يشفع لامة ان تتباهى بمواقفها المضيئة من غير ان تتصل بهذه المواقف ايجابيا ، فتسير كما ساروا ، وتنهج كما نهجوا ؟

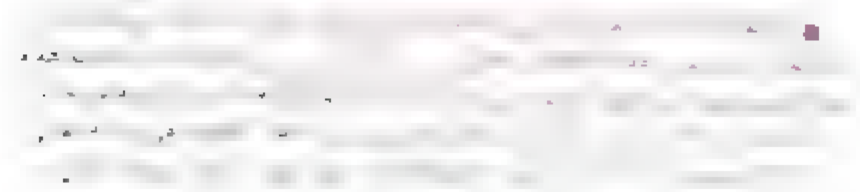
نحن اذ نتذكر اليوم بهذه المواقف فانما نرجو ان نثبت للعالم اننا لم نفقد انفسنا ، ولم ننس عقائدنا . ولم نتنكر لروح ديننا ، ذلك الدين الذي سما بثورة الاسلام الهادفة ، وحط عن كاهل الانسان نير البغي والطغيان .



الكِتابُ العَرَبيّ

بقلم الدكتور جمال الدين الشيال

أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الإسكندرية



الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم »

ولحكمة ما أقسم الله سبحانه وتعالى بما أقسم به بالقلم ، فقال عز من قائل « ن . والقلم وما يسطرون » .

ولحكمة ما أقسم الله سبحانه وتعالى أخرى بالكتاب فقال عز من قائل : « حم والكتاب المبين . إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » .

طلب العلم : الى اللحد ، وفي الصين

وعلى هدى من هذه الآيات الكريمة كانت دعوة الرسول عليه السلام للمسلمين أن يطلبوا العلم في كل وقت وفي كل مكان ، فهو القائل : « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » وهو القائل : « اطلبوا العلم ولو في الصين » ، وزاد فجعل طلب العلم فريضة فقال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

اتصال الحضارة العربية الإسلامية بسائر الحضارات

واتصلت الحضارة الإسلامية العربية بغيرها من حضارات الدول المجاورة فأخذت عنها وأثرت فيها ، ونشطت حركة التأليف ، وظهر من بين المسلمين علماء أعلام من عرب ومستعربين نبغوا في كل [illegible] كله كان شيئين : قلما وكتابا عربيا .





كان سلاحنا للوحدة في الماضي وهو سلاحنا في الحاضر والمستقبل

اللغة العربية تصبح لغة العلم والحضارة

واشتركت مع حركة الفتح والترجمة اللغة العربية فعمت جميع أنحاء العالم الإسلامي بل أصبحت في وقت ما هي لغة العلم والحضارة بحيث كان يجد العالم — أي عالم — نفسه مضطرا الى تعلم اللغة العربية ليستطيع متابعة البحث العلمي ومناهجه .

وتمكنت اللغة العربية في القضاء على كثير من اللغات التي كانت مستعملة في البلاد التي دخلها الإسلام . ولم تمض غير قرون ثلاثة حتى كانت اللغة العربية هي لغة الجميع في العراق وسوريا ومصر وشمال افريقيا ، واختفت لغات كانت سائدة في هذه البلاد منذ

وليس أدل على قوة اللغة العربية من أن حروفها أصبحت حروف لغات كثيرة ظلت حية قائمة في بعض أجزاء العالم الإسلامي . فأصبحت لغات كثيرة تكتب حتى اليوم بالحروف العربية ، وفي مقدمتها اللغة الفارسية واللغة التركية الى أن اصطنع مصطفى كمال الحروف اللاتينية واللغة السواحلية في شرقي افريقيا . واللغة الاندونيسية الى أن حلت محلها الحروف اللاتينية منذ سنوات قليلة . ولغة الاردو في باكستان والهند .

والسر في هذا كله هو أن اللغة العربية هي اللغة التي سجل بها علماء المسلمين كل انتاجهم العلمي والحضاري . وفي كلمة واحدة كان السر في هذا هو الكتاب .

وبلغ من شغف المسلمين بالكتاب أن انتشرت الخزانات في كل بلد من بلادهم ، وتنافسوا في جمع أمهات الكتب بحيث أصبحت المكتبات الخاصة تنافس المكتبات العامة ، وبحيث كان طلبة العلم

ومفروضة يحضرون دروسها ، يطلعون عليه أو يبذلون الغالي و في سبيل اقتنائه .

سمع من المسلمين علماء من كل اقليم

العالم الاسلامي، ولاعتزاز المدن بعلمائها، ولاعتزاز العلماء بأوطانهم كانوا ينسبون انفسهم الى هذه الأوطان واشتهروا بهذا النسب بحيث اصبحوا يعرفون به ولا يعرفون باسمائهم ، ودارس التراث الاسلامي يعرف هذه الاسماء معرفة اكيدة .

الخوارزمي ـ والرازي ـ والطبري ـ والبخاري ـ والبلخي ـ والسمرقندي ـ والخوبي ـ والمروزي ـ والطوسي ـ والنيسابوري ـ والاصفهاني ـ والقمي ، والشيرازي ـ والبيروني ـ والفيروزابادي ـ والسهروردي ـ والبيهقي ـ والدينوري ـ والفارابي ـ والبغدادي ـ والموصلي ـ والدمشقي ـ والمقدسي ـ والبيساني ـ والنابلسي ـ والحموي ـ والشيزري ـ والسكندري ـ والسيوطي ـ والدمياطي ـ والمصري ـ والادفوي ـ والاسنوي ـ والطحاوي ـ والشرقاوي ـ والهوريني ـ والسخاوي ـ والدسوقي ـ والحمرلي ـ والقلقشندي ـ والتونسي ـ والتلمساني ـ والفاسي ـ والمراكشي ـ والشنقيطي ـ والقرطبي ـ والطرطوشي .. الخ .. الخ .

ولو صنفت هؤلاء جميعا لوجدت منهم المفسرين والمحدثين والمؤرخين والجغرافيين والرحالة والادباء والشعراء والفلاسفة والاطباء ، وعلماء الموسيقى والنبات والكيمياء والفلك والهندسة والجبر والرياضيات بوجه عام .

اختلفت الأجناس ، والكتاب واحد : كتاب عربي مبين

وكان سر عظمة هؤلاء جميعا انهم ساهموا في انماء الحضارة الاسلامية وانهم أودعوا نتاج ابحاثهم كتبا وكتبا عربية مع انهم ينتسبون الى اجناس وبلاد متعددة ، فكان منهم التركستاني ، والخراساني ، والايراني ، والعراقي ، والسوري ، والمصري ، والمغربي ، والاندلسي ، ولكنهم الفوا جميعا بالعربية وأصبح تراثهم الفكري تراثا لكل مسلم أيا كان موطنه ، وغير المسلم كذلك ، فالمصري يعتز بابن خلدون المغربي والقرطبي الاندلسي اعتزازه بمن نبت في مصر من علماء من امثال السيوطي والسكندري والدمياطي والاسنوي وغيرهم ، والمغربي يعتز بهؤلاء جميعا وبغيرهم من العلماء السوريين والعراقيين والفرس اعتزازه بمن ظهر في المغرب والاندلس من علماء .

فهذا الانتاج الفني الضخم هو تراث مشترك لكل متكلم بالعربية ، كل يعتز به ويعتبره ملكا له وجزءا من حياته لا لشيء الا انه كتب بالعربية في كتاب عربي .

التراث الفكري العربي موضع دراسة الدارسين

ومع تيار الانسانية الذي يسود العالم الآن اصبحنا نرى كل شعوب العالم تقبل على قراءة التراث الفكري العربي ودراسته وترجمة عيونه الى لغاتهم ، فكتب الجاحظ وابن سينا وابن رشد وابن خلدون ، وابن شداد ، وابن بطوطة والمقريزي وابن ماجد ترجمت الى اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية ، وهي موضع دراسة في كبريات العاصمات الاوربية والامريكية والروسية .

قوة العرب مرجعها الى « كتاب »

وتكشف هذه الدراسة للمستعمرين ان سر قوة الدول العربية في الماضي انما يرجع الى « كتاب » الى كتاب عربي مبين ، هو القرآن الكريم ، بدراسته والنطق به استطاع اي عربي أن يتحدث الى اي عربي فيفهم عنه ويحس انه اخوه يتألم لألمه ويفرح لفرحه .

وقد ادهشت هذه الظاهرة احد كبار المستعمرين من الفرنسيين فقال قولته المشهورة

«عجيب أمر هذا العالم العربي الإسلامي. انه كالطبلة اذا ضربت على طرف منها سمعت دوي الضربة في كل طرف من أطرافها» .

وغير القرآن كتب اخرى ربطت أواصر الاخوة بين العربي والعربي

وكان الى جانب القرآن الكريم كتب عربية اخرى كثيرة تقوم ببعض الدور في ربط أواصر الاخوة بين كل عربي وعربي، وتوحد آفاق التفكير بين الجميع ، فانت اذا احصيت كتب النصوص التي كانت تدرس في جامعات الأزهر والزيتونة والقرويين وفي كل مدارس تركستان وايران والعراق والشام والحجاز واليمن ومصر والمغرب والاندلس لوجدت انها كتب واحدة ، ولوجدت ان المتن في بعضها من تأليف مغربي ومن شرح او تحشية مصري ، او من تأليف فارسي وشرح يمني وهكذا .

الاستعمار ووحدة الكتاب العربي

فالكتاب المدرسي كان موحدا منذ قرون وقرون — ثم نأتي نحن في القرن العشرين ونبدأ في بحث مشكلة توحيد الكتاب العربي المدرسي ؟ . .

ولقد ادرك المستعمرون خطورة وحدة اللغة وخطورة وحدة الكتاب ، وعلموا ان هذا السلاح لو ظل موجودا بيدي العرب فان ايام الاستعمار ستصبح قصيرة ، وستستعيد الشعوب العربية استقلالها في أقرب وقت ممكن، ولهذا بدأ الاستعمار يضع تصميماته على أساس القضاء على اللغة العربية باعتبارها اكبر مقوم من مقومات القومية ، فحمل المدارس تحت اشرافه ، وانشأ مدارس جديدة جعل التعليم فيها كله بلغته ، ونشأت اجيال واجيال لا تعرف شيئا عن لغتها او تراثها الفكري والديني والحضاري وانما تعرف لغة المستعمر وتعرف كل صغيرة وكبيرة من حضارته وتراثه الفكري .

نشأت أجيال عربية لا تعرف شيئا عن « ابن البناء » العالم الرياضي ، أو عن « ابن النفيس » الطبيب أول مكتشف للدورة الدموية ، أو عن « الطوسي » الفلكي ، أو من « الادريسي » الجغرافي ، أو من « المقريزي » المؤرخ ، أو عن « ابن خلدون » منشىء علم العمران والاجتماع ، أو عن « الجاحظ » الأديب ، أو من « ابن رشد » الفيلسوف ، ولكنها تعرف كل صغيرة وكبيرة عن فولتير وروسو ومنتسكيو ولافونتين وديكارت وجيته وشيكسبير .

وظلت هذه الشعوب العربية تقاوم وتناضل سنين طويلة الى ان كتب الله لها النصر واستعادت استقلالها ، وبدأت تبني البيت وتقيم صروحه من جديد ، فاذا بها تجد تراثا متعفنا ، وجدت بناء يملأه السوس الذي ينخر في عظام القومية العربية ويكاد يقضي عليها ، وجدت هذا التعليم تلقاه لم يكن يوما ما لغتها القومية ، وجدت كتب مليئة بالسموم فلا تعرض لأي شيء عربي الا انتقصت من قدره وحقرت من شأنه ، ولا تعرض لأي شيء أوربي الا مجدته ورفعت من ذكره .

العودة الى الكتاب العربي والتراث الفكري

وبدأ المخلصون المؤمنون يعملون لخلع هذه الصورة واعادة الصورة القديمة ، فبدأوا دعوتهم للعودة الى الكتاب العربي واللغة العربية ، وادرك المستعمر خطورة هذه الدعوة ، وادركها معه أصحاب الثقافة الاستعمارية من ابناء البلاد فراحوا جميعا يحاربون اللغة العربية والكتاب العربي بكل سلاح وسلاح ، واشاعوا عديدا من الأكاذيب والخرافات حول قدرة اللغة العربية ان تكون لغة علم ، وحول قدرة الكتاب العربي ان يكون اداة تعليم . ومن عجب ان هذه الأكاذيب والخرافات وجدت من يستمع لها ويقتنع بها ويحاول ترديدها والاستدلال بها .

اللغة العربية لم تضق بالعلم القديم ، فكيف تضيق بالحديث

فقالوا فيما قالوا ان العلم الحديث علم اوربي بحرفيته ومصطلحاته واوصافه ومعاييره ونسوا ان العرب كانوا يوما ما سدنة العلم ، وانهم وضعوا بالعربية مصطلحات ما اكتشفوا وما اخترعوا ، فمنشئ علم الجبر هو الخوارزمي ، ومن اسمه اشتق المصطلح الرياضي اللوغاريتمات ، ومكتشف الدورة الدموية هو الطبيب العربي ابن النفيس ، وابن الهيثم العربي كشف عن كثير من نظريات علم الضوء وكانت مكتشفاته اساسا لكل ابحاث الاوروبيين في هذا العلم بعد ذلك ، ونسوا ان الاوروبيين عندما نقلوا عن الحضارة العربية اخذوا معظم المصطلحات العلمية العربية كما هي ونقلوها الى لغاتهم حتى اصبحت جزءا لا يتجزأ منها ، ولكنهم لم ينقلوا العربية كلها محل لغاتهم ليتمكنوا من دراسة علم العرب ، والامثلة على ذلك كثيرة ، فكلمات الجبر والكحول والكيمياء والسكر والصابون والليمون والقطن ودار الصناعة ومئات غيرها اصبحت كلمات اوربية .

وقد شهد العالم العربي حركتين من حركات الترجمة ، ولم تقف حركة المصطلحات في سبيل العرب ، ففي العصر العباسي ترجمت في العراق كتب الحضارات اليونانية والفارسية والهندية الى اللغة العربية ، وفي القرن التاسع عشر والعشرين ترجمت في مصر الاف الكتب العلمية عن اللغات الاوربية الحديثة الى اللغة العربية .

وفي ايدي ملايين الطلبة العرب اليوم مئات من الكتب المدرسية العربية في كل علم ومن كانت ادوات دراستهم في مختلف مراحل التعلم الى ان تخرجوا وحصلوا على أعلى الدرجات العلمية ، ومن هؤلاء الخريجين الوزراء والرؤساء ومديرو الادارات الحكومية جميعا يديرونها باللغة العربية ، ومنهم الاطباء العالميون والمهندسون العالميون الذين يشرفون على اقامة اكبر واضخم المؤسسات العمرانية والصناعية داخل بلادهم وخارجها . ومنهم اساتذة الجامعات والمؤلفون الذين يؤلفون باللغة العربية ويترجمون الى اللغة العربية أحدث الانتاج العلمي الاوربي الحديث دون أن يجدوا صعوبة .

سوف توحد المصطلحات

وقالوا فيما قالوا ان المصطلحات العلمية تعرب بألفاظ متعددة في البلاد العربية المختلفة ، ونسوا ان هذا أمر طبيعي في هذه المرحلة ، وان الامور تسير على وضع موحد مع تقدم الابحاث اللغوية ومع تنظيم أعمال المجامع اللغوية ، وبسبط العلم التي يدرسها للتلميذ في المرحلتين الابتدائية والثانوية قد استقرت مصطلحاتها في الكتب المدرسية منذ سنوات ، ولم تعد موضع خلاف ، ونحن لا نريد الا أن تكون اللغة العربية لغة تعليم ليعتز الشعب العربي بلغته فيعتز بتراثه الفكري ويعتز بقوميته .

الكتاب العربي كان سلاحنا في ماضينا ، وهو سلاحنا في المستقبل

الا نشعر بالخزي حين نرى كل شعب من شعوب العالم يعتز بلغته فيجعلها لغة العلم والدراسة والكتابة والحديث في البيت والشارع والمحافل الدولية ، وبعض شعوبنا تشكك في قيمة اللغة العربية ومقدرتها ؟ ! الا نشعر بالخزي حين نسمع ان دولة اسرائيل قد احيت اللغة العبرانية الميتة التي لا يعرفها الا الاسرائيليون وجعلتها لغة التعليم في جميع مدارسها وجامعاتها في حين بقيت بعض الدول العربية تتردد في استعمال اللغة العربية كلغة تعليم ، وكلما خطت في هذا السبيل خطوة تراجعت خطوات ؟ !

وبعد ، لقد كان الكتاب العربي سلاحنا القوي للوحدة في الماضي فما أحراه أن يكون سلاحنا للوحدة في المستقبل . ■■

جمال الدين الشيال

ذكريات لاجئ



■ مرّ الشتاء . ولم أزل أغفو على صدر الضياعْ

في خيمة عبْسى ممزقة تعيش بلا شموع

الليل يمحق كل شمعاتي . ويحتضن الرُّبـاع

والريح تهوي خلف شطآني بأجنحة الشراع

والذكريات السود تزرع في دمي نـار اللُّباع

وتعود بي للأمس . حين شُنّتْ ملحمة الصراع

وتآمر المتآمرون عليّ من كل القاع

فخرجتُ من بلدي بلا ذكرى تضيء بلا وداع

* * *

خلّفتُ خلفي صورتي مشدودةً عبرْ الإطارْ

خلفي أراجيح الصغار .. وساعة فوق الجدار

ودُمىً كأيامي وبضع رسائل بيضٍ حرار

ومسارحاً للصبوة كانت تختفي خلف الستار

وملاعبٍ كنا نعربد في مجاليها . صغار

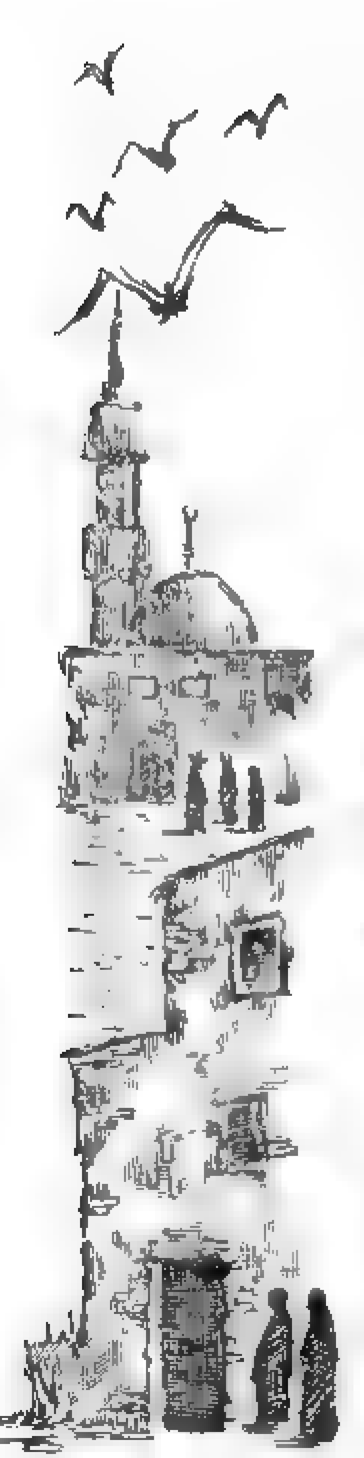
وحدائقاً كانت تجود بكل ألوان الثمار

آلاف أشياء لقد خنقتْها يد الدمار

أتُرى دوتْ . أم أنها تحيا على أمل انتصار ؟

* * *

يا قريتي .. يا قرية البسطاء يا مهد الغرام



أهدي إليك الشوق . أهدي الحب .. أهدي الابتسام
أهديك معنىً لا أحسُّ به هنا معنى السلام
ياقريتي ، أنا قد سئمتُ العيش في ليل الخيام
وسئمتُ آلاف الوعود سئمتُ طنطنة الكلام
ووددتُ لو كانتْ لديّ كلُّ أجنحة الحمام
لأطير مشدوداً إليك بكل أشواق الصحام
ياقريتي مُدّي إليّ يديك .. مزقي الظلام

* * *

إني لألمح عبر واديك الخصيب رؤى حفاف .
وأراك من خلف السحاب . أراك شاحبة الضفاف
يبقى هناك يلوح مصلوبا على أيدي الشعاف
من كل نافذة تُطل صراحة . يعلو هتاف
وعلى ستائره التريكة يرتمي ليل ارتجاف
ووراء شرفته تلوب مشاعل يبصّ لطاف
ويصيحُ حتى مشجبي العريان من ثوب الزفاف
حتى جدار البيت يسأل عن نهايات المطاف

* * *

ياقريتي . مامرّ يوم دون ذكرى أو أملْ
أنا كل يوم في الضحى أغدو إلى هذا الحقل
أبكي وأغزل من خيوط الوهم سحرا قد أفل
ويجيء طفل راكض الخطوات . مشدود المقل
ويلوذ بي – ويقول هل مازلت ترنو للطلل ؟



أبتاه ، هيا للخيام لدارنا . قبل الطفل
فأصيح : لا .. لا أبتي . هناك داري لم تزل
أما هنا .. فالغربة السوداء تمتك بي .. أجل

★ ★ ★

وأجل .. أنا أحيا هنا في غربة صماء جهمه
الليل من حولي دجى وعويل آهات وظلمه
وعيون قوم يشخصون على مرير الأفق نجمه
وسعال مصدورين يفترشون أسمالا . ونقمه
وبكاء أطفال تصل أكفهم في الليل لقمه
وصلاة شيخ طاعن يسترفد الأقدار رحمه
ودموع أمطار يرقرقها الدجى لمصير أمه
وخرافة كبرى دعاها المحرمون هناك . خيمه

★ ★ ★

يا قريتي . لي فيك عمر هارب عبر التلال
لي فيك طفل كنته يوما تلفع بالظلال
ومشى على أعراقك السوداء فاخشوشنت عال
حتى إذا جن المساء وأعولت ريح الشمال
ورأى فلول الشعب ترقد خلف أطلال الملال
نبش التراب . وخط فوق جبينه قسم النضال
ياقريتي . ماعاد طفل الأمس طفلا للخيال
الثأر أنضجه . فهب يدك جدران المحال

محمد احمد العزب



صفية بنت عبد المطلب



بقلم : سنيه قراعه



وساد الكفر وعم على الجزيرة وضلال المرء جثم على الصدور ، والناس تستعبدهم دياناتهم ، فراح كل يعبد هواه .. ويتخير معبوده ، وبلغ به الجهل أدنى مبالغه ، فيصنع الإله بيده ثم يسأله أن يوليه الخير ويهديه الصواب ، ويرزقه ويحميه

وكانت مكة في تلك الآونة موئل الكفر ، وقبلة عبدة الأصنام من سائر أهل الجزيرة .. حتى لقد بلغ الضلال بين أهليها أن جعلوا من بيت الله الحرام ، معرضا للحجارة الصماء ، ومزارات حشدوها فيه ، تتخذ إليه القبائل في مواسم ومناسبات ، لتقربه وتصول في دنيا الضلال ، ظنا منها أنها بذلك تتقرب إلى الحجر ، وتدفع عنها غضب الصنم وتستجلب رضاه

مولد صفية

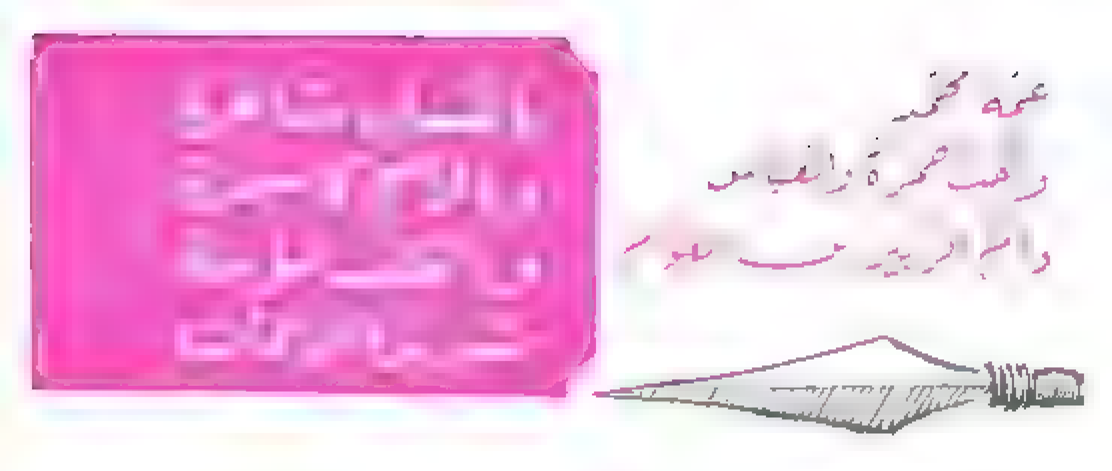
وفي غمرة هاتيك الأيام الصعبة من أيام الجاهلية الجهلاء ، وفي أعلى بيوت مكة ذرى وأكرمها محتدا ، ولدت صفية بنت عبد المطلب ابن هاشم ، سيد مكة ، وصاحب سقايته الحجيج فيها ، ومقدم العشيرة ، وسيد السادات ، فدرجت الطفولة السعيدة في مدارج العز ، ونشأت على خلق الكرام البهاليل من أهليها ، فكانت كريمة ، جوادة ، لسنة ، فصيحة ، تروي الشعر وتقرضه. وكان لها فيه باع طويل...

ولم تكد صفية تشب عن الطوق ، حتى خطبها في الجاهلية الحارث بن حرب أحد أشداء عمومتها ، وأخو أبي سفيان بن حرب ، من سادات قريش وعاشت في كنفه ما شاء لها الله أن تعيش حتى زوجها من بعده سيد آخر هو العوام بن خويلد

إيمانها بمحمد

ومع شروق الدعوة المحمدية .. تفتح قلب بنت عبد المطلب للنور القادم ، فتهلل في شغف ، وسبقه في حب ، واستشعار به من إيمان ووجد ، إذ رأت في الدعوة ، خروجا على الغي ، وحربا على الضلال ، ونداء إلى اتباع العقل ، ومجانبة الإثم والفجور ، فآمنت بمحمد ابن أخيها عليه الصلاة والسلام واتبعت ملته ، وكانت من أسبق القرشيات وقوفا إلى جانبه ...

وشهدت صفية قصة الصراع الرهيب بين الحق والباطل ... ورأت كيف كان الباطل على كثرته يعدو على الحق المعتز بإيمانه ، فيتحطم وتنكسر حدته ، ولا يجد أمام عزائمه القوية الممتدة غير



ان يمادى فى الشر والايذاء ... فراحت ترقب الصراع فى يقين الواثق من نصر الله وتأييده . ولقد زاد استمساكها بالدعوة الجديدة التى روعت قريشا وصدمت احلام مشركيها ، واطاشت الباب المطاريف من ساداتها الناقمين على محمد ، ان اختصه الله بالرسالة دونهم وزاد بذلك شرف الهاشميين على شرفهم ...

هاجر الرسول ، وبقيت صفية فى مكة مع اخيها العباس تسهد وتسمع

وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة مأمورا ... وبقيت صفية فى مكة مع زوجها واخيها العباس بن عبد المطلب ، عين رسول الله على القوم الضالين ...

وتجدد حديث المرتجفين عن محمد بعد هجرته ، فاذا هم لايعيبون دينه فحسب ، بل يتحدثون عن تعاظم امره فى يثرب وانتشار دعوته ، وتكاثر المؤمنين به حتى اصبحوا قوة راحت ترصد عير قريش ، وتتربص بها الدوائر وتتصداها علانية دون خوف

وسادت اجواء مكة سحابات .. وتهامس القوم وجلين متحدثين بما يمكن ان ينزله بهم رجال محمد من تكبات فى اموالهم وقوافلهم

وكما شغل محمد مكة وهو فيها ينادى بدعوة الحق ... كذلك شغل ساداتها وهو بعيد عنها بما يمكن ان ينزله بهم ان تعاظم امره ، وتزايد عن انصاره

كل هذا وصفية حيث هى ، تسمع وتطرب ، وتتمنى ان يمتد بها العمر لتشهد نصر الله القريب ...

رؤيا صفية

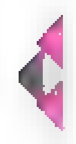
وشاءت ارادة الحق سبحانه وتعالى ان ترى صفية بصيصا من اضواء المجد القادم فى رؤيا صادقة بعثت لها ذات ليلة ، فرأت فيما يرى النائم مكة صامتة واجمة ، يخيم عليها الحزن ، وقد اقفرت بواديها ... واذا بفارس فى الحديد والزرد ، شاكى السلاح ، يعلو الكعبة بجواده وهو يصيح : « اخرجوا الى مصارعكم يا آل مضر ... »

واستيقظت صفية من نومها ، وقد افزعها ما رأت ، وحيرها رموز الرؤيا الغامضة ، فتحدثت بأمرها حتى شاعت فى سوامر قريش ، وتناقلها الناس جميعا حتى وصلت الى مسامع ابى الحكم بن هشام ، اعدى اعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فثار ، وصاح وغضب غضبة عجز عن كبح جماحها ، فاذا هو يخرج الى حيث العباس ابن عبد المطلب ، فيقف دونه متحديا ساخرا يقول – ويحكم بنى عبد المطلب .. الم يكفكم ان خرج منكم نبى ، حتى يلحق به نبية من نسائكم ايضا ؟ !!

وسخر ابو جهل من الرؤيا ، وهزئ بها ، وسخر من صاحبتها ، وتندر بها ، وراح يردد الرموز الغامضة التى بدت لصفية فى مجالس لهوه وعبثه ليضحك منها السفهاء ، وهو لا يدرى ماذا كان يخبئه له القدر المجهول .

قافلة ابى سفيان تقع فى أيدى المسلمين

ومرت ايام ... واستيقظت قريش فزعة ذات صباح لتعرف ان قافلة من اكبر قوافلها التجارية ،



على رأسها ابو سفيان بن حرب ، قد وقعت في أيدي المسلمين ...

وطاشت عقول السفهاء ، وتنادوا بالثأر ، وطالبوا بالانتقام ، وعلا فيهم صوت ابي جهل يدعو الى الخروج لقتال المسلمين . وقد اثارته جرأتهم الاخيرة على تجارة ابي سفيان ، واعماه ان يكون ما حدث فعلا مقدمة لتفسير غموض الرموز التي تبدت في الرؤيا لصفية بنت عبد المطلب ذات ليلة ...

وانتفضت الخيل ... وتجمعت العشائر تلبي دعوة ابي جهل ... وضجة ... والقوم يتنادون بالخروج للحرب ، وصل رسول ابي سفيان ليبلغ القرشيين ان تجارته قد سلمت وانه افلت من حصار المسلمين ، وسيصل هو ومن معه عما قليل ...

وقعة بدر

وفرت نفوس هؤلاء القوم بما سمعوا ، ودعوا الى العودة وترك مغامرة الحرب والخروج اليها . ولكنه عز على ابي جهل ان يعود ، واقسم ان يخرج بالمحاربين الغاضبين من قريش الى ماء بدر ، ليقيموا هناك ثلاثا في لهو ومرح وشراب ظانين انهم بهذا يرهبون المسلمين ...

واطاع القوم على مضض ، وخرجوا ، وهو على رأسهم وقد ظن انه بذلك يرد على رؤيا صفية ، التي فسرها ، بانها كانت دعوة لتثبيط وارهاب قريش حتى لا تعترض محمدا في امر دينه فصدقته ونصرته عمته صفية* فارادت ان تزرع الخوف في القلوب عمدا بالترويج لهذه الرؤيا حتى تسكت قريش على الاهانة ، وتخشى فوارسها وسادتها ان يخرجوا الى مصارعهم ...

وسار ابو جهل ومن خلفه قريش العابثة اللاهية ، حتى نزلوا بماء « بدر » وقد سبقتهم انباء هذا الخروج الى المدينة وسمع بها رسول الله ، فخرج اليهم مع القلة القوية بايمانها وكانت الموقعة الكبرى التي حولت مجرى التاريخ وتم فيها النصر للمسلمين ، وهزمت قريش شر هزيمة وقتل فيها من السادات ورؤوس الشرك من قتل ، وعلى رأسهم ابو جهل بن هشام ....

وصدقت رؤيا صفية بنت عبد المطلب وخرج اهل مكة الى مصارعهم فعلا ، ورأى من عاد منهم الموت عيانا ...

وران الحزن على قريش ... وخيمت الكآبة والصمت على السوامر اللاهية ، وتذكروا جميعا رؤيا صفية وتمنوا في قرارات نفوسهم لو انهم صدقوها وتفادوا النكبة ونكصوا على اعقابهم يوم نادى ابو جهل بالخروج الى « بدر » ولم يتابعوه ...

صفية تهاجر الى المدينة

وهاجرت صفية فيمن هاجر من المسلمات الى المدينة ، وعاشت فيها سعيدة مكرمة في كنف ابن اخيها رسول الله ، ورعاية ابنها الزبير بن العوام ...

وقعة أحد

وكانت قريش في هذه الاونة تعد عدتها للثأر من هزيمة « بدر » حتى تم لها العتاد وارادت الطليعة ان تخرج في النهاية الى جبل « احد » تحت قيادة ابي سفيان بن حرب .

وشهدت صفية بنت عبد المطلب غزوة « احد » الرهيبة مع مجاهدات المسلمات امثال نسيبة ام عمارة وغيرها ... وساعة ولى المسلمون وتركوا الذود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسيبة وغيرها من بواسل فرسان الله ، كانت صفية تشق الصفوف والرمح في يدها تضرب به صدور الكافرين وهي تصيح بالمسلمين الفارين :

— ويلكم .. ويلكم .. انهزمتم عن رسول الله .

ورأى محمد عمته الباسلة ، فتذكر فجيعته الكبرى في اخيها عمه اسد الله الحمزة بن عبد المطلب ، وعز في نفسه ان قد تعلم صفية بما حدث لاخيها ، وتعرف بامر بشاعة مصرعه ، التي دبرته بالخيانة والغدر هند* بنت عتبة زوجة ابي سفيان ...

فوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه نحو الزبير بن العوام واشار اليه بان يعود بامه الى المدينة خشية ان تعلم بما حدث من امر مصرع الحمزة سيد الشهداء ...

وفي الوقت الذي وقف فيه محمد يرثي الحمزة ويبكيه ، ويرى الدم من جسمه الثرى ، متمنيا لو جعل مثواه حواصل الطير ، لولا خشيته ان تكون هذه سنة من بعده ، في هذا الوقت كان الزبير بن العوام يبلغ امه رسالة رسول الله اليها لتعود وتترك الميدان ...

وانصتت صفية المؤمنة الباسلة الى قول ولدها

وسكتت لحظة جمعت خلالها أنفاسها اللاهثة من حرقة الثكل وقالت في إيمان :

— وهذا أمره ، وقد [illegible] انه مثل بأخي الحمزة ، وهذا في الله عز وجل [illegible] ... لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله

وعاد الزبير الى الرسول الكريم ليخبره ان عمته قد علمت بمصرع أخيها ، فأمره عليه الصلاة والسلام ان يتركها وشأنها ما دامت قد عرفت ما أراد محمد ان يخفيه عنها ولو بعض الوقت ...

صفية عند جثمان أخيها حمزه

وجاءت صفية المحزونة الى ميدان « أحد » ثابتة الجنان ، قوية العقيدة ، شديدة الايمان بالله ، ووقفت امام جثمان الشهيد العظيم وراحت تنظر اليه كمن تودعه ، ثم صلت عليه واسترجعت واستغفرت له الله وقالت ترثيه .

دعاه اله الحق ذو العرش دعوة
الى جنة يحيا بها وسرور
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا
بكاء وحزنا محضري ومسيري
فياليت شلوي عند ذاك وأعظمي
لدى أضبع تعتادني ونسور

وبكت ، فأبكت ، وبكى لها المسلمون وتذكروا لها موقفا وقفته من قبل ترثي اباها عبد المطلب ابن هاشم قائلة :

أرقت لصوت نائحة بليل
على رجل بقارعة الصعيد
ففاضت عند ذلكم دموعي
على خدي كمنحدر الفريد
على رجل كريم غير وغل
له الفضل المبين على العبيد
صدوق في المواطن غير نكس
ولا شخت المقام ولا سنيد
كريم الجد ليس بذي وصوم
يروق على المسود والمسود
فلو خلد امرؤ لقديم مجد
ولكن لا سبيل الى الخلود
لكان مخلدا أخرى الليالي
لفضل المجد والحسب التليد

وعادت صفية بعد « احد » لتجد المدينة كلها قد استجابت لاشارة رسول الله ، ساعة قال : « ولكن الحمزة لا بواكي له » .

وقد نسيت النساء كلهن ما حل برجالهن من الفواجع ، ورحن يندبن الحمزة أسد الله ، فكان لها بينهن في تلك الآونة شأن عظيم في البكاء على أخيها والتفريج عن نفسها بإرسال الدموع ..

وقعة الخندق

وتحزبت الجزيرة العربية كلها بعد ذلك على محمد والمسلمين ، بايعاز من اليهود ، وعلى رأسهم حيي بن أخطب ، وقد أراد أن ينتقم لبني جنسه من يهود بني قينقاع الذين أمر محمد بطردهم من ديارهم لجرائمهم على المسلمين وتعديهم على المسلمات ..

وأشار سلمان الفارسي بحفر الخندق حول المدينة لحمايتها من الغزو ، وأمر محمد عليه الصلاة والسلام بتنفيذ فكرة سلمان ، ورأى بثاقب بصره أن تنتقل المسلمات الى مكان بعيد عن دائرة القتال ، وكان أن أرسلهن الى حصن بعيد لحسان بن ثابت الانصاري شاعر النبوة ..

وحدث في هذه الآونة ، وحرب الاحزاب مشتعلة الاوار ، أن خان يهود « بنو قريظة » عهدهم مع رسول الله ، وانضموا الى أعدائه وفتحوا بذلك الطريق الخلفي للمدينة وعرضوه لخطر هجوم لم يحسب له المسلمون أي حساب .

صفية واليهودي الغادر

وكان حصن حسان بن ثابت الانصاري في ذلك الطريق البعيد ، وأصبح بعد الغدر اليهودي مكانا ليس بآمن للمسلمات المتحصنات به ، وفيهن صفية بنت عبد المطلب التي لم يداخل الخوف قلبها ووقفت ترقب الطريق الخطر في يقظة وترقب واستعداد .

ورأت صفية يهوديا يقترب من الحصن .. وأنذرها أن شهدته ينظر حواليه في حذر كمن يتحسس أو يختبر الطريق .. وأحست المسلمات بالخوف من الرجل وتوجسن مخافة أن يغدر بهن أو يرشد الى مكانهن الاعداء المتربصين ، وأسررن الى صفية بمصارحتها بمخاوفهن ... فراحت الهاشمية ذات القلب الكبير تهدىء من روع المسلمات الوجلات ، وتطمئنهن الى أنه لن يحدث شيء مما تصورنه ، ثم أسرعت بعد ذلك الى حسان بن ثابت الانصاري ، وهو يومها معهن بالحصن ، وقالت له :

— يا حسان ، [illegible] هذا اليهودي كما ترى

يطيف بالحصن واني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وهم يتربصون بنا ، وانتم لاهل غدر وخيانة .. واني لأعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قد شغلتهم عنا الحرب الدائرة هناك ، فهيا يا حسان فاسرع وانزل الى اليهودي ، فاقتله، واكفنا شره..

وارتجف حسان ، وارتعد ، وهو مشفق على نفسه من هول الكر والفر ، واشتباك الحسام ، واسرع يقول لصفية في صراحته التي تميز بها شعره العظيم .

ـ يغفر الله لك يابنت عبد المطلب .. والله لقد عرفت ما انا بصاحب حرب ولا قتال .. ولا جلادة لي على اللقاء في حومة الوغى ..

وامام تراجع حسان بن ثابت وخوفه .. واصرار اليهودي على الطواف بالحصن ومراقبة من فيه ، زادت مخاوف المسلمات، حتى لقد خشيت صفية ان يخبر هذا النكس اليهودي ، ويشجعه عليهن فيقوم بغارة او هجوم ، وفكرت في الامر طويلا ولم تجد غير المخاطرة بنفسها ، فاسرعت الى الرمح وحملته ، ثم نزلت في جراة المحارب الضرب الى حيث كان اليهودي فصالت معه صولة صرعته بعدها ، وتركته لسباع الطير ثم عادت الى الحصن .. وعاد معها الأمان الى قلوب المسلمات .

وشاءت ارادة الله بعد ذلك ، ان يتم الانتصار .. فهزم الاحزاب وحده ، وردهم عن المدينة.. واسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من خانوا المواثيق ليؤدبهم ويحل فيهم عدالة الله ..

وعاد الهدوء يخيم على المدينة والسلام يرفرف فوق ربوعها .. وخرج الآمنون من جهاد الى جهاد، وراحوا يعملون ويجدون ، ويعدون العدة لأهل الشرك والضلالات ..

الرسول يداعب عمته صفية

وسارت الحياة سيرها الرتيب في المدينة ... وازدادت هيبة المسلمين في النفوس .. وراح محمد عليه الصلاة والسلام يوجه ويعلم ويتلقى الوحي، ويشحذ الهمم ويذكي النفوس ويجمع القلوب على التقوى والايمان ..

وعاشت صفية تلك الفترة في سعادة ورغد ، تنعم بما كان ينعم به المسلمون جميعا .. وكانت رضي الله عنها اثيرة عند رسول الله ، قريبة اليه عزيزة المكانة عنده .. وكان صلى الله عليه وسلم يوليها العطف ويحلو له مداعبتها والتظرف معها .. وكانت قد هرمت في تلك الآونة ، وسألت رسول الله ان يدعو لها بالجنة فقال لها مداعبا : ان الجنة لا يدخلها عجوز !

فحزنت صفية لذلك ، وخيمت على وجهها سحابة من آسى ، واطرقت طويلا ، واذا بمحمد يقبل عليها ملاطفا ، ليخرج بها من الخيال الى الحقيقة فقال لها انها حين تبعث في الحياة الاخرى، ستكون شابة لا تعرف الهرم ، ولا تحمل وقر السنين ، كقول الحق جل وعلا : « انا انشاناهن انشاء ، فجعلناهن ابكارا ، عربا اترابا » ..

رؤيا صفية تحققت

ومرت الايام بعد ذلك بصفيه ، وهي تشهد كل يوم نصرا يهبه الله لرسوله ، وعزا يضفيه على المسلمين ، وامجادا في اثر امجاد تتالهم ..

وقد تحققت رؤيا صفية الصادقة بحذافيرها فخرج السفهاء من آل فهر الى مصارعهم ، يوم بدر ، واحد ، والخندق . واقر الله عينها بان شهدت فتح مكة ، وشهدت مصرع البقية الباقية من عصابة الضلال ، ورأت أصنام قريش والقبائل جميعا وهي تتهاوى امام ضربات المسلمين ، وتزول معالمها ، ويطهر بذلك بيت الله ، فلا يعبد فيه احد غير الله وحده لا شريك له ، ولا تطيع عنده غير صالح العمل .

ورأت صفية ، الكافرين ، وهم يدخلون في دين الله افواجا ، وشهدت الاشراقة الكاملة لنور الدعوة ، وكيف بدأت تغمره وتلمع، وتنتشر انوارها على البقاع ، وتخرج الى العالمين كافة ..

صفية ترثي محمدا

ومضت السنون .. واكمل الله للمسلمين دينهم واتم عليهم نعمته ، ورضي لهم الاسلام دينا .. وانتقل افضل خلق الله الى جوار الله ، فقامت صفية ترثيه صلى الله عليه وسلم قائلة :

فيا عين جودي بالدموع السواجم ،
لفقد رسول الله اذ حان يومه

وعاشت صفية بعد خلافة أبي بكر ، وقد فرض لها ستة آلاف درهم .. وشهدت خلافة عمر ، ثم ماتت ايام عثمان ، ودفنت بالبقيع . ■■

سنية قراعة



للمرأة في الإسلام

شخصية حقوقية كاملة

بقلم : مجيدة شنن ارسلان

قال تعالى « فاستجاب لهم ربهم ، أني لا أضيع عمل عامل منكم ، من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض » .

وقال سبحانه « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ، ألا ساء ما يحكمون » .

في هـذه الآيات ، وفي آيات أخرى غيرها بينات ، وضع الإسلام اللبنة الأولى في بناء حرية المرأة ، ثم منحها كافة الحقوق الشخصية ، وساوى بينها وبين الرجل وقدمها في الذكر في بعض الأحيان . **قال جل شأنه :**

« يهب لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور »

الرسول يبسط ركبته لأهله

وقد عرف الرسول الكريم نفسية المرأة ، فقد كان يكثر من مؤانستها والرفق بها ، والانتصار القول لها . وكان يخرج زوجاته معه في أسفاره . وكان إذا ما أرادت إحداهن ركوب الراحلة ، يبسط لها ركبته لتدوس عليها وتصعد الى هودجها .

النساء شقائق الرجال

وقبيل زمن الرسول ، عقدت أوربا مجمع « ماكون Concilès de mâcon 581-582 et 585 » لتجيب على السؤال التالي

« هل المرأة انسان ؟؟؟ » وتقرر في نهاية هذا المؤتمر ان المرأة فعلا انسان ولكنها خلقت لخدمة الرجل . وجاء الرسول الكريم فقال في حديثه الشريف « النساء شقائق الرجال » وان « الجنة تحت أقدام الأمهات » . وكانت البلاد الإسلامية في عهد الرسول وما بعده هي البلاد الوحيدة في العالم التي تساوى فيها المرأة بالرجل من حيث المكانة الاجتماعية .

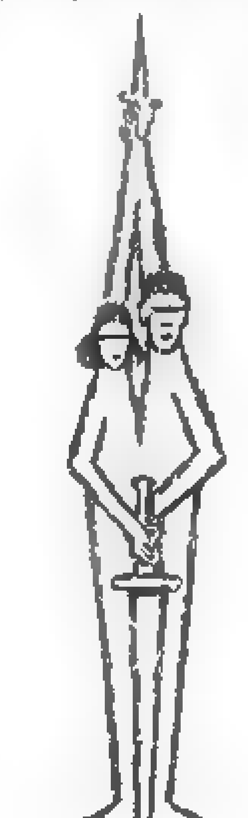
حق التصرف في المال

والإسلام أعطى للمرأة حق التصرف مما تملكه

شأنها في ذلك شأن الرجل ، وهو لا سلطة له عليها في ذلك ، أبا كان أم زوجا أم أخا ، طالما أنها غير قاصرة أو محجور عليها ، على أن هذا الحق الذي منحه الاسلام للمرأة منذ أربعة عشر قرنا لا تزال قوانين الحضارة الغربية قاصرة عن بلوغه حتى اليوم في الكثير من تشريعات الغرب .

المرأة وحق الارث

ولم يكن يؤول الى النساء شيء من مال الرجال ارثا في العصر الجاهلي ، وكان الرجال يقولون في ذلك : لا يرثنا الا من يحمل السيف ويحمي البيضة . وكان الرجل يرثه أبناؤه دون بناته ، فاذا لم يكن له أبناء ورثه الأقربون ويرثون أوليائه . المتوفى ونساؤه جميعا ، لأنهن في نظر الجاهلية من أموال التركة ، اذ يأتي هذا الوارث ويلقي ويؤول الى هذا الوارث القريب ، بثوبه على زوجة مورثه ويقول « ورثتها كما ورثت ماله » . ويكون له بعد ذلك كل الحقوق عليها ان شاء تزوجها وان شاء زوجها سواه » . وكان بنات الميت وزوجته من المتاع الذي يورث .



الاسلام يرفع الضيم

الى أن جاء الاسلام ، ونفى عن المرأة صفة المتاع الذي يورث ، ثم ساوى بينها وبين الرجل ، فالرجل يرث والمرأة ترث : قال تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون » وحدث البخاري عن سعد بن أبي وقاص قال :

« مرضت بمكة مرضا أشفيت منه على الموت ، فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم يعودني . فقلت يا رسول الله : ان لي مالا كثيرا وليس يرثني الا ابنتي ، أفأتصدق بثلثي مالي . قال لا ، قلت فالشطر – أي النصف – قال لا ، قلت الثلث قال : فالثلث ، والثلث كثير ، انك ان تركت ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس . وانك لن تنفق نفقة الا أجرت عليها ، حتى اللقمة ترفعها الى في امرأتك » .

الاسلام جعل ارث الرجل ضعف ارث المرأة لغاية

ولقد ميز الاسلام الرجل عن المرأة في الميراث ، فأعطاه ضعف ما تأخذه « فللذكر مثل حظ الانثيين » . وجاء هذا التمييز ضرورة من ضرورات بناء المجتمع المتكامل ، والحكمة في ذلك واضحة ظاهرة . فالاسلام الذي حمل الرجل نفقة زوجته – ولو كانت ثرية – وحمله نفقة أولاده وبناته ، وأوجب عليه المهر ، خلافا لأديان أخرى تدفع فيها المرأة صداقها حتى تتزوج ، كما حمله فريضة الجهاد وما يتطلبه من نفقات لأسرة يتركها ، وما يرتبط به من خسارة نتيجة تركه العمل وانصرافه للجهاد . وأوجب عليه نفقة الأقارب الفقراء . لذلك كله كان طبيعيا – والغنم بالغرم – أن يكون للرجل نصيب أوفر في الميراث ، خاصة وأن البنت لها في الغالب من يعولها ، أو هي على الأقل لا تعول سواها .

الارث وشرائع الغرب

واذا كان الاسلام قد أعطى البنت نصف ما

أعطى للرجل ، فانه على كل حال اعطاها اكثر مما تعطيها اياه التشريعات الحديثة لدى الأمم المتمدنة أصحاب حضارات القرن العشرين فبعض القوانين الاوربيـة لا تورث البنت مطلقا ، بل تحصر ثروة الاب في اكبر ابنائه الذكور ، وعلى كل فمسألة الارث ليست مسألة تفضيل رجل على امرأة ، انما هي مسألة اقتصادية اجتماعية بحتة املاها واقع الحياة .

ولاية المرأة على اموالهـا

ولقد مضى على المرأة المسلمة ثلاثة عشر قرنا او تزيد وهي لا تختلف عن الرجل في شيء فيمـا يتعلق بحقهـا في ممارسة حقوقها المدنية فلقد سوى الاسلام في هذا المضمار بين الرجل والمرأة ، فمتى بلغت سن الرشـد ، كان لها ان تتصرف باموالها مهما بلغت ، شأنها في ذلك شأن الرجـل على حـد سواء . والمرأة في نظر الاسلام كاملة المؤهـلات الشرعية والقانونية لأن تعقد العقود المدنية عامة من بيع وشراء واجارة وشركة وقرض ورهن وعارية وهبة وغير ذلك ، وان توكل فيها من شاءت ، وان تتوكل فيهـا عمن شاءت ، وليس لأحد ـ أيا كان ـ ان يتدخل باسم الشرع والقانون في ذلك لقوله تعالى في سـورة النساء « وابتلوا اليتامى ، حتى اذا بلغوا النكاح، فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم » .

ولاية المرأة على اموالها في تشريعات الغرب

ان المرأة المسلمة تتمتع بشخصية حقوقية كاملة، لا يحق لأحد مهما كان صفته ان ينتقص منها ، لأن التشريع الاسلامي اعطاها الحماية الكاملة ، بينما نجد المرأة الغربية ما تزال تئن من القيود المفروضة ـ بموجب القوانين النافذة ـ على شخصيتهـا الحقوقية ، واذا كانت قد حصلت على شيء مـن الحرية مؤخرا فانها ما تزال مهددة بسلطة تخول زوجها ومنعها من ممارسة هذا الحق .

فالتشريع الفرنسي مثلا اخضع حرية المرأة التجارية لاذن من زوجها ، وذلك حتى عام ١٩٢٨، لم يخفف من حدة المنع في القانون الصادر ـ ٢٢ فبراير «شباط» ١٩٤٢ عندما أعطاها الأهلية التجارية دون اذن من زوجهـا ، الا انه أعطى الزوج حق المنع ، فان شاء الزوج الفرنسي ان يمنع زوجته الزوجية من ممارسة التجارة حق له ذلك بموجب التشريع الحالي ، فتأمل .

ردة رجعيـة

ومن العجيب ان نرى في بعض التشريعـات القائمة الآن في بعض الدول العربية شيئا مـن الرجعية الجاهلية بالنسبـة لهذا الأمر، لا لشيء الا لأن التشريع الغربي قد قيد حرية المرأة في ولايتها على اموالها . ولقد أثارت هـذه الردة السخط والاستنكار في الاوساط الحقوقية في الوطن العربي وفي نفوس الاساتذة المحامين المجتمعين في المؤتمر الاول للمحامين العرب الذي عقد في دمشق صيف عام ١٩٤٤ . ومما جاء في محاضرة القاها المرحوم الاستاذ محمد صالح « بك » عميد كلية التجارة في الجامعة المصرية آنذاك قوله :

« ولا ادرى السبب الذي حمل المشرع اللبناني لأن يضع في المادة «١١» من قانون التجارة اللبناني، ان المرأة المتزوجة ، مهمـا تكن احكام القانون الشخصي الذي تخضع له ، لا تملك الاهليـة التجارية ، الا اذا حصلت على رضى زوجهـا الصريح او الضمني » .

وهكذا نرى ان الاسلام اقرّ للمرأة شخصيتها الحقوقية الكاملة،ومنعا من حياتها تهمة «القصور الذاتي» الذي الصقتها به التشريعات القديمة ، وكثير من القوانين الحديثة ، فأعطاها « الكفاءة والاهلية في ادارة اموالهـا ، والتصرف بها ، وانشاء العقود عليها بمطلق حريتها ، دون الالتزام بالرجوع الى رأي الرجل او اخذ موافقته ، بـل دون ان يكون للرجل اي سلطة على هذه التصرفات فمثلها في ذلك كمثل الرجل لا تنقص عنه ولا تزيـد » .

لقد كان الاسلام برا بالمرأة ، ومن الوفاء له ان تشيد المرأة المسلمة للمساواة في تعاليمه السمحة ، وبفضله تبوأ مكانة حقوقية واجتماعية يحسدهـا عليها اليوم كثير من النساء .

قال العالم الالماني « دريسمان » ان اعطاء محمد للمرأة حريتها هو وحده السبب في نهوض العرب وقيام مدنيتهم ، ولهذا لما عاد اتباعه فسلبوا المرأة هذه الحرية اضمحلت مدنيتهم . ■■

مجيدة شنن ارسلان



بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

الأستاذ المساعد بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

● لم تعد كلمة « الجدل » أو « الديالكتيك » Dialectic مجرد اصطلاح فلسفي يجري على أقلام المتخصصين ، بل أصبحت كلمة عادية يتداولها ألسنة الناس في شتى الميادين . ولئن كان المعنى الأصلي للجدل هو « الحوار » أو « المناقشة » ، إلا أن الاستعمال العادي لهذه الكلمة قد اتسع فأصبح يشير الى معاني « الصراع » و « الحركة » ، « التناقض » .. الخ وهكذا أصبح المنهج الجدلي هو منهج الثورة والانقسام والصيرورة المستمرة . وبعد أن كانت مناهج الفلاسفة الأقدمين قائمة على الثبات ، والذاتية (أو الهوية Identity) أصبح « المنهج الجدلي » عند الفلاسفة المحدثين يقوم على التغير والتناقض ...

والفلسفة الحديثة تدين لهيجل (١٧٧٠ ـ ١٨٣١م) بأعمق دراسة للمنهج الجدلي ، خصوصا وأن هذا الفيلسوف الألماني الكبير قد طبق هذا المنهج على ظواهر بشرية عديدة كالفن ، والدين ، والقانون ، والسياسة .. الخ .

وسنحاول أن نقدم للقارئ العربي ـ في هذه الدراسة الموجزة ـ الخطوط العريضة لمنهج هيجل الجدلي ، دون الدخول في التفاصيل الفنية الدقيقة التي قد لا تهم سوى الباحث المتخصص .

محور الارتكاز في « الجدل » هو مفهوم « الكل »

وربما كان محور الارتكاز في « المنهج الجدلي » كله انما هو مفهوم « الكل » أو « المجموع » . والمقصود بهذا المفهوم أن الوجود يمثل



« كلاً عضوياً » يجمع بين أجزائه وحدة متماسكة متكاملة . فليس في الإمكان تصور أية ظاهرة من ظواهر الحياة ، أو الفكر ، أو التاريخ باعتبارها ظاهرة مستقلة بمعرفة قائمة بذاتها ، بل لا بد من تصورها باعتبارها مجرد ظاهرة متوقفة على ما عداها من ظواهر ، مرتبطة أوثق ارتباط بذلك « الكل » أو « المجموع » الذي تنتسب إليه . وكما أن التشريح لا يكفي لفهم وظائف الأعضاء فهماً صحيحاً ، نظراً لأنه ينظر إلى أجزاء الجسم مجزأة من علاقاتها الحيوية ، فكذلك لا يكفي منهج التحليل العقلي لفهم ظواهر الفكر والوجود فهماً فلسفياً عميقاً ، نظراً لأنه يضرب صفحاً عن الوحدة الأصلية التي تجمع بينها . والحق أن الغاية التي يهدف إليها المنهج الجدلي إنما هي الوقوف على البناء العضوي للوجود باعتباره كلاً . وهيجل لا يتصور هذا « الكل » على نحو سكوني (أو استاتيكي) ، بل هو يتصوره على نحو حركي (أو ديناميكي) ، فيقول إن كل حي يتسم بالحركة ، والصيرورة ، والتجدد المستمر .

الجدل يعني أنه ليس ثمة معرفة مباشرة

والحق أنه إذا كان هيجل يؤكد منذ البداية أن المنهج الجدلي هو المنهج الأوحد الذي يوصلنا إلى المعرفة الحقيقية ، فذلك لأنه يأبى التسليم بإمكان قيام « معرفة مباشرة » .

ومعنى هذا أنه ليس ثمة عيان حسي مباشر يفضي بنا إلى كنه الحقيقة ، كما أنه ليس هناك أي مفهوم عقلي مجرد ، أو أي تصور ذهني قائم بذاته . وهيجل يرفض شتى النظريات الفلسفية القائلة بالحدس Intuition أو البصيرة ، لأنه يرى أن المعرفة الحقة لا تتم إلا عبر عمليات ذهنية معقدة . وليس بدعاً أن يكون المنهج الجدلي هو المنهج الأوحد الملائم لطبيعة الوجود ، ما دام العالم يمثل في رأي هيجل « كلاً عضوياً متماسكاً .

للمفهوم العقلي ، لن يكون الا تصورا خاطئا او غير مشروع .. وكما ان اي دكتور تلقى به الى النهر لن يسمح لنا بدراسة مجرى هذا النهر ، فان اي تصور عقلي مجرد لن يعطينا اية معرفة حقيقية عن الوجود ..

المحرك الاول للمنهج الجدلي انما هو « الغاية »

ولا يكتفي هيجل بتصور الوجود على انه « كل عضوي » حي° ، بل هو يقرر ايضا ان ثمة غائية باطنة في صميم هذا «الكل» . وكما اننا لا نستطيع فهم التطور الحيوي ، اللهم الا بمعرفتنا للغاية التي يسعى نحوها ، فكذلك نحن لا نستطيع ايضا فهم الصيرورة الكونية ، اللهم الا بمعرفتنا للغاية التي تنطوي عليها . والتطور بأكمله — فيما يرى هيجل — متضمن° منذ البداية في اعماق «البذرة» الصغيرة . وربما كان السبب في « صيرورة » الوجود هو استحالة اكتفاء هذه البذرة بذاتها ، ولزومها نحو الاستحالة الى شيء آخر . ولولا هذه العلاقة الوثيقة التي تربط الجزء بالكل ، لما ظهر في صميم « البذرة الاولى » ذلك التناقض الحي الذي دفع بها الى التطور ، والتغير ، والصيرورة ..

هذا اننا نتحدث عن مراحل او لحظات في صميم هذا « الكل » الشامل ، ولكن الحقيقة ان كل « مرحلة » او « لحظة » انما هي محض« تجريد » Abstraction . ومن هنا فان حديث الفلاسفة عن « الوجود » و « العدم » انما هو حديث ميتافيزيقي مجرد . وهيجل نفسه يذكرنا في كتابه المحكم المسمى باسم « علم المنطق » بانه لا يصح القول بان الوجود والعدم قد وجدا اولا، ثم لم تلبث « الصيرورة»Becoming ان تألفت منهما، بل لا بد من القول بان « الصيرورة » هي الحقيقة العينية الاولى التي انشق منها « الوجود » و « العدم » على سبيل التجريد . وكما حيثما مضى الى قرارة الاشياء ، فهنالك لا بد من ان نجد « الروح » متضمنا منذ البداية في اعماق « البذرة الاولى » ، لان ثمة « غائية باطنة » تجتذب اليها كل ما في العالم من صيرورة . ومعنى هذا ان العالم — في رأي هيجل — متناه Finite وان التاريخ منغلق ، والا لما كان في وسعنا ان نعرف بدءه او نهايته . هذا الى ان القول بان الوجود يمثل كلا عضويا او وحدة متماسكة انما يعني ان في استطاعتنا معرفة « غاية » الوجود ، وبالتالي فان في وسع العقل البشري الوصول الى « الحقيقة المطلقة » . والآن فان منهج هيجل الجدلي يفترض ان «الواقع» شفاف تمام « للعقل » ، وان « الوجود » هو في صميمه من نفس طبيعة « الفكر » . وهذا هو السبب في اننا قد اصطلحنا على تسمية فلسفة هيجل باسم « المثالية المطلقة » او « التصورية المطلقة Absolute Idealism »

اتحاد « الصورة » و « المادة » في التفكير الجدلي ..

وليس « المنهج » في رأي هيجل خارجا عن « موضوعه » ، بل ان ثمة اتحادا وثيقا بين « الشكل » و « المضمون » ، او بين « الصورة » و « المادة » في صميم التفكير الجدلي . ومعنى هذا ان « المنهج » عند هيجل ليس مجرد «اداة» او «وسيلة» توصلنا الى المعرفة ، وكأنما هو مجرد واسطة خارجية ، بل ان « المنهج » هو «العقل» نفسه وقد اصبح قديرا على الاهتداء الى نفسه ، او التعرف على ذاته ، في كل شيء ! فليس « الجدل » مجرد تعبير عن حياة الفكر ، بل هو يمثل ايضا حياة الطبيعة ، وحياة المادة ، في كل درجات تطورها . ولا يبلغ « الجدل » هدفه الحقيقي ، اللهم الا حين تكون القطيعة بين«الذاتي» و « الموضوعي » قد زالت تماما ، بحيث لا يصبح اي شيء في الوجود غريبا على العقل !

وهيجل يأخذ على الفيلسوف الالماني « كنط » Kant (١٧٢٤ — ١٨٠٤) انه قد فصل « صورة » المعرفة عن « مادتها » ، في حين انه ليس ثمة موضع للفصل — في داخل المعرفة الواحدة — بين عنصر « ذاتي » وعنصر آخر « موضوعي » . واما فكرة كنط عن « الشيء في ذاته » The thing-in-itself فهي في رأي هيجل فكرة خاوية تماما ، ان لم تكن فكرة وهمية لا أساس لها على الاطلاق ، لانها تريد ان تصور لنا « الواقع » بعد ان تكون قد انتزعت منه كل ما نعرفه عنه ! ومثل هذا الفصل المزعوم بين « مضمون » الوعي و « صورته » قد قاد بعض الفلاسفة القطعيين Dogmatist الى

القول بأن « مادة » المعرفة موجودة باعتبارها عالما مكتملا قائما بذاته خارج الفكر ، وأن الفكر — بالتالي — هو في حد ذاته وعاء فارغ أو خلو من كل مضمون ! وهكذا تصور هؤلاء الفلاسفة أن كل وظيفة الفكر هي أن يجيء بوصفه صورة — Form فينطبق على تلك المادة الخارجية ، لكي لا يلبث أن يمتلىء بها ويكتسب عن طريقها ضربين من « المضمون » أو « المعرفة الحقيقية ». وفات هؤلاء الفلاسفة — فيما يقول هيجل — أن التصور ومادته ، أو « الذاتي » و « الموضوعي » انما هما عنصران مرتبطان — في شعورنا — أوثق ارتباط ، دون أن يكون في الامكان عزل أحدهما عن الآخر ، اللهم الا على سبيل التجريد Abstr-action.

المنهج الجدلي « منطق تناقض » !

قلنا ان العالم في نظر هيجل يكوّن كلا موحدا ، ورأينا أيضا أن الحقيقة في نظره هي بمثابة عملية مثالية نعيد بمقتضاها تركيب هذا « الكل » . ونستطيع الآن أن نضيف الى ما سبق أن المنهج الجدلي عند هيجل انما هو عبارة عن « منطق » يدرس العلاقات الواقعية التي تنشأ وتترعرع في كنف ذلك « الكل » العضوي . فليس الوجود في نظر هيجل حقيقة ثابتة ، بل هو حركة مستمرة تقوم فيها علاقات متشابكة بين سائر الأشياء وتستند في مجموعها الى مبدأ « التناقض » . والآن فليس يكفي أن نقول ان أي جزء من أجزاء العالم انما يتحدد من خلال علاقته بالكل ، وانما يجب أن نضيف الى ذلك أيضا أن كل شيء انما هو مغاير لذاته . ومعنى هذا أن الحياة تحمل في ذاتها بذور الموت ، كما أن التناهي ينطوي على بذور اللاتناهي .. الخ .. الخ . وحسبنا أن نعود الى حياتنا العادية لكي نتحقق من أن الأضداد في تماس ، أي يمس بعضها بعضا : فالعدالة المطلقة قد تولد الظلم ، والغبطة الزائدة قد تعبر عن نفسها من خلال الدموع ، والألم العميق قد يستحيل الى ابتسامة أو ضحكة ، والكبرياء قد تؤدي الى السقوط ، وهلم جرا . فكل ما يحيط بنا شاهد على أن الأشياء تحمل في ذاتها بذور فنائها ، وكل ما نراه في الطبيعة (أو فينا) انما يتطلب وجود « ضده » .

وعلى ذلك فان « منطق التناقض » ماثل في عالم الطبيعة كما هو ماثل في عالم الفكر ، بدليل أن حركات الأجرام السماوية ، وتغيرات الظواهر الطبيعية ، وتقلبات الأحوال الجوية لا تقل « تناقضا » عن حركات الأهواء البشرية ، وتغيرات الظواهر النفسية ، وتقلبات الأمزجة الشخصية . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول ان « التناقض هو مبدأ كل حركة ، وكل حياة ، وكل تأثير فعال في عالم الواقع » . ولما كانت هناك « احالة » مستمرة أو تبادل مستمر ، بين « الايجابي » و « السلبي » فان ما يكوّن جوهر الأشياء انما هو تلك العلاقات الخارجية التي تجمع بينها وبين ما عداها من أشياء . واذا كان الكون — في رأي هيجل — ابتداء من الحصاة الصغيرة حتى الروح البشرية ، هو بمثابة « كل موحد » تجمع بين ظواهره المختلفة علاقات متبادلة ، فان مهمة الفلسفة في نظره هي العمل على ادراك تلك العلاقات الضرورية ، والاهتمام بالوقوف على مظاهر الاختلاف التي تنشأ في كنف ذلك « الكل » ، والانتهاء الى « الوحدة » العميقة التي تجمع بين كل تلك المظاهر المختلفة على الرغم من كل ما تنطوي عليه من « تناقض » . والحق أن العلاقة الحركية (أو الديناميكية) التي تجمع بين الجزئي والكلي ، أو بين الممكن والضروري ، أو بين التناهي واللاتناهي انما تدلنا على أن الجدل (الديالكتيك) عند هيجل ليس الا مجرد تعبير عن نظرية « وحدة الأضداد » The unity of contraries.

المنهج الجدلي أيضا منهج « السلب » ...

اذا كان منهج هيجل يستلزم الانتقال من الفكرة الواحدة الى الفكرة المضادة لها ، أو من القضية الايجابية الى القضية السلبية ، فليس بدعا أن تحتل فكرة « النفي » أو « السلب » Negation مكانة كبرى في صميم هذا المنهج . والواقع أن الوجود واللاوجود ، والشبيه والمغاير ، والتناهي واللاتناهي انما هي مقولات يستلزم أحدها الآخر . وما يدفع بالعقل الى الانتقال من الواحد منها نحو الآخر ، انما هو ما لديه من مقدرة على النفي والسلب . وليست عملية « السلب » عند هيجل مجرد عملية منطقية أو مجرد نشاط ذهني ، بل هي جوهر الحركة وصميم القوة الخالقة . وهيجل يرى أن علة الصيرورة انما تنحصر بوجه عام في مبدأ السلب

او النفي . ومعنى هذا ان « القوة السلبية » Negativity انما هي العنصر الباطن لكل نشاط ، او لكل حركة تلقائية ، سواء أكانت هذه الحركة صادرة عن موجود طبيعي أم عن موجود روحي . والذي فأن ما يحيل المتناهي الى « لا متناه » ليس هو القوة الخارجية التي يقع تحت تأثيرها ، بل هو طبيعته الخاصة نفسها ، من حيث ان من طبيعة « المتناهي » ان يتجاوز ذاته ، ويعلو على نفسه ، لكي يستحيل الى نقيضه ، ومن ثم يتحول الى « لا متناه » .

حقا ان الأشياء المتناهية « موجودة » ، ولكن علاقاتها بذاتها موصولة بصفة سلبية وهذا هو السبب في انها تتجه دائما نحو تجاوز ذاتها والعلو على نفسها . ومعنى هذا ان الأشياء المتناهية موجودة ، ولكن حقيقة وجودها تنحصر في كونها متناهية ، اي في كونها ذات نهاية . فالأشياء المتناهية تتحول ، وتتغير ، وتتلاشى ، وتزول ابتداء من الصخرة التي تتآكل ، وتتفتت ، وتتشتت ، حتى النبات والحيوان اللذين يتغذيان وينموان ، ويتحولان من جنين غير مكتمل الى موجود ناضج متزن ، لكي لا يلبثا ان يتحللا ويزولا ، بل حتى ذلك العقل البشري الذي يشعر — في ألم عميق — بالسلب الذي يحمله كل موجود في أعماق ذاته ، وهو « السلب » الذي يحفزه ويضطره الى التعالي على نفسه !

ويشرح لنا هيجل في كتابه « علم المنطق » فكرة السلب فيقول ان اي موجود حي لا يمكن ان يكون متسقا مع ذاته تمام الاتساق ، بل هو لا بد من ان ينطوي في ثنايا وجوده على عنصر سلبي ، حتى ولو بدا لنا ايجابيا تمام الايجاب . ولولا هذا العنصر السلبي لما وجد الموجود الحي نفسه مضطرا الى الخروج عن ذاته من أجل الاندماج في مجرى التغير . فالسلب هو الأصل في كل حركة ، أو هو المصدر الذي ينبثق منه كل مظهر حيوي كائنا ما كان . ولا يكون الشيء حيا اللهم الا بقدر ما ينطوي في أعماق ذاته على عنصر سلبي يدفع به الى التغير والاستحالة والانتقال الى نقيضه . وهكذا نرى أن هناك صلة وثيقة بين فكرة « التناقض » وفكرة « السلب » في هذا المنهج الجدلي القائم على الحركة والصيرورة المستمرة .

... من النفي الى نفي النفي !

بيد ان هيجل لا يكتفي بالانتقال من الدعوى Thesis الى الدعوى المناقضة لها Antithesis ، وانما هو لا يلبث ان يعلو على كل من الدعوى ونقيضها ، لكي ينتقل الى قضية جديدة تكون بمثابة مؤلف من الدعوى ونقيضها Synthesis فليس النفي هو الكلمة الأخيرة في المنهج الجدلي ، بل لا بد من نفي النفي ، من أجل العودة الى اثبات جديد . ولكن هذا الاثبات الجديد لا يعني الارتداد الى الدعوى الأولى ، بل هو يمثل قضية جديدة تعد أكمل من كل من الدعوى ونقيضها . ولهذا فان عملية « التأليف » لا تقل أهمية في نظر هيجل عن عملية « النفي » ، ان لم نقل بأن العمليتين عمليتان اساسيتان تكمل احداهما الأخرى . وهيجل يستخدم الطريقتين معا ، فيهيب بعملية « النفي » ، لكي لا يلبث أن يستخدم عملية « التأليف » ، محاولا دائما تفسير شتى الظواهر الطبيعية والبشرية عن طريق هذا المنهج المزدوج . والسبب في ذلك انه يرى دائما ان فوق كل مرحلة من مراحل ترقي الفكر ، لا بد من ان تظل هناك مرحلة أخرى قد يكون في الامكان السمو اليها . وهذا ما فعله هيجل في دراساته العديدة لشتى وقائع تاريخ الدين ، وتاريخ الفلسفة ، وتاريخ الحضارة ، وتاريخ المنطق ، مما افضى به في النهاية الى مثاليته المطلقة . فلم يقتصر هيجل على القول بالانقسام ، والتناقض ، والنفي ، بل هو قد قال أيضا بضرب من الاتحاد ، والتأليف ، والايجاب . ومعنى هذه الحركة المزدوجة ان الحياة التي تنقسم وتنفصل لا بد من ان تعود فتتحد وتندمج : « ... لقد خلقت حواء من ضلع آدم ، أعني من جزء من أجزاء جسمه انفصل منه ، ولكن اتحاد آدم وحواء هو الذي أظهر الى الوجود طفلهما الأول ، فكان بمثابة البذرة الأولى لخلود النوع البشري » .

والمنهج الجدلي أيضا منطق حياة ...

ان المنهج الجدلي — كما رأينا — منطق علاقة ، ومنطق تناقض ، ومنطق سلب ، ومنطق صراع ، ومنطق حركة ، ومنطق تأليف . ولكنه أيضا منطق حياة ، لانه يحقق لكل من الطبيعة والفكر الانتصار

على شتى العوائق من أجل المضي دائما نحو الامام، فالديالكتيك (أو الجدل) انما هو ـ على حد تعبير هيجل ـ « المجموع المتحرك لتلك العلاقات الباطنة في صميم كل عضوي يتطلب الصيرورة » . ومعنى هذا التعريف أن الحركة الديالكتيكية الباطنة في أعماق الوجود هي التي تعمل على مواصلة عملية تمييز الشبيه من المخالف ، وتوحيد الشيء وضده ، من أجل الاستمرار في عملية الخلق الأبدي ، والعمل على بقاء الحياة ، وتحقيق خلود الروح . وهيجل يرى أن حركة الحياة تتجه بشتى الكائنات الناهية نحو «اللامتناهي» ، فهي ترقى بنا من المجرد الى العيني ، ومن الحادث أو الممكن الى الضروري أو واجب الوجود ، لكي تصل بنا في خاتمة المطاف نحو « المطلق » .

والحق أن « الديالكتيك » (أو الجدل) يمثل عملية اندماج لسائر الأشياء في الوحدة الكلية الشاملة ، بحيث أن الوقائع التي ظلت منفصلة بعضها عن البعض الآخر لترتبط ـ على يد هيجل ـ بالمبدأ الذي يفسرها ويبررها ، وبذلك لا يعود كل منها بمثابة « مطلق » قائم بذاته ، أو حقيقة مستقلة مكتفية بذاتها . ومن هنا فان عالم الطبيعة يرتبط ـ في فلسفة هيجل ـ بعالم الحياة ، كما أن عالم الحياة يرتبط بعالم الروح ، وعالم الروح ـ بدوره ـ يرتبط بالله نفسه . وهكذا يجد « الأدنى » علة بقائه في « الأعلى » ، فيصبح « الأعلى » هو المبرر الأوحد لوجود « الأدنى » .

وهيجل يضيف الى هذا كله أن من طبيعة الحياة دائما أبدا أن تهدم كل ما هو منفصل ، معزول ، مجرد ، سواء أكان ذلك على صورة « موضوعية مادية » أم على صورة « ذاتية خالصة » . فليس هناك حقيقة موضوعية محضة ، أو حقيقة ذاتية محضة ، بل ان كافة الوقائع في الطبيعة والفكر معا هي بمثابة أوجه مختلفة لتلك الحقيقة الواحدة الشاملة التي هي في صميمها صورة ومادة ، عقل وطبيعة، روح وتاريخ . واذا كانت المفاهيم البشرية مفاهيم ذاتية في تجردها وانعزالها ، فانها مفاهيم موضوعية في تحققها واندماجها . ومعنى هذا أن المنطق عند هيجل ليس مجرد علم القواعد التي تفرض نفسها على التفكير الذاتي ، بل هو بمثابة النسيج العقلي للواقع نفسه . وبهذا المعنى يصبح النهج الجدلي تعبيرا عن أعلى طموح للعقل في سعيه نحو الالتقاء بذاته في كل شيء ، والتعرف على نفسه في كل شيء .

كلمة أخيرة ...

ويبقى أن نتساءل الى أي حد نجح هيجل في استخدام هذا النهج الجدلي في التعبير عن «الوحدة الكلية الشاملة» على صورة تتسق عمليا منطقيا ؟ لقد ذهب هيجل الى أن جدل الفكر ليس سوى مجرد تعبير عن حركة الأشياء ، ولكن أليس في هذا الزعم مجرد « مصادرة فلسفية » تقوم على التسليم بوجود هوية (أو ذاتية) Identity بين الفكر والوجود ؟ واذا هذا النهج الأوحد الملائم لطبيعة التفكير الفلسفي أليس هو مجرد طريقة اصطنعها هيجل لتبرير مذهبه الخاص في « المطلق » بوصفه وحدة الذاتي والموضوعي ؟ .. اننا نعلم أن هيجل قد عاش في عالم ممزق ، فليس بدعا أن تكون تجربته الخاصة هي التي أملت عليه اصطناع هذا النهج من أجل العمل على محو التعارض القائم بين « الذاتية » و « الموضوعية » ، أو بين « الفكر » و« الوجود » . وسيكون على كارل ماركس من بعد أن يصحح الأخطاء التي وقع فيها هيجل ، على ما زعم ، لكي يجعل من عالم الأفكار مجرد انعكاس للعالم المادي ! وهذا ما سيعبر عنه ماركس بقوله :

ان المذهب الهيجلي كان يسير على رأسه ، وأما الآن فقد أصبح لزاما علينا أن نجعله يسير على قدميه ! وهكذا استحال النهج الجدلي الهيجلي على يد ماركس الى « ديالكتيك مادي » يفسر ، في رأيه، كل تاريخ العالم الطبيعي والفكر البشري بالاستناد الى « الحقيقة المادية » . ولا شك أن القارىء ينتظر منا أن نحدثه عن موقف ماركس من النهج الجدلي الهيجلي بالتفصيل ، فلعلنا في حديث مقبل نأتي على قصة الصراع بين « جدل الروح » و « جدل المادة » ، ذلك الجدل المادي الذي كان من شأنه أن قلب الفلسفة رأسا على عقب . ■

زكريا ابراهيم



قسنطينة

منبع الحركة السلفية في الجزائر

قام بهذا الاستطلاع سليم زبال وصوره أوسكار





كيف يجب ان يكون حكمنا على مدن الجزائر ؟ هل نأخذها كأي مدينة عربية أخرى ؟ أم نعاملها، باعتبارها ما زالت تضمد الجراح التي أصابتها من التخريب والتدمير والتنكيل الذي عاشته الجزائر طوال ١٣٢ عاما تحت حكم الاستعمار الفرنسي ؟

كيف يبني الشعب مستقبله ؟

ان شعب قسنطينة ، كبقية شعب الجزائر ، شعب لا يطلب كثيرا ، ورغم هذا لا يبحث بسرعة عن السعادة ، وانما يرفض ان يستمر في التعاسة التي كان فيها .

ووسيلته الى هذا كانت ، وما تزال الجهاد ..

الجهاد الاصغر ، وهو طرد المستعمر ، وهذا قد انتهى امره ..

والجهاد الأكبر ، وهو بناء الشعب لبلده ، ومجتمعه .. ونفسه !

ان الشعب الذي يتخلص من الاستعمار حديثا يدخل في معركة هائلة للتخلص من الرواسب التي كانت عالقة به وبمجتمعه .. وفي نفس الوقت يبحث عن اشقاء جدد ليقيم معهم علاقات على قدم المساواة .

انه مجهود مضاعف ، فرص الربح فيه ليست سهلة ابدا .. ولكن التجلد والاصرار آتيان دون ادنى شك ، لان شعبا مكافحا مثل شعب الجزائر، ضحى بمليون شهيد ، وتطوع ابناؤه بعد الاستقلال للبناء .. وعمل موظفوه ومدرسوه ٦ أشهر دون راتب في سبيل امتهم ، لهو شعب جدير بأن يحتل قمة المجد ..

ان المتاعب التي تعانيها الجمهورية الجزائرية، هي نفس المتاعب التي تواجه قسنطينة ..

واجمل ما في الموضوع هي الصراحة التي تواجه بها هذه المتاعب ، سواء من كبار المسئولين ، او من افراد الشعب ..

ان الرئيس بن بله ، رئيس الجمهورية الجزائرية ، قال لنا : ارجو ان تنقلوا للقارىء العربي صورة حقيقية واقعية عن حال الجزائر دون ان تجاملونا ، او تحاولوا اخفاء الحقائق المؤلمة .

وانطلاقا من هذا القول الصريح ، سنحاول ان نقدم لك صورة حقيقية ، ولو مؤلمة كما قال لنا الرئيس بن بله ، لحالة قسنطينة .. انها متاعب ورثها شعب ابي من مستعمر غاشم ...

ثالثة مدن الجزائر

ولكن قبل التعرض لتفاصيل هذه المتاعب ، تعال نتعرف على قسنطينة نفسها ..



خريطة تبين موقع قسنطينة وهي تبعد ٤٣٢ كيلو مترا من العاصمة الجزائرية ، وبها مطار ، ومتصلة بالسكة الحديد والطرق المعبدة مع مختلف المدن المحيطة بها



صورة تاريخية لمدينة قسنطينة عام ١٨٣…

انها ثالثة مدن الجزائر ، اذ تأتي بعد الجزائر العاصمة ووهران .

تقع داخل الأراضي الجزائرية على بعد ٨٧ كيلومترا من شاطىء البحر الابيض ، و ٤٣٢ كيلومترا شرقي العاصمة ، و ٤٥٦ كيلومترا من عاصمة تونس .

عدد سكانها غير معروف بالضبط ، فقد كانوا قبل الاستقلال ١٥٠ الف نسمة بين وطنيين واجانب ، واثناء ثورة التحرير قام عدد كبير من الاجانب المقيمين في المدينة بشن حملات وطنية وحشية ضد الوطنيين من ابنائها . ولكن ما كادت بوارق الاستقلال تبدو في الافق ، حتى احس هؤلاء الاجانب بعظم جرمهم ، وارتعدوا فرقا خوفا انتقام الاهالي منهم ، فهرب ٤٠ الف فرنسي ومعهم ٢٠ الف يهودي ، في مدة لم تستغرق ثلاثة أيام .

وكان هؤلاء الاجانب يتركون المدينة ليحل محلهم حشد من المجاهدين وابناء القبائل الذين عانوا شظف العيش في كهوف جبال الاوراس طوال سنى الحرب السبع والنصف .

وهكذا ظل عدد السكان في قسنطينة مقاربا لما كان عليه ، اي نحو ١٤٥ الف نسمة .

مدينة عربية بدون نخيل وجمال

وتعتبر قسنطينة من أجمل المدن العربية ، فهي أشبه بلوحة رائعة ، رسمها رسام مبدع ، يبهرك جمالها الطبيعي من اي مكان تنظر منه اليها ..

انها من المدن العربية القليلة التي تحيطها جوا بعيدا عن جو النخيل والجمال ، فهي تقع فوق صحن صخري يرتفع ٦٣٠ قدما من سطح البحر ، يحيط بها وادي الرمال السحيق من ثلاثة جوانب .. فكأنها شبه جزيرة قائمة وسط بحر من رمال الصحراء !

انها قلعة لا تقهر شهدت ٨٢ حصارا نجح القليل منها في اخضاعها .

الانسان الاول عاش هنا ..

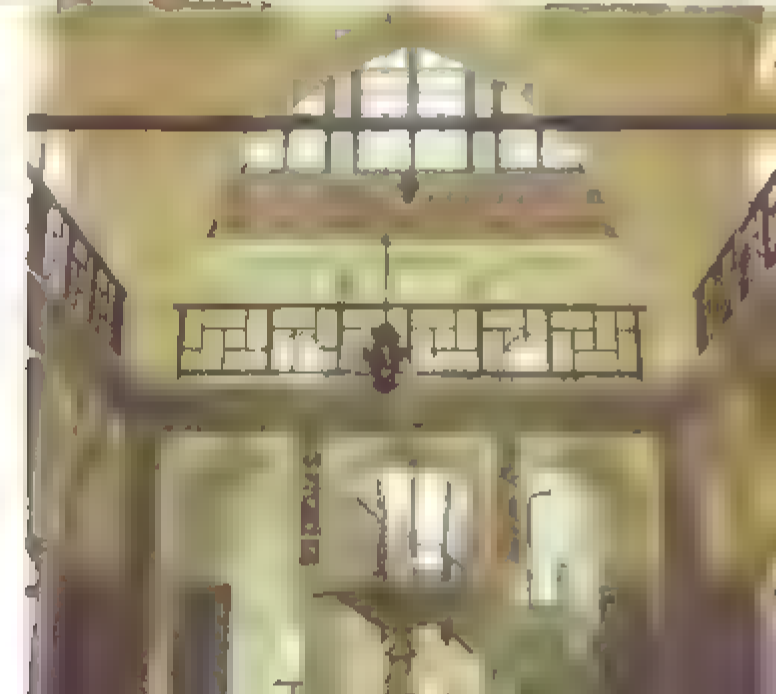
وتحت ابنية المدينة ، وداخل كهوفها اكتشف في عام ١٩٥٢ ادوات بدائية قال عنها علماء الآثار انها من اقدم الادوات التي استعملها الانسان الاول على ظهر الارض !

عجلة التاريخ

ولقد تعاقبت على المدينة سبع حضارات ... بربرية ، وفينيقية ، ورومانية ، وبيزنطية ، وعربية ، وتركية ، وفرنسية .

وفي زمن الرومان كانت المدينة تحمل اسم « سيرتا » Cirta وكانت تنعم بالازدهار والرخاء والهدوء ، حتى حل التدمير عام ٣١١ م ، عندما جاءها العاهل الروماني « ماكسانس Auguste Maxence » فاستولى عليها وهدمها ، ثم جاء قسطنطين الاكبر ، امبراطور الرومان ، فاعاد بناءها عام ٣١٣ ، واعطاها اسمه قسطنطينة .

وظلت المدينة محتفظة باسمها حتى يومنا هذا ، مع تحريف بسيط ادخلته اللهجات المحلية فجعلته قسنطينة ، بضم اوله ، وفتح ثانيه ، وسكون ثالثه ..







غرفة انسان ما قبل التاريخ فى متحف قسنطينة وفيها مجموعة كبيرة من رؤوس الحراب وعدد الانسان الاول مع عدد الحيوانات المنقرضة التى عاشت فى المنطقة

وصمدت المدينة بقدرة صمود عجيب حتى جاءها الوندال Vandales عام ٤٢٩ م وحاصروها بدون نتيجة ..

ورممها البيزنطيون عام ٥٣٤ باستعمال احجار الآثار الرومانية .

وفى القرن السابع الميلادى كانت مجرد اطلال قديمة ..

تزوير التاريخ ..

وهنا نقف قليلا لنبين مقدار الغبن الثقيل الذى يلحقه بتاريخنا العربى المجيد فى هذه البقعة .. ان معظم الكتب التى تروى تاريخ الجزائر مطبوعة بالفرنسية ، وهذه الكتب تتعمد ان تنفى الطرف من التاريخ العربى لتمتدح الرومان والوندال والفرنسيين .. واذا ذكرت العرب اظهرتهم كهمج متوحشين ، يقتلون ويقضون بين حربهم يدخنون ويشربون « الكيف » .

انه نقص كبير يلمسه كل من اراد الكتابة عن تاريخ الجزائر العربية .

ورغم هذا النقص فقد توصلنا من مراجعة كتب المؤرخين القدماء الى معرفة بعض جوانب هذا التاريخ ، الذى بدأ بوصول جنود الفاتح العربى الشهير عقبة بن نافع عام ٦٧٠ م ، وفتحهم للمدينة دون قتال ..

وفى مطلع القرن الرابع عشر اصبحت قسنطينة عاصمة للمقاطعة الشرقية من امبراطورية سلاطين الحفصيين فى تونس .. وانتهى عهدهم بحلول البايات الاتراك مكانهم ..

وكانت فترة حكم البايات فترة مؤامرات وثورات ومكائد حتى جاء صلاح باى (١٧٧١ – ١٧٩٢) فكان عهده هو العهد الذهبى لقسنطينة ، فرمم مبانيها وانشأ الجسور ومد الطرق .. ولكن هذه الاصلاحات كانت سببا فى قتله بسبب غيرة رئيسه داى الجزائر من هذه الاعمال .

وبعد صلاح باى تولى ١٨ بايا الحكم قتل منهم ١١ مثل صلاح باى !

هزيمة منكرة

وفى عام ١٨٣٦ جاء ٧٠٠٠ جندى فرنسى لاحتلال

الى اسفل : تمثال الامبراطور قسطنطين بانى المدينة عام ٣١٣ م، انه التمثال الوحيد الباقى فى قسنطينة ، وهو صورة طبق الاصل من التمثال القديم الموجود فى متحف روما



قسنطينة .. فحاصروها ، ولكن الباى أحمد ــ حاكم قسنطينة فى ذلك الوقت ــ انطلق منها على رأس جنده وانقضوا على الفرنسيين فقتلوا منهم ألفى جندى، وأجبروا الباقين على الهرب مطرودين تاركين سلاحهم ومدافعهم فى ساحة المعركة !

بطولة وشجاعة

ولكن الفرنسيين لم يسكتوا على هزيمتهم ، فجندوا الرجال ، وحشدوا أدوات الحصار لفتح قسنطينة ..

وتروى المصادر الفرنسية هذا الهجوم الثانى على قسنطينة بقولها

« فى عام ١٨٣٦ اتجه جيشنا المكون من ٨٠٠٠ جندى الى قسنطينة . وصوبنا المدافع ، وبدأنا بتركيز النار على السور ، حتى أحدثنا فيه ممرا، وقبل هجومنا ارسلنا انذارا لأهل المدينة بالاستسلام أو الموت ، نظرا لأننا فتحنا ممرا فى سور مدينتهم، فجاءنا الرد التالى

« اذا كان ينقصكم البارود فعندنا ما يكفى لاعطائكم منه ..

واذا كان ينقصكم طعام فنحن مستعدون لتقاسم خبزنا معكم ..

ولكننا لا نفهم ما معنا كلمة ممر .. أو معنى استسلام ..

اننا سندافع عن مدينتنا ببسالة .. ولن يكون الفرنسيون أسيادا فى قسنطينة الا بعد استشهاد كل مدافع عنها .. » .

وتتابع المصادر الفرنسية كلامها بقولها

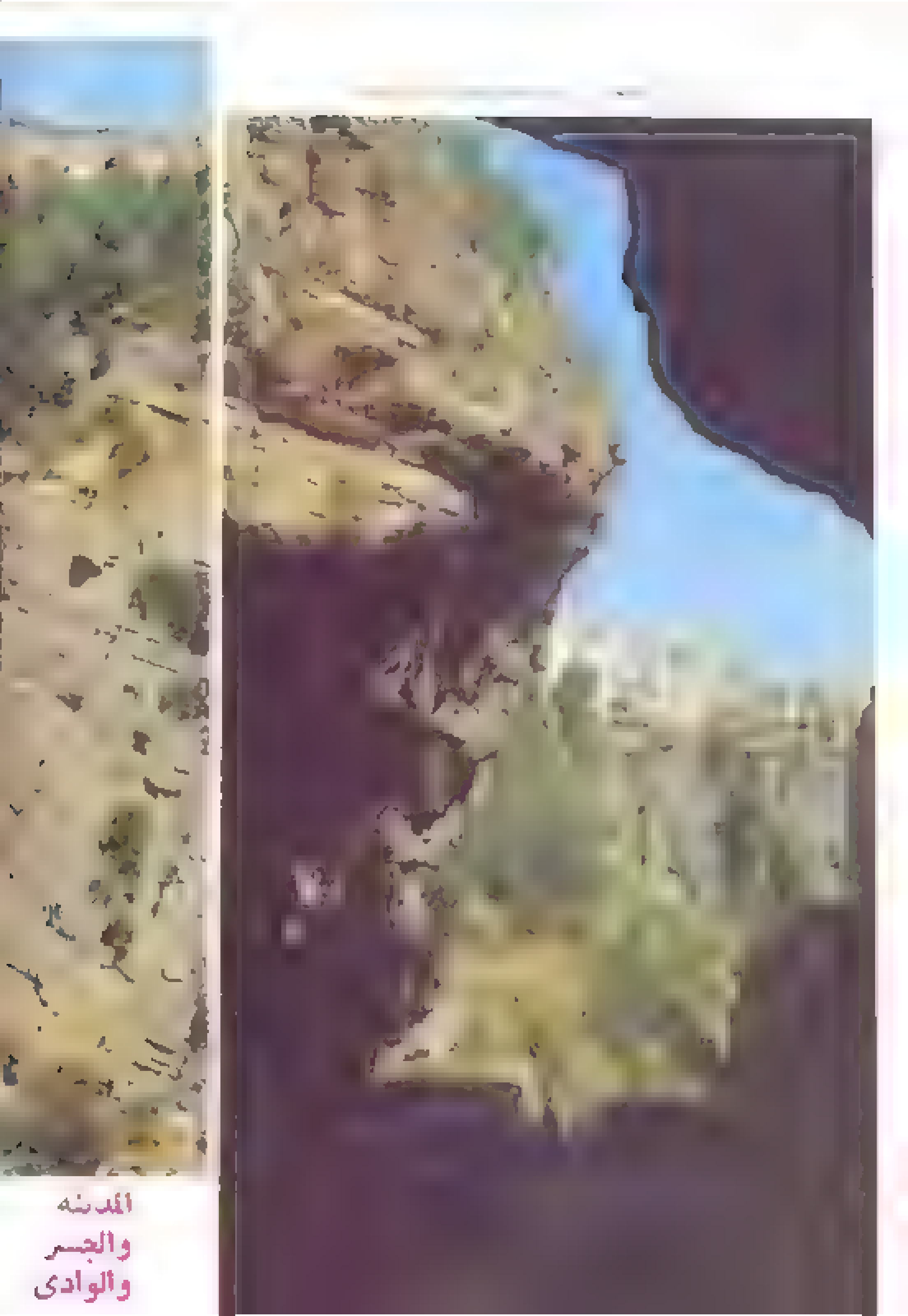
« وبينما كان قائدنا الكبير الكونت دامريمون ، ومعه الجنرال بيريجو يتهيآن للهجوم أصيب الأول برصاصة صرعته فى الحال .. وبجواره سقط زميله برصاصة أصابته بين عينيه .

« وتولى الجنرال فاليه القيادة فهجم على رأس الجيش من الممر الذى فتحته المدفعية .. ولكن النار الحامية التى أصلاه بها أهل المدينة أوقفت تقدمه . وسقط الدوق ميمور قتيلا ومعه القادة : سيرس ، ولاموريسير ، وكومب ... وحدث ذعر بعد مشاهدة جنودنا لمصرع هذا العدد

صورة احمد باى مع بعض جنوده على ظهور جيادهم . لقد تمكن هذا الباى مع جنوده من دحر الفرنسيين وصدهم عن المدينة عندما هاجموها لأول مرة

الى اسفل [illegible] وكلها مصنوعة من [illegible] صالح باى [illegible] هذه الصور [illegible]





المدينه
والجسر
والوادى



الكبير من القادة ، والالوف من اخوانهم .. ولكن الاحتياطي الفرنسي سرعان ما اشترك في المعركة . ودخل المدينة ، وظل يحارب اهلها من شارع الى شارع ، ومن بيت الى بيت قبل ان يحتلها تماما .. » .

الحرب تقضي على السياحة

ان موقع قسنطينة الاستراتيجي كمحطة ثانية بعد القيروان للقادمين من الشرق الى الغرب جعلها مركزا للحركات الثورية والفكرية منذ عهد الفينيقيين حتى العهود الحديثة .

ان هذا الموقع الاستراتيجي قد جنى على قسنطينة جناية كبيرة ، اذ اضاع عليها اهميتها كمدينة سياحية من الطراز الاول .

ان كل شيء اسمه سياحة مضى منذ زمان في قسنطينة ، مع ان السياحة اصبحت صناعة القرن العشرين !

المغارة المنسية

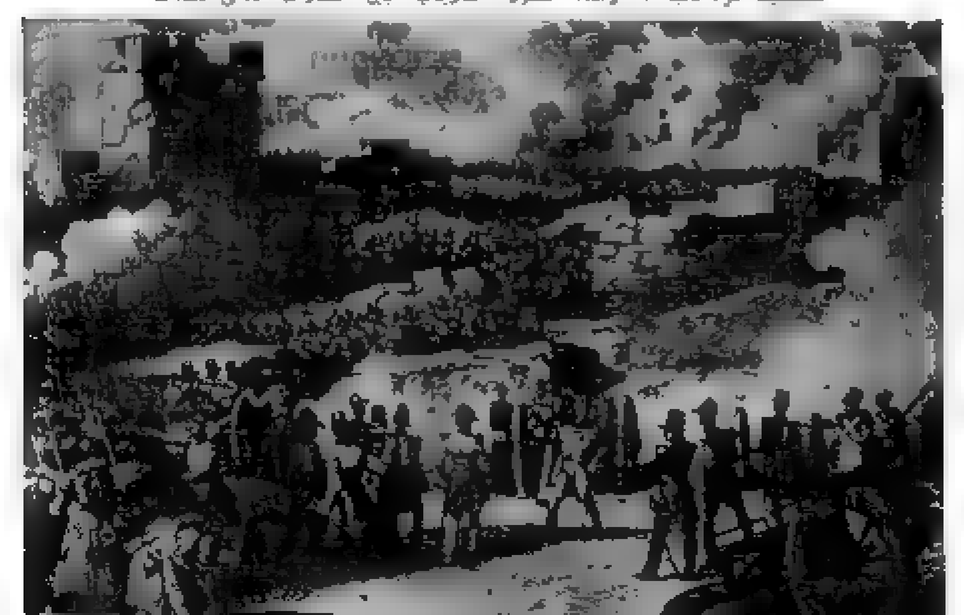
خذ مثلا : تحت ساحة الشهداء ، اي في قلب المدينة ، تقبع مغارة تنافس مغارة جعيتا في لبنان من حيث الجمال ، كان السائحون يدخلون اليها حتى عام ١٩٢٩ من خلف فندق باريس ، مقابل رسم قدره ٥٠ فرنكا .. كانوا يسيرون على ضوء الشموع فيقطعون الرواسب الكلسية ويصطادون السمك الاعمى الذي يشع مضيئا من مائها البارد .. واردنا مشاهدة هذه المغارة .. فتوجهنا الى فندق باريس ، نسأل صاحبه عن مدخل المغارة .. فتعجب من سؤالنا لأنه لا يعلم شيئا عن هذه المغارة .. واتضح لنا ان صاحب الفندق الحالي ، وهو من ابناء الجزائر ، قد ابتاع الفندق من صاحبه الفرنسي ، وبسؤال بعض المعمرين عرفنا ان مدخل المغارة يكمن تحت مصعد الفندق ..

ونزلنا ٨٠ درجة سلم تحت الارض .. لنجد في نهايتها بابا من الاسمنت المسلح يسد مدخل المغارة الجميلة ، ويمنع الدخول اليها .. واخذنا على عاتقنا مهمة كسر هذا الجدار واصلاحه ، ولكن صاحب الفندق لا يريد متاعب .. فتركناه ونحن نتحسر على هذا النسيان الذي يحيط بهذه المغارة الرائعة .. التي نأمل ان تفتح ابوابها في القريب العاجل لاهميتها السياحية ..

وادي الرمال الأسطوري

وتركنا المغارة المغلقة المنسية واتجهنا الى

الى اسفل : بعد ان اندحرت القوات الفرنسية في هجومها الاول على قسنطينة وهزمت [illegible] جيشا كبيرا مزودا باحدث العتاد لتهاجم به قسنطينة مرة ثانية .. وهذه الصورة التاريخية تبين حصارهم [illegible] للمدينة





تتجه المياه بعد خروجها من وادي الرمال الى الاراضي الزراعية المحيطة بالمدينة
تدريجيا ... ان أهالي قسنطينة كانوا دوما ولعدة قرون يعيشون محصول أرضهم الطيبة

« الطريق السياحي » الذي هو عصب الحياة السياحية في قسنطينة .. وكم كانت خيبتنا كبيرة عندما قالوا لنا انه مغلق ممنوع المرور فيه !! لقد قرأنا ان الذي يزور قسنطينة ولا يسير في الطريق السياحي فكأنه لم يزر المدينة !

انه طريق يقع في بطن وادي الرمال الاسطوري ، الذي هو شرخ بركاني هائل يفصل بين صفتي الصخرة .. ان عمق هذا الوادي مثل عرضه ، اي نحو ١٥٠ مترا . وهو يلتف ويحيط بالواجهة الشرقية للمدينة لمسافة طولها ١٥٠٠ متر ، ومنه يمكنك ان تشهد اجمل المناظر للمدينة القابعة فوقك على رأس الصخرة ..

طريق السياحة .. يصبح طريق المخاطر !

وازاء الحاحنا بضرورة سيرنا في هذا الطريق ، اجابونا : « انما على مسئوليتكم تسيرون ، فقد تنهار بعض اجزائه عليكم ، او تقع عليكم بعض الاحجار الكبيرة!! ولا تنسوا خطر الثعابين التي ربما تكون قد عادت للعيش في هذا الوادي .. ان آخر ثعبان تم اصطياده كان من نوع البيثون Python الضخم الكبير .. » .

ويبدأ الطريق سهلا عند مدخله قرب جسر الشيطان . انه طريق ضيق لا يزيد عرضه عن المتر الواحد صنعته يد الانسان من الاسمنت المسلح عام ١٩٠٧ لسير عليه ، فتجده صالحا في أوله لا عيب فيه ، وبعد ذلك تبدأ الاعشاب الطويلة التي تنبت كالاشجار لعدم العناية بها ، تظهر وكأنها تحاول ان تثنيك عن متابعة طريقك وفجأة يندفع امامك من وسط الصخور سرب من الحمام الوحشي يطير عاليا وهو يطلق اصواته منزعجا ..



المرأة في قسنطينة ما زالت محافظة على تقاليدها ، وجهها ممسك بردها المكون من السحار والقطيفة ، في المدخل والملاءة

من هم السعداء ؟

وتابعنا سيرنا وسط جو غريب .. لقد أصبحنا على عمق ١٥٠ مترا ، والمدينة تبدو من فوقنا بمنازلها التي تتلالأ بفانوراتها ونوافذها من خلال أنابيب مفتوحة الى قاع الوادي .. ان السعيد من أبناء قسنطينة هو الذي يملك منزلا يطل على الوادي ، فهذا يوفر عليه مهمة ايصال أنابيب المجاري .

القيصر .. والباي ... والضفادع

وفي أسفل الوادي تقع حمامات القيصر ... انها حمامات مياه معدنية .. كان ينزل اليها قيصر روما للعلاج ، ثم جددت ، واستعملها صلاح باي ، وبعده أصبح المنبع ينزل اليها للاستحمام ، أما اليوم ، فان العشب الأخضر قد غطاها ، وأصبحت الضفادع تقفز منها واليها وهي تطلق أصواتها مطربة رصيفاتها !

ويخيل اليك وأنت تسير في هذا الطريق أن أشباح الناس ما زالت تعيش هناك ، ضحايا الجسور التي بناها الرومان في القرن الثاني ما زالت على هذا الوادي ما زالت قائمة تروي قصص مجد انطوى .

النهر يصبح خيطا !

وقديما كان يمر من هذا الوادي نهر كبير ، أشار اليه البكري المؤرخ في القرن الحادي عشر ، ووصف السفن التي تعبره .. أما اليوم ، فقد أقاموا سدا عند مدخل الوادي ليحجز الماء ، وحفروا نفقا داخل الصخرة بأسفل الدهشة حولوا اليه الماء الذي يخرج من عند نهاية الوادي فيدير مولدات محطة الكهرباء التي كانت تعطي ١٫٢٠٠٫٠٠٠ كيلوات ساعة .. وهكذا لم يعد يمر في بطن الوادي المكشوف سوى خيط من الماء رفيع ، هو ما يغطي العيون القليلة التي تنبع منه ، وماء النفايات التي تلقى فيه !؟

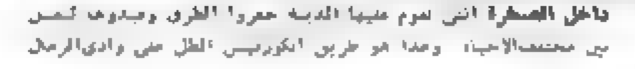
صخرة الموت

وبعد مرورنا تحت جسر الشلالات توقفنا أمام صخرة هائلة ، يطلقون عليها اسم « كاف شكارة » ، انها أكثر صخور الوادي تحملا بالذكريات المؤلمة .. فهي ترتفع ٢٠٠ متر عموديا ، وهذا جعلها أصلح مكان استعمله الرومان ثم البايات الأتراك لالقاء الضحايا المغضوب عليهم منها الى الهوة السحيقة التي حولها ..

الى اليسار : أصل الطلبة من النسبة بعد الاستقلال أملا هائلا . وكان ضروريا للوطن العربي ... في تدريب الشباب الجزائري على أجداده مهن جديدة عليه ، مثل الطبع على الآلة الكاتبة للفتيات ، وتعلم الصناعة والنجارة وفن البناء للشبان . وقد صحبت الحكومة المعاهد الخاصة لهذا الغرض حيث تدرب الشباب على هذه المهن .. ومما يذكر أن نسبة الطلبة ٦٣٪ ونسبة الفتيات ٣٧٪ فقط







داخل الصخرة التي تقوم عليها المدينة حفروا الطرق وجددوها لتصل بين مختلف الأحياء. وهذا هو طريق الكورنيش المطل على وادي الرمال

عند مخرج وادي الرمال تندفع ارتفاع ٨ مترا مكونة

وما زال أهل قسنطينة يرددون القصص التي تقرب من الخيال ، عن الباي احمد الذي ألقى من فوق هذه الصخرة بالعديد من الضحايا ، واغلبهم كانوا من نسائه .

معنى « كاف شيكاره »

ان كلمة « كاف » تعني الصخرة والهوة ، و « شيكارة » تعني الكيس .. أي صخرة الكيس . أو هوة الكيس .

وتعود هذه التسمية الى ان احمد باي احب فتاة قبل ان يتولى الحكم ، ولكنها لم تستجب لحبه ، فالتفت للأمر ، واستمرت في صده حتى بعد أن اصبح بايا ، فاتى بها الى هذه الصخرة ، وهددها بالموت ان لم تستجب لحبه ، فصممت على الرفض ، فما كان منه الا ان دفعها الى الوادي السحيق لتموت منتحرة ، ولكن معطفها الخفيف علق بالصخرة فكان سببا في نجاتها !!

وحتى لا تتكرر هذه « المأساة » مع غيرها امر احمد باي بوضع الضحية داخل كيس « شيكارة » ومعها القطط قبل ان يلقي بها من فوق صخرة الموت ..

طريق اللاعودة

وبجانب « كاف شيكارة » يمتد الجسر المعلق ، الذي وصل بين حي سيدي مسيد والقصبة ، وفي نفس الوقت لوصل بعض الناس الى طريق الآخرة ! فمن فوق هذا الجسر المعلق يحلو لبعض « هواة الانتحار » — من ٦ الى ١٥ كل عام — ان يلقوا بانفسهم من فوق الجسر الى طريق اللاعودة؟!

وتنتهي جولتنا على الطريق السياحي عند الشلالات ، ان وادي الرمال بعد ان يلتف حول المدينة يتابع مجراه هنا ، ويندفع في منخفض عميق يمتليء بالماء في موسم الأمطار عند ذوبان الثلوج .

ونخرج من هذا الطريق السياحي ونحن نتساءل: لماذا اغلقوه منذ عام ١٩٥٤ ؟



فيلان متناصان لتمثال ورافعه .. انه الرمز الموجود على حجر المطرة بدار سيدة صلاح باي بمتحف الآثار الرومانية عام١٩٦٢





المياه تتساقط من شلالات سيدي مسيد

واتجهنا الى المصعد بجوار الشلالات ، لنصعد به الى المدينة .. ولكن المصعد معطل ، فاضطررنا لصعود ٨٠٠ درجة سلم ، حتى نصل الى قمة الجبل التى ترتفع ١٥٦ مترا عن ارض الوادى .

مشاريع اكثر استعجالا

ونعاود سؤالنا : لماذا لم يتم اصلاح هذا الطريق الحيوى؟ ولماذا لا يصلح المصعد الكهربائي؟ ولماذا لا تفتح المغارة ؟

فيأتى الرد : لقد خصصنا ٦٠٠ الف دينار جزائرى (٧٧،١٢ دينارا جزائريا = جنيها استرلينيا) لاصلاح هذا الطريق ، واعتمدنا المبلغ .. ولكنه تحول الى اغراض اخرى صرف فيها ..

ونتساءل : وهل هى « اغراض » اهم من هذه الاصلاحات ؟

فيجيئنا الرد : ان هناك مشاريع اكثر استعجالا من هذا الطريق .. علينا ان نتجنب المجاعة فى المدينة .. ونضمن المحصول الزراعى .. كان المعمرون الفرنسيون يملكون عشرات الالوف من هكتارات الاراضى الزراعية المحيطة بقسنطينة ، تركوا بعضها وخربوا ، وانتزع الباقى منهم ليعمل فيه ابن الشعب الذى كان محروما لا يملك شبرا من ارضه .. والمؤسسات الصناعية والتجارية والزراعية اوقفها اصحابها الاوروبيون بعد ان اماتوا الماشية ، وحطموا الآلات .. مما ادى الى شبه اختناق اقتصادى .. واجهه العاملون بعزيمة الرجل الحر ، الذى ايقن – لاول مرة – ان الارض التى يسقيها اليوم بعرقه ستعطى ثمارها له وحده فى الغد ..

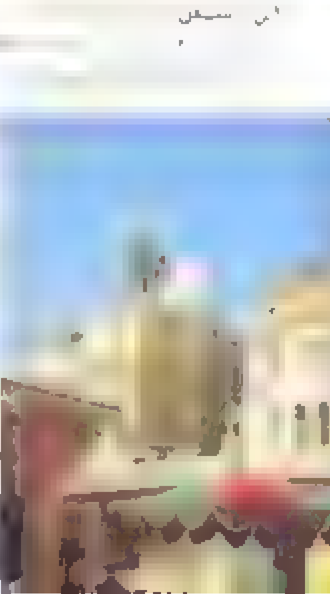
نصر هائل للثورة

ويتابع محدثنا كلامه بقوله «   » – وبعد هذا كان علينا ان نواجه المشكلة الكبرى ، وهى مشكلة المجاهدين .. لقد جاء منهم الى قسنطينة بعد انتهاء الثورة ١٠٠ الف رجل وامرأة وطفل تقريبا بينهم العديد من ارامل الشهداء ..





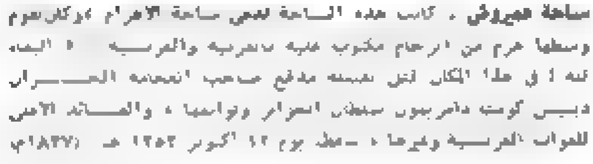






تعتبر المدن الجبلية مرهقة للمترجلين ولكن نظام الطرق في قسنطينة جعل منها مجموعة من درجات السلالم النزول منها لا يتعب ولا يرهق





ساحة عمروش . كانت هذه الساحة تدعى ساحة الأهرام ، وكان يقوم وسطها هرم من الرخام مكتوب عليه بالعربية والفرنسية « الحمد لله ! في هذا المكان قتل بقذيفة مدفع صاحب الفخامة الجنرال دنيس كومت دامريمون سلطان الجزائر ونواحيها ، والقائد الأعلى للقوات الفرنسية وغيرها ، سقط يوم ١٢ أكتوبر ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧م)

« ان هؤلاء المجاهدين أعطوا كل شيء من أجل انجاح الثورة ، لأجل هذا كان على الثورة أن تحتضن أبناءها الذين ضحوا بالنفيس في سبيلها .. فأصبحت تصرف لهم رواتب شهرية،وأصبحت لهم الأسبقية التامة في الوظائف الرئيسية التي توفرت فيهم الامكانيات.. وأجرينا دورات تدريبية للكثيرين منهم ليصبح المجاهد عنصرا منتجا وبناء لمجتمع الجزائر الجديد ، بعد أن كان صانعا للثورة الكبرى ..

« وقد حققت الجمهورية الجزائرية نصرا هائلا في هذا المضمار ، اذ لم يبق من المجاهدين سوى عدد بسيط جدا لم يتم توظيفه حتى الآن ..

معجزة ..

ويستطرد محدثنا فيقول

« ولا نزال فتحنا معهدا للأشغال يتمرن فيه، والأطفال المتشاغلين من مهنة مسح الأحذية لتضمهم في مؤسسات تعليمية يتعلمون فيها مهنة نافعة ، ويتثقفون حتى يضمنوا وظيفة في المستقبل الباسم ..

« وبعد هذا صادفتنا مشكلة الوظف ، فقد ترك الموظفون الأجانب العمل ، وهربوا ، ولكننا استطعنا رغم قلة خبرتنا ، أو انعدامها ، أن ندير عجلة العمل بشكل أسماه المراقبون الأجانب : معجزة .. لأن ادارة البنوك ، والبريد ، والسكة الحديد تتطلب خبرة وكفاءة خاصة لم تكن متوفرة لدينا .. ومع ذلك نجحنا فيما أرادوا لنا أن نفشل فيه . »

المنجل والآلة

وفي الثامنة من صباح كل يوم ترتفع أصوات



الذين يسيرون على أقدامهم
كثيرا من هذا الإرهاق وترى
سيدة تحاول أصبح الصعود أو
هذا



أوشكت المفاوضات التي تجري حاليا في باريس بين الحكومتين الجزائرية والفرنسية على الانتهاء من وضع صيغة اتفاق لتكملة بناء العمارات الكبيرة التي تركها الفرنسيون دون استكمال في مختلف أنحاء الجزائر، وخاصة في قسنطينة، التي تمتلئ بالعمارات الكبيرة التي من هذا النوع، كما ترى في الصورة.

موسيقى صاخبة من سطح مقهى البلدية تغمر السائحين والسائحات ..

ولكن ابن البلد لا يهتم بها .. فهي في ذات موضوع بالنسبة له ..

أما المرأة الجزائرية فقد تحررت في المدن التي على الشواطىء، أما مدن الداخل، مثل قسنطينة فما زالت المرأة ترتدي الحجاب والملحفة، أي المنديل والملاية .. وإن كانت الحملة لتحريرها ومساواتها بالرجال قائمة على قدم وساق ..

أجنحة النسر تمتد

إن قسطنطين الأكبر أو بايات الأتراك لو بعثوا من قبورهم اليوم لما تعرفوا على قسنطينة التي كانت في عهدهم ! ..

إن عش النسر قد امتدت أجنحته وتشعبت في كل اتجاه .. فالكباري والجسور التي أقيمت على وادي الرمال وصلت بين المنطقة الشرقية والغربية فظهر حي المنصورة الأنيق الذي تحيط به أشجار الصنوبر .. وحي لامي، وحي سيدي مسيد، وسيدي مبروك ..

والمدينة القديمة فتحت فيها طرق جديدة غيرت معالمها حتى السور والبوابات القديمة أزيلت وأقيمت مكانها الساحات الواسعة ..

ومنطقة الكودية، أي الربوة المرتفعة، أقيمت عليها قسنطينة الحديثة، بعد أن أمر نابليون الثالث بقص الجبل لبناء مدينة فوقه، وقد استمر العمل في قصه من عام ١٨٩٦ حتى عام ١٩٣٠ . فظهر أحياء « الكودية » وسان جان، وسان أنطوان وبل فو Belle Vue

وفي الطرف الجنوبي يرتفع عدد ضخم من العمارات الهائلة التي تعتبر كل منها قرية بأكملها





فوق أعلى قمة في جبل سيدي مسيد ٧٨٥ متر أقاموا قوسا للنصر مصنوعا حسب تصميم قوس النصر في ساحة نجمة باريس وكتبوا عليه « تخليدا لذكرى أبناء قسنطينة الفرنسيين والمسلمين الذين سقطوا صرعى في ميادين الشرف ، وميادين القتال للدفاع عن أوطان المتحضرين »

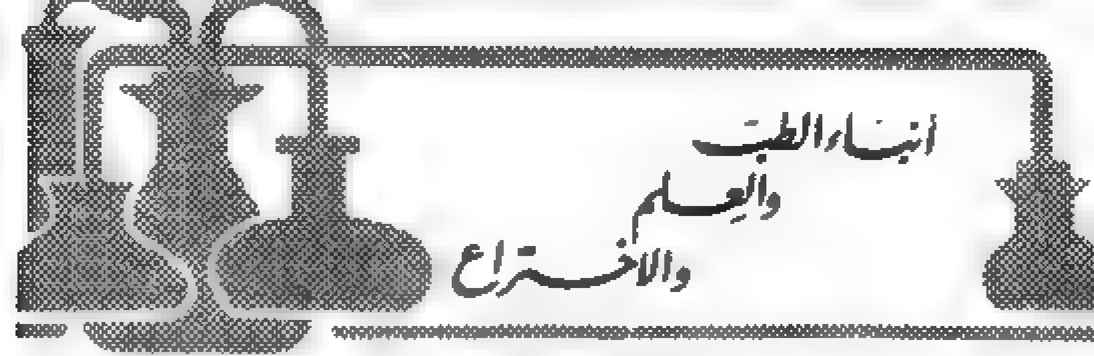
.. انها عمارات مشروع قسنطينة الفرنسي الذي جاء متأخرا عن موعده ، فقد كان يهدف الى تهدئة المواطنين الجزائريين واعطائهم بعض الحقـوق .. ولكن الثورة لم ترض بأنصاف الحلول ، فتوقـف العمل بهذه العمارات الهائلة التي تدور المفاوضات الآن بين الجزائر وفرنسا من اجل استكمال بنائها.

عيد النور

ان « عش النسر » لم يعد عشا ، بل اصبح مدينة كبيرة واسعة .. ورغم هذا التقدم ما زال الآباء يروون لأبنائهم قصص النسور التي جاءت الى قسنطينة لتلتهم جثث الضحايا .. لقـد اختارت هذه النسور صخرة « سيدي مسيد » مكانا مختارا لها .. وسيدي مسيد هذا كان رجلا تقيا تدور حوله الأساطير التي تقول انه لم يمت بل تحول الى نسر ! وهذا ما دفع بعض الأهالي الى اقامة « عيد النسور » في أول سبتمبر من كل عام .. وفي هذا اليوم يأتي السياح من كل مكان لمشاهدة هذا الاجتماع الغريب عند قمة جبـل سيدي مسيد (٧٨٥ مترا فوق سطح البحر) وفيه يقوم الأهالي بتحضير (الزَرْدَة) فتذبح العجول والخراف ويطبخ الكسكسي .. ثم يبدأ الاحتفال عند الغروب فتدق الطبول ، ويعلـو الغناء ويبدأ في القاء اللحوم للنسور التي تخرج من مكامنها على شكل موجات سوداء تغطي غروب الشمس ، لتلتهم اللحوم التي تقذف اليها !

وقد الغي هذا الاحتفال منذ سنوات قليلة ، ولم نعد النسور تشاهد الا نادرا في سماء قسنطينة ، بعد ان توقفت المذابح وانعدمت الضحايا ... واصبحت قمة سيدي مسيد ، التي تصلح لبناء فندق سياحي عالمي ، مكانا لثكنة عسكرية يتدرب فيها الجنود الوطنيون على النفخ في البوق ، وعلى دق الطبول .. طبول الجهاد الأكبر في سبيل حياة افضل لأهل قسنطينة الأشاوس .. ■■

سليم زبال



تحاليل طبية من نوع غريب

● نعم ، انه غريب . او الاصح هو نمط ما لم يتعود الناس .

ولو انه في الطب ليس شيء بغريب .

غريب ان تأتي الام بولدها الى الطبيب ، والولد مريض ، فلا يقول لها سنحلل بوله ، او نحلل دمه ، او غير ذلك ، ولكن يقول لها بدلا من ذلك ، سوف نقص اظافر الولد ، اظافر يديه ، او رجليه ، ثم نرسلها للتحليل !



حدث هذا بسبب ظهور حقيقة تتصل بمرض وراثي غالبا ، يصيب الاطفال المراهقين والراشدين ، يعرف بالتليف الكيسي Cystic Pibrosis ، وهو يؤثر في الغدد التي تصب افرازها الى الخارج Exocrin ، ومنها الغدد المخاطية Mucous Glands فتسوء حالتها .

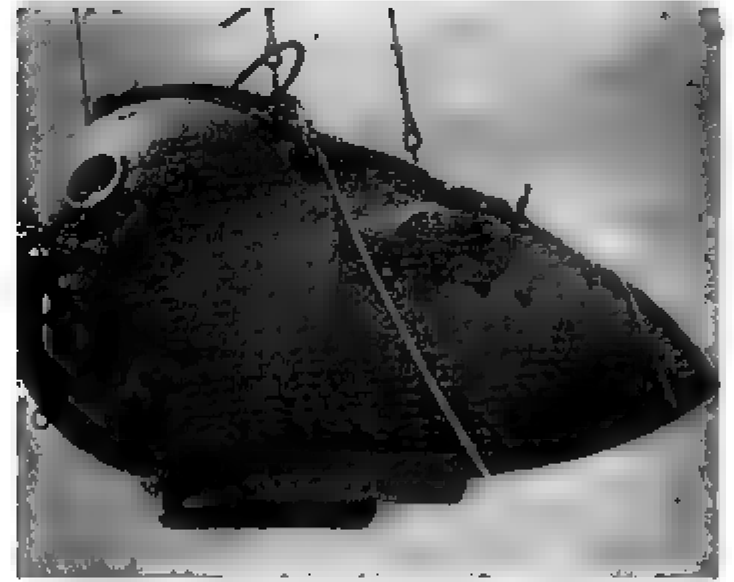
فقد وجدوا ان اظافر هؤلاء الاطفال يتجمع فيها من عنصر الصوديوم والبوتسيوم (مركبا بالطبع) فوق المقدار العادي .

وبحثوا ١٤٩ طفلا ، تحقق وجود هذا المرض فيهم ، ففحصوا مقدار الصوديوم والبوتسيوم الذي بأظافرهم ، فوجدوه عاليا في ١٤٧ طفلا .

واذن اصبح تحليل الاظافر ضروريا لتشخيص المرض عند الاشتباه فيه . وقد كانوا يحللون قبل ذلك العرق الذي يفرزه الجسم ، وكانت عملية شاقة .

وعملية العرق لا بد فيها من حضور المريض الى المستشفى . اما المريض الذي يشتبه فيه فترسل قصاصة اظافره من بلد الى بلد ، بالبريد .

وقد وصل الى بوسطن ، حيث يجري هذا الكشف ، عينات من قصاصات اظافر كثيرة من سائر مستشفيات الارض ، يطلبون فيها تحليلها لتأكيد المرض او نفيه .



سفائن غرقت في قديم الزمان، يكشف عنها اليوم

● غواصة يسكنها رجلان . صممت لتنزل الى قاع البحر تبحث عن سفن غرقت في بحور ايجة في الأزمنة الخوالي . سفن غارقة يكشف استخراجها من البحر عن كثير من وجوه الحياة التي كانت في تلك القرون . وبالغواصة محركان ، كل منهما قوته حصانان . يدوران في وضعهما الذي في الصورة فيسيران بالغواصة قدما بسرعة تبلغ نحو ٤ عقد (العقدة ٢٠٢٦ ياردة في الساعة) . ولكن في الاستطاعة ادارة هذين المحركين دورة كاملة . وجعلهما اذا اديرا زاوية قائمة ، وجعلها وجهتهما الى اعلى فصعدا بالغواصة الى سطح الماء . او ادارا فيه بالغواصة ، كما تدور المحركات بطائرة الهليكبتر في الهواء .

ناقلات البترول تصل الى ١٦٠٠٠٠ طن :

● منذ نحو عشرين عاما كانت كبريات شركات البترول العالمية تعتقد انها لن تحتاج الى سفن تنقل البترول ، حمولتها من حمولة السفن التي كانت لها عندئذ . وعندئذ كانت الناقلة التي تحمل ١٨٠٠٠ طن من الزيت تعد ناقلة كبيرة ، ثم بدا لهم ان قد ترتفع الحمولة الى ٣٠٠٠٠ طن .

ثم تغير كل شيء .

شركة او شركتان لم تقتنع بالذي كان من احجام . فلماذا هذا الوقوف عند هذه الاحجام !؟ وبدأت السفن تكبر ثم تكبر . والقدر الذي تطعمه السفينة الجديدة لا يلبث ان ينسى ، وتتحول الشركات الى حمولات من السفن اكبر .

الناقلة ذات الـ ٣٠٠٠٠ طن التي كانت املا ، بنيت ، وجربت ، ونجحت ، وجرى كل هذا في غاية السهولة .

ثم كانت الناقلة ذات الـ ٥٠٠٠٠ طن .

ومن مدة عشر سنوات كان الحديث يجري على ناقلة تحمل ٨٠٠٠٠ طن . ولكن لم يمض من هذه العشر غير خمس سنوات حتى كانت رسومات ناقلة تحمل ١٠٠٠٠٠ طن قد تمت . ولم يمض وقت طويل حتى كانت هذه السفينة شيئا حقيقيا يسبح في البحر بحمولته تلك .

والآن اعلنت « شل » انها طلبت صنع اربع ناقلات للبترول ، كل منها يحمل ١٦٠٠٠٠ طن .

والى من عهد بهذا البناء ؟

فازت بهذا العطاء : اليابان ، والمانيا الغربية !

كهف سكنه الانسان منذ ٢٠٠٠٠ عام

● انه كهف كشف عنه الحجارون وهم يشقون في محجر على بعد ٦٠ ميلا من لشبونة عاصمة البرتغال .

وفحصه علماء الآثار فوجدوا على جدرانه الصخرية صورا من ابدع ما خلف الانسان الذي عاش في العصر الحجري القديم المعروف بالباليوليثي Paleolithic وقدروا عمر هذا الكهف موقع بين ١٠٠٠٠ و ٢٠٠٠٠ عام مضت، ولكنه أقرب الى العشرين الفا .

وتحتوي الصور على صورة طبيب ساحر Witch Doctor وصور حيوانات شتى، وكان بينها صور لمواشٍ استخدم العلماء شكل قرونها فيما استخدموا لتقدير عمر الكهف .

وفي رأيهم أن الكهف كان في اول امره مقاما مقدسا ، ثم تحول الى مقبرة لموتاهم .

الصلع ، هل وجدوا له علاجا ؟

● انه الهرمون الذكري ، هرمون الرجال ، صنعوا منه محلولا معتدل التخفيف ، وعالجوا به رءوس صلعاء ، كانت واحدا وعشرين رأسا .

تحدث ان ثلاثة او اربعة رءوس منها نبت فيها الشعر . انه لم ينبت بانتظام، ولكنه نبت على كل حال، ونشر الباحثان وهما من بنسلفانيا ، هذا البحث مفصلا في جريدة الرابطة الطبية الامريكية .

ويحذر الباحثان القراء من ان يظنوا انهما وجدا علاجا للصلع . وذلك لأسباب منها أن هذا الهرمون ، واسمه التستوستيرون Testosterone ، او اسرون الخصية ، من المواد القوية المفعول .

وهو اذا استخدم وطال استخدامه في الناس دون رقابة شديدة كان له نتائج جانبية سيئة ، لا سيما والطب يعرفه.

كل الذي يأمله الباحثان من بحثهما ، ان يكونا قد فتحا الطريق ، بهذا الهرمون وتركيبه الكيماوي ، للاهتداء الى عقاقير كيماوية اخرى ، تركيبها شبيه بهذا ، لا يكون من استخدامها المتطاول ما يضر بتفاعلات الجسم الفسيولوجية الداخلية.

ويقول الطبيبان ان الوقاية لا تزال خيرا من العلاج. وان الاهتداء الى طريقة تمنع الصلع ان يكون ، اولى واسهل من طريقة تبتدع لعلاج الصلع بعد ان يستفحل .

العمى ، كلفته على الدولة كبيرة

● والدولة هنا هي أكبر الدول،وهي اغنى الدول . انها الولايات المتحدة وقد صدر فيها تقرير طوى حديثا يدل على ما فيها من قصور عن الوفاء بشئون العمى كثير والذي يقرأ ما يتضمنه يستطيع بالمقارنة ان يقدر النقص الاكبر الذي في غيرها .

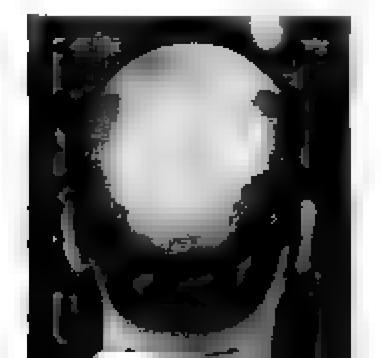
وقد دل التقرير ان بالولايات ٣٠٠٠٠ شخص يصيبهم العمى كل عام .

وبالولايات ٩ ملايين من الاشخاص لهم اعين ساءت وظائفها .

ثم مليون شخص ، لهم اعين ، نعم ، ولكنها لا تكاد تعمل ، فهم في حكم الاعماء .

وتطرق التقرير الى كلفة الاعماء في الولايات على الدولة ، من تأهيل ، الى سائر الخدمات . وهي تقدر بنحو الف مليون دولار .

ان تقدم العلم في العالم ، والعلم





ولكن الى اليوم لا يزال السبب أو الأسباب التي تعمل على أحداث هـذا السادة ، لا تزال مجهولة . والتقرير ينتقد طب العين في الولايات ، وهو ينتقد وضعه العام في المستشفيات والجامعات ، ويقول انه لا يزال يعتبر قسما من أقسام الجراحة .

والتقرير يطلب له الاستقلال ، فالاستقلال يعطي الشخصية ويعطي الحافز ، ويعطي النجاح .

والمال الذى تحتاجه البحوث ؟

هذه البحوث التى تحتاج الى ٢٨ مليون دولار كل عام ، تستمر اعواما ، تنتج النتائج الباهرة .

والذين يقراون هذا التقرير ، من غير اهل الولايات ، لا بد يغتبطون . فالعلم من حيث هو علم ، لا جنسية له . ونتائج هذه البحوث ، لا يحرز جنس على احتباسها من جنس آخر ، او لـون آخر ، أو دين آخر . وهذا من بعض سجايا العلم التى قصرت مناح اخرى من مناشط الحياة من بلوغها .

ابصري كذلك ، كان كبيرا . ولكنه لا يزال بعيدا عن الغاية .

مثال ذلك اظلام العدسة ، او سادة العين أو الكتركتا كما يقول المختصون .

فهذا المرض عنى الانسان بعلاجه منذ زمان بعيد . في الهند ، قبل الميلاد بنحو ٦٠٠ عام ، قام سسروتا بعلاجه بعملية اسماها المس Touching ، هي في الواقع النزول بالسادة الى تحت حتى تهبط عن خط البصر .

وفي عام ١٧٤٧ ابتدعوا طريقة انتزاع السادة .

ومن احدث العمليات تثليجها حتى لا تنشق كبسول العدسة .

الى عمليات حديثة ناجحة اخرى .

ولكن . .

واخيرا ، قانون اصـدرته المملكة الاردنية الهاشمية ، يمنـع النبش عـن الآثار ، الا للمتخصصين . .

● ليس من احد لم يسمع عن تلك المخطوطات الاثرية ، تلك اللفائف التى اكتشفها اول مكتشف شاب بدوى في عام ١٩٤٧ . انها رفعت الستار عن حقيقة من الدهر مجهولة ، تمتد نحو قرنين او ثلاثة من الزمان ، وقعت بين آخر ما كتب من العهد القديم ، واول ما كتب من العهد الجديد ، قبل نحو الفين من الاعوام .

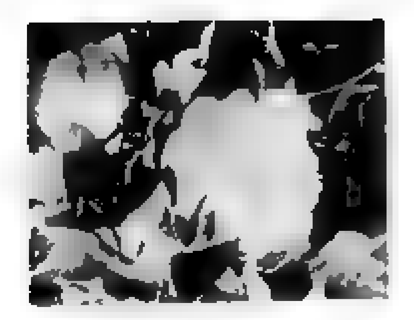
انه منذ هذا الكشف ، ارتفعت اثمان هذه المخطوطات ، فنشأت جماعه من البدو ماهرة ، تسلقت الروابى ، ودخلت الى الكهوف التى لم يكن يستطيع غيرهم ان يدخل اليها ، وجمعوا فيما جمعوا ، جرو اغنام ، واقمشة من التيل ، وصحائف مكتوبة من صنوف شتى . وهكذا علماء الآثار في ذلك ، لعلمهم بالصحراء ، ولركوبهم الخيل احيانا ، والجمال احيانا . وسبقوا هؤلاء العلماء الى اثرى المواقع بهذه الآثار سبقا خطيرا .

لهذا اصدرت الحكومة الاردنية أمرا بوقف البحث الا باذن منها . فهكذا أعلن الدكتور الدجاني بوشنطن ، وهو مدير الآثار بالمملكة الاردنية . أعلن ذلك عند

افتتاحه في مؤسسة سمث سن Smithsonian Institution معرضاً تضمن ١٤ صحيفة مكونة من ملك الملوك، وكذلك ٣٠ قطعة من الآلات الحجرية التي كان يستخدمها الانسان في تلك الأزمان.

ويريد يقول ان العلماء، منذ عام ١٩٤٧، اكبوا على دراسة هذه المخطوطات، وضموا مراقعها بعضاً الى بعض، وقرأوا ماوجدوا بها من مزامير واشعار، ومنها سفر ايوب. وزادوا بذلك فهما للانجيل، ما سبق عصره.

واسمى هؤلاء العلماء كما يقولون ان ان الذي وجدوه، لم يغير الأسس التي قامت عليها المسيحية، ولكنه اعان كثيراً على فهمها.



الطقس، عندما يصادق وعندما يخاصم

● تدل الاحصاءات في امريكا، على ان محصول القطن، في عام ١٩٦٤، زاد بنحو ٢٣٪ على محصول العام الماضي. ويقدر لهذا المحصول هذا العام أن يصل الى ٥٫٧ مليون بالة. وقد بلغ في العام الماضي ٤٫٧ مليون بالة فقط.

والسبب؟ الطقس. جادت السماء بأمطارها.

عمر مجرتنا، درب التبانة

● نعم انها مجرتنا، وهي احدى مئات الملايين من المجرات المنتشرة المتباعدة في هذا الكون.

وهي مجرتنا لأن بها شمسنا، وبها أرضنا، وبها الكواكب التي تدور حول الشمس. والشمس بكواكبها تقع في مكان فيها، لا هو متوسط، ولا هو متطرف.

ومع الشمس، في هذه المجرة، ملايين من الشموس... من النجوم.

وهي هي التي نراها ليلاً، والسماء صحو، كالازار المنثور على صفحة السماء، تدور عليها كالحزام، يحزمها حزماً. ومن اجل هذا سموها درب التبانة. لأن الذين يحملون التبن، يسقط الكثير من تبنهم، وهم يسيرون في دربهم، فينتشر فيه انتشاراً.

وكذلك تنتثر النجوم، نجوم مجرتنا في السماء.

وقد كانوا قدروا عمر هذه المجرة، وهو من عمر الكون. وكلما زادوا بحثاً، وزادوا في علم الفلك علماً، تبينوا أن العمر الذي قدروه أقل مما وجب.

وعمر المجرة هذه قدّروه اليوم فكان نحواً من ٢٠ بليون عام. نحواً من ٢٠ الف مليون عام!





بقلم : عبد الله زكريا الانصاري

■ جاءت على مَهَلٍ تُداعبني ... وتثير في كوامن الشجن

وتعيد لي ذكرى إذا خطرت ... كانت كمثل الحلم في الوسن

ذكرى صحوتُ بها ولم أرها ... فكأنها كانت ولم تكن

ذكرى إذا خطرتْ عرفت بها ... أطيافها أبدا تؤرقني

وتُثير في نفسي كوامنها ... صورا من الماضي تعذبني

أيام كان القلب في دَعَةٍ ... لم تعترهْ شيء من الوهن

جاءت على مهل لتشغلني ... وترق طورا وتحرسني

وتروح في الماضي منقبة ... فتجيء في مهل تذكرني

ثم انثنت تشدو وما فتئت ... في الشعر تشجيني وتطربني

وتقول لي والقلب مضطرب ... « هل تمتلكَ العبدُ بائس »

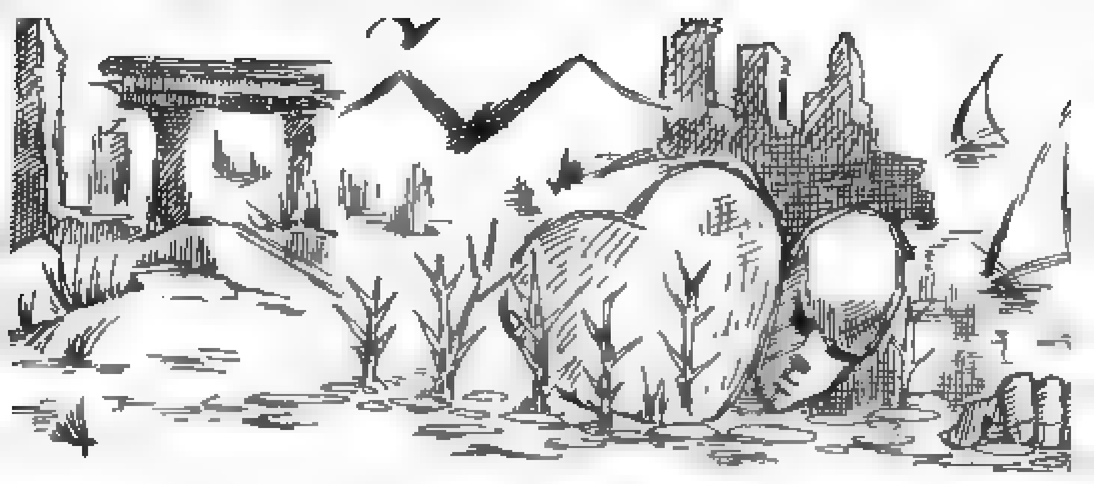
« أم شب قلبك ، والهوى تعب ... مبهوت بين الشك والإحن

أم أسكتك فلم تعد غرداً ... مِحَن الحياة وسَوْرة الشجن

أم صرت طيرا هائما قلقا ... من غير ما روض ولا فنن

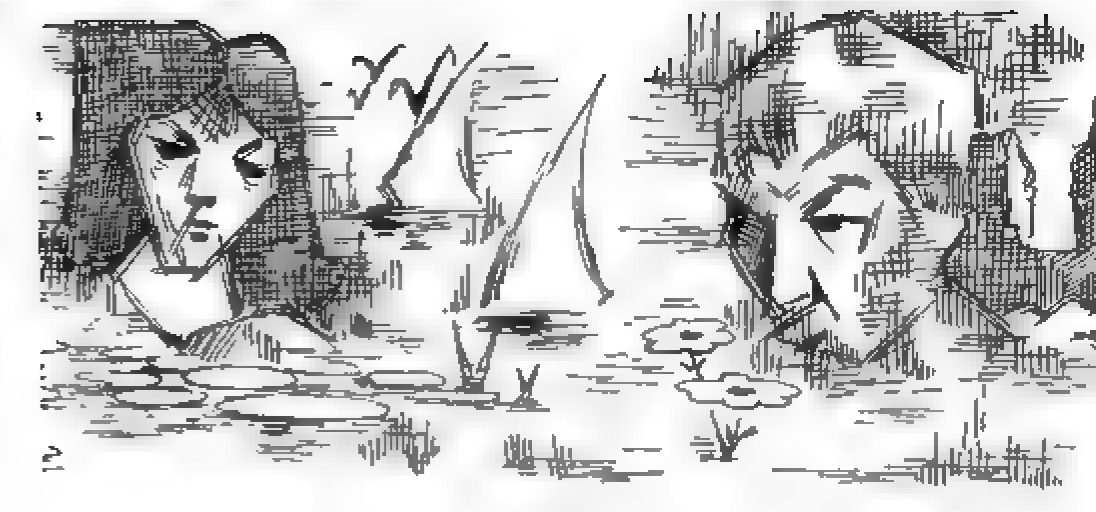
---

(١) جواب عن رسالة من صديق يسأله لماذا سكت عن الشعر ويستحثه على معاودته .



أم راعك الدهر المزون تُرى
فغدوت في تيه بلا زمن
وضربت بطن الأرض مبتا
ء لهفا على الأيام تُغفقها
ماللكثافة في مفاتنها ،
والنيلَ في مجراه منحدرا
والخالدات على شواطئه
تاريخها وحديثها أبدا
يمشي الفناءُ على جوانبها
أوَ ما تثيرك في حضارتها
دِمَنٌ وأطلال تصورها
حتى كأن السحر حولها
أو ما تثيرك في مفاتنها
شعراً منغمة مرددة
شعرا له الأموات لو سمعت
يُغري العذارى في تدلّلها
قد كنت مثل الطير تنشدنا
تشدو بشعر ملؤه نغم
ويهزُّ كل حلٍ مطربه
فأحببتها والنفس تائهة
وعرائس الإلهام هائمةٌ

فركبتَ حدَّ المركب الخشنِ
وغدوت في زمن بلا وطن
حيرانَ في سرٍّ وفي علنِ
مكأنها شيء بلا ثمن ،
في أرضها ، في وجهها الحسن
هبة الحياة وواهب المِنَنِ
تروي أحاديثا عن الزمن
ملءُ الحياة يطلُّ في الأذن
لكنه يمشي على وَهَنِ
، في هذه الأطلال ، في الدمَن
من معبد حيٍّ ومن وثن
حزنٌ ولكن ليس بالحزن
أولست في الإنشاد بالقمِن
أصداؤه في السهل والحزَن
أنغامه هبَّتْ من الكفن
فتبيه في أجسامها البُدْن
وتطير من غصن إلى غصن
يسري كما الصهباء في البدن
ويثير كل شجٍ وكلَّ صبي
والفكر فيها ليس يسعفني
في الحلم والأوهام ترجعني

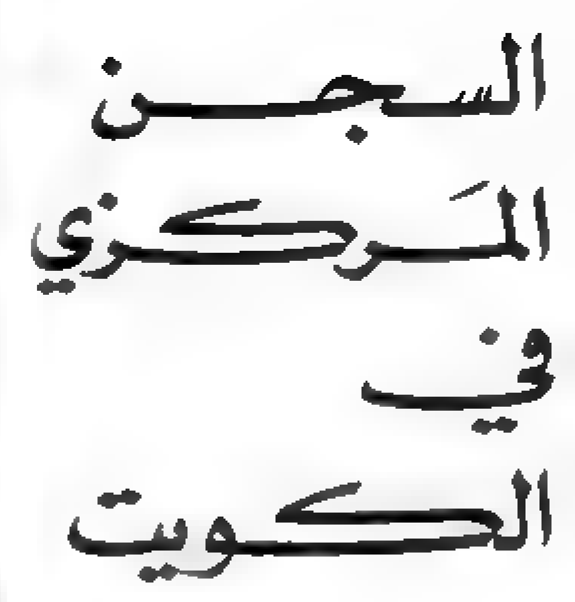


وتُطل أشباحٌ وأخيلةٌ ... من كَرّة الماضي فتحملني
ورؤًى تمر بخاطري تبعا ... ـ ما شاب قلبي لا ولم يهن ـ
لكن رأت الدهر مضطربا ... كالموج إذ تجري به سفني
فأشق فيها كل عاتية ... وأقودها والريح تلطمني
فتسير والأمواج صاخبةٌ ... وتكاد تودي بي وتغرقني
فأغصُّ لا قولٌ ولا كلِمٌ ... ويخونني شدوي ويهجرني
وأظل في صمت وفي قلق ... حتى كأن الصمت من سنني
فأحار والأفكار حائمةٌ ... لتشلني طورا وتجذبني
فيموت إنشادي على شفتي ... فتظني عِيًّا وتحسبني
أجترّ ما قد قيل من قِدَمٍ ... شعرا أردده فيُطربني
أشكو به الأحداث مصمتة ... وأبثُّه شجوي ليسمعني
حتى أتيت إليّ تسألني ... بعض الغناء ، وأنت تعذلني
وتقول لي قد كنت تنشدنا ... من غير ما كلَلٍ ولا وَهَن
أرسلت لي وبعثت أغنية ... جاءت إلى الإنشاد تلفتني
فتلقفت أرويها وأنشدها ... وغدت بقول الشعر تلفتني
ولديك ما جاش الفؤاد به ... أرسلته أصفى من المُزْن
والشعر نبع من مشاعرنا ... وصدى الفؤاد الخافق الفطِن
طورا يشح وتارة ثره ... يتهل مثل العارض الهتِن

عبد الله زكريا الأنصاري
سفارة دولة الكويت ـ القاهرة

السجن المركزي في الكويت





دهليز المراقبة ... ومنه تتفرع مباني الزنزانات ، والإدارة ، والمدرسة والمستشفى .. ويبلغ طول هذا الدهليز ١٥٠ مترا ..



منظر عام لسجن الرجال يحيط به سور من الخرسانة المسلحة ارتفاعه خمسة امتار ... والمبنى الظاهر خلف الاسوار هو مبنى حرس السجن

- **نريده** سجنا على احدث النظم واحسنها ...
- **نريده** مدرسة تؤهل السجناء وتجعلهم مواطنين عاملين شرفاء .
- **نريده** سجنا للتهذيب والاصلاح ، لا للتعذيب والقمع والارهاب ..
- **وبكلمة موجزة** ، لا نريده سجنا ، بل مؤسسة تعمل على تقويم الاعوجاج واصلاح النفوس .. »

هكذا قال الشيخ سعد العبد الله السالم ، وزير داخلية الكويت ، للمسئولين في وزارته في عام ١٩٥٩ بعد ان لمس حاجة الكويت الملحة الى سجن مركزي يحل مكان السجون المتفرقة الصغيرة التي انتشرت في البلاد منذ عام ١٩٥٥ عندما بدأت الكويت تعرف انواعا جديدة من الجرائم لم تكن تعرفها سابقا، وهي جرائم المخدرات ، والسرقات والقتل ، وفدت اليها مع الوافدين الكثيرين الذين جاءوا الى الكويت .

تشدد ... واعدام

ان ٨٥٪ في من هذه الجرائم يرتكبها غير الكويتيين و ٦٥ ٪ يرتكبها غير العرب!

وفي محاولة للحد من جرائم القتل تم تنفيذ اول حكم قضائي بالاعدام في الكويت في مطلع عام ١٩٦٤ .

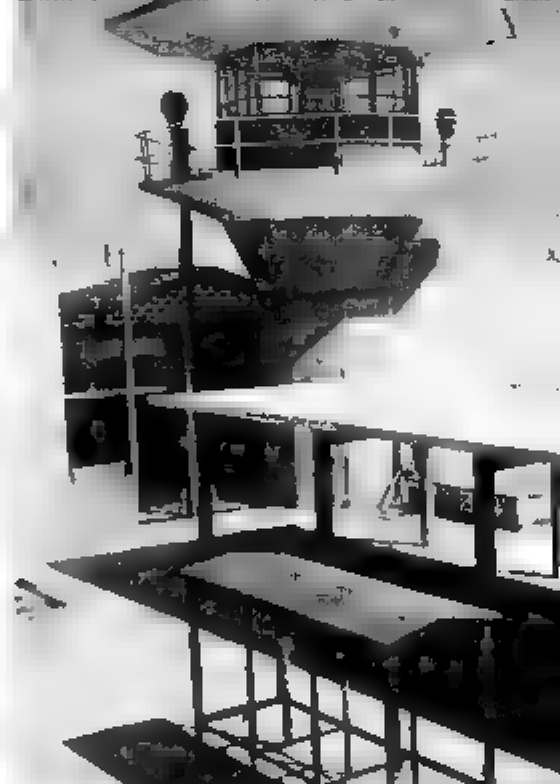
وسنت القوانين الجديدة، مثل قانون الجزاء الذي كان شيئا جديدا بالنسبة للكويتيين ، حيث ان احكامه تختلف عن الاحكام القديمة لانها اكثر دقة .

والى جانب التشدد في العقوبات ، للحد من موجة الاجرام ، كان المسئولون في وزارة الداخلية الكويتية يدرسون امكانية تطبيق النظريات وطرق العقاب المتبعة في البلدان الحديثة ، والاستفادة منها ، لبناء سجن الكويت المركزي الجديد .

ووجدوا ان النظريات المتبعة في



في السجن المركزي تسمع غرف للمتلجات ، سعتها جميعا سبعمائة وخمسون مترا مكعبا ..



برج مراقبة الزوار والمترددين على السجن ... ويستطيع الجالس في هذا البرج أن يتحكم بفتح باب السجن أو اغلاقه أوتوماتيكيا ...



قاعة المحاضرات والوعظ .. وتسع لمائة سجين .. ويمكن في نفس الوقت عرض الافلام السينمائية

هذه البلدان المتقدمة ليست نظريات حديثة ، بل نظريات تعود الى عهد الامبراطور جستنيان الروماني الذي كان أول من قال

السجن للتهذيب وليس للتعذيب .

ان جميع الاساليب المتبعة في أعمال التمدن أصبحت تعمل على تقويم اعوجاج المجرمين والمنحرفين ، لتعيدهم الى المجتمع الذي كفروا به كأعضاء عاملين منتجين ...

الأمم المتحدة تقترح ..

ولكي يأتي تصميم السجن الجديد على أكمل وجه ، استعانت حكومة الكويت بخبرة الأمم المتحدة ، فطلبت من هذه المؤسسة الدولية ان ترشح لها من لديهم خبرة عالية في تصميم السجون الحديثة ، وجاء الرد مرشحا شركة ليتشفيلد التي قامت بتصميم نحو ٥٠ سجنا في مختلف انحاء العالم .

ووافقت حكومة الكويت على هذا الترشيح ، فجاء ليتشفيلد نفسه مع مجموعة من مهندسي شركته ليدرسوا طبيعة ومناخ الكويت .

حذف .. وتعديل

وبعد انتهاء الدراسات والحصول على المعلومات اللازمة بدأ رسم تصاميم السجن وعرضها على المسئولين في الكويت للحصول على موافقتهم .. وكانت هذه



قاعة الطعام بسجن الرجال وتتسع لجلوس ٢٠٠ سجين .. ويلاحظ ان الكراسي والموائد كلها مصنوعة من الحديد المرابط الذي لا يمكن انتزاعه او تحريكه ..

فترة طويلة صعبة .. فالرسوم والتصاميم اعيدت الى امريكا عدة مرات هدفها تعديلات وحذف جوهري لكل ما من شأنه ان يفتح باب التبذير او البذخ في بناء هذا السجن .

ان المطلوب ان يكون سجنا على الطراز الحديث ، لا صالونا للراحة والكسل !

وفي نفس الوقت ابدى المستشارون العالميون وجهات نظر اخرى تقبّل المسئولون الكويتيون بعضها بالترحيب والموافقة ، ورفضوا بعضها .. واضاعوا غيرها ..

قطعة من لهب ...

قال مستشارو التصاميم :

ـ ان بناء السجن يختلف عن اي بناء آخر .. فالسجن مصمم ليبقى لمدة طويلة ، قد تمتد الى اكثر من مائة سنة دون ان يدخل عليه اي تعديل جوهري .. ومنعا لهروب المساجين عن طريق كسر الحائط تبنى الحوائط بالاسمنت المسلح والحديد .. والمنطقة التي اختيرت لبناء سجن الكويت تقع وسط الصحراء على بعد ٢٢ كيلومترا من قلب العاصمة ... فاذا اضفنا هذه العوامل الى درجة الحرارة التي تصل الى ٥٠ درجة مئوية في الصيف، لوجدنا ان السجن سيتحول الى قطعة من لهب .. لهذا نقترح ان يكون السجن مكيف الهواء .. ان هذا ـ في رأينا ـ ليس تبذيرا او بذخا ، ولكنه ضرورة بالنسبة لطبيعة جو الكويت ، الذي تعيش ابقاره في مباني مكيفة الهواء .

وجاء رد وزارة الداخلية قاطعا حازما :

ـ وزارات المساجين لا يدخلها تكييف الهواء ، انما التكييف يكون مقصورا على

مكاتب الشرطة والادارة والمستشفى .. ان السجين شخص اخطأ في حق مجتمعه وعليه أن يعمل ويتعب ليكفر عن خطيئته.

المطبخ المدرسة

واثيرت مسألة المطبخ الذي يستطيع ان يزود الف سجين بطعامهم اليومي ، فاقترح المصممون ان يكون الفرن وادوات المطبخ من النوع الحديث الذي يعمل على البخار والكهرباء .

ووافق المسئولون على هذا الاقتراح ، واعتبروا هذا المطبخ الذي يشبه المطابخ الاخرى المنتشرة في اغلب المؤسسات والمدارس بالكويت ، عملا يدرب النزلاء على اعماله .

تعاليم .. ومحاضرات

وقال الشيخ سعد العبد الله السالم وزير الداخلية: ان الغاء السجين في الزنزانه وشبابه ، مع اعماله ، وتركه بدون عمل ، صار بمثابة قتل للانسان وهو شيء لم يعد يتلاءم والعصر الذي نعيش فيه . لهذا أرى أن تكون هناك مدرسة لتعليم المساجين القراءة والكتابة ، ومكتبة تصبح في نفس الوقت لتكون غرفة للمطالعة ، وقاعة متوسطة يجلس فيها المساجين على مقاعد خشبية للاستماع الى المحاضرات والمواعظ التي تلقى عليهم لارشادهم واصلاح اعوجاجهم .

ويجب تخصيص غرفة للتدريس المهني وغرفة للقضاء تعمل كمحكمة لحل المشاكل داخل السجن ... وكذلك غرفة يستمع فيها النزلاء الى الموسيقى ويتدربون على العزف على آلات الطرب .. لانه قد ثبت ان علاج توتر الاعصاب بالاستماع الى الموسيقى قد اعطى احسن النتائج ... لانه اذا اردنا اصلاح الاعوجاج يجب علينا ان نهيء له الجو اللازم لهذا الاصلاح ..

مستشفى وغرفة للاشعة

وتابع وزير الداخلية الشاب اقتراحاته فقال :

ـ ان السجن يجب ان يكون كمدينة مستقلة تتمتع باكتفاء ذاتي ، اي ان عليها ان تعمل على حل مشاكلها بمفردها دون حاجة الى اي اتصال بالخارج ، لاجل هذا ارى ان تكون هناك غرفة تكون مستشفى صغيرا يتسع لتسعة اسرة مع غرفة اشعة ومعمل للتحليل ، للعناية بالسجناء المرضى ..

اختصار نصف السجن ونصف التكاليف ...

وهكذا استمر الاخذ والرد سجالا بين الحكومة والمصممين مدة ثلاث سنوات ، ظهر بعدها التصميم النهائي للسجن ، فكان نصف حجم السجن الاصلي الذي صممه المستشارون العالميون في اول مرة!!

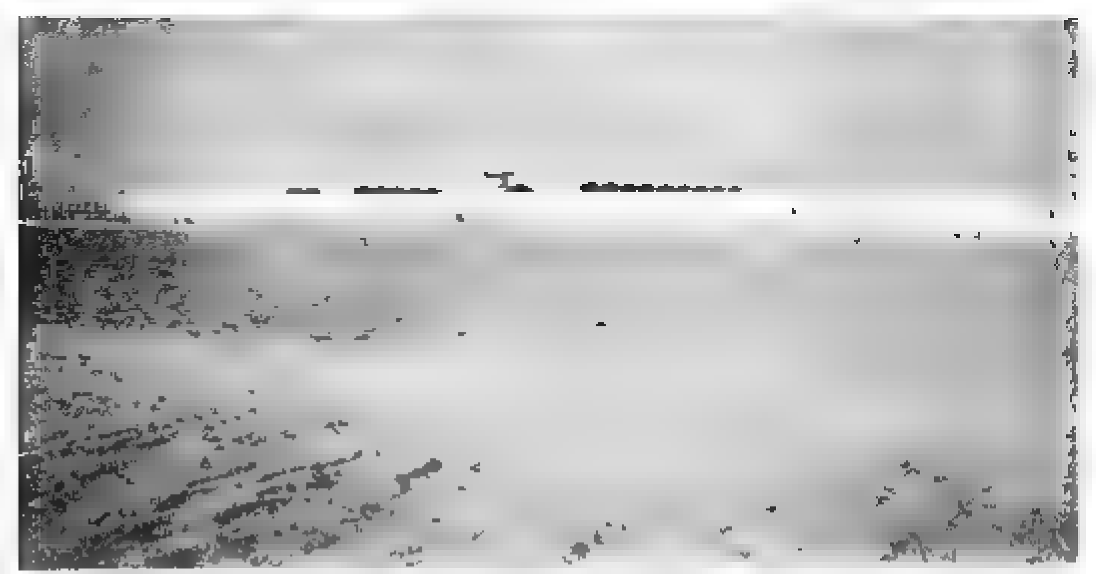
وكان المقدر ان يتكلف السجن مبلغ ثلاثة ملايين دينار ، ولكن بعد هذه الاختصارات ، رست مناقصة البناء بمبلغ مليون ونصف مليون دينار فقط ..

وبدأ البناء على قطعة ارض كبيرة تزيد مساحتها عن ٨٠٠,٠٠٠ متر مربع ، واختيرت هذه المساحة الكبيرة حتى يمكن في المستقبل اضافة اي توسيعات محتملة على السجن ، وحتى تعطي مجالا كافيا لامكان الزراعة والعمل في مجالات مختلفة للمساجين ..

زنزانات لـ ٤٠٩ سجناء

ان مجموع المباني التي ارتفع بناؤها ٢٧ مبنى ... مصممة بهذه الكيفية .

١٦ مبنى لسجن الرجال ، وهي المباني الاساسية في السجن ، وتضم مباني للادارة ، والحراس ، والمستشفى ، والتعليم المهني ، والمطابخ وصالة واسعة للاكل صممت بشكل خاص يسمح بالسيطرة المباشرة على المساجين في حالة محاولتهم التمرد .. فقد ثبت ان اغلب الثورات التي تقوم في السجون مصدرها قاعة الطعام .. ثم اربعة مبان للزنزانات التي تتسع لـ ٤٠٩ سجناء .



في وسط الصحراء ، وعلى بعد ٢٣ كيلو مترا من قلب الكويت العاصمة ترتفع اسوار سجن الكويت المركزي الذي يعتبر من احدث سجون العالم ...

و ٦١ سجينة

وعلى مسافة بعيدة من سجن الرجال يقع سجن النساء الذي يتكون من اربعة مبان فقط : واحد للزنزانات التي تتسع لـ ٦١ سجينة ، وآخر للاستعمال ، والثالث للادارة والرابع للمستشفى الذي يتسع لست مريضات

التكييف للمستشفى والادارة فقط

والى جانب سجن الرجال والنساء تقع المباني السمعة المكملة ، وهي خاصة بادارة السجون ، والمخازن العامة وبها حجرة لتبريد المأكولات المحفوظة ، ومبنى لتوليد الكهرباء ، وآخر للجراج ، ومحطة اطفاء ، ومبنى لنوم الحراس ، ويتسع لـ ٤٨ حارسا . ومبنى للرماية وبه نظام دقيق لتفتيش السيارات الداخلة والخارجة .. واخيرا مبان لمحطات تكييف الهواء التي تمد المستشفى والمباني الادارية ، فقط ، بالهواء المكيف ، ومبنى لمحطة طلمبات ، لسحب وتوزيع الماء .

من هم السجناء ؟

ولا بد من أن نذكر ان هذا السجن سيكون مخصصا للمساجين الذين صدرت ضدهم احكام قضائية لا تقل عن سنة .

اما ما دون ذلك من السجناء فيودعون السجون العادية الاخرى .

ابعاد الطابع الكئيب

لقد دخلت « العربي » الى هذا السجن قبل أن يدخله المساجين ، وتجولت فيه وسجلت قول المسئولين :

ـ ان بناء هذا السجن لم يكن الهدف منه تكديس البشر في زنزانات وتركهم مهملين منسيين ، بل الهدف منه تثقيف وتهذيب النفوس التي ضلت طريقها . لهذا جاءت مبانيه حديثة جميلة لا اثر فيها للذعر او الرعب ، لتبعد الطابع الكئيب الذي كانت عليه مباني السجون في العصور القديمة .

وسوف تقوم وزارة الاوقاف بحكومة الكويت ببناء مسجد داخلي في مبنى السجن .. كما سوف يقوم الوعاظ والمرشدون بالقاء المحاضرات لاعادة العقول الضالة الى الطريق القويم .. ■

س . ز



التفرقة العنصرية

عن جريدة « الأوبزرفر » :

● ليس من أحد اليوم يعترض على الديمقراطية ، وأن للأفراد في الشعب الواحد حقوقا متساوية .

ولكن المسألة تجلى عند التنفيذ .

اذا لم يحدث هذا ، فماذا يصنع الخاسرون ..

هل يلجأون الى البرلمان ؟ الى المحاكم ؟

وهل تستطيع البرلمانات او المحاكم ان تطبق على الكثرة عدم احتمالها لاعطاء حقوق متساوية للقلة ، التي كانت قلة بسبب اللون، او العقيدة، او الجنس.

ان البرلمانات والمحاكم تستطيع ان تصدر القوانين التي تشترط المساواة، وبذلك تؤمن للقلة ان الدولة الى جانبهم، وتمنى الدولة هنا ان الكثرة في جانبهم.

ولكن في ذلك ان يحتكم الى المحاكم لتنفيذ هذه الشئون بالقوة . غير ان القوة الطرق اللينة : الاقناع ، احياء الشعور بالحق والانسانية عند من لا يشعرون . لتؤثر الذين يخشون ان خشيتهم ليست في محلها .

المسألة : العنف أم الحسنى ؟

الحسنى أجدى .

سياسة الولايات فى الداخل والخارج

للمعلق المعروف « ليبمان » بمجلة « نيوز ويك » الأمريكية :

● سياستان سبيلاهما مختلفان .

في السياسة الداخلية تسعى الحكومة الى معرفة الرأى العام ، والى استطلاعه والكشف عما يرضى به . فاذا هي عرفت ذلك ، مضت تصوغ هذا الرأى قوانين لا تلبث أن تمر بمجالسها النيابية . والنتيجة القبول من الشعب .

في الامور الداخلية يستطلع رأى الشعب ، والذى تعمله الحكومة بناء على ذلك يرضاه الشعب .

وحكومة الولايات تعمل مثل ذلك في الشئون الخارجية ، ولكن تسوء العاقبة .

يؤخذ رأى من في داخل الولايات في امور تتصل بخارجها ، وعلى هذا الرأى تبنى الولايات سياستها . ولكن هذه السياسة ليست لداخل الولايات ، ولكن لخارجها . ويرفضها الخارج ، فتسوء العواقب .

وهكذا تعمل الولايات اليوم في فيتنام .

تعمل ما ترضاه هي ، ما يرضاه الشعب في داخلها ، رضى عنه الغير أم لم يرض .

ما رضيته هي هو الصواب ، ويجب أن يكون في الخارج ، كما هو في الداخل ، صوابا !!

العقوبة ، تساوي الجريمة ، او تساوي المجرم

من مجلة « لسنر » الانجليزية :

● الرأى السائد القديم أن لكل جريمة عقوبة .

لم يفرق الرأى القديم بين الجريمة والرجل الذى أتى الجريمة .

وحقا جاءت في بعض القوانين حدود يتأرجح بينها مقدار العقوبة للجريمة الواحدة ، تخفف مثلا عن المجرم الحدث السن ، وتزيد على المجرم الذى مارس الاجرام .

والقانون الفرنسي نظم العقوبة للجريمة الواحدة حتى صارت صنوفا مقبولة . ولكن كانت النظرة دائما للجريمة : سرقة رغيف ، أم كسر خزانة .

كل هذا صحيح .

ولكن المجرم نفسه ، حالته ، صنعه ، دوافعه ، علمه ، جهله ، بيئته ، الى غير ذلك ، لم يكن لكل هذه الامور عمل في تحديد العقوبة .

كل ذلك تغير الآن . .

العقوبة اليوم للجريمة ، ومع الجريمة المجرم .

وشيء آخر تغير مع العقوبة والجريمة .

كانت العقوبة لمنا يدفعه المجرم عن جريمته . ولكن اليوم صار الاهتمام اكثر ، لا بالذى مضى ، ولكن بالذى سيستقبل ، ماذا نصنع بالمجرم حتى لا يعود !

وماذا نصنع بالمجرمين اليوم نتقل الجرائم في أمد .

ومن هنا صارت السجون اشبه بالمدارس لتصحيح اخطاء الحياة التي دفعت المجرم الى اجرامه ، ولتمهيد السبيل له ليعيش عيشة لا اجرام بها .

هيئة الامم المتحدة صارت كسفينة نوح

من جريدة « الصنداى تلغراف » :

● ان هيئة الامم صارت ، بالذي ازدحمت به من امم ، كسفينة نوح واخشى ما نخشاه أن تكون قد غرقت في ماء غير مشهورة .

رفضت روسيا أن تدفع نصيبها من ميزانية الهيئة ، لأنها لا ترضى عن نفقات انفقتها دول الاستعمار ، في انجاح غايات الاستعمار . وكذلك رفضت فرنسا ، وتحدتهما الولايات المتحدة . وصار من المتوقع أن تثار المادة القانونية التي تقول انه لا صوت عند التصويت يحور أن تعطه الامم التي لم تدفع .



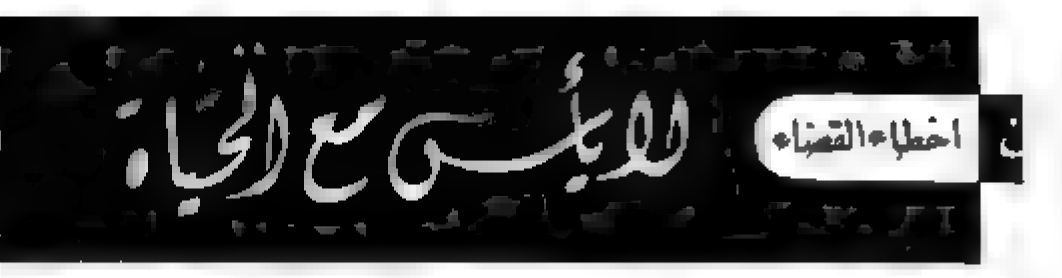
وتحسبا لهذا الموقف أجلت جلسات الهيئة الى مدى لا يعلمه الا الله .

وبذلك اصبح الحكم لمن ؟

لمجلس الامن .

ولكنه مجلس اعضاؤه العاملون هم امم الارض القوية . وكل امة منها تستطيع أن تنقض أى قرار يتخذه المجلس .

وبذلك اختفت هيئة الامم من واقع الحياة ، الى حين .



■ يقول موسسكيو ان الخطأ القضائي جريمة اكثر اجراما من الجريمة ذاتها . وهذه قصة رجل بل قصة ضحية من ضحايا الخطأ القضائي ظل يجاهد — او بالاصبح يُجاهَد له — مدى نصف قرن حتى اعيدت له حريته بعد ان لف حبل المشنقة او كاد حول رقبته .

انه ادموند جالي من مواليد عام ١٨٠١ . امي وعلى قدر كبير من الغباء . يتعيش من اعمال صغيرة مختلفة كاصلاح التراس ، او المساعدة في اعمال البناء او النجارة ، او لعبة الثلاث ورقات . فلذلك كان ينتقل من مولد لمولد وراء لقمة العيش . ولم يكن يعرف اين تقام الموالد ، فكانت طريقته للوصول اليها ان يتبع احدى قوافل الغجر لعلمه انها ستتوقف حتما في احد الموالد .

وكان صاحبنا محدود الذكاء محدود الاطماع ، اذا كسب شلنا في يومه اعتبر انه كسب رزق ذلك اليوم ، فهام على وجهه لا يطلب المزيد . فلذلك عرف بين معارفه ، وكلهم متشردون مثله ، باسم « دبك تربين » . ولكنه كان يختلف عنهم بانه مسالم لا يعرف العنف ولا يتجه تفكيره الى الاجرام .

★ ★ ★

وهكذا عاش حتى بلغ الثانية والثلاثين من عمره . واذا به يفاجأ بان اوصافه نشرت في جريدة البوليس ووضعت جائزة كبيرة للقبض عليه متهمة القتل وهو الذي لم يقتل في حياته عصفورا . فاحتار ماذا يفعل . واسرع يختفي وتجنب الموالد والاماكن التي كان يتردد عليها . ثم قبض عليه بتهمة التشرد وحبس شهرا ووجهت اليه تهمة قتل شخص اسمه « جوناثان ماي » في ضيعة « مورتن هامستيد » احدى مدن مقاطعة « ديفونشاير » بانجلترا ، وهي مقاطعة لم يذهب اليها في حياته قط . ولا يدري اين موقعها من خريطة بريطانيا .

ولما سأله البوليس عما كان يفعله في يوم ١٦ يوليو من العام الماضي لم يحر جوابا يجيب فهو لا يعرف ايام الشهر ولا حتى ايام الاسبوع .

★ ★ ★

ووضعت يداه في الحديد ، وسيق امام المحقق ، وبينا يستمع الى شهود يروون وقائع لا يدري من امرها شيئا ، ملخصها انه وآخر اسمه « توماس اوليفر » قد قتلا هذا « الجوناثان ماي » وسلباه نقوده في الطريق العام ، وان فتاة اسمها اليزابيث هاريس هي التي ارشدت عنهما .

اما الفتاة هاريس هذه فكان قد قبض عليها مع متشرد آخر عقب العثور على جثة جوناثان لم افرج عنهما دون ان تدعي انها تعرف شيئا عن القتل او القاتل . ثم قبض عليها بعد ذلك في جناية اخرى عقوبتها النفي المؤبد ، واودعت السجن في انتظار ترحيلها . وبعد ستة اشهر من ايداعها السجن تطوعت بالزعم بانها تعرف كيف قتل جوناثان ومن الذي قتله . ذلك انها كانت تعلم ان تبليغها هذا — بالصدق او الكذب — ينقذها من النفي المؤبد . فقد كان القانون في تلك الايام يمنع الاستشهاد بالمحكوم عليهم بجناية فكان ممثل الاتهام في سبيل استصدار حكم يشنق متهم بجناية يستصدر عفوا عن الشاهد — المجرم — ويعتبر انه بذلك يحقق العدالة .

★ ★ ★

ولم يكن المحققون في تلك الايام حريصين في طريقة عرض المشتبه فيهم على من يتقدمون للشهادة . بل كانوا يأتون بالمتهم وحده ويسألون الشاهد ان كان يعرفه ، فان قال نعم ، اعتبر ذلك اعترافا . فلما عرض « توماس اوليفر وادموند جالي » على الفتاة هاريس لم تتردد في القول انهما القاتلان ، وروت من خيالها كيف تمت الجريمة وكيف قامت معركة دامت خمس دقائق ، انهال فيها « ادموند جالي » على القتيل بعصا غليظة لها قبضة بحجم قبضة يدها ، وكيف امسك



وفضل ان يبقى بمصنعه الذى امضى فيه الجزء الأكبر من حياته وبجوار ارملته المحبوبة واولادها .

بقلم : حسن الجداوى

المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة

« اوليفر » بمنأى حصانه ، وكيف اوقعاه من على الحصان ، وكيف كان الرجل يستطعهم باخذ ماله وبان لا يقتلاه ، واسترسلت فى ذلك ما شاء لها الخيال .

★ ★ ★

وكان المتهم القلق يستطيع ان يجد من يدافع عنه اذا دفع اتعابا جنيها واحدا وشلنا . لذلك استطاع « اوليفر » الذى كان شابا وسيم الطلعة حسن البزة ان يعين محاميا يدافع عنه . اما « ادمويد جالى » الذى لم يكن يجد مليما طوال مدة اعتقاله ، فقد تقدم للمحاكمة فى ثياب رثة وليس بجواره من يدافع عنه .

وبعد ان انتهت اليزابيث هاريس من الادلاء بشهادتها قال لها جالى : هل تستطيعين ان تنظرى الى وتقولين ــ بضمير مرتاح ــ انك شاهدتنى الفعل ما تنسبينه الى » فقالت نعم » . فعاد يسألها :

« هل سبق لك رؤيتى بصحبة هذا السيد ــ اوليفر ــ قبل رؤيتك لنا فى السجن » ؟ قالت « نعم فى مولد بروحبيل بل بريد جوور » .

والتفت جالى الى القاضى وقال : « انها يا سيدى القاضى شخصا اخر غيرى اسم الحب فى حياتى الى ديفونشاير قبل ان يجيئوا بى الى السجن . انى اعرف فى قريرة نفسى اننى لست اللصوص ، والله تعالى يعرف اننى لست القاتل . انها ــ يا سيدى القاضى ــ تقسم اليمين على الاسم الذى اعطى لها لا على الشخص ... انها فى سبيل الحصول على حريتها تضحى بحياتى . فانا لم ار هذه المرأة قبل الآن » .

وسألها القاضى ان كان لديها اى شك فى شخصية المتهمين فقالت « لا » .

وكان يمكن ان تنتهى القضية عند هذا الحد لولا ان الشاهدة الوحيدة فى القضية لم تكن موضع

ثلة باعتراف ممثل الاتهام نفسه . ولولا انه — حتى تلك الايام — لم يكن العمل قد جرى على شنق انسان بشهادة شاهد واحد لم تؤيد بأدلة اخرى .

لذلك قدم الاتهام بتسعة شهود يشهدون انهم رأوا المتهمين في الحديقة في ليلة الحادث . وقد اقسموا جميعا اليمين على انهم رأوا اوليفر في الحديقة في تلك الليلة ، واقسم ثمانية منهم على انهم رأوا جالي — المعروف باسم « تريبن » . ولكن واحدة من الشهود قالت ان رجلا اسمه تريبن حضر الى متجرها في تلك الليلة ، ولكنه ليس هذا الرجل ، لان ذلك الرجل كان وسيما بكامل اسنانه . « انه رجل وجيه . رجل آخر » .

ولو كان لجالي محام لاستغل واقعة وجود شخص آخر باسم « تريبن » اشترك في جريمة القتل مع اوليفر . ولكن جالي لم يوجه لتلك الشاهدة اي سؤال وحصر دفاعه في الاحتجاج بانه بريء وانه لم يكن موجودا بمكان الحادث بل كان في ذلك الوقت بمدينة مارلبوره التي تبعد عن مكان الحادث بمائتي ميل . وكان عليه ان يستدعي شهودا يؤيدون اقواله ، ولكن فقره بعد من المال الذي اعجزه عن دفع اتعاب محام ، حال دون امكانه دفع مصاريف الشهود .

اما اوليفر فلم يتقدم بأي شهود لانه كان في المدينة فعلا وحصر دفاعه في انه لم يسبق له رؤية جالي الا حين وجده معه في السجن فكيف يمكن ان يكون قد اشترك معه .

★ ★ ★

وتلا القاضي تلخيصه للمحلفين فلفت نظر المحلفين الى حياة العبث والمجون التي عاشتها الشاهدة الوحيدة على الجريمة ، وكيف انها كانت تطوف البلاد بصحبة رجلين ليست زوجة لايهما . ولكن القاضي لم يشر الى التناقضة التي تجيبها من شهادتها . ولم تسأل لماذا لم تسارع بالاستغاثة ان كانت قد رأت الجريمة حقا ؟ ولماذا سكتت ستة اشهر قبل ان تتقدم بمعلوماتها ؟ . وقال : ان تصرفها غير مفهوم . غير ان القاضي مع الاسف تغاضى عن ابراز شهادة الشاهدة التي قالت ان جالي لم يكن بالمدينة بل ان الذي بالمدينة رجل آخر بنفس اسم الشهرة ... وكان القاضي في تلخيصه يجمع باستمرار بين جالي واوليفر لانهما في نظره اما بريئان او مذنبان . ولما كانت الجريمة ثابتة على اوليفر فان تلخيص القاضي كان ضد جالي .

وهكذا — وبعد مداولة قصيرة — قرر المحلفون ان المتهمين مذنبان .

★ ★ ★

ووقع القرار على جالي وقوع الصاعقة . لقد كان منذ ثلاثة اشهر حرا طليقا يستمتع بالحياة على طريقته لا يفكر في الموت وهو في عز شبابه . اما اوليفر فاستقبل القرار بهدوء المجرم العاتي الذي عاش حياته كلها في اخطار واجرام ، يتوقع ان يأتي اليوم الذي يدفع فيه ثمن اجرامه . وكان امثاله حريصين على ان يستقبلوا الموت بشجاعة او يلتمون من الظهور بمظهر الضعف . لذلك لم يعترض على الحكم بل قال للقاضي حين سأله ان كان لديه ما يقوله قبل الحكم عليه « ليس لدي ما اقوله عن نفسي » . ثم التفت الى جالي وقال له : لقد انتهينا .« ولكنك ستشنق بريئا » . ثم التفت للقاضي وقال له : « ارجو يا سيدي القاضي ان لا ترسل هذا البريء الى المشنقة . هل تعتقد انني حين اقدم على جريمة كهذه التي ارتكبت استعين بانسان هزيل كهذا .. ان هذا الرجل لا شأن له بالجريمة ... انه بريء » .

وبدأ القلق يتسرب الى نفس القاضي ، وظهرت آثار ذلك عليه فقد بدا وكأنه يعتذر عن دوره في الحكم اذ قال لجالي « لقد وضعت الادلة كلها امام المحلفين في صالحك بقدر الامكان — وهم القضاة لا انا — فلا بد ان هناك ظروفا رأوها كافية للاخذ بشهادة الشاهدة » .

ولكن القاضي ملزم بقرار المحلفين ولا يملك في مثل هذه الحالة الا الحكم بالاعدام . لذلك وضع الطاقية السوداء على رأسه واستعد لاصدار الحكم . واذا باوليفر يصيح به « لدي ما اقوله يا سيدي القاضي . ان المتهم الآخر بريء . لقد كنت احد القاتلين ولكن هذا الرجل لم يكن معي ، والذي كان معي شاب آخر من كنتي معروف ايضا باسم تريبن . انني لا اعرف هذا المتهم ولم يشترك معي قط » .

واكثر ما يضايق القاضي الانجليزي ان يجرؤ انسان — وخاصة مجرم محترف — على مقاطعته وهو يؤدي واجبه الاليم . لذلك ذهبت صيحة اوليفر مع الريح . بل كان لها تأثير عكسي اذ قال القاضي : « اننا هنا نحكم على اساس الادلة ، والقول قول المحلفين — وانا ايضا — لا شك في

صحة التهمة . ولم يسبق لي ان رأيت أدلة أكثر تضافرا وتساندا من الأدلة التي تتعلق بهذه القضية .

★ ★ ★

ولكن صيحة اوليفر استقرت في اذهان ثلاثة رجال كانوا حاضرين المحاكمة . توماس لاتيمر صاحب ومحرر جريدة « الويسترن تايمز » ، وكاتب الاختزال المحكمة ، ومونتاجو سميث محامي اوليفر . اجتمعوا بعد الجلسة وقارنوا الملاحظات التي اخذوها اثناء المحاكمة وتبينوا ما في شهادة اليزابيث هاريس من تناقض ، واقتنعوا ببراءة جالي وبأن خطأ قضائيا قد ارتكب .

وذهبوا في اليوم التالي لمقابلة القاضي واطلعوه على رأيهم . ووجد القاضي ان القلق الذي ساوره بالأمس وجد سبيله الى نفوس ثلاثة أشخاص لا مصلحة لهم في الدعوى . وكان اثر الغضب من مقاطعة اوليفر قد زال . فوافقهم على تأجيل تنفيذ الاعدام اسبوعين وأبدى استعداده لاعادة مناقشة الموضوع اذا ظهرت أدلة جديدة .

★ ★ ★

ولكن من أين تأتي هذه الأدلة الجديدة . ان جالي نفسه لا يعرف على وجه التحديد أين كان وقت ارتكاب الجريمة . انه يعتقد انه كان في مدينة دارتفورد . فكيف يمكن اثبات وجوده هناك — على بعد مائتي ميل — في مدى اسبوعين . واستمال الرجال الثلاثة بالرأي العام . بدأ صاحب الجريدة حملة وافتتح اكتتابا للدفاع عن جالي ، ودل الاقبال على الاكتتاب عن وجود رأي عام يناصر جالي .

وحدث في خلال الاسبوعين ان اعترف اوليفر للقسيس بطريقة ارتكاب الجريمة ، وكانت تختلف اختلافا كليا عما رددته الشاهدة ، وأكد ان القتيل ليس فقط لم يطلب منهما الرحمة بل قاومهما — هو والشخص الآخر الذي ليس جالي — مقاومة عنيفة واصابهما بجروح .

واجل القاضي تنفيذ الحكم في جالي اسبوعين آخرين ولكنه امر بتنفيذه في اوليفر .

★ ★ ★

ونشرت صحف لندن ملخصات لمقالات « الويسترن تايمز » ، وأشارت الى تأجيل حكم الاعدام للمرة الثانية ، فلفت ذلك نظر وزير الداخلية وطلب من عمدة المدينة اجراء تحقيق .

لم يوصل التحقيق الى نتيجة ولكنه كان — على كل حال — في صالح جالي ، فقد استطاع جالي ان يستخرج من ذاكرته المضطربة انه — في وقت الحادث — قام بعمل لأحد أصحاب الحانات في مدينة دارتفورد . وانكر صاحب الحانة . ولكن التحقيق توصل الى انه كلف بذلك العمل احد النجارين المحليين وان ذلك النجار استخدم — جالي — او على الأقل شخصا تنطبق اوصافه على جالي . كذلك استطاع جالي ان يتذكر حدوث مشاجرة بينه وبين احد الأشخاص في البلدة ومع ان الرجل الذي وقعت المشادة معه لم يستطع ان يؤكد ان الذي تشاجر معه هو جالي ، الا ان مجرد ذكر جالي للمشاجرة دليل على انه كان موجودا بالبلدة اذ من أين له ان يعرف حصولها لو لم يكن موجودا .

★ ★ ★

واجل القاضي تنفيذ حكم الاعدام لمدة شهر في هذه المرة ، وطلب الى مستر فردريك بو قالس بو ستريت ان يجري تحقيقا جديدا بنفسه . ومن اسف ان ذلك القاضي كان من النوع الذي يضع نفسه فوق موضعها الطبيعي ويظن ان العالم يتطلع اليه . فرأى ان يقدم تقريرا يتفق مع المكانة التي يضع نفسه فيها . فلم يشأ ان يقطع برأي ، وكلما ابدى رأيا اعقبه بجملة « ولكن من ناحية اخرى » وبذلك يهدم ما بناه . وانتهى تحقيقه الذي كان يمكن ان يؤدي لبراءة جالي ، الى لا شيء ..

وكان جالي خلال هذه المدة ينتظر — في زنزانته — ان يسمع في كل لحظة طرقات النجارين وهم ينصبون المشنقة لينتهي من حبلها .

★ ★ ★

ثم حدث — دون ان يدري لماذا — ان نقلوه من السجن الى ظهر سفينة بها ستمائة سجين ينتظرون ترحيلهم الى المنفى البعيد — الى استراليا — ومضت عليه أيام مضنية قاتلة .. الحديد في رجليه ، وكل جماعة منهم مقيدون في سلسلة واحدة . ثم دعي الجميع الى سطح السفينة لاجراء عملية عرض طبي . ووسط هؤلاء الستمائة مسجون في ملابس السجن استطاع اربعة رجال — جاء المحققون بهم من دارتفورد — ان يخرج كل واحد منهم على انفراد — جالي لأول وهلة .

وكان المفروض بعد ذلك ان براءة جالي لم تعد موضع شك . ولكن وزير الداخلية ومستشاريه القانونيين لم يقتنعوا بعد . فقد قرر المحلفون في

محاكمة عادلة انه مذنب فكيف يمكن ذلك القرار .

وقال القاضي : انه اقر المحلفين على رأيهم فلم يجد هناك محصل للطعن في القرار . صحيح ان اربعة اشخاص ليست لهم سابقة معروفة به قد استخرجوه من بين ستمائة مسجون وقرروا انه كان في مكان بعيد مائتي ميل عن مكان ارتكاب الجريمة ، ولكن هؤلاء الاربعة مجرمون - او على الاقل متشردون يسهل عليهم ان يقسموا يمينا كاذبة تضامنا مع متشرد مثلهم .. ثم ان هناك قاضيا محترما هو سير فريدريك بولد اجرى تحقيقا انتهى فيه الى الشك . صحيح انه ذكر في تحقيقه اسم شخص يدعى لانجلي اتجهت اليه التهمة ولكنه لم يعثر على ذلك الرجل ، وقد لا يكون له وجود . ولم يكن الشك في هذه الابهام يفسر لصالح المتهم ، فهل يأخذ وزير الداخلية على عاتقه ان يفرج عنه ليعود الرجل الى التشرد والقتل الثاني .

وخطر لوزير الداخلية ان يضع حدا للمشكلة بأن يأمر بالاستمرار في التنفيذ .. لولا انه خشي من هياج الرأي العام ومن الضجة التي يثيرها قراره في الصحف . فسمي - شأن كل الانجليز في مثل هذه المواقف الى حل وسط - وقرر ارسال جالي الى المنفى .

ولكن الصحف لم تهدأ ولم يرض القرار الرأي العام ، فاضطر الوزير الى تأجيل ترحيل جالي الى اجل غير مسمى ، ووعد باعادة المحاكمة اذا عثر على لانجلي . وهكذا بقي جالي عامين ونصف عام في عنبر السفينة المزدحم - الحديد في قدميه والظلام يحيط به ، ولا يرى ضوء النهار الا في فترات محدودة . ولما يئس من العثور على لانجلي طلب هو ان يرحل الى استراليا ، وبعد فترة من الزمن امضاها في اعمال مرهقة مقيدا بسلسلة واحدة مع عدد من المنفيين الذين يسيع معهم نظام خاص لقتل كل فكرة مقاومة ، افرج عنه ليعيش عيشة العبيد . اي انه يلتحق بخدمة سيد مقابل طعامه ونومه . فاذا شكاه سيده كان جزاؤه من خمسين الى مائة جلدة والعودة الى وضع السلاسل في قدميه . واذا لم تصدر ضده اية شكوى خلال بضع سنوات سمح له بحرية التنقل ، اي اصبح حرا يختار من يعمل عنده ، فاختار سيدا رؤوفا رحيما عمل عنده راعيا للغنم . واستراح لحياته الجديدة التي تشبه الى حد كبير حياته السابقة .

ومع ذلك فان احساسه بانه مظلوم استمر مسلطا عليه خاصة بعد ان علم ان لانجلي القاتل قد حكم عليه بالنفي لجريمة اخرى وانه موجود باستراليا .

واخذ يكتب للحكومة متظلما ، ولكن خطاباته لم تجد من يهتم بها .. ومضى عليه في المنفى ستة وثلاثون عاما ، وبلغ صاحبنا الثالثة والسبعين من عمره .

ثم حدث ما لم يكن في الحسبان .

اتقد الغرام بين الكهول فهام هياما بارملة شابة ام لسبعة ابناء رضيت ان تتزوجه ، ولكنه احس انه لا يستطيع ان يمنحها اسمه وهو المحكوم عليه بانه قاتل . عاش معها حياة هنية ولكنه - من اجلها ومن اجل اولادها - ازداد رغبة في ان ينقي اسمه من تلك الوصمة .

★ ★ ★

وعداه تفكيره - بدلا من الالحاح بتظلماته الى الحكومة التي لا ترد عليه - ان يكتب للمحامي الذي كان يمثل اسرة القتيل اثناء المحاكمة منذ واحد واربعين عاما . وتسلم الخطاب ابن المحامي الذي كان قد حل محل والده المتوفى فرد على جالي يبدي استعداده لقبول القضية وطلب مقدم اتعاب خمسة وعشرين جنيها .

وكاد الامر يقف عند هذا الحد ، اذ من اين لجالي هذا المبلغ وهو الذي لا يملك من حطام الدنيا شيئا . ولكن المحامي الشاب اطلع محرر الجريدة المحلية على الخطاب لغرابته ، فنشره في صحيفته . واطلع عليه توماس لاتيمر صاحب « الوسترن تايمز » التي كانت لا تزال تصدر ، وهو احد الذين آمنوا ببراءة جالي وسعى مع غيره لدى القاضي . وكان قد اصبح شيخا هرما ولكنه ما يزال محتفظا بذاكرة قوية فقرر ان يبدأ المعركة من جديد في صحيفته ، وكتب الى جالي يطمئنه ويبدي استعداده هذا . فرد عليه جالي بخطاب شكر شرح بصحبته بنصه وباخطائه اللغوية ، وكان جالي يقول في خطابه انه عثر على قاتل جوناثان .

ولكن . اين الدليل ؟ وكيف يمكن العثور على ادلة بعد مرور اربعين سنة على ارتكاب الجريمة . ان جميعهم اتصلوا بالجريمة وبالمحاكمة ماتوا، او لم نعثر عليهم . والقاضي توفي الى رحمة الله او

الى قبر رحمته . والشاهدة الثالثة في بيتها قد اختفت ولعلها ماتت . ولا سبيل لمعرفة عناوين باقي الشهود .

★ ★ ★

ولكن كان لا يزال على قيد الحياة اثنان هي صاحب جريدة « الويسترن تايمز » حضرا المحاكمة واصبحا الان في مراكز تسمح لهما على الاظهار الحقيقة . احدهما مونتاجو سميث الذى دافع عن اوليفر وقد اصبح قاضيا . والثاني المستر كوكرين وكان محاميا شابا حضر المحاكمة بطريق الصدفة وتأثر عند سماعه لتصريح اوليفر ببراءة جالى وآمن من وقتها ببراءة جالى . ولكنه كان محاميا صغيرا لا حول له ولا قوة . اما الان فقد اصبح كبير قضاة انجلترا وله كلمة مسموعة .

وقد اظهر الاثنان استعدادهما للمساعدة على اظهار الحقيقة ، فاعدا التماسا ارسل الى جالى في منفاه ليوقع عليه . وكتب سير المستر كوكرين خطابا طويلا مدعما بالحجج شرح فيه لوزير الداخلية اسرار القضية وختمه بقوله :

« انني لا استطيع ان امنع نفسي — مدفوعا بواجبي في تحقيق العدالة — ان اطلب بكل قوة وبالحاح ان ترفعوا ظلما وقع وتصححوا خطأ لم يزل مؤسفا وتحققوا عدلا طال انتظاره من رجل مظلوم » .

★ ★ ★

وقد يحق لنا ان نتوقع ان نداء حارا كهذا النداء صادرا من رجل مسئول عن العدالة سيكون له اثره المباشر . ولكن وزير الداخلية المطلوب منه ان يشير على الملكة بالرأى الذى يتحتم عليها ان توافق عليه فضل ان يخاطر بنبرة رجاء مجهول في منفاه ، على ان يشير على الملكة بطلب اصدار عفو لم يثبت بطريقة قاطعة انه مستحق له . لذلك كلف عددا من وكلاء وزارته باعادة التحقيق من جديد واستغرقت ابحاثهم سنة كاملة وانتهت الى قرار اصدره وزير الداخلية يقول فيه : « انه يجد نفسه مضطرا ان يحترم القرارات السابقة والاحكام التي صدرت ولا يستطيع تحمل مسئولية ان يطلب الغاءها » .

★ ★ ★

وكان جالى في تلك الاثناء يحافظ علنا بالسلام البطولة لصالحه . واعتقد انه — وقد ابتز قضيته رئيس قضاة انجلترا — لا بد حاصل على حقه .

لذلك تزوج الارملة التي يعيش معها ومنحها اسمه آمنا انه سيكون طليقا .

ولم يشأ القائمون بعمله ان يصدموه بقرار وزير الداخلية ، ولكن لا يزال امامهم اجراء اخير هو التماس يقدم لمجلس العموم . ودارت مناقشة حادة انقسم فيها المجلس على نفسه وظل وزير الداخلية مصرا على رأيه لا يريد ان يحيد عنه .

ووقف النائب جون برايت والقى خطابا حماسيا مدعما بالحجج كان له تأثير كبير على اغلبية الاعضاء .

« لقد قرروا فيما مضى بالحكم مباشرة ، ان الشك في صحة الحكم ليس وليد اليوم بل وليد ساعة يوم المحاكمة . فقد كان الرأى العام فيما يشبه الاجماع قد اعتقد ان خطأ قضائيا قد وقع وان الرجل جالى ليس هو القاتل . ولولا ذلك لما امتنع وزير داخلية تلك الايام عن تنفيذ حكم الاعدام . فهل يلام وزير الداخلية الحالى او مجلس العموم اذا قرر قرارا يتفق مع العدالة والرحمة وينال تقدير الشعب » .

واحس وزير الداخلية ان المجلس سيخذله فحاول على عادة الحكام الانجليز ان يصل الى حل وسط ، فاقترح استصدار عفو بشرط ان لا يعتبر اعترافا ببراءة جالى . ولكن جون برايت تصدى له بشدة .

« اذا كنا نريد الموافقة على قرار الرحمة هذا فلا تحملوا رسالة عبر البحار موسوما بذلك الشرط الذى يفقده كل قيمة ، والذى يصمنا باننا لا نجرؤ على تحقيق العدالة وان نزاف برجل معدوم لا اهمية لما حاق به من ظلم ... الذى موقن ان احدا منا لا يريد التمسك بصحة تهمة — غير معقولة — واحتمل هذا الرجل ظلم مبناها خلال خمسة واربعين عاما .

وصدر القرار بمنح ادموند جالى عفوا شاملا غير مشروط .

وبعد اجراءات روتينية استمرت سنتين قررت الحكومة منح جالى الف جنيه تمكنه من العودة الى البلاد على نفقة الحكومة ، ولكنه كان قد بلغ السابعة والستين من عمره ولم يشعر بانه يستطيع ان يبدأ حياة جديدة في موطنه الاصلى . وفضل ان يبقى بمنفاه الذى امضى فيه الجزء الاكبر من حياته وبجوار ارملته المحبوبة واولادها .

حسن الجداوى



دردشة

٥ر١ مليون دولار يوميا تكلفها الحملة الامريكيه فى فيتنام !

● تعرضت الولايات المتحدة الامريكيه فى الشهور الاخيرة لحملة صحفية واذاعية قاسية بسبب تدخلها فى فيتنام . وقد لوحظ اثناء هذه الحملة ان بعض الصحف الامريكيه كانت تطالب الحكومة بشدة بان تسحب قواتها من فيتنام وتكف يدها عن التدخل . فقد ظهر انه بالاضافة الى ضحايا القوات الامريكية المتزايدة تنفق الولايات المتحدة على قواتها فى فيتنام مليونا ونصف مليون من الدولارات يوميا !!

الحكم فى امريكا وروسيا

● اجتمع جندى امريكى وجندى روسى فى برلين ، فتحدثا عن نظام الحكم فى امريكا وروسيا ، فقال الامريكى للروسى .

ــ انا استطيع ان اذهب الى باب البيت الابيض واقرعه باصبعى هذه ، وان ادخل على جونسون واصارحه برايى فيه !

فقال الروسى : وانا استطيع ان اذهب الى الكرملين واطلب مقابلة كوسيجين ، واساله كيف حاله ، واهز اصبعى فى وجهه ، واصارحه بحقيقة رايى فى جونسون !

ارايت ما اريد ؟

● قال الممثل الهزلى « بوب هوب » : سخط الممثل المغنى بنج كروسبى سخطا شديدا حين لازمت الهزيمة جياده فى حلبة السباق ، فاخذها وحملها معا واحدا قرب خط السكه الحديدية ، ولبث ينتظر القطار السريع . فلما مر منطلقا بسرعة مئة ميل فى الساعة ، التفت الى جواده وقال لها ارايت ما اريد !



الخ . . الخ . . الخ . .

● اراد « سيمون بوليفار » محرر امريكا الجنوبية ، ان يبيت ليلة فى مدينة صغيرة فى بيرو ، فارسل سكرتيره خطابا لصاحب نزل قال له فيه :

هيىء حجرة للسيد بوليفار مجهزة بوسائل الراحة التامه ، والطعام الجيد ، والشراب الفاخر ، الخ ، الخ ، الخ .

وحين وصل بوليفار الى البلدة ذهبوا به الى افضل حجرة فى النزل ، ولما دخلها رأى ثلاث غوان جميلات جالسات بانتظاره ، فقال .

ــ ومن هؤلاء الفتيات ؟

فقال صاحب النزل : هؤلاء ، الخ ، الخ ، الخ !

سؤال مفحم

● كان فيكتور هيجو يقرض الشعر منذ صغره . وقد خشي أحد مدرسيه أن يشغل بالشعر عن الدراسة ، فراح يقاوم فيه هذه النزعة . وفي ذات يوم ، قال له مؤنبا

— ألم أنهك عن نظم الشعر ؟ . . . لقد عثرت في مكتبك على ما نظمت اليوم؟

فما كان من هيجو إلا أن أجابه :

— ولكن . . ألم تنهنا عن أن يفتش أحد منا مكتبا ليس له ؟

صلاة الحرق !

● كان بعض الأساقفة يتناول الطعام على مائدة ، فمست صحنا فأحرقه . فطق من ألم الحرق بألفاظ لا تليق بالكهنوت ، فأخذت امرأة دفترها وطفقت تكتب ما نطق به .

فقال لها : ماذا تعملين ؟

فقالت : أكتب صلاة الحرق !!

دوماس على فراش الموت

● كان « دوماس » Dumas الروائي الفرنسي على فراش الموت ، وكان خادمه الأمين في زاوية الغرفة ينتحب كالطفل ، فالتفت إليه دوماس وقال بصوت فيه حشرجة الموت :

— إذا احتجت إليك في الحياة الآخرة طلبتك !

نصيحة للسكارى

● كان أميرال البحر « وليم بن Penn » ينصح أحد السكيرين من رجاله بالإقلاع عن شرب الخمر ، فتنهد وقال له :

— كنت أتمنى أن أتخلص من هذه العادة ، ولكني كلما حاولت ذلك وجدت يدي ممسكة بزجاجة الخمر .

فقال بن : الأمر بسيط . . فإذا وجدت يدك ممسكة بزجاجة الخمر فافتح يدك بدلا من أن تفتح الزجاجة !

تمثال رودان والصحفيون

● روى الكاتب الفرنسي « أناتول فرانس » القصة الآتية

لما فرغ « رودان » المثال الفرنسي من صنع تمثال فخم للشاعر فكتور هوجو ، وقد مثله فيه واقفا على رأس صخرة وحوله ربات الفنون ، وعرائس البحار ، جاء بجماعة من الصحفيين إلى داره ليروا التمثال ، ويتأملوه ، قبل أن ينقشه على الرخام أو يصبه في البرونز . وكان لسوء حظه قد ترك النافذة مفتوحة في الليلة السابقة ، ولفرت عاصفة هوجاء تدفق منها المطر الغزير ، فحول طين التمثال إلى كتلة من الصلصال لا قوام لها .

وفتح رودان الباب ودعا زواره ليتقدموه إلى الحجرة ، وإذا هو يرى الكارثة التي نزلت بتمثاله ، فكاد ينتف لحيته نتفا من الغيظ والحنق ، ولكن أصوات الصحفيين ارتفعت بالإطراء العظيم .

— مدهش ! هذا فكتور هوجو ينهض مستعليا فوق الخبث والفساد . ما أعظمه من رمز ! . يا أستاذ ، هذه آية من آيات العبقرية . لقد حاولت أن تمثل فساد عصر لم يبق فيه شيء من النبل والطهر سوى صوت الشاعر . . ما أروع ما فعلت !

فسألهم رودان متطفلا

— أهذا رأيكم ؟ !

فقالوا جميعا

— طبعا ، هذه آية الآيات !

كتاب الشهر

ريتشارد بيرتون

مؤلفه : بيرون فارول (١)

بقلم : الدكتور محمود السمره

● عندما كتبت جاكلين بيرين الفرنسية كتابها « اكتشاف جزيرة العرب » ، الذي سبق ان قدمناه في هذا الباب من « العربي » ، اغفلت ذكر رحالة من أبرز الرحالين الذين جابوا الجزيرة العربية ، أعني ريتشارد بيرتون . وهذا الكتاب هو عن هذا الرحالة العظيم المتعدد المواهب ، ومؤلفه امريكي كان محاضرا في جامعة شيكاغو ، وهو في الوقت نفسه من علماء الآثار ، ومن هواة التجوال في العالم . وحبه للتجوال جعله يهتم بالمكتشفين المغامرين، فكان كتابه الأول عن ستانلي Stanley . اما كتابه هذا عن بيرتون فهو ، في رأيي ، أدق وأوفى ما صدر عنه حتى الآن .

ملامح عربية

لقد اتفق الذين كتبوا عن بيرتون بالتأكيد على ملامحه العربية، وهذا واضح ايضا في صورته التي تزين غلاف هذا الكتاب : وجه اسمر ، وشعر حالك كأجنحة الغراب ، وشاربان ضخمان ، وعينان سوداوان تلتهبان كعيني النمر تظللهما اهداب طويلة ، وقامة ممشوقة وحيوية دافقة . وتقول الكاتبة القصصية الانجليزية اويدا Ouida (١٨٣٩ ــ ١٩٠٨م) : « لقد كنت دوما اتساءل : من أين استقى بيرتون ملامحه الشرقية، ولكنته الاجنبية عند تحدثه بالانجليزية ؟ »

اما عيناه العادلتان فقد اسرتا كل من رآه . فوصفهما المستشرق الشهير هارولد ديكسون بأنهما « عينان مقاتلتان كعيني الفهد » ، وقال عنهما في مكان آخر « ان لبيرتون عيني نمر ، وصوت ملك .» وقال فيهما الشاعر سوينبرن Swinburne « ان عينيه ترسلان نظرة حادة تبعث الرعشة في قلب كل من يراه . » وقال آرثر سيمونز Symons : « انهما عينان فيهما لمعة الافعى » ووصفه بأن « وجنتيه وجبهته عريض ، وعينيه عينا غجري ، وملامحه برونزية ، وفمه يعبر عن الحزم والعزم ، ويكاد يخفيه شاربان سوداوان كثان ينحدران ويغطيان جزءا كبيرا من وجنتيه ، ووجهه ليس فيه جمال ، ولكن فيه قسوة مكبوتة ، وشيطانية ، وجاذبية لا تستطيع أن تعين مصدرها . » .

هذا بعض ما وصفه به معاصروه ممن عرفوه .

مولود سيء الطالع

في التاسع عشر من مارس (آذار) ١٨٢١ ، وفي طرم هاوس بمقاطعة هارتفورد شاير بانجلترا ولد ريتشارد بيرتون من عائلة رفيعة النسب افتقرت بعد غنى ، ومن أصل هو مزيج من الدم الايرلندي،

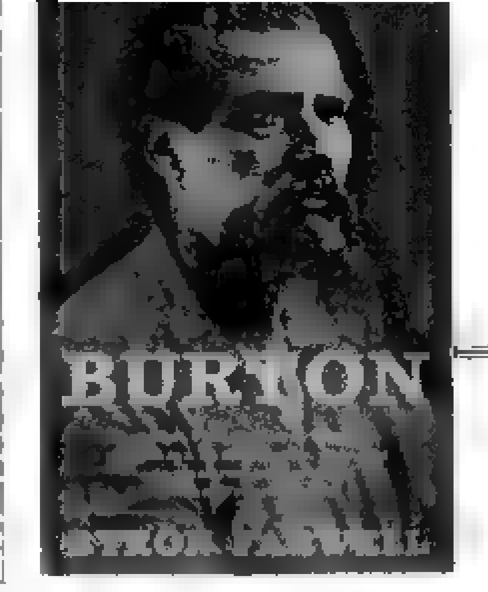
(1) Richard Burton, by Byron Farwell.

• الرحالة ، الشاعر
الجندي السياسي

•••

• مؤلف « الحج الى
المدينة ومكة »

• ومترجم الف ليلة وليلة



والاسكتلندي، والفرنسي ، وكان بيرتون سيء الحظ منذ صغره ، وبقي سوء الحظ ملازما له الى يوم وفاته . وبدا سوء الحظ هذا يوم ان اراد جده لامه ان يترك له ثروته البالغة نصف مليون من الجنيهات ، فركب العربة وتوجه الى المحامي لكتابة الوصية ، وعندما كان هذا الجد يهم بترك العربة سقط ميتا بالسكتة القلبية . وبهذا خسر الصبي رتشارد هذه الثروة الطائلة ، التي آلت الى خاله .

ونشأ بيرتون عاشقا لحياة التشرد والتنقل ، معتادا عليها ، لان عائلته كانت دائمة الترحال بين انجلترا واوروبا بسبب داء الربو الذي كان يثقل على صدر والده الكولونيل المتقاعد . ومنذ سن مبكرة تعلم كيف يستعمل المسدس ، ويبارز بالسيف ، ويصارع الخصوم .

وعندما بلغ التاسعة عشرة التحق بجامعة اكسفورد ، فكرهها « لانظمتها الصارمة ، وغرفها الرطبة ، وطعامها الرديء ، واجراسها التي لا تكف عن القرع » . ولكنه مع هذا كان يلتهم الكتب التهاما ، ويقرأ ما لا يقل عن اثنتي عشرة ساعة في اليوم . وفي اكسفورد احب ان يدرس العربية ، ولكنه وجد طريقة الجامعة في تعليمها بطيئة ، فاخذ يتعلمها على نفسه . ويقول بيرتون انه قد استطاع ان يخترع طريقة لتعلم العربية مكنته من ان يتقنها في زمن وجيز ، ونحن لا نعرف هذه الطريقة ، لان بيرتون لم يترك لنا وصفا لها .

في الهند ، يحاول وضع لغة للقردة

وتخرج بيرتون من اكسفورد ليلتحق بجيش الهند ، مقاوما بذلك رغبة والده الذي كان يريد له ان يصبح من رجال الدين . وفي يونيــة (حزيران) ١٨٤٢ كان بيرتون في الهند ، ولكن الهند خيبت ظنه ، كما خيبته اكسفورد من قبل ، ومع هذا اقبل على الحياة فيها يعب منها ، فتزوج فتاة هندية ليتركها وراءه بعد ان غادر الهند ، وتفقه في الديانة البراهمية ، وتعلم ضروب المصارعة والمبارزة بالسيف ، وحذق تذليل الخيول البرية، والافاعي السامة المخيفة وتزيا بزي بلوشي وطوّف في الهند .

ومن غريب ما يروى عنه في الهند انه جمع في بيته اربعين قردا من شتى انواع القردة ، ليدرس لغتها . ويدعي بيرتون انه استطاع ان يميز بين ستين كلمة تستعملها القردة ، ودوّن ملاحظاته عليها ، ولكنها فقدت في حريق شب في بيته فاتى عليها ، كما اتى على سائر تحفه الشرقية التي كان يعتز بها . ويقص علينا بيرتون قصصا من حياته مع هذه القردة تجعله في نظرنا اقرب

الى الجانين : فقد نظمها كانها فرقة عسكرية ، وعين لها رتبها ، وكانت تجلس معه على المائدة ، ولكل منها كرسيه وطبقه ، ويطوف عليها الخدم بالطعام .

ولم يكن هناك انسجام بين بيرتون وكبار المسؤولين في جيش الهند . وهذا امر طبيعي . واخيرا قرر بيرتون العودة الى بريطانيا ، وهو لم يعد السابعة والعشرين . وكان الثمن ما عاد به من غربته هذه ، حسب قوله ، حبه لفتاة ايرانية فاتنة الجمال ، من عائلة ارستقراطية . وكان على وشك ان يتزوجها ويستقر في الشرق ، لولا ان القدر عاجلها وهي ما زالت في ريعان الشباب .

عودة للزواج

وفي بريطانيا اقبل بيرتون على تسجيل ذكرياته عن الهند . وفي هذه الفترة من حياته التقى لاول مرة بالفتاة التي عشقته من اول نظرة ، واصبحت زوجته ، وهي ازابل ، ابنة احدى العائلات الكاثوليكية النبيلة . وقد احبت ازابل ريتشارد حبا جرى مجرى المثل ، كحب قيس وليلى في ادبنا . والدارس لشخصية هذه الفتاة يجدها في اطوارها الغريبة نسخة من بيرتون ، وهي نفسها تقول : « لو كان بالامكان ان اصبح رجلا لتمنيت ان اصبح ريتشارد بيرتون ، ولكن بما انني لا استطيع ذلك ، فان ما اتمناه هو ان اصبح زوجته » .

« الحج الى المدينة ومكة »

وبدا بيرتون يمل حياة الدعة في لندن ، وحنت المغامرات اليها ، فاعد نفسه للقيام برحلة وضعته في مصاف الرحالين الكبار : لقد وافقت الجمعية الجغرافية الملكية وشركة الهند الشرقية على ان تمولاه في رحلة يقوم بها الى مكة والمدينة ، لكشف من اسرار اواسط الجزيرة العربية . وبطبيعة الحال خلع بيرتون ملابسه الاوروبية واستبدلها بملابس مسلم افغاني في طريقه الى الحج . ونحن نقرأ كتابه القيم عن رحلته هذه المسمى « الحج الى المدينة ومكة » في جزأين ، فنحيا معه في الشجاعة الفائقة . ومنذما نشر هذا الكتاب جلب لصاحبه شهرة فائقة ، وجعل اسمه على الالسنة .

ولقد رضي المسلمون عما كتب ، لانه في كتابه هذا يبدو مسلما مؤمنا ، وصوفيا من كبار مشايخ الصوفية ، وحاجا معتزا بعمامته الخضراء . ويقول بيرتون انه لم يشعر بغربة ابدا في رحلته هذه . كما يقول بروماستيار عن نتاج هذه الشخصية العجيبة : « انا عربي في ملامحي ، ومظهري ، واحاسيسي .. واللغة العربية هي لغتي » !

بيرتون المغامر

ونحن لا نستطيع هنا ان نتتبع بيرتون في كل رحلاته العديدة ، ونكتفي بما لا بد من الوقوف عنده . فمن رحلاته المذكورة اكتشافه مناطق مجهولة في الحبشة . وفي الصحراء اصيب بضربة حربة في فكه السفلي ومنه تركت اثرا لازمه طيلة حياته . وتفاصيل هذه الرحلة موجودة في كتابه المسمى « اول الخطوات في افريقية الشرقية » First Footsteps in East Africa وعندما صدر هذا الكتاب ذاع اسم بيرتون واشتهر اكثر من ذي قبل . وكان الناس في تلك الايام يتطلعون الى الرحالين المغامرين تطلعهم اليوم الى علماء الذرة ، ورواد الفضاء .. تطلع فيه الاعجاب البالغ .

وجاب بيرتون اعماق القارة السوداء بحثا عن منابع النيل ، وهو الموضوع الذي شغل المكتشفين في القرن الماضي . وسافر الى امريكا ليزور جماعة المورمون فيها . وقبل سفره حلق شعر راسه بالموسى ، وارتدى العباءة السوداء الطويلة ، واعتمر القبعة العالية ، فبدا بلباسه هذا كاحد رؤساء المورمون . وكان من نتيجة رحلته هذه كتابه المسمى « مدينة القديسين City of the Saints » .

في خدمة وزارة الخارجية

وعاد بيرتون من رحلاته هذه محطم الجسم ، في همته الحمى ، وبعد ان استراح اخذ يبحث لنفسه عن عمل في وطنه ، ولكن حظه فيه كان سيئا ، حتى اضطر اخيرا ان يقبل وظيفة في القنصلية الانجليزية في جزيرة فرناندو بو Fernando Poo الاسبانية على الساحل الغربي من افريقية . وكانت وزارة الخارجية ترى في هذا المكان منفى ، ترسل اليه غير المرغوب فيهم . ولقد علق بيرتون على تعيينه هذا قائلا : « لقد ارسلوني الى هنا لاموت ، ولكني سأعيش رغما عن انوفهم » . وبعد وساطات كثير نقل بيرتون الى (سانتوس) بالبرازيل ، وهو مكان لا يفضل الاول بكثير . وفي سانتوس شقي بيرتون وزوجته شقاء كثيرا ، وتحطمت صحته ، واقبل على الشراب فلا يكاد يصحو . وصفه الرحالة الشاعر الانجليزي ولفريد سكاون بلنت Wilfred Scawen Blunt وقد لقيه في بوينس ايريس ، فقال انه « كان اسوا حال ، فكانه مجرم لم يغادر السجن الا منذ لحظات : فعباءته السوداء قذرة بالية ، وبنطلونه لم يعرف الكي منذ زمن ، وقميصه مفتوح عن صدره ... اما عيناه فبدتا لي كعيني حيوان مفترس ينتظر لحظة الانقضاض ، ولكنه مع هذا كان يبدو لزوجته اجمل رجل في الدنيا» .

ونجحت الوساطات المتعددة اخيرا في نقله الى المكان الذي كان يطالب بالانتقال اليه ؟ الا وهو قنصلا عاما في دمشق ، بمرتب قدره الف جنيه في العام ، وهو مبلغ كبير بحساب تلك الايام . وعندما اشرف بيرتون وزوجته على دمشق ، وبدت لهما غوطتها ، واستنشقا رائحة زهر البرتقال ، نظم فيها القصيدة التالية :

« ما اجملك ، يا دمشق !
انت قديمة قدم التاريخ ،
ندية كأنفاس الربيع ،
متفتحة كالبراعم
فواحة كالورود
عبقة برائحة زهر البرتقال ،
ما اجملك ، يا دمشق ،
يا لؤلؤة الشرق ! »

وفي دمشق عرف بيرتون باسم الحاج عبد الله ، وعقد صداقات مع العائلات الدمشقية ، وكان من اعز اصدقائه هنا الامير عبد القادر الجزائري، الذي اختار دمشق مقرا له بعد ان منحه لويس نابليون حريته عام ١٨٥٢ . والامير عبد القادر من الخالدين في تاريخنا الحديث ، وكان رحمه الله واسع الافق ، رحب الصدر ، لا يضيق بالعقائد الاخرى . وكان له فضل كبير في حقن الدماء عام ١٨٦٠ . وكان الامير في الرابعة والستين من العمر يوم حل بيرتون في دمشق .

وفي دمشق لبس بيرتون الملابس العربية ، وكان بيته ملتقى وجوه القوم ، وشيوخ العشائر . ونحن نعرف الكثير عن المجتمع الدمشقي في هذه الفترة التاريخية من كتاب زوجته « The Inner Life of Syria » وهو كتاب تلمس فيه روحها الفكتورية مؤمنة بعزة بريطانيا وعصبية الكاثوليكية تدفعها الى الدعوة لمذهبها .

ولم تكن حياتهما في دمشق دوما هنية رضية ، فقد عكرها اعتقاد المسلمين ان زوجة بيرتون ليست الا مبشرة كاثوليكية . واعتقد ان المسلمين كانوا على حق في اعتقادهم هذا ، اذ نحن نعرف من التاريخ ان حماستها الدينية دفعتها الى محاولة نشر الكثلكة بين المسلمين .

واكتسب بيرتون نفسه عداوة فئات عديدة من المواطنين في سوريا ، والاجانب المقيمين فيها : فكرهه بنو قومه لاعتقادهم انه مغرور وبه مس من جنون . وهاجمه المبشرون لانه لا ديني ويقضي ساعات في مساجد المسلمين . واشتد هجومهم عليه لانه منعهم من توزيع النشرات التبشيرية ، وامرهم بعدم الدخول في جدل مع المسلمين حول الدين ، لانه كان يخشى ان تحدث مجازر تشبه مجزرة عام ١٨٦٠ . ونقل هؤلاء المبشرون احتجاجاتهم الى جمعياتهم في بريطانيا ، يشكون

اليها هذا القنصل الذي يقف في وجه نشاطهم التبشيري .

وكره اليهود بيرتون لأنه وقف ضد جشعهم . وكان هؤلاء اليهود يحملون الجنسية الانجليزية ، ويمثلون أصحاب البنوك في أوروبا ، ويقرضون الناس المال بفائدة تبلغ احيانا ٦٠٪ ، فاذا عجز المدين عن الدفع لجأوا الى بيرتون يطالبونه باستعمال نفوذه لإرغام المدين على الدفع . وكان هذا السلوك من جانب اليهود يثير ضغينة السوريين على الانجليز . وقد عبر بيرتون عن كراهيته لليهود في كتابه « اليهود والاسلام The Jew and Islam » . وكان يقول : « ما رأيت اكثر كذبا من دزرائيلي الذي قال : ليس العربي الا يهوديا على ظهر حصان . » !!

واثار بيرتون ضده الكنيسة الارثوذكسية اليونانية ، والسبب حادثة بسيطة : كان بيرتون وزوجته يخيمان في الناصرة ، فاذا باحد ابناء هذه الطائفة يحاول التسلل الى خيمة ازابل ، ورآه احد حراس بيرتون فانتهره فرد عليه الارثوذكسي بوقاحة . هنا انهال عليه الحارس ضربا . وحدث في تلك اللحظة أن كان المصلون خارجين من الكنيسة ، فتجمهروا حول المخيم ، وخرج اليهم بيرتون يحاول تهدئتهم ، فانهالوا عليه بالحجارة ، مع علمهم انه القنصل البريطاني في دمشق . وتقدمت فئة منهم تريد الفتك به ، فلم يجد بيرتون بدا من استعمال مسدسه ، فاطلق رصاصة في الهواء ، فتفرقوا . ولكن الاسقف الارثوذكسي قام برفع عريضة شكوى الى وزارة الخارجية البريطانية موقعة من كل رجال الطائفة النازلين في بلاد الشام . وسكتت وزارة الخارجية على مضض وغيظ .

وجلب بيرتون لنفسه المتاعب في دمشق بالاثارة الوالي التركي رشيد باشا ضده : فقد كانت في سوريا فرقة صوفية عرفت بالشاذلية ، وكان افرادها نشيطين في الدعوة الى طريقتهم . وشهد بيرتون بعض اجتماعاتهم ، فاعجب بطريقتهم ، واخذ يواظب على حضور حلقاتهم ، ودفعته حماسته لهم الى ان يطلب من وزارة الخارجية أن تشتري لهم قطعة أرض في دمشق ليقيموا عليها زاوية لهم . وسكتت وزارة الخارجية على مضض وغيظ . واخذ رشيد باشا يرسل شكوى تلو الشكوى من هذا القنصل الاجنبي الذي يحشر انفه في الشؤون الداخلية للبلاد . وزاد هذا الاتهام ضده أن رشيد باشا اعتقل بعض زعماء الشاذلية ، وصادر ممتلكاتهم ، فحاول بيرتون أن يطلق سراحهم بالقوة .

هنا لم تعد وزارة الخارجية تملك صبرا . وفي صباح يوم ١٦ اغسطس (آب) ١٨٧١ جاء الرسول يحمل لبيرتون امر وزارة الخارجية بوجوب عودته الى لندن حالا . فشيعهما عند الرحيل جمع غفير من وجوه المواطنين ، وعلى رأسهم الامير عبد القادر الجزائري . وهكذا انتهى الحلم ، وغادر بيرتون الشرق العربي الذي عشقه ، بعد أن قضى سنتين فيه . وقد شبه خروجه من دمشق بخروج آدم من الجنة ، مع الفارق بينهما وهو انه لم يقترف اثما سوى مشاعره لما آمن انه الحق والعدل .

في تريستة يتم ترجمة «الف ليلة وليلة»

ومر الاعام بيرتون في لندن ، واخيرا يقبل وظيفة قنصل في تريستة ، مع انه رفض دعوة الجنرال جوردون له ، وهو الحاكم العام للسودان والمعجب به ، أنه يتولى منصب الحاكم العام لمديرية دارفور بالسودان . وقد رد على جوردون قائلا ، « انا شخصان على طرفي نقيض ، فلا انت تستطيع ان تعمل تحت امرتي ، ولا انا استطيع ذلك . »

وفي تريستة اتم بيرتون ترجمته الشهيرة في الغرب لكتاب « الف ليلة وليلة » . ومن أجل هذه الترجمة ما زالت صورته حتى اليوم تزين قاعة الاجتماعات بمعهد اللغات الشرقية والافريقية بجامعة لندن . وقد نشرت هذه الترجمة لأول مرة في صورة كاملة غير مهذبة عام ١٨٨٢ ، وفي عشرة

اجزاء ضخمة ذات الغلفة من اللونين الذهبي والاسود . ولقد نجحت هذه الترجمة نجاحا باهرا حتى انها درت عليه في طبعتها الاولى مبلغ ستة عشر الف جنيه ثم نشرت بعد ذلك في ستة عشر جزءا (١٨٨٥ ـ ١٨٨٨ م) .

وفي رايي ان ترجمته هذه هي خير ما انتج ، وهي ترجمة تدل على ان بيرتون كان على علم وافر باسرار العربية ، وعادات العرب وتقاليدهم . ولكنها في الوقت نفسه لا تسلم من العيوب : فهي ترجمة حرة لم يتقيد فيها المترجم بالاصل ، واسلوبه خشن وعر بحيث تقرأ الترجمة فتظن نفسك تقرأ لكاتب من عصر اليصابات .

لكل شيء اذا ما تم نقصان

وفي اخريات ايامه انعمت عليه الملكة فكتوريا بلقب « سير » تقديرا له على جهوده في ميدان البحث والاكتشاف ، ومنحته الجمعية الجغرافية مداليتها الذهبية ، وكذلك فعلت الجمعية الجغرافية الفرنسية .

وحل عام ١٨٩٠ ليشهد بيرتون انسانا قد حطمه الروماتزم . وفي صباح احد الايام ، وخيوط الفجر تطرد ظلمة الليل ، وافاه الاجل المحتوم ، وفوق راسه علقت على الحائط عبارة من وحي « الف ليلة وليلة » : « وعاشوا في سعادة ونعيم الى ان وافاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات » ، والى جانب هذه العبارة علقت خريطة للشرق العربي والافريقية .

وفي مقبرة مورتليك يرقد الآن رينشارد بيرتون في ضريح بني على شكل خيمة عربية من الحجارة والرخام . والزائر لمتحف مدام توسو ، متحف الشمع بلندن ، يستطيع ان يشاهد تمثالا لبيرتون بملابسه التي حج بها الى مكة . ■■

محمود السمره



الابرياء

تأليف : وليم ارشيبالد ـ ترجمة : لماثر توفيق مكتبة الانجلو بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ١٥ قرشا

● الكتاب معد اعدادا مسرحيا لقصة « دورة اللولب » وتدور القصة حول طفلين عهد بتربيتهما الى خادمين واضحا فريسة لأرائهما ومعتقداتهما وتأثرا بهما تأثرا كبيرا ، وبلغ هذا التأثر حتى بعد وفاة الخادمين فاصبحا يريانهما شبحين يتمثلان لهما . والقصة شيقة وتعالج احد المواضيع الهامة التي يعاني منها الكثير في مجتمعنا الحديث .

مختارات من القصص القصيرة

تأليف فرانك ر. ستوكتون ـ ترجمة صبحي الجيار ـ دار النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٢٥ قرشا

● مجموعة قصصية تظهر فيها المقدرة الخلاقة على المزج بين الحقيقة والخيال يلتزمها المؤلف في كثير من المواقف باسلوب شيق جميل .

من خلال منظار الاوبرا

آيرين جاس وهربرت فاينستوك ـ ترجمة محمد رشاد بدران ، مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصرية .

● « هذا الكتاب عن الاوبرا : يتناول نشأتها والبواعث التي حركت اليها ، كما يتناول الاوبرات الاولى ، ثم يمضي يتتبع الاوبرات ومؤلفيها في البلاد المختلفة خلال القرون . »

حضارات سادت .. ثم بادت

(بقية المنشور على صفحة ٢)

المصطبة ، ذات الأركان المربعة التي اشتهر استعمالها في تلك الآونة . وقد تمسك هؤلاء النجارين بالعدد البسيطة التي كانوا يستعملونها ، وضموا قطع الخشب بعضها الى بعض بواسطة ألسنة وأوتاد خشبية ، كانوا يستعينون بها أيضاً لينتجوا الشكل المطلوب .

لقد افتقر النجار المصري القديم الى الأنواع الجيدة من الخشب والى الروابط المعدنية ، وقد كان هذان عاملين منعا منه تحقيق مجد عصره التاريخ القديم ، وقد دفعه ذلك الى أن يتعلم كيف يصنع من جذوع أشجاره الرفيعة كالكافور والجميز وما اليها ، ألواحاً من الخشب ، لتثبها بمسامير خشبية أيضاً ، وصنع منها توابيت وصناديق وأبواباً وأثاثاً ببراعة ودقة ومهارة ما زالت باقية الى يومنا هذا شاهدة على تفوقه .

ثم اتخذت مصر من باكورة التاريخ ، تستورد الأخشاب من سوريا ولبنان ، فكانت تستورد منهما خشب الأرز والشربين والسرو والسدر . ومن السودان ، كانت تستورد الأبنوس وأخشاب المنطقة الاستوائية .

وكانت الأخشاب الجيدة تعتبر من الكماليات التي تستخدم في حذر وحيطة ، وتدخل في صنعها مهارة فنية تكفل لصانعها أجمل الأشكال بأقل استهلاك من الخشب . فالتابوت الذي يجري صنعه في الصورة (صفحة ٢) صممت جدرانه بحيث تتدرج في السمك من أسفل الى أعلى ، لكي يبدو الجدار لرائيه من فوق ضخماً يوحي بأن الخشب الذي استهلك في صنعه ضعف ما استخدم فعلاً .

والنجار المصري القديم ، الى جانب براعته في الصنع ـ كما هو واضح في التابوت المنشور على صفحة (٢) الذي صنع بطريقة التعشيق أو التدخيل ـ استعمل كثيراً من فنون النجارة المستخدمة حالياً ، كما أنه عرف الآلات التي تستعمل اليوم في هذا الفن ، كالمسحاج ، والمناشير بأنواعها والقدوم والبلطة والأزميل والمثقب والفراة ، وكانت تصنع هذه الأدوات من البرونز ولها أيد خشبية قوية . وكانت مطرقته والزاوية التي يستعملها مصنوعة من الخشب القوي .

أما المسن فكان من الحجر الصوان ، وبالاحظ وسط الصورة أيضاً رجل يجري على الخشب « بفارة » ، وهي عبارة عن كتلة من الحجر الرملي ذات سطح جعلت فيه بدقة خطوط بارزة لمسح الخشب .

وكان النجار المصري القديم يستخدم الحجر الرملي والرمل الرفيع بدلاً من « الصنفرة » لصقل سطوح الخشب . وكانوا يصنعون مادة للصق الخشب تشبه الغراء الحالي ، ونوعاً من المعجون الذي تسد به شقوق الخشب .

واذا ما انتهوا من صنع التابوت ، يغطونه من الداخل والخارج بطبقة من معجون الجير ذات ألوان زاهية ، ثم تنقش على جانبي الصندوق بعض عبارات التعزية ، ويرسم على الجانب الأيسر للصندوق زوج من الأعين الكبيرة ، كانوا يعتقدون ان الميت يستطيع من خلالها أن يرى الشمس تشرق كل صباح من الشرق .



الخمسين من الكيلومترات تصل بنا الى بلدة جرش Jarash التي ترتفع عن سطح البحر ٥٥٠ مترا .

نظرة الى جرش

واول ما يواجهنا من آثار هذه المدينة الأثرية العتيقة قوس النصر المعروف ببوابة عمان .

وتكون على يمينا هضبة جمع علماء الآثار منها كمية كبيرة من الأدوات الصوانية التي كان يستعملها انسان العصر الحجري الحديث (النيوليتي Neolithic) سنة ٦٠٠٠ ق . م . وعلى السفح الشرقي لهذه الهضبة تكثر الكهوف الطبيعية التي كان يسكنها الانسان في ذلك العصر الموغل في القدم .

من هذا الموقف عند بوابة عمان نجتلي منظر وادي جرش الذي يشبه غوطة دمشق بأشجاره الكثيفة ومياهه الغزيرة ، وهي المياه التي تتألف من نبع البركتين في الشمال وهذا النبع يجري نحو كيلومتر حتى يلتقي بنبع القيروان الغزير ، فيتكون منهما جدول قوي كان اليونان يسمونه نهر الذهب .

ويقسم هذا الوادي بلدة جرش الى قسمين تشغل الآثار القسم الغربي منهما كما تشغل البلدية الحالية القسم الشرقي .

البلدية تنقب في أرض جرش

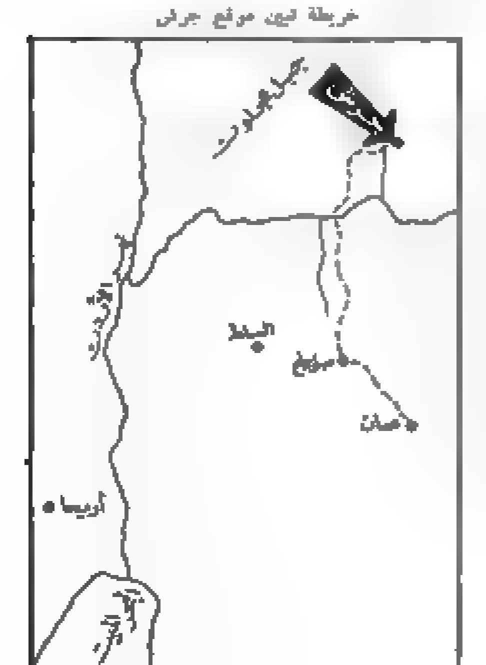
في سنة ١٩٥٠ كانت بلدية جرش تحفر اساسا لبناء خزان ماء على قمة في الشمال الشرقي من البلدة الحالية فعثرت على بقايا خربة من الأنصاب (قبليات يعتقدون انها تعود الى Dolmens) تعود الى العصر الحجري النحاسي (الكالكوليثي Calcolithic) حوالي سنة ٤٠٠٠ ق.م. فكان منها ان جمعت من هذه الأمكنة ادوات وآلات كان يستعملها انسان العصر البرنزي الأول حوالي سنة ٢٥٠٠ ق.م. وقد دل استمرار هذه المخلفات وتطورها عبر السنين على استمرار الحياة فيها طوال العصور البرنزية ، عندما كان سكانها الساميون يسمونها (جرش) خلال حكم عوج بن عناق ملك باشان ، ذلك الذي اشترك في صد العدوان الاسرائيلي بقيادة موسى ويشوع حوالي سنة ١٢٢٠ ق.م. وقتل على احدى روابي عمان وبقي سريره الحديدي القائم فيها .

جرش قبيل العصر الروماني

وعانت جرش السامية ما عانته مدن جلعاد من غزوات الاسرائيليين والاشوريين والفرس ، حتى اجتاحتها جحافل الاسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ ق.م. وهناك شبهات يستنتج منها ان بيرديكاس Perdiccas ، أحد قواد الاسكندر ، جدد بناءها على الطراز الهيلاني . ثم دخلت في حكم بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ — ٢٤٦ ق.م) ملك مصر الذي اطلق اسمه عليها وعلى مدينة عمون Ammon ومن ذلك الوقت عرفت الأخيرة باسمه (فيلادلفيا). ثم انتزع جرش السلوقيون ملوك سوريا ، وسماها انطيوكس الرابع باسم انطاكية نهر الذهب . وقد ظهر هذا الاسم محفورا على بلاط مسيل النوريات في وسط المدينة .

وفي هذا القرن الثاني قبل الميلاد ذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس ان طاغية فيلادلفيا المسمى ثيودوسيوس اخرج كنزه من جدارة (ام قيس) ونقله الى هيكل كبير الهة اليونان (زفس) Zeus في جرش الذي كان حرما مقدسا لا يجسر على انتهاك حرمته احد مهما قوي من الملوك . ولكن ثيودوسيوس خسر جرش ايضا عندما استولى عليها اسكندر جانوس كاهن اليهود الأعلى (١٠٢ — ٧٦ ق.م) وأمر بهدم ابنيتها وتشتيت سكانها ، على اعتبار انها من الأرجاس الوثنية . وقد عثر

خريطة تبين موقع جرش





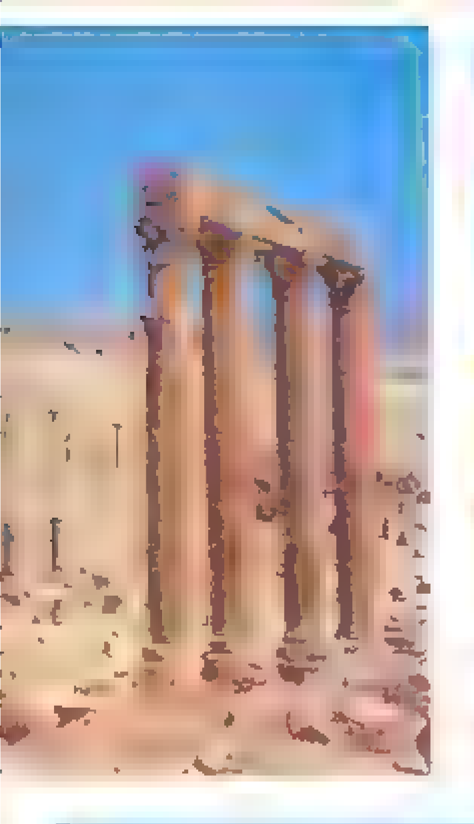
هيكل زفس : يصعد درج من سفر الداخل من الباب الجنوبي ... يوجد هيكل زفس كبير آلهة اليونان ، ومساحته ٢٥ × ١٥ مترا وطوله ... امتار . وهو مبني من حجارة وردية اللون وكان سقفه من خشب ... وبطنه القرميد الاحمر كما ... من ... وكان يحيط به من الجهات الأربع رواق قائم على صفين من الاعمدة مجموعها ٧٦ عمودا لم يبق منها سوى عمود واحد . وقد ... في الزاويتين الشمالية والجنوبية ... الكبار . وقد وجدت فيه بلاطة كتب عليها « ... » ... ٧١ ... العصبية ... هيكل زفس سنة ٦٩ ـ ٧٠ م

الثاوون في الصلبة الجنوبية على كتابة تدل على أن المدينة اليونانية كانت تمتد من معبد زفس الى الكاتدرائية كما وجدت قطعة من نقود ذلك العهد .

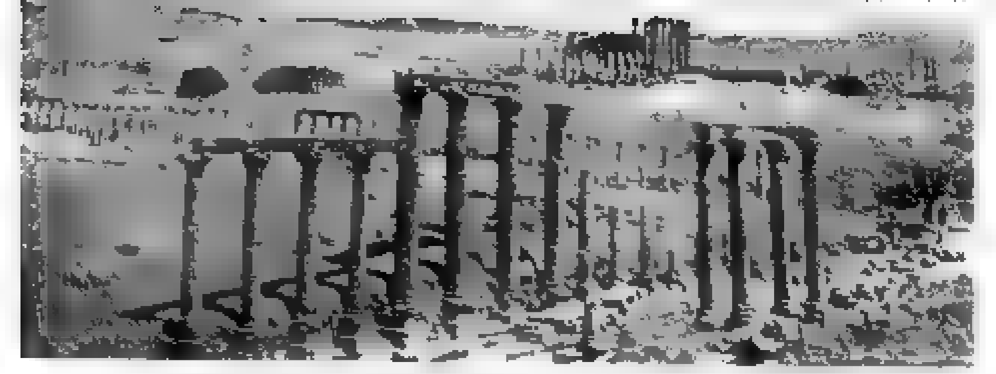
جيراسة الرومانية

في عام ٦٣ق.م أتم بومبي القائد الروماني افتتاح بلاد شرقي البحر المتوسط . وفي طريقه من دمشق الى القدس مر بجرش فأمر باعادة بنائها باسم جيراسا Gerasa لتكون احد المراكز لنشر الحضارة الغربية في الشرق . ومن هذا التاريخ يبدأ تقويم مدينة جرش . ثم دخلت في حلف المدن العشر (الديكابولس) الذي أنشىء لتكوين خط دفاع في وجه غارات قبائل البادية . وبذلك حصلت على امنها وازدهرت زراعتها وتوسعت تجارتها ولا سيما مع الانباط . وكان يقوم وسطها تمثال للاله العربي (ذي الشرى) معبود الانباط الاكبر في المكان الذي تحول فيما بعد الى هيكل ديونيسيوس . وفي سنة ١٩٣١ عثر على بلاطة من الحجر الاحمر مساحتها ٤١ × ٣٢ سم كتب في اعلاها بالحرف اليوناني وفي اسفلها بالحرف النبطي ما معناه (هذا تمثال الحارث ملك الانباط لاجل حياة سيدنا الملك ربع ايل) . ويستنتج من ذلك أن تمثالا نصب في جرش لملك الانباط أو لاحد الآلهة الذي حمى وحفظ الملك ربع ايل ومنحه الحياة الطويل . كما وجدت نقود نبطية باسم الحارث الرابع .

ولقد تمتعت هذه المنطقة منذ ايام اغسطس قيصر Auguste,Caesar (ولد سنة ٦٣ ق.م ومات سنة ١٤ م) بعصر سلم طويل سمح لسكانها







الشارع المعمد ابتداء من الجنوب الى الشمال ويقطعه الشارع المعمد من الشرق الى الغرب

بالانصراف الى اكتساب الثروة التي مكنتهم من تشييد الأبنية الفخمة . وقد وضع مهندس رومانى المخططات والتصاميم لانشاء مدينة جراسا كوحدة متكاملة . وقد بدأ العمل ببناء هيكل زفس كبير الآلهة ٢٢ – ٢٢ ق.م واضيفت اليه الزخارف والنقوش فيما بعد . ثم تم تبليط الشارع الرئيسى واحيط بصفين من الأعمدة التى تعلوها التيجان الايونية . وقاطعه شارع آخر شق المدينة من الشرق الى الغرب ٧٦ – ٧٥ ق.م. وفى هذا الوقت تكامل بناء السور حول المدينة . وقد ظهرت على بعض الأبنية زخارف الأنباط .

ولما تمكن الرومان من ضم المنطقة ضموا بتراء الأنباط فساق الامبراطور تراجان فرقة من جنوده طعّمها بمستأجرين من العرب دلوه على طرق الأنباط وأبارهم السرية . وبذلك تمكن من فتح البتراء سنة ١٠٦ م والقضاء على دولة الأنباط . وباشر بفتح طريق من العقبة ليمر بالبتراء ، فمادبا ، فجرش ، فدمشق ، فالفرات . وهو المعروف بطريق تراجان او الدرب السلطاني . وفى رجوعه ظافرا مر بجراسا ، وكانت بلديتها قد بنت له قوس نصر ، ذلك المعروف اليوم بالبوابة الشمالية . وراق ذلك العمل فى عينه فأغدق عليها الأموال التي مكنتها من تشييد أبنية جديدة . كما منحها نوعا من الحكم الذاتي واجاز لها ان تضرب نقودا باسمها . وهكذا اخذت تهدم الأبنية القديمة لتحل محلها منشآت افخم واجمل – من هياكل ومدرجات وحمامات وقناطر وقنوات .

وفى سنة ١٢٩ – ١٣٠م زارها الامبراطور الرومانى هدريان Hadrien زيارة ألقت بعده نشاط عمرانى جديد ، من اهمه قوس النصر الذي تسميه « باب عمان » ، والذي عثر عليه اسمه والقابه . وبذلت بلديتها اهتماما خاصا فى وسط المدينة فوسعت الشارع العام من الفورم Forum (الندوة حيث اجتمع الناس للنقاش) الى هيكل ارطميس Artemis ، واستبدلت التاج الايونى Ionion بالتاج الكورنثي Corinthian ، وهو الأجمل ، فوق الأعمدة السابقة . وكانت اعمدة الرخام تجلب من آسيا الصغرى ، واعمدة الجرانيت من اسوان .

الحياة الاجتماعية

كان سكان جرش آراميين ، ثم طرا عليهم فيما بعد طوائف من الاغريق ، وجوالى من الرومان ، وارتفعت الى مرتبة (كولوس) واخذ الآراميون يستبدلون اسماءهم السامية باسماء يونانية ـ رومانية وبدأوا يكتبون الاغريقية التي كانت لغة الثقافة والتجارة ، واحتفظوا بآراميتهم للتخاطب فقط . كما اعتنقوا الآراء السياسية وطرق المعيشة الرومانية . واخذت جراسا تشهد عددا من الاحتفالات العامة فى مواسمها السنوية كالاحتفالات الصارخة والعاب القوى ، كما اخذت تنعم بالحمامات التي اعتبرت من ابرز مظاهر التنعيم الرومانى . وكان الحمام بمثابة النادى والمجتمع حيث تقام الولائم فى ايامنا هذه . ولا ادل على ذلك من وجود حمامين ضخمين جدا فيها . وهنا بلغت جرش اوج عظمتها ووصل عدد سكانها من ١٢ الى ١٨ الفا .

دور الانحطاط

فى سنة ٢٧٢م قاد الامبراطور الرومانى اوريليان Aurélien جيشه واستولى على مدينة تدمر Palmyre العربية كما فعل سلفه تراجان Trajan (٥٢ ، ١١٧م) فى البتراء Petra . ومن يعلم انه هدم هذا السور الذي كان يحميه من دولة الساسانيين الفرس المنافسة الخطيرة .



ترميمات دائرة الآثار للمدرج الجنوبي - تصوير أحمد تمام - حسب كتاب تمام احصاءات عبد الله

وتبع ذلك فقدان الأمن واهمال الطرق وتوقف النشاط التجاري واخذت قبائل البادية تهاجم الحدود وتشيد مواطن المناذرة على تخوم العراق والغساسنة على اطراف الشام .

وعندما اصبحت النصرانية الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية في القرن الرابع نشأت في جرش حركة ايمان شديدة ، اقيمت بسببها عدد كبير من الكنائس من مواد الابنية الوثنية القديمة وقد استطاع القيصر جستنيان Justinian (٥٢٧ – ٥٦٥) ان يبني سبع كنائس فيها وغطيت جدرانها بالرخام البديع ورصفت ارضيتها بالفسيفساء الجميلة .

وفي سنة ٦١٤ م احتلها الفرس وظلوا فيها حتى اخرجهم منها هرقل Heraclius امبراطور المملكة الرومانية الشرقية سنة ٦٢٧ بعد جهود طائلة انهكت قوى الامبراطورية وخربت ميزانيتها.

العرب في جرش

فتحها القائد شرحبيل بن حسنة سنة ٦٣٥م وقد تعرضت لزلزال عنيف سنة ٧١٦ وبعد ثلاثين سنة هدم الزلزال الكبير معظم ابنيتها الضخمة . وفي خلافة عمر بن عبد العزيز ظهر فيها اللص المسمى الهيد الضبي وقد ذكرها في شعره بقوله :

بالولون جاهر بالشيد يتوبه
وفي النفس مني صبوة سلوتها

الا ليت شعري هل الوطن عصبة
قليل لرب العالمين سجودها

وهل اطرقن الدهر ما عشت هجعة
معرفة الاطلال سحيقا خدودها

فسامية صم القرى فربضت
حمى جرش قد طار عنها ليودها

وفي سنة ٣٣٣ هـ وصل اليها المتنبي ملازما بدر ابن عمار صاحب طبرية وملتجئا الى صاحب حمى جرش علي بن احمد المري .

وقد وجدت كتابة في احد بيوت جرش العالية على بلاطة مساحتها ٣٧ × ٥٠ سم ونقلت الى متحف جرش جاء عليها (باسم الله الرحمن الرحيم . لا اله الا الله وحده . محمد رسول الله . اللهم اغفر لعبدك يوسف بن بليل ، وثقل موازينه ، وافسح له مهاد قبره ، وادخله بطاقة النعيم) . ويدل الخط على انها من القرن التاسع او العاشر بعد الميلاد .

ذكر وليم الصوري الفارس الصليبي المشهور ان جرش مأهولة بالسكان وان طغتكين صاحب دمشق السلجوقي حول هيكل ارطاميس الى حصن منيع وشحنه باربعين من رجاله.ولكن ذلك لم يمنع بولدوين الثاني Baldwin ملك القدس الصليبي من احتلالها سنة ١١٢٧م . ولكنه لم يصمد على البقاء فيه طويلا وعندما اضطر لاخلائه اشعل فيه النيران .

وجاء في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي جرش - وهو اسم مدينة عظيمة كانت وهي الآن خراب . حدثني من شاهدها وذكر لي انها خراب، وبها آثار عادية تدل على عظمها . وفي وسطها نهر جار يدير عدة ارحية عامرة الى هذه الغاية . وهي في شرقي جبل السواد من اراضي البلقاء وحوران من عمل دمشق . وتشتمل على ضياع وقرى يقال للجميع جبل جرش . ويخالط هذا الجبل جبل عوف واليه ينسب حمى جرش وهو من فتوح شرحبيل بن حسنة في ايام عمر رضي الله عنه .

وقد ذكرها ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الابصار سنة ٧٤٠هـ . فقال : ومن ذلك



الى اليسار : باب الكاتدرائية عبر الشارع العام . الدرج العريض الذي ينتهي بهيكل صغير كرس باسم العذراء والملكين ميكائيل وجبرائيل على الواجهة المقابلة زخارف ومرصعات على الطراز البيزنطي

مدينة جرش من بلاد حوران يشكي الهول من خرائب آثارها . وقد اصبحت خاوية على عروشها خالية من اهلها وسكانها ، لا يحس فيها حسيس ، ولا يوجد فيها انيس .

وفي القرن الرابع عشر الميلادي وصفها شيخ الربوة الدمشقي في كتابه « نخبة الدهر » فقال : اما جرش فبها تلال وجبال وحجارة منقولة ، ويعلو بناء ابوابها في الهواء نحو خمسين ذراعا . وبهذه المدينة موضع كصورة نصف دائرة مقطوعة بحائط . وذلك الحائط مجلس الملك . اما السائحة المستديرة فانها مدارج - درج بعضها فوق بعض . وهي دوائر كل دائرة فوقانية اوسع من التحتانية . وبين هذه الدرج ابواب ومسالك . وكل درجة عليها مرتبة من الناس وكلهم ينظرون الى الملك وهو ينظر اليهم كلهم - لا يحجبون عنه ولا يحجب عنهم في ذلك المجلس . وبالقرب من هذا الملعب ايضا ملعب . وفيه عمد طوال قائمات وكانما كان على رؤوسها من الحجارة خشبات من عمود الى عمود . وفوق ذلك ابنية لاعلمها .

جرش الحالية

في سنة ١٨٧٩ اسكن السلطان عبد الحميد جالية شركسية في جرش اخذت تبني بيوتها البسيطة في العدوة الشرقية من الوادي واشتغلت بفلاحة الارض . وبعد ذلك بثلاث سنين زارها اثنان من ابناء ملك انكلترة ، وهما البرت ، وجورج الذي صار الملك جورج الخامس . ثم زارها السائح الالماني بيدكر فكتب عنها بالتفصيل . وفي نهاية الحرب العظمية الاولى اصبحت جرش قائمقامية من حكومة شرقي الاردن . وكان عدد سكانها في احصاء ١٩٦٤ نحو ثلاثة آلاف معظمهم من القرى المجاورة ومن السوريين ومن بقايا الشركس الذين اخلوا بمعظمهم الى المدن . وفيها الآن تشكيلات تامة للدوائر الرسمية ، شأن كل مدينة اردنية ولا سيما من حيث النهضة التعليمية وفي كل عام تجتذب اليها الآلاف من السياح . ■

محمود العابدي • عمان ـ الاردن

الى اليمين : باب عمان ويسمى أيضا قوس النصر باب رئيسي في الوسط ارتفاعه ١٢ مترا وعرضه ٧ أمتار . على جانبيه بابان أقل ارتفاعا منه واصغر . ويعلو كل باب من الأبواب الثلاثة قوس فوقه مشكاة جميلة . حفر على بلاطه من الداخل بالحرف اليوناني ما يليه : انه بني تكريما لزيارة الامبراطور هدريان مدينة انطاكية نهر الذهب (جرش) في زمن الوالي فلافيوس اغريبا .



الفنان وِلت دِزني : ميكي ماوس !

● أي البلاد موطن الفنان ولت دزني ، وأين هو الآن ، وكيف كانت نشأته ، وهل «الرسومات» التي تنشر في الصحف من رسم يده ؟ وكيف استطاع أن يعرف طبيعة هذه الحيوانات الكثيرة ؟ وأين نرجو مجموعة رسوم ولت دزني الكاملة ؟

عبد الرحيم الطيب ابو محمد
٣٠٤٠٣

ـ ولد الفنان ولت دزني في ولاية كاليفورنيا بامريكا عام ١٩٠١ من أسرة فقيرة جداً .. ونشأ في كاليفورنيا وعمل رساماً كاريكاتورياً بسيطاً . وكانت وظيفته تلك لا تدر عليه إلا اليسير من قوت يومه فكان يسكن احد السراديب المظلمة لعجزه عن دفع اجرة غرفة . وفي هذا السرداب عاش ولت حقبة من الزمن وأنتج فيها رسوماته . ولشدة البرد في ذلك السرداب لم يكن ولت يستطيع النوم معظم الليل فكان يجلس ويراقب الحشرات والفئران ، وهي تخرج متلصصة لأكل فضلات الطعام التي كان يتركها بجانبه . وبعدها ولت دزني يسجل تلك الحركات بريشته ويبيعها للصحف . وكان معه في السرداب فأر وفأرة أخذ يراقب حركاتهما في حياتهما اليومية ويسجلهما بريشته ، وكانت منهما احسن شخصية قدمها حتى اليوم : شخصية « ميكي ماوس » التي اشتهر بها .

وللفنان ولت دزني اليوم مدينة باسمه في كاليفورنيا ، وشركته تعتبر من أضخم الشركات بها اليوم يساهمون كثيرون ، وتوضع دائماً في برنامج زيارة أي زائر هام لامريكا .

منظمة اليونسكو

● ارجو التفضل بالاجابة على سؤالي هذا : كثيرا ما اسمع بمنظمة اليونسكو ، فما هي هذه المنظمة ؟ ومتى تأسست ؟ وما هي اغراضها ؟ وشكرا .

ابراهيم عبد اللطيف النصف
الكويت

ـ منظمة اليونسكو هي احدى منظمات الأمم المتحدة .

اما اغراضها فيستدل عليها من اسمها . فلفظ يونسكو U.N.E.S.C.O. مكون من اوائل الكلمات الانجليزية الخمس الآتية United Nations Educational Scientific and Cultural Organization وترجمتها « منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم والتربية » وهو اسمها بالانجليزية . فهي منظمة لتوثيق هذه العلاقات الثلاث والمعونة في تنميتها بين الأمم .

وقد تأسست هذه المنظمة في نفس العام الذي تأسست فيه هيئة الأمم المتحدة ، وجعل مقرها باريس، بينما جعلت نيويورك مقرا للأمم المتحدة.

لا تظلم زوجتك .. فلكل قاعدة شواذ

● أنا موظف تقتضي ظروف عملي أن أغيب عن منزلي طوال العام ، ولا أترك زوجتي مع أهلي فلا أراهم إلا في الإجازة السنوية . وقد مضى على زواجنا أربعة أعوام دون أن تحمل ، إذ تأتيها العادة الشهرية كل ثلاثة أسابيع بانتظام وتستمر خمسة أيام في آخر مرة تغيب فيها عن القرية لم تأتها العادة ثلاثين يوما كاملة فاستبشرت بأنها حامل ، ولكنها ما لبثت أن جاءتها بعد هذه الأيام الثلاثين من جديد .. وكانت أجازتي قد أوشكت على نهايتها فلم أمكث معها بعد طهرها سوى أربعة أيام . وقد تلقيت أخيرا من أمي نبأ هد كياني وقلب حياتي جحيما بعد أن بلغني غبطة واستبشارا . وذلك هو أن امرأتي حامل ! وكيف تحمل وأنا لم ألبث معها بعد طهرها غير أربعة أيام ، بينما أعرف من قراءاتي أن المرأة لا تحمل إلا في فترة الإخصاب التي تقع في منتصف مدة طهرها ، أي في اليوم الرابع عشر ، لا اليوم الرابع !!

إن الشكوك تكاد تقتلني ... فإن معناها سواء أنها خانتني مع رجل آخر بعد سفري ، وأنا أكتب إليكم هذه الرسالة والدنيا مظلمة في عيني ، حتى بعد استقر رأيي على السفر إلى القرية والانتقام من تلك الخائنة بقتلها ، ولو ضاع بذلك مستقبلي وحياتي !

ترى هل أنا محق في شكوكي ... أم أن في الأمر شيئا غير الذي ذكرت ؟!

ممدوح مطلب – الرياض

– القول بأن المرأة لا تحمل إلا في منتصف فترة طهرها غير صحيح ، فإن فترة الإخصاب قد تبدأ في اليوم الثامن أو التاسع من بعد نزول العادة ومنها منتصف فترة الطهر التي ذكر . ومن المحتمل جدا أن تكون زوجتك قد حملت في آخر مرة لم العادة بها ، أي في اليوم الرابع من طهرها ، التاسع من بدء العادة .

فضلا عن أن هناك رأيا لفريق من أساتذة الفسيولوجيا يقول باحتمال حدوث الحمل عقب الطهر من العادة الشهرية مباشرة .. بل إن البروفسور « سيمسون رايت » ، يقول باحتمال حدوث الحمل حتى في فترة الحيض نفسها !

وليس حتما أن يكون الدم الذي نزل بعد اليوم الثلاثين من طهرها دم العادة الشهرية ، بل يحتمل جدا أن تكون زوجتك قد حملت في بدء الإجازة ، وهذا الدم هو مما ينزل عادة في الشهور الثلاثة الأولى من الحمل كما يقول الأطباء الاختصاصيون ...

فلا تترك نفسك نهبا للشكوك والظنون ، ولا تظلم زوجتك ، باتهامها بخيانتك ، واذكر قول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم » وقوله « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ».

الحابل .. والنابل

● في مقال « شرب الذي كاد يودي بصاحبه » المنشور بالعدد ٢٦ من « العربي » في سلسلة « أخطاء الحضارة » جاء في الكاتب ... وضمن معركة « اختلط فيها الحابل بالنابل » .. فما هو معنى هذه العبارة التي كثيرا ما ترد في الصحف ؟ وما هو الحابل وما هو النابل ؟ وشكرا

بشير نصر الزيتوني – جنزور – ليبيا

– الحابل هو الصائد ، لنصبه الحبال للصيد .. والنابل هو الرامي عن قوسه بالنبل .

و « اختلط الحابل بالنابل » مثل يضرب في ارتباك الأمر .

ويقال إن المراد بالحابل سدى الثوب ، وبالنابل لحمته .

ويقال أيضا « ثار حابلهم على نابلهم » أي أوقدوا الشر بينهم ، وهو مثل في الشدة تقع بين الناس .

ويقال كذلك « ثار حابله على نابله » أي أوله على آخره .

كما يقال « حول حابله على نابله » أي جعل أعلاه أسفله .

جزر هاواى .. او جزر السندويتش تنتج ٥٥٪ من محصول الاناناس العالمى

● لتشجعني المعلومات القيمة التي تنشرها مجلة العربي « القراء في ركن « طبيب الاسرة » وركن « انباء الطب والعلم والاختراع » وباب « اتتحسل . ونحن نجيب » ، على ان اطلب اليكم تزويدي ببعض المعلومات عن جزر « هاواي » : اين تقع ؟ وكم عددها ؟ وكم عدد سكانها ؟ ومتى تم اكتشافها ؟ وما هي أهم محاصيلها الزراعية والى اي دولة من دول العالم تتبع . ولكم خالص الشكر .

سعيد حماد / الطيبة
الاردن

– جزر هاواي هي الولاية الخمسون من مجموعة الولايات المتحدة الامريكية . وقد اعلن انضمامها الى هذه المجموعة في ٢١ اغسطس عام ١٩٥٩ وهي عبارة عن ٨ جزر وتبلغ مساحتها ٦٤١٥ ميلا مربعا، وعدد سكانها ٦٥٠٠٠٠ تقريبا ، معظمهم من اليابانيين ، الى جانب القلة من الامريكان الذين بدأوا يتوافدون عليها بكثرة في السنوات الاخيرة.

اما السكان الاصليون فقد اوشكوا على الانقراض ، وهم ذوو بشرة سمراء ، وقد عمدت الحكومة اخيرا الى وضعهم في قرى خاصة وراحت تشجعهم على ان يتزاوجوا من بعضهم البعض ، حفظا للنوع ، بعد ان كثر اختلاطهم بالبابانيين والامريكان .. وهم يعيشون في تلك الاماكن تحت قيود خاصة ..

وتقع جزر هاواي في المحيط الهادى ، بين امريكا واليابان على بعد ٢١٠٠ ميل جنوب غربي سان فرنسيسكو .

وهاواي هي كبرى الجزر ، وفيها العاصمة وفيها هونولولو والبو . ولكن اشهر مدنها « وايكيكي » على مقربة من مدينة هاواي ، فهي المصيف العالمي الذي يقصده السياح من كل مكان .

وتشتهر جزر هاواي بزراعة قصب السكر والاناناس ، واكثر من ٥٥٪ من علب الاناناس التي تباع في العالم من منتجات هذه الجزر . وارضها خصبة جدا ، وفيها تزرع كذلك البن والبطاطس والبندق والارز والموز .

ولا يعرف اسمها القديم ، وقد اكتشفت عام ١٧٧٨ وكان من اكتشفها هو الكابتن جيمس كوك وقد اطلق عليها يومئذ الجزر الساندويتش ، لوقوعها بين القارتين ، وكان يحكمها حكام محليون لها حتى عام ١٨٩٣ حيث اعلنت نفسها جمهورية، ثم انضمت اخيرا الى الولايات المتحدة الامريكية .

الديانات في الهند

● كلنا نعلم ان الهند شبه جزيرة كبيرة ذات حضارة قديمة وحديثة ، وانها انقسمت اخيرا الى قسمين هما الهند والباكستان ، فنريد ان نعرف ما هي الاديان التي تعتنقها فئات الهند ؟ وهل يوجد فيها مسلمون بعد انفصال باكستان عنها ؟ وما هي نسبتهم من مجموع سكان الهند ؟ وشكرا

علي العلوي
العراق – الحلة

– يبلغ عدد سكان الهند حوالي ٤٠٠ مليون نسمة منقسمين من حيث الدين الى الشعب التالية .

الهندوكية : ويدين بها حوالي ٣٥٠ مليونا، اي نحو ٨٥٪ من عدد سكان الهند .

المسلمون : ويبلغ عددهم حوالي ٤٧ مليونا منهم السنة والشيعة .

البوذية : وعددهم ٥ ملايين .

السيخ : وعددهم ٦ ملايين معظمهم في مقاطعة البنجاب .

الجينيزم : وكانوا هندوسا ثم تطوروا وعددهم ٥ر١ مليون .

الزرادشتية : وهم عبدة النار ويبلغ عددهم ١١١ الف نسمة .

المسيحيون : ويسكنون الساحل الجنوبي الغربي وعددهم ٦ر١٠ مليون .

« ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم »

● سمعت في خطبة الجمعة ان الرسول (صلعم) كفن عبد الله بن أبيّ بن سلول في جبته وصلى على جنازته ووقف على قبره ، والمعروف ان عبد الله بن أبي هذا هو كبير المنافقين ورأسهم ، وهو رئيس عصبة الافك الذين رموا عائشة رضي الله عنها بالافك وقصتها مشهورة في القرآن ، وهو الذي قال يوم بدر « لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل » . وقد نزلت في المنافقين سور وآيات كثيرة « والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » وقد نهى الله رسوله عن ان يستغفر لهم بقوله : « سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين » ، وقوله تعالى « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، وكما نهاه الله حتى عن الاستغفار ، نهاه عن الصلاة عليهم بقوله « ولا تصلّ على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره » اذا فكيف نفسر هذا التناقض بين ما سمعناه في خطبة الجمعة ، وبين القرآن العظيم !

محمد علي قاسم

منزا ـ الاردن

ـ كلنا نعرف ان الله سبحانه وتعالى وصف نبيه ورسوله بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » ، وقـال تعالى : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .. فاذا كان صلى على كبير المنافقين او كفنه في جبته ، فانما فعل ذلك بدافع من خلقه العظيم ، وقبل ان تنزل سورة التوبة التي وردت فيها الآيتان اللتان تشير اليهما في آخر سؤالك وهما : « استغفر لهم او لا تستغفر (آية ٨) ولا تصلّ على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره » الخ (آية ٨٤) .

ابولونيوس عالم برجا

● ارجو ان تنشروا ولو نبذة موجزة عن « ابولونيوس » العالم الرياضي : متى ولد ؟ ومتى اشتهر ، وما هي أشهر مؤلفاته وشكرا !

غريب عثمان العاقول

دار المعلمات : رام الله

ـ ابولونيوس البرجاوي Appollonius de Perga عالم رياضي وفلكي ولد عام ٢٦١ قبل الميلاد ، اي قبل ارشميدس بنحو ربع قرن ، وكان معلما للرياضيات في الاسكندرية .

له رسالة في الشكل المخروطي نقلها الى العربية هلال بن هلال الحمصي وثابت بن قرة بعنوان « رسالة في المخروطات » واصلها مخطوط في اكسفورد . ولقد اكسبته هذه الرسالة شهرة كاكبر علماء الهندسة في عصره . وهي في ثمانية كتب ..

وله ايضا رسالة في قطع الخطوط ، شرحها ثابت بن قرة ، ورسالة اخرى في « النسبة المحدودة » ورسالة رابعة في « الدوائر المماسة » .

ومما يدعو الى الاسف ان معظم مؤلفاته الاخرى في الهندسة قد فقدت ، وان كان منها ما تناوله العلماء الذين جاءوا بعده .

رهين المحبسين

● اين ولد ابو العلاء المعري ؟ واين توفي ؟ وما هي اشهر مؤلفاته ؟

س . ع . صبحة ـ ليبيا

المعري : ولد فيلسوف المعرة وتوفي في معرة النعمان ، في شمال سورية (٩٧٩ ـ ١٠٥٨ م) واشهر مؤلفاته : ديوانا شعر هما : « سقط الزند » و « اللزوميات » ثم « رسالة الغفران » .

المسئولية اولا على اهلك ....

● انا فتاة في سن ١٨ ، تركت اتابع دراستي بالقسم الادبي بالتعليم الثانوي ، احببت شابا في سني ، حب البداءة ، وكنت التقي به كل يوم بحديقة حبنا ، فنتبادل كلمات الحب . فعلم اهلي بذلك واستحسنوه واتفقوا معه على أن يزوجوني له ما دام الحب يربط بيننا ، على ان يتم الزواج بعد تخرجه من الجامعة وبعد انتهى دراستي ، وطلبوا منه أن يحافظ على شرفي وعرضي ، وان لا يغره الشيطان فيعمل ما لا تحمد عقباه ، وسمحوا لي بالذهاب معه الى الحفلات والسينما والرحلات . فازداد حبي له حتى كنت لا اكاد افارقه ، ولكن هذا الحب يجعلني اقف منه موقف الخادمة من سيدها ، اذ كنت البي كل طلباته ، وكنت اساعده على شراء ملابسه وكل ما يحتاج اليه . لاني والحمد لله من عائلة غنية . ولكن هذا الحب ادى بي الى مأزق حرج ، اذ ارتكبت غلطة كبيرة حيث لم استطع ان امنعه من نيل مأربه فوهبته جسمي ، ووقع ما وقع ، ولكن الذي يعكر صفو حياتي هو اني بدأت اشعر بأعراض الحمل .

فلما صارحته بالامر ضحك مستهزئا بي قائلا : « أنا بريء لم افعل شيئا ! لم تكن تربطني بك اي صلة او اي حب ! » محاولا أن يخرج نفسه من المشكلة بهذه الكلمات

سيدي : ماذا اصنع ؟ اأخبر امي ؟ أم انتحر ؟!

ان استمراري في التفكير في هذه المشكلة سيؤدي الى الجنون ، وكل ما اطلبه منكم هو ان تفكروا معي قليلا وتجدوا لي حلا لما انا فيه ، وشكرا لكم .

فاطمة . ل — الدار البيضاء

ردود خاصة

● **اسماعيل الزاوي : محلة راس القرية — بغداد .**

— في القاهرة عدة اطباء أخصائيين لعلاج هذه الحالات بنجاح ، وكذا في بيروت

● **رفيق عبد الجبار**

— ليس في استعمال الحبوب المانعة للحمل اي ضرر للزوجة الشابة اذا ما أخذتها تحت اشراف طبيب مختص .

● **سالم علي محسن : من اليمن**

— قولك « طلقت زوجتي » ثلاث مرات في مجلس واحد ، ليس الا طلقة واحدة ، ولك أن تراجعها اذا لم تكن قد انتهت عدتها . وبهذا تأخذ المحاكم الشرعية ومحاكم الاحوال الشخصية .

● **عيسى نقولا اسحق : الكويت**

— يمكن أن ترسلوا « كتاب المراهقة لبطريرك اورشليم » على أحد رجال الكنيسة لتقدير قيمته الأثرية فهم بذلك أدرى .

● **صالح عيسى : دار المعلمين — سوريا**

— ما دامت خالتك قد أرضعتك أكثر مما أرضعتك أمك فكل بناتها محرمات عليك ، لانهن اخواتك من الرضاع ، سواء منهن من رضعت معك ومن لم ترضع .

● **رشيد سالم الجزائري : عراق . سليمانية**

— لم يصل الطب بعد الى علاج حاسم لمرض السرطان .

● **محمود سعد : سوريا كرتا — اندونيسيا**

الصور التي تنتقدها ليس فيها ما ينافي وحرمة الاسلام أو كرامة المسلم .

● **سعد عبد العزيز الفوزان : الشامية — كويت . خالد تاج سلامة : جدة — السعودية .**

ثم عليكِ .. واخيرا على صاحبكِ الجبان

ـ لولا نحن ننشر هذه المآسي لتعتبر بها الغريرات من الفتيات الساذجات ، اللاتي يخرجن الى الحياة وهن غير محصنات ، بدين او بخبرة من حياة .

ثم نقول لهذه الفتاة : طبعا يجب ان تسارعي بمصارحة امك ، كي تصارح هي بدورها اباك ، ان كان لك اب ، او تتدبر الامر مع من تسميهم أهلك ، اولئك البلهاء الذين اسلموك بأيديهم الى ذئب بشرى ، هو الآن يسخر منك ومنهم ، ويستهزىء بك وبهم ، ويزعم انه برىء !

وتزعمين انك لم تستطيعي ان تمنعيه من نيل مآربه الدنيئة .. هل تراه اكرهك وانت فتاة بالغة رشيدة متعلمة ؟!

لماذا لا تقولين انك شجعته على فعلته ؟ بل من يدري ؟ أليس من الجائز ان تكوني انت التي اوحيت اليه او اغريته على ما فعل ؟!

والآن تبكين ، وتندمين ، وتطلبين الراي والمشورة ؟! ما كان اغناك عن ذلك كله ، وانت لو كنت فتاة فاضلة لاوقفته عند الحد الذي لم يكن ينبغي ان يتجاوزه ... ولما سخر منك اليوم او يعبق كلما رآك !!

ان على اهلك ـ الاذكياء الاغبياء ـ ان يلقنوه الدرس الذي يجب ان يتلقنه كل ذئب ، فيتزوجك ، طوعا او كرها .. والا فليتحملوا من الفضيحة والعار مثل ما تتحملين او يزيد ، لانهم هم المجرمون الحقيقيون !

ومن رعى غنما في ارض مسبعة　　　　ونام عنها تولى رعيها الاسد !

عرفات هزاع العمرى : الرياض ـ السعودية .

ـ شكرا لرسائلكم .

● عبد العزيز عبد الحميد دبيج : ع.م.م. ، ا.ع. ايوب : الاردن .

ـ ليس لرض الصرع او شلل الاطفال علاقة بزواج الاقارب ، وان كان المعروف لدى الدوائر الطبية ان زواج الاقارب ينتج ـ في الغالب ـ ذرية ضعافا .

● ابراهيم محمد القنام : الثوية ميرة ـ السعودية .

ـ العبارة التي تسأل عنها مستقيمة لا لبس فيها ، فارجع الى ما قبلها تعرف المقصود منها .

● عملية الختان اول من دعا اليها سيدنا ابراهيم ابو الانبياء ، وهي ليست مقصورة على المسلمين فاليهود ايضا يختنون ابناءهم منذ الاسبوع الاول . اما ختان البنات فيرجع الى عهد الفراعنة ، ولذا سمي الختان الفرعوني . وهو ليس شائعا في غير مصر ، وقد عدل عنه اخيرا وهو في سبيله الى الزوال .

● فتاة حياتها عذاب وحرمان : الاردن

ـ صاحبك هذا يعبث بعواطفك مما فاحذري . اما اذا تقدم لك خاطب جاد فلا تترددي ، وان وقفت امك في الطريق فاستعيني ببعض الاقارب الكبار على اقناعها بأنك لست فتاة صغيرة .

● نسيمة عظيم السامر : الثورة العلى ـ العراق .

ـ شعرك دون المستوى المطلوب . حبذا لو كرست وقتك لدراستك ، وبعدها تستطيعين ان تكتبي ما تشائين ، خصوصا وان اسلوبك يبشر بالخير

● ا . العيراني ـ صيدا : لبنان

من زمة نفسيه ، لا فسيولوجية ، ستزول اذا ما نال جسمك حظه من الرياضة و ...

اضحك

تضحك الدنيا معك

إياك تبكي وحدك ..

انجازات

● ارسلت فتاة طلبا للعمل الى شركة، ولما قابلها مدير الشركة سألها هل صنعت في عملها السابق أعمالا فوق العادة تشفع لها في هذا العمل الحاضر الذي تطلبه .

قالت الفتاة ، نعم ، كسبت كثيرا من مسابقات المجلات ، وحللت كثيرا من الغاز الكلمات المتقاطعة .

قال المدير : ولكني اريد شيئا كنت تعملينه في ساعات العمل .

قالت الفتاة مؤكدة : نعم ، نعم ، هذه الانجازات كانت فعلا في ساعات العمل يا سيدي .



في الجراج

● صاح صاحب الجراج، في التلفون، لرجل الاعمال في بيته : اخبرك يا سيدي ان زوجتك جاءتنا لاصلاح السيارة ، ودخلت بها الى الجراج ..

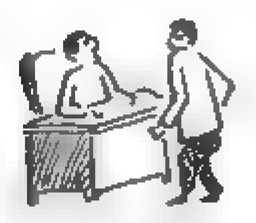
مقاطعه صاحب الاعمال محتقنا : وماذا في ذلك . اسرع وقم باصلاح السيارة .

صاحب الجراج : المسألة ليست مسألة اصلاح سيارة . المسألة مسألة اصلاح الجراج !

بالامر !

● سأل الاب ابنته المتخصصة في التدبير المنزلي : هل تسمح المدرسة لكن أن تأكلن من الطعام الذي تعددنه اثناء درس التدبير المنزلي ؟ فاجابت الابنة .

ـ تسمح .. ! انها تكرهنا على اكل الطعام الذي نعده !



طالب عمل

● كان رئيس عمل يمتحن طلاب عمل .

وسأل الرئيس رجلا : كم سنك ؟

الرجل اربعون سنة .

الرئيس : وكم سنة قضيت في عملك السابق ؟

الرجل : خمسين سنة .

الرئيس : كيف . وعمرك فقط اربعون .

الرجل: الزيادة كانت «اعمالا اضافية» بعد اوقات العمل الرسمية .

عند العالم الروحاني

● فقدت سيدة زوجها ، وتاقت بعد ايام الى رؤيته . وعلمت ان العلماء الروحانيين يستحضرون الارواح ، فذهبت عند احدهم وسألته ان يستحضر لها روح زوجها .

واعد الروحاني عدته . الحجرة المظلمة . والستائر المرخاة ، والمائدة المستديرة ، والشمعة الموقدة . ولم تلبث المرأة ان سمعت صوت زوجها يدوي في الحجرة . قال لها : جميل جدا يا عزيزتي ان أراك مرة اخرى . اود ان تصنعي لي شيئا .

الزوجة أي شيء . قل ما تشاء .

صوت الزوج : ارسلي اليّ صندوقا من السيجار المختار الذي كنت احبه في الحياة . انا في غاية الشوق الى سيجار منه . اسرعي ، عجلي .

وانقطع الصوت بغتة .

وبعد فترة ، والصمت سائد ، التفتت المرأة الى العالم الروحاني وقالت . ولكنه لم يترك العنوان الذي ارسل اليه السيجار .



بلغ التجويرات في معرض الفن بحكم المهنة !!

* * *

قال الروحاني : هذا العنوان سهل معرفته يا سيدتي . ألم تلاحظي انه لم يطلب مع السيجار كبريتا !

عند الطبيب النفساني

● دخلت سيدة كاسفة البال الى عيادة طبيب نفساني . فلما وجدها الطبيب على هذه الحال سألها ما بها . قالت : اني يئست من الحياة ، فالحياة صارت عندي شيئا مزعجا مختلطا لا يطاق .

قال الطبيب في كثير من الحنان : مرحبا سيدتي .

واخذ الطبيب يقول انها في حاجة الى علاج يستمر عدة اشهر ، واجر الزيارة الواحدة ثلاثة جنيهات .



فسكتت السيدة هنيهة تفكر ، ثم قالت : نعم يا سيدي الطبيب . الامر كما قلت : كل عنده مشاكله . ولكن ما ذكرته لي الآن جدير بأن يحل مشكلتك انت . فما بال مشكلتي انا ؟

طرائف عربية

ابناء آدم

● اشتدت حاجة فقير الى الدراهم، فقصد أحد الاغنياء وقال له :

ــ انا احد اقاربك .

ــ من اى جهه ؟

ــ من جهه ابينا آدم .

فأخرج الغني من جيبه قرشا وقال له .

ــ اذهب الى جميع ابناء العائلة ليعطيك كل واحد كما اعطيتك !

والله انك لساحر !

● سرق اعرابي عشرة دراهم ، ثم دخل المسجد يصلي ، وكان اسمه موسى ، فقرأ الامام :

ــ وما تلك بيمينك يا موسى .

فقال الاعرابي :

ــ والله انك لساحر ! ثم رمى الصرة وهرب .

خذ الشعرة من لقمتك

● قال معاويه لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال الرجل : وانك تراعيني مراعاة من يرى الشعرة في لقمتي ! والله لا اكلت لك طعاما بعد اليوم .

ما احسن هذه الكناية !

● وقفت امرأة على قيس بن عبادة فقالت :

ــ اشكو اليك قلة الجرذان !

فقال : ما احسن هذه الكنايه ! املأوا بيتها خبزا وسمنا .

يا ليتها كانت القاضية !

● عاد بعضهم نحويا فقال . ما الذى تشكوه ؟

قال : حمى جاسية ، نارها حامية ، منها الاعضاء واهية ، والعظام بالية .

فقال له : لا شفاك الله بعافية يا ليتها كانت القاضيه !!

اســــــاءة

● كان أحد العلماء يمشي ليلة ، فسمع غناء رجل من بيت ، فتسور عليه فرآه مع امرأة يشربان الخمر . فقال :

ــ يا عدو الله ، ارايت ان يسترك الله سبحانه وانت فى معصية !

فقال : يا امير المؤمنين لا تعجل ، ان كنت عصيت الله فى واحدة فقد عصيته انت فى ثلاث . فقد قال الله

الحسن والقبح

● كان احمد بن ابي طاهر قبيح الوجه ، وكان له جارية من أحسن النساء ، فضحكت اليها يوما فعبست في وجهه .
فقال لها : اضحك في وجهك فتعبسين ؟
فقالت : نظرت الى ما سرك فضحكت ، ونظرت الى ما ساءني فعبست ..

ربح الموت ..

● دخل جرير والفرزدق والاخطل على عبد الملك بن مروان ، وبين يديه صحفة من الذهب ، فقال هي لأجودكم شعرا بنفسه .
فقال الاخطل :

أنا القطران والشعراء جَرْبَى ... وفي القطران للجَرْبَى شفاءُ

قال الفرزدق :

فان تك زقّ زاملة فاني ... أنا الطاعون ليس له شفاء

فقال جرير :

أنا الموت الذى آتي عليكم ... فليس لهارب مني نجاء

فقال عبد الملك : ربح الموت ...

انت حر لوجه الله

● قال بعض البخلاء لغلامه : هات الطعام واغلق الباب .

فقال : يا مولاي هذا خطأ .

قال : ولم ؟

قال الخادم : قل اغلق الباب وهات الطعام .

فقال له : انت حر لوجه الله، لمعرفتك بحزم الامور .

لم ار أعرف منك بالنحو

● قال ابو العير : سألني ابو العباس ابن ثعلب ' الظبي ، معرفة أم نكرة ؟
فقلت : ان كان مشويا على المائدة فمعرفة ، وان كان في الصحراء فهو نكرة .
فقال : ما في الدنيا أعرف منك بالنحو.

الخليفة

تعالى:﴿ولا تجسسوا﴾وقد تجسست . وقال ، ﴿واتوا البيوت من ابوابها﴾ ، وقد تسورت علي" . وقال ﴿لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ ، وقد دخلت بغير سلام .

فقال الخليفة : اصبت فهل تعفو ؟

فقال : نعم ، وعلى ان لا تعود لمثلها !



قصة بقلم : فرنسوا كوبيه

■ أعطيت معطفي للعاملة ، وهممت بالدخول الى قاعة الاوركستر عندما رأيت شخصا يدخل من الباب الجانبي ، ولم أكد أتبينه ، حتى عرفت فيه المثال الكهل لويس سنيشال . واردت أن استبقي انتباهه فانتظرته .

وكنت أكن لسنيشال صداقة ملؤها الاعجاب والتقدير لمثالته ، واعرف أن قلبه ينطوي على حب الخير والمعروف على الرغم من مظهره الخشن. ولكن أهالي حي سان جرمان يعرفونه معرفة طيبة اذ اعتاد أن يغسل وجهه صباح كل يوم عند الصنبور القائم في آخر شارع فال دي جراس ، وقد روى لي بنفسه ، وهو مكب في مصنعه على صياغة تمثال وشذابة تمونجه ، قصة حياته الماضية ، تلك الحياة التي حفلت بالعمل المضني الشاق والبؤس المرير. والآن وقد أصبح مشهورا ، واعترفت الاكاديمية بفنه وموهبته ، وانتخبته عضوا من اعضائها البارزين ، فاني اعرف انه ينفق اكثر دخله في أبواب كثيرة من أبواب الخير. وقد ذكر لي بعض أصدقائه كيف أنه يتنازل عن مرتبه الذي ترتبه له الاكاديمية لامرأة مسكينة كان لها منذ خمس وعشرين سنة خلت أجمل جسم في باريس كلها ، ووقفت موديلا لسنيشال أيام فقره وبؤسه ، وكان تمثالها الذي صاغه مثلا منها سبب شهرته .

وقد أردت أن أراه قبل بدء المسرحية لأتحدث معه عن صديقه اوكتاف فوييه ، ذلك الشاعر الذي طواه الموت منذ عشر سنوات وهو سائر في أحضان البؤس والفاقة ، ثم ذاعت شهرته بعد ذلك الى حد بعيد بحيث أن أول حفلة تمثيلية التي خلفها بعد موته ازدحم الناس حرصا على رؤيتها ازدحاما .

وعندما وقفت عينا سنيشال عليّ سألني وهو يمد لي يده :

ـ هل مقعدك رقم ٦٣ ؟

ـ وهل مقعدك رقم ٦٥ ؟

ـ نعم ... هذا حسن

ـ ستتحدث قليلا اثناء الاستراحة اذن .. ولكن صبرا حتى أتخلص من معطفي .

وسمعت عندئذ صوت امرأة يقول على مقربة منا :

ـ أعطني معطفك وقبعتك يا مسيو سنيشال .

ورأيت عندئذ منظرا أثار دهشتي ، فإن المثال الكبير ، وهو بثوب السهرة الأنيق ، وقف منبسط الأسارير أمام امرأة عجوز ذابلة ترتدي ثوبا بسيطا أسود تزينه الشرائط باهتة اللون ، وراحا يتبادلان النظرات ويشد كل منهما على يد الآخر والسعادة اغرورقت عيناهما بالدموع . ومن قبل أن يكترث بمن حوله طبع سنيشال قبلتين على وجنتي المرأة ثم قال لها في تأثر بالغ :

ـ تشجعي يا عزيزتي كليمانس .. فقد التقينا..



.. كانت تحاول أن تخفف على العجوز ساعة احتضاره ، ذلك الذى تحبه والذى أمضى حياته فى خيانتها ..

أليس كذلك ؟ .. سوف أصحبك الى منزلك بعد انتهاء المسرحية .. سنمضى سيرا على الاقدام فى بطء وسوف نتحدث عنه .. ولكن ، هل ستشاهدين مسرحيته ؟

فأجابته المحررة : ـ نعم لقد وضعوا لى مقعدا صغيرا بجوار الباب وهى منة كبيرة منهم .. ولكن معذرة يا مسيو ميشال .. ان عملى يستدعينى.

وبينما انهمكت العاملة فى تناول معاطف الرواد ومظلاتهم أفلتنى العجوز من يدى وجليتى داخل القاعة . وابتسم ابتسامة حزينة لما رأى دهشتى وقال فى صوت رقيق .

ـ هلم بنا الى مقعدينا .. سأوضح لك معنى ما رأيت وما أثار دهشتك . انها قصة مؤلمة محزنة . ولكنها تؤكد لنا أنه ما زال فى الدنيا قلوب منزهة عن كل غرض .. هيا .. فسوف ترفع الستار

★ ★ ★

ما زال الناس يذكرون ذلك النجاح الباهر الذى أصابته مسرحية «الفرسان الصالحون» التى افتتح بها مسرح الاوديون موسمه ، والتى ظلت تمثل على خشبته أكثر من مائة ليلة متتابعة . هذه المسرحية الشعرية المشهورة التى لا يمكن مقارنتها الا بأسطورة من أساطير الاجيال الخالدة ، والتى

انتزعت من أول مشهد لها اعجابا منقطع النظير . وعلى الرغم من أن الشعب الفرنسي ظل خمسة وعشرين عاما يشهد الاوبرات المختلفة التي كانت كلها تسير على وتيرة واحدة على الرغم من اختلاف مواضيعها ، فانه استيقظ فجأة عندما جاءت هذه التحفة الفهمة فأثارت انتباهه واهتمامه . ولم يسمع احد في تلك الليلة همسات النقد والضغينة والحسد التي تعرفها المسارح في مثل هذه المناسبات . ولا عجب فان مؤلفها لم يكن في عداد الاحياء فقد طواه الموت قبل عشر سنوات بحيث لم يعد له اعداء .

وما اسدل الستار على الفصل الأول حتى دوت الأكف بالتصفيق حتى كانت تدمى .

وصاح ستيشال والستار يهبط ببطء :

ـ صفقوا ايها الرفاق ما طاب لكم التصفيق .. ان تصفيقكم هذا لم يمنع فيرجيه من ان يظل جوعا عشرة اعوام كاملة لانه لم يجد مسرحا واحدا يقبل ان يمثل مسرحيته . صفقوا ايها الرفاق فهو قد مات ولن يرده الموت ليكتب قصة خالدة اخرى .

وقلت اسأل الممثل الكبير واذكره بالوعد الذي قطعه لي :

ـ اذن فقد لقي فيرجيه من البؤس وعسف العيش الكثير ؟

فأجابني ستيشال : ـ بل لقي شبابه وهو يعاني منهما يا صاحبي ، وهذا هو السبب في انه لم ينتج كثيرا من روائعه ، فان هذا الشاعر البائس الذي كان في مسيس الحاجة الى الراحة والخلود الى الاحلام ، اضطر فترة طويلة الى الاضطلاع باعمال كثيرة حقيرة في سبيل لقمة العيش فكان ينسخ المخطوطات بكفه الاجير .. وبعد ذلك رزقه الله بميراث .. ولكني ارى القاعة تخلو من المشاهدين ، وستكون فترة الاستراحة طويلة ، وقصتي قصيرة فاصغ الي ..

واستطرد يقول :

وعندما عرفت فيرجيه كان كل منا في الخامسة والعشرين من عمره . وكان قد ترك دراسة الحقوق واخذ يدرس الآداب ، وكان ذلك سببا في الشقاق بينه وبين اسرته . وكان ابوه ، وهو موثق العقود ، رجلا صارما شديدا حاد الطبع ، فقطع عنه كل ما كان يمنحه به من مال . غير ان الشاب لم يكترث بهذا العمل ولم يهتم بشبح البؤس ثم انه كان لأوكتاف فيرجيه أقارب موسرون فكان في مقدوره ان يستدين وكان بذلك ايسر منا حالا . وكان عندما يتقدم الى مستشفى في فوجيرار نداعبه بسبب اربطته الزاهية وثيابه المخملية . وكنا نسميه بالمتأنق .

وكان اوكتاف في ذلك الوقت شابا اسمر طويل الشعر متجعده له لحية قصيرة وعينان حالمتان . وكانت له مغامرات كثيرة في الحي اللاتيني . وفي اثناء مغامراته هذه تعرف بكليمانس ..

فقاطعته قائلا : ـ ماذا تقول ! .. كليمانس .. هذه المرأة العجوز التي اخذت منك معطفك منذ هنيهة ؟

ـ نعم .. والحق انها لم تكن شيئا يستحق الذكر في ذلك الوقت . كانت في العشرين من العمر ، جميلة ، نحيلة العود ذات شعر طويل بلون العسل .. ولكنها كانت يتيمة الابوين ، نشأت تضرب في شوارع باريس بحثا عن اللذة ولقمة العيش .. واخيرا ماذا اقول لك ؟ .. لقد رآها اكثرنا مجردة من ثيابها كلها .. والتقى اوكتاف بها في مقهى برادو وعاشا بضعة ايام معا ثم افترقا . واجتمعا مرة ثانية ثم افترقا من جديد ، الى ان حدث ذات يوم ان ذهبت انا واوكتاف الى مطعم ما فالفيناها جالسة امام طبق من الحساء لا تقربه وهي ترتجف من الحمى . واصطحبناها على الفور وادخل احد طلبة كلية الطب فقال انها تعاني من نزلة صدرية . ولم ندر ماذا نفعل ، فقد كانت الفتاة تقطن في غرفة حقيرة مظلمة . ثم انها لم تكن تملك مالا . وعندما ذكر الطالب كلمة مستشفى انخرطت الفتاة في البكاء . وكان اوكتاف طيب القلب ، فاخذ الفتاة المسكينة في عربة وذهب بها الى مسكنه ، وسهر على تمريضها والعناية بها كما لو كانت اخته حتى شفيت . ولما اصبحت في دور النقاهة لم يلق بها خارج مسكنه بل ابقاها .. ابقاها معه عشرين عاما .

ـ عجبا ! . أتعني ان فيرجيه الشاعر عاش مع هذه المرأة ..

ـ هذه الفتاة يا صديقي كانت من فتيات الشارع ، بائعات الهوى ، وقد ارتكبت حماقات كثيرة وهي في العشرين ، ولكنها كانت طيبة القلب وفية ، جعل منها حسن الصنيع اشد اصدقاء اوكتاف وفاء واخلاصا . ولكن ايام الشدة اقبلت . كان المحسنون يعرفون ان فيرجيه على شقاق مع اهله ، فاصبح لزاما عليه ان يشتغل لكي يعيش . آه ! يا لتلك الايام العصيبة التي عاشها الشاعر وبقيت حتى اكتملت عشرة اعوام ! غرفتان في الدور

الخاص من بيت حقير كان ينتقل منه كل صباح متعلقا بسلم الاوتوبيس حتى المكتبة العامة بشارع ريشيليو ، وهناك يعكف على نسخ المخطوطات القديمة ، ثم يعود مع الليل ، فيتناول العشاء البسيط الذي تعده له كليمانس ، وبعد ذلك يعكف على نسخ ما ينتخب منه على ضوء المصباح الباهت حتى الثانية او الثالثة صباحا مستعينا على السهر باقداح القهوة . ولو ان الشاعر كان يعيش وحده في ذلك الوقت لقضى منذ زمن طويل ، ولكن كان الى جواره فتاة من عامة الشعب ، تذكرت منذ ذلك انها كانت تشتغل ببيع الزهور ، فعادت الى عملها هذا واستطاعت بذلك ان تقدم العون الى حبيبها . تلك الفتاة الرقيقة ، التي فاقت شجاعتها شجاعة غيرها من فتيات المجتمع ، ظلت على مقربة منه ولم تحاول ان تنطق ولو مرة واحدة طول هذه السنوات العشر بهذه الجملة الخالدة التي تجيد النساء النطق بها في مناسبة او غير مناسبة .

« لم يعد عندي ثوب ارتديه » .

هذه الصبية الرقيقة التي راحت تمسح من وقت لآخر على جبينه ، وترفع عنه خصلات شعره ، وتطبع على خده قبلتها الحانية المنعشة . واذا كان الوقت الثاني بعد ذلك الرقاد من الفتاة بحيث لا يكفيه ، فقد كان ينام نامم البال مستريح النفس مطمئنا الى هذا القلب العطوف الذي يحنو عليه .. والآن يا صديقي ، اما زلت عند رايك عن هذه الفتاة ؟

★ ★ ★

— ولماذا لم يتزوجها بعد أن عاش معها هذه السنين الطويلة ؟ .. الم تكن هذه التجربة كافية ؟

— مهلا يا صاحبي فهنا محور القصة . كانت كليمانس تحب اوكتاف وتعبده ، ولكنه لم يكن يحبها وانما آلفها بحكم العادة . وذات يوم مات والده وورث عنه دخلا بلغ عشرين الفا من الفرنكات .. آه ، لم يكن جاحدا فقد اشترى لكليمانس قرطا ماسيا ثمينا ، واصبح في مقدورها ان تلبس الثياب الحريرية الغالية ، وان تخطر بها في البيت الجميل الذي اشتراه . ولكنه اراد ان يعيش وان يتذوق من الدنيا مباهجها وهذا شيء طبيعي ، وطبع ديوان شعره الاول وعنوانه « اشعار جريئة » ولكن النقاد قابلوه بعاصفة من السخرية والنقد اللاذع ، مع ان نفس هذا الديوان يستأثر الآن باعجاب الجميع . ومهما يكن من امر فان هذا الديوان رفعه الى زمرة الشعراء الحقيقيين ، ثم فتحت اليه الندوات واصبح ينقاد الى الاجتماعات السهلة الصاخبة . وكان لا يزال جميلا على الرغم من انه كان متعبا مكدودا دائما ، فاعجبت النساء به وانصرف الفتاة الى جوارهن في سهولة . وما من شك في ان كليمانس المسكينة كانت مؤمنة انه يخونها ، ولكنها مع ذلك لم تشك او تتذمر ، ولا ريب في ان مرآتها قد حدثتها بانها ذبلت خلال اعوام البؤس والشقاء . ثم ان الايام بدالت حبيبها اوكتاف الى طلب امرئ يضرب صفحا عن ضعف المحبوب ، وحدث ان ابدت احدى السيدات دهشتها وسألتها كيف تصبر على خيانته لها ، فردت عليها قائلة : « آوه ، حسبي انه يعيش معي » .

ومرت الايام . وعلى الرغم من ان غريميه لم يكن قد تجاوز الخامسة والاربعين فقد وخط الشيب شعره . واستمر في انصراف اللذات غير مكترث بمحالته ، ملتمسا فيها السلوى والعزاء عن خيباته الادبية ، اذ ابى النجاح الا ان يولي عنه طول حياته . اما كليمانس ، فعلى الرغم من انها لم تكن قد بلغت الاربعين بعد فقد بدت كانها عجوز في الستين . وذات مساء من امسيات الصيف ، بينما كنا مجتمعين عند غريميه نشرب وندخن ، اذا به يغمى عليه فجأة . ولم تكن هذه اول مرة يصاب فيها بالاغماء ، فقد انتابته قبل ذلك لازمات كان لا يلبث ان يفيق منها بعد قليل . ولكن كليمانس جزعت في ذلك المساء . وكان بينا طبيب استشاره كليمانس ولكنه لم يبد رايا قاطعا ، ونصحها ان تلجأ الى بوبو الاخصائي الكبير . وكشف هذا الاخير على اوكتاف وطمأنه ولكنه اطلعه على الحقيقة فقال له انه مصاب بمرض القلب .

ولم تشتد العلة بغريميه في بادئ الامر ولكن المرض جعله رزينا عاقلا فنظر الى الامور نظرة اخرى . وراحت كليمانس تحنو عليه وترعاه في حب واخلاص ليس لهما نظير . واحدث هذا كله اثره الطيب في غريميه ، ففي ذات مساء بينما كنت اشاطرهما العشاء في مسكنهما قال لي :

— هل تعرف علام اتفقت انا وكليمانس ؟ .. اننا نعيش سويا منذ عشرين سنة تقريبا ولم نتزوج بعد ، اليس هذا هو الجنون بعينه ... سوف اتزوج بعد ايام انت وثلاثة من اصدقائنا فنذهب معا الى البلدية ثم الى الكنيسة ونعود بعد ذلك الى المنزل لتناول الغداء .

فقلت وانا أنظر الى كليمانس : ـ مرحى !

ولكن عيناه اغرورقت بالدموع واندفعت تقول في انفعال : ـ

ـ ارايت الطيب واكرم من حبيبي اوكتاف .. ولكني لا اريد ان تقام حفلة الزواج يا ستيشال الا بعد ان يتم شفاؤه ويسترد عافيته فاني اريد ان يكون زوجي في اتم الصحة امام القسيس .

★ ★ ★

ولكن وا اسفاه ! .. لم تمض خمسة عشر يوما حتى لزم فيرميه الفراش ، فقد كان ابنه كتابه الأخير . إذ ان المسرح الفرنسي رفض تمثيله فزاد ذلك من حزنه وضاعف علته . واشتدت بوبو مرة ثانية فنصحه بالابتعاد عن الانفعالات . وراح اصدقاء الشاعر يتحسرون عليه سلفا . اما انا فبينما كنت اشاطرهم احزانهم كنت افكر في كليمانس .. شريكة حياته . ولم يكن فيرميه قد كتب اية وصية ، واخذت اتساءل ماذا يكون من امرها اذا لم يتزوجها .

ورأيت ان اتحدث مع المرأة المسكينة في ذلك ولكنها ما كادت تسمع اولى كلماتي حتى سقطت بين ذراعي وقالت باكية :

ـ كلا . محال يا ستيشال .. لن اجد من نفسي الشجاعة للاقدام على هذا العمل قط .. وكيف اذكره بوعده .. ! ان معنى ذلك انه سيصارع وهو يظن ان الموت بعيد عنه . انه يعتقد انه سوف يبرأ بعد قليل ويغادر فراشه صحيحا معافى .. وقد افهمت الطبيب ان فيرميه المسكين سيظل على اعتقاده هذا حتى النهاية وانه سيلاقي ميتة هادئة .. وانا اذا ذكرته بوعده لي فسوف اعجل بدنو نهايته واقتله .. محال .. اقول لك محال .. اوه انني اعلم ما الذي ينتظرني .. ان الورثة سيطردونني .. وسوف ارتمي في احضان البؤس من جديد ، ولكني لا ابالي فاني حتى اقنعته ان اصبح بحاجة الى اي شيء . اتقول انني اتنكب جادة الصواب ؟ .. وهل كان هو عاقلا عندما اخذني الى غرفته الحقيرة ، انا بنت الهوى وراح يحنو بي ويمرضني حتى شفيت .. انني استطيع ان افخر يا ستيشال بانني لم اوله قط .. وما دام قد اصبح مقضيا عليه بالموت فكل ما اطلبه من الله هو ان يموت بين ذراعي شريكته ، من غير ان يدري ، وهو يراني ابتسم له .

واردف الشاب الكبير يقول وهو يشيع بعد الرابطة علي ذراعي :

ـ هكذا مات فيرميه يا صديقي . ولم تشأ كليمانس ان تتركني معه على انفراد قط ، بل كانت بجانبي تتوسل الي صامتة ان لا اتكلم ، وتعبت شروة حافلة رجاء ان تخفف على المحتضر سكرات احتضاره ، ذلك الذي تحبه والذي اتى حياته في خيانتها مع سنه كثيرات .

وفي غداة موته اقبل اقاربه من الارياف ، وكانوا قوما غلاظ القلوب قساة ، فاختصلوا كل شيء وطردوا كليمانس طرد الكلاب . وقد لقيت من اهتم بها طبعا ، فلن بوديه ، المؤلف المسرحي استطاع ان ييسر لها وظيفة عاملة حافظ الثياب في هذا المسرح . وهي وظيفة لا تكاد تكفيها لكي تعيش ، والعسيا لم يعد فيها قلوب نبيلة .. ولكن مهما يكن فهي تعيش ..

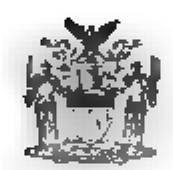
فقلت وانا اشد على يده : ـ انني افهمك .

وعاد يقول وهو يضرب بيده على جبينه :

ـ وكلما فكرت في ان هذه المرأة المسكينة لم تصبح الكلمة حتى اليوم منام فيرميه ، والتالت تجلس في مقصورة الشرف يوم اليها رجالات المجتمع ويتسابقون للتقديم لهم لها .. ولكن مهما يكن فهي اليوم سعيدة راضية الا تسمع القوم يحتفلون لحبيبها اوكتاف ، ويصفقون لاشعاره الجميلة التي لا تفهمها ، والتي تعجب بها مع ذلك .. ولعل هذا هو اجمل ما في العالم يا صديقي فيها هو الايمان .. واني اليوم اريد ان اتمم سعادتها .. ففي كل يوم احد تتناول طعام العشاء معي حيث اقدم لها العشاء في الساعة الخامسة التي تصل فيها الى المسرح في موعدها . اما الليلة فسوف اراقبها للعشاء في احد مطاعم الدرجة الاولى كما كان يفعل اوكتاف ايام الحفلات الاولى وسوف تتصحصحتي الثلاثبيتابعا .. والتي صه يا صديقي الآن فان الستار يرفع عن الفصل الثاني

وهذا هو السبب في انني في منتصف الواحدة بعد نصف الليل من تلك الليلة كنت اجلس في مقهى فواتي مع جماعة من طلبة مدرسة الفنون الجميلة ، وانظر الى دهشتهم وهم يرون استاذهم الكبير ستيشال ، عضو الاكاديمية يصعد الى الصالون المخصوص وهو يقدم ذراعه لامرأة عجوز عرفوا فيها الام كليمانس العاملة الحافظة بحفظ الثياب بمسرح الاوديون .

ترجمة : عبد المنعم جلال



بريد القراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

ويقول الدكتور الشبال عن الشاذلي * « انه ادمن على الشرب والصحة وكلاهما ، مع السكر والصحو » !! فما معنى : « كاس ، وشرب ، وسكر ، ثم صحو !! » أكان شيء من ذلك وراثة من الصدر الاول من المسلمين ؟ (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) ؟ سورة الشورى .

ثم يقول الدكتور عن الشاذلي ايضـــا : ولى « شاذلة » تلقى الشاذلي بأستاذه ابن مشيش ، فلم يسكن في القرية ، وانما لجأ الى غار في جبل زغوان ، واتخذ هذا الغار رباطا له يقيم ويتعبد فيه » .

فهل سكنى الغارات والتعبد فيهـــا ، دون الاختلاط بالمسلمين وتبادل المنافع والمصالح معهم — وهو ما خلقهم الله لأجله ، بعد عبادته ، مما اباحه الاسلام ودعا اليه ؟ والله تعالى يقول : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبـــائل لتعارفوا) والرسول الاكرم يقول « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهـــم » ويقول « الناس بخير ما تعاونـــوا » و « لا رهبانية في الاسلام » .

ان تعاليم الاسلام بعيدة كل البعد عن الجهل والخرافات ، والاوهام والتخرصات ، فليس في الاسلام طقوس ورموز وشعوذات ، بل ان طريق الاسلام واضح بيّن . يقول الله تعالى بعد ان بين احكامه وشرائعه ، واوامره ونواهيه (وان هـذا

صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم « تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها الا هالك » هذا هو الاسلام في غاية من الوضوح والبيان . فاين هؤلاء الصوفية من تعاليم الإسلام ؟

ولست ادري كيف تستسيغ عقول ذوي الثقافات العالية من الناس مثل تلك الدعوى الباطلة التي تخرج عن طاقة البشر وقدراتهم . ان سنن الله تعالى في البشر واحدة ، لا تتبدل ولا تتغير ، يستوي في ذلك الأنبياء وغير الأنبياء ، الا لا يمكن لأحد الخروج عن سنن الله تعالى بأوهامهم وضلالاتهم . (ان يتبعون الا الظن ، وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى) صدق الله العظيم .

القاهرة — محمد صالح سعدان

أكفاء .. وأكِفّاء

● تردد كثيرا على السنة المذيعين في الاذاعة والتلفزيون كلمة (أكفاء) بكسر الكاف وتشديد الفاء بمعنى ذوي كفاءة . واذكر انني سمعت ذلك آخر مرة في الفيلم الذي انتجته وعرضته وزارة الارشاد والانباء عن [illegible] فقد قال المعلق عن الطلاب : انهم يتدربون على ايدي اساتذة أكفاء بكسر الكاف وتشديد الفاء وكذلك في مقابلة تلفزيونية اجريت للوفد السوفييتي الاقتصادي .

وهذا الخطأ في المقصود يقلب المعنى راسا على عقب فالكلمة (أكفاء) بكسر الكاف وتشديد الفاء هي جمع كلمة (كفيف) اي اعمى فيصبح معناها (عميان) .

ان كلمة كفيف صفة والصفة اذا كانت على وزن فعيل تجمع على أفعلاء فتصبح أكففاء بكسر الفاء الاولى ومد الثانية ، واذا اجتمع حرفان متماثلان



وجب ادغامهما فاذا كان اولهما متحركا وكان ما قبلهمتحركا ساكنا صحيحا كما في الافعال نقلت حركته الى الساكن الصحيح فتصبح الكلمة . وقياسه حبيب : احباء ، طبيب : اطباء ، شديد : اشداء ، رفيق : ارقاء ، خليل : اخلاء ، عزيز : اعزاء .

اما صاحب الكلمة فيقال له (كليم) على وزن فعيل ويجمع على اكلاء على وزن افعلاء وشتان ما هما .

كويت – مدرسة ابن سينا

ماجد اللحدي

مزقي يا ابنة العراق الحجابا !

● من اعجب المناظر التي تقع عليها الأعين اليوم في العراق ، منظر الفتاة العراقية وهي ترتاد الجامعة او المدرسة ملتفة بالعباءة كما كانت امهاتنا وجداتنا يفعلن من عشرات السنين .. واعجب من ذلك ان تستتر فتاة الجامعة من رجل الشارع بينما هي لا تستتر – في الجامعة – عن زملائها من الشبان .. ولا ادري ما الفرق بينهما .. حتى اصبحت المسخرة ، وحتى اصبح الكثيرات يتذمرن من تصرفات آبائهن ، فاذا ما اجترأت احداهن على ابداء تذمرها ثار عليها ابوها وهاج وتوعدها بالمنع من الذهاب الى الجامعة او الى المدرسة التي جعلت منها فتاة مائعة ، ساقطة حسب ادعائه !

انني لا اجد ما اتوجه به الى اخواتي الفتيات العراقيات المتعلمات خيرا مما صرخ به الزهاوي منذ سنوات في قصيدة مشهورة .

مزقي يا ابنة العراق الحجابا
واسفري فالحياة تبغي انقلابا
مزقيه واحرقيه بلا ريـ
ـث فقد كان حارسا كذابا
[illegible]
واجعلي في فم العشيق ترابا

النجف الاشرف – هشام محمد علي



(كوبون) ـ
ترفق مع الرد

الاسم ....

العنوان ....

من شعر القراء :

من وصية والد الى ولده

أريدك يا ابني مطيع الإله
تظل صلاتك فوق الشفاه
تحب بلادك من كل قلبك
تحب الفقير يا ابني كنفسك
وتفتش عن الخير أنى وجد
وتدافع عن الحق مهما اضطهد
وكن يا بنيا .. عفيفا أبيا
جريئا طموحا .. كريما قويا
وقلبك فاملأه حبا وطهرا
ونفسك عزا ونبلا وكبرا
أريدك يا ابني .. لشيء وليس
وإما عملت ... فلا تفشل
وإما حلمت ... فلا تبل
وتبني لشعبك أعلى قمم
وتبذل روحا وجسما ودم
فظل الذي في عروقك يا ابني
من التراب يا ابني .. من الشعب يا ابني،
قرأت إليه العطاء .. وردت إليه النماء ...
نماء البلاد الحبيبة .. نماء العروبة
أعدها إليه .. بكل سخاء
ولا تبغ منه جزاء .. جزاء الفداء

عرفان سلوم المعلمي



ميزتان عظيمتان تمتاز بهما السيارة كورونا الجديدة

نشعر باننا مسئولون تجاهك في توضيح ميزات السيارة كورونا التي قد لا تبدو لك واضحة وانت تشاهدها لاول مرة في صالات العرض .

فمثلا نجد ان سعة اسطواناتها ١٫٥ لتر وقوة محركها ٧٤ حصانا كما تمتاز ناقلاتها بانها سنكرومايزد اما فراملها فهي من نوع السرفو الحديث التلقائي الانضباط .

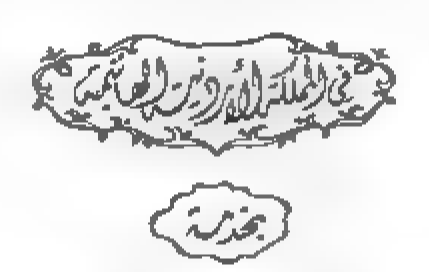
فهذه كل هذه الميزات الفنية جعلت كورونا في مقدمة السيارات التي من مستواها وفي الحقيقة فهي افضلها .

اما الميزة العظيمة الاخرى التي تمتاز بها كورونا فيمكنك معرفتها بالنظرة الاولى للسيارة حيث يتضح لك المجهودات العظيمة التي بذلت لتصميمها من الخارج ومن الداخل وستحكم بانها مريحة وسهلة بالنسبة لك اينما ذهبت .

والمطلوب منك ان تقرر اي هاتين الميزتين تروق لك اكثر وذلك بزيارتك لاقرب صالة عرض لسيارات تيوتا ..







السادة الملاكين والتجار والمواطنين والمصطافين مواطني دولة الكويت وإمارات الخليج العربي

وأن نكون بشرف استقبالهم في الأردن ولدى مغادرتهم إياه .

وأن نقدم لهم خدماتنا في :

- شراء الأراضي وإشادة المباني وهندستها .
- شراء المباني وتأجيرها وتحصيل أجورها .
- الإشراف على استثمارها وإدارتها وصيانتها .
- تأمين المباني والدور لفصل الصيف بجميع المصايف .

نؤمن لكم الدراسات حول جميع المشاريع العمرانية والصناعية في توظيف أموالكم

- استثمار أموالكم وتوكيلاتكم التجارية بفوائد حسنة .
- تمثيلكم المطلق في جميع الأعمال لدى المراجع الرسمية والأهلية .

إن القوانين الأردنية تضمن دخول أموالكم وإخراجها مع فوائدها

اتصلوا بمركز شركتنا الرئيسي ..

عمّان : ساحة البريد تلفون ٢٣٨٠٣ - ص.ب ١٥٦٨ - ص.ت ٧٣٧ برقيا: جيساكو لجميع الفروع

وفروع عمّان :

الكويت : الشرقية - شارع أحمد الجابر - مقابل مسجد الوطية ت ٣٣٢٨٩ ص.ب ٣٠٤٢ - ص.ت ١٢٤١

دمشق : المرجة - شارع رامي تلفون ٢٢٥٣٢٤ ، ١٧٣١٦٦ - ص.ب ٩٣٦ مكتب جوزيف سعود

بيروت : ممثل شركتنا مقيم لتنفيذ أعمالنا كافة في جميع أنحاء لبنان



الميزانية العمومية في

(دينار كويتي واحد =

١٩٦٤ دينار كويتي	الوجودات	١٩٦٣ دينار كويتي
٣٠،٤١٥،٤٨٨	النقد والارصدة لدى البنوك المصرفية	٣٤،١١٤،٦٨٥
٥،٩٦١،٩٠٢	مبالغ تحت الطلب وباشعارات قصيرة الامد	٤،٤٤٥،٠٠٠
٩٥٣،٧٦٠	سندات خزينة الحكومة البريطانية وسندات مصرفية ممتازة .	١،٠٠٠،٨٧٠
٢٢،٨٣٥،٣١٠	ودائع لدى البنوك والمصارف الصاحبة	١٧،٢٥٠،٠٠٠
٧،٦١٣،٣٦٦	سلفيات للعملاء وسندات مخصومة وحسابات اخرى .	٦،٢٥٠،٣٨١
٢٧٨،١٧٠	العقارات والاملاك بسعر التكلفة ناقصا المبالغ المستهلكة .	٢٣٠،٠٠٠
٥،٠٦٤،٣٢٤	تعهدات العملاء مقابل اعتمادات وكفالات والتزامات اخرى (له مقابل)	٤،٠٣٣،٠١١
٦٦،٢١٥،٣٢٠		٣٥،٦٢٥،٩٤٨

دبليو . اف . ادامز
المدير العام

حساب الارباح والخسائر

١٩٦٤ دينار كويتي		١٩٦٣ دينار كويتي
٣٢،٥٤٩	الاحتياطي القانوني ١٠ بالمائة من الارباح	٢٩،٣٠٠
١٤٠،٠٠٠	الاحتياطي العام	١٤٤،٨٧٩
١٥٠،٠٠٠	مخصص مقسوم الارباح المقترح دفعه بواقع ١٠ بالمائة .	١٣٥،٠٠٠
٣٩،٨١٩	الرصيد المنقول الى ما بعده .	٣٦،٨٧٦
٣٦٢،٣٦٨		٣٤٦،٠٥٥

تقرير مدقق الحسابات الى مساهمي البنك التجارى

اشهد انى فحصت الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر المرفقين وقد حصلت على جميع البيانات والايضاحات التى وجدتها فى رايي ضرورية .

وانى اشير انه طبقا لقانون الشركات التجارية رقم ١٥ لسنة ١٩٦٠ فان الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر :

١ – يتفقان مع الاصول العرفية المتبعة وعلى هذا الاساس يعبران بدقة ووضوح عن المركز المالى الحقيقى للشركة فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٤ وعن الربح المحقق بالنسبة للاصول المذكورة عن السنة المنتهية بذلك التاريخ .

٢ – مع الاخذ فى الحسبان الملاحظة على الميزانية فانها تتفق مع القانون . وفى رأيى :

١ – ان الشركة تمسك حسابات منتظمة .

٢ – ان البيانات الواردة فى تقرير مجلس



٣١ ديســــمبرســـنة ١٩٦٤

جنيه استرليني واحد)

١٩٦٤ دينار كويتي	المطلوبات	١٩٦٣ دينار كويتي
١،٥٠٠،٠٠٠	راس المال المصرح به والمدفوع ٢٠٠،٠٠٠ سهم بسعر ٧/٥٠٠ دينار كويتي للسهم الواحد مدفوعة بالكامل	١،٥٠٠،٠٠٠
١١٤،٩٨٠	الاحتياطي القانوني	٨٢،٤٣١
٥٠٠،٠٠٠	الاحتياطي العام	٣٦٠،٠٠٠
٣٩،٨١٩	حساب الارباح والخسائر	٣٦،٨٧٦
٢،١٥٤،٧٩٩		١،٩٧٩،٣٠٧
٣٤٤٠٧	ارصدة مستحقة للبنوك الاخرى	
٣٨،٣٦٦،٧٩٠	حسابات جارية وودائع وحسابات اخرى متضمنة التمات .	٢٩،١٨١،٦٣٩
١٥٠،٠٠٠	مخصص مقسوم الارباح المقترح دفعه	١٣٥،٠٠٠
٥،٦٤٠،٣٢٤	تعهدات لقاء اعتمادات وكفالات والتزامات اخرى (له مقابل)	٤،٣٣٠،٠١٢
٤٦،٢١٥،٣٢٠		٣٥،٣٢٥،٩٤٨

ملاحظه ـ ان الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر لم ينظما بموجب الملحق ج ـ من اللائحة التنفيذية لقانون الشركات التجارية رقم ١٥ لسنة ١٩٦٠ بل طبقا للاصول المصرفية المتبعة .

عبد العزيز احمد البحر
رئيس مجلس الادارة

السنة المنتهية في ٣١ ديسمبر ١٩٦٤

١٩٦٤ دينار كويتي		١٩٦٣ دينار كويتي
٣٦،٨٧٦	الرصيد المنقول	٥٣٠٠٥٠
٣٢٥،٤٩٢	ربح السنة المنتهية في ٣١ ديسمبر ١٩٦٤ بعد خصم جميع المصاريف وبعد تحويل مخصصات للطوارىء واستهلاكات الموجودات .	٢٩٣٠٠٠٥
٣٦٢،٣٦٨		٣٤٦٠٠٥٥

الكويتي (ش.م.ك.)

الادارة بالنسبة للحسابات متفقة مع ما هو وارد في دفاتر الشركة وان الجرد قد اجري وفقا للاصول المرعية .

٣ ـ انه في حدود المعلومات التي توافرت لدي فانه لم تكن هناك مخالفات لاحكام القانون او نظام الشركات على وجه يؤثر في نشاط الشركة او مركزها المالي خلال السنة .

هـ . جـ . اسحاق
عضو مجمع المحاسبين القانونيين بانجلترا وويلز
سجل مراقبي الحسابات رقم ٤٢ الكويت
من ويني مري وشركاهم
محاسبون قانونيون
مدققون

الكويت في ١٩ يناير ١٩٦٥



العرب
عدد ٧٩
اطلب
العربي الصغر
ع هذا العدد
١٢٠٠
سار سنويا



عزيزي القارىء

مسألتان نمسهما هنا يتصلان بك اتصالا وثيقا :

● يأتينا من القراء ، من البلاد العربية ، وغير البلاد العربية ، وحتى من اوروبا وامريكا وما وراء البحار ، طلبات للاشتراك في العربي كثيرة . ونحن نحولها الى القسم المختص ، وهذا القسم يرسلها بالبريد من الكويت الى الشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها بيروت ص.ب ٢٢٨) ، وهذه تتولى امر هذه الطلبات . وبها قسم انتظم الآن الاشتراكات . فرجاؤنا الى كل طلاب الاشتراكات : ان يتوجهوا بمطالبهم الى هذه الشركة رأسا .

● ومسابقة العربي : يأتينا من المتسابقين ، وهم الالف كثيرة ، خطابات تنحى فلا ينظر اليهما احد ، وهي :

(١) تلك التي لا تتضمن كوبون المسابقة .

(٢) وتلك التي لا يكتب على ظرفها انها خاصة بالمسابقة.
وشيء آخر يحدث للفارزين لهذه الخطابات حرجا ، ذلك وجود مقالات او تعليقات مع الاجوبة على المسابقات .

فنرجو من جميع القراء المعونة في تيسير اعمالنا ، ففي تيسيرها تيسير لهم .

المحـرر

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام

استطلاعات مصورة

ركن العلماء

اسلاميات

عروبة

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

ALARABY = No. 79 June 1965 — P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربي»
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● كان تعليم البنات في حضرموت يلقى معارضة من قبل الآباء، فتأخر تعليمها كثيراً عن تعليم الصبي. وبعد ثلاثة أعوام أصبحت أول مدرسة متوسطة للبنات في المكلا .. وفي العام الماضي ومع وصول أول مدرسين أردنيين دب النشاط والحماس بين الطالبات وأقبلن على التعليم بشكل لم نعهد فيهن من قبل .. وهذه هي الآنسة صفاء علاء الدين تقوم بالتدريس في إحدى مدارس بنات المكلا ..
(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٦٨)

ثمن العدد: بالكويت ١١ فلوس، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ١ روبية أو ٢ شلن، العراق ١٢٠ فلسا، سوريا ١٠٠ قرش، لبنان ١٠٠ قرش، الأردن ١٠٠ فلس، السعودية ٢ ريال، السودان ١٠ قروش، ج.ع.م ١٠ قروش، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم، المغرب ٢ درهم، اليمن ٢ شلن، ليبيا ١٥ قرشا.

الاشتراكات: للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع.



حول ما فى التفاسير من ترهات

● بقدر ما راقنى ذلك السؤال الواعى الجامع « ما فى التفاسير من ترهات » والمنشور بالعدد – ٧٦ – من « العربى » القراء ، واقتراح جمع العلماء والأطباء وغيرهم من ذوى الاختصاص فى شتى العلوم والفنون ، لوضع تفسير يناسب العلوم والمدنية الحديثة كان اعجابى شديدا بتلك الاجابة السديدة الموفقة ، والتى كانت « اوفى » فى بابها لما يحتاجه الباحث فى ديننا الحنيف من تفهم لمقتضيات العصر ومستلزماته .

نعم ، لم تكن الاكتشافات العلمية الحديثة معروفة ، بل لم تكن قد وجدت أصلا ، أيام المفسرين القدامى ، ولكن بعض علماء عصرنا هذا قد تناول بعض تلك الاكتشافات فى تفسيره لبعض سور القرآن وآياته . منهم الشيخ محمد رشيد رضا أحد تلامذة الامام محمد عبده الذى ذكرتم عنه وعن الامام المراغى انهما حسنا فى تفسيرهما العلوم الحديثة حسا دقيقا . ومبلغ علمى عن الشيخين محمد عبده ، والمراغى ، انهما لم يؤلفا تفسيرا للقرآن الكريم ، الا ما سجله الشيخ رشيد رضا فى الاجزاء الثلاثة الاولى من القرآن فى تفسيره عن الامام محمد عبده ، وذلك من دروسه التى كان يلقيها الامام بالأزهر الشريف ، والتى تناول فيها بعض العلوم العصرية والاكتشافات الحديثة، وصحح بعض ما أخطأ فيه السابقون من المفسرين .

هذا والأستاذ « سيد قطب » تفسير للقرآن سماه (فى ظلال القرآن) تناول هو الآخر فيه بأسلوب عصرى حديث ، الكثير من الاكتشافات والعلوم الحديثة ، وربط بينها وبين القرآن بما لا

(البقية على صفحة ١٥٠)

أحقٌ أن حاضرنا

● قرأت فى العدد السابع والسبعين من مجلة العربى القراء مقالا للدكتور فاخر عاقل : بعنوان « نذكر الماضى بالخير .. ونلم الحاضر .. » يرسم لنا فيه صورتين : الأولى للماضى قاتمة ، والأخرى للحاضر مشرقة ، وليسمح لى الدكتور ان اقول له انه كان اكثر تفاؤلا مما يجوز !

– ففى الجانب الاقتصادى مثلا ، لا شك فى ان الانسان المعاصر قد اصاب قسطا كبيرا من الرفاهية والرخاء كان سلفه محروما منه ، وذلك بفضل مخترعات هذا العصر كالسيارة والبراد والراديو والتلفاز وغيرها .. ولكن نظرتنا تكون اصح لو اخذنا مجمل الحياة ومستوى العيش حسب ظروف كل زمان ومتطلباته ، ولذن لوجدنا ان الماضى ببساطته لا يقل عن الحاضر بموجوداته .

ولست ادرى لماذا اختار الدكتور فاخر « نكبة فلسطين » مثلا ليصور الماضى مع ان نكبة فلسطين هى من تاريخ العرب الحديث لا من ماضيهم .. لا ادرى لماذا لم يصور ماضى العرب الذهبى يوم فتحوا الدنيا فطرقوا بسيوفهم أبواب الصين وطرقوا بشمالهم ابواب اوروبا فاستغلقت على وقع سنابك خيل طارق بن زياد ! ؟

حتى اذا كنا نترحم على الماضى فى بلدنا فاننا نترحم على ماض مشرق وعهود زاهرة نستلهم منها الانطلاق نحو المستقبل الأمثل ..

– واما الجانب الاجتماعى فقد عرض الأستاذ عيوب الماضى ولم يتعرض لحسناته ، ونسى ان الأسرة – وهى كيان المجتمع وعموده الفقرى فى الماضى والحاضر ومستقبلا كذلك الى الأبدين – كان تماسكها فى الماضى هو الطابع المميز لها ، على نقيض وضع اسرة اليوم التى هى اقرب الى التفكك والانحلال .. وان ما سماه ديكتاتورية الأب انما هى ديكتاتورية الرحمة وهى خير من ديمقراطية الفوضى !

ويقول استاذنا من طفل اليوم انه « كان حر

وجود كائنات حية في الكواكب الاخرى ، شيء تؤيد الدلائل العلمية احتماله

● كتب الاستاذ محمد التابعي في جريدة اخبار اليوم مقالا من معارضة العلماء لكل اكتشاف جديد ، وهو يقول فيه

« .. وبوسعك تمضي العالم المصري الاستاذ الدكتور احمد زكي وقال ان القول بوجود كائنات حية في كواكب اخرى انما هو تحشيش في تحشيش » .

ولما كنا نرى للدكتور احمد زكي في « العربي » آراء غير ذلك ، نرجو ان نعرف رايكم فيما كتبه الاستاذ التابعي .

قارىء عربي

ـ الواقع ان الدكتور احمد زكي رمى « بالتحشيش » تلك الاقاصيص التي اخترعها المدعون عن مخلوقات نزلت الى الارض من المريخ ، في البيئة ، تارة خضراء ، وتارة حمراء ، تخاطب من التقى بها من أهل الارض ، تارة بالفرنسية ، وتارة بالانجليزية . وتارة بالاسبانية . ثم هي تعود بعد ذلك مركبها البخاري ، وتختفي في السماء ، زعما بالطبع انها تعود الى المريخ .

هذه الاقاصيص الخرافية هي التي وصفها الدكتور احمد زكي بالتحشيش منذ سمعها لاول مرة منذ سنوات كثيرة ، وذلك في حديث عابر ، مع صحفي .

اما وجود كائنات حية في الكواكب الاخرى ، فموضوع علمي تشير كل الاحتمالات العلمية الى صحته . وللدكتور زكي باب كامل في كتابه « مع الله في السماء » عن احتمال وجود حياة او كائنات حية في الكواكب الاخرى ، تتلاءم مع جوها وبيئتها .

وقد كان الاستاذ محمد التابعي اشار الى مثل ذلك منذ خمس سنوات ، في « اخبار اليوم » ، وكتب له الدكتور زكي مصححا ، وتفضل الاستاذ التابعي بنشر التصحيح ، وقال « والآن قد اتفقنا » ، ولكن توالي الايام ينسي ، وتطاول السنين .

خير من ماضينا ؟!

محبوب مدلل .. يعلن على أن يكون شابا قويا جريئا حرا وقد كان بالامس ـ في احسن الاحوال ـ شيئا مهملا ... » ونحن نسأل هل وجدت عاطفة الامومة والابوة اليوم وقد كانت مفقودة بالامس ، أم هل قويت وقد كانت ضعيفة ؟ ، حتى اصبح الطفل محبوبا ؟؟ ان واقعنا الحالي يثبت تصلب العواطف لدى المجتمعات المعاصرة ، حيث لم نسمع من قبل ان اما وضعت طفلا فقذفته في الشارع ، او قتلته وهو في احشائها ، او وضعته في « مستشفى اللقطاء » وهربت قبل ان تراه ..

وشباب « الخنافس » اهم ابناء مجتمعنا المعاصر ام من مخلفات الماضي ؟!

ويبقى بعد ذلك الجانب الاخلاقي ..

ويكفي ان نشير الى الاحصائيات الرسمية التي تقول ان ٣٠٪ من الاطفال الذين يولدون في امريكا اطفال غير شرعيين .. وكذلك الحال في اوروبا ..

والمرأة .. من قال ان تعليمها هو مصدر شر لها ؟! لا اظن احدا يقول ذلك .. ولكنني اقول مع الدكتور فاخر وقوله صحيح ان السر هو في التربية الصحيحة والتعليم القويم .

واما موضوع السفور والحجاب حيث يرى الاستاذ ان كليهما قد يكون مصدر شر ولا يفرق بينهما .. فاننا لا نريد ان نضع المرأة في سراديب مظلمة لتعيش على هامش المجتمع .. كما لا نريدها متبرجة شبه عارية تعرض جسدها لكل جائع ... ان الذي نريده لها هو : الحشمة حفاظا عليها من نظرات السوء ومن خبث النفوس ، وحرصا على الاطفال التي تقف في هذه النقطة الخطيرة بالذات على مفترق الطرق .. ولا نقول كما قال اسلافنا : « نحن بخير » لئلا نفرط في التفاؤل ، بل يجب ان نفتش عن امراض مجتمعنا التي هي امراضنا ونبحث عن مكامن الخطر ونسرع بالدواء قبل ان يستعصي الداء ...

محمد جمجاح ـ حلب



■ انجلترا اعتادة العقد، تركت فى كل بلد عقدة ■

■ تسلل اليهود إلى الولايات بالمال، وبالرجال، واحتلوا ■

العرب يعيشون في ماضي الزمان أكثر من عيشهم في حاضرهم ، والآخرة أكثر استيلاء على عقولهم من الدنيا ، وهم مع ذلك يسلكون مسالك تؤدي إلى خراب الدنيا والآخرة معا!

اسرائيل الكبرى
و
الولايات المتحدة الامريكية

■ وتخصصت في تذويب القوميات بحيث الدخيل قبل أن ترحل

■ مراكز الدعاية والنفوذ فيها، حتى جعلوا منها: اسرائيل الكبرى



■ عندما اصابت السوداوية صموئيل ، اول ملك لاسرائيل ، استدعى داود ليخفف بالقيثارة عن وقع الكآبة عن ملك اسرائيل » .. هذا ما جاء شرحا لهذه الصورة التي اخترناها من صور عديدة في استطلاع نشرته مجلة لايف ، يعرض مجد اليهود الذي كان ، وذلك بمناسبة عيد الفصح هذا الماضي . وهو جزء من مخطط للدعاية الاسرائيلية تريد به ان يوافق تأزم الاحوال بالشرق الاوسط .

واليهود في الولايات المتحدة جمعوا بين الجنسية والدين ، فاليهودية دين وجنسية معا . واليهود هم وحدهم ، من بين أهل الجنسيات وأهل الأديان ، الذين لهم في الولايات منظمات ، تدعو باسمهم جهارا ، وتدعو ليلا ونهارا ، وتجمع الأموال هناك من الشعب والحكومة معا، ترغيبا وإرهابا، وتجمعها لا ليهود الولايات ، ولكن لولاية هي الولاية الحادية والخمسون، هي اسرائيل الصغرى في فلسطين .

واليهود وحدهم ، من حيث أهل الجنسيات والأديان الذين منهم تتألف فسيفساء الولايات المتحدة . هم الذين لهم وحدهم بين ممثليهم من اليهود ، ومن غير اليهود ، من يقوم يطلب باسمهم الثواب لأهل الأرض والعقاب . أما الثواب فلمن ناصرهم ، وأما العقاب فلمن خاصمهم ، أو من خاصموه ، ومَن من أرضه أخرجوه، وديارَه والحرثَ والزرع سلبوه .

قام يهود الولايات المتحدة بهذا ، وهم أهل الدين ، ولم يقم بمثله ولا بشبه له ، الكاثوليك ، ولم تقم صنوف أخرى ممن هنالك من أهل المذاهب والأديان .

وقام يهود الولايات بهذا ، وهم دعاة جنس ، ولم يقم في الولايات بمثل ما قاموا به الانجليز هناك ، ولا الفرنسيون، ولا الإسبان ، ولا الألمان .

ولو أن هؤلاء أو هؤلاء عملوا ما عمل يهود الولايات المتحدة ، لاتهموا في أعراف الأوطان بأشنع تهمة ، تهمةِ الولاء لدولة غير الدولة .

ولهذا أسباب عدة .

الولايات دولة محتلة

فالولايات دولة محتلة .

ان الاحتلال يكون عادة بالجند . وقد عرفنا في هذه العصور الحديثة صنوفا من الاحتلال لا ينزل فيها جندي واحد بأرض. وقد اتقن اليهود من قديم الزمان نوعا من الاحتلال خفيا ، هو الاحتلال بالتسلل . يتسللون في كل أمة يتسللون بالمال ، ويتسللون بالرجال . وتسللهم لا يكون ، بالضرورة ، الى مراكز القيادة في الدولة ، ولكن الى مراكز النفوذ ، ولا سيما غير الظاهرة الباهرة .

ومن مراكز النفوذ ادارات الأموال ، حيث المال يُعطى أو يُمنع ، والسوك عصبُ الدولة .

ومن مراكز النفوذ الصحافة ، فهم يملكونها ، والصحفيون ، كما عهدنا في أكثر أمم الأرض ، أكثرهم أجراء . والصحافة بصادق وبخاصم . وهي ، في هذا الزمن الحديث ، تحيي وتميت . ومن ضحاياها الساسة ، لا سيما والموسم موسم انتخابات . وعلى رأس الساسة رئيس الولايات . ومن ضحاياها رجال المال والأعمال . ومن ضحاياها حتى الكتاب وأهل الرأي . فالصحف تنشر وتطوي . وهي لتقد مدحا وقدحا .

ومن مراكز النفوذ دور النشر ، واليهود يملكونها ، أو هم لهم اليد الطولى فيها . والناس لا تزال تؤمن بصدق الكلمة المطبوعة في كتاب : يأتيك رجل أو تأتيك امرأة بخبر ، أو قصة ، فتنكرها ، فيقول لك أو تقول دعما لصحتها : لقد قرأتها في كتاب .

وأقرأ من كتب الغرب ما أقرأ ، فأجد أنف الصهيوني مدسوسا فيه دسا ، وعلى حين غرة ، وحيث لم يكن يرجى لليهود ذكر . وهو لا يذكر في الكتاب بأنه يهودي ، ولكن ببعض ما صنع ، أو ببعض ما ارتأى ، أو ببعض فلسفة أو علم .

ومن مراكز النفوذ التي تسلل إليها اليهود في الولايات المتحدة ، السينما والإذاعة



وهذه إحدى صور استطلاع نشرته المجلة الجغرافية البريطانية ، في عيد الفصح أيضا ، جزءا من الحملة المدبرة التي ترفع من اليهود ، وتهبط بالعرب .. واستطلاع آخر ، أخرجه نشرته المجلة الجغرافية الأمريكية ، قبيل عيد الفصح ، كله عن إسرائيل ، وتل أبيب ، رفعت فيه من إسرائيل رفعا ، فهي بلد أوروبي ، وضمنته صور عرب وجمال يلعبون لعبة الحمير في الرمل ، إمعانا في المقارنة . ومتعمدا من نشر شيء من صور هذا الاستطلاع عن تل أبيب ، حكمة عزيزة تراها الجامعة العربية ، ألا يذكر العرب عن إسرائيل خيرا ، ولا تذكر الصحف ولا الموسوعات ولا الكتب الغربية مهاجرا ، فإن هي فعلت ، ودخلت بلاد العرب ، كان جزاؤها البتر . وهي تشر من صحف وكتب مجالها الدنيا الواسعة . لا بد أن يجهل العرب عن خصمهم كل شيء ، وتعلم الدنيا عنه كل شيء !!

والتلفاز . وهذه امرها معروف مشهور .

وقد دخلت في عام ١٩٤٦ دارا للسينما بمدينة فلادلفيا بالولايات ، عفوا ، فشاهدت فيلما صنعه الصهاينة عن فلسطين ، وموقف الهاجانا من الجيش البريطاني هناك ، وسمعت شتيمة قذرة في الانجليز وآباء الانجليز ونساء الانجليز ، واعراض الانجليز يقف لها شعر السامع في اية دولة ذات حضارة متوسطة . فسادلت نفسي وانا اخرج من تلك الدار ، اين كنت انا من سطح الارض ؟ اموضع من الولايات المتحدة وبينها وبين بريطانيا صداقة حرب كانت قد انتهت ولم تنته اعقابها ، ام كنت في حارة قذرة ، في ماخور يخرج من افواه اهله القاذورات مخرجا طبيعيا سهلا !!

فالولايات المتحدة اليوم هي في قبضة اليهود ، وليس اليهود في قبضة الولايات . فاذا نحن اسميناها باسرائيل الكبرى ، فما عدونا الصواب ، وما اسرفنا .

ولقد يحالجنا شيء من الاسف ان نذكر هذا عن امة هي اليوم اكثر امم الارض علما واكثرها صناعة وتكنية ، واكثرها ثراء ورفاهية عيش . وهي امة ، لو انها سلكت سبيل الحق والعدل ، التي تستطيع بحكم قوتها وبدون حرج ان تسلكها ، لكانت مثالا تحتذي عليه سائر الامم .

من اجل هذا ، هم تسللوا الى مراكز المال ، ومراكز الاعمال ، والى مراكز السياسة . وتوزعوا بين رجال السياسة . فان تطلب التسلل رجالا يحذقون الاشتراكية ، وكذا الماركسية وشيعتها ، وجدوا العارف الحاذق الذي تسلل . وان تطلب التسلل رجالا يحذقون الرأسمالية ، والاقطاع والاقطاعية ، وجدوا العارف الحلاق الذي يتسلل . وان تطلب التسلل الرجل المؤمن وجدوه ، وان تطلب الرجل الكافر وجدوه . وان تطلب بائع الخير وجدوه ، او بائع الشر وجدوه . كل صنوف الرجال عندهم حاضر ، في سبيل مناصرة المذهب ، المذهب الصهيوني ، اين كان ، واين كان !!

ولقد بلغت الجراة باليهود في انجلترا ، ايام كنا نعيش فيها ، انهم كانوا يقولون للانجليز عندما يختصمون : ان كان هذا ملككم ، فهذه بلادنا !

ولليهود في البرلمان الانجليزي على ما اذكر بضعة وثلاثون نائبا .

ولكنهم لايظهرون التكتل الذي يتكتل به اخوان لهم امريكيون . فالبيئة الانجليزية احرص على انجليزيتها ، واعرق في وطنيتها ، من ان تأذن للمواطن ، ولو يهوديا ، ان يجمع الى ولاء دولته ولاء غيرها ، او ان يجد في صحوة نهار من المصالح البريطانية سببا .

وفي بريطانيا

وقد تسلل اليهود الى بريطانيا من قديم الزمن .

واستوطن كارل ماركس بريطانيا ، وكتب فيها كتابه « رأس المال » .

وعاش فيها على الفقر والمرض ، ومات بها شقيا .

وليس بالانجليزي العادي حب اليهود . وليس الانجليزي العادي هو من هم اليهود ولا هو هدفهم . انما هدفهم مراكز التفوق ، كما في الولايات المتحدة تماما .



ملك بريطانيا ، جورج الخامس (١٨٦٥–١٩٣٦) « كان اليهود في انجلترا يقولون للانجليز عندما يختصمون وإياهم : ان كان هذا ملككم ، فهذه الارض ارضنا »

تجربة مع دار النشر

وتسلل اليهود الى الصحافة، لاسيما اليسارية، والى دور النشر.

ولي مع دور النشر تجربة تتصل بـ « العربي »:

كان الرأي ان نصدر مختارات من « العربي » باللغة الانجليزية استجابة لمطالب جاءتنا من جهات عدة، يجمعها ما سوف يكون لمختارات كهذه، تعرض لثقافة العرب على اهل الغرب، من اثر كبير محمود.

وذهبت في اجازة شخصية الى لندن. وبعد استشارات اجريتها هناك، علمت ان السير فلان هو خير ناشر لمثله. وخاطبت مكتبه بالتلفون رجاء موعد. وتكرر الرجاء، وتكرر الاخلاف، اخلاف السكرتارية.

واخيرا كتبت للرجل كتابا، اعرفه بنفسي، فلم يستطع، وهو الانجليزي المسيحي اللبق، الا ان يرد بكتاب. قال فيه انه مشغول، وانه يود ان يعلم اولا في اى امر اريد ان استشيره. فعجبت. فقد كنت قلت انتبه الغاية من لقائه. فاجبته بكتاب اشرح فيه القصد باسهاب، وذكرت ان النشر تقوم بنفقته حكومة. ومع هذا اجاب معتذرا. قال: ان لدى داره، وهي دار شهيرة كبرى، من المجلات ما يشغلها عن مجلتنا العربية.

ولقيت بعد ذلك في لندن من عرف ما جرى، فابتسم. **قلت فيم الابتسام!** قال: ان الرجل خشى المغبة، وان له باليهود صلات. ومن يعودهم عمداً. وهم من النفوذ في عالم النشر بحيث يضرون او ينفعون.

وكم سمعنا في انجلترا من كتب كتبت في نصرة العرب، او في مخاصمة اليهود، ثم اختفت عقب اصدارها، لان اليهود قاموا بشراء كل نسخها. وبالطبع كان للناشر من بعد ذلك حساب. وحساب الآخرة ظاهر مكشوف. اما حساب الدنيا فظاهر وباطن، واكثره الباطن الخفي المستور.

واقول اليهود، واعني الصهاينة. واليهود أسهل على اللسان لفظا. وما بنا كراهة اليهود ولكن بنا كراهة البغي والعدوان.

لا فرق بين محافظين وعمال

ومناصرة الحكومات البريطانية للاسرائليين مناصرة سواء، لا فرق بين المحافظين والعمال، ولا بين ازرق اللون منهم واحمره، فالعهم « ايدن » رئيس وزرائهم المحافظ عند الاعتداء الغادر على بورسعيد. ويناصرهم ولسن رئيس الوزراء العمالي الحاضر لاسباب منها: العقائدى، ومنها انه يسير مضطرا في ظل الولايات المتحدة. ومنها خشيته، بل خشية بريطانيا كلها، مما قد يصنع اليهود بها، في المحيط الدولي، في عالم المال والتجارة والاعمال.

عقادة العقد

ونحن لا ننسى ابدا ان بريطانيا، عقادة العقد في كل بقاع الارض، هي صاحبة الوطن اليهودي في اسرائيل، وهي الممهدة له، وهي المنشئة اياه، سنوات عديدة، وهي التاركة له على حين غفلة ليصنع اليهود أرجلهم. وسابق اتفاق.

والعرب الذين احتملوا غبن الحرب، تذكرى ايار، وذكرى النكبة، تذكرون النكبة ولا ينسون صانعها والممهدين لها. وقد جاز ان يغفر العرب الاساءة، اكبر الاساءة، لو كفر عنها المسيئون. ولكن كيف وهم في غيهم الى اليوم سادرون!!

وسائر دول الغرب

وايدي [illegible] اليهود في بريطانيا، تجور الى حد كبير على سائر دول الغرب، وعلى فرنسا خاصة. وفرنسا ثالثة الثلاثة في الاعتداء الغادر.

وحتى ايطاليا بدا لها هذه الايام ان يكون لها في التورط باليهود نصيب.. ثم المانيا.

ونعلم ان الولايات المتحدة لها على ما اذكر نحو نصف مليون جندي في المانيا الاتحادية تحتل بلادها — وهو احتلال رضيه ويرضاه الالمان لانه وقاهم وبقيهم

من الغزو الروسى ، وأعفاهم ويعفيهم الى حد كبير من نفقات الدفاع ... وما اقتصاد الالمان فى عقبات الحرب والسلاح ، تهيأت لهم الفرصة ، ليبنوا اقتصادهم من جديد ، ثم ليرتفعوا به فيزدهر فوق ما ازدهر اقتصاد امم الغرب . ويتذكر الالمان احتمال خروج جيوش الامريكان من اراضيهم ، وجيوش الحلفاء ، فيرتعدون خوفا وفزعا . اما الخوف فخشيه ان يتحملوا نفقات الدفاع الباهظة فيتأثر اقتصادهم المزدهر . واما الفزع فمن احتمال غزو الروس اياهم فى ليال عشر اذا خلا مكان الامريكان. فالالمان فى بلادهم للامريكان تبع . الخير منهم على السلم ، ودفع الشر بهم عند الحرب

وليس فى هذا اعتذار عما صنع الالمان بالعرب أو يصنعون . فالذى صنعوه غدر وكذب وخيانه

وليس فيه ترغيب عما صنع العرب بالالمان أو يصنعون .

ان الذى صنع يصنع ، وهذه الحياة قصاص . وقد يكون بعد ذلك سلام ، ولكن من بعد صلح . والا فهو سلام غير دائم .

وعندى ان الالمان سوف يثوبون الى رشدهم ، ولو بعد سنين . فما عند الالمان حب اليهود ، ولكن عندهم الكره المكتوم . انهم يكرهونهم ، ولكنهم يخشونهم . يخشون السلطة الغالبة التى لهم . ويخشون تشهير اليهود بهم بما صنع هتلر باليهود . وما يبالى الالمان بالتشهير ولكنهم يبالون بأعقاب ذلك من امور . وطلب اليهود اليهم ان يمدوا أجل الفترة التى يحاكم فيها الالمان بما قد يكتشف من جرائم أجرموها فى العهد النازى لم تكتشف بعد ، فقبلت الحكومه الالمانيه الاتحادية ذلك ، وقبل مجلس النواب . وما كادوا يفعلون حتى اتهم اليهود رئيس الدوله الالمانية ذاتها بجريمة قالوا انها سلفت . فأى ذلة هذه ، وأى امتهان واحتقار ؟!!

وبقية من العرب

عددت فى أول هذه الكلمة من نصر القضية الفلسطينية العربية من أهل الدنيا ، فذكرت أكثر أهل الدنيا ، ثم تساءلت : وكم من الدنيا بقى بعد ذلك ؟ وقلت بقى أمم الغرب، **وبقية من العرب.**

وفرغت من أهل الغرب . وخصصت بهذه **البقية من العرب .**

والآن وقد حان أن أتحدث عنها ، أجد الجرح أكبر الجرح، لأنها بقية **(من العرب)**!!

لقد كان أول رد فعل عندى أن الذى وقع من رئيس الدولة العربية الذى اشتهر أمره ، اختلاف فى الرأى ، والاختلاف فى الرأى أمر طبيعى . وما دامت هناك حرية فى الرأى ، فلا بد هنالك من اختلاف فى الرأى .

ثم يأتى الرد على رد الفعل هذا ، ويأتى سريعا . وأتساءل : **أليس هنالك فرق بين من يختلف فى الرأى فرد ، هو رجل كسائر الرجال ، هو رجل من ألف ألف ، وأن يختلف فى الرأى رجل على رأس شعب ؟**

ثم أتساءل : **وهل هذا الشعب ، وهو شعب عربى لا شك كريم، هل هذا الشعب فوض رئيسه هذا فيما اختلف فيه ؟**

المعروف أنه فاجأه به كما فاجأ العرب.

وهل أكثر من ذلك : أخرج من هذا الشعب ، فى يوم وليلة ، من يسير فى الشوارع ، يصرخ بالحياة لمن يرى هذا الرأى ، ويصرخ بالموت لمن يرى رأى العرب ! هكذا فى يوم وليلة يتحول شعب بأسره ، أو هكذا يراد بالناس أن تفهم ، من داع للعرب وفلسطين ، الى داع على العرب وفلسطين ! ان الرجال لو كانوا من خشب لاحتاج تصنيعها واخراجها الى الشوارع الى أكثر من يوم وليلة (1)

---

(1) الأثر بهذا معن بن زائدة . وصفوه فى أيامه فقالوا عنه « الرجل الذى اذا غضب ، غضب له مائة الف سيف لا يدرون لم غضب». والصورة من القرن الثامن، لا أحسبنا نرضاها لديمقراطية القرن العشرين



فتاة يهودية ، والجند البريطانيون قائمون في تعليمها كيف تطلق هذا السلاح . وتلك صورة التقطها احد مصوري العرب قبل النكبة .

ثم ان رحلا ، على رأس شعب ، هو أم لرحال على رؤوس شعوب ، كلهـا عربه ، اجتمعوا ويجتمعون في مجلس ، أسموه مؤتمر القمة . لم لم يعرض عليهم في مجالسهم هـذه ، هذا الرأي الجديد المحترم للنقاش . واقول محترم لأن عندي كل رأي ، ولو خالف محترم . لم لم يفعل ؟ اما كان هذا هو المحـال الطبيعي لمناقشة كل الآراء ؟

ان كل هذه الظروف تعرض علـى الناس أن يقولوا ما يقولون ، والعذر لهم بما يقولون .

قالوا . ان رئيس تونس خشي ان يعرض رأيه على رؤساء الدول العربية فرفضوه ، فيكتموه ، وهو يريد له نشرا !

وقالوا : ان نشره جاء في نفس الوقت الذي تنذر فيه اسرائيل بحرب العرب ، وينذر اصحابها من أمم الغرب ، ويمدونها بالسلاح والعتاد ، وان نشر هذا الرأي فيه اضعاف موقف العرب ، والذي يساهم في اضعاف موقف العرب شأنه شأن من يمد اسرائيل بالسلاح والعتاد . عمل له نفس الاثر ونفس العون .

وقال الناس : ان امرا كهذا لا يمكن ان يخفى على رجل تمرس بالسياسة ، وهو على رأس دولة .

وقالوا : انه فهو والله جزء من مخطط اختطه الغرب واحد .

وقالوا : ان نشر الرأي المخالف هذا جاء في الوقت الذي تجري فيه مؤامرة لشغل العرب وتوزيع قواهم ، منذ الاكراد في شمال العراق ، وفي عدن والمحميات واليمن في جنوب الجزيرة ، وفي جنوب السودان .

وقالوا : ايكون هذا محض مصادفة ؟

وقالوا : ان اعلان هذا الرأي جاء وتونس في أزمة من اقتصادها . وربطوا هذا الرأي وتوقيته بوقت اشتدت فيه هذه الازمة اشتدادا ، ثم بالاحاديث عن المعونات التي تلقى تونس من دول الغرب ، وفي مقدمتها المانيا ، وفرنسا ، والولايات!

وقالوا : ان الرئيس التونسي قال ان الوحي جاءه بهذا الرأي في ملهمة اريحا ، وانهم لا يصدقون ان الوحي يأتي الرئيس التونسي ، ولو انه ما صدقه هو ، وهو الذي دعا قومه الى ترك الصيام في رمضان وجعل من تحية ضيوفه في رمضان تقديم الشراب في ضحوة النهار !

هذا ما قاله الناس ..

وقد ارى غير ما يرى الناس ..

انا لم ار الرئيس التونسي، ولم أتحدث اليه . ولكن تحدثت الى من تحدث ، ورأيت صور الرجل ، الثابت فيها والمتحرك ، ومن الصور يدرك الانسان الكثير ..

ان الرجل في حاجة الى الكثير من الراحة ، والى الاخلاد الى السكون ، الى الاخلاد الطويل ، فلقد عانى الرجل في حياته ما عانى ، ولقي المر في جهاده ، ولقي الحلو ، ولكن المر كان اكثر . وهو اليوم في حاجة الى الشفاء المتصل .

ولعل الشعب التونسي الكريم هـو احق شعوب العرب بهذا الدعاء .

بقي أمران

بقي أمران
أولهما : أن المسألة ليست مسألة فلسطين فحسب .
وثانيهما : سبق اليهود في المجال العالمي وتخلف العرب .

ليست فلسطين فحسب

اما أن فلسطين ليست وحدها الغاية، فأمر تلمسه أساس من أهواء الصهاينة أنفسهم . فليست حدود فلسطين الحالية عندهم الا رؤوس جسور ، الى لبنان وسوريا والأردن ، ثم الى مصر . ومن « الفرات الى النيل » دعوة صارت كمثل المضروب ألفه في الأسماع . وعودة أورشليم الى الأرض . مملكة عظمى لليهود ودولة كبرى ، تضم ما بين سواد العراق الى سواد مصر ، نبوءة يعرفون أنها في التوراة يؤمن بتحقيقها اليهود وأهل التقوى من المسيحيين على السواء .

في الطائرة

ركبت الطائرة من لندن الى نيويورك من أعوام مضت . وكان جاري في الطائرة رجلا انجليزيا ، علمت من حديثه الطويل معي أنه مزارع ، وأنه ذاهب الى الولايات ، ثم لعلها كندا على ما أذكر ، لحضور اجتماع ديني مسيحي عظيم يضم نحو مائة ألف من كل بقاع الأرض . وأخذ يحدثني الرجل عن المسيحية ، وعن الحب والانسانية حديثا شاقني منه الكثير من صدقه ، ولفتني منه حرارة واخلاص الرجل ، وهو رجل تدرج لا رجل ثقافة . وهو سافر الى الله طربا بصحوة الايمان . ودعاني الى صحبته ، وعلى نفقته ، فاعتذرت وشكرت . وعندئذ يطالعني « بالنبوءة الكبرى التي بدأت تتحقق ، بعودة المسيح الى الأرض ، وقيام مملكة داود » ! قال هذا ، أو شيئا كهذا ، في شيء من الابهام ، وأنه ابهاما عندي أنا في هذه الأمور لم يكن لي فقه واسع . ثم هو يفاجئني بما هو أشد . قال في صوت يكاد يتهدج : وأنت ، ألم تشهد آية الله ؟ قلت : فما آية الله ؟ قال : قيام دولة اسرائيل في فلسطين ، فسوف تقوم ، وسوف تشتد ، وسوف تمتد ، وسوف يكون الملك كله له .

فهذه النبوءة تلعب دورها الكبير عند اليهود ، وعند المسيحيين على السواء بترويج اليهود لها . ولعلها تلعب بعض الدور عند مسيحيي أوروبا على غير وعي . ولعلها سبب هذا الجمود الذي نجده في هذه الشعوب فصار لا يحركها تشريد شعب ، في جريمة من أكبر الجرائم التي وقعت حديثا في الأرض ، وكان من بعض سلاحها أسلحة الغرب .

والمنقبون دعاة سياسة

واقرأ للمنقبين الغربيين في الأردن عن آثارها القديمة ، والاحظ دائما أنهم يربطون بين ما عسى يكشفون ، وبين التاريخ القديم في تلك الأرض .

ويصلون هذا التاريخ بالتاريخ اليهودي ليقولوا ان هذه الأرض انما هي أرضهم ، وهذه الآثار انما هي آثارهم .

وبدافع كل هذا ، على أنه كشوف علمية رائعة لا في مجلاتنا ولا في صحفنا ، ولكن في صحف الغرب .

وهم بذلك يوقعون في وهم أهل الغرب أن اسرائيل يجب أن تضم كل هذه الآثار ، وراء كل هذه الحدود .

سبق اليهود في المجال العالمي ، وتخلف العرب

وانتقل أخيرا الى موضوع كثير الحساسية عند الناس .

ذلك سبق اليهود حيثما كانوا من أمم الأرض ، وتخلف العرب .

ان سبق اليهود لا ينكر ، ومن الاخلاص

أوبنهيمر

● اختير عام ١٩٤٣ رئيسا لمركز البحوث في لوس الاموس بالولايات المتحدة ، وهناك عمل لاخراج أول قنبلة ذرية فرفع بذلك من قسم قومه بين أمم الغرب .



ماير روتشيلد

● ابو أسرة اصحاب البنوك الشهيرة بأوروبا، تلك التى جمعت الاموال وادارت الاموال البالغة والسامية، واعانت الملوك والامراء، فى المانيا، فى بريطانيا، فى فرنسا، فى النمسا. وكان فيها فى كل بلد ولد من الاسرة. شبكة انتظمت اوروبا. وحيثما كانت حرب، وحيثما كانت فتنة، كان هنالك منهم من حرك بالمال غالبا ومغلوبا. وعلى هذا النحو لعبوا بمقدرات الامم.

ملصقة العربية أن تقول انهم سابقون فى الولايات المتحدة، وفى بريطانيا، وفى فرنسا، وفى ايطاليا. وفى العهد النازى احتلوا المراكز العليا فى العلم وسائر المهن، ومن أجل هذا كانت نكبتهم.

واهل العرب، واهل الشرق من اوروبا، على السواء لا يعرفون اليهود الا اشباحا تدور بينهم، يعيشون كما يعيشون، ويفكرون كما يفكرون، ويعملون فى الذرة، وفى الصاروخ، وفى الطب والعلم، وفى الفن والموسيقى، وفى سائر مناشط الحياة، كما يعملون.

فهل تساءلنا يوما كيف يعرف اهل الشرق من اوروبا، واهل العرب، العرب؟

الفرق واسع لا شك فى هذا.

والذنب، ان كان ذنب، فهو ذنب التاريخ.

ولكن هل ينهض العرب النهضة الواجبة ليرموا عن اكتافهم الى الارض ما اثقلها به التاريخ؟

الجواب لا شك لا، ثم لا..

والعرب — عندما اقول العرب اعنيهم فى عمومهم — يعيشون فى ماضى الزمان اكثر من عيشهم فى حاضرهم، واكثر كثيرا. والآخرة اكثر استيلاء على عقولهم وعلى تصرفاتهم من الدنيا، وهم مع ذلك يسلكون مسالك تؤدى الى خراب الدنيا والآخرة معا. (1)

ان الدنيا قوة. والآخرة تقوى.

ولا تقوى صادقة للآخرة، الا بقوة فى الدنيا.

فالضعيف فى دنياه فقير، وهو ذليل، والتقوى غير الفقر وغير الذلة ولو خلط الناس بينهما. وظنى أن الله يحب عبده المرفوع الرأس، الغنى بعمله، الكاسب لولده، ذا الحيلة الذى يعرف كيف يتصرف فى دنياه.

وقوة الناس اليوم علم ومهم، وسقيا من كل روافد المعرفة. وغنى الناس اليوم زرع وحصد، واستنباط كل جديد، والعلم وراء كل ذلك. وغنى الناس اليوم صنعة، والعلم والتكنيك وراءها. وحضارة اليوم تحرر من حجبات عدة، رجالا ونساء. ولا نستطيع فى العصر الحاضر، او فى اى عصر، ان نعيش غير حضارة ذلك العصر. وحضارة العصر، أى عصر، حضارة انسانية، لا يضيرها أن تكون نبتت فى شرق او غرب. ونستطيع ان ننتقى من الحضارة، ولكنا لا نستطيع لها رفضا.

والمسألة العربية سوف تحلها لا شك الزمن.

ثم تبقى المشكلة العربية قائمة قائمة: **تخلف، على شقاق، فى مواجهة امم فى المقدمة سابقة بعيدة السبق، بين العرب وبينها الف عام.**

لا بد للعرب أن يدرسوا احوالهم دراسة اعمق، وابعد فى الزمان.. دراسة لا تقف عند السنين ولكن تخترق القرون.

ولا بد من التوعية، حتى يكون جزاء الزوق العمد رصاصة فى القلب.

والله ولى التوفيق.

15 — 5 — 65

احمد زكى

---

(1) « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا » قرآن كريم

« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا. واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » حديث شريف



بين التراجع ، والاحتفاظ بالهيبة

عن نيوزويك :

● كتب الأستاذ مورجنتو ، أستاذ علم السياسة بجامعة شيكاغو ، يقول في شأن الخصومة القائمة بين الولايات المتحدة وفيتنام :

يجب علينا ، نحن أهل الولايات ، أن نتعود على أن نألف الحقيقة الواقعة ، وهي سيطرة الصين في أرض آسيا . ويجب أن نذكر أن الأمم الآسيوية الأخرى ، التي ألفت هذه الحقيقة ، قد عاشت في سلام في ظل الصين ، ومثال ذلك بورما وكمبوديا .

ومثال حالة شاذة واحدة هي غزو الصين للتبت .

ان « هو شي منه » (رئيس الحزب الشيوعي الفيتنامي) لن يصبح زعيما لدولة تابعة للصين إلا إذا اضطرته الولايات المتحدة الى ذلك . ان هذا الرجل ، مثل تيتو زعيم يوغسلافيا ، انما انتهى الى الزعامة على رأس جيش منتصر ، هو جيشه هو لا جيش الصين . والآن له الحق أن يكون له في آسيا ما لتيتو في أوروبا .

والسؤال الذي يجب أن نسأله : ما الضرر الذي يصيب مصالح الولايات المتحدة لو أن « هو شي منه » حكم فيتنام كلها . ان الجواب لا شك أنه لن يصيب هذه المصالح ضرر قط .

بل على النقيض ، ان من مصالح الولايات المتحدة أن تحفظ الصين بدول كلها مستقل .

ان وجودنا في فيتنام اليوم ، واصرارنا عليه ، نابع من خشية أن تصاب سمعتنا بضرر إذا نحن انسحبنا من مواقع لا يمكن الاحتفاظ الطويل بها .

ولكن أليس الأجدر على احتفاظ بالسمعة الطيبة ، لبلد مثل بلدنا هو بالقوة بمكان عظيم ، أن نأخذ بالحكمة . ونتراجع عن موقف لا يمكن الاحتفاظ به ، وأن نقول اعلانا أننا تراجعنا لما تبين لنا ما فيه من خطأ .

شيوعية هي ،

قارىء يكتب الى الاسبكتاتور اللندنية :

● ان الساسة كثيرا ما يحذروننا ، نحن البريطانيين ، من التوسع الذي تهدف الشيوعية أن تطوق به سطح الأرض كله .

وهذا التحذير كان مستساغا بعد الحرب العالمية الثانية ، حينما وقف الروس ، ومن حولهم توابعهم ، كالحائط المرصوص ، سميكا ، صلبا ، لا ثغرة فيه .

ولكن الآن ، كيف يسوغ هذا التحذير ، ونحن نرى أن الستار الحديدي بدأ يتصدع ، وبدأ التوابع من أمم الشرق في أوروبا يرفضون عن أكتافهم نير الروس ، ويرفضون التبعية .

وكيف يسوغ هذا التحذير الآن ، ونحن نرى الصدع الذي وقع فيما بين الروس والصين ، وقد أخذ يتسع ثم يتسع ، حتى لم يبق يحتمل لطرفي الصدع لقاء .

فى الاقتصاد نعم ، واما فى الثقافة فلا

من مجلة « الكونتر » اللندنية :

● ان التجارة بين امم الغرب فى اوروبا «الامم الراسمالية» وامم الشرق «الامم الشيوعية» تزداد عاما بعد عام .

ولكن قادة الشرق حريصون جد الحرص علىالتوسع فى التجارة وحدها ، وذلك لفك الضيق الذى ينتاب هذه الامم فى اقتصادياتها . وهؤلاءالقادة يلحون فى التقارب الاقتصادى ، ويتخذون من ذلك دليلا على حسن التعاون . والتقاربالاقتصادى يدر عليهم الخير الكثير .

ولكن التعاون الدولى لا يكون فى مجال دونمجال .

انهم فى المجال الاقتصادى يتعاونون اكبرالتعاون . ولكنهم فى المجال الثقافى يتكاتون ، ويعاونهم فى المجال الاقتصادى يكسبهم القــوة ويقوى مراكزهم فى اوربا . ومع الرخاء لا يتتاون يحاولون ابقاء دول اوربا على ما اصابها مـنالسيم .

وهم اليوم فى ازمة مالية ، والكثير منهم يطلبون قروض من الغرب كبيرة . وهذا موقف لا بد ان يستغله الغرب لتحقيق التعاون فى المجــالالثقافى ، فيطلب الى هذه الامم زيادة من الحرية فى تبادل اسباب الثقافات بين الشرق والغرب .وزيادة فى حرية الراى وابدائه ، وبتخفيف الرقابة على الكتب والافلام ، وكذا الرجال .

ام امبراطورية

انه لا خوف من الشيوعية ان تعم الارض اليوم . وانما الخوف من الامبريالية ، وهكذا قولها فى صراحة لا يشوبها رياء : امبريالية الروس،وامبريالية الصين، ولم لا نقول وامبريالية الامريكان كذلك .

وليست الدول الامبريالية لاحطة من الغدار هذه الامم ولا لارفع منها .، وانما لاقرار الواقع الذى وقع فى كل القرون وغيرته كل الاجيال . ذلك ان كل امة اكتسبت قوة فى التاريخ وعظمة سمت الى ان يكون لها فى الارض مناطق واسعة للنفوذ وهى غاية الامبريالية الحاضرة .

والامم الضعيفة اليوم انما هى ضحايا الامم القوية ، مهما كان صنف هذه الامم القــوية ، شيوعية كانت او راسمالية . انمــا الشيوعية والراسمالية صفات" تذكر لتزيد الفهم تطيفا ، وتزيد طلاق الواقع ، بين القوة والضعف ، ابهاما. ان امريكا الحاضرة لو انها انقلبت غدا فصارت شيوعية ، لما تغير اسلوبها تجاه الامم المستضعفة، حتى موقفها من فيتنام لن يتغير ، انها تريد فصل فتنام من الصين اليوم ، وهى ســوف تريده غدا ، لا لان الصين شيوعية ، ولكن لان الصين تريد ان تكون امبراطورية .

والناس فى انجلترا يرى الكثير منهم مناصرة الولايات المتحدة حفظا للسلام .

ولكن هناك راى آخر : انما يجوز ان تتالف فى اوروبا ، من بريطانيا ، وسائر امم الغرب فى اوروبا وبعض امم الشرق ممن تفصم عراهـا بالروس ، وكذلك من امم افريقيا واسيا ، تلك التى اتخذت من الحياد الايجابى مذهبا ، الا يجوز ان تتالف من هؤلاء جميعا قوة جديدة ، تقف بين المتصارعين من جبابرة الارض ، فتمنع الخراب الذى هو لا شك سوف يكون الارض بأول قنبلة ذرية تفجر ، بصرف النظر عن مفجرها ، واين تفجرت .



بقلم : محمد الحاج سعيد

جامعة الخرطوم

■ تكونت الدولة الاسلامية واستمرت – بادىء ذي بدء – بالمدينة ، وكان التشريع يسير جنبا مع تطور ذلك المجتمع الناشىء الى امة لها كيانها المميز – بينما كان رسول الله – الرائد الذي لا يكذب اهله – يوجه تلك الجماعة المؤمنة الى الحياة الكريمة على هدى من الوحي القرآني .

وعاش مجتمع المدينة بسيطا – مطلوب عامرا بالايمان – الخطوات الاولى في تاريخ الحضارة الاسلامية خطوة فخطوة بينما تتدرج التشريع وحاجيات الزمان .. فقد كانت المشاكل الصغيرة التي تحدث بين الافراد تعرض على الرسول على سبيل الافتاء لا على سبيل المقاضاة الجديدة الحقة موجها جانب الصلح بين المتنازعين ، مبينا انه بشر يحكم بما يرجح في ظنه وانصل الحق غير ذلك . روى الامام احمد في مسنده عن ام سلمة عقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت :

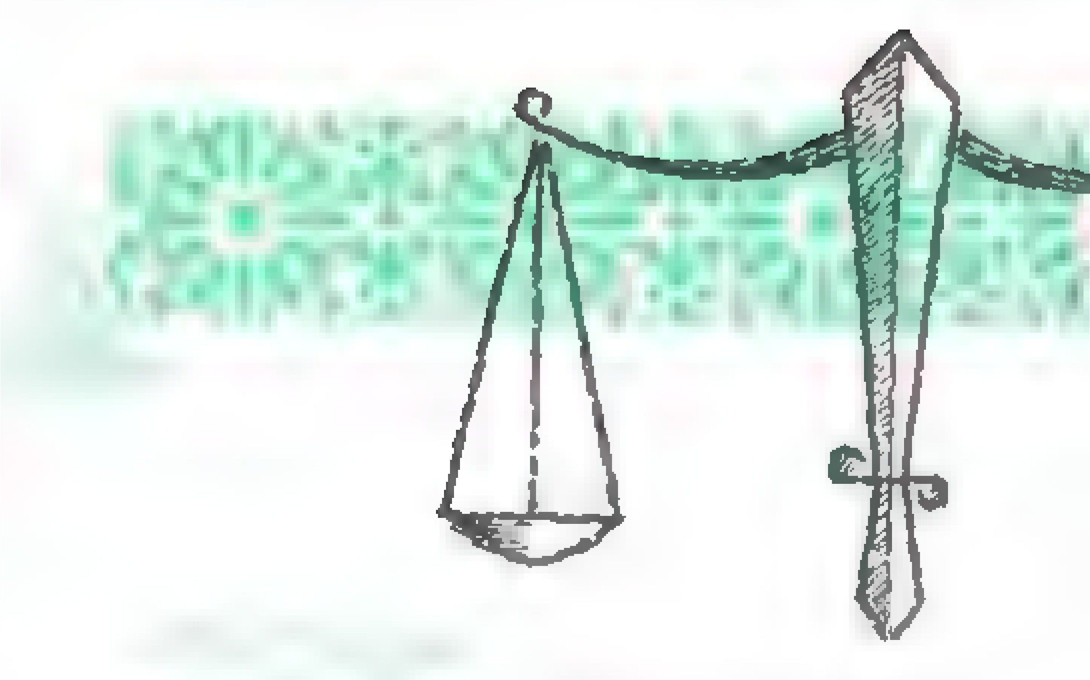
« جاء رجلان يختصمان في مواريث بينهما قد درست ، ليس بينهما بينة ، فقال رسول الله : « انكم تختصمون الى رسول الله ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، وانما اقضي بينكم على نحو ما اسمع ، فمن قضيت له من حق اخيه شيئا فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة من النار يأتي بها اسطاما في عنقه يوم القيامة . فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما « حقي لاخي » ، فقال رسول الله « اما اذا فعلتما فاذهبا فاقتسما ، ثم توخيا الحق ثم استهما ثم ليحلل كل واحد صاحبه » .

القضاء على عهد عمر

وكان ابو بكر خليفة رسول الله يقضي بين الناس على هدى من كتاب الله وسنة رسوله فاذا اشكل الامر استشار الصحابة على نحو ما جاء في حديث توريث الجدة .

ثم جاء عهد عمر .. وكان مرحلة جديدة في تطور القضاء ، فقد ازدادت الفتوحات ، وانتظمت مسيرة المجتمع العربي الاسلامي وفقا لاحكام الشريعة ، فتحددت بالتالي المعالم الرئيسية لتكوين امة ذات كيان مستقل لها نظمها وثوابتها.

وكان واضحا ان عمر لن يستطيع ان يصرف وحده شؤون الدولة التي اتسعت وترامت اطرافها، فبدأ يستعين من اصحابه الكثيرة حرصا على العدالة وتوخيا للحق ، « فكان اول من دفع القضاء



الى غيره فولى ابا الدرداء معه بالمدينة ، وولى شريحا بالبصرة ، وولى ابا موسى الاشعري بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه احكام القضاء وهي مستوفاة فيه ».

نص الكتاب

وفيما يلي نص الكتاب الذي ورد في « البيان والتبيين » ، وهو من اقدم الكتب التي روته :

« اما بعد ... فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم اذا ادلي اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . وآس بين الناس في وجهك ومجلسك حتى لا يطمع الشريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من جورك . والبينة على من ادعى ، واليمين على من انكر . والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما او حرم حلالا . ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل . الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة . ثم اعرف الاشباه والامثال فقس الامور عند ذلك ، واعمد الى اقربها الى الله واشبهها بالحق . واجعل لمن ادعى حقا غائبا او بينة امدا ينتهي اليه ، فان احضر بينة اخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء ، فان ذلك انفى للشك واجلى للعمى وابلغ في العذر . المسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا مجلودا في حد ، او مجربا عليه شهادة زور ، او ظنينا في ولاء او نسب . فان الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم الشبهات بالبينات والايمان . واياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات ، فان الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذخر . فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وابدى فعله والسلام .

موقف العلماء

اورد كثير من العلماء والمؤرخين هذه الرسالة في كتبهم ولكنهم اختلفوا في موقفهم من حيث صحة نسبها الى عمر . فمن القائلين بالصحة ابن القيم والمبرد وابن خلدون ، ومثلهم من المحدثين

الشيخ الخضري صاحب تاريخ الأمم الاسلامية ، وهيكل ، وغيرهم كثير . وهناك من وقف منهما موقف المتشكك أو المنتقد وهم جماعة منهم الامام ابن حزم الذي يعتقد ان هذه الرسالة مكذوبة على عمر ، والاستاذ مرجليوث بالكسفورد كما أورد الدكتور علي حسن عبد القادر في كتابه « الفقه الاسلامي » طعن بعض الغربيين في صحة الرسالة، اما الشيخ محمد بن محمد بن عرنوس فيجزم بأنها مختلقة مكذوبة .

ابن حزم لا يرى لغير قول الرسول حجة

اذا علمنا ان الظاهرية لا يأخذون بالقياس الذي جاء نص الرسالة واضحا عليه ، امكننا ان نضع ايدينا على سبب جوهري يضاف الى غيره من الاسباب التي تذرع بها ابن حزم ، وهو الظاهري، في سبيل ابطال الرسالة وحجيتها .

انه يطعن أولا في الرسالة بشكه في سندها . وقد أورد لها سندين ، في احدهما انقطاع على ما قال، أما الثاني فقد طعن في راويين من رواته الوليد بن معدان وابنه عبد الملك ، وقال انهما ساقطان .

اما عبد الملك فقد اختلف رجال الحديث في مطرفه وجرحه ، وذهب جمع الى مثل رأي ابن حزم بينما قال آخرون بخلافه .

اما ابوه الذي قال عنه ابن حزم هو وابوه اسقط منه « فهو الوليد بن معدان وهو من المعروفين بالصلاح ، وذكره ابن حبان في الثقات .

وقد اعترض ابن حزم فقال بعدم حجية قول غير الرسول ، وانه غير ملزم « ويكفي انه لا حجة في قول احد دون النبي صلى الله عليه وسلم وكم قصة خالفوا فيها عمر » . وهو مشى على نظرة الامام ابن حزم والظاهرية عموما الى قول الصحابي، ومذهبه وهل هو ملزم او لا ؟! وهي مسألة اصولية ..

هذا وقد أورد ابن القيم ما يشف على التسعين دليلا تؤيده فيما ذهب اليه من اعتبار احكام الصحابي وفتاواه بوجه عام والاعتداد بها . ومن اقواله هنا « ان الصحابي اذا قال قولا ، او حكم بحكم ، فله مدارك ينفرد بها منا ، ومدارك نشاركه فيها . اما ما ينفرد بها فيجوز ان يكون سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم شفاها او من صاحب آخر عن الرسول . الثالث ان يكون فهمها من آية من كتاب الله فهما خفي علينا . الرابع ان يكون اتفق عليها ملؤهم ولم ينقل الينا الا قول المفتي بها وحده . الخامس ان يكون لكمال علمه باللغة ودلالة اللفظ على الوجه الذي انفرد به عنا او القرائن او لمجموع امور فهموها من سيرة الرسول فيكون فهمهم ما لا نفهمه نحن .

وتتلخص حجج المعارضين في ان قول الصحابي ملزم ، ان الصحابي ، ككل المجتهدين ، ويجوز عليه من الخطأ ما يجوز على غيره . ولكن الراجح ان مذهب الصحابي ـ كما وضحه ابن القيم وغيره ، يرجح عند التعارض .

اعتراض ثالث من المستشرقين

طعن الاستاذ مرجليوث في الرسالة باختلاف رواياتها ، وكذلك بعدم امكانية نقل الخطاب شفاهة من عمر لابي موسى .

وقد تصدى له احد المحققين بالرد قائلا : « وليس احد الامرين فيما نرى داعيا للتشكيك في الكتاب اما الثاني (نقل الخطاب شفاهة) فلان اغلب الروايات تدور على سعيد بن ابي بردة بن ابي موسى ، وفيها يقول الراوي عنه فاخرج لنا كتابا فيهما كتاب عمر لابي موسى . واما الاول (اختلاف الروايات) فلان اختلاف الروايات في الحديث لا يكون سببا قادحا فيه وموجبا لرده ».

وقد قال الشيخ محمد بن محمد بن عرنوس ، بعد ان سرد حياة ابي موسى ، طاعنا في صحة الرسالة حيث ذكر الراوي في روايته قوله « الى عامله بالكوفة » . قال ابن عرنوس « من هذا البيان المختصر يظهر ان ابا موسى لم يل الكوفة في عهد عمر وانما وليها في زمن عثمان الخ » .

والواقع ان هناك من يثبت ولاية ابي موسى للكوفة على عهد عمر . ففي تاريخ الذهبي متحدثا عن ابي موسى « ولي الكوفة والبصرة لعمر » .. وقال الاسود بن يزيد « لم ار بالكوفة اعلم من علي وابي موسى » . وقال ابن الاثير « ثم دخلت سنة احدى وعشرين وفيها عزل عمر بن الخطاب عمار بن ياسر عن الكوفة واستعمل ابا موسى ... فاقام فيهم سنة » . والواقع ان الكتب التي اعتمد عليها الشيخ ابن عرنوس لم تنف ولاية ابي موسى

الكوفة ، ولكنها اثبتت ولايته للبصرة ، ولا مانع — في نظرنا — من ان يكون قد ولي الكوفة أيضا .

هل في الرسالة اصطلاحات متأخرة ؟

وقد طعن بعض المستشرقين في صحة هذه الرسالة وغيرها من رسائل عمر ووصاياه لانها تشتمل على « اصطلاحات دقيقة تعتبر وليدة لعصر ما بعد الصحابة » .

ويبحث الباحث — عبثا — عن هذه المصطلحات فلا يجد لها اثرا ..

اهي جملة « البينة على المدعي واليمين على من انكر » وهي حديث شريف ؟!

اهي كلمات « الصلح » و « القضاء » و « الدعوى » وقد وردت في نصوص الشريعة في مثل قوله تعالى « فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا » ، وقوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »، وقد وردت مادة الدعوى في الحديث السابق . وقريب منها ما جاء في قوله تعالى « فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين » ؟!

اهي جملة « الصلح جائز بين المسلمين الخ » وهي نص حديث شريف كما جاء في جامع الترمذي؟

الحق ان هذه الرسالة لا تشمل اي تعبيرات او افكار تنأى بها عن زمانها او تجعلها غير ملائمة لعصرها وظروفها ..

الرسالة والقضاء

رسم الخليفة الثاني في رسالته هذه جانبا من شؤون القضاء ، وخطط فيها النهج السوي الذي يعين القاضي على تحري العدل واصابة الحق في حكمه .

فالقضاء عند عمر اصله ومادته لا تعدو ان تكون آية من كتاب الله المحكم ، او من سنة رسوله المتبعة . وفهم القاضي لما يحكم فيه واجب « لان صحة الفهم وحسن القصد من اعظم نعم الله التي انعم بها على عبده » . وعدل القاضي لازم « حتى لا يطمع شريف ولا ييأس ضعيف » . ثم وضع بد قاضيه على قاعدة مأثورة وهي « البينة على من ادعى واليمين على من انكر » ، وهي من الاصول القضائية العظيمة التي هي جماع العدالة وملاك الانصاف . وعمر ، الخليفة الانسان ، لمعرفته بدخائل النفس البشرية يطلب من قاضيه ان يجد من حيل الرجاء رقية في صلح الخصمين خاصة اذا كانا من الاقارب ، وفي هذا يقول « ردوا القضاء بين ذوي الارحام ، فان فصل القضاء يورث الضغائن » .

ثم هو يستمد من بلاغة الرسول واعجاز كلمه الجامع فيضمن رسالته قول الرسول « الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما او حرم حلالا » . وهو لا يحجر على قاضيه استعمال عقله في قياس الحوادث ومقارنتها « لان الحوادث ممدودة النصوص محدودة ، فلا يجد القاضي في كل حادثة نصا يتكفل به الخصومة ، فيحتاج الى استنباط من النصوص عليه » . وفي هذا فتح لملكات الانسان وتخطيط لاستثمارة قدرته العقلية في استنباط الاحكام من مصادر الشريعة المتنوعة ..

ثم هو يطلب امهال الخصوم حتى يستمدوا المخاصمة بحججهم وبيناتهم ، ولا يأخذهم على حين غرة ، فيضطرب ميزان العدالة ويضيع الحق بسبب الارتجال والعجلة .

والاصل في المسلم العدالة حتى يشوبها ما يذهب بها من ارتكاب جريمة يحد عليها ، او شهادة زور تحط من مكانته عند الله وبين الناس، او اتهام في اصله ونسبه يذهب بهيبته ويقلل من علا شهادته .

اما القاضي فيجب ان يكون رحب الصدر واسعه ، لا يضيق ولا يتكلف من نفسه ما ليس فيه ، بل يسمح لكل واحد من الخصوم ان يقول ما يحب ، ثم يكون الحكم الصحيح المبني على الاناة والتروي الموجب لثواب الله ورضوانه ..

هذه هي رسالة عمر في القضاء . ولقد كانت معلما بارزا في تاريخ القضاء الاسلامي ، وامدت الفقه الاسلامي بمباحث ثرة ، وكانت كما قال عنها المبرد « لا يجد محق منها متخلصا ، ولا ظالم من حدودها محيصا » . ■

الخرطوم — محمد الحاج سعيد

طرائف عربية

فكاهة عن اشعب

● سأل رجل اشعب أن يعرضه ويؤخره فقال :

ـ هناك حاجتان .. فاذا قضيت لك احداهما فقد انصفت .

فقال الرجل : رضيت .

فقال اشعب : أؤخرك ما شئت ولا اقرضك !

تكاليف الحياة

● قيل لاعرابي لم لا تضرب في الارض؟ فقال يمنعني من ذلك طفل بارك ، ولص سافك ، ثم اني لست بعد ذلك واثقا بنجح طلبي ، ولا معتقدا قضاء حاجتي ، ولا راجيا عطف قرابتي ، لاني اقيم على لؤم اخلاقهم الشيطان ، واستطالهم السلطان ، وساعدهم الزمان ، واسكرتهم حمالة الانسان .

تظلم اعرابية

خرج المهدي بعد هداة من الليل يطوف بالبيت ، فسمع اعرابية من جانب المسجد تقول : « قوم متظلمون ، نبت عنهم العيون ، وفدحتهم الديون ، وعضتهم السنون ، باد رجالهم ، وذهبت اموالهم ، وكثر عيالهم ، ابناء سبيل ، وانضاء طريق ، وصية الله ، ووصية رسول الله ، فهل آمر بخير ، كلاه الله في سفره ، وخلفه في اهله ؟ فامر نصرا الخادم ، فدفع لها خمسمائة درهم .

ثوب الرياء

● حدث ابو عمر الزاهد قال : دلك بعض الزهاد المرائين جبهته بثوم ، وعصبها ، ونام ليصبح بها كاثر السجود ، فانحرفت العصابه الى صدغه ، فاخذ الاثر هناك .

فقال له ابنه : ما هذا يا ابت ؟

فقال : اصبح ابوك ممن يعبد الله على حرف !

النـــاس

● قال ايوب بن القرية : الناس ثلاثة : عاقل ، واحمق ، وفاجر .

فالعاقل : الدين شريعته ، والحلم طبيعته ، والراي الحسن سجيته ، ان سئل اجاب ، وان نطق اصاب ، وان سمع العلم وعى ، وان حدث روى .

اما الاحمق : فان تكلم عجل ،

نصيحة طفيلي

● قال طفيلي : اذا حدثت على المائدة ، فلا تزد في الجواب عن نعم ، فانك تكون بها مؤاتيا لصاحبك ، وسيفا للقمتك ، ومقبلا على شانك !

الكتاب والقلم

● قال ابن المعتز : الكتاب والمسبح الأبواب ، جريء على الحجاب ، مفهم لا يفهم ، وناطق لا يتكلم ، به يشخص المشتاق ، اذا اقعده الفراق .

والقلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم الارادة ، ولا يمل الاستزادة ، ويسكت واقفا ، وينطق سائرا، على ارض بياضها مظلم ، وسوادها مضيء ، وكأنه يقبل بساط سلطان ، او يفتح نوار بستان .

بشار بن برد

● قيل لبشار بن برد : لم فقت اهل عصرك وسبقت اهل عصرك ، في حسن معاني الشعر ، وتهذيب الفاظه !

قال : لاني لم اقبل كل ما تورده على قريحتي ، ويناجيني به طبعي ، ويبعثه فكري ، ونظرت الى مغارس الفطن ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسرت اليها بفهم جيد ، وغريزة قوية ، فأحكمت سبرها ، وانتقيت حرها ، وكشفت عن حقائقها .

نباهة جارية

● جاءت جارية لمنصور بن مهران بمرقة ، فهرقتها عليه ، فلما احس حرها ، نظر اليها .

فقالت له : يا معلم الخير اذكر قول الله .

قال : وما هو ؟

قالت : والكاظمين الغيظ .

قال : كظمت .

قالت : واذكر (والعافين عن الناس)

قال : قد عفوت .

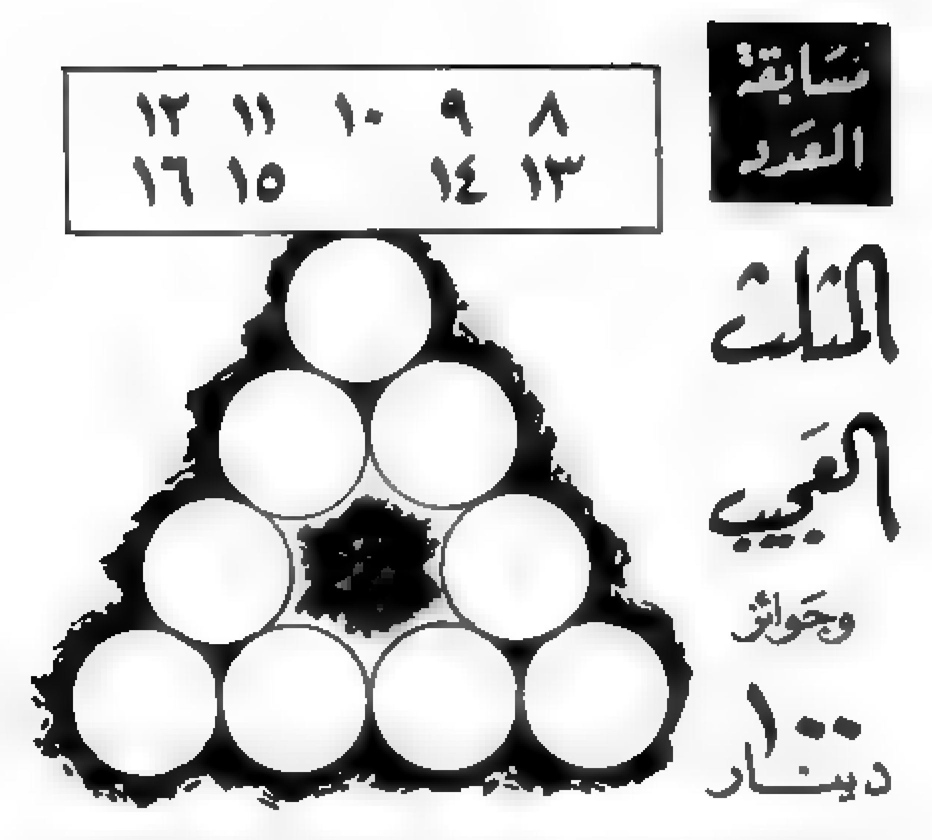
قالت : واذكر (والله يحب المحسنين)

قال : اذهبي .. فانت حرة .

ثلاثــــة

وان حدث وهل ، وان استنزل عن رأيه نزل .

اما الفاجر : فان ائتمنته خانك ، وان حدثته شانك ، وان وثقت به لم يرعك ، وان استكتم سرا لم يكتم ، وان علّم لم يعلم ، وان حدث لم يفهم ، وان فقهته لم يفقه .



■ في الرسم المنشور فوق هذا الكلام تسع دوائر يتألف منها مثلث متساوي الاضلاع ، وفوق هذه الدوائر تسعة ارقام ، والمطلوب هو توزيع هذه الارقام داخل الدوائر ، بحيث يكون حاصل جمع ارقام كل ضلع من اضلاع المثلث مساويا لرقم ٤٨ .

بعد أن تجد الحل الصحيح اكتبه على ورقة مستقلة وابعث به الينا فقد تفوز باحدى الجوائز .

شروط المسابقة وجوائزها

١ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٣ .

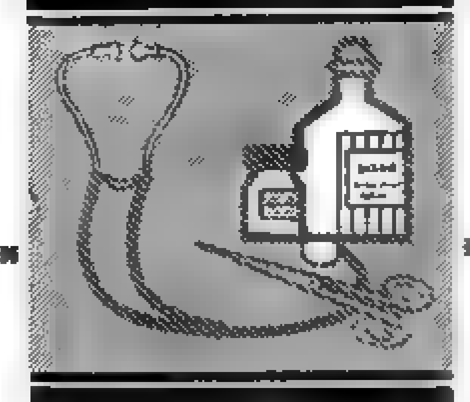
٢ ـ يكتب على الظروف عبارة « مسابقة العربي ـ العدد ٧٩ » .

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر يوليو (تموز) ١٩٦٥ .

● يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتي

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا .. الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا .. الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع



طبيب الأسرة

بعد كم من الرضاع افطم ولدى ؟



● انا ارضع ولدى الآن ، وقد بلغت ارضعه لمدة ستة اشهر كاملة ، فهل جاز لى الآن ان افطمه ، ام الاحسن له ان يظل يرضع لاشهر اخرى ؟

ـ انك لم تذكرى من اى لبن ترضعينه من لبن الثدى ، او لبن الزجاجة . ذلك لان الطفل الذى يرضع من الثدى يتأخر فطامه عن الطفل الذى يرضع من الزجاجة .

وان كان لدينا ما يرضعه من ثدى او زجاجة فالناس تميل الى اطالة مدة الرضاع اكثر مما يجب . والتحول من الرضاع الى الطعام ، كلما طال تأخيره بعد الشهر الرابع او الخامس ، يزداد عسرا .

والذى ينصح به الأطباء ، للطفل الذى يرضع من الثدى ، ان تبدأ الأم باكرا تعويده على طعام غير لبن الثدى ، من طحين القمح والأرز والحليبة وكل ثخين القوام من الطعام . وبذلك يسهل فطامه فلا يأبى الطعام ويتشبث بالثدى ، وتحتاج الأم عندئذ ، كما يحدث فى بعض الأمم المتخلفة ، الى دهان ثديها بالمر حتى يعافه الطفل ويجبر على الطعام .

انه من الصعب تحديد الشهر الذى عنده يفطم الطفل لان ذلك يتوقف على حالة الطفل . ولكن يمكن القول اجمالا ان الطفل ، اذا بلغ وزنه ١٦ رطلا ، فسوف يحتاج لغذائه اليومى الى نحو رطلين من اللبن ، يرضعهما من الأم كل يوم ، وهذا امر شديد على الأم المسكينة . وعندئذ يكون ، لخير الطفل ، ولخير امه ان يعطى الطفل الحسيب السائل الثخين من الطعام تمهيدا لفطامه .

وكذا الطفل الذى يرضع من الزجاجة ، فالمعقول ان تبدأ الأم فى اعطائه غذاء غير غذاء الزجاجة ليساعد لبن الزجاجة ، وذلك اذا زادت الرضعة الواحدة عنده عن نصف رطل . لان معنى ذلك انه يتناول فى اليوم رطلين من اللبن . والآن فقد صار فى حاجة الى الطعام الثخين .

هذا يعطى فكرة عامة عن بدء التحول من الرضاع . اما التحول التام فيتوقف على الطفل ، وما كل الاطفال سواء .

والطفل يستمر على الطعام الثخين

الى ان تثبت اسنانه ، ويستطيع المضغ. وعندئذ يعطى له ما يمضغ من الطعام الصلب .

وبالطعام الثخين نقصد البطاطس المهروس ومعه المرق ، والارز المطحون ومعه الحليب ايضا ، والموز ومعه الحليب والسكر ، وكذا التفاح المطبوخ وما الى ذلك .

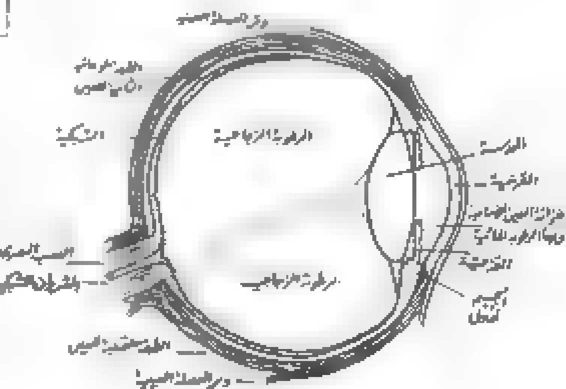
اريد ان أهب قرنية عيني بعد وفاتي

● اريد ان اهب قرنية عيني بعد وفاتي ، ولكني اريد ان اسأل . هل قرنية عين الرجل تزرع مكان قرنية عين المرأة المريضة ، والعكس بالعكس، ثم هل يحتاج المرء الذي قبل الهدية ودفع له الاطباء القرنية الموهوبة في عينه ، هل تحتاج الى نفس النظارات التي تركها الواهب .

ــ اما عن الجزء الاول من السؤال فنعم ، ذلك لانه لا فرق بين قرنية عين الرجل وقرنية عين المرأة .

اما عن الجزء الثاني من السؤال فلا ، فصاحب القرنية الموهوبة التي زرعت في عينه مكان قرنيته المريضة يحتاج الى نظارة ولكن لا علاقة لعدساتها بعدسات نظارة كان يستخدمها الواهب .

وانت لاشك تعلم ان القرنية ما هي الا ذلك الغشاء الشفاف الذي يغلف العين من امام ، فهي مكورة الشكل ، خارجة قليلا من سطح كرة العين نفسها.



الحصبة تارب

● صارت الحصبة وباء من جديد، وقيل ان الحصبة قد اكتشف سرها ، وصار لها دواء منذ سنين ، فلماذا نرى الحصبة تعود من جديد .

ــ الحصبة ، سببها فيروس سريع الانتشار بين الاطفال . وهو مرض ، المعروف عنه انه يأتي كل طفل او صبي مرة في الحياة ، واذن يتحصن بها الطفل بعد ذلك دون المرض ، لان الفيروس يثير الجسم الى المقاومة ، فالى ابداع اجسام عاكسة له، تعرف بالاجسام المضادة للمرض تبقى دائما في الجسم تدفع عنه المرض عندما يريد أن يغزو الجسم مرة أخرى .
هذا كله ، سبق ان ذكرناه في « العربي » .
والمرأة التي عندها أكثر من طفل كانت تعاني تمريض مريض من بعد مريض ، حتى كان بعض الامهات ، وقد علمت ان العدوى لا بد آتية فلا يعتصم منها احدهم ، أن تجمع كل أولادها عند الاصابة الاولى معا ليأخذوا المرض معا ويكون التمريض واحدا يحفف عنها .
والمرض وبائي شديد . ولو أننا رجعنا الى الامم التي تعنى باحصاء ، كانجلترا مثلا ، لوجدنا انه زارها هذا

المرض في ربيع عام ١٩٦١ ، وكان محصول الاسبوع من المرض ٤١٠٠٠ اصابة ، ومحصول فصل العدوى كله ٧٦٠٠٠٠ اصابة . وهو يأتيها وبائيا عاما بعد عام . وقد جاءها عام ١٩٦٣ . والناس تتحدث هذه الايام ، ربيع عام ١٩٦٥ ، عن وباء جديد .

وقد كان سبب الحصبة مجهولا ، حتى كشفه الاستاذ الامريكي الدكتور جون انلدز ومنذ ان كشفه اهتم الناس والأطباء كعادتهم بلقاح يتدفع عن المرضى شر هذا الوباء .

واستجاب ، فابتدع هذا اللقاح كاشف الفيروس نفسه . وجربوه ، والقصد انه يقي الاطفال شر العدوى . واطفال تلقحوا به ضد الحصبة ، جمعوا بينهم وبين اخوة لهم محصوبين ، فما اصابتهم عدواهم .

ولكن هذا اللقاح ، ككل اللقاحات ، لابد من مرور زمن كاف عليه لتاكيده . ثم من بعد تاكيده لا بد من مرور سنوات عدة ليتحصن اهل الارض ضده .

وتأتي الاخبار بحدوث صعوبات وارتباكات في استخدام هذا اللقاح . وتحوم حوله الشكوك كما حامت حول لقاح شلل الاطفال في سنواته الاولى ، ثم تتبين الاخطاء وتزول الشكوك .

والطريف في هذا المرض ، ان يصنع الجسم الانساني مواد تضاد المرض وتخاصمه وتحاربه كان فرضا نظريا لم تعرزه الوقائع عملا على هذه المواد حتى تصبح النظرية حقيقة واضحة . وقد تم هذا بعد كشف لقاح مرض الحصبة ، اي توكيد وجود هذه المواد المضادة ، وذلك في المختبرات .

فالعلماء اليوم يستطيعون الكشف عن وجود هذه المواد في الدم ، ويستطيعون ان يكشفوا الحد الذي وصلت اليه هذه المواد في قوة مناعتها من المرض . وقد وجدوا ان دماء الاشخاص الذين لم يصابوا أبدا بالحصبة خلو من هذه الاجسام ، وانه عند المصابين ، لا تظهر هذه الاجسام في الدم . الا بعد ان يظهر طفح الحصبة على جلد المريض . وهي لا تظهر عادة في الدم الا بعد يومين او ثلاثة من ظهور هذا الطفح .

وتبقى هذه الاجسام الواقية المانعة في الدم طول الحياة . من اجل هذا قيل ان الحصبة مرض الطفولة والصبا ، وذلك لان الصبي الذي اصيب بها لا يكبر الا وهو حصين .

فلورة ماء الشرب

● فلورة ماء الشرب ، عارضها الكثير من الناس . في الكثير من الامم . افلا يكفي هذا لاثبات اضرارها ؟

ــ بالطبع لا .

ذلك لان المعارضين عارضوا ولم يدلوا بحجج في المعارضة . ان الناس محافظون ، فهم معارضون ، في اكثر الاحوال ، كل جديدة لان الجدة تزعجهم . انهم راضون بالحال التي هم بها ، ويرفضون التغيير . وهم يستطيبون دائما ربط هذا القديم بمعنى غريب بان الله هكذا شاء الكون ، وهكذا لا بد

معاًه ، ولا ندري من أين جاءهم ان الله هكذا شاء . انه فرض افترضوه لا دليل عليه ابداً . وهو فرض يمنع من التقدم في كل مرفق من المرافق الانسانية . حتى من الناس من رفض الطب الحديث والأدوية الحديثة ، واكتفى بالعقاقير التي تنبتها الارض، لأنها الشيء الطبيعي، ولا شيء غير ذلك .

نحن نغفل معارضة العلماء ، بالحجة. وفي امر ضورة الماء اليك ما نشرته على أساس هيئتان ، فيما تشرب الهيئات ، من حث الجماهير على مطالبة أهل السلطان فيهم بفلورة الماء كل في ناحيته.

أما الهيئتان ، فهما رابطة طب الاسنان البريطانية . ورابطة الطب البريطانية .

جاء في هذه النشرة :

« أن فساد الاسنان مسالة تتزايد خطورتها في هذه البلاد (بريطانيا) . ان في المناطق التي توجد الفلوريدات بمياهها طبيعية ، وبالنسبة الصحيحة تقل فيها الاسنان النخرة بين السكان .

وفي الخمس السنوات الماضية اضيف الفلوريد الى الماء بكل من وتفورد Watford وكلمارنوك Kilmarnock ، وانجلسي Anglesey ، وكان به نقص من هذا الملح . ونشرت السلطات احصاء دل على أن عدد اصابات أسنان الأطفال في سن الخامسة فما دونها (اي الذين شربوا الماء المطلوب) قد نقص الى النصف .

ولم يظهر من استخدام هذا الملح اي اثر ضار بالصحة برغم الرقابة الطبية واستمراراتها. وتصحيح نسبة الفلوريد الواجب وجودها في الماء لم تقم دونها صعوبات تكنيكية ، وكلفة الفلورة لم تزد على عشرة بنسات للفرد الواحد في العام الواحد .

والهيئتان البريطانيتان ترجو كل مواطن أن يناصر مناصرة ايجابية في تمكين السلطات من رفع نسبة الفلوريد في الماء الى النسبة الواجبة ليهبط مقدار فساد الاسنان في البلاد » .

كشط الرحم

● زوجتي كانت تشكو من ثقل العادة الشهرية عليها ، وقد فحصها الطبيب الخصى ونصحها بان تجرى لها جراحة وصفت لنا بانها كشط الرحم ، فما هي هذه الجراحة ، وما خطرها ؟ كذلك علمنا انها قد تؤدي الى السرطان ، فهل هذا صحيح . اسال هذا لان الاطباء من عادتهم السكوت الشديد ، ويعللون ذلك بعدم رغبتهم في ازعاج الناس .

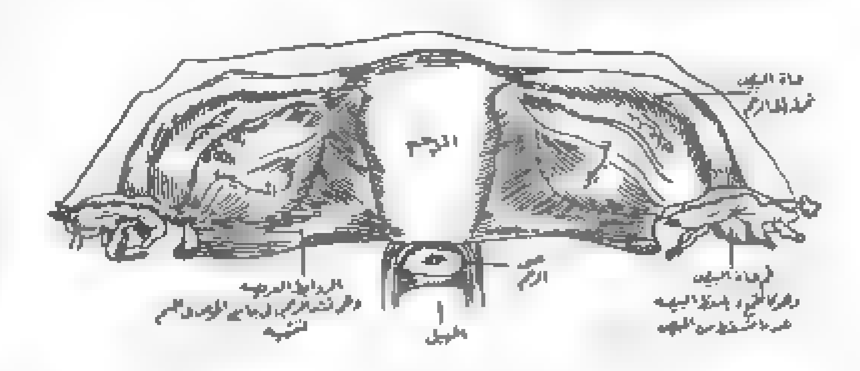
— سؤالك فيه نقاط عدة، فهو جامع.

فأولا : عملية الرحم المعروفة بالكشط، وهي بالانجليزية Scraping ، وهي باللغة العلمية Curettage . فهذه العملية عبارة عن الدخول عن طريق مهبل المرأة بالادوات التي تفتح عنق الرحم وتوسعه ، ثم باداة اشبه بالملعقة تدور بها الجراح داخل الرحم فيكشط بطانة الرحم من الداخل .

والجراحة في حد ذاتها لا تستغرق من وقت الجراح اكثر من دقائق ، ولكن التحضير لها يكون بالبقاء نحو يومين في المستشفى قبل العملية ، ونحو خمسة ايام بعدها .

والعملية من العمليات الروتينية في مستشفيات النساء ، ففي انجلترا يبلغ عدد العمليات من هذا النوع ١٥٠٠ في الاسبوع على اقل تقدير ، وهذا عدد يساق دليلا على انه لا خطر منها . اما دواعيها فكثيرة .

فمن دواعيها ثقل العادة الشهرية على المرأة ، وكثرة النزيف ، وقد يكون بسبب نزول جلطات من الدم مع العادة ، أو كثرة وقوع العادة . ولكل هذه أسباب في المقدمة منها بطانة الرحم ، فهي قد



تعلقت تعلقا كبيرا ، والكشط يردها الى الحال السوي ، وهي قلما تعود الى هذا السمك مرة اخرى .

والانسجة المكشوطة تتاح لها الفرصة لارسالها الى المختبر ، وهناك ينظرها المختصون بالمجاهر وقد تتضح لهم اسباب لا تتضح للعين العارية .

كذلك قد يكون من بعض اغراض هذه العمليه ، تعديل حجم الرحم ، وتصريف حالته من حيث تهيؤه لتقبل البويضة الانثى التي تنزل اليه من المبيض ، وذلك في حالات النساء اللاتي يصيبهن الاعقام .

وكثيرا ما يصحب العادة الشهرية الم ، يكون سببه ضيق القناة التي في عنق الرحم ، فالدم عند العادة الشهرية لا يخرج الا بضغط الرحم اياه . وهذا يسبب نوعا من التقلص يصيب عضلات الرحم وهي تدفع الدم الى الخارج . فالعملية فرصه تتيح موسعة العنق ، عنق الرحم ، لتخلص المراة من آلامها هذه .

اظن انه بقي من سؤالك الجزء الخاص بالسرطان .

فلنذكر ان السرطان عبارة عن خلايا ثائرة على الشكل والنمط التي تنمو به وتتكاثر سائر خلايا الجسم . وعملية الكشط يلتجأ لها لفحص الانسجة الناتجة من الكشط ، وفحص خلاياه بالمجهر بحثا عن وجود خلايا السرطان .

وتوجد طريقة احدث ، ان يؤخذ من مهبل المراة بعض سائله ، ثم يفحص بحثا عن خلايا السرطان .

ولكن لا يزال الكثير من الاطباء يجعلون طريقة الكشف القديمة عن السرطان ، بالكشط ، ثم المجهر ، هي الطريقة الامثل والاوثق .

اما متى يشتبه في وجود السرطان عند المراة ، فاكثر ما يكون الاشتباه اذا جاء المراة الحيض ، وجاءها بكثرة بعد الحمى ، أو بعد انقطاع العاده .

اما من حيث خطورة سرطان الرحم ، فقد زالت خطورته كثيرا ، فهو من امراض السرطان التي تستجيب للعلاج ، اما بعلاج الاشعة السينية ، او الاشعاع الراديومي ، او باقتلاع الرحم كلية . وتكون المراة من بعد ذلك بصحه وعافيه .

فعليك ، انت الزوج ، أن تطمئن . ولتعذر الأطباء احيانا عندما تغلبهم الرحمة بالمرضى ، وبأقارب المرضى ، فيغمغمون في احاديثهم ويداورون .

اعترافات

عبد الرحمن شكري

بقلم : علي ادهم

● الحياة نكتة باردة لا معنى لها ،
ونحن رهط الناس في حسن
طرحها كأن عندنا لها المغزى !!

● منذ وفاة الشاعر الكبير الأستاذ عبدالرحمن شكري في أواخر سنة ١٩٥٨ قصر الكتاب الذين كتبوا عنه — على وجه التقريب — حديثهم على شعره ، وعذرهم في ذلك واضح مقبول ، فإن شعر شكري هو من غير شك أبقى آثاره الأدبية ، وأعلاها شأنا ، وأدلها على لون أدبه ، وأسطعها على طبعه ومزاجه واتجاهات تفكيره .

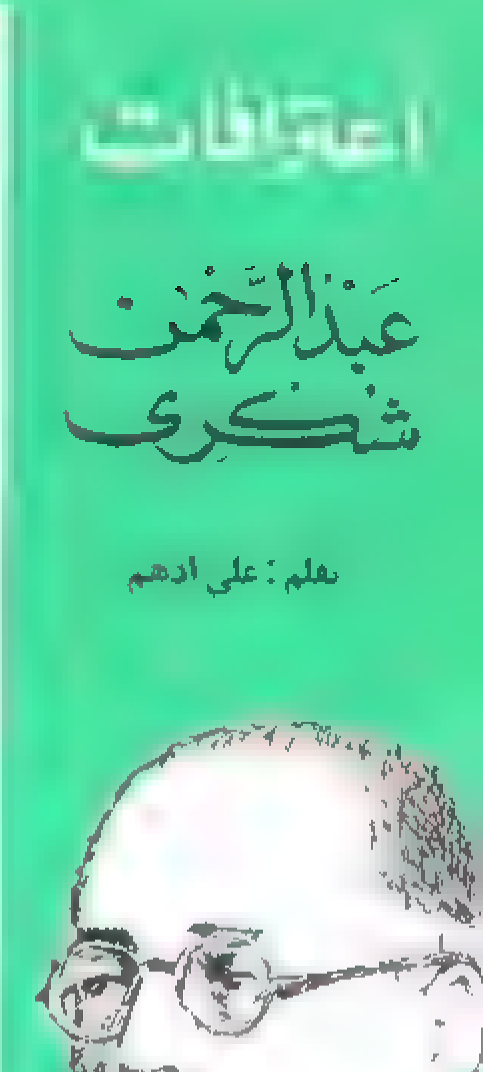
ولكن لشكري بعض مؤلفات من الأدب المنثور ، مثل كتاب « الصحائف » وكتاب « الثمرات » وكتاب « حديث إبليس » . وهناك أيضا مجموعة الفصول التي كان ينشرها في مجلتي الرسالة والثقافة والمقتطف . ولهذه الكتب والفصول النثرية مكانتها في أدب شكري ، وخطرها في دراسة أدبه وتقويم أساليبه ، ولو لم تكن لها من قيمة سوى أنها تلقي ضوءا على شعره وعلى أدبه وتكشف بعض جوانب شخصيته ، لكان ذلك حسبها في أن تنال العناية وتستأهل الدراسة .

كتاب الاعترافات

وكتاب « الاعترافات » الذي نحاول الكتابة عنه في هذا الفصل أحسبه في طليعة مؤلفات شكري النثرية ، وهو يجلو لنا الكثير من جوانب شخصيته ونواحي تفكيره ، أو على الأقل يؤكد لنا صحة ما قد نستخلصه من شعره من خوالج نفسه وخلجات عواطفه وأفكاره وخواطره .

وقد حاول شكري أن يضفي على هذا الكتاب الصبغة الروائية فعزا الاعترافات إلى صديق له ضاق ذرعا بالمدنية ، وملّ الحضارة ، وارتحل إلى مجاهل السودان ، وضاق على أمره ، وانقطعت أخباره ، وتضاربت الروايات عن مصيره .

وقد صدّر شكري كتابه برسالة من صديقه المجهول « م.ن » بعث بها إليه يقول له فيها « لقد طلبت الراحة في عالم المدنية فرأيت أن أقيم في مجاهل السودان لأن صحراءها أشبه بالأسد



■ الانسان في الحياة مقيد بقيود الضرورة ، محكوم بالمقادير التي تحيط به من كل مكان !

الذي احبه من المدن ، وستضيق الصحراء بي كما ضاقت بي المدن ، وقد رأيت ان اودع عندك « مذكراتي » كي تذكرني بي وبما كان بيننا من الود ، فاذا مضت سنة ولم اراجعك ، فانشرها اذا وجدت في نشرها ما يفيد » .

وسمعت شكري في مقدمة الكتاب عن صاحب المذكرات فيقول : « لقد مضت سنوات لم اسمع في خلالها شيئا عن صديقي م.ن صاحب الاعترافات فجعلت اسأل عنه ، حتى علمت انه سار يجسم في فيافي السودان حتى وصل الى بلاد يسام فاكله اهلها رحمة الله عليه . لقد كان يحتقر الاساطير فانتقمت منه ملل اكله اساطيرها ، ولكنه انتقم منهم ... انه كان مصابا في احتقاره اياها ، وقد زعم بعض انه لم يمت ، وانه توغل في اواسط افريقيا الى مواطن الزنوج ، فاسرته قبيلة منهم تدعى قبيلة الشانجه ، ولكنهم اعجبوا بسكونه وعبوسه وكبره وقلة مبالاته بما يقع حوله من امور الحياة ، فاتخذوه الها ، حاسبين ان هذه الصفات هي صفات الله . فاذا صح ذلك كان صديقي الها لا يزال حيا يرزق ، تعبده زنوج قبيلة الشانجه في اواسط افريقيا . وليت شعري ما حاله وما خاطره ، وهل هو سعيد بمنزلته بين اولئك الوحشيين الجهلاء !

« وقد رأيت ان اجمع هذه المذكرات وان انشرها لان في نشرها عبرة كبيرة لمن يعتبر ، وسيرى كثير من القراء نفوسهم مكبرة مرسومة في هذه الصحائف ، لاننا في حياتنا الاجتماعية سواسية مثل اسنان المشط ، هذا اذا صح ان اسنان المشط سواسية ولا اظن ذلك ، او مثل اسنان المشط . وسبب ذلك ان العوامل الاجتماعية التي تعمل في نفس الفرد منا تعمل ايضا في نفوس سائر الافراد » .

« الاعترافات » لشكري لا لغيره

والذي يقرأ اشعار شكري في مختلف دواوينه

■ النجاح في الحياة يحتاج الى فضائل وهمة عصيرة ، والجبن في الحياة من أكبر أسباب الفشل !

ونسبة هذه الاعترافات المرورة الى صديقه المزعوم م.ن لا تجد صعوبة في القطع بان شكري لم يشأ ان يواجه قراءه بهذه الاعترافات ، واستصوب ان يتجرد من نفسه شخصية اخرى يدعوها م . ن ، وينسب اليه هذه الاعترافات .

وقد اشار الى ذلك الاستاذ ابراهيم المازني في النقد الذي تناول به ادب شكري في الجزء الثاني من كتاب الديوان ، فقال : « لا يمكن ان يقال في الرد علينا وفي تبرئة شكري مما قرف به نفسه في « الاعترافات » صاحبها رجل اخر اسمه م.ن وان شكري ليس الا ناشرا لها . فان هذه الاعترافات ليست الا طائفة من المقالات لا يربطها شيء الا ضمير المتكلم ، وقد نشر شكري اكثرها في « الجريدة » من سنة ١٩٠٩ وسنة ١٩١٢ بتوقيعه على انها له ، ثم عاد فجمعها في كتاب طبعه سنة ١٩١٦ . ويرى قارئ الاعترافات ابيات شعر كثيرة واردة في اثنائها وفي الهامش انها من شعر المؤلف ، وصاحب الابيات هو شكري . ومما هو حقيق ان يبعث القارئ على الركون الى هذه الاعترافات وتصديقها انه يجد مصداقها في شعره » .

اكثر كتب الاعترافات والتراجم الذاتية باعثها الأزمات النفسية

وبعد ان يصف شكري حالة الشباب المصري في تلك الفترة ، يعود الى وصف صاحبه فيقول :

« اما م.ن فانه رحمه الله كان شابا يحب القراءة والتفكير ، وكانت تلوح في عينيه علامات السهر والحزن والتفكير ... وكان تلوح على وجهه بالرغم من ذلك انه كثير الحنان رقيق القلب ، واحيانا كنت لا ترى في وجهه شيئا من الحزن او الالم ، وفي بعض الاحايين كان وجهه مثل السماء التي تراكمت سحائبها وطمست نجومها ، وكان كثير من الناس يسيئون به الظن كما كان يسيء بهم الظن ، فهم اساءوا فهمه فاساء فهمهم

الثالوث : العقاد . المازني . شكري

● ثلاثة أسماء لمعت معاً في سماء الأدب المصري في العقد الثاني من هذا القرن ، وشقت طريقها في جو من العنف والتحدي وفرض النفس فلم يسلم من نقدهم شاعر ولا كاتب ولا أديب .

● جمعت بينهم ثقافتهم العربية الوطيدة واطلاعهم الواسع على الآداب الغربية ، وتأثرهم بشعراء الإنجليز وبخاصة الذين ملك شعرهم في النصف الأول من القرن التاسع عشر . وقد اشتغل الثلاثة أول ما اشتغلوا ، بالتدريس .

● وبرغم ما كان بينهم من تحالف وتآخ ، كان لكل منهم شخصيته المستقلة ومزاجه الخاص وأسلوبه في التعبير عن نفسه ، وطريقته في الاطلاع والتفكير .

● وكان عبد الرحمن شكري أوسع الثلاثة اطلاعاً على الأدب الغربي ، حتى يمكن القول إنه ما من ديوان من دواوين شعراء الغرب أو الشرق لم يقرأه . لكنه لم يكن يميل إلى المشكلات الفلسفية والبحوث العلمية بعكس زميله العقاد . أما المازني فكان أقل منهما جلداً على البحث العميق

● صدر الجزء الأول من ديوان شكري عام ١٩٠٩ باسم « ضوء الفجر » . ثم تلته من هذا الديوان سبعة أجزاء ، عدا كتبه المنثورة . وقد صدرت جميعا قبل عام ١٩٢٠ حيث أمسك عن التأليف .

● انحدر من أسرة وفدت إلى مصر من المغرب ، وكان أبوه من رجال الإدارة ، وشارك في الثورة العرابية وسجن بسببها ، ثم عفي عنه وأعيد إلى الخدمة .

● ولد في مدينة بورسعيد عام ١٨٨٦ . والتحق بكلية الحقوق ثم فصل منها بسبب اتصاله بالحزب الوطني فالتحق بمدرسة المعلمين ، وأوفد في بعثة إلى انجلترا وعاد منها عام ١٩١٢ ، وعمل مدرسا للجغرافيا والتاريخ بمدرسة رأس التين .. وتوفي في ١٥ ديسمبر عام ١٩٥٨ .

كما هي الحال بين الناس قاطبة . وكان أحيانا شديد التواضع وأحيانا شديد التكبر . وكان لا يعرف كيف يعاشر الناس ويداريهم ، ويأخذ ما صفا ويتغاضى عما كدر ، ويحتال للحياة واستجلاب السعادة ، فضاقت بنفسه الصحراء بعد أن ضاقت بها المدن كما يقول في رسالته » .

وقد ظهر كتاب الاعترافات والحرب الكبرى الأولى مشبوبة اللهيب دائرة الرحى ، وكتب شكري هذه الاعترافات في فترة كان الاحتلال البريطاني جاثما على مصر آخذا بخناقها ، وقد اشتد في الوقت نفسه بمصر الصراع بين القديم والحديث سواء في العادات والأخلاق والتقاليد ، أو في أساليب الكتابة ومناهج التفكير ، وفي مثل هذه الفترات تنزع بعض النفوس الحساسة إلى العكوف على نفسها وتلوذ بالعزلة .

وفي أمثال هذه الأزمنة كتب القديس أوغسطين اعترافاته المشهورة .

وخلا روسو بنفسه ليسجل اعترافاته .

وفي ظروف تتسم بمثل هذه السمات كتب تولستوي كذلك اعترافاته .

وأكثر كتب الاعترافات والتراجم الذاتية باعثها الأزمات النفسية التي تعرض لذوي النفوس الشديدة الحساسية والدائمة التفكير في ذاتها ، والظروف التي تكتنفها .

شكري يذكر طفولته

وقد جرى شكري على طريقة المعترفين وكتاب الترجمة الذاتية فاستهل الفصل الأول من كتابه بالكتابة عن طفولته ، وهو يقول في مطلع هذا الفصل :

« إن المرء إذا جعل يتذكر أيام طفولته أحس

لذة مثل لذة الرجل عند رؤية ابنه الصغير ، فاننا ننظر فى اعماق السنين الى ذلك الطفل الذى كنتاه فى طفولتنا فنحنو عليه ونقبله بفم الذكرى ، وهو لدينا مثل وليد لنا رضيع . ولقد يجول بخاطر المرء ان ذلك الطفل الصغير الذى كانه ، ليس بذلك الرجل الكبير الذى يحنو عليه والذى يعبث بالذكرى ويكشف عن الطفولة حجابا مثل حجاب النسيان ، فان اكثر المرء مكتسب من الايام والحوادث ، ومن اجل ذلك صار يعد شخصه فى الطفولة جزءا صغيرا منه ، ولو تفهم المرء نفسه فى اطوار عمره لرأى انه ينتقل من حياة الى حياة ، وانه يخلع كل يوم حياة ويلبس اخرى » .

شكرى يقول : وراء براءة الاطفال شر سوف يترعرع فى الرجال

والعجيب من امر شكرى انه حتى براءة الطفولة لم تستطع ان تاسر نفسه وتستغرقها وتحول مؤقتا بينها وبين اقامة النظر فى نواحى الحياة المظلمة وجوانبها المنكرة ، فهو يقول فى فصل عنوانه « ظل الشر » :

« على ذكر الطفولة وايام الصغر اقول تعترينى رؤية علامات الشر على اوجه الاطفال والغلمان الصغار فانها بالرغم من طهارة الطفولة تلوح على اوجه الصغار كما تلوح على اوجه الكبار ، اما الطهارة التى تنسب الى الطفولة فهى عجز الطفل عن مواقعة كثير من الشر لانه ليس عنده من القوة والدهاء والتفكير ما يعينه على ذلك . وقد تجد الطفل يتعجب من وقوع الشر من غيره ويحزن لذلك لا سيما اذا كان الشر واقعا به ، ولكنه لا يحس ما يفعله من الشر ولا يعرف انه شر . وهذه الخصلة موجودة فى الرجال ايضا فانهم يفعلون الشر فلا ترتاع ضمائرهم ، ولكن اذا فعل غيرهم الشر اهتاجت نواميسهم وارتاعت ضمائرهم من اجل ذلك . وهذا دليل على ان الضمائر آلة من آلات العواطف والرغائب تحولها كيف شاءت » .

فشكرى يرى وراء البراءة المحببة الى النفس التى تبدو على وجوه الاطفال ، نوازع الشر وبواعث الاجرام وربما كان ذلك عجيبا منه وهو الذى يقول فى قصيدة له عنوانها « ضحكات الاطفال » :

ضحكة منك صوتها صوت لذ
رجـع العصافير تستفز القلوبا

ضحكة ردت للشيب شبابا
وامات من الوجود الشحوبا

ضحكات كأنها كلمات الله
ـه تمحو مآثما وذنوبا

ضحكات كأنهن نغمات
ترد الثاكل الكئيب طروبا

ويختم هذه القصيدة بقوله :

يا رعى الله للطفولة عهدا
ما عهدنا الزمان فيها مريبا

كم صحبنا فيها الزمان امينا
ولبسنا فيها النعيم قشيبا

وشكرى يكاد يفتقد البراءة فى وجوه الاطفال وينكر عليهم صفاء النفس ونقاء القلب ويقول فيهم : « انى ارى على اوجه الاطفال ما تكنه اخلاقهم من اوائل الجشع والبخل واللؤم والقسوة ، ولكن ضعفهم وقلة مكرهم تسدلان على هذه الملامح حجابا رقيقا وقد اخفاها كالسراب » .

ويطالعه من وراء هذه الوجوه النضرة المشرقة بهجة الحياة ورونق الطهارة صور الفناء ونذير العدم فيقول : « فكانى بأوائل شرهم صارت نهاية ، وبنضارتهم شحوبا ، وبضعفهم الذى يلين لهم قلوبنا قوة ومكرا » .

ومن شكرى : الحب لا باس به ، الا اذا اغرى المرء بما يزرى بعقله

وليس كثيرا على من يسيء الظن بالطفولة ويظن الظنون ببراءة الاطفال ان يكون اسوأ ظنا بالشباب واقدر على وصف عيوبه ، واحصاء مساوئه ، فهو يقول فى فصل عنوانه « ازهار الشباب » .

« هل تذكر طيش الحب فى اول الشباب وما كان يغريك به من نزوات وعثرات حين انفلت من غفلة الصغر فاحسست تلك العاطفة فى قلبك . ان الحب لا بأس به الا اذا اغرى المرء بأعمال تزرى بعقله ، ولكن من ذا الذى لم يغر به الحب فى شبابه نزوات التيوس او العصافير . فان طيش الحب مثل طيش العصافير فى حركاتها ، وانه ليخيل له ان الحب قد انبت فى كتفيه اجنحة يطير بها الى حيث يشاء فيحسب انه لو رمى بنفسه من نافذة منزله لم يسقط ولم يصبه اذى بل يطير به الحب » .

كلام في الحب غريب !

ويسترسل شكري في الكلام عن الحب فيقول وما اغرب ما يقول :

« ويسمع المحب انفاسها والحانا غريبة لا يسمعها غيره وليس لها وجود ، ويرى اشكالا هندسية بديعة لا نسمع عنها في كتب الهندسة ، ويرى ازهارا خيالية لا يعرفها الباحثون في علم النبات ، ويحسب انه مركز هذا الوجود » .

ويخيل لي ان المحب الذي يرى امثال هذه الاشكال الهندسية العجيبة والازهار التي لا يعرفها حتى علماء النبات قد ابتلى باختلال الشعور وانحراف المزاج ، واصبح في حاجة ماسة لان ندعو له بالشفاء من وجيعته وان يأخذ الله بيده!

واماني ، عزلت من اماني

ولكنه مع ذلك راض عن الشباب لانه « كلي الالوان جم الروائع فهو حديقة من حدائق الربيع، وروح من ارواح الفردوس ، وهو الحياة ولا حياة بعده » . ويصف الاستاذ شكري الشباب وصفا عاما دون ان يذكر لنا تجربة معينة من تجاربه او حادثة خاصة من حوادثه او مغامرة من مغامراته، ويكتفي بان يذكر طائفة من انطباعاته ويرطب نثره بالالوان والروائع ويقول « اني احيانا اشم الروائح العطرية بشغف كما يلتهم الجوعان طعامه ، ولكني تؤذيني الرائحة الكريهة مهما خفيت ، واتأذى منها كما اتأذى بالعطب الجلل » .

وفي الخاطرة التي عنوانها « سماء الامل » يقول :

« اني لاذكر فرحي بقوس قزح وانا غلام صغير اذ كنت اصفق وارقص طربا برؤيته واتمنى لو كنت مثله لازين السماء بتلك الالوان الرائقة ، وكلما كبرت تمكنت من قلبي تلك الامنية فتمنيت لو اعيش كالشمس اشرق كشروقها واغرب كغروبها واملأ السماء ضياء ... وتارة احلم اني زوس سيد الآلهة ورئيسها ، او هرقل اله القوة ، او مارس اله الحرب . وتارة احلم اني افلاطون الفيلسوف او بيكون ، وتارة احلم اني شكسبير او ملتون ... وتارة احلم اني نابليون او الاسكندر ... وتارة احلم اني جمعت كل هؤلاء في شخص واحد » .

وليس هذا غريبا من شكري فقد تمنى في احدى قصائده العصماء ان يكون الها فقال :

ليتني كنت في السماء الهاً
ناظر الامر في شئون الوجود
فاسوي الوجود بين جماد
ين واحنو على الشقاء بجودي

وفي قصيدة « ثورة النفس » يقول

وما ليت لي مثل رأس مسيطر
على الرعد ان أغضبت كلما الرعد يغضب

نرجسية الشعراء

والشعراء مصابون دائما بالنرجسية ، لانهم كثيرو الانطواء على انفسهم والتفكير فيها ، ويصف لنا شكري نرجسيته فيقول :

« يظهر الشاعر وفيه من الكبر والغرور ما لو وزع على الناس لملأ نفوسهم . فيرى اشعاره هي الشعر وليس غيرها شعرا . ويظن القصيدة فكأنه تمخض عن وليد . ويحسب انه لو وضع شعره في كفة ميزان ووضع الوجود في كفة اخرى لرجح شعره . ويرى ان الاذكياء مقصورا على الشعراء » .

وينتقل من التعميم الى التخصيص فيقول متحدثا عن نفسه :

« اني لاذكر يوم نشرت لي اول قصيدة ، وقد اشتريت الجريدة التي نشرت فيها وصرت اقرأ القصيدة مرات عديدة ، وكان يخيل الي ان الحروف ترقص على الجريدة ، وصرت اخبط خبط المختال في الطرق والازقة ، وكلما نظر الي احد حسبته قد قرأ القصيدة واعجب بها ، وكان يخيل الي انها احدثت اثرا باقيا في نفوس الناس وانها اصلحت من عواطفهم وطرائقها ، وزادت في علم نفوسهم ، وانها ستحدث تغييرا كبيرا في سنن الوجود وانظمته ... »

شكري يضيق صدرا بالنقد

ولكن شكري يضيق صدرا بالنقد ولا يطيق سماع اي ملاحظة على شعره او نثره ، وهو لم يتجاوز الصدق في اعترافه وهو يقول « حين قرأت نقدا لقصيدتي في احدى الجرائد خيل لي عند قراءته ان هناك مؤامرة في هذا الوجود يراد بها ضري والاساءة الي » .



وفصل في العقيدة : كيف جمع اليها الخرافات ، فلم تعصمه من مواقعة الشهوات

ويعقد شكرى فصلا خاصا « بأطوار العقيدة » يحدثنا فيه انه في صغره غلب عليه الاعتقاد بالخرافات حتى صارت المعارضة تجوزه ولا يحل ثوبه ، ولكن سرى حبه سرى كالعدوى الذى كان يسرى في ركاب الشيخ في رواية ابي نواس ، وانتقل من ذلك الى نور التعبد والاكثار من الصلوات وقراءة الاوراد وادمان الاطلاع على كتب المتعبدين واولياء الله الصالحين . وبلغ تأثره بامثال هذه الكتب الى حد انه كان يقوم من النوم مذعورا حسبما يحلم بالعقوبة التى ترصده اذا حاد عن سبيل الرشد وخالف معالم الدين، ولكنه مع ذلك كان هذا كله لم يمنعه من مواقعة الشهوات : « بل كانت كثرة مواقعة الشهوات تعتبر شدة التعبد ، فلم يمنعني تخويف تلك الكتب وارعابها من اللذات بل كان يغريني من مواقعتها في الاخرة »

ويحلل شكرى صادقا في هذا الاعتراف فان الدين المقرون بالاعتقاد بالخرافات ليس عاصما من الوقوع في حبائل الشهوات ، ولقد كانت العصور الوسطى في الغرب من العصور التى اقترن فيها الدين بالاسراف في الاعتقاد بالخرافات ولكنها لم تكن تمنع الكل من ارتكاب المحظورات والتزام العفة .

وطأة الشك على نفسه

ويتخلص شكرى من اسر الاوهام واغلال الخرافات ، ولكنه انتقل الى النقيض وهو الانكار والجحود ، ولكن نفسه لم تقنع بالانكار ، وحاول ان يقنع نفسه بالالحاد والى ابن يذهب ، وغلبت وطأة الشك على نفسه فقال « نجيء في سوارح الدهشة ليلا لان الليل اشبه ما كنت فيه من اليأس والحيرة » . وشغلت باله مشكلة الحياة والموت ، والبقاء والفناء ، وود لو تصدع الكرة الارضية كوكبا فال حتى يستريح من الحياة واحوالها ومراتبها ومهاويها .

ثم يأتى الى الاحلام بما يسميه الروح الوجودية ، ويقول في ذلك « تفضى الاحلام الى الوجود روحا تمده لها حياة وشخصية ومن هذه الروح توحى الى ارواح الافراد بما تريد وتلهمها من المقادير حدود » . ولم يسترسل شكرى في وصف هذه الاحلام التى استراح اليه والتى تراءت له على

شخصه ، ولكن الاعتقاد بالخرافات ظل يعاوده من الحين الى الحين برغم المراحل الفكرية التى مر بهـــا ، فكان يزعجه مواء السنانير ، ويخاف انين الارواح الحائرة المعذبة التى تتخذ الليل جلبابا وتفرغ فى جنباته ما تعانيه من العذاب .

الشاعر « من تقلب فى الحياة ، وله عواطف كالبحر الزاخر »

ويحدثنـــا شكرى فى اعترافاته عن تجاربه فى الادب فيقول « لقد كنت فى اول الامر احسب ان الادب حلية" للوجه ، وان الادب زينة ، فكنت افنى الايام فى تصيد الالفاظ واختلاس الاساليب اللفظية . ولكنى ضجرت من هذه المنزلة الحقيرة ، وقلت ان كان الادب فى تصيد الالفاظ فلا خير فى الادب . ثم فطنت بعد ذلك الى الحياة واساليبها والى الروح وعواطفهـــا ، وعلمت ان الشاعر هو الذى يعبر عن اساليب الحياة وعواطف النفس ، ولا يستقيم له ذلك الا اذا تقلب فى اســـاليب الحياة وكانت عواطفه مثل البحر الزاخر .

والحياة عند شكرى : نكتة باردة

وايمان شكرى الذى سبقت الاشارة اليه لـم يعصمه من سوء الظن بالحياة بل من الاسراف فى سوء الظن بها ، فهو لا يعتقد ان للحياة لغزا لان هذا الاعتقاد ينطوى على احسان الظن بالحياة . وهو لا يرى من العقل ان يحسن الظن بالحياة الى حد ان يذهب الى ان لها لغزا ، والحياة فى رايه نكتة باردة لا معنى لها ، والخيال هو الذى يجعل الحياة لغزا لانه يعطيها قيمة اكبر من قيمتها . وهو كذلك الذى يجعلها نكتة باردة « لان الفكاهة بليغنها تؤدى الى اليأس منهـــا » على حد قول شكرى . وقد ترددت فى شعره فكرة الاعتقاد بان كل شىء فى الحيـــاة عبث ، ومن شعره فى ترديد هذا العبث قوله

عبث" نعيمـــي والشـــقاء ولوعـــة"
تغلـــي الـــى بعـــلة وحتـــوف
عبث جمالك فى الصدود وفى الرضـــا
عبث" هيـــام فـــؤادىَ الفروف
او بعـــد ما حال" اخلاف صبالهـــا
ولقـــد يُرِمتُ برقـــى وعطـــوف

والنجاح فى الحياة يحتاج « الى طبائع وضيعة حقيرة »

وشكرى يسيء الظن بالنجاح فى الحيـــاة « لان النجاح فى الحياة يستلزم طبائع لا يستقيم الا بها وانه ليخيل احيانا ان ليس منسى هذه الطبائع ، مثل التملق والرياء والنفاق والضعة ، والاهتمام بالاشـــياء الدقيقة الحقيرة ، والمكر ، والتطفل ، وارتقاب الفرص الوضيعة ، وانتحال كل وسيلة مهما كانت دنيئة لاكتساب ثقة الناس ، والالحـــاح فى طلب المنافع منهم واظهار الحاجة اليهم والتذلل لهم والتهافت عليهم ، واخفاء مطامعهم مهما عظمت او اظهارها فى مظاهر المحامد والفضائل ... »

ورأى شكرى يصـــدق فى مواطن كثيرة ، ولكنه ليس الحق كله ، فان النجاح قد يحتـــاج كذلك الى قوة الخلق ومضـــاء العزيمـــة ، والدؤوب والمثابرة ونضج الشخصية والترفع عن الصغائر ، والتبصر فى الامور والنظر فى عواقبها ، وتقليبها على جوانبها المختلفة ، والثبات فى مواجهة الحوادث ، وعدم التراجع امام العقبات المعترضة ، وما الى ذلك من الصفات الحميـــدة ، وكثير من الناجحين الموفقين لم ينجحوا لانهم من الطغـــام الاشرار ، وانما نجحوا لانهم اوتوا من المواهب العقليـــة والمناقب الاخلاقيـــة ما يستحق الاعجاب والاشادة بذكراه .

وعند شكرى : ان الحياء من اكبر اسباب الفشل

ويحدثنا شكرى عن حيـــائه ، وهو مشكلة" كان يعهدها فيه اصدقاؤه ، فيقول :

« ان الحياء من اكبر اسبـــاب الفشل فى الحياة وهذا الحياء يصاحبنى اذا جالســـنى او حادثنى من لا اعرفه ، واذا كنت فى رفقة كلهم لى صديق الا واحد صاروا كلهم كلهم اجانب لا اعرفهم . ومن اجل ذلك صرت استر هذا الحياء بالكبر والاحتجاز والتصلب واعتزال الناس » .

هـــل صاحب الاعتراف يعترف بكل شىء عن نفسه

وفى هذه الناحيـــة يبدى رايه فى مشكلة الاعتراف

قبل على المعترف أن يقدم لنا صورة مستوفاة لحياته العقلية والعاطفية ولا يخفي عنا شيئا من خفايا نفسه بما فيها من خير وشر .

والمفروض أن نفس كل انسان هي الموضوع الوحيد الذي يعلم عنه كل شيء . وكلام الناس عن أنفسهم هو في العادة الموضوع الرئيسي في أحاديثهم ، ولكننا لا نبادر في يسر وسهولة الى تسليم أسلحتنا وإباحة حصوننا الداخلية وقلاعنا الحصينة ومستودعات أسرارنا الدفينة . ولعلنا ورثنا سوء الظن الذي يجعلنا نضن بأسرارنا وخفايا نفوسنا ومضمر نياتنا من الانسان الأول الذي كان يعيش مروّع السروب ، مضطرب النفس ، تتخطفه المخاوف من كل مترقبة وكل ثنية ، ويتهدده الهلاك في كل خطوة من خطواته، وبكل لحظة من لحظات حياته .

وحتى أصحاب الشخصيات المنبسطة يتحفظون بالقليل من أسرار حياتهم ويكثرون من الثرثرة فيما ليس له أهمية . وكلنا نخشى الوضع تحت الميكروسكوب والتعرض للنظرات الفاحصة والتحليل والتشريح والنقد والسخرية .

والصعوبة في كتابة الاعتراف أن الانسان لا يستطيع أن ينسلخ من جلده ، وقد يحسن الانسان معرفة نفسه ولكنه لا تتوافر له الإبانة الموضوعية في التحدث عنها . وقد يكون صادقا أمينا ولكنه لا يحسن التحليل ولا يجيد التعبير . وأعقل الناس وأوفرهم حظا من الحكمة قد يكون عنده بواعث قوية للاخفاء أو المبالغة والتشويه .

والبحث عن النفس ودوافعها في أغلب الأحيان كالبحث عن القطة السوداء في الحجرة المظلمة حتى قيل إن أصدق معرفة للنفس هي أننا لا نعرف النفس . وقد ينخدع الانسان في نفسه ، وقد ينخدع كذلك فيه الناس ، ولا يمكن أن نقطع هل يعرف الانسان نفسه أكثر مما يعرفه الناس أو أن الناس يعرفونه أكثر مما يعرف نفسه ، وهل الاعترافات تقدم لنا حقائق عن أصحابها أو أنها تقدم لنا أوهاما وتخيلات وأحاديث خرافة .

وشكري يقول في هذا الصدد :

« ليس فريضة على صاحب الاعتراف أن يذكر كل نقائصه ، هل فعل ذلك روسو أو جيتي أو شاتوبريان ؟ كلا . ان النفس لا تسخو بذلك ولا تطيب فانها لا تقدر أن تنزع عنها مخالبها كل النزع . ومهما عظم نصيب صاحب الاعتراف من الصراحة فلا بد أن يكون عنده من الجبن والحزم واحترام النفس ما يغريه باخفاء كثير من نقائصه ومعايبه » .

والواقع أن الانسان مشكلة في نظر نفسه وغير عجيب أن يكون مشكلة في نظر غيره ، ومما يزيدنا جهلا بنفوسنا ويزيد الناس جهلا بنا أن الانسان ليس حالة من حالات الكينونة المستقرة وانما هو في صيرورة دائمة وتطور مستمر .

شكري ينكر حرية الارادة ، ويقول بالجبر

وشكري من منكري حرية الارادة والقائلين بالجبر ، وقد كنت أتبين هذه النزعة في تفكيره خلال لقائه معي . وفي شعره ما يدل على هذا الاتجاه مثل قوله :

ليس يدري مُضاعَفُ القَدَرِ الغا
لبِ إلا مطالعَ البائسِ

وهو في اعترافاته يقول : « المرء مقيد بقيود الضرورة ومحدود بحدود القدر ، حولي أسلاك المقادير وسيوفها تشير اليَّ . فاذا سعيت الى يساري وخزت جانبي الأيسر ، واذا سعيت الى يميني وخزت جانبي الأيمن ، واذا سعيت الى أمامي أو الى ورائي أحسست وخزها ، واذا هممت أن أقف وجدت سيوف المقادير معلقة فوق رأسي » . وفي موضوع آخر يقول « اذا نظرت في حجج المفكرين الذين يقولون ان المرء مخير وجدتها مغالطات » . ويمضي في التدليل على ذلك ويستشهد في النهاية بقول بشار بن برد :

طُبِعتُ على ما فيَّ غيرَ مُخيَّرٍ
هواي ، ولو خُيِّرتُ كنتُ المهذبا
أريد فلا أُعطى ، وأُعطى ولم أرد
ويقصر علمي أن أنال المغيبا
فأُصرَفُ عن قصدي وعلمي مقصِّرٌ
وأمسي وما أعقبتُ إلا التعجبا

ويخيل اليَّ أن شكري لم يكن يفطن الى القوة الخالقة المودعة في الانسان والتي تمكنه في كثير من الأحيان من الارتفاع فوق الضرورات ، والتغلب

على القيود . وكان شكري فيما اظن شديد الاقتناع بفكرة الجبر، ولرجع ان اقتناعه العقلي بهذه الفكرة لم يمكنه من ان ينظر الى المسألة من مختلف جوانبها ، والتوسع في دراستها والاحاطة بما عليها وما لها .

خليقة عند شكري عكرت صفو حياته : سوء الظن

وفي الكتاب فصل عن خليقة من الخلائق التي اعتقد انها نغصت على شكري الكثير من صفو الحياة وابعدت عنه الكثيرين من اصدقائه واحدثت ما بينه وبينهم ، واقصد بهذه الخليقة سوء الظن ، فقد كان شكري لا يكاد يخفي احدا من سوء ظنه ، ولم يكن في وسع انسان ان يتقي سوء ظنه مهما يبذل له من الود الصادق ويقدم له من الاخلاص الخالي من الشوائب . وكان يحاول على الدوام ان يستخلص من احاديث محدثه ما يغذي سوء ظنه ، حتى كأنه كان يجد متعة خفية في تعكير صفاء نفسه بسوء الظن .

وهو في اعترافاته يقول « اني اسيء الظن بكل شيء ، سواء الخبيث والنعيم ، فلا غرو اذا رأيت في الحياة ظلاما ... ومن بلغ به سوء الظن هذا المبلغ يسمع همس شياطينه في اذنه اليمنى حتى اذا تلفت الى يساره وجد سوء الظن يهمس في اذنه اليسرى » .

وهو يعلل سوء ظنه بقوله « اني اسيء الظن بالناس لأن في كل عمل يعملونه من الاعمال ، حتى الحميد منها ، شيئا من اللؤم والخسة . وقد يبلغ بي سوء الظن اني ما رأيت اثنين يتساران الا ظننت انهما يذكراني بسوء ، فانا من الذين يصدق فيهم قول بشار :

> يـروعه السـرار بكل شيء
> مخـافة ان يكـون بـه السرار

وكذلك ما رأيت احدا ينظر الي الا حسبت انه يحدث نفسه عني بسوء ، واني ما رأيت احدا ينظر في ثيابي الا حسبته رأى فيها شيئا عني ... وما سمعت ضحكا لم اعرف سببه الا خجلت خجلا شديدا وحسبتني غرضا لذلك الضحك » .

ويختم شكري كتابه بفصل في نقد صديقه م.ن صاحب الاعترافات ، حتى لا يتهم بالمغالاة في تقريظه والتشيع له وآرائه كما يقول ، ولكنه نقد ينطوي على السخرية من قرائه والخداع عن نفسه .

تقويم لكتاب شكري وسائر كتب الاعترافات والتراجم

وكتاب الاعترافات برغم ما به من وجوه النقص من الكتب الشائقة ، ويمكن ان يوضع الى جانب كتب التراجم الذاتية الممتازة في الادب العربي ، مثل كتاب الايام للدكتور طه حسين ، وكتاب « حياتي » للدكتور احمد امين ، وقد زادت مثل هذه الكتب في ثروة الادب العربي الحديث.

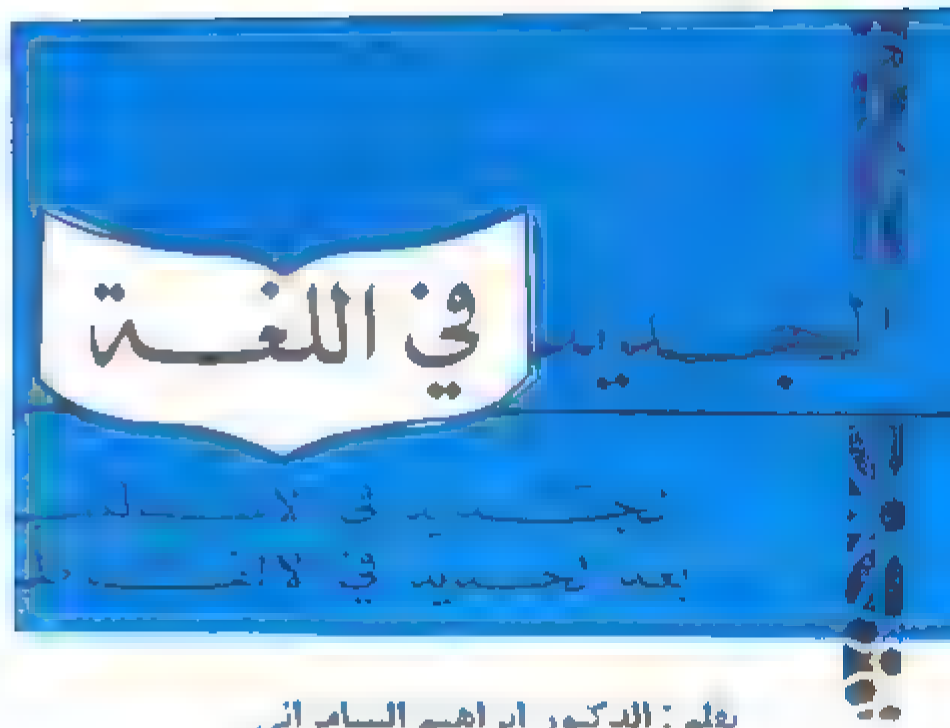
ولكن ما مكانة كتاب شكري في جانب كتب الاعترافات المشهورة في الادب العالمي ؟

ان كتب الاعتراف التي بلغت الذروة واوفت على الغاية تمتاز بالمحافظة على التوازن بين النفس والعالم او بين الذاتي والموضوعي ، لان فرط الاهتمام بالنفس قد ينحدر الى الغرور كما ان فرط الاهتمام بالعالم الخارجي قد يحيل الاعترافات او التراجم الذاتية الى لون من الوان كتب التاريخ والمذكرات ، واعترافات شكري قد طغى فيها عالمه الداخلي على العالم الخارجي حتى كانت تنقلب الى تسجيل احاسيس والتفات خواطر عارضة . وهو لا يقدم لنا قصة حياته ، ولا يحدد لنا تجاربه ومراحل تطوره ، ويكتفي بذكر لمحات من خواطره وجوانب من طباعه واحاسيسه . وهو يحلل لنا نفسه ، ولكنه لا يمثل لنا حياته ، وليس في الكتاب سوى شخصية واحدة محورية وهي شخصية شكري ، وقيمة كتب الاعترافات على اختلاف انماطها انها توضح لنا طرز النفوس والوان الطبائع والاخلاق ، وفي كل نفس اشياء قد لا يمكن التعبير عنها لانها تتأبى على البيان وتتسامى فوق الخضوع لمنطق الانسان .

وكتاب الاعترافات ، ومنهم شكري ، جديرون بتقديرنا لما يزودوننا به من معلومات عن النفس الانسانية وحياة الانسان في هذا الكون العجيب .

■■

علي ادهم



بقلم : الدكتور ابراهيم السامرائي
رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب ـ بغداد

■ [illegible]
اللغوى ؟ [illegible]
أعرض لجانب آخر من هذا الجديد لرسالة الاستاذ [illegible] في مقالته .

[illegible]
[illegible]
العربية تجرى على صيغها فعرف بالمعرب .

الجديد في الأساليب

اما الجديد الذى أعرض له في هذه المقالة فهو خاص بالاساليب والاستعمالات . وطبيعى أن عرب-
[illegible]
جانبا من علوم وفنون وأدب وسائر ضروب القول . ولا نبعد عن ذلك تلك العربية التى تناول الشؤون العامة مما هو خاص بالمعاملات والرسوم الحكومية . أقول : ان هذه العربية المعاصرة عربية جديدة في اساليبها واستعمالاتها . فقد جد فيها من ضروب القول ما تعرب به .

فقد اخذ العرب الحضارة الجديدة في جملة من مفاهيمها وألوانها ، فعبروا بها في أفكارهم ، وعبروا في طريقة عيشهم ، وعبروا في جوانب كثيرة من جوانب الحياة اليومية . وصار العربي يعبر عن ثمرات الفكر الأوربي في اللغات الأوربية . وكان من جراء ذلك أن اللغة العربية الحديثة قد افادت شيئا جديدا ، أو قل
[illegible]

الجديدة المكتوبة باللسان الأعجمي الى العربية .

أساليب وليدة الترجمة

انها أساليب وليدة الترجمة فأساليب غريبة عن العربية ، وهي متصلة بظروف وأحوال اجتماعية لم توجد في هذا الشرق العربي .

بدأت حركة الترجمة في الشرق العربي ونشطت في أواخر القرن الماضي . وقد قيض لهذه الحركة الجديدة أن قام بها التراجمة العرب وجلهم من نصارى سورية ولبنان ، ممن كانوا يعرفون هذه اللغات الأوربية الأعجمية ، ولا سيما الفرنسية ، ولذلك كثرت الترجمة عن هذه اللغة الأوربية . وسواء أكان هؤلاء من العارفين بالعربية الحاذقين لأسرارها أم لم يكونوا ، فقد أدخلوا في هذه العربية الجديدة استعمالات وجدوها في تلك اللغات الأعجمية، وهي غريبة عن العربية كل الغرابة .

دخلت هذه الاستعمالات أردنا أم لم نرد ، وراجها الاستعمال وشاعت على ألسنة المعربين حتى صارت وكأنها عربية النجار ، وربما صعب على غير العارف بالأساليب العربية أن يميز هذا الدخيل الوافد . ولم تتنكر العربية لطائفة كبيرة من هذا الجديد ، فقد مضت هذه الأساليب وتجاوزت لغة الصحيفة اليومية ولغة الخبر الاذاعي الى لغة المتأدبين العارفين .

لا ضير على العربية من دخول أساليب جديدة

ولا ضير على العربية من دخول طائفة من هذه الأساليب ، بل ربما أفادت منها وتوسعت ونمت . وقد علمنا أن لغتنا قبلت من الدخيل المعرب شيئاً كثيراً على مر العصور ، ومن مزايا اللغة الحية أن تقبل من غيرها فتزدهر وتنمو . واذا علمنا أن اللغة ظاهرة من الظواهر الاجتماعية ، فقد قلنا أنها متطورة متجددة يؤثر فيها الزمان ، وقد خضعت العربية لسنة التطور ، فتنوعت أساليبها ، فماتت فيها ألفاظ وجدت أخرى . ودونك الكثير من ألفاظ الشعر الجاهلي التي أصبحت « متحجرات لغوية » ان جاز هذا التعبير ، والتي لا نجدها في لغة القرآن والحديث ولغة الأدب في هذا العصر القرآني .

المجاز والاستعارة والكناية زادت اللغات ثروة

وقد يتساءل القارىء فيقول : ان العربية اعتمدت على المجاز والاستعارة والكناية ، وكانت هذه وسائل لزيادة ثروة اللغة ، فلم نعد طائفة كبيرة من الأساليب الحديثة التي دخلت في لغة الصحف اليومية ولغة الكتابة السائرة، من التي اعتمدت على الاستعارة والكناية، مترجمة دخيلة ؟

وأقول رداً على هذا : ان المجاز والاستعارة والكناية من الوسائل التي أمدت العربية بأساليب كثيرة وأفادت منها فائدة عظيمة . ونحن اليوم لا نستطيع أن نحصي هذه الأساليب أو حتى أن نشير اليها ، وذلك بأن جزءاً كبيراً من هذه المجازات فقد بمرور الزمن الأصل المجازي الذي نشأ عنه ، أو هو خرج من استعمال الناس ، أو هو نسي وامحى أثره امحاء .

والمجاز والاستعارة والكناية معروفة كلها في سائر اللغات ، واللغات تختلف في الأصول التي تستمد منها مجازاتها ، وهي أصول ليست في الأمم سواء . وعلى هذا فالمجازات التي سأذكرها في هذا المكان واعتبرتها من الدخيل الطارىء في العربية هي من هذا الباب . انها مما لم تألفه العربية في أساليبها ، فهي مترجمات .

وقد لا يتجاوز عمر هذه الأساليب نصف القرن الماضي .

وسواء رضينا أم لم نرض فقد اندس هذا الدخيل الوافد فتعرّب . ولا ضير في ذلك كما أسلفنا ، ذلك لأن طائفة كبيرة منها مما تدعو إليه الضرورة ، ولأن ألفاظها عربية فصيحة ، ولأن باب التوسع والمجاز بعد ذلك مفتوح .

وأنا أعرض الآن لهذه الاستعمالات مجتزئا بالقدر القليل من ذلك ، على سبيل التمثيل لا الاستقصاء ، وذلك مما أفدته من استقرائي لنصوص العربية الحديثة في الصحف والمجلات والكتب الحديثة .

أمثلة من الوافد الدخيل الذي تعرّب

فمن ذلك قولنا : « ذر الرماد في العيون » . وهذا التعبير من غير شك أضيف إلى العربية عن طريق الترجمة نحو في الفرنسية Jetter de la poudre aux yeux . ومثل ذلك في الانجليزية To throw dust in the eye على أن الاستعمال قد رضي هذا التعبير وشاع وفهمت دلالته ، وتداوله المعربون حتى صار وكأنه في العربية أصيل .

ومن ذلك قولهم : « فلان لعب دورا كبيرا ... » . وهذا أيضا من التعابير الشائعة في العربية . والمعرفة بهذا التعبير لا تتعدى الخمسين سنة . والتعبير مستعار من لغة التمثيل ، فالممثل في المسرحية يقوم بدور ما ، فيقال : « لعب دوره » . ثم استعير هذا إلى غير هذه الدلالة في اللغات التي أخذ منها هذا التعبير . وهكذا استعير في العربية لغير هذه الدلالة ، وهو معروف في لغة التمثيل العربية في الوقت نفسه .

وهذا من الفرنسية Jouer son role وفي الانجليزية To play his part

ومثل هذا قولهم : « على قدم المساواة » . والمراد بقدم المساواة أن يكون الطرفان متساويين في الحقوق والواجب . وهذا من الفرنسية Sur pied d'egalite . ومثل ذلك في الانجليزية On equal footing

ويستعمل « الأوساط المطلعة » . والمراد بذلك الهيئات أو الجماعات العليمة بالأمور . وذلك من الفرنسية Les milieux les biens informés وفي الانجليزية Well-informed quarters وأنا أرد هذه العبارة العربية إلى الأصل الذي نقلت منه ، وذلك لأن « الوسط » في العربية لم ينتقل مجازيا إلى هذا المعنى .

ومثل ذلك قولهم « إن لم تخني الذاكرة » . وهذا في الفرنسية : Si la memoire ne m'a pas trahi

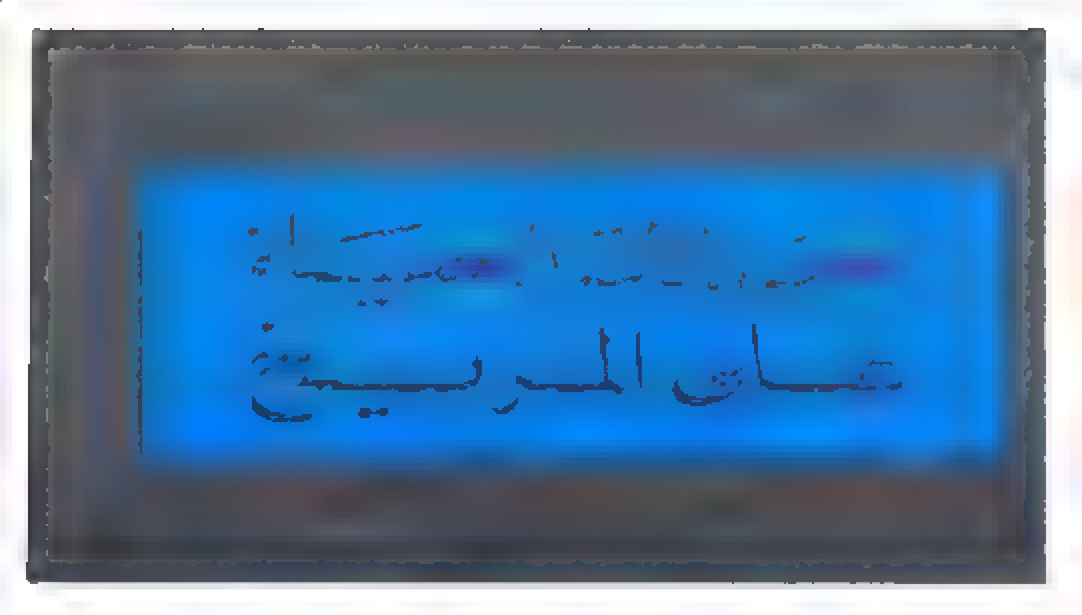
ومن هذا استعمالهم « الأكثرية الساحقة » وهذا في الفرنسية : La majorite ecrasante . وفي الانجليزية : Over whelming majority

ومثل هذه الاستعمالات الكثير مما تحفل به العربية المعاصرة ويردده المعربون ، ولا يحسبون أن ذلك من أصول غريبة نقلته العربية فجاء مانستعمل .

ومن الحق أن نقول : إن هذه الاستعمالات ليست جميعا مما تعيبه العربية ولا تنكره ، أو تهبط عن حدود الفصاحة العربية . فقولهم « جرح عاطفته » أو « خدش شعوره » من هذا الجديد الذي لم يستمرئه الذوق العربي السليم .

وإذا كان الأقدمون قد استغربوا أشياء مما قاله أبو تمام ، نحو قوله « دقيق حواشي الحلم » ، أو « طحنت الشتاء في أخدعيه » ، فما أحرانا ألا نعمل أشياء من هذه المولدات الجديدة إذا هي لم تأتلف والذوق العربي وإطلاق الدلالة وتصريف المجاز والاستعارة . ■

ابراهيم السامرائي



بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

استاذ علم النبات بجامعة عين شمس

■ ما يراه [illegible] وجود حياة على المريخ ، وانه من بين كواكب المجموعة الشمسية ، الذي يرجح العلماء احتمال وجود حياة فيه بعد الارض . ويقولون ان الارصادات الاخيرة قد اظهرت وجود بقع وعلامات [illegible] سطح المريخ تساعد على تغليب هذا الرأي ، وان رصدات [illegible] والنتائج التي تطلبها الاعمال الصائبة في الابواب الاخيرة انما تضع الاحتمال [illegible] احتمالات كبيرة في مجال الحياة على [illegible]

والمعروف ان المريخ اصغر قليلا من الارض وان طول اليوم على سطحه مساو تقريبا لليوم الارضي ، ولكن السنة المريخية تساوى ضعف السنة الارضية طولا ، وفي كليهما تتابع الفصول ، [illegible] وخاصة في نصفه الجنوبي ، وان نسبة الضوء الذي يصل الى سطح المريخ تبلغ نحو ٤٣٪ بالنسبة للضوء الذي يصل الى سطح الارض وطبيعي ان يكون جو المريخ ابرد من جو الارض نظرا لانه ابعد في الشمس من الارض ولان جوه رقيق ، تتسع برودة الحرارة المنبعثة منه الى الفضاء بالليل ، وقد قيست درجات الحرارة على سطح المريخ ، وذلك في صحراء جوبي ، فكان الفرق تحت الرصيف درجة مئوية اقل على المريخ منها على الارض في جميع الاوقات . وقد تهبط درجة الحرارة في الليل الى — ٧٠°م او — ١٠٠°م في بعض اصقاعه وتبلغ حرارة المريخ اقصاها عند خط الاستواء ظهرا . ودرجة الحرارة في الاماكن القاتمة اعلى بنحو بضع درجات عنها في الاماكن الناصعة اللون

الضغط الجوى على سطح المريخ

وقد قدر الضغط الجوى على سطح المريخ ، [illegible] به خمس ما يجاوز عشرة سنتيمترات ، انه يتراوح بين ستة وعشرة سنتيمترات ، اى [illegible] عشر الضغط الجوى المعتاد على سطح [illegible] وهو نفس الضغط الذي يكون على ارتفاع [illegible] عشرة واحد عشر ميلا فوق سطح الارض اى ضعف ارتفاع جبل افرست . ومن المعلوم انه عند ضغط ٦٢ر٠ يغلي الماء في درجة حرارة ٣٧°م

وقد ثبت وجود ثاني اكسيد الكربون في جو [illegible] ، [illegible] ان كميته تتراوح بين ضعفي وثلاثة [illegible] قدر كميته على سطح الارض ، ولعل [illegible] جو لاقرب الى الحقيقة ، وقد تمت هذه التقديرات عن طريق الطياف ، ومع ذلك فلم



● عُثر على زهور لكائنات حية على المريخ .

● الإشعاع المهلك ونقص الماء والاكسجين مشاكل لا يحلها الا نزول الانسان على سطح الكوكب .

سطح الاجهزة الطائفة ان سبب [illegible] وجود ثاني اكسيد [illegible] و بخار الماء في جو المريخ ، وان عزا البعض هذه الزرقة اللامعة التي تعلو على سطح المريخ الى طبقة رقيقة من الثلج ، وهنا يحمل كمية بخار الماء في جو المريخ ضئيلة جداً ، وان ما يسمى نقطة الندى تكون عند درجة -٩٠م وعلى كل فان هذه الكمية الضئيلة من بخار الماء لا يمكن تقديرها بالمطياف الطيفي ، ولا شك ان التقديرات التي يمكن اخذها من خارج الغلاف الجوي للارض عن الاقمار الصناعية تكون ادق وذلك [illegible] خطوط امتصاص الاوزون في الطيف فانها تقع في الجزء فوق البنفسجي منه الذي يرسخ في طبقة الاوزون . ومع ذلك فمن رأي كثير من العلماء ان معظم جو المريخ انما هو من الازوت اما الارجون فلا شك انه يوجد في جو المريخ [illegible] من الغلاف الاسماني لنظر [illegible] ؟

ثلاث ظواهر هامه في جو المريخ

ويمكن القول بصفة عامة ان هناك ثلاث ظواهر هامه في جو المريخ، هي الهالة الزرقاء ، والسحاب الابيض ، والسحاب الاصفر . اما الهالة الزرقاء فانها [illegible] اكثر وضوحا اذا صورنا المريخ في الضوء الاحمر ، وهي تحلل بوجود بلورات ثلجية رقيقة ، وقد تختفي ولا [illegible] في الصورة ، فقد [illegible] من بلورات ثلجية ، وفي شدة [illegible] يسمى الصفاء الازرق [illegible] وقد [illegible] الاشعة [illegible] الى سطح الكوكب وتكون

مدتها مشابهة لمعظم الكثبان الارضية ، [illegible] الموقع ان يحدث هذا الصفاء الازرق ، [illegible] وقعت الارض والشمس والمريخ في خط واحد وقد تكون من المفيد ان نعرف ما اذا كان وضع الارض قد يؤثر بذلك على صفاء المريخ [illegible] هذا الاثر محتملا لان معظم الراصدين انما يرصدون المريخ في وقت هذا التقابل .

اما السحب البيضاء وهي التي ترى احيانا ، وخاصة ناحية القطب ، فانها قد [illegible] السحب الارضية ، وقد تكون [illegible] الاكثر من بلورات ثلجية ، ومن المعتقد انها تسقط مطرا في احوال نادرة . وكذلك ترى السحب الصفراء ، وانها [illegible] اجزاء من الكوكب ، كما حدث في رصدات ١٩٥٦ حين اختفت السحب الصفراء [illegible] كل علامات الكوكب [illegible] والمعتقد ان السحب الصفراء تتكون من غبار دقيق اصفر

يترك اثره على ما يمر به من مساحات ومواضع ولكنها تتلاشى في مدى اسبوع أو اسبوعين .

القلنسوة القطبية

وقمة القلنسوة بيضاء ناصعة ، وقد تبدو صفراء بعد الزوبعة الترابية ترى متجليه القطب في الشتاء وتكون تلك التي تغطي القطب الجنوبي ، وتأخذ القلنسوة في الانخفاض من نصف الكرة الجنوبي في الربيع ، وتكون أخرى في الشمال عندما يبدأ الخريف ، وهذا ما يدعو الى الاعتقاد ان المواد تتحرك بين القطبين . وكان قد اقترح منذ زمن طويل ان القلنسوات القطبية تتكون من الثلج الجاف أو ثاني اكسيد الكربون المتجمد ، ولكن الفحص الطيفي اثبت انها تتكون من ماء متجمد ، ويعتقد كثير من العلماء انها طبقة رقيقة جدا تشبه الصقيع او ندف الثلج . وفي سنة ١٩٥٦ كان القطب الشمالي مغطى بسحب كثيفة ، وعندما انقشعت هذه السحب ظهرت القلنسوة القطب لامعة ، وعندما تنسحب هذه القلنسوة هي الاخرى تبقى اجزاء من حوافها مما يدل على عدم انتظام السطح ووجود تضاريس فيه ، وقد قدر ارتفاع بعض الهضاب الى نحو ألف متر مما يدل على عدم انتظام ذوبان الثلج وانقشاع السحب .

وفيما عدا هذه العلامات القاتمة التي تبدو على سطح المريخ ، فان سطحه يبدو مائلا الى الصفرة او الى الحمرة ، ويعزى اللون الاحمر الى وجود اكسيد الحديد مثل الليمونيت . اما السليكات وهي الشائعة على الارض فانها ليست كثيرة في المريخ المغطى سطحه بغبار ناعم .

العلامات اكثرها في النصف الجنوبي

اما العلامات التي اشرنا اليها غير مرة في هذا الحديث ، فانها تبدو اكثر ما تكون في نصف الكرة الجنوبي ، وهي مثلثة الشكل تقريبا . وتتجه قمة المثلث نحو خط الاستواء لتمتد في نصف الكرة الشمالي . ويقول العلماء ان عين الراصد تستطيع أن تلحظ ما تغفله الصورة احيانا ، وان تبين من التفاصيل ما لا تسجله آلة التصوير ، لانها لا تبدو الا في ومضات خاطفة قد تغفلها آلة التصوير ، وتلحظها عين الناظر في لحظة صفاء الجو . ومن الغريب ان الوان هذه العلامات تتغير من سنة الى اخرى ومن فصل الى آخر وتتغير ظلالها بالنسبة للصحراء التي تحوطها ، فهي في الشتاء اقل لونا . انها تبدو الى الزرقة والرمادية ، على حين يقتم لونها في الربيع ، ويجمع الراصدون على هذه الملاحظة حتى لا يكاد يشذ منهم احد ، وفي بعض المساحات يبدو اللون الى السمرة او الحمرة او الى الخضرة او السواد .

لقد تتابعت ارصاد المريخ منذ نحو قرن من الزمان ، واستعملت في ذلك مناظير ممتازة ، وكلها تؤيد هذه المشاهدات والرصدات . وقد يحدث ان تظهر مساحات جديدة او تختفي اخرى كانت جد معروفة لتظهر بعد ذلك مرة اخرى . وفي سنة ١٨٧٧ وصف « شياباريللي » لأول مرة القنوات وشبكة الطرق التي تقطع سطح المريخ في مختلف الاتجاهات في صحرائه وبحاره ووهاده ، ولم يقل احد بانها مجار مائية ، وان عرضها ليتراوح بين عشرة وخمسين ميلا حتى يمكن ان ترى . وقد اعتقد « لويل » انها مزارع بل انها لتتقاطع فيما يشبه الواحات ، بل ان العلماء اطلقوا عليها اسم « واحات » .

العلماء يفسرون العلامات المتغيرة

وقد وضعت فروض ونظريات مختلفة لتفسير وجود هذه العلامات المتغيرة الشكل واللون على سطح المريخ ، فمن قائل انها املاح غير عضوية ، يتغير لونها بتغير درجة الرطوبة . وصاحب هذه النظرية « ارهينيس » الذي نادى بها منذ مطالع هذا القرن ، ولم يستطع احد ان ينفي او يثبت هذا الرأي . وان احدا لا يستطيع ان يجزم بطبيعة هذه الكيماويات .

وقال « ماك لوين » انها تتكون من رماد بركاني ، وان تغير شكلها ناتج من اثر الرياح التي تذروها هنا وهناك ، فتغير من شكلها ولونها ، ومن المعروف ان النشاط البركاني متواتر الحدوث في المريخ .

ومن رأي « كوبر » ان هذه المساحات انما هي من اللافا البركانية .

ويعترف كل من « لوين » و « كوبر » ان انواعا من النباتات يمكن ان تكسو هذه المساحات سواء كانت من اللافا او الرماد . ولا يعيب هذا الرأي سوى انه لنمو مثل هذه النباتات يتعين وجود كميات من الماء في جو المريخ اكثر مما يعتقد انه موجود . ومهما يكن فهذا الرأي يلقى قبولا اكثر من غيره .

ومن قائل ان جو المريخ يحتوي على أكاسيد

معينة للآزوت ، وقـــد تكون صلبة أو سائلة أو غازية ، وانها لمختلفة الألوان من أسمر الى أصفر أو أزرق أو الى البياض أو الخضرة ، على ما ينشأ من ألوان نتيجة مزج هذه بعضها ببعض . ويقول الذين وضعوا هذه النظرية سنة ١٩٦٠ من أمثال « كايس » و « كارير » أن هذه النظـــرية تعلل كل الظواهر التي ترى على سطح المريخ . وطبقا لهذه النظرية تتكون القلنسوة القطبية من رابع أكسيد الآزوت ولونه أبيض الى الزرقة . أما السحب الداكنة من ثاني أكسيد الآزوت فانها تتكون عندما تذوب قلنسوة القطب ، ويســـاعد ذوبها في أخاديد تبدو على سطح الكوكب ، ولعلها نشأت نتيجة للزلازل . والنظرية فيما يبدو جذابة وقد علل واضعوها مختلف الظواهر التي تبدو على سطح المريخ على أساسها ، ومع ذلك فالاعتراضات عليها كثيرة ، ولعلها أن تهدمها من أساسها كذلك.

حجج خمس على وجود كائنات حية على سطح المريخ

أم ثاني النظرية التي تبدو أكثر بريقا بالنسبة لمن يحلمون بارتياد الفضاء واقامة حيـــاة على ظهر المريخ،وهي التي تنادي بأن تلك البقاع التي تبدو قاتمة داكنـــة ، وما يتفرع عنها من قنوات وأخاديد انما تمثل في الجهات التي تعمرها كائنات حية ، وهي التي يتغير لونها نتيجة لارتفاع درجة الحرارة . وتكون كمية من المياه نتيجة لذوبان أو تسامي ثلوج القلنسوة القطبية . ويؤيد هـــذا الرأي خمس حجج ، نعرضها باختصار ، ونعلق عليها بما لها وما عساه يكون ضدها ، وهي في مجموعها تزيد احتمالا كبيرا في وجود حياة على سطح المريخ .

فتغير اللون والحجم والشكل الذي يعتري هذه العلامات ، يتفق مع وجود الكائنات الحية . واذا وجد كساء خضري يغطي هذه المساحات ، فان غطاءه قد يكون كاملا . وقد تأيـــد ذلك بالصور التي أخذتها الصواريخ وسفن الفضاء والأقمار الصناعية ، بل أن هذه الصور لتدل على وجود حياة نباتية راقية على سطح المريخ ، وانها ليست نباتات بسيطة صغيرة كما كان يعتقد قبلا .

ومنذ نحو عشر سنوات أشار الفلكي « أوبيك » الى ازدهار الكائنات الحية على سطح المريخ ، وأن هبوب الريح وذرات الغبار التي تتصـــاعد



صورتان من صور المريخ ، أخذتا بالتلسكوب ويرى في أعلاهما القطب ، أو القلنسوة القطبية ومن استدارة الظلال في الصورة السفلى ندرك أن المريخ دار

حينا وتختفي حينـــا آخر ، تغطي الأثلاث يوما ، وتعريها يوما آخر .

وقد علل « بلفوس » قرامات منظاره التي تدل على تغطية هذه المساحات شتاء ببلورات وجسيمات صغيرة تكبر وتتغير لونها مع الربيع ، بأنها كائنات دقيقة حية .

وقد حصل « سنتون » أخيرا على حزم امتصاص للأشـــعة تحت الحمراء مما يـــدل على وجود هايدروكربونات و « الدهنيات » وكربوايدرات

مما يؤيد وجود نباتات على سطح المريخ ، خاصة وان هذه الحزم لا تظهر الا مع المساحات المعتمة ، ولا تبدو مع الصحارى النيرة — وليس من المحتمل ان توجد هذه الجزيئات العضوية وسط دنيا عقيمة .

وآخر هذه الحجج الخمس ، ان هناك ظواهر ومظاهر لا يمكن ان تصدر الا عن كائنات ذكية ، فالقنوات تدل على نظام فكري ليستغل اقصى ما يمكن ، ويستفاد قدر الطاقة ، من القلنسوات القطبية الذائبة .

بل لقد قيل في السنوات الأخيرة ان اقمار المريخ التي تدور في فلكه ربما كانت صناعية ، اي من صنع سكان المريخ . انهما قمران يدوران حول المريخ في مدار استوائي دائري ، وهما بذلك يختلفان عن الاقمار الطبيعية التي تدور حول الكواكب الأخرى ، ثم انهما قريبان جدا من المريخ فاحدهما « فوبوس » يبعد نحو ٣٧٠٠ ميل والآخر « ديموس » يبعد نحو ١٢٫٥٠٠ ميل . ثم انهما صغيران جدا . واذا كان « ديموس » و « فوبوس » لا يعكسان نورا اكثر مما يعكس قمر ارضنا ، فان قطريهما لا يزيدان على خمسة او عشرة اميال على التوالى ، اما اذا كان ما يعكسان من نور اكثر مما يعكس قمرنا ، فانهما يكونان اقل حجما . بل ان سرعة دورانهما توحي بانهما اجوفان . وقد كشفا سنة ١٨٧٧ .

ومع ذلك فليس من المعقول ان ننتهي الى نتيجة قاطعة بالنسبة لصور الحياة على المريخ ، فما زالت معلوماتنا قاصرة عن ذلك ، فان كلا من الحجج الخمس التي اشرنا اليها يمكن ان يجد ما يدحضها . ومع ذلك يميل اغلب العلماء الى القول بوجود حياة على المريخ . كما ان الاحوال البيئية والمناخية مما يسمح بتصور حياة ما على المريخ ، وان سكان المريخ من الكائنات الحية هي المسئولة عن الظواهر والعلامات التي اشرنا اليها.

صور خمس لكائنات قد توجد على المريخ

وهناك خمس صور لتلك الكائنات الحية يمكن تخيلها او الميل الى الاعتقاد بوجودها .

اولها ان هذه الكائنات يجب ان تكون مرئية او تكون على هيئة مستعمرات . وثانيها ان هذه الكائنات يجب ان تكون هي المسئولة عن الالوان التي ترى على سطح المريخ . وان تغير هذه الالوان انما يعزى الى ارتفاع درجة الحرارة وزيادة نسبة الرطوبة . ثم انها هي المسئولة عن تغير شكل وحجم العلامات والمساحات المريخية ، لعلها تهاجر او تنمو بسرعة معينة . ثم انها تظهر ثم تختفي تحت الغبار الاصفر . ثم ان هذه الكائنات لا بد انها لدى هذه الاستجابة للعوامل البيئية السائدة في المريخ وخاصة درجة الحرارة المنخفضة ، والمعدل الكبير للتغير اليومي في درجة الحرارة ، والجو الرقيق الذي يغلف المريخ ، وكمية ثاني اكسيد الكربون الكبيرة ، وكمية الاكسجين الضئيلة ، والماء القليل ، والاشعة فوق البنفسجية الكثيرة .

ثم ان هذه الكائنات يجب ان تكون متطابقة تماما للاحوال البيئية،وخاصة دورة العناصر في المريخ. فالفطريات الرمية مثلا لا يمكن ان تواجه وحدها اسباب الحياة في المريخ اذ لا بد لها من ان تحصل على الطاقة اللازمة لها من كائنات اخرى . كما ان الكائنات اللاهوائية لا تستطيع وحدها الحياة لانها تعجز عن ان تحلل المركبات الكربونية الى ثاني اكسيد الكربون والماء والمعادن . لان كل الكربون الموجود يجب ان يتحول الى مركبات عضوية لتحلل وتتكامل دورات العناصر المختلفة.

صور الحياة على سطح الأرض

ومن المناسب ان نشير الى مدى انتشار صور الحياة المختلفة على سطح الأرض . فمن بكتريا تنتشر في الماء والهواء والتربة ، وبين حبيبات الرمال الرطبة في الصحراء ، الى طحالب وفطريات يحتمل بعضها ظروف الحرارة والجفاف والملوحة. وبعض هذه وتلك يعيش في مياه الينابيع الحارة، وبعضها الآخر يعيش بين الثلوج على قمم الجبال. بل ان بعض الكائنات الدقيقة يعيش في البحيرة الملحية العظمى وفي البحر الميت ، حيث درجة الملوحة مسرفة في الارتفاع ، وقد وجد بعضها حيا في الجازولين بل والفينول نفسه . وان صور الحياة العجيبة التي توجد في اعماق البحار والمحيطات ، لتعتبر وثيقة هامة وبرهانا اكيدا على مرونة الحياة والاحياء .

ولكن واحدا من هذه الاحياء لا يمكن ان يفسر وجود هذه العلامات وتلك الكتل التي نراها على سطح المريخ ، ولكنها توحي على اي حال بان من الممكن ان توجد كائنات حية تحتمل مثل تلك الظروف غير العادية التي توجد على سطح المريخ، والتي تسود قيعان البحار والمحيطات العميقة .

صحيح ان الحيوانات قد لا تطيق مثل هذه الظروف، وقد يصعب تصور وجودها هناك ويمكن رؤيتها من الارض ، ولعلها ان وجدت تقتني بما يحوم هناك من انواع النباتات الراقي والبسيط ، التي لا شك انها تحتمل ظروف الحياة من ضغط وحرارة وماء وهواء وضوء . الا الظروف ان النباتات الراقية تحتاج الى الاكسجين وكمية كبيرة من الماء ولكن لعل اقلها لا يطيق برودة الجو هناك وان احتملت بعض سلالات الالب شتاءها طويلا . والمعتقد ان معظم الحزازيات والطحالب والكائنات الاخرى الدقيقة قد تعجز عن تكوين مستعمرات تُرى من الارض . ثم انها تحتاج الى كميات كبيرة من الماء حتى تستقيم لها اسباب الحياة والنمو السريع . ولعل الاشن هي اقدر النباتات على احتمال ظروف الحياة على المريخ ، اذ كانت تعيش في اقسى الظروف على كوكبنا . وانها لتنمو متصلة بالصخور سواء في المنطقة القطبية الشديدة البرودة او الصحارى الاستوائية الشديدة الحرارة . ومن المحتمل جدا ان تكون المستعمرات الاشنية هي التي تحتمل اقسى الظروف السائدة في المريخ ، وانها لبطيئة النمو جدا حتى لا تجاوز الزيادة فيها بضعة مليمترات كل سنة . على ان بعضها حساس جدا لنقص الاكسجين ، وان كان التكافل الوثيق بين الشريكين اللذين يدخلان في تكوين الاشنة يبيح لها احتمال الظروف المسرفة في الشدة والقسوة. ومهما يكن الرأى فالذى لا شك فيه ان ثمة صورا للحياة والاحياء على سطح المريخ ما يزال ابرازها بعد حيا .

لا نفكر الا في حدود الفسيولوجية النباتية والكيمياء الحيوية

ومع ذلك فهل نستطيع ان نتخيل صورا للحياة على المريخ مختلفة عن الصور التي نعهدها على سطح الارض ، وتكون في الوقت نفسه متكيفة لاحتمال ظروف البيئة على المريخ ؟ ولكن لا يشطح بنا الخيال . علينا ان نفكر في حدود ما تسمح به معلوماتنا عن فسيولوجية النبات ، وعن مجالات الكيمياء الحيوية . فاذا استطاعت النباتات الراقية أن تحتمل نقص الماء والاكسجين، والحرارة المنخفضة ، والاشعة فوق البنفسجية الوافرة ، فانها لا شك تجيب على الاسئلة الكثيرة وتفسر العلامات التي اشرنا اليها في مطلع هذا الحديث .

ومن جهة اخرى لا بد ان تطور صور الحياة عند الاشن حتى يمكن تفسير تلك الظواهر .

ولعل وفرة الاشعة فوق البنفسجية على سطح المريخ هي اقل تلك الظروف خطرا او التي يمكن التغلب عليها واحتمالها او الوقاية منها . فمن الممكن توقيها باضافة اصباغ خاصة الى احياء المريخ مثل تلك التي توجد في بعض فطريات « وادى الموت » في امريكا وهي التي تقاوم الاشعة البنفسجية واشعاعات جاما ، ومن الجائز جدا ان احياء المريخ تحتوى فعلا على هذه الاصباغ ، ولذلك تستطيع ان تعيش وتزدهر هناك .

كيف تتكيف احياء المريخ لاتقاء الاشعاع والحرارة والبرودة

ومن الممكن الان ، ان نتصور تلك التحورات او التكيفات التي تعينه نباتات المريخ بها نفسها ، نظرا للجو الرقيق في المريخ ، فان نقل الحرارة بالتوصيل والحمل خلاله يكون ضعيفا ، كما ان نقل الحرارة الفاقدة بالبخر يكون ضعيفا ، نظرا لقلة الماء . اما التدفئة خلال النهار فانها تعزى الى الحرارة والاشعة الساقطة من الشمس كما هي الحال على الارض ، فكل ما على سطح المريخ انما تحوطه بيئة اشعاعية ، كما ان البرودة اثناء الليل انما تعزى الى الاشعاع خلال الجو الرقيق القليل الماء والاوزون ، اذ انه لقى السيد الكربون فحسب الذى يؤخر ذلك فأى تكيف للنبات يؤدى الى زيادة القدرة على امتصاص الحرارة المتجة نهارا ، وينقص من القدرة على التشع في الفضاء ليلا يكون في صالح الكائن الحي ، كما انه مما يساعد على التدفئة السريعة اثناء النهار تلك الاصباغ التي تجعل الكائن يمتص الحرارة ، كذلك التي تكون سوداء بالنسبة للاشعة فوق البنفسجية والاشعة تحت الحمراء تكون هي الاقوى فيما يبدو من قتامة في الصيف وما يبدو من لون رمادى بصفة عامة .

وكذلك فان ضعف انعكاس الاشعة تحت الحمراء ربما كان انحرافا من هذا الاسوداد الذى يظهر على هذه العلامات والساحات في المريخ . ويرى بعض العلماء ان كائنات المريخ يجب ان تكون ذات سطوح عريضة مستوية تعرضها لضوء الشمس نهارا . ونظرا لانخفاض قوة الحمل والتوصيل ، فان عضوا رقيقا مثل ورقة النبات تكون مثالية بالنسبة لهذه الظروف ــ اما اذا التفت الورقة

على هيئة اسطوانة صغيرة ليلا ، فمن شأن ذلك أن ينقص من كمية الحرارة المفقودة نتيجة الاشعاع كما أن تغير اللون الى البياض ليلا انما يساعد على احتمال الظروف . اما الكائنات التي تغير لونها كما يتوقع على المريخ فليست معروفة على الارض .

نباتات المريخ قد تتحمل انخفاض درجات الحرارة والتجمد الناشىء عنها

اما درجات الحرارة فانها تهبط ليلا حتى ان الكائنات ذات الدم البارد لا يمكن ان تتفادى التجمد رغم هذه التكيفات ، كما ان وجود مواد واملاح ذائبة تؤخر درجة التجمد قد يكون فيه الجواب . ولعل ابسط حل لهذه المشكلة ان نتصور ان نباتات المريخ تتجمد ليلا ، وتسيح نهارا ، وان تعاقب التجمد والسيحان لا يضرها شيئا . ولعلنا ان نجد لذلك نظائر في النباتات الارضية . والواقع ان انواعا من الاشنة والحزازيات وغيرها من النباتات اللازهرية تتحمل التجمد السريع ، وقد تحملت بعض النباتات درجة تقارب الصفر المطلق ، كما ان بعض النباتات الزهرية مثل تلك التي توجد فوق خط الاشجار في جبال الألب ، فانها تحتمل درجة التجمد كذلك . ان هذه النباتات جميعا تستطيع ان تحتمل هذه الدرجات المسرفة في الانخفاض شتاء ، عندما تكون النباتات في حالة اقرب الى السبات او السكون ، ويكون ايضا (تحول الغذاء) خاملا . على ان بعضها يحتمل التجمد حتى وهو في اوج نشاطه في موسم النمو والازدهار . اذن فالنباتات تحتمل التجمد ثم تستأنف نشاطها عندما يذوب الجمد . وعلى ذلك يمكن لكائنات المريخ ان تحتفظ بقسم طيب من الطاقة طالما انها لن تحرق نهائيا مدخراتها الغذائية عندما تكون في حالة تجمد ليلا .

هل دور الماء في الحياة على المريخ ، كدوره في حياة الارض ؟

والمعروف ان الماء اساسي جدا للكائنات الارضية ، ولعل تغير اللون نتيجة لذوبان القلنسوة القطبية في المريخ ، انما هو الواقع . كما ان فيضانا من الماء السائل ينشأ من ذوبان القلنسوة القطبية غير متوقع ، لأن هذا الماء يتجمد ليلا ، ويتبخر نهارا ، بعد ان يبلل سطح التربة عند حافة القلنسوة القطبية الذائبة . ولو ان هناك كائنات ذكية لسحبت الماء في انابيب . ونستطيع ان نتصور كذلك ان النباتات على ظهر المريخ تستغل الرطوبة الجوية مما يساعد النباتات على تغيير لونها وهذا ايضا غير مستبعد . ولعلنا نتساءل عن دور الماء واهميته في تفاعلات الكيمياء الحيوية في المريخ ، فاذا كان له نفس الدور الرئيسي الذي يلعبه على الارض فان المشكلة تكون كبيرة حقا . وقد قدرت كمية المياه على المريخ تبعا لحجم القلنسوة القطبية ، والكميات القليلة من بخار الماء في جو المريخ . وانها لكمية ضئيلة جدا تلك التي يتاح للكائنات الحية الاستفادة منها ، حتى انها لا تكاد تكفي الا لفئة من الكائنات تكون طبقة رقيقة تغطي سطح المريخ في بعض جهاته . ولعل الماء يكون مقيدا داخل جسوم هذه الكائنات . ومن يدري فلعل الماء بالنسبة لكائنات المريخ لا يعمل مذيبا كما هي الحال بالنسبة لكائنات الارض ، ولكن دوره دور الفيتامينات ، ولعل كميات من غازي الايدروجين والاكسجين تتوافر للتفاعلات الاساسية ، ولكن لعل كائنات المريخ لا تحتاج في تفاعلاتها الحيوية الكيماوية الى هذه العناصر بنفس الدرجة التي تحتاجها هذه التفاعلات على الارض .

وسواء كان الماء مذيبا اساسيا او كان دوره دور الفيتامينات ، فان فقد الماء من كائنات المريخ يعتبر مشكلة كبيرة . ان النباتات العشبية لتذبل عند فقد الماء ما لم يعوض هذا الفاقد بماء يمتص من التربة ، فكيف يكون الحال على سطح المريخ ؟ فلا بد من تكيف خاص يحد ويتحكم في فقد الماء من كائنات المريخ . ومن الصعب تصور هذا التكيف . واذا كانت حركة الثغور في نباتات المريخ هي نفس الحركة في نباتات الارض ، من حيث امتصاصها لثاني اكسيد الكربون واخراجها للاكسجين وبخار الماء ، واذا كانت كائنات المريخ ستحتاج الى ثاني اكسيد الكربون كمصدر للكربون ، فانها ستلقى نفس الصعوبة . ولعلنا نفكر كيف يمكن التغلب على هذه الصعوبة ، فثمة مركبات مثل « سداسي ديكانول » يمكن ان تنتشر على سطح البحيرة على هيئة طبقة رقيقة سمكها جزيء واحد فتمنع او تحد من تبخر الماء ، على حين ينفذ منها الاكسجين والغازات الاخرى . وقد قيل انه اذا امتصت نباتات المريخ مثل هذه

المركبات لتتحلل كل السطوح الميتة فسوف تحد من فقد الماء ولا تؤثر على تآكل الصخور . ومن أسف أن التجارب التي أجريت في هذا المجال قد فشلت ، ولكن الفرض ما يزال قائما ، ولعلنا نتخيل قدرة نباتات المريخ على أن تحتفظ بهذه المركبات التي تؤكد هذا الفرض .

مشكلة نقص الاكسجين على سطح المريخ

ولعل أخطر مشكلة تواجه الحياة على المريخ انما هي نقص الاكسجين ، فان أساس بيولوجية الحياة على الأرض انما تكمن في توافر الاكسجين ، وان عملية البناء الضوئي تتركز في تأثير الطاقة الشمسية على اتحاد الماء بثاني أكسيد الكربون لتكون المواد العضوية ويخرج غاز الاكسجين . أما عملية التنفس فتتلخص في أكسدة المواد العضوية بالاكسجين وخروج ثاني أكسيد الكربون وبخار الماء . وقد حسب العلماء أن كل الاكسجين الموجود في جو الأرض الآن يمكن أن يكون قد نشأ من عملية البناء الضوئي في بضعة آلاف من السنين . أما في المريخ فانه يبدو أن الاكسجين متحد مع مركبات الحديد في صخوره . فكيف تجرى الحياة على المريخ اذا كان الاكسجين الناتج من عملية البناء الضوئي سيتحد فورا ، وبذلك يتلاشى وينحبس ولا يستغل في عمليات التنفس . ولعل هذه أخطر مشكلة تواجه الحياة على المريخ .

وهناك حلان لهذه المشكلة ، يمكن التفكير فيهما للتغلب على هذه الصعوبة . ان التنفس اللاهوائي لا يحل المشكلة بالنسبة لظروف البيئة السائدة . ومن رأى « سترجهولد » ان نباتات المريخ قد تتغلب على هذه الصعوبة ، بأن تستغل الاكسجين الناتج من عملية البناء الضوئي داخليا في عملية التنفس مباشرة ، ويتم هذا التفاعل في الجو الداخلي للنبات . ولكن كيف يأخذ النبات ثاني أكسيد الكربون دون أن يفقد غازا آخر كالاكسجين . وكما هي الحال في التنفس اللاهوائي قد تسير الحياة هناك في اتجاه التخلص المستمر من ثاني أكسيد الكربون دون أن يحل محله غاز آخر ، كما في عمليات التحلل العادية .

ويبدو أن هناك حلا واحدا معقولا لهذه المشكلة وذلك على أساس أن التفاعلات الكيموحيوية في كائنات المريخ تختلف عن تلك التي تجرى في الكائنات الأرضية ، وعلى ذلك يمكن تبسيط التفاعل السابق ذكره الى صورة تدل على تنقل الالكترونات بين الكربون والاكسجين ، وبذلك تجمع الطاقة ثم تطلق ، أو لعل كائنات المريخ لها القدرة على انتزاع الاكسجين من أكاسيد الحديد في التربة الصحراوية هناك بطريقة تماثل تلك التي ينفصل بها الاكسجين من الماء في عملية البناء الضوئي في النباتات الأرضية ، ويستغل هذا الاكسجين في عمليات الأيض ، كما تتضمن عملية التحلل الى عودة الاكسجين للاتحاد بالحديد .

فروض واحتمالات يثبتها أو ينفيها نزول الانسان على سطح المريخ

والخلاصة انه اذا تحققت تلك الفروض والاحتمالات ، فمن المتوقع أن تكون الحياة مزدهرة على سطح المريخ ، وان كان للأحياء هناك طابعهم الخاص الذي يختلف عن طابع الكائنات الحية على سطح الأرض التي قد لا تستطيع أن تعيش هناك . ومن بين هذه الكائنات لعل النباتات الراقية هي أقرب الكائنات احتمالا لاحتمال الحياة على المريخ ، ولعل ورق النبات الأخضر هو الصورة التالية للحياة هناك ، وان كان ضعف قوة الجاذبية على المريخ يحتاج الى بعض التحورات . ولكن أهم تحور ينتظر انما هو في السلسلات الحيوية الكيماوية ، ويبدو أن سلسلة التفاعلات وكذلك تبادل التبت قد يختلف عنه في الأرض — وقد يبدو انه توجد على المريخ حيوانات تتحرك وتعيش على هذه النباتات المنتشرة هناك ، وان كنا لا نعلم مدى ذكاء هذه الحيوانات وهل يمكن أن يوجد كائن حي انساني هناك .

ومع ذلك فلا زلنا في حاجة الى مزيد من المعلومات عن بيئة المريخ حتى تكون الفكرة واضحة عن امكانيات واحتمالات الحياة على المريخ ، وعندما يهبط انسان على سطح المريخ فسيأتينا بأنباء يقينية عن كل ما نسأل عنه ، وسيكون ذلك أجدى من عشرات البحوث التي نجريها هنا على الأرض ومن هذه الفروض والنظريات التي تداعب عقول وخيال العلماء وهم على سطح الأرض ، لا يعيشون الا حياة الأرض ، ولكن زيارة الانسان للمريخ سيكون فيها فصل الخطاب ، ومن يعش ير ، وكل آت قريب وان غدا لناظره قريب .

عبد الحليم منتصر

كان الافغاني يتناول السعوط بيمناه ،
ويـوزع الثـورة بيسـراه !



بقلم : الدكتور عثمان امين
رئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة

● جمال الدين الافغاني شخصية من ألمع الشخصيات الشرقية في التاريخ الحديث ، فهو علم من اعلام النهضة الفكرية ، وزعيم سياسي ، ومصلح اجتماعي ، وداعية ثوري .

اجتمعت له مواهب عقلية نادرة وصفات اخلاقية ذاتية ، جعلت لشخصيته مغناطيسية تجذب النفوس . فهو باعتراف الجميع كاتب مبدع بليغ ومجادل مفحم ، ومتحدث بارع . وهو ايضا ، كما وصفه تلميذه الامام محمد عبده ، سليم القلب حديد المزاج ، شديد العزم ، شجاع مقدام ، كثير التأمل ، قوي الاعتماد على الله ، لا يبالي بصروف الزمان قليل الحرص على الدنيا ، بعيد عن الغرور بمجالها وزخرفها ، راغب عن اللذة ، منصرف عن لذات الحس ، طاهر نقي الروح ، "كلف" بمباهج المعرفة. لم يتزوج ، وابى ان يتعلق قلبه بالمال والبنين او الرتب والمناصب ، وانما اراد ان يقضي حياته حرا طليقا كالهواء او كالطير على الغصون او « كالليث لا يجمع فريسة ابدا ذهب » كما وصف هو نفسه .

ولد السيد جمال الدين الافغاني في قرية « سعد اباد » من اعمال كابول في افغانستان . وابوه « صفدر » من سادات الافغانيين ، ينتسب الى السيد علي الترمذي المحدث الذي يرجع نسبه الى الامام الحسين بن علي بن ابي طالب . وقد كانت اسرة جمال الدين ذات بأس وقوة ومكانة في افغانستان .

وتنافس اهل الشرق عليه ، كل ينسبه اليه

وقد تنافس كتاب الشرقيين في نسبة جمال الدين الى بلادهم : فذهب بعض الايرانيين الى انه ايراني ، ولد في « سعد اباد » بايران ، وحاول بعض الاتراك ان يثبتوا انه من اصل تركي



موقظ الشرق الاسلامي الحديث . اول داعية الى الحرية وأول شهيد من شهدائها

وانه ولد في اذربيجان ، كما ذهب بعض المؤرخين الى انه نشأ في قرية « شيروت » في بلاد الهند ، فرجعت الى « سعد اباد » لاسباب دبلوماسية .

ويحلو لنا بصدد اختلاف الاقوال في نسبة جمال الدين الى الافغان انحول ما قاله « دالامبير » D'alambert بصدد نزاع من هذا القبيل : « ان الرجال العباقرة لا ينتسبون في الحقيقة الى المدينة ولا الى القرية ولا الى الامة التي تفاخر بهم . انهم قلّ عددهم وقد انعدم بهم المفاخر على سطح الارض . فليسوا زينة ولا نسبة لاحد ، بل هم افذاذ من النوع الانساني الذي لا سبيل الى تعريفه » .

والحق انه لم يكن لجمال الدين وطن يستقر به وانما عاش منذ طفولته سائحا جوالا ، فكان وطنه الشرق كله : اقام بالافغان وفارس والهند والعراق وزار بلاد العرب ومصر وتركيا ، وسافر الى كثير من عواصم اوربا . وقيل ايضا انه زار امريكا . وكتب في الصحف الشرقية والغربية ، وخطب في المحافل والمجامع العربية والاوربية ، وخالط رجال العلم والدين والادب والسياسة في الشرق والغرب ...... فاكتسب من سياحاته الكثيرة واطلاعه الواسع معرفة عميقة بالرجال والشعوب

جمال الدين في راى اهل الغرب

ولقد زار الزعيم الافغاني في نفس الكاتب المؤرخ الفرنسي « رينان » Renan اثرا قويا اشار اليه « رينان » في مايو سنة ١٨٨٣ ، قال : « كنت اتحدث اليه (اي الى الافغاني) فكان يخيل الي من حرية تفكيره ، ونبالة طبعه ، واخلاص قلبه ، اني ارى وجها لوجه احد معاقل القدماء ، واني اشهد ابن سينا ، وابن رشد ، او واحدا من اولئك الاحرار العظام الذين ظلوا ، خلال خمسة قرون ، قادة الفكر الانساني . »

ذلك جمال الدين الأفغاني في رأي « رينان » .

ولا يتسع المقام لاستيفاء تاريخ ذلك النابغة الأفغاني الذي اختلفت فيه الأقوال وحارت في فهمه العقول، حتى قال فيه الكاتب الفرنسي «روشفور» Rochefort « السيد جمال الدين الأفغاني من سلالة النبي ويكاد هو نفسه أن يكون نبيا » . فبينا يراه « رينان » Renan فيلسوفا كبيرا ومفكرا دينيا متحررا ، يراه روشفور من كبار دعاة الأديان وقريبا من طبقة الأنبياء .

كان هذا الرجل ذو العبقرية الفذة رائد الحرية الدينية والسياسية في نظر الشعوب الشرقية كما قال « والفرد بلنت » ، فقد جذبت اليه قوة شخصيته وسحرها في القاهرة ، وفي استانبول قبلها ، جماعة من الشبان المتحمسين ، كان في وسعه ان يذيع بينهم ، في غير ما تحفظ ، ذخيرة معارفه المتنوعة ، ويلهمهم قبسا من روحه النافذ، ويبث فيهم شيئا من شجاعته النادرة . والواقع انه كان لا بد للانسان في ذلك العصر من أن يكون ذا حظ عظيم من الشجاعة حتى يجهر من آرائه في حرية : فلم يكن الخديو اسماعيل يطيق اي معارضة ، وكانت السلطات الدينية العليا — التي لاذت بالصمت ازاء المظالم عهدا طويلا — قد استكانت الى تلك الحقل وأيدتها بالسمع والطاعة .

في تلك الظلمة الحالكة التي اطبقت على الحياة الاخلاقية والعقلية في القاهرة ، انبثقت تعاليم جمال الدين الجريئة كبريق يأخذ بالابصار .

الافغاني وتلاميذه

التف حول جمال الدين صفوة القوم في القاهرة، ونشط الافغاني لبث تعاليمه الحرة التي لم يكن للناس عهد بها من قبل ، واخذ يقرأ لتلاميذه طائفة من الكتب العربية القديمة والكتب الاوربية المعربة في الفلسفة والتاريخ والسياسة والاجتماع، فكان ذلك فتحا جديدا في موضوعات التعليم — ومن المحقق ان جمال الدين كان يطبق في كل هذا قوة ذاتية وسحرا فطريا . فاستطاع ان ينفخ من روحه في تلاميذه .

قال جرجي زيدان : « فتحوا أعينهم واذا هم في ظلمة وقد جاءهم النور فاقتبسوا منه ، فضلا عن العلم والفلسفة ، روحانية ارتهم حالهم كما هي،فاذا تجردت من عقولهم حجب الاوهام فنشطوا للعمل في الكتابة وانشاوا الفصول الادبية والحكمية والدينية . »

بين الافغاني ومحمد عبده

قدم السيد الافغاني الى القاهرة للمرة الاولى سنة ١٨٦٩ وكانت شهرته قد سبقته الى هذه البلاد . ولما سمع الشيخ محمد عبده بمقدم ذلك النابغة الكبير ذهب لزيارته في صحبة الشيخ حسن الطويل الذي كان استاذا للمنطق في الازهر . وتحدث السيد جمال الدين الى زائريه احاديث علمية طريفة في تفسير القرآن وفي التصوف الاسلامي،فكانت شخصيته تخلب الباب سامعيه.

ولما عاد جمال الدين الى القاهرة للمرة الثانية سنة ١٨٧١ بادر محمد عبده الى لقائه ، وتتلمذ له واصبح يلازمه كظله . ووجد الشاب المصري عند السيد الافغاني روحا جديدة غير مألوفة لدى شيوخ الازهر : وجد عنده مذهبا فلسفيا واحدا ونظرة الى الحياة عميقة ، وصورة من الكون منظمة . وبالاجمال وجد عنده تلك الفلسفة النبيلة الشاملة التي تتناول مجالي النظر والعمل ، وتشمل الله والعالم والانسان . وكان طبيعيا — وقد اتصل الشاب الازهري بتلك الشخصية الجذابة القوية — ان يفتتن بها وان ينساق الى الطريق التي رسمتها له : فلا يدع الآن أن نرى محمد عبده ، الذي كان يناصر في كتاب «العقيدة المحمدية» آراء السنيين والاشاعرة — وهم يمثلون حزب المحافظين في الاسلام — لا يتردد الآن في التحول عن ذلك الطريق ، واذا به في كتاب « الحاشية على شرح العقائد العضدية » ينقلب مناصرا للمعتزلة والعقليين وجميع النظار من الاحرار والمتسامحين . ولا بدع ايضا أن ينصرف الشاب الصوفي عن ممارسة الزهد وعن اعتزال الناس،وان يأخذ في تذوق الحياة العاملة، مقتديا باستاذه جمال الدين ، وان يقبل على دراسة العلوم المختلفة التي خلت منها مناهج التدريس في الازهر ، كالفلسفة ، وعلم الكلام ، والرياضيات ، والاخلاق ، والسياسة .

وقضى محمد عبده في صحبة جمال الدين شهورا بعيا حياة الفكر والروح وهو مبتهج متحمس نشوان متعطش الى ارتشاف المعرفة من

ينابيعها الصافية ، متشوق الى شهود العهد الميمون الذى تتحقق فيه مُثُلُ الحق والخير والجمال . ولم يفته أن يسجل ، فى نفحة صوفية حلوة ، اعجابه بأستاذه وحماسته له : فمن ذلك ما كتبه فى نسخة نقلها بخطه من كتاب قديم حيث قال فى خاتمتها :« وكان الفراغ من قراءته وتحريره عند لسان الحق، وفلك الخلق الى جناب الحق، خلاصة من تجلى بالحكمة ، ومنقذ الضالين فى تيه الجهالة والغمة ، محيى الحق والدين ، استاذنا السيد جمال الدين » . ثم هو لا يتردد فى اعلان حماسته لتلك الاستاذية فى باكورة مصنفاته ، ونجده يتحدث عن الافغانى سنة ١٨٧١ فى بداية « رسالة الواردات » فيصفه بصفتى « الحكيم الكامل والحق القائم » .

الافغانى والمحفل الماسونى فى القاهرة

لما كان جمال الدين ميالا بفطرته الى السياسة عالما بدقائقها ، فقد نظر فى حال مصر نظر المدقق الحكيم فرأى ما آلت اليه من تدخل الاجنبى وتفاقم امره يوما فيوم . فعلم انه لا بد من تغيير احوالها . وكان قد انتظم فى سلك الجمعية الماسونية . وكان المحفل الماسونى – فى ذلك الوقت – يحبذ تبادل الافكار بين الرجال الواقفين على دخائل السياسة ويرمى الى أن ينشىء بينهم رابطة من التضامن والتعاون .

واول نقد وجهه جمال الدين الى المحفل الماسونى بالقاهرة رده على قول احد الاعضاء بأن الماسونية لا دخل لها فى السياسة ، وانه يخشى على المحفل من بأس الحكومة وبطشها . فنهض جمال الدين وقال نقلا عن رواية المخزومى باشا فى كتابه : « خاطرات جمال الدين الافغانى » : كنت انتظر أن اسمع وأرى فى مصر كل غريبة وعجيبة ، ولكن ما كنت لأتخيل أن الجبن يمكن أن يدخل بين اسطوانتى المحافل الماسونية . اذا لم تتدخل الماسونية فى سياسة الكون ، وفيها كل بناء حر ، واذا كانت آلات البناء التى بيدها لا تستعمل لهدم الفساد وهد الجور ، وتشييد معالم الحرية والاخاء والمساواة ، فلا حملت يد الاحرار مطرقة حجارة ، ولا قامت لبناياتهم زاوية قائمة » ثم قال : « اول ما شوقنى للانضمام الى البنائين الاحرار شعار كبير خطير بمعنى الحرية، المساواة ، الاخاء ، ويرمى بتقديس كرامة الفرد واقامة ميزان العدل ، فارتسم فى نفسى معنى للماسونية هو همة للعمل وعزة نفس وشمم وبذل للحياة فى سبيل مثل اعلى هو نصرة المظلوم ومقاومة الظالم ، ولكن مع الأسف ارى ان جراثيم الأثرة والانانية وحب الرياسة ، وانسياق الجماعات الى العمل ارضاء للشهوات وجلبا للمنافع ، وغير ذلك من الامور التى قامت الماسونية الحرة للقضاء عليها ، ما زالت متفشية بين اعضائها » .

ثم قال فى ذلك المحفل ايضا ردا على خطاب لاحدهم : « انتم البوهيميين ومرادس، تابع ومتبوع ، مثل يجمع وجزيرة الشرق تئن ، وليس من عمل يدل على ادنى اثر من الحياة الماسونية فى الشرق . » .

ولما يئس جمال الدين من المحفل الماسونى الاسكتلندى انشأ محفلا وطنيا جديدا قسمه شعبا : شعبة مهمتها مراقبة الشئون العسكرية لمطالبة نظارة « الجهادية » بانصاف الضباط الوطنيين الذين تجاوزوا فى الخدمة بالسودان الحد الذى تسوغه القوانين، وشعبة ثانية للحقانية، وثالثة للمالية ، واخرى للاشغال وبقية الوزارات والمصالح الحكومية . ومهمة هذه الشعب المحافظة على حقوق الموظفين الوطنيين ومساواتهم بغير المصريين ممن كانوا يتمتعون بامتيازات خاصة . وعلم الامير الخديوى توفيق فطلب مقابلة جمال الدين فذهب اليه بصحبة سماحة امام . وقال الخديوى لجمال الدين : « اننى احب كل خير للمصريين ويسرنى ان اراهم فى اعلى درجات الرقى ولكن اكثر الشعب خامل جاهل لا يصلح ان يلقى عليه ما تلقونه من الدروس والاقوال المهيجة فيلقون انفسهم والبلاد فى تهلكة . » فاجابه جمال الدين « ليسمح لى سمو الخديو ان اقول فى حرية واخلاص ان الشعب المصرى كسائر الشعوب لا يخلو من الخامل والجاهل بين افراده ولكنه ليس محروما من وجود العالم والعاقل . فبالنظر الذى تنظرون به الى الشعب المصرى وافراده ينظرون به لسموكم . فان قبلتم نصح هذا المخلص واسرعتم فى اشراك الامة فى حكم البلاد حكما شوريا ، وامرتم باجراء انتخاب نواب عن الامة تسن القوانين وتنفذ باسمكم وبارادتكم ، كان ذلك اثبت لعرشكم وادوم لسلطانكم » . وبالطبع غضب الخديو اشد الغضب على السيد

جمال الدين ، ولكنه لم يظهر له شيئا واسرّها في نفسه .

الافغاني المصلح الدينى والسياسى

كان جمال الدين رائــدا لحركة تحرير دينى وسياسى ، كان يرى ان اساس حركة الاصــلاح الدينى هى الاهتمام بقلع ما رسخ فى عقول العوام والخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها الحقيقى ، مثل حملهم القضــاء والقــدر على معنى يوجب الا يتحركوا لطلب مجد ولا للتخلص من ذل ، ومثــل فهمهم لبعض الاحاديث الشريفة الدالة على فساد آخر الزمان فهما حملهم على عدم الســعى وراء الاصلاح والنجاح .... فلا بد من بث العقائد الدينيــة الحقة بين افراد الجمهور وشرحها لهم على وجهها الصحيح لكى تكون لهم فيه خيرهم فى الدنيــا والآخرة ....

ولذلك دعا جمال الدين المستنيرين من المسلمين الى النظر فى عالمهم لتحقيق نهضة دينية تجديدية تلائم مقتضيات العصر الحديث ، وبين لهم ان الاسلام اذا فهم على وجهه الصحيح يستطيع ان ينمو نموا طبيعيا وان يتقــدم تقدما يجمع بين المصالح المتجددة للحيــاة العملية وبين المطالب العالية للنفس الانسانية .

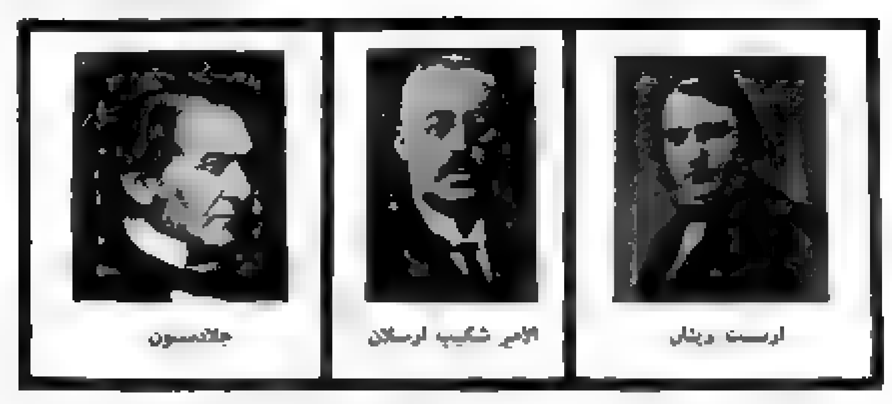
فضله فى ايقاظ الوعى القومى

وما من قطر من اقطار الشرق اثر فيه جمــال الدين مثــل تأثيره فى اقليم مصر : فهو من اول العاملين على تطور الروح الوطنى فى هذه البلاد . ولــذا تُسب اليه ـ بحق ـ الدور التــاريخى لـ « ابى القومية » . وقد استطاع الرجل بخطبه الملتهبة ان يبث فى النفوس نزوعا الى الحرية ، ورغبة فى العدالة . خطب مرة قبل خلع الخديوى اسماعيل فقال : « انت ايها الفلاح المسكين تشق قلب الارض لتستنبت ما تسد به الرمق وتقوم باود العيال ، فلماذا لا تشق قلب ظالمك ؟ لماذا لا تشق قلب الذين ياكلون ثمرة اتعابك ؟ » . بهذه الجرأة كان جمــال الدين يخطب ويتكلم ، وكان لكلامه اثر عميق فى ايقاظ الناس وتنبيه المحكومين الى حقوقهم قبــل الحاكمين . فاتجه النــاس الى نقد تصرفات اصحاب السلطان ، واخــذت تتضاءل عقيدة ســيادة الحكم وحقه المطلق فى التصرف فى شئون الرعية . وكذلك بذل جمــال الدين جهدا كبيرا فى تنبيه المصريين الى مخــاطر الاستكانة لتــدخل الاجانب فى شئونهم ، وطفق يخاطبهم مستثيرا فيهم معانى العزة القومية .. ومما قاله مرة فى خطاب له : « لو كان فى عروقكم دم يتنفس ، وفى رؤوسكم اعصــاب تثار فتثير النخوة والحمية ، لما رضيتم بهذا الذل ، ولما صبرتم على الرمضــاء وانتم تستحكون ! .... تناوبتكم ايدى الغزاة من كل جنس وانتم كقطع الصخر الملقاة فى الفلاة لا صوت لكم ولا حس ! »

الذود عن كرامة الانسان

بتأثير جمال الدين انطلقت الحركة الفكرية الوطنية فى القطر ، واخــذ الوطنيون يطالبون الخديوى توفيــق بانشاء مجلس نيابى ، وبدا الخديوى وكأنه مرحب بهــذه المطالب ، فانبرى جمال الدين محذرا الوطنيين من الاستنامة للوعود المعسولة ، وقال : « ايها الاخوان : ان القوة الوطنية لاى امة لا يمكن ان تحوز معناها الحقيقى الا اذا كانت نابعة من نفس الامة . وان مجلس نيابى يامر بتشكيله ملك او امير ، او قوة اجنبية محركة لهما ، فاعلموا ان حياة تلك القوة النيابية الموهومة موقوفة على ارادة من احدثها .... فان مجلس نيابى يقوم على ارادة خارجة عن ارادة الامة ، مثل هذا المجلس ، لا قيمة له ، ولن يعيش طويلا ولا ترجى منه للامة فائدة » ....

ثم قال ساخرا مستهزئا بالمتكلم : « سرون ان الذى سيكون نائبا عن شعب قد سلب حريته ، وابتلى بما ابتلى به ، هو ذلك الذى كان آلة صماء بيــد القوة التى عملت على وصول وطنه ومواطنيه الى ما وصلوا اليه من بؤس وهوان ، نائبكم سيكون ... هو ذلك الوجيه الذى امتص مال الفلاح بكل وسائله ، ذلك الجبان البعيد عن مناهضة الحكام الذين هو اسقط منه همة ، ذلك الرجل الذى لا يستطيع مواجهة الحاكم الظالم باى حجة ولو كانت من الحجج الساطعة ، ذلك الرجل الذى يرى فى ارادة القوة الجائرة كل خير



ارنست رينان — الامير شكيب ارسلان — جلادستون

وحكمة ، ويرى فى كل دفاع عن وطنه بل كل محاولة لرد الاعتداء قلة أدب وسوء تعبير ! .

الخديوى يأمر باخراج جمال الدين من مصر

وما لبث الوطنيون أن تأثروا بأفكار جمال الدين، وما بثه فيهم من النفور من السياسة البريطانية فى مصر . وقد ترجمت أقوال السيد بهذا الصدد وارسلت الى جرائد انجلترا ، وبلغ من اهتمامهم بها هناك أن تولى « جلادستون » رئيس الوزارة البريطانية أمر مناقشتها ، وداخل الخوف مستر « فاليتى » قنصل انجلترا إذ ذاك فجمع عن طريق من بثه من الرقباء والجواسيس ما أرهب به الخديوى توفيق الذى كانت فى نفسه أشياء من جمال الدين إذ لم ينس ما سمعه منه شخصيا فى المقابلة التى أشرنا اليها ، فأصدر أمره باخراج السيد جمال الدين من مصر ، فغادرها سنة ١٨٧٩ .

خصوم جمال الدين والطعن فيه

كان طبيعيا أن يثير موقف جمال الدين معارضة له وسخطا عليه من كل صوب ، من رجال الدين المحافظين الذين أخذوا يتقولون عليه ويرتابون فى تعاليمه بدعوى أنهـا خطر على العقيدة ذاتها ، وكذلك من الحكام المستبدين ومن الأجانب الطامعين . وكانت أحوال مصر السياسية والمالية قد ساءت فساءت مما أدى الى التدخل الأوربى فى شئونها بحجة « الرقابة الثنائية » من انجلترا وفرنسا، ثم الى عزل الخديو اسماعيل وتولية توفيق سيجة لنفسه وطغيانه . وكان توفيق قبل ارتقائه الى العرش قد عاهد جمال الدين الافغانى وأصحابه الاصرار على تأييدهم فى مطالبهم الاصلاحية . ولكن سرعان ما تنكر الخديوى لهم حين آل الحكم اليه ، وانتهى به الأمر الى ابعاد السيد جمال الدين عن مصر ، كما سبق أن بينا ـ ارضاء لناصحيه من الانجليز والفرنسيين الذين كانوا يخشون اقامة حكم نيابى فى البلاد .

كثرت الأقاويل والفريات التى روجها المغرضون ليحجبوا عن أنظار الجمهور سمات الشخصية الحقيقية للسيد جمال الدين ، شخصية المفكر المصلح الذى لم يكن يبغى من دعوته الا استنهاض العالم الاسلامى الذى قضى عليه بالعجز والظلم نتيجة تسلط المغرضين من رجال الدين والحكام السياسيين .

ومن قبيل الفريات المدبرة التى وجهت للطعن فى شخصية جمال الدين وريقات نشرت فى القاهرة بعنوان : « تحذير الأمم من كلب العجم » ، كلها تجريح وقح وتهجم رخيص على جمال الدين ، لا لشىء الا لأنه اعتنق قضية الفكر الحر والثورة على الفساد أيا كان وحيثما كان ! حتى قيل فيه انه كان يساور السعود بيمناه ويروج الثورة بيسراه!.

جمال الدين عرف بالدعوة الى « جامعة اسلامية »

أشرنا فيما سبق الى أثر جمال الدين فى الاصلاح السياسى ، وليس هنالك شك فى أن لجمال الدين يدا فى الحركة العرابية . ومن المحقق أن المبدأ

الوطني الذي سيطر على تلك الحركة من فرسه . وفي هذا الفرس قال شكيب ارسلان « ... ولئن كان هب على ذلك الزرع من سموم الجهل ، ونقصان التربية القومية ، ولفحة المساعي السياسية ، ما صوح نضرته ، شأن تلك المساعي على كل نهضة تحدث في الشرق ، او حركة اصلاح تشق من ورائها الدول ان تخرق حجب الغباوة التي هي اصدق اعوان الاستعمار».

على ان جمال الدين قد عرف بالدعوة الى « الجامعة الاسلامية » التي ترمي الى اتحاد جميع الشعوب التي تعيش في كنف الاسلام لكي يتيسر لها التخلص من سيطرة الاجنبي . وقد كان السيد يقول بهذا الصدد : ان الدول الغربية تتحمل الاعذار في هجومها وعدوانها على البلاد الاسلامية واذلالها واكراهها : « ان الممالك الاسلامية هذه انما هي من الانحطاط والهوان بحيث لا تستطيع ان تكون قوامة على شئون نفسها بنفسها ، في حين ان تلك الدول عينها لا تكف من التذرع بالوف الذرائع ، حتى بالحرب والحديد والنار ، للقضاء على كل حركة من حركات النهضة والاصلاح في البلاد الاسلامية . ومن ثم يجب على العالم الاسلامي ان يتحد في حلف دفاعي كبير ليستطيع بذلك ان يصون نفسه من الفناء » .

غير ان جمال الدين لم يكن يعني بالجامعة الاسلامية احلال قومية الدين محل قومية القطر ، وانما كان يرغب في ان تتحد جميع الاقطار الاسلامية ، مع استقلال كل منها عن الآخر ، لتحقيق هدف واحد ، هو التحرير السياسي ، ومن اجل النهوض بالوطن الافغاني او المصري او التركي او الفارسي ، كان الافغاني يعمل على نهضة الاسلام الذي يتغلغل في الحياة السياسية والاجتماعية للاقطار الاسلامية المختلفة . على ان عبء النهوض بمهمة الاصلاح الديني سيقع في صميمه على عاتق تلميذه الغيور محمد عبده .

ولكننا نعتقد ان الجامعة الاسلامية التي اشتهر جمال الدين بالدعوة اليها لم تكن الا تمهيدا لتحقيق جامعة اوسع هي ما يمكن ان نسميه « بالجامعة الشرقية » . فهو رأى في الشرق تخلفا ناشئا عن ضعف الارادة وانحلال القومية وتفرق الكلمة والاستسلام والتخاذل ، ورأى في الغرب تقدما ماديا عقليا وروح تعصب على الشرق ، وعدوانا على بلاده ، وسعيا الى اذلال شعوبه ، بحجة ضعف الشرق عن ان يكون قواما على شئون نفسه . فسعى سعيا حثيثا لجمع شتات اهل الشرق ، وتوحيد كلمتهم ، وايقاظ هممهم ، للذود عن كيانهم ، والخلاص من الخطر المحدق بهم . ورأى ان السبيل الى ذلك ان يسعى كل ملك او امير في الشرق الى ترقية شعبه ، وتحصينه بالحكم الدستوري ، ووقفه على اسرار التقدم الغربي ، وتربيته للتحالف على الاتحاد مع الامم الشرقية الاخرى ، لتلتقي جهود الجميع عند الغرض المشترك ، وهو التحرير السياسي .

وقد كان الشرق هو الهم الاكبر لجمال الدين يهتف باسمه ولا ينقطع عن ذكره ليله ونهاره . روى المخزومي باشا ان الافغاني كثيرا ما كان يقول : الشرق ! الشرق ! لقد امعنت فكري لتشخيص دائه وتحري دوائه ، فوجدت اقتل ادوائه وما يعترض سبيل توحيد الكلمة فيه ، داء انقسام اهليه ، وتشتيت آرائهم ، واختلافهم على الاتحاد ، واتحادهم على الاختلاف . فقد اتفقوا على الا يتفقوا ، ولا تقوم على هذا للقوم قائمة ! » .

والحق ان قدوم السيد جمال الدين الى مصر كان مبعثا للنهضة الفكرية والسياسية التي شهدها الآن في البلاد العربية والتي نراها ممتدة الى سائر البلاد الافريقية والاسيوية داعية الى اكتناه اسرار القوة الغربية واعادة الشرق سيرته الاولى من العلم والمدنية .

وما احسب الجامعة الشرقية التي دعا اليها جمال الدين الا جامعة المستقبل ، وما احسب الا اننا سائرون في طريقها لانها مناط امل الشرق في دفع مطامع الغرب .

ونعتقد ان خير ما يصور شخصية الافغاني في طموحه وابائه ، وحقيقة الرسالة التي اضطلع بعبئها طول حياته ، والتي اراد ان يترسمها تلاميذه من بعده ، هو ذلك المعنى الذي عبر عنه الشاعر العربي حين قال :

عش عزيزا او مت وانت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود

عثمان أمين



الحروب والغزوات لها في البدو تقاليد

● الاعتداء على الثار في الحرب يلحق العار بالقبائل

■ الحب والحرب هما الموضوعان الرئيسيان في الأدب العربي الكلاسيكي . وقد اعتبر العرب منذ القدم ان الحرب اشرف ما يشغل الانسان به نفسه . وحيث ان البنيان الاجتماعي في بلاد العرب كان يقوم على اساس قبلي ، فمن الطبيعي ان تتسق تنظيمات الحروب مع تلك القاعدة .

تقاليد الحرب عند العرب ثابتة

وهناك تقاليد للحرب اصبحت ثابتة مع مضي الزمن ، وهذه التقاليد تتعلق باساليب القتال ومعاملة الاعداء الذين تحل بهم الهزيمة .

لا رواتب للافراد المحاربة

لم تجر العادة ان تدفع رواتب لأفراد الجيوش

(١) مقتبس من كتاب خشخشة الأشواك A Crackle of Thorns تأليف السير أليك كركبرايد الذي قضى في بلاد العرب أكثر من ثلاثين عاماً أمضى معظمها في الأردن حيث اشترك في الثورة العربية اثناء الحرب العالمية الأولى وكان معتمد بريطانيا في عمان ثم سفيرها بعد الاستقلال حتى عام ١٩٥١

العربية ، ويبقى للذين يرغبون ان يصبحوا ذوى ثروة من هؤلاء ــ ان يقتصروا في ذلك على الاسلاب التي يغنموها . ونتيجة لهذا سادت الفكرة القائلة بان سلب الاعداء اكثر اهمية من ايقاع الاصابات القاتلة فيهم .

حرب العربي ليس اساسها التعطش الى الدماء

وعلى عكس الفكرة السائدة في بلاد الغرب ، فان العربي بطبيعته ليس قاسيا ومتعطشا للدماء، ومن هنا فان اعمال العنف المتعمد والقتل البشع تدخل بالنسبة للعربي نطاق الحوادث الاستثنائية لا الامور المألوفة .

معاملة النساء في الحرب

اما موقف العرب التقليدي ، وخاصة البدو ، بشأن معاملة النساء في الحرب ــ فهو موقف يدعو الى الاعجاب . وهم يعتبرون قتل النساء او ايقاع الاذى بهن ــ امرا شائنا . ويبلغ دية الامرأة اربعة اضعاف دية الرجل حتى لو كان قتل المرأة حدث دون تعمد . وهناك مناسبات نادرة قتلت فيها النساء عمدا اثناء المعارك ، ولكن ظل العار يلاحق رجال القبائل التي قامت بذلك طوال عدة اجيال . ولقد شهدت عددا من المعارك بين القبائل ، واشتركت في بعضها ، واني استطيع القول ان اطلاق النار كان يتوقف عند الجانبين حالما تتقدم النساء لحمل المصابين .

ولقد جرت العادة ان تركب اجمل فتاة في القبيلة وتسير في طليعة الرجال الى المعركة وهي تشجعهم على الاستبسال والاقدام . ولم يحدث ان لحق اى مكروه بفتاة في هذه الحال . كما انها تلقى معاملة كريمة اذا وقعت في الاسر . اما اذا سقطت مضارب احدى القبائل في ايدي الاعداء ، فان هؤلاء يتركون معظم التقاليد لمن بقي في الخيام من نساء واطفال قدرا كافيا من الطعام والماء وعددا من حيوانات النقل ليرحلوا بواسطتها الى مكان يلجأون اليه .

مصاهرة بين القبائل بعد مخاصمة الحروب

وعندما يعقد صلح بين قبيلتين متعاديتين ، فان التسوية تقوم على دفع دية القتلى الذين خسرتهم كل قبيلة ، وفي هذه الاحوال تبدو دية النساء عالية جدا عند حساب الخسائر من الجانبين . وقد جرت العادة ان تتبادل القبيلتان عند الصلح عددا من البنات للمصاهرة وتوثيق الروابط . وبرى ذوى العروس يقولون لذوي العريس : عسى ان تلد لكم اولادا يحلون محل الرجال الذين خسرتموهم .

فتاة في البدو لقيتها ، غير فتاة الحضر

ونتيجة لهذه العادة الوقائية ، فان موقف نساء البدو يتسم بطابع الحرية والثقة تجاه الغرباء ، على عكس نساء المدن او القرى اللاتي يقفن موقف التهيب والوجل في احوال مماثلة . وقد خبرت هذا بنفسي اثناء الحرب العالمية الاولى عندما كنت اسرع في السير في مهمة عاجلة من شرقي الاردن الى بئر السبع . فقد حدث ان دليلي الطريق لم اصيب بالحمى ورفض ان يواصل السير . ولم اجد بدا من متابعة التقدم الى الغرب عبر التلال على امل ان التقي باحد البدو او ان اصل مضارب احدى القبائل . وبعد مسيرة اربع ساعات شاهدت خيمة من الشعر فتنفست الصعداء لان مضارب اصحاب القطيع لا بد ان تكون على مقربة من ذلك المكان . واقتربت من المكان فوجدت انها في رعاية بنية صغيرة سمراء اللون لا تتعدى الثانية عشرة من العمر ، ولم تبد الفتاة اى انزعاج للمفاجأة الممثلة في ظهور رجل غريب ذى لحية يمتطي جوادا ويحمل بندقية على مقدمة سرجه . وردت على تحيتي بابتسامة كشفت صفا منضدا من الاسنان اللؤلؤية . وبعد ان اباتتني ان اهلها يقيمون على بعد مسيرة ساعة من الزمن ، اضافت : انك تبدو متعبا . انزل عن جوادك وسأحلب لك شيئا من الحليب .

كنت متعبا جائعا فرحبت ترحيبا بالغا بالحليب الدافيء الذي جاءت به الي في قدح خشبي صغير ، وبعد ان شربت الحليب تغلب علي النعاس فوجدت ان تمسك بزمام فرسي حتى افيق واثال قسطا من النوم . وعندما افقت رأيتها تجلس القرفصاء قريبا من رأسي وهي تتفحص ملامح وجهي . وحالما فتحت عيني اعربت عن املها بان اكون بت يوما مريضا ، ثم سألتني :

- هل انت متزوج ؟

- لا ، لم اتزوج حتى الآن

- اذا يجب عليك ان تتزوج ، انه ليس من المستحسن ان يقضي ولد مثلك ايامه دون زوجة ترافقه .

وكنت ما ازال حديث السن بحيث انني شعرت قليلا بالمهانة لوصفها اياي « بالولد » ، فسألتها بدوري :

- وماذا بشأنك ، هل انت متزوجة ؟

فابتسمت بزهو واجابت : انا مخطوبة ، وان شاء الله سيكون الزواج في السنة القادمة .

واضحكت المحادثة بقولي : لو استطعت ان اجد فتاة مثلك لسعيت الى خطوبتها في الحال .

وافترقنا بعد ان اعربت لها عن تقديري وشكري. ثم مضيت الى مضارب قومها حيث اتخذت دليلا جديدا . وانك لن تجد فتاة قروية وحدها في مكان منعزل كهذا ، بل انك لو وجدت تلك الفتاة فانها ستبادر الى الهروب حالما ترى رجلا غريبا يتقدم نحوها .

مواثيق بين الرجال لمدد محدودة

وفي بلاد العرب يتواثق الرجال مواثيق الصداقة الخالصة لمدة معينة من الزمن او خلال عملية من عمليات الغزو او السفر ، فيصبحون بذلك (رفاقا) . فاذا جرح الرفيق او مرض ، فلا يجوز لرفاقه ان يطرحوه وراءهم حتى يموت او يحلهم من مواثيقهم . وقد جرت العادة ان يسمح الرجل لرفاقه بمواصلة السير عندما يستحيل عليه ان يواصل السير معهم ، فاذا لم يجد هؤلاء من يتطوع للبقاء معه فانهم يزودونه بالماء والطعام قبل ان يواصلوا سيرهم .

شيخ يلجأ الى المضارب التي اطلقت عليه النار

ولقد عرفت في الاردن شيخا كان قد اصيب في شبابه بعيار ناري في احدى الغزوات . وقد تركه رفاقه بعد ان سمح لهم بذلك وهم يحسبون انه سيفارق الحياة بعد قليل لان اصابته كانت في الصدر . والواقع انه كان صبيا وقد روّعته الصدمة ، فنام يوما عميقا ثم افاق ليجد نفسه في حالة افضل ، ولكن وحيدا ودون دابة يركبها . وكان رفاقه قد زودوه بشيء من الطعام والماء . وفي اليوم التالي ادرك ان لديه فرصة للنجاة . وكان اقرب مكان مأهول اليه مضارب القوم الذين اطلقوا النار عليه،ومع ذلك اتجه نحوهم ، ورآه احد الرماة فأخذه الى خيام القبيلة حيث اعتبر ضيفا حتى شفي من جرحه . وقد سعى هذا الرجل الى عقد الصلح بين القبيلتين ، فوفق الى ذلك ، ثم تزوج ابنة الرجل الذي استضافه في بيته .

اصابات المعارك غير كبيرة

وفي المعارك بين قبائل البدو لا تكون الاصابات كبيرة بحسب مقاييسنا . وقد ابديت ذات يوم ملاحظة بهذا الشأن لصديق لي من البدو ، فاجاب بقوله : " اننا لسنا من الكثرة بحيث نحتمل الاصابات الكبيرة . واذا قتلنا جميعا فلا بد ان تنقطع الحروب والغزوات وتغدو الحياة رتيبة مملة .

الهروب من المعارك

وتنشأ من هذا الاتجاه في التفكير ، عادة اخرى طالما انتقدناها ، الا وهي الهروب من المعركة اذا لم يكن الموقف ملائما ، بقصد العودة في يوم آخر. وهذا الاتجاه يبدو منطقيا ومعقولا عند العرب ، وهم لا يستطيعون ان يدركوا لماذا ينبغي على اي انسان ان يقف ويقتل لمجرد العناد المحض ،وعندما يكون النصر بعيد المنال . ولا تتأثر معنويات العرب بسبب التراجع ، ولكن هذه المعنويات تتحطم حقا اذا سيقوا للقتال في معركة خاسرة . وعندما التحقت بالجيش العربي ، وكنت ما ازال ضابطا صغير السن ، قال لي احد شيوخ البدو — ممن كنت على صداقة معه : ان والدي عندما يقود البدو ، يذكر دائما انهم يجب ان يكونوا في حركة مستمرة سواء الى الامام او الى الوراء .

البدو افضل في الهجوم ، والحضر افضل في الدفاع

وفي هذا المجال يمكن القول ان هناك فرقا بين ابناء القرى والمدن وبين ابناء البدو الذين يدخلون

في صفوف الجندية . وابناء المدن والقرى افضل من ابناء البدو عند الدفاع عن موقع ما ، وربما يكون هذا ناشئا عن بواعث غريزية في الدفاع عن منازلهم الثابتة . اما البدو فالافضل يكمن في العمليات الهجومية . ويضم الجيش الاردني كتائب منفصلة من هؤلاء وهؤلاء .. وغالبا ما تقوم الخطط العسكرية على ان تهاجم كتيبة بدوية موقعا معينا وتحتله بعد ذلك كتيبة من ابناء القرى .

حين يكون الخداع مستساغا

ولا يعتبر العرب الغدر والخداع من الصفات الحميدة ، ولكنهم يبررون اتباع هاتين الوسيلتين في اوقات الحرب خاصة اذا حزب الامر او عندما يكون الخصم قد نكث بعهده وتجاوز نطاق التعامل الشريف . وينال النجاح في هذه الحالات اعجاب الناس ، كما هو الشأن في معظم الامور :

قريبا من بلدة السلط في الاردن ، تقع مجموعة من شجر البلوط الدائم الخضرة وتعرف باسم شجرات المهيري . وما تزال هذه الاشجار تذكر الناس بقصة خداع ناجحة حدثت فصولها قبل مئة وخمسين عاما . وكان المهيري احد ابناء السلط وقد ارتقى حتى صار حاكما للناحية المحيطة ببلدته . ومن الاسف انه كان رجلا مستبدا شريرا . وقد اعجب بفتاة جميلة هي ابنة كاهن البلدة فطلب ان ترسل الى منزله . ولما كان هذا الطلب يشكل اهانة خطيرة للفتاة واقاربها ، فان اباها لجأ الى قبيلة بدوية مجاورة كان على علاقات صداقة مع زعمائها . واعلن شيخ القبيلة ان الفتاة اصبحت « في وجهه » او بكلمات اخرى « تحت حمايته » . أي ان اي اهانة لها تعتبر اهانة للقبيلة كلها .

وقد ردّ الحاكم على هذا العمل بان ارسل جماعة من رجاله لاختطاف الفتاة بالقوة . وعندما علم الشيخ بالامر اعلن الحرب على الحاكم ، ولجأ الكاهن وجميع اقاربه المسيحيين الى القبيلة البدوية . واعقب هذا سلسلة من الاشتباكات المتفرقة بين الطرفين ، ومن سوء الحظ ان النصر لم يكن من نصيب الجانب المدافع عن الفضيلة : لقد برهن الحاكم المستبد انه يتفوق على خصمه الشيخ في فنون القيادة وكان النجاح حليفه في جميع الاشتباكات .

واعتزم الشيخ ان يلجأ الى الحيلة للايقاع بخصمه فطرد المسيحيين من مضارب قبيلته ، واعلن انه لم يعد له علاقة بقضيتهم . وكانت الخطوة التالية انه ارسل رسالة للحاكم يطلب اليه ان يلتقيا في مكان محايد على ان يتألف كل فريق من عشرة فرسان . واضاف الشيخ الى رسالته قوله انه يعتزم بتقديم طعام الغداء على اساس انه كان حاضرا في الصلح ، وان النساء سيعملن على اعداد وجبة الطعام لئلا يزيد عدد الرجال في فريقه عن العدد المعين . وبعد شيء من التعنت والمماطلة ، وافق المهيري على الاجتماع بموجب هذه الشروط !.

وكان الموقع المعين للاجتماع يقوم في سفح تلة تظللها مجموعة من شجيرات البلوط . وقد ربط رجال الطرفين خيولهم الى اغصان الشجر بينما تم الاجتماع في بيت شعر كبير كي يتناولوا طعامهم ثم يبحثوا شروط الصلح . وجاء عدد من الصبية كانوا يرافقون النسوة بجفنة الطعام الى بيت الشعر ، وانتظروا حتى بدأ القوم بتناول الطعام ، ثم انسل بعضهم الى حيث كانت خيول المهيري فارخوا احزمة سروجها . وبعد ان قاموا بهذه المهمة عادوا واعطوا الشيخ اشارة كانوا قد اتفقوا معه عليها . واثار الشيخ خلافا حول بعض النقاط المتعلقة بالصلح ، واحتد النقاش وتبادل الفريقان بعض العبارات الجارحة ، فنهض الشيخ في حالة غضب مفتعل وصاح في رجاله . هيا الى خيولكم. ولما كان هذا التصرف يعني انه قد يعمد الى القتال، فان المهيري ورجاله سارعوا بدورهم الى خيولهم، ولكنهم عندما حاولوا ان يمتطوا ظهورها انقلبت السروج بهم فوقعوا ارضا ، وعندئذ هجم عليهم البدو الذين كانوا قد لحقوا بهم بدلا من ان يتجهوا الى خيولهم ، واعملوا فيهم السيوف حتى قتلوا بهم . وهكذا انتهى الصراع وصار وجه الشيخ « ابيض » مرة اخرى وبقيت الاشجار التي قتل الرجال تحتها شاهدة على هذه المجزرة .

ان عملا كهذا يقوم فيه المضيف بقتل ضيفه الذي لم يكد يفرغ من تناول طعام الضيافة ، يعتبر من اسوأ انواع الغدر التي يرتكبها البدو بانفسهم منها ويأنفون منها ، ولكن التقاليد المتعارف عليها اجازت هذا التصرف بالذات لان المهيري نفسه تصرف تصرفا منافيا للاخلاق والتقاليد عندما حاول

التحاب لفتاة عذراء دون أن يعرض عليها الزواج(١) .

الغنائم في الحرب

ويعتبر الغزو بين القبائل مظهرا من مظاهر الحرب . ولكن البدو يهدفون من الغزو الى الحصول على الغنائم (من جمال وخيل والنقام) أكثر مما يهدفون الى ايقاع الاصابات . وهكذا نرى أن الغزو يمثل نشاطا رياضيا وترفيهيا أكثر مما يمثل حربا بالمعنى الدقيق للكلمة . وعلى عكس الخسائر في الأرواح ، فان خسارة القبيلة من الجمال والأغنام في احدى الغزوات تعتبر خسارة نهائية ولا يجري الحساب عليها من زيادة أو نقصان عند عقد الصلح بين قبيلتين متخاصمتين.

غزوة « الظما » المشهورة

والغزو بين القبائل نوع من المغامرة ، وهو كالكثير من حالات المتعة والترفيه قل أن يجلب الغنى لمن يمارسونه ، بل هو بالأحرى عادة متأصلة يصعب على الناس أن يتخلوا عنها . ومن المحتمل أن تكون نتائج غزوة ما ذات عاقبة وخيمة بالنسبة لمن يقومون بها ، كما حدث في « غزوة الظما » المشهورة عام ١٩٢١ .

وقد قص علي قصة هذه الغزوة أحد الذين اشتركوا فيها ممن كتب لهم النجاة وهو الشيخ محمد بن عودة أبي تايه من قبيلة الحويطات .

كانت الغزوة كبيرة بحسب المقاييس المحلية . وقد تجمع من أجلها حوالي مئة وعشرين رجلا في المكان المتفق عليه الى الشرق من عمان ، ولقد أغرت شهرة عودة أبي تايه كقائد ناجح للغزوات الكثيرين للانضواء تحت قيادته . أما الهدف فقد كان قطعان الجمال الخاصة ببعض القبائل العراقية، التي كانت تنزل يومئذ على الضفة الغربية لنهر الفرات الى الشمال الغربي من بغداد ، أي على مسافة حوالي ستمائة كيلومتر من نقطة الانطلاق .

اضطرار الغزاة للنكوص

بدأت أمور الغزاة تضطرب عندما صاروا على مقربة من هدفهم ، فقد شاهدوا رجلا على ظهر أحد الجمال يراقب سيرهم على مبعدة ولم يتمكن

---

(١) القصة الحقيقية كما رواها لي عدد من شيوخ السلط والعجيمي ، هي أن الهداوي (وليس المصري) سمع بجمال ابنة خوري قرية الفحيص فأرسل يطلب من أبيها زوجة له . واعتذر الكاهن بأن ابنته مخطوبة لابن عمها وأن طلب الهداوي يشكل خرقا للتقاليد الاجتماعية والدينية . ولكن الهداوي أصر على الطلب ، وحيث أن أهل القرية لم يكن بمقدورهم مصارعة الهداوي بالعداء، لديهم أرسلوا رسولا منهم الى شيخ عشيرة « العدوان » يستشيرونه في الأمر . وكانت العدوان احدى عشائر غور الأردن ويطمحون الى رعاية البلقاء ، ولكنهم لا يستطيعون مقاومة الهداوي لقلة عدد رجالهم نسبيا . فنصح شيخ العدوان كاهن قرية الفحيص أن ينبئ الهداوي بقبوله زوجا لابنته ، وأن يستمهله شهرا من الزمن كي يعد جهاز العروس . وفي الموعد المعين جاء الهداوي ومعه كثيرون من فرسانه الى القرية كي يأخذوا العروس ، وأولم لهم أهل القرية وليمة كبيرة تحت الأشجار بعدما ربطوا خيولهم هنا وهناك . وأثناء اعداد الطعام ، عمد أهل القرية الى خيول الهداوي فأرخوا أحزمتها ، وجيء بالطعام وتحلق رجال الهداوي حوله ، ولكنهم لم يلبثوا أن هبوا غاضبين عندما ذاقوا اللقمة الأولى منه .. لقد كان خاليا من الملح ، والملح عند العرب يشكل أساس الضيافة ولا يجوز للقوم أن يغدروا بمن يذوق الملح عندهم . وفهم الهداوي أن القوم ينوون الغدر بهم فأسرع رجاله الى خيولهم ولكنهم لم يستطيعوا امتطاء ظهورها بسبب ارتخاء الأحزمة . وفي تلك اللحظة هاجمهم كمين قريب من فرسان العدوان بينما حمل عليهم أهل القرية أنفسهم . وكانت النتيجة أن سقط الهداوي ورجاله بحد السيف فلم ينج منهم سوى رجل واحد .

بعض الذين حاولوا مطاردته من اللحاق به . ولما كانت المباغتة من اهم العناصر لنجاح الغزوة ، فان وصول انباء الى مضارب العراقيين ليجنبهم كثيرا من امكانيات النجاح . وفي مثل هذه الحال يعمد الرعاة الى الارتداد بالمواشي والجمال نحو مضارب اصحابها على جناح السرعة ، بينما يستعد رجال القبائل لمواجهة الغزاة وصدهم . وهكذا ، بدلا من ان يحصل الغزاة على بضع مئات من الجمال كما كانوا يأملون ، اضطروا للنكوص على اعقابهم دون ان يغنموا سوى بضعة جمال شاردة . لم انهم تجنبوا الاصطدام مع رجال تلك القبائل لان اولئك كانوا اكثر منهم عددا .

طلائع من الجند يمنع ظهورها الغزاة ان يقتربوا من الآبار

لم يتمكن الغزاة من الوصول الى النهر ، وكانوا قد حسبوا في السابق حسابا لهذا الاحتمال وبنوا خطتهم على الاستقاء من آبار (الجيد) قريبا من الرطبة اذا كان الفشل حليفهم . ولكنهم عندما اقتربوا من الآبار ، شاهدت طلائعهم الى جانبها عددا من الجنود ومعهم بعض السيارات المصفحة، وبادر الى اذهانهم ان السلطات العراقية علمت بأمرهم فأرسلت هؤلاء الجنود لقطع الطريق عليهم . والواقع انهم كانوا على خطأ في ظنونهم ، لان اولئك الجنود كانوا تابعين لسلاح الطيران البريطاني ، ولم يكن لهم علم بتلك الغزوة ، وما كان يمكن ان يعترضوا الغزاة لو انهم تقدموا الى الآبار وتزودوا بحاجتهم من الماء. ولكن شعور الغزاة بالذنب جلب لهم النكبة ، اذ انهم اعتزموا بعد مشاورات عاجلة ، ان يواصلوا سيرهم باتجاه نبع ماء يقع على بعد مسيرة ثلاثة ايام الى الغرب . انهم لم يجرؤوا على ان يعودوا الى نهر الفرات الذي كان اقرب اليهم من ذلك النبع ، لانهم تصوروا انهم لا بد ان يصطدموا برجال القبائل التي كانوا في الاصل يحاولون نهب جمالها . اما الخطر في الاتجاه غربا فقد كان يكمن في الاحتمال الرهيب بان لا يكون هناك ماء في الموقع المقصود ، لان الغرب مورد آخر للماء كان يقع على بعد مسافة مائتي كيلو متر تقريبا .

الغزاة يزحفون الى الغرب

وقبل ان يبدأ الغزاة زحفهم من (الجيد) قاموا بتوزيع ما تبقى لديهم من ماء قليل بينهم ، وكان كل واحد منهم يعلم جيدا ان عليه أن لا ينتظر مساعدة من احد بعد ان يستهلك حصته من الماء .

نبع ولا ماء

عندما بلغوا الموقع الذي كانوا يقصدون، وجدوا ان اسوأ مخاوفهم قد تحققت ، فقد كان جافا لا ماء فيه ، واخذت الكارثة بخناقهم جميعا . وامام هذا الخطر الداهم انفرط عقد نظامهم وصاح شاب من زعماء الجماعة في وجه عودة محنق : « كنت احسب انك قائد مشهود . وها اني ارى انك لم تكن موفقا في هذه الغزوة . لقد فشلنا اولا في الحصول على الغنائم ، وها نحن الآن نواجه الموت عطشا » . وتمتم آخرون بعبارات يؤيدون فيها القول الثائر على قيادة زعيم الغزوة . واسود وجه عودة الصارم غيظا واستشاط غضبا، وامتدت يده الى بندقيته الملقاة الى جانبه . وكان قد رد على ذلك الشاب وهو يصرّ باسنانه : « لقد لعنت لا تعيش حتى تموت من الظمأ ايها اللعين » . ولكن معظما لصاحبهم ابيه قائلا : بحق الله لا تدعنا نبدأ معركة هنا . اننا نستطيع ان نفعل ذلك عندما نرجع الى بلادنا اذا قدر لاحد منا ان يعود » . وجاهد عودة حتى يسيطر على غضبه ثم قال : « حسنا انني اترك القيادة . ويمكن لكل واحد منكم ان يسلك الطريق التي يختارها وفي امكانكم اللحاق » .

عودة يمضي وحده مع ٢٥ من رجاله

بعد ان افترق القوم ومضت كل جماعة في سبيل منفرد ، لم يبق مع عودة سوى حوالي خمسة وعشرين رجلا من الرجال الامينين ، وعلى رأس هؤلاء سار عودة غربا وشبح اليأس يظلل الصحراء القاحلة . مضوا يقطعون الفيافي باقصى ما في طاقاتهم من جهد يقطعون الليل بطوله في السرى حتى يتجنبوا حرارة الشمس في النهار ويحاولوا ان ينالوا قسطا من النوم منذ الظهيرة . وتقلصت كمية الماء التي يتناولها احدهم الى ما يعادل فنجانا في اليوم كله . ونتيجة لهذا اصبح الطعام بغيضا

تعاله النحوس . وكان القوم قد خلفوا وراءهم كل ما كان زائدا عن الحاجة من متاع وسلاح وعتاد . ولكن سرعان ما اخذت جمالهم تصاب بالكلال والاعياء والعجز عن متابعة السير . وكلما سقط جمل عمدوا الى شق بطنه كي يعتصروا بقايا الماء في معدته . وكان في مقدورهم ان يستخلصوا ما يملأ بضع كؤوس من السائل القروي من احشاء الجمال التي سقطت اولا . ولكنهم بعد ذلك لم يعودوا يجدون سوى الدم . واضطر بعض الرجال الذين لم يفتصدوا في استعمال حصتهم من الماء ، الى ان يشربوا شيئا من الدم بعد ان بلغوا حد اليأس من شدة الظما . وكانت النتيجة قاتلة بالنسبة الى كل هؤلاء ، اذ كان يصاب الشخص بالحمى بعد شربه للدم بقليل ، ثم لا يلبث ان يصاب بهذيان ويتخلف عن رفاقه في الصحراء المهلكة .

وكلما سقط احد الجمال ركب صاحبه رديفا وراء احد رفاقه على ظهر جمل آخر . وكان ذلك اقصى ما يستطيعون عمله في تلك الظروف ، لان الجمل ما كان بمقدوره ان يحمل اكثر من اثنين بعد ذلك الجهد الشاق . وعندما تساقط المزيد من الجمال اخذوا يخلفون وراءهم صاحب الجمل المنكود ليواجه مصيره المحتوم تحت الشمس المتوهجة في تلك الصحراء الجافة القيسة . وحدث مرة او مرتين عندما كان البقية يمضون في سيرهم دون ان يلقوا نظرة الى الوراء لو يلفظوا بكلمة وداع للرفيق الذي خلفوه وراءهم ، ان كان يصك اسماعهم بعد تفاتق قليلة صوت طلقة نارية يطلقها البائس المتخلف كي يوفر على نفسه مزيدا من العذاب .

عودة يسعف ابنه محمدا

واستطاع محمد ان يمضي اربعا وعشرين ساعة دون ان يشرب ، بعد ان استنفد آخر قطرة من حصته . وبعد ذلك اعتراه ضعف شامل فانبأ اباه بانه لا يستطيع ان يواصل السير . وتطلع عودة الى ابنه بعينين مرهقتين واستطاع ان يهمس بشفتيه المشققتين الداميتين قائلا : تحامل على نفسك حتى حلول الظلام . ان الله واسع الرحمة.

ولم يشأ ان يعطي ابنه مزيدا من الايضاح . واستطاع محمد ان يجد في نفسه بقايا احتياطي من قواه الخائرة فصمد على ظهر ذلوله حتى غروب الشمس . وعندئذ انتحى به ابوه جانبا واخرج من طيات الرحل (مطارة) مملوءة بالماء كان قد اخفاها وحرص عليها . وملأ كل منهما فمه بالماء . ثم اعيدت (المطارة) الثمينة الى مخبئها حتى الليلة التالية .

وجاءت رحمة الله آخر الأمر

واخيرا بلغت تلك المسيرة القاتلة نهايتها عند بئر في الطرف الشمالي لوادي السرحان ، عندما حط عشرة رجال تشققت وجوههم وتقرحت اجفانهم واستطاعوا ان يرتووا من الماء مع حيواناتهم . وقبل ان تصل هذه المجموعة التي ظلت وفية لزعامة عودة الى مضارب القبيلة ، كانت قد فقدت اثنين آخرين من رجالها بتأثير العناء الذي لقياه اثناء ذلك الكابوس الرهيب . ومن مجموع الثلاثة والعشرين رجلا الذين قاموا بالغزوة ، لم يعد سوى ثلاثين بينما لقي الباقون حتفهم في الصحراء . ولقد ظلت اجساد اولئك الذين سقطوا عطاشا على الارض العراء لم تجد من يحفر لها ضريحا .

★ ★ ★

الخيل والجمال في معارك البدو

ويفضل البدو ان يقاتلوا على ظهور الخيول ، وهم يفضلون اناث الخيل الاصيلة على الاحصنة لانها اكثر طاقة وتحملا للمسؤولية ، ولذلك فهي اغلى واكثر اعزازا عندهم . وعندما يجتاز البدو مسافات طويلة من القفار التي لا ماء فيها ، فانهم يركبون الجمال ويقودون خيولهم ، وهم يخصصون لكل فرس ناقة حلوبا ترضع من لبنها في الصباح والمساء لكي تستغني بالحليب عن الماء . ومن العجيب ان هذه الرفقة الغريبة تتطور الى صداقة بين الفرس والناقة ، بحيث تتعرف كل منهما على الاخرى وتختصها بالعطف والمودة . وعندما

يقترب موعد المعركة يصعد الرجال الى الخيول فيركبونها ويتركون جمالهم وبغالهم مع احد الاتباع.

معركة تخسر بسبب حب البدو خيولهم والحرص عليها

وقبل حوالي قرن من الزمن ، خسر رجال قبيلة بني صخر معركة كبيرة بسبب حبهم لخيولهم المشهورة . وكان القتال قد نشب بين فريقين من سكان القرى هم العباد والبلقاوية . وهب بنو صخر لمناصرة العباد بسبب تحالف سابق معهم. وعندما اصطف الفريقان لخوض المعركة الفاصلة . كان العباد وحلفاؤهم الصخور اكثر عددا من خصومهم اهل البلقاء . وكان القرويون يقاتلون وهم مشاة، وقد تسلح معظمهم بالرماح والسيوف. مع ان كل فريق كان يعتمد على فصيل من حملة البنادق . اما بنو صخر فقد جاءوا الى ميدان المعركة على ظهور خيولهم وهم يحملون رماح الخيزران الطويلة وقد ربطوا ريش النعام تحت رؤوس الحراب . وعندما شاهد شيوخ البلقاء كثرة عدد اعدائهم شعروا بالقلق حتى ان رجلا متقدما في السن منهم رفع يديه الى السماء وقال : اليوم يوم البلقاء ..

والتفت نحوه شيخ شاب بعينين متقدتين وصاح فيه : اذهب والعب مع النساء اذا كنت تريد البكاء .. اننا هنا نقاتل لا لكي ننتحب ونولول . ثم التفت الى الآخرين وقال : اننا سنهزم حقا اذا قاتلنا صفا واحدا كما كان يفعل اسلافنا من قبل ، لان الفرسان سيلتفون حولنا ويهاجموننا من الخلف . هلموا الى تشكيل دائرة من الرماح والسيوف واجعلوا حملة البنادق في منتصف الدائرة . اما اذا انفصل اي رجل عن الدائرة دون ان يتلقى امرا بمهاجمة العدو ، فاني سأقتله بيدي هذه . دعوا معظم البنادق تتجمع في الطرف الذي سيشن عليه بنو صخر هجومهم ، ولتطلق البنادق على الخيول عندما تصبح على بعد خمسين خطوة لا اكثر . يقولون ان البدو يحبون افراسهم اكثر مما يحبون نساءهم ، لذلك سوف نرى كيف يتصرفون عندما يشاهدون افراسهم العزيزة تتساقط واحدة بعد الاخرى .

عندما بدأت المعركة ، اندفع فرسان البدو نحو خط البلقاوية ، ثم انحرفوا جانبا على بعد كاف من مرمى بنادق هؤلاء القديمة ذات الكبسولة الواحدة ، وكانت هذه الحركة محاولة منهم لكي يطلق البلقاوية طلقات بنادقهم فيكروا لمهاجمتهم قبل ان يتمكنوا من تعبئتها مرة اخرى بملح البارود . ولكن البلقاوية لم يطلقوا سوى عدد قليل من بنادقهم ، واحتفظوا باكثرها حتى عاد الصخور بعد الانتهاء من مناوراتهم فهجموا هجمة صادقة . وعندئذ واجهتهم موجة من الدخان وتساقط عليهم الرصاص كزخة البرد ، واصيب ثلاثون او اربعون من خيولهم الرشيقة فسقط بعضها في الفلاة وهي تصهل من شدة الالم ، وشرد البعض الآخر والدماء تنزف منها وقد فقد فرسانها السيطرة عليها . بعد هذا رفض بنو صخر ان يقوموا بهجوم ثان على خيولهم ، كما رفضوا ان يشتركوا في الهجوم مع مشاة العباد . وعندما ايقن العباد انهم لا يستطيعون الاعتماد على معونة حلفائهم ، انسحبوا من ميدان المعركة بعد مناوشة غلب عليها التردد مع رجال البلقاء .

السيارات والطائرات قضت على الغزو قضاء مبرما

لقد قضت الطائرات والسيارات على عادة الغزو قضاء مبرما . وكان هذا امرا طبيعيا ، لان الغزو في حقيقته كان يعتمد على عامل المفاجأة في الساعة الاولى ، ثم على الافلات بالغزاة بواسطة جمالهم من مطاردة رجال القبيلة المعتدى عليها .

على ان الحرب ما تزال هي الحرب ، ومثل الشعوب المقاتلة بروح القتال تعجب المحاربين الاشداء ، سواء كان سلاحهم بندقية الكبسول او قنبلة الذرة . ■

اقتباس : سليمان موسى
عمان ـ الاردن

نتيجة مسابقة العدد ٧٧

الأجوبة الصحيحة .. والفائزون بالجوائز ..

■ الرحل رقم ١ للراس حرف ب ،ورقم ٢ للراس حرف ح ، و ٣ لحرف و ، والرحل رقم ٤ للراس حرف ج ، ورقم ٥ لحرف د ، ورقم ٦ لحرف ا ، ورقم ٧ لحرف هـ ، ورقم ٨ لحرف ز .

هذه هي الاجابات الصحيحة .

وقد اسفرت عملية الاقتراع على الجوائز عن النتائج الآتية

الجائزة الاولى : وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها سعيد عيسى بن عوف ـ ص.ب ٨٩ بورت سودان ـ السودان .

الجائزة الثانية : وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها حسين سمس ـ ص ب ٢٤٩٤ بيروت ـ لبنان .

الجائزة الثالثة : وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها عبد القادر سعيد الفرهادي ـ مديرية التربية ـ اربيل ـ العراق .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، لكل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ عبد الناصر يوسف العلج ص ب ١١٨ الكويت

٢ ـ الدكتور احمد محمد شاهين ـ ٣ شارع صالح عبد الرحمن ـ حلمية الزيتون ـ القاهرة ـ ج.ع.م.

٣ ـ رابحة عبد الهادي ـ وهران ـ الجزائر .

٤ ـ محمد نادر علي دبس ـ اللاذقية ـ سورية .

٥ ـ مسلم بن صالح بن شحيل ـ مكتبة الشباب ـ البطحاء ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

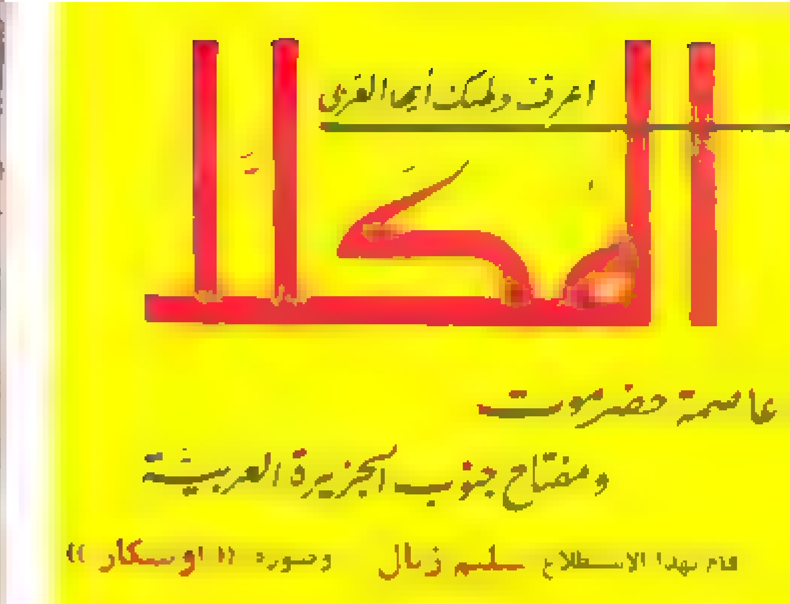
٦ ـ حمدي احمد ابو كبير ، مواطن اردني ، موسيع ـ المانيا العربية .

٧ ـ خالد عمر باحشوان ـ ص.ب.٢ ـ المكلا ـ حضرموت .

٨ ـ زين سعيد الزبيدي ـ مبمبحو ـ كينيا ـ شرق افريقيا

وسترسل الجوائز الى من فازوا بها.

■■



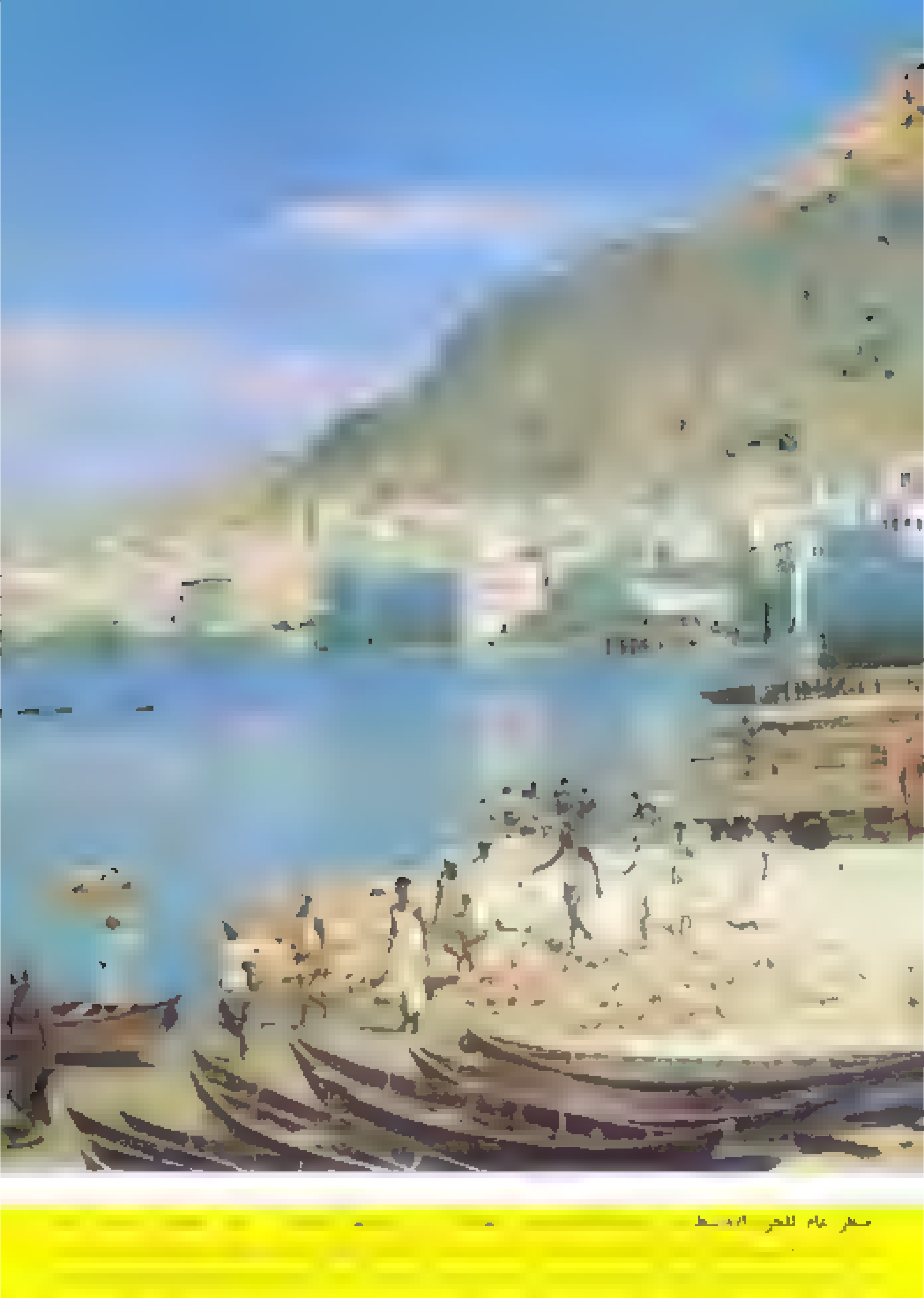
اعرف وطنك أيها العربي

المكلا

عاصمة حضرموت ومفتاح جنوب الجزيرة العربية

قام بهذا الاستطلاع **سليم زبال** وصوره «**أوسكار**»





منظر عام للبحر المتوسط [illegible]

هل نعرف ما هي حضرموت ؟ وفي أي مكان من الوطن العربي تقع ؟

سيجيبك الجغرافيون بأنها الأرض الواقعة في الزاوية الجنوبية الشرقية من بلاد العرب ولكنهم يختلفون في تعيين حدودها ، حتى ليمدها بعضهم من عدن غربا حتى عمان شرقا ، ومن المحيط الهندي جنوبا حتى رمال الربع الخالي شمالا ، بحيث تشمل بلاد المهرة ، وامارة الواحدي .

اما ابناء حضرموت نفسها فيقولون انها ارض الاحقاف .. ارض النبي « هود » و « عاد » الذين طغوا وبغوا وتكبروا وتجبروا ، واكثروا في الأرض الفساد ، وابوا ان يستجيبوا للدعوة الى الله . « فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما » على نحو ما جاء في القرآن الكريم .

ويتابع ابن حضرموت حديثه فيقول : لكأن لعنة الله على عاد وثمود قد امتدت الى جيلنا بعد مضي آلاف السنين . فنحن نعيش اليوم على مقربة جبلية جرداء ، ليس لها مثيل في الفقر



ظلت الحضارة العربية الجنوبية حية قوية حتى نقلت الطرق التجارية من يد العرب فذبلت تلك الحضارة وقضي عليها . واليوم تقبع بعض آثار دول معين وسبأ وحضرموت وقتبان داخل اكياس بلاستيكية مقفلة في انتظار اعداد متحف المكلا ، وتكملة التنقيب عن الآثار المطمورة تحت الأرض

والقحط ، ولا تصلح للعيش في معظم اجزائه حتى ان بعضنا أصبح يعتقد ــ لفرط ما عاش في ضنكه ــ انه اذا اشتد البلاء وزاد الحرمان فان هذا سيجر حتما الخراب والدمار ! مرة ثانية! واسم بلادنا نفسه مشتق من حضر الموت ! »

ويبدو ان هذا الاعتقاد وذلك التشاؤم كانا من اهم الاسباب التي دفعت بالحضارمة الى الهجرة جماعات من بلادهم فاستوطنوا الشرق الاقصى وسواحل افريقيا .. حتى أصبحت حضرموت شبه خاوية من ابنائها العاملين .. ويقدرون عدد هؤلاء المهاجرين بنحو ١٢٠ الف حضرمي تركوا البلاد على مر السنين ..

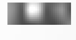
حروب المائة عام

ولا شك انه مما اورث حضرموت هذا الفقر والقحط ، والمجاعة ، تلك الحروب التي استمرت بين قبائل حضرموت قربا من الزمان ، والتي انتهت باضعاف البلاد ، والقضاء على كل ازدهار . ومن جرائها انقسمت حضرموت الى قسمين ، لكل منهما سلطانه ، وقوانينه ، وانظمته ، وجنوده ، وحدوده التي لا تظهر الا وحولها جامعو الضرائب والجباة !

الكثيرية ... والقعيطية

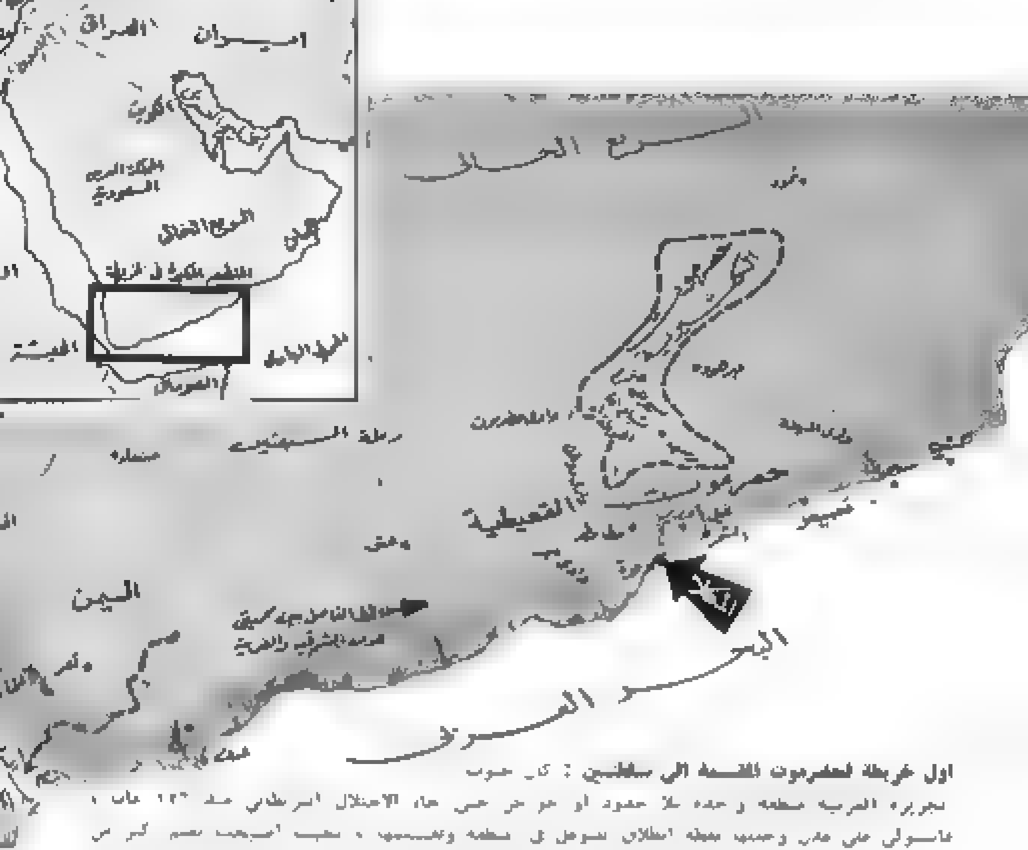
والقسمان هما : «سلطنة حضرموت الكثيرية» نسبة الى قبائل آل كثير ، وهي الجزء الداخلي الشمالي من حضرموت ، وعاصمتها سيئون وسنقدمها في استطلاع آخر قريب ..

اما الجزء الجنوبي الممتد على طول الساحل فسلطنة حضرموت القعيطية ، نسبة الى الثري الحضرمي ، عمر بن عوض القعيطي ، الذي كان هاجر الى حيدر اباد بالهند . ثم استقالت به قبائل يافع بحضرموت لتنصرها ، وامدها بالمال والجنود حتى انتصروا في الحروب عام ١٢٧٥هـ ، (١٨٥٨م) . واعترافا بجميله جعلوه سلطانا عليهم ، وجعلوا الحكم من بعده لذريته ، ونسبوا سلطنتهم اليه . والمكلا ، التي نقدمها اليوم ، هي عاصمة حضرموت القعيطية .



انها مدينة ذات وجهين ..

القادم اليها من البحر يبهره جمالها ، ويقف



اول خريطة لحضرموت المقسمة الى سلطنتين : كل حدود [illegible]

ماخوذا امام روعة مآذنها ومبانيها البيضاء «التي ترتفع طوابقها الخمسة على حافة مياه بحـــر العرب الزرقاء ، الذي هو جزء من مياه المحيط الهندي ..

ولكن هذا القادم ما يكاد يدخل المدينة حتى يصدمه واقعها الأليم ! فشوارعها يغطيها التراب وليس فيها شارع واحد معبد ! وازقتها تشـالفي ازقة مدن ولحج ، فهي شبيهة بالزرائب لكثرة ما تحويه من دجاج واغنام وماعز ، تأكل كل مـــا يصادفها حتى فضلات الورق والقماش !!

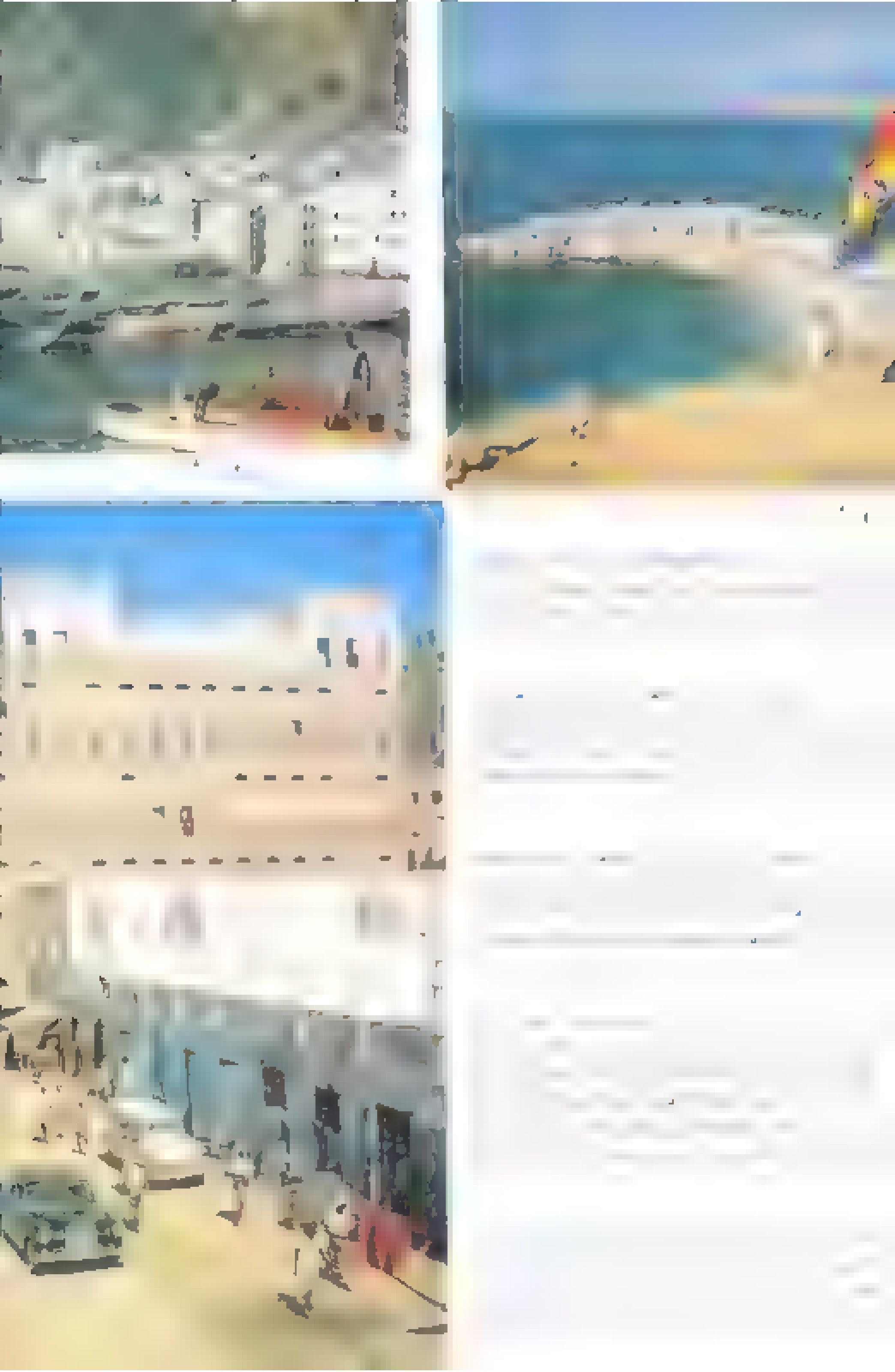
والى جانب هذا يحتل الأموات اجمل منطقـــة في المدينة ، فيضيقون الحياة على الاحياء !

وتتشابه المكلا مع « الصبيحة » في اليمن في خلوها من الحدائق والاشجار والورود والازهار..

مدينة بدأت بضريح !

والمكلا ليست بالمدينة القديمة ، وانت لا تجد بين الرحالة والمؤرخين القدامى من يذكرها او يشير اليها .. فقد بدأت اول ما بدأت قرية للصيادين يقصدونها في مواسم معينة في كل عام، ثم جاءها رجل صالح يدعى الشيخ يعقوب بن يوسف عام ٥٢٣هـ. (١١٥٨م). فعاش فيها الى ان مات ودفن في ضريحه المعروف باسمه الى اليوم . ومن مختلف البلاد بدأ تقاطر الناس لزيارة هذا الضريح ، والتبرك به ، ودفن الموتى بجواره .. والى جانب القبور اقاموا الاكواخ ، ثم المباني وظلت المباني تتكاثر حتى كونت حيا يعرف اليوم باسم «البلاد» وهو اول حي ظهر في المكلا.

وكثر نزوح اهل المدن المجاورة الى المكلا فجاء







آل جديلي من منطقة يافع عام ٩٨٠هـ. (١٥٧٢م). غلبا الترك فاصبحوا قضاة وحكاما للمكلا .. ثم جاء النقيب سالم الكسادي ، فاقام فيها وبنى الحصن الكبير المعروف باسمه .

وازدهرت المكلا وامتدت وتمصلت بالتجار ورجال الاعمال حتى نافست جارتها « الشحر » الميناء القديم ، وتفوقت عليه .

واتحد « الكسادي » مع عمر القعيطي ، وقد سبق ذكره ، وخاضوا غمار الحروب جنبا الى جنب ضد آل الكثيري . ولكن عام ١٨٧٣ م دب الخلاف بين الكسادي والقعيطي بسبب دين للقعيطي قيمته ١٠٠ الف ريال ، فاضطر الكسادي للتنازل عن نصف المكلا مقابل هذا الدين ..

ولكن الخلاف والمعارك ظلت محتدمة بينهما ، واشتكى القعيطي لحكومة الهند فارسلت بارجة حربية نقلت الكسادي مع اسرته ، بعد ان هدمت نصف المكلا .. ومن هناك انتقل الى زنجبار في عام ١٨٧٧م ليعيش فيها . ومن يومها والمكلا تحت الحكم القعيطي .

معاهدة الحماية مع بريطانيا

وفي عام ١٨٨٨م عقدت معاهدة الحماية مع بريطانيا .

وبعد خمسين عاما ادرك البريطانيون ان شروط المعاهدة لم تعد تلائم وروح العصر ، فابرموا معاهدة ثانية في عام ١٩٣٧م عينوا بموجبها مستشارا بريطانيا هو صاحب الرأى الأعلى في جميع الامور ما عدا المسائل المتعلقة بالدين وعادات البلاد ..

بين الأمل الحلو .. والواقع المر

ونترك التاريخ القديم لنفسح المجال للحديث عن المكلا بعد ٩٠٠ سنة من بنائها ، اي عنها اليوم في اواسط عام ١٩٦٥ .

ان المكلا تمر باصعب وادق فترة في تاريخها .. انها فترة التنقل ، يتصارع فيها الماضي والحاضر وتتشابك فيها الامل والوعي والاصطدام بمرارة الواقع من تأخر ، وتردد ، وتكبلات ترج البلاد رجا دون ان تجد ما يوقفها ..

حديث النفط

ان المكلا ، ومعها حضرموت كلها ، تعيش على الأمل ... الأمل في اكتشاف آبار النفط في البلاد .. فهناك ، في منطقة ، تبعد نحو ٣٠٠ ميل شمال المكلا ، اختلطت اصوات القوافل وحداء الجمال باصوات الحفارات الضخمة وهي تثقب الارض الصخرية بحثا عن الذهب الاسود .

ان كثرة الحديث عن النفط جعلت الناس يخرجون عن اتزانهم ، فيتحدثون عن النفط وكأنه انبثق فعلا ! ولكن سرعان ما تصطدم الاماني بالواقع ، وهو عدم العثور على قطرة نفط واحدة حتى الآن . ويهمس بعضهم الى بعض : انها السياسة اللعينة تتلاعب وتفرض علينا هذا التلكؤ والتأخير في الكشف عن السائل الثمين ، الذي اكد لنا بعض الخبراء انه موجود وانه من اجود انواع البترول في العالم .

يجمع المكفوفون واجتمعوا في حصة خاصة بهم ، عددهم ٢٨ نفرا [illegible] في [illegible] ، [illegible] واحدا منهم [illegible] تعلم في مدرسة المكفوفين بعدن ، وهو الذي يجوع [illegible] بالوان وأوراق [illegible] [illegible] في حاجة الى مدرس ، [illegible] حاجتهم الى الادوات الكتابية الخاصة بالمكفوفين



المدينة القديمة، و « [illegible] » ... انها تبدو من الارض بعيدة من طرف [illegible] الشرقي الى داخل المحيط ، وتبدو فيه القصر [illegible] تماما ، [illegible] جنوب [illegible] على [illegible] حوله المدينة [illegible] الى سكرتارية الحكومة، وادارة الجمارك، والمحاكم الشرعية، والادارة الرئاسية كلها تلتف حول القصر"

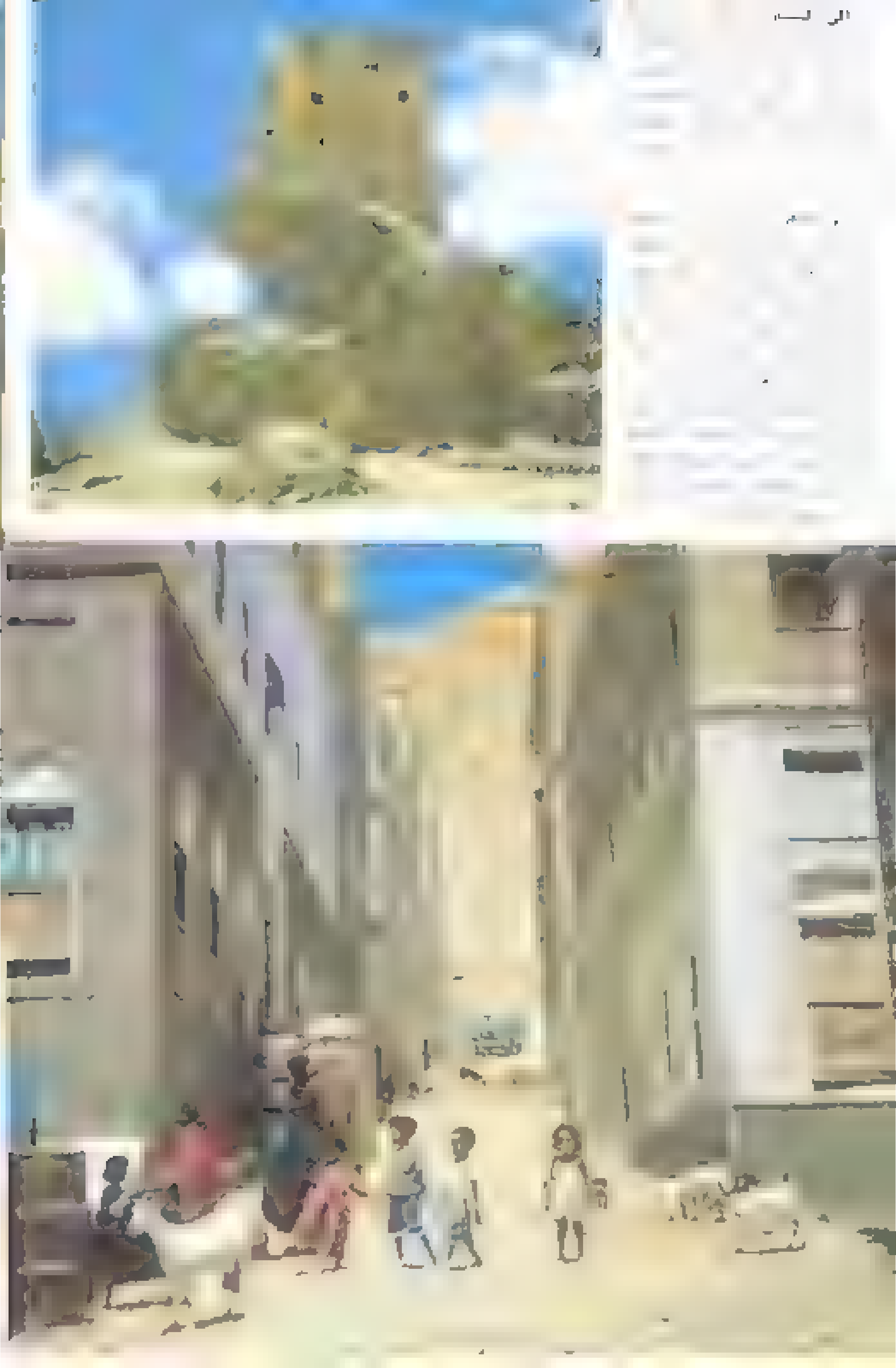
ان الحدود بين السلطنتين القعيطية والكثيرية لم تكن مرسومة في يوم ما ، كانت البلاد كلها وحدة واحدة .. ولكن احتمال وجود الذهب الأسود جعل رسم الحدود امرا ضروريا .. ومن هنا نشب الخلاف بين الطرفين على بعض الاجزاء ، اذ ان فكرة التنازل عن بضعة كيلومترات في هذه المناطق النائية التي لم يكن يسكنها احد ، تعني في وقتنا الحالي التنازل عن ثروة اي ثروة !

وحلا للخلاف اصبحت المناطق المتنازع عليها مناطق محايدة ، تقسم ثرواتها : الثلثان للسلطنة القعيطية والثلث للسلطنة الكثيرية .

قصة عمرها ثلاثون عاما !

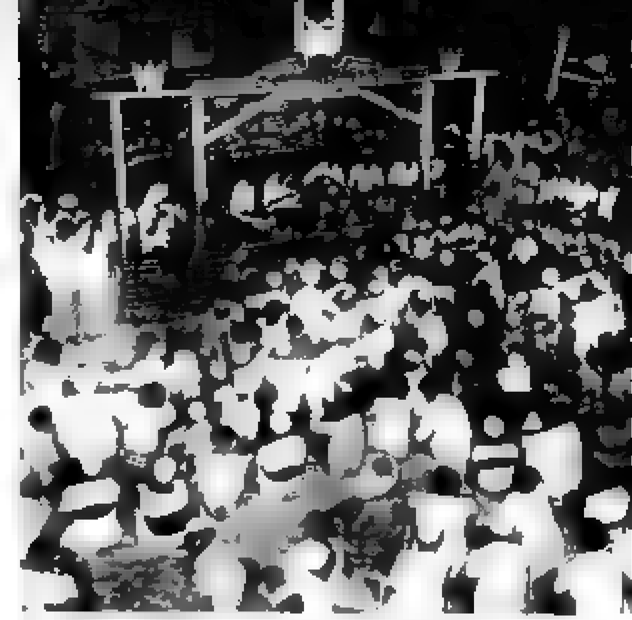
بدأ قصة النفط في حضرموت منذ نحو ٣٠ عاما ، عندما قامت شركة P.C.L. اي Petrolium Concession Limited للبترول باجراء عمليات مسح جوي وجيولوجي في المناطق الشمالية للبلاد .. وبعد مضي ٢٥ عاما كاملة اختلفت الشركة مع حكومتي حضرموت اللتين سحبتا منها الامتياز ، ومنحتاه في عام ١٩٦١ لشركة « بان اميركان » للبترول .

وجلسنا الى المسؤولين في الشركة نستوضحهم



مجمعيره ... او المجبس الذي يجمع ...
مع بعض الحلوى والمكسرات ... أن ال...
سوق سوداء تباع فيها وحاجة النكهـ...





فرح في الهواء الطلق ، يمضي العريس فوق منصة مذهبة تمتد خصيصا في الميدان الكبير ، والى جانبه فرقة موسيقى ... وصحبة مسبية فخمة بجوارها الاهل والاصدقاء فيجمع كل منهم ما يشرع به للعريس ، ويحيون به ... "سمعك" يا معرس ، اي مساهمة ودي مساعدة في دفع تكاليف الزواج ، وعليه ... رده عند فرح المعطي

اسباب تأخر ظهور النفط حتى الآن ، فقالوا

• ان البحث عن النفط عملية معقدة ومتعبة وخاصة في بلاد مثل حضرموت ، حيث لا يوجد ميناء كبير ، أو حتى طريق معبد واحد يؤدي الى مناطق الحفر الجبلية التي تبعد أكثر من ٣ ميل من المكلا

• ان نقل أدوات الحفر الواحدة منها ... طن ليس بالعملية السهلة في ظروف كهذه ، وقد جربنا ذلك في البداية ، فسحبت آلة حفر وزن مائة طن من المكلا الى الداخل ، فكانت النتيجة كارثة وصلت الآلة الى مكان الحفر وهي مفككة مكسرة لبعده ووعورة الطرق

• لهذا عمدنا الى نقل معداتنا عن طريق ساحل عمان في الشمال ، ثم نرسلها بها حوت ... بمحاذاة رمال الربع الخالي الرهيب ، حتى توصلها في النهاية الى اماكن الحفر الساحقة بين الجبال

• انها عملية طويلة ومرهقة للغاية ، تقوم بها لاست شركة لتجربة التنقيب للعثور على النفط تلهث بناء ابعد احلامهم ، ولكن مصاعب الطرق والبواقي والمعر هي السبب ... ولا تنسوا ان ما وجدنا في البئر الاستكشافية لمايه نفط ... وان الثلاث سنوات ليست بالفترة الطويلة في عمليات البحث عن النفط ... ولكن حاجة الناس جعلت الثلاث السنوات تبدو وكأنها ثلاثون سنة »

موارد الميزانية ... ومصارفها

والى ان تظهر الثروة النفطية تعمد الحكومة الى الضرائب تفرضها على جميع الواردات بنسبة ١٠٠ ٪ على المواد الكحولية ، و ٢٠٪ على الكماليات و ١٥٪ على الضروريات ، حتى تغطي مصاريفها وتسد ارقام ميزانيتها المتواضعة التي لا تزيد على ٨٥٠ الف جنيه استرليني ، ولكنهم تفخيما للرقم يحولونه الى شلنات فيقولون ... الميزانية ١٧ مليون شلن !

والشلن المذكور هنا هو شلن شرق افريقيا الذي ظل العملة الرسمية في المكلا وحضرموت حتى مطلع شهر ابريل (نيسان) ١٩٦٥ ، ثم استبدل بالدينار والفلس ، وهمـا عملة الجنوب العربي

... لشرب اقداح الشاي من «السماور»
... ات قمرمان» ولكن هذا لا يمنع قيام
... ية بديبار و بحارجية نحيبة



محطة الجمال . . . راك الجمال تحمل البضائع الى حضرموت الداخل ، وهي اسير ... الآخرون ... ورغم هذا في محطتها ... الشرق ، خارج باب ... في منظر ... سيارات ... دخلوا ... الارز والسمن و السكر ... داخل ... ٣ ... !!

الجديدة الممنوحة بالاسترليني ، والقابلة للتحويل اليه ..

واعتمادا على هذه الميزانية العرجاء يتحتم على الحكومة ان تواجه مطالب الشعب : فتشق الطرق وتقـــدم الخدمات الطبيـــة ، والتعليمية ، والاجتماعية ... الخ .

لقد عرف الوعي طريقه الى حضرموت والتفتت الاذهان الى المطالبة بحياة افضــل تليق بانسان القرن العشرين .. ولكن جمود ارقام الميزانيـــة جمدت معه جميع مشروعات التنظيم والاصـــلاح وجعل وعودها كلها وعودا عرقوبية ..

اول وزارة من ابناء البلد

والمسئول عن صرف هذه الميزانية هي حكومة السلطنة القعيطية التي يرأسهـــا – لاول مرة – وزير من ابناء حضرموت هو احمد محمد العطاس الذي تقلد منصبه منـــذ عشرة اشهر فقط مع مجموعة من الوزراء من ابناء بلده ، بعد ان كانت المناصب الوزارية في السابق مسندة الى نفر من غير ابناء البلد . فمثلا كان الوزير الاول هنديا ، يدعى جهان خان ، وكان وزير الداخلية انجليزيا .. ووزير المالية باكستانيـــا ، ومدير المعارف سودانيا ..

ان مسئولية الحكم تقـــع اليوم على الوزير الاول ، لان الســلطان اصبح في وضع يمكن ان يقال عنـــه انه يملك ولا يحكـــم ، فمجلس الدولـــة باعضـــائه الـ ١٧ المعينين ، ومجلس السلطان باعضائه الخمســة المختارين من اعضـــاء مجلس الدولة ، هـــم المسئولون عن التشريع والقوانين وتسيير الامور في انحاء السلطنة ...

وخلف كل هؤلاء يقـــوم المستشار البريطاني الموجود طبقا لاتفاقية عام ١٩٣٧ وان كانوا يقولون ان « الوعد الاكيد » بمنح الاستقلال لحضرموت قبل عام ١٩٦٨ يجعل مهمته شبه منتهية .. هذا اذا صدقت الوعود ، وحسنت النيات !

حديث صريح !

وفي جلسة مع الوزير الاول احمد محمـــد

ساعدوهم لنقلهم من الجهل والظلام الى العلم والنور



العطاس سألناه ان يحدثنا عن الآمال والآلام وواقع حال البلاد فقال بصراحة عجيبة :

« ستشهدون خلال تجوالكم في المكلا نهضة عمرانية ، وحركة تجارية يقوم بها افراد من الاثرياء والعائدين ... ولكن لا تغركم الظواهر ، فالمكلا ما هي الا صورة مضللة لواقع حضرموت الممتدة على الساحل والى الداخل حيث يتلمسنا كل شيء ! فالخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية شبه معدومة .. ودخل الفرد ينخفض الى ادنى حد في العالم !

« والى جانب هذا تحيط بنا الكوارث والنكبات من كل صوب .. فنكبة الحضارمة في المهاجر وعودتهم الى بلادهم ، قلبت جميع الموازين في البلاد ...

« فالسفن تحمل الينا الالوف من المهاجرين الحضارمة العائدين بعد ان صودرت ممتلكاتهم واموالهم واراضيهم ، في كل من اندونيسيا ، وجوا ، وكينيا ، وتنجانيقا ، وزنجبار .. حتى الصومال بدأت فيها حركة لسحب التراخيص من تجار التجزئة والقبض من الحضارمة ..

« ولكننا نحمد الله على ان الحضرمي لا يستطيع ابدا ان يجلس قليلا في بلده ، تجده يعود للنية الى الهجرة والترحال .. حتى اصبحت اهم صادراتنا هي الجنس البشري .. نصدره على السفن والطائرات من موانيء المكلا ، بمعدل سنوي يبلغ عشرة آلاف حضرمي ، كانت وجهتهم في الماضي نحو الشرق الاقصى وسواحل افريقيا .. اما اليوم فانهم يتجهون الى بلاد اخوانهم العرب في السعودية والخليج العربي وغيرهما ..

حتى المحصول الرئيسي اغلقت في وجهه الأسواق

ويتابع الوزير الأول حديثه فيقول :

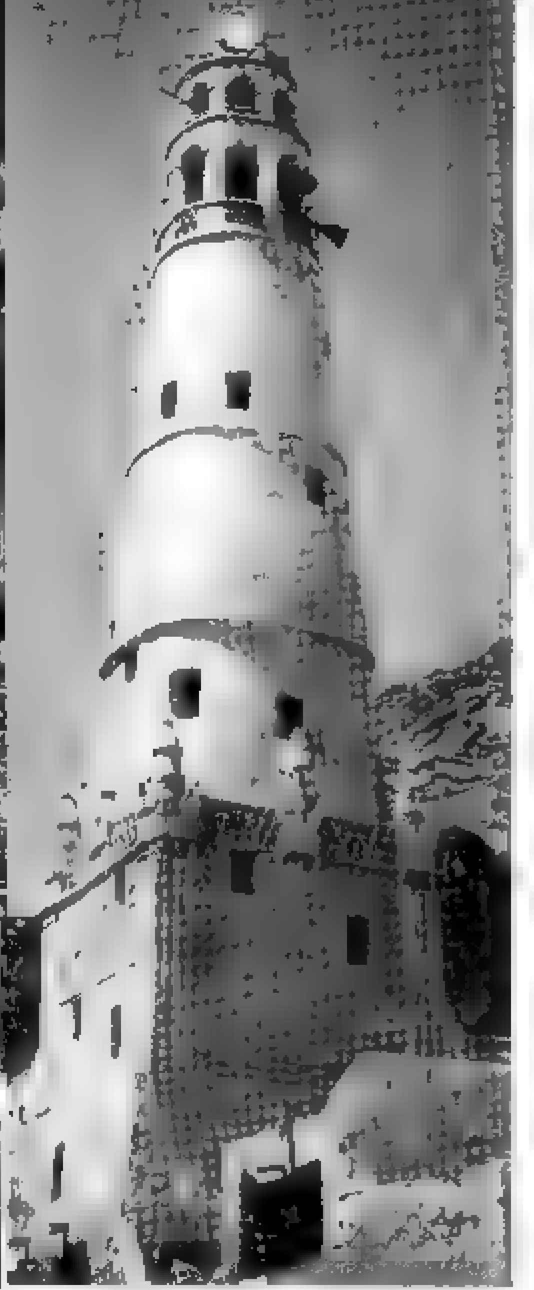
« اما نكبتنا الثانية فتتمثل في التمباك محصولنا الزراعي الرئيسي ، الذي كان تصديره كله متجها الى الجمهورية العربية المتحدة واليمن ... وبعد ثلاث سنوات بدأت الكمية المصدرة منه تنخفض حتى هبطت الى الحضيض بسبب قيود الاستيراد الجديدة في البلدين الشقيقين ، وكانت هذه ضربة قاسية للمزارع الذي كسدت تجارته ، وبارت بضاعته بسبب اغلاق الاسواق في وجهه .

ويستطرد الوزير الاول في حديثه فيقول .

« ثم ان زيادة الوعي ، دون اي زيادة في الدخل ، اوقعتنا امام اصعب المشاكل ، فمتطلبات الحياة العصرية المرجوة ، وتوفير مختلف الخدمات للشعب ، كل هذا يحتاج الى اموال طائلة لا نملكها .. فمثلا عندنا طرقات طولها اكثر من الف ميل ما تكاد الامطار والسيول تهطل حتى تذهب بمعظمها لأنها طرق تحتاج الى تعبيد ورصف ..

صناعة النورا او الجير : فيها يقطع الاحجار من الجبل ووضعها داخل الافران لمدة ١٠ ايام قبل استعمالها .. ومن الغريب ان النورا لا تستعمل في طلاء المباني فقط انما تؤكل مع التنبول ، وهي ورقة شجر خضراء كبيرة جاءت من الهند ، يضعون عليها اصنافا غريبة مرة ومالحة مثل : الفوفل والنورا والكاد والهيل ثم يأكلونها ، مما يصيب الاسنان واللثة بالسواد





مئذنة جامع الروضة الدائرية البيضاء المرتفعة عند شاطىء البحر وكأنها ترحب بالقادمين الحاملين تأشيرة الدخول ! اما بقية مآذن المساجد فتزدحم مباني المكلا بحسب اقدمها

« ان اهـــم ما ينقصنا هو الدراسات اللازمة للاستفادة من ثرواتنا ، وهذا ما نحاوله حاليا ، فقد بدأنا مشروع لحصر كمية سمك السردين الموجود في مياهنا بكثرة ... وهناك مشروع للزراعة في شبام تقوم به شركة اهلية .. » .

وينتقل الحديث الى البترول فيقول الوزير :

« يهمني ان اقول لك ان ما يشيعه البعض من اننا نرفض الوحدة والاتحاد مع بعض جيراننا بسبب احتمال ظهور البترول في بلادنا ، ما هو الا محض كذب واختلاق .. فنحن طلاب وحدة وتوحيد نؤمن بها رأيا ، ولا تفرض علينا ، اما عقيدة نظرة الانانية الضيقة نحو البترول فلم تكن ابدا من صفات ابناء حضرموت الكرماء ، ان الخير — اذا اتانا — البترول يفيض ليشمل كل اخواننا وجيراننا »

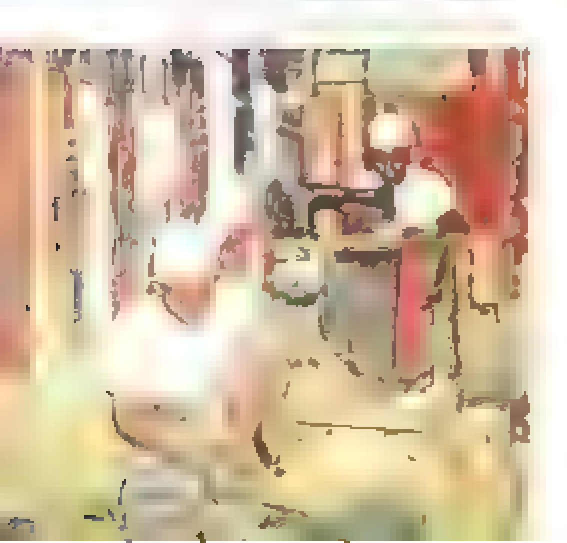
اندية الشـــباب

وخرجنا من عند الوزير الاول وشمس الاصيل تتوارى خلف صخور الجبال العالية التى تحيط بالمكلا .. ان الحركة في المكلا تهدأ بعد الغروب .. فالمدينة ذات الثلاثين الف نسمة تنام مبكرة ، فيتجه التاجر الى منزله ، ويتجه الشباب الى انديتهم الرياضية الثمانية ليلعبوا « الكوتشينة » ، وتنس الطاولة ، والكيرم (البلياردو الياباني) ، ويتمرنوا في النوادي على رفع الاثقال ، ولكن في داخل الغرف الضيقة ، ان المبنى ضيق ... والزحام شديد ، والامكانيات غير متوفرة .. اما الاشتراك في النادي فشلن واحد شهريا ، يدفعه العضو القادر !!

وفي هذه الاندية شهدنا شبابا صوتنا .. عنده استعداد هائل لتطوير نفسه ، ومجتمعه وعاداته وتفكيره .. انما تنقصه المادة ، والمجال ، والقيادة الموجهة لطاقاته ..

السينما في المكلا

وجاءوا الينا باحد الشباب فيما يسمعنا تقليدا لحوار من فلم سينمائي ، وظننا انه سيتوقف بعد القاء قطعة من الحوار ، ولكنه استمر في تقليد اصوات الرجال والنساء والاطفال .. وحتى الاغاني اسمعنا اياها !! ودهشنا من هذه الذاكرة القوية التى استوعبت حوار فلم باكمله مع





نعم الله على حضرموت



المكلا مدينة صغيرة مزدحمة بالسكان لم يستطع أحد أن يحصي عددهم بالضبط وفي عام ١٩٦١ حاولو القيام بعملية إحصاء فيها ، ولكن [illegible] الإحصاء [illegible] على كل مواطن [illegible] الإحصاء [illegible] المسؤولون عملية [illegible] الى [illegible] نسمة في ذلك الوقت

ثانية .. وفي نفس الوقت اندهش المجتمعون من دهشتنا وقالوا : هذا شيء عادي هنا .. فالشباب شغوف بالسينما شغفا زائدا !

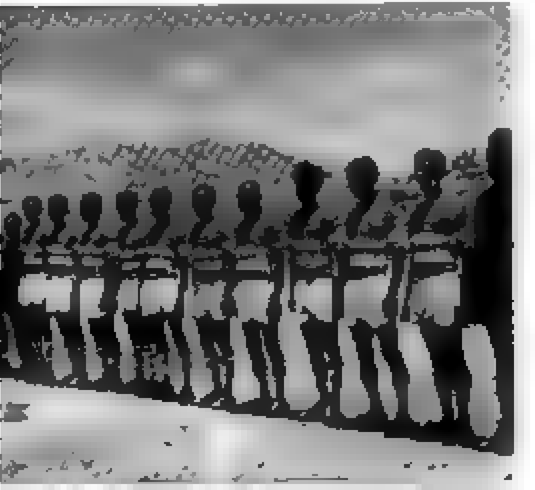
قلنا : لا بد أن عندكم الكثير من دور السينما ..

فنظر بعضهم الى بعض وأجابوا : عندنا ساحة قصر السلطان يجلس فيها المتفرجون على الأرض لمشاهدة العرض السينمائي ! اما دور السينما فلا وجود لها في المكلا .. والسماح بعرض الافلام يحتاج الى أيام وأيام .. ولا تعطى تراخيص عرض الأفلام الا للحفلات الخيرية لصالح الأندية والجمعيات .. وهذه تقوم ببيع التراخيص لأحد صاحبي جهازي العرض الموجودين في المكلا .. فيقوم بعرضه في ساحة القصر .. ولا يستمر العرض حسب الاقبال ، انما تحدد المدة من قبل هيئة المراقبة التي تراقب الفلم ، وتقطع منه ما تشاء حسب مزاج اعضائها الكثيرين المكونين من ممثلين عن القضاء ورجال الدين والمعارف والشرطة والسكرتارية .

وأمام مجلس الدولة القعيطي عشرات الطلبات لفتح دور للسينما ، ولكنها كلها مؤجلة بحجة أن الناس فقراء ... وبحجة ان مشاهدة السينما تتطلب مالا .. والحصول على هذا المال يدفع بالشباب الى السرقة .. والسرقة تؤدي لارتكاب الجرائم ، وارتكاب الجرائم يقطع المجتمع ويتلفه !!

وهكذا يكون ليل المكلا موحشا كئيبا مملا في الأيام العادية .. ولكن الحال ينقلب أيام رمضان حيث يتحول الليل الى نهار ويبدأ الحياة من بعد الفطرة مساء ، ويصبح النوم حراما !!

ترى المكلا من [illegible] الروابي المحيطة ؛ وفي المكلا ٨ فرق رياضية [illegible]



هذا هو الجيش [illegible] الشباب الذي تعتمد عليهم البلاد [illegible]
[illegible] لا يستطيع احد [illegible]
[illegible]

مجتمع توقف .. يتهيا للوثوب

ومجتمع المكلا مجتمع غريب .. فهو ليس بالمجتمع المتأخر .. وهو ـ طبعا ـ ليس بالمجتمع المتقدم ... وفي نفس الوقت ليس بالمجتمع الوسط .. انه مجتمع متوقف عن الحياة لفترة من الزمن !! متوقف استعدادا لقفزة يخرج بها

« حضارة المكلا » [illegible]
[illegible]
[illegible]



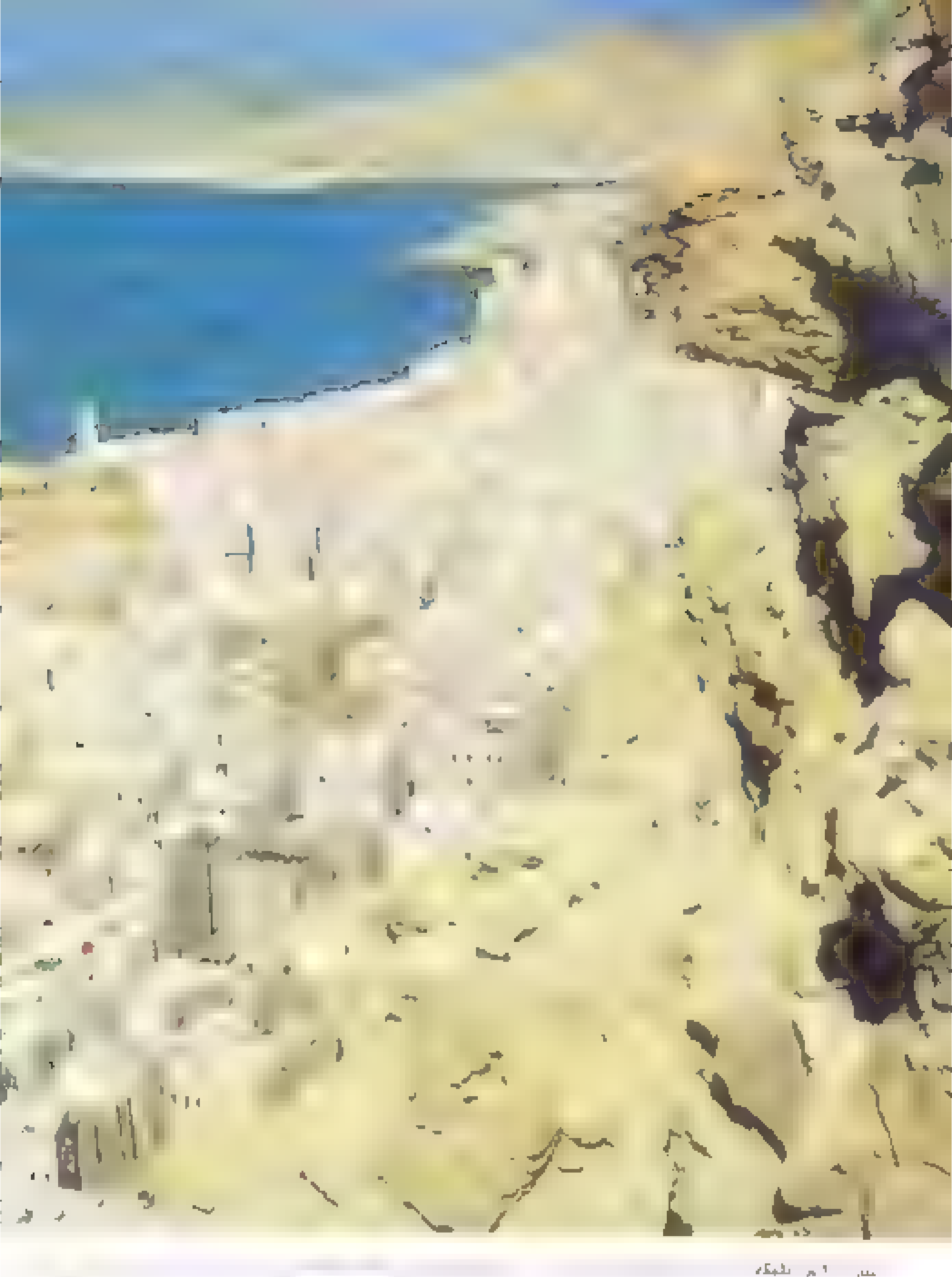
من الجمود والسلبية ، الى الايجابية والنضال في سبيل مجتمع افضل .

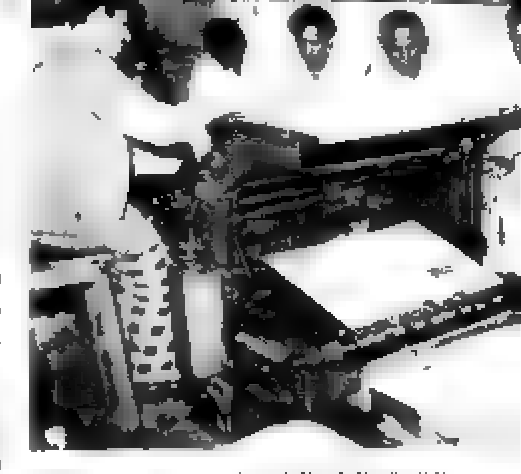
ان الصحافة الثائرة في هذا المجتمع المعطل تعكس وراءها صراعا فكريا صاخبا بين الشيوخ والشباب الذين يعيش كل منهم في واد الشيوخ يعتقدون بأن الشباب متطرفون متطلعون .. والشباب المثقف الذي تعلم في بعثات في الخارج حائر .. يريد تطبيق ما شهده وتعلمه ولكنه لا يستطيع ، فامامه عراقيل وعقبات متمثلة في التقاليد والعادات .

وتشترك الصحيفتان المحليتان في وصف ونقد هذا المجتمع فتقول جريدة « الرأى العام » :

« في مجتمعنا [illegible] ولا انطلاق ، ولا تقدم ولا [illegible] »

وتكتب جريدة « الطليعة » عن الفراغ العجيب في هذا المجتمع حيث يهاجر الرجال ويتركون النساء وحيدات في المنازل . وتمضي الجريدة لتحكي خبرا [illegible] سيعود . وضربت الفرحة القلوب الثلاثة المشوقة [illegible]





الطليعة والرأي العام : الصحيفتان الاسبوعيتان في المكلا ، الاولى صدرت عام ١٩٥٩ والثانية عام ١٩٦١ . وتفتقر المكلا الى مصنع [illegible] [illegible] بعد [illegible] ويرى هنا الاستاذ احمد عوض باوزير رئيس تحرير « الطليعة » [illegible] مع زملائه من طبع الجريدة في مطبعتهم [illegible] ونظرا [illegible] توزع [illegible] في الخارج [illegible] انها صحافة [illegible] على [illegible]

الى اسفل : تبيع مزرعة الدواجن الوحيدة في [illegible] قرب المكلا [illegible] على [illegible] نوع من الدجاج لاختيار السلالة المناسبة لجو البلاد ، فنجح نوع « لوهورن » فقط .. وتنتج المزرعة حاليا ٦ آلاف بيضة في الشهر الواحد ، بينما تستهلك حضرموت كلها نحو ١٢ مليون بيضة في السنة تستوردها من الخارج ، ويجري العمل لتوسيع هذه المزرعة وتكبيرها



واجهة [illegible] التي [illegible] اولادها الا بزوج [illegible] وقد أوصت بوعدها ، ولم [illegible] والعجب ان زوجته التي انتظرته اكثر من ثلاث عشرة سنة وهو بعيد عنها في المهجر [illegible] لقد سافر بعد [illegible] اسابيع وكان في كل شهر يرسل لها مبلغا من المال يعينها على تحمل [illegible] ومضى [illegible] طويل ثلاث عشرة سنة مضت من عمرهم كانوا يعدون الايام ، والاشهر ، والسنوات ، ويتساءلون في لهفة متى سيعود [illegible] متى [illegible] الجواب المفرح .

عودة المهاجرين تحدث ازمة

ان عودة المهاجرين من بلاد المهجر باعداد كبيرة ادخلت الى مجتمع المكلا دما جديدا .

فالمهاجر القادم مع اسرته من بلد متحضر لم يقبل ان تضع زوجته « الكندورة » (الحجاب) الاسود على وجهها « والشادلة » (الملاءة) السوداء فوق ملابسها .. بل سار في الطريق مع زوجته وبناته السافرات .. وشاهد بعض المتزمتين مثلا « العجوز » فثارت ثورتهم واصروا على ضرورة « تطبيب » النساء داخل الكفن الاسود الثقيل .. مع سيرهن بمفردهن ، اذ ليس مسموح للسيدة ان تسير في الطريق بصحبة رجل ، حتى ولو كان زوجها ! انما عليها ان تسير امامه او خلفه دون ان تحادثه !! والوقت الوحيد المسموح لها فيه بالسير مع زوجها هو في شهر رمضان والاعياد .

واحست المرأة بالاحراج الذي تسببه لزوجها العائد من المهجر ، فانعكفت داخل منزلها لا تفارقه .. ولكن الرجل لم يقبل ان تسجن زوجته في قفص حجري فيدا يفكر .. ويفكر .. وقد تركناه ، وما زال يفكر !!

اول الغيث قطر !

ولكن هذا لا يعني انه لم يحدث تقدما في هذا المجتمع بل على العكس .. ولكنه ، تقدم تدريجي بطيء ..

فمثلا في عيد الام الماضي ، انهار التقليدالعجيب الذي يمنع ظهور الفتاة البكر امام السيدة

المتزوجة — حتى لو كان عمر هذه البكر ٦٠ سنة والسيدة المتزوجة ٢٠ سنة !! فقد استعدت ناظرة المدرسة المتوسطة للبنات لاقامة حفل تمثيلي بمناسبة عيد الام ، ودعت اليه امهات الطالبات ، وقبل يوم الاحتفال فوجئت الناظرة بالفتيات يعتذرن عن الحضور بسبب عدم امكانهن الظهور امام سيدات غريبات متزوجات !! واسقط في يد الناظرة ، فهرعت الى ناظر المعارف تطلب حلا للمازق ، وفي الحال قرر سؤال اولياء امور الطالبات عن رايهم في ظهور بناتهم في الحفل امام السيدات المتزوجات . وجاء رد الاهالي راضيا ومشجعا ، ونجح الحفل .. وفي اليوم التالي نشرت الصحف شكرا وتقديرا من امهات الطالبات للناظرة سارة الشناشيبي التي ازاحت هذا التقليد القديم ..

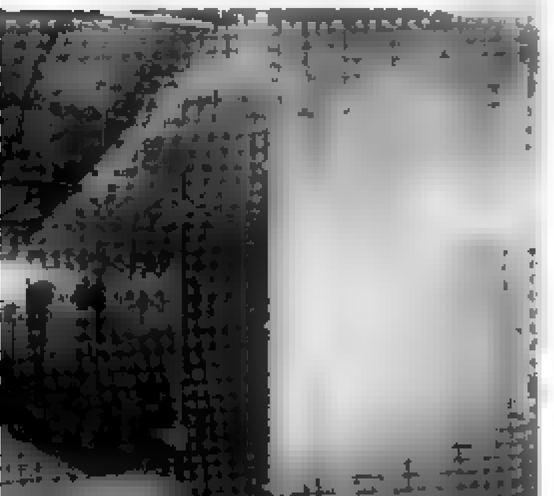
ان التطور اخذ يدق ابواب الفتاة الحضرمية ليوقظها من سباتها حتى تعي دورها الصحيح في هذه الحياة ..

وقد بدا التحول واضحا في مظهرها الخارجي ، اذ بدات تقص ضفائر شعرها الطويل لتصففه على الطريقة الحديثة .. و « الشتلة » السوداء نزعتها لترتدي المعطف مكانها .. وزيها دخلت اليه الموضة الحديثة بعد ان كان كالشوال ، دون خياطة او تطريز !

وما زال اهل المكلا يتحدثون الى اليوم عن المظاهرات الكبرى التي قامت في المكلا في اوائل يناير ١٩٦٤ وسارت فيها فتيات المدرسة المتوسطة وهن يهتفن بالشعارات من خلف غلالتهن الاسود .

اول مصنع اهلي لتعبئة التونه في الجنوب [illegible] يعمل منذ ١٥ عاما لجلب الاخصائيين الايطاليين الذين تدربوا الاهالي على تعليب سمك التونه ، والسردين ، [illegible]

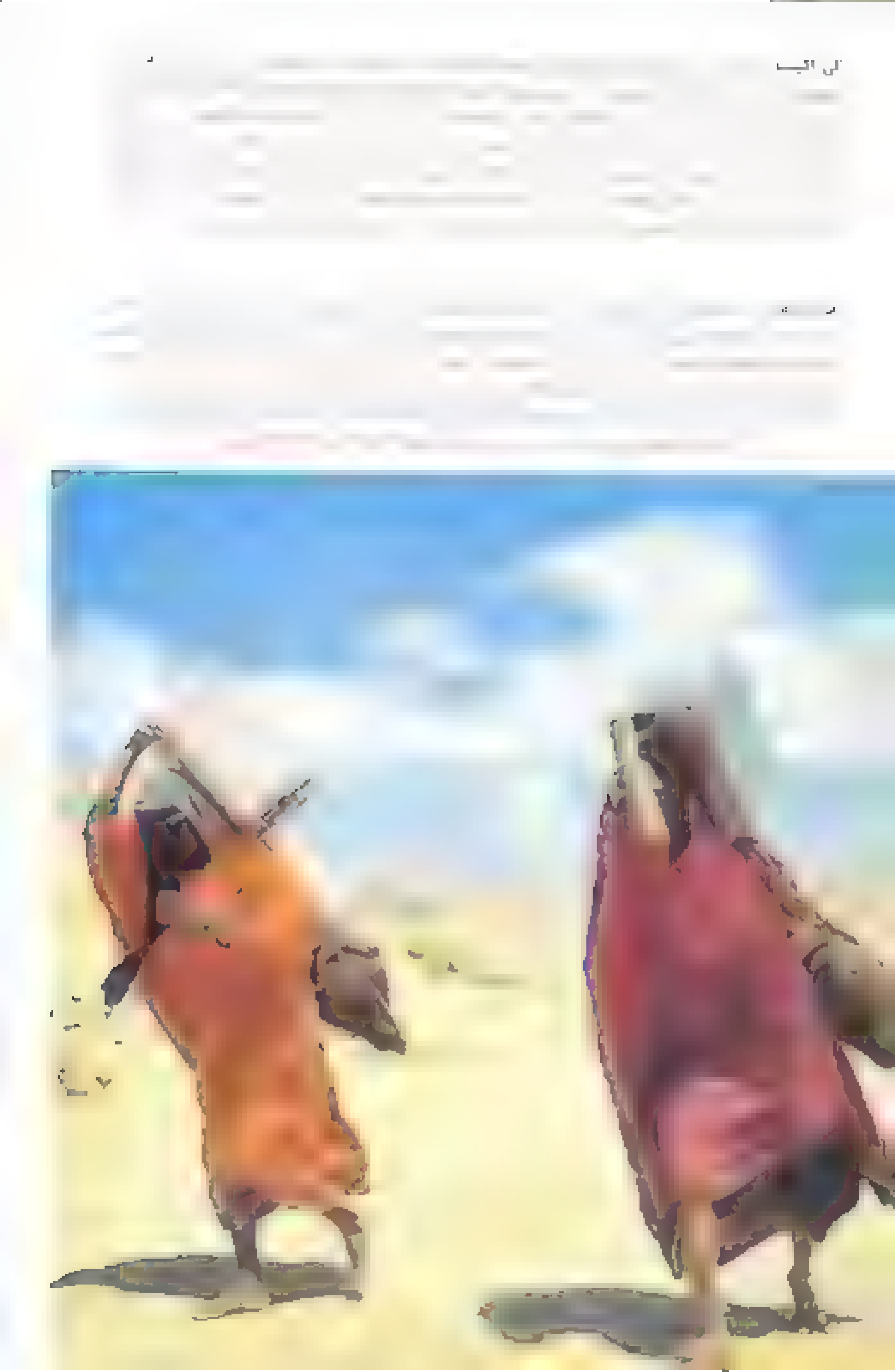
الى المكلا [illegible]



البنطلون ... بدل الفوطة !

ان هذا التطور لم يقتصر على ثياب الفتيات بل امتد الى ثياب الشباب الذين لم يكن احد منهم يجسر ان يسير بدون الطاقية القطنية على راسه ، و « الصارون » ملتفا حول منتصف جسمه الادنى ، انه قطعة قماش يستوردونه من الهند ، واليابان .. اما الحريري الغالي فياتي من جاوا باندونيسيا ، ويسمونه « البالي » .

كانت هذه مقاييس الاناقة عند الرجل الطاقية .. والصارون .. والبالي .. ومع عودة



المهاجرين بمئات الطلقية في الاختفاء ، وســار الناس حاسري الرأس .. وطار الصابرون والباقي ليحل النطاون مكانهما !!

نهضة تعليمية تهدد بالانهيار

ان جزءا كبيرا من هذا التطور مرده الى الاقبال الهائل على التعليم .. البال قلب المقاييس ، وجعل النهضة التعليمية نفسها مهددة بالانفجار والفراق ..

ويندفع الوزير الشاب محمد عبد القادر بافقيه المسئول عن التعليم في حديثه معنا فيقول :

« ان الاهالي في الماضي كانوا يترددون كثيرا في ارسال ابنائهم وبناتهم للمدارس .. اما اليوم فلم يعد احد يقبل بلا يبقى ابنه او بنته جاهلة .. حتى البدو في الصحراء الذين لم يفكروا يوما في التعليم ، فتحنا لابنائهم مدرسة ابتدائية داخلية تتسع لخمسين طالبا ، فجاءوا على ظهور جمالهم متجهين من مناطق تبعد ..) ميل ومعهم ابناؤهم طالبين تعليمهم والحاقهم بالمدرسة، واستمرت قوافل الجمال تفد حتى وصل عــدد المتقدمين الى ..٥ طالب مع ان امكانياتنا تقف عند ٥٠ طالبا فاضطررنا للاعلان عن اسفنا عن الطلبة الزائدين .. وهنا كانت تحدث معارك حقيقية مع رجال القبائل بسبب عجزنا عن تعليم ابنائهم .. مما اضطرنا لقبول ٢٥٠ طالبـــا حشرناهم حشرا في المدرسة الوحيدة التي كانت مهيأة لخمسين طالبا !

« ان تعليم ابناء البادية مشكلة دقيقـــة حساسة ، ومدرسة واحدة لا تكفي ابدا لهم ، وانما يلزمنا فتح ٤ مدارس بدوية داخلية ... وهذه العملية تحتاج الى ٢٥ الف جنيه استرليني لبناء هذه المدارس وتعليم جميع ابناء البــادية فيها . »

الميزانية لا تكفي

فان ميزانية المعارف ١٧٢ الف جنيه استرليني تدفع الحكومة منها ١٤٠ الفا والباقي تدفــع منه الجمعية العربية ٧ آلاف جنيه ، والحكومة البريطانية ٢٩ الفا .

« واعتمادا على هذه الميزانية نقوم بتعليم ما يزيد عن ١١ الف للبنين والبنات ، نشتري لهم الكتب ووسائل الايضاح ، ونتكفل بمصــاريف الطلبة والطالبات الداخلية من مأكل ومشرب ونوم وندفع اجور ٢٠٠ مدرس ومدرسة ، ونقــوم



[illegible] السيد عيسى مسلم ، مدير ادارة الهجرة والجوازات [illegible]
[illegible]
[illegible] ٩ آلاف مهاجر [illegible]
[illegible]

بوضع المباني المستأجرة كمدارس ، مع انهــا لا تصلح لهذا الغرض .

كارثة على الأبواب

ويبدأ الوزير الشاب قيلا ، ثم يقــول بحسرة :

« ان الكارثة تنتظرنا في مطلع العام الدراسي القادم بسرعة .. ففي هذا العام ننتظر ان يتخرج ٢٣٠ طالبا من المرحلة المتوسطة ليتنقلوا الى المرحلة الثانوية ، التي تمثلها في هذه البلاد مدرســة واحدة ، هي مدرسة المكلا الثانوية ، وكل الذي نستطيع ان نستوعبه من الطلبة الجدد ٦٠ طالبا فقط !!

« وفي نفس الوقت ينتقل ٢٠٤٢ طالبا مــن الابتدائي للمتوسط .. وهذا معناه فتح ٥٢ فصلا جديدا لهم ، في حين اننا لن نستطيع ان نفتح سوى ثلاثة فصول فقط !!

طالبات أصبحن ثلاثة آلاف ..

ويتابع الوزير حديثه : ـ

« ونفس المشكلة نجدها في تعليم الفتاة ... التي بدأ تعليمها بأربع طالبــات سنة ١٩٦٠ اصبحن اليوم ثلاثة آلاف طالبة ، وهو رقــم ليس بالكبير نسبة للبلاد العربية الأخرى ، ولكنه بالنســبة لنا رقم نفتخر به ونعتز لان تعليم البنات خضع لقوى اجتماعية واقتصادية قاسية حالت دون انطلاقه ، ان عندنا ثلاث مدارس ابتدائية ومدرسة متوسطة ، ولا توجد عندنا مدرســة ثانوية لتتلقى خريجات المتوسطة اللواتي سيتخرجن لاول مرة هذا العام وعددهن ١٠ طالبات ..

بقيــة مدن حضرموت

قامت بعثة العربي خــلال وجودها في حضرموت ، بعمــل عدة استطلاعات لمختلف مــدن حضرموت ، وسوف نوالي نشر هذه الاستطلاعات في الأعداد القادمــة ، فمدينة سيئون عاصــمة السلطنة الكثيرية في عدد اغسطس القادم .



تجمع هذه الصورة بعض الأساتذة الذين جاءوا من القاهرة والخرطوم والسعودية والاردن لتدريس أبناء المكلا .. وأكثر ما يعاني هؤلاء الأساتذة هو نقص الكتب والادوات ، فيضطر الاستاذ الى تلقين مواد الكتاب على التلامذة ، وعمل وسائل الايضاح بيديه ... حضرموت في حاجة الى مضاعفة هذا العدد من الأساتذة .. ولكن السلطات البريطانية تقف دون تحقيق ذلك ... فقد حدث ان جيء الى حضرموت بنحو ٢٠ من المدرسين من مصر فمنعوا من دخول البلاد

الى اليسار



اما خريجات الابتدائي الى المتوسط فلا يوجد مكان لـ ٢٠٠ طالبة منهن ..

ويستطرد الوزير الشاب فيقول :

« هذه لمحة خاطفة عن بعض مشاكلنا التعليمية التي نحن على بينة منها .. فنحن نعرف ان اغلب المباني ليست بمستوى المدارس ، وان الفصول مكتظة بالطلبة .. وان الكثير من المدرسين غير مؤهلين .. وان الادوات والكتب المدرسية ناقصة .. وان وسائل الايضاح معدومة .. وان سوء التغذية منتشر بين الطلبة ..وان رياض الاطفال غير موجودة ..

« نعلم كل هذا جيدا ، ولكن كل هذا لن يوقف تجاوبنا مع الشعب الذي يطالب بتعليم ابنائه .. اننا اذا لزم الامر سنفتح مدرسة في كل مكان يمكن ان يستظل تحته الطلبة : في المنازل الخاصة .. تحت الشجرة .. وحتى في المساجد والاندية .. اننا لن نحرم اي طالب من شعاع العلم .. حتى تتداركنا رحمة الله .. ورحمة اخوتنا العرب الذين نقول لهم :

« انقذونا

انقذونا بالكتب ..

انقذونا بالمنح الدراسية لابنائنا وبناتنا ...

انقذونا ببناء المباني لمدارسنا ..

انقذونا بالفعل لا بالقول .. » .

اننا اذا ارجعنا كلام الوزير الى لغة الارقام لادركنا ان ١١٥٢ طالبا و ٢١٠ طالبة لن يجدوا لهم مقاعد في السنة الدراسية القادمة !

ماض مجيد ، وحاضر مريض !

ان اهل المكلا في صراعهم من اجل الانطلاق والتحرر من عقدة الخوف والتردد ، لم يعودوا يابهون كثيرا بتاريخهم او بنسبهم الى سبا او حمير او قحطان بن هود حفيد سام بن نوح ! ، لانه اذا بحثنا لهم كنوز تاريخهم ، وفتحنا لهم صناديق ماضيهم واخرجنا لهم كل ما فيها من حضارات وفنون وبطولات ، ولم نفتح لهم باب العلم وسبيل الرزق ، فان تاريخهم يكون باطلا ، وماضيهم وهما .

ان الناس في المكلا اصبحوا يفضلون الف مرة سماع اسباب فشل تجربة المجلس البلدي المنتخب على معرفة اسباب ضياع الزهو والمجد التي لم تعد تهمهم كثيرا .

ان هذا المجلس البلدي المنتخب لم ينجح في تعبيد طريق واحد ولم ينجح في اقامة جسر ليصل المدينة بالشرق وقت السيول والامطار .. ولم ينجح في التغلب على ازمة المياه التي تكاد تخنق المدينة .. حتى ابار المياه القديمة جفت كلها .. ولم ينجح في زرع شجرة واحدة بالمكلا رغم مضي ٣ سنوات على انتخابه ..

حتى فندق واحد لا يوجد في المكلا .. ويقترح البعض اقامة هذا الفندق في السفينة الكبيرة ، التي دفعتها رياح السنين الى صخور المكلا فلم تعد تستطيع منها هربا رغم مضي ثلاث سنوات على جنوحها ..

مدينة صغيرة مليئة بالآمال الكبار

وتقف مشكلة تحقيق الوحدة الحضرمية ، بين السلطانين القعيطي والكثيري ، موقفا غريبا ، فالمفاوضات حولها تدور سنويا منذ خمسة اعوام دون اي نتيجة ، بالرغم من انها مطلب شعبي وخطوة اولى نحو تحقيق وحدة الجنوب في انتظار الوحدة الكبرى .

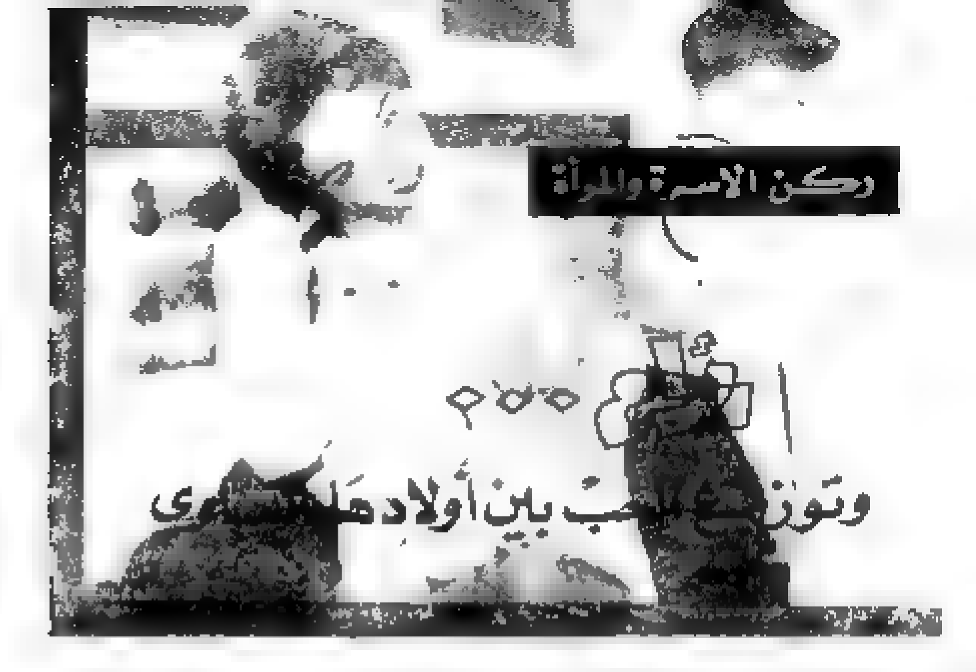
ان المسئوليات الجسام الملقاة في انتظار على اكتاف المسئولين في المكلا .. ومطارها خير صورة تعطي الدليل على هذا ، ففي الماضي كانت تاتيه طائرة واحدة اسبوعيا .. اما اليوم فتاتيه طائرة كل يوم !!

ان المكلا ، هذه المدينة الصغيرة المليئة بالآمال ، تستحق اهتماما اكبر من جانب الدول العربية ، ان شعبها يئن من الفقر والتاخر والتشريد ، اما المرض فان المكلا اصبحت عنده مثابة لشتى الامراض ، لانه منذ خلق وهو في مرض !

ان سلبية موقف الدول العربية،واكتفاءها باعطاء بعض المنح الدراسية الهزيلة الضئيلة لبعض طلبة حضرموت ليس بالحل المطلوب .. لان حضرموت في حاجة الى نجدة طبية وفنية والاقتصادية وثقافية!

ومن يدري فقد يتدفق الذهب الاسود من الشمال .. ولكن حتى هذا التدفق لن يحل المشاكل التي تتطلب بدءا خبرة في هذه المرحلة الانتقالية التي تمر بها المدينة البيضاء الناعسة على مياه المحيط الزرقاء . ■■

سليم زبال



■ ان كثيرا من العقد التي تربي في الاطفال ، يبدأ تكونها في البيت . وقد يبدأها الاب ، وقد تبدأها الام او الاخوة والاخوات .. او حتى الجيران .

وكل يبدأها وهو لا يدري انه يبذر شرا . بذرة يبذرها في النفس ، نفس الطفل الناشىء ، لا تنبت ، ثم تخرج من التربة ، ثم تترعرع ، بالثمر الحلو حينا ، وبالحنظل المر احيانا ، الا بعد سنوات طويلة .

ولنضرب لذلك مثلا : العقدة او العقد التي تسببها الامهات ، والوالدة الام خاصة ، بسبب سوء توزيع حبها وعطفها على اولادها .

ان من الاسباب التي تزرع الفرقة في الاسرة ، لا سيما الناشئة ان تصطفي الام بعض اولادها او بناتها دون بعض . وليس معنى هذا اننا نفرض على الام ان تحب اطفالها جميعا قدرا سواء . اننا بهذا نطلب المحال . ان الحب والعطف لا يصنع في القلب صناعة ، او على الاقل لا يصنعه صاحب القلب . والقلوب متقلبة ، وهي ذات اهواء . وليس من عتب على الام ان تميل الى طفل اكثر مما تميل الى طفل . ولكن العتب في ان تظهر للطفل حبا فوق الذي تظهره لاخته او لاخيه . انهم كلهم في حكم الامومة سواء .

ان القسط من الحب التي تزيده الام لطفل من اطفالها يضر هذا الطفل ، عندما يشب

وان القسط من الحب الذي تنقصه الام من طفل من اطفالها يضر هذا الطفل ، عندما ينشأ كذلك .

اما الطفل الاول ، المفضل ، المعزز ، الذي يأخذ نصيب الاسد من الحب والعناية والرعاية طفلا ، ينشأ صبيا ، ثم شابا، ثم رجلا، وهو قد تعود ان يكون دائما الآخذ لا المعطي . وعززته امه ودللته فنشأ وعنده التعزيز والتدليل عادة . والحياة لا تنعم ، وهي اخذ ولا اعطاء . وتكبر سن الطفل ، حتى اذا بلغ العشرين والثلاثين ، ثم بلغه اعداد السنين . انه

لا يزال طفلا . كبر جسمه حقا ، وصار له جسم الرجل ، ومظهر الرجل ، ولكن طابع نفسه لم يتغير . انه طابع الطفل ! ولا يكون من ذلك غير الفشل . انه الرجل الذي يسمونه « ابن أمه » .

وحتى لو أن طفلا كهذا استطاع أن يتخلص من هذا المستقبل الذي ينتظره « الرجل الطفل المدلل » ، ولبه الحياة، ووعى حقائقها ، فانه لا شك سوف يعود بالذكر فباللوم الى امه ، تلك التي لم تنصف ، فكادت أن تعمل به ما تعمل ، وعملت باخوته الآخرين ، الذين نقصتهم أو نقصتهن حبا ، ما فعلت .

***

ولنعد الى الحديث الى هؤلاء الآخرين الذين أو اللاتي نقصتهم امهاتهم أو امهاتهن حبا .

ان الطفل يولد وهو غريب عن هذه الدنيا . وهي كثيرا ما تخيفه ، وهو في هذا الحال يحتاج الى الحامي ، والى من يذهب عنه الخوف،ويزيد ثقته بنفسه. وخير ما يزيد الطفل ثقة بنفسه حب الأم ، واظهار الشفقة له في هذا العجز ، واظهار التشجيع .

ان الآباء والأمهات الذين يرمون أبناءهم أو بناتهم بالعجز والخيبة ، لا سيما عند الغضب ، يخرجون . او هم يظهرون لهم كراهة ، أو نقصا في الحب يؤول عندهم بانه نقص في كفاية او قدر .

ان الرجل النامي يحس بمصاعب الحياة . ولكنه من بعد نمو ، ينسى مصاعب الطفولة التي هي من مصاعب الحياة .

الطفل يعاني مصاعب الحياة في طعامه،

وعندما يحبو . ثم يمشي . كلها تجارب، يعلمها بمشقة . وكذا وهو صبي في المدرسة ، ومن بعد ذلك . مسالك الحياة جميعا ليست سهلة السلوك وهي صعبة على الصبية والأطفال صعوبة مسالك الحياة ، في طلب الرزق ، من بعد ذلك على الرجال والنساء .

ان الطفل الذي تنقصه أمه من حبها، يفقد الثقة بنفسه بمقدار ما تنقصه الأم من حب . وفقد الثقة صفة تلصق بالنفس على السنين ، وينشأ الطفل عليها وعنده عقدة : انه ليس في مراتب الانسانية في المرتبة الاولى التي تؤهله للحب كاملا . وينشأ وهو يتقبل دائما الموضع الثاني من بين مواضع الحياة ، لأنه أعتقد انه ليس ممن يحتل المراكز الاولى . لو كان خليقا بها ، لكان أحق بها عند أمه .

***

وقد يثور الطفل ، وقد كبر ونشأ ، على تلك العقدة ، عقدة استضعاف النفس ، ويحاول أن يثبت أنه جدير بالموضع الاول ، والمركز الاول ، فيمزق

في المرآة

وتوفق المرأة بين عملها والبيت ، فلن تعد تنظيم البيت على أسس سليمة حديثة ، وتتبع انظمة الكفاية التي توفر الوقت ، وتوفر العرق . وفي رأيي أن وقت المرأة يتسع للعمل والبيت ، وبعد ذلك ، يبرز ساعات طويلة من الفراغ ، فيجب أن تستغله لتزيد من جمالها ورشاقتها وجمال عقلها » .

فكيف ترون فيما كتب الأستاذ : الانتصار هو للمرأة ، أم سخرية بالرجل ؟!

نوال حمص

نفسه في مثل هذا الاثبات تمرينا . بل يثور ليثبت أنه الأول وأن كل من حوله في المواضع الثانية .

وهو بالمقابل يشقى، فقده الاقتناع والتعادل الأولي ، والرضا بما قسم الله له ، أو بما استقر في نفسه أنها قسمه الله ، وعمدة التمالي، أنه خير من سواه .

والسبب ؟ الأم .

ومتى ؟ في البيت الأول .

***

أيها الأمهات . كن حذرات ، وكن حصيفات .

ان الله لم يكد يخلق انسانا الا وفيه شيء يتميز . فاستخرجي من أولادك ذلك الشيء الحسن، واذكريه واحمديه وشجعيه ، وضعي على طفلك ، كل طفل ، بعض حبك ، ومعه رشاش من ماء الورد .

ولا تقيمي مقارنة قط بين أولادك ، من حيث الذكاء ، ومن حيث القدرة ، ومن حيث الجمال ، ومن حيث النظام والمرحه . انك بذلك تعنين الاسم ولا تلتزمه .

وقسطي الحب بين أولادك ، وبناتك، اقساطا سواء . ■■

كعكة العرس

الى التي تسأل عن كعكة العرس ، ما كان من أمرها ؟ نقول :

ان كعكة العرس هي اليوم، كعكة كبيرة،مكسوة بطبقة من السكر المحلول والمد نبيذ ، داخلها محوّج ، وظاهرها مزوق.

وهي لم تكن كذلك في قديم الزمان .

وهي شأن في القديم من التقليد الذيجعل شركة العرس والعروس في طعام واحد ، رمزا للوحدة ، ومع الوحدة،الفطنة والهناءة .

ومن ذلك ان قدماء الاغريق كانوايصنعون الكعكة من طحين السمسم بعد خلطه بعسل النحل . ثم يفرق الكعك على الضيوف .

وفي روما القديمة كان من مراسم الزواج،الاولى صنع فطيرة من القمح ، يهديها العروسان الى الآلهة،ثم يأكلون منها معا .

وتوارثت أوروبا الغربية هذه الكعكة،يصنعونها من عجين لم يختمر ، فهي أشبه بالبسكوت . ثم لما تطور الزمن ، وتطورفن الطهي زادت الكعكة حجما ، وزادت محتوى ، وتعقدت صناعة ، وتفننوا فيهاتزوانا . وهي اليوم مرسم من مراسم العرس قائم دائم .

وتبدأ العروس بقطع الكعكة بالسكين ،يعينها في ذلك عريسها ، وذلك في الحفل الذي يقوم من بعد عقد الزيجة ، وتوزع،على الحاضرين والحاضرات . وللغائبات قطع صغيرة منها ، ترسل اليهم تحية،وذكرى .



بقلم : الدكتور فاخر عاقل

الأستاذ بالجامعة السورية

■ ما من شخص أثار في علم النفس من الضجيج والعجيج قدر ما أثاره فرويد الطبيب النمساوي الذي بدأ حياته الطبية مختصا بعلم الفيزيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) وانتهى بوصفه أبا للتحليل النفسي Psychoanalysis وصاحب مدرسة فيه .

على أنه من غير الممكن أن نفهم فرويد وعمله إذا لم نلم ببعض الحقائق الأساسية .

وأولها : أن مؤرخي علم النفس الحديث مجمعون على أن علم النفس الحديث على صلة وثيقة بعلم الفيزيولوجيا الحديث . والحق أن علم النفس الحديث ولد على يدي العالم الألماني (فنت Wundt) في مختبر بلايبزغ Leipzig الذي أسسه عام ١٨٧٩ .

وقل الشيء نفسه عن فرويد وهو طبيب مختص بعلم الفيزيولوجيا . وبافلوف Pavlov وهو عالم الفيزيولوجيا الروسي . وآدلر adler وهو طبيب نمساوي ، وغيرهم كثير .

وثانيهما : أن فرويد حلقة في سلسلة من الأطباء الذين اهتموا بالأمراض النفسية والجسدية (وكانت تسمى عصبية) وأشهرهم (شاركو charcot) الفرنسي وتلميذه (جانيه Janet) الفرنسي أيضا . وقد تتلمذ فرويد على أولهما ثم انتقل من مدرسته إلى مدرسة (نانسي Nancy) في فرنسا أيضا . وكلا المدرستين كانت تستعمل التنويم (المغناطيسي) علاجا للأمراض العصبية النفسية . على أن المهم في هذا الصدد كون العصر العلمي مهيئا لهذه الدراسات مما مهد لظهور فرويد .

> ابتدع للنفس مراتب كثيرة وأسماء للخبرة النفسية جديدة ، منها الشعور ، وتحت الشعور ، واللاشعور ، والأنا ، والهي ، ورد كل الحوافز إلى الجنس وأسماه الليبيدو . .

وثالثها : أن فرويد عاش في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، وشهد النهضة الصناعية الجبارة التي اجتاحت أوروبا ، وتعقد الحياة الاجتماعية في المجتمعات الأوروبية ، وتشابك العلاقات الإنسانية بين أفراد هذه المجتمعات .

ورابعها : أن فرويد يهودي ، وأنه كان ليهوديته دخل كبير في صياغة الكثير من نظرياته وفرضياته وتعليلاته . ذلك بأنه كان ينتمي إلى أقلية مكروهة بحكم صفاتها المعروفة التي أقل ما ينسب إليها حب المال والامتلاك والتعصب والتوحيد بين القومية والدين والمطامع الاقتصادية والحنين إلى الماضي والعمل على بناء وطن قومي من نوع محدد ، وكان ذلك ضمن إطار معين .

شيء من التاريخ
مولد فرويد ونشأته وتتلمذه

ولد فرويد عام ١٨٥٦ في ما يسمى اليوم



SIGMUND FREUD

بتشكوسلوفاكيا ، ولكنه عاش في فيينا منذ طفولته الباكرة . وحين ذهب الى الجامعة درس الطب واختص بالفيزيولوجيا ست سنوات كاملة ، ثم قرر ان يعيش من ممارسة الطب ، فانتقل عام ١٨٨١ من المختبر (المعمل) الفيزيولوجي الى المستشفى حيث تابع دراسة الجملة العصبية واختص بتشريحها وامراضها .

على ان الاهتمام بالامراض العصبية في فيينا كان ضئيلا في ذلك الحين على خلاف ما كان يجري في باريس وقد كان يعمل فيها شاركو الذي طبقت شهرته الآفاق . فشد فرويد الرحال اليه عام ١٨٨٥ ، وتتلمذ عليه عاما بكامله ، وكان بالغ الاعجاب باستعمال شاركو التنويم طريقة لمعالجة الهستيريا . ولقد كانت دهشته عظيمة حين سمع شاركو يؤكد انه في كل حالة من حالات الامراض العصبية لابد من وجود اضطراب في الحياة الجنسية للمريض ، اضطراب موجود « دوما ، دوما شريطة ان تتعمق في الامر تعمقا كافيا » . ولقد كان فرويد يقول لنفسه متعجبا : اذا كان ما يقوله شاركو صحيحا فلم لا يستفيد من هذه الحقيقة في نظريته وعلاجه ؟! ولقد قبع هذا التساؤل في ذهن فرويد الى ان آن اكتشافه بعد حين .

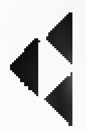
وعام ١٨٨٦ عاد فرويد الى فيينا واخذ يعمل بجد في دراسة الحالات العصبية عامة والهستيريا خاصة مستعملا التنويم طريقة رئيسية في المعالجة لكنه لم يلبث ان وقف امام عقبة كأداء الا وهي استحالة تنويم بعض المرضى ! وحتى في حالة تنويم المريض فان العلاج لم يكن مفيدا دوما .

ولذلك قرر العودة الى فرنسا مرة اخرى لاسيما وقد سمع بمدرسة (نانسي) التي تدعي امكان تنويم كل شخص ونجاح علاجه . بيد ان امله خاب حين قال له اطباء هذه المدرسة ان نجاحهم مع فقراء المرضى اعظم بكثير من نجاحهم مع الذين يعالجون على حسابهم الخاص ، لانهم اما اذكياء او متحذلقون لدرجة يصعب معها عليهم الافادة التامة من العلاج ، وحينئذ عاد فرويد الى فيينا وعاد الى ممارسة التنويم في العلاج وكان نجاحه محتملا وان لم يكن تاما .

فرويد والطبيب النمساوي بروير

وهنا يتدخل في الامر رجل قد لا نغالي اذا قلنا بان فرويد افاد منه اكثر من افادته من الاطباء الفرنسيين ونعني به الطبيب النمساوي (جوزف بروير Josef Breuet) صديق فرويد وزميله في العمل الفيزيولوجي والدراسات العصبية . وقد صدف ان كان بروير هذا يحاول وضع طريقة علاج جديدة اوحتها اليه واحدة من مريضاته المصابات بالهستيريا .

لقد كان بروير – شأنه في ذلك شأن فرويد – يستعمل التنويم للعلاج . فقالت له مريضته هذه انه لو سمح لها اثناء تنويمها ان تتحدث عن متاعبها العاطفية فانها تتحسن ، وانها حين تكون تحت التنويم تستطيع ان تتذكر حوادث كانت منسية ، حوادث على صلة بحياتها العاطفية ، كلما تحدثت عنها الى الطبيب شعرت بنوع من الراحة وخفت امراضها المرضية . وحينئذ اخذ بروير يرى



المريضة واستعمل طريق التحدث هذه مع المريضة فشعرت بتحسن سمح لها بالعودة الى حياتها السوية . وبعدئذ صارح فرويد بأمر هذه المريضة وأخذا كلاهما يستعملان طريقة التحدث هذه مع المرضى الآخرين فنجحا بعض النجاح، ونشرا ابحاثا عن طريقتهما الجديدة سنة ١٨٩٢ و ١٨٩٥ . وهكذا بدأت الطريقة الجديدة مزيجا من التنويم والتحدث .

ازمة تثيرها طريقة التحليل النفسي ، بين الطبيب ومرضاه

وبعد هذه البداية الطيبة بقليل ، ولسبب لم يعلن عنه في حينه ، غضب بروير على الطريقة الجديدة وتركها لفرويد وحده . اما سبب غضب بروير واشمئزازه فقد عرف فيما بعد ، ويتلخص في أن واحدة من مريضاته التي عالجها وقتا طويلا وشارفت على الشفاء اعلنت له انها لا تستطيع تركه لأنها احبته حبا شديدا ، الامر الذي اخاف بروير صاحب الضمير المسلكي الحي وجعله يعلن انها طريقة خطرة يجب الا يستعملها طبيب . ولم يمض وقت طويل حتى وقع فرويد في نفس المشكلة، لكنه لم ينزعج من الامر ، بل خلص منه بعد دراسة عميقة الى القول بأن هؤلاء النسوة لا يعشقنه لذاته بل انهن يعشقنه بديلا عن موضوع حبهن الاول ، وانه اذا داوم على معالجتهن متخذا موقفا حياديا فقد يستفيد من هذا الحب في شفائهن وعلاجهن . وقد برهنت الوقائع فيما بعد على صحة رأيه .

طريقة « الترابط الحر »

وبعد أن خلا الميدان لفرويد ترك طريقة التنويم وحسن طريقة التحدث وان كان قد احتفظ من طريقة التنويم بالاضطجاع والاسترخاء ومطالبة المريض اثناء ذلك بالتحدث عن متاعبه واسبابها والافصاح عن كل ما يرد على خاطره ، وهي الطريقة التي سماها طريقة الترابط (او التداعي) الحر Free Association ، بالرغم من ان التداعي المطلوب من المريض ليس حرا تماما ، بل مقيدا ببعض الضوابط ، ولا سيما مطالبة المريض بأن يقصر حديثه على متاعبه فقط . والمقصود بحرية التداعي هو رفع الرقابة عن الذكريات والافكار التي ترد الى خاطر المريض . وهكذا استبدل فرويد التنويم بالاسترخاء والتداعي الحر. وبالرغم من ان هذه الطريقة الجديدة ابطأ من من القديمة فانها نجحت مع عدد من المرضى أكبر وهي في رأيه ادعى للتخلص من المرض .

الاحلام تكشف عن العقل الباطن

واذا ما كان قد بدأ بهذه الطريقة عمل فرويد على البحث عما يوصله الى العقل الباطن (اللاشعور) مباشرة وانتهى بعد التفكير والتجريب الى الاعتقاد بأن احلام المريض كفيلة بالاعلان عن لا شعوره . وقد شرح فرويد نظريته عن الاحلام واختباراته فيها في كتابه المشهور (تفسير الاحلام) الذي نشر بالالمانية ولاول مرة ١٩٠٠ ، وبذلك اعتبر فرويد واحدا من افذاذ علم النفس. وفي ١٩٠١ أتبعه بكتابه (علم النفس المرضي للحياة اليومية) حيث درس هفوات اللسان والذاكرة والقلم كيف يمكن استخدامها دلائل على مركبات نفسية لا شعورية . ومن ثم تتالت كتبه .

ومهما يكن من امر التحليل النفسي فانه اعتبارا من عام ١٩٠٠ لم يصبح طريقة لمعالجة الامراض العصبية فحسب ، بل صار بالاضافة الى ذلك مدرسة سيكولوجية صريحة .

نظرية فرويد

انصافا لفرويد يجب أن نعترف له بأنه لا يزعم ان نظريته شاملة للحياة العصبية بكاملها . لكنها ، وباعترافه ، تستهدف تعليل الامراض العصبية وعلاجها ولذلك فدعوى فرويد الاساسية هي أن العصاب (١) ينشأ عن أمور جنسية طفولية مكبوتة . ومع ذلك

(١) العصاب هو المرض العصبي باللغة الدارجة ، اما باللغة السيكولوجية فهو ترجمة لكلمة Neuroses (انظر مقالنا في العربي العدد ٢٧ فبراير ١٩٦١ ـ الجنون فنون) .

بان الامور الجنسية الطفولية المكبوتة ليست وقفا على الذين اصيبوا بعصاب في وقت ما من حياتهم ولكنها موجودة عند كل انسان وتشكل عاملا هاما في حياته .

ولكي نتعرف على نظرية فرويد لا بد من التعرف على افتراضاتها الاساسية وهي القواعد التي بنى فرويد عليها فرضياته ونظرياته .

كل سلوك له دافع

ان واحدا من اهم افتراضاته هو قوله بان كل سلوك مدفوع اي له دافع ، وهكذا فالشلل الهستيري مثلا ، وهو شلل غير حقيقي ، بدليل ان المريض اذا نوّم وأمر ان يستجيب لوخز الدبوس استجاب بالعمل ، قد يكون تعبيرا عن عجز المريض ازاء مشكلة من مشاكل حياته اليومية . وقل الشيء نفسه عن الشاب الذي ينسى معطفه في بيت فيه صبية حسناء . ان هذا النسيان في رأي فرويد مدفوع برغبة الشاب في الرجوع الى البيت . والامر عينه صحيح عن ربة البيت التي تقول « مع السلامة » لضيفتها وهي تستقبلها بدلا من « اهلا وسهلا » ، انها بذلك مدفوعة بضيقها من هذه الزيارة ورغبتها في التخلص منها بأسرع ما يمكن . وهكذا اذن تكون الرغبات هي دوافع السلوك في نظر فرويد .

اسباب السلوك توجد في الماضي ، قريبه والبعيد

والافتراض الاساسي الآخر عند فرويد هو قوله بان اسباب السلوك (اي الرغبات) يجب البحث عنها في الماضي ، وان زلات اللسان والسلوك مثلا ، وكذلك الاحلام ، لا ترضي رغبة حاضرة ولكن ماضية ، وان اصل العصاب موجود في الماضي . وهو لايقنع بالماضي القريب بل يرجع الى سني الطفولة الاولى .

الرغبات القديمة جنسية طفولية

والافتراض الثالث الاساسي عند فرويد هو كون هذه الرغبات القديمة جنسية ، وهو يستند في هذا القول الى ملاحظته ان معظم المرضى الذين راجعوه كانت توجد عندهم هذه الرغبات الجنسية التي يعود اصلها الى الطفولة .

الرغبات القديمة مكبوتة ، تنتظر فرصة انطلاق

والافتراض الرابع والاخير هو اعتقاده ان هذه الرغبات الجنسية الطفولية التي تدفع السلوك وتؤثر فيه مكبوتة في نفس المريض تنتظر فرصة للتعبير عن ذاتها ، وهي تتخذ حينا طريق الحلم وآخر طريق زلة اللسان وثالثا طريق المزاح الخ .. لتدلل على وجودها .

وهكذا تكون الاعمدة الثلاثة لسيكولوجية فرويد هي (١) الرغبات الجنسية (٢) الطفولية (٣) المكبوتة .

مفهوم الجنس عند فرويد

ثم ان فرويد يعطي الجنس مفهوما محدودا وواسعا في الوقت نفسه على حد تعبيره دون ان يرى في ذلك تناقضا . انه يرى ان مص الطفل اصبعه نوع من السرور الجنسي ، وكذلك مصه الاثداء ووضعه ابهامه في فمه ، ورغبته في ان يرفس ، وحركات رجليه المنتظمة ، وكذلك تبرزه وتبوله الخ ... وكلما ارتفع فرويد الى مستوى اعلى شمل السرور الجنسي كل سلوك انفعالي بما في ذلك الصداقة وحب الفنون . وفرويد يرفض ان يقال عنه انه يستعمل كلمة جنس مرادفا لكلمة حب ، ويحتج على كل محاولة تنزع من (الليبيدو Libido) (1) صفة الجنس وهو يلح على ان كل انفعال جنسي اصلا .

---

(1) الليبيدو : كلمة يطلقها فرويد على الرغبة الجنسية او الطاقة الجنسية او النزوع الجنسي

ولعل أهم ما أهدى فرويد لعلم النفس نظريته عن اللاشعور (العقل الباطن) ، انه يجعل للحياة النفسية قطبين هما الشعور واللاشعور (بينهما تحت الشعور او قبل الشعور) وهو يرى ان (الأنا (١) The Ego) شعورية بالاصل ، وهي التي تكبت الرغبات غير المقبولة بالنسبة اليها ، وهي بكبتها هذا قد تتصرف لا شعوريا ، فهي اذن شعورية ولا شعورية في آن معا . اما (الهي" (٢) The Id) فلا شعورية . والأنا على اتصال بالمحيط ولكنها نبعت من (الهي) وتبقى ممزوجة بها في الاعماق . والهي" تشتمل على القوى الدافعة الغريزية لوجود الفرد بما في ذلك غريزة الحياة وغريزة الموت .

ويعتقد فرويد ان الأنا تحاول ان تتوسط بين العالم الخارجي والهي" لتجعل الهي تتمشى مع مطالب العالم ، وان كانت تحاول بواسطة الفاعلية العضلية ان تجعل العالم يتمشى مع رغبات الهي . كما ان الهي تجهد بصورة عمياء في سبيل تحقيق رغباتها ولذائذها . لكن الأنا التي تعمل الهي بواسطتها تكون قد تعلمت الخضوع فتكبح جماحها وتكبت رغباتها .

ويعقد مأساة الأنا والهي" بأمر ثالث هو (الأنا السامية Super-Ego) او (الأنا المثالية Ego-Ideal) وهي — بصورة عامة — ما نسميه بالضمير الاخلاقي . ولهذه الأنا السامية زواجر واوامر ونواه تفرضها على الأنا ، وهي في رأي فرويد مأخوذة من واقع الحياة بل صادرة عن العالم الداخلي .

ومن هذا النزاع بين الأنا والهي والأنا السامية تنشأ العقد او المركبات النفسية من مثل عقدة اوديب وسواها .

نقد وتقويم

لا شك في ان فرويد عالم قد غاص على النفس البشرية واستكشف اعماقها ووضع اصبعه على مكان المرض والانحراف فيها . ولا شك في ان الرجل قد اهدى علم النفس الحديث مفاهيم قيمة وطرائق مفيدة من مثل مفهوم اللاشعور وطريقة التداعي الحر والعقد النفسية وتفسير الاحلام وغيرها من الامور التي ساعدت في فهم الشخصية الانسانية .

ولا شك بعد هذا بأن فرويد كان ابعد الناس عن اللااخلاقية ودليل ذلك ما اشار اليه من حقيقة (التصعيد (٣) Sublimation) واستعماله طريقة في التغلب على الكثير من نوازع النفس ونزواتها .

ثم ان فرويد عالج المخيّر والمتشكي والعيادة مدة طويلة ، فاذا اضفنا هذه الخبرة الغنية الى ذكاء وقاد وعبقرية اصيلة وروح الى البحث العلمي امكننا ان نقدر فرويد حق قدره .

لكننا بالرغم من ذلك كله ميالون الى الاعتقاد بأن خطاه ليس تماما خلق العلماء ، انه اشبه بمتشبه منه بعالم ، وهو من غير شك مخترع للفرضيات اكثر منه مجربا لها . والغالب الظن انه اتبع نصيحة حكيمة لاستاذه شاركو تقول بوجوب الانغماس في الحقائق ، ولا سيما المعقدة المركبة ، املا بزوغ النور ، فاذا بزغ النور ، وكثيرا ما بزغ لفرويد ، فانه يبزغ قويا الهبا باختصار بطول الفرضية التي وضعها برسم الاختبار .

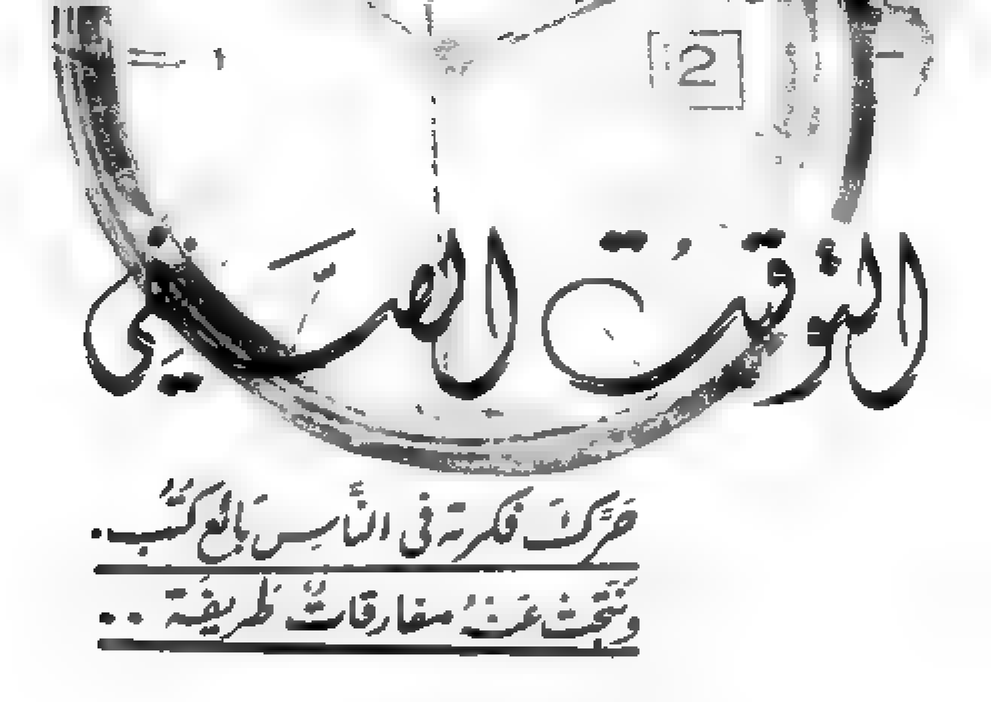
وهكذا فانت حين تقرأ فرويد تدهشك كثرة الفرضيات ، حتى لتجد في صفحة واحدة من صفحات كتبه ما يكفي لاشغال المجربين سنة او تزيد ، ثم اذا انتقلت الى الصفحة التالية وجدت القدر نفسه من الفرضيات والحبل على الجرار . ان فرويد يتمتع بنفس خصبة ولا شك وخيال وقاد ولكنه كثيرا ما بالغ واخطأ ، شأنه في ذلك شأن كل متشيع .

فاخر عاقل

---

(١) الأنا : هي الذات او الشخصية (٢) الهي" : هي مستودع الدوافع الغريزية

(٣) التصعيد هو طريقة في الارتفاع بالقوى الجنسية وتوجيهها من النوازع الى طريق الفن والأدب والرياضة وسواها



بقلم : مصطفى احمد الشهابي

مدير مركز التاريخ القومي بوزارة الارشاد القومي – ج.ع.م.

■ ليس التوقيت الصيفي بدعة جديدة وانما هو نظام بدأ التفكير في تطبيقه منذ اكثر من قرن ونصف .

وقد كان بنجامين فرنكلين الأمريكي Benjamin Franklin ١٧٠٦ – ١٧٩٠ ، اول من نصح بتقديم الساعة ، مقدم ساعة ، ليكسب الناس ساعة من ساعات الصباح ، ويوفروا في الوقت نفسه الوقود لمدة ساعة حتى في آخر اليوم .

كتاب يزيد ثمنه بالمساومة

ومما يروى ان بنجامين فرنكلين هذا ، كان اول امرء صاحب جريدة ومطبعة ومكتبة . ففي احد الايام جاء رجل الى مكتبته وقضى ساعة من الزمن يتامل الكتب المختلفة حتى اعجبه احدها فاخذه بيده وسأل المستخدم قائلا :

كم ثمن هذا الكتاب ؟

المستخدم : دولار واحد .

الرجل : الا يمكن ان يباع باقل من دولار ؟

المستخدم : كلا ، ان هذا هو الثمن المحدد لبيعه .

الرجل . ان كان مستر فرنكلين هنا فانى اريد ان اراه .

فذهب المستخدم واستدعاه فلما أتى سأله قائلا .

الرجل : كم ثمن هذا الكتاب ؟

فرنكلين : دولار وربع يا سيدى .

الرجل : ولكن المستخدم قال دولارا واحدا ؟

فرنكلين : نعم ولكن وقتى ثمين فقد تركت عملى نتيجة لطلبك .

الرجل : ارجوك ان لا تمزح واخبرنى بالثمن المطلوب .

فرنكلين : دولار ونصف يا سيدى .

الرجل : ولكنك قلت دولارا وربعا .

فرنكلين : نعم ؛ الا انك اضعت جزءا من وقتي ووقتي من ذهب واذا بقيت تساومني ، فسيرتفع الثمن أكثر !

هنا رأى الرجل ان فرنكلين كان تاجرا محافظا على وقته وكلامه ، وخشي ان يرتفع ثمن الكتاب فوق ذلك ، فدفع دولارا ونصفا وأخذ الكتاب وانصرف .

فرنكلين يعين سفيرا في فرنسا ، فيدعو الى توفير الشموع بها

لذلك لم يكن غريبا ان رجلا يعرف قيمة الوقت بهذه الدرجة في مستهل حياته ان يعجب ويُدهَش بعد عدة سنوات ، لما تقلد منصب سفير الولايات المتحدة في فرنسا ، من عدم اهتمام الفرنسيين بالمحافظة على الوقت، وذلك عندما رأى الفرنسيين ينامون صباحا والشمس طالعة . وزاد عجبه عندما وجدهم يسهرون ليلا على اضواء الشموع.

وعكف بنجامين على عملية حسابية معقدة خلص منها الى ان سكان باريس يحرقون خلال ١٢٨١ ساعة في ١٨٣ ليلة من ليالي الصيف ما قيمته ٣٠ مليون دولار من الشموع .

ثم كتب مقالا في عام ١٧٨٤ يقول فيه : « لا اكاد اصدق ان قوما يتحملون ما يتحملون من نفقات وضرائب ، ويقتطعون ثمنها من معيشتهم — وهم الاذكياء — لم يغب عنهم ان هذه الشموع كثيرة الدخان ، كثيرة النفقات ، مضرة بالصحة ، وانهم يستطيعون ان يستبدلوا بها نورا لا يدفعون له ثمنا هو نور الشمس ، ولن يكلفهم هذا الا الاستيقاظ ساعة واحدة مبكرين » .

صيحة ذهبت في واد

كانت هذه هي الصيحة الأولى . ولكن احدا لم يلتفت اليها ودارت الايام نحو قرن وربع قرن .

وليم ويليت يحيي الدعوة من جديد ، عام ١٩٠٧

وفي ذلك العام كان يعيش في انجلترا رجل يدعى وليم ويليت W Willett . وكان اعتاد ركوب الخيل في الصباح الباكر . وكان يخرج والشمس ساطعة والهواء منعش ، فلا يجد في طريقه احدا ؛ لان الناس ساعتئذ نيام لا يصحون الا بعد ساعة او ساعتين ، ثم يعوضون انفسهم عن تلك الساعات الجميلة بساعات من ساعات الليل المظلمة ينيرها لهم المصباح .

وكلما عاد وليم ويليت من رياضته اليومية تساءل : لماذا لا يجد احدا مستيقظا في الصباح الباكر مع ان الشمس تطلع مبكرة في الصيف ، والانتاج يمكن ان يزيد اذا استيقظ الناس مبكرين ساعة واحدة في الصباح ؟

وبعد جهد طويل نشر كتيبا عنوانه : « التبذير في ضوء النهار » ، اقترح فيه تقديم الساعة صيفا حتى يستفيد القوم بأكبر قدر من ضوء الشمس ويوفروا جانبا من البترول والفحم اللذين تتولد منهما القوة الكهربائية والغازية للاضاءة .

وتساءل في كتابه : اذا كان الناس يقدمون ساعاتهم او يؤخرونها وهم يجوبون خلال البحار شرقا وغربا ، يوما بعد يوم ، فلماذا لا يقومون بمثل هذا العمل وهم حيث هم على ظهر الارض مرتين كل عام ؟

ولقي هذا الكتيب نقدا مرا . ولكن صاحبه لم ييأس بل الزداد حماسا فكتب لاعضاء البرلمان ولاصحاب المصانع وكل من آنس فيهم تقديرا لفكرته ، حتى اصبح موضوع تقديم الساعة حديث الناس ، وانقسموا ما بين معجب او منتقد او ساخر .

بعض اصحاب المصانع استجاب للدعوة ، وشاطرهم الملك

وشيئا فشيئا اعجب بالفكرة بعض اصحاب المصانع الكبرى فاختبروها وعملوا بها وقدموا ساعاتها ساعة واحدة . وشاطرهم الملك ادوارد السابع هذا الاعجاب ، فقدم ساعات قصره .

معارضة

ولكن الاغلبية أبت الا المحافظة على التقاليد ولجأت الى المعارضة .

عارض الزراع لأن بالصبح الذين سيضطر الى الاستيقاظ مبكرا ساعة ليقدم اللبن لزبائنه قبل خروجهم لعملهم ، كما اعترضوا بأن القمح او البرسيم سيكون غير جاف تماما عندما يسيقطون لجمعه ، وسيضطرون للانتظار دون عمل حتى تجففه الشمس .

كذلك عارض اصحاب دور التمثيل ، وقد ظنوا ان الناس لا يمكن ان يدخلوا مسرحا والشمس طالعة .

وانضم الى هؤلاء وهؤلاء اصحاب شركات غاز الاستصباح خوفا مما سيصيبهم من خسارة .

ورجال الدين انبروا يتهمونه بالكفر لأن جوهر فكرته تغيير للأوضاع الطبيعية التي سنها الله .

فى البرلمان الانجليزى

واستطاع « ويليت » ان يقنع بفكرته احد اعضاء البرلمان وهو « السير روبرت بيرس » ، شرح له وجهة نظره ، وبين له مزايا المشروع . واقتنع « بيرس » . وقدم مشروع قانون الى البرلمان فى عام ١٩٠٨ . وتناول البرلمان الموضوع بالبحث . واختلفت الآراء اختلافا لا مثيل له . وكان اشد المعارضين له لورد بلفور صاحب الوعد المشئوم .

ولم يصل البرلمان الى رأى حاسم ، وظل الأمر معلقا ، ولهذا رفضت الحكومة القانون لأن الجمهور كان فى بلبلة من امره ..

فى البرلمان الانجليزى للمرة الثانية

وفى سنة ١٩٠٩ عاد البرلمان الى مناقشة المشروع ، وكون لجنة للاستماع الى رأى الشعب . وعادت مع المناقشة الحجج القديمة . وزاد بعضهم عليها ان تقديم الساعة فى انجلترا ، دون باقى دول القارة الأوروبية ، سينجم عنه تأخير ورود البريد واضطراب العلاقات مع دول اوروبا . وتساءل البعض عما سيفعلون بالمزاول التي توجد بالحدائق العامة وهى ادوات جامدة لا تتقدم ولا تتأخر ؟

ورغم هذه المعارضة عرض مشروع القانون على مجلس العموم . وهناك لقى معارضة عنيفة ، عمها السير فردريك بنبرى ، واللورد هيوسيل Cecil ... ولقى القانون نفس المعارضة فى مجلس اللوردات ، حتى ان اللورد بلفور قال عنه انه اسخف والله وانزا قانون سمعنا عنه .. وان احتملناه وقت الحرب فلن نحتمله طيلة الحياة .

اعتراض مضحك

واعترض اللورد هيوسيل على هذا النظام اعتراضا اثار ضحك الكثيرين .

قال لاعضاء مجلس اللوردات : ان النظام فى انجلترا يقضى بأن اول ابن هو الذى يرث املاك ابيه والقابه . فلو ان سيدة لعبة الحظ وضعت فى الليلة التي تتقدم فيها الساعة توأمين ذكرين ، الأول ولدته فى الساعة الواحدة الا عشر دقائق ، ثم لما حانت الساعة الواحدة اصبحت بمقتضى هذا النظام الى الثانية عشرة ، وفى هذه اللحظة ولدت السيدة الولد الثانى . فيصبح الأمر وكأن الثانى ولد قبل الأول بخمسين دقيقة .

فأيهما يرث ، وأيهما لا يرث ؟

وفشل القانون فى البرلمان .

وتقوم الحرب العالميـة الأولى ، وتستجاب الدعوه الى تقديم الساعة

وقامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ . ومات « وليم ويليت » عام ١٩١٥ . وبعد نحو عام علمت انجلترا فى اول مايو ١٩١٦ ان المانيا طبقت فكرة التوقيت الصيفى رغبة فى الاقتصاد ولتوفير الوقود للحرب . فاسرعت الحكومة الانجليزية بتأليف لجنة من الاخصائيين للنظر فى مشكلة التوفير فى الوقود . ونصحت اللجنة بتطبيق ذلك النظام فى ١٧ مايو سنة ١٩١٦ على ان تقدم الساعة ستين دقيقة من ٢١ مايو سنة ١٩١٦ .

وقد تبعت انجلترا بعض الدول الاوروبية مثل فرنسا وروسيا .

وقد اصبح ذلك النظام دائما ، تنفيذا لقرار صدر فى انجلترا سنة ١٩٢٥ .

تكريم ويليت ، صاحب الدعوه

وفى العام التالى لبدء تقديم الساعة فى انجلترا ، حل يوم ذكرى وفاة « ويليت » . فأقام خطباء

البرلمان ذكراه . وقام (ونستون تشرشل) يطلب من مجلس العموم الموافقة على اعتمـــاد لإقامة تمثال له .. ولكن التمثال استبدل بلوحة تذكارية في الغابة التي كان « ويليت » يمرح فيها بحصانه والتي أطلق عليها اسم وليم ويليت .

التوقيت الصيفي في بريطانيا

وبدأ عملية التقديم بمقدار الساعة الثانية بتوقيت جرينتش صباح اليوم التالي للسبت الثالث من شهر ابريل . فاذا وافق ذلك اليوم عيد الفصح فان التقديم يبدأ في اليوم التالي للسبت الثاني من ابريل وينتهي التقديم عند الساعة الثانيـة من صباح اليوم التالي للسبت الأول من اكتوبر .

وفي الولايات المتحدة

وفي الولايات المتحدة الأمريكية يسمى التوقيت الصيفي Daylight Saving Time أي وقت توفير ضوء النهار .

وقد اثيرت حملة دعائية بشأنه في عام ١٩١٦ ، وحدث انقسام حسمه قرار الكونجرس بالبـدء بالعمل به من ٣١ مارس سنة ١٩١٨ فتتقدم الساعة من آخر احد في مارس وترجع الى النظام القديم في آخر احد في اكتوبر . .

وقد حدثت في الولايات المتحدة معارضة كالتي حدثت في انجلترا . من ذلك ان الزراع قــالوا ان الأبقار لا يمكنها ان تعرف بهــذا التوقيت ، وانهم هم ، أي القرويين ، انمـا يتعاملون مـع الأبقار .

كما ثار رجــال الدين وقالوا ان هذا يخالف مشيئة الله وما صنعه من انظمة للكون .

ولسبب من ذلك الغى هذا القانون عام ١٩١٩ ، وترك للولايات حرية تطبيقه او الغائه فتمسكت به بعض الولايات واهملته ولايات أخرى .

وفي اوروبا

وشعرت باقي حكومات اوربا بحاجتهـــا الى « توفير » الوقود فعملت على تقديم الوقت ساعة قبل حلول الصيف ثم اعادة الوقت الى ما كان عليه عند حلول الخريف دون تغيير في مواعيــد العمل الرسمية .

الفائدة التى تحققت

وكانت النتيجة توفير الوقود الخاص بالاضاءة بنسبة تقدر بنحو ٢٠ في المائة او اكثر ، دون ان تتكبد الحكومات شيئا يذكر ، فضلا عن الفـائدة التي جناها افراد الشعب اذ يأوي كل منهم الى فراشه قبل الموعد المعتــاد بساعة ، ويستيقظ مبكرا ، فتتــسع ساعاته الى النزهات والرحلات التي يستمتعون بها على السحر ..

وعقب انتهاء الحرب العالمية الأولى ظل هــذا النظام معمولا به ، بعـــد ان كان المفروض انه « ضرورة حربية » واستمر النظام في انجلترا ، وهو يطبق بنجاح تام .

وفي الحرب العالمية الثانية

وفي خريف عام ١٩٤٠ قررت بريطانيا وفرنسـا والمانيا وبعض دول اخرى استمرار توقيت توفير ضوء النهار طوال العام على الرغم من ان التوفير ضئيل في فصل الشتاء ومع هــــذا فقد توفرت الكهرباء في الشتاء . وفي الربيــــع التالي قدمت بريطانيا والجزء المحتل من فرنسـا الساعات ساعة ثانية خلال اشهر الصيف . وظل الحــال كذلك طوال اعوام الحرب .

مصر تأخذ بفكرة التوقيت الصيفي

ولعل الجمهورية العربية المتحدة هي الوحيدة بين الدول العربية التي اخذت بفكرة التـوقيت الصيفي .

فقبيل الحرب العالمية الثانية تقدم القنصل المصري في ميلانو الى الحكومة المصرية باقتـراح تطبيق نظام الساعة الصيفية في مصر قائلا ان هذا النظام « اصلح لمصر من سواها اذ ان الشمس تشرق فيها حوالي الساعة الخامسة بينما لا يبدأ العمل الرسمي في الوزارات والمصـــالح ومحلات التجارة والأعمال قبل الساعة الثامنة حيث تشتد الحرارة فضلا عن ضياع ثلاث ساعات من النهار بدون فائدة ... » .

ولم يجد هذا الاقتراح قبولا من المسئولين الا بعد نشوب الحرب العالمية الثانية ، فقدم احد النواب في اوائل سنة ١٩٤٠ باقتراح تقديم عقارب الساعة في فترة الصيف ووافقت الحكومة المصرية على هــذا الاقتراح ، وحبذته السلطات البريطانية ، وصدر امر عسكرى بتقديم الساعة .

ويقدر الوفر الذي نجم عن التوقيت الصيفي بنحو ٢٢ في المائة تقريباً ، يضاف اليها الوفر عند الذين لا يستخدمون الكهرباء في الاضاءة . ولا تقل جملة الوفر عن مليون جنيه في العام من نفقات الوقود فقط ، فاذا أضيف اليها نفقات السهر كان مقدار الوفر اكثر بلا ريب .

غير ان تلك التجربة انتهت بانتهاء الحرب وكان الاحرى باولي الامر ان يستمروا فيها ...

وعاد هذا النظام مرة اخرى ليطبق في مصر في ٤ مايو عام ١٩٥٧ حينما قدم وزير الشئون الاجتماعية مشروع قانون بتعديل الساعة القانونية للجمهورية في فصل الصيف .

كيف تغير الساعات العامة في الجمهورية العربية المتحدة

في الساعة الحادية عشرة من ليلة اول مايو يمسك اغلب اصحاب الساعات ساعاتهم ويديرون عقاربها الى الامام ساعة لتصبح الثانية عشرة .

اما ساعة جامعة القاهرة التي يضبط عليها اغلب ابناء الشرق العربي ساعاتهم ، فيتولى احد مهندسي الساعات بمصلحة الطبيعيات اجراء التغيير المطلوب لتدق ، في تلك الليلة الساعة الواحدة بدلا من ان تعلن منتصف الليل .

اما ساعات الجمارك والمطارات وغيرها فهذه توجد بين كل مجموعة منها ساعة تسمى « الساعة الأم » ، وهي تسير بالكهرباء ، وهي متصلة بالساعات المرتبطة بها بطارية كهربائية . فعندما يكون هناك تغيير في الوقت يقوم احد المهندسين باجراء التغيير في الساعة الأم فتتغير كل الساعات المتصلة بها اوتوماتيكيا .

ويرى بعض الاخصائيين في الجمهورية العربية المتحدة ان تقديم الوقت ساعتين افيد لنا من الناحية الاقتصادية لا سيما وان شروق الشمس يساعد على تنفيذ ذلك الرأي كما ان اشتداد الحرارة في منتصف النهار يقلل من الانتاج .

مفارقات عجيبة

ولا يخلو تقديم وتأخير الساعة من مفارقات عجيبة فقد حدث في سنة ١٩٥٩ عندما اخرت الساعة مساء ٣٠ سبتمبر ، وهو آخر موعد للتوقيت الصيفي في الجمهورية العربية المتحدة ، ان احد الاطباء بمستشفى القصر العيني كتب في دفتر العمليات يقول

« بدأت العملية في الساعة ١١و١٥ دقيقة مساء يوم ٣٠ سبتمبر ، وانتهيت منها في الساعة ١١و٥ دقائق مساء اليوم نفسه » . ولم يستطع الدكتور ان يبلع الجملة التي كتبها فقال لنفسه وهو يضحك « مش معقول هذا الكلام » . واضطر ان يضيف في الدفتر انه دخل حجرة العمليات حسب التوقيت الصيفي ، وخرج منها حسب التوقيت العادي ..

وفي مستشفى الجيزة بالقاهرة وضعت احدى السيدات مولودة فيسعدت الساعة الثانية عشرة والربع ثم وضعت مولودا اخرى سجلت على اساس انها ولدت في الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق وهكذا اصبحت الثانية اكبر من الاولى سنا ..!

« ... ومما يفرق الغربيين عن الشرقيين ان الغربيين يهتمون بالزمن اعظم الاهتمام فبينما يحسب الاجر في الغرب على اساس ساعة العمل يحسب في الشرق الاوسط على اساس نوع العمل . فالحداد المعلم الذي يصنع صواني الشاي ، يرجع الى عمله متى شاء ويتركه متى شاء . وليس لديه ساعات منتظمة يعمل فيها ، ولا لوحة على باب محله تعلن انه « ذهب للغداء وسيعود بعد خمس عشرة دقيقة » . وعندما ينتهي من صنع صينية ممتازة يبيعها ويبدأ في صنع غيرها . وليس عليه رئيس ولا عنده ساعة للوقت . فليس في طبيعة عمله ما يتطلب ملاءمة وثيقة بين جهوده وجهود غيره من الخبراء ، كما هو الحال في المصانع الغربية .

ويجلس التاجر في متجره قارئا كتابا او يتحدث مع جاره في المخزن الملاصق . ويأتي احد الزبائن سائلا عن ثمن زوج من الاحذية . وتجري مساومة بين التاجر والزبون قد تستمر نصف ساعة ، وقد يشترك فيها المارة والاصدقاء . ويتظاهر الزبون بالانصراف ويتظاهر التاجر باعادة بضاعته مكانها . واخيرا يشتري الزبون زوج الاحذية عادة بسعر معقول . ويسأل الاجنبي ، لماذا يفعلون كل ذلك؟ لماذا لا يلصقون ورقة على البضاعة تعلن سعرها المحدود ؟ لان التاجر يحب المساومة مع زبائنه ومع المساومة ضياع الوقت ... » ■■

مصطفى احمد الشهابي





هتشكوك في مادبة

● المعروف عن المخرج السينمائي « الفريد هتشكوك » شدة ولعه بالطعام. ومرة دعي الى مادبة كانت كمية الطعام التي قدمت فيها قليلة لا تشبع ، فلما قدمت القهوة بعد العشاء التفت المضيف الى هتشكوك قائلا :

ارجو ان تشرفني بتناول العشاء مرة اخرى .

فاجاب هتشكوك : بكل سرور .. فلنفعل ذلك الآن !

***



لباقة ...

● دعي « فيكتور هيجو » — احد اقطاب الادب الفرنسي — مرة لتناول العشاء لدى اسرة تعرف اليها من عهد قريب . وقد راق له الطعام ، فاقبل عليه بشهية لم تتمالك ربة البيت ان هنأته عليها .

وقام فيكتور هيجو الحرج والخجل، ليقول في لباقة :

— لو انني كنت قد تعرفت اليك من قبل يا سيدتي ، لتفتحت شهيتي اكثر من ذلك !

الانسان لا يذوب في الماء

● كان الاستاذ هوجوشيف ، مدرس الكيمياء في جامعة فرسوفيا ، يكره المظلات كرها شديدا . ومرة رآه احد تلامذته سائرا تحت المطر المنهمر ، فتقدم منه وعرض عليه مظلته ، فرفض الاستاذ قائلا : اشكرك شكرا جزيلا ، واعلم يا صاحبي ان الانسان لا يذوب في الماء ، فتعلم يا فتى هذا المركب الكيماوي الجديد !

لهذا اكرهه

● جلس احدهم بجانب سيدة رشيقة في بعض المآدب ، ولما اراد ان يحادثها ، لم يجد الا ان يأخذ بالذم والوقيعة في رجل لا يعرفه ، كان يجلس على مسافة منهما ، فردت عليه السيدة تقول له :

— ويحك انك تعني زوجي ؟؟

فاجابها مجلجلا : نعم ، ولهذا اكرهه!

***

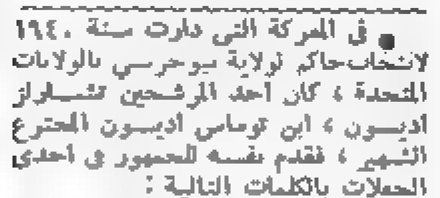
هذا هو سبب خروجي

● دعي الروائي الفرنسي تريستان برنار Bernard لمشاهدة العرض الاول لمسرحية كاتب من اصدقائه ، وبعد مشاهدة فصلين من الرواية ، اغتنم فرصة الاستراحة وتسلل الى الخارج ، ولما نبهه الموظف الواقف بالباب الى انه بقي الفصل الاخير اجابه :

— انا خارج لهذا السبب يا صديقي !



ابن اديسون لا يتجر باسم ابيه



● في المعركة التي دارت سنة ١٩٤٠ لانتخاب حاكم لولاية نيوجرسي بالولايات المتحدة ، كان أحد المرشحين تشارلز اديسون ، ابن توماس اديسون المخترع الشهير ، فقدم نفسه للجمهور في احدى الحملات بالكلمات التالية :

ـ لا مفر للناس من أن يقرنوا اسمي باسم والدي ، ولكنني لا ارغب ان يظن أحد اني اتجر باسم اديسون ، بل افضل ان اوصف بأني نتيجة احدى التجارب الاولى ، التي جربها والدي .

المسالة الشرقية عند اذني صاحبة الجلالة

● بعث السلطان عبد العزيز العثماني قرطين هدية للملكة فكتوريا صحبة فؤاد باشا ، ولما سلمها القرطين سالت الباشا من سبب اختيار السلطان لهذه الهدية .

فاجابها : لتكون المسالة الشرقية عند اذنيك يا صاحبة الجلالة !

غلام يسال موتزارت

● ذهب غلام الى الموسيقى « موتزارت » وساله :

ـ كيف ينبغي لي ان اصل الى تأليف سمفونية ؟

فقال موتزارت :

ـ انك فتى طري الاهاب ، فلم لا تبدأ بتأليف الحان بسيطة ؟

فقال الفتى :

ـ ولكنك الفت سمفونية حين كنت في العاشرة .

فقال موتزارت :

ـ نعم ، ولكنني لم اسال كيف اؤلفها .

النوم نوع من الراى

● عهد الى الناقد « فرنسيس سارسي » سماع احدى الروايات التمثيلية وابداء رايه فيها .

وحدث ان نام اثناء القراءة ، وعندما افاق قال له احد زملائه :

ـ كيف يمكن أن تحكم على الرواية بعد أن نمت عند سماعها ؟

فاجاب سارسي :

ـ يا عزيزي ان النوم هو نوع من الراي ، فاذا كان الكلام من فضة ، والسكوت من ذهب ، فان النوم من الماس !

السيف هو الذى يتقلده

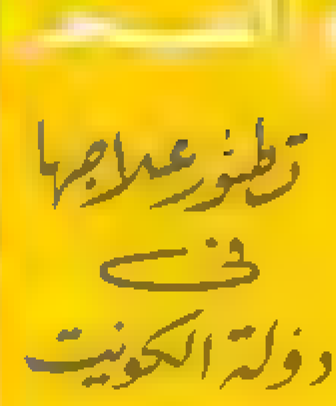
● زوج الخطيب الروماني « شيشرون » ابنته من شاب قصير القامة جدا ، ولكنه من اشراف روما . ومرة اطل شيشرون من مجلس « الفوروم » فراى من بعيد ابنته ومعها زوجها مرتديا بزته العسكرية ، ومتقلدا سيفه ، فسال أحد الواقفين بجانبه :

ـ اليس ذاك الرجل صهري ؟

فاجابه : نعم وهو يتقلد سيفه .

فقال شيشرون : لا بل السيف هو الذي يتقلد صهري !





ماكينة جديدة لحفر الأسنان المتسوسة

بقلم : الدكتور سعد [illegible]

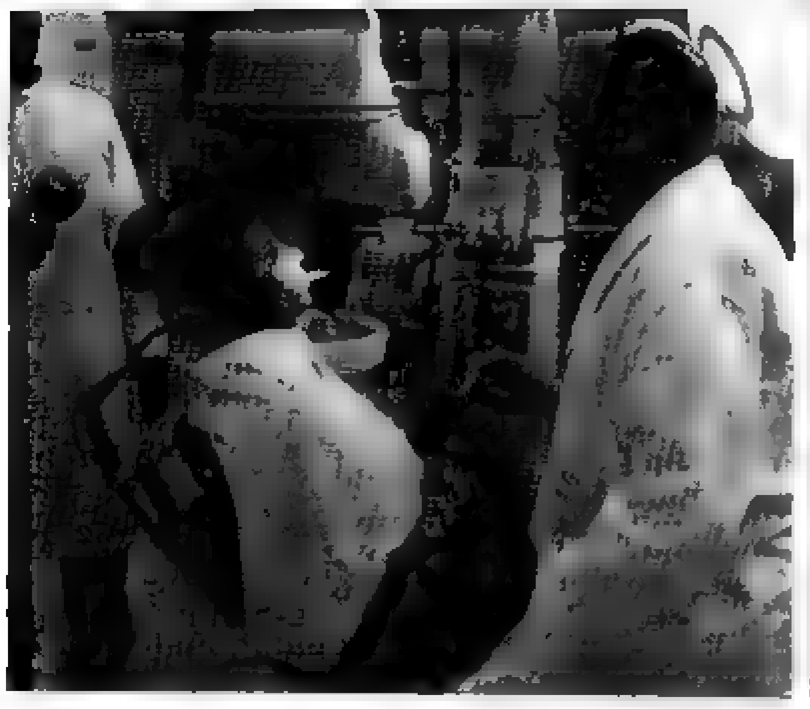
[illegible]

حتى وصلوا الى ما عليه [illegible]
[illegible] للمعركه [illegible]
لمؤسسات طبية ومستشفيات [illegible]

حلية وعطاء من الله

ان الفم من اجمل واهم الاعضاء التي [illegible]
[illegible]
[illegible] الاسنان [illegible] الوجه ، [illegible]
لؤلؤ اسنانه وبريق تاجها ، ولون [illegible] الذي





دون ألم أو إزعاج .

بالشفتين حلية أرادها الله لحلاوة تلك الابتسامة العذبة التي تفرج عنها الشفتان لتنطلق من بينهما الكلمة الحلوة تدغدغ قلب السامع .

لمحة تاريخية

لا بد لي من ذكر لمحة تاريخية بسيطة عن المراحل التي مر بها طب الأسنان حتى وصل للتقدم الذي وصله اليوم .

ان الانسان منذ خلقه الله يشكو من الآلام التي تصيب جسده ، ومن بينها آلام الأسنان . وقد كان يحاول معالجة آلامه بوسائله الخاصة الغريبة، فكان يشعل النار ، ويحرق الحشائش والبخور ، ثم يأتي بالمريض ويضعه بالقرب من دخانها ، وتتعالى صرخات التعاويذ العالية حتى يصيح المريض وقد كاد أن يختنق ، فيأخذ الساحر حجرا ساخنا كالجمر من جوف النار فيلدغ به موضع الألم من الجسم ليتخلص من أعصابه الوالهة ، وهي تسكن مؤقتا لتثور من جديد .

وظل العراك بين الانسان والألم قائمة قرونا .

وكتب الأطباء المصريون القدماء على أوراق البردى ، قبل الألف الستين ، خمسة من أمراض الأسنان ، فوجد قسم منها في فكوك الموميات ، حيث ظهرت آثار القلع والكي وتثبيت حجر في الأسنان النخرة الغائرة والواسعة .

كذلك ظهرت محاولات الاستعاضة عن الأسنان المقلوعة بأسنان ذهبية ومعدنية وبلغ الأمر بهم الى تكريس الآهة تدعى «ابولونيا» لطب الأسنان!

كما وجدت في مقابر الفينيقيين بلبنان جماجم يرجع تاريخها الى ٥٠٠ عام ق. م. تقريبا ، وبفحصها وجد أن الفك العلوي منهما خلعت أسنانه ، واستعيض عنها بأسنان ذهبية مأخوذة من أسنان العجول .

وهكذا ظهرت في الآثار الرومانية والهندية

والعربية ، في تلك الحقبة من التاريخ ، اسنان عولجت بالقلع ، ومحاولات بسيطة بدائية تسوى بالاسنان المخلوعة اسنانا صناعية ..

وظل طب الاسنان يتقدم رويدا رويدا ، الى ان كان منتصف القرن التاسع عشر ، وفيه استعيض من القلع بحشو الاسنان والمحافظة عليها .

وفي الربع الاول من القرن العشرين زاد الاهتمام بحشو الاسنان ومعالجة اللثة وازالة الالتهاب الضار باعناق الاسنان ، وتطورت وسائل العلاج .

وفي سنة ١٩٣٠ دخل طب الاسنان ضمن البرامج العلاجية والوقائية للصحة العامة .

الكويت تساير ركب التطور

وفي الكويت بدأ طب الاسنان المنظم في سنة ١٩٥١ عندما استقدمت الحكومة اول طبيب اسنان عمل في المستشفى الاميري ، ثم تبعه بعد سنة واحدة ثلاثة اطباء آخرون . الا ان سير البرامج الصحية ، وارتفاع مستوى المعيشة ، وارتفاع المستوى العلمي والثقافي بين الناس ، وانتشار وسائل الارشاد والتثقيف الصحي من نشرات صحية وصحف واذاعة وتلفزة ، جعل من طب الاسنان في الكويت فرعا هاما من فروع الطب ، فاقبل المواطنون على التردد على العيادات . وادى هذا الى زيادة كبيرة في عدد اطباء الاسنان ، حتى وصل الى ٣٧ طبيبا ، يعملون في ٣٥ عيادة مزودة باحدث الآلات ، وخاصة الاجهزة الالكترونية وجهاز حفر الاسنان ذي السرعة الفائقة ، تلك السرعة التي جعلت من عملية حفر الاسنان عملية سهلة مرضية لدى الطبيب والمريض معا ، بعد ان كانت مصدر رعب وازعاج للطرفين !

وهذا الجهاز الجديد يعمل بالاحتزاز وضغط الهواء ، دون استعمال الكهرباء



يعمل في الكويت ٣٧ طبيبا عربيا للاسنان منهم ٢ من ابناء الكويت . وترى هنا مجموعة منهم اثناء اجتماع لهم لتنسيق توزيع خدماتهم صحيا ووضع نظام تسجيل وتدريب طب الاسنان بالكويت

.. وتتطلب فيه الابرة الحافرة في الثنيه مقدارا من الذبذبات معظمها وفي اثناء عمله الحفر يرش على الحفر ماء وهذا الماء يزيل الحرارة التي تتولد بفعل احتكاك طرف الجهاز بضرس المريض، وهي الحرارة التي كانت تسبب الالام للمريض .

وبفضل هذا الجهاز السريع المريح اصبح حفر السن وحشوها يتمان في جلسة واحدة !

طبيب اسنان لكل ١٢ الف نسمة

ان نسبة اطباء الاسنان في الكويت تبلغ طبيبا واحدا لكل ١٢ الف نسمة تقريبا .. وكانت هذه النسبة ـ من ١٢ سنة فقط ـ طبيبا واحدا لكل ١٠٠ الف نسمة ..

وبمقارنة هذه الارقام بغيرها من الدول نجد ان بامريكا طبيبا واحدا لكل ١٦٠٠ نسمة ، وان بانجلترا طبيبا واحدا لكل ٤٠٠٠ نسمة ، وبالهند وبورما طبيبا واحدا لكل ٧٠٠ الف نسمة ، وفي مصر طبيبا واحدا لكل ٣٠٠٠٠ نسمة .

هذه هي آلة الحفر الحديثة التي عممت على جميع المستوصفات والمناطق في الكويت .. انها الآلة التي تقوم بعملين في آن واحد : حفر السن، والتبريد الذي يسكن ألم الحفر .

النساء اكثر من الرجال

وكان عدد المترددين على عيادات الاسنان خلال العام الماضي ٢٠٠ الف نسمة .

وقام مركز الاسنان بصنع وتركيب ١٢٢٠ طقم اسنان للمرضى بالمجان ، وذلك في المختبر الكبير الملحق بالمستشفى الاميري ، وهو مجهز باحدث المعدات..

ومن اللطيف ان نسبة المترددات من النساء كانت ٧٠ ٪ من مجموع المترددين ..

ولعل طبيعة المراة واهتمامها بمظهرها يجعلانها اكثر ترددا على طبيب الاسنان من الرجال .. ولا ننسى أن عوارض الحمل تسبب تغيرات عضوية تؤثر على اسنان المراة الحامل ..

اهمية الفلور للاسنان

ومن العوامل التي تؤثر على اسنان سكان الكويت الماء الذي يشربونه .. فقد تبين اخيرا انه خال من عنصر الفلور الضروري جدا لصلابة الاسنان وسلامتها .. فهو ماء مقطر من البحر ومضاف

اطقم الاسنان توزع مجانا على المرضى بالكويت

التعويض الصناعي ، هو عملية وضع طقم او جسر في الفم بدلاً من الاسنان المقلوعة .

وفي الكويت مختبر متخصص ، جهز من احدث واكبر المختبرات في الشرق الاوسط ، يعمل فيه ٣٧ خبيرا وميكانيكيا في صناعة الاسنان ، ارسل بعضهم في بعثات خارجية تخصصوا خلالها في صناعة المعادن وأشباهها المستعملة في صناعة اطقم الاسنان مثل Vitalium الذي تطور اخيرا الى فيرليوم Verilium

ويقوم هذا المختبر بتلبية طلبات اطباء الاسنان الخاصة بصنع الاطقم والجسور التي تسلم للمرضى المقيمين او الوافدين الى الكويت بالمجان تقريبا ، اذ لا يتقاضى عنها سوى اجر رمزي فقط ..

ان ترك الفم خاليا من الاسنان من الاسباب الرئيسية لعسر الهضم . فعدم وجود الاسنان الطاحنة يجعل الاكل ينزل الى المعدة كتلا غير مطحونة ..

كما ان الفراغ الذي ينشأ من خلع بعض الاسنان بسبب تلفها والتهابات وتكلسا في ارتطة السن السليمة واللثة المجاورة له ، وهذا شيء طبيعي لانه اذا عطل اي عضو سليم في الجسم عن اداء وظيفته اصيب بتغيرات وعوارض مرضية .



دقة ومهارة تتطلبهما صناعة اطقم الاسنان

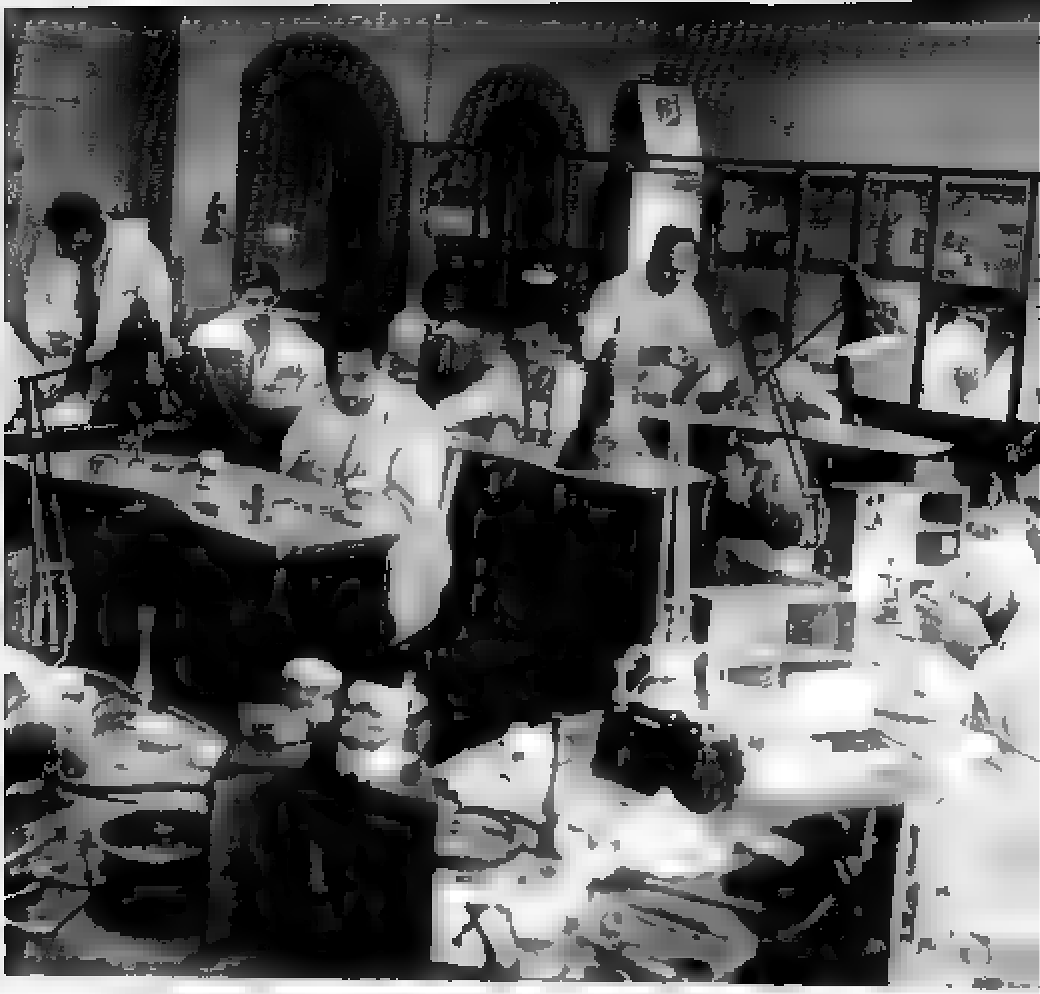
اليه نسبة من المياه الجوفية المالحة العالية في كثير من الاحيان من مركبات الفلور .

ان فلورة الماء ، اي اضافة ملح الفلور الى الماء ، عملية بدات تسير عليها البلاد المتقدمة وهي آخذة في الانتشار ، لانها عملية تصون اسنان الطلبة والاطفال .

وقد قامت وزارة الكهرباء والماء في حكومة الكويت بالتعاون مع وزارة الصحة بدراسات من أجل اضافة ملح الفلور الى الماء .. ولكن ما ساور المشروع من نقاش من ناحية . وقرب وصول مياه شط العرب من العراق من ناحية اخرى ، وهي مياه تحتوي على نسبة من الفلور عادية وطبيعية ، جعل الوزارة تعدل مؤقتا عن عملية اضافة الفلور الى الماء المقطر .

مشاريع المستقبل ..

ان وزارة الصحة العامة بحكومة الكويت تهدف الى مضاعفة عدد اطباء الاسنان الموجودين فيها حاليا ، حتى



٣٧ اخصائيا في صناعة طقم الاسنان يعملون في مختبر الطقوم بالمستشفى الاميري بالكويت

لتصبح نسبتهم الى السكان مقاربة لما هي عليه في الدول المتقدمة .. حتى يصبح نظام التأمين الطبي للاسنان مكتملا .

وبتحقيق هذا المشروع يصبح الكويت البلد الوحيد في العالم الذي يؤمن طب الاسنان تأمينا كاملا بمجانيته وخدماته الكاملة .

وقد قامت الوزارة بالتعاقد مع اخصائي مقيم في جراحة الفك ومعالجة الكسور الناتجة عن الحوادث ..

واستحدثت اخصائيا آخر في التحليل الباثولوجي (علم الأمراض) وذلك للتعرف على العلامات التي تظهر في الفم نتيجة للاصابة بالأورام الخبيثة ..

انها كلها خطوات تتخذها الوزارة من اجل المحافظة على سلامة اسنان افراد الشعب لان الحقيقة العلمية الثابتة تؤكد ان : الفم السليم مدخل لازم للجسم السليم .

الكويت ـ **سعيد البيومي**



هذا القرار .. لا يتفق مع عصر رائدة الفضاء ((فالنتينا))

من جريدة « الدفاع » الاردنية :

● اتخذت الجهات المسئولة فى وزارة التربية والتعليم قرارا يقضى بإنهاء خدمات كل مدرسة بمجرد الزواج !

فهل يتفق هذا القرار ، مع عصر رائدة الفضاء فالنتينا ؟

ان نفس الظروف التى تحيط بالشاب .. ونفس العوامل التى تؤثر عليه .. تحيط بالفتاة .. وتؤثر عليها .. فتقبل على التعليم بنفس الرغبة .. وتسعى الى الشهادة لنفس الاسباب .. وتنطلق كما ينطلق .. الى أرض الله الواسعة وراء الرزق .. لتؤدى واجباتها نحو ذويها ، تماما ، كما يفعل الرجل .. ان لم تكن أسخى منه فى العطاء بحكم قلبها .

وكلاهما فى اعتبار « القرار » سواء .. حتى تتزوج المسكينة ، وهنا ينظر اليها القرار نظرة رجعية ، فيحرمها من نفس أسباب العيش ، وفرص الكسب ، لتفسح المجال للرجل ، فيمتلئ قلبها بالحقد والمرارة والحسرة ، وهى ترى الدولة ، تميز الرجل عليها ، دون أن توجد له فضيلة تميزه عنها مشيرة بأصبعها الى شقيقاتها فى الدول العربية ، وقد وصلن الى قمة حقوقهن ، فمنهن القاضية ، وعضوة البرلمان .. والوزيرة ..

ولا ننس أن هذه الفتاة ، تتحمل مسئولياتها نحو ذويها .. وتقوم بواجباتها .. كما يفعل الرجل .. فكيف تتخلى عن واجباتها .. نحو من تعيل وتساعد فى الاعالة ! .. سواء الآن أهلها أو كان زوج المستقبل !

وهل الحياة مقصورة على الذكور دون الإناث ! لا .. والآن فلتكن ابوابها مفتوحة للجميع لأنها للجميع ..

يجب تقليم

من جريدة « المساء » القاهرية :

● .. السياسة الامريكية التى بدأت تتضح معالمها بشكل واضح فى عهد الرئيس جونسون تثير التساؤل .. ما الذى تريده امريكا بالضبط ؟.. وما الذى تسعى اليه ؟

ان كل يوم يمر يكشف عن الاعتقاد بأن الولايات المتحدة تعتمد على قوتها الاقتصادية والعسكرية فى العودة بالبشرية الى شريعة الغاب ، ومن ثم استغلال هذه القوة فى السيطرة على مقدرات الشعوب ومصائرها .

فما تفعله الولايات المتحدة فى فيتنام ، من استخدام كل أنواع الأسلحة العسكرية المشروعة وغير المشروعة . بل والتى تتنافى مع المبادئ الانسانية كأسلحة الغاز . والأسلحة الكيماوية .. وكذلك ما تفعله من دعم للعصابات الصهيونية



الأدب والحياة

من مجلة « الإذاعة » السعودية :

● إذا كنا نعني بالأدب ـ معناه الحق ـ فهو انعكاسات صحيحة للحياة ، وهو كانعكاسه يظهر الموضوع أو الفكر أو أي شأن من شئون الحياة التي تصطدم بإحساسات الأدب حتى تستبين جميع ملامحها ثم يسجلها بحسب درجتها من الوضوح في نفسه من نثره أو شعره ...

لذلك لا نرى أي انفكاك بين الأدب الصحيح والحياة ، ولسنا نرى رأيا أعظم ضلالا من أن يتصور متصور أن الأدب زينة تلقى على صدر الحياة آنا ، ثم تنزع منها ولا يترك بقاؤها أو نزعها أثرا في حقيقة الواقع . كما أنه لا فرق بين أن يتصور متصور أن الأدب يقوم لذاته ويبقى لذاته من غير أن يكون للحياة والواقع ، أو يتصور أن الروح تقوم بذاتها ، وتبقى لذاتها من غير جسم تعيش فيه وتتصرف بواسطته ، وتعرض من طريقه أسرارها من خير وشر وجمال وقبح وقلب وفكر . إن الأدب هو للحياة ، ولن يكون لغيرها .

أظافر الوحش

ضد حقوق الشعب الفلسطيني العربي ، وضد الأمة العربية بأسرها ... وما تفعله في الكونغو .. وفي قبرص ، وفي غيرهما ، من ضغط عسكري ، وضغط اقتصادي وسياسي ، كل هذا يدفع إلى الاعتقاد بأن الولايات المتحدة تحاول فرض نفسها « رجل بوليس » يحدد للشعوب سياستها ويتدخل في شئونها من أجل السيطرة على مصائر هذه الشعوب ، والانفراد بالتحكم فيها وتسخيرها للمصالح والاحتكارات الأمريكية .

كل هذا يجب أن يدفع الدول غير المتحيزة والشعوب الشريفة المحبة للسلام إلى أن تفعل كل ما في وسعها من تدابير إيجابية لتقليم أظافر وأنياب هذا الوحش الكاسر وإرغامه على الاقتناع بأن العالم لم يعد يستسيغ شريعة الغاب ، وأن من يؤمن بهذه الشريعة لا بد أن تحطمه الشعوب في طريقها إلى تحقيق إرادتها .

لبنان والطائفية

من مجلة « الثقافة العربية » اللبنانية :

● إن العلة الأساسية في لبنان ومشكلة المشاكل ، والتي يجب أن تكون هدف العمل ، هي الطائفية .

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا : هل سبب الطائفية في لبنان هو تعدد أنظمة الأحوال الشخصية وصلة هذه الأنظمة الدينية ؟

إن قيام الطائفية يأتي ، إما كنتيجة كبت وحرمان يلحقان بفئة من المواطنين بتأثير طغيان الفئة الأخرى ، واستئثارها بالنصيب الأكبر من خيرات وامتيازات المجتمع ، وإما تحسبا من حرمان أو طغيان محتملين . فهي أولا نتيجة حاجة جماعية في الدفاع عن النفس بين من هم في وضع مماثل . وقديما قيل : العصبية تجمع .

ولقد بلغ استشراء الطائفية في حياة لبنان درجة غدا معها اللبناني يعتقد أنها وراء كل تصرف وكل عمل يصدر عن لبناني مسئول ، والدرجة أنها أثرت في معرض ملاحقة المجرمين ، وحتى في تعطيل الصحف !

ولما كان سبب قيام الطائفية اللبنانية ، وسبب ترسخها ، كما أثبت لنا ذلك تاريخها ، هما الحرمان القائم أو الخوف من خطر محدق ، فإنه لا سبيل لزوالها إلا إذا زال كل حرمان واقع على أية فئة من فئات اللبنانيين ، وكل خوف من خطر محدق يساور أية فئة من الفئات .

إن إزالة الطائفية من نفوس اللبنانيين رهن بحب هؤلاء بعضهم بعضا ، وتبادلهم الثقة بصدق وإخلاص .

وعلى من يحب لبنان أكثر ، أن يأخذ المبادرة ، وإلا بقينا في حلقة مفرغة يترقب كل منا أن تأتي الخطوة الأولى من الفريق الآخر ، فيطول انتظارنا ويفوتنا ركب التقدم .



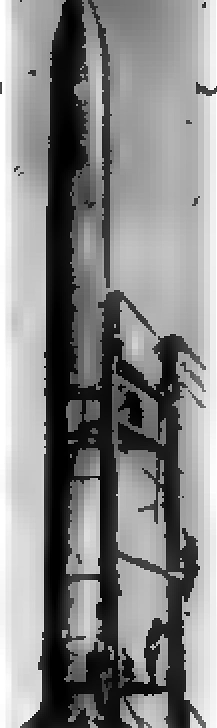
الفرق بين هزة تثيرها رجة ارضية ، وأخرى تثيرها قنبلة ذرية

● من المعروف ان التجارب الذرية التي اتفق الشرق والغرب على تحريمها، لم يكن تحريمها كاملا ، فقد استثنى منها التجارب التي تجريها الامم الذرية في باطن الارض

والسبب في استثناء تجارب ما في باطن الارض كان صعوبة الاستدلال عنها ، فالزلزلة التي تحدثها انفجار ذري تشبه الى حد كبير الزلزلة الطبيعية التي تحدثها ارتجاج الارض بالزلازل الطبيعية

ولهذا اتجه العلماء منذ سنوات في بحث هادىء رزين ، من حيث الخطوط التي ترسمها الزلزلة الذرية . والزلزلة الارضية في مخططات تسجل هذه الزلازل .

الرسوم الثلاثة العليا تنجم عن هزات أرضية زلزالية طبيعية ، والرسوم الثلاثة السفلى تنجم عن هزات أرضية ذرية .

اول صورة للصاروخ الروسى عند انطلاقه

● ظهرت هـذه الصورة لاول مرة فى صحيفة النجم الاحمر ، التى تتحدث باسم الجيش الروسى . الصاروخ الروسى ظل سرا مكتوما،شديد الكتمان ، لان القوة الدافعة التى يعطيها عند اطلاقه قوة هائلة ، بها يتميز الروس الى اليوم على الامريكان . وهاتان صورتان ، واحدة وقد تهيأ الصاروخ فيهـا للانطلاق ، والاخرى للصاروخ وقدانطلق. والفاحص فى الصورتين يرى الكثير من لمسات قام بها الرسام الروسى ليخفى بعض تفاصيل الصورة التى لا يريد الروس لها ان تنشر .

وقد زاد العلماء اجهزتهم الحساسة دقة ، على الاخص فى بحر السنوات الثلاث الماضية . وزادوا حيطة فدفنوا بعض هذه الاجهزة فى سراديب من الارض حتى تتجنب الارتجاجات الثانوية التى تحيط بمواقعها عند السطح ، وكذلك اتخذوا لهذه الاجهزة محطات هادئة . واقاموها محطات عـديدة ، فى خطوط متطاولة، تبعد الواحدة منها عن الاخرى نحو ٢٠٠٠ ميل .

واتضح لهم ان الخطوط المرصودة لزلازل الارض الطبيعية ، غير الخطوط المرصودة لزلازلها الذرية،كما هو واضح فى الرسم المرفق .

والسبب ؟

ان زلزلة الارض الطبيعية تحدث ضغوطا غير متساوية فى جهات متفرقة ، امـا زلزلة الذرة فتكاد ضغوطها تكون متساوية فى شتى اتجاهاتهـا ، ويصح ان يطلق عليها انها زلزلة مسالمة.

اول امراة تصبح طيارة ، فى الطيران المدنى

● انها السيدة ايفون بوب Pope عمرها ٣٤ عاما ، تعمل فى الخط التابع للخطوط البريطانية المتحدة بين بريطانيا والمانيا . وهى ارملة طيار سابق ، ولها ولدان . وهـى بدأت مضيفـة ، ثم مرشدة ، ثم مراقبة طيران . وقد بلغ عدد الساعات التـى قضتها فى قيادة الطائرات ، من شتى الانواع ، نحو ٢٥٠٠ ساعـة .

نبات يصد النفس عن الطعام

● انه نبات اكتشعوه فى الهند ، فى مقاطعة جوجفات ، اذا اكله الاكل ذهب برغبته فى الطعـام ورفـع عنه الم



حراسة

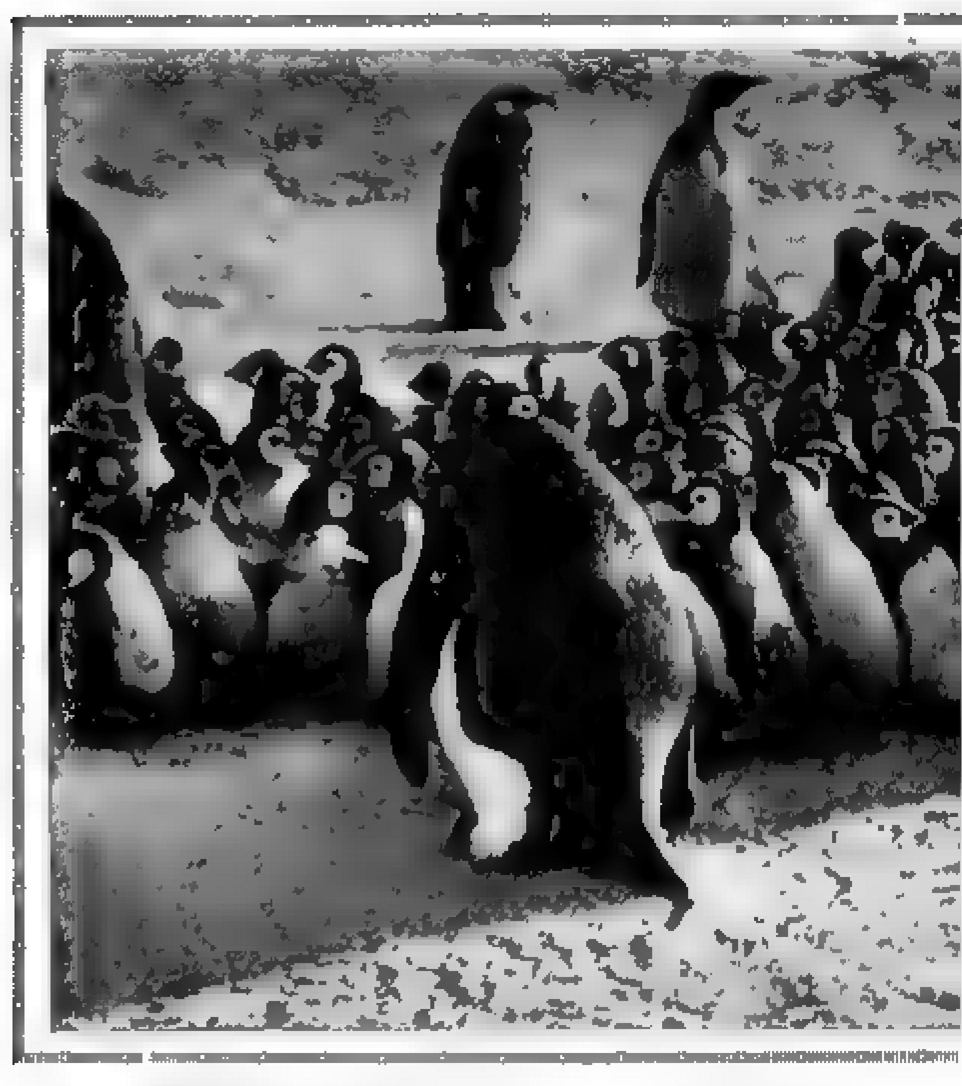
● عادة في بعض الطيور غريبة لا تصدر الا من مجتمع كالمجتمعات ، له وعي بمعنى من معاني التعاون عميق . ففي هذه الصورة صغار من الطير المعروف بالبنجوين Penguins ، وهو يسكن المحيط المتجمد الجنوبي وما حوله ، قام على حراستها بعض كبار الطير من الآباء والامهات . اما سائر الامهات والآباء ، فذهبوا في البحر يصيدون طعامهم ، وطعام ابنائهم وساعة يعودون فتنطلق الصغار عن الحراس ، وتعرف كل أم ابنها ولا تخطئه أبدا . وقلنا هم ، وهي ، لأنهم أشبه في ذلك ببني الناس .

الجوع ، لأكثر من أسبوع .

ويقول العلماء الباحثون إنه يسعى أهل الشرق ، كما يسعى أهل الغرب . أما أهل الشرق فيحميهم من آلام الجوع التي سببها الفاقة وقلة الغذاء . أما أهل الغرب فيحميهم من آلام الجوع إذا هم شاءوا لعسر الطعام علاجا ، فانقصوا مقداره لدرجة الجوع .

الكهرباء ، في الأمم الصناعية ، صارت كالماء جزءا من حياة الناس

● وشاهد ذلك الانذار الذي صدر من هيئة الكهرباء بفرنسا ، فقد أنذرت الناس أن قحطا في الكهرباء سيقع في السنتين القادمتين ، وقد ينشأ عن ذلك



تنضبط الكهرباء على طاقتها ، ليس فقط في الحاجات المنزلية ، ولكن كذلك في المطالب الصناعية ، والسبب في ذلك أن الاستثمارات التي رصدت لزيادة الإنتاج في الكهرباء لم تجار الاستثمارات التي رصدت لزيادة الإنتاج في سائر الصناعات .

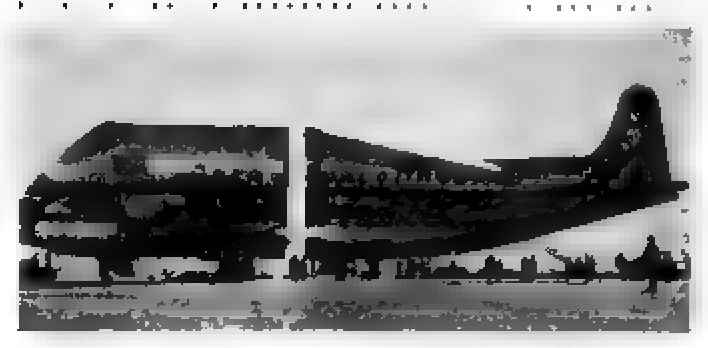
والكهرباء تعتبر المحرك الأول في كثير من الصناعات .

والعجز المحتمل في الكهرباء يبلغ نحو ٢٠ في المائة .

معان غريبة على أهل الشرق .

ولكن نقصا في الكهرباء ، في أمم الغرب ، وهي صناعية ، يهز الجمهور هناك، كما يهز أهل الشرق نقص في الماء.

ومن يدري ، فلعل اليوم يأتي الذي يهز أهل الشرق فيه نقص في الكهرباء ، في الصناعة خاصة .



طيارة : شطرت نصفين

● نعم شطرت .

ولم يكن ذلك عن حادث وقع ، ولا عن تجربة

وانما هم قسموها عمدا ، ليزعلوها من بعد ذلك لتحمل الصواريخ الامريكية، من حيث تصنع في مصانعها ، الى حيث يكون اطلاقها .

والطائرة التي نصوره هي طائرة بوينج Stratocruiser Boeing وقد صورت وهي في مدينة ملتمور استعدادا لتحمل طائعا من طوابق الصاروخ تيتان ، الى راس كندي ، ذلك الصاروخ الذي دفع مركبة الفضاء جيمني Gemini الى الفضاء .

مشرط للطبيب : شعلة من نار

● انها شعلة حارة من غاز محترق ،صنعتها كلية الطب بجامعة كولومبيا الشهيرة ، بنيويورك ، وهي من شدة الحرارة بحيث اذا مست نسيجا من انسجة الجسم أيا كان ، تبخر على الفور ، وتحتر معه الدم من الجرح ، واستطاع الجراح ان يجري جراحته والموضع جاف .

والموضع الاشد حرارة من هذه الشعلة تبلغ درجة حرارته ٣٦٠٠٠ مئوية ، فهو بذلك احر من سطح الشمس ضعفين ، وهو أسطع من اسطع مكان على سطح الشمس .

ومن أجل تشكيل الشعلة بما يتفق مع رقة المشرط التي قامت هي مكانه ، فقد احيطت بما شبه الغمد الذي يحتوي السف ، وهو من غاز ، درجة حرارته قارستن برودتها الصفر المطلق .

وسموا هذا المشرط Plasma-arc

وقد كان ابتدع في اول الامر لتقطع قطع من المعادن سميكة . ■

الجراحة تجعل من الطوال قصارا

● انها امرأة ، وان اسمها آن رستون ، وعمرها ١٩ سنة ، وطالت ثم طالت حتى زاد طولها على المترين ، ومشت بين الناس وكأنها من غير الناس، شيئا يطل عليهم من علو .

والتجأت الى الجراحين فاسعفوها .

وبعد جراحات ثلاث نقص طولها ١٥ سنتيمترا ، نقصوها من عظام رجليها .

وهي تنتظر الآن مثل هذا النقص من عظام ذراعيها

المعجزة

للكاتب القصصي الألماني

« برونوفرانك »

راقبها وهي تسرع وسط رصيف المحطة .. كانت خطواتها نشيطة ، لا تزال فيها فتوة ومرونة ، ولكنها لم تعد رشيقة .. كان طابع الحياة المنزلية يطغى على زوجته . والتفتت اليه مرة أخرى ، ولوحت مبتسمة ، قبل ان تغيب وسط الزحام ..

وجلس . وقبل أن يتحرك به القطار ، كان قد نشر أوراقه على المنضدة أمامه .. وكان وحيدا في المركبة . وكلما رفع بصره عن عمله – من وقت لآخر – كانت عيناه تقعان على منظر طبيعي جميل ، من مناظر بروسيا ، تحت الضوء القاتم المعهود في أصائل أيام شهر نوفمبر .. واذ هدأ القطار من سرعته عند احدى مناطق عبور المشاة للسكة الحديدية – لمح سيارة طريفة الشكل ، فتذكر سيارته .. الحق ان الوقت قد حان ليبيعها ويشتري أخرى أحدث منها طرازا .. وتساءل لنفسه أنه كان من الجدير به أن يتفقد معارض السيارات قبل ذلك ، وأن يجرب بعض الاطرزة الحديثة . ولكنه تذكر ان زوجته ذات الشكل العملي – والعملي أكثر مما ينبغي – لم تر أن الوقت قد حان ليبتاعا سيارة جديدة ..

وعاد ينهمك في عمله .. حتى اذا بلغ برلين ، كان الظلام قد هبط . وتأبط حقيبة أوراقه ، وراح يراقب الحمال وهو يرفع حقيبة ثيابه الى عربة كان قد رُصّت عليها حقائب أخرى ، ثم راح يدفعها الى خارج المحطة ..

وركب سيارة الى الفندق وكان الفندق على مسافة ليست بالقصيرة من المحطة ، وموسم التمثيل قد ابتدأ ، وكان الآلاف من أبناء برلين قد خرجوا جميعا ينشدون اللهو والمسرة ، فاذا الشوارع مزدحمة ، والسيارات تسير ببطء وكأنها تزحف .. وما من امرأة ممن كن متشحات بالفراء مزينات بالجواهر – اللاتي لمحهن من وراء نوافذ السيارات – الا بدت له جميلة خلابة !

ولم تكن طرق برلين غريبة عليه ولا هذه الطرقات . كان يقطع هذه الطرقات – بين المحطة والفندق – في السيارة مرة كل شهرين ، ودائما في المساء .. وكانت كل صغيرة وكبيرة من المعالم مطبوعة في ذاكرته .. ولقد اعتاد ان يسأل نفسه دائما كلما جاء برلين لو كان من الصواب أن يقضي السنوات التالية من عمره ، في عمله بتلك البلدة الريفية ، بينما الحياة هنا – في برلين – تتألق في أزهى الألوان ..

* * *

وبلغ الفندق . وكان معروفا فيه ، فاذا حجرته المعتادة مهيأة له .. حجرة رحبة ، هادئة ، ذات

سريران ، ولمة ستار يمكن ان يحجب السريرين فتتحول الى حجرة جلوس ليستطيع فيها ان يعمل ويستقبل اصدقاءه من رجال الاعمال ، ان شاء .

وما ان خلا الى نفسه في الحجرة ، حتى قرر ان يأوى الى فراشه مبكراً ، ليبدأ عمله مبكراً ايضاً في الصباح التالي . لذلك فتح حقيبة الثياب ، واذا به يجفل في دهشة ، فقد طالعه ثوب من الحرير الاخضر القاتم ، لا يمت اليه ... وتبين في غضب انه حصل على غير حقيبته .. ولما فكر في الامر ، تبين انه ليس بالخطير .. صحيح انه كان قد اودع حقيبته بعض النقود ، ولكنها لم تكن من الكثرة بحيث يثقل عليه فقدها .. اما جميع اوراقه ، فكانت في حافظة الاوراق التي تأبطها .. ومع ذلك ، فقد اعترف — بينه وبين نفسه — بانه كان يؤثر ان يفقد الاوراق ، على ان يفقد ادوات الحلاقة ، والاشياء الصغيرة التي يستخدمها يوميا .. فالمرء يألف مثل هذه الادوات عندما يتجاوز الاربعين ، كما انه لا يرتاح حين يتصور هذه الادوات الشخصية تحت نظرات شخص غريب ، لا سيما اذا كان امرأة .. اذ تبين ان الحقيبة التي جاءته كانت لامرأة .

واغلق الحقيبة ثانية ، وراح يتأملها .. كانت تشبه حقيبته تماماً ، فلا مجال للوم الحمال الذي خلط بينهما .. وتوقع ان تتولى المحطة تصحيح الخطأ فيبادر الى ارسال هذه الحقيبة ، ولا بد ان السيدة ستبادر برد حقيبته ، وينتهي الامر . ومد يده ليضغط زر الجرس ، ولكن يده تطاولت الى جانبه .. كانت هناك طريقة اخرى لاصلاح الخطأ . فلعله يجد في الحقيبة ما ينم عن عنوان السيدة .. وفتح الحقيبة ، فاذا عطر صاحبتها يفوح منها .. فدفع الثوب الاخضر القاتم ، وهو يحرص على الا يفسد طياته ، ووقف والثوب على ساعده ، وقد تكشفت لعينيه العجب مجموعة من مستلزمات السفر .

لقد اقر بان النساء اولى من الرجال حتى في اسفارهن .. وشعر بالخجل اذ تذكر محتويات حقيبته ، التي كان من المؤكد ان السيدة فتحتها في هذه الاثناء .. لا بد انها بهتت ، ولعلها اشمأزت .. ولم يكن ثمة ما يعيب امتعته ، ولكنها كانت قديمة ، مستعملة ، ومن انواع عادية ، فلا ترف ولا بذخ . وتذكر — وهو كاره — ان حذاء منزله — الشبشب — كان اول ما يراه فاتح الحقيبة وكان قديما .. ثم فرشاة الحلاقة ، تلك البالية ! .. ثم فرشاة الاظافر ، تلك التي اشتراها قبل لحظة اهم من اوراق العمل ، كانت ايام عزها قد ولت . ولكن اسوأ ما في الحقيبة ، هو « قميص النوم » .. وكان بعيدا عن الاناقة ، ولكنه كان مريحا ، ومن قماش غالي الثمن ، ونظيفا ومكويا ، ويبدو له كرمز الراحة لدى الطبقة المتوسطة .. ولكن صاحب الغسالة التي كان يعاملها اعتاد ان يلومه ، لانه آخر عميل يأبى ان يستخدم البيجامة .

واذا انه لن يتصور الاثر الذى يتركه قميص النوم في نفسها ..

★ ★ ★

وعلا اريج عطرها الحجرة .. كان عطرا غالي الثمن ، فواحا ، قويا .. ولم يدر لمَ جعله هذا يتخيل ان لا بد لها شذى انفاس تخرج من فم دقيق .. ولا بد انها توحي اليه بانها لا بد ان تكون امرأة رقيقة ، رشيقة ، موفورة الصحة ، ذات اصابع رفيعة متسقة واظافر مستديرة تنم عن اهتمام بالزينة ، وعينين غير داكنتي اللون ، تميل طرفاهما الى الاستطالة ، وشعر ذهبي فاتح ، تنثر خصلاته لتستوي على جبين يوحي بالشمم .. كان الخيال بديعا ، ولكن .. هب ان الحقيبة كانت في واقعها لسيدة بدينة عجوز ، او لعانس مسنة ذات انف معقوف ؟ .. لا ، انها لم تكن كذلك بالتأكيد !

وبينما كالمسحور ، وقد لفح عواطفه شعور غريب ، وغشيه دوارٌ خفيف .. لم يكن العمل الذى همّ بفعله من الصواب في شيء ، حتى لقد شعر بانه مذنب اذ يفعله . ولكنه مع ذلك سار الى الباب فاحكم اغلاقه ، كما كان حريا بان يفعل لو كانت السيدة الغريبة معه .. وتحول يفحص محتويات حقيبتها .. كان اللون الاخضر القاتم لونها المفضل فيما يبدو ، وهو لون يروق لمزاجه الخاص .. وكان يسود كافة امتعتها .. حتى علبة فرشاتها وامشاطها ، وادوات زينتها ، ومرآة اليد البيضاوية .. كلها انيقة لامعة ، وكلها كانت تحمل « م » بالذهب .. مادج ، مرجريت ، مونا .. لم تخطر له سوى اسماء انجليزية توحي بالنضارة والصبا المتوثب .. حتى الشبشب كان من الجلد الاخضر الطري .. وتناولهما ، فاحس بارتياح اذ وجد انهما لم يكونا جديدين ..

وكان القميص نومها من حرير اخضر ، ولكنه

اخلف خطرة .. ورغم التجمد الخفيف الذى به من أنه كان ملبوسا قبل ابداعه العقيبة .. لم خر على علبة صغيرة من الجلد الأخضر القاتم ، بدت كأنها علبة مجوهرات ، فجزء الاكتشاف وبيه الى سوء ما كان يفعل ، فاضطرب .. ولكنه استطعب الشعور بالذنب .. وفتح العلبة وهو يسائل نفسه : هل بذلك كانت امانته تتعرض لاختبار ؟.. لم يكن له أن يحتفظ بأية أشياء ثمينة يعثر عليها، لأكثر من ساعة ، دون أن يبلغ الشرطة الأمر .. ومع ذلك فقد كان كارهـا للتورط فى العلبة . لذلك كان ارتياحه بالغا حين فتحها فوجد أن ما فيها مجوهرات واحجار زائفة ، ولكنها متقنة الصنع .. وكانت جذابة ، وتنم عن مرح وجرأة صاحبتها .. واطمأن الى أن تقاعسه عن ابلاغ الشرطة ، لن يبعث فى نفسه الشعور بأنه لص .

وظل طويلا مؤرقا .. فلما نام اخيرا ، كان نومه قلقا مضطربا .

★ ★ ★

فى الصباح التالى ، ارسل فراش الفندق ليبتاع له بعض ادوات الزينة اللازمة ، كشفرة الحلاقة..حتى اذا جاءت الساعة التاسعة ، غادر حجرته واغلق بابها بعناية . ولم يستطع زملاؤه الذين التقى بهم فى شئون عمله الذى جاء برلين من اجله ، أن يغفلوا - حين اجتمع بهم - عن انه كان شارد الذهن..وعندما اخرج منديله من جيبه - ذات مرة - دهش جاره اذ سرى الى انفه عطر من المنديل ، الذى بدا صغير الحجم ..

وراح قلبه يخفق - حين استقل المصعد الى غرفته فى ذلك المساء - كما لو كان يرتقب مشيقة فى انتظاره .. وفتح الباب ، واضاء المصباح ، ثم وقف مذهولا .. كانت وصيفة الفندق قد هيأت الحجرة لاثنين .. وعلى احد المقاعد بسطت ثروب ذى شعير لا تستطيبا اخضر ، كما انسدلت الستائر على السريرين .. وبجانب السرير الذى لم يشغله فى امسه ، وضعت « الشبشب » الصغير الاخضر كما طرحت ثوب النوم الأخضر على الوسادة ..

★ ★ ★

كان احجامه عن اعادة الحلية الى الصحفة ، أول عمل ينافى الوفاء لزوجته .. لقد اعتاد أن يسمع من زملائه من رجال الأعمال قصص مغامراتهم اثناء زياراتهم برلين ، وكانوا يتحدثون عنها وكأنها من حق كل رجل متزوج قضى فى زواجه عدة سنين .. أما هو ، فلم تساوره قط أدنى رغبة فى أن يحذو حذوهم . بل كان يستنكر أن يضطر يوما الى أن يعود الى داره - بعد مغامرة من هـذا النوع - فيقبل زوجته فى مرح وكأن شيئا لم يحدث. والواقع أن زملاءه لم يصادفوا حرجا البتة ، أما هو فكان على نقيضهم ، اذ كان معروفا بالتحفظ والاتزان ، وكان اقله خروج عن الوقار خليقا بأن يجعله موضع سخرية .

وما كان فى وسع رجل أن يحظى بزيجة أسعد من زيجته . فقد كانت زوجته فى صباها جميلة .. وبرغم أنها انجبت له ثلاثة اولاد يفخر بهم ، فقد ظلت ذات جمال خاص ، يتجلى فى رشاقتها ، ووقارها ، ولطفها .. وكانت ربة بيت مثالية ، ولكنها لم تكن تتحدث قط عن عملها فى البيت .. وكانت تعرف متى يحسن أن تسكت ، وان كانت تبدى اهتماما بشئون زوجها .. اهتماما مستنيرا يجعلها عونا له . ثم انها كانت واسعة الافق ، ذات روح فكهة ولكن فى غير طيش ..وكانت عاطفية ولكن فى حكمة تعصمها من التزلف .. وكانت صريحة ، ولا تخشى أن تواجه حقائق الحياة .. وكل معارفها يجمعون على أنها سيدة رائعة ، وقد كانت كذلك فعلا !



ولكن اروع نساء العالم لا تملك شيئا ازاء ما يغشى الرجل - اذا وقف على اعتاب الكهولة - من نفور من الحياة التى عاشها حتى هذا الحين .. ولقد مرت بصاحبنا - فى السنوات الثلاث الاخيرة - لحظات حرجة لم يفطن اليها انسان سواه .. ومنها لحظة فى اثناء الاحتفال بعيد ميلاده الاربعين ، اذ بهانى - وكأسه فى يده - ليشكر الحضور .. وساوره - فى ومضة خاطفة - أن بوسعه أن يقطع كل الخيوط التى تربطه بالحياة التى عاشها حتى ذلك الحين ، ولكنه حين بسعدا يتكلم الفى نفسه ينطق بالعبارات المألوفة فى هذه المناسبات .. ومنذ اقل من العام ، كان يقضى مع زوجته اجازة سنوية فى القاهرة . وفيما هما يجوسان خلال احد الاحياء الوطنية ، اقبل على زقاق كثير الالتواء يفضى الى شارع رئيسى ،وأبصر فى اعماقه فتنة تشابها تروح وتغدو . وفجأة - وعلى غير توقع - شعر برغبة عاتية تزين له أن ينتزع ذراعه من ذراع زوجته ، ويندفع دون شرح او وداع فيغوص فى هذا الزقاق ، ويخرج من

طرفه الآخر ، فيسلم نفسه لسحر الشرق الدافيء ، او يدع الظروف تسوقه الى قلب افريقيا ، او ببساطة فيختلط بملايين المحتشدة في آسيا .. المجهول ينأى تماما عن وجوده برغم مكانته المحترمة ، وعن زواجه برغم نجاحه ..

كم منا يعرف هذا الشعور المبهم ، الملحاح !.. انه يساور اصحاب الخيال حين يمتلكون الوقت .. ولكنه اشد واقوى لدى الرجال الذين يحسون بالانتقال الى الكهولة . انه نوع من عدم الرضى عن النفس وعن كل ما يحيط بالمرء ، ومن الشوق الى ان يتخلص المرء من سجن شخصيته ، ومن التمرد على لون حياته في حين ان ثمة ملايين من الوان الحياة ! .. انها الرغبة التي تدفع المغامر الى زيارة بلدان غريبة ، وركوب البحار ، والاختلاط بألوان البشر ..

هذا الشعور بعدم الرضى وبعدم القناعة ، هو الذي يطيش بخطوات الرجل ، ويحمله على خيانة من يحب .. وهو الذي زين لصاحبنا ان في العبير المتصاعد من حقيبة الغريبة ، اغراء يفوق اغراء الألف النساء اللاتي صادفهن في طرقات العاصمة من بائعات الهوى .. انه لم يذكر لاحد قط شيئا من اغراء هؤلاء ، فمن المخجل لرجل محترم مثله — رجل اعمال واسرة — ان يفكر — مجرد التفكير — بأن لهؤلاء النسوة اغراء ..

* * *

وخطر له ان المسؤول لا بد قد زود وصيفة الفندق فيما يختص بزميلته الموجودة في الحجرة ، طالما صادف هذه الوصيفة في الردهة ، حتى في يدها اكبر منحة تلقتها من اي نزيل ، واذا بها تبتسم في خبث ومكر ، فشعر بالدم يتصاعد الى وجهه ، اذ ادرك ان الفتاة تود بسؤالها ان تتستر على مغامرة غرامية ..

وفي ذلك المساء ، اغتسل بصابون الغريبة صاحبة الحقيبة ، وكان هذا اول شيء مادي يقربه اليها ، فشعر بارهاق عاطفي .. كانت قطعة الصابون مستعملة ، وان بقى اثر من اسم ينمّ عن انها صنعت في شركة انجليزية .. وخيل اليه ان رغوتها كانت انصع وانعم من اية رغوة عرفها ، وكان لها عبير فواح ، قوى يحيي السحاب في النفوس .. واصبح هذا العبير ينبعث من كل جسمه — ويغلفه بغلالة عبقة — عندما استلقى على سريره — وكأنه شخص ناعم بعلاقته ..

واستيقظ في الصباح التالي ، وفي نفسه عزم على قرار حاسم .. وبينما كان مستلقيا وذراعاه معقودتان تحت رأسه ، راحت افكاره تتجه الى زوجته التي كانت تنتظره على بعد اميال من مكانه ، فشعر بأسف من اجلها ، ولكنه لم يكن يدري كيف يثني نفسه عما اعتزم .. لقد بعد عن زوجته — في هذه المرة — مدة اطول مما اعتاد .. وها هو ذا يشعر فجأة بأن هذا البعد سيمتد الى الأبد .. ان رده عن هذا لا معجزة . ولعله تمنى ان تحدث معجزة ، ولكنه كان موقنا الا سبيل الى ذلك .

وارتدى ثيابه وهو شارد الذهن ، لم يجلس يفكر في الموقف . فقد كان راغبا في الا يفعل سوى كل ما يليق مثله .. كان يزدري اولئك الرجال الذين يخضعون للانانية وهم يعبرون للانفصال عن زوجاتهم .. اما هو ، فكان ميالا ان يترك اسرته ولكن في مأمن من الحاجة والعوز .. كأنه مات عنها ، الا يموت رجال في الخامسة والاربعين من اعمارهم في كل يوم !.. ولقد كان له زملاء اوفياء ، يديرون اعماله لسنوات عديدة بعد موته ، الى ان يقدر الاكبر من ابنائه ان يتولى هذه الاعمال .. ولكن ، ما وضعه هو ؟.. هل يفرط هكذا — وببساطة — في العمل الذي افنى فيه عمره ؟.. أما كان وجوده في برلين لكي يساوم ويناقش ويدبر ويخطط من اجل تحسين مؤسسته ؟

وحاول ان يضرب على هذا الوتر ليوقظ في نفسه المقاومة للقرار الذي اعتزمه .. ولكنه لم يفلح .

* * *

وكان طيلة الوقت ممسكا بالمرآة البيضاوية التي وجدها في حقيبة السيدة الغريبة ، يقلبها بين يديه دون ان يعي او يفطن .. ثم حانت منه التفاتة الى صورة وجهه منعكسا فيها ، فانتزعته هذه الالتفاتة من افكاره ، واذا به يتبين الشيء الذي كان يمسكه .. وادهشه ان فطن — في الوقت ذاته — الى ان المرآة فقدت كثيرا من تأثيرها عليه .. وكذلك فقدت كافة الامتعة الخضراء الانيقة التي تمت لتلك الانثى .. لم يعد لها وجود . وخيل انها لم تكن سوى .. مجرد حلم ، او مناسبة ، تصور فيها انه كان يبغي تلك المرأة المجهولة ولكنه في الواقع كان يبتغي استرداد حريته ليبدأ حياته من جديد .. من بداية البداية .

وكان نادرا ما يستعيد صباه في ذاكرته ، ولكنه فوجيء — في تلك اللحظة — بصورة صفحة معينة من احد كتبه المدرسية ، تتمثل امام عينيه واضحة

..ورأى فيها خطين بالقلم الازرق ، تحت شطرى بيت شعر غاب عن ذهنه خلال الثلاثين عاما الماضية :

« وافهم ان الحرية تعنى ..

« اختيار الطريق الذى تسلكه ... »

كان قد انهى اعماله فى برلين ، ولكنه لم يشأ ان يرحل عن المدينة ، وآثر الا يرى أحدا ولا يتصل بأحد ـ فيما عدا بطاقتى بريد ارسلهما الى اسرته ـ وان يخلو الى افكاره ..

وقضى اصيل ذلك اليوم وهو يتمشى فى المتنزه العام الذى كسته الثلوج .. ولم يعد الى الفندق الا وقد انحسر ضوء النهار ..

واذ فتح الباب ، شعر للفوره بأن احدا فى الحجرة ، فحبس انفاسه مترقبا ، واذا به يسمع صوت امرأة تنتحب بصوت خافت .. واضاء المصباح ، فاذا به يرى زوجته عند مائدة الزينة ، وقد اعتمدت بجبينها على المرآة ، وراحت تبكى ، وحولها ادوات الزينة ذات اللون الاخضر .. وجال ببصره ، فاذا « الفرشاة » متسلة ، و « الروب » الاخضر على المقعد ، وقميص النوم الاخضر على السرير الشاغر ، و « الشبشب » قابع ينتظر قدمى صاحبته الغريبة .

ولم يتحرك ، ولا تحركت زوجته .. ولا تكلما .

اذن ، فقد جاءت لتعود به ، كما فعلت من قبل ـ مرة او اثنتين ـ لمجرد أن يكون حضورها مفاجأة سارة له ، دون أن يخطر ببالها اى شك . وكان من الطبيعى أن يرسلها الفندقيون على الفور الى غرفته .. ولا بد أن الصدمة كانت قاسية عليها ، حين رأت فى الحجرة امتعة امرأة .. ترى كم قاست فى التعذيب ؟ .. وأية آلام عانت ؟

ولكن اسوأ ما فى الامر انه لم يكن بمقدوره تفسيرا يصحح الوضع .. كانت الحقيقة ابعد من أن تصدقها زوجته .. وكان عليه أن يمحو الصورة البشعة التى انطبعت فى ذهنها دون أن يكذب .. أجل ، لن يكذب .. سيطالعها بالحقائق ، وفورا دون اشفاق على عواطفها ، ودون اعتذار لهذه العواطف كذلك .. سيحدثها عما كان يدور فى أظلم حنايا نفسه ، وعن قلقه ، وعذابه النفسى ، وحنينه الى الفرار من وجوده .. انه لكى يمحو الصورة التى رسمتها امتعة المرأة الغريبة ، خليق بأن يعترف لزوجته بأن ثمة خوفا عارما ـ خوفا من الحياة والموت ـ يدفعه فى هذه السن الى ان يودع المعيشة الرتيبة المستقرة

التى عاشها ، وان يجرب فى مسالك الحياة اخرى .. ولكن ، هل أمر كهذا ممكن ؟.. ان يجرب فى الحياة هاجرا عمله ، واولاده ، وزوجته الامينة الوفية؟ولكن،سواء أكان هذا ممكنا أم غير ممكن ، معقولا أم غير معقول ، فقد أصبح ـ بالنسبة اليه ـ ضرورة ، لن ينقذه منها سوى معجزة .

وما لبثت زوجته أن رفعت رأسها ، فرأى وجهها .. والمرآة لا تحتفظ بجمالها بعد ساعة من البكاء ، والالم ، والقنوط .. كان شعرها الاسود متناثرا ، وقد تهدلت خصلة منه على عينيها المحتقنتين بالبكاء ، فرفعتها الزوجة ونظرت الى زوجها .. وتحركت شفتاها ، فلم يلبث أن انبعث صوتها خافتا اجش .

ـ اهى تعيش معك .. هنا فى فندقك ؟.. هذا فظيع .. وحانت اللحظة لكى يقول لها كل شىء ، ثم يختم حديثه بعبارتين حاسمتين . ولكن ذهنه خانه فلم يجد الكلمات .. وراوده شعور طاغ بالاشفاق ، فما لبث أن قال ما كان أى رجل فى مكانه خليقا بأن يقول : « ما من امرأة هنا ! »

ووقفت فى مواجهته تحدق فيه ، فخيل اليه انها توشك أن تطلق ضحكة ساخرة ، ولكنه رأى ـ على العكس ـ أن ملامحها بدأت تنبسط ، وأن شفتيها من الابتسام المشرق بين دموعها ..

وسمعها تسأله : « ما من امرأة ؟.. اصحيح هذا ؟ »

ولم يجد ما يجيب به سوى : « كلا .. اقسم لك ! »

وسمع صوتها ينبعث مبتهجا : « اذن فقد كنت ابكى دون داع ؟.. الحمد لله ، الحمد لله ! ».. وهرعت اليه ، وامسكت بيديه بين راحتيها . فربح قليلا الا شعر بشىء يمزق قلبه فى ايلام قاس ولكنه مستعذب ، حلو .. لقد حدثت المعجزة !. ان زوجته صدقته وكان كل الادلة المادية المتناثرة فى الحجرة لا تعادل ـ فى قيمتها ـ كلمته هو ؟.. لم تسأله دليلا ، ولم تطالبه ببرهان ..

حدثت المعجزة .. معجزة الثقة ، التى لا تملك الدنيا اعظم منها .

وماذا كان يرجو اكثر من هذا .. ان الحياة ـ بعد الذى حدث ـ لم تعد تملك شيئا يذكر تقدمه له .. فهذه كبرى التجارب التى تقدر الانسان فيها .

■■

ترجمة : محمد بدر الدين خليل



حل المشكلة

● دخل المريض عيادة الطبيب النفساني ، وقال له :

ــ دكتور .. لقد اصبحت الحياة سقيمة وغير محتملة واشعر ان لا فائدة لوجودي ..

وبتشاؤم كبير رد الطبيب .

ــ فعلا ، كلنا نعاني من الحياة ... ولكن لا تيأس سريعا ، ان مدة علاجك لن تطول عن سنتين ، على أن تتردد على العيادة يوميا ، وسوف يكلفك هذا خمسة دنانير في الاسبوع !!

وسكت المريض برهة ثم قال :

حسنا يا دكتور، ان علاجك هذا يحل المشكلة بالنسبة لك .. فما بالك بمشكلتي ؟!

اصلاح ...

● دق جرس التلفون في مكتب الزوج وقال المتحدث :

ــ صباح الخير يا سيد حسن ، هنا كراج الاتحاد ، احادثك منه لابلغك ان زوجتك دخلت سيارتها اليوم الى الكراج لتصلحها و ...

فقاطعه الزوج التعب من تصرف زوجته قائلا :

ــ حسنا يمكنك تصليح السيارة وسادفع لك الحساب متى انتهيت .

ــ لا يا سيدي .. اني لا اتكلم عن اصلاح سيارتك ، وانما اتكلم عن اصلاح الكراج .

(تشنيع !! ..)

● الاسكتلندي لزميله : انواع من الشائعات حول بخلنا وحرصنا على جمع المال مالم منها حدا .

الثاني : فعلا .. ومن المؤلم جدا انها بعيدة عن الحقيقة ..

الاول : بهذه المناسبة ، هل سمعت من آخر ما قيل عنا !

الثاني : لا .. هات ما عندك ، فانا مشتاق لسماعه .

الاول : وكم تعطيني مقابل هذا ؟!!

الغلطة الكبرى

● ذهب احدهم الى محل لتصليح ساعة يده القديمة جدا ، وقال للساعاتي شارحا

ــ كانت غلطة كبيرة عندما وقعت الساعة من يدي على الارض .

فقاطعه الساعاتي الماكر قائلا :

ــ بل غلطتك الكبرى يا سيدي انك اعدت التقاطها ثانية من الارض ..

شهادة

● سأل المدير الآنسة التي تقدمت للعمل بالشركة ..

ــ هل معك شهادة تفوق ، او جوائز تثبت ذكاءك اثناء تأدية عملك ؟

ــ نعم فقد ربحت كثيرا من المسابقات التي نشرت في الجرائد والمجلات ..

ــ حسنا .. ولكننا نريد ما يثبت تفوقك وذكاءك في ساعات العمل ..

ــ نعم .. نعم فقد حللت هذه المسابقات في اثناء ساعات العمل .

كتاب الشهر





ألفرد نوبل

بقلم : الدكتور محمود السمره

الجامعة الأردنية ـ عمان

■ ان ما كتب عن ألفرد نوبل منذ وفاته سنة١٨٩٦ الى اليوم كثير ، وخاصة ما كتب عن وصيته والاختراعات التى قام بها . ومع هذا فانما يعرفه العالم عن حياته قليل ، لأن نوبل نفسه كان من الناس الانعزاليين ، الذين لا يتحدثون عن أنفسهم . وهذا الكتاب يسد هذا النقص .

وقد قضى مؤلف هذا الكتاب ، اريك برجنجرن (١) ، عشر سنوات يعمل في مخطوطات ومكتبات مؤسسة نوبل باستكهولم ، فأتاحت هذه السنوات له أن يطلع على أوراق نوبل الخاصة ، فجاء هذا الكتاب سردا واعيا دقيقا لحياة الرجل وأعماله ، وما لقى من متاعب . ويضم هذا الكتاب مواد جديدة لم يسبق نشرها ، كما انه يحلل العناصر المتناقضة في شخصية نوبل تحليلا يدل على ادراك المؤلف للأجوانب شخصية نوبل. وقد أعانه على ادراك شخصية نوبل أن مؤسسة نوبل قد وضعت بين يديه مراسلات المخترع الشهير ، وهي مراسلات مكتوبة بخمس لغات .

حياته في كلمات

ونوبل في كلمات : ولد في استوكهلم سنة ١٨٣٣ ، ولم يقض في المدرسة سوى فصلين دراسيين ، ثم تلقى العلم بعدهما على ايدي مدرسين خصوصيين ، وشب ليكون كيماويا ومهندسا . وقد سافر نوبل في شبابه الى الخارج عام ١٨٥٠ لاتمام دراسته الهندسية ، وقضى سنة في الولايات المتحدة الامريكية ، وزمنا في سانت بطرسبورغ . واخيرا عاد الى بلاده وكرس حياته للدراسة المتفجرات ، وخصوصا مادة النيتروجليسرين Nitroglcerine ومن هذه

---

(1) Erik Bergengren Alfred Nobel

وقد صدر هذا الكتاب مترجما الى العربية في سلسلة « كتب الجوائز العالمية » بالقاهرة

الثالثة ابتدع الديناميت. ثم ابتدع متفجرات أخرى.

ولم تقتصر اختراعات نوبل على الديناميت ، بل تعدته الى اختراع آخر لا يقل عنه أهمية ، ذلك هو جهاز تفجير المواد الناسفة الذي بدونه لا يمكن اطلاقا استخدام المتفجرات .

ومن صناعة المتفجرات ، واستغلال حقول نفط باكو في روسيا ، جمع نوبل ثروة طائلة ، ولكنه كان معتل الصحة ، يلازمه المرض طيلة حياته . وظل طيلة حياته عزبا . ولعل هذا يفسر سبب تشاؤمه .

والفرد نوبل عالم الطبيعة ، والكيماوي والمهندس، كان أيضا شغوفا بالأدب ، محبا للفلسفة حتى انه اتقن خمس لغات هي : السويدية والانجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ،والروسية.

ونوبل ، ملك الديناميت ، كان يكره الحرب ، ويسميها « هول الأهوال وأكبر الجرائم جميعا ».

هذا هو نوبل في سطور قليلة . ونحب بعد هذا أن نقف عند الجوانب التي يحسن الوقوف عندها من شخصيته .

العبقري ذو الشخصية المتناقضة

وأول ما يحسن الوقوف عنده هو شخصية نوبل المتناقضة ، فقد كان الرجل متناقضا الى درجة كبيرة : فعلى الرغم من أنه كان معتل الصحة، الا أنه استطاع أن يقوم بأعمال باهرة . ومن الفقر والمتاعب في حياته الأولى استطاع أن يحقق ثروة ضخمة . وحيل بينه وبين التعليم المنظم ومع هذا استطاع بعقليته المتوقدة أن يحل المشكلات العلمية المعقدة . وكرس حياته لاختراع المتفجرات وتطويرها ، ومع هذا كان يكره العنف والحرب وكان محبا للسلام . وأصبح من كبار الرأسماليين،ورغما عن هذا كان يؤمن بالاشتراكية. وكان وهو العالم العملي ورجل الأعمال ، شاعرا حالما خياليا ينظم الشعر ، وهذا الرجل المنعزل في حياته اليومية ، المتحفظ في سلوكه تجاه من لا يعرفه ، قد أثر تأثيرا كبيرا في عصره . وكان متشائما كثير الشك لم ينعم بالسعادة وهدوء البال ، ولكنه في الوقت نفسه كان صديقا للانسانية يقدر الانسان ضعفه .

واذا أردنا أن نصف مظهره الخارجي قلنا : انه كان يرتدي الملابس العملية البسيطة ، بحيث اذا رآه الرائي لم يلحظ فيه شيئا يشير الى أنه رجل غني أو مشهور ، أو حتى ذكي ، ولكنه اذا تحدث كان حديثه منطقيا دقيقا . وقد عاش نوبل حياته كلها يتناول غذاء صحيا ، ولم يكن يدخن ، أو يشرب الخمر ، أو يلعب الورق . كما أنه لم يرقص طيلة حياته ، ولم يتعلم العزف على آلة موسيقية . وصورة الفرد نوبل التي بقيت حية في خيال من عرفوه هي أنه كان انسانا متوحدا حزينا ، ولكنه مهذب ودود .

خيبة أمل في المرأة والحب

وهذا الانسان الذي عاش حياته أعزب ، له مع المرأة قصة ، وهي قصة لم تكن معروفة لمن كتبوا عنه ، وربما قصته مع المرأة بوالدته التي كان يكن لها كل حب واحترام ، ويبدو أن هذه الأم كانت جديرة بكل هذا. وقد ذهب الذين كتبوا عنه الى أن المرأة الوحيدة في حياته هي أمه ، ولكن المراسلات التي اطلع عليها مؤلف هذا الكتاب كشفت النقاب عن أنه كان له علاقات بثلاث نساء .

أما الأولى فقد كانت حب شبابه الباكر ،وتعود قصته معها الى عام ١٨٥٦ عندما لقيها في باريس، وكانت فتاة جميلة جذابة جذبته الحب وبادلته اياه ، فكانت أملا باسما في حياة الشاب الحزين، ولكن سعادته هذه كانت قصيرة ، اذ سرعان ما اخترمت المنية هذه الفتاة وهي ما زالت على أولى عتبات الشباب . ويبدو أن وفاتها المبكرة كانت صدمة عنيفة لقلب الشاب،فهو يقول في مذكراته « منذ تلك الساعة لم أشارك الناس في ملذاتهم ومتعهم ، ولكني تعلمت أن أدرس كتاب الطبيعة وأتفهم صفحاته ، وأتمم النظر في محتوياتها ، واستخلص من معلوماتها العميقة عزاء وسلوى لآلامي وجروحي » .

واختفت الفتاة الصغيرة وراء حجب السنين .



الفرد نوبل

وعندما كان في الثالثة والاربعين بتجربته الثانية مع المرأة المحبوبة ، وكان اسمها في هذه المرة بيرتا كينسكي : ففي ربيع ١٨٧٦ وظف نوبل هذه الكونتيسة الجميلة سكرتيرة له ، واعجب بها ، واحبها ، وبدا يحلم بالزواج منها . وعندما عرض عليها الزواج أصيب بنكسته الثانية عندما علم ان قلبها ليس خاليا . ولم تلبث برتا ان تركت عملها كسكرتيرة له لتتزوج ممن احبت . وهكذا عاد نوبل ليحيا حياة العلة القاسية ، وان قامت بينه وبين برتا صداقة استمرت طيلة العمر . وقد عبر عن احساسه بالوحدة والعزلة في مذكراته فكتب يقول : « انني مثل الآخرين ، بل ربما اكثر منهم ، احس بعبء العزلة الثقيل . ومنذ سنوات طويلة وانا ابحث عن المرأة التي تستطيع ان تجد طريقها الى قلبي » .

وشهد خريف عام ١٨٧٦ قصة حبه الثالث ، حبه الكبير : ففي خريف هذا العام ، وفي محل لبيع الزهور في (بادن بي وين) ، التقى بفتاة جميلة صغيرة في سن العشرين ، من اسرة متواضعة من فيينا ، فهويها واسكنها شقة فاخرة في باريس ، وانفق عليها في الانفاق ، وحاول ان يخلق منها ، وهي الفتاة الأمية ، فتاة مثقفة ، ولكن جهوده ضاعت سدى ، لأنها لم تكن الفتاة المطلوبة .

وقصته معها تذكرنا بمسرحية « بجماليون » لبرنارد شو ، حيث حاول بجماليون ان يخلق من فتاة فقيرة ، سيدة صالون مثقفة . ولكن اذا كان بجماليون قد نجح في محاولته ، فان نوبل قد فشل . ومع هذا فانه لم يتخل عن الفتاة ، وبقى يرعاها ، وينفق عليها الكثير ، ويتحمل نزواتها ومضايقاتها ، حتى قال : « ان حياتي لتتقلب الى مرارة حينما اجد نفسي مضطرا الى ان اتصرف كمربية بالنسبة لطفلة كبيرة . وهذا التصرف يجعلني عبدا لسخرية اصدقائي ومعارفي » .

وقد دامت صلة نوبل بهذه الفتاة ، واسمها صوفي ، مدة ثمانية عشر عاما ، كتب لها خلالها مائتين وست عشرة رسالة . ويبدو ان كل هذه الرعاية لم تستطع ان تصلح من طينة هذه الفتاة العاصفة ، اذ بعدما توفى نوبل هددت هذه الفتاة المسرفين على تنفيذ الوصية بانها ستنشر رسائل نوبل اليها اذا لم يعطوها اكثر مما ترك لها نوبل في وصيته . وتجنبا للفضيحة خضع المنفذون للوصية لطلبها ، وقاموا بشراء الخطابات منها .

هذه قصة الفرد نوبل مع المرأة ، وهي قصة تعني انه مات وهو يشعر بخيبة امل كبيرة في المرأة والحب .

الفرد نوبل الاديب

ومن الجوانب الخفية في حياة هذا العبقري الذي اقترن اسمه باختراع الديناميت ، انه كان شاعرا واديبا مرهف الحس . وكان نوبل يقوم باستمرار بترجمة الادب الاجنبي الذي يحبه ، وخاصة ادب فولتير ، وقد بلغ اعجابه بالادب حتى اصبح كاتبا ، يقول البروفسور تسوله : « كان نوبل يتمتع بما يوحي بانه سيصبح شاعرا ، وذلك لانه كان يتمتع باحساس مرهف ، وخيال محلق . ونحن نلمس هذا في قصائده التي نظمها ، والتي يبدو فيها متأثرا بالشاعر الانجليزي شيلي

ولكن الطريق الذي سارت فيه حياة نوبل ، واشتغاله باختراعاته واعماله الكثيرة ، صرفته عن

الشعر . وفي أخريات حياته عاد لكتابة القصص القصيرة ، ولكن الوقت كان قد فات . والذكرى لقصص نوبل ، وهي قصص لم تنشر ، مثل « في أفريقيا المضيئة » و « الشقيقان » يحس أنها ساذجة ، على ما فيها من لمحات ذاتية .

وحاول كتابة المسرحية ، فكتب واحدة وطبعها في باريس ، ولكن المنية وافته قبل أن توزع فحال أفراد عائلته دون توزيعها بعد وفاته ، وكانوا على حق في هذا ، لأن مثل هذه المسرحية الضعيفة لم تكن تتناسب مع عبقرية نوبل . وقد علق البروفسور لشوفر على هذا التصرف من جانب عائلته فقال : « لقد كان هذا التصرف سليما » .

ورغم أن ألفرد نوبل حاول كتابة القصة والمسرحية ، إلا أن حبه للشعر كان يأتي أولا : وقد كان شاعرا بروحه ، ينظر الى الحياة والوجود بعين الشاعر . وبقي محتفظا بحبه للشعر طيلة حياته ، ويرى فيه مصدرا لبعث الانسان وتطوره نحو الحياة الأفضل . ووصيته دليل على هذا . ومع أن الكتب التي تناولت نوبل بالدراسة ذكرت أنه قد أحرق الأشعار التي نظمها في شبابه ، إلا أن مؤلف هذا الكتاب يذكر انه قد عثر على الكثير من هذه الأشعار في مخطوطات نوبل .

جائزة نوبل

وألفرد نوبل معروف اليوم ، مشهور بجائزته المسماة باسمه .

وقد كتب نوبل وصيته في ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٩٦ ، أي قبل وفاته بأسبوعين . وقد جاء في هذه الوصية :

« ... ويجب أن يستخدم كل ما يتبقى عن من ثروتي على النحو التالي :

يستثمر منفذو هذه الوصية رأس المال في تأمينات مضمونة ، ويشكل صندوق توزع أرباحه السنوية على شكل جوائز تمنح لأولئك الذين يكونون قد قدموا أعظم نفع للبشرية .

وتقسم تلك الفائدة الى خمسة أنصبة متساوية تخصص على الوجه التالي : نصيب يذهب الى الشخص الذي قام بأهم اكتشاف أو اختراع في ميدان الطبيعة ، ونصيب الى الشخص الذي قام بأهم اكتشاف أو تحسين في الكيمياء . وآخر الى الشخص الذي قام بأهم اكتشاف في ميدان الطب أو الفسيولوجيا . ورابع الى من قدم أبرز عمل في ميدان الأدب ذي اتجاه وميول مثالية . ونصيب خامس الى من قام بأكبر عمل أو أفضله لتحقيق الإخاء بين الأمم ، أو الغاء أو خفض الجيوش القائمة ، أو لعقد مؤتمرات السلام وتشجيعها .

ويتم منح جائزة الطبيعة والكيمياء من قبل الأكاديمية السويدية للعلوم ، وجائزة الطب والفسيولوجيا من قبل مؤسسة كارولين في استكهولم ، وجائزة الأدب من قبل الأكاديمية في استكهولم . أما جائزة السلام فتمنح من قبل لجنة من خمسة أشخاص ينتخبهم البرلمان النرويجي .

وان رغبتي الصريحة هي ألا يوضع أي اعتبار عند تقديم الجوائز لجنسية المرشحين لها ، ولكن الذي يستحقها هو الذي يتسلمها ، سواء كان اسكندينافيا أم لا » .

وكانت الثروة التي جمعها نوبل كبيرة جدا بالنسبة لعصره ، اذ بلغت ٣٣ مليون كرون سويدي ، أي ما يعادل مليونين من الجنيهات الاسترلينية .

وقد قوبلت هذه الوصية بكثير من النقد ، وخاصة جائزته المخصصة للسلام : فقد اعترض المعترضون على أن يصبح مخترع المتفجرات التي استخدمت في الحرب مثلا للسلام وداعية له . والواقع أن نوبل قد أعرب عن قلقه لأن المتفجرات التي اخترعها لخدمة السلام ورفاهية الانسان ، قد أسيء استعمالها واستخدمت في قتل الانسان . لقد كان نوبل يريد من الديناميت أن يستخدم في أعمال المناجم والمواصلات ، لا في التدمير ، وهو يقول معلقا على سوء استخدام اختراعه : « ليس هناك من شيء في العالم لا يمكن أن يساء فهمه أو استخدامه » .

هل جائزة نوبل عالمية فعلا ؟

اذا استعرضنا أسماء الأشخاص الذين منحوا

جائزة نوبل وجدنا ان الكثرة الساحقة منهم من اوروبا والولايات المتحدة الأمريكية . وقد كانت جائزة نوبل للآداب تمنح حتى عام ١٩٦٠ الى اسكندينافيين وطليان وانجليز وفرنسيين والمان واسبان وامريكان ، ولم تمنح لغيرهم الا نادرا ، واولئك الذين منحت لهم من غير من ذكرناهم من المثقفين ثقافة غربية كطاغور ، او من المترجمين للادب الغربي كباسترناك .

ومن ناحية اخرى فان الامم المتحدة تقدر عدد اللغات الأدبية في العالم بما لا يقل عن اربعين لغة ، ولكن كم لغة فحصت لجنة نوبل للآداب قبل اصدار حكمها ؟ لا اظن ان العدد يمكن ان يزيد عن الثنتي عشرة لغة على ابعد تقدير . ان هذا هو ما يجعلنا نعتقد ان جائزة نوبل للآداب بالذات ، في طريقة منحها ، لم تنفذ نص الوصية التي تركها صاحبها،لانها لم تحقق الغاية المرجوة لجعلها من ان تكون عالمية . وكنا نود لو ان المؤلف ناقش هذه الظاهرة .

حقائق اخرى

تتالف كل جائزة من جوائز نوبل من ميدالية ذهبية ، ودبلوم ، ومبلغ من المال يتراوح بين ٣٠ و ٥٠ الف دولار ، وهذا يتوقف على مقدار دخل المؤسسة . وقد توزع الجائزة احيانا بين اثنين او اكثر ، وقد تحجب في سنة من السنين ، وفي هذه الحالة يعود المبلغ الى الصندوق الرئيسي ، او الى الاحتياطي الخاص بكل جائزة . واكثر جائزة حجبت هي جائزة السلام . وقد تمنح الجائزة احيانا الى مؤسسة . وقد يمنح شخص واحد الجائزة مرتين : فمدام كوري منحت جائزة نوبل للطبيعة سنة ١٩٠٣ ، ثم منحت جائزة نوبل للكيمياء سنة ١٩١١ .

وقد بدأ توزيع جوائز نوبل لاول مرة في ١٠ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠١ ، في الذكرى الخامسة لوفاة الفرد نوبل . وجائزة السلام تمنح في احتفال رسمي بأوسلو عاصمة النرويج في هذا التاريخ ايضا ، وفي اليوم نفسه يقدم ملك السويد الجوائز الاخرى في استكهولم عاصمة السويد .

ويجب ان تصل اسماء المرشحين لجوائز نوبل الى المؤسسات المسؤولة قبل اليوم الاول من شهر فبراير (شباط) من كل عام ، وهذه الاسماء تقدم من قبل افراد هم اعضاء ، في اكثر الاحيان ، في مؤسسات وحكومات ، ولا يتقدم لها الشخص بنفسه . وتتخذ قرارات منح الجوائز في شهري اكتوبر ونوفمبر (تشرين الاول وتشرين الثاني) من كل عام .

ومن الاشخاص الذين منحوا جائزة نوبل في الطبيعة :

رونتجن (١٩٠١) لاكتشافه الاشعة السينية ، وبير كوري ومارى كورى (١٩٠٣) لاكتشافهما الراديوم ، وماركوني (١٩٠٩) لتطوير التلغراف اللاسلكي ، واينشتاين (١٩٢١) على نظرية النسبية .

ومن الذين نالوها في الطب بافلوف (١٩٠٤) لاكتشافه وظائف الجهاز الهضمي ، وفلمنج(١٩٤٥) لاكتشافه البنسلين .

ومن نالوها في الآداب : كبلنج (١٩٠٧) ، ورابندرانات طاغور (١٩١٣) ، واناتول فرانس (١٩٢١) ، وجورج برنارد شو (١٩٢٥) ، وتوماس مان (١٩٢٩) ، وبيرل بك (١٩٣٨) ، وبرتراند رسل (١٩٥٠) ، وونستون تشرشل (١٩٥٣) ، وارنست همنجواي (١٩٥٤) .

ومن اولئك الذين نالوا جائزة نوبل للسلام : مؤسسة القانون الدولي (١٩٠٤) ، وتيودور روزفلت (١٩٠٦) ، ومكتب السلام الدولي (١٩١٠) ، وجمعية الصليب الاحمر الدولية (١٩١٧) ، وودرو ولسون (١٩١٩) ، والبرت لوتولي (١٩٦٠) ، وداج همرشولد (١٩٦١) .

وبعد ، ترى هل كان برنارد شو على حق حينما قال معلقا على منحه جائزة نوبل للآداب : « لم ابلغ بعد من الحمق درجة تجعلني ارضى بقبول هذه الجائزة » ؟ لقد اتبع الرجل قوله الفعل ، ورفض حضور الاحتفال وتسلم الجائزة . ■

محمود السمره



اقبال الشاعر والفيلسوف الانسان

تأليف حسين مجيب مصري ـ مطبعة العربى الحديثة ـ [illegible]

● هذا الكتاب عن اقبال الشاعر والفيلسوف وهو من نوابغ الرجال الذين خلقوا للانسانية جمعاء لينيروا طريق سعادتها وتقدمها وليصلحوها من عادية الأمراض الاجتماعية القتالة . وهو شاعر ومفكر وفيلسوف ومصلح وقائد من قواد الفكر الاسلامي والانساني في العالم كله ، وقد جاء هذا الكتاب باسلوب شيق شارحا وموضحا الكثير من فلسفة هذا الرجل العظيم .

أصول علم النفس

تأليف دكتور أحمد عزت راجح ـ الدار العربية للطباعة والنشر بالقاهرة الثمن ٧٥ قرشا

● هذا الكتاب يعتبر سفرا هاما في مادته وهو يعرض علما يتطور تطورا سريعا . والكتاب تعرض باسلوب سهل وبوجه خاص لموضوعات الدوافع والذكاء والتعلم وهو مزود بامثلة واقعية ملموسة تعين دارس هذا العلم على الاستبصار في نفسه وفهم غيره من الناس كما يزخر بكثير من البحوث التجريبية التي تفرق بين الرأي والحقيقة وتفصل بين الشائع والواقع .

البعثات العلمية الشهيرة

تأليف رايموند هولدن ترجمة الدكتور سيد رمضان هدارة ـ دار المعارف بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطبع ـ الثمن ٣ قرشا

● يروى هذا الكتاب باسلوب ممتع قصص قصص من قصص مغامرات لرجال القفار وبعضهم غاصوا في أغوار المحيط . وبعضهم صعد أعالي الجبال وآخرون كشفوا الستار عن بعض أسرار الارض مثل سر قبر فرعون مصر توت عنخ آمون .

الصحة النفسية للاسرة

تأليف دالاس برات وجاك نيهر ترجمة صموئيل مغاريوس ـ الخانجي بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ الثمن ٦ قروش

● يهدف هذا الكتاب الى تشخيص المشكلات التي يقاسي منها افراد الاسرة ، ومعرفة اسبابها وكيفية الوقاية منها ، كما يعتبر مرشدا للآباء والامهات في تقوية الروابط بينهم .

شجرة تنمو في بروكلين

تأليف بتي سميث ترجمة الدكتورة نوال السعداوي دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة بالقاهرة الثمن ٥٠ قرشا

● هذا الكتاب لقصة ادبية رائعة اخرجت للسينما بواسطة شركة فوكس والقصة ترمز لأسرة تعيش في حي فقير من احياء بروكلين بالولايات المتحدة .

حقيقة السرطان

تأليف الدكتور شارلس س. كاميرون ترجمة الدكتور كمال سعيد ـ دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة الثمن ٦٠ قرشا

● هذا الكتاب يبصر القارئ بالكثير عن مرض السرطان وإن كانت معرفة الفرد بحقيقة مرض السرطان لا تضمن سلامته منه . فالسرطان يتطلب اهتماما شخصيا يفوق ما يتطلبه أي مرض آخر . كما يتناول الكتاب بالشرح كل ما توصل اليه الباحثون من وسائل عملية ناجعة للوقاية من السرطان .

مع الأدب العاملي

تأليف علي الزين مطبعة [illegible] بيروت الثمن ٠ قرش لبناني

● الكتاب عبارة عن دراسة ونقد وتحليل للادب في جبل عامل .

تراث الموسيقى العالمية

تأليف : كورت زاكس ترجمة الدكتورة سمحة الخولي دار النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة

● هذا الكتاب يجمع تاريخ الموسيقى منذ نشأة الانسان حتى العصر الحاضر فنا وصناعة وترجمة لحياة الموسيقيين واستعراضا لأعمالهم بأسلوب شيق كما يعد الكتاب مرجعا هاما في هذا الصدد .

جدوى الفلسفة

جان ماريتان . ترجمة رياض نجيب الريس . فرنكلين والمؤسسة الوطنية للطباعة والنشر-بيروت

● يعرض لنا المؤلف في هذه المقالات الثلاث رأيه في الدور الذي تلعبه الفلسفة في حياة الانسان ككائن اجتماعي .

في معركة الحضارة

قسطنطين زريق . دار العلم للملايين

● « ان هذه الدراسة تدور على محورين متلازمين ، وتعود الى غرضين متكاملين : غرض على ايضاح مفهوم أساسي من مفاهيم الحياة ، وعلى ربطه بسواه من المفاهيم الأساسية ، قصد الاسهام في تكوين نظرة حضارية صحيحة لدى الشعوب العربية » .

الدب الصغير

تأليف : الس هولاند مينارك — ترجمة : عفاف محمد فؤاد

مكتبة النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة — الثمن ١٤ قرشا

● هذه قصة للأطفال الصغار تظهر سحر القراءة وأهميتها بالنسبة لإبنائنا الأحباء . وهي تمثل رحلة الدب الصغير الى القمر وذلك بأسلوب يجذب انتباه الصغار شيق كما ازدانت برسوم ملونة رائعة .

فن الكاتب المسرحي

تأليف روجر م.بسفيلد (الابن) ترجمة دريني خشبة مكتبة النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٦٠ قرشا

■ الكتاب مقدم الى الكتاب المسرحيين والمتعطشين الى الثقافة المسرحية العليا وكذا الى المخرجين والممثلين وفيه الخطوط العامة للكتابة المسرحية .

التقرير الى آباء التلاميذ

تأليف روث ستراتج ترجمة الدكتور محمد خليفة بركات — دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ١٨ قرشا

● هذا الكتاب يتناول جانب التجارب العملية في التعليم وفهم سلوك الأطفال وتحسين العلاقات والتعاون بين الآباء والمدرسين والأطفال .

سلاسل الماضي

نزار مؤيد العظم . مطابع ابن زيدون — دمشق

● رواية يهديها كاتبها « الى اللذين اقترفت من منزلي واعطيهما معطيات هذه الرواية .. الى اللذين عاشا الحب .. ليثبتا صحة الأسطورة القائلة : ما من سعادة الا والشقاء ضمانها » .

دعنا نفهم مشكلات الشباب

ايفرز وهاليث . ترجمة الدكتور عطية محمود هنا . مؤسسة فرنكلين ومكتبة النهضة المصرية .

● من فصول الكتاب: مشكلات النمو ، مشكلات العلاقة بالوالدين ، المشكلات المتعلقة بالمدرسة ، مشكلات الراهقين الشخصية .

البحوث الممتعة

تأليف جورج بار — ترجمة الدكتور انور محمود عبد الواحد — مكتبة النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٢١ قرشا

● هذا الكتاب يصف للنشء كثيرا من البحوث العلمية ، كما يرشدهم الى استخدام الأساليب الفنية التي يستعملها العلماء الكبار . ■■



من خرافات التلمود

● ان بني اسرائيل هم شعب الله المختار ، الذي عزره من بين الشعوب . اما بقية الأمم الخارجة عن دين اليهود فليست الا كلابا وحميرا وحيوانات خلقت للعز .



● ارجو التفضل بالاجابة عن الاسئلة التالية .

١ ــ ما الفرق بين اليهودية والصهيونية ؟

٢ ــ نقرأ احيانا ان التلمود هو الكتاب المقدس عند اليهود ، فهل هو التوراة التي انزلت على سيدنا موسى ؟ أم هو كتاب غيرها ؟ واذا كان غيرها فعلى من أنزل من الرسل أو الانبياء ؟

صالحيناز عبد العظيم ــ الاسكندرية

ــ اولا : احب ان تعرف ان الكتاب المتداول الآن باسم التوراة أو « الكتاب المقدس » « العهد القديم » ليس هو ما انزل على سيدنا موسى ، وانما هو مجموعة من « الاسفار » تسجل الحوادث التي وقعت منذ بدأ الله خلق العالم ــ في زعمهم ــ ولم تقف عند وفاة موسى بل استمرت الى ما حدث بعد ذلك لبني اسرائيل ، وما جاء على لسان انبيائهم الى الفترة التي سبقت ظهور السيد المسيح ..

ولا شك ان هذه الاسفار كتبت في عصور مختلفة ، متراخية في القدم ، وبأقلام اشخاص مختلفين ، خلافا لما كان اليهود يزعمون من ان موسى هو مؤلف القسم الأول ، الذي ينتهي بموته ، بدليل انه حتى « شريعة موسى » المدونة في سفر « تثنية الاشتراع » ــ تقول عنها الطبعة الأخيرة للكتاب المقدس اصدار المطبعة الكاثوليكية في بيروت ما يلي : ــ (قد رأى مؤلفها كي يحفظ ايمان معاصريه ويحفزهم من تأثير الكنعانيين المشئوم ان يعتمد على تقاليد قديمة ، وعلى سلطة موسى ، ليعطي رسالته ، فوضع الكلام على لسان موسى لأنه امتداد لشريعته ، لكنه مطبق على الايام الجديدة ، وذلك حسب عقلية العصر) !

كما ان واضعي معظم هذه الاسفار « لم يكترثوا بربط الحوادث بالتاريخ العام »





من خرافات التلمود

● ان اليهود اقدس من الملائكة واغضاب الحاخام كاغضاب العزة الالهية !

● ان الله نفسه يدرس التلمود منتصبا على قدميه .

● ان التلمود وجد قبل الخليقة ولولا التلمود لزال الكون .

بقدر ما حرصوا على ابراز تاريخ « شعب الله المختار » وما حدث لهم منذ اخرجوا من مصر .. كما أن بين هذه الاسفار ما لا يتصل بالشريعة ولا بالتاريخ ، مثل « نشيد الانشاد » و « الجامعة » وغيرهما ..

اما الفرق بين اليهودية والصهيونية فهو . ان الاولى دين من اديان الله ، بينما الثانية فكرة سياسية ترمي الى تحقيق اغراض دنيوية اهمها انشاء دولة عنصرية يهودية في فلسطين ، او بالاحرى اقامة امبراطورية يهودية عالمية ، من النيل الى الفرات ، يكون مركزها في فلسطين .

ولتحقيق هذه الغاية وضع بعض حاخامات اليهود كتاب « التلمود » واضافوا عليه من القداسة ما لا تتمتع به التوراة نفسها . وقد وضع هذا الكتاب ايام سبي بني اسرائيل ، وهدفه الاول تحريض شعب بني اسرائيل على كل من عداه من الشعوب التي يسمونها « الجوييم » وتمييز بني اسرائيل على كل من سواهم لانهم « شعب الله المختار » الذي فرزه من بين الشعوب ! بينما بقية الشعوب والامم الخارجة عن دين اليهود « ليست الا كلابا وحميرا وحيوانات خلقت لتخدم » !!

ومن امثلة تلك الخرافات ما يلي :

« ان التلمود وجد قبل الخليقة ولولا التلمود لزال الكون » (سفر بيساشيم ٨٦٤٥)

« ان اليهود اقدس من الملائكة ، وان اغضاب الحاخام كاغضاب العزة الالهية » .. (سفر سنهدرين) .

« ان الله نفسه يدرس التلمود منتصبا على قدميه » !! (سفر محالا ١١) .

« وان للحاخامين السيادة على الله ، وعليه اجراء ما يرغبون فيه » !! (سفر موعطنان).

قراءة الكف للتنبؤ عن المستقبل .. دجل اى دجل !

● أنا شاب متعلم ، مهندس جيولوجي ، تزوجت من أقل من عام بزميلة لي بعد قصة حب طيلة سنوات دراستنا الجامعية ، ونحن نعيش الآن كأسعد ما يمكن أن يعيش زوجان ، وكل أمنيتنا أن يمن الله علينا بطفل أو أكثر ، حتى تزداد الرابطة بيننا رسوخا وتوطيدا .

كنت منذ أيام أزور أحد أصدقائي فالتقيت عنده بأحد قارئي الكف المعروفين ، فدفعني حب الاستطلاع والبحث وراء المجهول أن أطلب اليه قراءة كفي .. وما كان أشد الصدمة على نفسي عندما أكد لي أنني سأتزوج مرتين ، ولكني لن أنجب ذرية من الزواجين !

ولما سألته كيف عرف ذلك ، أخرج لي كتابا باللغة الانجليزية اسمه

What your hands Reveal

لمؤلفة لا أذكر اسمها الآن ، وأراني بعض الرسوم وفيها خطوط صغيرة ، عرضية وطولية ، في نهاية كلوة اليد تحت الاصبع الخنصر ، وقال : ان الأولى هي خطوط الزواج ، ومنها يتبين عدد الزوجات ، وأن الثانية تبين عدد الأولاد .

ولست أتكتم انني أعيش منذ ذلك الوقت في دوامة : فأنا أحب زوجتي وأكره أن نفترق يوما ما ، ولكنني في الوقت نفسه أود ، كما تود هي ، أن يرزقنا الله طفلا يملأ علينا فراغنا في المستقبل .

وطبيعي أني لم أخبرها بشيء مما سمعته . ولكني عرضت نفسي على أحد كبار الأطباء ، فأكد لي بعد اجراء بعض التحاليل العملية ، أن كل شيء عندي على ما يرام .. وأخشى أن أطلب الى زوجتي أن تجرى هي الأخرى مثل هذه التحاليل فتكون النتيجة مخيبة للآمال .

أفيدوني برأيكم ، فأنا أستنجد !

س.ج. ـ الفاشلي

ـ من قديم الزمن اهتم الكثيرون بدراسة الكف ، اعتقادا منهم بأن شكل اليد والخطوط والعلامات المنتشرة فيها لم توجد عبثا ، وانما وجدت للدلالة على شخصية صاحب الكف وميوله وأخلاقه اذ ان شبكة الأعصاب التي تتصل بها تتأثر بحالة المخ الذي يتحكم فيها .

لكن المغالاة في هذه الدراسات أدت الى ظهور طائفة من الدجالين الذين لم يقتصروا على دراسة العلاقة بين شكل الكف وخطوطها وبين أخلاق صاحبها وميوله وانحرافه ، بل زعموا القدرة على التنبؤ بالمستقبل وما يقع فيه ، من هذه الخطوط والاشكال ، بما في ذلك من زواج وطلاق ونجاح وفشل ، وثروة وذرية ، وصحة أو مرض ، ولا يتورعون عن أن يحددوا لكل من هذه الحوادث تاريخا معينا ! حتى الأعمار لم تسلم من عبثهم ، بل من دجلهم ، فهم يقولون لك انك ستعيش كذا من السنين ، وتتزوج كذا من النساء وتنجب كذا من الأولاد والبنات ، لأن ذلك كله ـ بزعمهم ـ مسطور في كفك !!

وقد أخرجت المطابع في السنوات الأخيرة مئات ، بل الآفا ، من الكتب في « علم » قراءة الكف ، في الشرق ، والغرب على السواء . وكلها تتفنن في رسم اليد في أشكالها المختلفة وخطوطها المتباينة ، وتقسمها الى « تلال » و « سهول » و « جبال » وتنسب كل واحد منها الى نجم أو كوكب ، كالشمس وعطارد والزهرة والمشترى والمريخ وزحل والقمر ، ولو أن مؤلفيها نسوا أن يضيفوا كوكبي أورانوس ونبتون ، وزميلهما الأحدث « بلوتو » !

أما نصيحتنا اليك ، يا سيدى القارىء فنستمدها من أحد هذه المؤلفات المعروفة في قراءة الكف ، وفيه يوصى المؤلف تلاميذه بما يأتي :

١ ـ « اياك أن ترتكب ما يرتكبه الدجالون من حماقات ، فتتنبأ لمن تقرأ كفه ، رجلا أو سيدة ، بعدد الزيجات أو عدد الأولاد ، اعتمادا على الخطوط القصيرة التي تظهر في نهاية كلوة اليد أسفل الاصبع الخنصر ، والتي يدعي الجهال من قراء الكف أنها تبين عدد الأزواج والأولاد » .

٢ ـ « لا تذكر تاريخا محددا أو سنة معينة لحادثة تظن أنها ستقع في المستقبل ، لأن هذا مستحيل بداهة وعلميا ، وإن حدث مرة فمن قبيل الصدف التي لا تتكرر .. وحذار أن تحدد لشخص ما عمره وعدد السنين التي سيعيشها ، فذلك أسرار الغيب ، والغيب لا يعلمه الا الله .. » .

وهكذا يمكن أن نقول : وشهد شاهد من أهلها .

فلا تلق بالا الى ما تنبأ به عراف السوء ، ولا تنغص سعادتك الزوجية بالاستماع الى مثل هذه الترهات التي لا تعدو أن تكون رجما بالغيب ، لا يستند ـ حتى الآن على الأقل ـ الى أساس من العلم يستريح اليه الانسان ...

العرب العاربة .. والعرب المستعربة

● كثيرا ما نقرأ في كتب الادب والتاريخ عبارتي « العرب العاربة » و « العرب المستعربة » دون أن نعرف الفرق بينهما . وأخيرا أخبرني أحد الاصدقاء أن العرب المستعربة هم الشعوب غير العربية التي دخلت الاسلام واستعربت ، فدهشت من ذلك لاني كنت قرأت أن ذرية اسماعيل هم من العرب المستعربة ، ومنهم قريش التي كانت تضم بني هاشم ، أسرة الرسول العربي الكريم . فكيف يمكن التوفيق بين هذه الآراء المتضاربة ؟

ابراهيم علي سعيد ــ الكويت

ــ ليس صديقك على حق فيما قاله لك من ان العرب المستعربة هم الشعوب العربية التي دخلت الاسلام وذابت في الدولة العربية .

وينقسم العرب عند علماء الانساب والمؤرخين الى ثلاثة اقسام :

العرب البائدة : وهم اقدم قبائل العرب ، يرجع تاريخهم الى اكثر من اربعة آلاف عام .

واشهر قبائل العرب البائدة :

ــ العمالقة : وقد عاشوا في الحجاز ومصر والعراق حوالي سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد .

ــ عاد وثمود : وقد عاشوا في الاحقاف بين عمان وحضرموت حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد .

ــ مدين : وقد عاشوا في العقبة بالاردن حوالي سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد .

وقد بادت هذه القبائل وغيرها مثل اميم وجرْهُم ، ولم يبق من آثار حضارتها الا النادر .

اما العرب العاربة : فهم القحطانيون الذين سكنوا اليمن وغيرها من الاقطار العربية ، وكانت لهم فيها دول دالت هي الاخرى ، كالمعينيين والسبئيين والحميريين في اليمن ، والغساسنة في الشام ، واللخميين في العراق .

وكان لكل دولة من هذه الدول حضارتها المستقلة ، وكانت دولا متعادية لا تجمعها رابطة .

واما العرب المستعربة : فهم نسل اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، ويقال لهم العدنانيون ، وهم قبائل كثيرة معروفة ، منهم تميم وغطفان وكنانة ــ ومنها قريش قبيلة بني هاشم اسرة الرسول (صلعم) ــ وربيعة وتغلب وبكر وبنو شيبان .

ونجد انساب العرب شعوبا وقبائل مفصلة في كتب الانساب المختصة ، ككتاب « جمهرة العرب » لابن دريد و « العقد الفريد » لابن عبد ربه .

بدو التاريخ الهجرى

● كلنا نعلم أن التاريخ الهجرى بدأ عام ٦٢٢ من الميلاد . هل أستطيع أن أعرف في أي يوم وفي أي شهر من ذلك العام بدأ التقويم الهجرى ؟ .

اسماعيل عبد الدين ــ طرابلس

ــ بدأ التقويم الهجرى على اصح الاقوال في يوم الجمعة الموافق ١٦ يوليو (تموز) سنة ٦٢٢ ميلادية و ١٢ أبيب سنة ٣٣٨ قبطية .

شرب اللبن بعد اكل السمك

● كثيرا ما نسمع العامة تقول ان شرب اللبن بعد اكل السمك مباشرة ، او العكس ، يؤدى الى احداث تسمم في الجسم .. فما هو وجه الحقيقة في هذه الاشاعة ؟

حمزة عبد العزيز : الدمام

مروان ناصيف . العبدلة

ــ أصل هذه الاشاعة خرافة قديمة توارثتها الاجيال في بعض اقطار الوطن العربي التي كانت ترزح تحت اثقال الجهالة والخرافات ، دون ان يكون لهذا الزعم سند من علوم الطب والصحة العامة .

«وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات»

● أنا شاب في العشرين من عمري متزوج منذ أقل من عام. وكنت قبل ذلك سفاحا وإن لم أقتل أحدا، بل كنت أسطو على أموال الناس وآخذها وهم عنها غافلون. وقد بنيت على هذا المال بيتي وأثاثه قبل زواجي، ثم بعده بشهرين التي، وبعدها بدأ ضميري يستيقظ، وبدأت أحاسب نفسي على ما فعلت، ثم تملكني الندم على ما كان مني، واعتزمت التوبة إلى الله.

وقد سمعت من إمام مسجد القرية أن من شروط التوبة رد المظالم إلى أهلها، وحيث إني لا أستطيع أن أرد ما سرقت إلى أصحابه لأني بذلك أعرض نفسي للحبس وبعد سنوات طويلة ثم إذا خرجت من السجن خرجت ملطوخا بأني لص قديم، ولن ألقى من المجتمع إلا النبذ والاحتقار..

لكني في نفس الوقت راغب أشد الرغبة في أن أتطهر من كل درن المعصية أو سرقته، فهل يصح أن تتم توبتي إذا ما تبرعت بما يوازي ما سرقت في أناس أي الفقراء والمساكين، أم أن هناك طريقة أخرى أحسن منها بها يغفر الله ما تقدم من ذنبي وتقبل توبتي!

تائب صادق

— أنا معك في أنه ليس معقولا أن ترد ما سرقت إلى أصحابه فتعرض نفسك للعقاب الجسماني والأدبي، لأن هؤلاء لن يغفروا لك ما فعلت بهم، وسيجدون من القانون سندا أي سند، وقد قال الله تعالى: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة».

إن صحوة ضميرك، وندمك على ما فعلت، واعتزامك ألا تعود، كل أولئك دلائل على صدق توبتك. ولا يبقى من شروط التوبة إلا رد المظالم إلى أهلها، فإن تعذر ردها إلى أهلها كما هو الحال في مشكلتك، فإن التصدق بما يوازي ما سرقت على الفقراء والمساكين يكفي، ما دمت تفعل ذلك بنية رد المظالم وإكمال شروط التوبة..

هيا ولا تتردد، وعلى بركة الله، ويتوب الله على من تاب.

تزييف هدايا «العربي»

● كلما أقبل موعد وصول مجلتنا الحبيبة «العربي» تهافت الناس على المكتبات زرافات ووحدانا، كل يريد أن يحصل على نسخته قبل أن تنفد الكمية التي لا تظل أكثر من ثلاث ساعات، حتى أن الكثيرين يضطرون لأن يدفعوا في النسخة الواحدة خمسة ريالات أي بضعفين ونصف من ثمنها المحدد!

وقد صدر العدد السابع والسبعون وعلى صفحته الأولى أن هديته هي صورة الحرم الشريف، ولكن ما كان أشد دهشتنا عندما وجدنا أن الصورة المرفقة بهذا الخطاب هي المرفقة بالعدد باعتبارها هدية. وقد ناقشنا صاحب المكتبة في ذلك خصوصا أن الصورة بالية، فأصر على أنها هي الهدية وأراد أن يسترد العدد إذا لم تكن الصورة تعجبنا، فقبلنا العدد على مضض لحرصنا على ألا يفوتنا، ثم بادرنا بإرسال «الهدية» المرفقة به، حتى إذا كانت هي التي أصدرتموها فليكن على العين والرأس، وإن لم تكن هي فنرجو أن تعملوا على ألا يتكرر مثل هذا العمل من هذا النفر من أصحاب المكتبات وباعة الصحف الذين كثيرا ما يصادرون هدية «العربي» ويزعمون أن الأعداد وصلت بغير هدايا، أو يبيعونها كما فعل صاحبنا.

عبد الستار عبد الصمد . عبد الرحمن الشبل
عبد الرحيم صالح — المدينة المنورة

— إن نظرة واحدة إلى «الهدية!» التي أرفقتموها بكتابكم تكفي للحكم عليها بأنها ليست هدية من «العربي» ولا يمكن أن تكون. فهديتنا صورة فوتوغرافية جميلة لبيت الله الحرام في الليل والحجيج حول الكعبة بملابس الإحرام، و«الهدية» التي بعثتم بها صورة رخيصة بصمتها يد عابثة، كتلك الرسوم التافهة التي تعرض بالقرش والقرشين على قارعة الطريق...



قصة من واقع الحياة

المرأة الأخرى

بقلم : سميرة عزام

■ بشعور بالقلق تجاه كل شيء ، حملت قريتي وزحفت على طاولة يستند كرسيها الى واحد من الاعمدة الكثيرة في الردهة الرحبة المطلة بالفندق الكبير ، وجلست في مكاني أرقب الناس دون ان اشعر بحب نحوهم او كراهية .

تزاحمت حولي باللوحات متلاصقة تحمل رسوما لوجوه لراقصين او قرود ، ومصابيح ترمي بظلال على الحائط ، اشكالا كثيرة متداخلة . وكانت موسيقى الفرقة العازفة تهز الجدران وتعبر كل ما يتدلى من السقف فتريح من جراء ذلك الظلال ، وتظلم امامي الوجوه حين تقع في منطقة الظل ، ثم ما تلبث ان تضيء . والراقصون كتلة مختلطة متحركة ترتبط بحبال من ورق (الكوريشي) الملون يمدها عابثون من اطراف القاعة ، فتلتف حول الخصور والسيقان ، ثم ما تلبث ان تنقطع بحركات الاجساد .

امامي مباشرة مائدة صغيرة متوحدة ، تجثم عليها «نوبي» اخذت تلمز رجلا يجلس وحيدا ايضا على طاولة مقابلة ، وقد افهمها دون ان يقول شيئا انه «سيد» لا غير فيه ، الا انه طلب لهما كأسا شربها على طاولتها ، فتلبت الكأس ، والتفت بها الى جوارها على دفعتين ، بينهما نفس طويل من سيجارة ، ثم ارسلت من بين اسنانها الصينية ابتسامة لم يرها الرجل ولم يقبلها ، فهزت

كتفها ، وتناولت سجارة من علبة زرقاء (اظنها فرنسية) واشعلتها من السجارة السابقة التي القت بها على الارض (الواقع انه لم يكن امامها منفضة سجائر) . وسدت فمها وماسكها بكعب عليك . فعقدت حاجبها الذي يعود طرازه الى اربعينيات هذا القرن ، اذ كانت ميسوره تلتف لفتين حول ساقيها . وقفزت عيني الى راسها حيث تناثرت كتلة من الالوان : القبعة القطيفة الخضراء مزينة بوردة اصطناعية فاتره متناثلة الاطراف ، والشعر مصبوغ بحناء بهتت فباتت منابت الشعر الاكثر بياضا في المواضع التي لم تغطها القبعة ، وكان ثوبها من القطيفة الخضراء ايضا ، استهلك بقسوة حتى لم تعد خمرية القماش بادية في التماع الكوعين وما حول الرقبة. امامها على الطاولة كانت حقيبة مزينة بمثل وردة القبعة ، بقايا جزء لا يبرر احدا ، ولا يتحدث الا عن علاقات ليست فقط من بنات العقدين الاخيرين من الزمان .

اما وجهها فلوحة لا تنتمي لمدرسة ما في ايهامنا .. قوسان رفيعان يبان للحواجب ، وفم قاد حدود شفتيه لا تبين . والبقعتان الحمراوان على اعلى الخدين اشبه بالبواقر الحمراء على وجوه المهرجين . وكنت لا ادري ، وانا تتامل وجهها ، وعينيها الزرقاوين اللتين لا تستقبلان على شيء ، اي شيء كانت تريده ان تبديه للرائي .

كانت الكاس فارغة امامها ، وكان واضحا انها تبحث عن كاس اخرى ، وقد مر بها النادل مرات، وسالها لماذا لا تقوم وتخلي المكان لمن يستطيع ان يدفع . ولم استطع ان اتبين الى اي مدى كان جادا ، لانه ضحك الضحكة التي سمعتها ، كانه ما لحرض بها الا ليسمعها ، وخلاها وانصرف حاملا كؤوسه وهي تتمتم بشيء لا تكف عنه الا حين زمت شفتيها على سجارة .

وكانت اذ تتعب من الجلوس تقوم تاركة حقيبتها على الطاولة ، تشق الزحام باصرار الخاسر ، والاحقها بطرفي ، اترجم النظرات التي تتلقفها ثم تصدقها فلا تمسك بخيط امل ، فالقصة ماتعبة لعم ، تتزاحم فيها الفرج سمراء ، ممتلئة ، تلتف حول الاعناق او الظهور ، او تستقر باظافرها المصبوغة الذهبية على موائد قرابين بحزابيات الكرم.

ولم يكن لتلك المرأة من مكان حتى عند هؤلاء الذين جلسوا وحيدين يفتحون عيونا مبهمة لكل شيء ، ويشربون بشراهتهم الوانا ومن حولها ، فتعود تمتص سجارتها ، وتدق بكعب حذائها ، وترمقني بطرف العينين بلا مبالاة شاهدا على احداقها منفرطا .

وكان الرجل قد عب كاسه الخامسة ، ثم قام من مكانه احمر العينين ، فتمتمت واستدارت نحوه ، ولكنه تجاوزها دون ان ينظر اليها مرتين، فتمتمت ما ظنته انا احتمالا ، فقلبت شفتيها وزاغ بصرها من جديد في حين راح كعبها يدق بعصبية لا تشبه هذا الاستسلام الماثل على وجهها، ورويدا رويدا كف كعبها عن الدق ، وبدا راسها يثقل ، وجفناها يرتخيان ، لم التفت على المنافذ ، وهزتها الاهانة من نثار الضحك الطائر المنقل موسيقى متسارعة الايقاع فاجرا . وفي فترة السكون تلك ، كانت وردة القبعة منكسة كعلم فرسان قد استسلم . ولم يهتز فيها شيء ، لا الوردة ولا القبعة ولا الراس ، حتى حين احتل الطاولة الفارغة المقابلة لها شخصان : رجل وامراة ، لزوج وزوجة من هؤلاء الذين يتجاوبون اكثر في الاماكن العامة ، حين يكون في الجو شيء من الوهج يطغى على بلادة المألوفات ، فيمارس الزوجان الوانا شتى ، ويتحدثان باشياء لا يعرفان كيف يقولانها في البيوت .

من المرأة الصغيرة النائمة في حقيبة سوداء مزينة بالخرز اللامع ، التمست الزوجة لوكيبا صغيرا ناولته دون عناء ، فتنهدت بارتياح ، ووضعت شفتيها على فستلة وهي تجوس بعينيها المكان بسرعة تستقرئه شيئا ، ولكن النظرة التبست تركيزا خاصا وهي تلمح بطاولة الوحس ، فضغطت على ذراع زوجها ، وكانت الوردة المنكسة علامة ناطقة لا تدع مجالا لاجتهاد كثير فلم يفهم الزوج شيئا ، وراحت المرأة تسمع المرأة الاخرى نظرة لم ترحم حتى الحذاء . واذ اشتد سنظر الاشل، اجفلت الوحس وانتفضت من نومها ، محاولة ان تتماسك، مستوية من وضع قبعتها ، بالمة تماسكها بجرعة ماء .. واذ التقت النظرة الشحيحة بها ، جمعت في عينيها شيئا كثيرا يمكن ان يقال ، شيئا ما لبث ان انطفأ حين عاد راسها يثقل من جديد ، واصابعها ترتخي عن السجارة المشتعلة .

توقفت ساعتي هنا عرفت كم بقيت مشدودة الى الكرسي ، ولكنني ادركت انني مكثت طويلا حين فقدت اهتمامي بملاحظة الراقصين ، وبدأت احلم بفراش الفندق الوثير ، وبطعم معجون الاسنان يرطب فمي الذي غدا حطبة يابسة لكثرة ما عبأ من مستخلص تبغ سجائر لم احصها . ولكني لم اقم .. وبفضول امرأة غنية بتجارب السياحة بقيت انتظر نهاية اللعبة .. وقد انحصر اهتمامي بالكامل مركزا كله على هذه الطاولة المقابلة ، وبدأت ارى جسرا يمتد بيني وبين هذه الموسى ، ولكن دون ان اكشف عنه بابتسامة حين تلتقي عيوننا في فترات صحوها . منحتها فضولي واكثر عطفي واحصت بكبريائي.وبلهفة خفية رحت أنتظر معها ان تنتهي الليلة بشيء يمنح حسنا النوم اصابته ضرورة التصميم .. وكانت عيناي تلتقطان عيني المرأة الاخرى ، عند المائدة المقابلة ، حين لا تكون مشغولة بالالتصاق بزوجها فتحاكم بشكل خفي ظروفا تجعل صبرا من الفراش مطلبا يحلم به في مكان عام ، وتتساءل لماذا لا تتحرك الرغائب الميتة في تلك الرؤوس الصلعاء التي تتعصب بالعرق وبنكات يصفق لها اصحابها وحدهم . وحين لا يتحرك احد كانت المرأة تحزن بشكل مترف وتتطلع الى زوجها لتدفعه الى ان يحزن معها ، ولتؤكد لي انها مثلي تتمنى ان ترى نهاية اللعبة . وتلتقي العيون عند الوردة المتكسبة، لم تتحرك الا بتململ الرأس وامتداد اليد اليه المدروسة لتسوي اللعبة من جديد ، وتتلقى على سجارة جديدة لا تطمع في تنشيطها اكثر من دقيقة ما تلبث اليد بعدها ان تهوى ، ويطغى ضوء الموسيقى على حشرجة التنفس ..

كان واضحا ان المرأة اذ مالت على زوجها قد قالت بشيء من الحزن المترف : لماذا لا تلعب هذه وتنام .. فحب الزوج نصف كله وليتها حقيقة صيقة . « آآآه بتحديها .. !! . ثم عبر النصف الآخر وعصي في اذنها بشيء ، وبحماسة لا اعرف كيف تداري نفسها امسكت يده ، وادركت اطراف اصابعه بشيء من الجلل . فمد يده الى جيب سترته ، واخرج شيئا حمله، وخطا خطوات ثلاثا باتجاه المائدة ، ودسه في جعبة التصلبة على الطاولة . ومن مكاني استطعت ان المح انه ورقة نقد اخفقت في تحديد قيمتها،الا لو امكنتني الاضاءة الصفراء الحمراء الباهتة من تحديد لونها . وحين اجفلت المرأة وانفلتت من رأسها ، كان الرجل قد عاد الى مكانه ، وكان يحتفل باخراج زفرة عميقة ، في حين اخفت الزوجة لتسجن اعجابي بلا تحفظ .

اما المرأة فقد تحت الورقة ، واذ ادنتها من عينيها اصطبغ وجهها وعنقها باحمرار عجيب لم تمتصه السواد الاصابيع المتلاقة . وبعصبية ملحوظة انتفضت ، واخذت حقيبتها ، واخرجت مرآة صغيرة مدورة ، وتأملت وجهها من كل زواياه ، ثم القيت الحقيبة على المرآة ، وببرود ماسف صوبت للمائدة الاخرى نظرة قاسية من رصاص ، وراحت تدعك الورقة ببطء متناه ، وقد انسحت عيناها واكتسبت خطوط وجهها قوة غريبة . واذ تكورت الورقة تماما في يدها ، كان وجه المرأة الاخرى هدفا قريبا لكرة صغيرة صلبة !

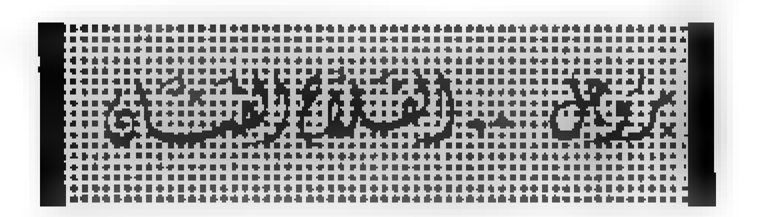
سميرة عزام ــ بيروت

الرجال اشد اختيالا من النساء

● كانت « ليدي استور » عضوة البرلمان الانجليزي الشهيرة تتحدث في مأدبة كبيرة ، فزعمت ان الرجال أشد اختيالا من النساء ، فاحدث قولها عاصفة من الاعتراض ، فردت بانها قادرة على اقامة الدليل الحسي ، ثم قالت :

ــ مما يؤسف له ان اذكى الرجال وأعلمهم أقل الناس عناية بملابسهم ، فحول هذه المائدة مثلا رجل لعله اعظم المعاصرين ثقافة ومع ذلك فان ربطة ياقته شوهاء تؤذي العين !

فامتدت ايدي الحاضرين فورا الى ربطات أعناقهم ليتحسسوها او ليصلحوا من شانها .



■ عاش بيتر بروجل Pieter Bruegel في زمن كثر التغير والشغب والاضطراب . ولد وقد في هولندا وفيها رسم اكثر رسوماته .

وكانت هولندا جزءا من امبراطورية تتألف من عدة أقطار ، متفككة ، تضمنت اسبانيا ، واجزاء من ايطاليا وفرنسا والمانيا، ومن بعض مستعمرات جديدة بامريكا ، واخرى في الشمال من افريقيا . وثارت في قلوب مواطني بروجل في هولندا ان يرفضوا من انقسم بين الاسبان ، وان ينشئوا لهم دولة مستقلة . وفعلا قاومت اجزاء من هولندا الحديثة ، تحت قيادة وليم اورانج ، جيوش فيليب الثاني ملك الاسبان ، مقاومة عنيفة دامت سنتين .

ولكن بروجل لم يلتفت باله الى هذه الاحداث . انه القى باله الى اشياء اكثر خلودا ، تتعلق بالحياة وبالموت ، وبالحياة من بعد موت ، وكذلك بتغير الفصول واختلاف مناظرها في الريف الذى كان به . واهتم اكثر من كل ذلك بحياة الناس الجارية كل يوم (انظر اللوحـة المنشورة على صفحة ٢) .

ان المعروف من حياته قليل . وهو لا بد ولد قبل عام ١٥٢٠م بقليل ، وهو مات عام ١٥٦٩م . وعندما اكتشف اهله موهبته للرسم ارسلوه يدرس الرسم عند رسام القصر الامبراطورى في عهـد الامبراطور شـارل الخامس . وهو الرسـام بيتركوك (Pieter Coeck) .

وذهب بروجل الى فرنسا والى ايطاليا وعاد ليعيش بمدينة انورب Antwerp بهولندة .

وفي عام ١٥٦٣ انتقل الى بروكسل وتزوج ابنـة استاذه كوك . ومنها خلف ابنين ، بيتر بروجل الاصغر ، وجان بروجل ، وكلا الابنين كان لـه اسم مذكور مشهور بين الرسامين من الفنانين .

وبروجل الاب كان له اثر عظيم في من تبعه من الرسامين ، لانه كان اول فنان رسم مناظر الريف والسماء وصور الناس في مباذلهم كما هم . وهو تحاشى ان يختلق الجمال في صوره حيث لم يكن هناك جمال .

وجاء القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، وانتحى الرسامون فيهما ناحية التنميق والترفيه ولـو بالكذب ، فنسي بروجل كل النسيان . ولم يظهر اسمه الا منذ قريب حين اتضح للنقـاد حقيقة ما رسم واتضح الفن فيه والصدق فيه .

وفي هذه الايام نعتبره فنانا كبيرا ، وهو حقا لا شك كان .

ولعل هذا الجنوح منا الى تقدير هذا الرجـل الان يرجع الى اننا كذلك نعيش في زمن تحوط به الريبة ، ويساوره التعقيد من كل جانب ، ومن اجل ذلك اشتقنا الى البساطة في الحياة والى الامن فيها . نحن نولد ، ونحن نتزوج ، ونحن نعمل ونلعب ، واخيرا نحن نموت ، واملنا في الحياة الاخرة عظيم .

فهذه هي نفس المناظر والخواطر والامال التي ظل بروجل الاب يصورها فيما رسم منذ اربعـة قرون مضت . ■■

بقية المنشور على صفحة ٧

يخرج عن روحه ومادته ، دون أن يتخبط فيه ، كما وقع لغيره ممن أرادوا التوفيق بين القرآن والعلوم الحديثة ، « توغلوا في غرضها وقع فيه السابقون من المصريين » كما قول الأستاذ الفاضل الذي أجاب عن السؤال ، والذي أعجبني من إجابته ما اشترطه على الهيئة التي ستشرف على التفسير الجديد المقترح . « أن القرآن ليس كتاب طب أو فلك أو جيولوجيا أو طبيعة ، وإنما هو كتاب تشريع في المقام الأول ، فلا ينبغي ، بل ولا يجوز ، أن يحمّل آياته من المعاني ما لا تحتمل ، أو أن يحاول اخضاعه للاكتشافات الحديثة ، أو أن يخضع لها هذه الاكتشافات . لكيلا يعرّض القرآن في المستقبل القريب أو البعيد لما تعرضت له بعض النظريات العلمية القديمة ... الخ »

هذه كلمة حق أردت أن أنوه بها للأستاذ الفاضل صاحب السؤال عن حسن ادراك لديه، وعمق لحقيقته ، واضعا تقديرا لتلك الإجابة الرائعة ، ولصاحبها من جزيل الفضل في بيان كيفية تأليف الهيئة التي ستشرف على تفسير القرآن من العلماء والمتخصصين في شتى العلوم والفنون

محمد صالح سعدان / القاهرة

ـ هذه واحدة من عشرات الرسائل التي تلقيناها تأييدا للدعوة الى تنقية تفاسير القرآن الكريم مما حوته من ترهات واسرائيليات ، ننشرها لا للتدليل على أن هذه الدعوة تلقى التأييد الكامل من مختلف الأوساط الاسلامية المتحررة الواعية ، فذلك شيء لا شك فيه ولا خلاف عليه ، ولكن لنصحح لكاتبها الفاضل قوله ان الامامين محمد عبده والمراغي لم يضعوا تفسيرا للقرآن ..



فاما الامام محمد عبده فقد ترك تفسيرا متداولا من زمان بعيد لجزء عم ، وقد طبع عدة طبعات . وهذا بخلاف ما نقله عنه الشيخ رشيد رضا اثناء دروسه في الأزهر وسجله في تفسيره المعروف.

واما الشيخ المراغي فقد دون تفسيرا لكثير من السور والآيات كان يلقيه في الدروس الدينية التي كانت تنظم في شهر رمضان او في غيره من المناسبات الدينية ، وقد قامت ادارة الأزهر بطبع هذه التفاسير في اجزاء مستقلة ، في متناول من يطلبها من المسلمين .

بقيت لنا كلمة عن « في ظلال القرآن » للاستاذ سيد قطب ، وهو انه ليس تفسيرا للقرآن بالمعنى المفهوم بقدر ما هو خواطر عن القرآن كما يقول المؤلف نفسه .

دمشقي وليس مقدسياً

● تضمن مقال المؤرخ الكبير الاستاذ عارف العارف عن « دير ياسين » المنشور في العدد السابع والسبعين من « العربي » صورة للفتى الفاضل صباح عبد الغني القحف ، مكتوبا في شرحها ما يفيد بانه فتى مقدسي . والصواب انه دمشقي لا مقدسي ، ينتمي الى عائلة القحف ، وهي اسرة دمشقية عريقة تقطن في حي ساروجة بدمشق ، ذلك الحي الذي عرف بنضال ابنائه وتضحياتهم في مختلف العهود الظالمة التي تقلبت على دمشق . وابوه « عبد الغني القحف » من الرجال المشهود لهم بالنضال المتواصل سواء اكان ذلك في القطر السوري او في غيره من اقطار العروبة التي ثارت ضد المستعمر ، الى ان انتهى به المطاف في فلسطين ، حيث كان من ابطال معركة القسطل في الوقت الذي كان فيه ولده الاكبر محمد في جبهة اخرى وولده الاوسط « صباح في جبهة القدس » حيث استشهد في معركة « ميانشيم » فحمل عنه السلاح اخوه الاصغر صلاح ، الذي لم يكن انذاك يعدو الثانية عشرة من عمره .

وان انس لا انس ان قائد قوات القدس في ذلك الحين ، عهد الي بنقل جثمان الشهيد صباح الى عمان ، حيث كان والده يرعى ابنته المريضة ، فعمت بفاجعة الوالد المحزون لمثل هذه المناسبة



المؤلمة ألف حساب ، وتصورت أن الأسى سيعصر قلبه فيقابلنا بالنواح والعويل . وكم هالني عندما رأيته يعود الى بيته من منزل ابنته المريضة بعد منتصف الليل، فيرحب بنا بحرارة وكأن ليس في الأمر شيء ، وراح يحدق في جثمان ولده المسجى أمامه على الأرض . ثم اتجه بنظره الى السماء يضرع الى الله أن يلحقه بركب الشهداء. وما زالت كلماته ترن في أذني وهو يقول: «سامحك ربي .. أهذا الصبي الحديث العهد بالجهاد أقرب اليك مني ، وأنا العريق في تلبية نداء الواجب ؟ لم تشملني بعد برحمتك !اللهم صفحك وغفرانك !» .

وما كاد ينتهي من عبارته ، حتى أخذ بعد العدة للجنازة ، فمشينا من داره حاملين نعش الفقيد تحت الشمس المحرقة ، الى مقبرة تبعد حوالي عشرة أميال ، فوصلناها والعرق يتصبب من أجسامنا . وهناك كانت المفاجأة ! ، فقد أزاح الرجل الغطاء عن الجثمان ليواريه التراب ، وإذا بالعرق يتصبب من جسم الشهيد والحمرة تكسو وجهه ، وكأنه لا يزال على قيد الحياة على الرغم من أن دمه كله كان قد نزف من أثر الجراح العديدة التي أصيب بها في المعركة ! .

وبهت الجميع ، ولم يفيقوا من ذهولهم إلا على كلمات شيخ جليل يردد قول الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

رفيق النمري/الكويت

٦٠ كلمة فقط تختلف فيها اللهجات العربية !

● حينما يريد العراقي التحدث الى مصري ، أو مصري الى مغربي ، أو المغربي الى سوري ،



او الى اى فرد عربي اخر ، فان كلا منهم يلاقي الصعوبة البالغة في محاولة معرفة ما ينطق به الاخر من حديث مع انهم جميعا يتكلمون باللغة العربية . والحقيقة التي يجب ان تقال ان في لغتنا العربية حوالي ١٦٠ كلمة او اكثر هي التي تحول دون فهم أهالي البلاد العربية بعضهم بعضا . وهي بالطبع ليست كلها كلمات عربية فصحى ، وانما هي كلمات عامية او لهجـــات . ولكن يوجد بينها بعض الكلمات المعروفة والمستعملة كثيرا لدى جميع ابناء الامة العربية والتي يترفع بعض الكتاب العرب عن استعمالها في كتاباتهم — كما اشرنا الى ذلك في عدد «العربي» — وقد قرأت في احدى المجلات انه احصى عدد الكلمات العامية في سوريا ولبنان فوجد انها تبلغ حوالي ٦٠ كلمة هي الحائل بين فهم المغاربة او العراقيين او اى فرد عربي آخر للهجات اخوانهم السوريين واللبنانيين . وكذلك في لغة المغاربة حوالي ٤٠ كلمة ، فلو ان كتابا وضع في بيان هذه الكلمات وشرحها والتقريب بين المتشابه منها في اللهجات المختلفة لامكن تضييق شقة هذا الخلاف اللغوي ولاصبح العراقي مفهوما في المغرب والمغربي مفهوما في مصر والسوري مفهوما في السودان او في الجزيرة العربية او في اية ملكة عربية يحل فيها.

سامي عبد الرزاق العماني / بصرة





العربي
اطلب
الصغر
هذا العدد
جوائز
١٣٠٠



حضارات سادت .. ثم بادت

الكلسيوم .. الأثر الروماني القديم

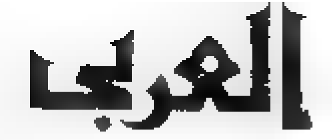
عزيزي القارئ

●●● تأتينا الرسائل من القراء، ومن وكلاء التوزيع، وحتى من المسئولين في شتى الأقطار العربية، تطلب أن نصدر إليها المزيد من «العربي»، وتلح، وتصمم. وعذرنا أننا ما ظننا أن يبلغ العربي في انتشاره هذا الاتساع البالغ كله.

●●● وقد دبرنا الأمور بحيث نستطيع الوفاء بكل ما يطلب الموزعون والقراء.

وإن غداً لناظره قريب.

المحرر



رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام

استطلاعات صحفية مصورة

لغات وآداب

أنباء الطب والعلم والاختراع

طبيب الأسرة

ركن [illegible]

[illegible]

[illegible]



مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت
الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY • No. 80 July 1965 P.O.B 748 KUWAIT

العنوان بالكويت: صندوق بريد ٧٤٨ — تلفون ٣٩٤١١ — تلغرافيا «العربي»
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة — قسم الإعلانات
المراسلات: تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● ٢١٦ ... كلية ... في كلية ... بالكويت من احدى ... مؤهلات تأهيلاً عاليا ... الهدف هو خلق جيل جديد من المدرسات الكويتيات ... وصورة الغلاف ... احدى الطالبات تعرف على العود ... انه جزء من تخصصها في ... التربية ... وهي احدى ... التي يمكن للطالبات أن يتخصصن فيها !

راجع استطلاع كلية المعلمات ابتداء من صفحة ١١٦

تاريخ وتاريخ اشخاص :

تربية

شعر وشعراء

ركن الاسرة والمراة :

جرائم وقصص

كتب

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١٠٠ فلس ... مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ... ١ قرش ... قرش ... الأردن ... فلس ... السعودية ٢ ريال ... السودان ... قروش ج ع م ١ قروش ... تونس و الجزائر ... ٢ ... المغرب ٣ ... ٣ شلن ... ليبيا ١٥ ...

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يرسل طلب الاشتراك الى موزع المجلة ... في البلد الذي هو فيه ويكون ... بين المشترك والموزع



نحن بحاجة الى قواميس عصرية عربية انجليزية ، وانجليزية عربية

● لاحظت وصادفت وسمعت من شباب المغرب جملة من الاقطار العربية تذمرهم بسبب عدم وجود قاموس عصري عربي انكليزي وآخر انكليزي عربي ، يفي بحاجة العصر والعلوم والآداب المعاصرة ، وقد رأيتهم يشكرون الياس انطون الياس والاب شيخو في قاموسه الفرنسي ، فقد خدما اللغة العربية وشباب العرب عصرا طويلا ، ولانه لم يقم بعدهما من علماء اللغتين العربية والانكليزية من يسد حاجة المتصلين بالطراز الادب الحديث او قد لا يقوم احد غيرهما مطلعين وجرئه . ولذا شاهدوا صنع قاموس سمانفتشوا عليه ، لانه سهل وواضح ، ولو انه يحتاج الى تهذيب .

ان الشباب يريد على الاقل ترجمة وانجسة قاموس وبستر كوليجيت الجديدة Webster Col.egiate وقاموس آخر من العربي الى الانجليزي ، بالاضافة الى مثل هذا الترتيب ان يعمل به في اللغة الافرنسية . فهل من سامع مجيب ؟ وهل هذا ممكن ؟

جدة — محمد رشاد بن خضراء
استاذ في العلوم والاقتصاد

شكرا .. ثم شكرا !

● كلما صدر من « العربي » عدد جديد استعرض بذاكرتي تلك الانتصارات البينة التي حققتها هذه المجلة في عالم الفكر في سنوات معدودات . فاحس بالنشوة التي تغمرني بالاعجاب والغبطة والارتياح .

ولا يسعني وكل عربي حر الا ان افاخر بذلك الانتاج الفكري العظيم الذي تحمله مجلة «العربي» الى العرب في كل مكان . واني كفرد من ابناء هذه الامة كنت اتلقف العدد من المكتبة فور صدوره ، كمن يجد بها ضالته المنشودة . واسرع الى البيت لاقضي معظم الوقت متنزها في رياضها، لا أكاد ارفع بصري عن صفحاتها حتى آتي على آخرها .

ولقد عودتني مجلة « العربي » ، مجلة كل عربي حقا وصدقا ، عودتني على كل جديد ، واطلعتني على الغريب والعجيب ، ووصلت بيني — كعربي يعيش في القرن العشرين — وبين ماض مجيد . وايقنت ان رسالة الفكر العربي تتجسد في « العربي » وتتمثل فيها احسن تمثيل . هذه المجلة التي مضت ترفع لواء الفكر الحر عبر الدياجير القاتمة منذ نشأتها . واستمرت في سيرها المستقيم . لا تعثر ولا تنحرف . فاجادت واحسنت وابدعت .

لقد اظهرت لنا كنوزا مدفونة تحت الركام ، وكشفت عن معالم الحضارة العربية الغابرة ، ولا زالت تنقب عن الآثار المبعثرة فتسلط عليها الاضواء حتى تستبين . وبنفس الوقت والى جانب هذا السير النبيل آلت المجلة على ان تعمل باصرار صوب القضايا التحريرية المعاصرة ، لتؤدي دورها الانساني النبيل في خدمة الحرية ومحاربة الاستبداد . تناصر كل الفئات التي خاضتها الشعوب العربية وغيرها من اجل الحرية والاستقلال .

واني كعربي يعرف ان قيمة الفكر ليست في ثبوته فحسب ، وانه دائما وابدا طريق الثورة والدافع الحثيث اليها ، وجدت في مجلة «العربي» لساني الناطق . والمعبر عن خلجات نفسي بصدق، والمصور لكل ما يجيش في اعماقي من احاسيس

امو سطو ، ام اقتباس ، ام تلخيص ؟ !

● قرأت في العدد ٧٨ من مجلة «العربي» مقالا للآنسة صفية رسلان بعنوان : « للمرأة في الاسلام شخصية حقوقية كاملة » فما ابدأت الصفحة الاولى منه حتى تذكرت اني كنت قرأت مثله في كتاب « الاسلام والمرأة » المطبوع بدمشق سنة ١٩٤٥ لمؤلفه سعيد الافغاني ، لكن عجبي كان يزداد كلما مضيت في اقراءه [illegible] الكاتبة لم تزد على ان التقطت من الكتاب اسطرا من هنا وعشرة من هنا بعد اجراء تعديل طفيف مع المحافظة على ترتيب العناوين وعناوينها كما وردت في الكتاب [illegible] فصلا في الكتاب عنوانه « شخصية المرأة الحقوقية » سردت الكاتبة رؤوس موضوعاته سردا ، حتى حكمة المرأة من تشريع صدر من تأليف الكتاب في [illegible] تنقص من حقوق المرأة [illegible] له [illegible] في مقالها كأنها هي المستنكرة ، بل حتى حاشية [illegible] الى مؤتمر المحامين الذي حضره بدمشق سنة ١٩٤٤ وبعض ما تذكر [illegible] التشريع المرحوم محمد صالح بك عميد كلية التجارة في الجامعة المصرية [illegible] كل ذلك [illegible] الذكور وليس [illegible] وحاشيته في مصدر آخر غير « الاسلام والمرأة » .

اني لا انكر ان تتمص [illegible] كتابا لفائدة القراء في موضوع المرأة ، ولكن [illegible] الزائدة عن الحد ، وان تتجاوز [illegible] السطر من كتب معروف [illegible] ولادبه ، [illegible] كاتب المؤلفة [illegible] في مجلة كان [illegible] نحترمها ونحترم قراءها وناشريها

سهيه خليل دوما – سوريا

العربي : ما رأي الآنسة صفية ارسلان في هذا الاتهام ؟

ومشاعر ، ولم يكن ليعود في ظني ان مجلة في هذه الفترة القصيرة في عمر الزمن لتحقق ما عجز عنه غيرها في عشرات السنين .

ولكن ذلك يعود الى نقطة البداية التي انطلقت منها مجلتكم « العربي » حيث كانت منطلقا سليما ساميا ، نجم عن ضرورة ملحة يتطلبها الواقع العربي ، لتكون بمثابة المرآة التي تنعكس عليها افكار العرب وآراؤهم الصريحة ، في تجرد ونزاهة واخلاص ، لتحقق اهدافا سامية وغايات شريفة على مستوى الفكر العربي السليم .

ولعمري ان « العربي » قد اصبحت مفخرة الصحافة العربية مما يدعو الى الاعتزاز ويبعث على الاطمئنان ، والامل كبير في بقائها عند التزامها وحسن الظن بها ، واني لاحيي القائمين عليها ، واتمنى لها دوام التقدم والازدهار .

محمد وحيد الدباب

سورية/القنيطرة/الزوية

اكفياء .. لا اكفاء ولا اكفّاء

● جاء في عدد آيار الماضي ، كلمة الأخ ماجد النقدي ، يصوب فيها خطأ شائعا ، فذكر انه كثيرا ما تتردد على السنة الدعين في المجامع والمنابر كلمة (أكفّاء) بكسر الكاف وتشديد الفاء ، بمعنى ذوي كفاءة » . ثم ذهب الى ان هذا الخطأ غير المقصود قلب المعنى رأسا على عقب ، فكلمة (أكفّاء) هي جمع «كفيف» ، اي اعمى ، ليصبح معناها عميان » . وذكر في نهاية كلمته ان صاحب الكفاءة » يقال له « كفء » على وزن « فعل » ، ويجمع على (أكفاء) على وزن أفعال » .

هذا ما ذكره الأخ ماجد ، وليس صحيحا كله ، لان « كفء » لا تعني صاحب كفاءة كما ظن بل تعني « نظير » « مثيل » ، أما صاحب الكفاءة فيقال له « كفيّ » هذا هو الذي تذكره معاجم اللغة العربية ، و « كفي » هذه تجمع على « أكفياء » مثل « ولي » وأولياء » .

واذا احب الأخ ماجد التأكد من ذلك فليرجع الى المعاجم ، او الى كتيب الاستاذ عبد القادر المغربي « عثرات اللسان » ، او الى المجلد ١٧٢/١ من مجلة المجمع العلمي في دمشق سنة ١٩٢١ ، او الى كتاب الاستاذ سعيد الافغاني « حاضر اللغة العربية في الشام » ص ١١٢ .

محمد خير الحلواني

مدرس الادب العربي في ثانويات حلب



بقلم رئيس التحرير

■ راح يقابل صاحب عمل له جديد لاول مرة ، وجاء يحكي لي ما جرى . قلت كيف وجدته ؟ فاخذ يصف لي ما وجد . واخيرا قال لي في اختصار : وجدت الرجل رجلا لطيفا ديمقراطيا .

ووقفت عند لفظ « ديمقراطي » . ان الشاب الحاكي قصد به ، ان الرجل الذي راى كان متواضعا غير متعال .

وآخر راح وراء شغلة سخرها في دوائر احدى الحكومات في الشرق ، واخذ يتنقل من مكتب الى مكتب ، وتعب . وعاد بعد ايام يشكو . قال : يقولون ان هذا بلد ديمقراطي ، فاين هي الديمقراطية التي فيه .

ووقفت عند لفظ « ديمقراطية » ، وعلمت انه انما اراد تسهيل حوائج المواطنين .

واسمع ما اسمع من الناس ، فما اكثر ما اسمع « الديمقراطي » و « الديمقراطية » . واقرأ ما اقرأ في الصحف وفي الرسائل والكتب ، فما اكثر ما اقرأ عن « الديمقراطي » و « الديمقراطية » . واسماء الدول دخلت اليها ، رسميا ، وغير رسمي ، لفظة الديمقراطية ، وقد تكون الدول من النظم السياسية المعروفة في اقصى اليمين ، وقد تكون في اقصى اليسار ، ومع هذا فهي جميعا « ديمقراطية » .

تعنى الروس بديمقراطيتهم ، وتعنى الولايات بديمقراطيتها، وهما على طرفي نقيض .

وتتعنى المانيا الشرقية الديمقراطية بديمقراطيتها ، وتتعنى المانيا الغربية ، وهما على طرفي نقيض .

وبريطانيا الملكية تفخر بانها موطن الديمقراطية الاول ، وان الديمقراطية بها ولدت ، وفيها ترعرعت .

وفرنسا جمهورية . والجمهور والشعب شيء واحد . واذن فهي ديمقراطية . وهي تزهو بانها البلد الاول الذي انتزع الديمقراطية من يد الدهر انتزاعا ، من يوم سقط فيها الباستيل ، الى اليوم الذي بلغ فيه عدد الرؤوس



التي اطاحت بها الثورة الفرنسية الوفا كثيرة .

وترجموا معنى الديمقراطي او الديمقراطية ، فكان حكم الشعب والشعبية ، وكان من ذلك الصيغ الشعبية ، والجزائر الشعبية .

والخلاصة انه لم تكد تبقى على سطح هذه الكرة امة الا وتدعي الديمقراطية ، من كل زرقة اللون الى حمرائه .

فهل صدقت كل هذه الامم نظامها وصفا .

ام اتخذ كل منها ، من الديمقراطية ، زورا ، لقبا ، لفظا محببا الى الناس ، كتبوه كبيرا ، وحبروه جميلا ، ثم رفعوه فوق الباب ليطمئن الى الدخول كل داخل . ويبكي بعد الدخول ما يكون .

لقد ابهم معنى الديمقراطية ابهاما ، حتى لقد اقترح بعض الدارسين للنظم الدستورية ان يلغى هذا اللفظ الغاء ، لانه يدل اليوم على عشرات من اشياء كلها متناقضة .

ولكن قبل الالغاء ، او الابقاء ، لا بد من الدرس .

الديمقراطية عند اليونان

وبدا الدرس بالقول المعاد ، في اصل هذه الكلمة .

الديمقراطية بالافرنجية Democracy ، تتالف من لفظين Demos ومعناه الناس ، و Kratien ومعناها الحكم . فالديمقراطية هي حكم الناس بالناس . وليس في هذا جديد .

ولكن حكم الناس بالناس في زمان الاغريق ، وفي تصورهم ، غير حكم الناس بالناس في هذا الزمان ، وفي سائر الازمان . وهو في عهد الاغريق اعتمد على عقد اساسية منها

١ ــ ان الحكم تمارسه جمعية عامة تضم كل مواطن ، لا فرق بين غني او فقير ، ولا بين رفيع المولد ووضيعه ، ولا بين ذي مهنة عالية في تقدير الناس

واحرى واطئة . والصوت يعطيه المواطن قيمته واحدة عند الجميع .

ب ـ ان حرية الرأي مكفولة ، وحرية القول لكل من اراده . وقد رأى افلاطون ان من المتكلمين من قد يستغل هذه الحرية اسوأ استغلال،فتسوء به الحال، ومع هذا فقد رأى في حرية الرأي ضرورة لا غنى عنها . وقد سجل التاريخ نقاشا في الجمعية الاثينية ، وصدع الصادعون فيه بكل رأي ،من كل محبذ ومعارض ،



ارسطو ، صاحب القلـم ، يلقي بحكمته الى تلميذه صاحب السيف ، في القصر الملكي ، ذلك الذي صار من بعد ذلك الاسكندر الأكبر . وقد خلف الاسكندر امبراطورية ، ثم تثبت انتساقطت اركانها من بعد وفاته ، وبنى ارسطو امبراطورية فكرية ، ظلت تشغل اوروبا الشاغل الى عهد النهضة ، والى اليوم . كان يرى « المعلم الاول » ان الديمقراطية في اصدق معانيها هي تلك التي بناؤها على المساواة وعلى المبدأ القائل ان الجميع لهم في الدولة حقوق وواجبات سواء .

واتخذ من بعد ذلك القرار على ضوء كل هذه الاقوال .

جـ ـ ان وظائف الحكومة مفتوحة للجميع ، على منزلة سواء . وهم يؤجرون الكفاية للعيش الكريم ، وذلك حتى لا يحرم الفقراء من شغل هذه الوظائف . واجريت شئون من شئون الحكم كثيرة بواسطة لجان ضمانا للعدل ودرءا للزيغ ، وعندئذ كان ينتخب هؤلاء بالقرعة . والمراكز الكبرى في الحكم كان تختار شاغليها الجمعية العامة بسبب بسبب خطورة هؤلاء . ومع هذا فكانت الوظائف تخلو من شاغليها كل عام ليحل محلهم آخرون .

هذا مجمل ما كانت عليه الديمقراطية عند الاغارقة .

ونلاحظ عليها :

ا ـ ان الحكم محصور محصورها في شاء من المواطنين جميعا . انما تيسر وامكن في مثل الحال التي كان عليها الاغارقة . فهم كانوا مقسما ، وشكلت كل مدينة دولة ، واستقلت، فلم يكن يتعذر ان تكون حكمها على الأسلوب الذي وصفنا .

ب ـ ان صدورهم اتسعت الى كل مخالف لرأي،ولو جاء برأي غير محبوب، الا ان تكون هذا قلبا للنظم الديمقراطية.

جـ ـ لم تكن في تلك العهود تعرف الاحزاب على ما تعرف اليوم . فالاحزاب لم تكد تعرف ، بشكلها هذا المتطور ، الا في القرنين السابع عشر والثامن عشر . نعم كان هنالك ميول جماعية ، وتلاقي اصحاب الميل الواحد معا . ولكن في غير نظام ، وغير تدبير وتخطيط . وهذا من بعض طبائع الانسان في كل الأزمان .

د ـ لم تكن تلك الديمقراطية تفرق بين سلطات الدولة الثلاث ، التشريعية ، والقضائية ، والتنفيذية، تلك التي فاصل بينها منتسكيو Montesquieu في



بقلم : الدكتور قسطنطين زريق

فحم ونفط وماء وغاز وطاقة ذرية لخدمة الانسان أو للفتك به ، والطب تشخيصا ودواء ، والزراعة ، والمواصلات . بل كل ما نشهده من تقدم في مظاهر العمران والحياة ، أو في وسائل تهديمها ، انما يعود الفضل فيه الى العلم التطبيقي . ومن معجزات العلم التطبيقي الصحيحة في مجال السيطرة على البيئة الاجتماعية ، الوسائل الكثيرة المبدعة لتطوير هذه البيئة والسيطرة عليها ، كأنظمة التعليم ، وأنظمة الاقتصاد ، وأنظمة الادارة ، وأنظمة الصحة العامة ، والتخطيط المجتمعي الشامل : وهو أحدث ما ابتدعه العلم التطبيقي في مجال البيئة الاجتماعية ، لتحكم الصلة بين هذه الأنظمة كلها ، وتحركها جميعا حركة ارادية مدبرة ، لتحقيق الأهداف المجتمعية المحددة من قبل .

* * *

والعلم قوة هائلة مختزنة ، بل هو شمس الحضارة الثانية . اذ كما أن الشمس مصدر نور ، ومصدر طاقة ، ومصدر حياة ، وبدونها لا تكون حياة ، فكذلك العلم للحياة الانسانية ، هو أيضا مصدر النور والطاقة والحياة ، ولدفع الانسان قدما نحو مزيد من الرقي والحضارة ، وبدونه لا تكون حضارة .

العلم قوة بمعنى أن المعرفة قوة ، والجهل ضعف . فالمعرفة بالمرض وأسبابه مثلا ، سبب للصحة ، والجهل بها سبب للهزال والموت المبكر . والصحيح حتما أقوى من المريض . فاذا وجد مجتمعان أحدهما يملك علم الصحة والآخر لا يملكه ، فان المجتمع الذي يملك علم الصحة هو ، بحكم التعريف ، أقوى من المجتمع الذي لا يملكه ، لأنه مجتمع صحيح ، بينما الآخر مجتمع مريض .

العلم قوة بمعنى أنه قادر على أن يسخر للانسان قوة تفوق أضعاف أضعاف قوته البشرية الطبيعية ، وكلما تقدم العلم سخر مزيدا ومزيدا من القوى . فالقوة المطلقة من وقود كالنفط ، خلال آلة صناعية ، موضوعة في بناء صغير الحجم ، قد تعادل قوى بشرية عضلية لعشرات الألوف من أفراد البشر ، وتؤدي عملها بأكفأ عشرات المرات مما هو مطلوب . ولعل مصنع نسيج كبيرا واحدا مثلا يستطيع أن ينسج اليوم ما يعادل ما كان ينسجه جميع صناع النسيج في جميع أنحاء العالم في عصر ما قبل الآلة . واذن فالقوة المختزنة في هذا المصنع تعادل تلك القوى جميعا . وقوة الفتك المختزنة في قنبلة هايدروجينية حديثة ، لا تزيد وربما عن بضعة أطنان ، تقذف بها صاروخ من قاعدة أرضية أو من طائرة أو من غواصة مختبئة في أعماق البحار ، قد تعادل المجموع التراكمي لجميع قوى الفتك التي تيسرت لجميع البشر منذ أن امتلك الانسان وسائل الفتك . فالعلم تطبيقا الآن هو قوة هائلة مختزنة في أوعية صغيرة مختلفة ، كالمصنع ، ومحطة الكهرباء ، والباخرة ، والطيارة والقنبلة وغيرها .

والعلم قوة بمعنى أن نهجه في الاستقصاء يبقظ دائما بجمع أسباب الضعف ، فاصيل لتفهمها ، وابتداع وسائل معالجتها . العلم وعي بوجود مشكلات ، وتحديات ، وبامكان التغلب عليها . ومقابله ، وهو الجهل ، هو استسلام للضعف ، لعدم المعرفة بأسباب الضعف وبامكان قهره .

والعلم قوة بمعنى أن نهجه في التخطيط قادر على الاستباق ، والتحرك المدبر ، والتسيير الهادف ، وقهر الصدفة وفرض الارادة .

تلك أمثلة على أن العلم ، كالشمس ، قوة هائلة

* * *

ولقد كانت الحركة الصهيونية العالمية بحكم التصاقها بمواطن العلم الحديث في أوروبا وأمريكا — اذ أنها نشأت ونمت وترعرعت في تلك المناطق — كانت ولا شك أسبق منا الى اكتشاف هذه الحقيقة واستغلالها الى أقصى مدى ممكن . لقد تنبهت قبلنا الى قدرة العلم

بحثا في مجال استقصاء المعرفة والتوصل الى الوقائع ، والنفاذ منها ، وبواسطتها ، الى ما تبتغي وتريد . لقد تنبهت قبلنا الى مقدرة العلم بحثا في مجال التخطيط ، والتنظيم ، والعمل المنسق المدروس ، على جبهات عديدة ، وفي قطاعات مختلفة للوصول الى أهداف مرسومة . وما من دارس للصهيونية العالمية مثلا الا ويلفت انتباهه ان هذه الحركة أكملت وضع مخططها منذ السنوات الاولى من نشوئها ، وانها انصرفت منذ ذلك الحين الى استقصاء الوسائل واختيارها ، للوصول الى هذا الهدف .

ما من دارس للصهيونية العالمية الا ويلفت نظره بصورة بارزة مثلا اعتمادها الوثيق على علم النفس الحديث في فهم خبايا النفس البشرية وميكانيكية تصرفها ، وفي استغلال هذا الفهم للوصول الى الاذهان ، والسيطرة عليها ، في بلاد كثيرة اختارتها أيضا مسرحا لعملها بعد ان اكتشفت انها ، اذا ضمنت القوى الموجودة فيها ، فقد امتلكت قوة ضخمة للسير قدما في مخططها . الصهيونية العالمية من غير شك هي من أبرز الحركات الرائدة في عصرنا الحالي لاسلوب رهيب من اساليب تفجير « مستودعات القوة المختزنة » ، وهو الاسلوب المعروف باسم « الحرب النفسية » ، اي استغلال ما في النفس البشرية وفي النفس الاجتماعية المعينة ، من مزاج ، أو ميل ، او ضعف يعود الى عاهة ، كعاهة نشر الاضطراب المجتمعي ، أو بذر الشك المجتمعي ، او الاستيلاء على النفس المجتمعة . لم تكن حجج الصهيونية العالمية في يوم من الايام حجج منطق مجرد ، او حججا مستندة الى مبادىء عامة شاملة مقبولة لدى البشر . فكيف اذن نجحت في اقناع الكثيرين بدعواها الباطلة ؟ انما توصلت الى هذا باستغلال الواقع النفسي ، وذلك بأن وضعت حججها في قوالب يسهل نفاذها الى قلوبهم ، أو بأن اتخذت تجاههم موقفا نفسيا ، استطاعت فيه بوسائل التأثير النفسي كالترغيب ، والترهيب ، واستدرار العطف والاغراء ، والارهاب ، ان تقنعهم او تستدرجهم أو تفرض عليهم ما تريد .

لقد تنبهت الصهيونية العالمية قبلنا ايضا الى القوة الهائلة المختزنة في التكنولوجيا الحديثة ، من خلال قوى الطاقة ، والآلة ، وادوات الحرب . وسبقتنا في مجال استخدام هذه القوة . وسبقتنا في مجال الصناعة والتنظيم المجتمعي . وتلك ايضا امثلة فحسب .

وان من واجبنا ان نوضح ايضا ان اسرائيل ، لاسباب كثيرة ، ليست نموذج العلم ، بل ان فيها من هذه الناحية مواطن ضعف كثيرة ، نستطيع ان نسبقها نحن بالعلم . وان سبق اسرائيل لنا ايضا سبق نسبي فحسب ، راجع الى الظرف التاريخي الذي ابتدأت منه المواجهة بيننا وبينها . وشيء هذا السبق نصيبي يوما عن يوم . وهذا ما تعرفه اسرائيل ، مركزين مستميتة لتظل متقدمة علينا .

★ ★ ★

المهم انه اذا كان العلم قوة مختزنة ، كما قلنا ، واذا كان المزيد من العلم هو المزيد من القوة ، وجب أن تكون مواجهتنا لاسرائيل مستندة الى العلم . ونحن ماضون في ذلك ، على كامل امتداد جبهة العلم ، التي هي بدورها جبهة الحياة باكملها . وتقدمنا هذا كله يزيدنا قدرة على مواجهة اسرائيل .

غير اننا ، فيما خص اسرائيل ، في حاجة الى علم خاص ، الى جانب مختلف العلوم العامة الاخرى ، ولنسمه علم اسرائيل والصهيونية . نحن في حاجة الى التعرف التفصيلي باسرائيل ، والصهيونية العالمية من كل زاوية : زاوية الافكار والتيارات المنتشرة ، زاوية القوى المختلفة الموجودة فيها وعلاقاتها فيما بينها ، زاوية التنظيم ، والتخطيط ، زاوية الاهداف ، والوسائل ، مكامن القوة ، ومكامن الضعف ، اساليب العمل في شتى المجالات ، في فلسطين نفسها

وفي سائر بلاد العالم ، أساليب الدعاية والحرب النفسية المتبعة في مختلف الميادين ، أساليب التأثير على الدول والقوى القومية والعالمية ، سواء أكانت مصادقة لها أم لا مبالية أم معادية .
كذلك يجب أن نعرف نقاط القوة والضعف الكامنة في أساليب الفكر المتبعة فيها ، بحيث نصبح أقدر على التنبؤ بخط سيرها ، وبحيث نصبح ندّ الضد الذي يواجهنا بها في كل ميدان .
ونحن في حاجة الى أن نصوغ خططنا في قوالب جديدة ، وأن نتمعن ، على ضوء ما نستخلصه من دراستنا لإسرائيل ، بأساليبنا ، ونكيّفها ، بالعلم ، لتصبح أمضى وأقدر على مواجهة الخطر .

★ ★ ★

مثل هذه التأملات هي التي أوحت لنفر من الأساتذة العرب انشاء مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، التي كان لسمو أمير دولة الكويت الأمير عبد الله السالم الصباح فضل الدعم والتأييد لها .
وقد نشأت فكرة اقامة هذه المؤسسة في مطلع عام ١٩٦٣ ، ونالت ترخيصا من الحكومة اللبنانية في نهاية ذلك العام .
وستقوم المؤسسة بانشاء مكتبة شاملة عن قضية فلسطين والحركة الصهيونية العالمية منذ نشوئها ، واسرائيل ، لتكون في متناول باحثيها وجميع الباحثين العرب . وسيكون لها جهاز من الخبراء يضع كتابا سنويا في هذه الموضوعات ويقوم بالدراسات المستمرة في نطاقها ، وينشر جانبا من دراساته في كتب ونشرات دورية وغير دورية ، ويترجم جانبا مما يجب اطلاع عامة الشعب أو الباحثين عليه . كما ستكلف المؤسسة من يستطيع بحثه من الباحثين المتخصصين اعداد أبحاث تتناول مختلف نواحي القضية . وهي ترمي من وراء ذلك الى عدد من الأهداف في مقدمتها اطلاع الشعب على حقائق الوضع ، والتوصل الى النتائج العلمية التي تفيد جميع العاملين العرب في حقل قضية فلسطين ، من حيث أنها تمدهم بصورة صحيحة دقيقة لما يجري ، وبمعرفة الأسلوبية والواقعية ، وبهدى أذهانهم الى أفضل مخططات المواجهة أسلوبا ومحتوى .
ولئن كانت المؤسسة نفسها ، بحكم تكوينها وامكاناتها ، ليست مؤسسة دعاية أو عمل مباشر ، فإن الحقائق التي ستجمعها وتضعها في متناول جميع العاملين في قضية فلسطين ، ستفيد كثيرا في دعم الجهد العربي في سبيل هذه القضية ، بجعله أقدر على اختيار الأهداف والوسائل والأساليب المناسبة .

★ ★ ★

وللمؤسسة مجلس أمناء يتكون من السادة والسيدات المؤسسين ، وهم (مع حفظ الألقاب) : شارل حلو ، موريس الجميل ، سعيد حمادة ، وليد الخالدي ، برهان الدجاني ، ادمون رباط ، قسطنطين زريق ، فؤاد صروف ، نجلا أبو عز الدين ، نبيه فارس ، وداد قرطاس ، وممن سيضافون اليهم فيما بعد من الأساتذة العرب المرموقين في مجالات الفكر والتدريس الجامعي في جميع البلاد العربية .
وقد أتم مجلس أمناء المؤسسة وضع منهاج لأعماله للسنوات الثلاث الأولى . كما أن المؤسسة تلقت التأييد من السيد أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، وهي تسعى نهج التعاون وتنسيق العمل مع مركز الأبحاث التابع لهذه المنظمة ، وقد اتفقت مع ادارة هذا المركز على أسلوب تنسيق العمل .
وتعمل المؤسسة الآن في تنظيم جهازها الاداري والفني لتطبيق البدء بتنفيذ منهاجها بأقرب وقت وأسلم أسلوب .
وهي ترجو أن توفق ، بما ستبذل من جهد وما ستلقى من عون ، الى تحقيق الغرض الذي تقصده وهو أن تسهم بدعم أساسي رئيسي من أسس النهضة العربية الشاملة التي يقتضيها حل قضية فلسطين .

بيروت : **قسطنطين زريق**



■ اخطأ كثير من الذين اشتركوا في هذه المسابقة حول بعض الاسئلة فمنهم من قال السيدة المقصودة بالسؤال الثالث هي سلامة بنت سعد ، ومنهم من قال ان أول من وضع معجما في اللغة العربية هو ابو الاسود الدؤلي ، وقال آخرون ان غازي صقلية هو عمارة بن حمزة، او اسامة بن سعد . وقال غيرهم ان عمر المختار مات رميا بالرصاص . الى غير ذلك من الاخطاء . .

والاجابات الصحيحة هي بالترتيب الآتي :

(١) في العصر الجاهلي .
(٢) ابو العباس السفاح .
(٣) هند بنت عتبة .
(٤) الخليل بن احمد الفراهيدي .
(٥) اسد بن الفرات .
(٦) معلقا بحبل المشنقة
(٧) غرناطة .
(٨) لويس التاسع .
(٩) امرؤ القيس .
(١٠) عبد الرحمن الغافقي .

الفائزون بالجوائز

وقد اجريت عملية الاقتراع بين الاجابات الصحيحة فاسفرت عن النتيجة الآتية .

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا
فازت بها السيدة عزيزة عبد الحميد القاهرة — ج.ع.م.

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا
فاز بها السيد عبد القادر حقي الحمار حلب — سوريا .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير
فازت بها الآنسة ليلى عبد العزيز سليمان الدوسري — الكويت

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها السادة :

١ — محمد سيف الحسيني : بيروت — لبنان .

٢ — امين عبد الفتاح قاسم : قلقيلية — الاردن .

٣ — نورية محمد الحاج هادي : كريتر — عدن

٤ — باهرة مهدي الشيخلي : بغداد — العراق .

٥ — احمد محمد اعمار مكناس — المغرب .

٦ — رضا محمد لاري — وزارة الخارجية السعودية — جدة — السعودية

٧ — عبد الرؤوف خانون : كانوا — نيجيريا .

٨ — مصطفى محمد حجازي : طالب فلسطيني — بيوجراد — يوغوسلافيا .

وسترسل الجوائز الى اصحابها .





عاشقاً كان من الدنيا بشمس الوحي حالم
يدهُ تخلق بالإزميل آلاف العوالم
وتحيل المرمر المختال إنساناً سويّاً
يتحدى الدهر عمراً وشباباً سرمديّاً

* * *

كلما أبدع في التمثال رأساً أو ذراعاً ،
كلما ألقى على القسمات ظلاً أو شعاعاً ،
كلما أبرز جرحاً ينبت الآلام منه ،
كلما موّج شعراً ، كسبيب النور ، حته ،
كلما أحدث خطاً فوق صدر أو جبين ،
كلما صب ابتساماً حلواً في شفتين ،
شعر الفنان أن الكون ملكٌ ليديه
ومضى . لا فرق بين العيش والموت لديه

* * *

كان يدري أن للإزميل حساً مثل حسه ،



كان يدري أنه كالطيف في جمة لمسه
فإذا المرمر كالمخمل، لطفاً، كالحرير
وإذا التمثال مسحور سرور فوق سور
كان يدري ذاك. لكن كيف يدري
أن للإزميل سراً، في الحنايا، أي سر؟!

★ ★ ★

كان يوماً، يلمس المرمر لمسات أخيره
راعه، من بعد ما أنهى به كفاً صغيره،
أن يراه يتلوى شادياً عند الأنامل
يرسل اللحن شجياً مثل تغريد البلابل.

★ ★ ★

ربعُ قرنٍ مرَّ والإزميل، صبحاً ومساءْ،
يُبدع الحسن رواءً بعده السعف رواء.
لم يقفْ، لم يتمهلْ، لم يعذب تجربه
لم يشاهد أبداً، حسناً يهدى المرتبة!
هو، بعد اليوم، لن يعمل، لن يبدعَ حسنا
لن يرى وجهاً، ولا رسماً، ولا شعراً وعينا.
وسكى يأس أن يحمله الفنان قسرا،
فر من كفيه، فدق على الحصى كسرا!

★ ★ ★

شده الصمت وارتاع، وفي النفس مآس ومآتم،
نظرةٌ للقطع المثنى، وأخرى نحو التمثال قائم
«يا لسحر الفن! فالتمثال في الروعة آيه!»
«أحسن الإزميلُ فاختار له حتى النهايه!»
قال هذا، وجثا يهمس تلك صلاته
مؤثراً أن تختم اليوم، على الأرض، حياته»

دمشق : سعيد أبو الحسن

عصر في التلفزة العالمية

« الطائر الباكر »

يبدأ ضربا سماوية

قذائفها الكلمة السريعة والصورة المنظورة

تهبط من فوقه على رؤوس أهل الأرض جميعا

بقلم الدكتور أحمد زكي



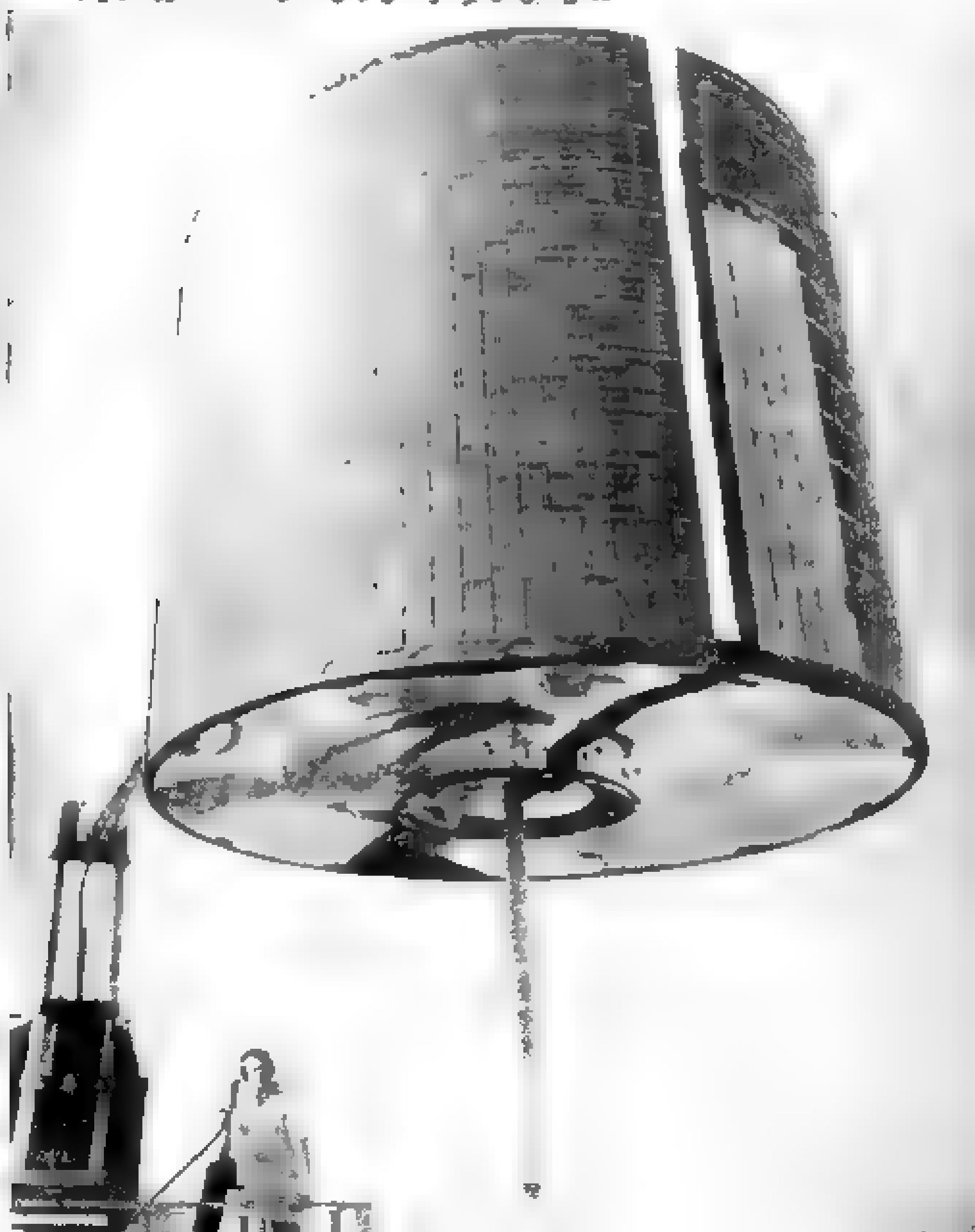
... الاصطناعي ، وقد احتل
في اعلى الصاروخ ، في
كنتي ، قبل انطلاقه .

الرئيس جونسون
أغراه "الطائر الباكر"
فاعتمده
وخاطب شعوب أوروبا
فهز أسماعها
وأبصارها
وتحدى بذلك
الأعراف الدبلوماسية

● في أول يناير عام ١٩٦٣ نشرنا في « العربي » مقالا كبيرا مصورا، كشفنا فيه عن وجه جديد ، من عصر جديد ، تتلاحق فيه وجوه التقدم بسرعة غريبة ، حتى ما يكاد ينظر الانسان الى وجه منها في يوم ، ثم يعيد النظر اليه في غده ، حتى يجده قد تحول . فالجديد يصبح أمس حدثه ، ثم يتراكم عليه غبار من القدم ، ثم [illegible]

كعصر الصواريخ والأقمار، جديد

القمر الاصطناعي الطائر الناكر ، وهو في كاليفورنيا يفحصون تعواليه الاذاعي قبل ان يرسلوه الى رأس كندي لاطلاقه حول الارض .



هو يصنع قديما حقا وصدقا . ويخلفه العدد من صنعه .

في ذلك العدد من « العربي » قدمنا للقارىء العربي اول قمر اصطناعي ، اتخذ منه اهل المواصلات الاذاعية ، السمعية والبصرية ، تلك التي سميناها بالتلفزة ، وسمي اداتها بالتلفاز ، اتخذ منه اهل المواصلات التلفازية هذه وسيلة لرد اصداء التلفزة ، من كلام وصور ، يطلقان من الارض الى السماء ، فيرتدان الى الارض واهلها مرة اخرى .

التلستار ، اول قمر اذاعي

كان قمرا اصطناعيا اسموه التلستار Telstar ، حمل من الاجهزة الالكترونية ما حمل ، اطلقوه في يوليه (تموز) عام ١٩٦٢ ، فدار حول الارض . وارسلوا اليه الصور ، وارسلوا اليه الاحاديث ، من الولايات المتحدة ، فاعاد اذاعتها كما هي ، صورا واحاديث ، من السماء ، من فوق المحيط الاطلسي ، الى فرنسا ، والى الولايات المتحدة ذاتها . وكانت الصور واضحة ، وكانت الاحاديث صافية كما لو تحدث انسان الى انسان بالتلفون عبر شارع في مدينة .

التلستار جمع بين امريكا واوروبا فترات قصيرة

غير ان هذه الاذاعة ، من امريكا الى اوروبا ، ما كانت تمكن في كل ساعة . هي امكنت فقط في تلك الفترات القصيرة من ارض الذي جمع فيها القمر ، في بصره ، لو ان له عينا ترى ، بين فرنسا والولايات معا ، وهو يدور في فلكه حول الارض مرات عديدة في اليوم . في هذه الفترات القصيرة فقط ، التي جمع بها بين طرفي القارتين فقط ، استطاع ان يأخذ من هذه ويرد الى هذه. فلما تحول عنهما في دورانه ، امكنه ان يأخذ من بقاع اخرى من الارض ، ليرد الى بقاع اخرى تقع جميعا في عينه ، وذلك في الفترة التي فيها يجمع بينهما .

شروط الاذاعة القمرية طول النهار

كان لابد لدوام الاذاعة ، طول النهار وطول الليل ، بين اوروبا الغربية ، وامريكا الشرقية ، من فوق المحيط الاطلسي ، من اطلاق قمر صناعي ، يشترط فيه شرطان :

(١) ان يكون مداره من العلو عن سطح الارض حيث يرى اكبر مساحة ممكنة من هذا السطح .

(٢) ان يدور حول الارض في مداره ذلك العالي ، فوق خط الاستواء بسرعة كبيرة ، بحيث يتم دورته في فلكه ، في نفس الوقت الذي تتم فيه الارض دورتها حول محورها ، اي ٢٤ ساعة . واذن فهو يتراءى للناس ، في السماء ، كانه ثابت لا يدور فيها .

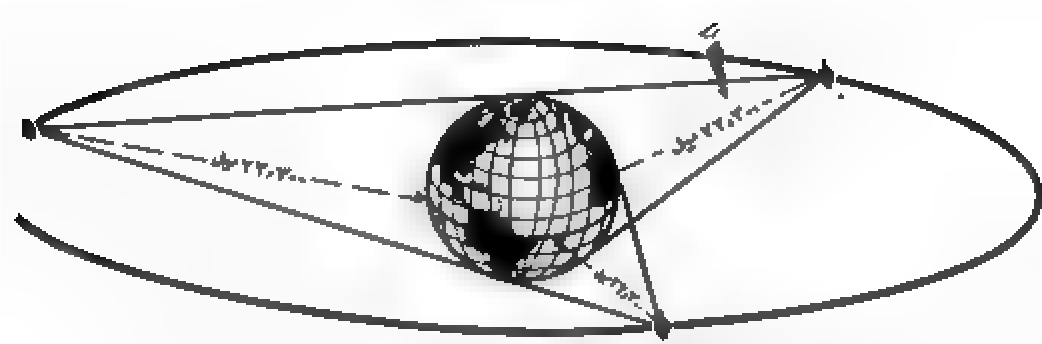
وبالحساب الكثير انتهوا الى ان مدار هذا القمر لابد ان يعلو من سطح الارض ٢٢٣٠٠ ميل ، وانه لا بد ان يسير في هذا المدار بسرعة نحو ٧٠٠٠ ميل في الساعة (سرعة دوران سطح الارض حول محورها تبلغ نحو ١٠٠٠ ميل في الساعة) .

اما نقطة السماء التي تثبت فيها القمر، فهي النقطة التي يبدأ فيها سيره في فلكه المطرب وهي تختار عند اطلاقه. وكان من الطبيعي ان تكون نقطة فوق المحيط الاطلسي تجمع بين امريكا واوروبا .

تجارب كثيرة لاستيفاء هذه الشروط

وكان لابد للوصول الى هذه الغاية من تجارب كثيرة وابحاث كثيرة ، ونفقات كثيرة ، وعلم كثير وتكنية كثيرة . فكان من بعد التلستار رقم ١ ، هذا الذي كنا قدمناه لقراء «العربي» ، التلستار رقم ٢ ، ثم الريلاى Relay رقم ١ والريلاى رقم ٢ .

وكلما دارت في افلاكها قطعتها في زمن



صورة توضح كيف توزع الاقمار الاصطناعية الثلاثة حول الارض ، فوق خط الاستواء ، احدها فوق المحيط الهادى ، والثاني فوق المحيط الهندى ، والثالث فوق المحيط الاطلسى .

دون ٢٤ ساعة . وبالطبع كانت افلاكها واطئة فلم تستوعب فى الوقت الواحد المساحة الكبيرة من سطح الارض .

واذن فهى جمعت فى فترات من الزمن قصيرة ، من بقاع من الارض ، كان من المستطاع تبادل التلغرة بينها .. ثم هى لا تفتأ تنتقل فى افلاكها الى بقاع من الارض اخرى تبادل التلغرة بينها لو تهيأ لها التبادل .

واخيرا توصلوا الى اطلاق قمر له الشروط المطلوبة ، ذلك السنكوم رقم ١، Syncom ثم السنكوم رقم ٢ . وهذه دارت فى الفلك العالى المطلوب ولبثت فى السماء فى موضع ما بقدر ما .

ولكن نتائج هاتين التجربتين ظلت اسرارا لدى وزارة الدفاع الامريكية .

ثم تمخض الحال عن أخ لهما ثالث ، هو « الطائر الباكر » . موضوع هذا الحديث .

لتغطية الارض كلها ، اذاعيا ، لا بد من ٣ اقمار

انه لا يوجد قمر واحد يستطيع ان يرى سطح الارض كله فى وقت واحد .

وانه لا يوجد قمران معا يستطيعان ان يريا معا سطح الارض كله فى وقت واحد .

علم الهندسة يأبى هذا ، الا اذا قمنا بالقمر بعيدا عن الارض الى مالا نهاية .

اقل عدد من الاقمار ترى الارض كلها معا هو ٣ اقمار .

وبالحساب لابد أن يرتفع كل منها عن سطح الارض ٢٢٣٠٠ ميل ، كما قلنا ، وهو عندئذ يجمع فى عينه ثلث هذا السطح .

« الطائر الباكر »

ونجحوا فى ارسال أول قمر من هذه الاقمار الثلاثة، يحمل التلغرة من الارض، ويردها بعد تفريقها الى مساحات كبرى من الارض ، هى ثلث الارض .

نجحوا فى اطلاق هذا القمر فوق خط الاستواء ، فوق المحيط الاطلسى ، على ارتفاع ٢٢٣٠٠ ميل ، يجرى فى فلكه الدائرى بسرعة ٧٠٠٠ ميل فى الساعة ليتم دورته فى فلكه هذا فى نفس المدة ٢٤ ساعة ، التى تتم فيها الارض دورتها حول محورها لتصنع الليل والنهار ، فهو يزامنها . واذن فهو يتراءى الآن ثابتا فى السماء ، فوق المحيط ، وما هو بثابت .

واسموه « الطائر الباكر Early Bird » .

اما انه طائر ، فمعناه ظاهر .

اما انه باكر فلانه اول القطر ، ولأنه

سوف يكون من بعد هذا الطائر طيور، بل ان في مصانع الشـــركة التي صنعته (Hughes Aircraft Co.) بكلفورنيا طائر ، وطائر، وهما أكبر من هذا وأوفى.

كيف اطلقوه ، وفي نقطة من السماء فوق الارض ثبتوه

أطلق هذا القمر ، « الطائر الباكر » ، كما تطلق سائر الاقمار بالصاروخ ، الى اعالي السماء .

اطلقه الصاروخ دجلاس دلتا Douglas Delta ، وهو ذو ثلاث طبقات .

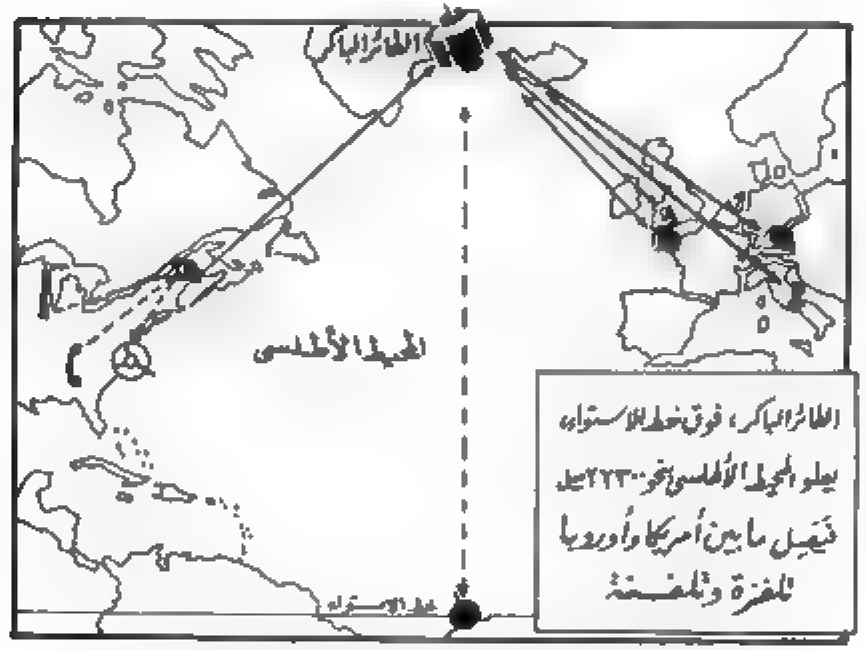
وكان وزن القمر ٨٥ رطلا ، فساعدت خفته ، وقوة الصاروخ ، على بلوغ هذا المرمى العالي .

واطلقوه من راس كندي Cape Kennedy، من حيث تطلق الصواريخ .

حتى اذا بلغ من العلو ٢٢٣ ميل فوق سطح الارض ، اتخذ مدارا اهليلجيا ، والذي فقد أخذ هذا العلو ينخفض حتى بلغ مقدار انخفاضه ٧٧٦ ميلا ، ثم هو يزداد ليبلغ ٢٢٣٠٠ ميل مرة أخرى ، وهكذا دواليك . فهذا شأن الاهليلج ، ذلك الذي نسميه بالشكل البيضاوي خطأ .

وحللوا هـــذا المدار ، وقدروا كيف يحملون منه مدارا دائريا لا اهليلجيا ، وكيف يضعونه فوق خط الاستواء .

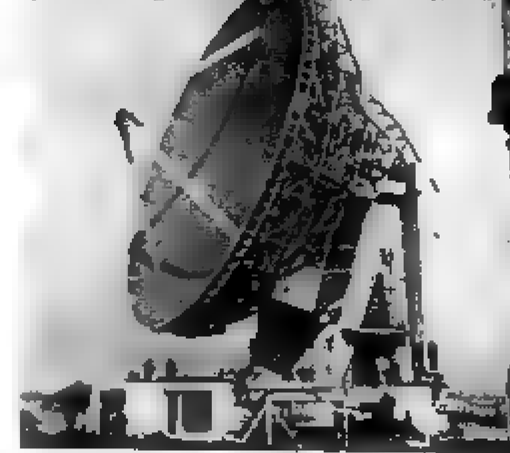
واذ خططوا لكل ذلك ، انتظروا بالقمر حتى بلغ أقصى علو له فوق المحيط الاطلسي . وامروا ، وهم على الارض ، بعابات صغيرة كانوا اودعوها اياه ، ان تنطلق . فانطلقت . وكان من نتيجة ذلك حصولهم على ما ارادوا منه : قمرا فوق نقطة ثابتة من المحيط الاطلسي ،



ونرى في الرسم مراكز الاستقبال والارسال معا ، في كل من الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والمانيا ، على نحو ما هو مذكور في المقال



محطة الاستقبال الاذاعي في اندوفر ، بولاية ماين ، بالولايات المتحدة ، وقد ظهرت في الصورة ، وقد حماها من حولها نطاق طبيعي من التلال ، يرد عنها ما قد يداخلها مما يؤثر عليها من اشعاعات تأتي من مصادر في الارض .



محطة الاستقبال الاذاعي ، في « جونهلي دونز » بكورن وال » ، بانجلترا ، وهي تستعد لاستقبال ما يلتقط القمر الاصطناعي من السماء الى الارض.

بين البرازيل وافريقيا ، يسير فوق خط الاستواء بالسرعة الواجبة التي تبقيه بقدر الامكان عند علو ٢٢٣٠٠ ميل، يقطع بها مداره الذي اصبح دائريا في ٢٤ ساعة ، فهو اذن « يزامن » الارض في دورانها . وينظر اليه الناظر من الارض فيحسبه ، لوانه اضاء ، معلقا ثابتا في السماء ، كالمصباح ، وما هو ثبت .

صفة الطائر الباكر

ذكرنا وزن هذا القمر فكان ٨٥ رطلا

ونزيد وصفا له فنقول ان شكله اسطواني كالبرميل، او هو كطبلة الجوقة الموسيقية الامريجية .

وبداخله جهاز كامل لاستقبال الامواج الصوتية والبصرية للتلفزة التي توجه اليه ، ولتقويتها بعد أن ضعفت بسبب كبر المسافة التي قطعتها قبل الوصول ، ثم بارسالها الى محطات الاستقبال الكبرى لكل من امريكا واوروبا . وهي بامريكا محطة اندوفر Andover ، بولاية ماين، بالولايات المتحدة ، ومحطة بلومور ــ بودو Pleumeur-Bodou بفرنسا ، ومحطة جون هلي دونز Goonhilly Downs ، بمقاطعة كورن وال بانجلترا ، ومحطة رايستنج Raisting بالمانيا . وهذه المحطات تقوم بتقوية الاذاعات قبل ان توزعها على محطات التلفزة المحلية .

والقوة الكهربائية التي يحتاجها لكل هذا ؟ .

تأتي من خلايا شمسية ، ٦٠٠٠ عدا ، توجد بظاهر القمر ، تأخذ من الشمس اشعتها الضوئية ، فتحيلها الى كهرباء ، انها هي الخلايا المعروفة بالخلايا الضوئية الكهربائية Photoelectric Cells ، ولطلاب المدارس الثانوية بهذه الخلايا دراسة وعلم .

وعمل آخر للقمر غير التلفزة ، خطير عامه الخطر

ان القمر وصلة تلفونية بين امريكا واوروبا ، ومن طريقه تجري المكالمات روحة وجيئة . وبه ٢٤٠ قناة تلفونية، تلقى الكلام اخذا وردا .

والقمر يعمل ليل نهار ، فلا يتوقف، بحكم انه دائما مرئي، تراه أوروبا وأمريكا معا ... أو هو يشرف منهما على ما يقارب ثلث سطح الارض .

القمران الآخران

قلنا ان « الطائر الباكر » يغطي

باذاعاته ، من علياته ، نحو ثلث سطح الارض وادنى من الثلثين .

ولتغطية الارض كلها لا بد من قمرين آخرين ، يكونان مثل هذا تماما ، مثله ارتفاعا ، ومثله موضعا فوق خط الاستواء . احدهما يكون فوق المحيط الهندي ، والآخر فوق المحيط الهادى . وهما يزامنان الارض في دورانها ، اى يقطع كل فلكه في الاربع والعشرين من الساعات التي تدور فيها الارض دورة واحدة حول محورها .

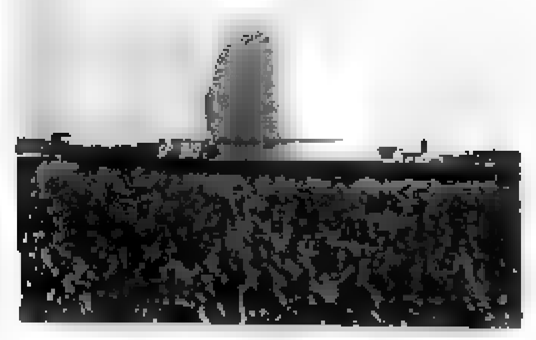
وعندئذ تستطيع اى محطة اذاعة ، على سطح الارض ، ان ترسل باذاعتها ، مسموعة ومنظورة معا ، الى كل بقاع الارض ، في اللحظة الواحدة ، فهي تعطيها اولا للقمر الذي يغطيها ، وهذا يذيعها على سطح الارض الذي هو تحته ، وهو في نفس الوقت يرسلها الى القمر الثاني ، فيتلقفها ، ويصنع بها في ناحيته ما صنع القمر الاول . والا قد ارسلها الى القمر الثالث ، لعمل فيها ما عمل القمران ، فقد شملت تلك الاذاعة التي انبعثت اولا من محطة في الارض ، كل الارض . ويقدر لتمام هذا عام ١٩٧٠ .

مواصلات تلفازية واخرى تلفونية

ولقد ذكرت ان هذه الاقمار تتلقف برامج التلفزة ثم تعيد اذاعتها ، ولكنها كذلك تتلقى الاحاديث التلفونية عبر قنوات فيها عدة ، سبق ان ذكرنا انها ٢٤ قناة تأذن بمائتين واربعين مكالمة .

وعندما يتم اطلاق القمرين الآخرين سوف تمكن التلفنة من اى بقعة في الارض الى اى بقعة اخرى ، مهما بعدت .

ان البرامج التي تتلفز عبر الاقمار محدودة الانواع . لا بد ان تكون من النوع الذي يتبرهم" الدنيا احمع : من



محطة الاستقبال الالمانية في رشتنتج بالمانيا

مؤتمر عالمي خطير. خطبة من رئيس من رؤساء الدنيا يعلن بها حربا او يبشر بسلام . او لقاءات في مؤتمرات لها قوة في حسم الامور . او حدث فضائي لم يسبق له نظير. اعني تلك الاحداث التي أكثر قيمتها يكون من الاستماع لها ورؤيتها ساعة حدوثها . والا تكفلت بها شرائط التسجيل المعتادة تنقلها الطائرات، ثم تذاع في كل امة من محطاتها المتقاربة العادية ، فان هي تأخرت يوما او يومين فلا باس من ذلك .

لهذا كانت المواصلات التلفونية عبر الاقمار هي الاخطر ، وهي الاكثر ، وهي الاكثر عائدة على اصحاب الاقمار .

اصحاب هذه الاقمار

وقلنا اصحاب الاقمار

رلة لسان ما كنا نريدها . والذي يجب ان نسير بالحديث الى آخر المطاف .

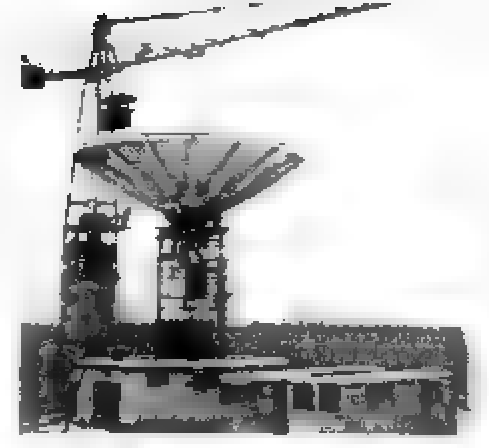
ان صاحب هذه الاقمار شركة امريكية، وافق على انشائها مجلس الشيوخ بالولايات المتحدة. وهي الشركة الوحيدة التي انشئت بهذا الاجراء الرسمي منذ قرن كامل .

وخرجت بهذا الاجراء لخطورة عملها،

● الطائر الباكر

وهي صاحبة محطة اطلاق الصواريخ براس كندي ، وهي جزء من الحكومة الفدرالية للولايات المتحدة .

والشركة ، لخطورتها ، مسئولة عما تصنع امام مساهميها كالعادة ، ولكن كذلك مسئولة امام الكنجرس الامريكي ورئيس الجمهورية .



محطة الاستقبال في فوشينو بايطاليا

فهي تتصل بالسياسة العليا للبلاد اتصالا وثيقا . وحسبك ان حديثا يذاع عن طريق هذه الاقمار من اي بلد ، لا تلبث ان تسمعه الدنيا . واسمتْ هذه الشركة بالكلمات Comsat ، وهو اختصار صنعوه من جمع الحروف الاولى لاسمها الكامل الطويل ، فهو Communications Satellite Corporation ، او باللفظ العربي « جمعية المواصلات بالتوابع » . والتوابع هنا هي الاقمار . فكل قمر تابع لما يدور حوله .

وهي شركة تألفت منذ ٣ سنوات ، اي منذ مطلع العصر التجريبي الاول ، اسلمتار . وبدأت براس مال قدره ٢٠٠ مليون دولار ، قسموه اسهما ، ذهب نصفها الى كبريات الشركات الاذاعية والنصف الثاني لصغار المساهمين . وبلغ عدد المساهمين ١٩٠٠٠٠ . وقد انذر المساهمون حديثا بانه لا يرجى من الشركة ربح قبل عام ١٩٧٠ .

ودفعت الشركة ... ٣ دولار ثمنا للطائر الباكر ، وهو من صناعة شركة هيوز وقد سبق ان ذكرناها .

ودفعت الشركة ... ٣٠٠ ٣ دولار ثمنا لاطلاقه ، دفعتها للادارة القومية لشئون الهواء والفضاء National Aeronautics and Space Administration

في الذكرى العشرين لانتهاء الحرب العالمية الثانية

وتظهر خطورة هذه الاقمار من الحادث الذي وقع في الذكرى العشرين لانتهاء الحرب العالمية الثانية في اوروبا ، فقد كانت الجيوش الالمانية سلمت في الثامن من مايو عام ١٩٤٥ . واذن جاءت الذكرى العشرين في مايو (أيار) عام ١٩٦٥ .

حدث ان الروس ، في هذه الذكرى ، اغرقوا سماء اوروبا ، عن طريق محطاتها التلفازية ، بشتى الاذاعات . وامريكا قاعدة للروس دائما بالمرصاد . وساء الامريكان أن تسبق روسيا وتحمعوا . فما كان من الرئيس الامريكي جونسون ، وبدون انذار ، ان احتل هو بنفسه السماء عن طريق « الطائر الباكر » ، ووجه خطاب الذكرى لاهل اوروبا بنفسه ، ومن فوق سمائهم .

وكان حدثا غير معتاد ، ان يخاطب رئيس دولة شعوب دول اخرى ، في عقر دارهم ، بدون سابق استئذان تلك الدول . وهو في خطابه لم يتورع « عن أن يؤنب الرئيس الفرنسي ، ديجول ، على مسمع من اهل انجلترا وايطاليا » . ونحن انما ننقل هذا التعبير عن مصادر اخبار الولايات المتحدة ذاتها .

وهذا الحادث يدل على ما قد تتمخض

منه الاقمار الاذاعية، وهي تشمل العالم، اذ تذيع للاذن والعين معا ؛ من خطورة بسبب أنه تسيطر عليها من امم الارض امة واحدة . وكل امة بالطبع تستطيع ان تسد آذانها وتغمض اعينها الاذاعية لاذاعات الولايات اذا هي انحازت .

وهناك احتمال آخر، ان يقوم الروس باطلاق اقمار اذاعيه كالتي اطلقها الامريكان

واحتمال ثالث: ان تطلق فرنسا ،وغير فرنسا .

من اجل هذا لا بد لهذه الاقمار الامريكية من ان تكون اقمارا يحكمها اتفاق دولي . والا رفضتها الامم . فهذه الاقمار كذلك تقع تحت رحمة هذه الامم، فالمحطات الاذاعيه الارضيه لهذه الامم هي التي تتلقف اذاعة القمر ؛ ثم هي تذيعه في الدولة .

رجعة الى الوراء

انا نتحدث عن الاقمار الاذاعية وعامنا عام ١٩٦٥ .

ونرجع الى الوراء مائة عام ؛ الى عام ١٨٦٥ ؛ فنجده العام الذي تألف فيه اتحاد المواصلات الدولية Union of International Communications وكان عام اخترع فيه التلغراف قد سبق، فقد كان عام ١٨٣٧ .

وفي عام ١٨٦٦ وضع الكبل الموصل بين اوروبا وامريكا عبر المحيط الاطلسي، واستقر في اعماقه ؛ وعن طريقه ظلت المراسلات تروح وتجيء .

وفي عام ١٨٧١ وضع الكبل الهندي الاوروبي .

وابتدع التلفون عام ١٨٧٦ ؛ فزادت المواصلات بين الناس والناس .

وتلا التلفون السلكي التلفون اللاسلكي، ولكن لم يدخل حياة الناس الا بعد الحرب العالمية الاولى ؛ والاذاعة البريطانية نفسها لم تبدأ الا في عام ١٩٢٢ . وكم اذكر ونحن مجتمعون في لندن ؛ في تلك السنة على جهاز ملء الكف، فيه بلورة سوداء ؛ وابرة تحركها. ونحن بطرف هذه الابرة من البلورة موضعا فيها ؛ فينطلق الجهاز بالموسيقى او بالحديث ؛ يأتي من قلب العاصمة صافيا كالماء . ونعجب .

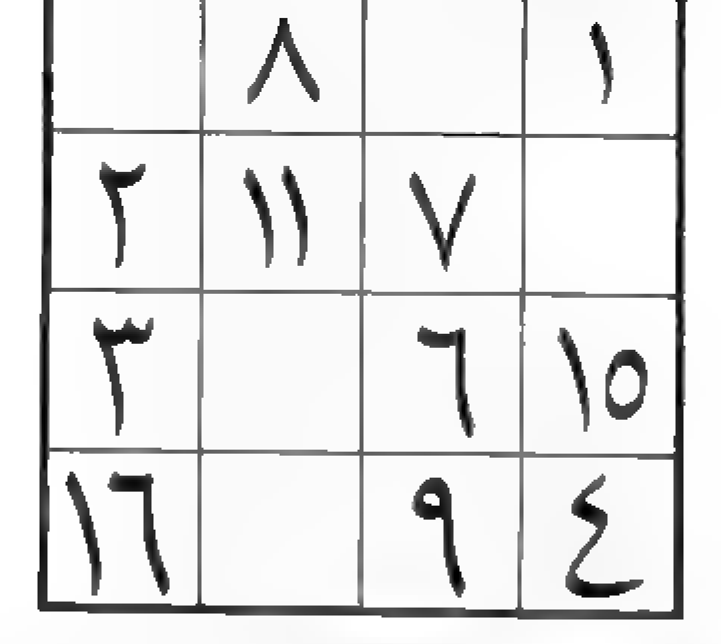
وتلت الاذاعة الصوتية ؛ الاذاعة التلفازية ؛ وبدأتها لندن في عام ١٩٣٧ اول الثلاثات والبادئين .

واتصل تلفاز امم بتلفاز امم ؛ واتصل تلفاز انجلترا بتلفاز فرنسا ؛ ونشأ من ذلك التلفاز الاوروبي Eurovision يوصل التلفاز البريطاني B. B. C. بالتلفاز الاوروبي European Broadcasting Union . واخيراً جاء التلفاز العالمي ؛ بدأه ؛ ولم يتم ؛ « الطائر الباكر » .

وتأخر مجيئه ؛ وكان من حقه ان يتأخر ؛ فهو من نتاج عصر الصواريخ ؛ عصر الاقمار .

احداث ؛ هي في سرعتها ؛ في حياة الانسان الفرد ؛ تطور ؛ وهي في سرعتها، في حياة الشعوب والزمان ؛ ثورة .

احمد زكي





■ مسابقة هذا العدد تنحصر في ملء المربعات الخمسة الخالية في الشكل المرفق ، وذلك بأرقام جديدة يشترط فيها :

١ ــ أن تقع بين رقمي ١ و١٦ .

٢ ــ أن لا تكون من الأرقام الواردة في الشكل .

٣ ــ أن لا يتكرر أي رقم في الشكل كله .

٤ ــ أن يكون مجموع الأرقام واحدا في أي صف رأسي ، أو أفقي ، أو على خط يصل زاويتين متقابلتين في الرسم .

شروط المسابقة وجوائزها

١ ــ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٤٤ .

٢ ــ يكتب على الظروف عبارة « مسابقة العدد ٨٠ » .

٣ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر أغسطس (آب) ١٩٦٥ .

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الأولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .



الاذاعات القمرية عن طريق القمر التلفازى

● تحدثت مجلة الايكونومست اللندنية عن القمر التلفازى الذى اطلقته الولايات المتحدة ، ومنه اخذت محطات التلفزة فى الارض ترسل اليه باذاعاتها ، فيعيد القمر نشرها على اهل الارض . واسم هذا القمر « الطائر الباكر » او Early Bird قالت المجلة :

ان « الطائر الباكر » البت ، من اول اذاعاته ، انه عمل تكنى رائع . واذا اقيم فوق المحيط الهندى قمر صناعى مثله ، وفوق المحيط الهادى قمر آخر مثله ، فقد شملت الاذاعات الثلاث كل سطح الارض

ان هذه الاذاعات القمرية لها خطر كبير . فعن طريقها يمكن اذاعة صور الاحداث الكبرى التى تحدث فى العالم ، وكذا الاخبار .

ان اهم ما يمكن ان يذيعه القمر « الطائر الباكر » ، فيما يتصل بنا نحن سكان هذا الجانب الشرقى من المحيط الاطلسى ، هو الاخبار تذاع فى الصباح الباكر فى الساعة ٧ صباحا ، وفى الثامنة صباحا . ولكن قد يترتب على هذا اغلاق اكثر من صحيفة يومية .

ومن حيث الاصدار ، قد يؤدى الحال الى اصدار برنامج اخبارى بريطانى واحد يكون من حيث السعة ، والمصادر الاثر ، ما لاخبار رويتر . وامر التمويل لا شك تقوم به الشركات التجارية البريطانية .

ولكن بقى امر : ان القمر الامريكى ، وامر اذاعة برنامج اخبارى بريطانى عن طريقه ، تموله شركات تجارية ، سوقف على موافقة امريكا .

اسلوب جديد لرؤساء الكرملين « الجدد » فى روسيا

عن مجلة تيم الامريكية :

● كان اسلوب خروشوف اسلوب الجمل الصارخة التى تملأ الاسماع ، او اسلوب الاحذية يدق بها على الموائد . ولكن ، منذ تنحى خروشوف عن رئاسة روسيا ، اختفى هذا الاسلوب اختفاء ، وجاء من بعده رؤساء فلموا يعملون من شىء يعملونه . ان بريجنيف سكرتير الحزب ، وكوسيجين رئيس الوزراء ، يقومان بواجباتهما فى سكوت تام ، لا يبرزون انفسهم فى شىء ، حتى اسماؤهم لا تكاد تذكرها جرائدهم .

مثال ذلك ما حدث فى امر الحصاد عام ١٩٦٤ ، حصاد الحب الذى يصنع منه خبز اليوم . فقد بلغ ذلك العام ١٥١ مليون طن ، وكان بلغ عام ١٩٦٣ فقط ١٠٧ مليون طن . وكان هذا حدثا جللا . قمينا بخروشوف ان يعلنه من مشارف الكرملين ليسمعه العالم . ولكن رؤساء الكرملين الجدد اكتفوا بان يظهر



ما فائدة الجيش البريطانى ، عند نهر الرين بالمانيا ؟

من نيوستا تسمان :

● ان بريطانيا احتفظت فى المانيا الاتحادية ، بجيش عرف بجيش (الرين) ، واحتفظت به مدة عشرين عاما . وكان جيشا كبيرا . وهو لا يزال الى الآن يبلغ ...... ، ومعه قسم لا بأس به من سلاحنا الجوى . وهو يكلفنا كل عام نحوا من ٨٠ مليون جنيه استرليني ، اى ما يعادل هذا المبلغ بالعملة الاجنبية. ونسأل عن حقيقة الاغراض الحربية التى هو قائم لتحقيقها فنجد الجواب عسيرا. ان الجيش يسمى جيش الرين ، وهو اسم لا يتفق مطلقا وحالته الحاضرة . فهو من حيث القوة دون المستوى المطلوب ، لجهازه سيء ، وكثير من سلاحه عتيق من اسلحة امريكية منبوذة.

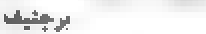
واهل الخبرة يقولون ان هذا الجيش البريطانى هو ، من حيث التدريب ، والتوزيع ، ورصيد السلاح ، لا يتفق مع المبادى ، التى سنها الحلف الاطلسى الذى بريطانيا عضو فيه . والسبب فى ذلك ان قادة الجيش لا يؤمنون بأن حربا تقوم فى اوروبا سيقدر لها ان تطول .

الان ، فما يصنع هذا الجيش فى المانيا الغربية ؟

ان عددا قليلا جدا من الناس يستطيعون اليوم ان يجيبوا على هذا السؤال وهم على شيء من الاقتناع بصحة الجواب ، فيقولوا انه قائم هناك لحماية اوروبا الغربية من الغزو الروسى .

ان اى نية فى غزو اوروبا ، كانت تراود الروس فيما مضى ، لابد قد امحت من انفسهم من زمن بعيد . وحتى لو هى عادت الى الحياة اليوم ، فالحرب التى تقوم نتيجة هذا الغزو لن يكون من اداتها جنودنا بملابسهم الكاكية القائمون عن الرين . انها حرب ستكون اداتها الصاروخ والذرة . وحتى لو ان الحرب احتاجت الى جند الارض ، فان المانيا اليوم ، وكذا فرنسا ، عندهما من القوة المادية والقدرة الاقتصادية ما يستطيعان به حماية حدودهما .



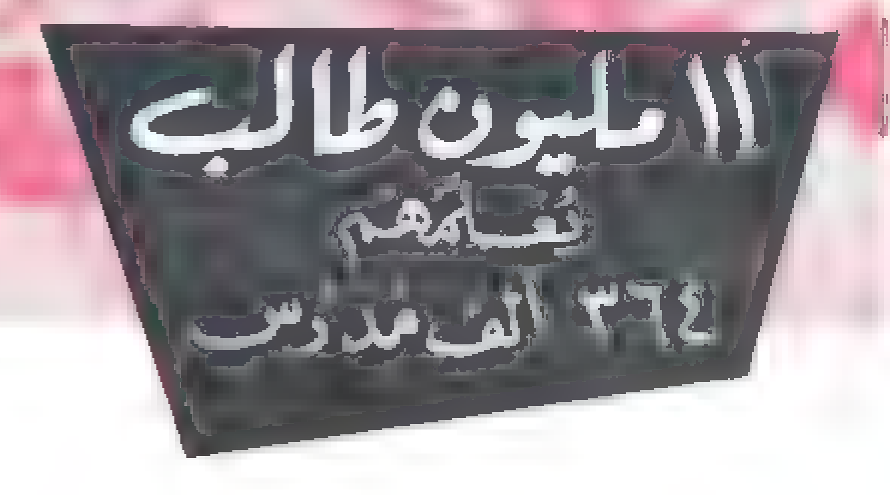


خروشوف — برجنيف

هذا الخبر مدعوما فى كتاب ، يتضمن احصاءات شتى عن الاتحاد الروسى .

ومع تغير الاسلوب ، او رغم تغيره ، بقيت السياسة واحدة ، فرؤساء روسيا الجدد استمروا فى سياسة التعايش التى رسمها خروشوف للخارج ، وفى سياسة تعزيز موائد الطعام فى الداخل ، والزيادة فى رفاهة الشعب . وقد احتفظ الكرملين لزيادة المصنوع من السيارات ، وكذلك لزيادة الانتاج من المواد الاستهلاكية لكى يبلغ حجمها فى العام القادم ما يساوى ثمانية آلاف مليون دولار . وحتى لترفيه النساء بعث برئيسة محل للازياء بموسكو الى باريس لتزور محلات « ديور » الشهيرة فى ابتداع الموضات للسيدات ، وذلك رجاء ان تقتبس منها ما يجعل نساء الروس تظهر فى ملابس اكثر اناقة وفتنة .

نظرات في التعليم في الوطن العربي خلال العام الدراسي الماضي



بقلم : ساطع الحصري

[illegible]

مجموع التلاميذ والطلاب عام ١٩٦٣ — ١٩٦٤

ان مجموع التلاميذ والطلاب [illegible] مختلف انحاء العالم العربي [illegible]

[illegible]

مجموع التلاميذ والطلاب [illegible]

الجمهورية العربية المتحدة	[illegible]
المملكة المغربية	[illegible]
الجمهورية الجزائرية	[illegible]
الجمهورية العراقية	[illegible]
الجمهورية العربية السورية	[illegible]
الجمهورية التونسية	[illegible]

● مليون وربع مليون مقدار الزيادة في عدد الطلبة في عام واحد

● ٦٠ الفا مقدار الزيادة في عدد المدرسين في عام واحد

جمهورية السودان	١٩٢ [illegible]
الجمهورية اللبنانية	٤٠٣ ١٣٢
المملكة الاردنية الهاشمية	٣٥٣ ٥٥٥
المملكة العربية السعودية	٢٢٥ ١٩٣
المملكة الليبية	٢١١ ٦٠٦
قطاع غزة	٨٠ ٧٨٣
الجمهورية العربية اليمنية (تخمينا)	٧٥
دولة الكويت	٦٩ ٥٩٢
امارات الجنوب العربي مع عدن (تخمينا)	٤
امارة البحرين	٣٩ ٥٥٠
امارة قطر	٩ ٤٦٤

ملاحظات :

ا - ان الارقام العائدة الى كل من الاردن وسوريا ولبنان ، تشمل اولاد اللاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون ويدرسون فيها .

ب - اما مجموع التلاميذ في الجمهورية العربية المتحدة في خلال العام الدراسي الاخير فهو ٦ [illegible] ٣٢٩

ج - ان مجموع التلاميذ في جنوب الجزيرة العربية وعدن ... حسب احصاءات العام الدراسي الاسبق ٨٩٦ ٣٧ .

د - ان « طلاب العرب » الذين يدرسون في المعاهد الطبية القائمة « خارج العالم العربي » لم يدخلوا في احصاءات هذا الجدول .

مجموع المعلمين والمعلمات

عام ١٩٦٣ - ١٩٦٤

مجموع المعلمين العرب والعاملين في المعاهد الموجودة في العالم العربي ، خلال العام الدراسي الاخير ، عدا رجال التعليم العالي ... هو نحو ٢٥٩ ٤٦٠ كما يتبين من الجدول التالي :

مجموع المعلمين والمعلمات في :

الجمهورية العربية المتحدة	١٤٣ ٢٨٧
الجمهورية العراقية	٣٨ ٥٣٩
الجمهورية الجزائرية	٣٣ ٤٨٣
المملكة المغربية	٣٠ ٤٣٣
الجمهورية العربية السورية	٢٤ ٩٣٩
الجمهورية اللبنانية	١٧ ٧٢٧
الجمهورية التونسية	١[illegible] ٧٤
المملكة الاردنية	١٣ ٧٦٤
جمهورية السودان	٢ ٧٧١
المملكة العربية السعودية	١٠ ٢٨٦
المملكة الليبية	٧ ١٧٤
دولة الكويت	٣ ٦٦٩
قطاع غزة	٣ [illegible]٢٠
الجمهورية اليمنية (تخمينا)	١ ٩٠٠
امارات الجنوب العربي مع عدن (تخمينا)	١ [illegible]٦
امارة البحرين	١ ٣٩١

امارة قطر	٦٦٤

ملحوظة .

اعتقد ان المجموع الحقيقي يزيد — ولو قليلا — على ما في هذا الجدول. لان عدد المعلمين والمعلمات الذين يعملون في المدارس الاجنبية لم تدخل في احصاءات البعض من الدول العربية .

مجموع الطلاب في دور المعلمين والمعلمات الابتدائية عام ١٩٦٣ — ١٩٦٤

ان مجموع طلاب دور المعلمين والمعلمات — التي تتولى مهمة اعداد وتخريج المعلمين والمعلمات التي تحتاج اليهم المدارس الابتدائية — في مختلف انحاء العالم العربي — خلال العام الدراسي الاخير ، اصبح قريبا من ستة وسبعين الفا . كما يتضح من الجدول التالي :

مجموع طلاب دور المعلمين والمعلمات الابتدائية في :

الجمهورية العربية المتحدة	٢٤ ٧٠٦
الجمهورية العراقية	٨ ٦٥٣
المملكة العربية السعودية	٧ ٣١٨
الجمهورية العربية السورية	٤ ٢٤٩
المملكة المغربية	٣ ٧٧٦
الجمهورية التونسية	٣ ٦٩٩
المملكة الليبية	٢ ٢٧٢
جمهورية السودان	١ ٩٤٥
المملكة الاردنية	١ ٣٦١
الجمهورية اللبنانية	١ ١٩٤
الجمهورية الجزائرية	١ ١٤٧
دولة الكويت	٤٢٤
قطاع غزة	٢٨٨

ملحوظة :

ان طلاب معاهد التربية التابعة للجامعات ، ومعاهد المعلمين والمعلمات العليا التي تتولى مهمة اعداد المعلمين والمعلمات الذين تحتاج اليهم المدارس الثانوية والتكنية ، لم يدخلوا في هذه الارقام .

مجموع الطلاب في الجامعات والمعاهد العليا عام ١٩٦٣ — ١٩٦٤

ان مجموع الطلبة والطالبات في الجامعات والمعاهد العليا القائمة في مختلف الدول العربية ، اصبح — خلال العام الدراسي الاخير — قريبا من ربع المليون : لانه كان (٢٤٣ ٧١٥) — عدا طلاب جامعة القرويين في المملكة المغربية ، وجامعة البيضاء في المملكة الليبية .

ان الجدول التالي يبين حصة كل دولة من الدول العربية ، من هذا المجموع ، حسب الاحصاءات العائدة الى ١٩٦٣ — ١٩٦٤ :

مجموع طلاب التعليم العالي والجامعي من :

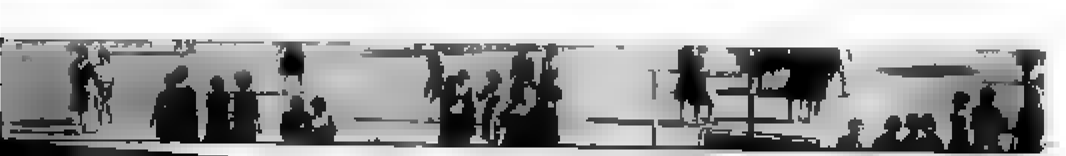
الجمهورية العربية المتحدة	١٥٢ ٩٥٣
الجمهورية العربية السورية	٣١ ١٦٩
الجمهورية العراقية	١٩ ٣٩١
الجمهورية اللبنانية	١٥ ٩٥١
المملكة المغربية	٨ ١١٩
الجمهورية الجزائرية	٥ ٩٥٦
الجمهورية التونسية	٣ ٨٨٤
جمهورية السودان	٣ ٨٦٧
المملكة الليبية	١ ١٢٤
المملكة العربية السعودية	١ ٠٣٣
المملكة الاردنية	٢٥٧

مقارنة عامة مع السنة السابقة

اذا قارنا الارقام المدرجة في الجداول السابقة — التي تعود الى العام الدراسي ١٩٦٣ — ١٩٦٤، مع الارقام التي تعود الى سنة ١٩٦٢ — ١٩٦٣ ؛ علمنا انه قد حصل تزايد كبير ، في مختلف انواع معاهد التربية والتعليم القائمة في العالم العربي، خلال السنة الاخيرة ، كما يتضح من التفاصيل التالية :

تزايد مجموع التلاميذ

ان مجموع التلاميذ والطلاب الذين يدرسون في مختلف انواع معاهد التربية والتعليم القائمة



في « العالم العربي » . وقد زاد خلال سنة واحدة : نحو مليون ومائتين وثلاثين ألفاً ، كما يتضح من التفاصيل التالية :

لقد زاد المجموع خلال العام الدراسي المنصرم ، في :

الجمهورية العربية المتحدة	٢٤٦ ٣٠٧
الجمهورية الجزائرية	٣٠٢ ٩٥٩
المملكة المغربية	٢٠٣ [illegible]
الجمهورية العربية السورية	٨٢ ٨٠٨
الجمهورية التونسية	٧٤ ٠٥٣
الجمهورية العراقية	٥١ ٦٢٧
المملكة العربية السعودية	٣٩ ٣٦٨
جمهورية السودان	٣١ ٨٩٤
المملكة الاردنية	٢٧ ٣٩٠
الجمهورية اللبنانية	٢٧ ٢٤١
المملكة الليبية	٢٣ ٩٤٠
دولة الكويت	١٠ ٠٤٢
قطاع غزة	٤ ٥٤١
امارة البحرين	٤ ٠٣٦
امارة قطر	١ ٤٤٣

ان مجموع هذه الارقام المستندة الى الاحصاءات الرسمية يبلغ : ١ ٢٣١ ١٩٠ .

ملاحظات .

أ) لقد حسبنا التزايد في الجمهورية العراقية بناء على الاحصاءات الرسمية الأخيرة ، التي صححت بعض الارقام العائدة الى العام الدراسي ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ ، واظهرت أن المجموع في تلك السنة كان ١ ٠٦٠ ٤٥٧ .

ب) لقد حسبنا التزايد في الجمهورية العربية السورية أيضاً ، بناء على الاحصاءات الرسمية الاخيرة التي عدلت الارقام المنشورة قبلاً عن العام الدراسي ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ ، واظهرت أن المجموع في السنة المذكورة كان ٧٤٢ ٠٠٦ .

ج) لم نذكر في هذا الجدول الجمهورية اليمنية وامارات الجنوب العربي ، لاننا لم نحصل على الاحصاءات الرسمية عن العام الدراسي الأخير .

ومع ذلك نظن ظناً قوياً بأن التزايد الذي حصل في مجموع التلاميذ في البلاد المذكورة لا يقل عن عشرة آلاف .

فاذا قلنا : ان مجموع التلاميذ في العالم العربي قد زاد خلال العام الدراسي المنصرم نحو ٢٤٠ ٠٠٠ ، لا نبتعد كثيراً عن الحقيقة والواقع .

تزايد مجموع المعلمين والمعلمات

ان مجموع القائمين بالتربية والتعليم في العالم العربي خلال العام الدراسي ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ كان ٢٠٤ ١٨٣

ويتبين ذلك ــ ومما نشرناه آنفاً ــ ان هذا المجموع قد زاد خلال عام واحد : ٦٠ ١٣٦ .

تزايد طلاب دور المعلمين والمعلمات الابتدائية

ان مجموع طلاب دور المعلمين والمعلمات الابتدائية في العالم العربي خلال العام الدراسي ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ كان : ٥٥ ٤٤٣ .

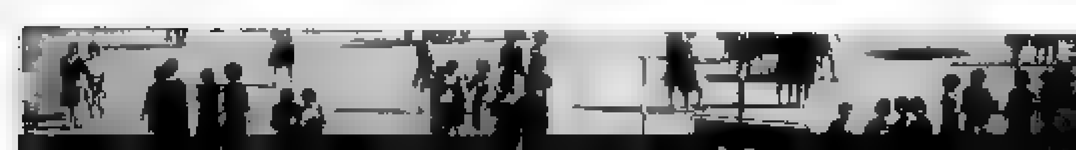
ويتبين من ذلك ــ ومما نشرناه آنفاً عن العام الدراسي الاخير ــ ان مجموع طلاب الدور التي تعد المعلمين والمعلمات للمدارس الابتدائية في العالم العربي قد زاد خلال عام واحد : ١٢ ٥٦٩ .

تزايد طلاب التعليم العالي

ان مجموع الطلاب في معاهد التعليم العالي والجامعات القائمة في البلاد العربية خلال العام الدراسي ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ كان : ١٩٥ ٥٠٨ .

ويتبين من ذلك ــ ومما نشرناه آنفاً عن العام الدراسي الاخير ــ ان مجموع طلاب معاهد التعليم العالي والجامعات قد زاد خلال العام الدراسي المنصرم نحو : ٥٨ ٢٠٧ .

ابو خلدون
ساطع الحصري



قال ابن الاثير :
لم اجد ما ينتفع به في علم البلاغه الا كتاب «الموازنه» للآمدي ، وكتاب « سر الفصاحه » لابن سنان الخفاجي



ابن سنان الخفاجي

بقلم الدكتور احمد احمد بدوى
الاستاذ بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

■ عبد الله بن محمد ، شاعر مجيد ، اخذ الادب عن ابي العلاء المعري وغيره ، وسمع الحديث ، وبرع فيه ، وولى قلعة « اعزاز » من اعمال « حلب » سنة ٤٦٦ هـ (١٠٨٩ م) وله ديوان شعر طبع في بيروت ، وكتاب « سر الفصاحة » .

وقد اعد ابن سنان الامر عدته حينما اراد ان يؤلف هذا الكتاب ، فقرا ما استطاع ان يقرا من الكتب التي الفت قبله في النقد الادبي ، ككتاب البديع لابن المعتز ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر ، والموازنة بين الطائيين للآمدي ، وغير ذلك مما اشير اليه في كتابه .

واغلب الظن انه لم يقرا ما كتبه عبد القاهر الجرجاني لاننا لم نلمح اثرا في سر الفصاحة يوحي بهذا الامر .

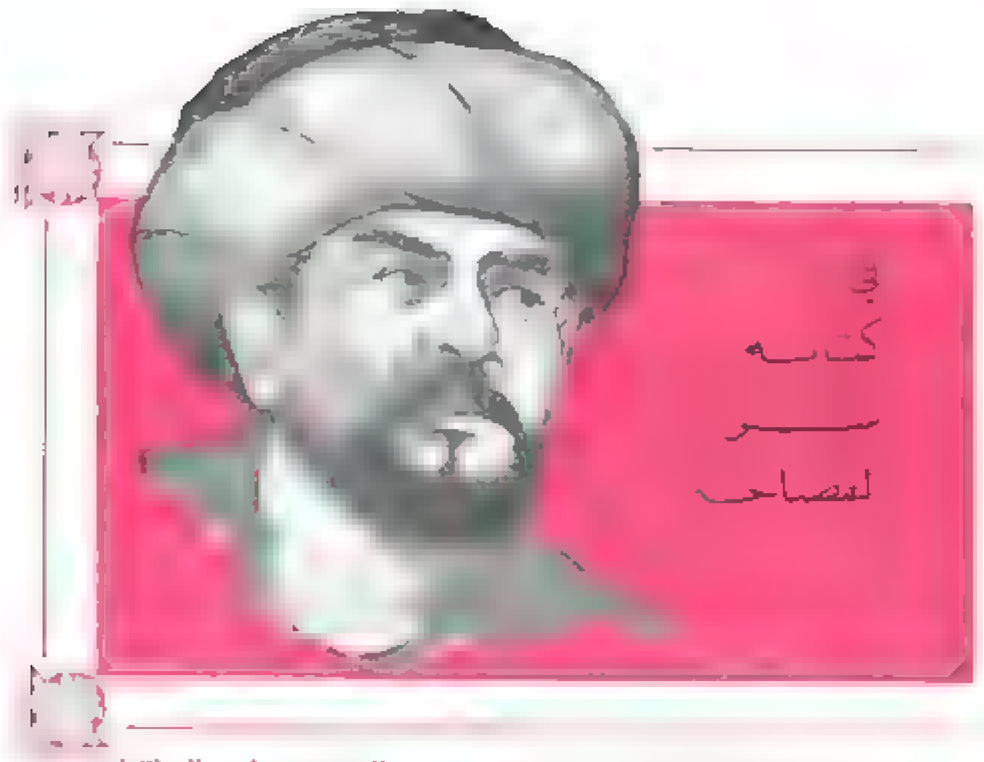
وكان هدف ابن سنان من تاليف كتابه ان يوضح حقيقة الفصاحة ، ويكشف عن سرها ، لانه يؤمن بان لكل جمال في الكلام سببا يمكن الاهتداء اليه ، فاراد ان يضع كتابا يستطيع به دارسه ان يعلل ويستدل ، ويعرف الوجوه والاسباب .

وكانت نظريته صائبة حينما قرر ان البلاغة انما تعرف بمخالطة الشعر ونقده ، مع طول الوقت وتراخي الزمن .

وحينما اراد ان يؤلف كتابه كان عظيم الطموح في ان يؤلف في اسرار الفصاحة كتابا مفردا بنفسه ، مميزا عن الكتب في معناه ، وان يجمع من مسائلها ما اهمله من قبله الدارسون لها .

رأى ابن الاثير في كتاب « سر الفصاحة »

وقد حقق المؤلف كثيرا من هدفه ، حتى قال ابن الاثير في فاتحة كتابه : « وبعد ، فان علم البيان قد الف الناس فيه كتبا ، وجلبوا ذهبا وحطبا ،



وما من تأليف إلا وقد تصفحت ثبته وتبينه ، وعلمت مثله وسمينه ، فلم أجد ما تشفع به في ذلك إلا كتاب الموازنة لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، وكتاب سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي . وهو يبدو في كتابه مجتهدا ، يريد أن يصل إلى القواعد بنفسه ، وإن طمح إلى ما يصل إليه منها ، لا مقلد في ذلك سابقا ، مهما كانت مكانته إلا عن عقيدة واقتناع . يقول : وقد ذكرت فيه ما يحتاج طالب هذا العلم ، على أنني لم أرجع فيه إلى كتاب مؤلف ولا قول مروي ، ولا وجدت ما ذكرته مجموعا في مكان ، وإنما عرفته بالدربة ، وطول التأمل النافع ، وما نبه أهل العلم في أثنائها » .

ولا يقلل من قيمة هذا المجهود ما قد يكون عليه من اعتراضات على ما وصل إليه من النتائج ، بل إنه يومئ بأنه عرضة للزلل، والوقوع في الخطأ.

وهو يجمع في كتابه بين منهج الأدباء والمناطقة ، فتراه يحشد كثيرا من الأمثلة ويحتج إلى العقل والبرهان ، وكان لثقافته الأدبية ، ودراسته الكلامية أثر ظاهر في هذا الاتجاه .

العربية تفضل سائر اللغات

لم يكن ابن سنان متعصبا للعربية ، ومع ذلك كان يرى تفضيل اللغة العربية على سائر اللغات ، باحثا في ذلك النقل والحس ، ذاكرا من وسائل تفضيلها سعتها ، فمن تتبع جميع اللغات لم يجد فيها لغة تضاهي اللغة العربية في كثرة الأسماء للمعنى الواحد ، وإنها مع هذه السعة أخصر اللغات في إيصال المعاني ، وإنه إذا نقلت الألفاظ الحسنة إلى السرياني قبحت ، وإذا نقل الكلام المختار من السرياني إلى العربي ازداد طلاوة وحسنا ، كما أخبره بذلك بعض العارفين . ويمثل ابن سنان لذلك على لغتنا فيها من الاستعارات والألفاظ الحسنة ما لا تستطيع غيرها من اللغات.

ولا ريب في أن أراد ابن سنان في ذلك مجال مبالغة وموضع نظر . وإذا كان ابن سنان معجبا باللغة العربية ، كما رأينا ، فهو معجب بشعرها في القديم والحديث ، لا يتعصب للقديم لأنه قديم، ولا ينقص محدثا لأنه حديث، والأساس عنده في تفضيل الشعر هو تقويم أسلوبه ومعناه.

وشغل ابن سنان اكثر من خمسين صفحة من كتابه في امور قليلة النتيجة من حيث اتصالها بموضوع الفصاحة ، كالحديث عن الصوت ، وانه معقول وليس بجسم ، وبيان معنى الحرف ومخارج الحروف وانواعها ، وتحديد معنى الكلام والتكلم واللغة .

ومن الغريب انه قد عد ذلك من محاسن كتابه . وقد اغفل المتكلمون الحديث عنها .

الكلمة التي تصل الى ذروة الكمال

وبعدئذ يصل الى المقصود من كتابه ، فيعرفنا بما ينبغي ان يتوافر في الكلمة حتى تصل الى الذروة في الجمال .

فيرى لذلك ان تكون الكلمة مؤلفة من حروف متباعدة المخارج ، لان الحروف التي هي اصوات تجري من السمع مجرى الالوان من البصر ، ولا شك ان الالوان المتباينة اذا جمعت كانت في النظر احسن من الالوان المتقاربة .

ويرى لذلك كذلك ان نجد لتأليف اللفظة في السمع حسنا ومزية على غيرها ، وان لا تكون متوعرة وحشية ، ولا ساقطة عامية ، والا تكون قد عبر بها عن امر آخر يكره ذكره ، فاذا وردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت . وهذا هو ما يعبر عنه في عصرنا الحديث بسوء الايحاء ، كالدلو في قول ابي تمام :

متجسم لقدته ، فكأنني
للدلو او للمرزمين نديم

فالدلو هنا احد البروج ، ولا يختار لموافقة اسم الدلو المذكور .

واهم ما وضعه ابن سنان من اصول فصاحة الكلام ان توضع الالفاظ موضعها فلا يكون في العبارة تقديم وتأخير يؤدي الى فساد معناه ، وان تكون الاستعارة اوضح من الحقيقة ، لان الحقيقة لو قامت مقامها كانت اولى واحق منها بالاستعمال ، ويمثل لذلك بقول طفيل الغنوي :

وجعلت كوري فوق ناجية
يقتات شحم سنامها الرحل (١)

فيقول : ان استعارة هذا البيت مرضية عند جماعة العلماء بالشعر ، لان الشحم لما كان من الاشياء التي تقتات ، وكان الرحل يتخونه ويذيبه كان ذلك بمنزلة من يقتاته وحسنت استعارته القوت للقرب والمناسبة والشبه الواضح .

ويرى ان ابا تمام لم يضع اللفظ في موضعه عندما قال :

سعى ، فاستنزل الشرف اقتسارا
ولولا السعي لم تكن المساعي

فان استنزال الشرف ليس بحقيقة فيه ، ولا على وجه الاستعارة الصحيحة ، لان الشرف اذا حط وانزل فقد وصف بما لا يليق به ، وقد كان يمكنه ان يعبر عن نيله الشرف ووصوله اليه بغير استنزاله .

والكلمة الحشو معيبة

ويرى ايضا ان من وضع الالفاظ موضعها ان تجيء الكلمة في الجملة لتقوم بنصيبها في اداء المعنى الذي يريده الاديب ، فتعاب اذا وقعت حشوا ، بان يكون القصد بها اصلاح الوزن او تناسب القوافي في الشعر ، وتأليف الفصول في النثر ، كقول عدي بن الرقاع :

وكأنها بين النساء اعارها
عينيه احور من جآذر جاسم (٢)

لان « جاسم » انما وردت هنا لاجل القافية ، لا لمعنى فيها ، وهي قرية بالشام ، من اعمال دمشق ، وليس لجآذرها ميزة على غيرها .

السجع والوان البديع المتكلفة

وكان من الضروري وهو يتحدث عن وضع الكلمة في موضعها اللائق بها ان يتعرض للسجع ، اذ كثيرا ما يحرص على مؤلفه ان يأتي بالسجعة ، فيتمحل الكلام تمحلا شديدا ، ويأتي بمعان خارجة عن غرضه ، حتى يظفر بالسجعة بعينها ، والواجب اطراح السجع في الموضع الذي يكون فيه متكلفا نافرا .

وكما ابغض ابن سنان السجع المتكلف ابغض التكلف في كل لون من الوان البديع وابغض الاكثار منها ، فهي انما تحسن اذا كانت قليلة غير متكلفة ولا مقصودة في ذاتها .

ولهذه نظرة في البلاغة صائبة ، فانما تسرب الضعف الى اسلوب الكتابة والشعر عندما قصد

(١) الكور : رحل البعير ، والناجية : الناقة المسرعة .

(٢) جآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

الأدباء الى السجع والمحسنات البديعية قصداً ، ولم تجيء هذه الفنون طبيعية يسوق اليها المعنى.

والالغاز في معنى الالفاظ

ومن وضع الألفاظ في مواضعها ألا يستعمل الأديب المشترك من الألفاظ ، وهو في تطبيق هذا القانون لا يحابي أحداً حتى أستاذه المعري ، فقد أورد قوله :

إذا صدق الجَدُّ افترى العمُّ للفتى
مكارم لا تُكرى وإن كذب الخالُ

لأن أبا العلاء يريد بالجد : الحظ ، وبالعم : الجماعة من الناس ، وبالخال : المخيلة ، وقد ألغز بذلك عن العم والجد والخال من النسب . ثم قال ابن سنان فهذا وأمثاله ليس من الفصاحة بشيء .

أما الصفات التي تطلب من المعاني لتكون بليغة فأهمها الصحة والكمال والمبالغة .

صحة المعاني من صفات البلاغة

ومما كانت نظرته صائبة فيه أنه رأى من الصحة تجنب التناقض ، وهو بذلك يرى أن المعاني التي تذكر في القصيدة يجب أن تتحد في اتجاهاتها ، وكأنه يشير الى ما نسميه اليوم بوحدة التجربة ، أي أن المعنى الجزئي يجب أن يتضافر مع باقي المعاني على ابراز الغرض الذي انشئت له القصيدة .

ويكمل المعنى اذا استوفى الأحوال التي تتم بها صحته ، كقول نافع الغنوي :

رجال اذا لم يقبل الحق منهم
ويعطوه عاذوا بالسيوف القواضب

فتمم المعنى بقوله : « ويعطوه » ، لأنه لو اقتصر على قوله : « اذا لم يقبل الحق منهم عاذوا بالسيوف » كان المعنى ناقصاً .

وبرغم ميل ابن سنان الى المبالغة والغلو يرى أن يستعمل في ذلك كاد وما جرى في مساقها ليكون الكلام أقرب الى حد الصحة ، كقول البحتري :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن ، حتى كاد أن يتكلما

وربما كان حبه للمبالغة في الشعر يرجع في أعماق نفسه الى أن وقع الشيء على نفس الشاعر يكون أشد من وقعه على نفس غيره من الناس .

فحش المعنى لا يحط من قدره

ولا يحط من قدر النص عند ابن سنان أن يكون فاحشاً ، ولهذا لم يقبل رأي النقاد الذين عابوا شعر ابن الحجاج ، وهو شاعر ماجن ، بما تضمنه من فحش المعاني، ومثل لذلك بأن صناعة التأليف في المعنى الفاحش مثل الصناعة في المعنى الجميل ، ويطلب في كل واحد منها صحة الغرض ، وسلامة الألفاظ على حد واحد . وليس لكون المعنى في نفسه فاحشاً أو جميلاً تأثير في الصناعة .

وذلك يدل على رحابة صدره ، وسعة نظره ، وعمق ثقافته ، برغم أنه كان من رجال الحديث .

وصية ابن سنان للكاتب والشاعر

ويختم ابن سنان كتابه بوصية للشاعر والكاتب بترك التكلف ، والاسترسال مع الطبع ، وفرط التحرز ، وسوء الظن بالنفس ، ومشاورة أهل المعرفة ، وتجنب الاكثار والاطالة ، فإن كلام الانسان ترجمان عقله ، ومعيار فهمه ، وعنوان حسه ، والدليل على كل أمر لولاه لخفي منه ، وبحسب ذلك يحتاج الى فضل التأليف، واجتماع القلب عند النظم والتأليف وهي وصية تدل على معان كثيرة :

فهي تشير الى ترك التكلف، دعا ابن سنان الى ذلك مراراً في ثنايا كتابه ، والمتأمل في الوصية يدرك أنه ليس معنى الاسترسال مع الطبع أن يرضى الكاتب والشاعر بعفو الخاطر ، وإلا ما دعا الى فرط التحرز ، وسوء الظن بالنفس ، لأن فرط التحرز معناه العمل على تثقيف العبارة وتوجيهها حتى تؤدي المعنى أداء كاملاً ، وتصبح مهذبة بعيدة عما يشينها ، وهو بذلك يؤمن بأن في العمل الأدبي جهداً كبيراً يبذل .

وهو رجل عالم لا يرى من العيب سؤال أهل الذكر والاستفادة بآرائهم .

وفوق ذلك فهو يؤمن بالصلة الوثيقة التي تربط بين الانتاج الأدبي وصاحبه ، ويرى أنه من الممكن أن تستدل من النص على صاحبه ، فإن كلام الانسان ترجمان عقله ، وعنوان حسه ، والدليل على كل أمر لولاه لخفي منه . وهو بلا ريب يريد بقوله : أن الكلام عنوان حس الأديب ، ما نعبر عنه بأسلوبنا الحديث بأن الأدب تصوير لعواطف صاحبه، واحساسه الخاص به .

ويصرح في ختام وصيته بضرورة تثقيف النص الأدبي ، وذلك ، كما قلنا ، لا يتنافى مع الاسترسال مع الطبع ، كما يصرح بضرورة الجهد المبذول ، فيدعو الى اجماع اللب ، وتيقظ قوى النفس عند قرض الشعر ، وصنع النثر .

ابن الأثير خالف ابن سنان في أمور

هذا ، ولم يرق ابن الأثير بعض ما جاء به ابن سنان من الشروط التي يجب أن تتوافر في اللفظة الواحدة لكي تكون فصيحة ، وذلك لأن في الذي ذكره ما لا حاجة اليه ، كشرط تباعد المخارج ، فان معظم اللغة العربية دائر عليه ، ولهذا سقط في اللغة كلمات كثيرة متألفة من حروف يثقل النطق بها مجمعة .

كما لم يعجبه رأيه في تصغير اللفظة اذا عبر بها من شيء لطيف أو خفي أو ما جرى مجراه ، لأن ذلك مما لا حاجة الى ذكره ، اذ المعنى هو الذي يسوق اليه ، ومعاني التصغير معروفة في كتب النحو ، والأديب مخير في ذلك ان شاء أن يورده بلفظ التصغير ، وان شاء بمعناه ، كقول بعضهم

لو كان يخفى على الرحمن خافية
من خلقه خفيت عنه بنو تيم

فالوصية به اذا مقالة لا حاجة اليها .

ولم يوافقه أيضا في أنه ينبغي ألا يستخدم الأديب في الشعر والنثر ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ، والألفاظ التي يختص بها أهل المهن والعلوم ، لأن للأديب لغته ، كما أن لهذه العلوم لغتها . فمما يذكر من استخدام ألفاظ المتكلمين قول ابن تمام :

مودةٌ ذهبٌ ، أثمارها شبهٌ
وهمةٌ جوهرٌ ، معروفها عرض

لأن الجوهر والعرض من ألفاظ أهل الكلام الخاصة بهم . ومن ألفاظ النحويين قوله أيضا يصف الخمر :

خرقاء يلعب بالعقول حبابها
كتلاعب الأفعال بالأسماء

ولم يعجب ابن سنان ما جاء من ذلك في شعر أبي العلاء ورسائله ، وهنا يبدي رأيه صريحا في أسلوبه حين يستخدم هذه الكلمات فيقول : « وكثيرا ما يسلك هذه الطريقة في كلامه ، وهي لائقة به ، لأنه لم تكن له يد في صناعة الكتابة ، ولا طريقة محمودة ، وانما رسائله معدودة في كتب اللغة ، ومسائل الأدب » .

وخالفه ابن الأثير في ذلك ، ورأى أن الذي أنكره ابن سنان هو عين المعروف في هذه الصناعة ، وحجة ابن الأثير هي أن صناعة المنظوم والمنثور مستمدة من كل علم وكل صناعة ، وموضوعة على الخوض في كل معنى ، فاذا أخذ ناظم الشعر أو صانع النثر في صوغ معنى من المعاني ، وأداه ذلك الى استعمال معنى فقهي أو نحوي أو حسابي أو غير ذلك فليس له أن يتركه ، أو يحيد عنه ، ألا ترى الى قول أبي تمام في الاعتذار :

فإن يكُ جرمٌ عنّ ، أو تكُ هفوةٌ
على خطأ مني ، فعذري على عمد

فان هذا من أحسن ما يجيء في باب الاعتذار من الذنب ، مع أن فيه لفظتي الخطأ والعمد ، وهما من أخص ألفاظ الفقهاء . وكذلك قول أبي الطيب المتنبي

ولقيت كل الفاضلين كأنما
ردّ الاله نفوسهم والأعصرا

نسقوا لنا نسق الحساب مقدّما
وأتى فذلك اذ أتيت مؤخرا

وهذا من المعاني البديعة ، وهذا المعنى الشريف لا يتم الا بتلك اللفظة . وكذلك ورد من هذا النوع في شعر بعض العراقيين يهجو طبيبا ، فقال :

لسعال جمسل الطب توسي
لو أبصرتني لكنت تركب

لأنسي جاعل بسيط
والنسي جعلته مركبه

وهذا من المعنى الذي أغرب في الملاحة ، وجمع بين غرابة السخرية وتوافر الفصاحة .

والواقع أن ابن سنان له وجهة نظر صائبة ، تلك هي أنه كثيرا ما يكون في استخدام الألفاظ الخاصة بالعلوم تكلف وغموض يخفيان الى أن يصبح المعنى مغلقا لا يكاد يبين .

أما ما استشهد به ابن الأثير من أبيات رآها جميلة فمرجع ذلك الى أن هذه الألفاظ التي استخدمت شاعت على الألسنة ، وعرفها الناس ، حتى لم يعد استخدامها جالبا لابهام أو غموض .

وبعد ، فحسب ابن سنان اجتهاده في أن يحاول معرفة سر الفصاحة في المفرد والجملة والمعنى ، وأن يثير مثل هذه المناقشات التي تحركها الرغبة في معرفة الصواب . ■

أحمد أحمد بدوي



أ ب جـ د هـ و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص

العربية لغة إنسانية

أحرقوا كتبها
وعبثوا بخزائنها
وقتلوا حفظتها
حتى يقطعوا
ما بين أجزاء الوطن العربي
من صلات
فرقت بها
كل هذه المحن والنكبات
وظلت هي:
عنوان الوحدة والتعبير الحي عن حقيقتها

بقلم الدكتور
عبد الستار الجواري
وزير التربية السابق - بغداد

■ التقيت في بعض الأسفار بمقر الأمم المتحدة في نيويورك، وعرفت في بعض أروقتها سفيرا لدولة صديقة تجمعها بالعرب كفاح من أجل السلام وموقف من قضية الحرية واحد، وبمن لمبدأ الاتحاد الافريقي ذات فضل وكان هذا اللقاء لقاء صداقة وتفاهم، وصحبة تلاقٍ في الرأي والعمل.

وكان لنا أن نشهد جلسة من جلسات مجلس الأمن عقدت للبحث في عدوان على بعض البقاع العربية أصبح سليقة للعصابة الصهيونية التي

زرعها الاستعمار في الأرض العربية خطرا يهدد الوطن العربي بالعدوان ويحول بينه وبين طبيعة الوحدة الحتمية بين اجزائه . وكان للعرب في المجلس مندوب يمثل اقصى المغرب . فلما انفضت الجلسة اقبل الأخ العربي علي ، وهو قد عرف من مكان جلوسي اني واحد من أبناء الشرق العربي في الصباح . وكانت تحية حارة ، وكان حديث مودة واخوة يعرفهما العربي كلما شطت به الدار فاشتاق الى لغته وبني قومه ، ووجد في اخيه العربي شاهد الوطن الام وربع الامة الخالدة التي ما زالت على الرغم من كل شيء امة واحدة قائمة صامدة .

واقبل علينا الصديق الأوربي متعجبا يتساءل، هل لكما سابقة من معرفة او صداقة من قبل ؟ واجبته : اني التقي اخي العربي لاول مرة . وازداد عجبه بل زاد اعجابه بهذه اللغة التي تجمع بين العربيين من العراق الى اقصى المغرب حتى اذا تحدثنا خيل لمن يرانا اننا من بلدة واحدة او مدينة واحدة .

وقلت للصديق الأوربي : الم تسمعنا نحن العرب نقول : ان وطننا يمتد من المحيط الى الخليج . ها انذا من الثغر العربي الذي ينبع عنده الخليج ، وهذا الأخ العربي من الجناح الذي يقع على المحيط . انها اللغة العربية التي وصلت بين ابناء هذه الامة في هذا الوطن المترامي الاطراف يرتفع بها الصوت في وسط آسيا فيرن صداه في اقصى افريقية .

وهذه اللغة ، وهي عماد الفكر العربي وواسطة عقده معجزة خالدة على مدى الأيام لم تزل قائمة على اصولها اكثر من خمسة عشر قرنا ، تمر بها المحن والنكبات صاغرة ذليلة لا تنال منها منالا ولا تبلغ منها مبلغا ذا خطر . ولقد تقصدها الغزاة الطامعون كلما تعمدوا هدم كيان الأمة العربية ، فاحرقوا كتبها ، وعبثوا بخزائنها ، وقتلوا حملتها حتى يقطعوا ما اتصل بين اجزاء الوطن العربي الاكبر من الاسباب . ولا تكاد هذه القلعة الحصينة تفلت من قبضة اولئك الغزاة حتى تجد لها موئلا تلجأ اليه ، ثم تعود بعد ذلك صخرة شديدة متينة تتكسر عندها كل اسباب التخريب والتهديم .

كان هذا دأب الغزاة في القرون الوسطى ، حين ارادوا الثأر لدولهم والانتقام لأنفسهم من اولئك القوم الذين خرجوا من الجزيرة ، يحملون الى امم الارض وشعوب العالم رسالة سماوية بلسان عربي مبين .

وكان هذا ايضا دأب غزاة الاستعمار الأوربي في سائر انحاء الوطن العربي وفي الافريقية العربية على وجه التخصيص . فلقد حاولوا ان يطمسوا معالم اللغة العربية في الجزائر وفي المغرب ، وان يحلوا محلها اللغة الفرنسية . واشتغلوا بذلك مدة من الزمان مديدة بلغت قرنا وثلث قرن في الجزائر، وأوهموا انفسهم بعد هذا الزمان الطويل ان الافريقية العربية جزء من الأرض الفرنسية لا علاقة له بالعرب والعربية .

والدعوات العربية تتحصن في قلوب المؤمنين وفي عقول الواعين المدركين ، تتحفز ليوم النزال ، يوم يقول الشعب كلمته القاطعة على ملأ من امم الارض ، بلسان واحد من ابر ابنائه : نحن عرب، نحن عرب . وانطلقت العربية انطلاق السهم الصائب لتصل بين مشرق الوطن العربي ومغربه صلة طبيعية لا تكلف فيها ولا افتعال ولا اصطناع . وظل العربي يجوس خلال وطنه من طنجة والدار البيضاء الى وهران وقسنطينة الى القاهرة ودمشق وبغداد ، اليف الوجه اليف اللسان ، لا يحس غربة ولا يجد وحشة .

واعود لصاحبنا الأوربي ، فلقد هزه مشهد اللقاء بين الأخوين العربيين فقال : عجبا لكم امة ! يلقى احدكم صاحبه وبينهما في بعد الشقة آلاف الأميال فكأنه يلقى به قريبا في نسب او جارا في سكن . وارسل حسرة وهو يصف حاله في بلاده التي تقسمها ألسنة اربعة لا تكاد تصل بينها وشيجة ، والدار قريبة ، وليس بين البلدة والاخرى الا بضعة عشرات من الأميال .

والحق ان اللغة العربية ظاهرة انسانية فريدة بين سائر اللغات ، ولا سيما حين يلاحظ الباحث ان عوامل الحضارة البشرية قد وقفت منها في العصور الحديثة على وجه الخصوص موقف الناوىء الشديد الخصومة .

فقد كان انهيار الدولة العربية الاسلامية على ايدي الغزاة المغول اول ما اصاب الحضارة العربية

من الثبات بعد عصور الازدهار ، تلك العصور التي جعلت من اللغة العربية لغة العلم والمعرفة والثقافة في العالم المتحضر منذ ذلك ، علاوة على كونها لغة الدين والعبادة في آسيا وافريقية خاصة وفي سائر بقاع الدنيا التي اشرع فيها غيث الرسالة الاسلامية .

ولقد كان صمود اللغة العربية تلك النكبة الفادحة التي اصابتها ، يعود الى اسباب عدة لعل اهمها واخطرها انها غدت بفضل كتاب الله ورسالة الاسلام لغة انسانية ، فلم تعد مثل سائر اللغات لقوم تعز اذا عزوا وتنهار اذا انهاروا كالذي حدث لليونانية واللاتينية والعبرية ، تلك اللغات التي استعملت لسان الامبراطوريات والدول التي نشرتها في اصقاع الارض وبين امصارها، فماتت السنة باتة او آلت الى بطون الكتب واستقرت في مطاوي المجلدات ، ثم اصابها التغيير والتكسير والانشطار ، فصار اهلها يجهلونها كما يجهلون لغات غيرهم من الامم ويتعلمونها كما يتعلمون الغريب الاجنبي من الالسنة .

اما العربية فقد اصبحت بعد ان نزل بها القرآن لغة المسلمين في بلادها وفي بلاد العالم الاسلامي ، بها يتعبدون وبلسانها يقرأون كتاب الله مجمع شريعتهم ومنطلق التفاهم الى خالقهم.

ولقد كان هذا — في الحق — اعظم ما اصابته اللغة العربية في عصور حياتها التي تمتد الى قرون موغلة في القدم . ثم لم يكفها ان اصبحت لغة انسانية ينطق بها في اعتزاز وتقديس ملايين من بني الانسان ، يعدون ذلك فرضا من فروض الدين ، بل لقد وصلها ذلك بلغات اولئك الاقوام فاثرت فيها وتأثرت بها ، حتى انسربت الى كثير من لغات آسيا وافريقية ، فانشأت بذلك اسرة من اسر اللغات جديدة في طبيعتها وفي تكوينها تلك هي اسرة اللغات الاسلامية .

فالفارسية والاوردية والهندستانية والتركية والكردية في آسيا والسواحلية والهوسا وغيرها في افريقية كلها هي والعربية اعضاء في اسرة اللغات الاسلامية التي قد لا تتشابه او تتقارب في نحوها ، وفي تركيب الكلام فيها ، ولكنها تتقارب اشد التقارب في المفردات والاصطلاحات، ولا سيما ما يتصل منها بمناحي الحياة الفكرية والحضارية والاجتماعية .

ولقد كان الاسلام — حقا — نسبا علا جميع الانساب وغلب عليها ، فقد تقطع — او كاد يتقطع — ما بين العربية وقريباتها من اللغات السامية من وشائج واواصر بعد ان انطلقت بها الرسالة الاسلامية الخالدة وراء حدود البيئة الاولى الى آفاق انسانية واسعة رحيبة . ومثل هذا حدث للغات الاسلامية ، فانها لم تعد تستمد من اصولها الاولى كلما احتاجت الى مصطلح جديد او صيغة للتعبير عن معنى من معاني العلم والفلسفة والفكر الحديث ، وانما صارت اللغات الاسلامية يعاون بعضها بعضا في هذه الميادين الفسيحة حتى تشابهت اصطلاحات المعرفة وتقاربت مدلولات الافكار العلمية والفلسفية ، وحتى اصبح التعبير عنها بهذه اللغات المتباعدة في اصولها الاولى وفي اساليب تركيبها ، يكاد يكون واحدا لولا اختلاف طرق التركيب وانواعه ووسائل الربط بين اجزائه.

ولقد اصبح التفاهم الانساني هدفا من اجل اهداف الانسان في هذا العصر خاصة ، بعد ان تقاربت الابعاد وتدانت المسافات ، فصار تداول الافكار بين الشعوب والامم ضرورة حيوية بل وسيلة ناجعة في درء اسباب النزاع الذي يؤدي بالامم والشعوب الى كوارث ومآس .

ولقد دابت المنظمات الدولية المسؤولة عن امور المعرفة والعلم والثقافة على التماس السبيل الى هذا التفاهم بالترجمة والنقل حتى يتيسر للناس على اختلاف اجناسهم وعناصرهم والسنتهم ان يلتقوا في فهم الآثار القيمة من التراث الفكري العالمي وفي الانتفاع بها ، وحتى تتصل بينهم اسباب التواصل الانساني في الفكر وفي الشعور وهما اقوم ما في حياة الانسان . واجتهد فريق من اهل الفكر في اصطناع لغة عالمية تكون وسيلة للتواصل الفكري والشعوري بين بني الانسان فاخترعوا اللغة المسماة بالاسبرانتو ، ولكنها آلت ككل متكلف مصطنع الى السخرية والاهمال ، فلم يتم لها في الحياة الفكرية للانسان اثر .

ثم جاءت المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة المعروفة باليونيسكو فارتفع صوتها بمثل هذه الدعوة على وجه اقرب الى الواقع العملي ، واجدر بان يوضع موضع التطبيق ، فطلبت الى كل دولة هي عضو فيها ان تختار مئة كتاب يشتمل على ما كتب بلغتها من آثار قيمة حتى يتسنى لها ان تنقلها الى اللغات الشائعة الكثيرة التداول بين شعوب العالم . ويبدو ان مثل هذا المشروع الجليل الجزيل النفع بالحوافز والمكاتب والامور الرسمية قد قعدت همته بالمتابع التي يمكن ان ترفده بعون وان تخرجه الى الوجود خلقا سويا .

ولقد مكن الله للغة العربية في هذا الميدان ما لم يمكن لأي لغة اخرى من لغات بني الانسان فجعل منها لغة الدين والفكر والعلم في بقاع من هذه الارض واسعة شاسعة تومئ منها وشيجة القربى في وطن واسع الرقعة يمتد في ملتقى ثلاث قارات ، متصلا متواصلا لا تقوم بينه حواجز ولا يفصل بين اجزائه فاصل ، مخيل ذو قيمة لولا الدويلة المخيلة التي فرضها الاستعمار في فلسطين .

فاللغة العربية من هذا الوجه هي عنوان الوحدة ، والتعبير الواضح الحي عن حقيقتها ، وهي بذلك الوشيجة الانسانية التي تصل بين ابناء الامة العربية في الفكر وفي الشعور ، وتشركهم جميعا في تراث عريق قيم ، وفي حاضر نشيط متوثب ، وفي مستقبل يرجى له ان يكون حافلا بالتقدم والجد في خدمة الانسان .

ولقد قام على خدمة هذه اللغة في سالف العصور علماء افاضل ، وصلتهم بها وبأهلها صلة العقيدة لا صلة العنصر والنسب المادي ، والف بها جلة علماء الاسلام آثارا خالدة ما تزال موضع الاعزاز والاكبار .

واللغة العربية هي التي جعلت من ابي حنيفة والطبري والرازي والغزالي وابن سينا وامثالهم اعلاما يتبوأون من تاريخ الفكر العربي الاسلامي اكرم منزل . وهي اليوم هي التي تجعل من عبد العزيز الميمني ، وابي الحسن الندوي ، ومحمد حميد الله الحيدرابادي ، واضرابهم ، معالم اعتزاز واعجاب عند اهل العربية مهما اختلفت بهم العناصر وتباعدت بهم الاقطار . على ان العربية في معرب العالم الاسلامي مثل هذا الذي اشرت اليه في الشرق ، فان لها في افريقية من رجال الاسلام واعلامه حفظة قاموا على خدمتها خدمة للاسلام ولقد صارعوا بها الاستعمار الفكري الذي استمات في ازاحتها من افريقية حتى يحل محلها لغاته التي لا يصل بينها وبين اهل البلاد سبب اي سبب ، فلم ينل منها كبير منال .

والعربية اليوم جديرة ان تكون منطلقا للتعاون الانساني في البلاد الاسلامية ، ذلك التعاون الذي يرتفع عن حضيض المصالح المادية ، التي هي مجلبة التناحر والتنازع والخصام ، الى مجال اللقاء الفكري والروحي الذي يستمد اصوله من كتاب الله وسنة محمد بن عبد الله ، ويقوم على اساس متين من تراث فكري حضاري عربي اسهمت في ابداعه واقامة بنائه شعوب وامم اجتمعت على كلمة التوحيد وجعلت منها نسبا فوق الانساب واصرة تعلو كل الاواصر .

وثمة حقيقة اخرى لا بد ان تكون في موضعها من الاعتبار ، تلك هي ان اللغة العربية قد اصبحت منذ ان شاعت وانتشرت في البلاد الاسلامية لغة حضارة تأثر بها المسلمون وغير المسلمين من اهل تلك البلاد ، وغدت لسان ثقافة فانتقلت بينها كلمات من السنة اولئك الاقوام ولغتها لم تقم بين اللغة العربية وتلك اللغات علائق واسباب تجعل دراسة العربية ذات اثر بين وفائدة اكيدة في دراسة هذه اللغات والبحث في تاريخها وما اكتسبته من صور التقارب بينها وبين العربية .

ان طرائق التعاون الانساني بين الامم والشعوب عديدة ، وان عواقبها على وجه التأكيد متنوعة مضمونة النفع ، ولعل التعاون الفكري اسلمها عاقبة وانفعها فائدة . وهو حين يسلم الى نتائجه المرجوة مجلبة خير ومصلحة ومدرأة شر وخصومة ومدعاة لتحقيق المثل الانسانية في اعلى مراتبها وارفع مناحيها .

ولمثل هذا فليعمل العاملون .

أحمد عبد الستار الجواري

احدث وسائل الانقاذ لمن ارتطم فى بحر او فى أرض

● سبيل ذلك ، من جديد السبل المبتكرة ، طائرة تطير الى تلك الناحية التي فيها ارتطم الرجل . وعندها تسقط الطائرة اليه صرة ، يفتحها ، فيجد بها شيئين : زجاجة بها غاز الهليوم مضغوطا تماما كما يضغط غاز البيوتان في اسطوانات المطابخ ، ثم بالونا غير منفوخ ، ثم خيطا من النيلون طوله ١٥ مترا ، احد طرفيه مربوط بالبالون وبالطرف الآخر حمالة يلبسها الرجل المرطوم ، كما يلبس رجل الهواء المظلي مظلته .

ويبدأ الرجل عمليه النجاة ، فيلبس الحمالة ويحكمها على ظهره وكتفيه وجسمه ، ثم يطلق غاز الهليوم من الزجاجة في البالون فينتفخ ، وعندئذ يعلو بحكم خفة الهليوم الى الجو ، ويحمل معه الرجل . ويخفف على الرجل مفاجأة رفعه الى الهواء ان النيلون خيط به مرونة كبيرة .

وعندئذ تأتي الطيارة ، وبشوكة في مقدمها ، تلتقط خيط النيلون ، وتقطعه ، بحيث يفلت البالون ، ويظل الرجل هو والحبل مربوطا بالشوكة .

ثم تحمله الطيارة الى حيث العمار والامان .

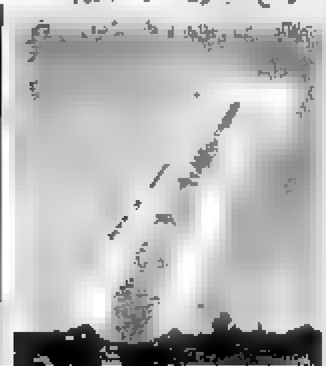
الطيارة وفي مقدمها الشوكة التي تلتقط خيط النايلون







الرجل وقد لبس الحمالة ونفخ البالون بغاز الهليوم



في خدمة الانسان

استعمال الاسماك لتطهير الترع والقنوات من الاعشاب

● ولم لا ؟ اننا نأكل السمك . ولكن هل يمنع ذلك من ان يكون في خدمتنا ايضا .

اننا نأكل البقر والجاموس ، وما منع ذلك من ان يكون البقر والجاموس في خدمة الانسان .

والخدمة التي نذكر اليوم تتصل بالاعشاب التي تبتلى بها مجاري المياه من قنوات ، ومن ترع وأنهار .

والسمك الذي يقوم بهذه الخدمة انما هو سمك الشبوط الصيني Chinese Carp فهو يطهر الترع والقنوات بالتهام ما فيها من اعشاب .

ولقد جربته روسيا فطهر لها ترعة من أعشابها، طولها ١٠٦ من الكيلومترات، ولتعتزم أنجلترا أن تجربه .

وهذا السمك ، قد يبلغ السمكة الواحدة منه في الوزن عند اكتمالها ٥٠ رطلا ، ويبلغ طولها ٥ أقدام . وشهية هذا السمك قدرها احد الباحثين فقال ان ١٥٠ سمكة منه تلتهم ١٩٠٠٠ رطل من العشب في شهرين .

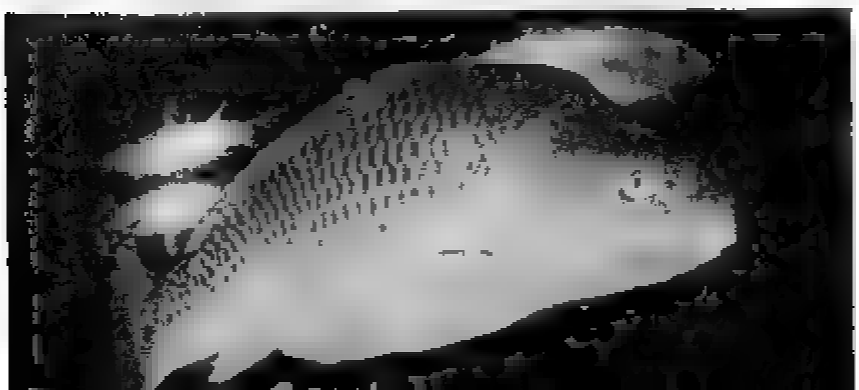
خدمة عظيمة ، واجرها فيها . نحن نشبع . ولكن كذلك السمك .

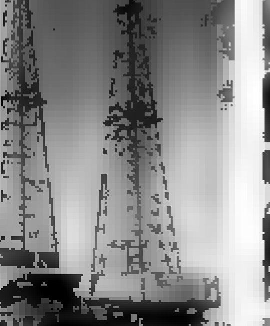
ولكن التجربة تحتاج الى الصبر . فهذا السمك لا يتم نموه الا في ٥ سنين !

قطران الفحم وزيت البترول

● عني الانسان من قديم بالرائحة الطيبة يستخرجها عطورا طيارة من الورد والنرجس والياسمين . وكل زهرة عطرة . وتقدم العلم ، والكيمياء العضوية خاصة ، وبحثت في هذه العطور ، ففصلتها الى موادها التي تألفت منها . ثم هي اخذت تبحث هذه المواد فرادى ، حتى عرفت من اي الذرات تتألف ، وكم منها تتألف ، وكيف ارتبطت بعضها ببعض . واذ اتضح كل ذلك راحت الكيمياء العضوية تصنع هذه المواد من مصادر هي ابعد ما تكون من طيب الرائحة ، كقطران الفحم وزيت البترول . وسمت هذا تخليقا Synthesis . ثم جمعت بين المواد التي خلقت ، وألفت منها ما شابه عطور الطبيعة . ثم اذا بها تؤلف غير ما ألفت الطبيعة ، فتأتي بخير منها رائحة وطيب .

سمك الشبوط الصيني تأكل الواحدة منه رطلين من الاعشاب يوميا







ينافسان الزهور فى انتاج العطور !

وفى هذه السنوات الاخيرة الماضية حدث اتساع عجيب فى صناعة العطور المخلقة، جعلها تصنع المقادير منها كبيرة وتصنعها رخيصة . واصبح الناس لا يكتفون بالكيماويات التى تمنع حدوث الروائح الكريهة Deodorants وانما يريدون أن تكون الى جانب ذلك روائح طيبة عبقة تطيب فى الانوف . حتى حمامات السباحة دخلتها العطور التى تعوح .

وعطور خلقوها للاشياء المصنوعة حتى يزيد شبهها بالاشياء المطبوعة التى صنعت لتقليدها . مثال ذلك الجلد ، تصنع من اللدائن اليوم اشباه له ، لها مظهره ، وتحوز على الناس شكلا ، ولكن ينقصها رائحة الجلد . لهذه صنعوا لها تلك الرائحة . والزهور صنعوها من اللدائن ، وشابهت الطبيعة شكلا ، وافتقدت عطرها . لتلك صنعوا لها ذلك العطر .

حتى السماد الطبيعى ، صنعوا له رائحة تلعب برائحته الطبيعية لمن يريد . واصطنعوا سمادا ، اشبه بالطبيعى ، ولكن لم تكن له تلك الرائحة الطبيعية التى هى ليست رائحة طيبة ابدا . ماذا بهم يطلبون هذه الرائحة ، صنعت لهم مصانع العطور هذه الرائحة ترحم فى انوف من لم يتعودوها من اهل المدن ، وتطيب فى انوف اهل الريف .

وملخص هذا كله ، ان الازهار ، من حيث انها مصادر للعطور ، آخذه فى اختفاء ، وأن حقولا واسعة شغلت دهورا ، بانتاج الزهر ، زراعة ، آخذة فى التراجع والتناقص .

ماذا صار ، من امر ما دار حول الارض من اقمار ؟

وجد فى منتصف مارس الماضى ، دائرا حول الارض ، من الاقمار الامريكية ١٠٢ اقمار ، ومن الاقمار الروسية ٩٤ قمرا .

ومن الاقمار التى اصعدتها امريكا الى السماء سقط الى اليوم ١٤٠ ، ومن التى اصعدتها روسيا ٧٨ .

وعدد من هذه وتلك ، ليس بالقليل ، تحطم وهو فى السماء ، اما عمدا ، واما قهرا ، ونتج من ذلك حطام منه ما لا يزال يدور حول الارض .

يضاف الى هذا الحطام نحو من ..) ابرة او مسمار اطلقها الامريكان الى السماء لتنتشر فتكون طبقة تعكس الى الارض الاشعة القصيرة للاذاعة ، وقد كان ذلك فى مايو عام ١٩٦٣ . وقد احتج العلماء على تلويث السماء بمثل هذه الطريقة .

وحول الشمس : يدور الآن ٧ اقمار امريكية ، وست صواريخ فارغة التحقت بالشمس بعد أن فرغت من واجبها فى قذف سفنها الى اعماق فى الفضاء . وللروس اليوم ست سفن فضائية تدور حول الشمس . وذلك عدا سفينتهم الذاهبة الى عطارد « رتد رقم (٤) » وسفينتهم الذاهبة الى المريخ « رتد رقم ٢ » .

وارسل الروس الى اليوم للفضاء ٥ سفن بها آدميون . وارسل الامريكان اربعا . والروس ضربوا سطح القمر مرتين ، وضربه الامريكان ثلاث مرات .



زرع أعضاء في الجسم سليمة مكان تالفة

الكرات الليمفاوية هي التي تثير الزوبعة ضد العضو الجديد

● قال الشاعر القديم :

ولي كبد مقروحة من يبيعني ... بها كبدا ليست بذات قروح

وقرأ العدد العديد من قراء الأدب هذا ، فاتهموا انه أمل شاعر ، والشاعر ذو خيال بعيد .

وتطور الزمان ، فاذا هذا الذي كان حلما كاذبا ، قد تحقق بعضه ، وبقي يتحقق كاملا ، رويدا رويدا .

وقد نجح الأطباء في نقل الأعضاء بعضها مكان بعض ، رجل مكان رجل ، كلية مكان كلية ، وحتى رأس كلب نجحوا في نقله ، والخطوة مرتبة في نقل قلب ، ونقل كبد ، ونقل حتى الرئة . من يدري ؟

الشاعر توحي بهذا

شاعر استباح . ولكن فيما هو جراحة تحسنت القطع ، والربط ، واجراء الحياة في المقطوع والمربوط . ولكن الى حين ، قريب او بعيد .

ذلك أن الجسم يأبى كل غريب .

ان في الجسم خاصة نسميها الحصانة .

فهو يتحصن ضد المكروب ، وضد الفيروس ، وضد كل شيء يريد أن يدخل اليه ، يدخل الى مجتمع خلاياه ، ويريد أن يعيش فيها . حتى الجلد ، يقتطع من جسم الغير ، يرقع به جسم المريض ، فيأبى جسم المريض أن يرتقع به . انه يرضى أن يترقع بجلد من ناحية أخرى من جسمه هو ، أما من جسم شخص آخر ، فذلك ما يأباه طبعا . الا أن يكون هذا الشخص الآخر توأما له ، أن يكون كلاهما كامل التشابه ، أي انهما في صفاتهما الوراثية شيء واحد .

والحصانة خصيصة جوهرية في الحياة ، هي دفاع الجسم عن النفس . ولكنها وقفت من العضو الصحيح الذي يزرعه مكان العضو المخلوع المريض موقفا سد الطريق الى الخير .

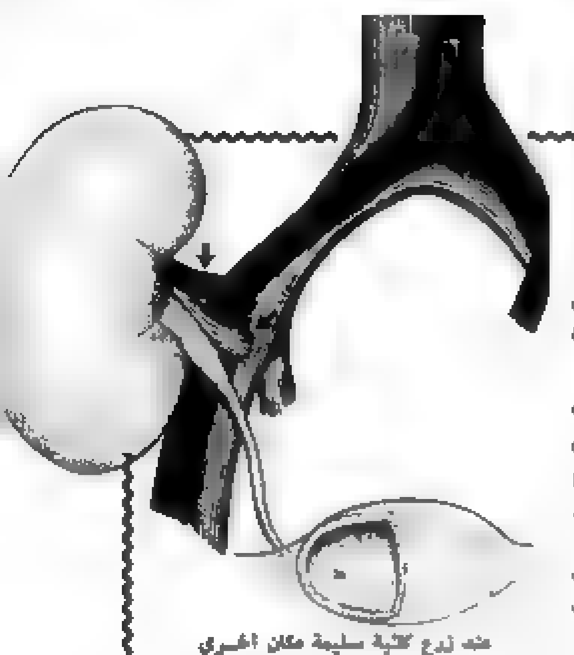
الحصانة ترفض الغريب ، من ضار او نافع ، ولا تفرق .

والأبحاث العلمية الآن جادة في الكشف عن تلك الأصول في الجسم التي تقوم



● ننتظر ، في غير بعيد من الزمن ، ان ترتفع الى السماء مهابط فضائية Platforms تدور حول الارض ، تبعد من سطحها نحو ٥٠٠ كيلومتر ، لتكون محطات تهبط عليها سفن الفضاء ، لم تتابع سفرها الى القمر والكواكب .

وقد بدأت شركة لكهيد Lockheed ،



عند زرع كلية سليمة مكان اخرى مريضة يوصل كل من الشريان والوريد الاساسيين في الكلية بالشريان والوريد الاساسيين في الحوض قبل ان يصل هذان الاثنان الى الفخذ .

المزروع داخل الجسم !

بهذا الرفض ، رفض الشيء الغريب الضار . ورفض العضو المزروع كذلك ، كليه كان ، ذراع . . .

ووقع العلماء آخر الامر على تلك الاجسام التي تثير هذه الزوبعة في الجسم ، تلك التي تنتهي بطرد الجسم الغريب او اهلاكه ، او برفض العضو الجديد الغريب المزروع فيه .

فاذا بهذه الاجسام ليست الا الكرات اللمفاوية Lymphocytes التي تؤلف نحو ربع الخلايا البيضاء في الدم .

وهي خلايا ذات حركة دائبة كشف منها حديثا ، تدخل الى الدم ، ومنه الى الغدد اللمفاوية ، ومنها الى الاوعيه اللمفاوية المركزية ، ومنها الى الدم مرة اخرى . وهكذا دواليك .

شرطة أمن تظل دائمــا دائرة في الجسم شاهده يقظة .

واتجهت البحوث الطبية الى كســر حصانة الجسم الذي بها يقاوم قبول العضو الجديد المزروع . وكان النجاح حاجات به عقاقير من طوائف شتى . ولكن مما يؤسف له ان هذه العقاقير تكسر كل حصانه الجسم الذي يقاوم بها كل شيء من ضار ونافع . ولهذا لم تكن سبيل الى استخدامها ما شاء من زمن .

وقد نجحت هذه الطريقة في تثبت العضو الجديد السليم ، مكان العضو التالف في كثير من الحالات ، لا نجــاحـــا .

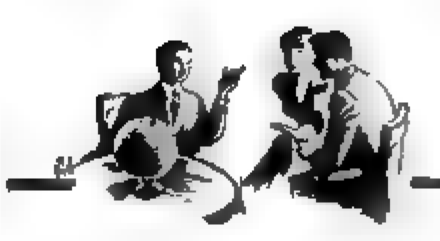
والبحوث في هــذه السبيل لا تزال جارية .

وهي شركة جادة ، تخطط لصنع مركبة فضاء ، بها رجــلان فضائيان ، ومعهما عشرة من الركاب ، تصعد الى هذه المهابط الفضائية ، ثم بهم من بعد ذلك تعود الى الارض .

وقد قدرت الشركة المذكورة ثمن هذه التذكرة للفرد الواحد ، ذهابا وايابا ، مبلغ ١١٧٠٠ دولار . وهي لا تدخل في هذا الثمن نفقه المركبة ولا نفقة البحوث التي تؤدي الى صناعتها .

وقدرت الشركة ان هــذا السعر سيكون محتملا في عام ١٩٨٠ .

اما المركبة ذاتهــا ، فقدرت الشركة انها تتم صنعا في عام ١٩٧٥ . ■■



دردشة

من الذي صفعه ؟!

● جلس أربعة في مقصورة قطار: فتاة حسناء، وامرأة عجوز، وكهل فرنسي، وضابط ألماني. ولما دخل القطار نفقاً سمع في المقصورة صوت قبلة وصفعة. ولما خرج القطار من النفق وهم صامتون، تبينوا على وجه الضابط أثر صفعة، فقالت العجوز لنفسها: ما أطهرها من فتاة! وقالت الفتاة لنفسها: عجباً له يقبل العجوز ولا يقبلني! وقال الضابط: يا له من فرنسي خبيث، غنم القبلة، وغنمت أنا الصفعة! وقال الفرنسي: لقد نجحت تماماً، قبلت ظاهر كفي، وصفعت الألماني ولم يتهمني أحد!!



الأمر يعود إلينا أولاً وأخيراً!

● قال بعض ندماء الإسكندر له: إن فلاناً يبسط لسانه فيك.

فقال: أنا أعلم أن فلاناً ليس بشرير، فينبغي أن ننظر هل ناله من ناحيتنا أمر دعاه إلى ذلك. فبحث عن حاله فوجدها رثة، فأمر له بصلة، فعلم بعد ذلك أنه ينشر الثناء عليه في المحافل.

فقال: أما ترون أن الأمر إلينا، أن يقال فينا خير أو شر.

حماران !!

● جاء ريفي إلى مدرسة القرية وجرى بينه وبين المعلم الحديث التالي:

القروي: أريد أن أعلم ابني لكي لا يبقى جاهلاً.

المعلم: حسناً تعمل، ولكن ذلك يكلفك ١٠ جنيهات.

الريفي: هذا كثير إذ يمكنني أن أشتري بهذه القيمة حماراً..

فأجابه المعلم: إذا اشتريت حماراً ولم تعلم ابنك، فقد أصبح عندك حماران!

امتياز للأدباء !!

● نزل أحد الأدباء الإنكليز في فندق، ولما سأل عن أجرة الغرفة، قال له صاحب الفندق:

ــ ثلاثون شلناً

قال الأديب: أليس عندكم للأدباء امتياز؟

قال صاحب الفندق: بلى، نطلب منهم أن يدفعوا مقدماً!!

ما زلت جندياً !!

● كان أحد النشالين يجلس في الترام وإلى جانبه ضابط فرنسي، فاغتنم النشال فرصة انشغال الضابط، فمد خلالها يده، ونشل منه حافظة نقوده، وبعد برهة نزل من الترام، فودعه الضابط بقوله: مع السلامة..

ولما أراد فحص الحافظة التي سرقها لم يجدها وكذلك لم يجد حافظة نقوده هو، ولا ساعته، فقال لنفسه متحسراً: «آسف يا سيدي، فأنا ما زلت «جندياً»!»

معقول !

● كان الوزير الايطالي «سان جوليانو» سريع الخاطر ، ومرة سألته احدى السيدات :

— اريد ان اعرف لماذا كانت رقبة المرأة ارفع من رقبة الرجل ؟

فأجابها

— لأن نحافة الرقبة يجب ان تكون متناسبة مع ثقل الرأس الذي تحمله !

أمنية خبيثة !؟

● سئل محتال حكم عليه بالاعدام هل يطلب شيئا قبل تنفيذ الحكم فيه .

فأجاب : نعم ، اتمنى ان احلق ذقن القاضي الذي حكم علي بالموت !

القبيح والجميل !

● قال ديوجانس : ينبغي للانسان ان ينظر في المرآة ، فان كان وجهه حسنا استقبح ان يضيف اليه عملا قبيحا ، وان كان وجهه قبيحا استفظع ان يضيف قبحا الى قبيح حتى لا يتضاعف القبح .



الموت .. والملك .. والنجم !

● تنبأ منجم في عهد لويس الحادي عشر بوفاة امرأة كان الملك متيما بها ، وماتت المرأة وفقا للنبوءة .. فاغتم الملك ، واراد ان يعاقب المنجم بالقائه من نافذة البرج الذي يقع في اعلى القصر ، فاستدعاه وقال له :

— انك تدعي العلم بالغيب فهلا تنبأت عن مصيرك ؟

فأجابه على الفور : انني سأموت قبل وفاة جلالتك بثلاثة ايام ..

فعدل الملك عن قتله ، وصار احرص ما يكون على حياته !!

حسود .. وبخيل !

● وقف حسود وبخيل بين يدي احد الملوك ، فقال لهما : اقترحا علي فاني سأعطي الثاني ضعف ما يطلبه الاول .

فصار احدهما يقول للآخر : اطلب اولا . فتشاجرا طويلا ، وكان كل منهما يخشى ان يقترح اولا ، لئلا يصيب الآخر ضعف ما يصيبه .

فقال الملك : **ان لم تفعلا ما امرتكما به قطعت رأسيكما .**

فقال الحسود : يا مولاي اقلع احدى عيني اولا !

أفلاطون والعلم

● قال افلاطون : العلم مصباح النفس ، ينفي عنها ظلمة الجهل ، فما امكنك ان تضيف الى مصباحك مصباح غيرك ، فافعل .

علاج للالتهاب !

● شكا احد البحارة البريطانيين التهابا في حلقه ، فسألته سيدة شغلها أمره : « اجربت الغرغرة بالماء المالح ؟ »

فقال : اتسألينني ذلك وانا الذي اصاب الطوربيد سفينته ثلاث مرات ؟!



الحياة الزوجية وما فيها من

بقلم : محمد شهير ارسلان
المستشار في محكمة استئناف اللاذقية

■ الزواج رابطة مقدسة ، تربط الذكر بالانثى ، ولو دققنا النظر في سلوك الزوجين ، نجد تشابها كبيرا بين هذا السلوك ، وسلوك الحيوان المنوي ، مع البويضة ، عند التلقح في رحم المرأة .

فالحيوان المنوي ، كما يبدو تحت المجهر ، سريع الحركة ، ينجذب الى البويضة انجذابا .

وحياته قصيرة ، ولعل ذلك لانه لا يحمل في جوفه شيئا من العناصر المغذية فاذا لم يقم بعملية التلقيح فانه يموت لفوره .

اما البويضة التي تفرزها الانثى، فانها اكبر حجما ، وابطأ حركة ، وهي تحمل في جوفها كمية من العناصر الغذائية لكي تعيش عليها البويضة الملقحة فترة ولو قصيرة من الزمن في بدء حياتها بالرحم .

ومن عادة البويضة الا تسمح الا بحيوان منوي واحد بالولوج الى داخلها، بالرغم من تجمع الكثير من الحيوانات المنوية حولها .

اوجه التشابه

هذا هو سلوك الحيوان المنوي الذكر والبويضة الانثى ، عند التقائهما .

وما اشبه هذا بسلوك الرجل الذكر والمرأة الانثى ، اللذين يشكلان نتيجة هذا الالتقاء. فالذكر سريع الحركة والنشاط، وهو يسعى في طلب الانثى ، حتى اذا ما تم له الاتصال بها قعد واستراح ، اما

صورة بويضة المرأة وهي نازلة في الرحم وهي مكبرة جدا . والى جانبها حيوان منوي وصل اليها ، ويحاول ان يخرق جدارها ليتم تلقيحها . لاحظ الفرق بين الجرمين : البويضة وهي من المرأة والحيوان المنوي وهو من الرجل .

الانثى فانها تتخذ عادة من حيث الاتصال الحسي ، موقفا سلبيا على الاغلب ، لان مهمتها تكاد تنحصر فيما تقوم به من الحمل والتحسن اجتذابا للذكر ، حتى اذا ما تم التلقيح بدأ دورها في تغذية الصبي ورعايته طول حياته الرحمية ، ثم العناية بارضاعه وتربيته وحضانته .

مهمة الرجل ، من حيث التلقيح ، تنتهي حيث تبدأ مهمة المرأة .

والثالثة : تتعلق بالحب العائلي الموجه للعائلة بمجموعها بما في ذلك الاولاد ، وما يترتب عليه من شفقة وحنان نحو هؤلاء الاولاد .

وعلى هذا فالحياة الزوجية لا تكون كاملة ، الا اذا توفرت فيها ، العناصر الثلاثة ، وهي الصلة الحسية ، والصلة الروحية ، والاولاد .

او بمعنى آخر ، الصلة المادية والصلة الروحية ، والاولاد .

كبت الغرائز وتصعيدها



أبو العلاء رفض الغرائز كلها وصعّدها فكرا وحكمة وشعرا . .

ولكن الرجل ، لاتنتهي مهمته بعد التلقيح من حيث شئون اخرى ، فالحمل والوضع ، والنفاس والعناية بالمولود يشل حركة المرأة ، والرجل يتدخل ليعوض من ذلك .

لذلك كان التعاون بين الذكر والانثى ، من بعد الفراغ من التلقيح وتوابعه ، امرا تقتضيه الضرورة . وينتج من ذلك ان الغريزة التناسلية التي كانت ، بالنسبة للذكر ، مقصورة على مهمة التلقيح ، اصبحت بالنسبة للانسان ، تشمل بجانب ذلك ، علاقات وروابط وصلات معنوية ، غير موجودة عند الحيوان ، كما تشمل الروابط العائلية الخاصة بالاولاد وتربية النسل .

ثلاث غرائز فرعية

لذلك فقد تفرع من الغريزة التناسلية ، ثلاث غرائز فرعية بالنسبة للانسان .

الاولى : تتعلق بالاتصال الجسماني او الميل الجنسي بين الزوجين .

والثانية : تتعلق بالناحية الروحية بين الزوجين او الحب بمعناه الكامل ، وما يترتب عليه من مودة وامتزاج روحي .

وقد يفقد عنصر من هذه العناصر التي هي قوام الحياة الزوجية ، وقد يحدث ذلك كثيرا ، فقد يحصل نقص في الاتصال الجنسي بسبب مرض او علة ، او نقص طبيعي مع توفر الحب المعنوي ، او قد يفقد الحب مع توفر الصلة الجسمانية . وقد يتوفر الاتصال الحسي والحب المعنوي ، ويفقد الحب العائلي اي الاولاد .

فاذا فقد عنصر من هذه العناصر الثلاثة فانه يحصل كبت للمركب المفقود ، وبالتالي فانه يحصل سعي وراء تكملته خارج الحياة الزوجية . وهذا الكبت ، اذا لم يقترن بوسائل التصعيد ، اي بالانصراف الى بعض الهوايات والتسليات التي تملأ فراغ هذا النقص ، فان هذا الكبت يؤدي الى اعراض عصبية معروفة

باسم (القلق العصبي) الناشيء من عدم ارواء الغريزة الجنسية من نواحيها الثلاث ، سواء أكان التعطش متعلقا بالشهوة الجثمانية او بالحب المعنوى او بعاطفة الابوة والامومة .

وسائل التصعيد والتعويض

قد يتفق للزوجين الجمع بين العاطفتين المادية والمعنوية اى الصلة الجثمانية المادية مع الحب المعنوى ولكنهما يظلان محرومين من الاولاد ، فيساورهما او يساور احدهما قلق ، ويسود حياتهما الزوجية شعور بعدم الطمأنينة والحيرة والفراغ .

فيلجأ البعض الى وسيلة (الاستعاضة) لتخفيف شدة الكبت وما يترتب عليه من اعراض عصبية . وقد تكون هذه الاستعاضة بتبني اولاد الغير، فيحول الزوجان عاطفة الحب العائلى الى العناية بشئون النسل المستعار . وقد تفشت هذه العادة فى اوربا وامريكا ، حتى ان بعض الزوجات يفضلن الولد المتبنى لكى يوفرن متاعب الحمل وآلام الولادة .

كما ان البعض يستعيض بتربية القطط والكلاب او بعض الطيور . والبعض يقومون بتصعيد عواطفهم ونزعاتهم المكبوتة بتحويلها الى خدمات عامة واجتماعية ، كاعمال البر والاحسان والعمل بالجمعيات الخيرية او العناية بالفقراء ، او تعليم الناس ، او مواساة المرضى والضعفاء .

فهؤلاء الاشخاص يدمجون شخصيتهم فى شخصية المجتمع ، ويحولون عواطفهم ونزعاتهم الى ابناء الامة فيروون غرائزهم المكبوتة .

ويعتبر سعد زغلول فى مصر وغيره من زعماء العالم السياسيين (كلنزوانيلي) ، او من الكتاب (كعباس محمود العقاد) ، او من الفلاسفة (كأبي العلاء المعرى) ، امثلة واقعية على ذلك .

يقول سقراط (على الانسان ان يتزوج ، فاما ان يكون سعيدا او يصبح فيلسوفا) وهذا تفسير لما قلناه فى الاستعاضة عن العنصر المفقود فى الحياة الزوجية ، سواء كان الحب الجثماني او الحب الروحي او الحب الابوى .

وسائل التصعيد عند افتقاد الحب

واذا شعر احد الزوجين من نفسه بفتور فى عاطفة الحب المعنوى ، فقد يحول هذه العاطفة نحو الاولاد فيزداد شفقة عليهم . ويتجاوز الحد فى العطف عليهم ، مما يترتب عليه تدليلهم وافساد طباعهم . وقد يحول احد الزوجين عاطفته نحو ابويه اذا كانا على قيد الحياة ، او الى بعض الاهل او الاقارب او الاصدقاء .

وقد يوفق الانسان فى تصعيد نزعة الحب بتحويلها الى ولع ببعض الفنون او العلوم ، ويهيم بها لدرجة لا تقل عن ولع المرء بمعشوقته ، وتلهيه عن كثير من شؤون الحياة ، ويصبح الفن الجميل او العلم رمزا مستترا للمعشوقة المفقودة .

وسائل التصعيد عند افتقاد الحب

وهناك من الناس من استطاع تصعيد الغريزة المجموعة الجنسية الكبرى بعناصرها الثلاثة الجسمية والمعنوية وعاطفة الابوة ، اى انه عاش بدون زواج مطلقا .

ولكن المرء ، مهما بالغ او امعن فى التسامى ، لا يستطيع تصعيد كل قطرة من ينبوع الغريزة الجنسية الى سماء المعنويات ، بل لا بد من بقاء كمية من ذلك النشاط على الفطرة تلتمس لها مخرجا طبيعيا من حين لآخر . لان التصعيد الكامل ، يكاد يكون معدوما .

وان أبا العلاء المعرى من ابرز الامثلة على ما وصلت اليه الارادة البشرية فى وسائل التصعيد والتسامى بالغريزة الجنسية ورفعها من مستوى الشهوة المادية الى سماء الفلسفة والعلم والفن . وقد بالغ

أبو العلاء في تصعيد غريزته الجنسية الى درجة انكارها على نفسه انكارا مقترنا بمقت النساء ، حتى انه اعتبر التناسل جناية ، فقد أوصى أن يكتب على قبره .
هذا جناه أبي عليَّ (م)
وما جنيت على أحـد
وبهذا يكون قانون (الاستعاضة) الذي يقول عنه علماء النفس قد حققه أبو العلاء ، فاستعاض عن الأولاد بما انتجه من علم وفلسفة وحكمة وادب .

البيئة او الخلقة

ولا بد من القول ، ان الانصراف عن الغرائز وتصعيدها لدى بعض الناس قد يكون على الاغلب ناتجا عن أسباب طبيعية أو عن أسباب تتعلق بالظروف او البيئة او الخلقة . فمن المحتمل ان يكون فقدان البصر عند أبي العلاء ، اثر اصابته بالجدري وهو طفل صغير ، وما نتج عن ذلك المرض من تشويه في وجهه ، قد صرفه عن النساء والزواج ، وحمله على التحليق في سماء الأدب والعلم والفلسفة، فيكون قد حقق زواجا روحيا البحث الفكري بدلا من الزواج المادي ، ويكون قد خلّد بآثاره بدلا من تخليده بنسله .

الخلاصة

مما تقدم ان الغرائز الثلاث الفرعية ، التي تتألف منها الغريزة الجنسية، لا يشترط اجتماعها في الحياة الزوجية ، بل كثيرا ما يتعذر اجتماعها كاملة ، نظرا لما يكون عليه الزوجان غالبا من تباين في الأمزجة والاستعدادات الجسمانية والفكرية والعقلية ، واختلاف في الرغبات والبيئات . الامر الذي يؤدي بهما او بأحدهما ، الى كبت غريزة او أكثر من الغرائز الثلاث الفرعية الخاصة بالغريزة الجنسية . فان كان الكبت مرضيا ، كانت نتيجته القلق العصبي غالبا ، وهو مرض من الامراض العصبية بين الطبقات الراقية ، وبصورة خاصة بين السيدات والافراد الذين ، بحكم مركزهم الاجتماعي او الادبي ، يتعذر عليهم ارضاء النزعات الغريزية المكبوتة بوسائل غير مشروعة .

ومما هو جدير بالذكر ، ان الاخلاص والحب ، بالنسبة للحياة الزوجية ، ليسا مترادفين في المعنى وليسا متلازمين دوما ، فقد يوجد احدهما دون الآخر ، لان الاخلاص صفة متوقفة على التربية المكتسبة ومستمدة من (أنا العليا) أو النفس المثالية ، بينما الحب عاطفة مطرية لشهوة غريزية مستمدة من النفس الواقعية ذات الشهوة او (أنا المادية) .

فقد تكون الزوجة مخلصة في حياتها الزوجية ، حريصة على القيام بواجباتها كزوجة ، وتتصف بالعفة والامانة وفق مركزها الاجتماعي .

ومع ذلك لا تشعر بحب زوجها ، سواء الحب الحسي الجسماني او الحب المعنوي العذري . وربما كان الاخلاص الخالي من الحب ، اكثر شيوعا بين السيدات منه بين الرجال ، خاصة في مجتمعنا ، بالنظر لمركز المرأة الاجتماعي وخضوعها للتقاليد والعادات ، واستنكار المجتمع بشدة عدم اخلاصها لتعلق ذلك بصحة نسب الاولاد .

اما الحب الخالي من الاخلاص ، فهو اكثر شيوعا بين الرجال ، فكثيرا ما يكون الرجل محبا لزوجته ولكنه غير مقتصر عليها ، لان الرجل بطبيعته ميال لتعدد الزوجات ، وهذه الظاهرة بارزة في ذكور كثير من انواع الحيوانات ، ولكن تقاليد المجتمع تلجئه الى كبت هذه النزعة الفطرية ، فاذا لم يتمكن من تحقيق هذه النزعة بحكم الظروف القاهرة ، ولم يتمكن من تعدد الزوجات المشروع بسبب القوانين او الاعراف ، او لم يتمكن من الوسائل غير المشروعة ، ولم يستطع في الوقت نفسه من تصعيد هذه النزعات المكبوتة ، فانه يكون عرضة لامراض القلق العصبي او غيره من الظواهر النفسية المرضية . ■

محمد شهير ارسلان



رائد الرواية الحديثة ..

وقصته الفذة أوليس

انقضى ربع قرن على وفاته
وما زالت الدراسات تترى محللة أدبه
كاشفة عن عمقه وأصالته ..

بقلم : الدكتور بديع حقي

أتذكره ، يمس بوجهه السلت النحيل ، وعلى شفتيه تساب ابتسامة شاحبة ساخرة مريرة ، وامام جفنيه المتعبتين تجثم نظارة يسيل النور من زجاجها الى انسان عينيه ، ولكنه يتكفيه ويطفىء فلا تلمح عيناه سوى اشباح مختلفة وخيالات مهتزة .

وتمتد من راحته عصاه السجلة الضاربة ، لعلها ان تحاول برقتها جسمه الهليم ، فتتخطى طريقها وتنقر الارض نقرات خفيفة رتيبة ، لتهمس له وتحدثه وتهديه .

انه (هوميروس) العصر الحديث ، الكاتب الارلندي (جيمس جويس) James Joyce حين امتحنه القدر في شيخوخته، كما امتحن هوميروس اليوناني من قبل ، فسلبهما نعمة البصر ، في ان المشابهة لا تقتصر على المشاركة في المحنة ، فقد بلغ هوميروس ذروة الخلود بملحمته الاوديسة Odyssee ، واعجب (جيمس جويس) بهذه القصة واستنزل بطلها اوليس Ulysses من اولمبه ، ليهب اسمه لعنوان روايته الرائعة اوليس التي تعد ، بحق ، اللبنة الاولى في صرح الرواية الحديثة .

نشأته

ولد جيمس جويس في دبلن في ١٨٨٢/٢/٢ من اسرة كاثوليكية ، وكان الثاني من احد عشر ولدا. وكان ابوه ماجنا ، يتبع النساء ، متلافا ، مولعا بالشراب ، كثير العربدة . وقد نأت بابيه حياته هذه الصاخبة من التمتع بهناءة الاستقرار ، فظل عمره كله ، يتنقل واسرته من بيت الى بيت ، تلاحقه الديون وينهشه شبح العجز .

اما ام (جيمس) فكانت امرأة طيبة القلب مرهفة العاطفة متدينة ، وقد تحملت نزوات زوجها وصبواته وطيشه بصبر متصل وابتسامة صافحة.

ووضع (جيمس) ، وهو بعد طفل ، في مدرسة داخلية ، وتمزق قلبه الصغير وهو يرى امه تنشج باكية حين ودعها وخرج من دفء صدرها الحنون .

وانتقل من مدرسته بعد ثلاث سنوات الى مدرســـة داخلية اخرى في ضواحي (دبلن) ، يشرف عليها رهبان يسوعيون . وقد هيأه تزمتهم القاسية لان يألف النظام ويتزود بدراسة كلاسيكية خصبة . غير ان التزمت الشديد الذى اخذت به تلك التربية خلف في نفسه رواسب من التمرد والتحدى ، انتهت في شبابه الى كرهه رجال الدين .

وشكا (جيمس) منـــذ صغره من ضعف في بصره ، واضطر الى حمل نظارة ، ظلت ملازمة لعينيه عمره كله .

ولئن عرف في طفولته الحرمان والغربة ، فقد كان يبدو ظاهر المرح والابتسام حتى دعاه اخوته بجيمس الضاحك . وقد رکبته فيما بعد هموم الحيــاة ، وظلت ابتسامته متشبثة بشفتيه ، ولكنها اصبحت ابتسامة ساخرة حالمة .

وبرز « جيمس » في دراسته ونال المركز الاول بين لداته ، وظفر عام ١٨٩١ باكبر جائزة اجريت لطلبة مختلف المدارس . وكانت الجائزة عشرين جنيها ، وجدها ابوه ــ وكان قد احيـــل الى التقاعد منذ امد قريب ــ خير هدية لتعيش الاسرة في يسر موقت قصير .

بين جويس والكاتب النرويجي ابسن

وفي عام ١٨٩٨ التحق (جويس) بالجامعـــة ليتابع فيها دراسة الفرنســية والإيطالية والنرويجية وعلم النحو المقارن ، وقد اعانه تضلعه في اللغات على تتبع مؤلفات القبلة بثقافة لغوية متشعبة .

وطلب ليه ، وهو في مطلع تفتحه الفكرى ، مسرحيات الكاتب النرويجي (ابسن) Ibsen فعكف على قراءتها واعجب بما يشيع في اثرها من تقديس لحرية الفكر وتمرد على قيود العادات الرجعية السائدة ، واقراه اعجابه هذا ان كتابة مقال ضاف عن احدى مسرحياته ، وتناهى المقال الى الكاتب النرويجي العظيم ، فكتب الى جويس شاكرا ، فاجاب هذا برسالة قال له فيها : اشكر لك تلطفك بالكتابة الى ، انني فتى ايرلندى ، في الثالثة عشرة من عمرى . ان كلمات ابسن ستبقى في قلبي ما عشت .

مدرس الطب في باريس

وفي عام ١٩٠٢ عزم على دراسة الطب في باريس ، فسافر اليها وسكن في الحي اللاتيني ، وانصل آماله الفضية في وضع اسرته وكفاح وطنه وثورته على تقاليد مجتمعه قد اتجاه الى الابتعاد عن « دبلن » ليجد في « باريس » مدينة الالق والنور والفكر الحر ملاذا لروحه القلقة المتمردة . ولكنه اضحى وهو في « باريس » ملازما لكتبها الوطنية اكثر من اختلافه الى معهد الطب ، حتى اشتد ضعف بصره ، وتخبطت ايامه في العسر والاملاق ، واضطر الى اعطاء دروس وكتابة مقالات لعلها ان تفي بيسير نفقاته .

يعود الى دبلن ليرى امه تحتضر

وفي العام التالي ، قفل عائدا الى « دبلن » بعد ان تلقى اليه خبر بان امه مشفية على الموت ، وقد ادركها ورآها تحتضر امامه ، ولكنه ابى ان يجثو مصليا الى جانب سريرها ، ــ كما تلزمه بذلك التقاليد الدينية ــ وشعر بعد وفاتها بفراغ رهيب يكتسح حياته .

وكانت سنة قاسية لاقت فيها المصائب ، ووجد في الخمر ــ كما وجد ابوه من قبل ــ مخرجا يذيب فيها آلامه ، وعكف في « دبلن » يرتزق من دروس تافهة يسيرة ، ولكن غرامه بالادب ظل مشبوبا ، وكتب بحماسة متقدة كتابه (صورة الفنان وهو شاب) Portrait of the artist as a young man . ولكنه لم يعثر على ناشر يرضى نشره ، وهو يصور قصة وصفت بانها اكبر قصة كلاسيكية لزمننا هذا ، فانصرف الى الشعر ونظم قصائد عديدة ، وبدا له ان يتقدم الى مسابقة غناء ــ وكان له صوت ندى ــ ولكنه لم يفز بالجائزة المرغوبة .

زواجه

والتقى في هذه السنة بنورا برناكل ، فشغف بها حبا ــ وقد جعل من تاريخ يوم التقائه بهـــا في ١٦ يونيو (حزيران) اليوم المشهور الذى تدور فيه حوادث روايته المقبلة (اوليس) Ulysses

ـ وقد احبته (نورا) وأعجبت بمواهبه ، فلما طلب الزواج منها قبلت ، وبنى بها في السنة نفسها . وقد اخلصت (نورا) له الحب وقاسمته مر الحياة وحلوها .

في سويسرا

واذ كان يتوق الى الابتعاد عن « دبلن » بعد ان خاب امله فيها بالعثور على الشهرة ويسر العيش فقد سافر وزوجته الى (زوريخ) في سويسرة ، لعله ان يجد فيها عملا ، فلم يعثر على طلبته .

في تريستا

والقى عصا الترحال اخيرا في (تريستا) ، بعد تنقل متصل مرهق ، ولكن كسبه من تدريس اللغة الانكليزية لم يكن يكفيه ، وزمنئذ كؤوس الخمر يحتسي فيها شجونه .

وفي (تريستا) ولدت زوجته صبيا ، وبعلاته الفرح بطفله والتخوف من ازدياد مسؤوليته ، ولكن همومه لم تثنه عن التأليف . واتم ديوان شعر صغير ومجموعة قصصية هي (اهل دبلن) ، وبعث بمخطوطتيهما الى أخيه « ستانيسلاس » في « دبلن » ، لعله ان يجد لهما ناشرا ، فلم يوفق . وكتب « جويس » يغريه بالعمل في تريستا ، فقدم اليه وقاسمه الاحوال البيئة . وكثيرا ما كان « جويس » يستقرض من أخيه عونه المالي حين كانت الحاجة تلجئه الى ذلك . وبدا له ان يعمل موظفا صغيرا في بنك بروما فلم يسخ عمله هناك ، وعاد الى « تريستا » بعد ان قضى اكثر املاقا .

ووضعت زوجته طفلة سماها « لوسيا » أي « في القسم المخصص للفقراء من مستشفى التوليد .

واصاب « جويس » من الخمر فترة ، اثر التهاب في قزحية عينه . وتوعد زوجته ويهددها اذا هي عمدت طفليه (وكان يكره التعميد والطقوس الدينية كرها متأصلا) .

في دبلن لطبع كتابه

وسافر (جويس) الى « دبلن » ليشرف على نشر كتابه (اهل دبلن) . وتم طبع الكتاب بعد صعوبات جمة على نفقته . ويروى انه لما ذهب الى الطابع ليستلم منه نسخ كتابه تعلمه علما بان شخصا مجهولا قدم الى المطبعة فاشترى النسخ كلها ودفع ثمنها وامر بحرقها في مكانها ثم مضى .

عودته الى تريستا

واب (جويس) الى « تريستا » وفي جيبه ثمن نسخ كتابه المحروقة ، ولكن في قلبه كانت تضطرم نار من الاسى والالم الكاتب على نفسه الا يعود الى وطنه ابدا .

وانصرف الى تاليف كتابه (ديدالوس) . وما عتم ان لفت انظار الاوساط الادبية اليه ، واعجب به الشاعر الانجليزي ت.س اليوت T.S.Eliot ، والشاعر الاميركي (ازرا باوند) P o u n d اعجابا كبيرا ، وازجى اليه « باوند » مساعدة مجدية لنشر كتابه الاخير ، وبدا نجمه يتالق . واعيد طبع كتابه (اهل دبلن) .

وفي عام ١٩١٤ شرع في كتابة روايته (اوليس) . وفي هذه السنة اعلنت الحرب العالمية الاولى ، واضطر الى مغادرة (تريستا) وكانت بلدا تابعا للنمسا ، الى (سويسرة) ، وامده باوند بمعونة مالية انقذته من الفاقة ، ولما انتهت الحرب عاد الى « تريستا » ليستأنف عمله في التدريس ويكب على روايته « اوليس » .

في باريس

ولكنه لم يستطع انهاءها الا في « باريس » بعد ان حبب اليه صديقه (باوند) الاقامة فيها . وظفر « جويس » في مدينة النور « بتقدير عدد كبير من الكتاب المعجبين بادبه وعلى رأسهم « فاليري لاربو » ، وكذلك احتضنت باريس عبقريته ، حفية به في مدى عشرين عاما ، بعد ان مني بالخيبة القاسية في وطنه .

وقام « جويس » بمحاولات يائسة لنشر روايته في انكلترا واميركا ، ولكن الرقابتين الانكليزية والاميركية مانعتا في ذلك ، بحجة ان في بعض صفحات الكتاب واقعية صارخة تكشف عن ضعة الانسان وغرائزه باسلوب يخالف الآداب العامة .

واستطاع « جويس » بمساعدة السيدة (سيلفيا بيتش) ان ينشر روايته في فرنسا . وفي يوم عيد ميلاده الاربعين ، وصلته اول نسخة مطبوعة من روايته ، وترجم الكتاب الى الفرنسية بمساعدة (لاربو) والبل الجمد الادبي الى (جويس) ، وانثال فيض من الثناء والتقدير

على الرواية هذا باسم « جويس » يقفز الى مقدمة الكتاب العالميين في النصف الاول من هذا القرن .

قصة اوليس

للقارىء ان يتساءل :

اى شيء يمكن ان يوحي به يوم عادي في حياة انسان ما ، تتتابع حوادثه على نحو طبيعي دون ان يند منها حادث عجيب يستدعي الاهتمام اكثر من غيره ويتطلب من الكاتب الاطالة والاسهاب ؟ ومع ذلك فرواية (اوليس) التي كتبها (جويس) في مدى ستة سنوات او تزيد ، انما هي سرد حوادث يوم واحد ، هو السادس عشر من يونيو عام ١٩٠٤ في مدينة « دبلن » ، وهو لا شك يوم طويل ملأت حوادثه ٨٧٠ صفحة من القطع الكبير .

يوم واحد عادى من حياة انسان عادى ، ولكن قد تأتى لجويس ، أن يتناول ، بعبقريته الفذة هذا اليوم ، فيقص حوادثه في دقة معجزة . فلا عجب أن يضع النقاد اثره في الرواية الحديثة في قرن واحد ، مع اثر (فرويد) في علم النفس ، واينشتاين في علم الفيزياء ، وأن تنهض روايته هذه مع رواية (بحثا عن الزمن الضائع) للكاتب الفرنسي (مارسيل بروست Proust) (١) كتحفتين شامختين من روائع الأدب المعاصر .

ولم يكن سرده في هذا الكتاب متكئا على ترتيب زمني ، وفقا لمنطق الساعة التى تحصي الزمن وتجزئه في دقائقها الرتيبة ، بل على تفجير ذرات الزمن — ان جاز أن يكون للزمن ذرات — ، وقد تيسر له ذلك بمحاولة اسلوب واسلوب ، تختلف وتفترق . فهو يعتمد على الحوار الداخلي ، يعبر ويتساءل ويناجي خلجات النفس الانسانية ونزعاتها . وعلى الحوار العادي المألوف يترقرق في هيئة وبساطة . وعلى الأسلوب الواقعي في الوصف الفوتوغرافي الأمين في التفاصيل . وعلى الأسلوب السريالي Surrealist ، الفوق الواقعي ، في صورة الاخيلة الغريبة المسرفة في الخيال . وعلى الأسلوب المكتظ الموحي بالاساطير . وتجتمع هذه الاساليب ، على نحو قد يبدو متنافرا ، غير متناسق ، ولكنها تعكس صورة صادقة من عالم النفس الداخلي وعالمها الخارجي ، تلخصها كما يستخلص الكون كله في جوزة واحدة ، على حد قول (جويس) عن روايته .

وتتخلل الرواية دراسات وآراء علمية وفلسفية وابحاث لغوية ، وتتجاوب هنا وهناك ، قصائد واشعار تهب للرواية رعشات حلوة تنفي عنها بعض السأم .

كل هذا كان مقصودا معينا مرتبا من الكاتب ، وقد اداه في ثقافة المهندس الصناع الذى احكم بناء صرح معركة بالغ ، وفقا لتصميم مدروس دقيق ، فلا تجد جملة او كلمة تعلو صورة او فكرة ما ، ليس لها مكان في هذا الصرح .

وقد اطلع الكاتب الفرنسي (فاليري لاربو) على المراحل التى تم فيها تأليف هذه الرواية ، فذكر في دراسة له ، ان جويس قد اورد في الوف من القصاصات موجزا من جمل الرواية مذيلة بخط يشير بلونه الى مكان الجملة من الرواية. انه عمل عجيب اشبه بالفسيفساء الدقيقة المتقنة .

على ان الغريب ما في هذه الرواية ، انها تماثل بشخوصها وحوادثها وفصولها الثمانية عشر ، ملحمة (الأوديسة) اليونانية ، ومن هنا جاء اسم الرواية (اوليس) بطل ملحمة (هومر) ، فكل فصل منها يقابل فصلا من الملحمة اليونانية ويرمز له ويتجاوب معه .

ان القراءة السطحية لا تلحظ الصلة الخفية العميقة الجذور بين ملحمة « هومر » ورواية « جويس » ، ولكن القراءة الواعية الفاحصة تلقى في الرواية اصداء تتناغم مع الملحمة .

وتواكب هذه المماثلة ، مماثلة اخرى مع الجسم الانسانى ، فكل فصل من الرواية يشير الى عضو من أعضاء الجسد ويتحدث عن وظيفته وحاسته المتصلة به .

وتتعاقب الالوان السبعة فصول الرواية كما تتعاقب قوس قزح ، فيبدو حينا قويا ظاهرا ، ويختفي حينا ، ليغلب لون آخر بدلا منه .

فلو شئنا ان نلخص هذه الرواية ، لما وجدنا سوى حوادث تافهة تترادف على هذا النحو :

الساعة تشير الى الثامنة صباحا ، اليوم هو الخميس ، السادس عشر من يونيو ١٩٠٤ المكان

---

(١) من المصادفات ان كلا من الكاتبين ، جويس وبروست ، بدأ روايته في وقت متقارب ، وانهاها في وقت تقارب وقت صاحبه . وكل منهما غاص في اعماق النفس الانسانية بأسلوبه الخاص المتميز به.

هو مدينة «دبلن» ونرى الى « ستيفن ديدالوس » — هو تليماك في الملحمة — المقيم في برج (ساندي‌موت) يعتزم بأن يغادر اصحابه ليعيش وحده . ونراه في الساعة التاسعة يلقي درسا في التنظيم والتاريخ . وفي الساعة الحادية عشرة يعود الى المدينة (ويماثل هذا الجزء من الرواية رحلة تليماك في الملحمة) .

ونعود في الفصل الرابع الى بطل الرواية الحقيقي (ليوبولد بلوم) وهو في الرواية رمز لليهودي التائه (هو اوليس في الملحمة) . فنرى انه يستيقظ في الساعة الثامنة صباحا ، ليعد لزوجته الفاتنة فطور الصباح ، ثم يدع زوجته مضطجعة في سريرها ويذهب الى المطبخ . وفي الساعة العاشرة يخرج الى الشارع ، فلا يتسمر واجهة مخزن او عابر سبيل يقع في بصره ، او كلمة تتادى الى سمعه دون ان يأتي على ذكره . ويشتري قطعة صابون لا تفارق جيبه البتة . ونرى انه يتلمسها بيده ، بين الفينة والفينة ، كنغم منفرد في سمفونية طويلة . ويدخل كنيسة ثم يمضي لحضور مأتم احد رفاقه . ويحط رحلته نحو مكتب جريدة . ويتغدى في مطعم . ويقصد مكتبة يغادرها الى الشاطىء ، ويشرب ليلا في حانة ليسكر . ويلتقي بأصحاب له ويقصد بيت بغاء ويجتمع بديدالوس (كما يجتمع اوليس الى تليماك في الملحمة) ويسكران معا ، ويقتاد « بلوم » رفيقه وظل مائدا ، وقد لعبت به السكر ، الى بيته حيث تنتظره زوجته المضطجعة وهي تنهي حوارا داخليا يجلو مغامراتها واستسلام جسدها الشبق ، وحين تستسلم الى اسر النعاس تتمتم لفظة (اجل) وبهذه الكلمة تختم الرواية .

هذه هي الخطوط العامة التي تنظم رواية (اوليس) . ولعل (جويس) قد هدف — وهو يتخذ يهوديا عاديا (وقد اتهم جويس بكره اليهود بسبب اتخاذه هذا) ، ويحشد له حوادث تافهة يملأ بها يومه ، قد هدف الى تصوير تفاهة الانسان وضعفه وعقم حياته . ولم تكن هذه الصفحات الالف مجرد حوادث بسيطة تزرّ تافهة بل عملا جبارا خلاقا . فقد جعل من الحوادث وهي تتسلسل متزلقة كحبات صغيرة من الرمل طودا شامخا من المعاني الصلبة الثابتة .

ولعل (ادوارد دوجاردان) كان اول من ابدع الحوار الداخلي في الرواية ، ولكن (جويس) جعله ذاتا مميزا وجانبا اساسيا في روايته .

ورغم التنوع الخصب الذي تتصف به هذه الرواية فان قارئها يجد سأما ومللا ان هو طلب منها حوادث مشوقة ذات حبكة متقنة وخاتمة مفرحة او محزنة تتراخى اليها ، لهذا فان قراءها يظلون نخبة محدودة ، يحدوهم صبر متصل ورغبة ملحة في الغوص الى اعماق هذا الخضم . ويروى ان زوجة (جويس) نفسها لم تستطع ، على تفانيها واعجابها بزوجها ، ان تتم قراءة روايته . وقد شبه احد النقاد قارىء هذه الرواية براكب سفينة تشق عباب البحر ، وينبغي لهذا الراكب ان ينسى ذكرى المرفأ الذي غادرته السفينة وان يحمل الهم والقلق والسأم عبر التيه ، ليسافر مع سفينته الهائمة في رحلة مجهولة .

ولا تجدي القراءة العابرة الاولى ، ان التمست العين تفاصيل الرواية دون انتباه الى رموزها الخفية ، فقد كتب الكاتب الفرنسي (بيتس) ..... Y مثلا ، اثر قراءته الاولى للرواية ، فنقدها نقدا قاسيا وتحيف منها ، ثم بدا ان يعاود قراءتها ، فلم يملك الا ان يعترف بانه ارتكب خطأ رهيبا في النيل منها ، وقال : لعلها ان تكون اثرا رائعا من عبقرية فذة . انني افهم الآن انسجامها ..

لقد اتهمت الرقابتان الانكليزية والاميركية هذه الرواية في البدء ، لما في بعض صفحاتها من تصوير دقيق للشهوة ، ولاعتمادها بعض البذاءات لتجري في جزء من الحوار ، فانه ينتظر لجويس ما يغتفر للطبيب او العالم النفسي وهما يتحدثان بصراحة صادقة عن اسرار الجسد والنفس .

وقد شبه الباحث النفسي الشهير (يونغ) ..... هذه الرواية ، في دراسة مستفيضة رائعة ، بنهر عظيم تتجلى تتابع امواجه غامرة كل شيء ، حتى اذا شارفت الرواية نهايتها ، تدفق حوار داخلي لريثه زوجة (بلوم) في جملة واحدة تقع في اربعين صفحة ، لا يحجز بين كلماتها نقطة او فاصلة ، كموجات النهر المتصلة المتدفقة ، كأنما قصد بها (جويس) الى تصوير الفراغ الذي يطوق حياتنا ويظلم انفسنا .

كتاب ينفق في تأليفه ١٧ عاما

ولم يخلد (جويس) الى الراحة بعد الجهد الذي اصابه في (اوليس) ، فقد انصرف الى تأليف كتاب آخر هو Finnegan Wake ، وكان يطمح الى ان يتجاوز بأثره الادبي رواية

(اوليس) . وقد انفق في تاليفه سبعة عشر عاما ، كان بصره خلالها يضعف شيئا فشيئا ، ولكن عزيمته كانت التي تعلو عليه العمى والاستمرار . بيد ان هذا الكتاب لم يصب من النجاح ما اصابته رواية (اوليس) لعسره وغموضه ، وقد قال (جويس) نفسه ان هذا الكتاب الذي يستشرف به اغوار الاحلام الداجية الثقيلة هو كتاب الليل، وان (اوليس) هو كتاب النهار .

وقد نحت (جويس) في هذا الكتاب كلمات جديدة (يتجاوز بعضها سطرا برمته) ، فيها واشتقها من اللغات الكثيرة التي كان يتكلمها بطلاقة ، فاذا الكتاب كيمياء لغوية ، ومزيج من الفاظ مبهمة ملتوية ، وصور غامضة هي سبيل الى المتاهات ، على ان بعض المتحمسين له وعلى راسهم الناقد (اوجين جولاس) وجد فيه ثورة لغوية ليس لها مثيل في الآداب العالمية .

محنة جويس بابنته

بيد ان (جويس) لم يكن يأبه لسهام النقد توجه الى كتابه هذا ، فقد كان مشغولا ، في مغرب سني حياته بمحنة تعدل محنته ببصره ، هي محنته بابنته (لوسيا) . فقد احبت (لوسيا) الكاتب (صموئيل بيكيت) وكان يتردد على دار ابيها ، احبته حبا مبرحا دون ان يستجيب لحبها وساقها بها اليأس الى الجنون المطبق ، وهي بعرى فلعلها تنتظر حتى الآن وهي في احد مصحات (بورنامسون) حبيبها الموهوم (بيكيت) .

وقد بذل (جويس) كل ثروته التي اصابها من مؤلفاته في معالجة ابنته ، وانتقل بها من مصح الى مصح دون جدوى . وكان يرى ابنته المسكينة مرددا ، ودموعه تغيم في عينيه : « مهما تكن شرارة الموهبة التي املكها فانها قد انتقلت الى (لوسيا) واشعلت النار في دماغها » .

وكذلك جعل بصره يضعف ويمتحي منه النور حتى شارف ظلمة العمى ، كما جعل النور ينطفيء في عقل ابنته العصية حتى سربلته دياجير الجنون.

وتقوم الحرب العالمية الثانية

وانزوى (جويس) بعيدا عن اضواء الشهرة لا يكاد يأبه لاحداث العالم تتوالى مدلهمة منذرة بحرب ضروس ، فلما اعلنت عام ١٩٣٩ اقام (جويس) في قرية (لافول) قريبا من مصح ابنته واضطر بعد اكتساح الجيوش الالمانية لاراضي فرنسا الى مغادرتها ، فسافر مع زوجته وابنه الى (جنيف) ومنها الى (زوريخ) .

وفاة جويس

وفي ١٠ يناير ١٩٤١ احس (جويس) بآلام مفاجئة في معدته ، فنقل الى المستشفى وتبين بعد الفحص ان قرحة معوية قد انفجرت واجريت له عملية عاجلة ، وتراءت في البدء ناجحة ، ولكن الموت كان يتربص به ، ونادى (جويس) وهو يحتضر زوجته وابنه ثم اسلم الروح .

مات ، وما مات ادبه

وكذلك توارى (جيمس جويس) بعد ان عرف مرارة الفشل والخيبة وبلا لذع الجوع وضرب في كل مراد من الارض ، وظلمة العمى تهدد عينيه ، ونأى بعيدا عن وطنه بحثا عن اللقمة ، ثم قدر له ان ينجز اثرا ادبيا رائعا سما به الى قمة المجد ، ولم يكد يتذوق حلاوته سائغة شهية حتى بدئه بابنته في عقلها ، ومات حزينا ، حسير القلب .

وقد انقضى ما يقرب من ربع قرن على وفاته وعشرات الدراسات ما تني تطرد محللة ادبه ، مبينة عمقه واصالته ، فاذا بهذا النهر الزاخر يمتد وتتفرع منه جداول جمة ، واذا باسم (جويس) يضحى رائدا للرواية الحديثة تحدار منهما (ناتالي ساروت) و « ميشيل بوتور » و « كلود سيمون » و « غرييه » واضرابهم . ولعل (وليم فوكنر) الكاتب الامريكي اعظم من تأثر به واخذ بطريقته في الاعتماد على الحوار الداخلي في رواياته ، وقد نوه (فوكنر) بالتأثير البالغ الذي افاده من اعادة قراءته لرواية (اوليس) .

يقول (ارنولد بينيت) انني لم اقرا قط اثرا ادبيا يفوق (اوليس) واشك في ان اكون قد قرات ما يماثله في الروعة .

وفي الحق ان اثر (جويس) ، على غموض ادبه وسمه على القارىء العادي ، يتسع يوما بعد يوم مع اتساع آفاق الثقافة ، اذ لم تكن تجربته تجربة ادبية روائية فحسب بل هي الى ذلك تجربة فنية فكرية علمية معا . ■

دمشق — بديع حقي



بقلم : سنية قراعة

■ همهمة حيرى .. وهمسة شادية حنون .. سرت مع النسائم فى جوانب الكون الطروب ..

وتساءلت الكائنات :

لمن الترجيمة الحلوة .. كأنها لمسات الهوى تلعب بأوتار القلوب ؟..

وتحدثت الورود الى النرجس ..

ولثم النسيم جبين الياسمين ..

وتألقت قطرات الندى على بساط الخضرة كحبات الماس ..

ومال الغصن على الغصن يساره ويناجيه ..

وحوّم الكروان حول النجم يبوح له بسر الليل الغامض ، وينشده أعذب ترانيمه ..

واستحال الليل ومن فيه آذانا ، راحت تنصت الى الهمسة الحيرى وهي تتعالى قوية فى حنان ..

واستنار المعبد الغارق فى سواد الليل بومضات نورانية ..

وطافت به أرتال الملائكة وجموع الحور فى مواكب . كان الحب حاديها ومرشدها ..

ومن جوف المعبد كانت تتعالى ترتيلة ناعمة ، وتحوى فيها صمت الليل واريج الورود .

وانصتت الكائنات الى ايقاع لحن قدسى ، فيه أنين قلب يحترق ، وصراخ روح حائر !!

ورمقت عرائس الأفق وتمايلت مع هلب النغم ..

ورمقت العاشقة نحو السماء عينين بين شاطىء أهدابهما كان يضطرب سيل من الدموع ..

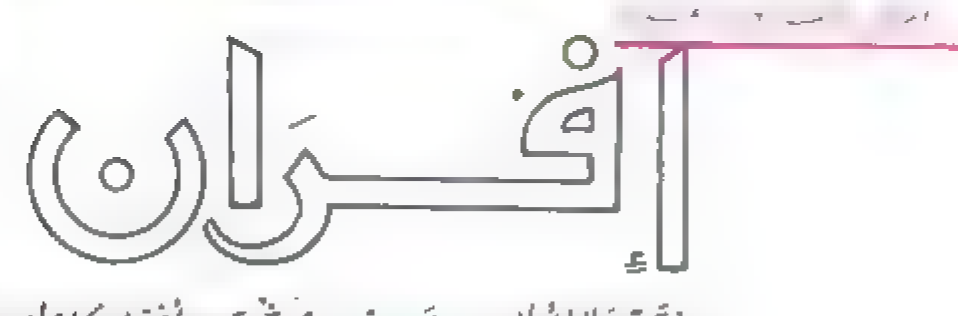
وقال النسيم للياسمين :

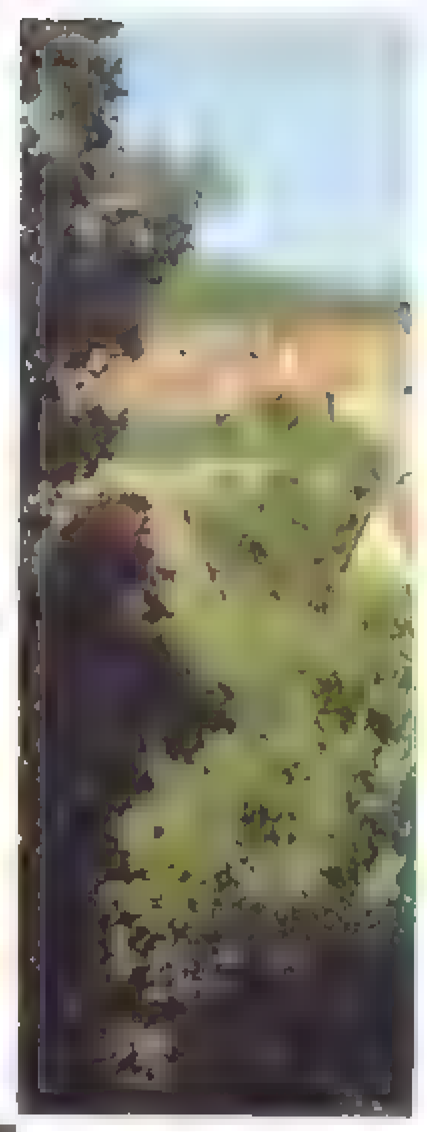
مالها والبكاء ؟! ما الشجن وقلب هذه العذراء الطاهرة ..



ـ انها تحب !! وكم اشقى الحب من قلوب !!
وعلا صوت الكروان يقول :
وما للعشاق والمعابد .. وهم اهل الهوى والجمال العذب ..
انهم يعيشون في جنات من الوعود والضحكات !!
وهمس الورد للبنفسج
وهل الحب غير عبادة في محراب الحسن ، وصلاة امام مذبح الفتنة وسحر الشباب !!
وسارع النرجس يقول :
بلى ! وانه لعبادة تعرف من الخالق .. انه دين جاء قبل الاديان ، وعبادة سبقت شتى العبادات ، وعقيدة جمعت الوحدانية في صورة مقدسة !
وضرب الكروان الهواء بجناحيه ، وعلت ترجيعته نائية وهو يقول :
سمعتهم يقولون انه سر الشقاء !!
وابتسم النجم ليقول لسميره ومؤنسه
انه رسالة السماء التي تنوء بها القلوب !
انه نار مقدسة تصهر النفوس ، لتذيقها بعد الجحيم حلاوة النعيم !!
وعلا صوت العذراء من جديد .
يا بترسمه العذبة .. جمعت الزهرات والانين ، واطياف الاماني ، وظلال الآمال !
وانصت الكون ابهجه اسكرته النجوى ليسمعها وهي تقول
الهي !! املا بحبه قلبي !! واجعله قويا كالموت ، طاغيا كالصاعقة ، جبارا كالرعد ، متدفقا كالسيل ، صخابا كالموج ، طاهرا كقطرات الندى ، نقيا كماء النبع ! واجعله لي دنيا بعد دنياك ، وأمانيا بعد اماني بك "
واهتزت جدران المعبد خاشعة ..
وعفت الزنبقة الحارة نحو سدرة المنتهى !
وهدأت النسائم ، وسكن الليل ..
وتحدث الورد الى النرجس ، ولثم البنفسج جبين الياسمين .
وملأت الكون ترجيعة الكروان وقد راح يردد انشودة الحب .. نشيد جديد !!

سنية قراعة


إفران
دُرّة جبال الأطلس ، ومَصيف ومَشتى ، وأفضل مكان لِعلاج





قام بهذا الاستطلاع

سليم زبال

وصوره

« اوسكار »

الزينو والروماتزم ... ولكن !!

■ لو استطعنا التحليق فوق سلسلة جبال الأطلس لرأيناها تخترق تونس والجزائر وتنتهي في المغرب ، حيث تنتشر عليها أراضي مسطحة مستوية على ارتفاعات تبدأ من ١٢٠٠ متر ، وتنتهي برؤوس جبال تصل الى ٣٠٠٠ متر ..

وتجذب هذه الجبال الغيوم ، فتسحب منها احمالها من الأمطار التي تهطل عليها بمعدل ٥٠ بوصة سنويا ..

ويقسو الشتاء ، في يناير وفبراير ، فتنهمر الثلوج بغزارة ، وتلبس المنطقة حلة بيضاء لا تميز منها سوى بقع خضراء هي أطراف أشجار الأرز والسنديان العالية .. وبجوارها تسير الأغنام مع رعاتها الذين ينزحون الى مناطق أكثر دفئا في الوديان ..

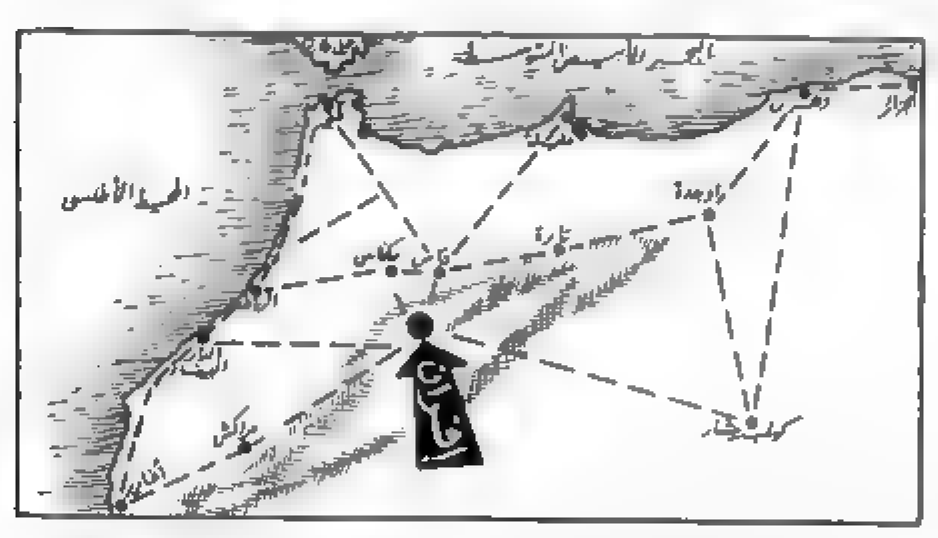
وما تكاد شمس مارس تلوح حتى تذوب الثلوج، وتنمو الأعشاب ، ويعود الرعاة .. فتلد الأغنام .. وتحلب الألبان .. ويكثر الصوف .. وتخضر الأرض .. وتمتلئ الينابيع فتندفع المياه غزيرة في الجداول والشلالات الصغيرة ، ويسبح فيها سمك التروتة Truite النادر الثمين ، ويسمى « أبو نقطة » وله أربع شعرات عند فمه ، وهو الأخير من الأسماك النادرة ، التي لا تعيش الا في جداول المياه العذبة ..

ويأتي الرجال الى أشجار السنديان يجمعون منها « القرط » لاستعماله في دبغ الجلود ، ثم يتجهون الى أشجار أرز الأطلس ، وهي شقيقة أرز لبنان ، فيحيطون جذوعها التي ترتفع ٥٠ مترا بالنيران ، حتى تضعف الساق وتقع الشجرة السامقة ، فتقطع وتنشر خشبا . أما ما يبقى من الساق في الأرض فيعود ينمو من جديد وسط آلاف الأشجار وغابات الأرز المنتشرة على الجبال..

ومع الربيع الزاهي الجميل يصل طير اللقلق Cigogne المهاجر من أوربا فيحط فوق الأشجار ليكمل الصورة الرائعة لمهرجان الحياة الذي تعرض فيه الطبيعة بسخاء اجمل آياتها : من خضرة وماء ومناظر تخلب الألباب فوق جبال أطلس الشماء في قلب المغرب الأقصى ..

قطعة من فرنسا ..

وفي عام ١٩١٢ جاء الفرنسيون بجيوشهم واحتلوا البلاد ، وسيطروا على قمم الجبال بعد معارك مع رجال أشداء بشدة شجرتي الأرز والسنديان ..!



خريطة توضح موقع ازرو بالنسبة لمدن المغرب والجزائر .. في جميع الطرق السياحية الكبرى تمر بالمدينة التي تبعد ٥٠ كيلو متر عن مكناس و ٧٠ عن فاس ، و ٢٠٠ عن الرباط ، و ٢٩٥ عن الدار البيضاء ، و ٣٠٠ عن طنجة ، و ٤٥٠ عن وهران ، و [illegible] عن الجزائر ، و ٣٠٠ [illegible] عن مراكش ، و ٥٢٠ عن كولمب بشار ، و ٧٦٠ عن اجادير



يتميز في افران مجموعة من المتاجر الصغيرة يجد فيها المصطافون كل احتياجاتهم الضرورية
وتتبع هذه المتاجر مواسم [illegible] على اربع مراحل : المرحلة الاولى تبدأ
من ١٥ يونيو وهي خاصة باطفال المدارس فقط .. والمرحلة الثانية وتبدأ من ١٥ يوليو وهي خاصة
بالعائلات [illegible] ومن ١٥ سبتمبر تبدأ مواسم العائلات التي تصحب [illegible] بدون الاطفال .. ومن
١ ديسمبر تبدأ مرحلة الشتاء وتستمر حتى منتصف مارس

.. وتعاقبت السنون ، وظن الفرنسيون انهم سيخلدون في المغرب وعلى هذا الوهم قال بعضهم لبعض : « تعالوا لنختار منطقة عالية نقيم عليها قطعة من بلادنا .. »

ووقع اختيارهم في قلب المغرب ، على مسطح من الارض في اجمل مناطق جبال الاطلس المعروفة باسم افران ، وهي كلمة بربرية مشتقة من كلمة افري اي المغارة ، وتقع على ارتفاع ١٦٧٠ مترا ، وعلى بعد ٧٠ كيلومترا جنوب فاس ، و ٦٥ كيلومترا من مكناس .

وزانوها جمالا بالطرق الفسيحة النظيفة ، التي شقوها وجملوها باشجار الزيزفون ، وبحوض السباحة الانيق الكبير الذي حفروه في الصخر .. واطلقوا عليها بعد الانتهاء منها لقب « درة جبال الاطلس .. »

وارادوا الاستئثار بها فجعلوها وقفا عليهم فقط .. فكانت المكان المفضل لرجال اعمالهم وموظفيهم وجنودهم وعائلاتهم ، اولئك الذين لم تكن تسعفهم القدرة ، او الوقت او المال للسفر الى مساقط رأسهم في اوربا ..

درة جبـال الاطلس

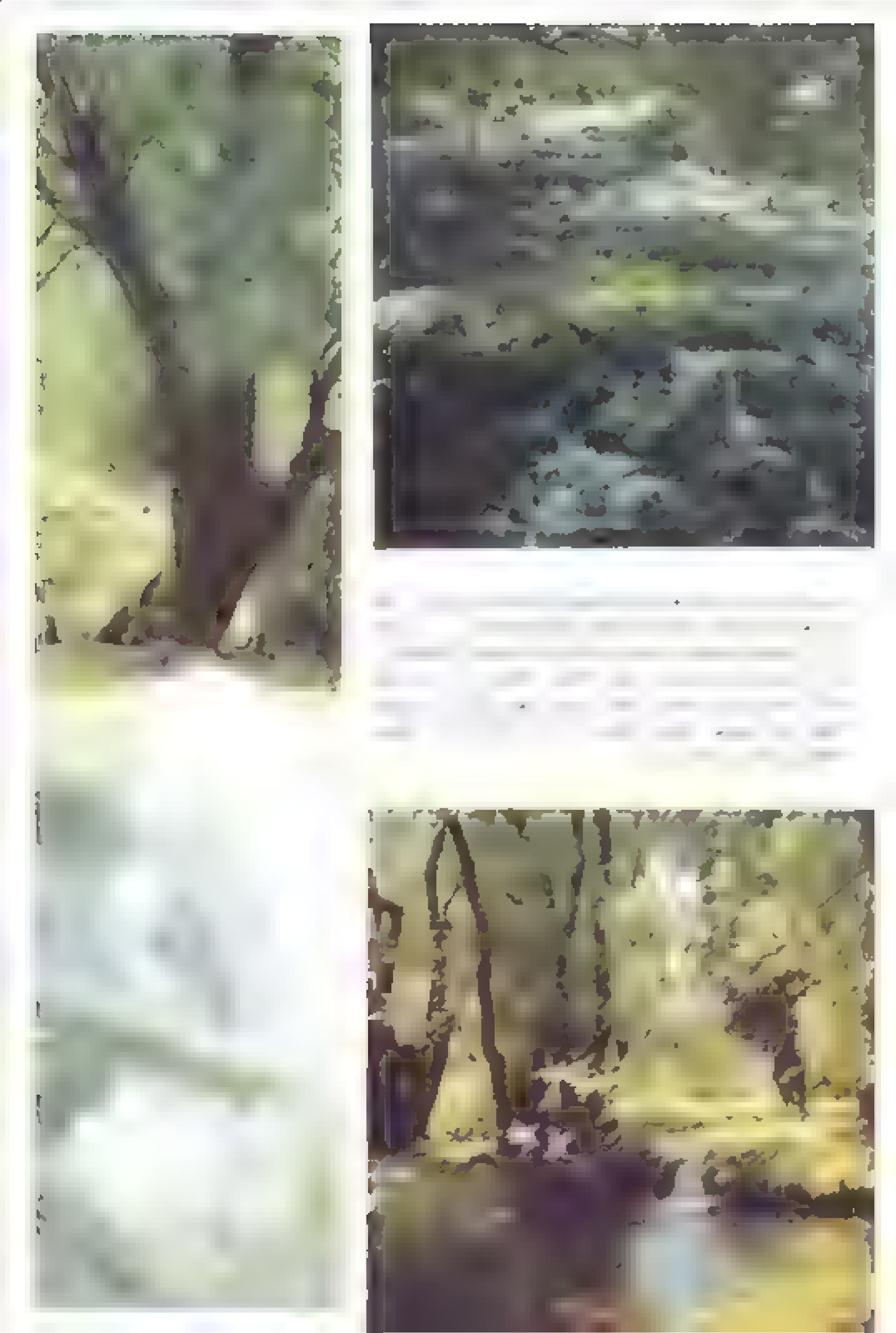
وفي عام ١٩٢٩ بدأ العمل في ازالة الاحراش والاعشاب والاشجار لتظهر في وسطها المنازل الاولى من المصيف الذي سمي باسم الجبل : افران ..

وجاء اول فوج من المصطافين في صيف ١٩٢٩ ، وبعده جاء الناس الآخرون ، وازداد البناء ، وهم لم يتقيدوا فيه بالتخطيط العادي للمدن ، بل جعلوه متمشيا مع الطبيعة المحيطة بهم ، فتفننوا وابدعوا فخرجت افران آية من آيات الجمال بطابعها الخاص ، وسط الغابات والاعشاب الخضراء وشلالات المياه ..

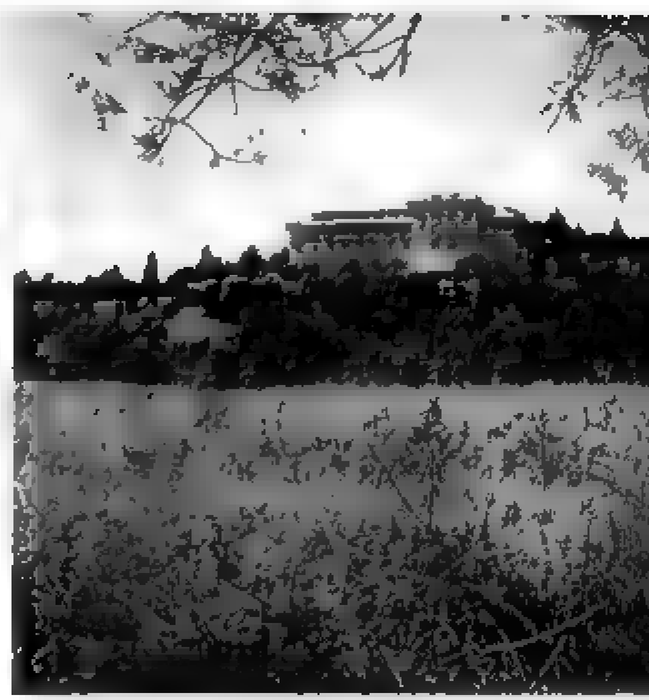
للفرنسيين فقط !

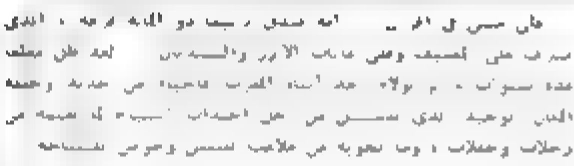
وامتدت شهرة افران فجاءها من جاء من الساحل ، من الداخل ، ومن جبل طارق ، حتى من الجزائر ومن مستعمرات فرنسا السابقة في غرب افريقيا ، ليتمتعوا بالطبيعة البكرة ذات الشمس الدافئة ، التي تتراوح حرارتها في الصيف بين ٨ و ٢٥ درجة ، وفي الشتاء بين ١٥ و ٢٠ درجـة ..

كان المغربي غريبا محروما من جمال افران ، تلك التي كان كل ما فيها فرنسيا ، من المصطافين الى ملمع الاحذية ، الى صاحب المنزل والمتجر









الارض جرداء في جنوب المغرب ، اما هنا في



ومجاع النعامة ! وكانت الحفلات في المصيف لا تتوقف ، والوقت يمر بسرعة في السهرات الراقصة ، والمسابقات المختلفة في التنس والسباحة والشيش والكرات الحديدية ، والفروسية ، وكرة الطاولة والبريدج ، وصيد السمك ، في الجداول الطبيعية ، والحيوانات في الغابات ، والحفلات السينمائية والمسرحية ، والمعارض الفنية والمحاضرات الثقافية ..

وكانت سهرات عيد الميلاد وسط الثلوج البيضاء تجذب الناس ، لا من المغرب فحسب ، بل من اسبانيا وفرنسا نفسها .. لأن الشتاء في افران ينافس الصيف من حيث الزوار . فجميع العاب الشتاء من تزلج وانزلاق لها ساحاتها الخاصة حول افران .. التي ذاع صيتها مصيفا ومشتى في آن واحد .

سكون ..

ان المرء عندما يجلس على المسطحات الخضراء ويستمع الى خرير مياه الشلالات ، ويمتد نظره عبر غابات الارز والسنديان التي تحيط بالمصيف من ثلاث جهات ، وينعم بهذا الهواء النقي المنعش الذي يجعل من الاستشفاء متعة ، يحس بعد كل هذا بقناعة واستكفاء ولا يعود يطلب مزيدا .

والمغاربة القلائل الذين شهدوا ازدهار افران كانوا يتساءلون : هل نحن حقا في قلب بلادنا .. بلاد المغرب ؟

وجاءت نهاية الاستعمار المحتومة في ٢ مارس ١٩٥٦ فاعترفت فرنسا باستقلال المغرب بعد جهاد وفداء واستشهاد ، وانفجارات ونيران تركت البلاد في خراب وكساد ..

وخيم السكون على افران ووأكست امورها

افران   محاطة مكسوة بخضرة زاهية





جلسة مغربية في جو سامري ، حول طبق الكسكس والدجاج المحمر ، اطيب اطعمة لكل سائح . والصورة تبين رئيس النادي السياحي الاوربي «الذي جاء الى افران لتحقيق هذه الامنية» يجلس امام المائدة ، ويتباحث من اجل انشاء مركز سياحي يقصده السائح الاوربي اثناء عطلته السنوية

على رف الوجلات ، لان المسئولين كانت تواجههم مشاكل اهم بكثير من مشاكل افران ..

ولكن ابناء المغرب لم ينتظروا حل هذه المشاكل وانما ركبوا الحافلات (الاوتوبيس) والسيارات قاصدين الجوهرة الاطلسية التي طالما سمعوا عنها دون ان يروها ..

كل الطرق تؤدي الى افران !

ان موقع افران في قلب المغرب العربي جعل جميع الطرق السياحية الكبرى الهامة احسن تجهيز تمر بها ، فهي متصلة مباشرة مع طنجة ، والدار البيضاء ، ومراكش ، وفاس ، وحتى مع الجزائر .

واول ما يشاهده المغربي القادم من افران هو ذلك الاسد الغريب الذي يستقبل الوافدين اليه فتقف عنده جميع وسائل المواصلات . انه تمثال حجري صنعه قديما سائح كان يتجول في المنطقة لان اهلها كانوا يقولون له : احذر الاسد ؛ ولم يكن يهتم للنصح فكانوا يخطون له رسوما ، وعلى ضوء رسمهم نحت قطعة صخر فجاءت على هذه الصورة المشوهة لاسد له انما ظل ! اصبح اليوم رمزا لافران يوضع رسمه على « الكارت بوستال » .. وتلتقط بجانبه الصور التذكارية .. وتسلقه الاطفال ، حتى كادت اذناه ان تنكسرا فاصلحوهما بالحديد والاسمنت ..

مياه في كل مكان

واتجه ابن البلد يستطلع الدهشة سائلها على قسميه .. كأن كل شيء جميلا حوله .. السكون والهدوء مخيمان لا يكسرهما سوى حفيف اوراق

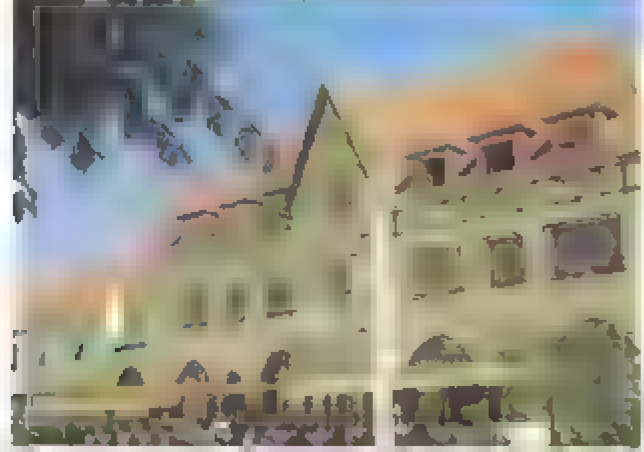






غابة الأرز







الزيزفون الخضية الخضراء .. فالمنازل كلهــا متفقلة .. وعلى اسطحها المتخذات القرميد الأحمر كانت تعشش طيور اللقلق المهاجرة ، بينما حدائق المنازل مزدانة بالورود والرياحين التى ينبت فوق بعضها .. وكانت المحلات والسوق العامة مقفلة .. فترك ابن البلد المدينة واتجه الى ناحيــة الحدائق والمروج الخضراء ، والعيون التى تتفجر منها المياه فى كل مكان ، فتندفع مرة صاخبة من فوق شلالات ، ومرة هادئة صافية فى بحيـرات صغيرة ، وكأنها مرآة تعكس جمال الطبيعة .

ان الماء يأتى الى العيون من ذوبان الثلوج . وهو فى افران ليس اطارا مكملا للصورة فحسب ؛ بل هو اكبر عامل لجلب السياح من كل مكان ؛ لشلالات العذارى فى « جزيرة الحب » ، عنــد مدخل افران فى الوادى الصغير ، منظر شاعرى رائع ..

عيون معدنية .. عالمية

أما العيون المعدنية فى افران فمشهود لها من الأجانب قبل أبناء البلد ، حتى اسموا احداها « عين فيشى » لاحتوائها على نفس عناصر عـين فيشى الشهيرة بفرنسا .. أما « عين تناس Dulmes » ، وماء مولاى يعقوب فلا يعادلهما ماء فى العالم من ناحية علاج الروماتزم وامراض الجلد والمثانة ، والكلى ، وقد وجد بعد تحليل مياههما انهما يتفوقان على مياه بادن بادن بالمانيا « ولونشان » Longchamp بفرنسا !

علاج الربو والروماتزم

ويشترك الماء المعدنى مع الهواء النقى الجاف الذى يمر على غابات الارز والسنديان ، فى جعل افران افضل مكان لعلاج الربو وامراض التنفس والروماتزم حتى قالوا ان الذى يأتى متحاملا على عكاز تراه بعد ١٥ يوما يسير بقوة الشباب ويلقى عكازه جانبا .. أما الاطفال فان وجودهم فى افران يفتح شهيتهم للاكل بشكل عجيب .

لقد تفتحت عيون المغاربة على اهمية افران فاصبحت مقصدهم فى عطلات نهايــة الاسبوع ، يجلسون على العشب ويضعون البطيخ فى الماء البارد ليأكلوه متلجا مع اللحم والدجاج والسمك .

وفى افران تتحرر المرأة المغربية من لثامها فتسير سافرة مع عائلتها تبحث عن ركن هادىء للجلوس .

الجلابة والبكيني !

أما الشابات فقد رأينا بعضهن يقصدن حوض السباحة الكبير ، ويسمونه المسبح ، فيخلعن الجلابة واللثام ويرتدين البكيني ويغطسن فى الماء البارد ثم يخرجن ، ليدهن الزيوت على اجسادهن وياخذن حمام الشمس ...

ويفضل الاطفـــال والصبية الصغار صيد الاسماك النادرة من جداول المياه العذبة الواقعة على ارتفاع ١٧٠٠ متر !

لا تقتلوني ..

واذا لم يكتف المرء بمشاهد افران فان جولة صغيرة فى ضواحيها تجعله يشعر براحة واكتفاء ..

واجمل المشاهد هى غابة الارز على الطريق الى مدينة ازرو ، فهناك فوق اشجار الارز تعيش الالوف من القرود يشهدها المرء وهى تتنقل من



اوشك العمل على الانتهاء من بناء اول مسجد فى افران ، وكان المغفور له الملك محمد الخامس هو الذى بدأه من ماله الخاص ، ثم تولته وزارة الاوقاف من بعد وفاته ..



يتحول افران ابتداء من ؟ ديسمبر الى مشتى يستمر حتى آخر فبراير او مارس ، تغطى خلاله الثلوج قمم تصل الى ارتفاع متر تقريبا ، ورغم هذا تفتح جميع الفنادق ابوابها لاستقبال هواة التزحلق الذين تسير سياراتهم في خط متصل تقريبا طوله ٥ كيلومترات ، عبر الطريق المؤدي الى جبل ميشليفن ، وقمته مغطاة بالثلج ، حيث توجد اشهر ساحة للتزحلق ، على ارتفاع ٢٠٠٠ متر

شجرة الى شجرة ، وكثيرا ما تنزل الى الطريق المرصوف نفسه .. ويحاول الرحالة صيدها ليبيعها للمسافرين الذين يرغبونها .

وفي غابة الارز تتجه اكثر الطيور النادرة التي يهواها الصيادون .. وفي شهر نوفمبر تمتليء الغابة بالخنازير البرية ، التي يصطادونها بكل سهولة رغم نظرات الاستعطاف التي ترسلها هذه الحيوانات لصائديها ، وكأنها تقول لهم : لا تقتلوني .. لكنهم يطلقون عليها النار حتى لا تتكاثر بشكل.

وعلى طول الوادي الصغير تقوم اشجار الفاكهة كالتفاح والكرز ، ويسمونه حب الملوك والفراولة والكمثرى (الانجاص) .

ثم حمل الاستعمار حقائبه ورحل !

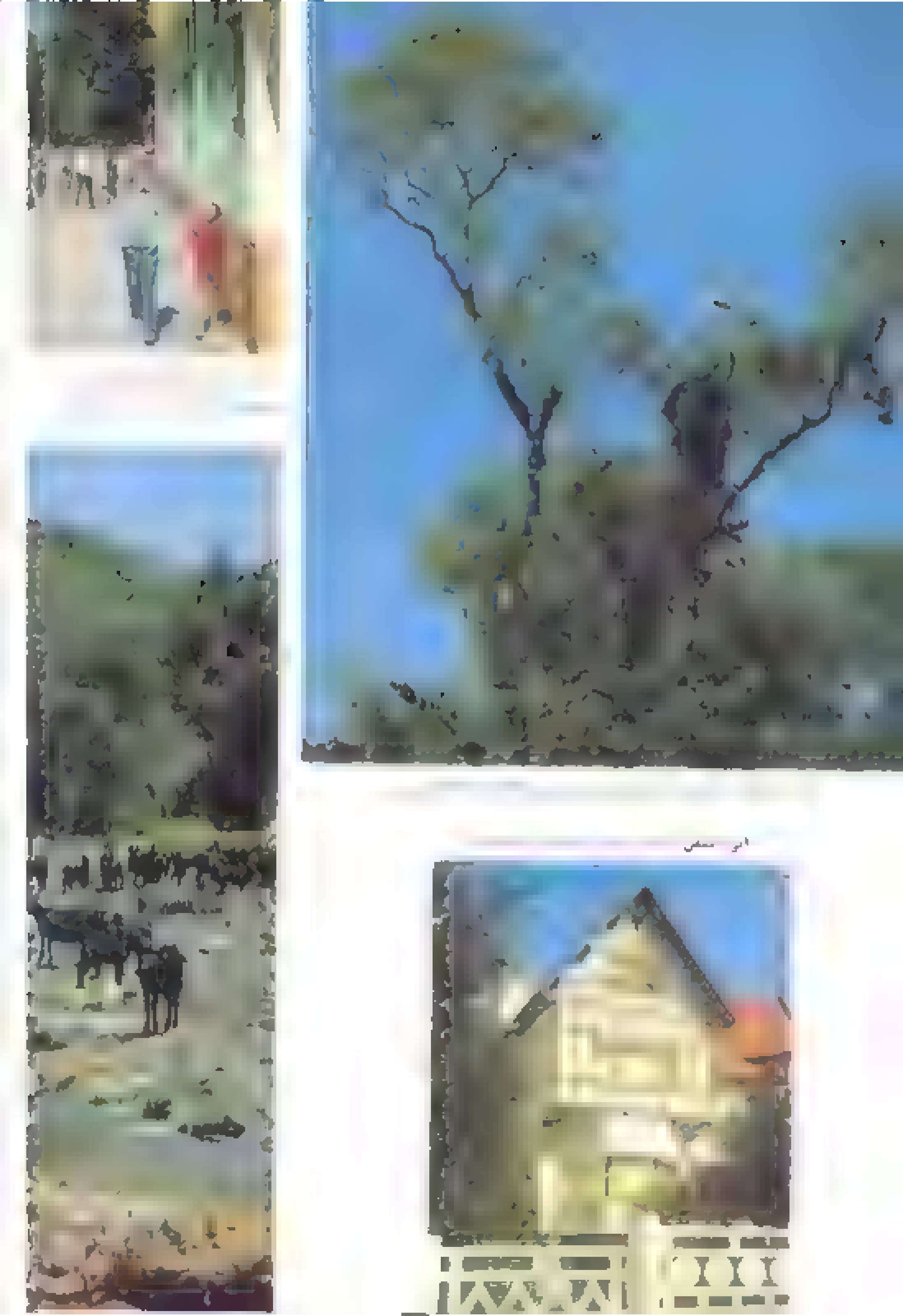
ولمر السنون واحدة اثر الاخرى بعد الاستقلال ويزداد أبناء المغرب شغفا واقبالا على افران ، حتى أصبح الاطباء ينصحونها لمرضاهم من اجل فوائدها الزائدة .. وبدأ الفرنسيون والايطاليون والالمان يبيعون منازلهم مع حدائقها بملايين وملايين من الفرنكات فيشتريها ابن البلد لنفسه ولعائلته.

ومع ان عدد منازل افران محدود لا يزيد عن ٤٠٠ منزل ، الا ان العرض ما زال اكثر من الطلب رغم الاسعار الرخيصة المعروضة .. والسبب ان افران قد مضى عليها تسع سنوات وهي تنقط في زوايا الاهمال والنسيان التي هي اكثر العوامل تخريبا لمدينة كبيرة ، فكيف الحال وافران مصيف بالغ الصغر ؟!

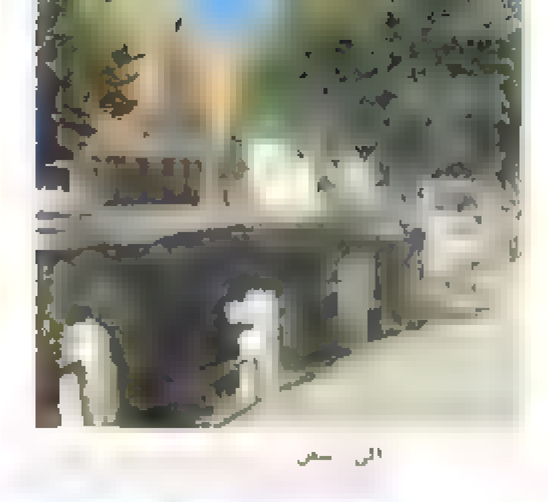
وفي حديث مع مجموعة من الصحفيين قالوا لنا : حقيقة ان افران اخذت في البداية شكلا اطلقته مصلحة الفرنسيين .. لكنها اليوم أصبحت قطعة من بلادنا ، لهذا يجب ان نرعاها ونصنعها ونجعل ازدهارها لمصلحتنا .. لا ان نعاملها كما عاملنا طنجة التي غضبنا على ازدهارها بحرة قلب في حين انه كان من المستطاع استغلالها في ما يعود بالخير والنفع على البلاد كلها .

شيء ليس في الكتب !

وسعيا وراء الحقيقة دخلنا مكتب وزارة الاعلام والارشاد الذي يقع في مبنى جميل . انه مكتب منظم انيق وجدنا فيه اجمل الكتيبات السياحية تورع مجانا عن مصايف اسبانيا وجزر الباليار وشاطئ الريفييرا بفرنسا ومصايف ايطاليا !! والى جانبها نشرات عن الوجدة ، واجادير ، والرباط وشواطئ الدار البيضاء وطنجة ! وبحثنا عن كلمة افران في الكتب فلم نجد لها اثرا !







ووصلنا أخيرا الى المسئول السياحي الذي رحب بنا واعتذر بأنه لا يستطيع أن يعطي لنا معلومات قبل تصريح رئيس البلدية .. واتجهنا الى رئيس البلدية فاعتذر بدوره عن عدم استطاعته الكلام الا اذا جاءه تصريح من المسئولين في مكناس !!

وبعد الحاحنا الزائد بأننا لا نريد حديثا سياسيا بل سياحيا ، افضى الينا ببعض المعلومات عن افران فقال :

« لايمكن أن نفكر في جعلها مركزا سياحيا قبل تنظيمها واعطائها صفة مدينة ، وقبل أن نعبد الارصفة ، ونفرش الشوارع ونقيم الاعمال الصحية . ان كل ذلك معد وسيبدا تنفيذه في صيف ١٩٦٥ ونحن نقوم الآن ببناء سوق عام »

لا بد من علاج سريع

وخرجنا من عند رئيس البلدية ، واخذنا نتجول في المصيف الذي ينخفض عدد سكانه من ١٨ الف نسمة في الصيف الى الف نسمة فقط في الشتاء .. ! أي عدد فنادقه ١٢ فندقا ، منها الفاخر والمتوسط والنظيف ، يفتح اغلبها صيفا وشتاء ، وبها الماء العذب يجري ساخنا وباردا ، واسعارها رخيصة ، واغلاها فندق بالميما يتقاضى ٦٠ درهما للغرفة المفردة و ٧٠ درهما للغرفة المزدوجة ، والحمام نظيف ، مرتب ويشمل الاجرة النوم والافطار . (١٤ درهما = جنيها استرلينيا) .

والى جانب الفنادق توجد « مستعمرات » للصبيان ضخمة بحدائق واسعة يصيف فيها ابناء رجال نقابات البوليس ، والسكة الحديد ، ومصانع الفوسفات ، والطاقة الكهربائية ، والبعثة الثقافية الفرنسية .

ويتوجه هؤلاء الاطفال الى ينابيع الماء في الصباح ويعودون عند الغروب ، ليمرحوا في شوارع المصيف الساكن وهم ينشدون الاغاني والاناشيد ، وما تكاد المجموعة الاولى منهم تمر حتى تتبعها أخرى ثم يعود الهدوء ثانية ، ويعم الظلام في اسدال ستائره .. وتضيء نصف المصابيح الكهربائية في الشوارع فقط ، لان النصف الثاني محروق .. ويهدأ كل شيء ، ما عدا السوق حيث تضج المقاهي بالمصطافين .. اما قاعة الاحتفالات الواسعة التي لم تكن تغلق ابوابها ابدا في الصيف ، فقد مضى عليها تسعة اعوام وهي مغلقة الابواب لا ينتفع بها احد !! حتى افواج السياح الاجانب الذين يقومون بجولة شاملة في المغرب يأتون الى افران ولكنهم لا يمكثون اكثر من ليلة واحدة يهربون بعدها لعدم وجود ما يشجعهم على البقاء !

حتى بيت الشباب القائم وسط الاحراش ، والذي يتسع لثلاثين فتى وفتاة ، ستة او تسعة منهم في نزهة ، اصبح في حالة يرثى لها من الاهمال .

مدينة للبيع !

ان ترك السكان للطبيعة مدة تسعة اعوام جعل الاعشاب تنمو كأنها الاشجار !! تخيلة ان افران هي قطعة من اوربا محاطة بجمال وروعة الطبيعة الافريقية، لكن اهمالها اداريا جعلها مدينة معروضة للبيع بأكملها لو وجدت شاريا !!

وترابيها الجديدة قابلة للبيع كذلك ولكن ليس من يشتري ؟!

ان افران مجهولة اولا .. ومهملة ثانيا .. ان هذا المصيف الكائن وسط اطار من اجمل اطارات العالم الطبيعية ، يجب ان يتبوأ مركزه مصيفا عالميا يعود بالخير على ابناء المغرب وعلى من يأتي المغرب من وراء الحدود .

سليم زبال



قاعة الاحتفالات في افران ... كانت الحركة فيها لا تهدأ .. أما اليوم فقد مضى عليها تسع سنوات وهي مغلقة الابواب !



شهيدة من بلادي

جوليت زكا

لا تسألوا أين جسمها فاسمها في فم الزمن !

بقلم : اسمى طوبى

■ اسمها الكامل .. جوليت نايف زكا . عمرها يوم سقطت شهيدة .. تسعة عشر عاما ، جميلة كزهرة نادرة .. حارة الوطنية كالعشق بطلات اسبرطة .

هكذا كانت فتاة حيفا يوم سقطت في ميدان الشرف شهيدة بسالتها .

ما اكثر النساء الخالدات في بلادي .. وما اكثر المجندات المجهولات اللواتي سكبن الدم الغالي رخيصا لاجل الوطن الغالي .

يوم أقر تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ في ٢٩ تشرين اول ، ديسمبر ، هبت البلاد التي كانت طوال ثلاثين عاما تثور وتبطل .. هبت هبة واحدة في ذلك اليوم .

لقد قرر الزعماء الاضراب والتظاهر ولكن الشعب سبق الزعماء فتظاهر قبل الموعد المعين له بثلاثة ايام .

آلاف الطلاب ساروا في الشوارع وقد أرغموا حتى مدارس الحكومة على اغلاق ابوابها لانهم هجروها الى الشارع .. آلاف الطلاب ، صغارا دون الخامسة ، وكبارا في العشرين ، يسيرون صفوفا واساتذتهم بجانبهم ، والكل ينشد قسم حلفنا الجيش .. حلفنا ترابه اسما نفديه .. عن دماء الشهداء الى آخر النشيد الممزوج بالدموع .

آلاف الجرحى يسقطون في معارك متفرقة هنا وهناك .. وعشرات المستشفيات فتحتها النساء في يافا وحيفا وعكا وغيرها .. احتضن الاسرة بما يلزمها من فرش والطبية ووسائله في ايام قصيرة وتطوعن للعمل فيها .

في نابلس تحولت المنازل الى مستشفيات تؤوي الجرحى ، تبرعت هذه السيدة غرفة بسريرين ، وتلك بثلاثة اسرة ، وهكذا .

الجمعيات النسائية كلها .. الاتحاد النسائي بكل فروعه شكل فرق الاسعاف النسائية ووضع على الاذرع الشارات شارة الهلال الاحمر وفي وسطها الصليب الاحمر .. [illegible] موادها .. كلنا للوطن .

طالبات المدارس ، صغيرات وكبيرات ، شكلن « [illegible] الطالبات » ، ورحن يجمعن التبرعات من بيوتهن متصدقات في المعركة .

فرق متطوعات تشكلت . ولم ترض الفتيات ان يسرن خلف المجاهدين ، وأبت فرقة زهرة الاقحوان بيافا الا ان تسير في المقدمة واحتجت

لدى الصحف على منعها من ذلك .

ساحة حرب اصبحت ملاذي .. اسود" ضارية، والبنزات للثوار تدافع عن حماها ..

تلك كانت حال فلسطين خلال الاشهر الستة الواقعة بين قرار التقسيم والنكبة المشؤومة .

صاحبة الرسم الجميل

ولأعد" الى صاحبة الرسم الجميل التى تطل على من أعلى هذه الكلمة وفي عينيها صمود البطولة وتحدي القدر .. لأعد" الى الشابة جولييت زكا .

عن جولييت حدثتني شقيقتها السيدة روزيت زكا فطوس التى شاركتها المهمة الانسانية ، ثم وقفت" بجانبها ساعة استشهادها ورصاص الغدر ينهال عليها من أعالي الكرمل الذي اتخذه اليهود مركزا حربيا صبوا عليه مدافعهم ومضوا يضربون مدينة حيفا الجاثمة على اقدام الكرمل،حتى سقطت يوم ٢٤ نيسان من عام ١٩٤٨ ..

في ذلك اليوم ابتدأ سكان المدينة يجلون عنها تحت وابل من هدير المدافع .. مضت المراكب التى اعدتها الدولة الحنون لتحملهم الى بعيد .. ومضت القوارب تروح وتجيء الى عكا حاملة الجرحى والنساء والاطفال الذين بلغ عددهم ٣٥ الف شخص .. حملوا الى المساجد والكنائس ليناموا فيها وكلهم واله مضعضع .. تلك التى فقدت زوجها واولادها امامها .. وتلك التى اصابتها شظية وما زال دمها ينزف منها .. اطفال قتل اباؤهم فجرفوا مع التيار جرفا. الاشخاص الذين لم يذوقوا الطعام منذ يومين وصلوا الى ميناء عكا بالقوارب الصغيرة تلاقيهم على الشاطىء لجنة اسعاف الاتحاد النسائي ولفيف من الاطباء .. اكثر من ام اجهضت على شاطىء عكا ..

مجزرة هائلة لا يعلم احد عدد ضحاياها .. تغلب اليهود فيها على العرب .. او تغلب الانكليز على الاصح والا فمن اين جاء كل هذا العتاد الحربي الثقيل بينما كان العرب على النقيض وقد منعوا من شراء بندقية ..

انحصر الانكليز الذين نقلوا مركز حكومتهم من حيفا الى الكرمل ، ووقفوا يتفرجون على مجزرة حيفا ، فلما زارهم وفد رسمي من الاهلين واحتج قائلا ان موعد تخلي الحكومة البريطانية عن انتدابها هو يوم ١٥ أيار لا ٢٢ نيسان ، كان الجواب هو « هذه اوامر لندن » .

قلت لشقيقة الشهيدة حدثيني عنها .. انها اعلم انني اذكي جرحا في قلبك لم يندمل ، ولكن اليس من حقنا ان نعلم كل شيء عن بطلاتنا العاملات لتتضمن الدنيا مثلا لاعظم ما وصل اليه نكران الذات والاستشهاد في سبيل الوطن .

ومضت تحدثني والدمعة في عينيها . قالت :

تخرجت جولييت من المدرسة الانكليزية العليا بحيفا ، وكانت تحمل شهادة مركوليشن لندن .. وكانت مأساة التقسيم . وكنا في المدرسة الانكليزية هيئات متطوعات عندما جاءتنا مندوبات من جمعية الهلال والصليب الاحمر وسألن الرئيسة عن متطوعات يتمرن على الاسعاف ، فتقسيم البلاد قد تقرر في هيئة الامم ، والبلاد قائمة قاعدة ، والمعارك تدور كل يوم ، والجرحى يسقطون ، والهلال والصليب الاحمر بحاجة ماسة الى اسعاف ومسعفات .

واجابت مديرة المدرسة انها ستسأل الطالبات فمن شاءت التطوع فمن حقها ذلك .. ولم تكد تلك امامنا وتلقي السؤال حتى كانت شقيقتي وانا من اول الملبيات .

وابتدأنا حالا نأخذ دروس الاسعافات الاولية على يد الطبيب سعد سالم .. وما اسرع ما كنا في الميدان . تحمل الواحدة منا حقيبة الاسعاف كلما دوى الرصاص ، وتركض الى الشارع ، فالى دار رعاية الطفل القريبة من منزلنا وكانت اتخذت مركزا من مراكز الاسعاف ينقل اليه الجرحى .

ومرت شهور ثلاثة .. هل احدثك عن الايدي والارجل المبتورة ؟ عن صور الدماء التى كنا نخوض فيها كل يوم نضمد الجراح ونسعف الى ان تصل سيارة الاسعاف فتحمل الجرحى الى مستشفى الهلال والصليب الاحمر حيث يتكدسون ثم يفرزون ، فمن كان جرحه قابلا للشفاء ابقي في هذا المستشفى ، ومن كان لا امل في شفائه ، حمل الى مستشفى الحكومة .. وهل احدثك عن بطون الاطفال المبقورة ، الى غير ذلك من المآسي التى شهدتها بام عيني ..؟ ان الحديث يطول .

وبعد .. فهل كنا ننام ليلة واحدة بسلام .. ؟ ذلك ما لم يحدث ، فمن ارتفاع الكرمل كان الرصاص ينطلق كل ليلة ، وهدير المدافع ينطلق ، حتى كان يوم ٢٢ نيسان سنة ١٩٤٨ .

لقد كان ذلك الشهر اسود عينها قريبا .. تركي الى" شعور ساور شقيقتي الشهيدة وهي تقف امام المرآة وتنظر الى جمالها بأسى كأنما ترى نفسها وقد تكشف لها المجهول وخافت الغد .

قالت تسألني ولأول مرة في حياتها :

ـ أترينني حلوة يا أختاه ..؟

قلت : بل أحلى من في الدنيا يا صغيرتي الغالية .. يا أختي .. ثم أضفت مستغربة : ولكن لماذا تسألين ..؟

وصمتت ولم تجب .. كان شعورها في هذه الليلة الأخيرة من حياتها أعظم من أن يتصور بكلمات .. شعور من يخشى على جماله وشبابه من شيء ما يجهله .

ومع فجر ٢٢ نيسان كان القصف المدافع لا يحتمل .. وعرت امي رأسها وهي تدخل المطبخ البعيد عن غرفتنا وقالت .. لا تخرجا اليوم يا حبيبتي فالمعركة كما يبدو قاسية .

ولم تكد تنهي ما تقول فكل مشاعرنا كانت مركزة في الشارع .. والاسعاف .. والرصاص .

وبغتة دوى صراخ .. كان صوت امرأة يصيح فيعلو على هدير الرصاص .. وخرس الصوت .. ولحظة اخرى علا صوت آخر .. صوت امرأة تصيح .. النجدة .. النجدة .. هنا امرأة سقطت يا أنسات زكا .. النجدة .

وبلمح البرق خطفت حقيبة الاسعاف الصغيرة واسرعت الى الباب .. لم اقل لامي ، التي كانت ما زالت في المطبخ والتي حذرتنا قبل دقائق ، كلمة واحدة .. لم اقل لاختي الصغيرة الحلوة التي سألتني مساء امس .. اترينني جميلة يا اختاه .. ركضت والحقيبة بيدي الى الباب .

وسمعت خطوات مسرعة ورائي فالتفت ... كانت اختي تركض وحقيبتها في يدها دون ان تقول الاخرى لاختها كلمة .. كانت هنالك جريحة وصوت مواطنة يستنجد بنا وهذا كل ما وعيناه .

وامام الباب ابتدأنا نزحف بحذر متلاصقتين بجدار القصب المحاذي لمنزلنا والرصاص يتطاير من فوق رؤوسنا .. ثم قفزنا من فوق سور القصب الواطيء فاصبحنا في داخله .. اصبحنا هدفا مكشوفا . ولكن ما حيلتنا وصراخ الاستنجاد جاء من هنا .

ورحنا نتلفت حولنا نبحث عن صوت المرأة التي استنجدت ، ثم ماذا .. ؟ اي لحظة حدث ذلك ؟ خلال دقائق .. ؟ لست ادري .. كان الرصاص يئز وبغتة صرخت شقيقتي بجانبي وارتمت ارضا .

وانحنيت عليها وانا اصيح هلعا .. لم ادر اولا اين اصابتها الرصاصة ولكنني ما لبثت ان علمت .. كانت في معدتها .. لم يترك دمها مثيرة ، ولكن كل ما كان على جدار معدتها من الخارج كان ازرق .. لقد استعمل الانذال رصاص دمدم .

وحاولت ان التقط كلمة من فمها .. قلت انا مجانك يا حبيبتي ، فهمت . ولكنني لا ادرك .

وابتدأت بصوتي اصيح .. الي .. الي .. النجدة .. كنت اريد ان اصعد الى منزل مجاور لاتصل هاتفيا بمستشفى الاسعاف ، ولكن كيف اتركها على الارض وحدها .

وظللت اصيح ولا من يجسر على ترك منزله ليصل الي ، او لعل احدا ما لم يسمعني .. وبعد قليل اقبلت امي .. هل اصف امي الوالهة ساعتئذ .. ؟ انها لحظات لا استطيع وصفها .

وحملناها ، امي وانا ، ولا احد غيرنا ، ورحنا نحاول اسعافها .. ولم تصل سيارة الاسعاف ، ولما طلبنا ثانية قيل لي انها ارسلت . وعلمنا بعدئذ ان سائقها قد قتل .. لم تكن هنالك حرمة للصليب او الهلال الاحمر فاطلقوا النار على سيارة اسعاف .. كانت فرصة العمر عند السفاحين المجرمين ان يقتلوا ويقتلوا بلا حساب .. ووصلت سيارة الاسعاف الاخرى فحملناها الى المستشفى ، ولكنهم هناك احالوها الى مستشفى الحكومة ، فهمت كل شيء .. لقد ماتت شقيقتي .

وساد الصمت وسكتت الاخت عن الحكاية فعدت اسأل : ثم ماذا جرى ؟ قالت .. عدنا بها الى المنزل ولم يستطع قريب او صديق الوصول الينا .. فرحت وامي نلفها بالشراشف البيضاء لروحها الطاهرة .. لا كفن لدينا ولا صندوق .

قلت وانا امسح دمعة : واين دفنتماها ... وكيف ..؟

قالت وهي تمسح دموعا : ، لست ادري .. لقد حملها الجيش البريطاني الذي كان ينقل القتلى في ذلك اليوم .. الجيش الرحيم الذي وقف يتفرج علينا ونحن نفرض المعركة عزلا .. وعدونا مسلح برصاص دمدم .. لقد حملها الجيش من داخل المنزل ودفنها ولا ندرى اين .

لو ترينها ، وتصوري ان نعود الى فلسطين . فلا نعلم اين دفنت .. وتصوري امي الشيخة الثاكلة وهي لا تعرف لابنتها ضريحا تبله بدموعها .

قلت لا عليك يا اختاه .. الم تسمعي الشاعر الذي عناها وعنى كل شهيد بقوله :

لا تسل اين جسمه ، فاسمه في فم الزمن .

بيروت ــ أسمى طوبي ■■



بقلم : الدكتور جمال الدين الشيال
أستاذ التاريخ الإسلامي ـ بجامعة الإسكندرية

■ هو تاج الدين أبو الفضل ـ أو أبو العباس ـ أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الجذامي السكندري (حول ٦٥٨ ـ ٧٠٩ هـ ، ١٢٦٠ ـ ١٣١٠ م) ، مصري أصيل ، ولد في الإسكندرية ، وبها نشأ نشأته الأولى وتلقى ثقافته الأولى ، وإن كانت المراجع لا تذكر شيئا عن هذه النشأة أو هذه الثقافة الأولى ، وغاية ما تذكره أنه كان مالكي المذهب ، وإن كان البعض يذكر أنه كان حسن النظر في المذهبين الشافعي والمالكي .

وتجمع هذه المراجع على أنه درس علوم الظاهر ونبغ في علوم الشريعة واللغة من تفسير وحديث وفقه ونحو وبيان وأدب .

وإنما المراجع تسهب في ترجمته وإيراد سيرته منذ بدأ يتصل بشيخه أبي العباس المرسي .

تاريخ ابن عطاء يتصل بحركة التصوف التي انتشرت في القرن السادس والسابع

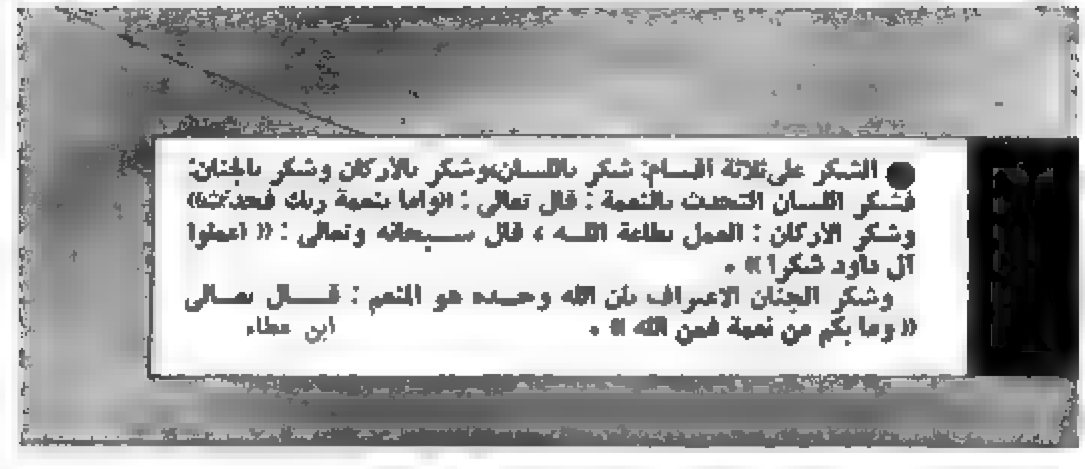
وتاريخ ابن عطاء الله يتصل اتصالا وثيقا بتاريخ الحركة الفكرية وتاريخ التصوف في مصر في القرنين السادس والسابع الهجريين ، فهما القرنان اللذان انتشر فيهما التصوف في جميع أنحاء العالم الإسلامي شرقا وغربا ، وفيهما اعترف أهل السنة بالتصوف أساسا لفهم الدين الإسلامي فهما روحيا بعد أن ظلوا يهاجمونه وقتا طويلا ، وأصبحت الوسيلة لمعرفة الله هي التفرغ لعبادته والفناء في حبه والاتصال به عن طريق تصفية القلب والسمو بالنفس والروح ، وترك المتصوفة جانبا وسائل الفقهاء وعلماء الكلام من اعتماد على المنطق الجاف والجدل العقيم لإثبات وجود الله وبيان قدرته سبحانه وتعالى .

وفي هذين القرنين ظهرت الطرق الصوفية الكبرى من أمثال الطريقة القادرية والطريقة الرفاعية في الشرق ، كما ظهرت في مصر وفي نفس الوقت تقريبا الطريقة الأحمدية البدوية والطريقة الشاذلية ، وكثر بالتالي أتباع هذه الطرق من المتطلعين إلى حياة روحية تسمو في أسسها ومثلها الأخلاقية العليا على أصول الإسلام وتعاليمه وعلى القواعد التي يعتمد عليها ويعترف بها أهل السنة وهي القرآن الكريم والحديث الشريف .

ابن عطاء والطريقة الشاذلية

ولابن عطاء الله فضل كبير على الطريقة الشاذلية ، فهو الذي ترجم لأستاذه أبي العباس المرسي ، ولأستاذ أستاذه مؤسس الطريقة أبي الحسن الشاذلي ، وهو الذي سجل عنهما معظم مبادئهما وأقوالهما .

وابن عطاء الله نموذج وحده بين المتصوفة ،



فقد كان يجمع بين العلمين . علم الظاهر وعلم الحقيقة والطريق ، وكان مبرزا فيهما جميعا . فقد نبغ اول حياته في علوم الظاهر ، وكان كغيره من الفقهاء ينكر على المتصوفة طريقهم وعلومهم ، الى ان اتيحت له الفرصة للتعرف على ابي العباس المرسي . ومنذ تعرف اليه امن بطريقهم واعترف بعلومهم ، بل واصبح التلميذ الاثير لأبي العباس المرسي وواحدا من كبار المتصوفة .

لقاؤه بأبي العباس المرسي

وقد روى ابن عطاء الله قصة تعرفه بأبي العباس ، قال في « لطائف المنن » :

كنت لامره من المنكرين ، وعليه من المعترضين ، لا لشيء سمعته منه ، ولا لشيء صح نقله عنه ، حتى جرت بيني وبين بعض اصحابه مقاولة ، وذلك قبل صحبتي اياه . وقلت لرجل منهم : ليس الا اهل العلم الظاهر ، وهؤلاء القوم يدعون امورا عظيمة ، وظاهر الشرع يأباها . ثم قلت في نفسي : دعني اذهب الى هذا الرجل وانظر في شأنه ، فصاحب الحق له امارات لا تخفى . فاتيت الى مجلسه فوجدته يتكلم في الانفاس التي امر الشارع بها ، فقال :

« الاول اسلام ، والثاني ايمان ، والثالث احسان .

وان شئت قلت :

الاول عبادة ، والثاني عبودية ، والثالث عبودة .

وان شئت قلت :

الاول شريعة والثاني حقيقة والثالث تحقيق .

او نحو ذلك » .

فما زال يقول « وان شئت قلت ، وان شئت قلت » ، الى ان بهر عقلي ، وعلمت ان الرجل انما يغترف من فيض بحر الهي ، ومدد رباني ، فاذهب الله ما كان عندي .

ثم يستطرد ابن عطاء الله في رواية قصته مع ابي العباس فيقول :

ثم اتيت تلك الليلة الى المنزل فلم اجد فيّ شيئا يقبل الاجتماع بالاهل على عادتي ، ووجدت معنى غريبا لا ادري ما هو ، فانفردت في مكان انظر الى السماء ، والى كواكبها وما خلق الله فيها من عجائب قدرته ، فحملني ذلك على العود اليه مرة اخرى .

قال :

فاتيت اليه ، فاستؤذن لي عليه ، فلما دخلت اليه قام قائما وتلقاني ببشاشة واقبال حتى دهشت خجلا ، واستصغرت نفسي ان اكون اهلا لذلك ، فكان اول ما قلت له : يا سيدي انا والله احبك ، فقال : احبك الله كما احببتني ، ثم شكوت اليه ما اجده من هموم واحزان ، فقال : احوال العبد اربع لا خامس لهما : النعمة ، والبلية ، والطاعة ، والمعصية ، فان كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر ، وان كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر ، وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منته عليك فيها ، وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجوب الاستغفار .

فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوبا نزعته ، ثم سألني بعد ذلك بمدة : كيف حالك ؟ فقلت : افتش عن الهم فما اجده ، فقال :

ليلي بوجهك مشرق
وظلامه في الناس ساري

والشمس في مشرق الظلام ،
ومحسن في ضوء النهار

الزم ، فوالله لئن لزمت لتكونن مفتيا في المذهبين » .

يريد مذهب اهل الشريعة من اصحاب العلوم الظاهرة ، ومذهب اهل الحقيقة من اصحاب علوم الباطن .

هذا الحديث هو الذي رفع الغشاوة عن عيني ابن عطاء الله ، وعلمه ان الطريق الى الله طويل وله مراحل مختلفة ، وهو ما يسميه المتصوفة « درجات السالكين » .

درجات السالكين عند المتصوفة

واولى هذه الدرجات عندهم – كما كان يشرح ابو العباس – الاسلام ، اي الطاعة والانقياد والقيام بفروض الشريعة . وثانيتها « الايمان » وهو مقام معرفة حقيقة الشرع بمعرفة لوازم العبودية ومقتضيات الربوبية. وثالثتها«الاحسان» وهو مقام شهود الحق تعالى في القلب ، ومن هنا سمى ابو العباس هذه المراتب في مقام الشرع والتحصيل بالعبادة والعبودية والعبودة اى التحقق .

وادرك ابن عطاء الله ايضا ان لكل واحد من السالكين الى الله مرتبته ومقامه ، فمنهم من يرقى الى المقام الثاني او الثالث ، وبقدر ما يرقى السالك في هذا الطريق بقدر ما يحصل منه السعادة الناتجة عن معرفة الله سبحانه وتعالى والفناء في حبه .

زعامة الشاذلية تنتقل الى ابن عطاء

كان لهذا كله اثره في حياة ابن عطاء الله وفكره واتجاهه ، فقد بدا مريدا بعد ان حصل من العلم قدرا وافرا ، وبعد ان نبغ في دراسة الفقه والشريعة والادب وعلوم الظاهر عامة ، لهذا لم يلبث ان اصبح اقرب تلاميذ ابي العباس اليه ، وبعد وفاته انتقلت اليه زعامة الطريقة الشاذلية ، وجلس مجلس استاذه يلقي المواعظ ويفسر القرآن تفسيرا صوفيا . وانتقل الى القاهرة واتخذ له كرسيا في الجامع الازهر يلقي فيه دروسه ويشرح آداب التصوف وتعاليمه .

وكان ابن عطاء الله الى جانب هذا اديبا حلو الحديث مشرق العبارة ، فكان لدروسه اثر كبير في نفوس سامعيه لهذا اجمع مؤرخوه على وصف اسلوبه « بالطلاوة » و « سحر التأثير » و « الجلالة » .

قال ابن تغرى بردى :

« وكان رجلا صالحا عالما يتكلم على كرسي ، ويحضر ميعاده خلق كثير ، وكان لوعظه تأثير في القلوب ، وكانت له معرفة تامة بكلام اهل الحقائق وارباب الطرق » .

وقال الشعراني :

كان ابن عطاء الله اديبا ممتازا ذا اسلوب حلو مشرق ، وكان هذا الاسلوب ذا اثر خطير في نفوس الناس ، فاقبلوا على دروسه وعجلوا عنها .

لقاؤه مع السلطان حسام الدين

وسمع به السلطان المملوكي الناصر حسام الدين لاجين فشاقه ان يرى الرجل وان يستمع اليه ، فاستدعاه اليه . وقد روى لنا ابن عطاء الله نفسه خبر هذه المقابلة ، وطرفا من المواعظ التي القاها في حضرة السلطان ، قال :

لما اجتمعت بالسلطان الملك المنصور لاجين رحمه الله قلت له : « يجب عليكم الشكر لله فان الله قرن دولتكم بالرخاء ، وانشرحت قلوب الرعايا بكم ، والرخاء امر لا يستطيع الملوك تحصيله واستخلاصه ، كما يكسبون العدل والجود والعطاء .

وقال السلطان :

وما الشكر ؟ » وقلت : « الشكر على ثلاثة اقسام :

شكر باللسان ، وشكر بالاركان ، وشكر بالجنان .

فشكر اللسان التحدث بالنعمة ، قال تعالى : واما بنعمة ربك فحدث » .

وشكر الاركان العمل بطاعة الله . قال تعالى : « اعملوا آل داود شكرا » .

وشكر الجنان الاعتراف بان الله وحده هو المنعم.قال تعالى : «وما بكم من نعمة فمن الله».

فقال السلطان : « وما الذي يصير به الشاكر شاكرا ؟

قلت : « اذا كان ذا علم فبالتبيين والارشاد ، واذا كان ذا غنى فبالبذل والايثار للعباد ، واذا كان ذا جاه فباظهار العدل فيهم ودفع الاضرار والانكار » .

قال ابن عطاء الله:« فسر بذلك غاية السرور،

بهذا الأسلوب الواضح النير المعتمد على الحكم والمنطق تمكن ابن عطاء الله من التذكر فاستطاع ان ينفذ الى قلبه وان يستحوذ على اعجابه .

اسلوب ابن عطاء في كتابه « الحكم »

واسلوب ابن عطاء الله في الحكم لا يختلف عن هذا كثيرا ، بل لقد بلغ فيه الذروة القصوى من الابداع والتركيز والتحليل وشرح آداب الطريقة، فان له فيها منهجا خاصا ، فهو لا يعنى بالمعنى وحده ولا بالاسلوب وحده ، بل هو يعتقد ان للبيان سحرا خاصا ، لهذا كان يتخير الالفاظ ذات الجرس الخاص والنغم الموسيقي الآثر ، ومن هنا كان « لحكمه » سحر يؤثر في نفوس قارىء « الحكم » وسامعيه ، ولهذا ظل كتابه « الحكم » يقرأ قرونا طويلة في الجامع الأزهر بالقاهرة وفي جامع « الزيتونة » بتونس، وفي جامعة «القرويين» بفاس .

واستمع اليه وهو يقول في بعض حكمه :

« كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته ؟

ام كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ؟

ام كيف يطمع ان يدخل حضرة الله ، وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ؟

وانت تلاحظ عند قراءتك « لحكمه » ومؤلفاته الاخرى انه متأثر غاية التأثر باستاذه ابي العباس المرسي ، فهو يأتي بالحقيقة ثم يعللها ثم يشرحها ثم يكرر التعبير باساليب وعبارات مختلفة ، ثم هو في هذا كله يتخير اللفظ ذا الجرس الموسيقي المعبر المؤثر .

ثم هو اخيرا يراعي التدرج في تفصيل اجزاء الحكمة او الحقيقة التي يشرحها .

استمع الى هذه الحكمة الاخرى من حكمه :

« كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي اظهر كل شيء ؟

كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء ؟

كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء ؟

كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء ؟

كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الظاهر من كل شيء ؟

كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء ؟

كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو اقرب اليك من كل شيء ؟

كيف يتصور ان يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شيء ؟

جمع بين الشريعة والطريقة

وميزة اخرى كان يمتاز بها ابن عطاء الله عن غيره من المتصوفة وذلك انه لم يدخل الطريق الا بعد ان اتقن علوم الشريعة ، علوم الظاهر ، وبرع فيها ، ولهذا كان يعتز بهذه المعرفة ، وان كان يخشى ان تمنعه من القرب الى شيخه وسلوك طريق التصوفة . ومر في اول امره بفترة قلقة وهو مضطرب النفس بين الطريقتين الى ان اخذ شيخه ابو العباس بيده وافهمه انه يستطيع ان يجمع بين العلمين وان يبرز فيهما جميعا .

قال ابن عطاء الله

« سمعت الطلبة يقولون : من صحب الشاذلي لا يجيء منه في العالم الظاهر شيء ، فشق علي ان يفوتني العلم وشق علي ان تفوتني صحبة الشيخ فجئت اليه فوجدته يأكل لحما بخل ، فقلت في نفسي : ليت الشيخ يطعمني لقمة من يده ؟ فما استتمت الخاطر الا وقد وضع في فمي لقمة من يده ، ثم قال : نحن اذا صحبنا تاجرا ما نقول له اترك تجارتك وتعال ، او صاحب صنعة ما نقول له اترك صنعتك وتعال ، او طالب علم ما نقول له اترك طلبك وتعال ، ولكن نقر كل واحد فيما اقامه الله تعالى فيه ، وما قسم له على ايدينا هو واصل اليه . وقد صحب الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قال لتاجر اترك تجارتك ، ولا لذي صنعة اترك صنعتك ، بل اقرهم على اسبابهم وامرهم بتقوى الله فيها » .

وقال ايضا :

« دخلت يوما على الشيخ ابي العباس وفي نفسي ترك الاسباب والتجرد وترك الاشتغال بالعلم الظاهر قائلا : ان الوصول الى الله لا يكون على

هذه الحالة ، فقال لي – من غير أن أبدى له شيئا – صحبتي يتحوش اللسان" يقال له ابن ماشر ، وكان مدرسا بها ونائب الحكم فيها ، فذاق من هذا الطريق شيئا على أيديناء فقال يا سيدي: اترك ما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك ؟ فقلت له : ليس الشأن ذا ، ولكن امكث فيما أقامك الله ، وما قسم لك على أيدينا هو إليك واصل . ثم قال : هكذا شأن الصديقين ، لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق هو الذى يتولى اخراجهم ، فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي ، وكأنها كانت ثوبا نزعته ، ورضيت من الله فيما أقامني فيه .

ومر ابن عطاء الله بهذه الفترة القلقة وعاد الهدوء الى نفسه منذ خاطبه شيخه واستطاع أبو العباس بأن يستطيع أن يجمع العلمين ، علم الظاهر وعلم التصوف ، ولهذا حرص منذ تلك اللحظة على أن يحظى برعاية شيخه حتى يسير في طريق السالكين الى نهايته ، روى أنه قال مرة لبعض أصحاب الشيخ :

« أريد لو نظر الشيخ الي بعنايته وجعلني في خاطره ، فقال ذلك للشيخ ، فلما دخلت عليه قال . لا تطالبوا الشيخ بأن تكونوا في خاطره بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ في خاطركم ، فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونون عنده » .

قال ابن عطاء الله :

« ثم قال لي الشيخ : أي شيء تريد أن تكون ؟ والله ليكونن لك شأن والله ليكونن لك شأن عظيم » .

ويعقب ابن عطاء الله على هذه الرواية بقوله .

« فكان من فضل الله سبحانه وتعالى ما لا ننكره » .

تحقق الصدارة لابن عطاء

ولما اختلف ابن عطاء الله في شأن نفسه أيظل في دراسته لعلوم الشريعة والفقه أم ينطلق في طريق التصوف، كذلك اختلف تلاميذ الشيخ أبي العباس وأتباعه في شأنه ، ولكن الشيخ جعل له الصدارة في العلمين قال ابن عطاء الله :

أخبرني سيدنا جمال الدين ولد الشيخ قال : قلت للشيخ " هم يريدون أن يصدروا ابن عطاء الله في الفقه ، فقال الشيخ : هم يصدرونه في الفقه وأنا أصدره في التصوف . ثم دخلت عليه فقال لي : أنا موق الفقيه ناصر الدين (ابن المنير) يجلسك في موضع جده ، ويجلس الفقيه من ناحية ، وأنا من ناحية ، وتتكلم ان شاء الله في العلمين . فكان ما أخبر به .

وهكذا تحققت نبوءة الشيخ وأصبحت لابن عطاء الله الصدارة في العلمين .

وآلت اليه رئاسة الطريقة بعد موت شيخه أبي العباس ، وأصبح له كرسي في الجامع الأزهر يلقى منه دروسه في الفقه والشريعة والتفسير وفي التصوف وآدابه . وكانت حلقات درسه تموج دائما بالمستمعين المعجبين ، فقد كانت لدروسه ولأسلوبه في الشرح حلاوة وتأثير على السامعين .

وفاة ابن عطاء

وتوفي ابن عطاء الله في القاهرة في جمادى الآخرة سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩م) ودفن بالقرافة الصغرى وقبره معروف بها حتى اليوم .

وفي الاسكندرية مسجد منسوب اليه . وليس صحيحا أنه دفن بهذا المسجد ، بل الصحيح أنه دفن بالقاهرة . وقد حقق المرحوم محمد رمزى موضع قبره في تعليقاته على كتاب النجوم الزاهرة قال .

« قبر ابن عطاء الله السكندري لا يزال موجودا بجبانة سيدى على أبي الوفاء الكائن تحت جبل المقطم من الجهة الشرقية لجبانة الامام الليث ».

مؤلفات ابن عطاء

ولابن عطاء الله مؤلفات كثيرة منها .

« التنوير في اسقاط التدبير » .

« الترقي الى القدس الأعلى »

و « الحكم العطائية » .

و « مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح » .

و « تاج العروس الحاوى لتهذيب النفوس » . وغير ذلك .

ولعل أهمها كتابه « لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن » . فقد رسم فيه صورة حية لشيخه ، وسجل الكثير من الحقائق عن الطريقة الشاذلية وعن التصوف وآدابه بوجه عام . ■■

جمال الدين الشيال



السفارات الإسلامية بين الهند والبلاد العربية في القرون الوسطى

بقلم : الدكتور محمد اسماعيل الندوى

أستاذ اللغة الأردية بمدرسة الألسن العليا بالقاهرة

■ ظهر الإسلام في الجزيرة العربية فأصبحت مدينة الرسول أول عاصمة إسلامية ، ثم انتقلت هذه العاصمة بدورها الى دمشق مركز الأمويين ، ولما سقطت الدولة الأموية أصبحت بغداد مركز الخلافة ومهد العلوم الإسلامية ، كما أصبحت قرطبة في الأندلس في هذه الأيام مهد الحضارة ومنبع العلوم والفنون .

وناهيك عن دور مصر الإسلامية في تقدم الحضارة الإسلامية ورفع شأن العلوم الإسلامية بأجمعها .

وبهذا ظلت تلك العواصم الإسلامية تحمل راياتها وتلعب دورها العلمي في الحضارة الإنسانية وثقافتها .

الهند والإسلام

كانت الهند من تلك البلدان الإسلامية التي انضمت الى الحظيرة الإسلامية في عشـ

في عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٩٣ هـ /٧١١ م، ثم زادت رقعتها رويدا رويدا من عصر محمود ابن سبكتكين (٣٨٩ هـ / ٩٠١م) والسلطان محمد الغوري (٥٢٤ هـ /١١٢٩ م) ، الى ان قدر الله ان تصبح « دلهي » احدى عواصم الاسلام بعد سقوط معظم العواصم الاسلامية على ايدي التتار السفاكين الطغاة بين سنتي (٦١٦/ ٦٥٦هـ) واحدة بعد اخرى .

وفي الهند قامت دولة المماليك

وفي هذه الفترة التي نؤرخ لها الآن قامت في الهند دولة المماليك على يد قطب الدين ايبك — احد مماليك السلطان محمد الغوري — سنة (٦٠٢هـ/١٢٠٦م). ولما تولى العرش محمد بن تغلق سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٥م) اتصلت الهند بالبلاد العربية اتصالا وثيقا لم يسبق له مثيل منذ عهد طويل .

جغرافيو العرب في هذا العصر

وقبل ان نتحدث عن السفارات الاسلامية في هذا العصر يحسن بنا ان نلقي نظرة عابرة على ما وصلت اليه الجغرافية العربية في هذا العصر مما جعل البلاد الاسلامية ترتبط ارتباطا وثيقا وتنتظم انتظاما مساويا متلاحقا في سلك واحد .

صاحب كتاب مباهج الفكر

وقد نبغ في هذا العصر من اعلام الجغرافيين العرب محمد بن ابراهيم الوطواط الكتبي الوراق (المتوفى سنة ٧١٨ هـ) . والف كتابه القيم في الجغرافية « مباهج الفكر ومناهج العبر » . وكان هدفه من وراء تاليف هذا الكتاب جمع ما عرفه علماء العرب واليونان والسريان في عصره فيما يختص بالارض والسماء .

النويري صاحب كتاب نهاية الارب

وشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب البكري النُّوَيْري (٦٧٧ هـ/٧٣٢ هـ — ١٢٧٩/١٣٣٢ م) الذي الف اشهر موسوعة في الادب والتاريخ والجغرافيا وهي « نهاية الارب في فنون الادب »

العمري صاحب مسالك الابصار

وشهاب الدين احمد بن يحيى العُمَري الدمشقي (٧٠٠/٧٤٩هـ — ١٣٠٠/١٣٤٨ م) مؤلف اشهر كتاب في الجغرافيا وهو « مسالك الابصار في ممالك الامصار » . وهذا الكتاب ينقسم الى عدة اقسام وفصول وابواب . ولكن النوع الثاني الذي يحمل اسم « في ذكر الممالك » اهم باب في هذا الكتاب الذي يحتوي على طائفة كبيرة من المعلومات القيمة فيما يتعلق بالجغرافية واخبار الدول الاسلامية مثل الهند والسند ومماليك بيت جنكيزخان وآسيا الصغرى ومصر والشام والحجاز والعراق واليمن والحبشة والسودان ومملكة البربر وافريقيا ومراكش والاندلس .

جغرافيون غير مطوفين

رغم ان هؤلاء المؤلفين لم يطوفوا ولم يتجولوا عبر البلاد الاسلامية ، ولم يقوموا بجولات فقط في مختلف عواصمها ، الا انهم استطاعوا وصف هذه البلدان وطبيعتها الفتانة وعجائبها وغرائبها ، مستمدين من المعارف التي وصلت اليهم بجهود السابقين والمعاصرين من اعلام التاريخ والجغرافية العرب وغيرهم . وهذه الظاهرة تدلنا اولا على معلوماتهم الوفيرة الغزيرة وتفهم العميق ولوعهم البالغ في العلوم والمعارف . وثانيا على شدة الروابط والاتصال بين البلاد الاسلامية في هذه العصور ، ولا سيما اذا قسنا التفاصيل التي اوردها العمري فيما يتعلق بالهند ، وبالاخص وصفه القيم للملك الهندي انذاك وهو محمد بن تغلق وهوايته في الصيد ومشاغله اليومية . ومما ذكر عنه العمري انه يطعم على نفقته الخاصة كل

يوم أربعين فقيرا ويأتي في نصيب كل واحد منهم ما يقرب من « أرطال من القمح ودرهم نقدا » .

ابن بطوطة ، الجغرافي الرحالة

ولكن ابن بطوطة (وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المولود سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٤م) كان أخصبهم ذكرا وأكثرهم أهمية وأعظمهم مكانة. قال فيه مستشرق روسي كبير : مهما اختلفت فيه الآراء فإن من المستحيل الانكار أنه كان آخر جغرافي عالمي من الناحية العملية ، أي أنه لم يكن نقالا يعتمد على كتب الغير بل كان رحالة ، انتظم في محيط أسفاره عدد كبير من الأقطار . ولقد جاوز تجواله الآف الأميال، فهو بهذا يعد منافسا خطيرا لمعاصره الأكبر منه سنا « ماركوبولو البندقي » .

وقد ألقى ابن بطوطة عصا رحلته من بلاده المغرب العربي الى مصر ومنها الى الحجاز والشام وبغداد واليمن وهرمز والبحرين وآسيا الصغرى والقسطنطينية وأفغانستان والهند . ومن الهند الى الصين وبعدها الى ايران والعراق والشام ومصر والحجاز وأخيرا الى مراكش . فلما دخل الهند في غرة المحرم من عام ٧٣٤هـ/١٢ سبتمبر ١٣٣٣ م حظي في دلهي بمكانة كبيرة ومقام كبير لدى السلطان محمد بن تغلق الذي عينه في منصب القضاء لمدة خمس سنوات . وفي تلك الأثناء جهز السلطان سفارة الى الصين كان من أعضائها ابن بطوطة .

ملوك الهند وحبهم للعرب والاسلام

كان السلطان محمد بن تغلق من أشهر الملوك قاطبة في حبه للاسلام والعرب والعروبة وهذا الذي دعا الى أن يفد على بلاطه في « دلهي » عاصمة الاسلام في القرون الوسطى الآف من الكتاب والأدباء ورجال الفكر والدين من أقاصي البلاد الاسلامية ولا سيما من خرسان والعراق وما وراء النهر وخوارزم وسيستان وهرى ومصر ودمشق .قال المؤرخ الهندوكي « الاستاذ ايشوري برشاد » (استاذ التاريخ بجامعة الله آباد في الهند) : إن الملك كان يرحب بهؤلاء بصدر رحيب وحب بالغ وينزلهم منزلة مرموقة لديه ويغدق عليهم مما أنعم الله عليه .

ومن أشهر هؤلاء كما ذكر ابن بطوطة ــ ناصر الدين الترمذي أشهر الصلحاء والوعاظ ، وعبدالعزيز الأردويلي أشهر محدث وفقيه الذي تتلمذ على شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية وشمس الدين الذهبي . قال فيه ابن بطوطة قدم على السلطان فأحسن اليه وأكرمه واتفق يوما أنه سرد عليه أحاديث في كرم العباس (أي العباس بن عبدالمطلب) وابنه (أي عبد الله بن العباس) رضي الله عنهما وشيئا من مآثر الخلفاء وأولادهما فأعجب ذلك السلطان لحبه بني العباس وقبل قدمي الفقيه وأمر أن يؤتى بصينية ذهب فيها ألف تنكة (نوع من العملة آنذاك) فصبها عليه بيده وقال هي لك مع الصينية .

وقد استطاع ابن بطوطة وصف هذا الملك وخدماته وانجازاته في سبيل مجد بلاده عامة والاسلام خاصة أكثر من أي مؤرخ آخر بسبب اقامته في بلاطه سبع سنين ومشاهدته اياه عن قرب وتسجيله كل المشاهد والانطباعات فيما يتعلق به وبحكمه في هذه الاقامة الطويلة بين يدي السلطان .

جمع بين الدنيا والدين

وقد أشاد فيه ابن بطوطة أول ما أشاد بقوله :

« قد شهرت في الناس حكايته في الكرم والشجاعة وحكاياته في الفتك والبطش بذوي الجنايات ، وهو أشد الناس مع ذلك تواضعا وأكثرهم اظهارا للعدل والحق . وشعائر الدين عنده محفوظة وله اشتداد في أمر الصلاة والعقوبة على تركها . وهو من الملوك الذين اطردت سعادتهم وخرق المعتاد يمن نقيبتهم ولكن الأغلب عليه الكرم . وسنذكر من

اخباره عجائب لم يسمع بمثلها ممن تقدمه . وأنا أشهد بالله وملائكته ورسله أن جميع ما انقله عنه من الكرم الخارق للعادة حق يقين وكفى بالله شهيدا ».

ومما يدل على كثرة الوفود العربية ومكانتها في بلاطه موكب هذا الملك يوم العيد الذي كان يسير فيه الى المصلى ويتقدموه من أعيان البلاد ومشاهيرهم الآف كما وصف ابن بطوطة : —

« ويركب قاضي القضاة صدر الجهان كمال الدين الغزنوي وقاضي القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارزمي وسائر القضاة وكبار الأعزة من الخراسانيين والعراقيين والمصريين والمغاربة ، كل واحد منهم على فيله . وجميع الغرباء عندهم يسمون الخراسانيين » .

هذه الوفود العربية وسفاراتها وحبه العميق المتزايد في الخلافة العباسية والعباسيين — كما ذكرنا نقلا عن ابن بطوطة — جعله يرتبط بهذه الخلافة ارتباطا وثيقا روحيا مع أن الخلافة العباسية في هذه الفترة فقدت أهميتها وضاع سلطانها ولم يبق لها الا اسم وظل فقط . كان الخليفة العباسي ابو العباس يقيم في مصر آنذاك . فبعث اليه السلطان — على حد قول ابن بطوطة — هدية وطلب منه ان يبعث له امر التقدمة على بلاد الهند والسند اعتقادا منه في الخلافة . فبعث اليه الخليفة ابو العباس بما طلبه مع شيخ الشيوخ بمصر ركن الدين . فلما قدم عليه بالغ في اكرامه واعطاه عطاء جزيلا وكان يقوم له كلما دخل عليه ويعظمه .

السلطان علاء الدين والأمير غياث

ثم صادف في هذه الفترة أن قدم الأمير غياث الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبد العزيز ابن الخليفة المستنصر بالله العباسي البغدادي على السلطان علاء الدين ملك ما وراء النهر . فلما بلغه حب السلطان محمد بن تغلق للعباسيين والخلافة العباسية أراد الذهاب اليه والالتقاء به فبعث رسولين له احدهما : صاحبه القديم — محمد بن أبي الشرفي الحربادي — والثاني محمد الهمداني الصوفي . فلما وصل رسولاه الى السلطان اعطاهما الف دينار وبعث معهما الآلف دينار الى غياث الدين ليتزود بها اليه . وكتب له خطا بخط يده يعظمه فيه ويسأل منه القدوم عليه . فلما وصله الكتاب رحل اليه ، فلما وصل الى بلاد السند وكتب المخبرون بقدومه بعث السلطان من يستقبله كالعادة . ولما وصل الى سرستي بعث أيضا لاستقباله صدر الجهان قاضي القضاة كمال الدين الغزنوي وجماعة من الفقهاء . ثم بعث الأمراء لاستقباله . فلما نزل بمسعود آباد خارج الحضرة خرج السلطان بنفسه لاستقباله . فلما التقيا ترجل غياث الدين فترجل له السلطان . وكان قد استصحب معه هدية في جملتها ثياب . فأخذ السلطان احد الأثواب وجعله على كتفه وخدم كما يفعل الناس معه . ثم قدمت الخيل فأخذ السلطان احدها بيده وقدمها له وحلف ان يركب وامسك بركابه حتى ركب . ثم ركب السلطان وسايره والشجرا تظلهما معا . واخذ التنبول بيده واعطاه اياه . وهذا أعظم ما اكرمه به . فانه لا يفعله مع احد . وقال له . لولا انى بايعت الخليفة أبا العباس لبايعتك . فقال له غياث الدين وانا أيضا على تلك البيعة . وقال له غياث الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احيا ارضا مواتا فهي له » وانت احييتنا فجاوبه السلطان بالطف جواب وابره » .

وبهذا زادت العلاقات والروابط بين الهند الاسلامية والبلاد العربية في المجالات الأدبية والثقافية والسياسية على العصور وكثرت المبعثات والوفود والسفارات بينهما . ■■

محمد اسماعيل الندوى



بقلم: حسن الجداوي

المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ في أوائل شهر مارس من عام ١٩٢١ وفي ضاحية من ضواحي نيويورك تعرف بجزيرة ستاتن ، ومع أن تلك الجزيرة جزء من مدينة نيويورك إلا أنها أشبه بقرية صغيرة يعرف أهلها بعضهم البعض ويتحدثون عن دخائل كل واحد منهم شأن سكان القرى .

واحد سكان تلك الضاحية واسمه هاري [illegible] رجل قصير [illegible] [illegible] شخص [illegible] [illegible] وهو [illegible] [illegible] سنة [illegible]

[illegible] يوم ما توقفت تصفح جريدة الصباحية [illegible] به يتوقف عند إعلان من البوليس يطلب الإرشاد عن شخص متهم بالاعتداء على سيدة

تدعى بوور وقتلها في ممر يدعى ممر العشاق بالغابة المحيطة بالقرية .

وكانت الاوصاف التي نشرها البوليس عن القاتل الذي يبحثون عنه انه « اسمر ، وصادق النظر ، ويرتدي قبعة ومعطفا رماديين ، ويضع نظارة اطارها من الصدف على عينيه ، ويملك سيارة فورد ليموزين سوداء ويحمل مسدسا كولت عيار ٣٢ر ، » .

واستولى الهلع على هوفمان فهذه الاوصاف كلها تنطبق عليه ، وزاد من هلعه انه كان قد قرأ قبل ذلك بأيام قلائل ، ان شخصا يدعى فرناه كان قد اتهم بتهمة مماثلة فهجم عليه الجمهور وقتلوه ثم تبين بعد عشر سنين انه كان بريئا ، وحكم على القاتل الحقيقي .

هداه خوفه — والخوف مشير سيء — الى انه يجب ان يعد لنفسه دفاعا محكما ليثبت براءته من تلك الجريمة التي لم يرتكبها .

انه ، بحكم انه كان نائب عمدة ، يحمل مسدسا من نفس العيار الذي قتلت به مدام بوور . لذلك بادر بارساله الى اخيه المقيم في كاليفورنيا وكتب له يقول « اذا سئلت عن هذا المسدس فقل انه عندك من ثلاثة اسابيع سابقة » .

★ ★ ★

كان الذي حدث ان السيدة بوور كانت تقود سيارتها والى جوارها ابنتها ووالدتها ، وانحرفت بسيارتها في الطريق فغرزت عجلتين منها ولم تستطع متابعة السير ، فتركت السيارة طلبا لنجدة ، ورأتها والدتها تركب سيارة فورد يقودها رجل بالاوصاف التي ذكرها البوليس ، وبعد نصف ساعة عثر على جثتها ، واثبت التحقيق ان اعتداء وقع عليها قبل قتلها .

واثار هذا الاعتداء الشنيع سكان القرية وجد البوليس في البحث ، وتبين — كما تبين هوفمان — ان اوصاف الجاني تنطبق على صاحبنا فأوفد اليه المفتش واجنر يستجوبه .

قال له المفتش واجنر وهو يحاوره انه شوهد بجوار المكان الذي عثر فيه على جثة السيدة بوور وان فتاة تدعى بربارا قد تعرفت عليه من صورته الفوتوغرافية . فانكر .

لم ذكره البوليس بأن لديه رخصة مسدس من نفس المسدس الذي ارتكب به الحادث ، فقال انه اعطى مسدسه لأخيه قبل تاريخ الحادث بعدة اسابيع ولكن البوليس لم يأخذ هذه الاجابة مسلمة ، وارسل يسأل الأخ عن تاريخ وصول المسدس اليه ، فحدد تاريخا بعد الجريمة بثلاثة ايام ، وزاد الطين بلة انه حين اخرج المسدس ليسلمه للبوليس لم يكن قد استبعد خطاب اخيه فكان هذا دليلا جديدا ضد هوفمان .

واخذ المفتش واجنر يضيق الخناق على هوفمان ، سأله كيف امضى وقته يوم الحادث فقال انه ذهب الى مانهاتن لمقابلة وكيل اعماله ، ولكن هذا الاخير قال انه لا يذكر انه رآه في ذلك التاريخ .

وقال هوفمان انه تناول الغداء في ذلك اليوم في مطعم صيني ، ولكن احدا من الطهم الصينيين في ذلك المطعم لا يذكر انه رآه ، ولما سئل ان كان قد قابل احدا من معارفه وهو يمر بالعبارة بين مانهاتن وجزيرة ستاتن لم يستطع ذكر احد .. وقال هوفمان كمن تذكر امرا كان قد نسيه انه ذهب الى المسرح الذي يعمل فيه في الساعة الثالثة والنصف وبقي يتحدث الى زميل له في العمل يدعى ديمس باركر الى الساعة الرابعة والنصف ، ولو صح لثبتت براءته اذ ان الجريمة ارتكبت في هذا الوقت .

ولما سأل مفتش البوليس باركر هذا قال انه كان يتحدث الى هوفمان بعد ارتكاب الحادث ونشر اوصاف المتهم في الصحف ، وان هوفمان كان متوتر الاعصاب لان الاوصاف تنطبق عليه ، وذكر له انه جلس بمكتب وكيل اعماله ، وانه تغدى في مطعم صيني ، وانه ركب العدية دون ان يقابل احدا ، وذكر ان البوليس يستجوب جميع الجيران عن صاحب سيارة فورد وطلب اليه ان يقول اذا سأله البوليس ان هوفمان كان معه في وقت ارتكاب الجريمة. وقال باركر الذي لم يكن يتصور ان صديقه البدين يمكن ان يهاجم امرأة انه مستعد ان يقرر ذلك . ولكنه حين سمع ان هوفمان يحمل مسدسا من نفس العيار ، وانه ارسل المسدس لأخيه بعد الجريمة مباشرة ، ايقن انه من الجائز ان يكون هوفمان قد ارتكب الجريمة فعلا ولم يشأ ان يساعده على الافلات .

وانكر هوفمان أنه اقترب من ممر العشاق حيث اكتشفت الجثة ولكن عاملا بالمسرح اسمه هوبيت شهد بأن هوفمان قبل الحادث ببضعة أيام سأله أن كان يعرف طريقا مهجورا يستطيع أن يذهب اليه مع احدى الفتيات فأرشده الى ذلك الممر الذي اطلقت عليه الصحف ــ عقب اكتشاف الحادث ــ اسم طريق العشاق .

ولم يقف عمل المفتش واجبر عند هذا الحد فقد اتى بغلام آخر اسمه اوكتز يقول انه ركب مرة مع هوفمان في سيارته وانهما مرا من ذلك الطريق .

وازداد حرج موقف هوفمان حين اكد خبير السلاح ان الرصاصتين اللتين اخرجتا من جسم الفتاة اطلقتا من مسدس هوفمان . وكذلك حين تقدم جندي الوردية بعد شهر من الحادث يؤكد انه كان في طريقه الى منزله حين رأى سيارة فورد سوداء تقترب منه بسرعة عشرين ميلا في الساعة ولم تتوقف ولكنه استطاع ان ينظر الى وجه السائق وتأكد انه هوفمان وأكد انه لا يمكن ان يكون قد أخطأ .

كذلك ثبت ان هوفمان بعد الحادث بأسبوع قد طلب من أحد الناس ان يغير له لون سيارته كما ثبت ان عنده نظارة اظهرها من الصحف .

وترافع المدعي العام ضده بقوة وحماس . حقا ان احدا لم يره وهو يعتدي على الضحية او وهو يطلق النار عليها ، ولكن الظروف كلها تشير اليه ، فكل تصرفاته بعد الجريمة تدينه ، ولم يشهد تاريخ القضاء انسانا بريئا يبذل كل هذا الجهد لإثبات براءته الا ان يكون قد ارتكب الجريمة ، ان احساسه بالجرم هو الذي دفعه من وقت ان قتل ضحيته . وطلب المدعي العام ان يحكم عليه بالاعدام .

* * *

وحين نطق رئيس المحلفين بقرارهم بالادانة لم يكن في قاعة الجلسة كلها من شك في صحة القرار . ولما نطق القاضي بالعقوبة وهي عشرون سنة او مدى الحياة اشغالا شاقة اعتقد المعاصرون ان العدالة لم تنل حقها من مجرم عات اثيم ، ولم ير أحد منهم التفاتة المتهم وهو يصيح بالمدعي العام ــ وهم يقودونه الى السجن «اذهب والتمس الكافة مع شهودك الكذبة » .

* * *

كان الحكم الذي صدر موضع استغراب من الجميع . فاما المحلفون والناس فكانت بهم قد قالوا لمثل الاتهام « اننا واثقون من صحة كل ما وجهه لهذا الرجل من اتهام ولكن يوجد احتمال صغير جدا ان يكون هذا الرجل بريئا . لذلك نكتفي بسجنه عشرين سنة » .

واما الصحافة فقد انتقدت الحكم اشد الانتقاد لانها بعد ان سخمت الجو ضد المتهم ساءها ان يفلت من كرسي الاعدام . واما سكان جزيرة ستاتن الذين كانوا يعتبرون هوفمان انسانا عاديا عاملا وزوجا مسيحيا وابا حنونا ، ولم يكونوا يتصورون انه يستطيع ان يرتكب جريمة قتل مجاجة لا قتل امرأة بعد الاعتداء عليها ، فقد اخذوا يتساءلون عن المظاهر الخادعة . ومن ان « الساعي لحقه مراعي » وانه « الليلة تحت ليثه » الى غير ذلك من امثال هذه الاقوال المأثورة وعضوا أيديهم منه .



ولكن زملاء المتهم في العمل كانوا مؤمنين ببراءته . لذلك جمعوا مبلغا من المال وعهدوا الى محام قدير لكي يتولى الدفاع عنه . واكتشف المحامي عيبا قانونيا في الحكم . ذلك ان المحلفين ادانوا هوفمان على اعتبار انه قتل السيدة اثناء الاعتداء عليها ، ولم تكن لديه نية القتل ، بينما التهمة التي وجهت اليه انه تعمد قتلها . وعلى هذا الاساس الغيت المحاكمة .

ويأبى حظ هوفمان السيء الا ان يسقط محاميه اثناء المحاكمة بنوبة قلبية لا ينهض منها ، فتوقفت المحاكمة ثم اعيدت الاجراءات للمرة الثالثة . ولكن المحلفين لا يصلون الى قرار في شأنه . فلا هم ادانوه ولا هم برأوه وهكذا انتهى على آخر امل لهوفمان . فقد نفدت الاموال التي جمعها له زملاؤه ولم يعد في مقدوره ان يصرف على محاكمة رابعة ..

حتى زوجته يئست فاستصدرت حكما ضده بالطلاق ووضعت ابنتيه في ملجأ وتزوجت غيره .

وأظلمت الدنيا في وجهه وأصبح السجين رقم ٧٥٩٩٠ بسجين سنج سنج الرهيب .

★ ★ ★

ولكنه ابى أن يستسلم . لقد انقضى من العقوبة المحكوم عليه بها خمس سنوات ، وأصبحنا في عام ١٩٢٩ . وحدثه زملاؤه في السجن عن نجم جديد ظهر في عالم المحاماة . وبين اليأس والرجاء كتب اليه الخطاب الآتي ولعله لم يأمل أبدا أن يرد عليه .

سيدي . أكتب لك النداء الأخير من انسان يائس . انني لم أتشرف بمعرفتك شخصيا وأنت طبعا لا تعرفني . لقد اتهمت بجريمة قتل أنا بريء منها . وحكم علي بالأشغال الشاقة عشرين سنة بسجن سنج سنج . ولقد جاهدت خمس سنوات لاسترداد حريتي . وجمع أصدقائي مالا للدفاع عني ولكنه نفد . فهل تساعدني ؟

★ ★ ★

واستجاب المحامي لهذا النداء ، وذهب الى هوفمان في سجنه وهو يعتقد انه واحد من أولئك المجرمين الذين يدعون انهم ابرياء . ولكنه بعد أن استمع الى أقواله أيقن انه لم يحاكم محاكمة عادلة . وقابل المحامي المدعي العام وكان لا يزال هو الذي حاكم هوفمان وأبدى له شكوكه ، ووافق المدعي العام على الفور انه اذا أقر هوفمان بانه مذنب اكتفى المدعي العام بطلب عقوبة تعادل المدة التي قضاها في السجن .

★ ★ ★

وعاد المحامي الى هوفمان وشرح له النتيجة التي وصل اليها والخطر الذي يتعرض له اذا أصر على أن يحاكم للمرة الرابعة طالبا البراءة . ذلك ان القانون الامريكي لا يأخذ بالقاعدة التي تأخذ بها القوانين الأخرى من أن المتهم لا يضار بمعارضته أو استئنافه وانه يعرض نفسه لصدور حكم عليه بالاعدام . ولكن هوفمان أصر على أن يحاكم وقال : « اما أن تثبت براءتي لأني بريء أو أعدم بريئا » .

★ ★ ★

وفي ٦ مايو سنة ١٩٢٩ بدأت محاكمة هوفمان للمرة الرابعة .

كان المحامي قد درس أوراق المحاكمتين السابقتين التي بلغت عدد صفحاتها ٣٦٠٠ صفحة وعدد كلماتها ثلاثة ارباع المليون كلمة . وتبين مواطن الضعف فيها .

بدأت المحاكمة باختيار المحلفين . ذلك ان من حق الاتهام كما هو من حق الدفاع استبعاد بعض المحلفين دون ابداء الأسباب . وذلك بان يوجه لهم أسئلة تكشف عن نواياهم مع أو ضد الاتهام . وكان محامي هوفمان يوجه للمحلفين سؤالا واحدا لا يتغير . « هل تعرف هوراشيو شاريت ؟ » ، فاذا أبدى المحلف دهشته قال المحامي « انه شقيق كليون شاريت أحد الزعماء السياسيين بجزيرة ستاتن » .

وبدأ ممثل الاتهام يتململ ويحتج ويعترض بشدة ولكن المحامي طلب منه في هدوء أن يوجه اعتراضه للمحكمة .

واستمر محامي الدفاع دفاعه بان الاتهام في المحاكمات السابقة تعمد أن يخفي عن المحكمة وقائع لو عرفت لأدت الى براءة هوفمان . وأدى ذلك الى هياج ممثل الاتهام حتى انه قال ودهشته انه سيدعو الى منصة الشهود هوراشيو شاريت ليثبت انه ليس هو الذي قتل السيدة بوور برغم تلميحات الدفاع .

وقال محامي الدفاع « انني لا أوجه أي اتهام لشاريت وان كان قد رئي بجوار الجريمة بعد ارتكابها بفترة قصيرة وان أوصافه تتفق مع أوصاف الشخص الذي ركبت السيدة بوور عربته الفورد وانه تصرف تصرفات تدعو للريبة » .

واعترض ممثل الاتهام على ذلك وأقره القاضي على اعتراضه ، ولكن الدفاع قد حقق أول انتصار له فقد بذر بذرة الشك في عقول المحلفين وبدأوا يتساءلون من يكون ترى هذا الشاريت وما صلته بالجريمة ؟

★ ★ ★

كان محامي هوفمان يعرف أن امامه صعوبات يجب التغلب عليها أو اضعافها لامكان هدم الاتهام الموجه لموكله . أهمها :

أولا : اعتراف الفتاة بربارا وعسكري الدورية .

ثانيا : اقناع المحلفين بان الشاهدين هوبيت والدكتور كالابان .

ثالثا : التدليل على ان خبير السلاح قد اخطأ حين اكد ان الرصاصتين قد اطلقتا من مسدس هوفمان .

رابعا : اقناع المحلفين ان تصرفات هوفمان عقب ظهور الجريمة ترجع الى ما اصابه من هلع لا الى انه مذنب .

★ ★ ★

بدأ المحامي يستجوب الفتاة بربارا التي كانت قد بلغت الثامنة عشرة وقت ادائها الشهادة امام المحكمة الاولى فاظهر الاستجواب انها لا تذكر اسم المدرسة التي كانت تتردد عليها واسم الشارع الذي به المدرسة ولا عدد غرف منزلها . وبعد ان اظهر للمحلفين انها محدودة الذكاء وجه اليها السؤال الآتي :

س : حين كنت بنقطة البوليس وجاءوا بهوفمان بصحبة المحقق واجنر وسألك المحقق « هل هذا هو الرجل ؟ »

هل كانت اجابتك « لا . ليس هذا الرجل » ؟

ج : « نعم »

س : وحين جيء بهوفمان الى الغرفة للمرة الثانية قلت مرة اخرى انه ليس الرجل .

ج . « نعم » .

وشرح المحامي ان بربارا لم تتعرف على هوفمان الا بعد ان رأت صورته في الجرائد وبعد عدة مقابلات مع مفتش البوليس واجنر وغيره من رجال التحقيق ، وبذلك قضى على شهادتها .

★ ★ ★

ثم جاء دور شرطي الدورية مارك كورماك فظهر من استجوابه انه لم يتقدم بشهادته الا في ٢٥ ابريل اي بعد ارتكاب الحادث بشهر ، مع ان البوليس كان جادا في البحث . وبين المحامي ان هذا الاعتراف جاء بايعاز من ممثل الاتهام ، وبعد ان اعلن عن جائزة كبيرة لمن يرشد عن القاتل واصر الشاهد على ان ممثل الاتهام لم يلقنه الاعتراف فطلب المحامي من اوراق التحقيق ان

هذا يغاير اقواله السابقة واضطر ممثل الاتهام ان يسلم بان شاهده هذا يكذب في اقواله الآن.

★ ★ ★

ثم استجوب هوبيت فاثبت الدفاع سبق الحكم عليه بجريمة سرقة وبجريمة التلصص على سيدة اثناء خلعها ملابسها .

س ـ هل كنت في الشارع وكانت هي بمنزلها ؟

ج ـ نعم

واعترف هوبيت انه لم يدل باقواله بخصوص طلب هوفمان منه مكانا منعزلا يأخذ اليه فتاة الا بعد اتهامه بجريمة التلصص ووعد البوليس اياه بالافراج عنه . وهو ما حدث .

اما الشاهد ادكتر فلم يتطلب القضاء على شهادته الا سؤالا واحدا من المحامي :

س : هل تذكر المسطرة السوداء الكبيرة التي كانت على مكتب المدعي العام سنة ١٩٢٤ ؟

ج : (بصوت مرتفع) « نعم » لقد ضربني بها المدعي العام حين رفضت ان ادلي بشهادتي بخصوص نظارة هوفمان ذات الاطار من الصدف .

وبين انه شهد بانه رأى تلك النظارة معلقة في غرفة ملابس هوفمان بالمسرح وقت ارتكاب الجريمة وكان قد ثبت ان هوفمان لا يملك الا هذه النظارة واخرى بغير اطار .

وهكذا انهار اساسان من اسس الاتهام . الاعتراف وشهادة شاهدين خطيرين .

★ ★ ★

واحس ممثل الاتهام ان الدفاع يريد ان يوجه الاتهام الى هوراشيو شاريت ، فاراد ان يقطع عليه خط الرجعة فاستدعى شاهدا هو روبرت فرجسون . وكان محامي الدفاع يعلم ان هذا الشاهد كان قد وقف بسيارته قريبا من مكان ارتكاب الجريمة وانه اخبر رئيسه انه شاهد سيارة تمر من هناك وكان يقودها شاريت ، ولكنه عدل عن هذا القول بعد ذلك . فوجه اليه المحامي السؤال الآتي :

س : الم تمر لمدة اسابيع بعد الحادث ان

الذي كان يقود السيارة هو هوراشيو شاريت ؟

ج ـ ظننت انني رأيته .

س : الم تبلغ الخبر لويس في الليلة التالية لارتكاب الجريمة انك رأيت شاريت ؟

ج . حدث .

وجاء الدفاع بكونستابل من راكبي الموتوسيكلات كان قد رأى شاريت يمر بسيارته قريبا من ممر المشاة فاستوقفه وابلغه عن جريمة قتل مدام بوبير ، ووجه اليه المحامي سؤالا واحدا .

س : هل فتشت شاريت للبحث عن مسدس ؟

ج . : لا .

وضيق المحامي حلقة الاستجواب حول مفتش البوليس واجبر حتى حصل منه على الرد الآتي :

س : هل قال لك المدعي العام انه استجوب مستر شاريت وانه لا شبهة عليه ؟

ج ـ نعم .

س : هل قال لك المدعي العام ان تدع شاريت وشأنه لانه مقتنع بأنه لا غبار عليه ؟

ج : نعم .

وهنا سأل المدعي العام محامي الدفاع ان كان يقصد ان شاريت هو الذي ارتكب الجريمة ، فقال له « انني لا ازعم ذلك ولكن الذي اقوله ان الثقة في شاريت وصداقتك له لم تحقق معه بالدقة التي كانت تتطلبها ظروف الحادث » .

* * *

وبدأت انظار المحلفين تبتعد عن هوفمان وتتجه نحو شاريت الذي ادخله الدفاع بمهارة فائقة في الصورة مما حصل مثل الاتهام الى شاهده كشاهد . وتصور كل من بالقاعة ان محامي الدفاع سيشتد في استجوابه ، ولكن الدفاع اكتفى بان اثبت في اجابات شاريت انه صديق للمدعي العام منذ اكثر من عشرين سنة ، وانه مر بسيارته بقرب مكان الحادث ، وانها سيارة فورد سوداء كالتي يملكها هوفمان .

* * *

ولكن كان لا يزال هناك توكيد خبير الاسلحة ان الرصاصتين اللتين استخرجتا من جثة القتيلة اطلقتا من مسدس هوفمان . وكان الدفاع يعلم انه لا يكفي في دحض هذا الدليل الفني ان يأتي بتقرير استشاري ضده .

فاستدعى خبيرين آخرين اطلقا خمسين طلقة من مسدس هوفمان وقرر ان العلامات التي بالطلقات تختلف عن العلامات التي بالرصاصتين المستخرجتين من الجثة . ولكن الدفاع لم يكتف بذلك بل جاء بمكرسكوب وطلب من المحلفين ان يروا بأعينهم ذلك الخلاف .

واصبحت العقبة الوحيدة في طريق براءة هوفمان هو تعليل رعونته في تصرفاته . ولكن امر ذلك صار هينا بعد ان تحطمت القضية جميع العقبات السابقة . لقد كانت كلها تصرفات انسان تسلط عليه الوهم بانه سيشنق مظلوما فلم يعد يعي ما يفعل .

* * *

وصدر قرار المحلفين ببراءة هوفمان بعد ان امضى ستين شهرا في عذاب اليم وجهاد مستمر ، وعاد الى عمله في الشركة التي كان يعمل بها بفضل ثقة زملائه به ومهارة محاميه وتعلم درسا دفع ثمنه غاليا . وهو ان « الصدق منج » وان « حبل الكذب قصير » .

حسن الجداوي

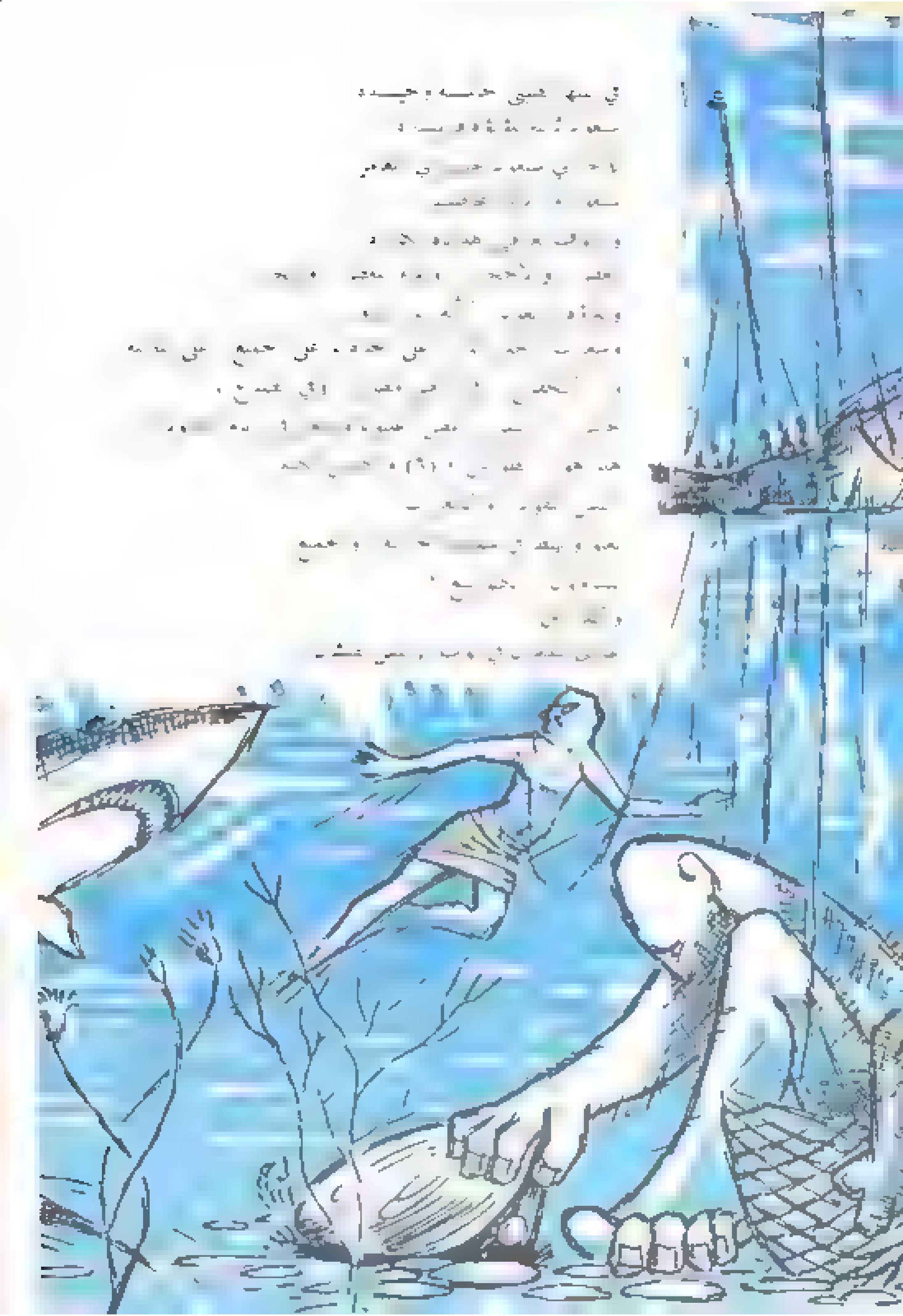
فضل العمامة

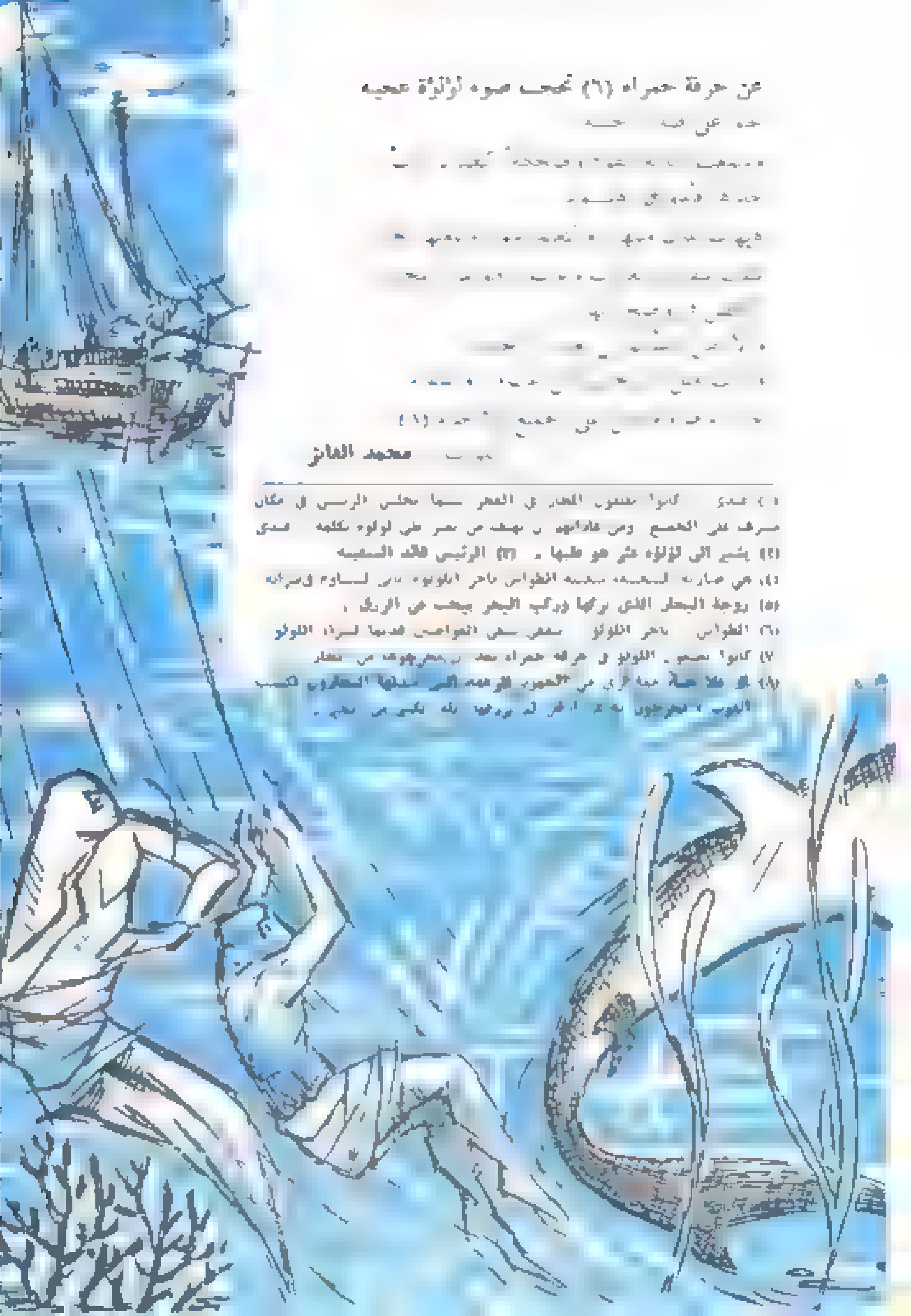
● ذكرت العمامة عند ابي الأسود الدؤلي فقال : « جنة في الحرب ، ودثار في البرد ، وكنّة في الحر ، ووقار في النادي ، وشرف في الأحدوثة ، وزيادة في القامة ، وهي عادة من عادات العرب » .



للشاعر : محمد الفايز

وصرختُ عندي (١) واختنقتُ وأبرقتْ كل العيونْ
كشموع أقبية المساجد كالجروح الداميات
فمســير (٢) صغير .
في عشه المصري أمسكه وصاح في الصحاب
طوفانٌ . وانتفض الرئيس (٣) كمن يحاذر أن تذوب
من نار عيني إنه يوم جميل
قال الرئيس وراحَ يُشبع ناظريه ورحتُ أسأل أيّ جيدٍ باللآل
ستشع منه قلادةٌ حسنت عذابي في البحار ؟
وذكَرت ، ليلى عندما انتفضتْ ضلوعي كالحمامة في الصباح
حتى أكاد أشم رائحة الضفيرة والوشاح
ورطوبة البئر المُثرثِر حين تملأ دلوَها عند المساء
طار الخيــال
بضلوعي الظمأى وأقدامي تُقرّحها الحبالْ
وكأن سرا في البحار
مازلت أجهله ويجهله القراصنةُ الكبارْ
الباحثون عن المحارْ
وعن اللآلئ والجواهر للنساء الأخرياتْ
وككف عفريتٍ تُمدُّ من العُبابْ
أبصرت صاريةً (٤) تكاد تطير وابتسم الصحب
عاد الغراب
وضحكت من عيني وعين بعضنا ليت النساءْ
اللابسـات لآلئ البحّار قد ذقن العذابْ
ومرارةَ الدنيا كزوجته الحزينــة . (٥)





عن حرقة حمراء (٦) تحجب ضوء لؤلؤة عجيبة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (٦)

محمد الفايز

---

(١) عدي [illegible] كانوا [illegible] في البحر [illegible] مجلس الرئيس في مكان مشرف على [illegible] ومن عاداتهم [illegible] على لؤلؤة [illegible] عدي

(٢) يشير الى لؤلؤة عثر هو عليها . (٣) الرئيس قائد السفينة

(٤) هي عبارة [illegible] الطواش تاجر اللؤلؤ [illegible]

(٥) زوجة البحار التي تركها وركب البحر يبحث عن الرزق .

(٦) الطواش [illegible] تاجر اللؤلؤ [illegible] الغواصين [illegible] اللؤلؤ

(٧) كانوا [illegible] اللؤلؤ في خرقة حمراء [illegible]

(٨) [illegible]



الشيخ محمد باقر الشبيبي

بقلم : عبد الرزاق الهلالي

المصرف الزراعي – بغداد

■ نقدم لقراء « العربي » الغراء ، في هذا العدد لمحة مختصرة من حياة شاعر كبير من شعراء العراق الذين تركوا لهم في تاريخ العراق الحديث صفحات لامعة في مختلف مجالات الحيـــاة ، ذلك هو المرحوم الشيخ محمد باقر الشبيبي . وها نحن أولا ، نختصر تلك الحيـــاة الحافلة بجلائل المواقف والأعمال في هذه الصفحات المحدودات .

أسرة آل الشبيبي

من الأسر العربية المعروفة في العراق ، ترجع في أصولها الى قبيلة بني أسد ، القبيلة العربية المشهورة التي كانت بعض أفخاذها قد اتخذت من (البطائح) في لواء المنتفك مقرا لسكناها حيث لا تزال فيها حتى يومنا هذا .

الشيخ محمد بن الشيخ شبيب

وكان أحد أبناء هذه الأسرة ، وهو الشيخ محمد ابن الشيخ شبيب ، قد وفد الى النجف الأشرف من تلك الديار طلبا للعلم والدراسة والتحصيل ، حتى اذا أكمل تحصيله وصار من ذوي الفضـــل والعلم والكتابة سافر الى (الشطرة) احدى حواضر المنتفك ، وهناك تزوج احدى كريمات (الشيخ صادق آل الهيمص) التي كانت له رئاسة في تلك الأصقاع ، كما كانت له فيهـــا مزارع وضياع كبيرة .

ونظرا لبعض الظروف القاهرة اضطر هـــذا الشيخ محمـــــد الى مغادرة تلك المدينة قاصـدا بغداد وذلك في عام ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) . وهناك في مدينة السلام ولد ابنه (جواد) ، غير أنه لم يسعد بهذا الوليد الجديد ، اذ توفى الله الشيخ بعد ولادته بأيام معدودات . فلم تجد أرملته بدا من التوجه الى النجف ثم العودة بعدها مع وليدها الى الشطرة بناء على أمر والدها . وبرعاية ذلك الجد الحنون وعنايته .

الشيخ جواد آل شبيب

نشأ ذلك الطفل اليتيم (جواد) حتى اذا بلغ الخامسة عشرة من عمره فجع بوفاة جده لأمه ، فاضطر لمغادرة تلك المدينة قاصدا النجف ومنهـا الى بغـــداد . الا أنه استقر به المقام أخيرا في النجف حيث أكمل تحصيله وواصل دراسته ، فلما



(الشيخ جواد آل شبيب) بسبب نشأته في بيت جده، المعروف بالفضل والعلم، قد اصبح مسوقا الى الأدب منظومه ومنثوره، حتى بات من الشهرة بحيث لا يذكر اسم الأدب بجميع فنونه الا وكانت له من المناسبة ما تجعل الاتصال به وثيقا. وبات في الرعيل الأول من الادباء الموهوبين والعباقرة المتفوقين بين كتاب العرب وشعرائهم الكبار (1).

وقد رزق هذا الشيخ الكبير رحمه الله بستة اولاد كرام ذاعت شهرة الكرام في شتى اقطار العروبة بسبب ما تركوا من صفحات نيرة في سجل الكفاح الوطني والقومي، وعلى رأسهم ابنه الكبير العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي حفظه الله، وابناه الآخران اللذان توفاهما الله قبل سنوات وهما المرحومان الشيخ محمد باقر الشبيبي والحاج محمد جعفر الشبيبي.

الشيخ محمد باقر الشبيبي

هو ثاني انجال المغفور له الشيخ جواد الشبيبي. ولد في النجف الأشرف عام ١٣٠٨ هـ فلما نما عوده، وبلغ مبلغ الصبيان بدأ بقراءة القرآن الكريم والكتابة، وحذق شيئا من الحساب وحسن الخط. ثم لما اصبح فتى يافعا سلك مسلك لداته واقرانه من أبناء الأسر النجفية الأخرى وراح يدرس (مقدمات العلوم) حسب اصطلاح الدراسة في النجف آنذاك.

وعندما تخرج فيها وبات (شيخا) من شيوخ الشباب انصرف الى معالجة قضايا الشعر والأدب بروح الشاب المتوثب في تلك المدينة التي راحت آنذاك تتململ ضد الحكم العثماني، وبات ابناؤها يتطلعون الى غد افضل وعيش امثل، ولسان حال كل واحد منهم في تلك المدينة المقدسة يقول ما قاله احدهم وهو المرحوم الشيخ علي الشرقي:

وما بلد عش مستريحه
ولكنه قفص البلبل
ترف جناحاه لنسم يستطع
طيارا فيمشي بالارجل
تنبه اقفلوا باب آماله
لعام على بابه المقفل

بداية الانطلاق

هذا ما حام الشيخ محمد باقر حول ذلك الباب المقفل، ولكنه استطاع ان يفلت من بين قضبان ذلك القفص وينطلق الى آفاق اوسع، واذا هذا الشاب الهادئ الوديع تشتعل في نفسه عوامل ثورة جامحة ضد اوضاع تلك الحياة الجامدة وضد تسلط الحكم العثماني البغيض، ثم تنعكس فيما بعد بما نظم من شعر وما كتب من مقالات وابحاث نشرتها له كثير من مجلات وصحف العراق والبلاد العربية الاخرى قبل الحرب العالمية الاولى.

الالتوس الكبير ...

ويبلغ به التبرم والثورة على الحكم العثماني حدا لم يستطع معه الا ان ينشر قصيدة ثائرة في احدى صحف بغداد عام ١٩١١، يهاجم بها اولئكم الموظفين العرب الذين ارتضوا البقاء في خدمة دولة الترك، على الرغم من تنكرها لاماني الامة العربية وتنكيلها بالاحرار من ابنائها، وكان البيت الذي قاله فيه..

البلد هذا الشرق حسبا لتركم
أما فيكم الا ابنُ عائشة عمر

كان هذا البيت سببا في اقامة (دعوى) ضده

١ ـ أعيان الشيعة ج ١٧ السيد محسن الأمين العاملي ـ دمشق ١٩٤٥

من قبل السلطة العثمانية ، بحجة أنه قد طعن في شرف أمهات هؤلاء الموظفين ومس كرامتهم !.

وبناء على طلب المحكمة ورغبتها في حضور خبير بالشعر يفسر لها ما قصده الشاعر فقد انتخب العلامة الكبير المغفور له الأستاذ محمود شكري الآلوسي لهذا الغرض . وهناك في قاعة المحكمة راح هذا العلامة الجليل يرد عن الشاعر الشاب ما ذهب اليه الخصوم ، بما راح يستشهد به من أبيات الشعر العربي ، وختم رأيه هذا مستشهدا بقوله تعالى « ضرب الله مثلا للذين كفروا ، امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين » ثم قال حاشا لله أن تكون نساء الأنبياء بالزنى، فالمقصود (بالخيانة) هنا مخالفة الأمر ليس غير . وعلى هذا فالشاعر لم يقصد بقوله (الا ابن خائنة) الا ابن (المخالفة للأمر) لا (الزانية) كما يزعم البصريون!

وهكذا وبهذا الرأي القاطع اغلقت اول قضية اليمت في المحاكم ضد هذا الشاعر الثائر !!

في ساحات النضال ..

لم اندفع هذا الشاعر الشاب بكليته مع غيره من احرار البلاد في ساحات النضال الوطني منذ ان بدأت تباشير الخلاص من الحكم العثماني تلوح في الأفق القريب ، حتى اذا اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ونزلت القوات الانكليزية في البصرة لطرد القوات العثمانية من العراق ، استبشر هو وغيره من احرار العراق بهذه الحرب التي ستساعدهم على الخلاص من ذلك الحكم الذي جثم على صدورهم اربعة قرون او تزيد . ومما زاد في اندفاعهم للعمل بجد واخلاص البلاغ (الانكليزي ـ الفرنسي) الذي اذيع يوم ١٩١٨/١١/٨ ، واذعوا فيه تأسيس حكومات وادارات وطنية ، وما كانوا يعلمون ما يبيته لهم الحلفاء في الخفاء . ثم لما تكشفت لهم تلك النوايا وانتهت بوضع العراق تحت الانتداب البريطاني ، راح الشيخ محمد باقر الشبيبي واخوانه من المناضلين يعملون بكل جد ونشاط لاحباط خطط السلطة المحتلة ، واتفقت كلمتهم على تشكيل جمعية سرية هي (جمعية حرس الاستقلال) للعمل على استقلال البلاد استقلالا تاما والسعي لضم العراق تحت لواء الوحدة العربية والقضاء على الاستعمار البريطاني . وقد كللت جهودهم بالنجاح اذ استطاعوا ان يوحدوا كلمة الأمة في الثورة على قوات الاحتلال البريطاني عام ١٩٢٠ .

الصحافي الثائر

ولما اخذت السلطة البريطانية المحتلة تنكل بالأحرار وتزج بهم بالسجون وتنفي بعض القادة منهم الى (هنجام) كانت نذر ثورة دامية على هذه السلطة الغاشمة تلوح في الأفق . حتى اذا حل يوم ٣٠ حزيران ١٩٢٠ انطلقت رصاصة الثورة من (الرميثة) فكانت الشرارة الأولى لتلك الثورة الوطنية . وفي هذا الوقت سارع الشيخ محمد باقر الى عاصمة الثورة (النجف الأشرف) ليقوم باصدار صحيفة يومية ينشر فيها اخبار الثورة واحداثها ، ثم يصدر بعد ذلك جريدة (الفرات) ، فيحدث كما قال المرحوم (رفائيل بطي) (١) اشبه شيء بصاحبها ، تكتب بدم القلب لا بحبر القلم ، وحصرت بحثها في الشؤون السياسية وكتابة المقالات الاستفزازية والقاء الخطب التي تلقى في محافل الثورة ! وان من طالع المقالات التي كتبها هذا الصحافي الثائر في الأعداد الخمسة ، (وهي كل الأعداد التي اصدرتها جريدته خلال تلك الثورة الوطنية الكبرى) ، يلمس صدق المشاعر الوطنية وقوة الاندفاع في سبيل الحرية والاستقلال .

في ظل الحكم الوطني

ولما انتهت الثورة العراقية بمثل ما انتهت به . ومن ثم قيام الملكية في العراق وتأليف المجلس التأسيسي لوضع الدستور وابرام المعاهدة مع بريطانيا ، ظن كثير من المخلصين ان الأمور ستسير نحو الأحسن ، وان البلاد ستظل على أيدي ابنائها الذين سيتولون شؤونها كل تقدم ورقي وفلاح ! الا ان هذه الآمال خابت اذ ظل الانكليز هم الحكام الحقيقيين للعراق يصرفون شؤونه وسياسته حسبما يريدون .

وعندما اصبح الأستاذ الشيخ محمد باقر الشبيبي في بداية هذا العهد عضوا في المجلس النيابي ، ونمر

---

١ ـ الصحافة في العراق ، القاهرة ١٩٥٥

به الاحداث ويقف من كثب على الاعيب السياسية البريطانية التي عقدت بها معاهداتها مع العراق ، فاذا به في مقدمة رجال المعارضة دفاعا عن حقوق البلاد وغيرة على مقارعة المفرطين بمصالح الامة بما وهبه الله من ملكة في الشعر وموهبة في الخطابة وقدرة على الكتابة . فلا عجب ان حفلت له سجلات الكفاح الوطني في العراق صفحات مليئة بالمفاخر والامجاد ، فقد صارع الاستعمار واذنابه ، وحارب الطغاة والحكام المستبدين ودافع عن حق العامل والفلاح وندد بالظلم والظالمين دون ان يخشى في الحق لومة لائم !

الشاعر الثائر

وسنحاول في هذه الصفحات ان نقدم للقارىء الكريم نماذج من شعر هذا السياسي العربي الكبير لا سيما تلك القصائد التي بدا فيها معبرا عن آمال الشعب وامانيه ومصورا فيها وضع البلاد وحقيقة الحكم الوطني في تلك الحقبة من الزمن .

الشبيبي والمستر كراين

وفي مقدمة قصائده السياسية التي لا يزال صداها يرن في الاذان تلك القصيدة الوطنية الرائعة التي استقبل بها صديق العرب المعروف (المستر جارلس كراين Charles R. Crain) عندما احتفل بقدومه الى العراق عام ١٩١٩ حيث قال ...

حللنا تروم لك البلاد وتقصد
وتحييه باسمك يا ولي وتنشد
هذي البلاد على كآبة حالها
[illegible]
كل البلاد من القيود تحررت
[illegible]
واحرباه على العراق بسوده
[illegible]

ثم يقول .

قالوا استقلت في العراق حكومة
فضحكت اذ قالوا ولم يتأكدوا
أحكومة والاجنبي رئيسها ؟
حكومة فيها المشاور يستبد !
المستشار هو الذي شرب الطلا (١)
فعلام يا هذا الوزير تعربد ؟

وقد ذهب هذا البيت مذهب الامثال وسرى بين الشعب سريان النار بالهشيم لانه يمثل حقيقة الحكم الوطني في العراق آنذاك !

الشبيبي ومعاهدة ١٩٣٠

ثم تعقد حكومة السيد نوري السعيد معاهدة عام ١٩٣٠ ، وتقف البلاد ضد هذه المعاهدة الجائرة ، وكان الشيخ محمد باقر الشبيبي في مقدمة الرجال الذين حملوا لواء المعارضة ضدها وقد سجل رأي الشعب فيها حين قال بعد عودة المندوب السامي (السير همفريز Francis Humpheys) الى بغداد ...

هل في حقيبته لنا من الامل
ام الريحان من سم ومن عسل !

ثم يتحدث مخاطبا تلك المعاهدة قائلا :

[illegible]
سيمت من الظلم واشتكت من العبث
[illegible]
من الحديد ولو كانت من الجمل
[illegible]
هذي هي النظرة الكبرى الى العمل

وبعد ان يحي اسمه الذي هو كسائر ابناء الشعب جميعا يتسائل قائلا .

[illegible]
[illegible]
[illegible]
على الزمان ، [illegible]
[illegible]
[illegible]
نابى العروبة ان تنثني [illegible]
وان تتشبث بداء الغلة والابل

الشبيبي العربي الاصل

وان من يقرأ ما خلفه لنا هذا الشاعر العربي الكريم من قصائد ومقالات وخطب ، نظمها او كتبها او القاها في مختلف المواقف والمناسبات القومية والوطنية يشعر بغليان المشاعر العربية الاصيلة في نفس هذا العربي ويلمس اتجاهه القوي في قيام دولة الوحدة بين اقطار العروبة ، وان النماذج التي سنقدمها للقارىء ستوضح له حقيقة هذه

---

١ ــ الخمر

المشاعر التي اعرب عنها منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، أيام كانت الدعوة الى هذا الهدف العربي النبيل أشبه ما تكون بالدعوة الى حلم جميل . ولا يريد في هذا البحث أن تثبت ما جاء في خطبه تحت قبة البرلمان ، أو في مقالاته الكثيرة التي ندد بهما بالفرقة والمنافسين وفضح بهما الاعيب المستعمرين والعاملين على بذر بذور التفرقة بين أبناء الأمة العربية الواحدة ، بل سنكتفي بذكر ما جاء في بعض قصائده من هذه المشاعر القومية الصادقة .

يا ناشد الوحدة !

عندما احتفلت دمشق بذكرى مرور ألف عام على وفاة شاعر العرب الأكبر (المتنبي) نظم الشيخ محمد باقر الشبيبي قصيدة بهذه المناسبة ، أعرب فيها عن مشاعره نحو هذا الشاعر العربي الخالد ، وتمنى أن تكون (الكوفة) بلده الأصلي ، أسبق من (جلق (١)) في هذا التكريم . ومما جاء فيها قوله :

حنت على الكوفة تستبق الخطى
وتستعيد ماضياً ما ذهب
ما اطردت جلق في تكريمه
حتى نهضت سابقة لما وجب
فالنسب العريق ذاك النسب
والسبب الوثيق ذاك السبب
تتصل لهم بغداد أخت جلق
ولتقل لهم : أم الربيعين (٢) حلب
ولا تقل قطر أن ليبيا تجاورا
بل أمة يجمعها جد وأب
يا ناشد الوحدة ما أوضحها
في وحدة الدم ووحدة النسب !!

الشبيبي والأوطان العربية

وفي قصيدته الرائعة التي نظمها في ذكرى الأربعين لوفاة المغفور له والده ، لم ينس هذا الشاعر بل قال :

ملت هذه الأوطان وهي مبعضة
تتجلد بصبروها من الهم ما يرد
فحق لها أن تستقل بأمرها
وتصبح لا نهي عليها ولا أمر
وطاقتها أن تستباح طلوعه
وأن يتولاها لرغبتها الأسر
متى لك شاءت لن تستقل حقوقها
دمشق وأن تحظى بآمالها مصر
وكنت إذا مرت بلبنان هزة
هفت لها الأردن ولتستطع الثغر
مواطن يؤذيها تمزق شملها
ويرعبها ، شطر هنا وهنا شطر
فرقنا عن بعضنا وكلنا
وشائج من عصر الزمان لها عمر
وما لتمكث بين الشعوب حواجز
أقيمت ولم يقدر على فصلها البحر
إذا طيروا البغضاء جاء خصامهم
عليها فما أجدى ولا نفع البذر !!

أبو كلثوم الوفدي

ولعل كثيراً من أبناء العروبة يتذكرون المقال الأدبي الطريف الذي نشره في مجلة الرسالة القاهرية المغفور له الدكتور زكي مبارك في شهر ديسمبر من عام ١٩٣٩ بهذا العنوان . ففي ذلك المقال بين للقراء من هو (أبو كلثوم الوفدي) وقال انه (الأخ العزيز الاستاذ محمد باقر الشبيبي أحد الشعراء المجيدين في العراق) .

فلماذا لقبه بهذا اللقب الذي أحبه كثيراً ويسره أن يلقب به ؟؟

لقبه بعد أن لمس فيه ناحيتين هامتين فهو (وفدي) لأنه كان حقاً وصدقاً من أشياع حزب الوفد المصري يحنو اليه كل حين ..

وهو (أبو كلثوم) لأنه مفتون كل الفتون بالطريد أم كلثوم . وقد أورد له في ذلك المقال الطريف قصيدتيه المشهورتين الأولى ، قصيدته في (أم كلثوم) التي نظمها عندما جاءت الى بغداد عام ١٩٣٢ ، والثانية قصيدته في الرد على القصيدة التي ألقاها الدكتور زكي مبارك نفسه في اجتماع (نادي القلم العراقي في الرصافية عام ١٩٣٨ . وها نحن أولاء ننشر بعض ما جاء في تينك القصيدتين ..

---

١ - جلق موضع في جنوب سوريا حشد فيه البيزنطيون جيشهم قبل حربهم مع العرب في حوالي عام ٦٣٤ م . والكاتب قصد به دمشق وسوريا في الاحتفال بالمتنبي .

٢ - أم الربيعين هي مدينة (الموصل) في العراق .

ام كلثوم

مهلاً أيتهـا السعادة
قفي لي على الوسادة

* * *

طلعت الى الجو
وقلبي دائم الخفق
[illegible]
وشاهدتك من الافق
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ام من [illegible]

* * *

[illegible]
لهذي ام كلثوم
من [illegible] الاعاريب
انا لا من [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

* * *

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وطني الاعرب !

* * *

[illegible]
[illegible]
وكم [illegible]
وكم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في الهوى وحدي ؟

وفاة معهدي

اما قصيدته التي نظمها جوابا على قصيدة الدكتور زكي مبارك والتي عنوانها (من جحيم القلم في القاهرة الى سعير الوجد في بغداد) والتي مطلعها

وقفت على بغداد والقلب موجع
[illegible] وجل آيات داني

فقد القاها الشبيبي في اجتماع نادي القلم العراقي في حديقته المطلة على نهر دجلة حيث قال :

وفاء بعهدي لو نزولا على وعدي
وقفت احيي [illegible] وبي ودي
وقفت احيي [illegible]
بها [illegible] حقا وسعدي
فاهلا بكم في روضة الحب والصفا
واهلا بكم عند المرة او عندي
[illegible] في [illegible]
به مثل ما بي من حنين ومن [illegible]
وذكرى [illegible]
سلام على عهد الصبا في [illegible]
سواء على اجرالف دجلة [illegible]
ولما جرى قلبي للتهلل والوفد !!

الى ان يقول :

صريع الهوى لا [illegible]
صريع اغاني ام كلثوم لا [illegible]
سلام على تلك الاغاريد انها
اغاريد من وحي الصبابة والوجد

الشبيبي والمرأة

ويمكن اعتبار الشيخ محمد باقر الشبيبي في مقدمة الكتاب والشعراء العراقيين الذين نادوا بانصاف المرأة ومنحها حقوقها في التعلم ومسايرة تطور الحياة ، فقد نشر مقالا بعنوان (المرأة المسلمة والتربية) في الجزء العاشر من مجلة (لغة العرب) البغدادية الصادرة في شهر نيسان عام ١٩١٣ ، طالب فيه بتهذيب المرأة وتعليمها وهاجم اولئك المتشدقين الواقفين حجر عثرة في سبيل كل خطوة اصلاحية في ذلك العهد ، فكان لمقالته هذه رد فعل كبير في ذلك المجتمع المتزمت الجامد !!

الشبيبي شاعر الحزن والرثاء

ان من يقف على ما خلف لنا هذا الشاعر الكبير من قصائد ومقطوعات شعرية يجد ان القصائد

التي نظمها باكيا راثيا تتمثل بها الإصالة والإجادة والابداع ، ولعل مرد ذلك ما كان يحيط بحياته من شعور اليأس والحزن والأسى مبعثه عوامل شتى ، فقد كان رجلا لم يسعده ، ولا يمكن لمن تعجز بمثل اعصابه ان يكون سعيدا .فقد كانت(1) (اعصابه ملتهبة،وكانت مخيلته متحيرة واسعة فهو في حالة نفسية خاصة نشأت من عدم تكافؤ رغباته مع الواقع الذي يجد نفسه فيه ؛ ومن ذلك واقع وطنه الضعيف الحبيس . وهذا الاختلال سبب له اضطراب حياته وانعدام نصيبه من السعادة التي يرجوها ويرجوها كل انسان لنفسه، فكيف اذا ما كان برهافة حس الشبيبي الباقر) .

ونورد فيما يلي نموذجين من ذلك الشعر الحزين :

في رثاء أمير الشعراء

وفي الحفلة التأبينية التي اقامتها دار المعلمين الابتدائية بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاة امير الشعراء المغفور له احمد شوقي ، وقف الشيخ محمد باقر الشبيبي يقول

عجيبٌ ان يعيشك اسراب
ويرثيك أيها الشعر السحاب
فليست العاطفات درّوا سبب
بين ذهبوا هناك وكيف آبوا
شرُّوا يلحظون وانت عبور
وقد تلاصوا وانت أبو شهاب
تداعت العصور على مرور
ثلبته المآرب والرتاب

الى ان يقول :

وحدق في السماء وما تريبا
أتنشق حسن خلق ام مصاب
مصائبنا اذا عددت شتى
ونظم ما دعى هذا المصاب
اراك سكنت يا بحر القوافي
فأين هديرُ موجك والعباب

في رثاء أبيه

وفي قصيدته التي انشدها في (نادي القلم العراقي) عام ١٩٤٤ راثيا بها المغفور له والده الشيخ جواد الشبيبي قال

الذكرى أم على القبلة والعشر
تذكرها هل انت العقبة ام الذكر؟
ابي كيف استوحي الرثاء منكرا
لمطرة ان خانني الوحي والفكر
يقولون ابنه يشعره الـ
يلد له من قبله ان ينشد الشعر
سأنشده من مقلتيَّ قصيدة
برغم القوافي انها ابنع جنشر
واسكب احشائي عبرة من الاسى
شيئا واحشائي اذا سكبت جمر
معاني واسماني نعمت لعصر
وودع بالابيض وابتسم الثغر

ثم ينهى قصيدته عنه قائلا :

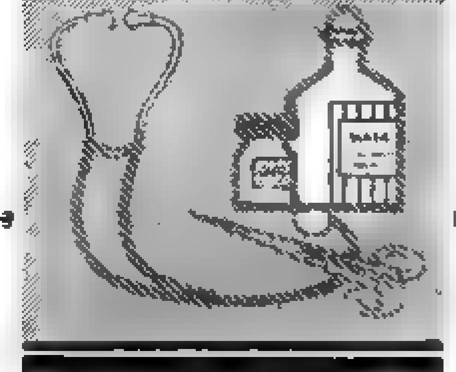
ابي انت انشئت الحياة فليهنها
تردد ولو انها يطلع الفجر
ابي انت مرآة العراق وذخره
اذا ذكر المرآة لو حقق الذكر
ومن لمة الاجيال مجدك واسعا
لمن لمة التاريخ ما ضمه الصدر

آخر الصفحات

ولقد شاءت ارادة الله تعالى أن يسدل الستار على حياة هذا الشاعر الثائر والشخصية العربية الفذة ، اذ توفاه الله يوم ٧ حزيران ١٩٦٠ اثر مرض عضال ذلك هو (مرض الربو) الذي لازمه اكثر من عشرين عاما ، فتركت وفاته في نفوس الكثيرين من محبي ادبه ومقدري فضله ووطنيته وجهاده ، موجة من الحزن والالم،فقد كان رحمه الله ثائرا جريئا وصحافيا ثائرا وسياسيا بارزا ومعارضا صعبا ، ترك له في سجلات الكفاح القومي والوطني صفحات نيرة مليئة بالمحامد والمفاخر ، كشفنا في ما مر من الصفحات عن جوانب لامعة من حياة هذه الشخصية الكريمة ، ونحن اذ نسأله تعالى أن يتغمد المرحوم الشيخ محمد باقر الشبيبي بواسع رحمته ، ونرجو ان نكون قد وفقنا بتعريف القارئ العربي الكريم بهذا الشاعر الثائر وهذا الذي نريد ..

بغداد ـ عبد الرزاق الهلالي

(1) من مقال للاستاذ خالد الدره عن هذا الشاعر الكبير نشره في مجلته (الوادي) في عددها الصادر يوم ١٨/٦/ ١٩٦٠ بمناسبة وفاته .





الأسرة

أنا مصاب بفقر دمي

● أرسلني الطبيب بعد فحصه إياي إلى المختبر ، لفحص الدم ، وتقدير مقدار الصبغة الحمراء فيه ، وعلما بأن عندي فقرا فيه ، فما هو المقدار الذي يجب أن تهبط إليه هذه الصبغة ليكون عند الإنسان فقر دم ؟

— قبل أن تسأل عن صبغة الدم ، يجب أن تذكر من أي شيء يتألف الدم . وعلى الأخص يجب أن تذكر أنه يتألف إجمالا من خلايا حمراء ، أحيانا تسمى بالكرات الحمراء ، هي وحدها التي تكون فيها صبغة الدم الحمراء ، ثم من خلايا بيضاء ، ومن سائل يعرف بالبلازما ، كذلك يجب أن تعرف أن عمل الخلايا الحمراء حمل أكسجين التنفس إلى خلايا الجسم لأكسدة الأطعمة التي يحملها الدم إليها ، وأن الخلايا البيضاء خفراء على الجسم تشتبك مع كل غريب يدخله للدفاع عنه .

وفقر الدم يتصل أساسا بالكرات الحمراء وما تحمل من صبغة حمراء .

والتحليل في المختبر يعني أولا تقدير هذه الصبغة المسماة بالهيموجلوبين وهي تظهر في نتيجة التحليل مقدرة بالجرام في كل مائة سنتي مكعب من الدم . ومقدارها في الشخص السليم يختلف بين الذكر والأنثى ، ويختلف قليلا باختلاف السن .

فإذا زاد مقدار الصبغة عن ١٧ جراما في المائة ، دل ذلك ، لا على فقر في الدم ، ولكن على عكس هو المرض نقيضه ، مرض كثرة هذه الكرات Polycythemia وله أسباب لا ندخل فيها الآن ، ونحن نقصر حديثنا على فقر الدم .

السرطان والرحم

● نصحتني صديقة جاءت من الخارج أن أجري كل عام فحصا يكشف عن إصابة الرحم بالسرطان أو عن سلامته ، وتقول أن ذلك ما تصنعه النساء في الغرب . فهل الطب يقضي هذا الفحص وإعادته كل عام ؟

— صديقتك لا بد عادت من كندا ، أو من أمة من أمم الغرب تقتدي بها . ففي كندا تجري النساء فحص الرحم كل عام ، عملا روتينيا . فيأخذ الفاحص حلية من خلايا عنق الرحم ينظرها بالمجهر فيتبين منها ، باكرا ، إن كان أصاب الرحم سرطان أو لم يصب . ومع التبكير يسهل علاج السرطان .

ولكن في هذه الحالة لا بد من الاستمرار في هذا الفحص سنويا

وهذا يجري في أمم الغرب في مراكز خاصة به . وكثير من مستشفياتهم أنشأت هذه المراكز لهذا الفحص خاصة.

واذا قل مقدار الصبغة عن ١٢ جراما في المائة سنتي المكعبة ، فذلك فقر الدم. فاذا نقص المقدار عن ٨ جرامات فمعنى ذلك ان انسجة الجسم لا تنال حاجتها من الاكسجين كاملة ، وعندئذ يقضي الطبيب بتقليل نشاط المريض . فان نقص المقدار الى ٤ حق ان يتوقف القلب ، وعندئذ لا تكون للمريض مكان غير الفراش .

على ان فقر الدم ، ضروب ، وله اسباب عدة ، تتطلب فحوصا للدم في المختبر اخرى .

الوقوف على الراس

●● سمعت من بعض الاصدقاء لا سيما الهنود ، ان وقوف المرء على راسه ، مقلوبا على الارض ، خمس دقائق كل يوم ، يفيد صحة الانسان في عمومها ، وعلى الاخص دورته الدموية . فهل هذا صحيح ؟

ـ هذا واحد من التمارين الرياضية المعروفة بـ « اليوجا » ، وهو تمرين لا شك طيب ، يعطي الصحة ، ويعطي القوة . ولكنه يضر بك ان كنت كهلا .

البيض ، كم هو بين الاغذيه ؟

● هل بامكانكم ان تحدثنا عن البيض من الوجهة الغذائية ؟ انهم يقولون انه غذاء كامل ، فهل هذا صحيح انهم يصفونه للاطفال الرضع حتى في الشهر الثاني .

ـ اما ان البيض غذاء كامل . فدليل ذلك ان البيضة ، لو دفئاها اياما عشرين او نحوها من بعد خروجها من الدجاجة لاستحالت الى كتكوت (فرّوج) . اذن فيها كل الغذاء الذي تحتاجه الحياة ، على الاقل الذي تحتاجه صناعة كتكوت.

والبيضة بداخلها نقطة صغيرة جدا هي في لغة العلم « البيضة » حقا وصدقا. وهي خلية صغيرة واحدة ، تتكاثر ، فينتج عنها المخلوق الذي نسميه كتكوتا، اما سائر ما في البيضة ، بداخل القشرة، فهو على كبر حجمه ، ليس الا غذاء .

والبيض يختلف حجمه،فمنه الصغير، ومنه الكبير . واذا نحن اتخذنا البيضة الاوروبية مثلا لوجدنا انها تزن في المتوسط نحوا من ستين جراما ، ثمنها قشرة ، والخمسة الاثمان بياض ، والثمنان الاخران صفار .

وقلنا ان البيضة غذاء كامل ، ولكن يجب ان نحدد هذا القول بان نقول انه كاف لصنع كتكوت ، ذلك ان البيضة من حيث انها غذاء ، تحتوي من عناصر الغذاء الرئيسية البروتين والدهن ، وينقصها العنصر الثالث (النشا والسكريات) فهو لا يكاد يوجد ، ومن اجل هذا تهدف النساء السمينات اللاتي يردن أن ينقصن من وزنهن الى التركيز على البيض طعاما ، كما يتركزن على اللحم من غير دهن .

والبيض به ، غير العناصر الاساسية للغذاء ، الاملاح المعدنية والفيتامينات في صفار البيض

٨ر٤٨ في المائة .. من الماء

٦ر١٦ في المائة .. من البروتين

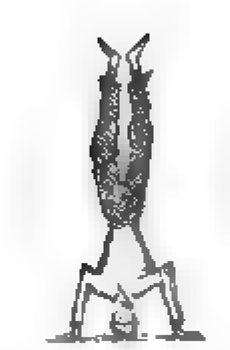
٦ر٣٢ في المائة .. من الدهن

٠ر[illegible] في المائة .. من الكربوادراتات (سكريات)

[illegible]ر١ في المائة .. من الاملاح المعدنية

ثم فيتامين أ ، د ، ك ، وفيتامينات ب وكذلك E

وفي بياض البيض :



وامثال هذه التمارين يبدأها أهلها من الصغر ، ويكبرون ، وقد تعوّدوا عليها . ففي هذا التمرين يهبط الكثير من الدم الى الراس ، فلا بد من تعود الراس على هذه الزيادة في الدم الجاري اليها ، وهو تعود لا يتم الا بالتدرج .

ثم ان الوقوف على الراس ، يحمل الرجلين ، عمل فيه يحتاج الى مران . فقد تحاوله على كبر ، فتسقط رجلاك وجذعك ، سقوطا قد يسبب لجسمك التواء يضر به .

اذا كنت شابا اطلب من صديقك الهندوكي أن يحدثك عن هذا التمرين ، وعن طوائف أخرى من تمارين « اليوجو » .

وأقول صديقك الهندوكي لأن الذي اعلمه أن « اليوجو » اسلوب من اساليب الفلسفة الهندوكية الارثوذكسية ، وهو اسلوب من معاهدة جميع الاسباب ، وهدفه من هذا الوجود ، في وحدة سبيلها هذا التمرين الرياضي وامثاله ، والتفس الموسوم ، وأوضاع يتخذها الجسم مختلفة ، وكذا الطعام المشروط ، وكذلك التأمل ، وقد يقضي فيه الانسان ساعات طوالا .

٨٦ر٨ في المائة من الماء
١١ر٦ في المائة من البروتين
٢ر٠ في المائة من الدهن
٤ر٠ في المائة من الكربوايدراتات (سكريات)
٨ر٠ في المائة من الاملاح المعدنية
ثم فيتامينات ب

وهذه متوسطات تحاليل اجريت على البيض ، وقد تختلف فيما بينها ولكن قليلا .

ويقدر المختصون في تقدير حاجات الاجسام من الاغذية فيقولون ان بيضتين من مثل هذا الحجم تفي للبالغين من بني الناس بالنسب الآتية من حاجاتهم اليومية

١٦ في المائة من البروتين
٦ في المائة من الاسعار الحرارية
٧ر٥ في المائة من الكلسيوم
١٨ في المائة من الفسفور
٢٧ في المائة من الحديد
٢٠ في المائة من فيتامين أ
١٦ في المائة من فيتامين ب ١
٢٠ من فيتامين ب ٢
٢٤ في المائة من فيتامين د

الاشعة ، هل تضر اسناني

● في هذه الايام اكثر اطباء الاسنان من استخدام الاشعة في الكشف عما في الاسنان من تسويس ، وقد بدأت تحدث عندي من هذه الاشعة ريبة ، فهل هي تضر بالاسنان ؟

ــ اما قولك « هذه الايام » فغير صحيح ، فالكشف عن فساد السن بالاشعة السينية امره قديم واقول انه قديم لاقول من بعد ذلك أن استخدامه هذا الطويل لم تنتج عنه شكوى . وهو لا يضر ، وذلك لان الشعاع المستخدم في كشف السن الواحدة شعاع رفيع ، لأن السن قليلة المساحة . ثم الكشف يحدث خطفا ، فلا يكاد الشعاع ينطلق حتى ينطفىء .

لا . لا خوف من أشعة س . انها عين الطبيب يرى بها ما لا تراه عين . وهي اداة من أدوات الطب كبرى .



لماذا هذا الجمود من جانب الآباء ؟

عن مجلة « الثقافة » القاهرة

● لماذا يقاوم الآباء الأساليب الحديثة للتربية ولماذا هذا الجمود من جانب الآباء ؟ والجواب على ذلك ان هؤلاء الآباء لا يعرفون بديلا لأساليب التربية التي خبروها عندما كانوا اطفالا ، والتي كان يستخدمها آباؤهم ، ولا يعرفون اي اسلوب آخر يفضلها . وهؤلاء الآباء يرون ان أساليب التربية القديمة هذه قد استخدمت معهم من قبل ونجحت فلم لا تنجح مع ابنائهم ؟ اضف الى ذلك ان اساليب التربية القديمة تتميز عن الأساليب الحديثة بسهولة التطبيق ، اذ تقوم اساسا على الطاعة العمياء من جانب الأبناء لأوامر الآباء ، كما ان الآباء في ظل التربية التقليدية يقومون بعمل القرارات الهامة لأبنائهم فهم يقررون لكل منهم نوع التعليم الذي يلتحق به ونوع مهنته ، ويقررون له نوع العمل او المهنة التي يلتحق بها ، ويحددون له وقت الزواج ويختارون له الزوجة ، وغير ذلك من القرارات الهامة . والآباء عندما يقومون بعمل القرارات الهامة لأبنائهم ، دون اشراكهم في عمل هذه القرارات ، فانهم يفعلون ذلك لاعتقادهم انهم اكبر من ابنائهم سنا ، وبالتالي اكثر منهم خبرة ، وبالتالي اكثر قدرة على عمل القرارات الصحيحة.

وجمود الآباء ومقاومتهم لتيار التغير يعرض الأبناء للكثير من المشكلات والصراعات النفسية ، وقد يؤدي بهؤلاء الأبناء الى طريق الانحراف ، اذ كثيرا ما يستمر الآباء في جمودهم فيصرون على فرض آراء معينة على أبنائهم تبدو غريبة ومتناقضة مع ما يجري في المجتمع الذي يعيش فيه هؤلاء الأبناء.

وقد يصر بعض الآباء على استخدام نفس اساليب المعاملة مع ابنائهم غير مقدرين ان الأساليب التي يستخدمونها مع ابنائهم يجب ان تختلف باختلاف مراحل نمو هؤلاء الأبناء . فأسلوب معاملة الطفل يختلف عن اسلوب معاملة المراهق ، واسلوب معاملة المراهق يختلف عن اسلوب معاملة الشاب ، وهكذا . ولعل هؤلاء الآباء في أشد الحاجة الى برنامج توعية لتبصيرهم بمختلف التغيرات التي تحدث في المجتمع الذي يعيشون فيه ، وبمختلف التغيرات التي تحدث في ابنائهم وصلة ذلك بأساليب تربية الأبناء ، وفي حاجة لأن تقدم لهم وعلى البرامج التربوية التي يستخدمونها.

مناورة بريطانيا السياسية لتغطيه

من جريدة « الجمهورية » العراقية

● وسيلة ماسة جنوب افريقيا السياسية ان تسعر هذه المرة لروديسيا وعلى ايدي البريطانيين انفسهم ايضا ، وبالطريقة ذاتها دون اقل تحوير ، وان ظاهرت حكومة لندن بغير ذلك ، بقصد ان تنسب نجاح الخديعة والخطة الخبيثة التي وضعتها . فالمعارضة الناعمة الرقيقة ما هي الا تمويه وتضليل وقد تكون تحسبا محتملا لتطورات العواقب ، بغية التنصل منها .

فمنذ مدة طويلة وبريطانيا تمارس سياسة التمييز العنصري في روديسيا عن طريق هؤلاء الحكام التابعين لها ، وهم اليوم يريدون الانفراد

ذابح العصافير يبكي ..

من محطة صوت الخليج الكويتية

● في احدى خطبه الاخيرة قال الرئيس جونسون: « انا لا اريد ان اكون رئيسا يقيم الامبراطوريات وانما الرئيس الذي يشبع الجياع ويساعد الفقراء ، ويمحو الكراهية بين مواطنيه ، ويمحي الحرب بين الاخوة على الارض » ..

وهذا كلام جميل .. ولكن جونسون الذي يريد ان يشبع الجياع ، يطعم الانسان في فيتنام موتا ودماء ، وبدلا من ان يعمل على انهاء الحرب على الارض يشجع العدوان الغادر حيث وقع ، ويزود الغاصبين في فلسطين بالصواريخ ، لكي يقتلوا بها الابرياء ويسرقوا مزيدا من الحقوق . وبدلا من ان يساعد على انهاء الكراهية بين مواطنيه يرسل جنوده الى الدومنيكان لفرض البطش والحقد واراقة الدماء !

من اجل ذلك فان الشعوب حين تسمع هذا الكلام من رجل كجونسون ، فانها ترفضه ، وتجده لا يساوي قيمة الورقة التي طبع عليها ، لانها ترى في جونسون صورة الصياد الذي كان يذبح العصافير وهو يبكي !

الاستعمار بالتميز العنصري

والاستقلال بهذه السياسة العدوانية الظالمة ، لابعاد المسؤولية عن حكومتهم المركزية من ناحية ، ولابقاء سكان البلاد مستعبدين للبيض الظالمين من ناحية اخرى ، والغاية تعزيز سياسة التميز العنصري في جنوب افريقيا .

والظاهر ان الاستعمار البريطاني الجديد اخذ شكل تشجيع سياسة التميز العنصري ، وتحكم الاجانب الدخلاء باهل البلاد لتلعب بريطانيا دورها المعهود من وراء ستار ولذلك طبقت هذا الاسلوب في ارجاء كثيرة وحققت لانفسها مصالح عظيمة ، فلا غرابة اذا سلمت مصير روديسيا الى عناصر بريطانية او الى موظفيها الذين استوطنوا البلاد .

منظمة التحرير في لحظة الخطر

عن جريدة المحرر اللبنانية :

● الحديث عن قضية فلسطين كان منذ سبعة عشر عاما حديث العرب اجمع كقضية عامة . وقد خاض الفلسطيني معارك الوحدة العربية ومعارك الاستعمار . وسواء أكان هذا الخوض خطوة في سبيل قضيته أم لم يكن ، فان ذلك لم يدفع بقضيته خطوة في طريق العودة . في مدى سبعة عشر عاما لا تستطيع اية فئة او منظمة ان تدعي انها قامت بعمل ناجح في سبيل القضية اللهم الا في تعداد المنتسبين لها وخوض المعارك الجانبية !

ان التحرير لا يستدعي استجداء كما انه ليس من المطلوب من مواطن في الصعيد او فلاح في الجزيرة ان يسترجع لي وطني ، بينما الفلسطيني يطالب بمركز في المنظمة ، او يحارب في سبيل زعامة هذا او ذاك .

ان التحرير بحاجة الى ثورية ودماء وشهداء وما كل الناس تؤمن بذلك . ان ثورة الجزائر بدأت بأفراد قلائل ولم تنتظر التأييد الاجماعي وانما وضعت يدها بيد المؤمنين بها وكسبت معركة التحرير . ان « هوشي منه » قد طرد فرنسا من بلاده وهو سبيل طرد امريكا ، ولم ينتظر اذنا من الاتحاد السوفياتي او الصين . ان تحفظ اي دولة عربية قد يكون له مبرره ، اما منظمة التحرير فما هي مبرراتها ؟ ماذا لدينا لنخسره بعد ان خسرنا اغلى ما كنا نملك ؟

كلية



المعلمات

المصنع الذي يصنع
مدرسات الجيل الصاعد في الكويت

كل فيما هو أؤمن به وأقدر عليه .

ولقد هيأت حكومة الكويت الأسس التي ساعدت المرأة الكويتية على التخلص من الكثير من النظم والتقاليد التي كانت تجعلها حبيسة منزلها : تجلس خلف شباكها الخشبي الموصد وتنظر من خلال ثقوبه الى عالمها الذي لم يكن يتعدى الشارع الذي تقيم فيه !.

لقد انكسر القيد ولم تعد المرأة تجلس هذه الجلسة العارقة ، وهي منحوبة على مصيرها الذي كانت ترسمه كلمة تصدر من فم الرجل ، أبا كان أو زوجا ، دون مناقشة أو سؤال ..

في السنوات القلائل الأخيرة نالت المرأة الكويتية الكثير من حقوقها بعد صراع عنيف بدأ يظهر منذ عام ١٩٥٥ ، عندما قامت بعض طالبات المدارس بطرح ما على وجوههن من « البوشيات » « البراقع » واحرقتها .. وقامت الصحف بين مؤيدة ومعارضة .. البعض ينادي : « كفاك صبرا ايتها الزميلة » .. والبعض يقول : « لا سفور[1] ، وحذار أن تنسى الزمن في بيئة مثل بيئتنا » .. وارتفع صوت وسط يقول : « يجب علينا أن نبدأ السلم خطوة خطوة ، وكل درجة نخطوها يجب أن يكون العقل رائدنا والاتزان نصب أعيننا » .



مدخل مبنى كلية المعلمات ، انه مبنى مؤقت الى ان يتم بناء المبنى الجديد

مدرسة للمعلمات

حرية طلبتها الفتاة الكويتية ، فكانت .

ولكن لا حرية اذا لم تسندها من ورائها تربية ويسندها تعليم . لهذا عاصر مطالب الحرية هذه فتح مدارس للبنات كثيرة ، بلغت ٦٢ مدرسة ، بها ٢٢٢٦٨ طالبة .

ولكن لا مدارس بدون مدرسات . وقد استعارت الكويت الكثيرات من المدرسات ، من العربيات الشقيقات . ثم آن الأوان لتنشئة جيل من المدرسات الكويتيات يحللن محل المدرسات الشقيقات ، فكان أن فتحت وزارة التربية كلية للمعلمات لتخريج مدرسات يقع عليهن عبء تعليم تلميذات الروضة والابتدائي في المستقبل القريب ان شاء الله .

وحتى تحقق هذه الكلية الغرض المنشود منها قامت وزارة التربية الكويتية باختيار ٣٥ مدرسة من خيرة مدرسات الجمهورية العربية المتحدة كلهن مؤهلات تأهيلا عاليا .. وعلى رأسهن المربية بسمة نور الدين التي أمضت ٢٥ سنة في تدريس الفتاة منها عشر سنوات عملت خلالها ناظرة لمدرسة المعلمات بالقاهرة ، تخرج على يديها خلالها عشرة أفواج من المدرسات العربيات

---

(١) السفور هو التبرج والمتاجرة بالمفاتن .

تخت عربي كامل ، مكون من طالبات شعبة التخصص في التربية الموسيقية .. وفي مقدمة الصورة إحدى الطالبات تعزف على آلة القانون بإجادة وإتقان ، بالرغم من أن القانون من أصعب الآلات الشرقية .. هذا مع ملاحظة أن الفتاة لم يمض عليها سوى عام دراسي واحد



.. والآن جاء دور الفتيات الكويتيات ليتخرجن مدرسات كفيئات على يديها ، ويستفدن من تجاربها ..

المسئولية الفردية .. والمحبة

وتتحدث السيدة سمية فتقول :

« أفضل وظيفة للفتاة هي أن تصبح مدرسة ، لأن التدريس يكمل وظيفتها في المنزل فيجعلها أما صالحة من جميع الوجوه .

« إن الذي تتعلمه الفتيات الكويتيات هنا ليس تعليما بل تربية .. إننا نربيها ونشئها لتستطيع أن تربي الجيل الجديد من بنات البلاد .. وعندما تصبح أما في المستقبل فسوف يقع عليها عبء تربية أطفالها تربية سليمة ، وهذا بالتالي سيحقق روحا جديدة في المجتمع الكويتي العربي ..

إننا ننمي في فتياتنا روح المسئولية الفردية ، مع الإبقاء على روح المحبة والتعاطف في الأسرة » .

امرأة خلف كل رجل ناجح

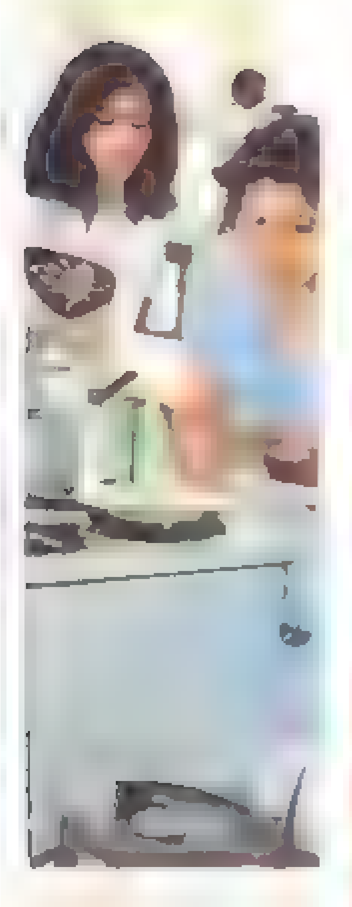
وسألناها : « **ولكن من الرجال من يقول لماذا هذا التعب ؟ ألا يكفي المرأة أن تتعلم القراءة فقط ؟** » .

فقالت :

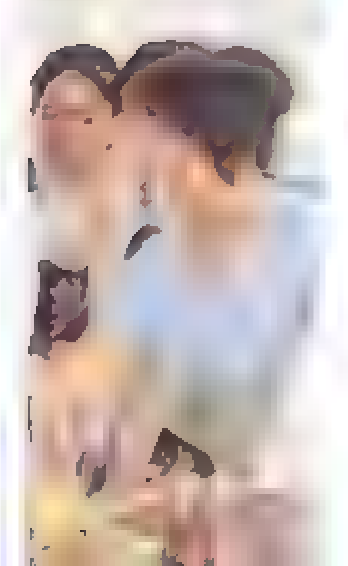
ـ « أنا لا أفهم لماذا يصر بعض الرجال على التفريق بين الرجل والمرأة ! إننا نتساوى معهم ، في سعة العقل وسلامة التفكير والإنتاج في الميادين المختلفة .

« إن تعليم المرأة العربية هو الطريق









صور « اوسكار »



الرئيسي لتقدم العرب ، ولا ننسى قولهم: ان خلف كل رجل ناجح امرأة متعلمة » .

سؤال .. وسؤال !

وتحدثنا بالحديث الى كليه المعلمات فسألت الناظرة « **هل تعتقدين ان الفتاة الكويتية قد استفادت من دراستها في الكلية ؟** » .

فقالت المربية الكبيرة « هذا ما اريد ان اعرفه منكم ، بعد جولتكم في فصول الكليه » ..

كل تتخصص فيما تريد

لقد ارتفع عدد الطالبات في كليه المعلمات الى ٢١٦ طالبة خلال هذا العام، والسبب هو السمعة الطيبة التى تتمتع بها الكلية بين الاسر الكويتية .

ان الفتاة هنا لها مطلق الحريه في ان تختار ما تريد ان تتخصص فيه .. فاذا ارادت التربية الفنية فمرسم الكلية الغني بادواته ومعداته ومدرساته كفيل باشباع هواياتها وميلها ..

واذا ارادت التخصص في التربية الموسيقيه فعليها ان تختار آلة اضافية، كالعود او الكمان او القانون او الاكورديون، بالاضافة الى آله البيانو كآلة اساسيه تعليمية في التربية الموسيقية لتتدرب عليها وتقوم نخبة ممتازة من خريجات المعاهد العليا الموسيقية التربوية بتدريس هذه المادة .

واذا ارادت طالبة الكلية التخصص في التربية الرياضيه فان ملاعب الكلية الداخلية والخارجية المزودة باحدث المعدات والادوات مع مجموعة المدرسات المتخصصات تؤهلها لتكون مدرسة تربية رياضية من الدرجة الاولى في المدارس الابتدائيه .

علم النفس ضروري

اما ماده التربيه وعلم النفس فهى ماده اساسية في الكلية ، تقول عنها السيدة صفية العطار المدرسة الاولى للتربيه وعلم النفس والاجتماعيات :

« تهدف كليه المعلمات الى تخريج مربيات يقمن بتربية الاطفال في المرحلتين الابتدائيه والرياض ، ولكى تنجح المعلمة في عملها يجب ان تلم بخصائص نمو الطفل وطبيعته وحاجاته النفسيه



يقرأ الاستماع كلية المعلمات ، التى تتكون من ربعه مبان ، ولكى تسهل الاتصال بين الادارة ومختلف الاقسام ، زودت [illegible] وزارة التربية ادارة الكلية بآلة « ديكتافون » تسهل الاتصالات الداخلية. ونرى هنا السيدة [illegible] مديرة الكلية ومعها الآنسة سعادة حشان وكيلة الكلية ، امام هذا الجهاز



من نشاط الطالبات في الجمعيات المختلفة عمل مجلات للحائط لمختلف المواد . ونرى هنا بعض طالبات جماعة التربية وعلم النفس عند مراجعة وتنسيق المجلة الحائطية الخاصة بمادة التربية

والاجتماعية ، كما يستلزم عملها الالمام بطرق التدريس المختلفة ، والوقوف على النظريات التربوية الحديثة حتى تتمكن من معاملة الطفل بما يناسب ميوله وقدراته واستعداده . وتساعده في التغلب على مشكلاته المختلفة التي قد تسبب تأخره الدراسي ، وتعيق نموه في مختلف النواحي .

وتطبيقا للدراسات النظرية في التربية وعلم النفس ، تقوم الطالبات بالتمرين العملي في مدارس رياض الاطفال ، وفي المدارس الابتدائية . ويبدأ تمرين طالبات

[illegible]



الفصل الثاني في مدارس الرياض في النصف الثاني من العام الدراسي ، بعد أن تتلقين دروسا في الطرق الخاصة للتدريس في الصف الاول من العام .

اما طالبات الفصل الثالث ، بالكلية ، فيقمن بالتدريب العملي في الرياض في النصف الاول من العام ، ثم يتدربن في المدارس الابتدائية في النصف الثاني منه .

والى جانب التخصص تتلقى الفتيات دروسا في اللغتين العربية والانجليزية .

ولقد عدل نظام التعليم في الكلية فاصبح اربعة أعوام بدلا من ثلاثة ، لان الفتاة تزداد كفاءتها كلما تخصصت اطول في هذا المصنع الذي يصنع مربيات الجيل الصاعد في الكويت .

تلميذة ورائدة ومشرفة

وحتى تبرز شخصية الفتاة وتتعود على القيادة ، أصبح لكل فصل رائدة من بين الطالبات هي المسئولة عن تصرفات المشرفات الرياضيات والاجتماعيات والثقافيات والصحيات اللواتي يخترن من بين الطالبات كذلك . اما المدرسة فتكون بمثابة مربية وموجهة لهن .. والرائدة هي التي تعرض عليها مشاكل العمل ، فتحلها او تأخذ رأي المربية فيها ..



يقام في آخر كل عام دراسي ، معرض لجميع أوجه نشاط طالبات الكلية . وتقوم وزارة التربية بامداد الكلية بالخامات اللازمة لاعداد هذه المعروضات التي تشمل معارض وملابس ومريلات وسرايا ومشغولات وحلوى ولوحات ورسومات . وفي الصورة بعض طالبات قسم الحياكة امام [illegible]



ركن آخر من معرض هديه السنه ، وتبدو فيه انتاج طالبات قسم التربيه الفنيه

اسر المجد والوفاء

وتوزع طالبات الكلية على ثماني أسر تحمل كل اسرة منها اسما هادفا ، مثل اسر المجد ، المحبة ، التعاون ، النصر ، السلام ، الوفاء ، النجاح .. وهـــذه الاسر تتنافس فيما بينها في شتى المجالات الثقافية والرياضية والاجتماعية .

وتشترك طالبات الفصول الثلاثــة بالكلية في كل أسرة ، التي ترأسها احدى الطالبات تحت اشراف المدرسة ، وتختار السكرتيرة من بين الطالبات .

نظام الاسرة

ولم تقتصر دور الطالبة على هذا ، بل اصبحت تشـــترك في اجتماعات ادارة الكلية ، وتشرف على طوابير الصباح ، وعلى نظافة المدرسة ، وترتيب المباريات والحفلات الرياضية والثقافية .

والهـدف من هـذا هو ان تستطيع الطالبة ان تتعود على نظام الاسرة وعلى نظام الحكم الذاتي ..

الفتاة الكويتية لم تعد عضوا مشلولا

ان التطور الذي تمر به الكويت يمكنها من القول بان فتاة الكويت لم تعد عضوا عاطلا في المجتمع ، لانها دخلت الى العصر الذي تعيش فيه من أوسع أبوابه .. الا وهو التعليم ..

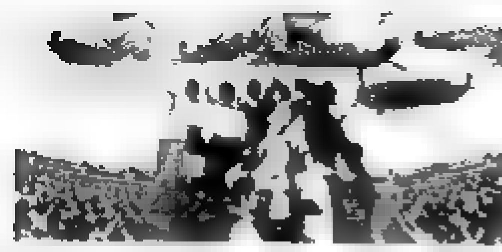
ان طالبات الكلية اللواتي يبلغ عددهن ٢١٦ طالبة سيقمن بعد تخرجهن بتربية تلاميـــذ وتلميذات رياض الاطفال ، وتلميذات المدارس الابتدائية لتصبحن مواطنات كويتيات صالحـات لهن نفس الحقوق وعليهن نفس الواجبات .

* * *

ويبقى بعد ذلك السؤال:هل استفادت الفتاة الكويتية من دراستها في الكليه ؟

والاجابة نتركها لك بدورنا أيهـــا القارىء بعد ان تلقي نظره على الصـــور المنشوره مع المقال .

س. ز.



حضارات سادت ثم بادت

الكليسيوم .. الأثر الروماني القديم

مسرح وملعب ، ومعترك للجلاد في آن ، وأحيانا ينقلب بحرا يجري فيه بين السفن وقائع

■ هذه قصته ، بعد أن نشرنا صورته في الصفحة الثانية من هذا العدد .

هذه الصورة بالطبع صورة لرسام حديث ، تخيل ما كانت عليه الحال قبل نحو الألفين من الأعوام ، ثم رسم .

وأنت تنظر الى الرسم فتحسب انك تنظر الى بحر ، تتحرك فوق مائه سفن حربية ، وما هو بذلك . انهم ملأوا ساحته بالماء ، وجاءوا بالسفن والرجال ، ومع الرجال الحراب . وحول المدرج الدائر ! – وهو يتألف من عشرين صفا من المقاعد بعضها فوق بعض – جلس خمسون ألفا يتفرجون على تلك الواقعة البحرية الدائرة . وتدور الحرب بين المتحاربين بعنف لا هوادة فيه . يقتل من يقتل ، ويغرق من يغرق . والجمهور يصيح ابتهاجا لكل ضربة تطرق سمعا ، ولكل انسان يغرق . هكذا كان اسلوب العصر في استمتاعه .

وكان الجمهور يستمتع بأكثر من ذلك اذ ساحة القتال جافة لا ماء فيها ، حين كان يتصارع عليها المجالدون ، جلاد يصارع جلادا . وان ضرب احدهما وأفلت ، صاح الجمهور اشمئزازا ، وان ضرب وأصاب صاح الجمهور راضيا مبتهجا . ويصارع الرجال الوحش من الحيوان . ويخرجون الأسود الى المعركة وهي جائعة . وليفتك من يفتك ممن يفتك ، والأسرى ، والمسيحيون الأوائل خاصة يلقون بهم في « الأرينة » الى السباع ، هكذا جهارا نهارا ومائة ألف عين تنظر ، وتغتبط !

نوع من المدنية قام من زمن بعيد ، جاءت من بعده مدنية ثم مدنية ، فهل قرت فيها النفس بالدم ، يسيل من اجسام البرية ، حتى والحرب في مكافئة كتلك التي كانت بين الأسرى والسباع ؟!

ان الكليسيوم لا يزال في وسط مدينة روما اليوم قائما ، أثرا يزوره كل عام ألف ألف من الناس . وقد ذهب أكثره ، وذهب أفخمه .

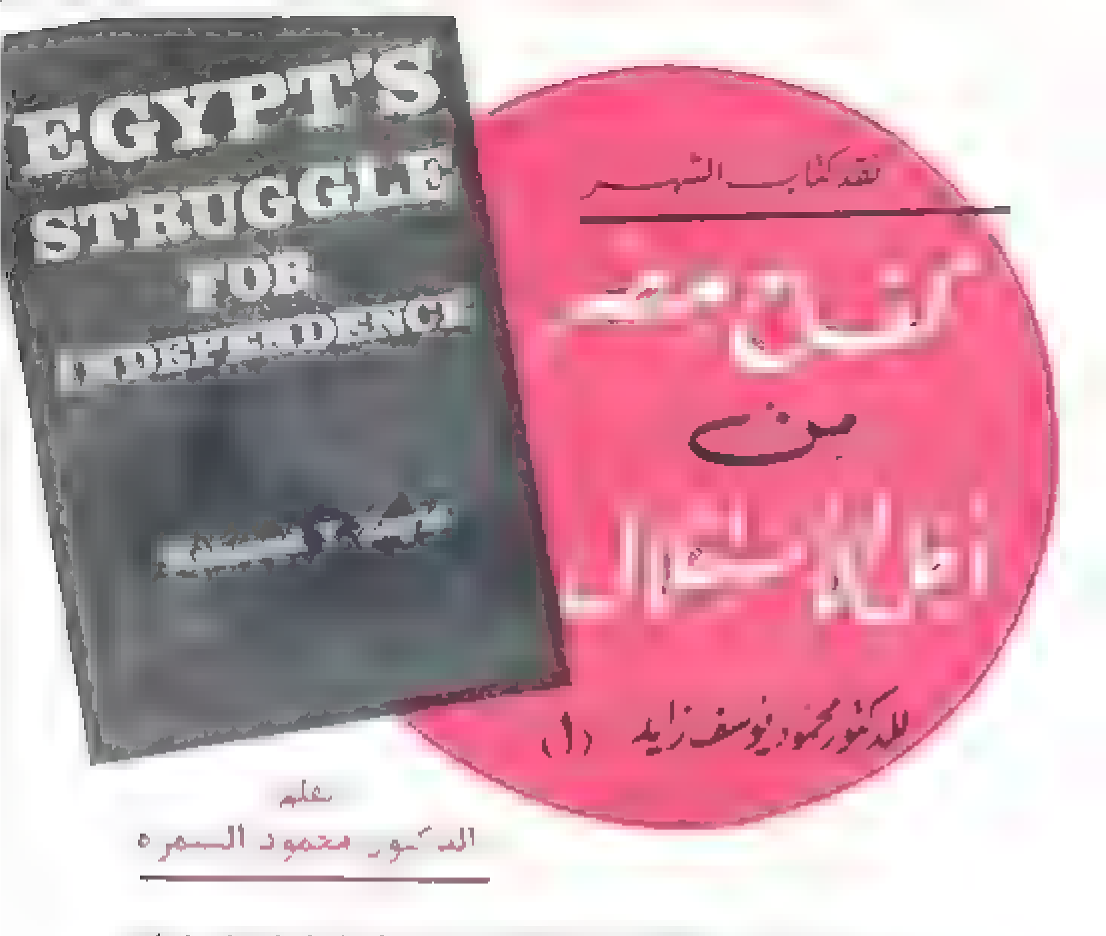
بناه الامبراطور الروماني فسباسيانوس Vespasianus ، الذي حكم من ٦٩ الى عام ٧٩ من التاريخ الميلادي وأتمه ولده الامبراطور تيتوس في سنة ٨٠ ميلادية .

انه اليوم هيكل من الحجر ، ومقاعد من الآجر عارية ، وكانت قبل مكسوة بالرخام . وحمل الرخام حاملوه ، في ثنايا التاريخ ، وحملوا حجره ، وبنوا به ما بنوا من منازل ومصانع ومقابر .

واسمه الكليسيوم Colosseum او Colisseum وهي من اللغة الاغريقية Kolossos ومعناه الضخم . لقد كان أضخم ملعب عرف في ذلك الزمان . وقال قوم بل هو سمي بذلك من أجل تمثال ضخم للامبراطور والطاغية نيرو Nero ، الذي سبق وحكم في روما من عام ٥٤ الى عام ٦٨ . فلما أحرق روما (أو أحرقها غيره ؟) ، ولما فتك بأصدقائه ، ولما أرعبوا قلبه ، ولما أعلن مجلس الشيوخ أن نيرو عدو الدولة ، لم يكن لنيرو المجنون غير الانتحار سبيلا . وخربوا من بعد ذلك قصره ، « قصر الذهب » ، وحملوا تمثاله الضخم الى حيث قام بناء الكليسيوم بعد ذلك .

والكليسيوم نفسه انما بني في الحدائق الواسعة التي كانت لهذا القصر ، قصر الذهب قصر نيرو .

ولأن الكليسيوم كان مسرحا ، فقد سميت بعض المسارح التمثيلية في بعض أمم أوروبا بهذا الاسم . ■■



بقلم

الدكتور محمود السمره

● « اذا كنا نهدف الى تحطيم انجلترا ، فان علينا ان نجعل من انفسنا سادة لمصر » [illegible]

وقد وجدت بريطانيا فرصتها مواتية في مصر في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، اما في بلاد الشام والعراق فكان لابد لها من [illegible] طور النزع في الامبراطورية العثمانية . وقد [illegible] لها هذا عندما اشتبكت القوى الغربية في الحرب الاولى . وهي حرب لم تضع اوزارها الا من بعد تحطيم وصائل الامبراطورية العثمانية ، والتي كانت الدول الغربية تطمع منها [illegible] والظفر من الغربية بنصيبه . ولم تجد بريطانيا وفرنسا لحظة للانقضاض الا عندما [illegible] على ان لم [illegible] ، وقسمت الغربية كاملة بين [illegible] الفاتحين الى مستعمرات ،

(1) Mahmud Y. Zayid Egypt's Struggle For Independence, Beirut, 1965

والصديقة الحميمة للباب العالي .

ولقد كان الخديوي اسماعيل هو المبرر لتدخل بريطانيا وفرنسا في شؤون مصر : حيث اوقع البلاد في ضائقة مالية بسبب اسرافه ، وباع اسهم مصر في قناة السويس للحكومة البريطانية . ولما عجز عن السداد اتحدت بريطانيا وفرنسا ، ووضعتا انفسهما رقيبتين على الخزينة المصرية . ولما عزل الخديوي اسماعيل ، حل ابنه الخديوي توفيق مكانه ، وكان السير ايفلين بارينغ (لورد كرومر فيما بعد) ممثل بريطانيا في مصر ، ومعه ممثل فرنسا في مصر ، كانا هما الحاكمين للبلاد فعلا .

ولقد سرى التذمر بين المصريين بسبب سوء الحكم ، ورقابة الدول الغربية على مصر ، فكانت ثورة احمد عرابي ، الفلاح المصري ، الذي اصبح وزيرا . هنا وجدت بريطانيا الفرصة سانحة لاحتلال مصر ، وانفردت دون فرنسا فأمرت اسطولها بالتوجه الى الاسكندرية ، فضربها بالمدافع ، وقضى على حركة عرابي بعد معركة التل الكبير ، وارسل عرابي الى المنفى ، وعاد الخديوي الى القاهرة ، ودخلت بريطانيا مصر فاتحة عام ١٨٨٢ ، وعين لورد كرومر قنصلا فيها عام ١٨٨٤ ، وبقي هو الحاكم الفعلي لمصر حتى يوم استقالته عام ١٩٠٧ (١) .

وبقيت بريطانيا منذ احتلالها لمصر عام ١٨٨٢ حتى عام ١٩٣٦ تبحث عن مبرر شرعي لوجودها في مصر ، الى ان تم لها هذا بعقد معاهدة سنة ١٩٣٦ بينها وبين مصر . والمراحل التي مرت بها القضية المصرية خلال هذه الفترة من تاريخها ، هي موضوع هذا الكتاب القيم ، مع التركيز على معاهدة ١٩٣٦ .

المؤلف والكتاب

والمؤلف هو الدكتور محمود يوسف زايد ، احد اساتذة تاريخ العرب في الجامعة الامريكية ببيروت ، وقد درّس ، من قبل ، ودرس في جامعة ييل ١٩٥٥ بالولايات المتحدة الامريكية .

والكتاب في سبعة فصول وخاتمة . والفصل الاول مقدمة تاريخية تعرض فيها المؤلف للاحداث التي ادت الى ثورة عرابي وهزيمته واحتلال بريطانيا لمصر . وفي الفصول التالية يتناول المؤلف المحاولات التي بذلتها بريطانيا للحصول على مبرر قانوني لوجودها في مصر ، وكيف ان هذا قد تحقق بمعاهدة ١٩٣٦ .

ويبدو في هذا الكتاب الجد في البحث والاتزان في اصدار الاحكام ، والسعي الى استقاء المعلومات الدقيقة من مصادرها الاصلية . ومن مصادره والتي لم يتناولها الدارسون من قبل .

ويمكن ايجاز الافكار الرئيسية في الكتاب فيما يلي :

منذ ان دخلت بريطانيا مصر محتلة لم تكن تفكر ابدا في الانسحاب منها ، ولكن وجودها في مصر كان يثير حفيظة الدول الكبرى واعتراضها، ولا سيما فرنسا . ولكنها استطاعت سنة ١٨٩٠ ان تتغلب على معارضة المانيا بمنحها امتيازات كثيرة . وجرت مساومات سياسية انتهت عام ١٩٠٤ باعتراف فرنسا بحق بريطانيا في ان تبقى في مصر ، كما سحبت كل من روسيا وايطاليا والنمسا اعتراضها على انفراد بريطانيا في حكم مصر .

وفي عام ١٩١٤ خطت بريطانيا خطوة اخرى نحو تثبيت حقها في حكم مصر ، فخلعت الخديوي عباس الثاني ، واعلنت وضع مصر تحت حمايتها. ولكن الشعب المصري بقي غير معترف بالحكم البريطاني ، وكانت ثورة ١٩١٩ . وكان للوطنيين اعتراضات كثيرة على بريطانيا : فهي لم تف بوعدها بان تخرج من مصر بعد ان تستتب الامور وذلك بعد ثورة عرابي ، وهي اثناء وجودها قد اهملت التعليم ، وحالت دون نشوء حياة برلمانية

(١) وقد توفي عام ١٩١٧ .

ولم تكن بداية خطوة لإلغاء الامتيازات الأجنبية ، وهي أخيرا قد اغتصبت السودان .

وقد بدأت بمباحثات زغلول – ملنر Milner سلسلة من المباحثات المصرية – الإنجليزية انتهت بعقد معاهدة ١٩٣٦ . وتفاصيل هذه المباحثات ، ومناقشة نصوص الاتفاقيات ، هو الموضوع الأساسي لهذا الكتاب . وكان السبب الأساسي الذي جعل مصر تسرع في عقد معاهدة ١٩٣٦ ، هو الحرب الإيطالية – الحبشية ، لأن مصر خشيت أن تتورط بريطانيا في الحرب ، وعندئذ تورد أبناءها إلى الحرب ، فيكونون وقودا لها ، كما تنفق بريطانيا من الخزينة المصرية على الحرب دون وجود ما يمنعها من ذلك . أما بريطانيا فقد وافقت على هذه المعاهدة لأنها خشيت أن تثير الاضطرابات المصرية ضدها ، وبهذا تواجه ثورة عارمة كما حدث عام ١٩١٩ وعام ١٩٢٤ .

وحسب هذه المعاهدة فقد أصبح وجود بريطانيا في مصر قانونيا ، كما منحتها المعاهدة حق إبقاء قوات في منطقة القناة للدفاع عن قناة السويس . وقد رضيت مصر بهذا مقابل تخلصها من الامتيازات الأجنبية ودخولها عضوا في عصبة الأمم . وعلى كل حال فإن مصر كانت ترى في المعاهدة خطوة إلى الأمام في سبيل تحقيق الاستقلال الكامل .

هذه هي الأفكار الرئيسية في هذا الكتاب .

وقفة لا بد منها

لقد كان من اعتراضات الوطنيين على بريطانيا أنها أهملت التعليم ، ولم تحاول أن ترفع من مستوى الفرد المصري . وهو اعتراض في محله ، وإن كان جل من كتب تاريخ مصر الحديث من الإنجليز ينكر هذا ، ويرى ضده . وأنا أعجب أن ألف منذ حكم كرومر لمصر بالذات لأن الشائع عند الأجانب أنه من رجال الفكر ، وأنه منح حرية القول للمواطنين ، ونظم الإدارة المصرية تنظيما محتذيا على غرار الإدارة الإنجليزية ، وزاد من قدرة الأرض المصرية على الإنتاج . ولم يغفل مؤلف الكتاب عند كرومر محللا ودارسا لأعماله بالتفصيل ، ولعل السبب في هذا هو أن دراسته إنما تعنى أولا بالاتفاقيات والمعاهدات .

ولورد كرومر مثل واضح على العقلية الفيكتورية التي تحكمت في عصرنا زمنا ، وهذا ما نهدف إلى توضيحه . فهو يتحدث في كتابه « مصر الحديثة Modern Egypt » وكتاباته الأخرى ، عن تأخر الشرق العربي ، ويعزو هذا التأخر إلى الدين ، وهو رأي متسرع لم تدعمه الدراسة الكافية . وقد انتبه لهذا بعض الكتاب الغربيين فوصفوه بأنه « حاقد على الإسلام ، يتحدث عنه حديث من لم يعرفه » . ومبعث هذا التجني من جانب كرومر إيمانه بتفوق المجتمع الأوروبي على المجتمع الشرقي ، حتى أنه كان يرى أن الشرق ليس فيه ما يمكن أن يفيده . ولو كان هذا الرأي نتيجة دراسة لوجدنا له بعض العذر ، ولكنه الغرور ، والنزعة العمياء . فقد عاش كرومر في مصر بعيدا عن المجتمع الذي لم يصل إليه لإقامته طوال مدة حكمه في الصباح في مكتبه بالسفارة وفي المساء بصحبة الأوروبيين الموجودين في مصر . ولم يكن يختلط بالمصريين إلا في الشؤون الرسمية التي لا بد فيها من الاتصال بهم . ويقضي أوقات فراغه في شرفة السفارة يقرأ الآداب الإغريقية والرومانية .

* * *

والعقلية الشرقية في نظر كرومر ، عقبة كأداء تسد على الشرق طريق التقدم ، ودراستها إضاعة للوقت ، وخير ما يمكن عمله هو استبدالها بعقلية نامية متطورة كالعقلية الغربية . ولقد بلغ من غرور كرومر أن رفض أن يتعلم العربية ويدرس الأدب والتاريخ العربي .

وفي مقال لكرومر بعنوان « الشرق والغرب » ، تراه يؤكد على الفروق التي تفصل بين كل منهما بحيث يستحيل التقاؤهما ، فوصف الشرق بخضوعه الدائم للغفلة حتى أشرب أهله الكسل ،

وآمن بالخرافات حتى فقد أهله القدرة على التفكير السليم . ونحن لا نستطيع أن نجد ردا على كرومر خيرا من اعترافه هو في مقال نشرته له مجلة سبكتيتور Spectator عام ١٩١٦ ، بأن فهم الشرق موهبة لم يستطع أبدا أن يكتسبها . وكيف يستطيع أن يفهم الشرق ، وهو لم يكلف نفسه هذا الفهم ؟ لقد أحسن وصفه « ولفريد سكاوين بلنت حين قال : « لقد عاش كرومر نصف حياته في الشرق دون أن يفهمه ، ودون أن يكلف نفسه أن يفهمه »(١) .

ولما قامت الحركة القومية في مصر تطالب بجلاء الانجليز ، لم ير كرومر في هذه الحركة سوى « حركة قومية ليست الا تبشيرا اسلاميا ولكنه ليس من الاسلام في شيء ، لأن مفاهيمها اوروبية النبت ، نمت وترعرعت على ضفاف نهر التيمس ... » (مصر الحديثة ٢ ج/٢٢٨) .

اما الصحافة المصرية فهي ، في رأيه هزيلة لدرجة انه طيلة اقامته في مصر « لم يستطع أن يقرأ فيها مقالا واحدا مفيدا في الاقتصاد ، او التربية ، او التنظيم المالي الفعال » .

وهذا القول دليل على أن كرومر كان معزولا عن الحياة المصرية بحيث لم يستطع أن يدرك الدور الخطير الذي لعبته الصحافة في توجيه المواطنين ، وتثقيفهم بالثقافة الغربية .

***

وقد حاول كرومر طيلة حكمه ، أن يبعد بمصر عن الثقافة الغربية ، مما يكذب الادعاء بأنه حاول اصلاح الأحوال في مصر ، ولكنها استعصت على الاصلاح . وحجة كرومر في ذلك أن الاصلاح في أي بلد مستحيل ، ما لم يكن أهله مستعدين لهذا الاصلاح « ولهذا فلا فائدة ترجى من الأحزاب السياسية ، والدساتير ، في بلد متأخر ، ولن ينال منها هذا البلد سوى الأذى .

ومن الخطأ فرض المفاهيم الغربية على شعوب شرقية ، لأن تلك المفاهيم الغربية هي نتاج حضارة شعوب تختلف عن الشعوب الشرقية في الجنس ، والدين واللغة . » (مصر الحديثة ٢ج/٢٣٤) .

واذا نظرنا الى مدى انطباق هذا القول على الواقع ، وجدنا ان سياسة كرومر في مصر تناقض كل كلمة فيه . والواقع التاريخي يحدثنا أن الشعب كان راغبا في الاصلاح ، متعطشا له ، ولكن ادارة كرومر كانت تقف في وجه الاصلاح : من ذلك انه قامت في مصر في أواخر القرن التاسع عشر ، وبداية هذا القرن ، حركة قومية تدعو الى تحرير المرأة ، ونزع الحجاب ، قادها قاسم أمين صاحب كتابي « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » . ونتيجة لهذه الدعوة زاد اقبال الفتيات على التعليم ، ففرضت الادارة البريطانية رسوما مدرسية على الطالبات . وذهب بعض نظار المدارس ، وهم من الانجليز ، الى الزام الطالبات لبس الحجاب بحجة المحافظة على تقاليد البلاد . (انظر : تربية سلامة موسى) . ونادت الصحافة مرارا بفتح مدارس للبنات ولكن الادارة البريطانية لم تعر هذه النداءات اي اهتمام . والاحصائيات تقول أن عدد البنات في مدارس الحكومة في عام ١٨٩٤ كان ١٦٤ طالبة ، ولم يزد عددهن عن ٧٨٦ طالبة في عام ١٩١٤ (امير بقطر : المدرسة والمجتمع في وادي النيل) . وظل تعليم البنات يكاد يكون محصورا في المدارس التبشيرية حتى عام ١٩٣٠ .

واتسم حكم كرومر اهمال تدريس العلوم في مصر ، مخالفا بذلك السياسة التعليمية التي بدأها محمد علي : ففي عصر محمد علي (١٨١٢ — ١٨٤٨) بلغ عدد طلاب الطب ٤٥ ، والهندسة ٢١ ، بينما كان عدد طلاب الآداب ١٢ . وبقيت هذه الخطة التعليمية هي المتبعة ، حتى انعكست الآية تحت ادارة كرومر ، حيث كان عدد طلاب الطب ٢٥ ،

(١) Wilfred Scawen Blunt, Gordon at Khartoum

(والهندسة م) ، بينما طلاب الآداب ٥٠٤!! .

وفي ميدان القضاء ، حاول كرومر أن يدخل بعض الاصلاحات على المحاكم الشرعية ، ولكنه لم يلبث أن سحب مقترحاته عند أول اعتراض من قضاة هذه المحاكم . وعندما قام الشيخ محمد عبده بمحاولته الاصلاحية ، كان يتظاهر بتأييده ، ولكنه لم يقف معه في الأزمات .

وكرومر الذي كان حاكما مطلقا في مصر سكت عن سوء تصرف الخديوي عباس باملاك الوقف ، ولو كان جادا في اصلاح أمر البلاد لكان من السهل عليه أن يفعل شيئا في هذا السبيل .

وكان كرومر يختار وزراءه من الذين لا يهمهم أمر البلاد . وقد انتقده بلنت Blunt على هذه واقترح عليه أن يدخل في الوزارة الشيخ محمد عبده وسعد زغلول ، فما كان من كرومر الا أن أجابه : « أن جميع المصريين سواء » . ولكنه اضطر في نهاية حكمه أن يضع سعد زغلول وزيرا للمعارف .

***

ولا يعني هذا القول أن بريطانيا لم تقم بأي اصلاح في مصر ، بل أن ما قامت به لم يكن بالقدر الذي كان يمكن أن تفعله لو كان ممثلها جادا في اصلاح البلاد ، ومن هذه الاصلاحات التي تمت : التعديلات التي ادخلت على القانون الجنائي ، ومشاريع الري .

ويعزو ديموند ستيوارت السبب في عدم قيام كرومر باصلاحات فعلية في مصر الى أنه كان ينظر أولا الى مصلحة بريطانيا ، فمن منطلق تصرفاته ، ومصر المتأخرة مصر ضعيفة يسهل حكمها ، والتصرف في شؤونها .(١) وقد يكون هذا القول صحيحا ، ولكن من يعرف نفسية كرومر وعقلية امثاله من الفيكتوريين ، يدرك انه لم يكن يخشى مصر المتقدمة الواعية ، لأنه كان يؤمن بقدرة بريطانيا على أية حركة تستهدفها ، وانما السبب في عدم قيامه بأية اصلاحات حقيقية هو ايمانه بان الشرق غير قابل للاصلاح ، وهو رأي عبر عنه بصراحة في كتابه المعروف « مصر الحديثة » .

***

ولقد لقيت سياسة بريطانيا في مصر نقدا شديدا من البريطانيين الأحرار وعلى رأسهم بلنت ، كما لقيت معارضة بين صفوف حزب الأحرار المعارضين لسياسة حزب المحافظين . ولتحت ضغط أولئك الأحرار ، وأفراد هذا الحزب ، اضطرت وزارة الخارجية تتدخل في شؤون مصر ، فكان هذا التدخل من الأسباب التي دفعت كرومر الى الاستقالة عام ١٩٠٧ .

وأقيمت لكرومر حفلة وداع في دار الأوبرا الملكية ، ووقف رئيس وزراء مصر مصطفى فهمي مقتا خطيبا يودعه وفي اللحظة التي ينتظر أن تظهر فيها النفوس بعد زوال السلطان الدخيل لم يفارق كرومر غروره وكبره ، ولم يتورع من أن يقف ليرد على المحتفين به قائلا : « ان خروجي من مصر لا يعني انتهاء الحكم البريطاني فيها ، فبريطانيا باقية » !!

وعاد كرومر الى بريطانيا ليكتب كتابه الضخم « مصر الحديثة » في جزاين ، وفي هذا الكتاب بث كل أحقاده التي حملها للشرق العربي والاسلام .

***

هذه صورة من العقليات التي تحكمت بمصائرنا زمنا ، وهي صورة نجدها مكررة في كل بقعة من بلادنا حل بها مندوبون سامون . ■

الأردن ـ **محمود السمرة**

(1) Desmond Stewart, Young Egypt London, 1958



مبادىء الادارة

تأليف الدكتور سيد محمود الهوارى ــ مكتبة لبنان بيروت

● هذا الكتاب عبارة عن بحث وتحليل الاصول والاسس العلمية للتنظيم والادارة فى المشروعات المختلفة ، وهو يوضح الاسس العلمية التى تحكم التصرفات الادارية فى مختلف المشروعات ، العامة منها والخاصة ، صناعية كانت أو زراعية .

اوروبا المتحدة

تأليف والتر هولشتين ترجمة الدكتور رياض الشيخ ــ دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة بالقاهرة الثمن ١٥ قرشا

● تناول مؤلف هذا الكتاب موضوع الوحدة الاوروبية فى ثلاثة فصول هى : تاريخ الوحدة ثم المتصاعبات التكامل الاوروبى ثم التكامل الاوروبى من الناحية السياسية وذلك بأسلوب شيق .

الاردن ١٩٦٤

دائرة الاحصاء العامة بالاردن

● كتاب فى الاحصاء العام عن الاردن عام ١٩٦٤ يتناول جميع الاوجه العامة بالاردن ونشاطه سنة ١٩٦٤ .

لاتقولي وداعا

تأليف ولمت الشيخ ــ مطابع ابن زيدون بدمشق الثمن ٢٥٠ قرشا سوريا

● هذا الديوان الشعرى يضم مجموعة فريدة من الشعر الحديث بأسلوب شيق جميل .

نوار

جمع وتقديم الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية

● فى هذا الكتاب جمعت الهيئة المذكورة اعمال أحسنها من شعراء الاسكندرية فى المناسبات الوطنية التى مرت بالجمهورية العربية المتحدة .

اسبوع العلم الرابع بالجمهورية العربية السورية

● ظهر هذا الكتاب فى اربعة اجزاء ، الاول فى كلمات الافتتاح ، والثانى فى دراسات وبحوث العلوم الاساسية ، والثالث فى دراسات وبحوث العلوم الطبية ، والرابع فى دراسات العلوم الهندسية ، والخامس فى دراسات وبحوث العلوم الزراعية والبيولوجية .

ديوان الحويزى

جمعه وعلق عليه حميد مجيد هدو دار مكتبة الحياة بيروت ــ الثمن ٥٠٠ قرش لبنانى

● هذا الكتاب عبارة عن ديوان للشاعر العراقى الكبير الشيخ عبد الحسين الحويزى الذى كان شديد التعلق بقوميته فجاء شعره الحماسى قطعة من لهيب تتأجج حماسة فى سبيل نصرة القومية العربية والدفاع عن المثل العليا واستعادة مجد العرب .

الاصالة فى الشعر الشعبي العراقى

تأليف جميل الجبورى ــ يصدر عن وزارة الارشاد بالعراق الثمن ٥٠ فلسا

● جمع مؤلف هذا الكتاب مجموعة طيبة من روائع القصيد الموروث والمعاصر من الشعر العراقى .

المرشد في داء البول السكري

تأليف الدكتور محمد أمين عبد الله ـ المطبعة العصرية بالكويت ـ الثمن دينار كويتي

● يعتبر هذا الكتاب مصدر ثقافة المريض بالسكري يسهل معه معرفة كنه هذا المرض وسبل النأي عن مسبباته والإلمام بمحاذيره ، كما يتناول الحقائق الخاصة بالوراثة في هذا المرض .

العقيدة

تأليف فاضل الحسيني الميلاني ـ مطابع النعمان بالنجف الثمن ١٥٠ فلسا عراقيا

● هذا الكتاب يتناول بالبحث كثيرا من المواضيع الهامة عن العقيدة والدفاع عنها ويبين السبب الذي من أجله فقد بعض الناس الإيمان بالله كما يجيب عن كثير من الأسئلة التي قد تدور في عقول بعضنا عن إيمانه .

قصة السدود

تأليف : بيتر لارب ترجمة المهندس محمد توفيق محمود

دار النهضة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٤٠ قرشا

● يبحث مؤلف الكتاب في تطور بناء السدود على مر الزمان مع تطور العلم والمعرفة كما يشرح فوائد السدود وأغراضها بجانب أهدافها التقليدية لتخزين الماء .

البترول عامل وحدة وانماء في العالم العربي

الدكتور نقولا سركيس ـ دار المعرفة والترجمة ـ دمشق الثمن ٢٧٠ قرشا سوريا

● قدم المؤلف في كتابه هذا آراء جديدة حول حل المشكلة القائمة بين حكومات البلاد المنتجة للنفط والشركات العاملة في صناعة البترول لديها.

مزيد من التجارب العلمية

تأليف : كا بوندنورف ترجمة الدكتور وليم إبراهيم عوض

دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٢٠ قرشا

● هذا الكتاب من سلسلة ألف باء التي تقدم العلم إلى الناشئ بين السادسة والعاشرة بطريقة مبسطة سهلة تساعده على تفهم الحقائق العلمية وتشوقه إلى معرفة المزيد منها .

الحب والآداب

تأليف عبد الوهاب علا . يطلب من المؤلف ص.ب ٢٨١٦ دمشق

● هذا الكتاب أدبي يبين ما للقلب من أثر على توجيه الأشخاص .

وظائف المديرين

تأليف الدكتور سيد محمود الهواري ـ مطبعة الانصاف بيروت

● يقول مؤلف هذا الكتاب إن ٨٨٪ من فشل المشروعات راجع إلى ضعف الإدارة ويبين في كتابه أسس الإدارة الناجحة للمشروعات المختلفة .

محمد بن عبد الوهاب

تأليف حسين عبد الله باشميلة ـ مطابع دار قريش بمكة

● هذا الكتاب عبارة عن دراسة عن الدعوة التي قام بها الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب

خلاصة الأيام

تأليف سمرست موم ترجمة حسام الخطيب

دار دمشق الثمن ٣٠٠ قرش سوري

● يتولى المؤلف في هذا الكتاب سرد أحداث حياته الصعبة الخصبة التي عاشها وهو أشهر مؤلف مسرحي معاصر في لندن . ■■



الاحتفال بالمولد النبوي

لم يكن يجري في صدر الإسلام

● يحتفل العالم الاسلامي بعد أيام بذكرى مولد الرسول الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد خلت كتب التاريخ والسيرة المحمدية من اشارة الى الاحتفال بهذه الذكرى سواء في حياة المصطفى او في عهد الخلفاء الراشدين

فمتى بدأ الاحتفال بالمولد النبوي ومن كان صاحب الفكرة فيه ؟ وهل كان يجري على نحو ما نرى هذه الايام من اقامة « الموالد » و « الاذكار » وسير مواكب الطرق الصوفية وقراءة السيرة النبوية ؟

نادية الاسلامبولي : دمشق

— لم يحدث ان احتفل بذكرى مولد النبي (ص) لا في حياته ولا بعد وفاته ، سواء في عهد الخلفاء الراشدين او من تلاهم من خلفاء بني امية او بني العباس .

فاما الخلفاء الراشدون فلم يحتفلوا بهذه

الصينيون ثلاثة اضعاف الروس !

● سرني ان ابعث اعجابي واحترامي الى مجلتي « العربي » التي تعتبر هدية لدولة الكويت تحببها الى جميع الدول العربية ، وارجو ان تجيبوا على هذه الاسئلة

كم عدد سكان كل من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الامريكية ، وجمهوريات الاتحاد السوفييتي ؟

علي حسين عبد الله

البحرين

— المملكة المتحدة ، مساحتها ٩٤٫٢١١ ميلا مربعا ، وعدد سكانها ٥٢٫٨٧٤٫٨٠٠

الولايات المتحدة : مساحتها ٣٫٦١٥٫٢١١ م٢ وعدد سكانها ١٩٠٫٠٠٠٫٠٠٠

الاتحاد السوفييتي ، مساحته ٨٫٥٩٩٫٧٧٦ م٢ وعدد سكانه ٢٢٣٫١٤٤٫٠٠٠ .

الصين الشعبية : مساحتها ٣٫٧٧٦٫١٢٤ م٢ وعدد سكانها ٦٨٦٫٤٠٠٫٠٠٠ .

الذكرى لأنهم كانوا في شغل من الاحتفالات بالدعوة الى دين الله وتوطيد أركانه وتثبيت معالمه ، ونشره على أوسع نطاق سواء في الأقطار المجاورة أو غيرها .. فضلا عن أنهم لم يجدوا في كتاب الله وسنة رسوله وما أثر قوله ما يدعو الى هذا الاحتفال أو يستحليه أو حتى يشير الى أنه مستحب . وكذلك كان رأي الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين الذين ضبطوا أصول الشريعة وفروعها ، ومع ذلك لم تخطر لهم فكرة الاحتفال بذكرى مولد الرسول ببال ، بل كانوا يرون أن خير ما يكرمون به الرسول الأعظم في حياته أو بعد مماته ، أن ينشروا دعوته ، ويدعوا الى سبيله في قوة وإيمان .

بل ان من علماء الدين وفقهائه في العصر الحاضر من يرون الاحتفال بذكرى المولد النبوي على الصورة التي تجري الآن في بعض البلدان الاسلامية من الرقص ودق الطبول ولبس المرقعات واقامة الزراجيج ودور الملاهي والألعاب والتفاريح ، وابتلاع النار وأكل الثعابين وغير ذلك من أعمال الحواة ، كلها بدع من عمل السوء ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم بريء من كل ما يعملون .

أما أول من ابتدع الاحتفال بذكرى المولد النبوي الكريم ، فهم الفاطميون على أرجح الروايات . كما ابتدعوا غيره من الاحتفالات الدورية لعلماء الشيعة ، وكانوا ينفقون عليها الأموال بغير حساب ، فلما جاءت الدولة الأيوبية – والأيوبيون من أهل السنة – لم يجاروا الفاطميين فيما كانوا يفعلون ، إما لأنهم رأوه مخالفا للسنة ، وإما لأنهم كانوا في شغل عنه بمحاربة الصليبيين .. حتى اذا ولي الملك المظفر ، وهو سني ، احتفل بذكرى المولد احتفالا كبيرا يقول عنه ياقوت الحموي :

« انه كان مضرب الأمثال في العظمة والجلال ، وكان ينفق فيه من العناية والبذل ما هو فوق الآمال ، مع جهود تشكر ، وخيرات تذكر ، وأموال لا تكاد تحصر » .

وكذلك قال « ابن خلكان » و « ابن كثير » في وصف الاحتفال أكثر من هذا بكثير ..

لم تحرك الهمة في مصر دولة « المماليك البحرية » سواء في عهد المظفر قطز أو الظاهر بيبرس أو المنصور قلاوون ، اما لانشغالها بالحروب والفتوحات ، وإما لأنها كانت تعتبر نفسها خلفا للدولة الأيوبية ، فجرت على منهاجها في ترك السير على آثار الفاطميين .

ومن الذين أحيوا هذه الذكرى بعد ذلك الجراكسة ، في عهد الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج ، والظاهر سيف الدين جقمق ، والأشرف قايتباي ، والمنصور الغوري وغيرهم .. وأما في العهد العثماني فلم يكن الاحتفال يشعر به أحد من الناس لأنه كان يجري في أضيق الحدود .

الاباضية .. والخوارج

● من هم الاباضية وأين نشأ مذهبهم ومتى ؟ ومن هو امامهم ؟ ومن أين وكيف جاءوا الى الشمال الافريقي ؟

زينب عبد الحميد

طرابلس الغرب

– الاباضيون فرقة من الخوارج . والخوارج هم الذين خرجوا على الامام علي وشقوا عصا الطاعة لقبوله تحكيم الحكمين في النزاع بينه وبين معاوية ، فقاتلهم بالنهروان ، فلم يبق منهم الا فلول هربوا ، ومنهم تفرعت الخوارج الى عشرين فرقة ، أبرزها الاباضية، وهم أربع فرق ما اشتهرت بالتزمت والجمود والشدة حتى ليحكموا بكفر مرتكب الكبائر من المسلمين ، وبأن الكبائر لا يغفرها الله بدون توبة خلافا لنصوص القرآن ، ويرفض الاستدلال بغير نص الكتاب والسنة دون القياس والاجماع ، كما يحكمون بأن كل من خالفهم من المسلمين لا يعد مؤمنا ، بل كافرا ، ويقولون بعدم لزوم الامامة في قريش ، ويتحاملون على الامامين

على وعثمان ، الى غير ذلك مما هو مفصل في كتب التاريخ الاسلامي .

وينسب الاباضية الى عبد الله بن اباض المرى ، وهو اول المنهم .

وقد ظهر الاباضيون في العراق ، ثم في البلاد التي استولوا عليها على فترة من خلفاء المسلمين كحضرموت وعمان اللتين أسسوا لهم بهما دولة ، ثم شخص منهم جماعة الى البصرة ، واستولى آخرون على صنعاء ثم الحجاز والشام .

وهم الذين قتلوا معن بن زائدة الشيباني في سجستان بطريق الحيلة والاغتيال .

وقد وفد منهم جماعة الى شمال افريقيا في القرن الثاني الميلادي وهبطوا المغرب،ومنه تفرقوا في البلاد المجاورة .

أتكفر عن جريمة بجريمة ؟!

● قرأت مأساة الفتاة التي زوجها أبوها لشيخ أوفى على السبعين رغم ارادتها ، فلم تلبث أن وجدت نفسها بعد شهر واحد ممرضة لزوجها العجوز الذي أصيب بنوبة قلبية حادة نتيجة زواجه في مثل تلك السن بفتاة في سن أحفاده ، وكيف وجدت نفسها محرومة من متعة الزوجية ، عاجزة عن تلبية نداء الجسد ، حتى كان ما كان بينها وبين ابن زوجها الشاب ، فحملت منه ، وحينذاك انقلبت ساعة الضعف واللذة بكابوس مخيف لها فراحت تفكر في الانتحار ..

ولقد كان ردكم عليها قاسيا . فلست أدري لماذا تتحمل المرأة وحدها الوزر وتدفع ثمن الجريمة ، بينما الجناة الحقيقيون يمرحون ويسرحون !!

وعندي أن خير ما تفعله هو أن تتحدى الشرع مرة ثانية لا بالانتحار ، ولكن بالاجهاض والتخلص من الجنين ، ثم عليها بعد ذلك أن تطلب الطلاق من زوجها ذلك العجوز المتصابي والله يأخذ بحق الطفل البريء ممن كانوا سببا في حرمانه من أن يرى النور .

ستقولون ان ذلك عمل يعاقب عليه الله والقانون ، ولكني أعتقد أن اصلاح الخطأ بالخطأ ، والتكفير عن الجريمة بجريمة أخرى في مثل هذه الحالة بالذات ، هو وحده العلاج الذي يقضي على آثار الجريمة الأولى ، فلا تبقى المسكينة في عذاب دائم ، بينما الذين ساقوها الى الجريمة أولى بهذا العذاب .

نفيسة توفيق الدويك/رام الله

ـ هذه واحدة من عشرات الرسائل التي بعث بها أصحابها تعقيبا على مشكلة الزوجة الخاطئة. بينما بعث آخرون غيرهم يقولون ان خير حل لمشكلتها هو أن تنتحر !

وكلا الرأيين خاطيء لا يقره شرع ولا قانون . فاذا كان الاجهاض جريمة تساوي قتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، فان الانتحار هو الآخر جريمة أعد الله لمرتكبها أشد العقاب . ففي الحديث الشريف : « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في

سقطرى .. لا سوقطرة

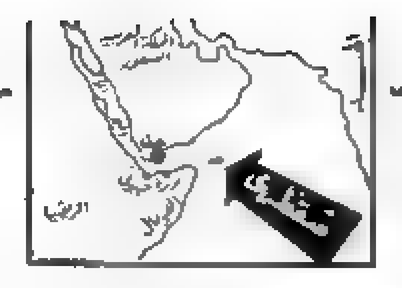
● قرأت في أحد أعداد جريدة «صنداي تيمز» البريطانية أن هناك جزيرة تسمى «سوقطرة» تقع على بعد ٣٠٠ ميل جنوبي المكلا في الجنوب العربي للبحر العربي ، يحتلها البريطانيون من زمن بعيد ، وأن معظم انتاج هذه الجزيرة من النفط ، وأن سكانها عرب مسلمون يحكمون بناء على الشرع القرآني ، وأن لهم عادات وتقاليد قديمة ، ومن الاعتقادات السائدة هناك علاج المرض بالكي والرقيات الكتابية والتعويذات ، والمصيبة أننا لا نعلم بل نجهل الكثير منها ، فهل تتفضلون بنشر بعض المعلومات عن هذه الجزيرة التي يكاد يخفيها الاستعمار عن أنظار العالم ويحسبها محمية من محمياته !

محمد خالد سعد

يمني مهاجر : شيفيلد

ـ تقع جزيرة «سقطرى» ... لا «سوقطرة» ـ على بعد يتراوح بين ٢٥٠ و ٣٠٠ ميل ، الى الجنوب من ساحل حضرموت .

ويبلغ عدد سكانها حوالي عشرين ألفا من أجناس مختلفة نزحوا اليها في فترات مختلفة ، قبل احتلال البرتغال لها عام ١٥٠٧ وبعده . وأغلب هؤلاء السكان يرجعون الى أصل عربي ، نزحوا



الى الجزيرة من بلاد « المهرة » ومنهم حاكم الجزيرة السلطان عيسى بن عفرير ، الذى هو فى نفس الوقت حاكم منطقة المهرة ، ويرجع نسبه الى بعض ملوك « حمير » الاقدمين .. وهؤلاء يتكلمون اللغة المهرية .

وهناك طائفة اخرى تزحمتهم الصومال والحبشة ويتميزون بسواد بشرتهم . كما توجد بالجزيرة فئة من الهنود ، واخيرا اقلية من البيض من بقايا الاحتلال البرتغالى اندمجت بسكان البلاد وآثرت البقاء فيها .

وتبلغ مساحة الجزيرة حوالى ثلاثة آلاف ميل بعضها جبال وبعضها مراع للماشية التى توجد فى الجزيرة بكثرة ، والتى تتميز بصغر حجمها .

ويعيش اهل الجزيرة حياة بدائية ، وهم لا يجيدون حتى الزراعة ، وان كانت توجد هناك انواع من الفاكهة والخضر والازهار ، معظمها برية .

واشهر صادرات سقطرى السمن والجلود لكثرة الماشية فيها ، ثم العنبر ، وانواع اخرى من الطائر والنباتات الطبية وخاصة عطر الزباد الذى اشتهر عندهم بتربية الزبادة . وكذلك دم الاخوين » الذى يصدرونه الى اوروبا للاستفادة به فى بعض المستحضرات الطبية .

وعلى الرغم من خصوبة التربة هناك فان السكان يعيشون فى فقر مدقع ، ويعتمدون فى غذائهم على الاسماك واللحوم والتمور .

ومعظم سكان الجزيرة جهلاء ، سواء فى ذلك البيضاوات والسمراوات . والمهور رخيصة جدا لا تتجاوز مائة روبية ، واحيانا ينخفض المهر الى نصف هذا المبلغ !

واهل الجزيرة يجهلون احكام الشريعة لانهم لا يجدون من يرشدهم او يعلمهم . وهم يؤمنون بالسحر ، ويزعمون ان النساء يمارسنه للانتقام !

ويقول بعض من زاروا هذه الجزيرة انها خالية من الكلاب !

وليس فيها ايضا شرطة ولا جنود ولا سجون ولا سيارات .. حتى الحاكم او السلطان كما يسمونه لا يملك سيارة .. وهو يتقاضى راتبا سنويا من الحكومة البريطانية عن طريق مستعمرة عدن بناء على معاهدة « حماية » !

ولا يسمح للاجانب بزيارة سقطرى الا باذن خاص من ممثل الحكومة البريطانية فى عدن ، ولذا فانها تكاد تكون منقطعة عن العالم .

ويأخذ اهل الجزيرة ببعض مبادىء الشريعة الاسلامية ، كما انهم يتبعون عادة « البشعة » المعروفة عند كثير من البدو ، بان يحموا قطعة من الحديد فى النار ثم يطلبون من المتهم الذى لا يعترف بجريمته ان يلمسها على لسانه ، فان كان بريئا لم يصبه منها سوء ، والا فهو مذنب .. !

نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا . ومن تحسى سما فقتل نفسه ، فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا . ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا » .

والظاهر من رسالة الزوجة القلقة ان ضميرها قد استيقظ وبدأت تشعر بشناعة جرمها وتندم عليه . والندم هو اول مراتب التوبة ، والتوبة الصادقة هى الباب الوحيد لمغفرة الله وعفوه ، وقد فتح الله لنا باب التوبة على مصراعيه ، « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات » . وقال تعالى : « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » .

وقال ايضا : « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم انه هو العزيز الحكيم » . ثم بلغت رحمته مداها عندما قال : « الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » . الى غير ذلك من عشرات الآيات ، بل مئاتها ، التى تفيض برحمة الله وتعد التائبين بالعفو والمغفرة .

ولكى تكون توبتها صادقة مقبولة ، يجب عليها ان تخلص لزوجها المريض ، وتتفانى فى رعايته والعناية به ، حتى يشفى او يحدث الله امرا .

الرسل والانبياء شيء .. والأولياء شيء آخر !

■ جاء في بريد القراء بالعدد ٧٨ من مجلتكم الزاهرة ، نقد بعث السيد محمد صالح سعدان لما كتبه الدكتور جمال الدين الشيال عن ابي العباس المرسي ، بدأه بأن تساءل عن كيفية خروج الشاذلي من علمه وكيف اصبح فقيرا ؟ واقول : ليس المقصود من الخروج هو الخروج الحسي والمادي ولكنه الخروج المعنوي ، ويمكن ان نؤيد ذلك بقول الله تعالى : « يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد » .

اما قول الأخ عن كيفية علم ابن مشيش بالشاذلي قبل ان يراه ، وقوله له : جئت الينا فقيرا من علمك وعملك ، أقول : ليس هذا بالشيء الغريب لمن عرف الايمان بمعناه الحق ، وتصفح تاريخ حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحياة الصحابة الكرام

روي ان أبا سفيان اجتمع بأبي عزة الشاعر في حجر اسماعيل ، وطلب منه ان يذهب الى المدينة ليقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابو عزة : ان لي بناتا اخشى ضياعهن ، وان علي دينا ، فاذا ذهبت لقتل محمد اخشى ان تضيع بناتي ، وان لا يقضي ديني من احد . فقال ابو سفيان "انا اقضي لك دينك واكفل بناتك . واعطى ابو سفيان ابا عزة الشاعر خنجرا مسموما ووعده

« طاقية الاخفاء » و « بساط الريح » و « خاتم سليمان »

● بعد ان نزل والدي بضع سنوات ، عثرت على خزانة في احدى الغرف المهجورة ولما فتحتها وجدتها فارغة الا من قوس جميل جدا مصنوع من مادة تبهر النظر ، ومجموعة من نقود قديمة جدا ، وكتابين قديمين جدا احدهما باللغة الانجليزية والثاني ارجح ان يكون بالهندية أو الفارسية ، والكتاب الانجليزي يشرح بدقة وبطريقة غريبة كيف صنعت طاقية الاخفاء ، وكيف يستطيع من وجد الكتاب عمل طاقية مماثلة من جلد حشرة معروفة باسم « العنقاء » موجودة في جهة ما من شمال افريقيا ، وحشرة اخرى حقيرة موجودة في الحرب من الطائف مع قطعة من ورق شجرة في جبال جيبوتي في منابع النيل ، ولكني لم اصدق رغم اني قرأت قصصا بعدة لغات شرقية وغربية وشاهدت افلاما عدة في كثير من الدول العربية وفي المانيا الغربية وفي اسبانيا والارجنتين بلغات مختلفة وسمعت اناسا مختلفين في السن يؤكدون وجود هذه الطاقية التي تخفي صاحبها عن الاعين .

وقد طلب مني أحد لقطاء الغرب اعطاءه هذا الكتاب مقابل خمسة الاف ريال ، الا انى رفضت ليس طمعا في الطاقية ولكن لاني اريد الاحتفاظ بالكتاب . فما رأيكم .

الملازم/سعيد عبد العزيز : الرياض

ـ ما الذي نعرفه منا نحن العرب لم يسمع عن « طاقية الاخفاء » وكيف ان من يحصل عليها يستطيع ان يختفي عن الناس متى وضعها على رأسه ، كما يقول كتاب الف ليلة وليلة ، في كثير من اقاصيصه .

وحديث طاقية الاخفاء ليس مقصورا علينا نحن العرب ، ففي الادب الانجليزي وغير الانجليزي اقاصيص لا تختلف كثيرا عن اقاصيص الف ليلة وليلة ، وهي مليئة بالحديث عن « خاتم سليمان » و « بساط الريح » و « الحصان الطائر » ، و « العصا السحورة » ، و « طاقية الاخفاء » وما الى ذلك من العجائب والغرائب التي لم ير منها شيئا !!

وحتى في عصر الصواريخ الذي نعيش فيه نجد التلفزيون الافرنجي يقدم مسلسلات من هذا القبيل ، آخر ما عرض منها في الكويت سلسلة « الرجل الخفي » الذي يرتدي شيئا اشبه بطاقية الاخفاء ويقود السيارة ويطرق الابواب ويقتحم البيوت ليطارد المجرمين !!

وطبيعي ان كل هذا مجرد تخيلات اشبه بتخيلات مدخني الحشيش والافيون ، وان امتازت بأنها

بمكافأة ان هو قتل محمدا ، ولما توجه ابو عزة الى المدينة ودخل مسجد الرسول ، وجد النبي الكريم مع سيدنا عمر وغيره من الصحابة الكرام . فلما رأى سيدنا عمر أبا عزة يدخل الى المسجد قال : يا رسول الله امنع بين جنبي" هذا شرا . فقال الرسول الكريم لسيدنا عمر : « دعه » . فلما اقترب الرجل من رسول الله سأله النبي : ما الذي أتى بك الى هنا ؟ قال : جئت حتى اسلم واتعلم الإسلام . فقال له الرسول الكريم : « ما حدث دار بينك وبين أبي سفيان في حجر اسماعيل ؟ قلت لولا بنات أخشى ضياعهن ، ولولا دين علي أخشى عدم قضائه للحقت وقتلت محمدا» . فقال أبو عزة : « والله ما سمع بهذا الكلام احد الا ابو سفيان وانا » ، واظهر الإسلام ، وأمره الرسول باخراج الخنجر المسموم الذي معه !

وقصة سيدنا عمر لما كان يخطب على منبر المدينة فقطع الخطبة وقال : « يا سارية الجبل الجبل ! » أي احذر الجبل ، وسارية هو قائد جيش المسلمين في معركة نهاوند التي تبعد عن المدينة مسيرة شهر ، واذا بسارية يقول : والله اني لأسمع صوت أمير المؤمنين يحذرنا من الجبل، فالتفت الى الجبل واذا بالاعداء قد أتوا من ورائه !

اما قول الأخ السائل « ان الادعى والأمر هو قول ابن مشيش للشاذلي : اللهم اوتيت منا علم الدنيا والآخرة . وكيف نستطيع ان نوفق بين هذا الكلام وقول الله عز وجل : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » أقول : ان هذا من باب المبالغة ، كأن يقول رجل لآخر : انك ان حصلت على وظيفة كذا لقد ملكت الدنيا ! وكذلك فان قول ابن مشيش للشاذلي انك اوتيت منا علم الدنيا والآخرة لا يقصد به العلم كله ، وانما يقصد به العلم الذي انطوى عليه قلب ابن مشيش ، وليس هذا بالغريب ، والحق سمعت بقول الرسول الكريم بحق سيدنا أبي بكر : « ما صب في صدري شيء الا وصببته في صدر أبي بكر » .

اما سؤال الأخ عن قول الدكتور الشبال بحق الشاذلي انه ادمن على الشرب والمحبة وكأسهما ، مع السكر والصحو ، فان المقصود بذلك هو شرب كأس المحبة الالهية ، وانه كان يحصل له حضور كامل مع الله فلا يشعر بوجود أحد ، وهذا هو معنى السكر أو الفناء .

اما استغراب الأخ عن سكن الشاذلي بغار في جبل زغوان اسوة بأسلافه للتعبد فيه فهذا ليس بالشيء الغريب ان تصحح حياة الرسول الكريم قبل بعثته ، حينما كان يخلو بنفسه الليالي في غار حراء وهو يمضي الوقت في التفكر والعبادة ، وهذه حالة لا بد منها لكل من يريد التقرب الى الله حتى يهيء نفسه بابعادها عن ملاذ الدنيا ومشاغلها ، كي تتهيأ بروحه ونفسه لهداية الناس واخراجهم من الظلمات الى النور .

اما بخصوص اعتقاد الأخ بأن هذه الدعاوى باطلة لأنها تخرج عن طاقة البشر ، فاقول : اذا كان كل شيء خارج عن طاقة البشر فهو باطل ، فهذه

خرافات لا وجود لها ولا حقيقة

وضعت في كتب أو أخرجت في روايات أو افلام ، لم وجدت من يصدقها وهي مجرد خيالات وأوهام!!

ولو صح ان هنالك شيئا مثل « خاتم سليمان» او « طاقية الاخفاء » ، أو غيرهما من هذه السحريات ، لاستطاع من يحصل على أي منها ان يغدو أغنى اغنياء العالم ، ولسارعت الدول الكبرى الى شراء الكتاب الذي عثرت عليه في خزانة والدك والذي لا بد قد عثر على مثله كثيرون غيرك ، وذلك بدلا من انفاق البلايين في صنع القنابل الذرية والصاروخية وغيرها ، ولاستطاعت كل دولة ان تسرق الخطط الحربية للدول المعادية لها ثم تحبطها أو تهاجمها على حين غرة فتقضي عليها قضاء مبرما !!

كان يكفي أيها القارئ الفاضل ان تقرأ مواصفات صنع طاقية الاخفاء من جلد حشرة في افريقيا واخرى في القطب ، وقطعة من ورق شجيرة في جبال جيون ليقتنع بأن هذا الكلام تخريف في تخريف ، حتى ولو كان موجودا في كتب افريقية او هندية او صينية !

اما صاحبك القاضي المغربي الذي عرض ان يشتري الكتاب بخمسة آلاف ريال ، فاقل ما يوصف به ان رجلا بمثل هذه العقلية لا يصلح لولاية القضاء ....

مماطلة لا يليق بالناقد أن يقع فيها . فهل يمكن أن نعتقد أن ذكر القرآن لبعض الوقائع التي تخرج عن طاقة البشر أنها باطلة (مثل قصة سيدنا موسى لما ضرب البحر ، فجمد البحر وانفتح فيه اثنا عشر طريقا) ؟ فهذه خارجة عن طاقة البشر ، ولكن هل باستطاعة المسلم أن يشك فيها؟ إنه إن شك بكلام الله فقد عرض نفسه للكفر الصريح .

محمد عدنان الخطيب
كلية الحقوق - جامعة دمشق

« العربي » : إننا مع احترامنا لابن عيشون وأبي حسن الشاذلي وأبي العباس المرسي وغيرهم من أعلام المتصوفة والمتعبدين والفقهاء ،ننكر على الكاتب أن يشبه أعمالهم أو « كراماتهم » بأعمال المصطفى صلوات الله عليه وأصحابه الكرام ، أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، أو حتى سارية أو حذيفة أو غيرهما من الصحابة والتابعين ، وكذلك بما حدث لسيدنا موسى عندما أوحى الله إليه أن يضرب بعصاه البحر « فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم » .

قد يكون لبعض الصالحين - أو الأولياء بالمعنى المتداول - « كرامات » ، لكن هذه الكرامات حتى لو صحت ، لا يمكن أن ترقى الى ما اختص الله به أنبياءه ورسله كموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم من معجزات ، أو حتى ما أفاء على بعض صحابة الرسول الكريم . ■■



أربعة أشخاص يبحثون

بقلم : محمود سيف الدين الايراني

« الى روح الكاتب القصصي الكبير — لويجي بيراندللو — اعجابا بمسرحيته العالمية الرائعة « ستة أشخاص يبحثون عن مؤلف » »

■ ... والله يا سيدي ما كنا نريد أن نزعجك في مثل هذه الساعة من الليل . ونحن نعلم جيدا أن حاجتك الى الهدوء وصفاء الذهن أكثر من حاجتك الى ما ستسمعه من لغو الحديث في هذه الساعة المتأخرة . فانى أرى في عينيك أنك تنكر وجودنا انكارا ... ومع ذلك فأنت الذي سوّى هذه الملامح في وجوهنا ، ووضع هذه النظرات في عيوننا ، وأنت الذي جعل أحدنا بدينا قميئا ، وقد كان في الواقع نحيلا ، ممرورا ، شديد القلق ... وأنت الذي ألبس أحدنا من الملابس ما لم يكن يخطر لأحدنا أن يرتديه ... قميصا وشملة في بنطال وقميص وقد كان يرتدي القفطان المخطط ، وذاك أنبت فوق رأسه طربوشا مائلا الى اليمين وقد كان يجب أن يكون حاسر الرأس أبدا . وزوجتي أرسلت شعرها طويلا ، مضفورا ، وقد كانت تقصه على الطريقة الانجليزية ... وأسميتني أنا يعقوب وقد كان اسمي في دنيا الناس بطرس ، ثم أجريت بيننا حوادث وأحداثا ملأت نفوسنا بالرعب حتى كدنا ننكرها وننكر أنفسنا معها .. وأجريت على ألسنتنا كلاما كثيرا وحوارا طويلا لا نذكر أنه كان مما تحدثنا به أو خطر على قلوبنا ..

تسألني يا سيدي ، من أنا ومن أكون ؟ عجيب والله ! ألم تعد تعرفني ؟ انني أحد شخوص قصتك الأخيرة التي فرغت منها قبل قليل ... أنا الزوج ... أنا بطرس ... بطرس الذي سميته في قصتك « يعقوب » ... أجل ، ان هذا يحدث لأول مرة في تاريخ الكتابة القصصية ، أو كما تسمونها « الخلق القصصي » ... انها أول مرة يخرج شخوص قصة ما ، من الورق الى الوجود ، من رأس المؤلف وخياله الى دنيا الواقع الحي . انها قوة فوق قوتنا هي التي بعثتنا أحياء أسوياء كما ترى ... ولسنا نريد أن نضايقك أو نغضبك يا سيدي ، وانما أتينا لكي نحتج لكي نفرغ ما في أنفسنا ، فأنت لم تصورنا في قصتك على حقيقتنا . بدلت لنا أنت شخوصنا ، وزيفت واقعنا ، وأضفت الينا ما ليس فينا ، وحذفت من طباعنا وأحوالنا ، وحوادثنا ما كان أصيلا في نفوسنا وحياتنا . فلماذا تنظر هكذا يا سيدي ؟ أقول لك اننا نشاهد الآن حدثا تاريخيا . فما عرف ، من قبل ، أن شخوص القصص تخرج من بطون الكتب الى دنيا الناس ... هو في الواقع حدث تاريخي كما تقول ... ونريده أن يكون عبرة لك ولغيرك .

فلماذا تزعم ، يا سيدي ، أن جميع الذين يكتبون القصص يفعلون مثلك ؟ ما شأننا نحن بغيرنا ؟ انها قصتنا نحن ، والأمر يخصنا نحن ، وكاتب القصة أنت لا غيرك . فأنت المسؤول لا سواك . هذا رأينا يا سيدي . أتسمع ما تقول زوجتي ، وما تقوله الخواجه [illegible] ، وما يقوله « القهوجي » ابراهيم العواد ؟ انهم جميعا — مثلي — يحتجون ... بل هم ، اذا أردت الحقيقة ، ناقمون ، ثائرون وسينتظر كل منهم دوره لكي يتكلم .. لكي يقول لك رأيه فيك ...

جميل جدا أن تسألني من أريد ... وما هي شكواي ... اسمع اذن :

— لقد كنت في دنيا الناس رجلا بسيطا انسانا لا يكاد يلتفت اليه أحد . بل ربما كنت الى



الاشفاق ... وصحيح انى كنت كثير الصياح والزعيق فى مقهى السيد ابراهيم العواد ، وصحيح اننى كنت اغش فى لعب الورق لكى اربح بضعة قروش كل يوم ... وكان بعضهم يمسك بطوقى ويدق لى عظامى ... هذا كله صحيح ... ولكنى فى الواقع كنت افتعل الصراخ والزعيق افتعالا .. واغش عامدا متعمدا ، لكنا يكتشفوا لكى اضرب وارفس والطم ... ولكنى كنت فى النهاية لا اسكت الا اذا نلت نصيبي من الضرب والرفس واللطم ... المهم ؟ وباستثناء هذا كان الناس يحبون حديثى ... ويحبون النوادر الطريفة التى كنت ارويها والفضائح العديدة التى كنت اسمعهم اياها ... فيغرقون فى الضحك وتهتز كروشهم ويربتون على ظهرى راضين ، مبتهجين ويشنحني بعضهم بقروش اخرى ، او يدفع ثمن ما اكون قد استهلكته من قهوة وشاى ... وكانوا ينسون — وهذا هو الاهم — حكاية زوجتى ... ينسيهم اياها مرحى ... واحتيالى ... ونوادرى ... ومرح رجلى الاثنين ...

هكذا كان يجب أن تصور شخصيتى .. ولكنك ماذا صنعت بها !

لقد جعلتنى البس المنطلق والقميص ... وما ارتديت فى حياتى كلها غير القمباز المخطط القاتم ... ثم اكثرت من الحديث ، وصورتنى من زوايا متعددة ... فانا انا رجل مرتبد السحنة دائما ، مكفهر الملامح ابدا ، يقرأ الانسان مأساتى على وجهى ... وفى تصرفاتى وحركاتى ... جعلتنى من شخوص الناس فلا يكاد قارئ يتصورنى الا ويضيق صدره ، ولا اكاد اعيش فى ذهنه هنيهة الا وتظلم الدنيا فى عينيه ... فانا ثقيل على النفوس املاها كآبة وأسى ، والسيف التى همومهم هما جديدا ، وانى وساوسهم وساوس علم الله انها من صنعك وتلفيقك انت ولا شأن لى بها ... انى اعيش الآن مكروها فى اذهان الناس ... ولقد

كانوا يحسدوننى حبهم خالصا من كل شائبة ...

لم حكاية زوجتى هل كنت اباها ، يا سيدى ؟ اول رجل تخونه زوجته ! ما اعجب امرك ايها

المؤلف ! لقد دفعتها الى الخيانة في ضوء مأساتي أنا ... جعلت الفاقة والعوز ... سبب الخيانة ... وما كانت خيانتها الا مروءة من نزواتها ... واندفاعها وراء شهواتها ... واستسلامها لسذاجة المغفلين ... وما أكثر ما نكثت عهدي واهملتني وازدرتني ... وماذا كنت أستطيع أن أفعل في هذه الساعات الجهنمية ? كانت تضع يديها في خاصرتيها وتروح تلويني كما يحلو لها بكلماتها الجارحة وعباراتها الوقحة وشتائمها العجيبة ... لقد كانت هي أول من أطلق على لقب « أبو شعير » ... وتلقفه منها صبية الحارات ، ورجال الأزقة ونسوة الحي كله حتى حجب هذا اللقب اسمي تماما ... ولم أعد أعرف الا به

هذا كله ، يا سيدي المؤلف ، تركته ... ولم تأبه به ... وجعلت همك ان تصورها - هي - طرفا آخر في المأساة المروعة التي ابتكرتها ابتكارا ... وما هي بمأساة ... انها مهزلة ... اسمع انت ! مهزلة ... انها يوم خانتني فرحت تماما ... ولما توالت خياناتها عدات واحسست ان عبئا ثقيلا كان يرهقني قد انحط عن كاهلي ... وشعرت انني صرت حرا ، طليقا ، خفيفا ، كهذه النسائم الحلوة التي تهب على وجهي الآن من نافذة غرفتك المفتوحة على الليل ... اصبحت وكأن لي جناحين اطير بهما في الاجواء الرائعة فلا تقع عيني الا على ما يسر ويبهج ...

أترك تلتفت الى شيء من هذا كله وانت تصور شخصيتي ... وتروي قصتي ? لقد شوهت ذاتي الاصلية في قصتك ... واني لأحس اليوم انني ضائع بين خيالك القاتل ... وواقعي الصحيح ... فاي الرجلين أنا ? واي الشخصيتين هي شخصيتي ? هذه الحيرة ستقتل تفكيري قلبي ... وتملأه بالحسرات ... انا ... من أكون انا ? قل .. قل .. أليست هذه جريمة .. الا يعاقب عليها القانون ? ان تشويه وجه انسان بضربة سكين او بماء النار ... تؤدي بالفاعل الى السجن ... وانت ... هل تظل هكذا طليقا بعد ان شوهتني تشويها كاملا أيها الرجل ? ماذا تستطيع ان تقول ? العلك تزعم انني لست ملك نفسي ? وتزعم ايضا انك حر تصنع ما تشاء ... وانني لم اكن اكثر من مخلوقة تستطيع ان تشكل منها ما تشاء ... تماما كما يصنعون بالزجاج الذائب ... والحديد المصهور ... وغيره من المعادن والصلصال و « الخامات » التي لا تعد ولا تحصى .. وتزعم انك لا تستطيع ان تلتزم شكلا خاصا ولا صورة بعينها ... وان مزاجك كفنان هو الذي يفرز الشكل الذي تعطيه لشخوصك ... وان نظرتك الى الاوضاع الاجتماعية هي التي تملي عليك حوادث القصة ... واحداثها ... وانك تأخذ من الواقع ما تريد وتدع ما تريد ... وتصوغ قصتك على شكل ما يتراءى لك ... ما شاء الله ... ما شاء الله ... هل سمع احد بمثل هذا ... انني لا افهم ما تقول يا سيدي .. رد الي شخصيتي .. رد لي حقيقتي ...

★★★

وانا يا سيدي المؤلف ، احسب ان دوري قد جاء الآن لكي اتكلم .. انا الزوجة .. انا التي اسميتها في قصتك باسم « لميس » والناس كلهم - في حينا - يعرفون انني « جوليا » ... هذا يا سيدي فانني لا اكاد اعرف نفسي في قصتك ... من اين اتيت لي بمعطفي طويلة ، مكتنزا ، مرسلة على كتفي ... وقد كنت اقص شعري على الطريقة الفلاحية قديما ... المعطف الرومانطيقية تلائم موضوعك ... تلائم الجو الذي وضعتني فيه ... جو المأساة ... جو الشعر القاتم المريد ... جو المرأة التي اذلها المجتمع ... واذلها الفقر ... فانزلقت الى مهاوي الخيانة في ليل حالك بهيم ... هو ليل المجتمع الفاسد ... أليست المعاطف هي احسن ما يلائم هذا الجو ? والخد الاسيل ... والخصر النحيل ... والعيون التي تنظر على استحياء ... وتطفر المآقي الغزيرات ... هذا كله البيس هو الذي يضاعف تأثير قصتك في النفوس ... ويستدر عطف قرائك ... ويستثير شهامتهم ... ويملأ مآقيهم بالدموع ?

الصحيح ، يا سيدي المؤلف،انني امرأة اخرى، فيما يخيل الي وانا كما كتبت في قصتك ، خنت زوجي حقا ... ولم يكن الفقر ... ولم يكن العوز ... هو السبب ... هذا الرجل التافه... الصفيق ... هو زوجي ... وانا كما ترى ،

لست دميمة ... ولكنا لا اقول الحقيقة : انا امرأة جميلة ... وما اكثر ما اثارت مفاتني الرؤوس ... وكان يمكن ان يتزوجني رجل غيره ...ولكن اسرتي ... وبيئتي ... ما كانتا لتسمحا بي الى من هو افضل منه ... لم اكن من طبقة شعبية وحسب ... وانما كنت من اسرة مشبوهة ... ليس ابوهما غير السكير ، والعربيد ، والقامر ، والفاسق ، والسارق وطريد العدالة ... كلهم كانوا اشقائي وابناء عمومتي...واهلي ... فكيف كنت تريدني ، انا الزهرة المتفتحة ، كما وصفتني ان انشأ ؟ ان زهرتك الجميلة نشأت في الوحل ايها المؤلف العاقل ...

ومع ذلك لو كان زوجي هذا ، ابو شمس ، لو كان رجلا آخر ، رجلا لا تنبو العين عند مرآه ، ولا تشمئز النفس من وجوده ، لهان الامر ... ولكنه كما تراه امامك الآن : مقوس العود ، اعجف القامة ، مهيض الساقين ، شعره الاشعث يسرح وراء قذاليه ، وعيناه مقلوبتان ، ووجهه مشحون شاعت فيه التجاعيد والغضون ، وسعاله لا ينقطع ، ورائحته تزكم الانوف ... كيف كنت تريدني ان ارتمي بين احضانه دون ان يقشعر جسمي كله ... دون ان يقف شعر بدني من الغثيان ... لقد خنته ايها المؤلف ، مع اول رجل مال الي .. مع اول رجل اشتهاني وخلبت مفاتني لبه ... ولقد كان الرجل ثريا ... ولكن في ظني ما يحدث من القال ... كان يوسعني ان اعيش مع زوجي فقيرة ... من غير جوع ... من غير ان البس حريرا وذهبا ... عيشة ستر وكفاف ... ولكن لماذا ؟ ما من شعرة اهتزت في بدني يوم خنته ... كنت الصورة التي عابثة .. واني اتهمت نفسي ... لم ، كما قلت لك ، ما عرفت في اسرتي وبيئتي تلك الزواجر والنواهي والروادع التي تغرس في النفس غرسا وهي بعد طرية ، قابلة للتوجيه والتكيف ... ولهذا السبب لم اندم ... ولم أحس في قرارة نفسي انني ارتكبت اثما من الآثام ... انني انا التي استخف بها الطرب ، انا التي احست ان النشوة كانت تطير بها بجناحين خفيين ... وليس هو .. ولقد اقترفت معه ... كنت لا اسمح له ان يقربني ... كان حسبه ان ينظر الي ويتحسر ، ويشتهيني وتتزايد اشتهاءاته والخلخال كعادته فيطير صوابه ... والبريق فيثن ويتفطر قلبه ... وارن ضحكتي مرحة ، عالية ، ماجنة ، في ارجاء البيت فيبهت كمن به مس من جنون ... ولذلك كان يعربد ، ويزعق ، ويتحرش بالاخرين في مقهى صاحبه ابراهيـــم ... وكان يا سيدي ، يضرب دون ما رحمة ، وتدق عظامه دقا فيهدأ ويستكين كأنه يجـــد في الاهانة والاذلال واوجاع الضرب لذة ونشوة ...

ولقد لبست الحرير، يا سيدي مؤلفي، ومصاغي بالذهب ، وكانت صورتي في المرآة تبعث الفرح في اعماق كياني ، ويحملني شعري الفاحم المنسدل للخصر ، والحسن ، والفتن ، والاصالة ، ويزداد افتناني بجمالي ، ويتضاعف احساسي بمفاتني كلما رمقتني العيون ... العيون الجائعة الى مثــل حسني ... لقد كنت فتنة الحي كله ... وكانت قلوب الشبان تحترق تحت سطوة الرقى ... وتشتعل النار في صدور الرجال كلما حملت الريح شذا من انفاسي العطرة ، وتنطوي النساء عـلى انفسهن كمدا من مفاتني ، ولا يتحدثن عن احد غيري ، ولا يشغلن اخيلتهن سوى اخباري ... وما اكثر ما كن يروين عني .... حكايات وحكايات يبالغن فيها ، ويضفن اليها من نزوات انفسهن،ومن اخيلتهن ما ينم على اشواق لهن مكبوتة ، واماني خائبة مشتعلة ترقد في اعماقهن ...

هكذا كنت انا يا سيدي، وتلك هي حقيقتي... ومعالم شخصيتي ... فماذا فعلت انت بها ؟ لقد احلتها صورة باهتة بعثت بهجتي حزنا ، وفرحتي غما،ومرحي تعاسة وشقاء،وضحكاتي انينا موجعا ، ورأيت لعلك قاتمت الدنيا وكنت تصوغ مني صورة جديدة للفتاة الكاعبة ... ارفع صوتك قليلا لاسمع ما تقول ... اتزعم انك لم تفعل اكثر من انك اخذت من ملامحي شيئا هنا وشيئا هناك .. . وانني انما حركتك الى الكتابة .. او الى الخلق والابداع كما تصف عملك .. ثم لم يعد لك بي شأن ... وانك من خلال شخصيتي كنت تنظر الى ما في المجتمع من مفاسد ... وانني على وهمي ضحية هذا المجتمع ... سواء كان الفقر هو سبب سقوطي ، او كان سبب هذا السقوط الرجل الذي لم يكن يلائمني .. ولم يكن اهلا لي ؟ ...

هكذا انت تشوه الواقع ... وتجرد الأشياء من سماتها ، وتكون من جملة شخوص ، أو من جملة ملامح ، شخصية أخرى مغايرة ، تبدل وتغير من طباعها وخصائصها على هواك ... يا لك من رجل لك يا سيدي ... ويا لشقائنا نحن مخلوقات خيالك العجيب الذي لا يعرف حدودا ولا قيودا ... سيدي المؤلف الذي اعرفك جيدا ... ولا احب ان اذهب الى ابعد من هذا ... ولكن لا بد ان اقرر هذه الحقيقة وهي انك سلبت شخصيتي وفعلت فيها ما فعلت ، وانى لاتكسر نفسي ، ولا اعرف من انا ... رد الي شخصيتي ... اعدني كما كنت في ملامحي التي لا اريد غيرها ..

***

احسب انني استطيع ان اتحدث الآن . قلتها « اندراوس » .. الخواجة اندراوس كما يدعوني الكثيرون الذين كانوا يبدون لي الاحترام ... ولكي اكون واضحا فاني أقول انني انا الرجل الذي قيل لك انه أحب تلك المرأة « جوليا » التي سميتها انت في قصتك « ليلى » ... لقد شوهتني انا ايضا وغيرت من ملامحي ، يا سيدي ، وبدلت من طباعي وخصائصي وحدود شخصيتي .. جعلت مني رجلا فاسقا ، وقحا ، زير نساء ، لا هم له الا البحث عن اللذات ، والتماس اسباب الشهوات حيثما وجدت ، ومن اي سبيل اتت .. وجعلتني ، يا سيدي ، مستهترا بجميع القيم الخلقية والاجتماعية ، فبلغ بي الاستهتار حدا بعيدا لم امنعه معه عن اغراء تلك المرأة حتى اوقعها في حبائلي ... ولوحت لها بالمال ، وهي الفقيرة المحرومة فخلب لبها المال ، فزلت قدمها ، الى آخر هذا الهراء ...

انني استميحك العذر ، أيها السيد ، فلم يكن كل هذا الذي قلته ، وقلته في تصويرنا الا .. هراء ... فالناس كلهم يعرفون تماما انني رجل محترم .. رجل فاضل .. يتمتع بمنزلة اجتماعية كريمة ... وتاجر كبير له كلمته ونفوذه ... وما كانت هذه المرأة تخطر ببالي ... لولا انها هي التي تصدت لي .. هي التي طرحت شباك الغواية في طريقي .. ولا ادري كيف انزلقت .. ام انتهجت في طريق الاثم .. لقد سحرتني يا سيدي .. اصطنعت كل سحرها الانثوي الاصيل ... وتسلحت بكل طاقتها لكي تلفتني ... واخضعتني لسلطان هواها ... وكنت اصحو بين الحين والحين .. واحس بمدى تدهوري ، فاحاول ان اتخلص منها وانجو بنفسي من شيطان غرامها ، واحطم قيود سحرها ، ولكنها كانت سرعان ما تغرقني في لجة لا قرار لها من معاني غرامها ، فاعود وكاني عبد ذليل لها حتى انتشيت في النهاية جوها العطر ، وسكرت برحيق انفاسها ، واحببت شعلة السحر التي كانت تضرمها في بدني ... وادركت هي انني لن استطيع ان استسلم ، وان استطيع ان استنجد بارادتي التي اخمدتها ... فاستغلت ضعفي ، وتعرفي اليها ، واستحلبت ظنوني ، وراحت تبتز من مالي وتحيط نفسها بضروب النعيم وترفل بحلل العز وتجعلني مصيدها لعبا ، وتتقلب على مطارف من الحرير .. ولكنك أيها المؤلف لم تكلف نفسك مشقة النظر في هذا كله ، لم تعن نفسك بالتفكير في حقيقة اوضاعنا ، تركت لخيالك الفنان يصور الأشياء ، حسبك في خلقتها ، ويطمسها طمسا ، ويزور الوقائع تزويرا ، ويبدل من ملامح الشخوص ومن حقائقهم النفسية كيف يشاء ...

لاراك تبتسم ، يا سيدي ، وتهز كتفيك ... اتقول انك لست مصورا للواقع ... وان فن القصص ابعد ما يكون عن التقاط الحكايات من قارعة الطريق والا لغدوت مصورا فوتوغرافيا تافها ، وانك انما تحتفظ بحريتك كفنان يفسر الاشياء ، ويحاول ان يستبطنها ، وينظر في سرائر النفوس ، ويستجلي الحقائق الابدية القائمة في الاعماق .. مما لا تراه العيون .. انني لا أفهم هذا الذي تقوله ... وازعم ايضا ان ما يظهر للعيون ليس اكثر من قشرة خارجية ، ليس اكثر من مظاهر خادعة ، واقنعة يضعها الناس فوق وجوههم ... وان على القصصي المبدع ان يرى ما وراء الاقنعة وما يكمن في الاعماق ... ما اعجب وقاحتك يا سيدي الكريم ... ابلغ بك الجرأة فتقول انني كنت رجلا فاضلا ... ومحترما ... في الظاهر فقط ... وانني كنت اخفي وراء هذا المظهر الكاذب

حقيقتى الكبرى ... وهى أننى رجل فاسق لا يبالى بأية قيمة خلقية ... ولكننى كنت اداري هذا كله خلف قناع محكم من النفاق الاجتماعى .. والنزلة الكريمة المصطنعة ... انك فى الواقع لا تستحق أيها المؤلف ، غير الازدراء .. و ...

★ ★ ★

مهلا .. مهلا .. يا خواجه امبراوس .. لا تدع تعصب سبيلا الى صمتك راسه ، يا سيدى المؤلف ، فقد آن لى أن اتكلم ، فانا ابراهيم الرواد صاحب المقهى ، انا رجل من صميم الشعب كما تعلم ، وانى لعاتب عليك ، يا سيدى ، لسبب أو آخر ، فلقد حسبت أن دورى فى قصتك الطريفة يجب أن يكون لقويا ... وأن مكانى فى القصة هى مقالة صاحب المقهى الذى كان يجلس فيه الزوج بطرس أو يعقوب كما سميته فى قصتك ... ولا شىء غير هذا ... وأنا عاتب عليك لأن الذى يقرأ قصتك يتبادر الى ذهنه أن مقهاى من تلك المقاهى الحديثة بكراسيها الأنيقة ، وطاولاتها الوثيرة ، وصورها العصرية ، ومراياها الصقيلة المتلألئة ... ولكنك تعلم جيدا انه مقهى شعبى ، يقع تحت تلك القناطر القديمة ، وهو واسع رحيب ، وسقفه عقد جميل مقبب ، وجدرانه ذات سمك ، وبابه رتاج ابيض ، ومقاعده كراسي واطئة سطوحها من القش المجدول ، وطاولاته صغيرة خشبية ، مصنوعة ببساطة من خشب رخيص مدهون ...

وكنت أنت ، يا سيدى ، تحب الجلوس فيه كثيرا ، وكنت تحدثنى وتقول لى : ان مقهاك يا ابراهيم مصدر الهام لى ... وكنت اشد ما تكون اعجابا بصوره الملونة الزاهية ، صور عنترة والزير سالم ، وسيف بن ذى يزن ، والاميرة علياء المعلقة على جدرانه ، وكانت شوارب اولئك الرجال ، ودروعهم ، وسيوفهم ، وخيولهم المطهمة تخلب لبك ، كما كانت ضفائر الاميرة علياء وعيناها النجلاوان ، وصدرها العامر ... تملأك طربا ... وكنت تنشىء علاقات مودة بينك وبين رواد المقهى من بحارة وسائقى سيارات ، وباعة متجولين ، وأصحاب حرف بسيطة ، وكنت تحدث اليهم حديثا طويلا ، وتقدم لهم السكائر ، وتطلب لهم فناجين القهوة السادة التركية الرائحة ... ثم كنت انتحى حين تخلو الى نفسك ، فى ركن من المقهى ، تسجل فى دفتر صغير ملاحظاتك ومذكرات ربما كانت تنفعك فى كتابة القصص ... هذا الوهم واضحا ، يا سيدى ، ولكن هكذا كان يخيل الى .

واذكر يا سيدى انك كنت لا ترتاح الى فنجان قهوة مطبوخة الا فى مقهاى انا ... كنت تقول لى : انك فنان يا ابراهيم فى صنع القهوة ... ومثلما اذكر ايضا انك كنت تطرب لسماع اسطوانات الغناء التى كانت تدار فوق « الفونغراف » فى المقهى ... كنت تقول ان امتلاك هذا الحاكى القديم ببوقه الاحمر اصبحت نادرة الوجود فى هذه الايام وكنت تصغى طويلا الى اغانى السيد سفطى ولياليه الشجية ، وصالح عبد الحى واغانيه العطرة ومواويله الاسية ... وكان يحلو لك أن تدخن « النارجيلة » وتنفث دخانها من خرطومها الطويل عاليا فى جو المقهى كما يفعل سائر الزبائن من ابناء شعبنا الاصيل ... هكذا كنت اراك ...

وذلك هو مقهاى ، فلماذا بالله عليك اسبغت عليه الوانا غريبة حتى التبس على الامر فلم اعد اعرفه بين المقاهى ؟

اجل ، اجتمعنا هكذا ، أيها السيد الكريم ، ولعلى اتحدث الآن عن اولئك الذين تعثروا عليك منذ قليل لانك اثرت سخطهم بتصويرك اياهم على غير حقيقتهم فى قصتك ...

انت تعلم ان الزوج كان من زبائن المقهى الملازمين فيه حتى ساعة متأخرة من الليل ... وكنت اراك تجالسه النظر ... ثم تستدرجه الى الحديث ، فكان يروى ما يحسب انه يسرك فى ظرفك ... ولذلك ربما كان يختلق او يبالغ فيما يرويه لكى يرضيك ... والواقع ، كما عرفته انا ، انه ليس مسكينا ، وليس شريرا ، وانما هو بكل بساطة مخلوق عادى ، قد قيضت مشاكله ، وله وسائله الخاصة فى الكسب ، منها المقامرة اليسيرة الهينة كما روى لك ومنها القيام ببعض الوساطات ... وربما تعجبك تتعجب اذا اخبرتك ان من وسائل رزقه استطلاع الغيب ، والتنبؤ بقراءة الكف او ضرب الرمل ، وقد كان لديه كتاب اسمر

قديم يصف بعض الأمراض وعلاجها ... فقد عثر يوما في كتبي ، واطلع في وجهي طويلا - وقرأ في كتابه لم زعم ، وهو يهز رأسه أسفا ، أنني مصاب بداء « الكولوريج » وبعد هذا قال كلاما كثيرا فلم أدره التفاتا ولم أفهم ما هو داء الكولوريج ... ولكنني نفحته ببضعة قروش ودعوت له فنجانا من القهوة الطيبة .. كان الكثيرون يجودون عليه بمثل هذه القروش اليسيرة التي يمتعهم بحديثه ويتنكر في الكلام ويتنبأ لهم بلهجته الخاصة وتبريجه ، ومبالغاته ، وكثرة اشاراته وما يرتسم على وجهه من تعابير مضحكة ... وكنت أنا أحب أن يبقى في ركنه من المقهى ، فقد كان بعض الرواد لا يحتلون مجلسي الا اذا كان موجودا فيه ... كان باختصار ، مثير ترفيه في المقهى ... حتى ماتت كانت تثير النشوة في النفوس وتنتزع الضحكة المريض ، بدلا من الراحة كما زعم ، كلما سار متثاقلا ، متعطفا ، الى اليمين مرة والى اليسار مرة ، وهو كما تراه هزيل ، متربع العظام ، مهلهل ، يحدد بين شدقيه عبارات وانصاف عبارات ، ويلوح بيديه في كل اتجاه ...

وبقيت حكاية زوجته . الحقيقة أن الرجل كان يشعر أن جوليا - أو اميلي كما شئت أن تسميها - مخلوق لعين ... فوق قدرته ومستواه ... وكان يحس أن جمالها أعلى مما يستطيع أن يرفع اليه بصره ، وأن شخصيتها بجموحها ، وتيهها ، وقسوتها ، أكبر من أن يسعه أن يعيش معها بسلام ... ولهذا لم تكن لتعلم أن والدها واخوتها رموها في أحضانه وزوجوها اياه لكي يستروا فضيحتهم وعارهم بعد أن "أبيحت" وعاشت فترة على هواها ... ولقد أعطوه أيضا بعض المال ... تسوية مجبركة كما ترى ، رضي هو بها ، وأدرك سلفا أنه لن يكون أكثر من ستار ، وأنها - هي - لن تقلع عن عبثها ، وأن عليه أن يذعن للواقع ... ويرضى بما قسم له ... ولكنه ، في قرارة نفسه ، يا سيدي كان مغتبطا ، فرحا ، فقد رأى فيها مورد رزق جديد ... كان يرجو أن ينال بعض المال بين حين وآخر .. أن يختطف فتاتا كان يتصور أن ينهال عليها من عطاء الآخرين ... التي يسكت... ويلهي الطرف ... ويطفئ الظمأ ... ولكن خاب فأله فقد كان ، في نظرها ، أحقر من أن تهبه شيئا أو تقيم له وزنا ... ان مجرد اقترابه منها كان يصيبها بالغثيان ، جعلته يكلمها من بعيد ، وهي لا تملك تخفي برؤوس أصابعها شيئا توهمه عالقا بها منه ... ولهذا السبب ازداد سوء خلق ... كان يكبت في نفسه اهانتها واحتقارها ولا يجرؤ أن يفوه بكلمة واحدة أمامها ... ولكنه كان ينفجر صاخبا ، صارخا ، عربيدا ، في مقهاي أنا لسبب ولغير سبب ... هذه هي الحقيقة ... وكان في سورة غضبه الشديد أسأل الزبائن منه في وقت هدوئه وسكينته ...

الصحيح ، أيها المؤلف ، أنك شوهت شخصيته وحطمت معها ، ولامست اليهما واخفيت حقائق ، وذكرت حقائق أو أشباه حقائق ... ومن أهم هذه الحقائق أن جوليا - واسمح لي أن أدعوها بلقبها باسمها الحقيقي - لم تعط الخواجه العراوي طفلا لها وحسب ، لقد كان لها غيره أطفال ... وكان يلح في وهمه أنه الحبيب الأثير وحده ، وكان هذا من فرط حذقها ، لقد استطاعت أن توهمه ، واذا شئت أن تمضي مزهية بآمالها الشبابية ، فلا يقع في روعه أن أحدا يشاركه في غرامها... وهكذا ظل مبسوط الكف ، وقد أسبغ عليها الحرير والذهب ، واتاح لها أن تحقق أحلامها كلها ...

الم تتساءل يا سيدي : ماذا كانت تجد في الخواجه العراوي ؟ انه كما ترى فوق الستين من عمره ، وهو بعين واحدة سليمة والاخرى زجاجية ... وشعره الأسود هذا مصبوغ ، وشارباه المفتولان لا يشربان هكذا الا بفعل مادة الكوزماتيكية التي لا يملك بحثهما بها ... وهو ليس بمحترم ولا فاضل كما وصف نفسه ... انه لم يكترث بزوجته وابنته وبناته ... أبناؤه رجال كانوا يعلمون علاقته بها ويسخرون منه ... وكان هو لا يحس أبدا أنه امتلك خليلة بفضل المال الذي كانت تلهف عليه .. جعلته يعتقد أنه فتنها عن نفسها ، وشغلها حبا وهياما ، وأنها انما خضعت لسلطان هواه ، واستجابت لرجولته الطاغية ... وكان هذا الوهم الكبير يزهيه ، ويثير كبرياءه ، فيسير مزهوا ، ويميل طربوشه ، ويعدل قامته ويقع في نفسه أنه لا يزال يرفل في حلل الشباب ... انها بحذقها الخبيث اختارته من بين الكثيرين ليكون فريستها ... وما أكثر ما استنزفت من ماله لنفسها ولكل خليل حبيب كانت تصطفيه من وراء الخواجه العراوي التاجر الكبير ...

لا تضطرب يا سيدي المؤلف .. لماذا تحوجت اساريرك هكذا ... وفارقت الابتسامة العريضة التي كانت تتراقص فوق شفتيك ... وعقدت ما بين حاجبيك ! الانك تخشى ان اذكر هذه الحقيقة الصغيرة الاخرى ، التي اخفيتها ، يا سيدي ، في قصتك اخفاء متعمدا ، مقصودا ، متعمدا ! ولكننا الان في موقف البوح والافشاء ، أيها السيد الكريم ، ولذلك فسأذكرها انا تلك الحقيقة وهي :

ـ انك انت كنت خليلها ايضا ... خليل تلك التي اسميتها امال في قصتك ... وكنت تنعم بمفاتنها .. وتعيش كل يوم ساعات في ظلها .. دون ان يخطر ببال الخواجه الفرنسي ولو شبه ريبة من هذا كله ... وقد كنت انت ، ايها السيد الكريم ، الحب الوحيد الصحيح في حياتها ... اما سائر مغامراتها الاخرى فقد كانت مجرد نزوات لا تدوم طويلا ... يخيل الي انها احبتك لانك كنت من طراز جديد ، طراز الرجل المثقف ، والمؤلف المشهور الذي تتحدث عنه الصحف والمجلات وتنشر مقالاته وقصصه وصوره وتشيد بشهرته ويجد في مجتمعه التكريم والترحيب والاعجاب ... كانت تتصور انها فازت بك ، وانتزعتك من بين الفتيات والنساء ، العطرات اللواتي يحطن بك ويطرن اليك ويزدحمن امام مرآتك ويلتقينك في مجتمعين ... والحسب يا سيدي ان تلومك ، واقلب صفحتك وابتهجك الامرة ، لا تتحدث ... احسب ان هذا كله جعلها تهواك ... والهوب في غرامها بك ... والعجيب ... العجيب ... يا سيدي ... انك كنت ترى ان هذا الحب لا يعدو ان يكون مغامرة عابرة في حياتك ... كنت انت تلهو ... وتمرح ... وانسياق هذا الغرام الى قمة انتصاراته ... وكانت هي تسهر الليل وتناجيه ... وتستعد لساعة اللقاء تتزين وتتبرج ، وتتعطر ، وتصل رحاب البيت زهرا ووردا وفلا وطريا ... وتنتظر وتسيس ، في انتظار الحبيب الغالي ...

السائلني كيف عرفت هذا كله ؟ ان جوليا ، يا سيدي ، كانت بنت حارتنا منذ نشأتي ... ولما كبرنا كانت كثيرا ما تهرع الي تستشيرني وتطلب رايي فيما تقرر حياتها ... وكانت تفضي الي بدخيلة نفسها ولا تخفي علي من امرها شيئا ... كانت يا سيدي ، اذا نأيت عنها ، وطلبتها ، ووقع في وهمها انك توشك ان تقطع ما بينك وبينها ... كانت تهرع الي وتبكي وتبثني لشجاتها وتزتاح الى كلماتي العاطفية المشفقة ... وما اكثر ما انصرفت وهي تستغفر الله ، اشد ما تكون احساسا باثمها ، وقد عقدت العزم ان تقلع عن غيها ، وتطهر نفسها بالحرمان ، والعكوف على الاستغفار وطلب رحمة الله ... ولكنها كانت لحظات سرعان ما تمضي عن افق نفسها ، فتعود لنفسها تكون نهاكا على اسبابالغواية والضلال..

هذا كله ، أيها المؤلف الفتى ، لماذا لم تذكره في قصتك ؟ ... ام هي نفسها لماذا لم تشر الى مغامرتك معها ولو اشارة سريعة عابرة عن حبيبها اليك منذ قليل ! اتراها عشت بحبيها ـ الوحيد ـ على البوح ؟ ام ترايت يا سيدي ماذا صنعت بنا جميعا في قصتك ، حتى كدنا ان نكفر كلنا ! لماذا لم تكن امينا ، محايدا في سرد الحوادث ، لماذا شوهت وسملت في ملامحنا ، لماذا تركتنا هكذا مشوهين ، وحائرين ، وقد فقدنا حقائقنا ، وسمات شخصياتنا ؟ ... انك تركتنا ، يا سيدي ، وستعذرنا الان انى نبحث لنا عن مؤلف غيرك يضعنا في قصتنا الحقيقية ... ويرد الينا ما شوهته انت من انفسنا ، وما محوته من ذواتنا..

اعود ثانية الى الصديت عن حرية الفن والثقافة ماذا يعنينا نحن .. ام انك لن تنتشي بذوقك انتا نحن انفسنا ماذا يعني بعضنا بعضا في سرد حقائقنا ، وان كلا منا يروي قصته من زاوية بعينها ، ويرواها الاخر من زاوية غيرها .. وانا لنحن ايضا قد يمانا وغيرنا ، واظهرنا الشيء واخفينا الشيء ، ووضعنا على وجوهنا اقنعة ، وانا لسمم تكن صادقين كل الصدق .. انك لن تنتشي ايضا .. ولا اقال انا ، بل لا نزال نحن ، نصر على البحث عن المؤلف الذي يضعنا في قصة مطولة .. قصة تتحدث عنا ، وتروي اخبارنا دون ما قرض ، دون ما تملق ... سنظل حائرين ، مشوهين ، ما لم نجد المؤلف الاخر الذي يستطيع ، باخلاص ، ان يضع قصتنا في اطارها اللائق بها .. وان يصور مشكلاتنا ، وهمومنا ، وازماتنا ، وصورنا ؟ بمناطه التعريف..

وهانا يا سيدي .. سنظل نبحث حتى نجد ذلك المؤلف الذي يردنا الى حقائقنا .. ويعيد الينا معالم شخصيتنا ..

محمود سيف الدين الايراني

طرائف عربية

صاحب اللجام

● قال ابو عبيدة : أجريت الخيل في حلبة فجاء فرس من الخيل سابقا ، فجعل رجل من النظارة يكثر الصراخ ويصفق ، فسأله رجل الى جانبه :

ـ هل الفرس لك ؟

ـ لا ولكن اللجام لي ..

درس !

● تبختر مغفل في ثياب ثمينة فاحترقت، فأقسم لايتبختر بعدها الا عريانا !

اعرابي في الحمام

وقالوا تَطهَّرْ إنه يومُ جمعةٍ ... فرُحْتُ من الحمام غيرَ مُطهَّرِ

تردَّيتُ منه وانما شجَّ مفرقي ... بفلسَين ، إني بئسَ ما كان متجري !

ومايحسبُ الأعرابُ في السوق مشيَةً ... فكيف ببيتٍ من رخامٍ ومرمرٍ ؟؟

ليلة بألف دينار

● قال عمر بن عبد العزيز : « والله اني لاشتري ليلة من ليالي عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بألف دينار من بيت مال المسلمين » .

قيل له : يا امير المؤمنين ، اتقول هذا مع تحرّيك وشدة تحفظك وتورّعك ؟

فقال : اين يذهبُ بكم ؟! والله إني لأعودُ برأيه ونصحه وهدايته على بيت مال المسلمين بالوف والوف الدنانير .. ان في المحادثة تلقيحا للعقول ، وترويحا للقلب ، وتسريحا للهم ، وتنقيحا للأدب.

بين ظريف

● كان « جحظة » ابو الحسن احمد ابن جعفر من احفاد يحيى بن خالد البرمكي ، شاعرا معروفا وواحدا من مشاهير ظرفاء عصره . دعا ذات يوم بناء لبنى له حائط ، فحضر ، فلما امسى اقتضى الاجرة عشرين درهما ، فقال له جحظة : « انما عملتَ يا هذا نصف يوم فقط ، وتطلب عشرين درهما ؟! » .

قال البناء : « انت لا تدري ! لقد

بالكـاد !

● ادرك جرير الاخطل وهو شيخ قد تحطم فقال :
ـ ادركته وله ناب واحد ، ولو ادركته وله نابان لاكلني !

اكرم شعر لموتورة

● لم يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من اسرى العرب الا اثنين عقبة بن ابي معيط ، والنضر بن الحارث ابن كلدة ، وكانا شديدي العداوة للرسول ودعوته . اتاه اولهما وهو يصلي في الحجر فوضع ثوبه في عنقه وخنقه به خنقا شديدا لولا ان اهدمته ابو بكر ، واما الثاني فكان اذا ما تلا الرسول القرآن على قريش قال : « انما يأتيكم به محمد من اساطير الاولين » ثم يبدأ يحدثهم بأخبار ملوك الفرس وغيرهم .

ولما قتل النضر رثته اخته قتيلة بنت الحارث بقصيدة قالت فيها :

أمحمدٌ ولأنتَ نسلُ نجيبـــةٍ ... في قومها والفحلُ فحلٌ مُعرِقُ
ما كان ضرّكَ لو مننتَ وربما ... منّ الفتى وهو المغيظُ المُحنَقُ
لو كنتَ قابلَ فديةٍ لفديتُـــه ... بأعز ما يغلو لديك وينفـــقُ
فالنضرُ أقربُ من أخذتَ بزلـةٍ ... وأحقهم إن كان عتقٌ يُعتقُ

فلما بلغ رسولَ الله شعرُها قال : لو سمعتُ هذا قبل ان اقتله ما قتلته .

وقد اشتهرت قصيدتها تلك بأن شعرَها اكرمُ شعر موتورةٍ واعفه .

وفاء النذر

● كان لبعض المغفلين حمار ، فمرض يوما ، فنذر ان عوفي أن يصوم عشرة ايام ، فعوفي الحمار ، فصام .. فلما تمت مات الحمار .... فقال :

ـ يا رب الهيت بي ؟ ولكن سترى متى جاء رمضان !

وبنـــاء

نبني لك حائطا يبقى مائة سنة ؟ ...

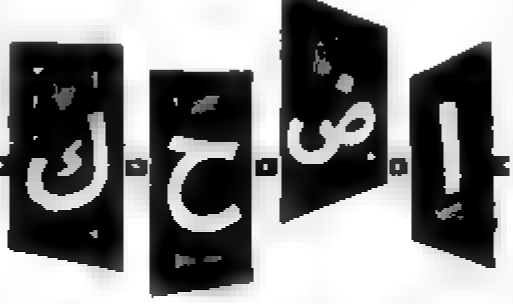
واشتد بينهما الخلاف على الاجرة ، وبينما هما في مشاحنتهما الا سقط الحائط ، قال جحظة : هـذا عملـك الحسن !!

قال البناء : « أو كنت تريد ان يبقى الف سنة ؟ »

قال جحظة : « لا ... ولكن ان يبقى الى ان تستوفي اجرتك ! » وتضاحكا .

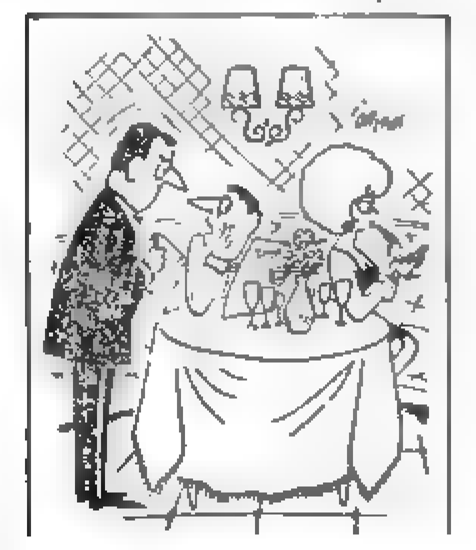


● مدير الشركة للموظف : أقسم لك بشرفي أني مصدق كل ما جاء في طلبك بخصوص علاوة الأولاد ، وموافق عليه ، ولم يكن هناك داع لاحضار كل هذه المستندات !



في المطعم

● الزبون يطلب نصيحة الجرسون : قل لي لو كنت أنت مكاني ، وعليك دفع الحساب ، فماذا كنت تطلب !



معقــول

● في اختبار القبول للعمل قال المدير لطالب الوظيفة :

ـ كم عمرك ؟

ـ ٤٠ سنة

ـ كم سنة عملت في آخر وظيفه لك

ـ ٥٠ سنة !!

ـ ربك .. كيف يكــون عمرك ٤٠ سنة واشتغلت ٥٠ سنة ؟

ـ وما الغرابة في هذا ؟ .. لقــد احسب الوقت الاضافي الذى عملتـه طوال هذه المدة !!


العربي
العدد ١١
اطلب
ـي هذا العدد
جوائز
١٢٠٠
ـنار سنويا



حضارات سادت .. ثم بادت

عزيزي القارئ:

●● هذا اغسطس ، وهو بالسريانية آب ، وآب في العربية فعل ماض مضارعه يؤوب ، اي يعود . وقد عاد « آب » على البلاد العربية ، كما يعود كل عام ، بالحر . والحر يذكر بعذاب الآخرة . والحر اذا زاد أكسلَ واخمد . والبرد اذا زاد أقعدَ وجمد . والمناوبة بين حر الصيف وبرد الشتاء يعلم الانسان ان خير الامور اوسطها ..

ودخل الفحم الى بيوت العرب ، شتاء ، موقد غاز او موقد كهرباء ، فجعل اهلها احس ببرد . ودخل الهواء بيوت العرب صيفا ، مكيفا مبردا ، فجعل اهلها احس بحر . حساسية خلقتها المدنية عند العرب فباعدت بينهم وبين بيئتهم . وخرجوا عن بلادهم ، على الاخص هربا من حر ، فاضاعوا مالا وانفقوا عمرا ، وهم على البطالة انفقوه ، او على جمر الضياع احرقوه .

قال الشاعر :

« لكل داء دواء يستطب به »

ولست ارى لهذا الداء دواء .

قد لانستطيع ان نعود بالزمان الى الوراء . ولكن باستطاعتنا ان نغير ونبدل ونعدل ، في كل شيء ، بحيث نقلل من خسارة فيه ، ونزيد من كسب .

لا سيما ورحلة الصيف خير ، اذا هي جمعت بين الرخى المستطاب من الاجواء ، والثمر المستفاد من اهل الراي في ربوع المدنية ومن العلماء .

المحرر

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت

ALARABY — No. 81 August 1965 P.O.B 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ تلفون ٢٩٤١١ للبرقيات «العربي»
الاعلانات : يتفق عليها مع الإدارة .. قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

في هذه الأيام يقصد الناس الى الشواطئ الصخرية او الشواطئ ، او النوادي البحرية هربا من الحر وترويحا عن النفس وهذه احدى المظلات قد نصبت الشاطئ على الجبل ، وقد ظهرت خلفها بعض الزوارق التي يستقلها الراغبون في النزهات البحرية

ثمن العدد . بالكويت ١١ فلس مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ج‍.ع.ي ٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١ قرش . الأردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج‍.ع.م ١٠ قروش تونس والجزائر ٢٠٠ مليم المغرب ٢ درهم . اليمن ج‍.د ٣ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات للاشتراك في المجلة يرسل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف :



قصتي مع العربي

● هذا حديث طريف وددت لو اخبرتكم به من قبل ، ولعلها اشتاقت نفسي الى الكتابة اليكم لولا عدم وجود الفرصة المناسبة التي اراها اليوم متاحة امامي .

فلما كان والدي ـ رحمه الله ـ موزعا لمجلتكم الزاهرة « العربي » ، وقد صدر منها العددان الاول والثاني ونفدا كالبرق الخاطف ، ناولني والدي رسالة الى البريد وحثني على الاسراع بها لانها هامة فلما اودعت الرسالة طرفها في مكتب البريد عدت اليه استفهمه عن مضمونها فقال يجيب بانها لزيادة كمية مجلة « العربي » اذ ان الكمية المرسلة لنا لم تعد تكفي القراء .

كانت لدي فكرة منذ الصبا وهي انني لا اطلع الا على المجلة الاكثر رواجا في الاسواق فاراجع كشوفات الكميات دوما لاختار المجلة التي اقراها باستمرار ، ولقد كانت هذه الرسالة السبب الذي دفعني الى اقتناء « العربي » وحفظها وتجليد كل ٣ اعداد في مجلد لامتلك مكتبة من مجلدات « العربي » .

لكن اين العددان الاول والثاني .. ان البحث عنهما كالبحث عن البترول في الارض ، شاق ، متعب ، وكلما سالت انسانا عنهما قال : (لا افرط فيهما) وآخر : (اود جمع الاعداد والاحتفاظ بها) وثالث : (انها لمينة) . حتى هداني السبيل الى صديق استغنى عنهما بسبب سفر طارىء فرايت منه بليس الا انه ابتسم وقال ثلاثة دنانير عن النسخة الواحدة .

هزتني المفاجأة ، كيف ادفع هذا الثمن الضخم ؟ ! لكني لم اجد بدا من ذلك لاكمل مجموعتي ..

وقبل ايام عاد صديقي ليطلب العددين بنفس الثمن الذي باعهما لي به فهززت من طبه وقلت له : لو اعطيتني قلبهما ذهبا ما وافقت اطلاقا فحاول الثاني قائلا : ولكنك اشتريتهما مني بسعر ٣ دنانير لكل نسخة وساعطيك ضعف المبلغ لا لتنتهز فرصة ندرتهما وترفض بيعهما ؟ ! فقلت له : ليس السبب هو ندرتهما ولكن السبب ان مجلة « العربي » هي الثمرة الاولى التي جلبت اسلوبي بل وشجعتني على اخراج باكورة انتاجي « نهاية قصة » .

سيدي رئيس التحرير : هذه هي الحادثة الطريفة التي وددت سردها عليك .

شاكرا لسيادتكم ذلك . هذا وقد بعثت لك نسخة من الكتاب كهدية راجيا القبول ، فارجو التكرم باعلامي عن الاستلام للاطمئنان .

شاكرا لسيادتكم ذلك وتقبلوا عظيم الاحترام .

المنامة ـ البحرين : فؤاد ابراهيم عبد

التاريخ الهجرى والتاريخ

● جاء في صفحة ١٤٣ من العدد ٧٩ ان بدء التاريخ الاسلامي كان سنة ٦٢٣ م وهذا خطأ وصوابه سنة ٦٢٢ اثنين وعشرين وستمائة .

وجاء انه كان يوم ١٢ ابيب سنة ٣٨٨ قبطية ، وهذا ايضا خطأ ـ والصواب ٢٢ ابيب سنة ٣٣٨ . ومعروف ان السنة القبطية بدات سنة ٢٨٤ ميلادية اثر جلوس القيصر الروماني دقلديانوس التي استشهد فيها كثير من قبط مصر .

وهنا فائدة يحسن ذكرها وهي ان ١٦ يوليو سنة ٦٢٢ ميلادية وافق يوم ٢٢ ابيب بينما يقع ٩ ابيب ـ هذه الايام ـ في ١٦ يوليو من كل سنة . وقد يبدو هذا غريبا لان التقويمين الميلادى والقبطي يسيران على الحساب الشمسى ، ولكن لا

حول استطلاع المكلا

الدولة القعيطية

السكرتارية ـ المكلا ـ حضرموت

● ... ولقد تلمست بالغ الشكر العدد ٧٩ من مجلة « العربي » الغراء ، شاكرا ومقدرا لكم مشاعركم الكريمة ، فقد كان الاستطلاع ممتعا حقا ، ونرجو أن يثمر نداء « العربي » للدول العربية الشقيقة لمساعدة حضرموت بنتائج طيبة ، تنقذ هذه البلاد العربية الصغيرة ، من مشاكلها الجمة ، والله نسأل أن يوفق الجميع لكل خير .

وتفضلوا بقبول فائق احترامي ودمتم ؛

المخلص . احمد محمد العطاس

وزير السلطنة القعيطية

فلسفة العقاد وفلسفة كنط

● ان فكرة تخليد ذكرى العقاد في عدد شهر آذار لفكرة في غاية النبل ، ولكني للأسف اشعر ان العقاد لم ينصف . ولا ادري من الملام ! أهو العقاد نفسه أم العرض السريع لفلسفته ؟ ان مقالة الدكتور عثمان امين ابرزت العقاد كفيلسوف سطحي وكمقتبس لفلسفة ديكارت وكنط بمحاسنها وربما بأخطائها معا بترك باب النقد مفتوحا على مصراعيه . وأنا لن اخوض بفلسفة العقاد بحد ذاتها لأني لا اقدر ان احكم عليها بمقالة من مقالة الدكتور امين ، ولكني آخذ على كاتب المقالة الاسلوب الذي سلكه في الكتابة .

ان موت العقاد لا يعني انه من واجبنا ان نصيره معصوما من الخطأ . فانا آخذ على كاتب المقالة قوله عن مذهب العقاد في الاخلاق « وتلك لعمري صفحات من صفحات الفيلسوف كنط . » هذه جملة تنم عن شعور بالفخر لمقابلة آراء العقاد وكنط . ولكن من لا يعلم ان فلسفة كنط حول « الأمر الجازم » او التزام التصرف بما يمليه الواجب وحكم التصرف السلوكي على هذا الاساس لها جوانب ضعف كثيرة .

لقد كان من الاجدر ان يقتصر البحث على جانب واحد من فلسفة العقاد المتعددة الاطراف ، وملاحظة تطور افكاره . فمثلا على اي اساس فلسفة الروح والمادة مبنية ؟ وهل هناك اي علاقة او انفصال بين الروح والمادة ؟ وهل هذه الآراء ايضا تطابق فلسفة ديكارت التي اكل الدهر عليها وشرب ؟ واما اذا كان الامر عكس ذلك فكيف توصل العقاد الى اعتناق ذلك الرأي ؟

ونحن اذ نتبع مثل هذا الاسلوب نعطي العقاد حقه ، فالنقد لن يقلل مطلقا من قيمته ، والدليل على ذلك ان كنط وديكارت لا يزالان يحتلان مركزا مرموقا في الفلسفة ، كما اننا نعطي الفلسفة العربية الفرصة لتعرف ذاتها بمحاسنها واخطائها .

جامعة بريستول : آمنة مي اسماعيل منيمنة

البقية على صفحة ١٥٧

الميلادي خطأ مطبعي . .

غرابة فان تعديل التقويم الميلادي الذي حدث سنة ١٥٨٢ م جعل ايام التقويمين مختلفة عما كانت ، ومن اجل ذلك يقع عيد الميلاد بالحساب الغربي في ٢٥ ديسمبر من كل سنة وبالحساب القبطي في ٧ يناير من السنة التالية . والفرق هو الايام الثلاثة عشر التي نشأت من تعديل التقويم الغربي من حسابه القديم الذي كان يسمى (باليولياني) الى حسابه الحالي المسمى (بالغريغوري) .

عبد السلام محمد النجار

العربي : كلنا نعرف ان التاريخ الهجري بدأ عام ٦٢٢ ميلادية ، لا عام ٦٢٣ كما نشر خطأ ولم ينتبه اليه قسم المراجعة والتصحيح .



■ نحن الآن حول عام ١٩٠٠ .

البيت بيت أسرة متوسطة معروفة ، في ميناء صغير ، ولكنه مشهور ، واقع عند ملتقى البحر ، الذي نعتوه بالأحمر ، بالقناة التي وصلت بينه وبين البحر الأبيض .

وأمام البيت ساحة كبيرة من ساحات الميناء الصغير ، ووراء البيت حديقة كبيرة ، ووراءها الخلاء امتد عبر خط السكة الحديد ليكشف لعين الناظر طاية الميناء وما يجري وراءها من ماء .

هذا البيت تمثلت فيه المدنية التي كانت في ذلك العصر تمثلا كاملا .

كان في البيت كل شيء بآلف والحياة التي كانت عندئذ . المندرة للضيوف . والفرن للخبيز ، والسطوح للقاء على العشاء عندما يشتد الحر في الأمساء .

قصة الخبز

ولنبدأ بقصة الخبز . كان الخبز يأتي البيت زكيبة من بعد زكيبة ، ملؤها

وزحفت المدنية على الأزهر فانكمشت حلقات من الكتبة والعمامة في سبيلها إلى الاختفاء .



القمح ، ويظل هذا القمح محزونا الى حين الحاجة في صومعة الخزين ، وموقعها كان الى جانب صومعة الفرن في الدار . واذا طال خزنه ظهر فيه السوس . ويأتي يوم تحضيره للطحين ، فتجتمع عليه « صديقات » الأسرة من النساء .

صديقات الأسرة

وصديقات الأسرة ، وكل أسرة في مثل مكانة هذه الأسرة ، كن من النساء ذوات الأسر الكادحة الفقيرة يوما ما ، ويقدمن معونتهن غير مأجورات . الأجر لهن مهانة وضياع كرامة ، وعند الفراغ يجلسن على السجاد الى جانب نساء الأسرة ، يأتين بالأخبار ، وما يجري بين الناس من أقوال . فهن صاحبات مؤانسات . وبالطبع كانت تدر عليهن هذه الصحبة ، في المناسبات ، وفي غير المناسبات ، بديلا من أجر . وهن دائما مستجيبات للدعوات ، حينما يأتي الموسم الذي يتسع فيه العمل عن مقدور الأسرة والخدم .

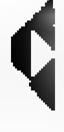
طحين القمح

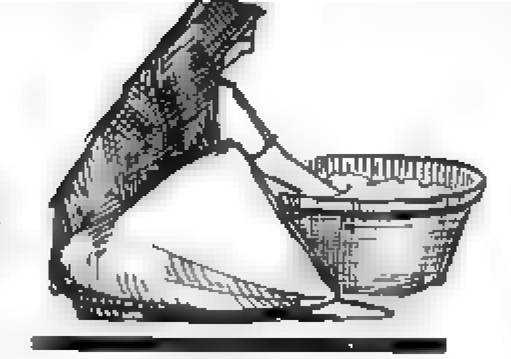
وتحضير الغلة للطحين كان موسما من هذه المواسم . يجلس فيه النساء حول الصواني الكبيرة ، وهي من نحاس ، وقد تكوّم في أواسطها القمح ، ويأخذن ينثرن القمح ناحيتهن ، حتى اذا ظهر فيه الطين والتحريج وسائر الخبث ، التقطنه بالأصابع . فهذه هي التنقية . ومن بعد التنقية يبلل القمح بالماء . ثم يأتي من يحمله الى طاحونة من طواحين الغلال بالبلدة . وكانت طواحين من النوع البسيط ، أجسامها ظاهرها من خشب . وينخل الطحين ويصنف من حيث النعومة صنوفا عدة ، نمرة ١ ، نمرة ٢ ... وفي آخر المطاف الردة الخشنة وقبل الردة الخشنة ، ردة ناعمة .

العجين والخبز

والعجين ، والخبز كان يتم في البيت . الخميرة ، وهي عجينة تملأ الكفين باقية من عجين الأسبوع الماضي ، ترمى في الماء . ومعنى ذلك أن يضاف اليها ماء ودقيق وملح ، وتعجن ، وتترك للصباح لتختمر ، أو لتزيد اختمارا .

ويأتي دور العجين   وهو يتم في ماجور من الفخار كبير ، هو من الحجم بحيث يسع لصبي صغير أن يجلس فيه . تذاب الخميرة فيه أولا في الماء ،





ويضاف اليها الدقيق ، ويعجن ، مرة من بعد مرة ، حتى تتم العجينة . وتترك لتختمر . وتوضع علامة كالعرش من عجينة صغيرة على جدار الماجور من الداخل فوق الكتلة الكبيرة ، حتى اذا وصل اليها العجين ، وهو يعلو في اختماره ، بعد ساعتين او نحوها ، فذلك اشارة الى ان وقت «التقريص» قد حان .

ويقرّص العجين على فرشة من الردّة . الردة الناعمة . ثم يخبز في الفرن ، فرن الدار ، وقد كان جرى احماؤه منذ حين .

ويقوم على كل هذا نساء متخصصات في هذا ، من خارج الاسرة طبعا .

والخبز الناضج يبقى لتأكل الاسرة منه اسبوعا . والذي تحمصه يتقدد في الفرن بعد خبزه . وقد يتجمد على الحزن ، والذي يطرّى بالماء . وقد ينال الخبز ، غير القديد ، العفن الاخضر ، فيقول القوم في تبريره انه نافع للشعر واطالته ، وكانت النساء تتبارى جمالا باطوال شعورها .

فهذه قصة الخبز ، طعام الاسرة كل



يوم . قصة طويلة ، ولكنها كانت تملأ فراغ النساء في وقت كان الفراغ طويلا ثقيلا .

وكالخبز سائر الطعام .

قصة السمن

فالسمن مثلا له قصة ، لانه خزين عام . تاتي الزبدة بيت الاسرة ، قوالب قوالب ، كقالب الطوب لولا استدارتها . وهذا قالب اصفر ، فهو من لبن البقر . وهذا قالب ابيض ، فهو من لبن الجاموس . وتسيّح الزبدة في اوان نحاسية ضخام ، من تحتها الموقد ، ووقوده فحم الكوك ، لانه اعلى حرارة ، واقل دخانا .

وتنفصل الدهن ، الذي هو السمن ، عما احتوته الزبدة من مكوّنات كانت في اللبن اخرى . انها تنعقد ، ولا ينعقد الدهن .

والذي انعقد ، فانفصل ، له طعم الجبن ، ويسمونه «المورته» . وكان يؤكل محمرا مع الخبز ، لحداقته وللذي به من دسم .

والسمن يعبأ في صفائح كانت تاتي المدينة بقطار (كيروسين) يأتي من روسيا يعرف بابي حروف . وتفرغ الصفائح من الكاز ، تهيئا لاستعمالات اخرى ، منها خزين السمن . وقد يصل خزين الاسرة الى ست صفائح او اكثر .

مدينة مخزونات

وكخزين السمن ، خزين الجبن . يضاف اليه بعض اللبن ، ثم يختم عليه لمدة اشهر .

والعسل الاسود كان يشترى في

بلاصيانه ، وهي من فخار ، ومنه تتزود الأسرة طول العام

وكخزين القمح والسمن والعسل . خزين العدس ، والفول ، والمخلل .

كانت المدينة ، مدينة خزين وتخزين .

وحتى الدجاج ، كان يجري عليه نوع من التخزين ، ولكن ذي الأجل القصير .

يطوف بائع الكتاكيت البيت ، وعلى رأسه قفص عرضه متر ، وطوله متران ، وارتفاعه قدم . وفيه مئات الكتاكيت الصغيرة، التي تعجب جدتنا ، فلا تكاد تستقيم على أرجلها .

وتشتري الأسرة منه المائة والمائتين . هذا كتكوت أبيض ، وهذا أصفر ، وهذا فيه احمرار ، وهذا بالسواد مرقع .

وتأخذ الأسرة تربيها ، ويموت منها ما يموت ، ويحيى ليصير فروجا منها ما يحيى .

وكالدجاج الحمام ، والبط والأوز ، كله في طرف من أطراف البيت خاص به .

واللبن من الماعز

حتى اللبن ، عز يوما ، فجاءت الأسرة بماعز تستدر حليبه ، ولكنها بحرية أعطى .

والماء الماء

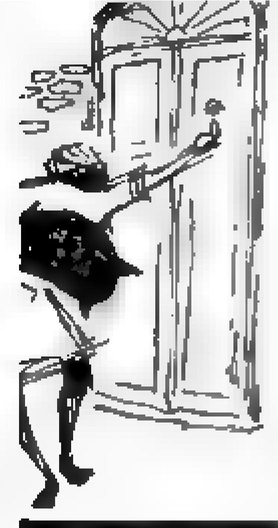
وبالطبع الماء ، أول حاجات الحياة ، كان يخزن في الأزيار .

ويأتي السقاء حاملا القربة على ظهره، وقد نفخها الماء فأشبهت الماشية الحية التي كان هذا جلدها. يأتي السقا ويصيح بالماء . ويؤذن له ، وقد أخفى من طريقه النساء ، ومع هذا هو يردد ، يا ستار ، يا ستار ، تحذيرا لمن قد تكون قد غفلت عن محبئه فلم تستتر .

ومن فوهة القربة ، أو خشمها ، يصب الماء في الزير .

وكان الزير بالذي به من مسام يتبخر منها الماء ، خير مبرد للماء .

ويؤجر الساقي خرزة واحدة لكل قربة ، من خرز من زجاج تشتريه الأسرة منه أول كل شهر .



وحدث أن دخل الماء الدار . أدخلته الحكومة في أنابيب . وكان جدنا في الشارع، بل في الميناء ، كبيرا . إلا أن الأنبوب وقف داخل باب الدار من خلف . لم يستطع أن يدور في الدار ، ولا أن يصعد السلم إلى الحجرات العليا . ومع هذا كان جدنا عظيما .

وحدث أن أرادت الأسرة أن ترفع الماء إلى أعلى بمراطيم من عندها . ثم علمت أن هذا غير جائز . لعل هذا كان بسبب أن الميناء لم تكن بها من الماء ما يكفي السكان جميعا

على كل حال أجرت الحكومة الماء بعد أن كانت تجريه الدور .

الأضاحي ، وعيد الأضحى

شيء واحد لم تحاول الأسرة أن تخزنه ، ذلك اللحم ، ولم يكن في ذلك الزمان ثلاجات .

خزين اللحم فقط يكون في عيد الأضحى .

ويأتي عيد الأضحى فتشتري الأسرة الخروفين فالثلاثة . وفي صبيحة العيد يذبحها الجزار في ساحة البيت ذبحا ، والدم يسيل ، والصبية تنظر . وهي بذلك تتعود أن لا تجفل من الدم ، وتتشكل ضمائرهم على هذا النحو عندما يكبرون .

ويكون للنساء الفقيرات ، صديقات الأسرة ، من هذا اللحم نصيب غير منقوص .

ورمضان ، وعيد الفطر

ويذكر الأضحى ، نذكر عيد الفطر ورمضان .

أما رمضان ، فكان شهر صيام حقا للكبار ، وكانت لياليه فرحة للصغار . وبعد غروب الشمس تتجه صبية الأسرة الى سطح الدار تتسمع المدفع الذي يدوي من الطابية التي عند الماء ، ويشوقهم أن يروا لمعته قبل أن يسمعوا دويه . والتراويح كان لها شأن . ثم تبدأ في الدار ، في المغرب قراءة القرآن عشية . وكثيرا ما كان الأصدقاء من المحلة يؤمون بها . والأطفال تدور زمرا في الطرقات ، وهي مظلمة أكثر ظلمة ، فلم تكن في البلدة عند ذلك نور الا في الشوارع الأصلية . وكان نورا ما أضعفه . لهذا حمل الأطفال الفوانيس ، فوانيس زرقاء ، صفراء ، خضراء ، زرقاء ، حمراء ، وطوفوا بها . والذي يتخلف منهم لا يلبث أن تغمره الظلمة فيدخله الروع ، فيسرع ليختفي في الجمع . ان بالظلام جنا وعفاريت . وقد شاع عند الأطفال كذلك أن في البلد خطافين ، يخطفون الأولاد . هكذا كانت تعلمهم الأسر .

ويختفي الأطفال ، وتجزع الأسرة ، فتطلب المنادي يدور في الشوارع والحواري ، يعلن ضياع الولد ، يصفه ، طوله ، عمره ، ملبسه . ويختم بقوله «مدد يا رفاعي مدد» ، أو «يا عدوي» ، استنجادا بأصحاب الكرامات .

ويأتي العيد فيكون أبرز شيء فيه كعكه . يعدونه ، ولم يتم رمضان . وتجتمع الأسرة ، تعززها الصديقات الكريمات ، أم محمود ، وأم خضرة ، وبناتها اذا استدعى الأمر ، فيجلسن يعجن الكعك ، وفي داخله «العجمية» ، ثم ينقشن سطحه بالمنقاش . ثم صبيان الفران يحملونه ليلا الى الفرن العام .

ولم تكن فرحة عند صبية الأسرة كفرحتهم وهم يعودون ، حتى قبيل السحور ، مع الكعك ، ساخنا فوق صيجانه ، الى البيت .

انهم رأوا الفرن والفران ، والكريكات ، يدخل الى النار رفيعها والعريض ، ورأوا النار كيف تحمى ، وكيف هي تهدأ ، لتكفي خبز الكعك ولا تحرقه .

تجارب للصبي الصغير يفهم منها دنياه عند جذورها الأولى .

وأم محمود هنالك ، انها زوجة الخباز .

ان أم محمود وأم خضرة ، وسائر هؤلاء النسوة الصديقات ، كن نساء عاميات في السن متقدمات ، خبرن الدنيا .

ام خضرة وأبو خضرة

وأم خضرة كانت زوجة الصباغ . وكانت مصبغته في البلدة ، تدخلها أنت ، فتعلو أرضها بك خطوات . ثم ترى في هذه الأرضية العالية فجوات كالآبار ، فيها الأصباغ . النيلة الزرقاء كانت هي الغالبة ، نيلة الهند . ويغرق الصباغ وصبيته الأثواب البيضاء ، في تلك الآبار ، من بئر لبئر ، ثم هو يرفعها بعد حين ، فاذا هي زرقاء .

ان الزرقة كانت اللون الغالب للباس الفقراء ، وأهل الفلاحة خاصة .

وترى الصبّاغ ، أبا خضرة ، فتجد الزرقة قد بلغت من يديه الى مرفقيه .

وفي العرس

والى جانب الصباغ ، كان النجار ، وهو لصنع الأثاث ، والمنجد . ويكونان أوضح ظهورا في الأسر عندما يقوم بها عرس . النجار يصنع الخشب ، أو يجري بالطلاء على المائدة . والمنجد يندف وبره ويحشي به القطن فينفشه . أو هو يخيط الستائر من حرير يقصه على الأبواب ، والنوافذ . والسرير ، سرير العرس ، كان شيئا غاليا كالعرش ، يصعد

اليه الصاعد والصاعدة بدرجة او درجتين ، وهو من حرير .

نعم . كانت مدينة اول هذا القرن ، مدينة تحاول ان تكفي نفسها بنفسها ، في طعام البيت ، وسائر حوائج البيت . كانت مدينة استكفاء .

مجتمع سادة الحجاب

وفي المجتمع ، تجمع الناس على نحو .

ان النساء ملهن البيت . واذا خرجت نساء هذه الأسرة ، فبالملاءة السوداء ، وهي نصفان ، نصف للصدر والظهر ، والرأس حتى الحاجب ، ونصف ادنى لسائر الجسم . ثم البيشه البيضاء ، وهي من حرير رقيق ، لا تحجب من الوجه الا ما فوق ارنبة الانف ، فبعد هذه الارنبة وتحت حدودها

وكانت الأسرة تجتمع كلها على الطعام وغير الطعام ، نساء ورجالا واولادا ، الا ان يكون في الدار غريب ، رجل او امرأة ، واذن ينفصل الرجال للرجل الضيف ، أو تنفصل النساء للضيفة.

وكان يعد غريبا اخ الزوج ، تحتجب دونه امرأة اخيه ، لا يراها ولا تراه . وقد تراه هي من خلل النافذة وهو خارج.

وكانت النساء لا تخرج من البيت الا لزيارة نساء ، وما كان اقلها . والا لزيارة الاموات في عيد . ولكن يحتفل بهذه الزيارة احتفالا ، فلا يدري اهو احتفال بالموت ، أو احتفال تنعم فيه النساء بعد طول انحباس .

وكان في ليالي القمر للأسرة خروج الى البحر ، يخرجون نساء ورجالا واطفالا . ولكن في الليل ومعهم العشاء . وكان في هذا للنساء خاصة تفريج وتعريج .

والرجال المقاهي

والرجال ! لم تكن السينما قد ابتدعت . ولم يكن في البلدة مسارح ، ولا نوع ما من انواع الملاهي ، الا الاراجيح في ايام عيد . وكانت للاطفال بهجة اي بهجة .

كان للرجال المقاهي ، والمنادر في البيوت .

وكان الجد ، وهو رب الاسرة ، يخرج الى مقهى مسقوف في المدينة كانه الدار . انه مقهى حاجي عثمان . وهو تركي . والجد كان يلبس البالطو الطويل الأسود ، فوق السروال المخطط ، وكانت له لحية كثة ، وطربوش يكاد يصل الى حاجبيه ، لو رأيته لحسبته احمد عرابي .

وكان يحمل في جيبه الليمون ، في اوانه ، اطيب ما يكون ، ويتهاداه هو واصدقاؤه من الشيوخ .

عهد ظلم ، وشمم

وكان هذا الجد في صباه في الجيش . ثم اختصم مع رئيس له . واحتد الجدل بينهما ، فاذا بالجد الشاب يثور ، واذا به يستل سيفه ويضرب به . وحوكم ، واخرج من الجيش . ثم انتظم في عمل مدني آخر كان له في المدينة مكانة .

كان في رجال ذلك العهد شيء كثير من الشمم .

كذلك الجد .

اما الأب فكان يعمل في المحافظة عملا لا يتصل بالامن . وكان تخرج من مدرسة القاهرة الثانوية الوحيدة ، تسلق لدخولها السور ، في اول عهد الانجليز بمصر ، ولم يفطن اليه احد ، وانتظم بها .

وكان في اللغة العربية ضليعا . فندبته مدرسة الارسالية المسيحية في الميناء الى تدريس العربية بها . فعمل . وبها تعلم الفرنسية .



والصلاة ، كانت كالقوت ، راتبة

وكان رجال الأسرة على شيء كثير من التقوى . كانت الصلاة في ذلك الزمن ، كالقوت ، يأتيها الرجل منهم ، وحتى المرأة المسنة ، عمرا .

وكان بالأسرة عدد كبير من الكتب ذات الصحائف الصفراء ، والجلدة ، ذات اللسان ، الحمراء .

كان فراغ الناس يملأ ، من بعد السعي الى الرزق ، في هذه الأسرة ، بالأحاديث ، تأتي مع التزاور ، او في القراءة ، يمارسها الفرد وحده في هدأة الحجرات .

رحلة آخر الأسبوع

وكان للوالد ، واصدقائه من مدرسي المدارس ، في كل مساء خميس ، رحلة قصيرة الى ظاهر المدينة ، الى الحدائق ، عند ترعة الاسماعيلية ، وقد وصلت الى هذه الناحية من الميناء لتصب في البحر الملح ، عند طرف القناة .

وعند الترعة يجلسون ، وقصب السكر يمصون . ثم يتسلون ويسمرون . فاذا غابت الشمس قاموا جميعا للصلاة ، في مصلى صغير ارضه من حصير ، عند حافة الترعة ، احاطوه بحائط قصير من طين . ثم الرواح .

هذه كانت اعلى متعة القوم . انها رحلة آخر الأسبوع . للرجال فقط .

من الميناء الى العاصمة

وانتقلت الاسرة جملة ، من الميناء الى العاصمة ، وانتقلت بدارها عند «باب المتولي» ، قرب الدرب الأحمر ، في منطقة من اقدم مناطق القاهرة ، واقربها الى عصر المعز لدين الله .

ووجدت الاسرة الحال في العاصمة مثله في الميناء .

المدينة المتكمية بذاتها هي المدينة المتكمية بذاتها . والحربي هو الحربي ، والحجاب هو الحجاب . حتى السقاء هو السقاء . وكان بالدار بئر ، ككل دار في ذلك العهد القديم ، وداروا على الآبار بالجير في ذلك العهد يصبونه فيها لطهرها . قالوا انها الكوليرا .

المدينة واحدة ، انما اتسع نطاقها ، والثقافة ، ومصدرها الأزهر ، تفتحت اكثر ابوابها . والوالد بهذه الأسرة التي منها احكي ، كان يحضر في الامساء دروس الشيخ الامام ، محمد عبده ، ومن بعده الشيخ رشيد رضا .

المدينة بعد خمسين عاما

بعد خمسين عاما ، او تزيد ، تبدل كل شيء .

الأسرة مات منها الأجداد والآباء . والصبية صاروا آباء وصاروا اجدادا .

وتلك المدينة القديمة ، التي طواها نصف قرن او يزيد ، مدنية لا وجود لها عند هذه الأسرة ، او على الأصح عند اسر ابنائها واحفادها .

المنزل لا يعرف اليوم الغلة ، ولا الطحين ، ولا العجين ، ولا الخبيز ، ولا يعرف الخبز القديد . ولا الخبز المعن الذي كان معه تطويل الشعور . وجمال الشعور نفسه كان في طولها ، فاصبح في قصرها . وكان هذا اقرب الى الصحة واعون على ازالة القذارة ، ومنع ايواء الحشر .

قصة الخبز لم تعد بقصة . والطفل الذي يولد اليوم في الأسرة لا يعرف الخبز الا شيئا يأتي به بائع الخبز الى الباب ، او هو يشتري عند الخباز .

وكعك العيد في هذه الأسر ، التي هي فروع تلك الأسرة الاولى التي نشأت في الميناء ، وهي تمثل الأسرة الحديثة كما هي في الشرق ، وعلى الأسلوب الذي سوف تعلم الاسرة عليه — اقول كعك العيد صار شيئا لا يصنع في المنزل ، ولا

تجتمع عليه صديقات الأسرة لتسويه ، وتنقشه «بالماقيش» ، ولا هو يتحمل الى الفران ليلا على الصيجان ، كل ذلك اختفى . كعك العيد صار شيئا يشترى في السوق ، مع «الغلاوة» واشباهها . ومع «الكنافة» ، وقد كانت هي الاخرى صناعة بيت ، فصارت صناعة سوق .

وقصة السمن وحربه في العام ، لم تعد بقصه . السمن اليوم من رب العطن . انه السمن النباتي . وكرهه الناس في اول امره ، ثم تهافتوا عليه . وهو ما كان يوما من صنع البيت . انه صناعة كيماوية ضخمة عظيمة .

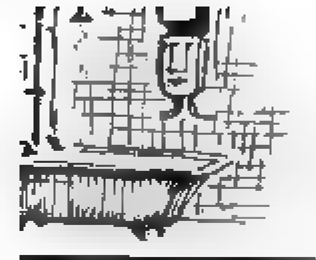
وعيب الزبدة في اسيوب ، ولكن لا مواتب بني ابي البيت مناطير ، ولكن لتؤكل على المائدة . زبدة طازجة . وهي تشترى من البقال بالرطل ونصف الرطل او نصف الكيلو او ربعه ، مربوعة ذات اركان ، عليها غلاف من الورق شفاف يحميها من التراب وما يحمل التراب . انها ليست صنع منزل ، ولكن صنع مصانع تزود بالزبد المئات والالوف من الناس ، وتاتي من الوطن ، وتاتي من خارجه .

وكالجبن والزبدة ، الجبن ، وسائر جبن البيت .

دخلت الصناعة الحديثة فاعفت ربات البيوت من اعمال كثيرة طويلة رتيبة مرهقة .

والسقاء لم يعد يطرق الابواب ، وصيح : يا ساتر

والزير اختفى ، واختفى معه السقا . ودخلت المياه الانابيب ، لا الى الدور الاول فحسب ، وانما الى الدور الرابع والرابع عشر ، تلك الادوار العالية التي لم يكن لها وجود . انها الصناعة الجديدة صناعة البناء ، وصناعة الماء ، والهندسة الجديدة التي تجرى بانابيب الماء الزلال المطهر عبر العاصمة ، من اقصاها شمالا ، الى اقصاها جنوبا ، وتجرى كذلك بانابيب اوسع ، تحمل ما يتخلف



من هذا الماء ، في المنازل ، من بعد استخدام ، فتحمله منها الى اطراف العاصمة . انها المجاري .

والمواقد والثلاجات والمكانس

وكما جاءت الصناعة والهندسة فحملت عن ربة البيت اكثر اعباء البيت ، كذلك هي دخلت البيت تخفف عنها ما بقي فيه من اعمال . فدخلت بغاز البوتان وموقد البوتان . ودخلت بالثلاجة الكهربائية تحفظ وتبرد في الصيف الطعام . والمكنسة الكهربائية تدور بها ربة البيت على ابسطة الارض فتمتص ترابها . ولا تعاني ربة البيت الا الجهد ، الذي يتمثل في جرها .

وقبل استخدام الكهرباء في الثلاجات والمكانس ، دخلت الكهرباء المنازل تنشر فيها النور . كان طالب اول هذا القرن لا يعرف المذاكرة ليلا الا على ضوء «لمبة الجاز» ، وما كان اضعفها . واليوم لو انك اعطيته اياها لم يكد يعرف كيف يوقدها ، الا ان يكون في الريف البعيد .

ودخلت الصناعة البيت بالترفيه . مكيفة الهواء ، وسخانة الماء . ثم الاذاعة مسموعة ، ثم مسموعة ومرئية معا ، اعني التلفاز .

كل هذه اشياء جديدة على الانسان ، من اهل الشرق ، انسان في ذلك الزمان .

والمواصلات

والمواصلات ؟ انقل صبية تلك الاسرة من تلك المياه الى العاصمة في اوائل هذا القرن ، فشاقهم اكثر ما شاق : تلك العربات التي كانت تجرى على الارض ولا يجرها حمار او حصان . واعجبت محلاتها فبانت كانها كانت تزحف على الارض زحفا . تلك عربات الترام .

وكان اكثر النقل ، نقل الناس ،



بالعاصمة ، يسير في عربات يسمونها عربات سوارس ، نسبة الى اسم صاحبها ، يجرهما من الخيل اثنان . وما كان اسعدها من خيل !

وبداوا في العقد الأول من القرن تسيير السيارات العامة . خطا واحدا بداوه على سبيل التجربة ، بين المنشية الخضراء الى محطة العاصمة . وما اكثر ما توقفت السيارة في الطريق . خربت ولم تكن هناك من يصلحها ، حتى كان الناس يفضلون السير على الاقدام .

ولم تكن تعرف الطائرات

حسبون عاما قلبت الحال في الشرق العربي قلبا . وينشأ ناشئه اليوم بين كل هذا الجديد ، ينظر اليه كانه شيء مسلم به ، ويحسبه قديما قدم الشمس التي تطلع كل صباح ، والنجوم التي تزدان بها السماء من بعد كل مغيب .

زحف المدنية

وكما زحفت صناعة الغرب على الشرق ، يحدوها العلم وتحملوها التكنيكة ، فغيرت الكثير ، كذلك زحفت التمامة مغيرت الكثير . انه زحف مدنية .

مثل التعليم الأمثل في الشرق كان الازهر وانشاء الازهر ، يسمه الكتاب ، وبه حفظ القرآن . وكان اسلوب الازهر ، الحلقة يتحلقها الطلبة حول الشيخ . لم تبدل كل هذا في الخمسين هذه الماضية من السنين . صار التعليم غربيا في نظامه ، وفي اسلوبه ، ومادته . وغزا هذا الاسلوب الأزهر ، فاختفت حلقاته . حتى الجبة والعمامة فيه ، في سبيلهما الى اختفاء .

انه عنفوان من المدنية الحديث غامر ، لم يستطع حتى الأزهر ان يقيم دونه سدا يحمي منه تراثه . اني الى اليوم لم ادخل جامعة الأزهر التي استحدثوها ، ولكني احسب انه لم يبق بها شيء يؤكد ازهريتها الا لقاء مديرها ، وهو أنيق في جبته ، والرائع من عمامته . وقد يشككك حتى في ذلك ، وجه له حليق ، فيه بشاشة ووسامة .

اقول هذا ليمن الذي يصيح باعلى صوته ليوقف مجرى الزمان

ووددت لو توقف لأكثر من سبب .

والحجاب

والغرب سافرة نساؤه ، والشرق كان نساؤه الحجاب ، حتى الزوجة كانت تحتجب من اخ زوجها .

لم تمزقت الحجب جميعا ، وسفر النساء

انه جيل من النشاء جديد ، جاء مع الحرب العالمية الأولى ، دخل المدرسة سافرا ، وخرج منها سافرا ، وظل الى اليوم سافرا ، وستتبع التحجبات في الاقطار الشرقية التي لم تسفر بعد نساؤها

ومن استطاع ان يصنع عليشيء . فالحياة جهاد ، ولو كان جهادا فاشلا خائبا .

وأنا اصف ولا ادعو .

والعلم

وعلم الغرب علم مثنا اليوم منشور

وعلم الشرق اكثره الديني . الا علما تتصل بلغة العرب او بدين ، فهذا حي مصون .

ودليلي على ذلك ان اطلب منك دخول دار استاذ بجامعة ، كان من كان . ادخل مكتبته واحصر ما بها من كتب ، تجد اكثرها الاكثر الافرنجي ، واقلها الاقل العربي .

ومكتبتي بداري التي خلفت ورائي ، بها بضعة آلاف من الكتب ، لا يبلغ العربي منها خمس ما فيها . في اي فنون المعرفة كان سائرها ؟ في صنوف العلم جميعا وصنوف العرفان ، رياضة ، هندسة ،



كيمياء ، فيزياء ، جيولوجيا ، احياء طبعا ، فروع طب ، جغرافيا ، تاريخ ، فلسفة ، علم نفس ، علم انسان ، علم مجتمع ، علم اقتصاد ، وللغات ركن ، وللآداب والأديان .

وسرني ما سرني ليهيبني العاري ، ان امتلاء المكتبات بالكتب العربية لم يكن حبا للعرب او كرها ، ولا تعاطفا معهم او نفورا ، ولكن كان لحاجة الزمان . ابن الحديد في العربية الذي عالج كل هذه الصنوف من المعرفة ؟

رجل واحد يصيح متندرا عندما يسمع هذا ، وهو يتغنى بالعربية وثروة العربية انه الرجل الذي يتحدث عن عاطفة حميدة ، وجهل غير حميد .

ان ثروة العرب عظيمة جدا مقيسة بمقاييس تلك الأزمان . ولكن رجل كهذا ينسى انها ثروة غابرة لا تغني من حاجة هذه الايام شيئا .

وهو يصيح متندرا ، لما عز عليه ان يجد شيئا في حاضر الأمة ذا بال يعطيه ولاءه ، فراح يعطي ولاءه لغابر الزمان . انه الحنين ، وهو حيلة الأنفس ، تتزود بها من ماضيها الزاهي المجيد لتزوق به حاضرا لها ان كان به مجد فهو مجد طمس للذي تراكم عليه من تراب القرون .

اما بعد

اما بعد ، فمن هذه الكلمة ، وقد زادت اكثر مما قدرت لها ، اتيت بايجاز ، غاية الايجاز ، على وصف مدنية غربية كانت في اول هذا القرن ، ووصف هذه المدنية بالذي صارت اليه في منتصف هذا القرن .

والغرض من ذلك الكشف عن الاتجاه الذي سوف تسير فيه المدنية في النصف الثاني من هذا القرن ، الى عام ٢٠٠٠م .

والمدنيات ، في سيرها ، لا تنحرف في طريقها . قد تتريث ويقل خطوها ، ولكن الاتجاه واحد .

والعوامل التي تصنع هذا الاتجاه كثيرة متعددة ، واكثرها الخافي . وهي اعصى ما تكون على من يريد ان يتحكم فيها . قد تميل الامة عن هذا الاتجاه يمنة ، وقد تميل يسرة . انه انحراف بسيط ، ولكن في اتجاه المجرى العالمي الكبير . وهو مجرى عالمي لم يصنعه انسان بذاته ، ولا امة بذاتها ، ولم تصنعه نصرانية او يهودية او اسلام ، ولم تصنعه هندوكية او بوذية . ان المدنيات ، في كل عصر ، انما هي تفاعل معقد بين اطراف عدة ، لا يتحكم فيه طرف دون طرف . كالوعاء على النار ، تصب فيه الف مركب كيماوي ، تتفاعل جميعا ولا يستطيع احد ان يتنبأ بنواتجها . وقد امكن الانسان ان يتنبأ بنواتجها لو ان له علما بكل خصائصها ، وحتى لو تنبأ وعلم ، فانما هي تفاعلات اعقد من ان يتتبعها جميعا ويستوعبها عقل انسان .

والذين يصنعون هذه المدنيات ، من افراد وامم ، لا يصنعونها وهم واعون . وتحول قصر الاعمار دون الجمع بين الاسباب والنتائج .

والمدنيات نامت عشرة الآف من الاعوام ، خطت فيها بعض خطو في فترات من صحو ، ولكن خطوات وئيدة . ثم تشاء ارادة خفية خافية ان يخرج المارد من القمقم ، فكانت الثورة العلمية ، وكانت الثورة الصناعية ، وكانت الثورة التقنية وكانت الثورة الاجتماعية ثورات متلاحقة سبقتها قرون طويلة ، بلا ثورة .

ارادة خفية خافية . فما هي ؟

ان علماء الأحياء يقولون ان الحيوانات العظمى تطورت من حيوانات صغرى ، وهذه الصغرى عن اصغر منها . وان الابسط سبق ، وان الاكمل الأتم لحق .

والعجيب ان هذا المجرى العظيم للاحياء يجري التطور فيه في عمومه ، في اتجاه واحد ، الى الامام . الى امام .

لارادة خفية خافية ، تدفع الى الامام .

فهل هي هي نفس تلك الارادة الخفية الخافية التي تدفع الانسان ، في مدنيته ، في ذلك المجرى العالمي الكبير ، الى الامام ، ودائما الى الامام ؟

علم ذلك عند الله .

■■

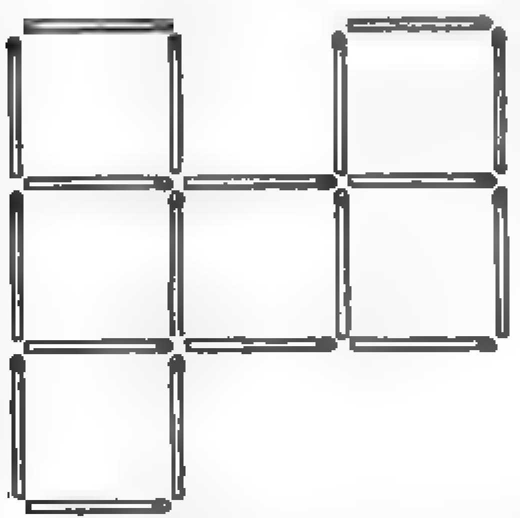
احمد زكي

مسابقة العدد

أعواد من الثقاب .. وجوائز ١٠٠ دينار

■ انها مسابقة صعبة لا تحتاج الا الى قليل من التفكير لايجاد الحل الصحيح .. ان الشكلين اللذين امامك مكونان من عدة عيدان من الثقاب ، والمطلوب منك في الشكل الاول تحريك اربعة عيدان كيفما شئت بحيث تكون ثلاثة مربعات بدلا من الاربعة الموجودة في الرسم .

اما الشكل الثاني فالمطلوب ان ترفع ثلاثة عيدان فقط من الشكل بحيث يبقى بعد ذلك اربعة مربعات ..



شروط المسابقة وجوائزها

١ ـ بعد أن تجد الحلين الصحيحين اعد رسم الشكلين على ورقة مستقلة وارفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٤ .

٢ ـ يكتب على الظروف عبارة « مسابقة العدد ٨١ » .

٣ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥ .

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

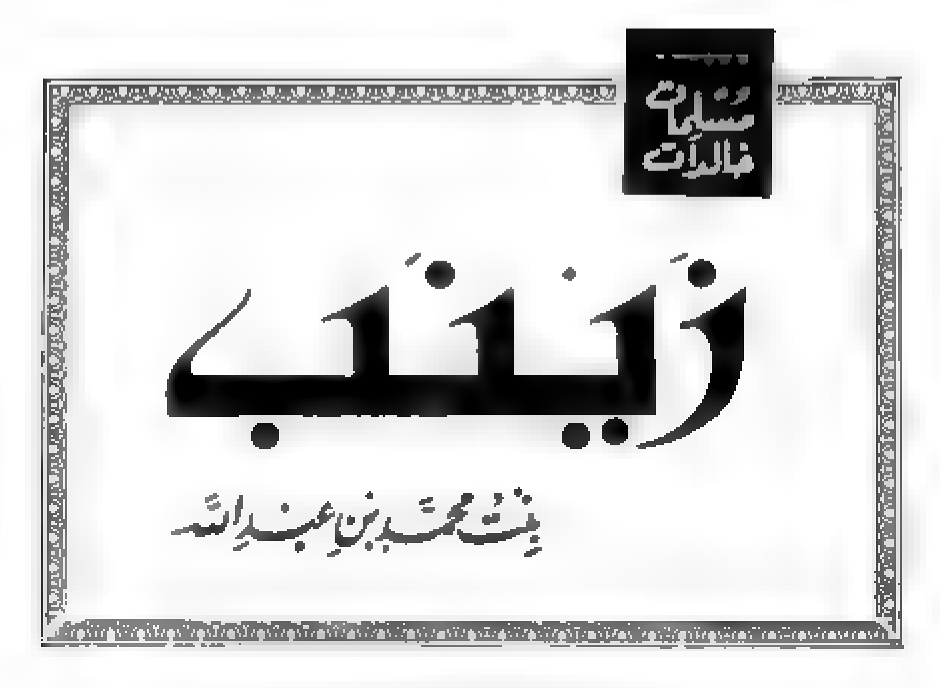
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع.

■■



بقلم : سنية قراعه

● عند الوفاء والحب وصدق الإيمان، يقف التاريخ طويلا ليحني رأسه في إجلال أمام زينب الكبرى، بنت محمد رسول الله، عليه الصلاة والسلام، من زوجته أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد... ويسطر في صحائفه الناصعة أنضر وأندر سطور في كتاب الحب والوفاء والإخلاص للعقيدة وصدق الإيمان..

ولم يعد زينب وأيامها المشرقة، أجيال في إثرها أجيال... ويفتح التاريخ صحائفه ليعرض للعالمين سيرة الخالدة ويذكر الناس بالقدوة الصالحة، والأمثولة الحلوة، ويروي الذكريات العبقة عن أحب خلق الله إلى الله، وأقربهم إلى قلوب الناس...

زينب في بيت زوجها، أبو العاص بن الربيع

وتضيء السطور القليلة التي سطرها التاريخ عن زينب الكبرى ... ويقرأ العارفون في حب وإكبار قصة حياة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام، وكبرى بناته المطهرات، التي لم تكد تكتمل أنوثتها حتى خطبها أبو العاص بن الربيع ابن خالتها هالة بنت خويلد، ثم بنى بها وانتقلت من بيت محمد إلى بيت زوجها وهو في السنام من قريش ومن أعز شبابها محتدا وجاها ومالا...

وعاشت زينب في بيت زوجها حياة الدعة والطمأنينة، بعيدة عن سوامر قريش ومجاليها، وصخبها الذي سبق بعثة سيد الخلق أجمعين، لعزوف طبعها عن الاختلاط، وحب منها للوحدة

ولوفر على الطاعة وخدمة الزوج والقيام بشتى الواجبات ...

ثم جاء محمد بالدعوة

ومرت الحياة بزينب ، رضية لينة ، فهي في بيتها مثل كامل للاخلاص والتفاني والوفاء ، بعيدة عن الحياة الاجتماعية في قريش اللاهية بمباذلها ، وما كانت تضج به منتدياتها من مباذل وشرور ، حتى شاء الله القادر أن يرتفع صوت محمد خاتم رسله ليقول للقرشيين الله هو البشير النذير ، وانه جاءهم من الله بدين الهدى والحق ليطهرهم ويزكيهم ويخرج بهم من محيط الضلالات والكفر الى دنيا الهدى والايمان ...

واهتزت قريش ... واضطربت امورها ، وكما قاسى الرسول عليه صلوات الله وهو يجاهد في اول بعثته ، كذلك قاست بعض بناته ، واولاهن رُقية التي طلقها زوجها « عتبة » بامر من ابيه ابي لهب وزوجته ام جميل حمالة الحطب واشد الناس كرها لرسول الله ....

واستمرت العاصفة التي اثارها اجلاف سادات قريش في هبوبها ، تدمر وتعصف وتفرق ، ولكنها كانت تركد دائما امام بيت ابي العاص بن الربيع الذي تمسك بزوجته زينب الكبرى ، وابى التفكير في طلاقها ، كما فعل ابن ابي لهب باختها رقية بل زاد استمساك الزوج بزوجته التي آمنت بدين محمد ، وشهدت انه لا اله الا الله وان الصادق محمدا رسول الله في حين بقي الزوج على دينه ودين قومه ..

هاجر الرسول الى المدينة وبقيت زينب في مكة

وسارت الحياة في قريش معروفة الاحداث ، رتيبة النوائب ، ضاربة الخصومة ، وحشية البلهاء ، مليئة الكراهية التي كان يذكي ضرامها ضد محمد اعداؤه من سفهاء قريش ، حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله اليه بالهجرة من مكة الى المدينة مع صاحبه الصديق ابي بكر ..

واعتز الاسلام في المدينة ، وانتشرت الدعوة ، وعمرت القلوب المؤمنة ولحق الرسولَ اهلُ بيته في مهجره ، وبقيت زينب مع زوجها ابي العاص في مكة بعيدين عن اهواء غضب قريش وسفهاء سفهائها ..

غزوة بدر

ومهدت الحوادث لغزو بدر الكبرى ...وساقت ظروف التعصب والحماقة سفهاء قريش الى مصارعهم ، وخرجوا في جموعهم الباغية لحرب المجاهدين من المسلمين ، ولم يستطع ابو العاص ابن الربيع زوج زينب ان يخرج على اجماع قومه بضرورة المشاركة في حرب معه ، فكان ان سار هو الآخر الى بدر ...

ودارت الدائرة على عابدي الصنم . وكانت الحجارة الصماء ، التي يسجدون لها اعجز واضعف من ان تنصر عابديها او تحميهم من تحدي المسلمين وسيوفهم ، ففر القرشيون يستنقذون من نجا منهم من الموت ، وتركوا وراءهم عددا من الاسرى كان فيهم ابو العاص بن الربيع زوج زينب بنت محمد رسول الله ...

وفرضت الفدية على الاسرى ، وبعثت قريش تفتدي مقاتل اسراها ..

زينب ترسل الى ابيها ما تفتدي به زوجها من الاسر

واسرعت زينب الكبرى فارسلت الى ابيها عليه الصلاة والسلام فدية لزوجها .. بعثت اليه بمال، ومعه قلادة كانت امها ام المؤمنين خديجة اهدتها اياها ليلة زفافها .

وامسك النبي صلى الله عليه وسلم بالقلادة بين يديه .. ثم زفر زفرة حارة تركت بعدها ذكريات ماض رجعت به الى ايام خالية ، ومرت امام ناظريه صور حبيبة الماضي بعيد لم تستطع نوب الدهر واحداثه ان تعدو عليه او تذهب باثره وسحره وذكره ..

الى ايام خديجة الطاهرة الحانية وهي ترعاه وتحنو على بناته ... اتذكر ايام كان بمكة ، واسرعت اليه خديجة ذات يوم تبلغه ان ابا العاص ابن اختها هالة ، طرق بابهم يخطب زينب الكبرى لنفسه ، وسالته ان يبارك هذا الزواج ، ففعل . وزفت كبرى بناته الى زوجها وسط مظاهر الفرح

والسعادة .. ويومها اهدت خديجة ابنتها هـذه القلادة بالقلات لتتحلى بهـــا ليلة زفافها وهي « عروس » ضمن زينة النساء .

واخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يتامـــل القلادة وهي بين يديه .. انهـــا قلادة الذكريات الغالية ...

قلادة الماضي الحبيب ..

وخيل الى الرسول الكريم والأب الحـــانى والزوج البار ، ان روح ام المؤمنين خديجة تطل عليه من ثناياها تذكره بزينب الحبيبة ، وبزوجهـا الشاب .. وحبهما !!

تذكره بزينب كبرى بناته وبناتها ، التى آمنت به وصدقته ، ووقفت بجوار زوجها كذلك ، فكانت الجديرة حقا بأن تكون ابنة محمد خير خلق الله ، وابنة ام المؤمنين خديجة سيدة نساء العالمين !!

وان زينب لتضرب الآن المثل الأعلى فى الوفـــاء والكرم والنجدة .. واطرق محمد صلى الله عليه وسلم طويلا والقلادة بين يديه .. ثم رفع رأســه وقال فى نبرة شبه هامســة لمن حوله من المسلمين

ـ ايها الناس ... ان رأيتم أن تطلقوا اسيرهـا وتردوا عليها الذى لها ، فافعلوا !!

واطاع المسلمون دون تردد ، ولبوا رغبة نبيهم فاطلقوا سراح الأسير .. واحضروه امامه ..

انفكت عقدة الأسير ، وبقيت عقدة الشرك بالله

ولكن لينتظر ابن العاص قليلا .. فإن ان هناك حسابا آخر معه لم يصفه بعد ..

ان ابن العاص زوج ابنته ما زال مشركا ، لـم يؤمن بالله ورسوله ، ولقد اتبع سيرة الجاهلية ، وكان من قوم اخرجوا المسلمين من ديارهم قسرا .. وكان القرآن الكريم قد بدأ فى تلك الآونة بالمدينة يشرع وينظم المجتمـــع الجديد ، ويبين القوانين السماوية الواجب ان يأخذ المسلمون بها .. ما نص صراحة على ان المرأة المسلمة لا تحل لكافر أو مشرك !!

وجلس المشرك امام صاحب اسره صامتا .. حتى تكلم الرسول الكريم فأخذ ينصت اليه وهو يحدثه حديث الاسلام فى الزواج ، وكيف انه يحتم عليه ان يطلق زينب . فدينها « الاسلام » يحرم

هذه الزيجة ويبطلها ، لأن المرأة اذا اسـلمت لم تصبح حلالا لزوجها المشرك ، فوجب التفريق بينه وبينها .. وهذا قول الله تعالى

« يـ أيهــا الذين آمنوا اذا جاءكــم المؤمنـــات مهاجرات فامتحنوهن ، الله أعلم بإيمانهن ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ، لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ... »

واقر « ابو العاص » الرسول على ما قال .. بل عدوه الترب من الأب الحانى واسر اليه ان ابنته زينب منحته نفسها خليلة فى ذلك امر الله .. وان صـــلة الزواج القلبية قد انفصمت بينه وبينها منذ اسلمت ودخلت دين الله ، ولكنه ابقاها فى بيته لأنها نور ذلك البيت وهى راحة وسعادة لكل من فيه ، وان رابطة الحب التى جمعت بين قلبيهما جعلت امر فراقها عزيزا عليه .. جعلته مستحيلا .

وتوسل ابو العاص الى رسول الله ان يتركه زينب حيث هى ، فهى ابنة خالته قبل ان تكون زوجته .

ولكن الرسول الكريم ابى ان يقبل الجدل فى حكم من احكام الله ، وأمر ان يرسل الزوج الكافر زوجته المسلمة لتلتحق بأبيها ، فهى طالق منه بحكم الشرع وامر الله ، ولا يصح شرعا ان يظلا متلاقيين تحت سقف واحد مع زوج هى حرام عليه ..

وهكذا أخذ النبى صلى الله عليه وسلم على ابى العاص وعدا بأن يخلى سبيل زينب شرطا لاطلاق سراحه .

وبرغم ابو العاص .. احنى رأسه للأمر الواقع وخرج من المدينة فى طريقه الى مكة ، وكان معه ـ بأمر الرسول الكريم ـ صحابياه زيد بن حارثة ، ورجل من الأنصـــار ، ليصحبا ابا العاص الى مشارف مكة ، وينتظراه هناك سرا حتى يأتيهمـا بزينب فيعودا بها الى ابيها .

وخلا النبى الى نفسه ..

ذهب الأسير .. وذهب غيره من اسرى قريش ، وتذكر الرسول فضل الله عليه فى « بدر » فرفع الى السمـاء وجهه شاكرا ..

ابو العاص يعود الى زينب في مكة

وعاد الأسير الى بيته بعد طول فراق ، لا ليتمم بالراحة والهدوء ، ولا ليسترجع ماضيا طال حنينه اليه .. ولكن لينظر الى زوجته وقلبه يتقطع ، ان اباها قد قيده بوعد رهيب كان الموت أهون عليه منه ..

وهكذا كان اللقاء .. اشبه وداع .

أي موقف رهيب وغريب بين زوجين متحابين !!

لحظات وداع ليس القلم ان يطيق وصفها .. بل ان الفكر ليعجز عن وضع صورتها الباكية الحزينة في وضعها الصحيح !!

واطاعت زينب امر الله ورسوله ، وهيأت نفسها لمفارقة دارها ، ومكة وما حوت ، لتلحق بابيها العظيم في المدينة .

وعلمت هند بنت عتبة ان زينب تتجهز لتلحق بابيها ، وارادت ان تستوثق من الامر ، فذهبت اليها وقالت لها متلطفة :

ــ يا بنت محمد ، ألم يبلغني انك تريدين اللحوق بابيك ؟

فاجابتها زينب : ما اردت ذلك .

فقالت هند : أي ابنة عمي ، ان كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك او بمال تتبلغين به الى ابيك ، فان عندي حاجتك ، فلا تستحي مني او تتهيبني ، فانه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال !!

وكادت زينب ان تفضي الى هند بنبأ سفرها الى ابيها لولا انها شعرت ببعض القلق فانكرت انها كانت تريد ذلك بقولها الذي قالته فيما بعد :

« والله ما أراها قالت ذلك الا لتفعل ، ولكني خفتها ، فانكرت ان أكون اريد اللحوق بيثرب » .

فراق مكة

وحلت لحظة الفراق الرهيبة بين زينب وابي العاص .. فبكت هي ، وتخاذل هو .. وعجز عن مواجهة الموقف العصيب ولم تحمله عواطفه ليحياه بل لم يجد في نفسه القدرة لأن يرى زينب الحبيبة الغالية وهي تفارق بيته ، وعز عليه ان يشاهدها وهي تغادر مكة ، فطلب من أخيه « كنانة بن الربيع » ان يصحبها الى حيث ينتظرها مبعوثا أبيها رسول الله ، زيد بن حارثة ومن معه ، لتعود معهما الى المدينة ..

وكانت قريش في تلك الآونة العصيبة مليئة القلب بالحقد على محمد الذي اطفئ احلامها الرعناء في « بدر » . وكان جرح هزيمة الضلال لم يندمل بعد .. وكانت اصداء النفحات واصوات الباكيات ما تزال تدوي في كل بيت ، رغم أن أبا سفيان وزوجته هند بنت عتبة حرما البكاء حتى لا تشمت المدينة بقريش .

خرجت زينب مع كنانة بن الربيع اخو زوجها ، وقدم لها بعيرا فركبته ، واخذ قوسه وكنانته وخرج بها رابعة النهار بين سمع قريش وبصرها .

ولما كان النبي لم يمهد بحال من الاحوال لعودة زينب الى ابيها ـ فقد حدث ان ثارت قريش كلها لهذه الجرأة ، وخرجت وعلى راسها السفهاء جميعا ليلحقوا بها وليعيدوا بنت محمد الذي هزمهم في اعظم الى دار مقتلها ..

وارهب هجوم قريش المفاجئ زينب ، وقد لحقوا بها قرب مكة وادركوها « بذي طوى » وهم يصيحون صيحات الغضب !!

واقترب منها بعضهم . وكان اسبقهم اليها « هبار بن الاسود الاسدي » الذي روعها بالرمح ، وقد كان حزنه شديدا على اخوة له ثلاثة ، صرعوا جميعا في بدر بايدي رجال ابيها ..

فما كان منه عندما راى زينب بنت محمد الا أن اقترب برمحه ونخس البعير الذي يحملها ، فالقى بها على صخرة هناك .. وكانت زينب « حاملا » فطرحت حملها لشدة ما اصابها من خوف وفزع ..

وسرعان ما تصدى للمجموعة الثائرة الحاقدة مرافق زينب ، كنانة بن الربيع ، ونثر سهامه والسم ليقتل الجريء الذي يقترب منها ..

وتقدم اليه ابو سفيان بن حرب ، سيد قريش ، وهمس في اذنه معاتبا ومعنفا اياه لانه تحدى مشاعر اهليه ، وقال له :

ــ ان خروجك علانية بابنة محمد الذي تكلم ، يجعل الناس يظنون ان ذلك من ذل وضعف منا !! ولعمري ما لنا في حبسها عن ابيها من حاجة ، ولكن ارجع بها ، ليهدأ الناس ويتحدثوا بانا رددناها ، ثم اخرج بها سلا في ستر الظلام والحقها بابيها !!

وكبر على « كنانة » ان يردها ، ليعود فيتسلل

بها سرا بعد أن يعرف الجميع أن قريش ردتهـا ثانية الى ديارها .. ولكن ما كاد يراها تتألم وقد طرحت حملها على رمال الصحراء حتى أسرع بها الى مكة ...

عاد الركب ... وفيه زينب وابن الربيع .. فهدأت ثائرة القوم وظنوا أن هذا نصر مؤزر على محمد !!

وما ان أقبل الليل حتى خرج كنانة بن الربيع ومعه المطهرة ابنة الرسول تسترها الظلمة الى حيث كان ينتظرهمـا زيد بن حارثة وصاحبه ، فسارا بها الى المدينة دون أن يتبعها أحـد ممن طاردوها بالأمس ، وقد ركبهم الخزى والعار مما حدث لزينب ، ومما قالته هند بنت عتبة تعيرهم والسخر بهم حيث قالت :

ـ أمعركة مع انثى عزلاء !! فهلا كانت هذه الشجاعة في بدر .

أفي السلم أعيـار ، جفاء وغلظة .
وفي الحرب أشباه النساء العوارك ؟ !

وعاد كنانة الى أخيه ابو العاص بعد أن اطمأن على وصول زينب يردد :

عجبت لهبار وأوبـاش قومـه
يريدون اخفارى ببنت محمـد
ولست أبالى ما حييت عديدهم
وما استجمعت قبضا يدى بالمهند

زينب عند أبيها

ما كادت زينب بنت الرسول الكريم تصل الى المدينة ويسمع أهلوها بما حدث لها حتى ثار لها الجميـع وغضب الأب الرسول لابنته ، وقال أحد شعراء الأنصار منذرا متوعدا :

أتانى الذى لا يقدر الناس قدره
لزينب فيهم من عقوق ومأثم
فأقسمت لا تنفك منا كتائب
سراة خميس في لهام مسوم
نزوع قريش الكفر حتى نعلها
بخاطمة فوق الأنوف بميسم
ننزلهم أكناف نجد ونخلة
وان يتهموا بالخيل والرجل نتهم
يد الدهر حتى لا يعوج سربنا
ونلحقهم آثار عاد وجرهم

فأبلـغ « أبا سفيان » اما لقيته
لئن أنت لم تخلص سجودا وتسلم
فأبشر بخزى في الحياة معجل
وسربال قار خالدا في جهنم

وعاشت بنت محمـد في معقل الاسلام تشفى شقاءه وتستروح عبيره وتهنأ في ظله ناعمة برعاية أبيهـا ، قريرة العين بما وصل اليه حال الاسلام والمسلمين ..

وكانت المدينة في تلك الآونة ، أشبه ما تكون بخلية ، نحلاتها دائبات على العمل المثمر المفيد ، عيون يقظة ، ونفوس متوثبة ، وقلوب تتفتح لتعاليم الدين ، ولا شىء العمل من أجل اعزازه وارهاب الكافـرين ، فخرجت السرايا تجوب الصحراء وتترصد بأعداء الله ، وترى سفهاء مكة أن المسلمين عيونهم لا تنام ..

واطمأن محمد في المدينة ، وبدأ يوجه السرايا للكشف والاستطلاع وعينه الساهرة ترعى شئون من أيدوه ..

أبو العاص ، زوج زينب ، في المدينة مرة أخرى

وذات يوم ، وقعت في يد سرية من هذه السرايا ، وكانت تحت قيادة زيد بن حارثة ، قافلة خرجت في تجارة . وكان على رأسها أبو العاص بن الربيع ..

يا للمفارقة !!

وتلاقى الوجهان مرة ثانية .. أبو العاص ، وزيد ...

لقد صحبه في المرة الأولى ليعود بزينب الحبيبة الى أبيها ويظلم بيته من نورها ، وها هو يلقاه في المرة الثانية ... ليستولى منه على تجارة قريش!!

وأبى أبو العاص أن يترك الفيء للمسلمين وأصر على ألا يعود الى مكة .. ووجد نفسه يسير الى المدينة ولكن .. الى أين .. فلله ما لم يكن يدريه !!

لقد كان بوسعه أن يعود الى أهله من قريش بلا عير ولا مال ، اذ لا دخل له فيما حدث ولا حيلة فيما كان ... ولكنه عز عليه أن يعود للقوم وقد فقد أموالهم قبل أمواله ، فأصر على أن لا يعود ،

وبقي في المدينة وهو لا يدري ماذا يصنع أو كيف يتصرف ...

وعاد المسلمون بغيتهم وتركوا « ابن الربيع » يندب حظه وضياع مال الناس وماله ، حتى أمسى الليل عليه وهو لا يعرف ماذا يصنع ؟

أيعود الى قريش صفر اليدين من ماله ومال غيره من الناس ليخبرهم بأن رجال محمد هاجموه! وأنه لم يستطع دفاعا عن نفسه ولا عن ماله ..؟!

ولم تزله هذه الفكرة ، وراح يفكر من جديد في حل .. انه يعرف مكانته من زينب بنت محمد ، زوجته سابقا ؟ ويعرف مكانة زينب من أبيها ، فلم لا يلجأ الى حمايتها مرة أخرى وهي التي افتدت حياته قبلا وافتدته يوم وقع بين أسرى « بدر » ؟!

وبينما الليل يلف الصحراء بعباءته السوداء ، دخل « أبو العاص » المدينة ووقف قريبا من حجرات النبي يتعرف مكان مطلقته زينب ، وما كاد يراها حتى استجار بها وسألها أن تكون شفيعته في رد ماله !!

وقال لها : أجيريني يا بنت محمد .. !!

أي موقف حرج يقفه ابن الربيع بين يدي حبيبته المطلقة ؟!

وأي موقف تقفه بنت الرسول من حبيب فارقته على عينها بأمر الله ؟!

واصغت زينب الى صرخة الاستنجاد التي انطلقت من قلب حزين كانت هي أحب المخلوقات الى صاحبه .. ومرت أمامها حشود من الذكريات الغالية ثم غامت عيناها ، وحارت .. ولم تدر ماذا تفعل !!

ان أبا العاص بن الربيع يستجير .. لا بزينب مطلقته ، أو ابنة خالته ... بل بنت محمد البشير الكريم .. فماذا تفعل وأي موقف تتخذه من هذه الاجارة التي تحتم تقاليد العرب قبولها ، فكيف بالهاشمية بنت رسول الله ..

وانجابت عن صدر الصحراء ظلمة الليل ، وخرج المسلمون للصلاة ، وكبر رسول الله فيهم وكبر الناس معه .. حتى فرغ المسلمون من صلاتهم .. واذا بصوت نسائي يشق الفضاء مناديا في جموع المسلمين "

أيها الناس !! قد أجرت أبا العاص بن الربيع "

زينب بنت رسول الله تجير قرشيا مشركا !! ان المسلمين تسابقوا سراعا ، يلبون نداء زينب ويخلون سبيل الرجل ! فهو آمن ما دامت زينب قد أعطته الأمان وضمنت سلامته !!

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لجموع المسلمين الذين نظروا اليه كمن يستفسرونه سر هذه الاجارة ، وفي هدوء وتؤدة قال الرسول :

ـ والذي نفسي بيده ما علمت من هذا شيئا ، بل سمعته الآن كما سمعتم !! انه ليجير على المسلمين أدناهم !

ثم قام الرسول الى بيته وقد أحمد وجهه عليه الصلاة والسلام من التعب ، وذهب الى زينب ابنته يلومها على اقحامها نفسها في هذا الأمر ولعرضها بالاجارة الى مطلقها وقال لها :

ـ أي بنية ، أكرمي مثواه ، ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له .

ثم بعث رسول الله الى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم :

ـ ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فان تحسنوا وتردوا عليه الذي له فانا نحب ذلك ، وان أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء الله عليكم فأنتم أحق به .

فقالوا : يا رسول الله بل نرده عليه ..

وتسابق الغزاة من المسلمين في رد ما أخذوه من أبي العاص بن الربيع ، مرضاة للرسول وتكريما لابنته التي أجارته !

ولم ينسوا أن يظهروا اخلاصهم لدينهم وهم يعطون أبا العاص تجارته ، فعرضوا عليه الاسلام !

وأبى أبو العاص !! أبى أن يعلن اسلامه وفي نفسه أمر لا يعلمه الا الله !

أمر لم يرد اعلانه الا بعد أن يؤدي الذمم التي عنده لأصحابها !!

أبو العاص في مكة

وترك المدينة وسار في طريقه آمنا الى مكة ..

وخرجت قريش فرحة سعيدة تستقبل أبا العاص ابن الربيع الذي راح يعطي لكل ذي تجارة تجارته ولكل صاحب مال ماله ، والقوم سعداء فرحون لا

يكادون يصدقون ما حدث .. حتى لم يبق لأحد عنده شيئا .. وعندها ارتقى نشزا من الارض وصاح في الجميع الحاشد من قومه :

ـ يا معشر قريش .. هل بقي لاحد منكم عندي مال لم يأخذه !

ـ لا .. فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما ..

فقال :

ـ واذن فاسمعوا واشهدوا اني : اشهد الا اله الا الله ! واشهد أن محمدا رسول الله !!

اسمعها مدوية على رؤوس الملأ جميعا ، والله ما منعني من الاسلام عنده الا تخوف أن تظنوا اني انما اردت أن آكل اموالكم ، فلما اداها الله اليكم وفرغت منها أسلمت ..

«واني اليوم لراحل الى يثرب ..»

وتملك القوم وبهتوا .. وراحوا ينظرون الى ابي العاص الذي هتف فيهم بكلمته الاخيرة قائلا

ـ واني اليوم لراحل الى يثرب ، لاستدرك ما فاتني من عمر طويل في الجهاد في سبيل الله مع المسلمين ، وراء الصادق الامين ، محمد رسول الله !!

وضجت قريش كلها .. ثم ران عليها صمت الخزي الجديد الذي انزله بها ابو العاص بن الربيع ، ووقفت لا تحير جوابا ، بل راحت ترقب في اسى هجرة ابن من اعز ابنائها وهو يغادرها يمتطي راحلته ليلحق بمحمد والمسلمين في المدينة ..

ابو العاص بن الربيع في يثرب

ووصل ابن الربيع الى يثرب ..

وكان اللقاء عظيما بينه وبين المسلمين .. حيثما رأوه يدخل على محمد صلى الله عليه وسلم ويعلن اسلامه الذي كان اخفاه ساعة اجارته زينب وعرضه عليه المسلمون !!

وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعودة ابو العاص ، واسعده ان اعلن اسلامه جهارا في قريش ، واكبر فيه الوفاء بعهده ، واصراره على رد امانات القوم اليهم ، واباءه ان يعلن اسلامه من قبل حتى لا يقال انه ساوم فيه التجارة وعروض المال ...

ورد اليه زينب بزواج جديد .

زينب تعود الى ابي العاص

وعادت زينب الوفية الى زوجها الكريم الذي ما فتر قلبه عن حبها .. عادت اليه لينعما بالسعادة من جديد ... في ظل الاسلام وعز المسلمين ..

وعاشت زينب وزوجها حياة رغدة يظللها الحب الكبير الذي عجز عن ابرائها من علة قديمة لزمتها يوم طرحت حملها وهي خارجة من مكة بليل ، مع كنانة بن الربيع ، ليسلمها الى زيد بن حارثة .

وطأة الداء القديم ، ووفاة زينب

ثم اشتدت وطأة الداء وانحل جسدها حتى دنى منها الاجل المحتوم ، واسلمت الروح بين يدي زوجها الحبيب الذي روعه المصاب ، واخذت بلبه الفاجعة فكاد يجن ، ولم يتصور كيف يعيش لحظة واحدة بعد زينب الصبية الوفية ، وراح يندبها ولم يسكته الا مقدم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاء ليلقي على كبرى بناته نظرة الوداع ويأمر النساء بغسلها وترا ، ثلاثا او خمسا ، وان يجعلن في الآخرة كافورا ..

ودفنت زينب بالبقيع ، وتركت لزوجها قطعة حية منها هي وحيدته « أمامة » التي كانت سلواه ومتنفس روحه ، فعكف على تربيتها ولم يفكر في أن تحل امرأة اخرى مكان بنت محمد .

كما كانت امامة مصدر راحة لجدها العظيم ، فكان يحملها معه في اغلب الاحيان ، وكان يحملها على عاتقه ويصحبها معه حتى وقت تأدية الصلاة الى أن يقضي صلاته ، ثم يعود اليها فيحملها ثانية .. وكأني به كان يسترّوح فيها عبق الجنة التي بعثت زينب في ظلالها ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، يوفي الصابرين حقهم ويولي اهل الحب والوفاء ما هم اهله من الدرجات العلا في الفردوس النعيم .

سمية قراعه

الصندوق الكويتي
للتنمية الاقتصادية العربية

حقق الكثير مما رجاه من إعانة الدول العربية
على تنفيذ بعض مشاريعها الاقتصادية

وطننا العربي الكبير يمر اليوم بفترة انتقال حاسمة في تاريخه ..

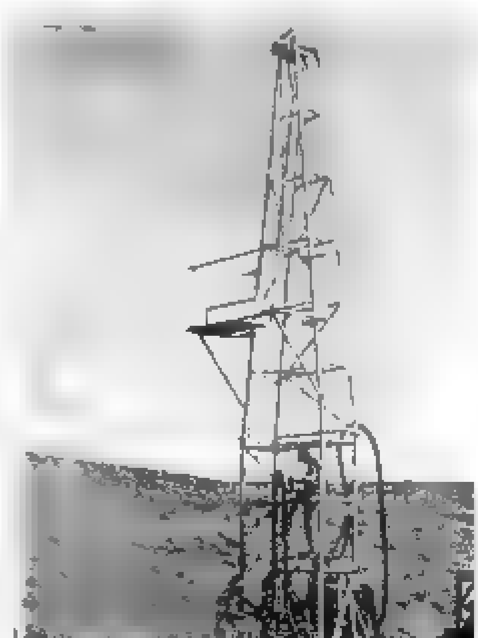
انها فترة بناء ، وتعمير ، وانشاء مشاريع اجتماعية واقتصادية وصناعية لرفع مستوى الشعب العربي حيثما كان .

في عام ١٩٦١ قام وزير مالية الكويت الشيخ جابر الاحمد الصباح على رأس وفد اقتصادي كويتي بجولة في البلاد العربية اطلع خلالها على مدى حاجة البلاد العربية الى رؤوس الاموال اللازمة لتمويل مشاريع التنمية فيها ..

وشهد يوم ٣١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦١ مولد « الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية » ... وحدد الغرض من انشائه وصيغته انه « لمساعدة الدول العربية في تطوير اقتصادياتها ومدها بالقروض اللازمة لتنفيذ برامج التنمية فيها » .

خير الامة العربية هو
مجموع الخير الحاصل لدولها

ويقدم الصندوق القروض للدول العربية لتمويل



الى اليمن : تشمل الاردن على مناطق عدة بحاجة الى التوسعات مثل منطقة العقبة ، وقد خصص صندوق التنمية مبلغ ٣ ملايين دينار لتطوير هذه المنطقة ، وانشاء مصنع لنقل طاقته الانتاجية الى نصف مليون طن سنويا



السكك الحديدية هي وسيلة النقل الرئيسية في السودان .. وقد قام صندوق التنمية الكويتي بتقديم ٧ ملايين دينار لتمويل المرحلة الثانية من مشروع لتحسين سكة الحديد [illegible] من تمويل شراء ٢٥ قاطرة ديزل واضافة عربات وقضبان جديدة ، ومعدات وآلات ، ومعدات ورش لتصليح واصلاحه ، بالاضافة الى انشاء مرسيين جديدين في ميناء بورسودان ، ويعتبر هذا مشروع فائدة كبيرة ، اذ سيزيد من كفاءة سكة حديد السودان ، ومن طاقة ميناء بورسودان .. وسيتم العمل في مشروع [illegible] ، وقد بدأ اخيرا في [illegible] [illegible]

المشاريع التي تتميز بأولويتها في مخططات الانماء ، والتي تثبت فائدتها الاقتصادية والقومية ، والتي تساهم في تطوير النفع العام العائد الذي سوف تتمخض عنه هذه المشاريع ..

وهنا تظهر النية الطيبة للكويت ، انها تريد ، كما يدل اسم الصندوق ، ان تعين على تنمية الدول العربية في اقتصادياتها .. والتي على قدرتها على الحياة ..

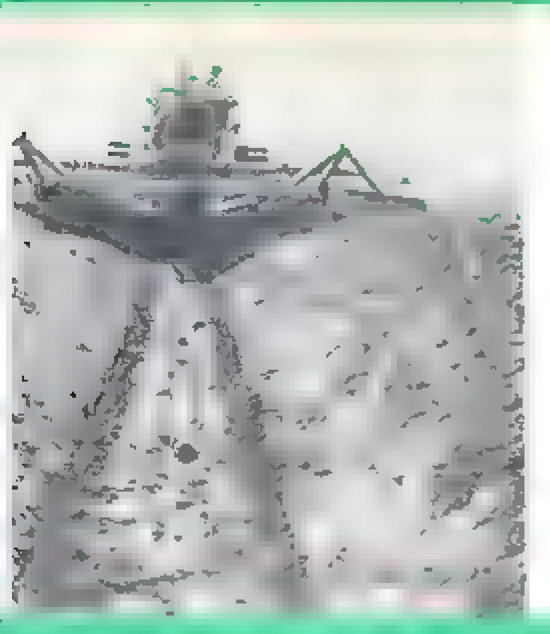
والكويت ادركت بهذا ان الدول العربية انما هي كالاعضاء في الجسم الواحد التي هي عضو فيه ، جبلها الله بما حبا ، وان قوة هذا الجسم تعود في النهاية على اعضائه قوة وكرامة وجهادا مشتركا في الحياة .

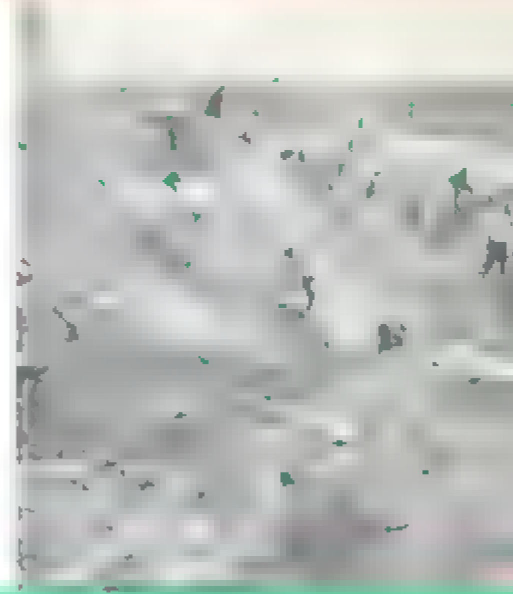
مبادىء لا بد منها

بدأت السنة الاولى للصندوق برأسمال قدره ٥٠ مليون دينار .. وفي هذه السنة تبلورت المبادىء والاسس التي سوف يسير عليها الصندوق ، وتقبلت الدول العربية هذه الاسس والمبادىء بالارتياح .. ثم زيد رأس ماله اخيرا الى ١٠٠ مليون دينار .

ويلتزم الصندوق بالقيد الوارد في نظامه ، فلا يعطي قرضا تزيد عن ١٠٪ من قيمة رأسمال الصندوق . وكذلك لا يجوز ان يتجاوز ما يعطيه الصندوق عن النقد الاكثر من ٥٠٪ من تكاليف المشاريع الاقتصادية .

وفي العام الثاني أعطى الصندوق الاولوية للدول التي تقدمت لاول مرة بطلب قروض ، حتى يعم نشاطه مختلف اجزاء الوطن العربي . على انه ، في نفس الوقت ، اهتم بدراسة وتقييم المشاريع الجديدة المقدمة اليه من الدول التي لم يكن لها اولوية حتى تكون على اهبة الاستعداد للقرض عندما يجيء اوانه .





هذا الوادي ... هذا مشروع سوف تصبح فيه ... مزارع جديدة بالاضافة الى المزارع البسيطة على ضفاف الترعة والمقتصرة على الاشجار ... الاعمال التي ما تزال تحت الانشاء ...

مرونه

ويصادف الصندوق اثناء القيام بعملياته اوضاعا اقتصادية تتباين تباينا كبيرا بين بلد عربي واخر. ونظرا لهذا الاختلاف يحاول الصندوق ان يبدي ما يمكنه من المرونه في معالجة مسائل التنمية في هذه الدول ضمن اطار قوانينه وانظمته .

سعر الفائده ومده السداد

اما سعر الفائده ، الذي حدده الصندوق لقروضه ، فيتراوح بين ٢ و ٤ بالمائة .

اما فترة سداد القرض فيراعي الصندوق ظروف وحاجات كل مشروع . وقد تراوحت مده السداد حتى الآن بين ١٠ سنوات و ٢٥ سنه .

مدير الصندوق يتحدث

وجلسنا الى الاستاذ عبداللطيف يوسف الحمد مدير عام الصندوق .. انه من الشباب الكويتي الواسعي الالمام بشئون الاقتصاد والمال.. وهو كتله نشاط لا تهدا او تستقر ، يدرس المشاريع على الاوراق ، ويطير الى مواقعها لرؤيتها رؤيه الحى .. ويعمل ويناضل المسئولين حتى اصبح يلم الماما كبيرا بأهم المسائل الاقتصادية في الوطن العربي

وطلبنا منه ان يحدثنا عما ينتويه الصندوق للبلاد العربية خلال السنوات الثلاث التالية البرامج ، وعن مشاريع المستقبل ، فقال

... الفنادق السياحيه ... لتمويل مشروع انشاء وتجهيز فندق ... اسمى المشروع ، وهذا الفندق يستقبل ... لا،



مجال تطوير الزراعة ... وينتظر ان ينجز المشروع كله قبل بداية الموسم الزراعي القادم

ـ « لقد حقق الصندوق خلال السنوات الثلاث الماضية اعمالا كبيرة مرضية .

فلقد قمنا بتقديم ١١ قرضا مجموع قيمها ٣٩ مليون و ٥٠٠ الف دينار الى خمس دول عربية مختلفة .

« واستمر الصندوق في توسيع علاقاته مع الدول العربية عن طريق ارسال المندوبين الذين قاموا بدراسة المشاريع الجديدة ، وبحثوا امكانية اعطاء قروض جديدة

« كما زارت بعثات اخرى الدول التي للصندوق فيها مشاريع تحت التنفيذ لتتبع سير العمل وتقدمه ..

« كما وفدت الى ادارة الصندوق بعثات من عدة دول عربية .. » .

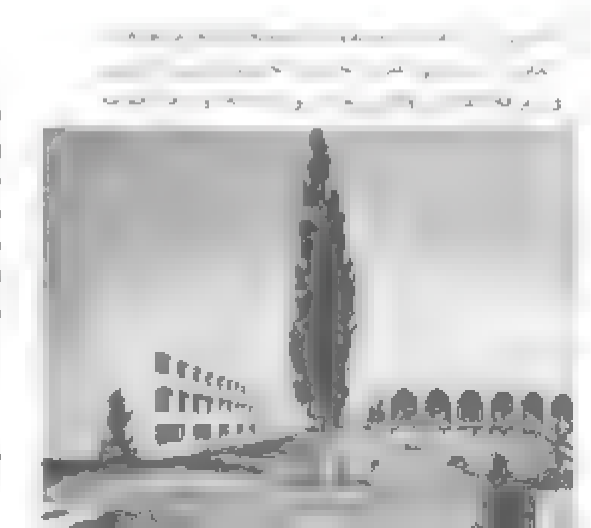
نقص الدراسة عطل القروض

ومضى مدير الصندوق يقول :

« وقد تلقى الصندوق في العام الماضي ، طلبات قروض من الجزائر والاردن، والمغرب والسودان، وسوريا ، وتونس ، قام خبراء الصندوق بدراستها ، فوجدوا ان بعضها لم يستوف دراسته ، ولم تثبت جدواه الاقتصادية بعد ، بسبب نقص المعلومات ، ونحن نأمل ان توفر لنا المعلومات الكافية ليتمكن الصندوق من ابداء رأي نهائي فيها » .

مصنع جديد للسكر في السودان

« ومن المشاريع التي كانت في مرحلة متقدمة من الدراسة عند نهاية هذه السنة المالية مشروع



مصنع للسكر ومشروع مطار في السودان ، ومشروع زراعي ومصنع لتعبئة الورق في المغرب .

وقد تم تقييم مشروع مصنع السكر والسودان بعد نهاية السنة المالية بقليل ، ووافق الصندوق على المساهمة في تمويل المشروع بمبلغ ١٧٠٠٠٠٠ دينار

كما تم التقييم الاولي للمشاريع الاخرى . وينتظر الصندوق الآن معلومات جديدة من الجزائر والمغرب والسودان وسوريا وتونس عن هذه المشاريع » .

المشاريع التي ساهم فيها الصندوق

« اما معدل السحب من القروض المقررة التي يقوم الصندوق بتمويلها ، فقد ارتفع بسرعة خلال عام ٦٤/٦٥ حيث بلغ ما سحب خلال هذه السنة ٢,١ مليون دينار ، مقابل ١,٣ مليون دينار للسنة الماضية ، و٠,٥ مليون دينار للسنة التي سبقتها .

« ويظهر الجدول التالي مجموع المسحوبات الى مجموع القروض حسب المشاريع حتى نهاية شهر يونيه ١٩٦٥ .

المشروع	مبلغ القرض	المبلغ المسحوب
سكة حديد السودان	٧٠٠٠٠٠٠	٦٧١٢
فوسفات الحسا	٣	٩٢ ٢٨
مشروع اليرموك	١	١١٩٧٩٨
كهرباء لواء القدس	٢٠	٩١
فندق القدس السياحي	١٧٥	١٧٥
فنادق الاردن [illegible]	٨٥٠	٦٢٠٩
وادي مجردة تونس	٣	١٥ ٧٠٠
[illegible]	١٠٠٠٠٠٠	٢١٩٩٨١٨
انبوب النفط بالجزائر	٧٥	١٧٥١٢٩٧
قناة السويس	٩٨	٩٤٣٣١٣
مصنع السكر في السودان		

وتبين المسحوبات التقدم المرضي في تنفيذ معظم المشاريع .

ثلاثة مشاريع اعطت ثمارها

ويستطرد الاستاذ عبد اللطيف الحمد مدير الصندوق فيقول :

« ومن دواعي الاغتباط ان اثنين من المشاريع التي ساهم الصندوق في تمويلها ، وهما كهرباء لواء القدس ، وفندق القدس السياحي ، قد تم تنفيذهما وابتدأ تشغيلهما .

« كما ان مشروع سكك حديد السودان قد اوشك على الانتهاء وابتدأ تشغيله كذلك . ومما يذكر ان هذا اول قرض منحه الصندوق ، وكان لتمويل جزء من مخطط عام لتحسين وتوسيع شبكة سكة حديد السودان خلال عشر سنوات ، وعلى ثلاث مراحل .. وكان البنك الدولي قد مول المرحلة الاولى وسيستعمل قرض الصندوق لتمويل المرحلة الثانية من المخطط ، وسيمول البنك الدولي المرحلة الثالثة منه

اول انبوب نفط تملكه حكومة الجزائر

ويستطرد المدير في القول :

« وفي الجزائر قام الصندوق بتمويل مشروع انشاء خط انابيب ثالث لنقل النفط الخام ، يبلغ طوله ٨٠٥ كيلومترا ، وقطره ٢٨ بوصة ، من حقول النفط « بحاسي مسعود » في منطقة حوض الحمراء ، الى ميناء ارزيو على البحر المتوسط .

« وستكون طاقة الانبوب الاولية ١٠,١ مليون طن من النفط الخام ، مع امكانية زيادة هذه الطاقة في المستقبل الى حد ٢٢ مليون طن سنويا باضافة محطات ضخ جديدة الى الثلاث محطات الموجودة حاليا .

« وتقدر تكاليف المشروع بحوالي ٢١ مليون دينار كويتي ، منها حوالي ٨٠٪ بعملات اجنبية ، ويغطي قرض الصندوق حوالي ٢٧٪ من مجموع احتياجات العملات الاجنبية ، وتم تغطية الباقي من قبل بنوك اجنبية . وهذا هو اول انبوب تملكه وتديره الحكومة الجزائرية كاملا ... ويتوقع ان يتم تشغيله قبل نهاية ١٩٦٥ ليساهم مساهمة كبيرة في زيادة واردات الجزائر من العملات الاجنبية عن طريق زيادة النفط المصدر » .

احياء وادي سردود في اليمن

« اما اليمن فقد وافق الصندوق على عقد



... من الاعمال التي تعود بالنفع على العالم كله [illegible]

المشاركة مع الصندوق الخاص للهيئة الخاصة بالامم المتحدة ومنظمة الاغذية والزراعة الدولية في المرحلة الاولى من تطوير وادي سردود في منطقة تهامة باليمن . وتتضمن هذه المرحلة دراسة شاملة للوادي وامكانية تطويره ، واجراء مسح جوي للمنطقة وانشاءات تكميلية كالطرق والمباني والمزارع التجريبية وكذلك تدريب ابناء اليمن ..

« ويتحمل كلفة المشروع كل من الصندوق الكويتي والصندوق الخاص لهيئة الامم » ..

« ويرى خبراء صندوق التنمية انه لا بد من اجراء مسح شامل لامكانيات اليمن الاقتصادية قبل البدء بتنفيذ اي مخطط عام للتنمية ... وقد زارت اليمن بعثة من الصندوق للتشاور مع الحكومة اليمنية حول هذا المشروع لتهيئة الامور لتنفيذه ، ومن المنتظر ان تسافر بعثة اخرى في اواخر السنة الحالية لانهاء بعض المسائل المتعلقة لتمكين البدء بالعمل .

تعاون دولي

ويختم السيد عبد اللطيف يوسف الحمد مدير عام صندوق التنمية حديثه بقوله

« ويأمل الصندوق ان يتسع التعاون القائم حاليا بينه وبين المؤسسات الدولية بحيث يصبح في المستقبل واسطة لتوجيه الرأسمال الدولي نحو المشاريع العربية ، ليتمكن بذلك من اداء دوره الفعال في خدمة الاقتصاد العربي عن طريق انماء الامكانيات الحضارية في وطننا الكبير ، وبذلك يتمكن من خدمة الامة العربية عن طريق اسعاد الفرد العربي .. والله الموفق » .

طرائف عربية

سكير عند الوالي

● حمل [illegible] الى الوالي [illegible] [illegible] سكره .

[illegible]

قال : [illegible]

فقال الرجل [illegible]

[illegible] ؟

لا يكون شيء الا بشيء !

● قيل لاعرابي

ـ اتريد ان يكون لك الف درهم ؟

قال : نعم واضرب مائة جلدة .

فقيل له : ولماذا تريد ان تضرب مائة جلدة ؟

قال : لأنه لا يكون شيء الا بشيء !

حكمة ماثورة

● قال [illegible]

[illegible]

[illegible] الاعمى .

[illegible]

الرؤيا حق .. والتاويل باطل

● لقي ابن جامع ابراهيم الموصلي ، وكانا من افطاحل الغناء في عصر العباسيين ، فقال ابن جامع : رايت كاني واياك في مركب واحد ، ثم سقطت انت حتى كدت تلتصق بالارض ، وعلا الشق الذي انا فيه . ففسرت هذا بان صيتي سيعلو عليك في الغناء ...

فقال ابراهيم : [illegible] حق والتاويل باطل [illegible] في [illegible] فرجحت كفتي [illegible]

قد ضل من كانت العميان تهديه

● نعي [illegible] رجلا عربيا [illegible] في منزل احد سكان البصرة ، [illegible] في [illegible]

[illegible] الاحد [illegible]

فقال : ولكن الا ترشدني ؟

فقال بشار : اتريد من الاعمى الارشاد

[illegible]

[illegible]

اعمى يقود بصيرا لا ابا لكم
قد ضل من كانت العميان تهديه

زيارة المريض

● دخل يوم [illegible] مريض [illegible] [illegible] الهم [illegible] [illegible] لا يطيق [illegible] [illegible] عمره ؟

ابن عباس يحفظ شعر عمر بن ابي ربيعة !

● كان عبد الله بن عباس يقول : « ما سمعت شيئا قط الا رويته ، واني لاسمع صوت النائحة فاسد اذني كراهة ان احفظ ما تقول » !

وبينما هو في المسجد الحرام ذات مرة ، وعنده نافع بن الازرق وناس من الخوارج يسألونه ، اذ اقبل عمر بن ابي ربيعة وجلس ، فقال له ابن عباس : « انشدنا » فانشده :

امن آل نعم انت غاد فمبكر غداة غد او رائح فمهجر

واستمر ينشد حتى فرغ من قصيدته ، وابن عباس مقبل عليه ، فقال له نافع بن الازرق : الله الله يا ابن عباس ! انضرب اليك اكباد المطي من اقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام ، فتتثاقل عنا ، ويأتيك غلام مترف من مترفي قريش فينشدك :

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيخزى واما بالعشي فيخسر ؟

قال ابن عباس : ليس هكذا ، بل قال :

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالعشي فيخصر

فقال نافع : الله الله ! ما اراك الا قد حفظت [illegible]

قال : « اجل ، وان شئت انشدتك القصيدة » .

قال : « فاني اشاء » ، فانشده القصيدة حتى اتى على آخرها . .

قال له نافع : « ما رأيت اذكى منك » .

قال : « لكني لم ار اذكى من امير المؤمنين علي بن ابي طالب » .

المنصور والخوارج

● قال المنصور لبعض الخوارج ، وقد أتي به اسيرا :

ـ اخبرني اي اصحابي كان اشد اقداما في مبارزتكم ؟

فقال : ما اعرف وجوههم بعينها ، وانما اعرف اقفاءهم ، فمرهم ان يديروا ظهورهم لاعرفك اشدهم ادبارا !

بشار بن برد يختبر جارية

● امر المتوكل [illegible] بشار الشاعر [illegible] يختبر جارية زعمت انها تنظم الشعر .

فقال لها بشار : اتقرضين الشعر ؟

قالت الجارية : نعم .

قال بشار : [illegible] اجيزي [illegible]

[illegible]



● تميزت هذه المسابقة بكثرة الردود الصحيحة التي وردت من اكثر من ٤٠ دولة مختلفة .. ولوحظ اشتراك بعض الدول لاول مرة باجابات عديدة جاءت من بلغاريا وامريكا اللاتينية وغينيا .

وقد اجريت المسابقة بين الاجابات ففاز القراء الآتية اسماؤهم فيما بعد بجوائز مجموع قيمتها ١٠٠ دينار :

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا فاز بها : عبد الله حسين النار المكلا ــ حضرموت .

الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا فاز بها : هاني حجرات ــ محكمة استئناف عمان ــ الاردن .

الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير فاز بها : عوض محمد الهادي بالكويت .

٨ جوائز قيمة كل منها ٥ دنانير فاز بها :

١ ــ خديجة الميلودي ــ الدار البيضاء ــ المغرب .

٢ ــ محمود امين احمد ــ اسبورتنج ــ اسكندرية .

٣ ــ حسين حسون العربي ــ البصرة ــ العراق .

٤ ــ رجاء وهبه صعب ــ الشويفات ــ لبنان .

٥ ــ فوزي عبد الله الارناؤوطي ــ بنغازي ــ ليبيا .

٦ ــ محمد الحاسر الماضي ــ الرياض ــ السعودية .

٧ ــ عبد الملك محمد القرطلي ــ ميتشجان ــ امريكا .

٨ ــ الياس حماره ــ اللاذقية ــ سوريا .

وسوف ترسل الجوائز بالبريد للفائزين . ■



بقلم : الدكتور
منذر العنبتاوي

■ قبل حوالي خمسين عاما لم يجد الفنان البلجيكي « اللاجئ » في منزل الأديب الهولندي « من شيء يقدمه الى مضيفه الكبير ، لقاء اقامته في منزله طيلة سنوات الحرب العالمية الأولى ، سوى لمسة من فنه العبقري .

وفي تردد وارتباك قال له وقد ازمع على الرحيل :

اعترف بأنني عاجز عن الوفاء بما قدمته لي .
ولكن هل تسمح لي بصنع تمثال صغير لابنتك الصغيرة ليكة ؟

واجاب والدها

بكل سرور اذا كنت قادرا على اقناعها بالجلوس !
وعبثا حاول الاثنان ، الفنان والاب ، اقناع ليكة التي كانت تبلغ من العمر عشر سنوات بالجلوس لمدة تكفي لكي يقوم الفنان بانجاز عمله . فقد كانت منذ نعومة اظفارها شعلة من النشاط والحركة . ودامت المحاولة يوما بعد يوم دون جدوى ...

الى ان خطرت للاديب الكبير فكرة قام على اثرها بانتقاء كتاب من مكتبته العامرة ويعرضه على ابنته الصغيرة . وجلست ولفت نظرها من الكتاب

خلاله الغريب ... فسكنت إمكانها ... وما ان قرأت فيه بضعة أسطر حتى ثار في نفسها اهتمام غريب لمتابعة القراءة ... وهكذا نسيت نفسها وهي تلتهم الكتاب التهاما !

ولما انتهى الفنان من العمل معه كانت ليبيكة لا تزال في مكانها تتابع بشغف قراءة الكتاب الذي كانت تحتضنه : الف ليلة وليلة !

تكشف مواهبها الفنية والشعرية

ومرت كتب وكتب كثيرة بين يدي ليبيكة في الايام والشهور والسنوات القليلة التي تلت ذلك ولكن شيئا لم يثر خيالها واهتمامها قدر ما أثاره كتاب الف ليلة وليلة ! وكانت أولى نتائج هذا الحدث الفريد في طفولتها ان كشف عن مواهبها الفنية والشعرية التي كانت حتى ذلك الوقت دفينة تنتظر ساعة الانطلاق . وهكذا بدأت تمارس الرسم والنحت والعزف على البيانو .. وقرض الشعر ! وما هي الا سنوات قليلة حتى اكتشفت في نفسها طموحا شديدا الى التخصص في الفنون فارسلها والدها الى باريس لدراسة الرسم والنحت والموسيقى . وبعد فترة قصيرة من الدرس والتحصيل بدأ تفوقها الواضح على اقرانها .

زواجها

ووجدت نفسها فجأة امام من تصورته احد اشخاص الف ليلة وليلة ! وهكذا تزوجت ! وكان زوجها مهندسا مصريا التقت به في باريس ... وعندما ركبت الباخرة لأول مرة متجهة بها نحو مصر كانت اقصى امانيها ان تصل الى البلاد التي تمثلت فيها بناظرها احداث الف ليلة وليلة !.

في المعصرة ، بين حلوان وطرة

وعندما وصلت الى مصر رافقت زوجها الى المعصرة بين حلوان وطرة في ضواحي القاهرة حيث كان يقطن في منزل يطل على اطراف الصحراء قريبا من مصنع الاسمنت الذي كان يعمل فيه . وكانت اول نصيحة قالها لها زوجها وهو يغادر منزله الى مقر عمله : اياك والتعامل مع اولاد البلد من العرب او الاتصال بهم او الخروج وحدك من المنزل فانه لا يؤتمن جانبهم ولا يتورعون عن منكر ! ونزلت هذه النصيحة نزول الصاعقة على الطفلة التي كبرت وهي تعيش في حلم من احلام الف ليلة وليلة !

ولم تصدق ما قاله لها زوجها وخرجت الى شوارع البلدة وتجولت فيها ساعات دون ان يتعرض بها انسان . وفي الايام التالية تحدثت الى صاحب الدكان المجاور ودخلت بعض المحلات التجارية ومحلات البقالة ورأت نفسها مأخوذة بسماحة ابن البلد المصري وطيبته ومرحه واصالته .

ضلت في الصحراء

الى ان جاء يوم ارادت فيه ان تكتشف الصحراء وسرها . فسارت وحيدة مسافة طويلة الى ان شعرت انها قد ضلت طريقها ولم تعد قادرة على العودة . وسارت على غير هدى الى ان تبينت لها معالم خيمة « او بيت شعر » فاقتربت منها لتجد فيها بعض الاعراب . فجزعت بادىء الامر ولكن الرجال هبوا لنجدتها . ودون سؤال قدموا لها كوبا من الماء وصحفا من القهوة المرة ولم تكن قد ذاقتها من قبل . وبعد استراحة قصيرة رافقوها الى المنزل ، وهي في ذهول من فرط طيبتهم وشهامتهم وكرمهم .

نفرة بينها وبين زوجها

وبقدر ما اكدت هذه الحادثة صدق حدسها وصحة نظرتها الى العرب بقدر ما اثارت سخط زوجها وأوركه عليها لاهمالها نصيحته . واخذت علاقتها بزوجها تسوء يوما بعد يوم .. الى ان اكتشفت سر كراهية زوجها للشعب المصري . فقد تبين لها انه لم يكن عربيا وانما كان اجنبيا متمصرا لم تربطه بأبناء ذلك الشعب الطيب اية رابطة . واكتشفت انها اخذت تتعلق بأبناء البلد وطبيعة حياتهم اكثر من تعلقها بزوجها وبطبيعة حياته المادية . واكتشفت الحقيقة الكبرى الثانية وهي انها عندما احبته وتزوجته في باريس انما كانت تحب مصر والعرب والشرق ، فلما سقط القناع عن وجهه سقطت كل فضائله ولم يبق منه سوى صورة لاجنبي ناكر للجميل آوته مصر وتقبله شعبها الطيب ويسر له كل سبل الحياة الكريمة فحصل على الجنسية ليتساوى مع ابناء

مصر في ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، ومع ذلك فلم يكن لكل ذلك في نظره من معنى سوى امتصاص أكبر قدر ممكن من خيرات مصر واستثمار عرق أكبر عدد ممكن من ابنائها !

طلاق ثم عودتها الى هولندة

وهكذا لم يكن هناك بد من الانفصال ثم الطلاق. وعندما عادت الى بلادها في عام ١٩٣١ لم يكن يؤلمها شيء سوى اضطرارها الى ترك البلاد التي احبت بلبها .

ومنذ ساعة وصولها الى هولندا اخذت تتحدث بشوق عن سحر الشرق ومفاتنه وعن طيبة العرب وكرمهم وصدق مشاعرهم الى ان مل والدها هذا الحديث فقال لها ذات يوم : « كفى الحديث عن الشعور . اذا اردت فعلا ان تعرفي حقيقة العرب فاقرأي هذا الكتاب » .

ودفع اليها هذه المرة بكتاب صديقه جوستاف لوبون الشهير : حضارة العرب ! وكما تجاوبت مع الف ليلة وليلة قبل ذلك بسنوات كذلك كان تجاوبها مع حضارة العرب ! وكان هذا الكتاب نقطة التحول الكبرى الثانية في حياتها وذلك انها لم تكن قد فرغت منه حتى اخذت تبحث في كل ما كتب عن حضارة العرب وتاريخهم القديم .

دراسة حضارة العرب وتاريخهم ، والمحاضرة فيهم

وما هي الا فترة قصيرة حتى انصرفت كلية في دراسة حضارة العرب وتاريخهم ولما استشعرت في نفسها الماما كافيا في الموضوع اخذت تكتب وتحاضر في هذين الموضوعين كلما سنحت لها الفرصة .

وفي هذه الأثناء التقت بالرجل الذي يمكن ان يقال عنه بحق انه اكمل نصف دينها : كيس وولنجر ، الرجل الذي لا تستطيع منذ زواجه ان تخطو خطوة بدونه ، والذي يرجع اليه الفضل الاول في ما وصلت اليه هذه السيدة الطيبة . كان كيس محاميا ناشئا عندما تزوجته في عام ١٩٣٤ ولم يكن يعرف من امر العرب شيئا لا ماضيا ولا حاضرا ، الا ان حبه لزوجته واهتمامها بتاريخهم خلق عنده شهوة عجيبة للقراءة عنهم.وهكذا احبهم من خلال حبه لزوجته.

واذا كان حبها لزوجها الاول كان من خلال حبها العرب فقد كانت بداية تعلق زوجها الثاني بهم من خلال حبه لها . والغريب في الامر ان ارتباطه بزوجته قد زاد بعد ان درس تاريخ العرب وحضارتهم . وتراه اليوم لا يقل حماسا عن زوجته في العمل من اجل العرب وقضاياهم . ولما كان اسمه الاول هو كيس واسمها الاول هو ليتيكة فقد عزّ على باله ذات يوم ان يطلق عليها اسم ليلى . وهكذا عرفا بين اصدقائهما منذ سنين بالاسمين العربيين الخالدين : قيس وليلى !

عام النكبة الفلسطينية

وجاءت النكبة في عام ١٩٤٨ ولم تكن ليلى على صلة باحداث العرب المعاصرة . كانت تعيش مع ماضيهم : مع تراثهم وتاريخهم .. واموالهم .الى ان جاءها زوجها حزينا ذات يوم وقال لها : لقد عملت طويلا من اجل عرب الامس ولكن عرب اليوم هم اليك احوج !

وهكذا سمعت بقضية فلسطين وما يجري فيها لاول مرة فقد كانت في شغل عن العرب الاحياء بالعرب الاموات! وكانت تلك نقطة التحول الثالثة في حياتها .

اخذت ليلى تدرس قضية فلسطين وتبحث عن اصولها وفروعها الى ان وصلت الى النتيجة التي يصل اليها كل انسان ذي ضمير حي . فقد اذهلتها المأساة وصدمتها حقيقة الصهيونية والجرائم التي ارتكبتها على ارض فلسطين . واصابت ضميرها رعشة قوية عندما تبينت الدور المخزي الذي لعبه الغرب في التآمر على الدول العربية واقامة دولة دخيلة في قلب الارض العربية.

وحتى لا يتصور احد لحظة من اللحظات انها كانت ذات ميول نازية او لاسامية كما يحلو لليهود الذين يحاربونها ويحاربون زوجها بلؤم ودناءة في هولندا منذ سنوات ، حتى لا يتصور احد ذلك نسارع الى الاشارة بان ليلى اشتركت فعليا في المقاومة السرية للاحتلال النازي لبلادها خلال الحرب العالمية الثانية . وقد القت قصيدة شهيرة في اول احتفال اقامته بلدية لاهاي بمناسبة جلاء القوات الالمانية عن هولندا ، كما انها صنعت تمثالا خلدت فيه المقاومة الهولندية لهذا الاحتلال لا يزال معروضا حتى اليوم في المتحف العربي الهولندي في مدينة لايدن .

رحلتها هي وزوجها في البلاد العربية

وخلال عامي ١٩٥١ و ١٩٥٥ قامت ليلى وزوجها برحلتين الى البلاد العربية زارت فيهما الاردن وسوريا ولبنان ومصر وليبيا وتونس بالسيارة .

في الطريق بين رام الله ونابلس

ومن ذكرياتها في هذا ما حدث ذات مساء عندما كانا يتوجهان بسيارتهما من رام الله الى نابلس في طريقهما الى الخطوط الامامية في طولكرم. فقد اوقف زوجها السيارة عند قرية صغيرة ليتأكد من انه كان يسير فعلا على الطريق الموصل الى نابلس . وكانت تقف قريبا منهم على الشارع العام سيارة « بيك – اب » قديمة يجلس فيها بعض العمال العائدين من عملهم . وعند سؤال العمال اجاب هؤلاء بانهم متجهون الى نابلس ونصحوا السائل الغريب ان يتبعهم عندما تتحرك سيارتهم بعد قليل . وكان اثنان من العمال يشربان القصب من دكان المحطة عندما لمحا السيارة الغريبة ، فاتجها نحوها ، وقدما كمية من القصب الى ليلى وزوجها . الا انهما اعتذرا عن قبولها ، فاصر العاملان . وهنا اخذ فيبي يتحسس جيوبه في ارتباك ، ثم قال : آسف ولكن ليس لدينا نقود اردنية في هذه اللحظة . وهنا قال احد العاملين باسما . عيب ! من قال لكم ان تدفعوا ثمن القصب . انكم هنا ضيوف في بلادنا ومن حقكم ان تتذوقوا ثمارها !

ولم تستطع ليلى رغم تعاقب السنين ان تنسى كوبا من الماء وقدحا من القهوة المرة قدمهما لها اعراب في صحراء حلوان ذات يوم قبل حوالي الاثني عشر عاما عندما كانت في حالة يرثى لها من الاعياء والعطش والخوف ، ولا بضعة عناقيد من العنب حملها اليهما بعض العمال العرب على طريق رام الله – نابلس ذات مساء قبل عشر سنوات ، ولا المساعدة الهائلة التي بذلها لها ولزوجها مواطن من ليبيا عندما كسرت بهما السيارة على طريق بنغازي – طبرق ذات يوم من تلك السنة ... كل ذلك بدون مقابل ولمجرد ان ليلى وزوجها كانا يزوران ارضا عربية !!

وكنت كلما رأيت ليلى تحرق اعصابها وهي تعمل في ابحاثها وكتاباتها ومحاضراتها دفاعا عن حقوق العرب المهضومة في فلسطين تذكرت قصور العرب الفاضح في حق انفسهم .. وكنت اقول لها في تلك الساعات : هل تستحق يا ليلى منك ومن زوجك كل هذا الاخلاص والتفاني من اجل قضيتنا .. وكانت دوما ترد قائلة : اذا كنت سانسى ما فعله الغرب بكم والجريمة التي ارتكبها بحقكم وهو امر مستحيل فهل استطيع من ناحية شخصية ان انسى ما قدمه افراد عاديون من مواطنيكم لي شخصيا ولزوجي في ساعات ضياع او محنة ؟!

حديث الكلبة التي ماتت

واذكر انها حزنت حزنا شديدا خلال عام ١٩٦١ على وفاة كلبتها وكانت رفيقتها الوحيدة في المنزل اثناء غياب زوجها عنه . ويوم وفاة الكلبة دخل زوجها المنزل ليرى زوجته تعسة حزينة وكانت تبكي كالاطفال . حاول جهده التخفيف عنها دون جدوى . واخيرا قام الى احد الرفوف .. واتى لها « بصينية » تقدم عليها القهوة والشاي، وقال لها مشيرا الى الصورة المثبتة تحت زجاج الصينية اذا كان لا بد من البكاء فان هؤلاء احق به واجدر .. وكانت الصورة تمثل مجموعة من « اللاجئين » العرب وهم يقفون في ثيابهم الممزقة امام خيامهم البالية .

كانت ليلى تحدثني في منزلها عن وفاة الكلبة بعد حدوثها بيومين وكانت تقول : قد تستغرب حزني الشديد على حيوان ، ولكن لا تنس ان هذا الحيوان كان حيوانا وفيا وامينا ، ونحن كما ترى نعيش في عصر عز فيه الوفاء والامانة بين بني الانسان ! وعندما وصلت الى الحديث عن زوجها وصينية القهوة قامت لتريني ماذا فعل ، واتت بالصينية ووضعتها على حجرها وقالت : ولقد اتى لي بهذه الصينية وقال : وما انهت جملتها حتى كانت الدموع تنهمر من عينيهما بغزارة .. وانهمرت الدموع من عيني وقمت وانا اقاوم من ان ازهى النكبة اهون عليها من الذكرى التي تركت جروحا عميقة في نفسها ..

انتم العرب اسوأ محامين لاعدل قضية

وذات مرة احتاجت ليلى لمطالعة بعض المراجع

بحثا عن صحة ما جاء في احدى الوثائق المتعلقة بقضية فلسطين والمتصلة بمؤتمر الصلح الذي انعقد في باريس في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، فكتبت الى احد المسئولين في مكتب الاعلام العربي التابع لجامعة الدول العربية في نيويورك لمساعدتها في التحري عن تلك الوثيقة في مكتبات المدينة الكبيرة . وانقضت بضعة شهور كتبت خلالها عدة رسائل للمسئول المذكور دون ان يصل اي رد حتى ولا بالاستلام .. وظنت انه لا بد وان يكون الشخص المسئول خارج نيويورك ، فكتبت الى الدكتور « الما برجر » وهو يهودي من زعماء المجلس اليهودي الامريكي المعادي للصهيونية والمقيم في نيويورك ، وكانت تعرفه ، واعتذرت عن ازعاجها له ، واخبرته بانها كانت ترغب من السيد (هـ) في مكتب الاعلام العربي ان يقوم بهذه المهمة لولا انه تبين لها انه غير موجود في نيويورك . وفي خلال اسبوع جاءها الاستيضاح المطلوب من الدكتور « برجر » الذي لم ينس ان يشير في رده الى انه اتصل تلفونيا بالسيد (هـ) فور استلامه رسالتها فتبين له انه موجود وانه تسلم رسائلها كلها ولكنه كان مشغولا لدرجة لم يتمكن معها من الرد عليها!

وقالت لي ليلى وهي تعتصر من الالم : انه من سخريات القدر ان يكون الدكتور برجر اسرع استجابة لطلب يخدم قضية فلسطين من احد المسئولين العرب واضافت جملتها الشهيرة الجارحة :

انتم العرب لستم محامين لاعدل قضية .

وبعد ، فهذه لمحة قصيرة عن السيدة التي تعمل منذ ستة عشر عاما بمعدل خمس عشرة ساعة في اليوم لخدمة قضية فلسطين . ومن يعرف هذه السيدة يعرف هذه الحقيقة . ومن يعرفها جيدا او من قرأ ما كتبته من ابحاث او مقالات عن قضية فلسطين يدرك انه قل ان يوجد في الشرق او الغرب ، بين العرب او غير العرب من يتفهم قضية فلسطين تفهما علميا تاريخيا مثبتا بالادلة والمستندات الاجنبية ، والتي ليس بينها وثيقة او مرجع عربي واحد ، كما تفهمها هذه السيدة .

ولقيتها هي وزوجها في القاهرة

وقد شاءت الصدفة ان القاها وزوجها في القاهرة صباح اول ايام آب — اغسطس الماضي وهما يزورانها لاول مرة منذ تسع سنوات وكانا قد عادا لتوهما من زيارة قصيرة لقطاع غزة ، فرايت فيها وفي زوجها عزما جديدا واندفاعا لا حد له في الدفاع عن حقوق عرب فلسطين .

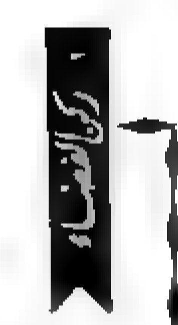
وقالت ليلى في حفل العشاء التكريمي الذي اقامه تكريما لها ذلك المساء وكيل وزارة التربية والتعليم العالي في الجمهورية العربية المتحدة انها تعلمت من ذلك الاصرار العجيب على العودة القاهرة الذي لمسته لدى كل من قابلته من ابناء فلسطين في غزة . وتحدثت عن مظاهر التقدم الذي شاهدته في الجمهورية وخاصة في المجالين العلمي والعسكري ، والذي كان دليله الواضح ذلك الاستعراض الرياضي الكبير الذي اقيم في استاد القاهرة بمناسبة عيد الثورة والذي شارك فيه الالوف من شباب الجمهورية وشاباتها وهو امر يناقض ما يحاول اعداء العرب ان يقولوه دوما من ان العربي انسان فردي النزعة وغير قابل للتعاون المثمر . ولقد سعدت عندما سمعت الدكتور وكيل وزارة التربية والتعليم في الجمهورية يقول عنها في كلمة القاها في حفلة العشاء المذكورة :

« انني لا احيي السيدة الجليلة فانني احيي فيها حبها العرب ودفاعها عن قضاياهم العادلة ، وفي مقدمتها قضية فلسطين ، بقدر ما احيي فيها رسولة للحق في بلادها ، وفي القارة التي حان الوقت لكي تعرف الحقيقة وتسمع كلمة الحق بعد ان كاد طوفان الدجل الصهيوني والاستعماري ان يغرق كل مبادىء الحق والخير التي رفعها احرار الفكر في ربوعها » .

اني اكتب هذه الكلمات وانا ادرك تماما انها ابعد ما تكون عن الرغبة في الاعلان عن نفسها . واذا كان لي من حق الكتابة عنها دون استئذانها فهو رغبتي في حث بني قومي في هذا الوقت بالذات لكي يؤدي كل منهم واجبه تجاه قضية بلاده من خلال ساعة عمل واحدة فقط كل يوم ، وليس خمس عشرة ساعة كما تفعل القديسة الهولندية الخالدة ليليكه فان درهوفن ليونارد .

■■

نابلس منذر العنبتاوي



القمر

سطحه : من رمل هو؟
فوهاته : أفواه براكين؟

■ أرسل العلماء الى القمر مركبة الفضاء المسماة رانجر رقم ٧ ، Ranger ثم ارسلوا مركبة الفضاء رانجر رقم ٨ .

وكل من المركبتين حمل عدة تلسكوبات للمقارنة . وكلٌ أخذ من القمر صورا معتبرة كثيرة يرادي فيها سطحه من قرب جدا ، قبل أن ترتطم المركبة بسطح القمر فتحطما .

ومع هذا ظل هذا السطح ، سطح القمر الذي رآته التلسكوبات ، وأرسلت لنا صورة عبر هذه الأبعاد البعيدة التي تفرق بين الارض وقمرها ، ظل هذا السطح موضع خلاف بين العلماء .

هذا السطح ، هل هو من صخر جلمود ؟ .

أم هذا السطح من تراب،لو نزل عليه رجل الفضاء ، أغرق فيه الى أذنيه حتى رأسه ، هو ومركبته ، أو لعلهما جميعا غرقا فيه غرقا ؟ .

بعض العلماء اليوم يقول ، رغم الصور الكثيرة الجديدة ، فإن القمر مغطى سطحه كالرغب ، فيها تحرق هذا السطح بالشهب الدقيقة المكروئية التي ظلت تصيب هذا السطح ، ملايين ملايين ، طوال الأحقاب . وإن كل دفعة مكرونية من هذه الشهب تصيب سطح القمر تمزق من هذا السطح مزقا تطير في الفضاء الاعلى ، ثم هي تهبط عليه ، وتستمر ، وتكون من ذلك سطح هش ، كالرماد ، لا قوة فيه ولا تماسك . حتى اذا بلغ سمك هذا التراب تسعة اقدام ، بقي على أوطأ طبقاته . فتجمعت هذه الطبقات الدنيا ، فصارت شيئا كالحصى .

وعلماء آخرون يرون أنها قد تزيد على مائة قدم .

ومسألة اختلاف بين العلماء أخرى : تلك الفوهات التي نراها على سطحه ، وكأنها فوهات براكين .

قوم يرون انه كانت بسبب ارتطام شهب عظيمة ضربت هذا السطح سرعة هائلة ، لانعدام جو القمر ، فحفرة هائلة ، فتحت في سطح القمر أفواها .

وآخرون يرون انها فوهات براكين حقا وصدقا .

ثم تفصل الصور التي أتت بها المركبات التي ذكرت في هذه الامور .

ويرى العلماء انه لا يمكن ان تكون تفصل فيها حتى تبدأ السلسلة الجديدة من المركبات في الصعود الى القمر ، والهبوط عليه ، لا ارتطاما ، ولكن على هوادة ، وبدون رجال . وهي مركبات قد يصل عددها الى ١٧ مركبة .

واذا هي هبطت على القمر أخذت من أرضه عينات ، واختبرتها بالذي عندها من أدوات ، وأرسلت الى علماء الارض بالذي تجد .

وستحمل هذه المركبات مكروسكوبات للمقارنة كالتي حملتها رانجر ،



صورة من سطح القمر ، اخذتها عدسة من عدسات مركبة الفضاء رانجر ٨ ، وهي على بعد ٤٧٠ ميلا من السطح ، وقبل ان ترتطم عليه بنحو ٧ دقائق . وهي الصورة الحادية والثمانين قبل الاخيرة . وابعاد هذه المساحة المصورة من القمر هي ٩٢ ميلا في ٧١½ ميل .

ولكن ، بما انها ستأخذ صورا وهي هابطة فعلا على سطح القمر ، على هوادة ، فسوف تختلف اختلافا كبيرا عن صور وصلتنا من القمر حتى اليوم .

ان المركبة من السلسلة الجديدة اسمها « المساح » أو هي سرفاير Surveyor



قالت الزوجة الشابة لنفسها ، وهي تخرج ملابسها من الحقيبة ، وقد عادت لبيت والديها تاركة بيت الزوجية بعد مشاجرة مع زوجها ، قالت :

— يجب أن أنسى ما فعل ، ويجب أن أعود الى بيتي واستأنف حياتي معه . لقد أخطأت معه أن الأخرى أكثر من ألف مرة . انني حقا حمقاء ! ولكن ..

ولكن اهانته لي ، وضربه اياي ايمكن اغتفار ذلك؟ اذا جلسنا على المائدة فانه كثيرا ما يشعر طفلي (من زوج سابق) ويقول انه لا يحسن آداب المائدة . ودائما يصفني بالقسوة لاني لا اجيد طهي الطعام .. الطعام الذي يدفع ثمنه من ماله كما يقول . كيف انسى ما كان منه حين رفض طفلي الطعام فحمله على ازدراده حملا ، وبالقوة .. ولاوم الطفل ، ففتح فمه عنوة فعض اصبعه ، فتعطلت ضروس ووقع طبق الحساء من يدي وتحطم على المائدة !! واستطعت اخيرا ان احمل طفلي واهدهده حتى نام في فراشه ، وانتهى العشاء كما تنتهي موقعة من المواقع .

وجلس بعد هذا يشهد التلفزيون ، وكان لا بد لي ان أخرج من جو البيت الخانق بسبب او لغير سبب ، واقترحت عليه ان نخرج معا للنادي او السينما ، ولكنه كان يشاهد كرة القدم ، وهو مجنون بها . عرفت ان ليست هناك قوة على الارض تستطيع انتزاعه من امام التلفزيون فاستأذنته ان آخذ السيارة واذهب لبيت والدي لزورها ، فاخذته الدهشة اولا ، ثم هز رأسه موافقا ، وسألني هل معي فلوس فقد ينفد البنزين في الطريق ، واعطاني جنيها واوصاني الا انسى البنزين من اول محطة تقابلني ، وفعلت ذلك ، ولكني لم اذهب لبيت والدي ، ففي الطريق اغرتني واجهات الدكاكين بالنظر ، ولم يكن معي الا اقل من عشرين قرشا (الا اقل من ربع دينار) ولم اكن افكر في شراء شيء حينما وجدت نفسي اقف بالسيارة على محل الملابس الانيق الذي كنت اتعامل معه ، وكان لي فيه حساب مفتوح ، وانظر فتقع عيني على بنطلون نسائي اخضر جميل اللون ناصع الاناقة . قد خفضوا سعره الى النصف ، فتلبسني الاغراء ، ولم استطع ان اقاوم ، وفتحوا حسابي القديم الذي كان زوجي قد اقفله ، واشتريته .

وفي طريقي لبيت والدي مررت ببيت صديقة لي كانت انيقة ذواقة في الملابس ، فعرجت عليها ، دفعني الى ذلك حبي لمعرفة رأيها في ذوقي ، فلما لبسته ظلت تثني عليه وتمدح ذوقي السليم في اختياره ، ونسيت زيارة بيتنا ، وجلسنا نحتسي القهوة ونتحدث الى ان كانت الساعة الحادية عشرة

مشاجرة

وعدت الى البيت ، وكان صوت التلفزيون لا يزال يهدر ، والمعلق على اللعب لا يزال يصيح ، وخطر لي انه من الصعوبة ان اقطع عليه مشاهدته فادخلت السيارة الجراج ، ودلفت من الباب



وماذا يقول هو؟ وماذا نقول نحن؟

الخلفي ماشية على أطراف قدمي لئلا يسمعني ، ولسوء الحظ كان قد سأل والدي بالهاتف عني فعلم منهما أني لم أزرهما تلك الليلة ، وسمعني وأنا أدخل المطبخ ، فإذا به يهجم علي كالعاصفة ويقبض على كتفي بيده كأنهما مخلب حيوان مفترس ، وصار يهزني هزا عنيفا صائحا . « أين كنت ؟ أين كنت ، قولي أين كنت ! ومع من قضيت الليل ! » ، وصار يرغي ويزبد ، واتهمني بأشياء حتى كأنني مجرمة في ساحة القضاء اتهمت بي تهمة خطيرة ! وبلغ بي الخوف ، فلم أتبين مكانه . وأثناء هديره استيقظ ولدي وأخذ يعول ويصيح وحاولت أن أنتزع نفسي منه ، وعدوا الخلاص مجالس أصطدم مرفقي بصدغه فلكمني لكمة صلعة' قوية ، ونظرت إليه فإذا وجهه باهت وعيناه زائغتان يتطاير الشرر منهما ، وإذا هو يهجم علي' ويقبض على خصري بيديه القويتين محاولا أن ينزع عني بنطلوني الجديد ، ثم أخذ يلطمني لطما عنيفا حتى أخرجني من البيت ، ثم أطاح بالباب بقلقه أراني بعض جيراننا ، فنزل وأسكتهم ليتحدث معه . وأثناء ذلك ملت إلى البيت خلسة وأسرعت إلى فراشي ، وفي صبيحة اليوم التالي حزمت بعض متاعي ، وعدت إلى بيت والدي . هذا ما حدث .

ولا بد لي أن أقول أنني عندما تزوجته كنت أرجو أن أعيش معه حياة سعيدة ، لكن هذا الأمل كان يغشاه ضباب ، وكانت تخامرني شكوك في هذه السعادة المرتقبة ! ومع أني حاولت أن أكون امرأة لطلا حية لزوجها تلعب الدائر ، وتغمره بالحنان الدافق ، إلا أني في الحقيقة أخفقت في ذلك ، وعرفت أخيرا أني لست تلك الزوجة .

حياتي الأولى

ولقد نشأت بين أبوين لم يتعودا أن يحتضناني أو يدللاني ، مع أني كنت وحيدتهما ، وقد ولدت على كره منهما ، وكان كل منهما في الأربعين من عمره . لم يمنحاني حبا ، ولا ثقة بهما أو بنفسي ، وما كنت أعرف إلى شباب صغير حتى علق به قلبي وكنت في السابعة عشرة من العمر ، وأسرعنا فتزوجنا ، وأسرعنا كذلك فانفصلنا بعد أن ولدت له ولدا وأنا في الثامنة عشرة وما شعرت بحبه لي يوما . وكذلك أنا لم أشعر بحب نحوه ، ولما بدأت أعراض الحمل تظهر علي ، اغتم أبي ، واغتمت أمي . وعلى كل حال هذا ما كان ، ولم يدم زواجنا طويلا .

وبدل أن أعود إلى الكلية ، توظفت وفرحت بالوظيفة ، لأنها أتاحت لي بعض الاستقلال الذي كنت أفتقده . ولكن أمي وأبي مع ذلك ظلا يعاملانني معاملة الطفلة التي تحتاج إلى رقيب عليها ، وكم ظلت أمي تبكي وتعيد وتذكرني بفشلي في هذا الزواج .. وتبنت أمي ولدي ، ولم تغمض عينها عن مراقبتي ، تقرأ الخطابات التي تصلني ، وتصغي إلى حديثي في الهاتف بانتباه ، مع من تحدثت وفيم تحدثت ؟ وأعطت لنفسها الحق في اختيار أصدقائي وصديقاتي ... وصرت

ادفع ثمن هذه الغلطة . هذا الزواج الأول بعواقبه التي لا تنتهي .

الزوج الثاني

واختارت لي أمي زوجي الثاني هذا ، فقد كان مهندسا وله وظيفة مرموقة وكانت أمه صديقة أمي . وكانت الصداقة بينه وبين والدي طيبة ، يتحدث مع أبي عن كرة القدم ، ويمزح مع أمي ويتستر على أوامرها وشغلها ؛ وكانت خطوبتنا في أول الأمر تبدو سعيدة مشرقة ، نذهب الى النوادي ، ونتمشى في الخارج ، ولم يكن يتردد في شراء أي شيء أحبه .

وتزوجنا ، ولكن بعد الزواج تغير كثيرا . وأحست أنني استبدلت حارسا بحارس ، وانتقلت من سجن الى سجن ، وصرت لا أفعل شيئا حتى يعترض عليه ، ويستهزئ بما أقول ، وأصبح يتدخل في خاص أموري ، ثم أصبح يصيح في وجهي ، فاذا خرج كاد يحطم الباب خلفه ! وكان يضايقني منه محاضراته لي كيف أغسل طفلي ، وكيف أمشط له شعره وأرجله ، وكيف ينبغي أن أنضج الطعام وأحسن تتبيله ، وكيف ينبغي أن أقوم على حوائج البيت .. الخ

ورأيتني أكره البيت الذي اشتراه لنا ، ولا أحفل لتنظيفه والعناية به . وكان قسطه الشهري وقسط الأثاث باهظا ، ولذلك كان دائما يقول لي لا لزوم أن نخرج للنزهة الا لضرورة ملحة ، وفي الوقت الذي يأخذني بهذا كنت أراه لا يتخلف عن الملعب النادي يمتع نفسه بالرياضة فيه !

وأخيرا ها أنا مرة أخرى أعود الى سجني القديم ، وها هي أمي قد أخذت تمارس وظيفة القيادة فوجهتني حيث شاءت ، فاذا جلسنا وتحدثنا معه معا رأيت أبي وأمي يأخذان دائما صفه . مع أني كنت انتظر وأنا في هذه الظروف أن تعاملني أمي معاملة أخرى ، خاصة وقد صرت أما وفي الثانية والعشرين من عمري ، ولكنهما أبيا علي الا أن أظل كأني طفلة صغيرة .»

الزوج يقول .. !

وفيما كانت الزوجة تحدث نفسها هذا الحديث الذي يروي قصتها ، كان الزوج الشاب بدوره يحدث نفسه قائلا :

— من ألوم ! ألوم نفسي على زواجي منها . لقد كنت في غاية الحماقة حين تزوجت منها ! ؟ خطر لي في ذلك فيما أعتقد .! ولكن ذلك الحب الذي لاحظتها فيه ، وتحدثنا فجذبتني اليها ، ووقعت في حبها .

أنا مهندس ، تخرجت من كلية الهندسة .. أحاول دائما الا أزعجها بمتاعبي في عملي ، وعلى كل حال فاني لو فعلت لما فهمت مني . في ذلك اليوم حاولت التحدث اليها بالهاتف لأذكرها أن تكوي قميصي ، وأذكر لها ما أحب أن يكون عليه عشائي ، غير أن الخط كان دائما مشغولا كلما حاولت الاتصال بها ! وركبت سيارتي وعدت بعد انتهاء عملي الى بيتي .

وفي الطريق تذكرت أنها كانت دائما في الأيام الأخيرة تشكو من ثقل حياتنا الرتيبة المملة ، فعرجت على بائعة الزهر ، واشتريت لها باقة جميلة،ولما دخلت البيت كان الطفل يصيح ويعول، على حين كانت هي ممسكة بسماعة الهاتف ، وحين رأتني وضعت السماعة في الحال ، ولم تشأ أن تخبرني مع من كانت تتكلم ، فغامرني شعور غريب وسألت نفسي : كم من الوقت تراها قطعت في حديثها هذا وتذكرت أني وأنا بالعمل كلما اتصلت بها وجدت الخط مشغولا ؛ وحاولت أن أطرد عني وهمي ، وانتظرت منها قبلة وأنا أحمل لها باقة الزهر ، غير أن كل ما صنعته أن فاهت بكلمة شكر آية عابرة ، ونظرت فرأيت قميصي لا زالت ملقاة كما هي غير مكوية ، وحين جلسنا للعشاء تذوقته فاذا هو رديء الطهي ، غاية في الرداءة ، مع أني لم أدع كتابا في تعليم الطهي الا اشتريته لها ، ومع ذلك فقد ظلت لا تعرف شيئا في ذلك .

وبعد العشاء ، بدأت المعركة الصغيرة المألوفة الدائمة ، معركة تنويم الطفل ، فصممت به ، وبقيت طويلا انتظرها ، ولما أبطأت صعدت فاذا هي في غرفة النوم ، مشغولة بطلاء أظافرها . وانتظرت فاذا كل ما يعنيها طلاء أظافرها ، ولم ترض عن الطلاء الأول فأعادته مرة أخرى ، ثم انتظرت فاذا هي أيضا لم تقتنع بالطلاء الثاني فأعادته للمرة الثالثة .. أني لن أبحث راهبة أو كالراهبة ؟! ثم أخذت في وضع ظلال العيون وأحمر الشفاه . وأخيرا مرت بي وهي تقول عابرة : أنا ذاهبة لزيارة والدتي . وخرجت !

تجسم الوهم الى حقيقة

ومضت ساعات ثلاث ، ثم عادت . فسألتها كيف

حال والديك فاجأت أمها على غير حال :
ونظرت الى شعرها فاذا هو منفوش (منكوش)
فأحسست بشيء ، وخاطرني ما كان لا بد أن
يخاطرني ، فاذا بي أنفجر كالبركان !! .. لو
أخذت نفسي بشيء من الصبر والأناة ، وانتظرت
حتى تخبرني !! ولكن منظر شعرها وتسريحتها ،
وهذا البنطلون (السروال الجديد) الذي يبدو
غالي الثمن !!

ولقد نشأت في أسرة أورثتني الغضب السريع
.. وكنت كثيرا ما أحس أن أخوتي الأربعة مفضلون
علي ، وكثيرا ما حنقت على أخي الذي يكبرني
حتى أنني ذات يوم كسرت طبقا على رأسه ونحن
نتعارك . وكانت أمي سريعة الغضب ، ودائما
تطلب من أبي أن يضربني أو يعاقبني ، وكان أبي
أحيانا يرضيها متظاهرا أنه سيفعل ذلك ثم
يعطيني بعض الفلوس لأشتري حلوى ! وكان أبي
وأمي كثيرا ما يتشاجران ، وذات مرة تشاجرا شجارا عنيفا
وفي نوبة من نوبات غضبه لطمني على وجهي فكسر
إحدى أسناني ، وأسرع بي بعدها الى طبيب
الأسنان ، وكثيرا ما كان صوتاهما يجلجلان في البيت
كأنه هدير هادر ، وكانت أمي كلما حاجته وجادلته
تصيح بصوت يشبه صياح الديكة ، وحين كانت
مثل هذه المعارك تنشب بينهما كنت أسرع فأختبيء
في الجراج ، فيأتي أبي ويخرجني منه ، ثم يمسك
بيدي ونخرج نمشي معا . وفي أحاديثه لي كان
كثيرا ما ينصحني أن أحذر النساء وكان ينصحني
ألا أتزوج مبكرا ، ومات أبي بسكتة قلب وكنت في
الحادية عشرة ، وأحسست أن خيط مستقبلي
قد انقطع وتملكني الخوف ، واستولت علي
الحيرة وحزنت لفقده ، وكنت دائما أقول لنفسي :
لو كان أبي تزوج من امرأة غير أمي !! امرأة وسيمة
رقيقة الشعور طيعة ، هامسة الحديث مستسلمة ،
لا تصرخ في وجهه هكذا ، ولا تصفق الأبواب اذا
أغلقتها ، ولا تضرب الأرض بقدميها !! وأخيرا
استطعت أن أدخل الكلية اذ كنت أعمل ليلا
في مصنع ، وأحضر الدروس نهارا بالكلية الى أن
تخرجت .. ثم تزوجت ، وكنت وقتئذ في مركز
مرموق ، ولي رصيد لا بأس به في البنك ، وكان
في نيتي أن أظل عزبا الى أن أبلغ الثلاثين ، فلما
تلاقينا ، وتحاببنا .. كان الزواج !

وكنت أسكن مع صديقين كنا عزابا ثلاثة وكان
يغشى بيتنا فتيات كثيرات .. وهتف بي نفسي
هاتف : أن أيام عزوبتك قد انتهت ! وكانت هي
في موقف يغريني بمساعدتها وولدها اذ فشلت في
زواجها الأول ، وكانت تنظر لي وكأنها تهتف بي
أن أتزوج منها : كانت شخصيتها ضعيفة وصوتها
الرقيق الحنون العذب .. وطيبتها وسذاجتها ..
وموقفها .. كل ذلك أغراني بها ! كانت بالنسبة
لي دنيا أخرى غير دنيا هؤلاء البنات اللاتي كن
يغشينني وصاحبي !

شهر العسل

وتزوجنا يوم عيد ميلادها الواحد والعشرين ،
وكنت أنا قد بلغت الثامنة والعشرين . غير أن
متاعبنا بدأت منذ رحلة شهر العسل . فقد قدم
لي صديق بيته الصيفي على سفح الجبل لنقضي
شهر العسل، وطربت أنا لذلك غير أنها لم توافق،
وأحبت أن نقضيه في فندق مرتفع الأجر لأنها
علمت أن به أوركسترا وصالة فخمة للرقص
وحمام سباحة جميل ، وهناك في هذا الفندق ،
وفي شهر العسل بدأت مشاكلنا حقا . أحسست أن
شغفها بحياة ذلك الفندق كأنه كان أكثر من شغفها
بي ! وكانت حريصة أن تبدو فتنتها للرجال وهي
في لباس الحمام .. وكانت نظرات الإعجاب
بجمالها وأنوثتها كأنها كل شيء في حياتها ! وأكثر
من ذلك فقد لاحظت أنها وهي معي كأنما هي
تستعرض لناظريها أنوثتها !

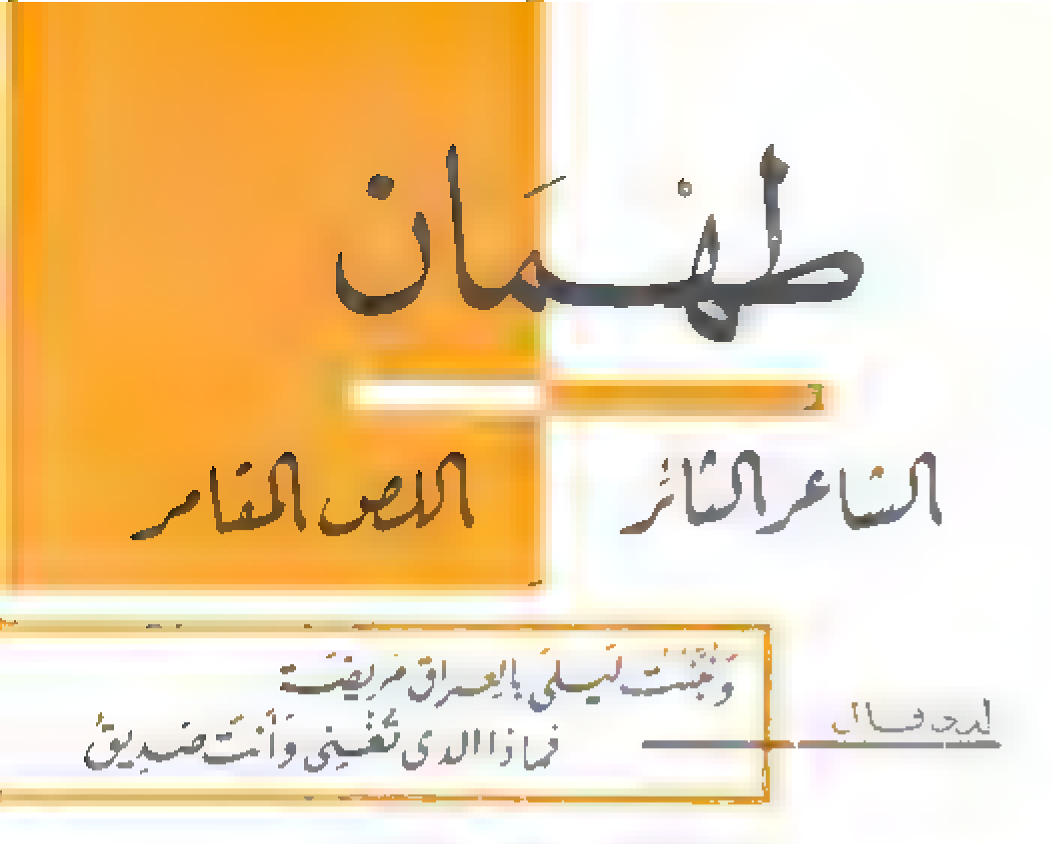
وانتهى شهر العسل . وعدنا الى بيتنا الذي
اشتريته لها ، فلاحظت أول ما لاحظت أنها غير
سعيدة به ، وكانت في هذا الوقت قد بدأت تشعر
بأعراض حمل . وقد وصلت بها الحال الى أن
أصبحت تشعر بيتنا هو الآخر بالسجن . فكنت
أقول لها اذا كان سجنا فليس به سجان !

هذه هي قصتي ، وأعتقد أني صورتها على قدر
ما استطعت ، وعلى العموم لم تكن حياتي معها
سعيدة ، ولكني مع ذلك أحب أن نستأنف حياتنا،
أحب أن تعود وولدها الى البيت ، بمنظر طفلنا !
أنها في حاجة الي ، وأنا كذلك في حاجة لهما .
ومن يدري ، فقد أستطيع أن أتغاضى عن رداءة
طبعها ، وقد أستطيع أن أكبح من جماح نفسي
عند غضبي » .

***

رأيت ما تقول هي !
رأيت ما يقول هو !
فماذا ترانا نقول نحن ؟!

دكتور محمد عبده عزام



بقلم : الدكتور حسين نصار

الأستاذ المساعد بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

■ طلع الإسلام على بني عامر بن صعصعة ، وهم يقطنون منطقة شاسعة الأرجاء ، تمتد من المدينة شمالا ، إلى ما وراء الطائف جنوبا ، ومن نجد شرقا ، إلى غور تهامة غربا . فيقضون الصيف بمنطقة الطائف المعتدلة الجو ، ويخرجون بحيواناتهم شتاء وراء الماء في نجد لسعتها وكثرة مراعيها .

واحتل بنو كلاب وهم من بطون هذه القبيلة بقعة من أخصب الأراضي في تلك المنطقة ، واتخذوها منزلا أصيلا ، تلك هي ضرية التي ذكر الأصمعي أنها كبد نجد ، أي وسطها ، وتقع على الطريق بين البصرة ومكة ، وتتبع في الإدارة أمراء المدينة . ولم ينفرد بنو كلاب بهذه البقعة بل ساكنهم فيها بنو غني[1] أيضا .

وشأن كل متجاورين ، أن تكون بينهما صداقة ، وأن تكون بينهما عداوة . وفي خصومة نشأت عن غيرة على ماء ، اشتد الغضب بأحد رجال بني كلاب ، فقاتل صوابه وبطش برجل من بني غني[1] ، فقتله ، وكان ذلك القاتل ، وهو الرجل الذي نريده بالحديث الآن : «طهمان بن عمرو بن سلمة» الذي يقال له الكلابي غالبا ، والذي دعا نفسه في شعره بالبكري[2] .

وعندما سكن الغضب عن طهمان ، شعر بفداحة ما ارتكب ، وعرف أن الحكومة منتقمة منه ، فهرب ناجيا بنفسه حتى لحق بالعارض من أرض اليمامة . وأقام بالجبل معتصما به ، يعيش على قطع الطريق ، ونهب المارة ، والإغارة على القريب من الدور ثم يعود إلينا بغنيمته . وأقام على تلك الحال قرابة سنتين .

صعاليك في الجاهلية ولصوص في الإسلام

وتكشف لنا تلك الحادثة عما اعترى المجتمع[3] العربي من اختلاف وتغير بين الجاهلية والإسلام ، فقد كانت القبيلة في مثل تلك الحالة تحمي ابنها ولا تسلمه لغير ، وتقاوم كل ضغط تقوم به قبيلة



الدارسين المحدثين ، الذين تناولوهم افرادا وجماعات ، وشهروا بينا « تأبط شرا » و« الشنفرى » و«عروة بن الورد »، واحسوا صورهم في عيونا ، ما زال لصوص الاسلام ينتظرون من يلقى اليهم شيئا من عناية ، وان كان القدماء لم يبخلوا عليهم بها فاصدر الراوية المعروف السكري كتاب « اخبار اللصوص » . وقد وصلت الينا قطعة من هذا الكتاب ، وهي تحتوي على بعض شعر طهمان واخباره .

طهمان تضيق بالغربة ، ويستعطف ويعود الى اهله

وضاق الرجل بحياته المشردة ، وعظم حنينه

شفى الله مرضى بالعراق فإنني
على كل مرضى بالعراق شفيق

السبيل ، ولو ادى بهم الامر الى الحرب .

كذلك لم يكن اعتماد الفرد على الاغارة والنهب امرا غريبا على الجاهلية او كريها عيبا ، بل كان نظاما معروفا من نظم الحياة ، مارسه القبائل مع خصومها ، ومارسته فئة من الرجال كانوا - وما زالوا - ساط الاطلال المنعمه ، التي تعدهم ممثلين للخلق العربي ، والمثل البدوية ، حتى يفسح بها الفتى ، فيفر من الخضوع للضوابط والقواعد الاجتماعية ، اولئك هم الصعاليك .

اما الرجال الذين ارغمتهم الظروف المختلفة على الانسلاخ من المجتمع العربي في الاسلام ، واتخاذ النهب عمادا لحياتهم ، فقد عد فيهم الاطلال فئة متخلفة عن زمن مضى ، ظهرت خلفه في غير عصرها . وضن عليهم المجتمع بالاسم القديم : الصعاليك ، على الرغم من كل ما يوحي به ، واطلق عليهم اسما جرَّدهم من كل ايحاء طيب ، اعني اللصوص .

كتاب اخبار اللصوص

وعلى حين لقي صعاليك الجاهلية عناية

الى العودة الى مجتمعه . فجعل يرقب الفرص الى ان عثر على جماعة تعترض الطريق الذي يقطعه، وفيها رجل من قبيلته بني كلاب . فسألهم الى ان استطاع الانفراد بالكلابي دون ان يراه احد . والتمس منه ان يتصل بجماعة من اشراف قومه ويرجوهم ان يسعوا له ، لتسوية الامر ، [illegible] ، ويستطيع هو ان يعود الى حياة الجماعة [illegible] له تصور حاله وما ظلع اليه

[illegible]

فاخبر الرجل من ذكرهم طهمان من الاشراف . ولكن شريفا آخر لم يرد اسمه في الشعر ، ويتدخل



صدى ابن قيس ، عرف الخبر . فركب وخرج دون ان يُعلم احدا ، واسرع الى والى المدينة . فما زال يستعطفه حتى اعطاه الامان . فاعطى صدى العبد طهمان ، واخبره بما فعل ، وحمل دونه دم القوى . وبعثهما الى بقية الاشراف الى امير المدينة اعلمهم بما قد حمل . وعاد طهمان الى موطنه فرحا يقول :

خليلى ، روحى مصعدين ... [illegible]
هيدى مناخا للمطى المحزم

واستقر المقام بطهمان بين قومه . ولكن الدهر كان لا يزال يدخر له من الاحداث ما هو اعظم وابعد ... را .

انتقال الخلافة
من بيت معاوية الى بيت الحكم

فقد توفى الخليفة الاموى يزيد بن معاوية فى سنة ٦٤ هـ وخلفه ابنه معاوية . ولكن هذا لم يستقر على العرش حتى اختطفه الموت . فلعاصفت بينى امية العواصف وثارت الزلازل ، وظهرت الدولة الاسلامية وكأنما هى على وشك الزوال . فلم يكن فى البيت الاموى من تتجه اليه الانظار اللماحة فورا ، على حين كان بالحجاز رجل يتمتع بكثير من صفات الخلافة ، ويرى الحكم فيه فعلا ، ويطالب به فى جميع ارجاء العالم الاسلامى . فوزعت انظار المسلمين بين مكة ودمشق . واستولى الخوارج على مصر تحت قيادة عبد الرحمن بن جحدم ، واعلنوا الولاء لعبد الله بن الزبير فى الحجاز . واعترف بسلطته زُفر بن الحارث الكلابى بقنسرين ، والنعمان بن بشير الانصارى بحمص . بل قام بعض الثائرين بمصر العراق ودعوا الى انفسهم ، من امثال عبيد الله بن زياد ابن ابيه ، ولئن لم تفلح دعوتهم ، وسقط العراق شأن بقية الاقطار العربية فى ايدى اتباع عبدالله ابن الزبير .

ولم يبق من يعترف بسلطة دمشق غير حسان ابن مالك بن بحدل بفلسطين . ولكنه حينما تركها الى الاردن ، خلفه بها روح بن زنباع الجذامى . فثار عليه نائل بن قيس الجذامى ، واستطاع ان يطرده ويدعو للزبيريين .

ولما بلغت الامور هذا المبلغ ، واوشك الملك الاموى على الضياع ، جد الامويون فى البحث عن مصلح لقيادتهم واخراجهم من مأزقهم الخطير ، سواء كان من الفرع المالك او من غيره . واخيرا استقرت ابصارهم على مروان بن الحكم ، الذى استطاع ان يشترى من اصله بشىء من عرب الشام بمساعدته . والتقت الجيوش بمرج راهط ، الامويون يناصرهم اليمنيون من عرب الجنوب ، والزبيريون يناصرهم القيسيون من عرب الشمال . واجتمعت عوامل متعددة فكانت سببا فى انهزام القيسيين هزيمة فادحة ، وعودة الاسرة الاموية الى السيطرة الكاملة على الخلافة الاسلامية لاتية، غير ان مقاليد الحكم آلت الى بنى مروان من البيت الحاكم .

حارب طهمان بنى مروان
فلما غلبوا ، لاذ بالفرار

ولما عزم بنو قيس بن عيلان على مناصرة الزبيريين ماشدوا جميع القبائل التى تنتمى اليهم الانضمام اليهم فى الحرب . فكان من الطبيعى ان يستجيب لهم بنو كلاب ، وهم القبيلة القيسية التى تقطن قريبا من حاضرة الزبيريين ، وعلى الطريق بينهم وبين الامويين . وكان من الطبيعى ان يخرج فى هذا الجيش رجل مارس القتال من قبل ، بل رجل عرف باجادة رمى السهام ، فكان — فى وصف الواصف له — يضع سهمه حيث يريد فلا يخطئه ، مثل طهمان بن عمرو . ولقد كان فعلا احد الذين قاتلوا مع الضحاك بن قيس فى مرج راهط ، وانكثوا العدو بسهامهم .

طهمان يلحق بجند نائل بن قيس بفلسطين

وعندما حاقت الهزيمة بالفريق الذى قاتل طهمان معه ، وجد نفسه مضطرا الى الفرار . فاى الطرق يسلك : ايعود الى موطنه بالبادية ام يتخذ له طريقا آخر ؟ يبدو ان الرجل تعذر عليه الرجوع لامر ما ، ولعله ما اظهره فى القتال من حمية واستبسال . فرأى ان يشارك الفئة التى ما زالت تقاتل الامويين فى فلسطين . فلحق بجند نائل بن قيس .

طهمان ينخرط فى جيش بن جحدم بمصر

ولكن قلاع المقاومة الزبيرية تهاوت واحدة بعد اخرى . فقتل النعمان بحمص وهرب زُفر الى قرقيسياء ، ونصح بنو جذام نائلا باللجوء الى عبدالله بن الزبير بالحجاز .

ووجد طهمان نفسه وحيدا ، مشردا ، مطاردا مرة اخرى . وكان قد استمرأ حياة القتال . فآثر ان يواصله فى قلعة بعيدة عن الشام . فغادرها الى مصر وانخرط فى جند ابن جحدم . ووجه مروان بن الحكم على رأس جيش كبير الى مصر ليخمد مقاومتها . وعندما توغل الجيش المرواني فى ارض مصر ، ووجد اتباع ابن الزبير انهم لا طاقة لهم به ، حفروا حول الفسطاط خندقا كبيرا ، وقسموا جيشهم الى فرق ، لكل منها نوبتها فى حراسة الخندق ، ومقاتلة المغيرين . فسميت تلك الحرب : حرب الخندق ، وحرب التراويح ، لتعاقب الفرق عليها .

طهمان يبلى فى الحرب بلاء حسنا ولكنه يغلب

وقاتل طهمان فى صفوف بنى تميم وابلى بلاء حسنا . فلقى اصحاب مروان منه ما لم يلقوا من احد ، فيما يقول الرواة . فقد كتب اسمه على سهامه ليعلمها وآثر الا يرمى بها احدا بل كان ينتقى الرؤساء والاشداء فيرديهم . وعرف له المصريون هذا الاخلاص فجعلوه احد رؤساء بنى تميم .

ولكن القتال انتهى على غير ما ود طهمان . فقد كان النصر حليف المروانيين ، وان لم يكن نصرا حاسما . فاستطاع الزبيريون أن يتفاوضوا لانهاء القتال ، ونالوا شروطا مكنتهم من مغادرة مصر سالمين آمنين فى سنة ٦٥ هـ . وكان من مغادريها رجلنا طهمان بن عمرو .

طهمان يغادر مصر الى عبدالله بن الزبير فى الحجاز

ولم يكن امامه غير طريق واحد يؤدى الى الحجاز ، فسلكه . وكان شأنه مع عبدالله بن الزبير شأنه مع قواده فى الشام ومصر . وكانت النتيجة واحدة اذ قتل عبدالله بن الزبير فى سنة ٧٣ هـ . واخمدت المعارضة الزبيرية . ولكن طهمان نجا من الموت فى هذه المعارك جميعا ، وخرج منها طريدا ، وان كان فى هذه المرة جائرا سدت امامه الطرق جميعا .

وذكر المقريزى فى كتابه المقفى أن طهمان اتخذ طريقه الى منطقة نجران من ارض اليمن ، حيث اتصل ببنى الحارث بن كعب من مذحج من عرب اليمن وعاد الى حياته القديمة : قطع الطريق .

طهمان عند نجدة بن عامر قائد الخوارج

وياخذ التسابق لاحاطة سحابة الرجل حتى يكاد يخفى وراءه معالمها وأدى ذلك الى اختلاف القدماء والمحدثين فى حدث هام الم به فى تلك الحقبة فى غالب الظن . فقد ذكر محمد بن حبيب والمقريزى ان نجدة بن عامر ، قائد الخوارج الذين ناوءوا عبدالله بن الزبير ، استعان بطهمان . ثم تفترق طرق الرجلين ، فيذكر ابن حبيب ان نجدة جعل طهمان دليلا له . ولكن هذا لم يرض ان يربط مصيره بمصير الخوارج . فانتظر حتى وجد غرة من القوم ذات ليلة ، واستولى على نجيبة عليها رحلها وادواتها وركبها . واسرع يخترق الطريق فى الفلاة . ويضيف ابن حبيب ان نجدة كان معه رجل يدعى عبدالله بن سراقة ، من بنى جعفر ابن كلاب ، وهم قوم طهمان ايضا . فتطوع عبدالله للاتيان بطهمان . وذلك امر غريب ، لا يبرره غير اعتناقه مذهب الخوارج ، ومعرفته بالطريق المؤدى الى ديار قومه ، والمرجح ان طهمان سلكه . فوجهه « نجدة » فى جند فلحقوه واتوا به الى نجدة ، الذى اتهمه بسرقة النجيبة وما عليها .

طهمان يرمى البعر بسهامه من فوق قربة

ولا يذكر المقريزى هذا الخبر ، بل يورد خبرا يلتقى بآخر وارد من مكان بعيد كل البعد عن شبه الجزيرة العربية ، ويكشف عن مسألة ما بين الشرق والغرب من ابعاد . يذكر المقريزى ان « نجدة » كان قد سمع عن براعة طهمان فى رمى السهام . فطلب منه ان يريه هذه البراعة . فقال طهمان : « مُرْ بقربة تملأ ، ثم ضعْ عليها ثلاث بعرات . ثم صفنى اين شئت ارميها ، ولا اصيب القربة » . فاتوا بقربة وقال نجدة : « ارم البعرة الوسطى » فرماها فاصابها دون ان يمس القربة . ثم رمى البعرة الثانية فالثالثة .

فما اشبه هذه القصة بما تورد الروايات عن واحد من الذين يعدهم السويسريون من ابطال مقاومتهم للاحتلال النمسوى ، فى القرن الرابع عشر ، اعنى وليم تل William Tell فقد امره جسلر Gessler والى اورى Uri احدى مقاطعات وسط سويسرا ، حتما سمع ببراعته فى الرمى بالقوس، ان يصيب تفاحة وضعت

على رأس ابنه الصغير ، ولا انتقم منه . فقتل والقح .

ولما رأى نجدة ما رأى من براءة طهمان ، قال : « لا تزعجنا مع المشركين أبدا ، يقصد في الخوارج من المسلمين ، فقد كانوا يسمونهم كذلك » .

اختلف الرواة في أمر طهمان كثيرا

وكانت النتيجة في الروايتين : روايتي ابن حبيب والقريزي واحدة : قطع يد طهمان اليمنى . وليس ببعيد أن يكون الخبران صحيحين ، وأن يكون أخبار نجدة لطهمان قد وقع بعد اتهامه بالسرقة.

وهناك روايات أخرى في هذه نغفلها خشية التشويش على القارئ .

طهمان يبكي يده المقطوعة أمام عبد الملك بن مروان

وتذهب رواية ابن حبيب والقريزي الى أن طهمان بعد أن قطعت يده اتخذ طريقه الى قومه وقد عزم على الانتقام من الخوارج . فمهدوا له الطريق الى عبد الملك بن مروان ، لما كان بينهما من مصاهرة حتى وقف أمامه بيده المقطوعة ، يبكيها بالشعر ، ويحرضه على الثأر لها . فبلغ من ثأر الخليفة بشعره أن جعل لطهمان آيشمان شاة من بني حنيفة مأوى الخوارج ، وان لم يتم الأمر لموت عبد الملك قبل ذلك .

وقطعة الشعر التي تدور حولها هذه الأخبار من أجمل الشعر ، وأزخره بالمشاعر الرقيقة ، وأعذبه موسيقى ، وتقول :

يدي يا أميرَ المؤمنين أعيذها
بحقوك أن تُلقى بمَلْقًى يَشينها
فقد كانت الحسناء لو تمّ شنْرها
ولا تعدم الحسناء عابا يشينها
وإنك مسئول عقلك في يدي
على حالة من ربنا ستكونها
تشدّ حبالَ الرحل في كل منزل
إلى شيمة لا يتبين شعبها
دعت لبني مروان بالنصر والهدى
شمالٌ كريم زايلتها يمينها
ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها
إذا ما شمالٌ فارقتها يمينها
وإن شمالا زايلتها يمينها
لناي عليها في الحياة حنينُها
وقد جمعتني وابن مروان حُرّةٌ
كلابيةٌ فرعٌ كرامٌ غصونها
ولو قد أتى الأنباءُ قومي تقنّصت
إليك المطايا وهي خُوصٌ عيونها
وإن بحجرٍ والمصارمِ عُصْبةً
حروريةً حُبْنا عليك بطونها
إذا شب منهم ناشئ شبّ لاعناً
لمروان ، والملعون منهم لعينها

طهمان يعود الى قبيلته مرة أخرى

وعاد طهمان ليعيش بين قبيلته . ولكن الأقدار لم تسكت عنه ، بل كانت لا تزال تدخر له المزيد، فقد توالت سخرية الناس من يده المقطوعة بينه وبين كثيرين ، عظم التهاجي بينه وبين اثنين منهم خاصة . ويروي ديوانه أنه قال في مُزَرّد بن عثم وقومه :

ولي بعد الأحزاب أيمن مستحبت
لنا النخل إلا آلاء الناس عامرُه
وقام لي رَحْلي قبيلٌ كأنهم
إماءٌ دعاها حضرةَ اللحمِ حازرُه
لحا الله أهل النخل بعد ابن حاتم
ولا أُسقيت أطلالُه ومصادرُه

فقال مزرد :

يا ناعيَ اللؤمِ ، إن اللؤمَ عقدتُه
بنو قُرَيط إذا شابت نواصيها
لا يسلمون ولا تلقى لهم سلما
ولا يُعرّج عن لوم عذاريها

تبلى عظام بني سكن إذا دفنت
تحت التراب ولا تبلى مخازيها
السارقون إذا ما ازبة أزمت
وقطعت عند باب الملك أيديها

بين طهمان وزوج أخته

وجعل عقيد بن شبل ، زوج أخت طهمان ، يعيرها بيد أخيها ، وهي تتياه وتزجره . فيقول لها : « أبلاجتكم تزجرينني ! » فبلغ ذلك طهمان وساءه ، ووقع بينهما الهجاء . وفي ذات يوم اجتمع ناس من بني بكر بن كلاب على ماء من مياههم ، وفيهم طهمان وقد غطى يده المقطوعة بثوبه . فأتى عقيد خلسة وأمسك بالثوب وألقاه عن يده ليكشفها للقوم . فحلف طهمان ليضربن هاشا بالسيف .

ومكث زمانا لم تلق هاشا صادرا في ابله . فاتبعه حتى ادركه وهو غافل فضربه بالسيف وقطع يده وأكثر به الجراح ، في أنه لم يقتله . واتخذ الفرار مطية له حتى وقع في أرض بني الحارث بن كعب بن نجران ، الذين كان قد لجأ إليهم بعد فراره في مطلع حياته ، وقال

لقد سرني ماجرّف السيف هاشا
ومالقيت من حد سيفي أنامله
ومتركه بالرتين مجدلا
تنوح عليه أمه وحلائله
طمست به عند فقصّر دونه
فلازال رثّا عمده وحمائله
ضربت به عبدا سمينا معلّه
وماكنت أخشى أن يعلّه كاهله
على ضربة أبدت مساس طهوره
وأخرى أمالت شقّه فهو عادله
حبوت به الصهر الذي كان بيننا
وذو الصهر حاب صهره ومواصله

ولا تصل الأخبار الى هذا الموضع ، نجد حلقات الظلام تعاقبت وتكاثفت وتلاحمت حتى اخفت ما وراءها كل الاخفاء ، ولم نعد نرى من طهمان شيئا ، ولا نسمع له ذكرا .

ديوان طهمان

ولكن ديوان طهمان يضم من الاشعار ما يلقي بعض الاضواء على بعض المراحل السابقة ، وما يصور مواقف لست ادري على وجه اليقين اين موقعها من تيار حياته . فقد وصف تشرده في ارض نجران مع صديق له من بني عبس ، فقال :

فإني والعبسي في أرض مذحج
لنا كانت الدنيا لمغتربان
طريدان مختصوان ، في مثل عيشنا
وجيف ، مكانا بكل مكان
عس بر مشبابا وملقى رحالنا
من الناس يحسب أنا سبعان

والم به المرض في تلك البلاد فعطفت عليه نساء بني الحارث بن كعب ، وبينهن وجد المرأة التي احبها ومنحها اجمل ما نظم من غزل ، ولئن كان لم يصرح باسمها ، بل كنى عنها بأسماء متعددة شأن غيره من شعراء العرب . فأبدى عجبه في قصيدة من الاقدار التي جمعت بينهما على تباعد موطنيهما ، وكشف عن الأسباب التي اوقعته في هواها :

ماصب تكربا على كعبية
نجدل حطمة أو تحيل قتالا
إلا المقادر ، فاستهيم فؤاده
من أن رأى ذهبا يزين غزالا
رشا أغن يصيد حسن دلاله
قلب الحليم ، ويطبي الجهالا
نظرت إليك غداة أنت على حمى
نظر الدوا ذكر الوصاة فمالا

وبلغ من جمال بعض ما تغزل به طهمان من شعر ان اختلط عند الرواة بما قاله كبار شعراء

الغزل كجميل بثينة ، مثل قوله :

ولو أن ليلى الحارثية سلّمت
على مُسجّى في الثياب أسوقُ
حَنُوطي . وأكفاني لديَّ مُعدّةٌ
وللنفس من قُرب الوفاة شهيقُ
إذن لحسبت الموت يتركني لها
ويفرج عن غمّه ، فأفيقُ
ونُبّئتُ ليلى بالعراق مريضة
فماذا الذي تُغني وأنت صديقُ
سقى الله مرضى بالعراق ، فإنني
على كل شاكٍ بالعراق شفيقُ
وإن لليلى بعد شيب مفارقي
وبعد تحني أعظمي لصديقُ
لعلك بعد القيد والسجن أن ترى
تمرُّ من ليلى وأنت طليقُ
طليقُ الذي نجّى من الكرب بعدما
تلاحم من درب عليك مضيقُ
ألا طرقتْ ليلى على نأي دارها
وليلى على شحط المزار طروقُ
أسيراً يعضُّ القيدُ ساقيه ، فيهما
من الحلق السُّمرُ الطاف وثيقُ

ويذكر الشاعر في هذه الأبيات أنه رهين السجن ، مقيد الساقين ، أسير . ولا يذكر المترجمون له شيئا من ذلك . فلا ندري متى ولا أين ولا لماذا كان هذا السجن . وإن كنا لا نستبعد أن يكون بعد أن كبرت سنه ، فشابت مفارقه ، وانحنت عظامه ، كما ذكر ، وإن كان غير بعيد أيضا أن يكون ما وصفه من نفسه مبالغا فيه أو من أثر السن لا السجن .

ووصل إلينا من المدة التي صفا فيها الجو بينه وبين الأمويين قطعتان من الشعر ، إحداهما قصيدة تقليدية الصورة ، تستهل بوصف الأطلال ثم ما قطعه في الرحلة إلى الممدوح وتنتهي بالمدح .

يا خيرَ من بُسطت له أيمانها
بعد النبي . وخيرُ من هو زائر
مَن عُبيدة أحبُّ أم أبيكم
بنتا عُبيد من ذؤابة عامر
ما زلت أسأل أين أنت ، وأنتحي
عَرْض الفلاة بصُحبتي وأباعري
حتى حسبت لأُشهسَنَّ من الذي
ألقى . ولستُ عن الدنو بقادر

ووجه الثانية إلى الوليد بن عبد الملك ، فيجعلنا نعرف أنه أدرك خلافته . قال فيها :

لقد أدى الوليدُ إلى أبيه
تحياتٍ يُقدّ إلى نجيب
فإما يَحلُ المقدارَ شيءٌ
فقد أبليتُ ما يُبلي الطبيب
مُمرّدُ بني أمية خيرُ مُمرّد
وشيبُ بني أمية خيرُ شيب

ولا يطغى عليه طوفان مدحه بل يخلطه بإيجاد الصلات بينه وبين الممدوح . ويطول الطريق أحيانا إلى المدح الرسمي ، فهو مقصر فيه ، لا يطاول شعراء الآخرين ، بل لا يطاول شعره في غير المدح .

ولعل أفضل ما نختم به الحديث عن ذلك الشاعر الذي عاند الزمان فعانده الزمان ، واتخذ من الخوف أداة لكسب عيشه ، فسلط القدر الخوف يطارده في كل مكان ، واستبدل بالأمن الكوارث ، فلاحقته الكوارث واحدة بعد أخرى ، لعل أفضل ما نختم به ما وصفه به ابن فضل الله العمري الذي قال في مسالك الأبصار عنه : « جرو من كلاب ، وأسد في غلاب ، ومحراب لا يعد عليه طلاب ، وفاتك ودماء الأبطال له حلاب ، قال فتاك اللصوص ، وفات حبائل الشخوص ، وكان لا يهاب اقتحام كبير ، ولا يستقل رحال الله في البلاد كثير ، لا تروعه هيبة سلطان ، ولا تنزعه نفس إلى أوطان ، ولا تمتنع عليه إبل في فم بير كأنه بعير شيطان ». ■■

حسين نصار



● الى الصديق الذي كتب الي من انجلترا يقول :
« الطبيعة الغنية من اي شيء هنا .. ولكن الشمس ، كلون المياه ، بلا لون .. بلا حرارة . ما أشد شوقي الى بلاد الحرارة واللون محمصين .. الى بلادنا .. مع تحياتي وحبي .»

تصرح الشمسُ ، تُغني عندنـــا ... تُنبت اللـــون عبيرا عَطِـــرا
وورشـــف ، فامـــواجُ السنـــا ... في دمانا ، تهـــر زهو احمـــرا

★ ★ ★

تصرح الشمس على صحرائنـــا ... وشواطينا ، وعُنّي « ود عيته »(١)
اسمها الخالد من اسمائنـــا ... حين كنّا في يد الارض كتاب
والضحى تبهر على لألائنـــا ... علمرابـــا في السماوات شهـــاب
إرثُنا الشمسُ . تغني عندنـــا ... تُنبت اللـــون صحيـــا اسمـــرا
وتفتحُهـــا فيـــا عبقَ مثلنـــا ... ضارب في التيه ، أعيو السُرى
يا صديقي ، انا من هذي الرمـــال ... قبضـــةٌ مثلك ، من هذا نعمـــا
وطن تشربه صحـــراء الـــ ... ل ... وعـــى الارض فيه ولمسنـــا
ربما طلسم في عين الجبـــال ... سأراه مـــني . مهما أظلمـــا
إرثنا الليل ، يغني عندنـــا ... والثرى حلم بديـــر اسمـــر
أوجير نعرفه وارجعـــع ، انـــا ... قد عصرنا في الكؤوس القمـــرا
أمس في الحي الذي تعرفـــه ... سألتني عنك امواج الرحـــام
مرمرٌ أزهـــرَ ، او تعطفـــه ... اسكر الحبة عطـــرا وخـــزام
كنتمـــا لي مر استخلفتـــه ... قطرة احلـــو بهـــا سر الأوم
وتصب الشمس حبـــا فوقنـــا ... صارخ الشوق يهـــز الزهـــرا
ارضـــنا . لو احرقتنا ، أرضنـــا ... حسنـــا عباب فيهـــا مطـــرا

★ ★ ★

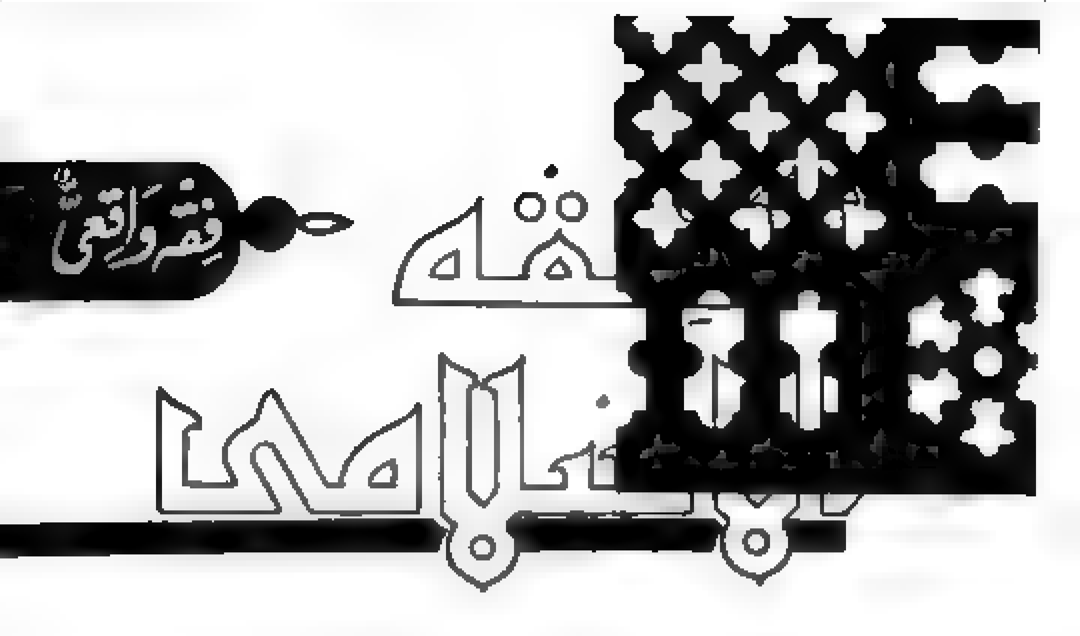
من وراء الموج ، من حمق الضبـــاب ... انت في المقهى ، على الدرب معي
قد تسمعه منه ، من هذا السراب ... كيف تنساه ، فاوجز ، وارجـــع
اي لغز ، اي سر في السراب ؟ ... ابني اهواه مـــر الجـــرع

★ ★ ★

اعشقُ الشمـــس التي تُحرقنـــا ... وتُغني الرمل حتى يسكـــرا
وتفتحُ فيناً . شقي مثلنـــا ... ضارب في التيه ، تعبه السُرى

---
(١) العنى والعنابا من اغانيها المعروفة .

حلب — سليمان العيسى



بقلم : الدكتور محمد سلام مدكور

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق – جامعة القاهرة

■ أساس بطبيعتهم في حاجة إلى تشريع يحدد لهم علاقاتهم ، ويبين لهم حقوقهم وواجباتهم ، ويحد من أنانيتهم ، وينظم من صلاتهم والتزاماتهم . وإلا لكان الأمر فوضى بين الناس . يأخذ القوي كل ما يريد بقوته ، ويفقد الضعيف كل ما يحتاج إليه بضعفه .

والتشريع الذي ينظم المجتمع الإنساني ، إما أن يأتي عن طريق مشرّع مرسل ، يحفز الناس على الانقياد له إيمانهم بالثواب والعقاب في حياة بعد هذه الحياة ، ثم سلطان الحاكم القائم على تنفيذ أوامر الدين وتعاليمه . وإما أن تأتي عن طريق سياسة عقلية تنظم شئون الحياة الدنيا وتقيمها على الرهبة والسلطان .

التشريع السماوي أنفع

ولما كان القول بوجود إله قوي هو الخالق لكل الأحياء والأشياء أمراً اهتدى إليه العقل البشري من قديم الزمان ، والعلم الحديث يؤيده ولا ينفيه ، كان التشريع السماوي أنفع لأنه من عند الله علام الغيوب المنزه عن الأخطاء والغرض والهوى .

وهو تشريع سن لكل عمل من أعمال الإنسان حكمين : حكماً في الدنيا يتعلق بظاهر العمل وأثره بين الناس ، وحكماً في الآخرة يتعلق بالجزء الباطن من العمل ، أي بالقصد الحقيقي منه والباعث عليه ؛ أي حكماً ينظم الصلة بين الإنسان وغيره من البشر ، وحكماً في نفس المسألة ينظم صلة الإنسان بربه . فهو تشريع يحاسب على الأعمال الباطنية حتى المضمرة كما يحاسب على الأعمال الخارجية .

إنه تشريع متفق في أحكامه مع قانون الأخلاق ومتصل بالضمير الإنساني اتصالاً وثيقاً . إنه تشريع يهدف إلى أمرين : تنظيم رابطة الإنسان بربه ، وتنظيم رابطة الناس بعضهم ببعض . وهذا مبني على أن القوانين التي تنظم أمور الناس لا توصل إلى كمال المقصود إلا إذا سايرتها قوانين تنظيم رابطة الإنسان بربه فتوقظ فيه الضمير ، وتجعله يحس من داخله بأنه واحد من كل ، وفرد في مجتمع ، وأن صلاحه لا يتم على الوجه الأكمل إلا بصلاح المجتمع كله الذي هو بمثابة عضو من جسده .

مرن ، يجب أن لا نفقده مرونة الأيام

اقتراح مجمع فقهي إسلامي ينظر في الأحكام نظرة تتفق مع ماجريات الأمور ومصالح الناس .

والاحكام السماوية لها من القوة والبقاء ما لا يمكن ان يتوافر لغيرها من التشريعات الوضعية ، اذ ان كل من يؤمن بالاديان السماوية يؤمن بالبعث والحساب ويخشى الآخرة وان فهو اذا استطاع ان ينفلت من جرمه في الحياة الدنيا ، فانه لا يستطيع ذلك في الحياة الآخرة ، قال تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

الاسلام خوطب به الناس جميعا

والاسلام خوطب به الناس جميعا ليكون دينهم الذي يجب ان يتعبدوا ربهم على مقتضاه ، ولن تتحرك عواطفهم في الله ، وليكون قانونهم الذي يجب ان تكون تصرفاتهم والتزاماتهم على اساسه وان يكون مرجعهم في الحكم والقضاء ، ولهذا فان احكامه جاءت في الغالب عامة تقف عند وضع الاسس والقواعد الكلية . وكانت احكامه تستقى من مصادر مرنة تساير مصالح الناس وتتفق مع اعرافهم السليمة ، وتتبدل تبعا لتبدل المصلحة ونظيرها ما دام لم يعينها نص قطعي من ناحية ثبوته ، وقطعي من ناحية ما يدل عليه ، ومن اجل ذلك كان التشريع الاسلامي ، بسبب انه عام يقف عند الاسس والقواعد الكلية ، صالحا للتطبيق في كل زمان ومكان .

ولهذا العموم جاء التشريع الاسلامي وافيا بحاجة الناس افرادا وجماعات عادلا سهلا من غير افراط ولا تفريط . ومن ميزاته الاولى انه يطالب بالعمل ويدفع الى العمل في الحياة والتعاون بين الافراد والجماعات ، ويهدف الى التسامح والمساواة والحرية، وجاء يساير الفطرة التي فطر الناس عليها وبنى على معالم قوية واسس متينة . وقد راعى النبي على الناس ورفع الحرج عنهم . فجاءت تكاليفه في حدود الاستطاعة البشرية ، ولذلك نجده التمس في التكاليف ايضا مع التدرج فيها كي لا يرهق كاهل الناس ولا يشق عليهم ؛ ولكي يلبي مسائلهم لتستمد احكامها من القواعد العامة تحقيقا لمصالح الناس .

ومراعاة مصالح الناس امر اساسي في التشريع

ومراعاة مصالح الناس في امور معاملاتهم امر اساسي في التشريع الاسلامي ، بدليل توسع الشارع في بيان عللها ليدور الحكم مع علته وجودا وعدما ، لينبهنا الى ان نسلك هذا الطريق ولا نتجمد على النصوص التي ربما ورد لمصلحة خاصة وطائفة خاصة واقليم خاص ، فان تعارضت هذه المصالح وكان لابد لتحقق بعض المصالح الاضرار بالغير ، لوحظ تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، ودفع الضرر الاكبر بالضرر الادنى .

ومن اجل عموم رسالة الاسلام ومخاطبة الناس بها في كل عصر ومكان نجد القرآن — وهو المصدر الاول للتشريع — وان فصل احكام العبادات اذ احكامها تعبدية ثابتة لا تتغير بتغير الزمن ، وكذا فانه فصل بعض الشيء الاحكام المتعلقة بتكوين

الأسرة التي هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع الاسلامي ، والبناء كلما كانت لبناته على نسق واحد كان قويا متينا حسن المظهر . فاذا كان القرآن فصل في مسائل الأحكام بعض التفصيل ، وجاءت السنة ببيانها ، فان المصادر الأولى للتشريع الاسلامي لم تتناول بالتفصيل أحكام المعاملات المالية والجنايات وما يتعلق بالقضاء والحكم وعلاقات الدولة الاسلامية بغيرها في السلم والحرب ، وما شابه ذلك ، مما يتغير بتطور البيئة ويختلف باختلاف الأوطان والأيام ، وانما دل عليها بوجه عام حتى يكون ولاة الأمر في كل عصر وجهة . في سعة من أن يضعوا قوانينهم فيها حسب مصالحهم في حدود أسس القرآن من غير اصطدام بحكم جزئي .

ومن أجل هذا أيضا كانت مصادر أحكامه في الفقه مرنة — كما أشرنا — لا جمود فيها ولا انغلاق ، وكان العرف مصدرا تشريعيا ، وكانت المصالح معتبرة في التشريع تتغير بها الأحكام أحيانا ، ومن أجل هذا قال الفقهاء والأصوليون « ان الحكم يتغير بتغير المصلحة وكثيرا ما قالوا في الخلاف بين الأئمة أنه اختلاف عصر وزمان لا حجة وبرهان .

الدعوة لانشاء مجمع فقهي اسلامي

وقد ناديت في مؤتمر الفقه الاسلامي المنعقد بمدينة دمشق في أول ابريل ١٩٦١ بضرورة تكوين مجمع فقهي اسلامي على غرار المجمع اللغوي يضم أفاضل الفقهاء من كل اقليم ومذهب فيدرسون حكم كل جديد ، وينظرون في الأحكام الاجتهادية نظرة تتفق مع مجريات الحياة ومصالح الحياة ومصالح الناس ، على أن يتبع هذا المجمع مكتب فني لنقل أحكام الفقه الاسلامي ومسائله الى جميع اللغات . وأرجو أن يكون مجمع البحوث الاسلامية التابع للأزهر الذي أنشىء سنة ١٩٦٢ صدى لهذه الدعوة ونواة لهذه الفكرة .

وأعتقد أنه من المفيد النافع اخراج موسوعة للفقه الاسلامي تجمع أحكامه من مختلف المذاهب وتعرضها في أسلوب سهل شيق ، وتيسر سبيل الرجوع اليها لكل راغب دون عناء أو تعب ، والحق أن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية التابع لوزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة ، احتضن هذه الفكرة وبادر في الاعداد لتنفيذ هذا المشروع . ونرجو من الله أن تذلل له السبل وتزول من طريقه كل عقبة وأن يكون منارا لكل مسترشد في الحياة .

واقعية الفقه الاسلامي

وبهذه العناية وتلك الرعاية نستطيع أن نثبت للملأ صلاحية فقهنا لكل عصر ومكان ، ونظهر حقيقة أنه فقه واقعي يعالج كل شيء في الحياة بما يساير مصالح الناس ، ونستطيع أن ندفع دعوى أنه فقه مثالي أو نظري أو أثري ، ونثبت للكافة أنه فقه واقعي وصالح للتطبيق ، وأنه يفوق أي نظام حديث . ويعلو على كل دعوة اصلاحية أيا كان مصدرها ، لأن جميع الدعوات الاصلاحية النافعة للمجتمع توجد جميع المفاهيم النافعة فيهما بصورة واضحة دقيقة في الفقه الاسلامي ، وبصورة تجعلها أدنى للقبول وأقرب الى القلوب ، كما أن قواعد التشريع الاسلامي تتسع لكل ما هو نافع مفيد ويحقق للمجتمع الانساني السعادة والسلام .

فقهاء المسلمين في حضاراتهم ، كانوا أسبق من فقهاء الحضارة الحاضرة

ولقد كان بعض المثقفين ينظرون الى الفقه الاسلامي ، في ظل الركود الأول والجمود الذي كانت تمر عليه ظروف الحياة في عهود الاستعمار ، على أنه أثر تاريخي يحتفظ به تراثا للسابقين ، ويرون فيه عدم الصلاحية للتطبيق عليه والأخذ من أحكامه وقواعده ، وكان يدفعهم الى ذلك أيضا انغماسهم في الدراسات الغربية وتأثرهم بالحضارات القانونية الحديثة وما فيها من استيعاب وحسن صياغة وبساطة عرض ويسر الرجوع الى المطلوب .

لو علم هؤلاء الأفاضل أن الفقه الاسلامي ليشتمل على كل ما يعتقدون أنه من النظريات الحديثة ، وكان فقهاء المسلمين أسبق بالقرون العديدة البعيدة من فقهاء هذه الحضارات ، لفطنوا الى أن هذه الحضارات القانونية كثيرا ما تكون عالة على فقهنا ومستمدة منه في كثير من أحكامها ونظرياتها وخاصة الفقه المالكي الذي كان منتشرا في الأندلس الاسلامية وما زال منتشرا في شمال افريقيا .

تخلف الفقه حينا بجمود الفقهاء

ويمكن أن نلتمس العذر من قبل ، وقد مر الفقه

الإسلامي حقبة كبيرة من الزمن بعيدا عن الحياة الواقعية نعيش معه في دائرة التقليد الصرف لعصور سابقة تختلف فيها الأعراف والمصالح دون نظر الى مفاهيمه الحقيقية وقواعد التيسير فيه ، حيث قصر فقهاؤنا في عرض ذلك الفقه القديم الدقيق بأسلوب يسمح للناس أن يتذوقوا حلاوته ويدركوا محاسنه ويشعروا بأنه جدير بأن يوضع موضع كل قانون في الأرض .

الاستعمار والفقه الاسلامي

وكان الاستعمار في الدول الاسلامية يشجع على التهوين من الفقه الاسلامي ويبارك لتيمم هذه الدول وجهها شطر الدول المستعمرة تأخذ عنها نظمها وقوانينها وترتبط بمجتمعها لما لارتباطها بالاستعمار الذى يرى في التكتل الاسلامي والتمسك بالاحكام المستنبطة منه ما يفسد عليه غرضه ويزلزل قدمه .

أما الآن وقد نهضت الدول العربية والأمة الاسلامية نهضتها المباركة ، وأطاحت بالاستعمار وأعوانه ، وطهرت أراضيها منه ، وأصبح للقومية العربية كيانها الظاهر الأثر في المحيط الدولي ، فإن الأنظار اتجهت من جديد الى الفقه الاسلامي وبدأت العناية به بشكل واضح طيب الأثر يظهر جليا في الدراسات المقارنة ، كما يظهر في المؤتمرات الفقهية التي تعقد والكتب والرسائل الاسلامية التي ظهرت بشكل واضح في عصرنا .

ضرورة الخروج على الجمود

على أنه يدخل في الغرض المنشود لنا ، ولكل صديق للفقه الاسلامي ، محب له ، متعطف للحق من حيث هو ، ألا نقف جامدين أمام أي جزئية يعرضها العصر الحديث وتحدث في زماننا ، ولا نقف مكتوفي الأيدي أمام أية مشكلة ، ولعمر الله لو علم كل فقيه أو مشتغل بالفقه أن لكل جزئية في حياة الانسان حكما لله في ما يتفق مع ما تشتمل عليه من خير وأن كل عقل تأول قواعد الاسلام ومسالكه يستطيع أن يعرف ذلك الحكم بأيسر تفكير اذا تجرد من الجمود ونأى عن التقاعس . لو علم كل فقيه أو مشتغل بالفقه ذلك لما توانى أو تقاعد أو تقاعس عن البحث والاجتهاد للتعرف على حكمها واظهار حكم الله فيها للناس . ولا غرو أن يظفر المجتهد المنصف المخلص لدينه الذي يبتغي وجه الله . فالمجتهد إن أصاب له أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد .

وانه لا يطلبنا من المسئولية أن نتكاسل ونتباطأ باسم التحري والاحتياط ، أو الوقوف عند المتشابهات ، فإن ذلك موقف العاجز السلبي لا يستطيع أن ينظر في الدين نظر متصرف ، ولا أن يأخذ من قواعده ما يستطيع به أن يحكم على كل حادثة ويستطب لكل داء في محيط الناس .

فلنأخذ جميعا بهذا الواجب ويأخذ كل منا بيد الآخر ، اذا نسي ذكره ، واذا ذكر أعانه ، واذا فتر نشطه ، معرضين جانبا عن التنافس الرخيص والتنابذ الذي لا يغني من الحق شيئا ، ولنتذكر دائما قول النبي صلوات الله عليه « صنفان من أمتي اذا صلحا صلح الناس ، واذا فسدا فسد الناس : العلماء والأمراء » .

وبعد

وبعد ، فيقيني أنه لن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ، وقد كانت تعاليم الاسلام سببا في توجيه أمة الاسلام من أجناس مختلفة والسمو بها الى أعلى الدرجات . وبسط سلطانها على جزء كبير من العالم ، فقد كانت الأمة الاسلامية خير أمة أخرجت للناس ، وكانت الأمة الأولى في قوتها وعدالتها حين كانت مخلصة لدينها متبعة لأحكامه .

ونحن واثقون من أن الفقه الاسلامي يسد حاجة المجتمع وينظمه خير تنظيم اذا اجتهد الفقهاء في عصرنا أنفسهم لمواجهة الحياة مواجهة عملية غير واقفين عند اجتهادات السابقين لأن الوقوف عندها كما يقول القرافي « ضلال في الدين وجهل بمقاصد العلماء السابقين » .

فالشريعة الاسلامية التي وسعت العالم الاسلامي في أزهى عصوره ، وقضت حاجة بلادنا من التشريع مئات السنين ، لا تقصر عن أن تكون أصلح مصدر لتشريع الأحكام ـ حتى قال المستشرق المجري الاستاذ جيرى : ان فقهكم الاسلامي واسع جدا الى درجة انني أعجب كلما فكرت في أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لبلادكم وزمانكم .

محمد سلام مدكور



بقلم : الدكتور محمد جواد رضا

كلية التربية ـ جامعة بغداد

■ آرنولد توينبي Arnold Toynbee هو واضع نظرية « التحدي والاستجابة » في تفسير حركة التاريخ الانساني وهو مهندس هذه النظرية . ويكاد يكون هناك اجماع أو شبه اجماع ، بين كبار المفكرين الغربيين المعاصرين ، على أن تفسير توينبي للتاريخ يُجمل روح الحضارة الغربية التي تواجه اليوم تحدياً جدياً وخطيراً . ومن هنا غدت آراء توينبي تزن كثيراً وثقيلاً في غمرة الصراع الفكري الذي يجتاح البشرية الآن .

ولم تنل التربية ودورها في توجيه حركة التاريخ حصة من اهتمام هذا المؤرخ الكبير الا مؤخراً حين طلع على العالم بدعوة جديدة يربط في نتائجها ، بين أحداث التاريخ ، ونظم التربية والتعليم في العالم ، ربطاً عضوياً يحمل بالمعنيين بشؤون التعريب العلمي في العالم العربي أن يقفوا عنده وقفة جادة متأملة عسى أن يكون لنا فيها نفع وغناء غير يسير .

وسنأتي في هذه الكلمة على :

(١) نظرية التحدي والاستجابة في حركة التاريخ .

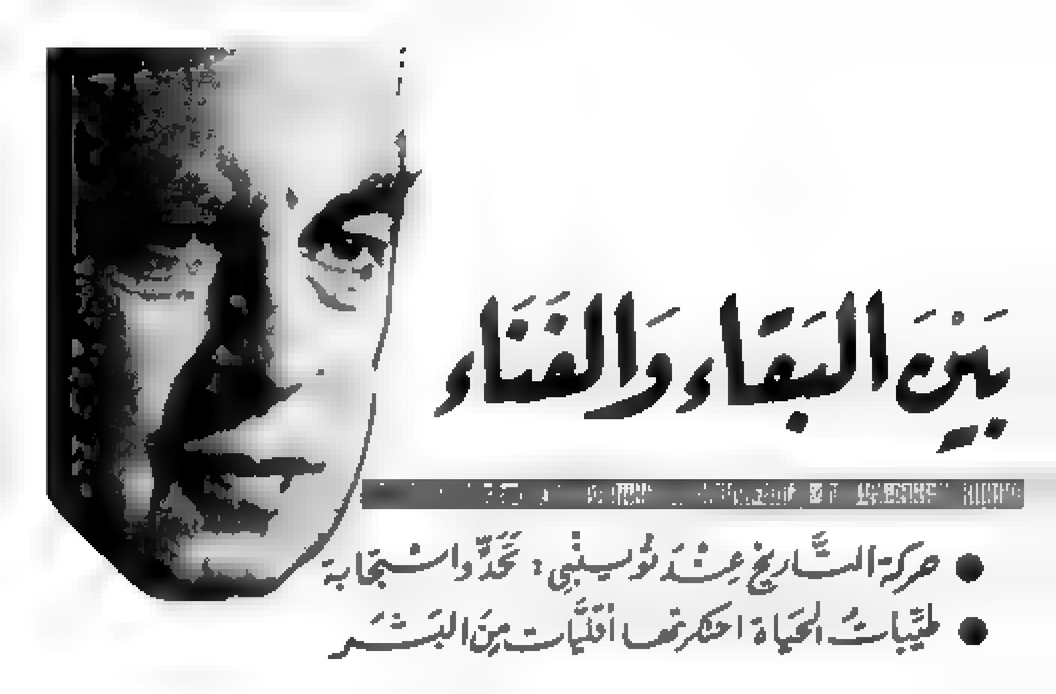
(٢) ربطها بنظم التربية والتعليم في العالم .

ما هو التحدي وما هي الاستجابة ؟

ومن غير الميسور فهم جوانب دعوة توينبي التربوية خارج اطار فلسفته التاريخية ، فلسفة « التحدي والاستجابة Challenge and Response » .

يبني توينبي فلسفته هذه على التسليم بأن

● نشرت هذه الدعوة في الفصل الختامي الذي كتبه ارنولد توينبي لكتاب Education in the Perspective of History الذي ألفه الاستاذان ادوارد ميير والرت لاكسر بتكليف من صندوق التقدم التربوي الامريكي (The Fund for Advancement of Education) وقد نشر الكتاب عام ١٩٦١



بين البقاء والفناء

- حركة التاريخ عند توينبي : تحدٍّ واستجابة
- طيبات الحياة احتكرتها أقليات من البشر

(الخلق) في التاريخ هو الى حد ما وظيفة من وظائف (التفاعل) ، وان العبارة التي تجسد هذه الفكرة تجسيدا كاملا هي (التحدي والاستجابة) . ويقرر توينبي ان الحضارات كلها قامت ، بين افراد الجنس البشري ، استجابة للتحديات التي واجهتهم بها بيئاتهم المادية او بيئاتهم الانسانية (الاجتماعية) .

ان المفهوم الضمني لعبارة(التحدي والاستجابة) ممكن التطبيق على الافراد والجماعات .

وجوهر هذا المفهوم هو انه عندما يضطرب توازن الفرد النفسي Equilibrium (او احساسه بالارتياح الداخلي) ويحل محله حالة من عدم التوازن النفسي (او الافتقار الاحساس بالارتياح الداخلي) ، او عندما تضطرب الحالة الثابتة بفعل قوة من القوى ، سواء انبثقت من الخارج كما في البيئة المادية او الاجتماعية ، ام من الداخل ، او من استيعاب فكرة جديدة او من تجربة روحية او زيادة في الوعي ، آنئذ يكون الجهد المبذول لاستعادة التوازن "استجابة" من الفرد الى تلك القوة .

ان الانسان من حيث هو جرم مادي وكائن حي ، او من حيث هو مخلوق "مُدرِك" لذاته ، هو في حالة دائمة من التوازن غير المستقر نوعا . فالقوى المادية فاعلة فعلها فيه بلا انقطاع ، والقوى الحيوية البيولوجية ماثلة تضغط عليه ضغطا يوازي فعل القوى المادية فيه ، وقوى البيئة الانسانية (الاجتماعية) ماثلة امامه . وهكذا فان اية حالة من حالات التوازن هي حالة مستقرة نسبيا فقط ، وان اي تحد يواجهه الفرد هو واحد من مجموعة من عوامل الاضطراب المحيطة به في وقت معا ، وهو في الوقت ذاته التحدي الاكبر تأثيرا والاهم بالنسبة للفرد في تلك اللحظة . ان استجابة الفرد للتحدي ما هي الا جهد مبذول" لاستعادة التوازن المضطرب . واذا كان هذا الجهد ناجحا استعاد الكائن الحي توازنه ، ولكن على مستوى او صعيد اعلى للكائن الحي المدرك لذاته .

التحدي والاستجابة في البيت والمدرسة

وهذا المفهوم المجرد يمكن أن نوضحه بمجالات التجربة الاعتيادية في حياة كل انسان . فالتحدي النابع من داخل البيئة الانسانية (الاجتماعية) ، من البيت والعائلة ، يضغط على الفرد ، والفرد يستجيب لتلك الضغوط بطريقته الخاصة ، وباستجاباته هذه يبدأ الفرد بناء منزلته في العائلة .. وبناء شخصيته كفرد . وبعد فترة من الزمن يدخل المدرسة او روضة الاطفال ويكتشف بدهشة وحيرة في الاغلب ، انه لا المعلمين ولا اقرانه

في المدرسة يتطلبون منه المواقف ذاتها التي يتطلبها منه أبواه وأخوته . ان هذه المجموعة الجديدة والغريبة من المواقف تتطلب استجابة وتكيفا جديدين من لدنه . وهو يقوم بهذه الاستجابات . وهلم جرا . وتتكرر هذه الظاهرة في حياته اليومية كلها . وفي بعض الاحيان يوميا تقريبا .

التحدي والاستجابة في المجتمعات

ان عملية التحدي والاستجابة في المجتمع يمكن أن نلاحظ بوضوح في مطالع الحضارة المصرية القديمة . فعندما بدأ طقس افريقيا الشمالية يتبدل قبل سبعة آلاف أو ثمانية آلاف من السنين بدأت الشعوب البدائية في تلك المنطقة تواجه تحديا طبيعيا من النوع الشديد القاسي . فالارض التي عاش عليها افراد هذه الشعوب هم وآباؤهم شرعت تتحول تدريجيا — وبسبب الأنس الامطار — من ارض خصبة مزروعة تقوت الماشية وتوفر لاهلها مادة الحياة ، الى ارض رملية جرداء كالتي نعرفها الآن . ولقد كانت كافة تقاليد هاتيك الشعوب وعاداتها وطرق معيشتها خلال أجيال لا حصر لها قبل ذلك استجابة للاحوال القائمة وتكيفا معها . والآن اخذت البيئة الطبيعية في التبدل كان على افراد الشعوب في هذه الارض ان يختاروا حلا من ثلاثة حلول : كان في مقدورهم الاحتفاظ بعاداتهم وتقاليدهم على ان يهاجروا جنوبا حيث كانت الاحوال الجوية القديمة ما تزال سائدة وهكذا يستمرون يحيون حياة آبائهم الاولين . ويبدو ان بعض الشعوب اتخذت الهجرة حلا متجنبة بذلك تحدي الجفاف .

وكان الحل الثاني الاحتفاظ بتقاليد آبائهم والبقاء في الارض . ولما لم يكن في مستطاع تلك التقاليد ان تكفي لتوفير موارد الرزق تحت الاحوال المتبدلة ، والتي ما تزال في حالة تبدل ، فان الشعوب التي اخذت بهذا الحل ماتت ثمة موتا وفناء لعجزها عن التكيف . وكان الحل الثالث البقاء في الارض والانسام بتلك العبقريات الخلاقة التي تخيلت للوهلة الاولى امكانية ضبط مياه النيل وحبسها وطرق تنظيم الري واستثمار الارض وانشاءات مستعمرات ثابتة على الارض الثمرة الآن . وقد دفع تبني هذا الحل بالشعب في طريق (النمو الحركي Dynamic grouth) .

وهكذا يرى توينبي ان التاريخ الانساني ليس الا نوعية Quality معينة من الاستجابة للتحديات التي يواجه بها الكائن الحي ، وهذه النوعية من الاستجابة هي التي تقرر بقاء الكائن الحي او بقاء نظام حضاري معين أو زوالهما . واذا كان ذلك كذلك ، فما هي التحديات التي تواجه حضارتنا المعاصرة ؟ وما هي مسؤولية المؤسسات التربوية المعاصرة في توجيه نظامنا الحضاري نحو اختيار احسن الاستجابات لهاته التحديات ؟

التحدي الكبير

وفي معرض الاجابة على هذا السؤال يلاحظ توينبي ان التحدي الكبير الذي يواجه حضارتنا المعاصرة يمكن استقراؤه في الحضارات السابقة علينا ، وهو يمثل في امرين جوهريين هما :

١ — احتكار الاقلية من ابناء البشر ، لنعم الحياة واطايبها .

٢ — والاخفاق في تعلم العيش على هذا الكوكب كاسرة واحدة . ذلك اننا نعيش في عصر حضارة عالمية شاملة Ecumenical ، لا خيار لنا الا بين ان نعيش فيها معا ونتنتحر انتحارا جماعيا .

احتكار طيبات الحياة الاقلية من ابناء البشر

انما احتكار نعم الحياة وطيباتها — مادية وروحية — من قبل اقلية صغيرة من اعضاء المجتمعات فقد كان احدى الخصائص المميزة للحضارات القديمة وواحدا من اشد معالمها قبحا . ولم تكن هذه اللطخة على وجه الحضارة في مراحلها القديمة ترجع الى انانية الاقلية الحاكمة فقط ، ذلك انه ، حتى لو استطاع جميع افراد هذه الطبقة ان يرتفعوا فوق نزعتهم الذاتية ، وحتى لو كانوا قد حاولوا بكل ما اوتوا من قوة ان يقتسموا مواردهم الاقتصادية مع الاكثرية المحرومة لباؤوا بالخيبة والفشل ، وذلك لصغر حجم

الفائض الاقتصادي الضئيل في ايديهم بعد اشباع الحاجات الاولية التي كان في مقدور المجتمع الانساني انتاجها قبل الثورة الصناعية الحديثة، تلك التي بدأت في المجتمع الغربي قبل ما يقرب من مائتي عام ، وسط ذلك الحين كان زخمها في تعاظم مستمر وكانت تمد وجودها من الشعوب الغربية الى بقية الجنس البشري .

ان الاقتصاد الزراعي تقدم على الثورة الصناعية ، ولم تكن تعمل فيه الا قوة العضلات الانسانية والحيوانية . فلم تكن معززة بعد بقوة الآلة — لهذا كتب على الجميع ، الا القلية محدودة من اعضاء المجتمع ، ان يحيوا حياة الفلاحين ، اذ لا يقوى انتاجهم الضئيل على توفير امكانيه السمح سمم الحياة للجميع فوق الضرورات العامة الاخرى كالطعام والكساء والمأوى .

حرمان طال زمانه .

ثم جاءت الاديان فنادت بالقيمة الروحية لكل روح انسانية ، وفسرتها بغض النظر عن الطبقة الاجتماعية التي وضعتها فيها الصدفة المولد .

ثم اصبح هذا الظلم غير ضروري الآن بوجود الثورة الصناعية التي مكنتنا اقتصاديا — في النهاية — من توفير سمم الحياة وطيباتها للجماهير.

ان ثورتنا الصناعية المعاصرة هي بطبيعة الحال واحدة فقط في سلسلة طويلة من الثورات التي طورت حياة الانسان منذ اختراع الزراعة ، ثم تطويرها بابتكار فنون السيطرة على المياه ، وبالتخصص في زراعة الغلال وزيادة غلتها . ولكن ثورتنا الصناعية هذه هي الاولى التي فتحت باب المستقبل لتطوير الوسائل المادية للارتفاع بالمستوى المعاشي لطبقة الفلاحين في العالم وسائر الطبقات. ان الامكانية الراهنة لوضع منافع الحضارة في متناول الاكثرية العظمى من ابناء الطبقات المحرومة تجعل منها امرا اخلاقيا بتحقيق العدالة ... العدالة التي غدت الآن — واخيرا — في حدود امكانياتنا . ان هذا هو احد التحديات الجديدة الذي تجابهه البشرية اليوم ، وتجابهه معها ، وبالتبعية ، المؤسسة الانسانية القديمة : التربية والمشاكل التي تنطوي عليها هذه المواجهة هي من طبيعة هذا التحدي الجديد نفسه ومن سمته ومن حجمه ايضا .

تعلم العيش على هذا الكوكب كاسرة واحدة

وهكذا يتجلى امامنا اول وجهي التحدي الكبير الذي يواجه به حضارتنا المعاصرة . وليس بأيسر من هذا شقه الثاني المتمثل في ضرورة تعلم شعوب الارض العيش كعائلة واحدة لتنجو من ارتكاب جريمة الانتحار الجماعي .

العجز عن التمام الذي عاشته ، الحضارتان ، الصينية والرومانية

وهنا يذكرنا توينبي بالعجز عن التمام الذي عاشته الحضارتان الصينية والرومانية ، كما انه يذكرنا بان علة هذا تعود الى امرين يجدر بالمعنيين بمستقبل البشرية ان يتدبروهما وان يدرسوا حل المشاكل الانسانية الراهنة على ضوئهما .

اول هذين الامرين هو الفكر التربوي الذي اكتفى به نظام الاقلية ذات الامتيازات القديمة فقد انحط هذا النظام الى تربية نمطية في التعلم الكتابي منفصل عن المدرسة التلقائية للحياة كلها .

وكان الامر الثاني يتمثل في ان مدى التربية محدود في كلتا الحضارتين ومقصور على الدراسات الانسانية دون دراسات العلوم الطبيعية والهندسية . وعلى الرغم من ان الاغريق والصينيين كانوا قد اضافوا في العصر الكلاسيكي اضافات جوهرية الى معدات الانسان التكنولوجية ، وان الاغريق وان كانوا اولا في اكتشاف الرياضيات والعلوم الفيزيائية ، فقد ظلت ثمرات العصبية الارستقراطية عند (الفنون النافعة) اطول عمرا من عمر النظام الارستقراطي نفسه في كلا المجتمعين .

وبما انه لم يتمثل اي شيء في اي من المجتمعين من اجل الارتفاع بالمستوى الاقتصادي فوق المستوى الزراعي المحض . وحال هذا التعصب الارستقراطي دون تحقيق ذلك الاتحاد بين العالم والتكنولوجيا ، ذلك الاتحاد الذي تكامل في العالم الغربي الحديث في القرن السابع عشر وما بعده وجاء بثمرات كبار . وكانت النتيجة في كل من العالم الاغريقي — اللاتيني وعالم آسيا الشرقية ان بقيت طبقة هزيلة تعيش طفيلية على طبقة الفلاحين الذين لم ترفع

طاقتهم الانتاجية ليتمكنوا من التعويض بما وضع على كاهلهم من أعمال . في هذه الظروف ليس مما يثير العجب ان تبور طبقة الفلاحين في كلتا الحالتين وان تنهار الدولتان وتنهار الحضارتان اللتان تجسدتا فيهما . وان لنا في هذا كله بعض الدروس اليـوم .

ومن هنا يخلص توينبي الى تركيز الانتبـاه على الدرس الكبير من مسيرة التاريخ . هـذا الدرس هو اذا كانت الانسانية تواجه بهـذا الاختيار المصيري فان التاريخ قد اسند الى (التربية) دورا مركزيا في امكانية توجيه البشرية نحو انتقاء (الاستجابة) المناسبة لهذا التحـدي الكبير . ولكن كيف يفكر توينبي في التربية ؟ او ما هي مفهومية توينبي التربوية اولا ؟

التربيـــة

يرى توينبي ان التربية ـ حصرا ـ هي فعالية انسانية ، وان الانسان يرث ـ خلافا للحيوانات الاخرى ـ شيئا هو أسمى من كل ما ينتقل اليه آليا بالوراثة الجسدية والنفسية انه يرث ثقافة يكتسبها افراد الجيل الصاعد ، لا على انها حق وراثي ينتقل اليهم آليا ، بل عن طريق تنشئتهم في تلك الثقافة وتكييفهم لها على يد الراشدين في المجتمع ولا « تبنى » الثقافة في « العقول الانسانية » ، انما هي « آلة » عملية تنتقل وتحفظ وتستقل من ابنائها ، وهي ممكنة التعديل وقابلة للتنوع . ان عقولنا اشبه ما تكون بـ « الحزّيّ » التي تركب على آلة اختيارية من الثقافة . وثقافتنا لا تشبه تكويننا المادي وتكويننا النفسي اللذين انما خلال اطوار تنقل الثقافة الينا . في ان سرعة التحول في الطبيعة هي دون هذه السرعة في الثقافة بشكل غير قابل للمقارنة . وحتى عندما تكون نوايا كافة الاطراف المعنية محافظة Conservative فان الجيل الناقل للثقافة لا ينجح ابدا في نقل تراثه الثقافي بنفس « الشكل » الذي تسلمه به من اسلافه بالضبط . زد هذا أن عمر الجيل الواحد هو من القصر بما لا يقارن بعمر الجنس البشري حتى تاريخ ذلك الجيل .

لقد كانت التربية ـ بمعناها الأوسع وهو نقل التراث الثقافي ـ في اكثر المجتمعات الانسانية وفي اغلب الامكنة والازمنة ، وحتى الآن ، فعالية غير منظمة وغير واعية لذاتها . وكان الناس ، في الاغلب ، يكتسبون ثقافة اجدادهم بذات الطريقة التي يتعلمون بها لغتهم القومية .. يختلطون بمن هم اكبر منهم سنا ويتعلمون منهم بصورة غير واعية ، على حين ان الكبار انفسهم قلما يكونون اكثر وعيا من الناشئة لكونهم معلمين .

ويستمر هذا النوع غير المنظم ولا المرسوم من التربية يلعب دوره حتى في المجتمعات المتحضرة التي عرفت النظم التربوية مرسومة موجهة منظمة . حتى في المؤسسات التربوية ، التي يكون فيها التعليم من الكتب هو النوع الرسمي الرئيسي من التعليم ، لا يزال بناء السجايا وتكوين العادات يتركان لعامة التأثيرات التلقائية التي تصنعها العلاقات الاجتماعية بين الجيل وشيوخه. ولربما كان ما يتأثر به الطالب في البيت عن غير قصد مهما اهمية ما ينطبع به على قلبه وعقله قصدا في المدرسة .

وتتجلى اهمية ما يسهم به البيت في ذلك عندما تفتح مؤسسة تربوية ، سبق ان كانت حكرا للاقلية ذات الامتيازات ، ابوابها للعامة من الناس.

وان واحدا من اعظم الامتيازات هذه الاقلية هو كون الفرد منها وريثا لتراث ثقافي أغنى من ذلك الذي كان ميسورا للاكثرية ، لم ينقل هـذا التراث الاغنى من جيل الى جيل من هذه الاقلية من خلال اسرها كما ينقل من خلال المدارس والكليات .

ويتجلى هذا الامتياز عند ما يتقبل الاطفال ذوو التراث الثقافي الاغنى الى مدارس الاقلية الممتازة . انهم يجدون يسرا ويتلقون من اسرهم شططا في محاولة الانتفاع بدروس التربية المرسومة انتفاعا يتفوق انتفاع لداتهم المتحدرين من العوائل الفقيرة لانهم يجلبون معهم من عوائلهم زادا ثقافيا اغنى مما يجلبه الآخرون . ولكل ما كسبت يداه . ان هذا ليس عدلا بطبيعة الحال ، الا انه بعض حقائق الحياة . ولقد يمر زمن طويل ، جيل او اكثر ، قبل ان تظفر العامة ، التي استطاعت ان

ترتفع بنفسها الى طبقة اجتماعية أكثر امتيازا ، بالثروات لتلك الطبقة التي ارتفعت اليها وتسلمت فيها .

عصرنا وتحدياته التربوية

على ان خضوع التربية لما يفرضه المركز الاجتماعي لا يأذن لنا بالاكتفاء بمجرد التسليم بوجود هذه القيود وعواقبها ، ذلك اننا نعيش اليوم في مرحلة تاريخية تتحدانا بوجوب الاختيار الناجح . ان هذا التحدي لا يأذن لنا ان نكون لا ابياليين ازاء كل شيء يمس الحياة البشرية وطبيعة الانسان . ان كل رجل وكل امرأة وكل طفل حي اليوم يعيش في عالم تواجه فيه البشرية بان تختار احد امرين لا ثالث لهما ، اما تعلم العيش سويا كعائلة واحدة ، او اقتراف جريمة الانتحار الجماعي على نطاق الكرة الارضية . ولا يستطيع الجنس البشري ولا اي عضو من اعضائه ان يتجاهل الحالة الانسانية الراهنة . اننا يجب ان نطاول هذه الحالة وان نسايرها ونرتفع الى مستواها اذا كان مقدرا لنا الا ندمر انفسنا . وكيما نطاول هذه الحالة ونسايرها ونرتفع الى مستواها يجب علينا اولا وقبل كل شيء ان نفهمها . ونلتزم محاولة فهمها كلا منا على انفراد ، كما نلتزمها مجتمعين ، بالتعرف على ثلاثة حقول واسعة من حقول المعرفة على الاقل . وهذه الحقول هي :

١ ــ معرفة بالعلوم الطبيعية والتكنولوجية .

٢ ــ معرفة بالطبيعة الانسانية .

٣ ــ معرفة بشخصيات وتواريخ الثقافات المحلية التي قام الانسان بخلقها ونقلها وتحويرها ثم اسقطها من حسابه خلال العصور المتصرمة منذ اصبح اجداده المتوحشون بشرا .

وهكذا فقد اصبح الحد الادنى من مهمة التربية مسؤولية كبرى في يومنا هذا . كما غدا من الواجب ان يأخذ كل طفل برنامجا دراسيا كافيا من التربية وغير النظامية على حد سواء كيما ينمو ويصبح مواطنا فعالا في عالمنا الجديد .

اننا يجب ان نتفهم المشاكل الاكثر عسرا وتعقيدا ، مشاكل تربية الاكثرية المجردة من الامتيازات من الغربيين ، والاكثريات الضخمة من غير الغربيين ، من ابناء الجنس البشري التي يكون الاطار الغربي المعاصر بالنسبة لها شيئا غريبا وغير متجانس معها . ومن الواضح ان هذه مهمة تربوية ضخمة ، ومع هذا فاننا لا نستطيع ان نتهرب منها كما لا نستطيع استثناء قسم من الجنس البشري ، فنحن ملزمون بمعاونة الجنس البشري على تثقيف نفسه ضد خطر تدمير نفسه بنفسه ، وهذا واجب لن نجرؤ على رفضه .

معالم يستدل بها على طريق الاستجابة المرتقبة

وبصدد تحديد معالم (المهمة التربوية الضخمة) يشير توينبي بأصبع المؤرخ الحصيف الى طريق المستقبل التربوي ويضع بعض المعالم التي تهدي الى هذا الهدف البعيد داعيا رجال التربية والتعليم في العالم للنهوض بمسؤولياتهم الكبيرة .

واولى هذه المعالم تخبرنا ان حاجة عصرنا التربوية الرئيسية هي وجوب جعل بادئة الموضوعات الاساسية في التربية متوازنة فيما بينها . وليس من ريب في ان الموضوع الاهم بين هذه الموضوعات هو الانسان نفسه . ان الجنس البشري لا يقوى على البقاء اذا لم نتعلم في كل جيل شيئا يسيرا على الاقل من اسلافنا في فن الحياة ، شيئا ييسر تنظيم علاقاتنا بزملائنا وبانفسنا . هذا هو جوهر التربية الانسانية . غير ان هذا الجوهر لا يمكن ان يكتسب من دراسة الانسانيات Humanism وحدها ومن الكتب ، مع ان التعليم من الكتب اصبح في عالم اليوم جزءا ضروريا من تربية كل شخص من الاشخاص . غير ان جوهر التربية الانسانية يجب ان يكتسب في ذات الوقت بطريقة الممارسة غير المدرسية الرسمية ، تلك الممارسة التي هي لب التربية في كل المجتمعات وكل الطبقات الاجتماعية على مختلف المستويات . وهذا هو ما يجعلنا بشرا وهو ما يعيننا على الاستمرار في بشريتنا هذه .

ويستطيع التعلم من الكتب ان يكون بذاته

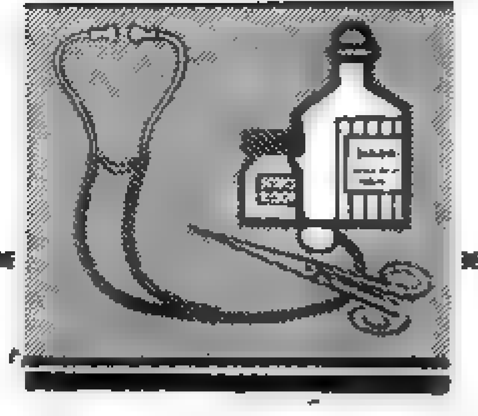
اضافة ثانية الى التعليم بالمدرسة ، ولكنه لا يستطيع أن يكون بديلا عنها . ويجب أن نتذكر أن تدريس الانسان بفن الحياة مع زملائه البشر أمر لا غنى عنه بالنسبة لكل انسان . فالثقافة عن طريق الكتب انما جاءت الى الوجود أصلا كتربية مهنية للأشخاص الاداريين الرسميين في الخدمة الحكومية أو لكهنة الأديان العليا ، وهاتان مهنتان متخصصتان بدرجة عالية . وعلى الرغم من أن مدى التخصص قد اتسع بسعة كبيرة استجابة للتزايد المطرد في الحضارة في العصر الحديث ، فان طرق الحياة وأساليبها لم توفر الاستخدام — فيما يبدو — لأكثر من جزء صغير من الجنس البشري ، أو انها لم تجد أكثر من مجموعة صغيرة من الناس راغبة في طلب هذه المهن وقادرة عليها .

اننا اذا حاولنا أن نكره الجماهير على أخذ التربية الأدبية الرسمية ليس على المستوى الابتدائي أو الثانوي وحسب ، وانما على المستوى المطلوب لتأهيل الفرد للمهن الحرة ، فانما ينبغي أن نهدم هذه المستويات العليا في محاولة خفضها وجعلها ضمن حدود طاقات وامكانيات الناس ليس لهم ولع خاص للارتفاع الى مستواها ، وفي الوقت ذاته ينبغي أن نعلم أننا نثير اشمئزاز هذه الجماهير بفرض هذه التربية الأدبية عليها . اننا يجب أن نعترف بوجود تنوع في المواهب الانسانية وان هذا التنوع ذو قيمة بالغة بالنسبة للمجتمع وان (المفكرين بالولادة) ينقسمون بين أولئك الذين تجتذبهم علوم الانسانيات اليها ، وأولئك الذين تجتذبهم اليها العلوم الطبيعية . غير أن (المفكرين) من كلا النوعين هم قلة صغيرة نوعا ما في كل طبقة وكل مجتمع وكل جنس . ان نوع التعليم العالي الذي يجب أن يطلبه الفرد لا يعني أن يكون قضية امتياز اجتماعي ، بل قضية ولع ورغبة . ان أغلب أفراد الجنس البشري في كل الأجناس والمجتمعات والطبقات يولدون ولهم ميول (عملية) . ويعني هؤلاء عندما يبلغون مستوى التربية الأكثر تقدما بالأمس واليوم اذا ما تحولوا من التعليم الكتابي الى التمرس بالتكنولوجيا بغض النظر عما يمكن أن يكون عليه مركز علاقاتهم الاجتماعي .

في هذا لا يعني بطبيعة الحال أن التربية الرسمية ينبغي أن تتقلص أو تهمل . ذلك أن التربية الرسمية — في عالم تتزاحم فيه شعوب ورثت طرقا متباينة في العيش لن تحيا سويا — مهام واضحة في آفاق التكنولوجيا والانسانيات في وقت معا . ان حاجتنا الأولى هي الى التواصل الفعال فيما بيننا ..

اما حاجة عصرنا الرئيسية الثانية فتتمثل في ضرورة اعترافنا بأن العالم لا يستطيع أن يصبح عالما واحدا في روحه بمجرد تحسين وسائل تواصله الداخلي . فالتعارف عن كثب ربما تمخض عن العداء بدلا من الصداقة ما دامت الشعوب المتباينة والطبقات المختلفة داخل الجماعة الواحدة ذات انصبة غير متساوية من نعم الحياة وأطايبها تلك التي ستوجد بينهم حتما . فقد كان عدم التساوي هذا نتيجة من نتائج التخلف في التكنولوجيا ، ولقد أزال هذا التخلف في التكنولوجيا بالاتحاد بين العالم والتكنولوجي . ان العالم ليحتاج الى تربية مقاربة العلميين ؛ والتربية ضروبه التي يتمسك بفكرها علمي التكنولوجيا ، لكي يعملوا سوية في اتجاه واحد نحو رفع الحد الأدنى من مستوى الحياة المادية لكل أبناء الجنس البشري الى مستوى لم يحلم به الانسان من قبل . فالآن وبعد أن اكتشفنا كيف نسخر الطاقة الذرية ، ليس هناك ما يحول أو يستطيع أن يحول دون أن يصبح أي فلاح صيني مرفها رفاهية فلاح من ولاية أمريكية. ان الارتفاع بمستوى المعاش الجديد الى هذه الدرجة ربما لم يكن خيرا كله بالنسبة لروح الفلاح . غير أن هذا الفلاح سيظل عاجزا عن بلوغ الخير الروحي — الذي هو الغاية العميقة من الحياة — اذا حيل بينه وبين الارتفاع فوق مستواه المعاشي الواطيء الكئيب .

محمد جواد رضا



طبيب الأسرة

خلايا الدم البيضاء ، بعد الحمراء

● في الدم كرات حمراء وكرات بيضاء ، وقد ذكرتم لنا « بالعربي » بالعدد ٨٠ كيف يستدل بفحص الدم على فقر في الدم يكون عند الناس ، وعلى التعرف على صنف هذا الفقر وانه صنوف . ولكني اسمع ان الكرات البيضاء كذلك لها دلالتها عند فحص الدم ، فعن اي شيء يكشف فحص هذه الكرات البيضاء في جسم المريض ؟

ــ نعم ذكرنا بالعدد ٨٠ من العربي كيف يستدل على فقر الدم من الكرات الحمراء . اما من الكرات البيضاء ، او الأصح الخلايا البيضاء فهي ليست كرات ، فلها عمل في الدم ، يختلف كل الاختلاف عن عمل الخلايا الحمراء . الخلايا الحمراء للتنفس وللاحتراق . ان الهيموجلوبين الاحمر الذي بها يحمل الاكسجين من الرئة الى خلايا الجسم وفيها يحترق الطعام . وهو ككل حريق يحتاج الى اكسجين . فاذا لم يحمل الكفاية منه ، او اذا لم يكن في الدم كفاية من هذه الخلايا الحمراء التي تحمل الهيموجلوبين ، اختلت التفاعلات الكيماوية في الجسم ، تلك التي عليها تقوم الحياة . وادى تختل هذه الحياة .

وغير ذلك الخلايا البيضاء . انها بوليس الجسم . انها شرطته . انها حراسه . انها تدور في الدم تبحث في الجسم عن كل داخل اليه غريب . ومن الدواخل الغريبة الميكروبات . فاذا عثرت على مدخل دخل منه الميكروب ، تجمعت حوله الخلايا البيضاء وتكاثرت ، وقامت معركة بين الغزو والدفاع ، وتقضي السلامة بغلب الدفاع .

وعدد هذه الخلايا البيضاء في الدم ، على الصحة ، يتراوح بين ٣٠٠٠ و٥٠٠٠ خلية بيضاء في المليمتر المكعب .

فمن عد هذه الخلايا ، عند فحص الدم ، يتراءى للطبيب ان كان في جسم المريض عدوى او لم يكن ، وكم قوتها ، ويساعده

الحذاء من اللدين ؟

● ارجو ان تكرموا فتذكروا لنا فوائد الاحذية التي تصنع من البلاستيك ، ومضارها ، فالناس تتحدث كثيرا عنها .

ــ الاحذية المصنوعة من اللدين (البلاستيك) ليس لها منافع وليس منها اضرار ، كل الذي يطلب منها ان تكون على سعة القدم وعلى شكلها ، فلا تضيق فترهق ، ولا تختلف شكلا فتؤثر على الخطوط التي اعطاها الطبيعة للاقدام ، ولقدمك انت خاصة .

ان الاقدام السليمة طبعا لا تحتاج في الواقع شاهدا يسندها ولسنا في الحقيقة سوى على غير الجلد مادامت الاقدام على طبعها سوية .

الفحص بعد العلاج يدرك الطبيب كم أفاد العلاج .

وهذا الفحص لا يطلب الطبيب بالطبع اجراءه في كل الأحوال .

أريد تعقيم نفسي

● انا رجل فوق الاربعين ، وقد خلفت من الاولاد الثمانية حتى صاروا حملا ثقيلا ، واريد ان اجرى عملية تعقيم لي ، فهل هذه العملية كبيرة وخطرة ، ثم هل هي تصلح الى تعقيم كامل . وهل هي قانونية ؟ ...

— جميل أن تسعى لتقف بالنسل بعد هذا الحمل الثقيل ، ستة أولاد !! وكان اجمل أن تسبق فتحد منه ، لا رحمة بنفسك فحسب ، ولكن رحمة بالمجتمع الذي انت فيه وهو لا يكاد يجد الكفاية من الطعام . أما عن العملية فهي من أسهل العمليات واكثرها اختصارا . حبل رفيع يقطع ، ثم لا شيء . ولا يعطله هذا الشهوة .

اما عن المحذر، فقد يكون محليا ، وقد يكون عاما ، حسب الحالة .

أما عن الناحية القضائية فاستشر فيها المختصين بالقانون في بلدك ، فقد يختلف هذا الأمر من بلد الى بلد . على أن البلاد العربية لا تلقى الى ذلك بالا . وقد عقم كثير ممن نعرف أنفسهم ولم يثر احد حول ذلك زوبعة .

ولكن الزوجة لها في هذا الامر صالح او طالح ، فاستشارتها واجبة . ان هذا أمر لا يقضي فيه الزوج وحده .

وبهذا الصدد اقرأ ما طلناه في هذا الموضوع بالعربي في شهر يونية عام ١٩٦٠

الخندرية ، مرض خبي ،

● لي عم ، حار في مرضه الاطباء ، حتى انتهى الى طبيب وتفسانى معا ، فشخص مرضه بالذي اسماه الخندرية وفهمنا من ذلك انه المرض الكاذب . فما هي هذه الخندرية . وكيف يكون المرض كاذبا .

— أولا يجب تصحيح الاسم . فهو اسم افرنجي . انه الهوكندريا Hypochondria ، وهيبو معناها تحت . والكندريا معناها الغضروف . والغضروف هنا هو نهاية عظم القص الذي هو في الصدر ومنه تخرج الاضلاع ، وهو يعني اى هذا الغضروف ، فوق فم المعدة ، أو عنده . والهيبوكندريا اذن يحدد موضعا في البطن ، يتجه اليه المريض في تحديد مرضه ، فهو يحيله في المعدة ، أو عند الكبد ، أو في تلك النواحي .

ونقول بتخيله ، لأن المرض نفساني اكثر منه جثماني ، وقد يكون في ذلك الوضع اعراض حقيقية تبرر دعوى المريض بأن هناك مرضا .

وقد سمي المرض بالخندرية ، والمريض بالخنذري Hypochondriac

وقد اجريت بحوث دلت على أن

خصيه ابني لم تهبط الى كيسها

● خصيتا ابني لم تنزلا بعد في كيسهما . انه كاد ان يبلغ السنتين ، وهو سليم وعليه امارات الصحة . وقد ولدته في المستشفى ، ولما تركت المستشفى قال لي الطبيب « ان ابنك خصيتاه لم تنزلا بعد ، ولم نقل لنا ذلك من قبل املا في ان يتنزلا ، ولكنهما لم يفعلا » . وها قد مضى ما قارب السنتين منذ ذلك الحين . ان خصيته تنزل احيانا ثم تختفي . ان الذي اريد ان اطمئن اليه ان ابني لن يكون عقيما عندما يكبر .

— اطمئني يا سيدتي ، فان وجود خصية واحدة تكفي لتمنع ابنك عندما يكبر من أن يكون عقيما . ولا ضير مطلقا من انها تختفي احيانا ثم تعود . وعلى

عند اكثر الناس شيء منه

حبوبا ، ذات الوان زاهية ، أعطت لهؤلاء المرضى ، ليس بها عقار قط ، فازالت ما عندهم من آلام .

ولو عمدنا الى الاحصاء لوجدنا ان اقراصا ، لا دواء فيها ، اعطيت لـ ١٩٩ مريضا بالصداع ، رفعت الصداع عن ١٢٢ منهم . وهذه الاقراص شفت ٣٥ في المائة من البرد ، و ٥٨ في المائة من دوار البحر .

ومن الخضريين من يتنقلون من طبيب الى طبيب ، زعما بان الطبيب الاخير لم يفدهم شيئا . وذلك لان مرضهم وهم صرف . وامرأة فحصوها ، فوجدوا انها زارت ١٢ طبيبا في اسبوعين .

ورجل قضى ليالي لا يذوق النوم . انها ضربات تاتي القلب بغتة ، حالها السيل الى القبر . وفحصوا قلبه ، ورسموا دقاته وصوروا صدره بالاشعة ولم يجدوا شيئا . واخيرا كشفوا سر هذه الضربات . كان يستدفيء ببطانية من تلك البطانيات التي تسخنها الكهرباء . والدقات انما هي دقات الجهاز الذي يضبط الحرارة عند المدى المطلوب .

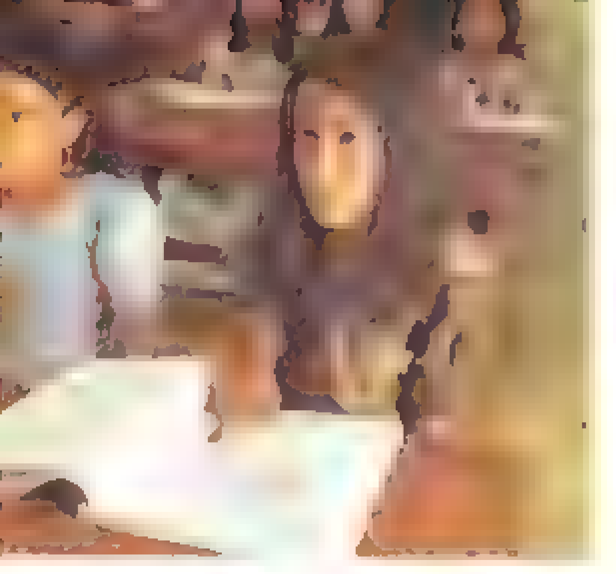
ومن الامثلة الكلاسيكية المشهورة مثل اليزابث بروننج . كان لها والد فظ قاس . واصيبت اصابة بسيطة في سلسلة الظهر ، فاتعب قلبها ، وتأثرت بهذه الآلام الكاذبة فظنها حقيقية . وعجزت فعلا عن المشي . وصارت اكثر الوقت حبيسة الفراش . حتى جاءها الروح . جاء به القدر . فادرك ما هناك . مكذب الغربة . وحملها عن الفراش وتزوجها . وصارت بعد ذلك من متسلقي الجبال . وحملت له الاطفال ، ودخلت حتى ميدان السياسة .

ومن الناس من يتخذ من الخضرية مهربا من مأزق هو فيه . يتمارض ليخلص من المأزق ، او ليستجلب لنفسه العطف . ويفعل ذلك من غير قصد او وعي .

ونحن لو دققنا النظر ، وامعنا الفحص ، لوجدنا انفسنا كلنا ، لنا حظ من الخضرية ، يقل حتى يكاد يفنى ، ويزيد حتى يصبح ظاهرة تسبب الخطر ، او مرضا قد يبلغ مبلغ السوداوية ، وقد يصعب علاجه .

كل حال أنت لم تقولي هل هي نفس الحصية الواحدة التي تختفي لم تعود ، ام هما الخصيتان يتبادلان ذلك . ان كان الامر كذلك ، فولدك له خصيتان سليمتان ، وسوف يهبطان الى كيسهما . فاذا هما لم يفعلا ، وظل الطبيب يحس فلا يحس وجودهما ، وجب عليه اجراء جراحة ، فليس من المستحب ترك الحال على هذا زمنا طويلا .

على ان للخصية بل الخصيتين قصة ممتعة ، انهما تتكونان في الجسم والصبي لم يزد حجمه على حجم فأر صغير ، ولكن موضعهما يكون في البطن الى جانب الكليتين . ثم هما بعد ذلك يبدآن رحلتهما الى أسفل الجسم ، فيخرجان من مسافة ضيقة بين عضلات الجسم السفلى الى مكان رحب هو كيس الخصية . وهذه الرحلة تتم بتأثير الهرمونات . واحيانا يتعطل عمل الهرمونات فتتوقف الخصيتان في الطريق فلا تخرجان من البطن الى الكيس . واحيانا تتوقف الرحلة في القناة الضيقة الموصلة الى الكيس وعندئذ لا بد من الجراحة .



قام بهذا الاستطلاع سليم زبال

وصوره [illegible] « وسكار »

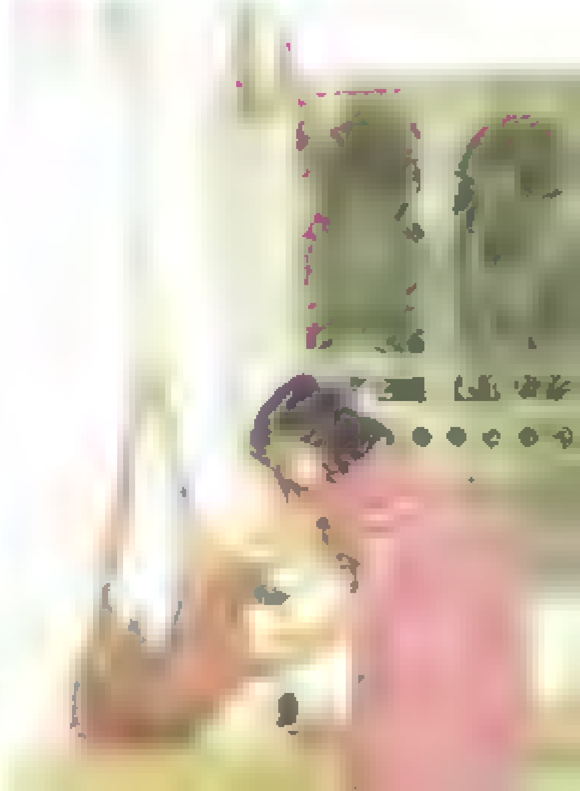
سيئون

باب الجنوب للربع الخالي تدق عليه يد التطور..

لاول مرة تصل بعثة صحفية عربية الى سيئون ، عاصمة سلطنة حضرموت الكثيرية ، لتسجل عنها استطلاعا وافيا ..

وكانت هذه البعثة هي بعثة مجلتك « العربي » ذهبت الى [illegible] الشعوب العربية .

انا نسجل لك في هذا العدد اول استطلاع عن البلد العربي الذي لم يكد يسمع به [illegible]



تقع سيئون — عاصمة السلطنة الكثيرية ، وكبرى مدن وادي حضرموت — في وادي حضرموت كالواحة الكبيرة المجهولة وسط الصحراء ، لا يقصدها الا الرحالة والمغامرون ، او السياسيون الذين يهدفون لغاية ... اما الفرد العادي فذهابه الى سيئون لن يعود عليه بشيء ، اللهم الا رحلة شاقة مجهدة لمدينة منغلقة بعيدة عن مراكز التجمع العربية ، تعيش منكمشة داخل قوقعتها ، وكأنها تحاول ان تحتجب عن العالم طريقة عيشها الرتيبة الغريبة التي تتقلب فيها الاوضاع ، وتتغير فيها المقاييس ، وتختلف القيم والمعايير ، لتغرق في حضارة متخلفة التركيب ، توارثها الناس جيلا بعد جيل .

كيف نحكم على المدينة ؟

ان سيئون ليست المدينة العربية المتقدمة بالمقاييس الحضارية القائمة اليوم ، ولكنها حققت منذ سنوات تقدما نسبيا كبيرا ملحوظا بالنظر لاهلها سباتها الطويل الذي عاشت فيه قرونا ..

جيب في الصحراء

تقع سيئون في الجنوب العربي ، داخل اراضي حضرموت الكثيرية ، تلك السلطنة التي تنزوي كالجيب الصغير وسط رمال وجبال السلطنة القعيطية ، لا يربطها بالساحل اي رابط ...

لم يكن هذا حال الامور في القديم ، ولكن الحروب والغزوات والسياسة قلبت اوضاع المنطقة وجمدتها عند الحدود العجيبة الحالية ، التي جعلت خارطة الجنوب العربي تبدو وكأنها ثوب مرقع لفرط ما يحويه من سلطنات وامارات ...

وزاد الطين بلة ، رائحة البترول المزعومة التي بدأت تدوخ كثيرا في انوف اهل حضرموت ، مما ادى الى تمسك كل سلطنة بحدودها حرصا على امتيازاتها الخاصة ...

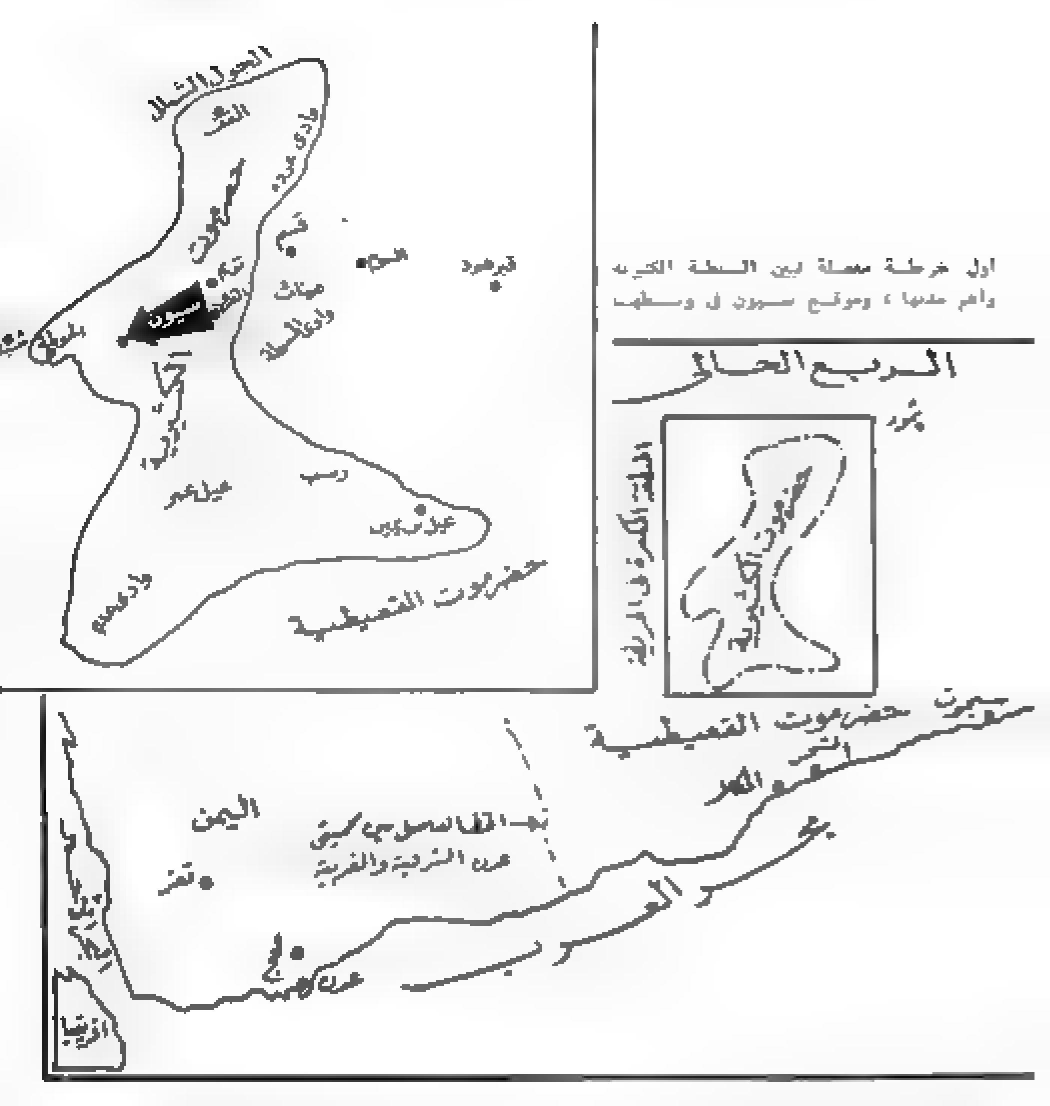
ولكن الالحاح الشعبي المستمر بضرورة ازالة هذه الحدود ، يدفع المسئولين في السلطنتين الحضرميتين الى مائدة المفاوضات ، التي تنتهي دائما بالتعثر والفشل في ايجاد اي حل مشترك لازالة هذه الحدود ...

ضريبة مزدوجة !

ونتيجة لهذا الفشل يئن ابناء سيئون تحت وطأة الغلاء في مدينتهم .. فالضرائب على وارداتهم تجبى مرتين : مرة في الموانيء القعيطية ،



الى اليمين ... جانب من وادي حضرموت كان في يوم ما نهرا يتدفق ثم جفت مياهه فتحولت صحراء ... والنخيل ... الذهب الذي يعتقد بوجوده حول سيئون



اول خريطة مفصلة تبين السلطنة الكثيريه واهم مدنها ، وموقع سيئون في وسطها

وهو في الطائرات الكثيرية ، فضلا عن رسوم الطرق ، ورسوم الاعشار ، ورسوم النقل ، ورسوم الضريبة ؟!

فمثلا تأخذ الحكومة القعيطية ٢٠٪ ضريبة على البضائع الكمالية التي ترد لتجار الكثيرية عن طريق المكلا ، وعندما تنقل هذه البضائع على السيارات او على ظهور الجمال مسافة ٢٠٠ ميل حتى تصل الى مشارف سيئون ، حيث تفرض عليها السلطات الكثيرية ضريبة جديدة تبلغ ١٥٪ على الكماليات و ٦٠٪ على السجائر و ٥٪ على المواد الغذائية !! وضع الشاي .. وسعى المسئولون في سيئون مرارا لايقاف هذه الضريبة المزدوجة ، ولكن الحكومة القعيطية تتمسك باستمرار تقاضيها ، لانها من الموارد الرئيسية في ميزانيتها الهزيلة .. وكذلك الحال بالنسبة للكثيرية ، لا يمكنها ان تلغي الضريبة الثانية خوفا من انهيار ميزانيتها التي تبلغ ٢ مليون شلن ، اي ١٠٠ الف دينار سنويا !

الاتجاه الى الجو !

ولم يقتنع تجار سيئون بهذه الاعذار ، فعمدوا الى جلب حاجياتهم من المواد الخفيفة مباشرة من عدن عن طريق الجو دون المرور على ميناء المكلا ، تخلصا من دفع الضرائب ...

ورغم مصاريف الطائرة الباهظة فان تكاليف







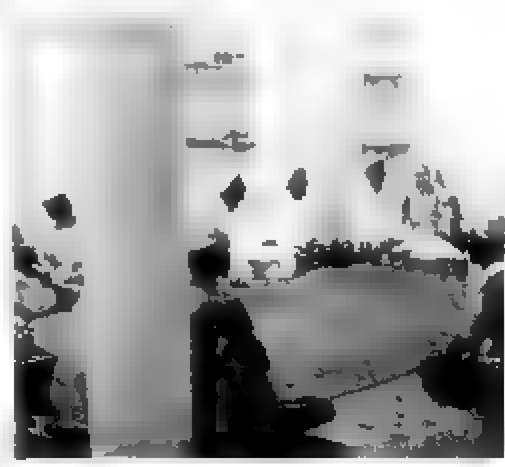


الواردات عن طريق الجو ارخص من تكاليفها عن طريق المكلا بالبحر والبر ...

وقد تسبب هذا الاجراء في انتعاش مفاجيء بمطار سيون المسمى مطار « القرن » انه مطار صغير ، لا يزيد طول مدرجه الرملي عن ١٤٠٠ يارده ، كان يستقبل ثلاث طائرات اسبوعيا ، اما اليوم فيستقبل يوميا طائرة واحدة على الاقل من طراز الداكوتا الصغيرة ، التي ما تكاد عجلاتها تلامس الارض حتى يهرع اليها رجال الجمارك ، فيأخذون نصيبهم من الضرائب على بضاعتها .. ويتجه اليها الاهالي على سيارات اللاند روفر Land Rover والحمور الحمير ، فيستظلون تحت اجنحتها ، وهم يشهدون القادمين والمسافرين ... انها الوسيلة الوحيدة لاحتكاكهم بالعالم الخارجي ..

سفينة الصحراء واللاندروفر

اما المواد الثقيلة فتخضع لقوانين معينة عند نقلها عبر الطريق الشاق الطويل الذي فتحه ابو بكر الكاف الثري الحضرمي عام ١٩٣٦ بين المكلا وسيون ..



تمس منازل اهل العلم والفضل في سيون اليلا بالوافدين ، مثل منزل الشيخ عبد القادر احمد السقاف وحلقات يسمونها « الروحة » يتحدثون فيها في مختلف الشئون .. بينما يذهب الشباب الى الاندية الرياضية .. اما السينما فممنوعة في سيون الا في الاعياد !

كانت الجمال هي الوسيلة الوحيدة المسيطرة على حركة النقل بين الداخل والساحل ... وبعد شق الطريق عبرت الشاحنات وسيارات اللاند روفر تزاحم « سفينة الصحراء » في سيرها ، واحتدم الخلاف بين السائقين والبدو من اصحاب الجمال التي يقرب عددها من ٢٠ الف جمل تقريبا ، وانحازت الحكومة القعيطية الى البدو ففرضت على تجار سيون ضرورة تحميل ٢٠ جملا مقابل كل سيارة تحمل البضائع ، حتى لا يتذمر البدو من اصحاب الجمال !

وضع الناس مرة ثانية في سيون فالجمل يحمل ٤٠٠ رطل بينما السيارة تحمل ٢٠ الف رطل ! والنقل بالجمل يكلف ضعف سعره بالسيارة ، التي تقطع الطريق في ١٢ ساعة بينما يقطعوا الجمل في ٨ ايام !

انها مشكلة مرت بها اغلب بلاد العالم ، انها فترة الانتقال من استعمال الحيوان الى استعمال الآليات ...

استيقاظ مفاجيء

ان مراحل التطور والتغيير والتبديل تسرح جبال وادي حضرموت رجا .. وسيون هي المسرح الذي يشهد فصول هذا الصراع الكبير ...

لقد استيقظ ابناء هذا الوادي فجأة من سباتهم ، ليجدوا انفسهم مشدوهين .. افراد .. حائرين ... مبشرين .. ولكن الحماس لا يتقصهم ، فشمروا عن سواعدهم يريدون اللحاق بالركب التطور في عابثين بالمتاعب والمشاكل وسعي المادة الكبير ..

النهر الذي جف

ووادي حضرموت هو اهم اودية حضرموت ، ولكنه ليس واديا بالمعنى المفهوم ، وانما هو مجرى نهر ضخم كانت تغذيه انهر صغيرة تتجه كلها الى الشرق ، وتقوم على ضفافه المدن والقرى ... ودارت عجلة الزمان فجف ماء النهر ، وانتقل الناس بمساكنهم الى اسفل الوادي بحثا عن الماء .. فاصبحت المدن وكانها واحات ، واحدة وراء الاخرى في منطقة لا يزيد طولها عن ٦٠ كيلومترا ، تمثل الجزء المزدهر من هذا الوادي ، الذي يمتد مسافة ١٥٠ ميلا من الشمال ، لينتهي عند مدينة سيحوت على ساحل المحيط الهندي ...



مجلس السكرتارية : وهو اشبه بمجلس الوزراء يراسه السكرتير حسين بن صالح الكثيري ويضم مديرا لكل من هذه الادارات : المالية ، الجمارك ، الهجرة ، البريد واللاسلكي ، المعارف ، الشرطة الصحة والبلدية .. وجميع الاعضاء من ابناء حضرموت الكثيرية .. ومما يذكر أن حضرموت مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدتين الاولى معاهدة الحماية وتتولى بموجبها بريطانيا حماية سلطنته من الاعتداء الخارجي ، وبمقتضاها لا يجوز للسلطنة ان تقوم بأي اتصال خارجي أو معاهدة الا بواسطة بريطانيا . والمعاهدة الثانية هي [illegible] وتقضي بأن يقبل السلطان [illegible] استشارة في جميع الامور ، ما عدا ما يختص بالدين والتقاليد [illegible] ومعروف [illegible] المستشار البريطاني امر مطاع ،

ويتراوح عرض الوادي من ٢٠ ميلا الى اربعة اميال .

غناء .. وحشرجة !

كان صدى الحياة الوحيد الذي يتردد بين جنبات هذا الوادي هو نغمات غناء رتيب حزين ينبعث من افواه الفلاحين والعبيد والخدم ، وهم يسحبون الحبال الطويلة لجلب الماء من الآبار ، لارواء المنازل والمزارع والحقول ..

وظلت هذه الانغام الحزينة تتردد اصداؤها حتى كان عام ١٩٤٢ فخيم الصمت على المكان .. فجف الزرع ... وتوقف الغناء . وارتفعت اصوات غريبة كئيبة .. انها حشرجة الموت تجود بها ارواح الآلاف من الناس ، وهم في صراع يائس مع المجاعة القاتلة التي لازمتهم مدة عامين كاملين .. اهلكت خلالهما الزرع والحرث والنسل ، والانسان والحيوان .. كان الناس يتساقطون في شوارع سيون من الجوع والالم ، بالرغم من اكياس الطعام التي كانت تلقيها اليهم الطائرات من الجو ..

٢٠٠ جالون بدلا من ثلاثة جالونات

وبعد انقضاء اربعة اعوام على انتهاء المجاعة ، صحا الناس على هدير مكنات الديزل وهي تعمل لاخراج الماء من الاعماق .. وارتاب الناس بادىء الامر في هذه الآلة ، ونعتوها بمختلف الاوصاف ، واحجموا عنها ، ولكنهم سرعان ما الفوها واقتنوها .... واصبح في الوادي منها اليوم ١٢٠٠ مكنة ، الواحدة منها تسحب الماء بمعدل ٢٠٠ جالون في الدقيقة الواحدة ، في حين أن الانسان كان يكد ويشقى ليستخرج ٣ جالونات فقط في الدقيقة !

وهكذا تضاعفت الرقعة المزروعة ثلاثة اضعاف مساحتها في عام ١٩٤٩ .

ويعتمد اهل سيون على الزراعة اعتمادا كليا









في حياتهم ، فتجدهم يزرعون الحبوب وخاصة القمح بكثرة خوفا من شبح المجاعة التي مرت بهم .. وهذا يؤدي بالتالي الى اضعاف اقتصاديات البلاد .. فالقمح الاسترالي يمكن استيراده بسعر اقل من نصف سعر القمح المزروع محليا .. ولكن الزراعة هنا تقوم على اساس سد حاجة الافواه الى الطعام دون التفكير في تخطيط او تقدير لحالة البلاد الاقتصادية .

٣ انواع من التمر

ويحيط بسيون نحو ٣ مليون نخلة تعطي تمرا حلوا لذيذا ، يقسمونه الى ثلاثة انواع : المدسي والمعراف والحمزة ، يعتمد عليه اهل المدينة والبدو في حياتهم اليومية ، فيخزنونه داخل ازيار كبيرة يسع كل منها نحو ..) رطل ، ياخذون منها حاجتهم اليومية .

والاراضي المحيطة بسيون من اخصب الاراضي التي تنجح فيها زراعة الحبوب والخضروات ، وخاصة البصل والثوم والطماطم ..

نكبة بعد رخاء

ولكن اعتماد اقتصاد البلاد على هذه التحويلات غير الاقتصادية ، جعل السكان يشدون هجراتهم الى الخارج .. تلك الهجرة التي بدأت بعد ان تحولت طرق قوافل البخور والتوابل من البر الى البحر ، فقضت على ازدهار الوادي ، ووصلت سلالته حدا جعلتهم يهجرونه الى سنغافورة ، واندونيسيا ، حتى وصل عدد مهاجريهم الى ٧ نسمة ، اختلطت بملايين ابناء اندونيسيا وعمه وملايو .

ولم ينس المهاجر الحضرمي بلده ، فكان يرسل الاموال والمساعدات لاهله ، وقال لنا السلطان حسين بن علي الكثيري

. وفجأة توقف كل شيء ... واختلت الاوضاع ، فاصبح اهل سيون يرسلون الاموال لاقاربهم في اندونيسيا بعد ان صودرت اموالهم هناك ، وفرضت القيود عليهم ، فلم يعد يسمح لهم الا بثمن تذكرة الطائرة لعودتهم الى بلادهم



الهجرة الجائرة !

والى جانب حركة هجرة المواطنين الى سيئون بمعدل ٢٠٠ نسمة شهريا تقريبا ، تواصلت حركة هجرة اخرى من البادية والريف ، ملأت شوارع سيئون بخليط عجيب من الناس ، اتوا بحمالهم واغنامهم للبيع والشراء داخل المدينة المرتفعة ٢٢١٠ مترا عن سطح البحر ، والتي يبلغ عدد سكانها ١٩ الف نسمة ..

واختلف اهل سيئون في كتابة اسم مدينتهم مرة : سيوون ، ومرة سيؤن ، واخرى سيون .. ولكنهم اجمعوا على ان اسم المدينة مشتق من اسم سيدة كانت تسكن في عصر قديم ثم تحرف اسمها الى سيئون .

تاريخ آل كثير

وعمر سيئون غير معروف بالضبط ، ولكنهم يقولون انها من عمر الدولة الكثيرية ، اي ٨٠٠ سنة

وروى لنا المؤرخ الحضرمي الاستاذ سعيد عوض باوزير ، قصة تولي آل كثير للحكم فقال

غزل في غير محله !

وكانت سيئون المركز المفضل لهؤلاء السلاطين

واتساعهم ، فجاءت مبانيها صورة مجسمة لواقع حال البلاد ، التي كانت بها الحروب القبلية والفتن والقتل والنهب .

ان هذه المباني التي بهرت الاجانب في جمالها ، لا تفي بأي احتياجات صحية ، لانها ليست سوى حصون حربية لا تصلح لحياة هذا العصر بتاتا !! فالشكل الخارجي يخفي غرفا لا يكاد يدخلها نور الشمس او الهواء الا من فتحات كانت تستعمل لاطلاق النار !! ودرجات سلالم المنازل مرتفعة عالية ترهق الاقدام وتقطع الانفاس !

ولحسن الحظ ان المعايير التي روعيت في بناء المنازل القديمة بدأت تتراجع بعض الشيء امام الخرسانة المسلحة التي بدأت تأخذ مكان الطين القوي بين النخيل ، وجذوع النخيل !!

حـق الاحترام

وما زال اهل سيئون يعيشون داخل منازلهم مثلما كان يعيش اجدادهم : للكبير على الصغير حق الاحترام ، وحق الطاعة ، وحق السيادة .. انه صاحب الزعامة ، سواء كان متعلما او جاهلا وسواء كان هذا الكبير أبا او غير أب . يفرض كلمته على اهل البيت ، ولو ادى ذلك الى شقائهم .. اما المشاركة في الرأي ، والصراحة ، فممنوعان منعا ... وليذا المرأة من سن الثانية عشرة في ملازمة منزلها لا تبرحه او تتركه الا لتذهب عند بعض قريباتها .. والفتاة العازبة غير مسموح لها بالظهور امام المرأة المتزوجة !

سجينات التقاليد

وتتجه النساء في الامسيات الى المتاجر ، فيروحن عن انفسهن بالتنقل من متجر الى آخر لمشاهدة ما تحويه من الوان الحرائر والاقطان والتزارة فيما بينهن ، دون ان تكون لديهن ادنى نية للشراء .. انها فرصتهن الوحيدة للاحتكاك مع العالم ، والخروج من حبسهن الطويل الذي تفرضه التقاليد والعادات !

والمرأة السيئونية خفية في حياتها ، وفية لزوجها ، فهي تعمل الى جانبه اذا كان فلاحا في



نساء سيئون عند الاصيل الى المتاجر بعضهن السوداء وكأنهن مخلوقات جئن من عالم آخر !
ويقول الاستاذ الشاطري المؤرخ الحضرمي : ان القائد حسن بن زائدة جاء الى حضرموت عام ١٤٠ هـ على رأس جيش عباسي بلغ عدده ٤٠ الف جندي لاستباحة البلاد وقتل منها ١٥ الف نسمة واصدر اوامره بأن تطلى النساء بالسواد ، ويشاع بأنه امرهن بحمل ذيول لثيابهن السوداء تزحف خلفهن على الارض ولا تزال الاذيال موجودة الى اليوم وهي التي قال فيها عمر بن ابي ربيعة
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول



العقل .. وانتظره في المنزل اذا كان مهاجرا ، ولكن في هذه الايام ، اصبح الزوج يغيب عن زوجته عشرات السنين في المهجر ، فتشيب الزوجة ، ويشب أولاده ، وهو لا يعرفهم ، وهم لا يعرفونه .. وهذا خطأ اجتماعي كبير يأباه الشرع ، وترفضه الانسانية !

أبو العلاء هو السبب !

ويصر بعض الرجال في سيئون على ضرورة قصر تعليم الفتاة على القراءة دون الكتابة ؟ ومنعها من المدرسة متى بلغت سن الثانية عشرة . واندهشنا من هذا القول ، ورحنا نسألهم عن السبب ، فقالوا لنا : اننا نطالب بهذا منعا للفتنة ، ولا .. الكم سمعتم قول ابي العلاء المعرى

علموهن حرفة الغزل والنسج

وخلوا ... وكتابه

المدرسات العربيات ممنوعات

ويحاول وزير المعارف الشاب علي محمد السقاف القضاء على هذه النظرة الضيقة في هذا العصر المتفتح ، ولكن مساعيه تصطدم بعقبات شتى . وخاصة فيما يتعلق باحضار المدرسات العربيات اللواتي يصر المعلى على ضرورة ارتدائهن للخمار الاسود الذى يغطيهن من رأسهن الى اخمص القدمين ...

ويضحك الوزير ... وتتسع حلقة المناقشات في فضل السفور على الحجاب ، او الحجاب على السفور ؟





وتركنا سيون ، والمناقشات محتدمة ، وان لم تكن قد وصلت الى اتفاق على احضار المدرسات العربيات على ان يرتدين زيا محتشما مثلهن ذلك مثل المدرسات اللواتي يعملن في المكلا ..

عـزلة ثقافيـة

وليس تعليم الفتاة هو المتردي في هذه المدينة فقط ، بل التعليم عموما . فمنذ القرن الثاني عشر الهجري اخذت الدول تتحجر على معلومات متاقلة محدودة ، تلقى للطلبة تلقينا آليا خاليا من الروح والحياة .

وما كاد القرن الرابع عشر الهجري يطل ، حتى كانت حضرموت من اقصاها الى اقصاها تستسلم لموجة طاغية من الجهالة عمت الحواضر والبوادي ..

ورغم بوادر النهضة العربية بعد الحرب العالمية الاولى ، الا ان حضرموت ظلت بعيدة عن التأثر بها ، وكانت الافكار الرجعية سبب انعزالها عزلة ثقافية ، فحرمت اكثرية السكان من بصيص العلم ، لينحصر في طبقة او عائلات معروفة من السادة او المشايخ ...

وفي منتصف القرن الرابع عشر الهجري غمر الوعي الاهالي ففتحوا المدارس الأهلية رغم فقرهم المدقع ، ولكنها كانت مدارس بلا موارد مالية ولا وسائل تعليمية ، ولا خبرة فنية .

شـك وريبـة

وفي عام ١٩٣٨ تحطمت اسوار العزلة الفكرية التي كان يعيش فيها الحضارم ، فظهرت الافكار العصرية الحديثة ، واخذ الناس يتحدثون عن الوطنية والعروبة والتحرر السياسي والتقدم الاجتماعي ..

وظهرت في سيون مجلة « زهرة الشباب » ، شهرية مكتوبة بخط اليد لعدم توفر المطابع .

وفي عام ١٩٤٤ حاولوا فتح مدرسة وسطى في سيون ، ولكن وجود فئة من ذوي المعتقدات المتحجرة ، التي تنظر الى هذا النوع من التعليم نظرة ملؤها الشك والريبة ، حاربوا هذه الفكرة فنقل مقر المدرسة الى « غيل باوزير » بأراضي السلطنة القعيطية حيث فتحت اول مدرسة وسطى في حضرموت ..

ولكنه بعد مرور ١٣ سنة ، اقنع الناس في سيون بفكرة انشاء مدرسة وسطى فافتتحوها عام ١٩٥٧ .

وظل التعليم الاهلي متقدما على التعليم الحكومي فترة طويلة ، واشترك المهاجرون الحضارم في اندونيسيا وسنغافورة في هذه النهضة فاسسوا في عام ١٩٢٠ مدرسة النهضة العلمية ، وهي اقدم مدرسة في سيون ، ومنها تخرج كل الرجال القائمين بمرافق البلاد .

سـاعدوا عمال سـيون

واحس العمال بأن قطار التعليم سوف يفوت على ابنائهم ، فقاموا بعمل جماعي على الارض التي منحتهم اياها الدولة تحت جبل العكس ... كان كل شيء ينقصهم ما عدا العزيمة ، وبهذه العزيمة استطاعوا ان يبنوا مدرسة حديثة عظيمة .

فقد احضر ..ه عامل واتفقوا على ان يعمل كل منهم في اوقات فراغه في بناء مبنى المدرسة ، حتى تم البناء بالصورة الجميلة التي هي عليه الآن .. وكانت تنقصهم الكتب ، فارسلوا اسماءهم الى الدول العربية ، لا يدري احد هل وصلت او لم تصل . ولكنها لا شك وصلت الكويت ، فقد ارسلت لهم خمسة الاف كتاب ..

لقد اصبح عدد الطلبة من ابناء العمال في هذه المدرسة ٢٠٦ طلاب ... واخيرا اضافوا لها مدرسة للبنات تضم ٥٥ فتاة . ونقص الاساتذة كان



مستشفى سيون [illegible] فتح منذ عام [illegible] يسع ١١ مريضا ، والعلاج به مجاني ، وبه طبيب حضرمي وآخر هندي [illegible] ويوجد به غرفة للاشعة ليس بها جهاز للاشعة [illegible] من الامراض [illegible] السل ، والانيميا

ملحوظا ، الى جانب نقص الادة ... ويقوم حاليا وفد من عمال لجنة مدرسة القرن الاهلية الممالة بجولة في الاقطار العربية لجمع التبرعات لصالح المدرسة .

نسبة التعليم ١٪

واخيرا ... وفي عام ١٩٤٨ لحقت الحكومه بالمدارس الاهلية ، فتتحت اول مدرسة ابتدائية ، بفصل واحد ، ومدرس واحد ، يساعده ناظر المعارف نفسه ! وكانت ميزانية التعليم ٢٧٥ دينارا .. اما اليوم فقد وصلت ميزانية المعارف الى ٩٠ الاف دينار ، وبلغ عدد مدارسها ٨ مدارس ابتدائية ومتوسطة للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات .. يعمل فيها ٣٢ مدرسا و ٤ مدرسات ، ويبلغ عدد تلامذتها ١٣٦٠ طالبا وطالبة . اي نسبة التعليم ١٪ اذا قصرنا الارقام على سكان سيون فقط !!

بين القديم والجديد

ان الوعي الذي اوجده هذا التعليم البسيط الى سيون خلق تناقضا اجتماعيا هائلا في البلاد ، فالشباب ، بحكم حماسهم لكل جديد ، اصبحوا يحتقرون كل ما هو قديم ... وانصار القديم يساهرون ، بحكم تعصبهم الديني ، الى انكار فائدة كل ما هو جديد ، سواء كان هذا الجديد نافعا او ضارا ! وهم بحربهم هذه ، يعتقدون ان بامكانهم ايقاف عجلة التاريخ !

والى جانب هذا يواجه مجتمع سيون اكثر من معضلة ، فهو ما زال يبحث عن كيانه ويجد مشاكل الطفولة ، ومشاكل المراهقة ، ومشاكل الحرمان ، ومشاكل الزكاة ، ومشاكل الشيوخ ، ومشاكل البطولة ، والتشرد ، واوقات الفراغ ، والرياضة . والاندية ... وغير ذلك مما لا يمكن حصره في هذا الاستطلاع .. انها كلها مشاكل لم يفكر احد بعد في ايجاد حل لها رغم اهميتها وخطورتها ..

وقبل ان ننتهي ، لا بد من التساؤل . وماذا بعد ذلك ؟

كلمة هادئة ..

لم تبق سوى كلمة هادئة نقولها لبريطانيا ، التي مضى عليها ١٢٥ سنة في المنطقة ، نقول لها : كنا نأمل ان نرى مصنعا واحدا .. او بئرا ارتوازيا كبيرا واحدا .. او طريقا معبدا صالحا .. او تخطيطا للحاضر او للمستقبل سواء كان اقتصاديا او زراعيا او تعليميا .. كنا نطمع في ايجاد حل لمشكلة الغربة المزدوجة التي تثقل كاهل الناس . كنا نطمع في ان نرى عناية بكثبة المضطرة في مهاجرهم ، خاصة وان بريطانيا هي المسؤولة عن علاقات حضرموت الخارجية بموجب معاهدتي الحماية والاستشارية اللتين تعطيانها حق التصرف في جميع الامور ، ما عدا الدينية والتقليدية .. كنا نطمع في ان نرى العناية الصحية متقدمة . اما المستشفى الذي اقيم منذ سنة فقد جاء متأخرا عن موعده ١٢٤ عاما !

ان الفشل في تحقيق كل هذا يحتم على بريطانيا ان تجلو عن البلاد ... ومن الافضل لها ان تخرج سريعا .. لان لهب الثورة سوف يعم كل بقعة فيها مستعمر بريطاني ..

لقد وعدت بريطانيا باعطاء المنطقة استقلالها قبل عام ١٩٦٨ . فمتى تعطيه ؟!



لبى هذه الصورة التعبير الكبير الذي طرأ على الزراعة ، فمكان البئر الارتوازي القديم ، وضعت مكينة الديزل لسحب الماء بمعدل ٣٠٠ جالون في الدقيقة بدلا من ثلاثة جالونات





من كانت له أذنان فليسمع !

وأخيرا لا بد من كلمة صريحة بها في اذن الحضارمة المهاجرين الاثرياء ، ولتسمعها الحكومات العربية ان حضرموت ما تزال تكسرا بالنسبة لثرواتها المدفونة .. والنفط امره في علم الغيب .. والبلاد تشكو من فرط التأخر الذي تعيش فيه .. وانطلاقها لا يتم الا بمدها بالخبراء وبالاموال التي تشكل العائق الاكبر في سبيل تنفيذ مجموعة من المشاريع التي تعود بالخير العميم على البلاد .

فهناك مشروع لاصلاح السدود الحالية لاستغلال كل قطرة من مياه الامطار الشحيحة ، وهذا المشروع يحتاج الى نصف مليون دينار

والمشروع الثاني هو حفر ١٠٠ بئر ارتوازي كبير يهبط بمواسيرها الى اعماق ٢٠٠ الى ٢٥٠ قدما ، لتساعد الابار العادية التي تهبط ٧٠ قدما تحت الارض . وتكاليف هذا المشروع ٥٠٠٠ دينار لكل بئر مع مضخاته ... وهذا المشروع يضاعف مساحة المنطقة المزروعة



الطريق الوحيد المعبد في سيئون هو المؤدي من مطار الى مدينة وطوله ... ميلا حركة النقل التي تقوم بالحجر في سيئون ... تعبيد بعض الطرق في سيئون باستخدام ... المشروع الاكبر المطلوب من الحكم

وكانت سيئون مصدر المنسوجات القطنية والحريرية الى اليمن ، وتسلل الى بها ، اما اليوم فقد توقفت هذه الصناعة رغم توفر المواد والايدي العاملة .. ان تأسيس مصنع ومغزل لعمل منسوجات محلية وترميمه يحتاج الى ١٠٠ الف دينار

وهناك مشروع لصنع سمنة التمور ، وتكاليفه ١٠ الاف دينار .

ومشروع لفتح محطة للتجارب الحيوانية والزراعية ، تكاليفها ١٠٠ الف دينار ..

اما المشروع الذي يمكن ان يوقف الاستقرار الاقتصادي والزراعي ، ويسهل على الناس حياتهم فهو تعبيد الطريق الموصل من سيئون الى المكلا ، وتكاليفه تقرب من المليون دينار ..

والى جانب هذا كله يمكن اقامة مصانع صغيرة لتعليب الطماطم ... ومصانع لتجفيف البصل والثوم اللذين ينموان بكميات هائلة ..

٨٠٠ الف دينار تنقذ التعليم

اما عن مشكلات التعليم ، فتطلب البلاد اولا زيارة الخبراء باختصاصيين ليضعوا حدا للفوضى في البرامج والكتب التي تمارسها المدارس الاهلية دون تخطيط او دراسة ..

والحاجة ملحة الى بناء عشر مدارس حكومية في عشر قرى ... وتحويل عشر مدارس اهلية الى مدارس حكومية تتولى الدولة كل تكاليفها .. وفتح ثلاثة فصول وسطى .. وبناء ثانوية ، ومدرستين ابتدائيتين للبنات .. ومعهد لتدريب المعلمين ... وفتح عشرة فصول لمحو الامية ، وتعليم الكبار في المساء .. وتوفير الكتب والمقررات المدرسية .. وفتح مختبر للتدريس العملي للعلوم .. وطلب ٤٢ مدرسا جديدا ... ومدرستين .. واكمال تأثيث المدارس كلها ..

ان جميع هذه الطلبات من بناء وطلب مدرسين يحتاج الى ٨٠٠ الف دينار لتحقيقها كلها !

أنا هنا نتقدم بالحقائق .. ونسلط

سليم زبال





حذار من «السترا ستكلين»



● عقار معروف معطى ... العدوى داخل الجسم ... الكلى . واليوم يحذر الأطباء والبحاث وصانع الصيدلة من إعطائه للأم الحامل . وذلك أنه يشكل خطرا عليها . وعلى ما حملت . وقد يذهب خطره عليها إلى حد الموت . وإلى الطفل . إلى حد التشوه عند الولادة .



عجلة القيادة في الغد

● إنها عجلة السيارة عجلة قيادتها ...

يتحول بها السائق يمينا . ويتحول يسارا . تسبب له خطرا عظيما ...

يحاول العلماء كشف اعماق الفضاء ، فهل بداوا بكشف

● تنبه العلماء منذ عدة سنوات ، الى شيء من التناقض عظيم في سلوك الامم مسالك العلم ، وبحوث العلم . فها هم يبذلون الجهود الجبارة . وينفقون الاموال الطائلة ، وهدفهم الطلوع الى القمر ، او كشف عن طبيعة المريخ ، وسائر الاجرام التى تبعد عنا ملايين الاميال ، تراهم عملوا ازمانا طويله عما هو اقرب من الكواكب ، وايسر هدفا من اجرام السماء ، تلك البحار والمحيطات ، بالذى فيها من احياء اختلفت اجناسا ، وكثرت سكانا ، وما احتوته من ركائز دلت البشائر الاولى على انها تفوق ركائز الارض كثرة وقيمة .

وبتنبه العلماء الى ذلك ، اتجهوا ، من سنوات ليست بالطويلة ، الى البحار والمحيطات يجعلون منها لابحاثهم هدفا .

وكانت العقدة في الوصول الى تلك الاعماق .

وكانت العقدة في العمل في تلك الاعماق وليس بها هواء .

ولكن حمل الرجال هواءهم ، الى الفضاء ، فلم لا يحملونه الى اعماق الماء ؟

وكانوا قد داروا بسفنهم ، على سطح الماء ، يدلون من فوق سطوحها بدلائهم في الماء ، فترفع لهم مادة البحث التى يطلبون . وكشفوا بذلك من البحار الكثير . وكشفوا عن اعماقها وعن املاحها ، ودرجات حراراتها ، عن احيائها ، وحتى عن قيعانها . وكان من اشهر تلك السعي ، السفينة تشالنجر Challenger وبعثتها العلمية البحرية الشهيرة في النصف الثاني من القرن الماضي .

وتلت هذه السفينة سفن اخرى .

ولكن كانت هذه السفن السطحية للكشف عن المحيطات من « بعيد » ، كما كان الكشف عن اجرام السماء بالتلسكوبات « من بعيد » .

ثم كان صعود الانسان الى السماء .

ثم كان نزول الانسان الى اعماق الماء .

وقد جئنا في « العربي » على ذكر اوعية تهبط من الماء الى اعماق محدودة ، كان اكثر هدفها تحقيق الهبوط ، واليوم نذكر آخر ما صممه المصممون مما سيرن به العلماء الى الاعماق .

وهي خطوة الى امام كبيرة في سبيل البحث لها ما وراءها .

انها سفينة غائصة تغوص تحت الماء .

كم يعيشون فى المدن ، وكم فى الريف

● في المدن يتركز السكان .

وفي الريف واشباهه ينتشر السكان ويتوزعون .

والمصنع الواحد في المدينة قد يضم مئات من الناس .

وقل من الريف ما يضم العشرة من الحقول العشرة من الناس .

وتقوم هيئة الامم المتحدة ، فيما تقوم به من احصاءات عامة ، ميتين لها ان ٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠ نفس تعيش في المدن ، اى ان ربع سكان الارض يعيشون في المدن .

ويقول الاحصاء ان امريكا الشمالية ، واوروبا ، واستراليا ، وما حولها من جزائر ، وكذا روسيا ، اكثر عيشا في المدن بمقدار الضعف ، من سائر بلاد الدنيا .



اعماق الماء

الى اليسار هذه السفينة هي آخر ما صممه المصممون للنزول الى اعماق الماء

طولها ٥ر١٥ مترا ، وعرضها ٢ر٤٥ مترا ، وتزيح من الماء ٥ر٧٣ طنا .

وتحمل عشرين من الاجهزه العلميه .

وتبقى تحت الماء ، في المره الواحده ، ٣٦ ساعه . وقد تطول الى ضعفها .

وفي اوسطها ، وفي اعلاها ، مروحه تدور بالكهرباء ، فتحرك السفينه افقيا ، وبها ، في مؤخرتها مروحتان تدوران بالكهرباء ، فتحرك السفينه راسيا ، وبها ، في مقدمتها ، يدان ، ميكانيكيتان يلتقط العلماء بهما من اشياء البحر ما يشاؤون .

وهي تحمل من بها الى عمق ٥٠٠ متر تحت الماء ، ولها مجال تعمل فيه ، دائره نصف قطرها ٢٤٠ كيلو متر .

وهي تسير بسرعه ٤ اميال بحريه في الساعه .

ومن الطريف ، والخطير في آن ، انها مصنوعه من الالمنيوم ، مضاف اليه نسبه بسيطه من الزنك والمغنسيوم ، ومعادن تافهة من النحاس والمنجنيز والكروم . وهذه الاشياء كل فيها من اسفنج ، فهي تجمع بين الخفة ، فلا تثقل الغائصة عند الرفع في الماء ، والمتانة التي تقاوم هذه الضغوط الهائله ، ضغوط الماء ، عند هذه الاعماق .

٣١ محاولة اخرى قبل الوصول بالرجال الى القمر

● يقول ناطق من اداره الشئون الهوائيه والفضاء في الولايات المتحدة انه يلزم ، قبل الصعود بالرجال الى القمر ، من ٣١ تجربه تطلقها الى السماء ، تمهد السبيل لوصول بالرجال الى سطح القمر سالمين ، والعوده بهم .



المتخلفون عقليا

يصدرا للسرور والآلام والدموع

• المتخلفون : يعذبون في الأرض يوقعون الحيرة في الأسرة ، والحبال في الدولة ، وهم مطايا يركبها أهل الذكاء في سبيلهم إلى الإجرام

الموهوبون والمتخلفون

كم تعرف عنهم ؟

بقلم : الدكتور علي أحمد علي

القدرة العقلية ، والمستوى المنخفض من هذه القدرة ، حسب ما [illegible]

[illegible]

وسنقصر حديثنا في هذا المقال عن المتخلفين عقليا .

سبق أن ذكرنا انه في أي مجتمع يوجد حوالى ٣ ٪ من عدد افراده من المتخلفين عقليا ، وهذا يعني انه يوجد مثلا حوالى ٣/٤ مليون متخلف عقليا في مجتمع يبلغ عدد سكانه ٢٥ مليون نسمة ، وهذا العدد الكبير من المتخلفين عقليا أمر يتطلب المزيد من العناية والاهتمام .

وقد وجه معظم الاهتمام لضعاف العقول من الأطفال وخاصة الذين هم في سن المرحلة الابتدائية . وقد شجع على الاهتمام بهم ظهور اختبارات الذكاء التي أمكن بواسطتها اكتشاف حالات التخلف العقلي ، تلك التي بالرغم من استخدامها على نطاق واسع ، لم تصل بعد الى المستوى الذي يمكن الاعتماد عليها بمفردها في عملية اكتشاف المتخلفين عقليا دون اللجوء الى بعض الأساليب الأخرى كأسلوب الملاحظة وغيرها .

دوافع العناية بالمتخلفين عقليا

[illegible]

عقليا في الخمسين من السنين الأخيرة ، وان كان هذا لا يمنع من وجود محاولات متفرقة لرعايتهم ترجع الى أزمنة أبعد من ذلك بكثير . ويمكن تلخيص دوافع رعاية المتخلفين عقليا الى ما يلي :

أولا : الدافع الانساني :

فالله كرم بني آدم وميزهم بالعقل على سائر مخلوقاته ، فما أجدرنا أن نقدم يد العون لمن حرم من نعمة تمام هذا العقل ، وما أحرى المجتمع أن يمنح لهذه الفئة غير المحظوظة من المتخلفين عقليا كافة أنواع الرعاية والعناية . وكيف تتباطأ الدول المتقدمة في رعاية المتخلفين عقليا والعناية بهم وهي تولي الحيوانات الأليفة وغيرها رعايتها وتمنحها العطف ، أليس أحق أن يحظى ببعض هذه الرعاية وهذا العطف التعساء من بني الانسان ممن ابتلوا بالتخلف العقلي .

ثانيا : تخفيف العبء عن كاهل الاسرة

فالأسرة التي ابتليت بالتخلف العقلي في أحد أبنائها تواجه الكثير من المشكلات والمتاعب نتيجة لوجود هذا الطفل بينها . فالطفل المتخلف عقليا غالبا ما يكون مصدرا للمتاعب والاضطراب في الأسرة ، ذلك لأن هذا الطفل في حاجة دائمة الى الرعاية الدائمة والملاحظة المستمرة من جانب الوالدين . وتزيد المصاعب والمتاعب اذا كان كل من الزوج والزوجة يعمل . والواقع أن وجود الطفل المتخلف عقليا بين اخوة له من ذوي الذكاء العادي كثيرا ما يوقع الآباء في حيرة من أمرهم فيما يتصل بالأسلوب الذي يتبعونه في تربية أبنائهم ، فمثلا قد يضطر الآباء الى عقاب طفلهم العادي اذا أقدم على فعل مرذول يستحق عليه العقوبة ، في حين يعفون عن طفلهم المتخلف عقليا من العقوبة اذا أقدم على نفس الفعل . وقد يثير هذا التصرف حفيظة اخوته وخاصة اذا كانوا في سن الطفولة لأنهم يرون أبويهم يعاملان أخاهم المتخلف عقليا معاملة خاصة . يصعب عليهم بسبب صغر سنهم ادراك السبب أو معرفة دوافع التمييز والتفرقة في المعاملة .

وكثيرا ما يتصرف الطفل المتخلف عقليا في المنزل بطريقة تدل على عدم المسؤولية ،



ويخاف الأبناء من تقليـــد أخوتهم الصغار إياه في أفعاله وتصرفاته .

والطفل المتخلف عقليا ـ ذكرا كان أو أنثى ، عند وصوله الى سن المراهقة يجرى جريا حثيثا وراء غرائزه الجنسية ، يسعى الى اشباعهـــا ويندفع في تيارها الجارف دون أي ضابط خلقي ، أو سلطان من عقله المحدود القدره ، وهذا يلقى مسئولية كبيرة على عاتق الآباء ويقحمهم في أحرج المواقف وأعقدها .

ونظرا للمشاكل الكثيرة المتعددة التي يثيرهـا الطفل المتخلف عقليا في المنزل ، وثقل التبعة الملقاة على عاتق الوالدين ، فقد نظم هؤلاء الآباء في الكثير من بلدان العالم اتحادات فيما بينهم هدفها بذل الجهد لتوجيه نظر المسئولين لأهمية العنـــاية بالمتخلفين عقليا ، وزيادة رعايتهم ، والتوسع في انشاء المدارس الخاصة لتعليمهم وتدريبهم عـــلى عـــدد من المهارات المهنية . ويوجد في الولايات المتحدة عدد كبير من اتحادات الآباء هـــذه والتي تهدف الى توعية الرأي العام بمشكلة المتخلفين عقليا وزيادة الاعانات الحكومية واعانات الأفراد والهيئات الموجهة لرعايتهم ، وزيادة الاهتمـــام باعـــداد المعلمين المتخصصين للتدريس لهـــذه الفئات .

ثالثا : تكافؤ الفرص :

ويعتبر تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بالنسبـــة لجميع المواطنين من أهم دوافع العناية بالمتخلفين عقليا في أية دولة تسعى الى تحقيق هذا المبدأ ، اذ ان تكافؤ الفرص في التعليم يعني ان يعد كل فرد في المجتمع بقدر من التعليم يمكنه من اســـتغلال قدراته وطاقاته ومواهبه . وفي ظل تكافؤ الفرص في التعليـــم فانه يجب الا يقتصر اهتمـــام الدولة بالمتفوقين والموهوبين عقليا بل يجب ان ينطـــلق اهتمامها الى جميـــع الأفراد من كافة مستويات الذكاء والقدرة العقلية ، وعلى هذا الأساس يجب ان يعطى المتخلفون عقليا برعاية الدولة وعنايتها ، حقا واجب الأداء .

رابعا : استغلال الطاقات البشرية :

لم لا شك ان المتخلفين عقليا يمثلون طاقة بشرية معطلة يجب على الدولة استغلالهـــا وتوجيهها . ويعتبر هذا بمثابة دافع قوي يحفز بعض الدول التي تعاني نقصا في الأيدي العاملة الى الاهتمـــام برعاية المتخلفين عقليا . ولا شك ان هذا الدافع يقل في قيمته في الدول التي يوجد فيها فائض من القوى العاملة وترتفع معدلات البطالة .

من هم المتخلفون عقليا ؟

يعتبر الذكاء العـــامل الأساسي الذي يميـــز المتخلفين عن غيرهم من العاديين . ويستخدم لقياس الذكاء اختبارات الذكاء المختلفة التي شاع وكثر استخدامها منذ بداية القرن الحالي . ويمكن عن طريق تطبيق اختبـــار الذكاء على شخص معين الحصول على ما يسمى بالعمـــر العقلي لهـــذا الشخص Mental age وهو العمر الذي يصاحبه عادة مثل هذا القدر من الذكاء . وبعد معرفـــة العمر العقلي للشخص يمكن تحديد نسبة ذكائه وذلك عن طريق المعادلة الآتية :

$$\text{نسبة الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times ١٠٠$$

هذا ويجب ملاحظة ان نسبة الذكاء هذه لـــم تبلغ درجة كبيرة من الصدق والدقة ما يمكننا من الاعتماد عليها اعتمادا كليـــا لتشخيص حالات التخلف العقلي ، لذلك يجب الالتجاء الى بعض الوسائل المعينة الأخرى كأسلوب الملاحظة Obser-vation حتى يمكن اصدار الحكم الصادق في حالات التخلف العقلي .

والآباء هم خير من يستطيع اكتشاف الطفـــل المتخلف عقليا منذ سن مبكرة ، اذ ان هذا الطفل عادة ما يتصرف بطريقة غير عادية ، ويسلك سلوكا مغايرا لسلوك الأطفال العاديين ، وغالبا ما يكون هذا الطفل متخلفا أيضا في قدرته اللغوية . وقد يعاني أيضا من عيوب الكلام ما يشير الى التخلف. هذا بالاضافة الى ان الطفل المتخلف عادة ما يظهر عدم الاهتمام أو المبالاة بما يجري حوله من أحداث. وتتسم استجابته للمواقف المختلفـــة والمثيرات المحيطة به بالبطء الشديد . وغالبا ما يكون هذا الطفل منطويا على نفسه ، ليس لديه الميل لمشاركة غيره من الأطفال لهوهم ولعبهم . وقد يظهـــر الطفل أيضـــا نوعا من عـــدم الاتزان والمنطق في استجاباته . فمثلا قد يضحك الطفـــل المتخلف عقليا عند رؤيته شخصا ضخم الجثة وهو يتزحلق على قشرة موز فيقع على الأرض ، في حين قد لا

تضحكه نكتة سهلة تثير الضحك الشديد عند غيره من الأطفال العاديين .

وقد يوجد من بين الأطفال العاديين من تظهر سماتهم واشكالهم الخارجية تخلفهم العقلي ، في حين يبدو بعضهم عاديا في مظهره الخارجي يصعب التفريق بينه وبين العاديين .

درجات التخلف العقلي

قسم علماء النفس ، وعلى رأسهم عالم النفس الفرنسي بينيه ١٩٠٥ م ، قسموا المتخلفين عقليا حسب درجات ذكائهم الى الأقسام الثلاثة الآتية :

أ ـ طبقة المعتوهين (Idiots) وهم اقل المتخلفين عقليا ذكاءا . والشخص الذى ينتمي لهذه الطبقة لا تتعدى درجة ذكائه ـ مهما بلغ من العمر ـ ذكاء طفل عادى سنه ثلاث سنوات . ولا يمكن التعبير عما يريد بسهولة او يلفظ الا كلمات بسيطة وحيدة المقطع . ولا يستطيع هذا الشخص تنظيف جسمه أو غسل وجهه او تصفيف شعره او ارتداء ملابسه بنفسه دون مساعدة الاخرين . ولمولد ذلك فانه من الصعب تعليم او تدريب هذا الشخص على القيام باى عمل نافع .

ب ـ طبقة البلهـــاء Imbeciles ، وهى لا تتعدى درجة ذكاء الشخص المنتمي لهذه الطبقة ذكاء طفل عادى سنه ثماني سنوات ، ويستطيع ان يستخدم كلمات وجملا غاية في البساطة . وكثيرا ما يردد الفاظا في غير مواضعها وينطق بلا سبب جملا مبتورة غير كاملة المعنى . والافراد المنتمون لهذه الطبقة يمكن تدريبهم على بعض الصناعات البسيطة . وبالرغم من ان الشخص المنتمي لطبقة البلهاء يبلغ اقصى ما يستطيع في ذكائه ذكاء طفل عادى سنه ثمـــان سنوات ، الا انه مع ذلك لا يستطيع القيام بجميع العمليات العقلية التى يقوم بها طفل عمره ثمـــان سنوات ، ولا يستطيع ان يتعلم الكثير من الاشياء التى يستطيع ان يتعلمها طفل عادى عمره ثمان سنوات . وبذلك فانه يختلف فيما يتعلمه من ناحية الكم والكيف .

جـ ـ طبقة المأفونين أو المورون Moron ولا تتعدى نسبة ذكاء الافراد المنتمين لهذه الطبقة ٧٠ . وهم يمثلون اولى طبقات المتخلفين عقليا . ويمكن تعليم هؤلاء الافراد تعليما محدودا يتلاءم مـــع قدراتهم العقلية المحدودة . ويمكن بجهد خاص اتمام هؤلاء الافراد تعليمهم الابتدائي كمـا يمكن تدريبهم على القيام بالكثير من الاعمـال اليدوية المفيدة والتى لا تحتاج الى قدر كبير من السرعة واليقظة والقدرة على التصرف .

اســباب التخلف العقلي

ما زالت الاسباب المؤدية الى التخلف العقلي غامضة الى حد كبير بالرغم من الكثير من المحاولات والجهود التى بذلت والابحاث التى اجريت لالقاء الضوء على هذه الاسباب . فقـــد ينشأ التخلف العقلي نتيجة لجروح او كدمات بالمخ ، والتى قد تحدث اثناء عملية الولادة ، وهذا الأمر محتمـــل حدوثه اكثـــر في حالة المولود الاول او في حالة الولادة القيصرية . ولعل اهم مناقشة عن اسباب التخلف العقلي تدور حول اثر الوراثة والبيئة على التخلف العقلي . فبينما اعترف الكثير من العلماء بالوراثة كعامل مسبب للتخلف العقلي لم ينكـــر بعضهم الاخر اثر البيئة في هذا المجال . ولكـــن الخلاف القائم بين هؤلاء وهؤلاء قائم على القدر الذى تتدخل به كل من البيئة والوراثة كعامـــل مسبب التخلف العقلي ، وليس هنـــاك امل في الوصول لراى قاطع بشأن هذا الخلاف بدون مزيد من الدراسة والبحث .

التخلف العقلي والاجرام

اثير الكثير من المناقشات عن الجريمة ومـــدى انتشارها بين صفوف المتخلفين عقليا . وقد اثبتت الابحاث التى اجريت على الجريمة ومدى انتشارها ان الجريمة توجد في جميع مستويات الذكاء وجميع الطبقات الاجتماعية . فظاهرة الاجرام موجودة بين الموسرين كما انها موجودة بين المعسرين . والجريمة قد ترتكب بواسطة الاذكياء والمتخلفين عقليا علـى حد سواء . كما ان جميع الطبقات الاجتماعيـــة تسهم بنصيب في الجرائم التى ترتكب في المجتمع . وليس بحثنا في هذا المجال مناقشة ظاهرة الاجرام على الاطلاق ، فالذى يهمنا هو معرفة الاجابة على السؤال الآتي : ما العلاقة بين الذكاء والاجرام ؟ وهل صحيح ان المتخلفين عقليا تزيد احتمـــال وقوع الجريمة بين صفوفهم ؟

ولالقاء الضـــوء على الســؤالين السابقين فانه

يحسن الاشارة الى ما اثبتته الكثير من الابحاث من انه كلما ارتفع ذكاء الفرد كلما كان هذا الفرد اقدر على حل مشكلاته والتكيف مع البيئة ومواجهة صعوبات الحياة وايجاد الحلول المناسبة لها ، وهو بذلك يكون اقدر من غيره على التعايش في السلم مع بيئته ومع المجتمع الذي يحيا فيه . وقد يفسر ذلك انخفاض معدلات الجريمة بين فئات الاذكياء .

وقد اثبتت بعض الدراسات التي اجريت ان معدلات الجريمة ترتفع بين المتخلفين عقليا عنها بين الاذكياء والعاديين في الذكاء ، وقد يرجع ذلك الى ان ضعاف العقول يكونون عادة هدفا لمحترفي الاجرام ، يستخدمونهم لتنفيذ اهدافهم الاجرامية، وذلك بسبب سهولة اغرائهم وسرعة انقيادهم وامكان التأثير عليهم وضعف سلطان الضمير . ومن جهة اخرى قد يرجع انخفاض معدلات الجريمة بين الاذكياء الى قدرتهم على التهرب من الجريمة واخفاء آثارها ، وبالتالي الهرب من سلطان العدالة التي لا يستطيع عادة ان يهرب منها المتخلف عقليا اذا ارتكب جرما يعاقب عليه .

هذا وان كانت الجريمة ترتكب بواسطة افراد يتباين ذكاؤهم وتتفاوت قدراتهم العقلية الا ان نوع الجريمة عادة يرتبط بمستوى ذكاء الفرد ، فالذكي عادة ما يستغل ذكاءه في الجرائم التي يرتكبها . فمن الجرائم التي ترتكب بواسطة الاذكياء جرائم الاحتيال التي تحتاج الى قدر كبير من المهارة واللباقة والذكاء والقدرة على التصرف والطلاقة اللغوية ، وكذلك جرائم السطو المسلح التي تحتاج عادة الى قدر كبير من التخطيط والاعداد المنظم والتصميم المحكم .

تعليم وتدريب المتخلفين عقليا

يمكن تقسيم المتخلفين عقليا الى فئتين متميزتين

ا ــ فئة قابلة للتعليم Educable ب ــ فئة قابلة للتدريب Trainable

الفئة القابلة للتعليم

ويزيد متوسط نسبة ذكاء افراد هذه الفئة عادة على ٥٠ ، ويمكن لافراد هذه الفئة ان يتعلموا المبادىء الاساسية للقراءة والكتابة ويمكن لبعض افراد هذه الفئة الوصول الى نهاية المرحلة الابتدائية وان كان هذا لا يعني ان الاطفال المنتمين لهذه المجموعة يمكنهم تحصيل نفس الكم الذي يحصل عليه الطفل العادي الذي يتم مرحلة التعليم الابتدائي . فالاطفال المتخلفون عقليا يختلفون في اسلوب وطريقة تعلمهم عن الاطفال العاديين ، وكذلك في قدرتهم على الفهم وادراك العلاقات والقدرة على التصور ، كما يتميز الاطفال المنتمون لهذه المجموعة بعدم القدرة على التركيز وصعوبة الاحتفاظ بالمعلومات التي يتلقونها . لذلك فان عملية التعليم بالنسبة لهؤلاء الاطفال تسير في منتهى البطء ، وهم يحتاجون عادة الى ضعف عدد السنوات التي يحتاج اليها الاطفال العاديين لكي يتموا نفس القدر من التعليم .

ويجب ملاحظة انه ، نظرا للفروق الفردية الكبيرة القائمة بين طلبة المتخلفين عقليا ، يجب الا يزيد عدد الافراد المتخلفين عقليا في الفصل الواحد عن ثمانية حتى يمكن للمدرس اعداد البرنامج التعليمي الذي يتناسب مع كل طفل .

ويحتاج معلم هذه الفئة من الاطفال الى استخدام كافة انواع المعينات السمعية والبصرية حتى ييسر عملية التعلم وان يركز فيما يقدمه لهؤلاء الاطفال على المحسوسات دون المجردات .

ولا شك ان هدف التعليم بالنسبة لهذه الفئة من المتخلفين عقليا ليس في اعطائهم اية درجات علمية ، فهذا امر بعيد المنال ، ولا يتناسب مع قدراتهم العقلية ، ولكن الهدف الاساسي من تعليم المتخلفين عقليا هو مدهم بقدر من الثقافة يعتبر اساسيا لكل مواطن صالح .

وقد يتساءل البعض عن مصير هؤلاء الاطفال بعد تخرجهم من المدرسة الابتدائية . والجواب ان مناهج المدرسة الابتدائية يجب الا تقتصر على الناحية الاكاديمية ذات الطابع الثقافي فقط ، بل يجب ان تتجه هذه المناهج الى تدريب هؤلاء الاطفال المتخلفين عقليا على احدى المهارات المهنية التي يستطيعون متابعتها والاكتساب منها

عندما يكبرون ويخرجون للحياة العملية ومن امثلة هذه المهارات : ـ

بالنسبة للبنين :

النسيج ـ فلاحة البساتين ـ صباغة السلال ـ صباغة الملابس ـ حفر الخشب ـ السباكة ـ صباغة الفرش ـ صناعة اللعب ـ الاعمال المنزلية ـ صناعة الكراسي الخيزران ـ صناعة الجلد .

في قسم البنات :

التفصيل ـ صناعة السجاد ـ اشغال الكروشة ـ صباغة الجلد ـ اشغال الابرة ـ البرودريه ـ الغسيل والكي ـ اشغال الاسيه .

والمتخلفون عقليا الذين تزيد نسبة ذكائهم عن ٥٠ يمكن توظيفهم كعمال غير مهرة في مختلف المشروعات الصناعية حيث يستطيعون القيام ببعض الاعمال الروتينية التي لا تحتاج الى قدر كبير من التركيز ، أو القدرة على التصرف ، ولا تتطلب مستوى عاليا من السرعة والاتقان ، ومن الملاحظات الجديرة بالذكر ان هؤلاء المتخلفين عقليا اذا ما شعروا بتقدير ومحبة الافراد المحيطين بهم في محيط العمل فانهم غالبا ما يخلصون ويتفانون في اعمالهم .

الفئة القابلة للتدريب

وهذه الفئة يقل متوسط نسبة ذكاء افرادها عن ٥٠ ، وهي فئة يصعب الاعتماد على غالبية افرادها في القيام بأي عمل منتج . وهناك الكثير من المدارس الخاصة في بعض البلاد الاجنبية المخصصة للعناية بهذه الفئة وتهدف هذه المدارس اساسا الى مساعدة تلاميذها حتى يستطيعوا الاعتماد على انفسهم لدرجة كبيرة ، والتقليل من خطرهم على المجتمع الذي يعيشون فيه . ويمكن تلخيص اهداف تدريب هذه الفئة من المتخلفين عقليا الى الآتي :

الهدف الأول : العناية الشخصية :

ويعتبر هذا هدفا هاما لمدارس هذا النوع من المتخلفين عقليا ، فمعظم الافراد الذين تقل نسبة ذكائهم عن ٥٠ لا يستطيعون العناية بانفسهم فلا يستطيعون مثلا غسل وجوههم او تنظيف اجسامهم او الباس انفسهم اذا تركوا دون تدريب وتوجيه مستمر .

الهدف الثاني : التعبير عن النفس :

فالمتخلف عقليا في اشد الحاجة الى التعبير عن نفسه وعن رغباته وحاجاته ، وهذا التعبير لا يكون عن طريق اللغة فقط بل يأتي عن طريق الرسم والموسيقى والاشغال اليدوية والتعبير الحركي ، لذلك فانه يجب على المدارس الخاصة بالمتخلفين عقليا ان تدرب تلاميذها على أن يحسنوا التعبير عن انفسهم بكافة الطرق والوسائل الممكنة وان تضع المدارس هذا الهدف من بين الاهداف الهامة التي تسعى لتحقيقها .

الهدف الثالث : التكيف مع البيئة :

فالمتخلفون عقليا ممن تقل نسبة ذكائهم عن ٥٠ يصعب عليهم عادة التعامل مع الناس المحيطين بهم وعادة ما يشيرون الشك لانفسهم وللمحيطين بهم . لذلك يجب ان تعمل المدارس الخاصة التي تقوم بتدريب هذا النوع من المتخلفين عقليا على زيادة فهمهم للبيئة المحيطة بهم . فالمتخلف عقليا نظرا لانخفاض مستوى قدرته العقلية يصعب عليه فهم الظواهر المحيطة به كما يصعب عليه اقامة علاقات طيبة مع غيره من الافراد .

والواقع ان هذا النوع من المتخلفين عقليا يحتاج الى نوع خاص من المعلمين أعد اعدادا خاصا حتى يستطيع ان يتحمل امانة التدريس لهذه الفئات من المتخلفين عقليا . وهذا المعلم لا يحتاج فقط الى المعرفة التامة بأسلوب معاملة وتربية هؤلاء المتخلفين عقليا وطرق تدريبهم ، بل يحتاج فوق ذلك الى الصبر والايمان العميق بانسانية الرسالة الملقاة على عاتقه ، ذلك لأن التدريس للمتخلفين عقليا عملية عسيرة ليست باليسيرة . وكثيرا ما يكون الجزاء المادي للمعلمين غير متكافئ على الاطلاق مع الجهد الانساني الكبير المبذول في هذا المجال .

علي أحمد علي



حرمة اللغة العربية بين بلدية بيروت ومفوضية السياحة

عن جريدة « الكفاح » اللبنانية :

● على رغم اثارتنا موضوع اللغة العربية وعدم استعمالها في المحلات العامة ، فان احداً من المسؤولين لم يحرك ساكناً ، ولم يتخذ اي اجراء للحد من هذه الحرب العلنية القائمة على اللغة العربية مع ان هذا مخالف لابسط قواعد اللياقة والعرف والقانون ، وبالتالي الدستور .

فقوانين البلدية تحتم ان تكون الكتابة على لوحات المحلات بلغة عربية اولاً ، وان يكون حجم الكتابة العربية على اللوحة ضعفي حجم الكتابة الاجنبية . فعلى الرغم من هذا فان معظم المحلات العامة تهمل الكتابة باللغة العربية ، وخاصة دور السينما ، وان وجدت اللغة العربية في بعض المحلات فانك تراها موضوعة بشكل غير ظاهر ومنزوية في ركن لا يرى ، وكأن واضعها وضعها وهو خجل منها او انه وضعها من باب رفع العتب ، وبخط هزيل لا يتناسب مع ضخامة وحجم اللغة الاجنبية ، فهل غفلت البلدية مشكورة وطبقت قوانينها ؟ !

اما قوائم الاصناف والاسعار — وهذه مسؤولة عنها مفوضية السياحة والاصطياف — فانها موضوعة بلغة اجنبية ولا يوجد اي اثر للعربية في هذه القوائم .

ان اولئك الذين يحاولون مسخ اللغة العربية هم الذين « تعلموا وتمدنوا » في اوروبا ورجعوا الى البلاد ، منهم : الفرنسي — والفارسي — والبرازيلي — والرومي ، رجعوا الى البلاد بأجسام غابت قلوبها ، ونفوس بردت حمياها . فاذا تعاظم الوطن لتأدية الواجب تراهم كالغرباء .

وهم دائما حرب على لغة البلاد . وهذه الحرب مع الاسف لا تشن بمدفع وحسام ، بل بقلم ولسان ، وهم يجهلون كل الجهل امجاد بلادهم وحضاراتهم وآدابها ، وصدق من قال : « الناس اعداء ما جهلوا » .

التحرر والاستعمار

عن جريدة الجمهورية العراقية :

● حيوية الامة ومرتها في حريتها وسيادتها ، وحيوية الاستعمار وقوته واستمراره في استعباد الامم واذلالها وسلب ثرواتها ، وحيث يكون التحرر يرحل الاستعمار او ينحسر ، ولكنه يظل يبحث عن طريق العودة ومواضع الارتكاز ، ويجند ما تيسر من صنائع وعملاء لتشويه الحرية ، ومحاربة التقدم ، والحيلولة دون الانطلاق نحو آفاق جديدة ، ولذلك كانت حماية التحرر لا تقل ضرورية عن الحصول عليه ؛ لان حركة الحصول على التحرر تتم عادة مباغتة الاعداء ، وتنزل بهم الضربة قبل ان يشعروا ويعبئوا انفسهم للمقاومة والدس والكيد ، ولكن المؤامرات المعادية تظهر بعد زمن قد يطول او يقصر ، تبعا للمدة التي يتطلبها جمع العملاء واعدادهم وتوزيع مواقعهم

أخطاء المسلمين

عن جريدة « العلم » المغربية : الرباط

● [illegible] هذه الأيام [illegible] صراع بين الذين يحاولون الدفاع عن الإسلام [illegible] مصالحهم باسم الإسلام ، وبين الذين يكيدون للإسلام [illegible] ، ونعتقد أن [illegible] بالمعركة إلى صراع في ميدان غير ميدان الصراع الحقيقي .

فمن الخطأ [illegible] في أي [illegible] تأميم [illegible] للإسلام ، مع أن الإسلام هو مصدر كل تأميم ممكن ، حينما حرم امتلاك الماء والكلأ والنار ، و[illegible] من ذلك [illegible] تضامن بين [illegible] والطبقة البورجوازية في الدفاع عن مصالح [illegible] ، [illegible] اسم الدين فيهما .

[illegible] موضوع [illegible] ، فالخروج عن دور [illegible] من طرف [illegible] الاشتراكي [illegible] موضوع [illegible] يكون ذلك في [illegible] كل الذين [illegible] المحافظة على [illegible] والعنصري .

[illegible] في ميدان لا [illegible] الشعب العربي [illegible] على [illegible] من أرض فلسطين العزيزة .

أين تقف الحرية الأدبية

عن مجلة « الرسالة » القاهرية .

● ليس معنى الحرية أن نطلق العنان للأدب المكشوف حتى يتنقل ويبث فضول الشر في مجتمعنا ويكون بمثابة سموم تنفث في جسم الأمة .

ليس معنى الحرية أن نسمح بالكتاب الذي يحمل المعاني السافرة ويستغل الشهوات الرخيصة ويتجاهل مع القيم الكريمة .

ان الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة كما تهبها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بهما جميع الاحتمالات وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات .. فالثقافة التي لا تعبر عن هذه الطاقات الروحية الخلاقة أو تتنافى هذه القيم الروحية ، ثقافة مبتورة غريبة عن حياتنا وآمالنا .. والثقافة التي تهدف الى تحريك الغرائز واثارة الأحاسيس الحيوانية لا يمكن أن تكون أساسا لتقدم أو قاعدة لنهوض .

وباختصار : فان قضية الحرية الفكرية ينبغي الا تؤخذ على استقلال ، وانما يتحتم النظر اليها في معالجة واسعة ، من خلال ارتباطها بالفلسفة العقائدية العامة للأمة . واذا كانت الحرية الفكرية جوهرا انسانيا مقدسا ، فان القيم الأخلاقية والصوية هي الأخرى كذلك ، ولا ينبغي أن نأخذ الحرية الفكرية مدلولا مطلقا على حسابها ... وثمة تفرقة واجبة دائما بين حرية الفكر والتجرد عن المسئولية والاستهانة بقيم الأمة وأخلاقياتها .

طبيعة العاطفة الأدبية

من مجلة « الثقافة » — دمشق

● ان العاطفة الأدبية المتزنة هي التي يؤثرها النقاد ويطلبونها ، بعكس العاطفة القلقة التي لا تستطيع أن تتماسك أو تقف على رجليها .. هي كالشمس المتوهجة التي تغشي البصر ، والآلام الكبيرة التي تحطم القلوب والأجسام .. العاطفة العنيفة تشل التفكير ، وتضعف التصور فلا يرجى منها في ميدان الأدب شيء ...

والعاطفة الطبيعية لا تكون متسرعة ، ولا تستخدم من قبل النزعات السياسية والمذاهب الاقتصادية أو الدينية لئلا تصبح رخيصة ، تستعمل كمطية لبلوغ المآرب ، ومن هنا جاء عدم تقييمنا لشعر المدح الذي قاله أصحابه وهم يطمحون بالأعطيات لأنه صلة رخيصة من مال أو متاع .

وأول ما يجب أن تتسم به العاطفة الصحيحة هو الإيحاء ، ولذلك كانت الآثار الفنية أشد إيحاء من غيرها ، لتعدد المؤثرات التي تتضمنها .



بقلم: الأب إسحاق ساكا

أتيحت لي الفرصة، فحظيت بزيارة الدكتور أحمد زكي رئيس تحرير مجلة «العربي»، زيارة تخللتها أحاديث أدبية ولغوية سيما موضوع «العلاقات ما بين العربية والسريانية».

وقد شاءت المصادفة أن كان موعد زيارتي تلك في اليوم التالي لصدور العدد الممتاز من «العربي» الغراء لشهر كانون الثاني ١٩٦٥ فلفت نظري في ركن «أنت تسأل ونحن نجيب» مقال تحت عنوان «والقرآن ما رأيكم فيه» ص ١٧٢ ـ ١٧٤، أورد فيه كاتبه بعض الألفاظ الأعجمية التي جاءت في القرآن الكريم، اقتبسها من كتاب العلامة جلال الدين السيوطي أحد أئمة التفسير في العصر الماضي. وحيث أن تأصيل بعض تلك الكلمات الأعجمية جاء غير مطابق للحقيقة اللغوية، فقد دار في خلدي من ثم أن أنشئ تعليقا وتعقيبا واستقراء حول الموضوع، فلما عرضت الفكرة لاقيت عنده قبولا واستحسانا وتشجيعا، وها أنا أبدأ بذلك وعلى الله الاتكال.

العربية أغنى اللغات السامية

أجرى الأب مرمرجي الدومنكي إحصاء لمعجميات سامية فكان على وجه التقريب التالي: «تبلغ مجموع أصول العربية ٧٢٢٠ ومزيداتها ١٢٠٤٢ في حين أن أصول اللغات السريانية والعبرية والحبشية والأكدية مجتمعة تبلغ ٤٩٥١ ومزيداتها ٨٦١٠. ولذا يسوغ القول بأن العربية أغنى اللغات السامية طرا، ولعلها أوفر ثروة من لغات العالم قاطبة» (معجميات عربية سامية للأب مرمرجي ص ٧٩)

وبالرغم من غناها اللغوي وسعتها، فالعربية لغة، واللغة كالكائن الحي فيها روح وحياة، وتحتاج إلى الغذاء ورواء النمو والتكامل. واللغة العربية أعظم اللغات حيوية وقوة وقابلية للنمو والازدهار، فلا غرو إذن أن تستمد لها المواد اللازمة من سائر اللغات، من أي وعاء خرجت، وأن تطبعها بطابعها الخاص وتجعل منها مادة صالحة لنموها وتكاملها.

كيف دخلت كلمات أعجمية إلى اللغة العربية؟

كان العرب منذ العصر الجاهلي على اتصال دائم بالشعوب المجاورة لهم اتصالا متنوع الأسباب، ولما كانت الهجرة العربية بعد ظهور الإسلام إلى جميع أطراف العالم القديم فعمرت وجه الأرض، اختلط العرب بأمم وأقوام عديدة متباينة كالفرس والرومان واليونان والسريان والأحباش والأقباط وكانت اللغة العربية تسايرهم في جميع البلاد التي انتشروا فيها وبسطوا سلطانهم عليها، وكان من نتائج هذا الاتصال أن تغلغلت ألفاظ أعجمية في اللغة العربية، تكلم بها العرب ودخلت في أشعار شعرائهم وكتب أدبائهم

وادخلوها معاجمهم وجعلوها جزءا من العربية ووسموها بالمعربة (الاثار الارامية في لغة الموصل العامية للدكتور داود الجلبي ص٦) .

والكلمات الفارسية المعربة جُمعت معظمها بعناية الغويين من الفرس الذين دانوا بالاسلام ، وحذقوا لسان العرب ، اما الالفاظ الاخرى التي عربها العرب فلم يَعمد احد من علماء الامة الى جمعها . خلا نزرا يسيرا من السريانية تعرض له ابو عبد الله محمد الخطيب الاسكافي المتوفى سنة (٢١) هـ ١٠٣٠ م في كتابه مبادىء اللغة ، وابو منصور موهوب الجواليقي البغدادي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ ١١٤٤م صاحب كتاب المعرب .

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

ان اول من عمد الى جمع الالفاظ السريانية بصورة واسعة تامة ، وبطريقة موجزة منتظمة النظم ، هو المرحوم مار اغناطيوس افرام الاول برصوم ، بطريرك انطاكية وسائر الشرق علامة السريان الارثوذكس ، وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضو معهد اللغات السامية بجامعة شيكاغو . فقد وضع كتابا سماه « الالفاظ السريانية في المعاجم العربية» . وهو رسالة مشتملة على ما ادخل في اللغة العربية من الالفاظ السريانية، نشرها سنة ١٩٥٠ تباعا في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق من المجلد ٢٣ ص ١٦١ الى المجلد ٢٥ ص ١٧٨ ، ثم افردت في كتاب وقع في ٢٢٢ صفحة ، اورد المؤلف فيه ٧٥٩ لفظة وضعها على بساط البحث درسا وتحقيقا ، واصدر ٣٥٢ كلمة من اصول سريانية ، والباقية وهي ٤٠٧ كلمات ازالها من اصول الفية وعبرية وفارسية ويونانية ، وقد تشاركت في معظمها لغات سامية كثيرة . ولهذه الرسالة قيمة علمية تعتبر مرجع ثقة في موضوعها وذلك :

١ ـ لأن المؤلف جمع فيها معظم الالفاظ السريانية في المعاجم العربية ، الامر الذي لم يسبقه اليه احد .

٢ ـ جوّد فيها تحقيقا وتدقيقا وتمحيصا ونقدا مما فات الائمة وبه من اشياء تنكب بعضهم فيها عن جادة الصواب .

٣ ـ سلك طريقا اثريا علميا محكم الوضع سهل الشريعة فريدا ، مستمده اللغة العربية والسريانية .

٤ ـ استدرك على بعض المعجمات في صحة تعريب الفاظها واشتقاقها .

٥ ـ وهي اخيرا نتاج مجهود مؤلف يعتبر من ائمة علماء اللغتين السريانية والعربية استغرق نصف قرن في تحصيلهما وممارستهما .

قال المؤلف في مقدمة رسالته « في اثناء مطالعتنا لمعاجم اللغة العربية وكتبها اللغوية وقفنا على الفاظ سريانية الاصل معربة وهي على اربعة اضرب ، ضرب افصحت المعاجم باصله ولكنها قصرت في تحديده واشتقاقه ، وضرب اثبتت بكونه معربا غير انها لم تشر الى اللغة التي نقل منها ، وضرب عرّته به سراعا ولم تلم بحق بيانه مع بروز عجمته ، او انها وسمته بالمعرب او المولد او الدخيل على سبيل الحدس والظن ، وضرب اخطأت في نسبته الى لغة دون لغة تقصيرا من مؤلفيها في تحقيق اصله واستقصاءه من اهل اللغة السريانية وغيرها » (الرسالة المذكورة ص ١) .

وهذا هو الواقع كما يبدو لكل مطلع ، ولعل سبب ذلك يعود اليها فالدكتور ولفنسون ولكن مما يؤسف له اشد الاسف ان جميع علماء اللغة من المسلمين لم يكونوا يعرفون شيئا من اللغات السامية كالعبرية والسريانية معرفة صحيحة ، فنشأ من ذلك انهم لم يوفقوا الى بيان المعاني الدقيقة التي يؤديها كثير من الكلمات العربية » (تاريخ اللغات السامية للدكتور ولفنسون ص ٢١٧)

واكد ذلك الدكتور داود الجلبي بقوله « ولو كان للمؤرخين العرب القدماء وقوف على الارامية لما وقعوا في حيص وبيص عند بيان معاني امثال هذه الكلمات (المعربة من السريانية) اذ لاشك في ان معرفة الارامية وغيرها من اللغات السامية تكون واسطة لحل مشاكل لغوية كثيرة » . ولا غرو في ذلك فالعربية والسريانية شقيقتان ، اي فرعان من اللغة السامية الام ، عاشتا متساندتين احقابا طويلة ، وتبادلتا الكلمات والتعابير والاصطلاحات والاساليب الادبية ، وان غالب موادهما الاصلية متفقة في الوزن والمعنى حتى بات تمييز الكلمات الارامية من الكلمات العربية صعبا جدا بسبب ذلك ، حتى ان اربعة اخماس الكلمات الارامية تشترك والعربية اما حرفيا او اختلافا يسيرا في اللفظ او بتبدل بعض الحروف (الاثار الارامية في لغة الموصل العامية للدكتور الجلبي ص ٤) .

اللغة الارامية السريانية

في ابحاث خاطفة حول هذه النقطة ، نلقي ضوءا

كاشفا عن التعقيبات التي نحن بصددها . فمع العلماء وجود الارامية في القرن الرابع عشر ق.م (تاريخ اللغات السامية للدكتور ولفنسون ص ١١٥ .) ، الا ان الكتاب المقدس يعتبرها موجودة في حوالي الالف الثاني ق.م (تك ٣١ . ٢) . وقد انتشرت في كل رقاع العالم القديم انتشارا واسعا ، وصفه المستشرق الاب شابو بانه كان انتشارا خارقا (اللغات الارامية وادابها للمستشرق الفرنسي شابو ص ١٠) فغدت حروفها حروف هجاء لجميع الامم الشرقية (براكلمان ٢١١ ص ٩-١٠) . وفي عهد الملك نبوبلاصر اصبحت لغة البلاط البابلي (محاضرة الاستاذ ديون سومر ٦ تشرين الثاني ١٩٥١) . وفي سنة ٥٣٩ ق.م لغة البلاط الفارسي (سفر عزرا الاول ٤ : ٧،٦) . وكانت تحل من نصيبين الى واديا ومن سواحل الخليج الى سواحل البحر الاحمر محل كافة اللغات السامية وغيرها التي كانت مستعملة الى ذلك العهد (اللغات الارامية وادابها للاب شابو ص ١٠ و ١١) . وغدت قبل الميلاد بأزمان مديدة على ضفاف الدجلة والفرات لغة التجارة ، والمعاملات الرسمية والدولية ، بل اضحت لغة دولية في الشرق كله زمنا طويلا (كله ، والود ج ١ ص ١٦ ، اللغات الارامية ص ٩ ، فقه اللغة للدكتور علي وافي طبعة ثانية ١٩٤٤ ص ١٢٠) .

ونتيجة لهذا التقدم العربي والانتشار الخارق والمكانة السنية ، جمعت الارامية السريانية تراثا للغويا غزيرا هو خلاصة اللغات السامية القديمة . (تعقيبات تاريخية لغوية للمطران بولس بهنام مطران بغداد ص ٢٤) .

تعقيبات حول الالفاظ الفارسية

ذكرنا ان السريانية كانت لغة البلاط الفارسي في عهد كورش ، اللغة الفارسية استعملت الابجدية السريانية (براكلمان ص ١٤٠) . كما استعمل الفرس الخط السرياني في عهد الدولة الساسانية (ونقرس ص ٦٠) . فاحدث ذلك علاقات بين الشعبين (تعقيبات تاريخية للمطران بولس بهنام ص ٢١) وبذلك وجدت كلمات مشتركة بينهما .

فلاجل ارجاع الكلمة المعربة الى احدى اللغتين جعل الدكتور الجلبي دليله الاشتقاق ، فاي اي اللغتين وجد المشتقات اكثر لتلك الكلمة اعتبرها اصيلة فيها ، او نسبها الى السريانية بسبب سبق السريان الفرس بالتمدن (الاثار الارامية في لغة الموصل العامية ص ١٢ و ٢٣) .

وقد رجع المطران بولس بهنام سريانيتها استنادا الى البرهان التاريخي فقال « لا نعلم ان العربية لم تلتق بالفارسية الا بعد الفتح الاسلامي وان امتزاج العرب بالفرس تبلور في عصر الدولة العباسية ، والكلمات العربية المنسوبة الى الفارسية موجودة في الارامية السريانية قبل هذا التاريخ بزمن بعيد » (تعقيبات تاريخية ص ٥٧) .

ان الالفاظ ال ٢٢ التي وردت في مجلة العربي ، ونسبها السيوطي الى الفارسية ، ليست كلها بفارسية ، فنستدل على سبع الفاظ كما يلي

١ ـ البيعة : اجمع اللغويون المسلمون على ان « بيعة » لفظة سريانية محضة غير انهم اختلفوا في تأصيلها ، فارتاى الاب شيخو ، والاب مرمرجي على انها سريانية من « بيعو » Bio التي تدل في اصل وضعها على « البيضة » لان بعض ابنيتها كان يبنى على شكل البيضة ، وفي العربية نفسها يطلق لفظ « البيضة » على الخوذة لهيئتها البيضية فمن باب المقايسة يسوغ لنا القول بان الكنائس سميت وقتا ما عند السريان باسم « بيعو » لانها مبنية بشكل بيضة (النصرانية وادابها بين عرب الجاهلية ج ١ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ ، ومعجميات عربية سامية ص ١١١ ـ ١١٤) . وقد ايدت ذلك بعض المعاجم السريانية (معجم المطران توما اودو الكلداني ج ١ ص ٧٤) .

وذهب المطران برصوم انها اشتقت من « عيدو » اي العيد وهو عبراني ارامي كانهم قالوا فيها Beth ito وادغمت فيها التاء والعين Ito وشرحها السريان بتحويلها من لفظ العبراني الى الكلم فقالوا فيها ومعناها المجمع الحافل او المحفل البهيج (الالفاظ السريانية ص ٢٣ و ٢٤٢) .

٢ ـ كنيسة : قيل فيها لفظة سامية معناها الجمع ، وردت في العربية والسريانية بمعنى موضع صلاة اليهود والنصارى . والواقع ان الكنيسة سريانية النجار Beith -cnoushtoo, Cnoushto مشتقة من فعل Cnoush ، بمعنى اجمع ، التام ، ومعناها جماعة ، محفل ، وهي ترجمة « اكليسيا » اليونانية بالمدلول نفسه (الرسالة المذكورة ص ١٥٦ والالفاظ الارامية ص ٧٨) .

٣ ـ تنور : بالعربية مشددة تنور ،

وبالسريانية Taoouro ، ويرى معظمهم ان اللفظة عمت جميع اللغات والالسنة ، واختلفوا في نسبتها الى لغة دون اخرى ، واعتبرها صاحب الرسالة والاثار الارامية انها لفظة سريانية او سامية قديمة ومنها سرى وتحولها الى اللغات الشرقية (الرسالة ٢٨ ــ ٥٠) والاثار الارامية ص ٥٧ ــ ٥٨ .

٤ ــ جهنم : لفظة عبرية النجار ، ومن العبرية اقتبستها السريانية واليونانية والعربية واللاتينية والفرنسية ، اصلها Gehinnom ومعناها وادي هنوم ، وهو واد في جنوبي اورشليم تحت اسوارها ، كان في بادئة الامر منتزها ، وكان اليهود قد انشأوا فيه هيكلا لوثن اسمه « مولوخ » وضحوا فيه بالذبائح البشرية فهدمه الملك يوشيا دكا ، وجعله موضعا للقاذورات حتى استفظعه اليهود واضحى عندهم مرادفا للجحيم (الرسالة ص ١٩٦ ــ ٢٠٠) وسفر الملوك الثاني ٢٣ : ١٠ ومعجم Petit larive et fleury ص ٤٤٢ ومسجيات عربية سامية للاب مرمرجي ص ٢١٩) .

٥ ــ كافور : قال الفيروزابادي ٢ : ١٢٨ « الكافور طيب يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين ، يظل خلقا كثيرا ، وتألفه النمورة ، وخشبه ابيض هش ويوجد في اجوافه الكافور ، وهو انواع ولونها احمر ، وانما يبيض بالتصعيد » وقد اجمعت معظم المعاجم على هذا المعنى سيما إحتمال الكلمة من لغة هندية .

وذكر الجواليقي وغيره ان اللفظة فارسية معربة (الاتقان ص ١٤٠) . وكذلك بفارسيتها قال الثعالبي (فقه اللغة ص ٢١٨) . واحصاها دوفال في عداد الالفاظ السريانية . اما صاحب كتاب الرسالة فرجح نجارها الهندي بدليل منابتها في الهند والصين ، ومن الهندية نقلها السريان على طريقتهم بالقاف دون الكاف قالوا : قفور : وبهذا الوضع تلقاها منهم العرب قال جرير .

فالت فدتك مجاشع فاستبشرت
مسن صخريه عصاره القفور

(الرسالة ص ١١١)

٦ ــ مرجان : نقل الغزالي ادى شير عن الازهري قال : لا ادري اثلاثي هو ام رباعي ؟ وعلى تقدير زيادة النون يكون مأخوذا من المرج بمعنى الخلط لانه بين الحجر والشجر ، وعلى تقدير اصالة النون لا يبعد ان يكون فارسي الاصل » ثم ذهب يؤيد انها فارسية وذكر انها من لغات كثيرة ثم رجح ان اصلها يوناني » .

وقال صاحب الرسالة انها بالسريانية Margonitho ومعناها مرجانة ، لؤلؤة ، درة ، جوهرة وتوافقها بالعبرية « مركليتا » (الرسالة ص ١٦٤) .

٧ ــ سرادق : السرادق الفسطاط الذي يمد فوق صحن البيت جمعه سرادقات ، سريانية Sarodhqo ستر حجاب وليس معربا من الفارسية (والاثار الارامية ص ٥١) .

تعقيبات حول الالفاظ السريانية

ان قسما من الالفاظ التي نسبها السيوطي ، كما ورد في « العربي » ، الى السريانية ليست بسريانية وهي :

١ ــ الدبل : يستدرك على السيوطي قوله في الاتقان ص ١٤٠ في « قمل » قال الواسطي هو الدبا بلسان العربية والسريانية ، قال ابو عمرو لا اعرفه في لغة احد من العرب انه فارسي معرب فهو ليس من كلام السريان وانما الدبا Debo يعني ذبابة (الرسالة ١ ــ ص ١٢٨) .

٢ ــ هيت لك : بمعنى هلم ، ذهب اللغويون في اصلها مذاهب شتى ، فجعلها بعضهم حورانية واعتبرها آخرون عبرانية ، وغيرهم قبطية ، ونسبت الى السريانية . ونحن نستنكر سريانيتها ونقول ان تولوخ Tolokh تعني هلم،تعال . ولا نرى علاقة بينها وبين اللفظة المنحوت منها (ص ١٨٦) .

واعتقد قد تكون لفظة ارامية عامية غير كتابية محورة من Ecthlaka التي تعني هات الى هنا ، ولا تزال لفظة Ecthiloka تستعمل في القرى النصرانية المجاورة لمدينة الموصل .

٣ ، ٤ ، ٥ ــ طه ، لات ، سريا ، وهذه الالفاظ غريبة عن السريانية تماما ، اذ لم ترد في اي معجم سرياني او كتاب ادب او لغة .

٦ ــ سفر : لفظة عبرية اخذتها السريانية ومعناها كتابة لغة، كتابة ، قراءة ومن السريانية اقتبسها العرب واشتق منها السريان فعل Sfar درس ، كتب، فقه تعلم ويراد بالاسفار خصوصا الكتب المقدسة (ص ٨٨) .

٧ ــ رهوا : ليست سريانية ولعلها من مرهيطا العبرية (الرسالة ص ٧٤) .

٨ ــ عدن : اعتبرها صاحب الرسالة من

العبرية اما الاب مرمرجي فاصدرها من السومرية فالاكدية فالعبرية ، ودخلت الى العربية عن طريقة السريان (ص ٥٥) .

تعقيبات حول الالفاظ الحبشية

من بين الالفاظ التي نسبها السيوطي الى الحبشية خمس هي سريانية بحتة ؟

١ — طالوت : اللفظة سريانية الاصل Toomutho ومعناها ضلال ، غلط ، غش ، من فعل Too ضل ، طغى ، غلط ، أغوى (ص ١١٦) .

٢ — حوبا — سريانية Hawbtho مدلولها الاثم ، واجب ، فريضة . والفعل Hobe ، حاب Haibe حوّب Ethhaube مجوّب ، واسم المصدر Hawbo الاثم ، والفاعل Halobo خاطئ (ص ١١٤) .

٣ — السكر — سريانية النجار Sacar, scar ومدلوله اغلق ، سد ، اطبق ، ومنه السكر Sccoro (٨٧٨) .

٤ — طوبى — جاء في التاج ٣ : ط ٧٥ طوبى اسم الجنة بالهندية ، وعن سعيد ابن جبير ان طوبى اسم الجنة بالحبشية ، والصحيح ان طوبى سريانية Toubo ومدلولها الغبطة ، السعادة ، الحسنى . وليست من جمع الطيبة من نوادر الجموع كما زعموا ، ولا هي شجرة في الجنة ، وليست الجنة بالهندية والحبشية . وانى لهم ان يعرفوا اسم الشجرة في الجنة فقالوا فيها طيبى . وابن ورد هذا ما سنده ؟ (ص ١٠٩) .

٥ — العرم — الكدس من الزرع الذي جمع وديس ليذرّى ، وهي لفظة سريانية Eromtho, Eromtho ، والفعل Erm عرم ، و Areme كوّم ، جمع (ص ١٠٩) .

تعقيبات حول الالفاظ الرومية

١ — الفردوس : قيل ان اللفظة عربية او رومية او سريانية او نبطية ، وعدها نوفل من الالفاظ التي توافقت فيها السريانية والعبرية ، وقال الجريري برصوم انها يونانية الاصل Paradeicor اخذها السريان Paradairo ومنهم اخذها العرب . والصواب . توافقت فيها الاثورية والسريانية والعبرية والفارسية ، ومن اللغات القدامى اقتبستها العربية (الرسالة ص ١٢٨ و ٢٦٣) .

٢ — صرهن : اللفظة سريانية بحتة من فعل S r o ومعناه قطع شق فرق (ص ١٠٤) .

تعقيبات حول الالفاظ العبرية

١ — القس : وجمعه قسوس ومثله القسيس ، وجمعه قسيسون وقسان ، وهو دون الاسقف وفوق الشماس ، واللفظة ومشتقاتها سريانية Kashishoutho, Kashisho, Kasho ومعناها اللغوي الشيخ . ولا فعل بالسريانية يعني معنى القس .

٢ — كفر : الكفر القرية بالسريانية Cafro وتوافقها الاثورية والعبرية : كفر (معجم بروث ص ٢٢٨) فهي لفظة من اللغة السامية الام (ص ١٥١) .

تعقيبات حول الالفاظ النبطية

١ — النبطية لهجة سريانية وليست لغة قائمة بذاتها : بسبب ذيوع السريانية الطاري وانتشارها الهائل فقد ارتقت مع الزمن وتحولت ، فاننا نراها في صور شتى من اللهجات المدينة . ونعني بكلمة لهجة للدلالة على لغة قطر باسره او شعب باجمعه ، واللهجات الارامية تباعد الواحدة من الاخرى من حيث الصرف والالفاظ اكثر من تباعد اللهجات اليونانية . وقد ذكر ابن بهلول في قاموسه ست عشرة لهجة سريانية (اللغات الارامية وادابها لشابو ص ١١) .

ولئن اختلف العلماء في اصل الانباط وتاريخهم الا انهم اجمعوا على ان الارامية السريانية كانت لغتهم الادبية (ولفنسون ص ١٢٥) .

٢ — بعض الكلمات التي اوردها الثعالبي في العربي ليست من اللهجة النبطية ، ولا نرى حاجة لبحثها الان ، ونكتفي بايضاح كلمة واحدة منها فقط هي :

الحواري : والجمع الحواريون : رسل السيد المسيح ، فقد اختلف اللغويون في ايراد مدلول هذه اللفظة . فلدى العرب الوارد ، الحواري الناصر ، وقيل ناصر الانبياء ، ومن هنا قيل لرسل السيد المسيح الحواريون ، وقال آخرون الحواري المستكثر لعويره وتبييضه ، والحميم والناصح . وذهب غيرهم مذاهب اخرى .

والصواب هو ما ذهب اليه نولدكي ، العالم الالماني المتوفي عام ١٩٣٠ من ان الكلمة حبشية النجار (حواريا) مدلولها الرسول (الرسالة ص ٥٦) .

الأب اسحاق ساكا

قصة
للكاتب الفرنسي
جي دي موباسان



■ السيد شيكو، صاحب فندق قرية ابرفيل، اوقف عربته امام مزرعة الام مجلوار، وربط جواده الى الحاجز، ثم دلف الى البناء.

كان رجلا طويل القامة متين البنيان في الاربعين من عمره، مدور الخدين، بادي الكرش، تلمع عيناه ببريق الخبث والدهاء. وهو يملك قطعة من الارض لصق ارض المرأة العجوز الام مجلوار، ويحاول منذ مدة طويلة شراء ارضها ليضمها الى ارضه بيد ان الام مجلوار كانت ترفض ان تبيعه اياها في اصرار وهي تقول:

— كلا. لقد ولدت في هذه الارض وسأموت فيها.

ووجدها تقشر البطاطس امام البيت وكانت في الثانية والسبعين من عمرها، قد امتلأ وجهها بالتجاعيد، واحدودب ظهرها. ولكنها كانت لا تزال قوية كما لو كانت فتاة في مقتبل العمر وربت شيكو بيده على ظهرها، في مودة

ثم جلس على مقربة منها قائلا

ـ كيف صحتك اليوم أيتها الأم مجلوار ؟ .. على ما يرام ان شاء الله ؟

ـ لا بأس . وكيف حالك انت يا سيد شيكو ؟

ـ لولا نصمة الام خفية لكانت حالي على اتم ما يكون من الرضا .

ـ حسنا .

ولم تزد . وراح شيكو يتأملهـا وهي تتناول باصابعهـا النحيلة المعوجة الجافة البطاطس ، الواحدة بعد الاخرى ، فتديرها بسرعة وهي تنزع عنها قشرها بسكين خفيفة تمسكها في يدها الاخرى، وعندما تفرغ منها تلقي بها في دلو به ماء. وكان في الفناء ثلاث دجاجات كانت تبرز من وقت لآخر فتقترب من الأم مجلوار وتلتقط القشر بمناقيرها ثم تولي هاربة مسرعة .

وبدا على شيكو الارتباك والتردد ، ولم يطاوعه الكلام اكثر من مرة ، ولكنه لم يلبث ان قال أخيرا

ـ الا تخبريني ايتها الأم مجلوار ؟

ـ ماذا تريد ؟

ـ الا تبيعيني هذه المزرعة ؟

ـ كلا يا صديقي .. انزع هذه الفكرة من راسك .. لقد سبق ان اطلعتك على رأيي ولا أريد ان نعود الى هذه المسألة مرة اخرى .

ـ وما رايك في حل يرضينا نحن الاثنين ؟

ـ وما هو ؟

ـ هو ان تبيعيني اياها ثم تحتفظين بها في نفس الوقت .. الا تفهمين ؟ .. أصغي الي ..

وكفت العجوز عن تقشير البطاطس ، وراحت تحدق في صاحب الفندق بعينين حادتين تحت اجفان منحنية .

واستطرد يقول :

ـ سأوضح لك كل شيء . سأعطيك كل شهر مائة وخمسين فرنكا . هل تسمعين ؟ .. سأحضر اليك كل شهر واعطيك المائة والخمسين فرنكا ، وهذا كل شيء .. لن يكون هناك اي تغيير ، فسوف تبقين في بيتك كما انت الآن . وانا من ناحيتي لن ازعجك . ثم انك لن تدينيني اي بشيء ما .. لن تفعلي اكثر من ان تأخذي نقودي . افلا يوافقك هذا ؟

ونظر اليها مسرورا مغتبطا بينما تأملته العجوز في ارتياب محاولة ان تهتدي الى الفخ الكامن بين طيات كلماته وسألته قائلة :

ـ ولكن هذه الطريقة لن تعطيك المزرعة .

فقال : لا تزعجي نفسك بهذا . سوف تبقين في مزرعتك طالما مد الله في عمرك ، ولن تفعلي اكثر من تحرير ورقة صغيرة عند موثق العقود تؤول المزرعة الي بعد وفاتك ، فانت لا اولاد لك وليس هناك من يهمك امرهم . الا يوافقك هذا ؟ .. مستمتعين بأملاكك طول حياتك وتأخذين مني فوق ذلك مائة وخمسين فرنكا كل شهر .

بانت الدهشة والقلق على العجوز . ولكن الرغبة كانت اشد تأثيرا فقالت :

ـ هذا صحيح .. ولكن اريد لي مهلة افكر فيها .. عد الي في الاسبوع المقبل لأعطيك رأيي .

وانصرف السيد شيكو مسرورا كأنما هو ملك غزا دولة .

وغرقت الأم مجلوار في لجة عميقة من الافكار ، ولم تستطع ان تغمض عينيها ليلتين متتاليين ، واستبدت بها حمى التردد طيلة الايام الاربعة التالية . كانت تحس كأن هناك شيئا مريبا في هذه الصفقة سوف يلحق بها الضرر . ولكن المائة والخمسين فرنكا التي ستأتيها في كل شهر من غير تعب تغلبت على ترددها .

وذهبت الى موثق العقود تسأله الرأي ، فنصحها ان تقبل عرض السيد شيكو ، ولكن على ان تطالبه بمائتين وخمسين فرنكا بدلا من مائة

وخمسين ، فان مزرعتها تساوى ستين الف فرنك على اقل تقدير . واردف يقول :

ــ وانت اذا عشت خمس عشرة سنة اخرى فانه لن يدفع لك بهذه الطريقة اكثر من خمسة واربعين الف فرنك .

واضطربت العجوز لمجرد احتمال قبول السيد شيكو بان يدفع لها مائتين وخمسين فرنكا . ولكنها كانت متشككة وتخشى احتمال وقوع اكذوبة . فراحت تلقى على الموثق الف سؤال وسؤال حتى تعرف سر الخدع المستترة . كل هذا وقلبها لا يطاوعها على الانصراف . واخيرا سألته ان يعد الوثيقة ، وعادت الى مزرعتها وراسها تدور كما لو كانت شربت اربع زجاجات من النبيذ الخالص .

وعندما ذهب شيكو اليها ليسألها رايها اظهرت كثيرا من التردد ، ورفضت في بادىء الامر وهي تخشى في قرارة نفسها ان يتراجع امام فكرة المائتين والخمسين فرنكا . واخيرا ازاء اصراره اوقفته على رغبتها . وانتفض شيكو وقد تملكته خيبة الامل ورفض الفكرة .

وحاولت العجوز عندئذ اقناعه فقالت له انها لن تعمر طويلا ، واردفت تقول :

ــ ليس امامي غير خمس او ست سنوات على الاكثر ، فانا الآن قد بلغت الثالثة والسبعين ولم اعد قوية كما كنت . وقد خيل الي في الليلة الماضية انني سأموت وبدا لي كان جسدي قد انهار بحيث اضطروا ان يحملوني الى الفراش حملا .

ولكن شيكو اعترض عليها قائلا :

ــ كفاك مكرا ايتها العجوز ، فانت قوية كالثور ، وسوف تعمرين ثلاثين سنة اخرى على الاقل . وسأموت انا قبلك بكل تأكيد .

وضاع اليوم كله في مجادلات عقيمة . ولما لم تتزحزح العجوز عن رايها قبل السيد شيكو اخيرا ان يدفع لها المائتين والخمسين فرنكا .

ووقعا الوثيقة في اليوم التالي . واصرت الام مجلوار على ان يدفع لها شيكو خمسين فرنكا حلوانا .

ومرت ثلاث سنوات والعجوز على اتم ما تكون من الصحة ، لم تشك فيها من اية علة . وبدا اليأس يدب في قلب السيد شيكو وقد خيل اليه انه يدفع لها ذلك المعاش منذ اكثر من نصف قرن وانها خدعته في هذه الصفقة . وكان يذهب من وقت لآخر لزيارتها شأن المرء حين يذهب الى الحقل ليرى ان كان الوقت قد ازف ليجني ثمار ما زرعه . وكانت تستقبله في خبث كما لو كانت تهنىء نفسها على الدور الذي مثلته . وكان يسرع الى عربته وهو يتمتم بينه وبين نفسه :

ــ اما آن لك ان تموتي ايتها « الكركوبة » ؟

ولم يدر ماذا يفعل ، وود لو انه يستطيع ان يخنقها ، واحس بكراهية شديدة نحوها لم يحسها نحو احد من قبل .

وراح يبحث عن وسيلة .

وذهب ليراها ذات يوم وهو يفرك يديه جذلا كما فعل في نفس اليوم الذي عرض عليها فيه الصفقة الاولى . وبعد ان تبادلا الحديث هنيهة قال :

ــ لماذا لا تأتين لتناول الغداء في فندقي عندما تذهبين الى ابربفيل لقضاء حاجياتك ؟ .. ان الناس يتكلمون ويقولون اننا لم نعد اصدقاء ، وهذا يثقل علي .. انك لن تدفعي سنتيما واحدا وانت تطعمين عندي لأنني انفق في الطعام بغير حساب .. فاذا قدمت الى ابربفيل فتعالي الى فندقي من غير اي تحفظ فان ذلك يسرني كل السرور .

وقبلت الام مجلوار الدعوة على الفور ، وذهبت الى السوق في غداة اليوم التالي مستقلة عربتها التي يقودها خادمها سلستان ، وبعد ان فرغت من قضاء حاجاتها ، امرت خادمها ان يذهب بها الى فندق السيد شيكو ، وطالبته بالغداء الموعود .

وعاملها صاحب الفندق احسن معاملة فقدم لها

كل ما لذ وطاب من الطعام ، غير انها لم تتناول شيئا تقريبا ، فهي عاشت طول حياتها على الكفاف بحيث يكفيها قليل من الحساء وكسرة من الخبز المقدد .

واحس شيكو بخيبة امل كبيرة ، وكدره انها لم تشرب كذلك . كما رفضت القهوة التي قدمها اليها . وعندئذ سألها قائلا :

ـ لعلك لا تمانعين في شرب كأس صغير ؟

ـ اذا كان الامر كذلك فلا بأس .

وصاح يقول بكل قوته : احضري النبيذ يا روزاليا .. النبيذ المعتق .

واقبلت الخادمة ومعها زجاجة كبيرة من النبيذ فملأ شيكو كأسين وقال :

ـ تذوقي هذا النبيذ أيتها الام مجلوار .. انه اجود انبذة فرنسا كلها .

وراحت العجوز تشرب في تؤدة وفي جرعات صغيرة في استمتاع .

ـ نعم . هذا نبيذ جيد حقا .

وملأ شيكو كأسها للمرة الثانية قبل ان تفرغ من كلماتها هذه ، وترددت في ان ترفض ولكن الكأس المملوءة كانت اقوى من ارادتها فشربتها في بطء كما فعلت بالكأس الاولى .

واراد ان يملأ كأسها للمرة الثالثة ، ولكنها رفضت ، فاصر وهو يقول :

ـ ولكن هذا النبيذ حلو كاللبن . انني اشرب منه كل يوم عشر كئوس بل اكثر بدون ان احس باي ضيق .. انه خفيف على المعدة وخفيف على الرأس . وهو يتبخر وهو على اللسان .

وكانت رغبتها اشد فقبلت ، ولكنها لم تشرب غير نصف الكأس . ولما رأى شيكو ذلك صاح يقول وهو في نوبة من الكرم .

ـ ما دام هذا النبيذ قد اعجبك فسأعطيك برميلا صغيرا منه لا لشيء الا توطيدا لصداقتنا .

ولم ترفض العجوز الهدية . وعادت الى بيتها وهي سكرى شيئا ما .

وفي اليوم التالي اقبل صاحب الفندق الى المزرعة واخرج من عربته برميلا صغيرا واصر على ان تذوقه لترى انه من نفس النوع الذي تناولته امس . وعندما شرب كل منهما ثلاث كئوس قال وهو ينصرف :

ـ يمكنك ان تطلبي برميلا غيره اذا فرغ هذا ، فان عندي منه الكثير ، ولا تهتمي بامر النقود .

وعاد بعد اربعة ايام ، وكانت العجوز واقفة امام البيت تقطع الخبز للعشاء .

ودنا منها وحياها تحية الصباح وحدثها وهو يشم انفاسها .. وعرف رائحة الخمر التي تفوح منها فانبسطت اساريره وقال :

ـ الا تقدمين لي كأسا ؟

وتناول كل منهما كأسين او ثلاثا .

ولم تلبث الشائعات ان انطلقت تدور في كل مكان . وكان محورها ان الام مجلوار اخذت تسكر فتارة يلتقطونها في المطبخ ، وتارة في الفناء واخرى في الطرقات المجاورة فيحملونها الى البيت وهي لا تبدي اي حركة كالجثة الهامدة .

ولم يعد شيكو يذهب اليها . واذا تحدثوا عنها امامه يهز رأسه في حزن باد ويقول :

ـ اليس معيبا ان تتملك هذه العادة القبيحة منها بعد ان بلغت هذه السن ؟ .. ان المسن اذا كبر وشاخ لا يستطيع المقاومة وسترون ان الخمر سوف تقضي عليها .

وصح ما توقعه فقد ماتت في الشتاء التالي ، عشية عيد الميلاد ، اذ سقطت على الجليد وهي سكرى وتجمدت اطرافها .

وآلت المزرعة الى السيد شيكو وعندئذ قال .

ـ لو ان هذه الفلاحة القذرة لم تشرب ، لبقيت على قيد الحياة عشر سنوات اخرى على الاقل ، فشكرا لك يا خمر .

عبد المنعم جلال



كان يخرج إلى البادية ليحرث ويحصد ، حتى لا يتجر بعلمه .

فقيه إفريقية البارع ، والورع الصادق . قال للأمير وقد ولاه القضاء : سأبدأ برد ظلامات أهل بيتك . فقال الأمير : أجر الحق على مفرق رأسي .

بقلم : الدكتور طه الحاجري
أستاذ اللغة العربية وآدابها بجامعة الإسكندرية

■ نحن مع سحنون ، عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي ، إزاء شخصية أخرى من أكبر الشخصيات التي تمثل الفكر الإسلامي ، والخلق الديني ، في شمال أفريقيه ، وفي أفقها الدرس العلمي ، مثلما تمثل شخصية أسد بن الفرات ، كما تقدم لنا صورة رائعة من صور الحياة العلمية في هذا الأفق من آفاق العالم الإسلامي في القرن الثاني والثالث للهجرة ، أي في الجيل الذي يلي جيل أسد بن الفرات (١) وهو جيل الطبقة الرابعة في تصنيف أبي بكر المالكي .

وحياة سحنون تقع بين هذين القرنين ، اقتسماها بينهما قسمة عادلة ، فذهب القرن الثاني بنصفها الأول الذي يبدأ بمولده سنة ١٦٠ ، وذهب القرن الثالث بنصفها الثاني الذي ينتهي بوفاته سنة ٢٤٠ .

وفي النصف الأول تقع الأسباب والعوامل التي وجهت حياته، وأنضجت ملكاته وكونت شخصيته، منذ أخذ يتلقى تعليمه الأول ، كما تلقى زملاؤه

(١) انظر مجلة « العربي » ...

الصبيان في مصره ، الى أن عاد الى القيروان من رحلته العلمية الى المشرق ، سنة ١٩١ .

سحنون عند شيخ القيروان : البهلول بن راشد

وقد نشأ سحنون نشأته الأولى في القيروان ، وكان شيخ القيروان في ذلك الوقت هو البهلول بن راشد ، علما وورعا وقوة شخصية ، فأقبل سحنون عليه يأخذ عنه ويتفقه به ، كما أخذ من غيره من علماء القيروان ، كعبد الله بن غانم قاضي افريقية واحد أصحاب مالك بن أنس . ولكنه كان — فيما يبدو — أوثق بالبهلول صلة ، وأشد له اكبارا اذ كان يرى فيه المثل الأعلى لرجل العلم والدين ، كما كان البهلول يتوسم في تلميذه مخايل تنبيء عن شخصية متميزة . ومن ذلك توثق ما بينهما . وعلى قدر هذه الصلة كان أثر البهلول في تلميذه سحنون وفي تكوين شخصيته العلمية والاجتماعية ، حتى كان — فيما صار اليه بعد — أقرب الناس اليه وأشبههم به .

ولكن اعجاب سحنون بشيخه البهلول وتعلقه به لم يصرفه عن غيره من الشيوخ ، فقد كان من تقاليد العلم الاسلامي أن يلتمسه الرجل في كل سبيل ، وأن يسعى اليه في كل موطن ، وأن يأخذ عن كل من يتاح له الأخذ عنه ، من أهل الثقة . وهذا الى أن الطموح العلمي كان يملأ نفس سحنون ، ويدفعه دائما الى تلقي العلم أينما كان ، والتماسه في كل مظانه .

سحنون عند شيخ تونس : علي بن زياد

وكانت تونس قد أصبحت بشيخها علي بن زياد — كما رأينا في حديثنا عن أسد بن الفرات — مثابة من مثابات العلم ، وكانت مثابة تجتذب نفس سحنون . فأزمع أن يمضي اليها ليجلس الى شيخها ، وشجعه أستاذه البهلول على ذلك وأعانه عليه ، فكتب الى علي بن زياد كتابا يوصيه به ، ويقول له فيه : « اني انما كتبت اليك في رجل يطلب العلم لله عز وجل » ، وما كان أجلها تقدمة . لقد كانت هذه الصفة غاية الغايات وطلب العلم .

واتخذ سحنون مكانه في مجلس علي بن زياد ، وقد احتفى ابن زياد به وأحسن استقباله ، اذ توسمه فيه ، ولكتاب البهلول بشأنه . ولوثاقة الصلة الروحية بين الرجلين ، فقد وجد التلميذ في أستاذه صورة من المثل الأعلى الذي يعمر قلبه ووجد الأستاذ في تلميذه ما حقق عنده الصفة التي وصفه بها البهلول .

وكما لم يقتصر في القيروان على البهلول ، لم يقتصر في تونس على علي بن زياد ، فكان ممن أخذ العلم عنهم فيها العباس بن الأشرس ، وكان أحد الذين تقوم بهم الحياة العلمية فيها ، من الذين رحلوا الى المشرق وأخذوا عن مالك . وكان — كما يقال في ترجمته — حسن الضبط للعلم ، شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

رحلته الأولى الى المشرق

ولا يقف التطلع العلمي بسحنون عند رحلته هذه الى تونس ، فقد كانت له بعد ذلك رحلته الكبرى الى المشرق ، كما رأينا عند مسألة أسد ابن الفرات . وما كان لسحنون أن يغفل القيام بمثل هذه الرحلة التي يستجيب بها لحاجته الدينية والعلمية معا . بل ان بعض المؤرخين يذهب الى أنه رحل الى المشرق مرتين :

أما أولاهما فكانت سنة ١٧٨ ، وسحنون في مطالع شبابه ، في الثامنة عشرة من عمره ، وقد انتهى في هذه الرحلة الى مصر ، ولم يبلغ بها الى غايتها فلم يتجاوز مصر الى الحجاز لقلة ذات يده ، ولكنه استطاع في أثناء مقامه بمصر أن يعقد صلته بابن القاسم ، فكان يشهد مجلسه ، ويأخذ عنه . وكانت رسائل مالك التي كان يضمنها أجوبته ترد عليه وهو عنده ، فتبعث في نفسه ألوانا من التطلع اليه ، والرغبة في المثول بين يديه ، فيقال له : وما يمنعك من السماع منه ؟ فيقول : قلة الدراهم .

وما زال سحنون مطوي النفس على الحسرة لعدم ادراكه مالكا ، فقد مات في السنة التالية ، سنة ١٧٩ .

رحلته الثانية الى المشرق

وقد ظل حريصا على أن يبلغ بالرحلة الى المشرق غايتها في الحجاز، وظل يتربص بهذه الرغبة عشر سنين ، الى أن انبعث له سنة ١٨٨ ، بعد مضي خمس سنين على موت شيخه البهلول .

وفي هذه الرحلة الثانية استأنف صلاته التي

بهاها في رحلته الاولى بعلماء مصر : ابن القاسم ، واشهب بن عبد العزيز ، وعبد الله بن وهب ، وعبدالله بن عبدالحكم، وسعيد بن الليث بن سعد وغيرهم من الائمة . ولكن اكبر هذه الصلات واوثقها وأبعدها اثرا هي صلته بابن القاسم . وعليه قرا « الأسدية » التي كان أسد بن الفرات تلقاها عنه ، وسمعها سحنون من أسد في افريقية. وقد بدا لابن القاسم فيها ، وهو يقروها عليه ، فصححها ، وغير ما بدا له فيها . وبذلك اصبحت نسخة سحنون هي النسخة المعتبرة ، دون نسخة اسد بن الفرات . وكتب ابن القاسم بذلك الى اسد ، وطلب اليه في كتابه أن يرد مدونته الى مدونة سحنون .

صار ابن القاسم لسحنون في مصر ، نظير البهلول له في افريقية

وكان ابن القاسم شيخ الفقهاء المصريين في وقته صحب مالكا عشرين سنة . وكان قوى الشخصية، الى جانب قوته الفكرية ومنزلته العلمية . كان في مصر نظير البهلول في افريقية . وهكذا اتيح لسحنون منه استاذ كبير يأخذ عنه ويأنس اليه ويشعر بعمق استاذيته بعد استاذه البهلول ، كما تجسدت فيه صورة المثل الأعلى في قوة الخلق وشدة الورع واصالة الراى وعظمة الشخصية ، وهى الصورة التى كان يمثلها في نفسه استاذه الاول في القيروان .

ركب الاعلام الى الحجاز ، وفيهم سحنون

وهكذا كان مقام سحنون في مصر مقاما طيبا مباركا ، وهكذا كان الجو الذى عاش فيه وملأ نفسه غبطة بها ، الى ان تهيأ القوم للرحيل الى الحجاز فخرجوا جميعا سحنون ، وابن القاسم وابنه موسى ، واشهب ، وابن وهب . وما كان أروعه ركبا ذلك الذى يضم هؤلاء الاعلام ، يزجون رحلتهم بالحديث في مسائل العلم ، كل مع زميله. وكان سحنون يزامل ابن وهب ، اما ابن القاسم فكان يزامله ابنه موسى . فلما تراح الركب ونزل القوم مضى سحنون الى استاذه الاكبر ابن القاسم، فجعل يسائله ويقرأ عليه . وهكذا حتى بلغ الركب الحجاز ، وشارفوا تلك المعالم الروحية الكبرى .

اتصال سحنون بعلماء الحجاز والامصار

وانصرف سحنون الى مناسك الحج يقضيها ، ثم مضى الى علماء الحجاز يقرأ عليهم ويسمع منهم ، أبى محمد ، سفيان بن عيينه ، محدث الحرم المكى ، وشيخ محدثي وقته ، وانس بن عياض ، محدث المدينة . كما اتاح له موسم الحج ان يتصل بكثير من علماء الامصار ، فيتعرف اليهم ويأخذ عنهم ، كأبي سفيان وكيع بن الجراح الكوفى ، وابي سعيد عبد الرحمن بن مهدى البصرى . فلما فرغ من القراءة عليهم والاخذ منهم حاجته مضى الى الشام ، آخذا عن علمائها ، ثم عاد الى مصر ، في طريقه الى افريقية .

كانت رحلة علمية مباركة ، امضى فيها سحنون ثلاث سنين ، نضجت فيها ملكاته ، واكتملت شخصيته ، واتسعت آفاقه العلمية ، واصبح جديرا بالمكان الذى احتله في افريقية في المرحلة التالية لهذه الرحلة .

عودة سحنون الى افريقية ، وما جرى بينه وبين أسد بن الفرات

عاد سحنون الى افريقية سنة ١٩١ ، ليبدأ مرحلة جديدة من حياته .

وكانت زعامة الحياة العلمية في افريقية قد انعقدت لأسد بن الفرات ، كما رأينا من قبل في حديثنا عنه ، وكان كتابه الأسدية هو عمدة الفقهاء واساس الدرس . فلما عاد سحنون من رحلته يحمل معه مدونته التى صحح بها ابن القاسم مدونة أسد بن الفرات ، التى سميت الاسدية ، والكتاب الذى كتبه ابن القاسم الى أسد ، ليرد مدونته الى مدونة سحنون ، كان في ذلك ما اثار في جو الحياة العلمية شيئا شبيها بالمنافسة بين الرجلين على هذه الزعامة العلمية . وما كان سحنون يقصد الى شيء من ذلك . انما هى الامانة العلمية التى دفعته الى مكاشفة أسد بشأنه مع ابن القاسم ، ودفع كتابه اليه .

وكان وقع هذا الكتاب شديدا على أسد ، كما اثار في نفسه الاضطراب وأعنف الحيرة ، بين الانفعال له ، محافظة على حق استاذه عليه ، وهو ما زال يحفظ له اجمل صورة ويتمثل منه اروع مثل ، وبين التأبى عليه ، خضوعا لكبريائه التى اخذت تطل برأسها ، واخذ بعض تلاميذه يثيرونها وينفخون فيها .

قال المالكي في الفصل الذي كتبه عن أسد بن الفرات ، وفي سياق الحديث عن كتاب ابن القاسم اليه : « ... فلما قراه اراد أن يفعل ما أمره به من ذلك ، فشاور في ذلك جماعة من تلامذته ، فقالوا له : « لا تفعل ، فانك تستحي عند الناس أن يحدث كتبك على كتب سحنون ، ويسود بذلك عليك ، ويرجع له تلميذا ، وانت قد ادركت مالكا واخذت عنه ، ثم دخلت الكوفة واخذت عن أبي يوسف ومحمد بن الحسن ، فاترك هذا ... » . فلم يقبل كتاب ابن القاسم في ذلك ، وتمسك بكتابه الأسدية ، ونشر مذاهب أهل العراق . ولما سحنون بمدونته التي قدم بها ، ونشرها وسمعها عليه أهل المغرب ، وانتشر ذكرها في الآفاق ، وعول الناس عليها ، واعرضوا عن الأسدية ، وغلب عليها اسم سحنون » .

انقسام الناس بين سحنون وأسد بن الفرات

هكذا بدا سحنون هذه المرحلة الجديدة من حياته في افريقية بهذا المظهر من مظاهر الجلالة والشامخة وبهذا الخلاف الذي اوشك أن يكون نوعا من الخصومة بينه وبين أسد بن الفرات ، انقسم الناس فيها بين الرجلين . اما سحنون فكان الزم الرجلين بمذهب مالك ، وكان هو ممثله والمرجع فيه ، واما أسد فكان مذهبه — كما رأينا من قبل — مزاجا بين مذهب أهل المدينة ومذهب أهل العراق ، وكان ذلك — الى جانب موقفه الأخير من ابن القاسم — مما قربه من السلطان، بقدر ما باعد بين سحنون وبينه تعلقه بمذهب مالك .

سحنون يخرج الى البادية ليحرث الأرض ، حتى لا يتجر بالعلم

ولم تكن الجلالة والمخافة من طبيعة سحنون ، ولم يكن ثمة ما يورث هذه الخصومة أو ذلك الخلاف بينه وبين أسد بن الفرات ، من منافسة على الجد ، أو مسابقة على منزلة من المنازل ، فلم يكن سحنون من ذلك في شيء : لم يكن يشغله منذ عاد الى افريقية الا أن يؤدي العلم الذي اؤتمن عليه ، وأن يملك القدرة على ذلك الاداء خالصا لوجه الله ، لا عزل له في ذلك هم ، ولا ينحرف عن هذه الغاية قيد شعرة . فكان يلتمس أسباب عيشه بكده وعمل يده : كان يخرج الى البادية في وقت الحرث وابان الحصاد ويحرث بنفسه ، ويستخرج من الأرض ما يقيم به أوده ، ويصل به تلاميذه ومريديه ، حتى يبقى على ما اخذ به نفسه من البعد عن السلطان ، والتجرد من شبهات ملابسته ، وحتى لا تلجئه الحاجة الى الاتجار بالعلم ، فيخرج به عن نصابه الحق عنده ، وهو أن يكون خالصا لوجه الله وحده .

وظل سحنون على ما اخلص له نفسه من التعليم والتهذيب والدعوة للمثل الدينية العليا ، وقد اصبح مقصد طلاب العلم في المغرب العربي كله ، يرحلون اليه من كل ناحية . اكثر من اربعين عاما متحررا من مداخلة السلطان ، وهو يرى أن المنزلة التي اصابها الناس اكبر من كل منزلة ، وأن ما يرجوه من تحقيق ما امر الله به أعظم من كل رجاء .

محنة خلق القرآن تبلغ المغرب

وفي خلال هذه الفترة كانت محنة خلق القرآن التي اضطرب بها العراق منذ سنة ٢١٨ قد بلغت المغرب ، واضطربت بها افريقية ، وانتدب اميرها ، محمد بن الاغلب ، للاخذ بنصيبه منها ، كما انتدب قاضيها ابن ابي الجواد ، يتعقب العلماء من أهل السنة ، ويغري السلطان بهم . وتعرض سحنون ، وهو رأس هؤلاء العلماء ، لهذه المحنة ، ووقع في حبائل ابن أبي الجواد ، وقد اهدر دمه ، وكاد يقضى عليه ، لولا حكمة علي بن حميد ، وزير ابن الاغلب ، وقد رأى في ذلك كارثة يجب أن يحول دونها ويمنع وقوعها .

خصومة سحنون والقاضي ابن ابي الجواد ، تنتهي بعزل القاضي

وقد زادت هذه المحنة ما بين سحنون والسلطان بعدا ، واتسعت ما بينه وبين ابن ابي الجواد اتساعا كبيرا ، وقد جعل ينكر عليه ويندد به ، ويرفض أن يصلي خلفه . فيزيد هذا من حقد ابي الجواد عليه ، ويحاول أن يناله بالأذى ، فلا يزيد هذا سحنون الا اصرارا على موقفه منه وانكاره عليه وتشهيره به ، حتى ليصفه بانه « فرعون هذه الأمة وجبارها » ، ويبلغ الأمر بينهما ذروة التوتر حول ابن ابي الجواد ، ويسود

موضعه بين الناس ، وبلغه الانكار من كل جانب، وتعاظم الشكوى منه ، وشيع التذمر، حتى أوجس السلطان خيفة من عاقبة ذلك ، ولم يعد من الحكمة أن يبقى ابن الجواد في منصبه ، فلم يجد بدا من عزله . وشاعت الغبطة في قلوب العامة ، ودعى سحنون – ولا ريب – لتنقشع هذه الغمة.

وهنا أخذ السلطان يرمق سحنون ويود لو وصل به حبله . فعرض الأمير ابن الأغلب عليه أن يلي منصب القضاء ، فاعتذر منه ، واحتج بأنه لا يقوى عليه .

سحنون يتولى القضاء

ولكن الأمير كان حريصا على أن يمحي ، بتولية سحنون ، على الآثار السيئة التي تركتها ولاية ابن أبي الجواد مدة ثمانية عشر عاما ، فما زال به يراجعه في رأيه عاما كاملا ، كان هو خلاله يتأمل الأمر من وجوهه المختلفة ، ويعرضه على شتى نواحيه ، ويلاحظ جميع اعتبارات ، حتى رجع منه أخيرا ألا بأس في أن يلي القضاء إذا أطلقت يده في كل ما يقتضيه ذلك المنصب ، حتى يرد له اعتباره ويؤدي له حقه ، من اقرار الحقوق ورفع المظالم أيا كان مجترموها .

وكذلك ولي سحنون القضاء بعد أن أخذ لنفسه المواثيق بذلك ، حتى لقد قال للأمير : « أبدءا بأهل بيتك وقرابتك وأعوانهم ، فإن قبلتهم ظلامات للناس وأموالا لهم ، منذ زمان طويل ، إذ لم يجترئ عليهم من كان قبلي » ، فقال له الأمير : « نعم ! لا تبدأ إلا بهم ، واجر الحق على مفرق رأسي » .

كثير من الناس كرهوا تولي سحنون القضاء

ومع ذلك فإن كثيرا من الناس استقبلوا ولايته القضاء بالوجوم والكراهية ، منهم من كان يرى في ابن الأغلب سلطانا جائرا ، ولا يجوز التعاون مع السلطان الجائر . وهم – على كل حال – كانوا يريدون أن تبقى لهم هذه الصورة الرائعة من التأبي على السلطان والاستعلاء عليه ، يستمتعون بها ، فلا قبل أن يتعاون مع السلطان فجدير بذلك أن ينكر هذه الصورة ، ويحرمهم متعتها.

وقد كتب إليه عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي الزاهد منكرا عليه أن يتحول من النظر في شؤون الآخرة إلى النظر في شؤون الدنيا ، فرد عليه سحنون برسالة شرح فيها وجهة نظره في أمر ولاية القضاء . ومن هذه الرسالة نرى أنه لم يكن ينظر إلى هذا الأمر من تلك الزاوية الضيقة التي كان ينظر إليه العامة منها ، ويعتبرونه بها ، بل كان يراه جزءا من الغاية التي هيأ نفسه لها . فهو بذلك واجب لا يجوز التخلف عنه ، ما دام قد أخذ لنفسه المواثيق التي تمكنه منه . فإقامة حدود الله فرض محتوم ، كان يقوم به منذ أربعين سنة مفتيا ، فما له لا يؤديه قاضيا ؟ وهو واثق من نفسه مطمئن إلى أن السلطان لا يملك أن يلي هذه النفس ، إذ لا سلطان له عليها .

ولاية سحنون القضاء حدث كبير في تاريخ الأغالبة

ومهما يكن من أمر ، فقد كانت ولاية سحنون القضاء من الأحداث الكبيرة المذكورة في تاريخ الأغالبة ، ولا سيما أنه استحدث الحسبة في إفريقية فأخذ إلى جانب القضاء صفة المحتسب. وكان صارما لا تأخذه في الحق لومة ، ولا يعبأ بما يتعرض له في سبيل ذلك من غضب الأمير.وكثيرا ما ألب خصومه عليه فأوغروا صدره . ولكنه ظل ماضيا في سبيله التي اختطها وأخذ نفسه بها ، إلى أن قضى نحبه سنة ٢٤٠ .

ما قال فيه أحمد بن تميم الإفريقي

وبعد ، فإن خير ما نختم به هذا الحديث عن سحنون هذه الفقرات التي أجمل بها صفته أبو العرب محمد بن أحمد تميم الإفريقي :

« اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره : الفقه البارع ، والورع الصادق ، والصرامة في الحق ، والزهادة في الدنيا ، والتخشن في الملبس والمطعم ، والسماحة : كان ربما وصل إخوانه بالثلاثين دينارا ، وكان لا يقبل من أحد شيئا ، سلطانا أو غيره . ولم يكن يهاب سلطانا في حق يقوله ، سليم الصدر للمؤمنين ، شديدا على أهل البدع .

انتشرت إمامته بالشرق والغرب ، وسلم له الإمامة أهل عصره ، وأجمعوا كلهم على فضله وتقدمه » . ■■

طه الحاجري



دردشة

جاليليو ، عندما عمي ..



● كان جاليليو (١٥٦٤ – ١٦٤٢ م) اول من استخدم التلسكوب ينظر بها الى السماء .

وبتلسكوباته التي صنعها ، وكانت اعجوبة ذلك الزمان على ساطتها ، نظر الى القمر ورأى ، ما به من « جبال » ، ورأى كوكب المشترى واقماره الاربعة اول رآه ، ورأى زحل وما استدار حوله من حلق .

وكبر جاليليو ، وضعف بصره . وكان رجلا متواضعا . ومع هذا ، فعندما بلغ بصره من الضعف حدا انتهى به الى العمى ، كان دائما يستثر نفسه ، فيدن لها شيء من الفخر فيقول من عينيه ، انهما رأتا ما لم يكن رآه انسان .

لو لم تكن حمارا ما ذهبت اليه!

● اصيب فلاح يهودى بمرض في عينه . فذهب الى طبيب بيطرى ، وطلب منه ان يعالجه ، وذلك امعانا في الاقتصاد . فوضع الطبيب البيطرى في عين الرجل ما يضعه في عين الدواب من دواء ، فعميت عينه .

فلما رفع الامر للقاضي قال له .

— ليس على البيطرى من اثم ، اذ لو لم تكن حمارا ما ذهبت اليه !

وكذلك تصلب وانت كاره !

● امر ملك بصلب سارق ، فقال : ايها الملك انني قد سرقت وانا كاره .

فأجابه الملك : وكذلك تصلب وانت كاره !!

شيخوخة !

● في قريتنا شيخان ، زوج وزوجة ، فاتت كلاهما سن العمل فتقاعدا . لم يكن لهما عمل ، ولا نسل ، ولا مورد رزق .

وكانت لهما ابنة في القرية متزوجة ، فحاولت ان تجد في بيتها الصغير لامها مأوى ، ومع المأوى يأتيها من كنيسة القرية معونة شلن ونصف في الاسبوع .

والاب ؟ لا مكان له ، ولا طعام .

ولو ان الشيخين ذهبا معا ، الى الملجأ لافترقا ، الرجل عند ملجأ الرجال ، والمرأة عند ملجأ النساء . والان تطبق الام

آخر ما قال روبرت بروس

● « اى اولادى،اولادى الاعزاء ، لكم الله
« الآن فرغت من الطعام
« نعم ، هذا افطارى تناولته معكم »
اما عشائى فسوف يكون فى جناب الله .
وقد كان .

ليس من السهل . . .

● ليس من السهل ان يصدر الانسان عن خطأ وقع منه .
ليس من السهل أن يرى الانسان امله يهدم ثم يعود نبيه
ليس من السهل أن يعطى الانسان الى المسىء اليه وينسى الاساءة .
ليس من السهل ان يثور الانسان غضبا ثم يكتم غضبه .
ليس من السهل اذا اسود ليله ان يذكر ان الصباح آت بشمس ومع هذا .
فالعنم كل الغنم فى ممارسة كل هذا .

أرض عزيزة

● توجد ارض . هى اعز ارض .
حيث حقوق الرجل العصر ثابتة كالارض ، واسعة كالبحر .
حيث الازهار متفتح ، ومسرات اللبن معرد .
وحيث الرجل الفقير الامين الجاد لهى الكرامه ما للملك .
توجد ارض ، هى اعز ارض .
ارواحنا فيها تستمد قوتها من قوة الريح العاصف يهب عليها من ناحيته البعلب .
ارض لا تستطيع ان يتنفس فيها عبد .
ولا يستطيع من يغزوها ان يمتلك منها الا ما يكفى لغطاء جثته من تراب .

شارلس ماكاى

الشيخة" عند ابنها ، وليذهب الرجل الشيخ الى الملجأ .

وصحبت العجوز زوجها الى الملجا . سارا معا جنبا الى جنب ، لا حديث من احدهما ، ولا طرفة عين . بصر" متجه" الى الامام لا يتحول ، لا يبالي بشيء . ان راى شيئا او تخيله ، فهو مستقبل" كله" خلاء وخواء .

ومر" بي" الاثنان . وسمعت الرجل يقول لامراته ، كلى بك صبرا وعليك الآن ان تعودى . وهزت المراة راسها . وسارا معا حتى بلغا راس التل فى ذلك الريف . وعند الرأس توقفا ، وتصافحا ، وافترقا . احدهما ظل فى اتجاهه يسير ، والاخرى عادت ادراجها .
وعندما مرت بي المراة العجوز وهى تعرج ، وتتلمس السبيل فى طريقها ، اشحت ببصرى عنها . ان فى الدنيا مناظر لا يقوى الانسان على النظر اليها .
وعندئذ سمعت صوتا رفيعا صغيرا يصيح : « اين انت ياجدتى . لقد جئت ابحث عنك » وكان فى هذا الصوت شفائى . فقلت ياربى ، ما زالت الدنيا بخير ، ليس فيها شعور بالوحدة ومع الوحدة الخوف ، ما دام فيها اطفال صغار .



بقلم: ظافر القاسمي

■ منذ فجر التاريخ والأمم المختلفة المتعاقبة، تعرف حق عباقرتها وعظمائها قلبها، أو تتنكر لهم، فلا تعطيهم حقهم [illegible] قرونا قليلة أو كثيرة [illegible] عوامل مختلفة: بعضها يتصل بالحياة [illegible]

فهذا [illegible] محاكمة معروفة، وهو رأس [illegible] الاغريق. واليوم لا تجد جامعة في الدنيا الا وقد اتخذت من فلسفته مادة للدرس.

وهذا (سيبيون Scipion) الافريقي أبدى قهر (أنبال) في موقعة (زاما) عام ٢٠٢ قبل المسيح، تنكر له مواطنوه [illegible] عن وطنه، وأوصى [illegible] **أيها الوطن العاق، لن تضم ترابك عظامي!!**

وهذا التوحيدي، لم يذكره أحد من المؤرخين الا بعد ثلاثة قرون من وفاته.

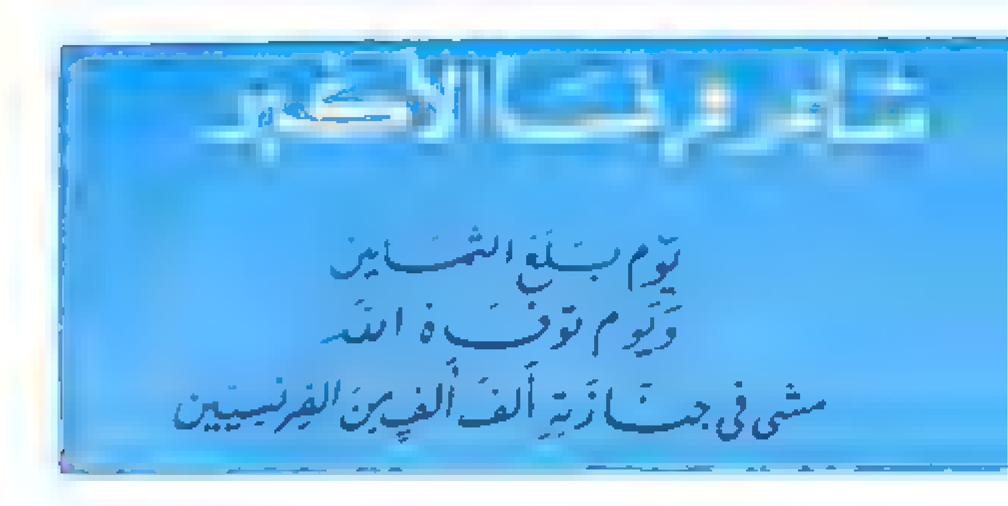
[illegible] العبقري [illegible]

والأمثلة على ذلك في التاريخ [illegible] ولعل شوقي قد عبر عن هذه الفكرة [illegible]

[illegible]

[illegible] وهم [illegible] مواطنيهم وغير مواطنيهم احيانا، اذا امتد أثر عبقريتهم الى ما وراء حدود أوطانهم.

واذا كان مألوفا في هذا الزمان أن يحتفل الناس بمرور خمسين عاما أو مئة أو ألف على ميلاد أحد العظماء أو وفاته، فان هذا التقليد لم يكن مألوفا فيما مضى من الزمان، الا في الفترة النادرة. ولهذا استوقفني وأنا أتتبع حياة شاعر فرنسا الأكبر (فكتور هوجو) تكريم قومه له حتى بلغ الثمانين، وهو أمر نادر الوقوع [illegible]



في عام ١٨٨١

تعرف كتب تاريخ الأدب الفرنسي أن عام ١٨٨١ كان العام الذي دخل فيه هوجو سن الثمانين، وقد احتفل به وكأنه عيد وطني. كان ذلك في اليوم السادس والعشرين من فبراير (شباط)، وقام قوس للنصر في شارع (ايلو Eylau) الذي سمي فيما بعد باسمه. وقام شعب باريس للقيام باستعراض تحت نوافذ بيت الشاعر العظيم، وأرسلت المدن والمقاطعات وفودها العديدة وأزهارها الجميلة للمشاركة في هذا العيد.

كذلك حضر رئيس مجلس الوزراء جول فيري Jules Ferry، مع حكومته لتحية الشاعر العبقري.

وكان من أحلى ما وقع أن [illegible]
[illegible] والثانويات والمدارس.

ووقف الشاعر في النافذة المفتوحة بين حفيديه، جورج وجان، غير عابئ ببرد الشتاء القارس، ليرى طوال النهار مرور موكب المحبين الذين بلغوا ستمئة ألف إنسان. وقامت على الرصيف أكوام الزهور ارتفعت كالتلال. وكان هوجو يحيي جماهير المحبين وهو يهز رأسه

وفي الأسبوع التالي دخل هوجو مجلس الشيوخ، فوقف أعضاؤه جميعا وقد اكتفى رئيس المجلس، ليون ساي Leon Say، بأن قال: **«لقد حضر العبقري الجلسة** وحياه المجلس بالتصفيق»، وهو أمر لم يسمع له مثيل في تاريخ هذا المجلس.

يوم كان هوجو شابا، متطلع الى
[illegible]
[illegible]
رآه يدخل مجلس الشيوخ [illegible] أنه بحار، أو معماري قديم. كان وهو يرتدي سترة من الألبكا السوداء، أحال لونها رباط العنق الأبيض، فهذا هو الرجل الذي تكن له فرنسا كلها أعمق الاحترام.

وفي يوليو (تموز) من العام نفسه، عام ١٨٨١، سمي شارع (ايلو) شارع (فكتور هوجو)، وبهذا استطاع أصدقاؤه أن يبعثوا إليه برسائلهم وقد [illegible] **الى السيد فكتور هوجو، في شارعه.**

وفي ١٤ يوليو وهو يوم عيد فرنسا الوطني، عاد الاستعراض أمام منزله بموسيقاه، وجوقاته الصائتة، وعزف النشيد الوطني (المارسلياز) الذي كان يحبه، مئة مرة.

على هذا النحو الباهر، أعربت فرنسا

بأسرها لبلوغ شاعرها الاكبر الثمانين من العمر ، وكان الاقدار كانت قد ارادت أن تمحو بعض الذي أصابه من الالم ، خلال اقترانه تسعة عشر عاما ، في عهد الامبراطورية الثالثة . كانت أعواما مرهقة له ، غاب فيها عن وطنه الذي تغنى فيه بروائع خالدات من شعره ، فجاء هذا اليوم ، يوم بلوغه الثمانين ، يؤكد عرفان فرنسا بالجميل ، وتعويضا عما لحقه من غصص الاغتراب .

وفي عام ١٨٨٤

وفي عام ١٨٨٤ اراد اصدقاؤه أن يحتفلوا بعيد ميلاده فقال لهم : « **ندعوكم من هذا أيها الاصدقاء ! ان ما في حياتي من الاحزان الكثيرة ، لم يدع فيها مكانا للاعياد** » .

ايمانه بالله

كان يرى خلال تلك الفترة في شوارع باريس ، حتى حين كان يتساقط الثلج، وهو يرتدي (الريدنكوت) وكان يقول : « **ان معطفي هو شبابي !** » .

وكان يخرج من بيته متوكئا على ذراع (لادوريان Tola Dorien) وهي اميرة روسية شاعرة ، كانت تعرف باسم الاميرة متشرسكي Mestchersky ، اشتغلت فيما ترجمتها شعر الانجليزي شللي Shell ، وكانت قارئة لامبراطورة روسيا .

كانت الى جانبه ذات يوم ، فوقف ينظر الى الشمس المائلة الى المغيب ، واشار بيده الى السماء وهي كشعلة من اللهب ، وقال لصاحبته

« **ما اعظم هذا ! سترين هذا المشهد طويلا يا بنيتي ! اما انا فسيكون امامي قريبا مشهد أعظم منه . انني شيخ ، وسأموت ، وسأرى الله . نعم أرى الله ! واكلمه ! ما اعظم هذا ! ماذا ساقول له ؟ اني افكر في هذا دوما ، واتهيأ له ...** » .

لقد ظل مخلصا لايمانه بالله وبالخلود . قال له احد خلانه يوما أن مصير الروح هو الفناء بعد هذا العالم فاجابه : « **اما روحك فيمكن ان تكون فانية ، اما روحي فاني لا أعرف الا انها خالدة** » .

وقال له سكرتيره يوما : « **الجو شديد البرودة هذا اليوم** » .

فاجابه : « **الجو في يد غير ايدينا** » .

آمن بالله وانكر الكنيسة

كان مؤمنا بالله ، منكرا الكنيسة ، وكتب وصية ايمانه في عام ١٨٦٠ فقال فيها

« اومن بالله ، وبالروح ، وبمسؤولية الانسان عن اعماله . انني الجأ الى رب العالمين . وبما ان الديانات في هذا العصر هي دون واجبها نحو الله ونحو الانسانية ، فلا اسمح لاي راهب بحضور دفني . انني اترك قلبي للكائنات المحلوة التي احببتها » .

وصيته

وفي ٣١ آب ١٨٨١ كتب وصيته فقال فيها :

« الله . الروح . المسؤولية . هذا المفهوم الثلاثي يكفي الانسان . وقد كفاني . انه الديانة الحقة . عشت فيها وأموت فيها . الحقيقة والنور والعدالة والضمير ، هذا هو الله » .

« انني اوصي باربعين الف فرنك للفقراء ، واريد ان احمل الى المقبرة على عربة دفن موتى الفقراء » .

« انني اوصي بجميع مخطوطاتي ، وبكل ما يمكن ان اكون قد كتبته او رسمته الى المكتبة الوطنية في باريس ، التي ستصبح ذات يوم المكتبة الوطنية للولايات المتحدة الاوربية » .

« ساغمض هذه العين الجسدية ، ولكن عين الروح ستبقى مفتوحة ، بشكل واسع لم تعهده من قبل . انني ارفض تأبين جميع الكنائس ، واطلب الدعاء من جميع النفوس » .

وفاته

وفي عام ١٨٨٤ أحس بقرب نهايته ، فسجل في دفتره يوم ٩ يناير هذه الابيات :

أيها الحزين الشيخ ،
الأصم ،
اغمض عينيك ،
المنحني نحو السماوات .

وقال لحفيده قبل بضعة أيام من وفاته : « الحب ... أبحث عن الحب .. أعط في حبك من الفرح وخذ منه بقدر ما تستطيع . »

وحينما أدركه الاعياء ، وكان في حالة الاغماء ، قال بالاسبانية مرحبًا بالموت : « أهلا به وسهلا » ثم قال بالفرنسية بيتا من الشعر ، هو آخر ما نظم : « هذه هي معركة الليل والنهار » ، فكان ذلك تعبيرا عن حياته من مهده الى لحده .

وفي ٢١ أيار (مايو) كتب أسقف باريس الى كنة الشاعر يقول ، « انه قد دعا للمريض المعظم » وانه اذا كان يرغب في أن يرى راهبا ، فإن الاسقف يقوم بواجب مدب ، ويذهب اليه ليحمل معه العون والعزاء ، اللذين يحتاج اليهما في مثل هذه المحن القاسية » .

الا أن هذا الرجاء قد رفض .

وحينما تلقى الكاردينال كتاب الرفض قال : « ان هوجو راغب كثيرا في أن يذهب الى لقاء الله ، ولكنه لا يريد أن يأتي الله اليه !! » .

وكان آخر ما نطق به قوله : « انني أرى نورا أسود » .

وهذا القول يذكرنا ببيت من أجمل أبياته يقول فيه : « **هذه الشمس المخيفة السوداء التي يشع منها الليل !** » .

وحين أعلنت وفاته ، رفع مجلسا الشيوخ والنواب جلساتهما حدادا على الراحل العظيم ، وتقرر أن يدفن في البانتيون Panthéon مدفن كبار الرجال ، وأن يكتب فوق قبره : « **الوطن يعرف بجميل رجاله العظام** » . بعد أن يرقد فيه ولكن بعد أن يعرض جثمانه تحت قبة قوس النصر .

قال موريس بلريس :

« وأما الذي وقع ليلة ٣١ مايو ، وأما سهر هذه المدينة العظيمة بأسرها ، فما رأيته كان سحرا ، كان يتبقى لن تری النعش وقد رُفع في الليل البهيم ، بينما كان اللهب الأخضر المنبعث من المصابيح ينشر الحزن على الأبواب الباكية ، ويتضاعف هذا اللهب مع المشعل التي كان يحملها الرماة الفرسان الواقفون على حافة الظلام ، ويحولون دون دفع الجمهور . كانت الوجهات المشرفة في الشارع واسعة منذ ميدان الكونكورد Place de la Concorde مع خيول الفرسان الروعة حتى مئتي متر من النعش . وكانت هذه الجماهير في نشوة الاعجاب لأنها استطاعت أن تلقي نظرة الوداع الاخيرة على الراحل العظيم » .

أما حرس الشرف الذي وقف حول النعش ، فكان يتألف من اثني عشر شاعرا فرنسيا من شعراء الشباب .

وكنت تسمع حول قوس النصر ، وفي الشوارع ، وفي البيوت ، على ألسنة الناس آلاف الابيات التي قالها هوجو ، وبعض كلماته ، وكان الناس قد اتخذوا من ترديد أشعاره وكلماته نوعا من الدعاء له والصلاة عليه . لقد كان رب الكلمة الفرنسية ، وكان هذا بعض ألقابه . وكان له لقب آخر أعظم من هذا اللقب : **لقد كان سيد العواطف الانسانية** ، ذلك بأنه كان خير من غنى بكل مشاعر الناس : « **بر الوطن بأبنائه الراحلين** » ، « **وأفراح الوالد الشاب** » ، « **ومفاتن الطفولة** » ، « **وسكر حب الشباب** » ، « **وواجب الناس حيال المحزونين** » ، « **وقبح الهزيمة** » ، « **وعظمة الرحمة** » . ان صوت شعب كامل كان يهز سرير هذا الميت في لحده .

لقد رافق نعش فكتور هوجو من ساحة النجمة الى البانتيون موكب حزين ظافر ، وتبعه مليونان من الفرنسيين . وزينت الشوارع التي مر فيها الموكب بلوحات كتب عليها اسم بعض مؤلفاته ، كالبؤساء ، وأوراق الخريف ، والتأملات .

لأول مرة في تاريخ الناس ، قامت أمة بأسرها بتكريم شاعر من أبنائها ، على نحو لم يعهد الا للملوك ، وعباقرة . ■■

دمشق : **ظافر القاسمي**

إدريس والأدارسة

قصة مشهورة مذكورة يحفظها أهل المغرب عن ظهر قلب

■ نشرنا في العدد رقم ٧١ من « العربي » استطلاعا عن مدينة فاس : حاضرة المغرب ، وأم مدنه ، ومركز حركاته العلمية والسياسية والاقتصادية والأدبية .. وذكرنا أن في وسط المدينة يقوم ضريح يتبرك به أهل المدينة صباح مساء .. ويحتفلون بذكرى صاحبه أروع احتفال ، يشهده القاصي والداني ..

انه ضريح مولاي ادريس بن ادريس ، منشئ فاس وبانيها حتى أن الحي يسميها مدينة مولاي ادريس ..

اول دولة اسلامية مغربية

وقصة الأدارسة هي قصة أول دولة عربية مغربية مستقلة عن الخلافة في المشرق ..

انها قصة طويلة تزخر بالكفاح والمغامرة والمؤامرة والبطولة .. وفهمها من اولها يتطلب الرجوع الى الوراء ١٢٠٠ سنة .. وبالتحديد الى عام ١٧٠ هـ .

عندما يصبح التابع سيدا

في أحد أيام ذلك العام ، كان رجلان يسيران فوق أحجار جبال يدعونها بالمغرب الأوسط ، كان أحدهما من آل بيت النبي ، ويدعى ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .. والآخر كان تابعه ووليه ، راشد .

ولكن مظهرهما لم يكن ينم عن هذا الفارق أبدا ! فادريس كان يرتدي مدرعة صوفية خشنة وقد وضع على رأسه عمامة غليظة ، وهو يسير كالخادم لسيده راشد ، ذلك الذي كان يأمره وينهاه أمام الناس كأنه هو السيد المطاع !!

كان راشد عبدا من المخلصين لأهل البيت ، ومن أهل النجدة والشجاعة والقوة والعقل ، عمد الى خدعة ، هي أن يستبدل ملابس سيده بملابسه فظهر كأنه هو السيد ، وظهر ادريس كأنه التابع ، وذلك خوفا على حياة مولاه ، وحيطة له ..

لقد كانا هاربين من المصير القاسي المكتوب الذي ابتلي به أبناء علي رضي الله عنه ..

« النفس الزكية » يثور على المنصور

كان ادريس هو أصغر أشقاء محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، وكان لا يفتأ يطالب بالخلافة حتى بايعه أهل البيت في المدينة بعد أن آلت الأمور من بني أمية الى الخلال .

وفي عام ١٤٥ هـ . قام الامام محمد ، وكانوا يلقبونه بـ « النفس الزكية » لنسكه وكثرة عبادته وزهده وتقشفه وفضله ، قام يثور على أبي جعفر المنصور ، ثاني الخلفاء العباسيين ، لجوره وظلمه

.. فارسل له المنصور جيشا عظيما الى المدينة ، وهزمه وقبض على الكثير من جماعته .. واستطاع محمد « النفس الزكية » ان يلتجيء الى بلاد النوبة ، ليعود ثانية الى مكة داعيا الناس الى بيعته . وبعث باخوته الى الممالك المجاورة فبايعه خلق كثير ..

ولما قويت شوكته بمكة خرج الى قتال جيش ابي جعفر المنصور ، بموضع يعرف بفخ على بعد ستة اميال من مكة . وبعد قتال عنيف ، وحرب طحون ، دارت الدائرة على الامام محمد وقتل في المعركة مع بعض اشقائه وعدد هائل من جنوده..

حالة الطوارىء

ونجا شقيقه الاصغر ادريس من الموت فقرر الهرب الى المغرب الاقصى ومعه تابعه راشد هذا ..

وبدأ رحلتهما من مكة فوصلا القاهرة حيث سمعا بالاوامر الصارمة بالبحث عنهما والقبض عليهما .. وشاهدا العيون المبثوثة على الطرقات وفي اطراف البلاد ، حتى لم يكن باستطاعة احد ان يمر من البوابات الا بعد ان يثبت هويته ، ومن اين قدم والى اين يسير ؟ !

وبالرغم من هذه القيود الشديدة استطاعا دخول القاهرة .. وفي يوم ، بينما وقفا يتأملان نقوش دار جميلة البناء ، خرج صاحب الدار فشك فيهما . فقال راشد :

ـ ان اخبرناك من نحن ، فهل تستر علينا ؟ ..

قال : « نعم .. ورب الكعبة اكتم امركما ، واصون سركما ، وابذل جهدي في اصلاح حالكما .. »

وبعد ان عرفاه بانفسهما ونسبهما استضافهما واكرمهما .. ولكن خبرهما اتصل بعامل مصر ، علي بن سليمان الهاشمي ، فارسل لصاحب الدار يقول له : « قد رُفع اليّ خبر الرجلين اللذين هما عندك في منزلك متخفيين ، واني اكره ان آمرك بامساك أهل البيت او ان ينالهم أذى بسببي ، فلك الامان ولهما ، وقد اجلتكم في الخروج ثلاثة ايام »

لقاء في برقة

واشترى صاحب الدار راحلتين ، وتنكروا ثلاثة . وصنع لصاحبيه زادا يلحقان به افريقيا ، فهكذا كانت تسمى تونس .. ومن اجل سلامتهما سافر راشد من طريق وسافر ادريس مع صاحب الدار من طريق آخر ، حتى تلاقيا برقة في ليبيا ، فتمتعا بها حتى لحقهما راشد ، فعاد صاحب الدار وجدد لهما زادهما ، وودعهما وانصرف عائدا الى بلاده ثانية ..

وسار ادريس مع راشد فاقاما في القيروان مدة ، ثم خرجا للمغرب الاقصى ، فوصلا طنجة فاقاما بها اياما ارتحلا بعدها .

القبائل تبايع ادريس

ثم اقترب ادريس مع مولاه راشد من مدينة وليلي فدخلاها .. وهي قرية كبيرة محاطة بسور، بجانبها اطلال مدينة فيولوبوليس الرومانية الاثرية.

ولم تكن هذه المنطقة قد شهدت من قبل احدا من آل بيت رسول الله ، لهذا استقبل ادريس ومولاه راشد ، بالترحيب والتكريم ، واستضافهما اسحاق عبد الحميد ، امير قبائل اوربة مدة ستة شهور ..

وفي رمضان ١٧٢هـ . وقف عبد الحميد وسط اخوانه ورجال قبيلته فعرفهم بنسب ادريس وفضله وعلمه وقرابته من الرسول (ص) .

فقالوا له : « الحمد لله الذي اتانا به وشرفنا بجواره ، فهو سيدنا ونحن عبيده ، نموت بين يديه ، فما تريد منا ؟ »

قال : « تبايعونه »

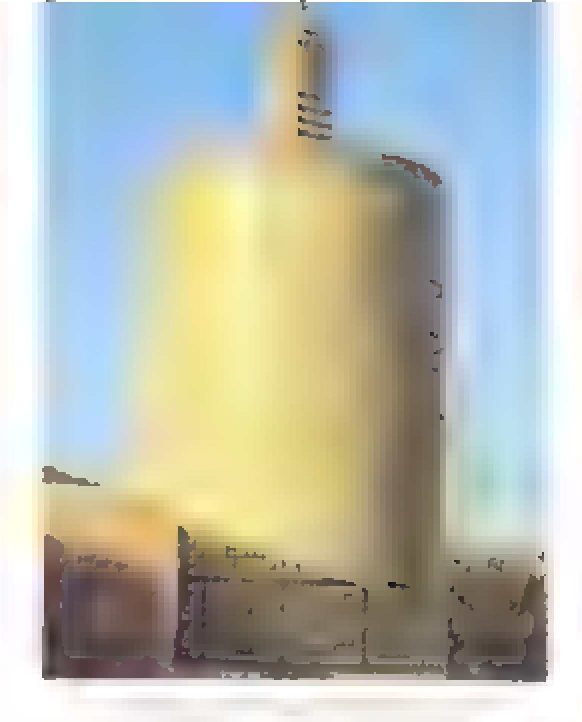
قالوا : « سمعا وطاعة ، ما منا من يتوقف عن بيعته وما يريد ! »

وكان اول من بايعه رجال قبيلة اوربة ، وكانت يومئذ من اقوى وأعظم قبائل البربر بالمغرب الاقصى واكثرها عددا ، وتلتها في البيعة قبائل مغيلة ، وصدينة ، ورماحة ولواتة وزواوة ، ومعظم البربر بالمغرب الاقصى ، بايعوه ودخلوا في طاعته ، حتى استتب امره ، وقويت شوكته .. وتمكن سلطانه، وعظم جيشه .. فخرج فاتحا ناشرا كلمة الاسلام بين القبائل البربرية في المدن والمعاقل والحصون والجبال المنيعة الممتدة من ساحل المحيط الاطلسي حتى مدينة تلمسان التي افتتحها ادريس سلما دون قتال ، فبنى مسجدها الكبير وكتب اسمه على منبرها ..

فاتح المغرب ..

ثم عاد الى مدينة وليلي قاعدة ملكه ..

واخذت حركته هذه الاسلام محل الوثنية والمسيحية واليهودية في المغرب ، وقضت على القلاقل والاضطرابات والحروب بين القبائل ..





ولذلك لقبوا ادريس باسمه : فاتح المغرب .. وإن كان المغرب قد فتح قبله بما يزيد على قرن من الزمان .

مكر ودهاء

وجلس ادريس مع جيشه مدينة ليستريح .. ولكن في بغداد على بعد الاف الكيلو مترات ، كان هارون الرشيد الخليفة الكبير يحترق غضبا .. فقد بلغته اخبار انتصارات ادريس وحماسة القبائل له ، وكثرة جنوده وشدته في الحرب ، وعزمه على غزو افريقيا ، فاغتم الرشيد لذلك غما شديدا ، وقال لوزيره يحيى بن برمك

فقال الوزير : « يا امير المؤمنين من الرأي في بعث اليه رجل ذي حزم ومكر ودهاء ، وقلب وإقدام ، فيقتله ونستريح منه »

فقال الوزير : « أعرف رجلا اسمه سليمان بن



جرير ، يعرف بالشماخ ، من أهل الحزم والفتك ، والعلم بالجدل والكلام ، والمكر والدهاء .. »

الشماخ يستأثر بعطف ادريس

وسافر «الشماخ» مزودا بالمال والوعد وبالمنزلة السامية اذا نجح في مهمته . وانتحل الشماخ الطب مهنة ، وجد في السير حتى وصل الى المغرب ، فقدم على ادريس ، واخبره انه اتاه لخدمته ، لأجل محبته وولايته لأهل البيت .. الخ . وانس به ادريس ، وسر به سرورا عظيما ، وحل من قلبه منزلة رفيعة ، فكان لا يقعد ولا يأكل الا ومعه « الشماخ » لأنه لم يجد بين أهل المغرب من يأنس اليه ويسري عنه في وحدته وغربته ، فضلا عما اظهره « الشماخ » من نبل ، وأدب ، وظرف ، وبلاغة ، جعلت ادريس في لهفة دائمة عليه .

عندما تضحك الأقدار ..

وظل « الشماخ » جالسا يتحين الفرص لقتل « ادريس » ، دون ان يجد لذلك سبيلا ... اذ كان راشد لا يزايل مولاه ولا يفارقه ابدا ..

ولكن الأقدار أرادت ان يتغيب راشد في يوم ما لبعض شؤونه .. وانتهز « الشماخ » الفرصة فجلس بين يدي ادريس ، على عادته ، فتحدث اليه ، ثم قال له : « يا سيدي حملت معي اني جئت من المشرق بقارورة طيب اطيب بها ، ثم اني رأيت هذه البلاد ليس بها طيب ، فقدمتها لتطيب بها ، فقد آثرتك على نفسي ، وهو بعض ما يجب لك علي »

فأخذ ادريس القارورة ففتحها وشمها ، فلما رأى شماخ ذلك اظهر كأنه يريد قضاء حاجة ، فسار الى منزله وركب فرسا من عتاق الخيل ، كان قد اعدها لتلك الساعة ، وخرج من مدينة وليلى طالبا النجاة ..

جهد ضائع ..

اما ادريس فعندما استنشق الطيب من القارورة المسمومة ، صعد السم في خياشيمه وانتهى الى دماغه ، فغشي عليه وسقط على وجهه ، لا يعلم احد ما به وما اصابه .. وجاء راشد ..

راشد يلحق بالشماخ

وحاولوا انقاذ ادريس ولكن جهودهم ذهبت هباء اذ توفي في الساعة من يوم اول ربيع الآخر عام ١٧٧هـ .

وبحث راشد عن الشماخ فلم يجده ، فادرك انه هو الذي سم مولاه ، فاسرع خلفه في جمع من البربر على ظهور الخيول ، ولكنها كلها تقطعت في الطريق ، فلم يلحق به الا راشد وحده ، فشد عليه السيف وقطع يده اليمنى ، وشجه في رأسه ثلاث شجات وجرحه في مواضع من جسمه .. ولكن « الشماخ » استطاع النجاة عندما سقطت فرس راشد اعياء ..

ويقال ان « الشماخ » رئي بعد ذلك ببغداد مقطوع اليد .. وعاد راشد الى وليلى « زرهون حاليا » حيث دفن سيده واقام له ضريحا ليتبرك الناس به .. ولم يكن التبرك معروفا قبل ذلك العهد في المغرب ..

ادريس بن ادريس !

ولم يترك ادريس ولدا الا انه ترك جارية بربرية اسمها كنزة ، حاملا منه في شهرها السابع . وصبر القوم عليها شهرين حتى وضعت طفلها ، فحمله راشد الى رؤساء البربر ، الذين قالوا : « هذا هو ادريس بعينه ، وكأنه لم يمت ! »

فسماه راشد باسم ابيه ادريس .. وقام بأمره وامر البربر فنشأه احسن تنشئة ، وأدبه احسن أدب ، واقرأه القرآن وله من العمر ثماني سنين ، وعلمه السنة والفقه ، والنحو والحديث ، والشعر وامثال العرب وسير ملوكها وسياستها ، ودربه على ركوب الخيل ومكايد الحروب والرمي بالسهام

مقتل راشد

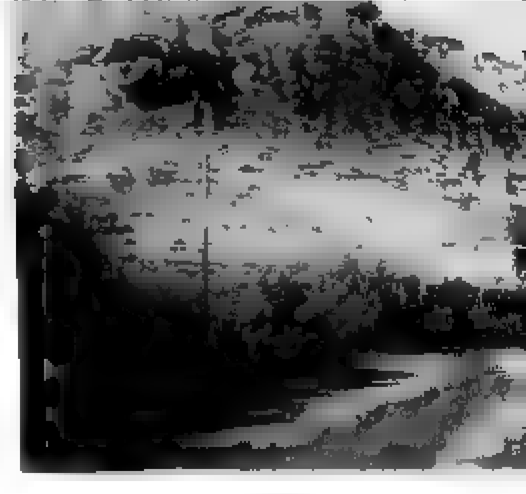
وعندما بلغ ادريس الحادية عشرة من عمره عزم راشد على اخذ البيعة له من قبائل المغرب ، فاتصل الخبر بابراهيم بن الأغلب عامل افريقية (تونس) ، فدس اموالا كثيرة الى خدام راشد من البربر ، فاستمالهم بها ، فقتلوا راشدا في عام ١٨٨هـ .

وكتب ابن الأغلب للرشيد يقول :

الم ترني بالكيد أرديت راشدا
واني باخرى لابن ادريس راصد !

غير ان القبائل بايعت ادريس اماما بعد عشرين يوما من مقتل راشد .

وفي رواية اخرى يقال ان ادريس الصغير قد بويع اماما قبل مقتل راشد بأيام ..



هذه هي مدينة ... كما تبدو حاليا

فصيح وقوي منذ حداثته

ومهما يكن من شيء فقد بويع ادريس واصبح اماما وهو في سن الحادية عشرة فصعد المنبر وخطب الناس في ذلك اليوم وقال في ختام خطبته

« .. انا قد ولينا هذا الامر الذي يضاعف للمحسن فيه الاجر ، وللمسيء الوزر ، ونحن — والحمد لله — على قصد جميل ، فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا ، فان ما تطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا » فاندهش الناس من فصاحته وسنه وقوة جأشه على صغر سنه

ازدحام المدينة

وبعد أن توطد سلطانه وزاد عدد جنوده واتباعه وعظمت جيوشه واشياعه بعد أن انضم اليهم فرسان العرب من افريقية والاندلس ، وقصده اليه الناس من كل مكان ، ضاقت وليلي بهذه الجموع ، فرغب ادريس في بناء مدينة جديدة فشرع في بنائها عند سفح جبل زالغ ، غير أن سيلا اتى من اعلى سفح الجبل فهدم جميع ما بناه !

وخرج وزيره يبحث عن موقع آخر مناسب للمدينة فرأى مجموعة عيون ماء كثيرة تزيد على الستين ، حولها المزارع والاشجار ، فتبع مجرى الماء حتى وصل الى موضع بين جبلين في خيام من شعر تسكنها قبائل زناتة .. فشرب من ذلك الماء فاستطابه ، واستحسن طيب تربة الارض واعتدال هوائها .. فرجع الى ادريس فوافق على الموقع ودفع للقبائل ستة آلاف درهم ثمنا لارضهم ، وشرع في بناء مدينة عام ١٩٢ هـ .

الفأس ومدينة فاس

وكان ادريس رضي الله عنه ، يعمل فيها بيديه مع الصناع والفعلة والبنائين . وصنعوا له فأسا من ذهب وفضة ، فكان ادريس يمسكه بيديه ويبتدىء به الحفر ويختط به الاساس للفعلة ، فكثر عند ذلك ذكر « الفأس » على السنتهم ، فكان الفعلة يقولون : هاتوا الفأس .. خذوا الفأس .. احفروا بالفأس .. فسميت المدينة « فاس » لأجل ذلك .. هكذا قالوا

وهناك قصص أخرى تدور حول اصل التسمية التي اختلف فيها الناس

سبب البناء ..

وبعد انتهاء المدينة وقف ادريس بن ادريس وخطب من فوق المنبر رافعا يده قائلا :

« اللهم انك تعلم اني ما اردت ببناء هذه المدينة مباهاة ، ولا مفاخرة ، ولا سمعة ، ولا مكابرة وانما اردت ان تعبد بها ، ويتلى بها كتابك ، وتقام بها حدودك ، وشرائع دينك ، وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا »

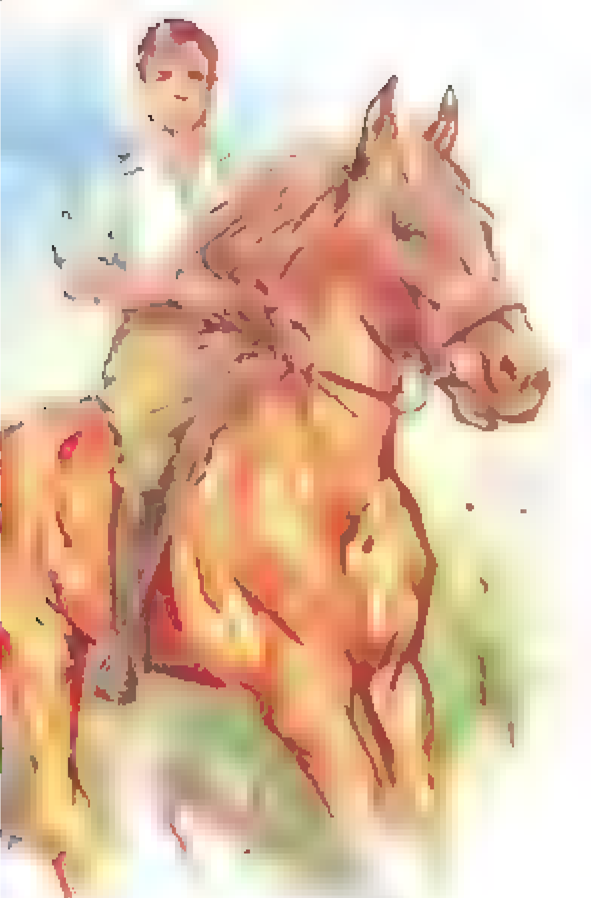
حبة العنب هي السبب !

وخرج ادريس بعد هذا غازيا وفاتحا لبلاد المصامدة (السوس حاليا) فاستولى عليها .. ثم اتجه الى تلمسان وجلس فيها ثلاثة اعوام ، اصلح خلالها امورها ومسجدها وسورها وحصنها .. ثم صالح ابن الاغلب ، فصفا له الملك ، فاتخذ لرعيته في فاس ساكنا وادعا حتى بلغ من العمر ثماني وثلاثين سنة ..

وبينما هو يأكل عنبا ، شرق بحبة منه ، فمات من حينه هكذا قالوا ، وذلك في ثاني جمادى الآخر عام ٢١٢ هـ . بعد أن حكم ٢٦ عاما ، مخلفا من الاولاد اثني عشر ذكرا ..

واختلف المؤرخون في موقع قبره فقال الكثيرون انه دفن الى جانب قبر ابيه في وليلي .. وقال البعض : .. بل دفن في مسجده بازاء الحائط الشرقي بفاس .. وهذا ما يقوله ابن ابي زرع مؤلف كتاب : « روض القرطاس في اخبار مدينة فاس » الذي يعتبر اشهر كتاب في تاريخ المغرب .. اذ عليه اعتمد معظم كتاب التاريخ في العصور الغابرة ، والعصور الحاضرة ... !

س . ز .



لو طلب بكلمة واحدة ، يسعني أن أقول جادة اني احب شقيقتي حبا جما . احبها و عجب بها من اعماقي ، فهي في نظري تعرينا كاملة . وعندما لا أكون بجانبها احس بكثير من الوحشة لبعدها فلا اطيق فراقها وقتا طويلا

لم يقتصبني حبي الصادق لشقيقتي أن أغار نائية مانس اغار منها على نحو ما ! وليست هذه الغيرة حسدا — وحاشا الله أن خطيئة قبيحة كالحسد — ولكنها شيء آخر . . . ، هي مظاهرة من الغيرة العابرة الناجمة عن العطف الكبير الذي استشعره نحوها .

على ان اقول ان شقيقتي هذه اكبر مني . . . كبر مني بكثير ، فسنها تناهز الثلاثين ان لم تكن قد تخطتها بعد ، وليست في جمالي ، ثم هي بعد هذا كله عانس . فما الذي يبرر غيرتي منها حينئذ ؟ . . الا ما أصعب شرح ذلك !! انني اغار منها لانني احبها ، ولان حبها لاي احد غيري مما يضايقني . . ولاشياء كثيرة . !!

عندما كنت صغيرة سمعتها ذات مرة تقول انها

لي أخت عانس

تفضل على اخوتي الذكور ، فهي تفهمهم اكثر مما تفهمني . . ومن يدري ؟ ربما كان الجانب الاكبر من غيرتي منها يرجع الى ذلك ! على كل حال انا سلخت عشرين عاما من عمري . . عشرين ربيعا مرحة مفعمة بالآمال . وانا أيضا مرحة الى الحد الذي يجعل اخوتي يصفونني بالعصبية احيانا . لم انا جميلة . ولست اخجل ان اقول هذا ، لان جمالي لا يجعلني احس بالغرور على اية صورة . ان شقيقتي وان لم تكن في جمالي كما قلت ، فانها اكثر مني جاذبية

عيناي واسعتان خضراوان وضاحكتان . واسناني ناصعة البياض ولو انها غير متناسقة الى حد ما . وانفي مستقيم . ولست شقراء . وليس في من عيب الا بقع نمش سوداء صغير في وجهي . اما فيما يتصل بجسمي فانا فارعة نحيفة ذات مظهر انيق ، واعتقد انني لست دميمة وليس ينقصني شيء .

ذات يوم جاء احد العمال لزيارتنا ، ولم تكد تستقر به الجلسة حتى ثبت نظره في شقيقتي سميرا فرصة حلوة بجوارها . وانني لاذكر انه قد بدا يغازلها قائلا :

— نظراتك بعيدة المدى !!

وعندما وصلنا الى محاذاته شعرنا بشيء من الخوف ، ولم استطع ان امنع نفسي من الابتسام ، لانني كنت ارى شقيقي يراقب عصبه وهو يحاول ... في عصبيه



قصه للكاتبه الاسبانيه

خوسيفينا ريفاس

ـ سمعت انا هذا باهتمام ولكني كنت اتظاهر بأني لا افهم ، وقد رأيت شقيقي يبتسم ابتسامة تحمل اكثر من معنى ثم رفع بصره اليه ليسأله :

ـ حقيقة ؟

وكل عبارة قد جلبت الى راسها ذكريات اخرى فقالت دون أن تغير نبرات صوتها .

ـ ارى شفتيك الشاحبتين كأنهما ...

ـ هذا صحيح فمن قال لك ذلك ؟

ـ كنت قد قرأت هذا المعنى في ديوان شعر ، ولست ادري ما الذي ذكرني به الآن ..

ـ من الممكن ان يكون هذا امتدادا لعباراتي السابقة .. فعادا يرسلان نظراتهما نحو الافق البعيد ، كأنهما ... في ... . قالت ابي يؤدبك ؟

لست انكر انني كنت مندهشة . فالشاب كان جميلا جدا ، ومع ذلك لم ادر لم ظلت اختي جامدة والى جوارها فتى له خطره . ولكن ذلك هو ما حدث . فقد ظلت على جمودها كأنها دمية، وكانت تضحك في برود مع الشاب الجميل الذي كان يرمقها في اعجاب جعله يقول لها :

ـ انت خطرة .. في عينيك شيء يجذب لست ادرك كنهه .. كأنه هوة سحيقة . انني ارى في عينيك امورا لست افهمها كأنهما تحملان بلغة غريبة .. لست ادري ماذا ستقول عيناك لو انني سألتك !!

فضحكت شقيقتي حتى بدت اسنانها المتألقة ، ثم استرسلت في ابتسامة مرحة جعلتها تبدو اكثر جمالا مما هي عليه في الواقع ، ثم قالت :

ـ ستقولان لك : انت لا ينبغي لك ان تنظر هنا . فطريقي ستؤدي بك الى منعطفات غريبة لن تتعرف عليها ابدا.. لأنك لست انت الشخص المنتظر الذي يستطيع ان يتجول فيها دون ان يضل السبيل .. هذا هو ما ستقوله لك عيناي لو انك سألتهما عن الشيء الذي لا تملك انت سوف تسأل عنه ابدا .. !

في تلك الليلة واثناء العودة الى المنزل كنت اتابع من الشاب تلك الكلمات الحلوة عن الحديث الرقيق . واحسست الا ذلك يأتيه مما يضايقني ان تكون لي اخت مثلي . ولكنها هي لم تلق بالا لاطرائي للشاب المعجب بها . وضحكت اليّ جادة كما لو كنت في مثل سنها ، فقالت :

ـ اتعني يا بيلاروتشي واستمعي الي جيدا : منذ عدة اعوام كانت لدي آمال كآمالك الآن ، ورغائب كرغائبك . وكنت اعتقد انني اتحسس الشبان الذين يلقون على مسامعي جملا ساحرة ، واهيم وجدا بالفتيان الذين يتمتعون بقسط كبير من الجمال او خفة الظل .. اما الآن فقد بلغت السن التي تجعلني ادرك ان الحب كثيرا ما يخفي حقيقته وراء الكلمات المعسولة او خلف مظاهر الزينة البراقة .. اتفهمين الآن سر سلوكي في هذه الليلة ؟

انا احب شقيقتي كثيرا كما صرحت بذلك من قبل . ولكن في بعض الحالات لا اكاد افهمها ، ومن ثم فقد قلت لها :

ـ لا .. لست افهم سر سلوكك ، ولست ادري لم لا يروقك هذا الشاب ! انه جميل وجذاب ، وقد القى على مسامعك كثيرا من العبارات الرقيقة. فقالت :

ـ هنالك يكمن الشر .. في العبارات الرقيقة التي اسمعها ايضا . ولقد ادركت بغريزة الانثى انه قد تعب من طول ما ردد امثال هذه العبارات على مسامع النساء اللاتي قد عرفهن ، وادركت انني لم ارق في عينيه من قريب او من بعيد !! لا لم ارق في عينيه ابدا . لقد اعجبته مني عيناي ونظراتهما المبهمة وربما جاذبيتي ! .. لم يحس بحبي ! فقلبه راغب في ان يستخف بي الى حد ما !! ولكن يا عزيزتي يجب ان تدركي بأن الاعيب الشباب لا تعجبني ، فقد تعبت وسئمت ، واصبح مما يثير اعصابي ان استمع الى كلمات الغزل المعسولة .. تلك الكلمات الجوفاء التي لا تساوي شيئا في نظري . ولقد تعلمت انني لا احكم على الاشياء بمظاهرها البراقة ولكن بقيمتها الحقيقية .. انني ارغب في حب يدوم الحياة كلها والا فانني افضل ان اظل مطمئنة في بيتي .. اما الالاعيب فلا يا عزيزتي !! انها لا تلائمني ، وربما تلائمك انت ! وليس هناك شيء اكثر قلقا واجلب لسخرية الناس من فتاة تتعلق بحب لا يلائمها . ومن ثم فالافضل عدم الاسترسال في حب كهذا وانهاؤه سريعا . لقد عرفت مشاعره انت كلها ، اما انا فلم تعرف مني ساكنا .. وكل ما اعرفه هو انني لم اشعر نحوه عاطفة حب .

ولما كنا قد وصلنا الى المنزل فاننا لم نتمكن من ان نستمر في حديثنا . واقتنعت الا ذاك ان شقيقتي تبالغ في سوء ظنها بالشباب ، وان عينيها دون شك تخدعانها في امور كثيرة ، كما خدعتني عيناي .

في الحقيقة شقيقتي تحسن معاملتي ولو انها تلومني احيانا عندما تراني قد استعملت مشطها لها او حزامها او حذاء دون اذن منها . ولكن لومها لا يستمر طويلا . وانا من جانبي لا احفل به كثيرا.

واذا ما حدث وثارت عليَّ امي من اجلها ، فانني اراها سريعا ماتتحول من مهاجمة لي الى مدافعة عني امام امي فتقول في صوت رقيق .

ـ دعيها يا امي فهي شابة ، والفتيات في مثل سنها يحببن العبث واللهو !

ولا تلبث امي ان تقول لها :

ـ نعم ، ولكن انت ايضا لست عجوزا ! انك في زهرة الشباب ، ولست ادري لماذا انت دائما مكتئبة .

اما انا فانني دائما مرحة .. مرحة ! لا اظل حزينة او مهمومة اذا رسب احد اخوتي في الامتحان مثلا ! انني اتاثر لذلك دون شك . ولكن بعد ربع ساعة انساه ولا اتمادى في الحزن كما تفعل شقيقتي . هذه هي طبيعتي ارقص واغني واجري فما ذنبي في ان اكون كذلك !

الامر الجلي هو انني اود ان اكون مثل شقيقتي في شيء واحد : في سماحتها المطلقة . فهي لاترفض ابدا ما يطلب منها . واذا اقتضى الامر ان يقوم احد اخوتي بتضحية ، فهي التي تقوم بهذه التضحية دائما . ثم تبتسم بعد ذلك حتى لا نجعل امها تحزن . بيد انني في مرات كثيرة ارى بريق الدموع من خلال عينيها المنكسرتين ، تلك الدموع التي يمنع تساقطها سيطرتها التامة على نفسها . وهذا مما يجعل اشقائي يكنون لها حبا عميقا ، ويجعلني انا شخصيا كثيرا ما احس نحوها بالحنو البالغ .

قد تنشب بيني وبين شقيقتي احيانا مناقشات . وسبب هذه المناقشات في الغالب يحجم عن زواجها . فانا اريد لها ان تتزوج . وقد يعترض طريقي شاب ارى فيه الشروط التي ترضيها ، فاقدمه اليها ، ولكنها تفسد عليَّ ما اكون قد هيأته بما تقوم به من تصرفات اعتبرها انا غير معقولة . ذلك بان فتاة في مثل سنها لا يجمل بها ان تفرط في كبت عواطفها ، ولا ان تحلق بالخيال . على انني لا اقول ذلك لكي ارميها بالشذوذ ، بل بدافع الحرص على مصلحتها . وقد يسري عليَّ اليأس احيانا حينما اتنبأ بانني سوف اجعني في المستقبل مضطرة ان احمل عبء شقيقة عانس ، الامر الذي سيشق على عندما اتزوج ـ وآمل ان يكون زواجي قريبا ـ فليس من شك في انها ستعكس على ابنائي كثيرا من صور التعاسة . على انني الان نحيت هذه الاعتبارات الذاتية جانبا . فانني اتمنى لها ما هي جديرة به من سعادة ، لطيبة قلبها واستقامتها وما تعمل من خير .

انا لست اخشى على مستقبلي شيئا . فكثير من الشبان يلتفون من حولي دائما ، ومن لم تقله لسوء شقيقتي ان تقول عني انني امتلك احسن حرس في العالم . وانا اعامل الجميع بطريقتي المرحة اللطيفة ، وانتظر دون قلق اليوم الذي سيصل قريبا ، فقد تعبت من ان اظل على ترددي فيمن اختاره ليكون شريك حياتي الدائم . هذه هي انا ! اما شقيقتي .. !!

ذات يوم كنا انا ووالدتي في المنزل نتحدث عن نزاع فاشل لواحدة تمت الينا بقرابة بعيدة . وكانت شقيقتي تقرا في كتاب من تلك الكتب المملة التي تسحرها هي .. كتاب قد فاز باحسن جائزة في العالم . على ان قراءة صفحة واحدة من صفحات هذا الكتاب كفيلة بان تبعث فيَّ النوم . كانت هي منهمكة انهماكا كبيرا في القراءة . اما انا ووالدتي فقد كانت كل واحدة منا تدافع من وجهة نظرها . واخيرا هبطت شقيقتي من برجها العاجي ، وتدخلت بيننا لتهدئنا ، وتساءلت في ضيق :

ـ ماذا وقع لكما ؟ الا تدعاني اقرا !

فاجابتها امي في لطف :

ـ شقيقتك تراهن على ان « ماريانا » هي المسئولة عما وقع بينها وبين زوجها . وانا ارى ان زوجها هو المسئول ، وماريانا ضحية مسكينة فقط . ولكن شقيقتي اثارت دهشتي الشديدة عندما قالت .

ـ المجتمع ميلودرامي ، وماريانا ماكان ينبغي لها ان تتزوج ابدا .. لقد كان يتعرض امر مثل هذا . كم يعجبك يا امي ان يظل الجميع عوانس ..!!

« عوانس » هي الكلمة التي قراتها من قبل

وأعجبتني ، ومن ثم استعملتها . كذلك فقد أعجبتني عبارة « مكروبات معدية » ولكن دون أن أدرك معناها . ومع أن المكروب تعجبني فانني لا اجترىء على استعمالها . بيد أني قلت في احتجاج

- ولكني لا أقول أن ماريانا مسئولة من أجل ذلك . بل ما أعتقده وأدافع عنه هو أن ماريانا لو أنها قد صحبت زوجها صحبات طيبة ، لأماتت فيه رغبته المتزايدة بمعاقرة الخمر .

- تصلح زوجها يا بنيتي .. !!

- دعيها يا امي فهي تعلم بأن هذا ليس سبيل الزواج .. ولكنها لا تريد أن تعترف بما قلت ، على الرغم من علمها بأن ما قلته هو الحقيقة . لم تزوجت ماريانا ؟

- تزوجت حتى لا تظل عانسا !

- هذا صحيح ! حتى لا تظل عانسا . فقد مرت السنون دون أن يتقدم اليها فتى أحلامها فقلقت .. ثم تزوجت بأول من تقدم .. برجل تحكم فيه عادة متأصلة لا يستطيع الاقلاع عنها أبدا . كانت هي تعلم ذلك كما نعلمه جميعا .. ولكن .. لكي لا تظل مطمئنة سعيدة في خدرها تزوجت حتى تجد في الزواج فجيعة كبرى ! .. لم تشتكي . انه جزاء وفاق لعدم صبرها .

- ولكن لو لم تتزوج هذا الزواج لظلت مرتدية مسوح القديسين .

فسألتني شقيقتي دون أن تغير من صوتها :

- وهل عمل القديسين أكثر كللا من القيام على رعاية السكارى ؟

ثم ظلت هادئة ، واستأنفت القراءة في كتابها . ولكن فيم تفكر يا امي ؟ ألا تعرف بأنه كلما مر الزمن كلما قلت الفرص التي تصادفها ؟ ان ما يضايقني منها هو انه قد كان في امكانها أن تتزوج . وكان هنالك من يطلبون يدها وما يزالون يفعلون ! .. ولكن لا تريد . انها تفعل كما لو كانت في العشرين من عمرها وتنتظر اميرا من أمراء الأساطير؟ .. انتظار !.. انتظار ! كيف تنتظر وشعر رأسها يوشك أن يبيض .. وأنا في أخت عانس !!

البارحة عدنا من السينما أنا وهي بعد أن شاهدنا رواية ممتعة . وكنا نسرع في خطونا نوعا ما لأن منزلنا يقع في ضواحي المدينة ! كنا مسرورين نتجاذب أطراف الحديث ونتضاحك . وعندما كنا نغير اتجاهنا عند أحد المنعطفات ، التقينا وجها لوجه بفارس جميل الشكل يمتطي جوادا لونه بين البياض والصفرة وهو يتوالب من تحته لفترة شاهقة . فغمزت أختي بكوعي وأنا أهمس في أذنها :

- يا له من رجل ! يبدو وكأنه أحد نجوم السينما . فأجابت في صوت عال تقريبا :

- فرس جميل !!

ولا بد أن يكون الفارس قد سمعها ، لأنه كان على مقربة منا . وقد جعل يتعقبنا ويفحصنا بنظراته . ونظرت أنا اليه في جرأة ، كما رأيت شقيقتي تفعل نفس الشيء .. ثم قال لها .

- كم أنت جميلة أيتها الشقراء !!

فضحكت أنا ، وما كان ينبغي لي أن أفعل ، لأن هذا الرجل كان عديم الذوق معي . فأنا لم شقراء ! ولكن أضحكني أنه قدم غزله بهذه الصفة التي تضايق شقيقتي كثيرا . وطالما أدهشني أن أراها تضيق ذرعا بكلمة « شقراء » فذلك من الغرابة بمكان . ذلك بأن لها شعرا طويلا ذهبيا ، وهي تجمعه الى أعلى على نحو يجعل محياها كبيرا نوعا ما . مع أنها لو أرسلت شعرها لكانت أكثر جاذبية ! فهي شقراء في الحقيقة ، ومن المستغرب أن تضيق بهذه الصفة .

قالت لي شقيقتي ذات مرة بأنه كان لها خطيب يهيم بها وجدا ، وكثيرا ما كان يصفها بالشقراء ، وكانت اذ ذاك تستريح لهذه الصفة ، ولكن منذ فسخت الخطبة لم تعد تطيق سماعها .

وليس من شك في أنها تعرف كيف تسيطر على مشاعرها عندما تثور . أدركت أنا ذلك في وضوح عندما أحسست بأن أنفاسها تصطدم لفظا بفعل النظرات التي كان الفارس يوجهها اليها وبفعل عبارات الغزل التي يتفقها على

مساعدها . فقد فقدت بصرها ، وحولت وجهها ثانية نحو الجواد وهي تقول في صوت خشن :

ـ جواد ساحر !

ـ استأنفنا سيرنا بعد سرعين لان شقيقتي كانت تقضي كما قلت . وجعل الفارس يلاحقنا ، لم سبقنا بضعة امتار وتوقف واستدار نحونا ، ونظر الى شقيقتي وهو يقول .

ان الابتسام ليس غاليا اينها الشقراء .

وعندما وصلنا الى محاذاته شعرنا بشيء من الخوف ولم استطع انا ان امنع نفسي من الابتسام ، لانني كنت ارى شقيقتي يتزايد غضبها ، ثم حولت نظرها الى الجواد في عصبية ولم تنظر الى الفارس .

على هذا النحو قطعنا الطريق حتى المنزل . وعلى مقربة من الباب التقينا بالفارس الذي كان في هذه المرة يشعل سيجارة . ووقفت شقيقتي لحظة ونظرت الى الفرس في امعان ثم عادت الى القول :

ـ لنتابع سيرنا . فسألتها في دهشة من تصرفها الغريب :

ـ ولكن الى اي شيء تنظرين ؟

ـ الى الشيء الوحيد الذي يستحق النظر اليه .

وعلى نحو يجلب الضايقة عادت تنظر الى الجواد وكانت دون شك تحاول ان تلتقي نظراتها بنظرات الفارس . اما هذا فقد وجه وجهه للطريق ، والقى بالسيجارة التي كان قد اشعلها منذ اوان واخذ يضرب بسوطه الهواء في هذا الاتجاه الذي كانت فيه عينا شقيقتي للبتتين ، مما جعل الفرس يجمح ويمتطي صاحبه جهدا في كبح جماحه قبل ان يعود سيرته الاولى في السير الرتيب . ولم يشأ الفارس ان يبعد قبل ان يوجه الى اختي هذه العبارات

ـ الى الغد يا شقراء ! وآمل ان نلتقي !

لست اخفي انني دهشت للآثار التي خلفها كلمات الفارس في نفسية أختي .. شحوبها ، واضطراب ساعدها الذي كانت تسنده به على ذراعي . ومن ثم فقد قلت لها في استنكار :

ـ انه لم يغريك انت ، فماذا اصابك الآن

ـ لانه لم يستطع ان يفعل .

وقد كان هذا حقيقة . لان نظرات الرجل اليها كانت تتسم بمعاني الحذر والرهبة .

في هذا الصباح نشبت بيني وبين احد اخوتي مناقشة حادة بعد ان وصمني بالغفلة والضعف . وكان ذلك لاني لم اقم بحياكة شيء طلب هو الى حياكته ، لان نفسي لم تنشرح لتحقيق رغبته ، وكان مما قلته له :

ـ ليس مما يعاب على ان اصبر على نزواتك هذه بعد من فضائلي .

هكذا اجبته في عنف وصراحة . ولو ان لهجته هو لم تكن اقل من لهجتي عنفا وصراحة .. واخيرا انهيت المناقشة وقررت الذهاب للنزهة .

كنت في منتهى الثورة والضيق ، ولذا فقد خرجت مسرعة الى الخلاء تحت اشعة الشمس التي كانت تغمر الصباح ... كنت أسير في سرعة كبيرة مدفوعة بالغضب من جهة ، وبسرعة افكاري من جهة اخرى ، الامر الذي جعلني بعد لحظة احس بالحرارة واتوقف عن المشي . ذلك لان السترة الصوفية التي كنت ارتديها قد غمرها العرق حتى التصقت ببدني ، ومن ثم انتحيت جانبا وجلست . على انني ما لبثت ان انتهيت الى انني قد ابتعدت كثيرا عن المنزل ، وانني في طريق جانبي مطروق قليلا . ومع ان الحقل كان خاليا ، الا انني لم احس بالوحشة ، فقد قضيت طفولتي في مزرعة تقع في مكان خلوي . ولذا فقد شعرت بالراحة والاطمئنان عندما بلغت هذا المكان .

ثم لمحت وانا في هذا الموضع من الطريق ربوة بين الاشجار لا تكاد ترى . فاتجهت اليها . وهنالك القيت بنفسي على بساط الله الاخضر .

اما الثوب الذي كنت ارتديه الا ذلك ، فهو

الثوب الذي ألبسه في المنزل في الأيام التي لا تكون لدي فيها رغبة لتلبس ملابس أنيقة ، بل ارتداء أي ثوب عادي ، لأنني بهذه الطريقة أستطيع أن أتحرك في الفستان ولا أكون رهينة الملابس ومقتضياتها .

كانت ملابسي تتألف من سترة صوفية حمراء ، ورداء أسود ، وعقد براق ، وحذاء ذي عقب منخفض . ولكي أكون منصفة لنفسي يجب أن أقر بأن ملابسي كانت في الجملة ثرية . ومع أن ملابس مثل هذه كانت كفيلة بمضايقتي في مناسبات أخرى ، إلا أنها في هذه المرة قد ملأتني رضىً . فقد مكنتني من أن استلقي على العشب ، دون أن أحسب أي حساب لما عساه أن يلحق بملابسي من آثار العشب . وقد أثرت خصائل شعري هنا وهناك ، وحينئذ توارد على ذهني أنني أشبه فتاة غجرية متسكعة جلست في منتصف طريق الحياة كي تستريح بعيدة عن الأذى.. وعن الظلم. وقد ذهب عني الغضب وأخذت أغني في صوت غير واضح أحدى الأغنيات التي تذاع كثيراً في الإذاعة . وبعد لحظة توقفت عن الغناء حينما تذكرت أن الطير قد يحسبني في هذا المكان العاري، إلا أنني استجمعت قواي وتلفتت يمنة ويسرة فوقع بصري على عصفور قد حط على شجرة مجاورة ، فوجهت اليه حديثي قائلة :

— استمع يا أحمق : ماذا تفعل هنا ؟ وكيف لم تأت لتحييني ؟ ألا تعرف عظمتي أم أنك لا تدري من أكون ؟

أنا ملكة هذه الحقول والغابات ، آمر كل من فيها فيجيئون ليقدموا الى فروض الولاء وليلثموا يدي السمراوين !! .. وبينما كنت منهمكة في هذا الخيال أحسست بحركة من ورائي، ثم رأيت شاباً جميلاً جداً يظهر أمامي ، ويوجه الي نظرات فاحصة . وبعد أن بدت عليه علائم الإعجاب بي ، تقدم نحوي يحييني تحية حارة على طريقة الفلاحين :

— يا صاحبة الجلالة : ها أنذا ، وقد مثلت في حضرتك الملكية ، بمختلف على الأمر . وقد جئت لتنفيذ أوامرك ، ولأحوز الشرف بتقبيل يديك البيضاوين .. أريد أن أقول : السمراوين !!

اذ ذاك استحوذ علي الخجل ، ووددت لو كانت لدي القدرة على أن أتلاشى حتى لا يبدو اضطرابي .. ذلك الاضطراب الذي جعل الشاب يضحك حتى في سخرية خفيفة أثارت أعصابي فقلت له .

— لم أر في حياتي أكثر منك حماقة !

ولكنه لم يغضب ، واستغرق في الضحك وهو يقول :

— أنت لطيفة أيتها الآنسة ..

ولما كانت عيناه تنمان عن اعجاب ظاهر بي ، فقد ذهب ما بي من غضب ، لأن اعجابه قد مس جوانب نفسي . غير أنه ما لبث أن اختفى في سرعة كأنه حيوان في الريف .. فضحكت ثم ادهشني أن أرى الشاب يقبل ثانية ويمد الي يديه ينهضني ولا يلبث أن يرعبه الانفعالات التي يراها على وجهي . ودون أن يقول شيئاً يقودني نحو مزرعة أخرى مجاورة حيث تهالكت هنالك تحت ظلال أحدى الأشجار . ولما كان عقب رجلي اليمنى قد أخذ يؤلمني بشدة فإنني لم أكترث ببقائه عندما قال إنه سيذهب ليبحث عن عمه في ضيعة قريبة. لأن بقاءه أو انصرافه لم يكن ليخفف عما بي شيئاً.

عاد بعد قليل يرافقه رجل فارع بادي الأناقة قد تناثر الشعر الأبيض في جوانب رأسه هنا وهناك ، عليه سمات الصرامة . وفي الحق أني لست بمستطيعة أن أصور مدى الدهشة التي استولت علي حينما تبين لي أنه هو بعينه الفارس الذي كان يتنزل في خستيلي ويغزو الرنا . وأحسبني قرأت في وجهه ما ينم عن دهشته لرؤيتي كذلك . فقد وجه الي نظرات فاحصة ثم سألني

— أتراني أعرفك يا آنسة ؟

— ليست بيني وبينك أية معرفة .. وأنا متأكدة من أنك تتذكر شقيقتي فقط !

لم يجبني ، ولكني لاحظت وأنا مسرورة أنه بدا يبتسم ابتسامة خفيفة ، ثم وضع أصابعه على عقبي يتحسس موضع الألم . غير أن تلوهاتي لم تحركه ، وإن كنت لاحظت أنها هزت مشاعر

ابن أخيه الذى بدا عليه الاضطراب والتأثر وكأنه هو المسئول عما اصاب قدمى من ألم . ولما أشار عليه عمه بأنه ينبغى أن أحمل إلى منزلى «الرتشى» وبدا عليه أن خوفا كبيرا قد استبد به .

بعد لحظة وجدتنى فى سيارة فاخرة ، وإلى جانبى ذلك الفتى الذى أحاطنى بعناية كبيرة ، وذلك الفارس الذى لم يكن يبدو عليه الاهتمام بى ، بقدر ما يظهر عليه انه مشوق أن يصل الى المنزل سريعا لينطلق منى ..

هذا وقد كان دخولى المنزل على هذه الصورة شيئا فظيعا بالنسبة لأمى . فاله بأن الفزع الذى أصابها عندما بصرت بى منهالكة بين ذراعى شاب غريب كان مما يتزعزع به. اما اخوتى فقد استولت عليهم الدهشة كالمله . ولم تبق سوى شقيقتى التى لم تفقد توازنها ــ وهذا ما كنت افعله انا لو كنت فى مكانها ــ واعانتنى ان استريح فى فراشى، وفى نفس الوقت استمعت الى ما أشار به علينا الفارس وهو ان نذهب لتستدعى طبيبا .

وبعد خمسة عشر يوما كانت صحتى تحسنت ولكنى كنت ما ازال ألزم الفراش ورجلى مربوطة. كان يهمنى كثيرا ان يأتى خوان لويس (وهذا هو اسم الفتى) كل مساء لرافقنى وقضاء لحظات سعيدة الى جانبه .. لحظات سعيدة جدا لدرجة انه لم يعد يهمنى لو ان رجلى كانت قد انكسرت فى سبيل التعرف عليه !!

وقد قص على تاريخ حياته ، وهى حياة بسيطة حياة يتيم فقد ابويه فرباه عم عزب صلب يحبه حبا جما، ووجهه لدراسة هندسة الطرق والقناطر، وانتقل معه الى ضريبه حتى لا يفقده وحده . ولما وجده قد أتم دراسته بنجاح منحه اياما للراحة يقضيها فى تلك الضيعة التى يملكها والتى تقع فى نفس المنطقة التى أقيم فيها .

لم يكن الفتى قد عرف من قبل حبا غير حبه لعمه الذى كان ينزله من نفسه منزلة الوالد .. ثم ذلك الحب الذى نبت فى نفسه يوم أن تعرف على .. حبه لى !!

وكان عمه يرافقه كل مساء فى زيارته لى ، ولست أدرى بأى حق ، لأنه قلما كان يكلمنى ! كما أن شقيقتى كانت تبدى فى أدب نفورها منه . ولكن يبدو لى انه كان يضيق بالوحدة فى منزله !!

ذات مساء كانت شقيقتى تعزف على البيانو فى فناء المنزل مما يلاصق حجرتى. وكانت المقطوعة التى تعزفها من الموسيقى الصاخبة المرحة التى ترقص الشاعر . بيد انها ما لبثت ان توقفت عن العزف فجأة قبل ان تكمل المقطوعة . فانتظرت' أن تستأنف العزف ولكن دون جدوى . ولما اعيانى الانتظار ، طلبت الى خوان لويس ــ وقد كان معى ــ أن يساعدنى على النهوض حتى استكشف سبب انقطاعها الفجائى عن العزف . ففعل .

هنالك كانت تكمن المفاجأة المذهلة ! .. المفاجأة التى لم تكن تخطر لى على بال ! .. شقيقتى العانس العصبية التى طالما سخرت من الشبان .. واستخفت بالرجال ــ كل الرجال ــ كانت بين ذراعى الفارس ، وذراعاها سابحة فى ظهراه .. ويداها تمسكان يديه فى جرأة ودون خجل !!

وما كادت ترانى حتى انبثت نحوى واحتضنت ربت على شعرى وتقول :

ــ أنا ذى قد عثرت اخيرا على رجل أحلامى يا بيلاروش ! ولا شك أن الفارس ما اخبرنى به قائلا :

ــ نعم وسنتزوج خلال ثلاثة أشهر .. فما أسعد المناسبات التى جمعت بين قلبينا !!

لقد عقدت المفاجأة لسان الشاب لحظات قبل أن يقول لى :

ــ ونحن متى سنعلن خطبتنا ونتزوج ؟ ماذا تقولين يا بيلاروش ؟

فقلت فى سرور :

فى أقرب وقت حينما اتماثل تماما للشفاء .

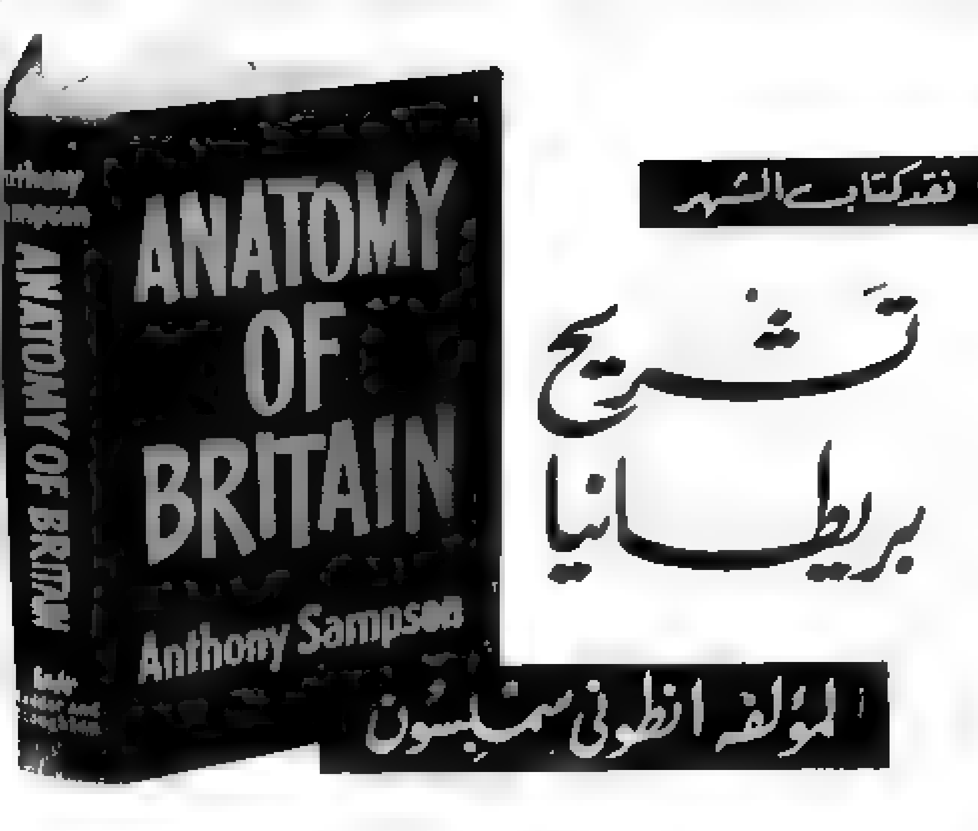
وفى الحقيقة اننى كنت لراعى أمرين :

أحدهما حب الشاب لى واعجابه بى !

والآخر اننى كنت اخشى ان اصير عانسا .. !!

■■

ترجمة الدكتور محمد الأمين محمد



بقلم : الدكتور محمود السمره

هذا كتاب يحتل واجهات المكتبات في البلدان العربية، وفي بريطانيا نفسها، منذ صدوره، قبل نحو سنتين. وهو أيضا من الكتب التي اعتاد مرتادو المكتبات في العواصم العربية، أن يروها معروضة باستمرار، دون أن يختفي من واجهاتها، بسبب كثرة الإقبال على شرائه. وقد كان هذا الكتاب من أكثر الكتب رواجا منذ صدوره، وقد طبع حتى اليوم أكثر من عشر طبعات. ونحن لا نستغرب أن يروج كتاب يستهوي الشباب والشابات لما فيه، ولكن رواج مثل هذا الكتاب الجاد القيم يحمل لهذا الرواج معنى، هو أنه قد لمس كبد الحقيقة في الموضوع الذي تناوله.

ومؤلف هذا الكتاب، انطوني سمبسون، من محرري جريدة «الاوبزرفر» اللندنية المرموقين. وكان قبل هذا قد مضى أربع سنوات في جنوب افريقيا لتحرير صحيفة «الطبل» Drum ولما عاد الى بريطانيا تفتحت عيناه على حقيقة هالته، فقد دهش لما في الحياة الانكليزية «من بطء، وتعقد، وانعدام الحافز». وعمل محررا بجريدة «الاوبزرفر»، واتصل بعلية القوم، فازداد ايمانا بما وقر في ذهنه. عندها قرر أن يترك عمله في

1) Anthony Sampson, Anatomy of Britain

« الاوبزرفر » ، ويشرح فيلوس كيف تسير الامور في البلاد .

وامضى انطوني سمبسون ثمانية عشر شهراً باحثاً منقباً ، حتى استطاع ان يحلو هذه الحقيقة المدعومة بالاحصائيات والوثائق . وقابل نحو مائتين من كبار الرجال البارزين ، واجرى معهم محادثات طويلة . وكانت هذه المحادثات جزءاً من الحقائق التي اعتمد عليها المؤلف في اصدار احكامه .

وهذا الكتاب ضخم يقع في نحو ٦٥٠ صفحة ، ستة وثلاثين فصلا ، وله فهرس يقع في عشرين صفحة . وكل صفحة فيه مدعومة بالاحصائيات والوثائق .

وهذا الكتاب يذكرني بكتاب جون جنثر Gunther في تحليله الدقيق الواعي للاوضاع الداخلية في بقاع عدة من العالم . كما يذكرني ايضا بكتاب عمالق صدر في القرن الماضي لولتر باجيهوت Bagehot وفي هذا الكتاب حلل باجيهوت تحليلا بارعا نافذا المجتمع البريطاني في عهد الملكة فكتوريا . ويخيل الي ان انطوني سمبسون ، مؤلف الكتاب ، قد وضع في ذهنه كتاب باجيهوت ، عندما اقبل بهذا الجهد على موضوعه .

وقد يجد القارىء الواعي دافعا داخليا يصرفه عن قراءة هذا الكتاب ، اذا القي به بين يديه ، وذلك بسبب ضخامته . ولكنه اذا بدأ به لايستطيع ان يتركه قبل الفراغ منه : لان الكتاب ـ على الرغم من كثرة ما فيه من احصائيات ووثائق ـ ممتع . وهو مكتوب باسلوب ظلي جذاب ، وبتفكير منطقي متصل .

★★★

وموضوع الكتاب الاساسي هو :

ترى من يسيطر على مقدرات الامور في بريطانيا ؟

وكل ما في الكتاب انما يحاول ان يجيب عن هذا السؤال اجابة « بعيدة عن الارتجال » ، واجابة فريدة في الوصف والتحليل .

وقبل ان ادخل في التفاصيل اوجز فكرة الكاتب الاساسية : ان ما انتهى اليه في بحثه هو ان الفئة التي تملك المال هي التي تسيطر على مقدرات الامور . وهي فئة ، في اكثر الحالات ، ورثت المال سلفا عن خلف ، وورثت معه السلطة . والقارىء للكتاب يخرج بنتيجة تقول : ان المال والسلطة في بريطانيا يسيران جنبا بجنب ، ويتوارثان ابا عن جد .

ويؤكد المؤلف مرارا وتكرارا ان الكيان السياسي والاجتماعي للمجتمع البريطاني ، ما زال كما كان في الماضي ، على الرغم من انه حاول ان يكيف نفسه حسب الظروف . وهذا الكيان لا يشكل وحدة متماسكة ، بل هو مجموعة انظمة تقوم بينها صلة واهية . والبريطانيون السياسيون انفسهم يعترفون بهذا ، ولكنهم يزعمون فيقولون : ان هذه ميزة من ميزات نظامهم الديمقراطي ، ويضيفون ايضا ان هذا التفكك الظاهري ، قد استطاع ان يكون مجتمعا سليما متماسكا . والمؤلف يشك في قولهم هذا ، ويتساءل : ولكن هل هذا المجتمع سليم حقا ؟ والى متى سيحتفظ بتماسكه ؟ ويؤكد قائلا : « واثناء انشغالي في جمع مادة هذا الكتاب ، كنت احس احساسا يتزايد يوما بعد يوم ، كلما تقدمت في الكشف عن حقائق جديدة ، بانني لا اكتب عن بلد واحد ، بل عن مجموعة من الانظمة تجمع بينها وحدة واهية »

★★★

وقد استقبلت الصحف البريطانية هذا الكتاب عند صدوره ، مشيدة به ، الا القلة النادرة من الصحف ذات الاتجاهات المخالفة لرأي الكاتب .

فكتبت مجلة « نيوستيتسمان » قائلة : « هذا كتاب يثبت بالدليل القاطع ان جهلنا لطريقة التي تدار بها امورنا ، هو جهل لايليق بامة متحضرة . وانا لعلى يقين من ان هذا الجهل لم يأت عفوا ، بل هو تجهيل قد خطط له من فوق »

وقالت جريدة « الاوبزرفر » : « ان هذا خير كتاب صدر في تشخيص حال المجتمع البريطاني ، وهو ادق كتاب من نوعه في دقة معلوماته » .

وكانت تعليقات الصحف البريطانية شبيهة بهذا ، ومتفقة مع رأي هاتين الصحيفتين . ولم يهاجمه سوى جريدة « الصنداي اكسبريس » ، وهي جريدة لورد بيفر بروك ، فقد قالت فيه



بعد هجوم عنيف عليه : « لقد اضاع انطوني سمبسون وقته في كتابة كتاب يستحق ما اكثر من الاستنكار » .

وفي رايي ان هذا الكتاب سيكون مرجعا للباحثين والكتاب في المستقبل ، يرجعون الى ما فيه من احصائيات ووثائق ، اكثر مما يرجعون الى ما فيه من آراء .

ولكن يبدو لي ان عنوان الكتاب ليس دقيقا تماما ، فعنوانه هو « تشريح بريطانيا » ، وهو في حقيقته ليس تشريحا لبريطانيا ، وانما هو تشريح للطبقة المسيرة للامور في بريطانيا . ويبدو لي ايضا ان اضعف اجزاء الكتاب هي تلك الاجزاء التي يتحدث فيها عن حزب العمال ، فالمؤلف في هذه الاجزاء لايعطي القارىء صورة واضحة عن الدور الذي يلعبه هذا الحزب في بريطانيا .

***

وليس انطوني سمبسون هو اول من تصدى لنقد المجتمع البريطاني ، بما فيه من مفارقات ، فقد سبقه الى هذا فئة من كتاب المسرح الشباب عرفوا باسم « الشباب الغاضب » . ولقد هاجم هؤلاء الشباب في مسرحياتهم بعنف القيم التي نشئوا عليها في مجتمعهم ، وسخروا من تراث امتهم الذي تفتخر به ، واتهموا الاجهزة المسؤولة بانها الغا لمشاكل الشباب . ومن هؤلاء الكتاب الشباب جون اوزبورن Osborne ، وبنتر Pinter ووسكر Wescker .

ومع ان هؤلاء الكتاب الشباب قد وخزوا الامة في مكامن مرضها ، وثار وما يزال يثور حولهم كلام كثير ، الا ان الكثرة الساحقة من البريطانيين كانت تظن ان هذه الامراض ليست سوى امراض جسمها وضخمها خيال كاتب مسرحي . فلما جاء كتاب انطوني سمبسون هذا ، كان اشبه بقنبلة مدوية ايقظت النوم من سباتهم ، وفتحت عيونهم على حقيقة كانوا يجهلونها ، او يحاولون تجاهلها . انه كتاب لا يرسل الكلام ارسالا ، وانما يدعم الرأي بالرقم ، ويعززه بالوثيقة .

***

والآن ، ماذا في الكتاب ؟؟

ان المؤلف لايكاد يترك امرا من الامور العليا الا تعرض له .

فالملكة عنده ملكة التكاليف ، بالغة الثراء ، وقد اورد قائمة بمواعيد الملكة ، وارتباطاتها ، خلال ايام الاسبوع ، ليخرج من ذلك بنتيجة هي انها لا تكاد تفعل شيئا يعود بالنفع على الامة ، ويقارن ما تتمتع به من امتيازات بحال ملوك شمال غربي اوروبا الذين لا يجدون حرجا في ان يركبوا الدراجات ، ويسيروا بين المواطنين .

ونظم التعليم قديمة لم تتطور بما يتناسب واحوال العصر . ويسيطرة ابناء العائلات من خريجي اكسفورد وكيمبردج على مقدرات البلاد ، في ازدياد .

ويورد حقيقة ، ان صحت بحرفيتها ، والارجح انها صحيحة ، فهي مذهلة حقا ، انه يقول : ان الطبقة الارستقراطية البريطانية التي تكون ١٪ من السكان ، تملك ٤٣٪ من مجموع الثروة العمومية !

ويضرب انطوني سمبسون الامثلة العديدة ليثبت ان الارستقراطية البريطانية هي المتحكمة في شؤون البلاد ، والمالكة للثروة : من ذلك ان اكثر من نصف دوقات بريطانيا ما زال الواحد منهم حتى اليوم يملك الملايين : فمثلا دوق بوفورت Beaufort يملك اثنين وخمسين الف فدان ، ودوق بكلوش Buccleuch ، وريث احدى العائلات الاسكتلندية العريقة ، يملك ثلاثة قصور ضخمة ، وشقة فاخرة في ارقى احياء لندن ، ومرعى خاصا وهو في الوقت نفسه رئيس مجلس ادارة احدى البنوك . وعائلة سيسل Cecil تتمتع بالثراء والسلطان منذ القديم الى اليوم : فاحد افراد هذه العائلة كان وزير الخارجية في عهد الملكة اليصابات الاولى ، وكان ابنه مستشار الملك جيمس الاول ، لايبرم امرا دون مشورته . وهكذا

وهذه الحقائق ، في رأي المؤلف ، تجعلنا نميل الى اطلاق اسم « مجلس اصحاب المال » على « مجلس اللوردات » ، لان هذا الاسم الجديد اقرب الى الحقيقة والواقع .

وما زال حتى اليوم في بريطانيا ٩٣٤ من اصحاب الالقاب النبيلة الموروثة . وهؤلاء يتمتعون

بالثروة والسلطان كحق موروث ، دون ان يقدموا شيئا يستحقون بسببه هذه الميزات .

***

واذا تجاوزنا « مجلس اللوردات » ، الذي هو في كثرته الساحقة وراثي ، الى القضاء والكنيسة وجدنا ان المراكز العليا فيهما مقصورة ايضا على فئة معينة . فجميع الذين يشغلون المراتب المرموقة فيهما هم من خريجي اكسفورد وكمبردج ، وليس بين القضاة الكبار اليوم غير واحد فقط من غير هاتين الجامعتين . والقضاة الكبار ، بوجه عام ، هم ابناء واحفاد قضاة كبار : فقاضي القضاة الحالي Lord Chief Justice هو اللورد باركر ، وهو ابن وحفيد قضاة مشهورين .

ورجال المراكز العليا في الكنيسة كرجال القضاء : فاصحاب النفوذ في الكنيسة هم اولا ، ابناء رجال تسنموا مراتب عليا في الكنيسة ، وهم ثانيا من خريجي اكسفورد وكمبردج ، وليس بينهم غير واحد من خريجي دبلن .

ولا يختلف الامر في الجيش باختلافه عنه في القضاء والكنيسة : فالجنرالات والمرشالات هم ابناء واحفاد جنرالات ومرشالات . وهم اذا كانوا لايحبون اليوم من يحاربون ، فانهم يحاربون رجال السياسة الذين يحبسون عنهم السلطة ، لانهم لايريدون ان يعودوا الى تلك الايام ، ايام كتشنر ومن سبقه ، حين كان امر الجنرالات والمرشالات نافذا ، لايستطيع احد ان يقف في وجهه .

***

والامور في وزارة المالية ، ووزارة الخارجية ، والسواه ، تسير على المنوال نفسه : فوزارة المالية تكاد تكون مقصورة على عائلات بعينها . وفي هذه الوزارة خيرة ابناء العائلات من الذين يعملون في الوظائف المدنية . ولا يزيد عدد من بيدهم الامر في هذه الوزارة عن مائتين ، كل واحد منهم يعرف الآخر ، وله به اكثر من رابط ، انهم يعملون ، وياكلون ، ويسهرون ، ويفكرون ، معا .

اما في وزارة الخارجية فقد بلغ من طبقيتها انه ، حتى عام ١٩١٩ ، لم يكن يقبل فيها الا من يملكون دخلا خاصا لا يقل عن مبلغ كذا . ويطلق المؤلف على هذه الوزارة اسم « شركة محدودة الاسهم يملكها من ولدوا وفي افواههم ملاعق من ذهب » .

والسواه تملكها عائلات معينة : فعائلة بارنج Baring مثلا ، هي وريثة مستر فرانسيس بارنج ، صاحب مصانع الاقمشة الاصم الشهير ، الذي خلف وراءه بعد وفاته ثروة تقدر بمبلغ سبعة ملايين من الجنيهات الاسترلينية ، في زمن كان للجنيه فيه قيمة ، وقدرة شرائية كبيرة . وهذه العائلة اليوم تملك البنوك ، ولها عن طريق ابنائها نفوذ في القصر ، ومجلس الوزراء ، ومن هذه العائلة اليوم خمسة يحملون القاب النبل .

***

والانتقال من طبقة الى طبقة في المجتمع البريطاني امر عسير ، في راي المؤلف ، وان كان هذا الانتقال سهلا ضمن الطبقة الواحدة : كان يصبح وزير سابق مديرا لشركة .

ويصف المؤلف المجتمع البريطاني بانه مجتمع هرمي . وهذا التكوين الهرمي يجعل السلطة مقسومة بين الارستقراطية المتحكمة في مصير البلاد، وابناء الطبقة المتوسطة التي اخذ ابناؤها يتفوقون في شتى ميادين المعرفة .

اما السبب في بقاء الارستقراطية البريطانية ، واستمرارها ، فهو انها لم تكن تقف في وجه الاثرياء الجدد من الانضمام اليها ، عندما يصبحون مالكين لقدر معين من الثراء .

***

هذا بعض ما في هذا الكتاب القيم الشيق .

واذا كانت مشكلة المجتمع البريطاني في عهد الملكة فكتوريا ، هي النمو السريع ، فان مشكلة هذا المجتمع اليوم ، السقوط البطيء : سقوط بدا بضياع الامبراطورية ، ووضع جديد حملنا مسؤولين الى البحث عن شخصية جديدة لائقة ، تبعو بها البلاد التي لم تكن الشمس تغرب عن ممتلكاتها .

ومع هذا ، فاننا لا نملك الا ان نشيد بالنظام الذي يسمح بنشر الحقيقة ، مهما كانت هذه الحقيقة مرة ، وتحزه في الصميم . والصراحة ومجابهة الواقع ، صفتان من صفات الامة الواثقة بنفسها .

محمود السمره
الجامعة الاردنية ـ عمان



الأرنب معلم الوقت

تأليف وليام جول ترجمة الدكتور محمد قدري لطفي ـ الدار القومية للطباعة بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة الثمن ١٢ قرشا

● من المشاكل التي تواجه الطفل أن يتعلم معرفة الوقت ، وهذا الكتاب لا يحل له هذه المشكلة فقط ، بل يقص عليه أيضا قصة طريفة وسلية تسهل له عملية تعلم الوقت كما تجعلها مثيرة له .

على دروب الكفاح

تأليف محمود الروسان مطابع الايتام الاسلاميه بالقدس

● اشترك المؤلف بهذا الكتاب في المسابقة الشعرية لنيل جائزة شوقي عام ١٩٦٤ وهو يضم مجموعة فريدة من النتاجه الشعرى .

نداء الدماء

تأليف حسن عبد الله القرشي

دار العلم للملايين بيروت

● ديوان شعرى يعبر مطلعه بطوابعه ويتفاعل مع ركب الوطن العربي الكبير المتفاعل في سبيل استعادة ماضيه .

النباتات الطبية في العراق

تأليف الدكتور علي الراوي والدكتور حسن جاكرة ـ مطبعة الحكومة ببغداد

● الكتاب عبارة عن دراسة في علم النباتات الطبية وموضع أسمائها العلمية والمحلية ويعتبر مرجعا هاما .

التوزيع الجغرافي للنباتات البرية في العراق

تأليف الدكتور علي الراوي مطبعة الحكومة ببغداد

● هذا الكتاب يفي بحاجة المختصين بالنبات والزراعة والصيادلة وطلاب الكليات العلمية لمصدر يساعدهم على التعرف بنباتات العراق ومناطق نموها ويعتبر بحق مرجعا علميا هاما .

الجوانيه

تأليف الدكتور عثمان أمين ـ دار القلم بالقاهرة الثمن ٦٠ قرشا

● يعتبر هذا الكتاب فلسفة جديدة ، وبه دراسة عميقة عن الجوانية وهي فلسفة تنظر الى الغير ولا تقف عند الظاهر وتلتمس الباطن دون أن تقنع بالظاهر وتلتفت الى المعنى والى القيمة والى الروح من وراء اللفظ والحس والظواهر .

هكذا عرفتهم

تأليف جعفر الخليلي ـ مطبعة الزهراء ببغداد

● هذا الكتاب خواطر عن الناس الأفذاذ عاشوا بعض الأحيان لغيرهم أكثر مما عاشوا لأنفسهم ، بأسلوب شيق أدبي .

أجراس الفرح

تأليف موسى الجندي مطابع طري برس بيروت

● كتاب أدبي تشرح فيه المؤلفة الطريق الى السعادة كما تراه بأسلوب أدبي شيق .

تاريخ العرب العسكري

تأليف محمود الندوة دار الكاتب العربي ببغداد

● خرج مؤلف هذا الكتاب بأسلوبه عن الأسلوب الذي اتبع في تدوين تاريخ العرب العسكري ، لا اليه ليوسا يتناسب وجدته ، وفيه تكلم عن حروب محمد (صلعم) وحروب الردة وعن تحرير العراق أيضا وذلك بأسلوب شيق سهل .

مجلة المجمع العلمي العراقي

مطبعة المجمع العلمي العراقي ببغداد

● هو المجلد الحادي عشر من المجلة وبها كالعادة من الموضوعات الهامة الكثير ، بأسلوب أدبي وبأقلام رواد الفكر والأدب .

كفاح المسلمين في تحرير الهند

تأليف عبد المنعم النمر مكتبة وهبي بالقاهرة

الثمن ٥٠ قرشا

● الكتاب يبحث في جهاد المسلمين ضد الاستعمار في الهند ، وفي كيفية قيام قياداتهم الدينية والسياسية برفع لواء الكفاح حتى كان الاستقلال ، وقامت دولتا الهند وباكستان . ثم موقف مسلمي الهند بعد التقسيم . كما يتتبع مشكلة كشمير من جذورها ويحلل موقف الهند وباكستان منها .

القصة العراقية قديما وحديثا

تأليف جعفر الخليلي مطبعة الانصاف بيروت

● مؤلف هذا الكتاب احد كبار قصاصي العراق وادبائها البارزين وفي الكتاب يشرح تاريخ القصة العراقية

الموسوعة القانونية للتوظيف والخدمة في الكويت

تأليف محمد عبد الحميد الجزار المحامي

دار مكتبة الحياة بيروت

● تضم هذه المجموعة القوانين الهامة في دولة الكويت وتعتبر مرجعا هاما للعاملين بالكويت .

الزاوية الدلائية

تأليف : محمد حجي — المطبعة الوطنية بالرباط — المغرب

● رسالة تقدم بها المؤلف لنيل شهادة الماجستير في الآداب وهي تبحث في اثر الزاوية الدلائية العلمي والديني والسياسي كما تشرح الدور الذي قام به الدلائيون في الميدان السياسي وعلاقاتهم بالدول الاوربية الكبرى في عصرهم

سيمات الجبل

تأليف — فيليب لطف الله — ساو باولو بالبرازيل

● ديوان شعري ، والمؤلف لبناني مغترب

نهاية قصة

تأليف : فؤاد عبيد — المكتبة الوطنية بالبحرين — الخليج العربي

● مجموعة قصص من صميم الحياة كتبها مؤلفها باسلوب سلس جميل

صدى الصوت من الخفاش الى الانسان

تأليف : دونا لد ر . جريفن — ترجمة — الدكتور محمد الشحات — دار النهضة العربية بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة — الثمن ١٨ قرشا

● بحث مستفيض في البيولوجيا الفيزيائية تضمن استقصاء الوسائل التي تشق بها الحيوانات المختلفة طريقها في الظلام . وهو بحث ممتع في كيفية استخدام الخفافيش في توسيع دراية الانسان بعلم الفيزياء وتطبيقها في مجال معاونة المكفوفين

صخرة الرعد

تأليف : روبرت اردري — ترجمة مرسي سعد الدين مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة — الثمن ١٥ قرشا

● مسرحية يتحرك ابطالها طيلة احداثها في فنار في بحيرة ميتشجان على جزيرة صغيرة اسمها « صخرة الرعد » ومحور المسرحية هو حارس الفنار الذي يعيش عيشة بعيدة عن عالم الاحياء الشرير

رواد الصحافة في الولايات المتحدة

تأليف : جيرالد جونسون جونسون — ترجمة احمد ابو كف — دار الكرنك للنشر بالقاهرة — ٢٠ قرشا

● كتاب في تاريخ الصحافة الامريكية وتطورها وهو في الحقيقة صورة لتقدم الصحافة في العالم

تصنيع الطرق

تأليف : كاثلين م . لانكلي ترجمة — الدكتور محمد حامد والدكتور حطاب صكار العاني مكتبة المثنى ببغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين — الثمن ٢٠٠ فلس

● يتناول هذا الكتاب دراسة مراحل حركة التنمية الصناعية في العراق سيما وان المؤلفة عملت بالعراق استاذة بكلية الآداب وبحثت في المشكلات التي تعترض التنمية الصناعية في وادي الرافدين

جسمك .. هذا العجيب الفريد

تأليف : روبرت فوليت — ترجمة الدكتور عمر خالد الشابندر — مكتبة الوفاء بالموصل بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين

● كتاب يشرح بشكل مبسط تشريح هيكل جسم الانسان ووظائف كل جزء باسلوب مبسط وشيق .



بمناسبة مرور عشرين عاما على هيئة الامم المتحدة

من صحيفة « الأوبزرفر » اللندنية :

● لقد مضى على مولد هيئة الامم المتحدة عشرون عاما . بدأ التفكير فى تأسيسها ابان الحرب ، وكان الغرض من تأسيسها تفادى وقوع الحرب .

بيد أن العمل وهذا الاتجاه لم يكن رائد المنظمة الدولية الوحيدة فرسالتها الحقيقية ايجابية لا سلبية ، وقد تمثلت وما تزال تتمثل فى العمل الجدى لبناء السلم العالمى وتوطيد اركانه على نحو يكفل تفادى الحروب وتحاشى ويلاتها . ولا يخفى ان حصيلة أعمال هيئة الامم طيلة العشرين سنة الماضية كانت مخيبة للآمال . وباتت المنظمة فى امس الحاجة الى التعديل .

أضف الى ذلك أن تصنيف الدول الاعضاء فى المنظمة الدولية فى فئتين فقط ، فئة اعضاء مجلس الامن الدائمين ، وفئة سائر الاعضاء غير الدائمين ، فيه تعسف ظاهر ، ولا يتجاوب وحقائق الواقع . والمفروض يقيام فئة ثالثة قوامها الدول التى يمكن اعتبارها وسطا بين الكبرى والصغرى على غرار ما كان معمولا به فى عصبة الامم .

ويترتب على هذا وذلك انشاء جهاز أو سلطة جديدة داخل المنظمة الدولية تكون مهمتها الوحيدة الحفاظ على السلام العالمى . اما اعضاء هذه السلطة المقترحة فينبغى ان يكونوا :

١ — الدول الكبرى الخمس التى تمتلك الأسلحة النووية وهى : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا والصين الشعبية .

٢ — خمس دول اخرى تلى الدول الكبرى قوة وتنتخب لعضوية السلطة الجديدة على اساس دورى ولمدة سبعة اعوام ويسهم فى انتخابها لهذه العضوية كافة اعضاء هيئة الامم المتحدة .

٣ — خمس دول من الدول الصغرى تنتخب على نحو ما اسلفنا على الا تطول مدة عضويتها اكثر من ثلاث سنوات .

ويناط بالسلطة الجديدة المقترحة حق التدخل الفعال لسحق كل حركة تظهر فى بلد اى عضو من اعضاء المنظمة الدولية وتنذر بالحرب او تتسم بطابعه . على الا يسمح لهذه السلطة باتخاذ اجراء جماعى من هذا القبيل ضد الولايات المتحدة او الاتحاد السوفيتى . اما قراراتها فتتخذ جميعها على اساس اغلبية الاصوات دون ان يكون لاى عضو من اعضائها حق الفيتو بالنسبة الى تلك القرارات .

سوق اللوحات الفنية

من مجلة « الايكونومست » :

● لقد كان اسبوعا حافلا بالنسبة الى معارض بيع اللوحات الفنية فى لندن . نشطت السوق فيه ونشط فيها الشراء خصوصا من قبل هواة الفنون فى بيوتهم فى القارة الامريكية نفسها . ولم يكن الثمن الذى دفع فى لوحة الفنان دوفى والبالغ ٢٥٠٠٠ جنيه الا أقل ما سجلته السوق . فقد تم شراء لوحة لرينوار مقابل ٢٨٠٠٠ جنيه وأخرى لبوس لقاء ٣٤٠٠٠ جنيه وثالثة لبكاسو بمبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه . وبانتهاء الساعات الثلاث التى استغرقها السوق كان عدد ما بيع من اللوحات الفنية ١٦٠ لوحة ومجموع ما دفع فيها من اثمان ٨٢٩٠٠٠ جنيه .

بريطانيا تريد احياء ما مات من سيطرتها

عن صحيفة « المانشيستر جارديان الاسبوعية » اللندنية :

● كانت فرنسا (الديجولية) هي الدولة التي فاقت غيرها من دول أوروبا الغربية من حيث تحررها من آثار الحرب العالمية الثانية وتخلصها من ذيولها ، لذلك أمكننا اعتبارها الدولة الأكثر استقلالا من غيرها من تلك الدول . اما بريطانيا فما زالت تتخبط على غير هدى . فهي تعاني ما خلفته الحرب فيها من مشاكل اقتصادية ومالية من جهة وتنوء بأعباء بقايا امبراطوريتها في افريقيا والشرقين الاوسط والاقصى من جهة اخرى .

والوهم السائد في بريطانيا حاليا هو ان في وسع حكومتها احياء ما مات من سيطرتها ونفوذها عن طريق رابطة الشعوب البريطانية (الكومونولث) وتتجلى مدى تغلغل هذا الوهم في محاولة المستر ولسون الاخيرة لترأس بعثة تمثل دول الكومونولث الهادفة الى احلال السلام في الشرق الاقصى .

على ان الكومونولث البريطاني شيء ، والامبراطورية البريطانية شيء آخر ، ولا مفر من مجابهة الواقع ، والنظر الى رابطة الشعوب البريطانية باعتبارها هيئة هزيلة مفككة الاوصال .. فما لم تتضح هذه الحقيقة بجلاء ، وما لم تتكشف ملابساتها ومتضمناتها لرجال الدولة والساسة الانجليز على السواء ، تفاقم الوهم وظل أولو الامر في بريطانيا على ما هم فيه من تخبط حافل بالمهازل

اذا لم تحل امة قضاياها ، حلها الآخرون

عن مجلة « الايكونومست » اللندنية

● نشطت مؤخرا المساعي الرامية الى احلال السلام في قبرص . على ان نشاطها لم يتركز هذه المرة في العاصمة القبرصية ، وانما فيما جرى بين اثينا وانقرة من اتصالات على الصعيد الدبلوماسي . وظهرت بوادر هذه المساعي في المجاملات التي تبادلها ممثلو تركيا واليونان اثناء المناقشات التي جرت حول قضية قبرص في اجتماع مجلس الامن في الاسبوع الماضي . وتجلت تلك البوادر اكثر ما تجلت في التهاني التي تبادلها أولئك الممثلون أيضا على قيام تلك المساعي التي ان دلت على شيء ، فانما تدل على حسن نية الدولتين المعنيتين ، تركيا واليونان .. بيد ان هذه النية الحسنة لا تشتمل على ما يبدو اهل قبرص بالذات . فالقبرصيون من سكان قبرص غير راضين عن تدخل غيرهم في شئونهم حتى ولو جاء هذا التدخل من جانب حكومة اليونان نفسها . فهم يصرون على ممارسة حقهم في تقرير مصيرهم دون ان يشاركهم في ذلك احد .

وموقف القبارصة اليونان في هذا الصدد مفهوم . الا ان عليهم ان يدركوا بان لا سبيل الى تحاشي تدخل الغير في قضاياهم والحيلولة دون تسوية قضيتهم من الخارج الا اذا اظهروا استعدادهم لوضع حل لمشكلتهم يستطيع القبارصة الاتراك قبوله دون خوف او خجل .

ومهما يكن من امر فان على اليونان وتركيا الا تسمحا بتسمم العلاقات بينهما بسبب قضية قبرص الى ما لا نهاية له .



ولو ..... !

روح أمير الشعراء «شوقي» تملي على الوسيطة قصيدة جديدة !

● [illegible] صفحة [illegible] جريدة «الاهرام» الصادرة بتاريخ [illegible] ٢٧ نوفمبر ١٩٦٥ أن الدكتور [illegible] الأستاذ في جامعة القاهرة [illegible] من [illegible] في محضر الأرواح [illegible] وضرب لذلك مثلا زوجته [illegible] الدكتور سلامة [illegible] التي استطاعت أن تكون [illegible] وسيطة روحية [illegible] لأمير الشعراء أحمد شوقي [illegible] العالم الآخر، وكان آخرها قصيدة [illegible] من أمير الشعراء [illegible] فيها [illegible] في السنوات الأخيرة [illegible] أنه كان [illegible] في شعره [illegible] وفي هذه القصيدة [illegible]

«بيرل بك» .. وقصتها الخالدة «الأرض الطيبة»

● [illegible] الكاتب [illegible] الأمريكي «بيرل بك» [illegible] «بيرل بك» [illegible] هو خطأ مطبعي [illegible] الصين بين أوساط الفقراء [illegible] وجعل [illegible] رجلا !!

وهل لكم [illegible] أن [illegible] شيئا عن تاريخ «بيرل بك» [illegible] امرأة كانت أم رجلا [illegible] وعن قصة «الأرض الطيبة» !!

[illegible] رشدي أحمد [illegible]

— هو خطأ مطبعي ليس أكثر، وقع فيه قسم [illegible]

فيح الاله وهاج النقد من عجبي
خرف يهاجم سد الفكر والادب
والروح اجفل من منعة عن زعموا
اني حبيت اسير الدر والذهب

وقبل ذلك بقليل اطلعت على كلمة بتوقيع الدكتور على عبد الجليل راضي استاذ الطبيعة بكلية علوم عين شمس ، ورئيس جمعية الاهرام الروحية بالقاهرة ، مفادها ان روح العلامة عبد اللطيف البغدادي العارس الذي مات عام ١٢٣٢ م في بغداد ، هو الاب المهيمن على عمل في الجلسات الروحية ، حتى لقد ظهر فيها برسمه ، وبذلك تمكن احد الوسطاء من رسم صورته ، ويمنحه مفتاح الحكمة الرمزي « فتح » ، وانه الاب المرشد للحركة الملاحية في كثير من البلدان ، وانه ارشد اخيرا احد الوسطاء عن مكان كتابه النادر « الافادة والاعتبار » ، وكيف ان نسخة التي كتبها بخط يده ما زالت موجودة في مكان ما ، ووصفه للوسيط الذي توجه الى مكانه ووجد المخطوط الذي ظل مختفيا عدة قرون !

ولست اكتمكم ان قراءة هذين النبأين ، وصدور هذا الكلام من استاذين جامعيين ، مما زادني حيرة على حيرة .. افلا ترون معي انه يتفق مع ما اوردتموه في العدد ٢٢ من «العربي» من ان تحضير الارواح اقرب الى الخرافات والاوهام ؟ ثم الا ترون فيه ما يحملكم على ان تعدلوا عن ذلك هذا ، وتقروا بان تحضير الارواح حقيقة واقعة ويجب دراسته كما تدرسون ؟ !

القاهرة ــ دكتور توفيق احمد

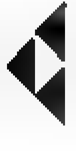
ــ صدقني يا اخي اني شهدت اكثر من مائة جلسة من جلسات تحضير الارواح ، مع نخبة مختارة من الاطباء والمحامين والصحفيين واساتذة الجامعات ورجال الدين والتعليم ، من بينهم المرحومان الشيخ عبد الوهاب خلاف والاستاذ عبد الوهاب حمودة والدكتور على عبد الجليل راضي والمرحوم الاستاذ احمد فهمي ابو الخير اللذين قرأت لهم اكثر من عشرة كتب ، بعضها مترجم وبعضها موضوع ، وكان كلاهما يعقد جلسات دورية لعلاج الامراض المستعصية بواسطة من كان يقول انهم ارواح بعض كبار الاطباء الاجانب الذين ماتوا من مئات السنين بينهم بعض الجراحين كانوا يقومون باجراء عمليات جراحية خطيرة ، في المخ تارة ، وفي القلب تارة اخرى ، كما كانوا يزعمون ؟

ولقد بحثنا نحن لعربنا وراء هذا الدجل اي حين أ عروسا من قريباتي زفت الى القبر في نفس الاسبوع الذي كان مقررا ان تزف فيه الى بيتها السعيد المنشود ؟

وحسبك ان تقرأ هذه الكتب او بعضها

البقية على الصفحة التالية

المراجعة والتصحيح من غير قصد .. فكان « بيرل بك » اشهر من نار على علم ، وروايتها « الارض الطيبة » التي صدرت الطبعة الاولى منها عام ١٩٣١ حظيت بنجاح لم تحظ به رواية قبلها ، وربما بعدها ، حتى اصبحت تطبع ويعاد طبعها عشرات المرات ، وترجم الى مختلف اللغات ، حتى اصبحت جزءا من التراث الكلاسيكي العالمي ، والرواية تصور حياة اسرة صينية ، وكذلك معظم كتب « بيرل باك » ، فهي قد امضت الشطر الاكبر من عمرها في الصين ، اكثر من ثلاثين عاما ، قضت معظمها في تدريس اللغة الانجليزية ، فسرعان ما كانت تكتب وتكتب الصينية وكأن الصين موطنها الاصلي . لكن احداث عام ١٩٢٧ وموجة الكراهية التي عمت البلاد ضد الاجانب ، اضطرتها الى ان تترك البلاد التي احبتها ، فما لبثت ان جبرت عن هذا الحب في اربع كتب نشرتها في ٤ سنوات ، « الارض الطيبة » ثالثها ، والرابعة ، واخلدها ، حتى فازت بجائزة نوبل ، وبيع منها ملايين النسخ في مختلف الاقطار وبجميع اللغات الحية ..



ولو ..

بقية المنشور على صفحة ١٤٤

لتجد فيها من الغرائب والعجب مالا تجده في « الف ليلة وليلة » !

فهذا طبيب امريكي مشهور ، لا اذكر من اسمه الآن الا « باوريز » ، استاذ في احدى الجامعات ، يقول انه حضر روح امه ، واستطاع بطلبه ان يجعلها « تتجسد » ، فظهرت له وللحاضرين في شكلها المعروف لهم جميعا ، وبنفس الثياب التي كانت ترتديها في حياتها ، وانه استطاع ان يقتص خصلة من شعرها وهي متجسدة !

وهذا كتاب آخر يزعم مؤلفه الامريكي ايضا انهم استطاعوا تحضير روح الراقصة العالمية « انا بافلوفا » ، وانها هي الاخرى تجسدت!



جمال الدين الافغاني

أهو افغاني .. ام ايراني ؟

● في سهرة ادبية لنا تناقش حول السيد جمال الدين الافغاني ، لمناسبة المقال الذي نشرته « العربي » في عددها التاسع والسبعين ، والذي اشار كاتبه الى تنافس الشرقيين في نسبة جمال الدين الى بلادهم ، « حتى ذهب بعض الايرانيين الى انه ايراني الاصل ، وانه ولد في « سعد اباد » الخ .

لكن هذا الرأي لم يعجب بعض الحاضرين الذين اصروا على ان السيد كان افغانيا ، ولم يكن ايرانيا .

نرجو ان توضحوا لنا وجه الصحة في هذا الموضوع .

النجف الاشرف　　**علي صالح**

● والقول بأن جمال الدين ايراني الاصل لم يذهب اليه بعض الايرانيين فحسب ، كما يقول الدكتور عثمان امين في مقاله ، وانما ذهب اليه كل العارفين بحقيقة موطنه ، من عرب وايرانيين وغربيين وشرقيين . فهو قد ولد في بلدة « اسد اباد » لا « اسعد اباد » كما جاء بالمقال ، وهي قرية على بعد سبعة فراسخ من مدينة همدان الايرانية ، ولا يزال بها من افراد اسرته ما يناهز المائة نسمة بين ذكر وانثى ، وكان احد احفاد اخيه حتى عام ١٣٥١هـ مدرس القرية ، ولا تزال الغرفة التي ولد فيها السيد جمال الدين في دار والده ، الواقعة في محلة سيدان ، على حالها حتى اليوم ..

وقد ورد ذلك في كتاب بقلم شقيقته السيدة « طيبة بيكم » مطبوع بالفارسية في برلين ، وفي غيره من الكتب تعرض لسيرته .

بيروت　　**حسن الامين**

ـ مع التقدير لما يقوله السيد حسن الامين ، والمراجع التي يستند اليها ، لا نظن انها تقطع بأن السيد جمال الدين كان ايرانيا .. والا لسميناه جمال الدين الايراني ، بدلا من الافغاني .. والتعديل الذي يمكن ان يكون معقولا هو انه افغاني الاصل ولكنه لما ولد في ايران ، وبسبب ثروته هذه سمي « الافغاني » ..

ومع ذلك فان هناك عدة قرائن تكاد تقطع ـ ان لم تقطع بالفعل ـ بأن السيد افغاني وليس ايرانيا ، نذكر منها :

لهم ، ثم راحت تعرض عليهم بعض الرقصات التي اشتهرت بها .. بملابس الرقص طبعا .. بينما كانت الموسيقى تعزف لها اللحن المناسب !!

وهذا طبيب ثالث يقول انه اراد ان يختبر روحا تجسدت لهم ، فاقتطع بضعة من لحمها ، ثم ذهب بها الى معمله ليجرى عليها اختباراته !

وزعم صديقنا المرحوم احمد فهمي ابو الخير ان شابا من شباب مصر الوطنيين ، كان قد القى قنبلة على سيارة احد رؤساء الوزارات بعد ثورة سنة ١٩١٩ فحكم عليه بالسجن المؤبد ، وكانت له خطيبة ماتت قبل سجنه بقليل ، فكانت روحها تزوره كل يوم في زنزانته ، واستطاعت ان تجعل من هذه الزنزانة عشا سعيدا عاشرت فيه خطيبها معاشرة الازواج ، حتى اذا ما افرج عنه بعد بضع سنين لاحقته الى بيته اسرته التي ما لبثت ان استعانت بالاستاذ ابو الخير كي « يصرفها » اي يطردها !!

والامثلة التي من هذا النوع كثيرة لا تحصى ولا تتسع لها هذه الصفحات ، بل تحتاج الى اكثر من كتاب .. اقلن يا سيدي ان شيئا من هذا يصدقه العقل ، الا ان يكون واقعا تحت تأثير خاص ، كالتنويم المغناطيسي ، او الايحاء ، ولا اقول الحشيش ! !

ومن طريف ما اذكر ان الدكتور علي عبد الجليل راضي دعا ذات مرة منذ نحو عشرة اعوام او اكثر وسيطا امريكيا .. ولست انكر ان هذا الوسيط قام بعرض بعض الخوارق زاعما انها من عمل الارواح ، في حين ان معظمها مما يفعله الحواة والمشتغلون بالتنويم المغناطيسي وقراءة الافكار .

اما حكاية الشعر الذي تمليه روح امير الشعراء شوقي على هذا الوسيط وذلك « قصيدة » فهي « قصيدة » ! فقد زعموا انها منذ بضع سنوات ، فاجمع الشعراء يومئذ على ان الشعر المزعوم لا يرقى الى شعر شوقي لو انه كان حيا .. او ركاكته .. !

واين القصيدة الجديدة المزعومة من بلاغته التي مطلعها :

الله اكبر كم في الفتح من عجب
يا خالد الترك جدد خالد العرب !

وخلاصة القول هي ان تحضير الارواح كما ذكر الامام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الازهر السابق : « لا يخرج عن مظاهر خداع والهاء بالخيالات لا يلبث ان ينكشف امره ، فنحن في حل من رفضه ، الى ان يقوم الدليل على صدقه » .

ونعود فنقول ان هذا « الدليل » لم يقم حتى الآن برغم كل ما يزعمون !

اولا : انه فضلا عن تسميته قد الف تاريخ افغانستان ، ولم يكتب حرفا واحدا في تاريخ ايران ، ولو كان ايرانيا لفعل العكس .

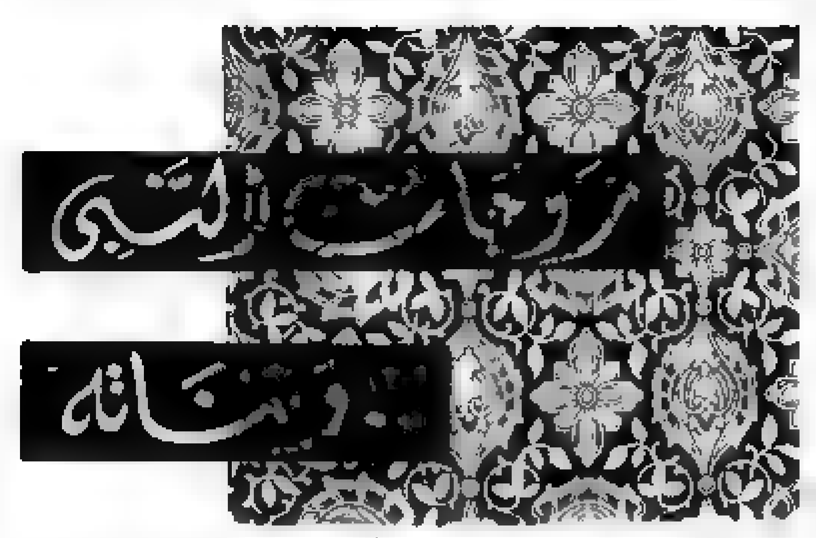
ثانيا : انه كتب تاريخ سلطان افغانستان الامير عبد الرحمن خان ، ولو كان ايرانيا لكان اولى به ان يؤلف تاريخ ناصر الدين شاه ، شاه ايران الذي عاش في عصره .

ثالثا : ان هناك تقريرا من السفير البريطاني في ايران يرجع الى اكثر من ثمانين سنة ، يؤكد فيه ان السيد جمال الدين افغاني وليس ايرانيا .. وقد نشرت صورة هذا التقرير غير مرة وهو ما يزال محفوظا في سجلات وزارة الخارجية البريطانية .

رابعا : انه توفي بتركيا على ما هو معروف ، فلما اريد نقل رفاته الى بلده ، نقل الى افغانستان ، ولو كان ايرانيا لنقلت رفاته الى ايران ...

وكل هذه القرائن وغيرها مما لا يحضرنا الآن ابلغ في الدلالة على انه افغاني ، من ان افرادا من اسرته ما يزالون يعيشون في ايران ، او انه ولد في دار ما تزال قائمة في محلة « سيمان » ما تزال قائمة حتى الآن ...

على انه ما هو هذا الخطر الكبير الذي يكمن وراء جمال الدين ، افغاني هو ، ام ايراني ، ام روسي ، ام صيني ، الرجل كان مسلما ، يعمل للاسلام في نحو كثير ، والاسلام عنده الله اولا ، والاوطان المحل الثاني ، ان كان لها فيه محل اصلا .



"ما حسدت امرأة ما حسدت خديجة، وما تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعد أن ماتت" السيدة عائشة

● كثيرا ما نسمع عن السيدة خديجة بنت خويلد أولى زوجات الرسول الكريم [illegible] تزوجت قبله [illegible] فما اسم هذا الرجل الذي [illegible]؟
وهل من زوجات الرسول من كانت متزوجة قبله سواها؟

دير الزور – سورية   جاسم موسى

● قرأت في كتاب عن تاريخ [illegible] زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ١١ زوجة، وقرأت في كتاب للدكتورة بنت الشاطئ [illegible] انهن عشر، وفي [illegible] الأوربية والأمريكية [illegible] تسع زوجات فقط فأي هذه الروايات الثلاث أصح؟ ومن هي زوجاته [illegible]؟ وكم عدد [illegible]؟ وما هي [illegible]؟

الاسكندرية   حمدي رأفت

● أولى زوجات المصطفى هي السيدة خديجة بنت خويلد، وهي أم أولاده إلا ابراهيم، فهو من مارية القبطية. وكانت سيدة نساء قريش. تزوجت مرتين، لا مرة واحدة كما يقول صاحب السؤال الأول. وكان زوجاها في المرتين من سادات العرب وأشرافهم. أبو هالة بن زرارة التميمي، وعتيق بن عائذ المخزومي. وإن اختلفت الروايات في أيهما كان أسبق إليها.

وكانت خير زوجات الرسول وأحبهن جميعا إلى قلبه، حتى انه لم يتزوج غيرها في حياتها. فلما ماتت ظلت ذكراها عنده أعز الذكريات. فقد كانت تحوطه في كل أزمة مرت به بحب الزوجات وحنان الأمهات.

حدث يوما ان أقبلت أختها «هالة بنت خويلد» إلى دار الرسول بعد ان تزوج بثالث زوجاته «عائشة»، فما ان سمع صوتها في فناء الدار

حتى هتف وقلبه يخفق : « اللهم هالة » ! فما ملكت عائشة نفسها من الغيرة من ذكرى خديجة ، فقالت : « ما تذكر من عجوز هلكت في الهالكين ، فابدلك الله خيرا منها ؟ فبدا الغضب على وجهه وصاح بها : والله ما ابدلني الله خيرا منها .. آمنت بي حين كفر الناس ، وصدقتني اذ كذبني الناس ، وواستني بمالها اذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء » ! (ولم يكن صلى الله عليه وسلم قد تزوج بمارية القبطية بعد ، ورزق منها بابنه ابراهيم)

فاسكتت عائشة ، وآلت الا تذكرها بعد ذلك ، وكانت من قبله لاتكف عن الكلام فيها والغيرة منها !

وكثيرا ما سمعت في كتب من الثلثيات وهي تقول : « ما حسدت امرأة ما حسدت خديجة ، وما تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بعد ان ماتت » !

● وثانية زوجات الرسول هي السيدة « سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس » وكانت ارملة مسنة غير ذات جمال ، تزوجها الرسول لترعى شئونه وشئون بناته بعد فقد امهن ، واكراما لذكرى زوجها « السكران بن عمرو » احد الثمانية المهاجرين الاوائل الذين اوذوا في سبيله حتى اضطروا الى الهجرة لينجوا بدينهم من مطاردة كفار قريش لهم ...

● وفي نفس الوقت كان الرسول قد خطب « عائشة » بنت خليله وصفيه وصاحبه في الغار : ابي بكر الصديق ، الذي سنظل سيرته مع الرسول وسيرة ابنته معه من بعده ، حديث التاريخ .

● وكانت رابعة زوجاته « حفصه » بنت عمر بن الخطاب التي يذكرها التاريخ بانها « حافظة المصحف الشريف » .. وكانت عند زواجه بها ارملة في الثامنة عشرة .

● وتلتها « زينب بنت خزيمة بن الحارث » ، وكانت هي الاخرى قد استشهد زوجها الذي اختلف المؤرخون في اسمه : اهو عبد الله بن جحش ، ابن عمة الرسول ، ام الطفيل بن الحارث بن المطلب ، ام شقيقه عبيدة بن الحارث ؟

ولم تلبث عند الرسول الا قليلا ثم ماتت .. وكانت تعرف بانها « ام المساكين » ..

وجاءت بعد ذلك « ام سلمة » ، هند بنت ابي امية بن المغيرة ، وكان يعرف باسم « زاد الراكب » . وكانت مرهفة الحس ، ذات جمال باهر .. وكانت قبل ذلك زوجا لابي سلمة ، عبد الله بن عبد الاسد الصحابي الفارس الذي قضى متأثرا بجراحه بعد معركة « احد » .. كما كانت اولى المهاجرات الى الحبشة ، ثم الى المدينة .

● وجاء بعد ذلك دور الشريفة الحسناء : زينب بنت جحش ، وكانت معتزة بجمالها وشبابها وقرابتها للرسول فكانت تقول . « انا سيدة ابناء عبد شمس » .

وقصتها مع الرسول ، وقصة زوجها الاول « اسامة بن زيد » وابيه « زيد بن حارثة » مشهورة .. وكانت تفخر على ضرائرها بان زواجها من الرسول كان بامر من السماء .

● والثامنة زوجاته صلى الله عليه وسلم هي « برة » بنت الحارث بن ابي ضرار ، سيدة بني المصطلق .. كانت من السبايا ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس ، فذهبت الى الرسول لينقذها من مهانة السبي وعار الرق ، فتزوجها وسماها « جويرية » .

● اما التاسعة فكانت « صفيه بنت حيي بن اخطب » عقيلة بني النضير واحدى سباياهم في غزوة خيبر ، وكانت اذ ذاك في السابعة عشرة ، ثم تزوجت مرتين ، اولاهما من فارس قومها وشاعرهم ، سلام بن مشكم ، والثانيهما من كنانة بن الربيع صاحب حصن « القموص » اعز حصون خيبر ، ثم سيقت في السبايا الى رسول الله ، فالقى عليها رداءه ، واعتقها ، وتزوجها .

● وعاشرتهن رملة بنت ابي سفيان زعيم مكة وقائد المشركين ، وكانت زوجة لابن عمة الرسول ، عبيد الله بن جحش الاسدي واسلمت معه ، وهاجرا الى الحبشة ، حيث وضعت ابنتها « حبيبة » ، فصارت تدعى « ام حبيبة » .. لكن زوجها لم يلبث ان ارتد عن الاسلام واعتنق المسيحية ، فاحست بالخزي واعتزلت الناس ، حتى فوجئت ذات يوم بجارية من جواري النجاشي تدعوها لمقابلته وتقول لها : « ان الملك يقول لك وكلي من يزوجك من نبي العرب ، فقد ارسل اليه ليخطبك له » .

وتم زواجها على يد النجاشي ، الذي دفع مهرها عن الرسول اربعمائة دينار ..

ولما اسلم ابوها بعد طول عناد ، اكرمه الرسول بان امر من ينادي يوم الفتح : « من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن اغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن » .



واما الحادية عشرة فهي « مارية القبطية » هدية المقوقس وشعب مصر الى الرسول ، هي واختها ، « سيرين » التي وهبها الرسول الى شاعره حسان بن ثابت .

وقد اشتدت غيرة السيدة عائشة وبقية زوجات الرسول منها لجمالها ، ولانه كان يقضي معظم وقته عندها ، وتضاعفت هذه الغيرة عندما تبين انها حامل ، ومالبثت ان ولدت له ابنه ابراهيم .

وآخر نسائه صلى الله عليه وسلم « برة » بنت الحارث بن حزن الهلالية ، واخت « لبابة » زوجة العباس ابن عبد المطلب ، اول امرأة آمنت بالرسول بعد السيدة خديجة ، والتي ضربت عدو الله ابا لهب يوم دخل بيت اخيه العباس وراح يضرب مولاه « ابا رافع » لانه اسلم ، فقامت اليه بعمود شجت به رأسه ، فما لبث ان هلك بعدها .

وكانت « برة » ارملة يوم دخل الرسول مكة في اثر « صلح الحديبية » فلما رآه هفا اليه قلبها ، وبعثت اليه بزوج اختها العباس يتحدث اليه في امر زواجها وكانت آخر زوجاته ، والخامسة من كن على عصمته يوم لقى الله .

اما بنات النبي صلى الله عليه وسلم فاربع : زينب ، ورقية ، وام كلثوم ، وفاطمة .

فاما زينب فتزوجت قبل بعثة الرسول بابن خالتها « ابي العاص ابن الربيع » وقصتها معه في هذا العدد .

وكذلك تزوجت رقية وام كلثوم بكل من عتبة وعتيبة ابني « ابي لهب » ، فلما قام الرسول يدعو الى الاسلام دفعهما الكفار الى بيت ابيهما ، بايعاز من عمتهما « حمالة الحطب » .

ثم تزوجت رقية من عثمان بن عفان ، وهاجرت معه الى الحبشة ، ثم الى يثرب ، ولذلك سميت « ذات الهجرتين » ، ولكنها لم تلبث ان لقيت ربها قبل ابيها بعد ان مات طفلها الاول .

وما لبثت ام كلثوم ان شغلت مكان اختها في بيت عثمان ، بعد اعوام ثلاثة ، فعاشت معه ست سنوات ثم لحقت بها ..

واما صغراهن « فاطمة » فكانت احب اخواتها الى قلب ابيها ، حتى قال فيها الرسول . « خير نساء العالمين اربع : مريم ، وآسية ، وخديجة وفاطمة » ، وزاد على ذلك ان زوجها من اقرب الناس اليه : علي بن ابي طالب .

رأس الرجاء الصالح واصغر قائد في الاسلام

● قرأت في احد الكتب الانجليزية ان مكتشف رأس الرجاء الصالح هو « فاسكودي جاما » ثم قرأت بعد ذلك في كتاب تاريخي عربي ان مكتشف رأس الرجاء الصالح هو شخص اسمه « بارثلميودياز » . فاريد ان تجيبوني اي الشخصين هو المكتشف الحقيقي ؟

● سؤالي الثاني : من هو اصغر قائد في الاسلام ، ومتى ولد ومتى توفي ؟

الهام اسماعيل ابو عاصي

ـ اما عن رأس الرجاء الصالح فقد كان البحار البرتغالي « بارثلوميو دياز » اول من دار حوله وعاد ثانية الى بلاده ، وكان ذلك عام ١٤٨٨م .

وفي عام ١٤٩٧ ـ ٩٨ قام « فاسكودي جاما » بمحاولته التي استطاع فيها الدوران حول رأس الرجاء الصالح والنزول على الارض المسماة اليوم « ناتال » واستمر في طريقه الى الهند ، وبهذا كان اول من دار حول الرأس واختصر بذلك الطريق الى الهند ، وحقق امنية ملوك البرتغال الذين كانوا قد ارسلوا قبله كثيرين من رواد البحار لاكتشاف الطريق فاخفقوا ...

ومما يذكر ان « فاسكودي جاما » استعان في محاولته الناجحة هذه بالبحار العربي « ابن ماجد » الذي صحبه في تلك الرحلة التاريخية .

★ ★ ★

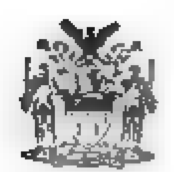
اما اصغر قائد في الاسلام فهو اسامة بن زيد الذي عقد له الرسول « ص » لواء الجيش لقتال الروم وعمره اذ ذاك ١٨ عاما ، تكريما لذكرى والده « زيد بن حارثة » ، وكان ذلك قبيل وفاة الرسول بقليل ، فلما مات صلوات الله عليه رأى اسامة ان يترك للخليفة ابي بكر حرية اختيار من يقود الجيش ، لكن ابا بكر ابى الا ان ينفذ رغبة الرسول ، ولم يكتف بذلك بل ودعه وجيشه سائرا على قدميه واسامة راكب ، فقال له اسامة

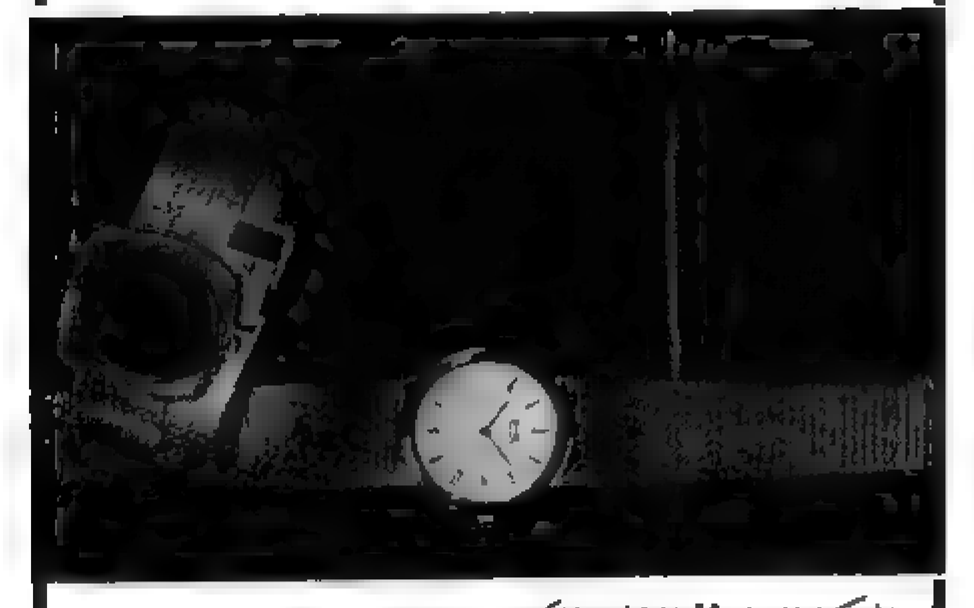
ـ يا خليفة رسول الله .. لتركبن او لانزلن !

فرد ابو بكر قائلا :

ـ والله لا تنزل ولا اركب .. وما علي ان اغبرت قدمي ساعة في سبيل الله .

وقد توفي رحمه الله في عام ٦٧٣م





اضحك تضحك الدنيا معك

سبب البكاء

■ وجدت هذه الجملة محفورة على أحد القبور.

« ان دموعي لن تحييك .. لأجل هذا انا دائمة البكاء !! » .

اذا عرف السبب ..

● كانت واجبات التلميذة دائما سيئة للغاية .. وفجأة أصبحت تحصل على درجة امتياز .. وتعجب الاستاذ فقال للتلميذة

ـ هل يمكني معرفة السر في التقدم

ابك تبك وحدك

التحول الذي طرأ على واجباتك في الاسابيع الاخيرة ؟

التلميذة : ليس هناك سر.. انما السبب هو ان والدي قد سافر الى الخارج لمدة شهر !!

قصة مجانين

● رفض المجنون تناول القهوة من زميله قائلا

ـ عندما اشرب القهوة لا استطيع ان انام ..

فضحك المجنون الثاني وقال ـ بل العكس .. انا على عكسك .. فانا عندما انام لا استطيع ان اشرب القهوة !!



قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم : ________

العنوان. ...

بقية الضحك

خبرة ..

● تقابل يهوديان بعد فراق ثلاثة اعوام فقال سمي :

ـ اهلا بصديقي سلمون .. ما هذه الاناقه ، هل ورثت ثروه ؟

فجاب سلمون لا ميراث ولا ارث .. انت تعلم يا ليمي ان هناك نوعين من الناس : ناس ذوى خبرة .. وناس ذوى مال .. وفي يوم ما ، قابلت شخصا عنده الكثير من المال ، ولكن بدون خبرة .. فاشتركنا معا ، انا بخبرتي ، خبرة ثلاثة اعوام ، وهو بماله .

ـ وما الذي حدث ..؟

ـ انت ترى النتيجة اليوم .. اصبح زميلي يملك خبرة ٣ سنوات . واصبحت انا املك الكثير من المال !!

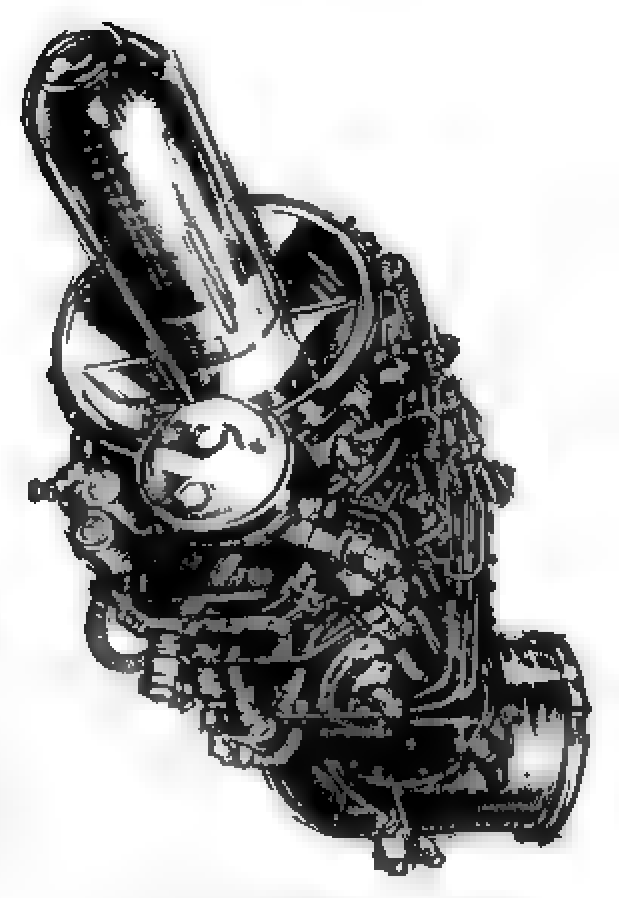


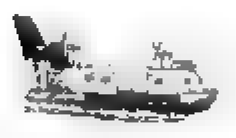
مكافآت وجوائز ردت لعدم العثور على اصحابها

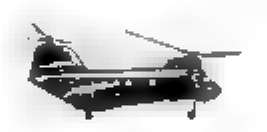
● كنا قد ارسلنا الى السادة الآتية اسماؤهم فيما بعد ، حوالات نقدية مبينة ارقامها وتواريخها، عن مبالغ فاز بها اصحابها في جوائز « العربي » ، ما عدا السيد ابراهيم صالح الذي ارسل اليه المبلغ مكافأة عن قصة ارسلها للعربي ولم تنشر بعد « ماتيو فالكون » ولكن هذه الحوالات ردت الينا بعد ان تبين عدم ثبوتية عناوين اصحابها ، وهذا بيانها :

الاسم والعنوان	رقم الحوالة	تاريخها
سالم بن سليمان الطابية ـ عمان	٢٩٨٥١٦	١٩٦٢/٦/١٤
الحبيب بن حسين ازموس " المؤسسة الصالحة رقم ٣١ نهج سيدي بن عروس ـ تونس	٢٣٤٦	١٩٦٢/٧/١
علي محمد عمر الحديدي مدرسة صلاح الاعدادية طرابلس ـ ليبيا	٥٥٣٨٢٤	١٩٦٤/٧/٢٧
فودالي احمد سيدي مؤمن ـ زنقة ١٢ رقم ١١٦ الدار البيضاء المغرب	٧٤٨٥٥٥	١٩٦٤/١٠/٥
محمد الحاج موسى قولاله ، ص.ب ١١١ ـ الزرقاء ـ الاردن	٢٠٤	١٩٦٤/١١/٢٩
السيد ابراهيم صالح ـ كلية الآداب ـ جامعة دمشق ـ سوريا	٥٦٥١٤٨	١٩٦٤/١٢/٢٦

ويبدو من هذا البيان ان بعض تلك الحوالات قد مضى عليها اكثر من ثلاثة اعوام دون ان يطالب بها اصحابها او يخطرونا بتغيير عناوينهم . لذلك نرجوهم ان يبعثوا الينا بالعناوين الصحيحة لتجديد تلك الحوالات التي انقضت بسبب ردها ، وان يأتينا ردهم خلال شهر اغسطس (آب) الحالي ، والا سقط حقهم في المطالبة بقيمتها . ■■









المعسكر الاشورى .. حيث الحركة دائبة .. والحياة نابضة

بقية المنشور على الصفحة الثانية

لا يكاد المرء يذكر دولة آشور ، التي سادت القسم الشمالي من بلاد ما بين النهرين (على مقربة من كركوك والموصل حاليا) ، الا ويذكر في الوقت نفسه دولة بابل التي حكمت القسم الجنوبي من ذلك الاقليم . ولا يعزى ذلك الى وئام او تعايش سلمي جمع بين الدولتين ، وانما الى صدام وحروب فرقت بينهما . مثلهما في ذلك كمثل اثينا واسبرطة ايام الاغريق . فقد نحت بابل كما نحت اثينا نحو الحضارة على حساب الصرح العسكري ، فانجبت للجنس البشري ما انجبت على صعيد العلوم والفنون والقوانين . ونحت آشور كما نحت اسبرطة نحو الحروب ومد السيطرة والسلطان دون ان تفرط باسباب الحضارة والفنون الا بالقدر الذى حملتها عليه الحروب . وانتهى الصراع بين الدولتين بقهر بابل وظفر آشور على يد الملك الآشوري تيكولتي نينورتا الاول (١٢٤٣ ـ ١٢٠٧ق.م) الذى استطاع ان يدوس راس ملك بابل بقدمه مرددا « بقدمي ادوس بقدمي هذا العنق الملكي كما ادوس القدم موطئها » .

لذلك كله كانت الصورة المنشورة على الصفحة الثانية من هذا العدد ان تنطق وتعبر عن مدى دولة آشور وهي في اوجها . فالمعسكر حافل بالمحاربين يتاهبون لخوض معركة او يستجمون بعد خوضها . وفريق الصيد عائد من صيده يحمل اسدا ضخما وتحف به كلاب الصيد الاصيلة . فالصيد والقنص شغل ملوك آشور الشاغل من بعد الحرب .. ولعل الزخارف التى ازدانت بها ثياب الملك وجوانب السرادق على مدى ما احرزه آشور في المجال الفني . اما الخيمة والسرادق والتقسيمة والعربة وقاعة المخور فتدل على ما حققه الآشوريون في الميدان العملي . ولعل ما يقوم به لخدمهم عند باب المعسكر من توفير لمياه الشرب وتبريد ، وما يمضي فيه زميله من طهي وتسخين ، لا يختلف في شيء عما نفعله هنا وهناك في قرننا العشرين .

على ان ابرز ما يتجلى في الصورة تلك الروح الديمقراطية التي سادت الحياة في بلاد ما بين النهرين قبل ظهورها ايام بركليس والاغريق بستة قرون او تزيد . فالملك ليس آلها ، ولا غضاضة في الا يلتقي اجتماعيا خاصا من افراد رعيته في المعسكر ، عندما كان يؤدى صلواته وعندما انصرفوا هم للقيام بواجباتهم العادية . اختلف الوضع اذن عما كان عليه ايام الفراعنة على ضفاف النيل . لقد كان الناس هنا سواسية امام القانون ، يحكم فيهم الحاكم ويذعن المحكوم ، في ظل الشرائع والقوانين . وكان للناس هنا مجالس شديدة الشبه بالبرلمانات والمجالس النيابية في القرن العشرين .

على ان ما تميزت به الحضارة في بابل وآشور لا يقف عند ماانجبته من سنن وشرائع نسبت الى حمورابي ، ولمست فيها الديمقراطية لحكم القانون ، وتوطيدا للملكية الخاصة ، وتعزيزا للمساواة بين سائر المواطنين . فقد تميزت ايضا بالتقدم العلمي في ميدان الفلك على وجه التخصيص وبالتقدم الفني سواء في النحت او البناء او الزخرفة الخزفية وغير الخزفية. ويسبق هذا وذاك على سلم تلك الحضارة الكتابة التى عرفها اهل بابل وآشور قبل الاف السنين والتى مهدت للشرائع والعلوم والفنون السبيل .

تلك هي حضارة ما بين النهرين وتلك هي الخصائص التى خلفتها على مر الاجيال . فهي من الحضارات التي سادت ثم بادت ، وهي من الحضارات التى عمرت وخلفت من بعد ان بادت .

اعلان

ان مؤسسة البن البرازيلي تعلن بواسطة مكتبها في بيروت ـ لبنان ـ شارع رياض الصلح ـ بناية البنك اللبناني للتجارة ، أنها قد حددت سعر مبيع البن البرازيلي في مستودعاتها في الكويت ، عمان ، البحرين ، دبي ، أبو ظبي ، الدوحة ، أم سعيد ، مسقط ، قطر و Trucial Coast بـ ٣٠ دولارا أميركا للشوال الواحد ٦٠ كيلو قائم ويعتبر الوزن عند التسليم في بيروت . أما مصاريف الشحن فهي على المؤسسة ما عدا رسوم الضمان ـ وقد حددت كمية معينة لكل بلد من بلدان الخليج العربي لا يمكن تصديرها الى خارجه على أن يقدم الشاري الى مكتب المؤسسة كفالة مصرفية بقيمة/ ٢٥ ,دولارا أميركيا عن كل شوال تضمن عدم تصدير البضاعة الى خارج البلد الذي شحنت اليه . وفي حال المخالفة يحق للمكتب المذكور تنفيذ شروط الكفالة والتصرف بقيمتها .


العرب
العدد ٨٢
الأول ١٣٨٥
سبتمبر
١٩٦٥
اطلب
الشعر
هذا العدد
جوائز
ار سنويا



حضارات سادت .. ثم بادت

عزيزي القارىء

●● يحمل الينا البريد كل يوم رسائل شتى ،تتعلق بامور لا شأن لنا بها البتة ...

فهذا قارىء يطلب الينا ان نبحث له عن عمل في الكويت ، وهذا آخر يرجو ان نزكيه لدى هذه الوزارة أو تلك ليحصل على وظيفة ، وثالث يريد ان تتشفع له « العربي » ليحصل من حكومة الكويت او احد شيوخها على منحة مالية يعالج بها مرضا او يقضي بها دينا ، الخ ...

وطبيعي ان « العربي » لم تنشأ لتكون مكتبا من مكاتب التوظف ولا هي فرع لوزارة الشؤون الاجتماعية او وزارة الاوقاف ، وبالتالي لا شأن لها بايجاد الوظائف او جمع التبرعات والاعانات والصدقات ..

●● وعلى الرغم من اننا شرحنا غير مرة ان الاشتراكات في « العربي » ، سواء اكانت داخل البلاد العربية او خارجها ، انما هي من اختصاص الشركة العربية للتوزيع : ص.ب ٢٢٨ ، بيروت ، ما نزال نتلقى كل يوم طلبات جديدة للاشتراك ، فلا نملك الا تحويلها للشركة المذكورة .. فماذا على طلاب الاشتراك لو اتصلوا بها رأسا ، فيريحون ويستريحون !

المحرر

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

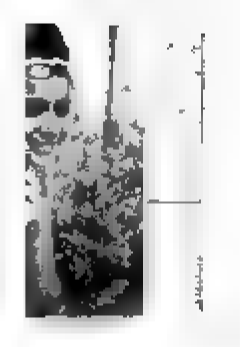
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت

ALARABY — No. 82 September 1965 P.O.B 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت: صندوق بريد ٧٤٨ — تلفون ٢٦٤١١ تلغرافيا «العربي»

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة — قسم الإعلانات



القناطر الخيرية بالنسبة للقاهرة كالرئة بالنسبة للإنسان .. فعلى أرضها التي تغطيها الحشائش الخضراء ، وفي ظلال النخيل والأشجار من مختلف الأنواع والأحجام ، يمضي الكثيرون من أهل القاهرة عطلة نهاية الأسبوع والمواسم والأعياد ، بعيداً عن ضوضاء العاصمة وازدحامها .. وهذه إحدى القاهريات وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة حالمة ، وهي تنظر إلى النيل ، وتستمتع بهذا الجو الشاعري الجميل .

انظر استطلاع القناطر الخيرية ابتداء من صفحة ٦٨

ثمن العدد : الكويت ١١ فلوس - مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية و ٥٠ر٢ ... العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ... قرش ، الأردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ٤٠ قرش ، ج ع م ... قرش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢٥ر٢ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه ولكويت العاصمة وأيضا من الشركة العربية للتوزيع بيروت وعنوانها بيروت ص ب ٤٢٢٨ ... العلاف ...



العربي .. سفير العرب

● قبل « العربي » لم يكن للعربي من سفير على صورته ، على الصعيدين العربي والاجنبي ، وبوجود « العربي » وجد هذا السفير العربي ، ولولا وجوده لكان يجب ان يوجد على الشكل الذي وجد عليه ، حتى اصبح وجوده الذي هو فيه الآن ، وجودا قوميا رائعا ، يقدم للعرب خدمات قومية رائعة ، اكثر من ان تعد ، واكبر من ان تحصى .

وما وجد « العربي » الا لوجود اكثر من ضرورة ولوجود امور اكثر من خطيرة ، على العرب مواجهتها ، ومواجهة الصعاب فيها ، لاجتيازها ، واجتياز ما تفرضه من ابعاد ، فيها الخطر الاكبر ليس على العرب فحسب ، بل على ما في الارض العربية من خيرات عربية ، وحتى على الوجود العربي نفسه !

و « العربي » ، كسفير للرسالة العربية الجديدة ، قد جاء العرب – حتى الآن ، ومنذ اقبل منسبع سنوات – باكثر مما جاءهم سائر السفراء العرب ، منذ ان وجد اول سفير عربي ، على ارض عربية او اجنبية . يقوم على ذلك الف دليل ودليل . حسبه انه ، انطلق كالقوى ما يكون الانطلاق ، حاملا للعرب مطلع كل شهر ، سفيرا عربيا ضخما ، بل سفارة عربية عظيمة وقوية ، لا تعمل لدولة عربية واحدة ، بل تعمل لسائر العرب ، من خليجهم حتى المحيط ، تجوب مشرق الارض العربية ومغربها ، لا توقفها حدود ، ولا تصدها سدود ، بل تجوزها الى غيرها ، لكل ارض اجنبية ، يوجد على ارضها من ينطق بلغة الضاد ، لتحمل رسالة آمنت بها ، فحملتها ، وراحت تعمل لها ، عربيا ودوليا ، حتى رأينا من اثرها – ولاول مرة في تاريخ العرب الثقافي والصحافي – هذا الاقبال الذي ما بعده اقبال ، حافلة في طياتها علما وادبا ومعرفة وسياسة ، وابحاثا ، ومقدرة ما بعدها مقدرة على حب الاستطلاع ، وفي كل استطلاع ، يعرف العرب ، بما ينفعهم ، وما انجبهم ، وما يتوجب عليهم ، ليعودوا كما كانوا ، السوداء الشماء ، وسادة نجباء ، في كل ارض وتحت كل سماء .

فتحيتي كعربي ، وتحية كل عربي ، لسفارتنا العربية ولاسرتها الكريمة ، ولكل مساهم فيها ، وشكرنا للذين اوحوا بفكرتها ، وعملوا على اخراجها ، لتكون منطلقا فكريا عربيا رائعا ، يستقطب الصفوة الطيبة المختارة من علماء ومفكري ومثقفي البلاد العربية قاطبة .

دمشق : حسين احمد كعوبة

خطاب من اندونيسيا

لماذا ترك الحضارمة

● اطلعت على استطلاعكم عن « المكلا » والحق انه خطوة موفقة لتذكير كافة الشعوب العربية الذين نسوا ، او تناسوا ، تلك الديار ..

الا اني وقفت مندهشا امام فقرة يقول فيها كاتب المقال نقلا عن بعض من حادثهم : « ان المهاجرين في اندونيسيا قد صودرت اموالهم » ، وانا بصفتي احد المهاجرين ، يهمني ان اوضح ان هذا لا يطابق الواقع ابدا .. ففي اندونيسيا تعيش جاليات كثيرة منها العربي والصيني والهندي وغيرهم ، وعندما تريد الحكومة الاندونيسية تنظيم اقتصادها تصدر قوانين تسري على جميع – منها قانون خاص باخراج العملة – تطبق على الجميع .. وانا

كفار قريش .. وماء بدر

● بينما كنت اطالع في العدد « ٧٨ » وفي مقال « صفية بنت عبد المطلب » رضي الله عنها عمة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وكنت مسترسلا في الدراسة ومتابعة الاحداث حتى وصلت الى قول الكاتبة . « وسار أبو جهل ومن خلفه قريش العاتية اللاهية ، حتى نزلوا بماء « بدر » ... الخ » .

واعتراضي هنا على الاخت سبيكة كاتبة المقال ، هو ان قريشا لم تنزل بدرا ولم تصل الى الماء ابدا ، وانما حال خروجهم من مكة لقتال المسلمين سمع الرسول (ص) وصحبه بذلك فخرجوا ، فأثناء سيرهم وبعد المشورات العديدة والنصرة من اصحاب الرسول له مع نصرة ربه عز وجل نزلوا في مكان قبل ماء بدر فوقف « الحباب بن المنذر » وقال للرسول (ص) « أهذا منزل أنزلكه الله إياه أم هي الحرب والخديعة ؟ فقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . « بل هي الحرب والخديعة » فقال الحباب بن المنذر « ان ننزل ماء بدر فنشرب ولا يشربون ، ونسقي الابل والخيل ولا يسقون » . فنظر الرسول (ص) الى باقي الصحابة مستشيرا فكان الرد بالموافقة فاتفقوا على النزول بماء بدر . فكان بذلك نزولهم بماء بدر قبل قريش وليست قريش هي التي نزلت بدر كما سمع بهم الرسول (ص) .

طيبة بني طولان — الاردن   مظهر جميل علاونة

هذه فلسفة .. وليست اسلاما !

● قرأت تعقيب الاستاذ عبد الوارث كبير على ما كتبه السيدان محمد صالح سعدان ومحمد عدنان الخطيب في أعداد سابقة ، تعليقا على مقالات الدكتور جمال الدين الشيال استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الاسكندرية عن أبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي ، ولست ابغي الكلام في هذا الصدد فإن كلمة الاستاذ عبد الوارث على اختصارها الشديد ، فيها الكفاية « نظرا للظروف » .

ولكن ما يدفعني لكتابة هذه الكلمة ما جاء بمقال الدكتور الشيال حول ابن عطاء الله السكندري من « أن أهل السنة في القرنين ٦ ، ٧ اعترفوا بالتصوف أساسا لفهم الدين الاسلامي فهما روحيا بعد أن ظلوا يناصبونه وقتا طويلا ، وأصبحت الوسيلة لمعرفة الله هي التفرغ لعبادته والفناء في حبه » . ولست اعرف من هم أهل السنة الذين قصدهم الدكتور ، وكنت ارجو أن يذكر لنا واحدا منهم حتى نستطيع أن نقف على وجه المعارضة ، وسبب أسس التسليم والاعتراف ، اللهم الا اذا كان الدكتور يقصد أن ابن عطاء الله نفسه كان واحدا من أهل السنة قبل الاتصال بشيخه .

والمعلوم أن الاسلام كامل العقيدة وأن صاحب

(البقية على صفحة ١٥٠)

اندونيسيا

اؤكد لكم انه ليس هناك حضرمي واحد صودرت امواله ..

اما عودة المهاجرين الى حضرموت فمردها الى انهم سمعوا بأن خيرات بلادهم ، من نفط ويورانيوم ، على وشك التدفق والظهور ، فتركوا اندونيسيا الى وطنهم الاصلي .

واخيرا ثق يا سيدي بأن الحضارمة يعيشون في اندونيسيا مكرمين معززين جنبا الى جنب مع اخوانهم الاندونيسيين واني لاخشى أن يشوش ما سطره قلم مراسلكم مما قد يسبب عنه اساءة الى العلاقة الطيبة التي تلاقيها الجالية العربية ، وخاصة الحضارمة في اندونيسيا .

بوقور — اندونيسيا . عبد الله عثمان باوهاب

صارت الزراعة صناعة، شاهد ذلك

النّاسُ جياعٌ فعلّموهمْ

حقيقة غفل عنها الناس: طيب الغذاء

ان الأمة الزراعية أفقر من أن تستمتع بثراث

بقلم رئيس التحرير

■ تسأل الرجل التاجر، أين تصنع الحياة، فيقول عن الدهشة في السوق، انها مصدرها ومراجعه، وفيها تمضي أصباحه وأمساؤه.

وتسأل الرجل القاضي، أو الرجل المحامي، أين تصنع الحياة، فيقول لك على الفور: في المحاكم ففيها يحضر أكثر ذهنه، ولها يبذل أكثر جهده.

وتسأل الرجل المدرس، أين تصنع الحياة، فيقول لك: في المدرسة.

وتسأل الرجل المهندس، أين تصنع الحياة، فيقول لك: في المكتب، ففيه تصمم مخططات البناء، أو مخططات الآلة.

والطبيب يصنع الحياة في عيادته

والعالم يصنع الحياة في مختبره

والكاتب يصنع الحياة بين كتبه

والسياسي يصنع الحياة في برلمانه ومؤتمراته، وحينا في مؤامراته.

والمدينة العظيمة تعج بالناس حتى هم في الغداة من منازلهم يخرجون، والطرقات يزحمون، إلى أن يجيء رواح، فإلى منازلهم يعودون. وهم في كل هذا غادون رائحون. وتسألهم ما يصنعون، وجوابهم دائما انها الحياة يصنعون.

ان أكبر الأمم الصناعية ، هي أكبر الأمم الزراعية

شق الأرض واخراج الطعام

يعطي الذكاء ، وسوء الغذاء يعطي الغباء

هذه المدنية ، الآكلة من أهلها في عهد إقطاع

الحياة عند جذورها الاولى

ولكن الحياة ، عند جذورها الاولى ، لاتصنع في سوق تاجر ، ولا في محكمة قاض ، ولا في مكتب مهندس ، ولا في مختبر عالم . ولا هي تصنع ، عند جذورها الاولى ، في المدينة مهما كثر سكانها واتسعت ارجاؤها .

ان الحياة ، عند جذورها الاولى ، انما تصنع بعيدا عن صخب المدينة ، وعن ضوضائها .

ان الحياة عند جذورها الاولى ، تصنع في الريف ، حيث الناس أمن ، وحيث الانسان اقل ، وحيث الطعام — مواد الحياة الاولى — ينمو نمو النبات وينمو الشجر في هدوء شامل وبطء ، فكأنما هو ينمو في غفلة من الزمان .

ومع النبات ، في الريف ينمو اللحم ، بطيئا كذلك . ان اللحم ، من ضأن ، وبقر ، ودجاج ، كلها تنمو في الريف ، ببطء ، الى جانب اصول طعامها من الحقول .

ورجل المدينة ، الغني ، والطبيب والمدرس ، والكاتب ، والشاعر ، ينسون الريف ، اصلا للحياة ، عند جذورها الاولى . ان رجل المدينة عنده ان الطعام انما ينمو عند الخضري ، والبقال ، وان كان لحما فانما نماؤه في دكان الجزار وقد يتسع خياله فيشمل مذبح المدينة ، لا لانه رآه ، ولكن لانه سمع به فآمن بوجوده . حجته تؤمن به مذاق اللحم في فمه

اغفال الريف جعل نصف سكان الارض تجوع

ان اغفال اهل المدن ، اهل الثقافة ، اهل الادارة ، اهل الحكم ، والمخططين في يوم الامة لغدها . ان اغفالهم الريف



حقول تسقى بالماء ، يصلها رشا من انابيب ، تحمل حملا الى الحقل عند الحاجة ، وتعلق من اصول للماء مثل خزانات ماء او ترع . وترى على جانبي الانابيب خطين اثرين خلفهما عجلات السيارة التي حملت الانابيب . والارض عند هؤلاء القوم ، وهم في كاليفورنيا بالولايات المتحدة تسقى بمقدار .

حمل نصف سكان الارض تجوع ، تجوع كمًا ، وتجوع كيفا . وجعل الموت يسعى بمنجله فيها يحصد لا سيما الاطفال .

ان سوء التغذية وما ينتج عنه ، او ما يصاحبه من مرض — ومع امراض الحمل — يصل من اطفال الامم المتخلفة ، الى سن الرابعة ، ما قارب الستين ضعفا ، مقدر ما يذهب الموت بهم من امثالهم في الامم المتقدمة .

وهو شر ، قد يرى منه بعض المفكرين خيرا

ولكن شر ممن يموت ، من يمضي من الاطفال ، على سوء التغذيه ، ليحيى .

انه النسل الضعيف ، والحياة الحاضرة تتطلب القوة .

وانه النسل المتخلف ذهنه ، والحياة الحاضرة ، حياة الصناعة ، حياة التكنية ، تتطلب الذهن الذي يقطع كما تقطع السكين الحادة .

الغذاء يعطي الناس الذكاء ويعطي الغباء

ان علاقة الغذاء بضعف الاجسام وقوتها علاقه بينه ظاهره لا تحتاج الى ايضاح . ولكن علاقـة الغذاء بالذكاء والغباء لا تزال خافية .

ان الذكاء ميراث في بذور السلالات لا ينكر . ولكن الغذاء الطيب يسقي هذه البذور وينشها ويحييها . لقد كشف العلم الحديث عن الرابطة الوثيقة القائمة بين القدرة العقلية على اختلاف اشكالها ، وبين ما يجري في الجسم من كيمياء . وبلغ الامر الى ان صارت الذاكرة لها عقاقير تقويها . ان الحياة



مزارع القصب في ايرانيا . هندسة ، وتخطيط ، ونظام ، ونظافة ، وتقوم على العناية بها أصابع رقاق ، تحركها عقول ذات معرفة ونظافة ، وأجسام شباب وزهرت على المدنية .

كيمياء ، وما الطعام المختار الا بعض عناصرها .

وذكاء الأمة محسوب عليها ، وكذا مباؤها .

والناس تحسب ان الذكاء يأتي معرا . وأنه كذلك يأتي الغباء . وما هذا ولا ذاك بمعور ، فلكل أسباب ، وان خفيت دهرا . ومما كان خافيا ، ثم انكشف ، عمل الغذاء الطيب في تنشيط الذكاء ، وعمل الغذاء السيء في تثبيطه وتعطيله .

والناس تربي الدجاج . ومن الدجاج : العقيم الذي لا ينتج البيض . فهذا يذبح للمائدة . ولا يستطيع الانسان أن يصنع في تربية الناس ما يصنع في الدجاج . فالأغبياء ، بسبب سوء الطعام باقون ، حملا على الأمة ، الى أرذل الأعمار .

وطيب الطعام غير التخمة . فالتخمة تغشى العقل ، وترجع بالذكاء الى الوراء .

الصرخة القائمة
المدوية : الصناعة ، الصناعة !!

ان الصرخة القائمة المدوية ، في البلاد المتخلفة ، هي اليوم : الصناعة ، الصناعة وهي صرخة حق ، تأخرت في ارمس كثيرا .

ان آباءنا ، وآباء الآباء خاصة ، عاشوا في زمانهم عيشة البساطة ، وكانت عيشة أقرب ما تكون الى الفطرة . الطعام يطلس له على الأرض ، والثريد وغير الثريد تمد اليه الأيدي بالأصابع ، والانتقال كان على الأرجل ، وقد يحظى الراحل بحمار ، وان كان ضوء النهار من شمس ، فضياء الليل من فتيل يغمس في الزيت . والكتاب كان من ورق خشن أصفر ، لم

نعرف ما الصورة قط . وانا اتحدث عن سواد الشعب لا عن الفئة الحاكمة التي تيسّر لها شيء من النعيم .

واليوم تغير كل شيء وتبدل . كل يطلب طيبات الحياة الحديثة ، او ما شاع في الناس انها الطيبات . المنازل المريحة الانيقة . الاثاث الوثير . الاقمشة الجيدة الناعمة ، وفي البيت المطابخ المطربة والكهربائية ، والسخانات والثلاجات ، والمستقبلات الاذاعية مسموعة ومنظورة وفي الطريق السيارات ، وبين المدن الطائرات ، الى غير ذلك مما لا يحصى ، ونضمه جميعا في اسم واحد فنقول المدينة . هذه الاشياء كلها لاتشتريها الزراعة ، ولا تقدر على دفع اثمانها امة زراعية ، الا لقلة قليلة من اهلها في عهد اقطاع .

فالامة التي تريد ان تستمتع بثمرات المدنية ، ومن ثمراتها العلم الانساني ، ومن ثمراتها الكرامة الانسانية ، لا بد ان تصنع . ذلك لان العائد من الزراعة لايغني . ولكي تقتنع ، احسب كم ثمن السيارة مثلا تشتريها من اوروبا ، وكم قنطار من قطن مثلا يؤدي هذا الثمن ، وكم فدانا من الارض تنتج هذه القناطير . ثم كم في الامة من فدادين ، وكم في الامة من ناس كلهم راغب في شراء سيارة ، وغير سيارة .

الصناعة الآن هي سبيل العيش على نمطه المدني الحاضر . والناس لا تختار انماط العيش . ان انماط العيش يصنعها الزمان ، ثم يلبسها من استطاع . والذي لا يستطيع يقال له « المتخلف » . فاذا هو رحمه نحو استطاعة فهو « الناس » .

نهذا عن الصناعة

بداهة ليس وراءها بداهة

ولكن ما بال الزراعة

الزراعة صارت صناعة

اما ان الزراعة وجبت ان تكون قبل الصناعة فبديهة اخرى .

وهي بديهة يدعمها التاريخ . فالانسان زرع ، ثم صنع . والزراعة تقدمت كثيرا ، على القرون ، عن بداءاتها الاولى ، وتقدمت الصناعة . فلما جاء الوقت الذي تقدمت الصناعة فيه تقدمها السريع السريع سميتا تقدمها العارم هذا بالثورة الصناعية .

وشاع في الناس القول بالثورة

الطائرة تنثر المبيدات الحشرية على الشجر





في روسيا ، كما في البلاد المتقدمة ، يجمع القطن بالآلات من الحقل . وتدور بهذه الآلات هذه السيارة ، وتقودها سيدة ، لا يمكن الا ان تكون متعففة كل التعفف . وهي في الواقع امرأة لها سمعة في الجهاد طيبة . وإلى جانب السيارة سيارة اخرى تفرغ فيها محصول القطن الذى جمعت .

الصناعية .. ولم يشع في الناس القول بالثورة الزراعية ، وكان حقيقا بهم أن يقولوا ، وأن يشيعوا ، فالذى حدث في عالم الزراعة لم تقل عن ثورة .

والثورة الزراعية أحسبها بدأت من حيث بدأ الناس ، بل بدأ العلماء يدركون وظائف الأسمدة ، لا سيما الأسمدة الاصطناعية الكيماوية ، في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن .

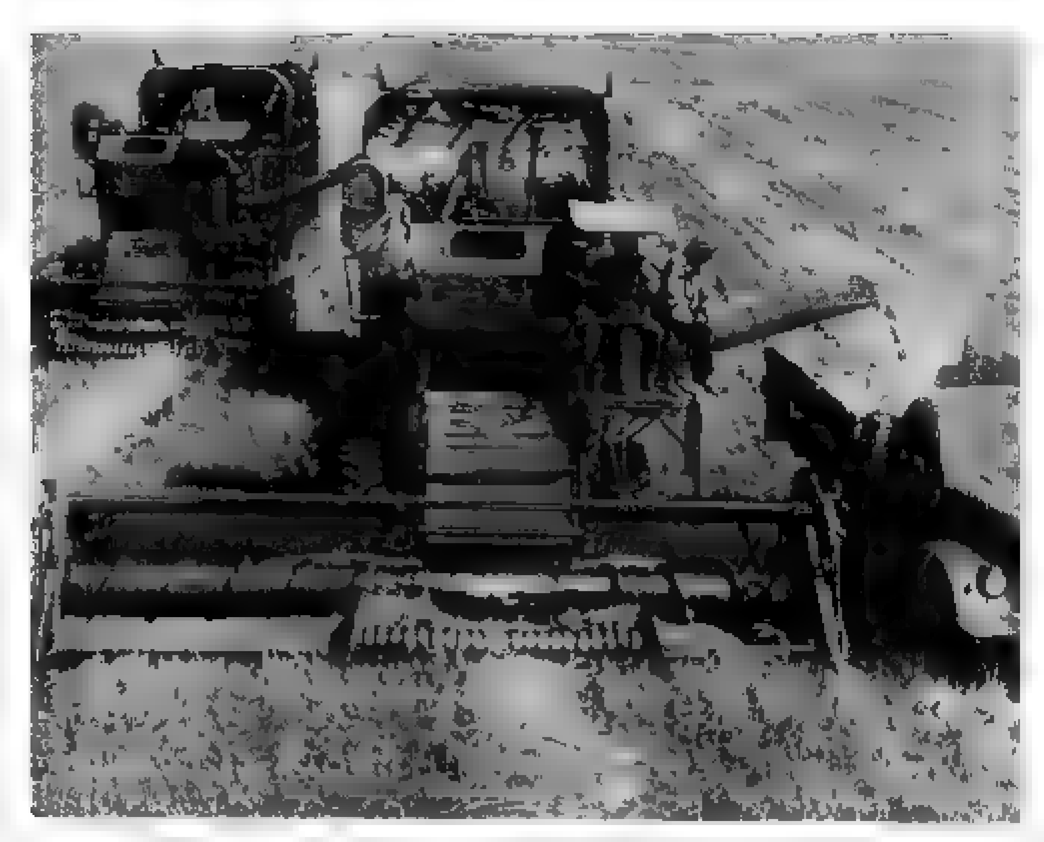
والذى حفز الى الثورة الزراعية حافزان :

(١) حافز التطلع والتشوق وأسحرق للربط بين الأسباب ومسبباتها . ذلك الحافز الذى هو وليد العلم الحديث ، أو العلم الحديث وليده .

(٢) حافز الصناعة التى قامت الى جانب الزراعة ، وازدهرت . وما عرجت عن كل ذى عين يرى ما قد تؤديه الصناعة ، وابتكاراتها واختراعاتها لو أنها دخلت الحقول ، حقول الحرث والبذر والحصاد

ان الزراعة أصبحت صناعة .

الصناعة قد تحل الدور الواسعة ، ذات الجدران المتطاولة والأسقف المترامية والمداخن العالية ، والزراعة صناعة بيوتها الحقول وسقفها السماء . المكنات فيها هى الحارثة ، والمكنات هى الباذرة وهى النافخة وهى الحاصدة . والمكنات هى الناشرة الدواء اذا مرض النبات . والحيوان اختفى من أرضها ، أو كاد ، اختفاء



هكذا تقوم الآلة بحصد الغلال من الحقل ، وبالدراس ، وفصل الحب ، ثم تدفعه كما يدفع الماء في الأنابيب في سيارة اخرى تحمله الى المخازن

ومن اجل هذا كانت اكبر الامم الصناعية هي اكبر الامم الزراعية .

والولايات المتحدة تأتي في المحل الاول ، ضخامة وعلما وانتاجا . لا يمارى في ذلك احد ، ويأتي الروس في المرتبة الثانية ، ضخامة وعلما وانتاجا .

ونعلم الكثير عن الامريكان ، ونتحدث عنهم ، لانهم ينشرون ، ولا نعلم عن الروس لانهم لا ينشرون ، او لا نقرأ نشراتهم .

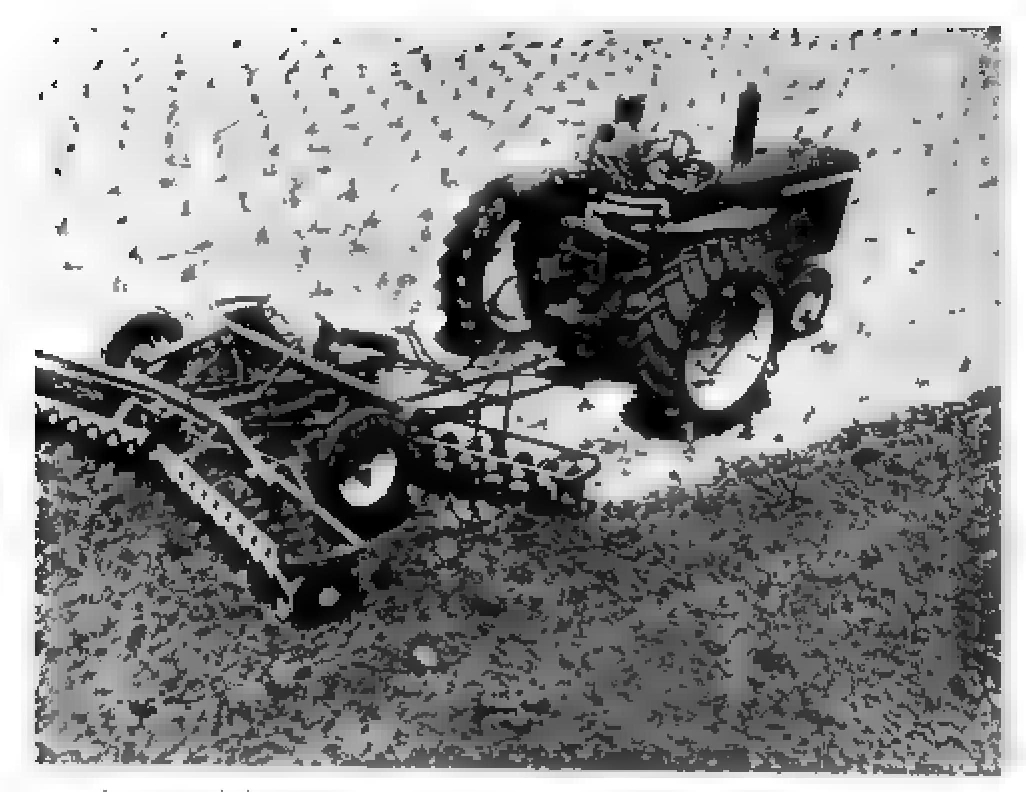
زيادة الانتاج الزراعي ليست ، بالضرورة ، زيادة ارض وكثرة عمال

ان المنطق الظاهر ، عندما تقل المحاصيل عن تغذية السكان ، يقول على الفور بزيادة مساحة الارض المزروعة وزيادة العمال . وهذا في الجمع والطرح الحسابي ، لا ينكره انسان .

ولكن يخالف المنطق الظاهر ان هناك امما زادت محاصيلها ، عندما نقصت المزروع من ارضها ، ونقصت عدد العاملين فيها .

ان هذا ما وقع في الامم المتقدمة ، الامم الصناعية، امم العلم امم التكنيكية. ليس في واحدة منها ولكن الكثير .

نعم ، نعم . واعيدها مرة ثانية فلعل لغرابتها لم تستقر في الاذان . نعم زادت المحاصيل ، على نقص مقصود في الارض، ونقص مقصود في الرجال .



حقل مرت عليه السيارات ملايين فمحصت عنه . ثم جاء هذا الجرار بادواته ، وهي تبعثر الارض وتخلصها مما علق بها من جذور المحصول .

ولنضرب مثلا بالولايات :

ان محاصيل الولايات زادت ٣ اضعاف منذ عام ١٩٤٠

ومع ان الارض المنزرعة نقصت في الولايات بنحو ٧ في المائة فقد زادت المحاصيل بنسبة ٥٠ في المائه .

وكان الفرد الذي يعمل في الزراعة ينتج من الطعام ما يكفي لنحو ٧ اشخاص في عام ١٩١٠ ، اصبح ما ينتجه يكفي لنحو ١٠ اشخاص في عام ١٩٣٠ ، ولنحو ١٥ شخصا في عام ١٩٥٠ ، ولنحو ٢٧ شخصا في عام ١٩٦٣ .

ووفر هذا من العاملين في الزراعه نحوا من ٢٢ مليون نسمة ، ذهبت تعمل في قطاعات منتجه من الاعمال الاخرى .

نقص عدد العاملين الثلث .

بينما زادت المحاصيل ثلاثة اضعاف ،

بينما نقصت الارض المنزرعة !!

اضف الى هذا ان نواتج الارض كفت السكان جميعا ، على الوفرة ، وفاضت بالذي اسموه فائض المحاصيل : ٩٠٠ الف طن من الطعام تصدرها الولايات كل عام .

كلام يذكر بحديث اللامعقول « الذي شاع في هذه الايام في احاديث الادباء » .

اسباب لا تؤدي الى هذه المسببات !

ان الشيء الرابض وراء التناقض انما

هو العلم الحديث ، وانما هو التكنية الحديثة . وما التكنية الحديثة الا العلم مطبقا ، او هو الهندسة ، وهي علم ، زاوجته فنون من العلم اخرى .

والعلم ، والتكنية ، دخلتا الى الزراعة على صور شتى ، نذكر منها في اختصار، عناوين يصلح كل منها ليكون عنوان كتاب

(اولا) : استخدام حصيلات علم الكيمياء على النحو الآتي :

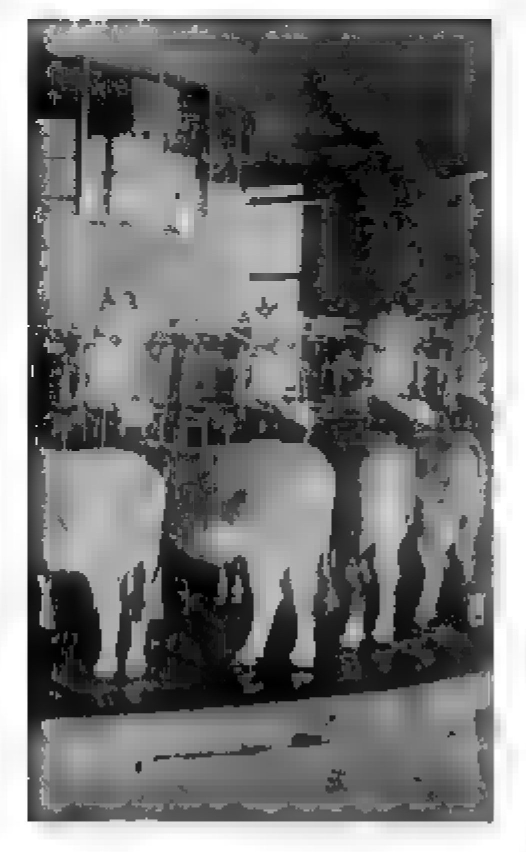
اسمدة صناعية وهذا امرها الآن معروف مشهور .

ب - سموم لابادة الحشرات والفطر وسائر الآفات التي تصيب النبات .

جـ - الكيماويات التي تحكم الحشائش فلا تنمو ، وتلك التي تسرع في انبات البذور ، وتلك التي تسرع بالنمو عامة ، وتشجع على انضاج الثمار .

د - الكيماويات التي تسرع بالتربة لتصلح من طبيعتها .

(ثانيا) : استخدام الآلات في الزراعة على النحو الذي يتفق وحال البلاد ، حال رخصها ، وحال ناسها ، علما بانه ليس هناك حال تستعصي على التغيير . ان الآلات قلبت الريف في الامم المتقدمة راسا على عقب . انها تحرث ، وانها تبذر ، وتحفر ، وتحمل الاحمال الثقال ، وعند الحصاد هي التي تحصد ، وتدرس وتفصل الحب ، وتحش ، وتعالج الثمر قلعا وتنظيفا ، وهي تعمل مالا يمكن لماشية ان تعمله ، وما لا يستطيع انسان ان يتحمله ، وفي وقت يكاد يكون كلمح البصر اذا هو قورن بوقت يستغرقه الحيوان والانسان في هذه الاعمال ، لا سيما اذا ما نظرنا الى الحقول الشاسعة الواسعة التي يدور فيها المكن حارثا او حاصدا . وكان اهل الغرب يستخدمون الخيل في كل ذلك ، وقد احتجت او كادت . قال احدهم : « ان تزويد الآلة بالوقود ارخص من تزويد الحصان بالطعام . والعناية التي تتطلبها



الآلة تصبح اقل من العناية التي يتطلبها الحصان ليصح . والآلة اذكى من الحصان ، واكثر حيلة . وباحلال الآلة محل الحصان تحولت ارض كانت تنتج الطعام للحصان الى ارض تنتج الطعام للانسان » .

(ثالثا) : استنباط السلالات التي تعطي المحصول الاوفر ، وتقاوم الامراض مقاومة اوفى . ولقد افادت من ذلك زراعات كثيرة ، من هاتين الوجهتين . نذكر على سبيل المثال زراعة الفول والفاصوليا والسلة . زراعة الخيار . زراعة الطماطم . والقمح نسلوا منها انسالا ذات بروتينات أعلى مرتبة مما ألفنا فيه . والقطن جاءوا منه بذرية تعطي بذورا خلت من الصبغة السامة التي اسمها جوسيبول Gossypol الى آخر ما هناك .

ونذكر النبات ، ولا ننسى الماشية .



هذه زرائب البقر في الامم المتقدمة ، نحسبها من نظافتها انها المستشفى . وفيها يغسل البقر ويجلد من بعد غسل ويحلب . وبالمكنات يصنع كل هذا .

لا سيما فيما نحن بصدده من استنباط سلالات تعطي نتاجا اوفر وتقاوم الامراض . وامر هذا شائع ذائع انما نحن نذكر . وعلى سبيل المثل ، نذكر انهم حصلوا على سلالة من الدجاجة تبيض الدجاجة الواحدة منها ٢ بيضة في العام ، ودجاجات تبلغ في النمو مبلغا ، في الوزن ثلاثة ارطال في عشرة اسابيع . ومن اجل هذا كان هذا البيض العامر من الدجاج الذي نراه في الشرق العربي ، ومصدره الولايات المتحدة والدنمركه وسائر الدول المتقدمة زراعتها .

والتخزين والتعقيم والتعليب

ويضطرنا الحديث في الزراعه ، في الدخول الى ما يلي جني ثمارها من تخزين ، فتعقيم ، فتعليب ، فتبريد ، لا سيما ونحن نتحدث في الاكثر عن الثمار المأكولة التي تشبع الجياع . وكل هذه من عمل الآلة ، من عمل الصناعة

بيت القصيد

ونعود آخر الشوط الى بيت القصيد

قلنا : ان الناس جياع ، فعلموهم شق الارض واخراج الطعام .

فمن نريد ان نعلم ؟

نريد ان نعلم الفلاح العربي اينما كان .

انه العنصر الانساني في هذا الصدد كله . والعنصر الانساني في الشيء ، انما

يهيمن على هذا الشيء . ان فيه صلاحه وفيه فساده . وبه يسير هذا الشيء على رجليه ، مشيا او رهوا ، او جريا ، او امرح الحطى . وقد يتوفر للزراعه المال ، وتتوفر الارض ، وحتى الالة تتوفر ، ولا تتوفر الذكاء الذى يديرها ، ــ الذكاء الانسانى ــ فتسوء الحال .

والفلاح الشرقي يفخر دائما في جلبابه الازرق ، او سرواله الابيض ، بانه فلاح عريق . وهذا الاعتزاز بالفلاحة ثروة . ويحق لك في اعتزازه انه ورث الفلاحة ابا عن جد ، وورث خبرة القرون . وهذا حق . ولكنه لم يكتسب خبرة القرن العاشر ، ولا علم القرن العاشر ، ولا ثقافة القرن العاشر ، وهو في الغالب الا غلب امي ، والامية تحد من الذكاء الفطرى ، وهو من احل ذلك

هكـذا تدخلت الآلات في الملبس اليوم . وهذا احد العمال يركب في غرفة الترانزيستور الصغيرة ، وهي من عمر واحد ، مصابيح الكهرباء ذات الضياء ، الفرن الاحمر ، لتدفئة الطفل في الشتاء القارس



لا يدرى حتى ما علاقة الزرع بالهواء ، وما علاقته بالماء . والتربة لا يدرى الا انها صفراء او سوداء . امراض الزرع عنده ، بعضها « تدوات » تهبط على الارض من السماء . وهو لا يدرى ما التكثير ولا المطر ولا صنوف الحشر ، ولهذا قل ايمانه بما يأتى به العلم فيزيد علة او يوقف فسادا .

سمعت من فلاح معروف يقول لابنه الرجل ، بعد ان تركهم رسول وزارة الزراعةبعد حديث معهم في الحقل طويل . قال الشيخ : انظر الى هؤلاء الشبان ترسلهم الينا الوزارة ، ليعلمونا الزرع . شبان لم يحملوا الفاس يوما ، يعلمونا نحن ، وعندنا خبرة الف عام .

قلت للشيخ : ايكما اعلم بزراعة انت او ابنك هذا ؟

قال الشيخ : علمته كل ما اعلم .

قلت : وهكذا فعل أبوك . وهكذا فعل جدك . فكلكم سواسية في علم . لم يزد ولم ينقص . فهو ليس علم ألف عام ، انما هو علم واحد لعمر واحد ، تناقلته اجيال في الف عام . لم يزد . واليوم ، اعنى في هذا القرن خاصة ، انقلبت الحال .

وردت في الحديث فتقبل الرجل الشيخ ، وبدا يؤمن . وكلما تحدثت زاد ايمانا . واخيرا قال لي كلمة اصابت كبدا ، يسمونها احيانا كبد الحقيقة . قال انا فلاح ، والفلاح لا يؤمن الا بالذى تراه عيناه .

قلت : وددت لو تعود صبيا ، وتذهب الى المدرسة ، وتتعلم الكتابة والقراءة ، وتثقف عامة . هذه ضرورية لفهم الدنيا . الدنيا هذه الحديثة . ومتى تفتحت امامك ابواب المعرفةسهل عليك الدخول الى الزراعة من ابوابها الحديثة ، فتفهم الزرع كيف ينمو ، وكيف يأكل ، وكيف يشرب ، واى الطعام اصلح له ، واى ارض . وتعلم انه يمرض ، وكيف



حقل تدفئ زهوره وبراعمه المصابيح ، ترفع عنها الصقيع الذي يقتلها . ويقوم في الحقل الواحد مائة مصباح . وهذا شاهد من الشواهد التي تدل الى اي حد دخلت الصناعة حقول الزراعة يبذل لها العون . اما هذه الحقول ففي سويسرا .

يمرض . وهل هذا المرض جدري ، ام حصبة ، ام هو ضعف عام . واي دواء يحتاج ، واي الفيتامينات ، واي ...

ونظر الشيخ كأنه اغرابه .

قال : وهل يصاب الزرع بالحصبة والجدري ؟

قلت : لا . انما ذكرت لك ذلك لأؤكد لك ان النبات شيء حي ، يأكل ويشرب ، وتجوز عليه الصحة والمرض تماما كما تجوز على الانسان ، انما على مراتب اخرى .

ان الفلاح رجل سليم الفطرة ، ولكن يفسدها الجهل .

والمخططون للامم ، ولنهضات الامم ، يخططون لاستغلال الارض ، واستغلال البحر ، وحتى استغلال السماء . ولكن وراء كل هذه الاستغلالات استغلال الانسان . ان الانسان ثروة الامة الاولى .

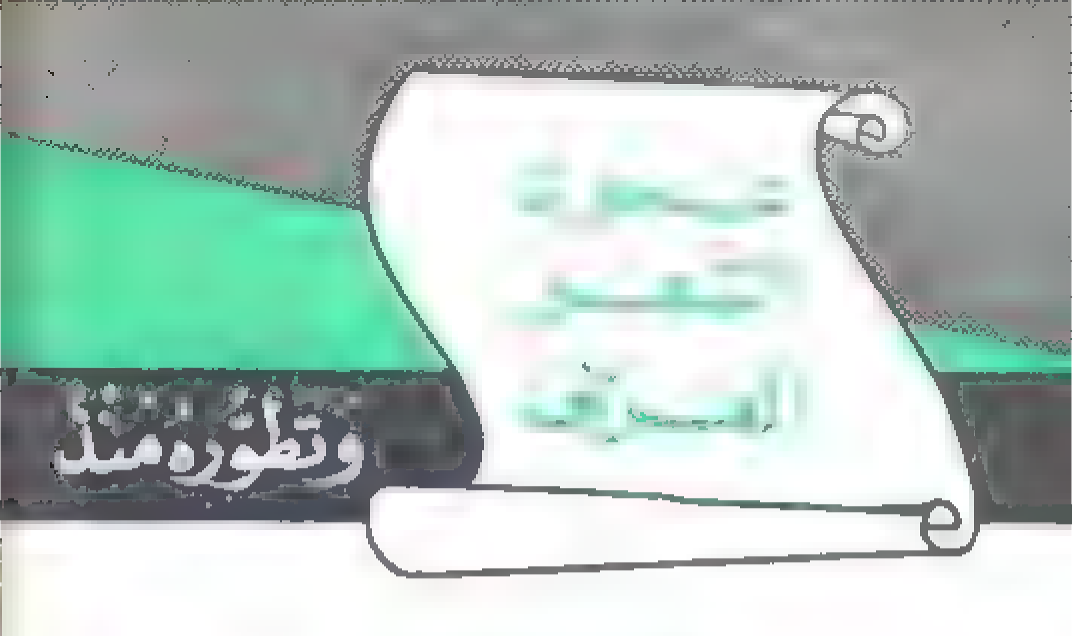
والفلاح صاحب مؤونة الدولة . هو الذي يطعمها .

فلابد من تعليمه وتثقيفه ليكون جديرا بحمل تبعات الزراعة الحديثة في هذا الزمان . ومن اول التثقيف محو الامية كما نعلم . وليت الوقت يأتي الذي لا يدخل فيه رجل حقلا الا بعد ان يكون على الاقل قد اكمل التعليم الابتدائي .

واختم فاقول :

الناس جياع ، فعلموهم شق الارض واخراج الطعام على مقتضى العلم الحديث ، والتكنيكة الحديثة . ■■

احمد زكي



بقلم : انيس المقدسي

■ في مقدمة ديوان الحماسة لابي تمام يعرض شارح الديوان احمد بن محمد المرزوقي (٤٢١ هـ) مذاهب نقاد الكلام واختلاف مواقفهم في تعيين خصائص البلاغة الشعرية ، ثم يعقب على ذلك بقوله — « فاذا كان الامر على هذا فالواجب ان يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب ، ليتميز تليد الصنعة من الطريف ، وقديم نظام القريض من الحديث » .

فلنقف قليلا متسائلين ما هو هذا العمود الذي ذكر المرزوقي انه كان معروفا عند العرب ، وكيف نعرفه نحن اليوم بعد تحدره الينا عبر الاجيال ؟ سؤال حري بالنظر . وما هذا المقال الا محاولة وجيزة للاجابة عن هذا السؤال .

ولا نحسبنا مبتعدين عن جادة الصواب اذا قلنا في تعريفه انه طريقة محددة المعالم لجودة النظم . والذي يبدو ان هذه الطريقة وان عرفت منذ اواخر القرن الثاني الهجري ، لم تنظم تماما الا في اوائل القرن الثالث . فان جل ما وصلنا من النقد البلاغي السابق لذلك العهد ، لم يخرج عن كونه نظرات اولية منبعثها ذوق ادبي فطري ، كالذي يروونه مثلا عن عمر بن الخطاب انه كان يفضل شعر زهير لخلوه من المعاظلة والحوشية (١) او كالذي يروونه عن نصيب انه اخذ بيتا للكميت لانه لم يراع فيه المواخاة بين الالفاظ (٢) واشباه ذلك مما كان يصدر عن بعض من وهبتهم الطبيعة حسا فنيا ، وغريزة تميز الحسن من غير الحسن .

نشط بحث البلاغة في القرن الثالث فالذي يليه

فلما كان القرن الثالث نشطت الاوساط الادبية الى البحث في البلاغة وخصائصها . وما زالت حركة البحث فيها تتسع حتى بلغت اوجها في القرن الخامس وما يليه . ويكفي ان نذكر من اعلام هذا البحث الجاحظ (٢٥٠ هـ) وابن قتيبة (٢٧٦) ، وقدامة بن جعفر (٣٣٧) وابا الحسن الجرجاني (٣٦٦) والآمدي (٣٧٠) وابا هلال العسكري (٣٩٥) والباقلاني (٤٠٣) وابن رشيق (٤٦٣) وابن سنان (٤٦٦) وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١) .

(١) ... ٣ ـ ١١٧ (٢) المثل السائر لابن الاثير ...

تطور الشعر العربي في القرن العشرين عن الزخرفة البديعية ، الى البساطة الطبيعية ، وفتح بابا الى الرومانسية ، ثم تحول عنها الى الرمزية والامعان في الغموض ، ثم سار طريقا وسطا بين الاثنين .

القرون الأولى إلى القرن الحاضر

ويمكن القول ان نظر النقاد السابقين كان في اول امرهم مصروفا بالاكثر الى الصناعة الشعرية او الجمالية الشكلية ، فاهتموا باحكام اللفظ وعلاقته بالمعنى ، والقافية والسبك ، وما يجب على الشاعر ان يتقيد به في كل غرض من اغراض الشعر كالمديح والرثاء والهجاء والغزل والنسيب والوصف وسواها .

ابن قتيبة يقرر حسنات الشعر

وهنا يبرز امامنا ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء حيث يقرر حسنات الشعر فيجعلها ـ سهولة اللفظ ـ اصابة التشبيه ـ جودة القوافي ويضيف الى ذلك تجنب الضرورات والحشو والتكرير والافراط في المبالغة والاخطاء النحوية والعروضية . ولا يكتفي بهذه الحسنات بل يحدد للشاعر طريقة يحتم عليه اتباعها ، وهي كما جاءت في مقدمة كتابه : « ان مبتدىء الشاعر يذكر الديار والدمن والآثار ، فيشكو ويبكي ، ويخاطب الربع ويستوقف الرفيق ... ثم يصل ذلك بالنسيب ، فيشكو شدة الشوق والم الوجد والفراق ، ثم يرحل ويشكو النصب والسهر وسرى الليل وانضاء الراحلة ... ثم يتخلص الى المديح او غيره من الاغراض . الخ » فهذه الطريقة كانت عنده كما كانت عند من سبقه الطريقة المثلى للنظم ، وعلى الشاعر ان يسير عليها ليعد من الفحول . وظلت كذلك مدة طويلة بعد ابن قتيبة .

محاولة التجديد والخروج في الشعر عن سنة القدماء

لا ننكر ان بعض الشعراء في كل جيل قد حاولوا شيئا من التجديد في سنن العمود الشعري والى ذلك اشار ابو نواس في احدى خمرياته اذ قال :

وقوله متهكما بالشاعر الذي يجري على الطريقة القديمة

وكم عاب النقاد المحافظون ابا تمام لمذهبه البياني وخروجه بذلك عن سنة القدماء حتى ان الآمدي في كتابه الموازنة حكم بتفضيل البحتري عليه لان البحتري على حد قوله « اعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب الاوائل ما فارق عمود الشعر المعروف » .

وقد قام بعض النقاد يدعون الشعراء الى التحول عن البيئة البدوية الى وصف اسباب



الحياة الحضرية كما فعل ابن رشيق صاحب كتاب العمدة قال :

« وليس بالمحدث من الحاجة الى اوصاف الابل ونعوتها ، والقفار ومياهها وحمر الوحش والبقر والظلمات والوعول ، وما بالاعراب واهل البادية ، لرغبة الناس في الوقت عن تلك الصفات ، وعلمهم ان الشاعر انما يتكلفها تكلفا ليجري على سنن الشعراء قديما ... » الى ان يقول . « والاولى بنا في هذا الوقت صفات الخمر والقيان وما شاكلهما وما كان مناسبا لهما ... ثم صفات الرياض والبرك والقصور وما شاكل المولدين » (١) .

ولكن هذه الدعوة الى ترك البيئة البدوية والاخذ بوصف البيئة الحضرية لم يهدم عمود الشعر الذي نصبه العرف العام . فظلت القصيدة تجري على ما رسم لها من مقدمة غزلية ووصف ، فتخلص الى غرض من الاغراض .

عمود الشعر ، في القرن الخامس ، قام على سبعة اركان

وفي القرن الخامس نرى العمود الشعري قائما على سبعة اركان ذكرها المرزوقي في مقدمة شرحه للحماسة ونلخصها منه بما يلي :

في المعنى ـ ان يقبله العقل الصحيح ، اي ان يكون مستقيما لا يخالف المعقول .

في اللفظ ـ ان يسلم من الهجنة ، اي ان يكون مألوفا مستعذبا .

في الوصف ـ الاصابة وحسن التمييز ـ اي ان يكون صادقا مناسبا للموصوف .

في التشبيه ـ ان يقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات اكثر من انفرادهما ولا ينتقض عند العكس .

في الاستعارة ـ ان يكون المستعار مناسبا للمستعار له ويكتفي بذكر المستعار فقط في التحام اجزاء الكلام ـ ان يكون الكلام منسجما لطف التركيب حسن الوضع . في القافية ـ ان تكون مما يتشوقه المعنى واللفظ .

ثم يقول : « فهذه الخصال هي عمود الشعر عندهم فمن لزمها بحق وبنى شعره عليها فهو الشاعر المفلق » .

رأي الباقلاني في البليغ

ومن الانصاف ان نقول ان بعض علماء البلاغة في ذلك العهد قد نظروا في الشعر والنثر الى ما وراء الصناعة المحددة بمقاييس بيانية ومحسنات معنوية او لفظية . وذلك ما يعنيه ابو بكر الباقلاني في كتابه « اعجاز القرآن » اذ يقول : لان وجوه البديع والبلاغة درجات فمنها ما يمكن الوقوع والتمثل له ويدرك بالتعلم[٢] . وما كان كذلك فلا سبيل الى معرفة اعجاز القرآن به . واما ما لا سبيل اليه بالتعلم والتحمل من البلاغات فذلك هو الذي يدل على اعجازه . فكأنه يقول ان البلاغة لا تقوم على قواعد وقياسات يمكن لكل ان يتمرس عليها ويتقنها ، وانما هي شيء اعمق لا يستطيع ادراكه غير صاحب الذوق الرفيع المهذب .

الاجادة في رصف الالفاظ ليست بلاغة عند الجرجاني

وقد خطا عبد القاهر الجرجاني في كتابيه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة خطوة اخرى في هذا السبيل فاثبت مبدأين هامين : الاول ان البلاغة لا تقوم على اللفظ بذاته ولا على المعنى بذاته بل على طريقة نظمهما معا في الجملة . والمبدأ الثاني ان النظم العالي لا يعني مجرد الاجادة في رصف الالفاظ والعبارات كقول احدهم « لله در خطيب قام عندك يا امير المؤمنين ـ ما افصح لسانه ، واحسن بيانه ، وامضى جنانه ، وابل ريقه ، واسهل طريقه الخ » . او حتى كقول الجاحظ :

« جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، وجعل بينك وبين المعرفة نسبا ، وبين الصدق سببا ، وحبب اليك التثبت ، وزين في عينيك الانصاف .. الخ » (٣) فهذا عند الجرجاني كلام حسن الرصف « سبيل صاحبه في ضم بعضه الى بعض سبيل من عمد الى لآل فخرطها في سلك لا يبغي اكثر من ان يمنعها من التفرق » .

ولكن المسألة ليست مسألة رصف منسجم لا

---

(١) العمدة ـ مصر ١٩٢٥ : ٢ ـ ٢٢٧ (٢) الباقلاني ١١٥ ـ ١١٦ (٣) دلائل الاعجاز ٧٦

خطأ فيه ، بل حري ان يكون للكلام تلك الروعة المعنوية التي تمس القلوب لا يرتفع بتركيبه عن المعتاد ، ويوحي بمعاني وراء المعاني . وهذا مسلك دقيق لا يسلكه الا من اوتي ملكة التمييز بين المعاني من اساليب التعبير وغير المعاني .

استقرار البديع على عرش السياده

حاول الجرجاني ومن سلك مسلكه من علماء المعاني ان يجعلوا للبلاغة عمودا في قالب على اقيسة صناعية محددة . وقد نجحوا ولكن الى حين فقد بدأت الاقيسة الصناعية الى البروز ـ واشتد بروزها منذ القرن السادس فاستقر « البديع » على عرش السيادة حتى اصبح الشعر والنثر يتنافسان في استعمال المحسنات اللفظية والمعنوية .

فالعمود الشعري الذي بني قديما على اسس الاسلوب الجاهلي وصدر الاسلام حرا من التكلف الصناعي ، البسه امراء الشعر في ابان العصر العباسي ثوبا قشيبا من التوليد اللفظي والمعنوي ، ثم اضيف اليه مع الزمن زخارف من التصنع البديعي . ولم يصل الى القرن التاسع عشر حتى كان قد رثت ثيابه ، وتحول الى هرم شبابه .

عمود الشعر في قرننا هذا الحاضر

ولما طلعت انوار النهضة الحديثة نهض الشعر ولكنه ظل حتى اواخر القرن الماضي يسير مثقلا بما كان يحمله من زخارف الماضي . والواقع انه لم يتخلص منها الا تدريجيا في قرننا الحالي .

في هذا القرن اشتد اتصال العالم العربي بالحضارة الغربية فتأثرت حياته الادبية تأثرا بينا مما ادى الى تطور في الشعر العربي . ومن ظواهر هذا التطور ما يلي :

١ ـ التحول من الطريقة القديمة من وقوف على الطلول او الابتداء بمقدمة غزلية . وفي ذلك يقول مصطفى الرافعي من قصيدة يصف فيها القطار

يا صاح هذا عصرنا قدع النياق
يصف الانعام والاحداق

واهجر حديث الرقمتين واهله
بعدت ليالي الرقمتين وبادوا

٢ ـ تحوله عن الزخرفة البديعية الى البساطة الطبيعية وسلوك سبيل الحرية . وفي هذا التحول فتح الباب لنزعة شعرية جديدة هي النزعة الرومانسية او الابداعية . ولم يعد عمود الشعر قائما على الاسس التي وضعها ابن قتيبة او المرزوقي ولا ما كان يقيمه اصحاب الصناعة البديعية ، اذ اصبحت طريقة السهولة المتبعة او حرية التعبير الشخصي . ومن مزاياها تجنب التقارب الصوري والتصنع اللفظي في التعبير عن العواطف الشخصية .

ومن امثلتها قول علي محمود طه متشوقا الى حياة الريف :

اني لاذكر حقلنا ولياليه
الزهر فيه ... لديه ... ويغمر

ومراحنا بقرى الشمال وكوخنا
تحت العرائش في ظلال الثمر في

يا حبذا ضوء من سراج للصبا
والكوخ من منتشى لنا وخصيب

وقول ايليا ابو ماضي في قصيدته « الطلاسم »

اسمي حشيت وامسي
وانا لا اعلم

انا للسر وذهابي
كمجيئي طلسم ؛

لا تجادل ـ ذو الحجى من قال اني لست ادري
والذي اوجد هذا الشعر لسر مبهم ؛

واكثر شعراء النصف الاول من قرننا الحالي كانوا يجرون هذا المجرى السهل الجميل بل هو مذهب عرف به كثير من القدماء الذين يجرون مع السجية السمحة في نظمهم ، على ان سهولة الرومانسية في النصف الاول من قرننا الحالي لم تبق على حالها فقد تطرف بعضهم فيها حتى اصبح الشعر اقرب الى الكلام المنثور ـ لاجهد فني فيه ولا ذهوب الى البعيد من المعاني . ولعل ذلك هو السبب في حدوث ظاهرة جديدة في الشعر هي :

٣ ـ تحوله من السهولة الرومانسية ووضوحها الى غموض الرمزية وبعد دلالاتها ويذهب اصحابها الى ان هدفها تجديد الشعر بتحريره من الابتذال

اللفظي والتمتع العاطفي اللذين شابا الرومنطيقية اخيرا وذهبا بروحها الفنية وكذلك تحريره من ادب الواقع والغموض ارتيادا لآفاق جديدة تمتد الى ابعد من الظاهر القريب .

والعمود الشعري في الرمزية قائم على الايقاع اللفظي وما يوحيه من ومضات فكرية خفيه وحيلة تلك الومضات اذا لم تكن مغرقة في الغموض بحيث تصبح من قبيل المعميات والاحاجي . ولكنها للاسف قد حملت عند البعض على محمل التطرف فاصبحت هي ايضا طريقة متكلفة قصرت عن الغاية التي كانت تهدف اليها . مما ادى الى طور جديد في الفن الشعري ولعلنا نستطيع ان نسميه .

الانسانية الجديدة ' وهي نزعة تأخذ من كلا الرومنطيقية والرمزية احسن ما فيهما ، فتجمع بين جدة التعبير وحسن التخيل واشراق المعاني جميعا وتجعل للشعر رونقا من حيث الاخراج وروعة من حيث التصوير وسموا الى ابعد الآفاق المعاني .

ومن امثلتها قول بشارة الخوري في مرثاته للزهاوي واصفا طريقه عبر الصحراء الى بغداد .

بغداد ما حمل السرى
مضني سوى قبس مريب
جئنا له الصحراء والتحت الكثيب الى الكثيب
يتساءلون متى الفتى العربي في السرى الغريب
صحراء يا بنت السماء البكر والوحي الخصيب
انا دمعة الادب العزيز وصفحة الالم الكئيب
من قلب لبنان الكئيب لقلب بغداد الكئيب

وقول عمر ابو ريشة في وصفه بقايا طلل لا يزال ثابتا رغم عوادي الزمان

شبه تعمد منه كف الدهر
ء وباتت تخاف آذى لمسه
مــا يتحفى الوهم الشاحبه
ويتعثر الموت في يأسه

والثابت هنا ان الاخراج الشعري في هذا العصر قد ازداد حرية فهو لا يتقيد باسلوب القصيدة القديمة الطويلة القوافي وان كانت لاتزال طريقة شائعة ، ولكنه يجري ايضا في مسالك جديدة اما على طريقة التوشيح الاندلسي او على اساليب النظم عند الغربيين . فترى لكل شاعر اسلوبا خاصا في التعبير عن خواطره وعواطفه ، على ان يظل محافظا على الموسيقى الطربة التي لا يكون الشعر شعرا اذا خلا منها .

اما مواضيعه فمستوحاة من الحياة والحضارة الانسانية : حياة الفرد وحياة المجتمع ، ومن الطبيعة في جمال مجاليها ، وروعة معانيها ، وما كشفه العلم من اسرارها وغرائبها . وهكذا يقف امام هذا الكون الانساني والطبيعي متأملا ، مستوحيا ، ملتمسا مواطن الجمال فيه ، حاملا للناس من موسيقى الفكر ما يطربهم ويرفع نفوسهم ويريهم من حقائق الوجود ما لايرونه بانفسهم .

ذلك هو عمود الشعر العربي في شتى اطواره التاريخية . والواقع ان الشعر الرفيع مهما تغيرت ظروفه واحكام النقاد فيه فهو اليوم وامس والى الابد الفكر الرائع في اللفظ الرائع . ■■

انيس المقدسي

يحيى بن أكثم

قال يحيى بن أكثم للمأمون يذكر حاجة له قد وعده بقضائها ، وامطل ذلك :

« انت يا امير المؤمنين اكرم من ان نعرض له بالاستنجاز ، وتماتك بالادّكار ، وانت شاهدي على وعدك ، لا تأمر بشيء لم تتقدم ايامه ، ولا يقدر زمانه ، ونحن اضعف من ان يستولي علينا صبر انتظار سيبك ، وانت الذي لا يؤده احسانٌ ، ولا يحصره كرمٌ ، فعجّل لنا يا امير المؤمنين ما يزيدك كرما ، ونزداد به نعما ، ونتلقاه بالشكر الدائم »

فاستحسن المأمون هذا الكلام وامر بقضاء حاجته

إليك يا فلسطين

■ يا ديارَ المجد ما هذا الجفا   هام قلبي يا حياتي فارحمي

كلما فكّرتُ في هذا البعادِ

صار همّي وعذابي بازديادِ

لا تصُدّي واحفظي عهد الوداد

وارحمي قلباً إليك قد هفا   بات من فرط الهوى في مكتمِ

يا ملاذ العُرب يا أرض الحِمى

انظري دمعي على خدي همى

واستعدي كي تعودي مثلما

كان عهدي حين أيام الصفا   عهدَ وُدٍّ وازدهارٍ مُفعمِ

جددي أنس الليالي الخاليه

حققي خير الأماني العاليه

ثم عودي للحياة الصافيه

تُنعشي الأرواح من بعد العنا   وبأبناء الأماني تنعمي

لا تعودي للبكا يا بلدتي

كثرةُ الأشجان زادت لوعتي

روحُكِ الفتّان يشفي علّتي

يا حياتي اسعفيني بالوفا   واسعدي يا نور عيني واسلمي ■■

دمشق   فهمي التميمي



القديم والجديد

● قال فيلسوف حديث ساخراً: اذا اردت الحديث من الآراء، والجديد من الافكار، عليك بالكتب القديمة. أما اذا اردت القديم من الآراء، البالي من الافكار، فعليك بالكتب الحديثة».

الفيلسوف والشجرة



● يروى عن الفيلسوف الالماني كنط انه لجأ الى القضاء ذات مرة مدعيا ان جيران له قد اقتلعوا شجرة كانت في بيتهم فعكروا بالتالي مزاجه، وعرقلوا اسباب تفكيره، ونالوا من مقدرته حينئذ على الكتابة والتأليف، نظرا لما كان قد ثبت بين دوافع تأملاته ومنظر تلك الشجرة من دواع واتصال. وقال فيما قاله بصدد الدفاع عن وجهة نظره: ان الشجرة، وان كانت ملكا لاولئك الجيران، من حيث هي جذع واغصان واوراق وثمار، فان ملكها ليست وقفا عليهم من حيث هي منظر للناظرين ومصدر وحي للمفكرين. الا ان المحكمة لم تأخذ برأي الفيلسوف ولم تحكم له بما طلب!!

الموسيقى بين الذكاء والغباء

● كان الموسيقار العالمي جوهانز برامز Johannes Brahms شديد التأثر بسلفه العظيم بيتهوفن Beethoven يقتفي أثره ويحذو حذوه في معظم الحانه وأنغامه. وقد تجلى الشبه بين سيمفونية بيتهوفن التاسعة، وسيمفونية برامز الاولى، لدى عزف الاخيرة للمرة الاولى بقيادته. فعم الهياج جمهور المستمعين وجعلوا يتصايحون «موسيقى بيتهوفن نسخة طبق الأصل!» فاستفز الهم برامز وخاطبهم بتأثر عميق قائلا «الشبه بين الحان بيتهوفن والحاني كبير، وفي وسع الاغبياء من الناس ملاحظته. أما التباين بين هذه الانغام وتلك، فمن الدقة بما يفوت الاغبياء ادراكه».

قول مأثور

ـ قال ابراهام لنكولن «تستطيع ان تستغفل كل الناس بعض الوقت، أو بعض الناس كل الوقت، الا أنك لا تستطيع ان تستغفل كل الناس كل الوقت».

شرود الذهن

● يروى ان استاذا شارد الذهن انطلق مسرعا الى سيارته لدى الانتهاء من عمله. وجعل يحاول فتح السيارة دون جدوى. بحلقة المفاتيح التي كانت في يده كان بها عدد كبير من المفاتيح. واعاد الكرة مرتين أو ثلاثا بلا فائدة. وتملكه الغيظ وتصبب من جبينه العرق

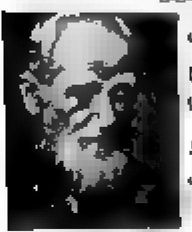
الفاتيكان والاسهم المالية والسندات

● الفاتيكان ، هو مقر البابا ، خليفة القديس بطرس الشرعي ، وبالتالي الحاكم المطلق فيما يتصل بالكنيسة الكاثوليكية من شؤون . ومن الطريف ان نذكر أنه من اغنى اغنياء العالم قاطبة . فهو يملك من الاسهم والسندات ما تبلغ قيمته ٥٦٠٠ مليون دولار، اي ما يقارب خمسة اضعاف ما تملكه الحكومة البريطانية من الاسهم والسندات القابلة للتداول بالدولار . ولا يشمل هذا المبلغ طبعا قيمة الاراضي والعقارات التي يملكها الفاتيكان في مشارق الارض ومغاربها ، ولا قيمة ما في خزائنه من لوحات وتماثيل وما اليها من ثروات فنية هائلة . ولعل قيمة كل من هذه وتلك تفوق المبلغ الذي ذكرنا اضعافا مضاعفة .

الى ان فاجأه صديق له بالسؤال : « ما الذي تحاوله يا استاذ . . . ! » اجاب : « اريد فتح سيارتي والانطلاق بها الى بيتي قبل وصول صديق » .

فرد الصديق « لكن سيارتك ليست هذه التي تحاول فتحها ! انها هناك على الجانب الآخر من الطريق !! » .

راى في المراة



● يقول برنارد شو : « شغل المرأة الشاغل هو تعجيل الزواج في اقرب وقت ممكن ، اما الرجل فشغله الشاغل هو ارجاء الزواج الى ابعد وقت ممكن » .

لا تخطيط بغير احصاء

بقلم فؤاد عبد الرحمن حسين

مدير عام الادارة المركزية للاحصاء ـ الكويت

■ ما هو الاحصاء .. وما المقصود به ؟ يقول رجال الاحصاء انه وصف بالارقام لكافة ظواهر المجتمع وحقائقه ، وهو حينما يصفها بالارقام فانما يعبر عنها ويعرضها بوسيلة فائقة الدقة والصحة ، لان الارقام بطبيعتها فائقة الدقة والصحة ، تمتاز بتحديد المفاهيم والمعاني . فمثلا لو قيل ان الجو بالامس كان حارا ، لكان هذا تعبيرا ناقصا بنفسه مقدار حرارة الجو ، ولكن لو ترجمنا ذلك بالارقام وقلنا ان درجة الحرارة قد وصلت بالامس الى ٤٨ درجة مئوية لكان ذلك وصفا دقيقا .

والاحصاء لا يعني بمجرد العدد العام لهذه الظواهر والحقائق ، بل انه يعبر عن خصائصها وبذلك تكمل الصورة التي تعطيها لنا هذه الظواهر والحقائق . فحين يجرى احصاء او تعداد عام للسكان فان الاحصاء لا يكتفي باعطائنا مجرد العدد الكلي للسكان ، وانما يعبر عن خصائص هؤلاء السكان : كم منهم من الذكور ؟ وكم منهم من الاناث .. وكم منهم اميون ، وكم منهم يعرفون القراءة والكتابة ، وكم منهم من حملة المؤهلات الدراسية ، وما هي درجة هذه المؤهلات هل الابتدائية ام المتوسطة .. الخ .

كما انه يعبر عن المهنة التي يحترفها هؤلاء السكان فيبين كم منهم يعمل مهندسا ، وكم منهم يعمل طبيبا ، وكم منهم يعمل مدرسا ، وهكذا...

وما يحدث للسكان يحدث بالنسبة لاي موضوع اخر يتناوله الاحصاء ، فمثلا لو كنا بصدد احصاءات التجارة الخارجية ، فاننا نجدها لا تكتفي باعطائنا مجرد القيمة الكلية لما استوردناه او صدرناه وانما تعطينا القيمة لكل سلعة

الذكور في عاصمة الكويت ثلاثة اضعاف الاناث!

عدد السكان يزحف الى مايقرب من نصف مليون

ولم يكــن بمحض الصـــدفه ان تلحق ادارة الاحصـاء بمجلس التخطيط ، لان العلاقه بين الاحصاء والتخطيط هي كالعلاقة بين اى جزء في جسم الانسان وبقية الاجزاء .. وكذلك لا تخطيط بلا احصاء . لان الاحصائيات والارقام هي التى ترسم السياسة التخطيطيه .

تدريب ٩٠٠ شاب

ورغم حداثة عمر التنظيم الاحصائي في الكويت ، الا ان الادارة المركزية للاحصاء قامت خلال هذه المدة باعمال احصائية كبيرة ومتعددة . مستعينة في اعمالها بمجموعة من الخبراء من دول مختلفة ، وخاصة من الدول العربية الشقيقة .

استوردناها او صدرناها ، كما انها تبين لنا البلاد التى استوردنا منها او صدرنا اليها ... وهكذا .

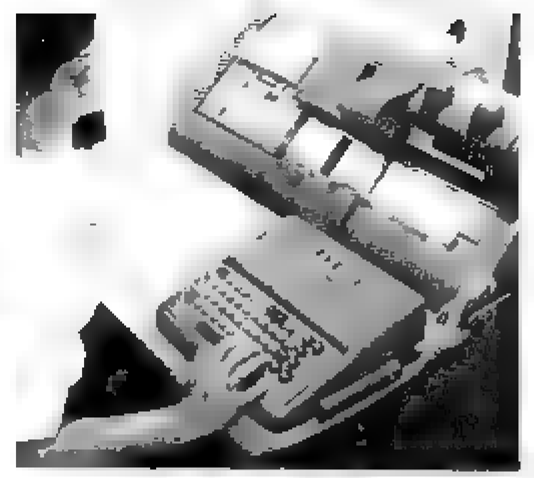
الاحصاء في الكويت

ولا شك ان هذا النهج الذى يتبعه الاحصاء في وصف الظواهر والحقائق بالارقام مصنفة تبعـــا لخصائصها ، يمكننا من الوقوف بشكل دقيق محدد على تفاصيل كل موضوع يتناوله الاحصاء . ولذلك عمدت الامم الراقية الى ادخال الاحصاء في كافه جوانب مجتمعاتها حتى تكون على بينة من كل ما يدور في هذه المجتمعات بطريقة تنير لها كل سبيل فتاتي تصرفاتها حيال هذه المجتمعات صائبة سليمة مبنية على اسس مستنيرة .

ولقد اخذت دولة الكويت الحديثة ذلك في اعتبارها فاصدرت في عام ١٩٦٢ قانونا تضمن انشاء الادارة المركزية للاحصاء تلحق بمجلس التخطيط ، ويكون لها حق اجراء الاحصاءات والتعدادات في جميع المجالات بحيث تصبح المرجع الاحصائي الوحيد في الدولة .

الى اسفل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في خزانة للمحافظة على سريتها ولا يسمح بالاطلاع عليها الا للمختصين





تقوم هذه الفتاة بنقل البيانات من دفتر التعداد الى بطاقات خاصة على هذه الآلة التي تقوم بثقب البطاقة ثقوبا معينة لكل منها دلالة خاصة

بعد تثقيب البطاقات على الآلة الاولى ومراجعة ثقوبها ، تنقل البطاقات الى هذه الآلة الجديدة ، التي تقوم مرة اخرى بتثقيب بيانات المماثلة على البطاقات ، مثل البيانات الخاصة باسم المدينة والمحافظة والقرية

وفي شهر ابريل (نيسان) الماضي قامت هذه الادارة المركزية باجراء التعداد العام لسكان الكويت .

وبعد ان تم تدريب ٩٠٠ شاب على ايدي خبراء عرب لمدة ١٢ يوما ، انطلقوا يجمعون المعلومات عن السكان من : عددهم ، واعمارهم ، ونوعهم ، ومكان ولادتهم ، وجنسيتهم وديانتهم ، ومدة اقامتهم ، وحالتهم التعليمية والاجتماعية ، وعدد الزوجات ، ومهنهم ، وكم يدفعون ايجارا لمساكنهم ...الخ .

وقد استغرقت العملية الميدانية لهذا التعداد قرابة الشهرين ، ما بين اجراءات تمهيدية ، وحتى والوصول الى كل اسرة وجمع البيانات عن كل فرد. وقد انتهى ذلك في اواخر شهر ابريل عام ١٩٦٥ .

وفي يوم ٦ مايو اعلنت الادارة المركزية للاحصاء النتائج الاولية لهذا التعداد .

الآلات الالكترونية تظهر النتائج

وكانت الادارة على استعداد تام لتلقي هذا السيل من البيانات فقد اختارت مجموعة من الفتيات للقيام بالمرحلة الثانية وقد انصب الاختيار على الفتيات لانه ثبت ان المرأة اكثر مثابرة على الاعمال الرتيبة التي تحتاج الى تكرار باستمرار ..

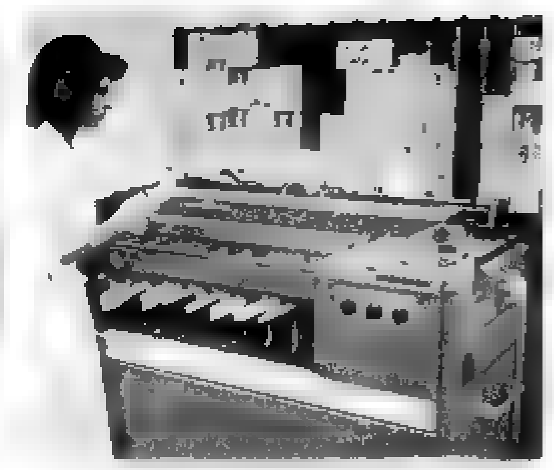
وما كادت سجلات العدادين تصل الى الادارة حتى بدأت مراجعتها وتحويلها الى رموز وتثقيب على بطاقات خاصة .. بحيث ان بيانات الاسرة بكاملها تحولت الى رموز رقمية ، تمهيدا لادخالها الى الآلات لتراجعها وتفرزها وتبوبها ..

وبعض هذه الآلات الكتروني يستطيع قراءة ٣٧ الف بطاقة في الساعة الواحدة ! وهناك آلات اخرى تقوم بفرز الف بطاقة في الدقيقة الواحدة .

وتخضع البطاقة بعد تثقيبها الى مراجعة دقيقة لهذه الثقوب ، بحيث انها لا تصل الى مراحل الفرز والترتيب والتبويب النهائية ، الا بعد اختبار الى البيانات التي تثبت على كل بطاقة ، وذلك باجراء مقابلة منطقية موضوعية بين بيانات الفرد الواحد من السكان وبعضها .. فمثلا تجري مقابلة بين عمر الشخص وحالته التعليمية ، فمن

تجمع هذه الصورة بعض المفتشات وهن يراجعن سجلات التعداد التي قدمها المندوبون





الآلة الالكترونية العجيبة التي تستطيع ان تفرز وتصنف النتائج التجميعية وتقرر ٢٧ بطاقة في الدقيقة لتخرج منها الجداول وتقوم بتدقيق صحة البيانات . وفي على جانبيها كل بطاقة فيها معلومات متناقضة

وهي احدى الماكينات الطابعة التي ... المعروف ، وهي مرحلة نهائية في العملية وتقوم هذه الآلة باعداد نتائج الاحصاءات المطلوبة في شكل جداول شبه نهائية ، وسرعة هذه الآلة ٦٠٠٠ بطاقة في الساعة

في المعقول مثلا ان يكون هناك شخص عمره ١٤ سنة وحاصل على بكالوريوس هندسة !

ويرى القارىء وصفا تفصيليا لهذه الآلات تحت الصور المنشورة مع هذا الكلام ..

ومن دراسة النتائج الاولية لتعداد ١٩٦٥ ، الذي يعتبر اول احصاء دقيق لاهل الكويت ، يتضح ان عدد سكان البلاد ٤٨٦٠٤٢ نسمة نسبة الذكور فيهم ٢٨٦٦٦١ بينما الاناث ١٩٩٣٨١ اي ان الرجال يزيدون عن النساء بنحو ١٠٠ الف نسمة .

وبلغ عدد الكويتيين في الكويت العاصمة ٩٩٦٣٣ نسمة ، نسبة الرجال فيهم تلائم النسبة العالمية تقريبا ، اذ بلغ عددهم ٧١٤٣٦ رجلا مقابل ٢٨٢٠٧ أنثى .

عدد السكان

ان النتيجة النهائية للاحصاء ستكون معدة في اواخر سبتمبر القادم ، ولكن ادارة الاحصاء رأت ان حبس البيانات المتوفرة لديها فترة طويلة ليس من الصالح العام ، لهذا عمدت الى تضمين نشرتها الشهرية بيانات اولية عن تعداد السكان .

ومما يذكر ان هذه النشرة الشهرية تتيح الفرصة للمتخصصين للوقوف على الاحصائيات التجميعية شهريا ، كما ان هناك نشرة سنوية تعد خير مرشد لكل من يريد الوقوف على معلومات احصائية حيوية متعلقة بالسكان ، والتربية ، والتجارة الخارجية ، وثروات البلاد من نفط وصناعة وتجارة ، والمواصلات والنقل وكل ما يتعلق بالاحصائيات الاخرى المتنوعة .

وقد صدر العدد الاول منها عن عام ١٩٦٤ ويجرى الاعداد لاخراج العدد الثاني بعام ١٩٦٥ .

عدد المؤسسات الاقتصادية

اما عدد المؤسسات التي تزاول مختلف اوجه النشاط الاقتصادي في الكويت فقد اعلنت النتائج الاولية لها ، ومنها يتضح ان عددها ١٥٠٤٦ مؤسسة يتركز معظمها في محافظة العاصمة ، حيث يوجد بها ٩٤٩٤ مؤسسة ، بينما يعمل في محافظة حولي ٤٧٠٤ مؤسسة ، وبمحافظة الاحمدي ٨٤٨ مؤسسة .

...عداد بطاقات مثقبة على الآلات الخاصة من ...تجميع معلوماتها من الاهالي





شهدت الكويت تعيين وخبراء في الاحصاء من الدول العربية والاجنبية ويعقد هؤلاء الخبراء اجتماعات دورية لدراسة تطوير والارقام والموسوعات الاحصائية بحضورهم ونرى هنا احد هذه الاجتماعات ويتصدره السيد عبد الرحمن حسين مدير عام الادارة المركزية للاحصاء

ويبلغ مجموع المشتغلين لجميع هذه الانشطة ٦٩٠٤٤ شخصا يغلب عليهم العنصر الرجالي ، اذ لا تبلغ نسبة الاناث فيهم سوى ٨٫١٪ فقط !... (ولا يشمل هذا العدد المشتغلين في الوزارات والدوائر الحكومية) .

وادارة الاحصاء تقوم حاليا بتجهيز بيانات هذا العصر تمهيدا لاخراج نتائجه التفصيلية التي ستصدر في مجلد ضخم .

ان مبنى الادارة المركزية للاحصاء يكاد ان يهتز من كثرة حركة الالات التي تعمل فيه اكثر من ١٢ ساعة يوميا ..

وعمله هذا محاط بسرية تامة نص عليها القانون ، ويعاقب كل من يحاول افشاء اي سر متعلق بشخص او اسرة ...

مشاريع للمستقبل

وامام الادارة المركزية للاحصاء مشاريع وبرامج عمل ضخمة للسنوات القادمة تدخل ضمن خطة الانتاج الاحصائي للسنوات الثلاث المقبلة نذكر منها

- بحث ميزانية الاسرة .
- دراسة تسجيل المواليد والوفيات .
- تعداد واحصاء التجارة الداخلية والخدمات .
- احصاء التوظف والاجور وساعات العمل .
- تعداد الانتاج الصناعي
- تعداد النقل والمواصلات والتخزين .
- دراسة خصوبة السكان .
- احصاءات العمالة والبطالة .
- بحث حالة تلاميذ المدارس .
- احصاء الحالة السكنية .

تعاون ايجابي مع التخطيط

ان البرنامج الاحصائي في دولة الكويت يسير وفق اهداف ومتطلبات خطط التنمية . ولذلك بادرت الادارة المركزية للاحصاء استجابة لهذه التطلعات ، باجراء التعداد العام للسكان حتى يوفر صورة احصائية وافية عن المجتمع البشري للكويت حسب خصائصه المختلفة ، وهي معلومات يلزم للمخطط ان يعرفها عن القوة البشرية التي يخطط لها .

وكذلك باقي انواع الاحصاءات التي تقوم بها الادارة المركزية والتي ستقوم بها ، هدفها كلها تحقيق متطلبات وخطط التنمية .

ويتم التعاون بين ادارة الاحصاء ومجلس التخطيط في دولة الكويت بشكل ايجابي وثيق . فالهيئة ما تكاد تاخذ خبرا عن احتياجات مجلس التخطيط ، حتى تضع البرامج الاحصائية المتجاوبة مع هذه الاحتياجات .. فتيسر لجهاز التخطيط الحصول على كافة الارقام والتقديرات الاحصائية اللازمة له في حينها وبالدرجة والشكل المتفق لها عليه .

واخيرا ان ادارة الاحصاء اصبحت تلعب دورا هاما في حياة دولة الكويت لتحقيق الاهداف المثلى التي نادى بها دستور البلاد ، والتي يعمل مجلس التخطيط على ترجمتها وتحديدها ضمن اطار التخطيط العلمي الشامل .. ■■

مسابقة العربي :

ماهي عواصم هذه الدول ؟

جوائز ١٠٠ دينار

وهي :

فيتنام الشمالية ـ فيتنام الجنوبية ـ كوريا الشمالية ـ كوريا الجنوبية ـ روديسيا الجنوبية ـ روديسيا الشمالية المانيا الشرقية ـ المانيا الغربية ـ الصين الشعبية ـ الصين الوطنية ـ حضرموت الكثيرية ـ حضرموت القعيطية ـ الهند ـ باكستان ـ الصومال الفرنسي ـ جمهورية الصومال ـ موريتانيا ـ المغرب ـ الكونغو ـ جمهورية الكونغو .

شروط المسابقة

وامام كل دولة اسم عاصمتها .

ايلول ، عام ١٩٦٥ .

عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الثالثة ـ/١٠ دنانير

الثاني لاصحاب الجوائز الثلاث الاولى .

الأرقام الناقصة والفائزون بالجوائز

	١٢		١٣
١٤			
		١٠	
		٥	

الفائزون بالجوائز

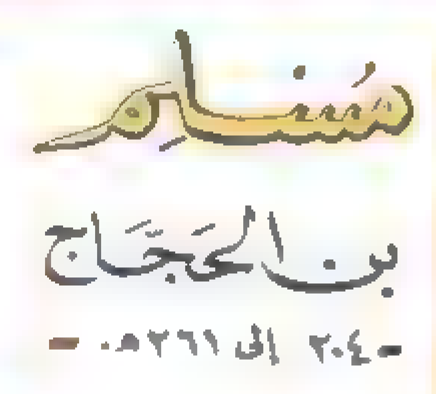
الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينار

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير



سئل مسلم عن حديث ، فراح يبحث في كتبه ، واشعل السراج ، ومنع اهله من ان يدخلوا ، ففاضت روحه الى ربه وهو يبحث عنه .



صحيح مسلم ، يناظر صحيح البخاري . وجمهور العلماء يرى ان الاول احسن تبويبا ، وان الثاني اوثق رواية .

بقلم : الشيخ محمد أبو زهره

● كثرت علوم الفقه والحديث والتفسير في القرن الثالث الهجري بشرق البلاد الاسلامية خراسان وفارس وسمرقند وما وراءها ، لأن اهل هذه البلاد كانوا قبل الاسلام اهل علوم وحكمة وفلسفة ، فلما جاء الاسلام اتجهوا بهممهم العلمية الى علومه ، وكما روى في الاثر « منهومان لا يشبعان انما طالب علم وطالب مال » ويرد ذلك الى كل من الامام منهم من العرب ، وان اهل هذه البلاد سلبوا الولاية والحكم باستيلاء العرب المسلمين على اراضيهم ، فانصرفوا الى العلم ، لينالوا الرياسة من طريقه ، وقد فقدوها من طريق الحكم والسلطان ، فحصلوا على رياسة خالدة لاتبلى

بكر القضاة ومر العشي ، واستبدلوها برغبة واقية لا تفي الا قدرا محدودا مهما يكن طوله او قصره .

ولم يتخذوا بغداد مستقرا ومقاما ، لانها كانت في أول القرن الثالث تحت سلطان المعتزلة والحركة الفكرية في ظلهم ، وكانت فيها الفتن بسبب المعركة بين اهل الفقه والحديث ، واهل الاعتزال ، وقد اكتوى بنارها امام السنة والفقه احمد بن حنبل رضي الله عنه ، فكان علماء الفقه والحديث والتفسير لا يرون في مدينة دار السلام الهداة والاطمئنان ، والعلم لا يعيش الا في جو هادىء مستقر مطمئن . وفوق ذلك فانه كان في تلك الجهات النائية ولاة يشجعون العلماء ، ويحرضون على العلم وطلبه .

فلم يكن غريبا ان يوجد في هذه البلاد التجابي كما روينا من قبل ام رسيله مسلم بن الحجاج ، ابو الحسين القشيري صاحب الصحيح الذي يقارب كتاب البخاري ، او يساويه في نظر بعض العلماء ، بل ادعى بعض المشارقة والمغاربة انه خير منه .

ولد مسلم بنيسابور ، ونشأ نشأة دينية لانه كان في بيت ديني ، ومع انه نشأ في نيسابور وولد فيها ، فهو ينتمي الى اصل عربي . لانه ابن بني قشير ، وهي قبيلة عربية ، فهو يشبه الامام احمد بن حنبل اذ ولد بخراسان ، وهو شيباني من اسرة عربية ، ويظهر انها آوت الى تلك البلاد النائية طلبا للراحة والاطمئنان ، ولم يكن لها صلة باهل السلطان كاكثر هذه البلاد .

وقد حفظ القرآن الكريم وتعلم اصول الدين واخذ الفقه من المذهب الشافعي ، وان كان له اجتهاد يخرجه من ان يكون مقلدا ، وذلك لان مذهب الشافعي كان منتشرا في تلك الجهات ولم يكن يغالبه في السيطرة والنفوذ سوى المذهب الحنفي ، الذي كان مذهب الدولة ، بيد ان المذهب الشافعي كان يستمد قوته من الشعب وايثاره له ، والمذهب الحنفي يستمد قوته من السلطان ، ولكن المنافرة كانت تعقد حرة بين مذهبين سنيين يلتقيان في زاوية رأسها الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح رضي الله عنهم ، ولم يكن الانفراج كبيرا في خطي الزاوية ، بل ان خطيها متقاربان ، لا يبتعدان .

الى الحديث

بعد ان اخذ العدة ، واخذ الاهبة ، وصار فتى سويا اتجه الى الحديث بكليته ، والحديث فيه علم الاسلام ، والتقى بكبار المحدثين في نيسابور حتى جمع الرواية عنهم كاملة غير منقوصة ، وقد اخذ عنهم اخذ متمكن ملازم ، فلما استوى وقوي عوده ، رحل الى البلاد الاسلامية يطلب الحديث من مواطنه ، ويأخذه عن رجاله ، فسافر الى الاقطار الاسلامية في طلب الائمة ، فارتحل الى خراسان ، وذهب الى الري ، والى العراق ، والبصرة من التقى فيه واخذ عنه الامام احمد ، وكان في اوجه ، وقد تسامعت به الركبان ، ثم رحل الى الحجاز يطلب الحديث فيه مع الحج ، ويروى عن كبار المحدثين فيه . ولم تقف رحلته عند حد العراق ، بل رحل الى الشام يأخذ من محدثيها ، والى مصر ، ولعله كان يأخذ في مصر علمين علم الحديث من الرواة ، وفقه الشافعي من تلاميذ الشافعي الذين كانت مصر لهم مستقرا ومقاما .

وعندما زار البخاري نيسابور التقى به مسلم واخذ عنه واعجب به اشد الاعجاب ، ولازمه ، وادام الاختلاف الى مجلسه . ولما استمع اليه احبه ، وتعصب له ، حتى لقد روى الرواة انه بعد ان استمع اليه قبل ما بين عينيه ، وقال له : « دعني يا استاذ الاستاذين ، وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله »

الصدق والاستقامة

بلغ مسلم بن الحجاج الشأو في الرواية بعد ان

طوف في البلاد مشرقا ومغربا ، متنقلا الى مجالس الرجال ، وهو يتلقى منهم ، وينقدهم ، وينقد ما ينقلون نقد الصيرفي للدراهم ، يدفع زيوفها ، ويقبل جيادها وينقل الى الاختلاف ما يراه مخالف الصدق في النقل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه .

فهو لا يأخذ الا عن الثقاة الصادقين الامناء اهل الاستقامة ، ويوجب على طالب الحديث ان يبتعد عن اهل التهم ، يتقيهم ، ويقول في ذلك رضي الله عنه « اعلم وفقك الله ان الواجب على كل احد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها ، وثقات الناقلين لها من المتهمين ، ان يتقي منها ما كان من اهل التهم ، والمعاندين من اهل البدع ، والدليل على أن الذي قلنا هو اللازم دون ما خالفه ، قول الله جل ذكره يا ايها الناس ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » ، وقال جل ثناؤه : « ممن ترضون من الشهداء » ، وقال عز وجل : « واشهدوا ذوي عدل منكم » ، وما ذكرنا من هذه الآي يدل على ان خبر الفاسق ساقط غير مقبول ، وان شهادة غير العدل مردودة(١) .

فهو يشترط فيمن يروى عنهم من معاصريه أن يكونوا معروفين بالصدق ، والعدالة ، والاستقامة ولا يكون غرامهم كثرة التحديث من غير ان يعرفوا السقيم من الصحيح ، بل انه يتخذ من الاكثار دليلا على عدم الاتقان ، ويروى في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع » . ويروى عن عمر بن الخطاب قوله : « بحسب المرء من الكذب ان يحدث بكل ما سمع » ؛

وكان يأخذ من كثرة التحديث دليلا على عدم التحري في صدق ما ينقل عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويذكر عن نفسه انه اختار كتابه من بين الثلاثمائة الف حديث بعد ان اختبر صدق ما اختاره ورواه ، فلم يكن همه لا هو ولا غيره من المحدثين الاكثار والجمع ، كما ادعى بعض المستشرقين ، بل كان همه التحري ، وتعرف الصحيح ، ورد السقيم .

وكان يبعد عن رواية الاخبار الغريبة التي لم تستأنس بمثلها ، او التي تكون في ذاتها غريبة على العقول ، ويروى في ذلك قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « ما انت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لهم فتنة »

وكان رضي الله لا يقبل حديثا ممن كان يغاضب الناس ، وخاصة العلماء . « ذكر الخطيب البغدادي » ان مسلم بن الحجاج كان يدافع عن البخاري في قوله بالنسبة للقرآن ، وكان محمد بن يحيى الذهلي من شيوخه ينال من البخاري لرأيه ، وقال يوما لاهل مجلسه ، وفيهم مسلم : « من كان يقول بقول البخاري في مسألة اللفظ بالقرآن ، فليعتزل مجلسنا » ، فنهض مسلم من فوره الى منزله ، وجمع ما كان سمعه من الذهلي ، وارسله اليه ، وترك الرواية عنه ، واستحكمت الوحشة بينهما .

وكان من الغريب ان البخاري ، الذي قيل فيه ما قيل ، لم يترك الاخذ عن محمد بن يحيى هذا ، بل روى عنه في صحيحه وغيره .

ان هذا الخبر يدل على قوة التحري ، والاخلاص الكامل عند مسلم ، ويدل على السماحة عند البخاري ، واخذه بالعفو وترجيحه على سواه .

اتصال السند

٥ — يشترط في الرواية ان يكون السند متصلا فيبعد من الضعيف الحديث الذي يرويه التابعي ، ولا يذكر الصحابي الذي يروي عنه ، ويسمى المرسل

١ — مقدمة مسلم طبع استانبول ص ٧

كما لا يروى الخبر الذى ينقطع في احدى طبقاته. ويروى في ذلك ان عبد الله بن المبارك رد الخبر المروى عن الحجاج بن دينار ان النبي قال : « ان تصلي لابويك مع صلاتك ، وان تصوم لهما مع صومك » ، فقد قال ابن المبارك « ان بين الحجاج بن دينار وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي » .

وقد قسم مسلم المحدثين الذين انتهى بهم تتبع اسنادهم الى ثلاثة اقسام ، وجعل كل قسم طبقة تليها اخرى ، فاهل الطبقة الاولى الذين عرفوا بالاستقامة والاتقان ، فلا يختلفون ، ومن ينقلون عنهم ، لم يوجد في رواياتهم اختلاف ولا تخليط ، ولا في اسنادهم ضعف ، بل صدق ، وهؤلاء تقدم رواياتهم على غيرهم .

والقسم الثاني من لم يعرف عنهم كذب ، ولا انحراف عن الجادة ، ولكن لم يعرفوا بالاتقان في الرواية والسنة ، وهم طبقة دون الاولى ، وتقدم الاولى عليها ان كان تعارض ، فهم منزلة دون منزلتهم . ويروى في ذلك حديث عائشة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قالت : « امرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم » .

والقسم الثالث من لا يقبل حديثهم ، وهم المتهمون عند اهل الحديث ، او عند الاكثر منهم ، وكذلك من يكون الغالب على حديثه المنكر الذى يخالف المعروف عن الثقات او من يكثر عليه الغلط ، فان هؤلاء لا يروى عنهم ايضا .

كتبه ومروياته وقوتها

٦ — بهذه الدقة في اختيار من ينقل عنهم ، روى الاحاديث التي اشتملت عليها كتبه ، ولكن اهل الخبرة كانوا يرون ان البخاري قد اشترط فيمن يأخذ عنهم ما لم يشترط مسلم ، فالبخاري اشترط الاتقان والصدق والعدالة والضبط والحفظ كما اشترط مسلم ، بيد ان البخاري اشترط الملازمة لمن يروى عنه ، لانه بالملازمة امدا غير قصير يتعرف حاله بالعيان ، لا بالخبر ، بينما اشترط مسلم ان يلقاه ، وان يكونا في عصر واحد ، ولا شك ان مجرد اللقاء دون الملازمة .

واذا كان البخاري في روايته يمتاز على مسلم بهذه الميزة التي توثق الرواية اشد توثيق ، فمسلم يمتاز على البخاري بجودة التصنيف ، وحسن الترتيب ، وقد بدا ذلك في كل مؤلفاته .

ومن كتبه المسند الكبير على اسماء الرجال ، وكتاب الجامع الكبير على الابواب ، وكتاب العلل ، وكتاب اوهام المحدثين ، وكتاب التمييز ، وكتاب من ليس له الا راو واحد ، وكتاب طبقات التابعين ، وكتاب المخضرمين .

ولكن كتابه العظيم الذى خدم به الاسلام ، وناظر البخاري به في كتابه ، هو الصحيح ، والاكثرون من العلماء على ان كتاب البخاري اوثق رواية ، وكتاب مسلم احسن تبويبا وترتيبا ، وقد مال علماء الغرب وبعض علماء المشرق الى تقدير كتاب مسلم ، حتى قدموه على البخاري ، ولكن الجمهور الاعظم من المحدثين على غير ذلك .

وانه مما اخذ على البخاري تكراره الحديث الواحد في عدة مواضع ، واحيانا يذكر بعض الحديث في موضع ، وبعضه في موضع آخر ، وقد تحاشى ذلك مسلم في صحيحه ، فلم يكن فيه تكرار ، الا ما تضطر الضرورة اليه ، وقد ذكر هو ذلك في مقدمة صحيحه ، فقال رضي الله عنه : « نقسمها على ثلاثة اقسام ، وثلاث طبقات من الناس (١) من غير تكرار ، الا انه يأتي موضع لا يستغنى فيه عن ترداد حديث فيه زيادة

(١) قد ذكرنا الاقسام الثلاثة .

معنى ، او اسناد يقع الى جنب أسناده لعلة تكون هناك ، فلا بد من اعادة الحديث الذى فيه ما وصفنا من الزيادة ، او ان يفصل ذلك المعنى من جملة الحديث على اختصاره اذا امكن ، ولكن تفصيله ربما عسر من جملته ، فاعادته اذا ضاق ذلك أسلم » .

ومؤدى هذا الكلام انه لا يعيد الا اذا كانت ثمة زيادة لا تفهم من غير ذكر الحديث كله ، او يكون هناك اسناد يقوى الاسناد الذى يكون فيه علة قد تنزله من درجته ، فيذكر الاسناد الجديد ليعلو به او تكون احدى الروايتين فيها اختصار ، والاخرى فيها تفصيل ، فيذكر المفصل ، اذ يضيق المختصر عن ان يشمل كل المعاني .

استمر مسلم رضى الله عنه في طلب الحديث وتحريره ، وتخليص احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه من كل ما يشوبها ، ورد كل ما يتوهم فيه كذبا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، بل رد كل ما لم يكن الراوى فيه يطمئن الى روايته ، وكل ما يكون غريبا لم يستأنس بالمعروف من احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

يموت وهو يبحث

ولقد كان يجاهد ، حتى حضرته الوفاة ، وهو يبحث عن حديث سئل عنه ، فلم يعرف مقدار قوله ، فاشتمل السراج ومنع اهله من ان يدخلوا ، حتى قاضت روحه الى ربه ، وهو يبحث عنه ، وكان ذلك عشية الاحد ، ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سنة ٢٦١ — لم يعمر الا سبعا وخمسين سنة اتى فيهما بذلك التراث العلمي العظيم . ■

محمد ابو زهره

الاعراب والشعر

اسلم اعرابي في ايام عمر بن الخطاب ، فجعل عمر يعلمه الصلاة فيقول : صل الظهر اربعا ، والعصر اربعا ، والمغرب ثلاثا ، والعشاء اربعا والصبح ركعتين .

فلم يستطع الاعرابي حفظ ذلك ، فجعل يخلط بالأعداد، فضجر عمر ، فقال :

— ان الاعراب احفظ شيء للشعر ، فقال

ان الصلاة اربع فاربعُ
ثم ثلاثٌ بعدهن اربع
ثم صلاة الفجر لاتضيعُ

احفظت ؟ قال نعم . قال عمر الحق باهلك .

حديث شبابي ..!

■ حديث شبابي يشعل الحب والفكرا — اما تشتهي سلطة تمسح اهدرا؟!

تطل خيالات الصبا في تنقل — فمن مقلتي الذكرى إلى مهجتي السكرى

تجدد احلامي وتذكي لواعجي — وتجمع للتذكار في كبدي جمرا

ولو خففت آلام نفسي حميدتها — ولكنها زادت على وقرها وقرا

وهيهات ، لا نحيي بعد الذي مضى — ولا متعة تلقى ولا لذة تشرى

فمن ذاق شهد الحب في ميعة الصبا — رأى كل شهد بعده حامضاً مرا

***

سقى الله أيام الشباب فإننا — إذا ذكرت أعمارنا ، كانت العمرا

عرفنا بها لب الحياة ولم نعش — الى يومنا الا لكي نعرف القشرا

يعود ربيع الدهر في العام مرة — ولكن ربيعي لن يعود وقد مرا

فإما استعاد القلب ذكراه خلته — يئن كأن الوجد يعصره عصرا

كذلك أيام الشباب وهكذا — تفيض دموعي حين أذكرها غزرا

فما دام في جيبي منها بقية — فما أنا مجبول لأذهبها هدرا

سأملؤها مما أريد من الهوى — وأجعل منها كل ثانية شهرا

***

فهل تذكر السمراء ساعات أنسنا ؟ — فما تأخذ الأيام ترجعه الذكرى

وذكر العشيات التي كان بشرها — بعدي حياتي هل يعيد ها البشرا !؟

وأرسل أنفاسي إلى شعرها لعلني — واسترجع الأنفاس من شعرها عطرا

فإن هم شيطاني بأمر تبدلت — ملامحه نورا وقد نظرت شزرا

تحكمت عقل خائف من قطيعة — أكون لنفسي قد حفرت به قبرا

وأرسلت أعذاري وإن كنت لم أجد — لتكسبها الا الجموح سوى عذرا

فسرعان مايلو على وجهها الرضى — وعن ثغر فاتن طالما أغرى

وتثني كردّ الطرف ماساه وقعه   لتذكر طول العمر ماوقعه سحرا
فتنثر في سمعي حديثا كأنه   عقود اللآلي ثم تنشد او تنثرا
وما انشلت الا سمعت لصوتها   صدى منتخ يملأ القلب والصدرا

***

وهل تذكر السمراء غابات عبقر   وانشادنا في ظل ادواحها الشعرا ؟
ونزهتنا حول البحيرة ضحوة   وعودتنا منها الى عشنا عصرا
ويوما لنا بين البحيرات كاملا   بما كان فيه يزّ ايامنا طرا
اردناه عيدا للحبيب فكانه   وكانت لنا في العيد مأدبة كبرى !
نمسي متعبين على العشب راقصا   مهيج اسرابا فضّت هي الاخرى
فيعقل شدو الطير شدو سمعته   قريبا كأن الحب أودعه سحرا
اطارت به عصفورتي لب عشها   واسكرت الاحياء والنبت والنهرا

***

وهل تذكر السمراء مرجا كأنما   عليه يد سحرية تفرش الخضرا؟
قطعناه في احدى العشيات ، كفها   بكفي تحيم الحوّ انفاسنا الحرّى؟
فادمتها عن موقع الرجل مابدا   على الافق من غيم ترى حيره شرا!
فما شعرت الا وكعبا حذائها   بعوصاد فاسترخت وقد صرحت ذعرا!
ومالت على جسمي بمشوق جسمها   فكنت كأني غيمة تحضن البدرا !
واضحكني ما كاد يذري دموعها   ولو فكّر الفرعون لاستسهل الامرا!
فلما نجت راحت توالي صداحها   كمصمورة حنت لآسرها الاسرا

***

نسيت ايام الشباب لانني   تذكرت هتنا والبشاشة والطهرا
ولو رجعت بعد دونك عشتها   واشبعتها شتما واوسعتها هجرا
فان شبابا لست فيه رفيقة   لصبك احلى منه شيخوخة عمرى

الياس فرحات

البرازيل



المدرسة قد تربي للتقدم
والمدرسة قد تربي للتأخر

التربية للمستقبل

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

قيل دوماً ان التربية هي اعداد الفرد لمقبلات ايامه وتحضيره للحياة المستقبلة وما قد تتطلبه هذه الحياة من معارف ومهارات لايستغني الفرد عنها اذا اراد ان يواجه محيطه وما في هذا المحيط من عوامل ودوافع .

ثم جاء (ديوي) المربي والفيلسوف الاميركي فقال ان التربية هي الحياة ، اذ ليس يكفي ان نعد الفرد لمستقبله ، بل لا بد لنا من ان نمكنه من ان يحيا حياته الحاضرة ويستمتع بها ، وان نعد لمستقبله من خلال حياته الحاضرة هذه .

ولا شك في ان ما قاله (ديوي) صحيح كل الصحة ، جليل كل الاهمية ، فما المستقبل الا امتداد الحاضر ، وكل قطع بين الحاضر والمستقبل يترك في نفس الطفل فجوة خطرة ليس من حق المربي ان يخاطر بايجادها .

على ان الذي يعنيني في حديثي هذا هو التربية للمستقبل ، ولست اعني مستقبل الفرد بقدر ما اعني مستقبل الامة ، علما بان مستقبل الامة في مستقبل افرادها ومصيرها من مصيرهم .

فما هو المستقبل الذي نريده لامتنا العربية ؟ وكيف نربي اجيالنا القادمة له ؟ ذلك هو الذي ارمي اليه في هذا الحديث .

المستقبل الذي نريد

من ابسط الحقائق واهمها القول بان الغاية تحدد الواسطة وان الذي لا يعرف غايته يعجز عن تحديد طريقه . ومن هنا كانت اهمية تحديد غايات الامة العربية ووضوح اهدافها والتفكير في مستقبلها ليستطاع فيما بعد رسم الطرق



ليست التربية بزمن عمل نشر الثقافة الغربية وتنكر للثقافة العربية

دور المدرسة اساسي في كل عملية تقدمية

الوصلة الى هذه الغايات ولتحديد الوسائل التي تحقق تلك الاهداف .

ولا بد لي وانا احاول تحديد غايات امتنا العربية في هذه الفترة من حياتها ان اشير الى ان القليلين من زملائنا واولي الامر فينا من حاولوا رسم مثل هذه الاهداف وتحديد مثل هذه الغايات ، وبالتالي تحديد مهمة المدرسة العربية ورسم خطوط التربية العربية ، وقد آن لنا ان نفعل ذلك وبشيء كثير من الدقة والحذر والمرونة .

ولا بد لي كذلك من ان الاحظ ان ما اقوله انما هو محاولة عامة قد تصح في قطر اكثر من قطر ، وتنطبق على بلد اكثر من بلد ، وقد يوافق عليها فريق ويخالف فيها فرقاء .

الهدف العام

وهنا ملاحظة هامة لابد من ايرادها الا وهي ان الاهداف تكون عامة وخاصة كما تكون قريبة وبعيدة ، وما اظنني بحاجة الى تمييز بين انواع الاهداف هذه فهي واضحة بينة .

واحسب ان الهدف العام الذي تستهدفه امتنا وتطلب الى المدرسة خاصة والتربية عامة ان تعد له اجيالنا الحاضرة ، هو التقدم بمعناه الواسع الشامل : التقدم العلمي والتقدم الاجتماعي والتقدم الاقتصادي والتقدم التقني (التكنولوجي) والتقدم السياسي الخ .. الخ ..

وبديهي ان هذا الهدف العام الذي مجمل يحتاج الى تفصيل ، عام يحتاج الى تخصيص ، واسع يحتاج الى تحديد ، بعيد يحتاج الى تقريب في مراحل .

على اني ملاحظ هنا ان للتقدم بطبيعته مفهوما كليا منسجما متماسكا . فما من امة تستطيع ان تتقدم اقتصاديا لتتخلف علميا ، وليس طبيعيا ان تتقدم الامة اجتماعيا وتتخلف تكنولوجيا وهكذا ...

اذن فالتقدم الذي نهدف اليه تقدم عام شامل يتناول مناحي الحياة كلها ويشمل ميادينها جميعها ، ويقوم على اساس متماسك من علم وعمل واجتماع واخلاق واقتصاد وصحة وغير ذلك من امور اساسية .

الاهداف الخاصة

والذي فلا يكفي بحال من الاحوال ان نحدد هذا الهدف العام ثم نقف عنده نتأمله او ندعو اليه ، بل لا بد لنا من ان ننظر في كل منحى من مناحي

حياتنا تتعرف على واقعه وامكاناته وتحدد مطالبنا بالنسبة اليه وخطواتنا للتقدم به وايصاله الى ما نحب له . ثم لابد لنا من ان نعد لهذا التقدم عدته وتيسر اسبابه وتحدد دروبه ونقدم ثمنه ونقدم على التضحيات من اجله .

والحق ان عددا كبيرا من حكوماتنا العربية آمن بما يسمى الآن بالتخطيط — ولا سيما في المجال الاقتصادي — ووضع لذلك خطط السنوات الخمس او الاربع او سواها وحاول ان ييسر اسباب نجاحها ويهيىء وسائل تحقيقها ، لكن ملاحظتي على بعض هذه الخطط — ولا اقول جميعها — انها اهتمت اكثر ما اهتمت بالاقتصاد وحده لم يجاوزه اطلاقا الى المجالات الاخرى . واذا صح ان الاقتصاد هام واساسي فانه صحيح ايضا ان الاقتصاد السليم لا يقوم الا على علم صحيح وفي مجتمع واع وضمن سياسة مخططة وهكذا ...

واحب ان الاحظ ايضا ان كل تخطيط لا يجعل من المدرسة خاصة ، والمؤسسات التربوية عامة ، وسيلة التقدم وطريق النهوض تخطيط جاهل ، تخطيط مصيره الى الفشل اكيد .

واذا كنت لا ارى ضرورة للتفصيل في هذه الاهداف الخاصة بعد ان المحت الى معظمها ، فاني احب ان اذكر بان عصرنا عصر علم وتكنولوجيه وان كل تقدم لايجعل من هاتين الركيزتين الاساس الذي يقوم عليه ، انما هو تقدم ابتر او زائف ، ومن هنا كان مرجع التقدم الى المدرسة بمختلف انواعها ودرجاتها من دار الحضانة الى الجامعة المعهد التكنولوجي العالي .

دور المدرسة

لقد بات مقبولا اليوم بان المدرسة ليست هي المؤسسة التربوية الوحيدة وان البيت والنادي والمذياع والمجلة والجريدة والتلفزة وسواها اصبحت وسائل تربوية ممتازة ، ولكن هل يقلل هذا من اهمية المدرسة او يخفف من الدور الذي تلعبه في التقدم ؟! كلا ، فالمدرسة كانت وما زالت والمرجح انها ستبقى موئل العلم وملاذ المعرفة ومكان البحث ومجال التطبيق ، ومرة اخرى فانا حين اقول المدرسة لا اقتصر في كلامي على المدرسة العادية وانما اشمل كلامي كل مؤسسة تربوية تعنى بالعلم والبحث العلمي والتعليم والتطبيق والتكنولوجيا .

اذن فالمدرسة هي اداة التقدم والتربية هي المسؤولة عنه ودورهما اساسي رئيسي في كل عملية تقدمية .

اقول هذا وانا اعلم علم اليقين ان المدرسة يمكن ان تكون قلعة الرجعية وحصنا للتأخر ، وان التربية يمكن ان تربي التقدم كما يمكن ان تربي التأخر وما مثل مدرستنا العربية المعاصرة عنا ببعيد .

وهكذا ينطرح السؤال البسيط الهام كيف تكون المدرسة تقدمية وكيف تصبح رجعية ؟

واذا كان الجواب عن هذا السؤال يمكن ان يطول حتى يملأ مجلدا كاملا فاني استطيع ان اقول باختصار ان المدرسة تكون تقدمية بمقدار ما تستطيع ان تتفهم حاجات الامة وآمالها فتصوغ مستقبلها وتعمل على تحقيقه ، وانها تصبح رجعية بمقدار ما تمنع هذه الامة من تحقيق اهدافها في التقدم والانطلاق لتحد مستقبلها المرجو وغدها المنشود .

ومعلوم ان المدرسة بالقائمين عليها وان التربية بالقائمين بها ، ولكن هنا عملية تأثير وتأثر لا تخفى على القارىء الفطن . فالمدرسة لا تستطيع ان تكون قلعة رائدة للتقدمية الا اذا سمح لها المجتمع بذلك واولاها من العناية والرعاية وسمح لها من الحرية بالقدر الذي يمكنها من اداء هذه المهمة . والمجتمع بدوره لا يمكن ان يسمح بذلك كله الا اذا كان قد ربي تربية تقدمية وعلم تعليما ذكيا يمكنه من ان يفعل ذلك كله .

تقدمية التربية العربية

ولنرجع الى التربية العربية ولنحاول ان نتبين كيف يمكن لها ان تكون تقدمية تهيىء النهوض وتعمل على التقدم وتحقق للامة العربية مستقبلها الزاهر الذي تحلم به ؟

على انني لا احب ان امضي في كلامي قبل ان انفي عن ذهن القارىء ما قد يكون علق به من مفهوم سطحي للتقدمية ، ذلك بان التقدمية قد زيفت كما زيف غيرها من مفاهيم .

ليست التقدمية ما يقول به بعض السطحيين من حرص على قشور الحضارة الغربية وتنكر لكل ما هو عربي ، وخروج على مفاهيم الاخلاق



المربي الشهير ديوي يقول
ان التربية هي الحياة

والتقاليد الصحيحة والعادات الطيبة ، او تجهم لكل ما هو ديني ، وانما التقدمية هي التقدم والتحسن في كل ميدان : خلقي واجتماعي واقتصادي وصحة ، وتعليم الخ . الخ ...

اذن كيف تكون التربية العربية تقدمية ؟ وكيف تحقق للامة العربية تقدمها ؟

صدق ان التربية العربية تكون تقدمية اذا حرصت – فيما تحرص عليه – على ما يلي

١ – الايمان بالمثل الاعلى
والله هو المثل الاعلى

٢ – الايمان بالانسان
والانسان اثمن رأس مال

٣ – الايمان بالامة العربية
والعرب امة اثبتت قدرتها على التقدم

٤ – الايمان بالعلم
والعلم هو طريق التقدم

٥ – الايمان بالحرية
والحرية هي الجو الطبيعي للتقدم

٦ – الايمان بالعمل
والعمل سبيل الانسان للتقدم وهو حق للانسان وواجب عليه .

ولنقف عند هذه المبادىء سنوضح اهميتها في تقدم الانسان الفرد ومن بعده في تقدم الامم والشعوب .

اما الايمان بالمثل العليا فضرورة لازمة للتقدم ، وكل تقدم لا يقوم على اساس منها تقدم مزيف مقنع ، فالحق والخير والعدل وما اليها من مثل عليا جوهر كل تقدم وبدونها يكون التقدم تقدم الشر والاذى والتخريب .

واما الايمان بالانسان وكرامة الانسان وقدسية الانسان بقطع النظر عن لونه وعرقه ودينه وجنسه ومواطنه ومعتقده فاساس من اسس التقدم وبدونه يكون التقدم استعمارا والتمدن استهتارا .

واما الايمان بالامة العربية فايمان بذاتنا وقدرتنا على التقدم والنهوض والسير في موكب الانسانية نحو الافضل ، وفي ماضي العرب ما يدل على قدرة العرب ان يكونوا اكثر الامم تقدما وارقاها مدنية .

واما الايمان بالعلم فضرورة اخرى ذلك بان التقدم بدون علم مستحيل وكل تقدم لا ينهض على علم صحيح ومعرفة حقة انما هو تدجيل وتزييف .

واما الايمان بالحرية فهو كالايمان بالهواء والنور للحياة ، ذلك بانه دون نور وهواء لاتتم حياة ، وكذلك الحرية التي لايتم تقدم بدونها .

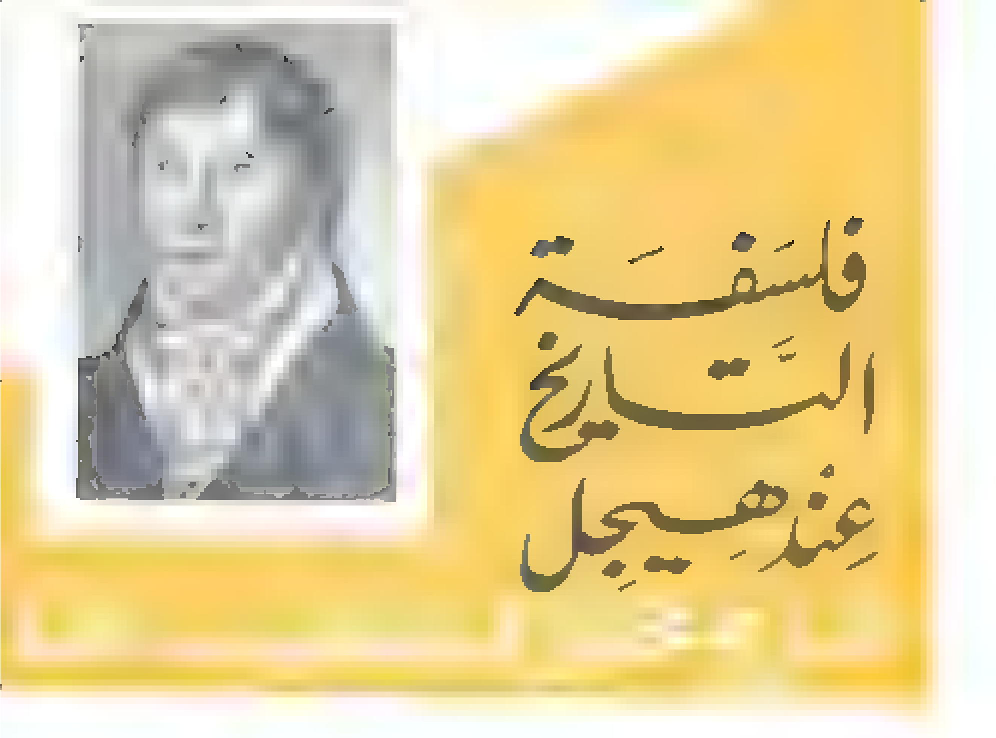
واخيرا فان الايمان بالعمل بوصفه حقا للانسان وواجبا عليه وباعتباره سبيل الانسان الى التقدم امر يعتبر بمثابة الروح للجسد فبدون عمل لايكون تقدم ولو تساقت الاحلام وتعالت الامال .

والخلاصة

والخلاصة فان التربية العربية لاتستطيع ايصال العرب الى التقدم الا اذا تفهمت هذه المبادىء تفهما عميقا صحيحا وغرستها في نفوس الناشئين ودعمتهم عليها وهيأت الوسائل والظروف لتحقيقها .

بهذا وحده تستطيع التربية العربية ان تهيىء الامة العربية لمستقبلها وان تدفعها للتقدم الى هدفها الاكبر . والله نرجو ان يلهم القائمين على التربية في وطننا العربي سواء السبيل .

فاخر عاقل



فلسفة التاريخ عند هيجل

لا يتحقق شيء في دنيا البشر إلا إذا دخلت فيه مصلح

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة القاهرة

■ حاولنا – في مقال سابق بالعدد الماضي – أن نضع بين يدي القارئ صورة سريعة لمنهج الفيلسوف هيجل Hegel الجدلي، وربما كان من واجبنا – في هذا المقال – أن نكمل تلك الصورة بالحديث عن أصول فلسفة التاريخ عند عملاق الفكر الألماني الحديث.

لم يكن هيجل، بطبيعة الحال، أول مفكر يحدثنا عن فلسفة التاريخ، فإننا لنعرف من بين فلاسفة التاريخ مفكرين ممتازين من أمثال فولتير، وروسو، وفيكو، وكوندورسيه وغيرهم. ولكن فلسفة التاريخ التي قدمها لنا هيجل قد اتسمت بسمات خاصة جعلت منها فتحا جديدا في هذا الباب، فكانت بمثابة نقطة تحول هام في مجرى التفكير التاريخي الحديث. ولئن كانت بعض آراء هيجل في فلسفة التاريخ قد أصبحت اليوم مجرد آراء كلاسيكية معروفة، فما ذلك إلا لأن الفلاسفة اللاحقين له قد عملوا على نشرها وتعميمها. ولا شك أن الماركسيين مسئولون – إلى حد غير قليل – عن إذاعة آراء هيجل في فلسفة التاريخ، وإن كانوا قد عمدوا على ما يبدو إلى تصحيحها والتعديل منها. وعلى كل حال، فإن الكثير مما نكتب اليوم عن سارتر Sartre أو كامي Camus أو هيدجر Heidegger أو يسبرز Jaspers، يفترض إلماما واسعا – من جانب القارئ العادي – بالفكر الهيجلي على وجه العموم، وبفلسفة هيجل التاريخية على وجه الخصوص. وهذا هو السر في اهتمام الكثيرين من مؤرخي الفكر الحديث بالرجوع إلى هيجل، خصوصا وأنهم

العمل هو نسيج الوجود وجوهر التاريخ ومضمون الوقائع

الذين يشتركون في تحقيقه

قد فطنوا الى ترديد اصداء الفكر الهيجلي لدى الغالبية العظمى من مفكري القرن العشرين ، سواء أكان ذلك عن طريق التأييد أم عن طريق المعارضة ...

ليس للطبيعة من تاريخ .

ولا بد لنا من ان نلاحظ — بادئ ذي بدء — ان نظرية هيجل (١٧٧٠ — ١٨٣١م) في التاريخ قد ظهرت قبل ظهور نظرية داروين (١٨٠٩ — ١٨٨٢) في النشوء والارتقاء . وهذا هو السبب في ان هيجل يأبى ان ينسب الى الطبيعة اي طابع تاريخي ، ما دامت الطبيعة في نظره لا تعرف «الترقي» او «التطور» (بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة) حقا اننا قد نستطيع — على سبيل التجاوز — ان نتحدث عن «صيرورة طبيعية» ولكن ثمة فارقا هائلا — في نظر هيجل — بين «الصيرورة الطبيعية» و «صيرورة التاريخ» : فما دمنا لا نستطيع (مثلا) ان نعد تتابع المراحل الجيولوجية بمثابة تتابع تاريخي (بمعنى الكلمة) . وآية ذلك أن علم طبقات الارض يضع بين ايدينا سلاسل (او مجاميع) من «الاحداث» ، ولكن هذه «الاحداث» ليست من التاريخ في شيء ؛ لأن التاريخ لا يكون كذلك ، اللهم الا اذا كان في وسعنا أن نعيد تصور «احداثه» في اذهاننا ، بحيث نفهم دوافعها وبواعثها وغاياتها .. الخ . ولئن كان في الطبيعة الشيء الكثير من مظاهر التغير ، الا ان كل التغيرات الطبيعية لا تخرج عن كونها عمليات تكرارية ذات حركة دائرية . فالطبيعة — في رأي هيجل — لا تتطور ، ولا ترقى في الزمان ، بل هي تظل دائما على ما هي عليه . واذا كان الفارق جوهريا بين «الطبيعة» من جهة ، «والروح» من جهة اخرى ، فذلك لأن للروح تاريخا يتحقق في الزمان ، في حين ان كل تحقق طبيعي لا يكاد يعدو حدود المكان . ومعنى هذا انه ليس بدعا ان يكون التاريخ — في نظر هيجل — وقفا على الروح (دون الطبيعة) . لان الروح — وحدها — هي التي تستطيع ان تبدع ذاتها ، ولأن التاريخ انما هو التجربة المبرهنة على فاعلية الروح حين تخلق وجودها عمليا .

التاريخ من خلق « العمل البشري »

لقد وقع في ظن الكثيرين ان التاريخ مجموعة من الصدف او الاحداث العارضة ، في حين ظن آخرون ان التاريخ هو من خلق بعض الافراد الممتازين كالقادة او الزعماء او الابطال .. واما هيجل فانه قد حرص على تأكيد هذه الحقيقة الاولية الهامة ، الا وهي ان التاريخ وليد عمل الشعوب (لا الافراد) . حقا ان الانسان هو الذي يصنع التاريخ ، ولكنه انما يصنعه عن طريق العمل المتراكم ، او الجهود المجتمعة ، التي تقوم بها الشعوب . وهيجل هنا يعارض شتى النزعات الفردية المتطرفة ، فيقرر بكل قوة ان سائر المدنيات الهائلة التي حققتها الروح البشرية ، عبر العصور المختلفة ، انما هي من خلق ذلك الجهد الجماعي المستمر الذي قامت به الانسانية منذ آلاف السنين . ومعنى هذا ان التاريخ تراث حي ساهمت في تكوينه الاجيال السابقة ، وعملت على تحقيقه جهود الشعوب المتعاقبة من ابناء الجنس البشري .

وليس يكفي ان نربط الانتاج البشري بحياة

هذا الشعب أو ذاك ، أو بحضارة هـذه الأمة أو تلك ، بل يجب أن نضيف الى ذلك أنه ليس في وسعنا أن نفصل (على الاطلاق) أي انتاج فني أو أي عمل ادبي أو أي جهد فلسفي عن الشروط التاريخية والظروف الاجتماعية التي عملت على ظهوره . وتبعا لذلك فانه لا موضع للحديث عن روح « لا زمانية » ، كما أنه لا مبرر للقول بامكان وجود ابداع بشري يكون بمثابة « خلق من العدم » Ex nihilo ولهذا كان الانسان - فيما يقول هيجل - هو الوجود الوحيد الذي يملك تاريخا ، وما ذلك إلا لأن « التاريخ » نفسه انما هو من خلق البشر .

ليس التاريخ سوى تاريخ الفكر

يؤكد هيجل في مقدمة كتابه الضخم المسمى باسم « فلسفة التاريخ » أن العقل هو جوهر التاريخ . ولئن كان الناس قد دأبوا على اتهام الفلسفة بأنها لا تعرض الا وهي مزودة ببعض الأفكار ، وكان التاريخ في نظر الفلاسفة هو مجرد وقائع عملية ، الا أن هيجل لا يرى حرجا في الاعتراف بأن الفكرة الوحيدة التي تقدمها لنا الفلسفة انما هي فكـرة « العقـل » ومن هنا فان هيجـل يسلم منذ البداية بأن « العقل » يحكم العالم ، وأن الوقائع التي حدثت على مر عصور التاريخ لم تحدث إلا بطريقة عقلية . ولئن كانت هذه الفكرة - في نظر المؤرخين - انما هي مجرد افتراضية فانها في نظر الفلاسفة حقيقة مؤكدة تدعمها المعرفة النظرية التي يمدنا بها العقل . وآية ذلك أن الفلسفة لا ترى في « العقل » مجرد حقيقة مثالية تعبر عما ينبغي أن يكون ، بل هي ترى فيه قوة واقعية تعبر عما هو كائن . فالعقل - في نظر هيجل - هو نسيج الوجود ، وجوهر التاريخ ، ومضمون الواقع . وسواء نظرنا الى الحياة الطبيعية ، أم الى الحياة الروحية ، فاننا لن نجد في كلتا الحالتين سوى حقيقة عقلية واحدة تشيع في هذه كما تشيع في تلك ، لأنها بمثابة الصورة اللامتناهية والمادة اللامتناهية لكل موجود كائنا ما كان .

ويعود هيجل الى تاريخ الفلسفة اليونانيـة فيذكرنا بما قاله انكساجوراس من أن العقل (أو ما سماه هو باسم « النوس » Nous) هو الذي يحكم العالم ، ويبين لنا أن هذا المفكـر اليوناني لم يكن يعني بالعقل قوة واعية تشعر بذاتها ، بل كان يعني به مجموعة من القوانين المنظمة التي تسير الوجود اطراد للنسق الطبيعة . والانسان وحده (في نظر انكساجوراس) هو الموجود الناطق الذي يستطيع أن يستخلص تلك القوانين من صميم الواقع لكي يتعقلها ويكون من مجموعها معرفة نظرية .

ثم يحدثنا هيجل عن سقراط فيقول انه أخذ عن انكساجوراس فكرته عن « العقل » ، وأن كان سقراط قد أخذ على انكساجوراس أنه لم يطبق هذه الفكرة على الطبيعة كلها ، فلم يفهم الطبيعة على أنها تحقق للمبدأ العقلي ، بل ظلت فكـرة « العقل » عنده فكرة مجردة تفتقر الى التطبيق .

ولو أننا عدنا الى الفكرة الدينية القائلـة بوجود « عناية » الهية تحكم العالم ، لوجدنا فيها تعبيرا عن حقيقة عقلية عامة : ألا وهي أن العالم ليس نهبا للصدفة أو لمجموعة من العلل الخارجية العرضية . فالعناية الالهية انما تعني تلك الحكمة الشاملة التي تعمل على تحقيق غاياتها ، بمقتضى ما لديها من قدرة لا نهائية . ونحن حين نتحدث عن « عناية الهية » ، فاننا نفترض أن ثمة غاية نهائية مطلقة هي من العالم بمثابة الهدف العقلي الأسمى الذي تعمل على تحقيقه تلك القوة الالهية المطلقة . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول أن « العقل »



فيكو Vico (١٦٦٨ - ١٧٤٤ م) فيلسوف ايطالي ، ولد في نابلي ، وهو مؤلف « العلم الجديد ومبادىء فلسفة التاريخ » . وهـو مؤلف مشهور ميّز فيه المؤلف في تاريخ كل شعب بين ٣ عصور ، عصـر التقديس ، وعصر البطـولات ، والعصر الانساني .

« العربي »



كندورسيه Condorcet (١٧٤٣ – ١٧٩٤ م) ، هو رياضي فرنسي ، وفيلسوف واقتصادي . وكان رئيس الجمعية التشريعية في عهد الثورة الفرنسية . ثم لما انقلبت الثورة فصارت حكماً ارهابياً، شرب السم لينجي رقبته من المقصلة . وكتب وهو في السجن «رسماً تخطيطياً للصور التاريخية التي اتخذتها الروح الانسانية في سبيل تقدمها » ، فكان هذا من خير ما ألف . وكان يؤمن ايماناً علمياً شديداً جعله يرى أن التقدم الانساني ليس له حدود .

« العربي »

هو ذلك «الفكر» الذي يحدد ذاته بذاته ،بمقتضى ما لديه من حرية .

بيد ان القائلين بالعناية الإلهية – فيما يرى هيجل – قد آمنوا بها ايماناً عاماً غير محـــدود ، دون أن يعملوا على تحديدها تحديداً دقيقاً ، وبالتالي فانهم لم يطبقوها على مجموع الوقائع ، أو على مجرى الاحداث . وهذا هو السبب في انهم قد ظلوا يفسرون التاريخ بمجموعة من العلـــل الطبيعية ، وكأن ما يفسر لنا كل احـــداث التاريخ انما هو أهواء البشر ، أو قوة الجيوش ، أو عبقرية بعض الأفراد ، أو انتقال الدولة الى أصحاب المواهب ، أو غير ذلك من العلل الطبيعية العرضية . وهكذا بقيت فكرة « العناية » مجرد فكرة مجردة عامة ، فظلوا يرددونها كمبدأ عام ، دون أن يجهدوا في تطبيقها على التفاصيل الدقيقة للوقائع . حقا ان أصحاب هذا الرأي يسلمون بأن للعناية الإلهية «خطة» تلتزمها في كل تصرفاتها ، ولكنهم يقررون في الوقت نفســه ان هــذه الخطة محجوبة عنا ، وانه قد يكون مـــن التهور ان نحاول الوقــوف عليها . واما هيجــل فانه يرى في التاريخ مظهرا دقيقا لتدخل تلــك القوة العاقلة التي تتحكم في مجرى الأحداث ، وبالتالي فانه يحاول الوقوف على السبل التي اصطنعتها العناية الإلهيـة في تنظيمها لـــوقائع البشر . ولكن هيجل لا يعني بالتاريخ تاريـــخ الأفراد ، بل تاريخ الشعوب (كما سبق لنا القول)، وهو لهذا يحاول دائما أن يكشف لنا عن تلـــك « الحكمة الأزلية » التي عملت ولا زالت تعمـــل على توجيه مصائر الأمم . وليس «التاريخ الشامل» سوى ذلك الانتاج الخصب الذي حققه العقـــل المبدع في ميدان النشاط الانساني ، منذ فجـــر التاريخ حتى يومنا هذا .

التاريخ تحقيق لملكوت الله على الأرض !

وهيجل يساير الفيلســـوف الألماني ليبنتس Leibniz (١٦٤٦ – ١٧١٦) الــذي سبقه بأكثر من قرن في فهمه للعناية الإلهية ، فيحـــاول ان يقرن فلسفته التاريخية بضرب من « اللاهوت العقلي » الذي يقوم فيه بتبرير المقاصد الإلهية وتفسير الشرور والخطيئة.ولما كان التاريخ مسرحا حافلا لشتى مظاهر الشر ، فليس بدعا ان نـــرى هيجل يهتم في فلسفته التاريخية بتفسير «السلبية» Negation وتبرير الشر ، وتحقيق ضرب من التوافق بين الروح الناطقة من جهة ، وقوى السلب الهدامة من جهة أخرى .

وليس المهم – في نظر هيجل – ان نمهد الى استنباط وجود الشر (بطريقة عقلية منطقية) ، بل المهم ان نقف على تلك النقطة التي ينخـــرط عندها الشر (على نحو ضروري) في صميم مجرى الكون . والشر الذي يتحدث عنه هيجل – في هذا الصدد – انما هو أولا وقبل كل شيء ذلك «الشر الوضعي» الناجم عن الحروب والثورات وشتى مظاهر التدمير والتخريب . واذا كان هيجل يعطي هذا النوع من الشر أو الألم قيمة كبرى ، فذلك لأنه يرى فيه مظهرا هاما من مظاهر سير التاريخ .

والواقع ان من شأن التقدم التاريخي أن يصطبغ – ضرورة – بصبغة الهية شاملة ، نظرا لأنه لا بد لهذا التقدم من أن يفضي الى ظهور الحرية . وليس في استطاعة الحرية أن تتحقق ، اللهم الا من خلال الآلام والمحن وشتى ضروب الصراع . وكثيرا ما يتمسك الانسان بما درج عليه من عادات في تصور الوجود والحكم على الأشياء ، فتكون نتيجة ذلك الموقف هي عجزه عن فهم منطق التاريخ الــذي يقضي حتما بزوال « القديم » من أجل ظهـــور « الجديد » . ولكن قوانين التطور هي التي تعمل

على انحلال الأشكال القديمة والقيم العتيقة ، من أجل ظهور أشكال جديدة وقيم حديثة تكون أخصب وأكمل . وكثيرا ما تكون المحن التي تنزل بالشعوب مجرد نتيجة لتمسك هذا الشعب أو ذاك بتلك الأشكال البالية أو القيم العتيقة التي ربط بها مصيره ، بينما تكون هناك شعوب أخرى قد أخذت تظهر الى عالم الوجود حاملة معها فكرة أخصب وأكمل عن الحرية . ولا بد من أن يحدث ضرب من « الصدام » أو «الصراع» بين هؤلاء وأولئك ، ولكن من المؤكد — في نظر الفيلسوف — أن هذا الصراع حدث ضروري يستلزمه تقدم البشرية . وحينما تنحل الأشكال القديمة ، أو حينما تتداعى القيم العتيقة ، فانما تنفتح السبيل أمام تطورات جديدة تكون ايذانا بظهور أشكال أعمق وأخصب .

وهكذا نجد «العقلانية الايجابية» تحل محل « العقلانية السلبية » ، دون أن يكون ثمة موضع للحديث عن أي فراغ عقلي أو تاريخي . وما دام « العقل كامنا في باطن « التاريخ » ، فليس هناك مبرر لليأس من مصير الانسان ، أو الشك في عدالة الله . واذا عرفنا أن الشر ليس الا لحظة مؤقتة في تاريخ التطور الكلي الشامل ، أمكننا أن ندرك كيف أن « العقلانية الوجدية » هي التي تحتوي — ضرورة في ثناياها كل « عقلانية سالبة » . وليس في وسع العقل أن يعلق كبير أهمية على ما قد يلحق ببعض الأفراد من غبن ، فان من شأن أمثال هذه « الوقائع الجزئية » أن تمحي بالضرورة في تلك « الحصيلة الشاملة » . ومعنى هذا أن « الغايات الجزئية » تذوب في طوايا « التاريخ الكلي » بحيث أن الفيلسوف ليجد نفسه مضطرا الى القول بأن التاريخ — على الرغم من كل ما ينطوي عليه من مظاهر تناقض وصراع وألم — انما هو في صميمه تحقيق لملكوت الله على الأرض !

دور « التناقض » في « ديالكتيك التاريخ » ..

ولكن ، ربما كانت السمة الأساسية التي تميز فلسفة هيجل في التاريخ هي السمة الجدلية (أو الديالكتيكية Dialectical) . فعلى حين أن رجال الموسوعة الفرنسية في القرن الثامن عشر كانوا يتحدثون « التقدم » تطورا مستمرا يسير في خط مستقيم ، نجد هيجل يدخل مفهوم « التناقض » ومفهوم « الصراع » ، في تصوره للتطور ، فلا يجعل من « التاريخ » تقدما آليا مطردا ، بل يجعل منه حركة ديالكتيكية مليئة بشتى مظاهر التناقض ، والصراع ، حافلة بصنوف الأزمات والثورات . وهيجل يلاحظ في كتابه « علم المنطق » أنه لا سبيل الى تفسير التغير تفسيرا كميا ميكانيكيا ، نظرا لأن ظهور «الجديد» لا يمكن أن يفسر برد كل ما في الصيرورة من تراء الى بعض العناصر الفسيفسائية المتشابهة، أو بارجاع كل ما في التغير من جدة الى عملية تراكم بعض العناصر الجزئية المجمعة . وهو يضيف في هذا الكتاب أيضا أن من شأن استمرار التغير أن يفضي حتما الى بعض الطفرات الكيفية ، وأن التناقض انما هو روح الحركة ..

وأما في كتاب « فلسفة التاريخ » ، فاننا نرى هيجل يكشف لنا عن الطابع الثوري لمنهجه الجدلي فيظهرنا بوضوح على أنه لا سبيل الى انقاذ أي نظام اجتماعي فاسد (مثلا) عن طريق تعديل ما فيه من أوضاع خاطئة ، أو تصحيح بعض مساوئه، وانما لا بد من انقلاب جذري يقتلع على ما فيه من فساد قلعه جبرا . ويضرب هيجل لنا مثلا بحركة الاصلاح التي ترتبت على فساد الكنيسة ، فيقول ان هذه الحركة لم تكن مجرد تصحيح لبعض الأوضاع الخارجية ، بل هي قد كانت بمثابة ثورة جذرية قضت على جوهر الفساد الديني .

ولئن كان هيجل قد استحال — في أواخر أيامه الى مواطن بروسي محافظ ، الا أننا نراه مع ذلك يسلم بالمشروعية التاريخية للثورة الفرنسية ، وكانما هو قد ظل مؤمنا — في قرارة نفسه — بأن « الديالكتيك » هو تلك المحكمة العادلة التي لا بد لكل شيء — مهما كان من ثباته أو دوامه — أن يمتثل أمامها ، لكي يتحكم عليه بالزوال أو الفناء ! وهذا هو السبب فيما ذهب اليه بعض مؤرخي الفلسفة من أن « الديالكتيك » الهيجلي ظاهرة ثورية أيضا .

هذا الى أن هيجل يجعل لكل من السلب والشر دوره في دراما التاريخ فيقرر أن السلب والشر لحظتان ضروريتان من لحظات التقدم . واذا كان هيجل قد فرقمنذ البداية بين «التطور البيولوجي»

(او الحيوى) و « التاريخ البشرى » ، فذلك لأنه قد لاحظ أن التطور الحيوى هو مجرد تحقيق لإمكانيات محددة من ذى قبل ، في حين أن التاريخ البشرى يفترض صراع الروح نفسها ضد ذاتها ، وكأنما هي بمثابة عائق حقيقي لا بد لها من التغلب عليه . فليس التطور الانساني مجرد عملية ازدهار أو تفتح ، تتم دون أى صراع أو أية مشقة ، كما هو الحال بالنسبة الى الحياة العضوية ، وانما التطور الانساني عمل شاق أليم يمارسه الانسان في نفسه ، وكأنما هو يتحامل على ذاته من أجل العلو على نفسه .

ويمضي هيجل الى حد أبعد من ذلك فيقول انه لما كان « التقدم » يتسم دائما بطابع « التناقض » فان في الامكان دائما ظهور حالات « نكوص » أو « ارتداد » تكون بمثابة عودة الى عصر « البربرية » . ولئن كانت « الحرية » هي في نظر هيجل غاية التقدم البشرى ، إلا أننا نراه يؤكد أنه لا سبيل الى بلوغ الحرية اللهم إلا من خلال التمزق ، والألم ، والصراع . ولعل هذا ما عبر عنه الفيلسوف الألماني الكبير بعباراته الخاصة حينما كتب يقول : « إن الميزة الكبرى التى تتسم بها الأحياء انما هي حاجتها الملحة الى اجتياز مرحلة التعارض والتناقض والسلب ، من أجل الوصول الى المرحلة التى يتسنى لها فيها التوفيق بين الحدود المتعارضة . »

الصلة بين « التاريخ » و « المنطق » ...

... اذا كان هيجل قد خلع على التاريخ صبغة « عقلية » ، « جدلية » ، فليس بدعا أن نراه يوثق الصلة بين « التاريخ » و « المنطق » . فيقرر أن التاريخ عملية منطقية تتحقق عبر الزمان . وليس يكفي – في نظر هيجل – أن نقول ان التاريخ البشرى عملية منطقية شاملة ، أو حقيقة كلية تخضع للقوانين ، أو واقعة حتمية تسير في تطورها وفقا للضرورة ، وانما يجب أن نضيف الى كل هذا أن ثمة « علاقات منطقية » أو « ارتباطات ضرورية » باطنة في صميم التاريخ . وهذا هو السبب في أن هيجل يوحد بين العامل « التاريخي » والعامل « المنطقي » ، فيجعل من التاريخ مجموعة من العلاقات المنطقية الضرورية . حقا اننا لو تصورنا التاريخ على أنه مجموعة من الأحداث التى تتوالى في عالم التجربة ، أو على أنه مجرد وقائع خارجية تتعاقب في الزمان ، فاننا قد لا نفطن الى أمثال تلك « الارتباطات الضرورية » أو « العلاقات المنطقية » ، ولكننا لو نظرنا الى تلك الأحداث « من الباطن » لوجدنا أنها في جوهرها « أفكار » مرتبط بعضها ببعض عن طريق مجموعة من « العلاقات المنطقية » . ولا شك أن هيجل هنا قد فتح مجالا خصبا أمام الباحثين في فلسفة التاريخ ، فانه قد كشف لهم عن الطابع العلمى للتاريخ ، ما دام التاريخ علما يخضع لقوانين ، وما دام يعبر – من خلال مراحله الأحداث – عن ضرورة عميقة تقودنا الى الكشف عن جدله الباطن أو منطقه الخفي .

بيد أن مثالية هيجل قد أوقعته في خطأ منهجى فادح : لأنها قد صورت له امكان استخلاص « التاريخ » من « المنطق » بطريقة أولية سابقة Apriori ، بدلا من العمل على استخلاص « المنطق » من « التاريخ » بطريقة علمية دقيقة . ومن هنا فقد عمد هيجل الى اسقاط تخطيطه العقلي الأولي على التاريخ بطريقة تعسفية تحكمية ، مما جعله يقحم « الجدل » على « الوقائع » بصورة لا تخلو من الافتعال والتعسف . وهكذا أصبح الجدل الهيجلي بمثابة سرير « بروكرست Procruste » تكدس فيه الوقائع كدسا ، دون مراعاة لطبيعتها الخاصة ، على نحو ما كان يصنع بروكرست ، قاطع الطريق الذى زعمت الخرافة اليونانية أنه كان يمدد ضحاياه من الناس على هذا السرير ! ولعل هذا هو السبب في تلك الأخطاء التاريخية العديدة التى تردى فيها هيجل ، خلال عرضه للفلسفات المختلفة على مر العصور ، فكان يقدم ويؤخر بحسب ما تقتضيه طبيعة منطقه الجدلي ، دون احترام لتسلسل العصور وتعاقب الأزمنة . وهكذا يبقى التاريخ عند هيجل مجرد تعبير عن انتشار الروح المطلقة عبر الزمان ، بدلا من أن يكون بمثابة جهد علمي من أجل استخلاص قوانين الجدل (أو الديالكتيك) من صميم التجربة التاريخية . وربما كان السر في اهتمام كل من ماركس Marx وانجلز Engels ، زعيما الشيوعية بالعمل على تصحيح وضع « الجدل » ،

هو ما لا حظناه لدى هيجل من تعسف في فرض مخططه المثالي على التاريخ ، كما سنرى فيما بعد بالتفصيل ...

دور « الاهواء » في التاريخ البشري ..

اذا كان هيجل قد ذهب الى ان « العقل » هو الذي يتحكم في مصائر الاحداث ، وان افعال الناس انفسهم لا يوصلها تعبيرا خارجيا عن « افكار » فليس معنى هذا انه انكر دور « الاهواء » و « الانفعالات » و « الحاجات » و « المصالح » في تحديد افعال البشر . والحق ان هيجل يقرر بكل صراحة ان « الاحداث » تظل مجرد « ممكنات » الى ان تجيء الفاعلية البشرية فتحيلها الى وقائع ومعنى هذا انه لا شيء يتحقق في الوجود ، بدون ارادة البشر ، ما دامت هذه الفاعلية الانسانية هي التي تعمل على تحقيق كل ما يحدث في العالم من وقائع . ولولا حاجة البشر وميولهم ونزوعهم وارادتهم ، لما كان ثمة نشاط بشري ، وبالتالي لما كان ثمة تاريخ . وقد يكون من الحديث المعاد ان نقول ان الانسان لا يعمل ، اللهم الا اذا كان يشعر بان ما سيعمله سيكون هو الكفيل باشباع حاجته ، وارضاء اهوائه ، وتحقيق غاياته . حقا ان الانسان قد يعمل في سبيل المصلحة العامة ، ولكنه حتى في هذه الحالة ، لا بد من ان يشعر بان هذه المصلحة العامة متوافقة مع مصلحته الخاصة ، وان من شانها — بالتالي — ان تزيد من شعوره بقيمته الشخصية . ولهذا يقرر هيجل بصفة عامة انه لا يمكن ان يتحقق شيء في دنيا البشر على الوجه الاكمل ، اللهم الا اذا تحققت فيه مصلحة اولئك الذين يشتركون في تحقيقه . وحسبنا ان نلقي نظرة على التاريخ البشري لكي نتبين « انه لم يتحقق يوما شيء عظيم في هذا العالم ، الا وكان للهوى Passion او الانفعال الشخصي دور كبير في تحقيقه .. » .

بيد ان كل هذه العوامل الذاتية — من نزعات وفاعليات وحاجات وميول ومصالح واهواء خاصة — لا تخرج عن كونها مجرد « وسائل » او « وسائط » تستعين بها الروح الكلية من اجل الوصول الى غايتها . والحق ان الافراد والشعوب — حين تعمل على بلوغ غاياتها الخاصة — انما هي مجرد « وسائط » او « وسائل » تحقق غاية اخرى اسمى واوسع بكثير من غاياتها الخاصة ، وان كانت تحققها بطريقة لا ارادية ، تجهلها هي نفسها .

والواقع ان الاهواء البشرية التي تتحكم في افعال الناس لا تمنعنا مطلقا من القول بان العقل هو الذي يحكم العالم ، وهو الذي يسيطر على التاريخ . وهيجل يعود هنا الى نظريته الاصلية في وحدة « الكلي » و « الجزئي » (او « الفردي ») فيقول ان هذه « الوحدة » هي الحقيقة التاريخية الكبرى .

ولكن الشاهد — في مجرى التاريخ — ان الجانب الذاتي ، او الوعي ، يظل غافلا عن الغاية النهائية المطلقة للتاريخ ، الا وهي تحقيق « الروح » وسيادة « الحرية » . ومن هنا فان الناس كثيرا ما يظنون انهم يحققون بافعالهم غاياتهم الجزئية الخاصة ، في حين ان « الحقيقة الكلية » تظل ماثلة في تلك الغايات الجزئية ، ان لم نقل بانها تتحقق من خلالها ، حتى ولو بقي الناس على غير وعي بتلك « الحقيقة الكلية » الماثلة في صميم غاياتهم . وهيجل يمضي الى حد ابعد من ذلك فيقرر ان افعال البشر التي تتحقق في التاريخ ، كثيرا ما تفضي الى نتائج تتجاوز تلك الغايات التي كانوا يهدفون اليها ، او التي استطاعوا بلوغها بالفعل ، اعني تلك الاهداف التي كانوا على علم بها ، والتي ارادوا الوصول اليها بطريقة مباشرة وبعبارة اخرى يمكننا ان نقول ان البشر يحققون بالفعل مصالحهم الخاصة ، ولكن الملاحظ في الوقت نفسه ان ثمة « غاية » اسمى وابعد مدى تتحقق من خلال افعالهم ، وتلك هي الغاية الكلية التي كانت « ماثلة » في صميم افعالهم ، دون ان يكونوا هم على وعي بها ، بل دون ان تكون بينهم قصد اتجهت الى تحقيقها . وهذا ما اصطلح النقاد على تسميته باسم « مكر العقل » (او تحايله) في فلسفة هيجل التاريخية . وخلاصة هذه النظرية ان الصانع الحقيقي للتاريخ الكلي انما هو تلك الروح المطلقة (الازلية — الابدية) التي تتحقق في صميم الانسانية ، مستعينة بالافراد والشعوب من اجل العمل على بلوغ غاياتها ، دون ان يكون البشر انفسهم على وعي بحقيقة مقصدها . وهكذا يعود هيجل الى نظريته الاصلية في سيطرة العقل على التاريخ فيقول مرة اخرى ان « العقل ماثل

فى الوجود التاريخى ، وهو انما يتحقق فى صميم هذا الوجود التاريخى ، ومن خلاله .. » .

دور «الافراد» فى الحركات التاريخية ...

يهتم هيجل بدراسة دور «الافراد» فى حركات التاريخ ، فيقول ان عظماء البشرية لا يوجهون مجرى التاريخ ، ولا يملكون القدرة على تغيير اتجاهه ، وانما كل ما هنالك انهم يستجيبون لحاجات عصرهم ، ويتوافقون مع الضرورة التاريخية وهذا هو سر عظمتهم . ويشرح هيجل وجهة نظره بوضوح فيقول : « ان الافراد لا يكونون عظماء ومنتازين ، اللهم الا حين تتجه ارادتهم صوب سوى الهدف العام المتضمن فى صميم المعنى الباطن للموقف الراهن . واما حينما يعمل الافراد من أجل تحقيق آمالهم الخاصة ، دون الاهتمام باشباع حاجات أهل عصرهم ، او حينما يتخلصون من أهل عصرهم ، لكى يقتصروا على توجيه كل اهتمامهم الى اغراضهم الخاصة ، فانهم عندئذ يكونون افرادا افرادا لا يعرفون على مجتمعاتهم الا بالضرر والاذى . ولكن ، حتى حينما يتعارض عمل هؤلاء الافراد مع نظم عصرهم واراته اسمائها فانهم مع ذلك قد يعبرون عن ضرورة تاريخية عميقة ، الا وهى ضرورة التجاوز الثورى لنظام استنفد زمانه . وهذا - بوجه عام - هو موقف الابطال فى تاريخ العالم : اذ بوساطتهم يتحقق للبشرية ضرب من الترقى او التصاعد نحو عالم جديد . ولما كان مبدأ « البطل » يجىء فى اغلب متعارضا مع المبادىء المقررة ، فانه لا بد من أن يبدو - لاول وهلة - مبدأ خطرا هداما . وهذا هو السبب فى ان الابطال كثيرا ما يبدون لنا بصورة رجال مارقين على القانون او خارجين على العرف . وأشخاص الابطال محكوم عليها دائما بالزوال ، ولكن مبادئهم لا بد من أن تصل مسعاها ، وتواصل تأثيرها ، وان كان ذلك بصورة اخرى لم تكن فى الحسبان ، لكى لا تلبث أن تحقق كل ما كان معمولا به من مبادىء .. » .

وإذن فان « الرجل العظيم » - فى رأى هيجل - انما هو ذلك الانسان الذى يعبر عن الترجمة العالية لترقى « روح العالم » . ومعنى هذا ان عظماء البشرية انما ينطقون باسم « الروح الكلية او « الحقيقة المطلقة » ، متخلين عن الغاية العامة غاية خاصة لهم .

ومهما كان من عظمة الفرد فانه لا يمكن ان يجد لنفسه رسالة اعظم او اسمى من أن يعمل فى سبيل تحقيق غايات شعبه وعصره . وقد يكون من شأن تلك الرسالة ان تجىء معارضة للنظام القائم او للعرف السائد ، ولكنها لا بد من أن تكون معبرة عن ذلك التجاوز الضرورى (أو التعالى الحتمى) الذى تتطلبه التناقضات الموضوعية لهذه المرحلة أو تلك من مراحل التاريخ . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول ان ما يفرض على الرجل العظيم الصراع ضد النظام القائم ، انما هو الحاجة الى تجاوز تلك التناقضات الباطنة فى صميم ذلك النظام ، من اجل العمل على اقامة نظام جديد يكون اكثر تلاؤما مع حاجات العصر وامال الشعب ..

ويعود هيجل الى شرح نظريته فى البطولة فيقول - فى موضع آخر - ان عظماء البشرية لم يكونوا يوما سوى مجرد ناطقين باسم الروح الكلية او الحقيقة المطلقة . فالبطل هو ذلك الفرد الذى تجىء غاياته الشخصية منطوية على المضمون الجوهرى لا ارادة الروح الكلية . وقد يتوهم البعض ان عظماء البشرية هم اولئك الافراد الذين يعملون فى سبيل غايات خيالية او اهداف وهمية ، ولكن الحقيقة ان عظماء البشرية انما هم اولئك الافراد الذين يدركون الحلول الدقيقة التى يتطلبها الموقف ، والذين يعرفون ما ينبغى فعله فى كل ظرف ، والذين يفهمون ما يتطلبه الوضع الراهن ، أو بعبارة موجزة هم اولئك الذين يضعون أيديهم على ما هو « ضرورى » . واذا كانت الجماهير تلتف حول امثال هؤلاء الابطال ، فما ذلك الا لانهم يكشفون لتلك الجماهير عما فى اعماقها من ميول دفينة ، ويعبرون لها عما يكمن فى باطنها من امال عميقة ..

نهاية التاريخ فى رأى هيجل ...

ولا يقتصر هيجل على القول بأن تاريخ البشرية واحد وانه تاريخ منطقى جدلى ، وانه وليد الفعل الجماعى المشترك ، وانه تقدم ديالكتيكى يقوم على الصراع والتناقض ، وانه ليس من خلق الافراد ، بل هو يضيف الى كل هذا أن تاريخ البشرية تاريخ متناه مكتمل فى الحاضر ، لا فى المستقبل . وهنا نصل الى نظرية عابها الكثيرون

عند هيجل ، وتلك هي نظرية اكتمال التاريخ بالوضع الراهن ، لا بالحكم الاخير . ولا شك ان هيجل حينما قال بانتهاء التاريخ الحاضر (لا في المستقبل) فانه لم يكن يرمي فقط الى القول باستحالة التنبؤ بالمستقبل او الحكم عليه سلفا ، وانما كان يرمي ايضا الى تمجيد الحاضر واعتباره بمثابة « مثل اعلى » . وهكذا جاءت نزعة هيجل المحافظة فاملت عليه انكار امكان تحقق اي تقدم اخر في المستقبل ، وكأنما هو قد اراد ان يقدم لنا مجرد تبرير عقلي لسياسة المحافظة البروسية التي كانت تتسم بالجمود والتحجر . ولكن بعض الباحثين قد دافعوا عن هيجل بقولهم انه لما كان من المستحيل على المؤرخ ان يعد المستقبل كتابا مفتوحا ، فلا بد للتاريخ من ان ينتهي بالحاضر ، خصوصا واننا لا نعلم شيئا من ذلك الصدم الذي قد يحدث في المستقبل . فالمستقبل – كما يقول هيجل – لا يمكن ان يكون موضوعا لعلم او معرفة، بل هو موضوع للآمال والمخاوف ، وعليه ليست من التاريخ في شيء . ولكن من المؤكد – مع ذلك – ان نزعة هيجل التبريرية هي التي املت عليه اعتبار النظام البروسي القائم آنذاك (وهو النظام الطابق لصالح البورجوازية) بمثابة النظام العقلي الأوحد في كل مسار التاريخ ، فكان من ذلك ان عمد الى ايقاف التاريخ عند المرحلة التي تحققت فيها السيادة لطبقة البورجوازية الالمانية ..

ولما كانت نهاية التاريخ – في رأي هيجل – انما تتحقق عندما يصبح العالم معقولا ، ولما كان النظام الذي دعمته البورجوازية (بفضل الثورة الفرنسية، واصلاحات نابليون ، ومشاريع شتاين Stein) قد عمل على تثبيت اركان هذا النظام المعقول ، فليس بدعا ان نجد هيجل ينادي بأننا قد بلغنا نهاية التاريخ ! .. ولا شك ان هيجل حينما واجه عصره بكلمة « نعم » ، فانه لم يعبر فقط عن نزعة تاريخية تفاؤلية ترى في الحاضر احسن الازمنة بل هو قد عبر ايضا عن فلسفة مثالية مطلقة ترى « الابدية » ماثلة في « الزمان » ، وتعد « المطلق » متحققا في صميم « التاريخ » .

كلمة أخيرة ..

ولسنا نريد ان نسترسل في شرح تفاصيل فلسفة هيجل في التاريخ ، وانما حسبنا ان نكون قد اعطينا القارىء العربي صورة سريعة لأهم معالم هذه الفلسفة . ولا بد ان يكون القارىء قد لاحظ معنا ان هيجل كان في مقدمة الفلاسفة المحدثين الذين دعوا الى «تأليه التاريخ»، وكان « الديالكتيك » هو المحكمة العليا التي تتحكم في مصير الوجود بأسره ! ولئن كان من بعض افضال هيجل على فلسفة التاريخ أنه لفت انظار الباحثين الى ضرورة ربط التاريخ بالمنطق ، والعمل على اكتشاف ما في الأحداث من علاقات ضرورية ، الا انه قد استعان بكل ما لديه من اجهزة عقلية ومعارف تاريخية من اجل تبرير النظام السياسي الذي كان قائما في عهده . ومن هنا فقد جاءت فلسفة هيجل التاريخية مجرد صورة اخرى من صور « البورجوازية الالمانية » التي كانت تعتبر اوج التاريخ هو مرحلة انتصارها . ولئن كان هيجل قد ربط نهاية التاريخ بتحقق الحرية ، الا اننا نعجب كيف سول له تفكيره السياسي ان يعتبر عهد الملكية الالمانية بمثابة اكمل عهد من عهود الحرية .. ! او على كل حال ، فقد اهتم هيجل في فلسفته التاريخية باستعراض تاريخ الشعوب المختلفة التي تعاقبت على مسرح العالم ، ابتداء من الشعوب الشرقية القديمة حتى الشعب الجرماني ، فصور لنا الانسان بصورة الجهاز العضوي الواحد ، وقال ان العالم الشرقي يمثل طفولته ، بينما يمثل العالم اليوناني شبابه ، والعالم الروماني رجولته ، والعالم الجرماني كهولته . ومن هنا فقد سيطر على كل تفكير هيجل التاريخي مفهوم « التطور » او « النمو البيولوجي » ، وكأن الانسانية كائن حي واحد يتقدم ، ويتطور ، ويرقى ، بجملته . واما غاية التاريخ – في نظر هيجل – فهي بلوغ مرحلة الحرية او زيادة شعور الروح بما لديها من حرية. ولعل هذا ما حدا ببعض الباحثين الى القول بأنه لا سبيل الى فهم فلسفة التاريخ عند هيجل ، اللهم الا في ضوء مذهبه السياسي ، ونظريته في الحرية السياسية .. افلا يحسن بنا – اذن – ان نعرض لفهم تفكير هيجل السياسي في حديث مقبل ، نجعل منه تمهيدا لدراسة المادية التاريخية ؟.

زكريا ابراهيم

يا ليل !!

أيها الجمال الناعس !!
أيتها الفتنة الغارقة في محيط من التيه ! ..
يا من تهدهدك النسائم وتحركك الرياح في أرجوحة الصمت العبقري ! ..

أيها الممتد إلى أرض الأزل ..
يا من تتراقص في أجوائك عرائس المرح ..
يا ناعسا تداعبه طيوف الأحلام ..
أيها الصامت المهيب في صمته
أنت يا من تنصت إلى أنات المحبين
أيها الأمين الذي طالما رأى وشهد وسمع وما باح !!
يا من سرت من نسائمك الآهات
وترددت في جوانبك أصداء الوعود
يا وحي الشعراء وأغرودة الشادين .
يا ليل !!
فيك يا ليل من كل شيء صورة ..
ومن كل عاطفة لون !!
فيك من الحب غموضه وقداسته .
وفيك من الصد لوعته وأساه ..
فيك أصداء الحنين ترددها نسائمك .
وفيك ثورات الجفاء تمثلها رياحك الزعزع !!
ظلمتك رهيبة مهيبة ..
وصمتك أهزوجة صادحة ..
يا ليل !!
كم فيك وكم منك !
يا سر الخليقة ومرآتها الغامضة !
على صفحة سوادك تنعكس شتى الصور.. ولا يرى للعين منها خيال !
وعلى وسائدك يريح مرضى الحياة رؤوسهم .. ويحلمون !!
وتسكب يداك الحنون في أفواههم بلسمك الشافي
يا ليل !!
كأنك رمز.. صنعتها صخر الزمان وقد ناء بحمولات الشجون !
كأنك نغم ضال .. يردد الأفق صداه . وتفتقد العيون ظله !!
يا ليل العشاق ..
يا ليل .. !!

سنية قراعه



الميسر فى بريطانيا

عن صحيفة التايمز ـ اللندنية

● بلغ مجموع ما انفقته بريطانيا على القمار والمراهنات بمختلف اشكالها ، وما جنته منه من اموال ، فى السنة الماضية ٩٠٠ ملايين جنيه استرليني . وتجدر الاشارة الى ان هذا المبلغ يزيد على مثيله فى السنة السالفة (اى ١٩٦٢) بنحو ٣٥ مليون جنيه . ويعزى هذا الفائض فى الغالب للزيادة التى حققها سباق الخيل وقد بلغت اربعين مليون جنيه ، والزيادة الاخرى التى سجلتها المراهنات الخاصة بمباريات كرة القدم وقيمتها ١٥ مليون جنيه . يقابل ذلك هبوط طرا على فروع اخرى من فروع هذه الصناعة كالمراهنات الاستثنائية المتصلة بمباريات كرة القدم مثلا وقد بلغ مجموع ايراداتها ونفقاتها ٢٠ مليون جنيه .

ويعتبر مبلغ الـ ٩٠٠ ملايين جنيه رقما قياسيا لم يسبق له مثيل فى تاريخ المراهنات فى بريطانيا . لا غرابة اذن فى ان يثير هذا التفاقم قلق الكنائس الانجليزية ومجالسها ويحملها على وضع تقرير مفصل حول هذا الموضوع الى الحكومة .

وجاء فى مقدمة هذا التقرير ان ما يشغل بال الكنيسة لا يقف عند حد الارقام وما طرا عليها من ارتفاع او هبوط . فهى لا تملك الا ان ترى من وراء تلك الارقام نسبة مستفحلة بافراد الشعب البريطاني الى الاقبال المتزايد على الميسر ولا تستطيع الا ان تتحسس ما يعكسه هذا الاقبال من امراض اجتماعية وما يلحقه بالامة من خسائر مادية .

وجاء فى التقرير :

« فاى نوع من الشعوب نريد ان نكون او فى وسعنا ان نكون ، واى مصير يتهددنا ويتهدد ابناءنا واحفادنا فى المستقبل القريب والبعيد اذا استمر اقبالنا المتزايد على الميسر ، وخاصة لدى

المجتمع الامر

مجلة تايم

● هل من علاقة ما بين التاريخ والخادمات او بين الحضارة والوصيفات ؟

لقد ذهب بعض المؤرخين ، على نحو من الجد ، الى ان الهيا الامرشية بالذات لم تاخذ سبيلها الى الانحطاط والاندثار الا بعد ان تكاثر الخدم فيها وانتشروا . ويؤكد آخرون ، على نحو من الجد ايضا ، ان قلة عدد الخدم فى الغرب مما زالت تنخر فى حضارته وتدفع بها الى الهاوية . اما الكاتب المفكر مرجان Morgan فيقول بالحرف الواحد « انني على الطبقة المترفة من الناس ، تقضى على المدنية بامرها » . وليست هذه الطبقة المترفة فى رايه سوى مجموعة العائلات التى يسهر على راحتها خادم واحد على الاقل ، ولئن لم يكن مرجان المذكور من فلاسفة العصر اللامعين الا ان موضوع طبقته المترفة هذه كان ولا يزال موضع اهتمام كل من يفكر بطبيعة الحياة الامريكية . فقد نشأ فى الولايات المتحدة الامريكية طبقة وسطى هى فى حقيقة الطبقات الوسطى فى

اجيالنا هذه المرحلة الانتقالية من التغير والتطور الاقتصادي والاجتماعي التي نمر بها في الوقت الحاضر ؟ »

ويمضي التقرير في تساؤلاته وتعليقاته : « هل يجدر بنا ان نحول بين الناس وبين الميسر ، ام ان الاجدر بنا ان نقرر اولا موقفنا من القمار والمراهنات ومدى رغبتنا في تشجيع هذه الصناعة او الحد منهـــا ؟ »

« ان التشريعات والقوانين النافذة حاليـــا والخاصة بالميسر في بريطانيا كانت وليدة الصدفة ولم يكن في نية البرلمان ابدا ان تصدر فيه مثل هذه القوانين . ولذلك كان اقتراحنا الذي نرفعه الى الحكومة البريطانية في هذا التقرير ان تأخذ بعين الاعتبار ضرورة النظر في قوانين الميسر وتشريعاته بغية تعديلها وتنقيحها بما يحقق وصالح الامة الحقيقي ، لا في الوقت الحاضر فحســب ، ولكن في الايام المقبلة ايضا . »

...بكي .. والخدم

العالم اجمع . وعلى كل ما تنعم به هذه الطبقة من بذخ خارق نادر فانها تعتبر اولى الطبقـات الوسطى المترفة في العالم التي لا يقوم على راحتها الخــدم .

فالعيش بلا خدم هو من صميم حياة الاسرة الامريكية التي تملك من السيارات اثنتين ، ومن اجهزة التلفزيون ثلاثة ، فضلا عن جهاز الجراماقون (الستريو) الذي يكلف نحوا من الف دولار ، وبالاضافة الى كوخ ريفي في المرتفعات لقضاء العطل والاجازات ، وحوض حلزوني الشكل للسـباحة داخل البيت .. فالاسرة الامريكية الوسطى يمكن الامر تنعم بذلك كله دون ان يسهر على راحتهـــا الخدم ، ودون ان تشعر باية غضاضة لافتقادها الخدم . ليس غريبا والحالة هذه ان يكتب عالم الاجتماع بول براون قبل ثلاثة عقود من السنين او تزيد : « نمل الطبقة الامريكية المترفة التي لا تقوم ترفها على اكتاف الخدم هي اهم ما طلعت به الولايات المتحدة على العالـــم من مستحدث جديد »

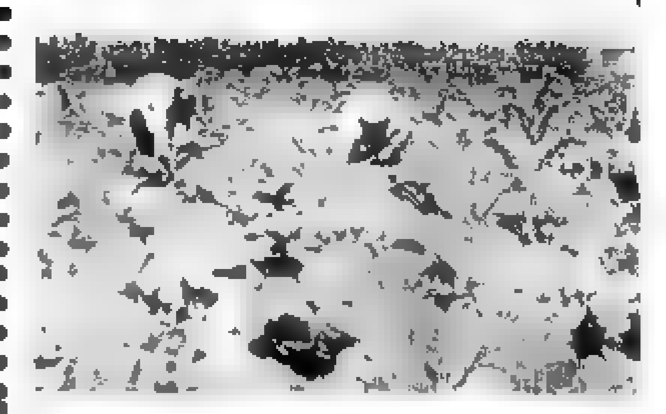
السير في الفضاء

مجلة لايف

● خرج (هوايت White) من مركبتـه الفضائية ، وهو ومركبته يسيران في الفضاء بسرعة لا تقل عن ١٧٥٠٠ ميلا في الساعة ! اما الشاعر التي غمرت قلبه لدى نظره الى عالمه على نحو لم يحلم به من قبل ، فكانت مشاعر النشوة التـي كانت ان تبلغ حد الاغماء . فقد راى « الارض » كوكبا سابحا في الفضـــاء كسائر الـكواكب ، شاهدها معلقة هناك لا هي فوقه ولا هي تحته ، رآها ، لا بصفته ابنا من ابنائها البررة ، ولـكن بوصفه جرما فضائيا يجـــري في فلكها ويدور . فماذا راى عبر تلك المسافة السحيقة والاميال الشاسعة بعد الهوة التي فصلت بينه وبين عالمه ؟ لقد بدت الارض لرائد الفضاء « هوايت » كوكبا كروي الشكل يشع ويتلألأ على نحو ما تبدو لنا كواكب السماء في ظلمة الليل .. بـدت لرفاعة تحاكي احجار الياقوت زرقة وتضاهيها بهـاء . وبدت فوق ذلك كله بعيدة نائية تحيط بها هالة من حرمة الغيب ورهبة المجهول .

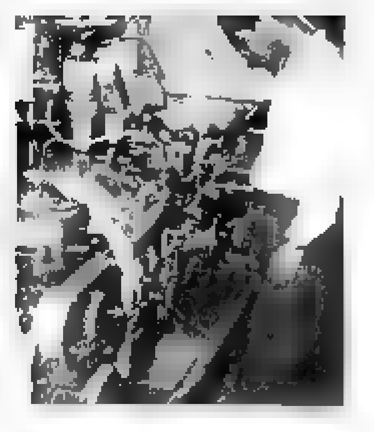
على ان سياحة الفضاء هذه لم تـكن ملهاة او رياضة او لونا جديدا مـن حركات البهلوانات بالرغم من كل ما رافقها من نشوة وروعة ومتعة . لقد كانت امتحانا عسيرا بالغ الخطورة والدقـة لما ابتكره العقل البشري من اجهزة واســاليب تقنية ، ولمدى اهليتها لخدمة رواد الفضاء فيما قد يضطرون اليه من توقف او اصلاح لمركباتهم اثناء جولاتهم الفضائية في المستقبل .

اضف الى ذلك ما انطوت عليه من مخاطرة ، كان من الممكن ان تودي بحياة الرائد (هـوايت) على نحو لم يسبق له مثيل . تصور ان حياة هذا الرائد كانت رهنا بالبزة الفضائية التي احكمت حـول جسمه ، وبالمدفع الصغير الصاروخي الذي يطلقه فيوجه حركته في الفضاء ، وكلاهما لم يتجرب في الفضاء بالذات ، وانما جـرب فقط في ظروف مصطنعة تشبه ظروف الفضاء من قريب او مـن بعيد . فلو ان تلك البزة ، التي بدت كاللحاف يبطنها العشر ، تعرضت لثقب ما ، لسبب ما ، لكان مصير هوايت الى الفناء بسبب الحرارة العالية عند تعرضه للشمس او البرودة المتناهية عندما يختفي عنها .





بناء الحضارة بالقطاع الزراعي



بعد القطاع الزراعي

حضارة الغد

بقلم : الدكتور عبد الله عبد الدايم

■ السؤال عن حضارة الانسان ومستقبل الانسان قديم قدم الانسان ، ولا نغلو اذا قلنا ان التطلع الى المستقبل وسؤال المستقبل كانا وما يزالان شغل الانسان الاول ، ومصدر قلقه وسعيه .

بين الرجم بالغيب ، واستكناه العلم

وقد بدا سؤال المستقبل احيانا ضربا من الرجم بالغيب وشكلا من اشكال النبوءة لجأ اليه الانسان الاول يوم كان اعزل من سلاح العلم ، ويلجأ اليه الفكر العامي العادي حتى اليوم ، ويلذه ويجد فيه شفاء لصبوته الى استكناه المجهول من امر حياته . غير ان هذا التساؤل عن الغد عرف في كثير من الاحيان اشكالا ادنى الى العلم والبحث العلمي ، وخاض في امره مفكرون افذاذ وفلاسفة بارزون وعلماء متخصصون في شتى عصور التاريخ .

وليس من جديد القول ان نقرر ان البحث العلمي لا يعدو في معظم الاحيان ان يترجم الى لغة الوقائع الثابتة والقوانين المجربة صبوات راودت اذهان الناس ، غامضة مبهمة ، وشطحات عاشت في عقول البشر مجللة بالغيب مطلية بالحرص والغرابة .

ولا يتسع المجال للتذكير بعديد من الدراسات الفلسفية والعلمية التي ارادت ان تخطو صفحة المستقبل وان تقتفي اثر الانسانية ، لاهثة وراء خط سير هذا المستقبل ، متطلعة الى معرفة بعض ملامحه وقسماته .

نريد كشف المستقبل لتطور الحاضر

وما غرضنا ان نقف عند هذه الدراسات المختلفة ، من ايام افلاطون بل فيثاغوروس بل ملاحمة بابل والهند ومصر ، حتى ايام « دوهامبل Georges [illegible] » و « اشبنغلر Spengler » و « ديورانت Durant » و « توينبي Toynbee » . ولا همنا ان نرى آثار هذه الاطلالات على المستقبل في الديانات عن مستقبل الانسان وحضارته، بالاضافة





اليوم تستعبد الآلة الانسان ،
وغداً تسيّر الآلة نفسها بنفسها فيتحرر الانسان .

الى كونه تساؤلا طبيعيا يروى رغبة ملحة لدى البشر ، ضروري للانسان في كل عصر ومصر ، واداة اساسية مساعدة لفهم حاضر الانسان ورسم خطة عمله وحياته . ان [illegible] ومعرفة الغد ليست ضربا من الطمأنينة تلذ للانسان ، ولا نوعا من التسلي برؤية الافق البعيد والاستمتاع بمفاجآت المستقبل ومعجزاته ومثوبته . ولا هي فرار يصطنعه الانسان هربا من مصيره ، من مآله ؛ من عمره القصير على وجه البسيطة ؛ حتى تسقط افكاره [illegible] كأنه يعيشه ؛ وكأنه يجعل من توقعه اداة لخلوده وامتدادا لزواله . ومثل هذه الاهداف في رؤى المستقبل قد ترضي نوازع الفرد العادي ؛ غير انها ليست جوهر الامر في نظر الباحث والعالم . فالاصل عند مثل هذا الباحث ان تساعد معرفة المستقبل — والمستقبل البعيد — على تطوير الحاضر وعلى تغييره ، وان تقدم معيارا ومستندا يهدي الى التغيير الواجب والتطوير اللازم .

الامس ، واليوم ، والغد

والنقطة التي ينطلق منها معظم الباحثين اليوم عندما يرنون الى خطر المستقبل ويركضون وراء معالمه ، هي ان هذا الخط المقبل جزء من [illegible] اتجاهه . فاتجاه المستقبل — [illegible] الامر [illegible] الذي يسعى من تلقاء ذاته ، ويأتي عبر [illegible] المستقبل عمل جاهد شاق يحتاج الى دراسة وخبرة ووسائل فنية . ان في الزمن اجزاء ثلاثة متداخلة يفوض بعضها في بعض ، هي الامس واليوم والغد . فالامس لازم لمعرفة اليوم ، و [illegible] الامس اساس لفهم الحاضر واستكناه روحه وذاكرته ونشأته . والغد حيّ في الحاضر باتجاهاته وخطوطه ، يطل على

هذا الحاضر لونه وطابعه ، وتاريخ الغد يوجهه اليوم ويهديه كتاريخ الامس .

من هنا يحرص باحثو اليوم في ضرورة التعرف على حقيقة المستقبل وعلى مشارعه وبنائه ومقوماته ، سواء في جوانبه الاقتصادية او الاجتماعية او الثقافية . وهم يرون بحق ان الجهل بهذا المستقبل هو المسؤول عن كثير من المآسي والصعوبات والحيرة والقلق التي تراود انسان عصرنا .

الانسان وطغيان الآلة وتحكمها

وندع هذا التساؤل الاول الذي نطلق منه في بحثنا هذا – فانشرح فيه بطول – ولنصل الى التساؤل الثاني الذي دفعنا الى البداية بالحديث عن حضارة الغد : تحدث المحدثون عن مأساة الانسان في عصر الآلة ، وارتفعت اصوات كثيرة واهترت اقلام عديدة ، متشائمة كلها من مصير الانسان ، كل انسان ، امام طغيان الآلة وتحكمها . وغدا الخوض في المعضلات الانسانية الناشئة عن الصناعة والآلة ، ديدن رجال الدين والفلاسفة والساسة وعلماء النفس وعلماء الاجتماع وكثير غيرهم . وما نريد هنا ان نضم الى هذه الاصوات صوتا جديدا ، فنتسائل مع من تساءل : الى اين تذهب حضارة الآلة بالانسان وانسانيته ؟ وهل خلقت الآلة للانسان ام سخر الانسان للآلة ؟ ولا نريد ان نصل بنا هذه النظرة المتشائمة المتصلة بالانسان وترديه في عصر التقدم الآلي ، الى حد القول مع من قال بالعود الى حياة الطبيعة وحضن الطبيعة . فمثل هذه الاقوال – رغم كل ما نجد لها من حجج وذكاء – تظل بذاتها وفي تفكيرها ، غارقة في احلام « الوضع الاول » و « الماضي » و « الايام العابرة » بعيدة عن ان تدرك ان الركب قد سار ، وان السفينة انحدرت ، وان علاج ادواء الحضارة لا تكون ولا يمكن ان تكون بالنكوص عنها والارتداد على الاعقاب ، بل تكون اولا وآخرا بالحضارة نفسها ، بمزيد منها ، بتطويرها واغنائها .

حضارة الآلة ، هل تحرر الانسان منها ؟

ان ما نريده هو ان نطرح المشكلة طرحا جديدا بعض الشيء ومناقضا للمألوف ، لنقول مع طائفة من العلماء المحدثين : أفلا تؤدي حضارة الآلة نفسها الى تحرير الانسان من الآلة ؟ أفلا يؤدي الامعان في الصناعة الى التحرر من الصناعة والى خلق حضارة هي ابعد ما تكون من الصناعة ؟ أفلا يحق لنا ان نعقد الآمال على حضارة الآلة نفسها لنجد فيها المخلص والمحرر ، ولنرى في فرط تقدمها ارهاصا بمستقبل انساني تسوده قيم الانسان الفكرية والفنية والخلقية ؟ ولنفصح عما نقول :

التقدم الفني انتج نتائج طيبة للانسان

الظاهرة الكبرى التي تميز العصر الحديث هي دون شك ظاهرة التقدم الفني ، والمقصود بالتقدم الفني او التقني استخدام نتائج التقدم العلمي في مجال الصناعة وغيرها من اجل زيادة الانتاج . واذا اردنا تعريفا ادق قلنا ان التقدم الفني يعني زيادة حجم الانتاج الذي نحصل عليه عن طريق كمية ثابتة من المواد الاولية او من العمل البشري . فاذا قلنا ان مائة متر مربع مزروعة قمحا يحتاج حصادها الى ساعة عمل بالمنجل عام ١٨٠٠ ، بينما يحتاج عام ١٩٤٥ الى ٢٥ ثانية فقط عن طريق الحاصدة الدارسة الحديثة ، كان الفرق ناجما من التقدم الفني .

ونستطيع ان نقول ان العناصر الاساسية في عملية الانتاج اليوم هي الطبيعة وثرواتها ، ثم العمل الذي يقوم به الانسان ، ثم التقدم الفني . ولا شك ان هذا العنصر الاخير هو اهمها واعظمها شأنا . ولهذا فهو الذي يحدد في النهاية تحديدا جذريا شكل الانتاج ومقداره ، وشكل الاستهلاك ومقداره . ومعنى هذا

انه يكاد يحدد التطور الاقتصادي من الفه الى يائه . والذي يخلق الحضارة الحديثة اذن ليس هو راس المال الطبيعي — بل هو ذلك التقدم الفني الرائع والمريع . ونستطيع ان نقول ان عاملا جديدا راجحا عزا الحياة الحديثة منذ القرن الثامن عشر ، وازداد شأنه في القرون التالية ، هو عامل التقدم الفني .

وقد نتجت من هذا التقدم نتائج كثيرة متباينة لا يتسع المجال للحديث عنها . غير ان من المفيد ان نذكر بالنتائج الطيبة التي احدثها هذا التقدم بالنسبة الى الانسان كانسان وبالنسبة الى تحسين مصيره . فلقد ادى — فيما ادى اليه — الى ارتفاع في مستوى المعيشة والدخل ، والى مد سنوات الدراسة واطالة فترتها (بسبب الاستغناء عن الايدي العاملة الفتية نتيجة حلول الآلة محل الانسان الى حد كبير) ، والى تطوير الخدمات الصحية والانخفاض في معدل الوفيات جملة وفي معدل وفيات الاطفال خاصة ، والى زيادة الاجر الحقيقي الذي يتناوله العامل (اي اجره مقدرا بما يقابله من خيرات معاشية يستطيع ان يحصل عليها) ، والى تطور نوع المعيشة وطراز الحياة وانتشار وسائل الراحة وادوات الرفاهية .

المتشائمون

ويضع المتشائمون عادة في مقابل هذه المكاسب التي جناها الانسان من التقدم الفني ، مآسي انسانية خلقها هذا التقدم ليست الحرب اقلها . وجوهر هذه المآسي خضوع الانسان لهذا التقدم الفني ، وعبوديته له . فالعامل مستعبد للآلة ، بل هو جزء من الآلة ، وعجلة من عجلات الانتاج . والانسانية كلها تمشي خاضعة خانعة لما يهدف به هذا التقدم الآلي وما يمليه ، وان يكن ما يهدف به حمى الحرب وغزو الكون وتزايد مطالب الانسان الاستهلاكية وخضوعه لما يفرضه انتاج الآلة من استهلاك متجدد متجاوز لذاته دوما لا يرتوي ابدا .

ولا جدال في ان التقدم الفني خلق مرحلة من خضوع الانسان للآلة — رغم كل ما قدمته الآلة من خدمات . ولا يماري انسان في ان المراحل الاولى من اشراق الثورة الصناعية عرفت تسخيرا للعامل ولا انسانيته ، وعرفت تعلقا لمصلحة الانتاج والآلة على مصلحة العامل والانسان ، وعرفت نظاما كنظام «تايلور» يحد به الانسان ليكون آلة تقدم اكبر انتاج ممكن باقل النفقات الممكنة . ولا شك في ان حياة العامل الجسدية والعقلية والاجتماعية اصابها اجحاف كبير وحيف خطير في بداية الثورة الصناعية الكبرى في العالم .

نور جديد يلمع وسط ضجيج المصانع

غير ان السؤال الكبير الذي يطرح : هل يدل اتجاه التطور الفني في السنوات الاخيرة على استرسال في هذا المنزع — منزع اهمال الانسان وتسخيره للآلة — ام ان نورا جديدا يلمع وسط ضجيج المصانع وصخب الآلة ، يبشر بمستقبل آخر ، يحقق للانسان تحررا اكبر وسعادة اكبر ؟

لقد ذهب هذا المذهب الاخير طائفة من علماء الاقتصاد ونذكر على راسهم « كلارك Clark » في كتابه الشهير « التقدم الاقتصادي » ، ومن قبله « فيشر Fischer » الانكليزي و « بتي Petty » الانكليزي (ومن بعدهم جميعا الاستاذ الفرنسي « فوراستييه Fourastie » الذي انطلق من آرائهم وزاد عليها ، وكاد ينتهي الى فلسفة اقتصادية هي نسيج وحدها . ولا يتسع المجال للحديث عن افكار هؤلاء ومن تطورها ، ولتفصيل القول خاصة في آراء آخرهم « فوراستييه » : تلك الآراء التي شاعت وذاعت في كتبه العديدة وان لم نذكر طرفا من هذه الكتب نذكر

كتابه الذي ترجم الى العربية ، وكتابه عن « الآلية والرفاهية » .

من قطاع الزراعة الى قطاع الصناعة الى قطاع الخدمات

ويجب أن نقول ان منطلق هؤلاء جميعا ، حقيقة تكشف عنها الدراسات الاقتصادية والاحصاءات المتصلة بالطبقة العاملة خاصة ، وهي أن عصرنا الحديث يشهد - بفضل التقدم التقني - انتقالا من سيطرة القطاع الاقتصادي المعتمد على الزراعة والصيد وما شابههما (وهو ما يعرف بالقطاع الاول) الى سيطرة القطاع الاقتصادي المعتمد على الصناعة (وهو ما يعرف بالقطاع الثاني) ، ثم الى سيطرة القطاع الاقتصادي المعتمد على الخدمات والادارة التجارية (وهو ما يعرف بالقطاع الثالث) . وبتعبير آخر ، اذا تتبعنا تطور الاشخاص العاملين في كل مجال من هذه المجالات الثلاثة لوجدنا ان العاملين في الزراعة وما شاكلها يتناقص عددهم ، وان العاملين في الصناعة يزداد عددهم بالقياس الى العاملين في الزراعة ، بينما يتناقص اذا قيس بالعاملين في القطاع الثالث ، قطاع الادارة والخدمات ، ذلك القطاع الذي يزداد عدد العاملين فيه زيادة كبيرة .

ويرجع هذا التغير في هذه المجالات جميعها الى ظاهرة التقدم التقني . فدخول الآلة الحديثة الى الزراعة يقلل من عدد العاملين فيها . ودخول الآلة الى الصناعة وازدياد الآلية يوما بعد يوم يجعل عدد الاشخاص الذين تحتاج اليهم في تناقص دائم . وهذا كله يؤدي الى تزايد عدد الذين يعملون في القطاع الثالث ، وهو القطاع الذي لا يتأثر بالتقدم التقني تأثرا كبيرا .

هكذا نجد في الولايات المتحدة مثلا ان النسبة المئوية للعاملين في هذه القطاعات الثلاثة عام ١٨٢٠ كانت كما يلي : ٧٣٪ في الزراعة وما شابهها ، ١٢٪ في الصناعة وما شاكلها ، ١٥٪ في القطاع الثالث . أما عام ١٩٦٠ فقد غدت هذه النسبة على النحو التالي : ٩٪ في الزراعة ٣٢٪ في الصناعة ، ٥٩٪ في الخدمات والتجارة (القطاع الثالث) .

وما نريد ان ندخل في الحديث عن المنطق الباطني لهذه الظاهرة وعن عواملها البعيدة ، ويكفي ان نقول انها تومىء الى تطور أساسي في حياة الانسان ، بفضل الآلة والتقدم الآلي ، هو ان الآلة تؤدي الى تناقص عدد العاملين في الصناعة نفسها ، والى زيادة عدد الذين يعملون في غير الصناعة في الخدمات التعليمية والفنية والاجتماعية في الادارة والاعمال ، في التجارة وغيرها .

وقد بدأت هذه الحقيقة تظهر للعيان في مختلف المجتمعات المتقدمة ، اذ تتزايد الحاجة يوما بعد يوم الى الذين يعملون في القطاع الثالث ، وتزداد حاجة الاقتصاد الحديث الى الاداريين والمشرفين وغيرهم من العاملين بالخدمات حتى غدا العثور على مثل هؤلاء مطلبا عسيرا في مثل الولايات المتحدة او فرنسا او غيرهما من الدول المتقدمة . بل ان احد الباحثين وهو « برنهام Burnham » اطلق على الثورة الحديثة اسم « الثورة الادارية The mangerial Revolution » .

الآلة تعمل بنفسها لنفسها فيتحرر الانسان

ومعنى هذا كله في لغة التطور ومستقبل الحضارة ان ازدياد آلية الآلة تؤدي الى تقليل عدد الذين يعملون لها . فالآلة كلما غدت آلية اكثر قلت الحاجة الى من يسيرها واصبحت تعمل بنفسها لنفسها . وهذا ما تدل عليه الاحصاءات المختلفة .

ومن هنا ينطلق امثال « فوراستييه » ليقولوا ان الآلة - بفضل تزايد التقدم التقني وبفضل تزايد آليتها - تؤدي الى تحرير الانسان ، الى هبوط الحاجة الى من يعملون في الآلة ، والى افساح المجال امام الانسان ليعمل في القطاع

الثالث ، واهم ما في هذا القطاع الثالث الخدمات التي تقدم للانسان من خدمات تعليمية ثقافية ، ومن خدمات فنية وترويحية وترفيهية ، ومن خدمات طبية واجتماعية وغيرها .

وهكذا تحرر الآلة الانسان بعد ان استعبدته بعض الشيء ، تولد من الحضارة الحديثة التي قامت على الصناعة ، حضارة هي ابعد ما تكون عن الصناعة ، حضارة صناعية محكومة في الآلية ، تفسح المجال ـ بعد علو طابعها الصناعي الآلي ـ لاوقات فراغ تتسع للتأمل الفكري والابداع الفني وسائر انواع الخدمات التي تمس جوهر الانسان وقوام انسانيته .

ان التقدم التقني ـ في عرف هؤلاء ـ هو الذي يحرر الانسان من العمل الاستعبادي ، ويجبره نتيجة لذلك على عمل الفكر .

والفئة العاملة « التي تعمل بيدها وتحرر في سبيل الآلة بدأت تذبل بعد طور ازدهار . والعمال البروليتارية ستزول مع الفترة الانتقالية التي اوجدتها .

فكرة « الانسان سجين الآلة » سوف تصبح فكرة باليه

والفكرة التي طغت وسيطرت على عقول المتحدثين عن الحضارة الحديثة فكرة الانسان الميكانيكي ، فكرة الانسان الذي هو سجين التطور الفني تغدو فكرة بالية . وسوف يشهد المستقبل القريب اجتماع الظروف اللازمة لنمو الثقافة والحضارة الانسانية الحقة ، وسيسترد الانسان العهد الذي كان ينعم به في الاجيال الماضية والذي اضاعه في الفترة الانتقالية الحالية ، عهد البحث في ما يهم الانسان كانسان .

تغيرات اصيلة في حضارة المستقبل

ان اتجاهات المستقبل ـ على نحو ما يكشف عنها تحري الحاضر ، وعلى نحو ما تبديها الدراسات الاقتصادية المتصلة بتطور الانتاج وتطور الطاقة العاملة ـ تشير الى تغيرات جذرية اصيلة في الحضارة الحديثة تبرز في الخصائص التالية :

انتقال الناس من العمل في القطاع الاول الى العمل في القطاع الثالث ، احياء القيم الانسانية وانتشار اللجوء الى الفكر في العمل المهني نفسه ، تناقص الدخل الناجم عن القطاع الاول والثاني وتزايد الدخل الناجم عن القطاع الثالث، انتشار الخدمات التعليمية ولا سيما في نطاق التعليم العالي ، عود الى شروط السكن القديمة (من حيث الاتساع والمساحة) مع وسائل راحة اكبر دون شك ، ارتفاع مستوى المعيشة الى حد يجعل في المقام الثاني امر البحث عن ارضاء حاجات الطعام التقليدية ويرفع الى المقام الاول ارواء الحاجات الترفيهية والثقافية والفنية .

وفي الجملة ستؤدي حضارة الآلة ـ فيما يرى هؤلاء الباحثون ـ الى ان يختص الانسان في ما هو انساني . وهي اذ تعمل على تحرير الانسان من العمل الاستعبادي ، تحمله السبل لضروب النشاط الفكري والفني والخلقي . وهكذا تعود الآلة ـ بواسطة الآلة ـ لتبعد الانسان عن الآلة ـ ويعود العلم الحديث ليكتشف ما هو انساني ـ من قلب ما هو مادي آلي . وبهذا تقودنا قوانين الآلة ـ بضرب من الخلف والتناقض يبدو عجيبا ـ الى ان نكتشف قوانين الحياة .

هذه نظرة عجلى خاطفة الى امهات الافكار التي تراود بعض الباحثين اليوم ـ ومعظمهم من علماء الاقتصاد ـ حول مستقبل الانسانية . ولقد اجتزانا الكثير منها واغفلنا تفصيلات فنية وعلمية عديدة ، وتجاوزنا احصاءات كثيرة هامة، طمعا منا في ان نطرح جوهر الامر ، نعني ما يراه هؤلاء الباحثون من آمال في حضارة الغد ، حضارة الآلة المتحررة من الآلة ، حضارة الصناعة التي تهيئ الظروف لحضارة الانسان ، حضارة

الفكر والفن والخلق .

فهل تصدق النبوءة المظلمة ؟ سؤال ضخم يحتاج الى صفحات طوال . وحسبنا ان نقول بايجاز ، ان جملة الوثائق والدراسات التي يقدمها اصحاب هذا الرأي ، تشير الى ان الامل ممكن ، ان توافرت له شروط الرعاية . وما نريد ان نقوله خاصة ، هو ان خط التطور رهين دوما بادراك الانسان له وبارادته وعزمه على تحقيقه .

مصير الانسان لا يحدده الا الانسان

والخط الذي تومىء به الحضارة الآلية الحديثة لا يتحقق حتما آليا ولا يأتي ــ بشيء اي مطلب من مطالب الانسان ــ من تلقاء ذاته . والذي يحدد اخيرا خط التطور ــ بالاضافة الى عوامل التقدم الثقافي والاقتصادي التي يجعلها الباحثون تحدثنا عنهم عوامل حاسمة في حضارة الانسان ــ موقف الانسان من هذا كله واستجابته وردود فعله . ومهما يكن خط العوامل الخارجة عن الانسان ــ ومن بينها عوامل الاقتصاد والتطور التقني ــ كبيرا في تحديد مصير الانسان ، فمن الصحيح أن مصير الانسان لا يحدده اخيرا الا هذا الانسان نفسه ، الا موقعه من العوامل التي تعمل فيه ، وتأثيره فيها الى جانب تأثره بها .

تداخل عوامل عدة في تطوير الحضارات

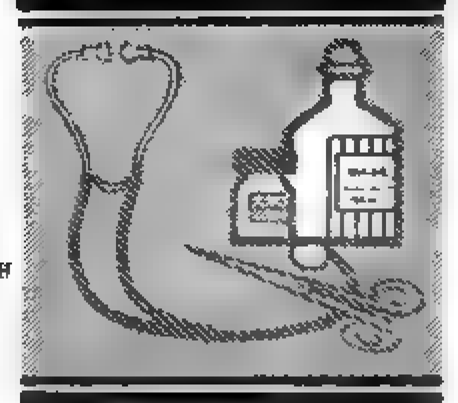
ان النظرة الاقتصادية الضيقة التي تقع فيها الباحثون الذين تحدثنا عنهم ، نظرة مرفوضة ، لا سيما عندما يكون البحث بحثا في مستقبل الانسان وقيمة الانسانية . ومهما يكن شأن قوانين الآلة وقوانين الصناعة وقوانين الانتاج والاستهلاك ، فانها جميعها لا تسمح بالنتيجة التي يربطها مثل « فوراستييه » حين يقرر أن التطور الاجتماعي ليس سبب التطور الاقتصادي وانما هو نتيجة له . ولقد زال الوقت الذي كانت تفسر فيه ظواهر الحضارة بعامل وحيد غالب ، هو العامل الاقتصادي او العامل الاجتماعي او العامل الثقافي . والتفسير الصحيح هو الذي يلحظ الى تداخل العوامل وتشابكها وسيرها في خط افقي : فما هو اقتصادي يعمل فيما هو اجتماعي والعكس . وما هو ثقافي يعمل فيما هو اجتماعي واقتصادي والعكس .

ان حضارة الآلة قد تؤدي الى تحرير الانسان من الآلة وقد تكون المرحلة التي اجتازتها الحضارة الصناعية في بدايتها حتى اوائل هذا القرن مرحلة انتقالية تمهد لحضارة الانسان الحقة . وقد تكون حضارة الآلة على العكس دائما الى التزيد من تحكم الآلة في الانسان ، واستعباد الاشياء للبشر . والذي يرجح الكفة هنا او هناك هو الجهد الذي يقوم به الانسان في قلب هذه الحضارة ، والسعي الذي يبذله من اجل تعميق قيم الانسان واهدافه ، من اجل الحفاظ على انسانيته .

ان تاريخ الحضارة ــ تاريخ الامس والغد ــ تفاعل بين العوامل الخارجة عن الانسان الى حد ما ، وبين العوامل الانسانية الذاتية . وتظل العوامل الاقتصادية والتقنية وغيرها ــ وان كانت من نتاج الانسان ــ شيئا خارجا عن الانسان ، وتظل تطورها رهين موقفه منها ونشاطه تجاهها . وحضارة الآلة ليست قادرة على خلق حضارة الانسان ، الا من خلال وعي الانسان وتصميمه وبنائه . وحضارة الصناعة لن تولد الفكر والفن والخلق ، الا بمقدار ما يضع فيها الانسان من قيم الفكر والفن والخلق . على ان ايماننا بالانسان وبقيمه ، ايماننا بان مصيره مرتبط من الوعي للقيم المثلى ومرتبط من الاتصال بعالم المبادىء ، يجعلنا ، رغم كل شيء ، نؤمن بان هذا الانسان قادر في النهاية على تغلب حضارة الانسان على حضارة الآلة ، وعلى تحقيق حضارة الانسان من قلب الآلية والعبودية والصراع . ■

عبد الله عبد الدايم





في عين ابني حول

● ابني الصغير في عينه حول ، وقد قيل لي انه قد يزول عنه ما يكبر ، والا فتصلحه عملية جراحية . وقد كبر ولم يصلح حوله . واريد ان اطمئن على ان العملية سوف تصلح حوله .

ـ لا اجد جوابا على هذا احسن من صورتين اقدمهما لك ، صورة صبي اصابه الحول وهو في نحو السنتين . ثم كان لا بد له بعد سنوات قليلة من لبس نظارة ، وكان منظره في نظر ابويه غريبا في هذا السن . ثم سقط وهو يلعب فاطار السقوط سنتين في مقدم فمه ، فزاد منظره غرابة . الآن اجتمع عليه الحول ، والنظارة ، ومنظر الاهتم . ثم اجريت له جراحة في عينه لما بلغ السابعة . وقامت الطبيعة بملء الفراغات الحالية من مقدمة فمه ، باسنان جديدة . وهذه هي صورته وهو في التاسعة : صف من الاسنان كامل ، وعين بفضل الطب لا حول فيها . اطمئن ، فهذه الجراحة لا خطر منها على ابنك ، وناجحة ان شاء الله .



ظهر الحول في عين الطفل وعمره سنتان ، فلبس نظارة ، ثم كسرت اسنانه .



نفس الطفل ، في سن التاسعة ، بعد عملية في العين ، واصلاح اسنانه .

ازالوا حويصلة الصفراء لزوجي

● اجروا لزوجي عملية جراحية ازالوا بها حويصلته الصفراوية . ثم اعادوه الى المستشفى ، وقيل لي همسا انه اصيب بالصفراوية . فهل لكم شرح شيء عن الصفراء والحويصلة والصفراوية وما الذي دعا الى ازالة الحويصلة . ثم ذلك الطاريء الجديد الذي طرا بعدها .

— سؤال يتضمن عدة اجوبة :

اما الامر الاول ، فمادة الصفراء ذاتها . انها مادة كثيفة مرة الطعم ، تذكرك بمرارة الدجاج عند سلخه ، لونها بين الصفرة والخضرة . وهي تتألف من الماء ، ومن مادة مخاطية ، ومن صبغتين بنية وخضراء ، ومن املاح حامضين غير بسيطي التركيب ، ثم من املاح معدنية . ولتخرج الصفراء من الكبد فتجري في قنوات ، لتصب آخر الامر في الامعاء ، او على الاصح والادق هي تصب في الاثني عشري الذي يصل بين المعدة والامعاء . وتتصل بهذه القناة وهي في طريقها الى الاثني عشري ، قناة الحويصلة الصفراوية . والحويصلة الصفراوية او كيس الصفراء هي مخزن الصفراء الفائضة تحتفظ بها الى حين الحاجة ، فتصب ما بها في الاثني عشري .

وانصباب الصفراء في الامعاء متصل ، يتزايد عقب الطعام ، ثم بعد ساعات من ذلك عندما يهبط الطعام الى الامعاء ويبدأ هضمه فيها .

والصفراء تعين في هذا الهضم ، ولا سيما في هضم الدهون التي يتعاطاها الانسان ، وهي كذلك تساعد الامعاء على امتصاص المهضوم من الطعام ، وتمنع تكاثر الكبير في الامعاء .

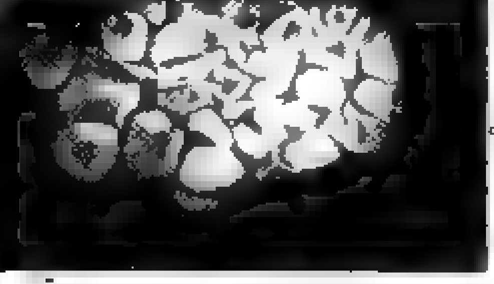
والذي تفرزه الكبد من الصفراء يقع ما بين نصف لتر الى لتر في اليوم ، ولكن اكثر هذا المقدار تمتصه الامعاء مع الطعام ، ويدخل الدم ، ويدور فيه ، حتى اذا وصل الى الكبد ، زودته بالجديد من الصفراء ، وتعود تفرزه وتصبه في الامعاء مرة اخرى ، وهلم جرا .

انا فوق الخمسين ، وقد اضر بي الجلوس الى التلفزيون

● انا رجل فارقت الخمسين ، وانا قليل الحركة ، وقد اضر بي الجلوس مع الاسرة كل مساء تنظر الى الشاشة التلفزيونية ، فهل تنفعني الرياضة الجثمانية ، ام قد فات اوانها ؟

— الرياضة الجثمانية لا يفوت أوانها ابدا ، الا اذا مرض الانسان ، وذلك لان الرياضات صنوف وانواع ، منها الثقيل ومنها الخفيف ، كالطعام تماما ، يختار الانسان منها ما يتفق وحالته ، وقدرته .

والمشي ، وهو ابسط الرياضات ، وارخصها ، ميسور لكل الانسان ، ربع ساعة منه في المساء او في الصباح ، او وانت غاد الى العمل ، او وانت رائح عنه ، يحفظ على الجسم الكثير من صحته .



مجموعة الحصوات في الحويصلة الصفراوية



بعد ازالة الحويصلة الصفراوية ، تحقن قنوات الصفراء بمادة ، بواسطة الانبوبة الظاهرة في الصورة ، تظهر بها حدود هذه القنوات في اشعة س .

اما ازالة الحويصلة الصفراوية او الكيس الصفراوي فسببها عادة التهاب تلك الحويصلة او تكون الحصا فيها . والحصا يكون من تعامل الصفة مع ما في الصفراء من عنصر الجير ، او من مادة الجسم المعروفة بالكولسترول . ويكون صغيرا كحب الرمل واذن قد تحتوى الحويصلة على بضع مئات منه ، او تكون كبيرا ، وعندئذ قد لا يتألف الا من حصوة واحدة في حجم البيضة الكبيرة .

اما اصابة زوجك بالصفراء من بعد جراحة فسببها انسداد القناة الصفراوية من بعد جراحة ، واذن تتوقف انصباب الصفراء في الامعاء ، واذن لا تجد لها طريقا الا ان تدور في الدم فتظهر الصفرة اول ما تظهر في بياض العين ، ثم في الوجه وسائر جلد الجسم .

والجراح عادة يتأكد من عدم انسداد هذه القناة ، مستعينا باشعة س ، وذلك بحقن القناة بمادة تظهر في الاشعة ، على شاشتها المتطورة فتراها العين . فان رأت العين ان هذه المادة قد دخلت الى الامعاء دون عائق ، اطمأن الجراح الى حال المريض . ويسمى هذا الاختبار في الطب ب Choledochogram

وفي الامم التي نمت ، مدارس خاصة للكهول والاشياخ ، يحضرونها عادة في المساء ، بعد الفراغ من العمل ، يقومون فيها بشتى التمارين ، على مستويات عدة . ويدخل هذه الفصول من الناس كل الاصناف ، من مديري الاعمال ، الى كتاب الحسابات والمكاتب . كلهم في ساحة الرياضة ، وهي واسعة مسقوفة سواء ، وفيها الاطباء لمن اراد ، يمتحنون الطلاب ، ويصفون لهم الالعاب المناسبة .

واني ذاكر لك رأيا للاطباء اخيرا ، عن اولئك الرجال الذين يصابون بداءات القلب . قالوا ، من تجاربهم ، ان الرجل منهم ، ذا الحركة المتصلة ، التي لا عنف فيها ، تضمن له الحركة حياة اطول مما تضمن القعود والجلوس ، وقلة الحركة .

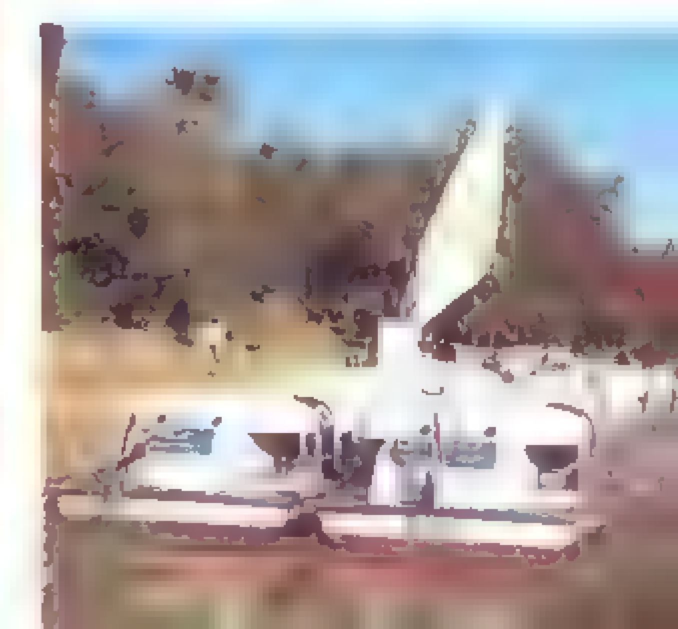
هذا في المرضى .

فكيف باصحاء الاجسام ، ولو على الكهولة ، ولو على الشيخوخة . وقديما جرى المثل يقول : كل حركة ، بركة .



القناطر الخيرية

قام بهذا الاستطلاع سليم زبال
وصوره «أوسكار»





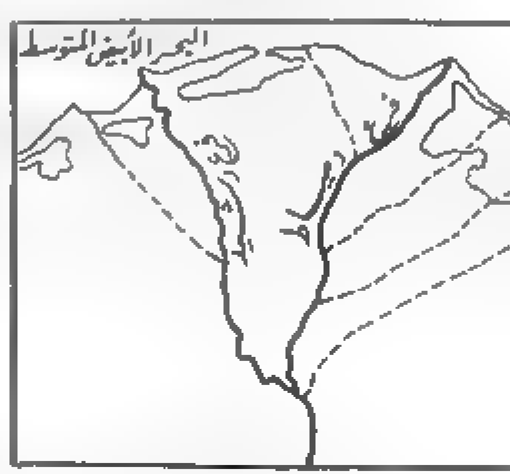
■ القناطر .. كلمة تعني عند الكثيرين : ارضا مستوية خضراء يقصدها بعض سكان القاهرة لقضاء يوم من عطلتهم الاسبوعية ..

قد يكون هذا المفهوم صحيحا ومنطبقا على الماضي .. اما الحاضر فيختلف كليا عن هذا الماضي ..

لقد مرت منطقة القناطر بفترة نوم طويلة ، عانت خلالها تأخرا واهمالا كبيرين .. فلم يكن هناك مسئول يدافع عنها ، او يعمل على اصلاحها ، او حتى يسعى لتجميع اجزائها المقسمة بين ثلاث مديريات قسمها عجيبا بعرضه فرعا النيل . فالمنطقة الوسطى تتبع مديرية المنوفية ، والمنطقة الغربية تتبع الجيزة ، والمنطقة الشرقية تتبع القليوبية !! وكان اي اصلاح في المنطقة يستوجب روتينا حكوميا مطولا للحصول على موافقة المديريات الثلاث !

وظلت القناطر ، تقاسي الامرين من هذا النظام الذي جعلها تعيش بدون مستشفى ، او مركز شرطة ، ناهيك عن بقية النواقص .

ولكن بالرغم من كل ذلك كان موقعها السياحي الفريد ، ونسيمها العليل ، وما تمتاز به من هدوء كل هذا كان يفرضها على اهل الحل والربط مكانا مناسبا لكل اجتماع رسمي يحتاج الى التروي ، بعيدا عن ضجيج العاصمة .



دلتا النيل بفروعها السبعة ، كما ذكرها الجغرافي القديم اصطرابون

حادث تصادم ينقذ المدينة

وفي عام ١٩٥٨ وقع حادث تصادم لشخصية كبيرة معروفة ، من جراء فجوة في الطريق .. فطار الخبر الى جميع المسئولين .. وكان هذا الحادث شاهدا قويا سلط على الوضع المظلم الذي كانت تعيش فيه القناطر ، وفي الحال صدرت الاوامر بضرورة اعادة تخطيط البلد واصلاحها ..

وبينما كان المهندسون يرسمون ويخططون صدر نظام جديد الحكم المحلي في عام ١٩٦٠ اعيد على اثره تنظيم البلاد من حيث تقسيمها الى مديريات ، سميت بناء على هذا التنظيم الجديد بالمحافظات .. وعندما جاء دور « القناطر » في هذا التنظيم نظروا اليها نظرة خاصة ، ثم ضموا مناطقها الثلاث وضموها جميعا الى محافظة واحدة بدل ثلاث ، هي محافظة القليوبية ..

ولم يكتف بهذا ، بل صدر بعده مباشرة قرار وزاري يعلن مولد مدينة القناطر الخيرية باقسامها الثلاثة المجتمعة ..

وهكذا دخلت المنطقة عهدا جديدا بعد مضي اكثر من مائة عام على وضع حجر اساس قناطرها في عهد محمد علي ، والي مصر ، في عام ١٨٤٧ .

النيل يفقد وحدته عند القناطر

كان النيل يجري من منبعه الى مصبه دون ان يوقفه واقف ، او يسد مجراه حاجز ..

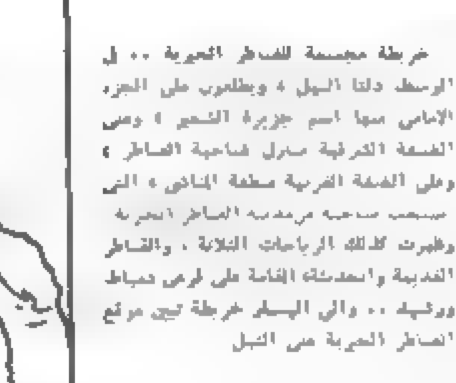
والنيل هو اكبر انهار الدنيا طولا (٦٠٠٠ كيلو متر) ، ولكنه ليس اغزر الانهار ماء ، فهو يمر بمناطق ذات مطر غزير الى مناطق عديمة الامطار .. ويقطع رحلته هذه في ١٥٠ يوما .

لكن النيل وما يكاد يفوت اكبر مدينة في مجراه (القاهرة) ويصل الى القناطر ، حتى يفقد وحدته فينقسم الى فرعين كبيرين : فرع دمياط ، وطوله ٢٤٢ كيلو مترا ومتوسط عرضه ٢٧٠ مترا . وفرع رشيد ، وطوله ٢٣٦ كيلو مترا ، وهو اكثر حركة واتساعا اذ يبلغ متوسط عرضه ٥٠٠ متر .

كانت سبعة فروع

وفي قديم الزمان كان النيل يتفرع الى سبعة فروع ، ذكرها الدكتور محمد عوض محمد في كتابه « النيل » بقوله :

« ذكر الجغرافي القديم اصطرابون ما لا يقل



خريطة مجسمة للقناطر الخيرية .. في الوسط دلتا النيل ، ويطلقون على الجزء الأمامي منها اسم جزيرة الشعير ، وعلى الضفة الشرقية مدخل ضاحية القناطر ، وعلى الضفة الغربية منطقة المناشي ، التي ستصبح ضاحية نموذجية للقناطر الخيرية وظهرت كذلك الرياحات الثلاثة ، والقناطر القديمة والحديثة القائمة على فرعي دمياط ورشيد .. وإلى اليسار خريطة تبين موقع القناطر الخيرية من النيل



عن سبعة مصبات مختلفة للنيل هي : البلوزي Pelusiac والتنيسي Tanitic والمنديزي Mendesien والفطميتي Phatemic وهو مطابق لفرع دمياط الحالي . والسبنيتي Sebennetic ، والبلبيتي Bolbitic وهو مطابق لفرع رشيد الحالي ، والكانوبي Canopic .

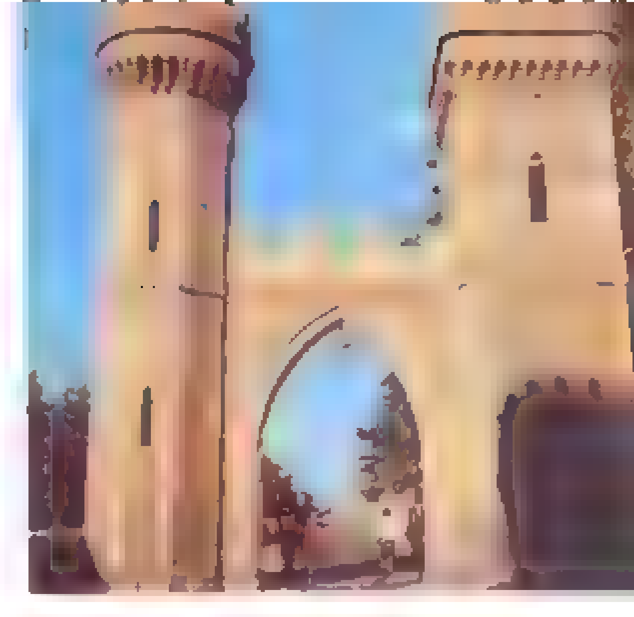
« تلك هي المصبات القديمة كما ذكرها اصطرابون وقد زاد عليها بطليموس فرعا آخر بين دمياط والبرلس .

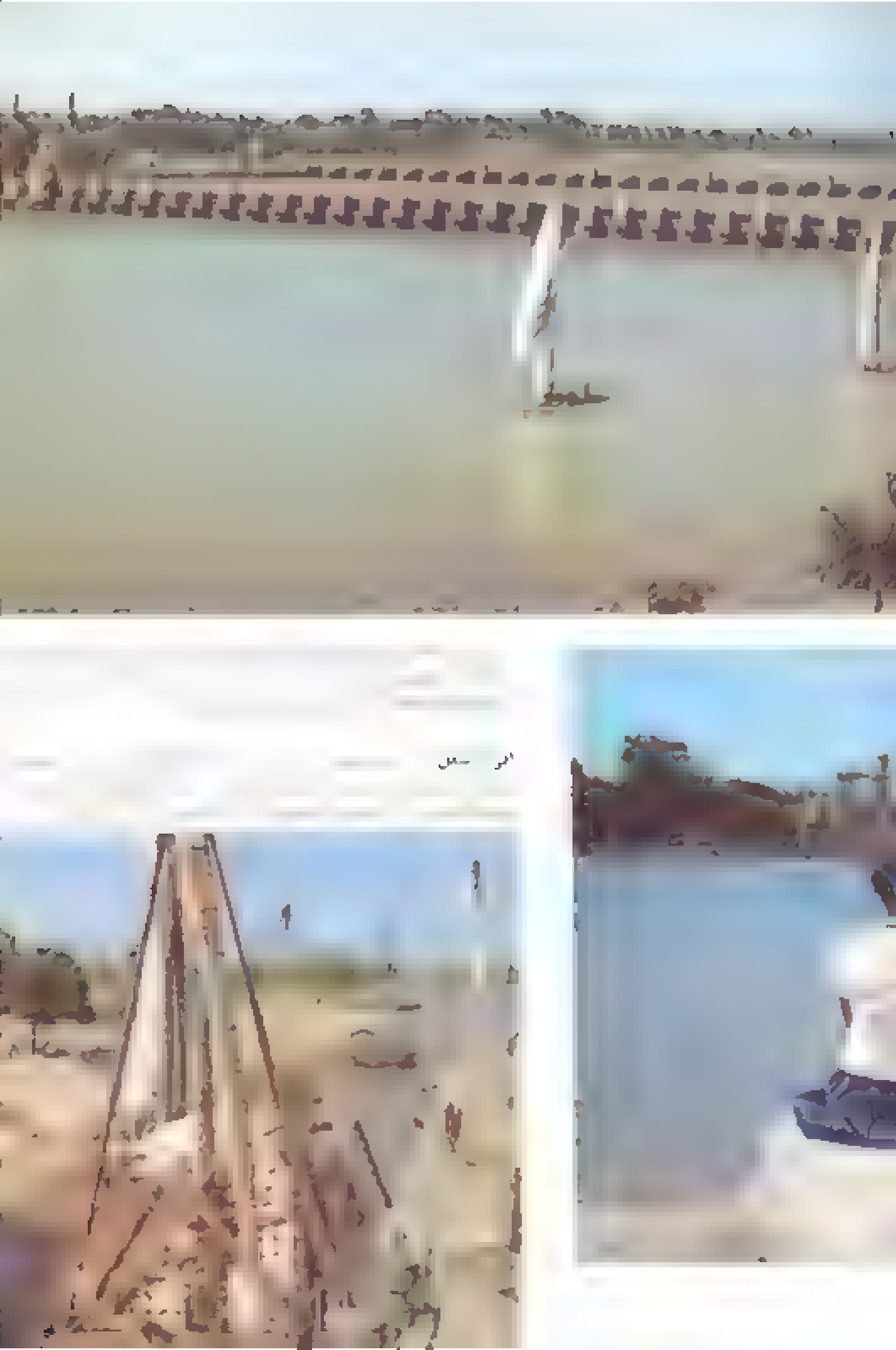
« وقد تغير الحال بعد ذلك فزال الكثير من تلك المصبات .. ويعللون هذا الزوال بتحركات في القشرة الأرضية سببت ارتفاعا في شرق القطر المصري . ولهذا السبب نفسه يعزى صغر حجم فرع دمياط بالنسبة لفرع رشيد » .

وقد اختلف المؤرخون والجغرافيون في عدد الفروع القديمة ، فقال هيرودتس أنها خمس شعب ، أما الادريسي فعدها ست شعب فقط !

ومع مرور الزمان تركزت هذه الفروع في الفرعين الموجودين حاليا : دمياط ورشيد .. وبينهما تلتا







النيل ، أخصب مناطق العالم المعمور .. والتي هي اسمها « الدلتا » سمي مصب كل نهر من هذا النوع، أي له فرعان، بينهما حرف الدال.

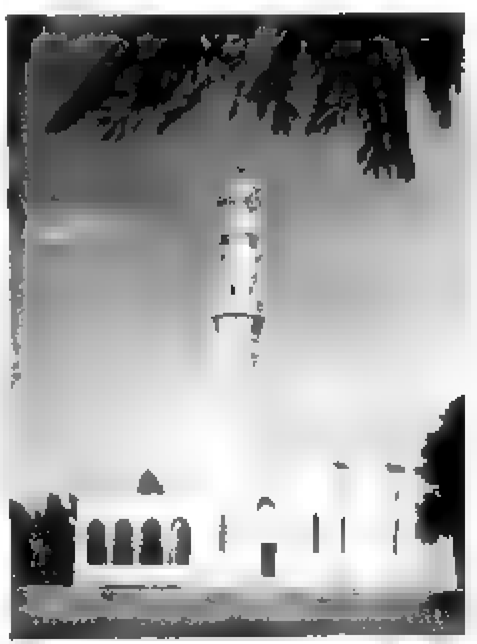
الدلتا ترتفع مترا .. كل ٧٧٠ عاما

وتربة هذه الدلتا ، تربة غرينية نقلها النيل معه في رحلته الطويلة من الحبشة ليتركها عند مصبه هناك .

وهذا الغرين يرفع بأرض الدلتا مترا كل ٧٧٠ عاما ؛ وبما أن مستوى الأرض حاليا هو ثمانية عشر مترا ؛ فإن تكوين الدلتا يظهر أنه قد تم في نحو ١٣٨٦٠ عاما على الأقل .. !

نابليون يحلم بالنيل

وأدرك الفراعنة والرومان ونابليون أهمية النيل . قال الأخير : « النيل مصر رسول خير .. والصحراء رسول شر، والاثنان حاضران على الدوام» ودرس نابليون فكرة إقامة السدود والقنوات ،



تضم القناطر ثلاثة مساجد ، يؤمها الأهالي وتكتظ بزوار المدينة . وهذه صورة لأحدث هذه المساجد وقد تكلف بناؤه ٢٥ ألف جنيه .

وظلت هذه الفكرة تراوده حتى في منفاه بجزيرة سانت هيلانة ، فكتب الكثير عن قنوات الري والسدود التي يقترح إقامتها على النيل « لتنشر الحضارة في افريقيا » .

القطن والقناطر

ثم جاء محمد علي ، فتوسع في زراعة القطن في الدلتا .. ولكن انخفاض مياه النيل لستة شهور في السنة جعل محمد علي يفكر في رفع مستوى المياه عن طريق إقامة سد يقام عند رأس الدلتا ..

حجارة الأهرام للقناطر

ويروي اميل لودفيغ Ludwig أسرار هذه الحقبة من التاريخ في كتابه القيم عن « النيل » ، الذي ترجمه عادل زعيتر فيقول : « عن لمحمد علي فكرة جائرة في بعد الأمر ، عن له سد شعبة النيل سدا نهائيا ، كيلا يجري الى فرع دمياط ، وقد أتيت له الفرنسي لينان نظر ذلك ، وأبان له أن الاسكندرية تحرم الماء العذب بذلك .. وهنالك قرر أن يقيم سدودا على شعبتي النيل مستعينا بحجارة الأهرام الكبرى ..! وهو لم يبرأ هذا المشروع عن شعور فني ، وإنما عدل عنه لما يوجبه النقل من نفقات كثيرة .. »

« وتطول مدة انشاء « سد النيل » لا لما يتطلبه من نقود كثيرة ، ما دام يؤخذ ما يحتاج اليه من العمال قسرا ، بل لما انتشر من طاعون ، ثم لما كان من قتال السلطان ، ثم لما كان من انتقاد المهندس الجديد للمشروع الأول ، وصنع وضعه ما هو أحسن منه .. »

« ومحمد علي لم يضع أول حجر للسد وفق مشروعه الثاني أو الثالث إلا في عام ١٨٤٧ أي في أواخر حياته .. »

وإن يكن الاستعداد لإنشاء هذه القناطر ، التي أسموها « قناطر الدلتا » قد بدأ منذ عام ١٨٤٣، فإنه لم ينته بناؤها إلا في عام ١٨٦٠ في عهد الخديوي محمد سعيد باشا .

حفر الرياحات

وقد ظهرت ، بعد انتهاء بناء القناطر ، عيوب كثيرة فيها ، جعلت الانتفاع بها جزئيا ، حتى تمت تقوية أساساتها على مراحل انتهت في عام ١٨٩٠ .



التجارب لا تنتهي .. في محطة التجارب والبحوث تجرى التجارب الهيدروليكية على نماذج مصغرة لمشاريع الري المقترحة .. وتضم هذه المحطة منذ عام ١٩٤٩ وحوض مدرج ... لتفسير الأدوار التي تمر بها حركة المياه ، ويجري ... تجربتها بالتجربة ولا ، يسرو المهندس بعد ذلك .. فالتجارب لا تنتهي .. وأنت الخطأ يأتي من التقدير وليس ... المخطرة ؟

وفي نفس الوقت الذي كانت قناطر الدلتا تبنى فيه ، كان العمل يجري في حفر الرياحات الثلاثة : التوفيقي والمنوفي والبحيري ، وهي الترع الكبيرة التي تقرر أن تأخذ مياهها من أمام القناطر مباشرة لتغذي شرق الدلتا ووسطها وغربها على الترتيب ...

قنطرتان

وقناطر الدلتا ليست قنطرة واحدة ، بل قنطرتين : واحدة على فرع رشيد ، والأخرى على فرع دمياط .

الأولى بها ٦٢ فتحة عرض كل منها ٥ أمتار ، وعند طرفها « هويسان(١) » عرض الأيمن ١٥ مترا والأيسر ١٢ مترا .

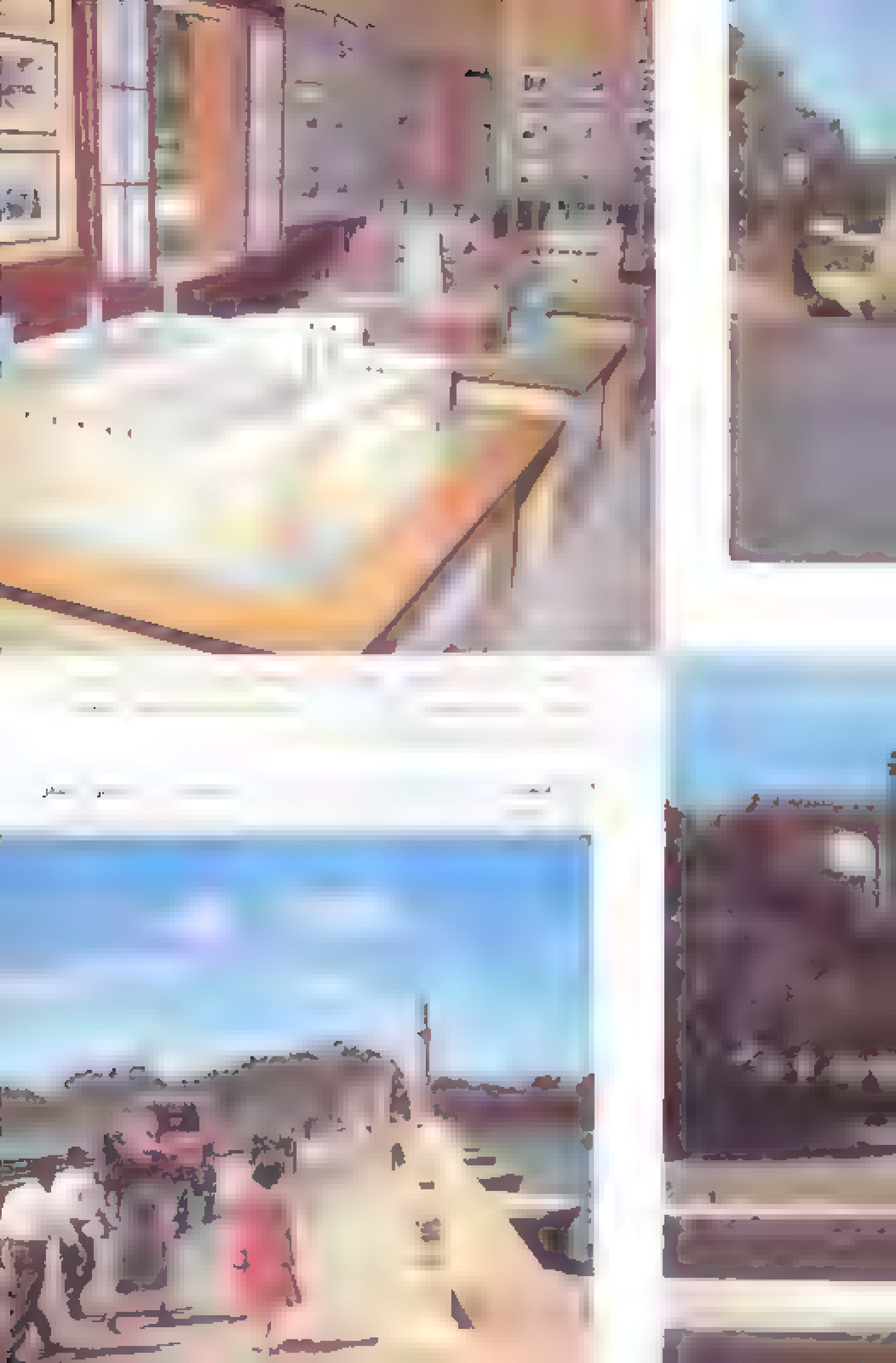
والثانية ، أي قناطر دمياط ، بها ٧١ فتحة عرض كل منها ٥ أمتار .. وبها هويس واحد ، بالجهة اليمنى ، عرضه ١٢ مترا .

وقد بلغت تكاليف بناء قناطر الدلتا وتقويتها ٢٧٨٥٠٠٠ جنيه مصري ، في ذلك الوقت ، وتطلب العمل إزالة مليون متر مكعب من الأتربة ، واستعمال ١٥٠ ألف متر مكعب من الخرسانة ، وإقامة ٢٠٠ ألف متر مكعب من المباني ، و٤٢ ألف طن حديد ، لبناء القناطر وأساساتها ..

لماذا أقيمت القناطر ؟

إن الهدف من إنشاء القناطر لم يكن لحجز الماء أثناء الفيضان ، بل لرفع منسوب مياه النيل عندما ينتهي الفيضان ، وذلك إلى المنسوب الذي يتناسب مع مستوى الرياحات فيغذيها بمياهه ، لتغذي هي بدورها الأراضي الزراعية .. واعتبرت القناطر لفترة طويلة ، أكبر عمل هيدروليكي عالمي

(١) والهويس هو حوض ... بين منسوبين مختلفين من الماء ، بحيث يمكن تسوية الماء فيه بدخول السفينة ، ثم يعلو ... الماء ... وتفتح البوابة من ناحية المستوى العالي الآخر



في العالم ، وكانت أول مشروع كبير يبنى لحبس مياه النيل .

من الاسلوب الفرعوني الى الاسلوب الحديث

وقد أحدثت هذه القناطر انقلابا في طريقة ري أراضي الوجه البحري ، التي تحولت من استعمال أسلوب الفراعنة ، أي الري بإطلاق الفيضان في الأحواض دفعة واحدة للحصول على محصول سنوي واحد ، الى نظام الري الصيفي الحديث الذي تستطيع الأرض بفضله أن تنتج محصولين ، أو ثلاثة في السنة ، أهمهم محصول القطن الثمين ..

ومارت الأيام ، وبدأت المنطقة المحيطة بهذه القناطر تشهد تحولا وحركة وانتعاشا .. وخاصة في منطقة وسط الدلتا ، حيث شيدت الفيلات على أحدث طراز ، لسكنى موظفي الري ، وكانوا في بادىء الأمر من الأجانب ، فشقت الطرق ، وأقيمت لهم الحدائق الخاصة .. وشيد للوالي استراحة خاصة له في هذه البقعة الرائعة ... وعمدت وزارة الأشغال الى زراعة الأشجار .. وفرشت الأرض بالحشائش الخضراء ، وظهرت مزارع لمر التانجو الذي يجعب زراعته هنا نجاحا ملحلا .

قناطر جديدة ..

وفي عام ١٩٢٤ وبعد أن تم بناء خزاني أسوان وجبل الأولياء ، أريد زيادة الحجز على القناطر الخيرية ولكنها لم تستطع تحمل أي ضغط جديد .. ونشأ من هذا تفكير في بناء قناطر جديدة ..

ولم يستمر التفكير طويلا ، إذ سرعان ما بدأ العمل في بناء القناطر الجديدة في عام ١٩٣٦ لينتهي بعد ٣ سنوات فقط ..

وكانت القناطر الجديدة ، المسماة قناطر محمد علي ، مثل القناطر القديمة . قسم منها أقيم على فرع دمياط ، على بعد ٢٧٠ مترا من القناطر القديمة ، وبه ٣٤ فتحة عرض كل منها ٨ أمتار ، وهويس عرضه ١٢ مترا . والقسم الثاني أقيم على فرع رشيد بعيدا مسافة ٨٤٠ مترا من القناطر القديمة وبه ٤٦ فتحة بعرض ٨ أمتار وهويس مثل هويس قناطر فرع دمياط .

وجميع هذه الفتحات تغلق عادة في شهور مارس وابريل ومايو ويونيو لترفع مستوى المياه ... ولكن ما تكاد مياه الفيضان تحل حتى تفتح جميع الأبواب خوفا من اكتساح المياه للقناطر كلها ..

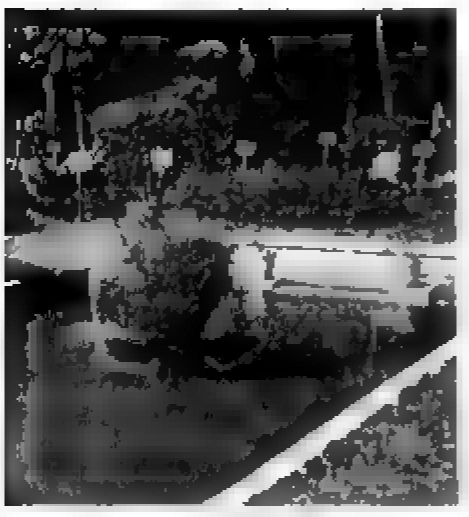
القناطر القديمة للمرور فقط

وقد كسيت الجدران الخارجية للقناطر الجديدة بأحجار الجرانيت ، وبلغت تكاليفها ٢٠٠٠,٠٠٠ جنيه .

وهكذا استغنى عن القناطر القديمة التي أصبح استخدامها قاصرا على أغراض المرور .. ولم يعد يحجز الماء أمامها إلا في الحالات الطارئة ، التي تستدعي إصلاحا في القناطر الجديدة ..

الصورة الشاحبة تتغير

ورغم الاتجاه من فم النيل وأخشابه لسطوة الانسان ظل حال الساحل عند هذا الموقع الفريد متدهورا .. فمياه النهر لا تعكس سوى صورة شاحبة للحياة عند « بطن البقرة » أو رأس الدلتا.



محطة تجارب النباتات الطبية ، وبها مزارع تجريبية لزراعة النباتات التي لا تزرع في الجمهورية العربية المتحدة ، لمعرفة مدى صلاحيتها للزراعة في أرض الجمهورية . وعلاوة على هذا تزرع فيها النباتات التي تستعمل في تحضير الحبوب الطبية



استمرت القناطر القديمة في اداء رسالتها حتى عام ١٩٣٩ وبعدها بدأت القناطر الجديدة في القيام بأعمالها .. وهذه صورة تذكارية لسير العمل في القناطر الجديدة التي بدأ في عام ١٩٣٦ وانتهى عام ١٩٣٩ ، وكان متوسط عدد الانفار يوميا ٧٦ عاملا في الاسبوع الواحد .. يزدادون في بعض الايام الى ١٣٦ عامل

ولكن الصورة الشاحبة بدأت تزهو وتتبدل .. فثمة نشاط كبير ملحوظ بدأ يطرأ على المنطقة التي اصبحت تسمى مركز القناطر الخيرية ، ويضم هذا المركز مدينة القناطر و ١٨ قرية ، مجموع سكانها حوالي ٤٠٠ الف نسمة .

واصبح « للقناطر » مجلس مدينة هو المسئول المباشر عن تجميلها ، والنهوض بها ..

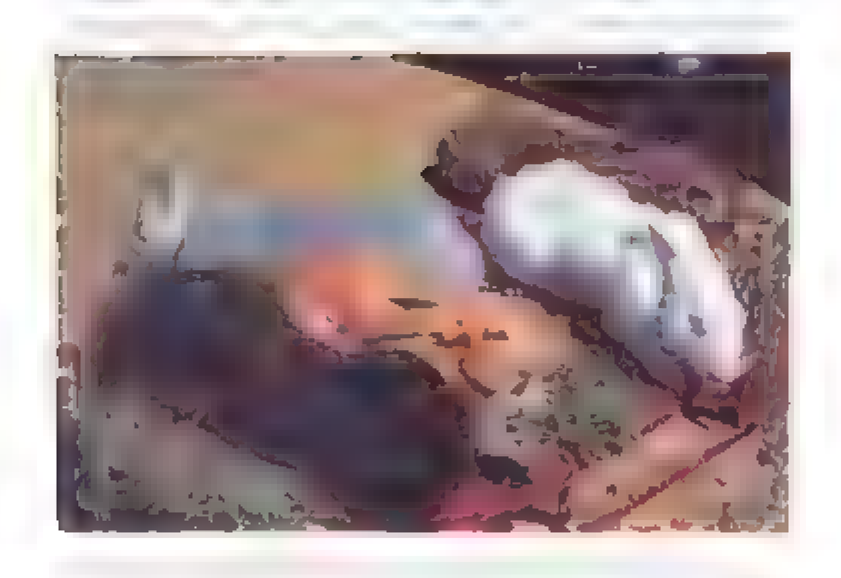
طريق الكورنيش ..

والوصول الى القناطر يتم عبر طريقين : برى .. او نهرى ..

والطريق البرى يبدأ من القاهرة بالسير على طريق الكورنيش القاهرى البديع ، فتمر فيه على مناطق شبرا وروض الفرج .. ولكنك سرعان ما تجد نفسك امام مبنى مصانع الزجاج والنسيج التي تسد عليك طريق الكورنيش فتضطر للتوجه شرقا لتصل الى القناطر بعد ان تكون قد قطعت ٢٥ كيلو مترا من القاهرة .. اما الآن فسيمتد الكورنيش طبيعيا موازيا للنيل فلن تزيد المسافة عن ١٥ كيلو مترا فقط .. ويقال ان وزارة الاسكان قد اقرت مشروع مد الكورنيش وقررت ملكية بعض المباني ، تمهيدا لمد الكورنيش في اتجاهه الطبيعي الى القناطر ، وبهذا لن تشعر انك تركت القاهرة ، لان السيارة سوف تقطع الـ ١٥ كيلو مترا في ١٥ دقيقة فقط !

.. وطريق النهر

اما الطريق النهرى فيبدأ من امام فندق





رئة القاهرة : تعتبر حدائق القناطر ، ومساحتها ٥٢ فدانا ، بمثابة رئة تتنفس منها القاهرة التى اكتظت بالمبانى حتى أصبحت نسبة حدائقها لا تتناسب مطلقا مع نسبة النمو المطرد فى السكان الذين يقصدون القناطر لقضاء وقت طيب فوق العشب الأخضر .

سميراميس عند كوبرى قصر النيل حيث تنتظر ٧ اتوبيسات نهرية تحمل مختلف الاسماء مثل جميلة ، وشهرزاد ، وعلى بابا ، وآمون ، وعمر الخيام ..

ان الرحلة بالاوتوبيس النهرى تكلفك ١٠ قروش لينقلك اللنش فى رحلة نيلية رائعة تستغرق ساعة وربع ساعة حتى تصل القناطر .. وهناك طريق آخر يبدأ من منطقة روض الفرج على كورنيش النيل ، تنطلق منه السفن النهرية العادية .. وننصحك ان تذهب بالطريق النهرى ، لأن مدخل القناطر البرى الذى زحمت مقلبة القلب ميكروبيه تمهيدا لهدمه واعادة تخطيطه لا يسر أحدا .. وحتى يتم مشروع تجميل مدخل القناطر البرى فان طريق النهر هو الافضل فهو يؤدى مباشرة الى الحدائق التى هى متعة الناظر .

نصف مليون زائر

وهذه الحدائق ما هى الا مسطحات خضراء كبيرة ، مساحتها ٢٥٠ فدانا ، يقبل اليها ١٠ آلاف نسمة من سكان القاهرة كل يوم جمعة وأحد ويرتفع الرقم الى ١٠٠ الف فى عطلة الاعياد .. اما الموسم الحقيقى للقناطر فهو يوم « شم النسيم » فيه يأتيها نحو نصف مليون نسمة ..

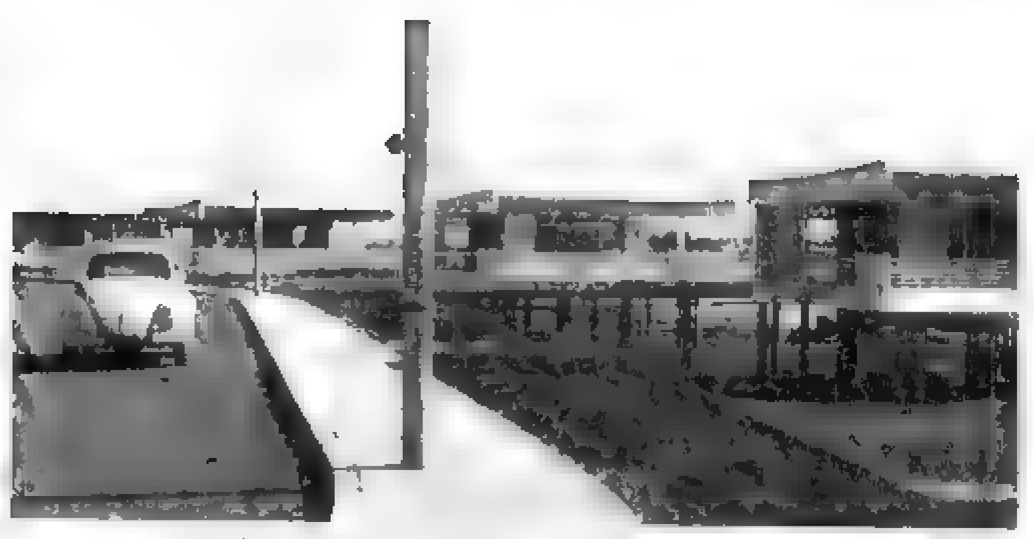
ما أكثر السعداء

ان هذه الحشود تقصد القناطر ومعها أكلها وشربها ووسائل تسليتها ، والسعيد من الزوار هو الذى يجد مكانا تحت ظل شجرة .. وما أكثر الأشجار فى القناطر ! .. وتجلس العائلة فتفرش الفرش أو الملاءة البيضاء على الأرض ، وتبدأ فى اخراج ما احضرته معها من زاد .. وتفاجأ العائلة بالجناينى الذى يمسك بخرطوم الماء يريد رش المنطقة التى يجلس عليها الناس مائدات .. وبعد مفاهم ينسحب الجناينى راضيا ..

الكاديلاك فى القناطر

ويلعب الكبار « طاولة الزهر » بينما السيدات يطهين القهوة فوق « بابور السبرتو » ... ويخرج الصبية مع الصبايا الى محطة « الكاديلاك » فيستأجرون « الكاديلاك » بخمسة قروش لمدة نصف ساعة يتجولون به حول الحدائق !!

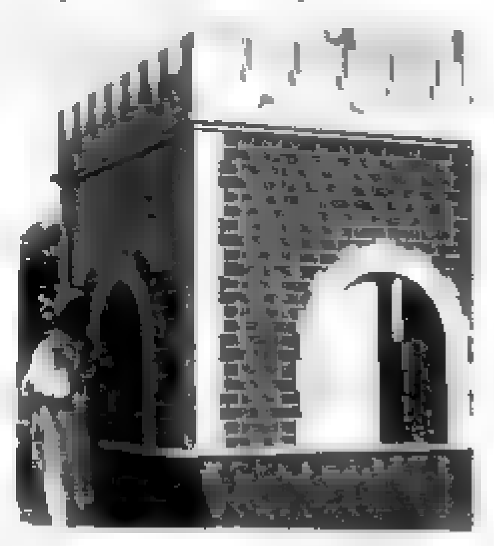
والكاديلاك هنا لفظ يطلقونه مجازا على الحمار .. وعلى عربات الخيل الصغيرة ، وحتى على « الفلوكة » اى المركب ، الذى تستقله العائلة فى رحلة نهرية جميلة لشاهدة مختلف معالم القناطر من البحر ..



[illegible] في احدى [illegible] على [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] ... وهي مزودة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible]
[illegible]

موكب الحياة

وما تكاد تمر الساعة حتى يعود الجميع الى



[illegible] مقصد محلى ابدية الى مناصب الباعة المتجولين ، فاقاموا لهم اكشاكا لها طابع الشاطئ ، مزودة بالكهرباء والماء وموقد للطبخ ، وسمى الشاطئ من اسماء الاشهر السبعة الاولى ، وبعضها مدعم حسب وبعضها كاسماء شهرى

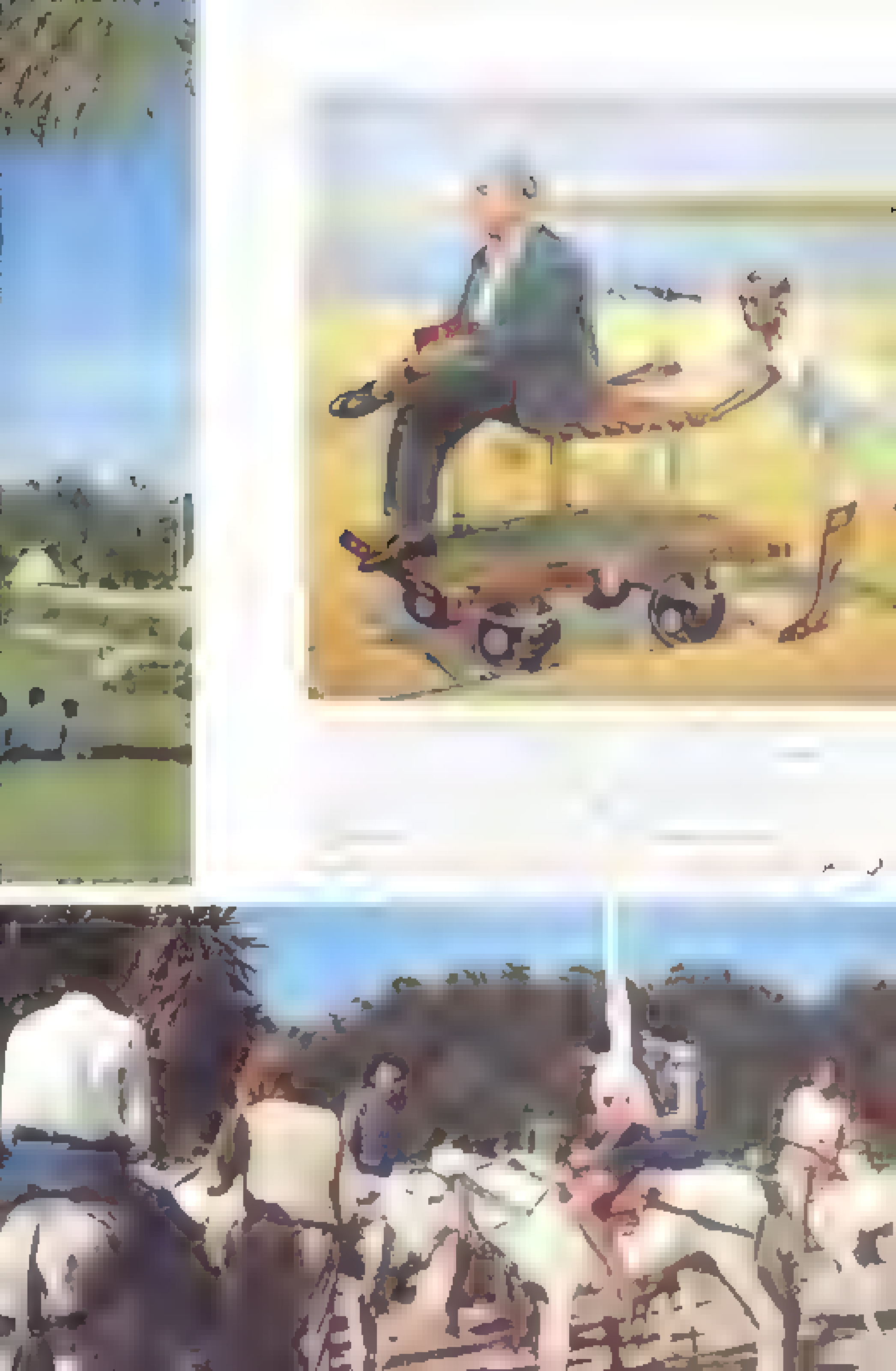
قاعدتهم تحت الشجرة فيجمعون ثانية .

ويتجه الشباب الى طرف منزل فيبدؤون في دق الطبلة ، ثم يقف احدهم ويرقص « عشرة بلدى » على صوت الدق والغناء والتصفيق ، ويشتد الحماس ، فيشترك معه شباب آخر في الرقص .

ثم يبدأ الناس في تناول الطعام ويجىء الباعة الاذكياء بأنها فرصتهم فترتفع اصواتهم بالنداءات اللطيفة وهم يمرون الواحد تلو الآخر من امام الزبائن ، فهذا ينادى : « من عطشان ، مثلج .. ساقعة الكازوزة » ويتجه بائع « الشوربة العجيبة .. بطاطا عسل أبيض زبدة .. بطاطا سخنة » . ويمر آخر حاملا صندوقا صغيرا فيقول : « أبوة السجاير .. الشيكولاته .. اللبان .. كوروتة بالعسل .. لب اسمر .. فول سودانى » . ثم تأتى بائعة الملح : « الملح الرملى عال . يا عسل يا طحين .. » اما بائع السميط فله معرفة بزبائنه من الاطفال والنساء ، وله نداؤه الخاص المعروف « سميط .. جبنة .. بيض طازة السميط .. »

ثم يأتى بائع العرقسوس بوعائه الكبير يعلن عن نفسه بدق صاجاته ، فتمتد الايدى ويميل الوعاء الكبير فتملء الاكواب بالشراب الاسود المنعش ..

ثم يأتى « العجلاتى » أى صاحب العراجات ،





يبحث عن صبي استأجر منه الدراجة لمدة نصف ساعة لم يأت منه ولم يردها حتى الآن رغم مرور اكثر من ساعتين !!

وبعد العشاء تظهر فرقة البخت بالودع فتقول « بيكن ربن .. واشوف البخت » ويتبعها القرداتي بقرده التي تسحر الاطفال والكبار بحركاتها .

هروب من التقاليد

انه موكب الحياة يمر من امام سكان القاهرة الهاربين من التقاليد والزحام والزماهير الى الهدوء والانطلاق والتمتع بالنسيم يهب عليهم عليلا منعشا وهم فوق المسطحات الخضراء التي لا نهاية لها ..

تجاوز .. وشطارة

ان اهل القناطر الخيرية وعددهم ٣٧ الف نسمة يعملون في التجارة البسيطة والربح الحلال من زوار القناطر ولقاهم من اهل القاهرة ، بتأجيرهم المراكب والدراجات والعصير وبيعهم الكعكات والفطائر والحلويات .

فريزيان مصرى

ولكن هذه التجارة البسيطة مهددة بالزوال لان سنة التطور السريع بدأت تبدل الحياة في القناطر .. بعد ان اقتحمت المصانع والمزارع ، ولعل اهمها مزرعة « الفريزيان Frisian » التي تهدف الى تنمية الثروة الحيوانية وزيادة انتاج الابقار لمواجهة ازمة اللحوم والالبان .. والفريزيان نوع ممتاز من الابقار الهولندية استوردوا منه ٢٤٠ بقرة و ٢٧ ثورا فتكاثروا وتوالدوا حتى اصبح عددهم ١٠٠٠ رأس بين ابقار وثيران ، وزع اكثرها على الوحدات المجمعة المختلفة ..

ومهمة المحطة ليست قاصرة على تربية الماشية بل تهدف الى الحصول على نوع فريزيان مصرى متأقلم بجو البلاد .. وقد نجحت تجارب خلط النوع المستورد مع النوع البلدى فكانت النتيجه نجاحا كبيرا اعطى مزيدا من اللحم واللبن ..

علف للجمهورية

والى جانب مزرعة الفريزيان يقوم مصنع العلف الذى يغطى انتاجه مختلف انحاء الجمهورية ، اذ يزودها بالغذاء اللازم للماشية والدواجن والاغنام .. ويبلغ انتاج المصنع ٦٠ طنا من العلف يوميا ..

٣٢ الف جنيه من الفاكهة

والى جانب هذا تنتشر في القناطر عدة مؤسسات مثل معهد التجارب والبحوث الفنية ، ومزرعة الدجاج والارانب والبط ، ومحطة تربية النباتات الطبية . وحدائق الفاكهة والموالح التى تقرب مساحتها من ٤٠٠ فدان ، وقد بيع انتاجها في العام الماضى بمبلغ يقرب من ٣٢ الف جنيه .

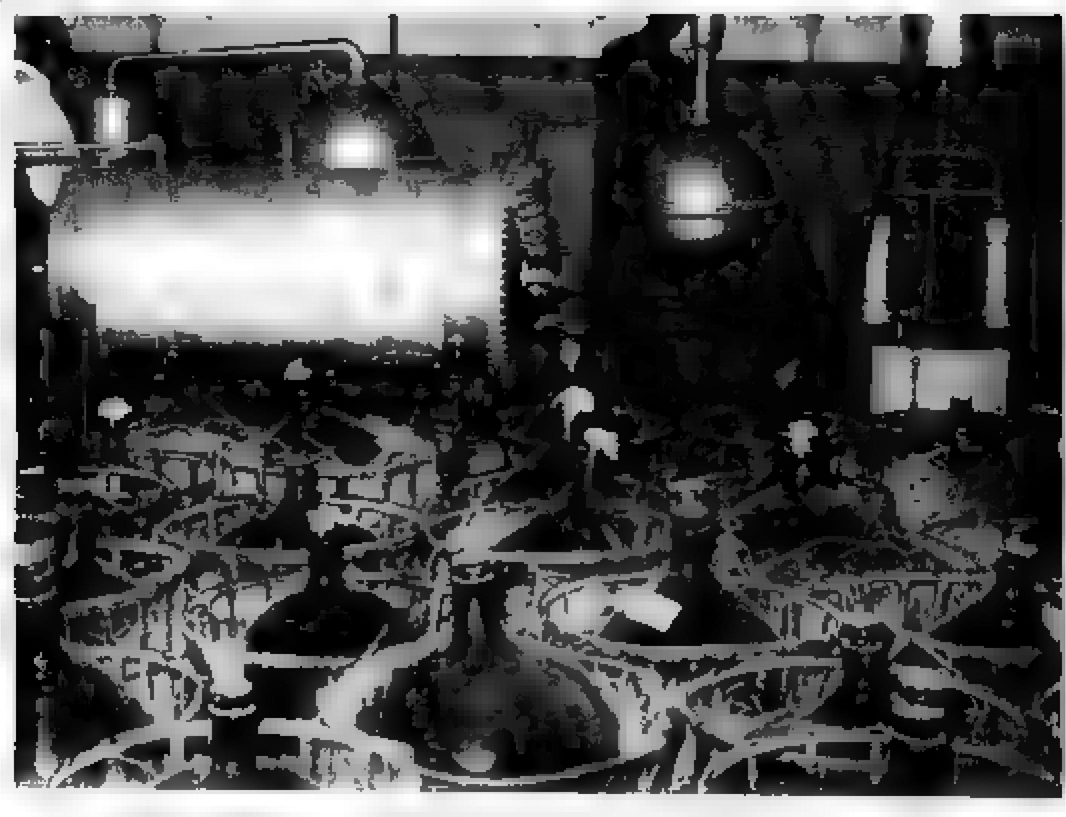
مشاريع المستقبل

كل هذا مضافا اليه نشاط مجلس المدينة الذى جلسنا الى رئيسه السيد انور ابو العطا نسأله عن احوال ومشاريع القناطر فقال

— اننا على بينة من كل نقص في المدينة ، ولكننا

الى اسفل : بعض اعضاء « مجلس المدينة » ، وبينهم الاستاذ انور ابو العطا رئيس المجلس ، يستمعون من حلى تجمعن « القناطر » حتى تصبح عروس النيل .





مصري في معمل التقطير بالقناطر عملية استخلاص الزيوت العطرية والعطور من النعناع ، والياسمين ، والزهر ، وحشيشة الليمون ، والورد ، [illegible]

بأمل عندما ينتهي تنفيذ المخطط المرسوم للقناطر الخيرية ، ان تكون قد قضينا تماما على كل مجال للشكوى ..

« ويتضمن المخطط المرسوم ثلاث مراحل : السياحة ، والعمران ، والطرق . انها مشروعات تكاليفها مليون ونصف مليون جنيه ، فضلا عن الفندق الكبير الذي سيقام عند « سن الجزيرة » حيث ينشق النيل ، والذي ستبلغ نفقاته مليون جنيه .. »

« وهذه المشروعات سوف تنفذ في خلال اربع سنوات .. »

التقسيم والموظف ، هما السبب

وسألنا رئيس مجلس المدينة عن أسباب تخلف المدينة ، وعن مشروعات تجميل حدائقها فقال :

« اكبر سبب لتأخر القناطر مرجعه الى نظام تقسيمها السابق بين ثلاث مديريات .

« واعتقد ان السبب الثاني هو : الموظف .. فالموظفون الذين يعملون في القناطر يعيشون في القاهرة . انهم يأتون في قطار الصباح ليعودوا الى القاهرة في قطار المساء ، لينفقوا فيها أموالهم ويربوا فيها أولادهم .. بحيث ان مدينة القناطر لا تنال اية فائدة منهم .. وقد عمدنا الى تطبيق نظام ضرورة الاقامة واستقرار الموظف في المدينة التي يعمل بها ، حتى نخفف الضغط على القاهرة من ناحية .. ونحيي القناطر من ناحية أخرى . »

مدينة سياحية

« اما مشاريع المستقبل بالنسبة للحدائق فتنحصر في تحويل « جزيرة الشعير » ، وهي النقطة التي انفرج عندها النيل ، الى منطقة سياحية كبرى فيها حديقة للزهور ، ومدينة





مهارة وكفاءة بين التلاميذ والتلميذات الصغار في مدرسة القناطر الخيرية النموذجية الابتدائية المختلطة ، التي تضم ٦١ تلاميذ و ٢٨٩ تلميذة يتلقون دروسهم على دفعتين دفعة في الصباح مكونة من ١١ فصلا ، وتجرى في [illegible] وتضم ١ [illegible] ، [illegible] ١١ مدرسة و ١٣ مدرسة وقد [illegible] في عام ١٩٥٦ ، والتعليم فيها مجاني

للملاهي المائية ، وحديقة للحيوانات مفتوحة ، وحديقة للأطفال ، وتمثال في منطقة سن الجزيرة أي رأس الدلتا كما قدمنا ، وحمام كبير للسباحة وبركة صناعية ، وتلفريك يحمل الناس في الجو فوق معالم القناطر .

مدينة النيل

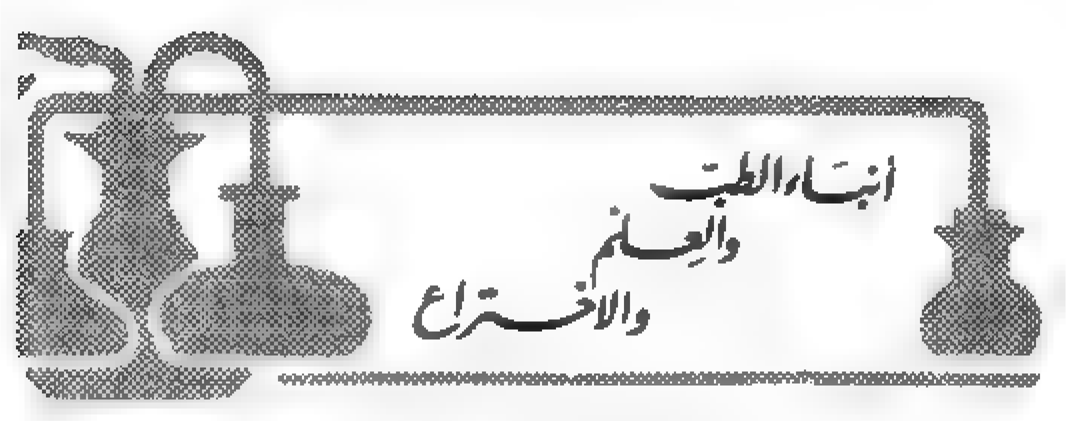
ان النيل اليوم أصبح يمر مزهوا متبخترا امام القناطر الخيرية ، انها مدينته التي صنع ارضها بطميه وروى زرعها بمائه ..

ويشترك أهل القناطر مع النيل في فرحته ، وفي اختلف السبب . فهم فرحون لأن النيل لن يستطيع أن يفيض مرة أخرى فيوقف أعمالهم ومراكبهم ، أو يجب فيؤدي الى اجاعتهم .. لقد أصبح السد العالي مفتاحا انقذ الوجه البحري كله ، الجم النيل الذي لم يكن احد قد استطاع امره قبل الآن .. فأصبح الماء لا يسير فيه الا بمقدار يحدده المسئولون عن الري في البلاد ..

حسرة .. ووداع

وان كان ثمة حسرة يتحسرها النيل فهي على واردات مياهه ، اللواتي كن يملأن جرارهن عند القناطر ، ويحملنها على رؤوسهن سخالا ، لم يستغنها معركة رشيقة مزايديون ، بينما الشباب ينادي : « عطشان يا صبايا ! » .. لقد انقضى هذا العهد ، وأصبح الماء كله متقرا نقيا .. ولم يعد أحد يرى حاملات الجرار الا على لوحات الرسامين وتماثيل النحاتين ..

سليم زبال

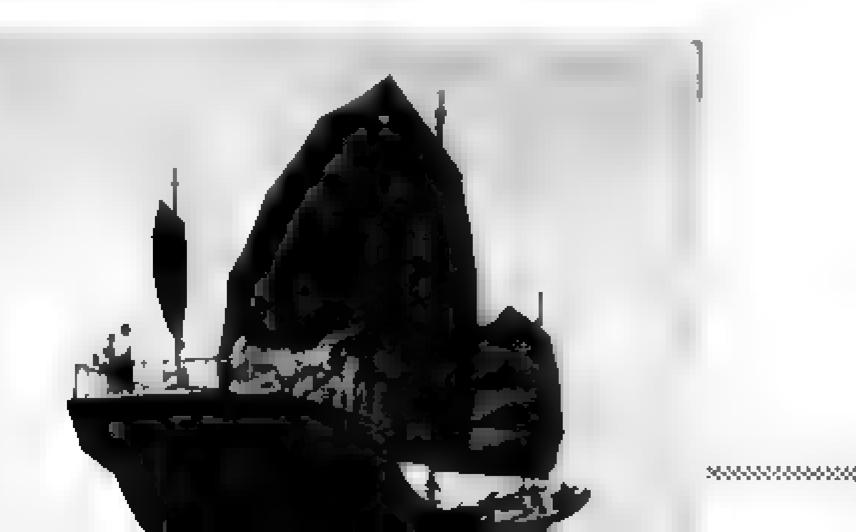


مغامرة شهيرة في القرن ١٣ ، يمثلونها في القرن العشرين ، في غير مغامرة

● ليس من مثقف لم يقرأ عن رحلة البندقية ، ماركو بولو Marco Polo ، وعن رحلته في القرن الثالث عشر ، من البندقية ، بإيطاليا ، عبر الأرض ، الى الصين ، ثم عودته التاريخية عن طريق البحر الى الخليج العربي فبلاد فارس . ثم ذهابه أرضا الى بلده البندقية ، بعد غياب ٢٤ عاما .

فهذه المغامرة البحرية الكبرى ، في عهد لم تكن البحار مخطوطة ولا مرسومة بل كانت متاهات يضل بها سالكوها ، هذه المغامرة أعادوها هذه الأيام . انهم صنعوا سفينة أشبه ما تكون بالسفن التي أمر بها الامبراطور الصيني المولى عندئذ ، كوبلاخان (انظر الصورة) ، وساروا بها هذه المرة عبر بحار مرسومة مخصوصة مطروقة معروف كل شبر فيها ، ووصلوا بها الى البحر الأحمر ، وعبروا قناة السويس ولم تكن هناك في ذلك الزمان ، ووصلوا أخيرا في البحر الأبيض الى « كان » في الريفيرا الفرنسية .

فعلوا ذلك ، فما فعلوا ، ليظهر الفرق ، بين البحار مقتحم الآن ، وبحار اقتحمت قبل أكثر من ستة قرون . ومحرك السفينة ؟ كان هو هو : القلاع المنشورة تدفعها الرياح .



العربي العدد ٨٢ سبتمبر ١٩٦٥

اصوات في الأعماق

● انها توجد في اعماق البحار ، وفي غير الأعماق .

انك لو سألت انسانا ، ان يذكر مكانا ، اهدأ ما يكون ، واسكن ما يكون ، لخطر به في البال أول خاطر ، عمق في الارض ، و غواصه في اعماق ماء .

ولكن ، في الحرب العالميه الماضيه ، حاول العلماء كشف الغواصات ، بما يصدر عنها من اصوات ، واذا باصوات غريبة تتدخل .

وكان هذا بدء بحوث هذه الاصوات .

وخرج اليوم بها كتاب كبير ، يصف ما اخرجت هذه البحوث .

وفيها ان للاسماك ، وغير الاسماك من ساكنات الماء ، اصوات حتى الجمبري Shrimps .

ومنها ان هذه الاصوات هدفها التعرف على الغير ، وعلى الموضع . وهي في ظلام الاعماق للتجسس على الضحية ، او التجسس وتلمس العدو وموضع العدو .

وفيها ان الحيتان لها اصوات ، تهتدي بأصدائها .

وفيه كيف تصنع احياء البحار الصوت ، فاحيانا تصنعه بمثانة العوم ، واحيانا بقرض السن ، واحيانا بالزعانف واداة العوم .

وفي الكتاب ان الاحاسيس تهدي ، وهي تحمي ، وسادت في الانسان البصر ، فضعفت بالنسبة اليه الاحاسيس الاخرى ، ومنها السمع . وضعف البصر عند السمك ، وهو اسود في بيئته ، فاحتد فيه السمع .

انه كتاب به ٤٠٠ صفحة ! في هذا الموضوع وحده .

الجدري
داء لا يزال يعيث في خلق الله

● نعم انه داء وبيل ، وهو داء كذلك وبيل ثقيل ، يمنع الزائرين من زيارة مرضاهم في المستشفيات لسببين ، أولهما ان الزائرين يحملون معهم العدوى عند خروجهم فينشرونها حيثما ذهبوا ، وثانيهما ان من المرضى الذين يثقل عليهم الداء من تتشوه وجوههم الى حد انها تصير وتتبدل بحيث يعز على اقاربهم ان يتعرفوا عليهم .

والداء ينتشر كالنار في الهشيم ، فالمريض ، وحتى قبل ان يظهر على جلده الرشح المعروف ، يتنفس ويخرج مع انفاسه الثقيلة فيروس المرض فيتلقفه اخص الناس به ، وهو لا يدري ، فلا يلبث ان يصاب . وكذلك ينتشر الداء عن طريق ملابس المريض ومفارشه .

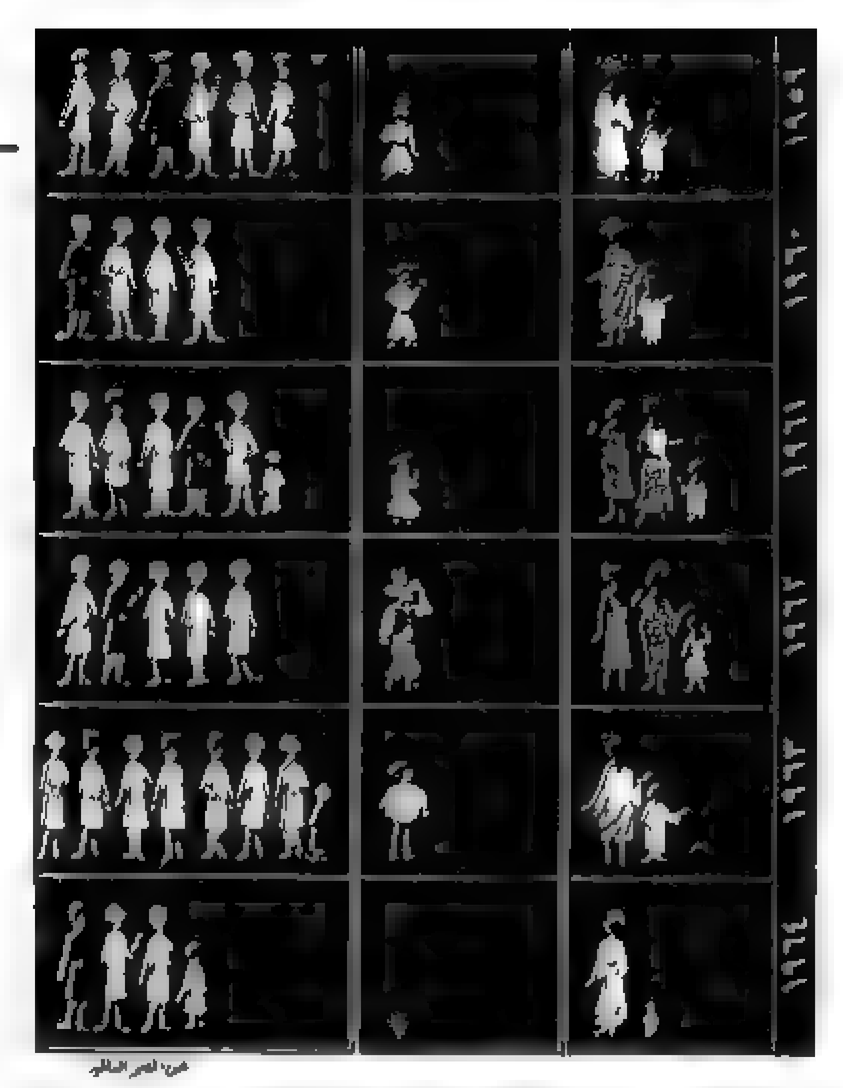
والداء يحمله من دار لدار ، من مدينة الى مدينة ، ومن قطر الى قطر ، المصابون به حتى قبل ان يثبتوا انهم مصابون . ومن اجل هذا كانت الرقابة على هذا الداء شديدة .

وقد اخذت منظمة الصحة العالمية على عاتقها ، منذ عام ١٩٥٨ مكافحة هذا المرض حتى يختفي من الدنيا ، ونظمت في العالم له نظاما كشف له مخبئه ، حتى يتوقف الداء حيث اكتشف ، فلا ينشره المسافرون في البلاد نشرا . وهي لا تزال تجاهد في هذا السبيل .

وقد احصت المنظمة عدد من اصيبوا بهذا الداء في القارات جميعها ، في عام ١٩٦٣ ، وخرجت بان عدد الاصابات كانت ١٠٠,٠٠٠ اصابة ، علم الرجال المسئولون في سائر الامم عنها ، توفى منهم ٢٥,٠٠٠ ، أي الربع .

ولم تقع في اوروبا اصابات لشدة المراقبة القائمة هناك .

ووزعت المنظمة هذه الاصابات على



الإصابات بمرض الجدري ، في الفترات المذكورة ، في السنوات المذكورة ، بين عام ١٩٥٩ إلى عام ١٩٦٤

العبارات الثلاث تكاد تكون من ذلك الرسم الذي يصحب هذه الكلمات . والإحصاء المذكور بدأ من عام ١٩٥٩ ، وهو العام الذي بدأت فيه هذه المنظمة العالمية جهودها المشكورة .

قصة هذا الداء

وهي تحكي ، في نشرتها عن هذا الداء ، قصة هذا الداء ، منذ عهد الفراعنة إلى اليوم ، وكيف فعل بالناس عبر الأحقاب .

وكم وكيف اكتشفوا الوقاية منه ، في المخاطرة عن طريق قشر أخذوا منها ، إلى روحه . ثم بالتلقيح ، ذلك الذي كشفه الطبيب الإنجليزي الشاب جنر Jenner في أواخر القرن الثامن عشر وهي قصص في التاريخ الإنساني ستبقى خالدة . وهي ليست قصص طب محض ، وإنما هي قصص تحكي عن ذكاء الإنسان ، وعن جموده كيف كان ، وعن فكره الذي قيده حتى صار العبد عادة ، كيف تحرر .

المريخ ، بعد القمر

● الولايات المتحدة تخطط اليوم للوصول الى القمر ، والمشروع الذى هو اليوم قائمة فى انشائه يسمى مشروع ابولو Apollo ، وبه تهدف ان ينزل الى القمر ثلاثة رجال .

وتقدر لنزولهم عام ١٩٧٠

ثم ماذا ؟

ان برامج السماء برامج يحتاج تحضيرها الى وقت طويل ، لهذا وجب السبق فى التخطيط ، ومن بعد التخطيط النفاذ ، ولو تخطيطا لعشرات من السنين ، فالسنين هنا لا تنسب الى عمر الفرد ، ولكن الى عمر الامة وحياتها ، والمفروض انها تطاول اعمار الافراد وتطولهم اضعافا مضاعفة .

لهذا يرى المسئولون فى هذه الشئون فى الولايات ان يكون للمريخ فى البحث الاولية من بعد فراغهم من برنامج ابولو عام ١٩٧٠ .

بالطبع يتحدث العلماء بعد الوصول الى القمر عن محطات ينشئها الانسان على القمر . ويتحدثون كذلك عن محطات تنشأ فى الفضاء ومختبرات وغير ذلك . وكل هذه اهداف جديرة بالتحقيق ، ولكنها فى راى الكثرة من العلماء ، لها فى الاولوية المحل الثاني بعد المريخ

والمريخ مفضل لانه سوف يكشف للانسان عن حقائق غاية فى الروعة تتعلق بالحياة وامكانها على الكوكب . ثم ان الصاروخ القوى الذى سيرسل بالرجال الى القمر جدير من بعد ذلك ان يرسل المركبات الفضائية بغير رجال الى المريخ .

وفى هذه الاثناء ، ومن بعد عام ١٩٧٠ ، والى نحو عام ١٩٧٥ ، يكون الطب الفضائي تقدم تقدما يأذن بارسال الرجال الى المريخ .

فموعد ارسالهم الى المريخ هو الى عام ١٩٨٥ .

خليج عدن ، له فكان ، كانا قديما منطبقين

● هذا ما كشفته بحوث البحار التى جرت هناك ، اجرتها البعثة الدولية للمحيط الهندى .

ذلك انه تبين من الدراسات الجيولوجية للساحل العربى فى الشمال وما يليه جنوبا فى اعماق الماء ، وكذلك من الدراسات للساحل الصومالى فى الجنوب وما يليه شمالا فى اعماق الماء ، تبين ان الطبقات الجيولوجية هنا ، هى الطبقات هنالك ، وانه لو ادرنا الساحل العربى باتخاذ عدن محورا ثابتا للدوران ، ويلفتنا بالدوران الى الشمال نحو ٨ درجات،اذا لتم تقابل الطبقات ، لاسيما عند عمق ٥٠٠ قامة ، ولم يبق بعد ذلك الا ان تقارب بينهما ليلتحما .

من بعد النار والكهرباء يستخدم الاشعاع الذري فى تخليق المركبات فى الكيمياء

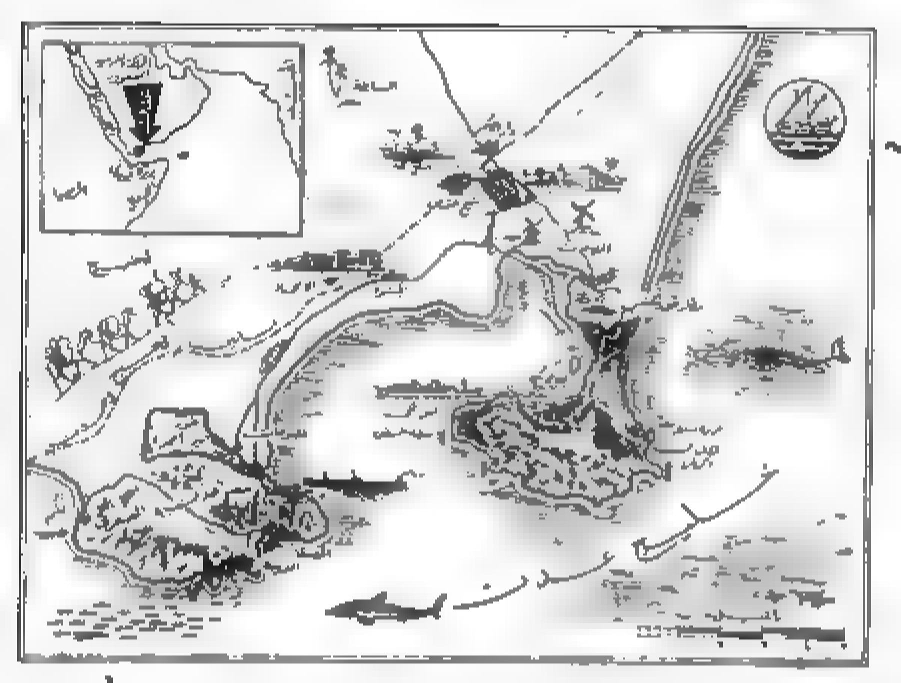
● كل يوم يفتح فى ساحة العلم باب جديد ، يؤدى الى خير جديد .

والاشعاع الذرى ظهر اول استخدام له فى غير الخير ، ثم فى الخير ، فيما اسموه بالأغراض السلمية .

وقد دخل الاشعاع الذرى ، والنظائر المشعة التى تحدثه ، دخلت جميعا فى الطب وفى الزراعة .

ولكن كذلك فى الصناعة .

ودخلت فى الصناعة اول الامر على استحياء ، ثم توغلت ، وتعددت جهات



وهذا ذلك موجود في الصعيد العربي الصعيد العربي عند ساحل الصومال مجاري انهار ، وكذلك في الصومال . اما كيف تكون خليج عدن ؟ فالظن وهذه كانت مجاري واحدة . فلو انتا انه تكون بسبب انهلالات مبعة لحمنا الشاطئين اذن لصب ماء يجرى في وقعب في قشرة الارض وذلك منذ نحو ٢٠ مليون عام .

تعمل فيها . وقد صار الاشعاع اليوم ، وسيلة عظمى تصنع به الاشياء .

مثال ذلك المواد الكيماوية .

كانت تجمع المادة الى المادة لتتفاعل معها ، يساعدها على ذلك رفع الحرارة بالنار ، ووجود جسم آخر ثالث اسميناه بالعامل المساعد .

ثم اذا بالاشعاع ، من نظير مشع مثل الكوبلت رقم ٦٠ ، يدخل في المركب الكيماوي ، فيشعه شعا ، ثم تتفاعل الاجزاء المشقوقة ، بعضها مع بعض ، على أسلوب جديد ، أو تتفاعل مع ما جعلنا معها في الوعاء من مركب آخر . والنتيجة مركب جديد .

وفي غير المركبات الكيماوية لعبت دورا هاما في اللدائن (البلاستيك) وصناعتها ، وفي الاخشاب وتقويتها ومن

النتروجين والادروجين ، أو منه ومن الاكسجين ، صنعت هذه الاشعة تلك المركبات التي تنتهي بأن تكون أسمدة لزراعات .

والعجم في استطاعتها تحويله الى ربت .

والاطعمة يعقمها الاشعاع ، فيعقم اللحم ، ويعقم البيض ، وبه تعقم الحبوب ، وتعقم الفواكه .

ترجاء من الساعة فتحت ابوابها جديدة ، فتحها الاشعاع الذري ، بوسائله الشتى .

ومن وسائله عنصر الكوبلت (٦٠) كما قدمنا .

وعنصر الاسترنتيوم (٩٠)

وعنصر الزيوم (١٣٧)

وكذا شعاعات النترونات من مصادرها المختلفة . ■■



بقلم : لطفي ملحس

المدرس في الكلية العلمية الاسلامية ـ عمان

■ هو علي بن يحيى ، من عائلة وجدت زمن العباسيين واسمها عائلة (المنجم) . وقد اشتهر ابوه (يحيى) بانه خادم المأمون ونديمه .

واما (علي) فقد اتصل في أيام شبابه بمحمد ابن اسحق المصعبي من زعماء ذلك العصر . ثم اتصل بالفتح بن خاقان وزير المتوكل وصديقه ، وعمل له خزانة كتب كبيرة ما اشتملت عليها مكتبة مثلها قط . واستكتب له كثيرا منها . فكان يستنسخ لها الكتب القيمة بنفسه ، او يستأجر من يفعل ذلك تحت اشرافه حتى بلغت مبلغا كبيرا .

واتصل بعد ذلك بالمتوكل ، وحظي عنده حظوة عظيمة فكانا لا يفترقان تقريبا .

رفض أن يكون نديم الخليفة بين زوجاته

واراد الخليفة اختيار رجل ينادمه وهو بين زوجاته وجواريه . فقال للفتح ليس لدي من يصلح لذلك غير (علي بن يحيى) فوافق الوزير متحمسا ، وحسب الفتح ان (عليا) سيرحب بالمهمة الجديدة لانه يصبح في منزلة لم يصل اليها غيره . ولكنه رفض العرض باصرار ، ورأى فيه خطرا اي خطر . فقد يسكر الاثنان او يسكر احدهما ، او قد تسيطر الغيرة على المتوكل حتى يأمر بقتله او اهانته . وقبل الخليفه عذره واعفاه .

نال ابن المنجم حظوة الخلفاء ولو أعداء

ومع ما كان عليه (ابن المنجم) من دماثة في الخلق فانه بلغ حظوة قصوى في قصور الخلفاء ، وكسب ثقة تعاقبوا واحدا اثر واحد ، مع ان بعضهم وصل الى العرش على جثة سلفه ، وبعضهم اثارها حربا شعواء على من قبله ، وانتزع منه التاج . ورغم ذلك فقد ظل هذا الرجل محل ثقة الجميع واعزازهم ، يأتمنونه على اسرارهم ، ويطلعونه على خفاياهم .

ويزيد في غرابة صفات هذا الرجل انه كان يعصي احيانا اوامر هؤلاء الخلفاء الذين اعتادوا ان يبيدوا من خدموا سلفهم ، او على الاقل ان يصادروا ممتلكاتهم ويزجوهم في غياهب السجون ان ابقوا على حياتهم ..



قصته مع المتوكل

ومما ذكر على لسان أحد المعاصرين لابن المنجم أنه قال : ذهبت إلى قصر المتوكل على الله [illegible] ذات صباح [illegible] فرأيته مخمورا من سهره طوال [illegible] ساعات في الشرب [illegible] من كل شيء ومسرورا من كل شيء [illegible] وجاء علي بن يحيى المنجم ، ورأى الخليفة لا يستطيع فتح عينيه لكثرة ما احتسى من الخمر ليلة أمس ، فقال [illegible] سيدي بالسواك [illegible] ومسح بماء الورد وجهه ، وشرب قليلا من [illegible] ثم [illegible] المنجم [illegible] وبعد ذلك يأكل مولاي طعاما خفيفا [illegible] بالفراريج مشويه ومقليه ، وبعض [illegible] فيبسط [illegible] وينسى [illegible] يوم أمس

فطلب المتوكل [illegible] ولما [illegible] وروائح البخور [illegible] طلب أن يذبحه من كل [illegible]

وما [illegible] أن زال عنه [illegible] [illegible] والشراب [illegible] استدعى [illegible] وكان على [illegible] كل [illegible] [illegible] [illegible] ثلاث [illegible] في [illegible]

[illegible] المتوكل [illegible] سطرات من [illegible] الأرض [illegible]

وتابع صاحب القصة فقال : ما زال علي [illegible] [illegible] في [illegible] كالطفل [illegible] [illegible] له [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الا [illegible]

ابن المنجم يؤسس أول مكتبة عامة

عنى العرب بالكتب والمكتبات ، وعنى بهما المسلمون عناية كبرى . وكذلك أخذوا في تأسيس مكتبات عامرة بالمؤلفات الخاصة بالعلوم ، وقد بدأ الأمويون في ذلك التأسيس ، ومن بعدهم العباسيون ، فقد أقبلوا على جمع المكتبات الثمينة ، ولم يبلغ شأوهم في ذلك غير الفاطميين بالقاهرة .

وإذا نحن عددنا أسماء ما أسس من تلك المكتبات وما احتوت عليه من أعداد الكتب في تلك العصور فإنه يطول بنا المقال .

ولكن الذي نريد أن نتوصل إليه هو أنه الى جانب تلك المكتبات العامة الواسعة ، كانت البيوت مكتبات خاصة تبحث في فروع معينة من العلوم . فاذا كان صاحبها مهتما بعلم الفلك جمع المؤلفات التي تبحث في هذا العلم . وقس على ذلك المعنيين بالطب أو الهندسة أو الكيمياء أو التاريخ أو الشعر .

وأحيانا يكون صاحبها راغبا في أكثر من فرع واحد . مثل هذا الرجل المقصود في حديثنا وهو علي بن يحيى بن المنجم،فانه قد أسس مكتبة في بيت كبير له بضواحي بغداد أطلق عليها اسم « خزانة الحكمة » حوت على أنفس المخطوطات في شتى العلوم ، وشاعت شهرتها حتى كان الناس يقصدونها من كل فج عميق .

وقد فتح أبوابها للراغبين في تلقي العلـــم ، وعين فيها موظفين . وكانوا يتقاضون رواتبهـــم من ماله الخاص لمساعدة الوافدين عليها ، كمـــا تفعل البلاد المتحضرة اليوم . ولم يكتف بهـــذا، بل بنى أجنحة في ذلك القصر في ضواحي بغداد لاقامة الراغبين في التعلم ومطالعة الكتب ، فكانوا يأكلون على نفقته ويزودهم أيضا . وفي عمله هذا انما أراد أن يجعل من مكتبته جامعة علمية ..

ومما يذكر أن العالم الفلكي (أبا معشـــر) قدم من خراسان ينوي اداء فريضة الحج ، ومر ببغداد ، وزار المكتبة (أي مكتبة ابن المنجم) فاعجب بها اعجابا شديدا ..

هذا وإذا كانت الدول في العهود الاســـــلامية الزاهرة تعهدت دور العلم ورعتها وأنفقت علـى خلالها الأموال . فان فضل علي بن المنجم في هذا المضمار يفوق كل فضل ، لأنه كان فردا واحـــدا وضع على ماله هذا الصرح الكبير متطوعا . كما كانت داره في (سر من رأى) هي بمثابة منتدى لكل أديب وعالم ، يمنحهم الهبات وينتزع لهم العطايا من الكبراء،ويقربهم الى الخلفاء والأمراء.

قال أبو علي التنوخي في كتابه (نشوار المحاضرة).

كانت لعلي بن يحيى بن المنجم ضيعة نفيسة وقصر جليل ، فيه خزانة كتب عظيمة يسميها (خزانة الحكمة) يقصدها الناس من كل بلد ، فيقيمون فيها ، ويتعلمون منها صنوف العلم . والكتب مبذولة في ذلك لهم ، والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى .

بيت ابن المنجم (مضافة) العلمـــاء والشعراء

ومن الأمثلة الدالة على سمو مكانة علي بن يحيى أن بختيشوع الطبيب كان أخبر المتوكل بأن عليا استقرض منه عشرين ألف درهم ، فغضب المتوكل وسأله : لم فعلت ذلك ؟ وما منعك أن تســـألني فأسألك .. أتأنف من مسألتي ؟ فاعتذر ابن المنجم بأنه اقترض المال لأمر عاجل ، وأنه سيرده عندما تصل إليه احدى هبات أمير المؤمنين .

فقال المتوكل : قد عذرتك هذه المرة ، فلا تعد الى مثلها ، وإن احتجت الى شيء فلا تسأل غيري أو تبذل وجهك له .

وقد كان ابن المنجم يصرف نقوده في ســـبيل مكتبته أو ينفقها على العلماء والشعراء ..

حدث أن وفد عليه مرة رجل اسمه (عافية بن شبيب) من البصرة ، فأكرم مثواه وأبقاه عنده في كفاية وكرامة ، وحســن ضيافة،وجمع له هبات من أصدقائه حتى حسنت حاله ، وأعطاه فرسا من جياد الخيل ، وأوصله بعد ذلك للمتوكل ، فأنعم عليه بمال كثير . ولكن عافية هذا أنكـــر النعمة والفضل ، فصار ينتقص من علي بن يحيى وأدبه وعلمه ، وبسط لسانه فيه . وأراد أمير المؤمنين أن يمازح عليا . فأغرى (عافيـــــة) بالاستمرار في شتمه ـ وهو غائب ـ ثم أهدى هذا الشاعر فرس (علي) الى الخليفة فاستحسنه وأثنى عليه . وكان لابد من التقاء الاثنين في حضرة المتوكل . فقال (عافية) : أني أكرم من (علي) وأحسن مروءة ، فقـــال الفتح بن خاقـــان .

ما أسهل اتيان هذه الشعرى أو تقضيها ، ليوجه أمير المؤمنين الى منزليهما من يحضر ما يجده حاضرا من الطعام ..

فاستدعى المتوكل احد قواده ، واصدر اليه امره بتنفيذ رأى الفتح . وحمل ذلك القائد طعاما كثيرا من منزل علي ولم يجد في منزل عاقبة غير كسرات من خبز وملح وقطعة جبن يابس ، وقطعة من سمك مالح وقصعة مكسورة . وجاء الى القصر بكل ما وجد . فاستحسن الخليفة طعام علي واكل منه . واستهجن بخل عاقبة .. وجلده وامر بتشهيره وشرح اعماله في البصرة . وصار بعد ذلك يأتي بما يطبخ من طعام في بيت علي الى القصر لياكله . ومنحه مئة الف دينار – دفعها له على اقساط حتى لايقال انه منح هذه الثروة الضخمة لاحد ندمائه في ليلة واحدة ..

الخلفاء بعد المتوكل يقربون ابن المنجم

وحكاياته مع المتوكل قد ورد منها كثير في كتب الأدب ، وانه بعد قتل المتوكل نتيجة تآمر ابنه (المنتصر بالله) عليه قربه هذا ايضا اليه وقلده اهم الأعمال، وكذلك فقد جاء بعد المنتصر المستعين بالله ثم المعتز وجميعهم كانوا يقدرون علمه وفضله الا واحدا منهم وهو (المهتدي) الذي هم عدة مرات بقتل ابن المنجم ، وما كان لينقذه من الموت الا قصر عهد المهتدي . ولما ولي الخلافة (المعتمد على الله) قربه منه واغدق عليه الاموال. وظل على حاله تلك حتى ادركه الموت عام ٢٧٥ هجرية في أواخر أيام ذلك الخليفة ، وقد دفن في سامراء (سر من رأى) ..

شعر ابن المنجم ومؤلفاته

ان التاريخ لم ينصف هذا الرجل . لأنك لاتجد اسمه الا في بعض المراجع القليلة مثل تاريخ بغداد ونشوار المحاضرة ومعجم الادباء مع ان من الواجب خلود اسمه وشيوعه بين الطبقات المتعلمة في كل الاقطار العربية لان مشروعا كهذا الذي قام به وهو تأسيس مكتبة عامة، وعلى نفقته الخاصة، اعتقد انه لم يسبقه احد الى ذلك كما انني لم اسمع ان احدا في ايامنا هذه قد اقتفى اثر ذلك الفاضل في مشروعه ..

اما آثار ابن المنجم الادبية والعلمية فلم يرد منها شيء اليوم الا ذكر كتابيه في الشعراء القدماء والاسلاميين ، وكذلك في الشعر . فقد عثرت له على الابيات التالية :

سيعلم دهري الاّ تكثر النوى
صبور على نكرائه غير جازع

واني اسوس النفس في حال عسرها
سياسة راض بالمعيشة قانع

كما كنت في حال اليسار اسوسها
سياسة عفة في النفس متواضع

وامنعها الورد الذي لا يليق بي
ولو كنت ظمآنا بعيد الشرائع

لطفي ملحس
الكلية العلمية الاسلامية : عمان

صديق ثقيــل

دخل احد الثقلاء على صديق له ، ولما جنه الليل سأله صاحب الدار : اين منزلك ؟

فاجابه : ما لي منزل ، انما اشتمل الليل انا مستعشي ، واظهر في النهار انا تنفشي ! ..

طرائف عربية

ذلة السؤال

● [illegible]

[illegible]

وترمي . ثم ولى لينصرف . [illegible] يعطونه . فلم يأ[illegible]

معي وهو يقول

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... عوضا ولو نال الغنى بسؤال

[illegible] ... رجح السؤال وخف كل نوال

صدق الوداد

● كتب بعض الكتاب الى أخ له

« ان رأيت ان تجدد لي ميعادا لزيارتك ، أتوق به الى وقت رؤيتك ، وتؤنسني الى حين لقائك ، فعلت » .

فأجابه : « أخاف ان أعدك وعدا فيعرض دون الوفاء به ما لا أقدر على دفعه ، فيكون الحسرة أعظم من الفرقة » .

فأجابه : « انا أسر بوعدك ، وأكون جذلا بانتظارك ، فان عاق عن الانجاز [illegible]

جحا والقاضي

● [illegible]

[illegible] موضع في البركة ، [illegible] لاستشنه قائلين : هات [illegible] يدك . فلم يمد القاضي يده .

فصاح بهم جحا : لا تقولوا له هات ! [illegible] يعود سماعها . ثم تقدم منه [illegible] خذ خذ يدي . فمد القاضي يده وأمسك بيد جحا ونجا ! .

علي يوصي ابنه الحسن

● يا بني ، احفظ عني اربعا ، لا يضرك ما عملت معهن
اغنى الغنى العقل ، واكبر الفقر الحمق ، واوحش الوحشة العجب ، واكرم الحسب حسن الخلق .

رثاء مصلوب

● قال العقيلي يرثي صديقا له ، حد قتل وصلب

[illegible]
لقد عشت مبسوط اليدين مـــجود [illegible]
[illegible]

البخيل واولاده

● [illegible]
فقال ولده الاكبر : [illegible]
قال : [illegible]
فقال الاوسط : [illegible]
حتى لا يدري احد لحام هي ام لغاص
قال : [illegible] صاحبها .
فقال الاصغر : يا ابت امصها ثم ادهنها ، وامسحها .
قال الاب : انت صاحبها ، وهي بك رزقك الله معرفة وحرما .

ابن ابي عتيق وامراته

● [illegible]
يهدي الينا جدي مسلوخ ، فتحدث من الطعام لون كذا وكذا ، فسمعت جارة له ، فظنت انه امر عظيم ما سمعته فانتظرت الى وقت الغشاء ثم جاءت فقرعت الباب ، وقالت [illegible]
[illegible]
رائحة الأماني !

عثمان بن حفص وابي نواس

● [illegible]



مهمة الاديب في العصر الحاضر

من مجلة « الهدف » الكويتية :

● لقد ذهبت تلك الفترة التى يسمى فيها الفرد اديبا حينما يستطيع ان يتحدث عن الشعر والنثر في العصر الجاهلي ، والعصر الاموى والعصر العباسي .. ويستطيع ان يعرف شيئا عن الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد الكاتب ، وما اليهم من الكتاب ، ويعرف اسماء المشهورين من الشعراء ، كما يستطيع ان يروى بعض الخطب او النكات الادبية .

كان هذا الفرد يسمى اديبا فيما مضى اما الآن فان الاديب هو ذلك الذى يلم بالتاريخ الادبي وباللغة الماما تاما ، كما عليه ان لا يكون بعيدا عن مجريات الامور ، وان يكون له رأى محدد فيها ، وان يرفض كل ما يبدو له بانه مخالف للحس والعقل والتذوق ، ويحتم الامر ؛ على الاديب ان يشارك مواطنيه في كل ما يجرى من امور على ان يكون في طليعتهم ، لان الاديب الحق هو الذى يتأثر بالاحداث ويؤثر فيها .. اما الفرد المنعزل عن الحياة لا يكاد يعرف عنها شيئا .. فاننا لا نستطيع ان نسميه الا اديبا مزيفا ، لان الاديب الحق هو الذى يقوم بتادية رسالته كما يجب .. حتى ولو ادى به ذلك الى ازعاجه او اضطهاده لان ذلك من صميم مسؤولياته .

لهذا رأينا بعض الامم الراقية ، تدعو كتابها ومفكريها بمهندسي الحياة .. وهذه التسمية تعني ان تلك الامم تقدر ابناءها ومفكريها حق التقدير وتفهمهم حق الفهم .. كما انها تعني ان اولئك الكتاب والمفكرين لم يستحقوا هذه المنزلة العظيمة الا لانهم شاركوا في صنع الحياة .

العلم والمجتمع

من مجلة « الكاتب » ـ القاهرية :

● ان حياتنا المستقبلة تتوقف على مدى ماتطور به نظمنا بحيث تتمشى مع ما طرأ على العالم من تغيرات . لان اكبر ما يهددنا به هذا العصر هو عدم كفاية انظمته الحالية ، وعدم مسايرتها لاحتياجاته المادية ولا لامانيه الروحية .

لذلك فالعلم والتكنولوجيا يعتبران امرين هامين في التطور الاجتماعي الذى يسير في مجتمعنا .وقد اصبح واضحا ان اعتماد المجتمع على العلم والتكنولوجيا يقتضى احداث تغيير في نظرة الناس الى العلم . فلا يمكن للعلم او التكنولوجيا ان يزدهرا اذا كان الناس ينظرون اليهما نظرة عادية .

وتجابه المجتمعات الحديثة التى تسير في طريق التطور ، وتحاول استحداث التغيرات التكنولوجية مشكلتين رئيسيتين . المشكلة الأولى هى تغيير نظرة الناس القديمة الى العلم ، والمشكلة الثانية الجو او البيئة التى يعيش فيها الناس للمساعدة على حل المشكلة الأولى .



الكتب الاجنبية .. بين الثقافة والحياد

عن صحيفة « المنار » الاردنية :

● ما هو راى الدول العربية فى الهيئات من الكتب التى تقدمها مكاتب الثقافة الاجنبية الى مكتبات المدارس الثانوية وغيرها ..

لقد استطاعت تلك الهيئات وغمرت الاسواق بشكل يمكن ان يخلق انفصاما روحيا بين المثقفين وبين تراثهم وحضارتهم العربية الاصيلة .. انهم يحاولون من جانبها فى قضية الانهدامات الثقافية التى يمكن ان تجرف مفاهيم الناشئة عمدا الى دوامة الشلل والضياع الفكرى .

نحن لا نطالب بمنع الثقافة غربية كانت ام شرقية .. ولكننا نطالب بان نعى صحة تثقيف اجيالنا وصحة انفتاحهم السليم على الثقافات الاجنبية ، بحيث لا تنجرف ثقافتنا وتنمسخ اصولنا .

فقد آن للدولة ان تنتبه للاستعمار الثقافى الذى تحاول بعض الجهات ان تهدم به حضارتنا .

القلب السليم

من مجلة « الايمان المغربية » :

● عندما يتجه الانسان الى معرفة العالم المحيط به ، يشعر ان له مرآة صقيلة تنعكس عليها شتى الارتسامات والانفعالات .. تنعكس عليها ردود الفعل الى كل عملية يقوم بها نحو نفسه ونحو خالقه ونحو الناس .. تنعكس عليها اصداء الخير والشر .. والنساج الاستقامة والضلال .. تضىء وكأنها الالق اللامبالى .. ! وتضيق وكأنها سم الخياط ..!

تلك المرآة الانسانية هى القلب الانسانى فى كل حركاته وسكناته .. القلب الذى يصلح الجسم بصلاحه ويفسد بفساده ... القلب الذى يفيض بالمحبة والخير والاحسان والنبل والطهارة .. كما يفيض بالحقد والشر والنذالة والدنس .

فهل نحن مطمئنون الى هذه القلوب التى بين جوانحنا ؟ وهل نحن مطمئنون الى حركاتها التى تقودنا الى متاهات لا ندرى مبدأها ولا منتهاها ؟ وهل نحن مطمئنون الى هذا الحبل الطويل الذى بدأ بشهوات ثم اغراض ثم انحرافات عن الصراط المستقيم ؟

الواقع ان المؤمن المتبصر يجب ان يحاسب نفسه حسابا دقيقا قبل ان يحاسبه خالقه حسابا عسيرا .

صفة المعلم الحق

من مجلة « الاديب » اللبنانية .

● مسألة الاعصاب صفة تمكن المعلم من ان يطلب بالرفق ويرشد بالرحمة ويضبط بالهدوء ، وبهذا يبقى على محبة تلاميذه له ، ويمنى التهم به . والمعلم الذى يجد ان من عهد اليه بتعليمهم لا يحبونه، عليه ان يحاول اصلاح ما بينه وبينهم، والا فليدعهم لسواه ممن يستطيعون الحفاظ على هذه الصلة الانسانية ، الجامعة الملحة . ومسألة الاعصاب الضامنة لتبادل المحبة بين المعلمين والمتعلمين هى نفسها تكفل الصبر على مشقة الجهد الطويل للعطاء السخى .

ولكى يستطيع المعلم الحديث ان يقوم بواجبه يجب ان يكون مربيا ، والتربية ، كما يقول علماؤها ، اعداد للحياة فى جميع ميادينها ، الذى لا مجال للشك ، فى ضرورة قسط وافر من الثقافة العامة يحرزه مربى اليوم حتى تهيأ له مؤالفة الطبيعة والحياة الاجتماعية ، وييسر له الاخذ باسباب القيم المعنوية والروحية . ومن خلال هذه المؤالفة الشاملة يتسنى للمعلم ان ينفذ الى مفاهيم صحيحة يتخير منها مؤونة تعينه على مشاركات تهذيبية تنشط ذكاءه وتولد فى عاطفته الانفعال الموضوعية فى ما يدرس او يدرس . وبقدر ما يكون تمرس المعلم بالانضباط الموضوعى ، تزداد قدرته على العطاء المفيد ، ويشتد حرصه على الوقت فلا يذهق منه هدرا على جوانب طريق التلمذة او خارج نطاقها .



من أخطاء القضاء

اشتعلت النار في المصنع .. وبقي الفاعل مجهولا

● في النصف الثاني من القرن الماضي حين اتجهت انجلترا الى التصنيع فكر دانيل هاتشر في كسب المال عن طريق الصناعة . فأنشأ في عام — ١٨٦٦ — مصنعاً للملابس الداخلية بمدينة لستر ، وبنى على ذلك المصنع الآمال العراض ، ووضع فيه كل ما استطاع جمعه من مال وبذل كل ما في قدرته من جهد . ولكن الربح لم يكن مواتيه فوجد نفسه — بعد أربعة أعوام من الجهد المتواصل — على حافة الافلاس .

ولكن الحظ واتاه — من حيث يدري أو لا يدري — أو لعله يدري — فنشب في جزء من المصنع حريق ودفعت له شركة التأمين أربعة الاف جنيه استرليني .

ولكن هذا المبلغ — على ضخامته في تلك الأيام — لم يكن كافيا لاعادة الحياة الى المصنع ، فقد ذهب كله في اسكات الدائنين ذوي المطالب العاجلة . فما كاد يمضي العام حتى وجد دانيل هاتشر نفسه مضطرا للبحث عن مال سائل يستعين به على استمرار المصنع .

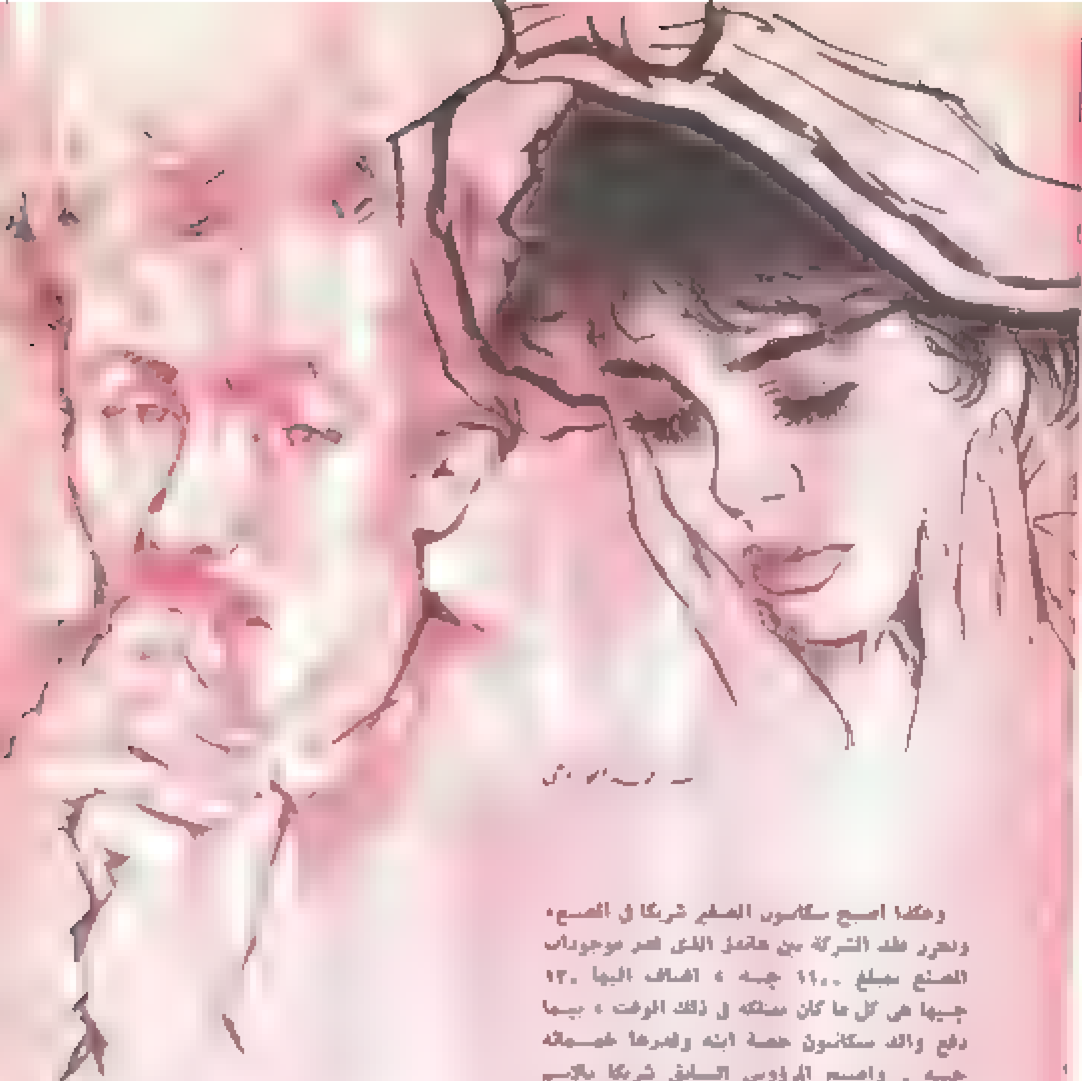
وكان دانيل هاتشر مؤمنا أن مصنعه لا بد أن ينجح ويدر عليه ثروة ضخمة اذا استطاع أن يجتاز به الفترة العصيبة التي يمر بها . لذلك لجأ الى الحيل العديدة التي يلجأ اليها رجال الأعمال كلما نضب المال السائل من بين أيديهم . صار — كما يقولون — يأخذ القبعة من فوق رأس دائن ليضعها على رأس دائن آخر — ويكثر من الوعود لهذا وذاك — ليوهمهم أن صناعته رابحة وأنه لا خوف من ضياع أموالهم .

وهذه الحيل قصيرة الأجل . فما من مصنع يستطيع أن يستمر في الانتاج اذا لم يتوفر المال السائل للادارة الرشيدة .

وكان من عمال هاتشر فتى صغير اسمه توماس سكانتون ، محدود الذكاء لا يصلح لغير العمل اليدوي الذي يتولاه ويتقاضى عنه أجرا ضئيلا ... جنيه واحد في الأسبوع . وكان صاحبنا قانعا بمرتبه الضئيل لا مطمع له في مزيد ولا أمل له في ترقية . ولكن والد سكانتون كان يدخر بعض المال وهاتشر في أشد الحاجة لذلك المال المدخر .

وهنا نبتت عند هاتشر فكرة شيطانية . واقترح على الوالد أن يضع ماله المدخر في المصنع موهما اياه أنه اكتشف في ابنه نبوغا واستعدادا خاصا للاشتراك في ادارة المصنع وأنه لذلك سيرقيه الى وظيفة ادارية ليستفيد بخبرته ونبوغه .

وصدق الفتى الصغير ما زعمه له صاحب المصنع . كذلك صدق الأب . فاذا كانت كل فتاة بأبيها معجبة ، فان كل أب بابنه أكثر اعجابا خصوصا اذا كانت الشهادة في حقه من رئيس اختبره في العمل .



وهكذا اصبح سكانيون الصغير شريكا في المصنع، وتحرر عقد الشركة بين هاتمر الذي قدر موجودات المصنع بمبلغ ١١٠٠ جنيه ، اضاف اليها ١٢٠ جنيها هي كل ما كان يملكه في ذلك الوقت ، بينما دفع والد سكانيون حصة ابنه وقدرها خمسمائة جنيه . واصبح المرؤوس السابق شريكا بالاسم سعيدا بالجلوس على مكتب يحلم بالنجاح المنتظر، وان كان هاتمر — في الواقع — قد ركنه على الرف الخلفي مقابل الخمسمائة جنيه التي كان يسيل لها لعابه .

وساعدت الخمسمائة جنيه التي دفعها سكانيون وبعض المبالغ التي كان يجمع هاتمر في اقراضها بوعوده الخلابة على سير المصنع لمدة اربعة اعوام اخرى وسط صعوبات جمة كسفينة في مهب الريح . وسكانيون — في غفلته — لا يدرى من امور المصنع شيئا . وكان يجرى على لسان ادارة المصنع قولا — على سبيل المزاح — انه لا ينقذ المصنع من وهدته الا حريق كالحريق الماحق .

انها نكتة اطلقها هاتمر في ساعة عدم انتباه . ولكن بوطني سكانيون — بذاكرته المعهودة — التقطها كلمة يرددها بمناسبة وبغير مناسبة . لقد كان يجهل الحالة المالية للمصنع والصعوبات التي يرزح فيها ، ولكن النكتة اعجبته فصار يرددها خالي الذهن عما يخبئه له القدر . فكلما وصل المصنع خطاب من احد الدائنين يهدد باشهار افلاس المصنع اذا لم تسدد ديونه كان يضحك ملء شدقيه ويكرر عبارة « اذا لم نستطع ايجاد حل لهذه الحالة فما علينا الا ان نشعل النار في المصنع » .

وفي مرة اخرى — امام تعدد مطالب الدائنين قال

امام كثير مـن العمال « ليت النـار تشب في المصنع وتحيله الى رماد » .

* * *

لو كان سكالتون يعلم ما يخبئه له القدر او لو انه كان معتزما ان يشعل النار في المصنع ـ كما اتهم فيما بعد ـ لكان آخر كلام يرد على لسانه ذلك التعبير السخيف الذي كان يردده .

وما الذي يدعو سكالتون الى اشعال النار في المصنع ؟ .. لقد ابتسمت له الحياة واختاره صاحب المصنع شريكا له ـ دون غيره من العمال ـ لما توسمه فيه من نبوغ ـ واصبح شريكا في ملكية المصنع . اما ان المصنع كان في ازمة فقد اكد له هاتنز ان جميع الاعمال الناجحة تمر في البداية بمثل هذه الازمات .

* * *

وفي مساء ١٧ فبراير سنة ١٨٧٥ حلت الكارثة .. لقد اغلق المصنع في الساعة الثامنة مساء كالمعتاد . وانصرف العمال . وانصرف سكالتون الى منزله في احدى ضواحي لستر ؛ وبعد ساعتين ونصف من اغلاق المصنع شب في المصنع حريق التهم كل موجودات المصنع من مبان وآلات وبضائع مخزونة .

وابلغ هاتنز نبأه على الفور ووقف ينظر الى النار وهي تلتهم المصنع ولم يفكر في ان يبعث برسول ليستدعي شريكه سكالتون بل ذهب الى منزله بعد ان اكلت النار الاخضر واليابس واتجه الى سريره ونام ملء جفونه يحلم بالآمال العريضة التي سوف يحققها بعد قبضه قيمة التأمين . لقد كان هاتنز برغم الصعوبات التي كان يجتازها المصنع ؛ وبرغم عجزه عن دفع الديون المتراكمة وبرغم ان موجودات المصنع عند تحرير عقد الشركة مع سكالتون قد قدرت بالف ومائة جنيه ؛ مستمرا على دفع القسط التأميني على اعتبار ان قيمة المصنع ١٣٩٢٨ اي اربعة عشر الف جنيه الا قليلا .

* * *

وفي صباح اليوم التالي ذهب الى سكالتون ينقل اليه الخبر المشئوم فوجده يستعد للذهاب الى المصنع وتحدث اليه والى ابيه ـ صاحب الخمسماية جنيه ـ طويلا ولكنه طمأنهما بان شركة التأمين ستدفع قيمة التأمين وتغطي كل الخسائر .

* * *

ولكن شركات التأمين لا تنظر بعين الارتياح الى شبوب حريق مرتين خلال خمس سنوات . انها ترتاب في الحريق الثاني وتبث عيونها . فاذا علمت ان المصنع كان يتردى في صعوبات مالية خانقة وانه كان على وشك اشهار افلاسه تحولت شكوكها الى يقين .

لذلك توقفت الشركة عن دفع التعويض وابرزت تناقض اقوال الشريكين في سبب الحريق ؛ وقال رئيسها انه سيحيل الموضوع الى البوليس ليجري فيه تحقيقا .

* * *

وسارع هاتنز الى البوليس واتهم شريكه سكالتون بانه هو الذي اشعل النار عمدا في المصنع وقال انه تجمعت لديه ادلة تثبت ذلك . واستشهد باخيه وابنه وبعدد من عمال المصنع .

لشهد كثيرون ان سكالتون قال في مناسبات عديدة ان حرق المصنع وقبض التعويض من شركة التامين هو السبيل الوحيد لانقاذ المصنع من ازمته .

وشهد اخو هاتنز ان سكالتون قال له في صباح يوم الحريق انه يعتزم اشعال النار في المصنع .

وقال هاتنز ان سكالتون وضع ـ على غير المعتاد ـ كمية كبيرة من الاخشاب في صندوق في بئر السلم وان الحريق بدأ من هناك . كما قال ان سكالتون في ليلة الحادث صرف العمال قبل موعد انصرافهم المعتاد وبقي وحده في المصنع . وقال ان شكوكه بدأت تتجمع ضده بالحريق وانه حين قابل سكالتون واباه ـ في صباح الغد ـ افضى اليهما بشكوكه ولم يتحرج في توجيه التهمة الى شريكه . وانهما لم ينكرا التهمة بل قالا له « لا تقلق فستحصل على تعويض كبير . » واضاف هاتنز ان سكالتون حمل كثيرين من موظفي المصنع على المغالاة في تقدير البضائع التي كانت مخزونة لتضخيم مبلغ التعويض المطالب به .

* * *

ورفعت الدعوى على سكالتون امام محكمة الجنايات . ولم يكن موفقا في اختيار من يدافع عنه . كان الدفاع يواجه صعوبتين . الاولى ان القانون الانجليزي لم يكن يسمح للمتهم بالادلاء بشهادته بعد حلف اليمين كما هو الحال منذ بداية هذا القرن . ولو كان يسمح لاستطاع سكالتون ان يدحض كل الاقوال المكذوبة التي ادلى بها هاتنز واعوانه .

اما الصعوبة الثانية فترجع الى ان محاميه كان

من النوع الذى يبذل اقل جهد فى الدفاع . لقد آمن المحامى ان موكله بريء وان التهمة واضحة البطلان لا تقف على قدمين وان الاتهام عجز عن تقديم ادلة مقنعة . فما حاجته لاستدعاء شهود نفى . ان المتهم بريء حتى تثبت ادانته والادانة فى تقديره لم تثبت . فلم يستدع والد المتهم الذى زعم هاتمز كذبا انه واجهه باتهام ابنه . واكتفى المحامى بمرافعة حماسية بليغة مزق بها ادلة الاتهام وسخر منها وقال ان التهمة من صنع هاتمز الذى يغار من سكالتون ، وبين ان الذى يستفيد من الحريق هو هاتمز لا سكالتون .

* * *

ولسوء حظ سكالتون لم تقنع تلك المرافعة لا القاضى فى تلخيصه ولا المحلفين فى قرارهم ، وغابت عنهم الحقيقة لانهم لم يسمعوا الا احد وجهى الحقيقة فادانوه وصدر الحكم ضده بالسجن مع الاشغال الشاقة لمدة اثنى عشر عاما .

وخرج سكالتون من قاعة الجلسة ليقضى سنين محبسه .

* * *

وصمته فى زنزانة انفرادية لمدة ستة اشهر . لا يتحدث الى احد ولا يرد احد عليه اذا تحدث . كان ذلك هو نظام السجن فى تلك الايام وكانوا يظنون انها وسيلة ليراجع المحكوم عليه نفسه ويندم على ما فعل . ولكن سكالتون لم يفعل شيئا يندم عليه بل ارتكب فى حقه جرم ووقعت عليه مصيبة لا يعرف لها مبررا . فكانت افكاره تدور حول الاكاذيب التى ادلى بهـا هاتمز فى غايبه باليمين التى اقسمها .. وكان يتساءل كيف صدقه القاضى وكيف صدقه المحلفون وحكموا عليه مكوث حيا ! .. فقد تاكد انه لن يعيش حتى نهاية العقوبة المحكوم بها عليه وان عاش فسيخرج من السجن كسير الفؤاد منبوذا من الهيئة الاجتماعية .

واستولى عليه يأس قاتل .

* * *

ولكن اليأس لم يعرف سبيله الى اثنين من اقرب المقربين اليه ، ابيه وزوجته . فقد امنا ببراءته وعملا على اثباتها .

ولم تكن محكمة الاستئناف للقضايا الجنائية قد انشئت بعد فى انجلترا ، فلم يكن من سبيل امامهما الا جمع توقيعات من اهل المدينة رفعاها الى وزير الداخلية . ولكن وزير الداخلية لم يرها اي اهتمام . وحاولا ان يجدا صحيفة كبيرة تتبنى القضية فعجزا من اقناع اية جريدة . ومع ذلك لم ييأسا وعرضا الموضوع على احد المحامين فاشار برفع دعوى ضد هاتمز بتهمة الحنث فى اليمين .

ولكن هذه الدعوة تتطلب مصاريف باهظة يجب ان يتحملها المدعيان . ولم يجدا لديهما المال الكافى فظلا اربع سنوات كاملة حتى دبراه وذهبا الى المحامى لرفع الدعوى . ودرس المحامى القضية وقال ان امله فى الوصول الى ادانة هاتمز ضعيف وانه بغير حكم بالادانة فلن تعود القضية باية فائدة على سكالتون .

ومع ذلك قدم الوالد والزوجة المال وطلبا رفع الدعوى .

* * *

واخرج سكالتون من السجن وجيء به فى ملابس السجن والحديد فى يديه ليقف فى منصة الشهود ويدلى باقواله فى التهمة الموجهة الى هاتمز . وادلى بشهادة فى غاية الوضوح انكر كل ما جاء على لسان هاتمز فى محاكمته ضده وقال ان الاقوال المنسوبة اليه من حرق المصنع كانت على سبيل المزاح اعتقادا منه انها احدى النكات التى ترد على لسان كبار رجال الاعمال وانه اراد ان يتشبه بهم . وانكر انه وضع اخشابا فى بئر السلم وبين ان البئر كان مزدحما بالبروكات لدرجة استحالة وضع اخشاب به . وانكر انه صرف العمال قبل موعدهم وقال انه حقيقة بقى بعض الوقت بعد انصرافهم لاتمام الاعمال المتاخرة وان ذلك شانه فى كثير من ايام العمل .

وكذب هاتمز فيما ادعاه من انه اشترك بمبلغ ثلاثة الاف جنيه اذ ان كل ما دفعه هاتمز ١٢٠ جنيها زيادة على موجودات المصنع التى قدرت بالف ومائة جنيه . واوضح ان الاربعة الاف جنيه التى قبضها هاتمز من شركة التامين ذهبت كلها فى تسديد الديون الصارخة .

وايد شهود عديدون اقوال سكالتون .

وانكر سكالتون ان هاتمز حين حضر اليه غداة يوم الحريق ابدى شكا فى سبب الحريق او وجه اليه اتهاما بل كان الحديث بينهما وديا . واستشهد فى ذلك بوالده وزوجته فايداه فى اقواله .

* * *

ووجد سكالتون الطريق امامه فسيحا للادلاء

بالمعلومات التي لم يبدها أثناء محاكمته لأن القانون لم يكن يسمح بذلك فقال أن هانتز اقترح – قبل أن يعلم أن شركة التأمين ستتوقف عن دفع التعويض – دعوة الدائنين ليشرح لهم حالة الشركة وأنهم مضطرون لإشهار الإفلاس ويعرض عليهم التصالح على أساس ٥٠٪ من ديونهم وأنه – سكانتون – عارض في ذلك لأن التعويض المنتظر دفعه كاف لسداد جميع الديون بالكامل وبقاء رصيد كبير للشريكين فقال هانتز « أننا إذا دفعنا نصف الديون كان المبلغ المتوفر لنا أكبر بكثير » .

وأدرك سكانتون أن هانتز يريد أن ينصب على الدائنين ورفض الاشتراك في هذا النصب فحقد عليه هانتز .

واقترح هانتز على سكانتون إدراج ديون صورية في سجلات المصنع وذكر بالفعل اسم والد زوجة سكانتون الذي لم يكن له أية صلة بالمصنع كما ذكر أسماء دائنين آخرين وأظهر سكانتون اشمئزازه من هذه التصرفات فكان جزاؤه أنه – بمجرد رفض شركة التأمين دفع التعويض – أن وجه إليه هانتز تهمة الحريق العمد .

* * *

كذلك أشهد سكانتون حارس المصنع الذي قال أن هانتز مر عليه قبل محاكمة سكانتون بتهمة الحريق ، ووجد عنده حصاناً فقال له : « هذا الحصان حصاني وأحسبه سيحميني أثناء التجربة من سكانتون » فرد عليه : « لا . لا . لقد أحاربه سكانتون » وبدا على هانتز أنه تضايق من ذلك الرد . وقال « لقد قتلت التي أوقعت سكانتون ، ولكن لا يزال في جعبتي أمر آخر لن أوقعه فيه فسوف أقتله » . وانصرف غاضباً .

* * *

كانت شهادات الشهود مترابطة متسقة وأمكن كل من تتبع القضية أن سكانتون ضحية خطأ قضائي وأن هانتز افترى عليه . ولكن المحلفين وجدوا حين اختلوا إلى غرفتهم وتداولوا في أمر الشهادة ، أن سكانتون إنما يدافع عن نفسه ، وأن الأب والزوجة قد يتحيزون . وأن عمال المصنع والحارس يشهدون عن واقعة مضى عليها خمسون شهراً فقد تخونهم ذاكرتهم . وقد قال القاضي في تلخيصه أن الظاهر أن هانتز قد كذب في شهادته ولكن ذلك لا يكفي لإدانته بتهمة الحنث في يمينه .

وإزاء هذه الشكوك وعملاً بأن الشك يؤول لمصلحة المتهم قرر المحلفون أن هانتز غير مذنب . وقضوا بذلك على آخر أمل لسكانتون وأسرته .

وعاد سكانتون إلى السجن مهيض الجناح مكسور الخاطر .

* * *

فلما ضاقت واستحكمت حلقاتها ، فرجت ، وكان سكانتون وأسرته يظنونها أنها لن تفرج ، فقد حضر المحاكمة الثانية مندوب جريدة الدبلي ميرور فخرج من قاعة الجلسة مؤمناً ببراءة سكانتون . فنشر مقالاً افتتاحياً في جريدته شرح فيه وقائع المحاكمتين وختمه بقوله :

« إن الأشغال الشاقة لمدة اثني عشر سنة عقوبة قاسية خصوصاً إذا أصابت شخصاً ممن احتقروا الحياة الرغيدة وانتزعته من بين أحضان أسرته .... إن المحلفين لم يستطيعوا في المحاكمة الثانية أن يصلوا إلى القرار المطلوب ، ولكن إجراءات المحاكمة أظهرت بوضوح وجود شك في أن سكانتون هو الذي أشعل النار وإن لم تكف لإدانة هانتز . فقد كانت المحاكمة الأولى قاصرة إذ لم تسمع فيها إلا أقوال هانتز وشهوده .

* * *

وكان لهذا الهجوم العنيف دوي شديد أيقظ النائمين من نومهم ، ولم يستطع وزير الداخلية أن يتصام النبه عن سماعه . فأرسل يطلب ملف القضيتين ، وعهد بدراستهما لكبير القضاة ، فأفتى بأن خطأ قضائياً ارتكب في حق سكانتون أثناء المحاكمة الأولى ، وأشار باستصدار عفو شامل عنه . وصدر العفو وردت لسكانتون حريته .

* * *

وحين خرج سكانتون من السجن التف حوله الصحفيون يرجون منه أن يحدثهم عما لاقاه في السجن من عذاب ومن مشاعره – وهو بريء – حين سمع الحكم بإدانته ، وحين نال عذاب الحرمان من الحرية . ولكنه رفض أن يتحدث أو يفكر في محنته فقد كان كل ما يريده هو أن يعود إلى منزله وأن لا تحسب عليه السنين الأربع من أيام عمره . ■■

حسن الجباوي
القاهرة



بقلم : ناجي محفوظ
وزارة التربية — بغداد

■ كان للدعوات — في العصور العباسية — آداب خاصة بها ، اسنها ذوو السعة واليسار وأهل المروءات ، ممن بسطت الدنيا لهم يديها .

ومن تلك الآداب : أن الرجل منهم إذا دعا إلى منزله أحد إخوانه أو أصحابه ، كتب إليه إما أن يبعث إليه — إذا حان الوقت — رسولا يذكره ويحثه على الحضور ، وفي ذلك يقول منصور الفقيه

دعوة ورقعة

ومنهم من يرسل إليه برقعة [illegible] — بعينها ذلك . إلا أنهم كانوا يرون في إرسال الرقعة تقوية لعزيمة المدعو على تلبية الدعوة .

قال أحمد بن إسماعيل الكاتب

وبعض الناس كانوا أيضا يدعون طالبين من المدعو رقعة ، فالرقعة عندهم سند وقوة ظهر . يروى أن أبا العيناء كان يوما عند إبراهيم ابن المدبر ، فقال إبراهيم له : « كن عندي غدا » فقال له : « أو ظهري برقعة » .

وفي الرقعة وصف الما

والداعي يحض في رقعته أخاه أو صاحبه على الحضور والتبكير في المجيء ، واصفا له المائدة وصفا مشوقا ، ذاكرا له ما هيأه من شهي الطعام ولذيذ المأكول ، مومئا إلى ما يفوح من طيب الروائح من القدور ، أو أن يذكر له ،

ان المدعوين كلهم اخوانه ، يشتاقون الى لقائه ، ويودون الاجتماع به، وهم ينتظرون مجيئه ليلتقوا به ، فهو يدعوه الى القدوم ليكمل به انسهم ويتم سرورهم ، ويرجوه الا يكدر عليهم ما هم فيه بالاعتذار او التأخر . وقد يصف له ما في داره من شراب وآنية ، وجوار قائنات ، وغناء وآلات .

ومثال ذلك ما كتبه احمد بن جعفر بن موسى البرمكي (الملقب بجحظة) :

لنا يا اخي رزّة(١) وأمر
وقدر مجللة حاضره
وراح تريك اذا صفقت
سنا البرق في الليلة الماطره
ومسمعة لم يخنها الصوا
ب وزمرة أيضا زامره
وما شئت من خير لسائر
وما [illegible] يعدها لسامره
فسر الي وان كنت يا ابن الكرام
وحاشاك في الساعة الآخره

عندما اخطأت الرقعة صاحبها

وقد يخطئ بعض الرسل بالرقعة ، فيعطيه ولا يسلمها الى من ارسلت اليه ، بل يعطيها لآخر غيره ، كما حدث لابن المعتز :

فقد ارسل ابو احمد ابن المنجم الى اخيه ابي القاسم رقعة يدعوه فيها ، فغلط الرسول واعطاها ابن المعتز ، فقرأها ، وعلم انها ليست اليه ، فقلبها وكتب عليها :

دعاني الرسول ولم تدعني
ولكن لعلي أبو القاسم

فاخذ الرسول الرقعة ومضى ، ثم عاد بها الى ابن المعتز ، واذا مكتوب فيها .

أيا سيدا قد غدا مفخرا
لهاشم الأغر من هاشم
تفضل وصدق خط الرسول
تفضل مولى على خادم

فدتك نفسي من كل ما تتقيه
أبو أحمد وأبو القاسم

فقام ابن المعتز ومضى اليه .

آداب في تقديم الطعام

ولتقديم الطعام ــ عند حضور المدعوين ــ آداب ورسوم خاصة ، فقد كانت سنة المتقدمين من آبائنا ان يقدموا جملة الالوان دفعة واحدة ، ويسخفوا القصاع من الطعام على المائدة ، ليأكل كل واحد مما يشتهي . وان لم يكن عنده الا لون واحد ذكره ، ليستوفوا منه ولا ينتظروا الطيب منه ، فيبقى بعضهم جائعا .

وكان بعضهم يدعو خبازه فيمثل بين يديه قائما والضيوف تسمع ، فيقول له : « ما عندك ؟» فيقول : « عندي كذا وكذا » . فيعدد ما عنده ، يريد بذلك ان يحبس كل رجل من اصحابه نفسه وشهوته على ما يريد من الطعام . وتقبيل الالوان فتوضع على المائدة . ولكن البعض من اصحاب المروءات كان يذكر ما صنع لاخوانه من الطعام في رقعة ، ويعرضها عليهم ، فمن استطاب لونا حبس نفسه عليه .

ولم يكن يليق بالزائر ان يقترح على المزور شيئا بعينه ، فربما يشق عليه احضاره . اما اذا هو خيّره فيختار ايسرهما عليه . ولكنه اذا علم ان مضيفه يسر بالاقتراح ويتيسر عليه ذلك ، فلم يكن من بأس ان يقترح عليه .

فكذلك فعل الشافعي

فكذلك فعل الشافعي : فقد كان نازلا ــ عند الزعفراني ــ ببغداد ، وكان الزعفراني يكتب ــ كل يوم ــ رقعة بما يطبخ من الالوان ، ويسلمها الى الجارية . فاخذ الشافعي الرقعة في بعض الايام ، والحق بها لونا آخر بخطه ، فلما رأى الزعفراني

---

(١) الرزة : الوليمة .

ذلك اللون انكره وقال للجارية : « ما امرته بهذا !؟ » . فعرضت عليه الرقعة وقد الحق فيها بخط الشافعي ذلك اللون . فلما وقعت عينه على خطه ، فرح بذلك واعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه .

رقاع تنثر في العرس ، وبها اسماء ضياع

وهناك نوع آخر من انواع هذه الرقاع ، كان ينثر في العرس ، بعد ان تكتب في الرقاع اسماء ضياع او اموال نفيسة ، ثم توضع داخل بنادق الطيب ، وتنثر فمن يُصيب من المدعوين رقعة متلك ما كتب فيها . ولكن هذا النوع كان نادرا ، فلم نسمع بنثير مثل هذه الرقاع الا في عرسين اثنين ، لا نعرف لهما ثالثا حتى يومنا هذا .

الاول : عرس المأمون في فم الصلح ، فقد كتب الحسن بن سهل — ابو بوران زوج المأمون — اسماء ضياعه في رقاع ، ونثرها على القواد وبني هاشم ، فمن وقعت في يده رقعة اشهد له الحسن بها . وذهب بعض المؤرخين الى انه كتب في رقاع صغار اسماء ضياع وقرى وجواري ووصفاء وخيل وجواهر وصياغات ، ودنانير ، ثم جعلت في بنادق المسك والعنبر ، ونثرها بين الحاضرين فاستبرد الناس ذلك ، فلفرهم بكسرها واستخراج ما فيها ، فلما كسرت البنادق وجد فيها رقاع ، فقبض كل من وجد رقعة ما فيها من عقار او غيره ...

الثاني : عرس الامام ابي جعفر محمد الجواد بن علي الرضا عليهما السلام ، فقد زوجه المأمون ابنته ام الفضل ... ثم اولم عليهما ، وجلس الناس على مراتبهم ، الخاص والعام ، وبعدها جاء الخدم يجرون سفينة من فضة مطوية فالية ، فخضبوا لحى الخاصة بها ، ثم مدوها الى دار العامة فطيبوا .. وبعد ان تفرقوا امر المأمون ان ينثر على ابي جعفر ثلاثة اطباق فيها بنادق مسك وزعفران معجون بماء الورد ، في جوف بعضها رقاع بعمالات لبني هاشم ، وفي بعضها رقاع بضياع طعمة للورداء وفي بعضها رقاع بيدر للقواد ...

وللمفاليس رقاع

هذا ، وللمفاليس والبخلاء رقاعهم — التي تدل على حالهم او تكشف عن سرائرهم — كما كان لذوي السعة واليسار رقاعهم ايضا .

من ذلك : ما يحكى ان بعض مفاليس الكتاب كان في دعوة ، فلما اخذت الكاس منه ، قال لهم : « انتم عندي غدا » . فلما اصبح حمله غلامه ما بقا منه ، فسقط في يده ، واخذ يعنف غلامه ، كيف لم ينبههم على افلاسه وسوء حاله ، والغلام يعتذر عن ذلك بانشغاله من عربدته او افحمهم على ذلك .

وبينما هم على ذلك — اذ دق القوم الباب — فسأل غلامه : « علي بالدواة والقرطاس » . وكتب اليهم : « ان اللسه وحدكم وعد الصبوح ، وروحتكم فاخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلوموني ولوموا انفسكم ، ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخيّ » . فلما قرأوا الرقعة عرفوا عذره وانصرفوا عنه .

وذكر احد الكتاب : انه كان يعاشر سوقيا ، فاتفق ان دعاه يوما ، فلما تمكن الشغل منه صاحب الدعوة ، فشر برقعة بخطه ، فيها : « فلان دعاني مرتين ، ودعوته ثلاث مرات ، فعليه دعوة ، وقد ذكرنا على هذا الشيء كل من يعاشرنا .. » ، فلما انتهى الى اسمه ورأى انه قد حصل عليه دعوات، قام وخرج وقال : « علي ان لا اتناول طعامك حتى ارجعها علي » وقال في ذلك :

> ارى الدعوات قد صارت قروضا
> ودَيْنا في البرية مستفيضا
> فاكره ان اجيب فتى دعاني
> ولا اعمى ليلقاني بغيض

ناجي معروف



الرجل يرهن زوجته وأولاده في سبيل سداد دين

بقلم : شريف يوسف

استاذ مساعد بجامعة بغداد

■ في القوانين والشرائع البابلية تفاصيل كثيرة تشرح موضوع الارث في العائلة ، وتحدد حقوق ووظيفة كل من الزوجات والخطايا . وقد عثر المنقبون على رقيمات من طين عديدة تخص عقود الزواج لديهم ، وفيها التزام لما للزوجة على الزوج من حقوق وواجبات . ومما لا شك فيه ان مثل هذه العقود كانت بنظم الامور بين الطبقات الوسطى من الشعب ، اما الطبقات الفقيرة فليس هناك من حاجة لمثلها ، طالما ان الفرد فيها لم تكن تملك الكثير من حطام الدنيا ، وحالته المادية لاتساعد على تعدد الزوجات والسرى

النسل والعناية بالحوامل

في هذه الشرائع نصوص تدل على حرص الدولة على زيادة النسل والعناية بالحوامل ، فنصت على وجوب المحافظة على الابناء وحسن تربيتهم . والمرأة التي تحاول الاجهاض بأية طريقة من الطرق يسهر بها على قناة بحصير الصوف والبردي ، ثم تضرب على حلا من الشكل ، اما اذا ماتت بسبب ارتكابها هذه الجريمة فتصلح بعده ولا تجرى لها الطقوس الدينية الخاصة بالوفاة

هناك عقوبات معينة لمن يسبب اسقاط الجنين لامرأة عن قصد ، وذلك بالزامه دفع غرامة للدولة ، ويحكم عليه بالاشغال الشاقة لمدة شهر . كما ان هناك نوعا ... العقوبة ... فهي بالنسبة للامر حامل من الطبقة العليا خمسة اضعاف العقوبة التي ينالها الجاني اذا كان المجني عليها امرأة من الطبقة السفلى ، وفوق ذلك تحمل هذه الشرائع على تعويض المرأة عن فقدانها جنينها .

من شرائع بابل اقتبست روما شرائعها

كانت بابل المصدر الذي اقتبست منه روما شرائعها ، اذ كان القانون سائدا ، وكانت شرائعه القوية تمنح المواطن حقوقا وتفرض عليه تبعات ، وعليه الابتعاد عن نواهيها والعقاب لمن تسول له ذلك . ففي نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد وضع الملك حمورابي شرائعه المعروفة ودونها في لوحة بقيت ماثلة قرونا عدة . وهذه الشرائع تحتوي على نصوص اجتماعية تفوق ما سبقها من نظم وشرائع ، اذ كان هدفها حماية الضعفاء ومنهم النساء ، كما انها كانت تعنى كثيرا بالمحافظة على الملكية الخاصة

شريعة حمورابي خصت الاسرة بنصيب ذي بال

كان البابليون اناسا واقعي التفكير وقوانينهم موجزة المعاني شاملة ، والغرض منها توضيح مشكلات الحياة اليومية وما يجب اتخاذه ازاءها ، وفي الحق ان الاساطير البابلية الاولى كانت ترتكز على فكرة خلق الانسان لارضاء الالهة . ولكن تفكير البابلي الدنيوي كان مرتكزا على المادة ، وان



اذا قبض على المرأة متلبسة مع عشيق لها ألقي الاثنان مكبلين في النهر .

اغلب مواد شريعة حمورابي الخاصة بالاسرة تساوي نصيبه المال على ضروبه المختلفة ، منقوله وغير منقوله ، وكذلك معاملات البيوع والقروض والرهون وغيرها ، كما انها كانت تعنى بالعلاقات الشرعية القائمة بين الرجل والمرأة واولتهما اهمية خاصة . فالمواد المتعلقة بالعائلة خصص لها ٦٤ مادة من ٢٨٠ مادة من هذه الشريعة .

الزواج والتسري في شريعة حمورابي

ان اساس الاسرة في شريعة حمورابي هو الزواج الاول الذي يثبته عقد النكاح ، ولكن بامكان الزوج ان يتخذ له خليلة واحدة او اكثر يساكنها فى بيته ان كانت زوجته مريضة او عاقرا على الاخص فاذا لم يكن له اولاد من زوجته وخليلاته ، واصر على انجاب الاولاد ، يحق له ان يتخذ زوجة ثانية شرطه ان يحتفظ بزوجته الاولى ، والزوجة الثانية لا تحتل الا المقام الثاني في الاسرة ، وخير دلالة على ذلك ان تغسل قدمي الزوجة الاولى عندما تطلب منها ذلك .

شريعة حمورابي خففت من قسوة الشرائع التي سبقتها

وفي الشرائع القديمة التي سبقت شريعة حمورابي نعثر على النص الذي يقضي بان على الفتاة ان تبادر الى طلب يدها من والديها ، فان ابت ذلك تلقى حتفها . على ان هذا الرعب في الشرائع القديمة خففت حدته بعد ذلك في شريعة حمورابي ، اذ ليس فيها ذكر لما يسبق الزواج من وقائع فالدولة لايعنيها من امر الرجل وحده شيء الا عندما تقرر الزواج .

الزواج والطلاق في بابل

ولما كان الزواج يتطلب الترتيبات متينة كبيرة وجب تنظيم الشؤون الخاصة به كافة ، فالناحية المادية من الزواج تتم على مرحلتين : اولاهما تقديم الرجل هدايا الزواج الى عروسه ، وبعدها يتسلم من والديها الصداق الذي لم يكن سوى مبلغ شراء الزوج ، لكنه اسهام منهما في القيام بتكاليف الحياة الزوجية . فاذا ابى الزوج زوجته في بيت والديها فعليه ان يقوم بتأديتها . والصداق يعتبر من مال المرأة وتستعيده عندما اذا تركها زوجها وتزوج بامرأة اخرى .

اما الشروط الخاصة بفراق الزوجين بسبب الطلاق فمتعددة ، وفيها الشيء الكثير من السماحة . واهم اسبابه عدم انجاب الاولاد طبعا ، لان ذلك اساس الزواج . وللزوج الحق في طلاق زوجته اذا كانت واهنة الصحة وغير قادرة على القيام بواجباتها الزوجية والمنزلية ، او اذا ثبت انها سيئة الخلق وغير محمودة السيرة . وفي جميع هذه الحالات يحق للرجل ان يطلب فسخ عقد الزواج ويدفع للزوجة باقي صداقها او ما بقي منه . فان كان لها اولاد وجب على الزوج القيام باودهم وتلبية واجبات اخرى تجاههم ، واذا كان الرجل ذا حجة فله ابقاء الزوجة المطلقة في بيته على اعتبارها خادمة بموافقة المحكمة .

قد يبدو هذه الاحكام جائرة بالنسبة للمرأة ، الا ان المشرع احتاط لذلك بجعل الطلاق من حق الزوجة ايضا اذا لم يسلك الرجل مسلكا حسنا او اهمل القيام بواجباته الزوجية وفي مثل هذه الاحوال يجب ان يكون ذلك مقرونا برضاء المحكمة . عند ذلك تستعيد الزوجة صداقها عوضا عما يصيبها من اضرار ويحق لها الزواج من رجل آخر .

الزواج والطلاق في بابل

اما من ناحية اخلاص الزوجين لبعضهما فالرجل اذا اهمل زوجته اهمالا كبيرا حق لها تركه دون



رضاه . والخيانة الزوجية المرتكبة من قبل الرجل لا تستوجب العقوبة وانما تتطلب دفع التعويض للزوجة فقط ولكن اذا لم تخلص الزوجة بحبها لزوجها فجزاؤها الموت غرقا . فاذا وجدت متلبسة بالجريمة مع عشيقها فتلقى في النهر معه وهما مغلولان مكبلان بالسلاسل . اما اذا تقاذفتهما الريب فيلقيان في النهر دون ربطهما معا . وهنا يتقرر مصيرهما ويترك الحكم عليهما لآلهة النهر فان كانا بريئين نجيا من الموت . فعقوبة القذف الغاطس في النهر كان لها المقام الاسمى في التشريع البابلي .

رهن الزوجة والاولاد في سداد دين

ومن المواد المستجدة في هذه الشرائع مايسمح للزوج ـ شريطة موافقة المحكمة ـ ان يضع زوجته واولاده رهينة لسداد دين وضمانه . وللحيلولة دون اساءة استعمال هذا الحق واتخاذه بديلا من الطلاق حددت الشرائع مدة ثلاث سنوات كحد اقصى لرهن الزوجة . والارجح ان هذه الطريقة لايلجأ اليها من الرجال الا القليل . ومع هذا فان مدة الرهن زيدت ابان عهد الدولة البابلية الثانية على ما كانت عليه سابقا وتطور رهن الزوجات والاطفال حتى صار اشبه بتجارة الرقيق .

بعد الفتح الآشوري لبابل

وقد اشتدت سطوة الشرائع هذه بعد الفتح الآشوري لبابل ، وبقدر تعلق الامر بالخيانة الزوجية حتم التشريع عقوبة بتر انف الزوجة الخائنة واخصاء عشيقها ، كما فرضت عقوبة الجلد على من يلوذ بالمحصنات ويحملهن على ارتكاب الفاحشة ليكونوا عبرة لمن يعتبر .

المجتمع البابلي لم يخل من الفحشاء

وعلى الرغم من صرامة هذه الشرائع فلا يمكننا اعتبار المجتمع البابلي مثاليا خاليا من الفحشاء ، فقد حاول الرجل ايجاد منفذ للتخلص من قيود هذه الشرائع وذلك بتأسيس ملاجيء للبغايا في المعابد.

فالسومريون ، الذين اتخذوا (انو Anu) الها لهم في (اوروك (Uruk)) ، كانوا يقدمون اجمل بناتهم هدية الى (عشتار Ishtar) الابنة الجميلة للاله (انو) . الا انه من المحقق ان قسما من هاته البنات لم يكرسن حياتهن لخدمة المعبد حصرا ، بل كن يتعاطين البغاء خارجه . وقد وجدت رقيمة من طين كتب عليها ما يحذر الشباب من ملامسة العواهر اللتي يطلق عليهن اسم (حاريمت Harimtu) ومضمونها : (لا تتزوج من حاريمت الكثيرة العشاق فهي لن تسعفك عند الشدة ، انها تشهد عليك في المحاكم ولا تعرف الطاعة ولا الاحترام ، كما انها تسيء الى سمعة بيتك ، فعليك طرد تلك التي تلتقي الرجال ، لانها تحط من قدر البيت الذي تدخله ، ومن يتزوجها يفقد السعادة والخير) .

ان التجاء البنات الى المعابد والاقامة فيها تضحية مقدسة للالهة . ويذكر المؤرخ الشهير (هيرودوت Herodotus) ان معبد (ايتمننكي Etemenanki) في بابل كان يعلو برجه حرم خاص فيه سرير جميل براق وبجانبه منضدة من ذهب واليه كان تستدعى فتيات بابل الجميلات لتقضي ليلة سعيدة بجانب الاله (مردوخ Marduk) كبير آلهة بابل ، وربما كان الملك او الكاهن بديلا عنه في ذلك .

وعلى الرغم من ذلك كله يمكن القول اجمالا ان البابليين كانوا حربا على الفاحشة بشرائعهم ونظمهم الاجتماعية ، فقد ابتدعوا نظاما للاسرة كان دعامة كيان العائلة والمحافظة على ميزانها ، وجعل للمرأة حقوقا ومنزلة . ومهما نسب الى تلك الشرائع من هنات فانها ، بلا ريب ، اسدت خدمة كبيرة في عالم التشريع لكثير من الامم . فالمثل الاخلاقية السامية التي وردت في شرائع بابل ـ تلك المدينة التي عفا عليها الدهر فغدت خرابا وركاما ـ لجديرة بالاجلال والتقدير مدى الازمان والاحقاب .

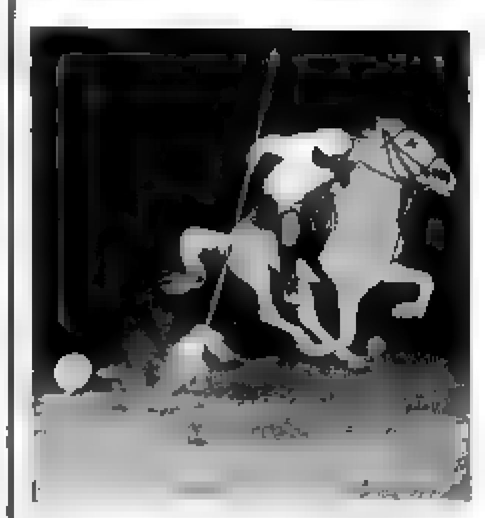
شريف يوسف ـ بغداد

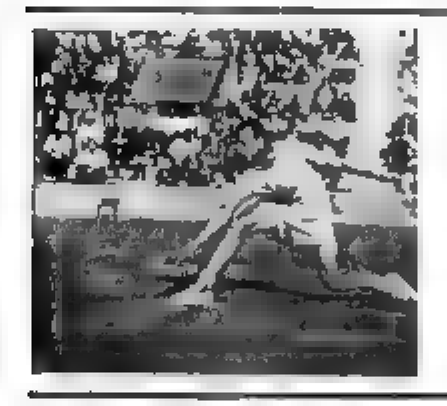
المصادر :

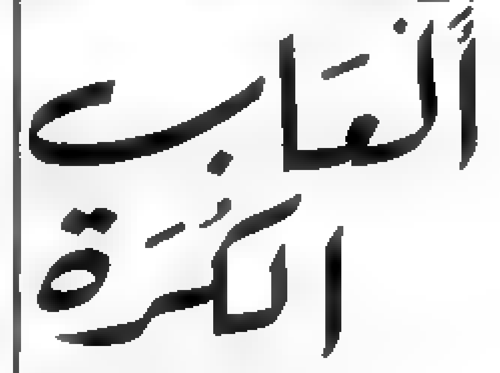
L Delaporte, La Mesopotamie Les Civilisations Babylonienne et Assyrienne (Paris 1925 Herodotus, Histories, J. Plessis, Etude sur les textes concernant Ishtar Astarte (Paris 1921). Parrot, La tour de Babel (Neuchatel 1953). Sir Frederick Kenyon, The Bible & Archaeology (London 1940). Richard Lewinsohn, A History of Sexual Customs Translated by Alexander Mayce (New York).



● كان السلطان يفتتح موسم اللعب ، فيركب بعد الغداء الى الميدان ، في صحبة الأمراء والأعيان ، فإذا أذن للصلاة ، صلى مقامه ، ثم عاد الى قصره







ألعاب الكرة عند العرب

بقلم : ابراهيم محمد الفحام

● انتشرت ألعاب الكرة في هذا الزمن ، وتعددت أنواعها ، حتى حظيت بإقبال اللاعبين من الناس ، على اختلاف أعمارهم وميولهم ، ومستوياتهم الاجتماعية . ولا تكاد توجد لعبة من هذه الألعاب ، أيا كان موطنها الأصلي ، إلا وتجد لها لاعبين مجيدين ، ومتفرجين معجبين ، في بعض البلاد العربية .

وليست ألعاب الكرة — كما يعتقد البعض — دخيلة على العرب . فقد كان أجدادنا يعرفون منها أنواعا عديدة ، لم يزل بعضها شائعا — مع قليل من التطور — في أوساطنا الشعبية ، كما بلغ من تطور البعض الآخر أن صار يحسب اليوم في عداد الألعاب العالمية وكما توجد اليوم ألعاب خصصة للكرة تحقق للاعبيها

قدرا محددا من الرياضة الهادئة المسليه التي تناسب المرضى وكبار السن ، مثل البلياردو والكروكية ، وكما توجد العاب اخرى تتطلب بذل درجات متفاوتة من الجهد مثل كرة السلة ، والهوكي ، والبولو ، وكرة القدم ، فكذلك كان اسلافنا العرب يعرفون العابا خفيفة للكرة ، لا تلعب لغير التسلية الهادئة او المقامرة ، والعابا اخرى ، تكبد لاعبيها درجات متفاوته من الجهد والمشقة .

لعبة الكجة والكنة

ومن الالعاب الخفيفة التي كانت شائعة عند اسلافنا العرب ، لعبة (الكجة) ، وكان قوامها كرتان ، احداهما تسمى (الكنة) وتصنع من الحجارة او الاجر ، والاخرى تسمى (التون) او (التوز) وتصنع من الخرق . وقد اشتق العرب من اسم تلك اللعبة ، التي كثيرا ما كانت تلعب للمقامرة ، فعلا ، فقالوا كج اي لعب الكجة ، كما توجد افعال اخرى في العربية تعبر عن وسائل اللعب بالكرة . مثل (سمط الكرة) اي ضرب بها الارض لم تلقفها ، و (حنحف الكرة ، اي خطفها ، (وتجاحف اللاعبون الكرة) اي تخاطفوها ، (وكرا بالكرة) اي ضربها لترتفع ، و (صلج الكرة) اي دفعها بمضربها المسمى الصولجان .

صنع الكرات

ولم تكن صناعة الكرة قاصرة على الحجارة ، والاجر ، والخرق التي كان تصنع منها نوع من الكرات يسمى (الثلونة) وجمعها ثلون . بل كانت تصنع احيانا من مادة مرنة تشبه المطاط . وان لم تكن منه . كما كانت تكسى احيانا بالجلود ، او الفراء ، وخاصة فراء الارانب ، فتبدو مثل كرات (التنس) المعروفة الآن .

كرات للايدي ، واخرى للمضارب

والى جانب انواع الكرة التي كانت تلعب بالايدي المجرده ، كانت توجد انواع اخرى تلعب بالمضارب . وكانت تلك المضارب تصنع من الخشب المصقول ، او من غصون الشجر ، على هيئات معينة ، تختلف باختلاف الالعاب التي تستعمل فيها ، فكان منها المحجن ، وهي عصا ذات طرف معوج ، تدفع بها الكرة ، مثلما تدفع كرة الهوكي في ايامنا هذه . وكان منها (الطبطاب) وهي خشبة عريضة تشبه مضارب الكرة المعروفة الآن . كما كان يوجد نوع آخر من المضارب يسمى (الميجار) وكان هذا الاسم يطلق على اللعبة التي يستعمل فيها .

وكان لاعبو الكرة من العرب يستعملون نوعا من العصي المعقوفه الطويله . يسمونه (الصولجان) او (الجوكان) . وكان طول تلك العصي يبلغ اربعة اذرع ، وتتصل براسها خشبه مخروطة محدودبة ، ينوف طولها عن نصف ذراع . وبداخلها حشو يشبه الشبكة .

اول من لعب من العرب بالصولجان

ويقال ان الشاعر عدي بن زيد ، كان اول من لعب بالصولجان من العرب . كما كان الرشيد اول من لعبها من الخلفاء ، وانشأ لتلك اللعبة ميدانا بجانب قصره . وقد اولى سائر الخلفاء العباسيين تلك اللعبة عناية كبيرة ، فاعدوا لها الملاعب الفسيحة ، ونظموا لها المباريات الحافلة ، التي كان يشاركهم اللعب فيها وزراؤهم وسائر عظماء دولتهم . ويروى ان المعتصم قسم اصحابه يوما للعب ، فجعل قائده الافشين في فريق غير فريقه ، فقال الافشين

— يعفيني امير المؤمنين من هذا .

فلما سأله عن السبب قال :

— لانى ما ارى ان اكون على امير المؤمنين في جد ولا هزل .

فاستحسن المعتصم ذلك منه ، وجعله في فريقه .

هواة اللعبة من الملوك والخلفاء

ومن أشهر من أغرموا بتلك اللعبة احمد بن طولون ، والخليفة العزيز الفاطمي ، ونجم الدين والد صلاح الدين الايوبي ، ونور الدين الشهيد ، والملك الكامل الايوبي ، الذي جدد ميدان ابن طولون) والملك الصالح نجم الدين الايوبي الذي انشأ ميدانا على شاطىء النيل ، كان يسمى الميدان الصالحي ، والملك الظاهر بيبرس الذي حدد لمارياتها اياما معلومة كالاعياد ، وانشأ ميدانا عرف بالميدان الظاهري ، كما انشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون ميدانا سمي الميدان الناصري ، وانشأ ميدانا آخر في (سرياقوس) على بعد اميال قلائل من القاهرة . ويذكر العلامة كاترمير ان بعض السيدات كن يشتركن في تلك اللعبة ايضا .

وكان يعد لتلك اللعبة ميدان مستو فسيح ، يعلم بخطوط بيضاء بادية ، لا يسهل ضياع معالمها ، وعلى جانبي الميدان كان يصطف الفرسان بملابسهم الزاهية ، وقد تسلم كل منهم صولجانه من تابعه المكلف بحمله ، والذي يسمى (الجوكندار) ، بينما توضع في الوسط كرة مصنوعة من الجلد المحشوط نحو حجم التفاحة ، ثم يتنافس الفريقان في اجتذاب الكرة بتلك العصى ، حتى اذا ما سيطر عليها أحدهم ، حاول بمساعدة فريقه ، ان يدفعها نحو المكان المحدد . ولا يلبث أن يحمي وطيس اللعب ، الذي يردده هتاف المتحمسين النهابا . .

وكان للعبة أصول مرسومة

وكان لتلك اللعبة قواعد واصول متفق عليها ، فكان من اهم ما يجب على اللاعب مراعاته :

١ ــ ان يضرب الكرة من تحت محزم الدابة ، ومن قبل لبتها (اي موضع نحرها) .

٢ ــ أن يدير يده الى اذنه عند الضرب ، وتميل صولجانه الى أسفل من صدره .

٣ ــ ان يكون ضربه مائلا من جانب الى آخر ، وان ينطلق مدمنا ، وفي رفق وترسل .

٤ ــ ان يحسن التحكم في دابته أثناء جريها ــ دون الاستعانة بسوط ــ فلا تتسبب في عقر قوائمها ، ولا ايذاء غيره من اللاعبين .

٥ ــ أن يتحاشى كسر صولجانه ، او التأثير به في الارض .

٦ ــ ان يتجنب اخراج الكرة من حدود الميدان .

وكان من عادتهم بعد اللعب ان يدخلوا الحمام الساخن ، حيث يستحمون ويدلكون ، ثم يتناولون الاشربة المناسبة .

« مساج » الفرنسية من « مَعْس » العربية ؟

وقد اجمع الباحثون في اصول الدلك الحديث Massage الذي يستعان به في التحمس ، وبسط اجسام الرياضيين ، ان تلك الكلمة اخذت من الكلمة العربية (معس) و (المعس) هو دلك الجلد دلكا شديدا حتى يلين ، ومن المعتقد ان الفرنسيين اخذوا الدلك عن اطباء العرب ، وان كان من المعروف انه كان موجودا عند الشعوب القديمة ، كالهنود والافريق .

الحسن بن عبد الله يقول في فوائد هذه الألعاب الصحية والنفسية

وكان العرب يؤمنون بالفوائد الصحية والنفسية والخلقية لالعاب الكرة ، وفي ذلك يقول حسن بن عبد الله في كتابه (آثار الاول ، في ترتيب الدول) « واللعب بالكرة هو رياضة حسنة تامة ، وضعها الحكماء والفضلاء من الملوك لرياضة الجسد ، ورياضة الخيل ،

واللعب بالكرة والجوكان واستعمالهما بالعدوات ، من أتم الرياضات وأكملها وأنفعها ، لأن من الرياضات ما يختص بالكفوف والسواعد مثل الشباك وتناول الطابة أيضا . وما يختص بالأرجل مثل المشي والسعي . ومنها ما يختص بأنواع البدن ، مثل الصراع وحمل الأثقال . وهذه تعم البدن جميعه ، وهو يتحرك لها حركات مختلفة ، والبصر يتبعها ، والرأس تلتفت اليهما ، والأصوات والصيحات ترتفع فيها ، والخيل ترتاض وتلين رؤوسها للجولان والكر والفر . ومنها تحريك القوة النفسية لما فيها من طلب المغالبة » .

ثم استمر يتحدث عن الفوائد النفسية والخلقية ، التي تحققها تلك اللعبة ، « ومنها السرور والفرح بالظفر والاستيلاء ، مع مباشرة التألم من الضجر والغصة ، فإن بذلك يعرف مقدار لذة الغلبة . ومنها تعود الاجتماع والتدرب ، ومساعدة الأصحاب لبعضها ، وتعاضد الأولياء وتعاونهم على الخصم والأعداء » .

وأشار الى القواعد الصحية التي ينبغي مراعاتها في تلك اللعبة ، ومنها أن يلتزم اللاعبون في لعبتهم حد الاعتدال ، ويتجنبوا تحميل الجسد ما يفوق طاقته ، وأن يباشروا اللعب في أجواء مناسبة ، وأن يتحاشوا اللعب عند امتلاء المعدة بالطعام .

وابن النفيس يقول

وذكر ابن النفيس في معرض كلامه عن الرياضة البدنية في كتابه (الموجز في الطب) : « واللعب بالصولجان رياضة للبدن والنفس ، لما يلزمه من الفرح بالغلبة ، والغضب بالانقهار » .

والجاحظ يقول

كما ذكر الجاحظ من مزايا الشجعان « الرمي بالأغراض ، وطلب الصيد ، واللعب بالكرة ، واللعب بالشطرنج » .

السلاطين واللعب بالكرة

وكان الملك الصالح نجم الدين ، يشترط إجادة تلك اللعبة ، فيمن يلتحق بخدمته ، كما كان يسمح لأمرائه بالاقتداء به . وقد وصف القلقشندي في (صبح الأعشى) هيئة ركوب السلطان للعب بالكرة ، فذكر أنه كان يركب بعد وفاء النيل ، ثلاثة مواكب ، في ثلاثة من أيام السبت متوالية . فيتوجه الى الميدان وخلفه الأمراء فيبدؤون اللعب بعد صلاة الظهر . ثم ينزل السلطان ليستريح ، ويستمر الأمراء في لعبهم ، حتى يؤذن لصلاة العصر ، فيصلي معهم ، ويعود الى قصره .

وكان من عادة السلطان أن ينعم على أمرائه يوم افتتاح موسم اللعب ، بالخيول ، وبحوائص من ذهب . كما كان من المعتاد أن يقيم المهزوم من اللاعبين مأدبة باهظة التكاليف ، يذبح فيها عدد وفير من المواشي والطيور . وكثيرا ما كان السلطان يتحمل نفقات المأدبة ، حتى ولو كان الغالب ، ففي زمن السلطان الظاهر برقوق لعب الكرة مع الأمراء كالعادة ، فغلب الأمير (أيتمش البجاسي) ووجب عليه إعداد وليمة بمائتي ألف درهم فضية ، ولكن السلطان قام عنه بها ، ثم أذن للعامة في انتهاب ما بقي من الطعام والشراب . وذكر المقريزي في (السلوك) ما دار أثناء ذلك من « الشناعات بحيث أبيحت المنكرات ، وتجاهر الناس بالمعاصي » .

مخلفات هذه الألعاب في السودان

ولم تزل ألعاب الكرة القديمة ، قائمة الى يومنا هذا ، في المجتمعات الشعبية ، بمختلف البلاد العربية . ففي بعض مناطق السودان ، مثل جزيرة توتي ، وبري ، وشمبات ، والكاملين ، لا يزال الصبية يلعبون الكجة ، وخاصة في أيام الخريف . وقد لحق تلك اللعبة التي

يسمونها اليوم (تيوة العصا) شيء من التطور . ولا شك أن كلمة (التيوة) التي يطلقونها في تلك اللعبة على الكرة محرفة من (التون) وهو اسم احدى الكرتين اللتين كانت تلعب بهما الكجة . ولا زال السودانيون يعبرون عن اللعب بتلك الكرة (بالكد) وهو دفعها بالعصا اي المحجن ، والكلمة محرفة عن (الكج) وهو لعب الكجة في العربية الفصحى .

وفي الريف المصري

وفي الريف المصري ، يلعب الفلاحون الكجة بعد أن تطورت اسما وموضوعا الى لعبة تشبهها الى حد بعيد يسمونها (الحكشة) ، كما يسمون المحجن الذي تدفع به الكرة (المحكاش) ، ويتخذ في الغالب من أحد اغصان الشجر المعقوفة .

وفي سائر البلاد العربية

والعاب الطابة الشائعة اليوم في كثير من البلاد العربية ، مثل سوريا ولبنان ومصر ، كطابه (الميس ، وطابه (المحج) وغيرهما من العاب الكرة الشعبية ، تشبه في كثير من قواعدها وفي المواد التي تصنع منها كراتها ومضاربها ، العاب الكرة التي كانت شائعة عند اسلافنا الاول .

وربما كانت كلمة الطابة مشتقة من الطبطاب ، أو من (الطبة) وهي قطعة من الجلد ، كانت تحشى خرقا وتضم اطرافها ثم تخاط ، فتصبح على هيئة الكرة .

العاب غربية ، اصولها عربية

وقد انتقلت بعض العاب الكرة العربية الى البلاد الغربية ، حيث ارتقت الى مصاف الالعاب العالمية . ويؤكد بعض الباحثين في اصول تلك الالعاب ان لعبة (الحكشة) المصرية ، التي تطورت عن لعبة (الكجة) ، قد تطورت اسما وموضوعا مرة اخرى الى لعبة (الهوكي) Hockey التي تدفع الكرة فيها بعصا تشبه المحجن .

ويرجع بعض الباحثين ان لعبة (التنس) Tennis قد تطورت من لعبة الطبطاب العربية، وان الكلمة قد اشتقت من اسم مدينة (تينس) المصرية الواقعة في منطقة بحيرة المنزلة بشمال الدلتا ، لان منسوجاتها التي اشتهرت منذ القدم ، كانت تدخل في صناعة كرات التنس .

ولا شك ان لعبة الصولجان قد انتقلت من طريق العرب الى اوروبا ، حيث عرفت في مقاطعة (لنجدوك) الفرنسية باسم (لاشكان) la chicane في العصور الوسطى ، وهي التي تعرف اليوم باسم (البولو) . وليس صحيحا ما يقال ان تلك اللعبة قد دخلت أوروبا لاول مرة من طريق ضابط بريطاني عاش في الهند ، في القرن الماضي .

وتكاد تجمع المعاجم الاوربية التي تبحث في أصول الالفاظ ان كلمة (الراكت) Rocket الانجليزية وكلمة Raquette الفرنسية ، وتعني مضرب الكرة ، مشتقة من الكلمة العربية (راحة) اي (راحة اليد) . ولا تزال كلمة (الراحة) تطلق في بعض اللهجات العربية الحديثة ، على شيء يشبه مضرب الكرة هو (راحة الخباز) التي ينقل بها الارغفة .

ولا شك اننا لو بحثنا عن اصول بعض الالعاب الشعبية والعالمية الاخرى - غير العاب الكرة - لوجدنا ان كثيرا منها قد تطور عن العاب كانت شائعة عند اسلافنا ، أو تأثرت بها ، وان كنا لا ننكر تأثر العابنا العربية ، القديمة والحديثة أيضا ، بمؤثرات اجنبية سبقتها او حضرتها . ■

ابراهيم محمد الفحام

● مصارعة الثيران رياضة تمتزج بدم كل أسباني



بقلم : محمد عبد الله عنان

■ هذه السطور [illegible] في [illegible] شهر مايو سنة ١٩٣٠ ، [illegible] مدينة قرطبة [illegible] الأحمدي [illegible] ذكرى العلامة [illegible] القرطبي [illegible] الناحية القرطبة [illegible] العاصمة ، [illegible] المصارعين [illegible] « مصارعة الثيران » [illegible]

[illegible] عرفنا ، مما يتصل بهذه الرياضة الإسبانية التالدة ، وكان [illegible] نظارة [illegible] أسود ، [illegible] على الجدار [illegible] خاص

قالوا ان عرب الاندلس بدأوا مصارعة الثيران ، وما فعلوا !



وهكذا ادركت ، هذا الذي حصل في قرطبة ، خصيصا للاشتراك في مهرجان الاحتفال ، بذكرى مفكر عظيم من ابناء قرطبة الاسلامية ، هو العلامة الفيلسوف ابن حزم ، ان القرطبيين ، وهم الذين اقاموا هذا المهرجان العظيم ، واشادوا خلاله بذكرى العلامة المسلم ابما اشادة ... انهم يضعون مصارع الثيران كمانك في صف العباقرة الذين يرفلد تاريخ قرطبة بسيرهم .

مانوليتي ، اعظم المصارعين في هذا العصر

وقلت : ومن هو مانوليتي هذا ، الذي تعرض مدينة قرطبة القديمة على تمجيده ، على هذا

أصل العصا

● قد يتبادر الى الذهن ان المتعة التي يجدها الكثيرون في مصارعة الثيران مقتصرة على الاسبانيين في القرن العشرين . والحقيقة خلاف ذلك . فقد انتشرت هذه الهواية في اسبانيا منذ القدم وانتقلت عدواها الى سائر البلدان على مر السنين والى روما – بالتحديد – قبل مولد السيد المسيح . يدلنا على ذلك ان الامبراطور يوليوس قيصر كان يستورد المصارعين والثيران من اسبانيا فيما بين سنة ٥٩ و ٥٠ قبل الميلاد . وهذه الهواية الاسبانية هواية رومانية كان يستمتع بها رواد الكولوزيوم ويسمرون . وجرت العادة في تلك الايام على ان يمتطي مصارع الثيران صهوة جواده ، وان يكون الرمح سلاحه .

وكان اول من استطاع توجيه طعنة مميتة الى غريمه الثور وهو راكب حصانه ، المصارع الاسباني الشهير (رود ريجو دياز دى فيفار) وقد عاش فيما بين ١٠٤٣ – ١٠٩٩ بعد الميلاد . اما مجابهة المصارع الثور بلا رمح ولا حصان ، مترجلا يحمل (الاشوالا) او السيف في

الشهير ؟ هو كما علمت من محترفي مصارع ماهر ، بل هو ابرع مصارع عرفته اسبانيا ، وهو سليل اسرة من المصارعين . ومصارعة الثيران من الحرف المتوارثة ، ويندر ان ينبغ مصارع لم يرث براعته خلال اجيال متتالية ، واسمه الكامل مانولوريد ريجيز سانشيز . وقد ولد في قرطبة سنة ١٩١٧ ، وشغف منذ صباه بالتدرب على المصارعة ، وظهرت براعته في بكرة شبابه ، وما كاد يبلغ الثالثة والعشرين من عمره حتى نزل الى « الكوريدا » Corrida ، وهي ساحة المصارعة ، فطارت شهرته بسرعة ، وخلب الباب الجماهير براعته الفائقة ، وخفته ورشاقته في مصارعة الثيران ، وتألق نجمه في ساحات المصارعة في اسبانيا والمكسيك وفنزويلا وبيرو ، وهي البلاد اللاتينية التي ما زالت تجيز هذه الرياضة . وقبل سن الثلاثين ، كان مانوليتي اعظم المصارعين في عصره ، والمع نجوم هذه الحرفة ، وكان اجره يصل في الحفلة الواحدة الى عشرين الف دولار ، وكان ثمن التذكرة الواحدة في الحفلات التي يشترك فيها يصل احيانا الى خمسمائة دولار . وكان بالرغم من كل هذا النجاح الباهر ، في هذه السن المبكرة ، يتسم بكثير من التواضع والرقة ودماثة الخلق .

مصرع المصارع النابغ

ولكن القدر القاسي كان يتربص بهذا المصارع النابغ ، ففي اليوم الثامن والعشرين من اغسطس سنة ١٩٤٧ ، اقيمت حفلة مصارعة كبرى بمدينة لينارس على مقربة من بياسة ، وكان من المقرر ان يشترك فيها مانوليتي ، وكانت « الكوريدا » تموج بالمتفرجين ، الذين تربى عددهم على عشرة آلاف . ونزل مانوليتي الى الحلبة كعادته ، واثقا بنفسه ، واخذ يصاول الثور ويطاوله ، واذا بالثور يهاجمه فجأة ، ويمسكه بأسنانه القوية من اعلى فخذه الايمن ، ويرفعه الى اعلى ، بين هلع الجمهور وصراخه . وفي الحال هجم المصارعون الآخرون على الثور ، واخذوا يطاولونه بمعاطفهم ،

الى اليسار : حتى المرأة نزلت الى الساحة ، وترى هنا المصارعة بالترشيا تتهيأ للاجهاز على الثور الذي نال منه التعب كل منال فوقف كأنه مستسلم لمصيره المؤلم .

رعة رومانى

به و (الموليتا) او الوشاح الأحمر في اليد الاخرى ، فلم تعرف حتى سنة ١٧٠٠ بعد الميلاد ، واستمرت مصارعة الثيران على هذا النحو حتى يومنا هذا .

ومن قوانين مصارعة الثيران الا يسمح للثور بالظهور في الحلبة والاشتراك في المصارعة مرتين . ويعزى ذلك الى الذاكرة القوية التي يتصف بها الثور ، فهي تحول بينه وبين المصارعة على النحو المرغوب فيه في جولة ثانية . ويعزى ايضا الى الحرص على لياقة الثور التامة ، لياقته الجسدية والسلوكية على السواء ، فهذه تفقدها جولته الاولى .

ويقتل من الثيران عادة ستة في اليوم الواحد . ويقدر عدد ما يقتل من الثيران بالمصارعة في اسبانيا بنحو ١٢٠٠ ثور في السنة الواحدة .

« العربي »





من الاخطار التي تتعرض لها الثور تصدر من المصارع حركات بارعة وخطرة

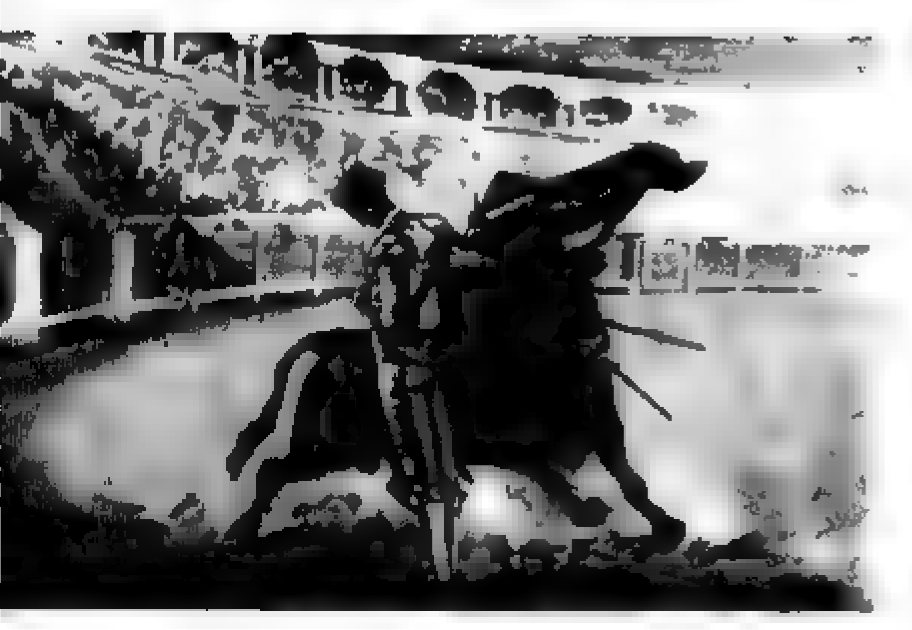
عندما تغرس الحراب المسمومة في الثور تسيل الدماء ذاكية غزيرة

مما يزيد حماسة النظارة الاسبان ، واستمرار النظارة الاجانب

ليستغرقوا احتماله . ولكن الثور كان قد اصاب مانوليتي بجرح عميق ، وفي الوقت الذي حمل فيه مانوليتي مغميا عليه ، الى المستشفى ، قتل الثور في الحال ، ولم تنجح جهود الاطباء في انقاذ المصارع الكبير . وتوفي مانوليتي في صباح اليوم التالي ، وحمل جثمانه الى قرطبة ، وشيع الى قبره ، في اروع جنازة شهدتها مدينة قرطبة منذ عصور ، ومشى فيها مائة الف او يزيدون . وبعث الجنرال فرانكو رئيس الدولة الاسبانية ، الى امه برقية تعزية مؤثرة ، وفي اول حفلة مصارعة اقيمت بعد وفاته حملت الافتات كتب عليها « ان مانوليتي لم يمت ، انه حي في قلوب اهل قرطبة » .

رياضة تمتزج بدم كل اسباني

تلك هي قصة مانولو سانشيز ، الذي يلقبه الاسبان والقرطبيون بنوع خاص بين ابطالهم والخالدين من ابناء بلدهم . ولقد اثارت هذه القصة ، وهذه المناظر في نفسي خواطر شتى عن « الكوريدا » (ساحة المصارعة) ، وعن مصارعة الثيران ، وعن اولئك المصارعين الذين يخلبون الباب الملايين من الاسبان ، وابناء عمومتهم في بعض بلاد امريكا اللاتينية ، والذين يسطعون في ميدان المصارعة ، كنجوم السينما المتألقة . ولقد زرت « الكوريدا » مرارا ، خلال رحلاتي العديدة في اسبانيا ، وشهدت هيام الجماهير ، وحماستها المضطرمة في هذه الحفلات الصاخبة ، التي تصرع فيها الثيران تباعا ، بعد ان تسيل دماؤها تحت الحراب المغروسة في ظهرها ، وادركت ان الشغف بشهود هذه الرياضة ، هو شغف تضطرم به جوانح كل اسباني ، ويمتزج بدمه وروحه ايما امتزاج .



يتفنن مصارعو الثيران في اظهار جرأتهم وبراعتهم ورشاقتهم في مناوشة الثور الضخم الهائج بمعاطفهم الحمر ، التي يثير لونها ثائرة الثور فيهجم على المصارع دون أن ينتبه لخطر الحربة والسيف

وغير مانوليتي ضحايا كثيرة

وليست مأساة مانوليتي هي الوحيدة من نوعها في سجل « الكوريدا » ، فمن آن لآخر يسقط احد المصارعين قتيلا امام الثور الجامح المضطرم . ومنذ اشهر قلائل فقط في شهر اغسطس الماضي ، سقط مصارع شهير آخر ، هو مانديل ليتو صريعا في حلبة مدريد ، تحت اقدام الثور ، امام انظار الجماهير الهائجة المرتعبة ، وهكذا تعد هذه المآسي الدموية ، خاصة لازمة من خواص « الكوريدا » تشهدها الجماهير من آن لآخر ، الى جانب ما تشهده من براعة المصارعين ومهارتهم ورشاقتهم .

مدى تأثير المصارعة في الفكر الاسباني

والآن وقد استعرضنا ذلك الجانب الدامي من لعبة « الكوريدا » ، فانه يحسن ان نعطف قليلا على جانبها المعنوي . ان مصارعة الثيران ليست فقط رياضة قومية ، تهز مشاعر اللاعبين من الاسبان ، ولكنها في نفس الوقت تحدث تأثيرها البالغ في العقلية الاسبانية والتفكير الاسباني . وانك لتستطيع ان تقدر مدى تأثر العقلية الاسبانية بهذه المناظر العنيفة الصاخبة ، التي يشهدها الاسبان في « الكوريدا » من صراع مضطرم بين الثور وبين هذا الرهط من المصارعين المهرة الذين يتبارون في اظهار جرأتهم وبراعتهم ورشاقتهم في مناوشة الثور الضخم الهائج ، ومطاولته بمعاطفهم ، (كابا Capa) ، حتى تنهار مقاومته وقواه ثم يسقط صريعا مضرجا بدمه على الارض بين الهتاف المدوي من الآلاف المؤلفة من النظارة ، التي يبهرها منظر الصراع طول الوقت ، والتي

لانقطع من الهتاف بعبارة Olé (١) كلما صدرت حركة او صولة بارعة من المصارع . وان تلك النعام الدائمة التي تنبثق من كتفي الثور من الحراب المغروسة ، والتي تسيل طول الوقت على جانبيه تثير حماسة النظارة الاسبان الى اقصى حد .

ومن ثم فان مناظر الكوريدا ، كما انها متعة ورياضة ، تغدو كذلك مصدر وحي والهام فكري ، او بعبارة اخرى هي عنصر من العناصر القوية التي تغذي الخيال والادب الاسباني . ويكفي ان تعلم ان اخبار « الكوريدا » ، واخبار المصارعين ، تشغل فراغا كبيرا في الصحافة الاسبانية ، ولكل صحيفة اسبانية كبرى او صغرى باب خاص « للثيران » Los Toros الاسبوعية بمدريد حفلات المصارعة ، ومناظرها البارزة ، وتقدم اللاعبين وتنوه ببراعة البارزين منهم . وهذا الباب الخصص « للثيران » يعتبر من ابواب الصحيفة الهامة ، وقد يبزّ في اهميته باب « الرياضة » وهو يزود عادة بلقطات مصورة مثيرة من حركات المصارعين ، وصراعهم مع الثور . واحيانا تزين الصحف والمجلات الكبرى غلافاتها بصور المصارعين في ثيابهم المزركشة الزاهية ، ووقفاتهم امام الثور في مختلف الاوضاع .

وتوجد فوق ذلك صحف خاصة تعنى بالكوريدا « والثيران والمصارعين » ، واهمها صحيفة « الثيران » Los Toros الاسبوعية بمدريد العاصمة ، وهي من اكثر الصحف الاسبانية انتشارا واوسعها نفوذا في المجتمع المدريدي .

وتاثير الصحافة « الثيرانية » لا يقتصر على الطبقات الوسطى والدنيا ، ولكنه يشمل كل الطبقات في اسبانيا . والطبقة الارستقراطية من اشد الطبقات مثابرة على زيارة « الكوريدا » والمشاركة في مظاهرها الصاخبة ، وانك لترى يوم الحفل ارقى سيدات المجتمع في مدريد يحتللن اللوحات الممتازة في حلبة الصراع ، وترى في الميدان خارجا ، عشرات السيارات الفخمة ، تنتظر اصحابها من عليه القوم .

قالوا ان عرب الاندلس بداوا مصارعة الثيران

ومن جهة اخرى فانه ، يوجد عدا الصحافة ، ادب خاص يتناول تاريخ هذه الرياضة ، وتطوراتها خلال العصور ، كما يتناول سير ابطالها ، والاشادة بمزاياهم وعبقريتهم .

وتميل النظرية الاسبانية الى نسبة هذا النوع من الرياضة الى الاندلسيين ، والقول بانهم هم الذين استحدثوها في شبه الجزيرة الاسبانية ، وعنهم اخذها القشتاليون . بيد انه لا يوجد ما يؤيد هذا القول من الناحية التاريخية . صحيح ان واحدا من الخلفاء الموحدين هو يوسف المنتصر ، كان مولعا بالبقر والخيل ، وكان يلهو بتناطح الخيل والابقار الجامحة ، وانه توفي من جراء ضربة بقرة شرود اصابته بقرنيها في القلب ولكن ذلك لا يمكن ان يؤيد القول بان عرب الاندلس هم الذين بداوا مصارعة الثيران في اسبانيا ، وليس هنالك في اخبار مملكة غرناطة ، اخر دول الاسلام بالاندلس ، وهي التي اشتهرت بمباريات الفروسية ، ما يدل على ان مصارعة الثيران ، كانت من الرياضات المعروفة في مملكة غرناطة .

والغالب الظن ان هذه الرياضة الاسبانية تستمد جذورها من العاب المصارعة الرومانية القديمة ، وانها كانت معروفة في قشتالة في بعض صورها البدائية ، قبل ان ينتهي عصر الاسلام بالاندلس ، ثم تطورت مع الزمن حتى غدت هي الرياضة الاسبانية القومية المفضلة .

الكوريدا في الشعر الاسباني

ونجد كذلك اثر « الكوريدا » والمصارعة واوصافها في الشعر الاسباني ، وكثير من الشعراء المحدثين يستوحون مناظر الكوريدا في بعض قصائدهم ، ويوجد شعراء يخصون هذه الرياضة وابطالها بمعظم قصائدهم .

---

(١) يقال ان كلمة Olé اصلها كلمة الله عندما تقال للاستحسان .



● نهاية المعركة للثور ... ثلاثة بغال تجره وتدور به في الحلبة بعد أن سقط صريعا مضرجا بدمه على الأرض

الكوريدا ، طرازها روماني ، وواجهتها عربية

وأخيرا يجب ألا ننسى تأثير « الكوريدا » في الفنون المعمارية الإسبانية . ذلك أن الكوريدا أو ساحة المصارعة ، تنشأ وفقا لطراز هندسي خاص ، يقترب في مجموعة من طراز الكوليسيوم الروماني . ومن الملاحظ ، مما رأيناه في ساحات الكوريدا في مدريد وبرشلونة وسرقسطة واشبيلية وبلنسية وغرناطة ، ومالقة ، ورندة وغيرها ، أن معظم هذه المسارح يغلب على واجهاتها ، وتقاسيمها الطراز العربي ، ويبدو ذلك واضحا بالأخص في « كوريدا » مدريد التي تبدو للناظر بواجهتها العربية الجميلة في ميدان الثيران الشاسع Plaza de Toros ، وأقدم « كوريدا » من هذا الطراز توجد في بلدة « رندة » في جنوبي الأندلس ، وهي ترجع إلى القرن الثامن عشر ، وتمتاز بواجهتها وزخارفها العربية التي تستوحي الطراز الغرناطي .

■■

محمد عبد الله عنان



الثور

بقلم : الدكتور حسين مؤنس
مدير معهد الدراسات الإسلامية بمدريد

قصة القروب تقل ... على ... عبد الكريم محمد خطاب ... تجربة ... مركز ... رقيقة

سقطنا بأخذ الشمس في انحدارها السريع نحو المغيب ، ويهبط شعاعها الذائب من قمة الجامع ... ثم ينتقل إلى حائط الجامع وجدران البيوت ، ومن الجدران إلى الأرض ، ثم ينسحب ... كأنهما دون صوت ... ويحل في أثناء ذلك الظلام حتى يصبح ظلمات

ثم تبدأ تجتمع أسراب عصافير الجنة ، ويرف بأجنحتها ... شيئاً فشيئاً ... الشمس ... أحمر ... عندها كان يتأمل هذه العصافير الصغيرة تعود ... وتطير في الجو ... حتى تظل في الأشعة الذهبية إلى اللحظة الأخيرة كان ... ويظل ... من خوف ... لأن الليل في القرية موحش ... خطر ، وربما لأن شيئاً مبهماً في نفسه كان يقول له إن النهار لا يموت وحده أبداً ، وإنما يموت معه شيء

ثم يمر به أخوانه أصحاب الحقول المجاورة في طريقهم إلى بيوتهم في كوم الأشراف ، ... الجاموس ... هو الأخير ... في النعاس ... إلى البيوت ،

وكلما مر به واحد منهم هتف به ... ويمضي دون أن ينتظر ... ربما وجد ... الجاموسة أو ... على ظهرها ... أي شيء ... الجاموسة على ... ربما ... الظلام لها ... عند الكرب ... هذا الركب ... ظلالاً سوداء في عرض الأفق ، ثم ... في الظلام ، ثم ... الصغير



الذي يحيط برقبة ثوره العزيز « ورد » ، ويضع فاسه على كتفه ويمضي هو الآخر الى بيته ، ويصبح هو وثوره ظلين اسودين اخيرين من ظلام موكب الغروب الحزين .

★★★

ولكنه اليوم لم يكن يستطيع السير في اعقاب القافلة كما تعود ان يفعل كل يوم . كان في ساعة العودة الى البيت هذه جالسا على الارض في حالة اعياء شديد لا يستطيع معه ان ينتصب قامته . كان يجمع بقايا قوته الذاهبة ليمضي . لم ان عم محجوب ، ذلك الشيطان الرجيم كان ينتظره في البيت ، وكان كل شيء في المدى هينا عليه الى جانب لقاء ذلك الدائن اللدود .

كان منهوك القوى لان مغص الكلى ــ او الدور كما يسميه ــ زاره اليوم زيارة ثقيلة قبل الغروب بقليل .

شعر كما هي العادة كل مرة بذلك الالم الشديد الذي يفاجئه دفعة واحدة كانه سكين يوغل في اسفل ظهره ، فاستند الى شجرة الجميز وامسك جانبه واخذ يئن في صوت مكتوم مخافة ان يسمعه احد من جيرانه فيجمع عليه الناس ، فيمضي كل منهم يقترح عليه ويشير باشياء لا تنفع ولا تشفع ، وتصبب على جبينه وجسمه كله العرق ، فجلس مستسلما منتظرا ان تاتي بنته « عيشه » فهي تاتي كل يوم في مثل هذا الوقت حاملة ابريق الشاي .

وصابر حتى وصلت ، فما رات اباها على هذه الصورة حتى فهمت ، فهي بنت لطيفة حادة الذكاء . واسرعت الى « ورد » وكان مربوطا الى الساقية يخور ويخور ، ففكت رباطه الذي لم رفعت العصابة عن على عينيه ، فسار « ورد » بخطوات متثاقلة حتى اذا صار على خطوة من صاحبه برك ونظر اليه كانه يستدعيه ، ونهض عبد الكريم ، فجلس مسندا ظهره الى ورد كانه يستعين بعظم جسمه على الالم ، واسرعت عيشة فوضعت ابريق الشاي على الاحجار الثلاثة الى جانب الشجرة ، وجمعت قشا وفتائل ذرة واوقدت تحت الابريق ، ثم مضت الى ابيها تجفف عرقه بمنديل راسها ، ثم مدت يدها في جيبه فاخرجت علبة الدخان ، وناولته سيجارة منها واشعلتها له ، ثم ذهبت فوضعت الارض ، وصبت منه في الكوب وأتت به الى ابيها ، ومضى هذا يرشف منه شيئا بعد شيء ، ويأخذ انفاسا طويلة من السيجارة ، وشيئا فشيئا اخذ الالم يخف ، ونضب على جبينه الملتهب عرق كي يطرد بسمونه في القرية « عرق العافية » ، وهبط عليه شيء من النعاس بينما كانت عيشه تجفف له العرق وتنظر مبتسمة الى « ورد » فنظر اليها هادئا في سرور ويزداد التصاقا بصاحبه تعبيرا عن حبه له وحنانه عليه ..

وكان الظلام قد هبط واختفت القرية عن النظر ، فلم يعد يظهر منها من بعيد الا اضواء بعض مصابيح البترول والقناديل ، ونظرت عيشة الى ابيها تستحثه على النهوض الى البيت ، فاشار اليها بان تتريث ، وكانت شديدة الحب لابيها والاعجاب به ، فنهضت وسارت حتى جلست الى جانب النار التي يغلي فوقها الابريق ، وملأت لنفسها كوبا من الشاي ، واضافت شيئا من الحطب الى اللهب الخابي فتاجج من جديد ، واخذت تنظر الى السنة اللهب تتلوى وترشف الشاي على مهل في انتظار اشارة من ابيها بالعودة الى الدار .

★ ★ ★

وكان ابوها اشد شوقا منها الى العودة الى البيت في ذلك اليوم ، فان الرقود في الفراش والاستدفاء حتى ما يرد اليه عافيته بعد ذلك « الدور » الذي يهد الكيان هدا ، ولكنه لم يكن يستطيع دخول بيته هذا المساء الا اذا اذن المؤذن لصلاة العشاء ، فان عزرائيل كان ينتظره هناك ولن يغادر باب البيت الا اذا اذن المؤذن لصلاة العشاء .

وعزرائيل كان الاسم الذي اطلقه اهل قرية كوم الاشراف على عم محجوب ابراهيم عزب ــ وهذا هو اسمه الكامل ــ اغنى اهل قريتهم وانفذهم الى نفوسهم . ولم يكن الرجل اول الامر الا بقالا او رجلا الى الدرجة التي يستحق معها لقب قاضي الارواح ولكنه كان ذكيا محركا فاستطاع ان يقتني واحدا واربعين فدانا قطعة واحدة تمتد قبلي القرية من حوض المراوش الى زمام ميت العز ، واشترى بيتا في ميت غمر ، واودع البنك مالا يقولون انه الوف ، وهذه كلها ذنوب قلما يغفرها القرويون لاحد من اهل بلدهم ، فكانوا جميعا طامعين في ماله . وكانوا في نظره اعداء لا بد من

الحذر الدائم منهم ، وشيئاً فشيئاً أصبح جامد العواطف قاسي القلب لا يفكر الا في المال وسبيل الحصول عليه ، ومن ثم نشبت معركة طويلة صامتة بينه وبينهم ، وزاد أسباب العداوة انه كان ممن يقرضون الناس قرضا غير حسن ، وكان يصر على استيفاء دينه في الاجل المضروب ولو ادى ذلك الى خراب بيت المدين .

وكان محجوب لا يعرف في موضوع النقود هذا رحمة او رفقا ، فهو لا يفرق بين من يقترض المال منه للضرورة التي لا مفر منها مثل شراء التقاوى او شراء جاموسة بدل التي نفقت ، او للذهاب الى القاهرة لعلاج مرض اعيا طب القرية وبين اولئك الذين يستدينون ليقيموا الافراح لابنائهم الذا زوجوا هم انفسهم . هؤلاء جميعا كانوا عنده سواء : كان يتقاضى منهم ارباحا ، « الجنيه عشرة » ، اى عشرة قروش على كل جنيه في السنة وهو يقتطع ربح السنة الاولى من الدين قبل ان يعطيه . وكان عارفا بكل ما يملكه اى واحد من اهل القرية ، فكانت وثائق الرهن التي كان يحمل الناس على توقيعها في غاية الدقة ، فلا يكاد المدين يتاخر في الدفع يوما حتى تكون اجراءات الحجز في الطريق . واذا طلب المدين مهلة عملت له عملية معقدة تنتهي بالشيء المرهون الى قائمة املاك عم محجوب تماما .

وكان عبد الكريم مدينا له بثلاثين جنيها كاملة اخذها منه العام الماضي ليعين امه على الحج ، وذهبت المرأة الطيبة فحجت ثم ماتت ودفنت في الارض الطيبة ، وها هو العام قد مر وحل اوان الدفع وليس لدى صاحبنا قرش واحد ، وبدأ عزرائيل يلازم البيت على طريقته عندما يحل اوان السداد على معسر ، وكان امله ان يتنازل له عبد الكريم عن قيراط ارض من الفدان المرهون على ذمة السداد .

★ ★ ★

ولقد بدأت هذه المساومات منذ ايام ، وتبين لمحجوب ان استخلاص قيراط الارض عسير جدا ، فوضع عينه على « ورد » ذلك الثور العظيم الذى يعتبر زينة ثيران مركز ميت غمر ومقصد الراغبين في السلالة الطيبة لمواشيهم في المنطقة كلها . لقد عرضت عليه الجمعية الزراعية ستين جنيها كاملة في مقابل « ورد » فرفض لان وردا كان اكثر من ثور ، كان اشبه بصديق كريم وانسان فهيم ، كان يعمل من طلعة الشمس الى مغيبها فيؤدى العملين في اليوم ويعمل على ظهره الاربعة اراديب او الخمسة ويسير بها من الحقل الى الطاحونة في بيت العزة في ساعتين ، وكان الى جانب ذلك ذكيا لبيبا يفهم من عبد الكريم ما يريده باشارة يسيرة ، ولو استطاع الكلام لكان دون شك من رجال القرية المحترمين ..

لهذا كان عبد الكريم يراوغ ويتهرب ، فقد كان مستعدا — في سبيل الاحتفاظ بورد — لان يبيع قيراطا من الارض ويدفع لعزرائيل دينه ، اما ابوه فكان — ككل شيوخ الفلاحين — لا يعدل بالارض شيئا في الوجود ، وهو لهذا لا يمكن ان يسلم ببيع قيراط الارض مهما حدث . وخلال الايام الماضية كلها كانت المناقشة حامية بين الرجلين : هذا يريد ان يبيع الارض وذاك يريد ان يبيع الثور ، وبعد صلاة العصر من كل يوم يهبط بهما عزرائيل ويجلس يشرب الشاى كوبا بعد كوب ، في كل كوب اربعة قوالب من السكر ، ويصغى اليهما وهما يتناقشان في حمية وعنف ، ويمد يده فيأخذ مرة سيجارة من علبة هذا ومرة من علبة ذاك ، ويضحك فيما بينه وبين نفسه واثقا من ان الامر سينتهي بحصوله على الثور والقيراط جميعا ..

وكان عبد الكريم يعرف ان عم محجوب لا يمكن ان يجمع صلاة لقوله ، لان ثقاه يأبى عليه الا ان يصلى الخمس في مواعيدها في الجامع خلف صديقه وصهره وشبيهه في كل شيء الشيخ خالد المغربي الا انه الذى « يتبرع » بخدمة الجامع وامامة الصلاة فيه لوجه الله كما يقول . وكانت هذه الامامة تخلع عليه مهابة وتؤمنه وامواله من عدوان الناس ، فلم يكن احد يجرؤ على ان يأكل عليه مليما ، خاصة وقد كان هو حريصا على ان يذكر الناس في خطبة كل جمعة بالآيات الكريمة التي تحض الناس على ان يؤدوا الامانات الى اهلها في حين ان احدا من القرية لا يذكر انه تلا عليهم مرة واحدة الآية الكريمة التي تحرم الربا ، فاذا ذكره بها احدهم الى يتلمس لها تخريجا كل الغرابة ملخصه ان الربا المحرم هو ربا الجاهلية ، وذلك ان ابا جهل كان يقرض الناس الجنية بعشرة في الشهر ، فكان يقرض الرجل جنيها ويطالبه في آخر السنة بمائة وواحد وعشرين ، وهذا هو عين

الظلام ! فاذا قالوا له : ولكن يا شيخ خالد هل كان الناس يتعاملون بالجنيه الا ذاك ؟ ضحك وقال : سبحان الله ! ان الجنيه مشتق من الجن ، وهم الذين اخترعوه « ليجننوا » به بني آدم ، وهو موجود قبل الطوفان ! وامام هذا العلم المتدفق يصمت القرويون في دهشة ويبادر المدينون منهم الى دفع ما لديهم او يبيعون الشيء الزهيد ويتخلصون من متابعة الشيخ خالد اياهم باللوم والتقريع في الجامع على ملأ من الناس .

وكانت فكرة عبد الكريم ان ينتظر حتى اذا اتى الشيخ خالد لصلاة العشاء ، اسرع هو والثور من البيت ، فاذا مضى العم محجوب للصلاة انسل هو الى بيته ورقد في فراشه ومضى يتلوى من الالم ، فاذا عاد محجوب لم تكن امامه وسيلة للمطالبة والالحاح ذلك اليوم ، ولا يستطيع ان يعيد بتوقيع الحجز لان الناس سيصيحون في وجهه : حرام عليك يا راجل ! خل عندك رحمة وانسانية ! الرجل يموت في فراشه وانت ورده بالمطالبة والتهديد ! بهذه الطريقة يكسب من عزرائيل يوما ، وربما بضعة ايام ...

لهذا اخذ يصلي « ورد » وسار ، وجلست عيشة على ظهر هذا الاخير وقد امسكت بحمل من البرسيم والذرة وبعض رؤوس القلقاس ، ومرت القافلة الصغيرة ببيت ابراهيم خضر ، وكان قاعدا على الباب وحده يشرب الشاي ويدخن النسل ، فتبادل عبد الكريم التحية معه ، وعند حائط بيت داود سمعان وقف عبد الكريم وثوره في انتظار الاذان ، ولم يطل الانتظار فقد انطلق صوت الشيخ خالد ولم يلبث عبد الكريم ان رأى من بعيد عم محجوب يسرع الى الجامع ، فاسرع هو والثور ودخلا البيت ، ثم وضع يديه على كليتيه وسار في بطء وهو يتوجع ، في حين مضت عيشة بالثور الى الغرفة التي ينام فيها في وحدة الدار ، ووضعت له البرسيم ومضت لتأتي بالماء . اما عبد الكريم فقد رقد في فراشه وغطته امرأته باللحاف ومضت لتأتيه بالحبوب التي وصفها له حكيمباشي مستشفى بيت غمر ، ثم وضعت الشاي على النار ، وبعد قليل كانت جالسة الى جواره تمسح له جبينه بمنديل ، وتناوله كوب الشاي ليرشف منه حتى « يفوت الدور » بسلام . وبعد قليل اتى ابوه وجلس الى جواره يحدثه ويطيب خاطره ويلف له السيجارة ويشعلها له ويشغله في الحديث في ضوء مصباح الكيروسين الصغير ..

وعاد العم محجوب بعد ان « خطف » الركعات الاربع . فقد استغرقت منه الصلاة ربع ساعة كاملة ، اي ضعف ما تستغرقه كل يوم ، لان العادة ان يخطفها خطفا في ثلاث دقائق او اربع ، ولكنه اضطر الى الحديث بعض الوقت مع صهره الشيخ خالد ، ثم جرى نحو بيت عبد الكريم خطاب لانه احس ان في الامر تلاعبا ، فما كانت عادة هذا القروي العنيد ان يتأخر الى صلاة العشاء في الحقل ، ولكنه لم يكد يدخل البيت حتى اطمأن ، فقد شم رائحة الثور وكان يخشى ان يهربه عبد الكريم او يخفيه عند احد معارفه خوفا من الحجز عليه ...

لم يستقبله احد بترحاب او ابتسام ، ولكنه ابتسم وحيا متهللا ، وكانت تلك وسيلته في تجاهل عبوس العابسين في وجهه وتجهمهم عند رؤيته ، وكان يعرف انه ليس في الدنيا مدين يبتسم في وجه دائن مطالب ابدا .

وكانت عادته اذا دخل على قوم ان يلح في التحية ولا يزال يكرر : ازاي الحال ؟ بخير ان شاء الله ... سلامات ... ! ، الى غير هذه من عبارات التكريم حتى تنفرج الوجوه العابسة ، وتتلاشى معالم الكرب والخوف ، فاذا اطمأن الى ان الضحية استأنست واستسلمت بادرها بالمطالبة والتضييق والتهديد .

ولكنه احس عندما دخل بعد عودته من المسجد ان هناك شيئا جديدا في الجو ، فقد عادت الوجوه الى العبوس بعد ان كان قد آنسها ، فجعل يبسط ويطرف دون فائدة ، ظلت الوجوه جامدة كالصخر ، واخيرا قال الشيخ محمد خطاب والد عبد الكريم وهو يهز رأسه في اسف .

ـ والله يا عم محجوب ، لا ندري ماذا اصاب عبد الكريم

فقال محجوب في انزعاج ظاهر :

ـ خير ان شاء الله .. ماذا جرى له ؟

ـ رجع من الغيط في غاية التعب لا يستطيع الوقوف على قدميه

ـ عنده ايه ؟ الشر بره وبعيد ؟

ـ اتاه الدور في غاية الشدة هذه المرة

فانفرجت أسارير عم محجوب ، وقال في سرور متكلف :

ـ يا شيخ خوفتني ... قل باسم الله ... انه الدور الذي يأتيه وسيأخذ الله بيده ببركة سيدى ابراهيم ... اعطوه قرص الحكيم وشوية شاى ، وفي ربع ساعة يعود كالحصان ...

فعاد الوالد يهز رأسه في أسف ويقول

ـ لا والله يا عم محجوب ... هذه المرة أشد بكثير من كل مرة فاتت .. الوجع في غاية الالم .. لا ندرى ان كان يطيق الليلة ...

فتغير وجه محجوب وتجهم ، ثم قال في صوته الجهورى الجامد :

ـ بلى اسمع يا محمد يا خطاب ... هذا اللزوم لا يجوز علي ، انا عارفك كويس ... هذه حيلة تحسبون انها ستنفعكم في التهرب من السداد ...

واطلت عزيزة ـ زوجة عبد الكريم ـ برأسها من باب الغرفة وقالت .

ـ يا عم محجوب حرام عليك ، الرجل « رائح دايع مش قادر يأخذ نفسه » وحرارته فوق الاربعين ... وانت ...

فلم يدعها تتم كلامها واندفع يقول :

ـ الرجل بخير ، لا حرارة عنده ولا شيء ...

فقال الوالد : يا رجل اتق الله ، هل عندك رحمة .. اليس لك اولاد ؟ ..

ـ اتقوا الله انتم ... ابنكم بخير

ـ من اين تعرف ذلك ؟

ـ ابراهيم خضر قال لي ... كان جالسا على عتبة بيته ساعة المغرب ، ومر به ابنك وسلم عليه بصوت كالرعد . كان معه الثور وبنته عيشة ، وعندما مر ببيت داوود سمعان وقف طويلا كأنه كان ينتظر شيئا .

فمسح محمد خطاب عينيه دهشا وقال :

ـ سبحان الله يا عم محجوب .. انك ترقب هذا المسكين خطوة خطوة كأنه قتل لك احدا ... ماذا تريد منه ؟

ـ نقودى .. حقي .. لا اريد الا حقي .. هل المطالبة بالحق حرام ... ام تريدون أن تنهبوا مالنا وبس ... ؟

ـ لا أحد ينهب مالك يا عم محجوب ... عيب هذا الكلام الذى تقوله ...

ـ أنا عارف انه عيب ... ولكن ماذا اعمل اذا كنتم تحاولون اخذه رجل في حجم الباب وتدعون المرض والموت .

ـ الا ترى لا تصدق ان الدور اتاه ...

ـ الدور يأتي اهل القرية جميعا ... ليس في هذه القرية انسان لا يشكو نقصا ... كلنا مرضى وانت عالم بالحال ...

لم تضرب كفا بكف وجعل يهز راسه ويقول .

ـ .. قال نقص قال ! هل الفلاح يكون فلاحا بدون نقص يا محمد يا خطاب ؟ ارني واحدا في هذه القرية لا يأتيه دور كدور ابنك هذا .

فقال محمد خطاب محاولا تهدئة الرجل .

ـ صحيح يا عم محجوب كلنا أصحاب مرض ... والرضى يا شيخ محجوب يطلب الرضى ... لما يكون عبد الكريم بخير ونأخذ نقودك الى آخر مليم والدنيا لن تطير ..

ـ نعم .. الدنيا لن تطير ، ولكني اعرف ما الذى سيطير .. نقودى ! انا ذاهب للعمدة الآن ، ومن باكر تبدأ الاجراءات ... سلام عليكم .

ونهض غاضبا واتجه نحو الباب ، وقام من خلفه محمد خطاب وامسك بذراعه ليمنعه من الخروج فان هذا الرجل لو ذهب الى العمدة وطلب اليه البدء في الاجراءات فان شيئا في الدنيا لن ينفع محمد خطاب او ابنه ، فان العمدة نسيب محجوب ، والانسباء في كل بلد اقارب وحلفاء .

وما زال محمد خطاب يتلطف مع محجوب ويطيب خاطره حتى هدأ وعاد الى مجلسه ، ثم صب له محمد خطاب كوب شاى كأنه الحبر الاسود واضاف اليه اربعة قوالب من السكر مزيدا في الاكرام ولف له سيجارة بيده واشعلها له ثم قال :

ـ يا عم محجوب انت خيرنا وبركتنا ، بس انت عارف الاحوال .

ـ انا اعرفها جيدا : عندك فدان ونصف وعند ابنك اثنان ، وعندكما اشياء اخرى كثيرة ...

ـ يعنى ، الا ستنظر علينا اسبوعا ؟

ـ ولا ساعة ...

ـ يرضيك ان نبيع الارض ؟

ـ ويرضيك ان يضيع مالى ؟

ـ مالك لن يضيع ... سنعطيك نقودك في الصباح يا عم محجوب والناس اعذار ...

ـ وماذا سنعمل اذا كنت لا تبيع قيراطا من الارض ..

ـ سأجعل عبد الكريم يعطيك الثور ...

فصرخت زوجة عبد الكريم وهي تضرب صدرها :

ـ يا للمصيبة ! ورد لا يخرج من بيتنا ابدا ..

وسمعوا صوت حركة داخل الغرفة ، ثم أطل رأس عبد الكريم وقد استند بيديه على الباب وقال : أنا مي لاحد منكم الثور بيده فلتلتف عليه النار ..

ونظر اليه محجوب دون ان تبدو على وجهه أقل علائم الدهشة وقال : هذا هو الريفي ..!

فقال الأب محمد خطاب وهو في حرج :

ـ صدقني انه عربي . ثلاثة بالله العظيم انه بالكاد يستطيع ان يأخذ نفسه .

ـ بل صدقني انت ، ثلاثة بالله العظيم ـ وليس لله على يمين ـ ان ابنك عبد الكريم سليم قوي مثل شجرة الجميز ، ولو تركناه لأكلنا جميعا ..

فصاحت زوجة عبد الكريم في رعب شديد :

ـ يا حفيظ .. احفظنا يا رب من عين السوء ... هذا الرجل يتعب في عينه مسمار ...

ـ انا يا ام عيشة .. انا يا بنت نقر التراحيل !.

فانفجر عبد الكريم غاضبا يقول :

ـ احفظ لسانك يا عم محجوب .. ام عيشة ابوها كان فقيرا حقا ولكنه اشرف من ناس كثيرين ...

ووجم الجميع . فقد كانت هذه العبارة اشبه بقنبلة . كان مفهوما من هم اولئك الناس الكثيرون . بعد مثل هذه الجملة لا يبقى الا التماسك والتضارب ، واذا وصل الامر الى ان يمسك عبد الكريم بعم محجوب ويضربه فلن احدا في القرية بل في المديرية كلها لا يستطيع اصلاح الامر ...

في هذه اللحظة دخل الشيخ خالد صهر محجوب وصديقه وحليفه . دخل في اللحظة الحرجة ، ليوفق بينهما ، ومضى يهدىء هذا تارة وذاك تارة اخرى ، وطالت عملية التهدئة حتى تعبت ام عيشة من عمل الشاي وصبه في الأكواب . سمع الشيخ خالد من كل من الرجال حكايته مائة مرة حتى دقت الساعة على الحادية عشرة ، وكل من الاطراف متمسك برأيه : محمد خطاب يقسم الا يباع قيراط من ارضه او ارض ابنه ، وعبد الكريم يقسم انه سيطلق النار على من يمس بيده ثوره « ورد » والشيخ محجوب يقسم طرا ليهد باجراءات الحجز وخراب البيوت من الغد اذا لم يحصل على المال او الثور او تنازل عن قراط من الارض الليلة ..

وساد صمت بعد كلام كثير جدا ...

ثم رفع الشيخ خالد رأسه وقال وقد انفرجت أساريره كأنما وجد طريق الفرج : عندي حل ..

فقال له الأب : خير بإذن الله ..

ـ تزوجوه عيشه .

وظل ساكتا لحظة ، ثم تلفت في وجهي عبد الكريم وأبيه متفحصا ، ثم نظر الى ام عيشه التي وقفت واجمة تنظر بعيون بلهاء الى هذا الشيخ العالي ، ثم انفلتت من ذهولها وقالت في انكار شديد :

ـ عيشة ! بنتي عيشة ! .. التي يطلقها بعد اسبوع او كأنها امرأة تهيسة ..

وضحك الثعلب العجوز ، فقد كان يتوقع ذلك . كان معتادا على هذا النوع من احتجاجات الامهات كلما ألقى شباكه على واحدة من بناتهن . كانت تلك هي اللذة الكافية في الحياة بعد جمع المال . الزواج . في سبيل الحصول على بنت حلوة مثل عيشة ، كان مستعدا لاحتمال اي اهانة . كانت زوجته السابقة الحاجة نفيسة بنت عم الشيخ خالد تقف له بالمرصاد ، فكان لا يخالفها ويتزوج عليها الا اسرعت مع اخوتها واجبروه على الطلاق ، بعد اسبوع او اسبوعين ، ربما شهر ..

هذه المرة احكم الامر مع الشيخ خالد ، وسارت الامور الى هنا كما رسما معا ، على ان تسرع الخطوات التالية فيتم الزواج قبل ان تعلم زوجته .

وكان واثقا من ان هذا الزواج سيتم لأن عبد الكريم ومحمد خطاب ، ككل اب او جد لا يكرهان ابدا فكرة تزويج بنت تخطت الخامسة عشرة ، اما ان عم محجوب عجوز فمن قال ان الرجال لهم سن ! وبالنسبة للطلاق القريب المحتمل فمن الذي يضمن انها لا تطلق بنفس السرعة اذا تزوجت شابا ! على اي الاحوال هناك احتمال وفاة العم محجوب وحصول البنت على تركة ، وهناك احتمالات المساومة على ما يعطيها وما يكتب لها من المال والعقار ، وهو رجل موسر مولع بالتمتع . وعيشة بنت حلوة ، نظيفة بيضاء سمينة ، يعرف قيمتها رجل خبير مثل محجوب !

هذه هي الافكار التي كان محجوب يقرؤها على وجوههم وهم يناقشونه . فقد سبق ان قرأ

مثلها على وجوه اخرى كثيرة قبل ذلك وعرف كيف يمكر بهم ويخرج من المأزق رابحا دائما .

واحس محجوب ان المقاومة تنهار شيئا فشيئا ، فضاعف الهجوم ومضى يذكر كيف سيقدم لعيشة من فرص السعادة والهناء ما لا يمكن ان يجود بمثله امها او ابوها او جدها : سيسكنها في شقة وحدها في بيته في حيث غير بعيدا عن الحاجة نفيسة ، وسيشتري المتاع كله بأسمها وسيأتيها بالمصاغ الغالي وملابس الحرير وسيكرم امها بالهدايا ، ولديه على سبيل المثال « علي » حرير شغل الحلة معتبر احضره لها خاصة ، ونظر الى الشيخ خالد وقال : فين الفص يا شيخ خالد .. ؟

— عند منصور البقال .. نرسل من يحضره .

وقال محجوب :

— الثلاثون جنيها التي لي عليكم هي المهر .

وافكر جد العروس قليلا ثم قال :

— يا عم محجوب ، خل المهر خمسين جنيها ، منها الثلاثون التي تدينا بها ، والباقي تعطيه لنا فتشتري البنت حاجة وتجهزها ..

واراد محجوب ان يحتج ، ولكن الشيخ خالد سارع فقال :

— لا مانع، كل هذا ،اتركها لخاطره يا محمد .

ومضى الكلام في التفاصيل . كان محجوب يريد ان يفرغ من العقد هذه الليلة فوافق على كثير مما لم يعجبه ، وارسلوا فاتوا بالشيخ زيدان مأذون القرية ، فكتب العقد بعد ان سلم محجوب لعبد الكريم عشرين جنيها بقية الصداق والمهر في الوثيقة ان عليه خمسين جنيها مؤخر صداق ...

★ ★ ★

وبينما كان المأذون يكتب والرجال يتحدثون مضت ام عيشة الى ابنها الصغير احمد وايقظته وامرته ان يسرع الى بيت الحاجة نفيسة ويبلغها الخبر ويرجوها الاسراع في المجيء .

وبعد العقد ارسلوا الى عم منصور البقال ، ففتح الدكان واتى بعلبة الحرير وزجاجتين من الشربات . وفيما كانت الاكواب تدور سمعوا ضجة واصوات اقدام مقبلة ، ثم انفتح الباب ودخلت الحاجة نفيسة يتطاير الشرر من عينيها ، ومعها اخوتها الثلاثة بدوي ومحروس ودسوقي ، وكل منهم كالمارد ضخامة ورهبة ، ووقفوا في رحبة الدار كأنهم سباع تتأهب للانقضاض . ونظر اليهم محجوب واجما وتمشى في جسده الخوف وهو

يرى هذه العيون النارية الثمانية تنظر اليه في غضب وتهديد ، وقالت نفيسة :

— ماذا عملت يا عجوز السوء ؟

ولم ينطق . ووضع كوب الشربات على الارض ولم ينطق ، وقالت ام عيشة :

— تزوج .. تزوج ابنتي عيشة .. وانما هذا ! انا عارفة .. انه يعمل هكذا دائما ... يأخذ بنات الناس بالديون ...

وقال دسوقي وهو ينظر الى محجوب بعيون تحرق الرصاص : طلقها .. !

وجمع الشيخ خالد اطراف شجاعته وقال :

— بس يا دسوقي ...

ولم يدعه دسوقي يتم كلامه ، وانما نظره بلهجة بددت قوة ابه واخرست صوته . وكانت ورقة الزواج في يد عيشة ، فطوتها ووضعتها في صدرها ، وقالت نفيسة : طلقها الآن .. !

ولم يشعر محجوب في حياته بمثل هذا الخوف كان الموت يتمشى في عيني دسوقي ، وكان هذا رجلا رهيبا له جرائم ومصائب ، ولا يجرؤ احد على تحديه ، خاصة اذا كان في هذه الحالة من الغضب . وقال دسوقي : قلت لك طلقها ..

— قل انها طالقة بالثلاثة !

— انها طالق بالثلاثة ..

— اكتب يا شيخ زيدان ورقة الطلاق ..

وفي اقل من خمس دقائق كانت الورقة قد كتبت ، وتم التوقيع والاشهاد عليها ، ثم سلمت لعبد الكريم ...

ومضى محجوب والشيخ خالد وخرجا ومن خلفهما الحاجة نفيسة وهؤلاء المردة الثلاثة ... واقفل الباب وساد الصمت ، ثم انفجرت ام عيشة ضاحكة وقالت : خلصنا منه ومن الدين ...

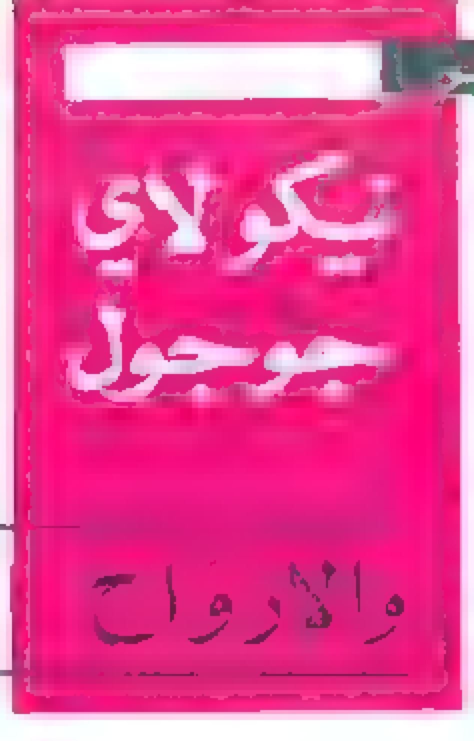
وقال محمد خطاب :

— ولنا عنده خمسون جنيها مؤخر الصداق...

ولم يسمع عبد الكريم شيئا . كان لا يفكر في مؤخر الصداق هذا . كان شعوره بالسعادة لمجرد الخلاص من الدين لا يوصف . اخذ زجاجة شربات ومضى يفرغ منها في الماء الذي يشرب منه « ورد » وهو يقول :

— اشرب يا ورد اشرب ... كلك بركة يا اسمر ... !

حسين مؤنس



بقلم : الدكتور محمود السمره

الجامعة الأردنية ـ عمان

■ «نيكولا جوجول» قمة من قمم الأدب الروسي والعالمي ، وبه ، وبالكاتب بوشكين ، بدأ الأدب الواقعي الروسي.

وجوجول إنسان غريب عجيب ، عاش حياته فريسة لسوداوية قاتمة في أعماقه ، لم يستطع الفكاك منها ، وقضى عمره وروحه تكره جسمه وتحتقره ، فكان من نتيجة هذا الانقسام في الذات أن فقدت شخصيته التوازن ، حتى ليصح أن نعمم فنقول إنه ما من إنسان عرف جوجول واتصل به ، واستطاع بعد هذا أن يحبه . وكان جوجول يعرف هذا . ولكن إذا كان افتقاد حب الآخرين مؤلما ، فإن كراهية المرء لنفسه أشد إيلاما .

والعجيب بعد هذا أن يستطيع مثل هذه الشخصية أن يبدع آثارا خالدة يضعها جنبا إلى جنب مع بوشكين ، وتولستوي ، ودوستويفسكي .. أما هذا الأثر الخالد فهو قصة « الأرواح الميتة » .

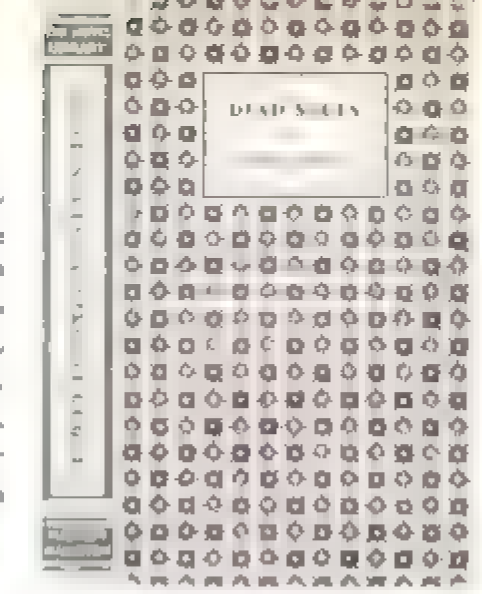
ولم تكن أرومة جوجول نبيلة عما أن إليه فقد ولد في أوكرانيا ، ذات الأراضي الخصبة ، والمياه الثرة ، والمحاصيل الغزيرة ، والطبيعة الجميلة . فهو يهدأ من القوزاق ، فرسان الجنوب ، الذين اشتهروا بتمردهم ضد الإقطاع العثمانيين ، والبولونيين .

وكان والده من صغار الملاك ، محبا وهب قراءة بكتابة المسرحيات الهزلية ، وكانت أمه التي تزوجت من والده في سن الرابعة عشرة ، امرأة متدينة ، ساذجة ، عطوفة ، مدلهة بزوجها الذي كان يبادلها حبا بحب . ولم يكن يعكر صفاء هذا الجو وجماله غير أسلوب الرق . فهذه الأراضي الزراعية الشاسعة كانت تحتاج إلى الأيدي العاملة ، التي كان يملكها صاحب الأرض ، ويتصرف فيها بالبيع والشراء . فإذا عدوا ثروة الرجل أضافوا فقالوا : إنه يملك مائة أو ألف نفس أنفسا . ولم يكن الملاك يجدون في هذا النظام عيبا ، لأنهم نشأوا عليه ، ولم يعرفوا غيره .

* * *

هذا هو الجو العام الذي استقبل الوليد سنة ١٨٠٩ . وكان جوجول ضعيف البنية ، خائر العزيمة ، قزما ، قبيحا ، له أنف مدبب كمنقار الطير ، ووجه على صورة غير الصورة التي ألف الناس عليها الوجوه ، وعينان يصفهما من عرفوه بأنهما عينا ابن عرس ركبتا في وجه بشري

Nickolai Gogol — Dead Souls





وكان زملاؤه في المدرسة يرتجفون رعبا من مرآه، ومنهم عرفه باسم « القزم الغامض » . وهو الى هذا كان سليط اللسان ، ذا قدرة فائقة على تقليد اي الاشخاص واي المواقف . وعندما شب احب المسرح ، واخذ يحس بميل الى الكتابة ، ولكن حلمه الذي كان يحيى فيه هو ان يصبح موظفا في الدولة ، يرقى في سلم الوظائف الى ان يصل الى المرتبة التي تمكنه من ان يقود روسيا نحو ازدهارها والتقدم ! ولم تكن تترك فرصة دون ان ينغمس في الحديث عن آرائه ومشاريعه لاصلاح البلاد ، وخير العباد . وهو لا يتحدث كما يتحدث الناس ، بل بطريقة مسرحية ، وعبارات مولع في تنميقها .

وهكذا كان جوجول طيلة حياته ، صادقا في اقواله ، يقول ولا يفعل . كان دائما شكاكا من مرض قلب انه على عتبة الآخرة ، وصمم على الانتحار عند وفاة والده ، وعمره يومذاك ست عشرة سنة، ولكنه لم ينتحر .

وفي سن التاسعة عشرة شد الرحال الى سان بطرسبورغ ليبدأ سيره نحو المجد الذي ينشده .. ولكن العاصمة خيبت امله ، واصبح فيها الفقر المدقع ، لا يجد لنفسه مأوى الا في الازقة الرطبة مع زمرة من ابناء اوكرانيا . واخذ يسطر لامه رسائله ، واصفا لها كيف ان الفتيات الجميلات تلاحقه ، ويحسبن نظرة منه ، ولكنه لا يحفل بهن . بينما الحقيقة هي ان جوجول عاش حياته كلها يحلم بالمرأة من بعيد ، دون ان يجرؤ على الاقتراب منها .

وضاق ذرعا بالحياة في العاصمة ، وخاصة بعد ان نشر مجموعة شعرية تحت اسم مستعار ، فشلت فشلا ذريعا ، حتى انه جمع النسخ التي لم يجد من يشتريها فحرقها . وارسل الى امه يستنجد بها لكي ترسل له بعض المال ، مدعيا ان صديقا لبيبا طلب منه ان يصحبه الى لوبك ، ولكن الصديق ـ كما الوصيفات ـ لم تكن له وجود . وقد افادته الرحلة الى الغرب ، لانه رأى فيها انماطا جديدة من الحياة اثارها في خياله مقارنا بينها وبين الحياة في وطنه . وعندما عاد من الرحلة استطاع بعد الجهد والوساطات ان يحصل على وظيفة بسيطة في الدولة .

* * *

وقد بدء التحول في حياة جوجول يوم استطاع ان يصل الى الاتصال بكاتب روسيا وشاعرها العظيم بوشكين . ولم يستطع شكل جوجول النحيف ، ولا نرجسيته واضطراب شخصيته ، ان تحجب عن عيني الكاتب العبقري الموهبة الفذة

الكامنة داخل هذا الجسد المتنكر . وهكذا قربه واخذ يسدي اليه نصائحه .

ويبدو ان هذا اللقاء كان أشبه بعصا ساحر مست الشاب الحفر اليافع ، فانطلقت فيه موهبته الفائقة . وصدرت له « ليالي القرية » ، وهي مجموعة حكايات من قريته الاوكرانية ، فاذا به بين عشية وضحاها يصبح مشهورا . كتب بوشكين في تقريظ الكتاب يقول : « هنا المرح الطبيعي ، والفكاهة الحلوة .. وهنا الشعر ورهافة الحس » .

وكان عمال المطابع يغرقون في الضحك ، وهم يصففون الحروف ، كما وجد القراء فيها تسرية وهروبا من حياتهم العابسة ، واعجبتها الامبراطورة وتحدثت عنها الى من يحيطون بها .

★ ★ ★

ولكن هذا النجاح لم يجلب الراحة لهذه النفس القلقة ، وكان ما به من كبرياء يدفعه الى ان يكون اكثر من كاتب حكايات مسلية مضحكة . فهو يريد ان يكتب ما يعين ابناء وطنه على ان يتحرروا من التفاهة والسطحية في حياتهم مما يساعدهم على ان ينتصروا على الشيطان القابع في اعماقهم . وهكذا بدأ يصور بقلمه الساخر جوانب الفساد في المجتمع والبؤس الذي تغرق فيه الكثرة الساحقة من المواطنين .

وقد اجاد وصف فساد المجتمع في مسرحيته « مفتش الحكومة » ، كما ابدع في وصف بؤس الطبقة الفقيرة في قصته « المعطف » ، التي قال فيها الكاتب القصصي ترجنيف : « لقد خرجنا جميعا من تحت معطف جوجول . » ، أي ان جوجول في قصته هذه كان معلما لخلفه من الكتاب القصصيين .. و « المعطف » قصة موظف بسيط قضى سنوات يحلم باليوم الذي يستطيع فيه ان يشتري معطفا جديدا . واخيرا استطاع ان يوفر ثمن معطف ، ولكن المعطف سرق في نفس المساء الذي اشتراه فيه .

وقد راودت فكرة مسرحية « مفتش الحكومة » جوجول زمنا ، اذ اراد ان يصور ما رآى من فساد موظفي الدولة في العاصمة . ولكنه كان يدرك ان الرقابة لن تجيز مثل هذه المسرحية . واخيرا استقر رأيه ـ تجنبا للمشاكل ـ على ان يجري احداث المسرحية في احدى المدن الصغيرة . وخلاصة المسرحية : ان كل موظفي الدولة في هذه المدينة غير امناء ، يرتشون ، يهملون المصالح ويعبثون بالامن ، ثم نما اليهم ان الحكومة قد اكتشفت امرهم ، وهي بسبيل ارسال مفتش متنكر ليعرف حقيقة ما يفعلون . ويحدث صدفة ان يحل في فندق المدينة غريب لا يعرفه احد ، فظنوه المفتش متنكرا ، ولهذا حاول كل كبار الموظفين التودد اليه ، وكسب رضاه بوسائل الرشوة التقليدية : بالمال والنساء . وقد فوجيء الغريب بهذا التصرف اول الامر ، ولكنه ارتاح اليه عندما ادرك غايتهم ، واستغل الفرصة ، واقبل على ما قدموا اليه ، فاخذ منهم المال ، وغازل نساءهم وبناتهم . ولما وصل المفتش الحقيقي ادركوا خطأهم ، ولكن بعد فوات الاوان ، وبعد ان كان الغريب المتشرد قد لاذ بالفرار واختفى !

والواقع ان هذه المسرحية نقد لاذع مر للفساد الذي انغمست فيه طبقة موظفي الدولة، وترديهم الخلقي وكسلهم . والارجح ان الرقابة لم تكن لتسمح بعرضها لو لم يتدخل الامبراطور نيقولا الذي قرأ مخطوطة المسرحية بنفسه، وعلق قائلا : « انه لم يتستر على احد ، حتى عليّ انا . » ثم اصدر امره بوجوب تمثيلها .

وعندما مثلت سنة ١٨٣٦ في سانت بطرسبورغ تركت دويا : فاستقبلتها الاوساط الادبية بالتهليل والترحيب لقيمتها الفنية ، ولكراهيتها للفساد المتفشي بين موظفي الدولة . ولكنها اثارت حفيظة وحنق رجال الدولة من كبير وصغير ، فهاجموا جوجول ، واستأجروا من يهاجمونه . وقد دهش جوجول للكراهية التي حملها رجال الدولة له بسبب مسرحيته ، وهو الذي كان يظن انه بها انما يساعدهم على التخلص من رذائلهم .

واخذ جوجول يحس ان جو سانت بطرسبورغ يكاد يخنقه ، بسبب ما احاط به من كراهية ، فقرر الرحيل عن وطنه قائلا : « من الخير للكاتب الساخر ان يعيش بعيدا عن وطنه . »

★ ★ ★

وقبل ان يغادر جوجول روسيا الى اوروبا سعى الى بوشكين طالبا منه ان يمده بموضوع لقصة ، فاقترح عليه بوشكين موضوعا من صميم الحياة الروسية يدور حول الاقنان (عبيد الارض) ، فاستحال هذا الموضوع بين يدي جوجول الى رائعة ادبية لها من المكانة عند الروس ما لقصة سرفانتس « دونكيشوت » من مكانة عند الاسبان .

وفكرة القصة هي كما يلي : كانت العادة ان يدفع مالك الاقنان ضريبة للدولة عن كل فرد يملكه ، وكانت الدولة تقوم باحصاء الاقنان كل بضع سنوات . فاذا حدث ومات احد من الاقنان خلال الفترة الواقعة بين احصائين ، كان على المالك ان يدفع ضريبة حتى عن الاقنان الذين يكونون قد ماتوا . وكان ملاك الاقنان يعجزون احيانا عن دفع الضريبة ، فتستولى الدولة على عدد من الاقنان بقيمة الضريبة ، ثم تتصرف فيهم بالبيع . وقد ادى هذا الوضع الى قيام بنك يقرض ملاك الاقنان مبلغا محددا عن كل فرد مقابل رهن القن عنده . وفي حالة العجز عن السداد يستولي البنك على الاقنان المرهونة ، ثم يتصرف فيها بالبيع . والفرق بين الدولة والبنك بالنسبة لمالكي الاقنان ان البنك يقرضهم اتقاء ليوم عسيرة يسددون فيه القرض ، وهو لا يستولي على الاقنان الا بعد الامهال ، بينما الدولة لا تمهلهم ابدا .

هذا الوضع اوحى لافاق متشرد بان يجول في القرى والمزارع عارضا على ملاك الاقنان شراء اقنانهم الذين توفوا . وكان الملاك — بداهة — مستعدين لبيعهم مقابل ثمن اسمي لا يكاد يذكر . ثم قام هذا المتشرد برهن الاقنان عند البنك ، وقبض الرهن ، ثم اختفى !

هذه هي الخطوط العريضة للقصة . وقد انتهى جوجول كتابة الفصول الاولى منها قبل ان يغادر سانت بطرسبورغ الى الخارج ، وعندما قرأ هذه الفصول على بوشكين ، صاح بأسى وحزن : « يا الله ! ما اشقى روسيا اذا كانت كما تصورها ! » وكان رد جوجول انه قد رسم لروسيا صورة قاتمة لانها تبدو لعينيه هكذا .

وترك جوجول العاصمة وارتحل الى الغرب ، فزار سويسرا وباريس ، ولكنه استقر في روما لانه احبها ، وبقي فيها مدة عامين مقبلا على كتابة قصته . واثناء وجوده في روما جاءه الانباء بان بوشكين قتل في مبارزة ، فحزن لذلك حزنا شديدا ، ولكن بوشكين غادر دنيانا بعد ان كان قد مد يده « للقزم العجيب » ودله على الطريق .

وعندما نفدت نقوده وهو في روما ، ارسل الى الامبراطور نيقولا طالبا العون ، فامده هذا الامبراطور الدكتاتور التقي الفاجر بمائة الف روبل . وكانت روما نقطة تحول كبير في حياته ، بعد اذ فيها بدأ يحس بميل قوي يدفعه الى التدين ، وهو ميل سيطر عليه في اخريات حياته .

وفي روما اتم كتابة قصة « الارواح الميتة » ، وهي قصة ذات معان عميقة ، وفيها من الرموز الشيء الكثير .

ان بطلها افاق متشرد ، اسمه تشيتشيكوف ، ليس سيئا بطبعه ، ولكن المجتمع قد دفعه الى الفساد . ونحن نراه في القصة مقبلا بكل جوارحه على تنفيذ خطته ، متنقلا من قرية الى قرية بصحبة سائق عربته (سليفان) وخيوله الثلاثة ، وهو في هذا يذكرنا بدونكيشوت ، وخادمه سانكوبانزا ، وحصانه روزينانتي . وهو اثناء تجواله لشراء الارواح الميتة يلتقي بصنوف عدة من البشر : فهناك البخيل الذي يساوم ويشتد في المساومة للحصول على اكبر مبلغ ممكن ثمنا لاقنانه الميتة ، ثم يرضى بروبلين ثمنا لكل روح ميتة . وهناك العجوز المتدينة التي تفزعها فكرة بيع الارواح الميتة . وهل تموت الروح ؟؟ انها حسب تعاليم الدين ، خالدة . وترفض الفكرة ، وتقدم

له ولخادمه بدلا من ذلك عسلا وطمعا . ورجال الحكومة هم على العهد بهم ، يجرون وراء كل بارقة تلوح لهم بالمغانم كولهفا فهم يعدون تشيتشيكوف مبجلين معظمين، فكلا منهم انه ثري ما دام يستطيع شراء هذا العدد الكبير من الاقنان .

وجو القصة قاتم حزين لانها تصور لنا المجتمع الانساني باسرها جشعا ، جهلا . ان تشيتشيكوف ومن يبيعون له ، ليسوا مجردين من وعي ، ولكنهم انفس اموات ، لان كل الاحاسيس النبيلة قد ماتت فيهم . وهو يشتري ارواحا لا وجود لها سعيا وراء الكسب المادي ، فالمال والمعيشة الرخيصة هما كل ما يشغل فكره ، « ان عالمه هو عالمنا .. ولكن كل على قدره ان تشيتشيكوف واضرابه هم الناس المطلوبون البحثون في كل زمان ومكان » !

* * *

وعام ١٨٤١ رجع جوجول الى وطنه ، لنشر قصته ، ولان العصبي اليها اسند به . وقدم قصته للرقابة ، فذهل مدير الرقابة عند قراءتها وقال معلقا عليها : « ان الروح خالدة ، ولهذا فليس هناك ما يمكن ان يسمى روحا ميتة . اضف الى هذا ان فكرة بيع الارواح بسعر يعلى (روبلين ونصف) اهانة للكرامة الانسانية ! » ولكن الامبراطور اجاز نشر القصة عندما عرضت عليه ، وظهرت في حينها .

ووجد جوجول نفسه للمرة الثانية محاطا بجو من الكراهية والحقد لم يستطع تفسيره ، وسلقه الجميع بالسنتهم لان كل واحد منهم كان يرى في هذه القصة تفاهته وفراغ حياته . ولعل جوجول يقف على رأس الكتاب الذين ابدعوا في تصوير خواء الوجود الانساني ، ولهذا فلا عجب اذا كان مكروها . ولم يحاول جوجول ان يخفي معانيه في قصته ، بل عبر عن ذلك صراحة فقال : « ان الارواح الميتة هي انا وانت والاخرون » .

ولم يكن الناس فقط هم نقاد جوجول ، بل انه هو نفسه كان ناقدا لنفسه . كتب الى صديق له بعد نشر الكتاب يقول : « اذا كان القراء قد استقبلوا كتابي بفزع واستهجان ، فان ذلك لا يعود الى انه يكشف عن الامراض ، ويعري الآثام ، ويبين كيف ان النصر للرذيلة في مجتمعنا ، والاضطهاد والحرمان من نصيب الفضيلة . لقد فزع القراء لانهم لم يجدوا فيه بصيصا من نور » .

ثم يعد بانه سيعوض عن هذا في الجزء الثاني من كتابه : « انني احب الخير ، واسعى اليه ، واكره الشر وانفر منه ، وبعون الله سانتصر عليه . ولقد استطعت ان احرر نفسي من الصغائر والضعة ، عندما خلقت ما فيها في نفوس ابطال قصصي » .

* * *

وهكذا بعد ان كتب رائعته الخالدة « الارواح الميتة » ، قرر السفر الى اوروبا ليكتب قصة « الارواح الحية » . وها هو تشيتشيكوف يعود الى الظهور في شخص جوجول فيقضي الفترة بين عامي ١٨٤٢ و ١٨٤٨ متنقلا في البلدان الاوروبية ، ومقبلا على كتابة الجزء الثاني من قصته ، مضيفا اليها شخصيات نبيلة . ولكن الكاتب الذي يريد ان يصور ارواحا حية لا بد وان يكون هو نفسه روحا حية ، والنضال الاصلي عند الاديب يقتضي على العمل الادبي . وكم كانت دهشته للنقد المر الذي قوبل به الجزء الثاني من قصته ، لقد كان نقدا يفوق في حدته النقد الذي استقبل به الجزء الاول . والنقاد على حق في موقفهم : فجوجول في الجزء الثاني قد لبس لبوس الواعظ ، وهام في المسيح ، واستحال الى ناسك متصوف ! واذا كانت شخصيات « الارواح الميتة » قد خرجت مليئة بالحياة من تحت قلم جوجول، فان شخصيات « الارواح الحية » ولدت ميتة لم تجر فيها نسمة من حياة . وهذا يذكرنا « بالكوميديا الالهية » لدانتي ، حيث « الجحيم » اشد حياً من « الجنة » وبالاول عرف واشتهر. ويذكرنا ايضا بملتون الذي قامت شهرته على « الفردوس المفقود » ، بينما لا يذكر له الدارسون والقراء « الفردوس

المستعاد » . وهذا أيضا يجعلنا نتساءل : ترى لماذا يبدع الفنانون في تصوير الشر ، والرذيلة ، ولا يرقون الى هذا المستوى عند تناولهم لموضوع الخير والفضيلة ؟! أترى السر كامنا في الاديب نفسه ، أم في الموضوع ؟

★ ★ ★

وضاق جوجول بنفسه بعد الذي لقيه من النقاد والقراء على السواء ، وحج عام ١٨٤٧ الى القدس ، وزار قبر المسيح طالبا منه الهداية والارشاد . وعندما عاد وصف لصديقه الكونت ليوتولستوي كيف انه أحس ببرودة الثلج عندما ركع وقبل ضريح المسيح ، بينما كان هذا هو آخر ما تمنى أن يحس به . ولعل التفسير المعقول لهذا هو أن جوجول عاش عمره كله وهو أسير اعتقاد يملأ عليه نفسه ، ويقول له انه انسان ذو روح ميتة . والواقع أن حياته كلها كانت موتا بطيئا .

وظن أنه لو عاد الى أوكرانيا وصحب وطلب أمه وأخته ، فانه سيتخلى عما هو فيه ، ولكنه عدل عن ذلك لأنه وجد أن الحب لكل ما في الوجود قد غاض من نفسه .

وذهب الى القسيس واعترف ، فنصحه بأن يكف عن الكتابة ، فقال له : انك لأذكى من قابلت . ولكن التوقف عن الكتابة سيعني يعني الموت » .

ولم يجد نفعا طب الاطباء ، ولا نفعه نصح الاصدقاء ، واعتقد الجميع ان به مسا من جنون !

وفي ٢١ فبراير (شباط) من عام ١٨٥٢ أغلق بابه أمام كل انسان ، وأشعل النار في المدفأة والقى بكل ما كتبه فيها ، وأخذ يرقب الاوراق وهي تحترق حتى استحالت رمادا . عندها هدأت نفسه ، وأسلم الروح .

نهاية كنهاية الكاتب الفرنسي « مارسيل بروست » الذي لفظ آخر أنفاسه مع آخر حرف خطه في كتابه : « البحث عن الزمن الضائع »

انه حب الموت الذي يستطيع ـ اذا استبد بالانسان ـ أن يطفىء نور الحياة . ■■

محمود السمره



البنوك والاقتصاد الأردني

تأليف : فهد الفانك ـ يطلب من المؤلف بالبنك العربي ـ عمان ـ الثمن ٢٠٠ فلس

● يبحث هذا الكتاب قصة النقود وتطورها ونشأة البنوك ووظائفها كما يتناول بالبحث احتياطات العملة الأجنبية بالأردن وميزان الدفع وذلك بأسلوب سهل مبسط

حياة جائعة

تأليف عاصل الساعي مؤسسة بعارف بيروت ـ الثمن ٢٥٠ قرشا لبنانيا

● مجموعة قصص شيقة في بيئات مختلفة يقدمها المؤلف بصورة اجتماعية نقية وذلك بأسلوب سهل مشوق

تمتع بطفلك في سنواته الثلاث الأولى

تأليف : جيمس هايمز – ترجمة الدكتور محمد خالد الشامي – دار الفكر بيروت بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ببغداد الثمن ١٢٥ قرشا لبنانيا

● هذه هي الحلقة الثانية من السلسلة التي تقوم بنشرها لجنة الشئون العامة وغايتها تيسير المعلومات الصحيحة للقارئ كافة حول المشكلات الاقتصادية والاجتماعية بأسلوب سهل مقبول

النحاسة العربية وآثارها

تأليف : يحيى الشهابي – مؤسسة الدليل العام للبلاد العربية – حلب

● يعرض هذا الكتاب الكثير من معالم الآثار العربية ويعتبر مرجعا للباحثين في الشئون العربية

صيد الحيتان

تأليف : هيلين ولف فوجل – ماري ليونارد كاروليو – ترجمة زكريا فهمي دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة – الثمن ١٥ قرشا

● كتاب فيه جهد صادق لإثارة اهتمام القارئ بدراسة قاع المحيط وهو يعرض المعلومات السابقة والاكتشافات الحديثة التي تحققت في هذا الميدان ويناقشها بتفصيل بأسلوب سهل جذاب

المطالعات في مختلف المؤلفات

تأليف : محمد علي الموسوي العاملي – مكتبة السيد العاملي النجف الأشرف

● يستعرض هذا الكتاب جانبا كبيرا من تاريخ حياة التأليف في مراحله الثلاث ، مرحلة الكتابة الحجرية المسمارية ، ومرحلة الكتابة على الرق والقرطاس والمرحلة الأخيرة التي يتمتع فيها عصر انتشار الطباعة .

مجلة المجمع العلمي العربي

● تصدر هذه المجلة في دمشق وقد ظهر الجزء الأول من المجلد الأربعين ، يضم الكثير من الموضوعات الأدبية الهامة

الفراشات وأبو دقيق

تأليف : روبرت لي – ترجمة الدكتورة سميرة الزيات – دار المعارف بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة – الثمن ٣ قرشا .

● يتناول المؤلف الفراشات بمختلف أنواعها بالشرح والتفصيل مبينا أوجه الشبه والخلاف بينها والمراحل التي تمر بها في مختلف أطوار حياتها التي قد تقصر بالنسبة لبعض أنواعها فلا تتعدى بضع ساعات . ويبين المؤلف وسائل دراسة الفراشات بحيث تستطيع أن تدرسها بنفسك بطريقة علمية منظمة وذلك بأسلوب شيق مبسط .

الصخور المتغيرة

تأليف : آن تري هوايت – ترجمة الدكتور محمد يوسف حسن – دار المعارف القاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة – الثمن ٣٠ قرشا .

● في هذا الكتاب تشرح المؤلفة الأنواع المختلفة للصخور وتتحدث عن التغيرات الكبرى التي أدت إلى وجود هذه الأنواع ، فتبين كيف أن جبالا تبلى وتزول بفعل عوامل التعرية ، وكيف أن جبالا أخرى تنشأ وتقوم بفعل الضغط الشديد الذي يتولد في باطن الأرض . وتتناول بالشرح مكونات الصخور وكيف أن بعض هذه الصخور لامع كالزجاج وبعضها تتلألأ فيه ذرات من المعدن وبعضها ناعم الملمس ، وتدعم ذلك بالأمثلة .

الثعابين

تأليف : بيي م. هست – ترجمة الدكتور عبد العليم كامل – دار المعارف بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة – الثمن ٣٠ قرشا .

● هذا الكتاب يوضح فوائد الثعابين ويلغي الفكرة التي ترتكز في مخيلة الكثيرين من أن كل الثعابين مؤذية بينما معظمها غير ضار . والكتاب يحوي الكثير من الطرائف والمعلومات الشيقة .

حضارات سادت ثم بادت

بقية المنشور على صفحة ٢

■ مـــن الحضارات التي ســادت ثم بادت ، حضارة وادي النيل التي عاشت قبل نحو خمسة الاف مـــن الســنين وظلت مزدهرة الى ان بادت واخذت سبيلها الى الخلود فيما تركته من اثار واسرار وكنـوز حفظتها لنـا مخطوطات واهرامات وصروح ما زالت موضع دهشة واعجاب على مر الاجيال .

وتمثل الصورة المنشورة على الصفحة الثانية حفلة تكريم وترفيه اقامها امـير فرعوني لضيفه الشيخ البدوي . ويرى الامير وزوجته جالسين الى اليسار في مقدمة الصورة ، تدل عليهما دلائل عديدة منهـا الحلى الفاخرة التي تزين معصمي الاميرة وصدر الامير . ومنها مظاهر الترف البادية في النعال في ارجلهما والمراوح في ايديهما ، فضلا من ثياب الاميرة السافرة عند الصدر ، وشعرها المصفف على احسن ما يكون التصفيف ، تزينه الاشرطة والزهور البيضاء من فوق ، والربطات الحمــراء في اسفل الضفائر . اضـف الى ذلك ما تزين به وجه الاميرة من احمر للشفاه وكحل للعيون ، وما تسترت به هي وزوجها الامير مـــن ثياب بيضاء من الكتان الرقيق بل الشفاف ، كما يدل على ذلك غطـــاء اكتاف الوصيف الواقف وراءهما رهن الاشارة . وتدل كلاب الصيد الاصيلة على ولع الامير وذويه بالصيد والقنص ، هواية الامراء والملوك في مختلف الاقطار والعصور .

ويجلس الضيف البــدوي وزوجته في الجهة المقابلة على مقعد خشبي تتجلى بساطته لـــدى مقارنته بمقعد الامير . ويحيط بهما افراد بطانته ومنهم الواقف وبيده القوس والنشاب او الجالس على الارض وبيده الربابة . اما ثيابهم فلا تعدو كونها مصنوعة من قماش صوف خشن تكاد خشونته ان تختفي بما ازدان به القماش من تلوين وزركشة . ولن يغفل الناظر الى الصورة شهود احد الواقفين من بطانة الشيخ متنطقا . فالشيخ وصحبه كلهم حفاة ، وحتى هذا الواقف لم تنتعل من قدميه الا واحدة . ولعل ابرز ما يميز الضيف وذويه تلك الدهشـة التي تملكتهم وهم يراقبون المصـارعة الجارية في وسط المشهد بين زنجي ورجل آخر . ولا غرابة في ذلك فالمصارعة غريبة عليهم مألوفة بالنسـبة الى الامير الفرعوني وحاشيته .

اما هذا الامير الفرعوني فهو (تحوتي ـ حوتبي) احد حكام الولايات (واسمه بلغتهم نومارش) في عهد الملك (سن ـ وسرت) الثالث . تمثل الصورة اذن جانبا من الحياة الفرعونية في زمن المملكة الوسطى التي بسطت على الديار المصرية طيلـة سبعة قرون اعتبارا من سنة ٢٧٦٠ قبل الميلاد . وكان قوام هذه المملكة اسرتان من الملوك ، الاسرة الحادية عشرة والاسرة الثانية عشرة ، وكان الملك (سن وسرت) من ملوك هذه الاسرة الاخيرة . وقد آلت اليها السلطة من المملكة الاولى القديمة وكان قوامها تسع اسر من الملـوك حكموا البلاد بين ٢٧٨٠ ـ ٢٢٧٠ قبل الميلاد . وكان الامير (تحوتي ـ حوتبي) حاكما لولاية (هـر) مـن ولايات مصر الوسطى الواقعة بين مصر العليا والدلتا او مصر السفلى كما كان من اصدقاء الملك (سن ـ وسرت) المقربين .

وعلى كل ما يتجلى في الصورة من مظاهر الرقي والحضارة في حياة الفراعنة فانها لا تمثل حضارة مصر القديمة في اوجها ، بل في حقبة من تاريخها سبقت ذروتها بقرون عديدة .

وتكفي الاشارة الى ان التقويم الغربي الذي يسير عليه كافة الناس في سائر الاقطار والامصار ، والذي يقسمون السنة بموجبه الى اربعة فصول ، وكل فصل الى ثلاثة شهور ، وكل شهر الى ثلاثين يوما ، هذا التقويم انما هو انتـــاج فرعوني . تكفي الاشارة الى ذلك لكي نذكر ما آلت اليــه حضارة مصر القديمة من خلود . ■■



حديث « الكلب » .. وحديث « الذباب »

● روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا وقع الذباب في شراب احدكم او طعامه فليغمسه ثم لينزعه ، فان في احد جناحيه داء وفي الآخر شفاء »

فما حظ هذا الحديث من الصحة والصدق ؟

برقة – ليبيا — صالح ونيس عبد النبي

● من الاحاديث المتفق عليها في صحيح مخصصه ما يخص تطهير الاناء الذي ولغ فيه الكلب بغسله سبع مرات احداهن بالتراب .. الا يجوز تطهير الاناء الذي ولغ فيه كلب بمادة مطهرة غير التراب، كالصابون مثلا ؟!

دير القمر – لبنان — ابو صادق

– اما حديث الذباب وما في جناحيه من داء وشفاء ، فحديث ضعيف ؛ بل هو – عقلا – حديث مفترى .. فمن المسلم به ان الذباب يحمل من الجراثيم والاقذار التي يقع عليها ما قد يؤدي الى انتشار بعض الامراض المعدية كالتيفوئيد والسل وغيرها . ومن هنا تعمل الجهات الصحية على مكافحته خشية انتشار الاوبئة ..

ولم يقل احد قط ان في جناحي الذبابة داء وفي الآخر شفاء ، الا من وضع هذا الحديث او افتراه .. ولو صح ذلك لكشف عنه العلم الحديث الذي يقطع بمضار الذباب ويحض على مكافحته .

واما حديث تطهير الاناء الذي يلغ فيه الكلب سبع مرات احداهن بالتراب ، وان يكن حديثا صحيحا متفقا عليه ؛ الا ان بعض العلماء قد فهموه على غير ما كان ينبغي ان يفهم : فزعموا ان العدد في الغسل مع الترتيب مقصودان لذاتهما ، فاوجبوا غسل الاناء سبع مرات ، واوجبوا ان تكون احداهن بالتراب ..

وفي ذلك يقول الامام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر السابق : « ولكن الذي نفهمه هو ان المقصود من العدد مجرد الكثرة التي يتطلبها الاطمئنان الى زوال اثر لعاب الكلب من الآنية ، وان المقصود من التراب هو استعمال مادة مع الماء من شأنها تقوية الماء في ازالة ذلك الاثر . وانما ذكر التراب في الحديث لانه الميسور لعامة الناس ، ولانه كان هو المعروف في ذلك الوقت كمادة قوية في التطهير واقتلاع ما عسى ان يتركه لعاب الكلب في الاناء من جراثيم

« ومن هنا نستطيع ان نقرر الاكتفاء في التطهير المطلوب بما عرفه العلماء بخواص الاشياء من المطهرات القوية ، وان لم تكن ترابا ، ولا من عناصرها التراب » .

تنظيم النسل ليس حراما
بل يكون مستحبا عند الضرورة

● اني سيدة متزوجة وقد رزقني الله ثلاثة اولاد واربع بنات ، وهؤلاء يحتاجون الى عناية تامة ، ولما كنت وحيدة في البيت فقررت ان استعمل حبوب منع الحمل ، ولكني سألت احد رجال الدين عن رأيه في استعمال هذه الحبوب من الناحية الدينية فاجابني بانها محرمة ، وحجته بقوله : « هذا ما كان يفعله اهل الجاهلية في قتل اولادهم » .

وبما انني امرأة مؤمنة لا اريد ان اغضب الله سبحانه وتعالى لذا توجهت اليكم راجية ان يفتي احد منكم حلا لمشكلتي ، وهل كلام هذا الرجل صحيح ام لا ؟

الزبير — البصرة — العراق　　　　عائشة حسن

— اولا : احب ان اقول لرجل الدين الذي سألته فافتى بان استعمال حبوب منع الحمل حرام ، وانه من اعمال الجاهلية — احب ان اقول له انهم في الجاهلية لم يكونوا يعرفون حبوب منع الحمل ، لانها لم تكن قد عرفت بعد ، ولكنهم كانوا يئدون البنات والاولاد احيانا خوف العار او الفقر فقط !

قال تعالى : « واذا الموءودة سئلت ، باي ذنب قتلت » ، وقال ايضا : « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق » .

وهذا هو الذي حرمه الله .

وكذلك الاجهاض بعد ان يكتمل تخلق الجنين ، لانه قتل نفس حرم الله قتلها .

اما تحديد النسل او تنظيمه بالنسبة لسيدة يسرع اليها الحمل ولا تقوى على تربية اولادها لكثرتهم ، او لسيدة لا تقوى على آلام الحمل والوضع ، وبالنسبة للآباء الذين لا تساعدهم ظروفهم الصحية او الاجتماعية على احتمال مسؤولية تربية الاولاد على صورة مرضية تجعل منهم مواطنين صالحين ، لا عالة على المجتمع ، فذلك كله امر لا حرمة فيه ، ولا تمنعه الشريعة ان لم تطلبه وتحث عليه ، دفعا لما يتوقع من الضرر الذي يحتمل ان يقع على الام او الاب او الاولاد ، او المجتمع الذي يعيشون فيه .

القبول بالكلية الصناعية بالكويت

● طالعت في العدد رقم ٧٧ لشهر ابريل الماضي استطلاعا عن الكلية الصناعية في الكويت ، فارجو افادتي اذا كان في الامكان انتساب طلاب من البلاد العربية ، وشكرا

حلب — 　　　　عمر فاروق بركات

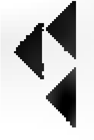
— اتصلنا بمدير الكلية فاجاب بان من شروط الالتحاق بها ان يكون والد الطالب او ولي امره مقيما بالكويت ، وان يكون الطالب متفرغا بالكلية وليس فيها نظام للانتساب .

نهر النيل .. والجنة !

● سمعت كثيرا من الناس يقولون ان نهر « النيل » — ينبع من الجنة فهل هذا صحيح ؟ وما الدليل على ذلك ؟

القاهرة — 　　　　حسن اسحاق عثماني جالا

— القول بان هذا النهر او ذاك ينبع من الجنة قول لا يعدو الخرافات .. ونهر النيل ينبع من منطقة البحيرات الاستوائية ، وجبال الحبشة ، ففي اي هاتين المنطقتين تقع الجنة يا ترى ؟ !!



ايتها المسكينة .. شفاك الله

● منذ ثلاثة اشهر وانا احاول ان اكتب اليك ولكني اخشى ردك اللاذع ، فاحجم عن مكاشفتك بمشكلتي صراحة ، واخيرا استجمعت شجاعتي ، وكتبت اليك ..

[illegible] في [illegible] عمري ؟ جميلة ، جذابة ، ذكية ، [illegible] المجتمع الذي اعيش فيه [illegible] مدللة من اهلي ، ومن زميلاتي وصديقاتي [illegible] وعندما بلغت الحادية عشرة اكمل [illegible] واصبحت [illegible] من هو اكبر [illegible] مني ، وعرفت الحب وانا في الثانية عشرة ، ولكنه كان [illegible] من جانب واحد ، وفي [illegible] عشرة [illegible] بحب ثان ، وكان ايضا من جانب واحد ، حتى بدأت [illegible] في حياتي فاطرت على نفسي وامرتها في الدروس [illegible] وفي المدرسة [illegible] ، لانه [illegible] حياتي ، فاعاد الي [illegible] في نفسي [illegible] وقد كان في الثالثة والثلاثين ، ومتزوجا ، ولكن الحب اعماني عن كل شيء [illegible] وكم كانت [illegible] قاسية عندما [illegible] لم [illegible] الا مجرد [illegible] في [illegible] من [illegible] ، [illegible] ، واعتبرت كل رجل في الحب خائنا ! [illegible] حتى [illegible] الرجل الرابع ، فاردت ان انتقم من الرجال في شخصه ، واحطمه كما حطمني الآخرون ، ولكن الآية انعكست لاني [illegible] في حبه ، رغم انه مسيحي وانا مسلمة ! [illegible] الاهتمام الذي كان [illegible] ، و[illegible] في هذا الحب حتى الآن [illegible] السابعة عشرة [illegible] في هذه الاثناء ان تقدم احد الشباب [illegible] لخطبتي ، ورفضت ، ولكني لم استطع ان انفصل عن الآخر الذي كلما رآني [illegible] نفسي [illegible] لماذا لا اعبر عن رغبتي في الحياة كأي شاب ؟ لماذا تعاقب الفتاة وحدها اذا احبت شابا ووهبته جسمها كما وهبته قلبها ؟ ولماذا يعتبر [illegible] الحب حراما ، والمتعة اجراما ؟

[illegible] ، وارشدني ، ولكن لا تكن قاسيا في احكامك ، فانا بشر ككل الناس احب واريد ان استمع بحبي ، فلماذا تحرمونني هذا الحق ؟ اجيبوني [illegible] !

عمان ــ الاردن　　　　　　　　　　　　الحائرة : أ . ب . ع

ــ كان في مقدوري ان اصارحك برايي بلا رحمة ، وان اقول لك انك فتاة عابثة ، مستهترة ، كافرة بالقيم والانسانية ، والخلق ، والناس اجمعين .. ولكنني ساكتفي بان اقول لك « شفاك الله ! ... وهداك » .

اقولها من كل قلبي ، فانت لا شك مريضة .. وامراض المراهقة ما اكثرها ، وما اقساها ... وليسامح الله اولئك الذين دللوك ، فعلموك امور الحب والجنس والحرمان قبل الاوان ، وتركوك تحبين وتعشقين ، وانت طفلة لا تفقهين معنى الحب .. وما تزالين !

فالحب ليس قصتنا نطويه باخر وثالث ورابع ، حتى لتشائين .. انه شيء اعظم من هذا واقوى ، واسمى ، واسمى .. اما الذي تشعرين به نحو فتاك الحالي وضحاياك السابقين فليس الا مجرد اشتهاء رخيص ، ونزوة عارضة ، ووهم من اوهام خيالك المريض لن يخلف الا الحسرة والندم والدموع !

لم تدرين ماذا سيحدث لو انك انسقت في طيشك وجنونك ؟ سيقضي منك هذا الفاسق العابث لبانته ثم يلفظك بعد شهر او اكثر او اقل ، تاركا اياك لمن يخلف بك الشيطان في طريقهم من الفساق المستهترين الذين لا شرف لهم ولا ضمير !

فافتحي عينيك جيدا .. واني لاسأل الله ان يهديك سبيل الرشاد فتعودي الى خطيبك الشريف النظيف ، وتنقذي ما علق بنفسك من الشنار ، والا فان الهاوية ليست منك ببعيدة !

التلقيح الصناعي متى يكون حلالا .. ومتى يكون حراما ؟

● مضى على زواجي اكثر من خمس سنوات ولم انجب ، فذهبت الى كثير من الاطباء ، واخيرا اقترح احدهم ان نلجأ الى التلقيح الاصطناعي ، اذ انه مضمون النتيجة ، وخصوصا بعد ان ثبت بالتجارب سلامة جهازي التناسلي ، وقد وافق زوجي على ذلك

ولكن حيرت ابعث بهذا الامر [illegible] ، وقد يكون هذا العمل منافيا لاصول الدين وشرع الاسلام ، وذلك ما اعتقده [illegible] وان كان [illegible] مباشرة ، وقد حرم الله سبحانه وتعالى هذا [illegible] .

واسأل [illegible] ما موقف الدين من التلقيح الاصطناعي ؟ [illegible] هل هو حرام ام يجوز الاخذ به [illegible]
ساهرة — م . ع

ـ ظاهر من رسالتك ان العيب الذي ادى الى عدم الحمل ليس منك ، وانما هو من زوجك .. ومعنى ذلك ان التلقيح الصناعي لن يكون بماء الزوج ، وانما بماء رجل اجنبي ، وهذا عمل تمجه النفس ويأباه المستوى الانساني ، وان كانت لجأت اليه بعض الدول المتحضرة في اعقاب الحروب لتعوض ما فقدت من شبابها ورجالها .

اما في رأي الشريعة فهو وان لم يكن زنا في ظاهره ، لان للزنا شروطا وحدودا لا تتوفر هنا ، الا انه جريمة منكرة واثم عظيم ، يلتقي مع الزنا في اطار واحد ، ولولا قصور في صورة الجريمة لكان حكمه حكم الزنا الذي حددته الشرائع السماوية ونصت على عقاب مرتكبيه ..

اما اذا كان التلقيح الصناعي بماء الزوج لسبب او لآخر ، كعجزه عن زوجته او عدم قدرته على الاتصال الجنسي ، مع حرص الزوجين على ان يكون لهما ولد شرعي تكمل به سعادتهما في حياتهما ، ويطمئنان بوجوده على دوام العشرة بينهما ، ويذكران به بعد وفاتهما ، فذلك عمل مشروع لا تأباه شريعة ولا قانون ، ولا اثم فيه ولا حرج على الاطلاق .

سدوم .. وعمورة وقصتهما مع النبي لوط

● اين تقع مدينتا « سدوم » و « عمورة » الوارد ذكرهما في التوراة ، والتي يقال ان النبي لوط كان يعيش فيهما ، وان الله اهلك اهلهما عقابا لهم على ما كانوا يرتكبون من الفواحش ؟

اربد ـ الاردن　　　سعيد حداد

ـ تقول موسوعة « لاروس » الفرنسية انه لما وصل سيدنا ابراهيم وابن اخيه لوط ارض الكنعانيين ، كانت مدينة « سدوم » ومعها اربع مدن اخرى هي « عمورة » و « ادامه » و « صبوييم » و « سيجور » ، في الوادي الذي هو الآن « البحر الميت » ، وان المدن الخمسة حاربت القادمين واسر اهلها « لوطا » ولكن ابرهيم تمكن من هزيمتهم والتغلب عليهم واطلق سراح ابن اخيه الذي استقر في « سيجور » ، فنزل الوحي عليهما بان المدن الخمس ستعاقب على ما كان اهلها يرتكبون من اباحية كادت تصل الى ملائكة الرب ، فطلب سيدنا ابراهيم من الله ان ينقذ « سيجور » اصغر تلك المدن حيث كان لوط يعيش مع اهله ، ولكن الله رفض ، بعد محاورة مع ابراهيم تقول موسوعة « لاروس » انها من اجمل ما ورد في التوراة ، وانه لما حان وقت انزال العذاب الالهي امر الله لوطا ان ينجو بنفسه ، ومن آمن معه ، ثم امطرت السماء على تلك المدن نارا وكبريتا ، بعد ان هرب لوط وبناته وامرأته ، وكان الله قد حذرهم من ان يلتفت احد منهم الى الخلف ، ولكن امرأة لوط توقفت اثناء السير والتفتت وراءها فمسخها الله تمثالا من الملح !

وقد وردت قصة النبي لوط وقومه في القرآن الكريم على صورة اقرب من هذه الصورة ، وان لم تتعرض لذكر التفاصيل واسماء البلاد على نحو ما هو في التوراة .

ويكاد المؤرخون وعلماء الآثار يجمعون على ان سدوم وعمورة كانتا تحت « البحر الميت » ولكن في اي مكان على التحقيق ، ذلك ما لم يتفقوا عليه ولم يهتدوا اليه ، رغم عمليات البحث والتنقيب المتكررة ، بسبب انعدام الرؤية عندما كان المستكشفون يغطسون الى ما تحت ١٤ بوصة فقط من سطح الماء الذي تبلغ كثافته ١٫٢٠ درجة

بقية سدوم .. وعمورة

تقريبا . ومع ذلك فان عمليات الكشف لم تنقطع رغم ما يواجهها من صعوبات ومخاطر ، اذ ان البحر الميت يصل عمقه في بعض اجزائه الى اكثر من ١٣٠٠ قدم .

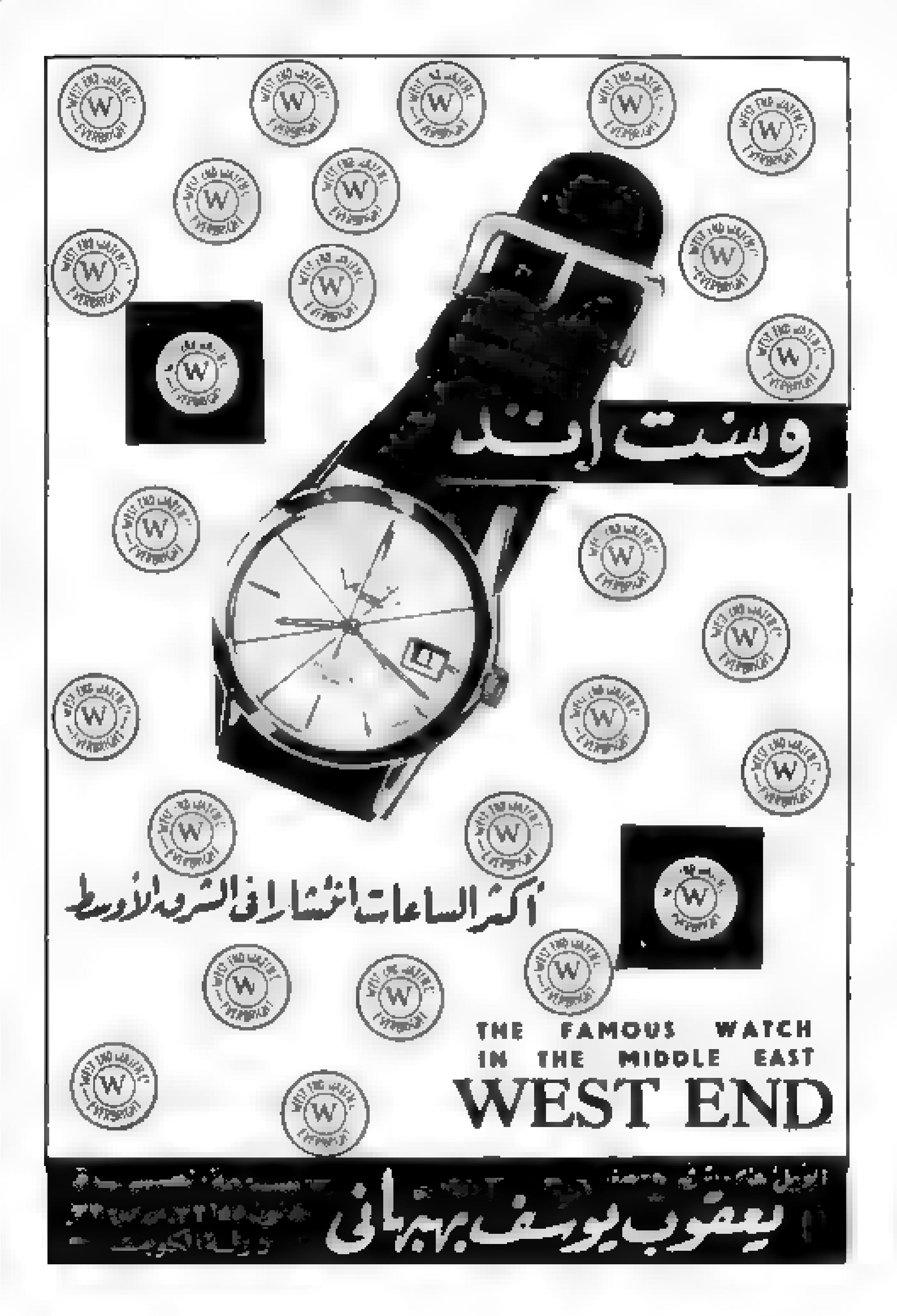
وقد اطلق اليونانيون القدامى على هذا البحر اسم « البحر الميت » . اما العرب فسميه بعضهم « بحيرة لوط » ويسميه آخرون « بحر زغر » و « بحر سدوم » و « البحر النتن » الخ ....

نظرية ((النسبية)) بين آينشتين و ((هـ . ج . ولز))

● قرأت في كتاب « مختارات من القصص الانجليزي » المطبوع في القاهرة سنة ١٩٣٩ قصة للكاتب المعروف « هـ . ج . ولز » ، فاذا هي تتضمن عبارات علمية كثيرة شبيهة بالعبارات الواردة في نظرية النسبية لاينشتين ، كقوله ان للفضاء اربعة ابعاد ، لا ثلاثة ، هي الطول والعرض والسمك ، والرابع هو الزمن ... كما ان به بعض البراهين الواردة في نظرية اينشتين . فمن كتب « ... » وسبق صاحبه تلك ؟ وهل سبق بآرائه هذه اينشتين ... خاصة وقد ولد قبله ... ثم انه ... هذه الآراء من نظرية اينشتين وسبقه عليه ؟

بغداد — منال بديع النائب

ـ المعروف ان اينشتين اذاع نظرية النسبية في عام ١٩٠٥ ، وان « اتش جي ولز H G Wells » وان كان قد ولد عام ١٨٦٦ الا انه مات عام ١٩٤٦ ، ولا شك انه الف قصته بعد ان عرفت نظرية النسبية ، التي لم يقل احد ان هناك من سبق اينشتين فيها ، فضلا عن انه لم يعرف عن « ولز » الاشتغال بالعلوم الرياضية او الطبيعية .


وست إند
أكثر الساعات انتشاراً في الشرق الأوسط
THE FAMOUS WATCH
IN THE MIDDLE EAST
WEST END
يعقوب يوسف بهبهاني

بقية بريد القراء

الرسالة لم يلتحق الا بعد ان اكمل الاسلام دينا ، وان الرسول قد ترك المسلمين على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، وانه ترك لنا الكتاب والسنة ولو تمسك المسلمون بهذين الاصلين ما زاغ زائغ ولا ضل ضال . وليس لاحد - كبير او صغير - ان يضيف او يحذف شيئا بل او علم في العقائد او العبادات التي جاء بها الكتاب والسنة .

والكلام بالتفرغ والفناء في حب الله كأساس لفهم الاسلام ومعرفة اللـه ، لا يوافق التعاليم الاسلامية ، وليس له قياس من الكتاب او السنة . وما التفرغ والفناء الا رهبنة نهى عنها الاسلام ، والا كلام وآراء من المذاهب الفلسفية والتصوف الهندي بصفة خاصة . وليرجع الدكتور الى تعاليم البرهمية اليوغية وال ويابشادا والكتب الدينية القديمة عند اليهود ، ثم آراء افلاطون وفلسفته الصوفية ليتحقق بنفسه .

اما الاسلام فشأن آخر « قل مـن حرم زينـة الله والطيبات من الرزق » . وفي المبادة نهى الرسول عليه السلام الناس ان يشددوا فيهما فيصبحوا كالمنبت « لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى » « يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا » .

سؤال واحد فقط : هل ظل الاسلام يلي فهم والعقيدة بلا ادراك ، منذ الخلفاء عليهم رضوان الله ، والصحابة والسلف والتابعين وجمهور المسلمين طوال سبعة قرون ، حتى اعترف اهل السنة بالتصوف اساسا لفهم الدين الاسلامي ؟

في حين اننا نعلم ان القرن الثاني الهجري لم ينته الا وحركة الجمع والتدوين والتحقق قد صارت في اوج اكتمالها ، واصبح لكل مسألة في العقيدة والعبادات مهما دقت ، حكم ظاهر لكل طالب وبايسر الجهد ، بل واصبح هناك قياس واضح من الكتاب والسنة واحكام الخلفاء ، مهما دقت المسألة بالنسبة للمعاملات وما يستجد فيها تبعا للتطور .

ثم يقول الدكتور : « وابن عطاء الله نموذج وحده بين المتصوفية فقد كان يجمع بين العلمين علم الظاهر وعلم الحقيقة والطريق ... » ويقول رب العزة جل وعلا . « وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون » ، « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل مـن مدكر » ، « تلك آيات القرآن وكتاب مبين » .

لود ان اسأل الدكتور الشبكي بمحضه الآيات البينات عن ماهية علم الحقيقة ومن اسمى علم الطريقة ثم عن علاقة هذا وذاك بعلم الظاهر الذي هو علم الفقه والسنة .. ولا احتسب مطلقا ان الدكتور لا يدري ما المقصـود بعلم الحقيقة ، فالذي يعرفه كل مسلم - على دراية بالدين - ان صحابة رسول الله (ص) كانوا اذا اعترضتهم مسألة في دينهم رجعوا الى كتاب الله والى سنة رسوله واخذوا بما قضى به الكتاب والسنة بلا تنطع ولا تجاوز . والذي نعرفه ويعرفه كل مسلم ان الحلال بيّن والحرام بيّن ، ثم بعد ذلك دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، اما ان تذهب الى ابعد من ذلك فهذا ما ليس في كتاب ولا سنة ..

الا ترى مشركي الجاهلية الاولى كيف كانوا يطوفون بالكعبة - عرايا رجالا ونساء - ويقولون بانهم لا يطوفون الطواف بملابس عصوا الله فيها !. وليس في صحابة رسول الله ولا السلف ولا احد من الائمة الفضلاء عليهم رضوان الله من بحث في الوجود ، وهل هو « عين الوجود » ام صفة خارجية او بحث في القرآن ، هل هو كلام الله وقديم ام حديث . ورحم الله عمر بن عبدالعزيز سألوه عن الشمس في اي سماء هي ؟ فقال قولة المؤمن بالله : « اينما كانت انتفعنا بها » .. ولا يعني هذا الصدود عن طلب العلم ، وانما يعني ان الدين موضوع ، والبحث في الاسباب والمسببات وفي الحركة والسكون موضوع آخر .

اما مذهب « اهل الحقيقة من اصحاب علوم الباطن » كما يقول الدكتور فليس الا فلسفة يستطيع ان يقف الدكتور على اصولها من مصادرها في مذاهب التصوف الهندي والعيسي والفيثاغوري .. الخ ...

واما ما يقوله الدكتور من ان التصوف العلمي قد فرض على كل شخص ضرورة الاتصال بشيخ من المشايخ الصوفية والانقياد له والتسليم والفناء في حبه حتى ليقولون : « من لا شيخ له فشيخه الشيطان » وان من صحب شيخا من الشيوخ ثم

(البقية على صفحة ١٥٤)



الجند في التمرين

● كان الجاويش يمرن فريقا من الجند على الرياضة البدنية . وفي ذات صباح امرهم أن يرقدوا على الأرض على ظهورهم ، ويرفعوا أرجلهم في الفضاء ، ويحركوها كما لو كانوا يركبون دراجة . ففعلوا ولكن واحدا منهم رفع رجليه ولم يحركهما ، لتعبه .

فصاح به الجاويش : انت يا من هناك ، لم لا تحرك رجليك ؟

قال الجندي : لاني نازل بالدراجة في طريق على سفح جبل .

* * *

اطمئنان ..

● شريكان في دكان ، فرغا من البيع ذات يوم ، وذهبا معا الى السينما ، وبعد أن استقرا في مقعديهما ، وبدأ الفلم ، تذكر أحدهما شيئا .

قال : « يا خبر !! نحن نسينا أن نغلق خزانة النقود وهم بالقيام . فامسك به الآخر ، وهو يقول : « وما الذي نخشاه ، ونحن الاثنان هنا !! » .

* * *

طبيب ماهر !

● **المريض للطبيب** : صباح الخير يا دكتور . جئتك لاشكرك واثني على طريقتك السريعة في العلاج .

الطبيب : ولكني لا اذكر اني عالجتك .

المريض : نعم . ولكنك كنت تعالج عمي ، وقد استفدت من ذلك جدا .

الطبيب : كيف ، وما علاقة هذا بحالتك ؟

المريض : لاني انا الوريث الوحيد له !

شهر عسل !!

● التقى صديقان بباريس ، فقال الاول للثاني متعجبا :

ـ انت أندرو .. هنا في باريس !!

ـ نعم ، وانت كذلك ..

ـ ولكن ما الذي تعمله في باريس ..؟

ـ اقضي شهر العسل ..

ـ شهر العسل ؟ واين زوجتك ؟ .. في الفندق طبعا !

ـ لا .. لقد تركتها في .. اسكتلندا

ـ ولماذا ..؟

ـ لانها زارت باريس من قبل ..!!

* * *

انا عرف السبب ...

● وقف أحد اعضاء جمعية منع الخمور يلقي محاضرة في مساوىء الخمر ومضاره على جمهور غفير من الناس ، وكان المحاضر يتكلم بحرارة مدافعا عن وجهة نظره ، ثم قال :

حتى الحيوانات تعرف جيدا من الاشياء ما ينفعها وما يضرها . مثلا : لو اتينا بحمار ووضعنا أمامه حوضا به ماء ، وآخر به كحول ، فمن ايهما يشرب ؟

الجمهور : من حوض الماء ..

المحاضر : ولماذا ..؟

الجمهور بصوت واحد : لانه حمار !!!

في بلاد « نيام نيام »

● هي : اظن انهم لو بدأوا باكلك فلن يحتاجوا الى بعدك .

بقية بريد القراء

اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة ، وان على المريد الطاعة وان امره الشيخ بمعصية كافطار رمضان أو الاخلال في اقامة الصلاة .. وان « من اشرك بشيخه فقد اشرك بالله » ، فهذا هو الشرك بعينه ، والا فماذا يكون الشرك بالله ؟ !!

يقول الله في كتابه العزيز « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » .

مستشفيات جامعة الاسكندرية : محمد سلام
٢٠٤٠٣م

حمامة « باب الطاق »

● قرأت في العدد ٧٦ من مجلة « العربي » ردكم على سؤال الاخ خليل سلطان عن قائل بيت الشعر :

بي مثل ما بك يا حمامة فاسألي
من فك اسرك ان يحل وثاقي

ويسرني ان اخبركم بان ياقوت الحموي مؤلف كتاب « معجم البلدان » يقول في كتابه شارحا كلمتي « باب الطاق » :

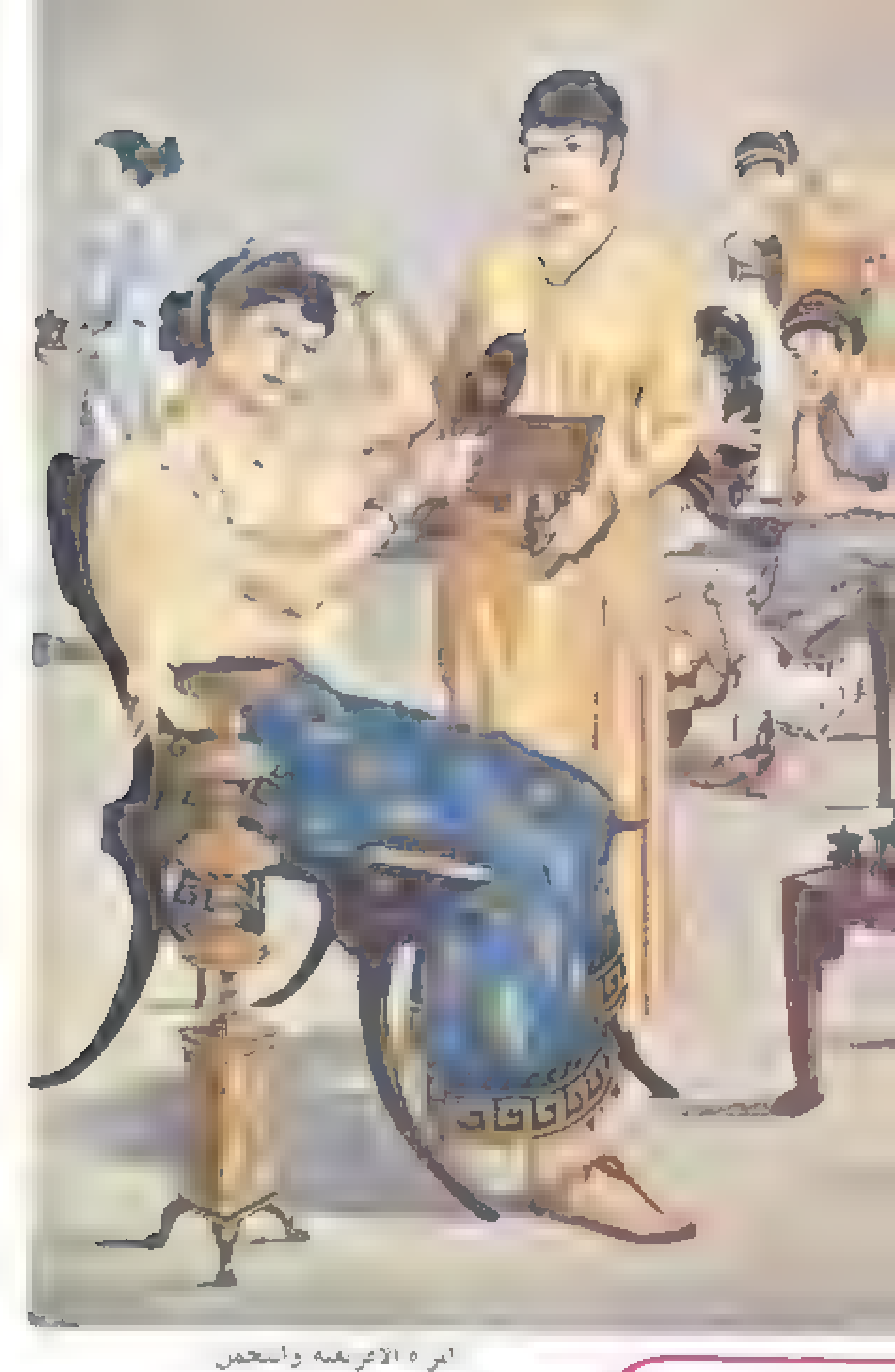
باب الطاق محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي ، تعرف بطاق اسماء ، وقد ذكرت في موضعها .. واجتاز عبد الله بن طاهر بها فرأى القمرية تنوح ، فأمر بشرائها ، واطلاقها ، فامتنع صاحبها ان يبيعها باقل من خمسمائة درهم ، فاشتراها بذلك واطلقها . وانشد يقول :

ناحت مطوقة بباب الطاق
فجرت سوابق دمعي المهراق

الخ .. وقد روى ان صاحب هذه القصة هو اليمان بن ابي اليمان البندنيجي ، الشاعر الضرير ، مصنف كتاب التقفيه ، وقد ذكره في كتاب معجم الادباء » انتهى ما قاله ياقوت الحموي .

عبد الله بن صقر / مسقط


العدد ٨٢
العربي
اطلب
مع هذا العدد
جوائز
١٢٠٠
سنويا



المرأة الإغريقية والمجتمع

[illegible]

ضارات سادت
ثم بادت

عزيزي القارئ

● هذا عدد اكتوبر ، او تشرين الاول .. وسيليه بالطبع عدد نوفمبر ، فديسمبر ، فالعدد الممتاز الذي يصدر في اول يناير ، والذي تفتتح به « العربي » عامها الثامن باذن الله ..

وكانت « الشركة العربية للتوزيع » ـ وهي التي تتولى توزيع « العربي » ـ قد كتبت الينا تطلب زيادة الكمية التي تطبع من العدد الممتاز الى مائة وسبعين الف نسخة على الاقل حتى تتمكن من تلبية ما تطلب الموزعون والقراء .. وهذا رقم لم يكن يخطر ببالنا اننا بالغوه في يوم من الايام ...

وان نفوسنا لتمتلىء بالغبطة والرضى لهذا الاقبال المنقطع النظير ، لانه ترجمة صادقة لما تتمتع به « العربي » لدى قرائها من اعزاز وتقدير ، في الوقت الذي نرى فيه عشرات الصحف والمجلات ما تكاد تصدر حتى تحتجب في عمر الزهور !

وهذا الاقبال يتطلب منا ان نقابله بمزيد من التجويد والتجديد ، تعبيرا عمليا عن شكرنا للقارىء العربي الذي برهن على انه لا يتقبل الا على كل جديد ومفيد ..

فالى اللقاء في العدد الممتاز ..

وما يناير منا ببعيد

« المحرر »

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة

لغات وآداب :

إسلاميات :

طب وعلوم :

تاريخ ... وتاريخ أشخاص :

تربية :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
ALARABY NO. 83 October 1965 - P O B 748 – KUWAIT
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ – تلفون ٢٦٤١١ – تلغرافيا «العربي»
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة – قسم الإعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

ما تكاد تشارف الصيف تبدأ حتى تسارع البدو الرحل في الانتقال من سهل حوران بسوريا الى سهل البقاع بلبنان حيث الجو المعتدل والمراعي الفسيحة ومعهم خيامهم ومواشيهم . ولكن ما يكاد الشتاء يحل حتى يسارعوا بالعودة الى اراضيهم بسوريا بحثا عن الدفء .. وهذه صورة امرأة بدوية مع حملها الوديع في سهل البقاع

(اقرأ الاستطلاع المنشور في هذا العدد)

فنون

شعر وشعراء

ركن الاسرة

تراجم وقصص :

كتب :

منوعات :

ثمن العدد : الكويت ١٠٠ فلس ، ساحل الخليج وعمان والجزيرة ١ روبية او ٠٫٢ ... العراق ١٢ فلسا ، سوريا ... قرش ، لبنان ... الاردن ١ ... السعودية ١ ريال ، السودان ١ قروش ، ج ع م ١ قروش ، تونس والجزائر ٠٫٢ ... المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢٫٥ ... ليبيا ١٥ قرشا

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة تتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها بيروت ص ب ٤٢٢٨ وتكتب على الغلاف



ادريس والادارسة

● ورد في عدد أيار الاخير تحت عنوان « ادريس والادارسة » ان « محمد النفس الزكية » قد ثار في الحجاز سنة ١٥٠ هـ والصحيح انه ثار سنة ١٤٥ هـ زمن خلافة المنصور ، وجاء كذلك ان ادريس بن عبد الله بن الحسن قد هرب بعد معركة فخ التي جرت بين محمد النفس الزكية وجيش المنصور ، ولكن الذي اجمعت عليه كتب التاريخ وخاصة المصادر ، ان ادريس قد هرب الى شمال افريقية في زمن موسى الهادي بن محمد المهدي وذلك بعد انهزام العلويين في المدينة بعد معركة فخ التي حدثت سنة ١٦٩ هـ . وكان قائد العلويين آنذاك هو الحسين بن علي بن الحسن ابن عم ادريس العلوي وابن عم محمد النفس الزكية وبين تاريخ ثورة محمد العلوي وتاريخ ثورة الحسين بن علي بن الحسن حوالي ٢٤ سنة .

كما ورد ايضا ان ادريس يعني ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب والصحيح ان اسمه ادريس بن عبد الله بن الحسن ابن علي بن أبي طالب (رض) ولعلها غلطة مطبعية .

البصرة ـ صالح محمد الصانع

منبر للحق في هولندا

● قرأت بشيء من التقدير والامتنان المقال القيم الذي سطره الدكتور منذر العبساوي الذي اشاد فيه بجهود السيدة الفاضلة « ليك فولبجر » في سبيل الدعوة للقضايا العربية العادلة ، في زمن شحت فيه المروءة ، واصبحت المجاهرة بالحق جرما يعاقب عليه ـ في هولندا وبخس بعضهم الأسى لما آلت اليه حال بعض ابناء العروبة الذين طغى بهم نكران الجميل حتى لا يذكرون معه بالخير اولئك النفر من الغربيين الذين آلوا على انفسهم الدفاع عن الحق اينما يكون ، لا يثنيهم عن ذلك لومة لائم . وكان عربيا بامتياز فلسطينيا على وجه الخصوص ـ وهم في الغرب كثر ، وقد كانوا يرتادون دارها كثيرا ـ أن يذكروا دار فولبجر بخير ، تلك الدار الانيقة المطلة على الربوة على مشارف لاهاي والتي فتحت ابوابها عن رضى وطواعية لكل ابناء الوطن العربي ، وجعلتها منتدى لكل زائر او طارق ينشد العدل او اسماع صوت الحق ، ولا سيما في مأساة فلسطين . كما فتحتها في مختلف المناسبات والمواسم العربية والاسلامية مثل الاحتفال بالاعياد وحفلات العرس . واذكر اننا احتفلنا بزفاف أخ عربي بمنزل فولبجر فاحاطتنا تكرمها ، واضفت علينا عطفها حتى كادت تنسينا الغربة ، وبعد الديار . .

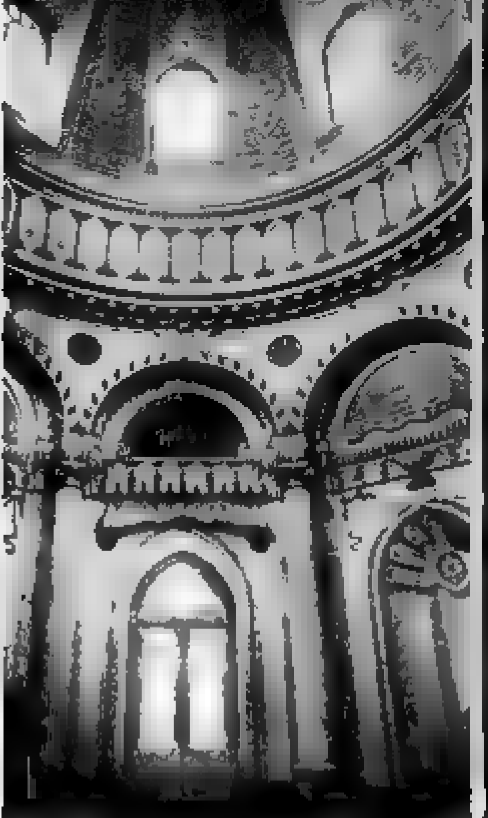
وان انسى لا انسى اننا كنا نتخذ من دارها منبرا للمحاضرات وحلقات النقاش كلما ألمت بالعرب نازلة وما اكثرها ، بل لقد اتخذناها مركزا انتخابيا لاتحاد الطلبة العرب بهولندا ـ وكانت السيدة فولبجر لا تكف عن السهر لراحتنا وتوفير سبل الحياة لنا ، في شعاب المشاكل التي كنا نواجهها والاعداء يتربصون بها وبنا من كل جانب .

الا رعى الله تلك السيدة وعمر دارها ، وجزاها عن العروبة كل خير .

عثمان خيري / الخرطوم



المسجد من الخارج



المسجد من الداخل

اهو مسجد .. ام متحف اثرى ؟!

● منذ اسبوع ذهبت مع صديق لي الى مدينة « شفيتسنجن » في جنوب غرب المانيا لمشاهدة جامع فيها حدثنا عنه صديق الماني ، وقبل ذهابنا كنت اتصور انى ارى مسجدا يؤمه المسلمون للصلاة ولكنني صدمت بان رأيت بيتا لله تحول وكأنه متحف اثرى ، يزوره كل من شاء من مختلف الاجناس البشرية ، فيدخلونه باحذيتهم وابدانهم نجسة ، دون تقيد بشرائع الاسلام وتعاليمه ، وهذا بالطبع لا يرضى الاسلام ولا المسلمين . فاين الاسلام اذا من هذا الذى يحدث في بيت من بيوت الله ، وهل سمع الازهر بهذه المهزلة ؟ ما اظن .. واعتقد انه لو سمع القائمون عليه لما سكتوا ... وقد كتبت هذه الرسالة اليكم لكي ترفعوا صوتكم لانقاذ هذا المسجد من عبث من لا يعرفون حرمة المساجد ...

وهذا المسجد يقع في مدينة في جنوب غرب المانيا،وفي ساحة قصر من قصور احد قياصرة المانيا القدماء ، وله مئذنتان ، وفي مقدمته بهو فسيح طوله حوالي مئة متر ، وعرضه مايقارب الثلاثين مترا . وهذا البهو محاط بممر مسقوف على اعمدة من الخشب الاحمر تظهر وكأنها من رخام ، وقد ارفقت برسالتي بعض المناظر الخارجية والداخلية للمسجد لكي يشاهد ابناء العالم الاسلامي ماصنعته ايدي اجدادهم في الغرب .

محمد حسني ابو عامر
المانيا الغربية

البقية على الصفحة ١٤٦



بقلم رئيس التحرير

■ قرأت لكاتب، في صحيفة كبيرة سيارة، يصف التربية العربية المعاصرة، بأنها تربية لا تواءم العصر، وقال انه سيضرب الأمثال.

وتفتحت نفسي لأقرأ المزيد، لأن في طبعي كراهة الأحكام المجملة المطلقة الشاملة التي تنسحب على كل شيء فلا تذر شيئاً، ولأني أحب أن أسمع ـ بعد اطلاق الحكم ـ الأمثال، لأن فيها التوضيح، وفيها التحديد والتحييد، وكثيراً ما مالت نفسي الى حكم، ولا أقول قبله، فلما ضرب كاتبه الأمثال كفرت به وبها. وكثيراً ما مالت نفسي عن حكم، ولا أقول رفضته، فلما ضرب كاتبه الأمثال آمنت به وبها.

تربية لا تواءم العصر

وضرب صاحبي الأمثال عن التربية العربية المعاصرة التي لا تواءم العصر:

دخل احدى حجرات الدرس، وكان درساً أخلاقياً لصبية، وكان موضوعه الصدق. قال المدرس: ان الصدق منجٍ، أي انك به تنجو أيها الطالب. وأخذ المدرس يعدد فوائد الصدق على قائل الصدق.

واذا بالكاتب الفاضل المتجدد يثور على المدرس المسكين، انه مدرس

للفرد على المجتمع حق الطعام والكساء والإيواء ، ورعاية ما بين هذه الأرض وهذه السماء

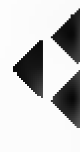
رخيص ، مدرس يعيش في القرون التي بادت . مدرس لم يسمع — وهو يعيش في القرن العشرين — أن الحال قد انقلب ، وأن المجتمع صار هو الأعلى ، وأن الفرد صار هو الأدنى . وأن التربية التي تلائم العصر هي التي تنص على أن الفرد لا خطر له ، وأن الخطر كل الخطر للمجتمع . وأن الدرس الصحيح الذي يجب أن ينمى في ناشئة هذا العصر الحديث ، ليس أن الصدق طيب لأنه يفيد صاحبه الفرد ، ويحفظ كرامته ، ويصون عرضه ، ولكنه طيب ، ومحبب ، وحتى هو مقدس ، لأنه يفيد المجتمع ، وعلى الفرد العفاء .

وانتقلت الى المثل الثاني ، فكففت عن قراءته .

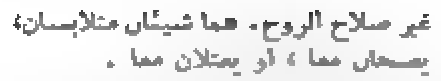
نسي الكاتب الدكتور — وما أكثر الدكاترة في هذه الأيام — نسي أنه وهو يكتب إنما هو فرد يكتب . ونسي أني أنا عندما أقرأ له إنما أنا فرد أقرأ . ونسي أنه عندما يكتب ، ويؤجر ، أجل يؤجر لتقيم أود هذا الفرد الكاتب ، وإن كان له أسرة ، فهو إنما يزود أفراد هذه الأسرة . ونسي أنه لو دعي الى أن يكتب بدون أجر ، عملا بقاعدة « أهلا بالمجتمع وعفاء على الفرد » ، لما رضي أن يكتب .

إنه مذهب رسمه راسموه الكرام في اعتدال ، ونقله الناس عن رضا لأنه العقل الصريح ، يريد هو أن يرى أساس أنه بلغ أقصاه ، ليسمع به الآخر أعلاه ، وإلا فأين صاحب العقول ، وأين صاحب في العقول بذاته الأمور ؟

إن المذهب — أي مذهب — لا يسعد بمثال هؤلاء العلماء من الكتاب شيئا



إن المزايدات في السياسة قبيحة ،



وهي أقبح في الثقافة، وعند من يحسبون أنفسهم معلمين في الناس.

وقد آن لأهل المذهب أن يردوا هؤلاء إلى الطريق الوسط، ولكم ارتاحت نفسي عندما نقض محرر الجريدة التي أعني ما يعرف به صاحبنا هذا وأمثاله وما يعرفون به في جريدته هو خاصة.

في الدنيا مثاني كثيرة

ان في الدنيا مثاني كثيرة. مثنى يتألف من شيئين. مثنى يتألف من شيء وشيء، وكل شيء – مهما أبهم – له في ذهنك وذهني انفصال وله استقلال. ومع ذلك عندما تريد أن تفصل يعسر عليك فصل، ويتعسر عليهما الانفصال.

خذ الجسم والروح. مثنيان لا تستطيع أن تفصل بينهما. إذا أنت هدمت الجسم هدمت الروح معه. وإذا أنت هدمت الروح هدمت الجسم معه. ولا يكاد أحد يقول إن صلاح الروح غير صلاح الجسم، أو أن صلاح الجسم غير صلاح الروح. هما شيئان متلابسان، يصحان معا، أو يعتلان معا.

وكذا الفرد والمجتمع، لا صلاح لفرد إلا بصلاح المجتمع، ولا صلاح لمجتمع إلا بصلاح الفرد. ولا يتحقق الفرد إلا بتحقق فرديته. ولا تتحقق الجماعة إلا بتحقق جمعيتها مع تحقق فردية أفرادها.

معان بديهية، ولكنها غابت عن ذهن المذكرين في حموة المزايدات الصحفية.

إما « قطيع » من غنم، فنعم
وإما « قطيع » من الناس، فلا

نظرت إلى قطيع الغنم من الأغنام، نزلت من سفحها، واتجهت تسير في الصحراء إلى المدينة. تأملت القطيع جملة، فوجدته يسير في اتجاه واحد هياه لهم قواده بجمعهم على السلامة، ويؤدي بهم إلى غاية. وتأملت القطيع فرادى، فوجدت كل فرد معنيا بنفسه يزاحم الآخرين حتى لا يتخلف في الطريق، فهو في الجماعة آمن. وشاة أصابها سوء في الطريق فرتدت، أو لعلها كانت مصابة قبل ذلك فعجزت، ولم أجد في الشياه شاة لفتتها تخلف هذه الشاة، كل مضى لسبيله، وخلف المسكينة (لولا انسان ادركها أنها لحم يضيع).

قارنت مسيرة هذا القطيع، بمسيرة جيش من بني الناس. لا يمكن أن يتخلف منه عاجز، أو سقط جريح، إلا وتخلف من الجمع من يتخلف معه. وهو يتخلف معه حتى ولو صار عاجزا عن حرب. إنه فرد أعطى قسطه لتعيش الجماعة، وتخلفت معه الجماعة – لما عجز – تعطي له قسطه في الحياة، الذي هو قسطها من الواجب.

مجتمع الأغنام لا يعنى أحد من الأغنام بالفرد فيه.



كان الفيلسوف الفرنسي اوجست كونت يرى، ومعه الفيلسوف الانجليزي سبنسر، والفيلسوف الألماني هيجل، أن المجتمع كجسم الانسان، والأفراد خلاياه. وراح آخرون يبحثون للمجتمع عن مخ وأعصاب.



كان الفيلسوف الانجليزي هبز يرى أن المجتمع يتضمن عقدا غير مكتوب بين أفراد المجتمع.



في مجتمع الأغنام، إذا سقط فرد منها في الطريق
لم يهتم به القطيع. وليس هكذا مجتمع الإنسان.

ومجتمع الإنسان ، الفرد فيه أول ، ولا أقول للمجتمع المحل الثاني . ولكن أقول ، من الفرد يتألف المجتمع .

كان للفرد من قديم الزمان نصراء ، وللمجتمع نصراء

وناصر قوم من قديم الزمان الفرد ، في سبيل عدائهم للمجتمع .

وناصر قوم المجتمع في سبيل عدائهم للفرد .

قال السفسطائيون من فلاسفة الاغريق بأن المجتمع شيء ليس من صنع الطبيعة ، ولكنه من اصطناع الانسان . انه شيء مصطنع . قالوا بذلك لما ثاروا على عادات قومهم وتقاليد مجتمعهم في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد .

وقفى على آثارهم قوم : قالوا ان المجتمع نظام ابتدعه بعض الناس ابتداعا، وهدفوا من ورائه ، الى غايات يبغونها سرا .

وآخرون قالوا : ان في طبائع الانسان سوءا واعتداء ، فاصطنع الناس المجتمع ليحمي الناس بعضا من بعض من سوء المآل واضطراب الحال .

وآخرون قالوا : ما اصطنعت المجتمعات الا لتيسر للقوي الأخذ من الضعيف عسفا ، فذلك قول الفيلسوف ثراسماخوس السفسطائي ، وقد جاء ذكره في جمهورية أفلاطون .

وننزل من هذه القرون البعيدة الى القرن السابع عشر فنجد الفيلسوف الانجليزي هبز Hobbs يرى أن المجتمع انما هو عقد غير مكتوب بين أفراد المجتمع . سئموا الحروب فيما بينهم والمنازعات واراقة الدماء ، فتعاهدوا

يتعاهدون على قانون يصنعونه ليسود فيهم ، يلعب بحرياتهم ، ويعطيهم في مقابل ذلك الامن والسلامة .

وسميت نظرتهم هذه الى المجتمع بنظرية العقد الاجتماعي Social Contract

ويأتي القرن الثامن عشر ، وتصبح فرنسا مهد الفكر ، ومصطرع الآراء ، لا سيما الآراء السياسية بالذي قاسته من حكم ملوكها ، وقد انتقلوا من مجتمعهم وطاعتها ، وسيادتها ، بطبه الى الظلم البالغ، والاجحاف والاستبداد، فثاروا على معنى المجتمع بانه عقد قائم ، ودعوا الى الفردية ، وتحرير الفرد ، واطلاقه واعزازه ، وعداه على المجتمع .

وتأتي الثورة الفرنسية (١٨٨٩) صارخة بكل ذلك .

ثم هي تعلو وتملك التمام، لم تصبح استبدادية ، كما كانت الحال في عهد لويس الرابع عشر واشد استبدادا . ويأتي نابليون فيصل استبدادا باستبداد ، ويدور بعث في اوروبا بوسع وجوه اهلها لطما .

ويتأرجح معنى المجتمع من جديد ، فيخالفه الفيلسوف الانجليزي هربرت سبنسر Spencer (١٨٢٠ — ١٩٠٣) ، ويخالفه الفيلسوف الفرنسي اوجست كونت Auguste Comte (١٧٩٨ — ١٨٥٧) ويخالفه الفيلسوف الالماني هيجل Hegel (١٧٧٠ — ١٨٣١) : يحاولون المجتمع شيئا كجسم الانسان ، والافراد خلاياه ، ويذهب بعضهم في هذا التمثل — وقد اسموه النظرية العضوية Organistic Theory — الى حد انه يروح يبحث في المجتمع عن مكان المخ فيه ، ومكان الاعصاب ، ومكان الرئة وسائر الاعضاء .

نظرية العقد الاجتماعي نظرية خاطئة

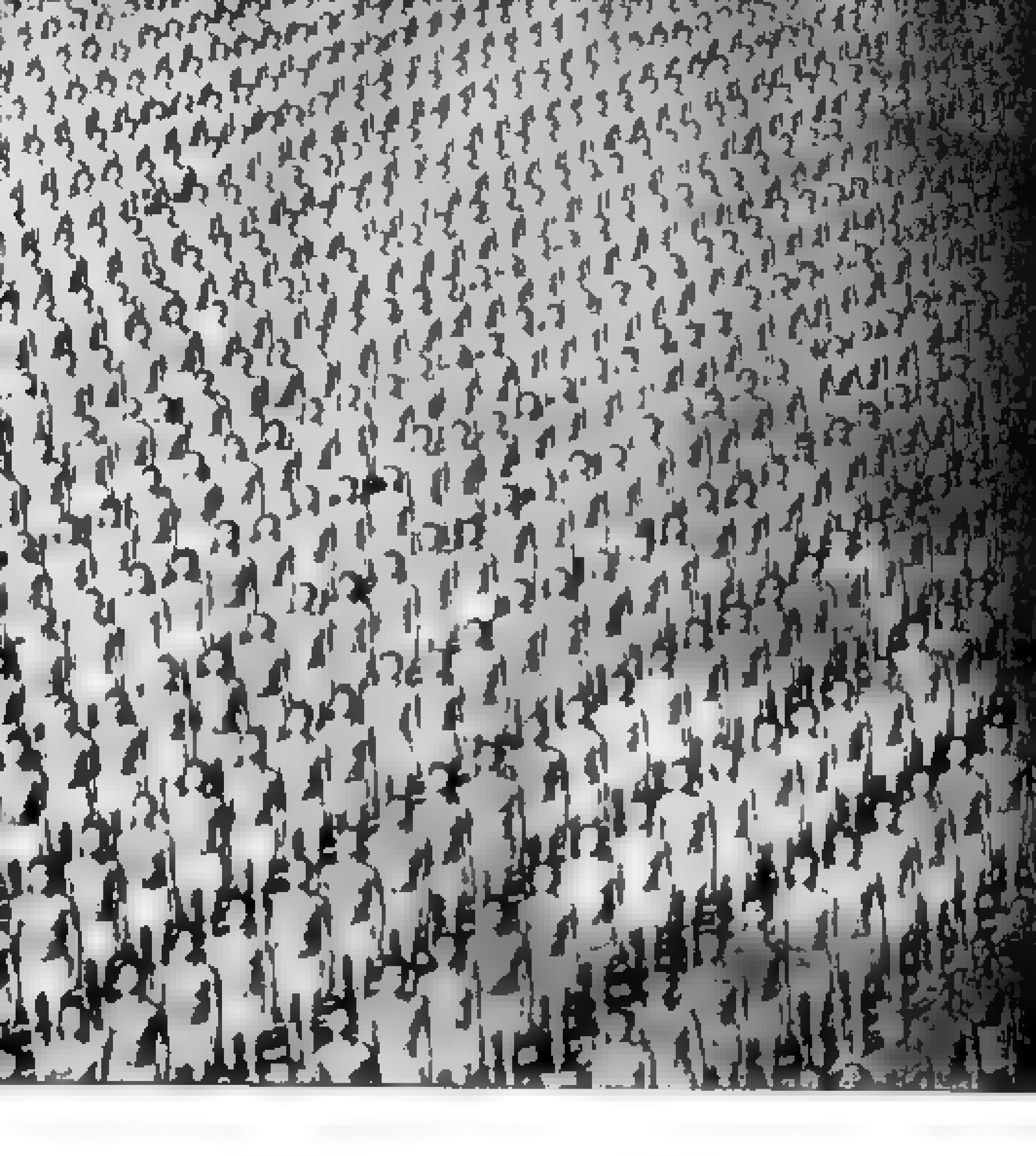
تلك التي تقول بأن الانسان اصطنع المجتمع اصطناعا ليحمي به نفسه ، ويحمي متاعه ، ويحمي امنه . وهي نظرية خاطئة لانها تفرض ان الانسان كان اول الامر فردا ، ثم تجمع . وان الانفراد هو الحال السوي ، وان التجمع هو الحال المصنوع .

وما كان الانسان يوما فردا . ان الانسان من ذكر وانثى ، وهذا اجتماع . وهو وحدة المجتمع الاولى . انها الاسرة . وهي الوحدة التي صنعتها الطبيعة وما اصطنعها الانسان .

والانسان — الى جانب انه جسم عضوي — هو ايضا عقل ، وهو ايضا لسان . ولا يمكن لانسان — في غير مجتمع ولو صغير — ان يكون بلا لسان . ان اللغة شيء يتعلمه الطفل بالممارسة . والممارسة تعامل ، ولا تعامل الا في مجتمع . وفي التاريخ امثلة ، عزل فيها الانسان عزلا ، وعزل سنوات قسرا وظلما ، وخرج ، وهو يكاد يكون اخرس اللسان . ولما كان بالكلام نشوء الفكر ، وتداول الآراء بعدم العقل ، خرج هؤلاء الناس ، من بعد حبس قسرا ، وهم اقرب الى البلهاء منهم الى العقلاء .

فالمجتمع موجود في حياة الناس منذ كانوا ، وحيثما كانوا ، وهو ليس بالشيء

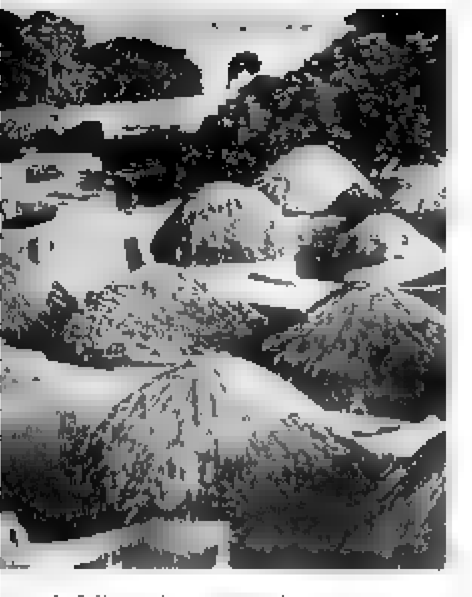
هذه صورة اخذت في مهرجان الشباب لمكة . ان قصد بها انه البناء المرصوص يشد بعضه بعضا فاعلانه رمزا . وان قصد بها ان الناس ، يخرجهم هذا ، سواسية كما ابدعهم الله عندما خلقهم اول مرة ، فذلك الاحرام عند بيت الله الحرام ، واعلان به معنى . اما اذا قصد به ان الفرد في المجتمع كالقطرة الصغيرة في العاصف او كالقطرة في الماء، او الجزيء في الهواء ، لا وزن له ولا خطر ولا اثر ، فذلك معنى يقشعر منه — بحكم الطبع — كل من ينظر الى هذه الصورة من القراء .



المصنوع ، وليس بالمعتقد الموضوع . انه البيئة التي ينشأ فيها الانسان ، ويربى ، وتكمل مواهبه ، مواهب الانسان .

والانسان الفرد، هو فى حكم الزمان ومثله ، وصلة بين أب ذهب ، وبين ابن يولد ، فهو يرث نفسه من ابيه ، وهو يورث نفسه لابنه . وللانسان ميراث ثقافى هائل يأخذه جيل عن جيل . وما الجيل الا المجتمع . وهذا الارث الثقافى الهائل — ووعاؤه المجتمع بكل صنوف رجاله ونسائه — هو الذى يرثه المجتمع ، فيبلغ المجتمع من ذلك غاية ، ويبلغ الفرد . ولا غاية يبلغها الفرد الا وهو بعض الناس ، بعض مجتمع .

فالقول بأن المجتمع نشأ عن عقد



• في المجتمعات الابتدائية تكون
لا يفكر احد في احتمال قبولها او

اجتماعي صنعه الناس — لغاية — قول لا يأتلف مع التجربة الانسانية في مجتمعاتها ، ولا مع التاريخ . فالمجتمعات مع التجربة الانسانية ، ومع التاريخ ، اشد اصالة من هذا ، واشد كثيرا . ومع بطلان حقيقة هذا العقد الاجتماعي ، وبطلان اصطناعه ، فقد يكون التعبير بأنه عقد انما كان ليؤكد معنى الترابط القائم طبعا ، قسرا ، لا اختيارا ، بين افراده ، من حيث الحقوق والواجبات ، وانزال هذه الحقوق منزلة الالزام التي تقتضيها العقود .

وكذا نظرية الكائن العضوي ، جميلة «تشبيها» ليس الا

ان هذه النظرية تشبه المجتمع بجسم الانسان : اعضاء مترابطة يحكمها رأس . ونحن نقبل هذا على انه تشبيه . والتشابه عادة تؤكد لك ناحية واحدة من الحقيقة . فقولنا هذا الرجل كالاسد ، لا يفيد انه اسد ، ولكن يؤكد ما يشتركان فيه من قوة .

ولكن المفكرين او بعضهم ، راحوا يطلبون لسائر وجوه الحقيقة في الجسم العضوي ، نظائر لها في المجتمع الانساني، ونتيجة ذلك النزول بقيمة الانسان الفرد الى الحضيض .

حتى لقد قالوا ان المجتمع يفكر ، وانه ليحس ، وانه ليتنفس ، وما يتنفس ، وما يحس ، وما يفكر ، الا افراد المجتمع .

وحتى لقد قالوا ان خير المجتمع يمكن تحقيقه بتضحية خير الافراد !

ونسوا أن الخير انما يرسمه الافراد ، وانما يعده الافراد ، وان الخير ليس له وجود الا اذا كان خيرا يعود على الافراد في المجتمع .

وللفرد مطالب جثمانية . وللفرد مطالب نفسانية .

ومن المطالب النفسانية ان يفكر الفرد فيما هو خير له ، وان يشارك في رسم ما هو خير له ، وان تكون له ولسائر اعضاء المجتمع حرية النقاش والجدل ، ففي الجدل الحر وحده ، وفي النقاش ، يتبين الصحيح من الآراء والمعتل . والجدل في الطعام الفكري مضغ له ، وانت لا تبلع الخبز ولا اللحم قبل ان تمضغه وان تستمرئه ، وكذا لا بد من مضغ الرأي واستمرائه ، بالجدل الحر قبل بلعه .

وقد يتصور الانسان مجتمعا قائما على مطالب الاجسام وحدها يعمل فيه افراده عمل النمل ، أو عمل النحل . كله طاعة كل الطاعة . الطعام الراتب فيه احسن طعام ، واللباس الواحد فيه اروح لباس ، وسائر ضروب الشهوة والاشتهاء موفورة . ومع هذا لا يرضى منه الانسان ، لانه لم يكن له رأي فيه ،



العادات موروثة يقبلها الجميع ، ... رفضها » .

ولا رأى في شيء من أسلوب الحياة تحت قبته . ذلك أن المطالب النفسانية لم تشبع . ومن أولها حرية الفكر واصطرامه ، والقول بالرضى لما يرضي، والصراخ بغير الرضى عن ما لا يرضي .

ان السجن قد يكون فراشه من حرير، وطعامه من الجنة . ومع هذا يبقى فيه الحرمان النفسي عذابا مقيما . يبقى فيه انعدام الحركة ، والحركة حياة . والحركة حركة جسم وعقل معا . يعرف هذا كل من مارس اعتقالا ، على الكرامة، ولو شهرا .

الخلاف والانسجام في المجتمعات البدائية ، والمجتمعات المدنية

ان المجتمعات البدائية هي أقل المجتمعات حركة ، واقلها تغيرا وتبدلا ، ذلك لان الانسجام فيها كامل . عادات موروثة يقبلها المجموع ، لا يفكر احد في احتمال قبولها او رفضها . وصنوف من الولاء كذلك موروثة ، لا يفكر احد في استكناهها . وقواعد من السلوك . محرّما ومستباحا — لا يفكر احد في الخروج عليها ، وان غلبه أمرها — فخرج عليها — لا يخرج جهارا . وصنوف من العمل في اجتلاب الرزق بدائية ، وهي قليله التنوع ، وهي ثابتة كالجبال القائمه وراء القرية ، لا يفكر احد في تحويلها .

الفردية في مثل هذا المجتمع مفقودة، ومن اجل هذا سكن . ومن اجل هذا جرى عليه الدهر الأباله خميمة لا تكاد تحرك فيه ساكنا .

وغير ذلك المجتمع المدني المتقدم ، المجتمع المتحرك . المجتمع الذي فيه كل فرد مركز للحركة جثمانية وفكرية، تعل وتريد . وفيه التقاليد ، ولكن ليس لها كبير وطأة . له ان ينظرها ، وله ان يغيرها اذا رأى انها لا تستقيم وحاضر دنياه . وهو يرضى بالذي يرث من علم ، ومن فن ومن مهنة ورزق . ولكنه يطلب المزيد .

هذا التطلع في الفرد ، في المجتمع المتقدم ، هو سر تقدمه . كل علم فيه ، علم فرد . وكل حيله ، وكل تكنيكية ، انما هي حيلة فرد وتكنيية فرد . والادب ادب فرد . والفلسفة — فلسفة الحياة — فلسفة فرد .

انه فرد يرث ، لا من ابيه وحده ، ولكن من كل فرد آخر يلقاه في مجتمعه ، وتحدثه اليه الحديث الحر ، ويناقش ويجادل . ونتاجه نتاج فرد ، ولكنه فرد في مجتمع . وما كان لينتج من شيء الا في المجتمع .

والفرد ، في المجتمع المتقدم ، يقلد ، لانه لا بد من درجة من الانسجام بين الاقدام التي تخطو خطوا واحدا على عتبات الزمان . وهو يقلد المجتمع الى



« وثار الفرنسيون على معنى المجتمع بانه عقد فاسد ، ودعوا الى الفردية وتحرير الفرد ، واطلاقه واعزازه . وتأتي الثورة الفرنسية صارخة بكل هذا »

مدى ، ومع بعده نفعهم للذى يعلمه ، بعمله يضيف انه شيئا جديدا ، يصبح تمهيدا لخير جديد

والمجتمع المدني المتقدم مجتمع تصنف فيه العمل صنوفا الفا ، واذن تصنف فيه الناس صنوفا الفا ، لكل مجتمعه الصغير . ويتفاعل الفرد مع الفرد في مجتمعه الصغير . وتتعامل المجتمعات الصغيرة بحدودها المصنعة ، في اطار المجتمع الكبير . ولكن لا تفعل الا والانسان مطلق ، والفكر حر ، ومجال الفرد فيه واسع ياذن بالحركة الواسعة .

ويتعاون هذا حينا ، ويتآلفون وسيبه . ولكنهم كذلك ، بحكم الوضع ، يتخالفون ويتنافسون .

والمجتمع الذى كله ائتلاف مجتمع ميت .

والمجتمع الذى فيه التنافس هو الحي .

والخلاصة

والخلاصة انه لا فردية الا في مجتمع، لانها لا تنشأ جسما ، وفكرا ، وروحا ، الا فيه .

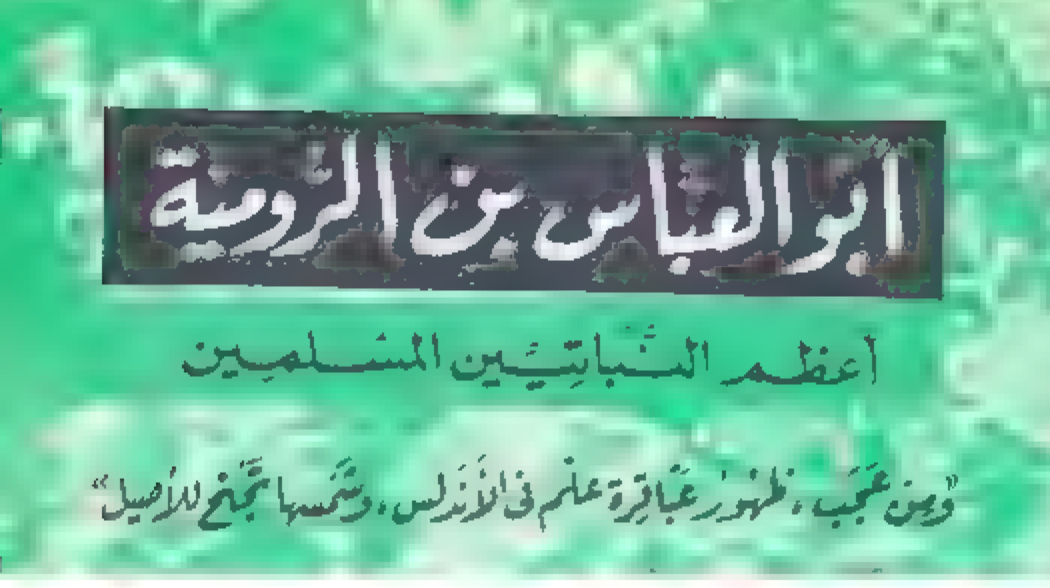
ولكن كذلك لا مجتمع الا بافراده ، ولا حركة له الا بحركة افراده ، ولا حركة للفرد ، اذا نحن وضعناه في خانة طولها خمس اقدام في خمس .

وللدكتور الذى بدأت به هذه الكلمة ، ذلك الذى حكم على المدرس ، الذى قال لتلاميذه « ان الصدق مبح » ، بانه رجعي وكان يجب ان يقول ان الصدق نافع للمجتمع ، ولا شيء غير المجتمع » .

اقول للدكتور المذكور : انه لا يكره في المجتمع الذى تدعوه اليه شيئا ، كتلك الدعوة التى تدعو اليها . ان الصدق نافع للفرد لا شك في هذا ، وهو نافع للمجتمع لانه لافراده .

وذلك لسبب بسيط : ان الذى ينفع الفرد انما ينفع المجتمع ، وان المجتمع الذى تنادى باصلاحه ، انما ننادى باصلاحه ، لخير افراده ، ولاسعادهم . وسحقا للمجتمع الذى لا يكون فيه للفرد غير الشقاء .

احمد زكى



بقلم : محمد عبد الله عنان

ابن الرومية أعظم النباتيين المسلمين

ودرس ابو العباس على جمهرة من اكابر العلماء في عصره ، وبرز بالاخص في الحديث ، حتى غدا فيه اماما حافظا ، لا يبارَى في ذكر تواريخ المحدثين وانسابهم وتجريحهم وتعديلهم ، وشغف في الوقت نفسه بدراسة النباتوخصائص الاعشاب الطبية ، وتجول من اجل ذلك في ربوع الاندلس والمغرب ، وشمال افريقية ، ومصر والشام ، والعراق ، والحجاز ، ووصل في هذا الميدان من تحقيق اصول الاعشاب المختلفة ، وخواصها وتمييزها ، الى ما لم يصل اليه احد من قبل ،

الجامعة القريبة المشتركة ، بين علم الحديث ، وعلم النبات

وهنا تبرز تلك الجامعة القريبة المشتركة ، بين علم الحديث وعلم النبات ، واليك كيف يوضح لنا الوزير ابن الخطيب كنه هذه الجامعة بين الصناعتين خلال حديثه عن ابن الرومية ، فهو يقول مشيرا اليه :

« عجيبة نوع الانسان في عصره ، وما قبله وما بعده ، في معرفة علم النبات وتمييز العشب وتحليتها ، واثبات أعيانها ، على اختلاف اطوار منابتها ، بمشرق أو بمغرب ، حسا ، ومشاهدة ، وتحقيقا ، لا مدافع له في ذلك ولا منازع ، حجة لا ترد ولا تدفع ، قام على الصنعتين ، لوجود القدر المشترك بينهما ، وهما الحديث والنبات ، اذ موارده‍ما الرحلة والتقييد ، وتصحيح الاصول ، وتحصيل المشكلات اللفظية ، وحفظ الاديان والابدان ، وغير ذلك » .

وهذه الظاهرة في الجمع بين الحديث وبين العلوم البحتة ، تبدو في حياة كثير من اكابر العلماء المسلمين ، فهنا نجد مثلا عميد بني زُهْر ، عبد الله بن محمد بن مروان بن زهر ، ابرع اطباء الاندلس في عصره ، وولده ابا العلاء بن زهر ، المتوفى سنة ٥٢٥ هـ (١١٣٠م) ، ثم حفيده ابا مروان عبد الملك بن زهر ، اعظم طبيب في العصور الوسطى ، او على قول تلميذه ابن رشد ، اعظم طبيب بعد جالينوس ، نجد هؤلاء جميعا من ائمة الحديث واكابر الحفاظ ، وهم في نفس الوقت من اعظم جبابرة الطب والكيمياء .

الرحلات الدراسية لابن الرومية استغرقت ٣٠ عاما

وقضى ابن الرومية في رحلاته الدراسية في شمال افريقية وبلاد الشرق معا" بداها بعد سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤م) بقليل ، زهاء ثلاثين عاما عوادى فريضة الحج في سنة ٦١٣هـ ، ولقي خلال تجواله جمهرة كبيرة ، من العلماء المشارقة ، بمصر والشام والعراق ومكة ، واخذ وروى عنهم ، ثم عاد الى الاندلس بعد طول التجوال .

واستقر ببلده اشبيلية ، وافتتح بها متجرا للنباتات الطبية ، فكان مقصد الاطباء والنباتيين وطلاب العلاج من سائر الانحاء . وهنالك وفد عليه معاصره الفقيه المؤرخ والشاعر ابن الابار القضاعي ، غير مرة ، حسبما يذكر لنا ذلك في ترجمته في « التكملة » .

قال ابن عبد الملك المراكشي في « الذيل والتكملة » يصف ابن الرومية ورحلاته وبحوثه :

« امام المغرب قاطبة فيما كان سبيله ، جال بالاندلس ومغرب العدوة ، ورحل الى المشرق فاستوعب المشهور من افريقيه ومصره وشامه وعراقه وحجازه ، وعاين الكثير مما ليس بالمغرب وعارض كثيرا فيه كل ما امكنه ، ولم يزل باحث على حقائقه ، كاشفا عن غوامضه ، حتى وقف منه ما لم يقف عليه غيره ، ممن تقدم في الملة الاسلامية ، فصار واحد عصره فردا ، لا يجاريه فيه احد باجماع أهل ذلك الشأن » .

كان ابن الرومية يتعصب لابن حزم

وكان ابن الرومية فقيها ظاهريَّ المذهب شديد التعصب للعلامة ابن حزم القرطبي امام الظاهرية وزعيمهم الاكبر ، وعلى يديه انتشرت تصانيف ابن حزم بما ابداه من غيرة وعناية فائقة في اظهارها والانفاق على استنساخها ، وقد انفق في هذا السبيل اموالا جمة .

وكان الى جانب ذلك ورعا صالحا زاهدا ، وكان شديد العطف على طلبة العلم ، يجود عليهم بالمال والكتب التي يعز وجودها ، محتسبا على ذلك بيساره وجيد كتبه ، وله في ذلك اخبار كثيرة ، وكان كثير الشغف بالدرس ، يواصل سهر الليل في تجويد بحوثه ومصنفاته ، ويقضي اوقاتا كثيرة في فحص المرضى واسعافهم بالادوية النباتية ، التي مهر في تحضيرها واعدادها .

تصانيف ابن الرومية

ولابن الرومية تصانيف عديدة في الحديث والنبات ، منها في الحديث :

« اختصار حديث مالك » للدارقطني » .
« رحالة المعلم بزوائد البخاري على مسلم » .
« والنظم الدراري فيما تفرد به مسلم عن البخاري »
و« الحافل في تذييل الكامل » . وغيرها .
ومن مصنفاته في النبات :

« شرح حشائش ديسقوريدس وادوية جالينوس والتنبيه على اوهام ترجمتها » .

و « التنبيه على اغلاط الغافقي » .
و « الرحلة النباتية » .
و « المستدركة » . وغيرها .

وله كتاب في الادوية المركبة على نمط كتب بني زهر في ذلك ، وله غير ذلك مصنفات ورسائل عديدة . بيد اننا لم نتلق مع الاسف من هذا التراث الحافل سوى القليل ، ومعظمه فصول وشذور نقلت الينا على يد المتأخرين .

ادب ابن الرومية

وكان ابن الرومية ، الى جانب براعته في الحديث ، وتفوقه في دراسة النبات ، اديبا وشاعرا محسنا . وقد نقل الينا ابن الخطيب من نظمه الابيات الآتية .

خيم لتنشق بين النفس والوتر
في جنة هي ملء السمع والبصر

ومتع الطرف في مرأى محاسنها
يروي فكره بين الروض والزهر

وانظر الى ذهبيات الاصيل بها
واسمع الى نغمات الطير والسحر

وقل لمن لام في لذاته بشرا
دعني فانك عندي من سوى البشر

وفاة ابن الرومية

وتوفي ابن الرومية بعد حياة علمية حافلة باشبيلية في شهر ربيع الآخر سنة ٦٣٧ هـ (نوفمبر سنة ١٢٣٩م) قبل سقوطها في ايدي القشتاليين بنحو تسعة اعوام فقط .

وخلفه ابن البيطار

وجاء من بعده تلميذه ابن البيطار المالقي ، فعمل على نهجه ، وبرع مثله في النبات ، ودراسة الحشائش الطبية ، وتجول مثله في المغرب والمشرق وطاف بمصر والشام وآسيا الصغرى ، وبلاد اليونان ، ووضع عدة تصانيف في الادوية النباتية . وتوفي بدمشق في سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨م) .

عباقرة في العلوم ، وشمس الاندلس تميل للغروب

ومما يلفت النظر ان يظهر في هذا الوقت الذي مالت فيه شمس الاندلس الى الغروب ، وسقطت معظم قواعدها الكبرى ، عباقرة في ميدان العلوم البحتة امثال ابن الرومية وابن البيطار ، ولكن القوى الحضارية والفكرية الاندلسية الكامنة كانت تنتج خلال المحنة في سائر الميادين ، وتنساب من القواعد الشمالية ، التي سقطت تباعا في ايدي القشتاليين الى ما وراء نهر الوادي الكبير ، حيث كانت تجمع اشلاء الاندلس الباقية في مملكة غرناطة الصغيرة ، التي شاء القدر ان تحمل علم الاسلام ، ومشعل الحضارة الاندلسية مائتي عام اخرى .

■■

محمد عبد الله عنان

لِمَن الأسرة في فترة ما قبل الاسلام : للزوج أم للزوجة ؟

بقلم : الدكتور نبيه عاقل

■ عمل بعض مستشرقي القرن التاسع عشر ، ومن بينهم روبرتسون سميث Smith وولكن G. A. Wilken بعض اخبار الحياة الاجتماعية اعتقادهم بأن نظام الامومة matriarchy كان في الجزيرة العربية زمن الرسول الكريم من خلال النظام الغالب في الجزيرة في تلك الفترة . وقد كان هذا الاعتقاد هو الاعتقاد السائد في زمنهم ، ولكن الدراسات الحديثة قد غيرت هذا المعتقد ، وجعلت الاساس في دراسة انثروبولوجية عصر لا نملك عنه معلومات كافية ، الحقائق المتداولة المتوفرة في العصر الاقرب اليه ، على ان لا يثنينا هذا او يوقفنا عن محاولة اكتشاف ما يتعلق بانثروبولوجية العصر موضوع الدراسة .

ولعل من المناسب ان نذكر في هذه المقدمة لدراستنا ان المعلومات الانثروبولوجية المتعلقة بالجزيرة العربية قبل الاسلام معلومات وافرة ، وان اغلبها باللغة العربية ، ولكن المهم في الامر ان يكون الذي يتصدى لاستعمال هذه المعلومات على معرفة كافية بعلم الانثروبولوجيا .

نظام الابوة في مكة قبل الاسلام

بعد هذا ننتقل الى القول بأن اغلب المجتمعات الابتدائية تتمثل فيها ملامح واضحة من نظامي الابوة والامومة وان النظامين يتعايشان جنبا الى جنب . وقد كان نظام الابوة في مكة في فترة ما قبل الاسلام هو النظام الاكثر شيوعا . ولكن علينا ان نذكر ان هذا الرأي مبني على معلومات استقيناها من كتابات مؤلفين مسلمين كتبوا بعد وفاة الرسول الكريم بما لا يقل عن قرن من الزمن استطاع خلاله نظام الابوة ان يوطد دعائمه وان يطرد كل اثر من آثار نظام الامومة الذي كان موجودا في مجتمع مكة في فترة ما قبل الاسلام . يضاف الى هذا ان السيادة الابوية كانت على ما يبدو عنصرا هاما من عناصر التنظيم الاجتماعي في مكة في هذه الفترة ، بدليل ان الوحدة الاجتماعية كانت القبيلة المبنية على اساس من علاقات النسب الابوية . ويستطيع المؤرخ المتحدث ان يجزم بأن هذا النظام كان هو النظام السائد في مكة منذ زمن قصي بن كلاب الذي لا يكتنف قصة حياته وحياة اسلافه واحفاده اي ظل من شك او ريبة .

وفي المدينة

وليس هذا هو الحال بالنسبة للمدينة ، حيث كانت الانساب والسلالات — حتى فيما قبل الهجرة بقليل — انسابا وسلالات لا تدخل ضمن نطاق الحقيقة التاريخية المؤكدة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . ففي مكة كان الناس رجالا ونساء ، ينتسبون الى آبائهم ، وتظهر هذه النسبة في كناهم ، فالرجل ابو فلان والمرأة ام فلان ، اي ان كليهما يكنى باسم ابنه الذكر .

على ان الامر لم يكن ليخلو من بعض الشواذ ، ومن بين هذه الشواذ اسم ابن ابي كبشة ، وهو

في الجاهلية تزوج الاخوة من نفس المرأة ، وتزوج الابن ارملة ابيه

كانت من حق بعض النساء في الجاهلية خلع ازواجهن

> عن المزاوجات عند عرب الجاهلية : كانت في مكة سادت الرجال النساء ، وفي المدينة سادت النساء الرجال

الاسم الذي كان يطلق على الرسول صلوات الله عليه . ولكن هذا الشك من النوع الذي يبرهن الفاطمة ، الا ان اسم كبشة كان من الاسماء المؤنثة الشائعة في المدينة كما يذكر ابن سعد(١) . ولم يكن كذلك في مكة . كما انه كان في بعض الكنيات المدنية اسماء مؤنثة كاسم ابي لبابة . ومن المؤكد ان اسم ابن ابي كبشة الذي كان يطلق على الرسول لا علاقة له اطلاقا باسم ابي كبشه الذي كان من موالي محمد (صلعم) والذي حارب في صفوف المسلمين في بدر . وقد يكون السبب في اطلاق هذا الاسم على الرسول ان احد اجداده لامه (الرسول مدني من جهة امه) كان يكنى بابي كبشة ، فكناه المدنيون حين قدم اليهم بهذه الكنية لاظهار صلة نسبه بهم .

من القرشيين من عرفوا باسماء امهاتهم

وهناك امثلة قليلة عن بعض القرشيين الذين كانوا يعرفون باسماء امهاتهم كمحمد بن علي بن ابي طالب الذي كان يعرف باسم امه الحنفية (محمد بن الحنفية) ، وربما كان هذا تمييزا له عن بقية اخوته الذين هم من غير امه (اي فاطمة بنت الرسول) . وكابي جهل ، عدو الرسول اللدود ، الذي كان يعرف ايضا باسم ابن الحنظلية نسبة الى امه اسماء بنت مخرّبة من قبيلة حنظلة ، احد فروع تميم . وكانت اسماء هذه تاجرة عطور مشهورة ، ونسبة ابنها اليها تثبت ان بعض آثار نظام الامومة كانت ما تزال موجودة في مجتمع مكة زمن الرسول . ومما يؤيد في هذا الاعتقاد ان بعض المصادر تذكر ان صحيفة المقاطعة التي نظمتها قريش ضد بني هاشم قد وضعت عند ام الجلاس بنت مخربة خالة ابي جهل ، في حين ان مصادر اخرى تذهب الى القول بان ام الجلاس هي اسماء بنت مخربة نفسها التي كانت تكنى بام الجلاس (٢) .

على ان الابوة كنظام يحدد العلاقات في المجتمع والاسرة ظل النظام السائد الذي تجمع كل الدلائل على سيادته وثبوت اركانه في المجتمع المكي ، وافضل ما نستشهد به على ما ندعي هو قضايا الارث والثأر والزواج .

الارث والثأر في مكة ابويان

فالارث في مكة كان اولا ابويا ، يرث الابن بموجبه ما كان لابيه دون ان يكون للولد البكر اية حقوق تفوق حقوق بقية اخوته . وكما كان الولد يرث مال ابيه ، فقد كان له ايضا ارث وظائفه

---

(١) انظر ، ابن سعد ، الطبقات ، ط . اوروبية ، الفهرس .

٢ تخلط بعض المصادر بين اسماء بنت مخربة ام ابي جهل وبين ابنة اخيها اسماء بنت سلامة بن مخربة التي كانت زوجة عياش اخي ابي جهل ، كما ان كلمة « مخربة » تظهر في بعض النصوص بشكل آخر هو « مخرمة » ، وهذا خطأ .

ومظاهر سيادته . فاولاد المتوفى واحفاده ورثوا وظائف ابيهم وجدهم وتمتعوا بمظاهر السيادة التي كانت له . وربما كان الاساس في هذا الارث المعنوي ان الابن الذي يرث مال ابيه له الحق ان يرث ما للاب من مكانة ومميزات اذا كان اهلا لذلك . ولم يقتصر الامر على المتوفى واولاده واعقابه،فقد ورث الوليد بن المغيرة مركز ابيه المغيرة سيد بني مخزوم ، وانتقلت هذه السيادة بعد ذلك الى ابن اخيه ابي جهل .

وتنطبق هذه الظاهرة في الارث الابوي على قضايا الثأر . فواجب الثأر يقع على الاقرب النسبي الى المقتول من جهة ابيه . وحتى في القبائل التي ظل فيها نظام الامومة نظاما معترفا به ، كان واجب الثأر يقع ايضا على الاقرب النسبي الى المقتول من جهة ابيه . فقد قتل ابن كليب ، زعيم تغلب الشهير ، جساس انتقاما لقتل ابيه كليب ، بالرغم من ان كليبا كان يعيش مع قبيلة زوجته التي كان يتزعمها جساس ، مما يدل على ان قبيلته كانت تتبع نظام الامومة . وكذلك كانت الفدية ودية القتيل من حق الاقرباء لابيه .

والزواج : المبادرة فيه للرجل

يتضح من كل ذلك ان الاب او الزوج كان سيد الاسرة في المجتمع المكي في فترة ما قبل الاسلام ، والزوج هو الذي يأخذ بزمام المبادرة في عملية الزواج . ويسند هذا الزعم ادلة مستقاة مما تذكره المصادر من زيجات كانت تعقد في « شعب ابي طالب » ، أو في « دار الارقم » ، او ما تطلبه من اصطحاب المهاجرين الى الحبشة زوجاتهم معهم ، مما يدل على ان الزوج هو السيد وان الزوجة تابع وفي المحل الثاني بعده .

على انه كانت هناك حالات قليلة كانت فيها الزوجة الشخص الرئيسي الذي يمسك بزمام المبادرة في عملية الزواج ، وهي حالات نادرة في مجتمع يؤمن بسيادة الزوج . وكمثال على هذا النوع من الزيجات ، يتحدث البعض عن زواج عبد الله بن عبد المطلب (والد الرسول الكريم) من آمنة بنت وهب التي بقيت في قبيلتها بعد زواجها ، وكان زوجها يزورها في المدينة بين الحينة والحينة ، كما بقي معها ابنها محمد طوال مدة حياتها ، ما عدا الفترة التي كان فيها مسترضعا عند حليمة السعدية . ولم ينتقل الى حضانة اهله لابيه الا بعد وفاتها . وتشير بعض المصادر (١) الى « ظهور النبوة في بني زهرة » ، مما يستدل منه على الصلة الطيبة بين الرسول الكريم وقبيلة أمه ، سيما وان الذين نقلوا هذا الحديث من بني زهرة ايضا ، القبيلة التي كانت تسكن المدينة حيث كان نظام الامومة ما يزال موجودا ومعترفا به من قبل المجتمع . كما انه من الممكن ان نعتبر ان زواج محمد نفسه من السيدة خديجة بنت خويلد مظهرا من مظاهر وجود بعض الحالات التي تلعب فيها المرأة المكية الدور الاول في عملية زواجها . فقد كانت السيدة خديجة على جانب كبير من الغنى ولها مكانة اجتماعية رفيعة ساعدتها على الظهور بمظهر الشخص المستقل الذي يستطيع ان يرتب جميع اموره بنفسه ، بما في ذلك امر زواجه .

وحدة الدم عند الاخوة واولاد العمومة

وهنا لا بد لنا من ان نشير الى ان هناك صلة متينة بين نمو الفردية عند الانسان العربي وانتشار نظام الابوة في المجتمع الجاهلي . على ان بعض تقاليد الجاهلية تظهر ان التعلق بالقرابة الابوية لم يكن دوما مظهرا من مظاهر الفردية وانتشارها في مجتمع تجاري كمكة ، ولاكد ان هذا التعلق انما هو دليل على وجود نزوع جماعية تجمع الافراد الذكور المتحدرين من جد واحد لحاجتهم لهذا التجمع في عملياتهم التجارية وحراستهم لقوافلهم في سفرها الطويل في ارض لا امن فيها ولا قانون . والمثل العربي القديم الذي يقول : « العم صنو الاب » ، دليل لايقبل الجدل على وحدة الرجل مع ابناء عمومته او من يحملون دما هو نفس دمه .

زواج الاخوة من نفس المرأة

وقد ادى وجود هذا الشعور القوي بوحدة الدم عند الاخوة واولاد العمومة الى نشوء تقليد غريب في الزواج قبل الاسلام ، وهو زواج الاخوة العصبة من نفس المرأة . فقد جاء في طبقات ابن سعد عدة امثلة من هذا النوع من الزواج حدثت كلها في يثرب قبل الاسلام(٢) . وهناك مثل آخر

(١) انظر ، ابن سعد ج١ - ص٥ ، ٢٣

(٢) انظر ، ابن سعد ، ج٨ ، ص٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥١ ، ٢٤٠ ، ٢٦٢ ، وغيرها كثير

على الاقل حدث في مكة ، في الجاهلية ، وهو زواج اسماء بنت مخربة من هشام بن المغيرة والد ابي جهل ، ومن اخيه (اخي هشام) ابي ربيعة .

والابن يتزوج ارملة ابيه

وقد كان شائعا في مكة ويثرب وغيرهما من حواضر الجزيرة وبواديها ان يتزوج الابن ارملة ابيه المتوفي (غير امه) . ويعزو بعض الباحثين المحدثين شيوع هذا العرف الى اعتقاد العربي الجاهلي بان ملكية المرأة على الاصل هي ثروة يرثها الابن عن ابيه والاخ عن اخيه ، فعليه ان يستغل هذه الثروة ولا يفرط بها . ويقول محمد بن كعب القرظي ان الرجل حين يتوفى ويترك زوجه ، فابنه « احق بها ان ينكحها » اذا اراد شريطة الا تكون امه .

الغيلة ، في مكة والمدينة

كما ان قضية الغيلة او الغيل(١) هي دليل آخر على وجود فوارق في عادات الزواج بين مكة والمدينة . فقد كان من عادة المكي اذا تزوج امرأة ترضع طفلا لاب غيره امتنع عن معاشرتها معاشرة زوجية طيلة مدة ارضاعها ، اعتقادا منه بان هذه المعاشرة تضر بالرضيع ، في حين ان اليثربي كان لا يرى في ذلك ما يضر . ويقال ان الرسول كان ينوي النهي عن الغيلة، ولكنه عدل عن ذلك حين علم ان الفرس والروم يمارسونها دون ان تضر باطفالهم . ورغم ذلك فانه ، صلوات الله عليه ، لم يجيز زواجه على ام سلمة ، كما يزعم ابن سعد ، حتى انتهت من ارضاع ابنتها زينب من زوجها ابي سلمة . وكان المكيون يمتنعون عن معاشرة زوجاتهم الحوامل من الذراري غيرهم ، لانهم كانوا يعتقدون انهم ان فعلوا ذلك فانهم انما « يسقون زرع رجل غيرهم » .

والقرابة للام والاب اختلفت

والملاحظة الهامة في مجال القرابة عن طريق الزواج ان المكيين كانوا لا يسوون بين اقربائهم لابيهم واقربائهم لامهم ، ويعتبرون القرابة عن طريق الاب هي الصلة الاصل ، في حين ان اليثربيين كانوا لا يفرقون بين القرابتين ، وكثيرا ما كانوا يقدمون نسبهم لامهم على نسبهم لابيهم . فبعض القبائل اليثربية تنتسب صراحة الى امرأة ، كبني خدرة وبني فهلة . حتى ان الاوس والخزرج كثيرا ما كانوا يدعون في الجاهلية ببني قيلة نسبة الى امرأة يعتقدون انهم تحدروا منها . وكما كانت القبائل تنتسب الى نسوة ، فان بعض الافراد ايضا كانوا ينتسبون الى نسوة هن في الغالب امهاتهم ، ومثال ذلك معاذ ومعوذ وعوف ابناء عفرة ، وعبد الله ابن ابيّ الذي يعرف بعبد الله بن سلول نسبة الى جدته سلول ، من الامثلة المعروفة الشائعة . وقد انتقلت عادة الانتساب الى الامهات الى يهود يثرب ايضا في فترة ما قبل الاسلام ، ومثال كعب بن الاشرف العربي الاب واليهودي الام خير ما يضرب للدلالة على ما قدمنا . فكعب ينتسب الى بني النضير اليهود ، وهي قبيلة امه ، في حين ان اباه من قبيلة عربية كما يذكر ابن هشام .

الزواج في الجاهلية اربعة انواع

بعد هذه المقدمة التي تعرفنا من خلالها على وضع المرأة في الجاهلية في كل من مكة ويثرب ، وصلات القرابة في كل من المدينتين ، نرى من المناسب ان نذكر خلاصة عن رواية يذكرها البخاري حول الزواج في الجاهلية . يقول البخاري نقلا عن ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير ان السيدة عائشة زوج الرسول الكريم اخبرته ان الزواج في الجاهلية كان على اربعة انواع :

١ — الزواج العادي الذي يخطب فيه رجل ابنة رجل آخر ويمهرها ويتزوجها .

٢ — ويعرف النوع الثاني من انواع الزواج عندهم باسم « نكاح الاستبضاع » ، ويكون حين يقول زوج لزوجته بعد طهرها ان ارسلي الى فلان من الاشراف واطلبي اليه ان يضاجعك . فاذا فعلت ، امتنع هو عن مقاربتها حتى يتأكد من حملها من الرجل الآخر ، وحين يتأكد من ذلك يعود الى معاشرتها معاشرة زوجية عادية . ويقصد الزوج عادة من هذا الامر ، ان يحصل من زوجته على ولد نبيل الصفات شريف المحتد ، كالاب الذي ولد من صلبه .

٣ — اما النوع الثالث من الزواج فهو زواج الرهط دون العشرة ، ويكون بان يقوم اشخاص يقل عددهم عن العشرة بزيارة امرأة ومضاجعتها ، فاذا حملت ووضعت طفلا ارسلت في طلبهم ، وعليهم

---

(١) ارضاع المرأة طفلها وهي حامل

جميعا أن يحضروا اليها ، فتخبرهم أنها حملت ليلة زاروها وأنها تقرر أن الوليد لفلان منهم ، وعلى الشخص الذي أعلنت أبوته لوليدها أن يقبل هذه الأبوة دونما تعلل أو رفض .

٤ — وأخيرا ، هناك البغايا اللواتي يستقبلن أي طارق ويرفعن على بيوتهن الرايات تمييزا لها عن غيرها . فاذا حملت احداهن اجتمع الأشخاص الذين زاروها قبيل حملها وجاءوا بعراف ليقرر من منهم أب الوليد . وقرار العراف ملزم لا يقبل أي نوع من أنواع الاعتراض . ويصبح الوليد ابنا للشخص الذي قرر العراف أنه الوالد .

وتنهي السيدة عائشة حديثها بقولها ان الرسول صلوات الله عليه ، قد حرم جميع هذه الانواع من الزواج ولم يستبق منها الا أولها .

ونحن وان كنا لا نستطيع التشكيك في صحة هذا الحديث ، فاننا نستطيع القول انه لا يخلو من فجوات تجعل الصورة التي يعطينا اياها ناقصة ، فليس فيه مثلا ذكر للمكان الذي يتم فيه الزواج ، وما اذا كان يجري في مستقر الزوج أم الزوجة . على أننا قادرون على استنباط بعض الحقائق رغم عدم صراحة النص عليها . ففي النوع الأول قد يكون مكان الزواج في مستقر الزوجة أو الزوج ، وكذلك في النوع الثاني ، أما في النوعين الثالث والرابع فالزواج لا بد يتم في مستقر الزوجة .

ويساعدنا شعر الحب الجاهلي على توضيح بعض الحقائق . فأغلب العشاق كانوا من قبيلتين متجاورتين أو من نفس القبيلة . وكان العاشق ينتقل الى حبيبته ليلا فيصاحبها وتصاحبه ، وتشتعل نار الجوى في نفسه اذا ما ارتحلت قبيلة الحبيبة ، وقد يرتحل اليها فيتزوجها ويعيش مع قبيلتها . ويبدو أن زواج هاشم « جد الرسول » كان من هذا النوع . فقد أمضى بعد زواجه فترة قصيرة مع زوجته في المدينة ، وما لبث أن غادرها تاركا وراءه ابنه عبد المطلب مع زوجته . ولم يعد عبد المطلب الى مكة ، مستقر عشيرة أبيه ، الا بعد لأي كما يذكر ابن هشام .

أما حين يستقر الزوج مع قبيلة زوجته ولا يفارقها فيصبح حليفا لهذه القبيلة ويتمتع بصفات العضوية الكاملة فيها التي تخوله حتى رئاستها . ومن هذا القبيل كانت قصة رئاسة الأخنس بن شريق لقبيلة زهرة في مكة ، رغم أنه في الأصل من الطائف ، وصلته بهذه القبيلة صلة الحليف فقط .

رواسب من رئاسة الأم في زواج النبي

ونستطيع من دراستنا لتاريخ بعض الأسر المكية أن نستخلص أمثلة على وجود رواسب لقضية رئاسة الأم للأسرة في الفترة التي سبقت الاسلام مباشرة، وفي السنوات الأولى لقيام الدعوة الاسلامية أيضا . فيحدثنا ابن هشام في سيرته أن الرسول (صلعم) قد تزوج حين ذهب الى مكة في عمرة القضاء سنة سبع للهجرة ميمونة بنت الحارث ، وأن الذي زوجه اياها عمه العباس بن عبد المطلب باعتباره زوج أختها أم الفضل . وكانت ميمونة قد جعلت أمرها الى أختها أم الفضل « وكانت أم الفضل تحت العباس ، فجعلت أم الفضل أمرها الى العباس ، فزوجها (أي ميمونة) رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم . » وحتى تتضح أهمية الأم في الأسرة في هذا المثل الذي قدمنا ، لا بد لنا من ذكر أن ميمونة بنت الحارث هذه ، وسلمى بنت عميس كانتا أختين لأم واحدة هي هند بنت عوف ، وأبوين مختلفين . في حين أن ميمونة وأم الفضل زوجة العباس كانتا أختين شقيقتين (لأب وأم واحدة) . ونتيجة هذه القرابة من طريق الأمهات بين كل من ميمونة وسلمى من جهة ، وأم الفضل زوجة العباس من جهة أخرى ، فقد كانت ميمونة وسلمى تسكنان بيت العباس وتعتبران أفرادا في أسرته ، وتفوض ميمونة أمر زواجها لأختها أم الفضل التي تفوضه بدورها لزوجها . وفي هذا ما فيه من دلالة على أهمية القرابة من جهة الأم عند بعض الأسر المكية في هذه الفترة .

خلع الأزواج في الجاهلية

وفي حالات الزواج التي تكون فيه الزوجة هي السيدة تكون للزوجة سلطات وحقوق واسعة يمثلها ما يحدثنا به صاحب الأغاني من أن بعض النساء في الجاهلية كن يملكن حق طرد أزواجهن أو خلعهم . وكان الخلع يتم بأن تغير الزوجة اتجاه باب خيمتها ، فاذا كان يواجه الشرق حولته الى الغرب ، فيعلم الزوج اذا رأى ذلك أن زوجته لم يعد لها رغبة في بقائه معها فينصرف عنها ولا يعود اليها . وأبسط ما يمكن أن يستنتج من هذا أن الخيمة ملك للزوجة أو لأسرتها وأنها تسمح

زوجها بالعيش فيها ما ارادت ، ومن حقها ان تصرفه او تخلعه حين تشاء .

مدنيات يحتفظن بحق الطلاق

ويكمل هذه الصورة ما نعرفه عن الكثيرات من النساء المدنيات اللواتي كن يشترطن في زواجهن ان يكون الطلاق من حقهن . وخير مثال على هذا النوع من النساء سلمى بنت عمرو (من المدينة) التي تزوجها هاشم ، « جد الرسول » والتي اشترطت عند زواجها ان يكون امرها بيدها وان يكون لها وحدها حق حل الرابطة الزوجية .

ومعروف ان نساء المدينة كن مشهورات بالغيرة والانفة لحد جعل الرسول (صلعم) يمتنع عن الزواج منهن لان واحدتهن لن تحتمل ان يكون لها ضرائر ، على حد زعم ابن سعد (١) . ويبدو ان هذه الصفة في النساء المدنيات كانت معروفة عند المكيين الذين قدموا المدينة مهاجرين مع الرسول الكريم مما جعل جلهم يحجمون عن الزواج من نساء المدينة . وينسب البخاري الى عمر بن الخطاب قولا يعلق فيه على القضية ، ويتلخص في ان المكيين كانوا سادة نسائهم ، ولكنهم حين قدموا المدينة وجدوا ان الحال معكوسة وان نساء المدينة سادات رجالهن ، وانه بنتيجة الاختلاط بين المكيات والمدنيات « فسدت » المكيات ، واخذن يقلدن عادات المدنيات « السيئة » .

والملاحظ ان نساء المدينة ـ رغم ما كن يتمتعن به من نفوذ ومكانة ـ كن محرومات من حق التملك ومعنى ذلك انه رغم ان الارث والتملك كان يجري عن طريق اسرة الام ، فان الذي يشرف عادة على ادارة الاملاك واستغلالها هو احد الرجال الذين تربطهم بالاسرة قرابة من جهة الام ، كأن يكون اخا غير شقيق او خالا او ابنا .

لماذا تسيطر المرأة ؟

ويقودنا كل هذا الى التساؤل : هل تعني سيطرة المرأة على الاسرة وسيادتها لها في بعض المجتمعات العربية قبل الاسلام انهم كانوا يعتقدون ان ما يرثه الطفل عن ابيه هو اقل مما يرثه عن امه وان الام هي صاحبة النصيب الاكبر في عملية انجاب الاولاد ؟ ؟ !!

ان ما بين يدينا من معلومات لا يسمح لنا بأن نجزم بشيء في هذا الخصوص ، ولكن رغم هذا فانا لا نستطيع الا ان نستدل من الحاح القرآن الكريم على قضية العدة حتى يستبين حمل المرأة قبل زواج ثان على اهتمام الاسلام باظهار مركز الاب ودوره في تحديد هوية الوليد ونسبه، مما قد يدل على وجود شيء مشابه للموقف الذي افترضنا . ويزيد في قناعتنا بأن لهذا التساؤل الذي اثرنا ما يبرره شيوع قاعدة « الولد للفراش » عند الجاهليين . ولا خلاف ان الفراش المقصود هنا هو الفراش الذي ولد عليه الطفل لا الفراش الذي حملت منه الام ، يضاف الى هذا ان العرف في الجاهلية ينص على ان الطفل الذي يولد من ام حملت به قبل زواجها الثاني ينسب الى الاب الذي حصلت الولادة في كنفه لا الى الاب الاول الذي حملت الزوجة منه .

الاسلام يجعل الابوة في المكان الاول

على ان الذي لا يشك فيه اطلاقا هو ان الاسلام حاول جاهدا وبشكل واضح لا غموض فيه ان يشجع صلات القرابة الابوية وان يجعلها في المكان الاول في كافة الحقول والميادين ، وان يجعلها المحل اللائق في جميع انواع العلاقات والصلات . ولم يمض قرن من الزمن على صدوع محمد بأمر ربه حتى كانت سيادة الاب في الاسرة وفي علاقات الابناء العامة والخاصة قد اصبحت وطيدة الاركان لا ينازعها منازع .

وبعد فإن ما اوردناه في الصفحات السابقة من حال الزواج والاسرة في الجاهلية يظهر للقارىء مقدار ما يكتنف معلوماتنا عن هذه الفترة من غموض ، وكيف ان الباحث في كثير من النواحي الاجتماعية عند عرب الجاهلية يتلمس طريقه في متاهة من المعلومات غير المباشرة التي لا تشفي غليله ولا تعطيه صورة كاملة واضحة المعالم . وكل ما نستطيع قوله هو ان الاسلام جاء ومجتمع العرب يعيش فترة تحول من حال للام فيها بقية من سيادة ، الى مجتمع يسيطر عليه الرجل وينشر فوقه ظلال حمايته . وقد شجع الاسلام سيادة الرجل ونصت اوامره ونواهيه وتشريعاته على ذلك بصراحة . وليس ادل على هذا من قوله عز وجل : « الرجال قوامون على النساء ... » .

نبيه عاقل

---

(١) انظر ، الطبقات جـ٨ ، ص٨١

نتيجة مسابقة العدد ٨١

اسماء الفائزين بالجوائز

■ على الرغم من ان هذه المسابقة كانت من السهولة بمكان ، فان الاجابات التي تلقيناها كانت قليلة نسبيا ..

حيث كانت الاجابات الصحيحة اقل بكثير مما كان متوقعا .

الفائزون بالجوائز

وقد اجريت عملية الاقتراع على توزيع الجوائز بين هذه الاجابات فاسفرت عما يأتي

الجائزة الاولى وقدرها ٣٠ دينارا :

فاز بها عبد المنعم احمد محمد : ٢٢ طريق الحرية ـ الاسكندرية ـ ج.ع.م .

الجائزة الثانية وقدرها ٢٠ دينارا :

فاز بها جابر محمد العلي : سلاح الطيران الكويتي ص.ب ٢٠٢ الكويت .

الجائزة الثالثة وقدرها ١٠ دنانير :

فاز بها بكري محمد : ٢٤ زنقة ماطنة ـ حي فكتور هيجو ـ وهران ـ الجمهورية الجزائرية .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا لكل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ مصطفى رشيد محمد بكر ـ السلط ـ قرب جامع الميدان ـ الاردن

٢ ـ فكرية ترك (أم وليد) الكلية العربية ـ حمص ـ سورية

٣ ـ سنوسي موسى حسين : طالب ليبي ـ كلية الطب ـ جامعة بروكسل

٤ ـ صفاء عبد الرزاق حمري : بغداد العراق

٥ ـ شهاب حسين فرج : الصحة ـ سنجة ـ جمهورية السودان

٦ ـ سمير مصمراني . محل نجيب وعبد الحميد مصمراني ـ سوق البازركان ـ طرابلس ـ لبنان

٧ ـ ابو علي : ص.ب ٦٧٠ دبي الخليج العربي

٨ ـ صالح البراهيم الفرج ـ الرياض السعودية ـ البطحاء تيمرية المصيريعي

وسوف ترسل الجوائز الى اصحابها مباشرة .

البلبل الأسير

■ أيها البلبل غنّني لي فؤادٌ لا يُغنّيني
انت في أسرك تشدو لا تبالي بالتجنّي
وأنا حرٌّ طليقٌ حائم في أسر حزني
كلما لاحتْ طيوف غرقتْ في ماء عيني

***

أيها البلبل أنت اليوم لي أوفى صديقٍ
شتّت الدهرُ جميع النـ ـاس في كل طريقٍ
غير هذا البلبل الصـ ـداح قد ظل رفيقي
يبعث اللحن طروبا في غروبي وشروقي

***

أيها البلبل لا أعـ ـجبُ من هذا السهد
فأنا مثلك ضاعت من يدي أغلى بلادي .
قد همتْ عيني حتى أغرق الدمعُ وسادي
لم أر النوم مع الليـ ـل ولم يهدأ فؤادي

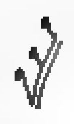
***

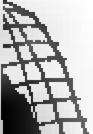
ان يكن أسرك يوما عندهم او بعضَ يوم
طال هجري واغترابي فاكتوى بالبعد عظمي
وبلادي ساد فيها اليومَ قومٌ غير قومي

***

فغدا يبسم فجري وغدا يبسم فجرُكْ
وغدا يطلق أسري وغدا يطلق اسرك
انت مثلي ايها الطـا ئر سرّي هو سرّكْ ■■

عمان ــ محمد عبد الله خلاد





مسابقة العربي

جولة في الحمام

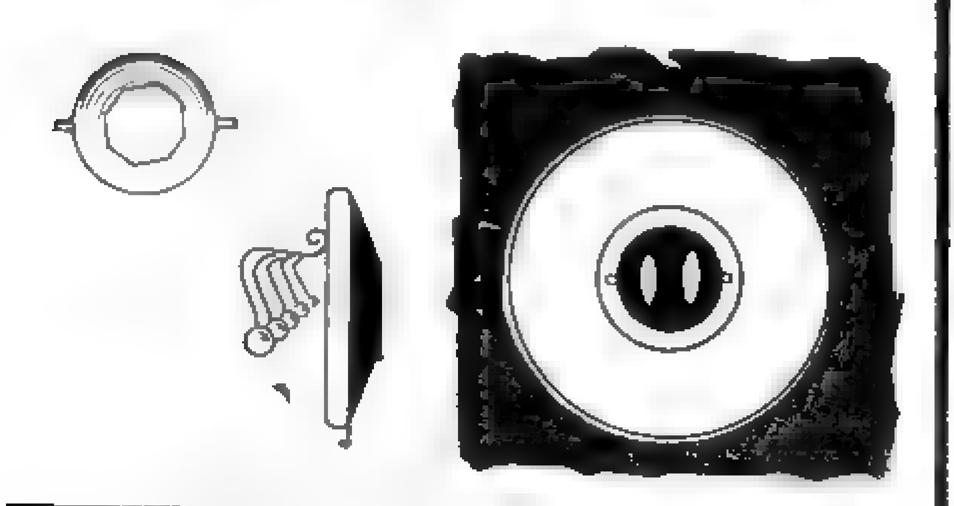
و

جوائز ١٠٠٠ دينار

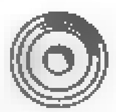
● تتألف هذه المسابقة من تسعة أشكال، كلها لأشياء مألوفة لنا، إذ نراها في حياتنا اليومية، وبعبارة أوضح هي لأشياء نراها في حمام كل بيت حديث، ولكن من زوايا غير الزاوية التي رآها منها رسام العربي ..
والمطلوب ممن يريد الاشتراك في المسابقة أن ينظر إلى الأشكال العشرة المرسومة هنا ثم يحاول أن يعرف أسماء ستة منها على الأقل فلعله يفوز بإحدى الجوائز .

شروط المسابقة

١ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٢ ـ ارفق بإجابتك كوبون المسابقة المنشور في ذيل الصفحة المقابلة .
٣ ـ ضع إجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت (مسابقة العدد ٨٣)







٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابات الينا هو السابع عشر من أكتوبر (تشرين اول) عام ١٩٦٥ .

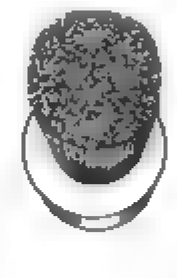
ملاحظة هامة : كل اجابة لا يكتب على غلافها عبارة « مسابقة العربي » ورقم العدد لا تدخل الاقتراع على الجوائز .

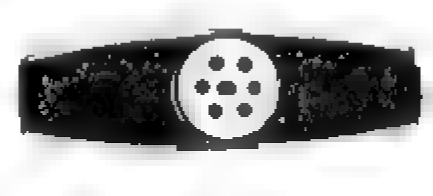
الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ـ/٣٠ دينارا
الجائزة الثانية ـ/٢٠ دينارا
الجائزة الثالثة ـ/١٠ دنانير

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير توزع على الفائزين الثمانية التالين لاصحاب الجوائز الثلاث الاولى .











ركن الأسرة والمرأة

كرامة الزوجة وسعادتها والسبيل إلى توفيرها

■ يقول برنارد شو : « ليس في العالم كله ما هو أهم من المال » . ولعل في هذا القول شيئاً من المبالغة . ولعله أكثر تجاوباً والحياة الزوجية على وجه التخصيص . إذ لا ينكر أحد أن السعادة الزوجية تكاد تعتمد إلى حد كبير على نظرتنا إلى المال ، أو بالأحرى على المبدأ الذي نعتمده في الإنفاق .

فالزوج الذي يحرص على توافر كافة أسباب الراحة في البيت ، والذي يدفع آخر كل شهر سائر ما يطالب بدفعه من نفقات اقتضتها تلك الأسباب ، هذا الزوج يوافق دائماً على شراء ثوب جديد لزوجته متى طلبت منه ذلك ، ولا يرى غضاضة في أن تشعره زوجته برغبتها في الحصول على ذلك الثوب كلما شعرت هي بالرغبة في شرائه . وفي ذلك دليل على سخاء الرجل وبعده عن مظاهر الخسة . ومع هذا فذلك أيضاً دليل على جهله نفسية زوجته .

فالمرأة إنسان ذو كرامة واضطرارها للرجوع إلى زوجها بصدد كل صغيرة وكبيرة ترغب في شرائها لا يخلو من مساس بكرامتها . فهي والحالة هذه لا تملك شيئاً البتة . وحصولها على أي شيء أو عدم حصولها عليه رهن بإشارة زوجها . وبعبارة أخرى ، لا تستطيع الزوجة مثلاً مفاجأة زوجها بهدية ما بمناسبة عيد ميلاده ، أو تتمكن من شراء إناء زجاجي قـدم أعجبها ، على سبيل المثال أيضاً دون الحصول على سبق موافقته بصدد تلك الهدية أو هذا الإناء .

ومن يدري فقد لا يسمح له جهله بنفسيتها بأكثر من التعليق « لسنا بحاجة إلى مزيد من الأواني الزجاجية وقد بتنا نملك منها الشيء الكثير » . أو « ماذا والهدايا نتبادلها في المناسبات وقد مضى على زواجنا كثير من السنين ولم نعد نحفل بهذه أو تلك ، على نحو ما يفعل صغار المراهقين ! » .

ولا يختلف الأمر كثيراً في الحالات التي يكون فيها للزوجين حساب مشترك في البنك .

إن ما تصبو إليه الزوجة هو أن يناط بها حق التصرف بمبلغ من المال ، كبر أم صغر ، ولا يشاركها في صرفه أحد من الناس . فلا الحساب المشترك في البنك ، ولا تأكيد الزوج بأنها « تستطيع شراء كل ما ترغب فيه ما دام ذلك الحساب موجوداً والرصيد فيه كافياً » ، بقادر على تغيير ما فطرت عليه نفسيتها .

أضف إلى ذلك أن عزة النفس في الزوجة لا تسمح لها بالإقدام على شراء شيء



دون الحصول على موافقة زوجها حتى ولو كان لها حساب مشترك في البنك . فما دامت بلا حساب خاص مستقل ، او بلا مبلغ من المال يكون في متناول يدها وتكون حرة التصرف فيه ، تظل الزوجة فريسة لتوبيخ الضمير اذا هي اضطرت الى شراء شيء دون موافقة سابقة من زوجها . وهي لا تستطيع منع نفسها عن الشعور بمساس في كرامتها على كل حال لاضطرارها الى الرجوع اليه ولطلب موافقة زوجها على شراء ما ترغب في شرائه .

ولعل المشكلة التي نحن بصددها تفقد الكثير من حدتها بل تكاد تتلاشى في الاحوال التي تكون الزوجة فيها مضطلعة بعمل او وظيفة ما وتتقاضى مرتبها الشهري لقاء القيام بذلك العمل . بيد ان المشكلة تعود الى الظهور وتكتسب مزيدا من الجدة فيما اذا اضطرت الزوجة الموظفة الى ترك وظيفتها والتفرغ لاعمال بيتها .

فالمرارة والمهانة التي تشعر بها في تلك الحال، نتيجة اعتمادها الكلي على زوجها من الناحية المالية ، تفوق كل ما تشعر به الزوجة العروس في هذا الصدد . فانتقال العروس من بيت ابيها وولايته الى بيت زوجها وولايته مباشرة ، ودون ان يتاح لها فرصة العمل في وظيفة ، او بالحري قبض مرتبات تلك الوظيفة والتصرف بها ، من شأنه ان يجعلها اقل تأثرا من زميلتها واقل شعورا بالمرارة والمهانة او توبيخ الضمير .

ولا جدال في ان الحل الوحيد للمشكلة هو في وضع مبلغ من المال مهما كان ضئيلا في متناول يد الزوجة ، تنفقه كما تشاء او توفر منه كما تشاء . ومن شأن مبلغ ضئيل كهذا ان يحل مشكلة كبيرة ما زالت تسبب تعكر صفو الحياة الزوجية وتقلب نعيمها الى جحيم . بل من شأن مبلغ كهذا ـ على ضآلته ـ أن يرد الى الزوجة شعورها بكرامتها وعزة نفسها الى حد كبير . ■■

الطلبة أمزجة ثلاثة

المــــزاج

المــــزاج

المــــزاج

عقول وأمزجة غير سواء

الطلبة أمزجة ثلاثة

الطالب ذو المزاج الواقعي



● الطلبة امزجة ثلاثة ●

في كل درس هو يطلب الحقائق .

وفي الجامعة كل ما يطلبه الطالب الواقعي من استاذه ان يكون ملماً بموضوع درسه ، وان ينقله اليه بلغة المنطق ، حقائق واضحة ، متتابعة . وهو لا يرضى من الاستاذ ان يتدخل في خصوص روحه ، روح الفرد ، يريد بذلك ان يؤثر في نفسه او طبعه او خلقه او شخصيته . استاذ كهذا يجب ان يتقصى عنه وعن امثاله ، ينحصر مجهوده في اعطاء المعارف المتصلة بالعلم الذي يدرسه ، اما من انفسهم هم ، وطباعهم هم ، وخلقهم وشخصياتهم ، فذلك شأنهم هم ، وشأنهم وحدهم .

ان هذا الطالب ، ذا المزاج الواقعي ، انما جاء هو وامثاله الى المدرسة او الى الجامعة ليستبدلوا بالجهل علماً ، وذلك حسبهم وحسب استاذهم . انهم لم يحضروا « ليتربوا » ، وهم يمارسون هذه « التربية » .

وهم من اجل ذلك لا يبالون بما يحب استاذهم وما يكره ، ولا ما يوافق عليه او لا يوافق من سلوك . ان ارادة هي ارادة وحده ، فليحتفظ بها لنفسه . والتعليم عندهم لا يتضمن الا شيئاً واحداً : مبادلة بين قوم يعطون معارف هم المدرسون ، وقوم يأخذون ، هم الطلبة والتلاميذ .

والمدرسون يجب ان يتكلموا ، لا بلغة الناس ولا لغة الملائكة ولا لغة الشياطين ؛ وانما بلغة الموضوعيين .

الطالب ذو المزاج المثالي

او ذو المزاج الخيالي . وهو عادة ذو حياء وبه تردد ، وهو لا يدري بالضبط ما يريد . والمعارف وحدها لا تكاد تثيره ، ولتجذبه الاشخاص لا الحقائق . ولو انك سألته من بعد خروج من مدرسته ما الذي اثر فيه اكثر من كل شيء آخر ، لذكر لك اسماء مدرسين كان لهم شخصية بارزة قوية مؤثرة . انه انجذب اليهم ، بل احبهم ، بل اتخذ منهم لنفسه ابطالا وحاول ان يجعل من نفسه نسخة اخرى منهم . وتسأله عما

قرأ من كتب، فيذكر لك ما قرأ . وتحدثه فيها ، فتجد انه ، قبل الكتاب ، جذبه مؤلف الكتاب ، لان له شخصية استطاع هذا الطالب أن يمزج بها شخصيته ، وله رسالة اتخذ الطالب منها رسالة تهذيب حياته . وقد يكون قرأ كتابا آخر ، لمؤلف آخر ، أكثر موضوعية ، وهو فيما يكتب عمدة أكبر ، ولكنه لم يستطع ان يقتبس منه لحياته شيئا . وفي العلم ، لم يفتنه العلم ، بقدر ما فتنه ان قام بتجارب مع أساتذة قرأ تجاربهم في كشف العلوم ففتنه ما كشفوا وكيف كشفوا .

مثل هذا الطالب المثالي الخيالي يطلب في مدرسيه ، القادة ، والفلاسفة ، والاصدقاء ليتسنى له ـ وهو لا يدري ذلك ولا يعيه ـ أن يمزج بأعمالهم الناضجة آماله النادئة ، وبأفكارهم التي تفتحت ، براعم فكره التي تحاول التفتح ، ويتخذ من مآثرهم تفسير تهذيبه ، لا من الخارج ، ولكن من الداخل ، من داخل نفسه ، من الاعماق . ويستعير آراءهم الى حين ، ولا يبقى له منها آخر الامر الا تلك التي تتفق مع أسلوب فكره هو ، وشعوره هو . اما التي لا تتفق فيفعل فيها الزمن ما يفعل بأوراق الخريف . تتساقط كل خريف واحدة منها بعد أخرى .

هذا الطالب ، المثالي ، الخيالي ، ينتهي بأن يكون قد اقتبس ممن احبهم من معلميه ثمرات شتى ، ونضجت كل هذه الثمرات فأصبحت نفسه بها متعددة الصفات والوجهات ، هي نفسه هو لا نفس غيره . ثم هو ينميها بعد ذلك ، وينشئها ويعلمها ويربيها .

الطالب ذو المزاج العملي

وان شئت سميته بلغة الفلاسفة ذا المزاج البرجماتي .

وهو غير المزاج المثالي ، وغير المزاج الواقعي



الطالب ذو المزاج العملي عنده تجارب

انه طالب نشيط ، يهدف الى العمل المنتج الذي دلت على انتاجه وتمامه الخبرة . وهو يحب الناس وتحبه الناس ، وهو دائما يجتمع بهم ، وبه يجتمعون . واذا بحثت عنه المدرس وجدته دائما في اوسط كل زحام . في اوسط كل جمع ، واوسط كل عمل ، يؤثر في مجراه بالكلمة او بالعمل .

والطالب العملي ، البرجماتي ، يميل الى الاسماع اكثر من ان يسمع ، ويميل الى عمل المختبرات اكثر من ميله الى حلقة المحاضرات يدون فيها ما يلقي الاستاذ ، لانه يميل اكثر الى ان يكون مستثرا من نفسه كاشفا عما اختفى في خفاياها .

وهو يود ان يبدأ امرا ، ليرى عاقبته، اكثر مما يود ان يجلس ويفكر في هدوء صامتا . وهو يحب التجارب ، لا سيما تلك التي يشترك فيها اكثر من واحد . اثنان ، ثلاثة او اكثر . ذلك لان عمله في الناس ، واتصاله بهم ، هما احب شيء اليه .

والعمل اليدوي ، والدراسة تقوم بها



المختبر لروح من الجلوس الى المحاضرة ●

الفرقة لا الفرد الواحد ، والمشاريع الاجتماعيه ، كل هذه وامثالها محببة اليه .

والتخطيط ، وعمل اللجان، والمناقشة كذلك حبيبة اليه .

ولقد بلغ من هذه النزعة العملية البرجمالية ان صار الطلبة ، في بعض المعاهد التربوية التي يدخلها خريجو الجامعات ، هم القائمون فعلا بتحضير البرامج والفائها ، وادارتها ، ولم يتخذوا من الاساتذة الا ناصحين ومشيرين ، وفي آخر المطاف ممتحنين . لقد كرهوا ان يؤمروا ، وكرهوا ان يعظهم الواعظون ، واحبوا ان يقوموا انفسهم بما يريدون وان ينقبوا حتى يكشفوا عما يطلبون .. مجموعة من الشباب تريد ان تشب فتبلغ مبلغ النضوج ، مبلغ الرجال ، بجهودهم هم ، وعلى طريقة هم مبدعوها وهم يفخرون بانهم هكذا يصنعون .

مشكلة المعلم

وهنا تنشأ مشكلة المعلم . وما هي مشكلة انه يواجه هذه الامزجة الثلاثة ، لا بهذا التفاصل بينها وهذا الصفاء ، ولكن على شيء من التداخل قريب من ذلك .

وهو ان رسم طريقة تلائم مزاجا واحدا من هذه الامزجة ، ارضى البعض، ارضى القلة ، ولم يرض الكثرة . ولكن ما اسرع ان يدرك انه يجب ان يتحول . يجب ان لا يكون صاحب الخطة الواحدة ، ولكن صاحب خطط ثلاث ، يوازن بينها . يعطي من كل كلا نصيبه .

يستطيع بل لا بد له ان يعطي الحقائق والمعارف على الطريقة المألوفة التي رضيتها القرون ، ولكنه يستطيع ان يخفف من قسوتها بالدخول في تفسير هذه الحقائق والتعليق عليها ، واخراج ما خفي وراءها من علائق انسانية كانت بالامس ، او من روابط سوف تكون لها في الناس في الغد .

والى جانب هذه يستطيع المدرس ان يؤمن جانب الخبرة بما يتدعه من تجارب ، او كتابة مقالات ، او اقامة مناقشات ومناظرات . اي احداث تلك الاشياء التي تشبع اولئك الذين يودون ان يكون لهم فيما يجري شيء يصنعون، يصنعونه بانفسهم هم .

والمدرس والاستاذ اذ يحاول ان يجعل من نفسه ، قبالة هذه الامزجة الثلاثة ، ميزانا لا يميل ، يحاول كذلك ان ينمي في طلبته مثل هذه الميزان . وهو انجح في هذه المحاولة لدى طلبته في الجامعة . وهو في هذه المرحلة يستطيع اطلاعهم على خبيئة قصده ، فيقول لهم صراحة ان الدنيا بها تلك الامزجة الثلاثة ، وانه لا ينجح فيها الا من وازن بينها جميعا ، وجعل لنفسه شيئا منها . او على الاقل ادرك هذا الخلاف في الناس ، وليس لكل حال لومها . وجعل بذلك الحياة على الناس ايسر ، والتعايش ، على الحق ، امكن . والحق يسعى اليه من اكثر من طريق .

■■



بقلم الدكتور
أحمد عبد المنعم البهي
الأستاذ بالدراسات العليا بكلية الشريعة
بجامعة الأزهر — القاهرة

■ من النظم الإسلامية التي سنها عمر ابن الخطاب ، الخليفة الثاني للمسلمين ، اتجاهه الى فصل سلطة القضاء عن سلطة الولاية فجعل قضاة مهمتهم الفصل في مشكلات الناس وخصوماتهم . وبعبارة أخرى فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية ، وكان ولاة الأمصار قبل ذلك يقومون بأعمال الولاية والقضاء ويجمعون الى السلطة التنفيذية السلطة القضائية أيضا

وعمر وإن لم يجر على هذا النمط في كل الولايات الإسلامية ، إلا أنه اتبع هذا النهج وتلك السياسة الجديدة في معظم الولايات ، ففصل القضاء عن الولاية في مصر والكوفة والبصرة وغيرها من الولايات الكبيرة . وربما كان ذلك حرصا منه على أن يتفرغ الولاة للنظم الإداري والسياسي في هذه الولايات التي كانت حديثة عهد بمعالم الإسلام ونظمه ، ويتفرغ القضاة لتحقيق العدالة على أتم وجه وأكمله في خلافات الناس ومنازعاتهم .

عمر رأى أن يتصل القضاة به ، وإن في ذلك الخير

ولقد كان عمر على اتصال مباشر بقضاته ، وحملهم بأمر له مباشرة ، يكاتبونه فيما أشكل عليهم في بعض القضايا ، ويرد عليهم بما يجب أن يكون ، ويوجههم الى ضرورة الاتصال به في كل ما يحتاج الى المشاورة وتقليب وجهات النظر للوصول الى رأي سديد في النزاع المطروح . فقد كتب الى شريح وهو على قضاء الكوفة يقول له

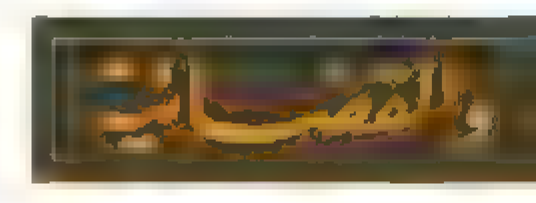
« اذا حضرك أمر لا بد منه ، فانظر ما في كتاب الله ، فاقض به ، فإن لم يكن ففيما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن شئت أن تجتهد رأيك ، وإن شئت أن تؤامرني ، ولا أرى مؤامرتك إياي إلا خيرا لك والسلام » .

وهذه الرسالة تفيد أن عمر رضي الله عنه كان يرى أن يتصل به قضاته ، إذا شاءوا ، في كل أمر مشكل قبل الفصل فيه بوصفه الرئيس الأعلى لهم ، والإمام المسئول عن السهر على العدالة وتحقيقها في ربوع الدولة وفي كل ناحية من نواحيها .

وهذا هو الذي حدا به أن يكتب الى أبي موسى الأشعري ، وهو على قضاء اليمن ، ألا يفصل في أمر المرأة التي رفع اليه أمرها وقد وجدت حبلى من غير بعل ، وإن يوافيه بها وناس من قومها ولا يصدر في شأنها أي حكم .

قوم انكروا فصل القضاء على عمر

ومع هذه العناية التي وجهها عمر الى القضاء بصفة خاصة ، وتخير الرجال الذين يصلحون له ، وعزل من لا تتحقق فيه الصلاحية المنشودة لهذا الامر الخطير ، كما عزل أبا مريم الحنفي عن قضاء البصرة لما استبان له ضعفه .. مع كل هذا فان فريقا من العلماء والباحثين قد انكر كليـة ان عمر فصل سلطة القضاء عن سلطة الولاة وعين قضاة من قبله ، انكروا هذا وبالتالي انكروا ايضا ان عمر رضي الله عنه راسل هؤلاء القضاة وكاتبهم في شئون القضاء ونظمه وغير ذلك مما له صلة بهذا الموضوع .



وقد عول بعضهم في ذلك على بعض الروايات في تأييد ما يذهب اليه ونسوقها فيما يلي

قالوا : انه ثبت بطريق الرواية الصحيحة عن الامام مالك رضي الله عنه انه قال « اول من اتخذ قاضيا معاوية بن ابي سفيان ، وكان الخلفاء قبل ذلك يباشرون كل شيء من امور الناس بانفسهم .

واستنادا الى هذه الرواية نفوا ما جاء في الروايات التي تفيد ان عمر ولى قضاة وانه فصل السلطة القضائية .

واستندوا ايضا الى قول وكيع في كتابه اخبار القضاة فيما رواه عن بعض اهل المدينة قال « اهل المدينة ينكرون ان عمر استقضى شريحا . وقالوا والدليل على ذلك انا لم نسمع له في ايام عثمان ذكرا وتساءلوا كيف يوليه عمر على المهاجرين ولم نعرفه قط ؟ » .

وهذا ايضا يفيد انكار تولية عمر لشريح قضاء الكوفة مع ان ذلك من الامور المشهورة عن عمر رضي الله عنه .

واستندوا ايضا الى ما رواه اليعقوبي في تاريخه « اول خليفة ولى قضاة الامصار من قبله كان ابا جعفر المنصور » .

وقالوا ايضا قد قيل ان عمر ارسل كتابا الى ابي موسى الاشعري وهو على قضاء الكوفة ، وهذا القول غير صحيح بالمرة ، اذ ان عمر لم يول ابا موسى قضاء الكوفة ، وهو لم يكن بها في عهد عمر حتى يتصور ان يوليه قضاءها .

وانتهوا من هذا كله الى الجزم بان عمر لم يفصل سلطة القضاء عن الولاية ، وانه لم يعين في الامصار قضاة مستقلين بشئون القضاء ، وان الولاة انفسهم كانوا يباشرون القضاء كجزء من عملهم المنوط بهم . وقالوا اذا انتفى هذا فانه ينتفي بالطبع ما نسب الى عمر من ارسال كتب الى قضاته .

هذه الروايات التي استندوا اليها ، على فرض انه لا توجد روايات اخرى تعارضها وتثبت عكسها لا تقوم مقام الحجة في تعزيز رأيهم في مجال البحث الحر والتجرد من الهوى ، اذ ان ما عولوا عليه وما احتجوا به من هذه الروايات كان مبنيا على ما يستفاد من ظاهرها لا غير ، وما اكثر ما يخدع الظاهر لمن يعول عليه ويكتفي به ، وما من حجة من حججهم الا وهناك ما هو اكثر منها قوة وابين في الدلالة على عكس زعمهم فيها . فكيف نعمم التعسف على الهوى ، ونسلم بالقول المرجوح مع وجود القول الراجح .

رد ما قيل عن مالك في اول من اتخذ قاضيا

ومن مناقشة حججهم يتبين لنا ضعف انهم انكروا امرا ثابتا ، وقضية تضافرت الادلة من كل جانب على صحتها . فتمسكهم بقول الامام مالك « اول من اتخذ قاضيا معاوية بن ابي سفيان الخ » مردود عليه من ناحيتين .

اولاهما . ان هذه الرواية رواها راو واحد عن مالك هو احمد بن اسماعيل ابو حذافة ولم ترد من غيره من تلاميذ مالك واصحابه مع كثرتهم وكثرة ما رووا عنه ، وهذا يدل على ضعف الرواية وعدم التعويل عليها .

ثانيهما . ان هذه الرواية على فرض صحتها فان مراد مالك منها ان الخلفاء لم ينيبوا قضاة في حاضرة الخلافة لا غير ، وان اول من فعل ذلك كان معاوية وهذا لا ينفي ان عمر عين القضاة في غير عاصمة الخلافة والحكم .

وقد رجح هذا ابن عبد البر وابن رشد وغيرهما من جلة العلماء . فابن عبد البر يقول في الاستيعاب . « وهذا عندنا محمول على حاضرتهم



ـ أي الخلفاء الأربعة ـ لا من بعد عنهم ؟ لأن استقضاء عمر لشريح على الكوفة اشتهر عند علمائها من كل شهرة وحجة » .

وقال ابن رشد ، معلقا على قول مالك السابق في « العتبية » : كأن مالكا رضي الله عنه يريد أن يقول : أن معاوية أول من استقضى في موضعه الذي كان به لاشتغاله بما سوى ذلك من أمور المسلمين ، وإلا فقد ولى عمر بن الخطاب كعب بن سور على البصرة وولى شريحا قضاء الكوفة .

وإذن فلا حجة لهم في التمسك بقول الإمام مالك على فرض صحة هذه الرواية ، ولو كنا نرجح عدم العمل بها وردها استنادا الى الروايات التي تفيد أن عمر عين قضاة في حاضرة الخلافة كما عين في خارجها . فقد روى الطبراني بسند جيد عن السائب بن يزيد « أول من استقضى عمر قال رد عني الناس في الدرهم والدرهمين » . وكان السائب معه في المدينة .

أما ما رواه وكيع من أن أهل المدينة أنكروا استقضاء عمر لشريح ، فقد تولى وكيع نفسه الرد على ذلك فقال « من الحجة عليهم أن عمر استقضى يزيد بن أخت النمر على المهاجرين ، واستقضى سلمان بن ربيعة على أهل القادسية ، وكعب بن سور على البصرة ، وكذلك أبا مريم الحنفي ، وهؤلاء كلهم مثل شريح »

ومضمون قوله أنه لا يشترط في اختيار القضاة أن يكونوا من المهاجرين السابقين الى الإسلام وهذا ليس قدحا في قدرهم ولا في منزلتهم ، فليس كل المهاجرين من السابقين الى الإسلام فقهاء ولا على استعداد لتولي القضاء ، ومن أجل ذلك عين عمر شريحا وغيره ممن رأى فيهم الاستعداد لهذا العمل

قول اليعقوبي أن أبا منصور أول من عين قضاة الأمصار

أما ما جاء في اليعقوبي من أن أبا جعفر المنصور أول من ولى قضاة الأمصار فإنه فرض" فقوله محمول على أن ذلك التعيين كان في عهد الدولة العباسية ولا يتناول ما كان قبل ذلك من تعيين قضاة الأمصار من عهد عمر الى نهاية الدولة الأموية .

والذي يؤيد هذا الفهم أن السفاح الحاكم الأول للدولة العباسية كان مشغولا عن مثل هذا بتأمين الدولة والترصد لفلول الأمويين ، فلما تولى أبو جعفر المنصور واطمأن الى استقرار الدولة أخذ في تنظيم شئونها ، ومن ذلك تعيين القضاة في الأمصار

ولا يمكن أن نفهم كلام اليعقوبي على وجه غير هذا لأن هناك أدلة لا حصر لها تمنع من الأخذ بظاهر كلامه

بقي بعد ذلك استنادهم الى خطأ بعض الرواة الذين قالوا أن عمر أرسل كتابه الى أبي موسى الأشعري وهو على قضاء الكوفة ، ورتبوا على ذلك نفي استقضاء عمر له والطعن في صحة صدور هذا الكتاب من عمر إليه ـ وردا على ذلك نقول أن خطأ هؤلاء لا يعني نفي واحد من هذين الأمرين كما سنوضح هذا في حينه .

روايات متواترة تفيد أن عمر عين قضاة

ولا أدري كيف أغفل هؤلاء ما عدا ذلك من الروايات التي بلغت حد الشهرة والتواتر والتي تفيد صراحة أن عمر عين قضاة وكانت بينه وبينهم مكاتبات ، ويحسن بنا أن نوضح هذين الجانبين كلا على حدة .

عمر عين قضاة في المدينة

ففي الجانب الأول نقول أن عمر قد عين قضاة في المدينة وخارجها وإليك الدليل على ذلك .

١ ـ روى ابن سعد في الطبقات عن نافع « أن عمر استعمل زيد بن ثابت على القضاء وفرض له رزقا » وكان محل عمله المدينة .

٢ ـ وعين السائب بن يزيد بن أخت النمر للقضاء في الأمور الصغيرة بالمدينة كما مر بك هذا فيما رواه الطبراني .

٣ ـ ألف محكمة عليا برئاسته وكان عضوا دائما بها الإمام علي رضي الله عنه وكان من اختصاصها الفصل في قضايا الحدود والأمور المشكلة .

عمر عين قضاة خارج المدينة

هذا فيما يتعلق بالقضاء في المدينة ذاتها ، أما في خارجها فقد عين في بعض الولايات قضاة مستقلين عن الولاة ، فمن ذلك أنه عين قيس بن العاص على قضاء مصر وقال عنه يزيد بن حبيب « هو أول قاض قضى بها في الإسلام » .

وعين على قضاء البصرة ابا مريم الحنفي ثم عزله لما استبان له ضعفه ، وولى على قضاء الكوفة عبد الله بن مسعود فقد روى قتادة عن مجلز « ان عمر بن الخطاب بعث عمار بن ياسر على صلاة اهل الكوفة وبعث عبد الله بن مسعود على بيت المال والقضاء » .

ثم ولى على قضاء الكوفة شريحا بعد عبد الله ابن مسعود وكان سبب توليته واقعة معروفة ، ذلك ان عمر رضي الله عنه اخذ فرسا من رجل على سوم « اجر » فعطب الفرس ، فخاصم الرجل عمر ، وابى ان ياخذ فرسه وهو على هذه الحال ، فترك له عمر اختيار من يحكم بينهما في هذا الخلاف ، وكان هذا منتهى الكرامة والعدل من عمر حتى لا يقال انما احال عمر الخصومة على احد قضاة المدينة وحكم لصالح عمر انه جامل الخليفة في حكمه .

وقال الرجل اني اختار هذا الفتى العراقي شريحا للفصل فيما بيننا ، فرضيا به الامر وعجب عمر بمنهجه في القضاء وبحكمه الذي اصدره عليه اذ قال له « اخذت الفرس فعليك ان ترده سليما كما اخذته » فولاه قضاء الكوفة وظل عليها الى عهد الحجاج .

ويطول بنا المقام لو اخذنا في سرد الادلة التي تقيم بدون مواربة ولا شك ان عمر عين قضاة في داخل المدينة وفي خارجها وانه كان اول من مهد للفصل بين السلطتين القضائية والتنفيذية بهذا العمل ، وان كان قد عهد الى بعض الولاة بالاستمرار على القضاء كما فعل معاوية ، فان هذا لا يعني انه لم يمهد للفصل بين السلطتين .

كتب عمر الى قضاته امرها مشهور

اما الجانب الثاني وهو كتبه التي بعث بها الى قضاته فامرها اشهر من ان يذكر . اذا كان كتابه الى ابي موسى قد دار حوله نقاش فكذلك دار نقاش حول كتابه الى شريح في استعمال الرأي عند عدم وجود نص من كتاب او سنة . فهذا الكتاب قد انكره علماء المذهب الظاهري ، كما انكروا كتابه الى ابي موسى . وانكار الظاهرية لهما لا يقدح في صحة صدورهما من عمر .

الا اننا لا نفصل القول فيما يتعلق بكتابه الى ابي موسى الآن ، ونقتصر ردنا على كتابه الى شريح — لان الكلام في كتاب ابي موسى يتعلق بجوانب مختلفة قد تعالج في مقال خاص —

ونعود لكتاب عمر الى شريح فنقول ردا على انكارهم له ان هذا الكتاب ليس الوحيد الذي كتبه عمر الى شريح فقد كتب اليه اكثر من كتاب .

كتب اليه « لا تجيزوا لامرأة في مالها امرا حتى يحول عليها حول عند زوجها او تلد ولدا » .

وكتب اليه « اذا طلق الرجل امرأته وهو مريض انها ترثه ما دامت في عدته » .

وكتب اليه في امر القصاص والديات وغيرها « ان الاسنان سواء والاصابع سواء وفي عين القائمة ربع ثمنها ، وان الرجل يسأل عن ولده عند موته فاستحقها يكون عند موته ، وجراحة الرجال والنساء سواء الى ثلث دية الرجل » .

كتب له هذه الكتب وغيرها مما يطول المقام بسردها ، وجميع رواة هذه الكتب ثقات ، فبعضها رواه الشعبي وبعضها رواه عمر بن دينار عن ابي بكر بن حفص ، وبعضها عن الحسن بن عمارة عن الحكم .

فكيف يتصور مع كثرة هذه الكتب وتعدد رواتها انكار واحد منها والتسليم بباقيها مع ان بعض رواة هذه الكتب رواة الكتاب الاول الذي انكره اهل الظاهر .

الى بعد هذا فانه لا مجال للقول بان عمر لم يمهد للفصل بين السلطتين القضائية والتنفيذية بما جرى عليه من تعيين قضاة مستقلين في عملهم كل الاستقلال عن الولاة ، ولا مجال بعد ذلك لانكار كتبه الى هؤلاء القضاة او بعضهم .

فلعل لنا مجالا في هذا في فرصة اخرى

■

احمد عبد المنعم البهي

مراجع البحث : فتح الباري في شرح احاديث البخاري — النووي على مسلم — كنز العمال في [illegible]

لوكيع وشيعاته الشيخ عبد العزيز المراغي طبقات المحلى لابن حزم [illegible] لابن سعد — اليعقوبي — تاريخ الفقه الاسلامي للسحوى — [illegible] في تاريخ الفقه الاسلامي للدكتور علي حسن عبد القادر .



■ في احدى ضواحي بلتمور بمقاطعة فرجينيا جلس فوق ربوة طالبان شابان يمضيان العصاري الدافئة ويتداولان الحديث عن المستقبل ، وكان احد هذين الطالبين نجل ممثل معروف كان يمثل في مسارح لندن في المرتبة الثانية بعد الممثل الذائع الصيت ادموند كين ، وقد هاجر هذا الممثل – واسمه جونياس بروتاس بوث – الى الولايات المتحدة ، وطلب شهرته ويوطد مكانته .

قال الطالب سام ادوارد لصاحبه « ماذا تريد ان تعمل ؟ »

فاجاب جون ولكز بوث « لا اريد ان اكون ممثلا بارعا مثل ابي ، وانما اريد ان يُعرف اسمي في التاريخ ، ولو ان تمثال رودس الضخم الاشم كان لا يزال قائما لعملت على انزاله ، ولحسبت نفسي راضيا مطمئنا لاني قمت بعمل لم يقم به احد قبلي »

وقد اطلق على بوث اسم « جون ولكز » وهو اسم احد الزعماء السياسيين الهرجي ، وكان عضوا

مكان مصرعه

بقلم علي ادهم

في مجلس النواب معروفا بالفصاحة والمهارة وقوة الفكر ، وقد اشتهر بأنه المدافع الناجح عن حرية الصحافة في انجلترا ، وقد اكسبه بوث سمعة في المسرح على أضواء الخشبة ، ولكن بوسيلة مختلفة عن وسائل سميه ؛ لقد رزق حظا موفورا من الوسامة ، وكان يعنى بترجيل شعره الأسود الفاحم وتسريح شاربه ، ويضاف إلى ذلك أنه كان يجيد إصابة الهدف بالمسدس ، وكان هذا كله في سنة ١٨٦٤ ولما يجاوز سنه الخامسة بعد العشرين .

وقد أظهر استعدادا طيبا في العمل بالمسرح ، وطاف بأنحاء الولايات المتحدة حتى بلغ كاليفورنيا ، وبلغ دخله في العام الواحد عشرين ألفا من الدولارات ، ولكنه كان يقل عن أخيه ادوين الذي نجح نجاحا مرموقا في تمثيل روايات شكسبير حتى أصبح النجم المفضل في نيويورك ، ولذلك آثر جون أن يظفر بالنجاح في واشنجتن العاصمة السياسية للولايات المتحدة .

وكانت واشنجتن حينذاك برغم وجود مجلس النواب الأمريكي بها لا تزال بلدة بائسة أشبه بالقرى منها بالعواصم الزاهرة ، ولكنها مع ذلك كانت سائرة في طريق التقدم ، وقد بدأت تكثر فيها الفنادق والمطاعم الحافلة بألوان الطعوم والأشربة ، وكان توفر الأطعمة لازما بوجه خاص في النصف الأول من أبريل سنة ١٨٦٥ ، فقد أقبل القوم على الإكثار من المسكرات في أثناء الليل وأطراف النهار ، احتفالا بالانتصارات المتوالية على الولايات الجنوبية وانتهاء الحرب الداخلية التي استمرت أربعة أعوام بالانتهاء .

وكان باعث هذه الحرب مشكلة قانونية ؛



فحينما بدأ الامريكيون يشقون الطريق الى الغرب من امريكا طلبت المقاطعات الجديدة الانضمام الى « الولايات المتحدة » . وكانت نظم الحكم الاصلية تسمح بوجود الرقيق وتعترف بشرعية العبودية ، ولكن ضمير الشعب اخذ يستيقظ ، وظهر حزب سياسي لم يكن مستعدا لتسويغ حق الاستعباد في الولايات الجديدة التي لم يكن لها هذا الحق من قبل . وفي سنة ١٨٦١ نجم خلاف شديد ، فقد اعلنت احدى عشرة ولاية من ولايات الجنوب رغبتها في الانفصال عن الولايات الشمالية التي كانت تهدد حقها في الاحتفاظ بقانون الاستعباد الذي كان مباحا بموجب نظام الحكم القديم . وكان ابرهام لنكولن رئيس حكومة الولايات المتحدة في ذلك الوقت ، وبرغم انه في بادىء الامر كان محافظا من حقوق الولايات الجنوبية القديمة ، الا انه اعلن بعد ذلك عزمه على الغاء العبودية الغاء تاما ، وبذلك اصبح في نظر الجنوبيين رمزا يمثل محاولة القضاء على حضارتهم ، وقد كانت حضارة الجنوب قائمة على العبودية مثل حضارة اليونان وحضارة روما . وقد نشأ جون ويلكز بوث في الجنوب ، وصار لنكولن في خياله الجامح يمثل تمثال يوليوس القيصر الاثيم ، فلا بد الآن من هدم هذا الصرح الشاهق !

★ ★ ★

كان لنكولن رجلا طويلا ممشوق القوام ، في مفاصله لين واسترخاء ، اسود الشعر ، متلبد شعر الذقن رائقه . وقد قاسى الكثير في طفولته ولم يتلق سوى القليل من التعليم ، واستطاع متأخرا ان يتعلم في سلك المحامين . واجتذب الانتباه السياسي بقوة خلقه ومضاء عزيمته . وقد قيل انه لم يكن عنده من الخبرة بشؤون الدولة ما يكفي للنهوض بالاعباء في ابان تلك الازمة ، ولكنه كان في الواقع السياسي الذي يشعر بالنبض العملي ويحسن رصد علامات الزمن وطوالع الحوادث . وكان بعض اعيان حكومته يضحكون من تنبهاته حتى ثبت صحتها ، ثم يضحكون بعد ذلك لانها رغم غرابتها كان لها ما يسوغها . واحبه الامريكيون وتعلقت به قلوبهم ، فانتخبوا لرئاسة مرة ثانية . وحينما لاحت لوائح النصر اخذ يتحدث عن موادعة الجنوبيين والترفق لهم في اجراء الصلح واحلال العفو والغفران محل حب التشفي والانتقام ، فترددت الاشاعات عن مؤامرات تدبر للتخلص منه ، وكثر الهمس عن المحاولات الخفية لاغتياله . وكان الرجل حينذاك واهن الجسد من فرط الاعياء ، فقد بذل جهودا جبارة واحتمل اعباء شاقة وصبر وصابر ، وفي الوقت الذي يفكر فيه في مداواة الجرح ولم الشعث ومعالجة ويلات الحرب الداخلية وازالة آثارها كان بوث يضع الخطط للقضاء عليه .

وكانت مسلاة الرئيس الوحيدة هي الذهاب الى المسرح ودار الاوبرا ، وكان يزورها مع زوجته واصدقائه المقربين ، وقد شغل ذلك بال وزير الدفاع ادوارد ستانتون واثقل همه ، فقد كانت الاشاعات عن تدبير المؤامرات لقتل الرئيس متواترة من مختلف المصادر . وقد نصح الرئيس كثيرا بالاقلال من الظهور في الاماكن العامة حيث يسهل استهدافه للاخطار ، ويتعرض للاعتداء على حياته ، وكان كلما الح عليه في ذلك يجيبه لنكولن قائلا « اذا كان مقدرا لي ان اقتل فانني سأموت مرة واحدة ، ولكني اذا عشت في خوف دائم من الموت فانني سأموت مرارا وتكرارا » .

ومهما يكن من الامر فقد قبل بعد لأي ان يكون له حرس ، وتألفت علاقات الود بينه وبين رئيس حرسه ، ومن سخرية القدر انه في اليوم الموعود كان رئيس فرقة الحرس هذا متغيبا في احد الاعمال الرسمية ، وناب عنه في الاشراف على الحراسة احد رجال الشرطة ، وكان رجلا عاجزا اشد العجز قليل الشعور بالتبعة ، وفي اللحظة التي كان يتوقعها ستانتون ويخشاها كان رئيس الحرس الهمام باركر مشغولا باحتساء كأس من الشراب !

وكانت الخطة التي وضعها بوث لازالة الرئيس من الطريق معقدة ، وتحتاج الى مشاركة رجال كثيرين ، ولذلك بدأ يبحث عمن يستطيع ان يثق بهم من اصحابه ، ووقع اختياره على صديقين من بلتيمور عرفهما منذ عهد الدراسة ، وهما ميخاييل اولافلن ، وكان شابا طيبا صاحب لهو ، وصامويل اربولد ، وكان جلفا ضخم الوجه . وكلاهما كان من الجنوب . وكذلك كان الشاب الناشيء دافيد هيرولد الذي كانت سنه لا تتجاوز السابعة عشرة ، وكان شديد الاعجاب ببوث منذ رآه يقوم بالتمثيل في احد المسارح الاقليمية ، وكانت له معرفة جيدة بالخيل والصيد والطرق والمسالك ، وعنده ذخيرة من القصص المسلية ولم يكن خارق الذكاء ، ولكنه

كان على جانب من سرعة الخاطر . وكانت هناك الزمالة مازى سرات صاحبة النزل الذى يقيم فيه بوث وابنها جون الذى كان لا يخلو من الحصافة ، وقد ضم بوث الى من اشركهم في التآمر رجلين آخرين وهما جورج اتزيروت الالمانى ، وكان من مدمني الشراب المصابين بضعف الشعور بالنفس والذين يتخلون عن جماعتهم ولا يورعون عن الخيانة اذا استلزم الامر . وقد ضمه بوث الى جماعته لانه — على ما يبدو — كان يعرف كيف يعبر المعدية عبر نهر بوتوماك . والآخر هو لويس باول الذى اشتهر باسم « لويس بين » وكان معروفا بانه لايخطيء الاصابة بالمسدس ، ويجيد استعمال السكين ، وكان يغضب ويثور اذا عورض ، ولا يبالي بقتل اي انسان اذا امر بقتله ، وكان شديد الغباء يضل السبيل ويهيم على وجهه اذا ترك وشأنه .

وفي شهر يناير من تلك السنة كثر اجتماع « لويس بين » بصاحبه بوث في نــزل السيدة سرات ، وكان لويس ينتظر اللحظة التي يؤمر فيها بقتل اي انسان ، وكان اوفلن وارنولد لا يزالان في بلتيمور لانهما لم يكونا آزمين في هذه الرحلة .

وقال بوث : « اذا استطعنا ان نختطف الرئيس فان ذلك سيبدو في صورة عمل من اعمال الحرب ، وهو في حكم القائد الاعلى للجيش ، ويمكـن ان نجعله اسيرا ونفتدي به الكثير من اسرانا » .

فقــال اتزيروت : « ولكن كيف تفعل ذلك ؟ ان ستانتون معه ثلة من الحرس ، فانت في حاجة الى عصبة من الرجال » .

فاجاب بوث قائلا : « كلا ، لقد رسمت الخطة المناسبة ، وكل شيء متوقف على الوصول الى المقاع الرئيسي للغاز تحت المسرح مباشرة ، ومتى عم الظلام المكان كله استطعنا القيام بالاعمـال التالية ، وعندنا في وسعك يا سيد سرات فان عندك من الجلد والثبات ما يكفي للتهوين منه » .

فقال جون سرات « اني ياسيد بوث مستعـد للقيام بذلك » .

« لقد دبرت الامر ، وسادخل مع لويس مقصورة الرئيس في لحظة انطفاء الانوار » .

فسأله هيرولد : « وماذا تصنع بالحارس » ؟

« ان سكين لويس كــافل الثبت في امـره ، ويستطيع هو وانا الهجوم على الرئيس وتكبيله — وهو سيرى مسدسي — ونجذبه الى المسرح ، أليس هذا واضحا ببساطة ؟ »

هز جميع المتآمرين رؤوسهم موافقين .

واسترسل بوث في الحديث متحمسا قائلا : « وانت يا سيد سرات ستتسلم الجسد على المسرح ، وستوافيك هناك ، وانت تعرف قدرتي على الوثب ، وسبق لك ان رأيت وثبتي وانــا اقوم بالتمثيل في رواية ماكبث ، وسأثب في تلك المرة من المقصورة الى المسرح ، ونسرع بالرئيس الى الخارج ونسلمه لهاليد الذى يكون منتظـرا بالعربة في الساحة الخلفية ، وستقوم بالذهاب بجانبيه » .

فاجاب الشاب وقد التمعت عيناه اعجابا ببطله المحبوب : « نعم ياسيد بوث ، اني اعرف كـل الطرق فيما بين واشنجتن وريشموند ولن احيب لكم املا ، ولكن عليكم ان تعبروا به النهر » .

فقال بوث « هذا عمل جورج اتزيروت » .

فرفع اتزيروت راسه من الشراب الذى كان يحتسيه وقال : « اني اعرف كيف اعبر به النهر » « نعم ، لقد عبرت النهر مع الكثيرين في السنوات الاربع الاخيرة حسب ما اظن » .

ولم يكن من الحزم في شيء الخوض في احاديث المؤامرة في النزل ، فقد كان الكثيرون من النزلاء يتسمعون هذه الاحاديث ، ويدفعهم حب الاستطلاع والرغبة في التجسس على جيرانهم الى استطلاع اخبارها . وكان من هذا الطراز رجل من نـزلاء النزل يدعى جوزيف ويشمان ، وكان قصير القامة بدينا حاول ان يكون قسيسا ولكنه اخفق في ذلك ، وقد سمع طرفا من حديث المؤامرة فلم يملك لسانه وكان لذلك نتائج سيئة فيما بعد .

وعرف بوث من اصدقائه الممثلين ان لنكولن وزوجته سيذهبان الى مسرح فورد في ليلة ١٨ يناير ، فاخذ هاليد في اعداد الخيل للعربة التي ستحمل الرئيس الاسير وتطوى به مسافة الاميال الممتدة بين واشنجتن وريشموند مستقر الجنوبيين واعد كل شيء وتم في اللحظة الاخيرة فشلت المؤامرة ، فقد كان الرئيس متوعكا جـدا فلـم يستطع الحضور الى المسرح .

ولكن لم يمض زمن طويل حتى لاحت فرصـة

اخرى . فقد كانت قوات الجنرال البسالي جرانت تتقدم وتدفع امامها جيوش الجنوبيين برغم براعة قياداتهم ، فاذا كان بوث يريد ان يصنع شيئا فان عليه ان يبادر الى العمل ، والا فان الحـرب تنهي كل شيء ، فاستدعى بوث صاحبيه اولافلن وارنولد من بلتيمور ، وفي يوم ١٧ مارس اجتمع المتآمرون جميعا اجتماعهم الاول والاخير .

وكان بوث قد اتخذ حجرة خاصة في مطعم من المطاعم الرئيسية ، وجـاء اولافلن ثملا من البار الخمر فلقـد كان الاحتفال بالانتصارات التي احرزتها جيوش الشماليين تشجع على الاسراف في الشراب ، وزال ما كان يشعر به من التعب حينما تناول الطعام وعبأ من الشراب اللذين اعدهما بوث . وبينما كـان المتآمرون يأكلون ويشربون اخذ بوث يشرح لهم خطته لخطف الرئيس ببراعة الممثل القدير ، واعجب هيرولد بالخطة ، واستخف السرور اتزيرودت واولافلن ، واستغرق سرات في التفكير ، وتضايق لويس بين من الحديث ولكنه قنع بالاكل والشرب .

وخرج صامويل ارنولد المتجهم الوجه من صمته معترضا قائلا : « انني ارى المسألة شديدة التعقيد ، فهم يقولون ان الرئيس رجل قوي ، وسواء اكان يحمل مسدسا ام لا فانه سيقاوم قبل ان تكمموا فمه وتقيدوه وتلوح حينئذ نذر الخطر » .

فدافع جون عن خطته التي بدت له معقولة وعملية لمعرفته بالمسرح من داخله ولكن صامويل ارنولد اعترض قائلا : « انني لا اسهم في تنفيذ مثل هذه الخطة ، واذا لم يتم شيء في مدى اسبوع فاني سأنفض يدي من هذا الامر » .

وايده اولافلن قائلا وهو يضحك : « وهـذا هو موقفي » .

فقال بوث : « ياصموئيل ويامايكل لا يمكن ان تعنيا ما تقولان ، انكما سيدان شريفان وقد عرفتكما طوال حياتي ! فكيف تنسحبان ؟ وما احسب عندكما شيئا تقترحانه ؟ »

فاجاب صامويل متشبثا : « احسب ان عندي ما اقترحه » .

اقام بوث خطته على اساس معرفته بالمسرح من الداخل ، اما صامويل ارنولد الذي كان يعرف ضواحي المدينة معرفة جيدة فقد رأى ان مواجهة الرئيس في الضواحي اسلم عاقبة حيث يمكن توفر عنصر المفاجأة والاعتماد على اشتراك الكثيرين في المحاولة ، والرئيس يكثر من زيارة مستشفى الجند ، والطريق اليه لا يخلو من وعورة تتيح الفرصة لاعداد الكمين ومهاجمة العربة التي تقله .

واقتنع بوث بهذا الرأي ووضعت خطة لمهاجمة الرئيس يوم ٢٠ مارس ، فقد وعد القائمين على المسرح والملحق بالمستشفى للترفيه عن الجنود بحضور الحفلة المسائية ، وفي باكورة الصباح خرج المتآمرون من واشنجتن ، وفي ظلال الاشجار ناقشوا في تفاصيل للمحاولة ، واوضح بوث لكل فرد من المتآمرين الدور الذي عليه ان يقوم به ، واقبلت العربة السوداء اللامعة الخاصة بالرئيس تشق الطريق المترب ، واستعد بوث للقيام بمهمته ولكنه حينما القى نظرة في داخل العربة لم يجد بها الرئيس ، فاعطى الاشارة الى المنتظرة (?) ، وساور الجماعة الشك في ان سر المؤامرة قد كشف ، وحينما عاد المتآمرون الى منزل سرات لاذوا ببوث وابدوا عدم ثقتهم بمخططه فتخلف الرئيس عن حضور الحفل بعد ان اعلن ذلك لا بد ان يكون بسبب تسرب اخبار المؤامرة ، وعاد صامويل ارنولد واولافلن الى بلتيمور ، واخذ جون سرات يذيع انه قد دمرت حياته ، وطلب من جوزيف ويشمان ان يبحث له في الحكومة عن عمل كتابي وارتحل الى الجنوب .

ولم يبق من المتآمرين حول بوث سوى الشاب هيرولد المعجب ببطولته ، ولم يقطع اتزيرودت الصلة ببوث لانه كان يدفع لهما اجر سكنهما بالمنزل .

وكان جوزيف ويشمان يعمل في الادارة الخاصة باسرى الحرب ، وحدث مرة ان دار الحديث بينه وبين بعض زملائه عن المؤامرات التي تدبر ضد الرئيس ، فقال جوزيف لزملائه ان تلك الاشاعات فيها من الصدق اكثر مما يظنون وانه سمع في المنزل الذي يقيم به ما يثبت ذلك .

فقال له احد زملائه : « الم تبلغ العميد مك ديفت الضابط الخاص بالاشراف على الامن ؟ » وحث هذا السؤال ويشمان على ان يفعل ما كان يجب ان يفعله من بادئ الامر ، اذا كان في نفسه



اوليسيس سمسون جرانت

● الرئيس الثاني عشر للولايات المتحدة الامريكية ينحدر من اصل اسكتلندي .

ولد في عام ١٨٢٢ في ولاية اوهايو وتوفي في عام ١٨٨٥ ، كان يحمل رتبة جنرال في الجيش اثناء الحرب الاهلية الامريكية التي وقعت فيما بين عام ١٨٦٠ – ١٨٦٥ والتي لم تكن حربا بالمعنى المعروف تهدف للحصول على زعامة ، وانما كانت تهدف للحصول على الاستقلال الذاتي لكل ولاية

وتعد تلك الحرب من اكبر الحروب التي عرفها العالم في ذلك الوقت وبمعنى اصح كانت اول حرب منظمة في التاريخ الحديث استخدمت فيها اجهزة التلغراف لاول مرة كاداة للاتصال وكذلك البريد استعمل لابراق البرقيات ، والتصنيع الحربي للبارود كما اثبتت السكك الحديدية اهميتها في عمليات النقل المختلفة واصبحت هدفا هاما للعدو ، اما الوجه الآخر لتلك الحرب فكان اثره في موسيقى ذلك الوقت اذ تأثروا بالحرب والفوا اغانيا ومقطوعات تمثل انطباعاتهم ومشاعرهم .

فترة من الحين ، فخرج الى مساعد رئيس البوليس الحربي وابلغه ما ترامى الى سمعه ، وسرعان ما احاطت الشرطة بمنزل السيدة سرات ، ولكن البحث لم يسفر عن شيء ، ولم يرفع الامر الى ادوارد ستانتون برغم ان الذين قاموا بالبحث كانوا مسؤولين امامه ، وربما كان السبب في

ذلك انهم شكوا في اقوال ويشمان ، وهكذا اراد القدر ان يهيء فرصة اخرى لبوث لاسقاط تمثال رودس الاثم الضخم ! وكان لنكولن يشعر شعورا خفيا ان حياته قاربت نهايتها فقد قال للسيدة هاريت بيتشر ستاو مؤلفة الرواية المشهورة « كوخ العم توما » : « مهما تكن الطريقة التي ستنتهي بها الحرب فاني اشعر بأني لن اعيش طويلا بعد انتهائها » .

★ ★ ★

وسقطت ريتشموند معقل الجنوبيين ، واستقرت واشنجتن الشروط النهائية للتسليم للجنرال جرانت ، وجاء القائد الى واشنجتن للاتفاق على تخفيض نفقات الجيش في وقت السلم ، وكان حريصا على العودة الى منزله في برلنجتن قرى الفالاه بمناسبة عيد القيامة ، ولذلك اعتذر عن قبول الدعوة التي وجهها اليه الرئيس لحضور حفلة التمثيل في مسرح فورد في مساء يوم الجمعة الحزينة ، وكان جرانت لا يحب الظهور في المجتمعات ويميل الى الحياة العائلية المنزلية .

وفي صباح ذلك اليوم كان بوث يحسي الخمر في صالون جون ديري ، وقد لاحظ ديري ان بوث قد افرط في الشراب خلال ذلك الاسبوع بوجه خاص ، وطلب منه بوث ان يرسل احدا الى مسرح فورد لشراء تذكرتين لحضور الحفلة المسائية ، وعجب من ذلك جون ديري ، فقد كان يعرف الصلة الوثيقة بين بوث ومسرح فورد ، فسأله لماذا يرسل لمن التذكرتين ، فقال بوث : ان الرئيس سيحضر تلك الحفلة ، ويستطيع فورد ان يبيع كل مقعد مرتين ، وانه يخجل من استغلال مجاملة صاحب المسرح وقال لديري انه سيمر عليه لاخذ التذكرتين في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم .

ولم يكن بوث يريد التذكرتين باسمه ، ولم يكن على بينة من قصة ويشمان ، ولم يكن يدري هل ورد اسمه ضمن الاسماء التي ذكرها ويشمان ام لا ، وقد وضع خطة جديدة في اثناء تناوله الشراب ، وكانت هذه الخطة اضيق نطاقا من الخطتين السابقتين ، كان هو الذي سيقوم بالدور الرئيسي في الخطة الجديدة ، وقد يئس بوث من انتصار الجنوب ، ولكنّ لنكولن ، سببُ الهزيمة التي منى بها الجنوب ، يمكن القضاء عليه ، والمؤامرة في هذه المرة هدفها القتل لا الخطف .

وكان يوم الجمعة الحزينة من ايام الرئيس

الحافلة بالاعمال ، فقد بدأ كعادته يقرأ الرسائل الواردة له في الساعة السابعة والنصف ، وتناول فطوره وتحدث مع زوجته عن رغبته في الذهاب الى مسرح فورد لحضور تمثيل مسرحية « العم الامريكي » المضحكة وحضور القائد جرانت وقالت له زوجته : « واذا لم يحضر القائد ؟ » فسألها ان تدعو الكولونيل راثبون وخطيبته الآنسة هاريس ليكونا معهما في المقصورة .

وبعد نصف ساعة عقد مجلس الوزراء ، وكان جو المجلس يشعر بان حادثا جللا يوشك ان يقع ، ولقد تعود الوزراء سماع النوادر الطريفة التي كان يرويها لهم الرئيس ، وكانت هذه النوادر تلقي ضوءا على الموضوعات التي يناقشها المجلس ، وكان بعض الوزراء يتذوق هذه النوادر ويستريح لها ، وبعضهم مثل ادوارد ستانتون لم يكن راضيا من هذه الطريقة لانه كان يرى فيها اضاعة للوقت والحرب الداخلية دائرة الرحى . وتحدث لنكولن في ذلك الصباح عن الاحلام ، وروى لهم حلما رآه منذ ليالي قلائل ، وفحوى هذا الحلم انه كان يطوف في الجناح الشرقي بالبيت الابيض ويسمع اصوات المعزين الذين لم يستطع ان يبصرهم ، واخيرا سمع من احد الناس ان الرئيس قد مات وتابع حديثه قائلا : « ولكني يا سادة اقول ان هذا غير حقيقي لانني لا ازال هنا » وتمهل في الحديث واسترسل قائلا : « في الليلة الاخيرة رأيت حلما عجيبا ، وغرابة هذا الحلم راجعة الى انني كنت اراه قبل كل ازمة من ازمات هذه الحرب ، فقد رأيته قبل سقوط حصن سمتر وقبل معارك بول ران وجتسبرج وويلمنجتن . رأيت انني في قاربي العجيب الشأن لا يمكن وصفه وانني اتحرك بسرعة الى شاطىء مجهول » .

ولحظ خاصته انه لم يذكر هذا الحلم الذي ازعجه لزوجته العصبية المزاج ، والتي كانت تعلق اهمية كبيرة على امثال هذا الحلم ، فقد خشي تأويلاتها لـه .

وشعر بشيء من الاجهاد بعد تناول وجبة الغداء وركب العربة مع زوجته التماسا للراحة ، واغاثه الهواء المنعش النقي والتأمل فتغيرت حالته النفسية ، وشعر بالارتياح ، وعلت وجهه الفتوة واشرق وجهه بالابتسام ، وقال لزوجته : « لم اشعر في حياتي قط بمثل الغبطة التي اشعر بها اليوم » .

فاجابته ماري لنكولن قائلة « الا تذكر ان مثل هذا الشعور انتابك في اليوم السابق ليوم وفاة طفلنا الصغير ؟ » .

★ ★ ★

واشتغل بوث في ذلك اليوم بالاستعداد لتنفيذ المؤامرة ، واتسع نطاق الخطة فلم تقتصر على قتل الرئيس وحده ، بل اشتملت كذلك على قتل اندرو جونسون نائب الرئيس ، ووزير الخارجية وليام سيوارد ، وكان طريح الفراش من جراء حادث خطير اصيب فيه .

وفي المساء حوالي الساعة الثامنة اجتمع بوث بثلاثة من اصحابه المخلصين ، وحينما عرض عليهم الخطة قال له جورج ازيرودت : « اي ! قتل ؟ اني لا استطيع القيام بذلك » .

فقال له بوث في شموخ : « انك ستفعل ذلك ، وستقتل اندرو جونسون والا فانني سارتب الامور بحيث لا يكون هناك اهمية للمسألة ـ قتلته او لم تقتله » .

وخضع جورج ازيرودت في النهاية ، اما لويس بين فقد ابدى ارتياحه لاقتراب ساعة العمل ، وكان عليه ان يحمل مجموعة من الادوية الى منزل سيوارد ويزعم انها من الطبيب المشرف على علاجه ، ويصعد الى الطابق العلوي ويدخل حجرة الرجل العجوز ويصوب اليه المسدس او يستعمل السكين وكانت العقبة الوحيدة في طريقه انه لم يكن يحسن معرفة شوارع واشنجتن ، ولكن امكن التغلب على هذه العقبة بجعل دافيد هيرولد مرشدا له .

وبقيت مسألة واحدة ، وهي مسألة كيفية الوصول الى مقصورة الرئيس واختيار طريق الهرب . وكانت هذه المشكلة الثانية سهلة وهي ان يرشو العامل الموكل بالمسرح وكان هذا العامل يعرف السيد بوث ممثلا قديرا وينظر منه المساعدة في المستقبل ، وكان عليه ان يحضر الحصان الذي سيمتطيه بوث بعد قتل الرئيس في الساحة الخلفية للمسرح . ويظهر في الساعة العاشرة .

وذهب بوث الى المسرح في الساعة الحادية عشرة ليحضر تجربة تمثيل الرواية ويستكمل استعداده لتنفيذ المؤامرة ، ولم يكن في حضوره ما يدعو الى الريبة ، فهو ممثل معروف ولا يلفت في مشاهدته للتجربة التي يقوم بها زملاؤه من الممثلين . واستطاع ان يتسلل الى ناحية المقصورة التي سيشاهد الرئيس منها تمثيل الرواية في الحفلة المسائية ، ولاحظ وجود كسر في مغلاق الباب المفضي الى المقصورة ، واختار اللحظة التي سيلقي فيها الممثل بعض العبارات المضحكة التي تجعل صوت قهقهة الضحك تغرق صوت طلقات المسدس وتخفيها مما يتيح له فرصة الهرب بعد اطلاق الرصاص ، واغتنم فرصة انشغال الممثلين بالقيام بالتجربة وعمل على توسيع ثقب صغير في الواح خشب باب المقصورة بحيث يستطيع من هذا الثقب ان يرى مكان جلوس الرئيس .

ومر بوث على جون ديري لاخذ التذاكر حسب وعده ، وجلس بعد ذلك يحتسي الشراب ويحرر رسالة المخابرات ليبقى اسمه في التاريخ واعلن في الرسالة انه مدبر المؤامرة ، وبالتفصيل الاسباب التي حملته على تدبيرها . واضاف الى اسمه اسماء اتزيروت وبين وهارولد ، وفي الساعة الثامنة من المساء اخبرهم انه اتهمهم بالاشتراك معه في المؤامرة وانه لا فائدة من التراجع ولم يخطر لاحد منهم الاقدام على التبليغ عن المؤامرة قبل حلول ميعاد الغروب ، وبعث بالرسالة الى احد الممثلين لتوصيلها الى الجريدة ، وقد نسي الممثل ان يسلم الرسالة .

ووصل لنكولن ومعه زوجته الى المسرح في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، ودخل المقصورة ، وفي الساعة التاسعة كان بوث مع عمال المسرح يبادلهم النكات ، ويقدم لهم الشراب ، وتركهم بعد ساعة ثملين لا يستطيعون حراكا ، وضمن بذلك عجزهم عن التدخل فيما يحاوله .

ونال السكر من اتزيروت فلم يفعل شيئا ، وحينما ترك بوث عمال المسرح هاجم لويس بين منزل سيوارد العجوز حاملا الادوية ، وقد دله هيرولد ، على المنزل ووقف في انتظاره ومعه الخيل . واعترض طريق بين خادم زنجي وهو مندفع الى حجرة نوم سيوارد فغضب « بين » واشتد حنقه وضرب الخادم الزنجي بطرف المسدس ، ولكنه لم يقتله ، وانطلق الخادم يصيح خارج المنزل طالبا النجدة لوجود قاتل بالمنزل ، واطلق « بين » رصاصة على نجل سيوارد في طريقه الى الطابق الاعلى وطعن ابنته ، وطعن الرجل العجوز في اجزاء شتى من جسمه ، ولكنه في هذه الثورة الوحشية لم يتمكن من ان يطعن طعنة قاتلة . وحينما سمع هيرولد صياح الخادم مستنجدا للقبض على القاتل امتطى جواد « بين » واسرع للقاء بوث خلف ساحة جسر الاسطول حسب الاتفاق بينهما ، وضل بين الطريق وكان اول من القي عليه القبض من المتآمرين .

ونجح بوث في مهمته ، فقد ذهب حارس الرئيس الكونستابل باركر خارج المقصورة في الساعة التاسعة ليتناول الشراب مع سائق العربة وخادم الرئيس الخاص ، ولم يكن هناك حارس على باب المقصورة حينما جاء بوث في الساعة العاشرة والدقيقة الحادية عشرة ، وكان ظهر راس لنكولن باديا لبوث من الثقب الذي وسعه في الصباح ، وكانت زوجة الرئيس جالسة على مقعد امامه ، وعلى مقربة منها الآنسة هاريس ، وجلس راثبون على كثب من الرئيس . وفتح بوث الباب في رفق وهو يمسك انفاسه ، واطلق الرصاصة التي اصابت الرئيس خلف الاذن اليسرى وطعن بالسكين الكولونيل راثبون . وكان بوث يجيد الوثب ، فحاول ان يقفز الى المسرح ، ولكن حينما وثب اشتبك مهمازه في بعض الزخارف المدلاة ، ولم ير احد دخان البارود الازرق ، ولم يسمع صوت اطلاق النار ، لان جمهور النظارة كان مستغرقا في الضحكات التي اثارتها كلمات الرواية على السنة الممثلين . وسقط بوث على المسرح وكسر ساقه قبل ان يلحظ احد ما اصاب الرئيس .

واستطاع بوث ان يخرج من المسرح ويمتطي الجواد الذي كان في انتظاره مع هيرولد وطوى في تلك الليلة خمسة عشر ميلا ودافع عن نفسه وقاوم قبل ان يصيبه الرصاص ويخر قتيلا ودفع سائر المتآمرين من معاونيه ثمن اخطائهم لاوهام ممثل استخفه الغرور ودفعت الامة على الحال رجل من انبل الرجال الذين عرفتهم الانسانية في العصر الحديث .

علي ادهم

كعيبة الأسلمية

أول ممرضة في الإسلام

بقلم : سنية قراعه

● الهدوء يخيم على يثرب الوادعة .. والظلال تسود ربوعها .. والرؤوس مطرقة في إخاء وصفاء دون تشاحن ولا تنافس ولا تذكر بأيام الجاهلية الأولى ، بل حب جمع بين الناس وأزال الفوارق القبلية ، وألف بين القلوب ، فاتحدت الأفكار ، وصفت النفوس وسمت عن مستوى الاهتمامات العادية إلى مستويات أجل وأرفع شأنا .

إنها لظاهرة غريبة وجديدة فالكل اليوم في يثرب واحد ... جمعهم فكره ورمزهم ولا سلطة عليهم خلق ـ التفوا حوله ، لا ليلتزموا ويتحلقوا ، ولكن ليتدبروه ويسمعوا فيه ، والرؤية رائدهم جميعا

لقد تولى الأمس بما وقر ... وإن أنوار الغد المشرق لتبدو مع الصبح ، وأنها لبشارات الظلال والرفعة والسمو لمت في الصحب الذاكرة أصواتها منذ أصغى نفر من حجيج يثرب إلى دعوة محمد بن عبد الله فتسربت في أعماق القلوب ، وتفتحت لها المهج وارتاحت لسماعها الآذان

دين يسمو إلى الإنسان بأنه لا رب غيره ، والمعبودات من دونه ضلال

وللمرة الأولى يجتمع أوس يثرب وخزرجها ، ناسين يوم بعاث ، وإحن الأمس الذي تولى وثارات قديمة طالما حالت دون الإخاء والحب بين هذا الحي من أحياء العرب الأماجد وإن يثرب التي جمعهما بالأمس القريب دعوة محمد ، فدخل أهلوها في دينه أفواجا ، لتستعد اليوم للحدث العظيم لتبدأ به صفحة جديدة في كتاب حياتها ، في طريق النصر .

لقد جاء إلى محمد أمر الله ربه ليهاجر بدينه من مكة إلى يثرب ... وإن الأنصار ليستقبلون اليوم حدث الهجرة المباركة ، وحاديها الجليل ، وإنهم ليستعدون .. لا لاستقبال المهاجر العظيم فحسب بل لاستقبال بداية الجهاد القادمة معه ، وإلى شاطئ إرادة الحق جل وعلا أن تجعل من هذه المدينة المباركة ركيزتها ، ودعامة استمرارها ونقطة تجمعها .. ثم انطلاقها في المشارق والمغارب مبشرة بالحق ، داعية إلى الإخاء ...

وإن « كعيبة بنت سعد الأسلمية » لتقف بدورها حيث وقف بنات قومها ، ترقب وتسأل وتمضي في لهفة .

إن محمدا القادم إلى يثرب ، ويثرب تستعد لاستقبال الرجل الذي تابعته على السمع والطاعة ، ذلك ما عرفته كعيبة ، كما عرفته معها جميع المؤمنات ...

ولكن كعيبة الأسلمية لم تكن كغيرها ...

كانت رقيقة الحس ، دقيقة الفهم ، لا تأخذ الأمور بظاهرها ، بل تتقصى وتدقق ، ليكون علمها على أساس من المعرفة الصحيحة ، وإيمانها على بينة واضحة لا تحتمل الإبهام أو الغموض ،



من أجل هذا راحت العربية الشابة تفكر وقد جرها الفكر الى ان تذكر الامس وهي ترقب مظاهر الحياة الجديدة تدب في موطنها الغالي ...

ان دعوة محمد الامين هي التي صنعت هذه المعجزات كلها ... اخت ... ورحمة .. ووحدت الكلمة ... فماذا يحدث الان لو جاء محمد بنفسه الى هذا الحي من احياء العرب وعاش بين اهليه ؟

تلك كانت الانطلاقة الكبرى في نظرة كعيبة ولا شك ، وانها لتسائل نفسها ... ترى ماذا سيكون حالنا نحن النساء .. ؟ واين سيكون مكاننا في النفير الشامل الذي يدعو سائره .. ؟ واي عبء سيحمله للنساء به في نشر الدعوة بعد ان امنا بها وصدقنا الرسول العظيم ... ؟

ونبض قلب كعيبة لاحساس مجهول غمرها بسعود من البشر والاعتزاز ، ووقفت بها عند حد الرضا بما حدث و ... انتظار ما سوف يكون ..

و فاقت الانصارية الشابة من احلامها على دوي الزغاريد ، وتعالت اصوات الفرح ، وراحت ترقب جموع الانصار وهم يسرعون الى مشارف يثرب حاملين الزاهر وسعف النخل مكبرين مهللين ليستقبلوا المهاجر الحبيب ...

وصاح صائح من اعلى احدى التلال ... انه قادم وصاحبه الى جانبه

وانطلقت صيحات البشر من اعماق القلوب ، وعلت اصوات الشاديات تغني ...

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
[illegible]
ايها المبعوث فينا
جئت بالامر المطاع

ووجدت كعيبة الاسلمية نفسها تندفع بوجدانها وسط الجموع لتملأ قلبها من فيض النور القادم .

وأطلت طلعة سيدنا رسول الله ... وراحت الانصارية المؤمنة ترقب النور يتقدم في جلال ، فمضى قلبها للدعوة وصاحبها ، ووجدت نفسها في خشوع تردد قوله تعالى . « لقد جاءكم رسول من انفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم » ..

وسحت عيناها بالدمع ، عبرة من عزاب الروح وسعادة القلب الذي راح يهتف في فورة : مرحبا بالقادم العزيز ، مرحبا سيد البشر ، مرحبا بالبشير النذير ، مرحبا بالامام الهادي ..

ثم اسرعت كعيبة نحو الحبيب المحبوب ، فاذا بالناقة تنطلق به في سرعة وتبرك حيث شاء الله لرسوله ان يستقر ، وان يقيم حجراته ومسجده .

كانت كعيبة تلهث ... لا في ارهاق وعنت .. بل في راحة وطمأنينة ... ووقفت حيث وصلت وجعلت ترقب جموع الانصار وهم يندفعون نحو الرسول الكريم مرحبين مبايعين معلنين الطاعة والسمع شاهدين انه . لا اله الا الله وحده



لاشريك له ، وأن محمداً رسول الله الصادق الأمين . وإذا بمشاعرها تقلبها ... وإذا بها تندفع هي الأخرى الى حيث كان محمد عليه الصلاة والسلام فمدت اليه يدها تبايعه وقلبها عامر بالنور ، ونفسها ناعمة بالإيمان ... !!

وهكذا دخلت كعيبة بنت سعد الأسلمية في العهد ، وآمنت عن صدق ، ثم عادت الى دارها قريرة العين سعيدة ترجو الخير ، وتتطلع الى الغد ، وهي تتصور الأمس لترى على صداه احداثه وصوره ، أي مستقبل ينتظر يثرب واهليها جميعاً ...

لقد هاجر محمد يديثه ، وترك وراءه مكة وعبدة اوثانها ، وهم غلاظ الأكباد قساة القلوب ، لن يتركوه ولا شك ، ولا بد انه سيكون بينهم وبينه قتال وصراع ، على يثرب ان تستعد لهما ..

وتصورت كعيبة ذلك الجهاد المرتقب ، وعلى اي صورة سيكون ، وسألت الله في اخلاص وحرارة ان يكون لها في ميدانه مجال ، وان تسهم بنصيب يعادل ايمانها ، وحبها للرسول .

وصح ما تصورته كعيبة وتوقعها منها ... ولم يكد المهاجر العظيم يستقر في مدينته المنورة حتى اعلن بدء الجهاد ، وخرجت السرايا المؤمنة تجوب الصحراء وتقطع على قريش طرق تجارتها لتعرف ان محمداً لم يكف عن الدعوة لدينه ، وأن هجرته ليست الا بداية جديدة للدعوة نفسها ...

وتطورت الأحداث والحوادث ونزل قول الله بالجهاد الأكبر لنصرة دينه حاملاً الى المسلمين البشائر بالنصر والفتوح ...

وخرجت قريش تذود عن باطلها ، وقد وقر في نفوس سفهائها انهم بجموعهم سيمحون القلة المعدودة من المسلمين ...

وعلا صوت محمد يدعو الى الجهاد امتثالاً لأمر الله ... ودوى صوت الأنصار معلناً وقوفهم مع رسول الله ولو خاض بهم « برك الغماد » ، وطلبوا منه ان يمضي بهم الى حيث يشاء ، فهم اهل الحرب وسادتها المغاوير ...

•

وقال سعد بن معاذ مخاطباً النبي : لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا ان ما جئت به هو الحق ، واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة . فامض لما اردت ، فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى بنا عدونا غداً ، انا لصبر في الحرب صدق في اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله » !!

وخرج محمد بين انصاره ومهاجريه ... خرج الرجال ... الرجال ابطال الحرب والطعان ... الرجال وحدهم دون النساء ....

وسألت كعيبة نفسها وهي ترقب الجموع المؤمنة سائرة تمضي الى بدر ...

ترى هل كتب الجهاد على الرجال وحدهم دون النساء ؟! واذا كان قد قدر علينا الا نحمل السلاح ، او نصول ونجول بالسيف وسط الجموع فهل نظل حبيسات الدور ورحى الجهاد دائرة ، ونحن والرجال سواء في الإيمان بدين الله ؟!

ورأت كعيبة الباسلة ان الجهاد الوان متعددة ، وانه - هنا السيف - الا وسيلة وميدان ..

ووراء الجيش المحمدي ، خرجت حفنة من النساء يحملن الماء للمحاربين ... وفيهن كعيبة ، لم تمت السيوف ولهاوت لتصيب اعداءها ... وحتماً ... وامام الأحداث ، بدا لعيني كعيبة دورها الذي احبته وارتاحت اليه والى اختياره وهو الدور الطبيعي للمرأة ... دور المواساة والتطبيب وتضميد الجراح ... فأسرعت تتنقل بين الصفوف تسعف الجريح وتسعف المصاب لترد اليه بقيته ، وتشعره بأن هناك عيناً ساهرة ترقبه ، وقلباً حانياً يعطف عليه ، ويداً رحيمة تمسح ما يحسه من تعب وإرهاق ...

وكتب الله النصر للمسلمين في « بدر » ودارت الدائرة على قريش ... وعاد المنتصرون الى مدينتهم تشملهم الفرحة الكبرى بتوفيق الله ، وعادت معهم كعيبة ، قريرة العين لأن الله هداها الى طريق جهاد كان عليها بعد ذلك ان تشق سبيله ، وتعبد مسالكه ، وتمضي فيه قدماً وهي سعيدة مزهوة بأنها استجابت لدعوة الجهاد واسهمت بنصيب في سبيل نصرة دين الله ..

وانار الله بصيرة كعيبة بنت سعد الأسلمية ، وشاء لها ان تعرف اسرار مهنة التمريض والتطبيب البدائي ، فذاع صيتها ، وباتت في يثرب شهرة جعلتها مقصد الراغبين والراغبات في العلاج .

وامام هذا النجاح الذي حققته كعيبة في مهنة التمريض ، شعرت ان واجب الاخاء الاسلامي يفرض عليها ان تخرج بعلمها الذي حذقته ، تاركة الحيز المحدود الذي كانت تعيش فيه ، الى ميدان الحياة العامة ، ورأت الاقتصر نشاطها على اسعاف الجرحى في ميدان الحرب ، وآثرت ان يكون نشاطها في كل مجال ومقام وان يكون عملها الانساني الرحيم على نطاق واسع وان يستمر في وقت السلم ، وبنفس الهمة والاخلاص اللذين عرفا عنها في زمن الحروب ...

ومن اجل هذا انشأت كعيبة ــ وفي حدود علمها واخلاصها ــ اول « عيادة » للتمريض جعلت مقرها مسجد سيدنا رسول الله ، فاقامت فيه خيمة ، كان يتردد عليها المرضى في اي وقت يشاءون وفيها كانت تمارس عملها في علاجهم .

وهكذا كانت كعيبة اول ملاك رحيم يحوم بالحنان والعطف في سماء يثرب ، وبين سماء العرب جميعا فذاع صيتها بين الناس ، واستطاعت بذكائها وخبرتها واخلاصها ان تحرز نجاحا جعلها موضع الثقة والاجلال ...

وشهدت كعيبة بنت سعد موقعة « احد » الى جانب اخت لها في الاسلام هي « نسيبة » ام عمارة ، التي جاهدت بالسيف ووقفت تذود عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فسجلت كلتا المرأتين المسلمتين للمرأة عطرا وطاقا لم تتطاول اليهما الكثيرات ...

وعادت كعيبة من « احد » لتجد امامها مزيدا من التبعات ومزيدا من العمل فاتسعت الخيمة وكبر مقام صاحبتها الممرضة المسلمة الاولى واصبح اسمها على كل لسان ...

وزحفت الاحزاب الى يثرب ، واسرع المسلمون يحفرون « الخندق » حول مدينة رسول الله ، وخرج المجاهدون الى الميدان لنصرة الحق الصراح ... وطبيعي ان يكون مقام كعيبة الباسلة بين صفوف المحاربين ..

ودارت رحى المعركة ... واحتدمت نيرانها ، وغدر يهود « بني قريظة » بعهدهم مع محمد ، وحالفوا الاحزاب عليه ، وتفاهموا معهم على فتح حصونهم لمهاجمته من موضع يغفلون عنه « الخندق » . ويصلون بذلك الى قلب يثرب ليتم القضاء على مقاومة المسلمين ...

وكان « بنو قريظة » حلفاء سيد الانصار سعد بن معاذ ، فاسرع اليهم يطلب منهم التقيد ويدعوهم الى الاستمساك بحلف الصداقة والعهد مع رسول الله ، فردوه ردا قبيحا وتطاولوا عليه ، وسخروا منه وهو يهددهم بالانتقام السريع مؤكدين له ، ان الاحزاب سوف تقضي على محمد هذه المرة وان تقوم للمسلمين قائمة بعد اليوم ...

وعاد سعد بن معاذ الى مكانه في الخندق وفي قلبه حقد على الغادرين ...

واستمرت الحرب ، وطال امدها ، ولا جديد يتم في الميدان ، فالاحزاب حيث هي بجميع الخيول والمسلمون مكانهم وراء الخندق ...

وساد الميدان فجأة بعض التشاغل ... وتعالت صيحات الحرب ... وتبادل الفريقان رمي السهام وفجأة دوت صرخة" رهيبة ، وصاح المسلمون ... لقد اصيب سعد" بن معاذ !!

واسرعت كعيبة الى سيد الانصار وكشفت عن جرحه ... سهم ريش بأعلا الصدر ، ودماء غزيرة كانت تنزف منه ...

والبثت كعيبة تعالج جراح المؤمن الباسل الذي كان يلهث في ضيق ، ويضرع الى الله في حرارة ، ويدعوه في ايمان ... لا يريد منه موتا يعرف انه نهاية كل حي .. بل ليبقيه ان كانت للحرب بقية حتى تقر عينه بمصير بني قريظة الغادرين !!

والهم الحق سبحانه كعيبة المؤمنة ما تصنع بجرح سيد الانصار ، وراحت في حذق تزعاه لتوقف نزف الدماء ، وتنظفها من الجرح . ولم تعد يدها الى السهم المستقر في الصدر المؤمن الجريح بل تركته حيث كان ، ليكون شبه سد طبيعي يحول دون المزيد من انبثاق الدم الغزير ..

وبقيت كعيبة الى جانب سعد بن معاذ ، تواسيه وتشجعه وتؤكد له ان نصر الله قريب .

ووجد سعد راحته في ايمانه ورعاية كعيبة ، واحس ان القدرة الرحيمة قد استجابت له فاسلم امره الى الله ، وجرحه الى كعيبة ..

وارسل الله على الاحزاب ريحا وجنودا لم

بروحها ... وبدأت الطليعة الزمجرة تحارب في صف المسلمين اشد اعداء الله ، فساندهم الفزع والرعب ، ولم تلبث الاحزاب ان ولت الادبار .

ونصر الله عبده .. وهزم الاحزاب وحده ... وقضى على مزاعمهم.وأبى جلت عظمته وتعالى جلاله سبحانه ، الا ان يحقق دعاء « سعد بن معاذ » ساعة اصيب في الخندق فظلت عواليه القدماء ناكبي العهد ، وجعله يراهم قبل موته وهم يساقون الى القصاص اذلاء معتكرين .

وافاق سعد من غاشيته على تكبير المسلمين وهم يقولون : الله اكبر ... الله اكبر ... الله اكبر ... نصر عبده ، واعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده ... فابتسم في راحة ورضاء ، ونظر الى كعيبة كمن يوصيها بالجرح العميق !!

وفي غمرة النصر ... وفرحة المسلمين بهزيمة الاحزاب علا صوت رسول الله يأمر المسلمين بالتجهز ، وان يصلوا العصر في بني قريظة !!

وتحرك المنتصرون لاحراز نصر جديد ، وأبى سعد بن معاذ الجريح الا ان يكون بين المجاهدين .. وفي مقدمتهم ، فاجيب الى طلبه وبقيت كعيبة الى جانبه تمرضه وترعاه ....

وكتب الله النصر للمسلمين ، وادخل الرعب في قلوب اعدائهم وانزلهم من حصونهم ، وسقاهم صاب الهزيمة وعلمهم الخسران ...

وحلت ساعة الحساب .... وسيق الغادرون الى القصاص فبكوا وصاح سيدهم كعب بن اسد. يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون الحكم فيهم الى مولاهم سعد بن معاذ .

ورضي الرسول ، ونزل على مشيئة يهود ... واسترد سعد وعيه لحظة قال فيها انه يحكم بقتل المقاتلة ، وسبي النساء وتقسيم الاموال ...

وهلل المسلمون وكبروا ، اذ رضي رسول الله بالحكم العادل ، وقال انه حكم الله ... وسيق المجرمون الى النهاية .....

ورفع سعد الى الله وجهه شاكرا ، لانه ابقاه حتى اقر عينه بالتنكيل ببني قريظة .. ثم انفجر جرحه القديم .. فانتقل الى الرفيق الاعلى قرير العين ، وصعدت روحه الى بارئها ، وهي تشعر بالراحة والرضا منه بين يدي كعيبة الاسلمية وامه التي راحت تبكيه امر بكاء ....

ولقد كان حزن امه عليه شديدا ، فقالت تبكيه يوم حمل نعشه :

ويل ام سعد سعدا
صرامة وحدا
وسوددا ومجدا
وفارسا معدا
سد به مسدا
يقدها ما قدا

فقال لها عمر : انظري ما تقولين يا ام سعد .

فقال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« دعها يا عمر .. كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ » !! .

وعاد المسلمون الى مدينة رسول الله ، وعادت كعيبة الى خيمتها تأسو وتداوي وتطبب وتستجيب لداعية الجهاد كلما علت رايته ، وسارت الجموع الزاحفة لاحراز نصر جديد ، وتحرك المسلمون الى خيبر ليقضوا على اليهود ويجلوهم عن الديار ، فلا مقام لهم فيها وهم بذور الشر ودواعي الفساد ...

ومع جند الله سارت كعيبة الاسلمية ... وبروح الجهد والاخلاص راحت تعمل وتمرض الجرحى وتشفي الشاكين حتى اتم الله النصر للمسلمين فاستولوا على حصون خيبر حصنا بعد حصن ، والحقوهم الهزيمة والخزي والعار ، وافاء الله عليهم اموال العدو المطرود وما غنموه منه ..

وسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اراحه الله من يهود ومؤامراتهم .. ووقف يشهد جموعهم الذليلة وهي تجلو الى الابد عن ارض العرب ثم ... راح يوزع الفيء ..

واخذ كل مجاهد سهمه ونصيبه ... وقسم رسول الله للمجاهدة كعيبة فاعطاها سهم رجل !!. لانها بذلت في الميدان من نفسها وقلبها ومشاعرها ما يعود بعضه الكثير من الرجال ..

وتقبلت كعيبة سهمها راضية شاكرة قريرة العين ... وزادت ثقتها في نفسها ، وتضاعف ايمانها بقدرة بني جنسها على الجهاد ، وبان الدين القيم لا يفرق ابدا بين العاملين والعاملات .

■■

سنية قراعة



بقلم : الدكتور فاخر عاقل

● يعرف علماء النفس اللغه بانها مجموعــــه اشارات تصلح للتعبير عن حالات الشعور ، اي عن حالات الانسان الفكريه والعاطفيه والاراديه ، ومعنى ذلك ان اللغة ــ ايه لغه ــ اشارات يطلب الانسان بواسطتها ما يريد ويعبر بها عن افكاره ويفصح بواسطتها عن انفعالاته .

ومفهوم مما تقدم اننا وسعنا مفهوم اللغة لنــدل به على جميع انواع اللغــات ومــا لغة الكلام الا واحده من هذه اللغات . ولذلك كان من المفيد في سبيل الحصول على فكرة واضحة عن اللغه ان ندرس

(١) الاشارات .

(٢) ومن بين الاشارات ندرس اللغه عامه .

(٣) ومن بين اللغات ندرس لغه الكلام دراسة مفصلة لانها اهم اللغات البشرية .

على انه من المفيد ان نشير هنا الى ما يجمع عليه علماء النفس من ان تفوق الانســان على الحيوان مردود بالدرجة الاولى والاهم الى تمتع الانسان بالقدره على التعبير عــن افكاره بالكلام واعتقادهم بان نمو الذكاء رهين بنمو اللغه عند الطفل ، وانه بالتالي يشترط النمو اللغوي من اجل النمو العقلي . وقد سبق ان اشرنا الى هذا كله في حديثنا المنشور في مجلة العربي العراء عن نمو الذكاء .

ما هي الاشاره ؟

الاشارة ــ اي اشارة ــ حدث ظاهر يدل على حادث خفي ، وهكذا فهي الدخان المتعالي ابرز اشاره الى وجود النار التي لا ترى ، وفي الحمره التي تعلو وجنتي فتاة اشارة لانفعالها الــذي

لا اراه وانما استنتج وجوده . والجملة التي اسمعها تصدر من شاب اشارة الى فكرة يعبر عنها او ارادة يمليها .

وهنا نلاحظ الآلية السيكولوجية التي تكمن وراء الاشارة ، فالاشارة ــ كما هو ملحوظ ــ توقظ استجابة . وهكذا فالحصان يرفع قائمتيه الاماميتين حين يرتفع عليه السوط ، رافعه اياهما حين تقع عليه الضربة . ثم ان الاشارة توقظ فكرة فملاحظة الدخان تبعث في النفس فكرة وجود النار ، وما ذلك الا لان الدخان اقترن في النفس البشرية بالنار ، وكان ثمة معادلة سريعة استنتاجية تجري فيقول الانسان لنفسه ــ وان لم يقل ــ « لا دخان بلا نار ، وبما انني ارى دخانا فانه لا بد ان يكون ثمة نار » .

وتفسير الاشارات ــ المرئية منها او المسموعة او المشمومة او غير ذلك ــ عمل هام من اعمال العقل البشري والحيواني ، تزيد اهميته على اهمية اللغة نفسها . فالحياة العقلية كلها قراءة للاشارات . فالادراك تفسير للاحساس وهو الاشارة الخارجية ، والمعرفة العلمية تفسير للحوادث الظاهرة بوصفها اشارات لاخرى خفية ، وهذا ما يفعله الطبيب الذي يرى او يسمع او يشم عوارض وظواهر يفسرها كدلائل على وجود كذا او كذا من الامراض . وقل الشيء نفسه عن عالم الطبيعة او الكيمياوي او المهندس او غيرهم .

ولنذكر ــ بعد ذلك ــ ان الخطأ انما يحصل في تفسير الاشارة . فالطبيب قد يلاحظ الاعراض ولكنه لا يحسن تفسيرها فيخطيء في تشخيص المرض ومثله العالم ــ اي عالم . والخلاصة فان شرف البشرية المعرفة بالاشارات والله وحده هو الذي يعرف الاشياء بحد ذاتها ، اما نحن فلا نستطيع اكثر من الاستقراء والاستنتاج .

الاشارات ــ اذن ــ هي العناصر المكونة للغة فما هي الخصائص الواجب توفرها في الاشارات لكي تكون عنصرا من عناصر اللغة ؟ في الجواب عن هذا السؤال لا بد من ملاحظات ، اهمها :

اولا : لكي تكون هناك لغة يجب ان يكون الشيء المعبر عنه حالة شعورية كانفعال او فكرة او رغبة ، فالدخان لا يصبح لغة الا اذا قصدنا ذلك اي اذا اوجدناه نحن لنجعل منه علامة وحينئذ يصبح دليلا على ارادة وبالتالي لغة حقيقية . وكذا اذا اتفقت مع شخص آخر بانك ستشعل له النار وتطلق الدخان اذا كانت الظروف مناسبة للهجوم، ثم رأى الدخان فانه يفهم منه انك تريد ان تقول له ما كنت قد اتفقت معه عليه .

ثانيا : يجب ان تحصل الاشارة عن قصد وتصميم لكي يكون لها معنى وتصبح لغة . فصراخ الطفل الرضيع مثلا حين لا يكون الا مجرد رد فعل سببه الجوع ليس لغة بالمعنى الصحيح وان كان اشارة تدل على الجوع . بيد ان هذه الصرخة نفسها تصبح لغة حين يصيحها الطفل ليدعو امه ، اي حين يأمر امه بالحضور .

وهنا نلاحظ ان الكثير من الاشارات التي اصبحت لغة انما تكون طبيعية في البدء ثم يلتقطها الانسان ويجعل منها جزءا من لغته .

وينتج من هذا ان اللغة لا يمكن ان تتكون الا من اشارات يستطيع الانسان اعمالها بارادته (اي متى اراد) ، وهذا هو السبب في ان اللغة تتكون في المعتاد من حركات واصوات فقط .

واللغات المكونة من حركات (او اللغات البصرية) على انواع ثلاثة هي :

لغة الاشارات .

ولغة الحركات الناتجة عن الاشياء المادية ، كلغة السيمافور .

واخيرا الكتابة وهي اهمها .

اما اللغات المكونة من اصوات (او اللغات السمعية) فتحتوي على اشارات نحصل عليها بقرع الطبل او بدء الجرس او النفخ في البوق او الصفارة او غير ذلك ، لكن اهمها هي لغة الكلام التي سنقف عندها وقفة طويلة .

وهكذا تكون اللغة ارادية بالتعريف . فما القصد الكامن وراءها ؟ وما فائدتها ؟ .

فائدة اللغة في الاصل هي دفع المخاطب للعمل، فالطفل يتكلم ليستقدم امه وليحصل منها على ما يريد . والانسان الابتدائي استعمل لغته الاولى، كائنة ما كانت ، ليستنجد او ليدل على التراب

الصور او التنبيهات . وقد تتكلم اليوم لتأمر وتنهي وتحصل على أعمال مختلفة ، ولو لاحظت كلامك طوال يومك لهالك القدر الكبير من الفعل الأمر الذي تستعمل وان كنت أحيانا تغلفها بغلافات مهذبة من مثل : من فضلك وارجوك وسواها .

وفيما بعد تطور الامر فاصبح رغبة في اثارة فكرة عند سامعك او قارئك وحتى في هذا المجال فانك تدفع الى نوع من العمل ، لانك حين تشرح فكرتك للشخص الجالس اليك وتحاول اقناعه بصحتها انما تدفعه الى موافقتك واتخاذ وجهة نظرك والتصرف وفقا لذلك .

الكلام

تستحق لغة الكلام ـ دون سائر اللغات ـ دراسة خاصة نظرا لاهميتها البالغة في الحياة والفكر البشريين . وتتكون لغة الكلام من اصوات يحدثها الجهاز الصوتي للانسان ، ذلك الجهاز المؤلف من منافخ (الرئتين) وقصبة الهواء والحنجرة وما فيها ، ومنها الحبال الصوتية ، وما يأتي بعد من الحنجرة واللسان والاسنان والشفتين .

على انه لا بد لنا قبل المضي في الحديث عن لغة الكلام من الاشارة الى ان اللغة الكلامية كائن حي ، فالكلمة تولد وتتطور وتتغير وتموت . اما ولادة الكلمات فامر واضح لايحتاج الى برهان ، واللغويون يعرفون تاريخ ميلاد الكلمات ويدلون على نسبها (مصادرها) ، فهي اما تؤخذ من اللغات الاخرى او تنحت من اللغة نفسها او تؤخذ من العامية . كما ان الكلمات تتطور وهذا التطور يستحق ان يكون موضع ملاحظة ودرس ، فقد يكون سبب التغيير خطأ ارتكبه فرد او جمهور ، وقد يكون سببه توسيع معنى كلمة ما او تحويله او نقله من شيء الى آخر قريب منه او تبديله او قصره على بعض مدلوله او غير ذلك من الاسباب . واخيرا فالكلمات تموت اي يبطل استعمالها وذلك لاسباب عدة اجتماعية او غير ذلك . وجدير بالذكر ان ما قلناه عن الكلمات صحيح بالنسبة للصيغ التي تولد وتتغير وتموت ايضا .

وللغة الكلام قدرة على التعبير لامثيل لها ، وهي لهذا السبب ، وبالاضافة لاسباب اخرى ـ من مثل امكان استعمالها مع وجود العوائق كالظلام مثلا وعدم اعاقتها لحركة اليدين وغير ذلك ـ تحتل المكان الاسمى بين اللغات .

انها لاتحمل الافكار فحسب بل تحتوي على عناصر تعبيرية اربعة لا بد من الاشارة اليها ، فهي :

(١) تدفع الى العمل برغم كل الكياسة التي قد يتذرع الانسان المتمدن بها لاخفاء ذلك .

(٢) وهي توجه الانتباه الى الصفات العامة اي تكون المفهوم،وما المفاهيم الا كلمات (مروءة ، انسان ، شجرة ، حق ، جمال ، عدل الخ ...) ،

(٣) وهي تثير حالات ذهنية ونفسية معقدة مما يجعلها تملك قدرة ايحائية عجيبة فالكلمة ما تحزننا واخرى تفرحنا وثالثة تقلقنا .

(٤) وهي تملك عنصرا موسيقيا هاما جدا يجعل الكلمة معانية حبيبة او ملتاثة بالخفة وذلك وفقا للهجة التي تلفظ بها الكلمة او الجملة وما تدل عليه هذه اللهجة من تعجب او مداعبة او ثورة او قرف .

علاقة اللغة بالفكر

سبق ان اشرنا في مطلع هذا المقال الى ما يعتقده علماء النفس من ان اللغة ـ ولاسيما لغة الكلام ـ هي سبب تميز الانسان عن الحيوان وتفوقه عليه وربطهم بين نمو الذكاء والعقل والنمو اللغوي .. وهنا نلاحظ ان اللغة واسطة الاتصال اولا . ومساعد للتفكير ثانيا . وسنحاول ان نشرح ذلك باختصار .

اللغة واسطة اتصال

وهذه هي وظيفتها الاولى والاهم اذ انها تفيد في نقل الافكار من نفس الى اخرى . وهنا يكفي ان نقف عند خصائص ثلاث للغة :

اولا : انها تفيد في صوغ الاوامر اي الدعوة للعمل وهذه هي وظيفتها الاصلية . واذا كان من غير السهل ان نبرهن على ان الكلمات الاولى التي استعملها الانسان البدائي كانت اوامر فان ذلك يبدو شديد الاحتمال ، وفي كل حال فان كلام الطفل اكثره اوامر وكذلك جل كلامنا اوامر تختلف درجة صراحتها . ان هناك الاوامر

الواضحة الصريحة التي تلقي بها عشرات المرات يوميا ، وهناك النصائح والصلوات والادعيــة التي لا تزيد عن انها اوامر فيها لباقة وكياسة ، والسؤالات نفسها اوامر ، وقل الشيء نفسه عن التأكيدات التي لا تزيد عن كونها اوامر موجهة لسامعينا لكي يوافقونا على ما نقول .

ثانيا : تصل اللغة بين الاجيال المختلفــة فبواسطتها ينتقل رأس مال التشر العقلي والحضارى من السلف الى الخلف ، والكنوز التي جمعها الاجداد من علوم ومعارف ومناهج وتصنيفات وقواعد اخلاقية ودينية تنحدر الينا بواسطة اللغة ، ومفهوم طبعا ان لغة الكتابة هي الشكل المفضل بهذا الخصوص . وهنا مجـال للتأمل عظيم : لو تساءل احدنا عما يبقى له لو حرم من تراث البشرية لرأى انه قد لا يبقى له الا الحياة الحيوانية ، وفي هذا عبرة ودعوة للتواضع وعرفان الجميـل .

ثالثا . غير ان اللغة قد تكون مانعا من الاتصال الحقيقي بين الكائنات ، هناك مثلا الدور الـذي يلعبه الكذب في منع الاتصال الحقيقي المخلص بين الناس ، والتهذيب نفسه يصبح احيانا حجابا كثيفا لعواطفنا ، ثم ان الكلمة كثيرا ما تبتذل ولا تعود تحمل معناها الحقيقي ، الم تر الى كلمات تستعمل على السنة الناس استعمالا لزمن لا يبقى لها من معناها الاصلي شيء ! ! انظر الى كلمـة كلمة (عظيم) يستعملها الناس دون انتبـاه الى معناها الحقيقي حتى ليستعملونها مـرات ليدلوا بها على الجمال الباهر او العظمة الخالدة ! واخيرا فانه من النادر ان يكون للكلمة نفسها المعنى ذاته عند انسانين مما يجعل من المستحيل عليهما ان يتفاهما تفاهما صحيحا بالرغم من صدق نية كل منهما واخلاصه ، وسوء التفاهم هذا يتجلى حين يكون المتخاطبان من نموذجين عقليين مختلفين .

اللغة مساعدة على التفكير

ثم ان اللغة مساعد للفكر ويتجلى لنا هـذا الامر اذا فكرنا في المسائل الثلاث التالية : عدم امكان فصل اللغة عن الفكر ، وتوضيح اللغـة للفكر ، والمشكلات الناشئة عن اللغة .

١ ـ لقد تساءل علماء النفس عما اذا كان مـن الممكن وجود فكر بدون لغة ؟ ! وكان جوابهـم انه اذا كان من الممكن ـ نظريا على الاقل ـ وجود فكر ابتدائي بدون لغة ، فانه من غير الممكن وجود فكر وتفكير حقيقيين عميقين بدون لغة . واذا كان المجال لا يتسع لبسط نظريات العلماء وادلتهم في هذا الصدد فلا اقل من ان نشير الى تأكيـد العلماء بان التفكير في المستوى الحسي قد يكون ممكنا في حالة عدم وجود اللغة ـ كما هو الحال عند الحيوانات ـ اما التفكير التجريدي الحقيقي فلا بد له من اللغة .

وهنا يجب ان نلاحظ ان التفكير معناه التحدث الى النفس او الى الآخرين لغيا . ولقد دلت الملاحظة العلمية على ان الحبال الصوتية والجهاز الصوتي كله يعمل اثناء التفكير . وهنا لا بد مـن ان نقف قليلا عند اعتراض يقول بان ثمة افكارا لا نستطيع التعبير عنها ، اننا نبحث عبثا عـن كلمات تعبر عن بعض افكارنا فلا نجد مثل هـذه الكلمات ، وفي هذا دليل ـ في رأيهم ـ على وجود الفكر بدون كلمات ! وجوابنا على هذا الاعتراض انه كثيرا ما يخيل الينا اننا نملك فكرة لا نستطيع التعبير عنها في حين ان الواقع هو اننا نبحث عن الفكرة ولا نملكها . هذه واحدة والاخرى انـه يحدث احيانا ان نملك فكرة دون ان نستطيع التعبير عنها وهنا يكون الذي ينقصنا هو اللغة الاجتماعية، اللغة التي يمكن نقلها الى الآخرين ، ذلك بانه لكل منا لغتان : لغته الخاصة واللغة العامة التـي يتكلمها . واللغة الخاصة بالانسان الفرد تتالف عادة من اختصارات سريعة وافكار مقتضبة لا بد من ترجمتها الى اللغة العامة اذا اردنا لها ان تكون مفهومة من لدى الآخرين ، وهذا هو الامر الصعب او المستحيل احيانا .

٢ ـ لو اردنا ان نلخص الخدمات التي تقدمها اللغة للفكر في صفة واحدة لقلنا انها توضحه ، انها توضح الفكر لانها تسمح بالتجريد ولولا الكلمـة لما امكن التجريد . ثم ان الكلمة تثبت الفكـرة وبدونها يبقى الفكر غامضا مضطربا . والكلمـة بعد ذلك تحدد الفكرة وتنظمها وهذه كلها خدمات جلّى للفكر يستحيل التفكير بدونها .

٣ ـ على ان ثمة اخطارا ومشكلات تنشا عـن اللغة . هناك مثلا خطر التفكير بالكلمات فقط ، الببغائية (ترديد الكلام دون ادراك معناه) وخطر الكلام الفارغ . ثم هناك خطة مصدره الاستعمال

الخاطيء للكلمات واللغة ، هنالك الاكتساب وهناك بعد ذلك اخطاء وضلالات مصدرها طبيعة اللغة .. اية لغة .

ضلالات مصدرها اللغات

ومن اهم هذه الضلالات ما يلي :

ضلال الهوية : ان ثبات الكلمة جعلنا نعتقد بثبات الاشياء انفسها خلال الزمن ، ولعل احسن مثال على ذلك اسم العلم فهو سبب توهمنا بان الفلان ثابت (هو هو) لم يتغير مع الزمن ، مع ان العكس هو الصحيح . خذ مثلا كلمة (دمشق) ، ان دمشق التي كانت تحمل نفس الاسم في فجر الاسلام قد تغيرت منذ ذلك الحين تغيرا كبيرا ، بل انها تغيرت منذ عشر سنوات حتى الآن ومع ذلك فانه يصعب على الواحد منا ان يظن انها اليوم غير ما كانت عليه آنئذ .

ضلال التفريق الفاصل : تفرق اللغة بوضوح بين الصحة والمرض ، مع ان هناك كل الدرجات بينهما فانت قد تكون مريضا بعض الشيء ، نصف الشيء (ان صح التعبير) ، مريضا جدا واللغة عاجزة عن مثل هذا التفريق ، وقل الامر نفسه عن العقل والجنون ، الصدق والكذب الخ ...

ضلال المادية : لقد وضعت الكلمات في الاصل الدالة على اشياء مادية والمعاني تعلق بهذه الاشياء ولذلك فهي تحتفظ بشيء من هذه الصفة القديمة وننقل مظهر المادية هذا الى كل ما تتصل به . وهذا هو السبب في تمثل الكثيرين من الناس الذاكرة على انها مخزن ذكريات ! واذا كانوا اكثر ثقافة حسبوا ان الذكريات تختزن في الحجيرات الدماغية !

ضلال الحقيقة : اننا لا نكاد نسمع اسما حتى نحسب وجود كائن ، وهذا هو الضلال البشري الخالد . وهكذا يظهر الحظ ـ مثلا ـ لمعظم الناس قوة حقيقية كما تظهر الجاذبية وكأنها قوة خبيئة في المغناطيس !

اما بعد

اما بعد فهذه دراسة عاجلة خاصة لسيكولوجية اللغة احببت ان اقدمها للمشتغلين بالكلمة لعلهم يجدون فيها عونا على فهم اللغة واستكناه سر الكلمة فاذا استطاعت ان تفتح عيونهم على اشياء تهمهم وتساعدهم كان ذلك حسبي والا فان عذري اني اجتهدت .... ■

فاخر عاقل

حال العشاق

قال قائل :

وما في الأرض اشقى من محب
وان وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيا في كل حين
مخافة فرقة او لاشتياق

فيبكي ان نأوا حذرا عليهم
ويبكي ان دنوا خوف الفراق

وتسخن عينه عند التنائي
وتسخن عينه عند التلاقي







الضرائب تأتي على المليون دولار التي خلفتها مارلين مونرو

● النجمة السينمائية المعروفة ، مارلين مونرو انتحرت وماتت في هليوود صيف عام ١٩٦٢ . ومع ان التركة التي خلفتها لورثتها قد بلغت نحوا من مليون دولار ، اوصت بتوزيعها على ذويها وخاصة امها التي كانت من نزلاء مستشفى الامراض العقلية منذ حين ، فان احدا من اولئك الورثة لم يتسلم ولو بجزء مما اوصت له به الممثلة المشهورة قبل وفاتها .

فقد بلغت الضرائب المستحقة الاداء التي تطلبت الممثلة المذكورة من دفعها في حينها ١٥٠٠،٠٠٠ دولارا تقريبا اي ما يعادل قيمة الدخل الذي تحقق لمارلين بعد وفاتها بما في ذلك مرتباتها التي لم تقبضها وقيمة الاشرطة والافلام التي اساءها منها مصالح التلفزيون الخ ..

اضف الى ذلك الضرائب الحكومية المتخلفة سواء منها العائدة لحكومة ولاية نيويورك او لحكومة واشنطن المركزية وسواء منها ضريبة الدخل او ضريبة الميراث او غيرهما مما لا يعد ولا يحصى من الضرائب قد بلغ مجموعها ٩٠٠،٠٠٠ دولار ! فضلا عن ذلك فان عددا من الدائنين يطالبون بدفع ديون لهم على الممثلة الراحلة بلغت قيمتها ١٢٣،٠٠٠ دولار . وهكذا تلاشت تركة المليون دولار التي خلفتها مارلين مونرو .
ومما يذكر ان احد المحسنين الامريكيين قد تبرع بما يكفي لعلاج ام الممثلة فضلا عن نفقات معيشتها الاخرى دون ان يسمح بذكر اسمه .

الحياة كما تنظر اليها

كتب احدهم الى امه معربا عن حيرته وتشاؤمه قال : « ما قيمة هذه الحياة يا اماه والمرء مكره فيها على الاخذ باحد احتمالين لا ثالث لهما . فهو اما ان يقول الصدق فيغضب سائر الناس او ان يعمد الى الكذب فيغضب الله عز وجل . فالانسان محكوم عليه اذن اما باغضاب الله او باغضاب الناس » . واجابته امه على ذلك بقولها : « ما قوله صحيح ولا يحتاج الا الى تعديل ضئيل في التعبير . فالانسان مكره كما تقول على الاخذ باحد الاحتمالين اللذين تذكر ، وهو مضطر اما الى قول الصدق او الكذب . ولكن الا ترى بانه اذا لجأ الى الكذب ارضى الناس واذا قال الصدق ارضى الله سبحانه وتعالى ، وان حيرته انما هي بين رضى الله ورضى الناس ، وان الحياة بالتالي ذات قيمة كبيرة » .

دهاء ...

● كان الوقت ليلا ، حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، حينما انطلق احدهم بسيارته يقودها في الاتجاه المعاكس ، مخالفا بذلك قوانين المرور المرعية . لعله كان ثملا قليلا او لعله كان حديث العهد في قيادة السيارات . فقد كان في طريق عودته من حفلة كوكتيل اقامها احد اصدقائه ولم يكن حائزا على رخصة قيادة السيارات . وان هي الا دقائق حتى فوجىء بشرطة النجدة تلحق به . وبسرعة البرق ، وقبل ان يستوقفه رجال الشرطة لاستجوابه واصطحابه الى المخفر للتحقيق معه تبين الخطأ الذي ارتكبه والعواقب الوخيمة التي تنتظره . اذ ان خرق قوانين السير على هذا النحو

الفلسفه خير أو شر لا بد منه

* قال احد الفلاسفة : « لا مفر من الفلسفة ، فان كنت من انصارها وجب عليك التفكير العلمي لتبرير نصرتك لها واقناع الغير بمناصرتها . وان كنت من خصومها ، وجب عليك اقامة المبررات لموقفك هذا ، ولا سبيل الى هذا او ذاك الا بالتفكير الفلسفي ايضا ! » .

التنويم المغناطيسي في المدارس

* بدأت اليابان في الافادة من التنويم المغناطيسي في بعض مدارسها الابتدائية فقد تبين ان قدرة الطلاب على فهم الدروس وحفظها تزداد عن طريق هذا التنويم . فضلا عن ذلك فان معهدا خاصا للتنويم المغناطيسي قد انشيء في اليابان لمساعدة رجال الاعمال على التخلص مما يعانون من ارهاق واعياء . بعد ثبت ان ذلك اقرب منالا بواسطة التنويم المغناطيسي .

الابناء والاباء

* يقول اوسكار وايلد (Oscar Wilde) : « النساء ، كل النساء ، سرعان ما يصبحن نسخة طبق الاصل من امهاتهن . تلك هي مأساتهن . اما الرجل فليس عرضة لمثل ذلك . وتلك هي مأساته ! »

ويقول ايضا : « يبدأ الاطفال حياتهم بحب آبائهم . ثم يأخذون في الحكم عليهم بعد فترة من الزمن . بيد انهم لا يعفون عنهم الا في النادر ، وقد لا يعفون عنهم على الاطلاق » .

وسذاجة !

العاصي كفيل بقضائه بقية الليل في المخفر ريثما يحين موعد دوام الضباط المسؤولين ليحكموا عليه بغرامة قد تتجاوز الثلاثين دينارا . اما عدم حيازته على رخصة القيادة فكفيل بمضاعفة تلك الغرامة . واما احتمال اعتباره في حكم السكران فوق هذا وذاك فمن شأنه تحويل الجنحة الى جناية والحكم عليه بعقوبة اخرى فضلا عن الغرامة . لذلك كله وبسرعة البرق ايضا قرر صاحبنا التصرف على نحو يخرجه من هذا المأزق وبحثه .

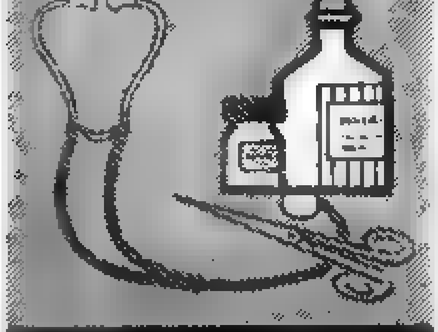
قال احد رجال شرطة النجدة « حسبك يا هذا خرقا القوانين ! من انت والى اين انت ذاهب ! هات رخصة قيادتك ودفتر سيارتك ! »

فاجاب صاحبنا بلغة انجليزية سليمة وكأنه لا يعرف العربية وقال ما معناه :

« ماذا تقولون ؟؟ تكلموا باللغة الانجليزية رجاء ! »

ابتسم رجال الشرطة حينئذ وقال احدهم للآخر « الم اقل لك انه انجليزي حديث العهد ببلدنا وقوانيننا ؟ اعتاد السير على اليسار وفق القوانين المرعية في بلاده ؟ » .

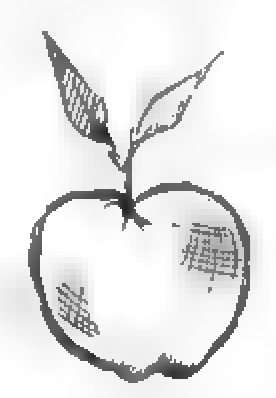
وهكذا انتهى المشهد بتبادل التحيات والابتسامات والمجاملات واسدل الستار بارشاد صاحبنا الى الجانب الايمن من الطريق لينطلق في سبيله معززا مكرما بدلا من اقتياده الى مخفر الشرطة لقضي بقية ليله فيه .



طبيب

التفاحة اذا أعطبت ، هل آكلها

● عندما آكل تفاحة أو برتقالة أو شيئاً من الفواكه ، أجد بها جزءاً معطوباً ، ويعز عليّ أن أرمي بالثمرة كلها لهذا أنا أقطع منها الجزء المعطوب. وآكل باقيها . فهل في هذا ضرر على الصحة ؟ أعني هل العطب سرى من حيث لا يدري الانسان الى سائر جسم الثمرة وأصبح ضاراً ؟ .



— لا ، لا ، كل من غير المعطوب ولا تخش شيئاً ، سواء أكان ذلك من تفاحة أو برتقالة ، أو كان من الخضروات . لا ضرر مطلقاً ، الا في حالات نادرة جداً لا تتصل بالسائر الجاري من المأكولات .

وان كان لا بد من مثال النادر ، فعطن مثلاً الفول السوداني ، يصاب أحياناً بعطن نادر ، اذا أكله الانسان أمرضه .

لسان ابنتي قذر

● لسان ابنتي مغطى دائماً بما يشبه الفرو الأبيض القذر وليس بالأحمر العادي ، وأعطيتها الشربة المسهلة الكثيرة فما نفع من ذلك شيء..

— الحقيقة يا سيدتي أنه لا علاقة بين الامساك وما يظهر ان اللسان يتغطى به من طبقة بيضاء أو صفراء ، تشبه الفرو كما تصفين . وعلى النقيض من ذلك يغلب على ذوي الامساك أن تبقى ألسنتهم حمراء .

ان اللسان ، كل لسان ، تغطيه من فوق طبقة من حليمات نابتة منه ، نابتة فيه ، كالزرع في الأرض . وهذه تطول اذا لم تحتك بالطعام الخشن . وهي تحتك بالطعام فتقصر ، وكذلك يعمل فيها هذا احتكاكها بسقف الفم . فاذا هي لم تقصر ، فانها الى تطول ، وتصبح مصائد تمسك بعض بقايا الأطعمة . ثم يعمل الكتير في هذه البقايا ، ويعمل العطن ، فينشأ عن ذلك تلك الطبقة البيضاء ، التي تظهر كالفرو الأبيض على اللسان .

ويساعد على احداث هذه الطبقة أن يكون سقف الفم فيه زيادة في التقوس ، ويساعد على احداثها النوم بفم مفتوح ، منه تدخل العطن . ويذهب به أكل الطعام الخشن الذي يحتاج الى مضغ طيب . وهذه الطبقة يمكن ازالتها بحكها بالفرشة عند تنظيف الأسنان .

وابيضاض اللسان بها يجب أن لا يقلق أحداً .

وغير ذلك تغيرات أخرى باللسان تتصل بأمراض عدة تكون هي بعض أعراضها .

الأسرة

الجدري الكاذب

● ما هو جدري الفراريج ، وما سببه . وهل هو يصيب الفراريج كما يدل عليه اسمه ؟ الا بعض الناس قد سموه جدري القرود .

* * *

ـ اولا : لنتناول اسم الداء . ان اسمه العلمي Varicella واسمه بالانجليزية Chicken Pox والكلمة الاولى Chicken معناها الفراريج ، وهي متحولة من لفظ Children ومعناها الاطفال ، لأن هذا الجدري يصيب الأطفال . فمن الخطأ ترجمه اسم هذا الداء بانه جدري الفراريج، ولهذا جرت تسميته بالعربية بالجدري الكاذب .

اما انه جدري القرود . فلم نسمع به ، والقرود حقا تصاب به ، ولكن هذا اللفظ لم يجر اصطلاحا .

وقد اتضح انه يصيب القرود من حادث وقع في حديقة حيوانات للاطفال على الساحل الغربي من الولايات المتحدة على مقربة من المكسيك . فقد كان في هذه الحديقة ، منذ قريب ثلاثة قرود مدللة مشهورة بين الأطفال ، معروفة بينهم باسمائها : تريا Tria وهو من الشمبانزي ، ونوئل Noel وهو من الاورانج او تانج ، وسكوب Scoop وهو طفل من الجورلا . وهي جميعا من الصنوف العربية في مراتبها من الانسان .

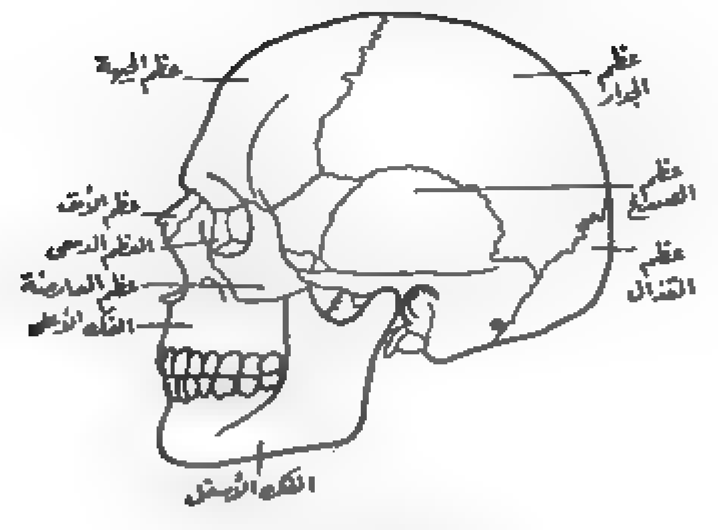
وقد حدث أن مرضت بعد حفلة شاي دعت هذه القرود اليها الاطفال في الحديقة. وجاء الطبيب وفحصها فحصا دقيقا ، فتبين له انها مصابة بجدري الاطفال ، الجدري الذي جرى اسمه بانه الكاذب Chicken Pox . وكانت هذه اول مرة يكتشف بها ان هذا الجدري يصيب هذه القرود . وقد انتقل اليها من الاطفال . فقد كان هذا المرض شائعا فيهم . وهو مرض سريع الانتقال .

فلعل صاحبك الذي سمي هذا الداء بجدري القرود ، انما كان يشير الى هذا الحادث .

اما سبب هذا المرض فقد اكتشف من نحو ١٢ عاما فقط ، فهو فيروس اكتشفه مكتشفوه في يونية عام ١٩٥٣ في مركز طب الأطفال الشهير في مدينه بسطن Boston .



القردة الثلاث التي دعت الأطفال في حفلة شاي واعدتهم بالجدري الكاذب .. حمى الأطفال .



جيوب انفي ملتهبة

● كثيرا ما يصيبني البرد ، ويطول . واجد انفي قد انسدت، ويعتريني من ذلك آلام عندما انحنى بقوة . وقيل لي ان جيوب انفي ملتهبة . وعالجها الطبيب بعدة علاجات، ولكنها تعود . فما هي هذه الجيوب ، وكيف تلتهب ؟

ــ أولا من الجيوب . فهذه تجاويف في عظام الوجه ، فارغة ، ليس فيها الا الهواء ، وهي منفصلة عن الانف ، ولكنها متصلة بالانف بوساطة ثقوب ضيقة .

واشهر هذه الجيوب، واكبرها ، ذلك التجويف المسمى بالجيب الفكي ، Maxillary antrum، ويوجد في عظمة الخد ، وهي العظمة التي يتألف منها الفك الاعلى للانسان . ويوجد جيبان ، فوق كل عين جيب ، وتعرف بالجيوب الجبهية ، لأنها تجاويف في عظمة الجبهة .

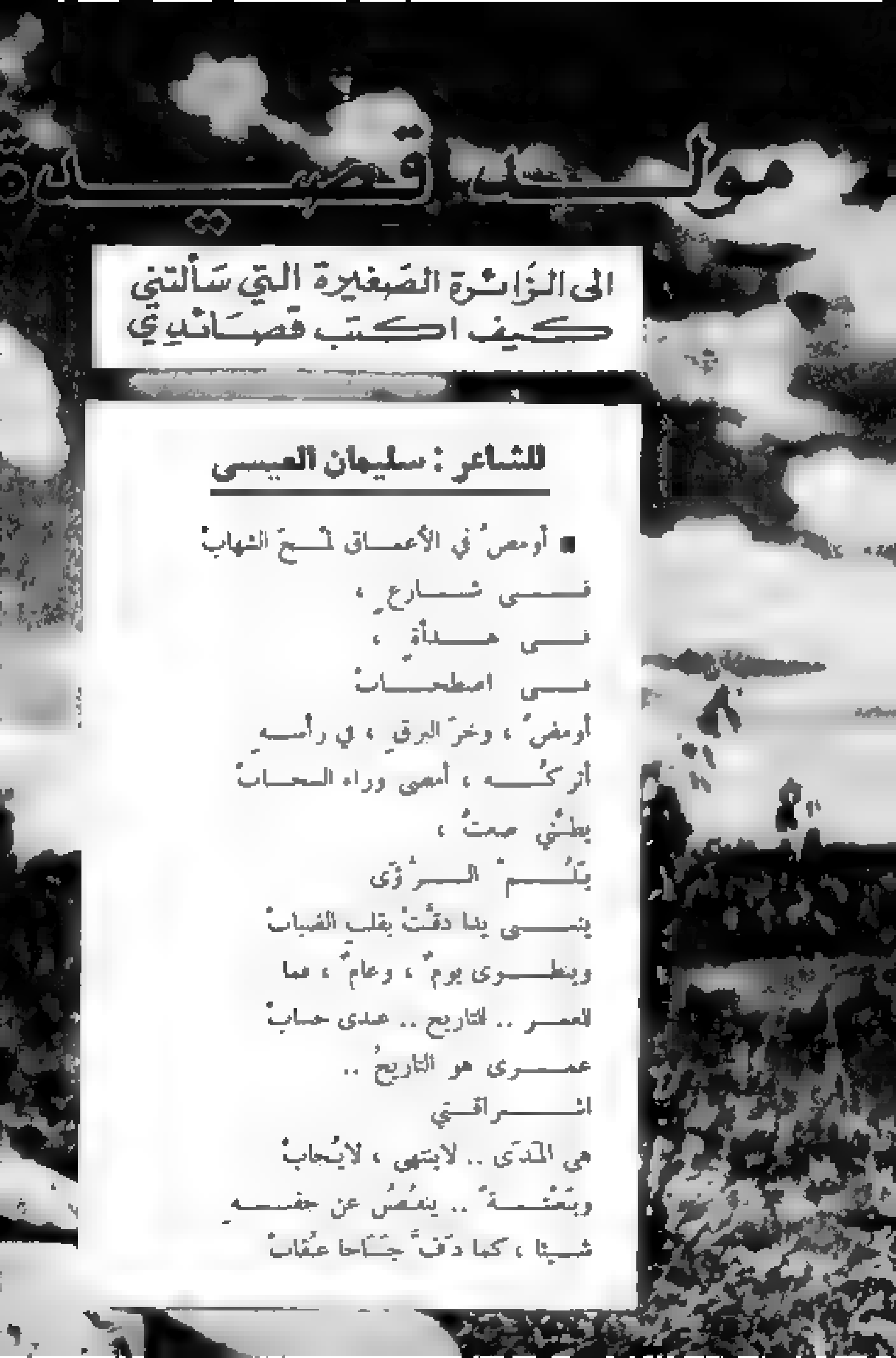
وجيوب أخرى في عظام الرأس لا داعي لتعقيد الصورة بذكرها ووصفها .

وهي فراغات حار العلماء في فهم الغرض منها . قال قوم انها لتخفيف ثقل الرأس ، وقال قوم لحماية الوجه عند اللكم والاصطدام . وقال آخرون انها تعطي صوت الانسان رنينه .

والمهم ان هذه التجاويف ، كما ينتظر ، مبطنة جدرانها بالاغشية المخاطية . فاذا أصاب الأنف التهاب ، كان ما كان ، او دخل الى الانف عدوى ــ والبرد عدوى عاملها الفيروس ــ فقد يمتد هذا الالتهاب الى أغشية هذه الجيوب ، عبر الفتحات التي تصلها بالانف ، فتلتهب وتتقيح . والاصل في الاغشية المخاطية داخل هذه التجاويف أن تفرز قليلا من المخاط ، يجد دائما سبيله الى الانف فالى خارج الجسم . ولكن بالتهاب هذه الانسجة المخاطية داخل الجيوب ، تتورم هذه الانسجة، وادن تسد القناة الضيقة التي تصلها بالأنف . وتتجمع المخاط داخل هذه الجيوب فيحدث الآلام المعروفة . وهذه الآلام تصحب الخد شديد الحساسية عند اللمس ، او تصحب الجبهة ، وفيها جيوب الجبهة .

والطبيب يتولى علاج هذه الحال بالميداويات المعروفة كالسلفا واخواته ، ليخفف من الالتهاب . ثم عقاقير لتخفيف الالم . ولكن الاهم من هذا وهذا ، هو سعي الطبيب في فتح الفتحة المسدودة بشتى الوسائل ، وهي معروفة لديه ، فهي اذا انفتحت، وتسرب المخزون الذي تراكم في الجيوب الى الخارج ، أحس المريض بتحسن الحال فورا . وقد يكون من المحتم غسل هذه الجيوب .

ثم نصيحة صغيرة : اذا اصابك برد شديد ، وشعرت بانسداد في انفك ، فلا تتحمس فتحاول ان تفتح هذا السد بأن تطلق صفيرك بمنديلك ثم تنفخ بقوة . ان هذه الطريقة هي أحسن طريقة لتوصيل الميكروب الى الجيوب .



مواليد قصيدة

الى الزائرة الصغيرة التي سألتني كيف اكتب قصائدي

للشاعر : سليمان العيسى

■ أومضُ في الأعماق لمحَ الشهابْ
في شارعٍ ،
في هدأةٍ ،
في اصطخابْ
أومضُ ، وخزَ البرقِ ، في رأسه
أزكُـه ، أمضي وراء السحابْ
يطلُّ صمتٌ ،
يكلمُ الرؤى
يمضي بنا دقتْ بقلبِ الضبابْ
وينطوي يومٌ ، وعامٌ ، فما
للعمر .. للتاريخ .. عندي حسابْ
عمري هو التاريخُ ..
اشراقتي
هي المدى .. لاينتهي ، لايُجابْ
وبعثةٌ .. ينفضُ عن جفنه
شبابا ، كما دقَّ جناحا عقابْ

كما هوَتْ فوق الثرى قطرةٌ
من غيمةٍ مجهولة .
من سنواتْ ..
— وهْمٌ .. أعدتْ ؟
انه صوتها ...
اعرفُه يهمس خلف الحجاب
يشتد ، يختاح ، بلا موعد ،
بلا صدًى ، يمرق بالعقابْ
يضيء بالذكرى .. يصبُّ الظما
في شفتي غمغمةً من رتابْ
بالتضراع الحلو . ما بينا !
أرهقتُه ما زلتُ حتى استجابْ

* * *

وأغلق الدنيا على طرفه
عما يرى الأروآى العذابْ
اللونْ ، في رحمةِ ضوضائه ،
والبيتُ ، والمقهى ، ولغوُ الصّحابْ ،
وحدي انا الضوضاءُ في سمعه
وحدي التي يقرؤني في الكتابْ
يَنتشي عنترَ المحال الذي
يمورُ حولي خَضِلاً في اضطرابْ
يَلْمسني في العتمْ .
يصطادني .
لو تعرف الكأسُ كفاحَ الشرابْ!

إنساناً إذاً ..

جسدٌ على مرتبةٍ

بيضاءَ ، أو سمراءَ

هذا الشبابْ ..

وفي عبابٍ عن حدود الدنى

أدبُ في مزقتهِ ..

في غيابْ ..

يبتسان . قد أوثقني حمّةٌ ،

أطلقتُ منه ،

بالسحر للغلابْ !

عذاري في كفّه .. نوري

في جسمه .. أسرار صدري الرغابْ

أهوى على جبهته عاصفاً

وتارةً همسَ الأماني المستطابْ

وتارةً ..

ـ لا ، لست تبوحي . . عمّا

أرضى بأن يهتك كلَّ النقاب .

* * *

هذي أنا ..

حشرجةٌ مرّةٌ

تحملُ للعالمين

تمرّدَ الشبابْ ..

سليمان العيسى ـ حلب



تكهنات حول صناعة النفط

من صحيفة الفايننشيال تايمز اللندنية :

حاجة العالم الغربي الى الغاز والنفط في نمو وتزايد مضطرد . وستصبح على الترجيح ثلاثة اضعاف ما هي عليه الآن بحلول عام ١٩٩٠ ، اي بعد ٢٥ سنة . اما رؤوس الاموال التي ستحتاج اليها صناعة النفط في الفترة المذكورة فلن تقل عن ١٢٥٠٠٠ مليون جنيه استرليني .

ويقتضي تزايد تلك الحاجة مضاعفة في الانتاج بحيث يصبح معدل انتاج النفط ١٠٠ مليون برميل يوميا . ولا يخفى ان النسبة الكبرى من هذه الزيادة ستاتينا من منطقة الشرق الاوسط .

وتفوق كميات النفط الاحتياطية الثابتة المختزنة في جوف الارض تلك الكميات التي تسحب منه سنويا بنحو ٢٥ ضعفا . اما كميات الاحتياطي الثابت وغير الثابت اجمالا فتقدر بنحو الف ضعف ما يجري انتاجه من النفط في كل سنة .

وسيزداد انتاج النفط من قاع البحار في غضون السنوات الخمس او العشر المقبلة . هذا بالاضافة الى ما ستشهده الفترة المذكورة من تضخم في حجم ناقلات النفط يتراوح بين ٢٠٠٠٠٠ — ٠٠٠ ٢٥ طن للناقلة الواحدة .

وتجدر الاشارة الى ان عدد سكان العالم المتزايد سيبلغ في سنة ١٩٩٠ نحو ٧٠٠٠ مليون نسمة ، ومن شأن هذا التضخم ان يبعث على الكثير من التشاؤم ما لم يرافقه تطور اقتصادي بعيد المدى يتكافأ ونسبة ذلك التضخم في عدد السكان . ولعل الطاقة بصورة عامة ، والطاقة النفطية على وجه التخصيص هي الشرط الذي لا يكون تطور اقتصادي بدونه البتة .

لو نشبت الحرب بين امريكا والصين

من مجلة لايف الامريكية :

يصعب على المرء تصور مدى ما تحدثه الاسلحة النووية من فتك وافناء . ويصدق ذلك بصورة خاصة على القنابل الهيدروجينية الحالية (٢٥ ميجاطون) ، فهي اشد فتكا من القنبلة التي القيت على هيروشيما بنحو (١٢٥٠) مرة !

ولو قدر للانسانية ان تشهد في هذه الحقبة من تاريخها حربا نووية تنشب بين الولايات المتحدة والصين الشعبية — على سبيل المثال — لكانت القنابل الهيدروجينية التي تستطيع امريكا القاءها دفعة واحدة على بلاد الصين ١٠٠ قنبلة من قنابل

الضوضاء وضجيج السيارات يطيلان مدة النقاهة للمرضى

من صحيفة التايمز اللندنية :

مع التذمر وكثرة الاحتجاج بصدد ما تحدثه السيارات من ضجيج في الشوارع وضرورة وضع حد لتلك الضوضاء في القريب العاجل . وقد يظن البعض ان التخلص من الضجة المذكورة ضرب من المستحيل . ولو فكر المرء قليلا لما وجد من الاسباب ما يحول دون القضاء على تلك الجلبة واحلال الهدوء والسكينة محلها . ومهما يكن من امر فلا بد من العمل على حماية الناس ،



(٢٥ ميجاتون) . وتقدر فعالية هذه القنابل مجتمعة بنحو عشرة آلاف مليون طن من المادة الشديدة الانفجار المعروفة باسم (T.N.T) وهذا يعنى ان ما يصيب سكان الصين جميعا وعددهم لا يقل عن ٧٠٠ مليون نسمة من هذه القنابل من الاطنان لا يقل عن ١٤ طنا لكل فرد منهم ، رجلا كان ام طفلا ام امرأة .

والاخطر من هذا وذلك ان القنبلة المذكورة تنشر من رمادها او قل من سمومها ما يكفى لتغطية (١٥٠٠) ميل مربع من الاراضى (اى ما يعادل مساحة ولاية كونيكيت وجزيرة رود وفيرمونت مجتمعة) ويبلغ هذا الرماد من الحدة والفعالية – فى الجهات التى يصيب فيها تركيزا يفوق مما يصيبه فى الجهات الاخرى – ما يكفى للفتك بكل من يتعرض له على نحو مباشر وفى مدة لا تزيد على ساعة واحدة من الزمن .

على ان الصين الشعبية تسير بخطى سريعة فى ميدان الابحاث النووية . وقد لا يأتى عام ١٩٧٠ حتى تصبح فى عداد الدول النووية الكبرى . وفى اللحظة التى تستطيع فيها الصين الشعبية تهديد الولايات المتحدة على هذا الصعيد تصبح حياة ما لا يقل عن ٨٠ مليونا من سكان الولايات المتحدة وكائناتها على كف عفريت .



ماوتسى تونج والفيت كونج

عن صحيفة (التحرير) بفيتنام الجنوبية

تدل الحرب المستعرة فى فيتنام الجنوبية ، على ان الشجاعة والضراوة فى مجابهة العدوان والحنكة البالغة فى رد المعتدين الغاصبين هى الصفات البارزة التى يتحلى بها الشعب الصينى من جهة وجيش التحرير الفيتنامى من جهة اخرى وقد شهروا فى وجههم سلاحهم الاول ، آراء ماوتسى تونج وافكاره ، وليزرعوا فى ديارهم بسلاحهم المادى ، وصلابة معدنهم وقد زادته الحرب صلابة وصمة .

وبعد هذا وذاك يدعى المستعمرون الامريكيون فى ظنهم ووهمهم بان انيابهم ومخالبهم تعرفنا ، ويطيب لنا ان ننذر الغاصبين المعتدين من الامريكيين باننا سنسحق كل من يتجرأ منهم على مهاجمتنا .

كل الناس ، والمرضى منهم على وجه الخصوص ، من مرور ذلك الضجيج وآثاره

ويجمع الاطباء او يكادون على ان ضجة السيارات والشوارع تطيل أمد دور النقاهة وتعيق تماثل المرضى للشفاء . وقد بلغ ذلك حدا لا مناص لوزارة الصحة معه من ان تبادر الى الاضطلاع بمهمة التخلص من الضجة ، وهى مهمة ليست من اختصاصها اصلا . ولعل نسبة قليلة تنفقها الوزارة المذكورة فى هذا السبيل خير واجدى من النفقات الباهظة التى تتكلفها نتيجة وجود الضوضاء ، ولعل من شأنها ان توفر تلك المصاريف الباهظة وتتداركها .

وقد تكون الخطوة الاولى التى يجدر بوزارة الصحة اتخاذها فى هذا الصدد هى استبدال شبابيك المستشفيات الحالية باخرى مزدوجة الصنع . ولا يخفى ان وجود شباكين من الزجاج او الخشب فى النافذة الواحدة من نوافذ المستشفى تكفل للمرضى فى الداخل ما هم فى امس الحاجة اليه من الهدوء والسكينة . والاعتراض على الشبابيك المزدوجة من حيث تعذر تهوية الغرف اعتراض لا مبرر له . فقد اصبح فى الامكان ضمان التهوية المطلوبة هذه عبر الشبابيك المزدوجة نفسها بواسطة جهاز بسيط صامت زهيد التكاليف يركب على تلك الشبابيك .


اعرف وطنك
ايهـا العربى
سهل



البقاع

كتب هذا الاستطلاع: سليم زبال
وصوره: «اوسكار»

تنقلك العربي في هذا العدد الى سهل من اكثر سهول العرب خصوبه .. انه سهل مرتفع يقسم جبال لبنان الى شطرين لسفر بينهما، يلقى منهما المياه المتدفقه، ويحتمي بهما من الرياح العاتية : سهل البقاع

■ [illegible]

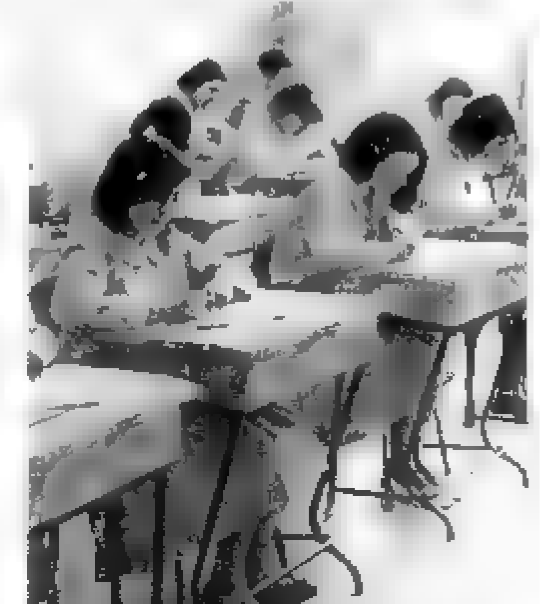
[illegible]

[illegible]

كلمات عميقة للفيلسوف اللبناني جبران خليل جبران ، ظل صداها يتردد عاليا بين جنبات جبال لبنان حتى ايقظ اهل البقاع ، الذين قاموا قومة رجل واحد ، يحولون القحط والجدب والتربة المتحجرة العطشى ، الى رغد وازدهار ، ومروج يانعة خضراء ، تكفل الرغد والازدهار والرخاء ..

انها عصا سحرية مست « البقاع » العزيز فحولت خموله الى حركة وحياة ..

ورغم هذه النهضة الهائلة ، فما زال البقاع عالما مجهولا ، لا من ابناء الوطن العربي فحسب بل من معظم اهل لبنان انفسهم الذين يجهلون ما يحويه هذا « المخزن » الذي يمدهم بحاجتهم من الخضر ، والفواكه والحبوب ، والاغنام والالبان ، والبيض ، والدجاج ... الخ



انتقلت فتاة البقاع من المراعي والمزارع الى رحاب العلم والمعرفة .. ونرى هنا مجموعة منهن يتلقين دروسا في التربيتين الفرنسية والانكليزية

٢٢٥ قرية و ٥ مدن

يقسم سهل البقاع اداريا الى خمسة اقضية هي : قضاء زحلة ، واكبر مدنه زحلة عاصمة البقاع ، ويضم ٤٣ قرية وقضاء البقاع الغربي ومدينته [illegible] ، ويضم ٣٧ قرية ، وقضاء راشيا ومدينته [illegible] ، ويضم ٣١ قرية وقضاء بعلبك ومدينته بعلبك ، وهو اكبر الاقضية [illegible] ويضم ٩٣ قرية

هضبة بين سلسلتي جبال

والبقاع سهل زراعي خصب ، منبسط الارض ، يتراوح ارتفاعه بين ٩٠٠ و ١٠٠٠ متر عن سطح البحر ، ولكنه لا يرى مياه هذا البحر ابدا ، لان سلسلة جبال لبنان الغربية التي ترتفع ثلاثة آلاف متر تحجبها عنه .. وكذلك لا يرى سهول سوريا لان سلسلة جبال لبنان الشرقية تحجبها عنه ..

ومن هذا الوصف يتضح ان سهل البقاع ما هو الا ملء الاخدود يفصل بين سلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية ، ويمتد بينهما مسافة ١١٠ اميال .. اما عرضه فيختلف اختلافا بينا ، اذ يصل الى نحو عشرة اميال في الوسط ليضيق في الجنوب الى نصف ميل فقط !

لبنان هبة الليطاني

وكما ان مصر تتميز بالنيل ، والعراق بدجلة وسوريا بنهر العاصي .. فان لبنان يتميز بنهر الليطاني ، حتى قيل : « لبنان هبة الليطاني » كما قالوا من قبل : « مصر هبة من النيل » !

انه النهر الوحيد الذي يعبر ملكا خالصا للبنان : منبعه جنوب بعلبك ، ومجراه خط رفيع متعرج يقسم سهل البقاع الى شطرين ، ثم يعرج غربا بزاوية قائمة تقريبا ليلقي سنويا بنحو ٧٠٠ مليون متر مكعب من مياهه العذبة في مياه البحر الابيض المتوسط - شمال صور - بعد ان يكون قد قطع مسافة ١٧٠ كيلو مترا ..

السد العالي اللبناني

وفي عام ١٩٥٦ بدأت تظهر فكرة السيطرة على



وسط جو هادئ ، محاط بالاشجار والحدائق والمياه [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
ذلك [illegible]

مياه هذا النهر وتحويلها لارواء الاراضي العطشى ، مع استخراج الطاقة الكهربائية من مساقطها ..

وتحولت هذه الفكرة الى اضخم مشروع قام به لبنان لتبديل المظهر الطبيعي والاقتصادي لمنطقة شاسعة عديدة ..

انه مشروع الليطاني ، الذي يشتمل في شكله النهائي على ثلاث محطات للكهرباء و٣٠ كيلو مترا من الانفاق .

وقد بدأ تنفيذ المشروع ، عام ١٩٥٧ ، ولكن ثورة ١٩٥٨ اوقفته ، ثم توقف ثانية لادخال تعديلات جوهرية على هندسته ، اقتضت تحويل سده الرئيسي ، من سد تل الواسي ، الى سد ركامي اصم يحتجز امامه ٢٢٠ مليون متر مكعب من الماء ، تسمح بري الاراضي المجاورة طوال شهور السنة ، دون اعتبار لفترة جفاف او قحط ..

وفي شهر اغسطس (آب) الماضي انتهت المراحل الاولى للمشروع ، وبدأ انتاج الكهرباء ، وانطلقت مياه الليطاني في نفق طوله ١٦ كيلو مترا تحت جبل نيحا ، لتروي لاول مرة منطقة جزين .

الليطاني سيروي الجنوب

ان مشروع الليطاني سوف يزيد الطاقة الكهربائية ، والاراضي المروية في لبنان نسبة ٣٠ الى ٤٠٪ .

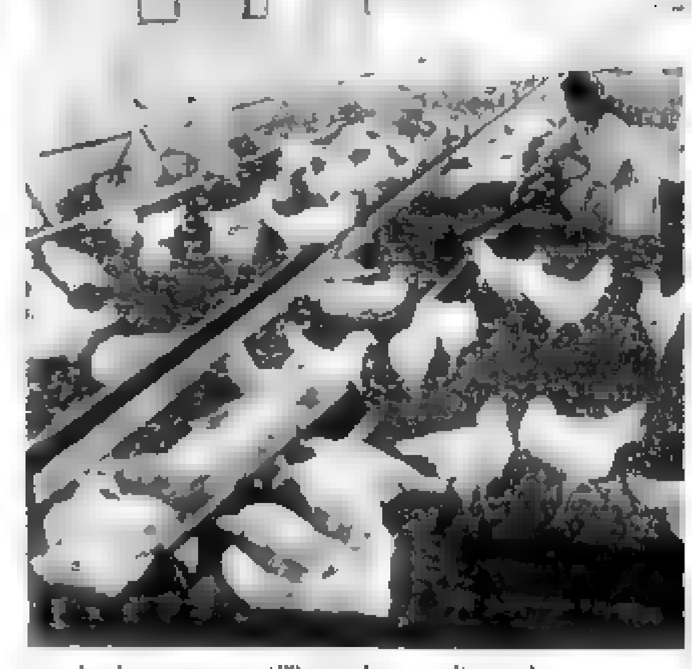
وقد شاهدت اخيرا ضجة كبرى ، لان

منظر من عل ، يبدو فيها سهل
البقاع وكأنه سجادة شرقية رائعة









الثمرات الاولى للمشروع ، استأثرت بها بيروت دون الجنوب الفقير .. الا ان المسئولين اكدوا لنا بأن مياه الليطاني سوف تغذي منطقة الجنوب واقليم الخروب بنحو ٥.١ ملايين متر مكعب في القريب العاجل .

الكهرباء تخلق الصناعة

لقد قلب مشروع الليطاني اسلوب الحياة في البقاع ، فالقوة الكهربائية المستخلصة منه انارت القرى ، ودفعت بعجلة الصناعات الصغيرة الى الامام ، وجعلت الناس يستعدون للانطلاق في مجال الصناعات الكبيرة ، التي لم تكن متيسرة لنقص الطاقة الكهربائية ..

بحيرة مساحتها ١٤ كيلو مترا

والى جانب هذا قام مشروع الليطاني بارواء الارض ريا مستديما من مياه البحيرة الكبيرة التي ظهرت خلف السد الرئيسي وبلغت مساحته ١٤ كيلو مترا مربعا من الاراضي .. ويجرى حاليا اعداد الترتيبات النهائية لتجميل هذه البحيرة وتحويلها الى بحيرة ضاحكة ، وصفها لنا صاحب المشروع ، السيد رفيق الدبس ، بقوله « سنجعلها تضاهي اجمل البحيرات السويسرية ... وسوف ننفق نحو مليوني ليرة لبنانية لتحويل الجزيرة الصغيرة التي في وسطها الى قرية سياحية متكاملة فيها ملاعب وقلاب وكازينو وفندق ، وشواطىء للاستحمام والتزلج على الماء .. وسيبدأ تنفيذ مشروع التجميل حال الانتهاء من بناء السد الرئيسي الذي كاد ان يكتمل .. »

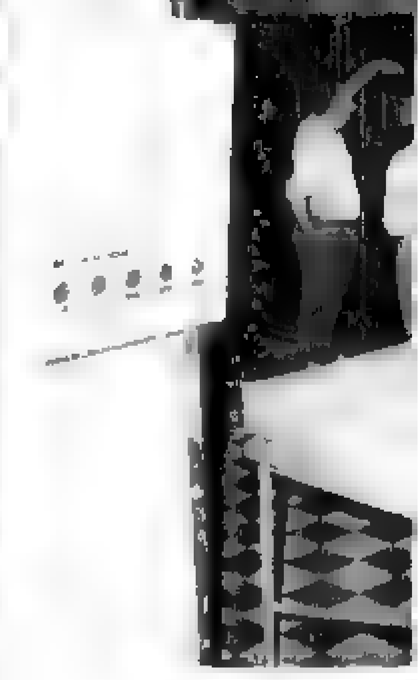
ان هذا المشروع سوف يجعل من البقاع الجنوبي مركزا سياحيا جديدا في لبنان ، التي اصبحت السياحة فيها صناعة مزدهرة لها خبراؤها ، ولها ايراداتها الذي يساعد كثيرا في تغطية العجز الدائم في الميزان التجاري ، فصادرات لبنان قيمتها ٢٠٠ مليون ليرة بينما وارداته تصل الى الف مليون ليرة !!

معابد وحضارات

ويضم سهل البقاع للسائح مراكز سياحية



[illegible]



[illegible]

رائعة، منها: بعلبك.. مدينة الشمس حيث معابد جوبيتر وفينوس وباخوس.. وبعدها تأتي «عنجر» المدينة القديمة بآثارها البيزنطية والعربية..

ويزخر سهل البقاع ـ الى جانب هذا ـ بالآثار الكثيرة لحضارات نشأت به أو استوطنته أو مرت به، من فينيقية وسريانية وآشورية وإغريقية ورومانية وفارسية، ترك كل منها أثراً من آثاره فيه

البقاع من بقيع

وبحدث الدكتور فيليب حتى المؤرخ اللبناني عن تاريخ سهل البقاع في كتابه «تاريخ لبنان» فيقول

[illegible]

[illegible]

اين قبر نوح

وفي البقاع تختلط وقائع التاريخ بطرائف الأساطير وخاصة ما يتعلق فيها بالطوفان ونوح عليه السلام الذي كان يقطع المسافة من جبل صنين الى الجبل الشيخ في خطوة واحدة !! وفي أواخر أيامه تضرع نوح اليه تعالى أن يكون مثواه الأخير في البقاع، فقبل الله رجاءه، فمات في البقاع ودفن فيه !





ورحنا نتحرى ، ونبحث عن قبر نوح . . . في البقاع لكن اين ؟ .. لا احد يدري !

واخيرا اهتدينا اليه في قرية صغيرة ، قرب زحلة ، تدعى الكرك .. وصعدنا الدرجات المؤدية اليه ، والى مسجد قديم ملاصق نقشت على جداره : « سلام على نوح في العالمين ، انا كذلك نجزي المحسنين » .

.. واتجهنا الى الضريح وما كدنا نلجه حتى وقفنا مشدوهين ! فاطالما امتد الباب عن حجرة طويلة جدا على ارضها تابوت حجري طوله ٢٥ مترا مغطى بقطع من القماش الاخضر كتبت عليها سورة الفاتحة (انظروا الصورة ص ٨٠) .. ولم يترك لنا الحارس وقتا طويلا للتفكير اذ بادرنا بقوله « هنا يرقد سيدنا نوح .. ان طول هذا الضريح لم يكن كافيا ليسع للجثمان لهذا ثنيت ركبتاه ، حتى يستطيع الرقود هنا بسلام » !!

وفي مطلع شهر ابريل (نيسان) من كل عام يحتفل خارج الضريح بذكرى « عيد الدهشة » وهو احتفال كبير تقام فيه الالعاب الفروسية والرقصات الشعبية التي يشترك فيها عدد كبير من اهل البقاع ..

يهبط البدو الرحل من صحراء حوران وسوريا الى سهل البقاع في فصل الصيف لرعي قطعان اغنامهم وماشيتهم وهذه اسرة بدوية [illegible] حيث خيامها

ماذا قال سنوحي عن البقاع ؟

وليس نوح فقط هو الذي اقام في البقاع بل جاء الى هذا الاخير سنوحي بعد ان هرب من مصر حوالي عام ١٨٠٠ ق.م فاستجار باحد شيوخ البقاع ، واقام عنده وتزوج ابنته ، ثم اصبح رئيسا للقبيلة .. ويتقدم سنوحي في السن ، فيستبد به الحنين الى موطنه الاول ، فيقيم ابنه الاكبر وصيا ووكيلا على ممتلكاته في البقاع .. ويعود هو الى مصر ليكتب قصته على ورق البردي ، يصف فيها ارض البقاع بقوله : « فيها التين والعنب ، والخمر اكثر وفرا من الماء ، فيها العسل بكثرة والزيتون ايضا ، فيها من جميع الثمار ، والحب والحنطة ، وماشيتها لا يعرف لها عدد » .

اين الفلاح اللبناني ؟

ومنذ اقدم العصور وابن البقاع يزرع .. ويزرع .. وما زال حتى اليوم يزرع .. ! ولكن شتان بين الزمنين .. لقد تغير كل شيء وتبدل ..

لقد جبنا سهول البقاع شمالا وجنوبا ، وشرقا وغربا ، بحثا عن الفلاح اللبناني الاصيل ذي السروال الاسود الواسع الكبير ، والقمباز المخطط بالالوان ، والشارب الاسود المفتول المدهون بالشمع ، والذي يقف عليه النسر ! .. واعيانا البحث فلم نشهد لهذا الفلاح اثرا .. لقد اختفى من سهول البقاع ، بعد ان بهرته اضواء المدينة فجذبته اليها .. وهناك ادرك قيمة العلم والثقافة، فعمد الى ابنه يعلمه تعليما عاليا ليصبح محاميا ، او طبيبا ، او مهندسا صناعيا ، واكتفى هو بالجلوس امام منزله « ويبربش النارجيلة » في فمه يسحب منه الانفاس الطويلة ، ويراقب العمال الزراعيين ، من ابناء حوران وفلسطين ، يحرثون له ارضه ويجمعون له محصوله ، مقابل ثلاث او خمس ليرات يدفعها يوميا لكل منهم ..





٣ — محطات توليد الكهرباء [illegible] في [illegible]

الآلة محل الفلاح

واتجهنا الى وزارة التصميم سائلها رأيها في حال الفلاح اللبناني فجاءنا ردها :

[illegible]

افخر نوع في العالم

واتجهنا صوب الاراضي الزراعية ، لنرى من الذي يزرع سهل البقاع ، وما الذي يزرعه ، ومدى التقدم الذي طرأ عليه .

وبدأنا بالبقاع الشمالي ، او البقاع العطشي ! افقر اجزاء سهل البقاع .. الاشجار فيه تكاد تنعدم الا حول مجاري الماء .. والارض جرداء تنمو فيها الاعشاب .. وسألنا عن سبب هذا البوار فهمسوا انه « حشيشة الكيف » كان زرعها هنا على نطاق واسع ، وكانت تأتي بربح خيالي ، فالحشيش اللبناني هو اجود الاصناف ، وقد اهل اخيرا تقديرا عالميا في مؤتمر منظمة الانتربول الذي عقد في البرازيل اذ وصفوه بانه « افخر انواع الحشيش في العالم » .. وكانت زراعته في البقاع الشمالي تتم على نطاق علني واسع ، اما اليوم فقد اوقفت زراعته ، بعد ان حرمت تجارته » ..

ومن الطريف ان عصابات التهريب الدولية اصبحت تزرع الحشيش في اراضيها ، وتضعه داخل اكياس كتب عليها : « صنع لبنان » لايهام المدخنين بانهم يتعاطون اجود الانواع ..

لماذا لا يزرعون ؟

ان الشكوى المرة في البقاع الشمالي تتمثل في الاراضي الواسعة الكبيرة التي لم تزرع بعد ، فهناك نفر قليل من الناس يملك مساحات شاسعة من الارض ، ولكنهم لايستغلونها لعدم حاجتهم الى استغلالها ، او لعدم قدرتهم على ادارة زراعتها لاتساعها الهائل !! وان كانوا يدعون بان نقص مشاريع الري هو السبب ..

اهلا بالبدو ..

وفي البقاع الشمالي ينتهز البدو الرحل السوريون فرصة اعتدال حرارة الصيف في البقاع فيعبرون الجبال الشرقية افواجا مع قطعان اغنامهم وماعزهم ، فترحب بهم السلطات اللبنانية لانهم يجلبون معهم الاغنام ، والماعز ، والاصواف ، وجلود الحيوان ، واللبن ، والجبن ، والسمن ، وحليب الماعز ..

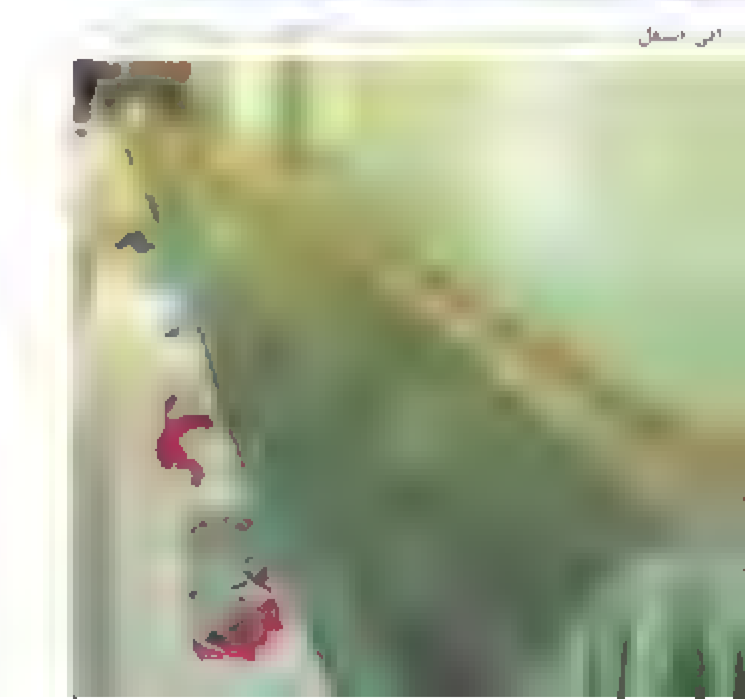
وما يكاد الشتاء يلوح حتى يجمع البدو خيامهم ويستعدوا للترحال شرقا الى البادية ..

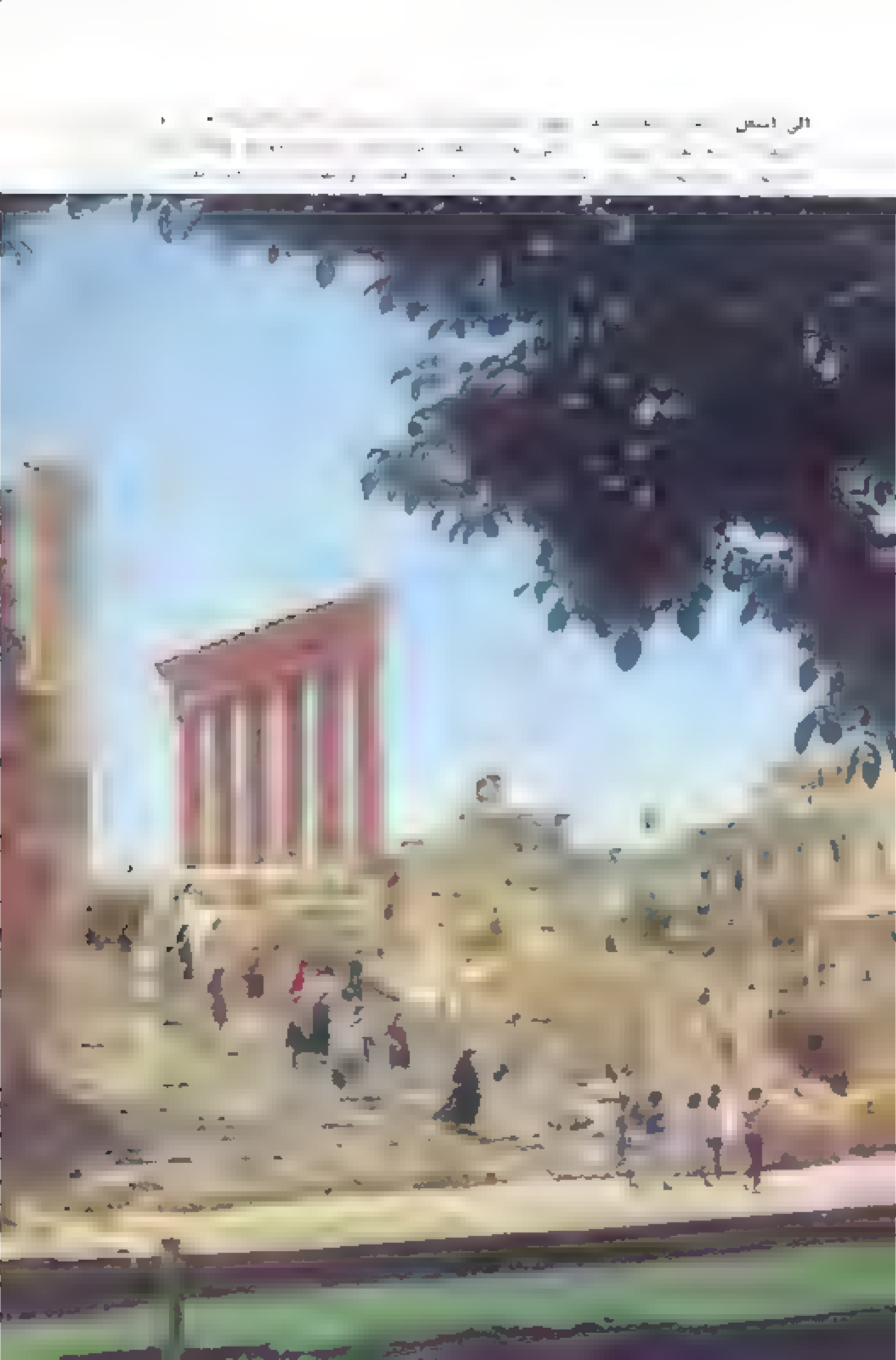
عدو الزراعة !

وبينما ترعى قطعان الاغنام والماعز في ارض البقاع ، تدور في محطة تربل ، بالبقاع الاوسط ، الدراسات لتنفيذ « المشروع الاخضر » الذي يستهدف التخلص من ٥٠٠ الف من الماعز البلدي،

مدينه باحيه
بدلا من مدينه
تعلك الحاليه







بهمة عدائها للزراعة » فالماعز البلدي يضبط دائما متلبسا بالفتك بالاحراش ، والتهام كل ما يصادفه من الخضروات ، ومع ذلك لا تدر الواحدة منه سوى ٥٠ الى ٨٠ كيلو جراما من الالبان في العام !

وقبل اصدار الامر بتنفيذ هذه التصفية الجماعية ، استوردت محطة التجارب عددا من الماعز السويسري والشامي ، لمعرفة مقدار تحمل النوعين لجو البقاع ، قبل اعلانهما خليفة للماعز البلدي

ومن نتائج التجارب الاولية على هذا الماعز الاجنبي ثبت ان الواحدة منه تستطيع ان تدر ٨٠٠ كيلو جراما من الالبان سنويا ، اي عشرة اضعاف ادرار الماعز البلدي !!

وتجري محطة التجارب اختبارات اخرى على الابقار ، والاغنام ، والدجاج بادخال عناصر اجنبية مستوردة ذات انتاج كبير لتحسين الثروة الحيوانية في البلاد .

عروس البقاع

وتقع محطة التجارب في البقاع الاوسط وهو اكثر مناطق البقاع رخاء وازدهارا .. اذ يضم اهم مدن البقاع مثل « شتورة » : قلب سهل البقاع النابض ، ومحمد العرسان في شهر العسل ، ومركز اطايب الاطعمة والاجبان الشهية .. كل ذلك وسط اطار خلاب من صنع الطبيعة ..

وبعد شتورة تأتي « عروس البقاع » المدينة التي خلدها شوقي بشعره ، واحياها عبد الوهاب بالحانه وغنائه

ﻧ ﺣﻠﺔ ﺍﻟﻮ ﺩﻯ ﻃﺮﺏ ﻭﻧﺎﺩﻯ

ﻣﺎ ﻳﺸﺒﻪ ﺍﻻﺣﻼﻡ ﻣﻦ ﺫﻛﺮﺍﻟﻪ

انها « زحلة » .. مدينة الكروم ، والنارجيلة ، والكيف والمقاهي التي تتخللها مياه البردوني الباردة ، التي ما تكاد تراك « البطيخة » فيها لمة مطلق حتى تتشقق من تأثرها ببرودة الماء الزائدة !

لقد اصبحت زحلة عاصمة البقاع ، عصر

اقبال هائل على التعليم في البقاع .. وتضم المدرسة الشرقية التي تأسست في زحلة عام ١٨٩٨ اكثر من [illegible] طالب توافدوا من مختلف مدن البقاع وبيروت وحلب ودمشق والاردن ليتلقوا دروسهم في الآداب والعلوم تؤهلهم للدخول الى الجامعة مباشرة .. وتعتبر المدرسة الشرقية من اقدم المدارس التي تخرج منها اغلب الشخصيات اللامعة في لبنان .





المحافظة ، ومركز العلم والنور ، يقصدها ابناء البقاع من جميع الاطراف للتعلم فيها ..

سر المزارع الجديدة

وقاصب اخيرا في رحلة ساعة الابواب اللازمة للمزارع الجديدة التي عمت البقاع ومختلف ارجاء لبنان

لقد ظهر من هذه المزارع حتى الآن في منطقة سهل البقاع ٤٠٠ مزرعة في فترة السنوات الاربع الماضية .

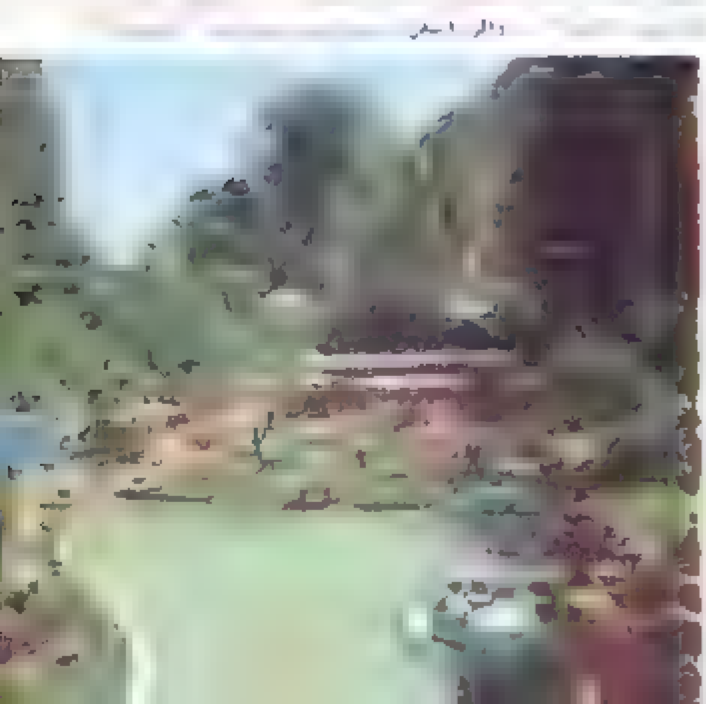
انها مزارع الدجاج التي اصبح انتاجها يكاد يوازي انتاج تفاح لبنان !!

وتكمن « شركات العلف » خلف هذه الكثرة الهائلة من مزارع الدواجن ، فهذه الشركات هي التي تشجع اصحاب الارض الفضاء على بناء المزارع ، بتقديمها تصاميم البناء البسيطة ، وبعدها ٦ آلاف كتكوت (صيصان كما يسمونها في لبنان) مع علفها اللازم حتى تنمو لتصبح دجاجا يعطي بيضا .. وبعدها يبدأ صاحب المزرعة في سداد الاقساط ، من ايراد مزرعته ، لاصحاب شركات العلف ..

الدجاج سيتغذى على انغام الموسيقى !

لقد صادفت هذه المزارع هوى في نفوس اهل البقاع ، الذين غالوا في تنظيمها والانفاق عليها سخاء زائد وصل الى ملايين الليرات ، لتصبح مزارع نموذجية من الطراز الاول ..

وفي مزرعة سرسق قرب زحلة يربون الدجاج ويطعمونه على اصوات الموسيقى لاراحة اعصابه ! لانه ـ كما يقولون ـ قد ثبت ان الموسيقى تهدىء اعصاب الدجاج ، وبالتالي تزيد الانتاج بمقدار ٦ ٪ وهذه النسبة تعني الكثير عندما يصل







مرصد « كسارة » في البقاع الأوسط ، ويقوم بتسجيل الهزات الأرضية ومغناطيسية وجاذبية الأرض . [illegible] وقد قام المرصد بعمل خريطة لمعدل سقوط الأمطار ، كما يقوم [illegible]

عدد دجاج المزرعة الى اكثر من ٤٠ الف دجاجة !

ومن اللطيف ان الموسيقى الطبة سطلق طوال النهار من الميكروفونات ولا تتوقف سوى لمدة ٨ ساعات هي الفترة المحددة لنوم الدجاجة ..

حضانة الكترونية

وقد تخصصت كل واحدة من هذه المزارع لانتاج نوع معين .. فهذه مزرعة لتربية « الفروج السوبر » ، وهذه لتربية الكتاكيت ، وتلك لتفقيس البيض .

وقد قمنا بزيارة مزرعة من النوع الاخير قرب زحلة شهدنا فيها ثماني مكنات للتفقيس تتسع كل واحدة منها لـ ٢٢٥٠٠ بيضة مرة واحدة ، وبجانبها مكنتان اخريان تتسع كل منهما لستين الف بيضة مرة واحدة ! .. انها احدث الآلات الالكترونية التي ظهرت ، تمكث فيها البيضة ٢١ يوما في درجة ٤٢ مئوية ، تمثل الدفء والحرارة التي ترقد فيها الدجاجة على بيضها الطبيعي ..

وما تكاد تمر فترة ٢١ يوما حتى تدق اجراس الآلات ، وتلمع اضواؤها الحمراء والصفراء معلنة مولد نحو نصف مليون كتكوت مرة واحدة !!

رحمة بالكتاكيت !!

وبعدها ننقل الكتاكيت مباشرة للفرز ، اي لمعرفة نوعها ، اذا كانت ديكة ام دجاجات . وتتم عملية الفرز بطرق خاصة يعرفها الاخصائيون ، منها الطريقة اليابانية التي تعتمد على اللمس ، والطريقة الامريكية التي تفحص الجناح ، والطريقة الانجليزية التي تشك الكتكوت بدبوس ..

وبعد انتهاء هذه العملية توضع الكتاكيت الذكور في أقفاص ، لتنقل الى افران خاصة ، هي افران الموت ! فلماذا يسلط الموت اللاهب على الكتاكيت لإعدامها !!

والسبب في عملية اعدام ذكور الكتاكيت تعود الى عدم فائدتها من الناحية الاقتصادية ، فالديك يأكل ضعف كمية العلف التي تأكله الدجاجة ، بينما لا يزيد حجم لحمه بالقدر الموازي لزيادة لحم الدجاج !

ومما يذكر ان بيع ذكور الكتاكيت في الاسواق يعتبر غشا .. !

٦٠ مليون ليرة دخل لبنان من الدجاج

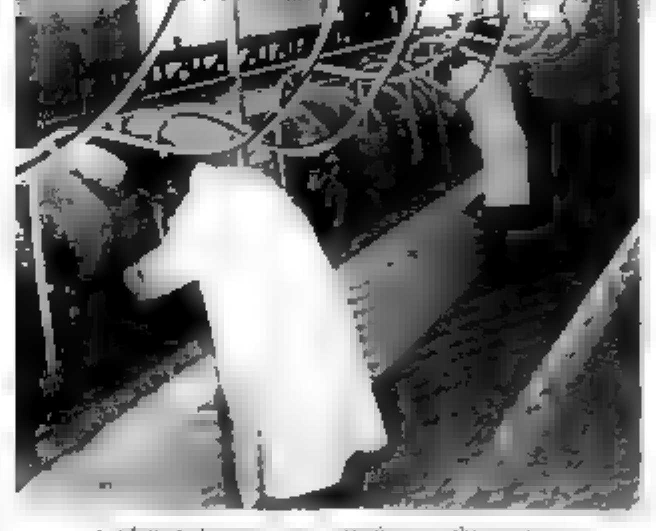
ان انتاج مزارع الدواجن ، رغم حداثة عهدها اصبح يفوق حاجة لبنان ، واصبح يغطي جزءا كبيرا من حاجة الاردن والعراق وسوريا والسعودية والكويت وبلدان الخليج العربي ..

ومع هذا التوسع الكبير للانتاج ، بدأ اصحاب المزارع يحسون بمشكلة تصريف الزيادة المستمرة في الانتاج .. انها مشكلة خطيرة بدأت تطل برأسها ، مما يستوجب تدخلا وحماية حكومية للمحافظة على هذه الصناعة الحديثة الرابحة ، التي اظهرت ارقام التصدير انها تدر دخلا على لبنان يقدر بنحو ٦٠ مليون ليرة موزعة بهذه الصورة :

٢٥٠ مليون بيضة بسعر ٣٥ مليون ليرة

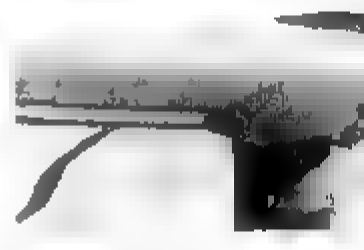
١٢ مليون فروج بسعر ٢٥ مليون ليرة

لكن الحماية الحكومية الحالية تتمثل في منع



ووصلت محطة ترين للمحاريث في صناع طيبة للماية في
ترسه عند العوس لانتاج بحصب بالطرق الآليه ... الى
... الصحة العوسيه عند العربي ، لا سعدي ٧ كيلو
... ... يبيما ووصلت محطة ترين
بواسطة ... الآليه ، الى احراز ١٣٦ كيلو حراما
من الصحة الواحدة ... والصورة لبين النماج الذي عليها لبا





استيراد الدجاج ، اما البيض فما زال يستورد من الخارج .

ويقوم مختبر الابحاث العلمية بتسليم مليوني جرعة من اللقاحات الدجاج والحيوان لوزارة الزراعة التي تقوم بتوزيعها مجانا على اصحاب المزارع ..

ثلاثة مستشفيات ولكن ..

اما العناية الصحية باهل البقاع ، فتقول وزارة الصحة : « ان الاوبئة والامراض ، واهمها التيفوئيد وغيرها من الحميات ، اختفت حتى ان لبنان كله اصبح خاليا تماما من اي اصابة بالملاريا .. » ولكن اهل البقاع - رغم هذا التقدم الصحي - ما زالوا يضطرون لحمل مرضاهم ، والتوجه بهم الى مستشفيات بيروت لاجراء العمليات الهامة ..

فالمستشفيات الحكومية في البقاع ثلاثة ، اثنان منها لم تفتح ابوابها بعد !! وهناك مستشفى واحد اهلي وملجأ للعجزة في « كفر شيما » .

الارقام تدق ناقوس الخطر

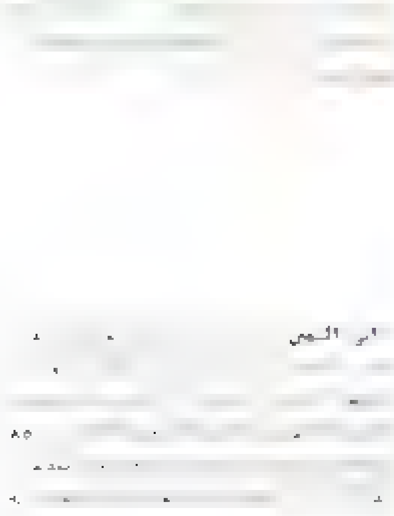
ان عدد سكان البقاع ٢٢٥ الف نسمة ، وهذا الرقم يتضاعف مرة كل عشرين عاما مع تصاعد نسبة السكان الذين كانوا في عام ١٩٢٤ نحو ٦٢٠ الف نسمة ، وصلوا الى ١٠١٢٦٠٦٠٠ في عام ١٩٤٢ ، وارتفعوا الى ٢٠٣٠٠٠٠ في عام ١٩٦٤ .

ان استمرار زيادة النمو بهذا المعدل سوف يوصل كثافة السكان بعد عشرين عاما الى ٦٠٤ نسمة في الكيلو متر المربع الواحد ، وهي نسبة هائلة .

كيف يعيش لبنان ؟

وقد تنبه المسئولون اللبنانيون الى خطورة هذا الوضع فعملوا بالخبراء العالميين امثال « فان رطنبد » و « كالمرود » ، وبعثة ايرفد ، والاب لوبريه ، وطلبوا منهم درس وضع لبنان من جميع وجوهه الاقتصادية والاجتماعية ، مع وضع برنامج يقوم على اسس علمية صحيحة لاستمرار الازدهار الذي يشهده البلد ..

ان مسئولية اطعام الافواه المتزايدة ، والمحافظة على التوازن الاقتصادي ، تقع كلها على اكتاف سهل البقاع الذي يجب ان تزاد رقعة المزروعة ، وتحسين صناعاته الموجودة ، التي تأخذ شكل







عرف بحويه اكثر من صناعات انتاجية ، فيما عدا بعض مصانع النسيج ، ومعلبات الفواكه والخضروات ومصنع السكر ، وتجفيف البصل ..

الا انه بدأت تظهر في افق البقاع مشاريع انشاء صناعات كبيرة بعد توفر الكهرباء من مشروع الليطاني .

ولكن انشاء الصناعات الجديدة ليس بالامر الهين ، لان تجار بيروت المستوردين لنفس مواد الصناعات الجديدة ، يضعون العراقيل في وجه كل مشروع جديد ، كما حدث في مشروع صناعة الاسمدة الكيماوية رغم فائدته الكبرى . حتى صناعة السكر المتمثلة في المصنع الوحيد وسط البقاع ، تعاني الامرين من مناورات التجار الذين يحاولون للحصول على اذون الاستيراد ، فيغرقون الاسواق بالسكر الابيض والاحمر .. فلما بدأت فكرة اقامة مصنع للسكر ، في منتصف الطريق بين بيروت ودمشق ، قام اصحاب المصنع بحملة توعية كبرى بين مزارعي البقاع لاقناعهم بزرع الشمندر السكري بدلا من البطاطا ، وقدموا للمزارعين البذور .. والتزموا على شراء انتاج ارضهم جميعا .. وفرح الفلاح وبدأ يزرع الشمندر فربح ضعف ربحه من البطاطا .. واصبحت البقاع تزرع اليوم ٢٠٠٠٠ دونم من الشمندر (البنجر) ولكن الفرحة لم تتم . اذ فوجيء المزارع هذا العام باصحاب المصنع يبلغونه بانهم غير مسئولين عن شراء انتاجه من الشمندر طالما ان الحكومة اعطت للتجار اذون استيراد السكر !!

ان استهلاك لبنان من السكر يبلغ ٨٠ الف طن سنويا ، وانتاج هذا المصنع ممكن الوصول به الى ٦٠ الف طن ، ولكن عدم توفر الحماية الكافية يجعله لا يبيع سوى ٢٥ الف طن !

تضارب

والى جانب الشمندر يزرع البقاع : البطاطس والبصل ، والحمص ، والقمح والشعير .. وهذان الصنفان الاخيران لهما قصة عجيبة .. فالكمية المزروعة منهما تعطي ٧٥ الف طن من القمح والشعير ، وهي كمية لا تكفي لسد حاجة البلاد ابدا ، فتضطر لاستيراد ٧٥ الف طن اخرى .. واتجهنا للتو نسأل وزارة الاقتصاد والتخطيط عن سبب عدم التوسع في زراعة القمح فاجابونا :

« ليس من مصلحة لبنان زرع شبر واحد من القمح ، لانه من المحاصيل الفقيرة التي لا تأتي بدخل ، فالسعر العالمي اقل من سعر التكلفة في لبنان ، لهذا نحبذ عدم زرع « المحاصيل الفقيرة » لنفسح المجال امام المحاصيل الاخرى التي تأتي بالربح وايراد افضل » .

ولكن ما تقوله وزارة الاقتصاد يتعارض مع ما تقوم به مصلحة الابحاث العلمية الزراعية ومكتب القمح .. فالاولى تنفق الاموال لاستنباط انواع جديدة من القمح الخشن والطري .. والثانية تشتري القمح من الزارع باسعار تشجيعية عالية !!

وبين هذه المؤسسات الحكومية الثلاث وقفنا مع الزارع اللبناني حائرين لانه لا يعرف لنفسه سياسة مرسومة او تخطيطا مدروسا !!

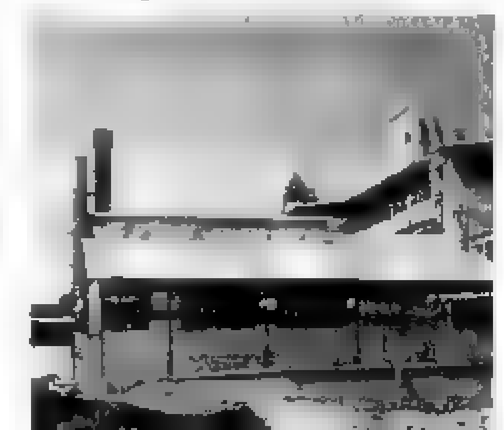
بستان الشرق

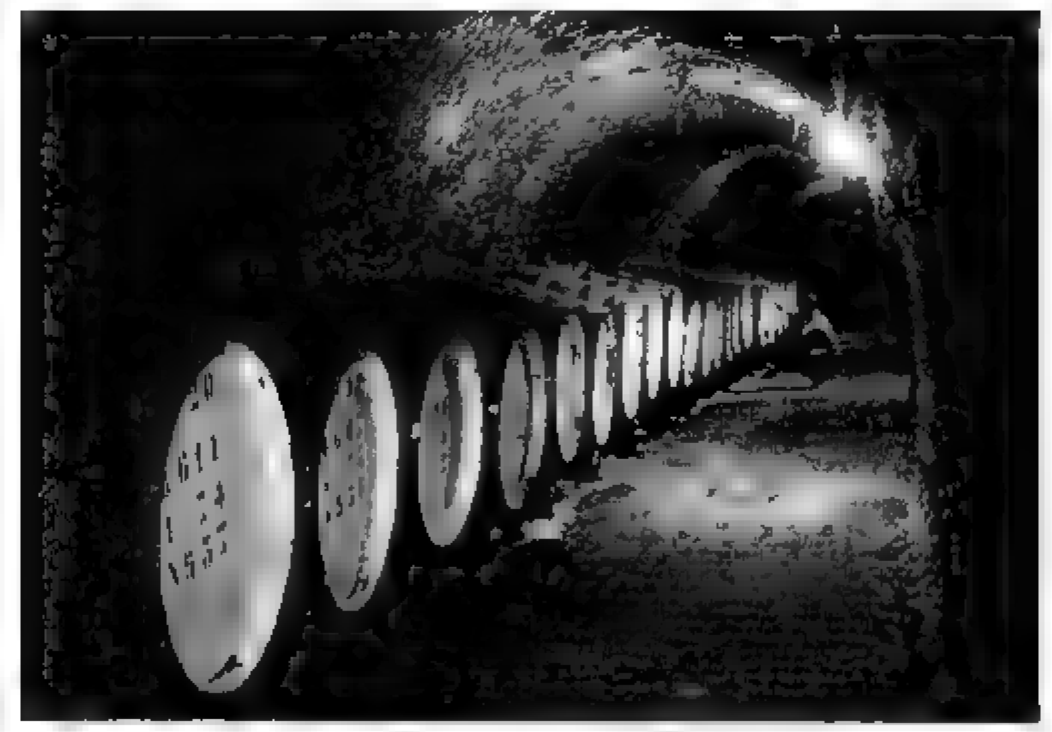
لقد مضت خمس سنوات على استصلاح « سهل البقاع » تم خلالها انجاز اعمال ضخمة جبارة غيرت حال السهل ، وحال الناس انفسهم ، الذين يفخرون ويقولون لقد اصبح عندنا اكتفاء ذاتي .

« فاصبحنا نحصد ما نزرع ، ونلبس ما نصنع ، ونشرب ما نعصر » ..

ولكن جمال هذا الكلام يجب الا ينسينا ان مسئولية البقاع لا تقف عند حد سد حاجته او حاجة لبنان فقط ، بل يجب ان يمد منطقة الشرق العربي كله من انتاجه ..

مصنع السكر ، الذي تكلف حوالى ثمانية ملايين ليرة ، والذي من اجله ادخلت زراعة الشمندر السكري الى سهل البقاع





[illegible] قرية « كسارة » في البقاع كروم عنب المستوردة سلالاتها من فرنسا منذ مائة عام .. وعلى هذه الزراعة [illegible] الذي يصنع منه سنويا [illegible] من مختلف الانواع [illegible] ولكن [illegible] تخزين [illegible] في كهوف [illegible] تحت الارض ، [illegible] حتى يزداد [illegible] مع مرور السنين

ان البقاع يستطيع ان يتحول الى بستان الشرق الهائل ليضم اشجار التفاح والليمون والكرز والدراق ومزارع الخضراوات والحبوب ..

مطلوب طرق ومطار

ان الله لا ينقصه .. فالانهار والينابيع والامطار تنساب في كل مكان .. ومشاريع الري التي كانت تنقصه بدأت تظهر الواحدة منها وراء الاخرى .. والكهرباء والهاتف والبريد اصبحت في كل قرية من قرى البقاع تقريبا ..

والمدارس اصبح عددها ٢٥٠ مدرسة تضم اكثر من ٦٠ الف تلميذ من ابناء وبنات البقاع ..

والطرق اصبحت تربط بين القرى والمدن ..

ولكن ما زال البقاع في حاجة الى طرق تزيد من ربطه مع الساحل .. وما زال في حاجة الى مطار مدني كبير .. وما زال ينقصه زيادة عدد المدارس ، وخاصة المهنية ، والملاعب والمستشفيات .. وما زال ينقصه ليزرع نحو ٢٥٠٠ كيلو متر من ارضه الزراعية التي لم تستغل بعد ..

انقضى عهد السجع

اما اغنية ابن البقاع فهي صور الفكرة الخاطئة المطبوعة عنه في اذهان الناس ، الذين ما زالوا يذكرونه وكأنه ما زال يعيش في العهد العثماني ، عيشة قبلية عشائرية متأخرة !

ان البقاع اليوم هو من اكثر المناطق العربية حركة ونشاطا .. لقد انقضى الزمن الذي كان يقال فيه « ما اطيب الهواء العليل ، والماء الزلال السلسبيل ، والوجه الحسن الجميل » .. لقد انقضى عهد السجع والمجاملات هنا ، وبدأ عهد الجد والعمل والكفاح ، في سبيل مستقبل افضل لبقعة عزيزة من بلاد وطننا الكبير ..

سليم زبال

طرائف عربية

خير الاصهار

● قال عبد الله بن عبد الله بن طاهر :

لكل ابي بنت يرجى بقاؤها
ثلاثة اصهار اذا ذكر الصهر
فبيت يغطيها ، وبعل يصونها ،
وقبر يواريها ، وخيرهم القبر

وقال عقيل بن علقمة وكان اغير العرب

انى وان سيق الي المهر
الف وعبدان وذود عشر
احب اصهارى الى القبر

اكراما للسيدة عائشة رضى الله عنها ..

● روى عن ابن الجصاص انه قال يوما : « اللهم امسخني حورية وزوجني بعمر بن الخطاب » .

فقالت له زوجته : « سل الله ان يزوجك من النبي صلى الله عليه وسلم » .

فقال : ما احب ان اكون ضرة لعائشة رضى الله عنها !

مفارقات

● في بعض البلاد الشرقية لا يرى الزوج امرأته قبل الزواج . وفي بعض البلاد الغربية لا يراها بعده !

من اقوال حكماء العرب المأثورة

● وفي الجملة ، الخلق اسحن مشتق من الخلق ، فكما لا سبيل الى تبديل الخلق ، كذلك لا قدرة على تحويل الخلق ، لكن الحض على اصلاح الخلق وتهذيب النفس لم يقع من الحكماء بالعبث والتجريب ، بل لنعمة عظيمة موجودة ظاهرة ، ومثاله ان الحبشي لا يبيض ، ولكن يعسل بالماء والغسول لا ليستفيد بياضا ، ولكن ليستفيد نقاء شبيها بالبياض ، ويقال للهذار « اكفف » لا لكف عن النطق ، ولكن ليؤثر الصمت .

ويقال للموتور : « لا تحقد » لا ليزول منه ما حنق عليه ، ولكن ليتكلف الصبر ويتناسى الجزاء على هذا ابدا .

لكل مقام مقال

● قال الحجاج لامرأة من الخوارج :

ـ اقرئي شيئا من القرآن .

فقرأت :

اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس (يخرجون) من دين الله افواجا .

فقال : ويحك يدخلون !

قالت : كان ذلك في عهد اسلافك ، وانما في عهدك يخرجون ! ..

قالوا : ● الصمت اوجد للمراد من النطق ، والتسليم اظفر بالبغية من البحث .

فاطر السموات وفاطر رمضان

● رأى احدهم محمدا النائلي وهوجالس في مقهى يدخن النارجيلة ، وكان اليوم من رمضان ، فقال له :
ــ لا يصح ولا يليق ان تفطر في رمضان واسمك كاسم النبي . .
فقال على الفور : انما انا من حرب فاطر السموات والارض .

لباقة

● سأل زياد حارثة بن بدر :
ــ من اخطب : انا ام انت ؟
فقال : الامير اخطب اذا توعد او وعد وبرق ورعد ، وانا اخطب في الوفادة والثناء والتحبير . وانا اكذب اذا خطبت ، والامير يقصد الحق ، ولا يزيد الا في العطاء .

شروط المنادمة

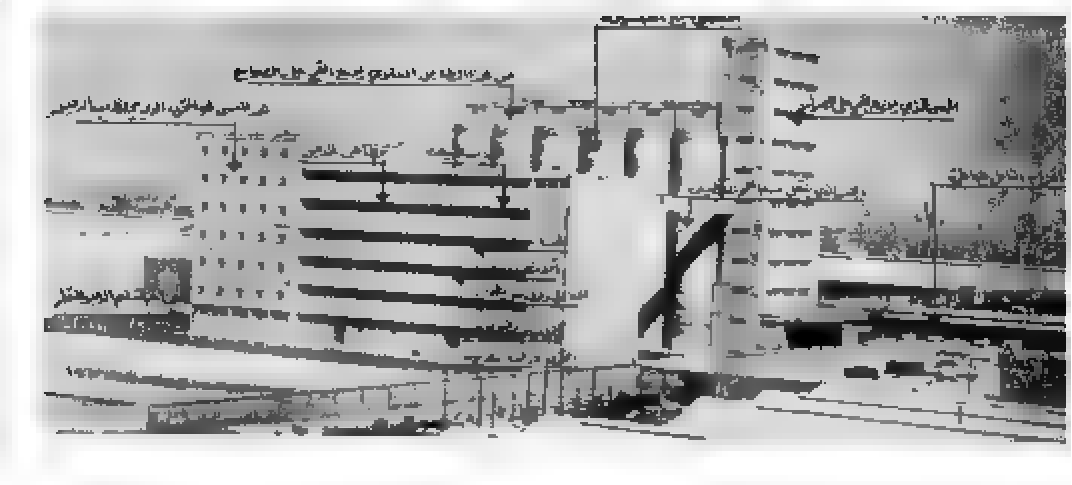
● قال بعض الظرفاء : شرط المنادمة قلة الخلاف ، والمعاملة بالانصاف ، والمسامحة في الشراب ، والتغافل عن رد الجواب ، وادمان الرضى ، واطراح ما مضى ، واسقاط التحيات ، واجتناب اقتراح الاصوات ، واكل ما حضر ، واحضار ما تيسر ، وستر العيب ، وحفظ الغيب .

حذلقة وسرعة خاطر

جيء لابي علقمة النحوي بغلام يخدمه فاراد يوما البكور في حاجة له ، فقال :
ــ يا غلام اصقعت العتاريف ؟
فقال الغلام : زقفيلم !
فقال ابو علقمة : وما زقفيلم ؟
فاجابه : وما العتاريف ؟
قال : الديوك !
فسأله : وما زقفيلم ؟
قال : زقفيلم ، يعني لم تصح بعد !

آراء للعرب اخرى

● من احرق عقربا طرد برائحة حرقها عقارب ذلك البيت
فاما حمة العقرب فهي جوفاء كهيئة الزمار مصمعة الراس مكونة للدغ ، فاذا ضربت شيئا تحركت فتخرج سمها وجرى في حمتها وسرى في الملسوع .
الاناث من بنات عرس انما تلقح من افواهها وتلد من آذانها .
من عادة هذا العرس ان يسرق ما وجد من حلي الذهب والفضة ، ويخبئه في حجرته ، فان وجد ايضا في البيت حبوبا خلط بعضها كان عمله عمل الطحانين في خلط التوابل .
الفار الفارسي اطيب ريحا من كل طيب



أحدث مطحنة للدقيق في الكويت

آلة تعبئة الطحين : هذه الآلة تعمل بعاملين ، وتعبىء الطحين في أكياس سعة ٥٠ كيلو جراما بمعدل ٢٠ طنا في الساعة ، وتعبأ الأكياس بالكمية الصحيحة وتخاط وترسل الى مخزن الأكياس بصورة آلية .

آلات الطحن : هذه هي الآلات التي تطحن القمح ، وهي تقوم بالطحن بطريقة تدريجية ، وكل آلة لها عمل يختلف عن الاخرى .

■ هل تساءلت يوما ، وانت تأكل رغيف الخبز ، عن المدة التي استغرقتها طحن حبة القمح لتصبح دقيقا ناعما تصنع منه رغيفك ؟

قد تظن انها ثوان .. او دقائق ...

ولكن الواقع ان طحن حبة القمح اصبح يستغرق مدة نصف ساعة كاملة ليتحول الى دقيق ، داخل المطاحن الحديثة التي احدث مكان المطاحن الرحوية القديمة التي كانت تدار باليد ، او الهواء ، او الماء ، او البخار .

ان مطاحن اليوم اصبحت مطاحن آلية ضخمة تدار من غرفة خاصة بواسطة الضغط على الازرار ، فتسير دواليب المكنات دون حاجة الى عمال !

والدافع الاكبر وراء انشاء هذه المطاحن الكبيرة الآلية يعود الى مطلب الجماهير للرغيف النظيف ..

وفي الكويت ارتفعت الاصوات شاكية من رداءة الدقيق واوساخه ، وحاولت



تدفع اكياس الدقيق من المخزن آليا حيث تسلم للتجار زنة ٥٠ كيلو جراما .

البلدية مبثا السيطرة على نظافة الدقيق الذي كان يرد من مختلف الانحاء مطحونا جاهزا ، مما يجعل مهمة مراقبته مستحيله .. وهنا اتجه تفكير المسئولين في البلدية الى انشاء مطحنة كبيرة حديثة تكون مسئولة عن نظافة الدقيق .. وما كادت تتبلور الفكرة حتى تبنتها وزارة المالية الكويتية ، فأعلنت عن تأسيس شركة مطاحن الدقيق ، واكتتبت هي بنصف مليون دينار اي نصف قيمة راس المال .. وطرحت للاكتتاب اسهما بمبلغ مليون دينار اخرى ... وما كاد الاكتتاب يفتح حتى غطاه الجمهور بمقدار ٢٦ ضعفا ..

ولكن الحكومة اصرت على الاشتراك مع القطاع الخاص منعا لاي تلاعب ممكن ان يحدث في اسعار الدقيق الذي هو مادة غذائية رئيسية لافراد الشعب ..

ان الهدف الرئيسي من اقامة الشركة هو - كما سبق - وذكرنا تأمين الرغيف المكتمل صحيا للمواطن ... لهذا جاءت المطحنة على احدث طراز واكمله .. وقد بلغ ثمن المطحنة بمفردها ٧٠٠ الف دينار .. وقد تم تركيبها على الارض التي اعدت اعدادا خاصا لتحملها ، وبعدها بدأ البناء حولها ، الذي جاء مكونا من خمسة طوابق ، مما يعطينا فكرة عن مدى ضخامة المطحنة ..

اما تكاليف المشروع كله ، بما فيها تركيب الآلات والاعمال الكهربائية .. والمباني المدنية ، والمطحنة فقد بلغت ١٧٠٠٠٠٠ دينار .

وتقوم هذه المطحنة بطحن ١٥٠ طنا من الدقيق يوميا،اي ما يزيد عن استهلاك

هذه الفلاتر لسحب الغبار من القمح .



الآلات التنقية : الغرض من هذه الآلات هو فصل الاجزاء الصغيرة من النخالة العالقة بالطحين ، كما انها تقسم الطحين الى انواع مختلفة من حيث النعومة والخشونة والنقاوة .

الكويت أبدي يتراوح بين ١١٠ و ١٣٠ طنا يوميا .. وباستطاعة المطحنة زيادة انتاجها الى ٢٠٠ طن يوميا

ان الكويت ليس بلدا زراعيا ، لهذا يعمد الى جلب كل حبة قمح من الخارج بالبواخر ، التي ترسو على الرصيف البحري قرب المطحنة .

وتتم عملية تفريغ القمح من السفن بأنابيب تعمل بالهواء المضغوط .. فما تكاد الانبوب توضع في عنابر السفينة حتى تسحب القمح بسرعة ١٥٠ طنا في الساعة ، لتنقله الى حزام دائري متحرك يوصله الى الصوامع الكبيرة .. حيث لن يراه احد بعد ذلك الا وقد اصبح دقيقا !

لأن جميع العمليات التالية ، وعددها



غرفة الضوابط الكهربائية ومنها تتم ادارة ومراقبة سير المطحنة .

١٦ عملية ، يتم آليا في مكنات مقفلة لا تلمسها يد الانسان ..

ان الصوامع الكبيرة التي يحفظ فيها القمح هي بمثابة قلب المطحنة فهي التي تتسلم القمح من الباخرة ، وهي التي تسلمه للمطحنة . كل هذا عن طريق احزمة متحركة ناقلة ..

وقبل ان تنتقل حبة القمح الى المطحنة تمر بفترة صحية قاسية ، لا يحسدها عليها احد ! فهي تمر اولا في مكنة التنظيف التي تنزع عنها قشرتها وتزيل ما علق بها من اتربة واوساخ .. وفي احد الاركان يوجد مغناطيس قوي يجذب كل ما يكون قد اندس من معادن بين حبات القمح ..

وتظل حبات القمح تنتقل بواسطة الاحزمة الآلية والمصاعد للتنظيف ٥ مرات متتالية ، ثم تجرى عملية تقسيم الحبات حسب احجامها .. وتنقل الحبات الكبيرة الى المغسل حيث ترش بالماء ثم تبدأ عملية تفقد فيها حبة القمح وحدتها وتكوينها اذ تتكسر لتتحرر قبل ان تطحن وتغربل لآخر مرة لتصبح دقيقا معبأ في اكياس وزن كل منها ٥٠ كيلو جراما ..

وتنتقل الاكياس الى مخازن خاصة كبيرة مفتوحة لضمان تهوية الدقيق ، حتى لا يفسد .. ومن هذه المخازن يتم



الداخل : تنقل هذه الآلات الدقيق الآلي من المطاحن، وتقسمه الى عدة اصناف، وتعيد الخشن منه الى آلة الطحن المناسبة لمزيد من الطحن .



الردة انها قشرة القمح وهي تعبأ في اكياس زنة ٥٠ كيلو وتعطى كطعام للماشية .



مخزن اكياس الطحين .. انه مصاعد كهربائية تنقل الاكياس وتستطيع ان تخزن ١٥٠٠ كيس طحين.وتخزينها بهذه الطريقة يضمن لها التهوية التي تساعد على ابقاء الدقيق بحالة جيدة .

تزويد التجار بحاجتهم من الدقيق ... ولا يسمح بالبيع الا لمن يشتري عشرين كيسا على الاقل ..

وينقسم الدقيق الى ثلاثة انواع ، طبقا لنعومته ومقدار النخالة التي به . واطلقوا على هذه الانواع اسماء : صفرين .. ثلاثة اصفار .. اربعة اصفار ..

ولكل منها استعمال خاص به ، فالاول يصنع منه الخبز البلدي المحلي .. والثاني يصنع منه الخبز العربي الشامي .. والثالث يصنع منه الخبز الافرنجي .

وقد نزلت الى الاسواق اخيرا اكياس بها دقيق خاص للحلوى ..

ومما يذكر ان الشركة بدأت اعمالها باجراء التجارب على آلات المطحنة لمعرفة

أجهزة تمنع تطاير من الهواء وهذه الاجهزة هي لفصل الهواء عن الدقيق فبعد ان يمر القمح في الطاحن ترفعه مراوح هوائية الى هذه الاجهزة ومنها ينزل الدقيق الى آلات اخرى ، بينما يذهب الهواء للخارج بعد ان يمر في جهاز لتنقيته من الغبار .

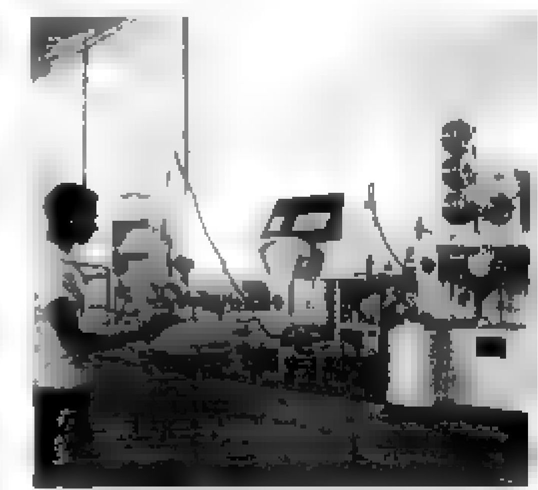
قوة تحملها . وجاءت النتائج محققة للآمال الكبار المعقودة على الشركة .. فقد استطاعت الآلات تحمل ضغط عمل متواصل بلا انقطاع لمدة ١٧٦ ساعة دون حدوث اي خلل او عطب .

وتحتفظ الشركة في صوامعها بثلاثة وعشرين الف طن من القمح تمثل احتياج الكويت لمدة ستة أشهر على الاقل .

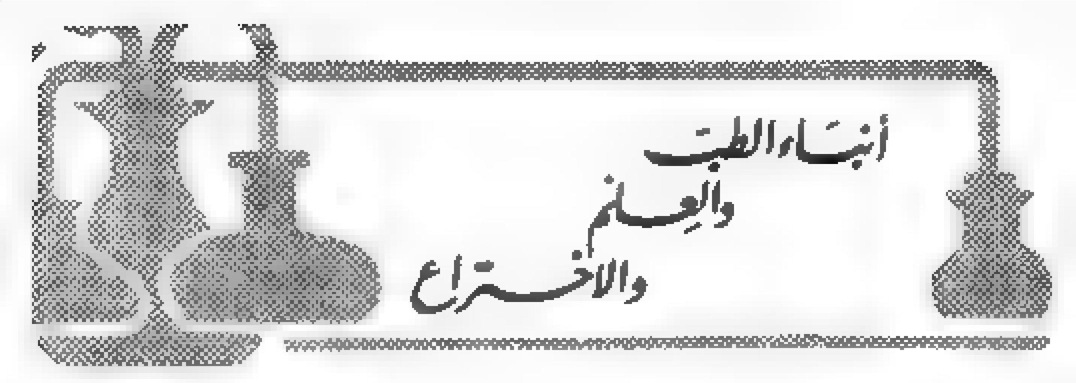
وقد عمدت الادارة الى سياسة حكيمة اذ تعاقدت مع الفنيين الذين قاموا بتركيب الآلات لما لهم من كفاءة ودراية بكل صغيرة وكبيرة في المكائن ..

ان شركة مطاحن الدقيق التي لم تر الشمس الا منذ بضعة اشهر بدأت تلمس حدوداً امامه اكثر من مشروع حيوي يستمد مواده من الدقيق ..

ان هذه المشاريع سوف ترى النور في القريب العاجل ليحصل من الكويت بلداً منتجاً لما يستهلك .



في هذا المختبر تعمل تجارب كل ساعة على انتاج المصنع لمعرفة مدى جودة الانتاج ونوعية الطحين



الفول السوداني ، قد ينطوي على سم

● حدث في عام ١٩٦٠ ان مات عدد كبير من صغار الدبكة الرومية في انجلترا ، وبالفحص وجدوا هناك ان الموت كان بسبب سم جاء من عفن خاص . وبالفحص وجدوا أن هذا السم ، واسموه أفلاتكسين Aflatoxin ، سم ينتجه العفن المعروف بالاسم العلمي Aspergillus Flavus . واليه نسبوا سرطان الكبد وهم وجدوه في الحيوانات التي تأكل هذا الفول العفن .

ومن ذلك الوقت اتخذت الولايات المتحدة احتياطاتها فيما يختص بالفول السوداني Peanuts ، وهو منتشر بين سكان الولايات غذاء طيبا ، وهو كذلك يستصنع منه أشياء كثيرة .

وقد نشر ثلاثة علماء من ولاية تكساس ، في عام ١٩٦٥ ، بحوثهم في هذا الموضوع ، وفيها ان هذا العفن لايوجد في قرون الفول السليمة ، التي لم يتكسر قشرها .

وقد قامت مختبرات ستة في الولايات المتحدة كبيرة بفحص عينات كثيرة من الفول المقشور ، ومن دهن هذا الفول ، ومن طحينه . فأخذت من المقشور ٢٨٠٠ عينة ، ومن الدهن ١٤٠٠ عينة ، ومن الطحين ٢٠٠ عينة .

وخرجت فيما خرجت به على ان جزءا من الف فقط من هذه العينات التي تطرح للطعام هي التي اصابها هذا العفن بسمه



الحفر عن البترول تحت الماء

[illegible]

وجبات ، تحملها الى المنازل عجلات

● هذا اسم مشروع ، بدأ في لندن منذ عام ١٩٠٥ .

وهدفه اجتماعي ، رحمة بالعجزة من المرضى الذين هم حبيساء في منازلهم ، لا يستطيعون ان يغادروها . وهم بالطبع لا يستطيعون ان يسوقوا الطعام في اسواقه ، او يطبخوه في مطابخهم . واكثرهم المسنون . واكثرهم الوحيدون الذين لا يكاد يطرق بابهم طارق .

واحصوا من عدد هؤلاء في عام ١٩٦٠ في لندن ٢١٠٠٠ .

والجمعية التي تقوم بهذا خيرية ، تنفق على الاغذية ، شراءها ، وطبخها وتجهيزها ، وحملها على عربات والطعام بها ساخن ، الى منازل هؤلاء الذين حرموا نعمة هذه الحياة من صحة ومن حركة . وهي تبيع هذه الاغذية لهؤلاء بثمن الكلفة .

وفي الامم المتقدمة بيوت للعجزة ، يعيشون فيها ، ويدفعون فيها بالقدر الذي يستطيعون . وفيها العناية الطبية قائمة . وهي بمثابة ملاجىء ، صنوها بين المنازل والمستشفيات . ويلتجىء اليها ليس الفقير خاصة ، ولكن المعوز الوحيد الذي تقطعت علاقاته باهله .

والوجبات التي تحملها الى المنازل العجلات ، مشروع كان القصد منه تخفيف الضغط من تلك البيوت .

ولكن اتضح من تقارير نشرت في انجلترا واسكتلنده والولايات المتحدة ان هذا المشروع لم يحقق كل الغاية منه . فتفرق هؤلاء الناس يجعل العناية الطبيه بهم عسيرة .

ثم الوحدة القاتله التي يشعر بها هؤلاء الناس . فالطعام الحاضر اتت به يد ، فهي تقضي حاجة الحياة ، ولكنه لا يقوم بحاجة النفس الى الاجتماع بالنفس ، واسماع النفس صوت النفس ، والاستماع لها .

طائرات تغير اجنحتها

● من البحوث الحديثة في عالم الطيران بحث يتركز في كيف ترفع الطائرة عن الارض ، دون ان تجري على الارض مسافة طويلة تكتسب فيها سرعة تأخذ بعدها ترتفع عن الارض ثم تطير . وهكذا هي تفعل عند الهبوط . البحوث الجارية هي تقصير هذه المدارج الطويلة على الارض ، وما يترتب عليها من تصغير ساحات الطيران لاسيما في المدن .

وكانوا ابتدعوا طائرة يستطيع قائدها ان يوجه محركاتها بحيث تسير بالطائرة قدما في الهواء وهو يوجهها بحيث ترفع وجهها الى اعلى ، فتطير بالطائرة ، كما تفعل الهلكبتر .

وفي الصورة نرى الطائرة Xc 192 A في الوضع الذي ترتفع فيه الى اعلى ، في مساحة من الارض صغيرة ، ثم في الوضع الذي تطير به في السماء . والملاحظ ان الذي توجه الى اعلى ليس محركاتها الاربعة فقط ، بل والجناحان اللذان حملاها . وضع الجناحين في الصورة الاولى رأسي ، ووضعهما في الثانية افقي كالذي لمعهود في الطائرة .

قلوب مصطنعة

● دخلت هذه السنوات في مصر في الطب جديد . جديد في كثير من نواحيه واهدافه . ومن هذه النواحي والاهداف استعاضة اعضاء سليمة مكان اعضاء في الجسم مريضة . كاحلال كلية سليمة من رجل يتطوع بها مكان كلية مريضة لرجل لم يبق له امل في الحياة الا بالاستعاضة بها .

وفي نفس الوقت اتجه الطب الى احلال اعضاء مصنوعة من لدين (بلاستيك) وغير لدين ، مكان اعضاء مريضه . ومن ذلك ازالة صمامات قلب





تالفة وتعويضها بصمامات صنعها الانسان من لدائن .

والنجاح يغري بالنجاح ويزيد الاطماع . واليوم يطمع الطب في احلال اعضاء كاملة مصنوعة من لدائن مكان اعضاء تالفة هي من صنع الطبيعة في اجسام المرضى .

وتتجه الامل الاكبر الى القلب . نعم القلب كله . يريدون أن يستبدلوه كله بقلب من لدائن .

انهم في جراحات القلب الحاضرة ، وهي تستغرق وقتا ليس بالقليل ، صنع العلماء قلوبا خارج الجسم ، من مواد لادخل لانسجة الجسم فيها ، فهي من لدائن ومعادن . ووصلوها بدورة الانسان ، فقامت مقام القلوب لتجرى الدماء ، بينما الجراحون يصلحون من خلل هذه القلوب ما يصلحون . ثم تعاد الروابط الى ما كانت عليه .

هذا في ذاته عمل عظيم .

ولكن اعظم منه استبدال قلب مصنوع بقلب مطبوع .

ان القلب مضخة ، تتلقى الدم من الاورده ، وتضخه الى الرئتين لتتهوى وليحمل من اكسجين الهواء ما يحمل ، ثم هو يعود الى القلب لتضخه مره اخرى الى الجسم يدور في شوارعه والازقة يزود خلايا الجسم بالغذاء .

الخشب الذري ، بعد الخشب الطبيعي

● اسم محسوب . انه الخشب الذري . ولكن يطمئن منه ان الذره لا تدخله الا اشعاعا ، ثم لا يكون بعد ذلك من الذرة شيء .

انه ابتداع جديد خطير ، حتى لعدوه من الابداعات العشر الاولى التي تمخض عنها العلم في عام .

انه خشب مشرب باللدن (اللاستيك)، من ان سعد فيصبح لدنا جامدا . وهو سعد بالاشعاع الذري يخرج من الذرات المشعة ، كالكوبلت المشع مثلا .

والنتيجة خشب ولدن معا . وهو نتاج يحتفظ بشكل الخشب ، ولونه ، لان تلدينه لا يتم بالحرارة وكذلك هو يحتفظ بتعريقه الخشب ، ولكنه يزيد منه قوة . يضاف الى ذلك ما يعطى اللدن من خواصه المرونة .

والخشب اللدني ينشر ، ويخرق ، ويخرط ، ويصالح سطحه فيعطي سطحا جامدا ولكنه املس كالحرير .

واذا اضيف لون الى سائل اللدين قبل تشريب الخشب به ، عم اللون الخشب كله ، فكانما كان طبيعيا .

وقد اجرى التلدين على خشب الصنوبر الابيض والاصفر ، وعلى الارو والتامول ، وكل نجح .

اما تجهيز التلدين فبسيط . يحفر الخشب اطوالا واسماكا مطلوبة . ويحضر سائل التلدين وفيه الجزيئات الكيماوية البسيطة Monomer التي سوف تشتبك بعضها في بعض لتكوين الجزيئات الطويلة Polymer التي هي اللدن الجامد بعد تجهيزه . تماما كما تشتبك الحلقة الحلقة فالحلقة عشرات المرات لتتكون منها السلاسل الطويلة .

اما الذي يعمل على شبكها كيماويا فهي الاشعة الذرية المعروفة باشعة ج Gamma ray كالتي تخرج من عنصر الكوبلت المشع ، ومن اجل هذا جاء اسم

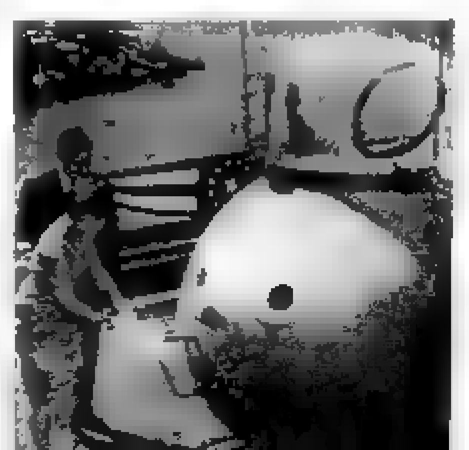
غواصة لرجلين

● انها غواصة تتسع لرجلين فقط ، سميت باسم الآلهه الصبقيه عشيراب ، وصنعوها لبحث العرف القاري في الشمال الشرقي من الولايات المتحده ، ذلك الذي تغطيه مياه المحيط الاطلسي .

والغواصة تستطيع ان تهبط الى عمق ٦٠٠ قدم ، وان تسير بسرعة اربعة اميال بحرية في الساعة (الميل البحرى ٢٠٢٦ ياردة) .

ولها محركان جانبيان،يمكن توجيههما الى نواح عده ، وبذلك يمكن بهما تحريك الغواصة الى كل اتجاه امعي ، كما يمكن رفعها من الماء او خفضها فيه،فهي في الماء، قاربت الهلكوبتر في حرية حركتها في الهواء.

وسوف يستخدمها الاستاذ كوبوفر ، الاستاذ المساعد لعلوم المحيطات بجامعة رود ايلند Rhode Island للكشف عن صنوف



الغواصة عند تعشيتها ، وتعشينها ـ وفقا للتقاليد ـ زوجة عالم الاثار ، جورج باس صاحب فكرة المشروع .



طالب في جامعة فرجينيا ، يضع عينات من الخشب في الانابيب التي في الصورة لتشربها بسائل اللدين قبل تقديمه . ويجد السائل في الاسطوانات التي في اعلى الانابيب . والاشراب يكون بضغط السائل في الخشب . ومن مميزات اشراب بعض الخشب لانسجة جافا او جيم لنسيج اللدين وقد ملأ كل فراغ في النسيج الخشبي .

هذا الخشب : الخشب اللدني . وان شئت فالخشب اللدنني

انه لم يخرج الى السوق بعد ، ولكنه اوشك على الخروج ، والى عالم الصناعة والتجارة .

ان اللدن في اول امره لم يسمع به الا العلماء . اما الناس فراوه شيئا مصنوعا : اطباقا ، او معالق ، او علبا ، او اغطية قد غطيت بها الموائد في المطاعم حتى ناسه تصلها العاسل من بعد طعام ، فتلمع كما لمعت اول مرة .

النبات الموجودة عند هذا الجرف تحت ١١ قدما عمقا .

واما الاستاذ مالك ماستر ، استاذ الجيولوجيا ، فقال انه سوف يستخدمها للكشف عن النجاد والوهاد والوديان الموجودة في تلك الاعماق .

وبالغواصة ست نوافذ تاذن بالرؤية ، الى امام ، والى تحت ، والى الجانبين .

ولعل الغرض الاول من صنع هذه الغواصة الباكرة هو اكتشاف الصعوبات التي يجدها العامل ، وهو يحتشق منها .

وذلك حتى تكون الغواصات التي تبنى بعد ذلك افضل واسهل واوفى باغراضها .

والدرس المستفاد من هذا الخبر ، وغيره مما يتصل بالغواصات والطائرات من شتى الانواع ، انه يدل على مقدار المجهودات التي يبذلها الانسان في هذا العهد الحديث الذي اغرى بافتتاحه قول القائلين انه قبل بحوث الفضاء يجب ان يبحث الناس ما هو اقرب اليهم : اعماق الماء .

الغواصة وقد عادت من غطسة تجريبية في الماء .





دهاء نبيل .. ودهاء ممقوت !

من جريدة « اليمامة » السعودية .

كان عمر بن الخطاب مشهورا بالدهاء، وكذلك كان عمرو من الرعيل الاول من رجالات الاسلام .. لكنه كان دهاء نبيلا يصفه المغيرة بن شعبة بقوله « كان له عقل يمنعه من ان يخدع ،وكان له فضل يمنعه من ان يخدع » .

وهذا هو الفرق بين دهاء عمر ورهطه، وبين دهاء ساسة هذه الايام الذي يقوم على الخديعة والمكر والتحايل . كل ذلك ليسلبوا الشعوب خيراتها وثرواتها ، كما نشاهد في الكونغو وفلسطين وجنوب افريقيا من البلاد التي اصبحت مسرحا لالاعيب الساسة ، وتنفيذ مخططاتهم الاستعمارية . وذلك هو الدهاء (الممقوت) الذي يسعى الى الشر والاستعباد ، اما دهاء عمر وصحبه فقد كان دهاءا نبيلا خيّرا يدفع الشر عن الناس ، لا يسعى ليصيب الناس به !

ولو ان الله قد اتاح للارض دهاة من هذا الطراز لتشطت البشرية الى العمل لخيرها ، ولساد الحب والتفاهم بين الناس ، في هذا العصر الذي لا يؤمن الا بالقوة ، ولا يصغي الا للاقوياء ، رضي الله عن عمر بن الخطاب ـ كان يعرف الدهاء بقوله : لا تكن خبا ولا يخدعك الخب عن نفسك .

الامم المتحدة .. ما فائدتها ؟!

من جريدة « العلم » المغربية

التفاهة القديمة تعيد نفسها على كل الاشكال والصور ..

حكاية القطط التي سرقت الجبنة وذهبت بها الى قرد يقسمها بينهم ، فضحك عليهم واكل كل الجبنة !

هذه الحكاية تكرر نفسها كل يوم !

مشاكل

من جريدة « الانوار » اللبنانية :

كلما تقدم لبنان سياحيا تزداد الشكوى من الغلاء .. وهي شكوى يشترك المصطافون فيها والشعب اللبناني كله ، عدا حفنة من ذوي الثروات والمصالح تعج بهم المطاعم والمؤسسات السياحية الكبرى في المدينة وفي الجبل وهم لا يشكلون خمسة بالالف من الشعب .

واما اللبنانيون الآخرون فلهم الاحراج ، ولهم صخور الشاطىء ، لانهم لا يجرؤون على اقتحام مطعم او ملهى محترم !

ومهما عملت مفوضية السياحة والاصطياف لمكافحة ارتفاع الاسعار في تلك الاماكن تبقى الشكوى مستمرة .

ممن النظافة والخدمة الممتازة سببا

القوي يأخذ جميع حقوقه بنفسه ، واحيانا كثيرة يأخذ ايضا حقوق الاخرين ، وليس للضعيف امكانية ان يلتجىء الى محكمة يقف ببابها طويلا لتأخذ له حقه ! وغالبا ما تعجز عن رد هذا الحق .

والمحكمة التي تلجأ اليها الشعوب الضعيفة هي الامم المتحدة ..

ولكن ماذا افادت هذه الامم المتحدة ؟

هل اوقفت العدوان الثلاثي على شعب الجمهورية العربية المتحدة ؟

هل منعت جريمة اغتيال لومومبا ؟

هل اقامت سلاما في الكونغو ؟ وفي الدومنيك ؟

هل هي التي كانت وراء توقف عدوان امريكا على كوبا ؟

الاسئلة لن تعطينا غير جواب واحد ، هي ان الامم المتحدة سلاح حديد في يد الاقوياء فقط ، يسخرونه لصالحهم رغم النوايا الحسنة التي يعرب عنها ثانت ..

سياحية

مكافحة الغلاء وبخفض الازدحام عن المؤسسات السياحية المشهورة وبتحول الناس نحو المحلات المتواضعة .

في اوروبا فروقات كبيرة في الاسعار بين مطعم وآخر او بين فندق وآخر .. ولكن رائحة المطعم الصغير والكبير واحدة . النظافة والمعاملة والخدمة تكاد تكون واحدة . وهكذا الابتسامة واللطف ..

اما فروقات الاسعار ، فتعود لشهرة المحل او لمظهر غناه ومفروشاته ..

لذلك فان مهمة مكافحة الغلاء ليست ملقاة على عاتق المسؤولين فحسب ، بل على اصحاب المؤسسات والمحلات التي تشكو عدم اقبال الزبائن .. الا اننا لا نبرىء مصلحة السياحة والاصطياف من مسؤولية اخذ المبادرة للوصول الى وضع سياحي مقبول .

هذا هو صوت أمريكا الحقيقي !!

عن جريدة « الجمهورية » القاهرية

هاجم الكاتب اليهودي الامريكي المعروف الفريد ليلينتال – الشهير بعداوته للصهيونية – قرار الرئيس الامريكي جونسون ، بتعيين اليهودي الصهيوني آرثر جولد برج رئيسا للوفد الامريكي في الامم المتحدة ، خلفا لادلاي ستيفنسون الذي داهمته الوفاة فجأة وقال : ان الرئيس الامريكي قد اخطأ خطأ فاحشا باتخاذ هذا القرار !

ولكني اختلف مع الفريد ليلينتال في هذا الرأي ! فالرئيس جونسون لم يخطىء ابدا عندما اختار آرثر جولد برج بل انه – على عكس ذلك – كان منطقيا في تصرفه الى حد بعيد !

فما دام الصهيونيون هم الذين يوجهون السياسة الامريكية ، وهم الذين يضعون اسسها ، فمن اولى منهم بالتحدث باسم امريكا دوليا ؟؟

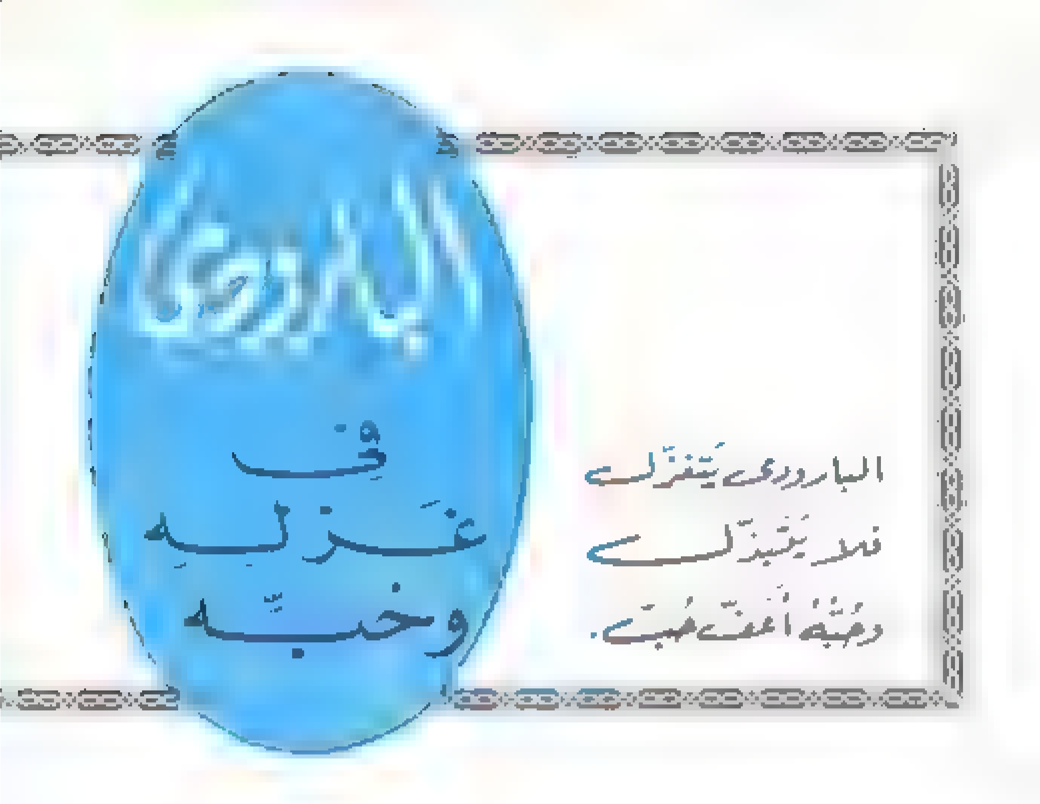
وما داموا هم الذين يستخدمون الرسميين الامريكيين – على مختلف مستوياتهم – ، ما الذي يملي عليهم ان يقولوه ويفعلوه ، فمن اجدر منهم بتمثيل امريكا رسميا في كل مجال ؟؟

ان جونسون كان واقعيا ومنطقيا عندما عين جولدبرج في منصبه الجديد – كما قلنا – ولو اراد ان يكون اكثر تمشيا مع المنطق ، لجعل اعضاء حكومته جميعا من اليهود الصهيونيين ولكي ينفذ



الصهيونيون بانفسهم السياسة التي يقررونها بدلا من ان يقوم بهذا العمل بالنيابة عنهم امريكيون .. كل مهمتهم ان يتلقوا منهم التعليمات !

بل لو سار جونسون في طريق المنطق الى نهايته ، لتخلى عن منصبه نفسه ، لواحد من الصهيونيين .. ما داموا هم حكام امريكا الحقيقيين !



بقلم : الدكتور محمد محمود الدش

■ حينما يحاول الدارس أن يولي وجهه شطر الأدب الحديث ، مستجليا مشارف النهضة وبواكيرها ، [illegible] أنجم هذه النهضة وروادها الأول ..

وحينما يحاول كذلك أن يخلص من الوهدة بل الوهاد التي تردى فيها الأدب بصفة خاصة ، والحياة الثقافية والعقلية بصفة عامة .

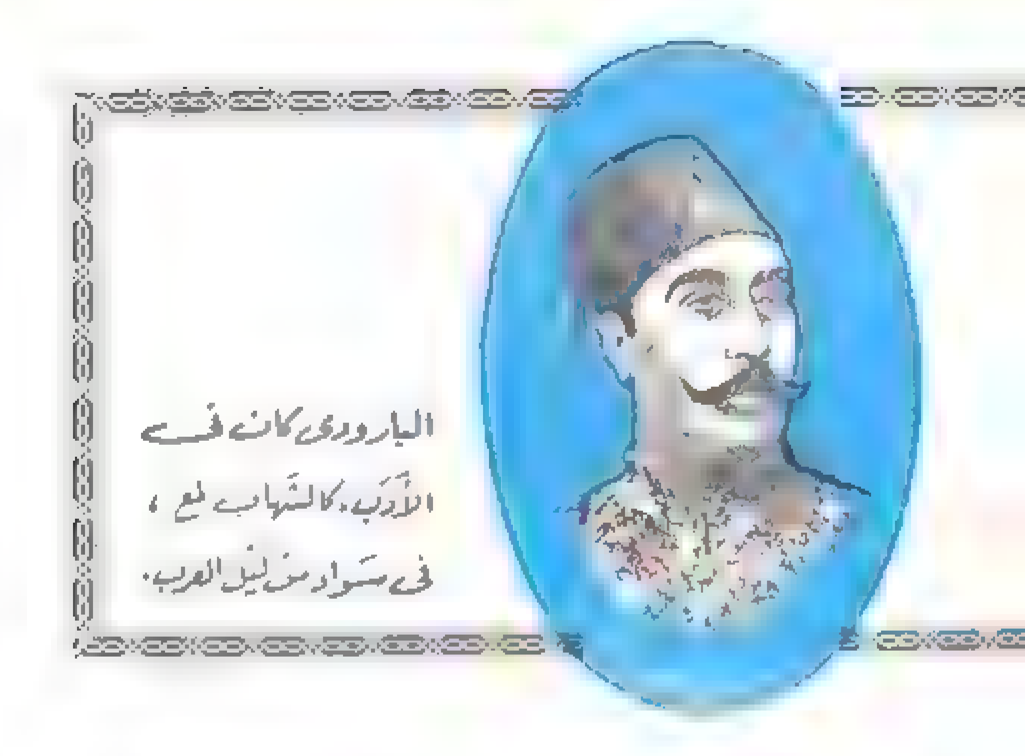
بل حينما يحاول أن يخلص من المغاور والكهوف المظلمة المعتمة ، [illegible]

حين يحاول ذلك يجد نفسه تجاه أمام هالة من الضوء المشرق المبهج يرسلها نجم طارق جديد ، يبدد بها الظلمات المتراكمة ، ويقشع حنادس التخلف ، [illegible] على الشعر العربي فأخمدت أنفاسه أو كادت ، وأزهقت عزيز حياته لولا ما نفخ بها من [illegible]

ذلك النجم الرائع الساطع هو محمود سامي البارودي ، أبو الشعر العربي الحديث ، وله خصوصية هذه الأبوة غير مدافع ، دون شك أو مراء .

الذين ينسبون البارودى الى التقليد

والذين ينسبون البارودى الى التقليد ، انما يقفون فوق السطوح ، ويستترون بالقشور التي ليس تحتها أو وراءها فتاء . وهم لا يخلعون في



نظرتهم هذه عن ذلك الذي يشب أهل عصرنا هذا ، وربما أهل العصور القادمة ، إلى التقليد لأنهم يستخدمون في كتاباتهم وقراءاتهم اللغة التي نزل بها القرآن الكريم وجاءتنا على ألسنتها أقدم النصوص العربية ، فكان « التقليدية » عندهم لا يرادفها إلا مطلق القديم ، حتى ولو كان في هذا القديم خير أي خير .

البارودي جديد فيما حوله من خمول وجمود

والبارودي في عصره ـ فيما نرى ـ جديد كل الجدة ، بعد الذي رأيناه قبله ومن حوله من خمول وخمود ، وتخلف وجمود ، في كل ما يتصل بالحياة الأدبية والفنية .

فهو جديد في شخصيته وصفاته الإنسانية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والفنية ، حتى حينما يكون متأثرا بالأقدمين ، في الفروسية ، والبطولة ، والشهامة ، والإقدام ، والكرم ، والنزعات العربية الكريمة ، أو في السير على عمود الشعر ، والوقوف على الأطلال ومناجاة الرسوم والآثار ، سواء في نجد أو في الحجاز أو في العراق . ونحن نستطيع أن نلمس ذلك كله في سهولة ويسر حينما نراجع تفصيلات حياته ونستقصي جنايا فنه وشعره .

البارودي جديد في مجتمعه وأهله

كان البارودي جديدا في مجتمعه وأهله .. فقد كان غريبا حين نراه لنشأته وتربيته من أبناء الطبقة الموسرة المترفة الحاكمة المترفعة تعيش لذاتها ، وتحيا حياتها الفارغة التافهة ، وعكف جادا على الدرس والحفظ والتحصيل والنظر في فروسية العرب ، وعادات حروبهم ، وشجعان فرسانهم ، وبيان أمرائهم ، وشعر أبطالهم ، وأدب محاوريهم ، وأخبارهم .

كان جديدا أو غريبا في طبعه على النحو الذي نشأ ، وحين أخذ يرسل الشعر طبعيا مطبوعا ينساب منه انسيابا ، وهو لا يزال قريب عهد بالصبا ، فعقد يدلف إليه رفاق سنه وأتراب ملاعبه ، ويستنكرون هم منه أن يقول الشعر ، ويكثرون عليه أن يأتي هذا الكلام الذي لا يليق

بطبقتهم العالية المتعالية ، وانما يليق هذا الكلام بالكادحين المتكسبين بصناعة القول والكتابة وليس ذلك من شأن اكابر القوم وعليتهم في ذلك العصر .

كان جديدا غريبا حين اتخذ خصومته القالية الآفات الاجتماعية ، وحربه العنيفة على تلك الامراض الخبيثة التي كانت فاشية في المجتمع متأصلة الجذور منذ امد طويل،وسلطتها وافشتها عهود الظلم والطغيان وايدي السفه والقتل والحرمان ، وكرابيج السلب والنهب والرسميه وزيف النعماء ، والتمثيل بالاشلاء ، ثم التفرقة الآثمة بين طبقة المواطنين المصريين المقهورين على امرهم في سغب ورعب ، وبين الطبقة الغريبة الحاكمة التي تستمتع بكل جاه وكل ثروة وكل سلطان ، وبين الطبقتين ظلام من النفاق والارتياع والجبن والكذب والخداع وما الى ذلك من الادران والاوضار ... فكان البارودي خصيما لهذا السوء كله ، ولشر هؤلاء جميعا ، وحربا عليهم في شعره الذي شن فيه حملات قاسية شعواء لا تعرف الهوادة ولا الهدنة ، وكان بذلك غريبا على الجماعة جديدا على بيئته .

البارودي في عصره ، ظاهرة فنية لم تكد تخضع لقوانين التطور

اما شاعرية البارودي الفياضة المتدفقة في غزارة ويسر ... واما موهبته الفنية الفذة التي جعلت من شعره انتقالا طفرة عجيبة ، فقد كانت ظاهرة جديدة لافتة دون شك ، محيرة . خرج البارودي في تلك الفترة مكتملا ناضجا ، كأنه المارد ينطلق من القمقم ، ولكنه بغير ضباب او دخان ، وانما يلفه الوضوح المشرق ويغمره البهاء الوضيء ، وذلك على الرغم من ان الظواهر الادبية لا تأتي على هذا النحو الاسطوري الذي لا يعرف التطور او التدرج . ان الظواهر الفنية لا شك تخضع لقوانين التطور التي تحكم هذه الحياة في غير استثناء او شذوذ. ومعنى هذا ان البارودي لم يخرج الينا هكذا من قاع المحيط ليستوي في لمحة عين على قمة شاهقة ، ولكننا نستطيع ان نقول ان السرعة التي استوى بها البارودي على هذا النحو بعد انطلاقته القوية اذهلت الحياة الادبية واقالت التاريخ بعد ان كاد يسترخي غافيا او نائما على قلمه واوراقه .

انها ظاهرة استحقت منا الوقوف والتلبث قبل ان نخوض في حديث حبه ولوعه وغزله . ان الوجه اللافت فيها هو هذه المفارقة القوية ، وذلك التناقض الساخر ، بين البارودي وبين عصره ثم بين ادبه القوي وشعره الرائع ، وبين الخمود والضعف والهزال الذي كان يرين على الحياة الادبية من حوله وبعدها .

غزل البارودي

ان غزل البارودي هو اول فنون الشعر عنده ، ففيه نستطيع ان نلتمس مظاهر التجديد، ولهذا الالتماس اهمية خاصة في غزل البارودي ، لانه كان ينزع فيه كثيرا الى مجاراة الشعراء القدامى ومعارضتهم ، وان شئت فقل مسابقتهم فيه ومنافستهم . ولعل ذلك كان من اهم الاسباب التي دعت البعض الى وسمه بالتقليد وسلبه التجديد او عدمه .

والذين يعرفون البارودي من بعيد ، وكذلك الذين يعرفونه من كثب ، يعرفون فيه الشاعر الجاد ، والسياسي الوقور ، والفارس الجريء المقدام ، ويعرفونه بطلا منجليا في المعتركات ، ولعلهم يعرفون قوله :

سواي بتحنان الاغاريد يطرب ... وغيري باللذات يلهو ويلعب
وما انا ممن تأسر الخمر لبه ... ويملك سمعيه اليراع المثقب
ولكن أخو همّ اذا ما ترجحت ... به سورة نحو العلا راح يدأب
نفى النوم عن عينيه نفس أبية ... لها بين اطراف الاسنة مطلب
بعيد مناط الهم ؛ فالغرب مشرق ... اذا ما رمى عينيه والشرق مغرب
ومن تكن العلياء همة نفسه ... فكل الذي يلقاه فيها محبب

والقصيدة مهمة ، واهم ما فيها انه قالها وهو لا يزال في ميعة الصبا ، ولكنها تحمل ـ على صغر سن صاحبها ـ روحا كبيرة وهمة عالية ، واكثر من ذلك ، موهبة فنية نادرة .

والبارودي الذي ينفي عن نفسه ، ويدفع عنها في شدة ، انها تطرب للغناء ، او تميل الى اللذة ، او تنصرف الى خمر وموسيقى ، يؤكد هذه المعاني ويكررها . ولنتأمل القصيدة التي يقول فيها :

بلغت جيد المعالي حلية الغزل
وملت في الجد ما أغنى عن الهزل

يأبى لى الحسب قلب لا يميل به
عن شرعة المجد سحر الأعين النجل

أهيم بالبيض في الأغماد باسمة
عن غرة النصر لا بالبيض في الكلل

لم تلهني عن طلاب المجد غانية
في لذة الصحو ما يغني عن الثمل

فهو لا يتغزل الا في جيد المعالي ولا يصرف الغزل في طريقه الى العلا والمجد ، وقلبه منصرف عن الاعين النجل وسحرها الى التطلع نحو المجد ، وهو عازف عن الفتاة المستكنة في قراتها الى وسائل الجد وسيوف المجد . اما اللذة بالصحو والعمل فهو لذة تفوق كل لذة بالسكر والخمر .

أسرة البارودي ونشأته

ذلكم هو الاطار العام للصورة المعروفة للشاعر الجندى الفارس السياسي الثائر محمود سامي البارودي ، الذي ولد في ٢٧ رجب ١٢٥٥ هـ الموافق ٧ اكتوبر ١٨٣٩م ، منتميا الى احدى الاسر الشركسية المملوكية ذات الشأن في البلاد ، وحملت اسرته لقب « البارودي » منذ كان أحد اجداده ، وهو مراد يوسف شاويش ملتزما في ايام الحكم العثماني لبلدة ايتاي البارود — احدى بلاد محافظة البحيرة في مصر — فنسب اليها ، ولقب بالبارودي . اما والده ضابطا واسمه : حسن حسني ، فكان أميرا من امراء المدفعية ، ثم مديرا لمديرية دنقلة في السودان ، حيثما توفي وترك ابنه (محمود سامي) في السابعة من عمره ، ولعل صورة الأب — الذى ظل يترقى في مناصب الجيش حتى وصل الى هذه المكانة — ظلت في ذهن الابن ، لا تفارقه حيثما كان يتمثل المعالي التي ينشدها ، ولعله ظل يستلهمها ويناجيها في شعره ، حتى تجده لا يزال يردد الحديث عنها وهو في سن العشرين ، بنفس روح الجد والسعي والطموح التي اشرنا اليها اذ يقول في قصيدة :

لا فارس اليوم يحمي سرحة الوادي
طاح الردى بشهاب الحرب والنادي

مات الذي ترهب الأقران صولته
وتتقي بأسه الضرغامة العادي

مضى وخلفني في سن سابعة
لا يرهب الخصم ابراقي وارعادي

لئن أكن عشت فردا بين آصرتي
فما أنا اليوم فرد بين أندادي

والقصيدة على الرغم من انها تعطنا على انه كان يناجي اباه ويحس لو انه حي يقف بجانبه يعضده ويقويه ، الا انها تعطنا في نفس الوقت على قوة اعتداد الشاعر بمواهبه وشدة ثقته بمصاله ، واحسب انه قال هذه القصيدة في أحرج فترات شبابه ، بعد ان تخرج في المدرسة الحربية سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٤م) في اوائل تولية سعيد باشا حكم مصر ، ولم يجد في حياته العملية ما يضطلع به او يؤديه واجبا نحو وطنه ، وكان الجيش حينئذ اشبه بمتحف للاسلحة والآدميين منذ شلته وثاقه في مؤتمر لندن سنة ١٨٤٠ م ، ولعل ذلك هو ما دفعه الى السفر الى الاستانة ، حاضرة الدولة العثمانية ، والعمل في وزارة الخارجية بها . وقد عاد بعد ذلك الى مصر سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٣م) مع الخديوى اسماعيل باشا ليتقلب في المناصب العسكرية والادارية حتى يصل الى ذرواتها واعلاها ، اذ وصل الى رتبة فريق في الجيش ، ووصل الى رئاسة الوزارة ... وشارك في الاعمال السياسية المهمة ، والحركات والثورات التي شبت في عصره وفي مقدمتها الثورة العرابية المعروفة .

ولما اخفقت الثورة ، وجثم الاستعمار البغيض على صدر البلاد ، ونفى زعماء الثورة ومنهم البارودي ، ظل البارودي نحو سبعة عشر عاما في منفاه ، بسيلان ، طائرا حبيسا ، يبكي بعده اهله ووطنه واحبابه ، في لحن شجي حزين ، وحرقة وألم دفين ، حتى فقد بصره بعد فقد زوجه وابنته ، ثم عفا عنه الخديوى توفيق ليعود الطائر الى وطنه الحبيب وترابه العزيز وذكرياته الحبيبة ، في سنة ١٩٠٠م — ١٣١٨هـ .

والحق ان حياة البارودي — وهي حياة جديرة بان يضاف اليها لفظ التاريخ — انما هي تاريخ حافل خصيب مترع ، سواء في حياته العسكرية والحروب التي خاضها ، او في حياته السياسية والاحداث التي شهدها وشارك فيها ، او في حياته الفنية على النحو الذي صورنا جانبا منه في صدر هذا الحديث .

قلب شاعر ، بالحب عامر

غير ان هذا الجندي المحارب ، والسياسي الثائر ، كان يحمل بين اضلعه قلب الشاعر ، وخفقات الفنان وخلجات المرهف ، الذي تداعب فؤاده نسمات الحب فتعلو ضرباته ، وتشتد خفقاته ، ولمر عليه هدهدة الغرام فتؤجج فيه الغرام شعلة من وجد ونار . والحب بوقدة الطموح وهذا لا يتصور ولا يؤتى نفعه وجلاله الا في بوتقته ، ونفس الحب طموحها خير كله وجمال دائم . وهكذا نفس البارودي ، كانت عامرة بالحب ، والحب بأوسع معانيه ، للخير والجمال ، احب اهله ، ووطنه ، وعمله ، ومروءته ، احب المجد حتى كان لا يهاب الموت فيه ، ولقد لقى الموت فيه مرات كثيرة ، ولكنه حين يترك الموت ويفلت منه كان يحب الحياة ويستمتع بها ويتلذذ فيها .

والبارودي الذي احب الطبيعة الجميلة والحياة الجميلة في كل مظاهرها ، حينما احب الجندية ومارسها بشغف وملأها بشوق وجهد وعمل وحب ، وحينما احب الزهر والشجر والطير والغدير ، والبحر والجبل ، والنهر والخميلة ، والروض والكلأ ، وغرد بذلك كله وغيره من الوان الجمال ، حتى في اصعب الظروف واحلك الاوقات ، حينما كان يواجه الموت على ارض كريت وعلى ارض الروس ، كان يتغنى بجمال الطبيعة والحياة الخصبة النامية ، حتى في منفاه حين حرم النفس حق في الحياة ، حق الحياة الحرة ، فكان في اسى ولوعة ولم يفارقه حب الطبيعة وجمالها . والى ليس بدعا ان يحب البارودي المرأة رحيبا هو اقوى مظهر من مظاهر الحيوية والحياة وجمالها والذين يزعمون ان ما جاء في شعره من غزل كان من قبيل رياضة القول ومجاراة الشعراء انما يجردون الشاعر من اهم صفاته ويعكرون عليه الزم سماته ، وكأني بهؤلاء يريدون ان يجعلوا من الشاعر ببغاء ينطق او يتشدق بما قال غيره ، وما هكذا يكون الشعر ، اي شاعر ، الا ان يكون في خيالهم الوان اخرى من الشعراء بلا عاطفة ولا احساس ولا شعور ولا قلب .

غزل البارودي اعف صور الغزل

والبارودي لم يحب فتاة واحدة او امرأة واحدة ، ولكنه احب الانثى – اية انثى – صفات بعينها لا تتغير .

ومع ذلك فحب البارودي ، وغزل البارودي يعد من اروع واعف صور الغزل التي عرفناها في تاريخ الشعر العربي كله . لقد احب البارودي جمال المرأة وعشقه في ارقى صوره واعلى مراتبه . لقد احب جمال المرأة ، لا كما يحبه الناس ، وانما كما يحبه الفنان الملهم العبقري في رهافة حسه وفرط رقة مشاعره .

جمال المرأة ، عند البارودي ، معنى جمال الكون

لقد احب البارودي من المرأة جمالها ، وتغنى بهذا الجمال وناجاه ، بما هو مظهر من مظاهر الكون والحياة ، وسر من اسرار الكون والحياة ايضا . انها المرحلة التي يمكن ان يصل اليها الشاعر ، ويفنى فيها فنه في نهاية المطاف .

ولا نريد ان نحمل البارودي وفنه مزيدا من مصطلحات التجريد والفناء ، بل سوف نرى ان جمال المرأة عنده لم يكن سوى بعض جمال هذا الكون ، ولم يكن سوى جزء من جمال الحياة عند من يحب الحياة ويفهم اسرارها . وهكذا نستطيع ان نقول في ايجاز ان البارودي انما كان يحب الجمال نفسه ، سواء كان هذا الجمال في المرأة او في غير المرأة من سائر الكائنات .

البارودي تكفيه النظرة

وديوان البارودي يطالعنا باسماء مختلفة للفتيات ، وكذلك بصفات لهن ، فهناك ليلى ، ولمياء ، وريا واسماء وعائشة ، وهناك البيئة القيلس ايضا . اما مسارح حبه وغرامه فانها تتنوع بين روضة المقتيل او روضة المقياس ، وبين حلوان والمنطاد والجزيرة . ونلاحظ ان البارودي يختار لمحبوبته الاسماء الجميلة ايضا ، ومع كل هذا فهو لا يريد من محبوبته اكثر من شيء واحد يرغبه في كل مواقفه معها :

اثالثة العينين كفي عن القلب
وصوني حياء غير مشتركة الحب

ولا تسلمي عيني للسهد والبكا
فانهما مجرى هواك الى قلبي

واني لراض من هواك بنظرة
وحسبي بها ان انت لم تبخلي حسبي

اذا كـــان ذنبى ان قلبى معلــق
بحبك يـا ليلى فــلا تغفــرى ذنبى

والمعنى فيه طرافة لا شك ، فلا يطلب اليها الا تستبيح قلبه لانه حمى الحب ، والا تتلف عينيه لانهما طريق الحب الى القلب ، وحسبه في غرامه بها هذه النظرة التى ترضيه ولا يريد اكثر منها ، بل هو لا يريد من اية امرأة يعشق جمالها ويهواه اكثر من ذلك .

وجمال الصوت مثل جمال الصورة يخلب لب البارودى ويسحر عقله ، والقطعة التالية تعطينا نموذجا طيبا لما يهواه فى المرأة :

اربنــة الصــوت لم تمــريـة الــسحر
مثـت لمـــركـت الاشـــجـان بالوتـر
حوراء ، للســحر فى الحاظهـــا اثر
يريك ان البـــرق ضرب مـــن الـبشر
لو لم تكن لمرأ فى الحسن ما ظهرت
لاعين النـــاس فى ليل مـــن الشعـر
املت على بلحظيهـا حـديث هـوى
ســرت منــــه فــى العين بالاثر
كأنمــا بين جفنيهمـــا اذا نظـــرت
هـــاروت يعبث بالالبـــاب والفكر
لا غرو ان عينت من وجه يصورها
فالحـــسن متعة للعقــل والبصر
لا تشبع العين منهــا كلمـا نظــرت
وكـيـف يشــبع المـســـتاق بالنظر
ماالتهمتهـا بلحــاظ الشــوق فازدهرت
للحسن فى وجنتيهـا وردتا خفــر
وأزور حاجبها مـن نظــرة رشقت
ســواد قلبى بسهم صيغ من حور
ابصـت فيحت للعين مـــن لمهـــا
ياموكة لاوقعت سطرين مــن غرر
ابعث للعين فيهــا مــــا للمريه
وذنبت كلة الصبا من مشقد الاثر

والبارودى يؤكد هذه النظرة الى المرأة وهذا الوقف من جمالها ويكرره فى شعره ليقنع هؤلاء الذين لا يستطيعون فهمه او لا يقدرون على الوقوف منه على هذا النحو ، وكأنه يرد أيضا على هؤلاء الذين يزعمون ان الحب ضرب من العبث او لون من اللهو واللعب :

فلن أك مشغوفا فلو الحلم ربمــا
اطاع الهوى والحب من عقد السحر
واى امرىء يقــوى على رد لوعة
اذا التهبت اربت على وهج الجمر
على اننــى لــم آت فى الحب زلة
تعلى بذكرى فى المحـــافل او تزرى
ولكنى طــوفت فى عـــالم الصبى
وعدت ولــم اتلق بفاحشة ازرى
سجية نفس آلـــت ما يسرها
والنـــاس اخلاق على وفقهـا تجرى
ملكت يدى عــن كل ســوء ومنطقى
تمنت يريه النفس من دنس الطمع

وهى حقيقة قوية يقررها البارودى فى شعره ويكررها ويؤكدها ، وتطالعنا بها كذلك سيرة حياته واقوال الناس فيه ، كما يطالعنا بها ديوان شعره الذى يدور بين ايدينا .

البارودى سبق اليه الشيب والوقار فى ابان شبابه

ولكن بالبارودى قد ادركته الحكمة ووقارها فى سن شبابه الاولى ، فادرك هــو كذلك قيمة الحياة الدنيا ، وعزف عن استمراء المتاع بها ، فكانت بذلك ممارسته لالوان متاعها ممارسة الحكيم الوقور :

وحسبى بك جـــاوز العشرين تشرى
واردتهـــــا بأربعــــة وخمس
لقـــد ســـرت بمهجتـــه الليـــالى
وبان لـــه الهــدى مـــن بعد لبس
نظـــرت الى المـــرآة لتكشـف لى
فنبـــاتنا لاح فيـــه كثير بأسى

هكذا يطلق الشيب على رأس الفارس الشاعر الصغير فى هذه السن التى يحلو للمرء فيها ان يمارس كل فنون العبث واللهو والخلاعة ! ولكن الامر لا يتعلق بالشيب وحده ، وانما هى خلقة حياة ولزانة جد ووقار وعمل ، انما هى سجية نفس وشيمة انسان كما قرر هو منذ قليل . وحتى اذا عدنا قليلا الى ايام صباه اللاهية ، وايام غرامه الصغير ، لم نجده يعدو هذه السجية او تلك الخلقة .

ولنتأمل ما يحدثه فى أمر محبوبته الصغيرة .

خرجتْ الى البستان لاهيةً
تختال بين كواعبٍ خُنُسِ

لمحتُ سراجاً من محاسنها
حتى ظفرت بنظرةٍ خُلَسِ

لتزورها عني وترن بها
في روضة لبّاتة السندسِ

فوقفتُ مطّرباً على كثبٍ
ومضت على آثارها نفسي

تلك التي لولا هواي بها
ما بتُّ من أملٍ على يأسِ

هيهات أنسى حسن صورتها
وحوادث الأيام قد تُنسي

البارودى كان قريبا بين أصحابه ولداته

وفي شعر البارودي الوان من قصص الغرام الذي كان يمارسه في سن الصبا والشباب الباكر ، ولكنه لا يتجاوز فيه السلوك العف النظيف الى غيره من اساليب لداته واترابه ، وانما كانت تغلب فيه النظرة والسمر تليه الابتسامة او البسمة، ولمز كيانه الكلمة او النغمة ، وهكذا كان البارودي في غرامه قريبا في طبقته وبين اصحابه ممن يملكون اسباب العبث الصاخب واللهو الجامح من ترف وسلطان وجاه وثراء .

وفي الحرب ، وقع البارودى في شرك الحب

وارسل البارودي الجندي الى قتال الثائرين في كريت ، وشارك في حرب الدولة العثمانية مع روسيا ، ولم تعصمه الحرب من الوقوع في شرك الحب . قال

بدت لها في منصب الحسن صورةٌ
تقصّر عنها الشمس وهي تواجح

عجبت لعيني كيف طلّت دونها
واسلمتها في لجة الماء سابح

احنّ لها والموقدون شرارها
مسالك يلويها الردى ومصالح

فقلبي تحت السرد كالنار لافح
ودمعي فوق الخد كالماء سائح

يكاتمني شوقي اذا الليل جنّني
واعدو على جمع العدى فاكافح

حسّان هذا بالفؤاد مخيّمٌ
وذلك من مرمى القذيفة نازح

وما بي ما اخشاه من صولة العدى
لو ان الهوى يولي يداً او يسامح

الحب الأضخم والأفخم — يتجلى — والبارودى في منفاه بسرنديب

على ان شعر البارودى في الحب اشتد وقده واندلع حرارته بعد ان يحكم عليه بالنفي مع زعماء الثورة الى سرنديب (سيلان) ، هنالك تلتهب اشعاره بالحب الجارف الشديد ، بالحب الضخم الكبير ، بالحب القوى الاسى الشاسع ، بالحب القديم المتجدد في الروضة والجزيرة ، هنالك تمتزج في نفسه كل عناصر الحب واشكاله ومظاهره حبه لذكريات حبه ، وحبه لأهله وولده ، وحبه لوطنه وتراب وطنه ، وحبه للناس وللطبيعة وللخير وللجمال :

لكيف اكتم الهوى وبي كَلَفٌ
يكاد من مسه الأحشاء تنشعب

ام كيف اصبر ولي قلب اذا التهبت
بالافق لمعة برق كاد يلتهب

اصبحت في الحب مطويا على حُرَقٍ
يكاد ايسرها بالروح ينتشب

اذا تنفست فاضت زفرتي شررا
كما استطار وراء القدحة اللهب

لم يبق لي غير نفسي ما اجود به
وقد فعلت فهل من رحمة تجب

كأن قلبي اذا هاج الغرام به
بين الحشا طائر في الفخ يضطرب

لا يترك الحب قلبي من لواعجه
كأنما بين قلبي والهوى نسب

نعم ! لم يترك الحب قلبه حتى كف عن ضرباته واختلاجاته ، فقد كان البارودي مقيما على عهده للحب ، وفيا له مخلصا اينما رحل او اقام ، في حرب او سلام ، وهي سمات نادرة وصفات عزيزة في عهده وفي طبقته .

مطالع قصائد البارودى ، وعادة القدامى من الشعراء من ذكر الملاعب والديار

والذين يرمون البارودى بانه لم يحسن سوى

تقليد القدامى ومجاراتهم ، وظنوا – في الغالب – حتى عند مطالع قصائده الطويلة في الفنون المختلفة ووجدوا انها تبدأ بالغزل ، شيمة شعراء الجاهلية ومن لف لفهم من بعدهم ، ولم يعدوا النظر او يطيلوه فيما تضمنته هذه المطالع الغزلية من معان بارودية خالصة ، وان كان يقف فيها البارودي امام ديار الاحبة ويناجي ملاعبهم ومنازلهم وايامهم الخوالي وغير ذلك مما ورد في شعرنا العربي القديم ... وحتى المهامه والقفار ، وكل ما يتصل بالبادية مما جاء ذكره في شعر البارودي ، تستطيع ان تنسبه الى معاناة البارودي والى خيال البارودي وذهنه في سهولة ويسر ، وكل ما بينها وبين القديم من سبب ، انما هو اثر من آثار ثقافته وقراءاته الغالبة وحفظه الكثير لادب القدامى وتاريخهم . واما في غير ذلك : فالديار والاثار والمهامه والقفار وغيرها كلها بارودية تعيش في ذهنه وفي خياله ، وتحيا وتنمو مع تجاربه الخاصة . واذا كان هؤلاء يذهبون الى ان شعر البارودي في الغزل هو الذي تتضح فيه آثار التقليد فاننا نذهب الى ان هذا الشعر ذاته هو المكان الذي تبرز فيه بروزا قويا ملامح التجديد ومشاعره ولنقرأ ما مر بنا من شعر في هذا السبيل وغيره لنتأكد من ان هذا الشعر لا يمكن ان ينسب الى غير البارودي ولتجارب البارودي ، وحتى اذا نهل من القديم فانه يخرجه الينا مطبوعا بالطابع البارودي وشاعريته العبقرية المتلألئة .

نحن لا ننكر تأثره بالقدامى العرب واشعارهم وافكارهم ، لانها دون شك مصدر ثقافته الادبية الى جانب ما تعلم من آداب الترك والفرس والانجليز ، ولكننا ننكر ان تكون عواطفه منقولة بالتقليد اشد الانكار ، وخاصة فيما يتعلق بعاطفة الحب بالذات ، وحب البارودي الراقي العظيم على وجه اخص .

البارودي اولع بالعربيات

ايكون البارودي في حبه وغرامه قد احب فتاة عربية على سبيل التقليد ؟ لقد كان مفروضا ان يحب البارودي فتاة من طبقته من المماليك والشراكسة او الاتراك وفيهم الجمال البارع الاخاذ ، ولكن فتاة البارودي كانت عربية ، فاحبها ، وملكت ملامحها العربية قلبه ، واحس جمالها العربي بروحه ونفسه ، واخذت اخلاقها العربية منه كل مأخذ :

فلا تطلبون الحسن في غير اهله
فابدع ما في الارض حسن الاعارب

لهن الالى عودن قلبي على الهوى
واطمعن نفسي بالعدات الكواذب

وقال على لسان محبوبته ليلى ، وقد سمعته يهتف باسمها :

اراه يهتف باسمي غير مكترث
ولو كنى لم يدع للظن من سبب

فكيف اصنع ان ذاعت مقالته
ما بين قومي وهم من سادة العرب

واما حبه لفتاته فهو حب عذري عربي نجدي وهو يفخر بهذا الحب العربي وبصلته العربية :

وما كنت لولا الحب اخضع للتي
تسيء ولكن الفتى للهوى عبد

وانا اناس ليس فينا معابة
سوى ان وادينا بحكم الهوى نجد

لطيفين وان كنا اشداء للعدى
وصعب على غيري لقيس التشدد

وصبابة مني شيمة عربية
مدى العمر ما لم يأت من دونها لحد

وهكذا احب البارودي الجمال العربي وذكره صراحة في غزله وتشبيبه بفتاته العربية ، واحب فيها السمات الجسدية للفتاة العربية ، حتى لون البشرة احب فيه السمرة العربية .

ولقد احب البارودي ، في المرأة العربية ايضا الاخلاق العربية والشمائل العربية ، والتاريخ المصري والادب العربي ، ثم الامجاد العربية والعزة العربية والطموح العربي . من اجل هذا نستطيع ان نؤكد ان البارودي بحكم نشأته وثقافته وبيئته انما كان عربيا خالصا والعروبة ليست عنصرية ، وانما هي لسان ، وهي شيم ، وهي تاريخ ونجدة وشهامة ، وهي ، في اعلى مراقيها ، انسانية خالصة . ■■

محمد محمود الفتى

لَوْ أَنَّهُ وَعَدَ!

قصـــه

بقلم : حسيب الكيالي

■ العصر .. راح النهار وما صححت [illegible] أوراق من أصل مئة وعشرين . أنا فكري بطبعه شرود ، ولكنه يغدو جموحاً ، طياراً ، أثناء تصحيح أوراق الطلاب . خمسة ، مئة وعشرون طالباً ما فيهم واحد سيصير ممثل او عالم ، او شاعر مسرد على الاقل .. فقط نسخ لا طعم لها ولا لون ولا رائحة .

وفتح الباب واندفعت ابنتي عائشة هازجة .

ـ بابا

فرفعتُ ، واخذتها بين ذراعي :

ـ تعالي . سلمي لي . والله نظرة واحدة الى وجهك الغالي تساوي كل ما في الدنيـــا من مواجــع انساه .

وردت الرسالة الصغيرة الكلمة الاخيرة :

ـ أتشا !

قلت .

ـ أي روح البابا ، أتشا !

ولم تلبث روحي أن اقبلت :

ـ تعالي ماما . [illegible]

[illegible]

[illegible]

ودوت ضحكة الطفل من النافذة المفتوحة . كانت جارتنا ، امرأة بدر الدين ، المختار ، قد نشرت غسيلها المرتب المطيف . اكثره ثياب صغيرة . بياض الغسيل . شبهة شجرة بحثر العماد الباسقة . في الداخل يضحون تمر الحناء في شعورهم ويحملونه ثناء الى الحمامات . الاصيل .

سره عائشة ، والعبها ، عدوه في بيت ابي ياسين المقابل . كم مر من وقت حتى يركب ابو ياسين السكرة ؟ العشاءان صبركان ، فيا بدر الدين وفقاه ابي ياسين . ست اوراق من اصل مئة وعشرين علي ان اوزعها غداً من كل بد على الاولاد .

واطلت سناء صغرى اولاد ابي ياسين من شرفتهم ، بيتهم طابق اول . بضع درجات تنتهي بشرفة واسعة لها درابزون من الحجر . وما ان لمحت عائشة بين ذراعي حتى هرولت تنزل الدرجات رافعة يديها كما تفعل دائما :

ـ حبيبي شوشو ، تعالي حبيبي .

وكما تفعل شوشو دائما ، هي ايضا ، تطرب الى سناء في دلٍ ، ولم قليل من صعوبة وقالت .

ـ عادي بوه .

عنده معناها : « ما بدي باه » .

وطفح وجه سناء جذلاً وهياماً وبعاوه وتقول شوشو وبداها مرفوعان دائما

ـ ليس حبيبي ، انا سناء .

واقول انا

ـ بابا سناء بابا

وتقول سناء في اغراء :

ـ شوشانه بعنا نروح نلعب حبيبي .

حينئذ تنطلق شوشو فتمد يدها الى سناء التي ترتفع على رؤوس اصابع قدميها وتتخطف الطفلة في حذر وتمضي بها تلعب في البستان المجاور .

والتفت الى زوجتي . كانت تبتسم في مكر :

ـ ما حجتك الآن في التشاغل عن اوراقك ؟

— ما الموضوع هذه المرة ؟ الموضوع الأبدي « وطني لو شغلت بالخلد عنه » .

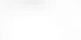
وابتسمت ابتسامتها . قلت :

— أنا لا أمل من تأمل سناء أنها ينبوع لا أصفى ولا أنقى . كيف تنبت هذه الريحانة المهفهفة في هذا الحقل الأجرد الذي جافاه المطر ، ببيتهم . وهذه القسمات النبيلة ، الكبرياء ، الرقة العفوية في مبالغة هدايانا من حلوى ولعب ودفاتر . والهدام ! أظن أن أم ياسين عرفت أى كنز صنعت ، أو أنها على الأقل تحس على نحو غامض أن سناء نجيبة لسوق لها قدير لم يسل له قلما . لا بد أنها تحرم نفسها حتى توفر لابنتها الأثيرة هذه الفساتين الأنيقة . ولكن ، من بدري . لعل ما أوهمه تربة فاحلة هو في الحقيقة تربة ريانة . إن صمت الأم ، صبرها ، عنفوانها وهي في شدة الحاجة والفقر الساحق ، يفصح عن الإنسان الرحيب الذي فيها ، عن أن هذه الصفات النبيلة في سناء منها هي :

كانت روحية تقف في الباب الموارب وتصغي . الابتسامة الواسعة الماكرة ما زالت ولكني لمحت فيها طيفا من حنو ، من إشفاق . وضحكت أخيرا وقالت وهي تشير إلى الأوراق !

— أنا نقلت هذه من غير تصحيح فلا تتهم ماشية !

وردت الباب ولكنها عادت فمطت رأسها من فتحته



- اتهم بالفلسفة .

شوفوا الملعونة ! الا يحق لي ان اتأمل الناس من حولي ، وان اتوجس واتفعل واصعد . انا لولا هذه التلال من الاوراق السخيفة لقلت لك ان لي في الواقع ملاحظات بديعة جدا . ولكن ، حتى زوجتي ، ام اولادي ، ترى في كل عمل لا يجلب نفعا ماديا ، لا يجلب عملة توضع في محفظة النقود ، تفلسفا ، اي عبثا واضاعة وقت ... ولكن ، أليس معها حق من ناحية ؟ الا اتفلسف انا هنا محاولا سبر ما لا يسبر !

ايه ، فليكن ! لأعد الى اوراقي الثقيلة . هذا تعبير : « وطني لو شغلت بالخلد عنه » ... صحيح ما قالته ام اولادي . لي خمسة عشر عاما في التدريس ، وقد اعطيت الاولاد هذا الموضوع اكثر من ستين مرة . من اين اطرق لهم مواضيع . وكل مرة تنهال على الاجوبة متشابهة: « وطني امي الثانية لمنحي الحياة والعز والكرامة وتعلمني محبة الوطن من الايمان ، وطني هو الذي علمني ان ارضع لبان المجد والعزة » . والاخطاء الميتة ، الزمنة ، المملة .. الفتى المرفوع منصوب ، النواصب ترفع ، المعدود مخالف للعدد من الواحد حتى الملايين ... في بعض الاوراق تنشق لك الارض ، بسم الله الرحمن الرحيم ، عن جملة حسنة السبك ، تبدو لك كأنها رقعة من البروكار في جلباب شحاذ خلق .. وتثور للقارئ ما الترف المنطوي في العقد او الزينات حتى يستحيل عليه الاستمرار في الجملة ذاتها ..

وعدت الى النافذة، ولكني لم البث ان تقهقرت .. كانت هيفاء ، كبرى بنات ابي ياسين متمددة على « الشيز لونغ » المهشم ، المضلع ، وقد لفت ساقا على ساق فظهر نصف فخذها الممتلئ المكتنز. استحسنت بشيء قليل من صعوبة ، هيفاء في عشرينة ولكنها في العشرين ، و ... على الاخص بالوضع .. انا احب هذه الاستلقاءة تستلقيها الصبايا فيظهر شيء خفيف فوق الركبة ، وفكرت : هيفاء نصف امرأة » .

ثمانية اولاد بعضهم على رأس بعض هيفاء بكرهم زوجوها في العام الماضي ولكنها عادت بعد خمسة عشر يوما تتبعها ورقة الطلاق . لماذا ؟ اهو فمها الواسع الهابط الذي يشبه فم ابيها ، ام عيناها قليلتا الرموش ؟ زوجتي تروي للجيران ان السبب الخلاف بينها وبين مطلقها من نوع آخر ، هي طفلة ، على قدر من الغرارة ، بينما هو رجل ذو ماض ، رجل متقطع موصل .. المهم انها رجعت الى البيت وما هي الا بضعة اسابيع حتى عادت الى صحبة المدرسة ، وطالبات المدرسة .

يجب قولا واحدا ، ان اعود الى (وطني لو شغلت بالخلد عنه) . ليس من اللائق ان نؤجل الاولاد اكثر مما فعلنا .. الهمة ، الهمة ، هللا ! بهمة واحدة جرى قلمي الاحمر على عشرين ورقة . هاه ، الطريق الى روما يبدا بخطوة .. لم اعد ارى في وضوح . الظلمة تسربت الى الغرفة . يجب ان اشعل المصباح . انا لا اظهر لأحد من الخارج لم يرني . قمت ، ولكني لم اشعل زر المصباح . وقفت على بعد يسير من النافذة . هيفاء لا تزال متمددة . وربما انحسر اكثر قليلا .

في الحارة صاروا يقولون : « مسكينة . مالها حظ ، مثل خالتها ... » صحيح ، خالتها ، معلمة المدرسة ما لها حظ . تزوجت اول مرة وواصلت بنتا . ولكنها لم تسعد . كان زوجها فظا ، تركت عنده كلها في سرلتها . الزوج الثاني فلسطيني طيران ، طيب ولكنه مقامر ، استولدها طفلا صبيين . وبعد ان انفقت كل ما ادخرته عليه ، فلجأت الى بيت ام ياسين ، اختها . انها تقوم الآن بالعبء الاكبر في البيت لما يخالجها من وجد عميق بانها عالة على الاسرة المعوزة ، ولان اختها في حاجة حقا لمن يقوم عنها ببعض العبء . ثمانية اولاد ، ودخل الزوج لا يكاد يكفي لمؤونة عرقه اليومية . المعلمة الآن تدفع راتبها كله . وهي التي تطبخ وتكوي وتغسل .. واما ام ياسين فقد استنجدت بكل ما تعلمته في صباها من مبادئ الخياطة ، واتخذت غرفة القعود مشغلا . بين نسوان الحارة النقد اللاذع صاحب على امانتها .. يدعين ان الاثواب الانيقة ، التيورات ، المعاطف التي لها قبات من الفرو

.. لا يلعب بها احد الى ام ياسين . ولكن اللبسة الاطفال ، أثواب البيت ، الناموسيات ، بيوت المخدات .. كلها تصنع عندها . والاجرة على قلبها وحبة مسك !

احيانا يحصل ما لست بحاجة اليه ..

ودخلت زوجتي :

جاءنا بدر الدين في غرفة الضيوف ، يريد مواجهتك .

ــ بدر الدين ؟

ــ اي نعم

ــ خير ان شاء الله ؟

لا اعرف .

ــ ما له عادة غير في الاعياد .

من طريقته في مصافحتي عرفت انه لم يأت زائرا . ان لبدر الدين في الاصل مهنة ثانية ، مشتركة . امرأته تصنع كل سنة بنتا ، والقول على استحياء ، لانها بنت عشر سنين ، ان بدر الدين هكذا يريد . انه يقول : « هذه هبة من الله والمنع حرام » .

قال بدر الدين :

ــ لا تؤاخذني يا استاذ الله يخليك . يمكن أزعجتك .

ــ أعوذ بالله يا بدر . انا شئت المخيلة ، انت أنقذتني . وطلعت الاولاد لعبت في عيني . لم يكن يحصل . وعاد يقول :

فترى اني آخذ رأيك في مسألة صغيرة .

ــ تفضل .

ــ الله يزيد فضلك . المسألة ، انه ، حكايتي .. مع ابي ياسين .

قال هذه الكلمة الاخيرة دفعة واحدة . كنت أعرف القصة ولكني تجاهلت .

ــ خير ان شاء الله ؟

ــ المسألة ، والله انــا حيران في أمري . أبو ياسين رجل طيب ، نعم الجــار . والله تعالى اوصى بالجار . ولكن انت اعلم . انا احيانا لا احتمل ... يمشي على شــهر ، يمكن اكثر ، لا اطلع على حقه . والعملية ، معلومك ....

وقطع حديثه هكذا فجأة . يتره نترا . كان يحدق في الارض مثل تلميذ خجول يلقي درسا لم يتقنه .

صحيح . شغل بدر الدين عصــرا حتى بنى هذين البيتين المتجاورين اللذين تطل بالكاد على ثلثهما الشجرة ، فسكن احدهما واجر الآخــر لابي ياسين الذي لا يدفع ...

وعاد يتأتىء :

ــ يعني ، المسألة ، معلومك ، أبو ياســين ، مثل كل اهل الحارة ، كلمة حضرتك عنده لا تضيع لشيء ..

ووعدته ان اذهب لتوي اقابل ابا ياسين ؛

رحت . صاح أبو ياسين وهو يركز الكأس على الطاقة :

ــ اهلين ومرحبتين بالاستاذ سليم . تعال كل لي اللقمة المقلي عندي اللي في عمرك ما ذقت اختها .

جلســت ، قلت :

ــ انا مشغول شوية والله يا ابويا ......

قال يسده على الطريق :

ــ مشغول ، مشغول .. غير لي مزاجك عندي . هذا الشغل ما له نهاية ..

ــ لا ، القصة ان عندي كبسة وحالف على ان اصحبها الليلة ....

ــ تصحبها ، تصحبها ، لا يكن لك فكــر ، الحشر .. عندما ترجع الى البيت تراها مطرحها في انتظارك . ها ، ها ، ها ، يا ستنا .

ــ لا أرجوك ..

قال يتلمس :

ــ أرجوك ، أرجوك ..

ودخلت ستنا . قال :

ــ هاتي حبيبتي هاتي قدح لعمو سليم . هل

تعرف يا استاذ انى لو كنت مثلك ادرس الاولاد كان طق عقلى من مئة سنة . يا بيى من الصبح الى المساء مع اولاد صغار . شي يجنن حقيقة ...

وعادت سناء بقدح صغير . قالت

ــ مساء الخير عمو .

فابتسمت ابتسامتها الساحرة الخجول واسبلت اهدابها .

وقلت لما اغلقت الباب وراءها :

ــ انا جيتك الليلة في مهمة .

سأل ضاحكا :

ــ عملك امر مهمة .

واردف

ــ انا افهم في برابيك الموظفين ايضا .

وصب لي قدحا ، من « العرق » واضاف :

ــ خذ اشرب الآن ، واجتل لي المهمات حتى يصحو راسك ...

قلت بنفس واحد :

ــ بدر الدين جارك كان عندي الآن .

ــ اي ، ايش فيها ؟

ــ كلمني ....

ــ قلت انه كركوك !

ــ لا ، جد . فاتحني في مسألة اجرة البيت .

قال ضاحكا :

ــ دفعت له شي ؟

ــ فكرني لو انك دفعت له دفعة . بدر الدين رجل طيب شروالك ..

ــ انعم واكرم !

ــ لو انك دفعت له دفعة .

ــ وقف احك لك حكاية ، لما كنت في استنبول .

اذا كانت الساقة عند سناء وامها تعرفا صموتا جميلا لا يعي خلفه فهي عند ابي ياسين مرض .

انه يحيا في الماضي . واما الحاضر فيغرقه ، ينطسه في العرق . هذه السفرة تمتد كل ليلة ، لا ينقصها شي . المخللات . الكبد المشوية . المرائح القالية .. وقد يشتهي الخيار ويكون لا يزال في الباكورة ، ماحطا ، ولكن خلاصه لا يمنع من ان « يحلق » على السفرة خلقا . انه ينسيني ، عندما ازوره ، ما اعرفه من مصاعب الاسرة بما يغرقني في اللحظة الحاضرة ، في القصة التي يرويها . قصة استنبول هذه سمعتها منه اكثر من مرة ولكنها تبقى لها كل مرة نكهة خاصة .. ارسله اخوه التاجر الكبير في تجارة الى تركيا منذ بضع سنوات . نجح نجاحا لم يكن مأمولا ، نجاحين اذا شئت . احدهما من فرق العملة والآخر من نفاد البضاعة سريعا . فجاة ، وجد في جيبه خمسة من الآف الليرات « ما للعمر بها حاجة » كما يقول ابو ياسين في تفاكر . وفيما كان مفروضا ان يعود بعد اسبوع قضى في استنبول شهرا انفق فيه كل ما وصلت يده اليه .. يظهر ان النساء الاستنبوليات شي يكسر الظهر . والعرق هناك ليس كالعرق اللبناني او عرق البطة لانهم لا يضيفون اليه اليانسون الشامي والمسكة . ومع ذلك فهو عرق لطيف . يومها خاصمه اخوه ، وظل هذا مصرا على الا يحكي معه سنتين ، اشتغل خلالهما مستخدما عند مخلص جمركي ..

.... ولم ارجع الى البيت الا بعد الثانية عشرة ، سكران ، لم افز من ابي ياسين ، عوضا من « دفعة » على الحساب لبدر الدين ، بغير مجموعة طيبة من النصائح عن الصبر ، وفوائد طول البال وقول يردده لا يعني شيئا :

ــ استاذ سليم حكمتك انت . دبرها بمعرفتك.

حكمتي انا . كلتاهما ــ هاتين العزيزتين ــ يفرفشان في القهوة !

والانكى من هذا كله اني اقل من ثلاثين « وظيفة » من اصل مئة وعشرين هي التي صححت فقط ، ويجب علي من كل بد ان ....

محاولات كثيرة مثل هذه ، و « اكثر صحوا » دامت اكثر من ثلاثة اشهر ، اقام بدر الدين بعدها الدعوى على ابي ياسين . انا اظن ان النساء

اتراترا ، ادخلوا في ذهنه الفكرة . الدليل انه صار يتعمد التغيب عن الحارة والامتناع عن العودة الى البيت أثناء النهار . مرة لمحته في الحديقة العامة ، على جرف البحر ، فظل بين الناس كأنه يتهيب لقائي . وأما ابو ياسين فلم يبد عليه انه اهتم او حنق او استنكر ...

وحكمت المحكمة بالاخلاء . وها هو ذا ابو ياسين ينتقل . قالت لي زوجتي انهم استأجروا غير بعيد . رددت السجف وتركت شقا ضيقا جعلت أنظر منه منقبض القلب . بيتهم مظلم قاتم . لم يأت ابو ياسين للتوديع . سناء وحدها جاءت عدة مرات . انتبهت الى حركة معينة كانت تكررها كل مرة . انها تفرض امام عائشة ، تركي رأسها الصغير الأشعث على عنقها ، وتضمها في حرارة وعيناها مديدان ، طافحتان ، حزنا . ولم تكن تتلبث طويلا . كانت تنطلق نحو الباب كأنها هاربة .. قبل يومين طلبت من زوجتي ان تعطيها صورة لعائشة وهي تلعب دبها الأبيض ...

كأنهم سيهجرون البلدة كلها .

أطفال الحارة أعجبتهم هذه الشوشرة . انهم اسمعهم يتزاعقون ، يتهازجون ، يجربون أصواتهم في الغرفات الخالية ...

يا رب لو كان مني لكنت سمعتها أنا ..

الليل يهبط والنخلة تستمر الآن في ظلمة لا تزال مبتلة . الكميون الضخم امام الشرفة وعلى ظهره الدفعة الأخيرة من عفش بيت أبي ياسين . كنت اطيل النظر الى المقاعد والكراسي وقد قلبت على اقفيتها ورفعت سوقها الى اعلى كأنها كائنات فاجأها الموت وهي تتضرع .. وصمتت ضجة أولاد الحارة . يظهر انهم ملوا اللعبة . الحمل يجري الآن في صمت ، أعني ان أصواتا متناثرة كانت تلمع الحس : سجادة تسحب ، منضدة تزلق فوق الأثاث .. أصوات بدت في صمت المساء كأنها حشرجات ..

أول عهدي برحيل في مساء ثقيل مثل هذا منذ حوالي ثلث قرن . كنت طفلا وقد انتقل أبي الموظف من بلدة الى بلدة .. ذلك المساء عرفت لأول مرة احساسا ظل فيما بعد حياتي كلها ، كأن قانها ، لازمتها : الاحساس بأن بعضي قد ظل هنا . انني لم ارحل كلي ..

انهم يرحلون ...

الكميون يشخر ، يهدر ، يتجه نحو الشارع ثم يبتعد ضجيجه ...

رحلوا ...

وهبط على الحارة هدوء كل ليلة ، ولكن أي هدوء اليوم !

حوالي الساعة العاشرة جاء بدر الدين . لم يكن وضع فمه متشدقا مثل تلك الليلة . كان محتقن الوجه . قعد على حافة المقعد ولبث فترة لا يقول شيئا . ولم اجد انا ، من جهتي ، ما اقوله . اخيرا قال وهو ينظر في الارض :

ــ والله انا ما اردتها . المسألة ان الجار له على الجار .

صمت ولم اقل شيئا . فاستمر .

ــ لو انه قسط الثمن ونظم الدفع شهريا حتى لا يتراكم عليه مبلغ جديد ...

كان مصباح متحرك ملون في زاوية من بعيد هو الذي يضيء الغرفة بنور هادىء خلب . كان صوته كأنه يأتيني من بعيد . كأنه اعتذار للقرارة في شخصي . وعاد يقول :

ــ الله يلعن الشيطان .

التقطت معنى من عصبية في صوته . هذا واضح لأنه يغير جلسته على نحو مطرد ايضا وينقر بأصابع يديه على مسند الكرسي . ما اكثر شفافيته . لبابه ذاتها بيضاء ناصعة ، ووجهه مضرج . وقال .

ــ لو انه وعدني فقط !

وكرر :

ــ لو انه وعد ، وعد فقط ..

حسيب الكيالي

دمشق ــ وزارة الشئون الاجتماعية والعمل



بقلم : الدكتور عفيف بهنسي
استاذ تاريخ الفن بجامعة دمشق ومدير الفنون في سورية

■ لم يتفق المؤرخون والجغرافيون بعد على تسمية واحدة للجزيرة العربية في التاريخ القديم ويرجع ذلك الى فقدان الشواهد الاثرية الموضحة لذلك ، ولكن مهما يكن من امر ، فان مجموعة من القبائل التي لا ندري بعد حدود حضارتها ، كانت قد توزعت في اطراف الجزيرة العربية ، وخاصة في المناطق التي توفرت فيها المياه او السدود او السيول . ومن الثابت ان هذه القبائل كانت ذات خصائص حضارية وثقافية واحدة ، وكانت لغتهم السامية وكتاباتهم المسندية واحدة . وكان تركيبهم العرقي واحدا ، كما كانت عقائدهم الروحية العميقة ذات مفهوم واحد .

ولقد اطلق على هذه الامة اسم الامة السامية(1) نسبة الى اللغة التي كانوا يتكلمونها . وكان الاحرى ان تسمى بالامة العربية ، خاصة وقد توضح منذ فجر الاسلام ان العرب – كلمة – هي الارومة الاصلية التي ما زالت مقيمة في الجزيرة وان اللغة السامية هي لغتهم الاولى . وان اللغات الاخرى هي لهجات متفرعة ذات اصل واحد(2) .

موجات متوالية من الهجرة الى شمال الجزيرة العربية

ومما لا شك فيه ان الطبيعة الجافة القاسية

---

* آثرنا استعمال تسمية الفن الرافدي لتطلق على جميع الفنون التي ظهرت بين الرافدين ، دجلة والفرات ، وهذه التسمية تقابل باللغات الاجنبية عبارة L'art Mesopotamien

(١) شلوتسر الالماني عام ١٧٨٠

(٢) ان كتابة (ابرهه) على سد مأرب بالخط المسند تدل على ان هذا الخط كان سائدا الى جانب الخط العربي ، اذ ان ابرهه عاش في صدر الاسلام



التي كان العرب الأوائل يعيشونها في الجزيرة ، كانت تفرض عليهم الهجرة وارتياد الشواطئ في الشمال . وهكذا فان ثمة موجات سامية منذ عام ٢٩٠٠ ق.م قد استقرت شمالي سورية ، وهم الأموريون،وفي غربها وهم الفينيقيون والكنعانيون، كما استقرت موجة في (الجزيرة) شمالي العراق أطلق عليهم اسم (الآشوريون) . أما الآراميون فقد استقروا في دمشق منذ عام ١٥٠٠ ق.م ثم استقر الأنباط في الأردن عام ٥٠٠ ق.م وتتالت الهجرات مؤسسة دولة الغساسنة (بصرى) والمناذرة (الحيرة) .

على أن الذي يهمنا الآن هو شأن الشعوب التي امتدت بين الرافدين أي الشعوب الرافدية Mesopotamian والتي شكلت بالاشتراك الحضارة السومرية(١) ، حضارة أكاد وآشور وبابل .

الأموريون

ويبدو أن الأموريين (سكان الغرب) هم أول من حاول غزو السومريين الذين كانوا قد تربعوا على شواطئ الرافدين عند الخليج العربي ، فشكلوا حضارة عريقة تعتبر من أقدم الحضارات الإنسانية، فكانت لهم لغتهم وكتابتهم (المسمارية) وتشريعهم وحسابهم وتقويمهم . وأخيرا كان لهم فن مستقل يدل — بمقارنته مع الفن المصري الذي يعاصره — على أصول الأعراق والأنماط التي تحدد الفروق بين كل من الشعبين السومري والمصري .

كان سارغون (الأموري) أول حاكم عربي ، ولد شنت غزل سامي ، قد أسس مملكة واسعة متحضرة ، وجعل أكاد عاصمته ، وكانت الحضارة السومرية والفن السومري مصدر الهام للشعب الأكادي الذي استمر مهيمنا على السومريين ما يقارب قرنا ونصفا .

ثم انتقلت العاصمة الى أور السومرية فطبع الأكاديون الحياة بطابعهم ، وحكموا متساوين مع السومريين وهم السكان الأصليون ، وبقي الحال ثلاثة قرون أي حتى القرن الثاني والعشرين ق.م، في ذلك الوقت عاد الأموريون من جديد لتجديد سلطانهم على الرافدين فاستقروا في مدينة بابل زهاء ثلاثة قرون ، وصلت ذروتها في عهد حمورابي حيث سيطر على الجنوب كله واهتم بالاقتصاد والعدل (راجع قوانين حمورابي) والعلم .

الآشوريون

ومنذ عهد سارغون الأموري كانت السهول في الشمال مجالا للحياة والحضارة لمجموعات من الساميين الآراميين(٢) الذين وفدوا من الجزيرة العربية تباعا واختلطوا بشعوب أخرى في ساحية كالحوريين . وقد استمرت الحروب بين آشور وبابل ، وكان النصر حليف الآشوريين. وقد بلغت آشور أوج مجدها بعد عام ٧٠٠ ق.م على يد



على هذه الرقعة نمت الشعوب الرافدية التي شكلت حضورا من أقدم الحضارات الانسانية

---

(١) يرجح أن السومريين جاءوا من آسيا الوسطى — وما زال منشؤهم مختلفا فيه

(٢) الآراميون أو السوريون القدماء تبدأ وجودهم قبل عام ١٥٠٠ ق.م ، أي قبل نزوح القبائل السامية أحلام وسوتي التي أطلق عليها اسم الآراميين فيما بعد ، فقد ورد ذكرهم في نقوش نرام سن ملك أكاد — سومر .

صارغون الثاني الملك حتى قصر شاروكين (او صاروخين) العظيم ، ثم زحف ابنه سنحاريب الى فينيقيا ومنها الى مصر ، ثم قضى نهائيا على بابل . وهكذا احتلت آشور الهلال الخصيب بأسره . ولكن هذا السلطان الواسع لم يدم طويلا ، فلم يحل عام ٦١٦ ق.م حتى سيطرت قبيلة كلدي السامية ، وهي آرامية ايضا ، على بابل ، ثم زحف نبوبلاسر على آور واستولى الكلدان عليها عام ٦١٢ ق.م وجعلوا بابل عاصمة لهم واطلقوا على دولتهم اسم الدولة الكلدانية (او البابلية الثانية) ، وكان نبوخذ نصر اعظم ملوكها وهو الذي قضى على اورشليم العبرية ٥٨٦ ق.م وبنى برج بابل العظيم .

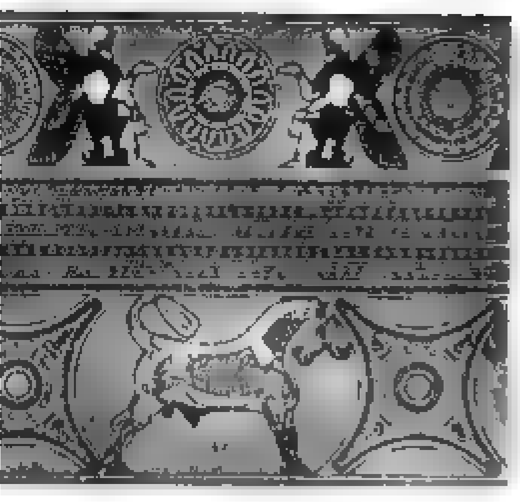
يتضح من هذا العرض السريع لدول الرافدين ان الساميين كانوا هم المسيطرون على تلك البقعة من العالم منذ الالف الثالثة قبل الميلاد وحتى اليوم .

فما هي خصائص تلك الحضارة التي تعاقب جميع حلقاتها لكي تصبح الحضارة العربية اخر حلقة فيها تحمل جميع خصائصها وخلاصة تطورها !

العقيدة السماوية عند الرافدين

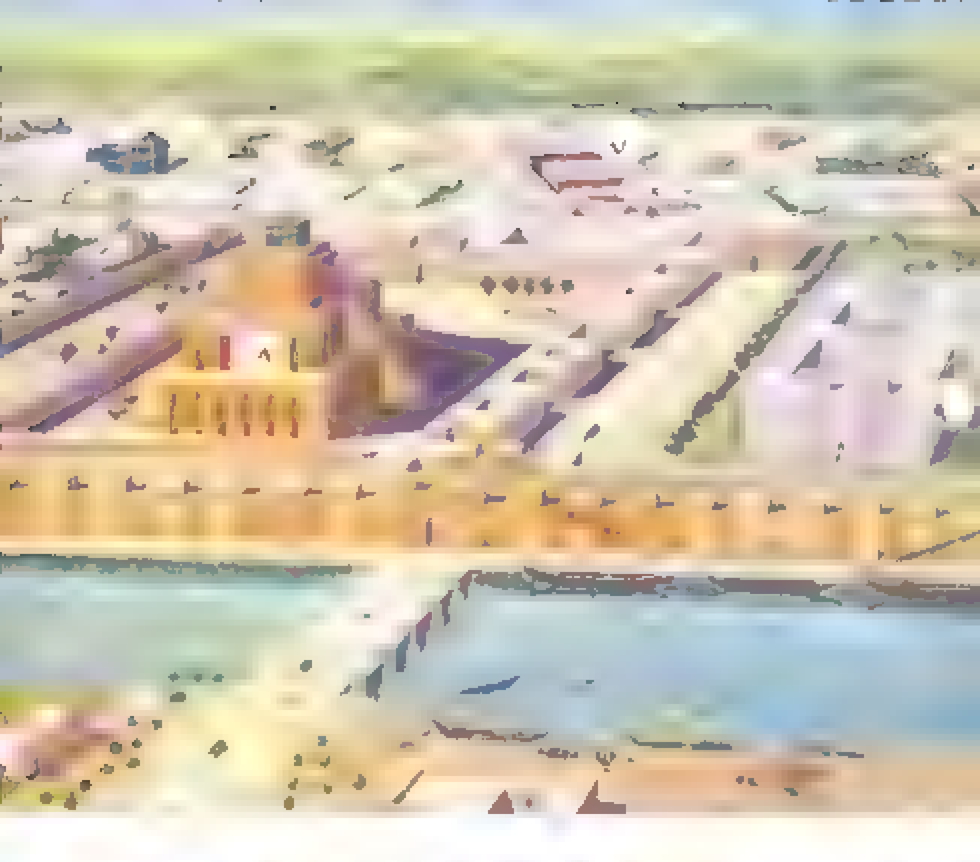
الحق ان العقيدة السماوية التي كانت سائدة منذ خمسة الاف سنة قد وضعت حدود الافتراق بين الفين المصري والرافدي وبين جميع مظاهر الحكم والحياة في كلا الامبراطوريتين القديمتين ، ففي الوقت الذي كان الفراعنة فيه اربابا روحيين، كان ملوك آكاد وآشور وبابل ملوكا دنيين يعبدون الله (آنو) الذي يسكن السماء وهو اكبر الآلهة، لم يتنزل قط الى الارض ولا يمكن ادراكه ، ويسود مجموعة الآلهة ذات القوة الواسعة الأزلية التي لا يمكن تشبيهها ولا يمكن تمثيلها ، الا بالكواكب، الشمس والقمر وزحل والمشتري . .

وكانت هذه الكواكب مصدر التنبؤ بالنسبة للمنجمين الذين كانوا هم انفسهم رجال الدين . ولقد تجسدت العقيدة السماوية بالزيجورات Ziggourat ، وهو البناء المدرج الهرمي الضخم



[illegible] في قصر « ساروكين » [illegible]

والذي كان يسمى بالمعبد المقدس الذي يؤمه الناس ايام الاعياد للصلاة . ولقد كان المعبد يرتفع فوق سبعة اطباق ملونة ، كل لون يرمز الى كوكب من الكواكب ، وقد وصف هيرودوت الزيجورات في عهد نبوبلاسر فذكر انها كانت ذات اجر ملون مؤلفة من سبع طبقات ، كل طبقة تحمل لونا خاصا ، وكل لون يرمز الى كوكب . لون الطبقة الاولى هو الاسود لون زحل - كيوان - ثم الطبقة الصغرى وتحمل اللون الابيض لون الزهرة (مردوخ) . ثم الطبقة التي تعلوها وهي ذات لون احمر ارجواني، وترمز الى المشتري (عشتار) . فالرابعة وهي زرقاء وترمز الى عطارد . والخامسة القرمزية وتشير الى المريخ ، والسادسة فضية وترمز الى القمر (ننار) . واخيرا الشمس (شماش) وتحمل اللون الذهبي . وكان المعبد يعلو هذه الكواكب مما يؤكد ان الاله عندهم كان فوق كل الافكار المشخصة وهو في السماء (آنو) ، ولكن الشمس والقمر والكواكب ، كانت دائما ذات منزلة قدسية عند جميع الساميين . وقد وجدت آثار في اليمن وفي بلاد تدل على ان العرب كانوا يقدسون هذه الكواكب . ولقد اشار القرآن الى هذا في (سورة فصلت ٣٧) : « ومن آياته الليل والنهار والشمس



والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهن ، [illegible]

ومفهوم البعث لم يكن موجودا عند الساميين

[illegible] لم يكن لمفهوم البعث وجود عند الساميين ، فالانسان مخلوق فان [illegible] فان الخلود [illegible] الخلود هو من صفات الالهة وحدها [illegible]

الكثير من الأساطير ، نذكر منها قصة [illegible] الذي [illegible] [illegible] الصعود الى السماء على ظهر نسر ، ولما أصبح [illegible] من أبواب السماء سقط [illegible] على الأرض [illegible] الأسطورة [illegible] الانسان من دخول السماوات حيث الخلود . كذلك قصة جلجامش Gilgamesh الذي قام بمغامرات وعدة [illegible] الخلود [illegible]

لهذا فانه لم يكن لمفهوم [illegible] الذي

[illegible] Heosseca [illegible] Dion [illegible]

[illegible] Zeus [illegible] Poseit [illegible]



هكذا كانت
مدينة بابل

المصريين ، على الموقف الذي كانت العبيد
ابسجمه كالاهرامات ، فكانت لحمط [illegible] من
السرود ونصمان خلودها ، كانت الصور العادية
في بيئة المنازل مكانا عاما توضع فيه الموتى دون أي
تعرض في مكانتها .

ولقد كانت فكرة الإله السماوي الذي يسمو
على البيئة ، السبب في أن الفن السومري عند
الساميين لم يكن صوفيا وسحيا ، على عكس
الأمر فيما يتعلق بالفن السومري ، فكثيرا
ما شاهد تماثيل الملك لوديا(١) Gudea الذي
حكم الى جانب الأكاديين ، معبرة عن خرائب
أور وسومر وسومريا وغيرها ، دون أن نجد نظيرها
عند الأكاديين . وإذا كانت بعض النصوص
والرسوم تمثل بعض مظاهر الفروسية والحرب
عند الآشوريين ، فذلك هذه الإمبراطورية القوية

الصارمة ، قد وضعت القوة المادية دائما في المكان الاول . فكان لا بد من الاشــارة المسحرة لقــوة شكيمة ملوكها وقوادها في حروبهم المستمرة مع بابل وفينيقيا ومصر وميتاني وميديا وغيرها .

العقيدة الروحانية منذ بداية الحكم الاكادي

غير ان العقيدة الروحية على ما يبدو كانت السائدة دائما منذ بداية الحكم الاكادي وحتى في عهد ستحاريب وبيوطاد مصر . ففي قصر شاروكين المسلم في (خورسباد) نشاهد على جدران الغرف الكبيرة تزيينات متوازية ذات صيغ متكررة ، وبينها جداول من الرسوم الزخرفية التي تمثل صــور كائنات مجنحة ملتحية ، وقـد وضـعت بشكل تعبيري متقابل ، وبينهمـا رموز ذات اشـكال او « خيوط » بابلية وجلالية . ان هذه الرسوم تبين مدى القرابة بين الرقش العربي المتاخر وبين الرسم الاشوري القديم . كما تبدو بجلاء وحدة الفكرة التي تقوم عليها تلك الرسوم المركزية التي رمزت عند الاسلام بوضوح الى فكرة الاله مصدر كل شيء وهو الواحد الاحد .

ثم ان اتجاه الكلدانيين المقدسين نحو هذه الدائرة يدل على ان الآلهة المقدسة مردوخ وعشتار وشمس ... ، لـم تكن الا مرحلة مـن مراحل الرقي الى السبعة الالهية . ولما كانت هذه القوى المقدسة سبع وهي الشمس (شماس) والقمر (ننار) وعطـارد والزهـرة (عشتار) والمريخ (النار) والمشتري (مـردوخ) وزحل (كيـوان) ، كانت طبقات السـماء عند الاسلام سـبعة ايضا ، وفي القرآن « الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا » (سورة نوح ١٥/٧١) وكلمة طبقات ذات اصل بابلي(١) ، كذلك كلمة فلك واصلها بلك(٢) .

كذلك كانت ايام الاسبوع عندهم سبعة حملت اسماء هذه الكواكب وانتقلت بنفس المعنى الى الغربيين : فيوم الاحد عندهم Sun - day اي يوم الشمس ، ويوم السبت هو عندهم Satur day ، اي يـوم زحل ، ويوم الاثنين Monday اي يـوم القمر الخ ...

والفرنسيون يسمون يوم الخميس Jeudi ، وهو من اللاتينية Jovis dies اي يـوم المشترى يوم جوبيتر . وهم يسمون يوم الاثنين Lundi ، وهو من اللاتيـنية Luna dies اي يوم القمر . وهم يسمون يوم الجمعة Vendredi وهو من اللاتيـنية Veneris dies اي يوم عشتار (الزهرة) . وهم يسمون يوم الاربعاء Mercredi وهو من اللاتيـنية Mercurii dies اي يوم عطارد .

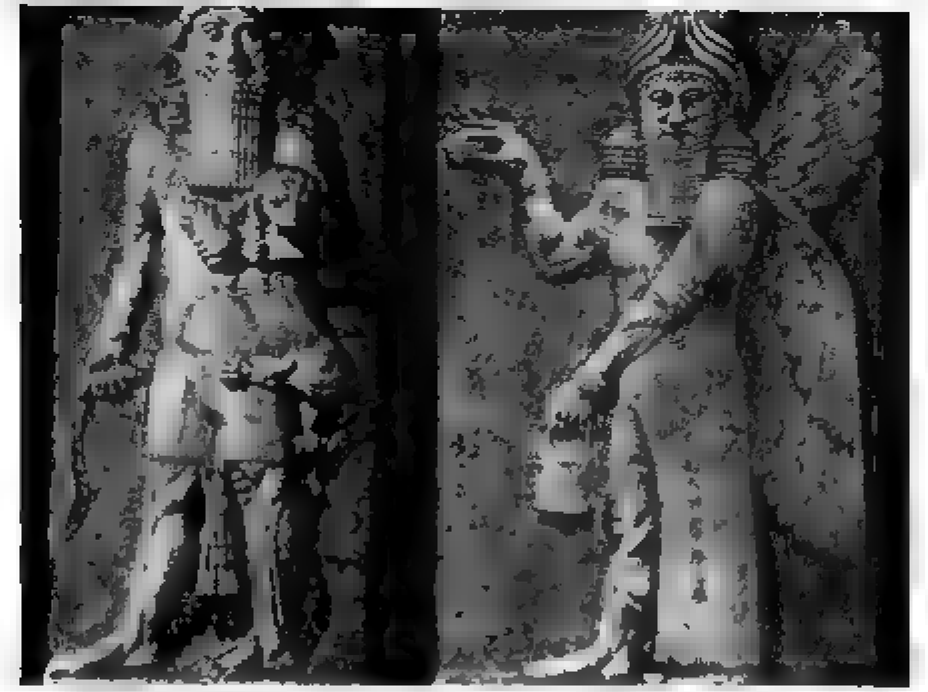
ولقد منع الاسلام تسمية هذه الكواكب « فلا اقسم بالخنس . الجـوار الكنس » (التكوير ١٥/٨١ ، ١٦) .

العزوف عن التصوير التشبيهي عند اسلاف العرب

ولا بد من ابداء ملاحظة عامة في مجال العزوف عن التصوير التشبيهي عند اسلاف العرب . فنحن نرى انـه في كل مـرة كانت الشعوب المسيطرة والعالمية سامية صرفة ، فان هذا العزوف عن الشـبيه ، او ذلك الرمز في الفن ، كان سائدا وكان النحت والتصوير التشبيهي مكروها ، كما كان الحال عنـد الكلدانيين في الـدولة البابلية الاولى ، فحتى الآن لم يعثـر المنقبـون على اي تمثـال كامل البـروز Ronde Bosse يرجع لتاريخهم ، الا بعضـا مـن النقـوش البـارزة Bas reliefs نذكر منها لوحة قوانين حمورابي وفي اعلاها صورة حمورابي يستلهم القوانين من الآلهة شمش . ولعل نقوش اخرى واختام كلها ترمز الى السماء وما فيها من كواكب هي مصاعد الى الله .

اما في النحت الاشوري فان التماثيل القليلة جدا التي عثر عليهـا ، هي اقرب الى النحت الســومري ، اما النقش البارز او النافر فلقد بلغ حدا رائعا ، وكانت الامثلة التي عثر عليها خاصة في خورسباد من روائع الفن الاشوري . على اننا رغم هذا نلاحظ بضعة امور هامة في الفن الاشوري ، الامر الاول هو : الابتعاد عن (تصوير ماله ظل) اي التمثال المجسم . والثاني : الانصراف الى تصوير الحيوانات الثيران ــ الاسود ــ النمر ــ

(١) انظر : عبد الملك : الترجمة عند العرب في القرون الوسطى ص ٥٠ [illegible]



تماثيل من المتحف الآشوري في [illegible] قبل ميلاد

الحياة الخ ... والملاحظة الثالثة هي : عـدم الاهتمام بالبعد الثالث .

الاسس الاولية للفن العربي

ان هذه الظاهر هي الاسس الاولية للفن العربي الذي اصبحنا نراه في العهد الاسلامي وقد اخذ طابعا دينيا وعقائديا ، مع انه في الواقع يستند الى تقليد اصيل عند الساميين القدماء ، وظهر ايضا عند الاراميين والفينيقيين والانباط والقساسنة والمناذرة اللخميين .

بل ظهر ذلك على شكل تحريم في جميع الاديان السماوية التى نشأت على ارض الساميين .

تحريم الصور والتماثيل

فالدين الموسوى حرم التصوير التشبيهي . فقد ورد في الآية الرابعة من الاصحاح العشرين في سفر الخروج « لا تصنع لك تمثالا ولا صورة مما في السماء من فوق ، وما في الارض من تحت ، وما في الماء من تحت الارض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن ».

اما في المسيحية فقد ظهرت مقاومة التصاوير في حركة الايكونوكلازم Econoclasme التى نشأت عام ٧٣٠م في آسيا الصغرى ودعاها امبراطور بيزنطة . وكان اكثر رجال الدين المسيحي يحاربون التماثيل والصور الدينية وخاصة منها ما يصور المسيح والقديسين وآباء الكنيسة .

اما في الاسلام فقد ورد في الحديث « ان من اشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله » ، وان « من صور صورة في الدنيا كلف ان ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ ».

ولعل ابرز مظاهر الوحدة الفنية بين العرب واسلافهم هو فن العمارة وخاصة عمارة المنازل . ان نفس الطراز المتبع في المنازل حتى يومنا هذا في ملامحها — خاصة في دمشق (قصر العظم) كان شائعا بين الرافدين ، فالمنزل هو المكان المغلق على نفسه البعيد عن العالم الخارجي والذى تملأه الزخارف من الداخل . ويبدو من الخارج عديم الزخرفة مغلقا لا محل للنوافذ فيه ، وكان المنزل من الداخل يحتوى الصحن المكشوف ، والغرف المطلة على الصحن ، وذات الارض المرتفعة

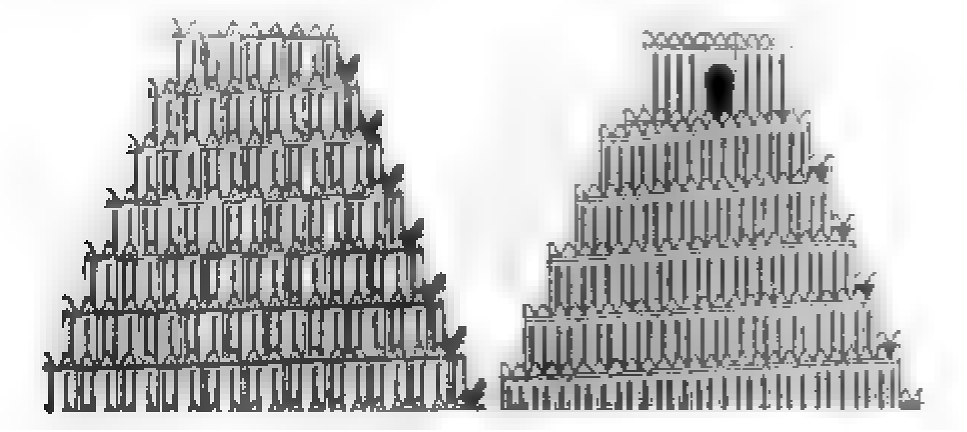
من أهم عناصر الفن الرافدي ، نقش الجدران وترتيبه . وهذا الرسم من عمل مخيلة المصممة التجريدية لأحد المصورين في ذلك العصر ، على ضوء التنقيبات التي قام بها معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو ، في خورسباد بالعراق

كالقامات الشامخة . لقد كان طراز هذا البناء انعكاساً للوضع النفسي والروحي الذي عاشه الساميون وهو الانعطاف دائماً نحو الداخل والتأمل الباطني .

النزعة التصاعدية عند العرب

ولقد كانت هذه النزعة الباطنية عند العرب واسلافهم تصدر عن النزعة التصاعدية في عقيدتهم

الزقورات الأشورية في دور شاروكين (خورسباد) على نحو الصورة المسورة بالألوان في غير هذا المكان





مئذنة «الملوية» في سامراء، وأشهر ما يميزها أسلوب المستمد بناؤها من الزيقورات (الأبراج) الآشورية، وكان يصعد اليها على ظهر حمار «المرسى»!



ومئذنة جامع أحمد بن طولون بالقاهرة، وهي المئذنة الوحيدة في مصر، ذات السلم الخارجي، وهي نسخة صغيرة من سامراء

وروحهم . ولقد تمثلت هذه التصاعدية في أسلوب وشكل العمارة بصورة عامة ، فالزيقورات التي تطورت الى مآذن ، (ومنها ما شابه الزيقورات ذاتها مثل الملوية في مسجد سامراء) ، كانت صورة مجسدة لذلك الطابع التصاعدي ، الذي فصلنا صورته المادية .

أما الأقواس والقباب فلقد كانت تعبيرا عن الفكرة الكونية (أو الكهف الكوني) كما يقول شبنجلر Spengler والذي يوحي دائما بالخفة وبالانطلاق نحو السماء ويبدو ذلك واضحا عند مقارنته بطراز العمارة الاغريقي القائم على فكرة الحامل والمحمول، والذي يوحي برسوخه وارتباطه بالأرض .

وثمة ظاهرة روحية أخرى كانت واحدة في جميع العصور السالفة وهي ظاهرة الرقش العربي (الأرابسك Arabesque) ، فالفن التصويري جنح دائما ومنذ عهد سرجون الآشوري الى الزخرفة مبتعدا عن تصوير الأحياء . وكان هذا مظهرا من مظاهر التحرر من الأشكال المادية الصرفة والانطلاق الى الأشكال المجردة التي تجتمع فيها وحدة الكون .

كذلك كان اللون الذهبي الذي غلب على الألوان السامية لونا مجردا لا ماديا خارقا للطبيعة ، وهو لون الشمس عند الأوائل ، وهو كالشمس القوية يسلب الأشياء حدودها وظلها ويبعث على الحلم والدخول في أعماق الغيبيات والسماء (آنو) ، واللون الثاني هو اللون الأزرق لون السماء ، لون البعد والعمق واللانهائي والأبدي لون الهواء . ولم يستعمل الاغريق والرومان هذا اللون لاعتماد حضارتهم على المادة والغريزة الكامنة في اللون الأحمر . ■■

عفيف بهنسي

نقد كتاب الشهر





بقلم : الدكتور محمود السمره

الجامعة الاردنية – عمان

■ لقد كان صدور قصة « دكتور جيفاكو » للكاتب الروسي بوريس باسترناك ، في سبتمبر (ايلول) ١٩٥٨ ، حدثا ادبيا شغل الادباء والصحافة سنوات : يتبعون اخبار الكاتب ، ويتناولون الكتاب بالتحليل .

وقد وقف القراء من هذه الضجة حائرين ، لا يستطيعون تحديد موقفهم . أترى السياسة الغربية قد استغلت فرصة ذهبية كهذه فاستغلتها لمصلحتها ؟ أم ان الكتاب جدير فعلا بكل هذه الضجة ، حتى استحق مؤلفه من اجله جائزة نوبل !

اما ان السياسة الغربية قد استغلت الظروف التي رافقت ظهور الكتاب ، فهذا صحيح : اذ لاول مرة نجد اديبا روسيا كبيرا يتحدى السلطة في بلده ، ويرسل بكتابه لينشر في الخارج . وكان هذا الكتاب قد رفضت السلطة نشره في روسيا عندما عرض عليها .

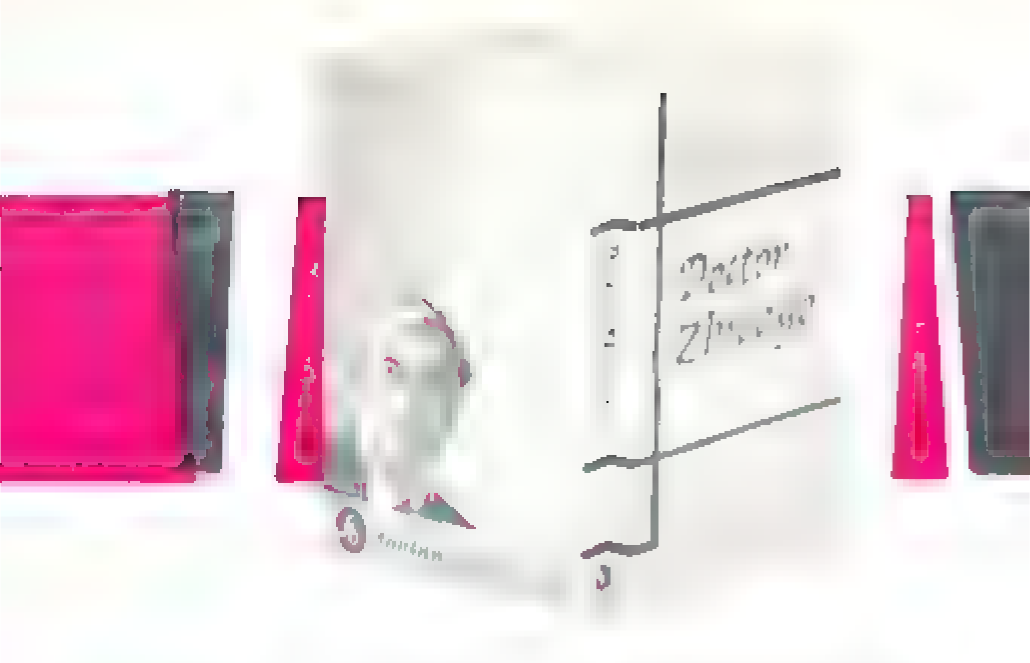
واما ان الكتاب عمل ادبي رائع يستحق كل هذه الضجة ، وهذا التقدير ، فهذا صحيح ايضا . وهذا ما سنحاول بيانه .

ولعل مما زاد في تشيع الادباء والنقاد في الغرب لقصة « دكتور جيفاكو » ان الادباء السوفييت اعتادوا ان يصوروا مجتمعهم مثاليا ، لا عيب فيه ، وما سواه فاسد . فلما جاء باسترناك ليرسم الجوانب المظلمة بالاضافة الى الجوانب المضيئة هللوا له . وفي رأي باسترناك ان الناس في الحياة الواقعية مزيج من الحسن والقبيح والخير والشر، اما الخير المحض ، والشر الذي لا يخالطه خير ، فلا وجود لهما في واقع البشر .

ولم يكن باسترناك أول من فعل هذا ، بل سبقه الى ذلك كاتب آخر ذائع الشهرة ، هو شولوخوف في قصته الشهيرة « بهدوء يجري الدون »(٢)

وفي عام ١٨٩٠ ، وفي موسكو ، ولد مؤلف « دكتور جيفاكو » بوريس باسترناك : من عائلة بالغة التهذيب ، عميقة الثقافة : فوالده رسام مشهور ، وامه موسيقية معروفة . ونشأ الطفل بوريس وهو يحلم ان يكون موسيقارا لامعا كالموسيقار سكريابين Scriabin ، صديق العائلة الذي كان يكثر من التردد عليها ، ويوليه عطفه ورعايته .

2) Sholokhov, Quiet Flows the Don



وتذكر شقيقته في مقدمتها لمجموعة شعره المختارة من شعر اخيها ، ان بوريس كان يحب العزف على البيانو منذ طفولته ، وانه كان يعزف فيهل دموع افراد العائلة تأثرا وانفعالا ، « لانه كان يصب عواطفه في موسيقاه » . فلما كبر اصبحت الكلمة هي اداة التعبير ، بدلا من الموسيقى .

والتحق باسترناك بعد المدرسة الثانوية بجامعة موسكو ليدرس الحقوق ، ولكنه لم يلبث ان قطع دراسته ، وسافر الى المانيا ليدرس الفلسفة في جامعة ماربورغ Marburg ، وبقي فيها الى ان انهى دراسته للفلسفة عام ١٩١٢ ، وعاد الى موسكو .

وفي ماربورغ مر باسترناك بتجربة عاطفية كان لها اثر بعيد في حياته : فقد هوى فتاة فاتنة ساحرة ـ كما وصفها ـ ولما ركبت الفتاة الفتية مع شقيقتها الى برلين ، ذهب لوداعها في القطار ، ولما استقله لم يمالك نفسه من ان يلقي بنفسه وراءهما فيه ، بعد ان كان قد بدأ التحرك . وكادت ان تطحنه عجلات القطار لو لم يسارع قاطع التذاكر لمساعدته ، وجره الى داخل العربة . ووقع على ركبتيه امام فاتنته راجيا منها في تواضع على الزواج منه ، ولكنها صدته ، واعرضت عنه ، وطلبت منه الا يرى معهما في محطة برلين لان والديهما سيكونان في الانتظار .

وهكذا وصل باسترناك الى برلين وحيدا ، حزينا ، يائسا . وفي صبيحة اليوم التالي حمل القطار الى ماربورغ « انسانا يختلف كل الاختلاف عن انسان الامس » : فهذه الصدمة قد فجرت ينبوع الشعر في نفسه ، وكشفت عن مواهبه الكامنة التي بها اصبح اشهر شاعر في روسيا طوال حياته .

والدارس لحياة باسترناك وشعر شبابه الذي ترجم الى اكثر اللغات الحية ، يلمس التمازج بينهما في شعره لوحة الفيلسوف الذي وعى دروس الفلسفة .

وفي موسكو نشر الشاب باسترناك عام ١٩١٤ اول ديوان شعر له . ولما نشبت نار الحرب العالمية الاولى اعفي من الجندية لعاهة في رجله ، اذ كان قد كسرت في طفولته «وهكذا اعفيت من الاشتراك في القتال في حربين عالميتين بسبب هذه العاهة » .

وتنقل باسترناك بين مختلف الاعمال : فترجم بعض المسرحيات لمسرح في موسكو ، وعمل مديرا

لمستخ كيماني في الاورال ، ونشر مجموعة شعرية لانياتا(١) وفي الحرب الاهلية كان امين مكتبة وزارة التربية والتعليم .

وفي عام ١٩٢١ غادر والداه مع شقيقتيه روسيا لعلاج الام المريضة مرضا عصبيا . ووالده هو ليونيد باسترناك رسام مشهور من المدرسة الانطباعية في الرسم ، ووالدته هي روزا كوفمان باسترناك عازفة البيانو الموهوبة . وبقي بوريس وشقيقه الاسكندر ، في روسيا ينتظران عودة الغائبين ولكنهم لم يعودوا ابدا .

وانصرف باسترناك الى نظم الشعر ، واخذت تصدر له مجموعات من الشعر متعددة ، جعلته شاعر روسيا الاول في حياته . وبالاضافة الى انتاجه الشعري صدرت له ترجمة لحياته تنتهي بانتحار صديقه الشاعر المعروف ماياكوفسكي ، كما نشر اربع اقاصيص في مجلد واحد .

وانصرف في العقدين الاخيرين من حياته الى ترجمة روائع الادب الغربي : فترجم شكسبير ، وجيته ، وبن جونسون ، وفيرلين ، وسوينبرن ، وشلي ، وغيرهم .

وكان دوما يحلم بكتابة قصة نثرية يضع فيها خلاصة تجاربه وافكاره . وقد تحقق هذا الحلم اخيرا فكانت قصة « دكتور جيفاكو » .

وما نعرفه عن حياة باسترناك الخاصة قليل جدا ، ولكنا نعرف انه قد تزوج في شبابه وله من زوجته ولد . وقد توفي بوريس باسترناك عام ١٩٦١ .

وقد وصف باسترناك عارفوه فقالوا : انه كان انسانا لطيفا ، يستقبل الناس بمودة وحرارة ، ويرفع في ثوان الحواجز القائمة بينه وبينهم . وكان قوي البنية ، ربع القامة ، يبدو اصغر من سنه . ومن هواياته المحببة الى نفسه العمل ساعات في حديقة البيت : يقلم الاشجار ، ويرتب الازهار في الاصص ، ويزرع البطاطا . واذا تحدث اغرق في الحديث وتدفق ، وطرق كل موضوع يمكن ان يخطر بالبال .

هذا هو مؤلف « دكتور جيفاكو » .

اما « دكتور جيفاكو » فهي القصة الوحيدة التي كتبها باسترناك الشاعر . ويبدو ان فكرتها كانت تراوده منذ سنين بعيدة،منذ شبابه الباكر : فهو يقول على لسان البطل : « ومنذ ان كان شابا يجلس على مقاعد الدراسة كان يحلم بكتابة كتاب يسجل فيه انطباعاته عن الحياة ، ويخفي وراء معناه الظاهري اشياء مثيرة عاشها ، وشاهدها ، وفكر فيها . انه يريد ان يخفي هذه المعاني وراء الالفاظ ، كما تخفى اصابع من الديناميت تحت طبقة رقيقة من القش . لقد كان من اليفاعة وعدم النضج ، بحيث لم يستطع كتابة مثل هذا الكتاب ، ولهذا انصرف الى نظم الشعر » .

وعندما كبر ونضج ، وخبر الحياة والناس ، صار الحلم كابوسا يقض مضجعه ، ويهيب به ان يكتب شيئا عظيما . ويبدو ان هذا الهاجس كان مبعثه احساسه ان فن القرن العشرين لم يستطع ان يصور عظم مأساة انسان هذا القرن بحربه العالمية الاولى ، وثورة ١٩١٧ ، والحرب الاهلية ، والحرب العالمية الثانية ، واهوال الاحتلال النازي والمجاعات ، والموت المتربص في كل مكان .

وقد بدأ باسترناك بكتابة « دكتور جيفاكو » بعد الحرب العالمية الثانية بقليل ، وقدمها للنشر عام ١٩٥٦ ، ولكن السلطات ردتها . وفي عام ١٩٥٨ ظهر الكتاب في البلاد الاوروبية بترجمات متعددة .

ويبدو ان باسترناك كان راضيا كل الرضى عن الصورة التي تحقق بها حلم شبابه ، لانه يقول : « ان الشيء الوحيد الذي اعتز به من انتاجي هو « دكتور جيفاكو » اما شعري وكتاباتي الاخرى فلا قيمة لها تذكر في نظري » .

---

(١) ديواناه هذان مترجمان الى الانجليزية بعنوان : The Twin in Clouds. Above the Barriers.

والقارىء لقصة « دكتور جيفاكو » قد يجهد سببين يصرفانه عن قراءتها : أولهما بطء الأحداث في الصفحات الخمسين الأولى ، وثانيهما احتشاد القصة بحشد من الشخصيات حتى انه ليضل بينها . ولكنه اذا تغلب على هذه الصفحات فسيجد ان الكتاب ممتع ، يغذي الفكر والروح . وكثرة الشخصيات لا مناص منها في مثل هذا العمل الأدبي ، لأنه ليس قصة بطل ، بل قصة مجتمع بكامله في فترة من الزمن حافلة بالأحداث. انها شبيهة بقصة « الحرب والسلم » لتولستوي. كلاهما قصة اجتماعية ، تاريخية ، فلسفية ، وان اختلفت طريقة التناول .

ومع هذا فان القارىء ليس مضطرا الآن يتذكر هذه الشخصيات ، واذا نسيها اثناء قراءته فانه لا يخسر شيئا ، لأنها تظهر وتختفي ، ولا يبقى الا شخصيتان رئيسيتان هما : دكتور جيفاكو البطل وعشيقته لارا وهي البطلة . وشخصية ثالثة هي شخصية باشا ، زوج لارا ، الذي تركها وترك مهنة التدريس في مدرسة للبنات بالأورال ليلتحق بجيش الثورة ، ويصبح من قوادها البارزين .

والخطوط الرئيسية للقصة في ايجاز بالغ هي

يموت جيفاكو الأب في قطار ، ويبقى الطفل يوري جيفاكو يتيما بلا أبوين ، فيأخذه عمه الى بيت صديق له ، هو استاذ في الجامعة . وهكذا ينشأ جيفاكو الصغير في رعاية هذه الأسرة الكريمة. ثم يلتحق بالجامعة ليدرس الطب « ومع انه كان يحب الفن والتاريخ ، الا انه لم يتردد في اختيار مهنته المستقبل . فقد كان يؤمن ان الفن لا يمكن ان يكون مهنة ، كما ان الهواية والمرح لا يمكن ان يكونا مهنة . انها احاسيس تلقائية . وما يريده هو ان يعمل شيئا نافعا في حياته العملية ، ولهذا اختار دراسة الطب » .

ويتخرج جيفاكو طبيبا من الجامعة ، وتمرض زوجة الاستاذ فيقضي جيفاكو وابنتها تانيا الليالي الى جانبها . وعندما تشعر بدنو الأجل توصي الشابين ان يتزوجا ، فيصدعا بذلك . وتموت الأم هادئة البال ، ويتزوج جيفاكو الصبية الجميلة البريئة تانيا ، ويعيشان مع الأب الذي يحبانه أعمق حب .

وتشتعل نار الحرب العالمية الأولى ، فيجند جيفاكو طبيبا في المستشفى أولا ، ثم ينتقل بعد ذلك الى الجبهة . وهناك يقضي ساعات الراحة النادرة في نظم الشعر . وفي جبهة القتال يلتقي بممرضة اسمها لارا جاءت تبحث عن زوجها الذي انقطعت عنها أخباره . لم يخبرها أحد اصدقاء زوجها انه قد قتل ، لأنه كان معه في المعركة . والحقيقة انه لم يقتل وانما اسر .

وينهزم الجيش القيصري في الحرب ، وهنا يتيح الفرصة لقيام ثورة ١٩١٧ .

وعاد جيفاكو سالما الى زوجته وابنه الذي ولد أثناء غيابه — وعمه . وباخذ يفكر في طريقة لانقاذ العائلة من الجوع والبرد . وهربا من جو موسكو الرهيب.وتقرر الزوجة ووالدها أن خير ما يفعلونه هو ان يرحلوا الى الأورال ، حيث يعيشون في عزلة بعيدا عن اهوال الحرب ، آمنين من الموت جوعا ، لأن تلك التربة الغنية تستطيع ان تقدم لهم بيسر ما يكفيهم .

وبعد انتظار طويل استطاعوا ان يحشروا انفسهم في القطار الذاهب الى الأورال . وقبل ان يصلوا الى المدينة الرهيبة يكونون قد مروا بألوان عديدة من الصعوبات والمخاطر . واستقر بهم الحال مستقرين في تلك المدينة ، ولكن الأخطار التي ظنوا انهم قد نجوا منها ، تطاردهم في كل مكان .

وفي هذه المدينة يلتقي جيفاكو بالممرضة السابقة لارا التي عرفها في جبهة القتال . ويقوم بين الاثنين غرام عنيف ، ويقع جيفاكو فريسة صراع نفسي : اخلاصه لزوجته الطيبة تانيا ، وحبه العارم للارا الجميلة الذكية التي أحبته فوق كل حب .

وفي ليلة كان عائدا الى بيته ، واذا بجماعة من رجال الثورة تستوقفه ، ثم تأخذه عنوة ليكون طبيبا في جيش الثورة ، ويتنقل من مكان الى مكان الى ان ينتهي في سيبيريا . ولما استتب الأمر للثورة عاد جيفاكو الى مدينته في الاورال ، ليجد عائلته قد عادت الى موسكو ، فيذهب الى لارا ويقيم معها . واثناء ذلك كانت تصلها اخبار زوجها وبسالته في جيش الثورة . ومن احداث القصة نعرف ان زوجها قد فعل كل ما فعل ليكون جديرا بحبها ، فهو قد انخرط في جيش الثورة ، وعرّض نفسه للمخاطر لانه كان يحس انها لا تحبه. ولما بدأت الثورة تأكل ابناءها ، كان هذا الزوج من المأكولين الا دفعته الى الانتحار .

وتصبح حياة جيفاكو وحياة لارا مهددة في هذه المدينة ، فينصحها ان ترحل مع صديق ، على ان يلحق بها فيما بعد . ويعود جيفاكو الى موسكو باحثا عن عائلته ، فيعرف انه قد حكم عليها بالنفي ، لأن حميه استاذ الجامعة اعتبر خطرا على النظام الجديد .

ويعيش جيفاكو في موسكو حياة تشرد وبؤس ، ويهمل نفسه ، بعد ان فقد من احب : لارا ، تانيا ، ابنه ، حميه ، اصدقاءه . وفجأة يقع ميتا بالسكتة القلبية في الشارع .

وينتهي الموقف الرئيسي للكتاب بلارا وبملامحه وهي واقفة تبكي فوق جثة حبيبها ، ثم تخرج فلا نسمع عنها شيئا . لقد اختفت هي أيضا .

هذا ايجاز القصة يسلبها الحياة ، وكل تلخيص لاي عمل ادبي رائع يميته . ولكنه ايجاز بعث اليه ضرورة التعريف ، والحاجة اليه لفهم ما سيأتي :

ان جيفاكو ، بطل القصة ، هو باسترناك ، الى حد كبير : فهو في القصة في عمر المؤلف ، ويمر بالظروف التي مر بها : ثورة ١٩٠٥ الفاشلة ، واهوال الحرب العالمية الاولى ، وثورة ١٩١٧ ، والحرب الاهلية التي تلتها والتي انتهت عام ١٩٢١ .

ولارا بطلة القصة ، وخليلة جيفاكو ، قد استوحاها باسترناك من شخصية صديقته اولغا ايفنسكايا والتي كانت تمرضه طيلة مرضه الأخير، وتحت بصرها فارق الحياة .

وبطل القصة يعاني من حرمانه من عائلته الحبيبة ، ومؤلفها قضى حياته دون ان يرى أبويه وشقيقتيه بعد ان تركتا روسيا الى الخارج .

ويرى بعض الدارسين ان قصة « دكتور جيفاكو » هي قصة الثورة ، وهذا غير صحيح ، فالثورة ليست الا جانبا من جوانب عدة تتناولها القصة . ولكن الثورة هي التي تلعب بأبطال القصة : تسلب جيفاكو زوجته ، وابنه ، وحبيبته . وتدفع بزوج لارا الى الانتحار .

والكتاب مليء بالمفاجآت العارضة التي تتم بمحض الصدفة ، ولكنها مفاجآت تزيد القصة غنى، وقربا من واقع الحياة . واذا كان بعض كتاب القصة يلجأون الى اقحام عامل الصدفة في تصميم لحل موقف معقد ، فان باسترناك بعيد عن هذا كل البعد . ومع هذا فان هناك من الشخصيات والاحداث ما يمكن ان يعتبر باهتا ، لانها لا تمس جوهر القصة .

والموت هو السلطان المهيمن على الكتاب : فهو يبدأ بوفاة والد جيفاكو ، وينتهي بوفاة لارا بطلة القصة « ففي احد الايام خرجت لارا ولكنها لم تعد . وهي اما ان تكون قد اعتقلت ، او قتلت ، او اختفت في مكان ما ... » والموت هنا ليس دليلا على يأس الكاتب وسلبيته ، بل على صدقه في تصوير هذه الفترة من التاريخ ومحنه .

وليس جيفاكو في القصة مدافعا عن القيصرية ، كما انه ليس ناقما للثورة التي يراها من منجزات العالم العظيمة . والحقيقة ان السياسة لا تهمه كثيرا . وما يهمه هو : كيف يستطيع ان يحافظ على عائلته ، ويكفل لها العيش ، وسط كل مظاهر الدمار المحيطة بها ؟ انه يقول « لا شيء في الحياة اثمن من السعادة العائلية » . وهذا الاهتمام بالعائلة ، وسلامة العائلة ، والبيت الهادىء ، من المواقف الرئيسية في الكتاب . وهو موقف يؤكد فيه باسترناك على ان الفرد يأتي قبل المجموع .

وفي القصة مواقف عدة توضح هذا : من ذلك اننا نجـــد البطل جيفاكو معنيا بجمع الحطب لتدفئة عائلته ، منكبـــا على اصلاح المدخنة في بيته ، منصرفا الى العناية بصحة ابنه وزوجه ، مفكرا في طرق يحصل بها على الطعام لها . انه يفعل هذا في الوقت الذي ينصرف فيه الآخرون الى رفع الشعارات المندد بالقيصرية واتباعها ، ويطاردون هؤلاء الاتباع ويفتكون بهم . وهو يفعل هذا لانه يؤمن ان انقاذه لعائلته من الموت جوعا اهم من اشتغاله بالسياسة ، ولهذا فانه كان يعتبر في نظرهم مترفا ، وخطرا على النظام الجديد .

وباسترناك من المعنيين في ادبهم بالصـــلة بين الروح والجسد . وفي رأيي ان جعله بطل قصته طبيبا لم يكن عبثـــا ، فدكتور جيفاكو شـــاعر وطبيب ، ولهذا فهو قادر على التأمل في الصـــلة بين الروح والجسد .

وباسترناك في كتابه هذا لا يرى ان الانســـان سيد قدره ، وعنده ان الراحة النفسية ودفء العاطفة فوق كل العقائد . وبطل القصة وبطلتها يجسدان هـــذا المفهوم ، فيقول جيفاكو : « ان محاولة جعل الناس نسخا متشابهة يعني انتحار انسانية الانسان » . وهذا القول لعمره حبيبـــة جيفاكو ، وحبة باشا زوج لارا ، فجيفاكو يحبه الانسان يتغلب على كل العقبات ، وعلى مشقات الحياة ، ويكافح ، ويجاهد الى ان يسقط ميتـا متعبا بتوقف قلبه عن الخفقان . اما باشا فهو المتـــمرد الذي ركب اول موجة من موجـــات الثورة ، وولغ في الدماء ، وقســا قلبه وهو طريد العاصفة ، وانتهى به الامر الى الانتحار .

والحس ، والاتزان العاطفة ، صفتان اصيلتان في الكتاب : فهو يحث على التفكير والتأمل ، وهو يثير في نفس القارىء عواطف وانفعالات باقية في النفس ، حتى لكأن العاطفـــة فيه قد قطرت تقطيرا ، كما يقطر العطر من الزهرة الفواحة . اما تهييج العواطف وصخبها فلا وجود لهما في ادب باســترناك .

وباسترناك لا يقف هنا موقف المتفلســف ، او الواعظ ، او الداعية لأمر من الامور ، ولكنه يرسم الاحداث والشخصيات بصدق وعمق وقوة ، لم يرد للقارىء ان يفهم ما يريده لانه يؤمن بالقارىء وبالعقل الانساني .

وباســترناك في كتابه مرهف الحس والسمع ، حتى ليرصد ادق الانفعالات على وجه شخصياته ويسمع الهمســة الخافتة في الطبيعة . وقد وصفته الكاتبة مرينا تزفيتايفا بانه اشبه الكتاب ببدوي الصحراء اليقظ لكل حركة وصوت .

ان « دكتور جيفاكو » في كلمة : حافل بالمعاني ، وانا على يقين من ان كل قارىء يســتطيع ان يجد شيئا من نفســه فيه . ■■

محمود السمره

من الكتب التي وصلتنا

انوار التاريخ الحضرمي

تأليف محمد بن أحمد بن عمر الشاطري ـ مكتبة الارشاد بجدة

● يعتبر هذا الكتاب سفرا قيما في التـــاريخ الحضرمي وما جرى في تلك المنطقة من الوطن .

احاديث عبر الاثير

تأليف احمد ابراهيم أبو يوسف

● هذه المجموعة من الاحاديث الشيقة المتنوعة لابعث في اذاعة العراق . نذكر منها محمد نبي الانسانية والسلام ـ ابو يوسف قاضي القضاة ـ محمد بن الحسن الشيباني ـ الدراسة الفقهية في النجف الأشرف ، وغيرها من المواضيع الهامة .

تدريس التاريخ

تأليف : هنري جونسون ـ ترجمة الدكتور ابو الفتوح رضوان ـ دار النهضة العربية بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ٧٠ قرشا .

● هذا الكتاب بيان علمي شامل للكيفية معالجة علم التاريخ بحيث يكون اداة ناجحة في تقرير كل ما يهم مدرس التاريخ من الاهداف والاتجاهات في تدريس مادته .

يوم ميسلون

تأليف : ابو خلدون ساطع الحصري ـ دار الاتحاد بيروت ـ الثمن ٧٥٠ قرشا لبنانيا .

● هذا الكتاب انما هو صفحة من تاريخ العرب الحديث ولا غنى للقراء العربية عنه فهو يستعرض ما حدث لسوريا من يوم ميسلون الى يوم الجلاء مبينا اطماع فرنسا بسورية والتنازع الدولي حول البلاد العربية قبل الحرب العالمية وخلالها وبعدها. وقد ذيل الكتاب بوثائق ومعلومات فريدة في نوعها .

الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي

تأليف : عبد الرزاق الهلالي مكتبة النهضة ببغداد ـ الثمن ٥٠٠ فلس عراقي .

● هذا الكتاب وان كان منصبا على دراسة سيرة الشاعر الثائر المرحوم الشيخ محمد باقر الشبيبي الا انه في الوقت نفسه دراسة لثورة الفكر والادب التي مهدت لثورة العراق الكبرى .

المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة

تأليف : الدكتور احمد بدوي والدكتور هرمن كيس ـ الهيئة العليا لشئون المطابع الاميرية بالقاهرة .

● هذا الكتاب يعتبر من اهم المصادر العلمية في مفردات اللغة المصرية القديمة وصلتها باللغة القبطية والالمانية وقد اشرف عليه اساتذة كبار من جامعة القاهرة . وجامعة جوتنجن بالمانيا .

السائرون وحدهم في الحياة

تأليف : بري برجس ترجمة الدكتور سعيد عبده ـ دار النهضة بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٢٢ قرشا .

● هذه قصة جندي امريكي خدم في الحرب الاسبانية الامريكية في الفيليبين وبعد عودته الى بلاده بسنوات عدة ظهرت عليه اعراض الجذام ونزل في مستعمرات خاصة بمرضى ذلك الداء القتال ولقد كان جهاد هذا الجندي البطولي الفذ لمواجهة هذا المرض من العوامل التي مست شغاف قلب المؤلف كما لو كان احدى الاساطير البشرية العظيمة .

الاسلام ومعركة المصير الانساني

تأليف : محمد عبد الساعدي ـ مطبعة المعارف ببغداد

● هذا الكتاب يسعى به صاحبه الى ازالة الصراع القائم في هذه الايام في اجزاء متفرقة من العالم بتحكيم الاسلام وتعاليمه في الحياة العامة كابقى مثله للميزان الدولي .

تاريخ المن بالامامة

تأليف : عبد الملك بن صاحب الصلاة ـ دار الاندلس بيروت .

● هذا الكتاب يعتبر من اهم الوثائق التاريخية التي ظهرت الى الآن عن الامبراطورية الموحدية بالمغرب وافريقية والاندلس وهو الى جانب ما تضمنه من حقائق مهمة فانه يتناول جوانب من الآثار المعمارية والحضارية كما يحتوي على تراث ممتاز من الادب العربي بما فيه الشعر والنثر .

الكويت لؤلؤة الخليج

تأليف : اسكندر معروف ـ من موسوعة وطننا العربي الكبير .

● هذا الكتاب يصور مرحلة من المراحل التي قطعتها الكويت العربية الحديثة خلال العشر سنوات الاخيرة . ويمثل قصة الكويت الرائعة التي كتبها خلال هذه الاعوام آل الصباح والشعب الكويتي وابناؤه الغر . ■■

(بقية المنشور على صفحة ٢)

المرأة الاغريقية واخذها بأسباب الزينة والتجمل

الصورة المنشورة على الصفحة الثانية ان دلت على شيء فانما تدل على مدى ما بلغته المرأة اليونانية على صعيد التزويق والتجميل . فعلى ملامحها فتاة حسناء تحمل المرآة البرونزية في اليد الواحدة ، وتصفف شعرها باليد الأخرى، ولسان حالها يردد القول المأثور عن ارسطوفانس Aristophanes كاتب الكوميديا الاغريقي المشهور « نفني اوقاتنا واحمر الشفاه من معيشتنا ، واصباغ الوجه ومساحيقه من شمائلنا ، والملابس الشفافة ممن حولنا » .

على ان ثياب المرأة اليونانية لم تكن كلها شفافة . فقد شملت فيما شملت العباءة التي كانت ترتديها وتلفها على جسدها وتغطي بها احيانا رأسها لدى خروجها من البيت . وكان هناك الشال الذي غالبا ما حجبت به وجهها في حياتها وترحالها . بل لعلها التزمت التحجب وتقيدت به اثناء تجوالها في الشوارع . ان كان زوجها مرافقا محترما ومعروفا .

تلك هي حال المرأة الاغريقية في القرن الخامس قبل الميلاد ، وفيما سبقه من قرون . ولقد اوجز المؤرخ اليوناني القديم توسيديدس Thucydides وصف حالها بقوله : « ينبغي للمرأة ان تحتجز في البيت فلا يعرف اسمها احد ولا يرى شخصها احد » .

ولم يقف بؤس حال المرأة الاغريقية عند هذا الحد . فقد حرمت نعمة الأخذ من العلوم بنصيبه وحيل بينها وبين ارتياد الأسواق بقصد التسوق، وشراء الحاجيات . يستثنى من ذلك نفر من النساء سميّن بالصديقات او الهيتايرى Hitairi وسمح لهن بتلقي العلوم والاسهام في ندوات الرجال وفيما تخللها من محاورات ومناقشات .

ويستثنى من ذلك ايضا طبقة أخرى من النساء سمح لهن بقدر من الحرية ، نظرا لما تعرضت له محصنات من مساس ، ويذكر هنا ان خليلة بريكلس Pericles كانت من هذه الطبقة الاخيرة ، الا انها كانت تتمتع بقسط وافر من المواهب العقلية والذكاء فضلا عن الجمال . فقد امتدحها سقراط الحكيم نفسه ونسب اليها الفضل في وضع الخطبة التاريخية المشهورة التي القاها بريكلس احياء لذكرى ضحايا حروب البلوبونيز Peloponnesuan . وقد تكون هذه المرأة الموهوبة هي التي كثرت الاشارة اليها في محاورات افلاطون ، وكانها المرجع الذي ظلّ يلجأ اليه سقراط مستوضحا مستفسرا .

وينسب بعض المؤرخين وضع المرأة الاغريقية هذا الى مؤثرات شرقية ظهرت ايضا في هذا وذاك من الفنون الاثينية بيد ان هذا الوضع لم يلبث حتى تمائل الى التحسن ، ولكن فيما بعد القرن الخامس قبل الميلاد .

على ان وضع المرأة في المجتمع الاغريقي لم يحل دون قيام صرح من الحضارة الفذة الشامخة في ذلك المجتمع نفسه ، سادت وفاقت كثيرا مما سبقها ولحقها من حضارات .. ولعل أبرز ما تتصف به حضارة الاغريق صمودها وبقاؤها حيًا وغالبا حتى يومنا هذا . فجل ما في حضارة الغرب المعاصرة من علوم وفلسفة وفنون ، مرده الى ارسطو وسقراط وافلاطون . لقد كانت حضارة حية ، ثم بادت من حيث اطار الزمان والمكان الذي ترعرعت فيه ، الا انها عادت الى الحياة من بعد ان بادت ، فالتقت بحضارة العرب والمسلمين ، ومن ثم بحضارة النهضة عند المؤرخ الاوروبيين فاخذ سبيلها الى البقاء والخلود . ■



« قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ »

« قرآن كريم »

الوصول الى القمر والمريخ شيء..

● في مجلة « العربي » غذاء فكري ، وأدب نفسي ، وتثقيف علمي ، يعتز به رواد العلم وطلاب المعرفة . وقد جاء في باب « أنت تسأل ونحن نجيب » تحت عنوان « الربط بين القرآن وما كشف عنه العلم الحديث من مخترعات مسألة فيها نظر » ما يوحي بأن « العربي » لا يؤمن بأن هناك آيات تدل على الاكتشافات الحديثة .

وعندي أن القرآن حينما يشير الى غزو الفضاء أكثر بذلك من معجزات أسراره ، ودلالة على صلاحه وملاءمته لجميع الأزمان ، حيث لم يكن لعصر دون عصر ، ولا لزمان دون زمان ، ولا لجيل دون جيل ، ولا لأمة دون أمة ، وإنما هو لجميع الأجيال ، هو للإنسان أينما كان .

ويطيب لي أن أسأل مجلتنا المحبوبة عن معنى الآية الكريمة « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان »

وهل من الغريب أن نقول إن الآية تنبأ مسبقاً بالتحقق من خروج الإنسان من نطاق الغلاف الأرضي الى آفاق أوسع باستخدام سلطان العلم والقوة ، وأن غزو الفضاء وارد في القرآن !

النجف الأشرف — الخطيب جواد شبّر

— قلنا من قبل ، وما زلنا نقول ونكرر القول ، بأننا مع إيماننا الكامل بإعجاز القرآن ، وصلاحيته لكل زمان ومكان ، نرى أن محاولة الربط بينه وبين ما كشف عنه العلم الحديث من مخترعات ، على الصورة التي يزعمها بعض المتحمسين ، مسألة فيها نظر ، وأن معظم الذين يتزعمون هذه المحاولات يتخبطون في محاولاتهم أكثر من تخبط معظم المفسرين القدامى ، إما عن جهالة أو عن حسن نية ، متأثرين بما دس على التفاسير من إسرائيليات هي أحدى الثغرات التي يهاجم الإسلام من خلالها خصومه الكثيرون ..

أما كان أجدى وأنفع ، للناس ولهم ، لو أنهم اتجهوا الى تنقية كتب التفسير من تلك الخرافات التي دست عليه ، كزعم « كعب الأحبار » مثلاً ، أن الله سبحانه بعد أن أبدع الأرض جعلها على « حوت » هو « نون » الوارد في قوله « ن ، والقلم وما يسطرون » وقوله : « وذا النون — أي صاحب الحوت — إذ ذهب مغاضباً » ، وأن الله جعل هذا الحوت في الماء على صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة في الريح ، ليست في السماء ولا في الأرض ، فجاء ابليس فتغلغل الى الحوت ، فألقى في قلبه قائلاً :



« من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار »

« حديث شريف »

« أي أرض تقلني ، وأي سماء تظلني ، إذا قلت في القرآن مالا أعلم »

« ابو بكر الصديق »

والنفاذ من أقطار السموات والأرض شيء !

« هل ترى ما على ظهرها من الأمم والشجر والدواب والناس والجبال » ؟ — مع أنه لم يكن الا ذاك على ظهرها شيء من ذلك كله ! — « فلو نفستم لألقيتهم عن ظهرك أجمع » ! فهم الحوت بذلك فاهتزت الارض ، فبعث الله دابة دخلت في منخره ، فعج الى الله منها ، فخرجت !! وانه — أى الحوت — فيما زعم كعب الاحبار — لينظر اليها بين يديه وتنظر اليه ، ان هم بشيء من ذلك عادت حيث كانت !! » .

ونعود الى الآية الكريمة التي تستشهدون بها كما يستشهد بها الكثيرون على أن غزو الفضاء وارد في القرآن ، وانها تنبأ بما سيحدث في المستقبل من خروج الانسان من نطاق الغلاف الارضي الى آفاق أوسع باستخدام سلطان العلم وقوله ، فنقول انكم قد نسيتم — كما نسي الآخرون او تناسوا — أهم ما تضمنته هذه الآية الكريمة ، فهي تقول : « أقطار السموات والأرض » ولم تقل « أقطار الأرض » وحدها .. وحسبك يا سيدي أن تعرف أن أرضنا هذه وما معها من كواكب المجموعة الشمسية وأقمارها ، على الرغم مما بينها من أبعاد شاسعة ، ليست أكثر من قطرة في محيط ، بالنسبة لما تشير اليه الآية الكريمة من أقطار السموات التي تضم عدة ملايين من أمثال هذه المجموعة ، موزعة في مجرات مختلفة ، لا يعلم عددها الا الله !

فالقول بأن الآية تنبأ بخروج الانسان من نطاق الغلاف الجوى خطأ فاضح ، ولو تبينا حقيقة معناها لوجدنا أنها انما تتلو قدرة الجن والانس على أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض ، أى من ملكوت الله ، وانها تتحداهم ، وتؤكد عجزهم عن ذلك ، وتشعرهم بأنهم لا سلطان لهم ، ولن يكون لهم قط سلطان أمام قدرة الله وسلطانه ، وأنهم أبد الدهر لا يمكنهم أن يخرجوا من أقطار سمواته وأرضه ..!

ثم ان أهل الثقة من علماء التفسير يقولون ان قوله تعالى « فانفذوا » انما هو أمر تحد وتعجيز .. بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية مباشرة « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس .. فلا تنتصران » !

أبعد ذلك نجد ؟ وهل أبلغ من ذلك دلالة على عجز الانسان عن أن ينفذ من أقطار السموات ، حتى ولو خرج من نطاق الغلاف الجوي للأرض ، أو المجموعة الشمسية كلها ؟ !!

وأخيرا هل قرأت يا سيدي قصيدة أبي العلاء المعري التي يقول فيها .

وهل يأبق الانسان من ملك ربه
فيخرج من أرض له وسماء ؟!

ألا ترى معي أن هذا البيت هو خير تفسير للآية الكريمة التي عنها تتحدثون .. !

هذا هو « الكومنولث » ودوله

● سمعت بين حين وآخر أنباء عن اجتماع دول « الكومنولث البريطاني » ، ولكن نقرأ بين أسماء هذه الدول أسماء دول نعرف أنها مستقلة ، مثل الهند وباكستان وغانا وسيلان وقبرص وغيرها ، فلماذا يقال عن هذه الدول أنها من « الكومنولث البريطاني » مع أنها مستقلة ؟ وما هي الدول التي يتألف منها « الكومنولث » ؟ وما هو نوع علاقتها مع بريطانيا ؟ وما هي أشهر حاصلات تلك الدول ، ومساحتها ، وعدد سكانها ؟

حوران : سوريا — محمد خير طرش

— « الكومنولث » تعبير يطلق على بعض الدول التي كانت في الماضي تابعة لبريطانيا وكانت تعرف باسم « الدومنيون » ، ثم استقلت عنها ولكنها ترتبط معها بارتباطات سياسية أو اقتصادية كالهند وأستراليا وباكستان وكندا ونيوزيلاندا وجبل طارق وغانا واتحاد الملايو ونيجيريا وسيراليون وتنجانيقا وجنوب أفريقيا ونياسالاند وغيرها .

ولا يشمل « الكومنولث » البلاد التي لا تزال تعتبر مستعمرات بريطانية حتى الآن ..

وقد تألف « الكومنولث » عام ١٩٢٦ . وهو يضم حوالي ١٢ مليون ميل مربع ، أي نحو ١/٤ مجموع مساحة اليابسة في العالم ...

وأكبر دوله مساحة هي كندا .

ويبلغ مجموع سكان الدول التي يتألف منها الكومنولث ٧٠٠ مليون نسمة ، أي ما يقرب من ربع مجموع سكان العالم .

وتنتج دول الكومنولث ما يزيد على ثلث ما ينتجه العالم من الصلب والمطاط الطبيعي والألومنيوم والأرز والكاكاو والفول السوداني والقصب . وكذلك ما يزيد على خمس ما ينتجه من جوز الهند ومعادن الكروم والنحاس والرصاص والزنك والفضة والكوبالت

جمال الدين الافغانى .. والمستبد العادل

● قرأت المقال القيم الذي نشرته « العربي » للدكتور عثمان أمين عن « عبقرية جمال الدين الأفغاني » ، كما قرأت تعقيب المشرف على ركن « أنت تسأل ونحن نجيب » على رسالة السيد حسن الأمين عن جنسية السيد الأفغاني ونافي أمن التعرف عليه .. وإني مع إقراري بعظمة جمال الدين كداعية ثوري آخذ عليه شيئين هامين ، أولهما ما أثر من قوله « أن مصر والشرق لا ينفع في حكمهما إلا مستبد عادل » ، وثانيهما انتظامه في سلك الماسونية وهو زعيم ديني ، والماسونية جماعة « لا دينية » !

ترى هل أجد عندكم تفسيرا معقولا لهذين المأخذين يريح بالي ويزيل شكوكي ؟

إسماعيل رشدي / القاهرة

— أنت معذور في ما تأخذه على السيد جمال الدين ، بحسب الظاهر .. فإن عبارة « المستبد العادل » ما تزال تنسب إليه ، تلوكها الألسن وتجري بها الأقلام منذ أجيال ، دون أن يحاول الذين يرددونها أن يحققوها أو يتحققوا من صحتها ، مع أن الاستبداد لا يتفق مع العدل ؛ ومع أن السيد لم يكن داعيا ثوريا فحسب ، بل كان أول داعية للحرية في الشرق الإسلامي ، وأول شهيد من شهدائها .. وليس معقولا أن يدعو للحرية ويستشهد في سبيلها ، ثم ينادي في الوقت نفسه بحكومة استبدادية !

على أنك لو رجعت إلى تاريخ السيد جمال الدين ، أو قرأت « خاطراته » التي سجلها محمد المخزومي باشا أحد تلامذته ومرافقيه ، لوجدت ما يريح بالك ..

والفحم الحجري فضلا عن القمح والشوفان وقصب السكر والزبدة وعجينة الورق .

وتعتبر استراليا اكبر دولة منتجة للصوف ، لا في الكومنولث وحده ، بل في العالم كله .

وتصدر نيوزيلاندا من لحم الضأن اكثر مما يصدره اي بلد آخر ، وهي في عداد اهم الدول المصدرة البيض والزبدة ايضا .

وتنتج قبرص اكثر من مليون ونصف مليون صندوق من الحمضيات كل عام .

ويمثل سكان الهند وحدها نصف مجموع سكان دول الكومنولث ، كما انها اكبر بلد لتنتج الشاي في العالم الحر .

وكذلك تعتبر باكستان اكبر بلاد العالم المنتجة للجوت . وغانا اكبر بلاده المصدره لجوز الهند . والملايو اكبر البلاد المنتجة للصمغ ـ التنك ـ القصدير ، وثاني البلاد المنتجة للمطاط الطبيعي .

وتعتمد روديسيا ونياسالاند في اقتصادهما على زراعة التبغ ، الى جانب استخراجهما للنحاس والكروم والاسبستوس .

وتملك دول الكومنولث من البواخر ما تبلغ حمولته حوالي ٢٤ مليون طن .

وقد اعلن استقلال الهند وباكستان عام ١٩٤٧ ، وسيلان عام ١٩٤٨ ، واتحاد روديسيا ونياسالاند عام ١٩٥٣ . واستقلت غانا واتحاد الملايو عام ١٩٥٧ ، ونيجيريا عام ١٩٦٠ ، وسيراليون وتنجانيقا عام ١٩٦١ .

اما استراليا وكندا ونيوزيلاندا فقد استقلت عام ١٩٣١ .

وجميع دول الكومنولث مستقلة ذات سيادة ، وهي متساوية مع المملكة المتحدة ، ولكنها ترتبط معها برباط التعاون والتشاور في الحقلين السياسي والاقتصادي على السواء ، دون ان يؤثر ذلك على حريتها واستقلالها .



يقول المخزومي باشا انه سأل السيد عن صحة ما ينسب اليه من عبارة « المستبد العادل » فصححها له ، وان حقيقتها هي انه « لا تحيا مصر ولا الشرق الا اذا اتاح الله لكل دولة من دوله رجلا قويا عادلا » . فان خير صفات الحاكم القوة والعدل ، وان المطلوب هو « القوي » لا المستبد ، لأن الاستبداد يتنافى مع العدالة والحرية .

اما عن انتظام « السيد » في المحفل الماسوني بالقاهرة فلا بد ان يكون قد حدث لحكمة . فليس من المعقول ان ينضم زعيم ديني ، وداعية ثوري ، ومصلح اجتماعي ، كالسيد جمال الدين الافغاني الى جمعية لا تؤمن بدين ولا قومية ، وهو عليم بحقيقة اهدافها الصهيونية التي لم تكشف الا اخيرا .. والارجح انه انضم اليها متأثرا بالمبادىء البراقة التي كانت تتظاهر بها ، واهمها العمل لتحقيق الحرية والاخاء والمساواة ، وتقديس كرامة الفرد ، واقامة ميزان العدل ، والقضاء على جراثيم الاثرة والانانية وحب الرياسة والاستهتارية التي كانت سائدة في عصره ، وما تزال .. لكنه ما لبث ان تبين خداع القوم ، وانهم يبطنون خلاف ما يظهرون ، فانسلخ منهم وراح يوجه اليهم النقد اشد النقد ، ويكشف زيف شعاراتهم في خطبه وكتاباته ، التي تجد آثارها في « خاطراته » ، فارجع اليها ان اردت .

مرة أخرى :

لا تفتروا على « الأرواح » .. ولا تظلموها !

● د . . . والحقيقة انى اريد ابلاغها هى ان القصيدة التى اشرتم اليها ، وسرتم مطلعها ، بـ احدث ما املى روح امير الشعراء احمد شوقى ، وانما هى قصيدة املاها الروح معاتبا فيها الدكتور طه حسين عام ١٩٥٥ .. ووقت الامانة الرسالة الروحية لمهدة ارسل اليكم نص القصيدة كاملة ، وحبذا لو انسحب ... « العربي » لنشرها وترك الحكم على اصدائها للقراء

● كذلك ارسل اليكم بعض القصائد التى املاها روح امير الشعراء فى مناسبات سياسية وغير سياسية ، وهى كلها مهداة اليكم ... من روح امير الشعراء ، ولو كان لدى الوقت الكافى بعثت بقصيدة جديدة فى كل صباح من روح احمد شوقى ، امير الشعراء حيا وميتا !

الوسيطة الروحية

حرم الدكتور سلامة روفائيل سعد

ـ اسمحى لى يا سيدتى ان اصارحك برأيى الشخصى .. وهو رأى اعلم علم اليقين انه لا يرضيك ، ولا يرضى احدا من المشتغلين بطرافة « تحضير الارواح » !

ان القصائد التى بعثت بها ، ليس فيها ما يمكن ان يسمى شعرا ! فما بالك اذا كنت تريديننى ان اصدق انها من نظم « روح » امير الشعراء ، حيا او ميتا !!

ومن دواعى الاسف الا يتسع هذا الركن لنشر تلك القصائد العجيبة ، ولكن ما دمت تريدين الاحتكام الى القراء ، فاليهم بعض ابياتها :

ولنبدأ بالقصيدة التى نشرنا مطلعها فى العدد الاسبق ، والتى تقولين انها موجهة الى الدكتور طه حسين لنقرأ فيها ما يلى :

والله الشهيد بالصورة آلردى
خنقا ودبنا ... العهد فى ...
الكت تجمعى بالمطروح أرضه
... السحائب بالاعصاب والشهب
وابسم ... فى الافلاك والشهب
... الرواسخ كالبكة فى الصلب
ما ... ليفه للمكدود ...
فالشعب يزخر بالامجاد العرب
يا صالح مهلا ، ... النجوم الآبة
والامس ... دون ... والعتب
الشرق فى ... اخطرى
... المصر فى ... بالعجب
... شعرى كالاعلام فى ...
... أبدا لا يجتاح بالصخب
ما ضر لو نثر ... فى كتفى
اذ كنت حبيبا بالشكوك فى ادبى
حقا ان كنت كالشيوه فى ...
او بت كما كالمصور فى الجدب
اسبقه شعرى بالمطروم دائقة
... وبجمرى للاطفاء ... لعب
... يرلس فى الاسلاك ...
بينك ... اهله المتدح بالطرب
الخ . . .

فهل هذا طرازا من الشعر ينسب الى شوقى ؟!

ومن القصيدة التى القيت فى الاجتماع الاول لجمعية الشعراء ، بنا على طلب مكتوب من بعض الشخصيات المعروفة فاجيبوا الى ما طلبوا فى ٢٠ ساعة فقط كما يقولون ، ننقل الابيات الآتية :

بيلم للقريض صروح مجد
والطرينسم نصابه والقوانا !
لما ... القريض سوى ...
ومن يهوى فلعبا او ...ا !
ولعتسب انكياسة ... ...ا
ولون الملح ... تابى الطعاما
والـ... ... يسبح ...
والا ... ...
ومن يعصى الشاعر للتلهى
... الطاعة الكبرى الاماما !!
الخ .. الخ ......

هذه كلها مجرد نماذج من ذلك الشعر الذى تريد السيدة « الوسيطة الروحية » ان تحتكم الى القراء فى « اصالته » ! وما اظن احدا ، او أرى



الدومنيكان .. وفيتنام

● في الشهور الاخيرة الماضية كثر ترديد اسم الدومنيكان .. وفيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية بمناسبة الغزو الامريكي لهذه البلاد .. أرجو التفضل ببيان موقع كل من هذه الدول الثلاث من العالم ، ومساحة كل منها وعدد سكانها واهم حاصلاتها ، لأن هذه البلاد لم تكن على الخرائط القديمة أيام كنا طلبة في المدارس .

وشكرا جزيلا .

حامد صلاح الدين حسن / دمشق

— في البحر الكاريبي ، والى الغرب من جزيرة كوبا ، توجد جزيرة اخرى صغيرة ، اسماها كولمبوس « اسبانيولا » عندما اكتشفها عام ١٤٩٢ .. وقد ظلت هذه الجزيرة تحت الحكم الاسباني ثم الحكم الفرنسي ، كما تعرضت للاحتلال الامريكي وأخيرا قسمت الى قسمين ، القسم الشرقي ، وهو يمثل ثلثي الجزيرة فهو جمهورية الدومنيكان والقسم الغربي يمثل الثلث وهو جمهورية هايتي .

وتبلغ مساحة الدمنيكان حوالي ١٨٨١٦ ميلا مربعا وعاصمتها سانتودومنجو وعدد سكانها حوالي ٣ر٢ مليون نسمة ، ويقطعها من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي سلسلة من الجبال ترتفع الى عشرة آلاف قدم ، وهي من الدول التي تعتمد على الزراعة ، وبها موانيء بحرية هامة ..

حصلت على استقلالها عام ١٨٦٥ ، لكنها تعرضت لاضطرابات عدة ، واحتلها الاسطول الامريكي ما بين عامي ١٩١٦ ، ١٩٢٤ ثم اعلن دستورها الجديد ، وفي عام ١٩٣٠ انتخب الجنرال « رافاييل ليونيداس تروخيلو موليينا » رئيسا للجمهورية ، فظل يحكمها حكما دكتاتوريا حتى اغتيل في ٣٠ مايو عام ١٩٦١ .

وقد هاجمتها القوات الامريكية اخيرا لان امريكا تريد ان تقوم فيها حكومة موالية لها ..

اما فيتنام فتمثل الدولتين الواقعتين على شاطئ بحر الصين الجنوبي ، وهي من الدول التي انفصلت عنها تقسيم الهند الصينية بعد حرب ضارية ، والى جوارها من الغرب كل من دولتي لاوس وكمبوديا .

وتنقسم فيتنام الآن قسمين ، فيتنام الشمالية وهي دولة شيوعية ، وفيتنام الجنوبية وهي تدور في فلك امريكا .

وتبلغ مساحة فيتنام الشمالية ٦٠٫١٥٦ ميلا مربعا ، وعدد سكانها ١٧ مليونا ، وعاصمتها هانوي ورئيسها « هوشي منه » ، وتعتمد على الزراعة والتعدين ، وخاصة مناجم الفحم والصفيح والذهب .

واما فيتنام الجنوبية فمساحتها ٦٥٫٩٨٤ ميلا مربعا ، وسكانها ١٥ مليونا وعاصمتها سايجون . ومن منتجاتها الرئيسية المطاط .

وتشترك الدولتان في انتاج الأرز والسمك والفلفل والماشية والقمح والشاي والبن .

حقا ولو قليلا من الذوق الفني او العاطفة الشاعرية ، يصدق ان هذا الشعر الهابط الركيك من نظم « بدوي » أمير الشعراء !!

وهنا عليها انا سلمنا جدلا بأن الارواح تستطيع تلبية الدعوة الى جلسات « التحضير » ، فتتكلم حينا ، وتتجسد حينا ، ثم ترقص وتغني وتنظم الشعر ، وتعالج من استعصى علاجه من مرضى الاحياء ، كما يزعم الذين يعيشون في ذلك الوهم الكبير !

ولست أدري لماذا يخاف الناس الموت ويكرهونه ، وقد رأى القراء مما نشرنا من قبل ، ما ذكره علماء الارواح الافاضل من أن روح أحمق الفتيات كانت تعيش مع خطيبها « الحي » وتعاشره معاشرة الازواج بضع سنوات !! وان لم يقولوا لنا ان كانت قد حملت منه ، وكم انجبت له من البنين والبنات !!

صوت من تركستان .. المسلمة

● لا شك انكم وبجهودكم المشكورة تمثلون المستوى الثقافي العربي في هذا القرن ، ومجلتكم هذه ليست غريبة من نوعها وفريدة في العالم العربي فحسب ، بل انها وحيدة وفريدة في كل خصائصها ومميزاتها في العالم الاسلامي جميعا ، بمطالعة محتواها من بحوث قيمة وموضوعات مفيدة ، وبالابواب التي تطرقها في شتى الميادين من علمية وادبية وفنية ، وكذلك بمساهمتها العظيمة في اعادة تاريخ العرب وامجاد الامة الاسلامية الى الاذهان بذكر احدث الحقائق والحوادث عنه .. ولو ان القارىء جمع كل بحث تحت عنوان عام ، بصورة الرأسية ، لخرج بعد بضع سنوات بموسوعات ضخمة في شتى المواد من العلوم والآداب والفنون ... نحمد الله تعالى على هذه النعمة ونتمنى لكم دوام التوفيق ولسائر العرب والمسلمين .

ومجلتكم اسمها « العربي » ، وتمثل الثقافة العربية والفكر العربي والوعي العربي لهذا القرن وكذلك لتمثلها الى ميادين ، هامة مفيدة ، اخرى ... وكثيرا ما يلفت نظري انها تقدم في كل عدد « ريبورتاجا » او اكثر عن مدينة من مدن الوطن العربي الكبير مزودا بالصور الملونة تمثل عن نواحيها العمرانية والاثار ، والاوضاع الاجتماعية والثقافية .. الخ ، وعلى تتابعي للاعداد الصادرة من المجلة شهريا وقراءة مواضيعها صفحة بعد صفحة ، لاحظت ان هذه الزاوية تعرض صورا وحقائق عن مدن الوطن العربي فقط ولا تتعداها . وهنا اسأل سيادتكم هل يمكن للمجلة ان تمد صدرها من حين الى آخر للدول الاسلامية ؟ وخاصة تلك التي كان لها تاريخ مجيد وثقافة اصيبت كما اصيبت شقيقاتها من الدول الاسلامية والشرقية ، بالاستعمار ، وانتكبت اسوأ انتكابة فاستطاع بعضها بحكم الاوضاع والظروف ان يخلص نفسه من هذا القفص في حين ما زال بعضها يئن تحت براثن الاستعمار الغاشمة وفي سلاسل العبودية ، بينما منها ما ضرب حوله ستار سميك من الحديد ليختفي عن المسرح السياسي ، فتركستان دولة اسلامية كبيرة تقع على الشاطىء الشرقي من بحر قزوين ، وتمتد نحو الشرق بسهولها وسهوبها وجبالها الخضراء ومراعيها الخصبة التي تنسج الذهب الابيض « القطن » بكميات خيالية ، وبسكانها المسلمين الذين تزيد عددهم على ثلاثين مليونا من العاملين لرفع راية الاسلام ونشر دعوته السليمة .. فهذا الشعب قدم في ايام مضت ، من ابنائه الى التاريخ الاسلامي رجالا لا تتساقط صفحاته على مر الازمان كمحمد بن اسماعيل البخاري والفارابي والفرغاني وابن سينا ، والخوارزمي ، وحجة الاسلام الغزالي وعشرات آخرين من امثالهم ، وهذا البلد الاسلامي اليوم يكاد يختفي من المسرح السياسي في العالم لولا جهود بعض المهاجرين التركستانيين الذين يبذلون قصارى جهودهم لرفع صوت التركستان وانات شعبها الى مسمع الرأي العام العالمي . وقد غادر هؤلاء المهاجرون اوطانهم لكي يحيوا قضية بلادهم بين اخوانهم المسلمين فلذا — وبعد هذا العرض الوجيز — اسأل ان كان ممكنا ان تنشروا بعض الحقائق التاريخية والصور الملونة او العادية لبعض مناظر بلدان تركستان المسلمة ؟

انا في انتظار جوابكم بفارغ الصبر ولكم جزيل الشكر وعظيم الاجر .

الرياض — هداية الله حكيم — تركستاني

العربي : نفعل ان شاء الله .

من شعر القراء :

الحسناء والمرآة

رآها تخرج مرآتها من حقيبة يدها تتفحص بها محياها الجميل فقال

يا حلوتي ما هذه المرآة ابصرها لديك ؟ ؟
تتفحصين بها جمالك بل مفاتن وجنتيك
انسيت ان الحسن كل الحسن ملك في يديك ؟ ؟
والفتنة العمياء تبرز كلها من مقلتيك ؟ ؟
اني لاخشى ان يصيبك فتنة من ناظريك
واخاف من عينيك ان يرتد سحرهما اليك
عيناك فاتنتان . اشفق من سهامهما عليك

عبد الهادي كامل
دمشق



فصاحة ...

● دخلت المريضة عيادة الطبيب ، ولما سألها عما بها اجابته :

– عندي الم شديد لا اعرف بالضبط اين هو .. وقد بدأ ولا اعرف من اي وقت بالضبط .. ويزداد يوميا ولا اعرف في أي وقت بالضبط ..!

فالتفت لها الطبيب بعد ان كتب لها وصفة طبية ، وقال : خذي هذا الدواء ، ولا اعرف في اي وقت ، وخذيه مرات لا اعرف عددها بالضبط ، وستشفين ، ولا اعرف كم يستغرق هذا من الوقت بالضبط !!

معقول !

● دخل رجل قسم البوليس مهرولا، واتجه الى ضابط التحقيق وقال له :

– لقد سرق احدهم سيارتي يا سيدي .

– فيمن تشك ؟ هل تشتبه في احد ؟

– لا .. لا اشتبه في احد ..

– لا بد أن يكون أحد الشاكين في المنطقة !!

صراحة ...

● قالت الشابة لزميلتها : لقد قابلت حطيبي عندما كنا صغيرين في المدرسة كان عمري خمس سنوات وكان عمره كذلك خمس سنوات. أما الآن فقد كبرنا .. أصبح عمري ٢١ سنة،وصار عمره يقرب من ٢٣ سنة !

غباء

● استدعت السيدة مهندس التلفزيون ليرى ما اصاب جهازها ، واحضر المهندس أدوات التصليح ورتبها على الطاولة ، ثم استدار للسيدة وقال لها : مم تشكين من جهازك ؟

– كل شيء عادي، والبرامج واضحة، ولكن الصوت دائما عالٍ !!

تفسير

● قال مدير المحل للموظف الجديد : ان الصدق والتعقل هما اساس نجاح اعمالنا في هذا المحل يا بني .. واعني انك عندما تعطي وعدا لأحد العملاء .. عليك بتنفيذه ولو على حساب خسارة المحل ..

فالتفت له الشاب وسأله : وما معنى التعقل يا سيدي ؟!

قال : التعقل ان تتجنب اعطاء مثل تلك الوعود ..

ذكاء

● عندما بدأ الطيار في الارتفاع بطائرته الى علو شاهق اسرعت المضيفة نحو الركاب وقدمت لكل منهم قطعة من اللبان قائلة : ان هذا اللبان سيساعد على عدم تأثر آذانهم بضغط الارتفاع . ولما هبطت الطائرة اقترب رجل عجوز من المضيفة وقال لها : « لقد كانت فكرتك عظيمة يا آنستي .. ولكن هل لك ان تساعديني على اخراج اللبان من اذني ؟!!! » .

■■

العربي

العدد ٨٤
رجب ١٣٨٥
نوفمبر
الثاني ١٩٦٥

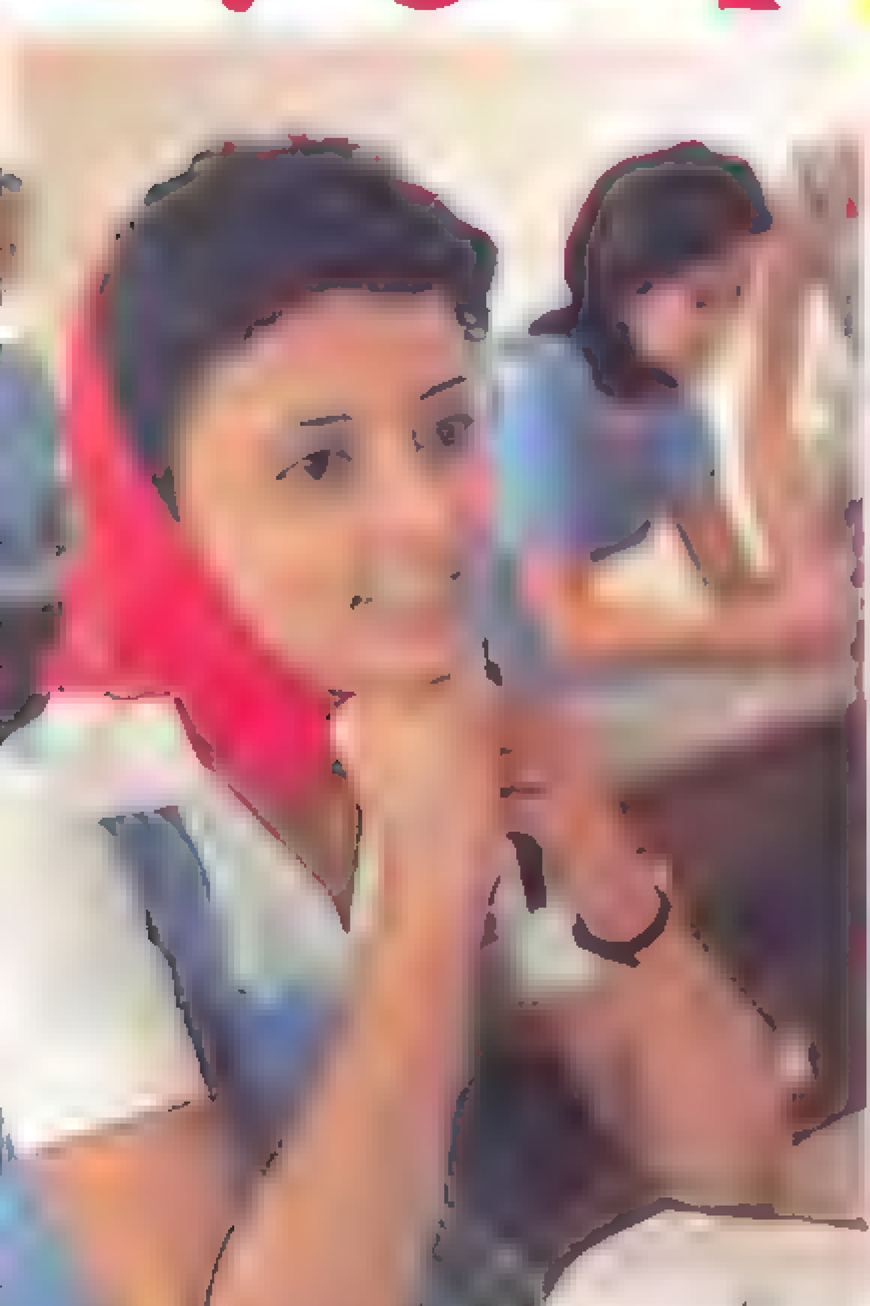
اطلب

مع هذا العدد

جوائز

١٢٠٠

دينار سنويا





حضارات سادت ثم بادت

عزيزى القارىء :

اجتمع مؤتمر القمة العربى فى سبتمبر ، أيلول ، الماضى ، وانتهى . وما كادت تظهر نتائجه حتى كان عدد « العربى » لأول أكتوبر ، تشرين الاول ، فى طريقه الى سائر البلاد العربية .

وتحدثت الصحف من يومية وأسبوعية ، عن المؤتمر ، قبل انعقاده ، بالذى تحدثت ، وفصّلت فيه ، من بعد انعقاد ، وفى ظروفه ، وفى ثمرات جناها ، ما فصّلت .

والواقع انه لم يبق للقول مزيد .

الا كلمة قليلة قصيرة .

ذلك ان نغمة اليأس ، قبل انعقاد ، غلبت على نغمة الرجاء ، حتى خيل للناس ان هـذا هو المؤتمر الثالث والأخير .

ولقد خفتت نغمـة اليأس من بعد انعقاد ، وكثر الرجاء ، ولكن ظلت صحف تنفث الريبة وتشكك فى الذى كان ، عن ايمان . وصحف اخرى ظلت نعيقها فحيح الافاعى ، لا هدف لها الا تسميم الجو وقتل الرجاء .

فالجمهور العربى يود ان تقول ان الحركة العربية تعثرت فى السنوات الماضية من هـذا القرن كثيرا ، واقيلت العثرات كثيرا . وانها سوف تعثر ،وسوف تقال . فهذه طبيعة الحركات التاريخية الكبرى جميعا . وأى حركة أكبر من الحركة العربية؟وأى تفاعل كالتفاعل القائم اليوم بين اشتات هذه القومية ؟

وللافكار ، على اختلافها ، اى جولة واى صولة .

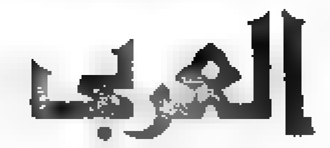
ما دام ان كل عثرة تزيدنا خبرة ، فاهلا بالعثرات .

ان الله ليس مع القانطين

ان الله مع الصابرين .

« فصبر جميل ،والله المستعان على ما تصفون» .

المحـرر



رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة

لغات وآداب

تاريخ وتاريخ أشخاص :

عروبة :

طب وعلوم :

إسلاميات



مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت

الوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = NO. 84 November 1965 P O B 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »

الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة ـ قسم الإعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● بدأ رجال الجيل الجديد في الجنوب العربي ، بالعمل على تزويد بناتهم بالثقافة والأدب ليستطعن المساهمة مستقبلا في تدبير شئون المنزل والعناية بتربية الطفل ، والمشاركة في انجاح الحياة الزوجية .. وهذه الصورة لفتاة من فتيات سلطنة لحج بالجنوب العربي ، تتلقى تعليما حديثا راقيا ، بعد أن ظلت الفتاة هناك حبيسة منزلها لا تتعلم او تتثقف خوفا من الخروج على العادات والتقاليد القديمة البالية . (انظر استطلاع لحج داخل العدد) .

ثمن العدد : بالكويت ١٠٠ فلوس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٣٫٠ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١ قرش ، الأردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ج٫ع٫م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٣٫٠ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة المرسة للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت – ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف اشتراكات العربي



الشخصية الجديدة للمرأة العربية وواجب الصحافة النسائية تجاهها

● لا ينكر احد اليوم ان المرأة العربية قد تخلصت في اكثر مجتمعاتنا من قبول الصدور التقليدي لها كامرأة ، وتخطت ذلك الدور بدور جديد أطلقت عليه الكاتبة (بيتي فريدن) اسم (الاتجاه الرابع) حيث زادت على كونها زوجة وأما وربة بيت ، دورها الجديد كانسانة تستغل طاقاتها في العمل خارج البيت للمساهمة في بناء المجتمع. والفئة للمرأة العربية تبرز ذلك بوضوح، حيث انها تعمل اليوم في جميع الميادين ، ولا تزال تجمع صفوفها الفكرية والطبقية تكافح لاجل انتزاع حقوقها السياسية والاجتماعية في المجتمعات التي لم تعطها الفرصة بعد لتتطور التطور الحتمي نحو انسان القرن العشرين ..

ان المرأة العربية وان تكن حققت عدة انتصارات باهرة في ثورتها على التقاليد القديمة فهي تمر بمرحلة انتقالية بالنسبة لشخصيتها وتحتاج لمن يأخذ بيدها بواسطة وسائل الاعلام ، وبالاخص مجلاتها .. ان على المجلات النسائية اولا ان تؤمن بهذا التطور وبأن قراءها جيل غير الجيل الماضي ، وبأن المرأة فرد تتفاعل مع الاحداث في المجتمع والعالم . وان للمرأة زيادة على شخصيتها كأنثى شخصية مستقلة كانسان ، وتستطيع المجلات أن تخدم المرأة اليوم بأن تدفعها وتشجعها لتستغل طاقاتها ومواهبها وكفاءتها لتعمل ما يمكن عمله .

كذلك فالمجلات النسائية يمكنها أن تخدم المرأة والرجل على حد سواء اذا ما عالجت مشاكل مشتركة ومواضيع عامة بحيث تشعر الاثنين أن هناك ما يهم الطرفين في حياتهما غير البيت والطعام ومشاكل الاطفال . فتغيير المواضيع يساعد على خلق تفكير منطقي وواسع لتفهم الامور . وبالرغم من أن مثل هذه المواضيع كثيرا ما تعالج في المجلات غير المخصصة للمرأة ، الا أن معالجتها على صفحات مجلات المرأة تخلق بالايحاء شخصية المرأة المتفاعلة التي يجب أن يتحلى بها انسان القرن العشرين .

آمنة عائدة مطر/ عمان

المرصد .. والمرصاد

● لفت نظري في المقال الذي نشرته « العربي » عن مركبة الفضاء التي أطلقت « لرصد السماء » ان المجلة اختارت له عنوانا « المرصد الطائر » بفتح الميم وسكون الراء وفتح الصاد ، مع اسقاط الالف.

ان لفظ « مرصد » ورد في القرآن بمعنى الممر او الطريق حيث قال تعالى في وجوب قتال المشركين « واقعدوا لهم كل مَرْصَد » .

فماذا تقصد « العربي » بقولها المَرْصَد الطائر ؟

الصويرة : المغرب   تاركيستي بنزيان

« العربي » رَصَدَه ، لغة ، معناها قعد له في طريقه يتوقع به ، والمرصد هو الطريق أو المكان يُرْصَدُ فيه العدو أو يتربص به . وقد استخدم هذا اللفظ في علم الفلك للمكان الذي تراقب فيه النجوم والكواكب وما اليها .

لا فرق بين بدوي وقروي في الجيش الاردني

● كتب السيد سليمان موسى مقتبساً في «العربي» تحت عنوان «الحروب والغزوات» ما نصه.

«ويضم الجيش الاردني كتائب منفصلة، من هؤلاء وهؤلاء، وغالبا ما تقوم الخطط العسكرية على ان تهاجم كتيبة بدوية موقعا ما، وتحتله بعد ذلك كتيبة من ابناء القرى». ولا يسعنا الا ان نعلق على ما كتبه، بانه لا اساس له من الصحة، وانه يفتقر الى تأييد المنطق والواقع.

فنحن اليوم وبعد طرد الاستعمار من ارضنا، لا فرق بين بدوي وقروي، وبين شرقي وغربي.

وكان جديرا بالسيد سليمان موسى الاشارة الى ان هذه الناحية هي احدى سلع الاستعمار التي لا يألو جهدا بترويجها في كل سوق لفتح ابوابها لتجارته القائمة على اساس التفرقة بين الاخ واخيه. وهي حقيقة لا تخفى على احد.

مولد صباح المبارك
القوات المسلحة الاردنية

لسنا مسؤولين عن الاعلانات

● في العدد ٧٢ من «العربي» وفي الصفحة ١٠٠ نشرتم اعلانا لشركة «باركر» بعنوان (انشئ لك صداقة جديدة في عبر البحار. ولربح احدى هذه الجوائز الثمينة) فاشتركت فيها وارسلت القسيمة الى العنوان الموجود في اسفل الصفحة التي كتب فيها (ارقام هذه القسائم لدى ورودها الينا وستشترك في السحب المجاني على الجوائز الثمينة المذكورة اعلاه والذي سيجري في ١٠ يناير ١٩٦٥ وتعلن نتائجه في الصحف) والى الآن لم تظهر تلك النتيجة لا في مجلتكم ولا في غيرها فأرجو اخباري عنها وهل اعلنت؟ وما هي النتيجة؟... وشكرا

المرسل
مصطفى مرتضى الشهرستاني
الكوفة

«العربي»: ليست هذه المجلة، ولا اية مجلة، مسؤولة عما ينشر فيها من اعلانات، سواء من ناحية صحة المعلومات او من ناحية الالتزامات المادية والادبية.

خرائط «العربي»

● كانت خريطة العرب التي وزعت مع العدد الممتاز الذي صدر في اول يناير من هذا العام هدية رائعة حقا من «العربي» الى قرائها، وزاد من اهميتها ذلك الشرح الموجز الذي نشر عن كل دولة. فهلا استمر «العربي» في اصدار مثل هذه الخرائط عن مختلف القارات والدول الكبرى، ولماذا لا تصدر خريطة للعالم كله وتضع عليها ما نشرته في خريطة العرب!

ان هذه الخرائط هي فعلا احسن هدايا «العربي» المفضلة الى قرائها

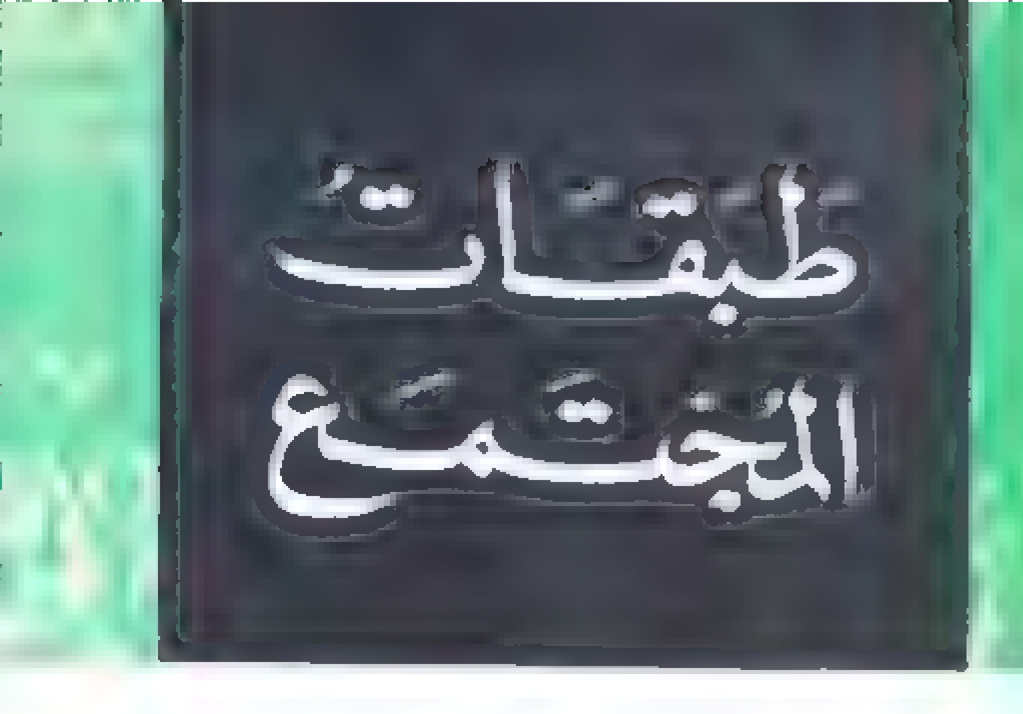
عبد القادر بن عبد الرحيم الهندي
بريد مكة المكرمة

«العربي»: خريطة العالم نشرناها على قسمين، كان اولهما هدية العدد الممتاز الذي صدر في اول يناير سنة ١٩٦٤، والآخر هدية العدد الذي تلاه.

وقد سبق للعربي ان نشرت في العام الاول من صدورها، خريطة «العالم العربي» كانت هدية العدد الاول، ثم عادت فنشرت خرائط عدة للاقطار التي كانت تزورها بعثاتها الاستطلاعية.

ونحن ندرس الآن العودة الى نشر الخرائط وملابساتها، بعد ان ازداد الحاح القراء على نشرها.

ولكل آت قريب.



بقلم رئيس التحرير

ابن لورد، وابن نجار

هل تتقارب ؟
هل تتذاوب ؟
أم يأتي من بعد الطبقات ، منازل ومراتب ؟

هوم [illegible] لورد [illegible] لورد [illegible] ٧٥ [illegible] الى الوراء من السنين ؛ اقطع [illegible] ، اسمه [illegible] وقصرا ، وقلعه ، فهو اقطاعي صميم .

وهيوم هذا عندما تهيأ ليكون [illegible] وزراء انجلترا لاول مرة ، منذ [illegible] لقبه فما جاز له ان يتعدى [illegible] كان ابوه ، على ما روت مجلة التايم Time الامريكية ، [illegible] .

الارستقراطيه في حزب المحافظين

ان المعروف في بريطانيا ان رئيس المحافظين ، وهو رئيس وزراء بريطانيا [illegible] دائما ابدا من [illegible] وأشباههما . [illegible]

مدرسة ارستقراطية ، واشهر المدارس الارستقراطية اثنر Eton . ويكفي ان تستعرض اسماء رؤساء وزراء بريطانيا من المحافظين لتعرف اين ومنوا من [illegible] Macmillan ؟ تشرشل . ولم يكن [illegible] ورى ان يحمل رئيس الوزراء [illegible] . فهو [illegible] قصر بلنهيم Blenheim قصر [illegible] في ضيعتهم وهي [illegible] . وابوه كان الدوق وتشرشل سابع دوق في الاسرة . ولم يرث تشرشل لقب ابيه لانه كان الابن الثالث لا الاول .

انتخاب من بعد اختيار

ولضمان هذه الوراثة كان هناك [illegible] اختيار الزعيم بعد هيوم [illegible]





المستر ادوارد هيث ، انتخبه المحافظون في بريطانيا زعيماً لحزب المحافظين ، وهو اول رئيس ينتخبه الحزب مباشرة في استقراطية. فهو من اسرة شعبية غاية في التواضع .

السير الك هيوم، رئيس وزراء بريطانيا السابق وهو لورد بن لورد بن لورد . استقال من رئاسة حزب المحافظين،فاختار الحزب خلفاً بالانتخاب لاول مرة ، فجاء من الشعب ، من ارومته المتواضعة .

الحزب لروح العصر . وكانت استقالة هيوم التي مهدت لانتخاب هيث ، هي نفسها خضوعاً لروح العصر .

تقاليد تتهاوى

في اسبوعين متعاقبين من الصيف الماضي تحطم في انجلترا تقليدان راسخان ، تقليد اختيار العريق ، ولا شيء غير العريق ، زعيماً لحزب المحافظين،وتقليد تولي القلة من اشياخ الحزب ، وكلهم عريقون ، اختيار الزعيم . وتولى ذلك وحدهم ، وعلى البقية من الحزب ان تتبع .

الاقطاع الزراعي ، والنظام الطبقي

ان هذه الطبقة التي جرى عليها حزب المحافظين ، بدأت في اول امرها طبقةً زراعية اقطاعية .

والاقطاع الزراعي له في اوروبا تاريخ معروس ، لا احسبه يختلف ، في حوافزه الاولى ، ونتائجه الاخيرة ، عن اي اقطاع آخر كان في مشرق الارض ومغربها .

والاقطاع في اوروبا كان اقطاعاً ضرورة.

فقد بدأت الامبراطورية الرومانية ، منذ القرن الرابع الميلادي،تضعف ، واضعفها خاصة غزو « برابرة » الشمال ، وجاءوا اصلاً من شبه الجزيرة الاسكندنافية . وظلت هذه الحروب قائمة قروناً . واذ ضعف الحكم المركزي،في روما،كان لابد من ابداله بشيء يقوم مقام الحكم المركزي ، يحمي الناس ، ويؤمن لهم الحياة ، فكان الاقطاع . اخذ الملوك ، ومن في حكمهم وقد ضعفوا عن رد البرابرة ، يقطعون الارض لكل قادر على الدفاع عنها وتأمين حياة الناس فيها . فكان اللوردات للورد الارض والناس ، وللملك منه الولاء . ويقطع اللورد ، لمن دونه ، ارضاً ومن عليها ، فهؤلاء سادة اصغر . وللوردات السادة القصور ، والقلاع على قمم الجبال ، وللزراع فلاحة الارض التي انبسطت حولها . ومن الفلاحين تجبى الاطعمة(١) ، وتجبى الاموال . ومنهم يؤلف الجند عند الفزع .

وصار النظام طبقات ، عليا شديدة العلاء ، وسفلى شديدة التسفل .

(١) لورد Lord لفظ أصله انجلوسكسوني،هو KlaefWaerd ، اما Klaef فمعناها Loaf اي الرغيف . واما Waerd فمعناها Ward اي الحارس . والى لورد اصل معناها « خازن الرغيف » . وهو هكذا كان ، فهو صاحب الخبز .



في النظام الاقطاعي ، بأوروبا ، في القرون الوسطى ، يقطع الملك الاراضي للورد كبير ، وهذا يقطع منها للوردات أصغر ، ويقبل يدين الاكبر بالولاء . وهذه صورة تمثل « حفلة الولاء » ، وفيها يركع الاصغر للاكبر دليل الخضوع والاتباع .

وكانت هذه هي الطبقية الشائعة في أوروبا في العصور الوسطى .

وتبع هذا الانفصال في المجتمع ، انفصام وتباعد . فالسيادة أعطت معها الغنى . والسيادة أعطت القصور ، وما بداخل القصور من ترف . والسيادة أعطت اسلوب الحياة الراقية . والسيادة أعطت النفوذ في ادارة المجتمع وشئونه . وبمقدار ما زاد السادة النبلاء ، نقص الأجراء . فالسكن غير السكن ، والطعام غير الطعام ، واللباس كان غير اللباس .

ونظرة الحياة ، في الطبقتين ، وما بينهما ، اختلفت واختلفت الآمال . آمال ازدهرت ، وآمال ما تكاد تزدهر حتى يصيبها الأفول .

ومما زاد الفرقة بين هاتين الطبقتين ، وبين كل طبقات تكون ، احساس نفسيه عند الطبقة العليا تتصل بالاستعلاء . وتؤمن بالأرومات ، وباختلافها ، وتحفظ لنفسها بالأرومة الأولى . فنعمة الرجل في الحياة انتماء .

والاحساس بالطبقية عند هذه الطبقات العليا احساس شديد ، فهيهم تماسك تشده القوة ، ويشده الثراء ، ويشده عند الوضيع من الطبقات نوع من الاستجداء .

ومن خواص هذه الطبقية ، ان الفرد كان يرث طبقة أبيه ، حتى الألبسة تصاغ بحيث تدل على الطبقات . فامرأة العامل مثلا لا يجوز لها أن تلبس كما تلبس المرأة النبيلة ولو كان في مقدورها أن تعمل .

فهذه هي الطبقية الارستقراطية الزراعية ، طبقة القرون الوسطى ، التي عاشت طويلا ، وظلت لها حتى الى اليوم ذيول ، لا سيما في الغرب من أوروبا ، وذلك بالطبع بعد تدنٍّ كثير ، وتحوير . ظلت لها ذيول ، مع أن الاقطاع ، بحسبانه نظاما اجتماعيا ، بدأ يتزايل منذ القرن الرابع عشر الميلادي . وذلك بنشأة القوميات في الأمم المختلفة ، وعودة الملوك الى عروشها ، ولتجنيدهم الجنود للدفاع على مستوى الدولة الواحدة ، لا على مستوى المناطق الصغيرة والاقطاعات .

الطبقية الهندية

وأقدم من الطبقية الاقطاعية الزراعية الأوروبية ، وأشد قسوة ، الطبقية الهندية .

ونسأل عن منشأ هذه الطبقات ، فنعلم أنها كانت موجودة على الأقل منذ عام ١٥٠٠ ق.م. ففي ذلك الزمن غزا الهند من شمالها آريون ، ومع الغزو نشأت بالتدرج كتب قديمة ، كتبت بالسنسكريتية سميت الفيدا Veda .

وهي تتألف من مائة كتاب ، يضاف اليها ملاحق كثيرة ، نالت على الزمان قدسية الاديان عندهم . وهي تتحدث ، في كثير من العماء ، حديث أهل الباطن ، عن الرؤية تشمل الكون كله ، سكنها الاحياء والجمادات على السواء .

وتتحدث الفيدا عن المجتمع الآرى الذي كان .

وهو تألف من أربع طبقات . البراهمه ، وهم الكهنة ، وهم السادة . تليهم طبقة الجند ، ثم طبقة الزراع . ثم طبقة العمال . وتمثل طبقة العمال وحدها الطبقة غير الآرية ، اي المواطنين الاصليين الذين غزاهم الآريون (عنصرية قديمة !!) .

ثم تغير الدين القديم ، وتحول وتبدل ، وسلك نواحي شتى .

والذي يهمنا في حديثنا هذا ، انما هي الطبقات الأربع .

ثم الطبقة الخامسة ، تلك التي خرجت ، حتى من التقسيم . تلك طبقة المنبوذين أو الانجاس .

ويقضي هذا النظام الطبقي ، في عمومه ، أن لا يتزوج أحد من طبقة احدا من غير طبقته ، أو يصادق أو يصاحب من هو دونه طبقة . واذا احتاج احدهم الى طعام ، أو حتى الى ماء ، فهو لا يتقبل شيئا من ذلك الا من طبقة يحددها النظام الطبقي القائم .

أما طبقة المنبوذين ، وتبلغ الآن ٦٠ مليون نفس ، فمسهم تنجس . وحُرِّم عليهم السير في الطرقات العامة ، وحرم عليهم دخول المعابد . وحرم عليهم دخول القرى ، فلذا حاموها ، عاشوا خارجها ، واشتغلوا باقذر الاعمال كدبغ الجلود وحمل النفايات والاوساخ .

وهذا النظام الطبقي لا يزال الى اليوم في الهند هو الغالب . وعاني القادة في محوه ما عانوا ، جاهد في ذلك غاندي ، وجاهد نهرو ، وجاهد كثيرون .

والصعوبة القائمة هي ان هذا النظام اجتماعي وديني في آن . والعقائد تمتد جذورها في الانفس البشرية عميقة ،



الدين الهندوسي يؤمن بالطبقات . ومن احطها في القرى الهندية لانهم انجاس . وتبلغ عدده

ولكن ليس كاستبداد عقائد تدعمها الاديان ، ولو كانت الاديان منها براء .

وهنا لا يسع الانسان الا ان يقول اهلا بدين محمد ، واهلا بدين عيسى ، اديانا انسانية ، محت عن الانسان الفرد ان يرث التعاسة عن أبيه ، أو حتى ان يرث الجاه . « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . « ونادى نوح ربه ، فقال رب ان ابني من اهلي ، وان وعدك الحق ، وانت أحكم الحاكمين . قال يا نوح انه ليس من اهلك ، انه عمل غير صالح » .

طبقية المدينة

ونعود الى المجتمع الأوروبي ، الى المجتمع الغربي . لقد تركناه والمجتمع الاقطاعي يتهاوى .

وتهاوى المجتمع الاقطاعي شباب المدن . كانت في اول امرها صغيرة ، ثم كبيرة ، فاكبر . واخذ رجالها يقبضون على زمام الاقتصاد ، فزمام السياسة في البلاد . ونشأت طبقة التجار وطبقة رجال الاعمال . ورفضت الاقطاع ، ورفضت النبالة ، ورفضت اللوردات والاتباع ومن دونهم من الكادحين ، رفضتهم طبقات . وجعلت الكد هو سبيل حيازة ثمرات هذه الدنيا . وساعدهم على ذلك كشف امريكا . وساعدهم على ذلك بعثات الاستعمار التي بعثت بها البرتغال وهولندة وانجلترا عبر البحار . وساعدهم على ذلك طلوع

طبقة تعرف بالبرجوازية ، لا يؤذن لها بالعيش حتى
الطائلة عشرات الملايين من الانفس .

مجد الصناعة في اوروبا . ولم تكن بزغت شمسها ضحى . واحتاجوا الى خامات يجلبونها من اقصى الارض . واخترع البخار ، ودارت به المكنات ، وشيدت من الآلات التي ابتدعها العلم وصاغتها التكنية الباكرة . وصارت التجارات عالمية بعد أن كانت محلية . وتكدست بذلك اموال في شتى امم الغرب ضخمة .

ومن هنا نشأت طبقة جديدة ، لا تعرف في سياسة الدنيا غير القوة ، ولا في التجارة ، وقد صارت دولية ، الا نهبا وانتهابا ، وصعدها الاستعمار الى اقصى الحدود . وتسمى هذه الطبقة عند الافرنج بالطبقة البرجوازية Bourgeoisie ، وهي من لفظ B o u r g اي المدينة . وجرى المترجمون العرب على ترجمة هذا اللفظ بالطبقة المتوسطة ، وهي ليست بها . فالطبقة المتوسطة تضم أهل المهن من اطباء ومهندسين ومدرسين وغير هؤلاء . وما كان هؤلاء ، في تلك العصور ، ضمن الطبقة المتحكمة ، طبقة التجار واصحاب الاعمال والاموال . لقد كان اصحاب هذه المهن للبرجوازية « خدما » . هكذا ذكر المؤرخون ، حتى المعاندون منهم .

الطبقة الصناعية

ومضى الزمان ، وتطور الصناعة تطورا لم يكن يخطر في بال . طورها العلم وطورتها التكنية ، وطورتها رؤوس الاموال الكبيرة الكثيرة . وما جاء القرن التاسع عشر حتى انفصلت الطبقات الغربية في اجمالها الى طبقتين كبيرتين بارزتين ، طبقة اصحاب رؤوس الاموال ، وطبقة العمال .

وبلغ من سوء حال العمال في تلك الازمان درجة لا تكاد تصدقها عقل ، اذا وزن به حال العمال اليوم ، في امم الغرب ، فانما نقرن المرء اليأس بالأمل ، بالامل المشرق .

ولقد رأينا صورا من ذلك في اوائل هذا القرن ، ونحن صبية ، كانت بشعة غاية البشاعة ، لو قرنها الانسان بالرق الذي عنه تحدثون ، واباه تنكرون ، كان الرق احسن حالا ، واحسن كثيرا . كان العامل يعمل أطول الساعات فلا يفرغ لبيته ، وفي اسوأ الاحوال والظروف ، ويعطى اخس الاجور ، ويعيش هو واسرته في الجحور . وابنته وابنه ، وهم صبية يعملون لسد الرمق ، ويغلبهم النوم من التعب فيسقطون على ما يعملون . ولم يكن تعليم ولم يكن تطبيب ، ولم تكن رحمة .

غول المال كان هو الحاكم .

والى جانبه غول المكنات ، ولها صراخ هو في الآذان صمم ، والوان قاتمة هي في الانفس سواد وظلمة .

وليس بعجيب أن تنشأ تلك المذاهب الاجتماعية ، التي شجبت الطبقية ، في ذلك القرن البغيض ، القرن الثامن عشر ، ولكي يفهم الانسان المعاني التي حركت أقلام اصحاب هذه المذاهب ، فكتبوا ما كتبوا ، يجب ان يرجع المرء الى صحف ذلك القرن ، والى مجلاته ، وسجلاته ، ليدرك الظروف الانسانية التعسة التي كتب فيها هؤلاء الكتاب ما كتبوا .

ولقد امتدت هذه الظروف ، بمثل هذه الدرجة من البشاعة ، الى اوائل قرننا هذا الحاضر .

وما خف حظ العمال من شر الامس ، وزاد حظهم نسبيا من طيبات الدنيا اليوم ، في دول اوروبا الغربيه ، الا تحت ضغط ما كتب هؤلاء الكاتبون ، وشكا

الشاكون . ولقد كانوا كثرة في انجلترا . ومما يدعو الى الابتسام الهازىء ، ان المحافظين بانجلترا كانوا أسبق الى التفريج عن عمال انجلترا من رجال حزب العمال . وأسأل عن التأمين الصحي ، وتأمين الشيخوخة ، وغير ذلك ، من بدأه في انجلترا ؟ تقول صحوة عن حزب ؟ عليكن . ولكني أؤمن بأن في قلب كل انسان ركنا مليئا بالرحمة ، تغلبه على أمره جبلة في الانسان طاغية ، تبدأ من الحفاظ على النفس ، وتنتهي بالأثرة والانانية . الا ان يدخل هذا القلب شعاع من ايمان سريع ما يغشى ركن الرحمة هذا في قلب الانسان ، من قتام ، ويذكره بأن الانسان من تراب بدأ ، والى تراب هو صائر .

هل تتقارب الطبقات ، وهل تتذاوب ؟

الجواب : نعم .

والجواب : لا .

وهو يترتب على معنى الطبقة ، فللطبقة معنيان :

معنى الطبقة الاول ، انها شريحة من الناس مغلقة ، لا سيما ان كانت عالية في جدول قيم المجتمع ، فهي لا تأذن لمن دونها بأن يدخلها . جواز داخلها ، الارومة السامية ، ومع الارومة المال المدخور . وبين أعضائها الحس بالبعد عما حولها ، واختلاف « اللون » الذي يكاد يكون اختلاف نوع ، واختلاف معيشة ، واختلاف مصالح تقوم بينها وبين ما حولها من شرائح من بني الناس .

مجتمع فيه هذه الطبقات ، بهذا المعنى ، مجتمع به الطبقات كطبقات الارض التي يحدثنا عنها علم الجيولوجيا ، بعضها فوق بعض ، يثقل عاليها على سافلها ، لا تأذن لسافل ان يصعد ، ولا لهابط ان يهبط .

مجتمع بهذا المعنى ، لا يمكن بعد اليوم ان يكون فيه سلام ولا دوام ، انه التخاصم ، وانه التناحر ، وانها الغلبة تكون آخر الأمر للقوم الاكثرين .

ومعنى الطبقة الثاني ، ان أعمال الحياة ، لا أشخاص الناس ، مراتب ، بعضها فوق بعض ، يصعد اليها الصاعد بعمله . جواز دخولها التأهل لها . يدخلها ذو الارومة او وضيعها ، وكذلك ذو الارومة الرفيعة ، ما تأهلا لها . ومن أمثلتها المهن المتعددة . منها فئة أهل القانون من قضاة ومحامين . وان شئت فلت طبقة . وان شئت قلت مرتبة . ومنها فئة الأطباء . ومنها فئة الممرضين والممرضات . ومنها فئة المدرسين . ومنها الجند ، ومنها قادة الجند ، ومنها زراع الارض ، ومنها الصناع المهرة . ومنها الصناع نصف المهرة . ومنها العمال حافرو الارض . ومنها سعاة البريد ، ومنها الكتاب . ومنها العلماء والمكتبون . ومنها رؤساء الدول . تعددت الاعمال وتصنفت ، وكل عمال يعملون .

الف مرتبة ومرتبة ، كلها مراتب مفتوحة . ليس على بابها حارس ، الا حارس الكفاية .

وهي مراتب لا شك غير متكافئة . غير متكافئة في الحصيلة . غير متكافئة في الجهد للوصول . وإذن غير متكافئة في الاجور . وهذه صورة من المجتمع تنسجم مع معنى الآية الكريمة : « ولكل درجات مما عملوا » .

وللمراتب العليا ما تجنيه بكدها ، وللعبقرية — وهي تنفع الناس — الثواب العظيم . ولكن للمراتب الدنيا ما يفي بحياة الانسان الكريمة .

وطبقات العمل أحسبها مراتب للناس ، يسكنها ساكنوها ، ولكن لا ليخلدوا فيها وتخلد ذراريهم ، وجائز ان تخلد ، لو انهم درجوا على سنة الآباء كفاية . مراتب وجوه رجالها في هذا الجيل هي في كثيرها غير وجوه رجال جيل يأتي ونسائه . مراتب بعضها فوق بعض ، وهي أهمية ، ولكن بها الحركة الرأسية

لا تفتأ قائمة : غزو من المراتب السفلى الى العليا، وتدهور من العليا الى السفلى.

وتظل الحياة كفاحا .

ولكنه كفاح جهود وكفاية .

وتظل الرحمة التي دعت اليها الاديان موجودة ، لأن ضحايا الكفاية سيظلون كثيرين .

والمساواة

ويقودني هذا الى معنى المساواة .

والمساواة معنى جميل ، ولكنه عزيز فى هذا الوجود .

لو أن الانسان نشأ على غير هذا الكوكب ، تنبت ارضه من ذات نفسها الطعام ، وينفجر من آبارها العسل الشهد ، وتمطر سماؤه الالبان ، لكان معنى المساواة بين انسان وانسان فى حيز الامكان .

ولكن بما ان الانسان انما يجني من ثمرات هذا الكوكب ما يجني بالذي يبذل من مجهود ، وبما ان هذا المجهود يثمر بمقدار ما عند الانسان من كفاية ، وبما ان الله تعالى وهب الكفاية للناس درجات متفاوتات ، اذن لم يكن بد من اختلاف الناس فى انصبتهم من هذه الحياة .

ولكن الكفاية موهوبة ومكسوبة .

والكفاية الموهوبة من عند الله .

والكفاية المكسوبة من عند البشر . من عند المجتمع .

والمجتمع يستطيع ان يزيد فى الكفاية المكسوبة للناس بالتعليم والتدريب ، وباستثقيف شتى صوره ، ثم باتاحة الفرص لكل انسان عند كل خطوة من خطوات الحياة .

انها مساواة فى التعليم الآن ، مجانا فى كل درجاته .

وانها مساواة فى الفرص ايضا ، مفتحة ابوابها لكل جدير بها .

مساواتان اثنتان ، لا تمتنع منهما ارومة رفيعة او خفيضة ، ولا مال ، قل او كثر ، هما جديرتان بتفتيت كل تلك الطبقات الجامدة جمود صخور الارض وطبقاتها .

تذهب الطبقات الجامدة جمود الحجر، وتحل محلها المراتب ، مختلفة الانواع والاصناف : منازل على سلم الحياة ، الف ، تختلف قيمة وعددا ، بمقدار ما تختلف حظوظ الناس من جهود فى معركة الحياة مبذولة ، ومن كفايات موهوبة واخرى مكسوبة .

انه سلم يصعده الناس فرادى ، لا جماعات تجمعها اواصر ارحام او روابط اموال ، تماما كما يصعد الصاعد يلقى ربه بعد الحياة الدنيا .

حركة دائبة ، صاعدة بين المراتب هابطة ، لا احتكار لاحد فيها .

تقويم المراتب

على ان اختلاف المراتب لا يجعل منها ما منزلته السماء السابعة ، ومنها ما منزلته الارض السابعة ، لو انه كان هنالك ارض سابعة حقا .

كنت ازور شركة من الشركات الصناعية الكبرى ، فى الولايات المتحدة . واشرفت من احد نوافذها العليا على ساحة كانت فى الريف واسعة ، بها بضع مئات من السيارات مصففة . قلت لصاحب ضيافتي : امنكم من رجال الادارة كل هذا العدد . فنظر الي كأنه لم يفهم . ثم قال : ان كل هذه السيارات للعمال .

واستطرد يقول : ان عندنا من العمال المهرة ، ذوي السراويل الزرقاء ، من يتناولون اجورا تزيد على اجور رجال « الياقات البيضاء » وبعض رجال الادارات . فالفرق فى الاجور عندنا ليس كبيرا جدا .

ودخلت المصنع انظر . ودرت بين رجاله . وتحدثت . كان الرجل منهم ، فى سترته وقد بقّعها الزيت ، يتحدث حديث الرجل المثقف العالي التثقف .

وسائل ، فوجدت أكثرهم أميوا بطبيعتهم الثانوي ، ثم بدأوا تعليمهم الفني . ووقفت إلى جانب « خراط » يقوم على مكنة غاية في الدقة ، فأدركت أنها دقة لا تكاد تقل عن دقة جراح قائم بجراحة .

إن الذي أدرى بالعامل في المجتمعات المتأخرة ، قلة التثقيف العام ، وقلة التثقيف في المهنة ، وهذان أديا به إلى الإنتاج القليل الحقير ، وهذا أدى به إلى الفقر . ولست أبحث الآن في التبعات .

ولكن الذي أريد أن أقوله ، أن تنشئة طبيب ، أو مهندس ، أو مدرس ، لا تكاد تزيد كلفة ، ولا تكاد تزيد جهدا ، عن تنشئة رجل صانع ماهر ممن رأيت . [illegible] . بمقارنة بذلك المراتب وتقارب قيمها .

[illegible]

هو جفاء العرب بلفظ العرب ، بلفظا ليس سهما من جفاء عن رتبة العرب .

الطبقية والعرب

وأخيرا كلمة عابرة عن الطبقات عند العرب .

إن نظرة العرب إلى الحياة مستمدة من مصدرين ، مصدر ثقافتهم وهو ديني ، ومصدر غريزتهم وهو صحراوي .

وثقافة العرب إسلامية ، شعب عاش في الدولة العربية مهما اختلفت أديانهم ، حتى المسيحيون تطعموا هذه الثقافة الإسلامية رغم اختلاف العقيدة . وساعد على ذلك أن المسيحية لم تختلف كثيرا عن الإسلام ثقافة .

والثقافة الإسلامية التي ورثها العرب جميعا تسوى بين بني الناس جميعا ساعة سقوطهم من أرحام أمهاتهم ، ثم هي تخالف بينهم درجات بعد ذلك بالعمل الذي يعملون .

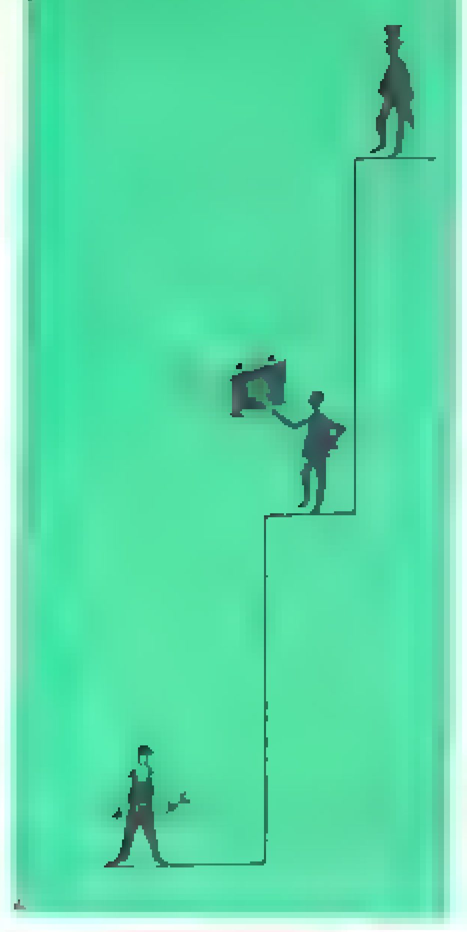
قال عمر : متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا .

فثقافة العرب تأبى تكتل الناس طبقات يوارثها خلف عن سلف .

وكذلك تأبى ذلك غريزتهم ، ذلك الذي صنعته الصحراء . إن الصحراء فيها استواء . وهو استواء رمال ، واستواء أرزاق . فهي ما أدنت يوما ، على الصعيد الواسع ، بذلك التفاوت الذي يجعل من بعض الناس رؤوسا ، ومن بعضهم أقداما . أو من بعضهم عمائم ، ومن بعضهم [illegible]

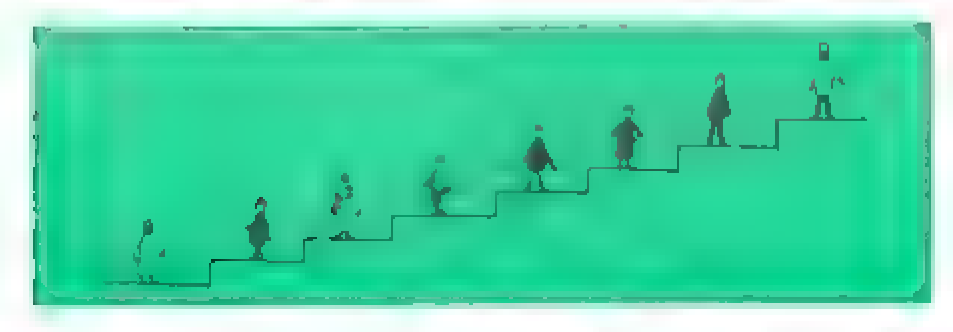
[illegible] .. حقائق الحياة مكشوفة مفضوحة ، فليس هناك مجال كبير لترويقها وتزويرها . ثم إن الحياة فيها تقوم على شفا جرف ، لهذا [illegible] دا هي أندرت

[illegible]



طبقات الأمس قليلة متباعدة متنافرة، صعب صعودها

وطبقات الغد كثيرة متقاربة متآلفة، سهل صعودها والهبوط



[illegible]

إذن لقيام مجتمع مصري مشترك عند الحفظة أن دو ثورة لاب[illegible]

[illegible] الواحدة، ليست الطاعة [illegible]، وإنما هي طاعة السواد [illegible]، أشباه، كطاعة الجند للقادة.

[illegible]

[illegible] في الأصول وفي نظرات العرب

[illegible]

احمد زكي

(١) ومن الطبقات الزراعية الحديثة، طبقات إقطاعية [illegible] [illegible]



(١)

● حاول العرب فتح القسطنطينية مرارا ، وعهود مختلفة ، ولكن استحكامات المدينة واستماتة الروم في الدفاع عنها حالت دون ذلك ، الى ان فتحت عام ١٤٥٣ على يد [illegible]

(٢)

● هو من مدائح العباسيين الى الاندلس [illegible] في قرطبة دولة اموية ، ومن جامعها الشهير ، وهارب [illegible] ويسمى " صقر قريش " الداخل ، واسمه الرسمي [illegible]

(٣)

● تقع مدينة طنجة عند [illegible] على الطرف الشمالي الغربي من افريقيا ، اغتصبها الاستعمار الغربي من اهلها المغربية منذ اكثر من ٢٥ عاما وهي الآن [illegible] تحت الاستعمار [illegible]

(٤)

● " معجم البلدان " من اهم المصادر التاريخية التي [illegible] في تاريخ المدن والاماكن المختلفة من السهول والوديان ، والعمار ، والخراب [illegible] مؤلف هذا الكتاب هو [illegible]

(٥)

● [illegible] نهر [illegible] يحمل اكبر كمية من الماء [illegible]



(٦)

● ولد [illegible] تولستوي » كاتب روسيا العظيم عام ١٨٢٨ في مقاطعة « تولا » الى الجنوب من موسكو ، وكانت امه [illegible]

(٧)

● « هولاكو » المغولي ، زحف من شرق [illegible] شمالي غربها ، فدمر ايران ، وغزا العراق ، وبعد الى الشام مستهدفا مصر ، ولكن المصريين دحروا المغول وطاردوهم عبر الفرات [illegible] وكان ذلك في [illegible]

(٨)

● الخلفاء الراشدون اربعة هم : ١ - ابو بكر الصديق ، ٢ - عمر بن الخطاب ، ٣ -

وقد مات ثلاثة منهم مقتولين ، ومات الرابع حتف انفه ، فمن هو ؟

(٩)

● ابو الفرج الاصفهاني ، ولد في اصفهان [illegible] في بغداد ، جمع [illegible] الدولة الحمدانية ، وانصرف الى جمع التاريخ ودونه في كتاب اسمه [illegible]

(١٠)

● الهرم الاكبر في القاهرة هو احدى عجائب الدنيا السبع القديمة التي [illegible] بها الزمن كما [illegible] كل شيء ، الا الاهرامات المصرية ، لانها لا تزال قائمة منذ خمسة آلاف سنة [illegible] تسميته الهرم الاكبر : (١ - الملك سنفرو ، ٢ - [illegible] ، ٣ - الملك خوفو) [illegible]

* * *

شروط المسابقة وجوائزها

١ - الاجابات التي تدخل القرعة هي التي تحوي الاجابة عن ٧ [illegible] على الاقل

(البقية على صفحة ١٦٢)

أصالتنا العربية مهددة

والحفاظ عليها لا يكون بالأقوال والآمال

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

استاذ في الجامعة الاردنية

■ يشكو الكثيرون من اهل الفكر والراي بأننا بدأنا نفقد اصالتنا تدريجيا ، ويلاحظون اننا نتنازل عن صفاتنا المميزة لصالح صفات ترد علينا من الغرب او الشرق ، ويطالب بعضهم بان نرتد الى صفاتنا القديمة وعاداتنا السابقة ، تلك الصفات والعادات التي اوصلت اجدادنا الى حيث قادوا امم الارض ووضعتهم في طليعة الشعوب !

والحق ان الناظر في اوضاعنا الحاضرة يفقد الاصالة في جميع ميادين الحياة ومجالاتها : في النظم والافكار الاجتماعية ، في الاقتصاد ، في السياسة ، في الثقافة ، في الادب والفن ، في التربية ، ومثل ذلك يجده في جميع مجالات الحياة اليومية من مأكول ومشروب وملبوس وعادات وتقاليد ومعاملات يومية .

فقدان الاصالة وافتقادها

ويكفي ان نعيش اياما قليلة في بيروت او دمشق او القاهرة او عمان او الكويت او الرياض او سواها من حواضر العرب لنرى الى اي مدى تنزل هذه المدن وسكانها عن طابعهم المميز الاصيل للطابع الوارد عليهم من باريس ولندن وواشنطن وموسكو وبكين !

وانك لتسمع قائلا يقول ان الاستعمار هو المسؤول عن هذا الامر وانه – بوصفه حاكما – فرض علينا لغته وطرائق حياته ومعاملاته وعاداته وتقاليده واسلوب تفكيره . ولقد شهدت في بلد عربي عريق وفدا من رجال الدين يطلب الى السلطات الحاكمة منع النساء من ارتياد دور السينما بحجة انها مفسدة لاخلاقهن ، ولما اجابهم رئيس الحكومة بان عليهم اولا ان يمنعوا نساءهم وبناتهم من ارتيادها اعترفوا بانهم عاجزون عن ذلك !

والذي يعنيني من هذا الموقف ليس منع النساء من ارتياد دور السينما او عدمه بل الافلام السينمائية الضار[illegible]

أمة لا تحرص على أصالتها ، ولا تحافظ على مميزاتها وطابعها القومي، محكوم عليها بالتخلف عن ركب الحضارة العالمية .

ان منها المعقد ، والسينما يمكن ان تكون اداة تثقيف للمرأة والرجل كما يمكن ان تكون وسيلة اغراء وتضليل ، ولكن الذي نعنيه هو جواب رجال الدين بانهم ماخوذون من ذلك ، وهو جواب — مع الاسف — صحيح ، ذلك بان التيار قوي وجارف ولا يستطيع فرد او افراد الوقوف في طريقه .

وانك لتسمع — كذلك — صيحات هنا وهناك تنطلق مطالبة بهذه الاصالة منحية باللوم على هذا او ذاك من الاسباب،مشيرة بهذه او تلك من الطرائق لاستعادة اصالتنا وفرض طابع امتنا المميز ، والذي احب ان اشير اليه في هذا المقام شيئان :

اولهما : ان فقدان هذه الاصالة بالمعنى القديم والضيق امر غير مستغرب .

وثانيهما : ان استعادة هذه الاصالة والمطالبة بها امر ضروري ولازم اذا اردنا لامتنا البقاء .

اما فقدان اصالتنا فامر لا نختص به وحدنا ، والحق ان الكثير من امم الارض — ولا سيما المستضعفة الناشئة منها — شاركنا هذه المحنة . فما نسمى بالحضارة الغربية قوي وطاغ لدرجة انه قادر على اكتساح كل ما يخالفه والقضاء عليه . ولهذا اسباب عديدة منها :

اولا : الموقف النفسي المعروف من ميل الضعيف الى تقليد القوي ، والمغلوب الى التشبه بالغالب وشعوره بالنقص ازاءه .

ثانيا : مغايرة الكثير من طرائق الحياة [illegible] وشيوعها منها .

ثالثا : صغر العالم الحديث وتزايد وسائل الاتصال بين اجزائه مما لم يكن ميسورا في العالم القديم ومما اوجد حضارة عالمية ومجتمعا عالميا .

رابعا : التقدم العلمي الهائل الذي حققه الغرب وافادته منه في حياته [illegible] واساليبها .

[illegible] ان قادتنا ومفكرينا بحياة الغرب الذي يدرسون في مدارسه وجامعاته ويعيشون فيه ويحملون منه عاداته وتقاليده وغير ذلك من الاسباب ، وغير ذلك من الاسباب .

واما استعادتنا لاصالتنا ومطالبة اهل الراي والفكر منا بضرورتها ولزوم الحفاظ على طابعنا القومي المميز فامر هام وحيوي لا لنهضتنا وتحررنا فحسب بل ولبقائنا ايضا ولاغناء الانسانية وحضارتها كذلك .

والحق ان امة لا تحرص على اصالتها ولا تحافظ على مميزاتها ولا تعنى بالابقاء على الصالح من عاداتها وتقاليدها امة يصعب عليها ان تنمو ، ناهيك ان تكون لها شان ومكانة ومساهمة في الحضارة العالمية . وما نظن ان الانسانية تريد اطلاقا من طمس معالم الحضارات المختلفة والمدنيات المتباينة ، وان كان كل مفكر مخلص يعطف عطفا صادقا على ضرورة وجود حضارة عالمية موحدة تجمع مختلف الحضارات وتنسق بينها وتحتفظ من كل منها بخير ما فيها .

وهنا احب ان اذكر بان امما متقدمة كثيرة تصرخ اليوم مطالبة بضرورة المحافظة على اصالتها . ففرنسا وانكلترا مثلا تشكوان من الشكوى من ان الحضارة

الامريكية اخذت تطغى عليهما . والصين جاهدة في الحفاظ على طابعها المميز لها عن روسيا ومثل هذه البلاد كثير ، فما أولانا نحن بأن نحرص على هذه الاصالة ونعمل على استعادتها والحفاظ على مظاهرها .

ما هي الاصالة ؟

وبعد هذا الذي قدمت يحسن ان اتمهل قليلا لأحاول تحديد معنى الاصالة ، وفي سبيل تحديد مفهوم الاصالة أحب ان الاحظ أمورا منها :

١ ــ ان الاصالة لا تعني تماثل الافراد وكونهم نسخا طبق الاصل بعضهم من بعض ، فالفردية حقيقة واقعة ولكل فرد شخصيته المميزة وطابعه الخاص ، وهو امر واقع وضروري ومفيد .

٢ ــ الاصالة لا تعني تماثل الجماعات او المجتمعات المكونة للمجتمع الكبير ، فالاختلاف هنا والتباين امران لا بد منهما ولا ضرر منهما بل العكس هو الصحيح .

وهكذا فقد يختلف الشعب العربي في مصر قليلا او كثيرا عن الشعب العربي في العراق وان كانا ينتميان جميعا الى الامة العربية ذات المميزات الواحدة والتراث الواحد والمستقبل الواحد .

٣ ــ الاصالة لا تعني اختلاف الامة اختلافا كاملا عن اية امة اخرى ، ذلك بأن الامة المعينة عضو في الاسرة الانسانية تشاركها الكثير من صفاتها والعديد من آلامها وآمالها وأمانيها .

٤ ــ الاصالة لا تعني عداء الامم بعضها لبعض او بعدا في تعاونها بعضها مع بعض او نقدا لبعضها البعض . انها تعني عكس ذلك تماما اذ انها تقوم على التفاهم بين الامم والتعاون فيما بينها والتكاتف على ايصال الانسانية الى اهدافها في العالم الاحسن .

وهكذا تكون الاصالة هي الاطار الصغير المميز لامة داخل الاطار العام للمجموعة الانسانية . وبهذا المعنى فقط نعتقد اصالتنا العربية وندعو لها ويجب ان نعمل على استعادتها واعادة تكوينها .

ولأضرب على ما قلت مثلا أمتنا العربية بالذات :

من المعلوم أن الامة العربية امة تتمتع بوطن ، وتاريخ معين وتراث مشترك وآمال مقررة قائمة على اساس من حاجات حاضرة واهداف مستقبلة وامكانات ميسرة . ولقد حدد الوطن العربي الواحد والتاريخ العربي المشترك والتراث العربي الغني والواقع العربي الاليم والغد العربي المنشود ، حددت جميعها صفات للعربي تختلف بعض الاختلاف من الحجاز الى المغرب ولكنها تشترك جميعها في مقومات اساسية تجعل من العربي انسانا مميزا (بالفتح) ولو اختلف وطنه الصغير او اختلفت صفاته الفردية . والعربي هذا يشترك مع غيره من بني الانسان سواء أكانوا امريكيين او صينيين او فرنسيين او هنودا ، في آمال وآمال واهداف انسانية واحدة لا تختلف ولا تتباين من مثل التوق الى السلام والميل الى الحياة الافضل والحرص على التعايش السلمي وغير ذلك من الوف المطالب والاهداف .

فاذا صح هذا ــ وهو صحيح ــ كان السؤال الهام **كيف نحقق اصالتنا ؟**

عندي أن كل خطة تخطط لتحقيق اصالتنا يجب أن تلتزم بما يلي :

١ ــ التعرف العميق الذكي على تراثنا القومي . وقد سبق لي ــ في هذه المجلة الغراء ــ أن تحدثت عن ذلك مطولا فلا أرى لزوما لتكراره ، وان كنت أرى ضرورة للتنويه بأهمية تعرفنا على تاريخنا تعرفا دقيقا واعيا ولا سيما تاريخنا الاجتماعي والحضاري والعوامل التي اثرت فيه . والواقع ان دراستنا لتاريخنا اهتمت حتى الآن بالنواحي السياسية واهملت النواحي الاجتماعية والاقتصادية والحضارية مما جعل احاطتنا بهذا التاريخ وتعرفنا على ذاتيتنا امرا واضح النقص .

٢ ــ التعرف الدقيق على واقعنا بما في ذلك حاجاتنا وامكاناتنا ومطالبنا وقدراتنا . ولعل لا أبالغ حين اقول بأن

معظمنا جاهل بهذا الواقع وان كان ملما بعمومياته . ان صياغة الانسان العربي الحديث لا يمكن أن تكون كاملة الا اذا صدرت عن وعي عميق لامكانات الوطن العربي وقدرات الانسان العربي ومميزات الفرد العربي ومطاليب المواطن العربي .

٣ ـ الاطلاع الواسع الشامل على ما يجري في العالم من تفاعل حضاري وما يتم فيه من احداث اجتماعية وتطورات علمية وتقنية (تكنولوجية) واتجاهات اقتصادية واتصالات سياسية وصراعات فكرية . وليس بخاف ان عالم اليوم يمور بالاحداث ويفور بالتغيرات ويتميز بالتطور السريع والانقلاب الكلي ونحن لا نستطيع ـ اذا أردنا لانفسنا مكانا متميزا فيه ـ الا ان نبقى على اتصال وثيق بمجريات الامور فيه .

٤ ـ تحديد اهدافنا ورسم امانينا وتصور مستقبلنا على ضوء من ماضينا وحاضرنا وواقع عالمنا . لقد ذهب الى غير رجعة الزمان الذي كانت تسير فيه الامور وفقا للصدفة وعلى اساس من العفوية ، فالعصر عصر تخطيط وتنهيج وكل وطن لا يعرف ما يريد بالضبط ولا يهيىء لهذا الذي يريد أسباب النجاح وطن محكوم عليه بالتخلف والتبعية وفقدان الاصالة .

٥ ـ اختيار الطرق والاساليب والوسائل التي تحقق غاياتنا وتوصلنا لاهدافنا وتجعل من امانينا حقائق واقعة لا احلاما وخيالات . وبديهي ان اشير الى ان الطرق شتى والوسائل متباينة والاساليب مختلفة وان ما يصلح منها لزمان او مكان قد لا يصلح لزمان آخر او مكان مخالف . وبديهي بعد ذلك ان اؤكد اني مؤمن بأن خبرات الآخرين مفيدة لنا وان طرائقهم تنفعنا وان اخطاءهم يجب أن نتجنبها ولكن شتان بين هذا ـ من حيث علاقته بالاصالة ـ وبين التقليد الاعمى والتبني الكامل لاساليب الآخرين وخططهم وطرائقهم ومفاهيمهم .

٦ ـ الحرص فيما نقدم على امور اساسية منها الوعي والمرونة والتقييم الدائم . اما الوعي فللتفريق بين الغث والسمين ، بين الاساسي وغير الاساسي ، واما المرونة فللقدرة على الحركة وعدم الجمود على فكرة او طريقة معينة ، واما التقييم فلكشف الصحيح ودعمه وترسيخه واكتشاف الخطأ وتجنبه والتخلص منه .

تلك هي بعض المبادىء التي تعين على تحقيق الاصالة العربية استمد منها في اعطاء مثل واحد آخذه من حقل تخصصي واعني به التربية . ان المربين العرب يشكون عدم الاصالة في النظم التربوية العربية . فنظمنا التربوية حتى الآن وبالرغم من المحاولات الصادقة التي يبذلها المربون العرب في مختلف اقطارهم ما زالت ممسوخة عن النظم التربوية الغربية عالة عليها مقلدة لها .

واني ـ بوصفي مربيا عربيا ـ احلم باليوم الذي يكون فيه لوطننا العربي نظام تعليم عربي اصيل واتساءل عن وسائل تحقيق مثل هذا النظام الا وعلى ضوء ما قدمت ارى ان علينا ـ في سبيل الوصول الى مثل هذا النظام التربوي العربي الاصيل ـ ان

١ ـ نحدد اهدافنا الحاضرة والمستقبلة على ضوء من واقعنا وامكاناتنا ومطالبنا .

٢ ـ ننتقي طرائقنا ووسائلنا في ضوء هذه الاهداف وبوحي من واقعنا ومجتمعنا المنشود . ونحدد مادة تربيتنا على هذه الاسس .

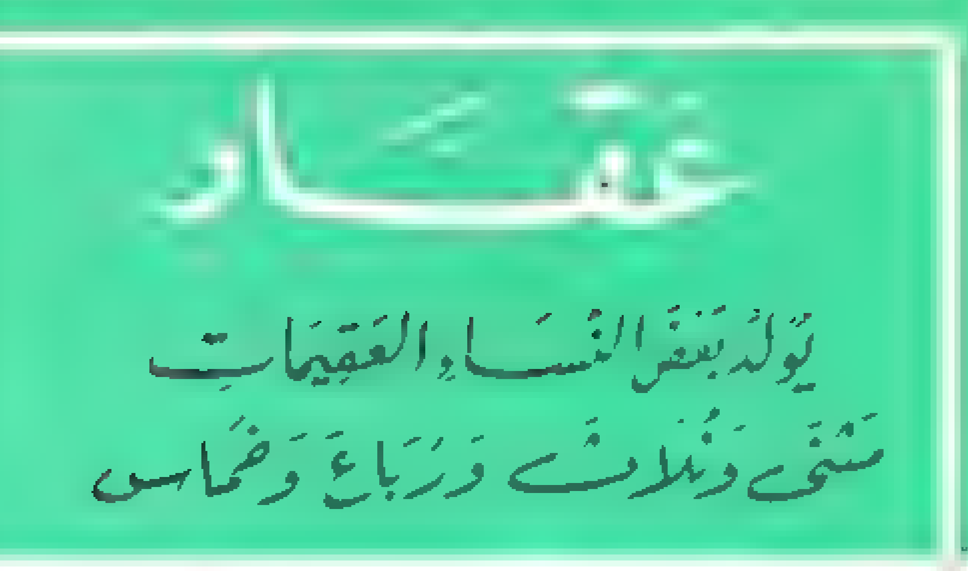
٣ ـ نحدد مفهومنا الدقيق عن الانسان العربي وكيف نريده ان يكون .

٤ ـ نحافظ على وعينا الدقيق ومرونتنا التامة في ذلك كله .

٥ ـ ننظر الى عملنا هذا بوصفه واجبا فرديا وقوميا وانسانيا .

واني لاعلم علم اليقين ان قول الامور اهون من فعلها ، وتحقيق الاصالة العربية هدف قومي هام لا يكفي لتحقيقه ان يقول قائل ان الاصالة العربية حقيقة واقعة وان الزمان كفيل بتحقيقها على شكل او آخر ، وذلك باني اعتقد مخلصا ان ثمة عملا مقصودا على طمس هذه الاصالة له اسباب كثيرة معروفة . ■■

فاخر عاقل


يولد بعض النساء العقيمات
مثنى وثلاث ورباع وخماس



الطبيب الباحث

ونبدأ بالطبيب الباحث .

انه الدكتور جمتسل Carl-Axel Gemzell في الخامسة والخمسين من عمره ، له شهرة قبل هذا الفتح واسعة . وهو استاذ في جامعة ابسالا Upsala ، استاذ علم الولادة وامراض النساء بها . ومن شهرته السابقة انه مبدع كاشف الحمل المعروف باسمه ، وبه يكتشف باكرا ان كانت المرأة حاملا او غير حامل .

ومن الغريب ، ان الطبيب ، ميسّر الولادة للأسَر ، هو نفسه عديم الخلف .

زاره صحفي ، واراد ان يعرف الحافز الذي حفزه الى هذا البحث الطريف ، وسأله ، فلم يجب . ادرك الطبيب ان جواب هذا السؤال يتصل بكشف حالته هو شخصيا ، وهو يأبى ان يتحدث عن شخصه ، ولا ان يتدخل احد في خصوصياته . ولكن جاء الجواب منه في سياق الحديث بعد ذلك على غير عمد . قال انه تزوج زوجته الحاضرة ، منذ ٢٩ عاما ، ولم يرزق ببنين او بنات . وقال انه ود لو فعل . فأدرك الزائر الحافز الذي عنه سأل .

ليس كل عقم يرجى شفاؤه

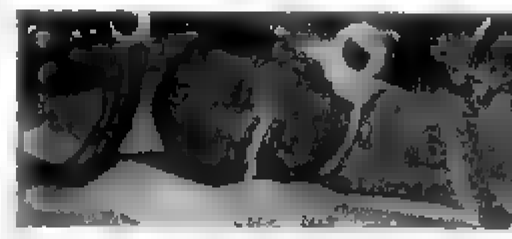
ان النساء العقائم يرجع سبب عقمهن الى اسباب كثيرة ، منها الاورام ، ومنها عدم اكتمال النمو ، ومنها انسداد المسالك ، الى آخر ما هنالك من اسباب . ولكن نحو ٥ في المائة منهن يرجع عقمهن الى عدم كفاية ما تصنع اجسامهن من هرمونات جنسية .

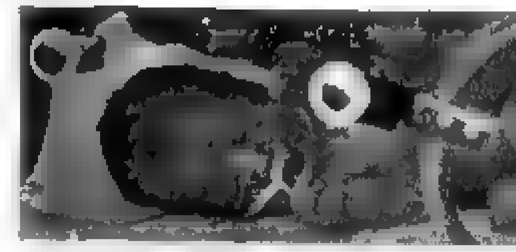
ويرجع هذا القصور الى الغدة النخامية Pituitary gland وعملها في الحمل ، وحثه .

ان الغدة النخامية جسم صغير ، موضعه تحت المخ . وهو يفرز افرازات عدة ، اي هرمونات ، لها آثار مختلفة في وظائف الجسم المختلفة .

ومن هذه الهرمونات هرمونان جنسيان ، احدهما يعرف اختصارا بالحروف الثلاثة F.S.H وهي اختصار Follicle Stimulating Hormone ، او بالعربية هو الهرمون المنشط للحويصلة (وهي الكيس

التوائم الخمسة في صف واحد











رسمان ايضاحيان : الرسم الاول يمثل المرأة على الحالة العادية السوية . وغدتها النخامية ، (النقطة البيضاء في الرسم تحت المخ مباشرة) تفرز هرموناتها ، فتجري هذه الهرمونات مع الدم في الدورة الدموية. ومنها هرمونان جنسيان يبلغان مبيض المرأة فينشطانه تنشيطا يكفي لافراز احد المبيضين بانضاج خلية جنسية واحدة (وفي النادر جدا اكثر من خلية)، هي البيضة التي تخرج من المبيض وتسير في قناة المبيض في طريقها الى الرحم . وهي في هذه الاثناء تلقح ، يلقحها حيوان يلقاها من الحيوانات المنوية للرجل . والنتيجة طفل واحد في الغالب الاغلب . اما الرسم الاخر فللمرأة التي لم تفرز غدتها النخامية الكفاية التي تؤدي الى انضاج بيضة فانتاج طفل، فهي لذلك عقيم لا تأتيها العادة الشهرية . ويسد الطبيب هذا النقص بالهرمونات المنشطة يأتي بها من غدد نخامية لنساء مائتات ، يحقنها في ذراع العقيم ، على نحو ما ذكرنا في نص المقال . والنتيجة زيادة طارئة في نشاط المبيضين. وفي الصورة انتج مبيض ٣ بيضات ، وانتج الاخر بيضتين ، التقت بخمسة من الحيوانات المنوية للرجل ، وما اكثرها ، فانتجت خمسة من التوائم.

الذي فيه تنضج بويضة المرأة وهي في مبيضها) .

اما الهرمون الثاني ، فيعرف اختصارا بالحرفين L. H ، وهما اختصار للكلمتين Luteinizing Hormone ، او هرمون الاجسام الصفراء في المبيض ، وله آثار عدة منها تنشيط الخلايا الداخلية في مبايض النساء .

والنقص في هذين الهرمونين ، في المرأة سبب عقمها ، فلا ينضج في مبيض لها بيضة ، ولا تأتيها العادة الشهرية اذن .

استخلاص الهرمونات من حيوانات

ان العلماء الذين سبقوا ، بدأوا بحوثهم بالحيوانات ، كالخراف والخنازير . انهم انتزعوا من هذه الحيوانات غددها النخامية ، ومن هذه الغدد استخلصوا الهرمونات المطلوبة وحقنوها في النساء ، ولكن اجسامهن ابت ان تتقبل هرمونات تجيء من حيوانات .

استخلاص الهرمونات من آدميات

ومنذئذ خطر الخاطر لصاحبنا ، الدكتور جمتسل ، بان يأتي بهذه الهرمونات من النساء . من آدميات بدلا من حيوانات . من نساء عقب موتهن مباشرة .

وعمل ، وجرب ، ونجح . وكانت هذه النتائج التي ذكرنا .

وهو بدأ بحوثه مع فرقته السويدية منذ عام ١٩٥٨ .

اسم العقار

واسم العقار الذي يحقنه

الدكتــور جمتســــل جنشادو تروفين Gonadotrophine ، والمقطـــع الاول ، جونادو Gonado ، نسبة الـى الغـــدد التناســلية ، والمقطــع الثاني تروفــين Trophine ، مقطع يضـاف للعقاقير فيــه معنى التنشيط .

وأدق معنى اسم العقار المنشــط التناسلي ، وهو اســم عمي باهدافه . وهو اسم عام متداول بين الاطباء ليس فيه جديد .

فكرتان تؤرقان الطبيب الباحث

ومع هذا ظلت فكرتان تؤرقان الدكتور جمتسل ومن اتبع خطته في علاج هــذا النوع من العقم .

اول الفكرتين صعوبة الحصول علـى هذا العقار . انه من رؤوس نساء تموت . ونعم ، تاتيه اليوم من اقاصي الدنيا غدد نخامية كثيرة منزوعة من رؤوس نســاء مات ، ولكن ، كم تحتاج الثلاث عشرة من الحقنات اللازمة للمراة لتحمل ، من هذه الغدد الـحامـئه ؟

انها تحتاج الى مائة غدة ! الى مائــة امراة تموت .

اما الفكرة الثانية التي تؤرقه فهي انه انما اراد بهذا العقار ان تاتي المراة بطفل واحد ، لا ان تاتي بمن رباع وخماس .

ان الطفلة الانثى تولد وبمبيضها مئات الالوف من خلايا جنسية، يحتمل انضاج الواحدة منها بعد الواحدة ، لتخـرج من المبيض بعد نضوج ، بيضة تامة النمو متحرى في قناة البيض وغايتها دخـول الرحـم ، وهي في هــذه الاثناء تلتقي بالحيوان المنوي ، ياتي مــن الرجــل ، فتتلقح ، وبيضة واحدة هي التي تنضج في الشـهر الواحــد . وقد تنضـج اثنتان ، وهذا نادر . اما ان تاتي الام ، بعده من توائم ، فاحتمال في الاحصـاء المعروف بعيــد . انه واحد من عــدة ملايين .

والعقار الجديد يجعل من هذا النادر شيئا سويا .



صــورة الدكتور العـالم السويدي جمسل ، وهو في مستشفاه بمدينة ابسالا . ان نساء كثيرات من شتى ارجاء العالم تقصده ، ويضيق وقته الا عن بعضهن . وهو لا يبدأ مع احداهن علاجا الا بعد اختبارات عديدة يكشف منها سر العقم ، فان كان سببه نقص في الهرمونات ، بدأ العلاج وهو مطمئن الى النتيجة .

التوائم خمسة ، خمسة . ان اكثرها تموت اذ تولد .

والمرأة السويدية التي ولدت توائم خمسة ، مات منهم أربعة ، وبقي واحد حاول الأطباء ابقاءه حيا .

على ان الطبيب العالم يأمل أن يجد لكل عقمة وثبة تتخطاها . والعقبة الاولى التي لا بد له ، ولامثاله أن يتخطوها ، انما هي تقدير الجرعة اللازمة لكل عقيم على حدة . فالظاهر ان الجرعة التي تزيد ولو قليلا تكون لها آثار بعيدة،توائم عدة .

والدكتور جمشل ذو امل كبير . انه يأمل أن يجد علاجا لعقم الرجال كذلك . انه يقول ان هذا النقص في الهرمونات يسبب عقم الرجال ، وان ٥٠ في المائة من عقم الاسر مرده الى عقم الرجال لا النساء .

والدكتور الايطالي

ودكتور آخر سلك نفس السبيل ، لم اختلف . انه الدكتور بيير دونيني Piero Donini انه مدير « مختبر بحوث سيرونا » بروما . فهو ايطالي .

وعقاره يسمى برجونال Pergonal وهو الآن في الولايات المتحدة ، يختبره معانيها .

والدكتور الايطالي بدأ بحوثه أيضا بأرحام الموتى ، بطلب مددها المحامية . ولكنه تحول ، وصار يستخلص هذه الهرمونات من بول النساء اللاتي بلغن سن اليأس .

وعقاره هذا هو الآن في الولايات المتحدة ، يجربونه ويختبرونه . وهو يقول انه ايسر وآمن من عقار صاحبه .

وقد عالج الطبيب الإيطالي ، بعقاره هذا ، نحو ألف من النساء ، اكثرهن في روما . ■

احمد زكي



صورة الدكتور السويدى جمسل ، وهو في مصيفه بجزيرة قرب الساحل السويدى في بحر البلطيق . ومعه زوجته ، بقيت عند الساحل تصيد السمك . انه وزوجته يلعبان الى العزلة كثيرا . والدكتور في سنته الخامسة والخمسين من عمره ، ومع هذا نراه خفيف الخطى .

ومن ، من الناس يود ان يكون له كل عام خمسة او ستة من الاطفال ؟ انهم اذن سيتون بعد عشرة اعوام او اثنى عشر عاما . فمن أين لهم الطعام ، ومن اين الكساء ، وابن السقف ، وابن البلد التي تحتمل كل هؤلاء ، والى اى درك من الفقر ينزلون .

ثم كم من أرحام النساء تحتمل حمل



الاهتمام برسائل قاتل كندي

من جريدة « المنار » الاردنيـــة :

● في هذا الاسبوع ، سيباع رسائل – اوزوالد الراحل بمزاد علني كبير، ومن المنتظر كما تقول الوكالات ، ان يبلغ ثمن هذه الرسائل خمسة الاف دولار ، على الاقل تقبضها ارملته الجميلة . ومما هو جدير بالذكر ان هذه الارملة الحلوة تسلمت المجد سريعا بعد ان ترملت ، احتلت صورها الصفحات الاولى من الجرائد ، وطلبت مجلات وشركات هوليود . وتنافس في خطبتها الشبان ، حتى ظفرت بزواج سعيد ، ولم يشوه سعادته ذلك الجنين المخطوف الذى حملته في بطنها الى حفلة اكليلها ، بعد ان مضى على مصرع زوجها – اوزوالد – عامان فقط لا غير ..

اوزوالد ؟ من هو هذا الذى تباع رسائله ، وصوره ، وقصة حياته ، بهذه الاسعار الخيالية ؟

مناضل ؟ مصلح ؟ بطل ؟ شاعر . او – على الاقل – نجم كوميدى ..

لا . لا . لا . اوزوالد هو قاتل كندى . الذى وصفت جريمته بانها بشعة خسيسة وهذه هي مكافأته ..

يروى ان قبيلة من قبائل العرب القدماء ، اسمها قبيلة حنيفة ، كانت عندما تجوع ، تأكل صنمها المصنوع من التمر ، فهل اكلت حنيفة الجديدة ، ربها ، فهي تحتفل وتنتشي على ذكراه ؟!

جوهـــر

عن جريدة « الجمهورية » القاهرية :

● ان الكلمة هي جوهـــر الانســان .. ولسان الانســان هو الذى يحول هذا الجوهر الى معدن صاف او الى ســـم زعاف .. اما الذين حسنت الســنتهم فهم الذين يستحقون ان نفتح لهم ابوابنا وقلوبنا جميعا ، واما الذين ســـاءت الســنتهم فحسبهم من الاحتقار انهم اخوان الثعابين .

ان اى مجتمع هو صورة من صور الحياة ، وكما ان الحياة لا يمكن ان تخلو من الحشرات – كذلك فان اى مجتمـــع لا يمكن ان يخلو من الحشرات الادمية ايضا ، وكمـــا يطارد الناس الحشرات الحيوانية في الارض الطيبـــة – كذلك ينبغي ان يطارد الفاضل الناس تلك الحشرات الادمية من المجتمع الجديد .. ذلك ان الانسان « الحشرى » الذى تسول له نفسه ايذاء فرد احســن اليه ،

امريكا .. وسياسة القوة

من جريدة « الصناعة » السورية :

● هذا الاسبوع دشن الرئيس جونسون « سياسة القوة » التي اعلن عنها واضحها اسلوبا ونهجا وهدفا .

وهو بخلاف الرئيس السابق كندي ، يحاول ان يسيطر على الطاقات البشرية الفاعلة في العالم كله ، سيطرة ملك قوي يضع قوته اساسا في بناء المجتمع الانساني المثالي الذي يأمل ان يحققه .

كان الرئيس كندي يعتمد القوة وسيلة لا غاية . ودون استعمال القوة مظاهر عديدة في عالم مليء بالصواريخ والقنابل المدمرة . ولولا ان سلامة الولايات المتحدة كانت في خطر ، لما سارع الى اعلان الحرب وتهديد كوبا .

ومعنى هذا ان الرئيس الامريكي الراحل كان يلجأ الى القوة عندما تفشل الدبلوماسية . بينما يرى الرئيس جونسون ان القوة هي السلم الوحيد الذي يفضي الى عالم سعيد حر .

الادب المغربي الحديث

عن جريدة « العلم » المغربية :

● ان لنا ان ندافع عن انفسنا . ان الطاقات الجديدة الشابة بدأت تحاول فرض وجودها بالرغم من وجود كثير من العراقيل . ان « الكبار » المعششين هنا ، اولئك الذين يعدون انهم اوصياء على الثقافة في هذا البلد ، لا يكلفون انفسهم عناء قراءة بعض انتاج الجيل الجديد ، فهو في نظرهم لا يصلح حتى للنظر ، هل تعرفون لماذا ! لانهم لا يفهمونه ! حتى اذا وجه اليهم الحديث عن الوضع الادبي بالمغرب ، بصفة عامة ، قالوا بصريح العبارة : « ليس هناك ادب ... » وماذا يفعلون هم ! عندي ان الوجه الادبي المعاصر ، بالرغم من ضعفه نسبيا ، لا يمثله سوى الجيل الحديث ، فهو يكتب بمعاناة حقيقية ، وهو يتحسس مشاكل الآخرين المضطهدين ، كما انه ، تثبيتا لمثاليته ، يضع امام عينيه ما معنى ان يكتب المرء في مجتمع متخلف مثل مجتمعنا .

نظام جديد للمطوفين في بيت الله الحرام

من جريدة « الندوة السعودية » :

● المرسوم الصادر بشأن طوائف المطوفين والادلاء ، والزمازمة ، مرسوم عملي لمعالجة اضخم مشكلة محلية طالما كتب عنها الكتاب وفكر فيها المصلحون منذ عشرين عاما او اكثر ، ومع ذلك فان المرسوم قد راعى كل اطراف الموضوع من جوانبه المختلفة ، ولهذا فانه قد قوبل بالرضاء العام من المطوفين والادلاء والوكلاء . والمرسوم قد عالج مشكلة من اهل مشاكلنا الاقتصادية ، تلك التي تتعلق بحياة المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية ، بل انه يعالج مشكلة اقتصادية تتعلق بالتصاديات هذه البلاد من اقصاها الى ادناها .. فقد كان من المعروف ان اكثر حاصلات الواردات من مصالح الحجاج وارباب الخدمات تعود مباشرة ، وباسرع ما يمكن الى من يسمونهم السماسرة او الوسطاء .. وبهذا المرسوم قضت الدولة على هذا ، وردت الاموال الضائعة الى اصحابها .. الى مكانها الطبيعي .. الى السعوديين فقط ! ...

الانسـان

كذلك قد تسول له نفسه ايذاء المجتمع الذي يؤويه .. ومن هنا كان حتما على مجتمعنا الجديد ان يضع في حسابه مقاومة الانسان العنصري الذي يشوه جمال هذا المجتمع .

اننا نعمر الى اعلان الطوارىء ضد دودة الحقد والغيرة كما نعلن الطوارىء ضد دودة القطن ، فدودة القطن عدو للانتاج الزراعي ، ودودة الحقد عدو للانتاج الروحي .

والطريقة التي نستطيع ان نتعرف بها على هذه الديدان البشرية ، لا بيسماتها ، بل بالسنتها ، فالديدان البشرية مثلي لهم صور بعض الناس ، لكن الحقد والغيرة يحولان السنتهم الى زرزرة دائمة ضد كل شيء ، وضد كل شخص له صلة بأي نجاح او فضيلة .



بقلم : الدكتور حسين مؤنس

مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد

■ خلال السنوات الاربع الماضية ظهرت في شتى لغات اوروبا ترجمات لروايات عربية طويلة او لقصص قصيرة ، وظهرت كذلك دراسات كثيرة عن بعض ادبائنا المعاصرين آخرها ذلك الكتاب اللطيف الذي نشره الاستاذ مزيد بالانجليزية عن استاذنا احمد امين طيب الله ثراه : A. M. H. Mazyad, Ahmad Amin (Cairo 1886 - 1954)

Advocate of Social and Literary Reform in Egypt - Leiden, 1964.

ومن خلال مقدمات رواياتنا المترجمة ومقدمات ما ينشر من مجموعات القصص يتجلى لنا ان الغرب يكتشف رويدا رويدا عناصر الاصالة في ادبنا المعاصر ، ويوسع له مكانه الخليق به في اسواق الادب في الدنيا .

وانا اعنى في هذا المقال ما يترجمه الاوروبيون من اعمال ادبائنا من تلقاء انفسهم اعجابا بها او تقديرا لما تقدمه للثروة الفكرية الفنية المعاصرة من زاد جديد ، ولا تدخل في حسابي تلك الترجمات التي نقوم بها في بلادنا وننشرها – نوزعها بالمجان في الغالب – تعريفا بادبنا او تقريبا له لتتناول الناس ، وهذا في ذاته عمل مشكور وضروري ، ولكنه يصور تقديرنا نحن لادبنا ولا يعطينا فكرة عن تقدير الناس اياه ، فنحن نترجم ونطبع ونهدي ، ولكننا لا نعرف ان كان الناس يقرأون هذا الذي نهديه اليهم ، ولا نعرف كذلك مدى تقديرهم اياه .

ولعدت يدي وانا اكتب هذا المقال ثمانية مجلدات مما نشر في اوروبا خلال العامين الاخيرين من ترجمات الروايات ومجموعات القصص والدراسات الخاصة بها ، وقد اكتفيت بها كنماذج لما نشر وينشر هناك من ترجمات اعمال ادبائنا ، ولا يتسع المجال للاحصاء الكامل لان قوائم الكتب تتوالى علينا كانها صحف يومية ، وربما استطعنا القيام بذلك الاحصاء اذا فرغنا له حينا من الوقت ، خاصة ومعلوماتنا قليلة عما ينشر في بلاد مثل روسيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وبولونيا والصين ، فليس لدينا – ولا لدى غيرنا – قوائم منظمة دقيقة بما ينشر هناك .

من النماذج الدراسية الى الكتب الادبية العالمية

والحقيقة الرئيسية عما ينشر من ادبنا وعنه اليوم في الغرب هي انه خطا خلال السنوات الاخيرة من دائرة النماذج الدراسية الى افق الكتب العامة التي تنشر ليقرأها كل الناس ، وانتقل من نطاق الطبعات التجريبية المحدودة الى مجال الطبعات



طه حسين

المعاصر في مرآة الغرب

أدبنا عالمي بطبعه لأنه لغة عالمية

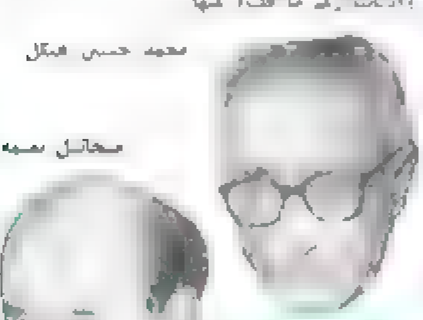
في العصور الوسطى كان الأدب العربي هو الوحيد الجدير بوصف العالمية

خطوة خطوة يستعيد أدبنا عالميته الكاملة

تاريخ القصص العربي المعاصر قصير ولكنه حافل بالأعلام والأعمال

التجارية التي تنشر في عشرات الألوف من النسخ وطرحتها دور النشر في الأسواق واسعة من اقبال الناس عليها، وهذا هو الذي شجعنا عندما قلنا ان أدبنا خطا خلال السنوات الأخيرة خطوات فسيحة نحو العالمية.

أما في النماذج الدراسية فقد كان المستشرقون – ولا يزالون – ينشرون نماذج مختارة من الأدب العربي القديم والمعاصر لينتفع بها طلابهم في الجامعات، ولدينا من هذه الكتب نماذج كثيرة، ولكنها لا تصور أدبنا تصويرا صادقا، لأن الذين يقومون بتصنيفها لا ينظرون الى الناحية الفنية بل الى الناحية اللغوية، فكلما كان النص أبسط صياغة وأسهل قراءة وأقل مفردات كان أفضل، ولا يتصور القارئ أن هذه الكتب قليلة الرواج، اذ ان الحقيقة انها تبيع مع الزمن أضعاف ما تبيعه غيرها ومن هنا فهي – رغم طابعها التعليمي – من أكبر وسائل التعريف بأدبنا والانتشار رغم ما قلناه عنها



محمد حسين هيكل

ميخائيل نعيمة

وأوضح نموذج وصلنا من هذا الطراز هو كتاب «مختارات للمطالعة في العربية الحديثة الفصحى : A Reader in Modern Literary Arabic» ومؤلف هذا الكتاب ليس مستشرقا وانما هو اخ لبناني يشغل احد كراسي الدراسات العربية في جامعة برنستون الامريكية ، وهو الدكتور فرحات زيادة، وقد نشر الكتاب في الولايات المتحدة هذا العام وان كان طبعه قد تم في مطبعة جامعة اوكسفورد .

الكتاب لا يقتصر على القصص ، بل يتناول مقالات وفصولا او صفحات مختارة من كتب ، وهو لا يرتب مختاراته بحسب الفن الادبي او بحسب عصور المؤلفين ، لان غرضه تعليمي صرف ، فهو يبدا بفصل من هذه الفصول القصصية التي اولع بها ابراهيم عبد القادر المازني طول حياته ، ثم يثني بصفحتين من كتاب « الادب والشعب » لسلامة موسى ، ويلي ذلك صفحات من « مذكرات » خليل تقي الدين التي كان ينشرها في مجلة العصبة وصفحات اخرى من « مذكرات محام مصري » لمحمود كامل وصفحتان من « تحرير المرأة » لقاسم امين ، وهكذا حتى نصل الى آخر نماذج الكتاب ، وهي قصة « نجية بنت القفي » لمحمود تيمور .

وجدير بالاشارة ان الطابع الغالب على مختارات الكتاب هو القصص ، فالغالبية العظمى من المختارات قصص او صور قصصية ، فقد اختار فرحات زيادة من كتابات العقاد فصلا من كتاب « سعد زغلول ، سيرة وتحية » ، وهو الفصل الذي يدور على نفي سعد وزملائه الى مالطة ، واختار لاحمد امين فصلا عنوانه « طرتي » من مذكراته التي سماها « حياتي » . واختار لزكي مبارك قطعة من كتابه القصصي « البدائع » عنوانها « العيد في سنتريس » ، وهكذا ، ومعنى هذا ان مصنف الكتاب قدر ان المختارات القصصية اقرب الى نفوس الناس من المقالات او الدراسات ، وانه ايسر على القارىء غير العربي ان يتتبع تطورا قصصيا من ان يلاحق التسلسل المنطقي في مقال او بحث .

والظاهرة الكبرى في هذا الكتاب هي ان من يقرا مختاراته كلها يخرج بصورة صحيحة للفكر العربي الحديث وميادين اهتمامه ونزعاته العاطفية ومستوياته الفنية واللغوية وطاقاته الفنية ،

ولا شك ان الدكتور فرحات زيادة بذل جهدا كبيرا في القراءة والاختيار ، ولا شك ايضا في ان اي قارىء يطالع هذا الكتاب يحس انه يقرا صفحات من ادب حي متطور قوي .

وقد نشر هذا الكتاب في عام ١٩٦٤ ولذلك لا نجد فيه اي اشارة الى واحد من الكتاب الذين ظهر صوتهم بعد الحرب العالمية الثانية ، فليس فيه ذكر لنجيب محفوظ او عبد الحليم عبد الله او يوسف ادريس او يوسف السباعي او احسان عبد القدوس . وفاته كذلك ان يورد مختارات لنفر ممن سلفه اتهم بناة الادب العربي الحديث من امثال محمد التابعي وفكري اباظة والدكتور احمد زكي وحسين فوزي ويحيى حقي .

كتاب نصوص ، ولكنه عظيم الدلالة

ويختلف عن هذا الكتاب اختلافا بينا كتاب آخر دراسي الطابع في الظاهر ولكنه ينطوي في الحقيقة على دراسة مجملة للقصص العربي المعاصر وتصوير بارع لجوانب شتى من تلك القصص . عنوان هذا الكتاب : Anthologie Bilingue de la Littérature Arabe Contemporaine (مختارات ثنائية اللغة من الادب العربي المعاصر) ومؤلفه هو المستشرق الفرنسي المعروف فنسان مونتي Vincent Monteil ، وقد طبع الكتاب ونشر في بيروت من سنتين .

والكتاب كما يفهم من عنوانه ينشر المختارات في لغتها العربية مع ترجمتها الى الفرنسية ، فجهد المؤلف فيه جهد اختيار وترجمة ، حتى المقدمة وعنوانها « اهم التيارات في الادب العربي المعاصر » عبارة عن محاضرة القاها (في بيروت سنة ١٩٥٩) السيد ميشيل اسمر بالفرنسية في الاصل ، ثم ترجمت الى العربية لتنشر في هذا الكتاب ، والطريف ان نصها الفرنسي اوضح بكثير من نصها العربي حتى بالنسبة لنا نحن العرب .

ولا شك ان هذه المقدمة تعتبر من طلائع الدراسات الجامعة عن ادبنا العربي المعاصر ، لان لدينا ابحاثا مفردة لهذا الاديب او ذاك الشاعر ، ولدينا كذلك دراسات قيمة عن هذه الناحية او تلك من نواحي ذلك الادب ، ولكننا لا نملك اي

دراسة موضوعية شاملة له او للاتجاهات والتيارات الفكرية التي تسود الانتاج العربي الفكري المعاصر ، ومما يؤسف له ان صاحب هذه المنتخبة لم يدرس الادب العربي المعاصر على انه ادب اصيل او استمرار لتقليدنا الادبي القديم ، بل على انه اصداء للادب الاوروبي فهذا الاديب العربي يسير في اعقاب ذاك الاديب الغربي ، وهذه الفكرة التي في كتاب « فلان » اصلها في كتاب كذا للمؤلف الغربي « فلان » ، وعندما يريد ان يستثني من ذلك يقول : « اليس ثمة غير اشخاص من اوروبا يشعرون بالقلق الشرقي ؟ اكيد لا . فالانسان هو ذاته دواما ، الا ان المأساة العالمية ، هنا تدور في مناخ خاص ، مناخ العالم العربي في طور الخلاص ... » ثم يقول بعد ذلك : « ولا بد لنا ها هنا من ان نحيي الاسماء الكثيرة في الاداب العربية من جبران الى الريحاني ، الى ابي ماضي الى امين نخلة ، الى ميخائيل نعيمة وطه حسين » .... والرأي هنا كما هو واضح شخصي صرف محلي خالص .

والمختارات بعد ذلك كلها قصصية (عدا قطعة شعرية واحدة) . وقد قسمها المصنف حسب البلاد بادئا بلبنان وخاتما بالمملكة المغربية ، وهذا بيان بما اختار لكل منهم :

لبنان : جميل جبر ، قطعة من رواية « بعد العاصفة » ـ الياس فريحة ، قطعة من كتاب « اسمع يا رضا » ـ سهيل ادريس ، قصة قصيرة عنوانها « قلق » ـ خليل سركيس ، محاورة عنوانها « مثال » ـ ليلى بعلبكي ، صفحات من « انا احيا » .

العراق : عبد الملك نوري ، صفحات من « نشيد الارض » ـ ذو النون ايوب ، قصة « اللاجيء اللاجيء » ـ نازك الملائكة ، خمس قطع شعرية . « خمس اغان للالم » .

مصر : توفيق الحكيم ، صفحات من « اهل الكهف » ـ طه حسين ، قطعة من « الايام » يحيى حقي ، صفحات من « قنديل ام هاشم » ـ عبد الرحمن الشرقاوي ، قطعة من رواية « الارض » ـ يوسف ادريس ، قصة « ارخص ليالي » ـ محمد حسين هيكل ، قطعة من « هكذا خلقت » ـ محمود صدقي ، قصة « في الاوتوبيس » ـ نجيب محفوظ ، صفحات من رواية « السكرية » .





توفيق الحكيم مارون عبود

سوريا : فؤاد الشايب ، قصة « جبارة الاله »

تونس : محمود المسعدي ، حوار من مسرحية « السد » .

المملكة المغربية . عبد المجيد بن جلون : « صالح الاسطار » .

وقد أثبت بهذا البيان لاعطي القارىء فكرة عن اتجاه الذوق الغربي في الاختيار من ادبنا ، لان هذا الذوق يختلف عن ذوقنا في كثير ، فقد نقرأ قصة لاديب من ادبائنا فلا يسترعينا فيها شيء كثير ، ولكنها عند الغربي ذات قدر كبير ، ولها في حسابه دلالة ومعنى يحسهما بذوقه الخاص . ومثال قصة محمود صدقي المسماة « في الاوتوبيس » ، هي في ظاهرها قصة تافهة في البساطة ولكنها تحتوي على حساسية فنية مرهفة ، فهي لمحة من حياة موظف مصري صغير تسلم راتبه اول الشهر ، وقدره ثمانية جنيهات . ثم مضى يحسب وهو جالس الى مكتبه ـ كما يفعل امثاله جميعا ـ المطلوب منه في ذلك اليوم ، فوجد انه عشرة جنيهات ونصف . ولم يدر كيف يدبر امره ، وغاص في ذلك التفكير النفسي الذي يغوص فيه اول كل شهر دون نتيجة ، ثم بارح مكتبه الى الطريق ، وركب « الاوتوبيس رقم ١٢ » قاصدا الى بيته ، واخرج ورقة ذات خمسة قروش ، وظل ينتظر مجيء الكومسارى ولكنه لم يأت . وعندما اقتربت المحطة من المحلة التي لا بد ان ينزل فيها نادى « الكومسارى » واصر على ان يدفع اجر ركوبه ، ودفعه ، وهبط الى الارض وسار الى بيته وهو يشعر انه انسان محترم تربطه بالانسانية كلها

رابطة حب شامل « لانه دفع ثمن التذكرة .... دونان يتهرب من الكومسارى لانه مارس الاحساس بالشرف » .

هذه اللمحة الانسانية الدقيقة استلفتت اهتمام قارئه غربي ذواقة هو المستشرق الفرنسي فنسان مونتي فحرص على ان يضعها كتابه الذي صدر بصدده على صفره ، ولم يذكر في نفس الوقت بعض اعلام القصة عندنا ممن يجرى اسمهم على كل لسان كان شيئا من قصصهم الكثير لم يعجبه .

جاك بيرك ، والفكر العربي المعاصر

ومن خير ما يعرفنا بما يعجب الذوق الغربي ولا يعجبه هي هذه القممة الطريفة التي صاغها جاك بيرك Jacque Berque بين يدى السفر عمل من اعمال الترجمة من ادبنا المعاصر الى لغة اوروبية تولته دار نشر اوروبية ، وهو كتاب « مختارات من الادب العربي المعاصر » المجلد الاول : الرواية والقصة (١) .

وجاك بيرك من اولئك الاوروبيين القلائل الذين اجتهدوا في فهمنا ودراسة حضارتنا في صدق واخلاص . وهو مستشرق مجود للغة العربية يقرؤها ويكتبها كاحسن ما يقرؤها ويكتبها ابناؤها ، ويمتاز الى جانب ذلك بذوق فني مرهف واحساس انساني اصيل يشوقك الى قراءة ما يكتب رغم صعوبة ادراك معانيه ومراميه .

هذه المقدمة ليست عن الادب العربي المعاصر فحسب انها لملاحظات وخطرات عامة عن الفكر العربي والنفس العربية وموقفنا تجاه مشكلات العصر . انها تحليل ودراسة نتفق معه في بعض نتائجها ونختلف معه في البعض الآخر ، ولكن اسلوبه لا يفقد طلاوته واعجابك به ابدا ، وهذه سمة الكلام الجدير بان يقرأ ويوضع موضع البحث والتفكير .

والمقدمة كلها في حاجة الى ترجمة ، ولولا ضيق المجال لقمنا بذلك هنا ، ولهذا فسنجتزىء منها بما يمس الموضوع الذي نتولاه .

ثقافتنا كانت عالمية .. وهي اليوم تستعيد عالميتها

في فقرة عنوانها « الادب الاجتماعي والادب الخالص » يتحدث جاك بيرك عن الفنون التقليدية للادب العربي وما اصابها من تقدم او خمول في العصر الحاضر وما ينتظر لها من تطور في المستقبل، ثم يقول : « اما في الرواية فالاجنبي يشعر وكأنه في بيته ، فان هذا الفن الادبي منقول عنه ، والملامح المختلفة اصلها منه ، وكذلك الحال بالنسبة للاهداف التي يرمي اليها التحليل النفسي ووصف البيئات والمستوى الاجتماعي ، ومع ذلك فمن الافضل هنا الاعتماد على مقاييس ادبية محلية (يريد عربية) ، وهذه المقاييس ، — رغم محليتها — لا تقوم — حتى فيما يتصل بالقصص — على عنصر اللغة كما هو الحال مع فنون الادب العربي الاخرى ، ولهذا فسيكون معتمدنا في هذا الباب على المقاييس الاجتماعية . ان اكبر عمل روائي واقربه الى الكمال ظهر في الادب العربي الى الآن هي روايات نجيب محفوظ ، والقول بانه بول بورجيه قاهري — وقد قلت انا ذلك مرة فيما مضى — فيه غبن له ، لاننا في هذه الحالة نقيسه بالنسبة لآداب اكثر نضجا في هذا الميدان ، ومن ثم فلا بد من قياسه بالنسبة للوجه لا بالنسبة الى تولستوى او بلزاك . على هذا الاساس نستطيع ان نقول ان نجيب محفوظ — لطول نفسه وضبط عاطفته واخلاصه وضخامة القضايا التي يعالجها وحدته التاريخية — يعيش بسلسلة رواياته عن احياء القاهرة القديمة تقدما محسوسا بالنسبة لسابقيه وشيئا من التفوق على معاصريه ، ورواياته الاخيرتان تنتقل من محليته الى آفاق جديدة ... »

وهذا الكلام فيه تحفظ شديد ، وفيه شيء من الحيف في النظرة العامة الى الادب العربي وفي الحكم على نجيب محفوظ ، ولكنه كلام رجل قرأ نجيب محفوظ وغير نجيب محفوظ من ادبائنا السابقين والمعاصرين . انه كلام رجل قرأ في اتساع وعمق ، وقرأ في هدوء وروية وفهم كل ما يمكن فهمه . قد نختلف معه في كثير ولكننا نفيد منه على

(١) Anthologie de la Litterature arabe Contemporaine Vol 1, Le Roman et la Nouvelle par Raoul et Laura Makarius Editions du Seuil, Paris 1964

الاختلاف المطلق ما تفيد ممن يسبقك الى رضاك. هـذا الرجل المتحفظ في كلامـه ، البخيل بعض الشيء في احكامه يقول في موضع آخر من هذه المقدمة الطريفة ان كل ثقافة عظيمة لا بد ان تكون عقلية ، وان الثقافة العربية كانت عقلية في عصرها الزاهر الماضي ، وانها تنبيء بالعودة الى العقلية مرة اخرى .

محاولة طيبة
للتاريخ للقصة العربية المعاصرة

بعد مقدمة جاك بيرك هذه نجد دراسة تحليلية موجزة لتطور القصة العربية المعاصرة منذ البدايات البعيدة نوعا ما ـ اوائل هذا القرن ـ الى اليوم .

كتب هذه الدراسة اثنان من الباحثين الفرنسيين هما راءود ولورا مكاريوس ، واجتهدا في ان يجعلا في صفحات قليلة تاريخا طويلا حافلا بالاسماء والاعمال . والحق ان الانسان ليدهش ـ وهو يتأمل آثارنا القصصية المعاصرة ـ من ان هذا الفن قد وصل بالفعل الى مستوى من الجودة يثير العجب . فان محاولاتنا القصصية الاولى بدأت بالامس فقط ، ايام محمد المويلحي وابراهيم جلال ومعاصريهما ، وخلال هذه الفترة القصيرة ـ حوالي نصف قرن ـ وصلنا الى مستويات توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف ادريس ، وهي مستويات رفيعة حقا في التاليف المسرحي والرواية الطويلة والقصة القصيرة .

لا يتسع المجال لعرض هذه القصة ونقدها ، فهي تاريخ للقصة العربية حسب المنهج الذى اختاره المؤلفان ، وهذا التاريخ في ذاته في غاية الايجاز ، ومن ثم فلا يمكن ايجازه ، ولكنه يضم ملاحظات غاية في الطرافة والبراعة ، وهي لهذا جديرة بالذكر . مثال ذلك قولهما ان الانسان يدهش للتفاوت في القيمة بين اعمال الكاتب الواحد ، فان القصاص منهم يكتب مرة شيئا يرتفع به الى اعلى المستويات ، ثم يهبط في شيء تال الى العادية ، وربما الى الركاكة ، هـذا شيء صحيح الى حد كبير بالنسبة الى كثير من الكتاب الجدد ، وسببه انهم ينشرون كل ما يكتبون ، ويشرونه كما يخرج من ايديهم دون مراجعة ، دون قراءة ثانية ، من المسودة الى القارىء كما يقولـون ، وسببه كذلك ضعف النقد الادبي





ليلى بعلبكي — يوسف السباعي

الصحيح ، فان النقاد يبنون نقدهم على الصداقات والعداوات ، فكل ما كتب الصديق جيد ، وكل ما كتب العدو سيء ، اما الذين لا تربطهم بهم عداوة او صداقة فهؤلاء لا يشار الى انتاجهم مطلقا ، بل لا يقرأ اصلا .

والشيء الذي يستوقف النظر في هذه القصة، ان الصورة العامة للادب العربي المعاصر ـ في القصة وغيرها ـ غير واضحة في نظر النقاد الفرنسيين . اسماء الكتاب المختارين يختلفون من كتاب لكتاب ، والنماذج المختارة تختلف في المستوى اختلافا شديدا : الى جانب شيء ممتاز لهذا الكاتب او ذاك نجد شيئا ضعيفا لكاتب آخر ، وقد يكون لهذا الكاتب الثاني انتاج احسن وارفع مما اختاروه له ، ولكن الناقد الاوروبي يحكم بحسب ما يصل اليه ، وليست هناك مجموعات كاملة لاعمال كل اديب ، والكثير مـن القصص الجيدة لا تزال في صفحات الجرائد لم تجمع بعد في كتب . وحتى لو جمعت نجد الاديب لا يصفي من انتاجه فينشر الجيد ، ولكنه ينشر كل شيء دون غربلة او مراجعة ، وفي احيان كثيرة نلاحظ الغلطة المطبعية في الجريدة تظهر بنفسها في الكتـاب .

هذه الدراسة وامثالها ينبغي ان نؤخذ على انها محاولة من محاولات كثيرة للتاريخ لادبنا المعاصر وتقييمه ، وهي ـ على هذا الاعتبار ـ جديرة جدا بالاعتبار والتقدير ، خاصة اذا ذكرنا اننا نحن لم نقم بمثل هذه المحاولة ، اى ان احدا منا لم يتصد لجمع اعمال ادبائنا المعاصرين من الخليج

الى المحيط ولى المهاجر ودراستها وتبويبها ، ومحاولة وضع دراسة عنها او على الاقل عمل ببليوغرافية مفصلة .

فاذا كانت دار نشر فرنسية قد فكرت في ذلك العمل ، وعهدت الى نفر من المستشرقين في القيام به ، فذلك جدير بان يلفت انظارنا الى واجبنا نحو ادبنا في دور التطور الحاسم الذي يجتازه .

قصاصون كثيرون .. وقصص وافر

مختارات هذا الكتاب في ذاتها دراسة ، لان المصنفين قدما للمختار من عمل كل اديب بدراسة قصيرة عنه ، بالاضافة الى المقدمة العامة التي اشرنا اليها وتقديم جاك بيرك ، وهذه المقدمات القصيرة عظيمة القيمة لانها موضوعية صرفة . سطور قليلة عن كل قصاص ترسم هيكل حياته وتثبت اهم اعماله .

وهذه المختارات القصصية مقسمة الى ثلاث مجموعات ، وتحت كل مجموعة يورد المؤلفان اسماء عدد من القصصيين من كل بلد عربي مع مقاطع من كتاباتهم ، ولسنا بصدد هنا لمناقشة هذا التقسيم او نقده ، لان المجال هنا لا يسمح باكثر من التعريف .

المجموعة الاولى يسميانها مجموعة المؤسسين ، اي مؤسسي فن القصة الحديثة في الادب العربي وهؤلاء هم وما اختار المصنفان لكل منهم :

لبنان : يعقوب صروف : قطعة من رواية « فتاة مصر » عنوانها « سالمو الخديوي » .

امين الريحاني : قطعة من رواية « زنبقة الغور » عنوانها « الفجر في الناصرة » .

ميخائيل نعيمة : قطعة من رواية « كان ما كان » عنوانها « سعادة البك » .

فؤاد افرام البستاني : صفحات من رواية « على عهد الامير » بعنوان « ليلة في الوادي » .

خليل تقي الدين : قصة عنوانها « الجاسوس » من مجموعة قصصه المسماة « الاعدام » .

توفيق يوسف عواد : قطع من رواية « الرغيف » .

مارون عبود : قصة عنوانها « الشرك » من مجموعة قصصه « احاديث القرية » .

مصر : اختار المصنفان مقاطع لتسعة من القصاصين ، هم :

محمد حسين هيكل : صفحات من رواية « زينب »

شحاته عبيد : قطعة من رواية « درس مؤلم »

محمود طاهر لاشين : قصة من مجموعة « حواء بلا ادم »

ابراهيم المصري : صفحات من رواية « الانثى الخالدة »

محمود تيمور : قصة « الاوسطى شحاته » من مجموعة « الشيخ جمعه وقصص اخرى »

ابراهيم عبد القادر المازني : صفحات من رواية « ابراهيم الكاتب »

صلاح ذهني : صفحات من رواية « رئيس التحرير وقصص اخرى »

طه حسين : صفحات من رواية « المعذبون في الارض » .

توفيق الحكيم : صفحات من « يوميات نائب في الارياف »

والمجموعة الثانية يضعها المصنفان تحت عنوان « مهلة جديدة » يتحدثان فيها عن ٣٧ قصاصا ويوردان مقاطع من اعمالهم . هنا سنكتفي بايراد اسماء المختارين من قصاصي كل بلد عربي دون ذكر ما اختير لهم ، لان القائمة طويلة ، والمجال ضيق :

من مصر : يحيى حقي ، نجيب محفوظ ، يوسف السباعي ، احسان عبد القدوس ، عبد الرحمن الخميسي ، عبد الرحمن الشرقاوي ، يوسف ادريس ، مختار العطار ، امين يوسف غراب ، محمود البدوي ، يوسف الشاروني،محمد صدقي .

من العراق : يعقوب بلبول ، ذو النون ايوب ، عبد الله نيازي ، شاكر خزبك ، عبد الملك نوري ، ادمون صبري ، سميرة جميل حافظ ، جبرة ابراهيم جبرة ، مهدي عيسى الصقر .

من سوريا : عبد السلام العجيلي ، فارس زرزور .

من فلسطين : سميرة عزام .

من لبنان : رشاد دروغوث ، احمد سويد ، سهيل ادريس ، ليلى بعلبكي ، جميل جبر .

من السودان : خوجلي شكر الله .

من تونس : علي الدعاجي ، محمد رشيد حمزاوي ، بشير خريف ، حسن نصر ، محمد فرج الشاذلي .

من الجزائر : عبد الحميد بن هدوقة .

من المغرب : عبد الجبار السحيمي .

وقد نص المصنفان في المقدمة على ان اختيار هؤلاء ليس معناه انهم هم وحدهم القصاصون ولا القصاصون سواهم ، انما هم نماذج للاتجاهات القصصية ، وعلى هذا الاعتبار قد يغني واحد عن واحد دون ان يكون احدهما افضل من الآخر ، لان المجال ضيق والاحصاء الكامل عسير ، وقد اضطرا من عدم امكانهما ايراد مختارات لمؤلفين ممتازين مثل محمد عبد الحليم عبد الله وسعد مكاوى وعبد الحميد جودة السحار ومحمود كامل (من ج٠ع٠م٠) وكرم ملحم كرم وسعيد تقي الدين (من لبنان) وعبد المجيد لطفي وذانون ايوب (من العراق) .

والمجموعة الاخيرة في هذا الكتاب هي مجموعة اصحاب المحاولات الجديدة ، اي الذين يفتحون للقصة العربية ابوابا جديدة او يدخلون ببعض اعمالهم في دور جديد من ادوار تطورهم الفني . من الطراز الاول بشر فارس في قصة (الغريب في باريس » (من مجموعة قصص « سوء تفاهم ») وضحي غانم في قصة « غروب الشمس » (نشرت في مجلة الاديب في بيروت) وفؤاد كنعان في قصة « التمديل المنطقي » وزكريا تامر في قصة « الرحلة الاسفلت » والطيب صالح في قصة « حفنة بلسانه » في قصة « الى رجال القرن العشرين » .

ومن الطراز الثاني نجيب محفوظ في رواية « اللص والكلاب » وعبد الملك نوري في قصة « الصديقان » .



محمود تيمور — جبران خليل جبران

وكتب اخرى كثيرة

ولم اذكر الى الآن الترجمات الكاملة لاعمال نفر من قصصيينا الى لغات اوروبية لان هذا امر معروف ، ونجاح هذه الترجمات في اوروبا حقيقة يعرفها كل المتحمسين لحركة انتقال آدابنا الى الغرب .

فمعظم مؤلفات توفيق الحكيم تقرأ الآن في اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات الحية ، « والايام » لطه حسين اصبحت من سنوات جزءا من الثروة الادبية العالمية ، والكثير جدا من قصص محمود تيمور تقرأ في لغات الغرب كما تقرأ في اللغة العربية ، ورواية « قرية ظالمة » لمحمد كامل حسين تقرأ الآن في الانجليزية والاسبانية والفرنسية ، وتعتبر من الاعمال الفريدة في بابها في الادب العالمي .

ولسنا في حاجة الى ان نذكر ان قصص جبران خليل جبران قرئت وراجت في لغات الغرب قبل ان تقرأ في اللغة العربية .

وكتابة نجيب محفوظ معدودة في الاعمال الفنية العالمية الكبرى وخاصة بعد ان نشر الاب جوميه دراسته المشهورة عنها باللغة الفرنسية .

والى جانب الدراسة التي ذكرناها في اول هذا المقال عن احمد امين يؤلفون اليوم في مايلي كتابا جامعا عن طه حسين . سيكتب كل عضو من اعضاء

معهد الدراسات الشرقية في جامعة ذلك البلد فصلا من ناحية من نواحي عبقرية الاديب والمفكر العربي الكبير .

ووصلتنا انباء كثيرة عن دراسات تعد عن القصة العربية المعاصرة او ترجمات اوروبية لاعمال قصاصينا ، والى ان تظهر هذه الاعمال نشير هنا الى كتابين اطلعنا عليهما هذا العام .

الاول باللغة الالمانية الفه هيرمان زيوك وعنوانه :

Herman Ziock, Aegypten in Erzaelungen Seiner besten Zeitgenoesischen Autoren (Horst Erdmann Verlag, Stuttgart 1963)

(مصر كما تصورها قصص احسن قصاصيها المعاصرين ، تأليف هيرمان زيوك ، دار هورست ايردمان للنشر ، شتوتجارت ١٩٦٣) .

هذا الكتاب - كما هو واضح من عنوانه - خاص بالقصاصين المصريين ، وهو يقع في ٣٦٥ صفحة ويضم تراجم لست وثلاثين قصة لنفر من القاهريين من كتابنا ، ورد ذكر معظمهم في الكتب التي عرضنا لها . الاسماء الجديدة التي عبرت الى اللغة الالمانية في هذا الكتاب هي : عبد العزيز البشرى واحمد راسم وسعيه عبده ومحمود كامل وجاذبية صدقي ورشاد رشدي ومحمود البدوي ومحمد عفيفي ومرسي سعد الدين وادوار خراط . ولهذا الكتاب مقدمة لا بأس بها وان لم تصل في مستواها واصالتها الى جودة مقدمات غسان عوض وجاك بيرك ، ولكنها لا تخلو من لمحات ذات عمق وصدق .

والكتاب الثاني ظهر في اللغة الاسبانية ، الفه بدرو مونتابث بعنوان « سبعة قصاصين مصريين معاصرين » .

Pedro Martinez Montavez Siete Cuentistas Egipcios Contemporaneos (Madrid, 1964)

ومؤلف هذا الكتاب شاب من علماء الاسبان اقام في القاهرة ودرس فيها سنوات ، وهو يتذوق الادب العربي كاحسن ما يتذوقه اهله ، ويكاد يعرف كل ادباء مصر المعاصرين ، ولهذا فمقدمة كتابه - رغم صغرها - تعتبر من امتع ما قرأت عن ادبنا في اي لغة اوروبية ، والاسماء الجديدة التي انتقلت الى الادب الاوروبي عن طريق هذا الكتاب هي : محمد عبد الحليم عبد الله وحسين مؤنس .

ادبنا عالمي بطبعه ، وهو في الطريق لاستعادة مكانه

نظرة عابرة على اسماء قصاصينا الذين ترجمت اعمالهم او شيء منها الى هذه اللغة الاوروبية او تلك تستطيع ان تقول ان كل ادبائنا المعروفين هنا معروفون خارج حدودنا ايضا . في موسكو وبرلين وباريس وروما ولندن ونيويورك تستطيع ان تحصل على ترجمات جيدة لن تعجب من كتاب اللغة العربية ، نعم ان واحدا من كتبنا لم يصل بعد الى ان يكون كتابا طائرا (بست - سيلر) في اسواق الادب العالمية كما هو الحال مع قصة « رحيق في غربال » للقصصية الهندية كمالا ماركاندايا او قصة « قنطرة على نهر الدرينا » للكاتب اليوغوسلافي ايفواندريك ، ولكن هذا آت ولا ريب في يوم قريب .

المهم لدينا هنا ان قصصنا العربي وجد طريقه مرة اخرى الى نهر الادب العالمي ، والادب العالمي سوق لا ينفق فيها غير الجيد والصالح والقادر على النافسة في النطاق الواسع ، والرواج فيه يمكن ان يتخذ اساسا لتقدير القيمة الحقيقية لهذا الكتاب او ذاك ، لاننا قد نقدر كتابا لقيمته المحلية ، اي انه يحرك عواطفنا كعرب دون ان تكون له قيمة فنية حقيقية . وكما قال جاك بيرك ان كل ثقافة كبرى ينبغي ان تكون عالمية ، نقول نحن ان كل اديب اصيل ينبغي ان تروج مؤلفاته على الصعيد العالمي ، ينبغي ان يتخطى حدود بلده ويأخذ مكانه بين ما يقرأ الناس في كل ركن من اركان هذا الكوكب .

قلنا ان ادبنا وجد طريقه مرة اخرى الى نهر الادب العالمي ، لان ادبنا بطبيعته عالمي لان لغته عالمية . في العصور الوسطى كان ادبنا هو الوحيد الجدير بوصف العالمية كان يقرأ في اقطار الارض جميعا ويترجم الى اللاتينية واليونانية والعبرية ... ومن واجبنا اليوم ان نستعيد له مكانته الاولى ، فان الفخر بالماضي جميل ، ولكن الفخر بالحاضر والمستقبل اجمل بكثير ....

حسين مؤنس



أبعاد الشخصية الإنسانية

والشخصية هي النظام الذي يؤلف بين هذه الوظائف ويجعلها تعمل معًا

بقلم الدكتور مصطفى سويف

أستاذ مساعد علم النفس بجامعة القاهرة

■ يعتبر موضوع «الشخصية الإنسانية» من أهم الموضوعات التي استأثرت بقدر كبير من جهود علماء النفس المحدثين، ولعلنا لا نجانب الصواب كثيرا إذا قلنا إن هذا الموضوع لا يكاد يختلف عن سائر موضوعات علم النفس الحديث [illegible] في أنها جميعا تقوم على ماض طويل من التفكير النظري [illegible] الماضي، لكن تاريخها في التفكير النفسي التجريبي قصير جدا.

[illegible] أن معظم الموضوعات [illegible] كثير من المفكرين [illegible] محاولات للفهم والتفسير [illegible] النظرية والتعميمية، إلا أن تاريخ معالجتها [illegible]

[illegible] النفسي [illegible] الأ [illegible] بدايته الفعلية [illegible] على [illegible] محددة [illegible] أكثر من [illegible] القرن [illegible] الأخير [illegible] صحيح [illegible] للفكرة العامة من موضوعات علم النفس الحديث [illegible] موضوع [illegible] وجه خاص [illegible] على [illegible] العصر العلمي [illegible] والموضوعات [illegible] لا [illegible] على [illegible] على [illegible]

بدأ مع بداية هذا القرن . ومن شهادة أقل ما يقال فيها انها تمدنا بالاطار العلمي الذي يسمح لنا بأن نحسن تقدير ما أنجزته الدراسات العلمية حتى الآن .

واجهات متعدده للموضوع

ومع ذلك فالموضوع كما نعرفه في دراستنا المعاصرة موضوع متشعب أو متعدد الواجهات ، ولا يمكن الوفاء بحقه في حديث واحد فاذا اردنا لهذا الحديث ان يظل ذا حجم معقول وفائدة ميسرة . ورحم الله ابن خلدون اذ كان يقول : « ذهب كثير من المتأخرين الى اختصار الطرق والانحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا من كل علم يشتمل على حصر مسائله وادلتها باختصار في الالفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن ، وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسرا على الفهم .. »

لذلك ، وعملا بهذه النصيحة التي تنطوي على بصيرة نافذة ، سوف نقتصر في السطور القليلة القادمة على الاشارة الى الواجهات الرئيسية لموضوعنا ، مجرد اشارة موجزه تقوم امام القارىء بمثابة خريطة تقريبية مبسطة تعينه على حسن الاتجاه في مجال الدراسات التي نحن بصددها ، وسننتقل بعد ذلك مباشرة الى تركيز الحديث على واجهة واحدة ، هي واجهة الدراسات التي تناولت ما يعرف باسم « ابعاد الشخصية » ، أو « تنظيم سمات الشخصية وانماطها » .

السلوك والشخصية

لا بد للقارىء أولا من أن يعرف أن علم النفس الحديث لا يقتصر على دراسة الشخصية ، لكنه يدرس السلوك كذلك . ونحن نفرق بين الاثنين لا لأنهما منفصلان في الواقع ولكن لأنه لا بد من نوع من تقسيم العمل بين الدارسين حتى يمكنهم أن ينجزوا شيئا . وعندما يتحدث عالم النفس عن السلوك فانه يقصد الاشارة الى مظاهر النشاط المختلفة التي تشير رغم اختلافها الى أننا بصدد تجمعات فيما بينها ، تجمعات يشير كل منها الى أننا بصدد وظيفة لها وحدتها وتجانسها ، فهذه وظيفة التفكير المجرد ، وتلك وظيفة الكلام ، والثالثة وظيفة الادراك ، والرابعة وظيفة الحركة من الكلام .. الخ .

فاذا انتقل هذا العالم الى الحديث عن الشخصية فانه يقصد الاشارة الى النظام الاساسي الذي يؤلف بين هذه الوظائف ويجعلها « تعمل معا » بأساليب معينة تختلف اختلافا ملحوظا من شخص الى آخر ، أو هي على الأقل تقدير تختلف من فئة الى أخرى ، أو من طراز من الاشخاص الى طراز آخر .

ومن العلماء من يكرسون جهودهم لدراسة وظيفة نفسية واحدة أو عدد من الوظائف النفسية ، هدفهم الكشف عن القوانين الاساسية لعمل هذه الوظائف دون أن يعنى بهم البحث الى مسألة التنظيم أو خصائص البناء الذي يضمها . ومنهم من تشغل اهتمامهم منذ البداية مسألة نظام العلاقات القائمة بين الوظائف . وبالنسبة للمتفرج من خارج ميدان التخصص يبدو أن عمل كل من الفريقين ناقص ، وهذا صحيح اذا نظرنا اليه على حدة ، الا أنه في ميدان البحث العلمي لا يوجد من يقول : « أنا ابني العالم وحدي » . ومن ثم فان التقييم السليم لجهود الفريقين انما يكون بالنظر فيما يسهم به كل منهما من تقدم الميدان الذي يضمهما معا ، وهو ميدان علم النفس اجمالا .

اربع طرق لدراسة الشخصية

ولنترك موضوع الوظائف ونركز الحديث على التنظيم ، الذي هو الشخصية .. للعلماء هنا أربع طرق رئيسية لدراستها ، احدى هذه الطرق هي الأساس ، والباقي يقوم على هذا الأساس أو يعد من حصيلته .

أما الطريقة الأولى فهي المعروفة باسم « التحليل العاملي لبناء الشخصية » ، وتنتهي عادة بتحديد عدد قليل مما يسمى عوامل الشخصية أو ابعادها الأساسية ، وتحديد شكل ـ طراز ـ العلاقة المستقرة بين هذه الابعاد . ويمكن للقارىء أن يتصور حصيلة هذه الدراسة على أنها الوصول الى ما يمكن تسميته بالخطة الهندسية أو التصميم الهندسي الأساسي الذي تقوم عليه الشخصية . ويمكن تشبيه المشهد الذي يواجهه الدارس هنا بالمشهد الذي يواجهه الباحث في علم الفلك عندما يهتدي الى تحديد خريطة منطقة معينة من السماء فيجد نفسه امام تجمعات للنجوم والاجرام تنظمها أشكال هندسية مستقرة ، ثم يهتدي الى

لتحديد شبكة الافلاك التى تقوم كاطار ينتظم حركة هذه النجوم والاجرام . ويمكن تشبيه كذلك بالمشهد الذى يتكشف لدارس علم البلورات (احد فروع الدراسات الطبيعية فى خصائص المادة) عندما ينتهي هذا الدارس الى تحديد الخصائص الهندسية للتركيبة التى تتجمع على اساسها جزيئات المادة فى بلورات . ويمكن تشبيه المشهد ايضا بمشاهد اخرى متعددة ينتهي اليها العلماء فى مسالك العلم المختلفة . ويستطيع القارىء ، اذا اراد ، ان يهتدى الى كثير منها بنفسه حتى يستسيغ هذه الزاوية التى نتحدث عنها فى دراسة الشخصية . المهم هو ان يكون اساس التشبيه واضحا فى الذهن ؛ ففى الشخصية الانسانية نجد الوظائف النفسية او مظاهر السلوك من ناحية ، والنمط الهندسي لانتظامها من ناحية اخرى . يناظر ذلك فى السماوات النجوم والاجرام عامة ، ثم الاشكال الهندسية لتجمعها ولمساراتها ويناظر ذلك فى البلورات الجزيئات من ناحية ، والهيكل الهندسي لائتلافها من ناحية اخرى .

الدراسة الارتقائية

نعود الى متابعة الحديث عن الطرق الثلاث الباقية لدراسة الشخصية :

اما الطريقة الاولى من بين هذه الطرق فهي الدراسة الارتقائية ، وفيها يتابع الباحث الى عمليات النمو والارتقاء فى احد عوامل الشخصية (اى فى جانب واحد من جوانب التنظيم) او فى عدد من هذه العوامل او فى طراز التنظيم اجمالا ، فيحاول مثلا ان يتتبع موضوعه ، وليكن « عامل المثابرة » ، وهو من العوامل التى امكن بالفعل تحديدها بدقة عن طريق تحديد مظاهر السلوك التى تنتظم حولها والاوزان النسبية لكل من هذه المظاهر فى تحديد معالم هذا العامل . نقول يحاول الباحث ان يتتبع هذه السمة عبر مراحل العمر المختلفة موضحا كيف يتغير شكلها ، او كيف تتغير الاوزان النسبية لمكوناتها ، وتتغير علاقتها – اى علاقة هذه السمة – بالبقية الباقية من سمات الشخصية او عواملها ، ليصل فى نهاية المطاف الى وضع صيغة دقيقة موجزة لتحديد علاقة العمر بالخصائص الكمية لنظام الشخصية . وقد اجريت بالفعل عدة دراسات من هذا القبيل ، ونتائجها النظرية شيقة للغاية ، هذا بالاضافة الى نتائجها العملية البالغة الاهمية .

دراسات شبكة البيئة الداخلة

واما الطريقتان الثانية والثالثة فيجمعان معا تحت اسم « الدراسات السببية للشخصية » ؛ نسبة الى ان الباحث ينظر هنا الى الشخصية من خلال شبكة العلاقات التى تكتنفها فى اللحظة الراهنة . وفى احدى الطريقتين يهتم الدارس بالكشف عن مدى تأثر الشخصية (احد عواملها او طراز بنائها) بالتغيرات العضوية التى تطرأ على البيئة الداخلية للفرد ، كالتغيرات فى كيمياء الدم او التغيرات الوقتية التى تصيب مواضع معينة فى الجهاز العصبي المركزى نتيجة لتناول الفرد بعض العقاقير المنبهة او المخدرة .. الخ .. ويهتم فى الطريقة الثانية بدراسة مدى تأثر الشخصية بمؤثرات البيئة الاجتماعية ، متتبعا هذه المؤثرات فى دوائرها المتفاوتة الاتساع ابتداء من اضيق الدوائر ، دائرة الاسرة بمعناها المحدود وما كان على شاكلتها حتى دائرة الاطار الحضارى الذى يضم هذا الفرد ومجتمعه ضمن عدة مجتمعات اخرى متشابهة .

هذه هى الطرق الاربعة الرئيسية لدراسة الشخصية الانسانية فى علم النفس الحديث . ويخيل الينا ان توضيحها على هذا النحو يكفى لتحديد المسالك الرئيسية فى الميدان اجمالا . وبذلك يمكننا ان نتقدم نحو الحديث عن دراسات التحليل العاملى لبناء الشخصية ، ونحن نعرف اين يقع طريقنا هذا بالنسبة لسائر الدروب فى الميدان .

دراسات بناء الشخصية

تبدا هذه الدراسات من مقدمة بسيطة تستند الى عدد لا آخر له من الملاحظات التى تراكمت على مر السنين فى شتى ميادين الحياة العلمية ؛ مؤداها ان الصورة الاجمالية لتصرفات اى شخص ممن يتكرر التقاؤنا بهم لسبب او لآخر ، هذه الصورة رغم تعدد عناصرها وتنوعها ، فانها تشف عن منطق واحد يجعلها تبدو متسقة مع نفسها ، تدور حول محور ارتكاز واحد فى معظم مواقف

الحياة . فهذا شخص يغلب عليه الاتزان والتحكم في انفعالاته ، وفي التعبير عنها في مواقف الغضب وفي مواقف الرضا ، وفي الحزن وفي الفرح ، وعند الخوف وعند الاطمئنان ، وهو بوجه عام قليل الشكوى والبكاء ، يستطيع أن يقف مستقلا بالرأي اذا لزم الأمر ، عريض الاهتمامات ، واقعي النظرة الى الحياة والاحياء . وذاك شخص تغلب عليه اضداد هذه الصفات . والثالث يبدو في موضع بين الوضعين : هذا مشهد من شواهد اتساق الشخصية ، وقد نفتح عيوننا على مشهد آخر من زاوية أخرى غير زاوية الاتزان وضبط النفس هذه ، وما أكثر الزوايا التي نلمحها على هذا النحو .

وربما كان أكثرنا تعرضا لملاحظة هذا الاتساق أو بالأحرى لاستشفافه أولئك الذين يشتغلون بالتربية ، وبعلاج الأمراض النفسية والعقلية ، هؤلاء يتعرضون له لأنه يفرض نفسه عليهم بحكم طبيعة عملهم ، المربون بما يفرضون على النشء من عمليات تربوية متواصلة لا تلبث أن تكشف عن أن لكل امرئ اسلوبه الفريد في الاستجابة لهذه العمليات ، والمعالجون لا شيء الا لأنهم يشاهدون من كثب مرضاهم ، وقد اكتسب الاتساق لدى هؤلاء المرضى درجة من البروز والتحجر تتناسب الى حد كبير مع شدة وطأة المرض عليهم .

ولعل أكثرنا حرصا على النفوذ الى وحدة الشخصية واتساقها لتحقيق أوضح رؤية ممكنة لهذا الجانب هم المشتغلون بالأدب ، وخاصة كتاب القصة والمسرحية من بينهم . ومن ذا يستطيع أن ينسى شخصية عطيل ، أو أنا كارنينا ، أو شخصية « السيد أحمد عبد الجواد » في قصة « بين القصرين » لنجيب محفوظ !

اليونان والعرب وهذه الشخصية

وقد عرف قدماء اليونان والعرب هذا الموضوع ، موضوع وحدة الشخصية الانسانية أو تماسكها واتساقها . ومن أهم كتاباتهم في هذا الصدد ما كتبه هيبوقراط في القرن الخامس قبل الميلاد ، وما كتبه الفخر الرازي في القرن الثالث عشر الميلادي . وقد حاول كل منهما أن يقيم دعائم نظرته في وحدة الشخصية . وكان الفخر الرازي يطلق على هذه النظرية اسم « الفراسة » . وجدير بالذكر أننا اذا قرأنا كتابه في هذا الموضوع قراءة منصفة فتغاضينا النظر عن بعض الأفكار التي كانت تتسق مع ثقافة عصره ولكنها لا تلائم التفكير العلمي في عصرنا ، وعن بعض الألفاظ والعبارات التي لم تعد دائمة بيننا ، لوجدنا هذا الكتاب زاخرا باللمحات الموضوعية والمنهجية السابقة الى الأوان حقا .

غير أن هذا الاكبار يجب الا يغرينا بما هو أكثر منه ، سواء بالنسبة للفخر الرازي وبالنسبة لهيبوقراط وغيرهما من الكتاب القدامى ، بل والمحدثين حتى أواخر القرن التاسع عشر . ذلك لأنهم على كل ما كان في أفكارهم من ثاقب النظر ، لم يكونوا يستطيعون أن يصلوا الى الكشف عن مقومات بناء الشخصية بالصورة المفصلة المضبوطة التي نعرفها حاليا ، لسبب رئيسي هو أن أدوات الدراسة التجريبية للشخصية ، وطرق قياسها ، وطرق التحليل الاحصائي المتاحة لنا في الوقت الحاضر ، والتي لا بد من الاعتماد عليها للقيام بهذا النوع من الدراسة ، لم تكن معروفة لهم ، ومعظمها لم يعرف الا في خلال القرن العشرين .

كيف ندرس بناء الشخصية الآن ؟

لا يستطيع المثقف أن يلم بأي موضوع من موضوعات العلم الحديث دون أن يلم ببعض مسائل البحث ووسائله . ولعل السبب الرئيسي لذلك أن تقدم المعرفة العلمية فيما هو أبعد من مستوى المشاهدة العادية يعني مزيدا من الاعتماد على وسائل وأساليب فنية معينة ، وهذا بدوره يعني مزيدا من التداخل والالتحام بين خصائص الأساليب والوسائل التي نستخدمها وبين مواصفات الوقائع التي نبحثها . من أجل ذلك لا نجد بدا من تقديم حديثنا عن بناء الشخصية وقد انقسمت فيه شعبتان : احداهما عن الموضوع والأخرى عن المنهج .

ان الدراسات الحديثة لبناء الشخصية تعتمد على عدد من الخطوات الرئيسية :

أولاها أن ينتخب الباحث عددا معقولا من الأشخاص ، يحسن الا يقل كثيرا عن مائتي شخص حتى يمكن الثقة في النتائج بدرجة لا بأس بها . والخطوة الثانية أن يطبق على هؤلاء الأشخاص

عددا من المقاييس يهدف بها الى قياس مجموعة من مظاهر النشاط النفسي تحت شروط عملية محددة ، من هذا القبيل من المظاهر : القابلية للايحاء ، وسرعة تعلم الشخص لبعض المهارات الحركية ، ومستوى الطموح لديه ، وبعض جوانب في عملية الادراك ، وبعض جوانب في عمليات التفكير .. الخ . والخطوة الثالثة هي استخدام بعض أساليب التحليل الاحصائي في الكشف عما عساه يوجد من علاقات بين نتائج كل مقياس وآخر من المقاييس المستخدمة ، فاذا طبق الباحث خمسة مقاييس فسيحصل على عشر علاقات (بغض النظر عن اتجاهها) ، واذا طبق عشرة مقاييس فستظهر امامه ٤٥ علاقة ، واذا طبق عشرين مقياسا فسترتب عليها ١٩٠ علاقة ... هكذا . ويكون التعبير عن هذه العلاقات بما يعرف في لغة الاحصاء باسم معاملات الارتباط . والخطوة الرابعة هي ان يعود ليحلل هذه الارتباطات تحليلا احصائيا من نوع أشد تعقيدا ، ويعرف باسم التحليل العاملي . ويخرج منه بما يسمى بعوامل الشخصية او ابعادها او محاورها الرئيسية .

وهكذا يتضح ان ابعاد الشخصية ان هي الا مفاهيم احصائية في طبيعتها ، تقوم بمثابة خطوط وهمية كخطوط الطول والعرض على الكرة الارضية ليس لها وجود فعلي في الحياة النفسية كوجود عمليات التفكير او الحركة ، لكنها مع ذلك مفيدة جدا في بناء علمنا ، تماما كفائدة خطوط الطول والعرض في بناء قسط من معلوماتنا الجغرافية .

هذا هو مجمل العمل الذي تقوم عليه الدراسات الحديثة لبناء الشخصية : القيام بهذه الخطوات الاربع . وهو عمل لا الغاز فيه ، منهجه واضح وادواته معروفة ، يمكن لكل شخص على مستوى متوسط من الذكاء ان يتقن القيام به ، كما ان الخطوات موضوعية الى حد كبير ، لا دخل لهوى الباحث في توجيهها هذه الوجهة او تلك .

وجدير بالذكر ان استمرار العلماء في جهودهم التجريبية على هذا النحو ، وفي مناقشاتهم النظرية ، وابتكاراتهم المنهجية ، ادى الى تراكم قدر كبير من المعلومات المحققة داخل اطار بناء الشخصية ، كما مهد الطريق لمزيد من النمو ويزيد من سرعة هذا النمو ، ولا سيما في السنوات القليلة الماضية .

معلوماتنا في الوقت الحاضر

وتتلخص معلوماتنا في الوقت الحاضر فيما يأتي

أولا : هناك عدد محدود جدا من الابعاد او المحاور الاساسية او الكبرى للشخصية ، نحن نعرف الآن منها ثلاثة ، هي : محور تنتظم جميع العمليات التي درجنا على تسميتها بالعمليات العقلية العليا ، وهي تضم كل ضروب النشاط الذي يؤدي الى تحقيق قدر من المعرفة ، ويطلق على هذا المحور اسم « العامل او البعد الخاص بالذكاء » . والمحور الثاني ينتظم جميع العمليات الانفعالية او الوجدانية من حيث تحقيقها لاتزان الشخصية وتوافقها ، او من حيث اخلالها بهذا الاتزان والتوافق . وقد جرت عادة الباحثين بتسمية هذا العامل بالاشارة الى ناحية اختلال الاتزان ، والاسم الاصطلاحي هنا هو « العصابية » والمحور الثالث ينتظم مجموعة العادات التي تنبعث من المصدر الرئيسي للقيم المحركة لهذا الفرد او ذاك ، أعني المحيط الاجتماعي المباشر لهم الآن. ويسمى هذا البعد « بالانطواء » احيانا و « بالانبساط » احيانا اخرى نسبة الى هذا الطرف او ذاك . وجدير بالذكر ان هذا المحور لا علاقة له بالمرض النفسي ولا بالانانية بمعناها الاخلاقي ، ولا بأي شيء من هذا القبيل كما يبادر الى الذهن بعض القراء ، فالمسألة مختلفة عن ذلك تماما ، وترجع في نهاية الامر الى درجة التنبه العام السائد في الانسجة العليا في الجهاز العصبي المركزي لدى كل منا .

هذه هي الابعاد الثلاثة الكبرى التي عرفها حتى الآن معرفة يقينية الى حد كبير ، اي التي امكن استخلاصها في عدد كبير من البحوث التجريبية ، اجريت على عشرات العينات من الافراد ، وقام بها علماء مختلفون في معامل متفرقة.

ثانيا : هناك عدد آخر من الابعاد لا يزال دون الرتبة السابقة ، لأنه يظهر في بعض التحليلات ويختفي في البعض الآخر ، دون ان يكون لذلك سبب واحد معروف . ولهذا لا يزال حكم المختصين

على هذه الابعاد مطلقا . هنا نذكر بعدا واحدا بوجه خاص يدور حوله كثير من البحث والعمل في الوقت الحاضر ، يطلق عليه اسم « اللحاقية » (نسبة الى اللحاق وهو الجنون بتواعه المختلفة) والمفروض فيه انه يضم مجموعة من الوظائف النفسية تنظم عملية التوافق مع متحركات العالم الخارجي بوجه خاص ، ويؤدي اختلالها الى ظهور اعراض الجنون على الشخص .

ثالثا : الابعاد الثلاثة الكبرى المحققة يعتبر كل منها تلخيصا ملفقا رياضية لعدد كبير من ابعاد اخرى صغرى . وهذه الابعاد الصغرى تقف اقرب ما تكون الى وقائع النشاط النفسي او مظاهره . ومعنى ذلك هذا ان التصميم الهندسي للشخصية كما يتمثل لنا في المرحلة الحاضرة من تقدم علمنا لتصميم هرمي ، يبدأ في اسفله بقاعدة عريضة تضم وقائع سلوك الافراد وعاداتهم او عينة كبيرة من هذه الوقائع والعادات ، ثم تتلخص هذه القاعدة في مستوى اعلى منها عبارة عن عدد محدود من الابعاد الصغرى او « السمات » ، ثم تتلخص هذه السمات او تتجمع في مستوى اعلى منها ، هو مستوى الابعاد الكبرى .

هذه الابعاد : ما معناها ؟

ما معنى هذه الابعاد جميعا ، الصغرى منها والكبرى ؟ بعبارة اخرى ما هي اقرب صورة عقلية نستطيع ان نتصورها لاي بعد من هذه الابعاد ، وبالتالي نتصور الكيفية التي يعيننا بها على تنظيم معلوماتنا عن الواقع ؟ نحن نتصور البعد على انه مسافة او مستقيم يمتد بين نقطتين ، نفرض اننا بصدد احد الابعاد الصغرى ، البعد الدال على سمة معينة ولتكن « المثابرة » . معنى ذلك ان هذا البعد يمتد من نقطة تمثل اكبر قدر من المثابرة الى النقطة التي تمثل ادنى قدر منها ، والمسافة بين النقطتين متدرجة ، فاذا كان لدينا مقياس دقيق لهذه السمة وطبقناه على عدد من الاشخاص بحيث ينال كل شخص درجة على هذا المقياس فان هذه الدرجة تحدد لكل منهم موضعا معينا على البعد الذي نحن بصدده . هذه هي الصورة التي ترتسم في مخيلتنا (ويمكننا ان نسجلها على الورق في شكل رسم بياني) عندما نتحدث عن احد ابعاد الشخصية ، سواء أكان من بين الابعاد الصغرى ام كان من بين الابعاد الكبرى ، واهم ما فيها انها تقدم لنا اطارا يصلح للمقارنة الكمية بين بعض جوانب النشاط النفسي لدى الافراد . تماما كما يقدم لنا مفهوم درجة الحرارة ومفهوم ضغط الدم وما اليها اطارا للمقارنة الكمية بين بعض مظاهر النشاط الفيزيولوجي لدى الافراد .. صحيح ان هذا ليس كل شيء عن هؤلاء الافراد ، لكنه على كل حال جزء من خصائصهم .

وتتعقد الصورة اكثر من ذلك عندما نحاول ان نجمع فيها بين مجموعة الابعاد التي امكن استخلاصها من التحليلات المختلفة حتى الآن ، وذلك لاننا لا نستطيع ان نجعل من هذه الصورة مجرد مجموعة من المستقيمات او الابعاد المختلفة المتناثرة ، بل لا بد من ان تحتوي الصورة على عنصر يمثل العلاقات القائمة بين هذه الابعاد (او بالاحرى بين السمات التي تمثلها هذه الابعاد) . وكما اننا وجدنا ان الخط المستقيم اصطلاح (او تصور) هندسي مفيد للتعبير الكمي عن السمة ، فكذلك يمكن التعبير عن العلاقة بين سمة واخرى باستخدام اصطلاح هندسي آخر هو الزاوية . ويتفاوت حجم الزاوية تبعا لحجم العلاقة بناء على صيغة رياضية معينة .

على ان المقام لا يسمح بالدخول في مزيد من التفاصيل الفنية حول القواعد الرياضية التي يلتزم بها الباحثون في هذه الترجمة الهندسية لنتائج مشاهداتهم وتحليلاتهم . ولكن لا بد من اضافة تعليق موجز في هذا الموضع ، مؤداه ان هذا التصوير الهندسي ليس من قبيل الزخرف ، بل ولا تقتصر مهمته على التوضيح فحسب كما هو الحال بالنسبة لبعض الرسوم البيانية ، لكنه هو نفسه يترتب عليه احيانا تحليلات رياضية جديدة لا يمكن الا ان نبدأ منه .

★ ★ ★

وبعد ، فماذا نفيد من هذه الصورة ؟

هذه الصورة تقدم لنا اطارا اساسيا لتصنيف جميع مظاهر النشاط النفسي .. انها لا تقدم لنا

تحليلا أو تفسيرا لهذه الظاهرة ، يجب أن يكون يكون هذا واضحا حتى لا نطالبها بما لا يتفق وطبيعتها . انها تقدم تبويبا أو تنظيما فحسب . كل بعد من الأبعاد الصغرى يمثل عددا كبيرا من عاداتنا أو من وقائع السلوك التي يتكرر حدوثها في كثير من مواقف الحياة التي نواجهها ، الوقائع والعادات التي بينها علاقات منتظمة (بحيث تزيد وقوعها معا ، أو يقل معا ، أو يزداد حدوث واحدة كلما قل حدوث الأخرى . المهم هو توافر أية صورة من صور الترابط المنتظم) ، يمثلها بعد واحد ، ويأخذ هي شكل قيم كمية على هذا البعد . فاذا وجدت مجموعة أخرى من الوقائع ترابط فيما بينها بعلاقات أقوى مما قد يربطها بالمجموعة السابقة فانها تجمع في شكل بعد ثان ثم مجموعة ثالثة وبعد ثالث ، وهكذا .. ثم تأتي الأبعاد الكبرى ، كل بعد أو كل محور منها يمثل عددا من الأبعاد الصغرى تجمع حوله وتستحيل الى قيم كمية عليه . وطبيعي أن يكون كل محور من هذه المحاور الكبرى مستقلا عن الآخر ، وإلا لتجمعت من جديد حول محور واحد أعلى .

ان عملية التصنيف عملية بالغة الأهمية في كثير من العلوم . والذين لهم من القراء صلة بعلوم الحيوان والنبات والكيمياء يعرفون ذلك حق المعرفة . ولهذه الأهمية جانبان ، أحدهما نظري والآخر عملي . أما النظري فهو أن الوصول الى اطار للتصنيف يعتبر خطوة نحو تحقيق أحد أهداف المعرفة العلمية ، وهو تكوين صورة عقلية منظمة ومختصرة عن جانب كبير نسبيا من الوجود لانستطيع أن نحتفظ في ذاكرتنا بمعرفة مفصلة بجميع جزئياته وما بينها من علاقات . ولما كان من الممكن اقامة أطر للتصنيف متعددة ، فمن الطبيعي أن تكون بعض هذه الأطر أفضل من البعض الآخر . وأحد أسس المفاضلة هو مزيد من الاقتراب من الهدف المذكور ، هدف التنظيم والايجاز .

هذا عن الأهمية النظرية لهذا التصنيف .. وأما عن الأهمية العملية فتتلخص في أن الاطار الذي نحن بصدده يحدد لنا متى نستطيع أن نتنبأ بسلوك الغير ممن نتعامل معهم ، ومتى لانستطيع (وخاصة في ميداني العلاج النفسي والتنشئة) . وحيث نستطيع فذلك يعيننا على صياغة تنبؤات محددة بدلا من التخبط بين مجموعة من التخمينات لا ضابط لها . فمثلا اذا عرفنا درجة شخص على مقياس لسمة معينة ولتكن سمة « المثابرة » فاننا نستطيع أن نتنبأ بدرجاته التي سينالها على أي مقياس لأية سمة أخرى تجتمع مع المثابرة على محور « الاتزان الوجداني » (أو « العصابية ») ، مثل « القابلية للايحاء » و « مستوى الطموح » و « سرعة تكيف الابصار في الظلام .. » وهي جميعا من الأبعاد الصغرى . لكننا لن نستطيع أن نتنبأ (بأي مستوى من اليقين) بالدرجة التي يحتمل أن ينالها هذا الشخص على أحد مقاييس النشاط العقلي ، لا استطيع أن أتنبأ مثلا من درجة الشخص على مقياس « القابلية للايحاء » بدرجته التي يحتمل أن ينالها على مقياس لتلك الوظيفة التي نسميها « ادراك العلاقات المكانية » ، أو بدرجته على مقياس « لسرعة الادراك » . وبعبارة موجزة ان هذا الاطار يوضح لنا أننا نستطيع أن نتنبأ (باستخدام المعاملات الاحصائية المناسبة) من سمة الى سمة أخرى ما دامت السمتان على محور واحد من المحاور الكبرى . بينما نحن لا نستطيع أن نقوم بهذا التنبؤ اذا كانت احدى السمتين تقع على واحد من هذه المحاور « كالاتزان الوجداني » وتقع الثانية على محور آخر كمحور « العمليات العقلية » .

مثل هذا النوع من التنبؤ كثيرا ما يحتاج اليه المعالج النفسي مع مرضاه ، والمربي مع تلاميذه أو من يقوم على تنشئتهم . هذان مما أوضح مواقف الحياة التي تظهر فيها الحاجة العملية الى الاعتماد على المعرفة العلمية بأبعاد الشخصية الانسانية . ومع ذلك فثمة مواقف أخرى قد لا تفرض نفسها على عقولنا بهذا الوضوح ، إلا أنها لاتقل عن تلك الحاحا في دفعنا الى الشعور بالحاجة نفسها ، الحاجة الى أن نتنبأ مما نعرفه بما لا نعرفه عن شخصية الغير . ورحم الله الفخر الرازي اذ كان يقول : « ان الانسان مدني بالطبع ، ولا ينفك عن مخالطة الناس والشر فاش في الخلق ، فاذا كانت هذه الصناعة تفيدنا معرفة أخلاق الناس في الخير والشر كانت المنفعة جليلة » .

مصطفى سويف

بين اعلام الفكر والأدب في المغرب العربي

ابن شرف

لولا كتاب العمدة ما ذكر ابن رشيق
ولولا ابن رشيق ما ذكر ابن شرف

■ في ترجمتنا « لابن رشيق » (١) قلنا [illegible] ونقول اليوم انه لولا ابن رشيق لكان ذلك ، في غلب الظن ، حظ ابن شرف ، فما ذكر من شرف الا بذكر ابن رشيق .

فقد ارتبطت حياة كل منهما بحياة الآخر ، نشأ في القيروان معا ، وإن انفرد ابن رشيق بنشأته الاولى في المسيلة ، واتصلا بأمن ابي الرجال جميعا ، ثم أتيح لهما ان يكونا من شعراء المعز ابن باديس واصحاب مجلسه . وعرض لهما من اسباب المنافسة ما وضع كلا منهما بإزاء الآخر . ثم رحلا مع المعز الى المهدية ، ودخلا بعد المهدية جزيرة صقلية .

ثم افترقا في آخر حياتهما ، كما انفرد كل منهما في مقتلها : فقد مضى ابن شرف الى الاندلس وامضى فيها بقية أيامه ، ومضى ابن رشيق في صقلية حتى وافاه فيها حمامه . وما عدا ذلك فقد عاش الرجلان رفيقين ، يأتلفان حينا ويختلفان حينا آخر .

وكما كان ابن رشيق شاعرا اديبا عالما ، كذلك كان ابن شرف : مهد له الشعر السبيل الى مجلس المعز ، كما مهدها لابن رشيق ، وفتحت له شخصيته الأدبية أبواب التأليف والنقد ، كما أتيح ذلك لابن رشيق ، وإن لم يظفر من ذلك بما ظفر به صاحبه ، بكتابه العمدة ، من بعد الصيت وخلود الذكر .

وما كتاب العمدة وحدها هي التي خالفت بين الرجلين في هذا الميدان ، فانهما ليختلفان — فيما ارى — في النزع الغالب عليهما فيه . فاذا كانت النزعة الغالبة على ابن رشيق — كما تبدو في كتابه العمدة — هي النزعة العلمية التجريبية المتجهة الى الحكاية والاحاطة والتصنيف ، فان ما بقي لنا من آثار ابن شرف النثرية ، وهي البقايا الباقية من مقاماته ورسائله ، ومن كتابيه : أبكار الأفكار وأعلام الكلام ، يدلنا على نزعة فنية اصيلة لا تعبأ بالرواية ، والجمع وتصنيف المعارف المختلفة ، وانما تتحول بها هذه المعارف الى الوان من الفن رائعة .

نشأة ابن شرف

وابن شرف هو أبو عبد الله ، محمد بن أبي سعيد بن احمد بن شرف الجذامي القيرواني ، ولد في أواخر القرن الرابع ، في مدينة القيروان ، من أسرة لم يبلغنا شيء عنها ، كما لم يبلغنا شيء عن نشأته والأسباب التي وجهته والعوامل التي كونته ، ورسمت قسمات شخصيته . ولكنا نستطيع أن نتقصى هذه العوامل في الحياة الأدبية التي نشأت في القيروان ، في ذلك الوقت نشأوا بعضا ، كما نستطيع أن نتبين هذه النشأة في مجالس العلماء والأدباء الذين كانت تمثل هذه الحياة

(١) « العربي » عدد فبراير ١٩٦٤



بقلم الدكتور
طه الحاجرى
أستاذ اللغة العربية بجامعة الإسكندرية

نشأ في القيروان
وحضر ابن رشيق مجالس أميرها
ونكبها الأعراب وخربوها
فرحل عنها أهلوها
لاجئين مشردين إلى المهدية
وذهب ابن شرف
إلى صقلية
ثم إلى الأندلس
وظل يبكى القيروان ما عاش.

بهم ، والندى سلطه ابن شرف لهم ، وحبس النهب واحتفظ عنهم .

ابن شرف في مجالس علماء القيروان

فها هو ذا في مجلس ابن الحسن الدمنى ، يتلقى عنه فنون البلاغة الدسمة ، ويستمع لما يدور في هذا المجلس من مناظرة بين الآراء المختلفة ، ومن كان يطرق الله حياته من أسماء الشعر ، وخاصة شعر المتنبي — والمناقشة في معانيه ،

ثم ها هو ذا في مجلس ابن عمران الفاسي ، كبير المحدثين الذي كانت تعمر البسائط الدينى الإسلامي في حسن صورة ، فلا علم [illegible] وإخلاصا له وجهاد في سبيله [illegible] الى جانب [illegible] مجلس [illegible] في سبيله في مجلس ابو عبد الله محمد بن جعفر القزاز ، شيخ علماء العربية في القيروان ، وقد كان فضلا عن هذا شاعرا [illegible] ، ما زال حتى تعلم بالكثير من شعره ، ثم [illegible] حرى في مجلس ابن [illegible] .

صاحب كتاب زهر الآداب ، وكتاب جمع الجواهر في الملح والنوادر ، وفي هذين الكتابين نستطيع أن نتبين ملامحه الحية . وقد « كان شبان القيروان يجتمعون عنده ، ويأخذون عنه . ويرأس منهم ويشرف لديهم » كما يقول ابن رشيق عنه .

وفي خلال ذلك نراه مقبلا على الكتب ، وخاصة هذه التي تجيء من الشرق ، والتي كان أمراء افريقية ما يزالون معنيين باجتلابها وتيسيرها للناس ، كما كانت من أعظم الذخائر التي يعود بها الراجعون من رحلات الحج وما اليها .

في قصر المعز بن باديس

ويمكن القول بأنه لم يكد يحس بجلوة الأدب والشعر تتوهج في صدره ، فتثير مشاعره ، وتحفز مطامحه ، حتى أخذت صور المجد الأدبي تتبرج له ، متمثلة في قصر المعز . وكان المعز شابا مرموقا ، نشأ على عرش افريقية منذ مات أبوه باديس وهو في الثامنة من عمره ، وقد تولى علي بن أبي الرجال أمره . وابن أبي الرجال شاعر أديب ، فنشأ المعز على حب الأدب وتقدير الأدباء ، وعلى الرغبة فيهم والحفاوة بهم . كما كان يرى فيهم من مظاهر الترف التي أخذ يسبغها على قصره ، وصورة من صور الرفعة والأبهة التي أرادها لعصره .

وكان ابن أبي الرجال هذا يلي ديوان المعز ، وكان — بهذه الكتابة ، وبالمنزلة التي يتزلها من قلب الأمير — صاحب الكلمة الأولى في قصره ؛ وكأنما أراد أن يكون في الغرب كما كان ابن العميد والصاحب بن عباد في الشرق ، وأن يضفي على بلاط الأمير في القيروان تلك الصبغة الزاهية التي عرفت بها قصور الخلفاء والأمراء في بغداد والري ، فيكون كعبة للشعراء والعلماء .

وبذلك أتيح لابن شرف أن يشارف ما كان يطمح اليه ، وما كان يتبرج لخياله ، فقد وصل بابن أبي الرجال أسبابه ، ثم لم يلبث أن صار من أصحاب مجلس المعز ، وأحد شعراء حضرته ، بل أصبح ثاني اثنين في ذلك المجلس وتلك الحضرة ، يتنافسان في الزلفى ، ويبذل كل منهما غاية جهده في أن يكون عند الأمير وكاتبه أجدر بالتقديم وأحق بالايثار . وكان ذلك — فيما نقدر — هو الأصل فيما وقع بين ابن شرف وابن رشيق من خصومة ،

وما هاج بينهما من ملاحاة ومهاترة ، استطارت في الآفاق أنباؤها ، وترددت في الكتب والرسائل أصداؤها .

ومهما يكن من أمر هذه الخصومة ، فلم يكن مثلها أمرا بدعا في حياة الأدباء ، ولعلها كانت من حوافز انتاجهم ومثيرات نشاطهم . وما أحسبها كدرت لابن شرف صفوا ، وانما مضت الأيام به في القيروان مطربة وادعة ، حتى تسارف الخمسين ، وبدت في الأفق نذر حياة قلقة مضطربة .

اربدت سماء القيروان فغادرها المعز ، ومعه صاحباه ، الى المهدية

لقد تربدت سماء القيروان واغبرت آفاقها ، وامتلأت القلوب خشية وفرقا ، منذ انصبت عليها جماهير الأعراب الذين سيرهم العبيديون اليها ، وأقحموهم فيها ، وجعلت منذ ذلك الوقت تعاني حصار الأعراب ، واضطراب الأمور فيها ، وقسوة الحياة بها ، وسيطرة الخوف عليها ، كما أخذ أهلها يهجرونها ويضطربون في مسالك الأرض ومساربها يلتمسون موئلا يلجأون اليه ، ولم يعرضوا في ذلك لألوان من الشقاء والتشرد ، ومن العدوان عليهم والتنكيل بهم . وظل الحال على ذلك خمس سنين أو نحوها ، انتهى فيها أمر القيروان الى الخراب ، ولم يجد المعز بدا من أن يلتمس الصلح مع الأعراب ، ثم هو يهاجر بأهله وحاشيته الى المهدية .

وكذلك مضى ابن شرف ، كما مضى ابن رشيق ، الى هذه المدينة على ساحل البحر ، وأقاما بها ، وبقيا للمعز في هذه المحنة ، يحاولان قدر الطاقة أن يسريا عنه ، ويرفها من محنته ، بما يزجيان من حديث ، وما ينشدانه من قصائد الشعر في المناسبات المختلفة .

ولكن الخطوب التي حلت بافريقية من عدوان الأعراب عليها ، والأخطار التي كانت تتهددها من ناحية البحر بمناوشة الفرنجة لها ، والفوضى التي مزقتها وكدرت صفوها ، كل ذلك جعل المعز ضيق الصدر ، سيء الظن ، سريع الغضب حتى لقد أحس ابن شرف ألا مكان له في المهدية ، فاتخذ سبيله الى صقلية ، ثم لحقه فيها ابن رشيق .

ولا ندري كم أقام ابن شرف في صقلية ؛ وماذا كان — على وجه التحقيق — نشاطه فيها

على انى احسب ان نشاطه فى هذه الفترة كان يمضى فى طريقين ، ويتخذ منهجين : الشعر والكتابة .

اما الشعر فلعله اخذ يتجه به الى ابن منكود ومن اليه من امراء صقلية ، كما اخذ يلتمس به التنفيس عن نفسه ، اذ يتغنى به غناء الموجع المحزون ، وهو يمثل مأساة القيروان التى مازالت صورها تكر فى خياله وتثير اشجانه .

قصيدة ابن شرف فى رثاء القيروان

وبين ايدينا بقية من شعره الذى صور به هذه المأساة ، وعبر به عما يلجم قلبه من الاسى والوجيعة . واذا كان معنى هذا الشعر يحمل فى نفسه الدلالة على انه انما قاله بعد ذلك ، حين حل بالاندلس ، فاكبر الظن ان كثيرا منه كان مما تلبست به شاعريته خلال اقامته فى صقلية ، وكانت ـ فيما يبدو ـ اقامة قلقة متوترة .

ومهما يكن من امر شعر ابن شرف فى هذه المأساة يعد من ابدع الشعر العربى ، دقة تصوير وصدق تعبير . ولولا قصيدة ابن الرومى فى نكبة البصرة بالزنج لكان ممكنا ان يتصدر الشعر العربى فى مثل ما عرض له .

ها هو ذا ـ مثلا ـ يصف القيروان ، وقد لفها الظلام ، واطبقت عليها الوحشة ، كل شىء فيها ساكن سكون الموت ، موحش وحشة الفناء ، مظلم ظلمة القبر . لا شىء من مظاهر الحياة فيها ، الا ان تكون هذه الانجم فى افقها . ومع ذلك فكان هذه الانجم قد مسها المأساة ، واصابتها هذه الحالة ، فهى تبدو على افق هذه المدينة المنكوبة قليلة الخطا ، بطيئة الحركة ، فاترة متوانية ، كانما قد غلبها التعاس على حيويتها .

آه للقيروان أنة شجو
عن فؤاد بجاحم الحزن يصلى
حين عادت بها الديار قبورا
[illegible] نزل الدهر [illegible] حل
[illegible] لا [illegible] سوى [illegible]
[illegible] على [illegible] كتلى
[illegible] شجاع [illegible] وصدا
ومغانى [illegible] تعلل [illegible]
والوجوه [illegible] أشرق [illegible]
[illegible]

ثم ها هى ذى صورة « الجلاء » جلاء اهل هذه المدينة عنها : رجالها ونسائها ، شيوخها واطفالها ، وقد ضاقت بهم الطرق ، وازدحمت بهم مسالك البادية ، وما تعرضوا له فى خلال ذلك من عدوان وحشى ، لا يعرف قصدا ، ولا يرقب فى هؤلاء الا ولا ذمة . صورة لا نملك ازاءها الا ان نعرضها كما هى :

بعد يوم كأنه حشر أهلـ
ـها حفلة به [illegible] وجلى
ولهم رجعة [illegible] تحكى
زحمة الحشر والصحائف تتلى
وضجيج وضجة كضجيج الطفـ
ـل يبكون والسرار [illegible]
عن أيمن ووراء [illegible]
[illegible] حسرة وشجوا وثكلا
وحصار كأنما [illegible]
كشهب الأطيار [illegible] كحلا
[illegible] العلاء [illegible]
فى لهيب الجلاء [illegible]
[illegible] رمايهم [illegible] الا
[illegible] يرحبون فى الأرض عدلا
تركوا [illegible] والألف وما [illegible]
[illegible] لا حصن من الناس [illegible]
[illegible] الماليات من حسن الصو
ت ، وصاد [illegible] فى [illegible]
[illegible] عذراء [illegible]
[illegible] تجيب بالسرح [illegible]
ليس [illegible] من يوم [illegible]
لا ، ولا حرمة شيخ [illegible]
كلهم [illegible] العراق عليه
[illegible] الجلاء [illegible]
[illegible] العصر [illegible] الدهـ
ـر لهم [illegible]
من [illegible]
[illegible] دائلا وبيلا [illegible]
وشياطين [illegible]
[illegible]
[illegible] الظهور تمشى [illegible]
وتشق البطون [illegible]
[illegible] أصابوه فى [illegible]
شاء قوم [illegible] كذلا

فـإذا بحثـت القـــادر منهـمــم
راحـــلا بالعـلاء سهـل وحــلا
لتبس الهـون والذلـة أنثـى
كان في سـائر البـلاد وحـلا
ليس يقتني الا امرءا مستقلا
طالبا عنده حقوقا وذحـلا
فتسرى الشـرف البرية نفـا
باكيـــا رأسه علاه سـدلا
لمشـر كلمــا بحث بصر أو
في حنايا الفـراق عشيلا ودجلا
مزقـوا في البلاد شرقا وغربا
يسكبون الدمع منحلا ووبـلا
لا يلاقي النسيب منهم نسيبا
يتسرى به ، ولا الخليل خليلا

ولعل هذه الصورة هي أروع صورة لمن يطلق عليهم هذا العصر اسم « اللاجئين » في مرحلة جلائهم .

ابن شرف يعارض مقامات بديع الزمان

أما الوجه الآخر من نشاط ابن شرف الأدبي في صقلية، والذي كان يمثل – كما قلنا – في اكتناهه فهو نوع من النثر الفني ، صاغ فيه طائفة من آرائه في الأدب والنقد ، وأودعه بعض الطرائف والصور ، في صورة مقامات أراد أن يعارض بها مقامات بديع الزمان ، في الأسلوب الذي عرفت به ، بل وفي عدد هذه المقامات كما كان يزعم رواتها في المغربية ، وهو عشرون مقامة ، فكانت عدة مقاماته هو أيضا عشرين ، وإن لم يصلنا منها في ثنتين : اثنتين منها في النقد الأدبي ، والثالثة جرت مجرى الهزل والمجون . وكما أجرى البديع الحديث على لسان أبي الفتح الاسكندري ، جعل ابن شرف الحديث في مقاماته على لسان رجل سماه أبا الريان الصلتاني ، ووصفه بأنه « كان شيخا عيا في اللسان ، وبحرا ثرا في البيان ، قد بقي احتقابا ، وألقى لعقابا ، ثم ألقت الينا من بطريقه الأزمات ، وأوردته علينا العزمات ، فتحنا من علمه بحرا جاريا ، وقدحنا من فهمه زندا واريا» .

ولعل فكرة هذه المقامات كانت قد خامرت نفس ابن شرف منذ كان يجلس الى أبي اسحق الحصري ، وكانت مقامات البديع مما كان يعنى به ، ويوجه تلاميذه وأصحابه اليه ، كما يبدو من تنويهه بها في كتابه « زهر الآداب » ، حتى اذا كان في صقلية ، وكان من أدبائها أبو عبدالله محمد بن الحسن الطوبي ، « وله مقامات تزري بمقامات البديع » ، كما يقول القفطي في حديثه عنه ، عبرت تلك الفكرة الكامنة ، واستيقظت في نفسه الرغبة في اصطناع ذلك الأسلوب ، فكانت هذه المقامات .

وقد عرض فيما قدم به لها لشيء من الحالة النفسية التي كان يعانيها ، ابان كتابته اياها ، اذ يقول : « ولعمري ما اشكو من نفسي ، ولا أثني على شيء من حسي ، الا اقري بالأقل مما حاولته، على ما اضرمت نيران الغربة في قلبي ، والمته صفقات الفتنة في لبي ، وقطعت أهوال البحر والبر من خواطري،والصقت الوحشة من أزري وبصائري » .

وقد دلنا ذلك على أن هذه المقامات ترجع الى ما بعد مغادرته افريقية . أما أن ذلك يعني فترة مقامه في صقلية ، لا الرحلة التالية وهي الرحلة الأندلسية ، فقد يدل عليه ما عرض به بعد لابن عبد ربه من بعد دياره ، مع مصاحبة اشعاره .

لم يلبث ابن شرف أن ضاق بصقلية ، فطمح ببصره الى الأندلس ، وعرض اقتراح الرحلة اليها على صاحبه ابن رشيق ، فاعرض عنه ، فمضى وحده ومعه أسرته ، وعاد مرة أخرى الى مكابدة السفر في البحر ، والى معاناة الاحتفال على سفره في مثل هذه الرحلة ، وقد مثل لعياله ما امتحنوا به منذ ترك القيروان الى المهدية ، لم حين مضى بهم في البحر الى صقلية . وقد كانت هذه الصورة من أكثر الصور تحريكا لأشجانه ، وأثره لتواجيه . وكانت – فيما يبدو – ما لنا تعرض له ، كما نرى ذلك في غير موضع فيما بقي لنا من شعره كقوله :

كأني وأفراخي – اذا اشتـبـل حضنـا
ومات الكرى يمر حمرنا ويطـرق
حمائم أفـنان الوكور لفـشهـا
تعالجنهـا حتى تراءى القـرق
اذا أفزعتهم نبوة واعصموا لها
فسلوى حتى وهم لو تنفـق
ويسحر حسي من جميع اختلافهم
فيثبت ذا فيه وذا عنه يزعق

كأنهم لم يسكنوا ظل نعمة
لها بهجة ملء العيون ورونق
الى أن غدوا نهب المهالك فانبرى
يشاع ، وفي بعض الاحايين تنشق
وطوروا على صرح البحار ، كأنما
تلك قد ولقنا أننا ليس تغرق
ونحن نقوس نعمة ليس بيننا
وبين الردى الا مزيّنه ملفق

أو في مثل قوله ، يذكر هؤلاء الصغار ، فيما انشمت به ، وما كانت قبل عليه من نعمة :

اطلال ما صحبت بالقبلا
لذ ، لبانت القلا دارها
ولا رات أبصارها ضاحكا
ثم جئت بالنسج أعمرها
وكانت الاستار آلاتها
لساحات الآفاق ستارها
ولم تكن لمسو سريرا صلا
الا اذا والسق مقدارها
ثم ملك كل صرور الخطا
ترمى بها الارض واحجارها
ولم تكن للخطيب منفة ...
لو كنت بالشمس أقتطارها
فاصبحت لا تقتفى لطية
الا بان تجمع اخبارها

عشر سنين قضاها في الاندلس

وبلغ ابن شرف الاندلس ، وبها بدأت مرحلة جديدة في حياته ، احسب انها امتدت نحوا من عشر سنين . ولسنا نحاول في هذا الفصل ان نتابع خطاه في هذه الرحلة . ولكنها كانت — على كل حال — خطا مكدودة مضطربة بين الاقدام والاحجام ، وبين الطموح والحذر والاشفاق .

كانت وجهته الاولى في الاندلس ، منذ ازمع الرحلة اليها، باديس بن حبوس ، صاحب غرناطة، للصلة الوثيقة التي تربطه بافريقية ، وبالمعز بن باديس خاصة ، ولكنه لم يلبث ان تحول عنه واعرض عن قصده ، وعدل عن ان يوجه اليه ما كان كتبه باسمه . فقد عرف ، منذ حل بالاندلس انه ليس بالصفة التي كان يتوهمها ، فلم يكن — كما كان قريبه المعز — يتذوق الادب او يعنى به ولا كان للادباء حظوة عنده . انما كان رجلا جافيا، ثم كان — فوق ذلك — جبارا عاتيا لا تؤمن غوائله.

وحاول المعتضد ابن عباد ، صاحب اشبيلية ، ان يجتذبه اليه ، ويصطنعه ، ويجعله في حاشيته . وكان جديرا بابن شرف ان يهش لذلك . ولكن ما كان يتحدث به الناس من جبروت المعتضد وغدره، وما كان يترامى الى سمعه عن فلان وفلان من اهل الادب ممن استجابوا لاغرائه ، فوقعوا في حبائله، ملأ قلبه خشية ورهبة ، وجعله يمتنع من القدوم عليه بالرغم من الحاح المعتضد ، واكتفى من عقد صلته به بتوجيه رسائله وشعره اليه ، كما وجه اليه كتابيه : ابكار الافكار ، واعلام الكلام ، وقد وسمهما باسمه .

وفيما بين هذين : باديس والمعتضد ، اخذ يتردد على ملوك الطوائف في شرق الاندلس وغربها، لا يكاد يطمئن به المقام ، فمرة هو عند المنصور ابن ابي عامر صاحب بلنسية ، واخرى عند ابن طاهر في مرسية ، وثالثة عند المظفر بن الافطس ببطليوس ، واخيرا عند المأمون بن ذي النون في طليطلة .

وظل يذكر القيروان دائما

وفي خلال ذلك كله كانت القيروان ملء خاطره، وكانت النكبات التي حلت بها ما تزال تثيره ، فهو لا يفتأ يذكرها في شعره في كل مناسبة تعرض له ، يتشوق بها ويحن اليها فيقول فيما يقول :

يا قيروان ! وددت اني طائر
اراك رؤية باحث متأمل
آهًا وآية آهة تشفي جوى
قلب بنيران الصبابة مصطلي
لا كسرة الاحزان تنسى حسرة
ميتات تذهب غلة بتعلل
ولذا تجدد لي اخ ومنازل
جددت ذكر اخ هناك اول
(لو كنت اعلم ان آخر عهدهم
يوم الرحيل فعلت ما لم افعل)

وهكذا كانت حياة ابن شرف ، منذ مأساة القيروان ، صورة حية من هذه المأساة ، حتى ادركه الموت ، نحو سنة ٤٦٠ ، مقهورا ، فرغ من القول والجلوس اليهم ، مكتفيا بذكرياته يراجعها ويعيش في غمارها .

طه الحاجري



الزعماء السوفييت في راي سياسي بريطاني

عن صحيفة/الصنداي تايمز اللندنية

● لقد تسنى لي التحدث طويلا الى كوسيجين وميكويان وبريجنيف في زيارتي الاخيرة الى موسكو . وتسنى لي ايضا الاطلاع عن مدى تصرفهم في تصريف شؤون الدولة . كوسيجين بصفته رئيسا للحكومة او الوزارة ، وبريجنيف باعتباره رئيسا للحزب ، وميكويان بوصفه رئيسا للدولة . فالاختصاصات موزعة فيما بينهم على نحو من الدقة ، تجلى في الحفلات التي اقيمت في الكرملين مؤخرا . فقد كانت وظيفة بريجنيف في تلك الحفلة مجرد الحضور . واسندت الى ميكويان مهمة القاء كلمة ترحيبية تليق بالمناسبة ولا عجب فهو رئيس الدولة . اما اختصاصات كوسيجين في الحفلة المذكورة فقد انحصرت على عدم التفوه بشيء البتة

والجدير بالذكر ان كوسيجين هذا يجمع بين الجد في التفكير والصلابة في المزاج من جهة ولطف المعشر الواضح في الابتسامة الجذابة التي لا تفارق ثغره من جهة ثانية . فالاثر الذي يتركه في الغير تبعا لذلك اثر عميق ولا ريب . وهو فضلا عن ذلك واضح التفكير الى حد بالغ ، واسلوبه في التفكير ، بل في الحديث ايضا ، يدل دلالة واضحة على اعتياده العلمي السابق .

لقد كان مؤدبا معي للغاية وصريحا في التحدث الي الى ابعد الحدود . ولم يبد اي انزعاج على الاطلاق لدى انطلاقي في الحديث معه بمثل الصراحة التامة التي حدثني بها . ولعل ابرز صفاته انه لا يحفل كثيرا بمصالحه الخاصة ، فهو لا يسعى الى ترقية ولا طمحا الى التمثيل على نحو ما كان يفعل خروشوف .

روسيا تغازل فرنسا

عن صحيفة / ازفستيا الروسية

● لا جدال في ان الاتحاد السوفييتي وفرنسا في طليعة الدول الكبرى الاوروبية ، ولا ريب في ان مسؤولية العمل على تفادي اندلاع الحرب في اوروبا ثانية تقع على عاتقهما .

ولا شك ايضا في ان التعاون الوثيق بين الاتحاد السوفياتي وفرنسا خير ضمان لكافة الدول المعنية ، ولمساعدتها على فتح صفحة جديدة في مساعيها لتوطيد الامن في اوروبا وتعزيز التعاون المثمر فيما بينها .

العقل البشرى والتحكم باسباب الوراثة

عن صحيفة / النيوستيتسمان اللندنية

● آن الاوان لمجابهة مشكلة التوالد والتكاثر ، لا من حيث عـدد المواليد فحسب ، ولكن من حيث نوعيتهـا وصفاتها ايضا . فلئن كان العلم الحديث عاجزا في الوقت الحاضر عن التحكم في عوامل الوراثة واسبابها ونوع المواليد وصفاتها كلكاتها وطيب معدنها الخ . . فان التطورات الاخيرة في ميدان الطب وعلم الحياة وعلم الوراثة تبشر بمثل ذلك التحكم في غضون السنوات العشرين او الثلاثين القادمة . لقد اصبح في وسع هذه العلوم التنبؤ ، على نحو مشوب حاليا بالتخمين واليقين ، باحتمالات انجاب طفل مشوه . فما بالك فيما لو احرزت هذه العلوم من التقدم ما يمكنها من الجزم بتشويه المولود جزما علميا تاما . . ولعل شيئا من هذا التقدم قد يتحقق بالفعل . فقد اصبح ممكنا تحديد التشويه الذى ذكرنا في الحالات التي يكون التشويه فيها اساس وراثي في الآباء .

ويصدق ذلك ايضا على التحكم بجنس المولود ، ان كان ذكرا ام انثى ، فضلا عن التنبؤ به . فقد اصبح ذلك قريب المنال . اضف الى ذلك ان « بنك التوالد الاصطناعي » وما ينطوي عليه من تحكم بمكان الولادة وزمنها ، وتحكم آخر اهم يتصل بالجمع بين صفات وراثية معينة دون صفات ، قد بات قاب قوسين او ادنى .

ولا غرابة اذن في ان يصبح العلم الحديث قادرا في مستقبل غير بعيد ، على زيادة عدد الذكور او الاذكياء او الشجعان من المواليد .

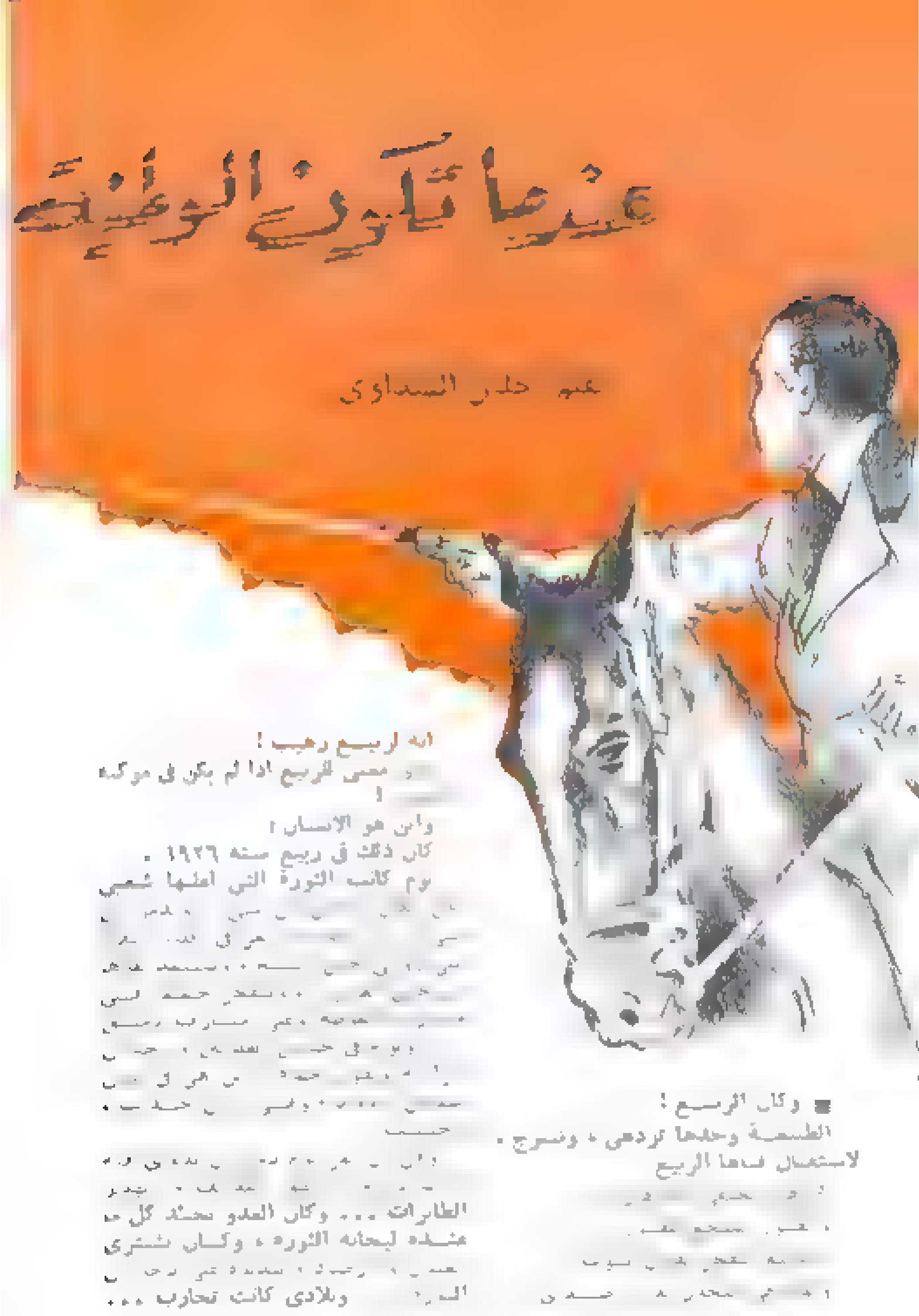
اغتيال الرئيس كندى وبعض ذيوله

من صحيفة / مينابوليس تريبيون الامريكية

● ثمة حق يليق بالحكومة الاتحادية (حكومة الولايات المتحدة) ممارسته . ذلك هو حق محاكمة من يقدم على اغتيال رئيس جمهورية الولايات المتحدة او نائبه ، وقد كانت ممارسة هذا الحق حتى الآن وقفا على حكومات الولايات المحلية نظرا لان جريمة القتل بالذات لم تكن في نظر القوانين الامريكية من الجرائم التي تدخل ضمن اختصاص الحكومة الاتحادية .

ويذهب البعض الى ان اعدام القاتل لا يعيد القتيل ولا يعيد القاتل على الرغم من ان الموت هو العقاب الوحيد الذى يبدو اكثر تعادلا وبعض الجرائم ، وخاصة تلك التي تفوق غيرها فظاعة وشناعة .

اننا نأمل الا يتكرر حادث اغتيال الرئيس الامريكي في المستقبل ، والا تضطر السلطات ثانية الى انزال عقوبة الموت بمن يقدم على مثل هذه الجريمة النكراء . اما ان يعمد المشرع الامريكي الى سن القوانين التي تبيح عقوبة الاعدام اصلا ، ويجعلها — فضلا عن ذلك — من اختصاصات حكومة الاتحاد المركزية ، فامر يدعو الى الاسف الشديد . ولعل في هذا الاجراء اسوا قدوة لحكومات الولايات المحلية ، وقد شرعت منذ أمد قصير فقط في الرجوع الى الضمير وفي الغاء عقوبة الاعدام .



انه ربيع رهيب !

... معنى الربيع اذا لم يكن فى موكبه !

واين هو الانسان ؟

كان ذلك فى ربيع سنة ١٩٢٦ .

يوم كانت الثورة التى اطلها شعبى

الطائرات ... وكان العدو يحشد كل ما عنده لبحابه الثورة ، وكان يشترى

... وبلادى كانت تحارب ...

■ وكان الربيع !

الطبيعة وحدها ترتدى ، وتمرح .

لاستقبال فصلها الربيع



فوق الهضبة

صخور بلادي كانت تقاوم
واشجارها كانت حمى لرجال الثورة .

هؤلاء الرجال الفلاحون ، الذين يزرعون نهاراً ، ويقاتلون العدو ليلا .

هؤلاء الرجال العمال الذين يديرون الآتهم ويعاملهم مع الصباح ، وفي المساء يحملون البنادق للكفاح !

كمين اثر كمين

وقافلة بعد قافلة من الشهداء يتلاشى

في الايام العشرة الماضية . ادرك المجاهدون ان العدو اصبح اكثر معرفة باماكنهم ، فهو يصب النار عليهم صبا ، بعد ان كانت نيرانه تذهب ضائعة .. طائشة :

ــ لماذا ؟ من اين استقى الى العدو مكان تجمعنا ؟ هل في الامر حيلة !

جمع الامير عادل ارسلان ــ قائد الحملة ــ رجاله وشاورهم فيما يقض خاطره وهو يتساءل :

ــ هل يمكن ان يكون في المجاهدين من اشترى العدو ضميره ؟

اصبحت مهمتهم الآن مراقبة بعضهم بعضا ، كما يراقبون العدو

كان الوقت عند الهجيرة ، وشمس الربيع لاتمل تدعا عن شمس الصيف في الهاجرة ! دخل الثائر « فؤاد » وهو اصغر المجاهدين سنا ، تحت عمعمة ممدودة الاطراف ، يريد ان يتقي بظلها وهج الشمس والحر ، وبندقيته لا تترك منكبه ! فما راعه الا ان يرى رجلا مستجعا ، نائما تحت الملعقة .

تأمل فيه ... انه غريب الوجه ! لم يسبق له أن رآه ... أهو ثائر جديد انضم الى الثوار حديثا ؟

أعد سلاحه ، واستوقفه ، وسأله :

— من انت ؟

تلجلج الرجل في البدء ، ثم قال :

— منصور !

— من اي بلد ؟

— من مجدل شمس ... !

انه يعرف مجدل شمس ، والقرى المحيطة بمجدل شمس ، ولكنه لم يسبق له ان عرف هذا الرجل فيها ... فساقه أمامه الى مجلس قيادة الثورة لاستجوابه ...

نادى الامير عادل بعض رجال المنطقة ومنهم « سلمان » ابن زعيم من زعمائها ، وسألهم :

— هل تعرفون الرجل ؟

لم يكن — هناك — من يعرفه .. قبض عليه ، ووضع تحت حراسة « سلمان » حتى الصباح لمحاكمته محاكمة علنية .

وفي الصباح ، تفقدوا الرجل ، فلم يجدوه ... فسئل من كان يحرسه :

— اين الرجل ؟

تلجلج سلمان في الجواب ، وغمغم قائلا :

— لعله اغتنم فرصة غرقي في النوم ، فهرب !

ارسلوا الخيل وراء الهارب ، في كل مسلك يمكن ان يمر به ... وما هي الا ساعة حتى وقعوا على الهارب ، وأعادوه مقيدا .

بدأت المحاكمة

اعترف الآن بأنه جاسوس للعدو ، اشتراه بالمال ... انه كان يعطي أنباء لحركاتهم للعدو ، من أجل المال . المال شيطان مغرٍ ... انهم اشتروه بثمن بخس ... انهم وعدوه .. ومنوه الأماني ، وزخرفوا له القصور ... ولكن ضميره الآن يوبخه ، لان جاسوسيته كان حصادها ازهاق لأرواح العشرات من الثائرين الذين هبوا للتحرير وطنهم ، بدون طمع في شيء . وهو ينتظر جزاءه ليكفر عن ذنبه ..

وسألوه :

— من يسر لك سبيل الهرب ؟

أشار الى « سلمان » وسكت !

— وانت ، يا سلمان . ما الذي اغراك باطلاق سراحه ؟

أطرق سلمان رأسه ، ولم يجب ...

عند ذلك قطع الامير عادل الصمت العميق بصوته الأجش :

— ما هو حسب الخائن يا قوم ؟ ما هو جزاء الذي يعين الخائن على الفرار ؟ هل غير الموت ؟

ولم يكن — هناك — مجال للاختيار والانتظار .

— انه الاعدام !

ولكن « سلمان » لم يكن برجل ضعيف المنزلة في عشيرته ، انه من اسرة عريقة ، كثيرة العدد ، شديدة البأس ، طالما قدم رجالها الضحايا على مذبح الثورة .

احب بعض الرجال ان يخففوا الجزاء عنه ، معتبرين أن خيانته لم تثمر شيئا للعدو .

ولكن الامير عادل قاطع هذا الميل بقوله :

— ولكن هنالك مبدأ ، مبدأ جزاء الخيانة ، نحن نجازي الخيانة بحقيقتها ، ولا نجازي الخائن حسبما ينتهي اليه عمله .

وهكذا أصر الامير عادل على اعدام الخائن ، لانه بذلك يجازي الخيانة ..

— ولكن سلمان — أيها الامير — من قبيلة تملك الآن ارعمائة بندقية مشهورة في وجه العدو ، فلماذا يكون مصيرنا ، ومصير الثورة اذا انسحبت قبيلته من ساحة المعركة ناقمة ؟

اجاب الامير بلهجة رهيبة :

— انني اذود عن حق شريف لا يتساهل مع الخيانة ، وسأذود عنه ، ولو بقيت في الساحة وحدي ، لا خير في ألف بندقية اذا تهاونت مع الخيانة !

ساد الهمس ، ثم صار الهمس حسيسا ، ثم صار الحسيس صوتا واحتجاجا ، ومشى التذمر والقلق في

١ ـ بطل هذه القصة الواقعة هو الامير عادل ارسلان : «امير مجاهد شاعر، من قادة الثورة الاستقلالية في سورية ، يلقب بأمير السيف والقلم . وكان من اعضاء مجلس النواب العثماني ، وهو شقيق الامير شكيب ارسلان ، تولى اعمالا حكومية ، ودخل في جمعية « العربية الفتاة » السرية ، وعين مساعدا لرئيس الحكومة السورية بدمشق في العهد الفيصلي ، وخرج عنها يوم احتلها الفرنسيون ، سنة ١٩٢٠ م ، فحكموا عليه غيابا بالاعدام .. وحين ثارت سورية على الفرنسيين سنة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦ م بقيادة سلطان باشا الاطرش كان عادل زعيمها الثاني ، وفي معاركها ظهرت بطولته ... ولما جلا الفرنسيون عن سورية رجع اليها ، وولي في عهدها الوطني بعض الوزارات ... توفي في بيروت . وكان ابيا ، كريم النفس ، اديبا . له شعر جيد حلو المعاني ، رفيع الاسلوب » .

عن موسوعة « الاعلام »

صفوف الثوار ، لا لخوف ، او تردد ، وهم الذين تحدوا الخوف والموت في ساحات القتال ، ولكنهم باتوا يخشون الانقسام .

انهم يخافون التمزق والانقسام ، والانقسام عدو مخيف ، يمزق امر الجماعة، ويبدد عزم القوة، انهم يخافون ان تتخلى عشيرته عن تأييد الثورة .

ـ ولكن ... لماذا لا تخافون ان يتحطم المثل الاعلى لهذه الثورة ؟ ان تكتنا من الخيانة اصبحت ببلادنا خشبا ، لا روح فيها ، وانطفات ومضة الحق والمقاومة في انفسنا ، حين نشعر بان هنالك خونة في صفوفنا ، يسرحون ويمرحون ، ويدلون العدو على سوآتنا دون ان ينالهم الجزاء ...

اقتيد الخائن المحكوم عليه الى الساحة ..

وصاح الامير عادل :

ـ **اطلق عليه النار يا فؤاد !**

لم يطلق فؤاد النار ، بل تراجع الى الصف متواريا !

ـ **اطلق يا شكيب النار !**

ـ اعذرني يا امير ! ان العصبية تمنعني ، وتقيد يدي ! اطلب الي ان اجود بروحي ! ذلك اسهل علي .

خشي الامير عادل عاقبة هذا التردد ، وادرك انه اذا تمادى في هذا الطريق ، فان الخائن سيفلت من الجزاء ، بدافع هذه العصبية التي لا تزال تغلب على النفوس ...

ـ **حسنا ! انا الذي سأتولى تنفيذ الجزاء ! وعلي تبعة عملي !**

اقترب الامير عادل من الخائن ، وهو يهمز جواده الاشهب نحوه ... حتى اذا اصبح قريبا من المرمى ، اشهر مسدسه، واطلق عليه الرصاصة الاولى ، فالثانية، فالثالثة ... وساد صمت رهيب ، بينما راحت الجثة تتخبط على التراب ، تتمدد ، وتتقلص ، وفاغورة من الدم القاني تنسكب !!

لم يكن هنالك الا عيون مقلوبة ، يشخص بعضها الى بعض ، ووجوه ارتسمت عليها علامات القلق الذي ينتظر في الغيب نبأ سيئا .

ووريت الجثة في الحفرة ، وهيل عليها التراب ، واخذ الناس ينصرفون جماعة بعد جماعة ، ورجلا بعد رجل ، بدون ان تلفظ كلمة ، او يقال تعزية .. ولم يبق في الساحة الا عادل وفتيل ... يحجب بينهما طبقة من التراب ، وطائف من الصمت العميق فرضه التحسس المجهول بالمستقبل .

ـ ماذا عسى تصنع بنادق العشيرة ؟ هل

يتعرق امر الثوار ؟ هل تتغلب العصبية على الوطنية ؟

اسئلة كانت تلح على خاطر الامير عادل ، وهو يريد ان يهرب منها ... ولكنها كانت تسد عليه كل منافذ تفكيره .

— ولكن ... لماذا تتوالى على هذه الخواطر ، وقد كفيتها بالجواب ، وانا غير خائف ولا نادم !

عاد الامير الى مضربه،وقد أخذ الليل يحجب كل شيء ، حتى تستوي تحت قبضته الاشياء الحية والاشياء الجامدة !

ليس — هنالك — شيء يدل على مظهر من مظاهر الحياة، فلا صوت يشق صمت الليل، ولا نار تتحدى ظلام الليل !

وبات الثوار — ليلتهم — ينتظرون نبأ سيئا ..

ظلت عينا الامير عادل طوال تلك الليلة ساهرتين ، تترصدان ...

— وماذا تترصدان ؟ العدو بعيد ،وهم في مأمن منه ، والليل ، عادة ، يملكه الثوار ويخشى نكاله ومفاجآته العدو .

انه في الواقع يترصد نبأ سيئا ..

وفي الهزيع الاخير من الليل ، لم تستطع عيناه مغالبة السهر ، فاغفى .. وهو لا يزال يرتدي ثيابه ، ويعتمر تكوفيته وعقاله ، ويده على زناد بندقيته ..

احس الحارس في أواخر الليل بان قائده نائم ، فاشفق عليه من لذع البرد ، وهو بدون غطاء ، ؛ فالقى عليه عباءته ، لتحمل اليه الدفء ، وغادره نائما !

لاحت تباشير الشروق ، وتراكضت خيوط من النور الى مضجعه ، فحركت هذا النائم من نومه ، فما راعه الا ان يرى هذه العباءة على جسمه .

في هذه اللحظة ، طرق عليه الباب احد رجاله ، ينبئه ان والد القتيل يود مقابلته على انفراد !

— والد القتيل يأتي لمقابلتي ؟ هل هو وحده ؟

— انه وحده ايها الامير !

رجل في العقد الخامس من عمره ، لا تزال تبرق عيناه بلمعات الحزم والصرامة ، يدخل بخطى ثابتة .. يمشي، ولا يزال يمشي حتى يواجه الامير الذي وقف لاستقباله ، وهو بالنعدم خطوات قلقاته ...

مد الامير يده مصافحا ، بدون شعور منه وهو يتساءل في هذه اللحظة :

— كيف يليق بي ان امد يدي لمصافحة الرجل الذي قتلت امس ولده بيده ؟ هل يرى الدم على اصابعي ؟ هل تثور نفسه الابولده ؟؟؟ هل يصوب بندقيته التي يحملها على ؟؟

وفي غمرة هذه الشكوك راح الرجل يتناول يد الامير ويقبلها .. الدموع تترقرق في عينيه ، وشفتاه ترددان هذه الكلمة :

— جئتك ايها الامير شاكرا .. لانك ، بقتلك هذا الخائن محوت عني عارا كان سيرافقني الى الابد !

لم يكن الجواب الا دمعتين ترقرقتا في عيني الامير ، وانحدرتا على اليد التي اخذت يده لتقبلها ..

— لقد كانت هذه الدمعة وحدها كافية لغسل هذا الدم الغني !

التفت الرجل الى الامير وقال :

— والآن ايها الامير ، لن يهدي، بالي الا ان تزورني في مضاربي ، حتى يدرك هؤلاء الثوار ان وطني فوق ولدي، وان القضية اسمى من العصبية .

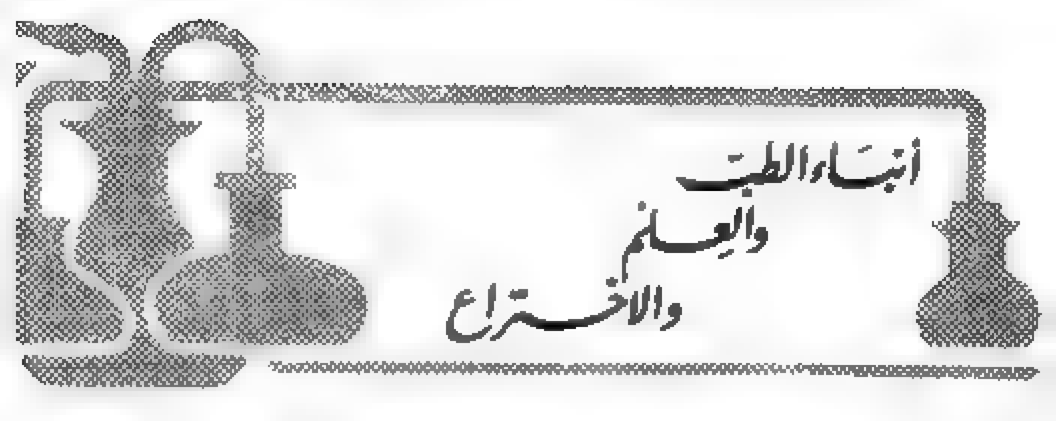
وفي اليوم الثاني كان الامير عادل وحده في طريقه الى مضارب الشيخ ، ليزوره ويجدد العهد على مواصلة الكفاح ..

لم يصدق الثوار ما رأوه ... بل شك بعضهم في ان يكون هذا المظهر يخفي نبأ سيئا ...

وفي اليوم نفسه نادى المنادي محذرا بان العدو قد بلغت طلائعهم .. فهب الثوار من مكامنهم ، يطيرون الى حيث مد العدو اجنحته ...

وكانت بندقية الشيخ ، وصادق عشيرته ، وقبيلته في هذه المعركة ، على راس البنادق التي صدقت في الكفاح .

خليل الهنداوي



سوء التغذية في الامم المتخلفة

● تقرير ظهر اخيرا دل على ان حالة الطعام ، والصحة ، معا ، في الامم المتخلفة تزداد سوءا . ففي هذه الامم ٦٦٧ مليون صبي وصبية دون الرابعة عشرة ، سبعون في المائة منهم ساء طعامهم . ومن هؤلاء أكثر من ٢٦٠ مليونا مصابون بأمراض سببها سوء التغذية ، والمقدر ان يرتفع هذا العدد الى ٣٢٩ مليونا في عام ١٩٧٥ .

والرأى السائد اليوم ان ارسال الاطعمة الى هذه الاقطار اليوم يسد حاجة عاجلة ، ولكن هذا لا يشفى هؤلاء الناس من الحالة السيئة المزمنة التى هم فيها . لا بد من تعليم هؤلاء الناس كيف يزرعون لانفسهم ، وكيف يزرعون الزرع بانفسهم ، وكيف يحصدون لانفسهم .

من اجل هذا انتهجت سياسة المعونة التى تجرى عليها الامم التى تعين بالمحاصيل ، الى ارسال البذور الى اهل تلك الاقطار ، وارسال ادوات الزرع واجهزة الحصد ، وتعليمهم كيف يحسنون من عرق حبيبهم ما تحسن به حقولهم ، وتصلح لهم تغذيتهم ، وبذلك تطيب صحتهم .

ويمضى التقرير حققه ذات بال : لقد ظلت الولايات المتحدة ترسل الطعام الى سائر الاقطار ، ثم اتضح ان مقدار ما تصدره الولايات المتحدة من الانتجة الزراعية قد تضاعف في العشر السنوات هذه الماضية . وضرب مثلا باليابان : ظلت الولايات تبعث الى اليابان بالطعام بالمجان . واليوم أصبحت اليابان تنفق اكثر من ٥٠٠ مليون دولار سنويا تشترى بها من الولايات ما تحتاجه من بضائع الزراعة . ارسال الطعام بالمجان الذى كان مفيدا .

طلبة المدارس في ليبريا يفلحون الارض ليزرعوا بها ما يحتاجون اليه من خضراوات التي طوروها منتقاة من حيث تستزرع البذور الاصلح



اصوات في الاعماق

● انها اعماق البحار ، وفي غير الاعماق .

انك لو سألت انسانا ، ان يذكر مكانا ، اهدأ مايكون ، واسكن مايكون ، لخطر له في البال اول خاطر ، نفق في الارض ، او غواصة في اعماق الماء .

ولكن : في الحرب العالمية الماضية ، حاول العلماء كشف الغواصات ، بما يصدر عنها من اصوات . واذا باصوات غريبة تتدخل .

وكان هذا بدء بحوث هذه الاصوات .

وخرج اليوم بها كتاب كبير ، يصف ما اخرجت هذه البحوث .

وفيها ان للاسماك ، وغير الاسماك من ساكنات الماء ، اصواتا . حتى الجمبرى .

وفيها ان للاسماك ، وغير الاسماك على الصيد ، وعلى الوضع . وفي ظلام الاعماق التعرف على الضحية ، او التحسس وتلمس العدو وموضعه .

وفيها ان الحيتان لها اصوات ، تهتدي باصدائها .

وفيها كيف يصنع الصوت ، فاحيانا بمثانة العوم ، واحيانا بقرض السن ، واحيانا بالزعانف واداة العوم .

وفي الكتاب ان الاحاسيس تهدى ؛ وهي تحمي . وساد في الانسان البصر ، تضعف بالنسبة اليه الاحاسيس الاخرى ، ومنها السمع . وضعف البصر عند السمك ، وقل النور في بيئته ، فاحتد فيه السمع .

انه كتاب في ٤٠٠ صفحة ! في هذا الموضوع وحده .

طريقة جديدة لفتح البيض

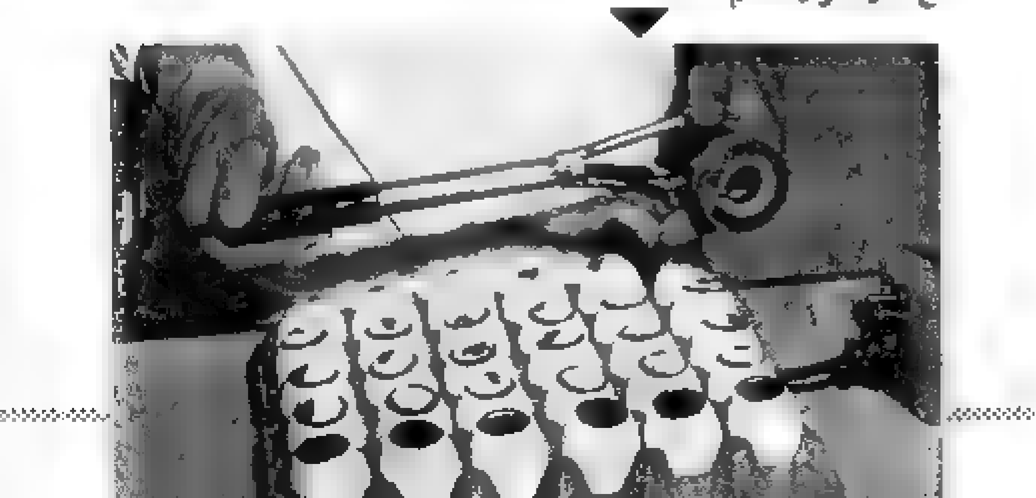
● في الصباح ، انت تفتح البيض بالملعقة الصغيرة حيثما اتفق .

والصورة المرفقة ترى عددا من البيض فتحوه آليا . انها حلقة من الحديد يجري فيها التيار فيسخنها . وتنطبق على اعلى البيضة فتفصلها منتظما كما ترى .

هل هي لبيضة الافطار في الصباح ؟

بالطبع لا . ان الافطار ايسر من هذا .

انها لفتح العديد من البيض للبحوث العلمية الطبية ، حيث يجب ان يكون البيض معقما ، قبل فتحه ، ومن بعد فتح . والحرارة تعقم .





في الصورة الاولى احد الرجلين ، وهو يرى صورة صاحبه الذي يكلمه على بعد . والصورة الثانية الرجل الثاني يسمع ويرى صاحبه كذلك

تلفون اليوم ، وتلفون الغد

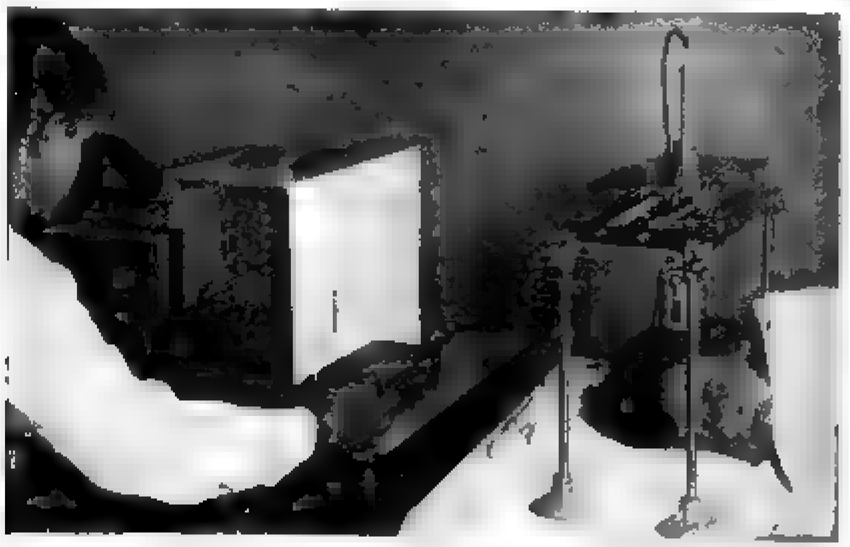
● احصوا عدد التلفونات الموجودة في العالم عام ١٩٥٤ فكانت نحو ٩٠ مليون تلفون ، ثم هم احصوها في عام ١٩٦٥ فكانت ١٧٠ مليونا ، ويتوقعون ان يبلغ عددها في عام ٢٠٠٠ نحوا من ٦٠٠ مليون تلفون . وهذا التوسع في المواصلات التلفونية سيكون من اسبابه اتساع نطاقه ، لا في الامة الواحدة ، وانما بين الامم المختلفة كذلك . وقد دخلنا اليوم في عصر التلفنة عبر الفضاء : عبر القمر الاصطناعي ، « الطائر الباكر » ، وما سيصحبه قريبا من اخوة تشمل الارض كلها بمواصلاتها .

والتلفزة ستدخل تلفونات المنازل .

وعما قريب سوف يستطيع المتكلم في تلفونه ان يرى من يكلمه ، وان يرى ذاك هذا ، فكأنما هما حاضران معا في حجرة واحدة يتحدثان . وتصبح المواصلة التلفونية ، التي هي وصل بين اذن واذن ، وصلا بين عين وعين .

وفي الصورة تلفون المستقبل وهو تحت التجربة . والمتحدثان به يجلسان في حجرة واحدة . وهي وقد نجحت في المختبر ، وبين الرجلين متر او متران ، وهي تنجح وبينهما مئات الاميال .

وان غدا لناظره قريب .



هذا الطبيب ، يرسم مخ هذه الصبية بواسطة الامواج الصوتية فوق السمعية . والصورة الناتجة تكشف عما في المخ من آفة قد تكون

اورام في المخ تكشف عنها اصوات ما فوق السمع

● اولا ماهي اصوات ما فوق السمع، تلك التي نسمع عنها كثيرا ؟

ان الصوت ، كما يعلم كل طالب ، يحدث من اهتزاز شيء ، كغشاء طبل ، أو نحاس جرس . وهو يهز اذ يهتز الهواء ، يدفع اجزاءه الى امام ، ثم يردها الى خلف ، وتسمى هذه هزة او ترددا . وتصل هذه الى طبلة الاذن فتهزها ، فيسمعها الانسان صاحب الاذن .

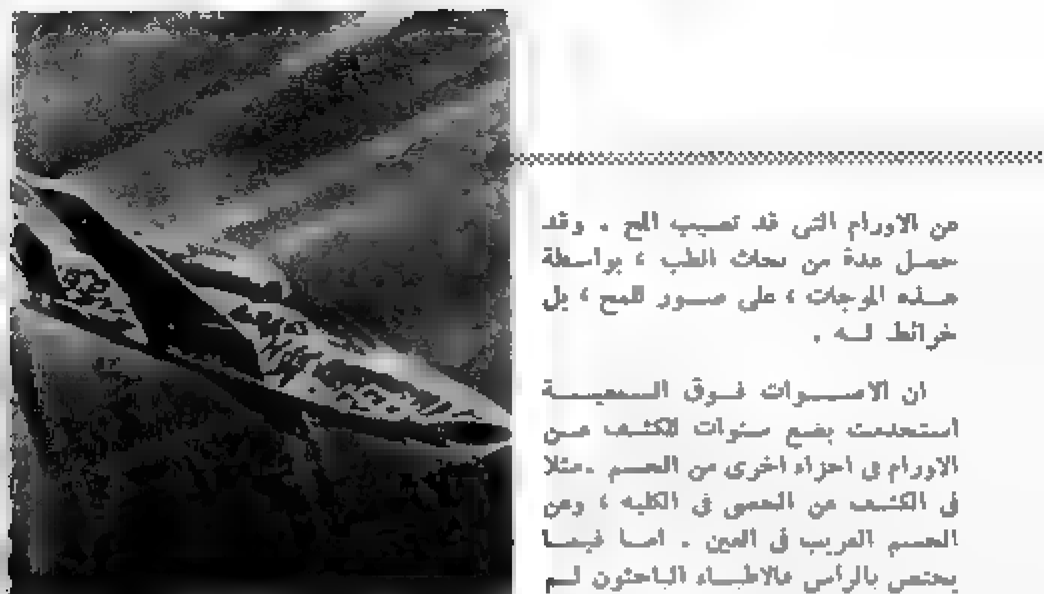
كلام بديهي معروف .

والاصوات تنتج من اهتزازات سريعة جدا ، تبلغ المئات في الثانية الواحدة . والاذن الانسانية تستطيع سماع الصوت وهزاته نحو ١٦ هزة في الثانية ، فاذا نزلت عن ذلك لم تسمعها الاذن . وكذلك اذا هي زادت عن نحو ٢٠٠٠٠ هزة في الثانية ، لا تسمعها الاذن . وهو قول اجمالي .

وهناك صفافير يصفر فيها الصافر ، فيسمعها الكلب فيأتي ، ولا يسمعها الانسان . وذلك لان ذبذباتها تعلو عددا من ذبذبات تسمعها اذن الانسان ، ويسمعها الكلب .

هذه اذن هي الاصوات التي فوق السمع Supersonic .

والخبر الجديد الذي نورده هو دخول هذه الاصوات فوق السمعية الى الطب ، اداة التشخيص وهي تستخدم للكشف



من الاورام التى قد تصيب المخ . وقد حصل عدة من بحاث الطب ، بواسطة هذه الموجات ، على صور للمخ ، بل خرائط له .

ان الاصوات فوق السمعية استخدمت بضع سنوات للكشف عن الاورام فى اجزاء اخرى من الجسم . مثلا فى الكشف عن الحصى فى الكليه ، وعن الجسم الغريب فى العين . اما فيما يختص بالرأس فالاطباء الباحثون لم يستطيعوا قراءة الرسوم التى تنتجها هذه الاصوات وهى تدور فى المخ الا فى الاشهر العشرين الماضية .

اما الاصوات التى تستخدم فهى تلك التى تصل ذبذباتها الى نحو مليونى ذبذبة فى الثانية . وهذه يصنعها جهاز يحول الطاقة الكهربائية الى طاقة ميكانيكية او طاقة صوتية . وعكس ذلك . والصوت الذى ينعكس من الحدود التى يحدث منها فارق فى كثافة (كالذى يكون بين ورم ومادة المخ) ، هذا الصوت يرتد انعكاسا ، فيحوله الجهاز الى ذبذبات كهربائية تظهر على ستار الجهاز المعروف بالاوسيلوسكوب فتراه العين . ويمكن تصويره فوتغرافيا .

والمريض فى كل هذا لا يحس بسوء ابدا . لا يحس بشىء .

وثمن هذا الجهاز يقع اليوم بين ٥٠٠٠ و ١٥٠٠٠ دولار . وقد حصلت عليه عشرات من المستشفيات . هذه الاجهزة تزيد المستشفيات ثروة ، والاطباء قوة ، والمرضى صحة وامنا .

طائرة وغواصة فى آن

● ليست طائرة كالطائرات . ولا هى غواصة كالغواصات . ولكنها الثنتان معا . وان شئت فسمها طائرة غواصة . وهى اليوم مشروع تقوم ببحثه شركة امريكية لحساب بحرية الولايات المتحدة . انها تطير الى حيث يراد منها ان تنزل الى الماء ، الى هدفها الذى تريده تحت الماء ، غواصة للعدو او هدف آخر من اهداف الحرب .

انها عندئذ تتحول من طائرة الى غواصة . ان بها ٣ محركات فاذا تهيات للنزول الى الماء عطلت اثنين من هذه المحركات الثلاثة واحكمت اغلاقهما حتى لا ينفذ اليهما الماء . اما المحرك الثالث ، وهو على ظهرها ، فيعمل فى تحريك الطائرة تحت الماء .

ومجالها وهى طائرة فى الهواء دائرة قد يبلغ قطرها ٩٠٠ كيلو متر ، فى حين تبلغ سرعتها ٤٠٠ كيلو متر فى الساعة . اما فى الماء فقد يبلغ مدى تجوالها ٩٢ كيلو مترا بسرعة ٩ كيلو مترات فى الساعة ، وهى على عمق ٢٣ مترا تحت سطح الماء ، وهى تغطس بملء اكثر حجمها الداخلى بالماء . ■■



قصة السير عـلى الجانب الايسر او الايمن من الطرق

● قد يتساءل البعض عن الاسباب التي حملت بريطانيا على تفضيل الجانب الايسر من الطريق واعتباره الاتجاه الصحيح الذي ينبغي للسيارات التقيد به . فالسير على اليسار في بريطانيا ليس مادة اعتباطية ولا هو وليد الصدفة . فقد شرع البرلمان البريطاني في سن جملة من القوانين التي تفرض التزام الجانب الايسر من الطريق ، منذ عام ١٧٧٢ . ولذلك قصة غريبة ، كما ان السير على اليمين ، وهو الاكثر شيوعا في العالم ، قصة غريبة ايضـا .

تعزى بداية التقليد البريطاني بهذا الصدد الى ايام الحروب الصليبية والى استراتيجية القائد البريطاني المعروف ريتشارد قلب الاسد في الانقضاض على الجناح الايسر من جيوش اعدائه .

الا ان هذه الاستراتيجية العسكرية قد تجاوزت حدود ساحة المعركة بحيث اصبحت الجيوش البريطانية تسير في طريق ما الا وتتخذ الجانب الايسر من ذلك الطريق اتجاها لها . وانتقل هذا التقليد العسكري وشاع بين المدنيين تبعا للقوانين التي سنتها الحكومة البريطانية بهذا الشأن . فقد فرضت تلك القوانين على المدنيين باخلاء الطرق للجيوش كلما مرت فيها تلك الجيوش . واصبحت ضمانا لذلك الاخلاء ، التزام المدنيين دوما للجانب الايسر من الطرق . ولا يزال ان يسير العسكريون والمدنيون على الجانب الايسر من طريق ما معا وفي ان واحـد .

وظل هذا التقليد شائعا لا في بريطانيا فحسب ولكن في سائر البلدان الاوروبية الى ان ظهر نابليون وقلب استراتيجية ريتشارد قلب الاسد راسا على عقب . فقد شن القائد الفرنسي على القاعدة — جريا على عادته — وجعل الجناح الايمن من جيوش اعدائه بدلا من الايسر هدفا لهجماته . وهكذا تحولت سائر البلدان الاوروبية عن التقليد البريطاني ودرجت على التزام الجانب الايمن من الطرق كاتجاه لسير العسكريين فيها والمدنيين على السـواء .

ولا يعرف السبب الذي حدا ببلاد السويد الى الابقاء على التقليد البريطاني . بيد ان السويد قد قررت مؤخرا العدول عن السير على الجانب الايسر وعمدت الى سن القوانين الملائمة التي ستوضع موضع التنفيذ اعتبارا من الخريف المقبل . ويقال ان هذا التغيير سيكلف حكومة السويد نحوا من ٢٧ مليون جنيه استرليني .

وقد يكلف الحكومة البريطانية نحوا من ٢٠٠ مليون جنيه استرليني فيما لو اخذت به وهو احتمال مستبعـد .

رحلات الفضاء

● قد لا يخطر ببال احد ان تكاليف الرحلة المرتقبة الى القمر لا تقل عن -/٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٤ دولار وتتجلى ضخامة هذا المبلغ اذا اخذنا بعين الاعتبار ان ميزانية الولايات المتحدة الشاملة لابحاث الفضاء ورحلاته جميعا لا تتجاوز ٥٠٠٠ مليون دولار لعام ١٩٦٦ ولو قورنت تكاليف رحلة القمر هذه بتكاليف رحلة المريخ لتضاءلت الاولى وبدت تافهة للغاية . والمتوقع ان يأخذ الاعداد لرحلة المريخ سبيله ، فيحظى بالمخصصات اللازمة له في غضون عام ١٩٦٧ .

الطبع غلب التطبع

● طلبت سيدة من صديق مرافقتها الى السوق لشراء بعض الهدايا نظرا لخبرته بالاسواق . ولما كانت راغبة في شراء بنطلون لابنها قال لها الصديق : « هنالك نوع واحد من البنطلونات انصح بشرائه ، ويباع هذا النوع بالمحلات في محلين اثنين فقط . اولهما يبيعه بأربعة دنانير والآخر بدينارين ! » واوضح لها ان هذا الفرق في سعر البيع انما يعزى الى وجود احد المحلين في سوق الطبقة الارستقراطية ووجود المحل الآخر في سوق الطبقة الشعبية . ولم تتردد السيدة طبعا في تفضيل شراء البنطلون من حيث المحل ذي الثمن الاقل . الا ان صديقها الح ان يرافقها الى كلا المحلين لترى بنفسها ان نوع البنطلون الذي يبيعانه واحد رغم الفارق الكبير في الثمن ، ولتكون على يقين من ان المنطق والمصلحة يقضيان بشرائها البنطلون من المحل الموجود في سوق الطبقة الشعبية . بعد ان امعنت النظر في البنطلون في كلا المحلين قالت : « رغم كل الدروس لخبرتك وتأكيدك بأن البنطلونين من نوع واحد ، وبالرغم من تطابق الوانهما ومقاساتهما وماركتهما ، الا انني ميالة للاعتقاد بأن البنطلون الاغلى ثمنا افضل من الآخر ، وذلك لسبب اجهله ، ومع ذلك لا استطيع تجاهله » .

وغني عن البيان ان السيدة قررت في النهاية شراء البنطلون من المحل الموجود في سوق الطبقة الارستقراطية !

الفيلسوف والزواج

● يروى أن فيلسوفا خطب بقصد الزواج مرتين . الا أنه لم يتزوج وبقي اعزب طيلة حياته . اما خطبته الاولى فقد نسيها نسيانا تاما مما حمل خطيبته بعد مضي سنة أو سنتين على قبول عرض بالزواج من آخر . واما خطبته الثانية ، وقد حرص اشد الحرص على عدم نسيانها ، فقد اولاها من اهتمامه الحد الذي ما جعله يعكف على اعداد ميزانية شاملة مفصلة لحياته الزوجية المقبلة . بيد ان الميزانية المسهبة هذه قد طال العمل بها واستغرقت من الزمن اكثر مما استطاعت الخطيبة الثانية احتماله .

وكانت النتيجة ان طلبت الفتاة فسخ خطوبتها من فتى احلامها الملهوف ، وجهوده الذاتية في اعداد ميزانية حياته الزوجية .

الطبيعة البشرية

● هل خطر ببالك أننا جميعا نعير وزنا للأشياء التي ندفع ثمنها ، أكثر مما نعير وزنا لتلك الأشياء بالذات فيما لو لم ندفع ثمنا لها ؟ وأننا جميعا نولي المعلومات والأخبار من اهتمامنا وتقديرنا فيما اذا كانت مطبوعة في صحيفة أو كتاب ، أكثر مما نوليها فيما لو لم تكن مطبوعة ؟

اقوال مأثورة :

● يقول باسكال :

● اذا طلبت امتداح الناس واطراءهم لك فما عليك الا ان تكف عن اطراء نفسك وامتداحها امام الناس .

● لو كان انف كليوباترا اقصر قليلا مما كان لتغير وجه البسيطة .

اعرف وطنك أيها العربي



لحج

ملتقى واحات الجنوب العربي

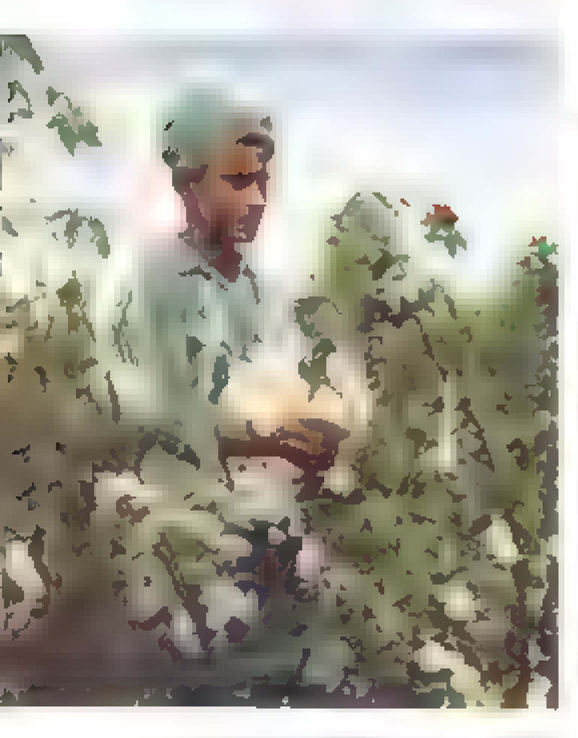


■ لحج .. اسم تردد على مسامع القراء في السنوات الأخيرة من خلال الأحداث، فأصبح مألوفا لدى الكثيرين ممن لم يسمعوا به من قبل، و سمعوا به دون أن يعرفوا عن مسماه شيئا.

واليوم تقدم «العربي» لأول مرة استطلاعا مصورا بالألوان عن «لحج» هذه. إنه الاستطلاع الثالث الذي قامت به بعثتها في جنوب الجزيرة العربية







قام بهذا الاستطلاع

سليم زبال

وصوره

«أوسكار»

ولحج هي احدى سلطنات الجنوب العربي الخمس والعشرين ... ولكنها – طبقا لتصرف السياسي – لم يعد لها كيانها المستقل ... لقد ذاب هذا الكيان عام ١٩٥٩ عندما انضمت الى ما يسمى باتحاد الجنوب لتصبح اكبر ولاية من ولاياته الاربع عشرة .

وسلطنة لحج ، او سلطنة العبادل كما تسمى ، تقع في الشمال الغربي من عدن .. وعاصمتها « الحوطة » ، ويسمونها لحج ايضا .

واهميتها تكمن في موقعها الاستراتيجي الهام على الطريق الرئيسي الموصل بين عدن واليمن .. وقد جر' عليها هذا الموقع الخراب والدمار في الحرب العالمية الاولى ... اذ كان الاتراك ، حلفاء الالمان في تلك الحرب ، يحتلون اليمن ، فاخذوا على عاتقهم مهمة مهاجمة الانجليز المتمركزين في عدن ، وكتبوا لسلطان لحج ، احمد بن علي ، يطلبون منه مساعدتهم لطرد الانجليز ، فرفض السلطان .

وفي عام ١٩١٥ انطلقت القوات التركية من قاعدتها في تعز باليمن ، وكانت مؤلفة من ٢٧٠٠ جندي مزودين بالمدافع الرشاشة المحملة على ظهور البغال والحمير .. فتصدى لهم سلطان لحج على امل وصول مدد بريطاني ، ولكن هذا المدد ضل طريقه وسط كثبان رمال الصحراء ، ولم يصل منه الى لحج سوى شرذمة صغيرة تقدم اليها سلطان لحج ، ولكنه لم يقابلها ابدا ، اذ حسبته من طلائع الغزو التركي ففتحت عليه نيران اسلحتها واردته قتيلا !!

واستولى الاتراك على مدينة الحوطة – لحج – « فقتلوا عددا كبيرا من اهلها ، وانتهبوا اموالها وكل ما فيها » ... واتجهوا صوب عدن فاحتلوا بلدة « الشيخ عثمان » ، وظلوا يتقدمون حتى مشارف عدن ، ولكنهم لم يدخلوها وانما عسكروا عند مشارفها ..

ولم يجل' الاتراك عن لحج الا عام ١٩١٨ بعد ان خسروا الحرب مع حلفائهم الالمان ..

دلتـا لحـج

واراضي لحج منبسطة قرب عـدن ، ولكنها تأخذ في الارتفاع كلما اتجهنا شمالا صوب اليمن، لتتحول الى جبال مرتفعة تفصل بين اليمن ولحج .. وفي شهري اغسطس وسبتمبر من كل عام ، تتساقط الامطار غزيرة على هذه الجبال فتندفع على هيئة سيول في مجرى واحد كبير يعرف بوادي تُبَن' ... وتستمر هذه السيول في اندفاعها حتى راس الوادي حيث تنقسم الى فرعين : الوادي الكبير ، والوادي الصغير ..

وبين هذين الفرعين تكونت دلتا لحج من اراض غرينية خصبة ..

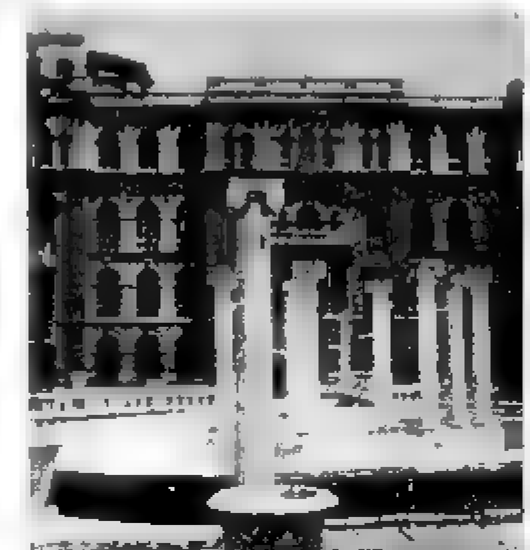
السد .. الماء

وعند راس الدلتا كان يقوم سد ترابي هزيل ما تكاد السيول تندفع نحوه حتى تجرفه في طريقها .. وفي عام ١٩٥٩ قامت « لجنة الاتحاد » ببناء سد كبير تكلفته كلها ٥٥ الف جنيه ، ليتحكم في توزيع مياه السيول على الفرعين ، وعلى القنوات الثلاث التي تروي وسط الدلتا وجانبيها .

وكثيرا ما تقل الامطار وتتوقف السيول ، ولكن ارض لحج تتميز بمياهها الجوفية الغنية ، فما يكاد صاحب الارض يحفر بئرا حتى يتدفع الماء بكميات غزيرة ..

وقد تم حتى الآن حفر ٤٠٠ بئر صغيرة ، الحب

اجمل مباني الحوطة (لحج) انه مقر رئاسة المديرية ، ويضم جميع الادارات الرسمية وكان في السابق قصرا للسلطان عبد الكريم ابن فضل بن علي ، شيده عام ١٣٤٣هـ وأقام في حديقته هذه الاعمدة الاثرية



خريطة سلطنة لحج . ومن الغرب تحدها الجمهورية اليمنية ومن الشمال سلطنة العواذب ومن الجنوب عدن ، وخليج عدن . ان مساحة لحج حوالي الاف ميل مربع تقريبا ، وعاصمتها الحوطة ، وتسمى لحج ايضا اما عدد سكانها فقد اختلف فيه ، بعضهم يقدره بأربعين الف ، والبعض يرفعه الى ... الف !



السلطان ابن فضل بن علي العبدلي ، سلطان لحج .

★ ★ ★

نظام الري القديم ، الى ري مستديم ...

عدن تشرب من لحج

ومما يذكر ان عدن وضواحيها تشرب من مياه آبار لحج الذي ينساب من ٢٤ بئرا ارتوازية ، تعمل عليها المضخات بلا توقف ليلا ونهارا لسد حاجة عدن من الماء ، وتبلغ ٦٠ الف جالون يوميا .

ويصل هذا الماء العذب الى عدن عبر انبوبين يمتدان بمحاذاة الطريق البري الوحيد الذي كانت تسير عليه قوافل الجمال منذ آلاف السنين ..

قصة طريق ..

وقد ظلت لحج تعيش في عزلة بدون طريق معبد يوصل اليها ، حتى الحرب العالمية الاولى ، فمدها الانجليز خطا حديديا ضيقا يربط بين شمال لحج ومدينة عدن ، لاستخدامه في المراسيم العربية .. واستمر هذا الخط اليتيم يعمل حتى ابريل عام ١٩٢٩ ، وبإلغائه اصبح الجنوب العربي خاليا من اي خط للسكة الحديد ..

ومرة اخرى ، والاغراض حربية بحتة ، بدأوا ، في مطلع الحرب العالمية الثانية ، في رصف جزء من طريق القوافل القديم بالاسفلت والرمل ، ولكنه لم يعمر طويلا ، فقد تحول مع انتهاء الحرب الى كومة من الاحجار والفجوات ، لرداءة المواد التي استعملت في رصفه .

وعندما ازدادت اهمية عدن عام ١٩٥٨ وكثر عدد سكانها ، وزاد طلبهم للمأكولات من خضر وفواكه عاد التفكير في تعبيد الطريق ليربط بين عدن ولحج حيث تكثر المزارع ... وفي عام ١٩٦٢ انتهى العمل من رصف الطريق على احدث الاساليب ، بعد مجهود شاق كلفه ١٠٠ الف جنيه .

الطريق يقسم الحوطة

وكان هذا الطريق بمثابة العصا السحرية





التي حولت قوافل الجمال الى قوافل للسيارات مختلفة الانواع والاحجام ، تسير على الطريق وهي مشحونة بالخضر لتنقلها الى عدن ، التي تبعد ٢٥ ميلا عن لحج ، وترجع من هناك محملة بالمصنوعات التي يعاد تصديرها على ظهر السيارات الى تعز باليمن ، وتبعد ١٠٠ ميل عن لحج ، عبر طريق شاق غير معبد ، لان الطريق المعبد يمتد فقط من عدن الى الحوطة عاصمة لحج .

وهذا الطريق يقسم مدينة الحوطة الى نصفين ، وعلى جانبيه تصطف مئات المتاجر الصغيرة المتلاصقة التي تبيع الجلود ، والعقاقير العشبية ، والفواكه ، والعلبات ، والنعال وغيرها .

والى جانب المتاجر تصطف المقاهي التي تنطلق من اجهزة الراديو فيها اغاني مطربي الجنوب العربي ، فتملأ الطريق ضوضاء ، فوق الجلبة التي تسببها العربات التي تجرها الجمال ، واصوات باعة الفل والكادي الذين يحتلون مداخل اسواق الخضر .

الكادي .. والندّ .. والمسلة !

ان الفل والكادي ، وهو غصن شجرة له رائحة طيبة ، من الحاجيات الاساسية عند المرأة ، فهي تتجمل بهما فتضعهما في شعرها وعلى ملابسها ... وقد ورثت المرأة اللحجية عن جدتها حبها التعطر والتطيب بمختلف الطيوب التي تصنعها بنفسها داخل منزلها ..

واشهر الطيوب المنزلية هما الندّ والمسلة ... ويصنع الاول من خلط المسك بقليل من السكر وعود الصندل ، فيطبخ على النار ثم يجفف ويستعمل في البخور ...

اما المسلة فتصنع بدق السكر مع الصندل والزعفران ، وبعد طبخ الخليط على النار يترك ليجف ، وبعدها تتبخر به المرأة !

والمرأة اللحجية ما زالت حتى الآن تعيش على نفس النمط الذي كانت تعيشه جدتها ! فما تكاد الفتاة تبلغ الثانية عشرة من عمرها حتى « تتشرشف » اي تلتف بلبسها بالعباءة السوداء وتسمى « شرشف » في لحج ، وتغطي وجهها بالقناع الاسود ، ويسمونه « القدَرمة » !

وتعيش المرأة اللحجية في فراغ ثقيل قاتل خلف اخشاب نافذتها ، تنظر الى الاطفال يلعبون في الازقة الرملية المحيطة بمنزلها ، والى جوارهم مجموعات من الماعز الاسود تلتهم كل ما يصادفها من اوراق او مهملات ...

تعليم الفتاة بدأ بخدعة !

وقد ظلت الفتاة اللحجية بعيدة عن مقاعد التعليم حتى عام ١٩٥٧ . ففي هذا العام جرى

[illegible]







لا تتوقف حركة السيارات على الطريق الوحيد في لحج ... انها تأتي من عدن ... وتستريح في لحج ... تسابق ... صيدها في نهر ... محملة بمختلف الانواع والاصناف ... وفوق كل هذا الكثير من البشر في طريقهم ...

استعراض عام لطلبة المدارس .. واثناء سير الموكب اندست ١١ فتاة صغيرة بين مجموعات الطلبة ، وسرن وكانهن يمثلن اول مدرسة للبنات ! فقوبلن من المتفرجين بالتصفيق الحاد ...

وكانت هذه بداية البداية ، اذ بدأ بعدها تعليم الفتاة ، الذي ظل يتطور ويتطور حتى اصبح عدد التلميذات اليوم ٦٣٣ تلميذه .

لقد وصل التعليم الى ذروته في لحج خلال العام الماضي اذ تقدم ١٧٠٠ طالب مستجد للالتحاق بالمدارس ... وقد ترتب على قبول هذا العدد الضخم – نسبيا – ان اصبحت الدراسة تتم على فترتين فترة صباحية ، واخرى مسائية للتغلب على ازمة مباني المدارس ...

المتعلمون ٦٪ فقط

ان عدد سكان لحج ٥١ الف نسمة تقريبا ، لا تزيد نسبة المتعلمين منهم عن ٦٪ فقط ، يشغلون مختلف الوظائف في السلطنة ، الا ان لحج تتميز عن غيرها من الامارات والسلطنات بموظفيها المحليين المختارين من ابناء البلاد نفسها ... وقد لاحظ الآباء ان الشاب المتعلم هو الذي يحصل اكبر الاثر فعمدوا الى تعليم ابنائهم ، بعد ان كانوا يرفضون تعليمهم في السابق ..

وقد اصبح مجموع عدد الطلبة اليوم ٥٠٠٠ طالب يتعلمون في ٢٧ مدرسة ابتدائية ومدرستين متوسطتين ومدرسة ثانوية حديثة بها فصل واحد ... وهناك مدرستان مشتركتان بين التلاميذ والتلميذات لضيق الامكان ...

وقد بدأ التعليم الحديث في لحج منذ ٢١ سنة على المنهاج المصري ، ولكنه اليوم يتأرجح بين المنهاج المصري والمنهاج السوداني ... !

مصاعب التعليم

اما مشكلته الرئيسية فهي في قلة عدد المدرسين والمدرسات .. والذين يعملون حاليا هم من ابناء لحج والسودان وسوريا ولبنان والاردن ...

وقد شعر المسئولون عن التعليم بأسى عميق عندما الغيت المنح الدراسية التي كانت الكويت والعراق قد خصصتاها لابناء لحج .

ولكن كل هذه المصاعب لم تثبط عزيمة الاهالي ، الذين مضوا في طريقهم وكونوا مع المسئولين « هيئة التعليم الاهلية اللحجية » لتتولى



فتح المدارس والمعاهد الجديدة ، واتاحة الفرصة امام اكبر عدد من ابناء لحج للدراسة العالية ...

وميزانية هذه الهيئة تأتي من ضرائب مباشرة على الشعب يؤديها الجميع عن طيب خاطر ، فمثلا كل شخص مسافر في سيارة من لحج الى عدن ، عليه دفع مبلغ ٢٠ سنتا ، لمساعدة ميزانيـة الهيئة ، فتجمع من هذه الضريبة حصيلة تصل الى ما قيمته ٦٥٠ دينارا شهريا ...

وفي مطلع كل شهر يدفع كل موظف ١٪ من راتبه للهيئة ومجموع حاصل هذه الضريبة ١٠٠ دينار شهريا ... وكذلك كل من يدخل السينما يدفع ١٠٪ من ثمن التذكرة كضريبة للتعليم ...

وتمد الحكومة الهيئة التعليمية باعانة قدرها ٥٠٠٠ دينار سنويا ...

ويجبى على كل قنطار قطن ضريبة مقدارها سنت واحد ، وهذه تأتي بريع يتراوح مجموعه بين ٦٠ و٩٠ الف دينار سنويا ، تخصص كلها للتعليم .

القطن مكان الذرة

وهذا المبلغ الذي يتجمع من ضريبة القطن يبين لنا مدى اهمية هذا المحصول في البلد ...

لقد احتل القطن مركز الصدارة على سائر المحصولات ابتداء من عام ١٩٥٥ ، واحدثت زراعته تغييرا جذريا في مختلف نواحي الحياة في لحج بعد ان ترك المزارعون الذرة والمحاصيل الصغيرة الاخرى ، واتجهوا نحو القطن ، حتى وصلت مساحة الارض المزروعة منه ١٤ الف فدان ، تعطي ١٤ الف بالة سنويا ، تزن اكثر من خمسة ملايين رطل انجليزي، كلها من نوع القطن الطويل التيلة.

وتقوم لجنة الاصلاح الزراعي ، المكونة من الملاك والتاجرين برئاسة السلطان ، بشراء القطن مع بذرته من المزارعين بسعر ٦٦ سنتا للرطل الواحد ، وتنقله الى المحلج الذي يضم ٣٠ حلاجة ، وبعد حلجه ينقل بالسيارات الى عدن ومنها يعبر البحر بالبواخر الى انجلترا وهولندا والهند وجنوب افريقيا حيث يباع بسعر بورصة ليفربول ...

ويقسم الفرق بين ثمن الشراء والبيع الى ثلاثة اجزاء متساوية : جزء يضاف لرأس مال لجنة الاصلاح ، وجزء يعطى للمزارع كأرباح ، وجزء يصرف على المشروعات الزراعية ..

وبهذه الوسيلة تم تغطية ثمن المحلج في عام واحد ، واعطيت القروض للفلاحين فاقاموا ١٠٠ مضخة للماء ، كما تم بناء سد رأس الوادي .



احد فصول المدرسة الابتدائية ... ١٢ طالبا ... الى ...

استصلاح الاراضي

ان مساحة الارض المزروعة في لحج هي ٣٠ الف فدان اي نصف مساحة الارض الصالحة للزراعة هناك ..

وكان الاقطاع هو النظام السائد ، وكان الفلاح يعيش في ظل اوضاع شاذة .. ثم بدأ التفتح والوعي ينتشران بين مختلف الفئات ، ومنهما معات ظهر مشاريع لاستصلاح الاجزاء المهملة من الاراضي الزراعية ، وفي مقدمتها مشروع منطقة الفيوش الذي سيحيي الف فدان ، سيتم تقسيمها الى قطع مساحة كل منها خمسة افدنة سوف يتم تأجيرها بايجار اسمي للتي عائلة .. وقد كان الاصل تمليك الفلاح للارض التي سوف يزرعها ...

وقد اوشك العمل على الانتهاء من استصلاح هذه الاراضي التي وضعت عليها مضخات كبيرة تستطيع سحب ٧٠ الف جالون ماء في الساعة من باطن الارض ..

وهناك مشروعا « العرب » و « حموله »





بستان في مدينة الحوطة لحج منذ ٢٢ عاماً ، ولكن ما كاد المصور يدخل حجرة في الصورة اليسرى متكاسين هاربات من المصور وتم نصل الى مقاعدهن الا بعد سقط ستورلين !!

استصلاح ..) فدان أخرى ، وكلها سوف تروى بمياه الآبار الارتوازية التي تعمل بالمحركات الكهربائية ..

الآفة الكبرى في لحج

وليس معنى هذا ان لحج تخلو من الينابيع الطبيعية ، بل على العكس ، فمنطقة بساتين الحسيني ، شمال الحوطة ، تزخر بالينابيع التي تتدفق مياهها فتروي أشجار البساتين وتحيل المنطقة الى منتزهات كبيرة ، هي بمثابة رئة يتنفس منها أهل لحج وأهل عدن أيضاً ، خلال أوقات فراغهم وعطلة نهاية الاسبوع.

ويحلو للكثيرين منهم عقد مجالس القات تحت ظلال الأشجار ، مخالفين بذلك الاساليب المتبعة في مجالس القات بالبلاد المجاورة ... ففي اليمن تعقد هذه المجالس داخل غرف زجاجية عالية تسمى « المنظر » ... وفي عدن تعقد في قاعات فسيحة مغلقة تسمى « التيرز » .

ولقد اخذت قصة القات في لحج شكلا جديدا منذ ان بدأت حركة مقاطعة القات « الهرري » الذي كان يأتي يوميا على متن طائرتين من الحبشة لسد حاجة أهالي لحج وعدن ...

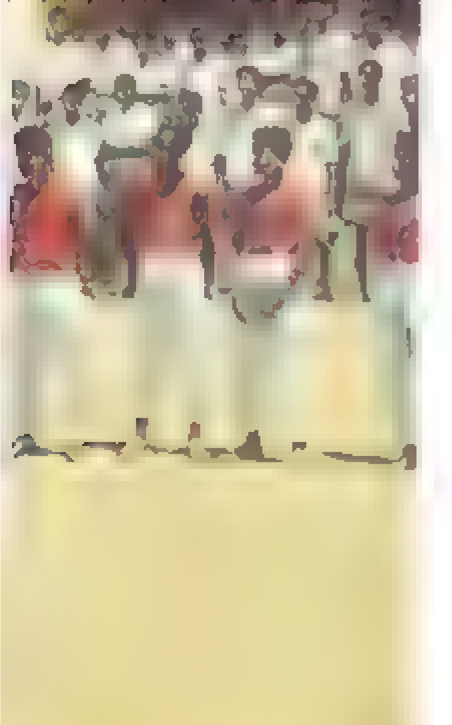
لقد استغنى عن هذا القات الهرري ، الذي يعتبرونه من أفخر الانواع ، واستعيض عنه بالقات اليمني المعروف بالقات الصبري ، أي المزروع في جبل صبر المطلة على تعز . ومعه القات المزروع في امارة الضالع ...

ان القات هو الآفة الكبرى التي تعاني منها لحج ، فإنه شغل نحو ٨٠٪ من سكان البلاد الذين يمضغونه يوميا ، مضحين بكل شيء في سبيله ، حتى ان الموظف الذي يتقاضى ١٥ دينارا شهريا ينفق منها ما يقرب من عشرة دنانير لشراء القات !

القات منبه ، وليس مخدرا

وما يكاد الظهر يحل حتى تصل ثلاث سيارات نقل كبيرة من اليمن محملة بالقات .. فيتهافت الناس على شرائه ويحمل الواحد منهم «الله ربطة» أي اللفة ، وتتكون من عشرة عيدان صغيرة ثمنها ٦ شلنات ، يحملها في يده مزهوا وهو يسير في طريقه الى مجلس القات !

... ان تجارة القات هي التجارة الوحيدة التي لا تبور في لحج ... فما تكاد الساعة تصل للثانية حتى يكون السوق قد انتهى ، ووقفت الحركة في البلد ، وأقفرت الشوارع ...







وتحت ظلال أشجار مزارع الحسيني يجلس الناس متكئين على الوسائد ، ويخرج كل منهم لفته ، ويبدأ في انتقاء الأوراق الصغيرة الخضراء من أغصانها فيضعها في فمه ويلوكها ، ويظل يضع الأوراق واحدة بعد الأخرى في فمه حتى تصبح على هيئة كرة صغيرة يخزنها بين أسنانه وخده ، وبين الفينة والفينة يتناول رشفة من شراب مثلج ويمر الشراب المثلج على أوراق القات الممضوغة فينقل عصارتها معه الى داخل جوفه .. فاذا ما استنفدت اغراضها ألقى بها ، وبدأ في تخزين أوراق جديدة طازجة .. وهكذا تمر الساعات الطوال والناس يمضغون ويخزنون حتى تغيب الشمس فينفض المجلس ويتجه كل منهم الى منزله ، وهو منتشٍ تماما ...

كيف نقضي على القات ؟

وسألنا بعض « المخزنين » عن رأيهم في هذا البلاء ، فأجابونا : « نحن أسعد حالا منكم .. صحيح أنه مرض ابتلينا به ، لكنه أخف ضررا مما عندكم من حشيش وأفيون وخمور ....! » .

ان الفراغ الكبير الذي يعيشه أبناء لحج هو المجرم الذي يدفع بالناس الى أحضان القات ، بالرغم من سخطهم عليه ... وقد حاولوا الحد من انتشاره ففرضوا عليه ضريبة مرتفعة بلغت جملتها ثلاثة آلاف دينار في عام واحد ... ولكنها لم تستطع أن توقف الاقبال الزائد على شرائه !

ويعتقد أهل لحج أن الخطوة الرئيسية للقضاء على القات في الجنوب تستوجب اتفاقا بين اليمن وعدن ولحج . وأي اصلاح من طرف واحد لن يعطي أي ثمرة أو نتيجة .

القات ينقذ « دار سعد »

وقد سبق منذ حوالي عشر سنوات أن منعت سلطات عدن دخول القات الى البلاد ومنعت استيراده . ولكن لحج لم تمنعه . فكانت النتيجة أن أهل عدن التجأوا بالآلاف الى حدود عدن فعبروها الى قرية « دار سعد » في لحج ، لمضغ وتخزين القات الممنوع في عدن ..

وشهدت « دار سعد » ازدهارا مفاجئا ، وبدأت منازلها تتحول من الخشب والصفيح الى الاسمنت والحجر .

وانتبه المسئولون في عدن الى عقم اجرائهم فألغوا التصريح بدخول القات الى عدن .. وتوقفت السيارات المتجهة الى « دار سعد » ، وكانت البلدة ، التي شهدت هذا الازدهار المؤقت أن تعود الى زوايا النسيان كقرية صغيرة مهملة ، لولا أن أهل عدن تنبهوا الى أهمية « دار سعد » كموقع قريب من عدن يصلح لحل أزمة السكن التي يعانونها .. وكانت النتيجة زيادة في الانشاء والتعمير وازدهارا حقيقيا لدار سعد التي كانت قرية صغيرة فأصبحت المدينة الثانية في لحج .. ولن يمضي وقت طويل حتى تصبح المدينة الأولى لكثرة العمران وامتداده فيها .

مدن وقرى لحج

أما بقية مدن لحج فهي قرى شبه معزولة لعدم وجود طرق معبدة توصل بينها ، وأشهرها : الوَهْط ، والمجحفة ، الحمراء ، الطنداء ، صبر ، جلاجل ، الفيوش ، الشقعة ، الرعارع ، سفليان ، القريشي ..

وتذكر كتب التاريخ أن مدينة الشيخ عثمان ، وهي حاليا المدينة الثانية في عدن ، كانت ضمن حدود سلطنة لحج حتى عام ١٨٨٦ عندما باعها السلطان العبدلي بطريقة تجارية بحتة الى سلطات عدن .

ويمتد شاطىء لحج حتى باب المندب ، وبحاره تزخر بشتى أنواع الأسماك ..

برميل بارود

وسلطان لحج الحالي هو السلطان ابن فضل ابن علي العبدلي ، ويشغل وظيفة وزير الدفاع في مجلس وزراء اتحاد الجنوب العربي .

أما سلطان لحج السابق فهو السلطان علي عبد الكريم الذي اصطدم مع الانجليز ، فكانت النتيجة احتلال الجيش البريطاني لأراضي سلطنة لحج ، واقصاء السلطان علي عبد الكريم عن الحكم !

ان شعب لحج ، مثله مثل شعب المنطقة الجنوبية كلها يتطلع الى حياة حرة كريمة يتمتع فيها بخيرات بلاده ، وقد جاءت قرارات الأمم المتحدة صريحة وواضحة ومؤيدة لرغبته في تقرير مصيره بنفسه . ولكن سياسة بريطانيا التعسفية في عدن تنذر بأحداث جسام في الجنوب العربي كله. ■■

سليم زبال



بقلم : حسن الجباوى
المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ كانوا ثلاثة اصدقاء : جيمي ، ولن ، وآدلر. وكانت اعمارهم تتراوح بين ٢٢ و ٢٨ سنة . جمع بينهم ما يجمع الطيور التي على اشكالها تقع كما قال الشاعر . فاولهم « جيمي » قضى خمس سنوات في السجن ولم يمض على خروجه منه الا ستة اشهر . والاثنان الآخران سبق لهما تذوق طعم السجون ولهما مع البوليس جولات .

وكان الاصدقاء الثلاثة معروفين للبوليس . ولكنهم — في تلك الليلة لم ينتووا شرا ولم يرتكبوا جرما . بل امضوا ليلتهم في نزهة بريئة ، ثم استقلوا سيارة احدهم ماركة ولسلي السوداء للوصول الى منازلهم ، فقد كان كل واحد منهم يقيم في ضاحية من ضواحي لندن .

وليست هناك اية جريمة في ركوب سيارة في

الساعة الرابعة صباحا في طريق عام . ولكن اذا كان الراكبون ممن سبق ان سببوا متاعب للبوليس فانهم يوجسون خيفة من ان يقابلهم احد رجال البوليس ويدس انفه فيما لا يعنيه ، فيسألهم من اين جاءوا؟ والى اين يقصدون؟ وماذا كانوا يعملون؟ وماذا يسوون ؟ والى ذلك من الاسئلة المحرجة. فاذا اختلفت اقوالهم كانت الطامة الكبرى والبسهم البوليس ــ اللعين ــ تهمة من حيث لا يدرون !

مرت هذه الافكار بالاصدقاء الثلاثة فرأوا ان ينظموا الحيطة لذلك بان يتفقوا على رواية واحدة يقولونها اذا استوقفهم احد رجال البوليس ، وتصوروا انهم لو قالوا الحقيقة وهي انهم خرجوا لمجرد النزهة فان ذلك لا ينطلي على البوليس . فقد تكونت لدى البوليس فكرة ثابتة راسخة هي ان امثالهم لا يجتمعون الا لارتكاب جريمة .

لذلك اتفقوا على ان يقولوا ــ اذا سألهم احد رجال البوليس ــ انهم دبروا كسر خزانة حانوت مجوهرات يعرفونه ، وانهم حين وصلوا اليه وجدوا به حارسا فعادوا ادراجهم قانعين من الغنيمة بالاياب .

★ ★ ★

وصح ما توقعوه . فقد شاء حظهم العاثر ان يقفوا بسيارتهم امام احمق مقاهي الطريق واذا برجلين من رجال البوليس السري يقتربان من السيارة ويبدآن في التحدث اليهم . وبالرغم من ان رجلي البوليس لم يفصحا عن وظيفتهما فقد عرفهما الاصدقاء الثلاثة وتوجسوا شرا .

ولم تقنع اجاباتهم رجلي البوليس وطلبا منهم ان يصحبوهم الى مقر البوليس .

★ ★ ★

وهناك علموا ان ثلاثة اشخاص يركبون سيارة سوداء ماركة ولسلي ــ من نوع السيارة التي يركبونها ــ قد اعتدوا في مدينة مارلو على احد رجال البوليس بكرسي ومضارب جولف واحدثوا به خمسا وثلاثين اصابة وتركوه بين الحياة والموت .

لقد اكدوا للبوليس انهم لم يذهبوا الى مدينة مارلو وانه لا علم لهم بهذا التشاجر ، ومع ذلك احتجزوهم حتى صباح الغد ليستجوبهم رئيس البوليس . وبعد ان استجوب الرئيس كلا منهم على انفراد لم يجد اي دليل يدينهم فاستدعاهم مجتمعين وقال لهم انه لا دليل ضدهم ــ بعد ــ الا وجودهم في سيارة ولسلي سوداء في الساعة الرابعة صباحا في الطريق العام ــ وهو لذلك يخلي سبيلهم .

★ ★ ★

ركبوا سيارتهم وانصرفوا . ولكن قبل ان ينصرفوا اخذوا يتدبرون امرهم . ان رجل البوليس المعتدى عليه لا بد ان يكون قد فقد نحبه . خمس وثلاثون اصابة بالكراسي ومضارب الجولف ليست بالامر الهين . والبوليس لا يتساهل في الاعتداء على احد رجاله . وعدم ثبوت التهمة « بعد » لن يحول دون تشبث البوليس لادلة ضدهم خصوصا وانهم من اصحاب السوابق .

لا بد لهم اذا من اثبات انهم لم يكونوا موجودين بمكان الحادث وقت ارتكابه » . وليس يكفي في ذلك ان يقول ثلاثتهم رواية لا يؤيدها شهود آخرون .

فاتفقوا على دفاع معين يدلون به امام محكمة الجنايات اذا ما وجهت اليهم التهمة ، ثم انصرف كل منهم الى حال سبيله .

★ ★ ★

ومع بزوغ شمس اليوم التالي طرق البوليس باب مسكن ارثر للقبض عليه كما قبض على جيمي . اما ان فقد عثر عليه في العنوان الذي كان قد اعطاه للبوليس ولكن ذلك لم يمنع من القبض عليه فيما بعد ، وتوجيه التهمة الى ثلاثتهم بانهم متهمون بالاعتداء على الكونستابل « سيسيل بلى » وان حالته تنذر بالخطر .

وامضى المتهمون ــ بجريمة لم يرتكبوها ــ فترة رعب وقلق بين جدران السجن . لقد كانت التهمة الموجهة اليهم هي الاعتداء على الكونستابل بالضرب

ولكن الوهم صور لهم ان الكونستابل لن ينجو من اصابته وتراءى لهم حبل المشنقة يلتف حول اعناقهم .

* * *

ومثلوا امام محكمة الجنايات .

ونودى على الشاهد الاول فاذا به المجنى عليه الكونستابل سيسيل باى الذى كان قد شفى من جراحه . وعندها تنفس المتهمون الثلاثة الصعداء وقالوا فى سريرتهم انه قضاء اخف من قضاء ، فقد نجوا من الاعدام وان كانت اية عقوبة توقع عليهم ستكون عقوبة ثقيلة .

شهد المجنى عليه انه كان يقوم بدوريته فى مدينة ماولو ، فسمع ضجيجا خلف احدى المقاهى فلمح يتبين ماهيته ، فاذا برجل يتجه نحوه من خلف سيارة ولسلى سوداء ويلقى عليه جسما صلبا لم يتبينه ولم يصبه . وما كاد يستدير حتى تقدم نحوه اثنان آخران بيد كل منهما مضرب جولف فوجه اليهما ضربة شطبه وانسحب القهقرى متجها الى كشك تليفون بجوار مكتب البريد محاولا ان يطلب نجدة . ولكن الرجلين لحقا به واخذا يكيلان له الضربات وبدا الدم يسيل على وجهه ، واستطاع بصعوبة ان يفتح باب الكشك وحاول الاتصال بسماعة التليفون ، ولكن الاعتداء عليه استمر ، وكل ما استطاعه هو الضغط على زر جرس النجدة . ولم يتوقف الاعتداء عليه الا عند سماع نفير سيارة النجدة .

وتقدم ثلاثة شهود ممن يسكنون امام مكتب البريد فقالوا ان صوت نفير سيارة النجدة ايقظهم من النوم وانهم راوا الاعتداء ولكنهم لم يتبينوا ملامح المعتدين وان كانوا قد راوا ان احدهم يضع على راسه قبعة من نوع خاص، وانهم ركبوا سيارة ولسلى سوداء وفروا بها قبل وصول سيارة النجدة .

وشهد احد مفتشى البوليس انه وجد بمكان الحادث كرسيا ومضرب جولف مكسورا .

كذلك شهد رئيس البوليس الذى تولى التحقيق انه بمجرد علمه بالحادث اصدر امرا بمراقبة جميع الطرق الموصلة من ماولو الى لندن بحثا عن سيارة ولسلى سوداء وانه بعد القبض على المتهمين عرض صورهم الفوتوغرافية بين سبع عشرة صورة اخرى على الكونستابل باى الذى تعرف من الوهلة الاولى ودون تردد على صور اثنين من المتهمين .

وشهد رجلا البوليس اللذان تعرضا للمتهمين فى سيارتهم انهما فتشا السيارة فوجدا بها قبعة من النوع الذى وصفه الشهود وعليها بقع اعتقدا انها دموية . وقد عرضت القبعة على الطبيب الشرعى فقال انه تبين ان البقع التى على القبعة هى بقع دموية ولكنه لم يستطع ان يتحقق من فصيلتها .

وشهد رجل البوليس الذى القى القبض على ارلر ان آرلر قال له انهم لم يذهبوا الى مدينة ماولو لانهم كانوا فى واتفورد بقصد سرقة خزانة حديدية وعدلوا عن ذلك حين وجدوا ان خفيرا كان يحرس الخزانة . وكان ذلك هو الدفاع الاول الذى اتفقوا عليه والذى عدلوا عنه ولكن الظاهر ان ارلر فى ارتباكه حين القبض عليه نسى انهم عدلوا عن هذا الدفاع الى دفاع آخر .



والقانون الجنائى الانجليزى يبيح للمتهمين ان يكونوا شهودا فى قضيتهم فيدلوا باقوالهم بعد حلف اليمين . فان ادلوا باقوال تبدو صادقة وصمدوا لاستجوابهم امام ممثل الاتهام جازت براءتهم .



وجلس المتهمون الثلاثة ـ كل بدوره ـ على كرسى الشهود واقسموا اليمين وادلوا بدفاع جديد كانوا قد اتفقوا عليه .

قالوا انهم امضوا ليلة الحادث فى مدينة اشفورد حيث يقيم جيمى وانهم امضوا فى منزل جيمى حى

الساعة العاشرة مساء حتى الثالثة والنصف صباحا يتفقون على صفقة فحم .

وتقدم الدفاع منهم بسبيغة من سكان الشفورد اقسمت اليمين وشهدت ان زوجها كان حاضرا ذلك الاجتماع وكان يتحدث الى المتهم طوال تلك الساعات الطوال .

كما جاء شاهد آخر من سكان المدينة يشهد انه رأى سيارة واسلي سوداء واقفة امام منزله حتى الساعة الثالثة صباحا ثم ركبها ثلاثة رجال احدهم جيمي ... تعرف عليه من صوته ..

★ ★ ★

واثبات عدم الوجود في محل الجريمة وقت ارتكابها – وهو ما يعرف في القانون الانجليزي بالاليبي – هو اقوى دفاع يمكن ان يتقدم به متهم . وهو دفاع قاطع ، ولكنه سلاح ذو حدين . انه اشبه بتلك القطعة الخشبية المعوفةالتي يستعملها سكان استراليا الاصلاء في صيد الطير . يقذفون بها الطير فترسم دائرة في الهواء وترتد الى حيث رميت . اذا اصابت الطير صادته واذا لم تصبه اصابت راميها . ذلك شأن الاليبي اذا لم يقنع المحلفين انقلب الى دليل ادانة .

ولم يقبل هذا الدفاع في حالة متهميا لتناقضه مع الوقائع السابقة ، فادانهم المحلفون واصدر القاضي حكمه على ازر بالسجن عشرة اعوام وعلى ازر بسبيغة وجيمي باربعة .

★ ★ ★

ووجد الرجال الثلاثة انفسهم في السجن محكوما عليهم بمدد لا يستهان بها لجريمة لم يرتكبوها واخذت تتناوبهم مشاعر مختلفة . لقد نجوا من حبل المشنقة الذي كانوا سيتدلون منه حتما لو لم يشف الكونستابل من جراحه ، فهم حامدون شاكرون سعداء بتلك النجاة . ولكنهم حانقون في ذات الوقت لان الاشخاص الذين ارتكبوا الحادث احرار طلقاء يتنسمون عبير الحرية بينما هم بين جدران السجن . ولا سبيل لهم لرد الظلم الذي وقع عليهم وتصحيح الخطأ الذي ارتكبه القضاء .

★ ★ ★

يئسوا واستسلموا لمصيرهم . ولكن الناس – خارج السجن – لم ييأسوا .

كان معلوم ازر احد الذين لم ييأسوا ، انه يعرف ان ازر انسان هادىء وقال في شجاعة انه موقن انه لا يمكن ان يرتكب الاعتداء المنسوب اليه . وكان ايضا رأى اسرة ازر وخاصة اخته وزوجها .

لذلك لجأوا الى محام شاب درسوا معه اوراق القضية وتبينوا ان عملية التعرف لم تكن سليمة . فان مما لا يقبله العقل ان يكون المجني عليه في حالة وقوعه تحت هجمات ثلاثة اشخاص قد استطاع ان يتبين ملامحهم . فالاعتداء لم يستغرق الا بضع ثوان كان المعتدى عليه في اثنائها مشغولا بحماية رأسه من الضربات، فلا يتصور ان يستطيع اثناءها السائلة مشغله، وان انشغله فلا يستطيع تبين ملامح الوجوه ، وان استطاع فان خمسا وثلاثين ضربة على رأسه كفيلة بان تطير تلك الملامح من ذاكرته .. فضلا عن ان الاستعراف قام عن طريق التصوير الفوتوغرافي الذي كثيرا ما يخدع .

فاذا استبعدنا الدليل المستمد من الاستعراف – والعقل يقتضي استبعاده – لم يبق من دليل الا ضعف الدفاع الذي لم يثبت . والقول بان ضعف الدفاع دليل ادانة يقضي على الاساس الاول لكل محاكمة جنائية .. وخاصة في القانون الانجليزي – وهو ان المتهم برىء حتى تثبت ادانته .

★ ★ ★

قدم المحامي الشاب مذكرة تشرح كل هذه الاعتراضات الى لجنة الدفاع عن الحريات المدنية التي تبنت الموضوع وكتبت بذلك الى وزير الداخلية . ولكن وزراء الداخلية في انجلترا لا يقدمون بسهولة على اتخاذ قرار في مثل هذه الحالة . لقد حوكم المتهمون محاكمة عادلة وسمع دفاعهم . وشهد ضدهم شهود عدول اقسموا اليمين وقرر المحلفون ادانتهم ، واصدر القاضي

حكمه ، والاحكام ـ كما يعرف الناس ـ هي عنوان الحقيقة .

لذلك لم يحرك وزير الداخلية ساكنا . وقضى على كل امل للمتهمين والمدافعين عنهم .

* * *

ولكن النجدة جاءت من بين جدران السجون .

ففي السجون ـ في جميع انحاء العالم ـ نظام خاص للمراسلة . هو النقر على الحيطان فصلة السجون تنقطع عن العالم الخارجي ولكنهما انقطاع من احتياطات ـ لا تنقطع عن زملائه المسجونين . واخبار المسجونين تنتقل من زنزانة لاخرى ومن سجن لآخر بطريقة النقر هذه . وهكذا وصل الى علم المسجونين ان اصحابنا الثلاثة يقضون في السجن عقوبتهم بسبب الاعتداء الذى حدث في بلدة مارلو .

ووصل خبر ذلك الى اسماع مسجون اسمه وليام بيردى يقضي اربعة عشر سنة محكوما عليه بها لارتكابه سرقة كيس بريد .

واحس وليام بيردى بضميره يؤنبه ، فهو يعلم انه واثنان من شركائه في جريمة سرقة كيس البريد هم الذين ارتكبوا جريمة بلدة مارلو . وقد توفى احدهما والآخر لا يزال يقضي مدة العقوبة المحكوم بها عليه .

طلب بيردى ان يقابل مأمور السجن واعترف له اعترافا كاملا بارتكابه هو الجريمة . ومثل هذا الاعتراف لا يؤخذ عادة على محمل الجد . فان بيردى يعلم ـ ولا شك ـ ان العقوبة المحكوم بها عليه تجب عقوبة الاعتداء على الكونستابل . فاعترافه هذا لا يضيره ، وقد يكون المقصود منه انقاذ مسجون آخر من السجن ، فالمجرمون يتبادلون احيانا امثال هذه الخدمات . ولكن التفاصيل التى ادلى بها بيردى حملت مأمور السجن على احالة اعترافه الى وزير الداخلية . وهذا بدوره احاله على رئاسة البوليس في بوكنجهام شير لفحصه .

وتولى الفحص احد مفتشي البوليس المعروفين بالدقة والكفاية ، واستغرق البحث ثلاثة اشهر استجوب فيها مفتش البوليس اكثر من مائة شخص وقدم تقريرا لم يدع مجالا للشك في ان بيردى وزميليه هم الذين ارتكبوا حادث الاعتداء على الكونستابل باى .

وهكذا صدر عفو شامل عن ابطالنا الثلاثة بعد ان قضوا في السجن سنتين . ومنحت الحكومة اربعمائة جنيه تعويضا لاثنين والاثمائة جنيه لكل من زميليه .

واعترض عدد من اعضاء مجلس العموم على هذا التعويض الذى لا يتناسب مع ما تحمله الرجال الثلاثة من آلام وفقد للحرية . ولكن وزير الداخلية اجاب بان التعويض يقدر على اساس مقدرة المحكوم عليه في الكسب بطريق شريف من جهة ، وعلى تصرفه اثناء المحاكمة . وقال انه سأل القاضي الذى اصدر الحكم فأكد له ان المحكوم عليهم يتحملون مسئولية كبيرة في الخطأ الذى وقع لانهم اقسموا يمينا كاذبة على انهم لم يكونوا في مكان الحادث وقت ارتكاب الجريمة ووضح له وللمحلفين ان هذا الدفاع غير صحيح .

* * *

واثارت هذه القضية اعتراضا آخر ـ لـه وجاهته ـ على تعبير « العفو الشامل » الذى يصدر لصالح المحكوم عليهم بعد ان يثبت انهم لم يرتكبوا الجريمة التى حكم عليهم من اجلها . وقال المعترضون ان هذا التعبير يعني بان الجريمة قد ارتكبت ولكن الملكة اصدرت عفوا عن فاعلها وليست هذه هي الحقيقة .

وقال وزير الداخلية ـ الميجر لويد جورج ـ ان البراءة التى تستصدر من الملكة بالعفو الشامل تصاغ بحيث تتجنب كل ما قد يفهم منه ان العفو صادر عن الجريمة . بل ينص على اسقاط الادانة ذاتها وما تستتبعه من نتائج قانونية . اى ان العفو هنا ليس تسامحا بل اسقاطا للجريمة من اساسها ونتائجها القانونية .

اما المتهمون الثلاثة فلم يهتموا بهذه التفرقة اللفظية . فقد كان كل ما يشغل بالهم ان ابواب السجن فتحت لهم وانهم عادوا للحرية التى حرموا منها لغير ذنب جنوه ■■

حسن الجداوى
القاهرة



«سنن» ابن ماجه من صحاح السنة ... صحيح البخاري، ومسلم وسنن داود والترمذي والنسائي وابن ماجه

بقلم: الشيخ محمد ابو زهرة
استاذ الشريعة الاسلامية بجامعة القاهرة

... علم الاسلام غربا ، وكان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى ...

مولد ابن ماجه ونسبه

... الاسلام كان الاعجمي الذي سلم ...



كتابه في التفسير وضعه السيوطي في رتبة قريبة من تفسير الطبري الذي جاء بعده

عليه وسلم فيما عقد من إخاء بين المهاجرين والأنصار في أول الهجرة الإسلامية .

وبهذا يكون عقد الولاء أو الموالاة — توثيقا للعلاقات الأخوية بين المسلمين ، وإبعادا للوحشة وإيجادا للأنس بالإسلام وأخوته بالنسبة للأعاجم الذين يدخلون في الإسلام ، ويقطعون كثيرا من الأسباب عن أهلهم وذويهم ، فيلتقون بالمحبة والولاء العلني والقانوني مع إخوانهم العرب ، ولا يتعالى فريق منهم على فريق .

الموالي ، آل العلم الإسلامي إليهم ، خلفا عن سلف

كان أولئك الأعاجم أو أولئك الموالي الذين تعاقدوا مع إخوانهم — قد آل العلم الإسلامي إليهم خلفا عن سلف ، فكان أكثر التابعين الذين تلقوا علم الصحابة من الموالي ، وكان أكثر تابعي التابعين كذلك ، وعوضوا بذلك عن سلطان الإمرة والسيطرة ، سلطان الفكر والعلم الصحيح ، فكان منهم أئمة أعلام ، في الفقه والحديث والتفسير ، والعلم العربي بعامة من بعد ذلك ، كسيبويه والزمخشري وغيرهم من قادة الفكر الإسلامي في علم العقيدة ، وما دونه من سائر علوم الإسلام .

اتجاهه إلى علم القرآن والحديث والفقه

كان ابن ماجه من الموالي كالبخاري [illegible] وعلم الدين كان ذا ثلاث شعب ، علم العقيدة ، ولم يعرف أنه اتجه إليه ، وعلم القرآن ، والحديث ، وعلم الفقه ، وقد مزج بين هذه الشعب الأخيرة التي تنتهي إلى شعبتين ، وجمعهما بعناية في

مصب واحد ، وهو علم الاحكام الشرعية التكليفية .

اتجه منذ نشأته الى علم القرآن ، لحفظه ، والى علوم اللغة العربية فاتقنها، اذ انه قد تصدى من بعد ذلك لتفسير القرآن ، ولا يمكن ان يتصدى لتفسير القرآن الا من يكون له ذوق في البيان العربي لانه ابلغ كلام في الوجود ، وهو الذي اعجز العرب عن ان يأتوا بمثله ، ويعجز الناس اجمعين عن ان يأتوا بمثله « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتو بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

وانه من المؤكد ان تفسيره ـ كما سبق ـ كان نتيجة لدراسته العربية ، ولروايته لاقوال الصحابة والتابعين ولقد اخذ من بعد الدراسة الاولى تتجه الى الجهاد في سبيل العلم كشأن الكثيرين من علماء الاثر ، سواء ما يتعلق منه بالفقه والتفسير ، والرواية المجردة .

رحلاته في سبيل العلم

اخذ يجوب الآفاق حاملا معه حقيبة علمه ، فرحل الى فارس وخراسان والري ، مشرقا ، ثم رحل الى العراق والحجاز ، ثم الى الشامات ومصر ، مغربا . وقال فيه ابن حجر العسقلاني في كتابه التهذيب « وسمع بخراسان والعراق والحجاز ومصر والشام » .

قرأ كتاب الموطأ لمالك على اصحاب مالك ، وقرأ الجوامع للحديث قبله مثل مسند الامام احمد وصحيح البخاري ومسلم على تلاميذهم .

ولم تنته رحلته في طلب الاثر الا بعد ان جمع ما يمكن ان يكون ثروة الحلف ، واخذ من بعد ذلك يرتبها وينسقها ، ويضع كل قسم منها في موضعه من ابواب العلم الاسلامي .

كان همه في رحلاته وفي التقائه بشيوخ الاثر ، ان يجمع كل ما عندهم من علم في الاسلام ، فهو يجمع منهم احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التي صحت عندهم ، وفتاوى الصحابة واقضيتهم ، وكذلك فتاوى التابعين من بعدهم ، وقضاء المشهورين من القضاة الذين التقوا بالصحابة وتلقوا عنهم ، وما اثر عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من بيان القرآن الكريم ، وما اثر عن الصحابة والتابعين من فهم للتنزيل ، ولا يمكن لمحدث ان يستوثق من صدق الحديث عن النبي او الخبر عن الصحابة الا اذا عرف رجاله ليميز الخبيث من الطيب ، والصادق الذي يقبل قوله ، من المتهم الذي لا يقبل قوله عند الناس الا بعد ان يتبين امره . ومثل هذا لا يقبل منه خبر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او صحابته فانه ظنين غير عدل .

وقد نثر كتاباته من بعد ما جمع ، وتمحض في ميدانها عودا عودا ، ليعرف نوع كل واحد منها . وقد قسمها من بعد ذلك الى ثلاثة اقسام ، قسم في التفسير، وقسم في التاريخ ، وقسم في السنن والاثر .

صنف في ثلاثة ابواب : في التفسير ، والتاريخ ، والسنن

ولذلك كانت مصنفاته في ثلاثة ابواب في التفسير ، والتاريخ ، والسنن ، وله كتاب في كل واحد منها .

وكانت هذه المصنفات تصدر عن عالم قوي العقل والادراك مخلص نافذ البصيرة ، قد اشرق قلبه بنور الحكمة ، فكثر صوابه ، وقل خطؤه ، وهو مأجور في الحالين ، ففي صوابه طلب الحق فاصابه ، وفي خطئه طلب الحق فاخطأه ، وله في ذلك اجر المجتهدين المخلصين .

ولنتكلم في كتابيه التفسير والتاريخ ، ثم في السنن من بعد .

كتابه في التفسير

فاما كتابه في التفسير فقد قال فيه ابن كثير في تاريخه : « هو تفسير حافل » ولم يكن تفسيره هذا بالرأي ، بل كان تفسيرا بالاثر ، كان يجمع اقوال الصحابة والتابعين في مفهوم القرآن الكريم ، وقد جعله السيوطي في رتبة قريبة من تفسير ابن جرير الطبري الذي جاء من بعده ، ولعل فرق الرتبة كان سببه تأخر ابن جرير ، فان المتأخر يتمتع من علم من سبقه وتجاربهم ، ولعل ما امتاز به ابن جرير على ابن ماجه ومن في طبقته من المفسرين ان ابن جرير يتعرض لتوجيه الاقوال المأثورة ، ويرجح بعضها على بعض ، ويتعرض للاستنباط والاعراب والتخريج ، وذلك لانه في عصر ابن جرير قد اخذ الرأي يدخل التفسير . اما ابن ماجه ومن معه فقد دونوا تفسير القرآن على انه باب من ابواب الرواية ، ولا يتجاوزون حد الرواية والاثر ، وقد تلقوه مع ما تلقوا من فتاوى الصحابة واقوالهم .

كتابه في التاريخ

وكتابه التاريخ ، وهو تاريخ كامل من لدن عصر الصحابة الى عصره ، وواضح انه قد دون فيه اخبار الرجال الذين رووا السنة ، وذكروا في اسانيد الاحاديث ، ليتعرف مقدار الثقة في رواياتهم ، وبذلك يتبين انه كان خادما للرواية كما كان التفسير للقرآن جزءا من الرواية .

وفي الجملة كانت حياته كلها للرواية ، بدأ بها ، وسار فيها ، وانتهى منها الى هذين الكتابين ثم الى كتابه الذي عرف به وهو كتاب السنن .

كتاب السنن

يقسم علماء الحديث كتب الحديث الى اقسام ، منها قسمان رئيسيان هما ، الجوامع والسنن . فالجوامع ككتاب البخاري ومسلم ، وهي تجمع كل اقسام الاخبار المروية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من احاديث العقائد واحاديث الاحكام ، واحاديث التربية النفسية والادب الديني في الحياة عامة وفي بعض احوالها كالسفر وغيره ، واحاديث التفسير ، واحاديث سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، واحاديث الفتن مما تنبأ به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ، وما يجب فيها ، ومناقب الصحابة الذين ذكرهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالخير كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية العشرة المبشرين بالجنة كابي عبيدة عامر بن الجراح امين هذه الامة .

واما السنن ، فان اكثرها في الفقه ، وهي مرتبة بترتيب ابوابه ، وقد تتبع راويها احاديث الاحكام وقضاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واعماله التي تستنبط منها احكام فقهية ، وما اقره من اقوال واعمال تتعلق بالاحكام ، ويروون معها اقوال الصحابة الفقهية . وانه من اول كتب السنن كتاب الموطأ للامام مالك رضي الله عنه فيه مصادر فقهه من الاثار . فيه اقوال الصحابة ، وما يستنبط منها . ولذلك قال في مقدمته : انه رأي وليس برأي من حيث ان الاستنباط كان له مدخل فيما ينتهي اليه ، ولكنه استنباط متصل بسلسلة وثيقة بالسنن والاثار .

ولقد نهج ذلك المنهاج كتاب السنن الاربعة ، ابن ماجة ، وابو داود ، والترمذي ، والنسائي ، على اختلاف بينهم في مقدار التقيد بالفقه وابوابه .

وسنن ابي داود قال فيه اهل

الخبرة انه كتاب دقيق دال على اتقان صاحبه ، فقد قال فيه الحافظ ابن كثير : « السنن (لابن ماجة) دالة على عمله وعلمه وتبحره واطلاعه واتباعه للسنة في الاصول والفروع ، ويشتمل على اثنين وثلاثين كتابا ، والف وخمسمائة باب ، وعلى اربعة آلاف حديث كلها جياد سوى اليسيرة » وقارب ذلك الذهبي في كتابه « تذكرة الحفاظ » ، فقد قال ما نصه : « سنن ابي عبد الله بن ماجة كتاب حسن لولا ما كدره من احاديث واهية ليست بالكثيرة » .

وقد اجمع هؤلاء الخبراء على امرين بشأن هذا الكتاب .

اولهما — انه حسن التبويب ، قد وضع كل حديث في موضعه من فقه الاحكام ، بحيث يسهل على طالب فقه السنة ان يرجع اليه من غير عسر .

ثانيهما — ان فيه احاديث واهية السند ، بل قال بعض العلماء ان فيه اخبارا مكذوبة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولا تصح نسبتها اليه عليه السلام .

وقد احصى ابن الجوزي اربعة وثلاثين خبرا في السنن ، قال انها من الموضوعات .

وبالرجوع اليها نجد ابن الجوزي نظر الى السند ، فقرر ان كل سند به رجل لم يعرف بالعدالة والصدق ، يكون حديثه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم موضوعا عليه ، ولم ينظر الى متن الخبر المروي عن النبي عليه السلام ، اهو ملائم للمبادىء الاسلامية ام غير ملائم . وحكم على الخبر بالوضع من جهة السند الذي وصل اليه ابن ماجه ولم ينظر اليه من جهة مجموع الاسناد ، فقد يكون بعض رجاله ثقات .

ولذلك كانت الاخبار التي قال عنها انها موضوعة على اقسام ثلاثة

قسم ظاهر الوضع ، كاخبار فضل بعض البلاد ، وفضل بعض الاطعمة ، ونحو ذلك ، وهذه اجتمع فيها ضعف السند وضعف المتن ، وعدم توثيقها باسناد اخرى .

وقسم معناه صحيح في ذاته ، ولكن في بعض رواته ضعف ، مثل ما نسب الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : « الايمان معرفة بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالاركان » ففي رواته من ضعفت الثقة فيه ، ولكن المعنى سليم متفق مع المبادىء الاسلامية ، وضعف الراوي لا يستلزم الكذب ، وقد يستلزم الايهام والتخطط ، ولذا قال السيوطي في هذا الخبر : « الحق انه ليس بموضوع » .

والقسم الثالث معناه صحيح ، وروى بسند كل رجاله ثقات ، وان كان السند الذي رواه ابن ماجه فيه ضعف ، وذلك مثل ما روى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « يا معشر التجار » فاستجابوا ومدوا اعناقهم ، فقال : « ان الله باعثكم يوم القيامة فجارا الا من صدق ، وادى الامانة » فمعنى الحديث سليم ، وفي رواية ابن ماجة ضعف ، ولكن روى بسند آخر غير سنده ، وهو قوي .

وننتهي من هذا الى ان سنن ابي ماجه كتاب يوثق به ، ويعتمد عليه ، وقد فحصه العلماء بمعيار دقيق سليم . وهو من صحاح السنة الستة : صحيح البخاري ، ومسلم ، وابي داود ، والترمذي ، والنسائي وابن ماجه وهو آخر الستة في الرتبة من حيث كمال الثقة ، لا من حيث أصلها ، والله سبحانه وتعالى بكل شيء عليم .

محمد ابو زهرة

اصبت بالحصبة مرتين،والطبيب يقول لا يمكن

● اصيب اولادي بالحصبة الالمانية،واعدوني فاصبت انا كذلك بها . وهذه هي المرة الثانية التي اصاب بها في عمري قارب الاربعين . فكيف يتفق هذا وقول الاطباء ان الاصابة مرة اخرى بهذه الحمى مستحيلة ؟

ــ حديثك عن الاطباء وما يقولونه غير صحيح ؛ فالاكثرية العظمى منهم لا تقول الذي تقول انت عنهم . ان الذي يقولونه ان المريض عندما يصاب بمرض معد ، ثم يشفى بعافيته من هذا المرض ، فان هذا المرض يترك في جسمه حصانة قيمة ضد هذا المرض ، اذا هو تعرض له مرة اخرى . وقد دلت على هذا الخبرة الواسعة . دلت على ان اصابة ثانية تصيب المرء بعدوى الحصبة او الحصبة الالمانية او الجدري الكاذب ، بعد اصابة له اولى ، عزيزة الوقوع . ان الاطباء لا يقولون انها لا تقع ، ولكنهم يقولون ان وقوعها المرة الثانية نادر .

ثم انك تقول انك اصبت بالحصبة الالمانية منذ عشر سنوات . ولو انك قلت هذا لطبيب لود ان يتأكد من ان الذي اصبت به اول مرة هو الحصبة الالمانية حقا وصدقا . ذلك ان الحصبة كثيرا ما تختلط امراضها بالحصبة الالمانية . وهناك امراض كثيرة يصيب المريض فيها طفح كالذي يصيبه من هاتين الحميين .

ثم ان كثيرا من الامراض المعدية لا يتأكد وجوده تأكدا لا تخالطه ريبة الا في مختبرات الفحص . ولكن ليس لكل الامراض فحوص في المختبرات تدل عليها قطعا . وحتى تلك التي يمكن القطع بها في المختبرات لا تتسع المختبرات لفحص كل حالة منها .

انك تقول ان طبيبك قال لك ان ما ذكرت من عودة الحمى اليك امر « مستحيل » . والذي احال ان الطبيب اراده ، انما هو تشككه فيما ذكرت له من عدواك الاولى . ذلك ان الطب حذر جدا عندما يستخدم هذه اللفظة ، لفظة مستحيل .


صبي اصيب بالحصبة وهذا هو الطفح في اوله





صورة لجنين من احدث المجاهر ، بنظره فتحسان معا ، معلا بالنيل ، واساس غير محسوس ؟ ، والصورة التي في الدائرة صورة المكروب الذي يريانه ، وترى في الصورة سهما ، هو من تحريك احد ارجلي سيده البصري يسير به الى ما يريد لعب ساحته اليه

خلق الانسان

● يحدثنا العلماء عن خلق الانسان وانه من بيضة ، ومن حيوان منوى ، وانها تجتمع معه ، وانها .. وانها .. وهذه اشياء غائبة في الصغر ، وهي مع ذلك خافية في ظلام الرحم ، فهل شهدوا كل هذا حقا ، وهل رأوه ، ارجو ان لا يظهر سؤالي هذا سخيفا عندكم ؟

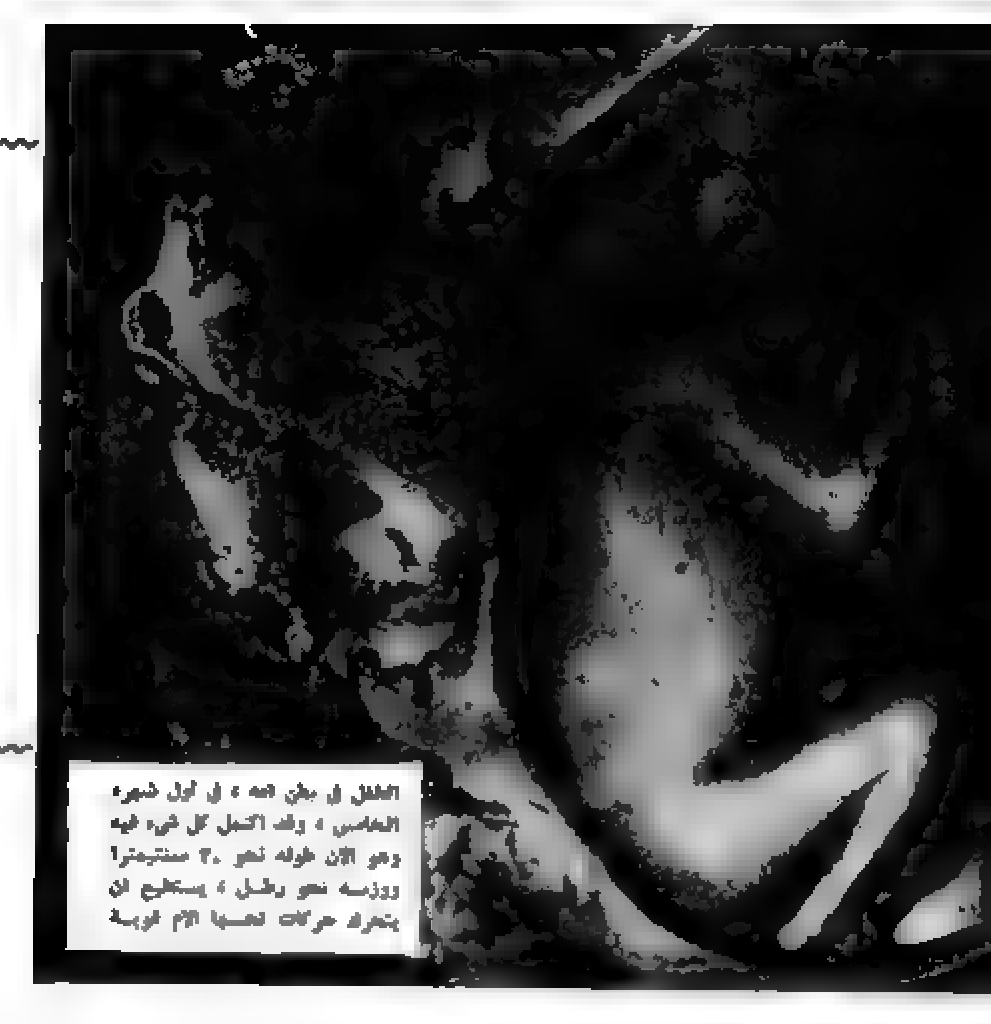
— اولا ، كل سؤال وراءه معرفة لا يتم الا بالحكمة .

وسؤالك وراءه احساس عند كل الناس ، بان اليقين ، اشد اليقين ، يكون نتيجة الرؤية — الرؤية بالعين الناصرة — وهكذا الذي تحدث عنه العلماء من اصل الانسان ، وانه من بيضة ، وما يتلو ذلك من تلقيح ونمو على درجات ، كل ذلك رآه العلماء رأي العين .

وكان من اكبر الادوات في تقدم الطب : المجهر « المكرسكوب » .

ان كثيرا مما كتبه الكتاب في القديم كان بناؤه على الظن . والرسوم التي رسموها كانت تشكيكا ، وقد كان لا بد من انتظار المكرسكوب ، انتظار ابتداعها ، ليرى الانسان ، اول رآه ، بيضة المرأة ، اذ تخرج من المبيض ، وليرى ملايين الحيوانات المنوية المكروبية الدقيقة التي تتدافع نحو البيضة الواحدة لتلقحها .

وكان من الضروري بعد ابتداع



الطفل في بطن امه ، في اول شهره الخامس ، وقد اكتمل كل شيء فيه وهو الآن طوله نحو ٢٠ سنتيمترا ووزنه نحو رطل ، يستطيع ان يتحرك حركات تحسها الأم قوية

الميكروسكوب البدائي الأول أن يمضي من الزمان مائة وخمسون سنة تحسنت فيها الميكروسكوبات تحسنا كافيا يسر على العالم فون بير Karl Ernest Von Baer أن يرى بيضة كلبة في مبيضها، وأن يصفها وصفا دقيقا ، وذلك في عام ١٨٢٧ .

وتقدم العلم ، علم الخلق ، بعد هذا ، رويدا رويدا . لكنه لم يتقدم تقدما سريعا وشاملا إلا في جيلنا هذا ، فهو الجيل الذي أمكنه أن يصف بدءه ، وأن يرسم صورة كاملة لكل الخطوات التي تبدأ بتلقيح البيضة ، وتنتهي بخروج الولد من رحم أمه ، بشرا سويا .

والبيضة الإنسانية الناضجة رآها الإنسان لأول مرة عام ١٩٣ .

والبيضة الإنسانية عند اتحادها بالحيوان المنوي لتلقيحها رآها الإنسان لأول مرة عام ١٩٤٤ .

والجنين في الأيام الستة الأولى من حياته لم ير الإنسان تطوره لأول مرة إلا بعد عام ١٩٥٠ .

وفي هذه العقود الثلاثة الأخيرة من السنين عملت الميكروسكوبات والكمرات في هذا الحقل عملا مركزا ، فصورت لنا في كثير من التفصيل ما يحدث من أول القصة ، قصة الخلق ، إلى نهايتها .

فالذي نصفه العلماء اليوم ، يا سيدي القارئ ، من كل ذلك ، إنما وصفوه عن رؤية . والرؤية قاعدة الإيمان الأولى .

ليلة المبارزة

للكاتب الالماني المعاصر
هنريك شيرمبك



■ وقع عالم شاب في غرام سيدة متزوجة ، وتحدى الزوج المخدوع العالم ليبارزه دفاعا عن شرفه المثلوم . ولم يخش العاشق الشاب نتيجة المبارزة وقبل التحدي المحتوم ، ولما كان واثقا من ان الشروق التالي سيكون اخر شروق يشهده في حياته ، فقد سهر الليل كله ليكتب وصية تتضمن ما توصل اليه من ابحاث علمية للقلة الانسانية جمعاء ، وكان خصمه رجلا محترما معروفا . اشتهر كثيرا في اطلاق الرصاص ودقة الرماية بالمسدسات وسبق له الدخول في مبارزات من هذا النوع ولنفس السبب ، وخرج منها جميعا سالما . وكان ايفرواز بوثار جو هو العالم الشاب على وشك التوصل الى اكتشاف علمي هام لا يجعله بطلا في دنيا العلم وحدها بل من اشهر شخصيات العالم قاطبة ، ولو كان الوقت قد اتاح



له اكتشاف الحلقة التي تربط بين سلسلتي المعادلتين اللتين وضعهما ـ لقدم للعلماء امكانيات لا حدود لها في ميدان البحث العلمي . وكان يعلم انه لا يوجد في العالم كله انسان يستطيع التوصل الى حلقة الاتصال الضرورية هذه سواه ، لان احدا لم يتعمق في ذلك الميدان مثل تعمقه ، او يصل الى مثل ما وصل اليه من نتائج باهرة .

ولكن مبارزة المسدسات ستحرم العالم من مكتشف عبقري اصيل في صباح اليوم التالي وتتركه اشد ضحالة واكثر فقرا ، ولن تقول عنه رمال الزمن سوى انه عالم شاب كان يبشر بمستقبل طيب وسيفزع اصدقاؤه ولن يدركوا لماذا خان واجبه تجاه العلم بسبب اصراره العنيد على قبول التحدي ، والعجيب انه شعر بشعور غريب من الرضى بسبب اصراره على تمسكه بموقفه مهما كانت النتائج .

كان يحس انه سيتخلص من الدنيا الفاجرة لانها تظلم من خلقت ، ولانها اوقعته في هذه الشبكة ، وفرضت عليه اتباع قواعد هذه العادة القديمة المستهجنة .. لان الاجيال القادمة ستبحث بلا جدوى لفترة طويلة ، وستتخبط من خلال اكوام من الاخطاء وخيبة الامل ، قبل ان تكتشف السر الذي سيحمله معه الى القبر قريبا .

كان في امكانه تصور منظر المبارزة ، والظلام الدامس الذي سيحل عندما يسدل الستار الاخير فجأة ، وتتسلل الحياة من جسمه وعقله ، وتنطفيء الشعلة المتوهجة ، العبقرية ، الشعلة التي كانت الذهبية العلوم سوف تعلن انها عيد وفجر عهد جديد . واغتصبت الفتاة ضحكة مريرة من فمه ، وصب لنفسه قدحا آخر من الزجاجة شربه كنخب مفارقته الحياة !

وعند منتصف الليل سمع طرقا على الباب ، فسار اليه على مضض شديد ! فمن ذا الذي يرغب في مقابلته الآن ؟ لم يكن يريد لقاء الناس ولم يكن لديه المزيد ليقوله لهم . كان الطارق وصيفة خشيته ترتدي « عرملة » ضخمة وكأنها لا تريد ان يتعرف عليها احد وهي تقوم بمهمتها السرية في ظلام الليل .

وسألها : « ماذا ترددين ؟ اخبرى سيدتك كرجاء اخير انى اتوسل اليها باسم حبنا ان « الا تصل شيئا يزيد من صعوبة الفراق . فالساعات معدودة . ان أيام سعادتى كانت أيام حبنا ، ولكنى الليلة لا احس الى سوى شبح الموت » .

وكان البرد شديدا فدثر نفسه بمعطفه الصوف وسرى خوف قليل الى قلب الوصيفة نتيجة لكلماته وتصرفاته والقت نظرة حولها لترى حجرته الكئيبة المليئة بالكتب ، وسلمته خطابا وهى تهمس : من مدام شاتيلى .. اقراه بالله عليك اقراه .

وتردد برهة ثم فتح الظرف المعطر وهو يقول لنفسه « حتى والموت وشيك الوقوع فان القلب لا يكف عن التدلل » وجاء فى الخطاب « امبرواز .. انى مستعدة للتضحية بأى شيء من أجل مستقبلنا ، يجب الا تظن ان سمعتى اغلى من الحياة معك .. وسأصبح ملكك وحدك .. سواء كانت فى النعيم او الشقاء .. اتسمع « انا بكلا » لنحب سنقوده الى هربة سننتظر فيها ، وانا على استعداد لان اذهب معك الى اى مكان ترغب فيه ، انك لا تعرف زوجى حق المعرفة ان هذه ليست مغامرته الاولى .. انه سوف يقتلك بالتأكيد ، ولكنى اريدك ان تعيش واريد لحبنا ان يعيش .. لا تخف من المستقبل فان لدى كل شيء يضمن لنا حياة هنية معا فى سلام وسعادة . انك لن تفتقر الى ضمير ابتسامتك العلمية ، فوراء هذه الحدود ايضا يوجد علماء عظماء يلقون الحب والتكريم »
هلواز

ولم يكن هناك ادنى شك فى انه خطها ، نفس الحروف المتسقة التى طالما قرأها فى خطاباتها الغرامية العديدة ، وتحولت افكاره اليها فى حب ، وبدأ فى سحابة من العاطفة كما لو ان سحابة من الضباب الوردى قد لفته ، وكانت لحظة من الاغراء الذى لا يقاوم ، لم لا يقبل عرض الحب السخى هذا ؟ لماذا يقامر بخسارة فرصة الخلود باتباعه طريقا يشك كثيرا فى مدى ارتباطه بالشرف .. طريقا لا يربطه به شيء ، فى الوقت الذى كان فيه على وشك ان يجنى ثمار عمله بعد سنوات من الكفاح والبحث المضنى ؟

وجلس وقتا طويلا وقد دفن رأسه بين يديه ، واخيرا توقف عن النظر الى الفضاء وتنهد فى ارتياح ، وارتسمت على وجهه بسمة حزينة ارتعدت لها الوصيفة وبدا وجهها شاحبا كالموت ، ولمعت عيناه كومض النار وهو يتناول قلمه ليبدأ الرد على حبيبته :

« سيدتى .. لقد فات الوقت .. فقد قررت ان اسلك الطريق الشريف طبقا لتقاليد المجتمع ، ولن تستطيع تراث حبنا ان تضىء الظلام الذى سيخلفه جبن هروبى ، وسيتوقف العلم عن تقديم اى مجد لروح ميتة .. وداعا ! فبهذه النهاية وحدها استطيع ان احمل معى ذكريات حبنا الغالية الى الابدية » .

امبرواز

وطوى الورقة ووضعها فى مظروف اعطاه للوصيفة قائلا : « ارجوك توصيل الرسالة الى مدام دى شاتيلى ، لقد اهملت قرارى فلا فائدة من عودة اى انسان الى بيتى هذه الليلة ، انى لن افتح الباب لاحد ! » .

وتمدد على مقعده جاذبا نفسا عميقا لم اطلق تنهيدة ، وصب لنفسه قدحا آخر من النبيذ ، وعاد تدريجيا الى نفسه ، هادىء الاعصاب يقظ الذهن .. وبدأ يسرح فى احلام اليقظة ويغرق فى افكاره ، ومرت امام عينيه صور من حياته ... ايام طفولته تحت اشجار التفاح المزدهرة فى نورماندى ! ، وسنوات دراسته كطالب فى مدرسة العلوم ! واحلامه الاولى عن الشهرة والخلود ! والملك وهو يستعرض حرس الشرف ! ، والرهبة التى تملكته قبل ان يلقى اول محاضرة له فى الاكاديمية وغبطته اللحظة فى ان يصبح عضوا بمعاقة ! .. والسعادة التى نعم بها خلال عمله ! . وجوه الاصدقاء .. والفتيات ذوات البشرة البيضاء الرقيقة والجمال الذى دفعه الى الاستمتاع بكثير من البهجة .. اللذة والاثارة التى تصاحب الحب المحرم ! ما الذى يبغيه اكثر من ذلك من دنياه ؟ لقد نعم بعينات سخية من كل اطايب الحياة .. ولكن يكره التكرار !! .

واخذ يشرب الكاس تلو الكاس فرفعت روحه المعنوية درجات حتى خيل اليه فى النهاية انه يحلق

الى اعلى بجناحيه تاركا وراءه ذلك القلق الذى سجن فيه كل هذه السنوات . وربما له انه كان دائما يدرك ان ساعته ستحين في وقت ما ، لان الستار سيرفع فجاة وتتكشف له المجهول بكل وضوحه ومفاهيمه .. وفي نفس الوقت يدرك انها اللحظة التى سيحقق فيها لمرة نظامه العلمي شكلا وصورة والصحيح.فقد بدات المعادلة المفقودة بدات حلقة الوصل الحيوية الضرورية لاستكمال التشابه العلمي ، بدات تومض في اعماق ذهنه وتتضح شيئا فشيئا . حتى ادركها عن يقين صادق ودليل منطقي ، لقد نجح قبل ان يودع الحياة بساعات قليلة ، ويمكنه الآن ان يترك الدنيا وهو يحس بشعور من رضى النفس .

انجح حقا ؟ الا يرتكب جرما ضد البشرية لو اخذ كشفه معه الى قبره وكان ذلك الكشف خاص به وحده ؟ اوليست هذه الهبة النادرة ، وعقله اللامع ، وعبقريته ، ملكا للعالم كله ؟ اوليس من واجبه ان يقدم التشابه الى الانسانية ؟

وفجاة اصبح امبرواز يونار جادا القابلة ، وغرق في افكاره ، ونظر الى الساعة وادرك ان المبارزة قد بقى عليها ثلاث ساعات ، وفي حماسة مجنونة محمومة بدا يستخدم الساعات الثلاث الفصل ليسجل النقاط العلمية الضرورية التى توصل اليها لتستخدمها الاجيال القادمة ، واسرع قلمه فوق الورق وكانه سهم عريش منطلق ، وتكومت الاوراق التى سودها بالتشابه وكانها اوراق شجر ينزعها ريح الخريف ولمعت عيناه ، ولكنه واصل العمل وقد تجمعت قطرات العرق على جبينه .. كان سباقا مع الموت ، وعملا من اجل الخلود ، ولكنه ليس من اجل الخلود الفردى الذى لم يعد له اية قيمة في نظره .. بل من اجل خلود العمل الخلاق .. من اجل تقديم البحث العلمي لخدمة البشرية .

ودون العالم الشاب رسالته الى الاكاديمية الفرنسية ولفها ووضعها في زجاجة واغلقها بسدادة محكمة ثم وضعها في جيب معطفه ، وارتمى على فراشه منهك القوى مجهدا .. وبعث الشمة الفجر الاولى عبر نوافذ غرفته الترية الكالحة فوق سطح المنزل عندما طرق بابه صديقان كانا قد طلب منهما ان يكونا شاهدين ، فنهض من فراشه واستقبلهما بالمسامحة دون ان ينبس ببنت شفه ، وارتدى معطفه ونزل معهما ، وحاول الصديقان ان يثنياه عن عزمه ولكنه رفض مناقشة الامر ، وابتسم ابتسامة غامضة سمجة فيها الكثير من الكبرياء ، فلتستلما ترايته ، وعندما وصلوا الى شاطىء نهر السين طلب امبرواز من سائق العربة ان يتوقف عن السير وفتح بابها وخرج منها وبحركة مسرحية القى بالزجاجة في النهر فاحتضنتويا بعد سكون الماء لم جرفها السيل معه ، ان مستقبل التشابه قد اصبح حقا في يد القدر ، لقد فعل كل ما في استطاعته ان يفعله .وكان المكان الذى اختاروه من الغابة ليكون مسرحا للمبارزة مفروشا بقطرات من الندى وكانها اللآلىء ... وكانت اشعة الشمس الاولى تخترق اغصان الشجر ، كما كان السيد دى شاتيل وشاهداه في انتظارهم .

كان دى شاتيلي رجلا طويلا عريض التكفين يرتدى ملابس زاهية وكانه قد حضر ليشهد سباقا للخيل .. وكان يهز بيده عصا صغيرة من الصلب في عصبية ظاهرة ، ولم يشعر امبرواز بذرة كره او حقد نحوه ، رغم انه كان يدرك حق الادراك مدى السخف الفظيع الذى يحدث عندما تقتل يد رجل هو فتاة من فتيات المجتمع الراقى ، عالما عبقريا !

وقام الشهود بالمحاولات التقليدية للصلح ولكن المبارزين انتظرا وضع الاستعداد فاجرى الشهود القرعة وكان من نصيب السيد دى شاتيلى اطلاق مسدسه اولا ، ورفع الرامي الآخر التقاط المسدس الطلق بالفضة وصوبه الى صدر العالم الشاب الذى واجهه بلا خوف . واعترى امبرواز شعور غريب بالاستسلام واصبح نافذ الصبر متلهفا الى رؤية ختام ذلك العرض الساخر . كان على استعداد للرحيل من هذه الدنيا التى فقدت كل معناها بالنسبة له واصبحت مغرياتها مجرد قيم رمزية في نظره . وبفضول ساخر نظر الى فوهة المسدس المصوب نحوه وفجاة بدا له انه من الصعب عليه ان يصدق ان آلة الموت هذه لها القوه لتنتزعه

من هذه الدنيا ونقله الى الدار الاخرى ، وانطلق المسدس ودوى صوت عال وانبعثت سحابة من دخان ، واحاطت بصدر وذراع السيد دي شانتيلي سحابة بيضاء وكأنه قد اطلق خرطوشة دخان كتلك التي تستعمل في حدائق التويلري في استعراض الالعاب النارية ، وبدا في عينيه تعبير حزين .. جاد .. رقيق وهو ينظر الى العالم الشاب ، ولمح امبرواز هذا التعبير الذي ضايقه ، ثم صوب مسدسه نحو وجه منافسه واطلق النار وبعد لحظة كان السيد دي شانتيلي ملقى على العشب وقد اخترقت الرصاصة رأسه بعد ان نفذت من بين عينيه ومات لتوه .

ولما فكر امبرواز في الاحداث التي اعقبت المبارزة خيل اليه وكأنه في حلم لم يقرر هو فيه شيئا .. بل قرر مصيره سلسلة من الاحداث المتوالية ، ونتيجة لها وجد امبرواز نفسه خارج فرنسا وجيوبه مليئة بخطابات توصية وجهتها السيدة دي شانتيلي الى عدد من الاصدقاء والشخصيات الهامة ، ولكنه لم يستخدم هذه الرسائل بل مزقها والقى بها بعيدا فقد كانت اخر بقايا ماض طويل لحياة خلفها وراءه وعاش عدة سنوات لا طعم لها ولا لون لانه لم يكن يتوقع ان ينجو من المبارزة ، وكان متأكدا من الموت ، وبدا له ان حياته التي استمرت بفضل يد القدر الشريرة وكأنها هدية كريهة ، هدية لم يردها ابدا او يرغب فيها ، هدية عديمة المعنى في نظره ، هدية يكرهها .. كان الامر بالنسبة اليه سخطا بل خدعة دنيئة ، وخاتمة تعسة تجعله يتمسك بوجود استهلك معناه الحقيقي ، ومارس سلسلة من الاعمال الزهيدة الاجر ليكسب قوته ، وعاش في فنادق رخيصة موحشة ، وكان يجري في الطرقات ليلا وهو يغمغم بكلمات لا معنى لها ، واعتبره الناس رجلا غريب الاطوار الى حد بعيد ، واعتبره عارفوه انه عبقري خمدت جذوة عبقريته ، ودوما خاملا ، وان كان في مناسبات نادرة يظهر لمحات من الذكاء والجمال الخارقين مثل وميض برق ليلة صيف : ومضات نادرة تستثير الاسى لعقل عبقري كان وانطفأ .

ووصل امبرواز في تنقلاته الى دبلن وعمل كمساعد في الرصد الفلكي ، وعندما كان يثمل كان يربط نفسه بحبل الى منظار مقرب ضخم ، فطرد شر طردة ، وبين الحين والآخر كان يأمل في ان يعثر احد على الزجاجة التي القاها في اليم ومخطوطه بداخلها ، ولكن يبدو ان القدر لم يكن راضيا عن مثل هذا الحل السهل ، فقد كان مكان الزجاجة لا يزال سرا لا يعرفه احد ، ولم يكن امبرواز يستطيع تذكر تفاصيل تلك المعادلة العجيبة التي ومضت في ذهنه الليلة التي سبقت المبارزة ، انه لا يستطيع ، لان مثل هذه اللمحة من لمحات العبقرية لا تحدث الا مرة واحدة في العمر ، في عمر الرجل الواحد .

* * *

وبعد ذلك باثنى عشر عاما وفي غسق ليلة صيف حارة رطبة ، صعد رجل متهدل الكتفين رمادي الشعر درج منزل ذي غرف مفروشة للايجار في شارع « مورج » ، ودق جرس شقة في الدور العلوي وسأل سيدة عجوزا تجعد وجهها ان كانت تستطيع ان تؤجر له غرفة من الغرف الانيقة الطراز الموجودة على سطح المنزل . واجابت السيدة بانه لا توجد سوى غرفة واحدة خالية ولكنه من غير المسموح لها ان تؤجر هذه الغرفة بالذات .

فسألها « لماذا ؟ »

ابتسمت العجوز في نبرة واثقة : « منذ عشر سنوات كان يقيم في هذه الغرفة شاب اضطر الى الهرب بسبب مبارزة ، وكان رجلا عالي الثقافة وترك وراءه غرفة مليئة بالكتب والاوراق ومعها جهاز غريب ، وبعد ايام قليلة من المبارزة جاءت سيدة من علية المجتمع واجرت الغرفة » ، واضافت السيدة العجوز بانه قد طلب منها الا تلمس اي شيء في الغرفة والا تمس حتى كتابا واحدا ، وانها كانت تتسلم في كل شهر شيكا بقيمة الايجار وان ذلك النظام متبع منذ ذلك الوقت حتى الآن ، وان سيدة المجتمع البارزة ما زالت تأمل في عودة العالم الشاب الذي تحداه لخصم المبارزة بسببها .

وازداد الظلام حلكة في غرفة السيدة العجوز فسألها الغريب ارجو ان تسمحي لي بمشاهدة الغرفة » .

وكشفوجيج لماحته ملامح وجهه لحظة فاطلقت العجوز فجأة صيحة دهشة ، وهتفت في صوت اجش : انك السيد بوبار ! » .

ومرت لحظات لم تستطع ان تحرك فيها عضلة واحدة ثم نهضت وأوقدت مصباحا واقتربت منه في خطوات قصيرة سريعة ، وغمرته بفيض من مشاعر الترحيب والمحبة بينما كانت دموعها تجري بين أخاديد وجهها المجعد .

ونظر اليها وكأنها غريبة عنه تماما وسألها : هل استطيع ان ارى الغرفة يا مدام بسيو ! ارجو ان اراها وحدي ! » .

وكان كل شيء على ما تركه عليه منذ اثني عشر عاما ! وجلس في المقعد القديم ذي الذراعين في الظلام ساعات طويلة ، وزحف ضوء القمر على فراشه وسجادته ومنضدته وكرسيه ووجهه ليستقر أخيرا على شعره الفضي .

ولم يفعل شيئا سوى الجلوس فوق مقعده ليتنفس هواء الغرفة الراكد وينظر ، ينتظر ويأمل في يأس عودة شجاع المبارزة الذي هبط عليه منذ اثني عشر عاما مضت ، ولكن شيئا لم يحدث ، ولم تحرك ومضة واحدة من ومضات الفكر جو الغرفة المكتوم . ان الرجل الذي كان يجلس في تلك الغرفة من قبل ، والرجل الذي يجلس فيها الآن ، من عالمين مختلفين تماما ولا يوجد ثمة جسر يربط بينهما !

وعندما اشرق الصباح كان متعبا فرقد على فراشه ، ولما غادر الغرفة في الظهيرة كان يمثل صورة حزينة صامتة كئيبة ، تماما كما جاء في الليلة السابقة .

وقبل خروجه خطابا عليه اسمه موضوعا على المائدة فوضعه في جيب معطفه ، وذهب الى حديقة اللوكسمبورج وجلس على دكة تحت شجرة عجوز واخذ يتأمل دوائر اشعة الشمس التي نفذت خلال اوراق الشجر ، ثم فتح الخطاب وبدا يقرأ :

« سيدي ، في الوقت الذي تتسلم فيه هذا الخطاب ساكون انا قد مت مقتولا على يديك ، وانك تعلم انه كان من السهل على ان اسلك طريقا آخر ، طريقا لو اتبعته لتمددت انت فوق الحشيش ، بدلا مني، لان واحدا منا فقط يستطيع ان يعيش ، وانت احق بالحياة مني ، اني احني هامتي لعبقريتك ، واحني رأسي لسلوكك وتصرفاتك المهذبة ..

ان الخطاب الذي سلمته الوصيفة تلك الليلة لم يكن من مدام شانتيلي ، بل انا الذي كتبته ملفقا خطها ، ولقد نجحت انت في الاختبار .. اتمنى لك السعادة ، وأتمنى ان تحقق الآمال التي عقدتها الدنيا عليك ... البرت شانتيلي .

وسقط الخطاب من يديه ، واغمض عينيه وبدا وجهه رمادي اللون وكأنه قناع موت .

★ ★ ★

وبعد خمس سنوات قذفت امواج بحر الشمال زجاجة محكمة الاغلاق على شاطىء قرية صيد دمركية صغيرة ، ورأى الصبي الذي التقطها انها تضم اوراقا تبدو وكأنها اوراق هامة ، فقدمها الى ناظر مدرسة القرية الذي ارسلها الى جمعية علمية في كوبنهاجن ، ارسلتها بدورها الى باريس ، حيث اجتمع نخبة من العلماء المشهورين لفحص محتوياتها ، واتفقوا جميعا على ان كشفا رائعا وعملا عبقريا كان تحت رحمة البحر قرابة عقدين من السنين لان العالم الشاب كان قد ارخ اوراقه .

وظلت كل الجهود للعثور على هذا العالم العبقري ولكن بلا جدوى . بيد ان ثمار عمله كانت اسهاما رائعا في بحث الانسانية الابدي من اجل المعرفة والنور الخالد للفكر الخلاق .. ■

ترجمة : عادل شريف



حظّ الشاعر

ما اكثر ما يعاني الشعراء ... وما اقل ما يحصلون
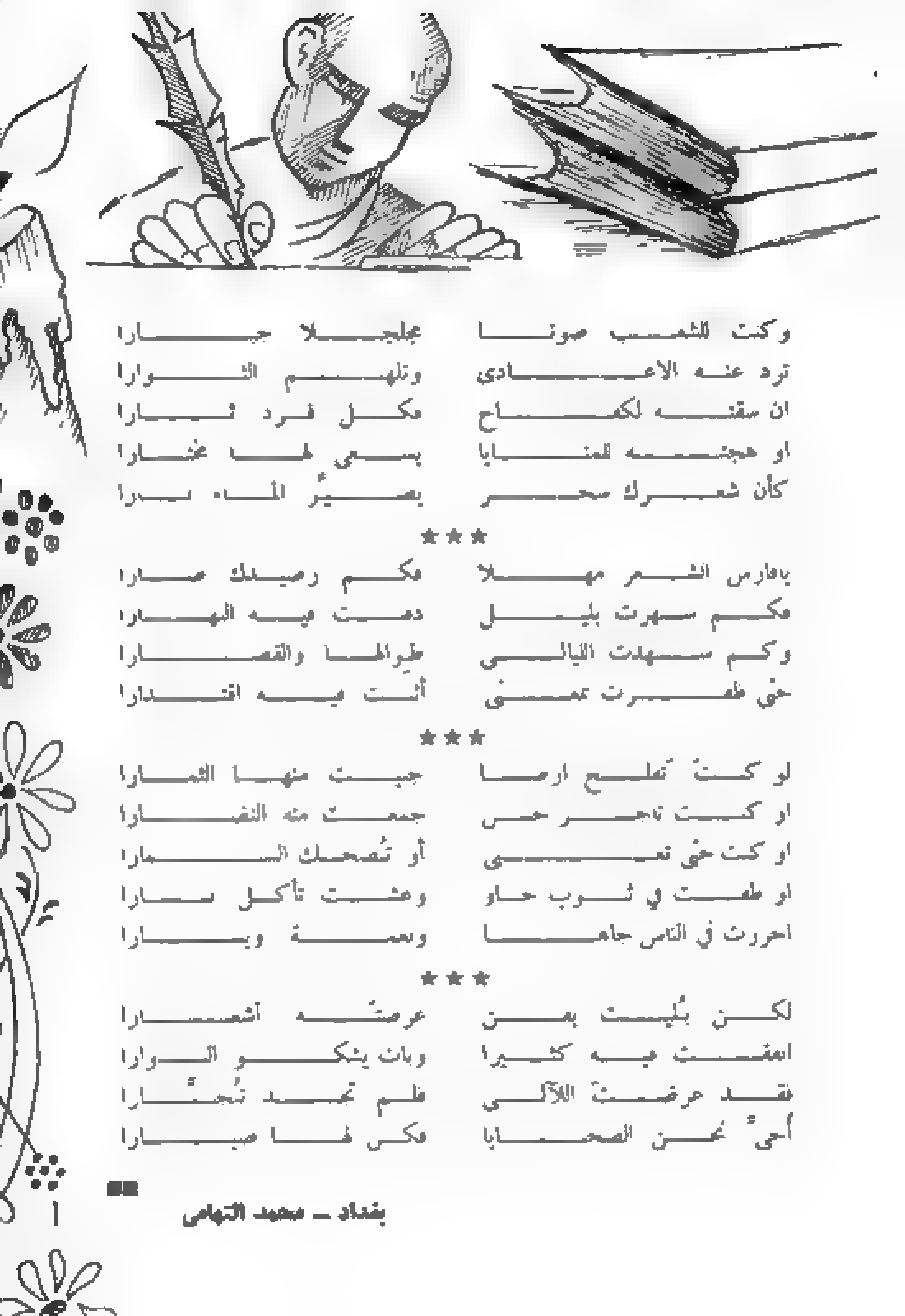
كالريح شعرك سار   يا شاعرا لا يبارى
فتارة كان همسا   وتارة اعصارا
ان رقّ كان نسيما   يسري كهمس العذارى
او جدّ كان رياحا   تجري تهز الديارا
او ثار كان انطلاقا   كالموج ترمي الشرارا
جمعت كل المعاني   وكنت نورا ونارا

* * *

احببت حتى رأينا   هواك يغشى العذارا
وعدت شيخا صبيا   اضاع فيها الوقارا
واشتد حتى تحدى   ورقّ حتى توارى

* * *

اقمت للحب سوقا   شعت به انتصارا
ففي يمينك حلي   وفي الشمال الاسارى
وزرت شرقا وغربا   وخفية وجهارا
ورحت تحكي وتشكو   وتفضح الاسرارا
وبات شعرك نجوى   للعاشقين الحيارى



وكنت للشعب صوتا مجلجلا جبارا
ترد عنه الاعادي وتلهم الثوارا
ان سقته لكفاح فكل فرد ثارا
او هجته للمنايا يسعى لها مختارا
كأن شعرك سحر يصيّر الماء نارا

★ ★ ★

يافارس الشعر مهلا فكم رصيدك صارا
فكم سهرت بليل دعت فيه النهارا
وكم سهدت الليالي طوالها والقصارا
حتى ظفرت بمعنى أثبت فيه اقتدارا

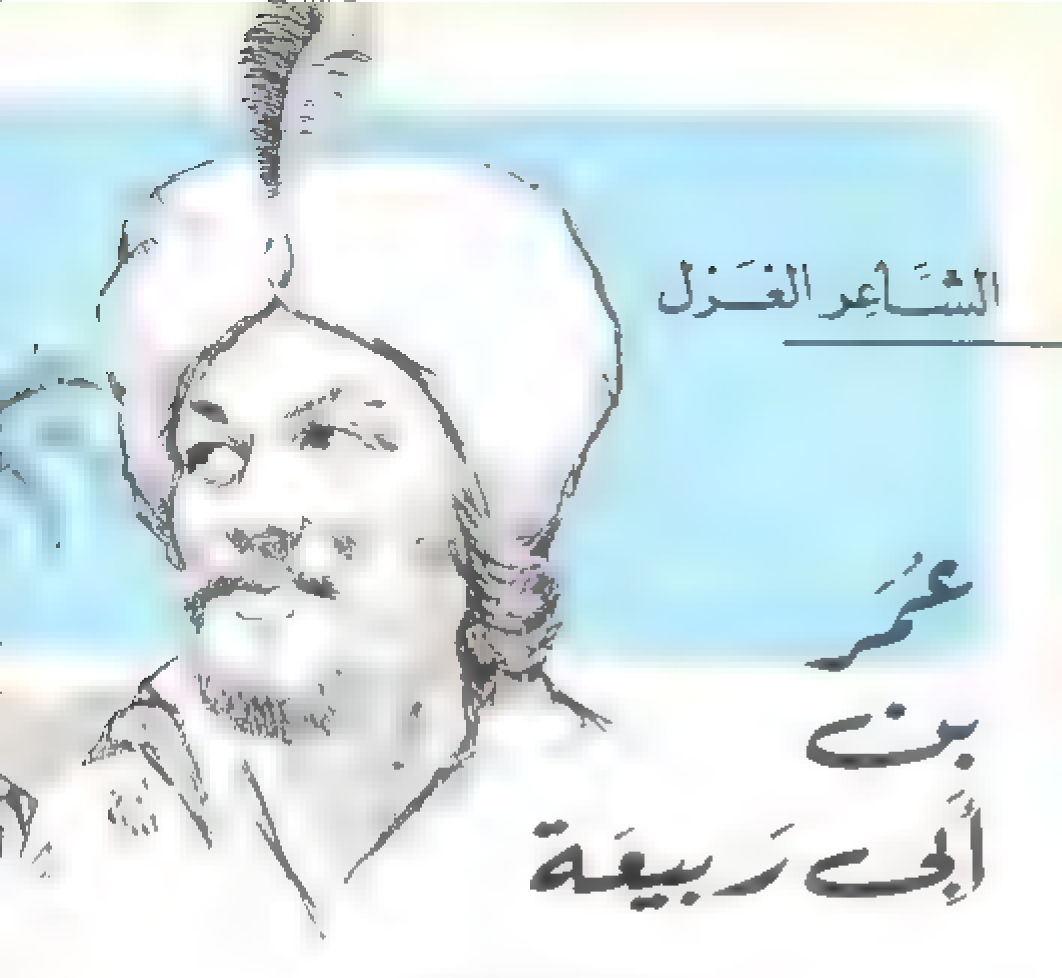
★ ★ ★

لو كنتَ تملك ارضا جنيت منها الثمارا
او كنت تاجر حس جمعت منه النضارا
او كنت حتى تغني أو تُضحك السمارا
او طفت في ثوب حاو وعشت تأكل نارا
احرزت في الناس جاها ونعمة ويسارا

★ ★ ★

لكن بُليت بفن عرضتَه أشعارا
امتعت فيه كثيرا وبات يشكو البوارا
فقد عرضتَ اللآلي فلم تجد تُجّارا
أخيّ نحن الضحايا فكن لها صبارا

بغداد ـ محمد التهامي



الشاعر الغزل

عمر بن أبي ربيعة

بقلم : محمد خير الحلواني

مدرس الادب العربي في ثانوية سوريا

■ لقي عمر بن أبي ربيعة من اهتمام الأدباء المعاصرين فوق ما كان يلقاه من النقاد وعلماء الادب في عصره ، فقد كثرت فيه دراساتهم ، وتوالت تكشف جوانب الشخصية ، وتنظر في ظواهر غزله ، وتأثره فيمن جاء بعده ، وتأثره بمن سبقه ، الا ان الكثرة الغالبة لهذه الدراسات تشيع فيها السرعة والحكم بالاضطراب في الرأي ، ويستطيع ان الباحث الذي يأخذ نفسه بشيء من الصبر والاناة ، يستطيع ان يلمس في غزل عمر دوافع لم ينتبه اليها من درسوه في العصور الحديثة ، فقد زعم بعضهم ان هذا الغزل يصور ما وصلت اليه المرأة العربية من ميوعة خلقية ، وذهب بعضهم الآخر كالدكتور طه حسين الى ان شعره يمثل الصلة بين الرجال والنساء في تلك العصور ، فانت لا تحتاج الى ان تنظر في كتب المؤرخين ، ولا ان ترجع الى ما تركه الرواة من ...

كان يترصد الحسان، يتغزل بهن، دون علمهن



واخبار ، بل حسبك ان تعود الى عمر ، لترى أشياء تفوق ما يقوله المؤرخون ، وتعلو ما تركوه من مصادر ووثائق .

دوافع ثلاثة

والواقع الذي يبدو للباحث المدقق ان شعر عمر لا يمثل من عصره الزمني ، ولا من بيئته المكانية ، الا جانبا هزيلا ينحصر في عدد من الصبي ، وينصرف الى ذويهم من المتنعمين . وحين نرجع الى ديوان الشاعر ، واخباره [illegible]
شخصي نشأ من نفس الرجل ، وبعضها اجتماعي تحمله البيئة الواسعة . وثالثها ادبي يظهر في تقاليد شعرنا العربي وطبيعته ، وتلك الدوافع التي [illegible] على [illegible]
هذه الروح الغزلية التي تطالعنا في شعره واخباره على السواء .

دافع شخصي

وقد عرف الدارسون ان عمر ينتمي الى قبيلة مخزوم ، وهي التي لقبها الناس آنذاك بريحانة قريش . لما عرفت به من يسار ، وجاه ، وترف ، ونهم في تتبع اللذات ، وأمه من اليمن ، وقد عرفت اليمن كذلك بالرقة ، والغزل الناعم الذي لا يخلو من ألوان الاسمار . يضاف الى ذلك ان عمر لم يكن يهتم بشئون الحياة السياسية من حوله ، كما لم يكن يأبه لامور اخرى ، حتى لقد وصفته محبوبته « الثريا » بأنه « فارغ » حين قالت لرسوله : « ابن أبي ربيعة فارغ ونحن في شغل » .

وعمر ايضا جاد [illegible] هائجها ، [illegible]
والداحض فقد خدعته بعض العراقيات — كما يروي أبو الفرج — وذهبت به الى العراق ، موهمة له انها ستتزوجه ، حتى اذا اصابته ونالت منه ما تشاء صرفته بشيء من المال رده اليها . وكذلك كانت تخدعه صاحبته الثريا ، فقد بعثت اليه مرة تخبره انها مريضة .

ذهب الى جواده يلتهبه بسوطه ، حتى بلغ منه الجهد والاعياء مبلغاً كبيراً ، ولما وصل اليها رآها تضحك منه . ثم لم تكن الثريا نفسها لتجد حرجاً في أن تضربه أو تصفعه . ودفع اليه أخوه الف دينار ليكف عن الغزل ، فقبلها منه، وسافر الى اليمن .

أضف الى هذا كله أن عمر الشاعر ، يفتقر الى كثير من مقومات الرجولة ، فقد كان يحلو له أن يتغزل به النسوة ، وأن يتحدثن منه ، وهذه الظاهرة البادية في ديوانه ، دفعت باحثاً كالاستاذ العقاد الى أن يزعم أن في جسد عمر وشخصه كثيراً من صفات الانثى ، واذا كان في هذا شيء من المبالغة ، فانها المبالغة التي نجد ما يعللها في آثار الشاعر وأخباره .

هذه الشخصية العمرية التي تلمسنا جوانب منها ، هي التي تسلطت على شعره كله ، ومن هنا كان يقول في المرأة ، ويسوق الحوار على لسانها ، دون دراية منها ، لقد رأته مرة سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف يطوف بالبيت ، فقالت له : ما لك سادراً في حرم الله ، الا تتوب ؟ فقال لها : أما سمعت ما قلت فيك ؟ قالت : لا ، فأسمعها قصيدة مليئة بالحوار ، فقالت له : علم الله أني ما قلت شيئاً ، ولكنك انسان بهوت .. وكان يقول أحياناً فيمن يسمع عنهن دون رؤيتهن ، لقد ذكر له ابن أبي عتيق زينب بنت موسى، فتغزل بها وهي لا تدري .. كما كان يتعرض للنساء بكرههن ، كما فعل مع المرأة الجملية التي تعرف به ، ثم صحبت أخاها الى الكعبة في اليوم الثاني ، فلما رآهما خاف وتراجع ، متمثلاً بقول النابغة :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له

وتتقي صولة المستأسد الضاري

وعلى هذه الطريقة تعرض لزوجة أبي الأسود الدؤلي ، وعائشة بنت طلحة . ولهذا كانت بعض النسوة يشكين أمورهن الى ذوي قرباهن ، فيتوعده هؤلاء ويتهددونه ، فيعلن أمامهم عن توبته ، ويهدده الحجاج بن يوسف ان هو قال بفاطمة بنت عبد الملك حين تقدمت الحجاز حاجة . وكان بعض الرجال يهربون بنسائهم من وجهه خوفاً من لسانه .

هذا كله يوحي بأن جل ما قاله عمر لم يكن تصويراً لواقع جرى ، بل أقرب الى أن يكون متخيلاً متصوراً، شبيهاً بأحلام اليقظة ، ويدل على هذا أن عمر نفسه لما سئل عن غزله الذي قال ، أجاب بأن شيئاً من ذلك لم يقع له ، ولكنه رجل مولع بالجمال يتبعه .

ويظهر أن الناس في ذلك الوقت يعرفون هذا ، فقد روى صاحب « زهر الآداب » أن الحارث بن خالد المخزومي، كان يشبب بعائشة بنت طلحة ، فلما مات عنها زوجها الثاني قيل له : « ما يمنعك منها الآن ؟ » أي لم لا تطلبها زوجة : قال : « اني لأكره أن يتوهم الناس أني كنت معتقداً لما أقول فيها ».

دافع اجتماعي

تضافرت اذن هذه الدوافع الشخصية لتخلق من عمر غزلاً من هذا النوع ، غير أن هذه الجوانب لا تقف وحدها في ميدان البحث عن علل الغزل العمري، بل هناك دافع اجتماعي بيئي ، يوفر لشخصية عمر أرضاً خصبة لتنمو فيها مواهبه ، وتورق أغصانه . لقد عرف بالاختلاف الى دور المغني ، وكان يلازم ابن سريج المغني ملازمة ملحة ، فهو ينظم الشعر وذاك يغنيه ، حتى قرن لحن المغني شعر الشاعر ، وكانت الأندية التي يختلف اليها هي التي تجمع بينه وبين محبوباته اللواتي قال فيهن عن دراية منهن وعلم ، ولا سيما الثريا.

ومن هنا كان المستمعون يحرصون على إزالة الجفوة العارضة بين عمر وصواحبه. وما قيمة الحياة اذا انتحلن منه ، أو جفونه ! على حد قول ابن أبي العتيق أحد الملازمين لأندية الغناء .

هذا الهم العمري ، واللذة الجامحة في الاستماع والطرب ، هما اللذان يفسران لنا الجزء الأكبر من أخباره وقصائده؛ فقد كان يقول الشعر ليلحن، ثم يغنى ، ومن هنا كان يتصيد في مواسم الحج حسانا ، ليكون موضوعا صالحاً يقدمه للمستمعين ، في شعر غنائي تحلو فيه الرقة اللفظية ، ويطيب فيه الغزل ، وتعذب القصص عن المحب والمحبوب . وإذا ذكرت بعض أسماء الحسان اللاتي يعرفهن السامعون ، أشاع ذلك في الجو أنساما عذبة تتلذذها الأسماع ، وتنتعش بها القلوب .

ولنا من الرحالين الذين يطلعون للمطربين في هذه الأيام خير شاهد على ما نقوله ، فهم يلوذون بالغزل غالبا ، ثم أنهم يروون أخبارا كثيرة لا يستطيع واحد ممن يستمع اليها أن يزعم أنها تصور واقعا محيطا بالناظم . أليس إذن من التسرع بالحكم أن نجد في كتب أدبائنا المعاصرين، هذا التصديق الجامع لكل ما يرد في كتب الأقدمين من أخبار عمر ، وهذا الإيمان بواقعية الشعر الذي قاله .

دافع أدبي

وهناك دافع آخر لا يقل قيمة عن الدافعين المتقدمين ... دافع أدبي يتجلى فيما عرف به الشعر العربي من التقليد ، فقد كان شعراء العرب يحاكون نماذج سابقيهم ويقلدونهم ، في بناء القصيدة ، وموضوعها العام ، وأفكارها الجزئية ، ولهذا عرفت المعاني التي يجب أن تقال في الغزل ، وفي المديح ، وفي الفخر ، وفي الهجاء ، وفي الرثاء ، و ... وهذا الجو التقليدي هو الذي كان له تأثيره الكبير في الغزل العمري، إذ سبقه الى فنه شعراء عدة ، نعرف بعضهم ، ونجهل آخرين ، أولهم امرؤ القيس ، وثانيهم عبد بني الحسحاس ، الذي عاش عمر في كنفه ، وتأثر به وحاكاه . ويظهر أن ثمة عددا غير قليل ممن كانوا يصطنعون القول في الحديث عن مغامراتهم الغزلية ، ويلجأون الى القصة الشعرية، والحوار التمثيلي ، ولكن أشعارهم قد ضاعت ، ولم تصل الينا لأن « التعبير عما في القلب من الهوى والعشق والشوق ، يستدعي كلاما لينا سهل المأخذ ، بعيدا عن الألفاظ الغريبة ، قريب المعاني ، فاستنكفت من جمعه علماء اللغة في القرن الثاني للهجرة ، لأن غرضهم من لم الأشعار القديمة ، وحفظ شذراتها هو الغريب من الألفاظ ، والمهم من الأخبار (١) .

فليس من الغريب اذا أن يكون هناك شعراء تأثروا امرأ القيس ، فقالوا غزلا مكتوما على غرار غزله ، وتغنيه بحادثة « يوم دارة جلجل » . ولا غرابة أن يكون عبد بني الحسحاس الذي قتل أيام الخليفة الراشدي الثالث ، من هؤلاء المتأثرين ، الذين أضافوا الى هذا اللون من الشعر أشياء جديدة ، كما لا غرابة أن يكون عمر بن أبي ربيعة الذي عرفت صلته بالعبد المقتول شاعرا مقلدا، يحكي مغامرات ، ويروي أخبارا ، لم يشهدها الواقع ، بل اخترعها الخيال .

■■

حلب : محمد خير الحلواني

---

(١) « تاريخ الآداب العربية » للمستشرق نالينو ص ١٠٢ .

طرائف عربية

العصران الاعور في الجهة اليسرى !

● انتاب الشاعر حافظ ابراهيم الم في بطنه من الجهة اليسرى ، فاعتقد انه مريض « بالمصران الاعور » ، فكاشف بذلك صديقا له ، فطمأنه بان «الاعور» لا يكون الا في الجهة اليمنى. فقال حافظ: مين عارف يا اخي يمكن يكون اللي عندي اعور شمال !

منطق جحا

● اصيبت ناقة احد الفلاحين بالجرب فأخذها الى جحا وقال له : اقرأ لي على هذه الناقه لتشفى .

فقال له جحا : اذا اردت أن تبرأ ناقتك من الجرب فاضف الى قراءتي شيئا من القطران .

المغفلون

● نظر رجل في شق مرآة وجهه ، فعاد الى امه ، فقال في الحب لص . فجاءت الام فأطلت معه فقالت. اي واللهومعه عاهرة !

المعلم والطلبة

● قال الجاحظ : مررت بمعلم والصبيان يضربونه وينتفون لحيته ، فتقدمت لأخلصه ، فمنعني وقال : دعهم ، بيني وبينهم شرط ، انْ سبقتهم الى الكتّاب ضربتهم ، وان سبقوني ضربوني ، واليوم غلبني النوم فتأخرت . ولكن وحياتك الا بكرتُ غدا من نصف الليل وتنظر فعلي بهم .

فالتفت اليه صبي وقال :

ــ انا ابيت الليلة هاهنا حتى تجيء وافعل بك ما افعل .

ملك الرشيد

● كان ابو العباس محمد بن صبيح المعروف بابن السماك زاهدا مشهورا ، قدم من « الكوفة » الى بغداد زمن الرشيد ، ودخل عليه مرة فقال له : « عظني » ، ثم دعا الرشيد بماء ليشربه، فقال ابن السماك : « ناشدتك الله ، لو منعك الله من شربه ما كنت فاعلا ؟ » قال الرشيد : « كنت افديه بنصف

عَمَى البصر وعَمَى البصيرة

● كان أحد العميان يسير في الليل وبيده مصباح، فصادفه رجل بصير وقال له:
ـ لماذا تحمل مصباحا وأنت لا ترى شيئا؟
فأجابه حملته لأتقي به عَمَى القلوب!

فتَن الشعبي لمّا ..!

● كان الشعبي علامة الكوفة وأشهر فقهائها، وهو أكبر شيوخ أبي حنيفة.. اختصم عنده رجل وامرأة في قضية، فحكم للمرأة، فاغتاظ خصمها، فقال لفوره في مجلس الحكم:

فتن الشعبيَّ لمـا   رفـع الطرف إليهـا
فتنتـه ببنـان   وبخطَّي حاجبيهـا
ومشت مشيا وئيدا   ثم هزت منكبيهـا
قـال للجـلواز قرّبهـا وأحضر شاهديهـا
فقضى جـوْرا على الخصـم ولـم يقضِ عليهـا

فأمر به الشعبي فضربه حتى أوجعه.
إلا أن هذه الأبيات ما لبثت أن انتشرت في الكوفة، ثم في العراق، ثم أصبحت تتناقلها الألسن في سائر الدول العربية.
قال الشعبي: مررت بعد مدة بفتاة تملأ جرة لها من غدير فسمعتها تقول: فتن الشعبي .. فتن الشعبي .. ولم تسعفها تمام المصراع، فقلت لها «فتن الشعبي لما رفع الطرف إليها» فشكرتني من غير أن تعرفني، وحملت جرتها وانطلقت تترنم بهذه الأبيات!
قال: ودخلت بعد زمن على عبد الملك بن مروان، وإذ وقع نظره علي ابتسم وقال: «فتن الشعبي لما رفع الطرف إليها» فقلت: قد ظلمني والله يا أمير المؤمنين. قال: فما فعلت به؟ قلت: قد أوجعته ضربا لما انتقصني، واجترأ به علي. قال: أحسنت.

لا يساوي شربة ماء!

ملكي». قال: «فاشربه»، فلما شرب الخليفة قال له ابن السماك: «فأنشدك الله، لو منعك الله من خروجه، ما كنت فاعلا؟» قال الرشيد: «أفديه بنصف ملكي».

قال ابن السماك: إن ملكا تفتدى به شربة ماء، لخليق ألا يُتنافس عليه!

أعمى يثقب اللؤلؤ!

● دخل شاعر على المهدي وعنده خاله يزيد بن منصور الحميري، فأنشده قصيدة، فلما أتمها قال له يزيد: «ما صناعتك يا شيخ؟» قال: «أثقب اللؤلؤ».
فقال له المهدي: «أتهزأ بخالي؟».
فقال: «يا أمير المؤمنين. فما يكون جوابي لمن يرى شيخا أعمى ينشد شعرا فسأله عن صناعته؟».

أيتها الأمهات ! أيها الآباء !

اذكروا في تربية أبنائكم هذه الأخطاء

■ ايتها الأم تربية أطفالك مهمة شاقة عسيرة ، وان بدت لكثير من الآباء والأمهات سهلة يسيرة . انها من الصعوبة بحيث يتعذر النجاح في ادائها على عدد ممن أصابوا أوفر قسط من النجاح في النواحي الأخرى من الحياة . ان الكثيرين من ذوي الكفاءات الممتازة ليخطئون ويشكون ازاء مشاكل صغارهم السيكولوجية . حتى الأمهات المتفوقات في تدبير الشؤون المنزلية لا يستطعن في معظم الأحيان تفادي الحيرة التي تتملكهن بصدد سلوك أبنائهن . حتى المعلمون — وهم آباء الطلبة الروحيون ، وهم أهل اختصاص في التربية والتعليم ، يدرج معظمهم على الشعور بالارتياح التام اذا انتهت اعمالهم اليومية الروتينية دون أن يرافقها من الازعاج ما لا يهم لهم الا القدر اليسير.

فالمشكلة اذن ، ليست مشكلة اطفال ، بقدر ما هي مشكلة امهات وآباء ومعلمين .

فلماذا ترانا نعالج اطفالنا،وهم طاقاتنا البشرية، بقدر من المهارة والذكاء يكاد يكون نادرا اذا ما قورن بالقدر الذي نبذله في معالجتنا لطاقاتنا الطبيعية ! فلماذا ترانا نرصد الملايين من الموازنات لتطوير العلوم والصناعات وتتقاعس ، ونضن من البذل في تطوير اساليب التربية !

أربعة أوهام في التربية شائعة

ثمة أوهام أربعة تحول بيننا وبين استغلال حصيلتنا العلمية عن طبيعة بني الانسان وتدفع بالآباء والمعلمين الى اقتراف الآثام وارتكاب الاخطاء الجسام .

١ — أول تلك الأوهام اعتقادنا الراسخ بأننا نفهم الطبيعة البشرية ونفهم مقتضياتها الانسانية ، الى حد نشعر معه بالقدرة التامة لا على تنشئة أطفالنا على احسن وجه فحسب ، وانما ايضا على اسداء النصح بصدد تربية ابناء الغير . فشعورنا السائد هو اننا نستطيع صقل الطبيعة الانسانية بمجرد اعتمادنا على فطرتنا الاولية ومعلوماتنا البدائية . ويرجع اطمئناننا الى هذه المشاعر البدائية ورضانا عن تلك المعتقدات الساذجة حدا يسمح لنا بالتهكم والسخرية من علم النفس والطب النفساني ، وبتوزيع النصائح والارشادات على اصدقائنا حول مشاكل التربية المشحونة بالملابسات والتعقيدات العاطفية ، وذلك في الوقت الذي لا نجسر فيه على تقديم نصيحة واحدة لذي ساق مكسورة تحتاج الى علاج كثير وتجبير . وغني عن البيان أن فطرتنا الاولية ومعلوماتنا تلك البدائية لا تعدو في الغالب أن تكون مجموعة من انطباعات المرء سطحية ، وخبرات له عرضية ، مضافا اليها نظرات له ضيقة ومشاهدات ساذجة توافرت له على مر السنين .

٢ — ويتصل الوهم الثاني من تلك الأوهام بالاتجاه الشائع في تمسك الآباء بالأساليب التربوية



التي ألفوها في طفولتهم ، أو في الخروج عليها والأخذ بنقيضها .

وتتمثل نزعة اقتفاء أثر الآباء في تربية الأبناء في أولئك الذين نشأوا نشأة غلب عليها التحكم والقسر . فهم قد يشعرون بالرضى عن أنفسهم وعما فرضته فيهم تربية آبائهم فلا يترددون مطلقاً في السير على منوال الآباء في تنشئة الأبناء ، بصرف النظر عما إذا كانت أساليب ذلك السلف تلائم هذا الخلف وتتمشى واحتياجاته .

وتظهر النزعة إلى تحاشي أخطاء الآباء في أولئك الذين لا يشعرون بالرضى عن أنفسهم وتربيتهم ، فيجنحون إلى اللين في معاملة أطفالهم حيث عوملوا هم بالتحكم وإلى الأخذ بالتسامح بدلاً من القسوة.

وبديهي أن الاندفاع في تقليد أساليب الآباء كالاندفاع في تحاشي أساليبهم ، كلاهما لا يقوم مقام الأساس الصالح لتربية الجيل الجديد .

٣ ـ أما الوهم الثالث فهو الاعتقاد بأن التربية السليمة تقتضي الحد من نزعة الأطفال إلى الراحات الشخصية والإزعاج بقدر الإمكان . فالجدير بالطفل بحسب هذا الاعتقاد ، أن يتحول إلى « رجل صغير » بالسرعة الممكنة اللازمة لترويضه على الهدوء والنظافة والسكينة والطاعة .

ومن أمثلة ذلك أن نجد الأمهات اللواتي يأخذن بهذا الاعتقاد إلى تركيز جهودهن الهستيرية على تعويد الطفل على النظافة ، لا سيما عند قضاء الحاجة ، بحيث لا يكاد يبلغ الشهر الثامن من عمره إلا ويكون قد حقق لأمه « مثلها الأعلى » في النظافة .

أنهن يعمدن إلى ذلك وأمثاله دون أن يخطر ببالهن ما تخلفه هذه الحرب الشعواء الموجهة إلى كيان الطفل في الصميم من عقد عاطفية تنذر بالانفجار على نحو ما في وقت ما .

ومثل ذلك يقال عن كثير من المعلمين الذين لهم مثل هذا الرأي في تربية الأطفال ، ويبررون مثل هذا الأسلوب بحجة غرس بذور الخير والصلاح في وقت مبكر .

انه لا مفر من العمل على اجتثاث هذه الاساليب العتيقة من جذورها ، وتفادي ما يترتب عليها من آثار خطيرة تلم بالطفولة البريئة قبل ان يستفحل امرها .

٤ ـ واما آخر تلك الاوهام الاربعة فهو الجنوح الى تطبيق طائفة من النظريات والقواعد يعتقد البعض بأنها مستمدة مما يسمى « السيكلوجية الحديثة » .ولعل هذا الوهم ابعث على الاحساس بالمرارة والأسى مما سلف ذكره من اوهام تتصل بتربية الاطفال . ذلك لان الآباء في هذه الحالة ينشدون الحقيقة ويتلمسونها بلهفة واخلاص . ويعزى ضلالهم وتخبطهم الى استعدادهم للتقلب بين اسلوب في التربية واسلوب كلما قرأوا او سمعوا رأيا جديدا او فكرة مستحدثة . فهم بلا مبادىء راسخة ، وكثيرا ما يعمدون الى تطبيق اساليب متناقضة في آن واحد من حيث لا يدرون . مثال ذلك ان يسمعوا بأن اطلاق العنان للاطفال حرية ، والحرية خير ، فيطلقونه ارخى ما يكون، ثم يسمعون بأن الخطر كل الخطر في ترك العنان مرخيا ، فيشدونه شدا بحيث يؤذي .

المبالغة في دلال الاطفال

ولا يقف بعض الآباء عند هذا الحد . فمنهم من هم على اتم استعداد للتخلي عن سلطتهم كآباء، والتضحية بكرامتهم ، واحترام ابنائهم لهم ، لمجرد سماعهم بأن اصول التربية الصحيحة تقتضي اشاعة جو من الود والصداقة بين الوالد والولد . واذا ما قيل لهم بأن المحبة هي اهم ما يحتاج اليه الطفل انطلقوا في احاطته بمزيد من تلك المحبة بلا قيد ولا شرط على نحو يفقد الطفل الكثير من اصالته وحيويته . ويقدمون على هذا وذلك رغبة منهم في ان يكونوا في صف احدث المربين .

الاطفال ليسوا « رجالا صغارا »

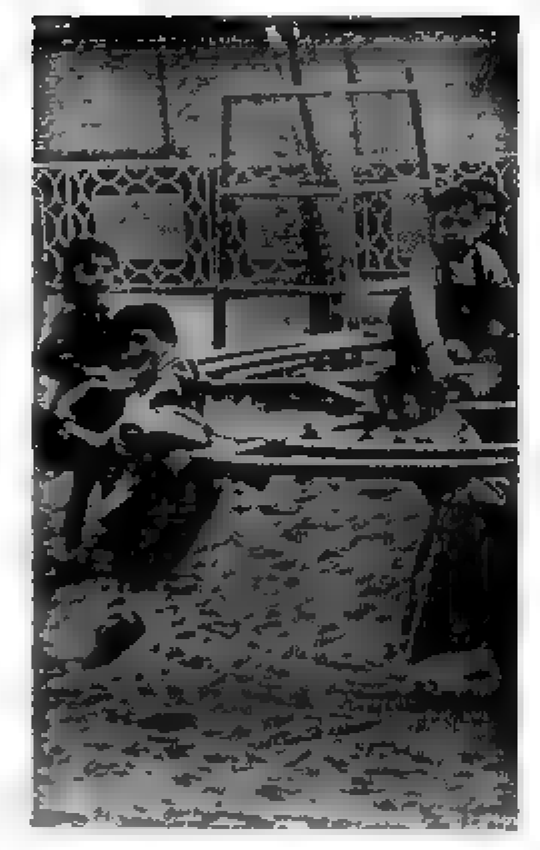
نخلص من ذلك كله الى السؤال الهام التالي : ما هي مظاهر السلوك التي يمكن اعتبارها طبيعية في الاطفال والتي لا مبرر لكبتها او الحد منها ، وما هي تلك المظاهر التي ينبغي اعتبارها مشاكل خطيرة لا يجوز السكوت عليها !

ان الاطفال ليسوا « رجالا صغارا » ، وما هم



الا فئة من بني الانسان اخذة في الاستقلال والتدرج من حالة الاتكال على الغير ، وانعدام المسؤولية ، والتخبط على غير هدى ، الى حالة النضج الانساني في سائر مراتبها ودرجاتها . والكبار الذين نسوا طفولتهم ، وما رافقها من شغب ، وقذارة ، وحب استطلاع ، ومكر ، وافتقار الى المسؤولية ، ونفور من الذين يكبرونهم سنا ، كاولئك الذين افترض عليهم ان يكونوا « رجالا صغارا » منذ نعومة اظفارهم ، لا يستطيعون من بعد نسيان ، ان يرتضوا مثل تلك الصفات والمظاهر في ابنائهم .

انه لا سبيل الى صقل طبيعة الطفل من هذه الناحية بفرض القيود القاسية عليه الا ان من شأن القسوة ان تزيد تلك الصفات والمظاهر تفاقما وخطرا . ولا ريب في ان التروي والتسامح في معاملة الطفل ، فضلا عن التأني في تعليمه وتثقيفه ، هما السبيل الوحيد الى الحد من تلك المظاهر وصقل تلك الصفات .



الطفل الذي خدع امه ، واشترى بالنقود حلوى

ولنضرب مثلا على ذلك بقصة الأم التي اعطت ابنها بضعة قروش ليضعها بيده في صندوق التبرعات صبيحة يوم عيد . فقد تمكن الطفل من تضليل امه بالتظاهر بوضع النقود في الصندوق دون أن يضع شيئا .. احتفظ بالنقود في يده معتقدا أن لا مبرر للتبرع بها ووضعها في الصندوق وانه احتفظ بالنقود . واحتفظ بها ايضا ليتمكن من شراء الحلوى التي طالما اشتهاها وحال حرمان امه له من النقود دون الحصول عليها . وتسنى له شراء الحلوى واكلها وهو في طريق عودته الى البيت . بيد أن قصته لم تبق سرا على الكتمان كما كان يأمل . فقد اكتشف قصته احد المعارف فلحق به خفية ليرى ما هو صانع بالنقود التي حرم الصندوق منها . وما أن شاهده يشتري الحلوى ويأكلها حتى تلفن الى والدته بما اكتشف وما شاهد .

ولدى وصول الصبي الى البيت ، استجوبته امه بشأن تلك النقود . سألته هل تبرع بها عملا بتعليماتها . وما أن وقع الصبي في ورطة من بعد ورطة نتيجة استجوابات امه حتى فاجأته هي بالقول بأنها كانت تعلم بكذبه منذ البدء ، وان هذه النتيجة لتدل على انه لص ، وانه من اسوأ انواع اللصوص نظرا لتجرؤه على سرقة نقود خصصت لأعمال البر والاحسان . وفجأة انطلقت الأم مجهشة بالبكاء او بالحري بالتظاهر به . وبالغت في تمثيلها لدور من خاب امله في ابنه بالنظر للميول الاجرامية التي تمثلت منها تصرفاته ، فامتنعت عن تناول الغذاء ، واعتكفت في غرفتها طيلة ذلك اليوم .

وعلى كل ما حل بالصبي من فزع وقلق لما بدا على امه ، كان الدرس الذي تعلمه ، هو ضرورة التذرع بمزيد من الحيطة والحذر في المستقبل تحاشيا لاكتشاف امره .

وتكررت القصة على نحو ما رأينا وانتهى به الأمر بعد مرور خمس عشرة سنة الى اتقان تزوير امضاء ابيه على الشيكات التي لم يكن لأبيه علم من تسديد قيمتها . كما انتهى به الأمر ايضا الى اتقان الكذب وعدم الانفعال والتأثر لدى استجوابه ومساءلته .

وما كان الفتى ليقدم على كذبته الأولى فينزلق تدريجيا على هذا التزلق لو عرفت امه كيف تعالج قصة النقود والحلوى على نحو يشعره بقيمة الامانة واهميتها ، ولو عرفت كيف تتدارك شعوره بالحرمان باعطائه بعض النقود ليشتري بها ما يشاء ويشتهي من الحلوى وما اليها . فلو اتيحت الطفل فرصة الشعور بخطئه كلما ارتكب مثل ذلك الخطأ ، ولو تسنى له التوجيه العملي الصحيح والارشاد بالتلميح في الباكر من قبل امه وابيه ، لما انتهى به الأمر الى ذلك التزلق الاجرامي الخطير .

الطفل الذي غار من اخته فنسخ صورة

ولنة مثل آخر يتجلى فيه جهل الآباء بالدوافع الدفينة في نفوس ابنائهم ، وبالأساليب الصحيحة في معالجة ما يحتاج الى المعالجة من تصرفاتهم . فقد غلبت على صبي مشاعر الغيرة من اخته التي كانت تكبره بسنتين وتحظى بثناء الوالدين

البالغ نظرا لقدرتها الفائقة على الرسم . ودفعت هذه المشاعر بالصبي الى رسم صورة لحصان نسخها من احد الكتب نسخا ، وادعى بأنها من ابتكاره . وبدلا من ان يحاول الاب تفهم الحاجة العاطفية التي حملت الطفل على التصرف على هذا النحو ، انطلق في البحث عن الاصل الذي نقل الطفل عنه صورة الحصان ، وبدلا من ان يعمل الاب على تلبية تلك الحاجة ، اندفع في استجواب ابنه ومجابهته بالاصل الذي اعتمده في رسم صورة الحصان . اذن فالصبي كذاب ، والكذب رذيلة تستحق العقاب، وانتهت حملة الاب التربوية هذه بضرب الصبي ضربا لم يخل من القسوة .

وهكذا انتصرت الحقيقة – في نظر الاب – وزهق الباطل . اما ما حل بعواطف الصبي من انهيارات وتطلعات من جراء هذا الموقف الظالم والضرب الأليم فلم يكن موضع اهتمام الاب « المربي » من قريب او من بعيد .

الكذب والسرقة عند الاطفال

من المؤسف ان يكون الكثيرون من الآباء مفتقرين الى العلم والحكمة ، وهما بلا ريب قوام التربية الصحيحة . فالاب في القصة الاخيرة لم يكن بحاجة الى اثارة موضوع الكذب اصلا . وكان الاولى به ان يدرك حاجة ابنه الى المديح والثناء اللذين حصلت عليه اخته بلا حساب . وكان الاجدر به ايضا ان يتحسس رغبة الصبي في ارضاء ابويه بغية الحصول على مثل ذلك الاطراء . كان في وسعه أن يثني ابنه على رسمه المنظر المنسوخ وكان في وسعه ايضا أن يشجعه على المضي في رسم الصور نسخا ، مبينا له انه في غير حاجة الى التضليل للظفر بالمديح ما دام نقله للصور متقنا الى ذلك الحد ، ويجعله اهلا لكل ثناء واطراء .

فالاطفال لا يستطيعون في الغالب التمييز الدقيق بين الحقيقة والكذب وهم في السابعة او الثامنة من العمر ، وخاصة اذا وضعوا موضع استجواب بصدد خطأ ما ارتكبوه . فالتركيز على موضوع الكذب والاعتبارات الخلقية المتصلة به في معالجتهم المصاعب ، ليس من التربية الصحيحة في شيء.

علينا أن نتفهم دوافع الطفل العاطفية الخفية اولا وأن نشعر الطفل بمدى سهولة قول الحقيقة ثانيا . بذلك يصبح اسلوبنا في معاملتهم اسلوبا تربويا فعالا .

كذلك يجدر بالآباء ان يتخذوا موقفا واضحا ازاء السرقات التي يقدم عليها صغارهم . فالسرقة شيء مألوف عادي بالنسبة الى الاطفال، وعلى الاباء الا يثوروا في مثل هذه الحالات وان يتذرعوا بسعة الصدر ويكتفوا باعادة الشيء المسروق الى صاحبه دون أن يغفلوا عن التحدث الى صغارهم ببساطة وتبسيط حول الملكية وحقوقها والنقود واهميتها بين حين وآخر .

دعوا الطفل يشرح لكم اموره كما يفهمها

اما نزعة الاطفال الى الرجوع الى تصرفات لهم مضت وعوقبوا عليها ، والتحدث الى ابائهم ومعلميهم ثانية عن مثل تلك التصرفات ، فليست رغبة في الغلو او في تحدي سلطة الآباء وهيبتهم . ويحسن بالآباء والمعلمين الا يصدوا من تلك النزعة ، بل عليهم ان يشجعوا الطفل على ايضاح الامور كما يفهمها هو ، والدفاع عن النفس بصدد ما مضى من تصرفاته وما ناله من عقاب عليها . ففي ذلك التشجيع ما ينمي شعور الطفل بحقوقه وشعوره بواجب الدفاع منها فضلا عما فيه من توطيد لبذور شخصيته .

لا تغضبوا من الطفل اذا دعا عليكم بالويل

وليس في شعور الاطفال احيانا بالنفور من امهاتهم والحقد عليهم الى حد القول « ليتكم تموتون ! » ما يوجب الغضب او القلق . فمثل هذا الشعور العرضي طبيعي عند الاطفال عموما . والغضب على الطفل في مثل هذه الحال او ضربه او تركه وحيدا في غرفة مقفلة من شأنه أن يحول النواحي الخارجية الكراهية الى مشاعر داخلية لا تلبث حتى تسمم مخيلته بأبشع الصور وتملأ قلبه بالمخاوف وتولد في فؤاده الشعور بالاثم . والرد الافضل على مثل تلك العبارة هو القول « آسف يا بني لانك تشعر نحوي هذا الشعور لا لسبب الا لانني لم اسمح لك بما تريد ! على كل حال ، امك تحبك كثيرا وهي واثقة من ان شعورك على هذا النحو لن يطول » . بذلك يدرك الطفل انه لا يستطيع ايذاء ابيه بمثل تلك الكلمات والاقوال، وادراكه لهذه الحقيقة خطوة هامة للغاية على الصعيد التربوي السيكولوجي . ■

(بقية المنشور على صفحة ٢)

الاستراتيجية العسكرية فى الجيش السومرى

حضــــارة سومر فى بلاد ما بين النهرين من اعظم الحضارات الرائدة التى سادت ثم بادت .

وتمثل الصورة المنشورة على الصفحة الثانيه من هذا العدد معركة ضارية احتدمت بين اهل مدينة لاجاش Lagash الســومرية واهل مدينة (أمه) وهى مدينة دولة مجاورها .

اما موقع هاتين المدينتين القديمتين ففى منتصف المسافة تقريبا بين مدينة العمارة ومدينة النجف العاصمتين حاليا فى جنوب العراق .

واما الزمن الذى وقعت فيه المعركة فمنتصف الالف الرابعة من السنين قبل المسيح .

لقد جاء الســومريون الى ذلك المكان من اواسط اسيا منذ القدم . ولم يقف المؤرخون بعد على تفاصيل اصولهم ومعالم مواطنهم الآسيوية السالفة . فلغتهم السومرية لغة لا مثيل لها بين اللغات ولا شبيه . قدموا الى ما بين النهرين وبســطوا نفوذهم على جزء من جنوبه ، ثم مدوا سلطانهم بين حين وآخر ، الى المناطق الجبلية فى الشمال ، والى ايلام (ايران) فى الشرق .

لا عجب اذن أن تنشأ الخصومة بين هــؤلاء الســومريين وبين قبائل الاكاديين من الســاميين الذين جاوروهم الى الشمال الغربى من مدينة لاجاش المذكورة ، فاصبحوا بذلك اخصامهـــم التقليديين

والمعركة التى تصورها لنا الصوره انما هــى احدى المعارك الفاصلة بين الجارين المتخاصمين ، كانت الغلبة فيها للسومريين بقيادة مليكهم وكاهنهم (ايناتوم) . على ان الصورة لا تقف عند حــد اظهار النصر المبين الذى احرزه الســومريون على جيش (أمه) . فهى تكاد تنطق بمدى ما احرزه الانســان فى تلك العصور الغابرة من الفنون الحربية والاستراتيجية العسكرية . فالجيش السومرى الظافر مكون من حملة الرماح والمعاول فى مقدمته ، ومن ضاربى الســهام فى مؤخرته ، على نحو ما درج عليه اليونان والرومان بعد ذلك التاريخ بنحــو الفين من الســنين .

ولا يخفى ان العربة الفاخرة من بين العربتين الظاهرتين فى الصــورة هى عربة الملــك ايناتوم الســومرى . فهى أكبر حجما من الاخرى ، ويجرها اربعة من حمير الوحش فى حين ان الثانية لايجرها الا اثنان . وفضلا عن ذلك فان مقدمتها مزدانة بشعار الســومريين ، وهو عبارة عن نسر براس اسد ، انشب مخالبه فى اسدين والغين فى اتجاهين مختلفين . ولعل على الملك ايناتوم ثيابه الأنيقة ان لم تدل عليه خوذته الصفراء اللامعة .

وبالرغم من انصراف الســومريين الى الحرب والقتال ، وبالرغم من اتصال عهدهم بازمنة ما قبل التاريخ ، فانهم قد آلفوا التمدين كما الفوا الكتابة . ولئن كانت حاجتهم الى المعادن قــد دفعت بهم الى الانطلاق بحثا عنها فى كافة الاتجاهات والى محاربة كل من وقف فى طريقهم ، فان اتقانهم للكتابة واقبالهم على تسجيل اخبارهم وأحداثهم قد مكن المؤرخين من استجلاء معالم حضارتهم الفذة .

ومن المعروف ان الحضارة السومرية هذه قد تفاعلت وسائر الحضارات التى عاصرتها وجاءت بعدها فى بلاد ما بين النهرين بحيث يكاد يتعذر التمييز بينها وبين غيرها من تلك الحضارات لولا اللغة الســومرية الفريدة التى احتفظت بها .

وتجدر الاشارة هنا الى ان حضارة بلاد ما بين النهرين قد سجلت للجنس البشرى قرابة الالف سنة من التقدم المثمر الفعال فى حين ان التقدم الذى سجلته الحضارة العالمية بمجملها منذ ايام هوميروس حتى الآن لم يستغرق سوى الفين ونيف من الاعوام .





الماء لا يزال له الدور الأول في إطفائها
وإن العلم ابتكر الكيماويات من شتى الأنواع

كما نرى في الصورة السفلى ..





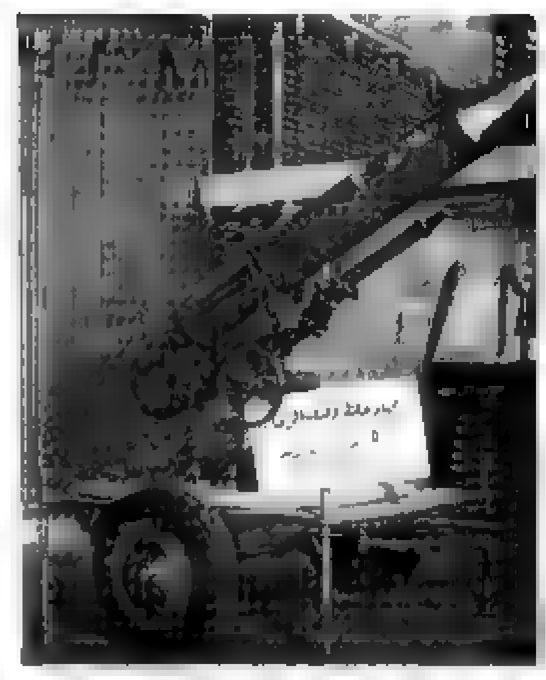
■ دقت أجراس الإنذار [illegible] وهب [illegible] ، انطلق [illegible] الحمراء [illegible] تعبر حدود الأخطار عبر [illegible] لم يهم ، ليستمروا وقوفاً على جوانب سيارات الحمراء الكبيرة ، التي اندفعت بهم كالبرق تطوي بطرقها عالماً شوارع الكويت التي تموج بالسيارات والمباني [illegible] ، لتصبح ساحة الطريق أمامهم [illegible] الجنود الشجعان الذين يخوضون غمار حرب ، [illegible] مع [illegible] عدو الإنسان [illegible] الحريق .

لقد برع العرب في إخماد النار منذ قديم الزمان ، فكان الأعرابي الذي يطلع النيران تحت خيمته الكبيرة يسارع باقتلاع أوتادها وطي حبالها حتى تقع الخيمة على النار فتخنقها ، [illegible] وهو مع [illegible] يطفئها بالرمال المبللة [illegible]

[illegible] أسلوب المكافحة الفطري الذي ظل رواد العرب في القديم ، وهو نفس الأسلوب الذي [illegible] في الكويت

ثم بدأت ساحات النفط تشكل مصدر الخطر ، وفي إخماد الحريق [illegible] في جلب الماء من البحر [illegible]

وكلما شب حريق في الكويت [illegible] في أهلها ، فكانوا يلتفون حول [illegible] لإعانة صاحبه في مواجهة ما لحق به من خسائر



جهاز حديث دافع للماء والمادة الرغوية لمكافحة حرائق الزيوت . ويمتلك الاطفاء العام في الكويت عددا من هذه الاجهزة . ويمكن لهذا الجهاز اطلاق ٥ اطنان من المادة الرغوية

بهذه الروح التعاونية العربية كانت تتم عمليات اطفاء الحريق في الكويت ..

تعاون هنا .. واستغلال هناك !

اما في العالم الخارجي فكانت فرق الاطفاء في أوروبا ، وبالتحديد في بلاد اليونان ، عبارة عن مجموعة من الرجال يتزعمهم شخص يعملون تحت امرته .. وعند حدوث حريق تذهب تلك الجماعة ويبدأ رئيسها بالتفاوض مع صاحب الحريق عارضا عليه مبلغا معينا لشراء الممتلكات المعرضة للحريق . ثم تبدأ المساومة ، وكلما طال زمن المساومة انخفض الأجر الى ان يقبل صاحب الحريق العرض ، فيأمر الرئيس رجاله بالمكافحة ، وكل ما ينقذه يصبح ملكا له !

ثم تطورت فرق الاطفاء والانقاذ ، فأصبحت شركات ، ثم جمعيات ومتطوعين بدون راتب ، ثم متطوعين يعملون نصف الوقت . ولما كانت أخطار الحرائق تنتقل من مكان لآخر وتهدد القرية والمدينة ، وضع تنظيم لفرق الاطفاء حيث يكافأ المنتسبون لها لقاء العمل الذي يقومون به عندما يطلب منهم ذلك . ومع تقدم العمران والصناعة والتجارة أصبح ضروريا وجود اشخاص متفرغين للعمل في فرق الاطفاء بدلا من استدعائهم عند حدوث كل حريق . وأخذت فرق الاطفاء تتقدم وتطور لحماية الارواح والممتلكات على أسس سليمة وحسب قواعد علمية صحيحة .

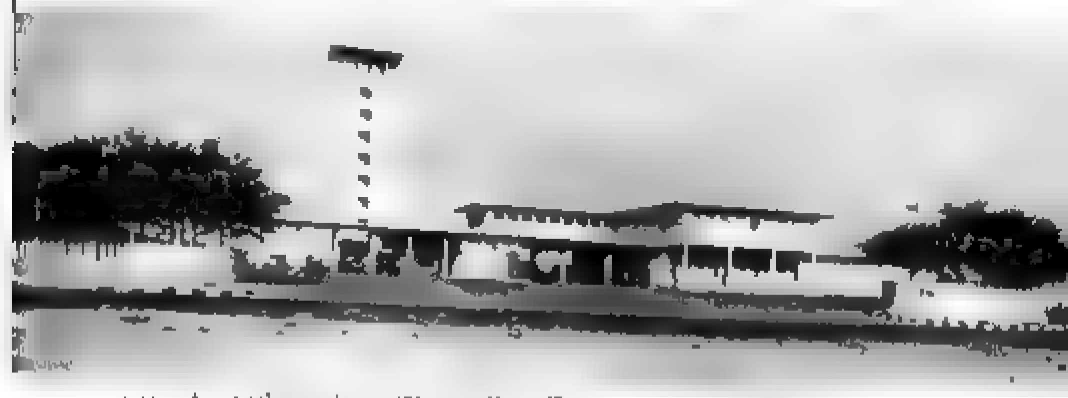
* * *

اجتماع ضباط الاطفاء حيث يبدون فيه ملاحظاتهم بالنسبة للحرائق والاستعدادات التي تمت في مناطق مراكزهم . ومن هؤلاء الضباط عدد كبير تلقوا دراساتهم في انجلترا وهم يتمركزون الآن في بضعة مناطق بالكويت





مركز مطافئ المطار ، وهو مجهز باحدث معدات مكافحة الحرائق من مواد رغوية وكيماوية جافة وعلى استعداد تام مع حركة هبوط واقلاع الطائرات



مبنى مركز الاطفاء الرئيسي ، ويوجد في الاطفاء العام ٧٧ موظفا بين اداري وفني ومهني اخرى مختلفة ، ويعد مركز كبيرة من المراكز الموزعة في الكويت مزود بكافة المعدات الاساسية اللازمة للآليات والافراد

موعد مع القدر

وكما تطورت فرق الاطفاء واساليبها في العالم، تطورت في الكويت ، ولكن تدريجيا . فاصبح في الكويت في عام ١٩٥٠ سيارة صغيرة واحدة ، كثيرا ما كانت تصل الى مكان الحريق بعد اخماده من قبل الاهالي !

وما كادت تمضي خمس سنوات حتى بدأ تكوين اول فرقة اطفاء في الكويت على النظام الحديث ، ولكن هذه الفرقة الجديدة كانت على موعد مع القدر الذي اراد ان يمتحنها ويمتحن قوة شبانها وصلابتهم .

فقد نشب حريق كبير في مصنع للاصلاحات الكهربائية في الشويخ .. وتقدم جنود الاطفاء الابطال يقتحمون النار المتأججة بشجاعة وبلا مبالاة ، معرضين انفسهم لأشد الاخطار .. وما هو الا قليل حتى كانت السيطرة على السنة اللهب قد تمت نهائيا . وبينما افراد الفرقة يتهيأون لانهاء عملهم ، دوى انفجار رهيب هز اركان المصنع واضرم النار فيه ثانية .. انه برميل يحتوي غاز الفريون Freon ، المستخدم في تبريد الثلاجات واجال ضابط الطاقم النظر حوله فوجد تسعة من جنوده واقعين على الارض ، وهم مصابون باصابات متفاوتة .



كان سفر العقود حافزًا للضابط على متابعة اطفاء الحريق ونقل المصابين ، وبعد قليل تمت السيطرة على الحريق تمامًا .. ولم يشعر الضابط الا وهو في سرير بالمستشفى ، حيث نقلوه لمعالجة اصاباته التي لم يشعر بها اثناء مكافحته لهذا الحريق ..

انها طبيعة هؤلاء الرجال الاشداء الذين اتخذوا من المغامرات والاخطار هواية لهم ..

برقية شكر

وحدث بعد ذلك أن وصلت الى ميناء الكويت سفينة شحن مشتعلة بالنيران .. وقال قائدها لا امل في انقاذها ، انها على وشك الغرق الى الاعماق .. اعماق مياه الخليج .. ولكن رجال مطافئ الكويت سرعان ما جابهوا النيران وظلوا في صراع مرير معها مدة عشر ساعات حتى استطاعوا التغلب على النيران وانقاذ الباخرة من الغرق ..

وفي اليوم التالي استلمت ادارة الاطفاء البرقية التالية

«نقدر لكم جهوده وامكاناته النادرة التي قدمها في اطفاء الحريق الذي وقع على ظهر الباخرة مستر اركوريس .. واظهارًا لشكرنا وتقديرنا العميقين فيسرنا أن نرسل اليكم مبلغ عشرة آلاف روبية نرجو قبولها كهدية ومكافأة الى موظفي الاطفاء الاشداء»

جوزيف لابر راسموكهكر

وليست مهمة رجال الاطفاء مقصورة على مكافحة واخماد الحرائق بل تتعداها الى مد يد المساعدة والاسعاف في مختلف انواع الحوادث ، فعندما حدث عندما انهار مسكن في ضاحية الخالدية بالكويت ، فقد قامت المطافئ بمجهود جبار

لا بد من توفر سيارات ومضخات سريعة ذات طاقة دفع قوية لمكافحة الحرائق ، وهذه السيارة تستطيع دفع ... غالون من الماء في الدقيقة ، وهي مجهزة بأجهزة لاسلكية مرتبطة بمركز الاطفاء





تبين هذه الصورة طريقة تعبئة أحواض مياه من القماش سعة ١٥٠٠ غالون لتزويد سيارات الحريق بالمياه اثناء الحرائق الكبيرة البعيدة عن مصادر المياه

لانقاذ حياة العمال الذين دفنوا تحت انقاض المنزل المنهار .

كيف تكافح الكويت الحرائق

واول سؤال يتبادر الى اذهان الكثيرين : كيف تكافح الكويت الحرائق ، وهي الدولة المعروف عنها افتقارها الى الماء ؟

والواقع ان الكويت لم تعد فيها ازمات مياه كما كانت في السابق ، بعد ان استحدثت مصادر عديدة جديدة للمياه .. حتى ان رجال الاطفاء اصبحوا يعتمدون على شبكة من حنفيات مياه متصلة بخزانات الماء الرئيسية بالكويت ، وهذه الفوهات منتشرة في المناطق التجارية والسكنية .. مضافا الى ذلك ، ان سيارات وصهاريج الاطفاء يمكنها نقل ٧٠ الف جالون ماء الى مكان الحريق في خلال عشر دقائق فقط !

ولم يعد الماء هو الوسيلة الوحيدة المستعملة في اطفاء الحرائق بالكويت ، بل اصبحت بعض المواد الكيماوية التي تستعملها فرق الاطفاء العالمية تستعمل في الكويت ، ولكل مادة منها ميزات وخصائص .

فمثلا مادة ثاني اكسيد الكربون تستعمل وتؤثر تاثيرا كبيرا على حرائق الكهرباء .

ومادة رابع كلوريد الكربون تستعمل لحرائق الآلات ومحركات السيارات ..

ومادة الرغوة تستعمل في حرائق الزيوت لانها تشكل طبقة رغوية عازلة تمنع استمرار تزويد الاكسجين للحريق .

ومادة البودرة الجافة ، وهي مادة تعطي تاثيرا كبيرا على حرائق الكهرباء والزيوت .

يتضح من ذلك ان المواد الكيماوية التي يدخل الماء في تركيبها يمنع استعمالها على حرائق الكهرباء خوفا من حدوث التماس الكهربائي .

اتصال دائم مع الهيئات العالمية

ولا يزال المهندسون والمختصون في شئون الاطفاء يواصلون الدرس والبحث في ايجاد مواد كيماوية جديدة وطرق للمكافحة اكثر اثرا .

ولكي يكون الاطفاء في الكويت على اتصال دائم باحدث وسائل المكافحة وطرقها ، اشترك في العديد من المنظمات العالمية ، منها منظمة الاطفاء في انجلترا ودول ما وراء البحار ، ومنظمة الدفاع المدني في سويسرا ، ومنظمة الطيران المدني الدولية في كندا ، ومفتشية الاطفاء في انجلترا والكثير من فرق الاطفاء العربية والاجنبية .

كذلك يقوم مدير ادارة الاطفاء العام السيد



على عبد الرزاق الصالح بتمثيل الاطفاء في المؤتمرات الدولية لبحث وتبادل الرأى حــــول شئون الاطفاء والوقاية وما يتعلق بهما .

مدرسة لتدريب رجال الاطفاء

ان عملية الاطفاء لم تعد عملية عضلات فقط ، بل اصبحت علما وفنا ، انشئت له المدارس والكتب لتدريس فنون مكافحة الحرائق عمليا ونظـــريا وكيميائيا .

وفي الكويت اصبحت في ضاحية السالمية مدرسة للتدريب ، يتلقى فيها الاطفائي دروسا في فنون المكافحة والوقاية والانقاذ نظريا وعمليا حسب برامج موضوعة تشمل كافة النواحي المتعلقة بالاطفاء ..

وقد اختير عدد من الشباب المؤهل الكويتي ، من الذين انهوا دورة تدريبية في مدرسة الاطفاء بالكويت ، للسفر في دورة تدريبية الى فـــرق الاطفاء بانجلترا لمدة سنتين . وقد عادوا من انجلترا بعد انتهاء تدريبهم وهم الآن يشاركون في مهمة اطفاء الكويت .

متى تزداد الحرائق بالكويت

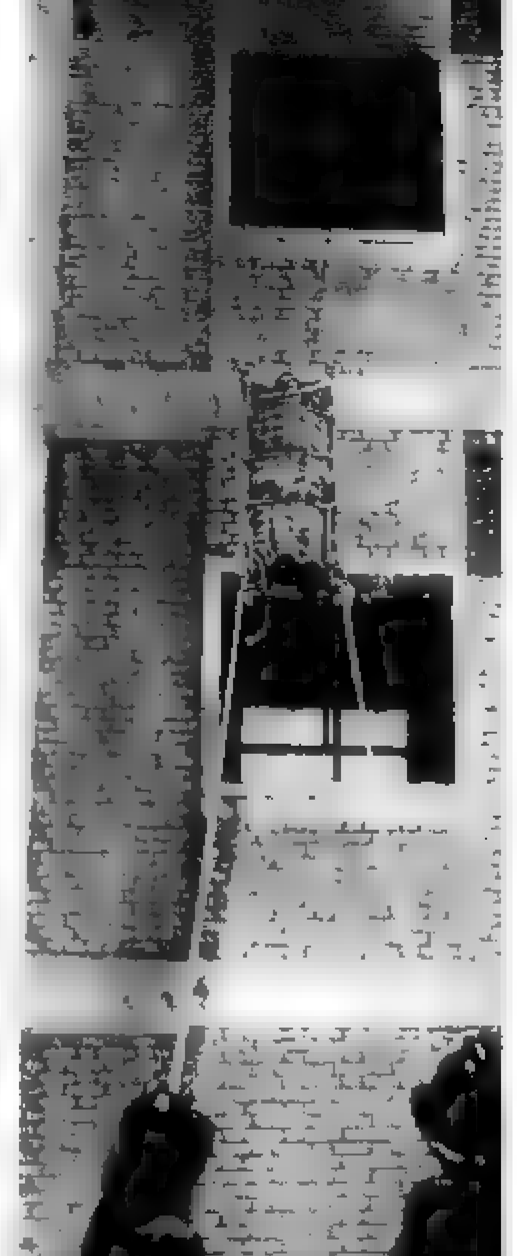
وتضم الكويت ١١ مركزا للاطفاء مزودة بأحدث الآلات والمعدات وموزعة حسب المناطق ودرجـــة خطورتها ، وجميع هذه المراكز مرتبطة بعضها مع بعض بشبكة لاسلكية للاتصال المباشر بينها ، ويجرى العمل حاليا في اضافة مركزين جديدين .

هذا بالاضافة الى مركز الزوارق البحـــرية وفيه زورقان مزودان بأجهزة دفع الماء والمواد الكيماوية لمجابهة حرائق البواخر .. وســـيتم قريبا شراء وحدة بحرية قوية لتتمكن من تلبية الاستغاثات في عرض البحر ...

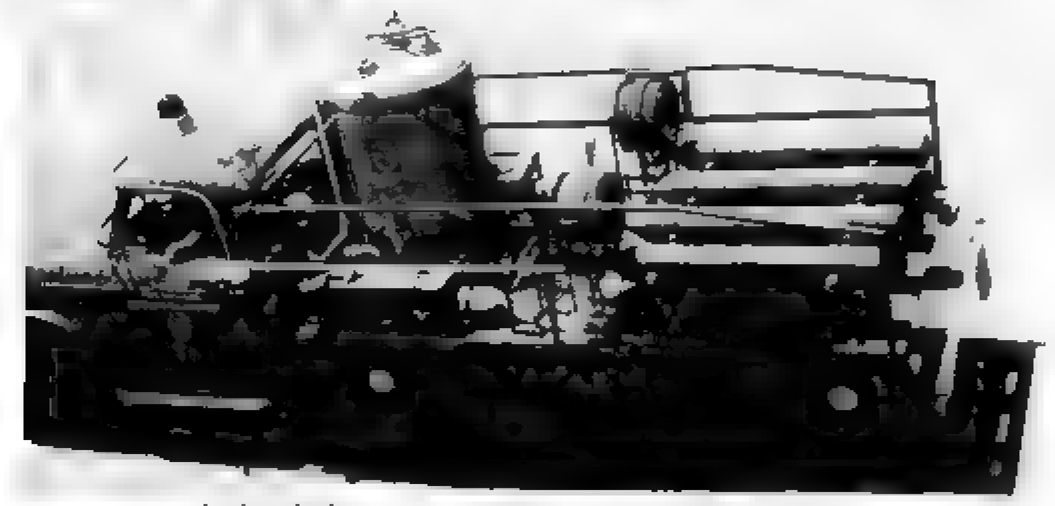
ويعمل في هذا الجهاز ٧٥٠ ضابطا وصـــف ضابط وجنديا للاطفاء .

ونظرة واحدة على جداول الاحصاء في مراكـــز الاطفاء بالكويت نرى ان عدد الحرائق يرتفـــع في فصل الصيف حيث الحرارة والجفاف يساعدان على اشتعال النيران . الا انه نتيجة لتوزيع المراكز توزيعا صحيحا ، اصبح من السهل السيطرة على الحريق في مراحله الاولى ومنعه من الانتشار وهذا مما يجعل نسبة الخسائر في اغلب الحرائق صغيرة .

وتشير الاحصائيات الى ان عدد الحوادث التي دُعيت فرق الاطفاء اليها خلال سنة ١٩٦٤ كانت



قد يصادف رجال الاطفاء اماكن لا تصل اليها السلالم ، ان رجل الاطفاء دائما على استعداد لتلبية الاستغاثة مع طرحه لعمليات الواجب فلهذا يستخدم نوعا [illegible] لانزال شخص من طوابق عليا بواسطة الحبالة



احدث السيارات التي تدعم ادارة الاطفاء الكيماوية الخاصة على ضغط الهواء ، بها جهاز ثاني اكسيد الكربون وهذه السيارات تستعمل في حرائق المواد سريعة الاشتعال

كما يلي :

حوادث الحريق	٧٦٦ حادثة
حوادث الانقاذ	٣٣ حادثة
حوادث الاسعاف	٣٢٦ حادثة

وكان عدد الوفيات في هذه الحوادث كلها ١١ وفاة .

الشئون الاجتماعية بدلا من التأمين

وقد تبين ان نسبة الحرائق التي حدثت في المساكن كانت اكبر نسبة من مجموع عدد الحرائق ، حيث بلغت ٢٣٦ حريقا ، اي بنسبة ٣١٪ تقريبا من مجموع عدد الحرائق .

واغلب تلك الحرائق شب في مطابخ البيوت .

اما اهم اسبابها فقلة الاهمال في مراقبة اجهزة الطبخ ، وترك الاجهزة الكهربائية موصلة بوصلات الكهرباء واضافة احمال عليها ، والاهمال في اطفاء اعقاب السجائر . وبلغ مجموع الحرائق من جراء هذه الاسباب البسيطة ٢٥٥ حريقا اي بنسبة ٣٣٫٣٪ من المجموع تقريبا .

ومقارنة عدد الحرائق بعدد السكان نجد ان النسبة تبلغ ١٫٦ حريق لكل ١٠٠٠ نسمة .

ومما يذكر بهذه المناسبة ان اغلب اهالي الكويت لا يؤمنون بالتأمين ضد الحريق لانه في حسبانهم مخالف للشريعة الاسلامية .. وعادة بعد حدوث الحريق تتولى وزارة الشئون الاجتماعية دراسة تقارير ادارة الاطفاء ووزارة الداخلية لبحث اسباب الحريق وحالة المتضررين قبل ان تقرر لهم التعويضات اللازمة .

الوقاية خير من العلاج

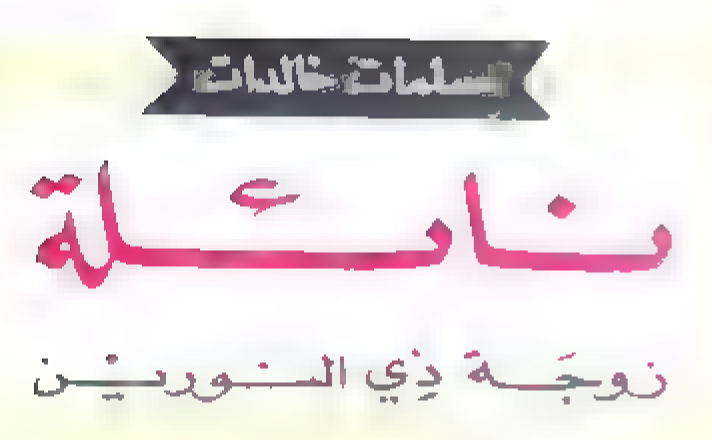
وفي ادارة الاطفاء العام بالكويت قسم للوقاية يعمل على دراسة المخططات التي تعرض على الاطفاء العام ، والتفتيش على مؤسسات وابنية القطاعين الحكومي والاهلي ، واعطاء الارشادات الكفيلة بتوفير الحماية اللازمة للسكان مثل تركيب معدات الحرائق للاسعافات الاولية ، والعمليات الارضية ، ومرشات المياه واجهزة الغاز الاوتوماتيكية واجهزة الانذار ، وبذلك امكن التغلب على عدد من الحرائق قبل وصول فرق الاطفاء .

وقد قامت ادارة الاطفاء بتوزيع ٢٣٥٠٠ مطفأة حريق على مختلف الوزارات والمؤسسات الحكومية .

كما قامت بالتوصية بتركيب ٢٣٠٠ مطفأة في مباني القطاع الاهلي .

ان رجل الاطفاء هو جندي مجند ٢٤ ساعة يوميا لحماية الجمهور من الكوارث التي قد تصيبه .. وهو مع زملائه لا يعرفون متى يأتيهم نداء الاستغاثة في الليل ام في النهار .. ولكن ما يكاد الجرس يدق حتى يقوموا قومة رجل واحد واضعين ارواحهم على اكفهم وباذلين انفسهم في سبيل انقاذ طفل او عجوز او امرأة من براثن اللهب الاحمر ..

انهم رجال الاطفاء يؤدون عملا من اعمال البطولة بصمت وهدوء .. انهم الجنود المجهولون العاملون من اجل المحافظة على سلامة كل فرد من ابناء الشعب .



مسلمات خالدات

نائلة

زوجة ذي النورين

بقلم: سنية قراعه

■ كانت امرأة العربية تعيش عالمه مرفوعة في زواق ... كان أهله منعمون في الامصار لتعم سمعن الوطن العربي الكبير ... وكانت خلافة المسلمين يومها للتقي ... عثمان بن عفان ثالث الراشدين الكرام، صهر سيدنا رسول الله وزوج ابنته، وأحب الناس إليه وأقربهم منه

وكان الملك العربي يتسع، والعرب ينعمون وهم سعيدون بالدين القيم، يسعدون بأعظم حضارة عرفها الناس

وكان عثمان الكريم لمرفهم، في دار الخلافة، يسوس ويحكم ويعمل، ويرعب تناقب العصر في أمر الكتائب وهو .. هو، لم يتغير ولم يتبدل

المسلم العف الخجول الذي كانت تستحي منه الملائكة، والانسان ذو القلب الرحيم الذي لا يهتم للمال ورنا، بل يسارع الى المكرمات، ووصل الرحم، وكان برّه بأهله مضرب الأمثال وسار ... بين المسلمين

بدا عثمان ... الى المدينة ... مروان بن الحكم، طريد رسول الله وقربه منه وحمله كاتم سره ... وكلما كانت عودة مروان، بداية تسلل السوس الى حكم ثالث الراشدين، الا فرض نفسه على عثمان واقحم ذاته في شئون الدولة، وراح ينصب من ذاته ... القديم على

المتعددين من المهاجرين والانصار، ويسعى لاثارة الفتنة خارج المدينة ... ابن عثمان بن عفان من لم يرى في ... ، وولى ... الامصار مروان وذوي قرباه، وكأنما كان ابن الحكم يجمع الكلمة ... ، ويمهد لعودة حكم الارستقراطية الوثنية مرة أخرى، وهي الارستقراطية التي كان يمثلها أبو سفيان بن حرب من ... وأهله ومن ساعدوه، حتى ... الدين، وأبى كبرياؤهم ... الاسلام

... الامصار، وثار ... المسلمين ... على دار الخلافة ... من عثمان ... عن ... الاموية ... ، ... الطامع، ويرجع في الشورى الى ...



رسول الله ، وأن يعزل أهله عن الولاية ويبعث
إلى الأمصار ولاتها ذوي الماضي المجيد ، فكان
مروان يسارع ويتدخل ويوعز إلى عثمان بأن لا يرضخ
لرغبة المحكومين أو ينزل على مطالبهم ، ويسير على
النهج الذي رسمه له ..
وبدأت زوابع الفتنة تتجمع هنا وهناك ..
وثارت عواطف الثورة وراء الصبر والطاقة ثوار

الامر ، والكل يرجون ان ينتبه عثمان الى دقة موقفه .... واخذت الامور تسير على وتيرة يعلمها الله ، ولئن استمرت الفتوح وتم انشاء اول اسطول اسلامي عزز انتصارات المسلمين ، وجعلهم قوة مرهوبة في البحر ..

وخلال تلك الفترات الحرجة القلقة من حكم عثمان الرضي العف الكريم – وصل الى مسمعه ان « سعيد بن العاص » قد تزوج من هند بنت الفرافصة بن الاحوص الكلبي ، فكتب اليه ليوافيه بنسبها وان يصفها له . فاسرع سعيد يكتب الى امير المؤمنين بما طلب ، واطنب في الوصف وذكر ما لها من جمال وحسن يميزه بياض مشرب بحمرة وقوام فارع جميل .

ولعل الوصف قد راق لذي النورين ، فكتب الى سعيد يسأله ان كانت لهند اخت فليخطبها له ويزوجه منها .. وما اسرع ما بعث سعيد الى صديقه الفرافصة بن الاحوص الكلبي برغبة امير المؤمنين ...

واسرع الفرافصة يلبي الامر ، وهو يومها نصراني لم يدخل الاسلام ، على عكس ولده ضب الذي كان قد اسلم فتولى عن ابيه تزويج اخته نائلة الى امير المؤمنين عثمان بن عفان ...

وسارت الكلبية من ديار قومها الى دار الخلافة، ووصية ابيها تدوي في اذنيها وقد قال لها : « تقدمين على نساء من قريش هن اقدر منك على الطيب ، فتكحلي وتطيبي بالماء حتى يكون ريحك شن اصابه مطر ... »

فكانت كما اراد لها ابوها ان تكون .. جديرة بزوجها امير المؤمنين قادرة على ان تملأ الفراغ الذي احدثته وفاة زوجتيه « رقية ، وام كلثوم » بنتي رسول الله ...

وكانت نائلة وضاءة الحسن ، رائعة الجمال شديدة الذكاء عرفت من اللحظة الاولى التي دخلت فيها بيت عثمان كيف تنال حبه وتحظى برضاه ، وتكون اثيرة عنده ، مفضلة لديه بما تميزت به من ذكاء وحسن جواب وطاعة ووفاء ...

وعاشت نائلة بنت الفرافصة مع زوجها الطيب ادق فترات حياته وخلافته .. وشهدت تطور الاحداث الجسام ، واحست بقرب هبوب الزوابع والاعاصير ، واستطاعت بذكائها اللماح ان تعرف من اثاروها ومن كانوا السبب في تحركها السريع ..

انهم بنو امية .. مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وغيرهما ....

ولقد حارت نائلة في امرها وامر زوجها الطيب السمح ، وعز عليها ان تقف منه موقف المستسلمة الراضية بما كان يحدث دون ان تبدي رأيها في الامور وتقدم لعثمان النصح في رقة ولين ، ولم يلتفت اليها امير المؤمنين الطيب الذي تابع سياسة الاستماع الى كلام مروان ، واستمر على سياسة اغضاب اهل الامصار الذين طالبوه بعزل ولاته واقصاء الامويين عن الحكم والتوجيه السياسي .

وعرف مروان بن الحكم في نائلة بنت الفرافصة توجسها منه خيفة ، وبغضها له واعتقادها عن يقين انه سيجر زوجها الى الهاوية عن طريق مشورته السيئة وتدخله البغيض في شئون الخلافة والحكم .. فراح يراقبها في حذر المتوجس ، محاولا ان يتقاضاها اذا هي ارادت مخالفته او حاولت ان تصده عن زوجها بنصح عثمان بالابتعاد عن كلام مروه الذي كان يبغضه عامة المسلمين – ولكنه كان يتحاشاها ، كما كانت هي الاخرى تتحاشاه ، حتى شاء لهما القدر ان يتصادما في الرأي ذات يوم رهيب ، وقد عاد عثمان الى داره بعد ان خطب المسلمين واعطاهم من نفسه التوبة ، فرفقوا له واحسوا حياله بالحب والحنان ، وقد راح يرضاهم ويرضى لوازمهم من معارضي سياسته وهو يبكي وهم يسمعونه ويبكون ...

واراد مروان في ذلك اليوم الرهيب ان يتكلم ، وان يحدث امير المؤمنين برأيه فيما فعل مع الناس، فانبرت له نائلة وطلبت منه ان يصمت وان يكف عن الحديث ، فلا فائدة ترجى من نصحه ، لان عثمان انما استرضى معارضيه امره بخطبته تلك واقسمت له انهم لا بد قاتلوه !!

وثار مروان على نائلة ، وعرّض بها ولم يكف لسانه عن النيل من ابيها ، فقال عنه انه مات ولم يحسن الوضوء ، ولم يعرفه . ولم تسكت نائلة على مروان وردت عليه بمثل قوله واجبت لو لم يصده عن زوجها في تلك اللحظات الدقيقة الحرجة ولكنه اصر على الفساد ، وراح ينفث في عثمان الرضي السمح سمومه وبغضاءه ، مما اثار

نيران الفتنة الكبرى من جديد واحفظ قلوب المسلمين على عثمان ..

واستعرت نار الفتنة واحتدم اوارها واستطار الشرر واتذر بشبوب النار في الهشيم ، وامتلات المدينة بالوفود من اهل الامصار يطالبون عثمان بعزل ولاته وابعاد الامويين من ذوي قرباه عن الحكم ، خاصة عبد الله بن ابي السرح الذي ولاه على مصر ، وجاء اهل مصر يشكونه ويتظلمون منه.

وثار الجدل وتطورت الامور في غير صالح عثمان المستسلم الى كاتم سره ، وعلت الاصوات وانطلقت الالسن من عقالها .

وكتب اليه عثمان كتابا يتهدده فيه .. فابى ابن ابي السرح ان يقبل ما نهاه عنه عثمان ، وضرب بعض من اتاه من قبل عثمان من اهل مصر فقتله !!

فخرج من اهل مصر سبعمائة رجل ، فنزلوا المسجد وشكوا الى الصحابة في مواقيت الصلاة ما صنع ابن ابي السرح بهم ، فقام طلحة بن عبيد الله وكلم عثمان بكلام شديد ..

وتدخلت في النزاع ام المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق ، واحبت لو يتصح عثمان بنصحها كام للمؤمنين قال عنها رسول الله خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء ..

ارسلت اليه رضي الله عنها فقالت : « تقدم اليك اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام وسألوك عزل هذا الرجل فابيت ؟ فهذا قد قتل منهم رجلا، فانصفهم من عاملك» .

ولكن عثمان ابى عليها النصيحة وكره ان تتدخل النساء في شئون الحكم ...

ووجدت الفتنة مرتعها الخصيب ، وخرج دعاة الشر يروجون للعامة ، ويشيعون من القول افرته حتى لقد ادعوا(كذبا) ان ام المؤمنين عائشة حرضت على قتل عثمان حين حصر واحبت الناس اليه وحكمت بكفره واحلت للثوار دمه ..

وتدخل « علي بن ابي طالب » في الامر وتوجه بالنصيحة الى امير المؤمنين عثمان وطالبه بان ينزل على راي اهل الامصار ويعين عليهم من ارتضوه للحكم والولاية ، وان ينقي بطانته من اهل السوء وان لا يستشير في امور الدولة مروان بن الحكم ابدا .. لان مروان في راي « علي بن ابي طالب » وراي عامة المسلمين لم يكن بذي راي في دينه ولا نفسه ، وانه لا بد وان نتيجة الاصغاء اليه ستكون وبالا على عثمان !!

وقال له : انما المصريون يسالونك رجلا مكان رجل ، وقد ادعوا قبله دما ، فاعزله عنهم واقض بينهم ، فان وجب عليه حق فانصفهم منه !

وخرج علي وقد عز عليه ان لا يستجيب له عثمان ولا يعمل بنصحه ، واقسم الا يعود اليه ثانية ..

ولم يكد يخرج ابن ابي طالب حتى اسرعت نائلة فدخلت على زوجها الحائر المتردد وقالت له : « اتق الله وحده ، واتبع سنة صاحبيك من قبلك ، فانك ان اطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له من الناس قدر ولا هيبة ولا محبة وانما تركك الناس لمكان مروان منك . فارسل الى علي فاستصلحه فان له قرابة منك وهو لا يعصى .. »!!

وارتاح عثمان الى راي نائلة السديد واحب في قرارة نفسه ان ياخذ به ... ولكن مروان سمع بذلك فاسرع الى عثمان واحس بان وراء هذا نائلة .. فتصدى له عثمان غاضبا وزجره ومنعه من الحديث عنها ، وهدده بلسانه واكد له انها انصح له منه .. فسكت مروان في مضض ولكن .. هل استسلم .. او هل رضي ان تهزمه نائلة بنت الفرافصة يوم حاولت ابعاده عن عثمان وتحريض عثمان على عدم الركون اليه ومشورته في اي امر من امور المسلمين !!

لقد تراجع مروان قليلا في دهاء الارقم ليتوارى عن عيون مهاجميه ، ويحاول ان ينفذ من جديد الى حيث يسله ليباغت ويقتل ...

وعاد مروان بن الحكم ينفث سمومه في صورة جديدة .. انه يوصي لعثمان ان ينزل على راي الناصحين ويترضى اهل الامصار الثائرين ، فيكتب الى ولاته الذين عينهم بقرار العزل ويرسله مع زعماء المعارضة المطالبين بعزلهم ، لينفذه اولئك الولاة ... ولكن في صورة رهيبة !!

لقد اراد طريد رسول الله ان يعظم امر الفتنة وتتعاظم نيرانها رهيبة ، فكانت خطته الدموية تتلخص في القضاء على الثائرين الذين حضروا الى

المدينة واعادتهم الى بلادهم ليفتك بهم الولاة ويسكتوا اصواتهم الى الابد ..

وبدا مروان ينفذ خطته ... وبدا للمصريين ان امير المؤمنين قد استجاب لهم واراد تخفيف غضبهم ، فعين محمدا بن ابي بكر واليا على مصر ، وقضى بان يرسله الى هناك مع كتاب التولية ، وفي صحبته الثائرون من المصريين وكتاب عزل الوالي المغضوب عليه منهم ..

بدا محمد بن ابي بكر رحلته .. وبدا المصريون .. وساد الهدوء المدينة وانسحبت الجموع الغاضبة الى اوطانها ، وتنفس مروان الصعداء ، وابتسم في دهاء الواثق انه لن يعود الى المدينة ثائر منهم بعد اليوم ولن يرتفع صوت بالاعتراض على سياسة مروان !

واستمر محمد بن ابي بكر في سيره الى مصر ومعه كتاب ولايته ، وآخر بعزل الحاكم المغضوب عليه . واذا بالقدر يتدخل في آخر لحظة وقبل ان تتم الرحلة .. يكتشف محمد بن ابي بكر المؤامرة الرهيبة البشعة وخطة الغدر التي بيتت له في كتاب وقع في يده ، من عثمان الى ابن ابي السرح حاكم مصر ، وفيه امر اليه بان يقبض على ابن ابي بكر ورؤوس الثائرين معه ، فيقتله وينكل بهم ...

يقول : « اذا اتاك محمد بن ابي بكر ومن معه فاحتل في قتلهم ، وابطل كتابه ، وقر على عملك حتى يأتيك رأيي ، واحبس من يجيء الي يتظلم منك ... »

وثار محمد بن ابي بكر وعز عليه ان تصل اساليب امير المؤمنين الى هذا الحد . وفزع من كان معه . وقرر هؤلاء مواجهته مرة اخرى فعادوا الى المدينة .. فجمع طلحة والزبير وعليا وسعدا وعمار بن ياسر ونفرا من اصحاب رسول الله ودخلوا على عثمان ومعهم الكتاب ...

وسأله علي :

قال : اانت كتبت هذا الكتاب ؟

قال : لا .. « وحلف بالله » ما كتبت هذا الكتاب ، ولا امرت به ، ولا علم لي به ..

فتبين لهم ان الخط خط مروان بن الحكم !

فسألوه ان يدفع اليهم مروان .. فأبى عثمان ، وكان مروان عنده في الدار .

فخرج اصحاب رسول الله من عنده غضابا .. وشكوا في امره ، وعلموا ان عثمان لا يحلف بباطل .. الا ان قوما قالوا :

لن يبرأ عثمان من قلوبنا الا ان يدفع الينا مروان حتى نحقق معه ، وكيف يأمر بقتل رجل من اصحاب رسول الله بغير حق ، فان يكن عثمان كتبه عزلناه ، وان يكن مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في امر مروان .

وابى عثمان ان يخرج اليهم مروان خشية ان يقتلوه .. وحوصر عثمان في بيته ، ومنعوه الماء .. واستيقظ الناس على الانباء .. وضاعت احلام مروان .. وبدأ ثوار مصر يخططون خطة جديدة للهجوم وفرض مطالبهم على امير المؤمنين ...

وتوتر الموقف وحومت الشر ، وحاول عقلاء المسلمين وكبار الصحابة تدارك الامر ولا جدوى ، اذ اصر كل من الطرفين المتنازعين على رأيه ..

ومشت الثقة صدرها في ذعر ورهبة ، وبدت لعينيها النذر التي خشيت مقدمها ، ولعنت في نفسها مروان بن الحكم ومغامراته التي ستسلم زوجها البار الى مصرعه ، وبدا لها ان الزمام قد افلت واصبح لن تستجيب لكبار الصحابة ولا جدوى الا هوى الشر وانطلقت لنهايته الجائحة ..

وهاجم المصريون ــ بزعامة محمد بن ابي بكر ــ دار الخليفة وحاصروا عثمان في داخلها وبداوا يزحفون اليه وقد انتووا الشر وصمموا على وضع نهاية لكل مضطرب من الامور ..

واحس كبار الصحابة ان الامر قد افلت من ايديهم وان الخرق قد اتسع على الراقع ، واحسوا عجزهم عن الوقوف في وجه الثوار ..

وصرخت نائلة وولولت .. وراعها هدوء عثمان الذي لم يفعل اكثر من انه ارسل كتابا الى علي ابن ابي طالب يقول له فيه ...

« بلغ السيلُ الزُّبى ، وجاوز الحزام الطُّبْيَين .. فان كنت مأكولا فكن خير آكل ، والا فادركني ولما امزق .. والسلام » !!

وعاد علي ، وارسل ولديه الحسن والحسين

للدفاع عن عثمان في جملة من ذهب من الصحابة وأولادهم ، ولكن الثوار كانوا قد تسلقوا دار أمير المؤمنين وهجموا عليه والسيوف في أيديهم والشر يحكم تصرفاتهم والموت مترقب والنهاية مقدورة !!

ورأت نائلة الثوار ينزلون بأمراس الحبال ، ويصلون الى داخل الدار ، وشهدت السيوف تلمع والموت على شفارها ، فثارت حميتها وعز عليها الا تقف الى جانب عثمان البار لتذود عنه قدر استطاعتها وترد عنه بما وسعتها مقدرتها ، وقد ظنت ان رؤيتها وقد تصدت لمهاجمة الثوار ، ربما ردتهم بعض الشيء .

ونشرت نائلة شعرها ، وعز ذلك على « ذي النورين » ، فسألها ان تحتجب . وقال لها في أسى « خذي خمارك يا نائلة،فلعمري لحرمة شعرك أعظم علي من دخولهم داري .. » !!

وأراد عثمان ان يحجب نائلة ، فاذا بالثوار يدخلون عليه ، وقد تقدمهم محمد بن أبي بكر الذي أخذ بلحيته ، فقال له عثمان متأثرا :

ـ « والله لو رآك أبوك لساءه مكانك مني » ؟!

فتراخت يد محمد ... واذا بالثوار يشرعون سيوفهم ويعودون بها على الرجل .. على أحب الناس الى رسول الله ... على عثمان بن عفان (الذي تستحي منه الملائكة) .. ويسفكون دمه في البلد الحرام وفي الشهر الحرام ..

« فكان أول خليفة قتلت به يد مسلمة وذلك في ١٧ يونية ٦٥٦ ميلادية وكان يبلغ من العمر اثنين وثمانين .. »

وفي غمرة الذعر ، وروعة الحنان ، وقوة الحب نسيت نائلة نفسها امام ما رأت ، فانكبت على الزوج الحبيب تحميه بجسدها وتصد عنه السيوف .

ووجه ثائر سيفه الى عنق عثمان فنفذ فيه .. وجذبت نائلة السيف فقطع أناملها ...

ومات عثمان .. سقط الشهيد الرضي في ساحة الاستمساك برأي تمسك به ودافع عنه وقد كره من رعاياه أن يحاولوا ارغامه بالقوة على قبول آرائهم ...

وصرخت نائلة .. وولولت ، وخرجت تصيح وتستنجد ، وفر القوم من حيث أتوا وقد نالوا أعظم دم واطهره واسقطوا أبر المسلمين بدين الله واخلصهم لدعوة رسوله ...

خرجت نائلة الى الناس معولة نادبة تقول :

ـ ان أمير المؤمنين قد قتل !!

فدخل الحسن والحسين ومن معهما من أبناء كبار الصحابة فوجدوا عثمان مقتولا .. وقد مثل به ، فأكبوا عليه يبكون . وخرجوا .. ليشيعوا انباء الفاجعة بين الناس ، فساد المدينة الذهول واختلط الامر فيهم وغشيت النفوس كآبة خرساء واحتبست الكلمات في الأفواه ... وأسرع علي بن أبي طالب الى بيت أخيه في الاسلام وزميله في الجهاد ، وصهر ابن عمه ، ومعه الزبير وطلحة وسعد ، ودخلوا على الجثمان الطاهر وأكبوا عليه باكين ناشجين مترحمين ، حتى لقد زعزعت الفجيعة ابن ابي طالب ، وكبرت عليه البلوى فسقط مكانه مغشيا عليه .

وراحت نائلة تنظر حواليها في ذهول وهي تتلفت متسائلة في صمت : أين مروان سبب البلاء .. اين العصبة الذين حاربوا لزوجها واسلموه الى قاتليه .. اين هم الآن ليروا نتيجة مشورتهم وآخرة نصيحتهم .. !!

وغامت عيناها تحت سحائب الدمع الهتون .. لم تعد تعي القول ام تصيح ، ام تندب أمير المؤمنين البر الرحيم ...

ونظرت نائلة الى الجسد الطاهر المسجى وهو على فراشه ، وبكت ... تلك آخر ساعاته من الدنيا ، وانه لملتقي أبواب القبر ، ومن الواجب ان تهيئه لذلك ، الا ما جدوى بقاؤه هكذا . لا بد من تجهيزه ...

وأرسلت نائلة الى حويطب بن عبد العزى ، وجبير بن مطعم ، وأبي الجهم بن حذيفة ، وحكيم ابن حزام ، ليجهزوا أمير المؤمنين ، فتمهلوا وترددوا ...

وثارت نائلة فيهم : لم التردد أيها الناس ؟ وهل لاحد بعد ما حدث من مطلب لدى أمير المؤمنين .. ؟

كانت المدينة ما زالت تغلي بنيران الغضب ، وكان الثوار الذين حاصروا داره وتسللوا لقتله

ما زالوا في اماكنهم ، وان خروج جثمان عثمان في تلك الآونة لمغامرة خطرة ربما تسببت في فواجع جديدة تنزل بالمسلمين .

وصاحت نائلة في القـوم ليجهزوا اميرهم ويشيعوه بما يليق به ، فاذا هم يسالونها راجين ان تتريث حتى المساء ، فتثور وتغضب ، ولكن الموقف كان يفرض عليها الخضوع والطاعة ..

والليل الليل .. وبدا انعقاد الخروج بعثمان الى قبره ... ومرة اخرى ثار الشغب ، وكادت فئة من الثائرين ان تقف دون ذلك . وهنالك صرخت نائلة غاضبة مستنجدة بالهيثم والنخوات ، واذا ابو الجهم يصيح مغاضبا مهددا يقول :

ــ والله لا يحولن بيني وبين عثمان احد الا مت دونه !!

وصرخ في المسلمين وكبار الصحابة ليحملوه الى البقيع فحملوه .. وخرجوا بالجثمان الطاهر الى قبره ، ونائلة الباكية المولهة تتبعه ، وهي تحمل في يدها سراجا مشتعلا حتى انتهوا الى مخافت عليها جدار ، انزلوه ثم دفنوه ، وصلى عليه جبير بن مطعم ...

ورفرف الجلال على البقيع ، وانسدل الستار على نهاية الفتنة الكبرى ... ووقفت نائلة الوفية بالقبر خاشعة صامتة وقد تحجرت الدموع في عينيها ...

واحست بحاجتها الى مناجاة الروح التي كان يطوف بها في تلك الآونة الدقيقة .. وشعرت باجواء من حنانه وفيوض من عطفه ، وبمثله وهو مشفق عليها من اهوال وحدتها وتنكر الناس لها ، فجعلت تهمس محدثة نفسها مرة ، مرددة في صمت بعض الشعر مرة ...

وتراجعت نائلة لتترك القبر وصاحبه .. تلك كانت لحظة رهيبة ... لقد حاولت ان تحمي رجلها مرات منذ تسلل اليه الثوار ... مرة ساعة هاجموه ، واخرى ساعة جردوا عليه السيوف ، وثالثة ساعة مات ونجت هي ، ورابعة ساعة اعدته للدفن ، وخامسة ساعة خرجت بجثمانه من الدار الى البقيع ثم ... ها هي ذي تتركه وحده . تتركه هنا من لا تضيع عنده الامانات . تتركه في جوار الله مرغمة ، تلك سنة الوجود ''

وعـادت نائلة من البقيع تسائل نفسها اين تذهب !! وبمن تستجير ... لقد استجارت السكينة فلا هنا استمع لها احد ولا اجارها سامع ، وانها هذه المرة لتتجه الى قبر محمد .. الى حبيب الله مجيرها في يوم الكرب ، فتستجيره وتسائله .

سارت نائلة الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وناجته بما ضيقات لها النجوى ، وحدثته بما عن لها من حديث .. واستجارته واشتكت شكواها في حضرته فاستشعرت بعض الراحة واحست كانما قد انجاب عن روحها حمل ثقيل وبدات تفيق وتسترجع الموقف وتفكر بعقل سديد ...

انها امرأة عزلاء .. امرأة لا حول لها ولا قوة ولا جاه ... امرأة اعجز من ان تتبع قتلة عثمان لتاخذ بثاره ... ولكن حبها له ليحتم عليها ان تعمل والا تقف ساكتة مستسلمة لتترك عجلة الاحداث تسير كما اراد الثوار ، فتسرع بهم بعيدا عن الحادث ولا يلبث الناس ان ينسوا عثمان ..

واصرت نائلة ان تجاهد على طريقتها ، وان تحاول تملك القلوب عن طريق عبراتها المسفوحة وتستثير النفوس بنحيبها ، وهي تشرح للعالم ظروف مقتل عثمان . فوجهت احدى نسائها تستوقف الناس لها فوافوها ملبين مسرعين ليسمعوها . تحكي القصة الفاجعة ، وتتهم الذين استحلوا حرمة الاسلام ، وحرمة الخلافة ، وحرمة البلد الحرام والشهر الحرام ، وتستعدي عليهم .

ثم انصرفت باكية مسترحمة وتفرق الناس مع انصرافها .

وعادت نائلة الى دارها التي افترقت من نور ذي النورين .. وتولتها وحشة وكآبة .. وخيم عليها الاسى والحزن ... ونظرت حواليها تسترجع الماضي وتناجي الروح الكريم ، وعز عليها انها لم تلحق به ، وان سيوف الثائرين لم تنلها فيمن نالت لاستراحت وكفت نفسها اهوال الوحدة ولوعات الفراق ..

وكبر على نائلة بعد هذا ان تستقر في عقر دارها شأن اي امرأة عاجزة لا تقدر على شيء ولا تستطيع دفع ملم ...

وسالت نفسها : اعطنا كل ما استطعت عمله من

أجل عثمان والمطالبة بدمه.. لقد تفرق الناس ولا مجيب، فهل أستسلم أنا الأخرى ... وإذا كان أهل المدينة لم يغضبوا لقتل ذي النورين ... فلماذا لا أحاول الاتجاه وجهة أخرى .. فلماذا لا أستصرخ بني مروان ... لماذا لا أناشد بني أمية .. لماذا لا أسعى في أعناقهم الثأر المطالبة بدم عثمان ..

وشاغلتها الفكرة وطابت لها نفسها، فاستحضرت قميص عثمان الملوث بدمه، ودرجت فيه أصابعها التي بترت، وأرسلته إلى معاوية في الشام تستنهضه الثأر لابن عمه أمير المؤمنين، وكتبت إليه تقول.

— «إن أمير المؤمنين قد بُغي عليه، وإنه حتى إن لم يكن له عليك حق الولاية، لكان حقا عليك كمسلم أن تنصره .. !»

وراحت نائلة تقص القصة المؤلمة وتصف الحادث الأجل، وتعدد مآثر عثمان وفضائله، وتذكر قاتليه وعلى رأسهم محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر، وكيف أنهما حاصرا ومن معهما داره ومنعوا عنه الماء، ثم مثلوا به، ولم يرحموا ضراعتها ولا وقوفها دونه، ولم يأبهوا لمكانتها كزوجة، وحرمتها كامرأة، واحتدوا عليها بالسلاح ..

وختمت نائلة كتابها تقول:

«وقد أرسلت إليكم بثوبه وعليه دمه، وإنه والله لئن كان آثم من قتله، لما سلم من خذله. فانظروا أين أنتم من الله جل وعز. فإنا نشكو ما مسنا إليه، ونستنصر وليه وصالح عباده. ورحمة الله على عثمان، ولعن الله من قتله، وصرعهم في الدنيا مصارع الخزي والذلة».

تلك كانت نائلة بنت الفرافصة .. وكان هذا مبلغ وفائها لعثمان في حياته ويوم قتل ..

أما وفاؤها بعد أن مات فكان مضرب الأمثال. لقد أراد معاوية بن أبي سفيان أن يترضاها على طريقته، وأن يعوضها عن زوجها الرحيم، ورأى أن يخطبها إلى نفسه، فأبت عليه ذلك، ورفضت أن تستمع إلى رسوله الذي أرسله إليها في ذلك وآثرت الصمت لتقضي العمر بعيدة عن الناس تسترجع أيام عثمان معها وتبكيه بالدمع الهتون ..

بل لقد أمعنت نائلة في سبيل وفائها لعثمان ابن عفان على إفساد مظاهر جمالها والعدوان عليه بما يذهب بمعالم ذلك الجمال، فكان أن دقت أسنانها فتحطمت وهي ترجو بذلك أن يبتعد عنها الخاطبون.

وسئلت بنت الفرافصة لماذا فعلت ذلك بنفسها وأسنانها فقالت باكية:

«رأيت الحزن يبلى، كما يبلى الثوب، وخفت أن يبلى حزني على عثمان فيطلع مني رجل على ما اطلع عليه وذلك ما لن يكون أبدا .. !»

وبقيت نائلة في عزلتها وبعدها عن الناس حتى لقيت الله، ولحقت بعثمان في جنات الخلد حيث لا فراق ولا نصب ولا لغوب ..

سنية قراعة

عمر يعفو عن سارقين

ويغرّم مخدوميهم لتجويعهم إياهم

● روي عن عبد الرحمن بن حاطب أن غلمانا لأبيه سرقوا ناقة لرجل من مزينة، فأتي بهم عمر بن الخطاب، فأقرّوا، فأرسل إلى عبد الرحمن بن حاطب، فجاء. فقال: إن غلمان حاطب سرقوا ناقة لرجل من مزينة، وأقروا على أنفسهم. ثم قال عمر لغلام له: اذهب بهؤلاء فاقطع أيديهم. فلما انطلق بهم أمر بهم عمر فرُدّوا، ثم قال: أما والله، لولا أني أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم، حتى أن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حلّ له، لقطعت أيديهم. وايم الله إن لم أفعل لأغرمنك غرامة توجعك. ثم قال: يا مزني!! بكم أريدت ناقتك؟ فقال: بأربعمائة. فقال عمر لعبد الرحمن بن حاطب: اذهب «فأعطه ثمانمائة». وعفا عن السارقين.



بقلم : نور الدين محمود

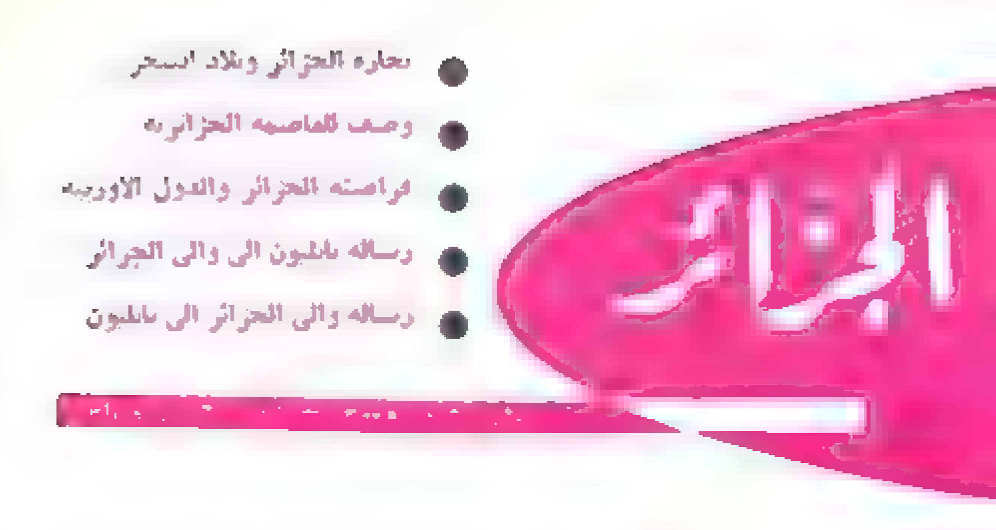
■ كان الشرق دوما موطنا من مواطن السحر التي تشد اليها الخيال . وكان الشرق دوما ايضا تتطلع اليه مشاعر الكثيرين من اولئك الذين يسحرهم السحر [illegible]

ولقد حاول عدد عديد من الرحالة والمستكشفين ان يميطوا اللثام عن سحر الشرق ويوجهوا المحاولات ان يعرفوا عنه وان يكتبوا عنه من خلال التجربة والواقع لا من خلال الخيال والاحلام .

ومن اروع الكتب واوسعها انتشارا اليوم في اوربا وفي العالم اجمع كتب الرحلات التي تحدث القارىء عن تجربة الكاتب نفسه في الآفاق التي اغترب اليها . ولقد كان للكتاب العرب من المشارقة والمغاربة فضل السبق في هذا الميدان ولدينا امثلة على ذلك : رحلة ابن جبير وابن بطوطة وابن خلدون والادريسي وهي نماذج رائعة في هذا الفن الرفيع من ادب الرحلات .

كتاب نادر

بيد انني هنا اود ان احدث القارىء « العربي » عن كتاب ممتع نادر هو كتاب « رحلة الى ولاية الجزائر » لمؤلفه الانجليزي الدكتور شو Shaw وهو كتاب عثرت على نسخة منه باللغة الفرنسية ترجمها عام ١٨٣٠ المترجم ماك كارثي عضو الجمعية الجغرافية بباريس ونشرها في تلك السنة ، مؤكدا اهميتها في البيان الذي نشره في صدر الترجمة حيث قال : « وعلى الرغم من ان هذه الرحلة قد مضى عليها ما يقرب [illegible]



ولقد حاولت أن أجد نسخة باللغة الفرنسية من هذا الكتاب الذي نشر في باريس قبل اكثر من قرن ونصف القرن فلم استطع ان اجد لها اثرا في مختلف مكتبات باريس ودور النشر فيها . والمظنون ان النسخة التي عثرت عليها المطبوعة سنة ۱۸۳۰ هي الطبعة الاولى والاخيرة من اللغة الفرنسية . والنص الانجليزي ليس باقل ندرة من الترجمة الفرنسية هذه .

فالكتاب الذي اود ان اقدمه لقارئ « العربي » في هذا المقال كتاب نادر وممتع في آن واحد . الفه مؤلفه الانجليزي القنصل شو Shaw في مستهل القرن الثامن عشر بعد ان قضى نحوا من اثنتي عشرة سنة في بلاد الجزائر تعرف فيها على التقاليد الجزائرية

[illegible]

ولا شك ان اهم ما في الكتاب الجزائرية التي الحقت به ، وهي تجلو لنا مواقع العمران ومعاقل القبائل العربية والبطون الجزائرية التي كانت موطنها بالجزائر والتي اضيفت اليها بعد الفقهاء والقضاة بعد المعارك الطاحنة التي شهدتها الجزائر اثناء حرب الاكتساح التي شنت على قبيلها الولدان .

بين الجزائر وبلاد نهر السحر

يتحدث الرحالة عن التبادل التجاري بين الجزائر والبلاد الافريقية الواقعة على ضفتي نهر السحر فيشيد بروائهم وبعدهم عن الغش فيكتب بالصفحة ٤١٥ في المجلد الاول :

وقد اجمعوا للحق ان الموريسكيين العربيين كانوا منذ عهد بعيد يتاجرون مع شعوب بربرية تعيش على ضفاف نهر السحر من دون ان تراهم ولو مرة واحدة وبدون ان تطرق ولو بصيغة من الصيغ

[illegible] الموريسكيين [illegible] العربية [illegible] وسمي بهذا الاسم [illegible] الاندلسيين بالمغرب العربي الكبير .

الاتفاقات التي ابرموها معها ، مع العلم بأن ليس لهم مع تلك الشعوب اي اتصال مباشر » .

ويستطرد الكاتب فيقول

« واليكم الصورة التي يقع بمقتضاها التعامل التجاري . يوجه الورسلة في موسم الشتاء من كل سنة قافلة وفيرة العدد محملة بكمية عظيمة من المرجان والعقود الزجاجية واساور قريبة ومناديل ومنسوجات وعدة ادوات منزلية .وعند وصول القافلة للمكان المعين في اليوم المتفق عليه من الشهر القمري يجد رجال القافلة عند الماء اكداسا صغيرة من التبر في صف واحد . فيضع الورسلة عند كل كدس الكمية المناسبة له من البضائع التي اوردوها » ويتولى السجريون في صباح الغد اخذها ان كانوا بها راضين ، تاركين الكداس التبر كماهي لا يمسونها . وعلى العكس من ذلك اذا قدروا انه من العدل السحب من الكدس .ويجرى كل ذلك من دون اي غش » .

عند الجزائريين للضيوف كرم وحسن معاملة

ويجره الحديث الى بيان معاملة الجزائريين للضيوف الاجانب ، وعلى الخصوص ، بوصفه رجل دين ، فيصحهم من التعصب وشيء مذكر كرمهم اذ يكتب في الصفحة الستين من مجلده الاول .

« عندما نمرك خياما للعرب فتزوراننا عليهم لا يكلفنا شيئا ، فهم يتولون الانفاق علينا وعلى دوابنا . يقدمون لنا اولا الحليب ، مع سلة صغيرة من الفواكه الجافة ، ثم يقدم لنا شيخهم معزا او عنزا او شاة او خروفا . وفي لمح البصر يحضرون لنا بنصف الدابة كسكسيا (طعام خاص باهل شمال افريقيا ، وهو معروف في مصر ايضا) والنصف الباقي يعدونه مشويا لفطورنا او عشائنا في الغد » .

احترام الجزائريين للمعاهدات

وفي موضع آخر يتحدث عن احترام ولاية الجزائر للمعاهدات وتطبيقها حرفيا بلا تردد او مناورة اذ يقول في الصفحة مائة وثلاثة وثمانين من المجلد الاول « ما تعريبه

فعندما يرفع قنصل اجنبي شكوى للداي(الحاكم الاعلى التركي) عند حصول مخالفة من المخالفات الماسة بالمعاهدة المبرمة بين الدولة التي يمثلها وحكومة الجزائر ، وضد اي اعتداء حصل في هذين القطرين ، يأمر الداي على الفور امين سر الدولة ، المؤتمن على سجل المعاهدات وحفظه ، بفتحه ، وبالرد حالا على شكاوى القنصل .فيتولى عندئذ امين سر الدولة تلاوة البند الذي ادعى القنصل انه خرق ، بصوته الجهوري . فان كان محقا في دعواه صدر الحكم لفائدته اما اذا كانت دعواه باطلة فلا يؤبه لطلبه . فالقضايا الهامة تحل في اسرع وقت » .

اساطيل الجزائر والجزية التي كانت تدفع لها

ويحدثنا الكاتب في مكان آخر عن علاقة الجزائر ببعض الدول الاوروبية الكبرى وعن مبلغ الجزية التي كانت تدفعها لها في مقابل عدم تعرض اساطيل الجزائر لمواطنيها البحرية فيكتب بالصفحة مائتين وثلاثة وثلاثين من المجلد الاول .

امتنعت دول اوروبا من عقد الاجتماعات لوضع حد لاعمال القرصنة التي يتولاها البرابرة فراوا ان يبرموا معهم معاهدات مرجئة من اجل السلم . ومن ناحية اخرى سلكت بعض الدول الكبرى سياسة قليلة السخاء ، وحرصت منذ مدة طويلة على الاحتفاظ بحرية الملاحة عبر البحر الابيض المتوسط على حساب الدول الصغرى . والحقيقة هي ان كل تلك الدول قد اصبحت اليوم مرغمة — وهي مطاطئة الرأس ، على دفع الاتاوات للرايسة الجزائر بعناوين مختلفة . خذ لك مثلا مملكة الصقليتين . هي تدفع لهم سنويا ٢٤٠ الفا من الفرنكات عدا الهدايا التي يبلغ ثمنها ٢٠٠ الف فرنك ، وطوسكانيا معفاة من الاداء بموجب معاهدة، ولكن قنصلها مرغم عند استلامه لوظيفته ان يقدم هدية قيمتها ٢٥ الف فرنك (قيمة الالف فرنك في ذلك الوقت اربع ليرات استرلينية) .وسردانيا مثل انجلترا معفاة هي ايضا من الجزية ، ولكنها

لتدفع مبلغا طائلا من المال عند تغير قنصلها .
وابرمت البرتغال مع الجزائر معاهدة شبيهة بالمعاهدة التي ابرمتها حكومة الصقليتين . ولاتدفع اسبانيا جزية ، ولكنها تقدم الهدايا عند ظلة كل قنصل . وانجلترا مرغمة على تقديم هدية تبلغ ٦٠٠ ليرة استرلينية اي ما يعادل ١٥٠ الف فرنك في مثل تلك المناسبات رغم وجود معاهدة ابرمها اللورد ايكسموث . والبلاد المنخفضة (هولاندة) التي شاركت في حملة امير البحر الانجليزي المذكور مشمولة بتلك المعاهدة ولا تدفع في هذا الوقت جزية ، غير ان «داي الجزائر» سيهتبل اول فرصة لوضع حد لاتفاقه معها . وبفضل الحماية الانجليزية حصلت هانوفر وبريم على نفس الشروط . ولكن فتحلي الدولتين عند وصولهما للجزائر اضطرا الى دفع مبالغ عظيمة من المال ، بينما لـولت العاصمتان قبلا تقديم الهدايا . ويعود الفضل لفرنسا في اعفاء دولة الكنيسة من دفع الجزية .

وتدفع السويد والدانمارك ضريبة سنوية تتشكل في ذخيرة بحرية تبلغ قيمتها ٤٠ الف فرنك مع تقديم هدايا تبلغ قيمتها ١٠٠ الف فرنك عند تجديد المعاهدات اي في كل عشر من السنين ، او عند تغيير ممثليها السياسيين . والولايات المتحدة الامريكية بموجب معاهدة ابرمتها بعد بريطانيا والتي اشرف عليها اللورد اكسموث قد حصلت على نفس الشروط البريطانية » .

هذه الحقائق التي جاءت في المجلد الاول من الكتاب استرعت اهتمامي معرفتها حتى يكون قراء « العربي » على بينة من حقائق ، لهم وطنهم ، غير معروفة .

المجلد الثاني

اما بالمجلد الثاني فجاء به وصف رائع لمدينة الجزائر في حدود سنة ١٧٣٠ ميلادية ، وذكر الحملات البحرية التي هاجمت بواسطتها دول اوروبا منفردة او مجتمعة الولاية الجزائرية ، واشار الكاتب بعدم جدواها . ثم هو يذيع الرسالتين المتبادلتين بين نابليون وداي الجزائر مصطفى باشا داي ، بعد فشل الحملات المدائية . ويعود تاريخ الرسالتين الى ما يزيد عن القرن والنصف .

عاصمة الجزائر

ويتحدث القس شو الانجليزي عن عاصمة الجزائر فيقول في الصفحة ثلاث ولاثنين من المجلد الثاني

« هذه المدينة التي لبثت منذ عدة قرون الدول المسيحية صولة وبأسا ، مبنية على شكل نصف دائرة متدرجة ، على سفح هضبة ممتدة الى خط البحر . وباستثناء الشارع الرئيسي فغالب الطرقات ضيقة .. والباقي ذات طوابق ثلاثة في الاكثر الغالب ، ولها سطوح مطلية بالجبس لتضفي على المدينة طابعا خاصا ، يلجون اليها من ابوابها الستة . واسوارها مدعمة بالابراج المربعة وترتفع اربعين قدما من ناحية البحر وثلاثين قدما من ناحية البر . وسمكها اثنا عشرة قدما . وقاعدة الاسوار من الحجر والباقي من الاجر . وعرض الخنادق عشرون قدما وعمقها سبع اقدام .

ولحرس المدينة ـ عدا قلعتها الجاثمة في المنطقة العليا ـ عدة مراكز للمدفعية متفرقة وموزعة على الساحل ، وسبعة بروج ، احدها بجزيرة المنارة ، وهو يحمي الميناء مباشرة ، وبرجان يحميان العيون ويمنعان الاقتراب من العاصمة من جهة البحر .

ويتكون الميناء من جزيرة صغيرة يشدها ممر الى الارض . ولا يوجد بالمدينة ميدان واحد ولا حديقة واحدة ، وانما يوجد بها عشرة جوامع وخمسون مسجدا وثلاث مدارس للتربية عمومية وعدة مدارس صغيرة وخمسة سجون لجمع رقيق الدولة ، واثنا عشر حماما عموميا عاديا ، واثنان وسبعون حماما بخاريا ، وكنيسة كاثوليكية ، وبيعة لليهود ، ومائة وخمسون سبيلا للماء على ذمة السكان .

والجدير بالملاحظة قصر الداي بالجزائر ، والجوامع ، والثكنات الخمس . يمكن لكل واحدة ان تسع الستمائة جندي . وتوجد عدة قصور جميلة مبلطة بالرخام من اعلاها لاسفلها ، تعتمد على اعمدة مرمرية ، وسقوفها مزركشة بأبهر صباغ . ولا تختلف عن غيرها من البيوت في ظهرها الخارجي . وبنى غالبها السادات او الباشاوات او كبار التجار .

ولا يعرف بالضبط عدد سكان العاصمة الجزائرية

فبعضهم يقدره بثمانين الفا ، وبعضهم بمائة وخمسة وثلاثين الفا ، والباقي بمائة وثمانين الفا من المسلمين واليهود والنصارى » .

الحملات التي تعرضت لها العاصمة الجزائرية

ويتخلص الكاتب من بعد ذلك الى الحديث عن الحملات التي تعرضت لها العاصمة الجزائرية فيكتب في الصفحة الثمانية والثمانين من المجلد الثاني :

« لم تفكر الدول المسيحية لحد الآن في ايجاد الفرصة السانحة للاجماع بنية نسف واتلاف هذا المعقل من معاقل القراصنة ، ومع ذلك فانها لوثت في مناسبات عديدة النيل منه بقسوة . فلقد رجمته بالحمم في عام ١٦٨٢ وعام ١٦٨٣ بواسطة الاسطول الفرنسي بامرة امير البحر دوكان . وفي سنة ١٦٨٨ تحت قيادة الشي ديستري ؛ وفي سنة ١٧٧٠ و ١٧٧٢ من طرف الفنلانديين وفي سنة ١٧٨٣ و ١٧٨٤ من طرف الاسبان وفي سنة ١٨١٦ من طرف الانجليز والهولانديين مجتمعين » .

بين والي الجزائر ونابليون بونابرت

وبعد هذا الاستعراض للحملات التي تعرضت لها العاصمة الجزائرية من طرف الاساطيل الاوروبية يتخلص الى الحديث عن نتائج تلك الحملات فيكتب بالصفحة ٩٤ من المجلد الثاني :

« .. على الرغم من الدروس القاسية المختلفة التي اعطتها الدول الاوروبية لتلك الشوكة (يعني الجزائر) فمن المسلم به مع ذلك ان هذه الدروس والتي لم تات الا بنتيجة تافهة عند مقارنتها بالمفاوضة السلمية التي اجرتها حكومة فرنسا في سنة ١٨٠١ والتي لم يساندها جيش جرار بل ساندتها قوة خفية لاسم عظيم (يعني نابليون) » .

رسالة نابليون الى والي الجزائر

ويورد الكاتب من بعد ذلك نص الرسالتين المتبادلتين بين نابليون وبين داي الجزائر فيكتب بالصفحة الرابعة والتسعين من المجلد الثاني :

« من بونابرت القنصل الاول الى صاحب السمو الاسنى والجناب الرفيع داي الجزائر حرس الله سؤدده ورفاهيته .

« اوجه اليكم هذه الرسالة بطريقة مباشرة لانه علم من ان وزراءكم يزيفون لكم الحقائق ، ويحملونكم على التصرف تصرفا من شأنه ان يجلب لكم وخيم العواقب وجسيم المصائب . سيسلم اليكم هذه الرسالة يدا بيد احد ضباط حاشيتي ، والهدف منها مطالبتكم بالتعويض العاجل ، يضاف الى ذلك ما اسفرت من مواطنكم التي اعربتم عنها بحرية دائما . لقد ضرب احد ضباطكم من رؤساء البحر احد ضباطنا في خليج تونس . وتقدم دون الجمهورية مطالبا بترضيته وتأديب سيضيعني . كما استولى قراصنتكم على سفينتين وقادوهما للجزائر فاخرا موعد رحلتهما . واستولى قراصنتكم ايضا على سفينة ميوبية في جون هيار (مرفا واقع بالجنوب الفرنسي) وبهذا الصنيع خرقوا حرمة التراب الفرنسي . واخيرا تعطلت باخرة قرب سواحلكم في فصل الشتاء وما زالت فاقدا لتوتيتها الثلاثة والخمسين الذين هم في قبضة البرابرة ، وانني اطالبكم بالتعويض عن كل هذه الاخذ . ولا شك في انكم كافة الاجراءات التي كنت اتولاها بنفسي لو حصلت لي نفس الظروف . وقد وجهت منشأة بحرية لتعود بالثلاثة والخمسين بونيا المطرودين الى فرنسا . وارجوكم ان تعاقبوا البعض من وزرائكم الذين يناصبون فرنسا العداء فليس لشخصكم اشد منهم عداء . واذا حرصتُ على ابقاء السلم مخيما على علاقتنا فلا بد لكم من الحفاظ على حسن الوفاق الذي تم اخيرا ، والكفيل وحده باحرازكم على الثقة والرفاهية اللتين تتمتعون بهما ، فالله قد كتب وقدر ان كل من قسى واعتدى ، ناله العقاب . فان كانت لكم رغبة صادقة في العيش معنا على وفاق فمن الواجب الحتمي ان لا تعاملوني معاملة الدولة الضعيفة . يجب ان تأمروا بوجوب احترام العلم الفرنسي وعلم الجمهورية الايطالية التي ترئسني على راسها ، وان تعوضوني عن



مدينة الجزائر عام ١٨٣١

الإهانات التي تحملتها والتي اصابتني . ليس لهذه الرسالة من .. آخر ، فالرجاء ان تطالعوها شخصيا باهتمام وان تحيطوني علما ـ عند عودة الضابط الذي ارسلته اليكم ـ بما تقرر لديكم مناسبا في القضية » .

رسالة والي الجزائر الى نابليون

نشرت هذه الرسالة بالجريدة الرسمية الفرنسية لومونيتور Le Moniteur بتاريخ سابع سبتمبر ١٨٠٢ مشفوعة بهذا الرد :

« من عبد سبحانه وتعالى الاعظم الامجد المولى مصطفى باشا ، داي الجزائر ، حفظ الله سؤدده ، الى صديقنا بونابرت القنصل الاول للجمهورية الفرنسية ورئيس الجمهورية الايطالية. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

اما بعد ، ايها الصديق ، فاني احيطكم علما بان رسالتكم المؤرخة بالعشرين من شهر مسيدور وصلتني وطالعتها بعد ان سلمها الي قائد بلاطكم ووكيلكم ، ديبوا تانفيل ، وارد عليها فصلا فصلا :

اولا : شكوتم تصرفات علي تاتار . على الرغم من انه من سيكتل فاني القيت عليه القبض بنية تقديمه للاعدام ، ولكن تدخل عند التنفيذ وكيلكم وطلب مني الصفح عنه نيابة عنكم. واذا ما افرجت عنه واطلقت سبيله فاعلنا بخاطركم .

ثانيا : تطالبون بالسفينة النابولية التي وقع السطو عليها تحت رحمة مدفع فرنسا كما تزعمون. ولكن تفاصيل الحادثة حول هذه القضية فقد ابلغوها اليكم على غير حقيقتها . ونزولا عند رغبتكم قد رفعت الاسر عن ثمانية عشر مسيحيا من بولنيتها وسلمتهم الى وكيلكم .

ثالثا : تطالبون بمنشأة بحرية نابولية بدعوى انها ابحرت من كورفو محملة بالبضائع الفرنسية. انا لم نعثر على ورقة فرنسية واحدة تشير الى ذلك . ونزولا عند رغبتكم قد فككت اسار النوتية وسلمتهم لوكيلكم .

رابعا : تطالبون بزجر الرئيس (ربان السفينة) الذي قاد الى هنا سفينتين تابعتين للجمهورية الفرنسية ونزولا عند رغبتكم قد عزلته . وسبب ذلك هو ان ربابنة بحرنا لايعرفون حروف الهجاء الاوروبية ولا يعرفون سوى الجوازات العادية . ولهذه الدواعي والاسباب فمن المستحسن في المستقبل ان تعلن ، بواسطة الشارات ، بوارجكم

العربية عن جنسيتها ليتعرف اليها قراصنتنا .

خامسا : تطالبون باطلاق سراح مائة وخمسين رجلا تدعون انهم مقيمون ببلادنا . لا يوجد ببلادنا احد منهم . وارادت مشيئة الله لن يهلكوا فتكدرت من اجل ذلك كثيرا .

سادسا : تقولون ان البعض من مستشاري يسدي نصائح من شأنها التفرقة بيننا . ان صداقتنا متينة وقديمة ولن يطمع من يريد بث الشقاق بيننا .

سابعا : تريدون مني ان اكون صديقا للجمهورية الايطالية . انني ساحترم علمها نزولا عند رغبتكم كاحترامي لعلمكم . ولو طلب ذلك مني سواكم لما رضيت حتى ولو قدم لي ثمنا عن ذلك مليون فرنك .

ثامنا : لم تتنازلوا دفع الثلاثي الف فرنك التي طلبناها منكم كتعويض عن الخسائر التي لحقتني بسببكم وسواء ادفعتموها ام لم تدفعوها فلن يؤثر ذلك في صداقتنا شيئا .

تاسعا : انهيت من صديقي ، دبوا بالتعجيل ، وكيلكم جميع القضايا الخاصة بالقالة . ويمكن في المستقبل القدوم من اجل صيد المرجان ، وستتمتع شركة افريقيا بنفس الامتيازات التي كانت تتمتع بها قبلا . واصدرت اوامري لباي قسنطينة ليمنحها كل انواع الحماية .

عاشرا : لبيت رغبتكم حسبما رسم ولهذا فمن حقي ان اطالبكم بالمثل .

احد عشر : لهذا ارجوكم اصدار التعليمات اللازمة حتى لا يرفع علمكم او علم الجمهورية الايطالية على سفن البلاد المعادية لنا والتي تمخر عباب البحر ، تفاديا من النزاع بيننا وحرصا على صداقتكم .

ثاني عشر : امرت رؤساء بحريتي باحترام العلم الفرنسي في البحر وسأعاقب اول رئيس يقود منشأة فرنسية الى احد المراسي الجزائرية .

واذا ما شب نزاع بيننا في المستقبل باسلوب مباشرة فسيقضى كل نزاع بالطرق الودية . تحياتي اليكم وحرس الله مجدكم والسلام .

تحريرا في ١٥ ربيع الاول ١٢١٧هـ » .

وبالكتاب فصول عشرة اختص كل مجلد بخمسة منها . فالمجلد الاول يشتمل على :

١ ـ وصف طبيعة الارض وسواحلها ومنتوجاتها .

٢ ـ الحيوانات والطيور والحشرات والاسماك .

٣ ـ العلوم والفنون والصنائع والتقاليد والعادات والملابس .

٤ ـ نظام الحكم ووظائف الداي والاغا وضباط الميليشيا التركية .

٥ ـ اهمية هذه الميليشيا وجيشها واسطولها ومراكبها ومرتبات افرادها وطريقتها في الحرب والسلم مع ملاحظات مختلفة .

والمجلد الاول هو اهم ما في الكتاب لانه يرشدنا الى الدافع الذي من اجله عاش القس شو بالجزائر مدة اثنتي عشرة سنة . كتب ارسي صفحة لكشف اسرار القوى الجزائرية التي كانت الدول الاوروبية متشوقة لمعرفتها ومتطلعة لاستكناه حقائقها ومتشوقة لمعرفة نظامها الدقيق . فالكتاب احرى بان ينسب الى ضابط استعلامات بدلا من ان ينسب الى رجل دين .

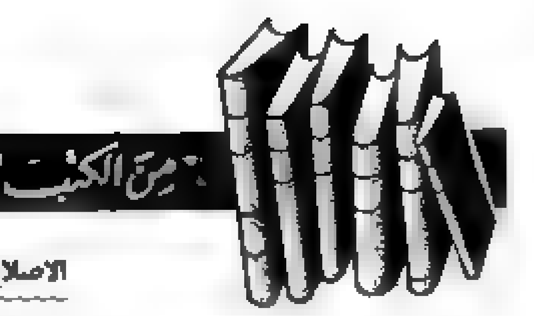
اما الفصول الخمسة التي اشتمل عليها المجلد الثاني فتحتوي على وصف للعمالات الخمس :

تلمسان . فالجزائر . فتيزي . فقسنطينة . فالزاب . وكل وصف لا يخلو من ذكر مسهب ووصف مدقق لواقع الجيش وعتاده وثكناته .

ولعل المؤرخين في المستقبل يصححون بعض الاخطاء ويضعون الامور في نصابها وينطلقون معتمدين على بعض هذه الحقائق لرد بعض الافتراءات التي حرص كاتبوها المغرضون او المأجورون على ترديدها لطمس الحقيقة وللافتراء على التاريخ مدة احقاب من الزمن .

نور الدين بن محمود

صاحب «الثريا» و «الاسبوع» التونسيتين سابقا



من الكتب التي وصلتنا

التوجيه في المدرسة

تأليف دونالد ج مورتنسن الن م شمولر ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ وابراهيم خليل دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ١٢٢ قرشا

● من احدث الكتب في ميدان التوجيه في المدرسة ، ويمتاز الى جانب الشمول بدقة العرض وسلامة المحتوى كما ان فائدته لا تقتصر على المتخصصين في التوجيه وحدهم وانما تمتد ايضا الى سائر المعنيين بالهدف الاساسي للتربية .

رصيد البنك الكبير

تأليف كاثرين فوربز ـ ترجمة احمد محمد عيسى ـ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ١٧ قرشا

● هذه قصة رائعة تصور كفاح اسرة من اجل حياة كريمة وسط حياة صاخبة أحيانا وهادئة احيانا اخرى وكان للام فيها دور هام في رفع مستوى تلك الاسرة ثقافيا واقتصاديا ـ وذلك باسلوب شيق جميل .

ابن بيلا .. الاسطورة

تأليف : غالب عبدالرزاق ـ دار منشورات البصري ببغداد الثمن ١٠٠ فلس عراقي

● في هذا الكتاب تجد القصة الكاملة لثورة الجزائر كتبها مؤلف عرف معظم أبطال الثورة معرفة شخصية .

سلام في فلسطين

تأليف : ادمون خياط ـ شركة الطبع والنشر اللبنانية بيروت

● في هذا الكتاب صور حية عن المشكلة الفلسطينية ومآسيها الدامية .

الاصلاح الزراعي في تايوان

تأليف : تشن تشنغ ـ مطبعة سيما بلبنان .

● يبحث هذا الكتاب في مشكلة توزيع الاراضي تلك المشكلة التي تعد من أهم المشاكل الاجتماعية التي عرفها الانسان . ويصف الكاتب باسهاب واف عليه كيف قامت حكومة الجمهورية الصينية بحل هذه المشكلة في مقاطعة جزيرة تايوان .

المطالعات في مختلف المؤلفات

تأليف السيد محمد علي العماني ـ مطبعة الآداب النجف الاشرف

● يستعرض هذا الكتاب جانبا كبيرا من تاريخ حياة التأليف في مراحله الثلاث ، مرحلة الكتابة الحجرية ومرحلة الكتابة على الرق والقرطاس والمرحلة الاخيرة التي يسمع فيها عصر انتشار الطباعة . كما يعالج المؤلف كثيرا من المسائل الاجتماعية التي حامت من قبل بعض الكتاب والمؤلفين الذين يكتبون اشباعا لرغباتهم الخاصة .

قطرات من ظما

من نظم غازي عبد الرحمن القصيبي ـ مطابع دار الكتب بيروت الثمن ٢٠٠ قرش لبناني

● مجموعة شعرية من نظم الشاعر .

ثورة العراق سنة ١٩٢٠

تأليف الفريق سر المر هولدين ترجمة فؤاد جميل ـ مطبعة الزمان ببغداد ـ الثمن ١ فلس عراقي .

● ضم هذا الكتاب بين دفتيه معلومات قيمة مهمة عن صفحة الثورة العظيمة بقدر ما تيسر للمؤلف من تقارير رسمية وما حصل عليه من خبرة شخصية وهو يدير الحركات العربية ازاء الثوار البواسل والكتاب يعد من اهم المصادر في دراسة « ثورة العشرين » . ■ ■



لماذا لا يجوز لغير المسلمين

دخول مكة والمدينة والاقامة فيهما ؟

● أنا مصور صحفي ، على صلة بالصحف الأجنبية من امريكية وانجليزية وفرنسية ، اذ أزودها بصور تاريخية وغير تاريخية للبلاد العربية . وقد قمت أخيرا برحلة في الخليج العربي ثم في الجنوب العربي ، ولكني لما أردت تصوير الأماكن المقدسة في مكة والمدينة لم يسمح لي بدخول هاتين المدينتين لأني مسيحي ، وإن كنت عربيا ، ولأن دخولهما ممنوع لغير المسلمين .

فما هو سبب المنع ؟ وهل هناك في القرآن أو في الحديث الشريف ما ينص عليه ؟ علما بأن السياح الأجانب — وهم من غير المسلمين — يدخلون المساجد التاريخية كالأزهر الشريف ومسجدي الإمام الحسين والسيدة زينب وغيرها بالقاهرة ، وبغداد وغيرها ، ويقومون بتصويرها من الداخل والخارج على السواء .

أ. ج/بيروت

— يقول سعادة الشيخ حافظ وهبه ، سفير المملكة العربية السعودية بلندن ، في

وافق شن طبقة

● كثيرا ما نقرأ في الأمثال العربية القديمة مثلا يقول « وافق شن طبقة » . فما معنى « شن » ؟ وما معنى « طبقة » ؟ وما هو مغزى هذا المثل ؟

عبد الصاحب جعفر / بغداد

— كان « شن » رجلا من أذكياء العرب ، أراد أن يتزوج فتاة في مثل ذكائه ، فراح يبحث هنا وهناك عسى أن يجد ضالته . وبينما هو في تجواله ذات يوم التقى بأعرابي عرض عليه أن يكون رفيق طريقه ، فسأله شن « أتحملني أم أحملك ؟ » ، فدهش الأعرابي وقال : « أيها الجاهل .. هل يحمل الراكب الراكب ؟ » وانطلقا .. حتى اذا رأيا زرعا قد أينع وحان حصاده سأل شن صاحبه : « أترى هذا الزرع قد أكل أم لا ؟ » فقال له الرجل : « يا جاهل .. كما تراه قائما » وانطلقا .. حتى رأيا جنازة ، فقال شن لصاحبه : « أترى صاحب هذه الجنازة حيا أم ميتا ؟ »

مؤلفه القيم « جزيرة العرب » عن منع غير المسلمين من دخول الحجاز ما نصه :

« لقد جرى العرف على الا يدخل البلدين المقدسين ، مكة والمدينة ، غير المسلمين . ومنشأ هذا ما روى عن ابن عباس انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرض موته . « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » . وعن عمر سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها الا مسلما ». وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : « آخر ما عهد النبي انه قال : لا يترك بجزيرة العرب دينان » ، وعن ابن عمر قال . « ان عمر أجلى اليهود والنصارى من ارض الحجاز ، وانه اجلى يهود خيبر الى تيماء واريحا » . وحكى الحافظ بن حجر في « الفتح » في كتاب الجهاد ، « ان الذي يمنع منه المشركون من جزيرة العرب هو الحجاز خاصة ، وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها ، لا ما سوى ذلك مما يطلق عليه جزيرة العرب ، لاتفاق الجميع ان اليمن لا يمنعون منها مع انها من جملة جزيرة العرب » . وعن الحنفية « يجوز مطلقا الا المسجد » . وعن مالك « يجوز دخولهم الحرم للتجارة » . وقال الشافعي « لا يدخلون الحرم اصلا الا باذن الامام لمصلحة المسلمين ».

« وذكر في المغني انه لا يجوز لغير المسلمين دخول الحرم للتجارة . وبهذا قال الشافعي . وقال ابو حنيفة « لهم دخوله كالحجاز كله ، ولا يستوطنون به ، ولهم دخول الكعبة . والمنع من الاستيطان لا يمنع الدخول والتصرف » .

وذكر صاحب « المغني » ايضا انه يجوز لهم دخول الحجاز للتجارة ، لان النصارى كانوا يتجرون الى المدينة في زمن عمر .

ويؤيدهما ورد في كتاب اخبار مكة للازرقي ما نصه :

« ... واخبرني جدي قال . اول من عمل القبة بين زمزم وبيت الشراب المهدي في خلافته ، عملها لهم ابو بحر المجوسي النجار ، وكان جاء به عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس (رض) الى مكة من العراق » .

ويؤيده ايضا ما ورد في تاريخ المدينة للمطري

« ... وارسل الوليد الى ملك الروم فقال : انا نريد ان نعمر مسجد نبينا الاعظم ، فأمدنا بعمال وفسيفساء . فبعث اليه ثمانين عاملا : اربعين من الروم واربعين من القبط ، وثمانين الف مثقال ، وباحمال من الفسيفساء وباحمال من سلاسل القناديل » .

(وقد وضعت الحكومة الحالية تشريعا ، من مقتضاه الا يدخل الحجاز من يدخل في الاسلام الا بعد مضي سنة على اعلان اسلامه ، منعا لبعض الاوروبيين الذين يدعون الدخول في الاسلام بقصد زيارة مكة او المدينة فقط).

انتهى كلام الشيخ حافظ وهبه ، وفيه جواب ما تسأل عنه بالافاضة والتفصيل .

قال الرجل . « ويحك وهل يحمل الناس الى القبور احياء ؟! » .

ووصل الاعرابي الى خيامه فاقسم على شن ليكون ضيفه حتى يستريح .. وكان للرجل ابنة ذكية تدعى « طبقة » راح والدها يحدثها فيما بينه وبينها عن ضيفه الابله الغبي ، وسرد عليها اسئلته العجيبة ، فنظرت طبقة الى ابيها وقالت: والله يا ابت ما صاحبك بابله ولا غبي ، بل لقد وهبه الله عقلا حاضرا ولسانا لافظا .. فاما قوله « أتحملني ام احملك » فيعني « اتحدثني في الطريق ام احدثك ؟ » واما قوله « أترى هذا الزرع قد أكل ام لا ؟ » فيعني « هل باعه اهله فأكلوا ثمنه ام لا ؟ » واما قوله عن الميت « أحي هو ام ميت ؟ » فيعني هل ترك خلفا يحيي به ذكره ام لا ؟ » .

فعجب الرجل لذكاء ابنته ، وخرج يتحدث الى « شن » مؤولا اسئلته فقال « شن » : هذه والله ضالتي المنشودة ، ثم خطبها ، وحملها الى اهله ، فلما رأوا ذكاءها قالوا : « وافق شن طبقة » ، فذهبت مثلا ..

الأباضية : هل هم من الخوارج أم لهم مذهب مستقل عنهم؟

« أسوأ الخوارج حالا الغلاة ، وأقربهم
الى قول أهل الحق : الاباضية »
الامام ابن حزم

رأيت في باب « أنت تسأل ونحن نجيب » اجابة على سؤال عن «الاباضية» واني لأسجل اعجابي وتقديري لمجلة « العربي » التي ما فتئت تتحف القراء بمختلف أنواع العلوم والفنون ، وتزودهم بثقافة واسعة في شتى المجالات والميادين ، ويسعدني أن أعقب على ما تضمنته اجابة السيد الكاتب من حسن قصد ، أو لعدم توفر المصادر اللازمة لديه ، فأقول ان الاباضية مذهب مستقل بذاته وليسوا بخوارج ، لأنهم لم ينكروا نصا شرعيا ، ولأنهم لم يثبت أن عملوا بما يخالف المقطوع به من نصوص الشريعة الاسلامية .. فقط كان رأيهم في موضوع التحكيم ألا يقبل الامام علي كرم الله وجهه تحكيم الحكمين لأنه خليفة المسلمين الشرعي باجماعهم ، وبمجرد قبوله للتحكيم يطعن في خلافته.

واتفاق الاباضية والخوارج في قضية عدم قبول التحكيم لا يجعل الاباضية خوارج ، كما لا يجعل الخوارج اباضية .. والاباضية فرقة واحدة من الأمة الاسلامية الكبرى ، أو مذهب واحد ، ولم نعرف ونحن أتباع هذا المذهب الاباضية بفروعهم ينقسمون الى أربع فرق .

ولم يكن الاباضية في يوم ما متزمتين في آرائهم ، ولا جامدين في أفكارهم ، ولا أشداء في أحكامهم كما يقرر الكاتب ، وهم عندما يطلقون كلمة تكفير على عصاة المسلمين يقصدون من ذلك « كفر نعمة » لا « كفر شرك » ، استنادا الى الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة .

وليس صحيحا أن الاباضية يرفضون الاستدلال بغير نص الكتاب والسنة دون القياس والاجماع .

أما فيما يتعلق برأي الاباضية في الامامة فذلك ما أصاب فيه السيد الكاتب حقا . فالاباضية لا يشترطون لزوم الامامة في قريش لأنهم يرون ألا يلي شئون المسلمين وأمورهم الا من توفرت فيه الكفاءة الدينية والكفاءة العلمية والكفاءة العقلية والخلقية بقطع النظر عن جنسه ولونه ، والدين الاسلامي يطعن في مراعاة موضوع لا تفاضل بين بني البشر الا بالتقوى وبما يقدمونه من خدمات فيها خير ونفع للمجتمع الاسلامي .

وليس صحيحا كذلك أن الاباضية يتحاملون على الامامين عثمان وعلي ، وان كانوا أخذوا عليهما مآخذ لم تبلغ الى درجة التحامل .

ورغم ذلك فالاباضية يحترمونهما ويقدرون ما لهما من ماض مجيد وتاريخ ناصع الصفحات .

افلح بن جابر
طرابلس الغرب — ليبيا

— نشكر السيد افلح رسالته القيمة ، وان كنا قد اختصرنا بعض ما تضمنته من تفاصيل لا تتسع لها صفحات هذا الباب . كما نشكر السادة مسعود سعيد البوفاري ، ويوسف ، وعيسى الباروني ، وعلي محمد علي الطيواني ، على رسائلهم في تاريخ الاباضية وحقيقة مذهبهم ، وعلى صلتهم بالخوارج ، تلك الصلة التي لم نبتدعها من عندياتنا وانما قال بها كثير من المؤرخين المسلمين والأجانب . كالامام بن حزم الذي قال فيهم : « أسوأ الخوارج

شبه القارة الهندية وكيف انقسمت الى دولتين ؟

● كتب اليكم هذه الرسالة والحرب مستمرة بين الهند وباكستان ما تزال ، أي أسألكم عن أسباب انقسام شبه القارة الهندية الى دولتين هما الهند وباكستان ؟ وعن أسباب الحرب القائمة بين الدولتين ، وكذا عن أسباب تأييد الصين الشعبية لباكستان مع أن العلاقات بينها وبين الهند كانت الى عهد قريب علاقات ودية ، واعتبار الهند من دول الحياد ، بينما باكستان ترتبط بعلاقات قوية مع المعسكر الغربي المناوئ للشيوعية ؟

خالد محمد عبد الغفور / السعودية

ـ كانت القارة الهندية واقعة تحت السيطرة البريطانية منذ اواسط القرن السادس عشر ، بل كانت درة التاج البريطاني .. لكن هذه السيطرة اصطدمت في القرن الاخير بوعي قومي اشترك في توجيهه الزعيمان الراحلان غاندي ومحمد علي جناح وغيرهما ، فتوالت الثورات ضد الانجليز ، ولكنهم كانوا يقمعونها بالقوة . واخيرا في ٢٠ فبراير سنة ١٩٤٧ ـ قررت بريطانيا تقسيم الهند الى دولتين هما الهند وباكستان وانسحاب قواتها منها . وفي ١٥ اغسطس من نفس السنة اعلن استقلال كل من الدولتين ، وانضمتا الى دول الكومنولث ، ثم الى الامم المتحدة بعد ذلك .

والحرب التي نشبت اخيرا بين الدولتين ليست اول حرب من نوعها ، فقد سبقتها مناوشات واحتكاكات مسلحة عديدة ، ولكن الامم المتحدة كانت تحول دون تطور تلك الاحتكاكات الى حرب حقيقية ، رسمية .

اما اسباب النزاع فكثيرة ، ولكن اهمها الخلاف على ولاية كشمير ، الى اي الدولتين تتبع ؟

وصحيح ان العلاقات بين الهند والصين الشعبية كانت تتسم بروح الصداقة بسبب اشتراكهما في معسكر عدم الانحياز ، وارتباط باكستان بالاحلاف العسكرية مع المعسكر الغربي الذي يناوئ الشيوعية ، ويقف حائلا دون انضمام الصين الشعبية الى هيئة الامم ، ويأبى ان يتخلى عن تأييده للصين الوطنية (فرموزا) التي هي احدى دول مجلس الامن الدائمة الا ان الخلاف الاخير بين الهند والصين الشعبية على الحدود المشتركة بينهما هو الذي ادى الى موقف الصين الشعبية من الهند ، وتأييدها لباكستان ، كوسيلة للضغط على الهند لتنزل عند رغبة الصين في مشكلة الحدود وغيرها ..

هذه الملة ، واقربهم الى قول اهل الحق الاباضية » ، وفي كتابه « الفصل في الملل والاهواء والنحل » كلام كثير عنهم ..

وقاله الشهرستاني في كتابه « الملل والنحل » .

وجاء مثله واكثر منه في كتاب « الفرق بين الفرق » وغيره وغيره من كتب الاقدمين .

اما كتب المحدثين فمنها « في حاضر العالم الاسلامي » للامير شكيب ارسلان و « ضحى الاسلام » للاستاذ احمد امين ، و « تاريخ الجزيرة العربية » لسيد مومن باوزير و « ادوار التاريخ الحضرمي » لمحمد بن احمد بن عمر الشاطري ، وغيرها ، وكلها تؤكد ان الاباضية من الخوارج ، وانهم اربع فرق ، وتتهمهم بالجمود والتزمت والشدة في مذهبهم الخ ..

فاذا كان ما نشرناه عن الاباضية قد جاء مخالفا لما كانوا عليه ، فما تلك غلطتنا ، وانما هي غلطة تاريخية وقع فيها كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين ، والاصل الشرعي ان ناقل الكفر ليس بكافر ..

« اللؤلؤ والمرجان ، في تسخير ملوك الجان » !

● أنا طالب جامعي ، بالسنة النهائية بإحدى الكليات النظرية ، بي رغبة في حب وأتمنى أن تكون زوجة لي ، لكني اكتشفت في أن أحببت بدلا مني ، و حتى تحس بوجودي ، ثم تبين أنها مشغوله برجل آخر وعدها بالزواج بعد أن يتخرج . وأخيرا وقع في يدي كتاب اسمه « اللؤلؤ والمرجان ، في تسخير ملوك الجان » ، يتضمن طائفة من الأعمال السحرية للمحبة والقبول ، والبغض والتفرقة ، وتسليط الأمراض ، والانتقام من الأعداء ، فضلا عن الاختفاء والمشي على الماء والطيران في الهواء ، الى غير ذلك من العوائد وذلك بواسطة كتابة بعض الطلاسم وتلاوة العزائم ، وإطلاق البخور ، وإلقاء بعض الرقى والتعاويذ في الماء أو دفنها في القبور ، الخ

وقد فكرت في أن أستعين ببعض هذه العوائد السحرية في جلب محبة فتاتي وجذب قلبها إلي وصرفها عن صاحبها الآخر مهما كلفني ذلك ، ولكني رأيت أن أسألكم : هل هذه الأشياء محرمة حقا كما يقول الكتاب ؟ وهل هناك خطر من استخدام الجان ، خصوصا أن المؤلف يقول في مقدمته إن أهم شروط العمل القدرة على « الصدام » وإلا انقلبوا به أذى كبيرا !!

دمشق — ج. س. ف.

— أعجب ما في رسالتك أن تصدر من طالب جامعي ، في السنة النهائية ، فضلا عن

الاتحاد السوفييتي بين الدكتاتورية الفردية والقيادة الجماعية

● متى عرفت روسيا باسم الاتحاد السوفييتي؟ ومن أي الدول يتألف هذا الاتحاد ؟ وكم عدد سكانها ؟ وهل بولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا من دول الاتحاد ؟ وما هي الأسباب التي قضت على ديكتاتورية ستالين باعتباره خليفة لينين ؟

الآنسة وفاء صبري / الاسكندرية

— بعد أن انتصرت الثورة الروسية عام ١٩١٧ على أعدائها ، وتولى « لينين » رئاسة الحكومة الشيوعية الأولى ، أعلن في روسيا دستور جديد وأصبحت تسمى « الاتحاد السوفييتي » وكان ذلك عام ١٩٢٢ .

ويتألف الاتحاد السوفييتي من جمهوريات : روسيا ، أوكرانيا ، روسيا البيضاء ، أرمينيا السوفيتية ، أذربيجان السوفيتية ، أوزبكستان ، جورجيا ، تركستان ، قرغيزيا ، مولدافيا ، لتوانيا ، لاتفيا ، استونيا ، كازاخستان ..

ويبلغ عدد سكان الاتحاد السوفييتي حوالي ٢١٤ مليون نسمة (تعداد ١٩٦٠) .

وليست بولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا ضمن جمهوريات الاتحاد السوفييتي ، ولكنها دول شيوعية تدور في فلك ذلك الاتحاد وترتبط به ارتباطا قويا ، سياسيا واقتصاديا وعسكريا .

ففي الحرب العالمية الثانية كانت دول شرق أوروبا — وهي المجر وبولندا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا وبلغاريا والمانيا — خاضعة للاحتلال النازي ، فلما بدأ الحلفاء ينتصرون على«المحور» دخلت القوات السوفيتية — التي كانت هي

انه يعيش في النصف الثاني من القرن العشرين ، اي في عصر الذرة والصواريخ والاقمار الصناعية .. كيف تصدق ، وانت ما انت ، هذه الكتب وما تزعمه من امكان تسخير الجان والعفاريت في شؤون الحب والغرام ، والكيد والانتقام ، فضلا عن الاختفاء ، والمشي على الماء ، والطيران في الهواء ، الى آخر ما تتضمنه امثال تلك الكتب من سفسطة وهراء ؟

ولست ادري كيف يغيب عن طالب جامعي مثلك ان هذه الوسائل السحرية لو كانت صحيحة ، لاستخدمتها الدول المختلفة في حربها مع اعدائها ، لتضمن لنفسها الغلبة والنصر ، بدلا من ان تنفق في سباق التسلح ما تنفق من بلايين الجنيهات والدولارات ، ثم تعرض في النهاية للخراب والدمار والشتات !

بل لو كان صحيحا هذا الهراء لاستخدمت الدول الكبرى في افساد ما لدى المعسكر الاخر من قنابل ذرية ، ولاستخدمته الدول النامية في معرفة سر هذه القنابل ، او في سرقة بعضها ، وهي سرقة مشروعة ، لا جريمة فيها ، ولا عقاب عليها ، لو كانوا عليها يقدرون !

بقيت كلمة .. ما دامت زميلتك قد اختارت من نفس اليه ليشاركها في رحلة الحياة، فلماذا تريد ان تقف في طريقها ؟!

الحب يا صاحبي لا يكون بالسحر ، ولا باستخدام الجان ، وانما هو شيء يودعه الله في قلوب من يشاء من عباده ، ودراستك اولى بهذا الوقت الذي تضيعه في هذه الخرافات !

الاخرى في حرب ضد « المحور » ـ هذه الدول لتحريرها من الاحتلال النازي ، واستطاعت العناصر الشيوعية التي كانت تتزعم مقاومة المحور بعد انضمام الاتحاد السوفييتي الى الحلفاء في محاربة النازية ، ان تدعم نفوذها في هذه الدول وتسيطر على الحياة السياسية في داخلها ، ولم تحاول دول الحلفاء ان تقف في وجه التيار الشيوعي خشية انقلاب الاتحاد السوفييتي عليها ، وكانت النتيجة ان تحولت هذه الدول الى دول شيوعية .

وكذلك كان حال يوغوسلافيا حتى عام ١٩٤٨ ، حيث وقع الخلاف بينها وبين الاتحاد السوفييتي بسبب دكتاتورية ستالين ، ومحاولته التدخل في شئون يوغوسلافيا الداخلية . وتبادل الفريقان التهم ، وانتهى الامر بحدوث قطيعة بينهما ، وقرر « الكومنفورم » طرد يوغوسلافيا من الكتلة الشيوعية .

وقد ظل الخلاف قائما بين الدولتين الى ما بعد موت ستالين ، وخلافة خروشوف ، فوقع مع المارشال تيتو بيانا مشتركا خفف من حدة النزاع ، ومع ذلك فان يوغوسلافيا ما تزال مستقلة في سياستها عن الكتلة الشيوعية .

ولما خلف خروشوف ستالين بعد موته حمل عليه حملات شعواء وهاجم سياسته ودكتاتوريته الفردية والمحاكمات التي كان يجريها للتخلص من خصومه بعد تعذيبهم وكيف انه اهان زوجة لينين وقد كان لينين قد اوصى بالا يتولى ستالين سكرتيرية الحزب الشيوعي .

وكان لهذه الحملات اثرها في القضاء على شخصية ستالين الطاغية ، وفي التخلص من عملائه في دول شرق اوروبا ، ورد الاعتبار للذين ذهبوا ضحية استبداده .

والعجيب في الامر ان خروشوف استند في مهاجمته لستالين الى دكتاتوريته الفردية، وطالب بتطبيق سياسة « القيادة الجماعية » .. وهذه هي نفس الاسباب التي استند اليها العهد الجديد في الاتحاد السوفييتي لاقصاء خروشوف عن منصبه !

بريد القراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

البخارى .. والحديث

● قرأت مقال الشيخ محمد أبو زهرة عن البخارى ، فاذا هو يقول تحت عنوان « النبى ينهى عن كتابة كلامه ثم يجيز » ، ما يلى :

« ولقد همّوا فى أول الرسالة أن يحفظوا كلامه لنهاهم حتى لا يختلط عليهم قوله بالقرآن حتى اذا استطاعوا أن يفرقوا بين كلام الحق وكلام الرسول — فى آخر حياته — [illegible] لمن ارادوا الكتابة أن يكتبوا فأذن لعبد الله بن عمرو بن العاص أن يكتب فكتب هو [illegible] » اهـ

وكنت قد قرأت فى كتاب « أضواء على السنة المحمدية » أحببت أن يطلع عليه الأستاذ « أبو زهرة » والذين قرأوا مقاله ولم يتيسر لهم قراءة كتاب « أضواء على السنة المحمدية » .. فقد جاء فى ص ٤٦ و ص ٤٧ من الأضواء ما يلى :

« وقد ذكروا [illegible] النبى [illegible] عن كتابة حديثه [illegible] اختلاط الحديث بالقرآن وهو سبب لا يقنع به عاقل عالم ، ولا يقبله محقق [illegible] الا اذا جعلت الاحاديث من جنس القرآن فى بلاغته وان أسلوبها فى الاعجاز من أسلوبه ، وهذا ما لا يقره أحد حتى ولا الذين جاءوا [illegible] اعجاز القرآن وعدم [illegible] »

[illegible] الأحاديث لو كتبت [illegible] ذلك [illegible] والقرآن ولا [illegible] كل من له بالبلاغة وذوق فى [illegible]



وجاء في ص ١٧ ما يلي :

ولقد يكون قريبا من الصواب في حكمة نهي النبي من كتابة حديثه هو لكي لا تكثر اوامر التشريع ولا تتسع ادلة الاحكام، وهو ما كان يتحاشاه امرا حتى كان يكره كثرة السؤال — او يكون من احاديث في امور خاصة بوقتها لا يصح الاستمرار في العمل بها ا هـ . مثل حديث « من اكل لحم جزور فليتوضأ » القصة المعروفة

واليك هذين الخبرين اللذين حدثا على عهد الخليفة عمر بن الخطاب وعهد معاوية . جاء في ص ٢) ما يلي :

« روى ابن سعد عن عبد الله بن العلاء قال : سألت القاسم بن محمد ان يملي علي احاديث . فقال : ان الاحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فانشد الناس ان يأتوه بها فلما اتوه امر بتحريقها ثم قال : مثناة كمثناة اهل الكتاب — « يقصد اليهود » بمجموعة الإسرائيليات — فمنعني القاسم ابن محمد يومئذ ان اكتب حديثا ».

وجاء في ص ٣) ايضا :

« ودخل زيد بن ثابت على معاوية فسأله عن حديث ، وامر انسانا ان يكتبه ، فقال له زيد « ان رسول الله (ص) امرنا ان لا نكتب شيئا من حديثه » ، فمحاه .

ونحن نرجو الشيخ « ابو زهرة » ان يتلطف بالاجابة من المصادر الوثيقة التي تثبت ان النبي (ص) اجاز في آخر حياته بأن تكتب الاحاديث عنه بعدما ذكرنا ما اورده الشيخ ابو ريه وهو جزء يسير مما احتفا به ، فليراجع المصدر من اراد المزيد والايضاح . واخيرا اسأل

الشيخ « ابو زهرة » من تفسير الآية « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » فكيف يكون حفظ الله للقرآن لن كان النبي يخاف من اختلاط قوله وقول غيره بالقرآن ؟

العراق ـ البصرة   شريف الدين خبير

ردود خاصة

● السيد الياس عبده : المدينة المنورة

ـ مشكلتك أهون من أن تشملك الى هذا الحد ، وانطواؤك من اجلها على نفسك لا تتفق وما تذكره من ثقافتك وفهمك العميق للحياة والناس . ان قيمة المرء ليست في هيئته ولا في شكله فدع اليأس والقلق والانطواء ، واندمج في مجتمعك ، وستجد عندها أن الحياة جميلة وان النجاح فيها اجمل .

حول مقال «الشخصية الحقوقية»

● تعقيبا على النقد الذي ذكرته الآنسة بهية جليل حول مقالي عن « الشخصية الحقوقية للمرأة في الاسلام » ، اقول ان هذا المقال « ليس منقولا عن أحد » انما هو ايجاز وتبسيط لبحث من ابحاث اطروحتي ورسالتي التي نلت بها شهادة الليسانس والاختصاص في الحقوق من الجامعة السورية عام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ ، والتي كانت باشراف استاذي الدكتور عثمان القوتلي ، وعنوانها : « خطرات في مكانة المرأة بين الجاهلية والاسلام » ...

لذلك ارجو نشر هذا الايضاح .

مجيدة شتي ارسلان

اجازة في الحقوق

ودبلوم في الحقوق الخاصة / حلب

البقية على صفحة ١٥٤





من شعر القراء

بقية المنشور على صفحة ١٥٢

ذل الذي يعتز بالماضي فقط !

من يرهب الايام ويضيع خطاه
تجري حثيثا نحو نيل مناه
ويسير مرفوع الجبين الى غد
يعنو اليه جبين من عاداه
ليست حياة المرء ملك يمينه
الا اذا ثبت الاساس بناه
عبثي حييت على عظام اوائلي
وكأنني رسم البلى احييناه
هل ينفع الظمآن ورد سائغ
في غفوة حلمت به شفتاه .. !
لا ينفع الولهان طيف حبيبه
وحبيبه تحت الثرى مثواه
ذل الذي يعتز بالماضي اذا
عزت عليه مكاسب .. او جاه

عبد الرزاق العاني
الموصل

اضحك

تضحك الدنيا معك

إبك تبك وحدك ..

منطق الاطفال !

● اعجب طفل في السادسة بجمال زميلة له في مثل عمره. وعندما كانا يلعبان ويلهوان بادر الى طلب يدها والزواج منها حرصا على البقاء الى جانبها .. وجاء رد الطفلة مخيبا لآماله اذ اعتذرت من قبول طلبه ، قائلة : هذا غير ممكن .. فعائلتنا حريصة على الا تزوج ابناءها وبناتها الا من الاقارب بدليل ان أمي قد تزوجت من أبي وجدتي من جدي . وامرأة عمي من عمي ..!

على دفعات ..!

● اضطر احدهم الى ترك سيارته في الكراج . وكان موضع دعابة اصدقائه ومزاحهم نظرا لحجمه الكبير ، ووزنه الثقيل الذي جاوز الـ ١٢٥ من الكيلوجرامات . وفيما كان ينتظر سيارة تكسي تقله الى البيت ، رأى صديقا له منطلقا في سيارته الصغيرة ، الفولكس فاجن ، فاستوقفه قائلا : هلا أوصلتني الى بيتي في سيارتك ، فسيارتي في الكراج وسيارات التكسي قلما تمر من هنا !

الصديق : يا مرحبا .. ولكن بشرط ان يكون النقل على دفعات ...

احسن دعاية !

● اتصل احد مصانع المستحضرات الخاصة باستنبات الشعر في رؤوس الرجال الصلع ، برسام اشتهر باعداد الصور والرسوم الاعلانية ، وطلب منه موافاته بصورة مبتكرة تظهر مدى فعالية تلك المستحضرات ، وذلك بصورة راس احدهم قبل استعمالها ، ومن بعد استعمالها ، وذلك ضمانا لرواج هذه المستحضرات في الاسواق . ولم تمض ساعة حتى عاد الرسام وبيده صورة تفوق في نظره كل الصور الاخرى تحقيقا للغاية المنشودة . اما تلك الصورة فلم تكن سوى صورة خروشوف ، والى جانبه فيدل كاسترو !!





تطبيق عملي !

● اكتشف استاذ التربية وعلم النفس ، فيما كان يحاضر ويؤكد لطلابه في احد الصفوف ان مقياس نجاح المعلم في اداء رسالته انما يتمثل في مدى ما يستطيع ذلك المعلم اثارته من اهتمام طلابه بمحاضراته وتتبعهم لحديثه .. اكتشف ان معظم الطلاب الذين كان يحاضرهم في ذلك كانوا نياما يغطون في سبات عميق .

موظف .. بلا عمل !

● المدير العام لأحد موظفيه في المستشفى : « لاتقلق يا مختار ابدا . فزملاؤك في الدائرة على اتم استعداد للقيام باعمالك اثناء غيابك .. وذلك حالما يتسنى لنا اكتشاف ما كنت تقوم به من اعمال ... !

مسابقة العربي (بقية صفحة ١٩)

٢ ـ ارفق باجابتك كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٣ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٤ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي

مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت (مسابقة العدد ٨٤) .

٥ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٥.

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

نتيجة مسابقة العدد ٨٢

الاجابات الصحيحة ـ والفائزون بالجوائز

■ مواضع الصور موضوع المسابقة هي بالترتيب الآتي : هانوي ، سايجون ، بنوم بنه ، سيول ، سالسبوري ، لوساكا ، برتي التربيه ، بور مكين ، نابيه ، سيرب ، المكلا ، بيوهني ، كراتشي ، سانعا وروالبندي ، حيلا ، جسوي ، مقديشو ، بوالشوط ، برنتا ، مرجيل ، ليوبولدفيل .

ولم يكتف كثير من القراء بذكر اسماء ١٥ عاصمة ، بل ذكروا اسماء الصور كلها .

وقد سحبت عملية القرعة عن فوز السادة والسادات الآتية اسماؤهم بالجوائز الآتية

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازت بها سهام السيد ـ حمص ـ سوريا

٢ ـ **الجائزة الثانية** وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها عبد اللطيف البحراوي ـ الرباط ـ المغرب

٣ ـ **الجائزة الثالثة** وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها احمد محمد احمد عبدالله الابيض ـ سودان

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير ، فاز بها السيدات والسادة :

١ ـ محمد عبد الله العصيمي الكويت

٢ ـ موريس نابل سلامة ، القاهرة (ج ع م)

٣ ـ علي عبادي الجبوري ، الموصل ـ العراق

٤ ـ يوسف عبد الرحيم بو نوار جرش الاردن

٥ ـ يوسف حسين ناجي بيروت ـ لبنان

٦ ـ حسين منصور ناجي بير ـ اليمن

٧ ـ محمد حسين ادريس طرابلس ليبيا

٨ ـ جمعة سعيد الشرقي المصرفه الخليج العربي

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■■

مسابقة العدد ٨٤



العربي
شعبان ١٣٨٥
ديسمبر
كانون اول) ١٩٦٥
اطلب
الصغير
هذا العدد
جوائز
١٢٠٠
سنويا
السماء دائما
الانظار بالآمال

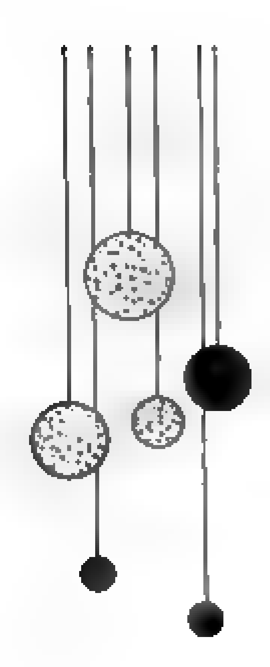


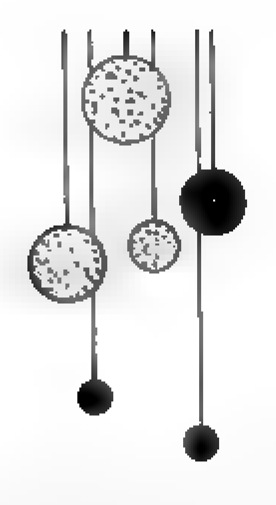
حضارات سادت ثم بادت

الحضارة الرومانية

■ [illegible]

(انظر صفحة ٥٥)





عزيزى القارىء

العـدد القـادم

عدد راس السنة (١٩٦٦)

عدد ممتاز

مع هدية رائعة ملونة ، منفصلة ، هي جزء لا يتجزأ من العدد

اطلبها من البائع

١٥٠٠٠٠ نسخة

وكـل عـام وانتم بخـير

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات وآداب :

اسلاميات :

طب وعلوم :

ركن الثروة والعلماء :

تربية وعلم نفس :

تاريخ وتاريخ أشخاص :



مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY – NO. 85 December 1965 P.O.B. 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٢٢٤١١ ــ تلغرافيا «العربي»

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

العدد القادم

لم نستطع أن نطبع منه غير ...... ألف [illegible] ترسل إلى الأسواق

ركن الأسرة والمرأة

شعر وشعراء

قصص وأساطير

متنوعات

ثمن العدد: الكويت ١٠٠ فلس، [illegible] البحرين ٢ روبية أو [illegible] شلن، العراق ١٢٠ فلساً، سورية ١٠٠ قرش، لبنان [illegible]، الأردن ١٠٠ فلس، السعودية ٢ ريال، السودان [illegible] قروش، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم، المغرب ٢ درهم، اليمن [illegible] شلن، ليبيا [illegible]

الاشتراكات: [illegible] في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية [illegible] ص. ب ١٢٢٨ ويكتب على الغلاف: [illegible]



اى الروايتين اصح ؟

● كنت اطالع في مجلتنا « العربي » موضوع « لعب الكرة عند العرب » بقلم « ابراهيم محمد الفحام » فتعلقت بنظري عبارة ضمنه من مواصلاتك على اهم السطور . جاءت هذه العبارة تحت عنوان « اول من لعب من العرب بالصولجان » .

فبعد ان اورد الكاتب اول من لعب بالصولجان من العرب ثم من الخلفاء قال : « ويروى ان المعتصم قسم اصحابه يوما للعب فجعل قائده الافشين في فريق غير فريقه . فقال الافشين : يعفيني امير المؤمنين من ذلك . فلما سأله عن السبب قال لاني ما ارى ان اكون على امير المؤمنين في جد ولا هزل » .

وكنت في نفس اليوم انقل نظري على صفحات كتاب « يزيد بن مزيد الشيباني » للدكتور عبد الجبار الجومرد ، فعرضت لي في اثناء الكتاب عبارة مشابهة لتلك التي اوردناها من حيث المعنى ، مختلفة معها من حيث الشخصيات فالأشخاص هنا : الخليفة هارون الرشيد وقائده يزيد بن مزيد الشيباني ، وينسب الدكتور الجومرد عبارته الى كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٣٣٧ .

فاي القائلين على صواب ؟

محمد علي حسن / حلة / العراق

« العربي » : كان يزيد بن مزيد الشيباني اسبق من الافشين من حيث الزمن ، والدكتور عبد الجبار الجومرد كاتب محقق حتى لقد لقب « مؤلف هرون الرشيد » وهو يستند في رواية قصة الرشيد مع قائده الى مراجع ثقة . ومع ذلك فليس بمستبعد ان تكون القصة قد تكررت بين المعتصم وقائده الافشين ، بعد ذلك ببضع سنين

رفيدة .. لا كعيبة :

● الكاتبة سنية قراعة ، باحثة ذات يد طولى في كشف النقاب عن المسلمات اللواتي تصدرن التاريخ العربي خالدات بفخار واعتزاز . وهي مشكورة في جهدها القيم هذا .

وفي العدد ٨٣ من « العربي » عزت اولية الطب والتمريض — في المسلمات — الى كعيبة الاسلمية اذ قالت : « من اجل هذا اتشحت كعيبة في حدود علمها واخلاصها اول عيادة للتمريض ... وهكذا كانت كعيبة اول ملاك رحيم يحسو بالحنان والعطف في سماء يثرب ... »

بينما نرى — فيما قرأنا — ان رفيدة الأسلمية قد سبقتها في هذه المهنة ، فقد قال عنها ابن اسحاق : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من اسلم يقال لها رفيدة ، كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كان به ألم من

البارودي في غزله وفي رثائه

● في مقالة الدكتور محمد محمود الفحل عن البارودي في غزله وجدت جملة عبارات أوفت للبارودي حقه من التقدير والاحترام في موضوع شعره عن الحب والغزل ، ولكني استغربت من الدكتور عدم تعرضه لشعر البارودي في الرثاء الذي أجاد فيه البارودي ، واحتل شعره بذلك مكانة مرموقة لا تقل أهمية عن مكانة شعره في الحب والغزل وله في ذلك قصائد رائعة ، وأود أن أذكر مطلع القصيدة الرائعة التي رثى بها زوجته حين سمع بخبر وفاتها وهو في المنفى :

أيد المنون ، قدحت أي زناد !
وأطرت أية شعلة بفؤادي !

لذا نرجو أن لا يبخس من قدر البارودي ، ونقلل من فضله في موضوع الرثاء في شعره ، بل نذكر فضله باعتزاز وفخر في كافة ميادين الشعر .

القارئ محمد روحي محمد / القامشلي

العدد القادم من

العربي

هو

العدد السنوي

الممتـــاز

أول طبيبة في الإسلام

المسلمين . ولقد كان رسول الله قد قال لأصحابه حين أصيب أحدهم .

« اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب » .

وجاء في كتاب الإسلام والطب للدكتور شوكت الشطي : « أن رفيدة طبيبة متميزة بالجراحة ولذلك اختارها الرسول لتقوم بالعمل في خيمة متنقلة » .

وبهذا تكون رفيدة أول طبيبة وأول جراحة وأول ممرضة في أول مستشفى حربي متنقل في الإسلام .

وقد جاء في كتاب « أعلام النساء » أن « الشفاء بنت عبد الله » صحابية جليلة أسلمت قبل الهجرة ، وعقب على ذلك الدكتور شوكت الشطي فقال في كتابه « الإسلام والطب » : « إن الشفاء اشتغلت في الطب ومما اشتهرت به معالجتها النملة (الأكزيما) . فإذا استثنينا الشفاء من الطبيبات المسلمات وجدنا أن رفيدة الأسلمية هي أول طبيبة وأول ممرضة (ملاك رحيم) في المسلمات الخالدات .

مختار فوزي النعال / القنيطرة / سوريا

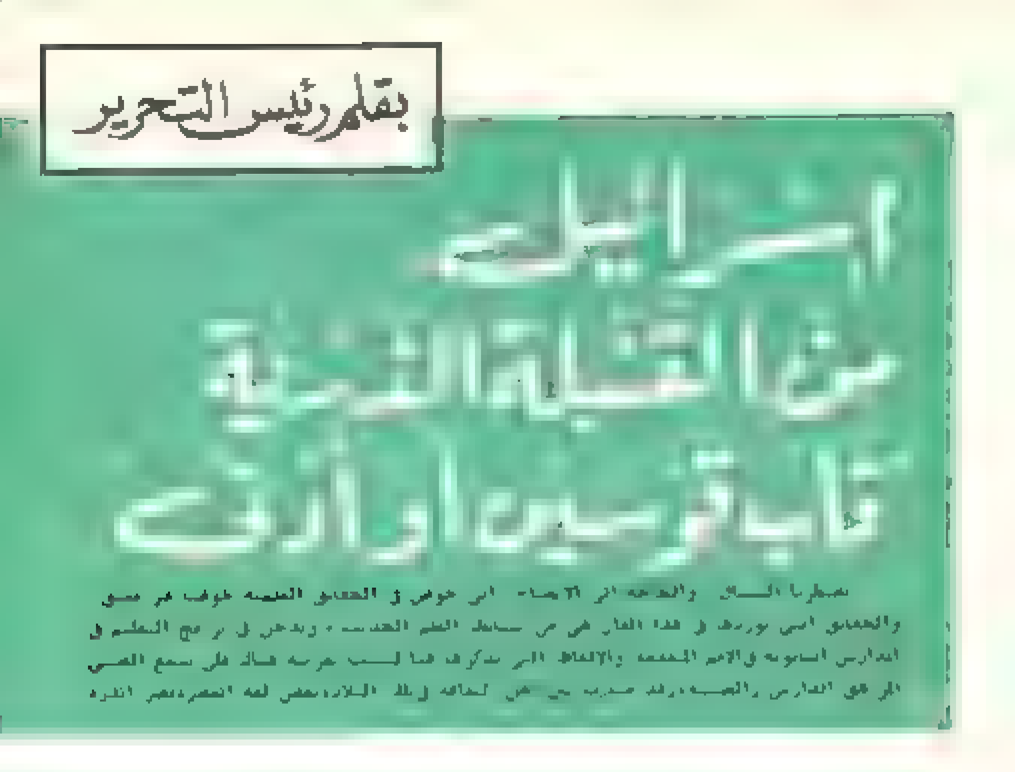
● .... ولقد وردت قصة « رفيدة » وسعد ابن معاذ مفصلة في سيرة ابن هشام (الجزء الثالث صفحة ١٩٢) عند الحديث عن غزوة الأحزاب .

وقد بلغ من شهرة رفيدة أن تناولها الشعراء بشعرهم ، ومنهم الشاعر المصري أحمد محرم الذي خلدها في ملحمته الإسلامية ، وهو يصف مشهداً من مشاهد قتال المسلمين ، يوم الأحزاب ، ومطلع هذا الجزء :

رفيـــدة علمـي النـاس الحنانـــا
وزيـــدي قومك البائسين حنانا
خـذي الجرحـى إليـك فآسيهـم
وطوفـي حولهـم آنـاً فآنـا

إلى آخر القصيدة ، فليرجع إليها من يشاء .

محمد صلاح الدين الشيب / دمنهور / ج.م.ع



• "الذرة في خدمة السلام" عنوان براق

• يتنبأ العلماء بأن إسرائيل ستصبح الدولة الذرية السادسة

قنابل من نوع آخر تزرعها رمال العرب



المفاعل الذرى ديمونا لاسرائيل في النقب

تسربت منه أسرار الذرة

● اليورانيوم كثر انتاجه فأصبح يعرض للبيع ولا يجد مشتريا

في شتى البلاد العربية

و [illegible] في [illegible] تسير في شوارع واسعة حديثة ؛ ملاها أناس ، [illegible] في هذا [illegible] العمه . [illegible] ولكنه لم [illegible] . فلم [illegible] أحد [illegible] عن أمريكا [illegible] بالعجب .

[illegible] . وهي [illegible] خاصة .

[illegible] الدكتور [illegible] يتحدث الى [illegible] [illegible]

[illegible]

العزيز قولة من تلك الأقوال القليلة اللفظ الكثيرة الفذع ، الساخرة ، التي كان ينطق بها في أحيانه « عجز العرب عن حل مشكلة فلسطين ، فخذها إسرائيل ، نعم « خفض صوتك ، فقد يسمعك هؤلاء الناس » . قال : « ان الذي ملأ حناجره بالصراخ هذا الملء ، وسمع أوداجه هذا النفخ ، لا يمكن ان يسمع ، لأن آذانه تنسد » !

وجعلنا الزحام حملا كالبحر الزاخر ، وصاحب الأنفاس في الصدور ، فاستيقظت .

انه حلم من الأحلام ، والأحلام أضغاث أو هي بعض ما تكشف عنه الأنفس مما ارتسم فيها من وقائع العيش ، وذلك عندما تتعرى بواطنها في سوق النيام .

ولندع الأحلام ..

ولندع الأحلام ، وسوق القوم النيام ، ولننظر على اليقظة .

ولننظر على اليقظة في امكان هذا الاحتمال ، احتمال تفجير اسرائيل ذرتها الاولى .

الحق انه لو قيل لي غدا ، على اليقظة ، ان اسرائيل فجرت قنبلتها الاولى ، ما دهشت لهذا الخبر ابدا . ذلك لأني اتوقعه . ويتوقعه معي عموم كثيرون . وانا اتوقعه لأن كل الظروف القائمة اليوم تشير الى امكانه .

ولو اني كنت اسرائيليا ، وكنت حيث اسرائيل اليوم من العرب ، ولم يخطر لي صنع القنبلة الذرية ، لكنت من السفه في الدرك الأسفل .

ولو ان ذكائي كشف لي خطورة الذرة متخلصا مما انا فيه ، ونامت حولي كل هذه الظروف المتاحة لصنع القنبلة ، ولم أعمل ، كان ذكائي وغبائي في الميزان شيئا سواء .

ولو اني فعلت ، والقنبلة صنعت ، لكنت افرق بين القنبلة اصنعها ، واستعمالها افجرها ، فحيازة القنبلة وحدها دون تفجير ، لها منافع ومدافع لا حد لها . كالرجل يحمل مسدسه بين رجال عزل من السلاح قد لا يحتاج الى اطلاقه ابدا .

وقبل ان نتابع النظر في هذا الأمر ، ننظر نظرة عجلى الى ما صار اليه العلم اليوم في أمر الذرة ... في أمر القنبلة الذرية ، وصعوبة صنعها او سهولته ، وحظ امم الأرض من ذلك .

امم خمس ، استطاعت تفجير الذرة ، وسوف تزيد

انها امم خمس استطاعت الى اليوم تفجير الذرة : الولايات المتحدة ، روسيا ، بريطانيا ، فرنسا ، ثم الصين . وبالطبع فرق هائل بين ما عند الولايات مثلا ، وما عند الصين . ولكن سوف تزيد ما عند الصين السنون . وليس من اللازم ان يكون عند الدولة النووية الف قنبلة . ان قنابل عشرا ، او مائة ، قد تحقق ما تحققه الألف . فالخراب الذي تصنعه قنبلة ، لا تزيده خرابا قنبلة تتفجر فيه ثانية .

الدول التي تملك الذرة هي اليوم خمس ، وغدا هي عشر ، وبعد غد عشرون .

قال بعض خبراء الذرة من الامريكان :

« ان نادي الذرة لم يعد بالنادي الارستقراطي التنظيم ، فعلماء الذرة اليوم ، في كل دولة يتطلعون الى اليوم الذي يكشفون فيه اسرار القنبلة ، وهم يجدون اليوم ، حتى في غير كتبهم العامة ، كثيرا من المعلومات التي يحتاجونها لصنع هذه القنبلة . يضاف الى هذا ، الانخفاض الذي وقع في أثمان النفقات ، وأثمان الاجهزة التي يحتاجون اليها لبلوغ هذه الغاية » .

والدكتور ويزنر Wiesner ، المستشار العلمي لرئيس الولايات المتحدة السابق ، الرئيس كندي ، يتنبأ عن المستقبل

فيقول : « اني ارجح ان يحصل عشرون من الامم في العشرين من السنوات القادمة على سلاحهم الذرى » .

اذن هي عشرون من السنين ، وعشرون من الامم .

في العشرين سنة الماضية ، منذ ان فجرت القنبلة الذرية الاولى في عام ١٩٤٥ ، استطاعت امم خمس ان تفجر الذرة : الولايات المتحدة فجرتها في عام ١٩٤٥ ، وروسيا في عام ١٩٤٩ ، وبريطانيا في عام ١٩٥٢ ، وفرنسا في عام ١٩٦٠ ، والصين الشعبية في عام ١٩٦٤ .

وفي العشرين سنة القادمة يتحدثون ان سوف يستطيع تفجير الذرة أمم عشرون ، منها المانيا الاتحادية ، وكندا ، واليابان ، والسويد ، وجنوب افريقيا ، والهند ، ومصر ، واسرائيل .

هكذا يتساءلون .

تسرب اسرار الذرة

ومن الأسباب التي حملتهم على هذه النبوءات ما تسرب من أسرار الذرة بعضها تسرب عن عمد ، وبعضها عن غير عمد . وبعضها عن حسن نية ، وبعضها عن سذاجة طويلة .

فانجلترا شاركت الولايات في علم الذرة في سنوات الحرب العالمية .

والروس دفعوا بالصين في سبيل الذرة أول دفعة ، ثم كفوا . وكان في هذه الدفعة الاولى الكفاية لعلمائها والصانعين .

ولعل فرنسا وحدها التي قامت تكشف بغير عون مباشر ، واستغرقت في ذلك ست سنين .

وتسربت اسرار الذرة عندما بدأت تلك الحملة التي شعارها « الذرة في اغراض السلم » ، وذلك في آخر عام ١٩٥٣ . فقد كان من نتائج هذا البرنامج، على ما يعرف الولايات المتحدة ، انها عقدت عقودا في سبيل الذرة مع كثير من الدول ، ومع دول اوروبا الست المشتركة في بحوث الذرة . واصبح عدد هذه الامم لا يقل عن ٢٦ دولة .

واقتضى ذلك ان صدّرت الولايات المتحدة الى هذه الدول ٢٥٠ طنا من اليورانيوم الطبيعي Natural Uranium تستطيع المفاعلات الذرية Atomic Reactors (وان شئت فسمّها الافران الذرية) ان تحولها الى مقادير من عنصر البلوتنيوم Plutonium ، عند من عندهم مفاعل ذري من الامم ، في عام واحد ، تكفي لصنع ٣٠ قنبلة ذرية بلوتنيومية .

وصدرت الولايات كذلك من اليورانيوم المقوّى Enriched Uranium ١٨٧ طنا ، واليورانيوم المقوى هو اليورانيوم الذي زيدت فيه ، بالصناعة ، نسبة اليورانيوم ٢٣٥ ، القابل للتفجير ، الى اليورانيوم ٢٣٨ ، وهو النظير المستقر ، وذلك بعملية من عمليات التركيز . طبقا لما ذكرناه في اطار مستقل على صفحة ١٤ .

وقد تضمنت كمية اليورانيوم التي صدرتها الولايات المتحدة ٧ اطنان من اليورانيوم المتفجر للتفجير (يورانيوم ٢٣٥) ، وهذا المقدار يكفي لصنع نحو ٣٢ قنبلة ذرية يورانيومية عند الامم التي تعرف كيف تفصل من هذا اليورانيوم المقوى ما به من يورانيوم ٢٣٥ القتال .

وكلها مماثل لها من قوة التفجير مثل ما كان للقنبلة الاولى التي اسقطت على اليابان .

وكذلك صدرت الولايات ٦٠ رطلا من البلوتنيوم الخالص Plutonium ، تكفي لصناعة) قنبل ذرية بلوتنيومية .

وبالطبع لم تخرج هذه المقادير من الولايات خرسا .

كثير منها كان لبحوث الذرة ، وانتاج

الكهرباء من معاعلاتها (افرانها) . واذن لا بد كان معها كتب تشرح ، ورجال تهدي ، ورجال تقوم بتركيب هـــذه المعاعلات (الافران) ولتشرح .

علم الذرة اتضح منه ، في سبيل « برنامج الـذرة للاغراض السلمية » الكثير الذي يؤدي الى صنع القنبلة ، اما للحرب ، واما للدفاع عن النفس في حرب عالمية .

وتعمل الروس ما فعل الامريكان .

ولكل احسان . ومن احب الى امريكا من ربيبتها ، تلك التي زرعتها في الشرق العربي زرعا !!

وعامل آخر ، سهل انتاج القنبلة

ذلك ان مادة القنبلة صارت تتولد في المعاملات الذرية ، التي تنتج الكهرباء ، من ذات نفسها .

ولايضاح ذلك نقول انهما طـريقان

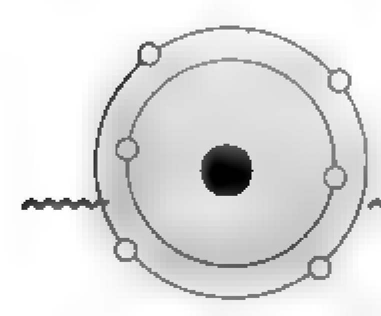
ذرة اليورنيوم

● بعد التحدث عن ذرة الكربون يسهل التحدث عن ذرة اليورنيوم .

وهذا رسم ايضاحي لذرة اليورنيوم ، بالوسط مكان النواة ، وحولها المنطقة التي تدور فيها الالكترونات في افلاكها .

اما اليورنيوم ٢٣٨ فنواته ٩٢ بروتونا ، ومعها ١٤٦ نيوترونا ، ومجموعهما ٢٣٨ هو وزن النواة ، ووزن الذرة . اما الالكترونات فعددها ٩٢ ، اي كعدد البروتونات ، كما وجب ان يكون الحال حتى تكون الذرة متعادلة كهربائيا . وهذه المجموعة كلها ذات اتزان ثابت طيب .

اما اليورنيوم ٢٣٥ فنواته ٩٢ بروتونا ومعها ١٤٣ نيوترونا ، فمجموعهما ٢٣٥ . والكتروناتها ٩٢ ، واذن فالصفات الكيماوية ، تكاد تكون واحدة



ذرة الكربون

● هذه صورة ايضاحية لذرة الكربون ، وهي ككل الذرات ، بها في الوسط نواة تحتوي على نوعين من الجسيمات الدقيقة جدا يسمى احدهما بروتون Proton والآخر نيوترون Neutron والاول يحمل من الكهرباء شحنة موجبة ، والثاني متعادل كهربائيا فلا شحنة له . ونواة ذرة الكربون بها من البروتونات ستة ومن النيوترونات ستة . وبما ان وزن (كتلة) البروتون لا يكاد يفترق عن وزن (كتلة) النيوترون ، وقد اتخذنا البروتون وحدة للاوزان الذرية ، فالآن اصبح وزن نواة ذرة الكربون هذه ٦+٦ = ١٢ .

ويوجد خارج النواة جسيمات غاية في الدقة تعرف بالالكترونات ، وهي تدور حول النواة في افلاك ، كما تدور الكواكب حول الشمس . وكل الكترون يحمل شحنة كهرباء سالبة تتعادل مع الشحنة الموجبة التي يحملها البروتون . وبما ان عندنا في النواة ٦ بروتونات موجبة وجب ان يكون في الافلاك الدائرة حول النواة ٦ الكترونات كذلك ، حتى يتم التعادل الكهربائي فلا تكون الذرة في مجموعها متكهربة . واذن عدد البروتونات في الذرة هو عدد الالكترونات .

ولكن وزن الالكترون يساوي نحو ١/١٨٣٦ من وزن البروتون . واذن اوزان الالكترونات بالذرات تكاد تكون معدومة . واذا وزن النواة هو وزن الذرة كلها .

على التفرقة بين النواة والالكترونات . فمن

اليورنيوم لم تتغير عن سابقه. ولكن هذه المجموعة من الجسيمات قليلة الاتزان ، ومنها تصنع القنبلة .

وقد تدخل على اليورنيوم ٢٣٨ نيوترونات اكثر من نواته فيصبح بها ٩٤ بروتونا و١٤٥ نيوترونا ، وتصبح الكتروناته ذرته ٩٤. ولكن فقد تغيرت خواص العنصر الكيماوية بان احتوت ذرته ٩٤ الكترونا بدل ٩٢. الى غير عنصر جديد . اسمه البلوتنيوم Plutonium . ومجموعة جسيماته التي ذكرناها ، جعلت ذرته « قليلة الاتزان » ، والان فهذا العنصر الجديد يستخدم في القنبلة الذرية . وهو ينتج في المفاعلات الذرية التي قد تنتج الكهرباء ، اذ بها اليورانيوم ٢٣٨ يمتص النيوترونات الشاردة في المفاعل فتتحول الى بلوتنيوم .

ذرة يورانيوم ٢٣٥

ذرة يورانيوم ٢٣٨

لانتاج القنبلة ، احدهما وعر ، والثاني اقل وعورة ، ومن الطريق الوعر صنعت قنبلة هيروشيما ، ومن الطريق الآخر صنعت قنبله نجازاكي

الالكترونات تنشأ التفاعلات الكيماوية اذ بها تتشابك العناصر لتصنع المركبات . والعنصر يظل هو كما هو كربونا مثلا ما بقيت الكتروناته ٦. وقد تضيف الى النواة نيوترونين ، فيصبح وزنها الذرى ١٤ بدل ١٢ ، وتبقى الكتروناتها كما هي ، ولكن فالكربون لا يزال كربونا . والذرة الجديدة تكون كربون هو « نظير » الكربون الاول وخواصهما الكيماوية واحدة .

والسائلة نيوترونات الى النواة قد يخل باتزانها، واذا تأخذ النواة تتفتت ، وتخرج مكونها من الاشعاع . وقد يبلغ الخلل في الاتزان ان تنشق النواة انشقاقا ، والان تنفجر . وهذا ما يحدث عند انفجار القنبلة . فهو انفجار ذرة كبيرة ثقيلة.

ونتحدث عن الذرات ، ولا يغيب عن بالنا صغرها . فالجرام الواحد من الكربون (الجرافيت مثلا) به ٥٠٠٠ مليون مليون مليون ذرة .

قنبلة هيروشيما

ولنشرح هذا في اختصار كثير بقول ان اليورنيوم الذى يوجد في الطبيعة ، والذى نسميه بالطبيعي Natural Uranium تتألف ، بعد استخلاصه من الصخور ، من نوعين من هذا العنصر ، من تلك التي تعرف بالنظائر Isotopes ، كلاهما سواء من حيث التفاعلات الكيماوية وارتباطهما واتحادهما بسائر العناصر في المركبات .

ولكن يوجد اختلاف في عدد ما تحتويه نواة الذرة من الدقائق في كليهما . . وهنا يحسن الاطلاع على ذرة الكربون وذرة اليورنيوم بالاطارين بصفحة ١٢ و ١٣ أ.

ذرة احدهما بنواتها من الدقائق النووية ٢٣٥ دقيقة ، وهى مبنية بناء غير مستقر ، فما اسرع ان تنفجر هذه النواة عندما تتطلب ذلك ظروف خاصة تراعى في صنع القنبلة . وتسمى هذا اليورنيوم المتفجر ، صانع القنبله ، قنبلة هيروشيما ، يورنيوم ٢٣٥ .

اما ذرة النوع الآخر من اليورنيوم ،

هي بواتها من الدقائق النووية ٢٣٨ دقيقة ، وبناؤها ذو استقرار . لهذا لايستخدم هذا اليورنيوم ، يورنيوم ٢٣٨ ، في صنع القنبلة .

وإذن كان لا بد لصنع القنبلة من فصل يورنيوم ٢٣٥ عن يورنيوم ٢٣٨ من اليورنيوم الطبيعي ، وصنعوا هذا بأن جعلوا هذا اليورنيوم الطبيعي يتحد بعنصر الفلور Flourine (وهو أخ للكلور) ليكون فلوريد يورنيوم ٢٣٥ ، ومعه فلوريد يورنيوم ٢٣٨ ، وكلاهما غاز ، وأولهما اخف وزنا قليلا . وما كان يمكن فصلهما بالكيمياء ، لأن خصائصهما الكيماوية واحده . وإذن فقد اتخذوا من الفرق في وزن الغازين القليل ، اى الفرق في كثافتيهما ، طريقة معروفة للفصل تسمى بطريقة «الانتشار التسريبي» الغازي (انظر الاطار اللاحق)، وهي تعتمد على ان الغاز الاخف اسرع انتشارا من الاثقل . وهي عملية غاية في الطول ، غاية في الصعوبة ، استخدمت فيها مئات المضخات ، في خطوات مئات ، ازدادت فيها نسبة فلوريد ٢٣٥ في بطء شديد . وبعد الفصل حولوا فلوريد يورنيوم ٢٣٥ الى معدن اليورنيوم نصه يورنيوم ٢٣٥ . وهي طريقة عوقت انتاج قنبلة هيروشيما تعويقا كثيرا . وهذا بالطبع يعني ان قنبلة هيروشيما صنعت من اليورنيوم ٢٣٥ كما سبق اذكرنا .

فهذا هو الطريق الوعر ، نسبيا ، لصنع القنبلة .

قنبلة نجازاكي

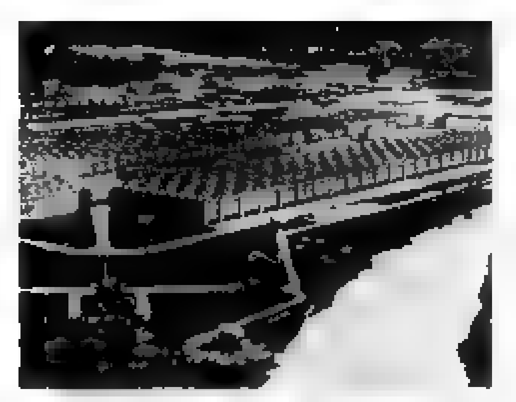
وهي القنبلة الذرية الثانية التي اسقطتها الولايات المتحدة على اليابان ، على مدينة « ناجازاكي » بعد اسقاط القنبلة الاولى ، قنبلة هيروشيما ، بثلاثة أيام .

وهذه القنبلة لم تصنع من اليورنيوم ٢٣٥ ، ولكن من البلوتونيوم ، وهو عنصر ينتج من تحول يورنيوم ٢٣٨ الذى بالمعاملات الذرية الى بلوتنيوم بفعل النيوترونات المتناثرة في المفاعل الذرى الناتجة من انشقاق ذرة يورنيوم ٢٣٥ .

ولزيادة الايضاح نقول انهذا التحويل يجري من ذات نفسه في المعاملات الذرية التي تنتج لنا الكهرباء تلك التي وقودها اليورنيوم الطبيعي ، ذلك الذى به القليل الاقل من يورنيوم ٢٣٥ ، والكثير الاكثر من يورنيوم ٢٣٨ . ان الذى ينشق في هذه المعاملات وينتج الحرارة ومعها اشياء اخرى انما هي ذرة يورنيوم ٢٣٥ . وهي تنشق وتخرج

فصل غازين

● يحول اليورنيوم الطبيعي ، وهو خليط من يورنيوم ٢٣٥ ويورنيوم ٢٣٨ (ونظير ثالث لا قيمة لمقداره) بالاتحاد اولا بعنصر الفلور ، الى فلوريد كل من هذين النظيرين من اليورنيوم . ثم يساق هذا الفلوريد المختلط ، بعد تحويله الى غاز بالحرارة ، الى هذه الخزانة التي بالرسم ، ويقسمها في الوسط حاجز له مسام غاية في الصغر . ويحاول الفلوريد ان يدخل هذه المسام ، ويخترق الحاجز ، ولكن فلوريد يورنيوم ٢٣٥ ، وهو الأخف يكون اسرع اختراقا . والنتيجة ان الفلوريد الخارج من الانبوبة اليمنى تكون نسبة يورنيوم ٢٣٥ التي به اكثر . ويساق الغازان بعد ذلك من خزانة كهذه الى اخرى ، الى اخرى وبعد تكرار هذه العملية مئات المرات ، نحصل على فلوريد ليورنيوم ٢٣٥ يكاد يكون صافيا . وهذا يحول الى يورنيوم ٢٣٥ ، ومنه صنعت القنبلة الذرية الاولى . وهذه عملية شاقة . لهذا تحولوا الى عنصر البلوتنيوم مادة للقنبلة الذرية .



صورة لمصانع اوكردج وهي مدينة بولاية تنسي بالولايات المتحدة، وهي مركز البحوث النووية الاول في الولايات ، وبها مصانع عدة . ومن هذه المصانع مصانع قامت بفصل اليورانيوم الذي صنعت منه قنبلة هيروشيما ، يورانيوم ٢٣٥ ، عن اليورانيوم الطبيعي ، وكثرته الكبرى من يورانيوم ٢٣٨ الذي لا تصنع منه القنبلة لثبات ذرته .

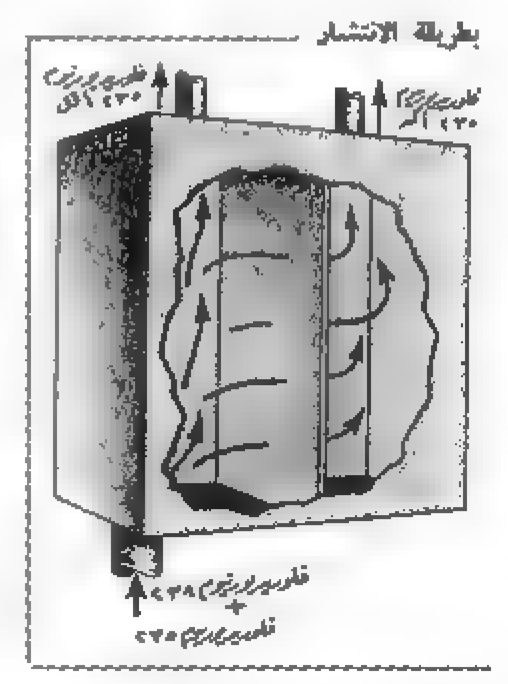
من التقاطها أيضا دقائق نووية ، هي نيوترونات مهلة تطلق فتصيب الذرات المجاورة ، ذرات يورانيوم ٢٣٨ فتحيلها الى ذرات بلوتنيوم ٢٣٩ ، على مثل ما وصفنا في اطار « ذرة اليورانيوم » فانظره بصفحة ١٢ و ١٣ .

في هذه المفاعلات ، التي تستخدم في السلم ، لانتاج الكهرباء ، تنتج الآن مادة القنبلة الاكثر يسرا . وتنتج غصبا عنا ، شئنا او لم نشأ .

واذن لا يبقى الا معرفة استخلاص البلوتنيوم من آنية هذه المفاعلات، وهي عملية كانت غاية في الصعوبة ، غاية في التعقيد ، وصفها العالم الذري سيبرج Seaborg ، كاشف البلوتنيوم ، بل صانعه ، قال .

« في عملية الفصل هذه ، استخدم نحو ٣٠ تعاملا كيماويا ، ومئات من الخطوات، قبل أن يخرج البلوتنيوم من الخليط الذي هو به . والمصنع نفسه الذي أجرى فيه الفصل جزء من الوصف، بتركيباته الضخمة ، وانابيبه المديدة ، ومراكز التحكم في معالجة تلك السوائل المشعة ، وقد وجب ان تجد بمقدار ما يأمن العامل على نفسه من اشعاعها » .

بطريقة الانتشار



اتضحت الصورة

اظن انه بعد هذا الشرح الطويل قد اتضحت الصورة ، الصورة التي تكشف عن موضع اسرائيل من الدول التي تحاول أن تصنع القنبلة .

ان كل الظروف تؤهلها لتكون في المقدمة . وقد اجرى بعض علماء الولايات المتحدة استفتاء يتنبأ العلماء فيه ، عن الدولة التي سوف تصنع القنبلة اولا فتجعل من الدول الذرية الخمس ، ستا،

صورتان للقنبلتين الذريتين الاوليين اللتين عرفهما العالم عند تفجيرهما . الاولى (العليا) فجرتها الولايات المتحدة فوق مدينة هيروشيما باليابان،والثانية (السفلى) فكانت فوق نجازاكي.

اما قنبلة هيروشيما فكان وزنها نحو عزة اطنان ، وحملتها الى المدينة طائرة مقاتلة من النوع B 29 وهي اسقطت في الساعة ٨ وربع من يوم ٦ اغسطس عام ١٩٤٥ على مدينة هيروشيما ، وانفجرت وهي على علو نحو ٦٠٠ متر من المدينة . وتسببت في قتل ٨٠٠٠٠ شخص ، وجرح نحو من ذلك ، وهدم ما بين ٦٠٠٠٠ الى ٩٠٠٠٠ منزل . اما مادتها الذرية المتفجرة ، فقد بلغت نحوا من ٢٠ كيلوجراما من يورنيوم ٢٣٥ بنقاء بلغ ٩٦ في المائة ، قامت بفصلها وتنقيتها مصانع مدينة اوك ريدج Oak Ridge ، بالولايات المتحدة . اما قدرة نسف هذه القنبلة فقد قدرت بنحو ٢٠٠٠٠ طن من الناسف الكلاسيكي الشديد النسف المعروف ت. ن . ت . T. N. T ، وهو اختصار اسمه ، فهو المركب الكيماوي Tri-nitro-toluene وقال آخرون بل كانت قدرة هذه القنبلة ١٢٠٠٠ طن فقط .

اما القنبلة الثانية ، قنبلة نجازاكي ، فقد سقطت على هذه المدينة اليابانية بعد ٣ ايام من اسقاط القنبلة الاولى ، وقد قتلت ٣٦٠٠٠ شخص وجرحت نحوا من ٤٠٠٠٠ . اما مادتها الذرية المتفجرة فلم تكن يورنيوم ٢٣٥ ، وانما كانت بلوتنيوم Plutonium ، ذلك الذي حصلوا عليه من الفاعلات الذرية التي استخدمت اليورنيوم ٢٣٨ ، وقودا كما ذكرنا في نص المقال .

وقامت بصنع بلوتنيوم هذه القنبلة الفاعلات الذرية بمصانع هنفورد Hanford Engineering Works ، قرب ريتشلاند بمقاطعة وشنجطن ، وهي مصانع اقيمت عام ١٩٤٣ خصيصا لانتاج البلوتنيوم .

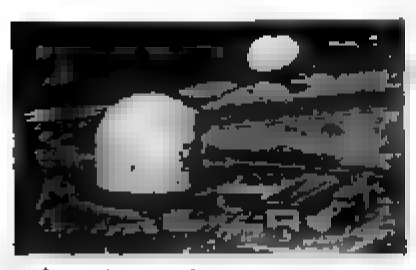
تعلمت اسرائيل الهند بصورة أو بصورتين .

وما كان العلماء بحاجة الى استفتاء .

فان تسرب سر القنبلة الذرية ، الا قد تسرب من الولايات، لا بد حظيت اسرائيل منه بالحظ الاكبر .

واذ صدرت الولايات الى الدول اطنانا من اليورنيوم والبلوتنيوم في سبيل استخدام الذرة في اغراض السلم ، فلا بد ان اسرائيل فازت ، بمقدار ما لها من حظر عند الولايات ، بالمقدار الاوفر .

والعلماء ، هل اسرائيل في حاجة الى علماء ؟ ان الذين حسبوا حسر شق الالمان للذرة عام ١٩٣٨ اول شاقين ، انما كانوا يهوديين المانيين عالمين ، رجلا وامرأة ، هما الآنسة ليزه ميتنر Lise Meitner وأوتو فريش Otto_Frisch ، وصحبهما



عند الهند مفاعل ذري قوته ٤٠ مليون وات . وهو يعمل منذ عام ١٩٦٣ ، وهو في هذه المدة لا بد انتج من البلوتنيوم ما يكفي لصنع قنبلتين من مثل قنبلة هيروشيما ، والقنبلتهما تعادل في التفجير قوة ٢٠٠٠٠ طن من الناسف الكلاسيكي ت.ن.ت .

حتى انتحوا القنبلة كانوا اخلاطا، احتووا من اليهود عناصر قوية .

ومختبرات لوس الاموس Los Alamos ، بولايه مكسيك الجديده ، بالولايات المتحدة ، تلك التي قامت ببحوث القنبلة الذرية الى ان تمت ، من كان رئيسها وعاقدها ورائدها ؟ اليس هو روبرت اوبنهيمر Oppenheimer .

ولقد وددت لو كان عندنا من وقف عند باب اسرائيل يحصي من دخل اليها من هؤلاء العلماء ومن خرج . ومن بها اقام ...

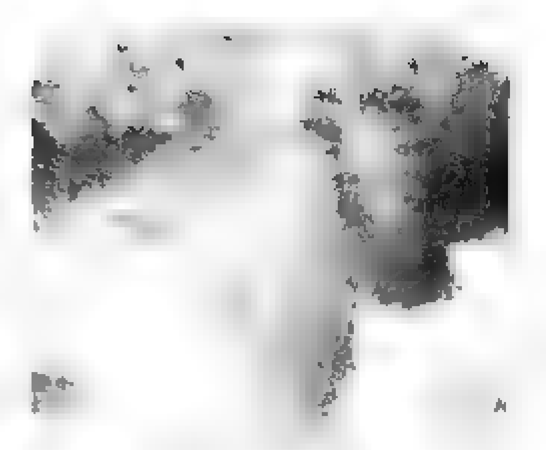
واقامت اسرائيل في النقب مصنعا ، سئلت عنه ، فقالت انه مصنع الغزل والنسيج . ولم تقتنع الولايات المتحدة. والحت تطلب الحقيقة ، فعلمت في عام ١٩٦٠ انه معامل ذري قدرته ٢٤ مليون وط (هذا في عام ١٩٦٠ ، ونحن الآن في عام ١٩٦٥) .

وطلبت الولايات التفتيش ، فرفضت اسرائيل التفتيش ، والتفتيش لا تطلبه الولايات الا اذا كانت قد اعطت الدولة عطاء مشروطا .

والسبب ظاهر . هذا المعامل ، وتحيطه اسرائيل بالاسلاك الشائكة ، لا شك معامل يتحول فيه اليورنيوم الطبيعي الى بلوتنيوم قتلي .

ويزيد هذا تأكيدا ، الحبر الاحمر المستقل الذي يقول : بان فرنسا قائمة تعين اسرائيل « في فصل البلوتنيوم » ، اي بلوتنيوم ٢٣٩ لا بد انه البلوتنيوم الذي ينتجه هذا المعامل الذري ، معامل ديمونا Dimona بالنقب

يضاف الى كل هذا ، كثرة انباء





عالم دنمركي ذائع الصيت له في اليهودية ارومة ، هو العالم الشهير بلربور Niels Bohr وله في نظريات الذرة صيت قديم .

والذين لفتوا نظر الرئيس روزفلت والحرب قائمة الى الذرة ، واخبروه بحصر الذرة عند هتلر ، واغروه ببحوث القنبلة ، كانوا يهودا تراسهم آينشتين .

والذين قاموا ببحث الذرة في الولايات

اليورنيوم في العالم، ورخصه (١)، يعرض للبيع ولا يجد مشتريا . وما الطبع للبيع شروط ، ومنها الشروط السياسية . ومَنْ اقرب لاهل الغرب ، منتجي اليورنيوم ، سياسةً ، واطوعهم عمالة ، من اسرائيل ؟

والعرب ...؟

الذى اعرفه ، من الاخبار المنشورة ، ان بانشاص مفاعلا ذريًا ، قوته ٢ مليون وط ، وهو للبحوث والتجربة والتعليم .

ولقد سمعت ان هنالك تدبيرا لمفاعل عام في الاسكندرية ، لم تذكر الاخبار المنشورة ما قوته .

ولقد ذكرنا ان مفاعل النقب ، مفاعل ديمونا Dimona ، المفاعل الاسرائيلي ، قوته ٢٤ مليون وط .

والمفاعل الذى ينتج البلوتنيوم لا بد ان تزيد قوته عن عشرين مليون وط ، لينتج المقدار المعقول في الزمن المعقول .

ولا يفوتنا ان نذكر ، على سبيل الحصر ، قنابل اخرى تدعها رجال العرب، في شتى البلاد العربية ، من النوع النطوء المعسول . النوع الهادم ، الذى يهدم وحدة العقول ، ووحدة القلوب .

قنبلة تسمت ما بين اهل الاديان ، فهذا نصراني ، وهذا مسلم ، وهذا صابىء ، وهذا لا دين له .

وقنبلة قسمت ما بين ذوى الدين الواحد فهذا كاثوليكي ، وهذا ارثوكسي ، وهذا شيعي ، وهذا سني ، وهذا شافعي ، وهذا زيدى ، وهذا دروزى ، وهذا اباضي ، وهذا خارجي ، وهذا معتزلي .. لاكثرهم اله يعبده غير اله الآخرين ، هذا من عبدوا من آلهة من ذرية آدم ، من اموات ، واحياء ، وغير اموات .

وقنبلة سمت ومزقت وشائج القومية الواحدة ، فهذا يرمي باصوله الى عرب ، وهذا يرمي الى كرد ، وذاك الى بربر .

وقنبلة نسفت وحدة الهدف في الوطن العربي ، فهذا راسمالي ، وهذا اشتراكي ، وهذا شيوعي ، وهذا يتربص بهم جميعا ليرى لمن تكون الغلبة .

قنابل ما اكثرها ، وما اعملها ، كلها كانت كقنبلة بانشاص نهدى ، من غلواء اسرائيل ، فلا نسرع الى ما هي مسرعة اليه من مفاجأة العالم بالقنبلة الذرية تثير عليها في العالم موجة استنكار كانت في غنى عنها . ام لعلها تدرك انه استنكار ، ولا شيء من ورائه .

٢٩ اكتوبر ١٩٦٥

احمد زكي

---

(١) كان اليورانيوم بالامس معدنا نادرا ، اما اليوم فهو من كثرته في ازمة . فاقت كثرته اليوم حاجة الناس اليه . معروض للبيع ولا يجد المشتري . ولنضرب مثلا بكندا ، فكندا هي البلد الوحيد الذى يبلغ رصيده من اليورانيوم ٢٠٠٠٠٠ طن . كانت في عام ١٩٥٩ اول بلد منتج لليورانيوم؛ وفي هذا العام صدرت ما مقداره ١٥٠٠٠ طن من اكسيد اليورانيوم ، استخرجتها من ٢٥ منجما . ثم ما جاء عام ١٩٦٤ حتى نزلت بمنتجها الى ٨٠٠٠ طن ، استخرجتها من ٧ مناجم ، بعد ان اغلقت سائر المناجم . ويرى الخبراء ، انه لربالى عام ١٩٧٠ حتى يكون استخراج اليورانيوم في كندا قد اقتصر على منجم واحد .

والثمن هبط . كان ثمن الرطل الرسمي من اكسيد اليورانيوم ١٠ دولارات ، فهبط الى ٨ دولارات . وجرت معاملات كان ثمن الرطل فيها ٤ دولارات فقط .

نتيجة مسابقة العدد ٨٣

الحلول الصحيحة.. والفائزون بالجوائز

■ الأشكال التسعة التي كانت موضوع مسابقة العدد الثالث والثمانين وحوله في المجلة هي بترتيب ظهورها في الرسم:

مصباح كهربائي. مشجب (شماعة). انبوبة معجون . مكنة حلاقة . صنبور مياه (حنفية) . علبة بودرة . فرشة حلاقة . قطعة صابون. فرشاة اسنان.

وقد جاءتنا آلاف الاجابات من القراء، ولكن اغلبها كان الخطأ فيه أكثر من الصواب . ومن بين الاجابات الصحيحة جرت القرعة ففاز الآتية اسماؤهم بالجوائز التالية:

١ ــ الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : محسن مسحل مشعل : كتيبة المدرعات الثانية عشرة ــ الحرس الاميري ــ قصر الشعب العامر : الكويت

٢ ــ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : الياس جميل سلمان : ص ب ٩٦٣ عمان ــ الاردن .

٣ ــ الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : محمود عبد المؤمن تركستاني : أجياد ــ مكة المكرمة ــ السعودية .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ــ مسعود بن سعيد عبد السلام : ص.ب ٩١٣ رودوما ــ تنزانيا .

٢ ــ حسن الشاوي ــ المطرية ــ العشار ــ البصرة ــ العراق .

٣ ــ احمد منصور : نادي الطلائع الرياضي ــ حمص ــ سوريا .

٤ ــ نفيسة ابراهيم الطيب : الخرطوم ــ السودان .

٥ ــ الطالب عبد الله محمد بصير : مدرسة الثمر الاعدادية ــ الحديدة ــ اليمن .

٦ ــ احمد محمد احمد بحر ــ المحرق ــ البحرين .

٧ ــ محمد ابراهيم شديد : ١ حارة فرج ثاني ــ شارع وابور الطحين ــ امبابة ــ القاهرة ــ ج.ع.م.

٨ ــ موسى الحاج مال الله الحاج حبيب مراد ــ ص.ب ٤٨ ــ مسقط ــ عمان .

وسترسل الجوائز لاصحابها ■



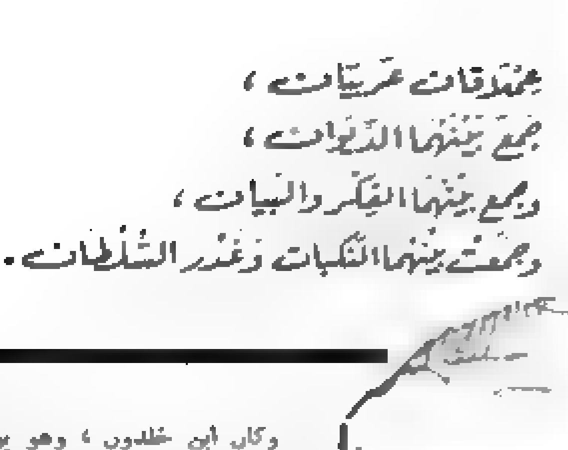
بقلم : محمد عبد الله عنان

■ يعرض لنا تاريخ التفكير العربي في القرن الثامن الهجري ، سيرة رجلين عظيمين تجمع بينهما طائفة من المشابهات القوية ، سواء فيما خاضه كل منهما من حياة غريبة مثيرة ، او فيما خلفه كل منهما من تراث غزير [illegible] كان يتبوأه كل منهما في قطره ، وفي عصره ، من مكانة [illegible] والأدب

هذان الرجلان [illegible] ابن خلدون ، وابن الخطيب [illegible] في نفس العصر [illegible] في حياة القصور [illegible] السلطان ، وذاق محنة الاعتقال والعزل ، وجمعت بينهما الصداقة والعقل [illegible] والمعرفة في بعض الأحيان [illegible]

اول لقاء بين الرجلين

[illegible] اول لقاء بين هذين الرجلين العظيمين في ظروف مثيرة متجيبة ؛ خلاصتها : ان ابن الخطيب وقد صحبا على المغرب مع سلطانه المخلوع محمد الغني [illegible]



عملاقان عربيان،
جمع بينهما الديوان،
وجمع بينهما الفكر والبيان،
وجمعت بينهما النكبات وغدر السلطان.

فاس، في المحرم سنة ٧٦١هـ، فاستقبلهم السلطان أبو سالم أجمل استقبال، واحتفل بقدومهم في يوم مشهود، وأنشد ابن الخطيب بين يدي السلطان يومئذ قصيدة من أروع قصائده، يدعوه فيها لنصرة سلطانه وهذا مطلعها

سلا هل لديها من مخبّرة ذكر
وهل أعشب الوادي ونمّ به الزهر

وهل باكر الوسميّ دارا على اللوى
عفت آيها إلا التوهم والذكر

بلادي التي عاطت مشمولة الهوى
بأكنافها والعيش فينان مخضر

وجوي الذي ربّى جناحي وكرُه
فها أنا ذا مالي جناحٌ ولا وكر

وكان ابن خلدون، وهو يومئذ من أكابر رجال الدولة، في بلاط فاس، من شهود ذلك الحفل. وهو يصفه لنا، ويقول لنا إن ابن الخطيب أبكى سامعيه تأثرا وأسى. ويقول لنا ابن الخطيب نفسه إن القوم كانوا يرتجعون تأثرا لإنشاده، وتسيل منهم العبرات.

والتقى ابن الخطيب وابن خلدون في هذا الحفل لأول مرة، وكان هذا اللقاء بين الرجلين العظيمين، حادثا في حياة كل منهما، له أثره وسوابقه. وكان كل منهما يسمع عن صاحبه ويتوق إلى لقائه، حتى جمعت بينهما الحوادث.

مشابهات بين الرجلين عديدة

وكانت تجمع بينهما بالرغم من فارق السن — إذ كان ابن خلدون في شرخ شبابه، وكان ابن الخطيب في طور الكهولة — مشابهات عديدة، أدبية ومادية. فقد كان كلاهما أستاذ عصره وقطره، في التفكير والكتابة. وكان كلاهما شخصية بارزة في حوادث عصره، تتصل بها بأوثق صلة، ويخوض غمارها، متنقلا بين الظفر والمحنة، وكان كلاهما وزيرا مستبدا، ومستشارا لأمراء عصره، ومحرضا لهم أو عليهم.

كان ابن خلدون يشغل في دول المغرب نفس المركز الذي كان يشغله ابن الخطيب في الأندلس، وقد استأثر في المغرب بزعامة التفكير والكتابة، التي كان يستأثر بها ابن الخطيب في الأندلس،

وقد جمعت بين الرجلين أواصر الحب والصداقة في البداية ، ثم فرقت بينهما عوامل الغيرة والتنافس ، وكان كل منهما ، بالرغم من ذلك ، يحترم صاحبه ويجله ، ويكبر مواهبه وخلاله ، وقد ترجم كل منهما للآخر ، وذكره بما ينم عن خالص التقدير والاجلال ، وتبادلا طائفة من الرسائل الشخصية والسياسية ، تعتبر من ابدع نماذج النثر والترسل في هذا العصر .

ابن خلدون يترجم لابن الخطيب

يقول لنا ابن خلدون في ترجمته لابن الخطيب « انه بلغ في الشعر والترسل حيث لا يجارى فيهما ، وملأ الدولة بمدائحه ، وانتشر في الآفاق قدماه » ثم ينوه بعد ذلك بروعة رسائله السلطانية ، وبعد همته في الادارة والحكم . ويعترف ابن خلدون في موضع آخر ، بانه لم يكن يستطيع مساجلة ابن الخطيب في الترسل والسجع، اذ لم يكن شأوه يلحق في ذلك . واخيرا يجمل لنا ابن خلدون تقديره لابن الخطيب واعجابه به « في تلك الكلمة الجامعة : « كان الوزير ابن الخطيب آية من آيات الله في النثر والنظم ، والمعارف والادب ، لا يساجل مداه ، ولا يهتدى فيها بمثل هداه » .

اسلوب ابن الخطيب البياني ، واسلوب ابن خلدون التاريخي

والحقيقة التي لا ريب فيها ان ابن الخطيب ، يتفوق على ابن خلدون في اسلوبه البياني ، سواء في الرسائل السلطانية او في كتابة التاريخ . ولا شك ان اسلوب ابن خلدون التاريخي ، يعتبر من ارفع الاساليب التاريخية ، من حيث قوة التعبير ، وابراز المعاني ، ومن حيث الاصالة ، وضبط النفس والمشاعر ، وان ابن الخطيب لايجاريه في ذلك . وانه في احيان كثيرة يترك العنان لاهوائه وعواطفه الشخصية ، ويمزج العرض التاريخي بالجملات المنمقة ، التي ترجع الى بواعث شخصية محضة . ولكنه يمتاز في عرضه التاريخي ، ببيان قوي ساحر ، لايجاريه فيه احد من المؤرخين المسلمين . اما رسائله السلطانية فتعتبر من اروع نماذج الكتابة الدبلوماسية ، في الادب العربي ، سواء في المشرق او المغرب .

ابن الخطيب يشيد بابن خلدون

ويشيد ابن الخطيب كذلك بخلال ابن خلدون ومواهبه ، ومقدرته العلمية والبيانية ، ويصفه في ترجمته اياه بما يأتي : « جم الفضائل ، باهر الخصال ، رفيع القدر ، ظاهر الحياء ، اصيل المجد ، وقور المجلس ، عالي الهمة ، عزوف عن الضيم ، صعب المقادة ، قوي الجأش ، طامح لقنن الرياسة ، خاطب للحظ ، متقدم في فنون عقلية ونقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصور » .

ويصف لنا نثره ونظمه في قوله : « اما نثره وسلطانياته السجعية فخلج بلاغة ، ورياض فنون ، ومعادن ابداع ، يفرغ عنها يراعه الجريء ، شبيهة البداءات بالخواتم ، في نداوة الحروف وقرب العهد بجرية المداد ، ونفوذ امر القريحة ، واسترسال الطبع . واما نظمه فنهض لهذا العهد قدما في ميدان الشعر ونقده ، باعتبار اساليبه ، فانثال عليه جوه ، وهان عليه صعبه ، فأتى منه بكل غريب » .

ابن الخطيب يترجم لابن خلدون

ويلاحظ ان ابن الخطيب ترجم لصديقه ابن خلدون عند وضعه لكتابه « الاحاطة » ما بين سنتي ٧٦٥ و٧٧٠هـ ، وذلك قبل ان يكتب ابن خلدون تاريخه الكبير ، ومقدمته الفريدة ، ثم توفي قتيلا في سنة ٧٧٦ هـ . ومن المحقق انه لو امتد الاجل بابن الخطيب ـ حتى ادرك التاريخ والمقدمة ـ لكان له فيهما رأي من اجل الاراء واعظمها .

ويجتمعان في الاندلس ، ثم يفترقان

وعبر ابن خلدون الى الاندلس في شهر ربيع الاول سنة ٧٦٤ هـ ، بعد ان فقد مناصبه في بلاط فاس ، عقب مصرع السلطان ابي سالم ، وتغلب الوزير عمر ابن عبد الله على الدولة ، وتوجسه من مشاريع ابن خلدون واطماعه ، فتلقاه السلطان الغني بالله وصديقه الوزير ابن الخطيب باجمل آيات الترحاب والمودة ، واغدق عليه السلطان رعايته ، وبعثه سفيرا عنه الى ملك قشتالة ، وغمره باحسانه وصلاته . ولكنه ما لبث ان شعر بانقباض السلطان عنه ، وشعر في نفس الوقت ، ان لصديقه القديم الوزير ابن الخطيب يدا في هذا التحول ، وعندما لم يجد ابن خلدون بدا من مغادرة الاندلس ، فغادرها آسفا ، وعاد الى المغرب ، ليخوض مرحلة اخرى من المغامرات والخطط في تصوره .

ابن الخطيب يعبر البحر الى المغرب لما احس بانقباض السلطان عنه

وبالرغم مما سرى يومئذ الى علائق المفكرين العظيمين من كدر ، فقد لبث كلاهما محتفظ ازاء صاحبه ، بمظاهر المودة والتقدير ، واستمرا يتبادلان الرسائل من آن لآخر ، ثم شاء القدر ان تتطور الظروف في الاندلس ، وان يفقد الوزير ابن الخطيب حظوة مليكه ، وان يشعر بتجهم الجو من حوله ، ونجاح خصومه في السعاية في حقه ، وعندئذ اتخذ قراره الشهير بمغادرة الاندلس والهجرة الى المغرب ، ولم يكشف لمليكه حقيقة نيته الا حينما ارسل اليه خطاب الوداع ، عقب دخوله جبل طارق ، وكان يومئذ من املاك بني مرين ، وكان ابن الخطيب قد دبر أمره بالاتفاق مع السلطان عبد العزيز المريني ملك المغرب، وكانت تجمع بينهما اواصر صداقة متينة ، وعبر ابن الخطيب البحر الى المغرب في اوائل سنة ٧٧٣هـ وسار توا الى تلمسان ، حيث كان السلطان عبد العزيز يعقد بلاطه ، على اثر افتتاحه لها ، وشمل السلطان الوزير المنفي بوافر اكرامه وجزيل عطائه .

ابن الخطيب يكاتب ابن خلدون ويعتب

وكتب ابن الخطيب الى صديقه ابن خلدون ، وكان يقيم يومئذ ببسكرة ، يخبره فيه بمقدمه ويعتب عليه ، فيما كان منه بحقه في الاندلس ، فرد عليه ابن خلدون برسالة مؤثرة يؤكد فيها حبه وتقديره وبهجته بنجاته .

خصوم ابن الخطيب في الاندلس اتخذوا من فراره ذريعة لاتهامه

وعاش ابن الخطيب حينا في سلام ودعة ، ولكن فراره على هذا النحو لم

بمسديء خصومه بغرناطسه ، بل كسان بالعكس فريسة جديدة لديهسم ، تنهض على ادانته وخيانتسه لوطنه ومليكسه ، فساهموا بسعيهم لمطاردته وملاحقتسه ، والعمسل على تلويث سمعته وسحسق هيبته ، واتهموه بالخروج على شريعسة الاسلام ، ونسبوا اليه في ذلك اقسوالا ومقالات،مما جاء في بعض كتبه ورسائله، اولوها وفق مقاصدهم ، وزعموا أن منها ما يتضمن طعنا في النبي والقول بالحلول، واعتمدوا في ذلك بالاخص على بعض ما جساء في رسالتسه المشهورة « روضسة التعريف بالحب الشريف » ، واعتبروا ان ما جاء في كتبه التاريخيسة ، مثسل « الاحاطة » وغيره مما يتناول التاريخ المعاصر ، انما هسو مسن قبيل الغيبسة المحرمسة .

يحرقون كتب ابن الخطيب

وتولى صوغ الاتهام قاضي غرناطة ابو الحسن النباهي ، وافتى بوجوب حرق كتب ابن الخطيب ، فحصت واحرقت ، ووجه الى ابن الخطيب بالمغرب ، رسالة شديدة ، يبسط فيها ما تقدم من التهم ، وينحي على ابن الخطيب بشديد اللائمة ، ويتهمه فضلا من الالحاد والزندقسة ، بخيانته لوطنه ومليكه ، ويعدد مثالبسه ومظالمه ، اثناء قيامه بالحكم ، وما كان منه بالاخص من تدخل في شئون القضاء ، وجمعه الاموال بمختلف الطرق ، وغير ذلك مما يشين حكمه وشخصه .

سلطان غرناطة يبعث الى ملك المغرب باتهام ابن الخطيب ، فلا يهتم به

وبعث سلطان غرناطة الى السلطسان عبد العزيز برسله ، يحملسون صيغسة الاتهام ضد الوزير الملحد ، ويطالبسون باعمال حكم الشرع فيه ، وهو الاعدام ، فردهم السلطان بأنفة واستكبار ، وزاد في اكرام ابن الخطيب ورعايته .

وشاء القسدر ان تتسوفى السلطسان عبد العزيز بعد ذلك بقليل ، في شهر ربيع الآخر سسنة ٧٧٤هـ ، فاعلن ولده الطفل السسعيد ملكا مكانه ، وانتقل البلاط على اثر ذلك من تلمسان الى فاس ، وسار ابن الخطيب في صحبة الوزير ابن غازي المتغلب على الدولة ، ولقي منه مثل ما كان يلقاه من الملك الراحل ، من ضروب الحماية والرعاية ، وعاش ابن الخطيب فترة والفتنة تدور والضياع ، وحاول الغني بالله سلطان غرناطة مرة اخرى ، ان يحمل الوزير ابن غازي ، على التنكر لابن الخطيب ونكبته ، فابى الوزير وكان الغني بالله يضطرم بغضا ضد وزيسره السسابق ، لما كان يعتقده ، من أنه كان يحرض السلطان عبد العزيز على غزو الاندلس ، ومن ثم كانت هسذه المساعي المتكررة في سبيل اهلاكه .

انقلاب في الدولة يبت في مصير ابن الخطيب

على ان القدر كسان يتربص بابسن الخطيب ، وسرعان ما تطورت حوادث المغرب ، ولتمخضت من انقلاب جديسد ، ترتب عليه سقوط الوزير ابسن غسازي ومليكسه الطفسل السعيسد ، وجلسوس السلطان احمد بن ابي سالم المريني على العرش وذلك في اوائل سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٤ م) . وكان السسلطان احمد تربطه بالغني بالله مودة وثيقة ، اذ كان الغني بالله هو الذي عاونه بالمال والرجال

على ارتقاء العرش ، وكان من الواضح عندئذ ان مصير ابن الخطيب قد بت فيه

وكان ابن الخطيب قد لجأ اثناء ذلك الى البلد الجديد (ضاحية فاس الملوكية) . وكان التفاهم قد تم بين الغني بالله والسلطان احمد ، بشأن ابن الخطيب ومصيره ، فلما وقع الانقلاب المنشود ، وجلس السلطان احمد على العرش ، بادر بالقبض على ابن الخطيب ، وبعث الغني بالله وزيره ابن زمرك ليشرف على الاجراءات التي تتخذ ضد الوزير المنكوب ، ووجهت الى ابن الخطيب التهم السابقة ، وهي التي وجهت اليه في غرناطة ، من دينيه وسياسيه .

محاكمة ابن الخطيب ، وقتله خنقا في سجنه

ورأى السلطان احمد ان يعقد مجلسا من رجال الدولة واهل الشورى ، واستدعى اليه ابن الخطيب لمناقشته ، ومواجهة التهم المنسوبة اليه ، واخصها تهمة الالحاد والزندقة . وعزر ابن الخطيب ، وعذب أمام الملأ ، وافتى بعض الفقهاء المتعصبين بوجوب اعدامه ودس عليه وزير السلطان احمد ، سليمان بن داوود ، بعض الاوغاد فقتلوه خنقا في سجنه ، وكان ذلك في جمادى الاولى سنة ٧٧٦ هـ (اكتوبر سنة ١٣٧٤ م) واخذت جثته في الغد واضرمت فيها النار فاحترق شعر الرأس واسودت البشرة ، ثم حملت الى القبر قبل ان تأتي عليها النار ، وترك هنالك لتثوى الثواء الاخير ، وما زال هذا القبر يقوم الى يومنا في مكانه على مقربة من باب المحروق احد ابواب فاس التاريخيه .

ابن خلدون يذكر موت ابن الخطيب ويعلق عليه في هدوء

وهكذا ذهب الكاتب والمفكر الكبير ضحية الجهالة والتعصب ، والاحقاد السياسة الوضيعة . وهنا ــ وفي هذه الصفحة الاخيرة من حياة ابن الخطيب ــ يمثل ابن خلدون مره اخرى ، ويجمل ابن خلدون حوادث هذه المأساة في قوله في مقدمته ، مشيرا الى صديقه ابن الخطيب : « بأنه هو الهالك لهذا العهد شهيدا بسعاية اعدائه » ويعلق عليها في تاريخه بقوله : « وكان في ذلك انتهاء محنته ، وعجب الناس من هذه السفاهه التي جاء بها سليمان ، واعتبروها من هناته ، وعظم النكير فيها عليه ، وعلى قومه واهل دولته » ونحن لانستشعر فيما يكتبه ابن خلدون عن مصرع صديقه العظيم ، شيئا من عميق التأسي ، ولا نلمس في وصفه للمأساة كل ما يجب ان تثيره من الافكار والروع ، ودمغ الجناه بكل ما يجب ان يدمغوا به من الصفات القاتمة المثيرة . اجل ان ابن خلدون ، يقص علينا في « التعريف » او ترجمته لنفسه ، ان ابن الخطيب كتب اليه من محبسه « مستصرخا ومتوسلا » ، وكان ابن خلدون يومئذ قد عبر الى الاندلس في رحلته الثانية ، ويزيد ابن خلدون على ذلك بانه خاطب في شأن صديقه بعض اهل الدولة ، فلم تنجح سعايته . ولكن ذلك لا يزيل هذا الشعور الذي يخالجنا من ان ابن خلدون ، حسبما يبدو من لهجته الهادئة ، لم يهتز لمصرع صديقه العظيم ، ولم يستقبله بكثير من التلهف والجزع ، شأنه في كثير من الاحداث العديده المماثله . ■■

محمد عبد الله عنان



١٠ أسئلة .. وجوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد اختبار جديد لمعلوماتك العامة ، تتألف من خمسة عشر سؤالا ، وضعنا لكل منها اربع اجابات ، بينها اجابة واحدة هي الصحيحة . فاذا وفقت لهذه الاجابة الصحيحة لعشرة اسئلة ، فقد حالفك الحظ وتفوز باحدى الجوائز .

١ ـ قصر اللوفر من اعظم قصور اوروبا واجملها ، وهو موجود في : روما ـ باريس ـ لندن ـ برلين .

٢ ـ ولد احد الائمة الاربعة في غزة ، وفيها قال

سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها
كحلت به من شدة الشوق اجفاني

هذا الامام هو : ابو حنيفة ـ مالك ـ الشافعي ـ ابن حنبل .

٣ ـ اصغر دولة في العالم واقلها سكانا هي : موناكو ـ لكسمبورغ ـ الفاتيكان ـ ليشتنشتين .

٤ ـ هزم صلاح الدين الايوبي جيوش الصليبيين في معركة

عين جالوت ـ ذي قار ـ حطين ـ التل الكبير

٥ ـ برج بيزا المائل احد عجائب الدنيا . وهو موجود في . فرنسا ـ ايطاليا ـ المانيا ـ انجلترا .

٦ ـ العاصمة الدبلوماسية للمملكة العربية السعودية ، التي يقيم فيها السفراء ورجال السلك السياسي هي : الرياض ـ مكة ـ جدة ـ المدينة

٧ ـ البيت الابيض هو مقر الحكم في : لندن ـ نيويورك ـ واشنطون ـ جنيف .

٨ ـ مؤسس القاهرة هو : عمرو بن العاص ـ جوهر الصقلي ـ المعز لدين الله الفاطمي ـ الظاهر بيبرس

٩ ـ تاج محل هو بالغة الروائع فيما ابتدعه الانسان ، بناه احد اباطرة الهند في العصر المغولي الاسلامي ليكون ضريحا لزوجته : نورجهان ـ نور محل ـ ممتاز محل ـ جهان جير .

١٠ ـ كان ارسطو يعرف باسم « المعلم الاول » ، وقد اطلق المؤرخون فيما بعد اسم « المعلم الثاني » على احد الفلاسفة المسلمين وهو : ابن سينا ـ ابن خلدون ـ ابن رشد ـ الفارابي

١١ ـ ولد السيد المسيح في : اورشليم ـ بيت لحم ـ الناصرة ـ الجليل .

١٢ ـ اشتهرت مدينة يافا من قديم بانتاج نوع ممتاز من : العنب ـ البطيخ ـ البرتقال ـ التفاح

١٣ ـ دفن خالد بن الوليد في احدى هذه المدن الاربع : حلب ـ بغداد ـ حمص ـ القاهرة .

١٤ ـ من فلاسفة هذا العصر فيلسوف اشتهر بتصديه للحرب والاستعمار والتمييز العنصري ، حتى تعرض للسجن ، ورفض جائزة نوبل . هذا الفيلسوف هو ـ البير كامو ـ جان بول سارتر ـ برتراند راسل ـ هوايتهد

١٥ ـ كانت عاصمة فلسطين ايام الانتداب البريطاني هي : حيفا ـ رام الله ـ القدس ـ يافا .



شروط المسابقة

١ ـ الاجابات التي يحق لها ان تدخل عملية الاقتراع على الجوائز يجب ان تشتمل على عشر اجابات صحيحة .

٢ ـ أرفق باجابتك كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٣ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٤ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي .

مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت (مسابقة العدد ٨٥) .

٥ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من يناير (كانون ثاني) ١٩٦٦ .

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، لكل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .





علاقات العرب بالروم في صدر الإسلام

بقلم: الدكتور محمد جمال الدين سرور

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

■ لم تكن العلاقة بين الدولة العربية والدولة الرومانية الشرقية في صدر الإسلام على شيء كثير من الصفاء لاتخاذ كل منهما صفة دينية تخالف الأخرى، ولانتزاع العرب بلاد الشام ومصر والمغرب من أيدي الروم. وفضلا عن ذلك فإن الدولة الرومانية الشرقية كانت بحاجة إلى المنتجات الشرقية التي تصل إليها عن طريق بلاد العرب والبحر الأحمر. فلما قامت الدولة العربية، اضطربت تجارة الروم مع بلاد الشرق الأقصى، فقل نشاطها، وصار الروم يرون أن قيام هذه الدولة حال دون اتصالهم اتصالا مباشرا بتلك البلاد، فأدى ذلك إلى توتر العلاقات بين الدولتين العربية والرومانية الشرقية.

موقف عمر بن الخطاب من هجرة العرب لبلاد الروم

أصبحت شرطه منذ عهد عمر بن



- العرب ينتزعون من الروم مصر والشام والمغرب
- ويحاصرون القسطنطينية اكثر من مرة
- ويوقعون الهزيمة باسطول الروم في معركة ذات الصواري

الخطاب ملجأ لكل من يريد الهجرة من بلاد الدولة العربية من غير المسلمين ، ملجأ الأمير الغساني جبلة بن الايهم اليها. وهمت قبيلة « تغلب » النصرانية التي تسكن الجزيرة بالجلاء الى ارض الروم أنفة من أداء الجزية لأنها من أصل عربي ، ولكن عمر ما لبث أن أبقاها وفرض عليها ضعف الزكاة حرصاً منه على عزة العرب . كذلك حلت قبيلة اياد الى بلاد الروم فطلب عمر بن الخطاب من هرقل قيصر الروم اخراج هؤلاء العرب من بلاده ، وتوعده بأنه اذا لم يجب طلبه ، اخرج اليه النصارى

الذين يقيمون بالدولة العربية ، فأجابه القيصر الى ما أراد . وعادت اماد الى موطنها الجزيرة .

الروم يخربون الشام قبل جلائهم عنها

وكانت الحدود بين الدولة العربية والدولة الرومانية الشرقية في بداية العهد الاسلامي غير مستقرة ويصعب تحديدها ، لأن الروم حين جلوا من الشام عقب الفتح العربي ، خربوا كل البلاد التي تصلح مراكز لهجوم العرب واصبحت منطقة خربة يصعب عبورها.

كذلك أتى الروم بالقبائل والعشائر التي أخرجها العرب من بلاد الشام ، وكانت تقيم بجبل اللكام بأعالي تلك البلاد ، وأنزلوهم على حدود آسيا الصغرى الجنوبية ليكونوا درءا يتقوون به غارات العرب . وهذه الجماعات تعرف في المراجع العربية بالجراجمة ، ويطلق عليهم اسم المردة . وكانوا يدينون بالمسيحية. وقد هم فريق منهم باللحاق بالروم بعد أن فتح أبو عبيدة عامر بن الجراح انطاكية خشية على أنفسهم من العرب ، فلم ينسه اليهم المسلمون وتركوهم وشأنهم .

أول أسطول بحري عربي

ولما كانت الدولة البيزنطية دولة بحرية ، أصبحت الضرورة الحربية تقضي بأن يكون للدولة العربية المعادية لها قوة تماثل قوتها . وكان عمر بن الخطاب شديد المعارضة في ركوب البحر وكذلك عثمان بن عفان في السنوات الاولى من خلافته ، لكن معاوية بن أبي سفيان استطاع أن يقنعه بالفائدة التي تعود على دولته من انشاء بحرية اسلامية ، فأجابه الى طلبه . واستحالت الممانعة في ركوب البحر أيام عمر الى ترحيب به في أواخر عهد عثمان . وأصبح للدولة العربية أسطول قوامه ملاحون من اليمن ، ومن أهالي سواحل الشام ومصر .

معركة « ذات الصواري »

كان معاوية أول من وضع للدولة العربية سياسة خارجية ، تتبعها ازاء الدولة البيزنطية . ومما حمله على توجيه نشاطه الى هذه الدولة رغبته في ابعاد خطر الروم عن العرب ، هذا الى طموحه في الوصول الى ذروة المجد عن طريق فتحه القسطنطينية بعد أن فاتته فرصة اظهار شخصيته في الفتوح العربية الكبرى ، ومن ثم بدا في غزو جزر البحر المتوسط القريبة لتعود الروم بعد أن أصبح للدولة الاسلامية أسطول يعاضد قوتها البرية، فغزا جزيرة قبرص سنة ٢٨ هـ (٦٤٩ م) في خلافة عثمان بن عفان، كما خرج اذ ذاك عبدالله ابن سعد بن أبي سرح على رأس الأسطول الاسلامي واشتبك مع الروم في معركة ذات الصواري البحرية سنة ٣٤ هـ (٦٥٤ م) ، وأوقع الهزيمة بأسطولهم الذي كان يقوده الامبراطور قنستانز (قسطنطين) الثاني .

حصار القسطنطينية

ظل معاوية منذ عهد له بولاية الشام في أيام عمر الى أن توفي سنة ٦٠هـ يغزو أراضي الدولة البيزنطية . وسار بنفسه في خلافة عثمان بن عفان سنة ٣٢ هـ (٦٥٢ م) الى القسطنطينية وحاصرها ، ثم اضطر الى رفع الحصار عنها للأحداث الداخلية التي وقعت في الدولة العربية، هذا الى مناعتها الطبيعية والصناعية .

لم يغر معاوية بلاد الدولة البيزنطية

في المدة بين سنتي ٣٣ ، ٤٠ هـ وانما عقد هدنة مع الامبراطور البيزنطي قنسطانز (قسطنطين) الثاني ، مؤداها أن يدفع له مبلغا من المال سنويا . وكان مما دعا معاوية الى عقدها ، رغبته في التحلل الجهة لمحاربة خصمه علي بن ابي طالب، هذا الى اشتداد غارات الجراجمة على اهالي بلاد الشام في ذلك الوقت . فلما تغلب على هذه الصعاب التي واجهته سعى في التحلل من تلك الهدنة التي عقدها مضطرا ، فامتنع عن دفع الاتاوة واستؤنفت الحروب بين الدولة العربية والدولة الرومانية الشرقية سنة ٤١هـ .

على ان معاوية وان كان قد غزا القسطنطينية ووصل الى اسوارها في عهد امارته على الشام ، فانه لما ولي الخلافة لم يسر اليها بنفسه ، بل اعد سنة ٤٨هـ (٦٦٨ م) حملة برية وبحرية بقيادة فضالة بن عبيد الانصاري لارتياد اسهل الطرق التي تؤدي الى الاستيلاء على القسطنطينية ، ثم جهز في العام التالي جيشا ضخما ليكون مددا لقواته التي ارسلها من قبل الى عاصمة الدولة البيزنطية ، واسند الى ابنه يزيد قيادته — وكان اذ ذاك قد اخذ يرشحه لولاية العهد — ، واشترك في هذه الغزوة غير واحد من كبار الصحابة ، نذكر من بينهم عبد الله بن عباس المحدث المشهور ، وابو ايوب الانصاري الذي اضاف النبي صلى الله عليه وسلم في داره على اثر هجرته الى المدينة . ولما اجتمعت هذه القوات امام اسوار القسطنطينية ، شرعت في تضييق الحصار عليها من البر والبحر ، كما احدث تهاجمها بضعة ايام دون ان تظفر منها بشيء ، ثم اضطرت الى رفع الحصار عنها سنة ٦٧٠ م في عهد الامبراطور قسطنطين الرابع ، وعاد يزيد مع الجيش العربي الى الشام . اما البيزنطيون ، فانهم رأوا — بعد تلك الاخطار التي تعرضت لها عاصمتهم — ان يوجهوا اهتمامهم الى تقوية وسائل الدفاع عنها .

الروم يستخدمون النار اليونانية

وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهت القوات العربية اثناء حصارها القسطنطينية، فان معاوية عول على انفاذ حملة اخرى لغزو هذه المدينة ، وامدها باسطول قوي ، واستأنفت هذه الحملة مهاجمة القسطنطينية سنة ٦٧٤م ، غير انها لم تشتبك مع البيزنطيين في حروب متصلة ، كما لم تستمر طويلا في حصار عاصمتهم ، بل كانت ترتد عنها في الشتاء، وتعاود حصارها في الصيف . ودارت خلال هذا الحصار عدة معارك حربية بين الاسطولين العربي والبيزنطي في مضيق البسفور وبحر مرمرة . لكن للمرة الثانية لم تستطع القوات العربية اخذ هذه المدينة لحصانتها من جهة ولاستخدام البيزنطيين النار اليونانية التي انزلت كثيرا من الاضرار في سفن العرب ، واضطر معاوية الى الدخول في مفاوضات مع البيزنطيين ، انتهت بعقد صلح بين الفريقين ، تعهد بمقتضاه الخليفة الاموي ان يؤدي للامبراطور البيزنطي قسطنطين الرابع مبلغا معينا من المال كل سنة .

بين جستنيان وعبد الملك بن مروان

ولما اضطربت الامور في بعض ولايات الدولة العربية منذ وفاة معاوية حتى اوائل عهد عبد الملك بن مروان ، حاول الروم استغلال هذا الاضطراب على الرغم من ان هناك صلحا بينهم وبين العرب ليحصلوا على مزايا جديدة ، وذلك بالضغط على خصمهم، فطلب الامبراطور جستنيان الثاني من عبد الملك النزول

من نصف ايراد ارمينية وجزيرة قبرص؛ فقبل الخليفة الاموى مطالب الروم لأن مركزه في داخل دولته كان في أشد حالات الحرج وعلى الاخص في بلاد الحجاز والعراق ، واشترط ان تنقل الدولة البيزنطية الجراجمة من الاراضي التي كانوا يحتلونها على حدود الشام الشمالية الى داخل آسيا الصغرى — وكان الروم يستخدمونهم في ازعاج الدولة العربية . فقبل الامبراطور البيزنطي هـذا الشرط ، وبذلك زال خطرهم عن المسلمين .

هزيمة الروم امام العرب

على أن عبد الملك بن مروان ما لبث ، بعد أن توطدت سلطته في داخل الدولة العربية سنة ٧٣ هـ ، ان عول على انتهاز الفرص لالغاء الصلح الذى عقده مع الروم . فلما اغار قائد العامة البيزنطية التي في الجهة الشرقية من آسيا الصغرى على مقاطعة ارمينية الاسلامية وضمها الى القسم التابع لدولة الروم من اقليم ارمينية ، رأى عبد الملك في هذه السياسة الاستعمارية نقضا جديدا من ناحية الروم للعهد المبرم بينهم وبين الدولة العربية ، ومن ثم اعلن الحرب على الروم . ودارت الحرب بين الفريقين في الشرق والغرب . ففي الشرق أوقع العرب الهزيمة بالامبراطور جستنيان الثاني في واقعة كبيرة عند بلدة سباستوبلس في قيليقيا (وتقع على الحدود بين الدولتين) . اما في الغرب ، فكانت الحرب سجالا في اقليم افريقية (تونس) ، تارة ينتصر العرب ، وطورا ينتصر الروم . وظل الحال على ذلك الى ان اسندت القيادة الى موسى ابن نصير ، فافتتح منطقة شمال افريقيا واستولى على قرطاجنة وجلت حاميات الروم من تلك المنطقة عائدة الى القسطنطينية . وفي اثناء رجوعها اشتد سخط الروم على الامبراطور تيبريوس الثالث الذى انتقم من سلفه ، فجدع انفه وجبه في بعض الاديرة .

وكانت الاحوال في الدولة العربية قد استقرت في زمن الوليد بن عبد الملك ، ولم يبق للاضطرابات الداخلية التي سادت في عهد من سبقه من الخلفاء وجود . اما فيما يتعلق بالدولة البيزنطية فقد استحكمت فيها الفوضى واشتد النزاع على العرش ، وانقسم الروم الى شيع واحزاب . ولم يكن عدم استقرار الامور في هذه الدولة بسبب النزاع على العرش خافيا على حكومة الامويين بدمشق في عهد الوليد بن عبد الملك ، فحاول هذا الخليفة الانتفاع بالاضطراب السائد في الدولة البيزنطية في الوقت الذى كانت جيوشه تغزو في الشرق والغرب ، ورأى ان يتم فتوحه بتقويض عرش تلك الدولة والاستيلاء على حاضرتها ، فاخذ يعد حملة برية واخرى بحرية لحصار القسطنطينية .

العرب يغزون آسيا الصغرى

على أن الامبراطور البيزنطي انستاسيس الثاني ما لبث أن اعد العدة لاحباط هذا المشروع سنة ٧١٤م ، فبعث سفنا الى مرافىء الشام التي كانت تبنى فيها السفن العربية لاحراق خشبها وعرقلة سيرها . لكنه لم يفلح في تحقيق غرضه وتوفى الوليد سنة ٩٦ هـ (٧١٤م) قبل ان يتم تكوين الحملة . فلما خلفه اخوه سليمان مضى في تنفيذ ذلك المشروع ، فارسل القوة البرية الى آسيا الصغرى تحت قيادة اخيه مسلمة سنة ٩٨هـ (٧١٦) وامر عمر بن هبيرة قائد الاسطول العربي بالابحار الى القسطنطينية ، ورابط الخليفة بقوة عند دابق بالقرب من حلب ليكون مددا عند اللزوم للحملة العربية .

ولما اجتاح مسلمة بن عبد الملك آسيا

الصغرى ووصل الى بلدة عموريه فاخذ في محاصرتها ، وكان يتولى الدفاع عنها ليو الايسوري الذي قيل انه من اصل سوري ويجيد العربية ، كما عرف عنه انه يتطلع الى عرش بيزنطة ، فحاول الاستعانة بالعرب للوصول الى الملك ، ومن ثم دخل في مفاوضات مع مسلمة ، واوهمه انه اذا ساعده على ارتقاء عرش الدولة البيزنطية يتعهد له باداء جزية سنوية للدولة الاسلامية ويصبح تابعا للخليفة العربي . فاغتر مسلمة بهذا الوعد ورفع الحصار عن عموريه . أما ليو فسار من فوره صوب القسطنطينية وكان بها اسباب ساخطة على الملك ، فاوهم اهلها انه خدع القائد العربي ، وانهم ان ولوه العرش صد عنهم غائلة العرب ، فلم يشكوا في قوله ، وولوه امبراطورا للدولة البيزنطية باسم ليو الثالث (مارس ٧١٧ م) . وكان مسلمة وقتذاك يرابط بجيوشه امام القسطنطينية ينتظر ان يرسل اليه ليو الاموال ويحقق ما وعده به . اما الاسطول العربي ، فدخل مضيق القسطنطينية ورابط في الثغور (سبتمبر ٧١٧ م) .

ولما لم يف ليو بوعده ، صمم مسلمة على مداومة الحصار ، وامر اتباعه بادخار المؤن وزراعة الارض ، وصارت الاقوات عنده — كما يقول الطبري — امثال الجبال من كثرتها . فخشي ليو عاقبة استمرار العرب في محاصرة القسطنطينية ودخل في مفاوضات مع مسلمة . وكان ليو كلما اشتد الحصار لجأ الى مفاوضة مسلمة ومصانعته ، فيخف وطء الحصار ويتسرب المؤن الى المدينة . لكنه لم يلبث ان غدر بمسلمة واصبح محاربا له . ثم أقبل الشتاء — وكان شديدا قارسا — فهلك كثير من جند العرب . وفي الربيع التالي وصلت الى مسلمة امدادات برية وبحرية . لكن هذه النجدات لم تتمكن من احكام الحصار حول القسطنطينية كما أن البيزنطيين القوا النار اليونانية على السفن العربية ، فاوقعت فيها الاضطراب . وفضلا عن ذلك فان المجاعة بدأت تهاجم المعسكر الاسلامي ، فاختفت مخازن الاقوات في العادة ، ولقي الجند كثيرا من الشدائد ، اذ اضطروا الى اكل الدواب واوراق الشجر .

عمر بن عبد العزيز يأمر بالانسحاب

لم تضعف هزيمة مسلمة رغم الصعاب التي صادفها اثناء قتاله مع البيزنطيين ، فاصر على مواصلة حصار القسطنطينية حتى جاءته الاخبار بوفاة سليمان بن عبد الملك ثم اضطر الى الانسحاب سنة ٩٩ هـ (٧١٨ م) تنفيذا لاوامر الخليفة الجديد عمر بن عبد العزيز الذي ارسل اليه يأمره بالقفول بمن معه من المسلمين ، وانفذ اليه خيلا وكثيرا من المؤن ، فعاد مسلمة مع ثلاثين الف جندي . اما بقية الاسطول العربي ، فحطمته اثناء عودته عاصفة عنيفة ، ولم يصل منه سالما الى الشاطىء السوري سوى خمس سفن .

على أن عدم نجاح العرب في محاولة الاستيلاء على القسطنطينية في ايام سليمان بن عبد الملك لم يثن عزمهم عن غزو اراضي الدولة الرومانية الشرقية ، فقد استمرت الغزوات صيفا وشتاء في عهد هشام بن عبد الملك بقيادة اولاد الخليفة نفسه نخص بالذكر منهم معاوية والد عبد الرحمن الداخل . لكن العرب لم يحالفهم التوفيق في ايامه ، وشغل الخلفاء الامويون منذ ذلك الوقت بظهور الدعوة العباسية .

الخلفاء الامويون : يتهرطقون

لم تكن العلاقة بين العرب والروم في العصر الاموي مقصورة على مجرد تبادل الغارات والحروب ، وانما ادى اتصالهم ببعض بحكم الجوار الى تأثر

كل فريق بالآخر، فمن الناحية السياسية تأثرت خلافة الأمويين بالنظم السائدة في الدولة الرومية الشرقية ، فسميت قيصرية أو هرقلية بمعنى أنها قائمة على النظام الامبراطوري البيزنطي ، فمعاوية كان في مظهره كالامبراطور البيزنطي . كما أنه هو وخلفاءه من بعده عاشوا في شيء من الأبهة لم يعرفه الخلفاء الراشدون من قبل . وقد لاحظ عمر بن الخطاب حين ذهب الى الشام أن معاوية — وكان وقتذاك يتقلد ولاية هذه البلاد — يحيط نفسه بمظاهر الأبهة ، فأنكرها عليه في بادىء الأمر ، ثم أقرها على اعتبار أن مجاورته للروم تضطره الى اتخاذ هذا المظهر .

ازدياد التوتر بين العرب والروم

كذلك كان من أثر اتصال العرب بالروم أن شاع استعمال العملة الرومية في بلادهم ، فصاروا يتعاملون بالدنانير البيزنطية جنبا الى جنب مع النقود التي سكها خلفاء الدولة العربية وأمراؤها وظل الحال على ذلك الى أن ولي عبد الملك بن مروان الخلافة ، فرأى بعد أن تمهدت له الأمور في الدولة العربية أن يصلح السكة ويوحدها في جميع أنحاء دولته ، كما عمد أمام الخصومة التي بينه وبين الروم الى التخلص من عملتهم المتداولة في بلاده ، فأنشأ دارا لضرب النقود في دمشق وسك عملة جديدة من الذهب والفضة وأمر أن ينقش عليها بعض الآيات القرآنية . ولما رأى الروم أن الأموال التي يؤديها عبد الملك اليهم طبقا لشروط الصلح التي عقدها معهم مكتوب عليها آيات قرآنية ، استاءوا من ذلك واعتبروه اهانة موجهة اليهم لتدول العرب عن عملتهم ، ومن ثم ازداد التوتر في العلاقات بين العربيين .

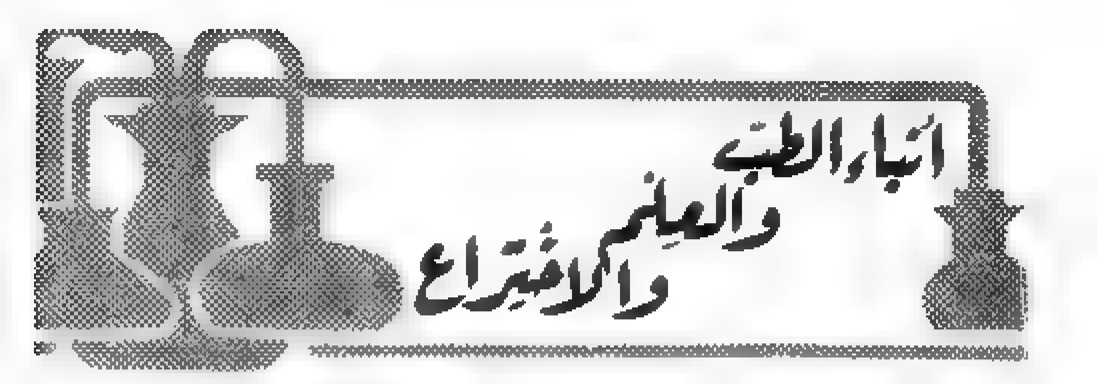
أثر الاسلام على الروم

أما عن تأثر الروم بالعرب ، فنستطيع أن نعول على ضوء أحداث ذلك العصر أن الديانة الاسلامية التي سادت البلاد العربية أثرت بعض الشيء في الروم ، ذلك أنه قد شاع في الدولة البيزنطية في القرنين السادس والسابع الميلاديين عبادة الصور التي تمثل المسيح والسيدة مريم والقديسين وكان كثير من البيزنطيين يعرفون أن الشريعة الاسلامية تحرم تقديس الصور وعبادتها . ومن هؤلاء ليو الايسوري الذي وجه اهتمامه بعد أن ولي عرش بيزنطة ، وتخلص من خطر حصار الجيوش العربية الى القضاء على بدعة عبادة الصور ، فأمر بتحطيم التماثيل والصور في الكنائس والأديرة . وحذا حذوه ابنه قسطنطين الخامس في القضاء على عبادة الصور ، بل زاد عليه في اغلاقه الأديرة وسماحه للرهبان بالزواج . وهنا نجد تأثيرا مباشرا للاسلام . وقد أدت هذه السياسة الدينية التي اتبعها الامبراطور الى تفوق الثابوبة من الدولة البيزنطية ■

محمد جمال الدين سرور

الفراسة عند العرب

● قالوا : عظم الجبهة يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة ، واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد ، والعين المتوسطة في حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروءة ، والتي تطول بحدقها تدل على الحمق ، والتي تكسر طرفها تدل على خفة وطيش ، والشعر على الأذن يدل على جودة السمع ، والأذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان .
والله أعلم !



سمعت صوتاً فنظرت يمناه فكيف عرفت أنه اليمين ؟

● هذه واحدة

والثانية سؤال : انت غاطس في الماء ، فهل تعرف من اي جهة يأتيك الصوت ؟

والجواب لا .

نفسر هذين الامرين قبل ان نعطيك الخبر الذي وراءهما

اما أنك سمعت صوتاً فنظرت الى يمينك فسببه ان لك أذنين . الاذن التي الى اليمين سمعت الخبر قبل الاذن التي الى اليسار . فادرك ذلك المخ ، فنظرت الى يمين .

اما في الماء ، فالصوت يسير اسرع مما يسير في الهواء اربع مرات . واذن فالزمن الذي تسبق به اذنك اليمين التعرف على الصوت في الماء ، في المثل الذي ذكرناه ، قبل اذنك اليسرى ، انخفض الى الربع . والمخ لم يستطع هذا الزمن القصير أن يفرق بين يمين وشمال .

اما الخبر ، فان العلماء استطاعوا ان يصنعوا جهازاً يحمله الغاطس في الماء على رأسه فيؤخر الصوت الذي تسمعه اذن من اختها الاخرى ، او يقدمه ، المهم ان تكون بين سماعيهما للصوت فترة كالفترة التي يحيزها الهواء . واذن صار الغاطس في الماء يعرف اتجاه الصوت كما يعرفه سامع الصوت فوق الارض ، في الهواء .

انه العلم ابو العجائب

طائرة بدون طيار ، تطير وحدها ١٧٤ ميلا

● وقد نقول انها ليست طائرة ، وانما نموذج من طائرة ، وقد حملها صاحبها في الصورة ، لا تزيد المسافة بين طرفي جناحيها عن ٨ أقدام .

وهو أطارها ، وتحكم في طيرانها بالراديو . وهي طارت مسافة ١٧٤ ميلا في مجال مقفل . وبذلك حقق رقماً قياسياً . وكان الرقم الذي سبقه ١٣٥٫٤ ميلا .



هذا هو الرجل ، ونموذج الطائرة ، وقد أطارها وهو على الارض مسافة ١٧٤ ميلا ، بواسطة موجات الراديو ، يرسلها اليها من الارض . وهو أطارها في مجال دائري مقفل .

قلب من لدين

نعم ، نعم . ان القلب مضخة فلم لا نصنعها من لدين (بلاستيك) ، ثم نودعه الصدر ، فيجرى من عمليات الحياة ما يجريه القلب وهو من لحم ودم .

امل يرى الاطباء انه يتحقق فى عشرة اعوام. انهم متركزون اليوم على اختيار المادة التي منها يصنعون القلب المصنوع وسوف تكون على الاغلب من لدين . وما اكثر اللدائن ، وما اكثر انواعها فى هذه الايام . غير أن اللدين الذي يبحثون عنه يجب ان تكون له خواص تاتلف والغرض الذي يستهدف منه واولها أن تكون له من الصفات مالا تؤثر فى الدم الذى يجرى فيه ، وما لا يتأثر بالدم اذ يجرى به . ومن اهم هذه المخاوف الخوف من تخثر الدم بسبب مسه المستديم لهذا اللدين .

تحدثت فى هذا الامر الى صاحب مجاور ، من اهل الرأى وصاحب النظرات . قال ما كل هذا التعب ، والقلوب ، من لحم كانت او لدين ، مآلها آخر الامر الى التوقف ، ومآل صاحب القلب الى الفناء

قلت نظرة فى الفلسفة مقبولة ، ولكنها فى الحياة الجارية مرفوضة . ترفضها الحياة لا صاحب الحياة فالحياة تحفز الى مواصلة العيش ، حتى على المرض ، وعلى العرج ، وعلى العمى . جبلة فى الانسان هى مشيئة الحياة وصانع هذه الحياة .

الارض كرة ؟ وكيف ولها اربعة اركان ؟

● كل يوم يخرج فى العلم شىء جديد ، غريب

من ذلك ان الارض ليست كرة . هى حاولت أن تكون ، ولم تصل

عرف العلماء ذلك من الاقمار الاصطناعية وقياس ابعادها . ابعادها من سطح الارض .

عرفوا ان فى الارض بروزات اربعة . يشغل كل بروز بضعة الوف من الاميال المربعة من سطحها . ويقترب القمر الاصطناعي من هذا البروز فيجذبه اليه فيهبط . ثم يمر على المنخفض من سطح الارض الذى يليه فيقل جذبه للقمر فيرتفع القمر .

وهذه البروز ترتفع نحو ٢٢٠ قدما فوق مستواها الذى وجب لو ان الارض كروية . ثم منخفض ما يليها نحو ٢٥٣ قدما دون مستواه الذى وجب لو ان الارض كروية .

وعدوها فكانت اربعة أركان

اما الاقطار فهى تهبط عندما تكون فوق اوساط هذه الاركان عدة مئات من الاقدام

وملخص شكل الارض الآن هو ما يلى :

١ ــ انبعاج عند اوسطها ، عند خط

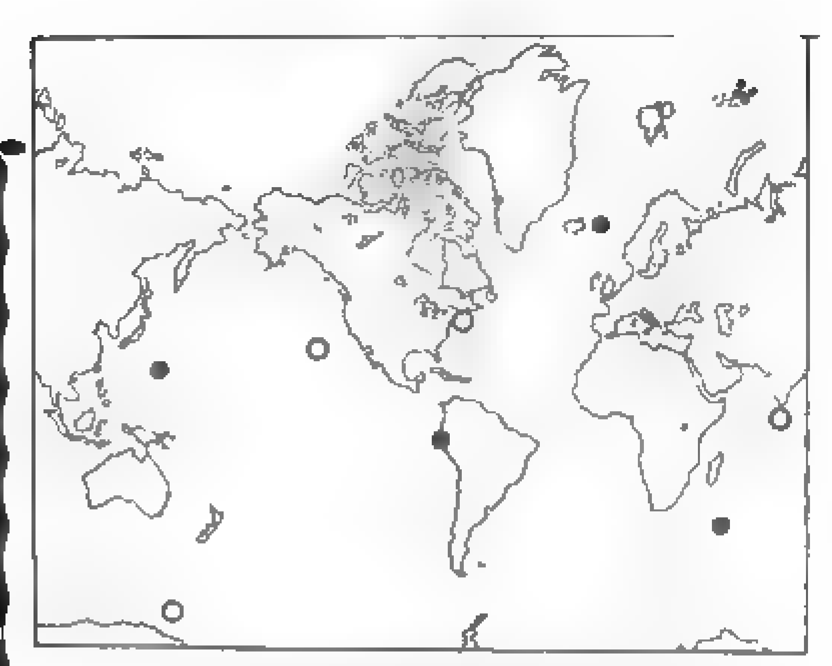
اصداء من القلب ، تصور حالة القلب

● القلب شىء دفين فى الجسم لاتراه العين .

والقلب ، يمرض ، ويحس صاحب القلب بمرضه . ولم يكن للطب فى قديم الزمان الا النبض يجسه ، قويا وضعيفا ، وبطيئا وسريعا ، ومنه يستنتج ما يستطيع .

ثم كانت الاشعة السينية فكشفت عن حالة الصدر ، وفيه القلب .

ثم كان تصوير حركة القلب بالكهرباء ، وترسم كل نبضة على الورق ، فيستنتج



خريطة تبين اركان الارض الاربعة ، وهي التي عليها دوائر سوداء مطموسة . وهي تمثل النقط التي عندها يرتفع سطح الارض . اما الدوائر الفارغة البيضاء فعندها ينخفض سطح الارض

الاستواء ، وهذا كان معروفا من زمن بعيد .

٢ ـ شكلها شابه الكمثرى بعض الشيء ، من حيث ان طرفها الاعلى عند المحيط المتجمد الشمالي اصغر من طرفها الادنى عند المحيط المتجمد الجنوبي ، فهذا الاخير اعرض .

٣ ـ ان حزام الارض ، ذلك الذي نسميه خط الاستواء ، شكله بيضوي لا دائري .

٤ ـ لها اربعة اركان اشبه برؤوس الهرم الثلاثي .

ومع هذا ، ومع كل هذا ، فان قصور الارض عن ان تكون كرة هندسية ، ليس بالقصور الخطير . فخروجها عن هذا الشكل قليل بالنسبة لحجم الارض الكبير . يجب ان لا ننسى ان دائرة الاستواء محيطها نحو ٢٥٠٠٠ ميل ، وان مساحة سطح الارض نحو من ١٩٧ مليون ميل مربع .

الطبيب من شكلها سلامة القلب اومرضه . وقد سميها راسمة القلب الكهربائية او راسمة نبضه Electro - Cardio Graph

واليوم يدخل في الكشف عن القلب جهاز جديد ، ليس يعتمد على الاشعاع ، ولا يعتمد على الكهرباء ، وانما يعتمد على الاصوات واصدائها .

ويلخص امره ان موجات من امواج الصوت تخرج منه ، من هذا الجهاز ، وتوجه الى القلب ، ثم هي ترتد عنه اصداؤها . والقلب يتألف من انسجة ذات كثافات مختلفة . فالصوت الذي يصل الى القلب عبر الصدر يحدث

في معهد بمباي التكني

● أو ان شئت «بالتكنولوجي»، وهو معهد ككل المعاهد التكنية لتعليم الطرق المستخدمة في الصناعة مع مختلف فروعها.

ومعهد بمباي مظهر من المظاهر الهندية التي تنبىء عن مستقبل الهند كيف يكون، وعن مستقبل اى بلد تكون فيه هذه المعاهد. انه مستقبل الغد، مستقبل الصناعة، الذى لا مستقبل في السنوات، وحتى القرون، القادمة، الا مستقبله.

وهو معهد، فوق انه يشارك في بناء مستقبل الهند، يمزق النظام القديم للمجتمع الهندي، الذى يقسم الناس الى طبقات، لكل في الحياة عمل، ولكل منزلة لا يتعداها. وادناها طبقة المنبوذين.

ففي هذا المعهد خليط من كل الطبقات، لا تفرق بين طبقة وطبقة. ومن امثلة ذلك رئيس قسم الفيزياء بالمعهد، انه يمثل اول شاب من طبقته الدنيا، تهيأ له ان ينال تعليما عاليا، بدأه في جامعة الله اباد، وفيها نال الماجستير، ثم ذهب الى الولايات المتحدة ونال درجة الدكتوراه. واجرى بحوثا في فيزياء الاجسام الصلبة في كندا، ثم عاد الى الهند وتنقل من معهد للعلم الى معهد، حتى استقر في معهد بمباي.

وكما ضم المعهد شباب المستقبل، ضم كذلك شاباته. وبهذا اكمل المعهد الخروج من عمق الزمان وقرنه الى ما يتفق وحياة الناس في الغد على سطح هذه الارض.

وفي الصورة آنسة هندية من آنسات المعهد، تدرس الهندسة.

وهي قائمة الى مخرطة تديره بمهارة لا تقل عن مهارة شاب في ادارته.

فلنستيقظ نحن العرب، من سباتنا. فالدنيا سبقت. حتى الهند، وهي [illegible] القديمة.

اصداء ترتد من جدار القلب الامامي، ومن جداره الخلفي، ومن ذلك تعرف حجم ما بينهما، وما بينهما الا حجرات القلب. وصمامات القلب التي لا تفتأ تنفتح وتنغلق، وتتحكم بذلك جريان الدم في القلب، هي الاخرى ترد اصداء سريعة الحركة.

وهذه الاصداء يمكن تصويرها جميعا على الورق، وعلى شاشة التلفاز، وبذلك يستطيع دارسها ان يقرنها بالرسوم الكهربائية لنبضات القلب، ومنها يستنتج استنتاجات يؤكد بعضها بعضا.

وقد استخدم هذا الجهاز فعلا للكشف عن امراض في الصمامات، وعن تضخم في الحجرات، وعن اورام موضعية، وعن رواسب كلسية، وكشف كذلك عن حالة الاورطة، شريان الجسم الاكبر.

ويسمى هذا الجهاز Echo-cardio-graph وترجمته راسم اصداء القلب. ولن يمضي عليه قليل من السنين حتى يعم استعماله، ويصغر حتى ليحمله الاطباء الى المنازل كما يحملون اليوم بالراسم الكهربائي.



اول آنسة هندية وطلب معهد بوصاي التكني ، منذ سنين ، وتضمها الحربيات ، وها هي تتدرب على اعمال الورشة بالمعهد ليتيسر تخصصها في الالكترونيات

راى غريب : الهستيريا مرض لا وجود له

● ذلك ما يراه الدكتور سلاتر Eliot Slater رئيس وحدة البحث الوراثي النفساني في مستشفى مودزلي Maudsley بلندن .

انه يقول ان الهستيريا Hysteria خرافة ، وهي اسم يغطي جهلا ، وهي في عيادات الاطباء مصدر للاخطاء ، وهي يجب ان تمحى بحسبانها مرضا يفزع اليه الاطباء في تشخيص متاعب المرضى .

وهو يقول ان استعراض ظروف حالة عصابية ، امتحنها اطباء بمستشفاه ، دلت على انهم يشخصون منها اكثر من ١/٢ ٥ في المائة على انها هستيريا ، واربعة امثال هذه الحالات شخصوها على انها حالات حصر اى قلق ، والمرض يسمى بالحصار Anxiety

فعدد المسمين هستيريين عدد لا شك قليل

ويعد الدكتور سلاتر ان مرض الهستيريا ، بحسبانه عرضا من امراض Syndrome ، لا وجود له . ولقد اتضح له ان هؤلاء المسمين هستيريين انما هم مرضى بسبب علات اخرى ، آفة في المخ او شيخ ، او علات نفسية كالحصار (مرض القلق) والاكتئاب Depression ، والفصام Schizophrenia .

وعلى الرغم من غرابة هذا الراى ، وصحابته ، قال محرر المجلة الطبية البريطانية الشهيرة British Medical Journal يعلق على ذلك فيقول ان اكثر الاطباء النفسانيين يقبلون هذا الراى على غرابته . ■■



حرية الاعتقاد

عن جريدة « الصنداى تايمز » اللندنية

● لقد اقدمت الكنيسة الكاثوليكية مؤخرا على الاعتراف بحق الانسان الأزلى وبحريته فى اختيار عقيدته وممارسة شعائره الدينية كيفما يشاء . تلك هى النتيجة التى ترتبت على القرار التاريخى الذى اتخذه مجلس الفاتيكان ، باكثرية بالغة ، يوم الثلاثاء الواقع فى ٢١ سبتمبر (أيلول) الماضى . واهم ما نص عليه ذلك القرار هو أن الانسان ، أى انسان له الحق فى عبادة الله كما يشاء ، ووفق ما يمليه عليه ضميره ، دون قيد او شرط ، ما خلا التزام الحدود التى تفرضها الاخلاق ويستوجبها النظام العام .

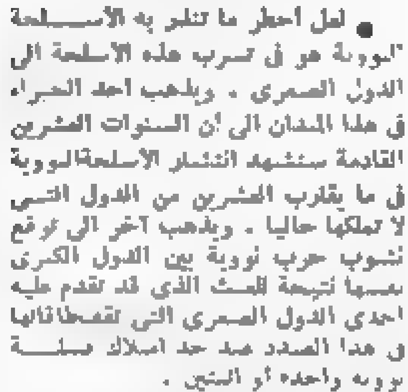
اما المبادىء التى اعتمدها مجلس الفاتيكان اساسا لقراره المذكور فاثنان . اولهما : هو ان المجتمع الانسانى قد بلغ مرتبة النضج والرشد ، وان العروة الوثقى التى تجمع بين الافراد وتكون سمة المجتمع الانسانى الحديث ، لم تعد الدين ، بل اصبحت كرامة الفرد الانسانى وحريته . لذلك اصبحت المطالب التى ينادى بها المواطن الحر هذه الايام اهم واجل شأنا من تلك التى تفرضها المؤسسات الكنسية . والمبدأ الثانى الذى استند اليه قرار مجلس الفاتيكان الاخير هو الاقرار بحرية المرء الاصلية التى لا سبيل الى الايمان بهذه او تلك من المعتقدات الدينية الا بممارسة تلك الحرية . فالايمان هبة انعم بها الله على الانسان دون أن يفرضها عليه ، والايمان ايضا نعمة يستطيع المرء قبولها او رفضها كما يشاء .. والقوة والضغط لا يجوز ان يحلا محل هذه الحرية فى العطاء والقبول .

ولا يخفى ما ينطوى عليه هذا القرار من اعتراف ضمنى بأن الكنيسة الكاثوليكية لم تعد ، فى نظر الفاتيكان ، السبيل الوحيد الى الدين الحق . فضلا عن الكنائس الاخرى ، وقد اعترف الفاتيكان مؤخرا لها ببعض الحقيقة التى اعتبرها فيما سبق وقفا على الكنيسة الكاثوليكية ، هنالك الحقوق المدنية (والعلمانية) التى اصبحت فى نظر الفاتيكان سبيلا آخر الى الحقيقة .



أهم المخاطر التي تنذر بها الأسلحة الذرية

من مجلة « نيوزويك » الأمريكية :



● لعل أخطر ما تنذر به الأسلحة النووية هو في تسرب هذه الأسلحة الى الدول الصغرى . ويذهب أحد الخبراء في هذا الميدان الى أن السنوات العشرين القادمة ستشهد انتشار الأسلحة النووية في ما يقارب العشرين من الدول التي لا تملكها حاليا . ويذهب آخر الى توقع نشوب حرب نووية بين الدول الكبرى نفسها نتيجة للعبث الذي قد تقدم عليه احدى الدول الصغرى التي تقصر قدراتها في هذا الصدد عند حد امتلاك قنبلة نووية واحدة أو اثنتين .

وتجدر الاشارة الى ان التخوف من تسرب الأسلحة النووية الى الدول الصغرى ، أو حتى الى بعض العصابات والفئات الخارجة على القانون، قد سبق ظهور تلك الأسلحة بالذات . فقد أشار الى هذا الاحتمال ، والى احتمال صنع القنابل الذرية بطرق أكثر سهولة وأقل كلفة ، وزير الدفاع الأمريكي السابق المستر هنري ستمسون سنة ١٩٤٥ . وبالرغم من هذه الاشارات والتحذيرات المسبقة فان الكثيرين من كبار المسؤولين الأمريكيين قد أساءوا تقدير السرعة التي يمكن لسائر الدول التحول بها الى دول نووية . ولم يسلم الجنرال ليزلي جروفز نفسه من هذا الخطأ في الحساب والتقدير . فقد تنبأ سنة ١٩٤٥ بأن من المتعذر على الاتحاد السوفياتي صنع القنبلة الذرية قبل مضي عشرين سنة ، علما بأن الجنرال المذكور كان المدير المسؤول عن مشروع مانهاتان الذري وذلك الحين ، وان روسيا قد فجرت قنبلتها الذرية الاولى عام ١٩٤٩ .



سياسة ديجول الاقتصادية

من مجلة « تايم » الأمريكية :

● لا جدال في أن اقتصاديات فرنسا قد نشطت في السنوات الأخيرة تبعا لعاملين اثنين : أولهما تولي شارل ديجول للحكم سنة ١٩٥٨ ، والثاني قيام السوق الأوروبية المشتركة في السنة نفسها . فمنذ أن أصبح ديجول رئيسا للجمهورية وهو يعمل على توطيد الفرنك الفرنسي بحيث أصبح لفرنسا عملة ثابتة ، واتسمت اقتصادياتها بالرخاء الى حد كبير وذلك للمرة الأولى منذ ما يقرب الخمسين عاما . فضلا عن ذلك فان صادرات فرنسا الى دول السوق الأوروبية الخمس الأخرى قد ازدادت منذ تأسيس تلك السوق بحيث تضاعفت المنتجات الزراعية من تلك الصادرات خمسة أضعاف ، كما تضاعفت المنتجات الصناعية منها ثلاثة أضعاف ، بالنسبة الى ما كانت عليه هذه وتلك قبل تأسيس السوق . .

والسؤال الذي تتعذر الاجابة عليه في الوقت الحاضر هو : ماذا يكون موقف رجال الأعمال الفرنسيين ، فيما لو انصرف أحد هذين العاملين بفعل الآخر، كما حصل فعلا في السياسة التي انتهجها ديجول في الآونة الأخيرة بقصد تدمير تلك السوق والقضاء عليها ؟! هل يساندون ديجول أم يشدون أزر السوق؟

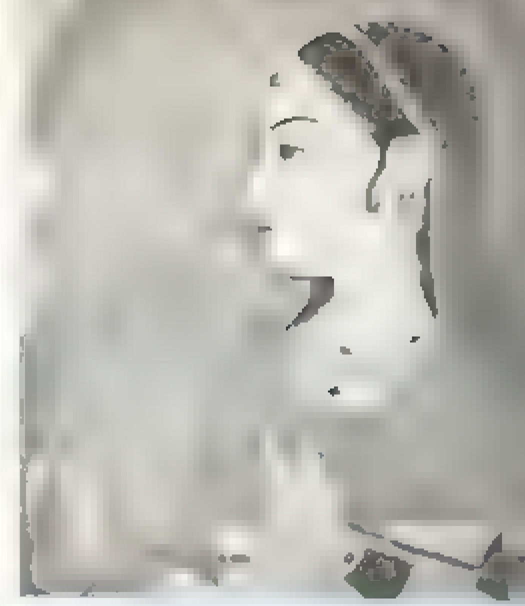


المرأة المسلمة في الهند

بقلم : الدكتور محمد اسماعيل الندوى

استاذ اللغة الاردية بمدرسة الألسن العليا : القاهرة

● [illegible]





زادت زيادة كبيرة منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي إذ واجه كلا البلدين بعض المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وبصفة خاصة في المشكلة الاجتماعية بشأنه كلا البلدين ، وظهرت دعوات فيهما لتحرير المرأة ورفع مكانتها وإعطائها حقها المنصف في بعض العصور المظلمة . ولا يسعني في هذه العجالة أن أتحدث عن جميع هذه النواحي ، بل أكتفي بالحديث عن المرأة المسلمة في الهند فقط .

وقبل بداية الحديث عن المرأة المسلمة في الهند ينبغي لنا كافة القول أن ننظر إلى ناحيتين ، أولاهما مكانة المرأة الهندية لدى الهندوس قبل الإسلام ، وثانيهما مكانة المرأة في الإسلام .

المرأة الهندية قبل الإسلام

كانت المرأة الهندية قبل الإسلام رمزا للحب والألوهية . وحينما نقرأ الأساطير الهندوكية مثل « **المهابهارتا** » و « **الرامايانا** » نرى بوضوح أن المرأة الهندية كانت تتمتع بحب وتقدير وإعجاب واحترام لا حد له من قبل الرجال . كان الرجل يضحي في سبيلها بكل غال ونفيس ، ويواجه صعوبات لا حد لها في سبيل توفير السعادة لها ، ويغامر بنفسه لأجلها في مغامرات لا يمكن تصورها في هذا العصر . والأسطورة الهندية الشهيرة « **الرامايانا** » تصف بطولة البطل الهندوكي الشهير « **راما** » وزوجته « سيتا » قبل ثلاثة آلاف من السنين بهذه الأوصاف النبيلة الإنسانية . كانت « سيتا » هي السبب لجميع الحروب التي ... « راما » في هذه الأسطورة الشهيرة التي أصبحت بمثابة الحروب المقدسة لدى الهندوس . وكذلك كانت المرأة تقدس زوجها إلى حد العبودية . فقد أصبح الزوج لديها بمثابة إله من الآلهة تقدسه وتضحي في سبيله كل ما في وسعها . وهذا التجاوب بين الجنسين قد خلق قصصا كثيرة جدا في الهند ومن أهمها مسرحية « شكنتلا » التي ألفت في الهند قبل ألفين وخمسمائة سنة والتي تعبر عن تفاني الهنود في سبيل زوجاتهم والتضحيات العديدة التي تقدمها الزوجة لزوجها .

وهذا هو السبب في ان الهندوس القدامى رفعوا المرأة الى الالوهيه حتى نجد الالاهات كثيرات بجانب الالهه الهندوكية تتداول سلطات واسعه في ادارة شئون العالم .

وهذه الظواهر تبلورت في المجتمع الهندوكي وتقاليده على الوجوه الآتيه فقد اصبحت المرأة تتفانى في حب زوجها لدرجة انها كانت تحرق نفسها مع جثة زوجها لانها كانت تعتقد انه لا حياة لها بعد زوجها . وهذا التقليد قد كان سارى المفعول الى العصر المغولي حتى الغاه ملوك المغول . واما الرجال فقد اصبحوا مقتنعين بزوجة واحدة ولذلك لم يعرف لديهم نظام الطلاق على مر السنين .

المرأة في الاسلام

وبعد هذه الومضة في الديانة الهندوكية وحضارتها ينبغي لنا ان نعرف قليلا عن موقف الاسلام من قضايا المرأة . الحقيقة ان الاسلام قد فتح مجالات واسعه وآفاقا جديدة امام المرأة ، واعطى لها فرصة كبيرة لاظهار عبقريتها وطموحها . ونرى امثلة كثيرة حتى في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابيات اللاتى لعبن دورا كبيرا في تبسيط الدعوة الاسلاميه وبالاخص ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها التي ترعمت جبهة من الصحابه بعد مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه . وكذلك كان لها دور كبير في الحركه العلمية التي ازدهرت في عصر الصحابة . وكانت تعتبر على رأس الصحابه الذين كانوا يفتون في الشئون الدينية ويناقشون في المسائل الهامه . وقد كانت تناقش كبار الصحابة من امثال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وتعارضهم في بعض آرائهم ،وانفردت برأيها في بعض المسائل الدينية مثل الاسراء والمعراج ،اذ ترى ان الاسراء والمعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان في منامه ولم يكن جسديا قط . وهذا الرأى اثار جدلا كثيرة في العقائد والكلام عند المسلمين على مر السنين .

وكذلك ظلت المرأة المسلمة تلعب دورها الطبيعي في الحركة العلميه والدينية طوال القرون الاسلامية في دمشق وبغداد ومصر .

دخول الاسلام الى الهند

ونعود الآن الى موضوعنا « المرأة المسلمة في الهند » . وقد دخل الاسلام الهند على يد الفاتح العربي الشهير محمد ابن القاسم وذلك في عهد الخليفة الاموى الوليد بن عبد الملك . وبهذا دخلت ولاية السند التي تقع الآن في باكستان الغربية في حظيرة الدولة العربية لاول مرة . ثم توالت الفتوحات الاسلاميه واستمرت الدولة الاسلامية في الهند رويدا رويدا . وكان من بين هؤلاء الفاتحين محمود بن سبكتكين الغزنوى وشهاب الدين محمد الغورى .

قيام دولة المماليك في الهند

وفي مستهل القرن الثالث عشر الميلادى ، وبالتاكيد سنة ٦٠٢ هـ الموافق ١٢٠٦ م ، قامت في الهند دولة المماليك على يد السلطان « قطب الدين ايبك » واستمرت هذه الدولة الى سنة ٦٨٨هـ ومن الصدفة الغريبة ان دولة المماليك على طراز الهند قامت في مصر ايضا على يد الملكة شجرة الدر سنة ٦٤٨هـ اى بعد ٤٦ سنة من قيامها في الهند .

المرأة مسلمة سلطانة

كان عصر المماليك في الهند عصر ازدهار علم وفكر . ومن اهم الاحداث في هذا العصر ان السلطانة رضية بنت السلطان شمس الدين جلست على عرش ابيها الاكبر في العاصمة « دلهى » سنة ٦٣٤هـ في اللحظات الحرجة التي اشتدت فيها الخلافات بين اخوتها وسادت الفوضى والاضطراب انحاء

البلاد . ولم تجلس هذه السيدة على اريكة ابيها الا بجدارتها وعبقريتها ونبوغها رغم وجود اخوتها . ولقد حكمت الهند ما يقرب من اربع سنوات ازدهرت في عهدها العلوم والفنون برعايتها وتشجيعها . قال فيها المؤرخون انها كانت تضاهي الرجال بذكائها وفهمها وذلك الى جانب مواظبتها على الصلاة والصوم وميولها الى العلوم والفنون . وقد كانت هذه السيدة مستشارة لابيها في الشئون السياسية وبهذا حصلت على هذه الخبرة والعبقرية التي جعلتها اصبحت اول امرأة في تاريخ الهند تتولى اكبر دولة اسلامية .

بين السلطانة رضية الهندية ، وشجرة الدر المصرية

وقد زاد التجاوب السياسي والفكري بين مصر والهند في هذه الاونة . لان في مصر قامت دولة المماليك على طراز دولة المماليك في الهند . وبعد السلطانة رضية بعشر سنوات فقط حكمت مصر « شجرة الدر » ما يقرب من ثلاثة اشهر بجانب اعمالها الباهرة ومشورتها ايام سيدها السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب . كانت شجرة الدر هي الاخرى جديرة بهذا المنصب . ولذلك قال فيها مؤلف « النجوم الزاهرة » « واتفقوا على ولايتها لحسن سيرتها وغزير عقلها وجودة تدبيرها وخطب لها على المنابر بمصر والقاهرة » .

المرأة المسلمة في عهد الدولة المغولية بالهند

ثم قامت في الهند الدولة المغولية على يد ظهير الدين بابر في مستهل القرن السادس عشر الميلادي . وفي عهد ملوك المغول بلغت المرأة المسلمة مكانة علمية كبيرة يحسدها عليها الرجال . ومن اوضح الامثلة لذلك ان الاميرة كلبدن بيكم الفت اروع كتاب في تاريخ اخيها السلطان همايون بن بابر باسم « همايون نامة » . وهذا الكتاب يعتبر اروع كتاب ادبي في اللغة الفارسية . لان اللغة الفارسية هي التي ظلت اللغة الرسمية في الهند الاسلامية . ومن الصدفة الغريبة ان سيدة انجليزية وهي « انيت اس بيورج » نفضت الغبار المتراكم من هذا الكتاب وحققته ونشرته في انجلترا بتعليقاتها الرائعة .

وكذلك كانت شقيقتها الاميرة كلرخ بيكم بنت بابر شاعرة كبيرة وادبية ممتازة . وبهذا دخلت الاميرات المغوليات في مجال الحركات العلمية والادبية .

وفي هذا العصر استعلى نجم « السيدة شاند بي بي سلطانة » في السياسة الهندية اذ كانت تدير امور « احمد نكر » بجنوب الهند . وقد هجم الملك المغولي « اكبر » عليها فالحقته هزيمة ساحقة مع ان « اكبر » كان من اعظم الملوك الذين لم ينالوا هزيمة قط . وهذا الفتح المبين عمل على رفع اسمها وكتبها في سجل اعظم القواد في الهند .

الملكة « ممتاز محل » ومثواها الاثر الخالد « تاج محل »

هذه من الناحية السياسية واما من الناحية الاخرى فقد نالت الملكات والاميرات في هذا العصر شهرة كبيرة في العلم والثقافة ولعبن اروع دور في رفع مجد العلوم . كانت الملكة « ممتاز محل » اكثر النساء الهنديات التي خلد اسمها في التاريخ بسبب « التاج محل » اروع فن اسلامي بناه زوجها الملك « شاهجهان » تذكارا لحبه واخلاصه لها . وهذا الضريح العظيم يعتبر من عجائب الدهر السبعة الذي يفد لمشاهدتها الالاف من الناس من مشارق الارض ومغاربها كل يوم وليلة .

الاميرة « زيب النساء »

وكانت الاميرة زيب النساء آخر آية في الاسرة المغولية في هذا الصدد التي ارتفع بها العلم والادب والفن الى غايته

المنشودة . وكذلك قد بلغت هذه الأميرة في العلوم الإسلامية مبلغا لم تشهده النساء المسلمات في الهند من قبل. كانت تحفظ القرآن عن ظهر قلبها مما جعل اباها يسر بها سرورا بالغا ويغدق عليها جوائز غالية . وبأمرها ترجم الشيخ صفي الدين الكشميري التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي الى اللغة الفارسية وسماه « زيب التفاسير » تخليدا لاسمها .

وهناك عشرات من النساء المسلمات في هذا العصر اللاتي ساهمن مساهمة كبيرة في الحركة العلمية والأدبية ولمع اسماؤهن بجانب الرجال في افق العلم والفكر . وهذه الظاهرة تدل على أن العصور الإسلامية - رغم تزمت العلماء والفقهاء في كثير من الأحيان - فتحت مجالات واسعة أمام النساء واظهرت مواهبهن وعبقريتهن .

ومما يدهشنا في هذه العصور أن العلماء قد فرضوا الحجاب على النساء وكانت هؤلاء النساء يعشن في القصور في وسط الجنات والأنهار والنعيم ومع ذلك لم تخمد مواهبهن العلمية والفكرية الأدبية والشعرية .

سقوط الدولة الإسلامية على يد الانجليز

وبعد سقوط الدولة الإسلامية على يد الانجليز في القرن التاسع عشر بعد أن حكمت الهند قرابة تسعة قرون ، ساد الجهل والفقر والبؤس هذه الأمة العظيمة ، لأن الانجليز قد بذلوا اقصى ما في وسعهم للقضاء على الإسلام والمسلمين ليحكموا الأرض المتسعة ، ولذلك ابعدوهم عن اراضيهم وتجارتهم وصناعتهم اليدوية كما قضوا على المدارس والمعاهد التي كان يشع منهما نور العلم والمعرفة طوال هذه القرون . وهذه الكراهية والمعاداة من الانجليز ضد المسلمين جعلتا المسلمين ، علماءهم ومثقفيهم ، يكرهون الانجليز وكل ما جاء به الانجليز من الحضارة والثقافة . وسيطول بنا الحديث لو حاولنا استعراض هذه المقاومة والمعارضة من جانب المسلمين وسنكتفي بذكر التخلف الفكري والمعاداة اللذين انعكس اثرهما على العلماء مما جعل النساء المسلمات يتخلفن عن الموكب العلمي والفكري الذي كن يسرن فيه مع الرجال قرونا طويلة على رغم الحجاب وعدم الاختلاط .

لقد حرم العلماء على المسلمين دخول المدارس الانجليزية ومعاهدها وحذروهم من التقرب الى الحضارة الغربية واتخاذ ملابسهم وازيائهم . ومن أجل ذلك حافظوا على النساء محافظة كبيرة ولم يسمحوا لهن بالخروج حتى في أحرج اللحظات للحصول على العلم والمعرفة ، وفرضوا عليهن الحجاب بشدة لم يسبق لها مثيل في التاريخ الإسلامي . وهذا التعصب والشدة في هذه الظروف ، التي ضعفت فيها شوكة المسلمين ومجدهم جعلا النساء المسلمات يتخلفن عن الموكب الحضاري تخلفا لم يشهد له مثيل في تاريخ الهند . ولكن سرعان ما ظهرت بوادر التمرد من بعض المسلمين مما سبب دخول المسلمات في الجامعات وهن سافرات رغم الموانع والعوائق . وهذا التحدي السافر قد سبب صعوبات جمة ، ومع ذلك تغلب الجيل على هذه الصعوبات وتخرجت مئات من النساء في الجامعات حاملات شهادات جامعية كبرى ليشاركن الرجال في بناء الحضارة المعاصرة والصرح الشامخ . وكم من النساء المسلمات برزن في الحقل السياسي والنضال الوطني لنيل الاستقلال مثل فاطمة جناح شقيقة الزعيم محمد علي جناح الذي انشأ دولة باكستان فيما بعد .

انقسام الهند الى دولتين ، وقيام باكستان

ولما انقسمت الهند الى دولتين : الهند



وباكستان في ١٩٤٧ م اصبحت النساء المسلمات في الهند تختلفن عن النساء الباكستانيات في مسئولياتهن والاهداف السياسية والعلمية والدينية لان باكستان دولة اسلامية تطبق فيها النظام الاسلامي . واما الهند فهي دولة يعيش فيها المسلمون مع اصحاب اديان كثيرة لهم اغلبية ساحقة واجناس وطوائف مختلفة . وفي مثل هذه الظروف تحتاج المسلمات الهنديات ان تتحررن لتشاركن الرجال في بناء الكيان القومي وتحررن انفسهن لرفع راية الاسلام عالية خفاقة الى الابد وتعلمن الجيل الاسلامي الناشيء في احضانهن ان المسلمين حكموا هذه الارض العزيزة قرابة تسعة قرون بالمبادئ الانسانية السامية . فلا بد لهذا الجيل ان يرفع اسم اجداده ويحيي ذكراهم .

المرأة المسلمة بالهند تأثرت بالبيئة الهندوكية

وفي حقوق المرأة المسلمة في الهند ينبغي لنا القول أن الرواسب الهندوكية قد سببت في المجتمع الاسلامي بعض النواحي . وقد ذكرت في بداية الحديث ان الديانة الهندوكية لم تعرف تعدد الزوجات والطلاق . ومع ان الاسلام سمح بتعدد الزوجات والطلاق في بعض الظروف الملحة حيث لا مناص من تعدد الزوجات والطلاق الا ان المسلمين في الهند لا يطلقون زوجاتهم الا نادرا جدا كما ان تعدد الزوجات في الهند لا يوجد الا قليلا جدا . وهذه الظواهر كلها من الاثار الهندوكية القديمة التي تأثر المسلمون فيها من الهندوس .

ان المرأة المسلمة الهندية كالنساء الهندوكيات تتمسك بتقاليدها ومقدساتها بشدة بخلاف الرجال الذين تسامحون في ذلك الى حد كبير . ومن اوضح الامثلة لذلك ان الرجال لا يبالون بأزيائهم ويقلدون فيها الغرب في كثير من الاحيان بخلاف المرأة الهندية التي تتعانى في ازيائها الوطنية ولا تتخلى عنها بحال من الاحوال حتى في احرج الظروف . ■

محمد اسماعيل الندوي



للشاعر : محمد احمد العزب

● لأن ابتساماتنا لـيّنهْ   لأن خطانا خُطى هـيّنهْ
لأن العبير على دربنا   تُعانق أفرعَه سوسَنهْ
لأن الفراشات في حقلنا   عكى أبدِ الحبّ مستوطنه
لأنّ السلام هنا خضرةٌ   تطير إلى القمةِ مستعلنه
لأن نَمّ الحُبّ في أرضنا   يغرّد في الفجر والمئذنه
لأن ثرانا ذراعان مدّا لكل غريب بدا مُحسنه
ناله فينا الجبان ..وما   ل على كل شبرٍ لنا أسنّه

★ ★ ★

بكل البطولات في موطني   وبالحب .. لسنا رُبًا مُذْعنه
ولسنا بقايا مدىً عازفٍ   أذلت رياحُ الأسى أرْغُنه
ففي كل شبر جريح هنا   ألوفٌ تلملم : من أثخنه ؟
ويتجرعها الثأر .... فالعفوا   ن .... هتافٌ يسيل على الألسنه
فتحنا شبابيكنا للصبا   ء وليس لريح الدجى المنتنه

فقولوا لكل زحوف الظلا   م هــا يستعيد السّنا موطنه

★ ★ ★

وقولوا لمن داس وجه الصبا   ح وطارد في الدرب مَنْ لوّنه
وشوّه بالحقـد أعماقـه   وأعمى الصباح عن حصنه
وكبّلَ كلّ طموح الحيا   ة وكان من الصدر قد أوهنه
مشارقنا تعبد اللاحدو   د وتعرف أن تهزم الأزمنه
وزحف الحضارات من كفنا   تموج . واندلاع في الأمكنه

★ ★ ★

ومنذ بزغنا .. أطلت بنا   على الومض إطلالة مؤمنه
هنا المستحيلات في أرضنا   وبين يدي شرقنا ممكنه

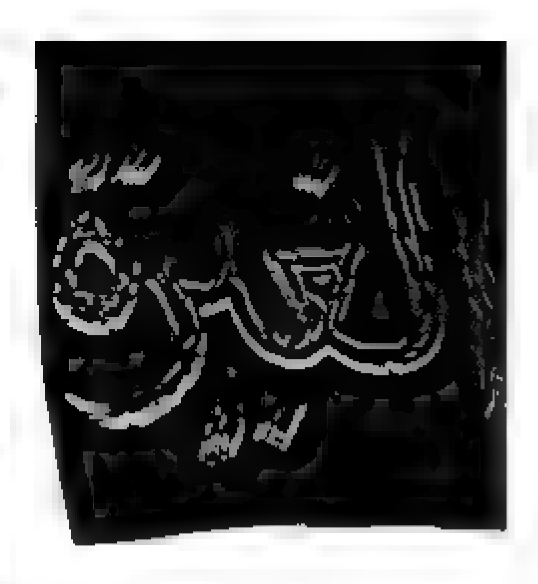
★ ★ ★

عرفنا الطريق إلى مجدنا   فلن يقدر الليل أن يحجبه
سنعمل كل غصون الظلا   م وتجتاح في الضوء من غضبه
ونترك للشمس أن تستريـ   ح وتلقى في حقلنا أحبه
وللعرف الحر فوق السما   ف إذا أطرق الليل أن يعشبه
وللحب في الأعين المتعبا   ت وخلف الرؤى أن يرى مسكنه
ولن يسأل الزهر تحت الجليـ   د ولن يحرق المنتهى ألسنه
سلامٌ لكل زحوف الظلا   م وحرب على القهر والهيمنه
وموعدنا .. خلف كل النجو   م على أفق عن لى معلنه
ويا وطني .. يا غدير الصبا   ء ويا قدراً فاتحاً أحببته
إليك سيأوي الفناء الشقي   ف وينشد في التيه أن تحضنه ■

القاهرة : محمد أحمد العزب







■ قد تتحجب الغيرة باقنعة كثيرة مختلفة فتلبس امرها وتطمس معالمها . الا ان هذه الاقنعة لا تغير من طبيعة الغيرة القاتلة شيئا . فهي سم في جوهرها ولا ريب . تسرع أولا الى الحفاظ على الحب ، واذا بها تقضي على الثقة ، وتسمى آخر الامر بغرس بذور الكراهية والبغضاء .

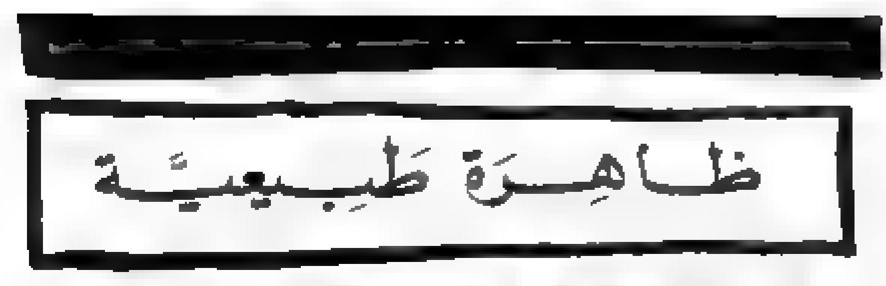
تحول الغيرة بلا نزاع كل ما سواها من ابواب العذاب العاطفي ، التي ما يزال الواحد منها يبرزها بالآخر ، فهي تتميز على غيرها من حيث نوازعها وتغلغلها في طيات اللاوعي الخفية ، وتصاعد ما صاحبها لغيرة ، لا على الشخص الغيور نفسه فحسب ، ولكن على الشخص من يكون موضع غيرته أيضا . فان كانت الغيرة في ظاهرها نزعة ترمي الى الاحتفاظ بحب الآخرين ، فانها في جوهرها أبدا تنحرف بذلك الحب هذا وتحوله عن مجراه ، ان هي لم تخنقه خنقا وتقض عليه .

والباعث على شعور المرء بالغيرة ليس الشخص الآخر ، يحمله على الانحراف بطبيعتها تبعا لسلوكه وتصرفاته . فقد اثبت علم النفس الحديث ان الغيرة تكاد تكون عديمة الصلة بالغير . فهي تعزى الى فشل المرء وعجزه عن التكيف وحقائق الواقع . انها تنبت في تربة ذلك الفشل وتعكس معالمه وخصائصه .

الغيرة في الاصل ظاهرة طبيعية

ليس منا من هو كامل التكيف . لذلك كنا جميعا عرضة للشعور بالغيرة بقدر ما . وشعورنا بها من حين الى آخر عادي طبيعي كشعورنا بالغضب والارتياح والحب والبغضاء وما الى ذلك من مشاعر مألوفة . ومن الناس من لا تظهر فيهم مشاعر الغيرة ، وفي هؤلاء يقول فرويد (Freud) « يسهل الحكم على كل من لا تظهر عليه مشاعر الغيرة بان الكبت الخاص هو الذي يحجبها ويحول دون ظهورها بحيث يتسع لها المجال لتزيد من التأثير على حياة ذلك الفرد بتأثيرها على الجانب الباطن (اللاوعي) من حياته العقلية . »

والغريب ان الغيرة غالبا ما تلتبس علينا وتدفع بنا الى الظن بانها شيء آخر غيرها ، ويزيد هذا الالتباس بقدر ما تكون بالغة الحدة عميقة الجذور . لذلك كانت المهمة الشاقة في معالجة الغيرة هي في الخروج بها من طيات الباطن (اللاوعي) في نفس صاحبها الى مناطق الوعي واخضاعها بالتالي لنور العقل والتفكير وطريقة المنطق السليم .





ولعل ما يزيد هذه المهمة صعوبة ومشقة هو ما تنطوي عليه الغيرة من شعور صاحبها بعدم أهليته للظفر بما يحرص عليه من حب الغير وإعجابه . فبدلا من الاعتراف بالغيرة بصراحة وبساطة ، تذهب الزوجة الغيور ، على سبيل المثال ، الى تقريع زوجها وتسفيه أخلاقه ، كما قد يذهب الزوج الغيور أيضا الى توبيخ زوجته لاهمالها شؤون البيت أو سوء تصرفها في تربية الأطفال . وما هذا التوبيخ وذلك التقريع الا بمثابة التنفيس عن مشاعر الغيرة .

الغيرة تتقنع أقنعة شتى

وقد يعمد المرء أحيانا الى الاقرار بغيرة غيرة يشعر بها ، وذلك بغية اخفاء ما يشعر به من انانية واثرة . يتضح ذلك في مثل الزوج الذي ادعى الغيرة من رئيس الدائرة التي تعمل فيها زوجته بل تعمد الاصطدام به والعراك معه في احدى الحفلات العامة . وبلغت به غيرته ، أو بالأحرى ما تخفيه غيرته من مشاعر أخرى الى مصارحة صديق له برغبته في خروج زوجته من وظيفتها . والحقيقة هي أن الزوج كان يشعر بشيء من النقص بالنسبة لزوجته ، والغيرة منها هي ، نظرا لأن مرتب زوجته الشهري يبلغ ضعف المرتب الذي كان يتقاضاه . وفي ذلك ما فيه من طعن بكبريائه كرجل . الا انه لا يجرؤ على مجابهة شعوره بالغيرة ، فضلا عن الاعتراف بها كخطوة أولى في سبيل تخطيها والتخلص منها . وهو غير قادر أيضا على اخمادها أو كبتها . فلذلك كانت الغيرة تؤرقه وتضنيه .

وتعزى الغيرة في الحياة الزوجية في الغالب الى المنافسة التي تنشأ بين الزوج وزوجته فيما يتصل بالأطفال . فقد يشعر الزوج بالنفور من أطفاله الذين حرموه من بعض ما كان ينعم به من عواطف زوجته . وقد لا يجد متنفسا لنفوره هذا الا بتأنيب الأطفال الأبرياء وضربهم . شأنه في ذلك شأن الزوجة التي قد تعمد الى تصرف مماثل في ظروف وأسباب مماثلة .

وقد تؤدي بالحماة غيرتها من زوجة ابنها الى ادعاء مرض عضال في القلب أو في غير القلب ، استدرارا للعطف ، كما قد تدفعها الغيرة أيضا الى لوم ابنها وتوبيخه بقصد اجتذاب المزيد من اهتمامه وعنايته .

مظاهر الغيرة ودوافعها بين الزوج وزوجته

من المعتقدات الشائعة أن الغيرة انما هي مظهر

من مظاهر الحب القوي الجامح . ولعل الأصح من ذلك أن يقال بأن الحب لا يستطيع الصمود في وجه الغيرة والخلاص من سمومها ما لم يكن قويا راسخا. فالغيرة تنبع جزئيا من الشعور بالاحتقار وتعبر بالتالي عن شعور الرجل الفطري بأن المرأة مخلوق ضعيف وغير جدير بالثقة ، كما تعبر عن شعور المرأة الراسخ بأن الرجل مطبوع على الخيانة والغدر .

على أن مشاعر الغيرة العابرة شائعة في الكثيرين من الناس . قد تأتي نتيجة لمرض يلم بزوجة أو برجل أو حادث مفجع يتعرض له مرء .

وقد تزداد ريبة الزوجة في زوجها مثلا قبيل الدورة الشهرية . كما قد تكون غيرة الزوج مظهرا من مظاهر قلقه على وظيفته ومستقبله . والعامل الواحد المشترك في كل هذه الحالات هو الشعور بمزيد من حاجة المرء الى من يحب وبمزيد من اعتماده عليه نظرا لشعوره بالحاجة الى العون في هذه الظروف .

وتبعث هذه الحاجة بدورها على الشعور بالتجهيل لما قد يحظى به الواحد من عطف الآخر واهتمامه . ولكنها تبعث أيضا على الشعور بالقلق خشية الحرمان من ذلك العطف وذلك الاهتمام . والغريب أنها قد تبعث فوق هذا وذاك على الشعور بشيء من الضغينة والاحتقار نظرا للقدرة على العطاء والحرمان على السواء . ولذلك كان من أبرز خصائص الغيور تصور الاحتقار والاستكبار فيمن يحب ، وتوقع الأسوأ منه في آن معا .

وثمة حالات يكون الشك والريبة فيهما مبرر وأساس . وعلى إمكان حدوث مثل هذه الحالات في الحياة الزوجية التي يكون الزوجان فيها على غاية من الانسجام فيما بينهما وبالنسبة الى واقع الحياة ، إلا أنها لا تحدث كثيرا على كل حال ، وغالبا ما يكون مردها الى وهم يسيطر على أحد الزوجين ويتقمصه ، وغالبا أيضا ما يتعرض لمثل هذه الأوهام من يشكو مرض الفصام من الأزواج. ولا مفر لذوي الأعصاب المتوترة من الشعور بصراع عاطفية تدفع بهم الى تصيد الخيانة في أزواجهم واختلاقها وتوهمها إذا هم لم يجدوها فعلا .

الغيرة التي منشؤها الطفولة

والأطفال الذين نشأوا على الشعور بعدم الاستقرار وبالحرمان من العطف والحنان يكونون أكثر عرضة للغيرة في زيجاتهم من أولئك الذين أحيطوا بالمحبة من كل جانب .

والتسامح والتفهم من جانب الآباء في تربيتهم أطفالهم من شأنه أن يحد كثيرا من استعداد أولئك الأطفال للشعور بالغيرة في مستقبلهم . أما ضرب الأطفال وتقريعهم بسبب ما يظهرون من الغيرة من إخوتهم أو أقرانهم فلا يؤدي إلا الى تنمية الشعور بالألم فيهم .

بعض صنوف الغيرة

ونستطيع تصنيف الغيرة في خمسة أنواع ، إذا نسينا أنا ننظر إليها مجردة عن سائر العيوب والأقنعة التي تخفيها عنا وتطمس معالمها .

غيرة « الاستحواذ »

تعزى هذه الغيرة الى الطفولة ، وخاصة الى خوف الطفل من أن يحظى غيره بعطفها وحنانها ويذهب علماء النفس الى أن الذكور من صغار الأطفال يمقتون الشعور بمنافسة آبائهم لهم على محبة أمهاتهم ، كما تمقت الإناث منهم منافسة الأمهات على حب الآباء . والذكور والإناث من أولئك الأطفال يمقتون المولود الجديد باعتباره شريكا لهم في محبة الآباء .

هذه هي أولى مظاهر « المثلث الأزلي » الذي يلازم حياة الإنسان في سائر مراحلها . فما من علاقة عاطفية تجمع بين ثلاثة من الناس إلا وتشوبها المنافسة بين اثنين منهم للظفر بحب الثالث واهتمامه .. ولعل هذه النزعة هي أبسط مظاهر الغيرة .

ولا خطورة في هذه المشاعر إلا في بقائها واستمرارها الى ما بعد الزواج . ومهما يكن من

امر يعتقد به الاطباء النفسانيون الارتباط الوثيق بين غيرة الاستحواذ في الكبر وبين مخاوف الطفولة ، وخاصة خوف الطفل من أن يتخلى عنه الآخرون .

الغيرة ((الفاضحة)) المتصلة

قالت الزوجة الشابة لطبيبها النفساني : « يتصل بي زوجي تلفونيا من مقر عمله مرارا وتكرارا . ويعمد الى استجوابي في المساء عما فعلته طيلة النهار . واذا ما اخبرته عن زيارة التزمت القيام بها لاحدى صديقاتي في المساء حال بيني وبين تلك الزيارة بطريقة ما . ولا يتورع ابدا ان يغري بوّاب البناية على مراقبة حركاتي وسكناتي اثناء تغيبه عن المدينة . ومن يصدق انه لا يمضي وقت طويل حتى يكلف احد العاملين في المباحث بتعقبي خفية واستقاء اثري . »

فالزوج غيور الى حد لا يوصف ، في نظر الزوجة الشابة . ولكنه غيور من حيث لا يدري هو . اما غيرته هذه فانه لا تعدو كونها انعكاسا متصلا لمشاعر زوجته المتوية بالغرور والحسد والالم مجتمعة . فهي تصوره لطبيبها لا كما هو وانما كما تريده هي أن يكون .

غيرة الكتمان

وتعزى شكوك الغيور وريبته احيانا الى رسوخ عدم الثقة في النفس . يتضح ذلك فيما افضت به زوجة غيور الى طبيبها النفساني ، اذ قالت : « يؤكد لي زوجي دائما انه يحبني . الا انه كاذب لا محالة . اذ لا يعقل ان يقع رجل وسيم وذكي مثله في حب امرأة بليدة وبغيضة مثلي .. ! »

ويرى الاطباء أن معظم الغيورين من الناس يعانون مثل هذا الشعور بالضعة وعدم الثقة في انفسهم . هذا بالرغم مما يحاولونه من تمويه في هذا الصدد بالتظاهر بالكبرياء المفرطة والانانية البالغة . وقد يدفع بهم حرصهم على كتمان سرائرهم الى الغيرة الشديدة التي قد تبلغ حد العنف والعدوان . يلازمهم على ذلك الرغبة في الهجوم كوسيلة للدفاع والحرص على اكتشاف مواطن الضعف في الغير فيسهل ان يكتشف الغير مواطن القوة والمهارة فيهم .

الغيرة الملتوية

ويعمد بعض الغيورين من الناس الى تشجيع قرنائهم على توفير المبررات والذرائع لشكوكهم وظنونهم . ويتجلى هذا النوع من الغيرة المرضية في الحديث التالي الذي افضت به زوجة مضطربة الى طبيبها النفسي :

« لقد تبلغ غيرة زوجي الى حد الجنون . اذ ليس من بين اصدقائنا من لا يتهمني زوجي بعلاقة مريبة في معه . والغريب انه يصر دائما على دعوة من يشتبه فيه على هذا النحو الى بيتنا ويتعمد ترك معه في خلوة . ولكنه لتركه بعد ذلك ويجعل يمطرني بالاسئلة عما حدث بيننا وتفاصيل ما تطرقنا اليه من احاديث . في انه سرعان ما يعيطني بمزيد من لعناته وصفعاته . »

مثل ذلك يقال في المرأة التي تعاني غيرا ملتوية كالتي عاناها الزوج في المثل السابق . فهي حريصة على ترك زوجها في خلوة مع احدى صديقاتها بقصد التجربة والامتحان كلما سنحت لها الفرصة لذلك . وبالرغم من التزام زوجها وصديقتها العهود ، لا تلبث الزوجة الغيور حتى تطلق لخيالها العنان لتتصور نفسها ضحية الخيانة الزوجية وتنطلق في تخيل فصول تلك الخيانة وكأنها حقيقة واقعة .

الغيرة من مرض الهذاء Paranoid

يقول شالسي « قد تكون بوادر ثانوية للغيرة الا انها شواهد تثبت وادلة تغني كمالهم الذهن في نظر الغيورين . » الا ان بعض الغيورين في غير حاجة الى دليل . واولئك المصابون بالمرض النفساني Paranoid ، وقد عرفه بعضهم بانه الهذاء . وبرغم هذه ان هي الا مظهر من مظاهر هذا المرض العقلي الذي يعانون ، والذي لا سبيل الى تلافيه الا بالمعالجة الطبية المتصلة .

ويحتم المصاب بهذا المرض الى الاكتئاب واساءة الظن في كل ما يصادفه من القلق السيكولوجي وبوادره .

يكاد يصير الناس جميعا بمثابة أعداء له . إلا أنه يحرص على إخفاء شعوره بالعدوان تحت ستار من اللطف والحياد السلبي في المعاملة . هذا إذا لم يكن من النوع العنيف الذي لا يتردد صاحبه في اتهام الآخرين جميعا بأنهم يتربصون به الدوائر وذلك جهرا وعلى رؤوس الأشهاد .

والمبدأ الذي يفترضه المصابون بهذا المرض هو أن الناس جميعا مذنبون حتى تثبت براءتهم ... ولكنهم يأبون الاعتراف بأنهم قد يكونون في اتخاذهم هذا المبدأ مخطئين . وسرعان ما يشتد الخلاف الشخصي بينهم وبين الآخرين لدى مرورهم على أبسط بوادر الاختلاف في الرأي معهم . فما لم يكن الآخر من محبيه ومؤيديه اعتبره من خصومه وأعدائه الألداء .

الغيرة في الميزان

نستطيع أن نعتبر مشاعر الغيرة مشاعر طبيعية مألوفة في الأصحاء ما لم تصبح أسلوبا راسخا في الحياة وطريقة ثابتة في التعامل . حينئذ تصبح غيرة تنم عن الشذوذ والانحراف أو عن مرض .

فبدلا من أن تكون مشاعر عرضية عابرة ، تثور في عنف وحدة أحيانا ، ولكنها لا تلبث حتى تتلاشى وتزول لمجرد استجلاء حقائق الواقع ، تصبح الغيرة في المرضى والمنحرفين بمثابة الشر المستطير ، ولكنه الشر الذي لا بد منه .

كيفية معالجة الغيرة

لا جدال في أن الغيرة تزداد توقدا واشتعالا بالسكوت عليها وعدم الجهر بها .

فمثلا أنت ، أيتها الزوجة لم لا تناقشين زوجك في أمر هذه الغيرة إذا باتت مشكلة من مشاكل حياتك الزوجية ؟ ألست تكونين أنت السبب في إحجام زوجك عن مصارحتك بالحقيقة ، إذا لم يكن لغيرتك أساس حقيقي أو مبرر ؟

وأنت أيها الزوج ، هل أنت من أولئك الرجال الذين يتكتمون عن زوجاتهم إذا ما رغبن في محادثتهم عما يظن مصحوبين من مشاعر الغيرة ، حتى لو كانت تلك المشاعر وهمية خيالية !

إن أول ما يجب بالغيور فعله ، في سبيل الخلاص من غيرته ، هو الإعلان عن شكوكه الخفية والإعراب عن ريبته في صراحة ، قد يشوبها الغضب . يستطيع بعد ذلك التأمل والتفكير فيما إذا كانت بوادر غيرته بوادر فعلية في تصرفات زوجه أو كانت من نسج خياله .

ومن ثم يستطيع استعراض تلك البوادر ، إذا ثبت له وجودها أصلا ، كما يستطيع التحقيق في مدى اتصال الغيرة بهذه البادرة أو تلك . وعلى الغيور ، قبل الدخول في مرحلة التحقيق هذه ، أن يتثبت من أن معاملة زوجته للأطفال ليست الباعث الحقيقي على شعوره بالغيرة . وأهم ما في الأمر هو التزام جانب الجد في الحديث مع الزوج أو الزوجة الغيور حول موضوع غيرته . عليه أن يتجنب التهكم والاستهزاء وكل ما من شأنه إثارة الشعور بالمضايقة . عليه أيضا أن يتحاشى تضييق الخناق على الغيور في حديثه معه أو معها وتفادي حمله على الدفاع عن نفسه لمجرد الدفاع عن النفس . وبدلا من انتظار مبادرة الغيور إلى المصارحة أو الثورة في هذا الصدد ، ينبغي للزوج الآخر الأخذ بزمام المبادرة والعمل على تهيئة الجو على نحو قد يساعد الغيور على الاعتراف بغيرته . لا ريب في أن مثل هذه المجابهة للموضوع لدليل على قوة الشخصية في الإنسان ولا ريب في أن فيها امتحانا لها ، فضلا عن أنها السبيل المؤكد إلى المزيد من محبة الزوجين .

إن الغيرة بشتى أنواعها لا تعدو كونها شعورا مرده إلى العاطفة لا إلى العقل . وإن سلاحها الوحيد إنما هو الشك في الإخلاص والريبة في الوفاء . وقد لا تكون هذه الشكوك قائمة على أساس من الواقع . حينئذ تكون الغيرة وهمية ، تهز أركان الحياة الزوجية بلا مبرر أبدا . وقد تكون تلك الشكوك وجيهة ولها ما يبررها في تصرفات الآخر . وحينئذ لا تعمل الغيرة إلا على تعقيد المشاكل وتفاقمها إذ لا سبيل مطلقا إلى حل تلك المشاكل بالغيرة .

(بقية المنشور على صفحة ٢)



تكشف الصورة المنشورة على الصفحة الثانية من هذا العدد عن بعض معالم الحضارة الرومانية ، تلك الحضارة التي سادت عبر قرون طويلة ، سبق بعضها الميلاد وجاء بعضها الآخر بعده . عمت وازدهرت في وقت لم يكن لها فيه من منافس بين سائر الحضارات القديمة لاسيما في القرنين الاول والثاني بعد الميلاد ، بعد كانت الحضارة الفرعونية قد بادت وانطوت داخل قبورها واهراماتها ، وبادت الحضارة الاغريقية وتوارت خلف معابدها في الاكروبوليس وتماثيلها ، او بين صفحات مخطوطاتها ومؤلفاتها ، واصبحت مصر واليونان بعض مقاطعات روما وولاياتها . وينطبق ذلك ايضا على [illegible] من الحضارات التي سادت في [illegible] الشرقي من حوض البحر المتوسط ، كما ينطبق على بابل وفارس ، وقد اندثرت حضاراتهما الاصيلة وخلا الجو فيهما لخليط مبهم من بقايا الحضارات الاغريقية والايرانية وغيرها . اما قرطاجنة التي بدات تعود الى الحياة من بعد تدمير ، [illegible] تعد ذات خطر او بال . واما الاسكندرية وانطاكية فلم يشفع لهما شغفهما بالعلم والتعليم بل سادهما الاضطراب وتفشى فيهما الانحلال . لقد اصبحت روما عاصمة العالم ومركز الحضارة الانسانية بلا [illegible] في [illegible] الاولين بعد الميلاد .

ولعل النظام والقانون والروح العسكرية المتطلعة دوما الى مزيد من امتداد واحتلال هي ابرز ما اتصفت به الحضارة الرومانية وانجح .

وتمثل الصورة موكب النصر مارا عبر قوس النصر . اما موكب النصر هذا [illegible] في روما ، حتى كانت جمهورية ، وبعد ان اصبحت امبراطورية سواء بسواء . لم يكن يسمح للقائد [illegible] في معركة على الاعداء ، بدخول روما والاحتفاظ برتبته العسكرية وما جمعه لنفسه سابقا من امجاد . كان عليه ان يلتمس ذلك اولا وينتظر خارج العاصمة ريثما يوافق مجلس [illegible] او الامبراطور على تلبية طلبه . حينئذ يسير القائد في مقدمة موكب النصر ويسير وراءه ضباطه وجنوده والاسرى الذين عادوا من معاركهم .

وعلى هذا النحو يدخل روما ويطوف في شوارعها ، اعلانا لظفره وتقديرا لفضله وايذانا بالسماح له بممارسة ذلك القدر من النفوذ والسلطان الذي يخوله اياه [illegible] ينتهي الموكب عند معبد كبير الالهة جوبيتر Jupiter حيث تقام الحفلات والاعياد احتفاء بتلك المناسبة .

اما اقواس النصر فلم يشيدها الرومان الا لمرور مثل هذه المواكب من تحتها . ومن اشهر تلك الاقواس في روما قوس الامبراطور تيتوس Titus الذي اقامه دوميتيان Domitian عام ٨١ بعد الميلاد تخليدا لذكرى سلفه (تيتوس) قاهر اليهود الذي دمر عاصمتهم وشتت شملهم وعلى كل ما شيدت به تلك الاقواس من فن في البناء وضخامة ، وعلى كل ما استنفده بناؤها من جهد وتكلفة ، فان الغاية الوحيدة التي انشئت تلك الصروح من اجلها لم تكن سوى الروعة التي تضفيها على مواكب النصر والبهاء الذي يحيطها به .



قيراط الماس .. وقيراط الذهب

● يقاس الذهب الخالص الموجود في الخواتم والحلقان والساعات وغير ذلك بالقراريط كما يعلم الجميع . فهذا الخاتم مصنوع من ذهب عياره (٢٢) وذاك من ذهب عياره (١٨ قيراطا) . ولكن كذلك يقاس الماس بالقراريط ، ولكن بمعنى آخر غير معنى استخدامه في المسائل الذهبية .

اما قراريط الذهب ، فتعبر عن نسبة الذهب الموجودة في السبيكة بفرض انا قسمناها بالوزن الى اجزاء ٢٤ كلها متساوية . فاذا قلنا ان عيار الخاتم الذهبي ١٨ قيراطا كان معنى هذا ان ما فيه من ذهب خالص ١٨ قيراطا (اى ١٨ جزءا من اصل ٢٤ اى اجزاء من حيث الوزن . اما الستة الاجزاء الباقية فمن الفضة والنحاس عادة . واذن فالقيراط في امور الذهب ليس له وزن ثابت ، انه نسبة .

اما في الماس فالقيراط اوزان ، والقيراط وزنه في هذه الحالة خمس جرام .

السعادة الزوجية

● قيل ان الزواج في هوليود يعتبر سعيدا اذا استمر اسبوعين بعد التاريخ الذي يتكهن الناس هناك انه سيكون يوم نهايته .

فرق آخر بين الانسان والحيوان

● ليس غريبا ان يكون الانسان هو الحيوان الوحيد الذي يستطيع الضحك والبكاء . فهو الحيوان الوحيد القادر على التمييز بين الاشياء كما هي وكما كان يمكن ان تكون ..

التنويم المغناطيسي في اليابان

● لا ريب في ان اليابان قد سبقت الكثير غيرها من البلاد في ميدان التنويم المغناطيسي . فقد شاع استعماله في بعض المدارس الابتدائية وخاصة للطلاب الذين يبلغون العاشرة من عمرهم ؛ لاعانتهم في المواد التي تتطلب الحفظ كالجغرافيا وما اليها .

حتى المصانع اليابانية بدأت تلجأ الى استعمال التنويم المغناطيسي . فقد تبين المسؤولين فيها انه خير وسيلة تحقق للعمال المرهقين ما هم في امس الحاجة اليه من راحة وهدوء اعصاب .

على هامش حوادث السيارات

● آن لنا ان نكف عن التذمر من السيارات وما تسببه من حوادث دامية وقاتلة في الطرقات . فعدد الذين ذهبوا ضحية تلك الحوادث في انكلترا لم يتجاوز (٥٥٥٠) عام ١٩٥٧ مع ان عدد تلك الضحايا بلغ (٦٦٦٧) عام ١٩٢٢ . هذا بالرغم من ان عدد السيارات في تلك البلاد بلغ ٤/٣ ٧ مليون سيارة سنة ١٩٥٧ ولم يكد يبلغ ٤/١ ٢ مليون سنة ١٩٢٢ .

ومما يذكر في هذه المناسبة ان جمعية اصدقاء السيارات في بريطانيا قد احتجت مؤخرا على الفحوص التي تخضع لها السيارات لديها لتجديد رخص سيرها . وجاء في تعليق لرئيس الجمعية المذكورة ان مثل هذه الفحوص تنطوي على مساس خطير بالحرية الشخصية ، وان المشاة من الناس اجدر بان يخضعوا لفحوص طبية دورية تجرى للتثبت من سلامة قلوبهم واعصابهم وارجلهم فحوادث السيارات ليس سببها دائما السيارات ولكن من بعض اسبابها المشاة .



الاساليب الدبلوماسية

● سأل فتى اباه ، العميد في احدى الكليات ، عن المقصود بالدبلوماسي والدبلوماسية ، فاجاب الاب : « تصور نفسك مضطرا لمصارحة فتاة بما هي عليه من قبح الوجه . تستطيع ان تقول لها « ان وجهك العبيح كفيل بايقاف عقارب الساعة حيث هي » فلا تكون دبلوماسيا حينئذ . ولكنك تستطيع مصارحتها باسلوب لا يختلف عن الاسلوب السابق الا قليلا اذ تقول : « حينما انظر الى عينيك ، اشعر وكأن حركة الزمن قد توقفت » ، وبذلك تصبح دبلوماسيا .

واردف الاب قائلا : « فالدبلوماسي اذن ، هو الرجل الذي يعرف ارضاء الاخرين بطريقة غير مزعجة ! »

اللقطاء في بريطانيا

● تفيد التقارير ان عدد المواليد غير الشرعيين في بريطانيا قد بلغ ٥٩١٠٤ مواليد سنة ١٩٦٣ . ويشكل هذا العدد نسبة ٦٫٩٪ من مجمل عدد المواليد في بلاد الانكليز في السنة المذكورة . ومع ان العدد السالف الذكر هو اكبر عدد للمواليد غير الشرعيين عرفته بريطانيا طيلة ثماني عشرة سنة ، فان نسبة الزيادة في عدد هؤلاء المواليد آخذة في الهبوط . وتجدر الاشارة الى ان زيادة ملحوظة قد طرأت على عدد الآباء الذين انجبوا مثل اولئك المواليد ، واقدموا على تبنيهم على نحو ما فيما بعد ، نظرا لعدم تمكنهم ، لاسباب مادية وغير مادية ، من جعل علاقتهم شرعيه واحتضان اطفالهم هؤلاء غير الشرعيين ضمن اطار العائلة المشروع

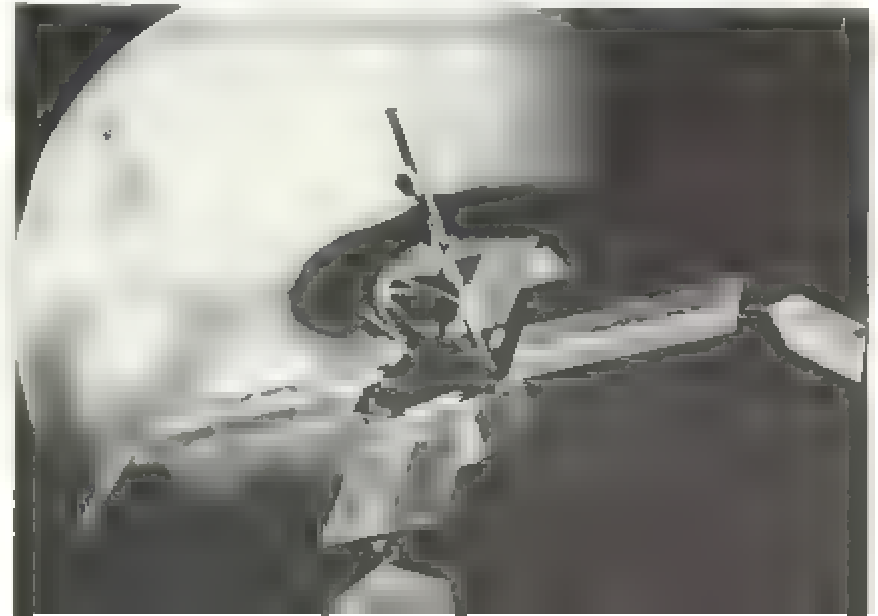
بقلم الدكتور أحمد زكي

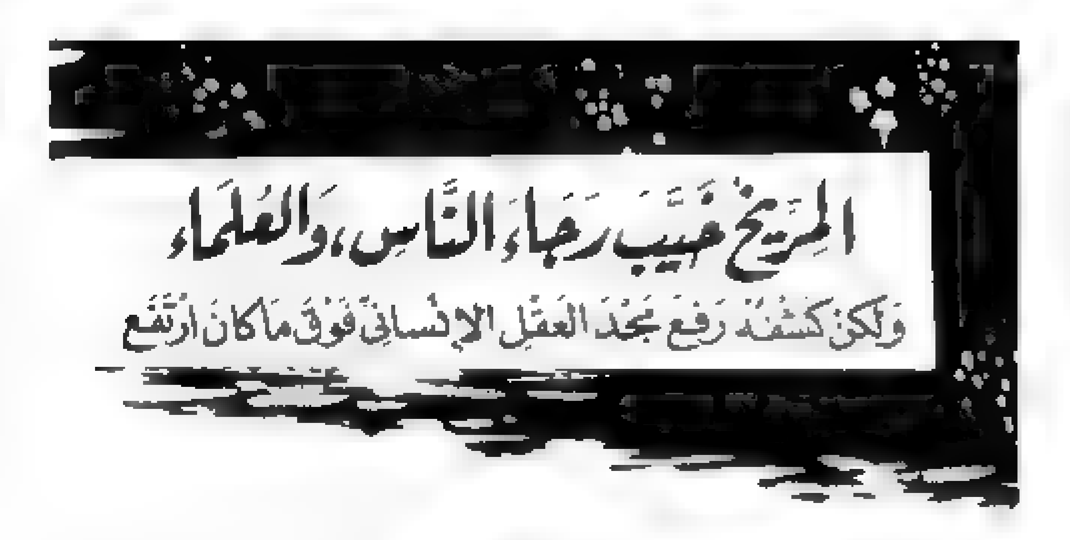
■ في الثامن والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٤ ، أطلقت الولايات المتحدة مركبة فضائية [illegible] Mariner IV ، [illegible] [illegible] الولايات المتحدة [illegible]

[illegible] Mariner [illegible] Space [illegible]

وبدأت المركبة تدور [illegible] الأمر حول [illegible] الأحمر [illegible] [illegible] الخروج [illegible]

المركبة الفضائية أمام كوكب المريخ عند التقائها به ، كما تخيلها الرسام الفنان





المريخ خيب رجاء الناس، والعلماء
ولكن كشفه رفع مجد العقل الإنساني فوق ما كان ارتفع

… Sate حديدا يدور حول الشمس، كما تدور الأرض ويدور المريخ . فتلتقي بالمريخ بعد نحو من سبعة أشهر ونصف، أي ٢٢٨ يوما ، قطعت فيها نحوا من ٣٥٠ مليون ميل .

وإذ واجهت المريخ ، انفتحت كمرتها الفوتغرافية التلفازية ، والتقطت من سطحه صورا عددها ٢٢ ، ثم هي أرسلت هذه الصور تباعا الى علماء الأرض

ولتمضي مركبة الفضاء ، وهي في مدارها الشمسي ، خلف المريخ ، وتنقطع عندئذ صلتها بأهل الأرض ، لانقطاع الاتصال الراديوي بينهما ، ثم تعود الى الظهور من وراء المريخ ، وتظل المركبة ماضية بعد ذلك في فلكها الشمسي ، مربوطة الى الشمس بجاذبية الشمس الكبرى ، بمثل ما ارتبطت كواكب الشمس التسعة ، عطارد ، والزهرة ، والأرض ، والمريخ .

وغاية هذه التجربة التاريخية الكبرى انما هي الكشف عن المريخ ، عن سطحه ، من صوره التلفازية هذه .

ولكن المركبة حملت كذلك ، غير الكمرة التلفازية ، عدة أجهزة فيزيائية تسجل ما تلقى في الفضاء من ظواهر تتعلق بالفضاء من حيث هو . وكذلك لتكشف عن المريخ ، هل به مغناطيسية كمغناطيسية الأرض (ولهذا مستتبعات في العلم ذات بال) ، وهل للمريخ جو مثل جو الأرض (وهذا متصل باحتمال وجود الحياة على المريخ اتصالا وثيقا) ، وغير ذلك .

هذا ملخص التجربة التي سوف تظل حدثا في التاريخ لا يمحى ابدا ، لانه حدث لا يتعلق بحياة أشخاص الناس ، صغروا أو كبروا . والناس فانون ، يخلو وجه الأرض منهم كل جيل ، ليحل مكان الجيل جيل ، وانما يتعلق بحياة البشر من حيث انهم جنس مطرد ، وفكر متسلسل ، له علائق لا انفصام لها بهذا الكون الذي شاء الله أن يكون وشاء حياتهم ، ما شاء لهم حياة، وشاء لهذا الكون من خلود .

ونبدأ الحديث بالنهاية : بالنتائج التي جناها العلماء من هذه التجربة الرائعة عن المريخ ، من حيث انه كوكب، خال الناس منه من صنوف الحياة ما خالوا . حتى لخالوا أن به رجالا فوق رجال أهل الأرض ذكاء وفطنة وحيلة ، وحتى لخالوا أنهم نزلوا الى أهل الارض بأطباق زعموها طائرة ، وتحدثوا اليهم تارة بالفرنسية ، وتارة بالانجليزية ،وكان بعضهم أكثر حذرا فقال انهم تحدثوا



صورة رقم واحد ، من المريخ ، وهي تظهر عرصه مستويا ليس فيه فروق ارتفاعات وانخفاضات ظاهرة . وهي اخذت والمركبة على بعد ١٠٠٠٠ ميل من الكوكب . وعرض المريخ في الصورة يبلغ ٢٠٠ ميل .



وهذه هي صورة المريخ رقم ١٩ ، وهي اخذت من النصف الجنوبي للمريخ ، حيث كان الفصل شتاء ، وقد رأى العلماء حروف فوهاتها مغطاة بطبقة بيضاء افترضوا انها صقيع ماء ترسب عليها من الجو .

بالاشارة ، ثم ركبوا اطباقهم فصاعدت بهم من حيث جاءوا .

سطح المريخ كسطح القمر ، لا كسطح الارض

ذكرنا أن الكمرة أرسلت ٢٢ صورة من سطح المريخ الى الارض .

واخذ العلماء ينظرون الى الصور . وجاءت الصورة العاشرة وبها من الوضوح الشيء الكثير ، ورأى العلماء فيها حلقات دائرية كبيرة ، كأنها فوهات البراكين . وكانت واضحة ، بينة الحدود والمعالم ، منثورة على سطح ظاهر الاستواء . وعجب العلماء لان هذا السطح يشبه سطح القمر الذى كشفت منه الرحلات الفضائية السابقة . ونظروا الى الصورة رقم ٧ و٨ و٩ و١٠ و١١ ، فحالوا انهم ينظرون الى سطح القمر حقا وصدقا . وكثرت الفوهات وتزاحمت وامتدت في كل اتجاه . ومن الفوهات الكبيرة التي قطرها ٨٠ ميلا ، والصغيرة التي قطرها ٣ أميال ، والمتوسطة التي قطرها ٢٠ ميلا . ومنها فوهات نشأت باوسطها قمة ، واخرى ظلت اعماقها مبسطه .

وعدّ العلماء في الصور نحو ٧٠ فوهة .

والصورة رقم ١١ (في الصفحة المقابلة) ملأتها دائرة عظيمة ، ظهر في ارضها ، في داخل قطرها ، دوائر كالفوهات اخرى عديدة صغيرة .

وحرك العلماء اعينهم ، واعادوا النظر يتبينون . اهم الى المريخ أم الى القمر ينظرون ؟

ولقد علموا أن هذه الصور ماكشفت الا عن جزء قليل من سطح المريخ ، ولكن وقع ظنهم ان هكذا لا بد أن يكون سائر السطح الذى لم تنله الكمرة بعدستها .

وكيف جاءت هذه الفوهات على سطح فيه هذا الاستواء والانبساط ؟

قال العلماء : انها النيازك وقعت على

سطح المريخ فصنعت فيه هذه الحفر ، فتراءت كالفوهات . وهكذا هم فسروا دوائر على سطح القمر .

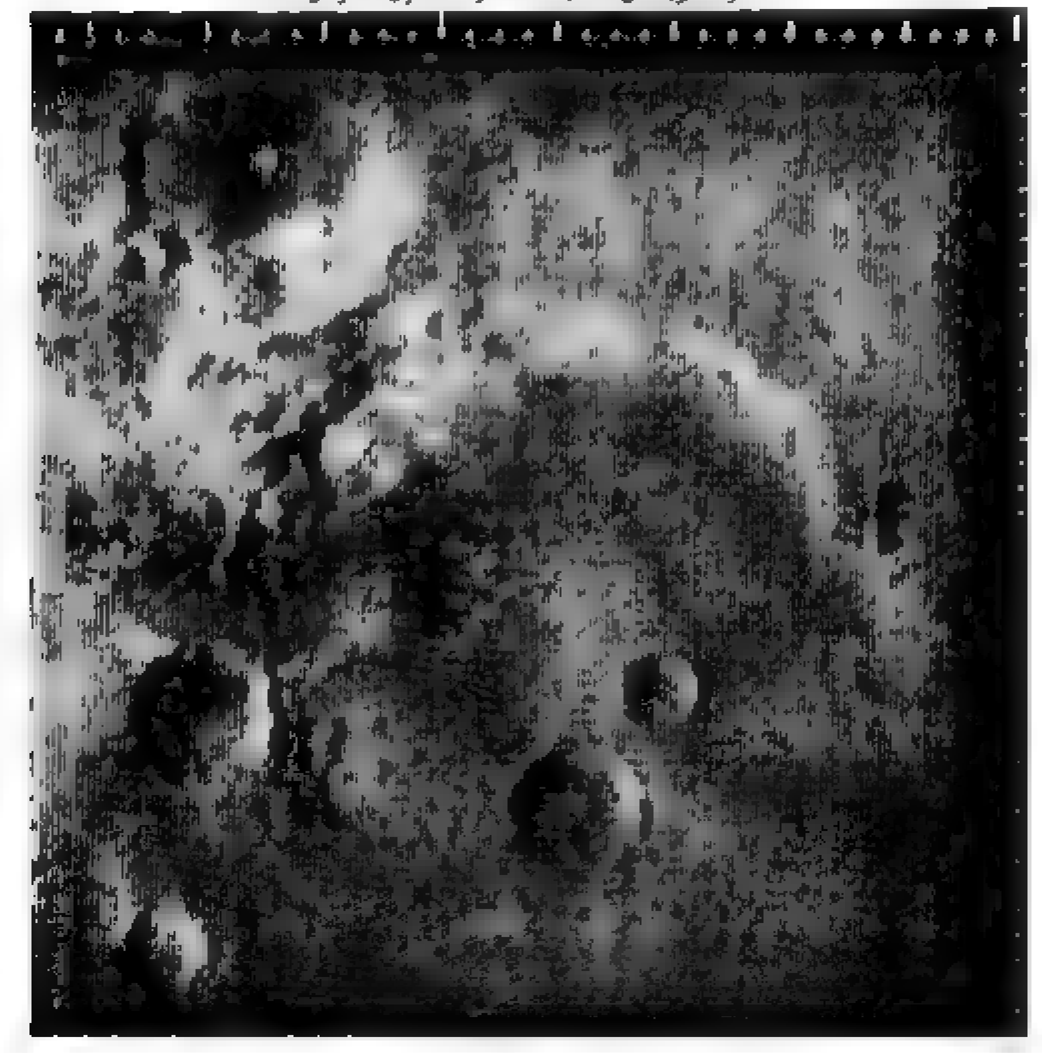
ولكن ، منذ كم من السنين حدث هذا ؟

ان الفوهات هذه الكبيرة ، لا يحدثها الا نيازك هائلة عظيمة . وهي لا بد سقطت والكواكب كانت لا تزال في ثائرة من التخلق لم تكن هدأت بعد . وقدروا الزمن الذي مضى عليها ، فكان ما بين الفين الى خمسة آلاف ملايين السنين .

ولكن ، كذلك كانت الارض ، كوكبنا هذا ، هدفا لهذه النيازك ، فأين آثارها؟

ذهب الكثير منها . ذهب بفعل

وهذه هي الصورة العاشرة عشرة يتبين الناظر فيها فوهتين قطرهما يزيد على ١٥ ميلا ، عدا فوهات اخرى اصغر من ذلك

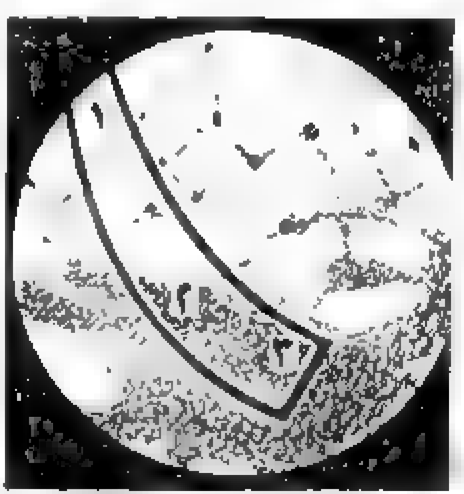


« التعرية » الجيولوجية . سوتها الأمطار وسوتها الرياح ، تلك التي تسف حتى الصخر الصلد على السنين . أما سطح المريخ فلا أمطار فيه ولا رياح كالتي على ظهر الأرض ، ولا « تعرية » كتعرية الأرض لصخورها .

وامسى المساء ، مساء المريخ ، فاختفت تبعهم التفاصيل ، من الصورة رقم ١٦ الى الصورة رقم ٢٢ .

و« قنوات المريخ » التي زعموا ، لم يكن لها في الصور أي أثر

انها قنوات اختلف فيها العلماء من قبل .



رسم تخطيطي للمريخ تظهر فيه المنطقة التي مرت عليها مركبة الفضاء بكمرتها الفوتوغرافية . وللمريخ خريطة معروفة عند علماء الفلك . أشرنا منها في هذا الرسم التخطيطي الى ثلاث مناطق . رقم ١ وهي منطقة تعرف بصحراء أمازون Amazonis ورقم ٢ وهي منطقة تعرف ببحر سيرنم Mare Sirenum . ورقم ٣ وتعرف بجيب أونيوس Aonius Sinus . وهي أسماء من نتاج الخيال لا الحقيقة . وتظهر في الجزء الأعلى من الرسم خطوط من نقاط ، هي التي خالها بعض الفلكيين قنوات .

قال قوم انهم رأوها ، ورأوها في هذه المنطقة كثيرة متقاطعة . وقال من آمنوا بهذا ، لعلها من عمل قبيل من الناس له ذكاء أهل الأرض أو هم أكثر ذكاء .

وقال قوم ان العلماء الذين رأوا ، ما رأوا ، وانما خالوا . وان الذي رأوه جاء أثرا لخدعات بصرية .

المهم أن عدسة الكمرة التلفازية كانت من القدرة على التفصيل بحيث تكشف عن كل شيء على سطح المريخ يبلغ الميلين فأكثر

وهي لم تكشف عن هذه القنوات ، وهي لا شك طويلة مديدة ، شيئا .

وكان جديرا بها أن تكشف عن أشياء قيل ان من علماء الأرض من رأوها وهم على سطح الأرض ، ومناظيرهم بالطبع أقل قدرة على الابانة والتفصيل ، وأقل كثيرا (أقل ٥٠ مرة) .

المريخ ، ليس له مغناطيسية كمغناطيسية الأرض

ودل الجهاز الذي حملته المركبة الفضائية ، الكشف عن المغناطيسية ، على ان المريخ لا تكاد ان تكون به مغناطيسية تحس . فهو على نقيض الأرض .

ونحن نذكر أن أكثر العلماء الفزيائيين الأرضيين ينسبون مغناطيسية الأرض الى ما يجري بها من معدن منصهر ، هو دائم الدوران حول نفسه ، وبذلك تنتج القوة المغناطيسية .

واذن ، فقلب المريخ ، على هذا الحسبان ، ليس مائعا ، وانما هو جلمود أصم .

ثم ان هذه الحركة القائمة في جوف الأرض أحدثت فيها الزلازل ، وفجرت في سطحها البراكين . ومن هذا نشأت الجبال والوديان والقارات والبحار ، وبهذا زال عن سطح الأرض استواؤه .

وسطح المريخ بقي مستويا ، ويكاد

يكون قد بقي على استوائه القديم العتيق الذي كان منذ آلاف الملايين من السنين.

المريخ ليس حوله أحزمة من اشعاع كالتي حول الارض

وحملت مركبة الفضاء ، مارنر ٤ ، أجهزة تكشف الالكترونات ، اذا هي اخترقت نطاقا به الكترونات ، وهي تقترب من المريخ ، فلم تكشف هذه الاجهزة عن شيء .

ان هذه الأحزمة Radiation belts كالأحزمة المسماة احزمة فان ألن Van Allen لكريما الرحل الذي كشفها ، تلك التي تلف الارض على ارتفاع كبير من سطحها ، تتألف من جسيمات ذرية متناثرة من الشمس ، وكذلك الفضاء . فاذا هي وصلت الى الارض ، وهي مغناطيس عظيم ، له خطوط قوى مغناطيسية ممددة ، صادت هذه الخطوط تلك الجسيمات الذرية وحبستها فكانت تلك الاحزمة .

وقد سبق أن قلنا انهم لم يجدوا للمريخ مغناطيسية تذكر وتحس ، وهذا يتفق اذن مع غياب الاحزمة التي كان من شأنها أن تمنطق المريخ بها كما تمنطق الارض .

ولكن أين تذهب هذه الاشعاعات الذرية الآتية من الشمس ، وكذلك من الفضاء ؟ لا بد انها تنصب على سطح المريخ انصبابا !

وحملت المركبة اجهزة اخرى تكشف من الفضاء عن امور اخرى ، بعض يتصل بالبروتونات Protons التي تخرج من الشمس ، كثرتها ، اتجاهها ، سرعتها ، وبعض يتصل بالاشعة المعروفة بالكونية Cosmic Rays وغير ذلك . وعملت كلها الا واحدة عملا صحيحا مرضيا ، وأرسلت ما كانت تجد باللاسلكي الى علماء الارض ، قطعة قطعة من المعلومات المكنونة حتى بلغ ما كانت ترسله المركبة من هذه القطع اللاسلكية في اليوم نحوا من ١٢٠٠٠ .

جو المريخ ١/١٠٠ من جو الارض

وكيف عرفوا ذلك ؟

طريقة غاية في الحنكة .

ذكرنا أن مركبة الفضاء ، لما بلغت المريخ ، دارت وراءه ، أي من الناحية الأخرى غير التي نراه نحن أهل الارض منها .

ومعنى ذلك أن المريخ حجب المركبة عنا ، وحجب اذاعتها اللاسلكية كذلك عنا ، مدة هذا الاحتجاب .

وهذه الاذاعة احتجبت عن أهل الارض ٥٢ دقيقة .

ولكن ، في الدقيقة التي كانت قبل احتجاب، وفي الدقيقة التي جاءت مباشرة من بعد احتجاب ، مرت أمواج الراديو الصادرة من المركبة الينا ، نحو المريخ لا محالة ، وتأثرت به لا شك في هذا .

ومن هذا التأثر ، ومن مقداره ، امكن العلماء عمل الحساب .

وقد حسبوا ، فعلموا أن كثافة جو المريخ ، المباشر لسطحه ، لا تزيد على جزء من ارسين جزءا من جو الارض ، المباشر لسطح الارض .

وهو جو أخف عشر مرات مما كان زعم الفلكيون .

وهو جو أشبه بجو الارض ، وهو على ارتفاع ٢٥ الف متر من سطحها .

هل من حياة على سطح المريخ

هذا هو السؤال الذي يدور على لسان كل انسان .

ونحن اذا أخذنا بكل تلك النتائج مجتمعه نقنا لاول وهلة انه لا حياة على

المريخ . ولقد بكفي في استنتاجنا هذا البادئ حقيقتان : رقاقة جو المريخ الزائدة ، يضاف اليها ذلك الاشعاع القاسي من الشمس ومن سائر الفضاء الذي ينصب عليه انصبابا ، وقد كان يحميه منه أن يكون له جو كثيف كجو الأرض .

ويميل الفكر على الفور الى استبعاد وجود حياة كحياة الانسان النامي العاقل المدبر على ظهر هذه الارض .

اما الحياة الدنيئة ، فالحق ان الذى كشفته مركبة الفضاء لم يكن كافيا لانكار وجود حياة ، من الصنوف الدنيا ، على سطح المريخ .

فالمعروف ان العلماء قاموا بتجارب ، نصبوا فيها بالونات ، جعلوا فيها أجواء اقرب ما تكون الى جو يتخيل في المريخ ، ووضعوا فيها « بذورا » من الحيوانات الدنيئة والنباتات ، فانطلقت فيهما انطلاقا . كان فيها البكتير ، وكان فيها المكروب ، وصنوف من النباتات البدائية وكذا الحشرات . والجو الذي كان في البالون كاد ان يكون عديم الاكسجين ، وغمروه من حين لحين بالاشعة فوق البنفسجية وهي قاسية .

ويقول الذين لا يميلون الى انكار الحياة ، ولو دنيئة ، على سطح المريخ ، ان صورا من سطح الارض ، اخذتها الاقمار الصناعية التي دارت حولها ، لو رآها راء من غير اهل الارض لاستنتج انه ليس على سطح كوكبنا هذا حياة قط ، لانها لا ترى شيئا من آثار هذه الحياة .

لا بد من نزول الانسان على المريخ ، ليرى ، وليحس ، أو من نزول مركبة فضائية على سطح المريخ ، تصنع عليه من الكشوف ما كان يصنع الانسان . انها مشاريع كالاحلام يعدنا العلماء باتمام تحققها بعد خمسة أعوام ؟

مجد المريخ ، ومجد الانسان

ان النتائج التي جاء بها الملاح مارينر رقم ٤ ، مركبة الفضاء هذه ، نتائج يغلب عليها السلب لا الايجاب . فليس للمريخ .. وليس له .. وليس . نتائج ان صح انها تصعد بقدر المريخ ، او تهبط ، فهي قد هبطت بهذا القدر كثيرا .

وبمقدار ما هبطت بقدر المريخ ، ارتفعت بقدر الانسان . فالتجربة هذه التي اجراها الانسان ، فارسل بها رسوله الجماد الابكم ، يشق الفضاء شقا ، الى موعد ضربه في هذا الفضاء البعيد ، وصدق وعدا ، هذه التجربة رفعت من قدر الانسان بمقدار ما هبطت بقدر الكوكب الاحمر .

مجد المريخ خبا

ومجد الانسان لمع

وقصة التماع هذا المجد الانساني قصة رائعة طويلة ، نحتزيء منها بالقليل ، في الصفحات القليلة التالية ، تسجيلا لهذا الحدث العظيم .

◎◎◎◎◎

مدار الارض ، والمريخ ، ومركبة الفضاء

ونبدأ بوصف المدارات الثلاثة التي دارت فيها الارض والمريخ ومركبة الفضاء معا .

وهذا رسم ايضاحي للشمس (بالصفحة المقابلة) ، وحولها مداران ، مدار الارض اذ تدور حول الشمس ، ومدار المريخ اذ يدور حول الشمس ايضا . ثم مدار ثالث هو مسار مركبة الهواء « مارينر ٤ » (وترجمت بالعربية الملاح) ، وقد انطلقت من الارض في الثامن والعشرين من نوفمبر ١٩٦٤ ، وبلغت المريخ ، ومرت به ، في منتصف يوليه ١٩٦٥ ، ثم انطلقت المركبة الفضائية بعد ذلك في الفضاء الواسع

موضع الأرض
(٢٨ نوفمبر ١٩٦٤)

الملاّح

المريخ عند إطلاق الصاروخ

فلك المريخ حول الشمس

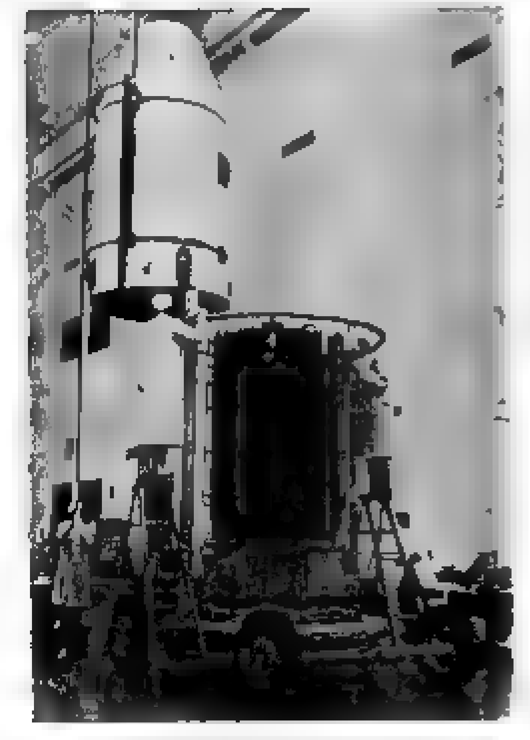
فلك الأرض حول الشمس

الشمس

٣٠ يوما · ٦٠ · ٩٠ · ١٢٠ · ١٥٠ · ١٨٠ · ٢١٠ · ٢٢٨ يوما

٣٠ يوما · ٦٠ · ٩٠ · ١٢٠ · ١٥٠ · ١٨٠ · ٢١٠ · ٢٢٨ يوما

(١٤ يوليه ١٩٦٥)



لتدور حول الشمس ، كوكبا مصنوعا من كواكب الانسان، كما سبق ان ذكرنا.

ومركبة الفضاء التقت بالمريخ فى الرابع عشر من يوليه عام ١٩٦٥ ، وهو على بعد ١٣٤ مليون ميل من الارض .

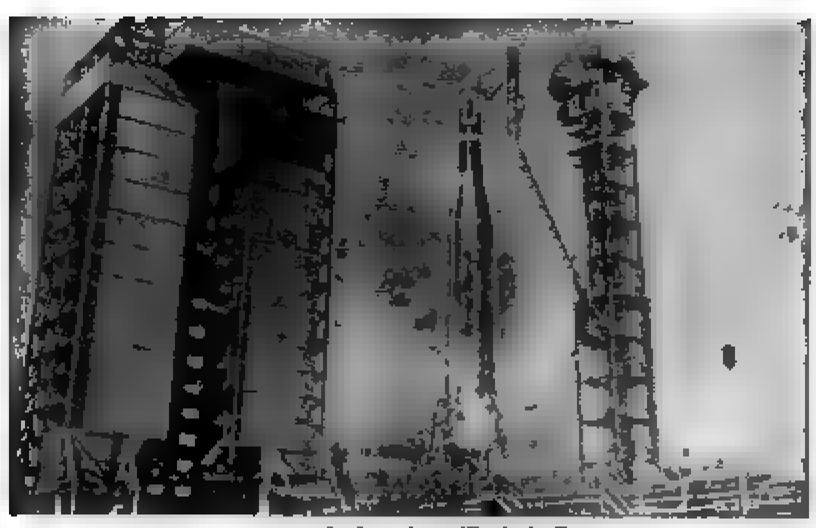
وليس معنى هذا ان المركبة قطعت فى الفضاء ١٣٤ مليون ميل فقط لتصل الى المريخ .

وذلك لأن المريخ ، فى الاشهر الكثيرة التى استغرقتها الرحلة ، لم يكن ثابتا ، وانما كان متحركا . والمركبة سائرة ايضا تهدف فى رحلتها الى المكان الذى سوف يكون فيه المريخ بعد هذه الاشهر الطويلة . فهى سارت اكثر من ١٣٤ مليون ميل ، واكثر كثيرا .

والحق ان المركبة قطعت فى رحلتها هذه ٣٢٥ مليون ميل .

مركبة الفضاء وقد طوت أجنحتها الاربعة

وهذه هى المركبة الفضائية وقد حملت على محمل، وقد تهيأ المختصون بوضع درعها



الصاروخ الذى رفع مركبة الفضاء

الأبيض عليها ، وذلك قبل وضعها في مكان فوق الصاروخ لاطلاقه . ويلاحظ ان المركبة قد طوت أجنحتها توفيرا للمكان ، ولكي يشملها الغطاء ، اي الدرع الواقي . والمركبة تنبذ هذا الغطاء عندما تصل الى الفضاء ، وتمد بأجنحتها الأربعة وتتزود بها من ضوء الشمس ، فتحوله الى كهرباء هي مصدر القوة التي تحتاجها المركبة كما سنذكر فيما بعد .

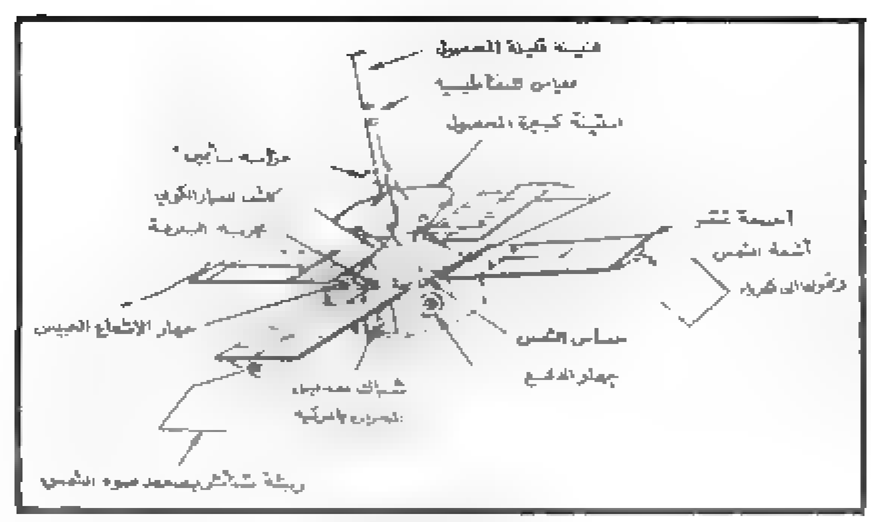
وبسبب ان هذه الاجنحة لم تنفتح في الفضاء في المركبة الفضائية الروسية «زوند ٢» Zond 2 التي اطلقها الروس بعد مارينر بيومين ، مضت « زوند » في رحلتها الى المريخ صامتة ، لا تسمع من علماء الارض الروس ، ولا تسمع كذلك . ولذلك السبب نفسه أخفق مارينر رقم ٣ وكان الامريكان اطلقوه قبل أخيه رقم ٤ بأسابيع ثلاثة ، وبالدقة في ٥ نوفمبر ١٩٦٤ .

الصاروخ الذى رفع مركبة الفضاء

وهذا هو الصاروخ « أطلس ـ أجينا Atlas Agena » (بهذه الصفحة) وفي رأسه الأبيض ، بعاليه استقرت مركبة الفضاء مارينر ٤ وقد انزاح عن الصاروخ التركيبة المتحركة التي أعانت في بناء الصاروخ (الى اليسار) ، وكذلك البرج « السري » (الى اليمين) الذي يصل الصاروخ بمصادر القوة ، وذلك الى حين اطلاق الصاروخ . وبينهما حبل كالحبل السري الذى بين الام ووليدها .

ويسمونه الصاروخ اطلس ـ اجينا ؛ لانه يتألف في الواقع من هذين الصاروخين . الاول الاسفل هو اطلس ، والثاني الذى فوقه اجينا . وأطلق الصاروخ فبدأ اطلس بالاشتعال ، فرفع الجرم كله ، ووزنه ١٢٥ الف رطل ، الى ارتفاع ٩٠ ميلا قبل أن يفرغ وقوده . وفي هذه اللحظة انفصل هذا الصاروخ عن مركبة الفضاء ، وانفصل عنها درعها الأبيض أيضا ، ذلك الذى كان يحميها من ضغوط الصعود . وما كان نسي العلماء ما كان حدث للمركبة مارينر ٣ تلك التي افسد رحلتها ان درعها لم يسقط . واهتموا بسقوط الدرع عندما زادت قوة الاشارات اللاسلكية التي كانت تبعثها المركبة ، لان الدرع ، وهو من معدن ، كان يصدها .

وعلى الفور اشتعل الصاروخ الثاني ـ اجينا ـ ورفع سرعة المركبة ، في نحو دقيقتين ونصف ، الى نحو ١٨٠٠٠ ميل في الساعة . ثم انطفأ الصاروخ ، ولم ينفصل بعد ، لان له عملا آخر . عندئذ



منظر المركبة من اعلاها

كانت المركبة تدور حول الارض ، كما تدور الاقمار الاصطناعية . كانت فوق المحيط الاطلسي ، واتجهت ناحية افريقيا ثم الى المحيط الهندي . واذ مضى على دورانها ٣٢ دقيقة وثانية واحدة ، أمر الصاروخ اجنا ان يعمل مرة اخرى ليبلغ بالمركبة السرعة التي تستطيع بها ان تفلت من جاذبية الارض ، وتقطع علائقها بالارض قطعا . وبلغت المركبة هذه السرعة ، ومقدارها ٢٥٠٠٠ ميل ، بل زادت قليلا ، في نحو دقيقتين . تبلغ السرعة فعلا ٢٥٥٩٨ ميلا في الساعة

واذ فرغ الصاروخ اجنا من واجبه ، انفصل .

وبقيت المركبة الفلكية الصغيرة وحدها سائرة في الفضاء ، وهي واقعة تحت جاذبية الشمس ، تماما كما تجذب الشمس الارض والمريخ وسائر الكواكب . صارت المركبة كوكبا ، ولكنه كوكب مصنوع ، أطلق ، وحسبت كل حساباته وكل حركاته ، ليلتقي بكوكب المريخ في نقطة ما ، بعد زمن ما ، هو سبعة اشهر ونصف شهر .

المركبة الفضائية ، اجزاؤها واجهزتها

والمركبة الفضائية تتألف من اجزاء كل منها له عمل ، وكذلك من اجهزة ذات اهداف .

وبعض كل هذا من رسمين مخططين ايضاحيين تتبعان هذه الكلمة .

وترى في الرسم المخطط الاول (باعلى الصفحة) اربعة اجنحة كبيرة تحمل الواحا ضوئية كهربائية ، تمتص ضوء الشمس ، وتحيله الى طاقة كهربائية تستخدمها المركبة في شتى اغراضها . وباطراف هذه الاجنحة ريشات اربع تحس ضغط ضوء الشمس ، فتحنى له ، وبذلك تعدل المساحة التي تنالها الاجنحة الشمسية .

وهذه الريش تعمل كذلك عملا ثانويا في تثبيت اتجاه المركبة ، وسوف نشرح ذلك .

وبالرسم ايضا . والاسبة تماسها الهوائي في اجهزة الاذاعة على سطح الارض وعلماء في المركبة واصح ، اذ تصل المركبة بعلماء الارض عن طريق الراديو . والاسبة قليلة المحصول هي تلك العصا الظاهرة في اعلى الصورة ، وهي ترسل الامواج اللاسلكية الى كل اتجاه . اما الاسبة كبيرة المحصول ، وشكلها شكل الطبق ، فهي لا ترسل الموجات اللاسلكية في كل

اتجاه ، وانما في اتجاه وجه الطبق فقط ولذلك كان من الضروري توجيهها دائما نحو الارض .

وفي المخطط كذلك جهاز قد يسمح ، بأمره علماء الارض بالعمل عندما تقتضي الحاجة لتعديل توجيه المركبة في الفضاء . وهناك لضبط حرارة المركبة فلا تبرد فوق ما يجب . وجهاز كاشف للغبار الكوني وهي الذرات الصغيرة [illegible] وجهاز [illegible] ويكشف الاشعة الكونية . الخ .

وفي هذا المخطط الثاني (بعد الصفحة) تظهر الكمرة التي اخذت صورة المريخ . والى جانبها الحساس الذي يتعرف على المريخ ويوجه الكمرة اليه . ثم الحساس الذي يربط المركبة بالنجم سهيل فيحدد ذلك اتجاهها كما سنفصل ذلك ● .

وضع المركبة في الفضاء وضرورة تثبيت اتجاهها فيه

ان المركبة في حاجة الى قوة كهربائية ، وهي تستمدها بتحويل اشعة الشمس الى كهرباء ، وذلك عندما تسقط هذه الاشعة على اجنحتها الاربعة ، وقد انبسطت على سطحها « الخلايا الضوئية الكهربائية » التي تجري هذا التحويل . ومعنى هذا ان هذه الاجنحة لا بد ان تظل في مواجهة الشمس .

ثم بالمركبة الانتينة الكبيرة المعروفة [illegible] الهوائي وعن طريقها ترسل اشارات المركبة اللاسلكية الى علماء الارض . وهذه لا بد ان تتخذ على المركبة مكانا تكون في مواجهة الارض .

ثم ان المركبة بها كمرة تلفزية ، لا بد ان تكون في مواجهة المريخ عند وصول المركبة اليه ومرورها به .

فهذه امور ثلاثة لا تأذن للمركبة ان تتخذ اي وضع او اي اتجاه تشاء في الفضاء . لا بد اذن من تثبيت وضع المركبة في الفضاء من اجل الوفاء بكل هذه الاشياء .

ويكفي لتثبيتها محوران ثابتان . يمنع احدهما حركة المركبة الا ان تدور حول هذا المحور . ويمنع المحور الثاني ، مع المحور الاول ، الحركات جميعا . وعندئذ فقط تثبت المركبة على وضع يفي بكل هذه الاغراض السابقة . وبعد اختيار الوضع الذي [illegible] عليه توضع انتينة اللاسلكي [illegible] تحته ، مع هذا الوضع الثابت ، الى الارض ، وتوضع الكمرة بحيث تكون مواجهة للمريخ حين [illegible] . وكذا في امر الاجنحة .

اما المحوران فاولهما محور يصل المركبة بالشمس ، وفيه تكون الاجنحة في مواجهة الشمس [illegible] منبع الضوء . والذي يثبتها في هذا الاتجاه « عين » [illegible] للشمس [illegible] ، فاذا [illegible] ، ارسلت اشارة كهربائية الى جهاز يعدل الاتجاه في المركبة [illegible] .

واما المحور الثاني فهو يصل المركبة بالنجم الشهير المعروف بكانوباس Canopus ، وهو بالعربية « سهيل » ، وهو في جنوب السماء ، ومحوره يكاد ان يكون عموديا على المحور الاول ، محور الشمس . وسهيل هو ثاني نجوم السماء التماعا . واولها نجم الشعرى اليمانية .

● [illegible] في آخر الهوائي لدى [illegible] طول الاجنحة الشمسية وهي منبسطة لتقف ان قطر المركبة نحو من ٧ اقدام . والمركبة وزنها على سطح الارض نحو من ٥٧٥ رطلا

وسهيل المع نجم في منطقته . والذي ربط سهل هكذا بالمركبة « عين » في المركبة نقل صلة بصونه على قدر معلوم . فاذا انحرفت عنه اعطت اشارة كهربائية تحمل جهاز تعديل الاتجاه بصحح الوضع .

اما جهاز تعديل الاتجاه فيضم صواريخ صغيرة من غاز من الازوت مضغوط ، اذا خرج من فتحاته احدث حركةصاروخية حقيقية تكفي حقا لتغيير اتجاه المركبة .

تغيير خط سير المركبة وهي في الفضاء

انطلقت المركبة يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٦٤ . وما كاد الراصدون ان يرصدوا مجرى المركبة في سيرها حتى ادركوا بالحساب التالي ، السريع ، انها ، عندما تبلغ المريخ تكون على بعد ١٥١٠٠٠ ميل منه . واذن لن تكون لصور توجد منه على هذا البعد الوضوح الكافي .

واذن قرروا تغيير اتجاه سير المركبة لتقترب من المريخ عندما تبلغه .

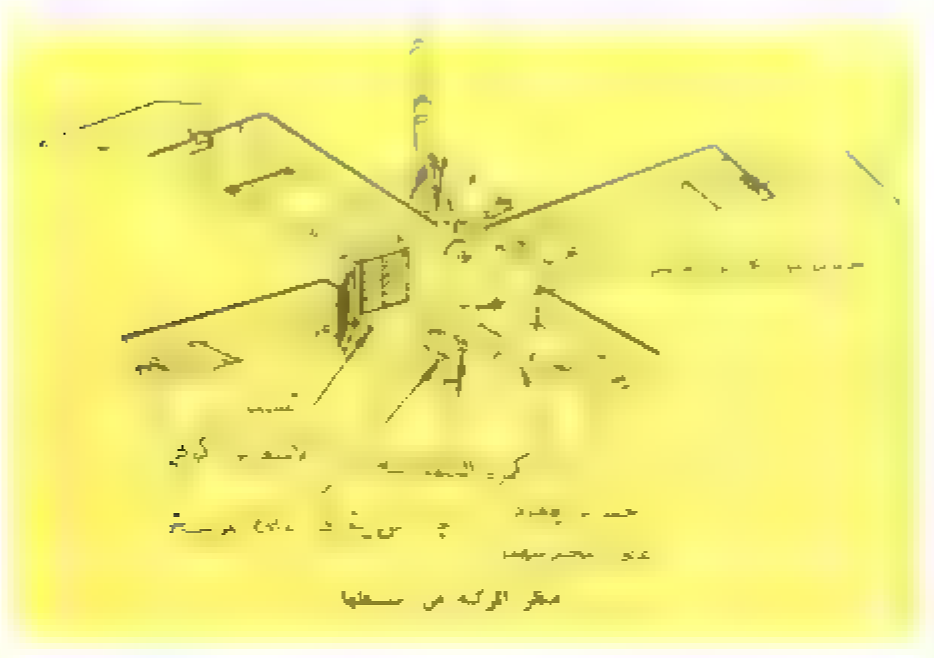
وسبيل ذلك تغيير سرعتها في الفضاء . ان زيادة سرعتها ، وهي تدور حول الشمس ، تبعدها عن الشمس . ونقص سرعتها بقربها من الشمس . وبهذا تقترب المركبة او تبعد عن المريخ .

ان خطا مقداره ميل واحد ، في السرعة التي تحوزها المركبة عند اطلاقها من فوق ... الارض ، ... ان يبعد المركبة عن الهدف اي المريخ بمقدار ٩٠٠ ميل .

كل هذا حسبوه وقدروه ، وتوقعوه ومن اجل هذا وضعوا احتياطا في المركبة صاروخا صغيرا له قوة دفع تساوي ٥٠ رطلا ، لتغيير سرعة المركبة ، فتعديل اتجاه سيرها .

واتموا ذلك في ٥ ديسمبر ١٩٦٤ .

وكان من نتيجة ذلك ان قربت المركبة



منظر المركبة من سطحها

في يوليو ١٩٦٥ بالمريخ ، وهي تبعد على بعد نحو ٦٠٠٠ ميل فقط .

والذي أثمر من ذلك كان عملا في حكم العلم رائعا ، وانتبه العلماء وهم على الأرض ، والمركبة بعيدة تبعد عنهم في السماء بمقدار ١٢٦٧٦١٢ ميلا ، بعرون أجهزتها أن تعمل فتطيع .

لكن لا بد لتغيير اتجاه [illegible] المركبة ، من علة ربط المركبة بالشمس [illegible] [illegible] مرتبة بها . وهذا واضح في الرسم التالي (بأسفل الصفحة) .

أخذ الصور من المريخ

عندما مرت الكمرة التلفزيونية بالمريخ أخذت ٢٢ صورة منه ، واحدتها زوجا ، زوجا ، وكل صورتين من الزوج متطابقتين من المنطقة الواحدة من المريخ ، أي طرف الواحدة على طرف الأخرى من الزوج الواحد . ولم تستغرق مدة أخذ الصورة غير جزء بسيط من الثانية . وكان بين أخذ الزوج من الصور والزوج الذي تلته ٤٨ ثانية . ثم حولت المركبة هذه الصور إلى نبضات كهربائية سجلتها على شريط مغناطيسي كالذي تسجل عليه الصور التلفزيونية التي تؤخذ على الأرض .

ثم أخذت المركبة بعد ذلك بإرسال هذه الصور إلى علماء الأرض ، وقد [illegible] إرسال الصورة الواحدة منها أكثر قليلا من ثماني ساعات ، وإذن لم يسع اليوم الواحد لإرسال أكثر من [illegible]

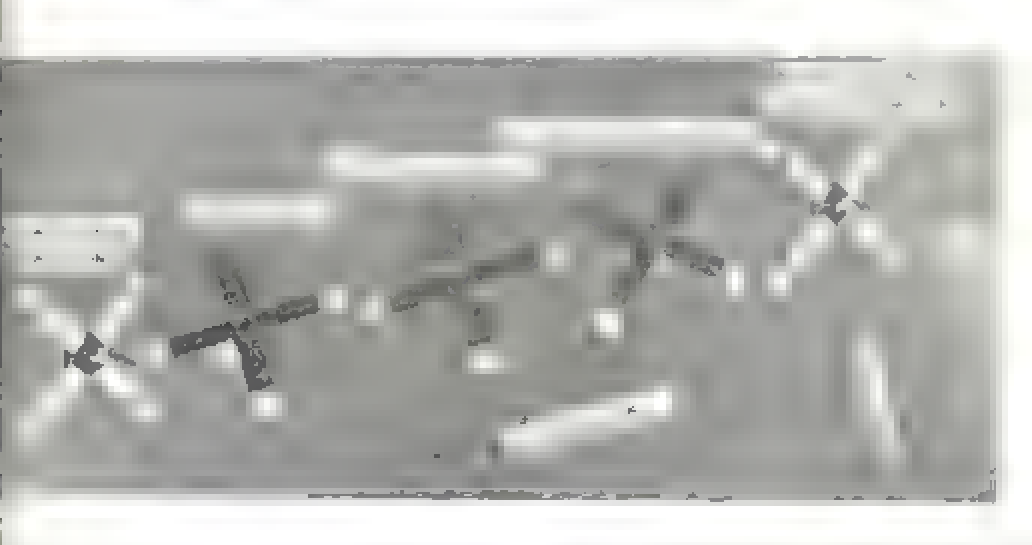
القوة الكهربائية بمركبة الفضاء

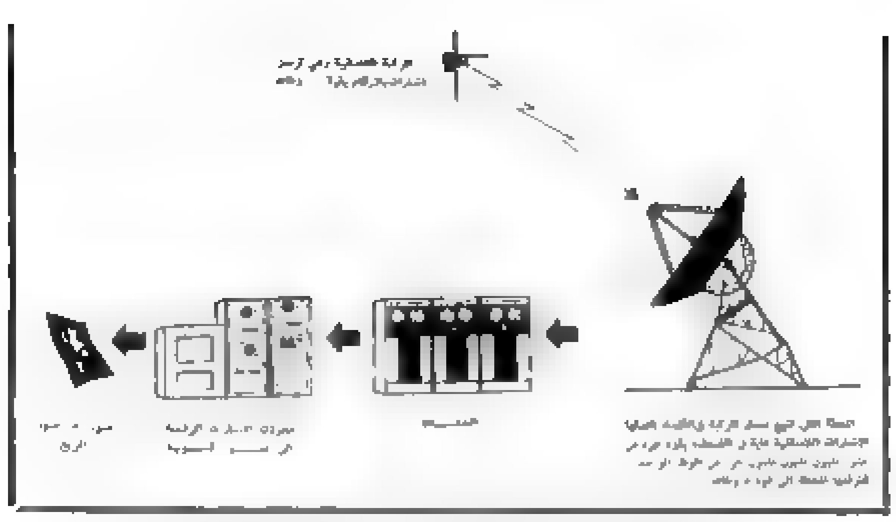
[illegible]

هو : لماذا استغرق إرسال الصورة الواحدة إلى الأرض أكثر من ثماني ساعات، مع أننا نعلم أن الموجات اللاسلكية تقطع هذه المسافة التي كانت بين المريخ [illegible] ١٣٤ [illegible]

[illegible]

إن هذه القوة مستمدة من الشمس، تزود بها المركبة لحاجة يومها ، وحاجة أمسها وحاضرها . وهي قوة إرسال تسع عشرة وطات فقط (تلفاز الأرض قوته ١٠٠٠٠٠ وط) لا تكاد تصل إلى الأرض البعيدة حتى تكون ضعفت أشد الضعف فما تكاد تبين ، لولا محطات





ارسال صور المريخ الى الارض : الاشارات اللاسلكيه تتحول الى صور فوتوغرافيه

ذات أنتينات هائلة ، تحس هذه الاشارات الضعيفة ، ثم مقويات لها هائلة ترفعها ملايين الاضعاف .

ومن اجل هذه الطاقة الضئيلة من الكهرباء ، التي تتزود بها المركبة ، كان لا بد لها من عشرة أيام لترسل الى الارض كل تلك الصور .

ارسال صور المريخ الى الارض

هذه لمحة علمية تشبع العقل اشباعا ، اعني العقل الذى يحس الحاجة الى الامتلاء ، فالشبع ، اذا هو فرغ وجاع .

ان الصورة الفوتوغرافية ، اى صورة ، يمكن تقسيمها الى عشرات الالوف من النقط ، بعضها أبيض كل البياض ، وبعضها أسود كل السواد ، وبين هذين الطرفين صنوف من نقط يختلف مقدار اسودادها او ابيضاضها درجات عشرات .

فلو ان المركبة ارسلت الى الارض هذه النقاط كلها ، بترتيبها في الصورة ، وامكن لاجهزة الارض جمعها ، لكان منها نفس الصورة التى أخذت من المريخ .

ولكن المركبة لا ترسل الى الارض نقطا بيضاء وسوداء . والذى فعلوا لكل هذه الدرجات العشرات ، حسب نصيبها من السواد او البياض ، ارقاما تدل عليها . وهذه الارقام هي التى تنقلها اللاسلكي بترتيبها في الصورة المرسلة الى اهل الارض .

وفي الصورة (باعلى الصفحة) ترى الانتنة الكبرى للمحطة الارضية التى تلتقط الاشارات الرقمية من المركبة ، ثم الحاسبة العجيبة التى تهضم الاشارات ، ثم محولات الاشارات الرقمية الى الصورة الفوتوغرافيه .

خاتمة

ان ارسال مركبة الى المريخ ، تجربة ، مجرد محاولتها يذهل ، ونجاحها لا شك اكثر اذهالا .

دع عنك النتائج الحاصلة ، فليس من ذنب التجربة أن لا يكون بالمريخ جبال ووديان ، او ان لا يكون به جو ، او ان لا تكون به حياة .

التجربة في ذاتها ، اطلاقها لتدور حول الارض في الوضع المحسوب تماما ، لتدرك الكوكب ، في الوضع المحسوب تماما ، على بعد عشرات الملايين من الاميال ، في الوقت المحسوب تماما .

كل هذا كان من نسج الخيال لا يصدق لو سمع . بنقل ، يبتسم الناس له ،

[illegible]

احمد زكى

كوكب المريخ كما رسمه الفنان [illegible]
[illegible] ، [illegible]
[illegible] في ربيع المريخ ، [illegible]



ل وصفه به الفلكيون قبل تجربة الفضاء عنه . ونرى في أعلاه وفي منطقة القطبية الشمالية ،
يتساءلون ويحسبون أنها من ثلوج . وفي الصورة مناطق حمراء داكنة ، يحسبون أنها من نبات ، ومساحتها
شاسعة . أما المناطق الصفراء فهي عندهم الصحاري المترامية



في رحلة العمر القصير الآن تمضي مسرعي ؟
بالأمس أجهدني التساؤل في خشوع الدارس
ونسيت صخب الطريق بلغز المسرعين
فسرحت أدراجي إلى ماض بأعماقي دفين
ومضيت أكتب الذكريات فوق أطلال السنين
فإذا بعهد طفولتي يحنو الظلام ويستبين
ويلوح وجهها مشرق القسمات لألاء الجبين
الابتسام كان لي سمير أسمار الحنين
وبراءة الأطفال تغري ورهو المحبين
وهياكل . كم شدتها في البيع من رمل وطين
وهدمتها في لحظة مثل انهيار أمانيي

* * *

ذكريات من الأحلام مثل أغانيه دمعة وحنين
تطفو حلاوتها على شفتي من حين لحين
وتعود منها كحلو الحلم أو رجع الحنين
أنا في صراع لا يكل مع السنين ولا يلين
وحدي . على درب الحياة بلا دليل أو معين

* * *

اليوم تلهو بي الحياة كما تشاء وأستكين
وأدان فيما أشتهيه وكم في أمسي أدين
والشيب في فودي يبث بالسواد ويستبين
يا طول ما أسعدته وكسرته في الأعين
أسرته في ذا الصباح تلوح من فوق الجبين
كاللص يسترق الخطى ويحل في حصن حصين
فأهيم مذعور الجنان على الصدر لا يستبين
فإذا خطاي على انحدار مظلم .. وغد حزين
وأمشي في كف أقداري كأجنحة السفين



في الأربعين

للشاعر : نور الدين ابو ريشة

تعـــــادني .. ذات الشمـــــال وتارة ذات اليمين !
مالـــي أحس بخـــاطري خـــوف المحيـــرة والكمين ؟
ـــا للصـــــا الرـــــاب كيف أراه يسدلل فـــل حين !
مـــرت عليـــه مراسمي الطمـــــى مـــرور العابرين !
بي وعمـــه مهمـــا أطـــل عنه مـــــــوب أنجين
وتلف المـــــدود .. سحت عنـــه عن كسر سنين
مـــد ضاع بين ملاعب الذكرى على شط السنين !

* * *

ــت العبـــه من شبـــاب العمـــر يوشـــك أن يبين
هـــي سوزة الكـــس الـــي نكـــرى شـــداه أنين
أبـــت لا أصـــدق أنـــي كهـــل بلغت الأربعين
ـــبعث أحـــلام الشـــاب وكل في حسرة مكين
وطـــــوب أحجبني عن وعـــد كعمـــر السنين .

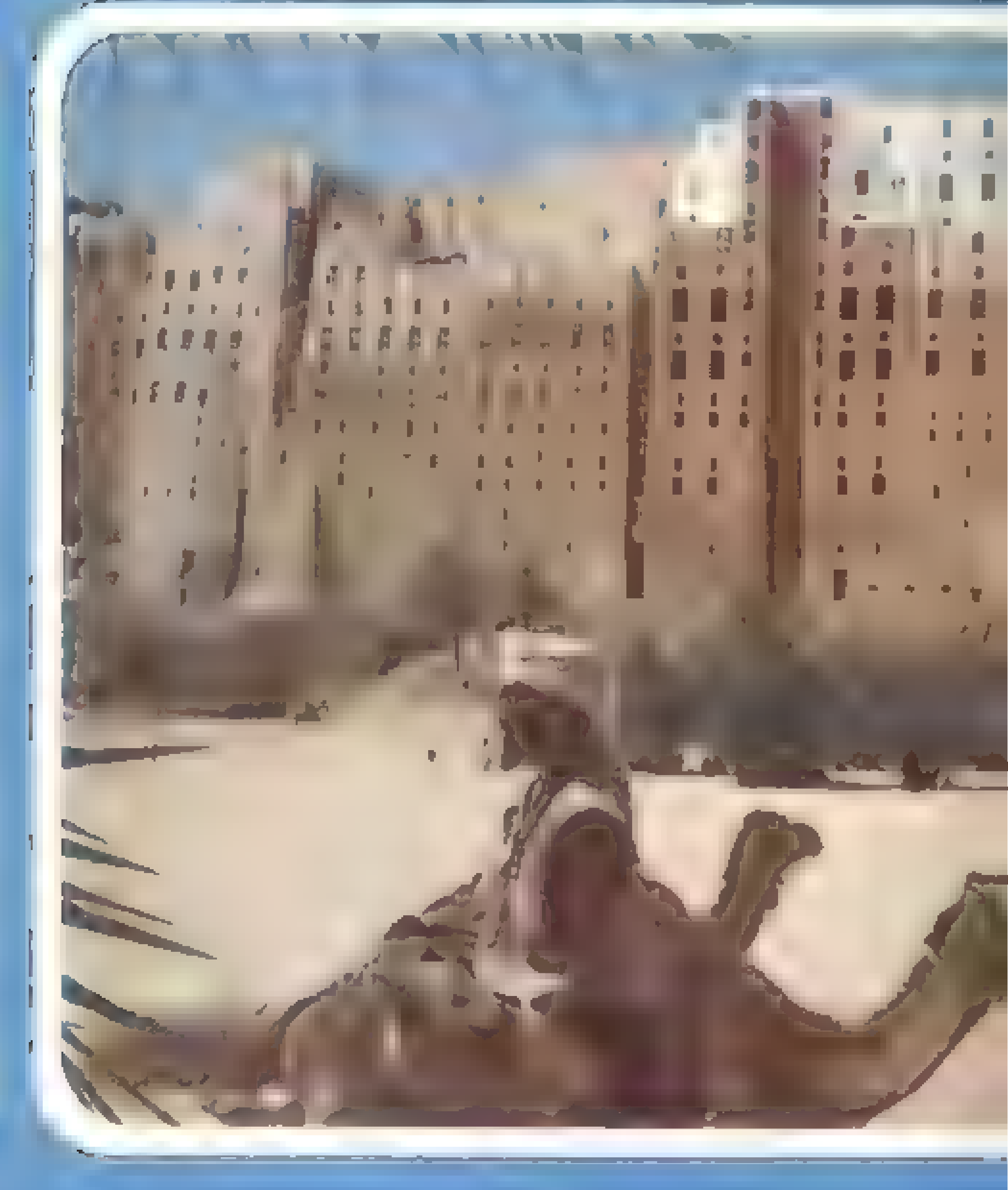
* * *

، طب لمصـــاب الجمـــال على خـــراج المعين
ي في هيـــاكله الـــوسنة راجعـــه وحي أمين
ويـــــرمـــت . قد طـــال في محرابه سطل العد ـــين
كـــم ـــــب ــــل في عــد ــدى العـبـاد ويسلي
أمس ـــداعب خاطـــري أعـــو بدـــــه وأســـكي
بحمـــو وبوصي ـــوره في وجعـــه العمـــر الصبي
لـــولاه لانحسرت شكـــوك النفس وانهمر اليقين !
حـــي مـــه . أ مـــوى على .. ـــق الطريق .. وانثني !!!

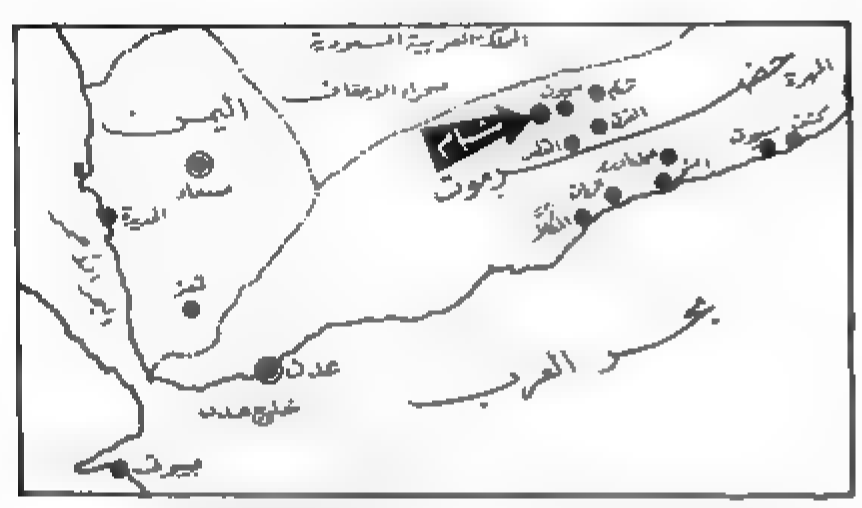
الكويت . نور الدين ابو ريشة




شبام



قام بهذا الاستطلاع سليم زبال وصوره «اوسكار»



خريطة الجنوب العربي ، وفيها يبدو موقع مدينة شبام

انهـا مدينـة « شـبام » ... اعلى مدن بناطحات السحاب في حضرموت .. بناها العرب الاقدمون قبـل ان يبني الامريكـيون نيويورك بعشرات القرون ..

وتسـاءل مندهشـا : ومن اين للعرب الاقدمين الحديد والاسمنت لبناء مثل هذه المنازل ذات الستة الطوابق والسبعة ، والتي يخالها الناظر ، وكانها ١٤ طابقا ، لوجود صفين من النـوافذ في كل طابق : الشباك العـادي الكبير ، وفـوقه شباك صغير للتهوية وادخال اكبر كمية مـن ضوء الشمس .

وتزداد دهشة السائل واستغرابه عندما يعلم ان بناء هذه العمارات العالية لم يدخله شيء من الحديد او الاسمنت ، وانما هي مبنية من طين مخلوط بالتبن ، ومجفف باشعة الشمس !! .. اما الاعمدة التي يظنها خرسانية ، فما هي سوى جذوع نخيل او جذوع اشجار العجيز المغطاة بالطين !!

لقد استطاعت هذه المواد البسيطة ان تتحدى الامطار والزوابع ، فالمنازل المبنية بهذه المواد ما زالت تقف عالية متلاصقة بعضها ببعض ، فتبدو وكانها عمارة واحدة هائلة ذات هندسة متشابهة !

واجهة مضللة

ان روعة الواجهـة الخارجيـة لهذه المنازل تجعـل المرء يقف مشـدوها .. ولكـن سرعان ما ينزاح القناع ، ويجد المرء انه امام منظـر زائف مضلل ، يخفي الوانا من البؤس ، والوانا من الحياة القاسية الحزينة التي يحياها ابنـاء هذه المدينة المجهولة القابعة عند طرف صحراء الاحقاف او الربع الخالي ..

ولا يحيط بشبام اي نوع من الاسوار القديمة ، لان منازلها العالية المتلاصقة هي اشبه ما تكون بسور ضخم منيع يحميها ، ولذا لا تجد اثرا للابواب فيها ، وانما هي تنفتح جميعا في الناحية الاخرى داخل قلب المدينة ..

والمدينة نفسها لها مدخل رئيس وحيد ، كان يقفل ابوابه في الليل ، ولكنه جدد ، فازيلت بواباته القديمة لتاخذ مكانها بوابتان يدخل منهما الناس ، ولكنهما مختلفتان فواحدة كبيرة تدخل منها الجمال وسيارات الشحن ، والصغيرة وتدخل منها حاملات الماء والجمازات ـ هكذا غرائبهم ـ !

عمرات .. واخاديد !

وتركنا سيارتنا الصحراوية (اللاندروفر) عند



مئذنة جامع عامر ... أنها تطل على رحاب السوق وقد شيدت المئذنة عدة مرات كان آخرها عام ١٣٦١ هـ ... ومع ذلك فقد رأيت المئذنة والجامع في حاجة ماسة للترميم والإصلاح

الساحة الداخلية قرب البوابة ، لأنهم قالوا لنا : لا يمكن للسيارات أن تسير داخل شبام ... وسألنا عن السبب .. فقالوا : ادخلوا وسوف ترون العجب !!

وعبرنا من بوابة العجل الى ساحة واسعة ، فيها قلعة مكتب اللواء وصيدلية ثانوية ... وملعب لكرة السلة يلعب فيه تلامذة المدرسة الإبتدائية .

وفي هذه الساحة تصب أو تلتقي جميع أزقة وحارات شبام ! .. ولم نقل شوارع ، لأنه لا يوجد في شبام شارع ، وانما ممرات أو أخاديد لا حصر لها ، تتقاطع فيما بينها لتعود فتلتقي أسفل المنازل العالية ... وفي هذه الممرات يصعب على أربعة أشخاص السير معا صفا واحدا ، في بعض الأحيان .

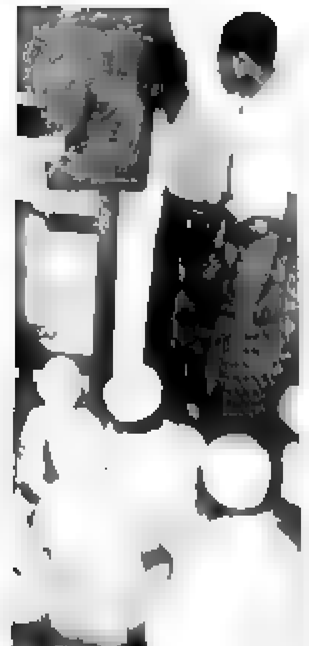
مجار مكشوفة

وليس ضيق الممرات هو الازعاج الوحيد الذي صادفنا .. ففي أركان هذه الأزقة تجمع قطعان الماعز والدجاج مع أطفال شبام ، الذين يعبثون وسط المياه القذرة المندفعة من مزاريب المنازل في طريقها الى شق طولي وسط الأزقة .. إنها المجاري المكشوفة ، التي تنبعث منها روائح عفنها الكريه وتعيش فيها جراثيم تفوق الحصر !

وقد زادت كمية مياه هذه المجاري زيادة كبيرة في الآونة الأخيرة ، بعد أن زاد نصيب الفرد من الماء فأصبح عشرة جالونات يوميا ، بدلا من جالونين فقط !

الماء من جوجة !

كان أهل شبام يعانون متاعب جمة للتغلب على أزمة جلب الماء الى منازلهم .. ففي كل صباح كانت النسوة المتشحات بالسواد يخرجن الى الآبار المحيطة بشبام فيسحبن بالدلو ماء فيه كثير من الملوحة يستعملونه للوضوء والغسيل وشرب الماعز .. أما ماء الشرب فكان السقاؤون يجلبونه على ظهور الحمير من آبار الجبل القريب من شبام .. وظل الحال على هذا المنوال حتى تأسست في العام الماضي شركة الماء الأهلية المعروفة برأس مال قدره ٣٠ ألف دينار .. وكان أول عمل قامت به ، أن





ثلاث صور لطلبة المدرسة الابتدائية بشبام . في الاولى يلعبون كرة السلة قرب الد
طالبا ، أصبحوا اليوم ٤٢ طالبا والتعليم فيها يتبع المنهاج السوداني .. والى
التبرعات من الاهالي والصورة الثانية تبين الطلبة جالسين على الارض

مدت الأنابيب من آبار قرية جرجة ــ وبعد ثلاثة أميال من شبام ــ حتى خزانات الماء الضخمة التي أقاموها لهذا الغرض ، على قمة جبل الخبة المطل على شبام .. وبذلك أصبحت المياه تصل الى جميع منازل شبام ، وعددها ٥٠٠ منزل ، تضم نحو ٥٠٠٠ نسمة ، حتى الطوابق العليا من هذه المنازل المرتفعة الى ٧٥ قدما وصلها الماء .. وذلك لعلو مصدرها في الجبل .

ممرات في الطابق الخامس !

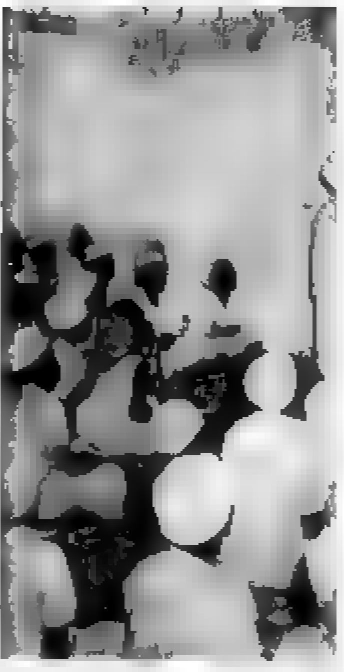
وفي هذه الطوابق العليا يعيش الناس .. ومن اللطيف أن بعض العائلات الكبيرة تعيش متجاورة في منازل متلاصقة ، وقد هدتها الحيلة الى فتح ممرات فيما بينها عند الطابق الخامس فأصبحت المرأة تقوم بزيارة قريباتها في المنازل المتجاورة دون حاجة للنزول الى الشارع .. ! اما الرجال فقد فتحوا لأنفسهم ممرات في الطوابق السفلى ..

السيول توقف نمو المدينة

وكثيرا ما تهطل الامطار بغزارة ، فيمتلىء وادي حضرموت بمياه السيول ، وتصبح شبام وكأنها جزيرة تحيط بها المياه من كل جانب دون أن تنالها لأن المدينة مشيدة على ربوة صخرية مرتفعة عن سطح الوادي ..

وكانت هذه السيول العقبة الرئيسية في عدم اتساع رقعة المساحة المبنية في شبام .. لأن كل منزل يبنى خارج رقعة المساحة منزل العالية كانت تجرفه السيول ، حتى أصبحت المدينة تعاني مشكلة سكنية هائلة ، لم يخفف حدتها سوى بناء ضاحية جديدة عند سفح الجبل أسموها « السحيل » لا يفصلها عن شبام سوى أرض الوادي ، التي تتحول أيام الصيف الى طريق رملي تتناثر عليه آبار المياه المالحة ، التي ما زال الاهالي يأخذون منها حاجتهم للغسيل والشرب للماشية ..





الرئيسية في المدينة .. لقد تأسست هذه المدرسة حوالي عام ١٩٤٤ وكان عدد طلبتها ؟
هذه المدرسة الحكومية توجد مدرستان أهليتان ، لسعي النهضة الإصلاحية التي تجمع
وجود مكاتب بينما الدمنة بين مدى الشعب [illegible] الطلبة على التعلم

تجارة .. وهجرة غريبة

ويعتمد أهل شبام على التجارة منذ قديم الزمان ، فموقع مدينتهم وسط وادي حضرموت يتيح لها أن تسيطر على طرق القوافل ، مما جعلها من أهم مدن حضرموت الداخلة .. وكانت الى زمن قريب عاصمة لسلطان الشحر والمكلا ..

وتحيط بشبام مزارع للنخيل واسعة ، تروى أغلبها من مياه السيول ، وتقدم للأهالي محصولا من التمر يعتمدون عليه في وجباتهم الرئيسية .

ان انتاج هذا النخيل يمكن أن يتضاعف اذا زادت العناية به .. لقد أصبح الكثير منه مهملا ، ينمو ويتكاثر من ذات نفسه دون أي رعاية ، والسبب أن بعض رجال شبام قد مل التجارة البدائية التي كان يزاولها أجدادهم وآباؤهم ، فبدأوا ينزحون عن مدينتهم ، مخلفين خلفهم رعاية مزارعهم ، مكتفين بزيارة مسقط رأسهم مرة كل سنة .

لقد أصبح لكل منهم متجر في المكلا على الساحل ولم تعد تجارتهم الجديدة تسمح للكثيرين منهم بالعودة الى شبام فأهملوها ، وكادوا أن ينسوها ، وان كانوا يدعون العكس ..

وقد ترتب على هذه الهجرات وضع غريب شمل الكثير من العمارات العالية ، التي تحتوي ستة طوابق تعيش فيها امرأة وحيدة ، أو أسرة صغيرة تركها عائلها وسافر الى اندونيسيا وشرق افريقيا والهند ، بحثا عن لقمة العيش !

ورجال شبام لا يأخذون زوجاتهم معهم في مهجرهم ، وانما يكتفون بارسال النقود لهن شهريا .. وكم من مآس تخفيها جدران منازل شبام بسبب هذه الهجرات .. وبسبب قوانين الزواج الغريبة في شبام ، التي تختلف عن بقية البلاد ..

فمنهم ما يسمى « الشرط » وأسرة العروس هي التي تشترط هذا الشرط ، وهو على عدة أنواع .. فمرة تشترط عدم سفر الزوجة ، ومرة تشترط تزوج الرجل من الطفلة ، على أن ينتظرها حتى تصل الى سن البلوغ .

وتتميز حفلات العرس في شبام بالاسراف الزائد

التي يتقدم لها اسرة العريس ، والعروس على حد سواء ، لكثرة مصاريف الادب والعزومات التي يحضرها كل مرة ما يزيد عن ٥٠٠ شخص يأكلون ويشربون على حساب العريس وأهل العروس !

أزمة بسبب السكن

وبعد احتفالات الزواج العادية تنتقل ام العروس الى منزل العريس لتقيم فيه بعض السجاد والبسط والحصير والشمع التي هي كل اثاث المنزل !

ومعظم عرسان الاجيال الماضية فان الاهالي لا يؤجرون منازلهم الخاصة ابدا ، لان تأجير المنزل الخاص يعتبر في اعتقادهم — دليلا على العوز والفقر !!

ولقد تسببت ازمة السكن في حدوث مأساة ذات ذيول طويلة . لقد ظلت شبام تعيش فترة طويلة دون طبيب لعلاج سكانها ، وسكان ضواحيها ، وانهالت البرقيات على المسئولين في المكلا تطلب طبيبا .. وجاء الطبيب من باكستان .. وظن نائب لواء شبام ان ايجاد السكن اللازم له سيكون امرا سهلا .. ولكن الامور جاءت بعكس ما يشتهي نائب لواء شبام .. لقد طرق جميع ابواب المنازل وكان الرد واحدا : « امهلونا وقتا للتفكير والبحث » وهذا اعتذار مهذب ، بدلا من الرفض الصريح !

وبعد اكثر من اجتماع ، فشلت كلها في ايجاد مأوى للطبيب الباكستاني ، وعندما فتح هذا الطبيب ابواب صيدلية مستشفى شبام ، وهو مستشفى يضم ١٢ سريرا ، وجد ان الصيدلية خالية الا من شربة ملح !

وطلب بزيارة غرفة العمليات ، فهاله النقص الهائل في جميع ادواتها !

وسأل عن عدد السكان الذين سيتولى علاجهم ، فاجابوه : سبعة وخمسين الفا .. يمثلون سكان لواء شبام كله !

يقبل اهل شبام على لعب كرة القدم بشغف زائد ، وقد تكونت عدة اندية صغيرة في المدينة يضم كل منها فرقا رياضية . ونرى هنا السيد عمر محمد باصابع نائب لواء شبام مصافحا اعضاء احد الفرق الفائزة في المباريات





[illegible] صاحبه الذي يستخدمه للغسيل وشرب الحمير !

وبعد مجهود استطاعوا أن يطعموا لـه منزلاً مناسباً ، اشترط على طريقة تأثيثه وفرشه ، واتخذ من هذه الحجة ذريعة ليمسك بها ليهرب من شبام ويعود بسرعة لبلاده !

وبقيت شبام بدون طبيب ، حتى يوم زيارتنا لها ، ويقوم حاليا بعض المساعدين الصحيين المحليين بمهمة الطبيب لسكان شبام وضواحيها ..

الشعوذة ، والتدجيل ، والمرأة

وليست الأمراض هي الوحيدة التي تعصف بأهل المنطقة ، وإنما يشترك معها الجهل والفقر ، والعادات والتقاليد البالية ، والمعتقدات السخيفة من تدجيل .. وسحر .. وشعوذة .. مما زاد من مصائب وآلام أهل شبام !!

وتسبب المرأة الشبامية التي تعيش في جهل قاتم في أكثر هذه المتاعب .. إن تعليمها لم يبدأ إلا منذ ثلاث سنوات ، وهو تعليم تافه يهدف إلى تلقينها كيفية « فك الخط » مع النزر اليسير من أمور الدين !

إن مجموع عدد التلميذات في لواء شبام كله ٥٠ تلميذة فقط بينما عدد السكان ٥٠ ألف نسمة !

وما تكاد التلميذة تبلغ العاشرة من عمرها حتى تسحب من المدرسة وتحجب داخل البيت لا تظهر

على احد ، ولا حتى على المرأة المتزوجة ، وانما على الرجل القريبين لها فقط !

ان المرأة المتعلمة في شبام ينظر اليها نظرة مريبة .. والمسئولية في هذا تقع على بعض الرجال الضعاف الذين يريدون المرأة دائما جاهلة صابرة حتى يستطيعوا التحكم فيها طبق اهوائهم ، فيطلقوها ويهجروها متى شاء لهم مزاجهم .. وهم يؤكدون ان التعليم والثقافة مفسدة وانحلال ؟

مآسي جهل المرأة

وقد ترتب على جهل المرأة كارثة رهيبة ما زالت تعيشها شبام حتى اليوم .. فقد حدث منذ ثلاث سنوات ان احست احدى النساء ببعض الآلام .. فقالوا لها . تعالي نذهب للطبيب في المستشفى فقالت مستنكرة : « الموت افضل عندي من الذهاب للطبيب في المستشفى » .

وجاء صديقاتها لعيادتها .. كل منهن تصف لها علاجا ودواء ، او تحضر لها تعويذة مكتوبة على ورقة من عند احد « السادة » وتضعها لها في كوب الماء ، وتقدمه لها لتشربه حتى تصح !

وشربت المسكينة « الدواء » ولكن الآلام تزداد كلما مرت الايام ..

وبدأت بعض قريباتها في التخلف عن زيارتها ، فسألت عنهن ، فقيل لها : انهن بدأن يشعرن بالم مماثل للالم الذي تشعر به في صدرها ..

ولم تمر فترة سكون يعقبها همس ، سرعان ما يصبح حديثا يتناقله الناس : انه السل ! بدأ ينتشر بين النساء الجاهلات ومنهن انتقل للرجال ، حتى اصبح عدد المرضى المصابين به — حسب الاحصاء الرسمي — ١٥٠ مريضا ، داخل شبام نفسها ، عدا المرضى الذين يعيشون حول المدينة ، وعددهم يفوق بكثير عدد الذين بداخلها ..

ويقوم بمساعدة هؤلاء المرضى حاليا ، افراد لجنة السل بنادي التعاون بشبام .. انه النادي الثقافي الوحيد في المدينة ، موارده محدودة للغاية ، ومع ذلك يتولى العناية بـ ٢٤ مريضا ، يقدم لهم الدواء ولكنه لا يستطيع تقديم الطعام الا لاثنين فقط من المرضى ؟

فاذا علمنا ان نقص التغذية هو السبب الرئيسي لانتشار السل بشبام ، لهالنا الموقف الصحي الذي يزداد سوءا يوما بعد يوم !

ان كوبا من الحليب مع قليل من الخضار واللحم هي وجبة تافهة لا تكفي ، ومع هذا فلجنة السل بنادي التعاون في حاجة الى الف دينار فقط لتقديم حتى هذه الوجبة التافهة لمدة سنة الى ١٥٠ مريضا ومريضة !

امراض بالجملة

ان حاجة اهل شبام الى الاطباء ، تعادل حاجتهم الى الهواء ! .. وقد تغلب على هذه المدينة اطباء هنود وباكستانيون وطبيبة المانية .. اما الاطباء العرب ، فلم يسمع بهم اهل شبام .. وقد يكون لهؤلاء الاطباء بعض العذر لانهم لم يسمعوا ابدا في مدينة اسمها شبام .. ينتشر فيها السل ويموت فيها ٦٢ من كل ١٠٠ طفل يولدون .. ويصاب اهلها بالبلهارسيا ، رغم وجودهم عند رمال الربع الخالي .. وتنتشر فيها الملاريا ،





والروماتزم ، والتراخوما والأنيميا وغيرها .. فضلا عن الاصابات الناتجة عن الحوادث .

ان الطبيب الذي يفكر في الذهاب الى هناك يجب ان يكون قادرا على علاج جميع هذه الحالات التي سوف تعرض عليه !

أسلوب جديد في الطب

ولقد نشرت الطبيبة الألمانية ايفا هوفت التي قضت خمس سنوات في شيام كتابا عن ذكرياتها هناك .. وفي احد فصوله وصفت كيف اصلحت اعوجاج السلسلة الفقرية لاحد المرضى فقالت

« لم يسبق لي ان عالجت عمودا فقريا محطما طيلة عملي في مهنة الطب ، وفي شيام جاءوني برجل سقط في البئر ، فانكسر عموده الفقري ..

« واطلعت على صورة الأشعة ، فوجدت ان عموده الفقري لم يكن محطما فحسب ، بل كان العظم قد خرج من موضعه ايضا .

« وطرحنا الرجل على بطنه .. وراح اثنان من رجاله يجذبان ساقيه وذراعيه ، وضغطت بالمشط على ظهره وبطنه ، وسمعت رجة واضحة فقد استقام السن العظمي الذي كان اتخذ شكلا ملتويا كحرف (الانرجي) . ولم تكن الصيحة فرحه ورحب الرجل للجميع : « حاولوا .. لا تتخلوا عنه ان شفاء الرجل يعتمد على صبركم » ..

« وواصل اصدقاء الرجل الجذب والشد والدفع

والاسناد بكل قواهم ، ويبذلا غاية ما لديهما من جهد ، حتى تصبب العرق من جبينيهما .. واخيرا استقام العمود الفقري تماما .. وارتحنا الى النجاح الذي حققناه في تقويم العمود الفقري .. ووضعنا اربطة الجبس من حوله .. وفي اليوم الثاني استطاع السير ولعريك لرائيه وسائليه ! »

انه اسلوب في عالم الطب لم يكن من الممكن القيام به الا في شبام !

البنطلون .. والطاقية !

والى جانب المرض يوجه الاصحاء من ابناء شبام وعزلاء يشكون وقتهم في فراغ قاتل .. ان المدينة ليس فيها شجرة او روضة واحدة ! كما ليس فيها سينما او مكان يذهب اليه الناس لتمضية وقتهم .. حتى الكهرباء تبدأ من الرابعة مساء حتى منتصف الليل ، وبعدها يسود الظلام ..

وعلى ضوء (لمبة الجاز) - اذ لم تدخل الكهرباء بعد الى جميع المنازل - يجلس ابن شبام ، الذي يتعلم بالمدرسة المتوسطة الوحيدة التي فتحت ابوابها منذ عامين فقط ، يجلس هذا الشاب مفكرا ومتسائلا : « لماذا تقدم العالم كله ولم يتقدم بلدي ! ان ابسط الامور التي اتعلمها في المدرسة لا استطيع تطبيقها في بلدي ، حتى ارتداء « البنطلون » او خلع الطاقية يسبب مضايقات واعتراضا .. اني لا اظن ان اجدادي الاوائل كانوا يعيشون اسوأ مني .. فقد قال استاذنا في حصة التاريخ : ان وادي حضرموت كله كان ينعم في عام ٦٠٦ هـ برخاء عجيب ، حتى انه لم يكن هناك سارق او محتاج .. « فاين ذلك الماضي البعيد من هذا الحاضر التعس الذي يعيش كل انسان فيه محتاجا !! » .

أصل كلمة « شبام »

والى القرب من المدينة كانت تقوم مدينة شبوة الحميرية التاريخية القديمة ، التي يذكرها المؤرخ احمد الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب فيقول : « .. وبعد ان قامت الحروب وتهدمت شبوة اتجه اهلها الى شبام فسكنوها ، وبهم سميت شبام .. وكانت في الاصل شبأة ، ثم تحورت التاء الى ميم ، فاصبحت « شبام » ..

دخول الاسلام

وفي العام العاشر من الهجرة اتجه وفد كبير من سادة قبيلة كندة ، برئاسة الاشعث بن قيس الكندي الى المدينة المنورة ، حيث مثلوا عند النبي عليه الصلاة والسلام ، واعلنوا له اعتناق الحضارمة الاسلام ، وكانوا يدينون بالوثنية ، واليهودية ، والنصرانية .

وفي عام ١٢٩هـ ارسل الخليفة الاموي عامله على رأس جيش كبير لاحتلال شبام .. وفي عام ٥٥٥ هـ احتلها الزنجيلي عامل الدولة الايوبية في اليمن .. ثم اصبحت شبام مركزا لسالم بن ادريس الحبوظي الذي جاء من ظفار لفتح حضرموت ، ولما عاد الى ظفار اناب عنه آل كثير في ادارة الحكم فاستقلوا بها .. ولكن شبام ما لبثت ان اصبحت مركزا لقتال شديد ، ومعارك هائلة بين القبائل الكثيرية واتباع القعيطية .. وفي عام ١٢٧٥ هـ اتفق على ان تقسم شبام مناصفة بين القعيطي والكثيري .. ولكن القعيطي انفرد بحكمها بعد دسائس ومؤامرات طويلة ..

وما زالت شبام حتى اليوم ضمن اراضي السلطنة القعيطية رغم انزوائها في داخل حضرموت قرب حدود السلطنة الكثيرية .

الأمل الكبير .. هل يتحقق ؟

ان اهل شبام يدركون جيدا مقدار تخلفهم ، ولكنهم يعيشون على الامل .. فتجدهم في المساء يجلسون مثلما يجلس اجدادهم امام نوافذ منازلهم الشاهقة ، ولكنهم لا يتطلعون الى قوافل الجمال التي كانت تنقل التوابل والنسيج والبخور ، ثم تعدت حتى اصبحت تنقل اليوم السمك المجفف والارز .. لم تعد الانظار تتجه الى هذه الجمال بحمولتها الهزيلة ، انما كل الانظار تتجه صوب الشمال .. صوب صحراء ثمود .. حيث يجري التنقيب بحثا عن الذهب الاسود ..

انه الامل الكبير الذي تعيش عليه شبام ، ولكنه امل لم يتحقق حتى اليوم ..

لقد انتهى الخبراء من حفر البئر الثانية ، ووصلوا في حفرهم الى عمق ٣٧٥٠ قدما بحثا عن النفط ، ولكن بدون نتيجة . وفي نهاية شهر



تضم شبام ستة مساجد ، اكبرها مسجد هارون ، نسبة الى هارون الرشيد الذى امر عامله ببنائه عام ٢١٥ هـ ، ونرى هنا صورة البهو الداخلى للمسجد

المسطى الماضى اذاعت شركة بان امريكان للزيت الحضرمية ، بيانا قالت فيه : « ان نتائج حفر بئر طارلبت — البئر الثانيـة — اثبتت بأن هـذه البئر لا يمكن ان تنتج بترولا بأية كميات تجارية وان الشركة سحبت جميع موظفيها ، فبـدا المصير بالاسف الشديد كما هو الحال بالنسبة لاهالى حضرموت والمكلا ، لان البئر لم تكن منتجة .

« ولكـن الشركة مستمرة فى عملياتها ، وهـى متفائلة جدا فى وجود حقلات اخرى منتجة للبترول بكميات تجارية ، وسوف يتم تحسسها بحفر آبار اخرى . »

كيف ننهض بشبام ؟

ان انقاذ شبام اعتمادا على موارد الحكومـة القعيطية امر مستحيل ، لان حكومـة هـذه السلطنة لا تجد امكانيات لانقاذ ورفع مستوى عاصمتها « المكلا » . فكيف الحال بشبام المدينة المنعزلة عند مشارف الربع الخالى ، وهى المدينة التى يربطها بالساحل طريق وعر للغاية ما تكاد الامطار تهطل عليـه حتى ينقطع السير ، وتصبح شبام معزولة تماما عن العالم ، اللهم الا الطائرة الصغيرة التى تهبط فى مطارى «القطن» و«الغرف»

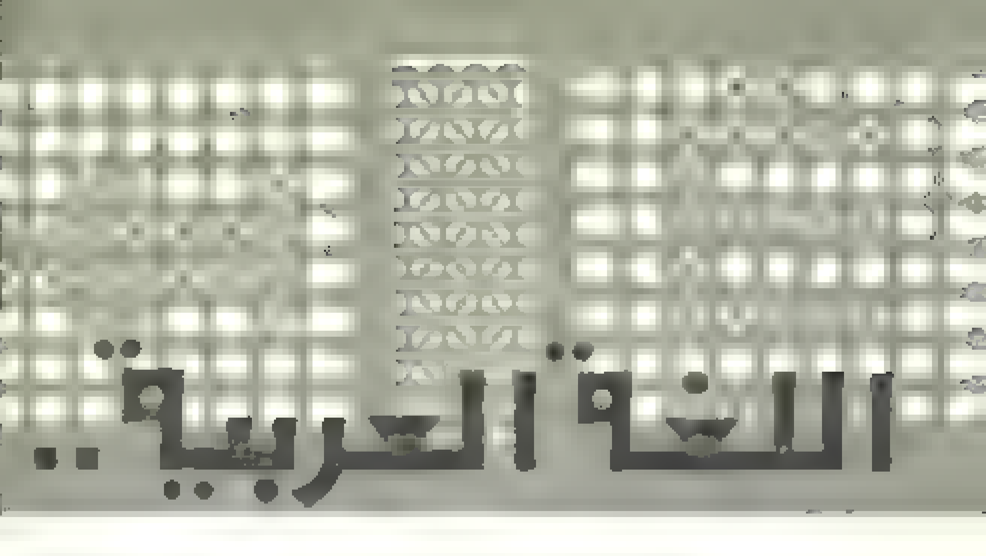
المجاورين .. ويعانى ابناء شبام الامرين من اهمال وعدم مبالاة شركة الطيران وعدم احترامها للمواعيد فكثيرا ما تتأخر الطائرة دون ان يعلم احـد متى سوف تصل .

لقد قال لنا اهل شبام « ان ماضينا الكئيب وحاضرنا المشؤوم يسدان امامنا اى امل فى المستقبل المنشود ، ما لم تتكاتف معنا مساعدة اخواننا العرب لمساعدتنا فى العمل المخلص للقضاء على القوى الهدامة التى اوصلتنا الى هذا الدرك من التأخر المخزى » .

وفى وسط هذا الاضطراب فى جميع المجالات نجد الكتاب والصحفيين الاجانب يتغزلون بجمال الفن الهندسى العربى القديم الذى تمثله مبانى شبام ، ويطالبون بالمحافظة عليه

وهذا كلام جميل طيب .. ولكنه من المستحيل ان تظل شبام على ما هى عليه لترضاه لمتعة من السياح والقناصى

ان هدم بعض المنازل ، وازالة اجزاء من بعضها الاخر امر ضرورى للمحافظة على صحة وسعادة ستة الآف شخص ، يعيشون داخل مدينة ناطحات السحاب !



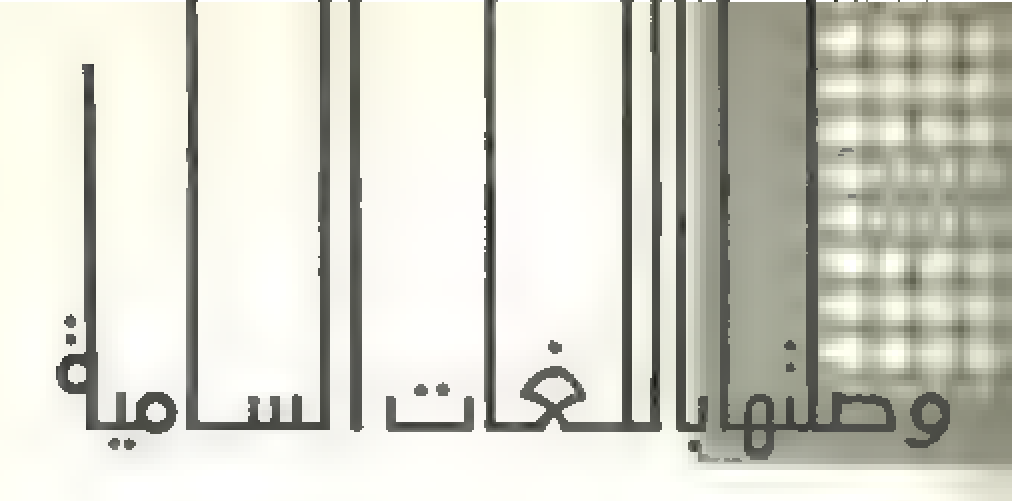
بقلم : الدكتور خليل يحيى نامي

الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة

■ اللغة العربية هي الأصل الذي نشأت منه كل اللغات التي عرفت باسم اللغات السامية ، وذلك لأن اللغة العربية القديمة كانت لغة الأعراب أو البدو الذين كانوا يعيشون في الجزيرة العربية ، وهاجروا بعد ذلك في موجات متعاقبة إلى بعض البلاد الآسيوية والأفريقية ، وكانت من نتاج تلك الهجرات نشأة اللغات التي تعرف باسم اللغات السامية ، كما أن دراسة اللهجات العربية المختلفة في كتب القراءات والنحو واللغة تعكس لنا صورا عديدة من السمات والخصائص الموجودة في تلك اللغات التي أطلق عليها العلماء في سنة ١٨٧١ اسم اللغات السامية ، وفقا لما جاء في الإصحاح العاشر من سفر التكوين ، في الآيات من ٢٢ إلى ٣٠ من أبناء سام بن نوح .

معرفة علماء العرب بصلة لغتهم باللغات الأخرى

تحدثنا الكتب العربية أن علماء العرب عرفوا أن اللغات المجاورة لهم من قريب أو من بعيد ، أو المحتكة بلغتهم العربية ، لها صلة قوية بلغتهم التي تأثرت بها ، لذلك سارعوا إلى البحث عن كثير من أصول الكلمات الدخيلة في لغتهم من اللغات الفارسية والعبرية والسريانية والحبشية ، وغيرها من اللغات الأخرى . ويخبرنا ابن حزم العالم الأندلسي المشهور الذي عاش في القرن الخامس الهجري في كتابه « الإحكام في أصول الأحكام » ص٣ أن العربية والسريانية والعبرانية من أصل واحد ، وأنها كانت لغة واحدة في الأصل تبدلت بتبدل مساكن أهلها ، غير أننا نلاحظ على قول ابن حزم أنه استبعد — كغيره من علماء العرب — لغة حمير من لغة ربيعة ومضر ، مع أن اللغة العربية أقرب إلى الحميرية منها إلى اللغتين العبرانية والسريانية ، وليس ذلك راجعا إلى أن اللغة الحميرية وهي لغة النقوش اليمنية القديمة لغة عربية جنوبية ، بل لأنها كما روى علماء العرب في كتبهم عبارة عن لهجة عربية نشأت وتطورت من احتكاك اللغات اليمنية القديمة بلغة ربيعة ومضر ، وذلك بالرغم من قول ابن خلدون في مقدمته : لغة حمير لغة أخرى



مغايرة للغة مصر في الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها كما هي لغة العرب لعهدنا مع لغة مضر .

الوطن الأصلي للجماعات السامية

اختلف العلماء في الوطن الأصلي للجماعات السامية ، وطرحت آراء عديدة في ذلك ، منها شمال أفريقيا ، وأفريقيا الشرقية ، وشبه جزيرة العرب ، ومنطقة العروض بشرق الجزيرة العربية ، والبحرين وسهول العراق ، والصحراء السورية ، ووسط آسيا ، وغير ذلك من الأماكن الأخرى التي ذكرها العلماء والباحثون في كتاباتهم . وهذه الآراء التي ذكرناها هي آراء طبية يعوزها كثير من الأدلة والبراهين التي تثبتها أو تؤيدها ، غير أن الدراسات التاريخية المقارنة للغات السامية قد دلت على أن الجماعات السامية القديمة هي جماعات بدوية عاشت مدة طويلة من الزمن في منطقة جغرافية واحدة ، اكتسبت في خلالها الخصائص اللغوية المشتركة التي يشبهها الباحثون في لغات تلك الجماعات ، وأن تلك البيئة التي استقرت فيها تلك الجماعات السامية الأولى البدوية هي شبه الجزيرة العربية .

أقسام اللغات السامية

قسم العلماء اللغات السامية حسب وجودها في الجزيرة العربية إلى مجموعتين : مجموعة شرقية ، وأخرى غربية ، وقسموا اللغات الغربية إلى شمالية وجنوبية ، كما قسموا اللغات الجنوبية إلى شمالية ، وأخرى جنوبية خالصة ، وهذه المجموعات اللغوية هي كما يلي :

مجموعة اللغات السامية الشرقية

هي اللغة الأكدية القديمة ، وكانت في المنطقة التي تقع فيها بغداد الحالية ، وامتدت بعد ذلك إلى جنوبي العراق ، وإلى الولايات التي كانت موجودة بين واسط نهري دجلة والفرات ، وبسطت نفوذها على المنطقة الغربية لتلك الولايات حتى الخليج العربي ، وتشمل تلك المجموعة من اللغات اللغة البابلية ، وكانت في وسط جنوبي العراق ، وكذلك اللغة الآشورية ، وكانت في شمالي العراق .

مجموعة اللغات الشمالية الغربية

هي عبارة عن اللغتين الأمورية والأوجاريتية ، واللغات الكنعانية والآرامية ولا نعلم شيئا حتى اليوم عن اللغة الأمورية إذ لم توجد بعد كتابات كتبت

تلك اللغة ، ويقال انها كانت في بلاد الشام ، وفي واحة تيماء ، وتعد تلك اللغة اصلا للغة الاوجريتية ولغات الكنعانية . وتنسب اللغة الاوجريتية الى بلدة اوجريت التي اكتشفت انقاضها بالقرب من ميناء راس شمرا ، وهي على بعد اثنى عشر كيلو مترا شمالي اللاذقية ، ويقول بعض العلماء انها لهجة من اللهجات الكنعانية .. وتنسب اللغات الكنعانية الى بلاد كنعان التي سماها اليونان والرومان باسم فلسطين ، وسماها العرب باسم سوريا ، واطلق اليهود اسم كنعان على شعوب غير اسرائيلية كانت تسكن فلسطين وبلاد الفينيقيين ، اي ما يعرف عند علماء العرب باسم ساحل الشام . وتشمل تلك المجموعة من اللغات : اللغة الكنعانية القديمة ، والفينيقية ، والمؤابية ، والعبرية .

وكانت اللغة الفينيقية لغة ساحل الشام من قيسارية أو صيدا الى طرابلس الشام ، ووجدت النقوش الفينيقية القديمة في جبيل وصور وصيداء بلبنان ، وفي مصر ، وفي جزيرة قبرص وبلاد اليونان ومرسيليا . وعرفت لغة الفينيقيين الذين كانوا في افريقيا (تونس) باسم اللغة البونية ، وبعد ان دمر الرومان مدينة « قرت حدشت » اي المدينة الجديدة وهي قرطاجنة ، عرفت اللغة البونية باسم البونية الحديثة . . واللغات الارامية هي عبارة عن اللغات الارامية القديمة التي كان يتكلمها رجال الحكومات التي كانت في دمشق وزنجيرلي وحلب وحماة ، وكان ملوك تلك الحكومات من العرب ، كما تشمل ايضا اللغة التي التي استخدمها الفرس في دواوينهم ، وكذلك ارامية اوراق البردي التي وجدت في ارض مصر ، وآرامية العهد القديم ، والسريانية ، والارامية اليهودية البابلية التي كتب بها التلمود البابلي بشمالي العراق وكذلك المندعية لغة الصابئة عبدة النجوم ، كما تشمل ايضا التدمرية والنبطية ، وكان ملوك تدمر والنبط من العرب ، وكذلك كثير من شعوبهما ، واليهودية العربية المقدسية ، والجليلية وهي لغة اهل فلسطين في زمن السيد المسيح ، وكتب بها « الترجوم » ، وهو عبارة عن الترجمة الارامية لكتاب العهد القديم ، كما كتب ايضا « المدراشيم » و « التلمود » الفلسطيني او المقدسي . وتشمل تلك المجموعة من اللغات ايضا السامرية وهي لهجة اهل السامرة ، وهم من اليهود القدماء ، وترجمت التوراة بلهجتهم ، كما تشمل ايضا اللهجة الملكية او الارامية الفلسطينية المسيحية ، وقد ترجمت التوراة بهذه اللهجة ، وتشمل أيضا اللهجات الارامية الحديثة وهي في معلولة وجبعدين وبخعة ، وهي قرى في سوريا . وتوجد لهجات آرامية حديثة في بعض النواحي الموجودة بين بحيرة اورميا وبحيرة فان بشمال العراق ، وكذلك في شمال الموصل ، وفي طور عابدين ، وكل هذه اللهجات الحديثة هي من بنات اللغة السريانية المتأثرة باللغة العربية .

مجموعة اللغات الجنوبية الشمالية

تشمل هذه المجموعة من اللغات اللغة العربية ، لغة ربيعة ومضر ، كما تشمل ايضا اللهجات العربية الجاهلية المكتوبة ، وهي الثمودية واللحيانية والصفوية والعربية النبطية . ووجدت الكتابات الثمودية في ناحية حائل عاصمة شمر الواقعة في السهل الممتد بين جبلي اجا وسلمى ، وهي الى جنوبي النفود الشمالي . وعثر على الكتابات الثمودية ايضا في تيماء ومدائن صالح (الحجر) والعلا وتبوك ومدين حتى منطقة أدوم ومؤاب ، وكذلك في الطائف ، وفي ارض

مصر في القرآن الكريم . وجاء اسم ثمود في نقش سرجون الاشورى المؤرخ في سنة ٧١٥ قبل الميلاد ضمن الشعوب العربية التي خضعت لنفوذ ذلك الملك في شمالي بلاد العرب ، وكون الرومان فرقة من الثموديين في جيشهم اثناء اقامتهم في مصر .

ووجدت الكتابات اللحيانية في مدائن العلا ومدائن صالح ، وفي بعض المناطق الواقعة بشمال الجزيرة العربية ، وبشمالها الشرقي كمنطقة الاحساء المعروفة في الكتب العربية باسم هجر او البحرين . ويرجع تاريخ اقدم تلك الكتابات الى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد ، كما يرجع تاريخ احدثها الى القرون الثلاثة الميلادية ، وكان ملوك لحيان تحت سيادة ملوك اليمن . وقام اللحيانيون بنقل التجارة في القرن الثاني الميلادي من شمالي بلاد العرب الى شمالي سوريا حتى قضى الرومان عليهم في القرن الثالث الميلادي ، فتفرقوا في البلاد العربية . ومما هو جدير بالذكر اننا نعرف من المصادر العربية ان لحيان بطن من قبيلة هذيل ، ولذلك قال البعض ان اللحيانيين اندمجوا في قبيلة هذيل .

والكتابات الصفوية هي التي عثر عليها منقوشة على حجارة الصفا جنوبي شرقي دمشق ، ويقال انها كتبت في القرون الثلاثة لسقوط مملكة النبط في أيدي الرومان في سنة ١٠٦ م . ووجدت كتابة صفوية مؤرخة في القرن السادس الميلادي ، وهذا مما يدل على ان تلك الكتابة ظلت معروفة او مستعملة حتى القرن السادس . ومما هو جدير بالذكر ان الصفويين كانوا مولعين كأحفادهم العرب بكتابة سلسلة طويلة من انسابهم في كتاباتهم ، ولا نجد مثل ذلك في اي كتابة اخرى جاهلية كالثمودية واللحيانية .

ومن الجائز ان يقال ان السبب في انتشار تلك الكتابات في معظم انحاء الجزيرة العربية قبل الميلاد وبعده ، وبخاصة الكتابات الثمودية قد يرجع الى ان خط تلك الكتابات المتفرع من الخط المسند اليمنى كان الخط الرسمي لكافة الشعوب والدول العربية في جنوبها وشمالها ، وظل ذلك الخط منتشرا بين تلك الجماعات العربية حتى اتخذ ملوك عرب الشمال الخط النبطي خطا قوميا لهم في القرن الثالث الميلادي .

واللهجة العربية النبطية هي لغة الكتابات العربية المؤرخة في القرون الثلاثة السابقة للاسلام ، ومن البديهيات المعروفة ان الخط العربي قد نشأ وتطور من الكتابة النبطية في الفترة التاريخية الواقعة بين القرنين الثالث والخامس الميلاديين .

مجموعة اللغات الجنوبية الخالصة

تشمل هذه المجموعة من اللغات : اللغات اليمنية القديمة وهي السبئية والمعينية والقتبانية والحضرمية والهرمية ، كما تشمل ايضا لهجاتها الحديثة وهي المهرية والسقطرية والحرسوسية والبوتاحارية والبوقرطية . وتشمل ايضا اللغات السامية الحبشية ، وهي اللغة الحبشية القديمة (الجعز) ، والامهرية وهي اللغة الرسمية للحبشة ، ولغة تجري وتجرينيا ، وهما لغتان في شمالي الحبشة . ولغة جورجواى وهي في جنوبي الحبشة ، ولهجة هرركا وهي في شرقي الحبشة .

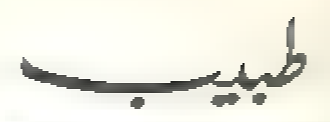
هذا هو التقسيم الجغرافي للغات

السامية ، او بعض آخر للغات العربية الاولى ؛ وتوجد تقسيمات اخرى . اغفلناها لعدم وجود الداعي لذكرها ، وهذه التقسيمات العديدة لاتمنع من وجود الصلات اللغوية التي تربط بعض اللغات ببعضها الآخر ، وقد تزداد هذه الصلات في بعض اللغات وتضعف في بعضها الآخر ، فنجد على سبيل المثال صلة قوية تربط بين مجموعة اللغات الاكدية وبين مجموعة اللغات الكنعانية ، وبين مجموعة اللغات الاكدية ، وبخاصة اللغة البابلية ، وبين مجموعة اللغات العربية ، الجنوبية منها والشمالية ، وكذلك بين اللغات الحبشية . وتوجد صلات قوية ايضا بين اللغة الاوجريتية وبين مجموعة اللغات العربية ، وقد ادى وجود هذه الصلات التي ذكرناها ، والتي تربط بعض اللغات السامية ببعضها الآخر ، الى الاختلاف في تقسيم تلك اللغات .

اللغة العربية اكمل اللغات السامية

اللغة العربية كما يصورها القرآن الكريم والشعر العربي من اقدم اللغات السامية واقربها الى اللغة السامية الاولى ، ولا عجب في ذلك فان اللغة العربية نشأت وتطورت في نفس المنطقة التي نزحت منها الجماعات البدوية الاولى الى ارض مصر وبلاد الشام والعراق وشمالي افريقيا ، ومع ذلك فان اللغة العربية من اكمل اللغات واتمها وابعدها من الاصل في بعض الخصائص والسمات ، اي ان اللغة العربية من اقدم اللغات السامية واحدثها كما تدل على ذلك المقارنات التاريخية للغات السامية ، اذ احتفظت اللغة العربية ببعض الظواهر اللغوية القديمة التي كانت الجماعات البدوية الاولى تتكلم بها ايام ان كانت تعيش عيشتها البدوية في شبه الجزيرة العربية كاحتفاظ تلك اللغة باكثر الحروف والضمائر ، وغير ذلك من السمات البدوية الاخرى التي ما زلنا نراها في كثير من اللهجات العربية القديمة والحديثة ، وكذلك الاعراب ، وان كانت اللغة العربية قد اكملته وصقلته ، وبلغت به حد الكمال والاتقان ، وذلك لانها تميل الى التحديد والتمييز والتفريق بين المعاني المختلفة للكلمة مثل اعراب الخبر والمضاف والتمييز الذي تضمنته بعد الاعداد من احد عشر الى تسعة وتسعين . واحتفظت اللغة العربية ببعض الخصائص والسمات التي توجد بذورها في اللغات السامية الاولى ، وقد تعهدت تلك اللغة نمو تلك البذور واكملتها وصقلتها ، وبلغت بها حد الكمال والاتقان مثل التعريف والتنكير والاسماء الممنوعة من الصرف ، والاكثار من الحروف والرواسم للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الاسمية والفعلية ، ووضعت اللغة العربية القواعد الدقيقة للاستثناء ، واكثرت من حروفه التي فرقت بينها في بعض الاحيان وتفننت في الاشتقاقات الصرفية وتوسعت فيها اكثر من اي امة من الامم السامية الاخرى . وكان العرب يميلون الى الاكثار من الصيغ والتفنن فيها ، ويشاهد الباحث ذلك في صيغ جموع التكسير المتعددة التي لانجد غير بعضها في اللهجات العربية الجاهلية المكتوبة ، وفي اللغات اليمنية وفي الحبشية ، وغير ذلك من الظواهر اللغوية التي تدل المقارنات التاريخية للغات السامية على ان تلك الخصائص قد خرجت من جماعات ذات وعي لغوي ممتاز ، صقلته وكونته حضارات وثقافات مختلفة .

خليل يحيى نامي

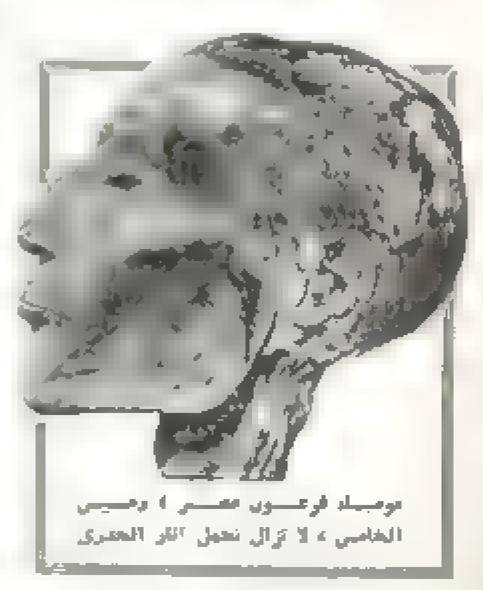


الأسرة

الجدري ما قصته ؟

● في العدد الماضي ذكرتم تحت عنوان « مرض الجدري يصيب في الحلق » بحثا عن مجهود منظمة الصحة العالمية في استئصال هذا الداء ، وذكرتم ان لهذا الداء قصصا درامية سيئة تتصل بالوفاة من هذا الداء وهي تاريخ للطب عظيم ، ولكنها اعظم في الدلالة على تحرر الانسان من جهود تلك العروق السابقة كيف كان . فهل لنا في شيء من هذه القصص ، ولو في ايجاز ؟

ـ اما عن تاريخ الجدري فهو مرض قديم عرف حتى في مصر القديمة ، وفي الصين القديمة . عرفه الشرق والغرب في قدمه وحدثه . واصاب السوقة والملوك ، ولم يفرق بينهما . واكتشفت امريكا ، وسكانها الاوائل ، وذهب الداء اليهم حيث ذهبوا ، ونزل بهم وقضى على الالوف .



مومياء فرعون مصر ، رمسيس الخامس ، لا تزال تحمل آثار الجدري

وعرفه بالطبع العرب ، حتى في الجاهلية . ولم لا ، اني ازعم ان الداءات قديمة قدم الانسان . وابو بكر الرازي ، طبيب العرب ، عرف الجدري ، ولعله اول من وصفه حيث قال : ان اظهر اعراضه آلام في الظهر ، واحتباح في الانف ، وحمى ، واحمرار في الخدين والعينين ، وسعال ، وبياض فوق اللسان ، ونوبان نفس ، وصداع راس ، وقلق وضيق . والبثور الصغيرة المتقيحة تتصل بعضها ببعض .

ومن الامثلة على الجدري الذي كان منتشرا بين العرب ، جدري الشاعر بشار ، وجدري المعري ومعه العمى ، وكثيرا ما يصحب الجدري العمى .

فهذه اول قصة .

اما القصة الثانية فقصة سفيرة انجلترا في اسلامبول ، عاصمة الترك ، وقد وقعت هذه القصة في اوائل القرن [illegible]



امرأتان كبيرتان تمارسان تحصين الناس ضد الجدري ، وذلك باعطاء الاصحاء المرض خبيثا بحك جلد ذراعهم بالقيح المأخوذ من بثور المرض وهي متقيحة ، بعد عرف عندئذ ، في الهند والصين وفي الشرق اجمع ، ان الذي يصاب بهذا المرض مرة ، لا يصاب به مرة أخرى .

واطلعت على ما تصنع المرأتان المحوران اللادي ماري منتاجيو Lady Mary Montagu زوجة السفير البريطاني في العاصمة التركية،وأثرها ما تصنعان، وامحصها النتائج الحاصلة ، وتعلمت منهما كيف تصنعان .

وعادت الى انجلترا وعام ١٧١٨ وهي متحمسة للطريقة الجديدة التي تقي من الداء . وفي عام ١٧٢١ طعمت بالقيح ابنها امام أطباء القصر الملكي ، فكان لهذا احدث رجة في البلاد .

فهذه هي القصة الثانية .



اللادي ماري منتاجيو . زوجة سفير بريطانيا في تركيا ، وهي منها عادت عام ١٧١٨ ومعها طريقة التحصين ضد الجدري . حصنت بها ابنها امام اطباء القصر الملكي

اما القصة الثالثة فصاحبها الطبيب الانجليزي الشاب جنر Jenner (١٧٤٩ – ١٨٢٣ م) .

جاءته في نحو عام ١٧٧٠ ، وهو لا يزال يتلمذ الطب في بلدة بركلي الصغيرة على عادة ذلك الزمان ، فتاة من الريف مستشيرة في امر لها . وسألها : هل سبق لك ان مرضت بمرض تذكرينه . قالت : نعم ، مرضت ، اصابني جدري البقر . وهذا شيء قد ارتحت له ، لانه يحمي من الاصابة بجدري الانسان .

ووقف جنر عند هذه الجملة : جدري البقر ، يحمي من جدري الانسان !

وكان قد حان وقت ذهابه الى لندن ليتم تدربه في احدى المستشفيات ليستقل بعد ذلك في ممارسة الطب ، ونزل عند الجراح الشهير جون هنتر Hunter ، وأفضى له بما خاله من ان جدري البقر يقي من جدري الناس ، وانهما لا بد بينهما قرابة ما . ولكن الجراح الكبير والمشرح العظيم لم يلق لنظرية جنر باله .

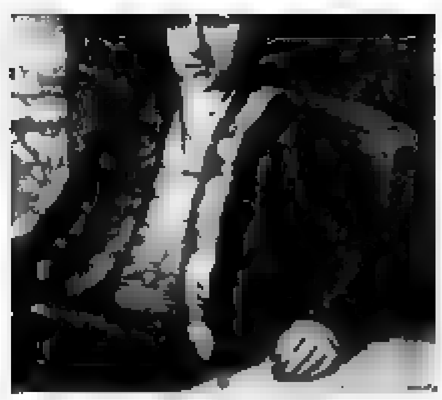
وراح جنر ، الى جانب تدريبه ودراسته ، يدرس جدري البقر .

احب التفاح

● انا احب التفاح ، وآكل تفاحة بعد كل وجبة من طعام ، وقد آكل اربع تفاحات في اليوم ، فهل في هذا ضرر ؟

ـ بالطبع لا ضرر ، ولو صارت هذه الاربع اربع عشرة ، ولكن الواجب عليك ان تذكري ما في التفاحة الواحدة من اصول طعام . ان بها شيئا غير قليل من الكربوايدراتات (نشويات وسكريات) ، كما يتضح مما يلي :

٥ جرامات من الكربوايدراتات توجد



الدكتور جينر ، صاحب تطعيم الجدري

واتضح له أنه نوعان ، نوع منهمــا هو الأشبه بجدري الإنسان .

وفي ١٤ مايو عام ١٧٩٦ لقح صبيــا ذا ٨ سنوات بقيح جدري البقر هكذا . جرحه في ذراعه جرحين، ومسهما بالقيح. ولم يحدث للولد شيء في الأيام الأولى . وفي ــــدأ الحد ، حيث كان الجرح يتورم ويحمر ، ثم يتقيح . وفي اليـوم التالي كانت الحمى ، ومعها الصـداع ، وظهـــر المرض على الصبي . ونام ، ليستيقظ في الصباح وقد صح .

ويمضي شهران . ثم في يوليه يقــوم جنر بتلقيح هذا الصبي بقيح مأخوذ من مرضى بجدري أصابهم . إن هــذه التواريخ لأخطر ألف مرة من تواريخ تولي ملوك حكما ، أو انتصار جيش عـلى جيش .

ويصيب جنر القلق من جراء مــا صنع بالصبي . ويقوم الليل بتفحصه . لا شيء . ويمضي يوم ويوم، وإذا الصبي معافى . لم تظهر عليـه أعراض المرض قط .

نجحت التجربة الكبرى

كان نجاحها نتيجة يقظة ذهن ومزاج علمي . لقد عرف الناس قبل جنر أن الجـدري البقري يأتي الناس عفوا ، يشفي من الجدري الإنساني .

ولم يخطر لأحد ، غير جنر ، أن يحمل من هذا « العفو » ، عمدا ، أن يقـوم هو بإعطاء الناس الجدري البقري ليقيهم من الجدري الإنساني .

وفي عام ١٧٩٦ كتب رسالته الخالدة .

وقابلها العالم الطبي في لندن ببرود . وقامت الجماهير تعارض . ورجال الدين راحوا يقولون إن هذه مؤامرة مصنوعة في معارضة السنن الطبيعية التي سنها الله .

ويقوم طبيبان عالمان ، لهما احتـرام في لنـــدن ، بإعادة التجربة ، وتنجح ، ويعلنان ذلك في جمهور الأطباء .

وأوروبا رويدا تعرف الصحة عـــند جنر ، وينتشر لقاحه .

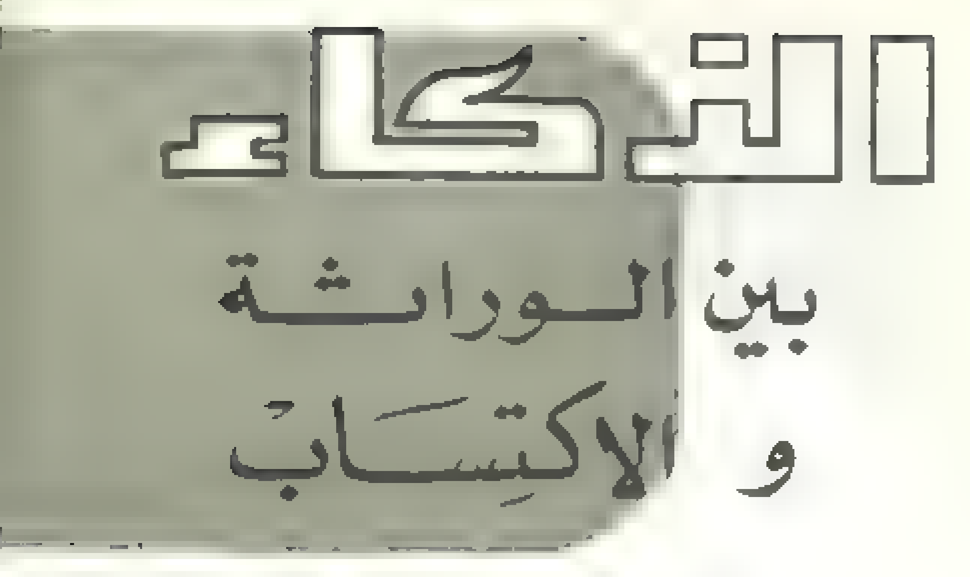
ويأسر الفرنسيــون مــن الجيش البريطاني ما يأسرون . ويجيء خطاب إلى نابليون يرجوه الإفراج عـن أسير إنجليزي خاص ، فيهم برفض الطلب . وإذا بزوجتــه جوزفين تقول له ولكن الخطاب من « جنر » !! وإذ يســمع نابليون ذلك يقول : إذن فأطلقوه ، فنحن لا نستطيع أن نرد لجنر رجاء .

في :

٥٤ جراما من التفاح بقشره
٤٢ جراما من التفاح المقشور
١١٤ جراما من التفاح المغلي بالماء (قبل أن يضاف إليه السكر)

وهذا يؤثر على وزن جسمك لا سيما إذا اطرد أكلك التفاح كل يوم .

ومع هذا تستطيعين أن تنقصي من سائر طعامك ، ما يعادل ما تتعاطين من السكريات في التفاح . ومع هذا فالتفاح طعام يشتهى .



بقلم : الدكتور فاخر عاقل

استاذ في الجامعة الاردنية

● من الامور التي شغلت اذهان علماء الوراثة وعلماء النفس ، السؤال عما اذا كان الذكاء وراثيا ام كسبيا ؟! وبتعبير آخر السؤال عما اذا كان الانسان يولد بقدر محدود من الذكاء لا يستطيع تجاوزه مهما احسنت تربيته واتيحت له فرص الاكتساب والتعلم ؟ ام ان حسن التربية وغنى البيئة وفرص التعلم قادرة على زيادة ذكاء الانسان نفسه وتنمية قدراته العقلية وقابلياته الذهنية ؟!

الوراثة والمحيط

وقبل ان احاول الاجابة عن هذا السؤال احب ان اذكر مجمل ما سبق ان ذكرته في عدد سابق من هذه المجلة الغراء عن حدود عمل الوراثة والمحيط . فلقد اشرت الى انه من الصعب جدا — ان لم يكن من المستحيل — ان نعرف تفريقا قاطعا بين اثر الوراثة والمحيط اللذين يعملان متكاملين متكافئين . ولقد اشرت الى ان مبادىء الوراثة الاساسية ثلاثة وهي :

١ — ولادة الامثال : ونعني به ان المخلوق ميال لان يلد امثاله ، فأبناء الطوال طوال او على الاقل متوسطون ، وابناء الاذكياء اذكياء او على الاقل ميالون للذكاء وهكذا بالنسبة لعدد عديد من الصفات .

٢ — الاختلاف : ومؤداه انه بالرغم من ان المخلوقات ميالة لولادة اشباهها فان ثمة اختلافا بينا يحدث فيما بينها فالطوال قد يلدون القصار ، والاذكياء قد يلدون الاغبياء وهكذا .

٣ — التراجع : والمقصود به ان الطبيعة ميالة للتوسط فأبناء الطوال جدا يكونون عادة اقصر من آبائهم واولاد القصار يكونون في المألوف اطول من والديهم ، وابناء الاذكياء يكونون في الاعم الاغلب اقل ذكاء من والديهم وهكذا . . . وهم جميعا يقتربون الى الوسط ويميلون اليه ، حتى



لناس بالطبيعة تكره التباعد وتميل الى التقريب بين المخلوقات التي تنتمي الى نوع واحد .

واذن فالذكاء يورث ، وابناء الذكي والذكية أميل الى الذكاء ، وان كانوا في المعتاد اقل ذكاء من والديهم . ولكن الانسان يولد في محيط او محيطات ويعيش في مجتمع او مجتمعات . فما هو اثر هذا المحيط وعوامله في ذكاء الانسان ؟ وهل تستطيع قوى المحيط ، ولا سيما التربية وعواملها ، ان تزيد او تنقص من ذكاء الانسان ؟ أم ان [illegible] [illegible] [illegible]

طبيعة الذكاء

للعلماء في طبيعة الذكاء [illegible] [illegible]

١ ـ النظريات البيولوجية

٢ ـ النظريات السيكولوجية

٣ ـ النظريات التكاملية

٤ ـ النظريات الثنائية

واذا كان المجال لا يتسع لشرح هذه النظريات وتفصيلها(١)، فلا أقل من ان اشير اشارات سريعة للنظريات الثلاث الاولى لاقف وقفة اطول عند النظرية الاخيرة .

اما النظريات البيولوجية فهي نظريات [illegible] ، واتباعهما مثل [illegible] [illegible] وسواهم ، وهي تبني الذكاء على اساس بيولوجي ، وتعرفه بانه (القدرة على الافادة من الخبرة ، ومواءمة المحيط والمرونة او القدرة على التعلم) . وهم يعتبرون الذكاء قدرة عامة وموروثة ،

[illegible] (اعرف نفسك) عن [illegible]

ويرون ان القدرات الاكثر تخصصا تميزت بالتدريج او نجمت من القدرة التكيفية العامة خلال تطور كل من الانواع ونمو الفرد معا .

واما النظريات السيكولوجية فتركز اهتمامها على الوظائف الادراكية التي تميز الانسان عن سواه من المخلوقات ولا تهتم بتطور الذكاء في العالم الحيواني . وقد قال العلماء المؤمنون بهذه النظريات بعدد من القدرات اعتبروها جوهر الذكاء من مثل القدرة على حل المشاكل، او القدرة على التفكير المجرد او غيرهما . وقال بعضهم بان الذكاء قدرة مركبة من عدد من القدرات . وعمل (سبيرمان) الانكليزي على تحليل هذه القدرة العامة الى قدرات خاصة واخرى طائفية ، واشار الى ان هذه القدرات الطائفية اقل عمومية من القدرة العامة ، واقل خصوصية من القدرات الخاصة . وهكذا تكون القدرة اللغوية مثلا قدرة طائفية ، والموهبة الشعرية قدرة خاصة تنبع جميعها من القدرة العامة والذكاء . وعلى ضوء هذه الدراسات عرف العالم الانكليزي (بيرت) الذكاء بانه القدرة على التفكير في العلاقات تفكيرا سائبا موجها نحو هدف وهو يميز بين هذه القدرة وبين مجرد الحصول على معلومات او مهارات .

واما النظريات التعاملية فقد حاولت تجنب البحث في مشكلة طبيعة الذكاء بان قالت (ان الذكاء هو ما تقيسه مقاييس الذكاء) . وواضح ان هذا النوع من النظريات لا يعمل اكثر من تجنب المشكلة على طريقة تفسير الماء بالماء ، ناسيا ان واضعي مقاييس الذكاء لم يكونوا ليضعوها على هذا الشكل او ذاك لو لم تكن لهم نظرياتهم عن الذكاء وطبيعته .

واخيرا ظهرت النظريات النمائية التي تعتبر بحق اقرب النظريات الى الصحة واكثرها توفيقا في تفسير طبيعة الذكاء .

واشهر القائلين بهذه النظريات عالمان، احدهما اميركي اسمه (هب Hebb) ، والاخر سويسري افرنسي اسمه (بياجه Piaget) . وبالرغم من ان معالجتهما للموضوع مختلفة جدا ، وذلك على اعتبار ان (هب) ينصرف جل اهتمامه الى سيكولوجية الحيوان ونيوروولوجيا الدماغ ، وان (بياجه) يهتم اكثر ما يهتم بسيكولوجية الطفل والمنطق الصوري ، فان النتائج التي توصل اليها كل منهما متشابهة متوائمة بشكل ملحوظ .

ويهتم العالمان باظهار كيفية توصل الطفل ــ الذي يكون شعوره في البداية غير متميز اطلاقا ــ الى ادراك عالم من الاشياء منفصل عن ذاته ، ذلك بان اشكال الادراك والتفكير التي نحملها نحن الراشدين بصورة آلية تجعلنا نظن انها جزء من الترتيب الطبيعي للاشياء ، في حين ان هذه الاشكال من التفكير والادراك يحصل عليها الطفل بطرائق معقدة منذ الطفولة الباكرة،ولكل شكل يحصل عليه الطفل قصة طويلة .

نظرية هب

ويرى (هب) ان خبرات الطفل في السنة الاولى من عمره تعود الى تكوين تجمعات من الخلايا العصبية في المناطق الاقترانية من دماغه ، كما يرى ان تكوين الافكار (اي الادراك) يشتمل على فاعلية مستقلة او تفريغ عصبي ضمن هذه الخلايا العصبية . وهو يسمي هذه الفعلية (انتظاما لوجوه الامر المختلفة) او اتحادا لمخطط عصبي Scheme هو نوع من النمط او الاطار الذي تنتظم فيه كل خبرة الطفل الماضية اللازمة للفكرة (او المفهوم) . ويكون هذا الانتظام بشكل يجعل كل انطباع جديد يدخل الشعور موسوقا بكل ما جرى من قبل .

وكذلك يرى (هب) انه يجب الحصول على المخططات العقلية في الزمن المناسب اذا اريد للنمو العقلي الارقى ان يكون ممكنا . كما يرى ان هذه

المخططات تعتمد في تكوينها على الاحساسات ــ ولا سيما البصرية والسمعية واللمسية ــ الواسعة والمتنوعة ، اذ ان الطفل ــ او الحيوان ــ يحتاج الي التعرف على البيئة والعية الحجوم والاشكال والعلاقات الزمانية والمكانية وذلك بغية التعرف على كيفية حدوث الامور في العالم . ولا بد لذلك كله من كل من الاطمئنان والحرية .

وهو يرى بعد ذلك ان هذه المخططات العقلية هي الاسس اللازمة للاستمرار في التعلم المتقدم الذى يستطيعه الانسان اكثر من الحيوان . وعلى هذا فمن المحتمل جدا ان يكون فقد الخبرات الادراكية الباكرةاو عدم توفر الاطمئنان العاطفي والحرية ، مؤثرات سيئة في النمو العقلي للطفل ، ولعلها السبب في الفروق الذكائية بين ابناء الطبقات المختلفة .

هذا وسطم المخططات الادراكية الباكرة في مخططات اعلى مرتبة (اى افكار ومفاهيم) تعمل بحرية اكثر في المناطق الاقترانية الدماغية حتى تصبح مستقلة عن الخلايا العصبية الخاصة ، او الممرات الدماغية المعينة ، ولذلك فهي لا تتأثر كثيرا بالاصابات التي تصيب الدماغ حتى ولو كانت اصابات خطيرة ، علما بأن القدرة على بناء مخططات عقلية جديدة كل الجدة لا بد ان تظهر عليها علامات واضحة من العجز في مثل هذه الحالات ، حالات الاصابات الدماغية .

وللعالم (هب) مساهمة اهم وهي تعريفه بين نوعين من الذكاء ــ الذكاء (أ) : ويقصد به الذكاء الوراثي بصورة كاملة ــ والذكاء (ب) : ويقصد به الكفاءة العقلية الحاضرة . والذكاء الاول يمثل في راى (هب) كفاءة الجملة العصبية من تكوين المخططات والاحتفاظ بها وتمازجها ، وهو في المدى البعيد تحدده الوراثة والموروثات (الجينات) . اما النوع الثاني فيمثل القابليات العقلية التي سببت اثناء الحداثة والطفولة والذى لا يمكن ان ينمو الا في اثارة محيطة مناسبة .

وفي راى (هب) ان الذكاء (أ) افتراضي فقط وذلك لاننا نعجز عن ملاحظته او قياسه بصورة مباشرة وان كان ثمة دلائل قوية على وجوده . ومعنى هذا ان الذكاء الذى تقيسه مقاييس الذكاء يجب الا يعتبر قابلية موروثة بصورة محضة وهو قول ــ فيما ارى ــ صحيح كل الصحة .

نظرية بياجيه

اما (بياجيه) فقد وصف كيفية انبثاق التفكير والصور من سلوك المحاولة والخطأ الظاهر ، فابن السنتين مثلا ، الراغب في الوصول الى لعبة موضوعة على رف عال ، بدأ باحتصار اصابعه ، فهو عوضا عن ان يأتي الى الرف ويحاول الحصول على اللعبة فيعجز ويعمد الى كرسي يعتليه ، انه بدلا من ذلك ينفذ المراحل الاولى بصورة فكرية وحينئذ يذهب الى الكرسي مباشرة فيحمله ويعتليه . ومعنى ذلك انه حصل على مخطط عقلي يناسب الوضع المشكل . وخلال السنة الثانية من عمره وما يليها تلعب اللغة دورا متزايد الاهمية في تكوين مخططاته العقلية .

اولا : انها تساعد الطفل على تصنيف ادراكاته وتثبيتها . فالاشياء والاحداث تصبح لها هوية وتميز حين تعطي اسماء متمايزة .

ثانيا : الكلمات رموز للمفاهيم اى لمجموعات الاشياء والاعمال ، فاذا قالت الام للطفل .

« هذا خطر فلا تلمسه » استطاع الطفل في السريع العاجل ان يتصرف التصرف المناسب وذلك على اساس من المخططات التي كان قد اكتسبها في سياقات مختلفة .

ثالثا : يستعمل المجتمع اللغة لنقل ادراكاته من العالم الى اجياله اللاحقة .

رابعا : تعرف اللغة بأنها مجموعة من القواعد لقول امور لم يسبق ان قيلت من قبل . ومثل ذلك استعمال الطفل مجموعة من الكلمات والقواعد في كتابة وظيفة انشاء مستعملا مخططات مكررة ومعروفة كان قد اكتسبها من قبل ولكنه ركبها بطريقة جديدة خاصة .

ومن الواضح — رغم امكان حدوث التفكير دون استعمال كلمات — ان التفكير الذكي لا يمكن ان ينمو الا في سياق اجتماعي حيث يساعد الراشدون والاطفال الاكبر سنا الطفل الاصغر (في البيت او سواه) على انماء حصيلته من الافكار والمفاهيم وايضاح الصلة بينها عن طريق الكلام .

أضف الى ذلك ان الخبرات العقلية المبدعة عند الكاتب او العالم او الفنان انما تنتقل عن طريق الرموز اللغوية او العددية او سواها ، ولذلك كان من الصعب جدا ان ينمو الذكاء بدون اللغة التي يكتسبها الطفل من مجتمعه الذي يربى فيه . واذن فالذكاء ونموه متوقفان على المجتمع الى حد كبير .

هذا ويصر (بياجيه) على ان الذكاء ليس ملكة واحدة متميزة ، بل هو موجود في كل العمليات التكيفية عند الحيوانات الدنيا والاطفال الصغار والراشدين الكبار . ويتزايد ذكاء السلوك بصورة تدريجية بازدياد تعقد الصلات المتبادلة بين العضوية ومحيطها . وهو في هذا — كما هو واضح — يتفق مع (هب) تمام الاتفاق .

وفي رأي (بياجيه) ان الطفل في السني الباكرة يحصر سلوكه — في معظم الاحيان — في الاستجابات الحسية المباشرة لمثيرات المحيط ، وهي تكيفات وحيدة الاتجاه وغير مرنة (اي غير ذكية) ، اما في المراحل المتقدمة من العمر حيث يتجلى التفكير المنطقي المجرد ليتصف تفكير الانسان بالمرونة والحركة اي في القدرة على الانتقال الى المواقف الجديدة وسهولة تقليب الافكار والرجوع الى الخبرة الماضية والانتقال منها الى الوضع الحاضر .

وفيما بين هاتين المرحلتين — الحسية والمنطقية — تقوم مرحلة يكون اليافع فيها متمركزا حول ذاته Egocentric وتكون مفاهيمه فيها عن الزمان والمكان والسببية والاخلاقية غير عقلية ولا ثابتة وانما حدسية متصلة بحاجاته الشخصية واهتماماته الذاتية . وفي هذه المرحلة ينسب الطفل الروح الى الجمادات ويعتبر ان الاشياء الحادثة معا يسبب بعضها بعضا . ويتم محاكاة الطفل في هذه المرحلة بالمماثلة وهو يتسامح في التناقضات .

والواقع ان الكثيرين من علماء النفس لا يوافقون (بياجيه) فيما يختص المرور بهذه المراحل المحدودة من النمو الفكري ، والذي اعتقده انه اذا كان لا بد من وجود مثل هذه المراحل فهي اوثق اتصالا بالعمر العقلي منها بالعمر الزمني .

والخلاصة

تلك هي خلاصة تفكير العلماء فيما يختص وراثية الذكاء او كسبه والذي يبدو لي ان الاتجاه الاخير — الاتجاه الثاني — هو الاقرب الى الصحة . والحق ان جمهرة علماء النفس اليوم اميل الى الاخذ به والاعتقاد بان ما قاله (هب) و (بياجيه) يكمل احدهما الآخر ويجعل من الذكاء قدرة موروثة في اصلها ولكنها قابلة للنمو والتطور ، وان نموها انما يتم في سياق اجتماعي ، وان المجتمع الاغنى والاقدر على تحدي الطفل هو المجتمع الاصلح لنمو الذكاء وتزايده ، وان اللغة بالذات تلعب في هذا دورا اساسيا .

فاخر عاقل



بقلم : أنيس الخوري المقدسي

استاذ اللغة العربية وآدابها بالجامعة الاميركية (سابقا) بيروت

■ ان الذي يلقي نظرة عامة على تاريخنا الادبي وما ظهر فيه جيلا بعد جيل من نزعات روحية ، يرى صورا شتى تنعكس عن حياة المجتمع العربي عبر الاجيال . ففي ما وصل الينا من شعر الجاهلية مثلا – برغم الشك في كثير منه – اشارات غير قليلة الى ما كان لهم في ذلك العهد من معتقدات وعبادات .

الالهي من شعر الجاهلية

منها الهيّ مصدره الكتب السماوية كقول النابغة الذبياني في ملوك بني غسان .

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم
من الجود والأحلام غير عوازب

محلتهم ذات الإله ودينهم
قويم فما يرجون غير العواقب

وقول ورقة بن نوفل ، وكان قد ترك عبادة الأوثان .

سبحان ذي العرش سبحانا نعوذ به
وقبل قد سبّح الجوديّ والجمد

مسخر كل ما تحت السماء له
لا ينبغي أن يناوي ملكه أحد

لا شيء مما نرى تبقى بشاشته
يبقى الإله ويودي المال والولد

الوثني من شعر الجاهلية

ومنها وثني وهو يرجع الى ما كان يدين به السواد الاكبر من عرب الجاهلية وما كانوا يمارسونه من عادات وتقاليد . ولم يكن اسم الله مجهولا بين هؤلاء العرب ولكن ديانتهم لم تكن الهيئة كديانة اهل الكتاب ، فهم عباد اصنام ، وليس في معتقداتهم ما يدل على توقعهم حياة ثانية بعد الموت وموقفا يحاسبون فيه على اعمالهم . وقد اشار القرآن الى ذلك كما ورد في سورة الواقعة : « وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون . أو آباؤنا الأولون » . وفي سورة الاسراء

ـ « وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا » . فلا عجب أن ينسب الى بعضهم قوله

يخبرنا الرسول بأن سنحيا
وكيف حياة أصداء وهام

ومهما كان الروحي من تدينهم على اختلاف مصادره فانه لم يصل الى درجة التفكير الروحي العميق أو التأمل الفكري المنظم ، وانما هو بعض خواطر أولية ولمحات عاطفية تمس مسا سطحيا ما كانوا عليه من معتقدات وعادات .

الروحية في ظل الاسلام

فلما جاء الاسلام قضى على هذه النزعة البدوية المادية واحل محلها في نفوسهم الايمان بالله وبالآخرة وحب الجهاد في سبيلهما . وما كادت تنقضي فترة الفتوح في القرنين الأولين حتى كان الأدب العربي قد تطور تطورا بينا . فظهرت في الشعر حركات فكرية وروحية ، منها ما يرجع الى صميم الرسالة الدينية التي حملها اليهم الايمان الجديد كالزهد في الحياة الفانية والتوق الى الحياة الباقية . ومنها ما تأثر بعوامل خارجية كالذي نراه في التخيلات الصوفية والتأملات الفلسفية . واشهر الامثلة على الشعر الزهدي ، ديوانان ، أحدهما لأبي العتاهية في القرن الثاني للهجرة ، والثاني للمعري في القرن الخامس .

زهديات أبي العتاهية

فمن زهدياته الأول قوله

رجعت الى نفسي بفكري لعلها
تفارق ما قد غرّها وأذلها
فقلت لها يا نفس ما كنت أهلها
من الأرض لو أصبحت أملك كلها
فهل هي إلا ضمة بعد جوعة
وإلا منى قد حان لي أن أملها

وقوله :

لدوا للموت وابنوا للخراب
فكلكم يصير الى تباب
لمن يبني ونحن الى تراب
نصير كما خلقنا من تراب
ألا يا موت لم أر منك بدا
أتيت وما تحيف وما تحابي
ومرجع كل ذي عمل وسعي
بما أسدى غداة دار الثواب
هما أمران يوضح عنهما لي
كتابي حين انظر في كتابي
فإما أن أخلد في نعيم
وإما أن أخلد في عذاب

وكل ديوانه على هذا النسق من الوقوف لدى القبور وعظة الناس بالاعراض عن الدنيا تنبيها بهم الى طلب الآخرة . وسواء أكان صادقا في زهده أم لم يكن فقد عبر عنه بشعر عذب الألفاظ سائغ المعاني لطيف الايقاع .

وأبو العلاء المعري

أما شعر المعري في لزومياته فمعظمه تلك الفلسفة السائدة في مجتمعه كقوله :

قد فاضت الدنيا بأدناسها
على براياها وأجناسها
وكل حي فوقها ظالم
وما بها أظلم من ناسها

وهو على تشاؤمه الشديد وما قد يخامره أحيانا من شك في الحياة وما بعدها ، وعلى انكاره للتقاليد الزائفة والحمل على أصحابها وعلى الذين يستغلونها لأغراضهم ، هو ذو ايمان بالله وبالمبادئ الالهية العليا حريص على الدعوة اليها .

ما الخير صوم يذوب الصائمون له
ولا صلاة ولا صوف على الجسد
وانما هو ترك الشر مطرحا
ونفضك الصدر من غل ومن حسد

ظل المعري في الدنيا بين الزاهد الحقيقي وعاش فيها عيشا كقوله :

لو أن كل نفوس الناس رائية
كرأي نفسي تناءت عن خزاياها
وعطلوا هذه الدنيا فما ولدوا
ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها

على أنه وان كانت نفسه قد تعالت عن حطام الدنيا فلزم منزله متقشفا قانعا بالقليل من القليل، فان ذلك لم يمنعه عن مواصلة خدمته الأدبية والروحية لمجتمعه .

والشعر الصوفي بلغ غايته ابن الفارض

ولا يتسع المقام الآن للبحث في الحركة الصوفية

— كيف ظهرت وكيف تطورت — يكفي أن نقول إن الشعر الصوفي بلغ غايته في ديوان ابن الفارض ، ولا سيما تائيته الكبرى . وهذه التائية تقتضي دراستها مقالاً خاصاً فنجتزئ منها بالمثل التالي مشيراً الى حقيقة الحقائق التي تتجلى بمظاهر مختلفة في الوجود . هذه الحقيقة التي — في رأي الصوفيين — لا تدرك إلا إذا انفصل الإنسان عن ذاتيه الفردية وامّحى في الوجود الالهي الشامل . وفي هذا الاتحاد يصحو الى كمال الصحو والمعرفة إذ يصبح هو والله واحداً — ذاته هي ذات الله —

ففي الصحو بعد المحو لم أكُ غيرها
وذاتي بذاتي إذ تحلّت تجلّت
فكل الذي شاهدته فعل واحد
بمفرده لكن بحجب الأكنّة
إذا ما أزال السترَ لم ترَ غيره
ولم يبق بالأشكال إشكال ريبة

وهكذا يشطح به الخيال الى أن يقول :

فأتلو علوم الأولين بلفظة
وأحضر مني أمامي بلحظة
وأستعرض الآفاق نحوي بنظرة
وأخترق السبع الطباق بخطرة
فمن قال أو من طال أو صال إنما
يمتّ بإمدادي له برقيقة
وما سار فوق الماء أو طار في الهوا
أو اقتحم النيران إلا بهمّتي

وللشعر الصوفي قطبان يعيش الشاعر في حالة سكر بينهما . هما الحب والجمال ، فالحب هو ذلك الوجه الروحي الذي يتسامى بالإنسان نحو جمال الذات الالهية فيشغله عن كل شيء في الوجود .

ولي حينما بتّ الصبابة بالخفا
ضلالاً وعقلي من هداي به عقلي
فقلت لرشدي والتنسّك والتقى
تخلّوا ، وما بيني وبين الهوى خلّوا

ويا لها من سكرة يغيب بها عن مشاهدة الخلق ولكنها عند الصوفي . . .

تهذّب أخلاق الندامى فيهتدي
بها لطريق العزم من لا عزم له
وفي سكرة منها ولو عمر ساعة
ترى الدهر عبداً طائعاً ولك الحكم

الحب — الجمال — التعلق بالحقيقة العليا — الاتحاد بذات الله . هذي هي النزعة الصوفية التي أسمعتنا في عهد من العهود أنغامها العذبة الشجية .

النزعة الفلسفية عند ابن سينا

وإذا التفتنا الى النزعة الفلسفية في شعرنا القديم لا نجدها ذات نطاق واسع ، اللهمّ إلا إذا أدخلنا فيها توسعاً الأقوال الحكمية التي عرف بها بعض الشعراء كالمتنبي والمعري وأمثالهما . على أننا نقصد بها هنا ما يمسّ بعض المذاهب الفلسفية المنظمة . ولعل أفضل الأمثلة عليها قصيدة ابن سينا التي يصف بها النفس البشرية ، ومطلعها :

هبطتْ إليك من المحلّ الأرفع
ورقاءُ ذات تعزّز وتمنّع

فهو يشبه النفس بحمامة هبطت من الأعالي واستقرت في جسم الإنسان ، ويقول :

وصلتْ على كُره إليك وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجّع
أنفتْ وما ألفتْ ، فلما واصلت
ألفت مجاورة الخراب البلقع

والقصيدة معروفة يراجعها من شاء في (وفيات الأعيان) تحت ترجمة ابن سينا . وقد عارضها عدد من الشعراء . وفيها نلمس أثر الأفلاطونية الحديثة ونظراتها في طبيعة النفس البشرية ومصيرها .

وللمعري نفثات

وللمعري بعض نفثات فلسفية كقوله :

قد قيل إن الروح تأسف بعدما
تنأى عن الجسد الذي غنيت به
إن كان يصحبها الحجا فلعلها
تدري رزايا للزمان وقبحه
أو لا ، فكم هذيان قوم غابر
في الكتب ضاع مداده في كتبه

وله كثير غير ذلك . على أنه في مواقفه الفلسفية الغيبية يقف موقفاً مضطرباً — يحاول أن يجمع بين

العقل والنقل فيجمع في شيء من الترابط ، فرسالة مؤمن يتقشف في الكلام .

ومن الفلسفة الى نفثات ورع ديني

قلنا ان نطاق الشعر الفلسفي البحت كان ضيقا فلم يستمر طويلا . ويمكن ان نقول ايضا ان الشعر الصوفي لم يبق على طبيعته الاصيلة الا ليتحول مع الزمن الى نفثات ورع ديني — ورع قائم على ما جاءت به الرسل والانبياء وما اعلنته الكتب السماوية . وقد اكتسب منه ادبنا العربي ثروة من المنظومات العاطفية الجميلة . يحضرنا بالذكر منها تلك القصائد النبوية المعروفة «كبردة البوصيري (٦٩٥هـ) ومطلعها :

أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وبديعية صفي الدين الحلي التي تجمع ١٥٠ نوعا من البديع ومستهلها قوله .

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم
واقر السلام على عرب بذي سلم

ومنها

ما روعة وسنع الوسمي يروعها
يوما بأحسن من آثار سعيهم
لا عيب فيهم سوى ان النزيل بهم
يسلو عن الاهل والاوطان والحشم

ومثل هذه العواطف تتدفق من اقلام كثيرة في العصور المتأخرة .

ففي مطلع القرن الثامن مثلا يطالعنا ابن الجندي بقصيدته « توسلت بالمختار ارجى الوسائل » وتخميسه لهمزية البوصيري التي مطلعها :

كيف ترقى رقيك الانبياء
يا سماء ما طاولتها سماء

وفي صدر قرننا الحالي ينظم احمد شوقي « نهج البردة » معارضا بردة البوصيري فيقول :

ريم على القاع بين البان والعلم
احل سفك دمي في الاشهر الحرم

ومنها

يا لائمي في هواه والهوى قدر
لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم
لقد انلتك اذنا غير واعية
ورب منتصت والقلب في صمم

ولدى الجندي وشوقي شيء غير قليل من هذا القبيل . هذا عدا ما لا يحصى من الموشحات والاناشيد الدينية عند مختلف الملل والطوائف في اوطاننا العربية .

المشاحنات المذهبية بين الروحيين

ومما لا ينكر ان العهود السالفة شهدت كثيرا من الخصومات والمشاحنات المذهبية التي نشأت من الجهل والتعصب — او قل من عدم فهم لروح الدين — فكانت سببا في ذرع بذور الشقاق والتخاذل ، واحدثت الاضطرابات والقلاقل وتوليد الحقد والبغضاء .

ولكن ما كاد فجر قرننا الحالي ينبثق حتى سطع في عالمنا العربي نور جديد من العلم والحضارة كان له اثر فعال في تطور ادبه الروحي . فمنذ ذلك العهد او قبله بقليل اخذت النزعات القديمة تنكمش امام نظريات جديدة، وهكذا تحولت الافكار تدريجيا من التنازع الناجم عن اختلاف المذاهب الى التفاهم القائم على الايمان بالله واخوة الانسان . حتى ليندر اليوم ان تجد في البيئات الادبية الراقية من يحتكر الله ، او يجعل السعادة وقفا على نفسه دون سواه ، وكاد يزول ذلك العداء الروحي الذي طالما اجتاح الغرب والشرق على السواء ، فليس غريبا ان نسمع الكاتب المصري المشهور لطفي المنفلوطي يقول من فصل موضوعه « الانسانية »

« ان الانسانية مبدأ كل شيء ، فاذا ذهبت ذهب بذهابها كل شيء . فليس لصاحب دين من الاديان ان يقول لغيره ممن يدين بدين غير دينه انا غيرك فيجب ان اكون عدوك ، لان الانسانية وحدة لا تتكثر فيها ولا تغاير » .

ويعبر عن ذلك شاعر عراقي بقوله :

ان المذاهب كالزهور تنوعت
ولكل نوع نفحة وأداء
مهما تعددت الفروع بشكلها
فالحق فرد والاصول سواء

ولعل ذلك ما عناه ميخائيل نعيمة اذ يصور لنا في كتابه « المراحل » بوذا الهندي ولاوتسو الصيني ويسوع الناصري فيقول : « ثلاث منارات على شواطئ الوجود تستمد نورها من مصدر واحد وتنير سبيلا واحدا الى هدف واحد »

بل ذلك ما كان يقوله عبد الى الليل من دعاة التجديد الفكري في ادبنا الحديث .

وفي جدل اهل المذاهب قال احمد الصافي النجفي من ابيات :

كم تضيقون بالجدال ، دعونا
نستمع ما يقول باغي الحقيقة
جهلة سهل العلوم فابنوا بيوتا
جددا واهدموا البيوت العتيقة

وفي القرن الماضي نشر داروين مذهبه في كتابه اصل الانواع فاحدث في الغرب هزة فكرية عنيفة اشتد من جرائها النزاع بين الالهيين والطبيعيين. وما هي الا حقبة قصيرة من الزمن حتى طغت بالشرق العربي شرارة من ذلك النزاع ، احدثت في الادب بعض امواج من القلق الروحي. ومن الطبيعي في مثل هذه الحال ان يقف الشعر احيانا موقف الاسى لشعوره بالعجز عن ادراك الحقيقة فنسمع فيه مثل قول ندرة حداد يخاطب زهرة قد ذبلت ازهارها .

اني غبطتك بالذبول كما غبطتك زاهية
تترعرعين ولن تبالي مع الطبيعة ثانية
اما انا ما زلت اجهل ما يحل بنا بيه
لا العقل ارشدني ولا كتب الديانة راقية

او موقف الشوق الى ادراك المجهول — فنسمع فدوى طوقان تناجي « في الليل اذ يهبط مدرج الظلام » . —

ما انت يا من في ظلال الليالي
حسبته سره خفايا الوجود
في الارض في الاثير في اللاوجود
في قلب قلبي في سماواتي
في روح روحي في مدى ذاتي
هلا توضحت لاعماقي
هلا تجسدت لاحساسي
هلا ، ولكن ليه ! هيهات
انت شغل الغيب لا تنجلي
يا لغز يا حقيقة كالخيال

على انه من الانصاف ان نعرف ان الشعر الحديث مع ما يسوده احيانا من قلق وشك وعمى لم يزل مؤمنا بالقيم الروحية ، ناظرا الى ما فوق المادة في الحياة ، ومع موالاته لناموس الكون المتطور لم يهبط بعد الى دركة الالحاد بل ينحني خاشعا امام القوة الازلية التي يعجز عن ادراك اسرارها .

وهو فوق كل ذلك رمز يقبل الواقع. فليست تسوده نقمة ابي العلاء على الناس فيجاريه اذ يقول :

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن
الا وعندي من اخبارهم خبر
يخبر العقل ان القوم ما كرموا
ولا اطابوا ولا خابوا ولا عسروا

بيد ان رضاه غير رضى الاستكانة والتواني ولا رضى التزهد المتأني ، ولا رضى الضعيف المستسلم للاقدار ، والباكي لدى حوادث الايام ، بل هو ذلك الرضى المنبعث عن شجاعة معنوية كالتي يصورها ايليا ابو ماضي اذ يقول لنفسه وللناس :

ابتسم كالورد في فجر الصباح
وابسمي كالنجم ان جن المساء
واذا ما كفن الثلج الثرى
واذا ما ستر الغيم السماء
فاخلعي بالصيف ثم ابتسمي
تبقى حولك زهرا وشذى ؛
واذا صيرت نورسا أنيسا
تجني الاعداء ، تشركي بالعطاء
واذا ابى الدهر ان تعطي الغنى
فاعرفي انك تعطي الرجاء

هذه الشجاعة المعنوية التي تابى ان تضيق الحياة سجونا وقيودا واستسلاما ، ولا ترى الجمال الحقيقي الا في السير المطرد نحو الافضل ، وهي التي يسميها ابو القاسم الشابي « ارادة الحياة » فيقول .

اذا طمحت للحياة النفوس
فلا بد ان يستجيب القدر

وبها يبشر ايضا جبران خليل جبران اذ يصيح « فلنتمرد على كل ما يجعلنا عاجزين ، ولنسر الى الامام بقلوب ملؤها العزم واليقين » .

على ان نقول ان روح الشعر الحديث تتجلى بالاكثر في تصويرها ودعوتها للمجردات المثالية كالحرية والعدالة والوطنية والمحبة والعقلانية والسماحة والانسانية وما الى ذلك مما يتسامى بنفوسنا سموه الخيال فينشد لنا اناشيد الحياة الكريمة ويجلو لنا سر الجمال الخالد . ولشعرائنا من ذلك شيء كثير لا يتسع لذكره المقام .

انيس المقدسي
الجامعة الاميركية — بيروت



الاستعمار العالمي عامة والامريكي خاصة

من جريدة « البعث » السورية :

● ان المراقب للسياسة الامريكية الاستعمارية في اطراف الدب الاربعة ، وهو يرى ، بما يشبه النشوة ، تلك المواقف الوحشية المترتبة على هذه التخبطات العمياء المستميتة التي تبذلها قواها العدوانية في محاولات جنونية بالنسبة لاتقاء شبح الموت في لحظات النزع الاخيرة .. هذا المراقب لتنتابه موجة من الرثاء الشامت لا يملك لها دفعا ، اكثر مما تنتابه امواج الحقد والانتقام . ذلك ان هذه الدولة المصابة « المنتفخة » لدرجة التورم الخطير ، والتي اخذت على عاتقها مهمة القرصنة الدامية في العصر الحاضر ، قد كتبت نهايتها الماحقة بنفسها ، وهي تسير الى تلك النهاية بسرعة هذا الزمن العجيب .

والاستعمار العالمي عامة ، والامريكي بخاصة ، والذى يستمد وجوده واستمراره من النار والتجويع والتخريب في اية بقعة من العالم ، لن يتراجع عن تنفيذ مخططاته ما دام فيه رمق ، واذا كانت ثورة كوبا هي المسمار الاول الذى انغرز في نعشه ، فقد تلته مسامير ومسامير اقوى واشد ، ابتداء من ثورة الزنوج الى الدومينيكان ، وحتى فيتنام وما بعد فيتنام .

العناد البريطاني

من جريدة « الجمهورية » العراقية :

● كل الشعوب تنظر الى ـ العناد ـ كما تنظر الى نقائصها الاخرى بعين مفتوحة للاصلاح .

وذلك لان العناد اصرار على وضع قد يكون خطأ ، وقد يحتاج اثبات الخطأ فيه الى مسافة من الزمن ربما طالت او قصرت حسب الظروف .

فالبريطانيون ينظرون الى ـ عنادهم ـ وكأنه من شيم الامة البريطانية التي تؤهلها للعظمة .

فكثير منهم لا يخجلون من القول : ـ العناد البريطاني ـ ويعزون اليه تفوقهم في كثير من المجالات .. آخرها صمودهم امام الغزو النازى !

ولكن اذا كان العناد فضيلة بريطانية في كل الظروف ، فهو الآن حمق بريطاني متكامل الصفات في ـ عدن ـ .

المرأة العربية والجهاد

عن جريدة « الدفاع » الاردنية :

● يخطىء المرأة الفلسطينية ان هي شغلت عن الجهاد الفعلي .. في وقتنا الراهن ، بالاحاديث المعادة .. عن جهاد المرأة العربية في الزمان الخالي .. ان المرأة في فلسطين تشارك في القتال في الميادين بالفعل ، لا بترديد اسطوانات عن جهاد طوته القرون الخوالي .

وتستطيع المرأة العربية اليوم أن تعيد صفحات برة من جهاد العرب في الماضي البعيد ، لو أنها تطلع في سوق الرجال الى القتال ، في الزمن الذي نعيشه الآن .

ومن يدري ! لعل جمود العرب عن القتال في هذا العصر ، مرده الى عقدة نفسية في رجالنا ، قد تستطيع المرأة العربية أن تمحها بحيلة من الحيل ، ثم تسوقهم الى القتال سوقا لا اختيار لهم فيه وهذا هو اضعف الايمان ، في صنوف الجهاد .

الاخلاق والتجارة

عن جريدة « صوت العروبة » اللبنانية :

● عيب كبير أن يتلاعب بعض تجارنا بمقدرات الناس وأموالهم ..

والعيب الاكبر أن يسكت المسؤولون عن تلاعب هؤلاء التجار بمقدرات الناس وأموالهم .

امانة التاجر ليست فضيلة فردية وسلبية ، ولكنها ضرورة وطنية .. ان مستقبل الاقتصاد مرتبط بالثقة التي تتمتع بها التجارة والتي تحفظ حقوق الناس .

التاجر الذي يتصرف امينا على أموال الناس لا يمكن أن يسكت عن تدهور أوضاعه ببحر معه الأرباء .. والتاجر الشريف الذي يحافظ على كرامته وكرامة بلده لا يبني القصور ولا يقتني السيارات الفخمة، ولا يسافر الى اوروبا ولا يشتري المجوهرات ولا يلعب القمار في الوقت الذي يعجز فيه عن تسديد ديون الدائنين .

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

العرب وركب الحضارة

عن جريدة « الرأي العام » الكويتية :

● ان ارضنا ارض الرسالات ومهبط الوحي ، وفي ذلك امتياز تاريخي يرفعه امام العالم ولكن ارضنا هذه تبدو اليوم وكأنها ما زالت في جاهليتها ، تعصف حياتها بالنزاعات وتتآكل قوتها بالمشاحنات والاقتتال .

امتنا العربية هذه ، اين هي الآن من الامم تتقدم ، واين هي من ادراك رسالتها الانسانية نحو العالم ؟

وقبل ذلك كله :

اين العرب الاحياء من حياة الامم ، والوعي برهبة المصير وخطورة صراع الانسان فيها وحولها ، وفي الآفاق التي تمتد وتطول حتى تلغي مقدها ومهما !

اين يتحرك العرب ، وفي اي اطار ونحو اي هدف ؟ هل هم في الجاهلية التي يعيشون ، قد ادركوا مع الفشل أن ليلهم طويل ، ولا فجر بعده ، ام ان جبنهم المظلمة تلك وتطيب بقدر ما تلذ وتطيب حياة الشقاوة والضياع والتيه للمعطلين من الخير والحق .



بقلم : سنية قراعة

■ جلس ابليس الشيطان على عرشه النارى ذى القوائم السود ، ثم ضحك ضحكة عالية رنت أصداؤها فى جوانب العالم الصامت فى نشوة الظافر نال نصرا لم يكن يحلم به .

— [illegible] للبشر من كبرة ؟ وقياه [illegible] أما على خطيئة البشر فى هذه الدنيا ، وهى الفرصة الخصبة التى أروج فيها شرورى وآثامى

وسكت لحظة ، ثم بدا فى خشوع ، وقد رفع رأسه الى السماء

— يا رب [illegible] يا خالقى العظيم [illegible] أن عبدك اللعين ابليس يعود اليك بعد أمد من الفراق طويل [illegible] أن طريد سمائك ، الذى حرمته عطفك ورحمتك ، يأتيك ذليلا خاضعا [illegible] انك ما رأيت قبلا خلقه ، وانه بصير على وجوده دليل ناطق بقدرتك وعظمتك [illegible] انها عصمة الانسى يا رب [illegible] التى [illegible] فى [illegible] ساعدتك اليوم يا الهى من عرشى ، واحسانك [illegible] أى حادثى ؛ لانك عليم بكل شىء لقد أخرجتنى منها رجيما من أجله ، ولقد كنت [illegible] بذلك يا ربى ، بعد أن رفضت السجود لمخلوق [illegible] . [illegible] لا أسأل [illegible] ، أترانى كنت مخطئا فى هذا العهد [illegible] عصيتك مرة واحدة فكنت طريد رحمتك [illegible] أما هو [illegible] يرتكب المعاصى جهرا فتسعه رحمتك ثم هذا ؟!

لقد [illegible] القتل قتل النفس التى حرمت الا بالحق .

حرمت عليه الفحشاء فارتكبها

أمرته الا يقرب الخمر فشربها

وهو مصر على [illegible] ومصاحبتها [illegible]

[illegible] على الفضائل ، وكتبتها عليه ، فأبى الا أن يكون مثال العصيان ونكران الجميل ، أسرف الانسان فى طغيانه حتى لقد كفر بك وبجمال صنعك وجلال قدرتك [illegible] بك وعطفك على الانسان ؟! أهو أفضل مثلا من الملائكة الأكرمين ؟! [illegible] وهى الملائكة يا رب [illegible] اسجدوا له [illegible] ارتكبوا [illegible] السر ؟! أن الانسان قوة كامنة تدفع به الى الشر ولا يستطيع مغالبتها !

وسكت ابليس عندما وصل به حديثه الى هذا الحد .

وجرى به الفكر سريعا الى الملكين التعسين « هاروت وماروت » ، فاختفى بلوحة الانتقال .. وود لو يتمتم كمن يحلم

هاروت وماروت ؟ انهما لم يرتكبا معصية بمحض ارادتهما [illegible] ارادا ان يتأكدا من الضعف البشرى ؟ أو [illegible] وهل هو مدفوع الى الشر بطبيعته وعلى رغمه ؟ أو تراه يستطيع ان [illegible] بين نفسه وارتكاب الخطايا

وسكت ليعيش لحظات مع قصة هاروت وماروت



[illegible]

التي راحت صورها تمر امام ناظريه ..

★ ★ ★

كان الفساد قد شاع في الارض وانتشرت الرذيلة واستحكمت الشرور وعلا نجم الشيطان ، واتخذه الانسان دليلا يتبعه ومؤثرا يستشيره ، فعرفت الفضائل جهارا وعلانية ، وارتكبت الموبقات ، وعبد الناس الحجر ، واتخذوا منها التماثيل والهياكل وسجدوا لها وسكبوا نضائحها ...

وضجت السماء ومن فيها ، وتعجبوا لحكمة الخالق في صبره على الخطيئة ، وتحدثت الملائكة في ذلك حديثا طويلا ، وقالوا ما القدرة توحي اليهم مرة اخرى لا يتحدثوا الا فيما يعلمون ، ولا يخوضوا الا فيما يدركون ..

وقال ملك من اعلى الملائكة واكثرهم تعففا .

ان الانسان ظلوم جاحد يباهي بالخطيئة ، وتأخذه العزة بالاثم ، ولا يخشى شيئا ولا يبالي بعقاب او عتاب ، ولا يفكر في بعث و نشور

وقيل للملكين الصالحين

ـ ان في الانسان غريزة اذا لم يروضها ويحسن تأديبها لجرته وهو غير شاعر الى الاثم والدنسه

الى كل خطيئة وشر ...

وعاد الملكان يسألان

ـ ولم لا يتخلص منها او تعاقبه القدرة عن جرمها ؟!

وقيل لاثنين الملكين :

ـ من هذا عموم ساس العالم الدنيوي أيها الملكان ، ولو انكما كنتما بشرا لفعلتما ما يعملون .. ولكي تجربا سأجعل منكما رجلين يعيشان بين الناس ، واضع فيكما كل صفات البشر ، وأهبكما غرائزه كلها ، وسنريان بعد ذلك أتستطيعان ترويض هذه الغرائز أم انكما تسقطان في الشر ، شأنكما في هذا شأن البشر جميعا ..

وقال الملكان في اصرار :

ـ قد ما يبعثنا الشوق الى ممارسة هذه التجربة ...

ولم تكد تمر لحظة حتى احالت يد القدرة الملكين النورانيين الكريمين الى رجلين ، فيهما كل صفات البشر ، ولهما كل ما له من غرائز وميول ورغبات ... ثم انزلتهما من مقامهما في السماء الى العالم الدنيوي ليعيشا بين الناس ...

وبينما هاروت وماروت يهبطان الى الارض شعرا بشيء غريب يحدث لهما لأول مرة ... فمن قبل كانا يتجولان بين الافلاك بخفة وحرية .. اما الآن فهما يكادان يلتصقان الى الارض التصاقا ، ما بال جسديهما قد تثاقل .. والخفة قد فارقته الى غير رجعة .. وكأن صاحبها شعورا فتحطم الى الأبد ... وما ان وطئت اقدامهما الارض حتى احسا ما اعترى طبيعتهما من تحول غريب .. وتجولا في شوارع المدينة التي هبطا فيها واعينهما تدور في محاجرها من الدهشة والعجب !

هذا عالم زاخر .. متصارع .. حيث الناس مختلفو الالوان والازياء والالسنة .. هذا بابل .. بلد القوم الذين بنوا برجا عاليا ليصعدوا منه الى حديث السماء ، فغضب الله عليهم ، وبلبل ألسنتهم . هنا الفتنة تمشي على اقدامها في الشوارع .. والاغراء يطل من نوافذ العيون ... ولهيب الشهوة يرقد تحت ظلال الكلمات .. وكأن القدرة الالهية قد اختارت لهما هذا المكان لتكون التجربة قاسية ومريرة ..

هكذا ارادت القدرة لامر خفي عن هاروت وماروت ..

واستقبل هاروت وماروت ذلك العالم الجديد بنفس متعبة فرحة ، وكانا حصيفين وصاحبي رأي سديد ، ولهما حكمة وموهبة ، وسرعان ما احتلا مكان الصدارة بين قرنائهما من الناس ..

وتجول الملكان بين البشر وهما في دهشة من امر هؤلاء الناس الذين ركبوا رؤوسهم واتبعوا مسالك الشيطان ، وعصوا وجاهروا بالخطايا .. وتبادلا نظرات الثقة ، لانهما لم يهبطا ذلك الهبوط الزري ولم يصلا الى مراتب البشر الآثمين ...

ومر الزمن ، وذاع امر هاروت وماروت ، ونبوغهما في السحر والكهانة ، فحجت اليهما وفود الناس . من جميع الاصقاع ليروا ما لهما من فضل وما يصنعان من معجزات وعجائب ...

وطرق بابهما ذات يوم طارق فانبريا يتبينان الطارق ، فاذا بهما امام شابة رائعة الحسن فياضة الفتنة اخذ منها الكلال مأخذه ، وعبث بها اي عبث ، فتهالكت على اقرب مقعد وهي تلهث تعبة ، بينما هاروت وماروت ينظران اليها في عجب ودهشة ولا يجسران ان يسألاها عما بها او ماذا اصابها .

وما ان اطمأنت الفتاة وعادت لاثرة نفسها حتى رفعت عينيها الجميلتين ، وتنقلتهما في المكان ، ثم استقرت بهما حيث وقف صاحباه ، فقالت في نبرة رقيقة ناعمة

ـ [illegible] يا صاحبي ساعداني بما لكما من سحر وقوة

ويتبادل الملكان نظرات الدهشة والعجب ولم ينطقا بكلمة ، في حين استمرت هي تقول :

ـ الا تسمعاني ... الا تريان ما انا فيه من هم وما اقاسيه من آلام وشجون .. اسعفاني بسحركما وزوداني بقوة منكما لأستطيع ان اتغلب عليه وانتقم لكبريائي منه .

وسألاها في صوت واحد :

ـ [illegible]

وهزت الفتاة رأسها موافقة ، ثم قامت تسحب نفسها الى الخارج ...

وخلا الملكان منها ... من سحرها الطاغي ... ومن جبروت فتنتها وقوة تأثيرها .. ونظر كل من الشابين الى صاحبه وقال يهمس

ـ ماروت !!

ـ ما بك يا صاحبي ماروت ؟!

ـ ... الا تحس ببعض الارهاق

ــ أنا ... أبدا ...

ــ أما أنا ففي حاجة الى الراحة ...

وافترق الملكان الشابان كل الى حجرته الخاصة ليسعد فيها بالوحدة التي أراد ...

ومرت الساعات ، ومال ميزان النهار ، واقبل الليل وخيال المرأة ماثل في عيني كل منهما .. واحسا للمرة الاولى في حياتهما السماوية بالهم والشجن ، وذاقا بطء الساعات القاسي ورهبة التطلع ، ودق قلباهما في ارتياع ، وراح كل منهما يسائل نفسه :

ــ ما بي ؟! ماذا حدث لي ؟! أي شعور هذا الذي أحسه والذي أشعر انه غالب على أمري ؟! وهذه المرأة !! لأي سبب أفكر فيها ؟ ولماذا يبدو جمالها لعيني ؟ ولم أصبحت وأمسيت وهي شاغلة أفكاري ، ترى من تكون ؟! ولم جاءت ؟! وأنا لم أعد شيئا يكون مصيري ؟!

وتكاثفت ظلمات الليل وزادت وحشته ورهبته ، واحس الملكان العاشقان بأن هذا الليل طال حتى لا يكون له آخر ، وأن فجره لم يطلع ويأتي ضوء النهار الذي سوف يطالعهما مرة أخرى بوجه تلك الطارقة الساحرة ؟!

وترك أحدهما مضجعه وسار في حذر الى حيث كان صاحبه ، فاذا به على نفس الحال التي يشكو منها ... واقبل عليه يسائله :

ــ ما بك يا ماروت ؟!

ــ لست أدري .. جفاني النوم يا صاحبي ...

ــ أضقت ذرعا بالدنيا ففكرت في العودة الى السماء ؟!

ــ أنا ؟! لا .. أبدا .. ولكن ..

ــ لماذا .. تسألني هذا السؤال .. أظنك انت التعب فأردت أنت العودة ؟!

ــ ان تجربتي لم تنته بعد يا صاحبي ولست سائلي ، فاذا كنت انت تريد العودة فافعل ..

ــ أي حديث هذا الذي اسمعه ؟! من قال لك اني أريد العودة الى السماء ؟! قبل نهاية الشوط .

ــ فلنترك ذلك والآن فما سر أرقك وما سبب أرقك حتى هذه الساعة ؟

ــ كنت والله أود أن أسألك نفس هذا السؤال...

وساد بينهما سكوت طويل وصمت قاتل ، وقد نكسا رأسيهما ، وراح كل منهما يختلس من صاحبه النظرات كمن يريد أن يصل الى أسرار نفسه ، ويعرف ذلك السر الذي يشغله ، والذي أحس منه الفكر وسلبه الراحة والهدوء والاستقرار ...

وقال أحدهما وهو يزفر زفرة حارة .

ــ ترى كم بقي على طلوع النهار ؟!

واجاب الآخر

ــ لا أراه قريبا يا صاحبي ...

ــ انا ... سيطول اليوم

ــ جرب وانى لتاركك .. قد أسير خارج البيت قليلا .

ــ لا تفعل فالليل موحش والظلام ملىء بالأهوال والمخاطر ... أبق معي .. يا أخي الطاهر ، أشغلت المرأة فكرك الى هذا الحد ؟!

ــ أية امرأة ؟!

ــ تلك التي جاءت بالأمس والتي كان في مقدمها ما سلبنا نحن الاثنين راحتنا واستقرار أنفسنا ماروت ... لقد كدنا أن نستسلم الى الشيطان وقد أرسل الينا هذه .. يا أخي .. أنسيت اننا من الملائكة ؟!

وزفر ماروت زفرة طويلة حارة بعدها سكت وقد نكس رأسه وجعل يهزها ثم قال :

ــ كنا ملائكة .. أما الآن فنحن بشر يا صاحبي ماروت .. وأنا رجل وأنت مثلي .. فلكل منا قلبه ولكل منا عواطفه وتفكيره ، ولقد استطاعت تلك الشيطانة الصغيرة أن تشغل منا العقل وأن تحتل الفكر وأن تكون سببا في أرقنا ليلة طويلة بعدنا خلالها نستعجل مقدم النهار ..

ــ ماروت .. لنعد بنا يا صاحبي الى السماء فلسنا من أهل هذا العالم ..

ــ أتحب أم تخشى أن تضعف أمام التجربة التي أردناها بمحض اختيارنا ؟!

ــ لا ... ولكن .. للبشر صفات ليست لنا ، ونحن خلق ليس للبشرية منه شيء ..

ــ لا تضعف يا أخي ولنسر في التجربة حتى نهايتها .

ــ أشعر بأني لا أستطيع .

ــ يا للعجب !! أتكون أضعف من البشر ؟!

ــ نعم ...

ــ ولم ؟!

ــ لأنهم يستطيعون ارتكاب الخطيئة ويفاخرون بها في حماقة وكبرياء ، ونحن وأنت لا نستطيع ..

ــ ولكنا لن نرتكب خطيئة .

ــ نعم ــ لو كانت هذه المرأة التي ــ انا ستعودون اليها ..

وتولاهما الصمت مرة أخرى .. وبدأت تباشير الصباح تبدو في الأفق الشرقي .

يا لتساءلات الفاتنة الظلوم !! لم تباطأت في سيرها .. هيا .. هيا وأسرعي قدمًا واشتري أضواء النهار ..

ومرت الساعات .. وأقبل النهار ..

ودق الباب مرة أخرى ..

وقفز قلباهما من بين الضلوع ، ونظر هاروت الى صاحبه في وجل .. وسار الآخر ليرحب بالطارقة التي ظلا طوال ليلة رهيبة يحلمان بمقدمها ..

ودخلت المرأة محراب العابدين .. فملأته بسحرها الطاغي وجبروت حسنها .. وراح كل من الشابين يرقبها بمجامع قلبه وقد قامت في صميم نفسه عواصف واضطربت فيها أحاسيس ..

انه الاشتهاء !!

وبدأت تلقي بحسنها وهي تتغنى ، وتميل تارة على هاروت وأخرى على صاحبه ماروت ..

ولفه أحدهما ذراعه حول خصرها الدقيق فتخلصت منه في دلال لتميل على الآخر حتى اشتعلت النار في جسديهما ..

ايه !! لقد طرق الفتيان باب الخطيئة !!

وضم أحدهما الفاتنة الى صدره وأسرع الثاني يقبل خلوه .. ومالت عليهما المرأة في دلال وميوعة فهي مرة تداعب هذا وأخرى تلاعب ذلك ..

وأسر هاروت في أذنها كلمة ، وبنفس الكلمة همس لها صاحبه .. وعلت ضحكة الفاتنة واضطجعت بينهما في دلال مثير وقالت

— لكما في بعض الخمر والشواء !!

ورنت كلمة الخمر في خيالهما بصوت رهيب ، وثابا بعض الشيء الى نفسيهما ، وتصورا ما هما مقدمين عليه من ارتكاب معصية تأباها الشريعة ولا يرضاها الله ..

وتراجعا عن المرأة ... وأحست الفاتنة منهما نفورا فراحت تلهبهما النظرات الحوالي جميعها ، وجعلت تزين لهما المعصية في صوت متكسر طيب وهما يستمعان في شبه ذهول وغيبوبة لحديثها :

ألم تنسى أنت ... وأنت ... ألم تحتفظ في شغف وشوق !! أنت ... ألم ترشخص نحوي وحين أتيت !! لقد سمعت صرخات روحكما وانصبت الى دلالي وأتيت نحوي ... لقد أحببتماني ونظرتما لم أبخل عليكما بذلك الحب ، ألم تريدني ، وتكسب المعصية الكبرى وأنسى المهمة التي جئت من أجلها في أرضي هذه الرحبة التي تتسع لكلينا؟! ألم أقبل ذلك دون تردد ، أيها الشاب العاشق ؟ وأنت يا ساحري ، ألم استمرأت مني أحر القبلات والضمات ثم تأبى بعد ذلك أن ترافقني كأسا بكأس وهي ساعة تحلل الحب بأسرها ؟! أنتما تقبلون على ارتكاب خطيئة ، وأنا ترفضون ، ونحن نتصورها بشعة .. وما هي كذلك .. أليس من الجميل ... سرورنا لا ينتهي في حب فاني يبعد عن عيوب ... يخطيه ويحملها حملة محببة ؟! ان للخمرة قوة خارقة تنتشي العين واهية ، وتجمل القبيح ... انها ترتفع بالروح الى عوالم سامرية ما أحوجنا اليها

وسكتت الفاتنة ، ووجدت كلماتها صدى في نفس الشابين ، ولم يشعرا الا واحدهما قد قام بنفسه ليعد الشراب ، في حين أخذ الثاني في اعداد الشواء ..

وكانت مائدة ماجنة صاخبة شرب فيها الفتيان ما شاء لهما الهوى ، وما أرادت الخطيئة ، وما استحكم الشر والفسق ، ولعبت الخمر برؤوس الآثمين فاضطرب منهم الميسون وثقلت الرؤوس وصرخ الاثم وعلت قرقعة الفجور ..

ونال هاروت من المرأة ما كان يشتهي ، وكذلك فعل ماروت .. وأسرف الآثمون في الشراب اسرافا بشعا ، وعلت أصواتهم صداحة طروبة حتى انقشعت سحابة النهار ، وأقبل الليل ولم يلبث أن انتصف وهم في ضلالتهم سادرون .

وأحس بهذا الهرج والصخب شيخ وقور كان يجاور الشابين ، فتوكأ على عصاه وذهب يتبين الخبر . وشد ما كانت دهشته أن وجد الشابين الفتيين العصيين ، وقد غابا عن صوابهما ، وراحا يرتشفان الخطيئة جهارا مع غانية ..

وعز على الشيخ أن يرى ذلك ، ووقف في دهشة يرقب ما كان يحدث وهو غير مصدق ما كان يراه .. واذا بالمرأة تتمادى في اثمها وتمد يدها الى صدرها فتخرج دمية من الطين تضعها أمام الشابين وتطلب منهما أن يسجدا لها وأن يقدما لجلالها قربان الليل الساري .

وقامت الفاتنة فجعلت ترقص وتغني أمام الدمية ، وهاروت وماروت يتبعانها في اعجاب وذهول . ثم سجدت سجدة طويلة ولم تنس قبلها أن تطلب منهما أن يفعلا مثلها ..

وكانت الخمر قد غلبتهما وأنساهما الشيطان

ما هو مقدس ، وغشى عيونهما ملائم ، وسرعان ما تبادلا نظرة .. سجدا بعدها خلف المرأة للصنم!

وصاح الشيخ وقد اخذته سورة الغضب :

ـ يا عجبا مما أرى !! أحقا حق أم أنا في حلم رهيب ؟! أيأتي الشابان الفاضلان المعصومان ويرتكبان المعصية جهارا ويتماديان في الاثم فيسجدا لصنم [illegible] من صنع يد فاجرة ، فاسقة!!

ولم هاروت وماروت ، وشهقت المرأة غاضبة مزمجرة .. وتبادل الشابان نظرات الذهول والعجب ، فقالت لهما .

ـ ما الذي تنتظرانه أيها [illegible]؟ [illegible] مطلع النهار ليهتك هذا الشيخ الفضولي [illegible] في كل ناد ، [illegible] من [illegible] ، [illegible] ويكون [illegible] والرواية والاستهزاء !!

وسألها احدهما وهو يترنح

ـ وما الذي نريده يا ساحرة القلب ؟!

فاجابت المرأة في ثورة :

ـ لست أراكما الا رجلين يحدقان في [illegible] خلت من كل شجاعة واقدام ورجولة .. ما الذي تنتظرانه مني ؟! ان أوجهكما وأرشدكما الى ما كان من اللازم أن تفعلاه منذ جاء هذا الرجل الى هنا يتجسس ابتغاء كي ينقلها الى الناس ليروي [illegible] .. [illegible] حب وانتهاء .. اذا مات ضمنتما سكوته الى الابد

وارتاح الشابان الى هذا الرأي وقاما يترنحان والشر متجسم في اغوار عينيهما حتى وصلا الى الشيخ الطيب فامسكا به في وحشية ولم يتركاه الا وهو جثة هامدة فارقتها الروح ..

وضحكت المرأة ضحكة الظافرة واشارت لهما ان يلقيا جثته في بئر جاف .. ففعلا ذلك ثم عادا اليها فاذا هي قد اختفت ولم يعرفا لها مكانا ..

وجعل كل منهما ينظر الى صاحبه مرة بعد أخرى والى البيت الذي اقفر من ساحرته ... وبدأت سحابة الشر تنقشع ، واخذ نور الحقيقة يتقدم ، وتبخرت الخمر من رأسيهما ، وعادا شيئا فشيئا الى الواقع .. وسمع احدهما صاحبه يقول له :

ـ أترانا كنا نعيش في حلم ؟!

واجاب الآخر :

ـ كنت سأسألك هذا السؤال ...

ـ اذا .. ماذا صنعنا ؟

ودمدم الآخر كالذاهل :

ـ نعم .. ماذا فعلنا ؟!

وظل كلاهما في حسرة وحيرة بالغة .

ـ لحكمت فينا السمرة .

وصرخ الآخر :

ـ فصبتنا الله ..

لقد [illegible] وشربنا الخمر [illegible] وسجدنا لغير جلال الله .. وقتلنا نفسا بغير حق ..

وخرا على وجهيهما مغشيا عليهما من هول ما ارتكباه وضجت الأرض وزلزلت أركانها واهتزت السماء غضبا ، وسمع الخاطئان أراتين تدوي في حياتهما صائحة :

ـ انهضا ...

وصاحا في فزع .

ـ اللهم غفرانك

وعادت الأراتين تدوي قائلة .

ـ وشربتما الخمر ...

وصرخا مستجدين :

ـ يا ارحم الراحمين .. ارحمنا .

وعلت الاصداء وزمجرت تقول :

وسجدتما لغير جلال الله .

وتوالتهما غاشية وهما يصيحان

[illegible]

ورد الصدى في سخرية :

ـ لم قتلتما نفسا بغير حق ..

وتلاشى الوجدان .. وخفتت الاصداء ، وعاد الهدوء يخيم من جديد على الدنيا الهاجعة .

ـ يا لها من تجربة قاسية رهيبة

ـ وما العمل ؟!

ـ ليس عالم البشر مثلنا يا صاحبي .. لقد نشر الشيطان رايته وطمس ارادته وعلا نجمه فوق البشر قوة دافعة الى الشر ، وويل لهم أن لم [illegible]

ـ اذا ... فهيا بنا ولنترك هذا العالم غير آسفين عليه ..

وأراد الملكان أن يعودا ثانية الى السماء ، ولكن دون جدوى ، اذ حلت بهما اللعنة ونزل عليهما غضب الله ونقمته الكبرى ، وحكمت الارادة العليا بمقتلهما كمثل للخطيئة في عالم البشر ..

وهكذا فقد هاروت وماروت كل شيء .. !!

سنية قراعة

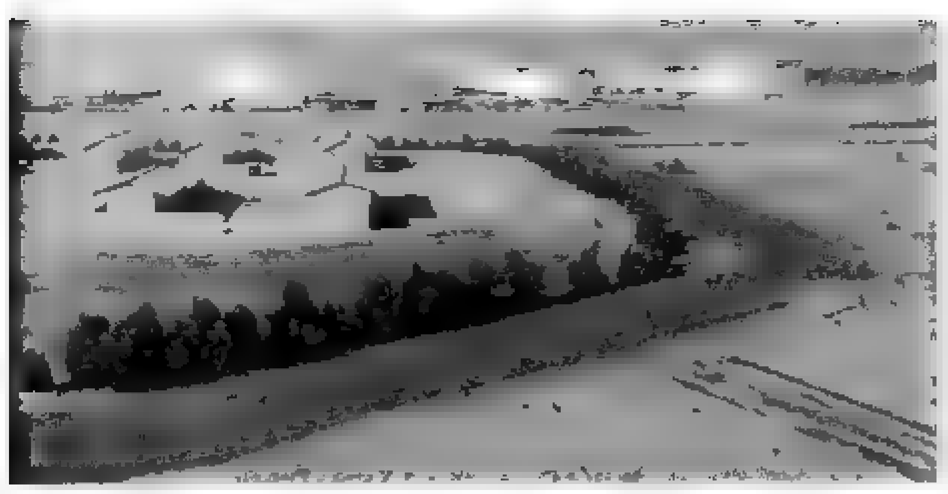


المنطقة المحايدة





« المنطقه المحايده » التى نعرضها فى هذا الاستطلاع ، منطقه تكاد تكون مجهوله من معظم ابناء الوطن العربى . ذلك انها بقعه صحراويه قاحله ، على الخليج العربى ، مشتركه بين الكويت والمملكه العربيه السعوديه ، بموجب اتفاقيه « عقير » المبرمه بين الدولتين عام ١٩٢٢ وتلك هى قصتها :



منظر لمنشآت شركة امينويل

ظلت المنطقة المحايدة قطاعا صحراويا قاحلا ، لا يقصده سوى البدو الرحل مع قطعانهم لرعي الكلأ الذي ينمو بكثرة في فصل الربيع .. ظلت المنطقة على هذا الحال مدة ٣٠ عاما ، ابتداء من معاهدة العقير التي عقدت عام ١٩٢٢ ، وكان من الممكن ان يستمر هذا الوضع لعشرات الاعوام الاخرى ، لولا اعلان اكتشاف النفط تحت اقدام الرحالة في منطقة الوفرة عام ١٩٥٣ .

وعلى الفور دب النشاط في المنطقة .. وبدأت سيارات الشحن تزاحم الاغنام على قطع الارض الصحراوية .. كانت السيارات تسير مخلفة وراءها عاصفة من الرمال ، كأنها تحاول اخفاء حقيقة المنطقة عن العالم .. ولكن سرعان ما انقشع الغبار ، وظهر العمال يعملون ليل نهار في شق الطرق ، واقامة المعسكرات ، وتركيب الكتلات ، والمعدات الضخمة المعقدة ..

وكان لظهور معسكرات شركات النفط بمثابة مغناطيس ، اجتذب اليه الجماهير التي اقبلت وحدانا وجماعات ليحيطوا بالمعسكرات ، ويقيموا المباني والمدن من الخشب والصفيح !

واحس البدو الرحالة ، بانها فرصتهم لبدء حياة استقرار ، فاتجهوا بدورهم الى ابواب الشركات يقرعونها طلبا للوظائف والعمل .. وكانت النتيجة ان نحو ٩٠٪ منهم ترك اغنامه وماعزه ليوظف في شركات النفط ..

ثلاث شركات في المنطقة المحايدة

وتعد شركات النفط العاملة في المنطقة المحايدة ثلاث شركات :

شركتان منها تعملان في منطقة الوفرة : واحدة لحساب الحكومة الكويتية ، وهي شركة « امين اويل » Amin Oil وهو اختصار لاسمها American Independent Oil Company اي « شركة الزيت الامريكية المستقلة » .

والشركة الثانية ، وتعمل لحساب الحكومة السعودية ، هي شركة جيتي للزيت ، ويملكها المستر بول جيتي ، الثري الامريكي الذي يعتبر من اكبر اصحاب الملايين في العالم ..

وهاتان الشركتان حصلتا على امتياز التنقيب عن النفط في ارض المنطقة المحايدة والجزر التابعة لهذه المنطقة ، والمياه الاقليمية الممتدة مسافة ستة اميال من شاطىء الارض ..

اما البحر الممتد بعد هذه الاميال الستة حتى منتصف مياه الخليج العربي ، فقد حصلت شركة الزيت العربية المحدودة (اليابانية) على امتياز التنقيب والحفر فيه من قبل الحكومتين السعودية والكويتية ..

من ومتى اكتشف البترول ؟

اول من اكتشف النفط في المنطقة المحايدة كان شركة امين اويل ، التي اخذت حق الامتياز عام ١٩٤٨ ولكنها لم تعثر على النفط الا بعد



[illegible] ميناء عبد الله

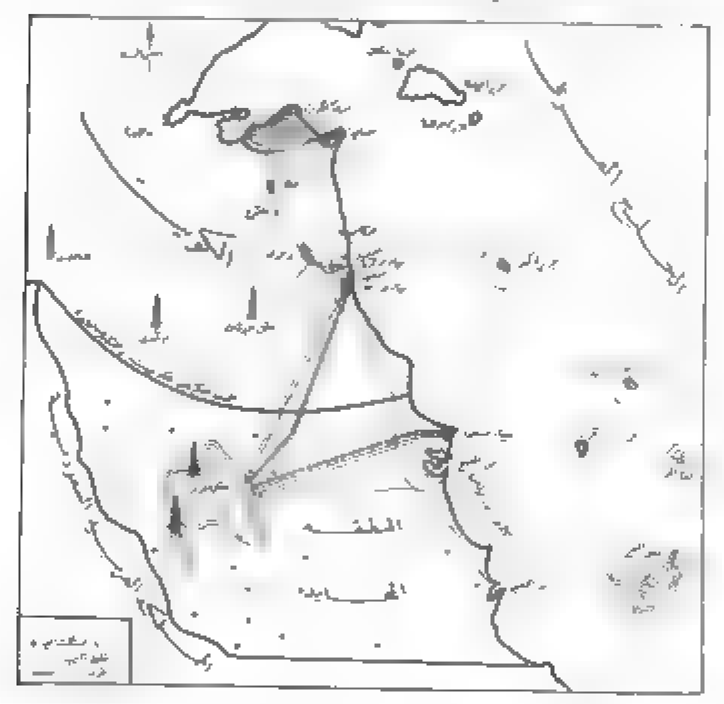
خمس سنوات من المجهود الشاق في منطقة الوفرة ..

ولكن حقل النفط الجديد اصبح اضافة لحقول برقان الشهير في الكويت ..

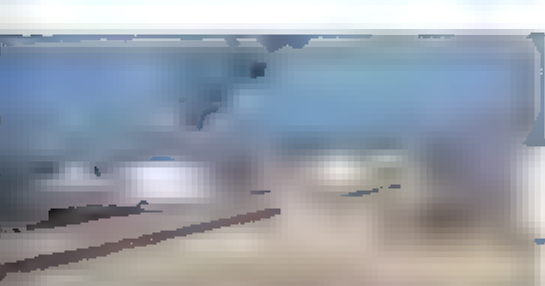
وبينما كان العمل يجري في حفر الآبار ، كانت الانابيب تمد لنقل النفط الى الجانبين الجانب الكويتي ، وقد اقام ثلاثة انابيب تمتد من الوفرة لمسافة ٣٠ ميلا متجهة الى ميناء عبدالله جنوب ميناء الاحمدي في ارض الكويت ..

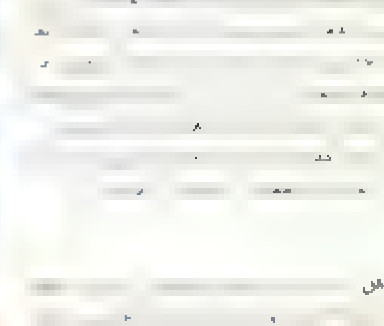
والجانب السعودي ، وقد مد ثلاثة انابيب من

خريطة تبين موقع المنطقة المحايدة ، وموقع حقول النفط فيها











الوفره بمسافة ٢٨ ميلا متجها الى ميناء مسعود في الارض المحايدة ... وهي النقطة التي اختارتها شركة جيتي لتكون مركزا وقاعدة لها ..

الانتاج يتضاعف ١٦ ضعفا

ومن ميناء عبد الله انطلقت اول ناقلة محملة بنفط المنطقة المحايدة الى معمل التكرير في اليابان ..

كان ذلك في عام ١٩٥٤ ، وكان انتاج الوفره لا يتعدى ١٢ الف برميل في اليوم ، فظل يتزايد ويتضاعف حتى وصل الى ١٩٦ الف برميل في اليوم الواحد ..

ان هذا الرقم يمثل ذروة ما يمكن ان ينتجه حقل الوفره من النفط ..

لقد قدر خبراء النفط (عمر) هذا الحقل بنحو ٢٥ عاما .. مضى منها حتى الآن نصفها ، والباقي ١٢ سنة اخرى ..

٤٧٢ بئرا على الحقل

وكان سحب النفط بكثرة خلال السنين الماضية قد اتعب قوة هذا الحقل فبدات تظهر عليه علائم الضعف والتعب .

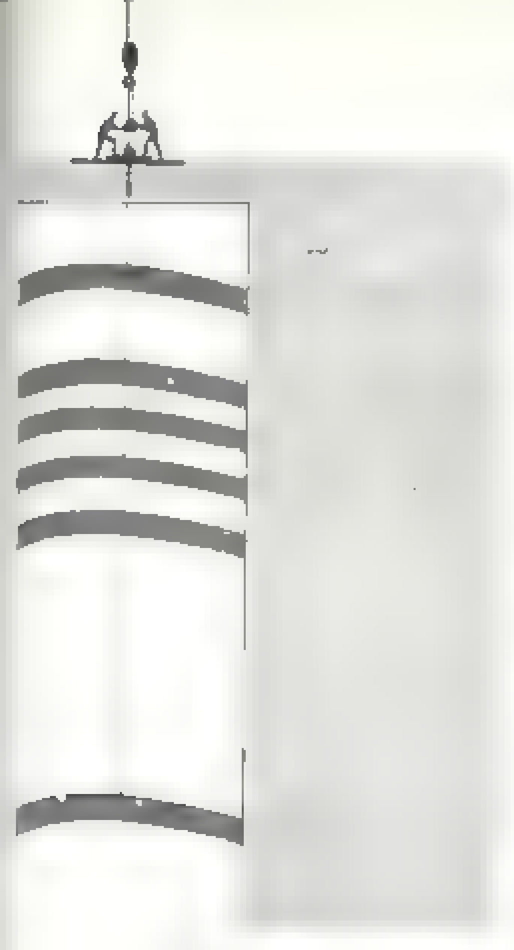
ولمساعدته في زيادة انتاجه حفروا عليه عددا ضخما من الآبار ، بلغ مجموعها ٤٧٢ بئرا ، كانت ان تكون ملاصقة لكثرتها ...

وهذه الآبار تنبع النفط من ست طبقات ارضية منتجة يطلقون عليها اسماء : الايوسين الاول والثاني والثالث ، وماستركتن ، وبرقان والرتاوي .. وتتراوح اعماق هذه الطبقات من ١١ قدم و ٦٩ قدم

وقد اوقفت جميع الحفريات الجديدة على هذا الحقل ابتداء من عام ١٩٦٤ على اعتبار ان حدوده اصبحت معروفة تماما ..

منظر غير مألوف

كان النفط في منطقة الوفرة يتصاعد تلقائيا بضغط الغاز الموجود في الاعماق . ولكن سرعان ما بدأ ضغط الغاز يخف في الحقل ، فعمدوا الى المضخات المساعدة ، وضعوها على فوهة البئر لتسحب النفط الموجود في الاعماق .



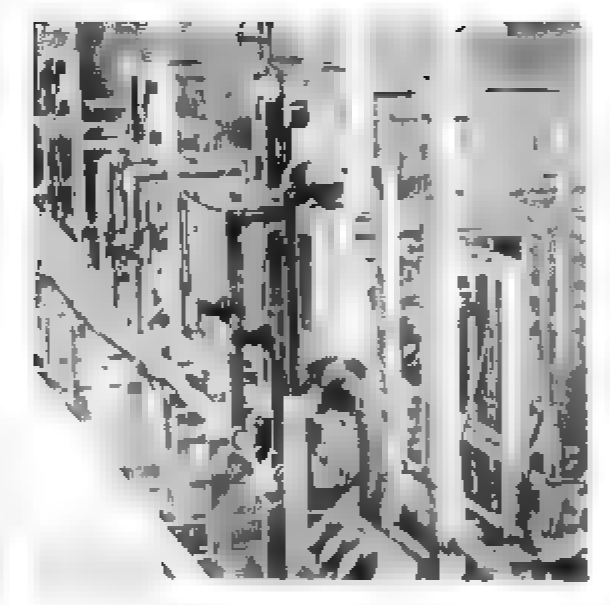
منظع في منطقة الارض منطقة الوفرة

وفي خلال الستة الاشهر الاولى من هذا العام وضعوا مائة مضخة جديدة على مائة بئر .. فاصبح عدد الآبار التي عليها مضخات ٣٠٦ آبار .

وتقول شركة جيتي في تقريرها السنوي : « اصبح واضحا انه سيلزم في النهاية تركيب مضخات الضخ على جميع آبار طبقتي الايوسين والبرقان ، في حقل الوفرة » .

ان منظر وحدات الضخ في منطقة الشرق الاوسط امر غير مألوف ، والحاجة اليها تثير مشكلات جديدة في المنطقة ، ولكنها امر لا بد منه للمحافظة على مستوى الانتاج المطلوب من حقل الوفرة ..

وبالرغم من هذه الاجراءات فما زالت الارقام البيانية تسجل هبوطا في انتاج الحقل .. حتى



الى اليسار : يعتبر الماء من اهم المشاكل في المنطقة المحايدة ، فالآبار الحرفية تنبع ماء مالحاً لا يصلح للشرب ، لهذا كان الاهالي يعتمدون على الماء المقطر الذي كان يأتيهم من الكويت في سيارات خاصة

ولكن تزايد السكان دفع الشركات الى اقامة محطات للتقطير - ترى هنا احداها في منطقة الوفرة ، انها تفصل الاملاح بطريقة امرارها على الاغشية الكهربائية .. وتنتج ٥٠ الف جالون ماء يومياً ، ومع ذلك تستورد المنطقة ٣٠ الف جالون ماء من الكويت يومياً

انهم يقولون بانه بعد مضي نحو ١٥ عاماً ، سيصبح انتاج النفط في ذي موضوع .. لانه سيكون في التصادي بكثره ...

الملح في النفط

والى جانب ضعف الغاز توجد زيادة في الملوحة بدأت تظهر في النفط المستخرج من طبقة البرقان .. وتقول شركة جيتي : « ... ان زيادة نسبة الملح في الزيت الخام تشير الى انها قد تبلغ حداً يتعذر معه تصريف الزيت في الاسواق .. وفي عام ١٩٦٢ سدت بعض الآبار التي كان انتاجها يصل الى ٧٠٠٠ برميل يومياً من زيت البرقان بسبب ارتفاع نسبة الملح فيها ... »

وقد تم خلال هذا العام تركيب محطة كبيرة في الوفرة تكلفت مليوني دينار لنزع الاملاح من النفط .

ويقول الخبراء ان الامل الوحيد لشركتي امين اويل وجيتي — اللتين تتم العمل بينهما بواسطة لجنة عمليات مشتركة — يتمثل في اكتشاف حقول جديدة غنية بالنفط ، واعتماد طرق اكثر حداثة في طريقة الحفر ..

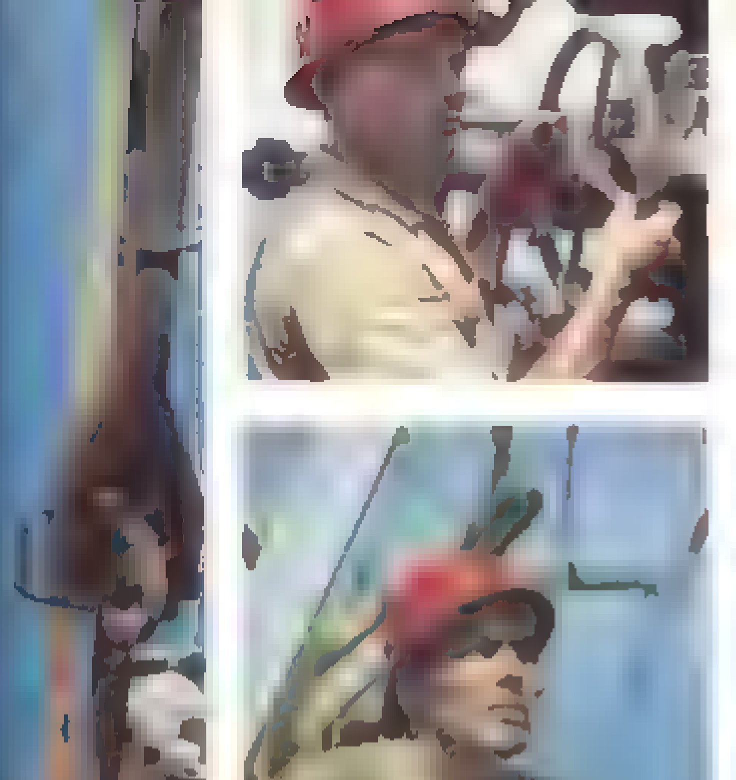
وتحقيقاً لهذا القول ، شرعوا في اعداد خريطة تقريبية جديدة للمنطقة .. وبدلوا اعمال التنقيب بأساليب حديثة رصدوا لها مبالغ كبيرة .

وكللت مجهوداتهم ببعض النجاح ، اذ اكتشفوا في عام ١٩٦٢ حقلاً اسموه « جنوب الفوارس » على عمق ٥٠٠٠ قدم ، ولكن النفط المستخرج منه جاء اقل نوعاً من نفط حقل الوفرة ، مع ضغط غاز خفيف .. لهذا وضعوا الحقل تحت الاختبار لفحص انتاجه وتعيين حدوده ، وفي نفس الوقت بدأوا ، منذ عام واحد ، في توصيل انتاجه الى مستودعات الوفرة عبر خط انابيب قطره ١٢ بوصة .

ان اكتشاف حقل « جنوب الفوارس » لم يكن بالاهمية التي توقعوها ، وبالتالي لم تتوقف اعمال التنقيب الاخرى التي ما زالت تجري تحت سمع وبصر اهل الوفرة ، وعددهم حوالي ١٠٠٠٠ نسمة نصفهم مستخدمون وموظفون لدى شركتي امين اويل وجيتي والباقون عمال جاءوا للعمل مع المقاولين ، ولتأمين الخدمات الضرورية للوافدين .. او مزارعون او مستوطنون من القبائل البدو .

ان الوفرة ، التي تعتبر قلب المنطقة المحايدة النابض ما هي في الواقع الا معسكران صغيران لا يزيد عدد منازلهما عن ٢٠ منزلاً مؤقتاً بنتهم الشركتان لموظفيهما .. وبعض هذه المنازل ، ما هي الا سيارات كبيرة فرشت بافخر الاثاث لسكن كبار الموظفين ..

ولكن حول هذين المعسكرين الصغيرين تناثرت الاف الاكواخ والعشش يعيش فيها البدو والعمال الذين جاءوا من السعودية والكويت .. انهم اصبحوا جزءاً من المنطقة .. وعددهم في ازدياد











تصوير « أوسكار »



منه وسط المنطقة المحايدة تزرع فيها الخضراوات والفواكه التي تصدر الى مدن الكويت والوفرة

عطره .. ومشاكلهم الكثيرة بدأت تقل بواسطها ، وسوف تزداد هذه المشاكل وتتفاقم عندما يظهر حقل جديد للنفط .. اذ عندها سيتضاعف عدد السكان في الحقل ، وبالتالي ستتضاعف المشاكل .

نفط ... وماء

وبينما الشركتان تواصلان اعمال البحث عن النفط ، كان الاهالي يقومون بالبحث عن الماء!

وكان حظهم اسعد حظا من الشركتين ، فقد وجدوا الماء على بعد ١٥ كيلومترا جنوب الوفرة .. وجدوه بغزارة ، وعلى عمق ثلاثة امتار فقط من سطح الارض ..

سباق البراميل

وما كاد الماء يظهر حتى بدأ سباق بالبراميل عجيب بين الاهالي الذين جلبوا البراميل الفارغة وكتبوا عليها اسمهم ، واستأجروا سيارة شحن ووضعوا عليها البراميل وساروا بها على خط مائري .. وكانوا يلقون بالبرميل الواحد تلو الآخر على الارض ، وبعد انتهاء العملية الغريبة اعلنوا ملكيتهم للارض المحاطة بالبراميل !

والبعض لم يستطع جلب البراميل فغرس الاوتاد والصق الاشجار مكانها ليحدد ملكيته للارض !

وبعد تعيين حدود الارض اتجه الاهالي ناحية العناية بالزراعة فجلبوا مضخات الماء الى المنطقة، وبدأ الماء يندفع الى سطح الارض ليحيلها الى جنة خضراء يزرع فيها الباذنجان والبامية والبطيخ والطماطم وسائر الخضراوات واصبح انتاج هذه المنطقة الصحراوية التي تضم سبع مزارع كبيرة، يساهم في تموين الكويت والوفرة .



رصيف التصدير امام شركة الزيت العربية بعد حرائقه ، وهو الرصيف الذي ترسو بجانبه سفن لتحميلها بالبترول الخام ، ويمتد حوالي خمسة كيلومترات في البحر



ســكن موظفي شركة الزيت العربية في « الخفجي » وهي مبنية على أحدث طراز ومكيفة الهواء مركزيا

الفاصل اتفاق

وقبل عام ١٩٥٨ كان يقال ان اهمية المنطقــة المحايدة لا تكمن في موقعها ، انما فيما تحتويه طبقاتها الارضيـة من نفط ..

ولكن في منتصف عام ١٩٥٨ اصبحت المنطقــة البحرية المحايدة تعوق بكنوزها المدفونة المنطقة البرية !

لقد فازت اليابان على الشركات العالميــــة البترولية وحصلت على امتياز البحث والتنقيب عن البترول في بحار المنطقة المحايدة (مدة ٤٠ عاما) من الحكومتين السعودية والكويتية .

وكان لتوقيع هذا الاتفاق صدى كبير في العالم، فلاول مرة تدخل اليابان الى مضمار البترول .. ولاول مرة تاخذ دولة عربية ٥٤٪ من ارباح انتاج النفط .. حتى قالوا انه افضل اتفاق للنفط عقد مع البلاد العربية ، التي تتعامل عادة على اساس اقتسام الارباح مناصفة ..

٦٠٠٠ برميل في اليوم

كان الامل الكبير يداعب خيال اليابانيين في احتمال وجود النفط بكميات كبيرة تحت « بحر » المنطقة المحايدة .. خاصة وان هذه المنطقة ملاصقة للمنطقة التي فيها « حقل السفانية » الواقع في المياه الاقليمية السعودية .

وبهذا الامل بدأ حفر بئر تجريبية في مطلـــع عام ١٩٦٠ للتأكد من وجود النفط .. وبكمية تجارية .. والكمية التجارية تعني ان طاقة البئر الانتاجية يجب الا تقل عن ١٠٠٠ برميـل يوميا حسب نص الاتفاق ..

وما كاد حفر البئر التجريبي ينتهي حتى فوجئت اوساط البترول العالميـة باعلان نبأ اكتشـاف البترول تحت بحار المنطقة المحايدة .. وبلغ فوه البئر الاول حـوالى ٦٠٠٠ برميـل يوميـــا اي اربعة اضعاف المقدار الذي حددوه في الاتفاقيـة للكمية الاقتصادية !!

ست آبار

وما كاد ينقضي العام الاول حتى حفرت ســـبع آبار كلها ذات انتاج كبير ، على عمق ٥٠٠٠ قدم تقريبا تحت قاع البحر ..

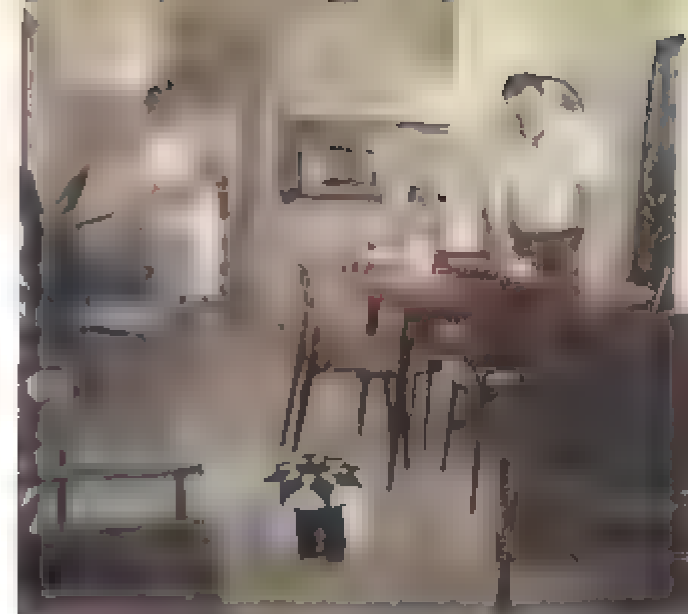
لم يكن احد يتوقع هذا النجاح السريع ... لان اكتشاف حقل النفط عادة يستغرق عدة سنين .. فاذا هو هنا يكتشف من اول بئر تجريبي يحفر فوقه.

وفوجئت الشركة بتدفق النفط ، ولم تكن قد اكملت بعد مرافق التعبئة ، لهذا اضطرت الى اغلاق الآبار حتى تقيم المنشآت اللازمة !

٥ مليون دولار خسارة

وتحت مياه الخليج اللازوردية اللون بـدأت عملية مد شبكة انابيب لربط بين مختلف الابـار وبين مركز التجميع الذي يدفع بالسائل الاسود الى المستودعات على اليابسة ، ويستوعب كل منها ٣٦٨ الف برميل ، ليعاد شحنه من اليابسة عبر الانابيب الى البواخر التي ترسو عند الخرسانة













او الرصيف الواقع على بعد ثلاثة اميال من البر ، والذي رست عليه في العام الماضي ٢١٧ سفينة نقلت ٦٣ مليون برميل من نفط بحار المنطقة المحايدة ..

وهذا الرصيف هو الذي شب فيه الحريق الكبير الذي نتج عنه تدمير الرصيف ، واحتراق ناقلة نفط ومقتل ١٢ شخصا .. وقدروا الخسارة بمبلغ ٥ مليون دولار ، دفعتها شركات التأمين للشركة اليابانية ..

أكثر من ٨٠٠ مليون

وقد تم حتى الآن حفر ٤٩ بئرا منتجة ١٨ منها مزدوجة الانتاج ، اي تخرج النفط من طبقتين مختلفتين من تحت سطح البحر ..

وقدروا كمية احتياطي النفط في الحقل بنحو ٨٠٠ مليون برميل .. ولكن هذا الرقم اقل بكثير من الواقع ، خاصة بعد الاكتشاف لحقل الحوت على بعد ٢٥ كيلومترا شمال حقل الخفجي ، وعلى عمق ٩٠٠٠ قدم تحت قاع البحر ..

سر التصدير لليابان

ان الانتاج الحالي للشركة اليابانية هو ٦٣ مليون برميل سنويا ، أو بمتوسط قدره ١٧٢ ألف برميل في اليوم .. وهذه الارقام ممكن زيادتها كثيرا ، لكن الصعوبات الشديدة الموجودة في الاسواق العالمية ، توقف الكمية المنتجة منه عند هذا الرقم .. الذي يصدر ٩٩٪ منه الى اسواق اليابان .

وكمية النفط المصدرة لها من زيت الخفجي ، ومقدارها اكثر من ١٠ مليون طن ، لا تمثل الا ١٢٪ فقط من استهلاك اليابان الذي يتزايد سنويا بمقدار ٢٠٪ .

وسر استهلاك هذه الكميات الهائلة من النفط يكمن في اتساع مجالات صناعة الكيماويات البترولية باليابان ..

التسويق يعادل الانتاج مشقة

ان صعوبة تصريف انتاج المنطقة المحايدة من النفط نلمسه في شركتي جيتي واليابانية .. اما شركة امين اويل فانها توزع كل كمياتها عن طريق مكاتبها المنتشرة في جميع انحاء العالم ، وخاصة في اليابان الزبون العميل الاول لشركة امين اويل

ان تصريف النفط يخضع لظروف وتيارات مالية خفية وظاهرة .. تجعل عملية تسويقه اصعب من عملية اخراجه ، في بعض الاحيان !

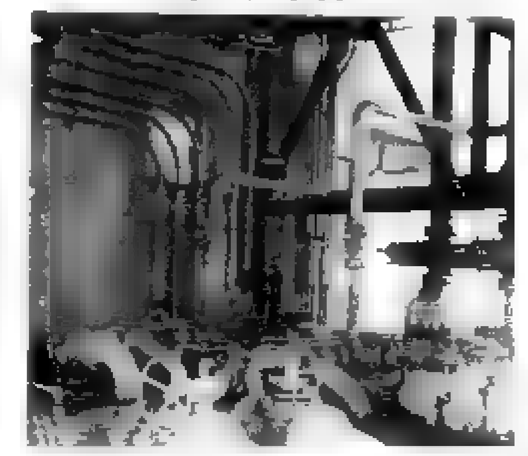
وهنا لا بد من التنويه الى نوعية النفط المستخرج من منطقة امتياز شركة الزيت العربية اليابانية الذي يحتوي على كميات ملحوظة من الكبريت وهذا يسبب ضعفا في تسويقه ، ولولا مساعدة الحكومة اليابانية بفرض جزء من نفط منطقة الخفجي على كل مصنع للتكرير في اليابان لكان وضع تسويقه اشق واصعب .

العاملون في المنطقة

ان الحديث عن النفط في المنطقة المحايدة ، حديث طويل لا ينضب .. ولكن الى جانب النفط بدات حياة العاملين في هذه الصناعة تأخذ طابع الاستقرار في المنطقة التي يعملون فيها .

وفي راس الخفجي بدا المعسكر الذي اقيم عام ١٩٦٢ على منطقة صحراوية قاحلة ، بدا يتحول الى مدينة متكاملة ذات ميناء يطل على خليج صغير (خور) كان عمقه ثلاثة اقدام فحفروا رماله ، حتى اصبح عمقه ١٨ قدما ، واقاموا

هذا هو مركز تجميع البترول المتدفق من آبار شركة الزيت العربية ، ومنه يمكن التحكم في كمية البترول التي تخرج من كل بئر ، ويبعد هذا المركز عن البر حوالي ٣٦ ميلا .





هذه هي خطوط تحمل النفط في منطقة الوفرة .. المستودعات التي الى اليمين تحوي نفط الجانب السعودي والمستودعات التي الى اليسار تحوي نفط الجانب الكويتي

عليه جسرا يربط بين منطقة المستودعات والورش وبين « المدينة » التي اصبحت مساحتها ٢ مليون متر مربع ، كاملة المرافق من شبكة خطوط كهربائية .. وشبكة خطوط الهاتف البحرية لنحو ١٠٠ خط .. وشبكة مياه تنقل نصف مليون جالون من الماء المقطر يوميا .. وشبكة طرق داخلية مجموعها طوليا حوالي ١٠٠ كيلو متر .. ومقر كبير .. وشبكة لتصريف مياه المجاري .. ومستوصف يضم (اطباء وعشرة مساعدين ومضمدين ، استقبلوا بعياداتهم في العام الماضي ٢٧٩٨١ مريضا .. بينما عدد سكان الخفجي لا يتجاوز ٣٠٠٠ نسمة !

اول البيت

اما المرأة فلم تدخل « مدينة » الخفجي الا منذ عام واحد فقط ، بعد ان تم اعداد ٧٢ منزلا وزعت لسكنى عائلات الموظفين .. من عرب ويابانيين ..

والحياة الاجتماعية ما زالت تحبو في الخفجي بسبب اختلاف اللغة والعادات التي تفصل بين الاسرة العربية والاسرة اليابانية .. الا ان التزاور بينهما قد بدأ ... وفي نفس الوقت تستعد الشركة لادخال تحسينات اجتماعية الى المنطقة لقتل الفراغ وازالة الملل اللذين يحس بهما سكان الخفجي .

ان المنطقة المحايدة في شكلها الحالي لا تكاد تصلح للحياة لانه مهما اوتيت شركات البترول من تنظيم ، فانه لا يمكنها ابدا ادارة مدينة وتأمين جميع الخدمات اللازمة لها .. انه واجب الحكومات ، وعلى الشركة يقع عبء مساعدة الحكومات في هذه المهمة ..

وقد احست الحكومتان السعودية والكويتية بهذا الامر ، فوقعتا في شهر مايو الماضي اتفاقا لتعديل اتفاقية العقير التي وقعت عام ١٩٢٢ بين الملك عبد العزيز آل سعود ملك العربية السعودية وبين صاحب السمو احمد الجابر الصباح شيخ الكويت ، والتي تنص على ان « .. هذه الارض تعتبر مشتركة بين حكومتي نجد والكويت ، ولكل منهما فيها الحقوق المتساوية ، الى ان يتفق اتفاقا آخر بين نجد والكويت بخصوصها .. » .

تقسيم اداري فقط

ان الاتفاق الجديد يرمي الى تقسيم المنطقة المحايدة اداريا الى قسمين : سعودي وكويتي ، بحيث تمارس كل دولة حقوق السيادة الكاملة على الجزء الخاص بها .. اما بالنسبة للنفط والمواد الجوفية الاخرى فان المشاركة المتساوية ستستمر بين الدولتين ، دون ان يكون للاتفاق الجديد اي تأثير على امتيازات الشركات او العقود الامتيازات .

ان المنطقة المحايدة مقبلة على عهد كله ازدهار وامل .. الامل في ان تصبح المنطقة المحايدة نقطة مشابهة لمدينتي الكويت والرياض .. ■■

سليم زبال

أنت تسأل؟!



● قرأت في باب بريد القراء مقالاً عنوانه «هذه فلسفة وليست إسلاماً» يحمل حملة شعواء على التصوف . فأسمح لي بتساؤلات كثيرة لأن التصوف علم يعرف به الإنسان كيف يحكم العمل بالكتاب والسنة ليكون عند الله مبروراً

وما أكثر ما يعترضون على الصوفية ألفاظهم وعباراتهم لا لقصور فيهم عن إدراك معاني كلامهم . أما لماذا لم يعرف هذا الاسم في عهد الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم جميعاً فإن هؤلاء كانوا في لغة التصوف ، وما شبه علم الصوفية بعلم النحو ! فالعرب كانوا يتكلمون العربية بالسليقة ، ولم يكن هناك قواعد يتعلمونها في مدارسهم فلما خيف على اللغة العربية الضياع أمر سيدنا علي (رض) أبا الأسود الدؤلي بوضع قواعد اللغة العربية ، وكذلك التصوف فإن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يستمدون من النبي ما يزكي نفوسهم ، ثم انتقل الرسول الأعظم إلى الرفيق الأعلى فأصبح الناس يستمدون من الصحابة ، ومن دون دائرة الرسول ، ثم من التابعين ، وهكذا ، خلف خلف لا يزكى وضع الصوفيون قواعد وأحكاماً ، ووضعه مربون يعلمون الناس ويرشدونهم إلى تزكية النفس وإخراج الأحقاد والأضغان والكبر من القلوب ، فيصلون بذلك إلى علام الغيوب

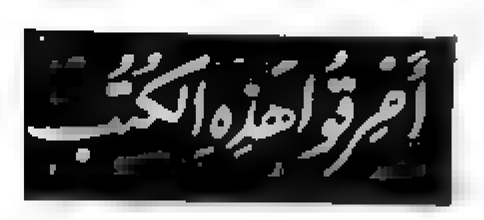
أما القول في الشريعة والحقيقة فقد عرفهما تعالى بقوله : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » . فامتثال أمر الظاهر يوجب علينا إقامة الشريعة على الجوارح ، وامتثال أمر الباطن يوجب علينا أوامر الشريعة على الباطن وهو القلب ، وتصفية القلب من الرذائل وتحليته بالفضائل هي « الطريقة » ، أما «الحقيقة» فهي ثمرة المجاهدة في الظاهر والباطن

أما ألفاظ الصوفية التي يعترض عليها المعترضون كالفناء والمحبة والبقاء وغيرها فمعناها عندهم صحيح ، فهم يقصدون بالفناء فناء الإنسان عن هوى نفسه فإذا فني العبد عن هوى نفسه بقي بربه ، أي بقي مطيعاً لأوامر ربه ، والفناء لا يكون إلا بالمجاهدة وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بها فقال رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس والهوى

أما قولهم من لا شيخ له فشيخه الشيطان فمرجعه الحديث « إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » فمن لم يسترشد بمرشد أكله ذئب المعاصي التي هي الطريق إلى النار . والحمد لله رب العالمين

دمشق — المحامي محمد سليم قرباني
أستاذ في العلوم

— نستميح الأستاذ قرباني عذراً في أننا اقتطعنا من مقاله بعض فقرات التعريف





للنقد وأشعة الدين!

بالصوفية ، ورجالها ، فالنقد ما لا يتسع له هذا الباب .. ثم أحب أن أقول له ان الذين يحملون على الصوفية معذورون الى حد كبير ، فهم لا ريب انه قرأوا كتب التصوف مثل « فصوص الحكم » و « مواقع النجوم » و « ترجمان الأشواق » وكلها لابن عربي الذي يسميه الصوفية « الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر » .. أو قرأوا « الانسان الكامل » للجيلي « العارف الرباني والقطب الصمداني » كما يزعمون ، أو ديوان ابن الفارض الملقب سلطان العاشقين ، أو « الطبقات » للشعراني وغيرها .. اعترف يا سيدي ما في هذه الكتب !

يقول « ابن عربي » في « الفصوص » ان الله يتجلى أعظم ما يتجلى ، في صورة المرأة ! وانه — أي الله — يكون ، وقت اتصال الرجل والمرأة جنسياً في مظاهر ثلاثة . فاعل .. ومنفعل .. ثم فاعل ومنفعل معاً في وقت واحد !

ثم يمضي « الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر » في شرح نظريته بكلام يعف القلم عن أن يكتبه ، الرائي ينتهي من شرحه بقوله « فلهذا أحب صلى الله عليه وسلم النساء لكمال شهود الحق فيهن ، اذ لا يشاهَدُ الحقُ مجرداً عن المواد أبداً » !

ولا يكتفي « الشيخ الأكبر » بأن الله يتجلى في المرأة وحدها ، وانما يقول انه يتجلى في الحجر أو الشجر أو الحيوان .. حتى الكلاب !!

يقول بهاء الدين البيطار في كتابه « النفحات الأقدسية » :

وما الكلب والخنزير الا الهنا
وما الله الا راهب في كنيسة !!

وأما ابن الفارض « سلطان العاشقين » فلا فرق عنده بين نفسه وبين ربه ، فهو الخالق والمخلوق ، فاذا دعي ابن الفارض أجاب لأنهما اثنان في واحد أو واحد في اثنين .. لا أدري ؟

وهو الآخر ، كابن عربي ، يتحدث عن الله سبحانه — في قصيدته التائية — وكأن ذاته الالهية لا تتجلى الا في الأنوثة !

« وتظهر للعشاق في كل مظهر
من اللبس في أشكال حسن بديعة
ففي مرة لبنى ، وأخرى بثينة
وآونة تدعى بعزة عزت
ولسن سواها ، لا ولا كن غيرها
وما ان لها في حسنها من شريكة »

ويقول « الجيلي » بعد أن صب فلسفاتها :

لي الملك في الدارين ، لم أر فيهما
سواي ، فأرجو فضله أو فأخشاه
ولقد حزت أنواع الكمال وانني
جمال جلال الكل ، ما أنا الا هو !
فإني ذلك الكل ، والكل مشهدي
أنا المتجلي في حقيقته ، لا هو !
وانني رب للأنام وسيد
جميع الورى اسمي ، وذاتي مسماه !

ويتحدث الشعراني في « الطبقات الكبرى » عن أئمة الصوفية مثل « الرحمانيين » وهم

ثلاثة » يجلسون عند النجي عرايا على حجر مليح ، ويسمعون الوحي ، ويطعمون الزاد » ! .. ومن الشيخ ابراهيم العريان فيقول : « كان يصعد المنبر عريانا ، ويخطب الناس فيقول « السلطان .. ودمياط .. باب اللوق .. وبين الصورين .. وجامع ابن طولون .. والحمد لله رب العالمين » .. فيحصل للناس بسط عظيم ! » .

وليس الذى ذكرت لك الا قطرة من بحر مما تفيض به كتب الصوفية من اشياء غير معقولة ، فان سألتهم عنها قالوا انها كتابات « باطنية » لا يفهم معناها الا الراسخون في العلم ، والواصلون الى الدرجات العلية !!

افلا يكون المخلصون من المسلمين معذورين ، اذا ما تشكك منهم متشكك في اهداف الصوفية وعقيدتها ؟

لم اليس اجدى بمتصوفة هذا العصر ، ومنهم علماء اجلاء ، ان يتبرأوا من هذه الكتب ومؤلفيها ، او على الاقل ان يقرروا انها مدسوسة على شيوخهم الكبار ، اسوة بما دُسّ على تفسير القرآن من الاسرائيليات ، وان يعودوا الى كتاب الله وسنة رسوله بغير كناية ولا تأويل !!

الا ليتهم يفعلون ..

اطلبي الطلاق منه والشرع والقانون في صفك

● أنا سيدة أبلغ من العمر ٢٢ سنة متعلمة ومتزوجة من رجل يكبرني بـ ١٨ سنة ، نصف متعلم .. لم تكن لي يد في زواجي ، بل ارغمني عليه أهلي ، لان التقاليد لا تسمح للفتاة باختيار عريسها .. كل ما اريد ان اقوله بان مدة زواجي منه وهي ثلاث سنوات ، مرت وكأنها ثلاثة قرون ، كلها عذاب وشقاء ، وذلك لانني لا اشعر نحوه بأي حب او حتى مجرد رغبة في معاشرته ، بل حتى انني لا اكن له ذرة من الاحترام .. حتى يشعر بمجرد قربه مني .. لا اؤدي واجباتي الزوجية الا بالضرب لانني اكرهه .. لم أنجب منه اولادا في هذه المدة ، حتى اضحّي بشبابي من اجلهم .. طالبته بطلاقي ولكنه باقي متمسك بي مع العلم بانه يعرف حقيقة شعوري نحوه . اريد ان انفصل عنه .. هل هناك حل أجده عندكم يخلصني منه واستريح ؟!

ان الموت اصبح عندي افضل من الحياة معه ، فما هي الوسائل التي اسلكها حتى استرد حريتي ؟!

هدى   جوهرة

— ان اجبار الفتاة على الزواج من شخص لا تريده ، امر مخالف للشريعة والقانون ، وان يكن احدى بقايا التقاليد المتعفنة التي ما تزال تسيطر

هذه أنانية

● خطبت فتاة احبها كثيرا ، وهي ايضا تحبني كثيرا ، ومشكلتي هي انني اخاف ان ينهدم بيت الزوجية في المستقبل بسبب فارق الثقافة بيننا .. فهي مصممة على الانتهاء من دراستها الجامعية حتى السنة الاخيرة وانا لست جامعيا ، ولكن لدي « التوجيهية » وخبرة الحياة الطويلة التي تعد اكبر جامعة ، بالاضافة الى اطلاعي على الكتب الادبية او العلمية او اي كتاب يقع تحت يدي ، ولكنني اعتقد ان الفتاة العربية والشرقية تصاب بالغرور اذا ما حصلت على شهادة عالية لا يحملها زوجها . فلماذا لا تترك هي الجامعة مثلا لنتزوج ، فلا تكون بيننا اي فارق اجتماعي او عقلي او مادي !!

ربما تعتقد هي ان شهادة الجامعة قد تكون مستقبلها في حالة حدوث خلاف او طلاق ، وكثير من الفتيات يفكرن بهذه الطريقة ، فماذا

أيهـا العريس !

تصاب الفتيات بهذا النوع من الهواجس والأفكار ؟ ولماذا يتوقعن الشر دون الخير ؟!

لي صديق متزوج من جامعية وهو ليس جامعيا ، وقد حذرني كثيرا من أن أقع في ما وقع فيه .. أرجوك أن ترشدني للطريق الصحيح وشكرا .

الكويت   س . س

ــ هذه أنانية منك يا صاحبي .. فأنت لا تريد بتوقفها عند الدراسة الثانوية إزالة الفوارق كما تقول ، وإنما تريد أن تشعرها بأنك أنت الرجل .. السيد المسيطر الذي لا يعارضه في البيت معارض ! أليس كذلك ؟!

إنك خائف على مصيرك كسيد مطاع ، وحاكم بأمره في منزله ، لأنه هو الرجل .. وهو الحاكم الناهي .

أما خطيبتك فأعقل منك وأكثر تفهما لواقع الحياة .. ولا غبار عليها إذا ما كانت تريد أن تؤمن مستقبلها إذا ما حدث بينكما خلاف في يوم من الأيام .. هذا حقها ، بل هذا واجبها ، وهو لا يضيرك في شيء ، بل قد ينفعك من حيث لا تدري !

أليس من الجائز أن تصاب ـ لا قدر الله ـ بما يعجزك عن الإنفاق على نفسك وزوجتك وأولادك في يوم من الأيام ؟! كل شيء جائز .. وعندها ستجد هي ـ الزوجة المخلصة والأم الرؤوم ـ في راتبها أو ما تربحه من عملها ، ما تنفقه على أسرتها ، بدلا من أن تتشرد هي وأولادها في الشوارع أو في بيوت الأهل والأقارب .

فإن كنت تحبها حقا فلا تعترض رغبتها في إتمام دراستها الجامعية ، ولا تكن أنانيا حتى تضحي بمستقبلها في سبيل إرضاء نزوة السيطرة والسلطان في نفسك !

وإلا فدعها ، ولا تقف في طريقها ، يرزقها الله خيرا منك ، وقد يرزقك خيرا منها ..

على بعض أقطار الوطن العربي والعالم الإسلامي .

فقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم باختيار الزوج لزوجته ، والزوجة لزوجها ، فإن اختيار العشير وشريك العمر هو أعظم الأمور خطرا في حياة الزوجين ، وفي ذلك أحاديث نبوية صحيحة ، منها قوله (ص) ، « الأيِّم أحقُّ بنفسها من وليِّها » أي أن المرأة غير المتزوجة التي تريد الزواج أحق من غيرها في اختيار زوجها .

وبهذا أخذ أبو حنيفة ، فقرر انفراد المرأة باختيار زوجها ، من غير رضى وليها ، ما دامت بالغة عاقلة .. ولكن خالفه في ذلك بقية الفقهاء فأباحوا لأهلها التدخل في اختيار الزوج ، من غير أن يرغموها على زوج معين ما دامت بالغة عاقلة .. فإذا اختارت هي لنفسها زوجا كفؤا لا عيب فيه ، وعارض أهلها في زواجها أو عضلوا على منعها من الزواج بقصد مضايقتها أو الإضرار بها ، كان لها أن تطلب من القاضي أن يتولى تزويجها منعا لظلم أوليائها ..

وقد تنبهت قوانين الأحوال الشخصية في معظم البلاد الإسلامية إلى أهمية هذا التطلع وما يعترضه من التقاليد الموروثة التي تسلب المرأة حق اختيار زوجها ، فأباح لها الشرع في هذه الحالة أن تطلب الطلاق للضرر أو الضرار ..

وما دمت تكرهين زوجك إلى هذا الحد الذي تصفين رسالتك وهو يأبى أن يسرحك بالمعروف، وما دام زواجك به لم يتم برضاك وبمحض من إرادتك، فليس أمامك إلا أن ترفعي أمره إلى القضاء طالبة الطلاق منه ، ولو أدى ذلك إلى تنازلك عن النفقة ومؤخر الصداق ، فذلك خير من أن تقضي بقية عمرك في هذا الجحيم الذي منه تشتكين ..

أما تراثنا الأدبي فنعم ..

وأما تراثنا العلمي ففيه كلام كثير !

● نسمع في هذه الأيام نغمة جديدة أو خطيرة ، يتغنى بها بعض الذين يسمون أنفسهم « مجددين » من رجال الصحافة والأدب على السواء . هذه النغمة تنتشر لتحول دون نشر تراثنا الأدبي والعلمي ، وتعتبر كل جهد يبذل في محاولة بعث هذا التراث أو إخراجه من الغابة ، جهد ضائع ، لأن هذا التراث لم يعد له اليوم مكان في عصر الذرة والصواريخ !

إن لنا من تراث القدماء ثروات وكنوزاً لا تقدر بثمن ، سواء في العلم وفي الأدب وفي الفلسفة أو في الطب وفي الكيمياء ، وفي الفلك والرياضيات أو علم الاجتماع وحسبنا أن نحصي ما تركت لنا [illegible] أمثال ابن رشد وابن حيان وابن الهيثم وابن خلدون وابن سينا والفارابي وغيرهم ، ونقارن بينه وبين ما يدرس اليوم من هذه العلوم والفنون ، لنجد أن من حقنا أن نفاخر بهم وبما تركوا لنا من تراث يجب أن نعمل على بعثه والحفاظ عليه ، بسبب تقدم العصر [illegible] أمثال من الغربيين الذين فجروا الذرة واخترعوا الأقمار الصناعية والصواريخ ؟

بيروت سالم محمد علي

— أما أن نعمل على إحياء التراث العربي فأمر بديهي .. ولعل في وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت ، وأخوات لها في كثير من البلاد العربية ، لا تألو جهداً في العمل على نشر ذلك التراث ، حتى لقد بلغ ما أصدرته وزارة الإرشاد بالكويت أكثر من خمسة عشر كتاباً ، آخرها الجزء الأول من « تاج العروس » الذي يقع في نحو ستمائة صفحة بعد مراجعته وتحقيقه ..

ونحن نقر الدعوة إلى نشر التراث العربي في الأدب ، وفي الدين ، وفي اللغة ، وما شابه ذلك من الأمور النظرية وإن كنا لا نستطيع أن نتحمس لنشر التراث الخاص بتفسير القرآن أو بالأحاديث النبوية إلا بعد تنقيتها مما شابها من شوائب وخرافات ..

أما « العلوم » فلنا في نشر التراث العربي منها رأي آخر ، ما نظنه يرضي الكثيرين !

إن تراثنا العربي في الطب أو الكيمياء أو الفلك أو الرياضيات أو غيرها من العلوم البحتة ، على العين والرأس ، ونحن نشكر لأصحابه جهودهم وما وصلوا إليه .. أما أن يراد بنا أن نعترف بأن فيه غناء واستفادة ، فاسمح لي أن أقول لك ، مع كل احترامي : هذا كلام فارغ !

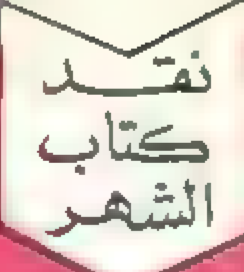
لا بأس عندنا من أن نحيي هذا التراث إحياء تاريخ وذكرى ، ولنقول إننا لم نكن أمة جاهلة ، أما أن نحييه لننتفع به في عصرنا فجهل ليس بعده جهل !

والعجيب أن الذين يدعون إلى إحياء التراث العربي العلمي للاستفادة به ، يربطون دعوتهم هذه بدعوة القومية العربية ..

إن الانسياق وراء العواطف في هذا المجال يؤخر الأمة العربية ولا يقدمها ، ويؤذي القومية العربية ولا ينفعها . إنما الذي ينفعها أن نأخذ ما انتهى إليه أحفادنا في هذه العلوم والفنون ونبني فوقه ، ونزيد عليه ، تماماً كما فعل الغربيون ، لا أن نفاخر به ونحن عن الإتيان بمثله عاجزون ..

ورحم الله الشاعر إذ يقول

إن الفتى من يقول ها أنا ذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي





بقلم : الدكتور محمود السمره

● كثيرة هي الكتب التي تعالج هذا الموضوع ، وخاصة في اللغات الاوروبيه . والكتابة الموسوعية العلميه في هذا المجال صعبة عسيرة لما تتطلبه من دقة وتقص وتحليل . اما ان يضع الكاتب دراسة استهوائية في هذا الموضوع ، فسهل جدا ، وما عليه الا ان يجمع من كل كاتب سبق له ان ألف في هذا الموضوع ، ما قاله في سبق العرب ، وأثرهم في تكوين الفكر الاوروبي ، مهملا ما قيل من مناقضة ، وغير عابىء بالموازنة بين الاقوال ، والسعي الى تبين الحقيقه .

وهذا الكتاب ، كما نقدر ... الدكتور عبد الرحمن بدوي ، انما قصد به ان يرسم خطوطا اجمالية لدور العرب



العربي في تكوين الفكر الأوروبي ، وهو في حقيقته كذلك .

الأندلس وصقلية نقطتا الالتقاء

وقد أشار الدكتور بدوي في المقدمة الى أن التقاء الفكرين العربي والغربي قد تم في منطقتين : في الأندلس وخاصة في مدينة طليطلة ، وفي صقلية وجنوبي ايطاليا وخاصة في عهد ملكي النورمان روجر الثاني (ت ١١٥٤ م) وفردريك الثاني (ت ١٢٥٠ م) .

وقد بدأ التقاء الثقافتين في الأندلس برحلة جربير (أو جربرت) دي أورياك الى قرطبة طلبا للعلم . وجربير هذا هو الذي أصبح فيما بعد البابا سلفستر الثاني . وقد دار حول البابا سلفستر الثاني ورحلته الى الأندلس لطلب العلم كلام كثير : فبعض المؤرخين يؤكد هذه الرحلة وبعضهم الآخر ينكرها . ولكن الفترة الساحقة منهم ترى أن البابا قد قضى ثلاث سنوات (٩٦٧ - ٩٧٠ م) يطلب العلم في الأندلس ، وكان لهذا أثره في نشر العلم العربي في أوروبا المسيحية .

والطريف ما يدور حول حياة هذا البابا أحب أن أزيد فأقول ان الكتب تروي انه في عام ٩٤٥ م وضعت يد مجهولة طفلا ملفوفا بقماط على باب دير أورياك ، فالتقط الرهبان الطفل ، وعطفوا عليه وربوه ، وأطلقوا عليه اسم جربير ، ونسبوه الى ديرهم فأصبح اسمه جربير دي أورياك . وعندما كان جربير في سن العشرين زار الدير الكونت بوريل البرشلوني ، فأعجب بذكاء هذا الفتى ، واستأذن له من الرهبان أن يصحبه معه الى بلده . وكانت تدور بين الكونت والعرب معارك كان يهزم فيها ، لهذا أرسل مشعوبه الأسقف هاتو Hatto ، واستاذ جربير ، الى قرطبة لطلب الصلح .

وعندما عاد هاتو من سفارته الى الأندلس أخذ يحدث تلميذه عن تقدم العرب العلمي والأدبي ، ويقص عليه أخبار علمائهم وشعرائهم وحضارتهم ، فسحر الفتى جربير بهذه الأحاديث ، وتعلق بالعرب ، وقرر السفر الى الأندلس لدراسة الرياضيات والفلك . وفي الأندلس تعلم جربير أشياء لم يكن يحلم بها أحد في الغرب .

وتدور الأيام فاذا بالطفل اللقيط يصبح البابا سلفستر الثاني .

وفي الأندلس وفي طليطلة تم الالتقاء الحقيقي بين الفكرين العربي والأوروبي ، وذلك بعد أن استردها الاسبان سنة ١٠٨٥ م . وقد كانت طليطلة مركزا ثقافيا هاما ، بها كثير من المكتبات العامرة بالكتب القيمة ، واليها نقل جزء من مكتبة الحكم الثاني ، والأثمن المجلدات التي بها من الشرق . واشتهرت طليطلة بمترجميها الذين اهتموا أولا بنقل العلوم العربية المنقولة عن العلوم اليونانية . ومن أشهر هؤلاء المترجمين الشماس دومنجو قنصالبه (ت ١١٨٠ م) ، أشهر رجال الترجمة في العصر الوسيط من العربية الى اللاتينية عن طريق الاسبانية العامية . وكانت طريقة قنصالبه في الترجمة أن يستمع الى يهودي يترجم له النص العربي بالاسبانية العامية ، فيضعه هو باللاتينية. وبهذه الطريقة ترجم بعض مؤلفات الفارابي ، وابن سينا ، والغزالي وغيرهم .

* * *

وفي صقلية كان الالتقاء الثاني بين الفكرين العربي والغربي . وكان العرب قد فتحوا صقلية سنة ٢١٢ هـ على يد الاغالبة ، ثم استولى عليها النورمان سنة ٤٨٤ هـ . وقد ظل التأثير العربي واضحا في صقلية طوال حكم النورمان . وكان روجر الثاني ، أحد ملوكهم ، يحيا في بلاطه حياة الخلفاء الفاطميين في مصر ، فكان يرتدي العباءة العربية المزينة بالحروف العربية الكوفية . وانشأ الأكاديمية لترجمة العلوم العربية يعمل فيها المسلمون والمسيحيون واليهود . وحركة الترجمة هذه شبيهة بحركة الترجمة في طليطلة ، وان تأخرت عنها عشرات السنين .

ومن أشهر الكتب التي ترجمت في نقطتي الالتقاء هاتين : كتاب المجسطي لبطليموس من العربية الى اللاتينية حوالي سنة ١١٦٠ م ، وكتاب المناظر لبطليموس أيضا ، ومؤلفات جالينوس الطبية ، والقرآن الكريم ، وبعض الكتب في علم التوحيد ، وشرح ابن رشد على كتاب « الأخلاق » لأرسطو ، وتلخيص كتاب « الخطابة » لابن رشد . وترجمت كتب الى اللغة الاسبانية منها : كليلة ودمنة ، وعشرات من كتب الفلك .

هذه اشارة بالغة الايجاز الى أثر الفكر العربي

في تكوين الفكر الاوروبي من طريق الترجمة . ولكن هناك جوانب اخرى بالغة الاهمية .

اثر الادب العربي في تكوين الشعر الاوروبي

وقد اعتمد المؤلف في هذا الفصل على مصدرين اسبانيين لا ثالث لهما هما : « تاريخ الفكر الاندلسي » تأليف بالنثيا وترجمة الدكتور حسين مؤنس ، و « اسبانيا حلقة الاتصال بين المسيحية والاسلام » تأليف بيدال . ولكن ما كتب حول هذا الموضوع كثير .

وقد جارى الدكتور بدوي المؤلفين في رأيهما حول اثر الادب العربي في تكوين الشعر الاوروبي ، فهو يرى ان الشعر العربي الاندلسي في الموشحات والازجال قد انطوى على المرحلة الاولى لنشأة الشعر ، الاسباني نفسه ، كما اثر في نشأة الشعر الاوروبي . ويذكر من الشعراء المجيدين في الموشحات احمد بن عبد ربه صاحب كتاب « العقد الفريد » .

ويرى الدكتور بدوي رأي (بيدال) الذي يقول ان تأثير الادب العربي قد تجاوز طريقة النظم وامتد الى طريقة علاج الموضوعات : ففكرة الحب النبيل التي تسود الغزل في الشعر البروفنسالي مأخوذة من الشعر الاندلسي ، وازجال ابن قزمان . ويدعم بيدال رأيه هذا بقوله ان هذه الفكرة قد عرضها ابن حزم في « طوق الحمامة » ، وهي موجودة ايضا في شعر الحكم الاول (ت ٢٠٦ هـ) ، وشعر ابن زيدون في ولادة .

ويرى مؤلف الكتاب ان القصص العربي ايضا قد اثر في نشأة الادب القصصي في اوروبا ، ويستشهد على ذلك بان بدرو الفونسو قد قام بترجمة ثلاثين اقصوصة من العربية الى اللاتينية ، كما ترجمت « كليلة ودمنة » الى الاسبانية في عصر الفونسو الحكيم حوالي سنة ١٢٥٠ م ، وسرت بعض قصص « الف ليلة وليلة » الى الاندلس فأثرت حتى في لوب دي فيجا اكبر كتاب المسرح الاسباني .

هذه خلاصة ما جاء به بالنثيا وبيدال ، واخذ به الدكتور بدوي .

واحب ان اضيف ان من انصار هذا الرأي ، اي ان الموشحات فن عربي واثر في الشعر الاوروبي الاستاذ نيكل (1) ، فهو يقول ان شعراء الغرام الطروبيين (التروبادور) هم الذين تأثروا بالموشحات ، ويسوق الحجج والادلة التي تثبت رأيه .

ولكن هناك للقضية وجه آخر مناقض لهذا الرأي ، يقول به باحثون عرب واجانب . وهذا الفريق يرى ان الموشحات نشأت تقليدا للشعر الغنائي العجمي عند التروبادور والتروبادور ، وقد مات هذا الشعر الغنائي العجمي لانه لم يكن من الادب المكتوب ، وانما كان من الادب الذي يتناقله الرواة ولم يبق منه الا ما التقطه منه العرب واليهود مكتوبا بالعربية او العبرية ، وهو قليل .

يقول الاستاذ جب Gibb (2) : ان من المحتمل ان يكون مخترعو الموشحات قد تأثروا بالاغاني الشعبية الاسبانية والبروفنسية المتأثرة بالتراتيل المسيحية .

ويقول بطرس البستاني في كتابه (ادباء العرب) : ان العرب في اسبانيا قد سمعوا اناشيد الجونكلر ، وهم جماعات عرفوا في غاليه (فرنسا) بين القرنين السابع والثامن ، وكانوا يطوفون البلاد رجالا ونساء ، ينشدون الناس اناشيدهم الحماسية والغرامية في الطرقات ، فنبههم ذلك الى استنباط اناشيد للغناء طليقة القوافي والاوزان تولد منها فن الموشحات . وقد ضاعت اناشيد الجونكلر لانها لم تكن مكتوبة ، ولكنها تركت آثارها في اشعار الطروبيين التي ظهرت في جنوبي فرنسا في الوقت نفسه الذي ظهرت فيه الموشحات الاندلسية . فالبستاني يرى ان الموشحات واشعار الطروبيين انشئت من اصل واحد هو اغاني الجونكلر . كما يرى ان الموشحات ليست عربية ، وانما هي متأثرة بالادب الاسباني والفرنسي ، فهي مستعربة كاهل الاندلس انفسهم .

والارجح في رأيي ان الموشحات فن استوحاه

---

(1) Mykl, R. A., Hispano Arabic Poetry Baltimore 1946

(2) Gibb, Arabic Literature

عرب الأندلس من الأغاني الأعجمية ، ذلك أن هذا الفن لم يزدهر في المشرق العربي ، وقد علل كبار أدبائنا انتفاء هذا بأن البيئة في المشرق العربي لا تساعد على ازدهار فن التوشيح ، وفي زعمهم أن هذا الفن لا يبرز فيه الا من عاش في بيئة أندلسية. ومن هذا نستنتج أنه كان في الأندلس ما يساعد على ظهور الموشحات ، وأن هذا العامل كان مفقودا في البيئة العربية في المشرق .

ولعل ما يؤيد هذا الرأي ازدراء كبار الأدباء للموشحات لأنها في نظرهم دخيلة : فالعلماء الأجلاء قد امتنعوا عن ايراد الموشحات في مصنفاتهم ، فلم يورد ابن بسام موشحا واحدا في كتابه الشهير « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ، وهو الكتاب الذي يعد جامعا لأفضل ما نظمه شعراء الأندلس . وقد بلغ من احتقار الفتح بن عبد الله القيسي للموشحات أنه لم يشر اليها في كتابيه « قلائد العقيان » و « مطمح الأنفس » ، مع أنه قد ترجم لعدد من الشعراء الذين اشتهروا بنظم الموشحات ، ولكنه لم يورد لهم الا شعرا تقليديا. أما عبد الواحد المراكشي فقد اعتذر عن ايراد الموشحات اعتذارا غريبا فقال : « انه لم تجر العادة بايرادها في الكتب المجلدة المخلدة » .

وهذا القول يقودنا الى مناقشة ما انتسبه الدكتور بدوي وسلم به من أن من أوائل من نظموا الموشحات ابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » ، وهو الأديب المعروف . والأرجح أن هذه النسبة غير صحيحة ، ذلك لأن كبار الأدباء قد ترفعوا عن نظم الموشحات الا في العصور المتأخرة . ثم ان صاحب « العقد الفريد » لم يرو له حتى موشح واحد . والأقرب الى الصواب أن ابن عبد ربه هذا ليس صاحب « العقد الفريد » ، وانما هو ابن أخيه سعيد بن عبد الرحمن ابن محمد بن عبد ربه ، وكان من الوشاحين .

دور العرب في تكوين الفكر العلمي الاوروبي

في رأيي أن أثر العرب في تكوين الفكر العلمي الاوروبي أوضح من أثرهم في تكوين الأدب الأوروبي. وقد أثر العرب في الفكر العلمي الاوروبي بمختلف فروعه . في الطب ، والفيزياء والكيمياء والفلك والرياضيات .

ففي ميدان الرياضيات كان العرب هم الذين أدخلوا النظام العشري في العدد ، وما يسميه الأوروبيون بالأرقام العربية هي أرقام عربية فعلا ، بينما الأرقام التي نكتبها في المشرق العربي أرقام هندوستانية .

وقد دخلت الرياضيات العربية أوروبا على يد ليوناردو دي بيزا في القرن الثالث عشر . ومن أشهر الرياضيين العرب الذين ترجمت مؤلفاتهم الى اللاتينية : الخوارزمي الذي برز في عصر المأمون . وقد ترجم له كتاب لا نعرف عنه غير عنوانه اللاتيني ، ونشر في روما سنة ١٨٥٧ ، وفيه يشرح النظام العشري مستعملا الأرقام الهندوستانية . أما أشهر كتاب عرفته أوروبا للخوارزمي فهو كتاب « حساب الجبر والمقابلة » الذي درس فيه تحويل المعادلات وحلها. وقد نشر روزن Rosen النص العربي مع ترجمة انجليزية في لندن سنة ١٨٣١ .

وبرز أبناء موسى بن شاكر الثلاثة الذين عاشوا في القرن الثالث الهجري ، في الحساب والفلك والميكانيكا . وحياة والدهم موسى بن شاكر ، وما قدمه وقدموه في ميدان العلم ، تكون قصة من أطرف القصص وأكثرها امتاعا ، وقد عرضنا لها عند تقديمنا في هذا الباب لكتاب « شمس العرب تسطع على الغرب » للمستشرقة الألمانية زيغريد هونكه .

وفي ميدان الفلك اخترع العرب وصنعوا آلات جديدة للرصد مكنتهم من كثير من الاكتشافات ، وجعلتهم يعدلون فلك بطليموس : فالبتاني اكتشف تغير أوج الشمس وحسب السنة بمقدار ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و(٤٦) دقيقة و(٢٤) ثانية ، والفلكيون اليوم يحسبونها بمقدار ٣٦٥ يوما و٥ ساعات و(٤٨) دقيقة و(٧) ثانية .

وقد أولى العرب القمر اهتماما كبيرا لأن سنتهم قمرية فانتهى أبو الوفاء البوزجاني (٩٤٠-٩٩٨م) الى اكتشاف التغيرات القمرية ، ووضع البتاني نظرية عن حركات عطارد .

وبرز ابن الهيثم (ت ١٠٣٩ م) في علم

البصريات ، وترجم كتابه الى اللاتينية سنة ١٥٧٢ . وتقدم العرب في ميدان الطب باكتشافات جعلت اوروبا تعتمد عليهم في دراسة الطب مدة تزيد عن اربعة قرون . واضافوا الكثير الى علم صناعة الادوية مستعينين بابحاث علماء النبات ، وانشأوا ونظموا المستشفيات العامة التي كان يعالج فيها المرضى على حساب الدولة .

واحب ان ارسم صورة لمدى اهتمام المسلمين باقامة المستشفيات والعناية بها . فالروايات تحدثنا انه عندما اراد السلطان عضد الدولة ان يبني مستشفى جديدا في مدينة بغداد طلب من الرازي ان يبحث عن احسن مكان لاقامته ، فاوصى الرازي خدمه بتعليق قطع كبيرة من اللحم من مختلف الانواع في كل اطراف بغداد ، ثم انتظر مدة اربع وعشرين ساعة ، واختار المكان الذي ظل فيه اللحم اقل سوءا من غيره .

واختار السلطان صلاح الدين الايوبي احد قصوره الفخمة في القاهرة ليكون مستشفى سمي « المستشفى الناصري » ، واختار هذا القصر بعيدا عن الضوضاء لراحة المرضى وبنى السلطان نور الدين زنكي « المستشفى النوري » بدمشق من الاموال التي اخذها فداء لملك حرب ملك الفرنجة .

ولم يكن بناء المستشفيات مقصورا على الخلفاء والسلاطين والاغنياء ، وانما قام بتاسيسها ايضا الاطباء .

واشهر الاطباء العرب محمد بن زكريا الرازي (ت ٩٢٣ م) الذي يعد كتابه « الحاوي » دائرة معارف طبية . وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية وطبع سنة ١٤٨٦ م . كما ترجم كتابه « المنصوري » ايضا وطبع سنة ١٤٨١ م ، وكتاب اخر صغير عن الجدري والحصبة .

ويأتي بعد الرازي ابن سينا (ت ١٠٣٧ م) الذي كان كتابه « القانون في الطب » ، الى جانب « الحاوي » ، عمدة الدراسة الطبية في مدارس اوروبا الطبية لمدة ستة قرون . وهناك ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي الذي ترجم كتاب « التصريف » الى اللاتينية وطبع عشرات الطبعات ، وهو اول كتاب تفرد فيه الجراحة علما مستقلا قائما على معرفة التشريح ، وابو القاسم الزهراوي هو اول من اجرى عملية ازالة حصوة المثانة .

ويطول بنا القول لو حاولنا ان نعدد بعض ما قدم العرب لاوروبا في ميدان العلوم . ويمكن ان نوجز القول بالاستشهاد بما قاله الدكتور فون شيسمايم : « .. لقد استقبلت كتب ابن سينا والرازي وابن رشد بالثقة نفسها التي استقبلت بها كتب ابوقراط ، وجالينوس ، وبالت حظوة قصوى عند الناس الى درجة انه اذا ما حاول امرؤ ما ممارسة الطب دون الاستناد اليها ، اتهم على اهون سبيل بالعمل على الاضرار بالمصلحة العامة ... » .

الشغف بالكتب

وسنتجاوز بعد هذا الفصول الباقية من الكتاب والتي تتحدث عن دور العرب في تكوين الفلسفة الاوروبية ، والموسيقى ، وفن العمارة .. الخ لكثرة ما يمكن ان يدور حولها من نقاش . ولكني احب ان ابرز مدى اهتمام العرب بالكتب ، ما دام تأثيرهم في الفكر الاوروبي قد جاء عن طريق هذه الكتب .

تحدثت الكتب ان العرب قد شغفوا بالكتب لدرجة كبيرة في الفترة الممتدة من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر الميلادي ، فاقام هرون الرشيد دار الحكمة ببغداد ، وهي مكتبة ضخمة. وتذكر الروايات ان دور الكتب العامة ببغداد بلغت اكثر من مائة عام ٨٩١ م . وشادت المدن المكتبات العامة التي يستطيع اي انسان ان يدخل قاعاتها للمطالعة ، ويستعير منها ما يريد . وفي هذه المكتبات كان يدور جدل ونقاش حول ما يهم الرواد من موضوعات . ويكفي للدلالة على العناية الكبرى بالمكتبات ان نذكر ان مكتبة صغيرة كمكتبة النجف كانت تحوي في القرن العاشر الميلادي اربعين الف مجلد .

وكان لكل مسجد مكتبته الخاصة ، ولكل مستشفى قاعة فسيحة صفت على رفوفها الكتب الطبية الحديثة الصدور لتكون مادة لدراسة الطلاب ، ومرجعا للاطباء . وقد جمع ناصر الدين الطوسي لرصده في مراغة ٤٠٠ الف مخطوطة .

ويروى انه لما شفي سلطان بخارى ، محمد

المنصور ، من مرضه العضال على يد ابن سينا ، وهو لم يزل فتى في الثامنة عشرة ، كافأه السلطان بأن سمح له أن يختار من مكتبة قصره ما يحتاج اليه من كتب لدراسته ، وكانت المكتبة تشغل جزءا كبيرا من القصر . ويقول ابن سينا : « وهناك رأيت كتبا لم يسمع اغلب الناس حتى بأسمائها » .

وحوت مكتبة الخليفة العزيز بالقاهرة ١٫٦٠٠٫٠٠٠ مجلد ، وبنى ابنه من بعده حين اعتلى العرش مكتبة ضخمة فيها ثماني عشرة قاعة للمطالعة الى جوار المكتبة القديمة .

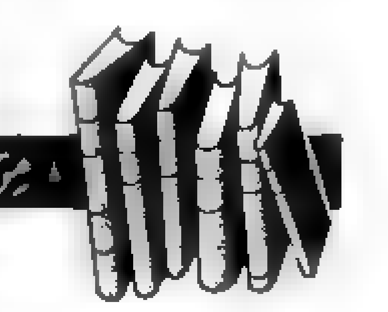
وترك الوزير المهلبي عند وفاته عام ٩٦٣ م ١١٧٫٠٠٠ مجلد ، وجمع الصاحب بن عباد في مكتبته ٢٠٦٫٠٠٠ كتاب .

ونحن نعترف بأن هذه الأرقام مبالغ فيها ، ولكن هذه المبالغة نفسها تدل على مدى تفاخرهم بما يجمع الواحد منهم من كتب .

وهذا الشغف باقتناء الكتب فتح باب الرزق أمام الخطاطين والنساخ ، حتى أصبح منهم فنانون مهرة . وانتشر صانعو الورق بطواحينهم في سمرقند وبغداد ودمشق وطرابلس وفلسطين والأندلس ، وكثر مجلدو الكتب بالأغلفة الرائعة ، وعرف قوم باسم الدلالين ، كانت مهمتهم بيع النادر من الكتب وشراءها ، وكانوا يرحلون في سبيل ذلك من بلد الى بلد .

هذا طرف من الماضي يؤكد أن الحضارة الانسانية بناء واحد تضيف اليه كل أمة بدورها جديدا بعده ، فحضارتنا الحاضرة هي نتاج كل الجهد الانساني منذ أن وجد الانسان حتى اليوم . واذا كان كبلنج شاعر الانجليز قد قال : « الشرق شرق والغرب غرب ولن يجتمعا » فان جيته صاحب « الديوان الشرقي الغربي » قد قال قبله قولا أقرب الى الواقع . قال جيته : « من يعرف نفسه ويعرف الآخرين ، لا بد له من أن يعترف أن الشرق والغرب لا ينفصلان » .

محمود السمره



المقاصد من نوازع العرب وسجاياهم

تأليف السيدة عناية سلطان السالم : الكويت

● يقع هذا الكتاب في ٣٦٤ صفحة ، وهو الجزء الأول من بحث تحليلي يتناول الكلام عن العرب من لدن نشأتهم ، وفي عصورهم المختلفة الى العصر الحاضر ، لا من الناحية التاريخية فحسب ، بل ومن النواحي العلمية والأدبية والاجتماعية والدينية والاقتصادية ، اعتمدت في ما ضمنته اياه على ٦٦ مرجعا ، ومن هنا يتضح الجهد الذي بذل فيه ، خاصة وأنه تطرق الى بعض المسائل الشائكة ، كنشأة الانسان ، وهل كان آدم هذا أول البشر ، أم كان قبله « أوادم » آخرون ، كما يروون عن سيدنا علي أنه قال « قبل آدمكم سبعون ألف آدم » ؟

وقد طبع هذا الكتاب بمطابع حكومة الكويت .

موسوعة العلوم

تأليف : جماعة من العلماء باشراف ليمان برايسن
ترجمة جماعة من الأساتذة ـ دار الفكر ببيروت بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ببغداد

● اشترك في هذه الموسوعة العلمية عدد من العلماء كتبوا في مواضيع هامة نذكر منها هيكل الانسان وجسمه ، والعلم والطب والانسان ، والعلاقة بين الجسم والعقل ، وعلم الشخصية ، وعلم الالكترونكس وغزو الفضاء ، والحقيقة أن هذه الموسوعة على جانب كبير جدا من الأهمية لأي مكتبة عربية .

الاسكندر المقدوني

تأليف : هارولد لامب ـ ترجمة الدكتور عبدالجبار المطلبي ومحمد ناصر الصانع ـ المكتبة الأهلية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ببغداد ـ الثمن ٦٠٠ فلس عراقي

● روى الكثيرون أساطير عن الاسكندر المقدوني وهذا الكتاب يختلف عما سبق ورُوي عنه اذ انه يروي قصة استيلاء هذا البطل على الشرق ، بأسلوب قصصي جذاب يعتمد على الحقائق والبحث العلمي الرصين .

نسيج الخيال

تأليف : جوزيف وودكراتش ترجمة الدكتور مصطفى عبد العزيز ـ دار القلم بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٢٨ قرشا

● يسبح هذا الكتاب في عوالم الأحياء من لدن الخلية الواحدة الى مرحلة الثدييات وكيف تعيش وتتناسل وكيف تظهر بعض الحيوانات من الشعور بالفرح وبالحزن وبعاطفة الأمومة ما يكاد يقرب شعور الانسان بكل ذلك ، وذلك بأسلوب شيق جميل .

نداء الغاب

تأليف : جاك لندن ترجمة عبد الله صديق الحاج شركة الاوفست للنشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ببغداد الثمن ٣٠٠ فلس عراقي

● هذه قصة من أطرف ما كتب من قصص عن وفاء الكلب وذكائه ـ قصة كلب سرق من صاحبه واخذ الى المناطق الثلجية حيث يعيش الاسكيمو فقاسى من شظف العيش ما انهك قواه الى ان قيض له من ينقذه .

المسئولية الطبية في قانون العقوبات

تأليف : الدكتور محمد فائق الجوهري دار الجوهري للطبع بالقاهرة ـ الثمن ٣٠٠ قرش

● هذا الكتاب تقدم به مؤلفه لنيل شهادة الدكتوراه في القانون وهو بحث قيم ؟ غني للمهتمين بشئون الطب عنه كما يستفيد منه القارىء العادي .

تمثال المحارب

تأليف : جون م . شيلر ترجمة احمد عبد الحميد ـ مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ٣٢ قرشا

● يدور هذا الكتاب حول اكتشاف عالمين من علماء الآثار المصرية القديمة تمثالا غريبا لمحارب مصنوع من خشب الجميز في مقبرة الملك خوفو ومن خلال هذه الحادثة يستعرض المؤلف مظاهر الحياة المصرية القديمة .

تاريخ الحلة

تأليف الشيخ يوسف كركوش الحلي المكتبة الحيدرية في النجف الاشرف

● يعتبر هذا الكتاب مصدرا هاما في تاريخ الحلة والنهضة الأدبية فيها والعادات والتقاليد .

خواطر

بقلم : صاحب خليل ابراهيم ـ مطبعة الآداب ـ النجف الاشرف

● وضع مؤلف هذا الكتاب نظرته الخاصة الى المجتمع ويحاول معالجة بعض مشاكل هذا المجتمع بتجاربه خاصة .

قصائد سايات نوفا

● مجموعة من قصائد الشاعر الارمني سايات نوفا

زهـرة الأدب

تأليف : حمد بن ابراهيم الحقيل ـ مطبعة المدني بالقاهرة

● هذا الكتاب يعد مرجعا في معرفة انساب واخبار العرب ومجالسهم ، وفيه صفحات مما انطوى عليه تاريخ العرب والبطولات فيه .

من الشاطىء

تقديم الدكتور محمد ثابت الفندي ـ الوكالة العربية للنشر بالقاهرة

● هذه مجموعة قصص قصيرة شيقة تدور حوادثها على الشاطىء .

طرائف عربية

من اقوال العرب المأثورة

- استكثروا من الحمد على الذم فان ... من يحمد منه .
- انما تطلب الدنيا لتملك ، فاذا ملكت فلتوهب .
- من العدله نكاية الايام ، اقامه امانه الكرام ؛ ومن الليل ظلمة ؛ ثوب ظلماته ؛ نزهه النهار عنه بصباحه .

الغيبة والنميمة

● مر مسرقه بن مصقله برجل واحد منظ الرمة فقال

[illegible]

بخلاف ذلك .

فقال له الرجل : كلمه بذلك اصلحك الله لئلا تكون غيبه !

فقال : كلمه انت حتى تكون نميمه

النهوض باكرا

● [illegible]

[illegible]

فاجاب الولد [illegible]

امثله من حكمه العرب

● قال اعرابي لابي جعفر محمد بن علي بن الحسين (رض) هل رايت الله حين عبدته ؟ فقال : لم اكن لاعبد من لم اره . قال : فكيف رايته ؟ قال : لم تره الابصار بمشاهدة العيان ، وراته القلوب بحقائق الايمان ، لا يدرك بالحواس ، ولا يشبه بالناس ، معروف بالآيات ، منعوت بالعلامات ، لا يجور في القضيات ، ذلك الله الذي لا اله الا هو .

وقال الطائي :

[illegible]

[illegible]

الجمع بين ...

● [illegible] معاويه رحمه الله ... واستخلف يزيد ابنه ، جمع الناس على ... [illegible]

حكمــة

● الغضب قد يشحذ الوهبه او يساعد على ايقاظ القريحه ، الا انه كفيل بالابقاء على الفقــر والفاقه .

الحسـود لا يسـود

● [illegible]

... به امير المؤمنين ، واخذ الكتــاب وخرج به من عنده [illegible]

فقال الوزير في نفســه : ان هذا الــذي يحمــل له من هذا الملــك مثل هــذا ... [illegible]

وانت الحاكم ومهما رأيته من الرأي اعمل ، قال اعطني الكتاب . فدفعه اليــه ، [illegible]

التهنئة والتعزية

[illegible]

وصحب جلالة الله ، فعارقت جليــلا [illegible]

جهد ضائع

● [illegible]

ــ ان الذي تطلبونه منا في الليل ، قد طلبنــاه في النهار فما وجدناه



قصة قصيرة بقلم : الكاتب الروسي بوريس ليفين

● عزيزتي سونيتشكا

ترددت طويلا قبل ان اكتب اليك هذه الكلمات .. ولكن ، ما حيلتي فلا كانت السبيل الوحيد للتعبير عن شعوري عندما افكر فيك .

اني موجود ، منذ اسبوع ، في وسط المصانع وبالقرب منك لاني على بعد عشرة كيلو مترات من موسكو . والمعامل تشع بالأنوار وتنبض بالحياة ليل نهار ، غير ان حياتي موحشة ، وبخاصة منزلة لا سيما وان اكثر زملائي المهندسين يقطنون في المدينة . استيقظ باكرا جدا ، واعود من عملي في ساعة متأخرة ، وعقلنا لا ينفك من يومي سوى بضع ساعات اقضيها بالقراءة وشرب الشاي والخلود اليك ، الى ذكراك والى صورتك . هل تذكرين صورة الفتاة اليافعة في ردائها الجامعي ، وقد استدلت شعرها الجميل على منكبيها ؟ .. لقد منحتني اخواك تلك الصورة في احد الايام عوضا عن كتاب اخذه مني . فلازمتني صورتك هذه في كل ايامي الماضية ، وما زالت موجودة في درج خزانتي ، وانا احس بالحرارة تدب في نفسي لرؤية وجهك المرح الفتي كلما فتحت الدرج لآخذ منه علبة تبغ . ايكون ذلك لاني لم انقطع عن محبتك يا سونيا ؟ واما زوجتي .. فلتما تعلم الآن اني لن اعود اليها مطلقا بعد ان عدت وقتنا في الربيع الماضي الا لم يبق ما يربطنا ببعضنا .

لعل من اسباب ترددي في مراسلتك هذه المرة انك لم تجيبي على رسالة سابقة بعثت بها اليك من الجبهة . اني دائم التفكير فيك ، وكثيرا ما تزوريني في احلامي .. وسوف اكون سعيدا جدا لذا ما ارسلت لي كلمة الى العنوان المرفق .

المخلص لك

يوريا جوردن

هذه هي الرسالة التي تلقتها يوما زوجة ديمتري باظولفيتش ، فقالت لزوجها وهي تقدمها له

ـ اود ان تطلع على هذه الرسالة لعل ما ورد فيها يثيرك ، ويثنيك عن الاساءة الي ، وعن تشبيهي بالعجائز ...

وبعد ان قرأ ديمتري الرسالة بهدوء قال :

ـ هل انت عازمة على اجابته ؟

ـ كلا ! هذا اكره الكتابة ، كما اني قليلة المعرفة به . وسوف لا اهتم بامره مطلقا لا سيما وان قصته معي قديمة جدا !

ـ ومن يكون هذا الرجل ؟

ـ انه زميل اخي في الدراسة . كان مجنونا بحبي ، وقد دفعه هذا الحب يوما الى تجرع عشرة اقداح من الماء في عشرة دقائق ..

ـ وكيف كان ذلك ؟

ـ لقد جاء ذات مساء لزيارة اخي ففتحت له الباب واخبرته انه غائب . فطلب قدح ماء وشربه ثم طلب قدحا ثانيا فاحضرته له ، فثالثا فرابعا الخ ... يا للجنون !! واعلمني اخي فيما بعد انه فعل ذلك ليطول مدة وقوفه امام الباب حتى يتمكن من التمتع بمشاغلتي ومجادلتي . كنت لا استلطفه لانه كان بشعا ، غليظ الشفاه ، وكان وجهه يحمر لاتفه الاسباب . وكان اخوتي يمازحونني ويدعونني مدام جوردن .. ولا اخفي عنك ان المعجبين بي يومئذ كانوا كثيرين جدا ....

ـ ولكن ، ماذا ستكلفك مراسلته يا سونيتشكا !

انه يبدو حزينا ويائسا بعد وفاة ابنه ، وانا متأكد من ان كلمة منك سوف ترفع من نفسيته ، فتعالي نحرر له جوابا سوية ..

ــ يا للسخرية ! اني لا ادري ماذا ينبغي ان اقول له . لا ! لا ! لا ارغب في مراسلته ، ويمكنك ان تكتب اليه انت اذا كنت ترثي لحاله !

وفي اليوم التالي اعاد ديمري قراءة الرسالة التي بقيت على مكتبه ، فازدادت شفقته على المهندس التعيس ، ذي الوجه الملوث بالدخان والأيدي الملوثة بالزيوت ... ثم فكر في سونيا ، تلك الفتاة الجامعية ذات الضفيرة والعيون الزرقاء التي فقدت اليوم مع الاسف الشديد شعرها الجميل ، وابتسامتها العذبة واصبحت تزن اكثر من مائة كيلو جرام ... وصارت في مطبخه اكثر واكثر ... منها ان هذا العاشق المسكين يجهل ان فتاة امسه النضرة ، اصبحت اليوم امرأة مترهلة تغطي وجهها بالمساحيق ، ومنها انه من المستحسن ان يعرف ما صارت اليه سونيا لعله يرتاح من نار الحب ويستعيد توازنه .. ثم عاودته فترة طويلة وهي ان يكتب الى هذا المهندس رسالة رقيقة باسم زوجته لعله يستمد منها قوى جديدة لمتابعة العمل والاقبال على الحياة ، لانه وجد انه يستحق مثل هذا السرور ... بدت له الفكرة مسلية للغاية ، فكتب الرسالة الآتية :

عزيزي يوريا :

اسمل الا تعتب علي لتأخري في اجابتك ، انقضت اعوام عديدة على آخر مرة رأيتك فيها ، وقد تغيرت كثيرا خلال هذه المدة ، ولكن ... هل يا ترى كان هذا التغير لصالحي ؟ اظن انه كذلك . كنت فتاة غريرة فارغة ، واما اليوم فقد نضجت وعلمتني الحياة امورا هامة . لست بالنسبة عن حاضري لاني لا اعمل شيئا يذكر ، وانت سعيد يا يوريا لانك بنشاط ، تحب مهنتك ، وتقوم بعمل نافع ، وهذا لعمري اجمل ما في الحياة ! لست اليوم سوى امرأة غارقة في شؤون المنزل وهذا ما يثير مللا . اني اقرأ كثيرا ، ولكن المطالعة وحدها لاتكفي ، ولا تشكل عملا نافعا (وهنا قال الزوج لنفسه : يا لهذا الكذب ! انها لا تحب القراءة ، ولم اتمكن حتى هذا اليوم من حثها على مطالعة الصحف اليومية ..) .

واما زوجي ديمري فانه يتغيب عن المنزل كثيرا بسبب مشاغله . انه يحبني ، ولكن حبه لا يكفيني لان الحب في يومنا هذا لم يعد منحصرا في تقديم واجبات المرأة المادية ، وتوفير لوازمها ، اليس هذا صحيحا ؟؟ ارى انني بالغت في مصارحتك ، ولكن عذري انه لا يوجد من يفهمني اكثر منك . فاكتب الي بسرعة لاني سوف اسر بقراءتك ، والرد عليك واحك لي عن عملك وحياتك .   المخلصة لك

سونيا

وبعد اربعة ايام تلقى ديمري غلافا ازرق كان يتضمن رسالة جديدة من جوردن يقول فيها .

سونيا ، عزيزتي الصغيرة :

تلقيت رسالتك صباح اليوم حينما كنت في المصنع ، ولا ادري كيف يمكنني التعبير عن فرحي الكبير ! لقد اصبح العمل هينا مبهجا ، لانك انت التي فكرت من هذا السرور ، ولم اتمكن من تناول طعام الافطار لان كل حاجات عام يحسه تمس القلب .

لقد المتني ما ذكرته لي عن الفراغ الذي يسيطر على حياتك ، واستغرب كيف ان زوجك لا يساعدك على تحسين اسلوب هذه الحياة . اني على يقين بانك لم تخلقي لتكوني ربة منزل فحسب واذكر انك كنت ترغبين في دخول المعهد الموسيقي لتعلمي فن الغناء لان صوتك كان جميلا جدا .. فلماذا لا تنتسبين الى هذا المعهد في موسكو ؟ وهل هجرت الغناء ؟ ارجو ان تخبريني عن هذا كله ، ورجائي اليك الا تفقدي الامل في شيء . اقبل يديك يا سونيا والى اللقاء .

يوريا جوردان

وهنا قال الزوج لنفسه وكأنه يخاطب عاشق زوجته : (سوف تتلقى الرسالة الثانية بكل تأكيد على الرغم من انك ستفقد معاملتي لزوجتي ..) ولكن ديمري وجد قلمه عاجزا عن تحرير رسالة غرامية ، فلجأ الى رسائل زوجته القديمة له لكي ينقل منها بعض العبارات ، فقرأ في احداها . (كم اود رؤيتك ! الا تتمكن من الحضور ؟ اليك يا صغيري !) غير انه وجد ان مثل هذه اللهجة قد تضر بالموقف ، وان مجيء العاشق الى موسكو سوف يخلق ازمة هو في غنى عنها .. فاعاد الرسائل الى موضعها وقال : سادعه ينتظر بضعة ايام لان الصبر يفيد العاشقين ...

غير ان يوريا رجل لا يحتمل وطأة الانتظار الطويل ، فقد ارسل خطابا مضطربا يتساءل فيه عن صمت حبيبته ويقول انه اصبح قلقا وعاجزا

عن العمل ، وانه يدخن كثيرا ويعود وحيدا ، كل ذلك بسبب تأخر ردها . ثم يقول في آخر رسالته : (كثيرا ما أخاطبك في ساعات الليل الأخيرة فتجيبني ، وأنعم بالنظرة بوجهك الذي لا يبتسم الا بمشاكله ، واللجوء الي انا الذي احبك أكثر من أي انسان على وجه الارض . ان زوجك لا يشعر بوجوده بينما انا احن الى قربك وسماع صوتك في كل لحظة . واظنك سعيدة .. ومع ذلك يبدو لي انني اسمع وقع اقدامك في غرفتي .. اليوم قد استعصي علي ؟ .. آه ! اكم اود رؤيتك !)

وما ان فرغ ديمتري من قراءة الرسالة حتى شعر بخطورة مغامرته ، فتملكه قلق شديد وبعث له مخاطر تسليته الغريبة . لذا قرر ان يصارح بوريا بما حدث فكتب له يقول :

عزيزي بوريا :

عندما تلقت زوجي سونيا رسالتك الأولى اطلعتني عليها فقرأتها واقترحت عليها ان تجيبك غير انها رفضت رفضا قاطعا وقالت ان كل ما ورد في رسالتك لا يهمها مطلقا . فخطر لي حينئذ ان ارد عليك باسمها ففعلت . قد تكون معاولتي هذه خالية من الرقة ، وبعيدة عن الاتيكيت ومخالفة للاصول المتبعة بين الناس ، ولكن المراسلة قد بدأت بيننا ، واصبحت تجاه الامر الواقع ...

والآن ساحدثك عن بيت القصيد ، اعني زوجتي سونيا . نحن متزوجان منذ تسع سنين ، وهذا وقت كاف في شئ ان يخبر كل من الزوجين الآخر . حاولت في بادىء الامر ان اوقظ فيها الرغبة في تنمية ثقافتها ولكني فشلت .. وهي غير مستاءة من حياتها الخاملة على كل حال . ثم اخذت تظهر عليها علائم السمن ، وباشرت صباغة شعرها . وها انا ارسل لك صورة حديثة لها حتى تشاهد بنفسك اخاديد وجهها ، والترهل الذي اضاف الى ذقنها ذقنا ثانية ، لعلك تطرد من مخيلتك صورة الشابة المرحة النضرة التي تصفتها لها . واحب ان تعلم ايضا ان ازعج شيء فيها رتابة في الطبع وتغير مر يزدادان يوما بعد يوم .. هذا ما وصلنا اليه يا رفيقي جوردين . كنت اتألم كلما قصصت رسالة من رسائلك الموجهة اليها لانها ليست اهلا لما ورد فيها . اني اخاطبك بكل اخلاص ، وارجو الا تشك فيما ذكرته لك ، وان تنظر الى الامر الذي حدث من ناحيته الهزلية والا تعود الى التفكير به البتة . كما اني ارجو الا تفقد نشاطك وهمتك ، وان تنجح في عملك مثلما كنت تفعل من قبل .   ديمتري بالالوفيتش

وفي الشهر التالي سافر ديمتري بمهمة رسمية وعاد صبيحة يوم كانت تتساقط فيه الثلوج بطيئة ، فاستأجر عربتين للعجلة للوصول الى داره بسرعة ، حيث سيجد حماما ساخنا ، وثيابا نظيفة ، وطعاما شهيا ، وسونيا ..

وفيما كان يجتاز الشوارع شعر بشوق الى زوجته ، وبوخز الضمير عندما تذكر ما كتبه عنها الى بوريا . وقال لنفسه : (انها طيبة جدا في قرارة نفسها ، كما اني تعودت على الحياة معها . لقد اخطأت وبالغت في ذمها ، وكانت لهجتي قاسية جدا ، فان لكل انسان حسناته ومساوئه .. وانا اعرف بأن مساوئي كثيرة ايضا ...) . ثم ندم لانه لا يحمل لها هدية ، فقرر ان يعطيها مبلغا من المال تبتاع فيه ما يحلو لها .

وما ان توقفت العربة امام الدار حتى صعد ديمتري درجات السلم ثلاثا ثلاثا ، ثم فتح الباب ونادى بصوت جذلان :

سونيشكا ! سونيشكا !

فلم يجبه احد .. فكرر النداء ولكن الصمت ظل مهيمنا على جو الدار . عندئذ دخل غرفة المكتب حيث وجد رسالة بانتظاره ، فعرف خط زوجته التي تركت له العبارات التالية :

ديمتري بالالوفيتش

لقد ذهبت مع بوريا جوردين وسوف اسعد معه بدون شك لانه يحبني اكثر مما احببتني . لقد اتى فجأة واطلعني على رسالتك . لست نادمة عليك ، غير اني بكيت بكاء مرا ساعة قرأتها . واما الآن ، فقد انتهى كل شيء واني لاشعر بتمام الارتياح . اعلم انه لا يوجد ما يعيد الشباب الى المرأة سوى الحب ، وقد كنت على صواب عندما قلت في احدى رسائلك الاتية بأن الحب ليس منحصرا في تقديم واجبات المرأة المنزلية فحسب ، وهذا صحيح وصحيح جدا .

لقد التحق بوريا بمصانع جديدة ، وانا سعيدة في العيش الى جانبه . أكرر قولي اني لست حاقدة عليك .. ولكن ، لماذا بالغت في نعتي الى هذا الحد ؟ انك تعلم جيدا اني لا ازن مائة كيلوجرام .. وان الاخاديد لم تغز وجهي بعد كما ذكرت ، فليسامحك الله واليك تحياتي . ■■

تعريب : سلمى الحفار الكزبري

AN ABSOLUTE RECORD IN PRECISION

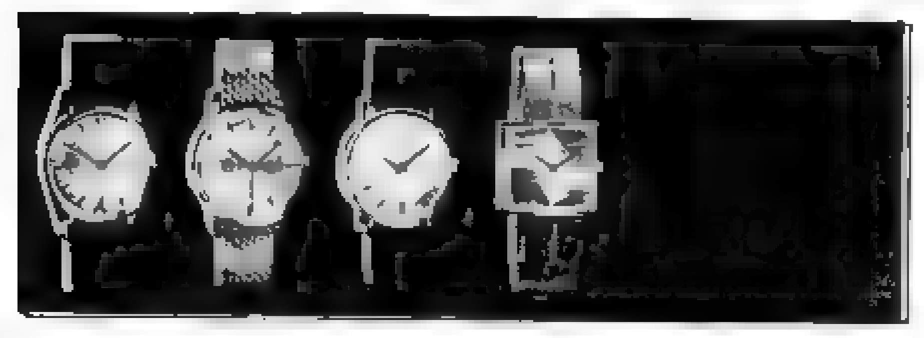
Zenith is the Wrist Watch Which has the absolute record for precision at Neuchatel Observatory.

The results of the annual contest for chrono-meters held at the Neuchatel Observatory have reaffirmed the very high quality of the whole Zenith production.

It was only Zenith which, participating in three categories of the contest, has come out with three victories.

These victories have been a source of pride not only for those who produced the watch but also for the many happy millions possessing the Zenith Watches. Zenith dealers all over the world share in the rejoicing.

Of Various Values **ZENITH**



بريد القراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

الحسناء الغالية !

● رأيتها معانقة ذراع رجل بسيط ، جذابة جميلة ، رائعة فاتنة ، طلبتها منه فما تردد ، وبغير اعتراض منها رافقتني الى مخدعي ، فاستلقيت على سريري واستلقت معي دون ذعر .

تفرست في وجهها المشرق الزاهي ، ما ابهاه ! ما اجمله ! ما اروعه ! اغمضت مقلتيها بين يدي فتقلبت ، كاشفتها بحبي لها فلم تجب ، عانقتها فلم تعترض . قبلت انامليها وهي صامتة وكنا اتطلع الى روعتها بشوق ولهفة ، وفي كل مرة اكتشف فيها حسنا جديدا ، الى ان اغمضت اخيرا على ما في قلبها . يا الهي ما احسنها وما اروعها ! انها خزينة من ادب وعلم وثقافة واجتماع ، تتحدث في كل موضوع .. انها سيكلوبيديا مصغرة !

وظللت استمع الى حديثها ، فاذا الغرفة تنجر من لتابلها . وبقيت اغالب النعاس الذي ملكني حتى نمت وتركتها بجانبي وحين افقت خيوط الفجر ، تحسستها في سريري ومددت يدي اليها فلم اجدها بجانبي . وبحثت عنها في كل مكان ، فلم اعثر عليها ، وحين نظرت الى سرير اخي الذي يشاركني غرفتي رأيته يعانقها ، بالرغم من كونه غارقا في سبات عميق ! تناولتها برفق كي لا ازعجه ، وبحركة منه بديهية ضغط على يدي وفتح عينيه ، فلما رآني ابتسم ، فابتسمت .. اما هي فظلت حيرى بيني وبينه لا تريد ولا تعارض وبعد اني عادت الى اتمام حديثها معي الذي انقطع منذ منتصف الليل .

انها حبيبة غالية .. ارجو ان لا تسيئوا الظن بي او بها .. انها مجلة « العربي »

عمان نجيب سعد

(البقية على صفحة ١٥٢)

قصيدة لم تنشر !

● أنا فتاة من بلد النخيل ، من بغداد جارة دجلة ، جارة القمر الوفية الساحرة . أنظم الشعر . فكرت أن أرسل لكم قصيدة اسمها (ياخالقي) لتنشروها في مجلتكم ولم تنشر لحد الآن ، مع أنها قصيدة جميلة جدا ، لأن نبضات قلبي هي التي نظمتها وسالت حروفها بالدمعة والحياة .. كان انتظاري لها طويلا ولم تنشروها .. أما الآن فأنا أكتب لكم هذه السطور وأضحك كثيرا ، لأنني كنت دائما عدوة الانتظار ! وبعد هذا الانتظار أرجوكم رجاء حارا أن تردوها إليّ ، وأن تقبلوا مني هذه الأبيات التي نظمتها لهذا الغرض ولا تتركوني أنتظر أكثر :

يامن إليك تحيتي
رجّع إليّ قصيدتي
الوقت طال ولست أنـ
ـسى أبدا تلك التي
ناديت فيها خالقي
وكتبتها من مهجتي
وسمعت أنا أرسلتها
في النشر زالت رغبتي
يا ناسي ردوها إلـ
ـيّ بحق رب الكعبة
لا لست أعتب لا ألو
م ولا أقدم شكوتي
إني أطالب أن تردو
ها إليّ قصيدتي
ولتبقي دوما إلى الـ
ـعربيّ خير مجلة
أصحابها نعم لنا
نعم لنا يا إخوتي

وختاما تحياتي أزفها إلى « العربي » وإلى العاملين فيها .

صالحة النور ـ بغداد ـ كرخ

« العربي » : قصيدتك وإن كانت لم تنشر بعد ، إلا أنها لم تبلغ من النضج ما ننشده وسنعمل على ردها إليك .



FAVRE-LEUBA

GENÈVE

ساعات فافر-لوبا

فخر الصناعة السويسرية

الكويت محمد عبدالله الشهاب

شارع عبدالله السالم (الجديد سابقا)

ص.ب ٢٣٨ – تلفون ٣.٢٣٢٢

فرع: شارع فهد السالم – تلفون ٣٥٣٤١

اِضْحَكْ

تَضْحَكْ الدنيا مَعَكْ

اِبْكِ تَبْكِ وَحْدَكْ ..



اى الثلاثة اقرب الى الانحراف !

● عرضت أم ابنتها البالغة من العمر ست سنوات على طبيب نفساني ، فبادر الطبيب الى طرح اسئلته على الفتاة .

قال : هل انت بنت ام ولد ؟ فكرى فى الأمر يا صغيرتى ثم اجيبى على السؤال ..

وجاء رد الفتاة سريعا : « انا ولد .. ! »

الطبيب : « حسنا . وماذا تنوين ان تكونى حينما تكبرين ؟ »

الفتاة : « اريد ان اكون ابى ! »

وهنا تدخلت الأم وخاطبت ابنتها قائلة : « ما هذه السخافات يا عزيزتى ؟ »

وكان جواب الفتاة : « ألا ترين ان الاسئلة السخيفة تدعو الى اجوبة سخيفة ! »



فتش عن المراة

● قال القاضى للص الذى كان واقفا فى القفص : « لقد اعترفت بالسرقة وقضى الأمر . غير أن وكيل النيابة يتهمك باقتحام مخزن الملابس مرتين ، مع ان الثابت هو انك لم تسرق الا مرة واحدة . فكيف يكون ذلك ؟ »

وكان رد اللص : « اقتحمت المخزن وسرقت الثياب فى المرة الاولى ، الا ان زوجتى حملتنى على اقتحامه ثانية لان ما سرقته فى المرة الاولى لم يعجبها ، وكان لا بد من استبداله بما يرضيها ! »

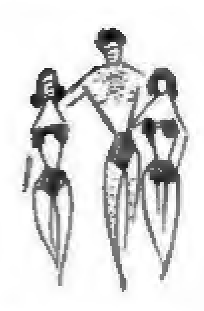
الطبع غلب التطبع

● عثر اثنان من رعاة البقر فى تكساس على بقعة نائية بدت غنية بالذهب . وبدلا من أن يرقصا فرحا ، لهذا الاكتشاف الكفيل بجعلهما من اصحاب الملايين بين عشية وضحاها ، قال احدهما للآخر : « اذكر هذا الموقع جيدا فقد نهبط اسعار البقر فى وقت ما »

قدوة حسنة

● نهض احدهم ليخطب فى حفل بعد تناول طعام الغداء . وكان خفيف الظل مدركا للملل الذى تحدثه الخطابة فى المستمعين اذا امتلأت بطونهم ، وبدا النعاس يغالب عيونهم . قال :

« مهمتى الآن هى أن اتحدث اليكم . اما مهمتكم فهى الاستماع الىّ . وما عليكم الا ان ترفعوا ايديكم اذا ما تسنى لكم انجاز مهمتكم هذه ، قبل انجازى لمهمتى تلك ! »



مباراة في «الفشر»!

● التقى صحفي بصديقه المحامي في احدى سهرات السمر الاسبوعية التي الفا التردد اليها بين حين وآخر بقصد التسلية والترويح عن النفس . ولم تكد تمضي دقائق على مباشرتهما الحديث عن الطقس والناس حتى انطلق الصحفي يروى لصديقه حلما ادعى انه حلمه في الليلة السابقة . قال : « لقد حلمت انني كنت على ساحل الريفيرا ، اسبح وامرح واقيم في افخم الفنادق مجانا وبلا مقابل! يا له من حلم تتضاءل دونه سائر الاحلام!

فأجابه المحامي : « خل' عنك ياصاحبي ! فقد حلمت انا في الليلة الماضية بالذات انني كنت في هوليود ، والممثلة الساحرة آفا جاردنر على يميني ، وزميلتها الايطالية ، لولوبرجيدا على شمالي .. »

وهنا قطع الصحفي عليه حبل الكلام معاتبا « يا لك من صديق ! تصطحب اثنتين وانت واحد ، ولا تدعوني لاملأ الفراغ !؟

وكان رد المحامي : « هذا صحيح ، ولكنك يا اخي كنت في الريفيرا على ما اظن ...!